بهذا العدد رسالة الصيام والزكاة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة — العدد ٨١ — رمضان سنة ١٣٩١ هـ — ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١ م

سورة العلق مكية وهي أول ما نزل من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

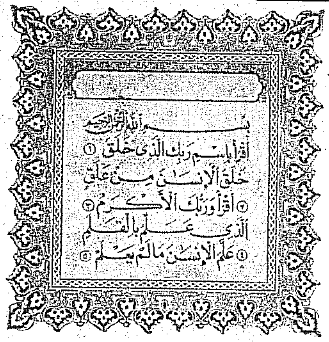
اقرأ باسم ربك الذى خلق ① خلق الإنسن من علق ② اقرأ وربك الأكرم ③ الذى علم بالقلم ④ علم الإنسن ما لم يعلم ⑤



سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء فى دولة قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثانـــي يستقبل معالي وزير الخارجية الشيخ صبـــاح الاحمد الجابر ووفد التهنئة الكويتي .



الوفد الكويتي الرسمي يقدم لسمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين التهاني بمناسبة اعلان استقلال البحرين



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السنـة السابعـة

العدد الحادى والثمانون

غرة رمضان سنة ١٣٩١ هـ

٢٠ أكتوبر « تشرين الأول » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمـن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر	دينار وربع	
المغرب	درهم وربع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

العلم يدعو للايمان

للشيخ محمد الغزالي

الى متى يظل الانسان منطلقا فى هذه الحياة كالقذيفة الطائشة ، لا يدرى كيف يسير ، ولا الى أين المصير ؟

والى متى يبقى مندفعا بقواه المذخورة وأهوائه المحصورة حتى اذا نفدت قوته وبطلت حركته سقط حيث طاشت به مطارح الدنيا .

((فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)) .

عجبت لقوم ينكرون الله ، ويجحدون مبتداهم منه ومنتهاهم اليه .

وأعجب من ذلك أن يتوسلوا الى الحادهم بالعلم !! العلم الذى هو نهج الايمان الحق ، ودليل الوجود الأعلى ..

فاذا ذهبت تتعرف شبههم وجدت اما قصورا فى العلم يلحق صاحبه بالجهال ، واما غرورا بأدنى الحظوظ منه .

والمغرور بالقليل يرسل أحكامه مبتسرة مضللة ، لا وزن لها ولا معول عليها .

وفى بلادنا صنف من الناس ليس له زاد من المعرفة ، الا قراءات على هامش الاسفار الضخام التى كتبها العلماء الراسخون .

قابلت أحدهم يوما وما زلت أذكر الحوار العنيف الذى دار بينى وبينه ! كان هذا المغفل يجادلنى فى وجود

الله ، ويسوق كلمات حفظها من نظرية النشوء والارتقاء ، ويريد ليوهمنى أن خلق انسان سوى المشاعر نابض الاجهزة لماح الذكاء أضحى عملا فى مقدور العلم وأن معامل الكيمياء توشك أن تفاجئنا بهذا الاختراع !!

فلما تحسست حصيلة هذا المجادل من علوم الكون والحياة وجدتها قشورا يسيرة ، فاستغربت أن رجلا بضاعته حروف الهجاء فى فن من الفنون يصطنع فيه درجة الامامة التى تمحو وتثبت .. !! وفى ماذا ؟ فى حقيقة الوجود الاعلى .. !

فاكتفيت بان أكشف لهذا المغرور جهالته ، ثم تركته ، وعلى لسانى قول الشاعر —

نجا بك عرضك منجى الذباب
حمته مقاذيره أن ينالا !

وتذكرت قول الله تبارك وتعالى :
« ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق » .

من الخرافات الشائعة ، أن كثيرا من عظماء التاريخ لا أخلاق لهم ، وان كثيرا من علماء الكون لا ايمان لهم . !

وأحسب أن ترويج هذه الخرافة بعض ما تلجأ اليه الشياطين فى محاربة الايمان والاخلاق ، حتى تنشأ الاجيال الفضة وهى تحسب التحلل والتمرد أقصر الطرق الى العبقرية والسمو .. !

والحق أن عرا الاخلاق هى التى صنعت ألوف الرجال ، وأن الايمان بالله حقيقة مقررة لدى جمهور العلماء الراسخين .

نعم قد تكون لدى هؤلاء العلماء ريب فى أغلب الديانات المشهورة أو فيها كلها . بيد أن العيب لا يرجع الى أولئك العلماء الماديين قدر ما يرجع الى أصحاب الاديان الذين شوهوا رسالات الله ، أما بتحريف الكلم عن مواضعه ، وأما بالاعمال الشائنة التى تضع من أقدار المتدينين ، وما يحملونه من دين .

والقرآن الكريم ملم يصم بالكفر الا قوما تكشف لهم الحق فجحدوه ، وعرض عليهم الدين كاملا فأزروا به وانتقصوه ((أن الذين أرتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم)) .

« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى .. » .

أقول ذلك بعد ما انتهيت من مطالعة كتاب « العلم يدعو للايمان » وموضوع الكتاب يفهم من عنوانه ، أنه تعريف بالخلائق يقودك الى خالقها وشرح للكون ينتهى بك الى باريه ..

وهل للايمان الذكى العميق نبع يجيش به الا من هذه المطالعة الدارسة للحياة والأحياء ؟ ولأمر ما قال الله عز وجل « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين » .

ان الايمان لا ينمو فى قلب ، ويتخلل شعابه ، ويغمر رحابه الا بمدى ما يعى المرء من آيات الله فى ملكوته .

ومسلك المؤلف العالم فى كتابه هذا ، يقوم على عرض الحقائق المتيقنة عرضا لا أثر فيه للاوهام والفروض ، ولا مكان فيه للمغيبات والنصوص .

أنه يحترم قوانين المنطق الحديث والفلسفة الحرة ويستهدى الى غاياته طرقا لا يختلف على صحتها المؤمنون بما وراء المادة والجاحدون لها .

ولقد تابعته بعقلى كما تتبع العين الاشعة الكاشفة ، وهى تنتقل من أقصى الافق الى أقصى الافق أن ثروة هذا الرجل فى المعارف الكونية طائلة هائلة وانك لتعجب أهو أخصائى فى الفلك أم فى التشريح أم فى الكيمياء أم فى غيرها ؟

ولا غرو فهو رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك ، فحديثه عن العالم الكبير الذى نعيش فيه ، وعن القوانين الضابطة لسيره ، وعن الاسرار الكامنة فى متونه وحواشيه حديث الخبير الراسخ المتأنق فى سرده واحتجاجه .. !!

والكتاب كله تفصيل مطرد متسق ، لما أسماه علماء التوحيد عندنا ((بدليل الابداع)) وأساس هذا الدليل على وجود الله لفت النظر الى ما فى الكون من دقة وحكمة .

هل رأيت شريط السكة الحديد الممتد من القاهرة الى الاسكندرية مثلا ؟

أنه يربو على مائتى ميل .

والمسافة بين الخطين المتوازيين المهدين لانطلاق عجلات القطار فوقهما لا تزيد ولا تنقص مع بعد الشقة .. !!

الا يدل ثبات هذا العرض على أعداد مقصود لسير القطار فوقه . الا تدل طريقة المد والتمكين على أن القطار المنساب سيجرى بسرعة معينة ؟ ويحمل أثقالا كثيرة ؟

هل اذا رأيت اذرعة القاطرة تغمز العجلات بعد ما حركتها سلسلة مضبوطة منسقة من الآلات والاجهزة، افاذا القطار يتحرك وينهب الارض نهبا . اتحسب أن هذه الاجهزة المتراكبة والآلات المتناسقة قد أخذت أوضاعها العتيدة من غير فكرة صاحبتها وغرض تنتهى به ؟

هذا مستحيل !

على هذا النحو اخذ الباحث الضليع يسوق آلاف الامثلة من حقائق الارض والسماء فاذا أنت أمام حشود لا آخر لها من براهين الوجود الاعلى أسمع اليه يقول —

((قد رأينا أن العالم فى مكانه الصحيح ، وأن قشرة الأرض مرتبة الى مدى عشرة أقدام ، وأن المحيط لو كان أعمق مما هو بضعة أقدام لما كان لدينا « اوكسجين » ولا نبات ! وقد رأينا الارض تدور كل أربع وعشرين ساعة ، وأن هذا الدور أن لو تأخر لما أمكن وجود الحياة ، ولو زادت سرعة الارض حول الشمس أو نقصت لتغير تاريخ الحياة أن وجدت تغيرا تاما وقد رأينا هذه الشمس هى الوحيدة بين الآلاف التى جعلت حياتنا على الارض ممكنة وأن حجمها وكثافتها ودرجة حرارتها وطبيعة أشعتها يجب أن تكون صحيحة كلها على ما وجدناها ، وهى

صحيحة فعلا ورأينا أن الغازات التى بالهـــواء منظم بعضها الى البعض بنسب دقيقة . وان أقل تغيير فيهـا يكون قتالا .. الخ)) .
ماذا يعنى ذلك كله ؟ الا يردك الى الله ويعلق كبه ؟

ومع ذلك فيوجد من الناس من يقول لك : ان الساعة التى فـى معصمك قد استدارت تروسهـا وتشابكت آلاتها وانضبطت دقائقهـا تحرك عقرب الثوانى ، وتحرك عقرب الساعات بعد ما تحرك عقرب الدقائق كل ذلك بمحض الصدفة !

فهذا الحساب المحصى للزمن لم تشرف على تسجيله وأحكام مراصده فكرة واعية ولا يد صناع !! كذلـك يقول بعض المتعالين عن السموات والارض وما بينهما .

وقد تحدث هذا العارف الحصيف عن الصدفة وما ينسبها لها الواهمون من تنظيم واقتدار فقال ((ان الصدفة تبدو شاردة غير منتظرة أو غيـر خاضعة لاية طريقة من طرق الحساب عند قليلى الخبرة ، ضعاف الملاحظة .

ولكن اذا كنا ندهش لمفاجآتهـا فانها — مع ذلك — خاضعة لقانـون صارم نافذ ! لنفرض أن معك كيسا يحوى مائة قطعة رخـام ، تسـع وتسعون منها سوداء وواحـدة بيضاء ..

والآن هز الكيس وخذ منه واحدة .
ان فرصة سحب القطعة البيضاء هى بنسبة واحد الى مائة .
والآن أعد قطع الرخام الى الكيس وابدأ من جديد .

ان فرصة سحب القطعة البيضاء لا تزال بنسبة واحد الى مائة ، وان فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هي بنسبة واحد الى عشرة آلاف (المائة بعد ما ضوعفت مائـة مرة) !!

ثم جـرب مرة أخـرى أو مرتين تصبح الارقام فلكية !!
ان نتائج المصادفة مقيدة بقانون صارم تقييدا وثيقا كما أن اثنين واثنين يساويان أربعة .

ويقول فى مكان آخر ((واذا نظرنا الى حجم الكرة الارضية ومكانها فى الفضاء وبراعة التنظيمـات التى تمسكها فان فرصة حصول بعض هذه التنظيمات مصادفة هى بنسبة واحد الى مليون . وفرصة حدوثها كلهـا لا يمكن حسابها حتى بالبلايين .

ونقول بل لا يمكن أفتراضها الا فى تصور المستحيلات ، فان العقل الذى يمنع أن تبنى المصادفـات دارا مـن بضع حجرات يجزم آكد الجزم بأن هذا العالم الكبير — بأفلاكه وآمادة وحيوانه وجماده وأنسه وجنـه — يستحيل ان تنشئه صدفة عارضة !!

ثم هل نحسب ان مئونة ابقائـه وحياطته أيسر من أيجاده لاول مرة ؟

ان كلا الامرين ليس الا الله ((الله خلق كل شىء وهو على كـل شىء وكيل . له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله اولئـك هم الخاسرون)) .

من هدي السنة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ : بجامعة الكويت

القرآن الكريم

« روى الامام مسلم فى صحيحه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى الصفة فقال : « أيكم يحب أن يغدو كل يوم الى بطحان أو الى العقيق ، فيأتى منه بناقتين كوماوين (١) فى غير أثم ولا قطع رحم » ؟ فقلنا : يا رسول الله كلنا يحب ذلك ، قال : أفلا يغدو أحدكم الى المسجد فيعلم (٢) أو يقرأ آيتين من كتاب الله ، خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهن من الابل » (٣) ..

١ ــ كتاب الله المعنى بهذا الحديث الشريف هو القرآن الكريم (قال أبو اسحاق النحوى : يسمى كتاب الله الذى أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ، كتابا وقرآنا وفرقانا ، ومعنى القرآن ، الجمع ، وسمى قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها ، وروى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قرأ القرآن على اسماعيل بن قسطنطين ، وكان يقول : القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والانجيل ، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن كما تقول :قرأت القرآن) (٤) قال تعالى : **« وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »** الآية ٤١ من سورة فصلت . والقرآن هو كتاب الاسلام الأول ، بل هو كتاب الدنيا كلها ، فارق بين الحق والباطل ، ما فرط الله فيه من شىء ، أعيا الفصحاء ، وأخذ الطريق على البلغاء ، وأعجز الخلق أجمعين أن يجاروه أو يشاكلوه أو يقاربوه ، حوى كل ما يحتاج اليه البشر من عقيدة وعمل ونظام ، يدرك ذلك من آياته فى يسر وسهولة ، أمر الله سبحانه بتدبره ، وكلف رسوله صلى الله عليه وسلم بتوضيحه وتفسيره وتبيانه : **« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم »** الآية ٤٤ من سورة النحل ، نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين لينذر الناس ويهديهم سواء الصراط ، وقد أعظم الله شأنه ، وأعلى مقامه ، وأبان قوة تأثير ما انطوى عليه من المواعظ والزواجر وعرض بقسوة

قلب الانسان وقلة خشوعه ، لما ورد فى الذكر الحكيم ما يزلزل الرواسى لو عقلت ، ويفتت الصم الصلاد لو وعت ، فقال جل شأنه ((**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله**)) الآية ٢١ من سورة الحشر ، فأين قوة القلوب من قوة الجبال ، ولكن الله رزق عباده من القدرة على حمله ما شاء أن يرزقهم فضلا منه ورحمة .

وقد ورد فى السنة الشريفة أن القرآن هو الملجأ حين تضطرم الفتن وتحتدم ، وتدلهم الخطوب وتزداد ، فمما أخرجه الترمذى (٥) عن على رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله ، وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ فيه الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته أن قالوا : انا سمعنا قرآنا عجبا ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم) وروى البخارى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وروى مسلم عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر) وفى رواية (مثل الفاجر) بدل (المنافق) وروى البخارى مثل نصه ، وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه (٦) وهو عليه شاق له أجران) أجر التلاوة وأجر المشقة ، قال القرطبى المفسر المتوفى سنة ٦٧١ هـ رحمه الله ورضى عنه : « ودرجات الماهر فوق ذلك كله ، لأنه قد كان القرآن متتعتعا عليه ثم ترقى عن ذلك الى أن شبه بالملائكة . والله أعلم » . وأخرج ابن ماجة فى سننه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقال لصاحب القرآن اذا دخل الجنة : اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه » وقالت أم الدرداء : دخلت على عائشة رضى الله عنها ، فقلت لها : ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة ؟ فقالت عائشة رضى الله عنها : ان عدد آى القرآن على عدد درج الجنة. فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن) .

والمقصود بقراءة القرآن ليست مجرد التلاوة وتكرار الألفاظ الشريفة وانما لا بد أن يتابع ذلك العمل والاخلاص وابتغاء وجه الله تعالى بتعلم القرآن وتعليمه ، وإلا كان وباله على صاحبه أشد من غيره ،

والاخلاص لله تعالى مطلوب فى كل عمل وبدونه لا يقبل ، ففى الذكر الحكيم (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أى لا يرائى ، الآية ١١٠ من سورة الكهف ، وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرىء ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت (ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها ، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى فى النار) وأورد الترمذى هذا الحديث الشريف وزاد فيه : ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتى فقال : يا أبا هريرة: أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة) وروى أبو داود والترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة) .

ونظرة الى العاملين فى حقول الحياة عامة ، ترى المتأمل قيمة العمل النامى عن اخلاص وايمان وخوف من مراقبة العلى الكبير ، وتظهر نتيجة ما ينشأ عن عمل المرائى الذى يخادع فيما يأتى وما يذر ، فالأول يشعر فى قرارة نفسه وحبات قلبه أنه انما يبذل قوته وخبرته وعلمه وكل ما يتصل بما يعمل مما يوصله الى الكمال المنشود ارضاء لله لأنه واجبه الصادر عن نفسه المفطورة على الاخلاص المطبوعة بالمعرفة الحقة القريبة من جانب الله سبحانه الذى يدرك خلجاتها ، وما يعتمل بداخلها ، لا تخفى عليه خافية ، انه يرانا أسررنا أو أعلنا ، جاهرنا ، أو خافتنا ، ولكل هذا تظهر النتائج باهرة لا مجال فيها لقول أو نقد أو ارتياب ، وهذا شأن بناة الدعوات الصالحة ، وديدن العلماء الفاقهين لصلتهم برب الوجود وما حوى ، فان شادوا بهر العالمين ما شادوا ، وان رسموا خطة هداية ، وسلوك كمال ، ومسارب رشد ، لا تملك قوى الدنيا العاقلة الا أن تطأطىء هاماتها لما أدوا من واجب وما قاموا به من عظائم ، أرقب هؤلاء فى سجلات أصحاب الرسالات المصطفين الاخيار ، فى أضابير أساطين العلوم المختلفة قديمها وحديثها فى مقيمى المجتمعات الفاضلة على أسس العدالة والتراحم والتواد والتعاطف ، لا على جماجم المظلومين وسحق عظام المستضعفين ، وصرخات الأرامل واليتامى ، والوالدات والأيامى .

والثانى المرائى المداهن لا ينبت الا خبيثا يثمر سما وهلاك الحرث والنسل ، ان قاد أباد من تزعم ، وان علم أهلك من تعلم ،

والقرآن الكريم ، عـرف مرماه ومغزاه ، وأدركت اتجاهاته وتوجيهاته مصدره رب العـالمين ، ومبلغـه سيد المرسلين ، فمن حمله ليـؤدى حقه كان له هداية ونورا ، ومن اتخذه وسيلة ليضل الناس على علم ، كان ساعيا الى حتفه بظلفه ، فقـد ظلم نفسه ومن أحاط به ممن اغتروا بقوله وخدعهم ظاهر قوله **(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار)** الآية ٤٢ من سورة ابراهيم ، فاللهم أقـل عثراتنا ، واجعل صلتنا بقرآنـك خالصة لوجهك ، ووفقنا وارزقنا القوة والسداد **للقيام بحق ما علمتنا ، وبرئنا** من الرياء والمراء انك وحدك سميـع الدعاء ..

٢ ـ أدرك شانئو الاسـلام والحاقدون على رسوله وأمته عظمة القرآن ، ومدى أهميته وأنه لا اسلام بدون كتاب الاسلام ، الذى لا تبتغى **به العاجلة وكفى، فهىوسيلة وليست** هدفا ، فليحصل فيها عامروهـا ما **يسعد إقامتهم فيها وليحملـوا الانتاج** الأهم والزاد الكافى الى دار أخرى هى للاقامة الدائمة ، لا أزعاج فيهـا **لمن** اتخذ اليه هـواه وغره سراب **لمن** اتخذ الهه هواه وسحره سراب خادع . فمات ظمأ ولم يبتل بالماء فمه، والذى يدعو الى العجب أن الشانئين للاسلام الحاقدين على كتابه لم يقيموا **عداوتهم على قواعد منطقية أو خلقية** ولم تنشأ عن تبصر وروية ، وانما هو العداء الآثم ، وضراوة الأمارة بالسوء والرغبة الملحة لاقتناص (أم دفر) **والاستحواذ على متاعهـا اعـوجت** الوسيلة أو استقامت **(اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله)** وماذا فعلوا ؟ ! : لقد أثاروا الشكوك حول المصدر ، وقشع غاشيتهم نور من الله **وفضل** ، فحاموا حول الحملة (بفتح الحاء المهملة والميم) ونوعوا وسائل الاغراء والفتنة ، وأجـادوا تصويب السهام فى غفلة من غفل ، وغيبة وعى ، فأوقعـوا فى الارض الفساد وسار الركب المعـادى يحمل ألقابا علمية فى كل حقبة من زمان عمر القرآن العزيز ، وقاربوا النجاح لأنهم خططوا باتقان وعملوا دائبين ، وكان ذلك تحت سمـع المسلمين وبصرهم وبلغة القرآن ، ولما خشوا أن تتطلع وحدات من أبناء جلدتهم الى مكنون سر الكتاب الحكيم فتصيخ سمعـا وتستجيب ، وربما لا يستطيعـون مقاومة حربين أحداهما شبت فـى حصونهم ، فقالوا لقومهم : لننقل لكم هذا الذى بهركـم حين شاهدتموه بنقل أمة أمية من بداوة وجهالة الـى قمم حضارة وحكمة ، ومن ضياع فى بيداء الى سلطـان كسرى وقيصر ، على أن ذلك كان ضرورة تاريخية ، وسنة كونية ، وظاهرة تتكرر فليست هى الأولى ولا الأخيرة ، وهاكم الدليل، فتلك معان خيالية هزيلة وعبارات بدائية سبق اليها شعراء سبقوا فى الزمان ، واذا غلبهم الحق وخافـوا ضوءه ولم تقو عيونهم على مواجهته ، موهوا حوله بدخان الدعايات الباطلة فيخفى الدر المكنون ولكن الى حين ، وهكذا نقلوا معانى ـ عـلى حسب أهوائهم ـ من القرآن محرفين الكلم عن مواضعه الى كل لسان أدركـوا انتشاره وحاولوا وضع العملاق فى قمقم ، وما استطاعوا النجاح الكامل ولكن أحدثت فعالهم دويا مزعجا وبين يدى الآن عديد مما سجلوا وما زيفوا وحرقوا كله مدون فى ثلاثمائة مؤلف أو تزيد ، ويحتاج نقض ما قدمـوا ـ زيفا ـ الى جهود وجهود مصحوبة بالصبر والمثابرة والشجاعـة التى تقاوم مغرياتهم وتهدم مفترياتهم .

٣ ـ مناسبة هذا القـول لزمان

صدوره ترجع الى عاملين أحدهما هنا فى هذا الوطن العربى الاسلامى الأصيل (الكويت) فقد صحت عزيمة وزارة الأوقاف على افتتاح دار القرآن الكريم فى مطلع العام الدراسى ١٣٩١ هـ ١٣٩٢/١٩٧١ — ١٩٧٢ وكان هذا أول عمل فعلى من نوعه فى تلك الديار ، وهو مشروع ثار فيه الكلام منذ أعوام سلفت ، وعاقت تنفيذه فى حينه عوائق ، وهنا لدى التنفيذ بدت ظاهرة بهرت وأدهشت القريبين من المشروع تلك هى الاقبال العجيب من طبقات الشعب المختلفة على الانتساب الى تلك الدار ، بدو من الصحراء ، وحضر فى المدائن ، وموظفون فى دواوين الدولة ، بل وأصحاب جاه ومال ، كل يرغب فى الدراسة للاجادة والتجويد ، فأبان ذلك عن نفوس كريمة عامرة بحب القرآن ، ولا تحتاج الا الى زند لتورى وتشتعل نارا تحرق أعداء القرآن والشىء من معدنه لا يستغرب .

وهل ينبت الخطى الا وشيجه
وتغرس الا فى منابتها النخل

والعامل الثانى دعوة تلقيتها من كبير من علماء الأجانب الذين يتبوأون أعلى المناصب العلمية فى أرقى جامعات العالم المعاصر ، ولبيت فماذا وجدت ؟ فى قرية نائية فى ريف فرنسا تبعد عن باريس ثمانى ساعات بقطار سريع (أكس بريس) ثم ما يقرب من ستين كيلو مترا عن آخر محطة للقطار تقطع بالسيارة لقيت الرجل العالم يجلس فى بهو واسع من داره القروية الجميلة وتتناثر حوله كتب الاسلام وفى مقدمتها التفاسير مخطوطة ومطبوعة (٧) ، وكان اللقاء للبحث والدرس فميزة هذا العالم اللوذعى ، والحبر النحرير أنه يطلب موارد العلوم فى منتجعها مهما بعدت الشقة ، وهذا ديدن العلماء المخلصين فيما يتصدون له من عمل ، هو يكتب مقدمة لترجمة جديدة لمعانى القرآن ، أعجبته تلك الترجمة لأنها منصفة للقرآن ويجب أن يستبين كل ما يتصل بما يكتب ، وكان لقاء علميا جميلا أثار شجنى فأصحاب القرآن المنزل على رسول الله يغطون فى ثبات عميق ، وان صحوا فلكى يشاكلوا غيرهم ، لا ليدلوا بحقائق القرآن لتدرج على أرضهم فتجمع شملهم وتوحد متفرقهم ولا أملك الا أن أنادى حى على الفلاح : يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ، يا قومنا : استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، حى على الفلاح فقد طال النوم والصلاة فى محراب القرآن خير من النوم ، هيا اغدوا كما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المساجد فتعلموا القرآن وعلموه فذلك خير لكم من حمر النعم ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

---

(١) كوما وين : تثنية كوماء ، وهى الناقة المشرفة السنام عالية .
(٢) فيعلم : ضبط بتشديد اللام من التعليم ، وبتخفيفها من العلم .
(٣) خلاصة معنى الحديث : الدعوة الى العمل لنشر الكتاب وحفظه وتطبيق أحكامه واشاعته بين العالمين ، ونهى عن أن يتخذ مهجورا فيأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٤) عن لسان العرب مادة قرأ .
(٥) ورد هذا الحديث فى صحيح الترمذى جـ ٢ ص ١٤٩ طبع بولاق بمصر مع اختلاف يسير فى بعض كلماته .
(٦) التتعتع : التردد فى الكلام عيا وصعوبة .
(٧) للتاريخ والحق أقول : لقد كان لكبير من رجالات الكويت المخلصين لدينهم ووطنهم الفضل الاوفى فى وصول الكتب الاسلامية الاصيلة الغالية الثمن النادرة الوجود الى معقل هذا الرجل والى أكبر مركز علمى عالمى مشتغل بالبحوث الفلسفية الدينية والادبية عامة منذ قرون (مقره فى باريس) يؤمه طلاب العلم من أنحاء المعمورة .

الصوم في مجال اجتياز الأزمات

للدكتور : محمد البهي

١ إنه السبيل لوقوف المؤمن ، في صبر وإصرار في وجه الحرمان المؤقت ومشقته

٢ ولنجاحه في الاختبار بنعم الله وعدم الافتتان بها ..

* ولكى يستطيع المؤمن بالله وحده أن يلتزم بما آمن به ، وأن يلتزمه مختارا ، وأن يجتاز العقبة النفسية الداخلية ، وهى هواجس الشهوة والهوى ، فى سبيل التنازل عن بعض ما فى يده ، — كثر أو قل — تحقيقا للمنفعة العامة للمال .. كانت عبادة الصوم كتجربة نفسية وكعبادة يتقرب بها الى الله ، يجب أن يمر بها المؤمن ، ويستمر من وقت لآخر فى مباشرتها .

ولكى يستطيع المؤمن بالله وحده ، أن يواجه كذلك مشقة الحرمان ويتغلب عليها ، حتى لا يذل لفتنة المتع الحسية واغرائها ، وعندئذ يقع تحت التبعية لها من جديد فيسىء الى ايمانه بوحدة الألوهية ، وينتقل الى سلوك الشرك والتقلب فى العبادة من أجل هذه المتع .. كانت عبادة الصوم هى السبيل الواضح للمؤمن فى الوقوف فى عزم وصبر واصرار أمام مشقة الحرمان المؤقت .

وتحقيق المنفعة العامة للمال عن طريق الصوم ليس اذن عطفا على من تعطى اياه ، بقدر ما هى واجبة الأداء فى صورة لا يشق على النفس

أداؤها ، عندئذ . فأوجه المنفعة العامة ليست فحسب رعاية العاجز عن السعى فى الحياة ، ولا تغطية حاجة من يقصر سعيه عن ضرورات معيشته . وانما هى عديدة ، بقدر ما تحتاجه المصلحة العامة للأمة .

فالصوم الآن — وهو التجربة النفسية على الحرمان كقربى الى الله — يستهدف تحقيق « القدرة » فى الذات ، وهى حقيقة نفسية تصور حرية الارادة الفردية فى تحديد الموقف وتعيين سبيل السلوك فى الحياة ، وبهذه القدرة الذاتية يفى المؤمن بما يلتزم به ، ويكون وفاؤه ليس عن الزام خارجى له .

هذه التجربة النفسية على الحرمان هى الكفيلة بتحقيق « النظرة » الاسلامية فى المادية وفى المال معا .

فاذا كانت النظرة الى المادية على أنها مصدر الفواحش والمنكر والبغى والطغيان والعبث والفساد فالوقاية من الاستسلام الى الاتجاه المادى فى الحياة ، أو تحدى هذا الاتجاه انما هو فى « استساغة » الحرمان استساغة نفسية وعدم اعتبار أنه شقاء ، بل اعتبار أنه ضرورة من ضرورات الحياة البشرية تقع ، كما تقع أية ضرورة أخرى من ضروراتها .

واذا كانت النظرة الى المال فى الاسلام أيضا على أن وظيفته وظيفة اجتماعية ، أى ان منفعته عامة للكل ، فالسبيل الى تيسير أمر هذه الوظيفة الاجتماعية للمال ، وتحويل تلك النظرة الى ما يشبه « العادة » فى سهولة أدائها .. يكمن فى تجربة الصوم كعبادة . فالامساك عن المتع الحسية وقتئذ — أى وقت كون الصوم عبادة — ليس عن عجز فى اقتنائها اذ هى موجودة ومتوفرة ، وانما عن عبادة وقربى الى الله تعالى ، عن اختيار ومشيئة .

وما يسمى بـ « القناعة » ليس الا امساكا باختيار القانع عن متع حسية وليس عن عجز عنها ، بل هناك رغبة فى رضاء الله ، بدلا عنها (عن هذه المتع) .

وتجربة الصوم كعبادة اذا كانت تجربة على استساغة الحرمان استساغة نفسية من المتع الحسية وشهوات النفس فيها ، وليس عن عجز وانما عن قدرة ، واذا كانت ضرورة فى حياة المؤمن كسبيل لتحويل النظرة الاسلامية الى « واقع » فى نفس الذات ، هو « عادة » أو « ارادة » أو « طاقة » على الصبر والتحمل .. فانه لا بد أن يكلف بها من يقدر عليها ، وان تكون فترتها فى استطاعة الانسان ، وأن تتخلل حياة الانسان ، كما يتطلب شأن العبادة التكرار ، وكما تتطلب القوى النفسية وجود البواعث لحيويتها .

وهنا نجد القرآن الكريم يحدد فى الآيات التالية ما تتطلبه هذه التجربة

من أوضاع كى تبقى حية ذات فعالية فى حياة المؤمن بالله :

« يا أيها الذين آمنوا ! :

١ ـــ « كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون . أياما معدودات ،

٢ ـــ « فمن كان منكم مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى « الذين يطيقونه فدية : طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن « تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون .

٣ ـــ « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من « الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه .

« ومن كان مريضا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم « اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ،

٤ ـــ « ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » (١) .

... فأولا : يحدد القرآن فرضية الصوم ووجوبه . وهو فريضة وواجب منذ رسالة الله على الأرض . وفرضيته ووجوبه اذن جزء لا يتجزأ من دين الله ، وهو الاسلام : « كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم » .

وكما يحدد وجوبه يوضح هدفه فى قوله : « لعلكم تتقون » وهو اتقاء فتنة المادية واغرائها ، والوقاية من الانسياق فى تيار الاتجاه المادى فى الحياة الذى يوصل عادة الى الطغيان والفساد .

... وثانيا : يربط وجوب أدائه باستطاعة الانسان البدنية . فان شق على الانسان فى وضع معين له كالسفر والمرض ، فيرخص له بالفطر ، على أن يعيد صوم الايام التى أفطر فيها فى وقت آخر لا يشق عليه أداؤه فيه .

« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

ومع هذه الرخصة للمسافر والمريض فالذى يستطيع منهما الصوم يجب عليه أن يخرج من طعام اليوم ما يكفى فردا عن كل يوم يفطر فيه ، وان زاد فيما يخرجه بحيث يكفى أكثر من فرد واحد فهو خير له يثاب عليه .

((وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا ((فهو خير له))

ومع ذلك فصوم المسافر أو المريض ـــ الذى يستطيع منهما الصوم ـــ خير لأى منهما من الافطار والفدية : ((وان تصوموا خير لكم)) . لأنه سينفع الصائم فى شد عزيمته وابعاد التراخى فى قوة احتمال الحرمان ومشقته :

((وأن تصوموا خير لكم ، أن كنتم تعلمون)) .

و ((الطاقة)) على الصوم التى تتحدث عنها الآية هنا : ((وعلى الذين يطيقونه)) هى طاقة المسافر أو المريض ـــ وليس القصد طاقة من يظن منه عدم الطاقة لشيخوخة مثلا ـــ أثناء سفره أو أثناء مرضه . لأن عدم الصوم مع الطاقة للمسافر والمريض يكون رخصة له عندئذ . والا اذا كان أى من المسافر أو المريض يضره الصوم يكون افطاره واجبا ، وليس رخصة : يجوز له بسببها أن يفطر ، كما يجوز له أن يمسك .

... وثالثا : يحدد وقت أداء الصوم العبادة والفريضة بشهر رمضان المبارك . وهو بهذا التحديد يهيىء جوا روحيا خاصا يزيد من فعالية الصوم فى ((التجربة)) فى سبيل احتمال الحرمان ومشقته . فشهر رمضان هو الشهر الذى أنزل فيه القرآن بهدايته وبيانه للطريق المستقيم . وهو الطريق

الذى يجنب من يسلكه انحرافات المادية وعبثها : ((شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه)) .

وأما ما جاء مرة أخرى فى شأن المريض والمسافر فى قوله هنا : ((ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر)) .. فجاء ليوضح سبب الرخصة فى عدم الصوم أثناء المرض أو السفر ، وهو دفع حرج المشقة التى قد تبعد الصوم عن كونه ((عبادة)) أى قربى تنطوى على مسرة يتقرب بها الصائم الى الله جلت قدرته : ((يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة)) .

وقد فهم بعض الذين يعالجون شئون التفسير لكتاب الله أن ما جاء فى قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » هو نسخ لما ورد من قبل فى الآية السابقة ، فى قوله : « وعلى الذين يطيقونه : فدية طعام مسكين » . وهو فى هذا التفسير يقطع صلة هذا القول : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » عن المريض والمسافر فى الترخيص لهما بالفطر ، مع استطاعتهما مباشرة الصوم ، ويجعل هذا الحكم مستقلا ومنشئا وضعا خاصا فى عبادة الصوم وهو : أن القرآن فى بداية تقرير عبادة الصوم جعل القادرين من المؤمنين مخيرين بين الصوم أو الفطر مع الفدية وهى اطعام المسكين . ثم نسخ هذا الحكم بما جاء فى الآية بعد ذلك من قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » فرفع التخيير عندئذ وأوجب الصوم وحده .

ولكن ماذا يقول صاحب هذا التفسير فى بدء النداء للمؤمنين هنا فى تقرير الصوم : « يا أيها الذين آمنوا : كتب عليكم الصيام » ؟ . أليس هذا القول مساويا لقول الله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » ؟ ان الله سبحانه وتعالى أعاد أمر الوجوب هنا فقط بالنسبة للمدة وهى الشهر . ولكن وجوبه كعبادة تقرر بما جاء فى النداء السابق : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام » .

... ورابعا : يطلب من المؤمنين أن يشكروا الله جلت قدرته ويكبروا ويهللوا بذكره وبعظمته على فريضة الصوم كعبادة فى حياة المؤمن ، وعلى ما هداهم اليه فى تجاربهم ليكونوا خلقين بانسانيتهم ، وهى التجارب التى تتمثل فى العبادات . فكل واحدة منها وان اتصلت بمجال معين فى حياة الانسان اتصالا وثيقا فهى تتصل بالجانب الآخر بقسط له أثره فيه ، وهى كلها تصقل الانسان بما تكونه من عادات لديه ، وبما تنشئه من ملكات وقدرات خاصة تساعد على تحويل « النظر » الى « واقع » و « الفكر » الى « تطبيق » .

ولولا هداية الله — ولذا يجب على المؤمنين به شكره — لما استطاع أن يخرج الناس من اغراء المتع الحسية والتبعية لها :

« أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ، واتبعوا أهواءهم » (٢) .

ان الامساك — لاداء فريضة الصوم — وقت الرخاء ، أى وقت اقتناء المتع الحسية واستطاعة الاستمتاع بها ، يعبد للمؤمن طريق النجاح فى

الاختبار بالنعم التى يفيض بها الله عليه ، والتى لها اغراء وبريق يخدع ويفتن : « انا جعلنا ما على الارض زينة لها ، لنبلوهم :ايهم أحسن عملا » (٣) فالصائم عن قدرة — وليس عن عجز — هو الذى لا يدع نفسه لخداع ما على الارض من زينة ويتورط فى بريقها ، وبذلك ينحرف فى مسلكه ، ويتخذ من تلك النعم طريقا للظلم والطغيان والفساد بسبب تبعيته لما أترف فيه حينئذ .

وذلك هو الطريق لاجتياز الابتلاء بتفاوت المستويات فى الاقتناء واختلاف درجات الثراء ومنازل الغنى بين الناس . فكما جعل الله ما على الارض زينة لاختبار أثرها على النفوس ، كذلك جعل تفاوت الغنى والمال امتحانا للنفوس الضعيفة والقوية ، والصادقة فى ايمانها والمترددة فيه : « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ، ان ربك سريع العقاب ، وانه لغفور رحيم » (٤) .. سريع العقاب لمن جنح بسبب ما آتاه الله من مال ورزق وأصر على غيه فيه . وغفور رحيم لمن خدع به وقتا ما ثم تاب الى الله وسلك الطريق السوى ، فى الاستمتاع به من جهة ، وفى تحقيق المنفعة العامة لوظيفة المال الاجتماعية من جهة أخرى .

وكما يكون الابتلاء باقتناء النعم ، وبالتفاوت فى الثروات ، يكون بالحرمان أو بالأزمات فى ذلك : « كل نفس ذائقة الموت ، ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون » (٥). فالحياة عرضة للكثير والقليل، وللرخاء والضيق ، والرخاء أو الكثير اذا كان للانسان ولنشاطه فى السعى أثر فيه فان القليل أو الضيق قد يكون نتيجة لعوامل بعيدة كل البعد عن ارادة الانسان وقدرته : « ولنبلونكم بشىء من الخوف ، والجوع ، ونقص من الاموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » (٦) .

والمؤمن الذى يتقرب الى الله بعبادة الصوم وبامساكه عن المتع ، رغم وجودها بين يديه هو ذلك الذى تمر عليه الأزمات والشدائد بسبب نقص فى الأموال والأنفس والثمرات ، دون أن تحدث أثرا سلبيا فى نفسه ، حتى يهتز ويستسلم لشهوة النفس ، ويسأل ويلح فى السؤال لقضاء ما تشتهيه ، بطريق أو بآخر . وهو نفسه الذى تدرب على الصبر والاحتمال . فاذا ما كانت الأزمة فى الأنفس فانه ينقل صبره واحتماله الى مجال فقدها ، دون أن يضطرب ايمانه بالله وباليوم الآخر ، فيميل الى الاتجاه المادى فى الحياة فينكر ربه وآخرته . لأن الاحتمال قدرة وطاقة ، أينما تكون الأزمة تواجه بها .

ولذا فهو من أصحاب الهداية ، وممن رضى عنهم ربهم برحمته وتوفيقه فتمرس على الصبر بتدريب نفسه على الامساك فى الرخاء والشدة على السواء .

وربما قبل الابتلاء بالدنيا ومتعها ، اقتناء وحرمانا ، يواجه المؤمن بالله الابتلاء فى الايمان نفسه .. يواجه الابتلاء فى مدى صدق ايمانه واخلاصه فيه .. يواجه التعرض بسبب الايمان للقتال مرة ، ولايذاء الاعداء بالقول والتآمر مرة أخرى : « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن من الذين

أوتوا الكتاب من قبلكم ، ومن الذين أشركوا ، أذى كثيرا ، وان تصبروا وتتقوا ، فان ذلك من عزم الأمور » (٧) .

ان المؤمنين سيختبرون فى أموالهم بانفاقها فى الجهاد فى سبيل الله ، وسيختبرون فى أنفسهم بالمواجهة فى قتال الاعداء ، وسيختبرون بالتعرض للسخرية والاهانة والتشهير وترويج الاكاذيب .. سيختبرون فى كل ذلك من أجل الايمان .

وما لم يكن لهم صبر وتحمل ، وما لم يدربوا على حماية النفس من التأثر بالدنيا فى متاعها والحرمان منها على السواء ، لا يكون لهم عزم ولا تكون لهم ارادة وقوة نفسية خاصة يتقون بها ما يوضعون فيه من أحوال ، من شأنها أن تهز الايمان وتضعفه . ولن يكون هذه المعانى النفسية ويجعل فى أعماق الذات « واقعا » يواجه الابتلاء الا عبادة الصوم .. الا الامساك عن نية وارادة ورغبة .. الا الامساك فى تحد لشهوة النفس ، وفى تحد لمتع الحياة المتوفرة ، وفى تحد للاغراء ولبريق هذه المتع الحسية .

ان الابتلاء فى شأن الايمان لا ليوضح حسن الاتجاه أو سوء الاتجاه قبل الاغراء بزينة الدنيا ومتعها . وانما ليظهر العناصر الايمانية الحقيقية والعناصر الاخرى الانتهازية . حتى يكون بناء المجتمع بناء سليما : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ، والصابرين ، ونبلو أخباركم (أحاديثكم عن ايمان النفس ومدى صدقها) » (٨) . ان الابتلاء فى شأن الايمان لبيان هذه القوى الثلاث : قوة الجهاد ، وقوة الصبر ، وقوة الصدق فى التعبير عن الحقيقة النفسية للايمان ذاته .. قوة الجهاد بالنفس والولد والمال ، وقوة الصبر على المشقة والحرمان ، وقوة الصدق فى تحمل نتائج الايمان .

وفى سبيل الابتلاء فى شأن الايمان بالله يقص القرآن : كيف وضع المؤمنون أمام حقيقتين ، ويوضعون فى كل وقت أمامهما .

الحقيقة الأولى : أن نصرهم على أعدائهم يجب أن يكون بيدهم هم ، طالما يسلكون طريق الحق صدقا ، بينما يتبع الاعداء طريق الباطل . والله قادر على نصرة المؤمنين ، ولكنه يتركهم لمدى صدقهم فى ايمانهم :

١ — « الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ،

٢ — « والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وآمنوا بما نزل على محمد ،
« وهو الحق من ربهم ، كفر عنهم سيئاتهم ، وأصلح بالهم .
« ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ، وان الذين آمنوا اتبعوا
« الحق من ربهم ، كذلك يضرب الله للناس أمثالهم .
« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم
« (أضعفتموهم) فشدوا الوثاق (خذوهم أسرى) ،
« فاما : منا بعد ، واما فداء ، حتى تضع الحرب أوزارها ،

٣ — « ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض ،

٤ — « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » (٩) .

... فاتباع طريق الحق — ان كان اتباعه فى صدق واخلاص — فلا بد أن يوصل الى النصر . لأن الطريق الآخر — وهو طريق الباطل — لا يوصل الا الى الخراب والتدمير .. لا يوصل الا الى العبث والفساد ، والى الطغيان .. لا يوصل الا الى الانقسام بين كبراء وزعماء يتبعون ما أترفوا فيه ، وآخرين أذلاء مستضعفين ليس لهم من حظ فى حياتهم سوى الشقاء والحرمان وذل الضعف والتبعية .

واذن الباطل لا يؤدى الى بقاء ، وبالتالى لا يؤدى فى ذاته الى نصر لأتباعه . فاذا كان أهل الحق — وهم أهل الهداية والترفع عن الاغراء بالاتجاه المادى فى الحياة ، وتجنب الظلم والعبث والفساد — أصحاب صدق واخلاص فيما يقولون ويتبعون ، فلهم البقاء ولهم النصر ، طالما غيرهم ليس له بقاء ولا نصر .

ومن أجل هذا المصير لكل من أصحاب الاتجاهين ، فالله جلت قدرته ، فى اظهار كل على حقيقته ، يبلو بعضهم ببعض : « ولكن ليبلو بعضكم ببعض » .

فاذا أضيف الى مصير « الحق » فى النصر : ان الذين يقاتلون فى سبيله لن يضل لهم عمل ، ولن يذهب سدى .. كان هناك دافع آخر يضاعف فى نصر الحق لذاته . واذن فالمؤمن الصادق فى ايمانه فى مواجهته لعدوه فى قتال ، لا بد أن ينتصر عليه .

الحقيقة الثانية : أن المؤمنين فى قتالهم مع الكفار — فى أحد — وضعوا أمام هزيمة ، جرتهم اليها نفوسهم ، تحت التأثر بشهوة الغنائم والحصول على المنفعة المادية ، بعد ما رأوا أعداءهم يهربون من مواجهة القتال . فأسرعوا الى جمع الاسلاب وتفرقوا فى القتال ، فعاد اليهم أعداؤهم ونالوا منهم وهزموهم فى تلك الموقعة .

انتصروا أولا بفعل الدفعة الأولى من الايمان ، ثم طرح بعضهم الايمان جانبا وانجذب الى الاتجاه المادى فى الحياة وأغواه فكانت الهزيمة للمؤمنين جميعا . وضعوا أمام النصر والهزيمة فى موقعة واحدة ، وأمام أثر الايمان بالله والفتنة بالمتع الحسية فى تعاقب ليس بينهما فاصل زمنى ، كى يشهدوا بأنفسهم سبب النصر وسبب الهزيمة ، وكى يتضح الصادق فى ايمانه والمنافق فيه .. كى يتضح الذى أخذته تجربة الصوم فى صلابة الارادة وقوة العزيمة أمام المغريات الفاتنات أو فى مواجهة الحرمان والازمات ، من ذلك الذى لم يفد من عبادة الصوم الا امساكا عن الأكل والشرب من يوم الى آخر حتى اذا انتهت مدته عاد الى الانجذاب نحو المتع المادية ، والى الشكوى من الحرمان ، ان أصابه يوما ما .

وهذه الحقيقة الثانية : يقصها القرآن الكريم فى الآية التالية ، والآيات الأخرى بعدها .

١ — « ولقد صدقكم الله وعده (بالنصر) اذ تحسونهم باذنه (تحصدونهم وتبيدونهم) ،

٢ — «حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم « ما تحبون : منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم

« عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين » (١٠)

. . .

وبجانب الصوم الذى هو عبادة وفريضة — وهو صوم رمضان — هناك صوم النافلة ، وهو غير محدود فى زمنه وأيامه ، وانما على حسب الاستطاعة البدنية ، بحيث أداؤه لا يخل بواجب آخر كواجب السعى وتحصيل الرزق ، أو واجب الزوجية ، أو واجب الأمة والجماعة فى ميدان قتال مثلا .

وبجانب هذا النوع وذاك : صوم الكفارات . وهو صوم عبادة أيضا ، ويتقرب الانسان به الى الله سبحانه وتعالى ، كى يكفر عن جريمة اجتماعية ارتكبها فى اندفاع ، أو تحت التأثر بعادة معينة . . أى ارتكبها دون أن يخطط لها ويقصدها ويبيت النية على مباشرتها .

وفى القرآن جاء الصوم كفارة عن جرائم : القتل الخطأ ، والظهار ، والحلف بالله لغوا ، والصيد فى الاحرام للحج أو العمرة :

١ — فعن جريمة القتل الخطأ كان قوله تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ،

« ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله ، الا أن يصدقوا ،

« فان كان من قوم عدو لكم ، وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ،

« وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ،

« فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما » (١١) .

. . . وفى تعبير القرآن الكريم عن تحرير الرقبة المؤمنة مع الدية أو مع عدمها ، ثم عن الصوم فى حال عدم وجود الرقبة المؤمنة . . بأن ذلك توبة من الله : « فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله » — وليس عقوبة أو حدا — دلالة واضحة على انه أولا : أن صوم الشهرين المتتابعين هو عبادة ، وثانيا : أن العبادة لا تكون عقوبة أو حدا . وانما هى قربى الى الله يتوسل بها هنا للعفو عن هذه الجريمة التى لم تقصد ، كشأن العبادة دائما .

وفى معنى عبادة الصوم تحرير الرقبة المؤمنة . ففى تحريرها قربى الى الله ، لأن التحرير ينطوى على رد الاعتبار البشرى الكامل لانسان تملكه آخر بالوراثة أو بالقهر والشراء . . تملك موضوعا وأمرا لا يملك الا بفعل القوة وحدها . فاذا رد اليه اعتباره البشرى وشعر بالمساواة بينه وبين غيره لا ينعكس ذلك على نفسه وتصرفاته كانسان فحسب ، وانما تعود اليه « الكرامة » الانسانية التى خلق كل فرد عليها من الله جل شأنه ، وتتجلى فيه الطبيعة كما أرادها الله وسواها فأحسن صورها . وبذلك يدل على وجود الله وعدله ، أكثر مما لو بقى فى ملكية الغير ومسلوب الارادة والحرية والشخصية كحيوان يساق ولا يتجه بذاته .

ان تحرير الرقبة فيها معنى الزكاة العبادة ، وفيها معنى الانفاق فى سبيل الله الذى هو عبادة أيضا .

وجريمة القتال الخطأ هى جريمة اجتماعية ، لأن القتل هو القتل لنفس ذهبت وولت ، بغير حق . سواء أكان عمدا أم خطأ . فالعمد أو الخطأ فى القتل لا يغير اطلاقا من أنه : قتل نفس مؤمنة بغير حق .

والخطأ فى القتل يأتى بشىء واحد ، وهو عفو الله . ولكن لارتباط هذا الخطأ بجريمة اجتماعية ، أى بجريمة من شأنها أن تكون مترتبة على اتباع الاتجاه المادى فى الحياة ومن آثار المادية .. كانت الكفارة — أى القربى الى الله — تحرير رقبة أى احياء نفس برد اعتبارها البشرى اليها ، فان لم توجد فصيام شهرين متتابعين .. أى كانت الكفارة ممارسة لعبادة لها صلاحية التخفيف من حدة الاتجاه المادى ، والمعاونة على الخروج من دائرة المادية والتبعية لها .

فالكفارة هنا علاج عن طريق عبادة ، وليست عقوبة أو شبه عقوبة . لأن العقوبة تكون على ذنب . ولا ذنب هنا طالما كان عفو الله وغفرانه .

وهكذا : نجد أن الكفارات التى يكون الصوم فيها مستهدفا ، كبديل وعوض ، هى كفارات لجرائم اجتماعية لم تستكمل عناصر الجريمة الاجتماعية المترتبة على سيطرة المادية وطغيانها ، أو كفارات لجرائم لم يزل فيها أثر للاتجاه المادى ولم تخلص النفس التى ارتكبت هذه الجرائم من « الميل » أو « الذبذبة » بين « الروحية » الاسلامية و « المادية » الجاهلية .

٢ — وعن جريمة « الظهار » جاء قول الله تعالى :

أ — « الذين يظاهرون منكم من نسائهم — ما هن أمهاتهم ، ان أمهاتهم
« الا اللائى ولدنهم — **وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا** ،
« وان الله لعفو غفور .

ب — « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا : فتحرير
« رقبة ، من قبل ان يتماسا ، ذلكم توعظون به ، والله بما
« تعملون خبير .
« فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ،
« فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ،

جـ — « ذلك لتؤمنوا (لتؤمنوا مخلصين وصادقين) بالله ورسوله ،
« وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب اليم » (١٢) .

... وقول الله تعالى هنا فى الظهار واضح فى :

انه منكر من القول وزور وكذب : « وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا » . هو منكر من القول لأن الذى يقول لزوجته : « أنت على كظهر أمى » .. فيسوى بين الزوجة والأم فى حرمة المباشرة الجنسية — تلك الحرمة التى يكنى عنها بقوله : كظهر أمى — ينقل أمرا من دائرة الحل الى دائرة الحرمة ، أو يصف الحلال بالحرام . ووصف الحلال بالحرام ، أى وصف الشىء بنقيضه ، فيه منكر من القول . ثم فى الوقت نفسه هو زور وكذب . لأنه يقول على أمر أحله الله بأنه حرام ، فكأنه يكذب على الله فيما يقول ، جل جلاله .

ومنكر القول ، والكذب على الله هو جريمة اجتماعية كذلك . فهو اشاعة للمنكر من جهة ، وتقول على الله فيما لم يقله من جهة أخرى . ويتصل اتصالا وثيقا بالعرف الجاهلي ، وهو عرف مادى . فصاحب الظهار — وقد أسلم وآمن بالله — لم تزل فى نفسه بعض رواسب المادية السابقة على المجتمع الاسلامى . ومن هنا كانت الكفارة : تحرير رقبة ، فان لم توجد فصيام شهرين متتاليين ، على غرار كفارة القتل الخطأ .

ولكن زيد فى أمر هذه الكفارة : اطعام ستين مسكينا فى يومهم ، عند عدم توفر الرقبة المؤمنة ، فعدم القدرة على صيام شهرين متتابعين .

واطعام الستين مسكينا هو جانب مالى يشبه الى حد ما تحرير الرقبة المؤمنة . وهذا وذاك تجربة لتخفيف أثر الاتجاه المادى فى الحياة كالصوم . ولكن فقط أحدهما عن طريق الاعطاء ، والآخر عن طريق الامساك ، حتى تكون هناك فضلة فى المال للآخرين .

وهدف كفارة الظهار على هذا النحو اذن هو تأكيد الايمان بالله والصدق فيه ، والعزم على دفع الاغراء المادى ، فضلا عن الوقوع فى اتجاهه : « ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله » .. فجعلت الآية صاحب الظهار بظهاره كأنه خرج من ايمانه أو لم يكن مؤمنا على سبيل الحقيقة ، واتخذت من كفارة الظهار طريقا الى الايمان بالله ورسوله . واذن الصوم كبديل ، وكعبادة كذلك ، خصص فى مثل هذه الجرائم الاجتماعية ، لا لاعادة التوازن بين الروحية والمادية — اذ الروحية الاسلامية هى التوازن فى الاستمتاع بالمتع الحسية بين الحرمان منها كلية والاستغراق فيها كلية — وانما لدفع سيطرة المادية ، والابقاء فى خطوط الروحية الاسلامية .

٣ — وعن جريمة اليمين اللغو كانت الآية الكريمة :

١ — « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم (أى لا يعذبكم ولا يعاقبكم ،

« بل هو يعفو عنكم) ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ،

« فكفارته : اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم

« أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ،

« فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ،

« ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم ،

« واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم

« تشكرون » (١٣) .

... فالحلف بالله لغوا ينطوى على تعريض الله — دون قصد — للحرج ، وعدم توفير الاحترام اللائق بجلاله . اذ صاحب لغو اليمين قد وعد باسم الله أمرا ولم يفعل ذلك الأمر . وهنا كان التعرض للحرج .

ولكن لأنها يمين غير مقصودة ، أى لم يبيت أمرها فى اهانة المولى سبحانه ، وكانت عفو الحديث أو وقعت تحت تأثير العادة ، لم يؤاخذ المولى سبحانه وتعالى صاحب هذه اليمين على الحرج الذى ترتب عليها : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » . ومع ذلك فهى تدل من جانب آخر على أن صاحبها لم يزل متأثرا ببعض جوانب الاتجاه المادى فى الحياة . لم يزل متأثرا بما يستتبعه هذا الاتجاه من الاستخفاف بالله وبالايمان به وبالمؤمنين به ،

وان لم يكن على شعور ووعى بهذا الاستخفاف .

ومن أجل تعريض قدسية الله للحرج فى اليمين للغو كانت جريمة فى حق الله ، وهى أشبه بالجريمة الاجتماعية . لأن ما لله هو للأمة كلها . وجاء لغوها سببا فى عفو الله عنها ، وبقى أصل الجريمة فكانت الكفارة التى تخير بين اطعام عشرة أو كسوتهم من جانب أو تحرير رقبة من جانب آخر ، ثم تنتهى الى الصوم ثلاثة أيام ، وأيضا متتالية ، حرصا من المولى جلت قدرته على أن يصفى رواسب الاتجاه المادى فى سلوك المؤمن الذى يعرض الله للحرج فى الحلف به .

ومن أجل ذلك تطلب الآية فى نهايتها أمرين : تطلب الكف عن الحلف بالله : ... « واحفظوا أيمانكم » . وتطلب كذلك شكر الله على أن وضح طريق الحق خالصا من شوائب المادية : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » .

٤ — وعن جريمة الصيد فى الاحرام للحج أو العمرة تقول الآيات القرآنية :

« يا أيها الذين آمنوا :
« ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ، ليعلم
« الله من يخافه بالغيب ،
« فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم .
« يا أيها الذين آمنوا :
« لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل
« ما قتل من النعم (الابل — البقر — الغنم) ، يحكم به ذوا عدل
« منكم ، هديا بالغ الكعبة (لفقرائها) .
« أو كفارة : طعام مساكين ،
« أو عدل ذلك صياما ،
« ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله
« منه ، والله عزيز ذو انتقام ،
« أحل لكم صيد البحر ، وطعامه متاعا لكم وللسيارة ، وحرم
« عليكم صيد البر ما دمتم حرما ،
« واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (١٤) .

... كل آية من هذه الآيات الثلاث تنذر أو تحرم صيد البر فى الاحرام للحج أو للعمرة : « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . « لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم » . « وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما » . مما يوضح الهدف من هذا التحريم ، وهو توفير « الحرمة » لبيت الله . فاذا بوشرت جريمة قتل الصيد بعد النهى عن صيده وفى ظل مباشرة عبادة الحج أو العمرة فان ذلك لا يعد انتهاكا للحرم الآمن نفسه فقط ، ولا تحديا لما نهى الله عنه هنا من التحريم فحسب . وانما يعد تقليلا أيضا من شأن عبادة ، هى الحج أو العمرة ، فرض فيها التجرد — وقت أدائها — من كل مظاهر الدنيا وزينتها ، ومن كل ما يميز انسانا عن آخر . بل يعد نقضا لهدف هذه العبادة

من التجرد من كل ما هو مادى . لأن الصيد — رغم التحريم — هو انجذاب لما هو مادى سهل الحصول عليه . ولسهولة صيده ، كان موضع ابتلاء واختبار اذ تناله الأيدى أو الرماح . « ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم » .

والعقوبة على انتهاك حرمة البيت الآمن وحرمه بقتل الصيد المنهى عنه هى ما جاءت فى الآية فى قول الله تعالى : « ومن عاد (أى بعد التحريم) فينتقم الله منه ، والله عزيز « ذو انتقام » .

ولكن مع ذلك هناك كفارة قصد بها — كما يقصد من كل كفارة — أن لا تكون بديلة وعوضا عن العقوبة ، التى هى الانتقام . وانما قصد بها تصفية الميل والتبعية للاتجاه المادى فى الحياة ، أو قصد بها الوقوف الصلب فى مواجهة الاغراء والفتن التى تثيرها المتع وما فى الدنيا من متاع وزينة من جديد . فاطعام المساكين بما يساوى النعم التى يحكم بها ذوا عدل من المؤمنين ، أو الصيام أياما بما يعدل ذلك ، حسب تقدير الفقهاء ، هو تلك الكفارة التى نيطت بها مهمة التصفية للاتجاه المادى فى الحياة . واذ ذكرت الآية هنا فى التعليل للكفارة ما تقوله : « ليذوق (أى الذى أقدم على الصيد) اعتداء على حرمات الله وعلى نفس العبادة التى أريد لها أن تكفل عدم وبال أمره » .. فانها تقصد الى « تعظيم « الجريمة » . لأنها فى الواقع الاعتداء على تلك الحرمات ، وهى عبادة الحج أو العمرة .

ان هذه الاوضاع التى طلب فيها القرآن الكريم الصوم ككفارة أريد بها أن تكون فرصا أخرى لاداء هذه العبادة حتى تزيد فاعليتها فى حياة المؤمن فى صهر ارادته وقوة عزيمته فى مواجهة المادية وآثارها ، وحتى تسهم فى « التزام » ما يلتزم به المؤمن — وهو ما يلزم به نفسه عن اختبار — فى تحقيق نظرة الاسلام الى الحياة ، وتطبيق ما تقوم عليه النظرة من مبادىء وتوجيه .

---

(١) البقرة ١٨٣ — ١٨٥ .
(٢) محمد ١٤ .
(٣) الكهف ٧ .
(٤) الأنعام ١٦٥ .
(٥) الانبياء ٣٥ .
(٦) البقرة ١٥٥ — ١٥٧ .
(٧) آل عمران ١٨٦ .
(٨) محمد ٣١ .
(٩) محمد ١ — ٤ .
(١٠) آل عمران ١٥٢ .
(١١) النساء ٩٢
(١٢) المجادلة ٢ ، ٣ ، ٤ .
(١٣) المائدة ٨٩ .
(١٤) المائدة ٩٤ — ٩٦ .

ذو القرنين

للشيخ أحمد حسن الباقوري

قال الله جل ثناؤه .

« ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ، انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شىء سببا فاتبع سببا .. الى قوله — وما استطاعوا له نقبا » (١) .

فأول ما يتساءل عنه فى هذه الآيات (ذو القرنين) من هو ؟

والثانى — ما المراد بمغرب الشمس ؟

والثالث — ما المراد بمطلع الشمس ؟

والرابع — ما المراد بالسدين ؟

والخامس — ما المراد بيأجوج ومأجوج ؟

فأما ذو القرنين فان اسلافنا يعرفونه بالرجل الطواف كما يقول ابن هشام والامام السهيلى ، ثم يختلفون فى اسمه فمن قائل ان اسمه (هرمس) أو (هرديس) وابن هشام يسميه الصعب بن ذى مرائد ، ويعتبره أول التبابعة ملوك اليمن ، وربما سموه أقريدون بن اثقيان الذى قتل الضحاك .

ويذكر الامام السهيلى أن قس بن ساعده ذكره فى خطبته فى سوق عكاظ —

(يا معشر اياد ، أين الصعب ذو القرنين الذى ملك الخافقين ، وأذل الثقلين ، وعمر الفين ، ثم كان ذلك كلحظة عين) .

وقد أنشدوا للاعشى .

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا
والحنو — حنو قراقر الذى مات
والحنو — حنو قراقر الذ ىمات
فيه ذو القرنين بالعراق .

ويقول ابن هشام — أنه رجل من أهل مصر اسمه مرزبان بزمرزبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح . واسمه الاسكندر ، وهو الذى بنى مدينة الاسكندرية فنسبت اليه .

ويقول ابن اسحاق رواية عن

معدان الكلابى ، وكان رجلا قد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم — ان النبى صلى الله عليه وسلم قد سئل عن ذى القرنين فقال — هو ملك مسح الارض بالأسباب ، ولم يشرح معنى الأسباب .

قال الامام السهيلى — وأهل التفسير لهم فيه أقوال متقاربة ، فقد قالوا فى قوله (وآتيناه من كل شىء سببا) أى علما يتبعه .

وفى قوله تعالى (فاتبع سببا) أى طريقا موصلة . ويقول ابن هشام فى غير السيرة : ان السبب هو حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه ، وقد قيل أن اسم ذلك الملك زياقيل .

وهذا يقرب من قول من قال : سببا أى طريقا . ويقرب أن يكون تفسيرا لقول النبى صلى الله عليه وسلم — مسح الارض بالاسباب .

وقد اختلفوا فى تسميته بذى القرنين ، كما اختلفوا فى اسمه واسم أبيه وأصح ما جاء فى ذلك ما روى عن أبى الطفيل عامر بن وائل — سأل ابن الكواء على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال — أرأيت ذا القرنين أنبيا كان أم ملكا ؟ فقال على : لا نبيا ولا ملكا ، ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين ، وفيكم مثله . يعنى نفسه،وقيل : كانت له ضفيرتان من شعر والعرب تسمى الخصلة من الشعر قرنا ومنه قول الاسدى —

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها
بنى شاب قرناها تصر وتحلب

أراد : يا بنى التى شاب قرناها .

فاما مغرب الشمس — فقد قرأ ابن عاصم وعامر وحمزة والكسائى : تغرب فى عين حامية . بدل حمئة ومعنى حامية حارة ومعنى حمئة كثيرة الحمأة ، وهى الطينة السوداء وقد يجمع بين القراءتين فيقال — كانت حارة وذات حمأة .

وقال عبد الله بن عمرو — نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غربت فقال — نار الله الحامية لولا ما يزعها من الله لاحرقت ما على الارض .

وقال ابن عباس — اقرأنيها أبى كما اقرأه رسول الله (فى عين حمئة) غير أن معاوية كان يقول هى حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص — فأنا مع أمير المؤمنين فجعلوا بينهم كعبا حكما وقالوا : يا كعب كيف تجد هذا فى التوراة ؟ فقال كعب : أجدها تغرب فى عين سوداء . فوافق ابن عباس .

وقال القفال :

ليس المراد أنه انتهى الى الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل الى جرمها ومسها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير أن تلتصق بالارض وهى أعظم من أن تدخل فى عين من عيون الارض بل أكبر من الارض أضعافا مضاعفة وانما المراد أنه انتهى الى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها فى رأى العين تغرب فى عين حمئة كما أنا نشاهدها فى الارض الملساء كأنها تدخل فى الارض ولهذا قال — وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا، ولم يرد انها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم بل أراد انهم أول من تطلع عليهم .

وقد وجد ذو القرنين عند نهاية العين قوما هم أهل جابرس وهى بالسريانية جارجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود الذين آمنوا بصالح كما قال السهيلى .

هذا ما رواه القرطبى وغيره من الاقدمين فى صدد الآيات الشريفة .

ويقول ابن القيم فى كتابه أغاثة اللهفان : —

ان الاسكندر المقدونى هو ابن فيلبس وليس بالاسكندر ذى القرنين الذى قص الله تعالى نبأه فى القرآن بل بينهما قرون كثيرة وبينهما فى الدين أعظم تباين .

فذو القرنين كان رجلا صالحا موحدا لله تعالى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكان يغزو عباد الأصنام ، وبلغ مشارق الارض ومغاربها ، وبنى السد بين الناس وبين يأجوج ومأجوج .

وأما هذا المقدونى فكان مشركا يعبد الاصنام هو وأهل مملكته ، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وستمائة سنة ، والنصارى تؤرخ له وكان أرسطاليس وزيره وكان مشركا يعبد الاصنام .

والامام جمال الدين بن نباته المصرى من أعيان القرن الثامن الهجرى يوافق الامام ابن القيم على رأيه هذا فيقول رحمه الله :

والصحيح أنه الاسكندر بن فيلبس ، وسمى ذا القرنين تشبيها بذى القرنين المذكور فى الكتاب العزيز لبلوغ ملكه قرنى الشمس من المشرق والمغرب ، وهو صاحب أرسطاليس الحكيم الفيلسوف ، وكان أبوه سلمه اليه ، فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والأدب ، فنال منه ما لم ينل أحد من تلامذته ، ولما مرض أبوه خاف على الملك فاسترده وعهد اليه بالملك من بعده ، فلما تولى ملك ابيه أظهر من العبقرية وحسن الرأى والشجاعة وقوة التدبير وجميل الوفاء لمعلمه أرسطوما جعله مضرب الامثال فى كثير من فضائل الرجال .

ومما يذكر بالتقدير ما رواه ابن نباته عنه مما يدل على بعد نظره وقوة فكره وحسن سياسته فقد قيل له ذات يوم : أن فلانا يشتمك ، فلو عاقبته لاحسنت ، فابى أن يعاقبه قائلا (هو بعد العقاب أعذر) وتحاكم اليه اثنان ليقضى بينهما فى أمر ، فقال لهما (الحكم يرضى أحدكما ، ويسخط الآخر فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا) وجىء اليه يوما بلص فأمر بصلبه فقال : (أيها الملك أنما فعلت ما فعلت وأنا كاره) فقال الاسكندر : (تصلب أيضا وانت كاره) وغضب ذات يوم على بعض شعرائه فاقصاه ، وفرق ماله فى أصحابه ، فسئل عن حكمته فى هذا التصرف فقال : أما أقصائى له فلجرمه ، واما تفريقى ماله فى أصحابه فلكى لا يشفعوا فيه ...

وجلس ذات يوم مجلسا عاما للرعية فلم يسأله أحد حاجة فقال : والله ما أعد هذا اليوم من ملكى ، فقيل له: ولم ذلك أيها الملك ؟ فقال : ان لذة الملك لا وجود لها الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين .

وأما مطلع الشمس فالمراد منه أنه انتهى الى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس أحد من الناس ، والشمس تطلع وراء ذلك بمسافات بعيدة ، وهؤلاء القوم فيما يقول الكلبى: يسمون تارس، وهاويل، ومنسك ، وهم حفاة عراة عماة عن الحق ، يتسافدون مثل الكلاب ، ويتهارجون تهارج الحمر ، وقيل هم أهل جابلق ، وهم من نسل مؤمنى عاد الذين آمنوا بهود عليه السلام ، ويقال لهم بالسريانية (مرقيسا) والذين هم عند مغرب الشمس هم أهل (جابرس) وهم يجاورون يأجوج ومأجوج .

والمراد بالسدين — جبلان : أرمينية ، وأذربيجان ، ومن وراء الجبلين قوم من الخلق لا يفقهون ، يعنى لا يفهمون من أحد قولا ، ولا يفقهون يعنى لا

يفهمون أحدا قولا كذلك ، وهما قراءتان صحيحتان .

والسد هو وضع ما ينتفى به الخرق ومنه سدد السهم بمعنى أحكم تصويبه الى الهدف لانه سد عليه طرق الاضطراب ، ومنه السداد بمعنى الصواب .

والفرق بين السد والردم أن السد كل ما تسد به ، وأما الردم فهو وضع الشيء على الشيء من حجارة أو تراب أو نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع ، ومن ذلك ردم ثوبه اذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض ، ومن ذلك قول عنترة .

هل غادر الشعراء من متردم
أم هل عرفت الدار بعد توهم

يعنى عنترة ان الشعراء لم يغادروا قولا يركب بعضه فوق بعض .

واما يأجوج ومأجوج فمن أهل اللغة من ذهب الى انهما كلمتان عربيتان ، وجعل يأجوج على وزن يفعول ، ومأجوج على وزن مفعول وكأنه اعتبرهما من أجيج النار ، ومنهم من لم يهمزهما .

ويأجوج ومأجوج أمتان كل أمة منهما ذات عدد كبير لا يعلمه الا الله وفى صفاتهم أختلفت الاراء اختلافا شديدا بعضها يسوغ قبوله وبعضها لا يسوغ .

تلك خلاصة ما ذكره الاسلاف عن ذى **القرنين** .

ومولانا أبو الكلام آزاد العالم الهندى الفاضل له بحث جليل بذل فيه رحمه الله من جهده وماله ما لا يسخو به الا حريص على العلم غيور على كتاب الله . وليس فى طاقة بحثنا هذا أن يستوعب كل ما ذكره مولانا آزاد فنكتفى منه بذكر شواهد يستبين بها الفرق بين ما ذهب اليه الاسلاف وما كشف عنه الاخلاف راجين أن تتهيأ لنا فرصة ينشر فيها بحثه فى كتاب مستقل أن شاء الله .

قال أبو الكلام :

والظاهر من أسلوب الآيات الشريفة أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فجاءت الآيات جوابا للسؤال ، فروى الترمذى النسائى والامام أحمد أن قريشا بايعاز من علماء اليهود سألت النبى عن أمور منها ذو القرنين فقالت من هو ؟ وما أعماله ؟ وروى القرطبى عن السدى قالت اليهود : أخبرنا عن نبى لم يذكره الله فى التوراة الا فى مكان واحد قال : ومن ؟

قالوا ذو القرنين ، وقد أحصى ابن جرير وابن كثير والسيوطى للروايات فى هذا الصدد فى تفاسيرهم .

وما ذكر فى الآيات من خصائص ذى القرنين يتلخص فيما يأتى :

١ ــ الرجل الذى سألوا النبى عنه كانوا يسمونه ذا القرنين أى ان هذا الاسم أو اللقب لم يضعه القرآن من عنده ، بل الذين سألوا عنه هم الذين أطلقوه عليه ، ولذلك قال : ويسألونك عن ذى القرنين .

٢ــ هذا الرجل أعطاه الله الملك وهيأ له أسباب الحكم والغلبة .

٣ ــ كانت مهماته الحربية الكبرى ثلاثا ــ الأولى غربية ، زحف من بلاده متوجها الى الغرب حتى وصل مكانا كان له حد المغرب فوجد الشمس هناك كأنها تغرب فى عين حمئة ، والمهمة الثانية وصلت به الى مكان به مضيق جبلى ويشن من ورائه قوم الغارات على الاهالى وقد أطلق على هؤلاء المغيرين يأجوج ومأجوج .

٤ ــ أقام سدا فى المضيق الجبلى لمنع غارات القوم .

٥ ــ لم يتكون هذا السد من الحجر والآجر فقط ، بل استعمل فيه الحديد ، وأفرغ عليه النحاس كذلك

فأصبح سدا منيعا تعجز دونه همم المغيرين .

٦ — كان مؤمنا بالله وباليـــوم الآخر .

٧ — كان ملكا عادلا رحيما برعيته لا يتبع الفتك والقسوة بالمغلوبين فانه لما تغلب على قوم فى الغرب ظنوا أنه يرهقهم كغيره من الملوك الفاتحين ، فلم يفعل ذلك ، وهم فى قبضة يده لا ناصر لهم الا أنه انفق عليهم وكسب قلوبهم بعدله واحسانه .

٨ — لم يكن حريصا على المـــال فانـــه لما أرادوا أن يجمعـــوا لـــه المال لاقامة السد أبى أخذه منهم قائلا: ان ما أعطانى الله تعالى يغنينى عن أموالكم ، ولكن أعينونى بقـــوة أيديكم أقم لكم ســـدا حديديا منيعـــــــا . فالشخصية التاريخية التى هـــــذه أعمالها وصفاتها هى شخصيـــة ذى القرنين .

ولكن من ذو القرنين ؟ ومتى واين وجد ؟

ان أول ما يشغل بال المفسرين فى هذا الصدد هو اسم الرجل أو لقبه اذ لم يعرف أن يكون للانسان قـــرن أو قرون ، ولم يعرف فى التاريخ ملك لقب بهذا اللقب ، ولهـــذا تحيروا ، وتخبطوا فى تفسيره . فقال بعضهم : ان القرن لم يستعمل فى معناه الظاهر بل أريد به الزمن . ولما كان هذا الملك قد امتد حكمه واتسع نطاق فتوحـــه الى عهدين كبيرين لقب بذى القرنين ثم اختلفوا فى تحديد مدة القرن فقيل ثلاثون سنة وقيل خمس وعشرون سنة وقيل عشر سنين أقوال لا طائل تحتها .

وقد جمع ابن جرير فى تفسيره آثار الصدر الاول فى الباب ، ولكنها لا تلقى ضوءا على شخصية خاصة ، بل تبحث فى أنه كان نبيا أو غير نبى بشرا أو ملكا ، ولكن الآثار أجمعت على أن هذه الشخصية قديمة غارقة فى القدم ، ففى بعض الروايات أنه عاصر ابراهيم عليه السلام ، وانه كان من الانبياء ، فذكره البخـــارى مع الأنبياء القدماء ، وقدم ذكره عـــلى ابراهيم ، فكأن البخارى رأى أن ذا القرنين وجد قبل ابراهيم بزمن طويل أو فى عصره .

ولما بدأ عهد جديد للبحث والنقد اتجهت اذهان بعض المؤرخين الـــى اليمن ، فظنوا انه كما ذكرت الروايات أسماء الملوك الحميريين كذى القرنين وذى الآذار ، فلا يبعد أنه وجد ملك يمنى سمى بذى القرنين كذلك .

وقد صرح بذلك أبو الريحـــــان البيرونى فى كتابه « الآثار الباقية » ، ووافقه عليه ابن خلدون ولكن هـــذه النظرية قامت على افتراض مخطىء لا يدعمه دليل تاريخى ، بل تخالفـــه القوانين والشواهد كلها .

فنرى أولا أن الذين سألوا النبى عن ذى القرنين هم اليهود أو قريش بايعاز من اليهود . ولا يغرب عـــن البال أن السائلين أرادوا بذلك تعجيز النبى ، وكانوا على يقين من أنه لم يصله خبر عن ذى القرنين من أبناء وطنه فيعجز هو عن الجواب .

فلو كان ذو القرنين رجلا من العرب وكان أهل الحجاز عـــلى علم بـــه لشاركهم النبى فيما يعلمونه ولما كان ثمة وجه للسؤال عن شىء معروف عنده والسؤال الذى نحن بصدده هو — هل تنطبق الخصائص والاعمـــال التى ذكرها القرآن لذى القرنين على ملك حميرى ؟ يذكر القرآن فتوحـــا له فى المغرب وفتوحا له فى المشرق واقامة سد حديدى يمنـــع هجمات يأجوج ومأجوج ولا توجد شهـــــادة تاريخية على وجود ملك حميرى أمعن فى الشرق والغرب مغيرا فاتحا، وبنى سدا حديديا كما ذكره القرآن .

أما كون بعض ملوك اليمن لقبوا بذى القرنين فلا أهمية له . وكذلك التشبث بسد مأرب لا يجدى نفعا اذ لم يذكر أن هذا السد بنى لصد هجمات مغيرين واستخدمت فى بنائه ألواح من الحديد .

ومضى مولانا أبو الكلام فى شرحه لشخصية ذى القرنين فقال : انه لما تمكن من مشاهدة آثار ايران العتيقة ومن مطالعة مصنفات علماء الآثار فيها زال الحجاب وظهر كشف أثرى قضى على سائر الشكوك وتقرر لديه بذلك دون ريب ان المقصود من ذى القرنين ليس الا قورش الملك المؤمن القديم .

وقال ان هذا الكشف الأثرى الهام هو تمثال حجرى لقورش بعينه وجدوه منصوبا فى مكان يبعد عن عاصمة ايران القديمة (اصطخر) نحو خمسين ميلا على شاطىء نهر مرغاب .

وقد فحص علماء الآثار التمثال ونشروا رسما له ، وهو تمثال على القامة الانسانية يظهر فيه قورش وعلى جانبيه جناحان كجناح العقاب وعلى رأسه قرنان كقرنى الكبش ، ويده اليمنى ممتدة يشير بها الى الامام ، ولباسه هو لباس ملوك بابل وايران .

وربما كان هذا التمثال قد صنع بأمر قورش نفسه فى حياته ، أو بأمر خليفة من خلفائه كما هو الشأن فى ملوك ذلك الزمان فى كل مكان .

ومضى أبو الكلام يقول :

كانت فتوح قورش المتوالية فتوحا ليست لسفك الدماء ولا لجمع المال ، بل لبسط العدل والأخذ بأيدى المظلومين المقهورين ، وقد توغل غربا حتى بلغ ساحل بحر ايجه قريبا من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل فرأى الشمس تغرب مساء فى هذه العين ، وهذا هو ما عبر عنه القرآن بقوله ((وجدها تغرب فى عين حمئة)) أى أنه تراءى له كأن الشمس تغرب فى بقعة كدرة من الماء .

ثم توغل فى الشرق حتى بلغ «بلخ» وهى غاية الشرق الاقصى لايران وبذلك أخضع بلاد مكران وبلوخستان

ثم توغل فى الشمال حتى جبال القوقاز وهى بحر الخزر ، والبحر الاسود تكون سدا طبيعيا بين آسيا الغربية والبلاد الشمالية ، وكان فى جبال القوقاز هذه مضيق يجتازه المهاجمون ، ويشنون الغارت على البلاد الواقعة وراءه فبنى قورش فى هذا المضيق سدا حديديا ، وأقفل به الطريق على المغيرين ، ولم يأمن أهل سهول القوقاز وحدهم بهذا السد بل أصبح السد بابا مقفلا منيعا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية فأمنت جميع الشعوب القاطنة فى آسيا الغربية وفى مصر من جهة الشمال .

ويقول رحمه الله — عن سد يأجوج ومأجوج :

انه توجد فى البقعة الواقعة بين بحر الخزر والبحر الاسود سلسلة جبال قوقاز كأنها جدار طبيعى وقد سد هذا الجدار الجبلى الطرق الموصلة بين الشمال والجنوب الا طريقا واحدا بقى مفتوحا وهو مضيق فى وسط سلسلة الجبال يوصل بين الشمال والجنوب ، ويسمى هذا المضيق فى أيامنا هذه

مضيق « داريال » ويشار الى موضعه فى الاطلس الحاضرة بين دفـلادى كيوكاس وطفيليس حيث يوجد الـى الآن جدار حديدى من قديم الازمان .

ولا ريب أن هذا هو الجدار الـذى بناه قورش اذ ينطبق عليه الاوصاف التى وصف بها القرآن سد ذى القرنين مقررا أنه استخدمت فى بنائه زبر الحديد ، وافرغ عليه النحاس بعـد أن اذابوه لتتصل مفاصله فلا يبقى به خلل ومقررا أيضا أنـه بنى بين جدارين جبليين فهذا هو ما نراه فى مضيق داريال ـ جدران جـبليان شاهقان أقيم بينهما هـذا السد الحديدى الذى أقفـل باتصالـه بالجدارين الطريق الذى كان مفتوحا بينهما و الكتابات الأرمنية لهـا أهمية كبيرة فى هذا الأمر لانها لقرب المكان أصبحت بمنزلة الشهادة المحلية ، وقد سمت هذا السد أو الجدار الحديدى فى اللغة الاريمنية من الدهور السالفة (بهالك غوراش » و (كابان غوراش) ومعنى الكلمتين واحد هـو مضيق غوراش أو ممر غوراش ولا يخفى أن غور جزء لاسم غورش (قورش) بلا ريب أفـلا يثبت هـذا أن غـورش (قـورش) هـو الـذى بنى الجـدار ، واليه نسبوه من قديم الزمان ، على أن هنالـك شهادة أخرى لا تقل فى أهميتها عـن الاولى وهى شهادة لغة بلاد جورجيا التى هى القوقاز بعينها،فقد سمى هذا المضيق باللغة الجوروجية من الدهور الغابرة بالباب الحديدى وترجمـه الاتراك الى لغتهم (دامر كيو) وهو مشهور الى الآن عندهم .

فوائد الصوم

— ١ —

حل شهر رمضان المبارك على طلاب الكلية العسكرية سنة (١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م) وغمرت أنواره قلوب المؤمنين فى كل مكان ، فاستقبله قسم من الطلاب العسكريين بما يستحقه من حفاوة بالغة وصمموا على الصيام مهما تكن الصعوبات والمشاكل ..

لقد تعود هؤلاء على صيام هذا الشهر المبارك حين كانوا تلاميذ فى المدارس المدنية ، وليس من السهل على من اعتاد الصوم أن يتخلى عنه ، فهم قد تذوقوا فرحة الصائم ، وبركات الصوم ، وحلاوة الايمان ، وليس من ذاق كمن حرم ، ومتاع الدنيا كله لا يساوى شيئا بالنسبة الى ما تذوقوه ..

ومضى اليوم الأول من أيام الصيام ، واجتمع الطلاب الصائمون على مائدة الافطار والسحور ، تحف بهم الملائكة ، وترتسم على وجوههم سمات العزم والانشراح ، وكما عزموا على الصوم ، عزموا على ابراز أثر الصوم فى الصائم الحق معاملة حسنة للناس ، واخلاقا محببة للنفوس ، ومضاعفة للعمل المثمر البناء ، وامتيازا فى النجاح دون الاكتفاء بالنجاح وحده .

كان الصائمون من طلاب الكلية العسكرية اقلية ، وكانت الأكثرية تشك فى امكان الصوم وتحمل المشاق العسكرية فى آن واحد ، وكان المسئولون فى الكلية والطلاب يتوقعون الاخفاق للصائمين فى مجالى العلوم العسكرية والتدريب العسكرى ، وكانوا ينتظرون أن يتناقص عدد الصائمين بالتدريج حتى يتلاشى ، وكانوا بين مشفق على الصائمين ومستقبلهم وبين مستهجن لاصرارهم على الصوم .

العسكرية

اللواء الركن محمود شيت خطاب

ومضت أيام رمضان يوما بعد يوم ، وعدد الصائمين يزداد كل يوم ، ومضى الصائمون يثبتون عمليا أن الصوم حافز من أقــوى حوافز العمل والانتاج والنجاح . وكان من أشد المقاومين للصائمين ضابط برتبة نقيب ، وكان هذا الضابط قائدا لفصيلة من فصائل الكلية العسكرية ، وكــان قادة الفصائل يتنافسون فيما بينهم على التفوق ، وحين تفشى الصوم بين طلابه تنادى بالويل والثبور . وقد كانت فصيلته متميزة قبل رمضان فظن بعد حلوله أنها ستصاب بنكسة قاصمة . ولم ينقض الشهر المبارك الا ولمس تقدما مذهلا فى فصيلته فقد كان طلابه الصائمون يرتفعون كل يــوم وينالون قصب السبق فى التدريب والالعاب والدروس ، فما حل العيد الا وكانت فصيلته قد بلغت درجة من التفوق لا تضاهى ، حتى أصبحت فصيلته بفضل الصائمين ، هى الفصيلة النموذجية بين فصائل الكلية العسكريـــة قاطبة ، وأصبحت مضرب الأمثال فى التدريب والتهذيب والعلوم العسكرية والألعاب الرياضية .

وصادفت هذا الضابط بعد عشر سنوات وقد أصبح برتبة عقيــد قائدا لوحدة من وحدات المشاة فى فلسطين سنة (١٩٤٨ م) وزرت وحدته فى شهر رمضان من تلك السنة ، فرأيته صائما يقاوم الافطـــــار ويأمر بالصوم ، ووجدت وحدته كلها ضباطا وضباط صف وجنودا صائمين ، ووجدته مهتما الى أبعد الحدود باحضار الافطـــار والسحــور لرجاله ، فرحا غاية الفرح باجماع اتباعه على الصوم وحرصهم الشديد عليه .
وقال معللا سر تحوله عن مقاومة الصوم والصائمين « لقــد تعلمت من طلاب الكلية العسكرية الصائمين أن الصوم سر من أسرار التفــوق والامتياز ، وكنت قبل ذلك واثقا من أن الصوم يضعف الهمم ، ويحث على الكسل ، ويقلل من الانتاج وفرص النجاح » ..

إن كل فرائض الاسلام وكل تعاليمه خير وبركة ، اذا طبقها المسلمون كما ينبغى . ولو طبق المسلمون اليوم تعاليم دينهم تطبيقا سليما ، لقادوا العالم ، وسيطروا على مقاليده عسكريا ، وسياسيا وحضاريا .. ولكن أين من يطبق تعاليم الاسلام كما يجب .... أين ؟

— ٢ —

وطالما سمعت غير الصائمين يقولون — كيف تستطيعون الصوم عن الطعام والشراب ساعات وساعات ، هؤلاء وامثالهم لم يؤمروا بالصوم حين كانوا صغارا ، ولم يشاهدوا آباءهم وأمهاتهم يصومون ، فلما كبروا استقر فى أذهانهم أن الصوم صعب لا يحتمل ولا يطاق ولو أنهم صاموا وهم صغار وشاهدوا أبويهم يصومون لتغلغل حب الصوم فى أفئدتهم ومعه نور الله ، ولأصبحوا يقولون — كيف يستطيع المسلم القادر على الصوم الافطار فى رمضان ؟ كيف يصبح المرء عبدا لبطنه ؟ كيف يعصى المؤمن الحق أوامر الله . ؟

قبل بضع عشرة سنة ظهر طبيب المانى كبير درس آثار العقاقير فى الجسم البشرى ، فوجد أن قسما منها يفيد من ناحية ويضر من ناحية أخرى فهى تبنى وتهدم ، وقد يكون ضررها أكبر من نفعها كما وجد أن قسما من هذه العقاقير الطبية تترك آثارا سيئة فى الجسم ، اذا لم تظهر اليوم فانها تظهر غدا ، لأنها تعتمد على المواد السامة فى تركيبها .
وبعد بحوث مستفيضة أجراها ذلك الطبيب ، وجد أن العلاج الطبيعى الذى يعتمد على الحمية والهواء الطلق ، والتعرض لأشعة لشمس ، والايمان بالقضاء والقدر هو أنجع علاج لامراض البشر .

وألف هذا الطبيب كتابا عن العلاج الطبيعى ، أشاد فيه بالصوم الاسلامى ، وبالايمان بالقضاء والقدر ، وقال — ان هذين العلاجين انجع العلاجات على الاطلاق ..

فقد ذكر أن المعدة وأجهزة الهضم الأخرى تضرها التخمة ، وأن فضلات الطعام تترك سموما قاتلة فى الجسم وأن الصوم يذيب هذه السموم بالتدريج حتى يتخلص الانسان منها ، فتعود اليه صحته ويتعافى .
كما ذكر أن المكثرين من تناول الأدوية الصناعية ، تكون نسبة السموم فى أجسادهم أكثر من المقلين من تناول تلك الأدوية وقد أورد قول الكاتب البريطانى برناردشو عن مضار العقاقير « لو ألقينا الأدوية فى البحر لمات السمك » ..

وأنشأ هذا الطبيب فى المانيا مصحا صغيرا لم يفتأ أن أصبح مستشفى ضخما يقصده المرضى من جميع أنحاء العالم للتطبب بالعلاج الطبيعى ، ثم انتشرت مستشفيات العلاج الطبيعى فى المانيا وفى العالم المتمدن وأصبح لهذا العلاج كراسى فى كليات الطب ومختصون من الأطباء كما تخرج فى تلك الكليات أطباء عرب يمارسون مهنتهم فى البلاد العربية ويلاقون النجاح ويحظون بثقة المرضى .

وكما علل الطبيب الألمانى أهميـــة الصوم فى تخليص الأجسام من السموم ، علل أهمية الايمان بالقضاء والقدر فى العلاج الطبيعى . فقـــد ذكر أن المريض الذى تنتابه الهواجس يكون قلقا خائفا،والقلق يقوض الجسم والخوف يحطم البدن ، وهما عاملان من عوامل استشراء المرض وتفاقمه . أما الايمان بالقضاء والقدر ، فيدخل الهدوء الى روع الانسان ويصـــاول القلق والخوف ، ويشيع الاطمئنان فى النفوس ، مما يؤدى الى شفـــاء المريض .

والاسلام هو الرائد فى الصوم والايمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى ، ولم يكن الطبيب الالمانى هو الرائد على الرغم من ادعاءاته وادعاءات غيره من الأطباء والناس .

ولكن الاسلام ــ مع الأسف الشديد ــ مظلوم حتى بين معتنقيــه جغرافيا وبالوراثة ــ وما أكثرهم عددا واقلهم جدوى ، وصدق الشـــاعر :

إنى لأفتح عينى حين أفتحهـــا على كثير ولـــكن لا أرى أحدا

ـ ٣ ـ

إن فوائد الصوم العسكرية ظاهرة للعيان ، ولعل إبرازها فى مثل هذه الأيام له أهمية خاصة نظرا للظروف العصيبة التى يجتازهـــا العرب والمسلمون وهم فى حرب مصيرية على اسرائيل وعلى من وراءاسرائيل من دول الاستعمار القديم والجديد .

وإحراز النصر على أعدائنا لا يكون الا بالايمان العميق ، وهـــذا الايمان هو السلاح الذى نتفوق به على الأعداء ، فاذا تخلينا عنه تفـــوق علينا أعداؤنا بما يمتلكون من سلاح وعتاد ومكر وخداع .

فى العسكرية نوع من التدريب يطلق عليه « التدريب العنيف » وهو تدريب العسكريين على النهوض بواجباتهم فى ظروف صعبة ، كالحرمان من الطعام والماء والترفيه عن النفس ، وتحمل التعب والسهر ، وقطـــع المسافات الشاسعة ، واجتياز العقبات وعبور الموانع واقتحام العراقيل .

وأهم ما فى هذا التدريب العنيف ، هو الحرمان من الطعام والماء ، لأن الجيش يمشى على بطنه كما يقول نابليون ــ وهذا الحرمـــان هـــو الصوم .

إن الصوم يهيىء الأسباب للتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب اما بقية فروع التدريب العنيف ، فهى ميسورة لكل شاب سليم الصحـــة ، ومعظم عناصر كل جيش فى العالم هم الشباب .

ان ظروف الحرب قد تقتضى انقطاع سابلة الطعام والماء من جـــراء القصف الجوى أو نسف الجسور ، فاذا لم يكن الجندى قادرا على تحمل الجوع والعطش يوما أو أياما عند الضرورة فانه بدون شك يستسلم للأعداء ويرضخ لارادتهم .

أما إذا كان الجندى قادرا على تحمل الجوع والعطش حتى تنجلى الغمة ، فانه يقاوم الأعـــداء ويصاولهم ويحبط محاولاتهم لاجبارهم عـــلى الرضوخ والاستسلام .

والتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب ، هو فى نفس الوقت تدريب على الصبر الجميل ، ومن المعلوم أن الجندى الصابر يتغلب دوما على الجندى الذى يعوزه الصبر ، وما أصدق المثل العربى « الحرب صبر ساعة » ..

ثم ان أعدى أعداء المرء نفسه ، والرجل إذا استطاع السيطرة على هوى نفسه ، فأدى ما « يجب » أن يؤدى لا ما « يهوى » أن يؤدى ، أصبح جنديا مثاليا فى تصرفه ورجولته واقدامه وتضحيته . وما الصوم الا سيطرة على النفس الأمارة بالسوء ، يوجهها الى ما « يجب » أن تعمل لا الى ما « تحب » أن تعمل .

فاذا كان الجندى مسيطرا على نفسه ، فانه يحول بينها وبين وساوسها فى التولى يوم الزحف وغيره ، ويحملها على التمسك بفضائل الجندية ألحقة .

وصوم رمضان يحتاج الى عزم صادق ، وهذه المزية من مزايا الجندى المتميز ، اذ لا فائدة من القرار الصائب بدون عزم على تنفيذه ، ولا نصر فى الحرب بدون عقد العزم على تحقيقه .

وكيف يمكن أن ينتصر الجندى ، اذا كان مترددا لا يقر له قرار على خطة أو رأى ؟

ان الصوم يربى مزية العزم فى النفوس ، ويقضى على رذيلة التردد .

— ٤ —

والصوم الاسلامى يطهر النفس وينقيها من الدرن ، ويرتفع بها الى معالى الأمور ويقتلع منها الخبث وحينذاك تقبل على التضحية بالمال والنفس وتطلب الشهادة أو النصر ، والحرب فى الاسلام هى إحدى الحسنيين الشهادة أو النصر .

فما أحوجنا اليوم الى جنود طاهرة نفوسهم ، يقبلون ولا يدبرون ، ويؤثرون ولا يستأثرون .

والصوم يحث على التعاون الوثيق ، لأن الصائم الحق يكون قريبا من الله بعيدا من الشيطان ، فيعاون أخوته فى الدين أفرادا ، ويعاونهم جماعات ، والتعاون مبدأ من مبادىء الحرب ، فاذا تألف الجيش من أفراد متعاونين على النطاقين الفردى والجماعى ، أصبح قوة لا تقهر ، لأنه سيكون متعاونا على نطاق الأسلحة المختلفة والقيادات المختلفة ، ويكون هدف رجاله المصلحة العليا للأمة دون المصلحة الشخصية للفرد ..

والصوم ينرس الخلق الكريم فى النفوس ، لأن الصائم الحق متسامح دمث ، يحب لغيره ما يحبه لنفسه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد يبدأ الصائم فى التمسك بالخلق الرفيع فى أول أمره « تطبعا » إذا غاضبه أحد قال إنى صائم ... ثم يمسى التطبع بالتدريج « طبعا » فيه .

والدين المعاملة ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم

الأخلاق ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم فقال « وانك لعلى خلق عظيم » . وقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم القادة ، لأنه كان أعظمهم أخلاقا والقائد المتمسك بالخلق الكريم ، والجندى المتمسك بالخلق الكريم عناصر مفيدة ودعائم قوية لكل جيش فى العالم .

فما أحوجنا اليوم الى قادة وجنود متمسكين بخلق القرآن الكريم .

والصائم يطيع الله وينفذ تعاليمه ، فيحرم نفسه من الطعام والشراب ومتاع الدنيا حتى يفطر .

وقد يكون جائعا فيخلو الى نفسه ويجد الطعام الشهى والشراب الهنى ولكنه يمتنع عن تناولهما مرضاة لله وتنفيذا لأوامره .

هذه الطاعة فى السر والعلن ، هى أرقى درجات « الضبط المتين » التى تنص على : إطاعة الأوامر وتنفيذها عن طيبة خاطر فى مختلف الظروف والأحوال دون رقيب أو حسيب ..

ومن المعلوم أن الفرق بين الجندى الجيد والجندى الرّدىء هو تحلى الأول بالضبط المتين وتحلى الثانى بالتسيب والتمرد والعصيان .

ومن المعلوم أيضا أن الفرق الأساسى بين الجيش القوى ، والجيش الضعيف أن الأول قوى الضبط والثانى ضعيفه لا يتميز عن العصابات بشىء .

أعرف أشخاصا يخشون رؤساءهم كخشيتهم لله أو أشد خشية ، ولكنهم يعصون الله خالق الكون وفالق الحب والنوى القوى العزيز .

وطاعة المرءوس للرئيس ما أطاع الرئيس الله واجبة ، ولكن طاعة الله هى من أوجب الواجبات .

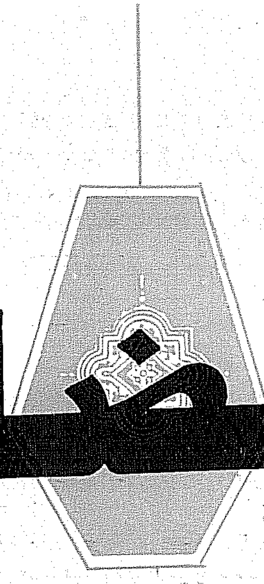
فمتى يعرف الانسان قدر نفسه ، فيطيع الذى منحه الصحة والعافية والرزق والحياة ؟

— ٥ —

تلك هى مجمل فوائد الصوم العسكرية ، إذا استغلها العرب اليوم واستغلها المسلمون تبدل حالهم الى أحسن حال .

إنها تطبيق لمبادىء التدريب العنيف ، وسيطرة على النفس الامارة بالسوء ، والتحلى بالعزم الصادق ، وتطهير النفس من الخبث والدرن ، والتمسك بمبدأ التعاون الوثيق الذى هو مبدأ من مبادىء الحرب ، والتخلق بالخلق الكريم أفرادا وجماعات ، والالتزام بالضبط المتين الذى هو من أهم مزايا الجندية ، والتشبث بالصبر الجميل الذى هو قوة كل جيش منتصر .

والذى أريده من إخوانى قادة العرب والمسلمين أن يأمروا بالصوم ويشجعوا الصائمين ، وأن ينهوا عن الافطار ويؤنبوا المفطرين ، حتى يحققوا لأمتهم وجيوشهم تلك الفوائد الحيوية والله مع المتقين ، وما النصر الا من عند الله .



رمضان ... بركاته وذكرياته

للأستاذ أحمد محمد جمال

شهر رمضان — بدون جدل — شهر البركات : روحية ومادية ، على السواء . وآيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول عليه صلاة الله وسلامه .. عن هذه البركات الرمضانية عديدة وأكيدة ..

وبوحي من طبيعة الشهر ، وبأثر من فضله تعود الناس في استقباله عادات كريمة ، هي كما أشرنا — بعض من آثار كرامته ، وشيء من ثمرات يمنه .

ففي رمضان تنفتح قلوب التجار ، وذوي اليسار ، وتنبسط جيوبهم أيضا .. للعطف على الفقراء ، واللطف بالمساكين ، والتصدق عليهم بالمال

المنقود حينا ، وبالاغذية والاكسية ، أحيانا ، وقد يكون ذلك زكاة واجبة ، عن أموالهم ، مؤجلة الى رمضان ، وقد يكون صدقة نافلة . والمهم أن رمضان هو الحافز على الوفاء والأداء .

ومن بركات رمضان : ظاهرة التسامح والتعاطف والتراحم ، والتزاور بين الاقربين والابعدين ، بل حتى بين المتخاصمين ، فرمضان — فى نظرهم وعقيدتهم وعلى السنتهم : شهر الرحمة والمغفرة ، ولذلك فانهم متأثرون بروحه الكريمة ، مستشعرون بظله الرحيم ..

ومن بركاته — كذلك — أن المظلوم يغفر لظالمه ، والمشتوم يصفح عن شاتمه ، لأن رمضان فى مشاعر الناس :شهر السماح والسلام .

وبركة أخرى — لهذا الشهر الكريم — هى اندفاع الناس فيه الى مزيد من الصلوات والنوافل ، سواء أكانت تراويح أو وترا أو تهجدا . بل ان من لم يصل طوال العام يحافظ على الصلاة فى رمضان . وكما يكثر الناس من الصلاة النافلة فى رمضان يكثرون — أيضا — من تلاوة القرآن ، على غير ما تعودوه طوال سنتهم . وهم يفعلون ذلك رجاء المزيد من رحمة اللـه ورضوانه ، والمزيد من جوده واحسانه .

وفى رمضان يستعد الناس حتى من لا يعبأ بالعاطفة الروحية نحوه بالاطايب من المأكل والمشرب ، ويتوسعون فى الانفاق بسخاء فريد ، ويتعهدون ذوى الجوار والقربى بالهدايا من ذلك ، كما يبذلون لأولى الحاجة والفاقة صدقات منه .

كل أؤلئك من بركات رمضان ، وليست كل بركاته . فمرحبا بأبى البركات ، شهر القرآن ، وشهر الغفران ..

وقد امتاز رمضان . هذا الشهر المبارك الميمون — بفضائل وخصائص وذكريات ، ليست لغيره من شهور العام ..

من هذه الامتيازات :

(ليلة القدر) التى هى خير من ألف شهر ، والتى تتنزل فيها الملائكة بالسلام والأمان ، والتى يفرق فيها كل أمر حكيم — أى التى يقضى اللـه فيها سبحانه قضاء العام كله ، من آجل عباده ، وأعمالهم ، وأرزاقهم .

ومنها (نزول القرآن) نزوله هدى وبينات من الهدى والفرقان توضح الحلال والحرام ، وتميز الحق من الباطل ، وتحث على الصالح ، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ..

وفى هذا الشهر نفسه نزلت — كما يرى الطبرى — صحف ابراهيم ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

وفى رمضان — أيضا — كانت بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أعلنه الله تبارك وتعالى ببدء الرسالة والدعوة الى دين الحق ، دين الخير والنور .

ومن ذكريات رمضان غزوة بدر الكبرى — فى السابع عشر منه فى السنة الثانية للهجرة — وهى أول معركة وأعظمها بين المؤمنين والمشركين ، كانت فرقانا بين الحق والباطل ، وفيصلا بين الكفر والايمان .

وفى اليوم العاشر (١) من رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، كان فتح مكة المكرمة ، حيث سار اليها جيش الاسلام من المدينة المنورة بعد

نقض المشركين لصلح الحديبية .. وكان فتحا مبينا ، كما وصفه القرآن ، عز به الاسلام ، وقويت شوكته ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

وفى عامى (٩١ — و ٩٢) للهجرة ، وفى رمضان بالذات كان غــزو المسلمين للاندلس ، وتم فتحها وخضوعها لحكم الاسلام ، ذلك الحكم العادل الفاضل ، الذى ظلت الاندلس تنعم خلاله بحضارة رشيدة مجيدة ، طوال ثمانية قرون .

هذه بعض (بركات) رمضان وشىء من (ذكرياته) وخصائصــه وامتيازاته .

أهـــداف الصيـــام

هناك ، بين الناس : من يصوم يوما أو بعض يوم ، وعن كل الطعام أو شىء منه ، للتخلص من السمنة ، أو تطهير أمعائه من الرواسب الضارة ، أو لاكتساب جمال الجسم وقوته ، أو لكبت الغريزة الجنسية ، أو غير ذلك من أغراض وأهداف رسمها العلم الحديث ، فى دنيا الطب والرياضــة والجمال ..

أما الاسلام فقد شرع الصيام لتحقيق (التقوى) فى نفوس أتباعه ، حيث يرتفعون بها الى مكارم الاخلاق ، وعزائم الامور ...

● فى القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

● وفى الحديث النبوى : (من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .

فأهداف الصيام وأغراضه فى الاسلام : التعويد على الصبر ، وتحمل المصاعب ، والاخلاص فى أداء العمل ، وكف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الاذى والخنا ، والتذكير بالفقراء ، من أجل البذل لهم من غذاء وكساء ..

فان لم ينتفع الصائم بآثار صومه الروحية والاخلاقية ، كان كما قال صلى الله عليه وسلم (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش) ، أما المنتفعون بالصوم ، السعداء حقا برمضان ، الظافرون ببركاته الروحيــة والجسدية .. فحسبهم أن الله جعل جزاءهم غير محصور ولا مذكور كما جاء فى الحديث القدسى : كل عمل ابن آدم يضاعــف — الحسنة بعشــر أمثالها الى سبعمائة ضعف .. الا الصوم فانه لى وأنا أجــزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى) ...

وبالمناسبة كنت أقرأ شيئا من آراء المفسرين العصريين للقرآن الكريم ولحديث الرسول العظيم ، عليه الصلاة والسلام . وكان الموضوع الــذى تناولته تلك الآراء : رمضان والصيام فيه ..

فقد أورد بعضهم الحديث النبوى : (كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش) . ثم قال : هذا هو مثل الذين يصومـــون النهــار ، ولكنهم ينفقون على مأكل رمضان وشرابه ما يكاد يساوى نفقة السنة ، حتى كأنه موسم أكل ، وكأن الامساك عــن الطعام فى النهار انما هو لأجــل الاستكثار منه فى الليل ، وهذا هو الصوم المراد بقوله صلى الله عليــه وسلم (كم من صائم ... الخ)

وعندى : ان هذا الرأى فى تفسير الحديث النبوى غريب ونكير . فان لفظ الحديث بين ، ومغزاه أبين ... فى أن المراد بالصائم الذى لا حظ له من فضل صيامه الا الجوع والعطش ، هو الذى يظن أن حكمة الصوم هى الصبر على الجوع والعطش وحدهما ، دون بقية الشهوات والنزوات الاخرى من تصرفات اليد واللسان ، والعين والقدم ..

.. تلك التصرفات التى لا تكف عن انتهاك الحرمات ، وكشف العورات ، واجتراح السيئات ، وايذاء الغير بالقول أو الفعل ..

وكما يفسر القرآن بعضه بعضا ، فكذلك الاحاديث النبوية يفسر بعضها بعضا . فهناك حديث المرأتين الصائمتين اللتين لم تكفا ألسنتهما عن الغيبة ، وحديث (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) . وحديث (ليس الصيام من الاكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث) وغيرها مما يوضح معنى الحديث ، موضوع البحث .

(رمضان .. فى مكة المكرمة)

رمضان — كما قلنا — شهر البركة ، والمغفرة ، والرحمة . ما أحب أيامه ، وما أسعد لياليه عند كافة المسلمين ، فى مشارق الارض ومغاربها .

ولقد كان نبى الاسلام صلوات الله وسلامه عليه يدعو منذ رجب ، راجيا أن يدرك رمضان ليصومه ويقومه . كان صلى الله عليه وسلم يقول (اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان ، وبلغنا رمضان) .

انه الشهر الذى يرجو المسلم أن يعيشه ، كى يصومه ويقومه ، ويحظى ببركاته ورحماته ، وما خصه الله به من مغفرة للمذنبين ، ورضوان على الصالحين . وهو كذلك شهر الصبر ، لأنه يعلم الصبر والتسامح والتصافح والتصافى ، وبر الاغنياء للفقراء ، واحسان الاقوياء للضعفاء .

ويمتاز رمضان فى مكة المكرمة عن غيره فى غيرها ، لموقع البيت الحرام فيها ، ومشهد الكعبة منها ، والاعتمار اليها ، واعمال الطواف والسعى ، وما اعتاده بعض الصائمين من أهلها والوافدين عليها من الافطار فى المسجد الحرام كسبا لصلاة المغرب جماعة ، والتذاذا بمشاهدة البيت العتيق ، ومن انتظار صلاة الفجر فيه ، بعد السحور ، ثم ادائها جماعة كذلك .

وصدق القائل : « حبذا الكعبة من مشهد » فى كل وقت ، وفى رمضان بوجه خاص حيث تتنزل رحمة الله ومغفرته على عباده الصالحين والتائبين ..

وحسبى أن أنقل هنا اعتراف زائر مسلم بالمتعة الفريدة ، التى يمتاز بالحظوة بها صائم رمضان فى مكة المكرمة — فقد وفد اليها فى نفس الشهر فى عام ١٣٧٣ هـ الاستاذ أمين المميز الذى كان وزيرا مفوضا للعراق فى لندن وواشنطن وجدة . وكتب عن انطباعه فى أداء العمرة ، والصلاة بالمسجد الحرام الكلمة التالية :

(الآن .. وقد أدركت ضالتى وتمت لى نعمة الله بأداء العمرة . فما عساى أفعل ؟ ...

انها ليلة من ليالى رمضان . وأهل مكة والعمار والطائفون يقصدون المسجد الحرام للافطار بجوار الكعبة ، ولصلاة العشاء ومن بعدها صلاة التراويح والوتر . ومنهم من يقوم لصلاة القيام الى مطلع الفجر ...

لقد شهدت فى حياتى مشاهد أخاذة لا تعد ولا تحصى فى كثير من بلاد الله . ولكنى أقر بأن المشهد الذى شهدته هذا المساء ليس له مثيل بين مشاهد العالم .. انه أروع مشهد يبهر العين ، ويأخذ بالقلب والوجدان ...

المسجد الحرام تتلألأ جنباته بالانوار الكهربائية الساطعة ... ألوف وألوف من المحرمين ، ومن غير المحرمين اصطفوا حول الكعبة من كافة جهاتها ، مولين وجوههم شطرها .. منهم من يصلى ، ومنهم من يتلو آى الذكر الحكيم ، ومنهم من يردد التسبيح والابتهال والدعاء والتكبير ..)

وفى مقدمة ثانية الى مكة ، فى نفس الشهر — قبل الحجر الأسود وقال : (طبعت عليه قبلة لم تتذوق شفتاى أشهى وأطيب منها) .

(زكـــاة الفطر)

الحديث عن بركات رمضان ، الكثيرة الغزيرة — يستتبع الحديث عن عيد الفطر ، الذى هو ختام بركاته . وقد شرع — أى العيد — ليكون تماما لعدد من أفراح الصائمين الصادقين .

فالصائم الصادق ، بلا شك فرح مسرور بأدائه لفريضة الصوم ، وهو مرتقب فضل الله ورحمته ، وامتنانه عليه بالقبول الحسن ، والمثوبة المدخرة ، وما يصحبها من غفران الذنوب وتكفير الخطايا ، والتوبة الصدوقة فى مستقبل العمر .

والصائم الصادق فرح كذلك باتمام صيامه ، واستقبال ختامه الذى هو (عيد الفطر) يفرح به فرحة الطالب بنجاحه فى الامتحان ، أو فرحة المجاهد بالنصر فى الميدان .

وقد شرع العيد كجائزة أولى للصائمين ، يتناولون فيه البرىء من اللهو ، والحلال من اللذة ، والمباح من المسرات ، ويتبادون فيه الزيارات بأقدامهم أو التحيات بأقلامهم اذا كانوا متباعدين بين بلد وبلد .

وليست فرحة العيد فردية تخص الفرد وحده .. وانما هى فرحة جامعة . ولذلك شرعت صلاته فى الاماكن الفسيحة ، لأن المساجد العادية تضيق بالجموع الكثيرة التى تسارع الى أدائها فى شوق وحرص ، واذن فيها باصطحاب الاطفال والنساء لتكون الفرحة أوسع وأروع ، ويكون مظهر وحدة المسلمين أكمل وأجمل ...

كما شرعت زكاة الفطر لتكون جبرا لما قد يكون أصاب صيام الناس من خدش ، وطهرة لما يكونون قد أحدثوه من لغو ، ومواساة للضعاف منهم والمساكين ليفرحوا كما يفرحون ..

وبمناسبة الحديث عن زكاة الفطر .. فانى ألاحظ الناس الذين تعطى لهم هذه الزكاة حبوبا — من الحنطة مثلا — يبيعونها بأقل من أثمانها ، لاستغنائهم عن الانتفاع بها ، نظرا لانتشار المخابز التى تقدم الانواع المختلفة من أرغفة الخبز .

لذلك أميل الى الأخذ برأى الاحناف ، وهو جواز اخراجها من الدراهم — أى النقود — فهى أجدى على الفقراء ، وأنفع لهم فى قضاء حوائجهم ، من ملبس ومطعم .

كما أميل الى تقديم اخراجها خلال رمضان كما هو رأى فقهاء الشافعية وبخاصة فى العشر الاواخر .

ذلك أن مقصد التشريع الحكيم : هو الاسعاف والاكرام للمحتاجين ، والتضييق فى التوقيت الزمنى والتحديد النوعى ، يحول دون تحقيق المقصد التشريعى السامى .

تقبل الله صوم الصائمين وزكاة المتصدقين ، وأعاد (العيد) بخير وعزة وسلام على المسلمين ...

(توحيد الصيام .. والأعياد)

ولما كان رمضان — فى منهاج الاسلام وحياة المسلمين — مظهرا من مظاهر الوحدة .. وحدة الباعث الذى هو الايمان ، ووحدة الوسيلة التى هى الصبر على آلام الجوع والظمأ ، ووحدة الغاية التى هى : ارضاء المعتقد ، وتربية الروح والجسد — فان كمال هذه الوحدة يتحقق بتوحيد بدء الصيام ، فى بلاد الاسلام .

لقد كنت أستمع أول ليلة من رمضان الى راديو القاهرة — بعد راديو مكة — وهو يذيع بلسان مفت سابق مصرى ثبوت هلال رمضان فى المملكة العربية السعودية ، وان مصر رعاية للوحدة الاسلامية ستعتبر يوم السبت أول يوم من رمضان اتفاقا مع السعودية ، واعتمادا على ثبوت الهلال فيها .. »

وكان حديث المفتى رائعا فى سمعى وفى قلبى .. فان مصر وسوريا ولبنان والاردن ، والعراق ، واليمن ، والسودان ، وامارات الخليج العربى .. منطقة واحدة ، ان اختلف الوقت فيها ساعةأو بعض ساعة فى توقيت الصلاة ، فانه لايختلف يوما كاملا فى توقيت الصيام .

ولكن الدول العربية كانت لا تعتمد على ثبوت الهلال الا على نفسها وفى بلادها .. ومن أجل ذلك كانت احداها تصوم السبت — مثلا — والأخرى تصوم الاحد . ويتبع هذا الاختلاف فى بدء الصيام اختلاف فى ابتداء عيد الفطر ، وهذا الاختلاف بين الدول العربية المتجاورة المتقاربة فى صومها وعيدها : مثار للأسف والجدل حول وحدة الدين ، واختلاف مطالع الهلال ، ومبعث لتساؤل كثيرين من المسلمين وغير المسلمين : كيف يختلف المسلمون فى صيامهم وعيدهم ؟ ولماذا لا يتفقون ؟

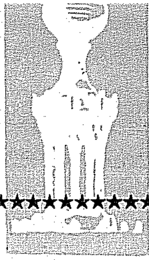
ان من حق كل عربى مسلم أو مسلم غير عربى : ان يبتهج بانبعاث هذه الظاهرة الرائعة من ظواهر وحدة الدين بين المسلمين . هذا الدين الذى تقوم أركانه — من صلاة وصيام وزكاة وحج — على الوحدة ، وتأمر بالاتحاد . ومن حقه كذلك المطالبة بتوحيد بدء الصيام فى كافة البلاد العربية والاسلامية سواء بطريق الرؤية أم بالحساب الفلكى ..

فما أحوج المسلمين اليوم الى الوحدة والاتحاد ، ليعودوا كما كانوا أقوياء الارواح والاجساد والعقول .

---

(١) الوعى يرى كثير من أصحاب السير أن فتح مكة كان يوم ٢١ .

من ذكريات شهر رمضان المبـــارك



يوم الفرقان

للدكتور زكي محمد غيث

أطلق على « غزوة بدر الكبرى » يوم الفرقان ، لأن الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل ، وأظهر فيها الاسلام ودحر الشرك « يوم التقى الجمعان » من المسلمين والمشركين « فى صبيحـــة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية للهجـــرة » (١) فسميت لذلك « يوم الفرقان » كما ذكر فى قوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » (٢) .

. . . . . .

وبدر (قرية) بالحجاز تقع فى الجنوب الغربى للمدينة المنورة على بعد مائة وخمسين كيلومترا تقريبا ، وبينها وبين (ينبع) ــ ثغر على ساحل البحر الاحمر ــ نحو خمسة وعشرين كيلومترا ، وبها واد وآبار ، وفى أرجائها نخيل وحدائق ، وكانت من منازل القوافل المترددة بـــين الشام والمدينة ومكة ، ومجتمع سوق فى كل عام ، وهى اليوم مستراح للمسافرين فى الذهاب والاياب بين مكة والمدينة ، وتقع فى سهل يحـــده من الشرق جبال وعرة ، ومن الغرب الى جهـــة البحر الاحمر كثبان رملية ، ومن الجنوب الى جهـــة مكة آكام صخرية ، وفى شمالها من ناحية المدينة : « العدوة الدنيا » ، وفى جنوبها من ناحية مكة : « العدوة القصوى » ، وكانت وقعة بدر بين الجبال الشرقية والوادى حيث القلب (٣) والى هاتين العدوتين يشير الله فى قوله : « إذ أنتم بالعـــدوة الدنيا وهم بالعـــدوة القصوى » (٤) .

. . . . . .

كانت « وقعة بدر » أول حرب بين المسلمين وقريش ، وأول مشهد من مشاهد القتال يباشره الرسول صلى الله عليه وسلم — بنفسه ، ويقف فيه موقف المحارب ، وقد سبقت موقعة بدر عدة غزوات وسرايا كان يراد بها تهديد قوافل قريش الذاهبة بالتجارة بين الشام ومكة ، ثم استطلاع أخبار قريش والقبائل العربية القريبة من المدينة ، ثم اظهار القوة حتى لا يطمع أعداء المسلمين فيهم ، وحتى يستجيب الاعراب الذين تقع بيوتهم على طريق تجارة الشام الى التحالف معهم .

. . . . .

توتر الموقف ، ونشأ ما يشبه « حالة حرب » بين المسلمين وقريش منذ الهجرة ، فقد خرج المسلمون من مكة فرارا بدينهم بعد أن صبروا على عدوان قريش وايذائهم سنين عدة ، وحالف الرسول — عليه الصلاة والسلام — الانصار من أهل المدينة على الايواء والنصرة حتى يبلغ رسالة ربه ، ووقعت البغضاء بين أهل المدينة وأهل مكة بسبب الهجرة ، فكانت قريش تخشى مكان المسلمين فى المدينة على مقربة من طريقهم الى الشام ، وكان المسلمون يخشون أن تقصد قريش لحربهم فى دار هجرتهم ، وساد الموقف شعور بأن هناك لقاء قريبا يستدعى أن يتخذ له عدته ، وأن يفعل من أجله شىء ، وليس فى نظر المسلمين من اجراء حاسم يتخذ أهم من القضاء على تجارة قريش .

. . . . .

كان الرسول — عليه الصلاة والسلام — يعرف أن حياة قريش فى تجارتها ، وعليها مدار حياتها كلها ، فاذا صودرت أو حيل بينها وبين أسواقها المعتادة ، أصابها ضرر بالغ ، ودمرت حياتها ، وفل حدها ، فاذا سلمت تجارتها ، وراجت وربحت ، قويت شوكتها واشتد ساعدها فكان على الرسول وصحبه أن يهدموا عوامل هذه القوة حتى تكف قريش يدها عن الرسول وصحبه ، ولذلك عندما سمع الرسول بقدوم عير قريش من الشام تحمل تجارتها يقودها أبو سفيان بن حرب فيها أموال كثيرة قدرت « بخمسين ألف دينار » (٥) ، ومعه ثلاثون أو أربعون رجلا ، ندب أصحابه اليها ، وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفّلكموها ، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — يلقى حربا (٦) ، فكان عدة من خرج ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، معهم فرَسان أو ثلاثة ، وسبعون بعيرا يعتقبونها واتجهوا نحو بدر (٧) ، وكان خروجهم يوم الاثنين لثمان ليال خلون من رمضان من السنة الثانية للهجرة (٨) .

. . . . .

ولما دنا أبو سفيان من الحجاز كان يتحسس الاخبار تخوفا على أموال الناس ، فعرف أن المسلمين خرجوا للعير فاستأجر : « ضمضم بن عمرو الغفارى » فبعثه الى مكة ، وأمره أن يأتى قريشا يستنفرهم الى

أموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها مع أصحابه (٩) ، فجاء مكة مسرعا وقد جدع بعيره ، وحوّل رحله ، وشق قميصه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث (١٠) ، فتجهز الناس سراعا وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى ، كلا والله ليعلمن غير ذلك ، (١١) ثم خرج القوم فيهم أشرافهم وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا ، وقيل ألف رجل ، وكانت خيلهم مائة فرس ، وإبلهم سبعمائة (١٢) ، وخرجوا ومعهم المغنيات يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين وهم فى غاية البطر والخيلاء لكثرة عَددهم وعُددهم وفيهم نزل قوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط » (١٣) .

• • • • •

ولما وصل الرسول — عليه الصلاة والسلام — وادى الصفراء على مقربة من بدر أتاه الخبر بمسير قريش لحماية عيرهم فاستشار أصحابه فتكلم المهاجرون فأبانوا عن طاعتهم وانقيادهم للرسول حيث توجه بهم ، وكان الرسول ينتظر رأى الانصار لأن العدد فيهم ، ولانهم لم يبايعوا على الخروج للحرب ، ولكن على الدفاع فى المدينة ، فقال : أشيروا علَىَّ أيها الناس ، فقال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ يا رسول الله لما أردت ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنَاه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسار بهم الرسول حتى نزلوا قريبا من بدر ، وقال : أبشروا فان الله وعدنى احدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم (١٤) .

• • • • •

وأما أبو سفيان فعرف اقتراب المسلمين من طريقه على بدر فعدل الى الساحل ونجا بالعير وأرسل الى قريش يخبرهم بما فعل ، وكانت قريش إذ ذاك « بالجحفة » (١٥) ، فرأى بعضهم من الحزم الرجوع الى ديارهم بعد أن نجت العير ، فرجعت بنو زهرة ، ورأى بعضهم أن يسيروا حتى ينزلوا ببدر ، قال ابن اسحاق : ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل « عمرو بن هشام » : والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثا ، وننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا ، فامضوا ، فساروا حتى نزلوا وراء الكثيب الذى يحد سهل بدر من الغرب بالعدوة القصوى من الوادى (١٦) .

• • • • •

تحسس المسلمون الاخبار فعرفوا مكان قريش منهم فساروا حتى نزلوا على أدنى ماء من بدر ، فجاء الحباب بن المنذر ، وقال : يا رسول الله ، أهــذا منزل أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، قال : يا رسول الله فان هــذا ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء سواه فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبنى عليه حوضا ونملأه ماء فنشرب ولا يشربون ، فعل رسول الله ذلك (١٧) .

وجاء سعد بن معاذ وقال للرسول قبيل الموقعــة : يا نبى الله نبنى لك عريشا من جريد فتكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك مما أحببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك قوم يا نبى الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك ، فقبل الرسول وبُنِىَ له عريش فكان فيه (١٨) .

• • • • •

وفى صبح يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان مــن السنة الثانية للهجرة ارتحلت قريش الى سهل بدر فاجتازت الكثيب ، قال ابن اسحاق : فلما رآها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى ، اللهم أحنهم (أهلكهم) الغداة (١٩) ، وأصبح المسلمون وجها لوجه مع عدوهم ، ورأى بعض زعماء قريش أن يرجعوا ولا يؤرثوا الحرب ، وعارضهم أبو جهل وحرض عامر بن الحضرمى على المطالبة بدم أخيه عمرو الذى قتله واقد بن عبد الله التميمى فى سريــة عبد الله بن جحش ، فصاح : واعمراه ، واعمراه ، وثار الشر بين الفريقين فخرج الاسود بن عبد الأسد المخزومى ــ وكان شرسا سىء الخلق ــ فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه ، فلما خرج لقيه حمزة بن عبد المطلب فضربه فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على الارض ثم حبا الى الحوض فاقتحم فيه ليبر يمينه ، وتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض (٢٠) ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة ، وابنه الوليد بن عتبة يطلبون المبارزة ، فتصدهم ثلاثة من فتيان الانصار فأبوا الا أقرانهم من قريش ، فخرج اليهم عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلى بن أبى طــالب فتبــارزوا وقتل الثلاثة المسلمون أقرانهم ، ثم تزاحف الناس وتدانوا والرسول فى العريش يناشد الله النصر ويقول : اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبى الله بعض مناشدتك ربك فان الله عز وجل منجز لك ما وعدك (٢١) .

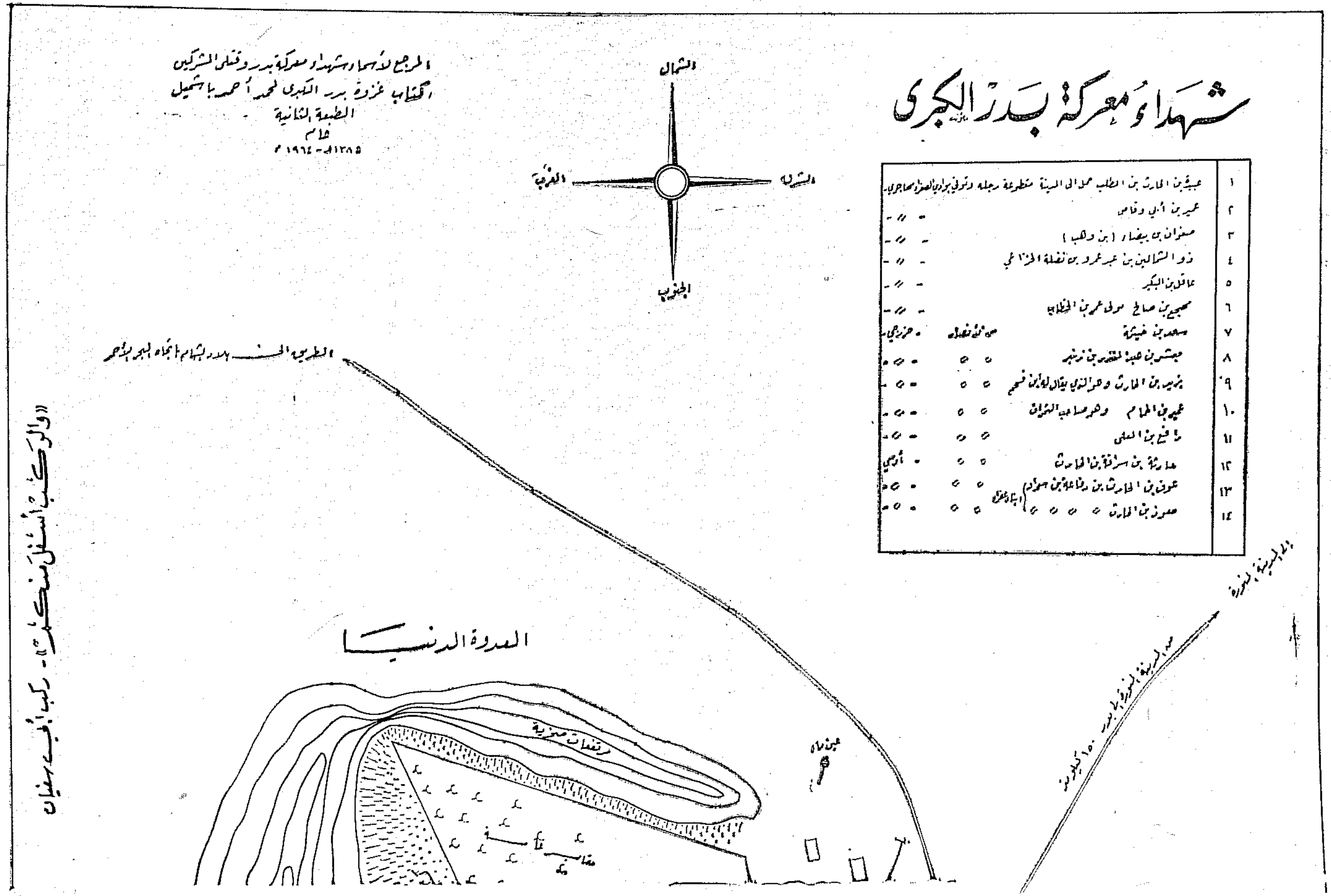
• • • • •

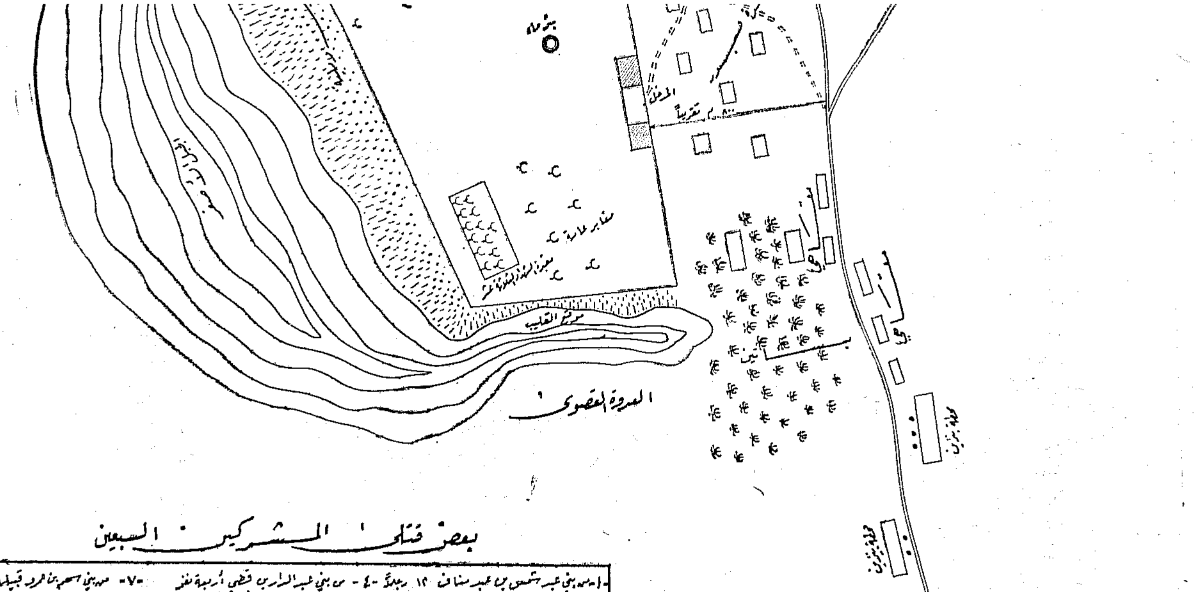
التقى الجندان « ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر ، وشفى صدور المسلمين منهم » (٢٢) ، وكانت هزيمة ساحقــة للقرشيين ، قتل

شهداء معركة بدر الكبرى

١	عبيدة بن الحارث بن المطلب حمل الى المدينة مقطوعة رجله وتوفي بوادي الصفراء مهاجري		
٢	عمير بن أبي وقاص		ـ ″ ـ
٣	صفوان بن بيضاء (بن وهب)		ـ ″ ـ
٤	ذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي		ـ ″ ـ
٥	عاقل بن البكير		ـ ″ ـ
٦	مهجع بن صالح مولى عمر بن الخطاب		ـ ″ ـ
٧	سعد بن خيثمة	من بني نضلة	خزرجي
٨	مبشر بن عبد المنذر بن زنبر	″ ″	ـ ″ ـ
٩	يزيد بن الحارث وهو الذي يقال له ابن فسحم	″ ″	ـ ″ ـ
١٠	عمير بن الحمام وهو صاحب التمرات	″ ″	ـ ″ ـ
١١	رافع بن المعلى	″ ″	ـ ″ ـ
١٢	حارثة بن سراقة بن الحارث	″ ″	أوسي
١٣	عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد } أبناء عفراء	″ ″	ـ ″ ـ
١٤	معوذ بن الحارث ″ ″ ″ ″	″ ″	ـ ″ ـ

المرجع لأسماء شهداء معركة بدر وقتلى المشركين
الكتاب غزوة بدر الكبرى لمحمد أحمد باشميل
الطبعة الثانية
عام
١٣٨٥هـ-١٩٦٤م





مخطط موقع معركة بدر الكبرى

كما هي حالياً

في عام ١٣٩١ هـ

حسب مشاهداته وجمع مستندات المخالصة

تخطيط ورسم : غالب أيوب

بخط : مأمون عولة

الرياض في ٢١ ربيع الثاني لعام ١٣٩١ هـ الموافق ١٥ حزيران لعام ١٩٧١ م

بعض قتلى المشركين السبعين

١- من بني عبد شمس بن عبد مناف ١٢ رجلاً

منهم : ١- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
٢- شيبة بن " " "
٣- الوليد بن عتبة

٢- من بني نوفل بن عبد مناف رجلان

١- الحارث بن عامر بن نوفل
٢- طعيمة بن عدي بن نوفل

٣- من بني أسد بن عبد العزى سبعة نفر

منهم : ١- زمعة بن الأسود بن المطلب
٢- أبو البختري بن هشام واسمه العاص بن هشام
٣- الحارث بن زمعة

٤- من بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر

منهم : ١- النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة
٢- زيد بن مليص مولى عمير بن هاشم
٣- نبيه بن زيد بن مليص

٥- من بني تيم بن مرة أربعة نفر

منهم : ١- مالك بن عبيد الله بن عثمان
٢- عمرو بن عبد الله بن جدعان
٣- عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب

٦- من بني مخزوم قبيلة خالد بن الوليد عدد ٢٤

منهم : ١- أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة
٢- العاص بن هشام بن المغيرة
٣- يزيد بن عبد الله ، حليفهم من تيم

٧- من بني سهم بن عمرو قبيلة عمرو بن العاص ٧ نفر

منهم : ١- منبه بن الحجاج بن حذيفة بن سعد بن سهم
٢- ابنه العاص " " " " " "
٣- أخوه نبيه بن الحجاج " " " " "

٨- من بني عامر بن لؤي رجلان

منهم : ١- معاوية بن عامر حليفهم من بني عبد القيس
٢- معبد بن وهب حليفهم من بني كلب بن عوف

٩- من بني جمح بن عمرو بن هصيص أربعة نفر

منهم : ١- أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح
٢- ابنه علي " " " " " "
٣- أوس بن معير بن لوذان بن سعد بن جمح

منهم سبعون رجلا ، وأسر سبعون ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر ، ثمانية من الانصار ، وستة من المهاجرين (٢٣) وطار خبر الهزيمة الى قريش بمكة فزلزلوا زلزالا عظيما ، وعمهم حــزن عميق لمصابهم ، فى سادتهم وأشرافهم وكبرائهم ، كما وصلت البشرى الى أهل المدينة بانتصار المسلمين ففرح المسلمون بنصر الله ، واغتم اليهود والمنافقون فى المدينة ، وامتلأت نفوسهم بالحقد والكراهية والضغينة (٢٤) .

• • • • •

انتهت الموقعــة بالنصر المبين ، ثم فرق الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ الاسارى بين أصحابه وأوصاهم بهم خيرا ثم كان الفداء على المال للقادرين ، وعلى تعليم أطفال المسلمين القراءة لمن استطاع ولم يكن ذا مال ، ومن الرسول على الآخرين ، وحينما ثار الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم على الغنيمة نزل قوله تعالى : « يسألونك عن الأنفال ، قل : الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » (٢٥) وحسم الرسول عليه الصلاة والسلام الموقف فجمع الغنائم كلها وحجز لنفسه منها الخمس ووزع الباقى تنفيذا لأمره تعالى فى قوله : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » (٢٦) ، فكان فى ذلك تقوى الله وطاعته ، وطاعة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصلاح ذات البين (٢٧) .

• • • • •

وموقعــة بدر الكبرى من أولها الى آخرها من تدبير اللــه وحده سبحانه كما سجلته سورة الأنفال ابتداء من الخروج الى نهاية النصر ، ذلكم النصر الذى امتن الله بــه على رسوله والمؤمنين فى قوله تعالى : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » (٢٨) ، حيث كان المسلمون على الثلث من عدوهم ، ليس معهم من الظهر سوى فرسين أو ثلاثة ، وسبعين بعيرا يتعاقبون عليها ، البعير بين الرجلين والثلاثة والاربعة ، لم يستجمعوا عدة الحرب الكاملة ولا آلتها ، ولم تكن الروح المعنوية لديهم يومئذ عالية ، فقد خرجوا يريدون العير طمعا فــى الغنيمة ، فلما عرفوا أن قريشا قد ساروا اليهم كرهوا لقاء القوم على هذه الحال ، وجادلوا الرسول فى ذلك ، فنزل قوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، وان فريقا من المؤمنين لكارهون . يجادلونك فى الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون » (٢٩) .

وإحراز المسلمين النصر فى مثل هــذه الظروف يعتبر من تدبير الله وحده ، يقول تعالى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (٣٠) ، ويقول : « إذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق

الأعناق ، واضربوا منهم كل بنان » (٢١) ثم يقول سبحانه : « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (٢٢) .

ثم هي أخيرا أعظم وأفضل غزوات الاسلام — اذا استثنينا غـــزوة الحديبية التي تمت فيها بيعـــة الرضوان ، والتي مهدت لفتح مكة — لان هذه الغزوة : استقر بها أمر المسلمين من بعد في بـــلاد العرب جميعا ، والتي كانت مقدمـــة وحدة شبه الجزيرة في ظـــلال الاسلام ، ومقدمة الامبراطورية الاسلامية المترامية الأطراف ، والتي أقرت في العالم حضارة لا تزال ، ولن تزال ذات أثر عميق في حياته (٢٣) ، وغدت منذ ذلـــك التاريخ من أمجادنا الاسلامية الخالدة .

---

(١) سيرة النبي لابن هشام ، ج ٢ ص ٢١٥ ، المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٩ هـ ، وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٦ المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٣٨٤ هـ ، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٤٦ طبع دار المعارف بمصر ، والكامل في التاريخ لابن الاثـــير طبعة منير بمصر سنة ١٣٤٩ هـ . (٢) سورة الانفال آية / ٤١ . (٣) انظر الخريطة . (٤) سورة الانفال آية ٤٢ . (٥) امتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٦٦ . (٦) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ١٩٦ ، ١٩٧ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٤٢٧ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٨٠ . (٧) تاريخ الطبري ٢ : ٤٣١ ، ٤٣٢ . (٨) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٠٢ . (٩) تاريخ الطبري ٢ : ٤٢٧ والكامل فـــي التاريخ ٢ : ٨٠ ، ٨١ . (١٠) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ١٩٩ ، والكامل في التاريخ ٢ :٨١ (١١) تاريخ الطبري ٢ : ٤٣٠ . (١٢) الكامل في التاريخ ٢ : ٨٢ . (١٣) سورة الانفال آية ٤٧ . (١٤) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٤٣٥ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٨٤ . (١٥) الجحفة ميقات أهل الشام للاحرام بالحج بالقرب من رابغ ميقات المصريين . (١٦) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٠٩ . (١٧) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢١٠ ، ٢١١ . (١٨) المرجع السابق ٢ : ٢١١ . (١٩) المرجع السابق ٢ : ٢١١ . (٢٠) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢١٤ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٤٤٥ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٨٦ . (٢١) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢١٦ ، وتاريخ الطبري ٢ : ٤٤٧ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٨٧ . (٢٢) تاريخ الطبري ٢ : ٤٢٤ . (٢٣) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣٧ ، والكامل في التاريخ ٢ : ٩٥، ٩٦ . (٢٤) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٣١ ، والكامل فـــي التاريخ ٢ : ٩٠ ، ٩٢ . (٢٥) سورة الانفال آية : ١ . (٢٦) سورة الانفال آية ٤١ . (٢٧) سيرة النبي لابن هشام ٢ : ٢٥٤ . (٢٨) سورة آل عمران ، آية ١٢٣ . (٢٩) سورة الانفال آية ٥ ، ٦ . (٣٠) سورة الانفال آية ٩ . (٣١) سورة الانفال آية ١٢ . (٣٢) سورة الانفال آية ١٧ . (٣٣) حياة محمد للدكتور محمد حسنين هيكل ، ص ٢٦١ ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٥٤ هـ .

مائدة القارئ

الخمس

« اعطيت امتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى : أما واحدة فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ، ومن نظر الله اليه لم يعذبه ابدا ، وأما الثانية فان خلوف افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح المسك ، وأما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم ، وأما الرابعة فان الله يأمر جنته فيقول لها : استعدى وتزينى لعبادى ، أوشك . وفى رواية : يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دار كرامتى ، وأما الخامسة فانه اذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا : « فقال رجل : أهى ليلة القدر يا رسول الله ؟ قال : « لا ، ألم تر الى العمال يعملون ، فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم » .

شهر النبوة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته يجاور شهرا من كل سنة بغار حراء يطعم من جاءه من المساكين . حتى اذا جاء الشهر الذى أراد الله ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها ، وذلك الشهر شهر رمضان خرج الى حراء كما كان يخرج حتى اذا كانت الليلة التى اكرمه الله فيها برسالته جاءه جبريل من الله عز وجل .

حائط الاسلام وبابه

خطب سعد بن شريك بحمص فقال :

ان الاسلام حائط منيع ، وباب وثيق .

فحائط الاسلام الحق ، وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ، ولكن قضاء بالحق ، واخذ بالعدل .

دعـــاء

دعت عربية لرجل احسن اليها ، فقالت:

اذل الله كل عدو لك الا نفسك .

وجعل نعمته هبة لك لا عارية عندك .

واعاذك من بطر الغنى وذل الفقر .

وفرغك لما خلقك له ، ولا شغلك بما تكفل به لك .

عــــزة النفس

سئل هاتم الطائى عن اعز الناس نفسا فقال :

ذبحت يوما اربعين حلوبة للأضياف ، ثم سرت فى البيداء ، فبلغت اجمة فيها رجل يحتطب ، فقلت له : اما سمعت بكرم حاتم وسماحته ، قال : بلي ، قلت : هلا استضافك قال : ثكلتني امي لو انه استضافني وقبلت ضيافته فانني ما دمت استطيع الكسب بعرق جبيني فمن العار ان يكون لكريم يد اغضى لها .

احرقوا اللوائح

يحكى أن الوزير على مبارك باشا دخل مكتبه يوما ، فوجد عليــــه لوائح مكدسة وهي لكثرتها وتعقدها لا تنهى أمرا ، ولا تنجز عملا ، ولاحظ أن هنــــاك لوائح ناسخة ولوائح منسوخة ، ومادة فى لائحة تناقض مادة فى لائحـــة أخرى ، ومادة فى اللائحة القديمة والجديدة لا تتفق مع العدالة ، والوزارة كلها من كتبتها الى وزيرها مستعيدون للوائح التى وضعت لتنظيم العمل ، فاذا هى الآن تشل العمل .

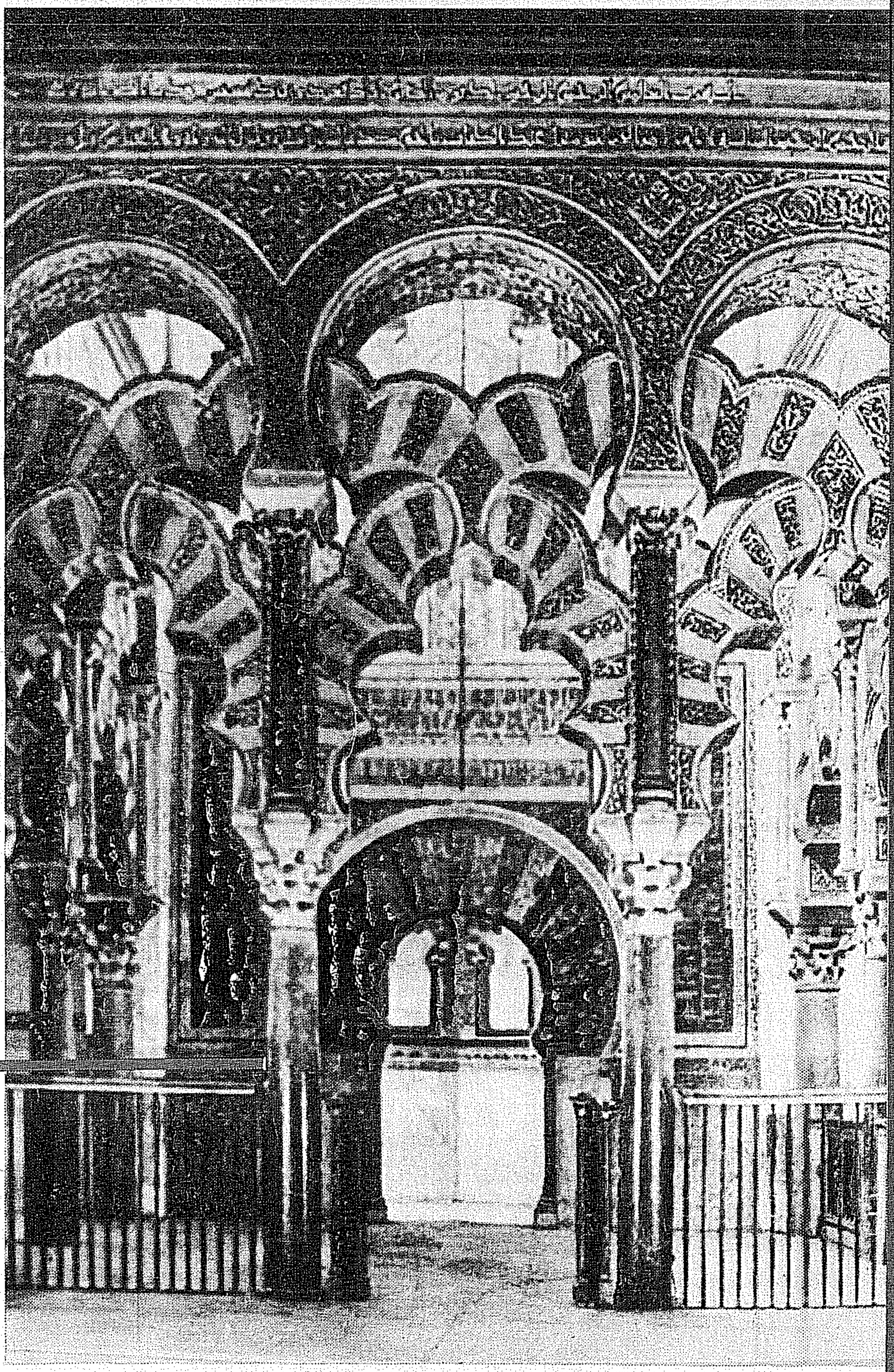
فأمر كاتبه أن يحضر مساء يوم لانه هو سيحضر ، فلما كان الموعد حضر الكاتب وحضر الوزير ، فأمره ان يحمل هذه اللوائح الى حجرة خالية ، ففعل ، وذهب الباشا بنفسه الى الحجرة ، وأخرج من جيبه عود كبريت وأشعله فـــى اللوائح ، ووقف يتلذذ من رؤية النار تلتهمها ثم عاد الى مكتبه وقـــال : الآن نبدأ العمل على نظافة .

حق الحضانـــة

روى ان امراة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت :
يا رسول الله . ان ابني هذا كان بطنى له وعاء ، وثديى له سقاء ، وحجرى له حواء ، وان اباه طلقنى ، واراد ان ينتزعه منى .
فقال لها عليه الصلاة والسلام : انت احق به ما لم تنكحى ((تتزوجى)) .

الانسان حيث وضع نفسه

كان كافور الاخشيد وصاحبه عبدين مملوكين ، فجيء بهما الى مدينة القطائع عاصمة الدولة الطولونية فى مصر ليباعا فى اسواقها ، فتمنى صاحبه ان يباع طباخا ، وتمنى كافور ان يملك هذه المدينة ، وقد بلغ كـــل مناه ، فبيع كافور لأحد القواد ، وبيع صاحبه الطباخ ثم مرت الايام فاصبح كافور ملك مصر ، ومر يوما بصاحبه فرآه عند سيده يسيء معاملته فقال لمن معه ، لقد قعدت بهذا همته ، فكان كما ترون ، وطارت بى همتى فكنت كما ترون ، ولو جمعتني واياه همة واحدة لجمعنا عمل واحد .



ليلة القدر في جامع قرطبة الأعظم

للأستاذ عبد المجيد وافي

منذ ان هدى الله العالم ببعثة خاتم المرسلين ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وانتشرت اضواء رسالته فعمت الأرجاء ، وطبقت الآفاق ، وشهر رمضان المبارك من كل عام ، موسم من مواسم الخير والهدى ، لا يخلو قطر اسلامى من احتفاء به ، ولا تجد مدينة صغيرة أو كبيرة تفترش بقعة من آفاق الاسلام الرحيبة الا وقد غمرتها بركات الشهر المعظيم ونفحاته .

وما دخل الاسلام ارضا دون أن يكون لذكرى نزول القرآن احتفال بها واحتفاء ، صيام نهار وقيام ليل ، ما شذ عن ذلك بلد ولا أفق ، حتى دخل الاسلام ــ اوروبا ــ من غربها ، وعمر بالأندلس قرونا ثمانية ، نشر بها الهدى ، ورفع لواء الحضارة ، واخرج الغرب من بداوته ، واخرجه في جهالته .

وكان للدولة الاسلامية بالأندلس اكثر من حاضرة ، عمرت جميعها بالمساجد الجامعة ، ومن فوق صوامعها ارتفعت اصوات المؤذنين مجلجلة

المحراب خلف القصور المخصصة المتقاطمة تحفة عمارة الحكم .

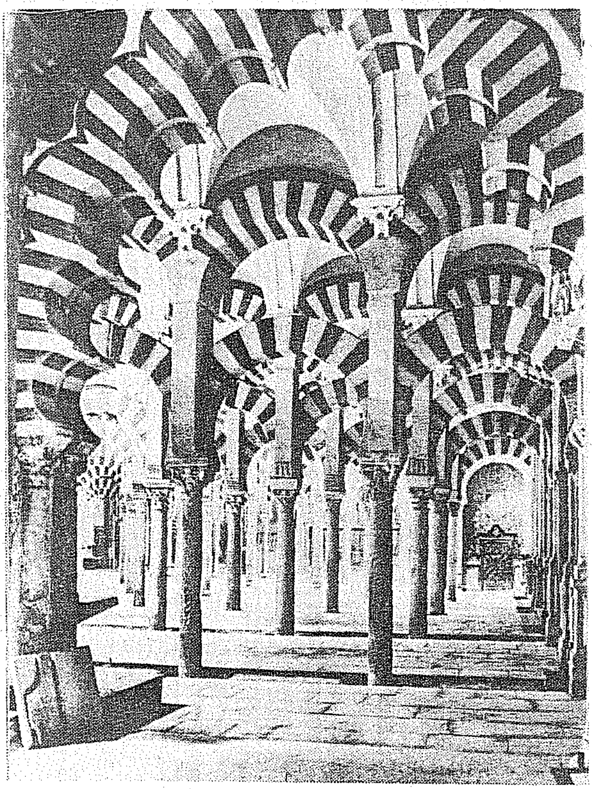
والفسيفساء كريش الطواويس بألوان قوس قزح تغطى واجهة داخل المحراب حيث كان مصحف الخلافة يوضع .

وتحت السقف ــ فوق الاقواس المتعانقة بقايا طرازى كتابة كوفية ، الاعلى فاتحة الكتاب وتحته البسملة واول سورة آل عمران.

والسور الحديدى كان مكانه فى العصر العربى مقصورة خشبية روعة فى الصناعة والتلبيس بين الخشب والجوهر وكريم المعدن .

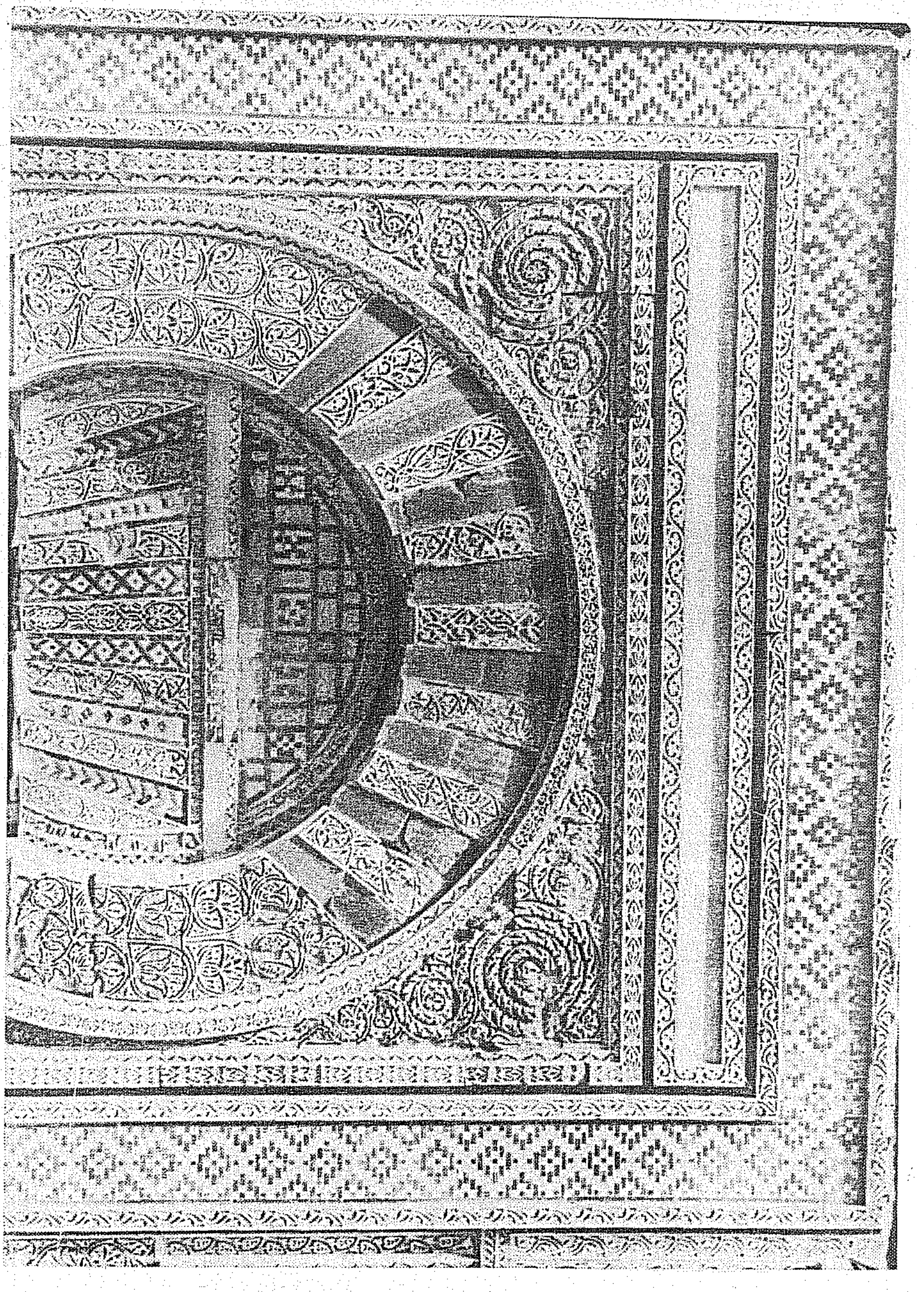
كل ذلك قد ضاع ...

بذكر الله وتكبيره كما امتلأت رحابها بحلقات الدرس ، وخلوات العبادة على طول أيام السنة .
فاذا ما أهل رمضان المعظم ، ازدحمت تلك المساجد بالذاكرين والقائمين ، وزاد القومة على أمرها من عنايتهم ، واعطى أصحاب النفقة ، لاجتلاب زيوت الاضاءة والشموع وفاضت اضواؤها حتى قارب ليلها نهارها فى ضوئه ولألائه .
ولقد ظلت قرطبة عاصمة الاسلام بالاندلس ما يقرب من خمسة قرون (١) ينتشر منها الضياء ، ويرتفع عليها اللواء ، واليها يقدم طلاب المعرفة ، ورواد العلم والحضارة .

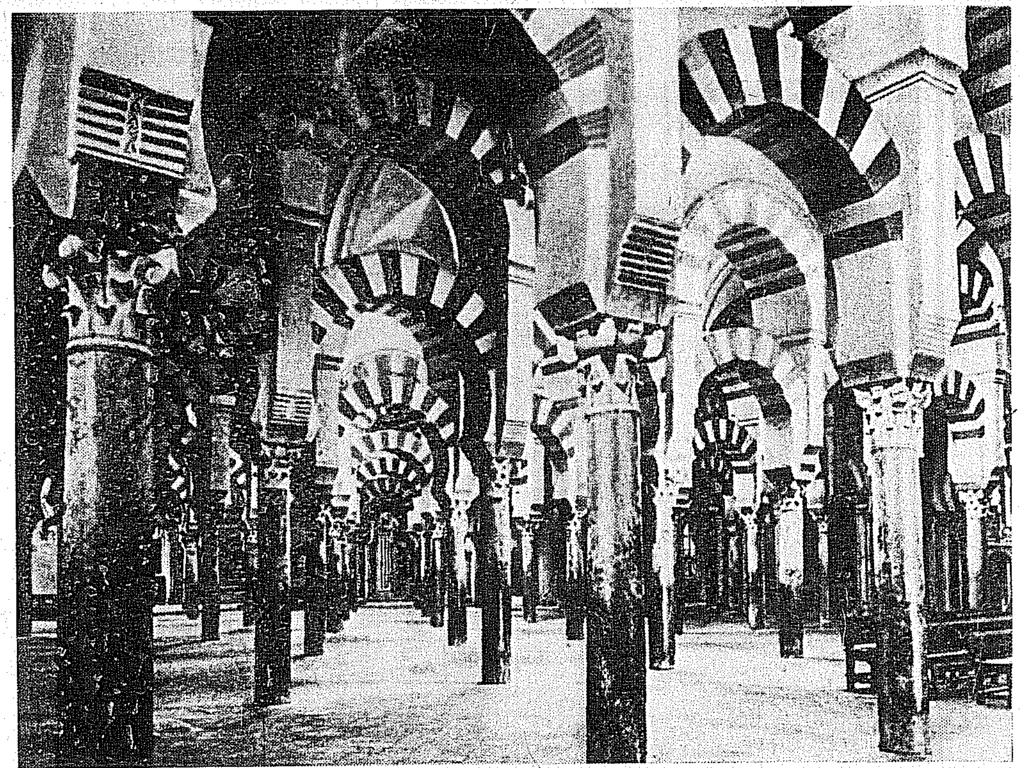


جزء من عمارة المنصور ابن ابى عامر بالمسجد الجامع .
وفى اقصى اليمين مصلى مسيحى مما اقحم على بيت الصلاة تزرى به روعة العقود الاسلامية المزدوجة والمفصصة .

كما ظل مسجدها الجامع ــ الجامع الاعظم ــ كما لقبه جميع مؤرخى الأندلس ــ لؤلؤة المساجد ودرة الخلافة ، ومنار العلم ، ومقصد حجاج المغرب الى أرض الفردوس .
بدأ عمارته عبد الرحمن الداخل عام ١٦٩ هـ قبيل وفاته حيث مات عام ١٧١ هـ قبل أن تتم اللمسات الأخيرة لمظهره العظيم ، وزاد فى عمارته حفيده وسميه عبد الرحمن الاوسط زيادتين ، الاولى من جانبيه عام ٢١٨ هـ ــ



زخارف فوق محراب مسجد قرطبة



غابة الأعمدة بالجامع القرطبى الاعظم ... وكراسى الصلاة المسيحية .
هذا جزء فقط من عمارة الداخل .

٨٣٣ م ، والثانية فى العمق من جهة المحراب عام ٢٣٤ هـ ــ ٨٤٨ م أتمها من بعده ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن .

وكانت ذروة التوسعات وأروعها جمالا وفخامة ــ رغم روعة الأصل والزيادتين ــ ما قام به الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الثالث على مدى السنوات ٣٥٤ هـ ٣٥٥ ، ٣٥٦ هـ ، ثم ما زاد فى صحنه ، واعادة بناء منارته « صومعته » ، وأجرى الماء فى صحنه للوضوء بالقنوات من الجبال الى المسجد وجاء من بعد هؤلاء الأمراء الأمويين ، الوزير الحاجب ــ المنصور بن أبى عامر ــ أو محمد بن أبى عامر الذى تخرج فى رحاب المسجد الجامع ، وتدرج فى حلقات علمه ، حتى عرف بالفقه والكتابة .

فلما صارت الوزارة اليه ، وقام بالوصاية على ولى عهد الحكم ، بدأ زيادة فى شرقى المسجد تساوى مساحة العمارات الأموية الثلاث فى سنة ٣٧٧ هـ ــ ٩٨٧ م .

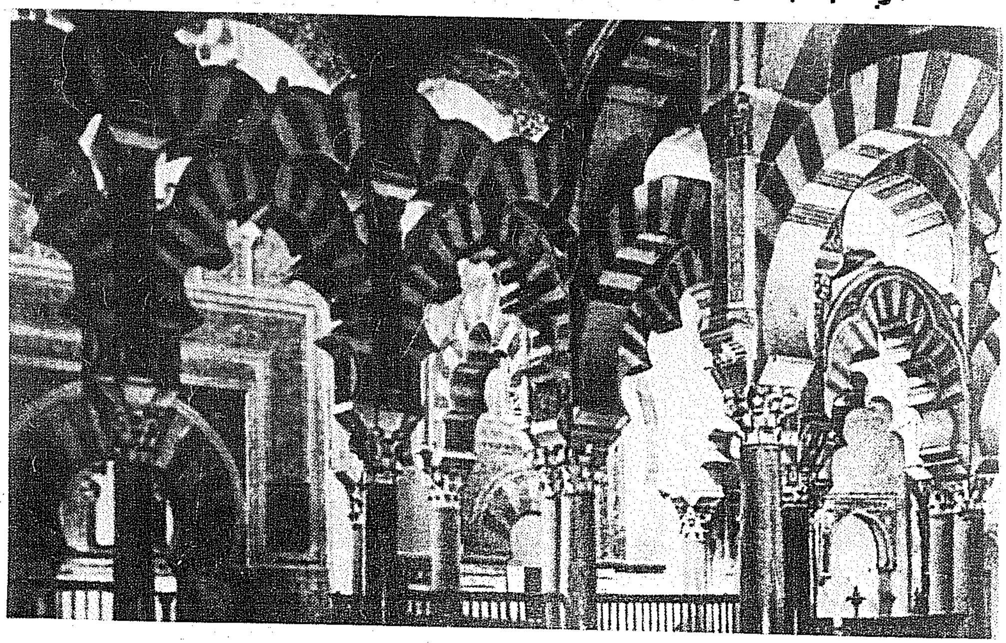
وما كانت عمارة المسجد أصلا الا بعد ضيق المسجد العتيق الذى أسسه التابعى حنش الصنعانى عقب الفتح أيام موسى بن نصير عام ٩٥ هـ .

وبدأ الداخل عمارته ، وكانت الزيادات جميعا لنفس سبب بناء المسجد العظيم ــ ضيق بيت الصلاة برواد المسجد ، حتى بلغت سواريه بعد زيادة المنصور ، ما يقرب من الف واربعمائة سارية ، غير الأكتاف والدعامات .

وظل للمسجد رواؤه ، وطبقت فى الآفاق شهرته وأخباره حتى سقطت قرطبة فى يد القشتاليين عام ٦٣٦ هـ منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، وبقى بعدها المسجد مسجدا قرابة خمسين عاما يؤمه المسلمون بالصلاة تحت الحكم الاسبانى ، الى أن غلب التعصب الحضارة ، واقيمت فى قلبه الصلوات المسيحية قبل أن يقتطع من قلبه لبناء كاتدرائية .

واذا كانت كتب الرحلات وأخبار الرواة تذكر وتفيض فى وصف هذا الجامع الأعظم فان الوصف يقصر عن الحقيقة ، وليس السماع كالعيان حتى بعد انقضاء الف ومائتى عام على بدء عمارته ومرور سبع مائة عام على وقوعه اسيرا بين يدى القشتاليين ، فانه ما زال المسجد الجامع الأعظم .

كيف كان الجامع الاعظم ــ جامع قرطبة ــ فى رمضان أيام أهله ، وأوليائه ، كان عامر النهار بالحلقات والدروس ، مضىء الليل بالثريات الكبرى والتنانير والسرج والشموع يؤمه القوام ــ قوام الليل ــ وقراء القرآن ، وما تكاد الحركة تهدأ بعيد صلاة الفجر ، حتى تبدأ من جديد حلقات الفقه والتفسير والحديث دورانها ، وينتهى ليله الساهر ويخفت صوت القراء والمبتهلين قوام الليل ، ليبدأ نهاره تتردد فى جنباته الفسيحة أصوات العلماء ، وهمسات الطلاب بالأسئلة حياة العلم مدارسته ، وحياة الجامع عمرانه بالعبادة والدرس .



المحراب من خلف العقود ، وكذلك بساب السابلط قد وشيا بالفسيفساء .
والى اقصى اليمين مصلى مسيحى لا طعم له فى هذا القدس .

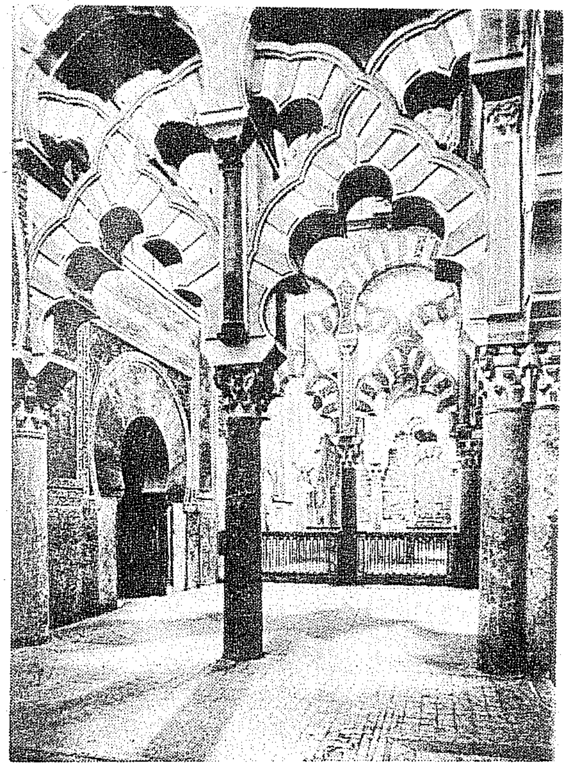
يروي مؤرخ الأندلس ــ المقري ــ صاحب نفح الطيب ــ في عبابي ما يروى من أخبار المسجد ، صورة حية لليلة من ليالي رمضان المعظم في أيام المسجد الاخيرة .

ولم يكن صاحب الصورة يدري أن الزمن قد دار دورته ، وآذن مجد قرطبة بالزوال عما قريب ، الصورة يصورها أبو محمد ابراهيم بن الولبني ، فقيه وكاتب من عصر الموحدين آخر موجة اسلامية ادركت روابي الأندلس الاوسط ، هبت عالية فأوقفت زحف القشتاليين الى حين ، وانحسرت بعدها ليقف حكم المسلمين على مشارف غرناطة مدة قرنين ونصف قرن قبل غروب شمس الاسلام من افق الاندلس الحزين .

صورة حية تمتلىء بالوصف المتحرك ، تجتلى المحاسن ، وتحكى مشاعر الحس ، وعواطف النفس ، وتعكس الوميض المتلألىء في ليلة القدر من الشهر المبارك ، لا يشوب جمالها الا اغراق صاحبها في استعمال لوازم العصر ــ الادبية ــ من جناس وطباق وسجع ومقابلة .

خرج الكاتب الى قرطبة العامرة ، كعادة السراة والسادة ، من الحج الى قرطبة الحاضرة في المواسم ، لحضور ليلة القدر .

((. . . واني شخصت الى حضرة قرطبة ــ حرسها الله تعالى (٢) ــ منشرح الصدر ، لحضور ليلة القدر ، والجامع ــ قدس الله تعالى بقمته



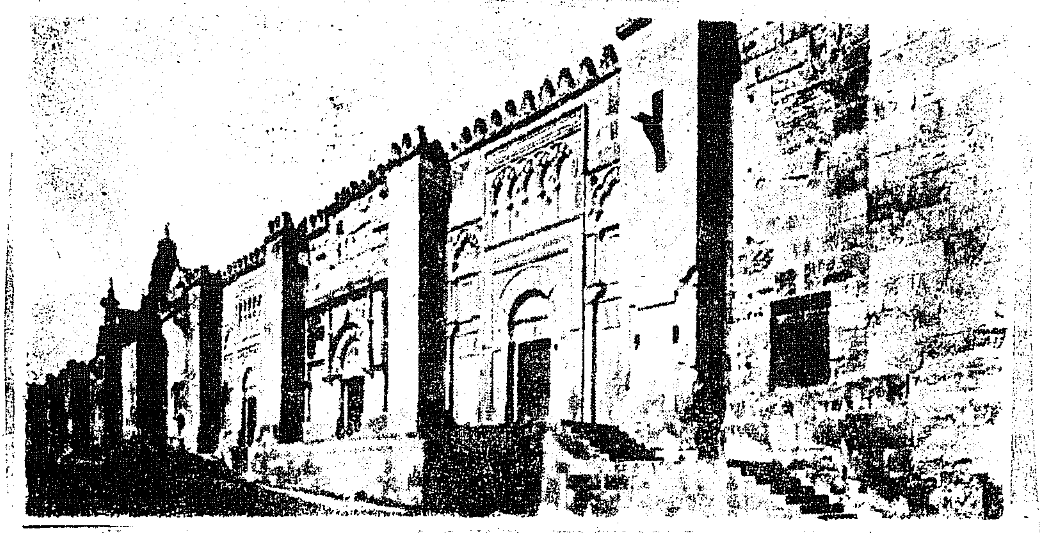
رواق المحراب بالجامع الاعظم من عمارة الحكم المستنصر عام ٣٥٤ هـ .
والمحراب الى يسار الصورة والســـور الحديدى لمنع دخول الزوار الا بعد دفع رسوم سياحية .

ومكانه ، وثبت أساسه وأركانه ــ قد كسى ببردة الازدهاء ، وجلى (٣) فى معرض البهاء ، كأن شرفاته (٤) فلول فى سنان ، أو اشر فى أسنان ، وكأنما ضربت على سمائه كلل ، أو خلعت على أرجائه حلل ، وكأن الشمس قد خلفت فيه ضياءها ، ونسجت على أقطاره أفياءها ، فنرى نهارا قد أحدق به ليل (٥) ، كما احدق بربوة سيل ، ليل دامس ، ونهار شامس » .

« وللذبال تألق كنضنضة الحيات (٦) ، أو اشارة السبابات فى التحيات ، قد أترعت من السليط كؤوسها (٧) ، ووصلت بمحاجن الحديد رؤوسها (٨) ، ونيطت بسلاسل كالجذوع القائمة ، أو كالثعابين العائمة ، عصبت بها تفاح من الصفر (٩) ، كاللقاح الصفر بولغ فى صقلها وجلائها ، حتى بهرت بحسنها ولالائها ، كأنها جليت باللهب ، وأشربت ماء الذهب . » « .. ان سمتها (١٠) طولا رأيت منها سبائك عسجد ، أو قلائد زبرجد ، وان اتيتها عرضا رأيت منها أفلاكا ولكنها غير دائرة ، ونجوما ولكنها ليست بسائرة تتعلق تعلق القرط من الذفرى (١١) ، وتبسط شعاعها بسط الأديم حين يفرى (١٢) » .

« والشمع قد رفعت على المنار رفع البنود ، وعرضت عليها عرض الجنود ، ليجتلى طلاقة روائها القريب والبعيد ، ويستوى فى هداية ضيائها الشقى والسعيد ، وقد قوبل منها مبيض بمحمر ، وعورض مخضر بمصفر ، تضحك ببكائها وتبكى بضحكها ، وتهلك بحياتها وتحيى بهلكها (١٣) » .

« والطيب تضفم أفواخه (١٤) ، وتتنسم أرواحه ، وقتار الالنجوج والند ، يسترجع من روح الحياة ما ند (١٥) ، وكلما تصاعد وهو محاصر ، أطال من العمر ما كان قد تقاصر ، فى صفوف مجامر ككعوب مقامر (١٦) » « وظهور القباب مؤللة وبطونها مهللة (١٧) ، كأنها تيجان ، رصع فيها قوت ومرجان (١٨) » .



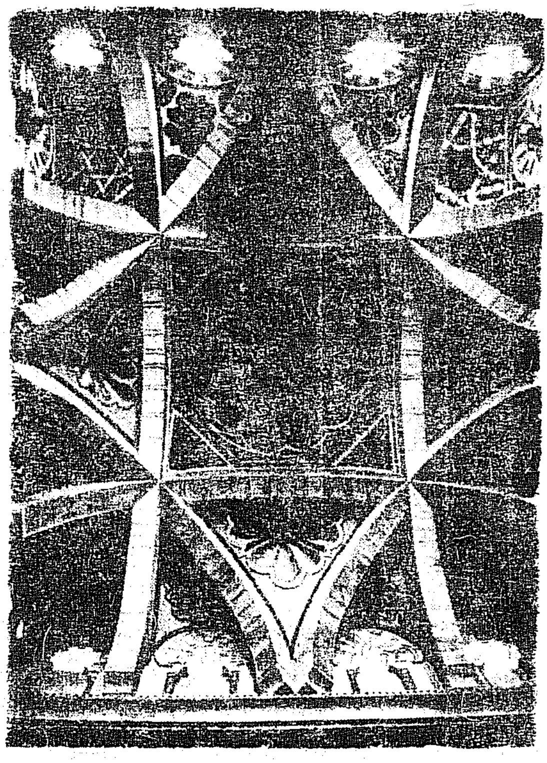
الجدار الغربى لجامع قرطبة الاعظم يطل على المحجة العظمى الطريق الذى كان يفصل بين الجامع والقصر .

والى اقصى اليمين باب الساباط اصبح مغلقا بعد هدم الساباط الذى كان يصل القصر بالمسجد لدخول الخلفاء .

« قد قوس محرابها احكم تقويس ، ووشم بمثل ريش الطواويس ، حتى كأنه بالمجرة مقرطق ، وبقرس قزح ممنطق ، وكأن اللازورد حول وشومه ، وبين رسومه ، نتف من قوادم الحمام ، أو كسف من ظلل الغمام (١٩) » .

« والناس أخياف فى دواعيهم ، وأوزاع فى أغراضهم ومراميهم ، بين ركع وسجد ، وأيقاظ وهجد ، ومزدحم على الرقاب يتخطاها ، ومقتحم على الظهور يتمطاها كأنهم برد خلال قطر ، أو حروف على عرض سطر » .

« حتى اذا قرعت اسماعهم روعة التسليم ، تبادروا بالتكليم ، وتجاذبوا بالأثواب ، وتساقوا بالأكواب ، كأنهم حضور طال عليهم غياب ، أو سفر أتيح لهم اياب ، وصفيك مع اخوان صدق ، تنسكب العلوم بينهم انسكاب الودق ، فى مكان كوكر العصفور — استغفر الله — أو ككناس اليعفور (٢٠) »



قبة من قباب مسجد قرطبة الجامع فريدة الطراز اقتبست بعد ذلك فى العمارة الدينية باوربا فى العصور الوسطى .

« كأن اقليدس قد قسم بيننا مساحته بالموازين ، وارتبطنا فيه ارتباط البياذق بالفرازين ، حتى صار عقدنا لا يحل ، وحدنا لا يفل (٢١) » .

« بحيث نسمع سور التنزيل كيف تتلى ، ونتطلع صور التفصيل كيف تجلى والقومة من حوالينا يجهدون فى رفع الضرر ، ويعمدون الى قرع الصمد بالدرر ، فاذا سمع بها الصبيان قد طبقت الخافقين ، وسرت نحوهم سرى القين ، توهموا انها الى أعطافهم واصلة ، وفي اقحافهم حاصلة ،

ففروا بين الاساطين ، كما تفر من النجوم الشياطين كأنما ضربهم أبو جهم بعصاه (٢٢) ، أو حصبهم عمير بن ضابىء بحصاه (٢٣) . »

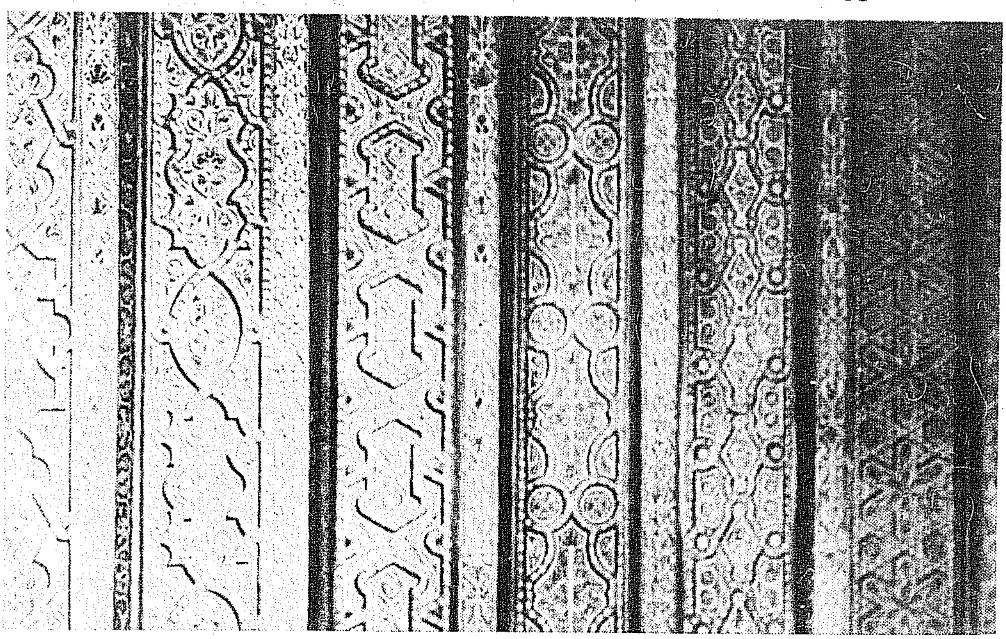
« فأكرم بها من مساع تسوق الى جنة الخلد ، وتهون فى السعى اليها الطوارف والتلد ، تعظيما لشعائر الله ، وتنبيها لكل ساه ولاه ، حكمة تشهد لله بالربوبية وطاعة تذل بها كل نفس أبية » (٢٤) .

وهكذا ينتهى هذا الوصف الرائق لاحتفال ليلة القدر المباركة بالجامع الأعظم ، وهى عبارات صادقة ، رائعة التصوير ، تناولت النظر والحس والعواطف المرهفة لقصاد الساحة المقدسة فى ليلة عزيزة على أهل الايمان عمرها الناس بالضراعة ، ومهد لها أصحاب الخدمة بالمسجد بما يشع عليها من جو الحفاوة والضياء .

ولا عجب أن يروى ، أن عدد ثرياته بين كبير وصغير كانت تقرب ، الثلاثمائة هذا غير صغار كؤوس الزيت فى مصابيحها ، كانت تسقى زيتا بالارباع (٢٥) فى رمضان وحده مائتين وخمسين ، ومثل ذلك بقية ليالى السنة ، هذا غير الشمع الكبير الذى كان وزنه فى رمضان وحده ثلاثة قناطير ، وثلاثة أرباع القنطار من الكتان والقطن فتيلا للشمع المذكور .

وكان وزن الشمعة الكبيرة التى توضع بجوار الامام بين خمسين وستين رطلا ، بينما يقوم على الخدمة فى المسجد ، ويتصرف فيه من أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وسدنة ووقادين ، قريب من مائة وستين فردا ، يحرقون فى الليلة الختامية وحدها أربع أواق من العنبر الأشهب ، وثمانى أواق من العود الرطب (٢٦) .

وتمر الايام وما يزال الصرح شامخا ، يزوره السواح الغربيون بين مبهور وحاقد ، ويؤمه زواره من المسلمين حزانى ، يهرعون الى السجود فى رواق محرابه ، على بلاط الرخام الذي قد عرى عن فرشه ، يؤدون حق



بعض زخارف السقف فى المسجد القرطبى الاعظم .

المسجد من تحية ، ويخرجون من رحابه وقد تركوا قلوبهم وأكبادهم أسيرة الأسير فى أرض المنفى .

لقد شاهدت عيناى هذا الصرح ، وشاهدت عبر الشرق والغرب مساجد فارهة ، ولكنى لم اشاهد فنا مثل ما رايت فيه ، أصيلا وقورا ، وجوا خاشعا وعمارة شامخة ، وهندسة رائعة رفيعة ، حسب فيه حساب الضوء والظل ، وارتفاع السقف وخشوع الساجد ، فى تكامل رهيب ، امتص ما أقيم فيه بعد الأسر من صلوات مسيحية وكنائس ، تتضاءل فى رحابه الواسع ، حتى لا تكاد تبين .

فسلام على المسجد الجامع الاعظم ، وسلام على رمضان وليلة القدر ؟

---

(١) فتحت قرطبة سنة ٩٤ هـ مع الفتح الاعظم وسقطت فى يد القشتاليين سنة ٦٣٦ هـ .

(٢) هذا من كلام الفقيه ابن الولبنى ، اما المؤرخ المقرى — الذى يكتب بعد نكبتها — فيقول — ردها الله — .

(٣) كما تجلى العروس فى ثوب الزفاف .

(٤) الشرفات فى المساجد ما يكون من زخارف هجرية على اطراف الجدران الخارجية ، معانقة السماء باطرافها الممتدة ، والاشر ما يرى فى اسنان الصفار كمثل شرشرة المناشير .

(٥) النهار هو الضوء الشديد داخل المسجد والليل خارجه .

(٦) ضوء الفتيل المشتعل كحركة السنة الحياة فى افواهها .

(٧) السليط زيت الاضاءة فى الكؤوس .

(٨) العلاقات فى رؤوس المصابيح .

(٩) كرات النحاس الاصفر تجمع اطراف السلاسل .

(١٠) نظرت اليها بطول أروقة المسجد .

(١١) تعلق القرط فى طرف الأذن .

(١٢) مثل بسط الجلد حين يشق .

(١٣) صورة تشكيلية زخرفية من ترتيب الشموع والوانها المختلفة على جوانب المنارة .

(١٤) رائحته الفواحة تملأ الخياشيم .

(١٥) الالنجوج والند نوعان من البخار ، والقتار بضم القاف ريحه المختلط بدخان احتراقه

(١٦) المجامر المباخر وكعوب المقامر فصوص النزد .

(١٧) وصف القباب من الداخل والخارج ، مستديرة كالأهلة من داخلها محددة التحديد من الخارج .

(١٨) هذا وصف فسيفساء القبة وفصوصها ذات الألوان الرائعة .

(١٩) هذا أصدق وصف لفسيفساء المحراب والوانها وزخارفها التى جلبت خصيصا من بيزنطة أيام الحكم المستنصر ، والقرطق الثوب القصير ، وفسيفساء المحراب تقف فى وشمها عند خواصر العقد .

(٢٠) بيت الظبى وذلك كناية عن ضيق المكان بمن فيه .

(٢١) أقليدس عالم الهندسة اليونانى ، والبياذق والفرازين من ادوات الشطرنج .

(٢٢) أبو جهم بن حنيفة صحابى قرشى كان مهابا فى قومه .

(٢٣) عمير بن ضابىء حاول أن يحصب الحجاج لما طال سكوته على المنبر .

(٢٤) نفح الطيب للمقرى ج ٥ دار المامون ص ٢١ — ٣١ .

(٢٥) نوع من المكاييل .

(٢٦) المرجع السابق .

مدرسة الاحسان

للأستاذ عبد الله كنون

قيل إن العرب لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة ، سموها بالازمنة التى وقعت فيها ، فوافق شهر رمضان أيام رمض الحر ، فسمى بذلك .

وسواء صح هذا ام لم يصح ، ومعنى المادة التى اشتق منها ذلك الاسم يصححه ، فان الاسلام قد جعل لهذا الشهر رمض حر معنوى لا يفارقه مدى السنين ، ولو جاء في اشد الاوقات بردا وقرا ، وذلك هو الصيام الذى افترضه الله على المؤمنين وجعلهم يرتمضون فيه بحر الجوع ليذوقوا مما يذوقه الفقراء والمساكين فى كل شهر ، لا فى شهر رمضان فقط فيواسوهم ويحسنوا اليهم فى شهر رمضان وفى كل شهر آخر ، لأن الاحساس بالجوع غير وصفه ، والشعور بالخصاصة غير الخبر عنها .

وقد يكتب الكتاب ويعظ الواعظون في الحض على المواساة والاحسان الى الفقراء والمساكين ولكنهم لن يبلغوا من النفس البشرية ما يبلغ منها صيام يوم واحد وتجويعها على النحو الذى أمر به الشارع فى شهر رمضان للرياضة والتربية ، لا للتطبيب والاستجمام .

والصيام وان كانت له فوائد صحية لا تنكر ، ويصح ان يكون الشارع قصدها فيما قصد اليه من فرض هذا الركن العظيم من اركان الاسلام ، ولكن مسألة الاحسان هى منه فى الطليعة وربما كانت هى المرادة منه بالقصد وبالذات ، الا ترى الى ما روى فى الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم ، كان اجود الناس ، وأجود ما يكون فى رمضان ، حين يلقاه جبريل فيذاكره بالقرآن ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

وكيف لا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم اجود الناس وهو الذى بعث ليتمم مكارم الاخلاق ؟ وكيف لا يكون افضل أكوانه بالنسبة الى الجود فى رمضان ، وقد اجتمعت فيه ثلاث دواع كل واحد منها كاف لمضاعفة أثر ذلك الخلق الكريم ، وهى الصيام ، ولقاء جبريل ، ومذاكرة القرآن ؟

فالصيام عامل طبيعى لاثارة عاطفة الاحسان بسبب ما يشعر به الصائم من الحرمان الذى يعيش فيه الفقراء دائما ، ويستوى فيه الرسول وغيره الا أن أثره فيه (صلى الله عليه وسلم) أعظم من غيره . ولقاء جبريل هو صلة مباشرة بالملأ الاعلى يصفو معها جوهر النفس وتسمو معنوياتها الى أبعد حد ممكن لبشر . ومذاكرة القرآن ، وهو معدن الاسرار والانوار ،

لا تأتي الا بأعظم النتائج في باب التخلق لعموم الناس فأحرى الرسول الكريم .

وعلى كل حال فالغاية من الجميع هي الجود ، وذلك ما يجعل من رمضان مدرسة احسان ، يتخرج فيها ملايين المحسنين كل عام ، من الصائمين الذين يكونون على قدم الرسول صلى الله عيه وسلم في الاتصاف بالجود أيام السنة كلها وفي أيام رمضان أكثر .

ومما يدل على أن فرض الصيام حكمته معالجة آلام الحرمان بالفعل ، لتربية عاطفة الاحسان في الانسان ، ما روى في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال « بينما رجل يمشي بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بي . فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له » .

فهذا الحديث يرشد الى أن الحرمان يولد العطف والعطف يبعث على الاحسان ، فما شعر بما يجده المحروم من ألم نفسي وبدني الا من حرم مثله من لذاته ومشتهياته ، واذ ذاك ترق عاطفته ويسخو بما لم يكن يسخو به من قبل هذا التمرين .

ولو لم يوخذ هذا الرجل بتجربة العطش الشديد الذى حمله على النزول في البئر ، لما رق قلبه لذلك الكلب ولو رآه مندلع اللسان من العطش ، فكذلك يكون الذى عانى الصيام شهرا في كل عام ، اذا رأى جائعا أو عطشان أو محروما من ضرورية من ضروريات العيش على العموم

ولعل هذا هو ما يفسر قوة عاطفة الاحسان الفردى عند المسلمين برغم تخلفهم في ميادين الاحسان العام لضعف تربيتهم الاجتماعية والسياسية .

على أن هذا المعنى الذى ذكرنا انه المقصود الاهم من الصيام وهو تنمية عاطفة الاحسان ، قد وقع التصريح به في حديث سلمان رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال « يايها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، فيه ليلة خير من الف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، وهو شهر الصبر وشهر المواساة ، من أفطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار » . رواه ابن خزيمة في صحيحه .

ولا معنى لكونه شهر المواساة الا هذا بدليل ما بعده من الحض على تفطير الصائم الذى لا يجد ما يفطر عليه ، وناهيك أن كتاب الله العزيز لما عذر العاجز مطلقا عن الصيام لم يجعل له مندوحة من اطعام المساكين .

وتختم هذه الدروس التى تدوم شهرا كاملا بامتحان جعله الشارع علامة النجاح في هذه المدرسة الاحسانية العظيمة ، وهو زكاة الفطر التي ورد في الصحيح انها طهرة للصائم من اللغو والرفث ، وروى انه صلى الله عليه وسلم قال « صوم رمضان معلق بين السماء والارض لا يرفع الا بزكاة الفطر » .

فختمت دروس الاحسان بامتحان عملي في الاحسان ، مما لا يبقى معه شك في أن رمضان ما هو الا مدرسة للاحسان .

ان الصيام مواساة واحسان قضى بذلك قرآن وبرهان

نعم الصيام مع المعروف تبذله وليس فيه مع الحرمان حرمان

منهج تربوي فريد في القرآن

للأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي

فى القرآن منهج تربوى فريد ، وفيه مبادىء تربوية فريدة . وبينهما فارق كبير .

أما المنهج التربوى فهو الطريق الذى سلكه القرآن بالمسلم الى اتباع مبادئه والتمسك بأحكامه .

وأما المبادىء التربوية فهى تلك الأحكام والنظم والقيم التى أرساها ودعا اليها ، كأحكام الحلال والحرام وقيمة الصدق والجهاد والاخلاص .

وعندما نقول (المنهج التربوى) فانما نعنى الأسلوب والطريقة

ومظاهر الافتنان فيهما ، ولا نعنى هذه الأحكام والقيم بحال .

واذا تبين لنا الفرق ، فلنتساءل عن أسس المنهج القرآنى ومظاهر الابداع فيه .

المحاكمة العقليـــة

يقوم المنهج التربوى فى القــرآن على ثلاثة أسس :

المحاكمة العقلية ، القصص والتاريخ ، الاثارة الوجدانية .

فأما المحاكمة العقلية ، فقد درج بها القرآن فى الجوانب الثلاثـــة التاليـــة :

الجانب الأول : تعريف الانسان بذاته قبل كل شىء . فقد بدأ خطابه للناس بالحديث عن الانسان وأصنافه وأصـــله وجوهره وكيفية نشأتـــه وتكاثره ، تقرأ ذلك فى بدء سورة البقرة التى هى أولى مراحل التنزيـــل الالهى للناس .

ولهذه البداءة التمهيدية أهمية تربوية كبرى ، ذلك لأن جميع المعارف التى يكتسبها الانسان انما هى فرع لمعرفة سابقة ، هى معرفته لذاته ، وبدون أن تتوفر هذه المعرفة الأولى لا يحرز الانسان أى ميزان سليـــم للمعارف الفرعية الأخرى . فلولا ايمانك بالعقل ووظيفته ما آمنت بشىء من مقولاته وأحكامه . ولولا معرفتك لتركيبك النفسانى والجسمانى لما عرفت شيئا من حقائق الكون التى تطوف من حولك ولما أدركت أى علاقة بينك وبينه . وبمقدار ما تكون معرفتك لذاتك دقيقة وسليمة فان معرفتك لحقائق الكون ووظائفه تكون دقيقة وسليمة . والعكس صحيح .

وهكذا ، فان الذى لم يتوفر بعد على معرفة ذاته وحدود أمكاناته ، لا يمكنه أن يتوفر على معرفة ألوهية اللـــه له ولا على قصة هذا الكون ومجراه ونهايته . وما جحد الجاحدون بالله ولا أقاموا لأنفسهم عـــرش الربوبية فى الأرض ، الا لأن أعينهم ظلت تزيغ فيما حولهم دون أن تصحـــو لحظة واحدة للتأمل والنظر فى أنفسهم .

فمن أجل هذه الحقيقة ومدى أهميتها ، يبدأ القرآن فى محاكمتـــه العقلية للمنكرين بلفت أنظارهم الى أنفسهم والى قصة وجودهم ، حتى اذا استرعى أذهانهم ذلك ، أخذ يحدثهم عن وجود الله ووحدانيته وعبوديـــة الانسان له .

تأمل هذه الآية : « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى .. » الآية .. وتأمل كيف يأتى التقرير من بعدها عن البعث والنشور والحساب .

وانظر الى قوله تعالى : « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من مـــاء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب » وتأمل كيف بنى على ذلك تصوير يوم الجزاء ، وأكد صدق ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من وعـــد ووعيد .

ثانيـــا : اختيار أسلوب صالح لجميع الناس على اختلاف ثقافـــاتهم وبيئاتهم وأزمانهم . فليس من سبيل لشد الناس الى المبدأ المطلوب ، طالما

كان أسلوب الدعوة صالحا لفئة منهم دون أخرى .

وانها لأشق شريطة من شرائط المنهج التربوى الذى يراد سلوكه مع جمهرة مختلطة من الناس . ولذلك فقد تمثل فى هذه الظاهرة أعظم مظهر من مظاهر اعجاز القرآن . اذ جاءت صياغة هذا الكتاب العجيب على قدر الطاقة الادراكية لدى طائفة منهم دون أن يتسبب عن ذلك أى خلل فى الأفهام ولا أى تضارب بين المفاهيم .

انظر الى قوله تعالى ، وهو يلفت أنظار الناس الى روعة الابداع الالهى فى خلق الكون : « ألم نجعل الأرض كفاتا ، أحياء وأمواتا . . » وتأمل فى لفظة (كفاتا) التى هى بمعنى الجذب والضم ، وعليه قول الشاعر :

كرام حين تنكفت الأفاعى الى أجحارهن من الصقيع

لقد جاء وصف الأرض بهذه الكلمة على قدر ما يمكن أن يفهمه الأعرابى فى البادية ، فقد أدرك منها أن الارض له كالوعاء يحفظ ما فيه ويحرسه ، وهو ادراك صحيح . ثم جاء هذا الوصف ذاته على قدر فهم المختصين والمتعمقين فى دراسات الأرض والأفلاك . حتى فهم من ذلك ثابت بن قرة (٢٢١ — ٢٨٨) أن الانسان انما يستقر على الأرض بقوة خفية تجذبه اليها ، والا لما أمكنه الاستقرار من فوقها ، وهى نفس القوة التى تسمى اليوم بالجاذبية . وليس من كلمة تستوعب سلم هذه المعانى التى تبدأ بفهم الأعرابى فى البادية ، وتنتهى بما يفهمه علماء هذا العصر ، كما تستوعبه كلمة (كفاتا) !! . .

ومن أجل هذه الحكمة التربوية ، جاءت الصياغة القرآنية ، فيما يتعلق بالمعلومات الكونية ، بعيدة عن التعبيرات العلمية الضيقة ، اذ لولا ذلك لكان خطاب القرآن غير صالح الا لفئة قليلة من الناس .

ومن أجل هذه الحكمة أيضا جاءت الصياغة القرآنية فى هذه الأبحاث ذاتها ، مثيرة للنظر والبحث أكثر من أن تلزم الناس أن يؤمنوا باخبارات معينة عنها . اذ لو قامت صياغتها على هذا الالزام ، لكان مقتضاه وجوب التصديق بهذه — القضايا العلمية طبقا لما أخبر به القرآن ، دون أن يعملوا فى سبيل ذلك وسائل التجربة والمشاهدة ، التى هى الوسائل الطبيعية الأصيلة للوصول الى حقائق علمية عن الكون .

ومن أعظم الأخطاء التربوية أن يكون أمام تلميذك سبيل طبيعى مباشر الى لمس الحقيقة العلمية بجهده وسعيه ، ثم تثنيه عنها بما تفرض عليه من الفهم والعلم ، من مركز السيطرة والاجبار .

ثالثا : الاعتماد على المناقشة والحوار ، وللقرآن فى ذلك أسلوب رائع عجيب ، فهو اذ يناقش ويحاور ، يثير النظر الى الأدلة ويعرض لها ، دون أى نص على نتائجها ، بل يترك الربط والاستنتاج للسامع المتأمل .

وتلك هى فائدة الأسلوب الحوارى القائم على النظر والنقاش ، انه أسلوب تمرينى تربوى أكثر من أن يكون أسلوب خصومة وشقاق . وعندما يكون النقاش والحوار لهذا الغرض فان تصريح المناقش المربى بنتائج الأدلة وثمراتها (أثناء النقاش) يذهب بجدوى عمله التربوى كله .

انظر الى هذه الآيات التى جاءت فى أواخر سورة النمل : « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون . أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة

ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون .. » .

انه أسلوب حوارى كما ترى ، يقوم على اثارة الأسئلة المنبهة للعقل والمحركة للفكر ، ولا تجد أى جواب صريح على سؤال منها ، وانما تجد بدلا من الجواب لفت النظر الى حيث يمكن للفكر أن يدرك الجواب الصحيح ويتنبه له .

إنه يسأل .. ويلح فى السؤال وطلب الجواب .. ولكنه سرعان ما يضرب عن السؤال والجواب معا ليلفت النظر الى أساس المشكلة فى الأمر .. انهم يعدلون بالله غيره سلفا ، وإنهم لا يريدون أن يعلموا شيئا عن حقائق الكون وما فيه من طوايا الأدلة الرهيبة على وجود الله ووحدانيته وانهم لا يريدون أن يتذكروا نشأتهم الأولى وتدرجهم فى الخلق . ولو أنهم تذكروا .. وعلموا .. وانصفوا .. لعلموا الجواب على كل هذه الأسئلة ، ولأقروا به مؤمنين صاغرين .

تجد هذا المعنى بارزا بوضوح فى آخر كل آيات هذا الحوار : بل هم قوم يعدلون .. بل أكثرهم لا يعلمون .. قليلا ما تذكرون ..

وانظر أيضا الى قوله تعالى ، وهو يناقش الكافرين : ((أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين . أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)) ..

لقد عرض فى هذه الآيات وما يليها الى الاحتمالات المتصورة فى سبب جحود الكافرين ، فرد كلا منها ، بأسلوب فريد .. !! لم ينف الاحتمالات بعبارات سلبية جازمة ، فمثل هذا النفى لا يفيد المخاصم أكثر من أن يزيده صلابة وعنادا ، ولكنه ناقشها بما يكشف عن زيفها ، وترك التصريح بالزيف لعقل السامع وفكره . إن الاحتمال الأول ، هو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم متقولا على الله هذا القرآن ، واذا فليتقولوا هم أيضا على الله مثله . فاذا فعلوا ذلك أمكن لدعواهم أن تكون صحيحة . والاحتمال الثانى أن يكونوا عند أنفسهم مخلوقين بغير خالق . واثارة هذا الاحتمال بهذا الأسلوب القرآنى تلفت النظر بطريقة مشفقة ساخرة الى ما يوجد فى تضاعيفه من دعوى رجحان الشىء بدون مرجح ، وهو من أبرز صور المحالات التى يجمع كافة العقلاء على امتناعها .

والاحتمال الثالث أن يكونوا — فى وهم تصوراتهم — هم الذين تولوا إيجاد أنفسهم . واثارة هذا الاحتمال ، بالأسلوب القرآنى الذى تراه ، تلفت النظر بطريقة ساخرة أيضا ، الى ما يوجد فى تضاعيفه ، من دعوى صحة الدور الذى هو أيضا من أبرز صور المحالات عند جميع العقلاء .

فانظر كيف حاكم الأسلوب الحوارى فى القرآن جماعة الكافرين الى قانون بطلان الدور وبطلان الرجحان بدون مرجح ، ليسقط بذلك دعواهم .! فعل ذلك كله بدون أن يسلك بهم أى مسلك تعليمى أو أن يلقنهم علم أى مجهول أو يلزمهم بأي قرار ونتيجة . وانما أثار أفكارهم الى موازين المنطق والعلم ، وتركهم بين ذلك كله ، وقد لبسوا زى الجهل أو التجاهل والتعامى عن الحق .

والحديث فى تطبيقات الأسلوب التربوى ، فى نقاش القرآن وحواره يطول . وأنه لحديث شائق مفيد . وليس ههنا مجال بسطه وتفصيله . ولكنى ألفت نظر المهتمين بالتربية ومذاهبها الى هذا الجانب ، وأدعوهم الى دراسته دراسة واعية مسهبة ، فلسوف يعثرون على ما هم بأمس الحاجة الى معرفته والتبصر به من الطرائق التربوية الحديثة المفيدة .

القصص والتاريخ

وللقصص والأبحاث التاريخية أهمية كبرى . ولكن الشأن ليس فى ايراد القصة كيفما اتفق ، وانما الشأن فى معرفة الطريقة التربوية التى يجب أن يتم نسيج القصة على أساسها .

للقرآن منهج رائع عظيم فى ذلك يمكن أن يلخص فيما يلى :

أولا : لا يسوق القرآن من القصة الا ما يتعلق به الغرض الذى سيقت من أجله ، كى تظل الصلة متينة بين القصة والمناسبة الداعية اليها ، بحيث تبعث فيها الأهمية وتمدها بالحياة . من أجل هذا لا تكاد تجد القرآن يسرد حوادث القصة سردا تاريخيا تبعا لسلسلة الوقائع والأحداث ، اذ من شأن ذلك أن تبتعد القصة بالقارىء عن المناسبة والغرض الأصلى اللذين ذكرت بصددهما .

تقرأ مثلا فى قصة أصحاب الكهف قوله تعالى : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا إذا شططا » ..

فأنت ترى أنه بدأ فوصف أصحاب الكهف بأنهم فتية انفردوا عن قومهم الكافرين بالايمان بالله وحده ، وأنهم من أجل ذلك عزموا على أن يعتزلوهم فى شواهق الجبال وبطون الكهوف . فمن هم هؤلاء القوم ؟ وفى أى بلدة كانوا يعيشون ، وكم كان عدد هؤلاء الفتية ؟ وما هى أسماؤهم ؟

لقد كان مقتضى السرد التاريخى أن تجيب القصة عن هذه الأسئلة كلها ، ولكنها لو سارت على هذا المنوال لما وفت بالغرض الدينى الذى استهدفته ، ولا نصرف فكر القارىء الى تتبع أحداث تاريخية شائقة يود أن يعرفها ، ولغفل بذلك عن العبرة والعظة اللتين سيقت القصة من أجلهما .

وهذا هو سر الاقتضاب الذى نجده فى أكثر قصص القرآن ، وهو سر يمكن أن يتنبه اليه الانسان من خلال شعوره بالرغبة فى أن تكون القصة القرآنية غنية بمزيد من التفصيل ، اذ هو لا يرغب فى ذلك الا بدافع مما يتصف به الانسان عادة من فضول الفكر وحب الاستطلاع . ولو استجيبت رغبته لند فكره عما قد وضعه القرآن فى سبيله من الانضباط مع خط الهداية والدعوة اليها (١) .

ثانيا : اقحام النصائح والعظات فى ثنايا القصة .

ويهدف المنهج التربوى من ذلك الى أن لا يندمج القارىء مع القصة وينصرف اليها بكل تفكيره ، فيطول به العهد وينسى المساق الأصلى للقصة . وتلك هى آفة الاستعانة بالقصة فى التربية والتهذيب ، واذا تغلب المربى

عليها فأتخذ منها أسلوبا لايقصى السامع خلال مختلف مراحلها عن المحور التربوى الذى ينطلق منه ، كانت القصة اذ ذاك أعظم وسيلة تربوية ناجعة وذلك هو منهج القرآن .

يقص الله علينا فى سورة طه خبر موسى وفرعون . حتى اذا تشعبت أحداث القصة وكاد السامع أن يغفل عن مساق القصة وعبرتها بواقعها وغريب أحداثها ، ظهر — بأسلوب بالغ الروعة — أثناء سياقها حديث آخر جديد يتوجه الى السامع بالموعظة والارشاد ، ويشده الى الغرض الكلى الذى عرضت القصة من أجله . حتى اذا حقق هذا الحديث الطارىء أثره المطلوب فى نفس السامع ، عاد السياق مرة أخرى الى القصة وأحداثها .

تأمل هذا كله فى قوله تعالى وهو يقص من خبر موسى وفرعون :

« قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى . قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى . الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل لكم من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى .. » .

فانظر كيف توقف سير القصة ، ليظهر من ورائها — فى لباقة ولطف — حديث آخر يتحول فيه الخطاب مما بين موسى وفرعون الى ما بين الله وعباده ، متضمنا الامتنان بالنعم والتحذير من النقم والتنبيه الى بالغ سطوة الله وعظيم جبروته .. حتى اذا اصطبغت القصة بهذا الجو الارشادى واستعاد بذلك السامع أو القارىء انتباهه الى الغرض الكلى الذى من أجله نزل القرآن — عادت القصة الى مسارها ، بدءا من قوله : « ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى » .

وتأمل هذا المنهج التربوى أيضا فى عرض قصة أصحاب الكهف ، وانظر كيف ينتهز الأسلوب التربوى المعجز ظهور أول نافذة فى احداثها يمكن ان تتسلل اليها موعظة عابرة مذكرة توقظ النفس من ذهول ، فيقحم فيها هذه العظة بأسلوب رائع بليغ ، وسرعان ما يعود بها مرة أخرى فيربطها بمجرى القصة وأحداثها :

« سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم بالغيب فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ، ولا تستفت فيهم منهم أحدا . ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا . الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا . ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا)) ..

• • • •   • • • •

ثم ان هذا المنهج ليس خاصا بالقصة وحدها ، بل هو مطرد مع سائر المواضيع التى يعالجها القرآن ، لا يدع القارىء يستغرق مع أى موضوع من المواضيع سواء كان أحكاما أو عقيدة أو أخبارا عن المغيبات

وتصويرا لأحداث القيامة ، بل يصبغ هذه الأبحاث كلها بصبغة التوجيه والارشاد ، ويجعل المحور الأساسى الذى تنزل القرآن من أجلــه بارزا مسيطرا خلال سائر المواضيع والأبحاث ، حتى لا يشت الذهن عنه خلال المسائل والأبحاث المختلفة .

انظر الى قوله تعالى وهو يقرر لنا أحكام صوم رمضان : « .. فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيـــام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريــد بكم العسر ولتكملوا العــدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون . واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون . أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ..)) الآية .

فأنت ترى كيف أقحم الله بين آيات الصوم وأحكامه ، هذه الآية التى شدت أذهان الناس الى جوهر العبودية لله والى الأصل الكلى الذى تفرعت عنه هذه الأحكام الجزئية الكثيرة .

والعجيب حقا أن تجد بعض الباحثين المثقفين ، وقد تاهوا عن هذا المنهج التربوى الذى ما ينبغى أن يغيب عمن كانت له أدنى مشاركة فى شئون الثقافة والتربية ، ثم راحوا ينقدون القرآن من أعظم جانب تربوى فيه ، وأخذوا يتساءلون : لماذا جاءت أبحاث القرآن متداخلة ولم تأت منظمة فى فصول وأبواب كبقية الكتب والمؤلفات ؟ ! ..

فأين كان يبقى أثره التربوى الذى نتحدث عنه لو أنه نظم كما يشاءون فجاء فيه باب فى العقائد وأدلتها ، وباب فى الأحكام والمعاملات ، وباب فى القصص والتاريخ ، وهكذا ؟ !

ان الذى يقبل منه على باب الأحكام ينسى من القرآن وأهدافه كل شىء الا المباحث القانونية الجافة التى يحاول أن يستوعبها ، كما يكون من شأن الفقهاء الذين يتدارسون بابا فى الرهن مثلا ، لا يكــاد أحدهم يذكر الله أو يذكر الغرض من هذا الفقه وأحكامه . وربما كانوا ــ وهم الفقهاء ــ أبعد عن الله تلك الساعة من ذلك العامى الذى يذكر الله خاليا ضمن دكانه ومتجره .

والذى يقبل منه على باب القصص والتاريخ ، ينسى القرآن وينسى نفسه ومسؤولياتها ، فى خضم ما يقرؤه أو يسمعه من الأحداث الغريبة التى يستعرضها .

والقرآن فى قصصه وأحكامه وعقائده وبقية أبحاثه ، انما أنزل لأمر كلى واحد ، هو أن يكون الناس عبيدا للــه بالطوع والاختيار ، كما قد خلقهم عبيدا له بالقسر والاجبار .

فكان سبيل تحقيق ذلك يقضى ، لا جرم ، بصبغ مسائله ومواضيعه كلها بصبغة هذا الأمر الكلى ، وانما يكــون ذلك بتداخل مسائله طبقا لهذا المنهج التربوى الدقيق .

الاثــارة الوجدانيــة :

ولكم تمنيت أن يأتى الحديث عن هذا الجانب التربوى الهام فى كتاب الله تعالى ، فى كتاب لا فى جزء من مقال .

انه جانب يستأهل دراسة عميقة واعية مفصلة من أرباب الدراسات التربوية ، ومن المؤسف أن تجد علماء التربية قد وسعوا دراساتهم نحو كل شأو واستنهضوا كل نظرية وفكر حديث ، علهم يعودون من ذلك بفائدة الى اختصاصهم ولكنهم خلال ذلك كله لم يعلموا أى علم عن القرآن وطرائقه التربوية العجيبة !!

ذلك لأنهم لم يتعلموه ، فلم يقرؤوه ، فعاشوا غرباء عنه ! . .

ولنترك هذا الحديث المؤلم المؤسف ، ولنلخص شرح هذا الأساس الثالث ، من أسس المنهج التربوى فى القرآن .

إن منابع العواطف الوجدانية فى الانسان تنحصر فى المنابع الثلاثة التاليـــة :

عواطف دافعة : كالفرح ، والأمل ، والرغبة .

وعواطف رادعة : كالخوف ، والخشية ، والاشفاق .

وعواطف ممجدة : كالاعجاب ، والحب والتقديس .

وما من معنى عاطفى ووجدانى الا ويعود نسبه الى واحد من هـــذه الينابيع الثلاثة . وهى وحدها عمدة المربى عندما يعتمد عـــلى الاثارة الوجدانية .

وليس فى اعتماد المربى على العنصر العاطفى كبير اهمية أو خطورة، وانما تكمن الاهمية كلها فى القدرة على تكوين مزيج متكافىء معتـــدل من هذه العناصر الثلاثة التى هى ينابيع العواطف كلها . ذلك أن أحد هذه العناصر اذا استقل بالتأثير أو كانت له الغلبة على سواه أصبح مصـــدر سوء وسبب هلاك ولم يبق فيه للأهداف التربوية أى جدوى .

فسوق المربى لتلميذه بعصى الرهبة وحدها سبب واضح لهلاكه . ودفعه بعامل الفرح والرغبة وحدهما سبب خطير لافساده . وملء احساسه بمشاعر التقديس والاعجاب وحدهما لا يحرك فيه ساكنا ولا يغير منــه أعوجاجا . وانما يصلح سبيل التربية اذا نهض على مزيج معتدل من هذه المشاعر الثلاثة كلها . وما فسدت المعالجات التربوية وتخلفت عن أعطاء ثمارها المرجوة الا لفقد هذا المزيج المعتدل .

وكتاب الله تعالى يجذب أفئدة الناس بقوة وجدانية (الى جـــانب المحاكمة العقلية) مكونة من هذه العواطف الثلاث فى اعتدال وتكافؤ .

فأنت لا تجد فيه آية تسلم الانسان الى رهبة مجردة ، أو تمنيــه ببشارة صافية عن شائبة الخوف . بل إن من قواعد القرآن الكلية أنه لا يذكر الانسان ببعض صفات الجبروت والانتقام لله تعالى الا ويذكره الى جانبها بصفات الرحمة والغفران ، ولا يتحدث عن الجنة وما فيها من نعم الا ويتحدث الى جانبها عن جهنم وما فيها من مظاهر التعذيب . ومهما بحثت فى آيات القرآن فلن تقف على نص يتضمن وصف احدى هاتين الدارين الا والى جانبه وصف مقابل للدار الأخرى .

انظر الى قوله تعالى : « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم » بل انظر الى قوله عز وجل : « قل يا عبـــادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)) والى جانبه تماما قوله : ((وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون)) .

وفائدة ذلك أن يبقى الانسان بين جاذبى الرغبة والرهبة دون أن يطغى أحدهما على الآخر . وفى ظل هـذا التجاذب ينشط للسعى الى مرضاة الله وتنفيذ أوامره وأحكامه ، ويتحقق فيه معنى العبودية التى لا تتكامل الا بشعورين من الرغبة والرهبة معا .

وتحقيقا لهذا المنهج نفسه فانك لتلاحظ بشكل مطرد أن القـرآن كلما وصف أهل الجنة وصفهم بأرقى أعمالهم وأجل صفاتهم ، وكلما وصف أهل النار وصفهم بأسوا اعمالهم وأشدها اثارة لغضب الله عليهم . فاذا تأملت صفات المؤمنين وعرضتها على حالك رأيت نفسك دون ذلـك فتتقاصر بك الأمل فى اللحاق بهم ، واذا تأملت صفات أهل النار وعرضتها عـلى حالك رأيت نفسك فوقها فراودك الأمل أن لا تكون منهم وتبقى — فى تقديرك — فى حالة بين أولئك وهؤلاء ، تشدك رغبـة وتخيفك رهبة ، فتجهد أن تعلو عن حال الكافرين وتسعى للحاق بحال المؤمنين .

وانظر هذا المعنى التربوى الرائع فى مثل قوله تعالى وهـو يصف أهل النار : « ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نـك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيـوم الدين . حتى أتانا اليقين)) إنك اذا قرأت أوصافهم هذه حمدت الله تعالى أنك لست منهم ، ولكن انظر الى قوله تعالى وهو يصف أهل الجنة : « انـهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالاسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » انك اذا رأيت صفاتهم هذه وجدت نفسك دونهم .

وهكذا يضعك بيان الله تعالى ومنهجه التربوى بين الخوف من عذابه والرجاء فى رحمته وثوابه ، حتى لا ترهب من عذابه رهبة توقعك فى اليأس ، ولا ترغب فى رحمته رغبة توكلك الى الدعة وتتمنى فيها على الله ما ليس لك .

وقد علمنا الله تعالى بصريح بيانه أن نكون على هذه الحالة من الخوف والرجاء ، فلا نعبد الله تعالى على حرف منهما ، ولا نتمثل من صفاته ما يدل على الشدة وحدها ولا ما يدل على الرخاء وحده ، فهو يقول فى وصف عباده الصالحين : ((وكانوا يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)) ويقول فى وصفهم أيضا ((تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ..)) .

• • • •   • • • •

هذا عرض ملخص موجز للمنهج التربوى فى كتاب الله تعالى ، واذا وفق الله ويسر عدت اليه بمزيد من الشرح والتفصيل وأخرجته فى كتاب يفى ببعض أهمية هـذا البحث وخطورته . أسأل الله تعالى أن يحققنا بمنهجه التربوى ويرزقنا حسن التمسك وصدق التأثر بكتابه القويم .

---

(١) هذا لا يعنى أن القصة القرآنية — باقتضابها — لا تعتمد على أى أساس فنى وأدبى بل القصة فى القرآن تقوم على منهج فنى رائع يطول بنا الحديث فى دخلنا فى شرحه وتحليله وارجع اذا اردت تفصيل ذلك الى كتابنا : « من روائع القرآن » ..

مواقف ..

بنجر يحيى

إن تاريخ أية أمة من الامم يضم فى ثناياه تقييمه العادل من خلال ما يقدمه من (مواقف) لخدمة الانسان وقضيته فى الارض .. إن ظروف الزمان والمكان ، ومواصفات البيئة والطبيعة ، تفعل فعلها فى توجيه التاريخ ، لكن صياغته النهائية وتخطيطه يبقيان أبدا بيد الانسان ، وينتظران دوما (أوامر) الارادة الانسانية لكى يلبيا ويخضعا .. ومن خلال (الموقف) الذى يتخذه الانسان فى لحظات التساؤل والاختيار والوقوف عند مفارق الطرق ، يأخذ الحدث التاريخى ، أو الواقعة التاريخية مجراها ومسارها . وكلما كانت تلك (المواقف) أكثر استشرافا وشمولا وتحررا من الضغوط المباشرة ، وأثقال الواقع ، وجزئياته الصلبة المغلقة ، كلما جاءت الحركة التاريخية بمثابة خطوات صوب الامام ، تبارك الانسان وتسعده وتزكيه وترفعه صعدا عن عالم النمل والنحل والحيوان .. !!

ولسنا هنا بصدد دراسة أبعاد (الموقف) الانسانى وعلاقته (بالحدث) التاريخى .. لكنا نريد فقط تسليط الاضواء على مواقف بعض قادة الفكر فى تاريخنا ورواده .. من قضية شرف الانسان وحريته وسعادته ، ورفع كرامة (الفكر) البشرى الى المصاف العليا التى لا ينزله من عليائها طغيان طاغ ، او غزو غاز او تجبر حاكم أمى لم يقرأ يوما باسم ربه الذى خلق ، ولم يمسك قلم المعرفة لكى يتعلم .. وما أكثر مواقف العلماء فى تاريخنا ، وما أروعها وأشرفها !! الخ ..

والحق يقال — مراكز الثقل فى ساحة هذا التاريخ الذى لا يكف عن التمخض والحركة ، ونجوم سمائه الدنيا المعلقة ، تنير للسالكين عبر الظلمات معالم الطريق .. وتتوهج حتى تكاد تذوب بالنور وتحترق بالنار .. ولن يقف أمام عالم اختار ضياء العرفان وقبس من حريق الفؤاد ، أى شىء .. فقط اذا اعتزم أن يقف الوقفة المناسبة فى الوقت المناسب والمكان الملائم ..

للدكتور: عماد الدين خليل

مدرسة القرآن

ان تراجم نصف مليون رجل فى تاريخنا عدد يحسدنا عليه مفكرو الامم الاخرل ، فكيف لو اطلعوا على موقف واحد منهم ، دفاعا عن حق ، وصمودا أمام غزو باطل ، وهتكا لبراقع زيف يريد أصحابه أبدا أن يطمسوا به نقاء الاشياء ومبررات الوجود الانسانى فى الارض . كيف لو تفحصوا الادوار التى لعبها هؤلاء على مسرح تاريخنا الاسلامى ، والنتائج العظيمة التى جاءوا بها كل فى حقله ، وهى نتائج تتعدى اطر الزمان والمكان ، صوب القيم الخالدة ، وتجاه موضع الانسان الذى كرمه الله على الارض واستعمره فيها ..

إن أبا عبد الله محمد بن غانم الأصبهانى ، الذى قدم بغداد فى العقود الاولى من القرن السابع الهجرى ، شابا فى عز الشباب ، وأسهم فى ميدان التفسير اسهاما عميقا ، يقف مناديا (المحبين) من أمته ، فى عصر كان فى أمس الحاجة الى نداء يهز وجدان الناس ويحركهم صوب الاهداف التى راحت تتأرجح أمام وقع سنابك الخيول التترية ، صوت يبعثهم من جديد ويقودهم الى التخوم ، دفاعا عن مصير الامة وحماية لشرفها الحضارى .. إن أبا عبد الله يريد ان يقول لهم : أن يحبوا الله وأن يذوبوا شوقا وغراما .. إنه يريد ان يبين لهم مواقعهم فى الارض وكم هو تافه سخيف الركون الأعمى الى حفنة من تراب يتحرك الانسان عليها ، ويختنق فيها ، ثم ما يلبث أن يأكله دودها وسوسها .. (العالم كالذرة) — يقول أبو عبد الله : الذرة كالعالم فى كتاب حكمته ، الأصول فروع إذا تجلى أجمال أوليته ، والفروع أصول اذا طلعت من مغرب نفى الوسائط شمس أخريته . أستار الليل مسدولة ، وشموع الكواكب مشعولة ، وأعين الرقباء عن المشتاقين مشغولة ، وحجاب الحجب عن أبواب الوصل معزولة . ما هذه الوقفة والحبيب قد فتح الباب ؟ ما هذه الفترة والمولى قد خرق حاجب الحجاب ؟

وقوفي بأكناف العقيق عقوق — اذا لم أرد والدمع فيه عقيق
وإذ لم أمت شوقا الى ساكن الحمى — فما أنا فيما أدعيه صدوق !!
أيا ربع ليلى ما المحبوب فى الهوى — سواء ، ولا كل الشراب رحيق
ولا كل من تلقاه يلقاك قلبه — ولا كل من يخطو اليك مشوق
تكاثرت الدعوى على الحب فاستوى — أسير صبابات الهوى ، وطليق !!

ويستمر أبو عبد الله ، واعظا جماهير بغداد : (أيها المؤمنون ، هل فيكم من يصعد الى السماء ، أيها المحبوسون فى مطامير مسمياتهم ، هل فيكم سليم فى الفهم يفهم رموز الوحوش والاطيار ؟ هل فيكم موسوى الشوق يقول بلسان شوقه : (أرنى أنظر اليك فقد طال الانتظار؟) .. ثم ما يلبث أن يهزه الشوق ، وتحرقه النار .. فيصرخ فيهم (أيها النائمون تيقظوا) .. (١) .

وفى مطلع القرن ذاته (٦٠٦ هـ) كان سبطه بن الجوزى يقف فى جامع دمشق ، يعظ ويحث على الغزاة والمقاومة ضد الخطر الصليبى . واذا كان أبو عبد الله يريد من موقفه ذاك فى بغداد أن يهز أعماق الناس ويصغر فى أعينهم قيمة الحياة الدنيا من أجل أن يتحركوا صوب عظائم الامور ، دون خوف من موت أو رهبة من أذى وعقاب ، فإن حفيد ابن الجوزى الشهيد ، يتحرك بهم فعلا صوب ساحات القتال والجود بالنفس والنفيس ، دفعا لعدو غاصب ، وتحريرا لارض مغتصبة . يقول ابن المعاد (٢) : (وتجمع حوله الناس من باب الساعات الى مشهد زين العابدين ، واجتمع عنده شعور نساء كثيرة ، وقطعت احدى النساء شعرها ، وبعثت به اليه ، وقالت : اجعله قيدا لفرسك فى سبيل الله .. فعمل من الشعور التى عنده مجتمعة شكلا لخيل المجاهدين .. وعندما صعد المنبر أمر بإحضارها فكانت ثلاثمائة شكال فلما رآها الناس صاحوا صيحة واحدة وقطعوا مثلها .. ثم ركب وركب الناس ، وخرجوا الى باب المصلى وكانوا خلقا لا يحصون كثرة ، وساروا الى نابلس لقتال الفرنج .. فأسروا وهزموا وهدموا وقتلوا ورجعوا سالمين غانمين .. !!

ويقف أبو الوفاء ابن عقيل (٤٨٨ هـ) متحديا ارادة الوزير السلجوقى ابن جهير ، ناقدا تدهور الاوضاع الاجتماعية والسلوك الاخلاقى ، خلال اشتغال الناس فى بناء أحد أسوار بغداد .. وبينما يكافح أبو عبد الله فى ميدان النفس ويجاهد سبط بن الجوزى فى الجبهة الخارجية ، يقف ابن عقيل بوجه موجة من موجات الانحلال فى الداخل ، فى قلب المجتمع الاسلامى ، ويكتب الى الوزير : **(لولا اعتقادى صحة البعث ، وإن لنا دارا أخرى لعلى أكون فيها على حال أحمدها ، لما بغضت نفس الى مالك عصرى ، وعلى الله أعتمد فى جميع ما أورده بعد أن أشهده أنى محب متعصب . لكن اذا تقابل دين محمد ودين بنى جهير ، فوالله ما أزن هذه بهذه ، ولو كنت كذلك ، كنت كافرا !! فأقول : ان كان فى هذا الخرق الذى جرى بالشريعة عن عمد لمناصبته واضعها ، فما بالنا نعتقد الختمات ورواية الاحاديث ، وإذا نزلت بنا الحوادث تقدمنا مجموع الختمات والدعاء عقيبها ثم بعد ذلك طبول ومخانيث**

وكشف عورات الرجال مع حضور النساء ، اسقاطا لحكم الله .. ترى بأى وجـه تلقى محمدا صلى الله عليه وسلم .. وأى حرمة تبقى لوجوهنا وأيدينا والسنتنا عند الله ، اذا وضعنا الجباه ساجدة .. ثم كيف نطالب الأجناد تقبيل عتبة ولثم ترابها ، ونقيم الحد فى دهليز الحريم صباحا ومساء ، على قدح نبيـذ مختلف فيه ، ثم تمرح العوام فى المنكر المجمع على تحريمه ، هذا مضاف الى الزنا الظاهر ، ولبس الحرير ، على جميع المتعلقين والاصحاب . يا شرف الدين أتق سخط اللهفإن سخطه لا تقاومه سماء ولا أرض ، فإن فسدت حالى بما قلت فلعل الله يلطف بى ويكفينى حوائج الطباع . ثم لا تلومنا على ملازمة البيوت والاختفاء عن العوام ، لانهم أن سألونا لم نقل الا ما يقتضى الاعظام لهذه القبائح والانكار لها .. فاتق الله تقوى من علم مقدار سخطه ، فقـد قال تعالى : (فلما آسفونا انتقمنا منهم) . وقد ملأتكم فى عيونكم مدائح الشعراء ، ومداجاة المتمولين بدولتكم الاغنياء الاغبياء الذين خسروا الله فيكم فحسنوا لكم طرائقكم . والعاقل من عرف نفسه ولم يغيره مدح من لا يخبرها) . (٣) .

إن أبا الوفـاء لا يجابه فى موقفه هذا السلطة الحاكمة فحسب ، ويخوفها غضب الله وسخطه ، لكنه يسعى الى تعرية التناقضـات التى تعانيها هذه السلطة بين الشكل والحقيقة ، والظاهر والباطن .. وأكثر من هذا ، أنه يصب وعيده على ظاهرة النفاق الاجتماعى الـذى تسرب الى النفوس حرصا على الدنيئ وتهافتا على لذاتها .. فالشعر يرخص ويبتذل حتى يغدو مديحا خاويا ينشد فى حضرة المسؤولين ، يزيف الحقائق ويغنى على حسابها .. والاغنياء ــ الاغبيـاء ــ وما أروعهـا من التفاتـة .. خسروا أنفسهم ، فراحوا يداجون ويحلون للحكام ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، تزيينا لطرائق الحاكمين ، ووصولا الى مزيد من أكـوام الذهب والفضة ..

وفى مواجهة زيف الشعر وبلادة الغنى يقف أحمد بن مـوسى الزرعى ، أحـد كبار تلامذة ابن تيمية ، عاملا كادحا ، ينسج بيديه عباءات الصـوف لكى يتقوت منها ، ويرفض طيلة حياته أن يقبل من أحد شيئا !! وينطلق من كدحه وتجرده هذا ، لكى يجابه بكلمة الحق ملوك الترك وأمراءهم فى مصـر والشـام ، فيزور القاهرة مرارا ولا يعود الا وقد أجيب الى كل ما أراد (فأبطل أشياء من المظالم ، وانتفع الناس به كثيرا .) وماذا تكون النتيجة ؟ أن يكرهه (الكثير من أهل الدولة ولا يتهيأ لهم رده فيما يطلب) (٤) .. ذلك أن جماهير الناس تقف معه .. ومع الطرفين .. .. العالم والامة ، يقف الحق الذى لا يغلب .. !!

وما دمنا بصدد فكر مؤمن متجرد كادح ، كما أراد له الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون .. ما دمنا بصدد أناس آلوا على أنفسهم أن يحموا كرامة (مواقفهم) بنسج عباءات الصوف وخصف النعال ، ما دمنا بصدد زعماء أدركوا بعمق أنه ليس بالفكر يغنى الناس ، ويكون الغنى والفقير ، والشبعان والجائع ، والمتخم والمحروم .. فلنستمع الى ابن شبرمة إذن وهو يقول (عجب لهذا الرازى ــ جرير بن عبـد الحميد ــ عرضت عليه أن أجرى عليه مائة درهم فى الشـهر مـن

الصدقة فقال : يأخذ المسلمون كلهم مثل هذا ؟ قلت : لا ، قال : فلا حاجة لى فيها) (٥) ولنستمع الى الجنيـد وابن مسروق وهما يقـولان : (إن حسنا المرحى كان أول من عقدت له الحلقة ببغداد ، وكان أستاذ أكثر البغداديين ، لم يكن له منزل ببغداد يأوى اليه ، وكان يأوى بباب الكناس فى مسجد يكنه من الحر والبرد) (٦) .. ولنستمع الى عيسى ابن موسى بن محمد بن المتوكل يحدث عن نفسه : (مكثت ثلاثين سنة اشتهى أن أشارك العامة فى أكل هريسة السوق فلا أقدر على ذلك لاجل البكور الى سماع الحديث ..) (٧) ..

وماذا عن الشيخ عبد القادر الجيلانى الزعيم الصوفى الكبير ؟ استمعوا اليه : (**طالبتنى نفسى بشهوة فكنت أضاجرها وأدخل فى درب وأخرج الى درب أطلب الصحراء .. ما للأقوياء والشهوات ؟ إنما خلقت الشهوات للضعفاء .. ولقد فتشت الاعمال كلها فما وجدت أفضل من إطعام الطعام . أود لو أن الدنيا بيدى فأطعمها الجيـــاع !!) ..**
وستظل عبارة الجيلانى ، أبد الآبدين ، علامة شرف لفكرنا الاسلامى، وعدل لتاريخنا العقائدى .. كما ستظل أبد الآبدين ، لعنة على المتسولين على موائد الغرب يقتبسون ، بغباء وعمى منقطع النظير ، عبارات يهودى قالها يوما ، دونما تفحص لمسيرة الاديان وأتباع الأديان فى كل مكان : (الدين أفيون الشعوب) .. وأسألكم بالله كيف يكون ديننا أفيـــونا للمحرومين وهذا زعيم من آلاف من زعمائه ، يعيش جائعا كادحا محروما ، وبامكانه فى لحظات أن يخوض الى ركبتيه فى أنهار الذهب والفضة ، ويخدع ويخدر ، باسم الدين ، أعصاب أولئك الـذين اعتصروا دماءهم وعرقهم فضة وذهبا .. أسألكم بالله كيف يكون الدين أفيونا وهذا الجيلانى يقول : (أود لو أن الدنيا بيدى فأطعمها الجياع) ؟!

إن فكرا حرا من زيف المادة ، وتخدير الترف الفاحش ، واستعباد الدرهم والدينار لقدير على أن يظل دوما فى (موقفه) العالى ، لا ينزل أبدا لاستقبال (عظيم) ولا يمد يده منحنيا ، تملقا لامبراطور أو ملك أو أمير .. ان أبا عبيد يحدثنا فيقول : كنا مع محمد بن الحسن اذ أقبـل الرشيد ، فقام اليه الناس كلهم الا محمد فإنه لم يقم . فسأله الخليفة : مالك لم تقم مع الناس ، فأجاب : كرهت أن أخرج عن الطبقة التى جعلتنى فيها . إنك أهلتنى للعلم فكرهت أن أخرج منه الى طبقة الخدمة التى هى خارجة عنه ؟) (٨) .. لله درك يا أبا الحسن .. ان العلم الشريف لا يمكن أبدا أن يخرج الى طبقة الخدمة والتمسح على الاعتاب .. إنه يوم يخرج الى هناك لا يكون علما ، ولكنه يغدو زيفـــا ، وتذللا .. وأفيـــونا .. !!

واذا كنا فى الصفحات السابقة قد استعرضنا عددا من (المواقف) استعراضا (أفقيا) ، فما أروع أن نختتم هذا البحث الموجز بعـــرض (عمودى) لمواقف واحد من علمائنا الذين لا يحصيهم العد ، يحدثنا عنـــه ابن العماد فى (شذرات الذهب) (٩) ، وهى مواقف ذات أبعاد شتى اجتماعية وسياسية وروحية وانسانية ، تتلاءم وتنسجم جميعا فى تكـــوين شخصى متجرد ذكى رقيق شجاع رائع ، طالما عودنا تاريخنا على الالتقاء به فى كل زمان ومكان .. إنه الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة

الحنبلى المقدسى .. ولد بجماعيل فى فلسطين عام ٥٢٨ هـ ، وهاجر الى دمشق لاستيلاء الصليبيين على الارض المقدسة ، وسمع الحديث على الكثيرين ، وقرأ القرآن والفقه ، وكان اماما فاضلا مقرئا زاهدا عابدا خاشعا من الله منيبا اليه ، كثير النفع لخلق الله ، ذا تهجد واجتهاد وأوقات مقسمة على الطاعات من الصلاة والصيام والذكر وتعلم العلم والفتوة والمروءة والخدمة والتواضع فلقد كان عديم النظير فى زمانه .. هاجر الى مصر .. ورجع .. وكتب كثيرا من الكتب والمصاحف وكان يكتب للناس بغير أجرة ، وكان سريع الكتابة ، ربما كتب فى اليوم كراسين من القطع الكبير .. وكان الله قد جمع له معرفة الفقه والفرائض والنحو ، مع الزهد والعمل وقضاء حوائج الناس .. وكان لا يسمع حديثا الا عمل به ، وكان لا يترك قيام الليل من وقت شبابه .. ومات وهو عاقد على أصابعه يسبح ..

وحدثت زوجته أنه كان يقوم الليل فإذا جاءه النوم .. عنده قضيب يضرب به على رجليه فيذهب عنه النوم ، وكان كثير الصيام سفرا وحضرا .. وكان لا يسمع بجنازة الا حضرها ، ولا مريض الا عاده ، ولا بجهاد الا خرج فيه .. وكان لا يخرج الى الجمعة الا ومعه شيء يتصدق به ، وكان يؤثر بما عنده أقاربه وغيرهم ويتصدق كثيرا ببعض ثيابه حتى يبقى فى الشتاء بجبة من غير قميص ، وكانت عمامته قطعة بطانة فإذا احتاج أحد الى خرقة قطع منها ، وكان يلبس الخشن وينام على الحصير .. ومكث مدة لا يأكل أهل الدير الا من بيته ، يجمع الرجال ناحية والنساء ناحية ، وكان اذا جاء بشيء الى بيته فرقه على الخاص والعام. وكان يقول : لا علم إلا ما دخل مع صاحبه القبر ، ويقول : اذا لم تتصدقوا لا يتصدق أحد عنكم ، واذا لم تعطوا السائل أعطاه غيركم . وكان إذا خطب ترق القلوب وتبكى الناس بكاء كثيرا . وكانت له هيبة عظيمة فى القلوب . واحتاج الناس الى المطر فى احدى السنين ، فطلع الى مغارة الدم ومعه نساء من محارمه ، واستسقى ودعا ، فجاء المطر حينئذ وجرت الأودية شيئا لم يره الناس من مدة طويلة ..

كان معتدل القامة ، حسن الوجه ، عليه أنوار العبادة ، لا يزال مبتسما ، نحيل الجسم من كثرة الصيام والقيام .. وكان يحمل الشيح من الجبل الى بيوت الارامل واليتامى ، ويحمل اليهم فى الليل الدراهم والدقيق ، ولا يعرفونه .. ولا نهر أحدا ، ولا أوجع قلب أحد . وكان أخوه الموفق العلامة يقول : هو شيخنا ، ربانا وأحسن الينا ، وعلمنا ، وحرص علينا . وكان للجماعة كالوالد يقوم بمصالحهم ، ومن غاب منهم خلفه فى أهله ، وهو الذى هاجر بنا وسفرنا الى بغداد وبنى الدير !! ولما رجعنا من بغداد زوجنا وبنى لنا دورا خارجة عن الدير وكفانا هموم الدنيا . وكان يؤثرنا ويدع أهله محتاجين .. وبنى المدرسة والمصنع بعلو همته ..

وكان مجاب الدعوة ، ما كتب لأحد ورقة للحمى الا وشفاه الله تعالى .. وذكر جماعة أن كآبة غشيت وجهه قبل موته بست سنين .. وقال عنه سبط بن الجوزى : كان على مذهب السلف الصالح ، حسن العقيدة ، متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية . .من غير طعن على

أئمة الدين وعلماء المسلمين ، وينهى عن صحبة المبتدعين ويأمر بصحبة الصـــــالحين ..

ولما كان عشية الاثنين الثامن عشر من ربيع الاول سنة ٦٠٧ هـ جمع أهله واستقبل القبلة ، ووصاهم بتقوى الله ومراقبته .. وكان آخـــر كلامه **(إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)** وما لبث أن توفى دون أن يخلف قليلا ولا كثيرا .. وكان يوما مشهودا !!

تلك هى شذرات من ملايين (المواقف) التى صنعت تاريخنا وميزته على تواريخ الامم والشعوب ، ومنحته لونه ورائحتـــــه .. إن كتب (التراجم) ، وما أكثرها وأحفلها وأغناها ، تضم بين ثناياها الكثير والكثير من مواقف كهذه بأبعادها الانسانية المختلفة : اجتماعية وسياسية وروحية وفكرية .. ومقارنة بسيطة بين رجال الفكر فى عصور العقيدة والابداع، وبينهم فى عصور التحلل والتقليد ، ترينا هوة سحيقة ، ومحزنة فى الوقت ذاته بين أجيال من قادة العقيدة والفكر قادوا أمتنا عبر المحن والملمات فى ميادين النفس والمجتمع والعالم ، وبين أجيال من رواد العقيدة والفكر اجتازوا بها ، فى فترات أخرى ، المضائق ، والمنعطفات الوعرة دون أن يخرجوا بها الى أرض الحرية الحقيقية والتوحد والعدل والانسجام .. ذلك أن مواقف الأولين وقياداتهم كانت تنبعث وتصدر عن عقيدة متوغلة فى أعماق النفس منبثة فى شرايين الفكر ، متأصلة فى حنايا الوجدان .. والآخرون — الا من رحم ربك — لم يصدروا ســـوى عن تقليد ميت مزيف ، مهما ادعوا من انتماءاتهم العقائدية والايديولوجية. إن كل واحد من اولئك كان تمثيلا وتشخيصا حيا لافكاره ومبادئه ودعوته .. فكانت كلماتهم وتعاليمهم تنتشر فى نفوس الناس انتشار النـــار فى الهشيم ، وهم يرون معلميهم رأى العين : يقاتلون معهم إذا قاتلوا ، ويجوعون معهم إذا جاعوا ، ويبكون معهم إذا بكوا ، ويضحكون معهم إذا ضحكوا .. كانت العقيدة تمتلك من القدرة والحيوية ما يحيل المعلم والتلميذ الى (سيمفونية) تجاوب وانسجام وحركة متناغمة مع الطبيعة والعالم والاشياء ، ومن ثم صنع المعلم والتلميذ تاريخا ينبىء بالاصالة والتمخض والابداع .. فكانت القاعدة — دوما — ترتكز على خشية الله وحبه ، ومراقبته والاحساس برؤياه التى لا تفتر لحظة .. قاعدة لم يخب السائر عليها فى يوم من الايام .. وكيف يخيب من يحيل حيـــاته كلها الى معطيات ترضى الله سبحانه ولا تثير سخطه وغضبه !!

إن كل عالم من علمائنا الملايين قدوة حية ما أحرانا أن نتأسى بهـــا اذا ما أردنا أن نحصل ثانية على رضا الله ، ونقدر على صـــنع تاريخنـــا ومجدنا .. ومهما ضللنا وتخبطنا واخطأنا .. فإننا لا بد وأن نصل يوما ، ما دمنا قد وضعنا خطانا على ذات الطريق الذى حفره فى أرضية العالم رواد شرفنا وكرامتنا ومجدنا .. فأعلنوا بمواقفهم هذه انتصار (الانسان) وتجـــاوزه عوالم النمل والنحل والحيوان ..

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ١٨٣/١٣ . **(٢) شذرات الذهب ١٨/٥ .**

(٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والامم ٨٥/٩ و ٨٦ .

(٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ٣٢٤/١ .

(٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ٢٥٨/٧ .

(٦) المصدر السابق ٣٦٧/٧ . **(٧) المصدر السابق ١٧٨/١١ .**

(٨) المصدر السابق ١٧٣/٢ . **(٩) شذرات الذهب ٢٧/٧ — ٣٠ .**

حكم جمع القراءات في المحافل

حاصل ما ذكره علماء القراءات أن الجمع قسمان :

الأول ما يكون فى حال التلقى والمشافهة والأخذ عن الشيوخ ، بأن يقرأ الطالب على أستاذه القراءات السبع أو العشر ، فيقرأ الآية برواية مع استيعاب طرقها ، ثم يعيد الآية بالرواية الثانية مع استيعاب طرقهـا أيضا ، وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات فى قراءة هذه الآية . ثم ينتقل الى الآية الثانية فيصنع فيها كما صنع فى الآية التى قبلها ، وهكذا حتى ينتهى من قراءة القرآن الكريم كله على هذا النحو .

والقسم الثانى ما يكون فى المحافل ، وكيفيته هى كيفيـة القسم الاول ، فيقرأ القارىء الآية برواية ثم يعيدها بأخرى وهكذا حتى يستوعب جميع الروايات أو معظمها فى هـذه الآية ، ثم ينتقل إلى الآية الثانيـة ، فيسير فيها سيره فى الأولى إن شاء ، وهكذا حتى يفرغ من قراءته .

وحينئذ لا يكون ثمة فرق بين القسمين الا أن الأول يكون بين يـدى الاستاذ ، والثانى يكون أمام الجمهور .

والجمع ــ بقسميه ــ مبتدع مستحدث لم يكن فى العصر النبوى ، ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ، ولا فى الصدر الأول ، ولا فى عصر الأئمة المجتهدين .

على هذا اتفقت كلمة علماء القراءات سلفا وخلفا لم يشذ منهم أحد . فلقد كان الطالب فى هذه الاعصر يجلس الى أستاذه فيقرأ عليه ما يريد من القراءات السبع أو العشر ، ولكنه لا يقرأ الآية أكثر من مرة بل يقرأ القرآن الكريم كله برواية واحدة ، ثم يستأنف قراءته بالرواية الثانية ، فيقرأ ختمة برواية قالون وأخرى برواية ورش وثالثة برواية البزى ورابعة برواية قنبل وهكذا حتى يأتى على جميع الروايات .

وعلى هذه السنن كانت قراءة القرآن فى المحافل ، فكان القارىء لا يقرأ أمام الجمهور الا برواية واحدة لا يعيد آية ولا يكرر أخرى .

ظلت قراءة القرآن الكريم على هذا النهج الى أوائل القرن الخامس الهجرى ، وفى هذا القرن ــ وكان فيه من أئمة القراءة أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى ــ أحدث القسم الأول من الجمع وهو الذى يكون فى حـال

التلقى ، وكان الحافز على احداثه واتباعه ما رأى أئمة القراءة فى هـذا العصر من ضعف فى العزائم وفتور فى الهمم واحتياج الى زمن طويل يمكن تلقى علم القراءات فيه على طريقة السلف الصالح .

فرأوا — تيسيرا على طالب تلقى القراءات وشحذا لعزيمته وتمكينا له من تحصيل هذا الفن فى وقت وجيز — أن يخترعوا هذا الجمع .

وهذا الجمع لم يتفق العلماء على جوازه ، بل منهم من أجازه نظـرا لما يترتب عليه من الفوائد السالفة ، ومنهم من منعـه نظرا لأنه لم يعهد فى عصر التنزيل ، ولا فى القرون التى شهد لها الرسول صلى الله عليه وسلم بالخيرية . وهاك بعض نصوص العلماء فيه .

قال العلامة المحقق ابن الجزرى فى كتابـه (النشر فى القراءات العشر) .

((وكانوا يقرءون على الشيخ الواحد العدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها ، وهذا الذى كان عليه الصدر الاول ، ومن بعدهم إلى أثناء المائة الخامسة ، عصر الدانى وابن شيطا والأهوازى والهذلى ، ومن بعدهم ، فمن ذلك الوقت ظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة واستمر الى زماننا ، وكان بعض الائمة يكره ذلك من حيث أنه لم تكن عادة السلف الصالح عليه ، ولكن الذى استقر عليه العمل هو الأخذ به والتقرير عليه وتلقيه بالقبول ، وانما دعاهم الى ذلك فتور الهمم وقصد سرعة التلقى والانفراد)) .

وقال الجلال السيوطى فى (الاتقان) .

((الذى كان عليه السلف الصالح أخذ كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها الى اثناء المائة الخامسة ، فظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة واستقر عليه العمل)) .

وقال العلامة الدمياطى فى كتابه (اتحاف فضلاء البشر) .

((وكان السلف لا يجمعون رواية الى أخرى ، وانما ظهر جمع القراءات فى الختمة الواحدة اثناء المائة الخامسة فى عصر الدانى واستمر الى هذه الازمان)) .

وقال العلامـة الصفاقسى فى كتابه (غيث النفع فى القـراءات السبع) .

((لم يكن فى الصدر الاول هذا الجمع المتعارف فى زماننا ، بل كانوا لاهتمامهم بالخير وعكوفهم عليه يقرءون على الشيخ الواحد العـدة من الروايات والكثير من القراءات كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الـى رواية ، واستمر العمل على ذلك الى اثناء المائة الخامسة عصر الدانى وابن شريح وابن شيطا ومكى والاهوازى وغيرهم ، فمن ذلك الوقت ظهر جمـع القراءات فى الختمة الواحدة واستمر عليه العمل الى هذا الزمان وكـان بعض الأئمة ينكره من حيث أنه لم يكن عادة السلف .

قلت وهو الصواب اذ من المعلوم أن الحق والصواب فى كل شىء مع الصدر الأول قال تعالى : « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » وقال صلى الله عليه وسلم « وإنه من يعش منكم بعدى فسيرى أختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من

بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار)) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه « من كان منكم متأسيا فليتأسى بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم)) .

ثم قال صاحب الغيث .

« وانظر الى توقف — افضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم — أبى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة فى جمع القرآن وكتبه فى المصاحف ، واشفقوا من ذلك مع أنه يظهر فى بادىء الرأى أنه حق وصواب ، اذ لولا جمعه وحفظه لذهب هذا الدين نعوذ بالله من ذلك .

« وتوقف كثير من أئمة التابعين وأتباعهم فى نقطه وشكله وكتب اعشاره وفواتح سوره ، وبعضهم أنكر ذلك ، وأمر بمحوه مع أن فيه مصلحة عظيمة للصغار ، ومن لم يقرأ من الكبار فى زماننا وزمانهم .

فاذا كان أعلم الناس وأفضلهم توقفوا فى مثل هذا ، وخافوا أن يكون ذلك حدثا أحدثوه بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم فما بالك بأمر لا يترتب عليه كبير نفع ، وربما يترتب عليه الفساد والغلط والخلط والداعى اليه النفس لتحصيل حظوظها من الراحة وتقصير زمن العبادة . جنح الى هذا الكسالى والمقصرون ووافقهم على ذلك شفقة عليهم وخوفا من انسلاخهم من الخير بالكلية الأئمة المجتهدون » ..

ويؤخذ من هذه النصوص أمران —

الأول — ان المراد بالجمع فى كلام هؤلاء الأعلام هو القسم الاول منه وهو ما يكون فى حال التلقى والأخذ عن الشيوخ ، كما يرشد الى ذلك قول ابن الجزرى وصاحب غيث النفع .

كانوا يقرءون على الشيخ الواحد الخ ، وقول الشيخ السيوطى : الذى كان عليه السلف أخذ كل ختمة ، فان المراد بالأخذ انما هو التلقى والقراءة على الشيخ .

ويرشد الى ذلك أيضا قول ابن الجزرى وانما دعاهم الى ذلك فتور الهمم وقصد سرعة الترقى والانفراد ، فالمراد بالترقى والانفراد معرفة هذا العلم والاحاطة خبرا بمسائله ودقائقه والاستغناء عن المعلم .

الأمر الثانى — ان هذا الجمع مختلف فيه بين العلماء منهم من أجازه وهو ابن الجزرى لما ينشأ عنه من سرعة الترقى والانفراد والحصول على هذا العلم فى أقرب وقت ، ومنهم من منعه وكرهه لمخالفته ما كان عليه السلف الصالح ، وممن صوب كراهته ومنعه الصفاقسى صاحب (غيث النفع) وعبارته صريحة فى ذلك وليس فى النصوص ما يفيد مطلقا أباحة الجمع فى المحافل بل كلها صريحة فى جواز الجمع أو منعه فى حال التلقى ، وأما القسم الثانى من الجمع — وهو الذى يكون فى المحافل مع كونه مخترعا

كالقسم الاول ، فلم ينقل جوازه واباحته من أحد من علماء القرآن فى جميع الاعصار والامصار .

وبين أيدينا معظم كتب القراءات مطبوعها ومخطوطها وقد حكت الخلاف فى القسم الاول من الجمع وذكرت أن من العلماء من أجازه لما فيه من قصر الزمن وسرعة التحصيل ، ومنهم من منعه لعدم وروده عن الصدر الأول والسلف الراشد . وقد نقلنا لك بعض نصوصهم ولكن لم نظفر فيها بنص واحد عن أحد من العلماء يبيح الجمع فى المحافل لأن العلة التى من أجلها أبيح القسم الأول لا تتحقق فى هذا القسم .

فحيث أن الجمع فى المحافل لم يكن فى الصدر الأول ولم يؤثر عن أحد من العلماء فى أى عصر من العصور أباحته وجوازه ، وليس هناك ما يبرره ويسوغه تعين أن يكون من البدع الضارة والسنن المحدثة الممقوته ويكون مندرجا تحت قوله صلى الله عليه وسلم ((من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

ذلك ان قراءة القرآن عبادة من أجل العبادات وقربة من أعظم القربات ، وقد اتفقت كلمة العلماء على أن ما حدث فى العبادات سواء كان ذلك زيادة أم نقصا ، وسواء كان قولا أم فعلا ، ولم يكن هناك من أدلة الشرع العامة ما يجيزه فهو بدعة وضلالة وتغيير بما لم يأذن به الله فيجب الوقوف فى جميع أنواع العبادات عند الحد الذى رسمه الشرع الشريف قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتى » الحديث .. وقد ذكرناه آنفا . وقال أيضا « اتبعوا ولا تبتدعوا فانما هلك من كان قبلكم بما ابتدعوا فى دينهم وتركوا سنن أنبيائهم وقالوا بآرائهم فضلوا وأضلوا » وقال صلى الله عليه وسلم « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) رواه البخارى ومسلم عن ابن مسعود فقد أخبر أن خير القرون مطلقا قرنه وذلك يقتضى تقديمهم فى كل باب من أبواب الخير . فلو لم يكن فى هذا الجمع الا أنه مخالف لما ورد عن الرسول وصحابته وعن التابعين بل وعن علماء القرآن فى جميع العصور لكان ذلك كافيا فى رده ومنعه .

على أنه قد ورد عن العلماء التصريح بانكاره ورفضه قال الأمام ابن الجوزى فى كتابه « تلبيس أبليس » عند الكلام على تلبيسه على القراء : — أن من تلبيسه عليهم أن منهم من يجمع القراءات ، فيقول : ملك مالك ملاك وهذا لا يجوز لأنه اخراج للقرآن عن نظمه .

وقال الامام المجتهد أحمد بن تيميه فى فتاويه .

« ان جمع القراءات فى الصلاة أو فى التلاوة بدعة مكروهة ، وجمعها لأجل الحفظ والدرس من الأجتهاد الذى فعله طوائف ، وان الجمع لم يقع بحال من الصحابة والتابعين » .

والخلاصة أن الجمع فى المحافل بدعة منكرة لا ينبغى اقرارها ولا السكوت عليها .

يضاف الى ذلك ما فى هذا الجمع من التكرار الذى يقطع على السامع سلسلة تتابع المعانى ويضطره طوعا أو كرها الى أن يحصر ذهنه فى التفكير فى الروايات المختلفة التى تطرق سمعه فيحول ذلك بينه وبين المقصود الأعظم من سماع القرآن وهو فهمه وتدبره والانتفاع بما فيه من رشاد وهداية وعظة وعبرة .

ومن أقبح أنواع الجمع ما يسمونه الجمع الحرفى وهو أن يعمد القارىء الى كلمة مشتملة على روايات متعددة أو أوجه متنوعة فيعيد هذه الكلمة بعدد ما فيها من الروايات أو الأوجه فى نفس واحد فيقول مثلا — وقالت هيت لك وقالت هيت لك وقالت هيت لك . وقالت هئت لك وقالت هئت لك . يقصد القارىء بذلك الاغراب على السامعين وايهامهم ان عنده من كثرة الروايات والأوجه ما ليس عند غيره وكل من عنده أدنى مسكة من فهم أو ذوق يدرك أن هذا النوع مخل بنظم القرآن مضيع لرونق التلاوة مذهب لجمال الأداء .

والقارىء الذى فى قلبه بقية من دين وأثارة من توقير القرآن وتقديسه لا يرتكب هذه الجريمة النكراء فى تلاوة كلام رب العالمين .
وقصارى القول أنه يجب على القارىء شرعا أن يقرأ لراو واحد سواء كان حفصا أم غيره نعم اذا قرأ حزبا أو نصفه أو ربعه لراو كورش مثلا وأراد أن يقرأ حزبا آخر فله أن ينتقل لراو آخر .

وعليه الا يقرأ لراو ما الا اذا كان واثقا مما يقرأه متثبتا من أصول الراوى فاذا شك فى وجه أو طريق فعليه أن يدع ما يريبه الى ما لا يريبه ، ويقرأ بما هو متثبت منه حتى لا يخلط بين رواية ورواية وحتى لا يقرأ بما لم يرد عن الراوى الذى يقرأ له .

---

* عن كتاب مع القرآن الكريم من سلسلة دراسات فى الاسلام التى يصدرها المجلس الاعلى الشئون الاسلامية بالقاهرة .

الشهيد

للفريق عبد الرحمن محمد أمين

ان الكلام عن شهيد المعركة هو أعذب الحديث وأشرف القصص . لأنه قمة الفداء ، وأعظم التضحية .

وشهيد المعركة يصور باستشهاده ، ما ينبغى أن يكون عليه المؤمن الذى يفتدى ما يعتقد باليقين والاخلاص والفداء .

وشهيد المعركة يحقق باستشهاده الايثار الذى حقق أمجد الانتصارات للدين الحق فهو يجود بنفسه من أجل تمكين العقيدة ، وتثبيت الدين .

من أجل مجتمع العزة والكرامة والحرية « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

فقد مكث النبى صلى الله عليه وسلم قائما بالدعوة ثلاث عشرة سنة وآمن به المسلمون الأول السابقون الى الاسلام .

وأوذى النبى صلى الله عليه وسلم ايذاء شديدا وصبر . وصبر معه أصحابه متحملين فى سبيل عقيدتهم الوانا من العذاب لا يصبر عليها الا مؤمن مفوض محتسب .

وكانت هذه الفترة التى عاشها النبى ومن معه فى مكة فترة تدريب وتأهيل للمعركة المصيرية معركة الدفاع عن الحق بأسلحة الايمان والجهاد والصدق .

وذلك الى أن أذن الله لرسوله بالهجرة الى المدينة المنورة . ثم أذن الله له بالقتال ، ولم يشرع القتال محبة فى اراقة الدماء أو تقويض المجتمع بالهدم والتخريب ، وأنما شرع لدفع الضرر عن العقيدة والنفس والعرض والحياة ، وأذن الله لنبيه أن يقاتل قوما أخرجوه من بلده لأنه دعا الى الحق الذى بعث به ليكون المجتمع الفاضل . اذن الله لنبيه بالقتال لتكون الدعوة الى الله حرة لا يقف أمامها غاصب أو جاحد أو منكبر ، أذن الله لنبيه بالقتال ليكون الناس آمنين على أنفسهم وعقائدهم من سلطان الباطل وزلزلة الطغيان . وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

اذن الله لنبيه بالقتال تدعيما للسلام الذى أرسل به فلم يكن السيف طريقا الى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يزعم خصوم الاسلام ولكنه ضرورة لارساء قواعد السلام الذى ناضل من أجله رسول الله وصحابته وصبروا وصابروا ورابطوا حتى نصرهم الله .

وأكبر دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلجأ للسيف الا مضطرا وذلك بعد ثلاث عشرة سنة قضاها فى احتمال المكاره ..

ما رواه ابن اسحاق . من أن بنى مخزوم كانوا يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه — وكانوا أهل بيت اسلام — اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول (صبرا آل ياسر موعدكم الجنة) فاما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام .

وقال ابن اسحاق : حدثنى حكيم بن جبيل عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يحملهم على ترك دينهم : قال : نعم والله .

وان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوى جالسا مع شدة الضر الذى نزل به . حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة . حتى يقولون له : اللات والعزى الهك من دون الله : فيقول : نعم حتى ان الجعل ليمر بهم فيقولون له : هذا الجعل الهك من فوق الله فيقول : نعم . افتداء منهم عما يبلغون من جهده .

وما كان يدور بخلد هؤلاء الصابرين ان يتحركوا لقتال . بعدما استقر فى قلوبهم من الايمان والصبر والاحتساب .

وكان كل ما يؤملونه مواساة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرى عنهم وتخفف عن كواهلهم متاعب الايذاء .

وكانت الكلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفتح لهم الآفاق المغلقة — وتكشف الحجب ليروا بنور الله ان نصره لقريب .

روى البخارى عن أبى عبد الله خباب بن الارت رضى الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا : الا تستنصر لنا الا تدعولنا فقال « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض فيجعل فيها « ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون »

وبهذا الأدب كانت الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذه التربية نشأهم الله فكانوا أهلا للجهاد فى سبيل الله .

الاذن بالقتال :

قال الله عز وجل (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز .)

ومن هنا كان الاذن بالانتصار للعقيدة بالانتصار للوطن . للديار . للأهل . للعشيرة للحفاظ على كل مكان مقدس . وشعار مقدس تحركت القوى المؤمنة لحمل السلاح حتى الشهادة فى سبيل الله .

نعم القتال فى سبيل الله حتى الاستشهاد لأنه أمر من العلى الحكيم .

قال الله عز وجل (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم .ويدخلهم الجنة عرفها لهم . يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم . ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم . أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها . ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم . ان الله يدخل الذين آمنوا وعملو الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم . وكاين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم .)

نعم وصدق الله (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم) نعم هو الله واهب الحياة . يرزق الهداية ، ويخلق السعادة ، وينزل المجاهدين الأبرار أعلا المنازل وأن استشهدوا فلهم الحسنى وزيادة .
يا فرحة المجاهدين ، وفى سبيل الله ما بذلوا انهم يعطون الله الذى أعطاهم . يعطونه أرواحهم وهى من أمره .

ويهبونه المال وهو من عطائه . ويتركون الاهل والولد فى رعايته .
والله نعم الخليفة فى المال والاهل والولد .
فما أحلى المعركة ، وما أعظم تحقيق الهدف بالاستشهاد .

ان الحياة كلها الى فناء ، واما الدين فهو الخالد فاذا استشهد مؤمن ليبقى الدين وتعلو كلمة الله فانه المثل البشرى الذى يعطينا أكمل الايمان بالفناء فى ذات الله .
ولست أبالى حين أقتل مسلما   على أى جنب كان فى الله مصرعى .

بيع الروح :

بيعها لله ونعم البيع :

قال الله تعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم .)

ياثقة المؤمنين بالله ويا هناء الشهداء بوعد الله . وربح البيع لأن ربحه جنة عرضها السموات والارض .

صفات الشهداء :

وهل هناك أسمى من صفات أنعم الله بها عليهم (التائبون ، العابدون الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) .

وتلك منزلتهم من الايمان والخلق صفات تثبتهم فى مواطن الزلل ، وتزيدهم عند لقاء العدو صلابة واقداما .

ولا يواجه شهيد عدوا الا بصفاء فطرته ونضج عقيدته واستعانته بالله عز وجل . والشهيد لا يقبل على العدو بجسمه فحسب ، ولكنه بمشاعره كلها واحاسيسه التى تملك عليه كل شعرة فى جسده وكل نبضة من قلبه .

وهو بذلك فى سبيل الله لأنه يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا .

ومن أخص صفات الشهداء العمل يجدون فيه ميادين الجد والحرص على منفعة المسلمين وحتى تبرز تلك الصفات نسوق حديث القراء الشهداء وخلاصته : ـ

ان رجالا من أهل نجد ورائدهم (أبو براء بن ملاعب الاسنة) جاءوا الى النبى صلى الله عليه وسلم . يطلبون رجالا يعلمونهم ما أنزل عليه من كتاب وسنة ويحقق النبى لهم الرجاء فيبعث اليهمبسبعين رجلا من الانصار فيهم حرام بن ملحان مع عدد كبير من القراء .

وتلك هى صفتهم . ينفقون ليلهم فى قراءة القرآن ومدارسته ليزدادوا فقها وعلما وحكمة وتأهيلا وصلة بالله رب العالمين .

وأما نهارهم ففى خدمة الاسلام وأهله يجيئون بالماء فيضعونه فى المسجد لينتفع به المسلمون المحتاجون اليه شربا واستعمالا ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء .. وما يعزز ويؤكد هذه الصفات فيهم ما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود (لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها) . ويبعثهم النبى ويعترض طريقهم عدو الله عامر بن الطفيل فقتل حامل الكتاب حرام بن ملحان بطعنة فى رأسه فتلقى حرام دمه بكفه ثم نضحه على وجهه وقال فزت ورب الكعبة . وما الفوز الا بالشهادة

التى حققت له السعادة فيالها من شهادة لأول القراء وحامل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدور المعركة بين الصفوة من عباد الله عقيدة وعملا وبين عدو الله عامر بن الطفيل الذى استصرخ عليهم بنى عامر فأبـوا أن يجيبوه ، فاستصرخ عليهم قبائل من عصية وسليم ورعل فأجابوه . وخرج الكفرة البغاة وغشوا القوم المؤمنين وأحاطوا بهم فى حالهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا منزل أبى براء روى ابن سعد قال : لما أحيط بهم قالوا اللهم انا لا نجد من يبلغ رسول السلام غيرك فاقرئه منا السلام فاخبره جبريل بذلك فقال وعليهم السلام . انهم رضوا من الله بما رأوه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ورضى الله عنهم بما قدمـوه من طاعات وأبرزهـا الشهادة فى سبيله .

الحوافز الدافعة للاستشهاد :

١ — الحياة الطيبة عند ربهم والرزق الكريم فى جواره : قال اللـه تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهـم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المحسنين) روى الترمذى عن عبد الله رضى الله عنه انه سئل عن هذه الآية فقال انا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا أن أرواحهم فـى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وتأوى الى قناديل معلقـة بالعرش فاطلع عليهم ربهم فقال هل تستزيدون شيئا فأزيدكم فقالوا تعيـد أرواحنا فى أجسامنا حتى نرجع الى الدنيا فنقتل فى سبيله مرة أخرى وزاد فى رواية وتقرىء نبينا السلام وتخبره عنا أنا قد رضينا ورضى عنا وروى الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال لقينى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى يا جابر مالى أراك منكسرا قلت يا رسلول الله استشهد أبى يوم أحد وترك عيالا ودينا قال الا أبشرك بما لقى الله به أباك قلت بلى يا رسول الله قال ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وأحيا الله أباك فكلمه كفاحا فقال يا عبدى تمن على أعطيك قال يا رب تحيينى فاقتل فيك ثانية قال الرب عز وجل انه قد سبق منى أنهم اليها لا يرجعون قال وأنزلت الآية .

٢ — المصير الى الجنة : روى الامام مسلم عن أبى بكر عن أبى موسى الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أبـواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى أأنـت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال نعم فرجع الـى أصحابه فقال اقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فالقاه ثم مضى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل .

وروى الامام مسلم عن أنس رضى الله عنه قال انطلق رسول اللـه وأصحابه حتى سبقوا المشركين الى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقدمن أحد منكم حتى أكون أنا دونه فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى جنة عرضها السموات

والارض . قال يقول عمير بن الحمام الانصارى رضى الله عنه يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض قال نعم بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قول بخ بخ قال والله يا رسول الله الا برجاء أن أكون من أهلها قال فانك من أهلها فاخرج تمرات من قوته فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا بقيت حتى آكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة .

٣ ــ الوفاء مع الله : وروى عن أنس رضى الله عنه قال غاب عمى أنس بن أنضر رضى الله عنه عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وابرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر انى أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ان نعرفه لقد وجدنا به ثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته ببنانة . قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

٤ ــ تكفير الذنوب : روى الامام مسلم عن أبى قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه قام فيهم خطيبا فذكر أن الجهاد فى سبيل الله والايمان بالله أفضل الاعمال . فقال رجل يا رسول الله أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت ؟ قال أرأيت ان قتلت فى سبيل الله تكفر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، الا الدين ، فان جبريل عليه السلام قال لى ذلك .

فالشهادة مغفرة عامة الا ما كان حقا لآدمى من دم أو عرض أو مال . على أن الدين فى ذمة الشهيد لا يمنع من أجر الشهادة بل هو شهيد مغفور له كل ذنب الا الدين .

٥ ــ الشفاعة : روى ابن ماجه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة ، الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء .

وروى أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته .

٦ ــ التثبيت وعدم الفتنة : روى النسائى عن راشد بن سعد رضى الله عنه عن رجل من الصحابة أن رجلا قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد : فقال (كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة) وحسب الشهداء أنهم سيسكنون أحسن الجنان ويقيمون أطيب مقام ، وينالون من الله عز وجل خير كرامة . حتى أنهم يودون الرجوع الى الدنيا ليقتلوا فى سبيل الله مرة ومرة لما يروا من الكرامة والفضل فعن أنس رضى

الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما من عبد يموت له عند الله خير يسره ان يرجع الى الدنيا وان له الدنيا وما فيها ، الا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فانه يسره أن يرجع الى الدنيا فيقتل مرة أخرى : وهل هناك نفس بشرية اتقى من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى يحدث عن نفسه فيقول (والله انى لاتقاكم لله)

انه الرسول التقى النقى الوفى الشجاع المحارب ، ففى بدر يقدم القوم ، وفى أحد يثبت حين فر من حوله وفى حنين ينادى (وقد أعجب القوم كثرتهم) : (انا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب) حتى أعز الله به الملة ونصر بثباته الجيش .

وفى كل موقعة له من المواقف الرائعة ما يضيف الى فنون الحرب فنونا وفنونا هذا النبى العربى الشجاع حببت إليه الشهادة فى سبيل الله حتى ود ان غزا فقتل فى سبيل الله ثم يحييه ربه ليقتل مرة ومرة .

روى الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهاد فى سبيلى وايمان بى وتصديق برسلى فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى منزله الذى خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) .

حب الشهادة :

ومن أجل هذه المزايا وذلك الفضل كانت الشهادة أحب شىء الى من عاشوا حياة المجاهدين .

وكانت المنافسة عليها بين الوالد وولده والأخ وأخيه تبلغ حدا من الجدال لا يزول الا بتدخل الرسول صلى الله عليه وسلم ليضع له حدودا .

كما حدث مع خيثمة وولده سعد وكل من الولد والوالد يريد أن ينال شرف القتال فى أول لقاء مع الكفار فى غزوة بدر الكبرى ولا يجدان وسيلة الا أن يقترعا ويفوز سعد ويرجوه الوالد أن يؤثره على نفسه وتخرج الكلمات العذاب من فم الولد المحارب (والله يا أبت لو كان ما تطلبه منى غير الجنة لفعلت) . ويخرج سعد مع الرسول صلى الله عليه وسلم وينال ما يريد من الشهادة فلقد استشهد فى بدر وصعدت روحه الطاهرة مطمئنة وراضية وكان الوالد فلم يكن به لوعة من فراق الولد الحبيب لابل كانت به لوعة الحرمان من الشهادة فى سبيل الله وها هو خيثمة يحدث عن نفسه فيقول :

(لقد أخطأتنى وقعة بدر ، وكنت والله عليها حريصا حتى ساهمت ابنى فى الخروج فخرج فى القرعة سهمه . فرزق الشهادة ، وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها ويقول الحق بنا فى الجنة فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا) .

صوت المعركة :

وصوت المعركة يرن فى آذان العرب من جميع الآفـاق وهو رنين يترجمه صدى الشهادة التى يحققها حرص شعوب العرب على نجاح المعركة : ونجاحها له أسس وأصول تنحصر فيما يلى : —

١) دفاع العرب لتحرير كل شبر عربى بالنفس والمال .
٢) حتمية المعركة لتحقيق النصر باذن الله .
٣) تسخير موارد الشعوب العربية للمعركة .
٤) قيام المعركة على البذل الذى ينتهى بالاستشهاد .

٥) الخطوط الخلفية وتتلخص فيما تأتى :

أ) التعبئة العامة وتنظيم الجهود الشعبية (حراسة ودفاعا مدنيا ودفاعا شعبيا) وتوعية روحية وقومية .
ب) رعاية الجنود .
ج) رعاية أسر الشهداء .

وهذا التنظيم لخصه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله (لينبعث من كل رجلين رجل والأجر بينهما) .

النفير العام :

ورنين المعركة صورة واضحة لنفيرها العام ويجب لدوام هذا النفير ابراز ما يأتى :

أولا — المناهج الدينية القتالية فى الكليات والمعاهد والمدارس على اختلاف درجاتها .

ثانيا — البيئة القتالية بتطويرها تطويرا كليا لصالح المعركة فى اقتصادياتها وتعاونها القتالى المطلق .

ثالثا — ان يكون هذا التطوير نابعا من الخلق القتالى الفاضل بالحفاظ على تراثنا الدينى واخلاقنا الدينية .

رابعا — ان تكون دراسات المعركة وبحوث المؤتمر القتالية أحاديث اللقاءات والندوات والشعارات .

خامسا — الدعوة الى تقشف عام والبعد كل البعد عن كل رفاهية بدنية وفكرية .

سادسا — الايمان بالواجب وتأديته باخلاص .

نحن قوم لا نأكل حتى نجوع

صدقت سيدى رسول الله — وقولك دائما الصدق — وكيف لا يكون ذلك ، وأنت الصادق الوعد الأمين . . . فى كلمات لا تزيد عن العشر وضعت منذ أربعة عشر قرنا أساسا للطب متينا ، ونصحا لو وعاه المسلمون — بل والناس أجمعون — لما عرضوا أنفسهم لهذه الامراض التى يئنــون منهــا ويصرفون المال الطائل للتخلص من المها .

« لا نأكل حتى نجوع » ومن منا جلس الى مائدة طعام وهو يحس الجوع ولم يشعر بلذة الطعام حتى ولو كان فى قلة من النوعية والكم ؟ ومن منا لم يجبر مرة الى طعام وهو لا يحس بالجوع الا وكان هــذا سببا فى ارتباك شديد فى جهازه الهضمى ونحن نعلم معشر « الاطباء » فى علمنا الحديث أنه اذا جعنا قلت نسبة السكر فى الدم ، ويتبع ذلــك ارسال اشارات الى اجزاء بالمخ تجعل الانسان يحس بهذه الرغبة الشديدة الى الطعام ، بل وتجعل كل أجهزة الجسم تسعى اليه وتستعد لتلقيه . وعند الجوع تبدأ المعدة فى الحركة وتتبعها الامعاء ويشعر الانسان بهذه الحركة تنبهه لأن جسمه فى حاجة الى وجبة من طعام ، ولعل ذلك التنبيه يــكون شديدا مؤلما اذا طالت المدة وامتدت ، دون الحصول على ذلك الطعام . ولو تدبر ووعى الذى يجوع ، هذا الألم ، لتألم لفقير لا يجد طعاما يسد به رمقه ، ولمد الغنى يده الى ذى حاجة تتمنى نفسه أن تجد شيئا مــن الطعام يدفع عنها هذا الألم ، ويالها من حكمة بالغة لو وعاها الناس ، فلا حقد من فقير على غنى ، ولا استعلاء وخيلاء وتجبر من غنى على فقير ، فالكل مجتمع واحد يحس الفرد بأحاسيس من حوله ، وما أروعهــا من أمثلة ضربها سلفنا الصالح الخالد بروح التعاطف فيما بينهم كان يقتسم الفرد منهم تمرة ليأكل نصفها ويعطى المحتاج نصفها الآخر . فياله من إحساس بانسانية الانسان عندما يقوم بهذا العمل .

وإذا أكلنا لا نشبع ..

للدكتور محمد محمد أبو شوك

وعند الجوع والجلوس الى الطعام ، وحتى من رائحة الطعام ، تزداد عصارات المعدة وتأخذ المعدة عدتها لاستقباله — فتهضمه هضما جيدا بما فيها من عصارات كافية — وتكون كمية الحامض الذى بها من القوة بمكان ، حتى تقضى على بعض ما يحمله الطعام من ميكروبات ضارة بالجسم فلا تذهب الى الامعاء ولا تمتص بالدم وتسبب الامراض المختلفة .

وعند الجوع والجلوس الى المائدة — يزداد اللعاب فى الفم — وتتهيأ كل خلية فى الجسم للعمل على أنجاح عملية الهضم ، الم يلاحظ أكثرنا عندما يأكل طعاما لا رغبة له فيه — أو طعاما على شبع ، أن نفسه تتأفف منه ويحس وكأن حلقه وفمه جاف وبه شعور بغثيان ، بل وربما قام وتقيأ هذا الطعام ولفظه من فمه أو من معدته .

والأكل بعد جوع وراحة للجهاز الهضمى يجعل الاستجابة لدخول الطعام فى المعدة ومروره منها الى الامعاء أكثر فعالية وانتظاما فتسير عملية الهضم على أحسن ما يمكن أن تكون . وكذلك تكون عملية امتصاص المواد الغذائية ذات الفائدة للجسم — بذا يستفيد الانسان من طعامه ويتمتع به . وما أمراض المعدة التى نراها فى العيادة بالعشرات يوميا الا نتيجة لتناول الأطعمة فى أى وقت وبغير نظام — وعلى شبع أو على جوع . فالمعدة لا تستريح وبقية الجهاز الهضمى يعمل ليل نهار دون ما توقف ، فلا غرابة عند هؤلاء من ان يشكو مر الشكوى من آلام ، وغازات ، وإمساك ، واسهال .

« واذا أكلنا لا نشبع »

لو قيل لى كطبيب مارست المهنة أكثر من عشرين عاما — ما هو السبب الرئيسى للأمراض التى يعانى منها معظم الناس لقلت بلا تردد إنه

الشبع . الشبع هو سبب السمنة المفرطة التى يعانى منها الكثيرون ، وما تجره وراءها من مضاعفات ، وما أكثرها وأخطرها من مضاعفات — أمراض الشرايين وتصلبها ، انسداد فى الشرايين بما فيها جلطة القلب والمخ ، أرتفاع فى ضغط الدم ، مرض البول السكرى ، التهابات المرارة وحصى المرارة ، النزلات الصدرية ، آلام المفاصل — والفتق والدوالى ، قلة الحركة والخمول — الاضطرابات النفسية التى يعانى منها البدين ، كلها تكون قائمة طويلة من أمراض — تفتح لها عيادات ومستشفيات تعمل ليل نهار — لتستقبل العدد الهائل من هؤلاء المرضى .

وماذا نقول نحن الاطباء لاصحاب البدانة — خفف وزنك — اتبع حمية خاصة — لا تشبع . — ولمريض السكر — اتبع الطعام الخاص ، وحذار أن تشبع ويزيد وزنك ، ويزيد السكر فى الدم والبول . — ولمريض القلب ((اياك اياك — وزيادة الوزن — فهبوط القلب لك بالمرصاد اذا زاد وزنك)) — ولمرضى الجهاز الهضمى — كل من الطعام ما يكفيك ولا تملأ معدتك وتأكل على شبع فتزداد وطأة مرضك ، وحذار من الاطعمة الدسمة فانها تجر وراءها الاضطرابات الكثيرة من غازات كثيرة فى البطن وما يصحبها من مغص وآلام ، وأمساك — واضطرابات لا حصر لها .

أمراض الصدر والنزلات الشعبية وضيق التنفس — وعدم القيام بأى مجهود لصعوبة التنفس عند القيام به — كلها تزداد بالشبع — وبالتالى بزيادة الوزن .

وليذهب أى انسان وير بعينيه قسم العظام ، وعيادة العظام وما يتردد عليها من مرضى يشكون من آلام فى ظهورهم — والتهابات مفصلية ، تكاد تقعدهم عن العمل أو أقعدتهم حتى عن السير ، وجعلت منهم عالة على ذويهم . كله بسبب الافراط فى الطعام وزيادة الوزن .

ثم لماذا يرفض بعض الجراحين اجراء العمليات ويقدرون خطورتها على ذوى السمنة المفرطة ماذاك الا لأنهم أما أن يكونوا تعرضوا لامراض عدة — تجعل اجراء العمليات عليهم خطيرة أو أن دور النقاهة عندهم بعد العملية يكون محفوفا بالمخاطر والمضاعفات .

قابلت مسنا جاوز الثمانين ، وهو أنشط ما يكون ويتمتع بذاكرة قوية ، وحيوية فائقة — وسألته السؤال التقليدى ، أريد أن أعرف كطبيب سر كل هذا فقال على الفور ((لأنى لا أشبع ولا أدع للتخمة مجالا عندى وأنام مبكرا واستيقظ مع الفجر — أفطر على كوب من الحليب — وآكل قليلا من اللحم غير الدسم مع خضار وفاكهة مع الغذاء ، وكوب حليب فى المساء ، وأترك الطعام وأنا أحس أنى راغب فيه وأقبل عليه وأنا أحس بالجوع حقا)) ويستطرد يقول ((ما أحسست بتلبك فى أمعائى ولا أحتجت لدواء طوال هذه السنين — ولا قمت فزعا من نومى أشكو ألما فى بطنى وأنت كما ترانى نشيطا ، وما زلت أمارس أعمالى وكلى حيوية ونشاط)) ..

وكم من مسرف فى طعامه وشرابه شكا من ازدياد فى الحموضة والتهاب أو قرحة بمعدته ، وحصى فى مرارته ، واضطراب فى جميع أجزاء جهازه الهضمى ، ويحضرنى فى هذا المجال مريض زاد وزنه عن مائة وأربعين كيلو جراما ، تعرض لمعظم الامراض التى سردتها من قبل — ويرجع كل ذلك الى نهم فى الاكل عجز أن يوقفه ، ويتقيد بغذاء يقلل من

وزنه — وأخيرا هداه تفكيره وما قرأ من اخبار أن هناك عملية خاصة فى أمريكا لها أثر السحر فى انقاص الوزن — وفعلا سافر اليها واظهرتــه الصحف الامريكية بجوار الطبيب الذى سيجرى له العملية ، وفعلا أجريت له العملية أزيل بواسطتها أكثر من ثلاثة أرباع أمعائه — ظنا من طبيبه أنه بهذه الطريقة يقل الامتصاص — وبالتالى يقل الوزن — وعاد صاحبنا بعد أن نقص حوالى ثلاثين كيلو جراما . وبعد ما يقرب من شهر أصيبت أمعاؤه المتبقية له بمرض سبب له اسهالا شديدا ، ونقص فى جميع المواد اللازمة للجسم لعدم قدرة هذا الجزء الباقى على امتصاص ما يحتاج من مواد هامة للجسم وأعطى كل هذه المواد بواسطة الحقن ، ولكن أنى له أن يستجيب لهذا العلاج — وقد فقد جسمه كل مقاومة لأى ميكروب ، وبرغم كــل العلاجات ، وكل المجهودات المبذولة فقد حياته .

وهل يخفى على كل ذى حجا ما يسببه الشبع من تخمة ويجعل الدم الذاهب الى المخ والجهاز الحركى يقل عن مستواه فيجعل من صاحب التخمة خاملا ، لا يكاد يعى ولا يكاد يتحرك .

حتى أمراض الجلد تتأثر بالشبع وزيادة الوزن ، ويلتهب الجلد فى أماكن عدة منه لا يجدى نفعا علاجها الا التقيد بطعام خاص ونقص فى الوزن .

وهذه الاموال التى تنفق على أقراص تخفيف الوزن بدون طائل — مع ما يكتنفها من دعاية تنفق فى سبيلها الأموال ، كله يضيع هباء — بل وفى بعض الاحيان يعود بالضرر على من يتعاطون هذه الحبوب من اضطرابات فى الاعصاب ، ورجفة فى اليدين ، وهبوط فى الضغط وأرق فى الليل — وكان من الممكن توفير هذا المال لاغراض يستفيد منها المجتمع ، والبعد عن مضار هذه الحبوب لو اعتدلنا فى تناول وجباتنا ولم نسرف فى طعامنا .

ورحم الله شيخنا الغزالى حينما تعرض للنهم والشبع ووصفه بأنه من المهلكات فى كتابه (أحياء عــلوم الدين) فقال : —

((وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن ، فلا بد من كسر هــذه الشهوة ، ومما يساعد على كسرها الا يأكل الانسان الا حلالا ، ولا يدع الاكل هدفا وغاية ، والافضل بالاضافة على الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل بالمعدة ولا يحس بألم الجوع)) .

من هذا يتضح جليا أنه كم من الامراض يكون سببها الشبع وتحمل للجهاز الهضمى مالا يطيق ، وكم من صاحب نهم بات يتلوى من ألم يفتك بأمعائه — أو بأى جزء آخر من جسمه ، وليته خفف من ألمه هــذا ، من ألم جوع ألم بجاره أو بفقير محتاج ، فتسلم أمعاؤه ، ويدعو له جاره الفقير بالصحة والعافية .

وها نحن نستقبل شهرا كريما — هو شهر رمضان المبارك وما أحوجنا لأن نعى كلام الله ((وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)) وأن نهتدى بحديث رسول الله : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » وليحذر كل منا الشبع والتخمة ، ولا يجعله شهر ولائم وحفلات ، يأكل ما لذ وطاب من طعام وشراب ناسيا حكمة الصوم الحقيقية ، وهى تطهير للأرواح وصحة للأبدان ، وتحمل للصبر ، وتهذيب للنفوس .

وفقنا الله للصيام الامثل صيام على تقوى وصلاح وإخلاص ، وبعد عن كل ما هو ضار للنفوس والابدان .

حوار رمضانى

للأستاذ محمّد الخضري عبد الحميد

صوت ١ رمضان اسم لا يذكر الا وتخفق القلوب وتنتشى الافئدة ، وتطرب كل جارحة وخلجة فى الابدان .
ان لـ (رمضان) لجاذبية خاصة وسحرا معينا الى جانب ما له من مكانة وجلال ، فيه تخشع النفوس ... تعنو الوجوه الى بارئها تحلق الارواح ، وتزداد شفافية وصفاء ... يهفو كل وجدان الى المزيد من الصفاء والسمو ... على أن لـ (رمضان) الكريم خصائص أكبر وأمجادا أعظم وأكثر ... هلا تحدثنا قليلا فى هذه المكرمات الكبار التى اختص بها الشهر المبارك ؟

صوت ٢ بكل سرور ، وأحب أن أضيف أن لشهر رمضان مكانة عظمى فى التاريخ الاسلامى فهو الشهر الذى شرفه الله عز وجل بنزول القرآن الكريم فيه على نبى الهدى والحق (محمد) عليه الصلاة والسلام ، وفيه شرع الصوم تكريما له وتعظيما .

صوت ١ حقا ولكن يقال ان (رمضان) يقترن عند المسلمين بخاصة والعرب بعامة بالانتصارات الخالدة والامجاد الكبيرة الباهرة .

صوت ٢ هذا صحيح رمضان هو بحق شهر الانتصارات العظيمة والبطولات الهائلة فى رمضان سنة / ٢ هجرية وقعت غزوة (بدر) التى قاتل فيها النبى محمد جيوش المشركين وهم كثرة كاثرة يفوقون جيش المسلمين فى العدد والعدة ... ولكن الله نصر المؤمنين بايمانهم على قوة الضلال ، وعلى كل تلك الكثرة التى يسندها البغى والعدوان ... وكان من آثار ذلك النصر المؤزر استقرار الدعوة الاسلامية فى بلاد العرب ... وفى السنة الثامنة للهجرة تم للنبى وجنده فتح مكة ، وانتشر الاسلام فى شبه الجزيرة العربية ، ثم راح يبسط نوره الغامر الوضاء على كل البقاع والاصقاع .

صوت ١ سؤال هل اكتسب (رمضان) كل هذه الرفعة وهـذا السمو بظهور الاسلام فحسب ؟

صوت ٢ هذا سؤال وجيه وعندى له اجابة قد تبدو غريبة .. كتب الاديب العربى عباس محمود العقاد يقول (ان شهر رمضان قديم الحرمة حتى فى الجاهلية قبل أن يشرق نور الاسلام ... كان يسمى فى الجاهلية كما يقول العقاد باسم (الناتق) أو (الناطل) من الناقة الناتق أى كثيرة الولادة أو من (الناطل) وهو كيل السوائل ولا تزال كلمة الناطل تفيد معنى قريبا من هـذا المعنى .
أن تجعله موسما من مواسم الخصب والعطاء .
تجعله موسما من مواسم الخصب والعطاء .

صوت ١ هل تحدثنا عن موقف من مواقف الرسول الخالـدة كان فـى رمضان ؟

صوت ٢ بالطبع المواقف كثيرة وكلها رائعة ناصعة خذ مثلا تلك اللفتة المحمدية الكريمة فى غزوة بدر وقف النبى عليه صلوات الله وسلامه يستعرض رجاله ، ويتأهب واياهم لخوض واحدة من غزواته الكبار رأى رجلا بارزا عن الصف وكان اسم ذلك الرجل (سواد) فقرّب منه السهم برفق ، وهو يقول له (استوَ يا سواد) ولكن (سواد) لدهشة كل الرجال الواقفين حوله قال للنبى (لقد أوجعتنى يا رسول الله فدعنى اقتص لنفسى منك) .

صوت ١ يا لجرأته العجيبة فماذا فعل النبى ازاء ذلك الادعاء ؟

صوت ٢ مهلا لم يكن أوجعه قط بالطبع هذا مفهوم ... فما مسة خفيفة على كتف رجل محارب ؟ ومع ذلك فالذى فعله النبى أدعى الى الدهشة حقا ، وان كان لا يدهش فى شىء مطلقا لان محمدا كان أبا العدل والحق ... كشف النبى عن بطنه وقال (اضرب يا سواد) .

صوت ١ ويح سواد ماذا فعل ؟

صوت ٢ انكفأ عليه (سواد) كالجائـع الظامىء يشبع ذلك الموضـع المكشوف تقبيلا ولثما .. دهش المصطفون ببدر جميعا ..
حتى النبى الكريم نفسه دهش أيضا .. فقد سأله (ما حملك على هذا ؟) أجاب سواد (لقد أردت أن يكون آخر العهـد بك أن يمس جلدى جلدك) فدعا له النبى بخير .

صوت ١ ما أروع ذلك حقا ... قبل أن أنسى ... يطيف بالذهن ونحن

اليوم نرى وسائل حضرية مخصصة لاعلان الافطار والسحور والامساك سؤال ... السؤال هو — كيف كانت تلك الوسائل الضابطة للتوقيت والمعلنة عنه فى أيام العرب الأول .

صوت ٢ ذكر البشارى ، وهو أحد رجال القرن الرابع الهجرى — أن من عجائب العالم الاسلامى (رمضان مكة) وفى هذا وصف ابن جبير الكنانى روعة رمضان فى مكة فقال :

(كانوا يؤذنون بالصيام بقرع الطبول ... كانوا اذا أقبل الشهر المبارك يتصافحون ويهنىء بعضهم بعضا ويتغافرون ، ويلجأ أهل مكة الى (الفرقعة) يضربونها ثلاث ضربات عند الفراغ من أذان المغرب ، ومثلها عند الفراغ من أذان العشاء ، وهى عود مخروط أحمر وقد ربط فى رأسه حبل من الأديم الفتول رقيق طويل ، فى طرفه عذبة صغيرة ينفضها ممسك الفرقعة بيده فى الهواء ، فتأتى بصوت عال يسمع فى داخل الحرم وخارجه ، وكانت تستعمل فى غير رمضان فى صلوات الجمع وحدها ..

صوت ١ هذا عند الافطار فماذا عن السحور ؟

صوت ٢ فى السحور كانت هناك أشياء رائعة حقيقية لكن ..

صوت ١ هات ما عندك فالحديث ممتع ومشوق ..

صوت ٢ أما عن السحور فى مكة القديمة ، فقد كان يتولى التسحير المؤذن الزمزمى فيقوم فى وقت السحور داعيا ومذكرا للسحور ومعه أخوان صغيران يجاوبانه ، وقد نصبت فى أعلى صومعة المسجد خشبة طويلة فى رأسها عود كالذراع وفى طرفيه بكرتان صغيرتان يرفع عليهما قنديلان من الزجاج كبيران لا يزالان مشتعلين مدة التسحير ..

فاذا جاء الامساك حط المؤذن القنديلين من فوق الخشبة ، وشرع فى الأذان فمن لا يسمع الأذان ينظر الى مكان القنديلين ، وقد انقطع ضوؤهما ، فيعرف الوقت ، ويحدد بذلك بدء صومه ..

صوت ١ لكم كان ذلك بديعا ، هم العرب معلمو الاجيال وصناع التاريخ ..

صوت ٢ وعلى ذكر العرب وأمجادهم الخوالد ... هل أقول لك شيئا آخر موجزا عن انتصاراتهم الضخمة فى رمضان بالذات ؟

صوت ١ بالله قل .. فلا أجمل ، ولا أمتع من ذلك حديثا ..

صوت ٢ كتب المؤرخ العربى عبد الرحمن الرافعى فقال (ثمة حوادث أخرى هامة وأعمال عظمى حدثت فى رمضان .. منها — مثالا لا حصرا ، والاعوام هنا بالتقويم الهجرى .

❋ فى رمضان من سنة / ٥٣ فتح العرب جزيرة (رودس) .

❋ فى رمضان / ٩٢ قاد طارق بن زياد جيشا لفتح الاندلس فنزل جيشه جبلا هو المسمى الآن جبل طارق ، والتقى بجيش

الملك فريدريك فى معركة فاصلة انتهت بانتصار العرب ، ودانت الاندلس للفتح العربى ...

* فى رمضان / ٣٦١ تم بناء الجامع الازهر بالقاهرة فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ..
* فى رمضان / ٥٨٤ قاتل صلاح الدين الايوبى الافرنج وحاصر قلعة (صفد) فى سوريا حتى سلّمت .
* فى رمضان / ٦٥٨ هزم الجيش المصرى جيوش التتار فى فلسطين كما هزمهم أيضا مرة أخرى بقيادة الظاهر بيبرس فى رمضان / ٦٦٦ ومرة ثالثة فى رمضان كذلك عام / ٧٠٢ وأسر منهم هذه المرة نحو عشرة آلاف أسير .

صوت ١ يا لروعة كل هذا ..

صوت ٢ أرأيت كيف أن لرمضان الكثير ما يستطيع أن يفخر بـه ، ويزهو بين الشهور ؟

صوت ١ حقا والآن ...

صوت ٢ آه ... أعرف أن الحديث قد طال شيئا ما ، وكثرت فيه التواريخ والارقام ولكن ...

صوت ١ لا ، ولكنى فقط كنت أفكر فى أن نختم حوارنا هذا الرمضانى الطريف ببعض الطرائف من الاقوال التى تتصل مثلا بالطعام فى رمضان ... سمعت أن أفضل ما يفطر عليه الصائم الماء المحلى بالسكر فما الحكمة من هـذا ؟

صوت ٢ يحتاج الجسم الى السكر وعندما يحين الافطار يطلب الجسم تعويض ما نقص لديه من السكر فاذا أقبل الصائم على الافطار بأنواع من الاطعمة الاخرى التى لا تحتوى عليـه يكون برغم امتلاء بطنه بالطعام كمن لا يزال يواصل صيامه .

صوت ١ تذكرت شيئا هاما طبق الفول ، لون أساسي وصنف رئيسى على مائدتنا فى رمضان ، هل من طرفة أو لمحـة عن (طبق الفول) ؟

صوت ٢ ربما كثيرون لا يعلمون أن (فول رمضان) عريق الشهرة فقد عرف منذ نحو نيف وألف سنة باسم (الباقلاء) ومن الطـريف حقا أن ما ينسبه البعض الى الفول أحيانا من أنـه مثبط لهمم العقول الذكية كان يحدث تماما مثله فى ذلك الزمن البعيد .

صوت ١ كيف ؟ إلى هذا الحد ؟

صوت ٢ نعم ولنا أن نتصور أن ذلك كان يحدث فى القرن الثانى الهجرى فقد روى صاحب (عيون الاخبار) أن رجلا من قدماء الاطباء قال ان الفول اذا أدمن أكل البصر ، وأحال الاحلام أضغاثا ولا يجد عابر الرؤيا الى تأويلها سبيلا .

صوت ١ ما أعجبها تهمة قديمة جديدة تلصق بالفول ..
على أية حال كل عام وأنت طيب ..

صوت ٢ وكل أمة العرب والاسلام .. بخير .

الفتاوى

يجيب على هذه الأسئلة فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف :

علاج الضرس فى الصيام

السؤال :

شخص اشتدت آلام ضرسه وهو صائم فاضطر لوضع بعض مواد طبية عليه مثل روح القرنفل ، فهل يفطر بذلك ؟

الجواب :

لا يفسد الصوم عندنا بوضع شىء من الزيت المعروف بروح القرنفل فوق الضرس ، وان وجد الصائم طعمه فى حلقه . وفى المحيط : « طعم الأدوية وريح العطر اذا وجد فى حلقه لا يفطر » أ هـ بل لو وضع فى ضرسه ثمر القرنفل ولـــم يدخل فى جوفه لا يفطر .

النزيف فى الصيام

السؤال :

رجل ينزف من أنفه ولو بقى أثناءه معتدل القامة يستنفد ذلك منه دما كثيرا ولو استلقى على ظهره حسب نصيحة أهل الخبرة يتسرب الدم الى حلقه ، فما حكم صومه شرعا ؟

الجواب :

سألت طبيبا فاضلا فأخبرنى بأن انقطاع النزيف من الأنف لا يتوقف عـــلى الاستلقاء على الظهر ، بل يمكن قطعه باستنشاق الماء البارد فى الوضع العادى بدون استلقاء ، فلا ضرورة تدعو الصائم الى الاستلقاء وقت النزف حتى ينصب الدم فى حلقه فيفطر بابتلاعه .

لذلك نفتى السائل بأنه ما دام فى الامكان علاج النزف باستنشاق الماء البارد ، لا يجوز الالتجاء الى الاستلقاء الذى يفضي الى الافطار ، فاذا تفاقم الأمر وقرر طبيب حاذق ضرورة اتخاذ وسيلة أخرى للعلاج والانقاذ تؤدى الى الافطار ، كان هذا الصائم من أرباب الأعذار ، فيفطر وعليه القضاء .

الحقنة الشرجية فى رمضان

السؤال :

هل الحقنة الشرجية مفطرة للصائم ؟ .

الجواب :

الحقن فى الشرج هو ادخال أى مادة سائلة من فتحة الشرج الى الأمعاء الغليظة ، اما بقصد طرد الفضلات وهى التى يستعمل فيها عادة البابونج أو الماء والصابون ونحوه مما لا يمكث فى الأمعاء الا يسيرا ثم يقذف مع الفضلات من هذه الفتحة ، واما بقصد امداد الجسم بالغذاء أو الدواء أو السائل فى الحالات المرضية التى يتعذر فيها اعطاء هذه المواد من طريق الفم أو حقنها فى الوريد أو العضل أو تحت الجلد ، وفى هذه الحالات تترك هذه المواد حتى تمتص . هذا ما قاله الأطباء .

وكيفما كان فادخال هذه المواد السائلة من فتحة الشرج الى الأمعاء مفطر شرعا باتفاق فقهاء المذاهب الأربعة اذ الأمعاء من الجوف كالمعدة وسائر الجهاز الهضمى ، وما يدخل فيه اختيارا مفطر ، لحديث (الفطر مما دخل) رواه أبو يعلى فى مسنده مرفوعا عن عائشة وذكره البخارى تعليقا فقال : وقال ابن عباس وعكرمة الفطر مما دخل وليس مما خرج والمراد الدخول من المنافذ المعروفة بدلالة العرف .

وقد نص الحنفية على أن من احتقن أفطر ووجب عليه القضاء ولا كفارة عليه فى الأصح ، وفسروا الاحتقان بصب الدواء فى الدبر بواسطة الحقنة ، وبمثله قال الحنابلة كما فى المغنى ، والشافعية كما فى المجموع ، والمالكية كما فى الشرح الكبير ، « وان خالفوا الطب بقولهم ان السائل يصل بالحقنة الشرجية الى المعدة » ..

وفى المجموع للنووى ان هذه الحقنة مفطرة على المذهب سواء كانت قليلة أم كثيرة وسواء وصلت الى المعدة أم لا ، وبه قطع الجمهور ونقله ابن المنذر عن عطاء ، والثورى وأبى حنيفة وأحمد واسحاق ، وحكاه سائر الاصحاب عن مالك ونقله المتولى عن عامة العلماء .

أول ما نزل من القرآن

السـؤال :

ضمنا مجلس وأختلفنا فى أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه ونرجو بيان الرأى الصحيح ...؟

عبد الفتاح جلول ـ ليبيا

الجـواب :

هناك أقوال كثيرة فى بيان أول ما نزل من القرآن الكريم والذى رجحه العلماء أن أول ما نزل هو الآيات الخمس الاولى من سورة العلق (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم) .

وكذلك اختلفوا فى آخر ما نزل من الكتاب الكريم ، والذى رجحه العلماء أن آخر الآيات نزولا قول الله تعالى فى سورة البقرة (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .)

أسباب النـزول

السـؤال :

قرأت فى احد التفاسير أن الآية الكريمة (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الى آخر السورة نزلت فى غزوة أحد وفى تفسير آخر قرأت أنها نزلت فى فتح مكة فأيهما أصح ..؟

عدلى السيد ـ الاردن

الجـواب :

أخرج البيهقى والبزار عن ابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة حين استشهد وقد مثل به فقال (لأمثلن بسبعين منهم مكانك) فنزل جبريل عليه السلام والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بخواتيم سورة النحل .

وأخرج الترمذى والحاكم عن أبى بن كعب قال ـ لما كان يوم أحد أصيب من الانصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة . منهم حمزة فمثلوا به ، فقالت الانصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا (لنزيدن) عليهم فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله (وان عاقبتم) الآية .

فالرواية الاولى تفيد أنها نزلت فى غزوة أحد والثانية تفيد أنها نزلت يوم فتح مكة .

ويرى العلماء أن الآية نزلت مرتين مرة يوم أحد ومرة يوم الفتح وانه لا مانع من ذلك وان لتكرار النزول حكمة جليلة وهى تعظيم لشأن المكرر وتذكير به وتنبيه الى ما فيه من الوصايا النافعة .

دولة البحرين

السؤال :

تلقينا بمزيد السرور والبهجة اعلان استقلال دولة البحرين الشقيقة ، ومع تمنياتنا للبحرين حكومة وشعبا التقدم والازدهار ، نرجو أن تنشروا لنا نبذة يسيرة عنها .

آدم عبد الحق — نيجيريا

الجواب :

تتألف من مجموعة من الجزر فى الخليج العربى ، بين قطر والاحساء ، (مساحتها ٥١٨ كيلومتر مربع ، وأكبرها جزيرة البحرين ، وطولها ٤٨ كم ، وعرضها ١٦ كم . بها عيون ماء عذبة . ويتصل بالجزيرة جزيرة المحرق ، وفيها مطار كبير . ومن الجزر الأخرى : النبى صالح ، وصرة ، وأم نسعان . وعاصمة الدولة : المنامة ، وسكانها أكثرهم عرب ، ومنهم جاليات ايرانية وهندية واوروبية ، واشتهرت البحرين قديما بصيد اللؤلؤ ، وتنتج اليوم كميات ضخمة من النفط الذى بدأ انتاجه (١٩٣٢ م) . ويتولى امارة دولة البحرين حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى آل خليفة .

دولة قطر

السؤال :

نبعث بأصدق تهانينا لدولة قطر الحديثة بمناسبة اعلان استقلالها وانضمامها لجامعة الدول العربية وهيئة الأمم ، ونطلب بعض المعلومات عن هذه الدولة الشقيقة .

عز الدين هانو — تايلاند

الجواب :

دولة قطر : مساحتها ٢٢٠١٤ كم مربع ، تحتل شبه جزيرة ناتئة فى الخليج العربى ، عاصمتها : الدوحة ، وتتناثر فيها واحات قليلة ، ومعظم سكانها من العرب يتبعون مذهب ابن حنبل ومالك ، وتقع الدوحة فى منتصف المسافة بين خور العدن ورأس لفان . وكانت تعرف باسم البدع ، وهى حديثة العهد ، أسسها محمد بن سعيد آل أبى كوارة ، شيخ قبيلة أبى كوارة ١٨٤٦ ، ثم غادرها ونزل بها من بعده الشيخ محمد بن ثانى . وتتصل الدوحة اتصالا منتظما بالبحرين ، وبالشارقة وأبو ظبى ، وبها مطار . وتنمو أشجار النخيل فى بعض واحاتها ، ويشتغل بعض الأهالى بصيد السمك واللؤلؤ . وبدأ استغلال آبار الزيت فى منطقة الدخان فى أواخر ١٩٤٩ ، وأهم موارد الدولة عوائد الزيت . شيد فى الاعوام الاخيرة عدد من المدارس والمستشفيات ، ومحطة للكهرباء ، وأخرى للمياه . وتنتشر فى القرى المدارس والمكاتب لتحفيظ القرآن . ويتولى امارة دولة قطر حضرة صاحب السمو الشيخ أحمد على آل ثانى .

قالت صحف العالم

الالتزام بالاسلام يوفر الاستقرار

كتبت مجلة (المجتمع) الكويتية فى احدى افتتاحياتها حديثا عن أوضاع العرب وادعاءات الصحافة الغربية قالت :

ان مقوماتهم الحضارية — تعنى العرب — تلزمهم بالنضج العقلى والعاطفى ، وتلزمهم بالمسئولية وهم يناقشون قضاياهم ويعالجونها . والتاريخ يؤكد هذا ...

يؤكد أن العرب — قبل الاسلام — أكلتهم الحروب — على أى مستوى كانت — ومزقتهم الخلافات العصبية والقبلية فلما جاء الاسلام بدل خوفهم أمنا .. واضطرابهم استقرارا ، وفتنهم وداعة وسلاما .

والخط البيانى فى تاريخهم الاسلامى يثبت أنه بقدر التزام العرب بالاسلام تكون نسبة استقرارهم صعودا وهبوطا ..

والالتزام بالاسلام الذى يوفر الاستقرار .. والتفلت منه الذى يسبب الفتن والاضطرابات هذا وذاك تفسير واقعى لقول الله سبحانه فى قرآنه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) .

ان تفلت العرب من الاسلام حملهم تبعات خطأ خطير مزدوج ، فالتفلت من الاسلام جعلهم يستوردون عقائدهم وأفكارهم وحلولهم للمشكلات والقضايا من الخارج ، ودون وعى ولا حاجة ..

واستطردت المجتمع قائلة :

والتفلت من الاسلام جعل العرب يتحملون تبعة التهمة الموجهة الى دينهم . وانه هو السبب فى تخلفهم ، أى أن تفلتهم من الاسلام أضر بهم كشعب يحيا فى هذه الارض .

وأضر باسلامهم كدين .. أى أنهم شوهوا جمال أنفسهم ببعدهم عن الاسلام ، وشوهوا الاسلام اذ قدموه للآخرين فى صورة فتن وقلاقل واضطرابات .

ولا سبيل الى حياة آمنة مطمئنة ، ولا سبيل الى تقديم صورة مشرقة عن الاسلام ، الا بالالتزام بهذا الدين ، فمن يقدم على هذه الخطوة يا رجال ..؟

فى التربية الخلقية

وكتبت مجلة (صوت الجامعة) الهندية فى افتتاحيتها لها قول تحت عنوان « فى التربية الخلقية » :

ونظرا الى أهمية الاخلاق فى حياة الفرد والمجتمع ، ونظرا الى أن اصلاح المجتمعات وفسادها منوطان بأخلاق أفرادها ، فقد دعا الاسلام الى التربية الخلقية ، وتهذيب الارادة ، واختيار الفضيلة ، والغرض من التربية الخلقية هو ايجاد حياة طاهرة مقدسة ، ملؤها الاخلاص والطهارة ، وتكوين

رجال كريمى الاخلاق ، أقوياء العزيمة ، مهذبين فى أقوالهم وأفعالهم ، نبلاء فى تصرفاتهم وخلقهم ، ولقد أجمع علماء التربية وفلاسفتها على أن الغرض الخلقى الذى يجب أن يرمى اليه المربى هو الغرض الحقيقى من التربية التى يصح أن يطلق عليها ذلك الاسم .

والخطوة الاولى : والمهمة فى مجال التربية هى تربية الفرد ، ولقد أعار القرآن هذه الناحية عناية عظيمة ، حيث احتوى فصولا وآيات كثيرة جدا فى الحدود التى ينبغى للمسلم أن يسير فى نطاقها ، والاخلاق والصفات التى يجب أن يتحلى بها ، والمواقف التى ينبغى أن يقفها فى مختلف أدوار حياته ، وقد توخى فى كل ذلك أن يكون المسلم — كفرد — على أفضل ما يجب أخلاقا واستعدادا للقيام بواجبه نحو نفسه ، ونحو غيره ، ونحو مجتمعه ، ليضمن لنفسه ولغيره ولمجتمعه معا القوة والسعادة والطمأنينة والاحترام .

والحكمة السامية فى هذه العناية واضحة ، فالأفراد هم الخلايا التى يتألف منها المجتمع ، وليس من المعقول أن يكون المجتمع قويا نشيطا صالحا سعيدا اذا لم يكن أفراده أو غالبهم متصفين بالصفات والاخلاق التى تساعد على ذلك ، وكلما كانوا متخلقين بكريم الاخلاق مجانبين الرذائل والفواحش والمنكرات ، مقدرين ما لحسن الاخلاق وسوئها من أثر فى كيانهم الخاص والعام ، غير متجاوزين الحدود التى رسمها الله لهم — ساد الوئام والسلام والحق والعدل ، وكان المجتمع صالحا قويا سعيدا متمكنا .

وما يحدث كل يوم فى بلاد الغرب ، وما أخذ يحدث فى الشرق الاسلامى من مآسى وفواجع وشرور وآثام وانفعالات تؤدى الى محرج المواقف وازهاق الارواح ، وهتك الاعراض ، وانهدام كيان الأسرة من جراء الغلو ، والافراط فى التبرج والتبذل ، والاختلاط الواسع المنكر ، يمكن أن يكون شاهدا صادقا على الحكمة السامية الخالدة التى تضمنتها الآداب والتلقينات والمبادىء القرآنية ، التى تمنح كل ذى حق حقه ، وترسم لكل أمر نطاقا يدور فيه من غير افراط وتفريط ، ولا تترك العناصر الشريرة تدوس الآداب والمثل بالرجل ، وتنشر الاباحية والفوضى باسم الحرية .

لقد بلغت الانسانية فى هذا العصر حدا من التقدم والرقى فى الحضارة والمدنية ، ولكنها لم تقابل هذا التقدم المادى بتقدم روحى يريها حقائق الوجود ، ويفتح أمامها أسرار الحياة .

وهذا التقدم المادى قد سيطر على الانسان ، وهذه المادية قد اكتنفت حياته منذ بداية القرن التاسع عشر ، والواقع أنها هى المسئولة أساسا عن تهيئة البيئة لعوامل الانحراف النفسى والسلوكى ، وبدعم من التقدم العلمى والفنى تزحف هذه الحضارة المادية على كل البقاع ، وتنشر رسالتها عن قصد أو غير قصد ، وهى تهدف الى تحطيم المعانى والمثاليات ، والى تجريد الاشياء من كل قيمة عدا قيمتها التى تقدر بالمال ، فالانسان فى هذه الحضارة يقدر بالمال ، والحياة تقدر بالكسب المادى ، دون أن يدخل فى الحساب عمل من أعمال الخير أو لحظة من لحظات الحب والتضحية ، فكيف يمكن أن يهتم مجتمع هذا شأنه بالدين وبالاخلاق ، وكيف يمكن أن يرتفع فيه مستوى الانسان الروحى فيعمل لنشر الفضائل بين الناس ، ويسعى للقضاء على مظاهر الفجور والاستهتار ؟

ومن الآثار الوخيمة لهذا التفكير المادى أنه عطل فى الناس شعور الرحمة والبر والتسامح ، والوئام والاخوة الانسانية وكاد يميت فى الانسان — أو أماته فعلا — الضمير الذى يمكن أن يمد صاحبه بنوازع الخير والبر والحق والانصاف .

ثم ان المادية لعبت دورها فى شئون الجنس ، فأصبح الجنس يعنى الاغراء ، وفقدت الشهوة معنى الحب الذى ملأ قلوب الناس ، واتجه بهم الى السماء والرسل ، وعلمهم كيف يعيشون حياة طاهرة مطمئنة .

بأقلام القراء

من اشراقات الصيــام

ومن كلمة لسماحة الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بلفقيه العلوى — يقول فيها :

لقد جاء شهر رمضان أو كاد أنه على الباب فأهلا به ومرحبا بمقدمه انــه شهر الصيام والقيام وشهر العبادة والسعادة فياله من شهر ملأ قلوب المؤمنين ايمانا وتقوى وعبودية للحى القيوم . فالمؤمن حقا لا يخالجه أدنى ريب فيما وراء الاوامر والنواهى مما أمره الله ونهى عنه من حكم بالغة وأهداف سامية تعود على الجميع فردا ومجتمعا منافعها وفوائدها فى جميع مرافق الحياة الانسانية وهكذا كان لفرض صيام رمضان من حكم وأهداف ما نعرف ومــالا نعرف ومــا سينكشف لنا بعد تقدم علومنا ومعارفنا .

هكذا يقول المؤمنون وأما غير المؤمنين الذين لا صلة لقلوبهم بالايمان بالله وما لله من قدرة وارادة فلا يتراءى لهم من الصوم الا الجوع والعطش والاجهــاد بما لا ينفع ولا يفيد . فما أبعدهم فى الضلال المردى والخطأ المهلك ولقد قال الله سبحانه وتعالى مخاطبا المؤمنين فى القرآن الكريم .

((يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (البقرة — ١٨٣) .

فظاهر من هذه الآية أنه تعالى خاطب المؤمنين وأخبرهم بأنه فرض عليهم الصيام كما فرض على الامم قبلهم من المؤمنين طبعا ، لماذا ؟ لعلهم يتقون ويزداد ايمانهم وعبوديتهم للواحد القهار . وأما غير المؤمنين فقد أهدرهم الله وتركهــم وما خاطبهم لأنهم لم يؤمنوا به فكيف بأوامره ونواهيه .

وأما ما كان للصيام من حكم فأول ما يتبادر الي الذهن بعد كشف ما تحته من أسرار هو أن الصوم أداة تربوية جثمانية وروحانية فتربى الانسان على الصبر فى تحمل ما يلاقيه فى هذه الحياة من المشاق والمتاعب والمشاكل كصبره فى تحمل آلام الجوع والعطش وجه نهاره فلا ينى ولا يقنط ولا ييأس اذا دهمته داهية أو اعترضته مصيبة بل يصبر ويثابر على العمل بواجباته ويتوكل على الله حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

ومن حسنات الصوم فى المجال التربوى جثمانية كانــت أو روحانيــة أن صيام المؤمن ينمى فى قلبه الشعور والحساسية بما يلاقيه المعوزون والمقلــون فى المجتمع من الجوع والعطش والعرى فيلين قلبه ويعطف على أخيه المعــوز

الفقير فينبعث منه الايثار والرحمة ويسارع لتلافى هذه الظاهرة السلبية فى المجتمع .

ولهذا كان مما ينبغى على المؤمن عند ما يبدأ الصوم أن يحسن نيته ويخلصها الاخلاص كله لوجه الله ويزكى نفسه من جميع الادران والخصال غير المحمودة ليأتى صومه بثمراته المطلوبة وحكمه المرجوة حتى لا يكون هدرا وعبثا ليس وراءه الا العطش والجوع .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى وجوب اعداد النفس بالنيات الخالصة عند الصوم ((جاءكم شهر رمضان المبارك فقدموا فيه النية ووسعوا عليه النفقة)) رواه الديلمى عن ابن مسعود قال المزى فى التنبيه اسناده صحيح .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش)) . رواه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة . قال ابن أبى حاتم فى الاقتراح اسناده صحيح .

توحيد الصيام والأعياد الاسلامية

من كلمة للأستاذ : محمد بلى الفوتى المشرف على الشئون الاسلامية فى توجو — غرب افريقيا — يقول فيها :

ان خير ما أرشدنا به النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الصيام واثبات شهر رمضان قوله : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين .

فقد ربط النبى صلى الله عليه وسلم ثبوت الشهر بهذه العلامة الحسية وعلق وجوب الصوم على تحقيق الرؤية البصرية ، أى رؤية الهلال بعد غروب الشمس فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان .

أما اذا كانت رؤية الهلال فى ذلك اليوم مستحيلة طبيعية بأن كان القمر لم يتم بعد دورة كاملة يتحقق بعدها الاجتماع ثم الانفصال الذى يسمى (الميلاد) أو كان هناك عارض من العوارض الجوية التى تحول دون رؤية الهلال ، فقد أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم الى ما يتبع فى ذلك ، فأمر باكمال شعبان ثلاثين يوما . وحينئذ لا يكون المسلمون فى حاجة الى تفقد الهلال فى اليوم التالى ، لأثبات شهر رمضان ، غير أن هناك أمرا مهما يجب الالتفات اليه ، والفصل فيه ، بحكم ، يقطع الاختلافات التى تقع كثيرا بين أهل الاقطار الاسلامية فى اليوم الذى يبدأ فيه الصيام . ذلك أن بعض هذه الاقطار قد يتيسر لأهلها رؤية الهلال فى حين أنه تتعذر رؤيته على أهل قطر آخر .

فهل — والحالة هذه — يجوز أن يعتمد أهل هذا القطر الثانى على ما يبلغهم من تحقيق الرؤية ببعض الاقطار الأخرى فيصوموا معهم من أول أيام صومهم فيتوحد بذلك مظهر المسلمين فى أداء فريضة هذا الركن الرابع من أركان الاسلام الخمس ؟

حقا أن موقع البلاد على الكرة الأرضية مختلف شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ، واختلاف هذه المواقع يوجب بالضرورة اختلافا وتفاوتا فى المواقيت فقط ، ولذلك لا يمكن توحيد مواقيت الصلوات اليومية ، ولا أوقات الامساك والافطار فى رمضان فى جميع الأقطار الاسلامية ، ما دامت الاوضاع قاضية بتفاوت تلك المواقيت ، ولكن اختلاف مواقع البلدان ليس له مثل هذا الأثر البالغ فيما يرجع الى اثبات الأهلة ، فانه ليس بين الاقطار الاسلامية الشرقية والغربية تفاوت بمقدار يوم كامل كما تقدم . واذن فيجوز أن يتفق أهل هذه الاقطار على توحيد أول أيام الصيام ، وذلك بالاعتماد على رؤية الهلال وثبوتها ثبوتا جازما فى أى قطر من الاقطار الاسلامية .

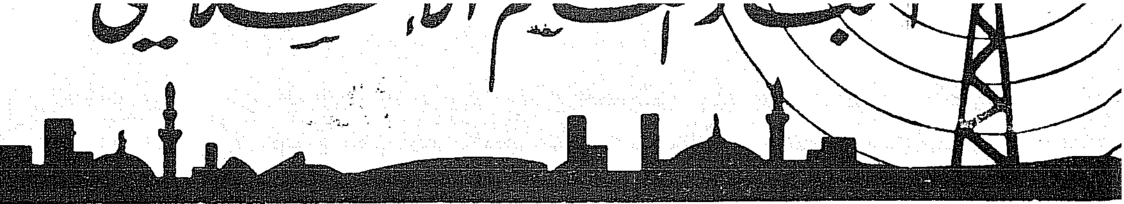
ومن هنا اختار بعض أئمة الفقه في المذاهب الأربعة عدم اعتبار اختلاف المطالع فى اثبات أول رمضان وهو ملحظ قوى ، ووجهة نظر سديدة ، ويزيد ذلك قوة وسدادا أن توحيد بدء الصيام والاعياد الاسلامية من أقوى العوامل على توثيق الروابط بين الأمم الاسلامية فى جميع أقطار الارض وجمعهم على كلمة واحدة والمسلمون اليوم أحوج ما يكونون الى عوامل التآلف ، وتوحيد الكلمة .

فقوله عليه الصلاة والسلام : (صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته) خطاب عام للأمة الاسلامية جميعا فى ايجاب الصوم على جميع المكلفين المسلمين متى تحققت رؤية الهلال .

فان الحديث لم يذكر فاعل المصدر الذى هو (رؤية) بل أتى بهذا المصدر على طريقة الفعل المبنى للمجهول ، فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : صوموا اذا رئى الهلال ، لا فرق بين قطر وقطر فيما يرجع الى ثبوت الهلال ، كما أنه لا فرق بين بلد وآخر من قطر واحد .

وأما قوله تعالى : ((فمن شهد منكم الشهر فليصمه)) فمعناه من حضر منكم شهر رمضان وأدرك زمنه ، وكان أهلا للتكليف بالصوم فليصمه ، فان الشهود فى الآية الكريمة ليس معناه الرؤية باتفاق المفسرين ، فالأعمى والبصير سواء فى ايجاب الصوم . هذا البيان لا يقتصر أمره على هلال شهر رمضان فحسب ، بل الحكم كذلك فى ثبوت جميع الاهلة وخصوصا هلال ذى الحجة اذ أن يوم (عرفة) وهو اليوم التاسع منه ظرف محدود لأداء ركن الحج ، وهو الوقوف بعرفة ، وهو لا يدور الا مرة واحدة فى السنة . وأكثر الحجاج لا يحجون الا مرة فى العمر ، فلعلهم أن أخطأهم الوقوف في يومه الحقيقى يخشون أن لا يكونوا قد أدوا الفريضة عن أنفسهم . فيجب اذا على الدول الاسلامية كلها أن تبذل عنايتها وجهدها فى التماس الهلال ، وتحرى رؤيته ، بعد غروب اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، مع الاتفاق فيما بينها على أن تعلم بعضها بعضا بنتيجة ذلك التحرى ، وعلى وجوب الاعتماد على ثبوت رؤية أية دولة من تلك الدول الاسلامية لهلال رمضان أو غيره . ولا شك أنه لا يمكن أن تفوتها جميعا رؤية الهلال ، وبهذا يتم توحيد بدء الصيام والأعياد الاسلامية بين المسلمين فى العالم أجمع على نص الحديث الصحيح : (صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته) .

وفى الختام نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا جميعا الى ما فيه خيرنا واصلاحنا فى ديننا ودنيانا وان يقوى شوكة المسلمين ، ويدفع عنا شر الباغين انه ولى المؤمنين .



اعداد الأستاذ عبد المعطى بيومى

الـــــكويت : قام الرئيس انور السادات رئيس جمهورية مصر العربية بزيارة الى البلاد استغرقت يوما واحدا من الشهر الماضى حيث اجرى وسمو الامير المعظم مباحثات هامة حول الوضع العربى والدولى .

● قامت الكويت بعرض ورقة عمـــل على مجلس الجامعة العربية لتدعيـــم الصـــف العربى فى وجه التحديات الصهيونية على المستوى الدولى ..

● طلبت حكومة الجمهورية العربية اليمنية مزيدا من المنح الدراسية فى نطـــاق التعليم الجامعى والثانوى وترغب اليمن بالاستفادة من مناهج التعليم ونظمه المتبعة فى الكويت ..

● أصدرت وزارة التربية بيانا أوضحت فيه ملامح الحركة التربوية فى الكويت كما أوضحت أن عدد الطلاب للعام الدراسى الجديد سيبلغ حوالى (٦٥) ألف طالب بزيادة (٢٠) ألف عن العـــــام المـــــاضى ..

● رفعت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مذكرة الى مجلس الوزراء بشـــأن مساعدة بعض الهيئات والجمعيات الاسلامية ..

● بدأت الدراسة فى الشهر الماضى بدار القـــرآن الكـــريم التى أقامتها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية وقد بلغ عدد المتقدمين (٦٢٠) طالبا ..

● استضافت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية عددا من العلماء لموسمها الثقافى فى شـــهر رمضان المبارك .

● اتخذت لجنة المعونات الاسلامية بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية عدة قرارات لمعونة بعض المحتـــاجين ..

● تبرعت الكـــويت بمبلغ الفى جنيه استرلينى تشجيعا للمهرجان الاسلامى الذى سيقام فى شهر ديسمبر القادم ..

القـــاهرة : عقد فى الشهر الماضى بالقاهرة أول اجتماع لمجلس رئاسة اتحـــاد الجمهوريات العربية من رؤساء مصر وسوريا وليبيا .

● ستقام فى الصيف القادم على مستوى عال احتفالات مصر بالعيد الالفى للازهر وقد بـــدأ الاعداد لهذه الاحتفالات .

● ستقدم مصر عددا من المنح الدراسية لطلاب من عدة دول من آسيا وأفريقيا ..

● بعثت مصر عددا من القراء الى الدول الاسلامية لاحياء ليالى رمضان المعظم بقراءة القرآن الكريم .

السعودية : افتتحت فى الشهر الماضى الدورة الثالثة عشرة للمجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، وقد ناقشت الرابطة موضوعات اسلامية هامة واقتراحـــات من كبار الشخصيـــــات الاسلامية .

● قام الرئيس مختار ولد داده رئيس الجمهورية الاسلامية الموريتانية بزيارة الى المملكة حيث أجرى مع جلالة الملك فيصل مباحثات استهدفت تدعيم العلاقة بين البلدين المسلمين ..

● تقرر اقامة معرض دولى اسلامى فى جدة خلال موسم الحج القادم ..

● خصصت الحكومة السعودية مبلغ (٢٠) مليون ريال لمساعدة الهيئات الاســـلامية وستقدم الحكومة مبلغ (٥٠) ألف ريال لمجمع الهيئات الاسلامية فى ترينداد ..

الأردن : ندد مجلس الامن باجراءات اسرائيل لتهويد القدس وطالب بوقف هذه الاجراءات ..

● بدا العمل فى اعادة بناء قرية الكرامة التى هزمت فيها القوات الاسرائيلية فى معركة كبيرة فى مارس ١٩٦٨ أمام الجيش الاردنى والفدائيين متعاونين ..

العـــــراق : تبرع العراق لوكالة غـــوث اللاجئين الفلسطينيين بمبلغ مائة الف دولار كما تبرع بـــ ٢٥ ألف دولار لمشروع تعليم أبناء اللاجئين الذى تنظمه الوكالة مع منظمة اليونسكو ..

ســــوريا : غيرت اسرائيل اسم مدينة الحمة الى (حمة غابر) زاعمة أنها من المواقع العبرية القديمة كما أغلقت مسجد المدينة ..

لبنـــــــــان : عقدت فى بيروت فى الشهر الماضى ندوة للخبراء العرب لتوحيد أســـــماء المواقـــع الجغرافية العربية وكتابتها باللاتينية كما بحثت تغيير اسرائيل للاسماء العربية والمواقـــــع الجغرافية بأسماء اسرائيلية ..

اتحاد امارات الخليج : من المنتظر أن يعلن اتحاد امارات الخليج العربى استقلاله قريبا ..

الســـــودان : وعد الرئيس جعفر نميرى بدستور دائم للسودان وبالانضمام الى اتحاد الجمهوريات العربية فى العام القادم ..

ليبيـــــا : أوقفت السلطات الليبية بعض الامريكيين والبلجيكيين ولبنانيا بتهمة توزيع منشورات دينيـــــة خفيـــــة ..

تـــــونس : كلفت الجامعة العربية السيد محمد المصمودى وزير الخارجية التونسى أن يزور ليبيا والمغرب لتحسين العلاقات بين البلدين ..

● بعث الرئيس بورقيبة رسالة الى البابا بوليس السادس تتعلق باجراءات اسرائيـــل لتهويد القدس باعتبار أن ذلك عمل يقلق المسلمين والمسيحيين على السواء ..

الجـــزائر : دعـــا الرئيس الجزائرى هوارى بومدين الى تقديم المسانــــــدة الى الفدائيين الفلسطينيين ، وقال : « ان حماية الثورة الفلسطينية واجب رئيسى لانها أفضل ضمان لتحقيق أمــــانى أمتنـــــا » ..

● نصت قوانين التعريب فى الجزائر على تعريب كل مواد التعليم والغاء تعليم الفرنسية للطلاب الجدد وادخال الرياضيات ضمن دراسة العلوم الانسانية ..

المغـــــرب : وقعت لجنة مغربية زارت تونس مؤخرا برنامجا للتعاون الثقافى وتبـــــادل المنح الدراسية وبعثات الشباب بين البلدين ..

ايـــــران : احتفلت ايران بذكرى (٢٥٠٠) سنة لقيام امبراطورية فارس ..

● بحث جلالة الشـــــاه مع الرئيس يحيى خان — الذى زار ايران فى الشهر الماضى — تدعيم العلاقات بين البلدين كما بحثـــا المشكلات الاقليمية واطلع جلالة الشـــــاه على الوضع فى باكســـــتان ..

باكســــــتان : أعلن الرئيس الباكستانى يحيى خان أنه يتم الآن اعداد دســــــتور جـــديد لباكســــــــتان ..

● أتمت الاكاديمية الاسلامية فى دكـــــا مشروع ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة البنغالية التى يتكلم بهـــا أكثر من ٦٥ مليون نسمة وقـــد بدأ هذا المشروع سنة ١٩٦٦ ..

أفغانســـــتان : تأجل مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الى شهر مارس القادم وقـــد صرح تنكو عبد الرحمن سكرتير المؤتمر الاسلامى أن المؤتمر سيناقش قضية فلسطين والقضايا المشتركة للعالم الاسلامى والاماكن المقدسة ..

الفلبــــــين : استمرت الاضطرابات فى اقليم (كوتاباتو) وقـــد راح ضـــحيتها عـــــدد من المســــــــلمين ..

واشـــــنطن : أسس أمريكى مسلم هو السيد محمد طاهر هيئة للدعوة الاسلامية فى واشنطن هدفها تعريف الاسلام للشعب الامريكى ومعالجة المشكلات الامريكية على ضوء الدين الحنيف ..

« الى راغبى الاشــــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : **مكتبة مكة** ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

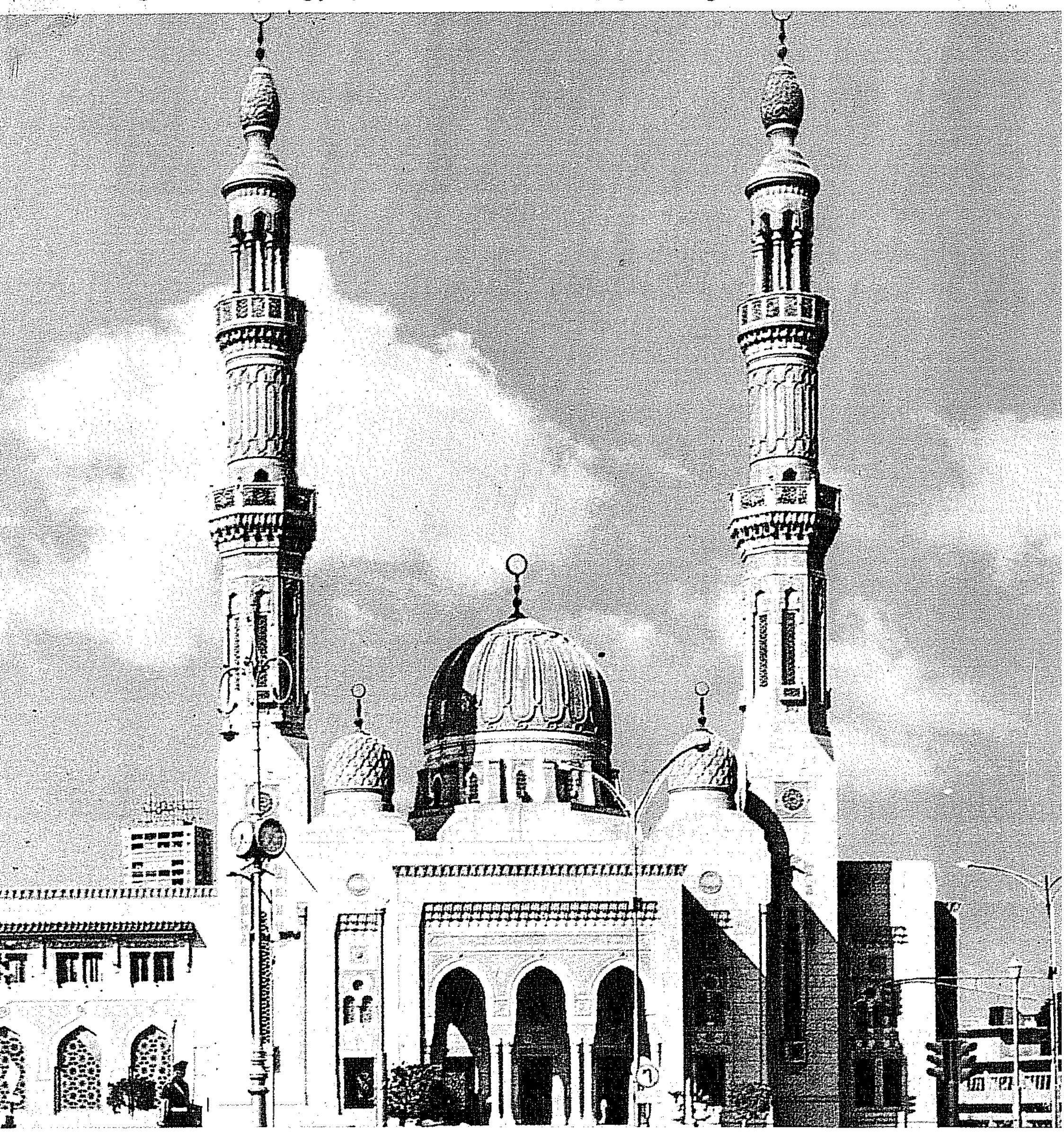
اقرأ في هذا العدد

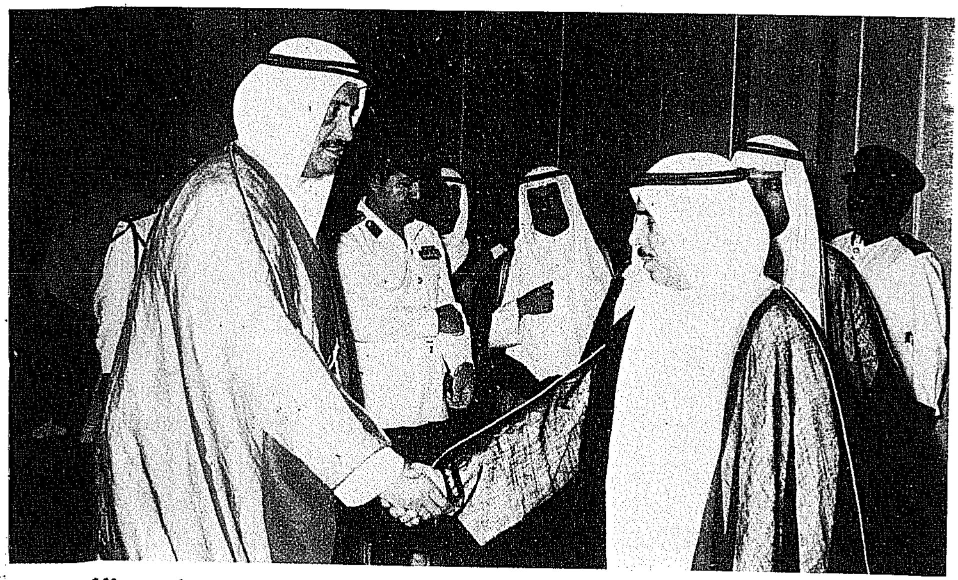
مطابع مؤسسة عبد الرزوق الصحفية - الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

سنة السابعة ـ العدد ٨٢ ـ غرة شـوال ١٣٩١ هـ ـ ١٩ نـوفمبر « تشرين الثانى » ١٩٧١ م



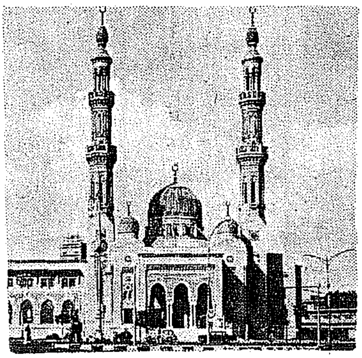


استقبل سمو الامير المعظم بقصر السيف العامر عددا من الشيوخ والوزراء ورجال السلك الدبلوماسى واعيان البلاد ورجالاتها وجماهير غفيرة من الشعب الكريم وذلك لتقديم التهانى الى سموه بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك . ويبدو فى الصورة سمو الامير يصافح رئيس الحرس الوطنى الشيخ سالم العلى السالم .



احد المواطنين يقدم التهانى الى حضرة صاحب السمو الامير المعظم بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك .

مسجد صلاح الدين بالقاهـرة



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السـنة السـابعة

العـدد الثاني والثمانون

غرة شوال ١٣٩١ هـ

١٩ نوفمبر « نشرين الثانى » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكـويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العـراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجـزائر	دينـار وربع	
المغـرب	درهم وربـع	
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشـتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركـون رأسـا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنـوان المراسلات

مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص.ب : ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

سمو الأمير المعظم يفتتح الدورة الجديدة لمجلس الأمة

كان يوم الثلاثاء السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩١ هـ الموافق ٢٦ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٧١ م يوما مشهودا من ايام الكويت الخالدة ، ففي صباح هذا اليوم الأغر تفضل حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم بافتتاح الدور الثاني للفصل التشريعي الثالث لمجلس الامة وسط احتفالات رسمية وشعبية ، وقد استهلت جلسة الافتتاح بتفضل سموه — حفظه الله — بالقاء توجيهه الى السادة النواب ، ثم القى سعادة رئيس المجلس كلمة رحب فيها بحضرة صاحب السمو الامير المفدى ثم القى حضرة صاحب السمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الخطاب الاميرى الذي جاء معبرا عن سياسة الدولة على الصعيدين الخارجي والداخلي ، وفيما يلي التوجيه الكريم :

بعونه تعالى وتوفيقه نفتتح في شهر رمضان المبارك دور الانعقاد العادي الثاني من الفصل التشريعي الثالث لهذا المجلس .

أبنائي أعضاء مجلس الأمة :

انكم تبدأون هذه الدورة في فترة حاسمة بالنسبة لأمتنا العربية وقضاياها المصيرية .. وعلينا أن نكون يقظين ومستعدين لمواجهة أي طاريء .. وان هذه الأمة التي صمدت في وجه العديد من التحديات والشدائد عبر تاريخها الطويل لن تعجز عن التغلب على محنتها الحالية ، باستعادة حقوقها وتحرير الأجزاء المحتلة من أراضيها ، متى عقدت النية على ذلك .. وانها لفاعلة باذنه تعالى .



سمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح يلقي كلمة الافتتاح .

ولن تثنينا هذه القضية المصيرية عن مواصلة جهودنا فى الداخل لتطوير بلدنا طبقا لمتطلبات العصر فى كافة المجالات ·· وانى واثق من أنكم فى مناقشاتكم لمشروعات القوانين المختلفة التى ستحال اليكم فى هذه الدورة ، وفى ممارستكم لصلاحياتكم النيابية الأخرى لن تهتدوا الا بهدى الصالح العام وحده ، صالح هذا البلد وصالح أمتنا العربية والاسلامية الخالدة · والله يوفقكم ، ويكلأنا برعايته ·· والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ··

حديث الشهر

مجتمع الايمان

أمنية كل انسان أن يعيش في مجتمع تسوده الحرية والعدالة والمساواة وترفرف عليه ألوية الأمن والسلام . وتقوم فيه المحبة والاخوة بين الناس مقام القانون .

وهذه الأمنية طالما راودت خيال الفلاسفة والحكماء من قديم الزمان ، فكدوا عقولهم وأجهدوا أنفسهم في التخطيط والتنظيم لهذا المجتمع الخير الفاضل ، ولكنهم وقفوا عند حدود الألفاظ والكلمات ، ولم يجاوزوها الى التنفيذ والتطبيق .

وجاء من بعدهم أقطاب السياسة والقانون والاجتماع في مختلف العصور ، فقننوا وشرعوا وأعلنوا المواثيق ، ووقعوا المعاهدات وانشأوا المنظمات ، وعقدوا المؤتمرات ، وحشدوا كل الطاقات لضمان حقوق الانسان واحلال التعاون والتراحم محل التقاطع والتخاصم فماذا كان حصاد تفكيرهم ونتاج جهودهم .

كان ما ترى وما نعيش فيه . عالم يسوده الخوف والقلق ، ومجاعات تهدد أكثر من نصف سكان العالم ، وبيض يقتلون السود ، ومجازر بشرية هنا وهناك ، وحروب دامية لا غاية من ورائها الا حراسة مطامع الأقوياء ، واستبقاء سيطرتهم على ثروات الضعفاء . واقرب مثل الينا شعب فلسطين ، واغتصاب أرضه ، وتشريد أهله ، وما حل به من مظالم ونكبات يسود لها وجه التاريخ . فأين المواثيق والعهود . أين الحرية . أين العدالة . أين الأمن والأمان . أين التعاون والتراحم . لا وجود لشيء من هذا الا في الفاظ معسولة وسطور مكتوبة وقرارات معطلة . النتيجة المنطقية لهذا الواقع الرهيب أن تخطيط البشر وقوانين البشر ومناهج البشر فشلت في ايجاد مجتمع فاضل وتربية جيل صالح يتعايش أفراده في ظلال الرحمة والحب والاخاء .

بعد هذا نتساءل أين يوجد هذا المجتمع وعلى أي أساس يقوم ، وهل وجد فعلا ؟ . لقد أقام محمد صلى الله عليه وسلم هذا المجتمع الفاضل وربى أصحابه على المنهج السماوي فكان المجتمع الذي زكاه رب العالمين ، وكان الجيل الذي شهد له أحكم الحاكمين ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .

كان مجتمع الحج الذي لا رفث فيه ولا فسوق ولا جدال .. والمسلمون يغفلون عن النظر والتفكير في مجتمع الحج كل عام ، وهو مجتمع كبير وفريد يبلغ عدد أفراده قرابة المليون نسمة ، فيه من كل الشعوب والأجناس . من كل البيئات والأقاليم . من كل اللغات والألوان والطبقات فيه من

الأصقاع الباردة والمناطق الحارة والاقاليم المعتدلة . فيه من البيئات الصحراوية والزراعية والصناعية . فيه من الجبال والسهول والوديان . فيه الابيض والاصفر . فيه الغنى والفقير والقوى والضعيف . فيه الرجل والمرأة ، ولكل بيئة أثرها فى الطبع والاخلاق . فيه الهادىء الطبع والحاد الطبع ، فيه الحليم والغضوب . فيه أنماط من الناس مختلفون ، ومع هذه الفروق فان هذا المجتمع تسوده الحرية والعدالة والمساواة وترفرف عليه ألوية الامن والسلام ، ويقوم على التراحم والتعاطف والتعاون ، فأين ذهبت هذه الفروق . ذابت كلها أمام عقيدة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله هذا هو الاساس الذى قام عليه هذا المجتمع ، وهذا هو الرباط الذى يربط بين أفراده . فلا اقليمية ولا جنسية ولا عصبية ولا طائفية ولا مذهبية . آخت كلمة التوحيد بينهم حتى كأنهم أعضاء أسرة واحدة ، بل أعضاء جسم واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء ، فالتعاطف بينهم يبلغ أشده . حتى لترى الدموع تنهمر عند اللقاء لانه لقاء الاخوة فى الايمان « انما المؤمنون أخوة » .

طابع هذا المجتمع الصدق . الصدق فى كل شىء . الصدق فى القول والعمل فى الجهر والنجوى فى السر والعلانية فى البيع والشراء ، فلا نفاق . ولا رياء ولا تظاهر ولا غش ولا خداع لا يكذب فيه الانسان على ربه ولا على نفسه ولا على الناس .

طابع هذا المجتمع المسلم الامانة والامانة التى تصل الى ذروتها مما ليس له مثيل فى جميع مجتمعات العالم . يترك الحاج ماله أو متاعه فى الطريق أو فى مكان عام أو خاص فلا تمتد اليه يد غير يد صاحبه ، بل ولا تحدثه نفسه بالاستيلاء على ما ليس له .

طابع هذا المجتمع العفو والصفح والتسامح واحتمال الهفوات والتجاوز عن الزلات ومقابلة السيئة بالحسنة .

وفى هذا المجتمع تسود عاطفة التراحم وحب البذل والسخاء . نجد الحاج يدور بنفسه يبحث عن المحتاجين المتعففين وينقب عن المعوزين المستورين . يفرج كربتهم ويسد خلتهم فى ستر وحياء وهو فرح بما يأخذون .

المال الذى يتحرك فى يد هذا المجتمع مال طيب وكسب حلال لا شبهة ولا ريبة فيه . النظام والتوقيت وأداء الواجب فى موعده المناسب هو القانون الذى يسير عليه هذا المجتمع هذا المجتمع لا يعرف الفحش ولا الفسوق . طابعه العفة والطهر ، تلبس فيه المرأة ثيابها السابغة السائرة ، وتؤدى مناسكها مع الرجال جنبا الى جنب ، فلا تلمح نظرة خائنة ، ولا لفتة ماجنة ولا كلمة نابية ، ولا تبرجا جاهليا .

هذا هو مجتمع الحج وهو مجتمع مثالى نموذجى قام على الدين وعاش بالدين وتحرك فى حدود تعاليمه والتزم أخلاقه وآدابه بوحى من عقيدته لا محرك يحركه الا مرضاة الله ولا حاجز يحجزه الا مراقبة الله والخوف منه .

فهل يعى ذلك المسلمون ، وهل يقتنعون بأنه لا صلاح لامرهم الا باتباع صراط الله « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى

من هدي السنة

الدكتور على عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

بدء الوحي

عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها انها قالت :

« اول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو ((التعبد)) الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ ، فقلت : ما انا بقارىء ، قال : فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم ارسلنى ، فقال : اقرأ فقلت ما أنا بقارىء ، فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم ارسلنى فقال اقرأ : فقلت ما انا بقارىء فاخذنى فغطنى الثالثة ، ثم ارسلنى ، فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم » فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال : زملونى ، زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة واخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى ، فقالت له خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله ابدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرا تنصر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم أسمع من ابن اخيك ، فقال له ورقة يا ابن اخى ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ، يا ليتنى فيها جذعا ، ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم ، لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك انصرك نصرامؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة ان توفى ، وفتر الوحى » ..

— رواه البخارى —

الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمل ، فالذين اصطفاهم الله جلت قدرته لحمل رسالاته الى البشر هم القمة العليا فى الانسانية ، لا يدرك مداهم ، ولا يبلغ شأوهم ، ولا تنال بالاكتساب درجاتهم ، فهم أساة القلوب ، وهداة النفوس ، وقادة الخير ، ودعاة الفضل ، ودعامة كل كمال ، لهم القدح المعلى فى زيادة السعادة ، منشودة الادميين وضالتهم ، تلك السعادة التى يريدها الله تبارك وتعالى لخلقه وهو اعلم بمكامنها ومدارجها ، وسيدنا رسول الله عليه افضل الصلاة وازكى السلام فى القمة من صفوة الرسل ، هو خاتمهم ، وشريعته سيدة شرائعهم ، جمعت افضل ما جاءوا به من عند ربهم ، ووقفت على آثارهم بما اراد الله ان يكون كفيلا بحاجة الناس فى معاشهم ومعادهم ، وكلما ارتفع قدر الشيء كلما غلا ثمنه وعز مطلبه ، وبعد مناله ، والسائرون فى السفح تلتوى رقابهم ليروا القمة وتعيا بهم اقدامهم فلا يصعدوا اليها ، فيحاولون النيل منها بذمها ، وينسجون القصص ويشبعون الخيال فى الحديث المسيء الى ما اشتملت عليه ، وما اكتنفته مما لم يدركوه ، ومقام النبوة مقام له سموقه وأسراره وقداسته ، حاول كثيرون ممن لم يحترموا عقولهم ، ولم يضعوا انفسهم فى مكانها اللائق ان ينالوا من ذلك العلم الاشم فوهنوا وضعفوا ووقعوا صرعى حيث هم ، وكان مما اوردوا شبها واهية حول الوحى والرسالة ، ولا اطيل الوقوف مع هؤلاء المفرضين هنا ، وانما اسوق حديثا يصف واقعا من وقائع ما كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حدث له ، يرى القارىء صورة لذلك المختار لحمل اضخم رسالة واقوى دعوة متحملا اعنت المعارضات ومقابلا قحة الحاقدين بنور يبهر وضياء لا يقهر ، وقد تمثل فى سلوكه قبل الرسالة الجلال كله ، والفضل جميعه فنعت الصادق الامين من الاقربين والابعدين ، من الاعداء والاصدقاء ، ولما ضاق بالبيئة العمياء عن الهدى ذرعا تحنث فى الغار وتعبد ، وهجر رواد الأصنام ، واعتزل مجالهم وخلا بروحه وسما بنفسه وبعد عن مدارج القوم وعاف مسالكهم ، وكان هذا إرهاصا بما سيكون له من شأن ، وما سيحمله من هدى ورحمة للعالمين ، وصقلا ربانيا لتلك النفس الأبية الطاهرة لتكون على مستوى خاص يريده رب العالمين ، وبارىء الكون ، فربطه بجلاله فى يقظته ومنامه فيقظته عليه افضل الصلاة والسلام تأمل وتدبر لهذا الكون وبحث عن اسراره ، وفى منامه يمد له خيط النور الذى سيقوى ويبدد الظلام ، ويأتى على ديجور هذه المخلوقات الهائمة على غير رشد وليأخذ بيدها الى حيث ربها وبارئها الى دار تزخر مجتمعاتها بالتراحم والسلام ، وتنفى زيف أم دفر وضلالها ، وفى هذا المقام لن أعيى القارىء بايراد شبه وتفنيدها ولكن سأمر به فى رحاب هذا الحدث الضخم المتصل بسيد الرسل والمشتمل على ما أعيا جهد أرباب الفكر ، وما لو سلكوه طريقا هاديا ، ولو اتخذوه إماما ورائدا وعضوا عليه بالنواجذ لكانوا كما اوضح محكم التنزيل خير مصادر الخير التى اخرجت للعالمين .

فى هذا الكلم الطيب الذى قصته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وعن قريناتها شرح وايضاح للطريق الذى سلكته دعوة الله الى رسول الله أن يحمل ما حمل وان يبلغ ما كلف بتبليغه ، وكيف بادهه الوحى ، وأن رؤيا الانبياء وحى والوحى إعلام من اصطفاهم الله من عباده بكل ما اراد إطلاعهم عليه بطريقة خاصة اتخذت اشكالا متعددة كلها بعيدة عن ادراك الانسان لو ترك ونفسه ، وقد كان الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتدأ فى المنام كما تحدث هنا أم

المؤمنين ، ثم تنوع كما صوره رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حين أجاب سائله كيف يأتيك الوحى فقال : « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول ، وفى النص الذى نحن بصدده هنا أن رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فوجىء على غير انتظار بمن يدعوه الى شىء لا يحسنه ولم يلم به وهو القراءة ، ويناديه من حيث لا يتوقع نداء مؤكدا عليه أن يقرأ ويقرأ فيرسم بذلك خطة المستقبل وأنه لا حياة بلا علم ولا علم بدون قراءة وتعلم وأن أول معلمى هذه الامة الامية هو أعظم خلق الله قدرة على تلك الاستاذية الفذة فى بابها العجيبة فى توجيهها ، الغريبة على الناس فى بدايتها ومنتهاها . وحين يذكر سيدنا رسول الله حقيقة واقعه لمناديه السماوى وأنه لا يدرى ما القراءة يجيبه : اقرأ باسم ربك ، فأنت لا تقرأ بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك ، ومعونته فهو يعلمك كما خلقك ، وسيعلم أمتك فتخط بالقلم بعد أن كانت أمة أمية ويعيد الرسول جوابه بنفى القراءة وأنه لا يعرفها ويتكرر عليه الامر بها وهنا يضمه مناديه بصورة لا يعلمها الا الله ولا يدرى كنهها الا موجدها ، ويغط الرسول صاحبه ، « والغط هو العصر الشديد والكبس » ، ويبلغ هذا الفعل من رسول الله الجهد ، ورجع الى سكنه وعبة سره ، والسيدة الاولى فى الاسلام خديجة بنت خويلد ورجف فؤاده يضطرب اضطرابا شديدا من هول ما رأى وما حدث له طالبا من أفضل النساء وأعزهم وأقربهم الى قلبه وأحناهم على ولد رضى الله عنها وعن بنيها وبناتها أن تزمله وتدثره وقد أصابته الحمى فارتعش البدن ، واضطرب الفؤاد ، وذهبت نفسه الشريفة شعاعا ، وجالت به التأملات كل مجال وهو لم يدر بعد أن هذه مقدمة رسالة ، ومبدأ وحى السماء ، وأول خطوة فى رحلة شاقة مضنية مع البشر العتاة الذين لا يرون الحق حقا ولا يدركون من حقائق وجودهم شيئا ، وهنا فى هذا الموقف العصيب ، وبعد دوى الحادث الرهيب وبين ذراعى السيدة المصطفاة زوجه له ، تلكم العاقلة الارينة ، والفهمة اللبيبة ، التى أدركت — سابقا — بثاقب فكرها وذكائها وقوة بصيرتها أن هذا الفتى محمد ليس كالفتيان ، ولا هو من نماذج درجت أمام عينيها دهرا طويلا ، وانما هو من له شأن آخر لكنها لا تدرى تماما ما هو ذاك الشأن فاختارته زوجا . على بعد بينهما فى الثروة والمال ، ومفارقة فى السن والحياة ، واقترنت به رغم مجافاة ما فعلت لما عليه بنات جنسها فى كل زمان ، وقبل هو واستجاب لداعيها وعدها نعمة أنعمها الله عليه وقد كانت هذه هى خديجة بنت خويلد تضرب المثل الاعلى للزوجة ذى القلب الكبير ، والادراك النادر الشبيه ، المنقطع النظير ، الزوجة التى تعرف زوجها من خلال دراستها الفاحصة لسلوكه ، والتى تقيم حركاته وسكناته وتزنها بسمو أدركته منه هى وحدها ، عالمة أنها لا تساكن قرشيا اعتادته دروب مكة وشعابها ولا فتى يمر عابرا بحياة البداوة مجتازا قفارها ثم يمضى الى حيث ينسى ، وانما لمحت بمدركة نافذة تتمطى الظواهر الى اللباب ، وتغوص فى الاعماق على الدر النادر ، واللالىء الغالية ، تلمح هذا بيسر ودون عناء فى اجابتها لسيدها حين أبدى لها القلق الذى يساوره ، والالم الذى يعتصر قلبه ، والخوف من نهاية غير مرتضاة والوصول الى نتيجة ليست هى مبتغاه من تحنثه الليالى ذوات — العدد وحيدا الا من الانس بربه ، وفريدا الا من عناية عالم السر وأخفى ، مقدمات أوردتها تلك السيدة الحبيبة الى قلوب رواد خير الدنيا وطلاب سعادة الاخرة ، وبنت عليها نتائج ما كذبت لأنها لم تحمل خسة القضايا الكاذبة وانما كانت موجهة دائما وكلية

دائما ، وتأمل أخى القارىء العزيز قولها وحسن أيرادها لما أوردت فهى تقول متعجبة من سيدها حين يخاف على نفسه ويخشى عليها السوء من احتمالات أوردها الناظرون فى هذا الحديث وأوصلوها الى اثنى عشر صنفا من بينها خشية الجنون والمرض ، أو خشية الاخفاق فيما كان يرومه ولا يستطيع أن يعبر عنه أو يقر به فهما الى نفسه فضلا من غيره ، تعجب السيدة خديجة رضى الله عنها الجديرة بحب سيد المرسلين وحفظه لذكراها حتى بعد التحاقها بالرفيق الأعلى وتسوق عليها رضوان الله تلك الكلمات الحلوة الجميلة الغنية حتى فى ألفاظها بكل ما تدل عليه وما اتخذت منه علمها : كلا يا سيدى لا والف لا يا سيدى ، أعيذك من تلك الفكر ، فأنت الذى لا يخزيك الله أبدا فلك فعال ليس فى نتائجها ما تتصوره أو ما تتوقعه فأنت أنت الذى يحمل الكل (بفتح الكاف) ويصل الرحم ، ويكسب المعدوم ، ويقرى الضيف ، ويعين على نوائب الحق ، وتلك لعمر الحق خلال ما اتصف بها انسان وأضاعه الله أو تخلت عنه عناية ربه ، وانما هى دواعى الحفظ والرعاية من رب العالمين ، وسمو القدر والمكانة بين الناس أجمعين .

وهنا نمسك القلم قليلا فنور سيدنا رسول الله يغشى الأفئدة فيضيئها ويغشى الضلالة ويبددها ، وحديث السيدة الحبيبة الى رسول الله والى قلوب المؤمنين يحتاج الى كثير من الوقوف فى رحابه ، ومزيد من الطرق لبابه ، زيادة على عظمة ما كان منها بعد ذلك مع سيد المرسلين ، ولهفتها على تطمينه واعادة السكينة الى قلبه وانى لأراها أشد حرصا على معرفة نتيجة ما حدث من أى انسان عاصرها أو جاء بعدها فذهبت رضى الله عنها مثلا عزيز المنال فى كمال العشيرة وجمال السكن وعظمة العقل الانسانى حين ينفتح وحين يؤمن بحقه فى الكرامة ، ومكانته فى الحياة الحرة العزيزة فالى لقاء قريب مع سيدة المؤمنين وسيدها رسول الله الى الناس أجمعين . والحديث موصول ان أذن رب كل شىء سبحانه .

قضية الكلمات الأعجمية

في ضوء الدراسة والبحث

لم تكن اللغة العربية قبل نزول القرآن الكريم لغة ضعيفة في مفرداتها ، وتراكيبها ، وألفاظها ومعانيها ، بل كانت لغة تحمل في طياتها عناصر الحياة ، وقوة التعبير ، وجمال الكلمة ، ورشاقة الألفاظ ، وغزارة المعاني .

أجل ، لم تكن اللغة العربية بلغت سن الشيخوخة ، يدب في أوصالها الوهن ، ويعتريها الضعف لتلفظ أنفاسها الأخيرة ، ولكنها كانت في طور الشباب ، قوية فتية ، تسحرك بألفاظها ، وتدهشك بمعانيها ، وتأخذ بمجامع قلبك ، حينما تصغي اليها في مجالات التعبير المختلفة : شعرا وخطابة ، ومحاورة ، وأمثالا .

وهذه اللغة التي بلغت القمة في التعبير عن المعاني المختلفة ، المحسوسة أو المعقولة ، في ألفاظ جزلة ، وعبارات متآخية ، وكلمات عذبة ، هذه اللغة نزل بها القرآن الكريم ، ليتحدى من يملكون ناصية هذه اللغة في مجال فصاحة الكلمة ، وبلاغة المعنى ، وجمال الأسلوب ، (فأقر جميعهم بالعجز واذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على أنفسهم بالنقص الا من تجاهل منهم وتعامى ، واستكبر وتعاشى ، فحاول تكلف ما قد علم انه عنه عاجز ، ورام ما قد تيقن انه عليه غير قادر ، فأبدى من ضعف عقله ما كان مستورا ، ومن عى لسانه ما كان مصونا ، فأتى بما لا يعجز عنه الضعيف الأخرق ، والجاهل الأحمق ، فقال : والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، فالخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، ونحو ذلك من الحماقات المشبهة دعواه الكاذبة) (١) .

واستطاعت اللغة العربية أن تستقي من هذه المعجزة الخالدة ما أعانها على التطور العجيب في صيغها وتراكيبها ومفرداتها ، وأساليبها ، فبلغت بالقرآن الكريم درجة من الرقي ليس بعدها درجة .

في القرآن الكريم

للدكتور عبد العال سالم مكرم

وقد لفتت هذه المكانة التي وصلت اليها العربية أنظار كثير من المستشرقين المتعصبين منهم وغير المتعصبين ، فهذا (آرنست رينان) يقول في كتابه : (تاريخ اللغات السامية) ما نصه : « من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية ، وتصل الى درجة الكمال وسط الصحراء عند أمة من الرحل تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ، ودقة معانيها ، وحسن نظام مبانيها ، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل من الكمال الى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر ، حتى أنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة » (٢) ، وأعجبني ما كتبه (جول فرن) في قصة خيالية أشاد فيها بلغة القرآن ، ذلك لأنه بنى قصته الخيالية (على سياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا ، أو يدنوا من وسطها ، ولما أرادوا العودة الى ظاهر الأرض بدا لهم أن يتركوا هنالك أثرا يدل على رحلتهم ، فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ، ولما سئل (جول فرن) عن وجه اختياره للغة العربية قال : انها لغة المستقبل ، ولا شك أنه يموت غيرها ، وتبقى حية حتى يرفع القرآن نفسه » (٣) .

ولما كانت لغة القرآن الكريم لغة التحدي والاعجاز على هذا المستوى الرفيع من البلاغة والفصاحة ، فانى لا استطيع أن أقبل ما يدعيه بعض العلماء والرواة من أن القرآن الكريم اشتمل على كلمات أعجمية ، ليست عربية الصنع ، وقبل أن أعرض رأيي في هذه القضية أرى أن أبسط آراء العلماء حولها ، ليكون القارىء على بينة من أمرها . ثم أختم بحثي برأيي الذي أعتقده في هذا الموضوع :

أ ـ أما الكلمات الأجنبية التي ثار حولها الجدل ، واحتدم النقاش ، فهذا بعض منها :

١ ـ ما ورد بلسان الحبشة : قال الطبري : حدثنا عنبسة عن أبي

اسحاق ، عن أبى الأحوص عن أبى موسى : (يؤتكم كفلين من رحمته) (٤) قال : الكفلان = ضعفان من الأجر بلسان الحبشة .
وعن أبى اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : « ان ناشئة الليل » (٥) قال : بلسان الحبشة : اذا قام الرجل من الليل ، قالوا : نشأ .
= وعن أبى اسحاق عن أبى ميسرة : « يا جبال أوبى معه » (٦) سبحى بلسان الحبشة .
وحدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن قوله : « فرت من قسورة » (٨) قال : هو بالعربية : الأسد ، وبالفارسية : شار ، وبالحبشية قسورة (٨) .
وقال السيوطى فى الاتقان = الأواه = الموقن بلسان الحبشة : الدرى : المضىء : بلسان الحبشة (الجبت) : اسم الشيطان بلسان الحبشة (٩) . وقال الزركشى فى البرهان فى علوم القرآن : المشكاة : الكوة بلسان الحبشة (١٠) .
٢ — ما ورد بلسان الفرس :
الأباريق : جمع ابريق : التنور — الدينار : السرادق — الاستبرق : الزنجبيل .
٣ — ما ورد باللسان الرومانى :
الرقيم : اللوح ، القسطاس : العدل ، طفقا : قصدا .
٤ — ما ورد باللسان العبرى :
كيل بعير = البعير : الحمار . الأليم = المؤلم . درست = قرأت . هدنا = تبنا . راعنا = كلمة سب .
الرحمن : ذهب المبرد وثعلب الى أنه عبرانى ، وأصله الخاء المعجمة .
٥ — ما ورد باللسان القبطى :
الملة الأخرة = الأولى : والقبط يسمون : الآخرة : الأولى ، والأولى : الآخرة . بطائنها = ظواهرها : وراءهم ملك : أمامهم . اليم = البحر .
٦ — السريانية : الطور — جبل .
٧ — اليونانية : سريا = النهر الصغير .
٨ — الزنجية : حصب جهنم : حطب جهنم : وقولوا حطة : صوابا .
٩ = النبطية : « رهوا : سهلا . سيدها : زوجها بلسان النبط ، قال أبو عمرو : لا أعرفها فى لغة العرب .
١٠ — كلمات مختلف فى نسبتها :
السجل : قيل حبشى ، وفى المحتسب لابن جنى : فارسى معرب .
السندس : قيل : رقيق الديباج بالفارسية ، وقيل الرقيق من الستر بالهندية .
١١ — كلمات أعجمية غير منسوبة . الرس : ومعناه البئر سلسبيل : عجمى (١١) .
وقد أفرد السيوطى هذه الكلمات الأعجمية بالتصنيف ، وسماها (المهذب فيما وقع فى القرآن من المعرب) . وقد نظم تاج الدين السبكى منها سبعة وعشرين لفظا فى أبيات جاء فيها :

السلسبيل ، وطه ، وكورت ، بيــع
روم ، وطوبى ، وسجيل ، وكافور
والزنجبيل ، ومشكاة سرادق مــع
استبرق ، صلوات سندس طــور
كـذا قراطيس ربانيهم ونمــارق
ثم دينار ، القسطاس مشــهور
له مقــاليد فردوس يعد كــذا
فيمــا حكى ابن دريد فيه تنــور

وقد ذيل الحافظ بن حجر على هذه الأبيات ، وذيل السيوطى عليهما بالباقى وهو بضع وستون ، فتمت أكثر من مائة لفظة (١٢) .

ب) آراء العلماء حول هذه الكلمات :

١ = رأى من يقول انها أعجمية :

يستند هؤلاء فى هذا الرأى الى ماروى سعيد بن جبير قال : قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن على رجل (أعجميا ، وعربيا) فأنزل اللــه تعالى ذكره : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى ، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » (١٣) فأنزل الله بعد هــذه الآية فى القرآن بكل لسان (١٤) .

وعن أبى ميسرة قال : فى القرآن من كل لسان » (١٥) .

ومن العلماء الذين يرون هذا الرأى الامام (الجوينى) ، ففى رأيه انه لا يستنكر وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، بل يرى أن له فائدة فى مجال البلاغة والبيان ، قد لا يشعر بها كثير من الناس ، لأنها تخفى عليهم بمــا نشتمل عليه من دقة البيان ، وسر الاعجاز . استمع اليه يقول مدافعا عن كلمة (استبرق) ما نصه : « فان قيل : ان اســتبرق ليس بعربى ، وغير العربى من الألفاظ دون العربى فى الفصاحة والبلاغة فنقول : لو اجتمع فصحاء العالم ، وأرادوا أن يتركوا هذه اللفظة ، ويأتوا بلفظ يقوم مقامها فى الفصاحة لعجزوا عن ذلك ، وذلك ، لأن الله تعالى اذا حث عباده على الطاعة ، فان لم يرغبهم فيها بالوعد الجميل ، ويخوفهم بالعذاب الوبيل ، لا يكون حثه على وجه الحكمة . . الى أن يقول : ثم ان الوعد بما يرغب فيه العقلاء ، وذلك منحصر فى أمور : الأماكن الطيبة ، ثم المآكل ، والمشارب ، ثم الملابس الرقيقة ، وكان ينبغى أن يذكر من الملابس ما هو أرفعها ، وأرفع الملابس فى الدنيا الحرير ، ثم ان الثوب مــن غير الحرير لا يعتبر فيــه الوزن والثقل ، وربما يكون الخفيف أرفع من الثقيل الوزن ، وأما الحرير فكلما كان ثوبه أثقل كان أرفع ، فحينئذ وجب على الفصــيح أن يذكــر الأثقل الأثمن ، ولا يتركه فى الوعد ، لئلا يقصر فى الحث والدعاء ، ثم ان هذا الواجب الذكر ، اما أن يذكر بلفظ واحد ، موضوع له صريح ، أو لا يذكر بمثل هذا ، ولا شك أن الذكر باللفظ الواحد الصريح أولى ، لأنــه أوجز وأظهر فى الفائدة ، وذلك (استبرق) ، فان أراد الفصيح أن يترك هذا اللفظ ، ويأتى بلفظ آخر لم يمكنه ، لأن ما يقوم مقامه ، اما لفظ واحــد أو الفاظ متعددة . ولا يجد العربى لفظا واحدا يدل عليه ، لأن الثياب من

الحرير عرفها العرب من الفرس ، ولم يكن لهم بها عهد ، ولا وضع في اللغة العربية للديباج الثمين اسم ، وانما عربوا ما سمعوا من العجم ، واستغنوا عن الوضع لقلة وجوده عندهم ، وندرة تلفظهم به ، واما ان ذكره بلفظين فأكثر فانه يكون قد أخل بالبلاغة ، لأنه ذكر لفظين بمعنى يمكن ذكره بلفظ — تطويل فعلم بهذا ان لفظ (استبرق) يجب على كل فصيح أن يتكلم به في موضعه ، ولا يجد ما يقوم مقامه (١٦) .

٢ — رأى من يقول : انها عربية :

على رأس هؤلاء الامام الشافعي رضي الله عنه ، فقد انكر كل الانكار أن تكون هذه الكلمات أعجمية الصنع ، لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين . ولا يمكن أن يصدق العقل ، أو يطمئن القلب الى مثل هذه الروايات ، التي تدعى أعجمية بعض الكلمات ، فالقرآن الكريم في نظر الامام الشافعي من الفه الى يائه عربي فصيح ، لم يستعر كلمة من غير لغة العرب ، لأنه ليس في حاجة اليها ، بل أحاط بهذه اللغة احاطة كاملة ، لأنه من صنع الله ، وصنع الله لا يتوقف على معونة في كلمة أو كلمات ، تقدم اليه من مختلف اللغات .

وكان الشافعي صريحا كل الصراحة في هذا الاتجاه ، مومنا كل الايمان بهذا الراى . لدرجة انه قدم النصيحة خالصة ، حارة ملتهبة لهؤلاء الذين يدعون ما يدعون ليتركوا هذا الانحراف في الراى ، حتى يسلم لكتاب الله جلاله وسلطانه .

واني اترك المجال للشافعي ، ليعرض علينا رايه ، معززا بالحجة ، مدعما بالبرهان ، قال الشافعي في الرسالة :

« فقال منهم قائل : ان في القرآن عربيا وأعجميا » فرد الامام على هذا الادعاء بقوله : « والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء الا بلسان العرب ، ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، واكثرها الفاظا ، ولا تعلمه يحيط بجميع علمه انسان غير نبى » الى أن يقول :

فان قال قائل : ما الحجة في أن كتاب الله محصن بلسان العرب لا يخلطه فيه غيره ؟ فالحجة في كتاب الله ، قال الله تعالى : وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (١٧) فان قال قائل : فان الرسل قبل محمد كانوا يرسلون الى قومهم خاصة ، وان محمدا بعث الى الناس كافة ، فقد يحتمل أن يكون بعث بلسان قومه خاصة ، ويكون على الناس كافة أن يتعلموا لسانه ، وما أطاقوا منه ، ويحتمل أن يكون بعث بألسنتهم ، فهل من دليل على انه بعث بلسان قومه خاصة دون السنة العجم ؟ ويرد الشافعي على هذا الاعتراض بقوله :

فاذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض ، فلا بد أن يكون بعضهم تبعا لبعض ، وأن يكون الفضل في اللسان المتبع على التابع .

وأولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه لسان النبي ، ولا يجوز والله أعلم أن يكون أهل لسانه أتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد بل كل لسان تبع للسانه ، وكل أهل دين قبله ، فعليهم اتباع دينه » .

بهذا المنطق القوى رد الشافعى هذا الاعتراض ، ولكنه لم يكتف بذلك فوثق هذا الرد بكتاب الله تعالى فى وضوح يبدد الباطل ، وصراحة تكشف البهتان فيقول : وقد بين الله ذلك فى غير آية من كتابه : قال الله : « وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » (١٨) ، وقال : « وكذلك انزلناه حكما عربيــا » (١٩)
وقال : « وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها » (٢٠)
وقال : « حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلــون » (٢١)
وقال : « قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون » (٢٢) .

قال الشافعى : فأقام حجته أنه كتاب عربى فى كل آية ذكرناها ، ثم اكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب فى آية من كتابه، فقال تبارك وتعالى : « ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » (٢٣) .

وقال : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى » (٢٤) ، ويختم الشافعى دفاعه عن كتاب الله تبارك وتعالى بهذه النصيحة الغالية فيقول : « فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين والنصيحة لهم فرض لا ينبغى تركــه ، وادراك نافلة خير لا يدعها الا من سفه نفسه ، وترك موضـــع حظه ، وكان يجمع مع النصيحة لهم قياما بايضـــاح حق وكان القيـــام بالحق ، ونصيحة المسلمين من طاعة الله ، وطاعة الله جامعة للخير . » (٢٥)

بهذا الرد المقنع ، وبهذه النصيحة الخالصة دافع الامام الشافعى عن قضية عروبة هذه الكلمات ، دفاعا حارا لزم فيه المنطق القوى ، والحجة البالغة والدليل القرآنى القاطع .

وانى حرصت كل الحرص على تسجيل عبارات الشافعى بنصها فى هذا المجال ، لأنها تحمل من حرارة الدفاع عن كتاب الله اكثر مما تحمل عباراتى .

وفى هذا الخط الذى رسمه الشــــافعى اتجه الامـــام الطبرى فى تفسيره هذا الاتجاه وكأنه بآرائه التى بسطها فى هذه القضية يضع الدلائل الواضحة على صحة رأى الشافعى ، ذلك لانـــه يرى ان هذه الكلمـــات الأعجمية ، اتفقت بألفاظها ومعانيها مع الكلمات العربية ، فليس من المنطق ان نقول : انها غير عربية بل هى عربية اعجمية : يقول الطبرى : « ولـــم يستنكر أن يكون من الكلام ما تتفق فيه الفاظ جميع اجناس الأمم المختلفة الالسن بمعنى واحد ، فكيف بمعنين مما ؟ ويقول أيضا ، كما قد وجدنـــا اتفاق كثير منهم فيما قد علمناه من الألسن المختلفة . وذلك كـــالدرهم ، والدينار ، والدواة والقلم والقرطاس وغير ذلك مما يتعب احصاؤه ، ويمل تعداده .

على ان الطبرى لم ينكر هذه الآثار المروية عن ابن عباس ، أو عـــن سعيد بن جبير ، بل يقرر صحتها من وجه آخر ، غير ما يدعيه هؤلاء الذين يقررون انها اعجمية فيقول : « فلو أن قائلا قال فيما ذكرناه من الأشـــياء التى عددنا ، وأخبرنا اتفاقه فى اللفظ والمعنى بالفارسية والعربية ، ومـــا اشبه ذلك عما سكتنا عن ذكره ، ذلك كله عربى لا فارسى ، أو قـــال : بعضه عربى ، وبعضه فارسى ، أو قال : كان مخرج أصله عند العرب ،

فوقع الى العجم فنطقوا به ، أو قال : كان مخرج أصله عند الفرس ، فوقع الى العرب فأعربته ــ كان مستجهلا ، لأن العرب ليست بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها الى العرب ، اذ كان استعمال ذلك بلفظ واحد ، ومعنى واحد موجودا فى الجنسين ، فليس أحد الجنسين أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر . . بل الصواب فى ذلك عندنا أن يسمى عربيا أعجميا ، أو حبشيا عربيا اذا كانت الأمتان له مستعملتين . الى أن يقول : « وذلك هو معنى ما روينا عنه القول فى الأحرف التى مضت فى صدر هذا الباب من نسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الحبشة ، ونسبة بعضهم بعض ذلك الى لسان الروم ، لأن من نسب شيئا من ذلك الى ما نسبه اليه لم ينف بنسبته اياه الى ما نسبه اليه أن يكون عربيا » (٢٦) .

وتتفق وجهة نظر أبى عبيدة معمر بن المثنى مع الامام الشافعى والطبرى ، فيقول : « نزل القرآن بلسان عربى مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، ومن زعم أن (طه) بالنبطية فقد أكبر ، وقد يوافق اللفظ اللفظ ، ويقاربه ، ومعناهما واحد ، وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية أو غيرها » (٢٧) .

ومع أن أبا عبيدة دافع عن عروبة هذه الكلمات الا أن الامام اللغوى الزبيدى صاحب تاج العروس ينسب الى أبى عبيدة رأيا آخر يوفق بين المانعين والمجوزين يقول : « قال أبو عبيدة : والصواب عندى مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك أن هذه الحروف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء الا أنها سقطت الى العرب فأعربتها بألسنتها ، وحولتها من ألفاظ العجم الى ألفاظها ، ثم لما نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال : إنها عربية ، فهو صادق ، ومن قال : عجمية فهو صادق » (٢٨) .

جـ = رأى ومناقشة :

فى رأيى أننا اذا أردنا أن تصل الى حل حاسم لهذا الاشكال ، فانه لا بد من الرجوع الى التاريخ العربى لنستفتيه فى هذه القضية التى كثر فيها الجدل ، واحتدم النزاع بين العلماء .

اننا اذا رجعنا الى التاريخ ليدلنا على كلمة (عرب) فماذا نجد ؟ نجد اختلافا كبيرا بين رجال اللغة من العرب فى مدلول هذه الكلمة ، فقد قال ابن منظور فى كتابه الكبير : لسان العرب ما نصه : « واختلف الناس فى العرب لم سموا عربا ؟ فقال بعضهم أول من أنطق الله لسانه بلغة العرب يعرب بن قحطان ، وهو أبو اليمن كلهم ، وهم العرب العاربة ، ونشأ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام معهم ، فتكلم بلسانهم ، فهو وأولاده العرب المستعربة .

وقيل : ان أولاد اسماعيل نشئوا بعربة ، وهى من تهامة ، فنسبوا الى بلادهم .

ثم قال صاحب اللسان ، وكل من سكن بلاد العرب ، وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهم عرب ، يمنيهم ، ومعدهم (٢٩) .

والمستشرقون وعلى رأسهم المستشرق (ولفنسون) فى كتابه

(تاريخ اللغات السامية) : يرى أن كلمة (عرب) كانت مستعملة فى اللغة العبرية القديمة لتدل على أهل العربة (الصحراء) أى لنوع خاص من قبائل الجزيرة العربية (٣٠) .

ويرى هذا المستشرق أن ما يقال فى المعاجم اللغوية العربية من أن هناك فرقا بين كلمتى عربى وأعرابى ، وتخصيص الاولى بسكان المدن ، والثانية بسكان البادية فلم يحدث الا فى عصور قريبة من ظهور الاسلام أما قبل ذلك فلم يكن هناك فرق مطلقا ، بل كان كل من الكلمتين يدل على سكان البادية فحسب ، اما سكان المدن والامصار ، فكانوا ينسبون الى قبائلهم ، ويعرفون بمناطقهم . (٣١) .

ويرى مرة أخرى أن كلمة عبرى تؤدى المعنى الذى تؤديه كلمة عربى نفسها ، أى ان العبريين هم قبائل رحل كانت تنتقل بخيامها ، وابلها من مكان الى آخر .

وقد استدل على هذه النظرية بأن كلمة عبرى مشتقة من الثلاثى عبر الذى معناه بالعبرية والعربية : ذهب ، ورحل وقطع مرحلة من الطريق ، أى أن كلمة عبرى وعربى مشتقان من ثلاثى واحد هو عبر ، فحدث قلب مكانى فى هذه الكلمة الثلاثية فصارت عربا » (٣٢) .

وفى رأيى أن المعاجم اللغوية تحدثت عن هذه التفرقة فعلا ، ولكنها مع ذلك نصت أيضا على أن كل من سكن بلاد العرب ، وجزيرتها ، ونطق بلسان أهلها فهم عرب ، يمنيهم ، ومعدهم كما قدمت .

وأما القرن الذى ظهرت فيه هذه الكلمة ، فقد حددته النقوش والآثار التى اكتشفت فى عصرنا الحديث ، فقد أشار المستشرق لوبون فى كتابه (حضارة العرب) الى آثار الأشوريين التى تحدثت عن العرب فقال : « وذكر العرب قبل الميلاد بتسعمائة سنة فى بلاغ (سلما نصر الثانى) وأدت ملكتان عربيتان فروض الطاعة (تيفلا نفانصر) قبل الميلاد بنحو ثمانمائة سنة ، واستعان (بانيبال) بجيوش عربية عندما رفع راية العصيان » (٣٣) .

ويقسم المؤرخون العرب الى قسمين : بائدة ، وباقية ، ومن العرب البائدة : عاد ، ومسكنهم الأحقاف فى اليمن ، وثمود ، ومسكنهم الحجر فى جهة معان ، ومدائن صالح ، وطسم ، وجديس ، ومسكنهم اليمامة ، وعمليق ، ومساكنهم عمان ، والحجاز وتهامة ، وبعض نجد ، وتيماء وبترا ، وفلسطين ، وهم القوم الجبارون الذين تهيبهم قوم موسى اذ قالوا : « ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » ومنهم جالوت الذى قاتل داود ، فقتله داود عليه السلام . وجرهم ومسكنهم باليمن ، ومن بقاياهم قوم هاجروا الى مكة ، وهم أصهار اسماعيل عليه السلام ثم بادوا ، ووبار ، ومسكنهم اليمن فى وبار المسماة باسمهم ، وقد هلكوا .
والعرب الباقية : أولاد قحطان ، وأولاد عدنان (٣٤) .

وليس ثمة شك فى أن هذه القبائل العربية كانت تتكلم بلغة واضحة المعالم بينة السمات ، هذه اللغة هى العربية ، والعربية من أقدم اللغات السامية كما تنص على ذلك كتب العبريين ، بل ان العرب أنفسهم أقدم من العبريين فى تاريخ وجودهم على هذه الارض ، ولا زالت كتبهم تقص علينا

الشىء الكثير من أخبار العمالقة ، وأهل سبأ الذين كانوا يقيمون بجنوب جزيرة العرب .

على أن هذه القبائل العربية لم تغلق على نفسها أبواب مساكنها ، بل اختلطت اختلاطا شديدا بغيرها من أجناس الأمم ، اختلطوا بالمصريين حينما اتحدت قبائل من العمالقة مع عرب سوريا ، واستولوا على مصر فى حملة معروفة فى التاريخ المصرى القديم بحملة الهكسوس سنة ٢٠٠٠ ق.م وعرفوا بالرعاة ، ودام سلطانهم قرونا كثيرة (٣٥) .

وتنص الكتابات المسمارية على أن قبائل ثمود التى كانت تقيم فى بلاد الحجاز اشتبكت فى معارك طاحنة مع سرجون ملك آشور الذى مزقهم كل ممزق ، وأجلى البطون الثمودية الثائرة فى بلاد العرب الى مدينة غزة بفلسطين (٣٦) .

وقدماء اللحيانيين الذين كانوا يقيمون فى الحجاز عرفوا بالقوة والعظمة حتى كان الرومان يستأجرون منهم الجنود والعساكر (٣٧) .

ولا شك أن هذا الاختلاط الذى حدث بين العرب وغيرهم فى تاريخهم القديم أدى الى التفاعل اللغوى ، مما جعل اللغة تتطور فى قوة حتى اكتمل بناؤها واتسعت مفرداتها بفعل هذا الاحتكاك .

ولا أدل على ذلك من اعتراف المستشرقين أنفسهم بهذه الظاهرة فقد قال (لفينون) : « ان اللغة العربية تشتمل على عناصر تدل على أنها بصورتها الحالية ، ليست أصلية قديمة ، بل انها صيغ مرت عليها تقلبات كثيرة وتغيرات فى حين أن هذه الكلمات توجد فى العبرية أو الآرامية دون أن يظهر عليها شىء من آثار هذا التبديل ، فمثلا كلمة (قول) تؤدى بالعبرية معنى = صوت . أما فى العربية فلا تطلق الا على جملة أصوات مجتمعة ، وكذلك (أمر) تدل على الكلام العادى ، وتدل فى العربية على الطلب بشدة (٣٨) .

وقد استطاعت العربية بما تحمل من عناصر الحياة والتطور أن تؤثر كما تقول روايات المستشرقين أنفسهم (فى النبط الآراميين) فكان ذلك من أهم الأسباب التى حملتهم على نسيان لغتهم الآرامية ، وايجادهم لأنفسهم مزيجا من لغة الآراميين والعرب . ولم يكن هذا المزيج مفهوما عند العرب فأطلقوا عليه الرطانة النبطية (٣٩) .

من هذا العرض السابق أستطيع أن أقول : ان هذه اللغة العربية لغة قديمة تكونت بمرور الزمن ، وعبر التاريخ ، وسارت فى طريق التطور بخطى واسعة حتى وصلت الى ما قبل الاسلام الى الذروة من التقدم والرقى ، على حين تجمدت اللغات السامية الأخرى ، لتصبح أثرا بعد عين .

ومن المنطق أن أقول : ان لغة احتكت بغيرها من اللغات الأخرى ، فأثرت فيها ، ووصلت الى هذه الدرجة من التطور لا بد أن تكون موردا لغيرها من اللغات الأخرى ، تمدها بما تحتاج اليه من مفرداتها الواسعة ، وبمرور الزمن أصبحت هذه المفردات العربية لبنات فى بناء هذه الأمم ، ولا يصح فى مجال التفكير السليم أن نقول ان القرآن الكريم استعارها من

هذه اللغات ، اذا قلنا ذلك ، فهذا تحكم لا تسنده الا هذه الاخبار التى ذكرها الرواة ، وهى أخبار واهية تتعارض مع صريح القرآن الكريم حينما يقول : إنا أنزلناه قرآنا عربيا (٤٠) .

ومن العجب حقا أن ندعى أن مفردات اللغة العربية التى عاشت هذا العمر الطويل وتطورت هذا التطور الكبير عبر التاريخ ، وعبر الأجيال ، تمثلها هذه المعاجم اللغوية ، أو هذه الروايات التى جمعها لنا رواة العرب حينما بدءوا يدونون اللغة .

أجل لقد أحس بهذه الحقيقة راوية من كبار الرواة ، وعميد من عمداء اللغة انه أبو عمرو بن العلاء الذى يقول : « ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ولو جاءكم لجاءكم علم وافر ، وشعر كثير » (٤١) .

على أن العقل لا يمكن أن يسلم بأعجمية هذه الكلمات من ناحيـــة أخرى ، فهذه الكلمات كما يقول السيوطى : أكثر من مائة لفظة ، وهو عدد قليل جدا بالنسبة الى كلمات القرآن الكريم التى تبلغ فى رواية الفضيل بن شاذان عن عطاء بن يسار : سبع وسبعون ألف كلمة ، وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة (٤٢) .

فما السر اذا فى أن يمد القرآن الكريم يده لأخذ هذه الكلمات المائة من لغات العجم . هل اللغة العربية فقيرة الى هذا الحد ، فتطلب المعونة بهذه الكلمات ، كيف ذلك ؟ وهى اللغة التى لا تستطيع أن تجاريها لغة أخرى فى مجال الاتساع ، كيف ذلك ؟ وهى اللغة التى تحفظ للمعنى الواحد المئين من الألفاظ .

استمع الى السيوطى يقول فى المزهر : « ان العجم لا تعرف للأسد أسماء غير اسم واحد ، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم .

وقال حدثنى أحمد بن محمد بن بندار قال : سمعت أبا عبد الله بن خالويه الهمذانى يقول : جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين .

ويروى ابن فارس قصة الأصمعى والرشيد ، وخلاصتها : « ان الرشيد سأل الأصمعى عن شـــعر لابن حزام العكلى ، ففسره ، قـــال : يا أصمعى ، ان الغريب عندك لغير غريب ، قال : يا أمير المؤمنين ، ألا أكون كذلك ، وقد حفظت للحجر سبعين اسما (٤٣) .

ويجدر بى أن أعزز رأيى هذا برأيين لرجلين من أعلام الفكر فى العالم العربى فى وقتنا الحاضر ، وهما المرحومان الدكتور عبد الوهاب عزام ، والشيخ أحمد شاكر .

أما الدكتور عزام فيرى : ان اللغات السامية وجاراتها تبادلت ألفاظا فى عصور متطاولة قبل الاسلام ، فدخل فى الفارسية مثلا ألفاظ سامية ، فرب لفظ فارسى يظن أصلا للفظ عربى هو فى الحقيقة لفظ سامى تسرب الى الفارسية فى العصور القديمة ، وقد بعد بالباحثين عن الصواب ظنهم أن العربيـــة لم تهب اللغات الأخـــرى من ألفـــاظها الا فى العصـــــور الاسلامية (٤٤) .

وأما المرحوم الشيخ أحمد شاكر ، فيرى : أن العرب أمة مـــن أقدم

الأمم ، ولغتها من أقدم اللغات وجودا ، كانت قبل ابراهيم واسماعيل ، وقبل الكلدانية والعبرية والسريانية وغيرها ، بله الفارسية ، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ ، فلعل الألفاظ القرآنية التى يظن أن أصلها ليس من لسان العرب ، ولا يعرف مصدر اشتقاقها لعلها من بعض ما فقد أصله (٤٥) .

وبعد ، فلعلى بهذا العرض لهذه القضية استطعت أن أضع النقاط على الحروف دفاعا عن كتاب الله العربى ، هذا من ناحية ، ولعلى من ناحية أخرى أسد الباب أمام هؤلاء اللغويين المحدثين الذين يدعون أن القرآن الكريم سار على منهج التعريب ، حينما أخذ عن الفارسية والحبشية وغيرهما ، ونحن نلجأ الى التعريب ، لأننا لم نعش فى أعماق اللغة ، لنستخرج الكلمة الدالة ، واللفظة المعبرة ، وذلك لعجزنا عن الاحاطة باللغة من ناحية ، ولايثار مد اللغة العربية بكلمات جديدة سيرا على مبدأ التطور اللغوى منناحية أخرى . ان صح لنا أن نعرب ألوف الكلمات الوافدة فى عصر تقاربت فيه اللغات ، وتمازجت الأفكار ، فانه لا يصح مطلقا أن نتخذ من القرآن ذريعة نعتمد عليها فى شرعية هذا الغزو الأجنبى ، فانه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

---

(١) أنظر : مقدمة تفسير الطبرى : ٦/١ . (٢) نقل هذا النص من كتاب : « دراسات فى العربية وتاريخها » للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٩ . (٣) المرجع السابق نفسه ص ١٤ . (٤) الحديد : ٢٨ . (٥) المزمل : ٦ . (٦) سبأ : ١٠ . (٧) المدثر : ٥١ . (٨) الطبرى ج ١ ص ٨ . (٩) الاتقان ج ١ ص ١٣٨ . (١٠) البرهان فى علوم القرآن ص ٢٨٧ و ٢٨٨ . (١١) أنظر فى هذا الموضع : الطبرى ج ١ ص ٦ ، الاتقان : ج ١ ص ١٣٨ ، البرهان : ص ٢٨٧ و ٢٨٨ . (١٢) الاتقان ج ١ ص ١٤٠ ، ومفتاح السعادة ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ . (١٣) فصلت : ٤٤ . (١٤) الطبرى ج ١ ص ٨ . (١٥) المرجع السابق والصفحة . (١٦) الاتقان ج ١ ص ١٣٦ ، ١٣٧ . (١٧) ابراهيم : ٤ . (١٨) الشعراء : ١٩٥ . (١٩) الرعد : ٣٧ . (٢٠) الشورى : ٧ . (٢١) الزخرف : ٣ . (٢٢) الزمر : ٢٨ . (٢٣) النحل : ١٠٣ . (٢٤) فصلت : ٤٤ . (٢٥) الرسالة : ٥٠ . (٢٦) الطبرى ج ١ ص ٩ . (٢٧) مجاز القرآن ج ١ ص ١٨ . (٢٨) تاج العروس ص ٩ . (٢٩) لسان العرب : مادة : عرب . (٣٠) تاريخ اللغات السامية : ص ١٦٤ . (٣١) المرجع نفسه والصفحة . (٣٢) المرجع نفسه ص ١٦٥ . (٣٣) حضارة العرب ص ٩١ . (٣٤) تاريخ الأدب لحفنى ناصف ٨ . (٣٥) حضارة العرب ص ٩٠ . (٣٦) حضارة العرب ١٧٤ . (٣٧) المرجع نفسه ص ١٧٤ . (٣٨) تاريخ اللغات السامية ١٦٩ . (٣٩) المرجع نفسه ص ١٧٣ . (٤٠) يوسف : ٢ . (٤١) الاقتراح ٢٧ . (٤٢) البرهان فى علوم القرآن ج ١ ص ٢٤٩ . (٤٣) المزهر ج ١ ص ٣٢٥ . (٤٤) مقدمة المعرب للجواليقى : ص ٤ . (٤٥) من مقدمة الشيخ شاكر ص ١٣.

المراجع :

١ — دراسات فى اللغة العربية وتاريخها : الشيخ محمد الخضر حسين . ٢ — تفسير الطبرى . ٣ — الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى . ٤ — البرهان فى علوم القرآن للزركشى . ٥ — مفتاح السعادة : لطاش كبرى زاده . ٦ — مجاز القرآن : لأبى عبيدة معمر ابن المثنى . ٧ — تاج العروس : للزبيدى . ٨ — لسان العرب / ابن منظور . ٩ — تاريخ اللغات السامية / والفنون . ١٠ — تاريخ الأدب : حفنى ناصف . ١١ — حضارة العرب : لوبون . ١٢ — الاقتراح : للسيوطى . ١٣ — المعرب : للجواليقى . ١٤ — الرسالة : للشافعى .

نظرة الاسلام إلى التعاقد

للشيخ : علي الخفيف

التعاقد فى نظر الاسلام ارتباط يرتبط به الانسان ، فيطلب منه الوفاء به ، وأساسه الاختيار وسلامة الارادة ، وقد يكون ارتباطا منفردا لا يقابل بارتباط آخر ، وقد يقابل بارتباط من شخص آخر ، غير أن الاسلام يرى أن منه ما يجب على المرتبط الوفاء به ، ويجبر عليه قضاء ، ومنه ما لا يجبر عليه .

ومرد النوع الأول الى امرين : أحدهما : أن يكون مقابلا بارتباط التزم به شخص آخر فى مقابلته ، فيجب الوفاء به لذلك حتى لا يكون من وراء عدم الوفاء به ضرر بمن ارتبط بسببه ، وثانيهما : أمر الشارع بالوفاء به لمصلحة ارتآها الشارع أوجبت ذلك أمرا باتا لا خيرة فيه .

وأما النوع الثانى : فقد رأى الشارع عدم الوفاء به قضاء وأوجب الوفاء به دينا وخلقا وهو ما صدر عن احسان وتبرع غير مستتبع حقا لازما لأحد ، وذلك ما اختلفت فيه الانظار تبعا لاختلافها فى متطلب المصلحة ، وأن اتفقت على أن الوفاء مطلوب دينا وخلقا فى كل ارتباط وتعاقد خلا من الضرر وذلك مقتضى عموم قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقوله تعالى : « وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » .

ولا يلزم لوجود التعاقد واعتباره فى شريعة الاسلام شكل معين الا ما شرطه الشارع فى الزواج ، اذ يشترط أن يكون أمام شاهدين ، وفى ذلك خلاف مالك ، ويكفى فى تحقق التعاقد ووجوده العبارة الدالة عليه اذا صدرت من العاقل البالغ المختار ، وذلك فى أى شأن له الولاية عليه لا تتقيد ارادته فى ذلك بقيود الا عدم الضرر بالعاقد أو بغيره ، وسواء فى ذلك التعاقد فى أى شأن من الشئون المالية كالمبايعات والنفقات والكفالات

والاجارات ، والتعاقد فى الشئون الاجتماعية كالتعاقد فى الزيجات والنسب والحضانة ، وهذا هو نظر الشارع الى الاشتراط فى العقود ، فقد جعل للعاقد أن يشترط ما يرى أن حاجته ومصلحته فى اشتراطه ما دام أن ليس فى اشتراطه ضرر ولا تغيير لمشروع : لأن تغيير المشروع مفسدة ، وفيه يقول صلى الله عليه وسلم : « المسلمون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » .

أما الضرر الذى يبطل العقد لأجله ، فسواء فيه أن يكون ضررا يلحق العاقد أو المشترط ، وأن يكون ضررا يلحق المجتمع أو غير ذلك من الافراد، ويكفى فى ثبوته وترتب أثره عليه ورود نص من الشارع يدل عليه ، كما يكفى حكم العقل فيه ، لأنه اذا كان العقل أساسا للاسلام فأولى أن يكون أساسا فى اثبات الضرر فى العقود والاشتراط والمعاملات ، وسلامتها منه .

وعلى هذا الأساس يرى أن الفكر الاسلامى التشريعى يتجه الى اعطاء الناس حرية الاختيار فى انشاء العقود والاشتراط فيها ، سواء فى ذلك ما وردت به النصوص ، وما جرى به العرف ، وما تدعو اليه حاجة الناس ومعاملاتهم لا تحدهم فى ذلك حدود سوى ما ذكرنا ، وعلى هذا رأى المحققين من الفقهاء وبخاصة بعض الحنابلة كابن قيم الجوزية وابن تيمية ، خلافا لمن عارض فى ذلك منهم ، فزعموا أن كل عقد أو شرط لم يرد به عن الشارع نص عقد باطل أو شرط لغو ، ويعزى هذا الرأى الى أهل الظاهر .

نظرة الاسلام الى الفرد والمجتمع ومراعاة فكرة التضامن وصلاح الأسرة

يقيم الاسلام مجتمعه على أسس قويمة تصونه من الأنانية الفردية فى المعاملة والسلوك ومن طغيان نوازع النفوس التى تدعو الى الشر ، وتوقد نار العداوة والبغضاء بين أفراده ، وتؤدى بهم الى الاعوجاج والفساد والفرقة والتنابذ والفشل ، وقد قال الله لرسوله « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ، وقال : « فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » ، وقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

أسس تربط بين أفراد المجتمع ، وتؤلف بينهم وتوحدهم وتجعلهم أخوة متناصرين بعضهم أولياء بعض تتلاقى كل قواهم فى المحافظة على مصالحهم الاجتماعية والشخصية ، ودفع الضر عنهم ، والقيام بسد حاجاتهم ، ونيابة بعضهم عن بعض ، فى أداء معروف اذا ما دعت الحاجة اليه وتتطلبته المصلحة وفى ذلك يقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ، ويقول : « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » .

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدة المجتمع الاسلامى، ومناصرة أفراده بعضهم بعضا أبلغ تصوير ، اذ يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ، ويقول : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ومن نتائج هذه الروابط ، شعور كل فرد فى المجتمع بأن عليه واجبات يؤديها اليه لقاء ما له من حقوق قبله يتوقف وفاؤه بها على القيام بهذه الواجبات ، واذا قصر فى أدائها أدى ذلك الى انهيار البناء ، وتفكك روابطه ، وذهاب ريحه ، كما أن من نتائجه مسئولية كل فرد فيه فى جلب الخير والقصد اليه فى أعماله التى يأتيها ، ودفع الشر عند نزوله بما يستطيع من قوة وبما يملكه من معونة ، ولذا يقول الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، ويقول صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » .

وعلى هذا الأساس أوجبت الشريعة على القوى اعانة الضعيف ، وعلى الموسر اطعام الجائع ، وعلى القادر اغناء الفقير والمسكين ، كما أوجبت الدفاع عن الضعفاء وأوجبت على القادر دفع الأذى والهلاك عن كل من تعرض لهما ، والحفاظ على القاصرين ممن يتعرض لهم وعلى أموال القاصرين وعديمى الاهلية والغائبين كما أوجبت اعانة الغارمين ، وانقاذ الاموال عند تعرضها للتلف ، والاخذ على أيدى المفسدين وفى سبيل هذه الوحدة قررت نيابة بعض المؤمنين عن بعض ، ومناصرة بعضهم بعضا، فيقول الله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم » .

وكانت نظرة الاسلام الى الفرد فى مجتمعه نظرة وسطا ليست كالنظرة اليه فى النظام الفردى الذى يجعل لكل فرد فى مجتمعه ارادة مطلقة وحرية واسعة غير مقيدة ، لا يراعى فيها الا مصلحته الشخصية دون اعتبار لمصلحة غيره الا بقدر يختلف باختلاف الأمم وتطورها ، وليست كالنظرة اليه فى النظام الاشتراكى الجماعى التى تجعل الفرد فى مجتمعه كالجزء من الآلة يتحرك بحركتها ، وسيره سيرها ، ليس لذاته قوة ولا نشاط الا فى محيطه ومجتمعه ، فلا يؤذن له بنشاط ينفرد به عن الجماعة وانتاجه يجب أن يكون أولا وابتداء لها .

ليست نظرة الاسلام الى الفرد اذن كنظرة هذين النظامين اليه ، بل ينظر اليه شخصا له ارادته وله حريته وعمله وانتاجه وثمراته ، ولكن بشرط ألا يكون ذلك موجها الى ضرر المجتمع ، أو ينال المجتمع منه أذى ، ولهذا كانت جميع حقوقه مقيدة بعدم الضرر .

وعلى الجملة كان نشاط كل فرد لنفسه على ألا يترتب عليه ضرر بغيره وبذلك حافظ الاسلام على الحوافز الطبيعية التى تحفز الانسان على العمل وتدعو الى النشاط وتحمله على الجد والاحسان فيه مما يترتب عليه وفر ثمراته التى تعود فى النهاية الى تحقيق مصالح مجتمعه وحافظ على الروابط الشخصية بين أفراد المجتمع بسبب ما حرمه عليهم من الاثرة . ودعا اليه من الايثار فاحكمت روابطهم وقوى تماسك بنيانهم وكان عليهم لمجتمعهم واجبات فرض عليهم أداؤها وذلك فى نظير حقوق لهم قبل مجتمعهم يجب عليه أداؤها وذلك ما يتمثل فيما يناله المجتمع من ثمرات اعمالهم وما يصل اليه من أموالهم وما يعود عليه من نشاطهم

وسعيهم وفيما يقوم هو به لهم من حفظ ورعاية وحماية ومعونة وتمكين وتوجيه واصلاح ووقاية على أنماط متعددة وصور مختلفة فصلها الكتاب الحكيم حين أمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وباطعام الجائع واعانة الغارم والوفاء بالعهد وحين نهى عن الفحشاء والمنكر والبغى والخبائث والظلم وغير ذلك مما جاء به كتاب الله وسنة رسوله من أمر ونهى تكامل بهما تضامن المجتمع ووحدته وتكافله حتى صار كما قال الرسول صلوات الله عليه جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى .

ولم يهمل الاسلام مع ذلك شأن الاسرة ومنزلة الفرد فيها ، بل عرض لما يجب للأسرة من رعاية وعناية تستهدفان صلاحها وأحكام الروابط بين أفرادها ، باعتبارها اللبنة التى يتكون منها المجتمع ، ويقوى بقوتها ويتماسك بتماسكها ، وفى وهنها وهنه وانحلاله ، فعنى الاسلام بها عناية شديدة وعرض لكثير من أحكامها فى كتابه بما لم تظفر به مسألة أخرى مما عرض له من المسائل ، وكان أساس نظره اليها أن تكون قائمة على السكن والمودة والرحمة والتعاون كما دل على ذلك قوله تعالى : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، كما حض على الصبر والعفو اذا ما بدا فى محيطها مكروه ، فقال فى كتابه الحكيم « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

وجعل القوامة فى هذا المجتمع الصغير للرجل لما فرضه عليه من السعى والعمل والنفقة ، والذود عن البيت ، وبما حباه به من قوة وما للرجال على النساء من درجة وفى ذلك يقول الله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم » ويقول « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » كما جعل انفصام هذه العقدة للرجل فكان له حق التطليق حين تسوء المعاشرة ويخشى من عدم اقامة حدود الله ، واخفاق الزوجية فى الوفاء بالغرض منها .

وعلى أساس هذا النظر شرعت حقوق كل من الزوجين قبل الآخر ، وعولجت أمراض الزوجية ، وحلت مشاكلها بما وضعه الشارع لها من أحكام كفيلة باقامة حياة سعيدة وافية بأغراضها ، وعلى هذا الأساس كان نظره الى الروابط الاجتماعية الأخرى ، تلك الروابط التى تقوم على ضرب من الرعاية والولاية والزعامة ، اذ جعل كل فرد مسئولا عما عهد اليه برعايته مطالبا بحفاظه والقيام عليه فى شئونه وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه عبد الله بن عمر : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها » وهى مسئولية تتطلب من كل من فرضت عليه حسن القيام وكمال الرعاية

والمحافظة والعمل باخلاص وأمانة فى مجال رعايته وولايته ، وذلك بأن يستهدف المصلحة فى كل ما يأتيه ويقصد اليه .
وبهذا تقوى روابط المجتمع وتشتد أواصره ، وعلى هذا أسس الشارع أحكامه .

مراعاة الاسلام فى نظره للعقيدة ، والخلق ، ومصالح الدنيا والدين

راعى الاسلام فى أحكامه حقوق الله تعالى ، وما تعبد به الناس من عقائد ، وما دعا اليه من فضائل وأخلاق — وكان هذا نتيجة طبيعية لصدورها من الله ، ونزول الوحى بها ، اذ لا يتصور أن يشرع الله للناس ما يخالف دعوته ويتعارض مع ما أمر به ويؤدى بالناس الى غير ما ابتغاه من دينه وذلك بتدنيس نفوسهم وافساد قلوبهم ولكن الشارع الحكيم حين شرع دينه شرعه عقيدة وعملا ، غايتهما واحدة وأثرهما واحد ، فكان له بهما أبعد المدى ، وأبلغ الأثر فى هداية الناس الى طريق كمالهم بتطهير قلوبهم وتزكية نفوسهم بمراعاته هذه الشريعة من فضائل ، وما رغبت فيه من أخلاق ، وباقامتها على أساس من التوجيه الفكرى عن طريق العقيدة واستعمال النظر والتدريب العملى بطريق العبادة ومراعاة الخلق الكريم مع النظر الى مصلحة المجتمع ، فكانت لذلك أحكامها متسقة مع الخلق والفضيلة والعقيدة غير موجهة الى المصالح الدينوية وحدها ، وقد قال الله لرسوله فى شأن ذلك « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » ، وبذلك تميزت قواعد التشريع الاسلامى بابتنائها على العقائد والاخلاق من ناحية ، وعلى المصلحة الدنيوية من ناحية أخرى ، وكانت نظاما شاملا متجانسا متكاملا روعيت فيه مصالح الناس فى دنياهم وفى آخرتهم ، وكانت بسبب هذا الى نفوس الناس محببة ، ولها من ضمائرهم عند ارادة اغفالها وتركها مراقبة ، ومحاسبة .

وكذلك كان نظر الاسلام الى شريعته وقد أراد بها صلاح الناس الا تكون نزعتها نزعة مادية خالصة ، بل جعلها شريعة وسطا بين النزعتين المادية والروحية حتى تكون من ناحية ماديتها تشريعا واقعيا يسهل اتباعه ، ومن ناحية روحيتها تشريعا خليقا بعيدا عن الأثرة حتى لا تغفل فيها مصالح الجماعة ، ولذا كان للانسان فى هذه الشريعة كل ما يسمو به عن الرضا بالدون فى حياته الدنيا ، والرضا بغضب الله وعذابه فى حياته الآخرة ، فتمضى كل نفس حسب استعدادها الى ما فيه رضاها وطمأنينتها سعيا فى مناكب الارض ، سعى المؤمل فى حياة دائمة لأجل الدنيا ، وسعى المرتقب لأجله فى غده لأجل الآخرة .
على هذا النظر أقام الاسلام شريعته . .
هذه هى الأنظار التى تصور لنا الفكر الاسلامى فى تشريعه الخالص من الشوائب ، ومما لبس به من أهواء الناس ، وضلالات المبتدعة ، وأباطيل المنافقين ممن اتخذوا الشريعة سبيلا الى ارضاء ذوى السلطان ، أو اغواء

النفوس متابعة للشهوات ، فأفسدوا أعمالهم ، وأضلوا نفوسهم وبـــاءوا بخسران مبين .

ذلك ما انتهى اليه فكري واهتدى اليه حكمي فى بيان اتجاه التشريع الاسلامى أو بيان الفكر الاسلامى التشريعى واكتشاف أسسه واستبانـــة أهدافه وتحديد غاياته ، وقد ذكرت ما كان لهذا الفكر من سند فى القرآن الكريم وفيما حواه من أحكام بين عللها وأظهر حكمها وأهدافها وفيما كان لكل ذلك من توجيه لأصحابه ومن جاء بعدهم فى استنباط الاحكام وفهـــم لكتاب الله وفيما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هدى فـــى تشريعه وبيان لنصوص الكتاب وفى تأصيـــل الاصول ووضع القواعـــد والضوابط والتطبيق على ما كان يعرض لهم من وقائع وأحداث وتعـــرف أحكام كل ما كان يستجد فى زمنهم من حوادث وينزل بهـــم من نـــوازل لا يمنعهم من هذا النظر الا يجدوا بعد البحث نصا من كتاب أو سنة لعلمهم أن شريعة الله عامة شاملة لا تضيق بأحكامها وأصولها عن حكم لله تعالى فى كل ما يحدث أو يستجد وان للعقل كفايته وقدرته فى تعرفه وكشـــفه مـــا استعان بنصوص القرآن واهتدى بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلـــم فى تشريعه وبيانه وسلك مسلك أصحابه من بعده فى أظهاره واستخراجه وكل هذا قد صار موفورا لدينا بفضل ما قام به سلفنا الصالح من جمـــــع وتدوين .

وانا لنشاهد الآن تجدد الوقائع وتتابع الاحداث وتنوع المعامـــلات بسبب تطور الاعراف والعادات والمعاملات وتجدد الاختراعات والاكتشافات ونحن أمام ذلك جامدون واقفون لا نتحرك ولا نستجيب لما أمرنا به من نظر وبحث ، والناس حيارى يضجون بالشكوى من حيرتهم فى أحكام ما تلجئهم اليه حاجاتهم من حديث المعاملات وجديد الاستثمار وتسوقهم اليه معاملاتهم من غيرهم ، مما لا سبيل الى مجانبته من معاقدات ليس لها فيما سبـــق مثيل ولا فيما يعرفون حكمه نظير ولا يجدون مع ذلك مفرا عنها أمام دوافع الحياة الاقتصادية المعقدة ودواعى الاغراء المختلفة .

ألم يأن لأولى الفقه والنظر أن ينظروا فى هذا الأمر باحثين عن حكم الله تعالى بقدر جهدهم فيما هو مماثل أمامهم من وسائل الاستثمار بواسطة صناديق التوفير واستمارات الاستثمار على اختلافها وايداع الامـــــوال للاسترباح وعقود التأمين المختلفة وعقود المقاولات وغير ذلك من الاعمال المصرفية والمبادلات النقدية حتى يكون الناس على بينة من حكم شريعتهـــم فيما يقبلون عليه أو يلجئون اليه من هذه الاعمال — وقد قرر المؤتمر الاول لمجمع البحوث الاسلامية جواز الاجتهاد الجماعى فيما يجد من الحوادث التى لا يرى لها حكم فى مذهب من المذاهب — ومن له غير مجمع البحوث — كما حض هذا المؤتمر على اصدار الفتاوى والاحكام المستمدة من أصـــول الاسلام فيما يحدث ويستجد من المشكلات ، وانى لأرجو أن يستجيب مجمع البحوث لذلك حتى يبرأ مما قد ينسب اليه من تقصير ، والله الموفـــق للصواب .

دراسات فى
علــــوم القرآن

الرسم العثماني للمصحف ولماذا ينفرد به ؟

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

— ١ —

من المسلم به أنه لأول اتصــــال المسلم بالقرآن الكريم عن طريق تلاوته فى المصحف مكرها ، وأن يرد نفسه — حزينا أسفا — عن مـــورده العذب ، وثمره فى الخط العربى التى يجرى عليها الآن ، حتى أن كثيرا من الذين يرجعون الـــى كتاب الله عن طريق المصحف — لأول مرة — يجدون أنهم بين يـــدى نمط جديـــد من الكتابة لم يألفوه ، وأن على من يريد منهم أن يقرأ المصحف قراءة صحيحة أن يرجـــع فى ذلك الى معلم يعلمه ، ودارس يدرس عليه ، والا وقع فى حيـــــرة وبلبال ، وكـــان أقرب طريق يأخذه للخروج من هذا الموقف ،هـــو أن يعتـــزل المصحف ، مكرها ، وأن يرد نفسه — حزينا أسفا — عن مورده العذب ، وثمره الطيب المبارك ، فذلك — فى تقديره — أدنى الى السلامة ، وأبعد من الوقـــوع فى المحظور !

— ٢ —

من أجل هذا تقوم بين الحين والحين تلك الدعوات التى نسمعها تتردد فى مختلف آفاق الاسلام ، الى تحرير المصحف من الالتزام بالخط العثمانى ، وكتابة القرآن الكريم بالخط المقروء للناس اليوم ، والمتداول فى الكتب ، والصحف وغيرها ، حتى يقبل كثير من المثقفين على تعلم كتاب الله ، وحفظه قراءة من المصحف ، الأمر الذى يحول بين كثير منهم وبينه ، استغلاق وقراءة الرسم العثمانى عليهم ، وهو الرسم الذى تلتزمه المصاحف فى جميع البلاد التى تقرأ العربية .

ويتساءل المتسائلون : لم لم تأخذ هذه الدعوات طريقها الى التحقيق ؟ ولم لم تجد استجابة من المسلمين فى أى عصر من العصور ، وبين أيديهم دعوة تلتقى مع شريعة هذا الدين القائم على اليسر ، ورفع الحرج والاصر عن الناس ؟ وأمر القرآن الكريم هو يسر كله ، فى بلاغة الأداء ، وتناغم الألفاظ ، ووضوح المعانى ، وقرب تناولها من سماواتها العالية .. والله سبحانه وتعالى يقول : « ولقد يسرنا القرآن للذكر » .. فكيف يتفق أن يكون القرآن على هذا القرب واليسر ، فى جوهره ، وعلى هذا الكرم والجود عطاياه ، ثم تكون الوسائل اليه على الطريق الوعر ، المحفوف بالمعاثر والمزالق ؟!

— ٣ —

ولا نحسب أن هذه الحقيقة قد غابت عن أسلافنا ، رضوان الله عليهم ، فلقد واجهوا هذه المشكلة — ان صح أن نسميها مشكلة — ولكنهم آثروا أن يكتبوا المصحف على هذا الأسلوب ، كما ارتضى الذين جاءوا من بعدهم أن يبقوا الكتابة المصحفية على ما هى عليه فى مصحف عثمان ، رضى الله عنه ، دون أن يمسوا صميمها .. ولقد سجل كثير من الأئمة العلماء الفقهاء رأيهم فى عدم المساس بالكتابة الاسلامية التى كتب عليها المصحف العثمانى ، معللين لهذه الآراء ، أو مرسليها بغير تعليل ، اذ كان الأمر عندهم من المسلمات التى لا ينازع فيها ..

يقول الامام أحمد بن حنبل — رضى الله عنه — : « تحرم مخالفة خط مصحف (عثمان) فى ياء ، أو واو ، أو ألف ، أو غير ذلك » .. فهذا الامام الجليل يؤثم الخروج على الخط العثمانى الذى كتب عليه المصحف ، ويرتفع بالخروج عليه ، الى درجة التحريم ، لا الكراهية ، كما يرى ذلك بعض الفقهاء ..

وسئل الامام مالك رحمه الله : هل يكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء ؟ فقال : « لا ، الا على الكتبة الأولى » يقصد المصحف العثمانى ..

ويقول الزركشى (صاحب البرهان فى علم القرآن) : « الخط ثلاثة أقسام : خط يتبع الاقتداء السلفى ، وهو رسم المصحف ، وخط يجرى على اثبات ما أثبته اللفظ ، واسقاط ما أسقطه ، وهو خط العروض .. وخط يجرى على العادة المعروفة ، وهو الذى يتكلم عنه النحوى » ..

ويقول البيهقى (صاحب كتاب دلائل النبوة) : « من كتب مصحفا ، فينبغى أن يحافظ على طريقة الهجاء التى كتبوا بها المصاحف ، ولانخالفهم فيها ،

ولا نغير مما كتبوا شيئا ، فانهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا . . فلا ينبغى أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم » . .

— ٤ —

ولا شك أن هذه المقولات ، وتلك الآراء ، التى صدرت من علماء وأئمة لهم قدرهم ووزنهم فى الأمة الاسلامية — قد كان لها أثرها فى الابقاء على الكتابة المصحفية العثمانية الى اليوم ، والى ما بعد اليوم ان شاء الله . . ولكن — مع هذا — فان كثيرا من النفوس لا تتقبل هذا الأمر الا محرجة معه ، ضائقة به ، اذ تطرقها التساؤلات عن الحكمة فى التمسك بهذه الكتابة المصحفية التى تستغلق على كثير من القارئين لكتاب الله فيها ، فلا يجدون الجواب المقنع الذى يستريحون له ، أو يطمئنون اليه . . وأكثر من هذا ، فانهم يجدون أن المصحف العثمانى ، كان خلوا من النقط والشكل ، فلما كثر اللحن والتصحيف فى قراءته ، رأى المسلمون فى وقت مبكر جدا ، أى فى زمن الحجاج الثقفى ، أن يدخلوا النقط والشكل على كتابة المصحف ، ولم يمنعهم توقيرهم واحترامهم لهذا الأثر الصحابى أن يديروه على الوجه الذى اقتضته الضرورة ، ودعت اليه ظروف الحياة المعاصرة . . !! فلماذا اذن لا نستجيب نحن لحاجة عصرنا ؟ ولماذا لا ندير الخط الاسلامى للمصحف على الوجه الذى يعصمنا من التصحيف أو التحريف عند قراءته ؟

والحق أن هؤلاء المتسائلين لهم أن يتساءلوا ، ولهم أن يطلبوا الجواب المقنع لما يتساءلون عنه فى هذا المقام ، والا ظلت هذه القضية قائمة بغير حكم قاطع فيها ، يمسكون بها فى صدورهم ، خواطر مزعجة ، ومشاعر قلقة ، أو يرسلونها دعوات هادئة هادية ، أو صيحات ثائرة ساخطة ، تثير غبارا ، وتحدث بلبلة وازعاجا . .

— ٥ —

والذين هم على صلة بكتاب الله ، وعلى اتصال بمدارسة علوم القرآن ، يجدون بين أيديهم أكثر من داعية ، وأكثر من حكمة تدعو الى الاحتفاظ بالرسم العثمانى للمصحف ، دون اجراء أى تعديل املائى عليه ، بالزيادة أو الحذف ، الا ما كان قد دخل عليه من النقط والشكل ، الذى صنعة الحجاج عن مناصحة ومشورة من علماء عصره .

ولعل أول شعور يدخل على المسلم ، وهو بين يدى المصحف أن هذه الكتابة الاسلامية التى هو عليها ، هى أثر صحابى ، يجد فيه ريح النبوة العطر ، ويستروح أريجها الطيب الزكى . . وهذا السبب وحده كاف للاحتفاظ بهذا الأثر العظيم ، الذى يجعل رسم المصحف على هيئة فريدة متميزة ، لا يشاركه فيها غيره مما كتب الناس ويقرءون فى الكتب ، والصحف والرسائل وغيرها . . ثم هو من جهة أخرى يحمل المسلم الحريص على دينه أن يبذل شيئا من جهده ، وأن يهيىء نفسه ، ويعدها اعدادا خاصا قبل أن يضع كتاب الله بين يديه ، فلا يهجم على المصحف فى غير تهيؤ واستعداد للقائه . . ان هذه الوقفة التى

يقفها المسلم فى مقام التعلم للقراءة المصحفية ، هى استحضار لمشاعره ، وايقاظ لوجدانه ، أشبه بما يكون منه قبل الوقوف بين يدى ربه فى محراب الصلاة ، من وضوء ، وأذان ، واقامة ، وتكبيرة احرام .. فاذا التقى بالمصحف بعد هذا ، التقى به وقد نقلته هذه الوقفة من حال الى حال ، ومن مقام الى مقام ، وهذا ما يليق بكلام الله ، الذى هو صفة من صفاته ، وصفاته عين ذاته ، وتجليات من تجليات ذاته ..

أفليس هذا وحده كافيا للتمسك بالرسم المصحفى للقرآن ، باعتباره ميراثا اسلاميا ، وأثرا صحابيا ، وشاهدا من شهود عصر النبوة ، ومعلما من معالم هذا العصر العظيم ؟ وبلى ، ثم بلى !!

— ٦ —

فاذا انكشف لنا بعد هذا أن الرسم العثمانى للمصحف القرآنى يقوم فيما يقوم عليه ، على اعتبارات تتصل بالقرآن ذاته ، لا من حيث الرسم الاملائى لألفاظه وحدها ، بل ومن حيث دلالة هذه الألفاظ على معان يشير اليها رسم اللفظ على صورة خاصة ، مغايرة للنمط المعهود فى الرسم الاملائى المتواضع عليه فى هذا العصر عصر كتابة المصحف العثمانى — أقول اذا انكشف لنا أن وراء الرسم العثمانى لبعض الكلمات ، اشارة دالة على معنى ، أو ملفتة اليه ، أفلا يكون ذلك أمرا ملزما لنا نحن المسلمين ، أن نقوم له مثنى وفرادى ، وأن ندفع عنه كل خاطر أو وسواس يريدنا على أن نغير من رسم المصحف ، بحجة التيسير على من يريد تلاوة آيات الله منه ، فتلك حجة داحضة أمام هذ ه المعجزة المتحدية ، التى يحملها الرسم العثمانى بين يديه ، والتى هى نفحة من نفحات كتاب الله ، وسر من أسراره ؟

وبلى .. أن ذلك أمر ملزم لا فكاك لنا عنه ، ولا تحلة لنا منه ، أن كان بنا حاجة الى فهم كتاب الله ، والى الوقوف على بعض أسراره ، وانها لحاجة قائمة أبدا ما دام لنا مقام بين يدى كتاب الله ، الذى لا تفنى عجائبه ، ولا تنفذ أسراره ، مهما ترددت عليه الانظار ، وتواردت على موارده العقول والأفهام .

— ٧ —

ولقد يسأل سائل : أهذه الدلالات المستقراة وراء رسم الكلمات المصحفية ، يمكن التعرف عليها ؟ وهل تقع من الأنظار المتوسمة فيهاموقعا واحدا ؟ وهل تعد هذه الدلالات تفسيرا لتلك الكلمات ، وبيانا لمعناها ؟ وهل نجد لذلك أمثلة وشواهد ؟

ونقول ان علماء القرآن لم يغب عن أنظارهم هذا الأمر ، ولم يفتهم الوقوف عند هذه الظاهرة التى انفرد بها رسم المصحف ، بل وقفوا عندها طويلا ، وحاولوا أنيعللوا لها ، وأن يكشفوا عن بعض أسرارها ..

وانه لطبيعى أن تختلف الأنظار فى هذا المجال ، وأن تتعدد وجهات النظر فى التعرف على المدلول الذى يشير اليه رسم الكلمات على تلك الصورة الخارجة

على المألوف ، اذ كان هــذا الرسم ــ كما قلنا ــ لا يعدو أن يكون اشـــارة من طرف خفى الى أن وراء هذه الكلمات شيئا غير ما يدل عليه ظاهرهـــا .. وأن الأمر يقتضى شيئا من النظر والتأمل ، أكثر مما يعطى لغيرها من الكلمات التـــى كتبت على ما هو مألوف فى الخط العربى ..

وعلى هذا ، فان ما يأخذه الناظرون فى هذه الكلمات من معـــان ، هو اجتهاد يعين على طول الصحبة لكتاب الله ، وترداد النظر فى هذه الكلمات ، ومقابلة بما يدخل معها فى القاعدة الاملائية .. ولا يجرى على طريقهـــا فـــى الخروج عن هذه القاعدة .. فبهذا ونحوه استطاع علماء القرآن أن يقيموا لهم مفهوما لتلك الكلمات ، وأن اختلفت مفاهيمهم ، وتعددت آراؤهم ..

وقد يقول قائل : وماذا أعطى هذا الرسم اذن من جديد فى هذا المقام ، اذا هو لم يعط للكلمات مفهوما واحدا يرتفع به الخـــلاف بين المفســـرين لها ، والطالبين لتأويلها ؟ وما الفرق اذن بين هذه الكلمات فى رسمها الذى جـــاءت عليه ، وبين غيرها من كلمات القرآن التى جاءت على الرسم المألوف ؟

ويتضح لنا الجواب على هذا فيما نعرضه من أمثلة لنظر العلماء فى بعض هذه الكلمات ، وفى فهمهم لها ، وفى تعقيبنا على هذا بما استقام لنا نحن أيضا من فهم ، نرجو أن يكون قائما على طريق الحق .

— ٨ —

ففى قوله تعالى : « لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه » « زيدت الـــف فى رســـم كلمة » لا أذبحنه « فكتبت بلام وألف بعدهما همزة ، على خلاف كلمـــة (لأعذبنه) التى كتبت على الرسم الاملائى المعروف .

ويقول علماء القرآن تعليلا لهذا : ان من القواعد المقررة فى فقه اللغة ، أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .. فأشعر ذلك بأن الزيادة هنـــا ليســـت زيادة فى المعنى الاشتقاقى للكلمة ، وانما هى زيادة بالنسبة للفعل المصاحـــب لها ، فدلت الزيادة فى (لا أذبحنه) على أن سليمان يقصد بالذبـــح فعلا أشـــد وأنكى من فعل العذاب الذى توعد به الهدهد أولا !!

ونقول ــ والله أعلم ــ ان هذا الرسم الذى خرجت به كلمة (لا أذبحنه) على القاعدة المعروفة ، يراد به أن فعل الذبح خارج كذلك على مدلول الذبـــح المألوف ، والذى يقع على الحيوان المراد تزكيته وتطهيره بالذبح ، حتى يـــكون صالحا للأكل .. والهدهد طائر لا يؤكل ، ومن ثم فهو لا يذبح ، فاذا ذبح كـــان ذبحه عقوبة له ، أشبه بذبح نفس حرم الله قتلها الا بالحق ! فـــالذبح للهدهـــد هنا ، هو عقوبة على جناية جناها ، تستوجب قتله !!

ومثل آخر نجده فى قوله تعالى : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبـــالا ولا أوضعوا خلالكم » .. فقد كتب الفعل : « ولا أوضعوا » هكذا بزيادة ألـــف بعد اللام الواقعة فى جواب لو الشرطية ..

ويقول علماء القرآن ــ ونعنى الزركشى ــ « ان الايضاع أشد افســـادا من زيادة الخبال » على حسب ما تقرر من قبل فى قوله تعالى : « لا أذبحنه » من أن الزيادة ليست زيادة فى المعنى الاشتقاقى للكلمة ، وانما هى زيادة بالنســـبة للفعل المصاحب لها ، وهو قوله تعالى : « الا خبالا » ..

ونقول ــ والله أعلم ــ ان الآية فى شأن المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسول الله .. وأن الايضاع ضرب من السير المتماوج ، أشبه بالركض ، وقد يكون هذا الضرب من السير على طريق الخير ، للسعى فى كسب الرزق ، أو الجهاد فى سبيل الله ، ولكنه هنا سعى خارج على المألوف الغالب من تحرك الناس وتقلبهم فى وجوه الأرض .. هو سعى سقيم معلول ، يتمشى بين الناس كمايتمشى الداء الخبيث ، الذى سرعان ما تنتقل عدواه من السقيم الى الصحيح ..

فالألف الزائدة هنا ، هى اشارة الى أن هذا الفعل فى موضعه هذا ، هو فعل معلول ، ينبغى التوقف عنده ، للفحص عن علته ، التى يحملها فى كيانه ..

ومثل آخر ، للحذف ، لا للزيادة .. نجده فى التفرقة بين رسم لفظ الكتاب ، ولفظ القرآن ..

فقد التزم المصحف الامام رسم لفظ الكتاب من غير ألف ، هذا : (الكتب) على حين التزم رسم لفظ (القرآن) باثبات الألف .. هكذا « القرءان » .

ويقول الزركشى فى التعليل لهذه المفارقة : ان القرآن هو تفصيل الآيات التى أحكمت .. فالقرآن أدنى الينا فى الفهم من الكتاب ، وأظهر فى التنزيل ، قال الله تعالى : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » وقال سبحانه : « كتب فصلت آياته قرءانا عربيا لقوم يعلمون » .. وقال : « ان علينا جمعه وقرءانه » ولهذا ثبتت فى الخط ألف (القرءان) وحذفت ألف (الكتاب) ..

وفى رأينا ــ والله أعلم ــ أن هذا الذى ذهب اليه الزركشى فى التعليل لهذا الاختلاف فى رسم كلمتى الكتاب والقرءان ــ يقبل أن يضاف اليه قول آخر ، وهو أن الكتاب يحتاج الى عالم بالكتابة ، يعرف دلالة رسم الحروف ، ويقدر على انطاق ما خط فى المصحف ، وليس كذلك الأمر بالنسبة للقرآن ، الذى يمكن أن يتلقى عن طريق السمع من قارىء يقرؤه من الكتاب ، أو حافظ يتلوه من صحائف صدره ، فالطريق الى القرآن عن طريق السماع والمشافهة ، أيسر من الطريق اليه عن الكتاب .. ولهذا رسم لفظ الكتاب بهذا الرسم الذى يدل على الغرابة ، والذى يدعو من يضع الكتاب بين يديه أن يكون على قدر كبير من الحذق والمهارة فى فن الكتابة حتى يستطيع أن يقرأ الكلمات قراءة صحيحة ، وان خفيت بعض أصولها ، وذهبت بعض معالمها .. وفى هذا احتفاء بشأن القراءة ، والتمكن منها ، والاستدلال بالبعض على الكل ، وبالحاضر على الغائب ، وبالمشهود من صحف الوجود على المستور منها .. وليس هذا بالمستغرب من رسالة كان مفتتحها قوله تعالى: « اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وهكذا ، يجد الدارس للكتابة المصحفية أكثر من داعية تدعو الى الاحتفاظ بهذا الأثر الجليل ، والابقاء على هذا الميراث العتيد ، الذى هو ــ فوق ما فيه من اشارات ودلالات تتصل بمعانى القرآن ــ معلم من معالم العصر النبوى ، وشاهد من شهوده ، يصل أجيال المسلمين به ، ويشدهم اليه ، حيث تتفتح قلوبهم ، وتهيج مشاعرهم ، بما يطلع عليهم من ذكريات أيام الله تلك ، التى أشرقت الأرض فيها بنور ربها ، والتقت الانسانية فيها بخاتم المرسلين اليها ، هدى ورحمة للعالمين .

الإسلام عقيدة وعمل ٢

للدكتور : محمد سلام مدكور

انتهينا فى المقال السابق الى أن كل موجود لا بد له من موجد ، وان الايمان بذات عالية رقيبة على السرائر أقوى سلطانا على النفس من مجرد الايمان بقيمة الفضيلة والسلوك الحسن ، وأن الايمان يتحقق بالتصديق ويتم ويكمل اظهاره بالقول والعمل الصالح . ولذا فانه يزيد وينقص ، وأن العمل الذى يكمل الايمان به هو ليس فقط العبادات المألوفة وانما هو كل فعل من أفعال الخير النافعة للجماعة ما دام أسس على التقوى — وقد وعدنا بالكلام هنا عن العقائد التى طلب الشارع منا الايمان بها فنقول :

العقائد الاساسية التى طلب الله منا الايمان بها هى أن نؤمن بالله سبحانه وبصفاته وأنه يصطفى من عباده من يشاء . فالله أعلم حيث يجعل رسالته ، وأن تبليغ رسالاته لرسله يكون عن طريق ملائكته الذين هم السفراء بين الله سبحانه ورسله وأن نؤمن بما أخبرنا به فى كتبه من البعث والحساب والثواب والعقاب يقول سبحانه جل شأنه ((**آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله**)) كما يقول فى صفات المتقين : ((**الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون**)) ..

وقد جمع النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الصحيحين المعروف بحديث جبريل ، جملة ما يجب الايمان به فى قوله وقد سأله جبريل (أخبرنى عن الايمان) ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومره .

والاسلام الذى جاء به محمد — النبى الامى الذى أصطفاه ربه من بين خلقه فأعده لتحمل رسالته — لا يحمل الناس على الايمان بهذه العقائد على كره منهم اذ يقول الله سبحانه : **(لا اكراه فى الدين)** ويقول لنبيه : **(ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** .

كما لا يحملهم على الايمان بها عن طريق الخوارق والمعجزات وانما يوجههم الى ذلك بالحجة والبرهان مخاطبا عقولهم لا عواطفهم ، فوجههم الى النظر فى أنفسهم كيف وجدوا ، وفى الكون المحيط بهم الملىء بالأسرار والقدرات يقول الله : **(وفى الارض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون)** ويقول : **(ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)** ويقول سبحانه: **(وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون)** .

وهكذا نرى ان استعراض عجائب الطبيعة والكون كان لتوجيه كل عاقل الى الايمان به ، بل على رأس ما يوجه الى الايمان به ، بل على رأس ما يوجه فى نفسه ودقة تركيبه : النطفة وتحركاتها وتطورها الى مراحل الانسان المختلفة كما يقول الله سبحانه : **(ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا)** .

تأمل سيطرة المخ على سائر أعضاء الجسم ، وتأمل حركة القلب ونبضه فى دقة دون توقف ، تأمل عدسة العين التى بها الابصار ، وهى تلقى صورة على الشبكية وهى طبقات عشر منفصلة وهى فى مجموعها ليست اكبر سمكا من ورقة دقيقة والطبقة التى فى أقصى الداخل تتكون من اعداد ومخروطات تبلغ الملايين عددا ..

تأمل المعدة وهى تتلقى كل ما ترسله اليها من طعام وشراب على اختلاف أنواعه وأصنافه وعديد عناصره . فتتحلل كل هذه الانواع تحليلا كيمائيا فى أكبر معمل كيمائى من صنع الله ، وتوزع الى مواد تصلح الى كل خلايا الجسم التى تزيد عدها فى جسم الفرد على عدد الجنس البشرى كله، ويجب ان يكون التوريد الى كل خلية فردية مستمرا وبانتظام وبالنوع الذى تحتاجه كل خلية لتحوله بدورها الى عظم ولحم وظفر وشعر .. انها معمل كيمائى ينتج من المواد المختلفة أكثر مما ينتجه أى معمل ابتكره ذكاء الانسان

وان نظام التوريد والتوزيع أدق من أى نظام عرفه العالم ووصلت اليه البشرية فى أزهى عصورها ،فهل وجد كل ذلك مصادفة من تلقاء نفسه أم هو من صنع الله خالق كل شىء ؟!

قد يتشدق انسان جحود ويقول: ان الانسان اوصلته مداركه الى غزو الفضاء والتعرف على ما فيه من أسرار وصنع العجائب والمعجزات ..

ونحن نقول له : من الذى أمده بهذا العقل وأعانه بهذا التفكير وزوده بهذه المعلومات ، انه الله خالق كل شىء وواهب الحياة والموت . ومع هذا فهل وصل الانسان الى ما وصل اليه باختراع شىء من عنده واستخدام شىء من خلقه هو . أم باستخدام بعض ما اكتشفه فى الكون من قوى . فمن الذى أوجد هذه القوى هل الانسان خالق الذرة ؟ وهل الانسان تحكم فى الكون واكتشف كل ما فيه ؟ الله جلت قدرته يقول على لسان رسوله الأمى : (علم الانسان ما لم يعلم) ويقول : (وفوق كل ذى علم عليم) .

وقد كان أسلوب مخاطبة العقل وحده مسلك المسلمين فى توجيه الناس الى الايمان فهذا الاعرابى حين سئل كيف عرفت ربك ؟ فقال : (سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج الا تدل على اللطيف الخبير) . وهذا الامام جعفر الصادق وقد جاء له بعض الزنادقة الذين يتشككون فى وجود الله فقال له الامام جعفر هل ركبت البحر ؟ قال : نعم . قال : هل رأيت أهواله؟ قال : نعم . هاجت أمواجه ذات يوم فتكسرت بنا السفينة وكادت الامواج أن تبتلعنا فتعلقت ببعض ألواحها وفجاة انفلت هذا اللوح من يدى وغلب اليأس على نفسى وكدت استسلم للغرق وان كنت أرجو السلامة فقال له الامام جعفر : ممن كنت ترجوها ؟! فسكت الرجل . فقال له الامام جعفر: انك كنت ترجوها من الله الذى عرفه قلبك وقت الشدة . وهذا الامام أبو حنيفة وقد أراد بعض الملحدين أن يفتكوا به خلسة وهو بالمسجد ليتخلصوا من مهاجمته لهم فلم يقنط من رحمة الله ، وقال لهم فى ثبات وايمان : أجيبونى عن مسألة ثم افعلوا بى ما شئتم : فقالوا : مامسألتك فقال: انى رأيت سفينةمليئة بالبضائع تمخر عباب البحر تحيط بها أمواج متلاحقة ، وعواصف قوية ومن الغريب أنها تسير فى خطها باتزان وثبات دون ان يكون لها ملاح يقودها ويوجهها ولا أحد يتحكم فيها فى مسيرتها . فسخروا منه فقالوا : كيف تحملنا على تصديقك فى شىء لا يقبله العقل ولا يتصوره ؟ فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله لا يقبل عقلكم ذلك ويقبل ان يقوم هذا الكون بما يحتويه من كواكب ونجوم ونظام دقيق من غير صانع ولا حافظ ومسير ؟! فبهتوا وآمنوا وحسن ايمانهم ..

وهذا الامام الشافعى وقد سأله بعض الملحدين الدليل على وجود الله فقال : ورقة التوت طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد لكن تأكلها دودة القز فتخرج الحرير ، ويأكلها النحل فيخرج العسل ، وتأكلها الشاة فتربى اللحم وتخرج اللبن ، وتأكلها الظباء فتغذيها وينعقد فى فوالجها المسك . فمن الذى جعل هذه الاشياء متنوعة الافرازات والغذاء واحد !! انه الله سبحانه ..

فالايمان بالله وانه وحده بجانب العبد يعينه ويشد أزره له قيمة لا يقدرها الا المؤمن ، وأن الفضائل الاجتماعية خاصة انما هى أثر من آثار الايمان بالله . واذا تأملت ما دعا الله سبحانه فى كتابه عباده الى الفكر فيه اوقفك على العالم به سبحانه وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته واحسانه وبره ولطفه وعدله ، ورضاه وغضبه وثوابه وعاقبه فبهذا تعرف الى عباده وندبهم الى التفكير فى آياته . .

ففيم يختلف الناس فى أمر هذا الخالق وكيف يتنكر الناس للقائه بعد ذلك . اليغالطوا عن الحقائق أنفسهم فيعيشوا فى الدنيا كما تعيش الانعام ويتمتعوا كما تتمتع ويرخوا لانفسهم حبل الامل فى حياتهم لتلعب وترتع؟! ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون . **(وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار)** .

ثم حسبك ان الله سبحانه يكرر تصوير هذه المعانى لافتا بها الاذهان الى تقويم العقيدة وغارسا بها فى النفوس الطيبة معانى الاذعان لله سبحانه وحده بالعبودية ولصفاته بأنها فوق مستوى التصوير والادراك وهكذا نجد منطق القرآن الكريم الذى هو خير مؤدب لمن تعلمه وأكبر موجه لمن تدبر فى آياته ذلك المنطق يقضى بربط النظر فى الكون وفى أنفسنا بتصحيح الايمان واصلاح العقيدة اصلاحا يحقق معنى خلافة الله فى الارض وان يقوم الناس بالاحسان والقسط ينشرون العدل والسلام ويتعاطون فيما بينهم الحب والوئام. فلعمر الله ان من لم يتعظ بتوجيهات الله سبحانه بعد أن يؤمن به ايمانا كاملا صحيحا ، ويتدبر ما لفت اليه الذهن والروح لجدير أن تزيغ عقيدته وأن يمشى مكبا فى هذه الحياة على وجهه **(ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور)** .

لغة القرآن الكريم

اللواء الركن محمود شيت خطاب

أمضى الطالب المجد المجتهد عشرين سنة فى دراسة علوم اللغة العربية نحوا وصرفا ، وحين أتقن تلك العلوم سأل أستاذه قائلا : « لو بسطت كتب اللغة العربية لأتقنت علوم العربية بسرعة ولاقتصدت من عمرى اكثر ما أنفقته فى الدراسة » فقال الشيخ النحوى : « لو بسطنا هذه الكتب ، فمن أين نأكل ؟ ! » ..

لقد هول قسم من أساتذة اللغة العربية أمر تعلمها ، وجعلوه بدرجة من الصعوبة والتعقيد بحيث لا يقوى على تعلمها أحد الا بمشقة بالغة وجهد جهيد ..

وكثيرا ما نسمع بعض الناس يرددون تأكيدا لصعوبة تعلم اللغة العربية قول أحد أئمة النحو الذى قال : « سأموت وفى نفسى شى من

حتى » .. ولا أحسب الرجل قال هـــذا الكلام ، ولا ادرى كيف يصدقه عاقل ..

وجاء الاستعمار فوجد فى هذه الفريسة فرصة ذهبية له : يروجهـــا لابعاد العرب عن اتقان لغتهم ، وابعاد المسلمين عـــن تعلمها بحجـــة أن العرب يصعب عليهم تعلمها ، فكيف بغير العرب .. !

وسافرت البعثات العلمية من العرب الى الخارج ، فتلقى العــلم كثير من الطلاب العرب على أساتذة من يهود وحاقدين على العربية ، وتلقوا مع فتات العلم كره العربية والاشمئزاز منها .

ولم يكن للعديد من هؤلاء الطـــلاب العرب رصيد من علوم العربية فصدقوا مزاعم أساتذتهم الأجانب ، فلما عادوا الى الوطن العربى بدأوا ينفثون سمومهم بترديد مزاعم أساتذتهم على أسماع التلاميذ والطـــلاب العرب ، ثقة بتلـــك المزاعم تـــارة ، ودفاعا عن جهلهم بلغتهم العريقـــــة تارة أخرى .

وقد أتى على قسم من الاساتذة العرب الذين تعلموا فى الخـــارج حين من الدهر ، كانوا يذكرون الكلمة الاجنبية ثم يقولون : لا نعرف كيف نعبر عنها فى العربية !

وكان أولئك الامعات التافهون ، يتحاورون فيما بينهم باللغة الأجنبية، تظاهرا بالثقافة وأظهارا لعظمة اللغة الغربية من جهة وعجز اللغـــة العربية من جهة أخرى .

وظهرت بوادر محاولات مريبة ، مصدرها الاستعمـــــار وأذنابه ، تحاول احلال اللغة العامية محل العربية الفصحى ، وكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، بالاضافة الى التخاطب بالعامية من فوق منابر الجامعـــــات والمعاهد والمدارس .

بل ذهب قسم من هؤلاء الى مدى أبعد ، فألفوا الروايات المأجـــــورة فى اضحاك الناس على المتكلمين بالفصحى ، واظهارهم بمظهر التخلف والرجعية ..

وقد قرأت مقالا فى مجلة عربية ، كله هجاء مقذع للعربية الفصحى ، قال كاتبه فيه : « أن العربية الفصحى لغة أهل القبور وأهل الكهوف .. » .

وخطط الاستعمار وأذنابه لهدم العربية من أصولها فى محاولـــة لاقتلاعها من جذورها ، وذلك باسناد التحرير فى الصحف والمجـــلات لمن لا يحسن العربية أو لمن يكرهها ، وبالحط من قيمة المدارس والمعاهـــد والجامعات التى تعلم العربية ، وباضعاف القيمة المعنويـــة للمدرسين والاساتذة المتخصصين باللغة العربية باعتبارهم من الدرجة الثانيـــة أو الثالثة بالنسبة لغيرهم من المدرسين والأساتذة ، وبالاصرار المتعمـــد على تخريج معلمين وأساتذة للعربية ضعفاء فى مادتهم أو يكرهون العربيـــة ، وبمكافحة سدنة اللغة العربية من الشيوخ والاساتذة ، وبترويج النكات التى تمس بسمعة مجامع اللغة العربية وأعضائها فى الوطن العربى ، وبتخصيص الجوائز المادية للذين ينتقدون العربية ويعادونها ..

ولكن ، هل ماتت العربية ؟؟ !

لقد تأثرت الفصحى بتلك المحاولات ، ولكنها لم تمت ولن تموت أبدا ،

وليس الضعف فى العربية ، ولــكن الضعف فى العرب .. مع الأسف الشديد .

وإذا استطاع التافهون والامعات من أبناء العرب الذين حاربوا لغتهم أن يسرحوا ويمرحوا ساعة ، فلــن يستطيعوا أن يسرحوا ويمرحوا الى قيام الساعة .

إن الخزى والعار يلاحقهم فى حياتهم وبعد موتهم ، كما يلاحق الذى يجرب شجاعته بوالدته فيطعنها من الخلف فلا يفعل أكثر من اثبات خسته وجبنه الأصيل .

فما هى أهداف مخططات دعاة العامية ودعاة الكتابــــة بالحـــروف اللاتينية ؟

ان أهداف دعـــاة العامية كثيرة جدا ولكن أهمهـــا قطع دابـــر أول أساس من أسس الوحدة العربية وأول دعامـــة مـــن دعائم التعـــاون الاسلامى ..

إن أول مقومات الوحدة هى اللغة ، وحين نذكر الوحدة العربيـــة ونطالب بها ، نذكر اللغة المشتركة بين العرب مقومـــا أساسيا للوحـــدة فاذا تكلم كل قطر بلغته العامية المحلية ، استحال التفاهم بالعامية بين العرب ..

كان أحد شيوخ فلسطين ضيفى ، وكنا نتحدث عن دعاة العامية ، فضربت له مثلا حيا بالكلام بلغة الموصل العامية ، ثم سألته : هل فهمت شيئا ؟ فقال : لا ..

والأغرب من ذلك ، أن جماعة من سكـــان بغداد كانوا ضيوفى وكانوا يسمعون هذه المناقشة ، فلم يستطيعوا فهم لهجتى الموصليـــــة العامية ..

وقد أرسلت الدار القومية للنشر والتوزيع الى فرعها فى بغداد سنة ١٩٦٥ م بعض الكتب المكتوبة باللهجة العامية ، فلم يشتر أحد نسخة واحدة من تلك الكتب ، وأخيرا أضطر مدير فرع الدار القومية فى بغداد أن يبيعها بالوزن بثمن بخس دراهم معدودات .

ثم إن فى القطر العربى الواحد لهجات عامية متعددة ، فبأى لهجة من لهجات الاقطار العربية يريد أن يكتب دعاة العامية ، بل بأى لهجـــة محلية فى القطر الواحد يريدون أن يكتبوا .

إن الموصل مثلا ، وهى مدينة عريقة فى شمال العراق ، كانت عربية قبل الفتح الاسلامى الذى جرى سنة ست عشرة الهجرية ، وكـــان يقطنها النمر ، وأياد ، وتغلب حين فتحها المسلمون على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

هذه المدينة الواحدة ، فيها ما لا يقل عن خمس لهجات عامية !

إن اللهجات العامية تمزق كل مدينة عربية ، وتشتت كل قطر عربى ، وتفرق كل الاقطار العربية .

لذلك استهدف دعاة العامية تمزيق الامة العربية وتشتيتها وتفرقة صفوفها ..

هم يريدون أن يجعلوا من الشعب العربى الواحد ، شعوبا كثيرة لا تعد ولا تحصى ..

وهم يريدون أن يجعلوا من الأمة العربية الواحدة أمما ، ومن الاقطار العربية التى ستشملها الوحدة عاجلا أم آجلا باذن الله أقطارا تفصل بينها الحدود والسدود .

وهم يريدون أن يجعلوا من أمل الوحدة العربية التى لا أشك فى تحقيقه مستحيلا من المستحيلات .

لقد ذكر أنتونى ناتنك فى كتابه : « رأيت بنفسى » أن وزارة الخارجية الاسرائيلية صرحت له بأنها ستقاوم كل مشروع للوحدة العربية بكل الوسائل ، لأن فى اتحاد العرب نهاية اسرائيل ..

وأتساءل : هل من الصدفة أن تتفق أهداف دعاة العامية مع أهداف اسرائيل ؟ !

ومن أهداف دعاة العامية أن يصبح هذا القرآن مهجورا .

إن عظمة القرآن هو نسجه البيانى المذهل ، فاذا سادت العامية ، فان لغة القرآن الفصحى لن تفهم للمثقفين بالعامية الا بدراسة اللغة العربية الفصحى .

كانت اللاتينية هى اللغة الأم للاسبانية والبرتغالية والايطالية والفرنسية وغيرها من اللغات ، وحين نجح دعاة العامية وكتب كل قوم بلغتهم المحلية ، أصبح الاسبانى أو البرتغالى أو الايطالى أو الفرنسى لا يستطيع أن يفهم اللاتينية الا اذا درسها وكأنها لغة غريبة جديدة عليه .

وبالتالى ترجم الكتاب المقدس من اللاتينية الى لغاتها العامية المتفرعة منها ، كما أصبحت الدول التى كانت تجمعها اللغة اللاتينية دولا متفرقة حاربت بعضها فى كثير من الاحيان حربا لا هوادة فيها .

فاذا كتب المصرى بالعامية المصرية والسورى بالعامية السورية والعراقى بالعامية العراقية .. الخ .. فان أولادنا وأحفادنا لن يستطيعوا فهم القرآن الكريم الا بعد نقله الى العامية أو بعد دراستهم العربية الفصحى !

وهنا يتفق دعاة العامية مع غلادستون المستعمر البريطانى الشهير واضرابه من أعداء العرب والمسلمين ، فقد قال غلادستون : « لا يزال العرب والمسلمون بخير ، ولا يزالون يصاولون الاستعمار ويحبطون مخططاته ما دام القرآن بين ظهرانيهم .. يجب تمزيق هذا القرآن » ..

واتساءل مرة ثانية ، هل من الصدفة أن تتفق أهداف دعاة العامية مع أهداف الاستعمار ؟ !

والنتيجة بعد ذلك أن نلغى تراثنا العريق المكتوب بالفصحى جملة وتفصيلا ، ويبقى ركاما فى المكتبات أو سلعة فى السوق الرخيصة التى تبيع أطنان الكتب بأرخص الأسعار .

واللغة العربية : هى الرباط المقدس بين الشعوب الاسلامية باعتبارها لغة القرآن الكريم ، وقد زرت الباكستان عام ١٩٦٤ م فوجدت الناس على اختلاف طبقاتهم يتلون القرآن ويفهمون العربية بمقدار ، وقد احتفل بنا عميد الجامعة الاسلامية فى مدينة (دكا) — أكبر مدن باكستان الشرقية — وحرص على القاء كلمته الترحيبية بالعربية الفصحى بلغة الجاحظ وابن العميد لا بلغة أدباء القرن العشرين .

فاذا حقق دعاة العامية دعوتهم ، فسينفرط هذا العقد الذى يجمع الأمة الاسلامية من المحيط الى المحيط ، ولا تبقى صلة بين العرب ، وإخوانهم المسلمين .

إن اسرائيل تعلم أن المسلمين هم السند القوى للعرب فى المطالبة بحقوقهم المغتصبة ..

وهى تشجع التبشير والمبشرين علنا ، لأنها تعلم أن الذى يصبح مسلما يكون حليفا طبيعيا للعرب وقضاياهم المصيرية .

فكيف نفرط بهذه الصلة الوثيقة بين العرب والمسلمين .. كيف .. ؟

إن يهود العالم يتعلمون العبرية باعتبارها لغة التوراة أولا ولأنها لغة قومية تجمع شملهم وترص صفوفهم ، وتظهرهم للعالم شعبا واحدا وأمة واحدة .

هم يتعلمون هذه اللغة فى أوطانهم الأصلية ، فى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والمانيا وفى كل دول الشرق والغرب التى يعيشون فيها .

وهم يتعلمونها حين يهاجرون الى اسرائيل ويستقرون فيها ، وحينذاك يصبح تعلمها فرضا لا مناص من أدائه .

انهم يحيون لغة ميتة ليعيشوا ..

والمشبوهون من العرب يحاولون إماتة لغة حية لتتلاشى الأمة العربية .

وقد بدأت الهجرة المنظمة الى فلسطين سنة ١٩٠٧ م وظهر وعد بلفور سنة ١٩١٧ م وتكاثفت الهجرة اليهودية الى فلسطين سنة ١٩٢٧ م بمعاونة الاستعمار البريطانى وتشجيعه .

وأتساءل مرة رابعة : هل من الصدفة أن تظهر الدعوة الى العامية فى هذه المدة الزمنية بالذات ؟ !

هل من الصدفة أن يبنى الصهاينة العبرية فى هذه المدة الزمنية تمهيدا لخلق اسرائيل . وأن تظهر بدعة الدعوة الى العامية فى هذه المدة لتكون احدى عوامل البلبلة واضعاف العرب وفك رباطهم بالمسلمين ؟

إن أهداف دعاة العامية هى : جعل الأمة العربية أمما ، ومحاربة الوحدة العربية فى أقوى مقوماتها ، ومحاولة جعل القرآن الكريم مهجورا والغاء التراث العربى الاسلامى جملة وتفصيلا ، وتعطيل التعاون بين العرب والمسلمين ، وتهيئة الأسباب نتيجة لكل ذلك أن تطبق اسرائيل مخططاتها التوسعية الاستيطانية فى اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات .

واذا كان غيرى قد أحجم عن فضح دعاة العامية قبل اليوم كما ينبغى، فأنا لا أتردد من اتهامهم بالعمالة لاسرائيل وللاستعمار ولأعداء العرب والمسلمين ..

إن وجود أمثالهم بين ظهرانينا من مصلحة العدو ، ما فى ذلك أدنى شك !

تلك هى مجمل أهداف دعاة العامية ، **ولكن الله غالب على أمره** ، وصدق الله العظيم : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، وقد قال المفسرون فى تفسير « حافظون » ــ حفظه عقيدة ولغة .

فما هى أهداف دعاة الكتابة بالأحرف اللاتينية ؟ وما وسائل تعليم اللغة العربية الفصحى ؟

ذلك هو موضوع حديث جديد باذن الله !

القدس

القدس ـــ أعظم قضايا العالم خطورة

فى الفصل التاسع والستين من المجلد الثالث من (تاريخ العالم) المشهور للســـــير جون هامرتن ملاحظات دقيقة عن ظاهرة تاريخية تثير العجب ، الا وهى بروز القدس فى صدر العالم كله ، حين تجتـــاز البشرية مراحل انتقالية خطيرة مصيرية مؤثرة لمدى أجيال عديدة ..

فالقرن السادس قبل الميلاد شهد انتقال زمام المبادرات الحضارية من أيدى العناصر السامية والمصرية الى أيدى الآريين من فرس ويونان ورومان وفيه دمر بختنصر الهيــكل وســـبى اليهود الى بابـــل ، ثم كان انتصار كورش الفارسى لهم ، ورده اعتبارهم ..

وفى القرن الاول الميلادى ، وفيما كان الرومان يؤسسون سلطانهم المطلق على أخطر رقاع الارض ، وأعظمها شأنا دمر الهيكل وأعيد شتات اليهـــود ..

وكان فى وسع المؤلف نفسه أن يضيف الى ذلك بقيـــة حلقـــــــات السلسلة التاريخية الى ساعة الازمة الكبرى التى تواجه العالم اليوم، وتتركز حركة محورها فى القدس ، لولا ان بحثه كان قاصرا على العالم القـــديم ..

كان فى وسعه أن يضيف أن القرن السابع الميلادى شهد مرحلة حسم تاريخية بظهور الاسلام . .

وان من القدس بالذات كان منطلق الرسول محمد عليه السلام الى السماء وذلك فى الرحلة المعجزة التى أكدت فى أخطر مراحـــل الدعوة الاسلامية حقيقة تحول التاريخ من المكان ذاته ..

للأستاذ أحمد العناني

وبعد ذلك بستة قرون أخرى تقريبا ، وفى القدس بالذات ، وفى ليلة الاسراء والمعراج أيضا قرر انتصار صلاح الدين هزيمة الارادة التى حاولت اخراج الاسلام من معركة الوجود القديمة ، بعد أن وضحت نوايا البغى المسدد الى قلب الاسلام على شكل حملة وجهت الى مهد الاســـلام فى يثرب ومكة ولكنها فشلت كما هو معروف ..

وبعد خروج آخر جندى من الغزاة من ثغر طرابلس أيام المماليك بستة قرون أيضا ، وفى مرحلة تحول تاريخية فتحت معركة جـــديدة تحت شعارات جديدة ، ولكنها فى جوهرها مرحلة مستجدة من المعركة القديمة وكانت القدس هى الهدف ، وهى محور الصراع الذى يفتتح تحولا تاريخيا جديدا ..

عداء قديم لارادة الخير فى الوجود البشرى :

ومن كتاب (اليهود والرأسمالية المعاصرة) الذى أعد مـــادته بصبر عجيب دماغ يمثل كل ما فى العقلية الالمانية من اصرار وعنـــاد فى تحرى الحقائق ، واستخراج مكنوناتها من أدق التفاصيل والشوارد ، فى هذا الكتاب حديث عن حوالى خمسمئة أسرة يهودية يعود بعضـــها الى أصول أندلسية ـــ وبعض هذا البعض كان منتحلا اسماء عربية ومدعيا الاسلام ، وبعضها يعود الى عناصر يهودية كانت متركـــزة فى المحطات التجارية لاتحاد مـــدن الهنسا المهيمنـــة على تجـــارة العصر الوسيط ، ومنها ما هو من هذه المدن الايطالية التى انتفعت أعظم انتفاع

من الحروب الصليبية حتى وصل بها الحال الى استدراج الشباب والاغرار لحملات أخرى ثم بيع حمولات سفن منهم رقيقا فى شمال افريقيا وغيرها ..

هذه الاسر تنقلت فى أوروبا الغربية منذ عهد شركات الهند الشرقية المربحة ، وأيام الغزوات الاستعمارية البربرية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية والوسطى ، وأيام المشاريع الكبرى بعد الانقلاب الصناعى فى أوروبا الغربية وترى العائلة تنتحل اسماء مسيحية، وقد تمارس كل ما يمارسه المسيحى فى الظاهر للعيان من حياته ، ثم اذا هى فى مكان آخر وتحت ظرف آخر تتحول لاسماء أخرى وأنشطة مختلفة وقلما تظهر على حقيقتها اليهودية ..

هذه العائلات فيما بينها ، ما ظهر منها وما استخفى ، وما ثبت فى مكان وما انتقل الى سواه ضمن مخطط خفى عجيب كانت المنتفعة الاساسية من كل التحركات والتحولات التاريخية العظمى ، ومن كل المخترعات العلمية ، والاستكشافات الجغرافية ، والتحولات الاجتماعية، والثورات الدامية ، والحروب الاستعمارية ، ثم أخيرا الازمات الاقتصادية الطاحنة والحروب العالمية . ناهيك عن وسائلها الخفية الاخرى ..

وهذه العائلات اليهودية كانت تخطط لشىء كبير جدا فى العالم يكون منطلقه من القدس ..

رجعة ثانية الى (تاريخ العالم) وتساؤلات أخرى أيضا :

ان كاتب الفصل التاسع والستين من المجلد الثالث من تاريخ العالم ليس مسلما ولا عربيا ولكنه دكتور فى اللاهوت ، أجنبى لا أستطيع اثبات جنسيته ، وانما أعود اليه لأقتبس منه بعض فقرات تعيدنا الى أصل الحكاية ، وتلقى على حاضر القرن العشرين أضواء كاشفة تعود الى أكثر من ألفى سنة ، وأحب أن أبين أن ما قد يبدو قديما موغلا فى القدم ، مبتور الصلة بالحاضر فى حياة الشعوب قد يكون حاضرا ماثلا كالعيان فى حاضر اليهود ، لان جوهر المزايا اليهودية التى تستطيع تجديد عذاب الانسان فى الارض ما يزال باقيا على حاله ، وهو جوهر عبقرى فى اصراره وعناده وثباته ، قادر على احتمال سائر المناخات فى المجتمع الانسانى ، لم ينهزم هزيمة صريحة مشروعة بشكل الحق ومحتواه الا على يد محمد صلى الله عليه وسلم ..

والآن الى فقرات كتاب (تاريخ العالم) (ان فى تفكير حزقيال — وهو مبلور خطط اليهود بعد عذاب السبى فى بابل — ناحيتين لا تتفقان مع تفكير الناس أولاهما تلك الرؤى التى يرى فيها حربا هائلة يخوضها يهوه وشعبه ضد حلف من الامم المعادية) ..

(ان العادات الطقسية كالاسبات وقوانين الطعام وتحريم الزواج من غير اليهود كانت أكبر عون على خلق قومية أساسها الدين ينفرد بها اليهود عن سائر الامم) ..

لقد ولدت عنصرية القومية الدينية اليهودية فى جو من الكراهية والآلام وكان استمساكها بالطقوس والمظاهر الهيكلية أساس

اتجاهها الى التعصب والقسوة والفساد وكراهية سائر خلق الله ، ناهيك عن لون عجيب من الغطرسة والغرور ، واحتقار ذكاء سائر البشر الآخرين ، والتطلع الى تسخير الشعوب بمختلف الوسائل ، وتفضيل ما كان يوصل الى الغايات المرسومة من تلك الوسائل بأضمن طريقة وأسرعها ، كنشر الفساد والانحلال الخلقى ، وافساد الضمائر والتضليل والعهر والفتنة ، واثارة الشكوك وتهديم ثقة الناس ببعضهم ، والتعويل على الاشاعات الكاذبة والحروب النفسية ، وكل وسيلة توصل الى خطط اضعاف الآخرين وتسخيرهم واستغلالهم ، وفى سائر هذه الوسائل يكون الذهب هو المحرك الرئيسى ، ولا يوجد أدنى ريب فى أن أساطين اليهودية وموجهيها يفاخرون فيما بينهم بكل ما أحرزوه من نجاح بهذه الوسائل جميعها ..

ومهما قيل عن مقررات حكماء صهيون وملاحقها السرية ، والوقت الذى يتطلع اليه مخططو اليهودية للاعتراف العلنى المتباهى بأمثال تلك المقررات وما نتج عنها من آلام رهيبة ، وسقط فى سبيلها من ضحايا الا ان تساؤلات كثيرة جدا على امتداد التاريخ تؤكد مسئولية اليهودية — ولا أقول الصهيونية عامدا متعمدا — لان هذه الاخيرة ان هى الا شكل متطور من الاساليب التى أشرت اليها — عن أكبر قسط من مصائب الانسانية .

وما اقترب اليهود يوما من هدفهم فى الهيمنة على القدس الا والعالم يتلوى ألما من مصائب انهيارات خلقية ، تتميز باستعلان الرذائل ، وانحلال الذمم ، وانتشار الفساد والرشوة ، وتهدم القيم الانسانية ، وسفك الدماء بلا حساب .

وأريد أن ألقى بتلك التساؤلات التى ان لم تحمل اثباتا علميا فهى لا تدع شكا فى الجهة التى ينبغى ان تتجه اليها أصابع الاتهام ، وتحملها وزر آلام هائلة تحملتها الانسانية ضريبة للعقد المترسبة فى تقاليد اليهودية ومخططاتها الرهيبة ..

افتتح الكلدانيون مناطق كثيرة فى العراق وسوريا وجنوبى ايران فلماذا لم يسبوا وينفوا الى بابل غير اليهود ، ولماذا اختصوا هيكلهم فى القدس بالتدمير التام ؟

لماذا أصبحت بابل قبل مجىء الفرس مركز تجميع ثروات هائلة ، كما أصبحت مركز الاساطير والسحر والشعوذة ؟

من الذى كان فى ركب الفرس يقود خطى فتوحاتهم فى الشرق الادنى ؟ ولماذا بدا كورش وكأنما هو ملك اليهود دون الفرس ، وما سر حماسته لهم ، وتبنيه قضيتهم ؟ ولماذا شغل بهم هو وخلفاؤه أكثر من انشغالهم بقومه الفرس ؟

كيف تسنى لليهود ذبح الحاميات الرومانية ، وتقتيل أطفال ونساء جنود الفيالق الرومانية المقاتلة ضد البارثيين ، والنجاة من كل عقاب مرة بعد مرة ؟

لماذا وجد تيتوس احب اباطرة الرومان لشعبه من الضرورى هدم الهيكل وتشتيت اليهود ؟ من الذى حول الرومان من أمة تتعبد الاستقامة والبساطة الى عباد ترف ، وأعلام فجور ، وما هى حقيقة

محتكرى الضرائب فى روما ، ومتعهدى أموال الدولة ، وما هو سر الفحش الذى تميز به قصور الاباطرة قبل فاسباسيان الريفى المستقيم وتيتوس؟

لماذا تبدل موقف اليهود من رسالة كل من المسيح ومحمد عليهما السلام ؟ الأنهما فشلا فى الحالتين عن تطبيق أعظم عبقرياتهم الشريرة فى استغلال المبادىء الانسانية والمتاجرة بها ؟ أيما كان مؤلف أو مؤلفو الروايات المعروفة باسم روايات شكسبير فهى جميعها تمتاز بصفة أساسية هى انسانيتها العريضة الواسعة ، السمحة الفضفاضة فلماذا حرصت على أن تحوى أصدق صورة درامية عرفها التاريخ لشخصية شايلوك المرابى اليهودى المجرد من الانسانية ، وهل قفز ذلك الخيال الموفق من العدم ؟

من هو الممول والمحرض والمستفيد من قيام الحروب الصليبية ؟ وما هو دور اليهود المتواجدين فى البندقية وجنوه ومرسيليا واتحاد مدن الهنسا — وهى جميعا أعظم المستفدين من تلك الحروب ، فى قيام الحرب واستمرارها مئتى سنة ؟

أى دور لعبه اليهود فى تشجيع المسلمين على سرعة اقتحام أسبانيا ؟ ولماذا برزوا فى عملية اخراج المسلمين منها بحيث أثار السخط رجلا كالمعتمد بن عباد فقتل المسئول المالى اليهودى للأدفنش ؟ ثم ما ذلك الدور الذى لعبه اليهود فى ايجاد أجواء خلاعية فى الاندلس ؟ حتى مؤلفى الموشحات التى تغنيها الراقصات يهود والمشرفون على فرق الرقص كذلك ؟

ما سر العلاقة بين الهرمزان واحد كبار المنافقين اليهود فى يثرب وأبى لؤلؤة فى استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب ؟ ومن ترى كان وراء التحريض المثير الذى حمل أبناء عمر رضى الله عنه على قتل الهرمزان ، وبذلك انطمست آمال التوسع فى البحث عن الجريمة حتى نشأ موقف لا أرى له شبيها فى التاريخ أقرب من الموقف الناشىء بعد مصرع كيندى فى أمريكا ؟ ومن كان وراء غموض الحركة التى أدت الى استشهاد عثمان رضى الله عنه ؟ وما هو الدور الذى لعبه اليهود فى تركيا اعتبارا من خيانة كوتشك كينارجه الى تسليم عبد الحميد وثيقة خلعه بيد الرجل الخفى الذى كان عرض عليه السماح بوطن قومى لليهود فى فلسطين فرفض ذلك عبد الحميد ؟

ولماذا نذهب بعيدا ؟

من الذى جعل الالحاد من ضرورات المطالبة بالعدل الاجتماعى ، وكان العقل المفكر لليسار فى عالمنا المعاصر ؟ هارولد لاسكى فيلسوف حزب العمال البريطانى يهودى ، وماركس يهودى ، والحزب الاشتراكى الديموقراطى الالمانى قام على اليهود ، ولا تسل عن اليسار فى فرنسا وغيرها ؟ وحركات كثيرة قامت فى ايطاليا لتوحيد البلاد المزقة فخانها النجاح .. حتى اذا قامت حركة وراءها مينون اليهودى فى البندقية الذى كان كافور واجهة له نجحت حركة الوحدة الايطالية وكان غاريبالدى الرجل الشعبى الغيور أحد ضحاياها ؟ والدور الذى لعبه تروتسكى فى ثورة اكتوبر بروسيا ما هو وما سره ؟

وفى كتابة وعد بلفور والتمهيد لها .. كيف أصبح لورد الصحافة

البريطانية داعية الوعد المجنون صاحب ملايين ، ومهيمنا على التايمز وغيرها الا أموال الاعلانات وشركاتها الممولة من اليهود ؟ واسكويث ذلك الرجل النزيه ، من أحل لويد جورج وبلفور محله قهرا فى الوزارة بلندن الا نفوذ وحركات اليهود ؟

ويقولون ان هرتزل نفسه وحاييم وايزمن كانا متلهفين على قبول اقتراح بانشاء وطن قومى يهودى فى أفريقية ، ولكن قوى أقوى منهما اجبرتهما على المجاهرة بتخصيص فلسطين فى المطالبة بالوطن العتيد . من هى تلك القوى التى تأمر رجالا كهرتزل ووايزمن وتطاع بكل بساطة ؟

ومن هو بروكسماير صاحب النفوذ العريض فى الكونغرس الامريكى وما حكايته ؟ ولحكم من تخضع الحواضر الضخمة الامريكية فى نيويورك ولوس أنجيليس وشيكاغو ؟ ومن الذى يملك وسائل الاعلام والصحافة ومنابع السينما والتلفزيون ؟

ان العالم يزخر بأقليات كثيرة نشطة ، لها كل ما للاقليات الصغرى المغتربة فى العالم الفسيح من نشاط وحرص ..

لكن واحدة منها لا تقيم الحكومات أو تسقطها ، وتثير الحروب أو توقفها ؟

ليس هناك غير اليهود من يستطيع ان يباهى بتبرير الجريمة فى الارض على قاعدة عقل يدعى فرويد ، وتبرير الالحاد بفكر يسمى الداروينية وتحويل الاديان والمعتقدات الى السنة تنافق وسياط تجلد وتظلم ، وثورات السخط على الظلم الاجتماعى الى كفر واباحية وفوضى ..

ليس غير اليهود استطاع تحويل الجماهير التعسة لعبادة جسد المراة ، وجعل مفهوم الحرية هو حرية الجنس المشاعة البهيمية ..

اليوم يعودون للقدس :

واليوم يعودون الى القدس ، ومعهم نفس مخططات العائدين من السبى فى بابل أن يحكموا العالم ، ويفتكوا كيفما طاب لهم بسائر شعوب الارض النجسة كما يعتبرونها ، وهم يرتفعون عن حضيض المذلة التى كتبت عليهم بحبل من الناس ..

ذلك الحبل هو امتلاكهم كل مفاتيح القوة فى عالم الرأسمالية الباغية المستعمرة ومفاتيح كل دعوات الكفر والانحلال الروحى فى دنيا اليسار الملحدة ..

بهم ترتبط الاحتكارات الباغية فى حواضر أمريكا وأروبا ، وخزائن الذهب والعملات النادرة فى كهوف زيوريخ ، ومصانع الرذيلة والفجور فى هوليوود وأوروبا ، ومعهم سدنة القسوة فى جنوب أفريقيا ولشبونة، وسائر المرتزقة من سياسيين وعسكريين فى أنحاء الارض ..

ومعهم كل ضعف الانسان وشرور نفسه وما يتعلق بها وينجم عنها فى الحياة .. وليس أمامهم الا القرآن وسنة محمد عليه السلام .. وهما ما لم يستطيعا تحريفه أو احكام المتاجرة به على مدى التاريخ ..

ومع القرآن وسنة نبيه أفراد مبعثرون فى الارض واعون كل شىء متشوقون للمجاهدة فى حماية البقية الباقية من كيان البشريةالذى لم يصل اليه سوس حكماء صهيون . ومع هؤلاء قلائل من أهل المسيحية

بدأوا يتململون تحت وطأة اليقظة بين ملايين من اخوانهم مذهـــولين بسحر اليهود ..
في موقف كالح كأنما انقطعت فيه حبال الارض عن السماء بدخول أعداء الله الى مسرى رسوله ..
وفي منعطف تاريخي رهيب خطر قد لا يترك للبشرية فرصة اخرى لمراجعة الامور يقف العالم حائرا مشدودا ، مروع الضمير ، لكنه عاجز عن الحركة .. فلماذا ؟

يريد الله للنصر أهل الصدق :

لقد ارتفعت فى القدس رسالات الانبيـــاء التى حـــرفها اليهـــود وحوروها ، وتاجروا بها وتنكروا لجوهرها ، بينمـــا استمسكوا بطقـــوس كرسوها فيها ..
وفى القدس أعلن المسيح كلمة الحق ، فسار به اليهود جهـــارا نهارا على طريق الآلام ، وقد توجوا رأسه الكريم باكليل الشـــوك ..
وفى القدس بدأت رحلة محمد عليه السلام الى السماء توثيقـــا لرسالة السماء التى حملها بنجاح فى الارض ..
هناك يرتكب اليهود الان أبشع جرائم عرفتها الانسانية فى التاريخ فى غياهب السجون يزج بالابرياء العرب ، فتشتم معتقداتهم ، وتهـــان كراماتهم ويعذبون كما لا تعذب فرائس الحيوان من وحوش الغاب ..
هناك لا تساوى نهية الدين والشريعة ، والحق والشرف ، وحقوق الانسان ومبادىء الامم المتحدة ، ومواثيق البشرية ثمن الورق الذى كتبت عليه ..
هناك تعاد ذكريات محاكم التفتيش ، ومشاهد نيرون ، ومعتقلات النازى وسبى الكلدانيين ، ومذابح الصليبيين ..
ومع ذلك تملأ الدنيا الدعاية أن اسرائيل لا تعتقل الا بمبرر ، ولا تحاكم وتحكم الا ببينة ، ولا تطرد وتعذب الا بحجة قائمة ..
الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله !

لم يبق فى الدنيا من روح الحق الا هذا النداء الذى باعـــد اليهـــود بينه وبين الناس بما صنعوا من عجول الذهب ، وما ضللوا من شياطين الانس ، وما فرقوا بالفتن ، وما أفسدوا من ذمم ..
الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله ..

يريد خلاص الارض من الطامة الكبرى رجالا فوق الشهوات ، وفوق المنافع ، وفوق المعاذير ، وفوق الخوف ، وفوق هوى النفوس ..
رجالا يحيون وكأنما يرون الجنة عيانا والنار عيانا ..
يريد الله رجالا يشرفهم بارادته فى نصرهم لانهم حقا ينصرونه والا فقد ماد العالم ، وانتهى أمر الانســـان ، والتهمته فتنـــة تـودى به الـــى الخـــراب ..
يريد الله ربانيين صادقين ليطفئوا النار التى تحرق كل شرائع الحق المفترى عليها فى الارض التى باركها فى القدس ..

الإسلام.. وسيادة القانون

للأستاذ فتحي محمد جمعة

تمهيـد :

تخضع الأمم لناموس الحياة العام الذى يخضع له جميع الاحياء ، فتنقلب من ضعف الى قوة ، ومن قوة الى ضعف حركة دائبة ، قد تطول معها مدة القوة أو الضعف ، ولكنها – فى آخر الأمر – تتمرد على أسباب الضعف فتقوى ، أو تعمى عن أسباب القوة ، فتتردى فى مهاوى الضعف والانحلال .

هذه حقيقة « انسانية » يشهد لها الواقع ، وتصدقها حركة التاريخ . ولا يعنينا هنا أن نستقرىء الحوادث – على امتداد العصور واختلاف الدول – وانما يعنينا أن نبلغ بالاستقراء الى مداه ، فنعرف ما يقترن بالقوة ، أو بالضعف من ظواهر وعلامات .

فماذا عسى أن نصل اليه باستقراء التاريخ فى هذا الصدد ...؟

ان التاريخ هنا يقدم الينا « حقيقة » كبرى تفسر كثيرا من الأشياء التى نطلب تفسيرها فى هذا المجال .

ذلك أن قوة الأمة ترتبط دائما بشيوع الأمن والنظام بين أبنائها ، كما أن ضعفها يرتبط دائما بما فيها من فوضى واضطراب .

ولو سبقنا مجرى الحديث لقلنا :

ان القوة ترتبط بوجود « قانون » تدين له الأمة .

كما أن الضعف يرتبط بضياع هذا القانون ...

هذه – كما قلنا – حقيقة ثابتة أدركتها الانسانية من قبل أن يتكون من الافراد جماعات ، ومن الجماعات أمم وشعوب .

ومن أجل هذه « السليقة الانسانية » – سليقة الشعور بالحاجة الى « نظام » جهدت التجمعات البشرية الاولى أن تصطنع لها ما يمكن أن نسميه

« قانونا عاما » ، يخضع له سائر الافراد . ومن هنا ، كانت الاعراف ، والتقاليد البدائية التى كشفت عنها الدراسات « الانثروبولوجية » وجود النظام أو « القانون العام » — اذن — ضرورة لازمة ، تمليها الفطرة الانسانية ، ومن أجل ذلك ، كان شعور الانسان بالطمأنينة والامان ما وجد هذا النظام ، وشعوره بالفزع ما اختل النظام ، واضطربت القوانين .

* * *

على أنه اذا ما غاب « القانون » الذى يحفظ الأمن ، ويعطى كل ذى حق حقه ، فان الشعور بالقلق يكون شعورا عاما يغمر الأقوياء والضعفاء على السواء :

القوى فى خوف دائم من منافسة الأنداد ، ومن انقضاض الضعاف فى لحظات الثورة والهياج .

والضعيف فى رعب دائم من تسلط القوى ، وجبروته ، واستبداده .

فلا هذا مطمئن فى ضعفه ، ولا ذاك وادع فى قوته .

— — — —

تلك هى الدرجة التى استوى عليها العالم قبل أن يبعث النبى العربى محمد — صلى الله عليه وسلم — بدينه الجديد الى الناس كافة .

فماذا فعل الاسلام لاقرار الأمن ، وتوطيد أركان القانون ...؟

— — — —

ذلك هو ما نحاول — بعون الله وهدايته — جلاءه على الصفحات التوالى :

* * *

الاســلام والقانون :

لسنا هنا بصدد شرح « القانون الاسلامى » أو تفصيل « مواده » التى تناولت — فى شمول رائع — كل ما يهم الانسان فى دينه ، ودنياه ، فنظمت علاقة الانسان بخالقه — وهى علاقة الضمير الحى والقلب السليم — وعلاقة الانسان بنفسه ، وعلاقته بغيره من بنى جنسه . ثم علاقة الأمم بعضها ببعض ، وصدق الله العظيم اذ يقول : **« ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (الأنعام ٣٨)** . لسنا هنا بصدد شىء من ذلك .

أولا : لأن هذه أغراض مستوفاة فى مواطنها لدى ذويها وأصحاب القدرة عليها .

وثانيا : لأنا نقصد بهذا البحث القصير الى غاية واحدة ، لا نريد أن نتعداها ، وتلك هى بيان ما صنع الاسلام فى حماية الأمن وسيادة القانون .

* * *

الاسلام وحقوق الانسان :

ان تكن الثورة — فى أقرب معانيها — تغييرا لنظام سائد ، أو تبديلا لوضع مستقر ، أو اصلاحا لفساد قائم ، فلقد كان الاسلام — بحق — ثورة هائلة أحدثت تغييرات كبرى فى كل شىء يتصل بالحياة الانسانية .

وبحسبنا هنا أن هذا الدين الجديد قدم للانسان عقيدة جيدة فى الاله الواحد الذى ليس كمثله شىء .. وعقيدة جديدة فى « الرسول » الذى هو « بشر » اصطفاه الله ليبلغ رسالته الى الناس .

وعقيدة جديدة يرضى عنها العقل والقلب فى الملائكة وفى الموت والبعث وفى الجنة والنار .

ثم قدم له — الى جانب العقيدة الصالحة — الشريعة الصالحة التى أضاءت له الطريق الى الدين القيم والدنيا الطيبة .

والذى يعنينا هنا من ثورة الاسلام — على بعد مداها وتعداد جوانبها — أنها الثورة الاولى التى أعلنت « حقوق الانسان » ثم شرعت من النظام ، واستنت من القوانين ما يحمى هذه الحقوق أن تغتصب ، أو يعتدى معتد عليها .

* * *

لا تعصب هنا ، ولا ادعاء من غير دليل ؟؟

فلا جرم ، جاء الاسلام بثورته الكبرى على غير مثال سابق ، اذ لم يعلن فى الثورات السابقة على الاسلام — سواء أكانت دينية ، أم كانت سياسية اجتماعية — تلك الحقوق العامة التى نادى بها الاسلام ، وأعلنها للانسان بعد ميلاد المسيح بستة قرون . ذلك « لأن الانسان نفسه لم يكن » عاما « فيوليه الدين حقوقا عامة وانما ولد هذا « الانسان العام » يوم آمن الناس باله يتساوى لديه كل انسان ، ويوم نيطت حقوقه بواجباته بغير تفرقة بين قبيل وقبيل (١) » .

وقد يكون من المفيد هنا أن نلقى بعض الضوء — فى اشارات موجزات — على ما سبق ظهور الاسلام فى هذا الميدان ، لكى نعرف حقيقة ما أداه هذه الدين للانسانية ، منذ خرج من الجزيرة العربية لأربعة عشر قرنا — الى يومنا هذا . لقد اشتهر عن اليونان والرومان أنه كان لهم قوانين ، وحكومات « ديمقراطية » ترعى هذه القوانين ، وتحميها ،ولكن هذه فى الواقع لا تزيد عن كونها خططا « عملية لأمن الفتنة ، واستجلاب الولاء من المجندين للجيش والاسطول من أبناء القبائل وأصحاب الصناعات .. وآية ذلك أن الحكومة الديمقراطية نشأت بين « الاسبرطيين » أصحاب النظم والاجراءات الادارية ، ولم تنشأ بين « الاثنيين » أصحاب الفلسفات والبحوث النظرية (٢) » .

* * *

ونتقدم مع الزمن حتى نصل الى « اليهودية » ، لنجد أن « بنى اسرائيل لم تكن لهم رسالة عالمية انسانية ، وأنهم قد وافقتهم عقائدهم ومعاملاتهم فى عزلتهم بين أبناء الحضارات ، فلما انتهت رسالتهم المحدودة بما يوافقهم ، تفرقوا بين الأمم من غير دولة ، ولا سيادة على أحد (٣) » .

* * *

أما المسيحية فقد لخص السيد المسيح — عليه السلام — رسالتها فى أنه « ما جاء لينقض الناموس ، بل ليكمله » .

فهو — عليه السلام — لم يأت بشرع جديد يخالف شريعة موسى عليه السلام أو بقانون يهدم قانونه ، وانما جاء ليتمم ذلك ويكمله .

ثم ظهر الاسلام ...
ظهر الاسلام ، والعالم يتداعى بعد أن فقد العقيدة كما فقد النظام .
أى أنه — كما يقول العقاد رحمه الله — فقد طمأنينة الباطن التى تنشأ من الركون الى قوة فى الغيب ، تبسط العدل ، وتحمى الضعيف .
وطمأنينة الظاهر التى تنشأ من الركون الى « دولة » تقضى بالشريعة ، وتفصل بين البغاة والابرياء ... (٤) »

* * *

ظهر الاسلام ليعيد الى العالم أمنه الضائع ، ويرد له طمأنينته المفقودة بما شرع من عقيدة ، وبما وضع من قانون لا يفرق بين انسان وانسان الا بالعمل وحده .. وتلك شرعة المساواة التى هى معجزة من معجزات هذا الدين العظيم لأنها نبتت فى أرض العصبيات والانسان .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ... أن أكرمكم عند الله أتقاكم ... » . (الحجرات : ١٣) .

— — — —

الأخلاق والقانون فى الاسلام :

من أعظم ما فى الاسلام — وكل ما فيه — والحمد لله — عظيم — أنه دين الاخلاق فى صورتها المثلى :
عباداته أسست على الاخلاق ، لأنها علاقة بين الانسان ورب العالمين ، وقوام هذه العلاقة هو — كما قلنا — ضمير الانسان الحى ، وقلبه السليم .
وكذلك معاملاته ... !!
وحدوده ....!!
وجناياته .... !!
كل هذا أخلاق أو تربية للاخلاق .
ومن أجل هذا لا نبالغ اذا قلنا : ان القانون وتنفيذه يرتبطان — فى الاسلام — بالاخلاق أوثق ارتباط .. وهذا ما سوف نحاول — باذن الله — أن نبرزه فى ثنايا حديثنا عن وسيلة الاسلام فى اقرار الأمن ، وحماية القانون .

* * *

وقد كان للاسلام فى ذلك ثلاث وسائل :
أولها : تنصيب من يقوم على ذلك ، وهذا هو الامام أو الحاكم .
ثانيها : الحدود التى يجب ألا يتعداها الامام فى حكمه ، وفى علاقته بالمحكومين .
ثالثها : المبادىء التى وضعها فى هذه السبيل .

* * *

أولا : الامامة :

عنى الاسلام عناية كبيرة بأن يتولى أمر جماعة المسلمين فرد منهم يكون أصلح من فيهم لهذه الولاية . وقد جعل ذلك واجبا من أعظم واجبات الدين لا

يقوم أمر الدعوة بدونه ، يقول صلوات الله عليه . « اذا خرج ثلاثة فى سفر فليؤمروا واحدا منهم » .

« فأوجب — صلى الله عليه وسلم — تأمير الواحد فى الاجتماع القليل العارض فى السفر ، تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولا يتم ذلك الا بقوة وامارة (٥) » . ومن هنا، بذل الفقهاء وعلماء الكلام جهدا عظيما رائعا فى بسط أحكام الامامة ، وبيان وجوبهاو ضروريتها وفى شرح حدودها ... الى غير ذلك من الأحكام التى ليس استقصاؤها من غايتنا هنا . وانما غايتنا أن نستخلص من « الامامة الاسلامية » معناها الذى نريده فى هذا المقام ، وهو أن الاسلام قد وضع « قوانينه » ثم تكفل بحمايتها ، فعهد الى من تتفق عليه الجماعة أن ينفذها ويرعاها .

* * *

الامام — اذن — هو « وكيل الأمة فى اقامة حدود الله » وهو « يتولى الامامة لايتاء كل ذى حق حقه ، ويملك الأمر وتجب له الطاعة فيما تدعو مصلحة الأمة فيه الى تشريع جديد (٦) » .

والامام هو — وحده — المسئول عن تنفيذ القانون ، وحفظ الأمن ، واقرار النظام .. وهنا يظهر التشريع الاسلامى شامخا سامقا ، وهو يضع مبادئه ، انه لا يكتفى بوضع المبادىء أو « سن » التشريعات والقوانين ، ولكنه يحيطها بسياج متين يحميها من الاجتراء عليها أو تعدى حدودها ، وذلك أنه حصر مسئولية « التنفيذ » فى يد الامام أو من يعينه لذلك .. أما أن يتصرف من يشاء كيف يشاء وتسترا وراء القانون ، فهذه هى « الفوضى » التى وقى الاسلام « قوانينه » منها .

ومن المعروف فى عصرنا هذا أن أحدا لا يملك الحق فى « اعتقال » أحد وانما الشرطة هى التى تفعل ذلك ، ثم تسلمه الى « النيابة » ، وهذه الى القضاء الذى يصدر الحكم ، فلا ينفذه القاضى ، وانما هناك « سلطة » أخرى للتنفيذ .

هذا هو القضاء فى أحدث ما وصلت اليه الحضارة العصرية .

وقبل أربعة عشر قرنا أدرك النبى العربى ذلك ووعاه ، وعلمه لأمته ، لأنه — صلوات الله عليه — علم أنه لو أباح أحد لنفسه أن يتصرف باسم القانون ، لانقلب الأمر الى فوضى .

ومن أجل ذلك غضب — صلى الله عليه وسلم — لأن أناسا من المسلمين قتلوا رجلا من المشركين غداة فتح مكة ، وقال فيما يروى الامام البخارى : « ... فان أحد ترخص لقتال رسول الله فيها ، فقولوا : ان الله اذن لرسوله ، ولم يأذن لكم .. وانما أذن لى فيها ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ... (٧) » .

وعلى أساس من هذا الالهام السديد ، نهج فى مصادرة الخمر نهجا يحقق — مع تنفيذ القانون — اقرار الأمن والنظام .

خرج بأصحابه الى الاسواق الملأى بزقاق الخمر ، وأخذ المدية من عبد الله

ابن عمر ، وشق ماوجد من هذه الزقاق ، ثم أعطاه اياه وأمره ألا يدع زقا الا شقه ، وأمر من معه أن يعاونوه في مهمته .

* * *

ليس الأمر هنا أمر تحليل أو تحريم ، ولكنه نظام « وتنفيذ » ، في مجتمع حافل ، يشتمل على شتى المصالح والاهواء ، ولا يصاب ببلاء هو أضر عليه من بلاء الفوضى والاضطراب ، واختلاف الدعاوى وانتزاع الطاعة ، وتجاهل السلطان (٨) » .

* * *

« الامامة الاسلامية » — اذن — مسئولية كبرى ، وأعباء وتكاليف ينهض بها الامام الذى ليس له من سند يستند اليه الا قيامه بهذا الواجب الكبير .

ومن هنا كان الشرط الاعظم في الامام : أن يكون أصلح الناس للولاية ، والا لحق الاثم على من ولاه ، قال — صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه الحاكم : « من ولى من أمر المسلمين شيئا ، فولى رجلا ، وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

ثم يتتابع اختيار الاصلح في جميع الامور ، فيجب على كل من ولى أمرا للمسلمين « أن يستعمل فيما تحت يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه (٩) »

* * *

ولكن « الامامة » تنحرف عن سوائها ، وتضل السبيل الى غايتها اذا كانت تسلطا ، أوقهرا ، أو استبدادا .. وما هكذا كانت « امامة الاسلام » !! انها « أمانة الأمة » يحملها الامام ولا مزيد .

لا فظاظة فيها ولا غلظة ، ولكن قلب كبير رحيم ، وصدر رحيب حليم .

وها هوذا توجيه القرآن الكريم لنبى الاسلام ، ولكل امام يلى أمر الناس :

— — — —

« ليس لك من الأمر شيء »	(آل عمران : ١٢٨)
« انما أنا بشر مثلكم »	(الكهف : ١١٠)
« ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »	(آل عمران : ١٥٩)
« وما أنت عليهم بجبار »	(ق : ٤٥)
« لست عليهم بمسيطر »	(الغاشية : ٢٢)

— — — —

هذه هى « الامامة » وهذه هى — أهميتها العظمى ، وسيلة من أعظم الوسائل التى توسل بها الاسلام الى اقرار الأمن ، وسيادة القانون بين الناس (١٠) .

ثانيا : حدود الامام ، أو حقوقه وواجباته :

تتلخص الحقوق في شيء واحد ، والواجبات كذلك في شيء واحد .
فأما الحقوق فهى وجوب الطاعة له الا أن يأمر بمعصية ...!

وأما الواجبات فهى وجوب العدل عليه فى جميع أحكامه ..!
وفى سبيل ذلك ، يجب أن يبتعد عن كل ما يضعف فضيلة العدل فى نفسه وأسوأ ما يصاب به العدل أن يحابى ، أو يقبل من أحد هدية ، أو يسمح بأن يعامله الناس معاملة خاصة فى البيع أو الشراء لأنه أمير .
ذلك أنه — فى أى من هذه الأحوال — قد يضطر الى المجاملة كفاء ما قدم اليه فلا يستطيع أن يسير بالعدل بين جميع الناس . وبحسب الحكم من الآفة أن يحيد الحاكم عن العدل مرة واحدة .

* * *

ومن أجل ذلك نرى رسول الاسلام ، ومعلم الأمة يشدد نكيره على وال قبل هدية فقال — صلوات الله عليه — : « ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله ، فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدى الى ؟ فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه ، فننظر أيهدى اليه أم لا ؟
والذى نفسى بيده ، لا يأخذ منه شيئا الا جاء به يوم القيامة : ان كان بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتى ابطيه : اللهم هل بلغت ؟ ثلاثا (١١) » .
وكذلك تكون محاباة الناس لولاتهم فى المعاملات المختلفة نوعا من الهدية — كما ذهب الى ذلك المجتهد العظيم أبو العباس أحمد بن تيمية — ولهذا شاطر عمر بن الخطاب من عماله ما كانوا خصوا به من أجل الولاية (١٢) .

ثالثا : المبادىء التى وضعها الاسلام لحماية القانون :

يجمع هذه المبادىء — فيما أرى — كلمتان صغيرتان :
العدل .
المساواة بين جميع الناس .
العدل هو القانون .
والمساواة أن يطبق القانون على الجميع بصورة واحدة ، دون تفرقة بين أحد وأحد .
ههنا يظهر الاسلام : عقيدة راسخة ، ونظاما عاما صلح فى زمانه ، ويصلح فى زماننا ، وفى كل زمان يأتى بعده .
وهنا تظهر أخلاق الاسلام ..!
وأخلاق الاسلام هى « أخلاق الانسان » فى أرفع ذراها ، لأنها تتوجه — أول الأمر وآخره — الى النفس : تربيها ، وتصلحها ، وتطهرها من أدران التعصب والهوى .. والى الضمير : توقظه ، وتمده بحياة متجددة القوة ، موصولة العطاء .

* * *

ان الاسلام يأمر بالعدل ، ويجعله غايته كما كان هو الغاية من ارسال الرسل : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** » . (الحديد : ٢٥) .

فالمقصود من ارسال الرسل ، وانزال الكتب هو اقرار العدل ، ولكن من الناس من لا يستقيم بالكتاب وحده ، فهنا تكون القوة : ((**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس**)) . (الحديد ٢٥) (١٣) .

* * *

العدل — اذن — هو غاية الاسلام ، كما كان غاية الرسالات قبله . ولكن الاسلام يتجاوز هذه المرحلة ، فيخطو الى الامام خطوات واسعة اذ يتسامى باتباعه ، ويعلو بهم على أنفسهم ، ويقهر فيهم « نازعة » هى أسوأ آفة يمكن أن يصاب بها الضمير الانسانى ، وتلك هى « نازعة » التعصب ، والحكم بالهوى :
((**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ، شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ..**)) (النساء : ١٣٥) .
هنا أمر بالعدل ، وان تكون الشهادة لله ، ولو على النفس والوالدين والأقربين .
وهنا أمر بالتجرد عن الهوى ، وعدم اتباعه فى الحكم على الناس . وكلا الأمرين ، تربية لنفس الانسان ، وتنبيه لضميره أن يكون هو الرقيب على التزامه بالعدل فيما يأخذ وفيما يدع من أحكام . وما من سلطة يرهبها الانسان أقوى من سلطة الضمير والوجدان .

* * *

ولا يكتفى الاسلام بهذا ، بل يمضى فى شوط التربية الى نهايته ، فيأمر بالعدل مع الاعداء كما أمر به مع الاصدقاء : ((**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى**)) . (المائدة : ٨)
أن الاسلام — وهو يأخذ الناس بما يشرع لهم من أحكام — لا يفرق بين قبيل وقبيل ، ولا يقف مع المسلم لاسلامه ، وانما يقف مع الحق ، ولو كان فى جانب الاعداء .
فالناس — كل الناس — سواء أمام « القانون الاسلامى » ، لا فرق بين المسلم وغير المسلم ، ولا انتصار للصديق على العدو . وانما الانتصار : للعدل وحده ، والوقوف : مع الحق وحده ، ذلك أن العدل : « هو أقرب للتقوى » .

* * *

هنا لا يستطيع المنقبون عن « الثغرات » أن يجدوا فى قانون الاسلام « ثغرة » ينفذون منها الى نقضه أو هدمه ، لأنه متماسك البنيان ، ثابت القواعد : لا يطمع فيه الصديق ، فيجترىء على تعدى حدوده ، ولا يخشى العدو — فى جواره — أن يجار عليه ، أو تغتصب حقوقه .
وهكذا مكن الاسلام لقانونه أن يسود سيادة فعلية تمتد بامتداد الزمان ، لأنها مستقرة فى أعماق ضمير الانسان . فالانسان — هنا فى الاسلام — هو الذى يهيىء لهذه « السيادة » أسبابها ، ويمهد لها التربة الصالحة لأن تنبت وتؤتى أكلها ، لأن ضميره الذى أحياه الاسلام من موت وأيقظه من غفلة — هذا الضمير ، هو الذى يحرك ، وهو الذى يأمر ، وهو الذى ينهى .

وتلك هى «أخلاق القوانين» فى الاسلام ...؟
فالقانون الاسلامى قانون عالمى ، يشرع — اذ يشرع — للناس كافة ويطبق — اذ يطبق — على الناس كافة . ولا يستطيع أحد أمام قوة القانون وأحكامه — أن ينجو من هذا القانون ، ولو كان نبى الاسلام نفسه :
« ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » . (الحاقة : ٤٤ — ٤٧)

* * *

واذا كان الله سبحانه يتوعد بالعقاب الشديد أحب أحبائه ، وأصفى أصفيائه ، لو حاد عن شرع الله ، أو قال قولا من عند نفسه ، ثم ادعى أنه وحى من السماء — اذا كان الأمر كذلك فان رسول الله لا يمكن أن يتسامح فى عقوبة وجبت على من تعدى حدود الله ، مهما يكن جاهه ومنزلته فى قومه .. كذلك لا يمكن أن يقبل فيه شفاعة مهما تكن منزلة الشفيع فى قلبه صلوات الله عليه .
ذلك هو خلق الاسلام ...!!
وذلك هو خلق نبى الاسلام ...!!

* * *

وعندما سرقت المرأة المخزومية ، واستجار قومها بأسامة بن زيد حب رسول الله أن يشفع لها عنده ... ويذهب أسامة ، فيغضب النبى ، ويرسل فى العالمين تلك الصيحة الرائعة التى لا تزال تدوى فى سمع الزمان :
« أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟
والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . انما أهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » ..

— — — —

ان رسول الله — هنا — يؤدب أتباعه بما لم تستطع الانسانية — مع كل ما قطعته من أشواط الحضارة — أن تتقدم بعده خطوة واحدة ..! موقف من المواقف الشامخة ، يرتبط فيه المبدأ بالتطبيق ، ويتصل فيه القانون بالتنفيذ .
القانون هو : قطع يد السارق — أى سارق — ولو كان فاطمة بنت محمد .
فاذا تسومح هنا ، فقد يتسامح هناك .
ثم ... ؟
ثم يتحول الأمر الى فوضى ، لأن أحدا لن يعدم أحدا يشفع له ، ويجيره فى حماه .. وهذا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه لأمته : القوانين لا تكون قوانين اذا ارتبط تنفيذها بقرب الناس ، أو بعدهم من ذوى السلطان ، أو بمقدار حظهم من الشرف والوجاهة أو الضعة والهوان .

* * *

هنا تضيع القوانين ...!
وهنا تضيع الأمة ...!

أمة لا ميزان لها ، ولا نظام يحكمها ، كيف يكون لها كيان ، وكيف تقوى على البقاء بين الأمم ؟

ذلك هو « قانون الحياة » الذى لمسه الرسول الكريم بهذا القول الجامع :

« انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » .

* * *

لا محاباة — اذن — لقريب أو صديق ، ولا شفاعة لحبيب ، ولا جور على عدو ، ولا خوف من قوى ، ولا اهدار لضعيف . . . فى تنفيذ أحكام الله .

وانما الكل سواء لا يفرق بين أحد وأحد الا الحق ، والحق وحده وانما الكل سواء تحت راية هذا الدين الذى أقام « قانونه » على قاعدة العدل المتينة ، والذى كان العدل فيه « هو أساس التصرفات والاحكام ، وأنه لا ينبغى لمؤمن أن يحول بينه وبين العدل شىء من صلات النسب ، أو القربى (١٤) » .

* * *

الكل سواء !!

هذا هو قانون الاسلام الذى كان رسول الله — عليه الصلاة والسلام — أسوة المؤتسين ، وقدوة المقتدين فى تطبيقه على الناس جميعا مهما تكن منازلهم .

وعلى تلك السنة الحميدة ، سار خلفاؤه العظام الذين أضاءوا جبين التاريخ بجلائل أعمالهم .

هذا أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — يلخص « دستوره » فى الحكم بهذه الكلمات الجامعات :

« . . . القوى فيكم ضعيف عندى ، حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوى عندى ، حتى آخذ الحق له » .

« ان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وان رأيتمونى على باطل فقومونى » .

« أطيعونى ما أطعت الله ، فان عصيت الله ، فلا طاعة لى عليكم . . »

* * *

لله در أبى بكر !!

ان الصديق — رضوان الله عليه — لم يتلق « علم السياسة » فى مدارس السياسة ، ولكن هل تستطيع هذه المدارس أن تقول بعد أبى بكر شيئا ؟!

— لا قوة ولا ضعف الا باتباع الحق ، أو الاعتداء عليه .

— واجب الأمة فى مراقبة حاكمها ، وبذل النصح له .

— الطاعة واجبة للحاكم على الأمة الا اذا خالف شرع الله .

— — — —

أوليس هذا هو قانون الاسلام ؟!

أوليس هذا هو أدب رسول الله ؟!

بلى . . . . ؟!

* * *

وهذا هو الفاروق عمر بن الخطاب — رضوان الله عليه — يستدعى واحدا من أكبر ولاته ، وأخطرهم شأنا . . يستدعى عمرو بن العاص فاتح مصر ، وواليها .

لمـــاذا ؟؟
لينتصف منه ومن ابنه الذى جار علـــى مصرى ضعيف ، ليس له من ملاذ يلوذ به الا اطمئنانه الى عدالة الاسلام .
وعلى رؤوس الاشهاد ، يعطى الفاروق الدرة للمصرى ويقول له :
اضرب ابن الأكرمين .. ثم يلتفت الى ابن العاص ، ويقذف الى ذاكـــرة التاريخ بكلمة تستعصى على النسيان :
متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

* * *

ماذا استطاعت الحضارة ــ بعد أربعة عشر قرنا من نزول الاسلام ــ أن تصنعه فى حماية حقوق الانسان ؟
هل زادت شيئا عما فعله الخليفة المسلم ؟
أم هل بلغت ما بلغه .....؟
كلا !!!
يقولها المسلم وغير المسلم ، لأنها كلمة العقل المنصف ، والقلب الذى لم ترن عليه ظلمات الاهواء !
لأنها كلمة الحق !

الاسلام لا يقبل التحايل على القانون :

رأينا فيما سبق أنه لا تساهل فى تنفيذ الاحكام التى كان جميع الناس فى الخضوع لها والالتزام بها على سواء .
ونريد الآن أن نضيف كلمة أخيرة فى هذا الموضوع ، وهى أن الاسلام قـــد خطا خطوة أخرى رائعة فى هذه الطريق حينما طلب من ولاة الأمر أن يتحـــروا العدل دائما ، وألا ينخدعوا أبدا بمحاولات التزييف التى يتحايل بها البعض على الهروب من القانون ، والنجاة من عقابه .
وهذه قصة نزلت فيها تسع آيات من الكتاب العزيز ، تجلو لنا الاســـــلام حريصا على « قانونه » ، حريصا على حمايته أن تهدم أركانه ، حريصا علـــى سيادته ، وألا تتعدى حدوده .
خلاصة القصة أن رجلا من ضعاف المســـــلمين بالمدينة سرق من جـــاره درعا ، ثم خبأه عند يهودى .. ولما اكتشف أمره حاول أهله أن يصرفوا عنـــــه الجناية ويرموا بها اليهودى البرىء ، واستغلوا فى ذلك كراهة اليهود للنبى ، فقالوا ان هذا من كيد اليهودية للاسلام . والحوا على الرسول أن يجادل عـــن صاحبهم (١٥) ، فنزلت هذه الآيات :

« انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ، لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما » .. الى قوله تعالى : **« ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا ، فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ، ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون الا أنفسهم ، وما يضرونك من شىء وأنزل اللــــه عليك الكتـــاب والحكمـــة ، وعلمك ما لم تكن تعلم . وكان فضـــل الله عليـــك عظيما »** . (النساء : ١٠٥ ــ ١١٣) .
واذا كان هذا هو واجب الحاكم : أن يتحرى العدل ، ولا ينخدع فى حكمه

باحتيال المخادعين ، فان واجب كل فرد فى الأمة أن يجعل له رقيبا من ضميره الذى لا يعلم ما يطويه الا الله — عز وجل — فيتأبى على أخذ ما ليس من حقه أن يأخذه :

« **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام ، لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون** » . (البقرة : ١٨٨)

ويقول صلوات الله عليه : « انما أنا بشر ، وانه يأتينى الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فانما هى قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها » .

وهكذا لا يكتفى الاسلام بالتشريع وحده ، وانما يكل الأمر فى النهاية الى « ضمير الانسان » بعد أن أيقظه وأحياه .

* * *

وصفوة القول

ان الاسلام قبل أن يشرع القانون ، صنع « الانسان » الذى يخضع للقانون ، فأحيى ضميره ، وربى نفسه وسما بها فوق الغرض والهوى ، بما شرعه من مبادىء وأخلاق كانت هى القاعدة المتينة التى قام عليها بناء القانون الاسلامى ، فتمت له « السيادة » أوفى تمام .

ويستطيع المسلمون اليوم ، كما استطاعوا بالأمس ، أن يقودوا — على طريق دينهم — هذا العالم القلق المضطرب ، الى حياة رضية وادعة ، يشيع فيها الأمن ، وتنتشر الحرية ، ويسود القانون على الناس كلهم أجمعين .

وبالله التوفيق من قبل ومن بعد ،،

---

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ الكبير : عباس محمود العقاد ، ص ١٤٧ .

(٢) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ الكبير : عباس محمود العقاد — ص ١٤٨ .

(٣) المرجع السابق — ص : ١٢٢ .

(٤) عبقرية محمد ، ص ١٨ من الطبعة الاولى .

(٥) السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية —ابن تيمية ، ص : ١٨٥ .

(٦) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه — للعقاد ، صفحة : ٢٥٥ .

(٧) صحيح البخارى ١٩٠/٥ طبعة : دار الشعب — القاهرة .

(٨) عبقرية محمد ، ص : ١٢٤ من الطبعة الاولى .

(٩) السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص : ١٨ وما بعدها .

(١٠) ارجع الى البيان الرائع الذى قدمه العقاد رحمه الله فى كتابه الشامخ : « حقائق الاسلام ، وأباطيل خصومه » صفحة : ٢٥٥ وما بعدها من الطبعة الاولى .

(١١) الرغاء صوت الابل ، والخوار صوت البقرة ، واليعار صوت الشاة ، انظر : « السياسة الشرعية لابن تيمية » ص ٥٩ وما بعدها من طبعة دار الشعب بالقاهرة .

(١٢) السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص ٥٩ وما بعدها .

(١٣) أنظر السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص : ٣٨ .

(١٤) تفسير القرآن الكريم ، للامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت ، صفحة ٢٣٩ وارجع أيضا فى هذا التفسير الى صفحة : ٢١٢ ، وما بعدها ، والى صفحة : ٣٣٨ .

(١٥) القرطبى ٣٧٥/٥ ، وانظر تفسير الشيخ شلتوت ، ص : ٢١١ — ٢١٧ .

وقفة بين شبابين

للدكتور محمد محمد خليفة

الشباب خير ما تعتد به الامم الحية فى سلمها وحربها ، فهو لسانها الناطق ، وحيويتها الفائرة ، وعقلها المتحرك ووعيها المتحفز ، وعواطفها الجياشة ، وطاقاتها المحركة ، وقوتها الضاربة ، ودرعها الواقية ، هـــو كل ذلك فى حاضرها وهو حامل مسئولية مستقبلها .

والامم التى تعنى بمرحلة الشباب فيها عقليا وعلميا وثقافيا وروحيـــا واجتماعيا وبدنيا وعسكريا هى المطمئنة على مستقبلها وكيانها وآمالها .

وتعتمد عناية الامم الحية بهذه المرحلة على وضع المناهج التى تعد الشباب ، وتصونه من التيارات الدخيلة ، وتحميه من الانزلاق الى المهاوى المهلكة ، ثم تعتمد فى تنفيذ تلك المناهج على من يؤمن بها ، وبخطـــــورة مسئوليته حيالها ، وبوجوب تهيئة نفسه لهاوتفانيه فى خيرها ، وابعـــاد الانتهازيين والمستغلين عن مسيرتها ، لان من يعيش لنفسه وهـــو متسنم أبراج مراكز القيادة هو الخطر كل الخطر على كل ما ترسمه الدولـــة أو ترجوه .

وقد يوجد فى الأمم أجناد مجهولون يعملون لخيرها فى دأب واخلاص يحثهم حب العمل ، والضمير الحى ، والرغبة فى خير الأمة على العمل الخالص بعيدا عن الأضواء عرفتهم الأمة أو لم تعرفهم قدرهم المسئولون أو لم يقدروهم ، ولكن هؤلاء قد تنتكس نفوسهم حين يرون أزمة الأمور فى قبضة نفوس تحركها الأهواء ، لاتقيم للعدل ميزانا ولا للعاملين وزنا ، بل قد يتحاملون على العامل ويسلمون مراكز القيادة لمن لا يحسنون القيادة ، مع أن تقدير العامل من الشباب يحيى روح التنافس ، ويضاعف العمل ويقوى روح الاخلاص ، ويبعث الثقة ، وللثقة أثرها فى تقوية الروح المعنوية وحملها على المزيد من الجهد .

وقفة للعبرة والدرس :

ولنقف ساعة بين شبابين نلمس خلالها الحياة بكل ما تحمل معانيها فى أحدهما ، ثم نلمس الاستهانة بالحياة بكل ما ينطوى عليه لفظ الاستهانة (فى الآخر) .

انها وقفة بين شباب فجر الاسلام وشباب الحاضر تدعونا لنحنى الرأس اكبارا للأول ، ثم نتلمس الرءوس مخافة أن يطير بها الدوار اشفاقا على الثانى :

فشباب فجر الاسلام عاش فى رجولة مكتملة وهو فى طليعة عمر الشباب ، فقام بأعنف ما تتطلبه الرجولة من مواقف وهز بايمانه ، وبالطاقات التى فجرها ذلك الايمان قلوب الصناديد الذين أذهلتهم روعة تلك المواقف حين رأوا فيها عزائم خارقة كلها من صنع الايمان الواثق الذى لا تعجزه قوى البشرية .

وكم للشباب الاسلامى من مواقف امتحن فيها ايمانه وثباته وصبره وقدراته المحاربة وشجاعته فكان أقوى مما عرفه الناس ممن ضربت بهم الأمثال فى كل ذلك :

موقف تحد :

بطل هذا الموقف على بن أبى طالب وهو فى الثالثة والعشرين من عمره أو يقل قليلا أو يزيد قليلا ، وكان ذلك الموقف ليلة الهجرة حين أعدت قريش عدتها لتنفيذ تآمرها لاغتيال الرسول حتى تستريح من محمد ومن دعوته ومن تحديه لها ولآلهتها ، وأغشى الله الأبصار ، وخرج الرسول بعد أن خلى عليا فى فراشه مغطى ببردته ليخدع به أنظار القرشيين حتى يتوارى عنهم وعن طلبهم .

واضطجع على فى فراش الرسول وهو يعلم أنهم سيغتالون ذلك الضجيع ، وأن سيوفهم ستمزقه حين يهوى بها أولئك الأشداء فى حنقهم الجارف ، وحقدهم العاصف ، ومثل هذا الموقف تفزع الرهبة فيه كل قلب الا قلب على المؤمن . نعم رقد على ينتظر سيوف القرشيين أو يرتقب

تحركهم من حوله فى ظلام الليل لينفض عنه الغطاء ، ويواجه أعداء اللــه الذين قد تعميهم الثورة عندئذ وتوهن الظلمة أبصارهم فلا يميزون بين على ومحمد ، وقد يصم الحقد آذانهم فلا يفرقون بين صوت على وصوت محمد حين يستصرخ الضجيع وقع السيوف ، ثم يذهب على ضحية الخديعة التى يختفى وراء صورتها .

ولاحت تباشير الفجر ، ولاحت معها الحقيقة المغطاة ، حقيقة على النائم فى مضجع الرسول ، وجن جنون قريش حين رأت وجه الحقيقــة وكتمت الأنفاس ولوى الثائرون وجوههم يطلبون فوق ظهر الأرض أو فى بطنها محمدا ، ورماهم على بنظرات تحمل ما تحمل من المعانى ، وخــرج فأقام بينهم ثلاثة أيام سخر خلالها من صرير الأنياب ومن كل ما أخرجــت الأفواه من نفثات وكلمات كما سخر من النظرات الحاقدة التى لم تحمــل جديدا يجهله على .

وكان مقامه فى الأيام الثلاثة مقام المتحـدى الساخر من كــل ما رسمت قريش من أساليب وما أعدت من خطط وعدد . ان القلب الكبير الذى حمله فتى فى الثالثة والعشرين فتحدى بعزيمته وايمانه أحقاد قريش فى أعنف ساعات هياجها وتعاميها عن رؤية كل شىء الا الدم ذلك القلب لا يمكن أن يكون لغير فتى مؤمن أحب عقيدته وأحب البذل والجود بالروح فى سبيلها (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) .

« موقف آخـــــر » :

وبطل هذا الموقف أيضا على بن أبى طالب وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، وكان ذلك يوم الخندق أو غزوة الأحزاب حين جمعت قريش من آفاق الجزيرة الجموع والأحلاف والمناوئين لدعوة اللــه ، وحاصرت بهم المدينة ، وضرب الرسول حولها الخندق ، وجثم المسلمون وراءه يحتمون به ويصوبون من ورائه الى المنقضين نبالهم ، واقتحم الخندق بعض الفوارس وبينهم (عمرو بن ود) الفارس الذى لا يشق غبـــاره ، ولا يطيق كراتــه منازل ، ودعا المسلمين الى المبارزة فهابه المسلمون غير على فقـد وقف يريد مبارزته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجلس ، وصال عمرو وجال وصرخ : هل من مبارز ؟ وهم على فقال له الرسول : اجلس ، وخاف عليه من لقاء عمرو وهو على ما عرفه الناس من الدربة على المبارزة وسرعة الحركة والشجاعة وقوة الضرب والفتك ، ثم صرخ الثالثة : هل من مبارز ووقف على فقال له الرسول : اجلس انه عمرو بن ود فقال : وأنا عـــلى فأدناه الرسول وقبله وعممه بعمامته ، وخطا معه خطوات كأنما يودعه وقد بلغ به القلق عليه مبلغا ثم قال الرسول : الآن برز الاسلام كله للشرك كله ، وكأنه يرى الاسلام كله تمثل فى على والشرك كله تمثل فى عمرو .

وتقدم على وصمت المسلمون ، واستقبل الرسول بوجهه الســـماء يدعو ربه ، وغطى التراب المتبارزين ، وشدت الأنظار الى الغبار ليعرف من يكون الذى ينكشف عنه ؟ ومن الصريع ؟

ثم قطع الصمت تكبير على فرجع المسلمون تكبيره ، وانكشف الغبار من على يقف الى جانب ذلك الفحل الصريع يتخبط فى دمه بعـــد أن أرداه شباب على المؤمن وهتفت القلوب : لا فتى الا على ولا سيف الا ذو الفقار وسالت على شفرات سيف على تلك الدماء الحاقدة العنيدة وانهار أمـــام شباب على ذلك الصرح الشامخ الذى كان أسطورة القوة متمثلة فى عمرو وماضى صراعه وفتكه ورهبة لقاءاته .

وازداد بهذا الموقف ايمان المسلمين بأن قوة الايمان وقوة الثقة وقوة الاعتداد بالنفس هذه كلها أسلحة تتحطم أمامها كل ما اغتر به العدو من أسلحة .

« قيـــادة شاب »

والشاب القائد هو أسامة بن زيد ، وقد ولاه الرسول صلى اللـــه عليه وسلم قيادة جيش أعده لغزو الروم ليثأر لهزيمة المسلمين فى موقعة (مؤتة) وضم هذا الجيش أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح .

وقد استنكف بعض المسلمين من تأمير أسامة وهو فى السابعة عشرة على جيش فيه كبار الصحابة من الســـــابقين الأولين من المهـــــاجرين والأنصار .

وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم بما قيل فخرج مغضبا وهـــو فى مرض الموت فجلس على المنبر فقال :

« أما بعد أيها الناس :

فما مقالة بلغتنى فى تأميرى أسامة ، ولئن طعنتم فى امارته فقـــد طعنتم فى امارة أبيه من قبله ، وايم الله أن كان لخليقا بالامارة ، وان ابنـــه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الى ، وانه لمظنة كـــل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم » .

وبهذا بين الرسول أن امارة الجيش ليست وقفا على أصـــــحاب الأحساب والأنساب .

وكان اختيار الرسول لأسامة فى هذه السن توجيها لتدريب الشباب على القيادات حتى يتحملوا المسئوليات فى المواقف الخطيرة .

ولم ينس الرسول فى ذلك الاختيار أن أسامة قتل أبوه فى مؤتة بأيدى الروم فتقديمه للامارة يحمل معنى قد لا يوجد فى غيره وهو استماتته فى القتال ليثأر لأبيه من قتلتـــه .

تاريخ الشباب فى فجر الاسلام :

واذا ذهبنا نقلب صفحات فجر الاسلام فسنرى فيها الوانا والوانا من الشباب الشجاع والشباب العالم والشباب المتفقه والشباب الحاكم وكـــل هذه الصفحات تفيض بالمفاخر وتتحدث عن شباب ماجد تحمل فى الدولة الكبيرة المسئوليات فاستقل بأعبائها كأحسن ما يكون الشيوخ دربة وتجربة واستعدادا وحيلة وبعد نظر .

« شـــباب الحاضر »

فاذا تخطينا أعناق القرون ، وتسلقنا الزمن الى حاضرنا وتجاوزنـــا شبابنا المحارب على خط النار فوقفنا بين شبابنا فى الجامعات والمعاهد أو بين المعامل والمصانع أو بين حقول الريف لنحاول الموازنة بينه وبين شباب فجر الاسلام من حيث الايمان أو العمل أو الاخلاص للدولة أو التفانى فى خيرها أو النهوض بالمسئوليات أو الاستعداد لبذل الجهد والعرق والمال أو التواصى بالحق والصبر لساء الحكم شبابنا ، وأضجرته الحقائق التى يعيش فيها واقعه وهو لا يفكر فى مغبتها : حقائق تنكره لكل القيم التى تعتمد عليها الأمم الحية وتقوم عليها دعائم مقومات حياتها :

فالعقيدة الدينية التى تربط الشاب بربه لا وجود لها فى دنيا شباب جمحت به العواطف الى أبعد ما يتصور الانسان من جمـــوح الحيـــوانية المعربدة ، فانطلق شبابنا لارضاء هذه الحيوانية وهو لا يجد فى قلبه بقية من وازع دينى تشده ساعة الى ربه ، وتحمل على الانصياع لأمـــره أو نهيـــه .

والاندفاع الى العمل تحت رقابة الضمير مات حين مات الضمير ومات سلطانه وارتبط التحرك للعمل بالقهر أو المال . والاخلاص يعيش لفظه فى القواميس وعلى ألسنة الرجعيين وأقلام الكتـــاب والشـــعراء ومحترفى السياسة أما معناه فقد دفنته دنيا المادة التى قضت على كل القيم .

وأصبح الشباب يقدر الاخلاص بمقدار ما يأخذ لا بمقدار ما يعطى وبذلك اضطربت موازين القيم واختلت مقاييسها .

والتفانى فى خير الأمة يخلقه الايثار وكيف يرفع الايثار رأسه فى وسط شباب تستبد بهم الأثرة بكل شىء فى حياته فهو مستعبد لغريزة التملـــك وزمامه فى يد الأنانية تجره كما تشاء لا كما يريد الخـــير . والنهـــوض بالمسئوليات لا يعرفه الشباب الذى يفر من المسئوليات ويتخلص من الثبات .

وأخيرا الى أى هوة يساق ذلك الشباب ، وهلا ألقى النظر بعيدا ليرى المصير الذى يتزلق اليه ؟ وهلا أصاخ الى نداء المشـــفقين قبـــل أن يسقط فلا تستطيع قوة أن تنتشله مما تردى فيه .

« نـــداء » :

يا شباب المسلمين الغارق فى الخطيئة : ان أمواج الحياة مليئـــة بالوحوش ، ولن تدعك تنعم بالحياة وهى تشقى بالجوع ، فانتزع نفسك من خطايا نفسك لتسمو فوق أمواج الحياة .

والله الله يا شباب المسلمين فليس لكم غد اذا لم تخرجوا من ظلمة هذا الليل بعد أن ينبثق فى قلوبكم نور الله فيحول شبابكم المظلم الى شباب يغمره الله بالايمان ، وعند ئذ تستعيدون دنيا أمة كانت خير أمة أخرجت للناس .

مائدة القارئ

> يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتــا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم .

صفات القاضى

أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له — انى لا أحسن القضاء ولست فقيها .. قال الرشيد — فيك ثلاث خصال .

لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة .

ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم يعجل قل خطؤه .

وأنت رجل تشاور فى أمرك ومن شاور كثر صوابه ، وأما الفقــه فسنضم اليك من تتفقه به فولى الرجل وما وجدوا فيه مطعنا .

مأزق حــرج

حكى عن الحجاج أنه خرج يوما متنزها فاذا هو برجل عجوز من بنى عجل ، فقال له الحجاج من أين أيها الرجل قال من هذه القرية ، فسأله كيف قولك فى الحجاج ، قال ما ولى العراق شر منه قال أوتعرف من أنــا فأجاب لا قال أنا الحجاج ، قال الرجل جعلت فداءك ، أو تعرف من أنا قال الحجاج لا ، فقال أنا فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتيــن ، فضحك الحجاج وأمر له بصلة .

يــوم جديــد

أوشك الصباح الجديد أن يشرق دون أن ينصرف أحد من الضيوف ، وأخيرا نظر اليهم صاحب المنزل الذى ملأ الغيظ قلبه وقال :

كان لطيفا منكم تفضلكم بزيارتنا مساء أمس .

قيل لعنترة :

بم تغلب الأبطال يا عنترة ؟

قال ـــ أضرب الجبان ضربة ينخلع لها قلـب الشـجاع ، فأنثنى عليه فأقتله .

■■■■■■■■■

لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك فى المقدرة .

ولو قيل له ما حرفتك لقال اكتساب الذل .

ولو قيل له ما غايتك لقـال الحرمان ..

■■■■■■■■■

سأل سائل عربيا حاجـة فرده الاعرابى ..

فقال السائل ـــ أين الذيـن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

فأجابه الاعرابى ـــ ذهبـوا مع الذين لا يسـألون النـاس الحافا .

نفس كبيرة

كان يزيد بن المهلب بعـد خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز مسافرا فى البريـة يصحبه ابنه معاوية ، فمـر بأمرأة بدوية ذبحت لهما عنـزا فلما أكلا قال يزيد لابنه .

ـــ ما يكون معك من النفقة ؟

قال مائة دينار ..

قال أعطها اياها .

فقال له ابنه ـــ هذه فقيـرة يرضيها القليل وهى لا تعرفك ؟

فقال يزيد ـــ ان كان يرضيها القليل فأنا لا يرضينى الا الكثير وان كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى .

■■■■■■■■

كلمات مضيئة

أعقل الناس أعذرهم للناس .

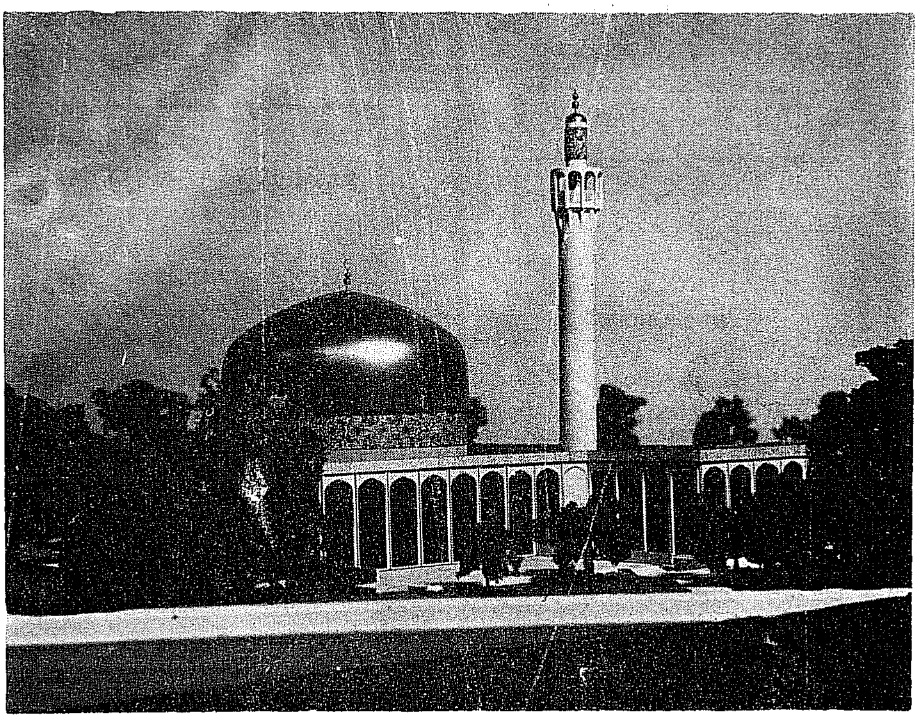
خير الناس أنفعهم للناس .

أحمد الناس عاقبة فى الدنيا والآخرة أكتمهم للسر .

لا تقل ما لا تعلم ولا تقل كل ما تعلم .

المركز الاسـ

ان أهم المساجد وأكبرها وأكثرها تأثيرا فى انجلترا هو مسجد لندن والمركز الثقافى الاسلامى بها ، فما هى قصة مسجد لندن ؟ انها قصة تمتد على مدى ثمانية وعشرين عاما منذ أن قدم الملك جورج الخامس المبنى الحالى للمركز الاسلامى والحديقة المحيطة به هدية الى الحكومة المصرية ليبنى عليها مسجد ، وفى نظير ذلك قدمت الحكومة المصرية قطعة أرض فى قلب القاهرة ، الى الجالية البريطانية ليقام عليها كنيسة وقد أقيمت الكنيسة فعلا منذ عام ١٩٤٥ وتسمى الكنيسة الانجلوكانية ، وموقعها حاليا على النيل بشارع الكورنيش على بعد حوالى ثلاثمائة متر



مبنى المركز الاسلامى فى لنـدن .

لامي في لندن

من ميدان التحرير . وبالقرب من فندق الهلتون ، وقد أقيمت الكنيسة بدون تدخل من السلطات المصرية فى كيفية اقامة البناء لأن المفروض أنه مكان للعبادة ، ومن حق المتعبدين أن يبنوه على الطريقة التى يرونها متمشية مع أساليب تعبدهم ، ومرد هذا الى السماحة التى أمر بها الاسلام مع المخالفين فى العقيدة ، والحرية المطلقة فى مباشرة ألوان التعبد حسب مقتضيات دينهم ما دامت لا تعتدى على حقوق الآخرين .

أما المسجد فلم يبن حتى الآن ، وقد تدرج فى الخطوات الآتية :

لما كان المسجد للمسلمين جميعا وليس للمصريين فقط رؤى أن يكون مجلس ادارته من سفراء الدول الاسلامية التى لها تمثيل سياسى فى انجلترا فى ذلك الوقت ، وهى مصر والسعودية ، وايران ، وتركيا ، وجرى التقليد على أن يعتبر سفير أى دولة مسلمة عضوا فى مجلس أمناء المركز الذى يتكون حاليا من حوالى اثنين وعشرين عضوا ، ويكون أقدم السفراء رئيسا للمجلس يعاونه نائبان يلونه فى الأقدمية ، ويرأس أقدمهما المجلس فى حالة غيابه ، ويختار سكرتير للمجلس من بين السفراء ،ويمثل الباقون أعضاء المجلس ، والمفروض أن تسهم كل دولة بنصيب من نفقات المركز كل عام ، ولكن الملاحظ أن هذا الاسهام لم يكن بالقدر الذى يمكن المركز من أداء رسالته كما يرجى لها ، والأمل معقود أن يتلافى هذا مستقبلا .

وقد اتجه الجهد الأكبر للمجلس فى السنوات الماضية الى محاولة اقامة مسجد يمثل العالم الاسلامى وقد صادف بناء المسجد عقبات لم تكن فى الحسبان ، فقد جمع له مبلغ ربع مليون جنيه ، وأعد تصميم للبناء وأرسى حجر الاساس فعلا عام ١٩٥٤ الا أن السلطات الخاصة بتصاريح البناء لم توافق على اقامة النموذج المقدم بحجج مختلفة فمرة قيل إن المئذنة مرتفعة ، ومرة اعترض على طريقة تصميم البناء ذاتها ، وفى عام ١٩٦٥ م كان الشعور السائد بين المسلمين أن المسئولين يضعون العقبات أمام المسجد لأنهم لا يريدون أن يقام مسجد فى هذا المكان الهام فى لندن ، ومما يذكر أن المكان الحالى للمسجد يطل على حديقة ريجنس بارك المشهورة ويؤمها الزوار من مختلف أنحاء انجلترا . ولما وصل الأمر الى هذا الحد كونت لجنة من السادة السفراء تسمى (لجنة المسجد) وأخذت تعمل على التعجيل ببناء المسجد ، وواصلت دراستها لكل العقبات ، ورؤى أن توضع

بشروط مسابقة عالمية لاقامة مسجد لنـــدن ، وقطعا للطريق علــى أى اعتراض من جهة السلطات البريطانية اتفق على أن تكون اللجنة من ثلاثة من المهندسين المعماريين أحدهم انجلزى والثانى مسلم والثالث اسبانى وقد اختير المهندس المسلم من باكستان ، ووضعت اللجنة شروط المسابقة ونظرت فى النماذج المقدمة ، وكانت نتيجة المسابقة فوز التصميم الذى تراه فى الصورة ، وهو من اعداد المهندس الانجليزى ، وكان المفروض أن يبدأ البناء عقب اعلان نتيجة المسابقة مباشرة الا أن الاموال المطلوبــة غير متيسرة حتى الآن ، ويتكلف البناء حوالى مليون ونصف مليون جنيــه استرلينى ، والمطلوب الآن جمع مليونين من الجنيهات ويستغل المبلــغ المتبقى بعد البناء ليصرف من ريعه على أعمال الصيانة ومتطلبات البنــاء المتجددة مع الزمن ، والأمل معقود أن تقوم الدول الاسلامية بواجباتها حتى يقوم بناء يمثل كل ما فى الاسلام من معان نعتز بها ، والانظار متجهة الى الكويت وشقيقاتها العربيات فى تحمل العبء الأكبــر من هــذا المشروع وخاصة هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالرزق الواسع والخير الكثير .

والمبنى الحالى للمركز الاسلامى عبارة عــن قصر كبير تحيط بــه حديقة فسيحة سيقام المسجد الجديد على أرضها وتستعمل ثلاث صالات واسعة بمثابة مسجد تقام فيه الصلوات ، يوم الجمعة يفرش الفنـــاء الذى يؤدى الى الصالات الثلاث وقاعة القراءة ، وتكون كلها غاصـــة بالمصلين الذين يتراوح عددهم فى الايـــام العادية بين الخمسمائـــة والستمائة ، فاذا كان يوم الجمعة يوم عطلة ارتفع العدد الى ألف أو يزيد والمنظر المؤثر حقا هو يوم العيد فى لندن ففى هذا اليوم يجتمع فى ساحة المركز الاسلامى حوالى عشرة آلاف مسلم ينتسبون الى كل دول العالــم فى الشرق والغرب وتغطى حديقة المسجد بالخيام التى تغص بالمصليـن ومع ذلك فان عددا كبيرا منهم يضطر للصلاة خارج الخيام لأنه لا يجد مكانا وكثيرا ما يكون ذلك تحت المطر المتساقط بدون توقف مما يثير دهشـــة الاجانب ، ويلفت انتباههم ، وسنعرض هنا لأهــم ألوان النشـــاط التى يؤديها المركز الاسلامى فى لندن :

يلبى نشاط المركز الثقافى فى لندن حاجات المسلمين المقيمين فـــى انجلترا سواء كانت دينية أم ثقافية أم اجتماعية . وهذه التلبية تتم فى حدود الامكانات الميسرة للمركز .

فى النواحى الدينية : تقام الصلوات بانتظام وخاصة صلاة الجمعة من كل أسبوع ويسبقها الاستماع الى القرآن الكريم من تسجيلات أشهر مقرىء القرآن الكريم ويطبع المركز مواقيت الصلاة على مدار العـــام ويوزعها على المسلمين مجانا . ويزداد هذا النشاط فى رمضان حيــث تتخذ ألوان النشاط المناسبة لهذا الشهر الكريم فتعد امساكية خاصـــة بشهر رمضان مبينا فيها بدء الصيام ونهايته كل يوم مع أوقات الصــــلاة وصلاة التراويح التى تقام كل ليلة وتستمر حتى العاشرة والنصف مساء ، ومقدار الزكاة الواجب على المسلم فى هذا الشهر وميعاد صلاة العيــد حيث تتم اجراءات ضخمة نظرا لارتفاع العدد الذى يتوافد على المركز فى ذلك اليوم الى ما يقارب العشرة آلاف . فتؤجر خيام تقام فى ساحة حديقة المركز مما يكلف حوالى (٩٠٠) جنيه « استرلينى » تقريبا أو يقل قليلا ، ويحصل مثل هذا العدد فى عيد الأضحى المبارك .



يبدو معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ راشد الفرحان مع مجموعة من العلماء وبعض من المسلمين فى محراب مسجد نور الاسلام بمدينة كارديف — انجلترا .

وفى خلال شهر رمضان تتم الاحتفالات بغزوة بدر وفتح مكة وليلة القدر حيث يبقى عدد من المسلمين فى المسجد حتى الصباح . ويعد لهم المركز طعام الافطار والسحور .

ويقوم المركز بعقود الزواج للمسلمين فى انجلترا وتبلغ هذه العقود سنويا قرابة مائة وخمسين عقدا وقد تبلغ المائتين . ويتقاضى المركز عن كل عقد خمس جنيهات وربع وقد يعفى منها غير القادر . ويقوم المركز باشهار اسلام الراغبين فى الاسلام واعطائهم شهادة بذلك بعد شرح الاسلام لهم ومناقشات معهم قد تستغرق شهورا أو أسابيع حسب معلومات الراغب فى اعتناق الاسلام . ويزودون بعدد من الكتب تشرح لهم الاسلام بعضها يقومون بشرائه من الخارج وبعضها يقدمه المركز هدية . ويبلغ متوسط الداخلين فى الاسلام حوالى مائتى شخص سنويا أو يزيدون .

ويقوم المركز بالرد على أسئلة المسلمين أو استفتاءاتهم فيما يعرض لهم من الامور التى يستوضحون عنها أو بعض المشاكل التى تعترض حياتهم مما يتعلق بأمور الأسرة وغيرها . كذلك يجيب المركز على أسئلة كثيرة من غير المسلمين الذين يستوضحون بعض الامور فى الاسلام أو يقومون باعداد دراسات فى مدارسهم أو كلياتهم فى الاسلام أو الاديان بوجه عام . وقد لوحظ ارتفاع عدد هذه الحالات فى الفترة الاخيرة بصورة ملحوظة .

كذلك يقوم المركز بأداء صلوات الجنازة على المتوفين من المسلمين فى لندن والذين يرغب أهلوهم فى اقامة الصلاة عليهم فى المركز .

النواحى الثقافية : وهى فى الحقيقة متصلة اتصالا وثيقا بالنواحى الدينية ولا تكاد تنفصل عنها لأن أى نشاط ثقافى يأخذ دائما الصبغة الدينية ومظاهر هذا النشاط تتمثل فى الصور الآتية :

(١) اعداد محاضرات دورية تتناول موضوعات اسلامية مختلفة وتتم فى دار المركز يدعى اليها جمهور المسلمين ، ويقوم بالقائها بعض الأساتذة المقيمين أو المارين بلندن والذين لهم القدرة على التحدث باللغة الانجليزية . وتشمل هذه المحاضرات الاحتفال بالمواسم الاسلامية الهامة مثل يوم الهجرة ، المولد النبوى ، الاسراء والمعراج ، وكذلك غزوة بدر ، وفتح مكة ، وليلة القدر ، والعيدين اللذين سبق ذكرهما .

(٢) كذلك يقوم المركز بارسال متحدثين عن الاسلام الى الكنائس والجامعات والمدارس والجمعيات والنوادى المختلفة التى تطلب متحدثين عن الاسلام أو تنظم دراسات عن الاديان المختلفة ، يتحدث فيها مندوب عن المركز عن الدين الاسلامى . وقد ازداد اقبال الانكليز فى السنوات الثلاث الاخيرة بشكل ملحوظ .

(٣) يقوم المركز باصدار مجلة باللغة الانجليزية تصدر مرة كل ثلاثة أشهر ، وتعتبر فى مستوى راق تهتم بها أقسام الدراسات الاسلامية والعربية فى جامعات العالم المختلفة فى أوروبا وأمريكا وآسيا وافريقيا .

أما النشاط الاجتماعى فيتمثل فى زيارة المرضى فى المستشفيات والمسلمين الذين يقضون فترات السجون . وأهم مظاهر النشاط الاجتماعى هو تقديم مساعدات مالية الى المحتاجين وتدفع هذه المساعدات من الزكاة أو من النقود التى يقدمها أصحابها ويطلبون توزيعها على المحتاجين من المسلمين . وأكثر هذه المساعدات تدفع للطلاب الذين يدرسون ويحتاجون الى معاونة مالية ليستمروا فى دراستهم ، والمظهر الثانى الهام من النشاط الاجتماعى هو حل مشاكل الأسر الاسلامية هنا وازالة الخلاف من بين أفرادها ومحاولة دراسة الظروف التى أدت الى الشقاق ومعالجتها بحكمة وقد تم علاج كثير من هذه الحالات واستؤنفت الحياة الزوجية بعد أن كانت قد تعطلت أو أصيبت بالتصدع .

هذا بالاضافة الى الجهات الكثيرة التى تكتب الى المركز وتطلب رأى الاسلام فى بعض الامور مما يتعلق بالاسرة ومشاكلها أو نظام الطعام أو الشراب أو علاقة الناس بعضهم ببعض .

هناك أمور عامة يقوم المركز بها بعضها دائم مثل قضية فلسطين والعمل من أجلها باصدار بعض النشرات والكتيبات التى تلقى أضواء على القضية وجمع التبرعات باستمرار وارسالها الى المنظمات الفدائية والمشاركة فى أى اجتماع عام يعقد فى لندن من أجل هذا الغرض ، وبعضها مؤقت مثل جمع التبرعات لبعض البلاد الاسلامية التى نكبت بأحداث طبيعية أو تعرض المسلمون فيها لظروف قاسية كما حصل بالنسبة لزلزال تركيا وايران وسيول تونس وباكستان ، وتعرض المسلمين فى مورشيس لظروف ارهاب أدت بهم الى هجر منازلهم . فى كل هذه الظروف قام المركز بجمع التبرعات وارسالها الى المنكوبين بهذه الأحداث .

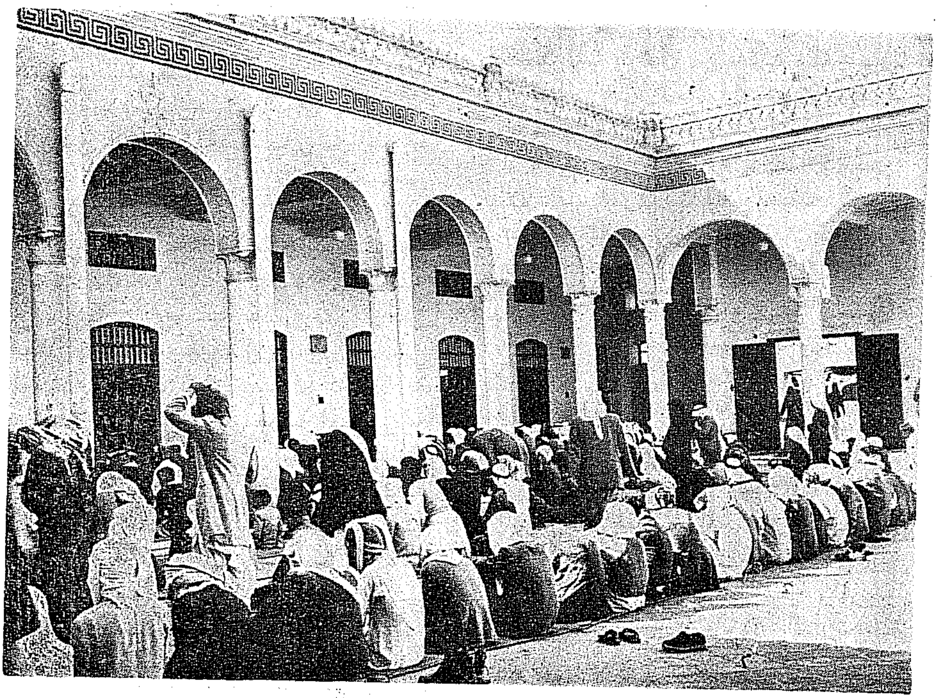
هذا المركز الاسلامى فى لندن منارة للاسلام فى بلاد الانجليز .

مساجد الكويت

إعداد : الشيخ محمود وهبة

مسجد السوق الكبير

فى رحلة للنور لا يطولها الظلام ..وفى شموخ واعتزاز تتصاعد المآذن العديدة فى كل مكان بدولة الكويت لتكون دليلا أكيدا على أن التقدم الحضارى يواكبه وينظمه سمو روحى ليصل به دائما الى أسمى الغايات .
والكويت كانت — ولا زالت تولى المساجد عناية خاصة وترصد لها



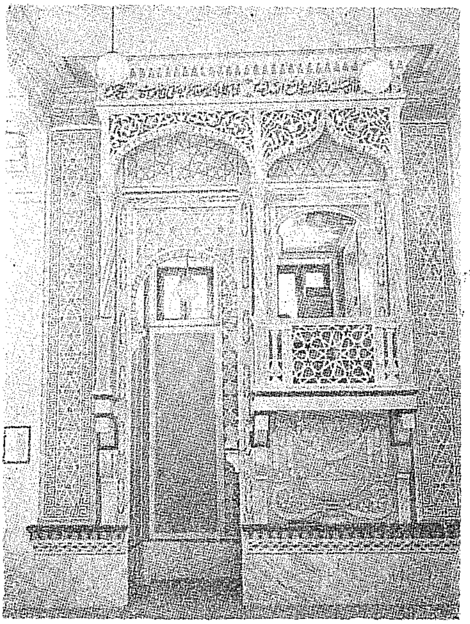
صورة لمسجد السوق من الداخل وقد ملئت قاعاته وساحته بالمصلين .

الاموال الطائلة بناء وتعميرا واصلاحا حتى بلغ عددها الآن أكثر من ثلثمائة مسجد تعتبر بحق مركز اشعاع روحى يهدف الى ايجاد مجتمع عف المشاعر نظيف السلوك يتعاون افراده على البر والتقوى ولا يتعاونون علـــى الاثم والعدوان ..

وأقدم مساجد الكويت هى : مسجد الابراهيم ومسجد آل خليفة ومسجد العدسانى ، فهذه الثلاثة هى أقـدم مساجد الكويت على الاطـلاق وقـد بناها الرعيل الأول الذين استوطنوا الكويت منذ مئات السنين وكان البناء يتم بالطين والحجـــارة والأخشاب وغيرها من مواد البناء المتاحــــة حينذاك .

ومسجدنا الذى نفتتح به هــــذه السلسلة من التحقيقات عن مساجد الكويت هو مسجد السوق الكبير وهو مسجد مهيب يمتاز بضخامة مساحته وجمال منظره ، وروعة نقوشه ، ودقة زخارفه ، مما يجعله بحق — من أعظم مساجد الكويت ..

وقد تم انشاؤه عام ١٢٠٩ هـ بجهود المحسن الكبير المغفـــور له الشيخ محمد بن حسين بن رزق وبعـض محسنى الكويت وكان فى أول أمره صغيرا لا يتسع الا لعشرات المصلين وكانت مئذنته عادية جـدا لا يزيـد ارتفاعها عن بضعة عشر مترا وكان تجار الكويت يحرصون دائما عـلى الصلاة فيه . وفى عـــام ١٢٥٥ هـ تم تجديده لأول مرة بمعرفة المغفور له الشيخ يوسف الصقر بمساعدة بعض المحسنين وفى هذا التجـديد أدخلت عليه زيادات هامــة وأضيفت لــه مساحات جديدة مما جعله يتسع لآلاف المصلين ، وأثناء عملية التجديد أوصى الشيخ يوسف الصقر أحد أصدقائـه الذين كانوا يخوضـــون البحـــر فى رحلاتهم الطويلـــة الى آسيا وأفريقيا



محراب المسجد

بشراء الأخشاب اللازمة لعمليـــة التجديد من النيبار (أفريقيـــة) فاشتراها الرجل من هناك ولما عـلم البائع أن هذه الأخشاب لتعمير مسجد رد ثمنها وتبرع بها طلبا لثواب الله .

وفى عام ١٣٧٣ هـ جددته دائــرة الأوقاف للمرة الثانية وأعطته الدولة عنايتها الكاملة وبلغ ما أنفقته الدائرة على هذا التجديد (٦٢٥٣١١) روبية وهى العملة التى كانت متداولـــة بالكويت فى ذلك الوقت ، وما زالت الوزارة توالى الانفاق على تجديده والمحافظة عليه ليبقى دائما منارة لنور الايمان على ضفاف الخليج .

والمسجد يقع فى قلب المنطقـــة التجارية وسط العاصمة وهى المنطقة التى كانت تتم فيها الصفقات التجارية بين الكويت وبين دول آسيا وأفريقيا فى الماضى البعيد ، وما زالت تحتفظ بمركز الثقل التجـــارى حتى الآن ، وتجد فيها مئات بل آلاف المحـــلات

التى تبيع لك كل شىء بأرخص الأسعار ويعمل فى هذه المحـــلات تجار وعمال من جميع انحاء العالم العربى وان كان معظمهم من المهرة والعمانيين ..

واذا ألقيت نظـــرة عامة عـــلى المسجد من الخارج فستهزك حتمـــا روعة مظهره ودقه نقوشـه ، وجمال زخرفه ، وضخامة بنائه ، وامتـــداد مساحته ، فواجهته الشمالية بها باب فخم يرتكز على اسطوانتين من الرخام الفاخر وتعلق عليهـــا بعض الآيات القرآنية المكتوبة بخط رائع وعـــلى بعد خطوات قليلة من الجهة الشمالية للباب نجد المئذنة التى بنيت عـــلى الطراز الفاطمى وبها نقوش جميلـــة وزخارف صنعت من الجص اللامـــع الذى يزيدها بهاء وفتنة كما يوجـــد بها أربع شـرفات من جهاتها الاربع تنسجم مع طرازها وتعطى المشاهـــد صورة أصيلة لفن العمارة فى الاسلام ـــ ومما زاد المئذنة جمالا تلك الساعة الضخمة التى وضعتها الدولة فـــى المئذنة ليراها الناس من كل اتجـــاه ويعرفوا بها أوقات الصلاة .

كما يوجد فى الواجهة الشرقيـــة بابان كبيران من خشب الســـــاج يفضيان بك الى فناء فسيح يتســـع لحوالى ألف وخمسمائة من المصلين وألحقت به صالة كبيرة يجلس فيهـــا الكثير من المسلمين عصر كل يـــوم يقرأون القرآن الكريم ويتعلمون أحكام التلاوة والتجويد ومبادىء التفسيـــر وغيرها من علوم القرآن كما يوجـــد بالفناء أيضا دار فسيحة (لعابرى السبيل) يجدون فيها المأوى والراحة والهدوء والاستقرار .. واذا تركنا الفناء بما فيه ودخلنا المسجد نفسه فاننا سنجده فى غاية من البهـــاء والرواء . فأرضه قد فرشت بالسجاد الفاخر الثمين وجدرانـــه قد ازدانت بلوحات فاخرة كتبت فيها آيات كريمة من كتاب الله بخط كوفى رائع ـــ كما توجد بالمسجد مكتبة ضخمـــــة تمد المصلين بزاد أصيل مـــن الثقافـــة الاسلامية بجميع فروعها ، ولا تجـــد أحدا فى المسجد الا وبين يديه نسخة من كتاب الله أو كتاب اسلامى ينمى ثقافته ويزيد معرفته .. ويدفعه الى السمو الروحى فى هذه الحياة ..

أما السقف **فيرتفع على أعمدة من** الاسمنت المسلـــــح المغلف بالجص وتتوسطه قبة ضخمة ترتكز على ستة أعمدة وتتدلى منها ثريا جميلة جـــدا تضاء فى الأعياد والاحتفالات الرسمية الى جانب الثريات الكثيـــرة المتناثرة فى جوانب المسجد والتى تحيله فـــى الليل الى شعلة متوهجة من الاضواء .. وحرصا على راحة المصلين فقد تم تركيب أربعة مكيفات كبيرة للهـــواء تعمل ليل نهار وتجعل الجو فيه مريحا للمصلين . أما الجهـــة الغربيـــــة والشمالية ففيها عشرة شبابيك مطلة على ساحة فسيحة مخصصة لوقوف سيارات المصلين ويلاصق المسجـــد من هذه الجهة المدرسة المباركية وهى من المدارس الأولى التى كانت مـــن مقومات الحركة الفكرية والعلمية فى البـــلاد .

ويعتبر مسجد الســـوق الكبيـــر المسجد الرسمى للدولة ففيه يؤدى حضرة صاحب السمو أمير البـــــلاد المعظم وأعضاء حكومته صلاة العيدين كما تقام **فيه الحفلات الرسمية وحلقات الوعظ والارشاد التى ترسم للنـــاس** طريقهم الواضح فى الدنيا والدين ، وتحدد لهم المنهج السوى فى شئون الاسلام والحياة ..

• • • •

تلك هى نبذة موجزة عن مسجـــد السوق الكبير والى اللقاء فى حلقـــة قادمة مع بيت آخر من بيوت الله ..

من المعارك الخالدة في تاريخ الإسلام

موقعة اليرموك

الموقعة الفاصلة بين

كان البدء فى فتح « الشام » متأخرا عن الفتح فى بلاد « العراق » فأول لواء عقده خليفـــة المسلمين أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ كان فى أول السنة الثالثة عشرة من الهجرة لخالد بن سعيد ، ثم عزله بناء على مشورة من عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ قبل أن يأمره بالمسير ، وجعله ردءاً للمسلمين بـــ « تيماء » .

ثم اهتم أبو بكر الصديق بـــ « الشام » ، واعتزم الجــد فى أمر « الروم » ، فاستنفر المسلمين للجهـــاد ، وجنَّد الجنود ، وعقد الالوية الاربعة من كبار القواد المشهود لهم بالكفاءة والبطولة ، وعيَّن لكل واحد منهم طريقــه ، والجهة التى يغزوها ويليها بعد الفتح .

١ ــ أبو عبيدة بن الجراح : ووجهته « حمص » ، وقاعدته « الجابية » .

٢ ــ يزيد بن أبى سفيان : وجهته « دمشق » ، وكان يرافقه أخوه معاوية .

٣ ــ عمرو بن العاص : ووجهته « فلسطين » ، وقد أمره أبو بكر الصديق بأن يمد الجيوش الاخرى بالمعونة اذا دعت الضرورة .

٤ ــ شرحبيل بن حسنة : ووجهته وادى « الاردن » .

المسلمين والروم ..

للأستاذ محمد رجائي حنيفي

وقد تراوحت تقديرات المؤرخين لعدد الجيش الاسلامى ما بين ستة وثلاثين ألفا وأربعين ألفا ، فيهم ألف صحابى ، منهم مائة يحملون وسام « بدر » .

ودع أبو بكر هذه الجيوش ، وأوصاهم وهو يودعهم بالعمل لله ، والجد والقصد ، واخلاص النية ، وذكرهم بما ورد فى كتاب الله عز جل من الثواب على الجهاد .

وأوصى يزيد بن أبى سفيان بحسن صحبة جنوده ، وأن يبدأهم بالخير ويعدهم اياه ، وأن يوجز فى وعظهم ، وان يكرم رسل أعدائه اذا وفدوا عليه ، وأن يقلل من مدة بقائهم عنده ، حتى يخرجوا من معسكره وهم جاهلون به ، فليس من المستبعد أن يكون هؤلاء الرسل جواسيس يقومون بجمع المعلومات عن جيشه ، وأن يمنع أى شخص من التحدث معهم ، بل يتولى هو بنفسه الحديث معهم ، وأن يكون يقظا بالليل فى أصحابه لتأتيه الاخبار ، وأن يصدق فى لقاء الاعداء ، ولا يجبن حتى لا يجبن الجنود ، فالقائد يعتبر المثل الاعلى لجنوده .

تحرك الامراء بجيوشهم وساروا حتى وصلوا « الشام » فنزل يزيد « البلقاء » ، وشرحبيل « الاردن » ، وأبو عبيدة « الجـابية » ، وعمرو « العربة » .

ويظهر أن « الروم » فى بادىء الامر لم يحفلوا بالمسلمين ، ولم يظنوا فيهم القوة والقدرة والجرأة على اقتحام عواصم البلاد ، والتغلغل فى داخلها بجيشهم القليل العدد الضعيف العدة ، فمهد هذا للمسلمين أن يقتحموا بجيوشهم بلاد « الروم » المجربين فى الحروب ، العارفين بمواضع الخطر ، الواقفين على عورات العدو ، الخبيرين بطرق البلاد ومسالكها .

لقد أوغل المسلمون فى جنوب « الشام » على شكل مثلث متقارب الاضلاع ، رأسه فى « البلقاء » مع يزيد بن أبى سفيان ، وأحد أضلاعه فى الجنوب الغربى فى « فلسطين » مع عمرو بن العاص ، والضلع الآخر فى الجنوب والجنوبى الشرقى فى « حوران » مع أبى عبيدة بن الجراح ، وفى الوسط شرحبيل بن حسنة بميل جهـة الغرب ، بحيث يمد بعضهم بعضا ، ومن ورائهم يزيد بن معاوية يحفظ عليهم خط الرجوع ، ويؤمن لهم طرق المواصلات والامـداد والتموين .

على هـذا الشكل دخلت الجيوش الاسلامية « الشام » ، وافتتح كل قائد من القواد ما مر بـه من البلاد اما بالصلح أو بالحرب ، حتى اذا أخذت الصيحة الروم من كل جانب هبوا من غفلتهم هبوب المذعورين ، فكاتب الامراء هرقل وهو بـ « القدس » فخرج منهـا حتـى وصل الى « حمص » ، فأعد الجنود وعبأ الجيش ، وأراد أن يشغل كل قائد من قواد المسلمين عن أصحابه ، ويضعفه عمن يكون بازائه ، فلديه الكثير من الجند والرجال ، فأرسل الى كل قائد أضعاف ما تحت إمرته من الجند ، فلجبهة عمرو بن العاص أرسل أخاه « تذارق » فى جيش قوامه تسعين ألفا من الجنود ، ولجبهة أبى عبيدة بن الجراح بعث « الفيقار بن نسطوس » فـى ستين ألفا ، ولجبهـة يزيد بن أبى سفيان أرسل « جرجة بن توذرا » فى خمسين ألفا ، ولجبهة شرحبيل بن حسنة بعث « الـدراقص » فى أربعين ألفا ، فصارت قوات « الروم » المواجهـة لقوات المسلمين مائتين وأربعين ألفا .

وعندما رأى المسلمون هـذه القوات هابوها ، ورأوا فى التريث الحزم كل الحزم ، فتداولوا فى موقفهم منها ، فهم لم يكونوا يتوقعون أن يجدوا مقاومة منظمة مثل هـذا التنظيم ، ثم وصل الى علمهم أن هرقل قد تحصن بـ « حمص » وأنه يتتبع أنباءهم بعناية بالغة ، وأنه جعل قيادة الجيوش لـ « تذارق » ـ الذى استطاع بمهارته وخبرته الحربية أن يوقع الهزيمة بالقوات الفارسية ـ ليطهر الاراضى الرومية من العرب ، وليلقى عليهم درسا لا ينسونه أبد الدهر .

وبعث المسلمون بالكتب والرسل الى عمرو بن العاص والخليفة أبى بكر الصديق ، يسألونهما الرأى والمشورة فى هـذا الموقف الدقيق ، فكان رأى عمرو : « ان الرأى الاجتماع ، وذلك أن مثلنا اذا اجتمع لم يغلب من قلة ، واذا نحن تفرقنا لم تقم كل فرقة لمن استقبلها لكثرة عدونا » .

وجاءهم كتاب من أبى بكر الصديق بمثل رأى عمرو ، يأمرهم فيـه بالاجتماع ، وأن يلاقوا زحف المشركين أعداء المسـلمين بزحفهم ، وأن

يحترسوا من الذنوب ويجتمعوا بـ « اليرموك » .

وعندما بلغ هرقل ذلك كتب الى قواده أن : « اجتمعوا لهم ، وأنزلوا بالروم منزلا واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ، وعلى الناس التذارق ، وعلى المقدمة جرجة ، وعلى مجنبتيه باهان والدراقص ، وعلى الحرب الفيقار ، وأبشروا فان باهان فى الاثر مددا لكم » .

ولم يخف على هرقل أن المسلمين قد جمعوا فى جيوشهم كل ما أمكنهم ، وفى طليعة هذه الجيوش أهل القوة والشدائد وخوض الصعاب ، وأن المعركة التى ستدور بين جيشه وجيوش المسلمين ستكون معركة مريرة فاصلة ، فان قدّر لقواته النصر فيها فلن يجرؤ المسلمون على غزو بلاده مرة أخرى ، وان انهزمت قواته فسلام على « سوريا » سلاما لا لقاء بعده ، ومن أجل ذلك اهتم بهذا الجيش الذى عبأه ، وجنّد له كبار قواده وأمرائه .

المواجهة

ينبع نهر « اليرموك » من جبال « حوران » ، وينحدر سريع التيار بين آكام مختلفة الارتفاع الى غور « الاردن » والى « البحر الميت » ، وعلى بعد يتراوح بين ثلاثين وأربعين ميلا من ملتقى نهر « اليرموك » بنهر « الاردن » تقع واقوصة فى منبطح فسيح من الارض ، تحيط بها من ثلاث نواح جبال بالغة الارتفاع .

وقد وقع اختيار « الروم » على هذا المنبطح ليكون معسكرا لقواتهم ، وعندما قدموا اليها واستقروا بها تخطى المسلمون نهر « اليرموك » الى ضفته اليمنى ، واختاروا منبطحا آخر على الطريق المفتوح لجيوش « الروم » ، فأصبح « الروم » محصورين بين الجبال ، وعندما رأى عمرو ابن العاص ذلك قال : « أيها الناس ، أبشروا حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير » .

لقد أصبح موقف « الروم » باختيارهم للمنبطح معسكرا لقواتهم عسيرا ، وأصبح موقف الجيوش الاسلامية قويا ، وتغير الوضع ، ولكن .. عن أى شيء أسفر هذا الوضع الجديد ؟ هل هاجم المسلمون « الروم » فى المكان الذى اختاروه لأنفسهم وقضوا عليهم ؟ هل هاجم « الروم » المسلمين مستغلين تفوقهم فى العتاد والعدة والعدد وأتاحوا لانفسهم فرصة الانتصار على المسلمين بانقضاض سريع ؟

كلا ، لم يحدث شيء من هذا ، بل لم يحدث أى اشتباك بين الفريقين ، وأقام المسلمون على طريق « الروم » لا يقدرون منهم على شيء ،ولا يقدر « الروم » منهم على شيء ، فاذا خرج « الروم » من معسكرهم ردهم المسلمون اليه ، واذا غامر المسلمون وقاموا بهجوم فانهم لم يلبثوا أن يتراجعوا خشية أن يحصرهم « الروم » بينهم فيكون فى ذلك القضاء عليهم ، واستمر الحال على هذه الصورة مدة شهرين كاملين اعتقد المسلمون خلالهما أنه لا بد لهم من مدد يأتيهم يعينهم على هذا الوضع ، فبعثوا الى أبى بكر الصديق يصورون له الموقف ، ويصفون له الحالة ، ويطلبون منه ارسال المدد .

وعندما علم أبو بكر الصديق بوضع القوات الاسلامية فى « الشام » قال : « والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد » .

ووصلت تعليمات أبى بكر الصديق الى خالد بن الوليد وهو فى مدينة

« الحيرة » مقر قيادته العليا فى « العراق » ، ومضمونها أن يســير خالد حتى يأتى جموع المسلمين بــ « اليرموك » ، وأن يأخذ معه نصف الجيش الاسلامى ، ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن حارثة الشيبانى ، ولا يأخذن معه من فيه نجدة الا ويترك عند المثنى مثله ، فامتثل خالد بن الوليــد لهــذه التعليمات .

وفكر خالد فى كيفية الوصول الى « الشام » من « العراق » ، ان الحرب خدعــة لا بد للانتصار فيها من المباغتة والمفاجأة ، فاذا توقعك عدوك من ثلاث طرق فاذهب اليه من الطريق الرابع ، هنا تكمن المفاجأة ، مفاجأة العدو بحيث يرى عدوه أمامه وهو غير متوقع .

ان خالدا يريد أن يسلك طريقا يفاجىء منه الجيش الرومى ، ويحفظ بــه الامن والسرية لتحركاته ، وعندما سأل لم يدله مجاوبوه الا على طريق صحراوى يشق على الجيش الاسلامى المسير فيه ، ويحمله ما لا يطيق من الصعاب والمشاق ، واستقر رأى خالد على سلوك هــذا الطريق الصحراوى ، فهو وان كان طريقا مخيفا رهيبا قليل الماء عظيم الخطر الا أنه طريق لا يتوقع العدو أن يأتى منه أى مــدد .

واتخذ خالد القائد العبقرى احتياطاته للمسيرة الرهيبة ، فجمع عددا من الابل ومنع عنها الماء أياما حتى عطشت واشتد عطشها ، ثم سقاها حتى ارتوت ، فشد أفواهها حتى لا تجتر ، وفى هذه الحالــة تختزن الابل كميات المياه التى شربتها فى مثاناتها لعدة أيام قبل أن تستهلكه تدريجيا ، وهذه الطريقــة يلجأ اليها البدوى فى الصحراء حتى الآن .

وأمر خالد قواته بالسير ، وعلى طول الطريق الصحراوى الخطر الى « الشام » كان خالد ينحر كل يوم عــددا من هذه الابل ليشرب الجيش الماء من بطونها ، وقطع خالد صحراء « العراق » وبادية « الشام » ، وهى جزء من الطريق يزيد على ٩٥٠ كيلومترا فى أشد الظروف قسوة وحرارة ، يغزو من يقابله من القبائل حتى وصل الى « تدمر » الذى كان وصوله اليها مفاجأة مذهلة لــ « الروم » ، ثم سار من هناك الى « ثنية العقاب » ناشرا راية سوداء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى « العقاب » ، ثم تجاوزها الى « مرج راهط » شرقى غوطة « دمشق » ، فأغار على أرباض « دمشق » ، ثم اتجه جنوبا حتى وصل الى « بصرى » ، فقاتل أهلها حتى صالحوه ، فكانت « بصرى » أول مدينة بــ « الشام » تفتح صلحا على يد خالد ، فبعث بالاخماس الى أبى بكر الصديق ، ثم سار منها ووصل الى « اليرموك » حيث يرابض الجيش الاسلامى .

ولقد صادف وصول خالد تعزيز هرقل لجيشه بــ « باهان » القائــد المحنك ، فاغتبط « الروم » بــ « باهان » اغتباط المسلمين بخالد ، وأقام الجيشان الاسلامى والرومى يتحين كل منهما الفرصة المناسبة التى تمكن له احراز النصر على عدوه .

دقــة الموقف

لقد بلغ الموقف بين القوات الاسلامية والقوات الرومية مبلغا غايــة فى الدقة ، ولم تكن هذه الدقة متوقفــة على ما بين الجيشين من فرق فى عدد

الجنود ، بل كانت الدقة أيضا فى تفوق عدة « الروم » على عدة المسلمين ، بيد أن هذا التفوق فى العدد والعدة لم يظهر له أى أثر طوال أيام الشهرين اللـــذين مضيا ، منذ جمع المسلمـــون و « الـــروم » قواتهم على نهر « اليرموك » .

وتوالت الايام ، وانقضى أسبوع واثنان وثلاثة ، وكل من الجيشيـــن فى مواقعه لا تتاح لاى منهما فرصة القتال والنزال . فكيف استطاع خالد ابن الوليد أن يتحمل هـــذا الموقف ويصبر عليه ، وما احتمل وصـــبر لمثله أبدا من قبل ؟ هل أفزعته جيوش « الروم » بكثافتها فهابها مثلما هابها زملاؤه ؟ أم كان يدرس الموقف ويخطط للمعركة ويضع التكتيكات التى تضمن لـــه سبل الفوز والنصر ؟ أم كانت عوامل أخرى تركت فى نفسه من الاثر ما جعله يظل هـــذه المـــدة لا يقوم بأى هجوم ؟

لقد أجمعت أكثر روايات المؤرخين على أن الجيش الاسلامى لم يكن موحد القيادة ، بل كان كل أمير يلى قتال من وُجّه اليه ، وينظم خطته بما يكفل له عدم تراجعه ، ويصلى بجنوده على حدة ، وهذه الخطـــة فى مثل عدد جيش المسلمين لا تنيلهم من عدوهم ولا تمكنهم منه ، وأن خالدا جاء من « العراق » مددا لزملائه وليس أميرا عليهم ، فعسكر هو أيضا بجنوده على حدة وصلى بهم ، ولذا لم يستطع خالد أن يشن هجوما على العـــدو بمفرده ، اذ ليس تحت امرته من الجنود سوى تسعة آلاف تقريبا ، ولكن هذا التفرق فى القيادة لم يمنع الجيش الاسلامى من أن يصد هجمات الجيش الرومى التى شنها ويرده الى مواقعه .

تصرف حـــازم

ان أبا بكر الصديق لم يول خالدا امارة الجيش عندما أرسل اليه كتابا يأمره فيه بالسير من « العراق » الى « الشام » مددا للقوات الاسلامية ، المقسمة الى أربعـــة جيوش على كل جيش أمير .

وان « الروم » ينشطون كل يوم وينظمون صفوفهم ، وتدل أنباؤهم على أنهم يستعدون ويتجهزون لمعركة فاصلة ، وعرف أمراء الجيش هذه الانباء ، ثم تواترت الاخبار بأن « الروم » يتجهـــزون وكلهم حماس لقتـــال المسلمين ، وأنهم سينازلونهم فى الغد ، وأن « باهان » قسم الجيش فى صفوف لم يسمع بها من قبل ، فاجتمع أمراء الجيش الاسلامى فى مجلس حرب للبحث والمشاورة ، واتخاذ كافة الترتيبات لمواجهة هجوم « الروم » المتوقع .

وابتدأ الحديث ، وتكلم كل أمير عن وجهة نظره وخطته فى لقـــاء الاعداء ، أما تعبئة الجيش تعبئة كاملة فلم يتناولها البحث ، لان كل أمير هو صاحب الرأى فى صف جنوده وتنظيمها ، وعندما جاء دور خالد بن الوليد فى الحديث تكلم وبيّن للامراء أن التكتيك الحربى الذى يتبعه الجيش الرومى لا يصلح معه هذا الاسلوب الذى يتبعه أمراء الجيوش الاسلامية ، وأنه يرى أن حشد القوات الاسلامية فى مواجهة العدو هو الطريق الامثل فى مثل هذه الظروف .

ومضى خالد بن الوليد يشرح وجهـــة نظره للامراء فقال : ان هـــذا

يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم واريدوا الله بعملكم ، فان هـذا اليوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظـام وتعبئة وأنتم على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغى .

ولعل خالدا قد رأى أن تولية الامراء على مناطق محـددة تكون لهم بعد انتهاء الحرب أمر ربما يكون له أثر نفسى على القادة فضلا عن الجنود ، والقادة هنا ما هم الا الصفوة من الرعيل الاول الذين تخرجوا من مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك فخالد يذكرهم بما هو أسمى وأبقى ، ويحذرهم من أن يكون للدنيا أثر فيما يتطلعون اليه ، لان ما عند الله خير وأبقى فيقول : ان الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما غشيهم ، وانفـع للمشركين من امدادهم ، وقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه وان دان لأحد من أمراء الجند ، ولا يزيده عليه ان دانوا له ، ان تأمير بعضكم لا ينتقصكم عند الله ولا عند خليفـة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هلموا فان هؤلاء قد تهيأوا ، وهـذا يوم له ما بعده ، ان رددناهم الى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها .

ويعرض القائد العبقرى أن يتولـى كل أمير قيادة الجيش يوما ، ويقترح أن تكون له القيادة فى اليوم الاول ، فلم يتردد الامـراء بعدما سمعوا كلامه فى اجابته الى ما طلب ، وهم يظنون أن المعركة ستكون طويلة ، بينما كان خالد بن الوليد يرجو ويتمنى من أعماق قلبه أن ينتهى منها فى أول يـوم .

وكان خالد فى أثناء الشهر الذى أقامه بـ « الشام » قد عرف من أسرار قيادة « الروم » ما طوع لعبقريته أن يضع خطـة الملاقاة والانتصار على الاعداء ، لذلك نظم جيشه على أساس وجود قوى رئيسية على شكل فرق أوكراديس على حد تعبير المؤرخين ، وكل فرقة مكونة من الف مقاتل ، لاعتقاده بأن هـذا التنظيم سوف يظهر امكانيات المسلمين بصورة أكبر فى نظر العدو ، وجعل القلب مكونا من ثمانى عشرة فرقة وعليه أبو عبيدة بن الجراح ، وفيه القعقاع بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل ، وجعل الميمنة عشر فرق وعليها عمرو بن العاص ، وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة عشر فرق وعليها يزيد بن أبى سفيان ، وجعل على رأس كل فرقة قائدا يتلقى الاوامر ممن فوقه .

ولم يكتف خالد بن الوليد بهذا النظام البديع ، بل جعل للجيش طليعة وعليها قباث بن أشيم ، وقاضيا وهو أبو الدرداء ، وقارئا وهو المقداد ، يقرأ على الجنود سورة الجهاد « الانفال » كما كان يفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه من بعد موقعة « بدر » عند لقاء الاعداء ، وأسند تموين الجيش الى عبد الله بن مسعود ، وعين أبا سفيان بن حرب قائدا للتوجيه المعنوى ، مهمته وعظ الجنود وقراءة القرآن عليهم ، وتذكيرهم بالله عز وجل ، وحثهم على الجهاد وبذل الارواح فى سبيل الله ، فكان يسير فى الجيش ويتنقل بين الفرق وهو يقول : « الله الله ، انكم ذادة العـــرب وأنصار الاسلام ، وانهم ذادة الروم وأنصار الشرك . اللهم ان هـذا اليوم من أيامك . اللهم أنزل نصرك على عبادك » .

وعلى هـــذا التنظيـم المحكم الـذى عبأ به خالـد الجيش ، نراه

لم يترك أمرا يزيد فى قوة المسلمين ، ويرفع من روحهم المعنوية ، ويوقظ فيهم الحماس ، ويلهبهم للقاء عدوهم ، ويوقع الرعب فى قلوب الاعداء ويوهن من عزائمهم ، الا وفكر فيه وفعله فى هذا اليوم العظيم .

وقبيل بدء القتال طلب القائد الرومى أن يبرز اليه خالد ليقول له بضع كلمات ، فخرج اليه خالد حيث تواجها فى الفراغ الفاصل بين الجيشين ، وقال « باهان » ومن حوله أركان حربه يخاطب خالدا : قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم الا الجهد والجوع — غلاء الاسعار وضيق الامور على المسلمين — ، فان شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير ، وكسوة ، وطعاما ، وترجعون الى بلادكم ، وفى العام القادم أبعث اليكم بمثلها . فإنا قد جئناكم ومعنا من الجيوش والعدد ما لا قبل لكم بـه .

وفكر خالد قبل أن يجيب على كلام القائد الرومى ، ان « باهان » يستهدف من كلماته هـذه ثلاثة أشياء :

الاول : انه يشكك فى الاوضاع الاقتصادية للدولة الاسلامية ، كما انه يشكك فى الهدف وعدم ادراك الغاية التى يستهدفها الجيش الاسلامى .

الثانى : أنه يحاول رشوة الجيش الاسلامى بالمال والطعام والكسوة .

الثالث : أنه يشن حربا نفسية باستهانته وسخريته من قلـة الجيش الاسلامى اذا قيست بما تحت يده من رجال وعدة وعتاد .

وضغط خالد أعصابه ، وجزّ على أسنانه بعدما أدرك ما يرمى اليه « باهان » من كلامه ، وقرر خالد أن يرد عليه بجواب مناسب ، فقال له : انه لم يخرجنا من بلادنا الجهد والجوع كما ذكرت ، ولكننا معشر العرب نشرب الدماء ، وقد علمنا انه لا دم أطيب من دمكم ، فأقبلنا لنهريق دماءكم ونشربها ، ولقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون فى الآخرة كما ترغبون فى الدنيا . ولوى البطل زمام جواده عائدا الى صفوف جيشه .

لقد كان فى رد خالد هـذا مقابلة حاسمة تامة للاشياء الثلاثة التى ارادها « باهان » فى كلامه ، فقد أظهر وأوضح له أن خروج المسلمين لم يكن سببه الجوع أو ضيق الامور ، ثم ألقى عليه وعلى أركان حربه الواقفين حوله بقنبلة أحدثت انفجارا نفسيا رهيبا ، ونشرت الرعب والذعر فى قلب « باهان » ومن معه ، فالعرب لم تكن فى يوم من الايام شاربة للدماء ، ولكن الاثر النفسى لكلام خالد تحقق على الفور ، وظهرت آثاره فى نفوس العدو ، فقد سيطر الرعب والخوف والفزع على قلوب أركان حرب « باهان » ، ومال بعضهم على بعضهم يتهامسون بقولهم : هذا ما كنا نسمع بـه عن العرب من شربها الدماء .

ولم يستطع خالد أن ينكر فى رده على « باهان » تلك الامكانيات الهائلة الموجودة فى جيش « الروم » من حيث العدد والعدة ، ولكنه ركز تركيزا مباشرا على اعتبار له القيمة الحاسمة فى مصير المعركة من وجهـة نظره ، انه يتحدث عن العقيدة التى يحارب بهـا المقاتل ، ونوعية ذلـك المقاتل ، ولا شك فى أن لكل مقاتل عقيدة حتى ولو كانت باطلة ، فالجندى الرومى يحارب بعقيدة ، والجندى المسلم يحارب بعقيدة ، بيد أنه يجب أن يكون ايمان الجندى المسلم بالحق الذى هو عليه أشد وأقوى مـن ايمان الجندى الرومى بما هو عليه ، والمقاتل الذى يحارب ويرغب فى الحياة

يختلف تمام الاختلاف عن الجندى الذى يحارب وهو يتحرق شوقا الى لقاء الله ، فهو لا يتعلق بشىء مما فى الحياة الدنيا ، لان ما فيهـا الى زوال وانتهاء ، أما ما عند الله عز وجل فهو باق لا يزول ولا ينتهى . هـذا هو هدف الجندى المسلم يبذل روحه رخيصة فى سبيل الله طمعا فى لقاء الله .

الموقعـة

أمر خالد بن الوليد مجنبتى القلب أن ينشبا القتال ، وكان عليهمـا القعقاع بن عمرو ، وعكرمة بن أبى جهل ، فخرجا فى حماس ، وأنشبـا القتال ، والقعقاع يرتجز :

يا ليتنى القـاك فى الطراد   قبل اعترام الجحفـل الوراد
وأنت فى حلبتـك الوراد

وعكرمة يجاوبه بقوله :

قد علمت بهنكـة الجـوارى   انى على عكرمـة احامى

وكانت هذه الأراجيز تفعل فعل السحر فى النفوس ، فتثير حماس المحاربين ، وتهيج كامن وجدانهم ، وتقوم مقام الموسـيقى فى استثـارة النفوس ، وتشجيع القلوب ، والهاب الحمية .

والتحم الجيشان ، وتطارد الفرسان ، وخرست الألسنة ، وصمت الآذان ، فلم يعد يسمع الا صوت السيوف وهى تتضارب ، وزئير الفرسان وهو يتعالى .

ثم خرج « جرجة » قائد قلب جيش « الروم » ، حتى اذا كان بيـن الصفين صاح مناديا : ليخرج الى خالد . فخرج خالد اليه بعد أن أقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق فرسيهما ، ثم دار بين الاثنين حوار انتهى باسلام « جرجة » وصلاته ركعتين .

وأغلب الظن أن « جرجة » كان عربيا أوروميا أقام سنين طويلة ببلاد « الشام » ، فعرف اللغة العربية ، وسمع بأخبار المسلمين ، وبانتصارات خالد المتتالية ، فانضم الى الجيش الاسلامى بالقوات التى تحت أمرته .

واعتقدت فرقة من جيش « الروم » أن « جرجة » قد حوصر ويحتاج الى المدد ، فانقضوا على المسلمين حتى أزاحوهم عن مواقعهم ، وحملوهم على التقهقر للوراء ، وعندما رأى عكرمة هجوم « الروم » وتراجع المسلمين ثار الدم فى عروقه وصاح : قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل موطن وأفر اليوم ثم نادى فى أصحابه : من يبايع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام ، وضرار بن الازور فى أربعمائة من وجوه المسلميـن وفرسانهم ، من بينهم عمرو ابنه ، وهجموا على فرقة « الروم » هجمة رجل واحد ، مستميتين فى سبيل ربهم الكريم ، وقد تجلى لهم وجهه الأكرم فأضاء لهم بنوره سبيل الاستشهاد والجنة ، وزلزلت « الروم » مـن الهجمـة ، وزادهم زلزالا انضمام « جرجة » وجنوده للمسلمين فى مهاجمتهم ، ممـا جعلهم يعتقدون أن بنى وطنهم قد غدروا بهم وانضموا لأعدائهم ، فأخذوا يتراجعون الى الوراء .

وعندما رأى خالد فرقة « الروم » ترتد وتتراجع أصدر أمره الى جميع

قواد الجيش بالتقدم ، فاذا بقوات « الروم » تلقاه بهجوم ليس دون هجومه عنفا وقوة ، فأيقن المسلمون أنه لا سبيل لهم ولا مفر من الفناء الا باحراز النصر على أعدائهم ، فازدادوا ايمانا بالله عز وجل ، وزادهم ايمانهم قوة فى هجومهم ، واندفع خالد بن الوليد يعمل فيهم سيفه فيخطف أرواحهم خطفا ، وجرجة يفعل مثله حتى أصيب ، وبلغت الحماسة بالمسلمين أن شاركت النساء الرجال فى القتال ، فكانت لجويرية بنت أبى سفيان مواقف تعيد الى الذاكرة موقف أمها هند فى موقعة أحد .

واستماتت « الروم » فى قتال المسلمين ، وأخذوا يقتلون من المسلمين كل من يقع فى أيديهم ، فترجحتكفة المعركة واستمر ترجحها طوال النهار ، ووقف عكرمة ومن بايعوه على الموت لا يتراجع واحد منهم قيد أنملة عن مكانه بعد أن وهبوا أنفسهم لله ، فحملوا وطيس المعركة من بدايتها الى نهايتها ، فاستشهد البعض وأصيب البعض الآخر باصابات شديدة .

وعندما آذنت الشمس بالمغيب بدأت قوات « الروم » تضعف وتهن ، وبدا الاعياء والاجهاد على وجوه الفرسان ، وأدرك خالد أنهم يلتمسون الوسيلة الى الهرب ، فقدر أن فرارهم سوف يزيد من ضعف بقية الجيش الرومى ، فأصدر أمره لجنوده بأن يفسحوا طريقا يؤدى الى الوادى ففعلوا، ولم يلبث هؤلاء الفرسان حين رأوا فرصة النجاة قد تهيأت لهم أن فروا هاربين وتفرقوا فى البلاد ، وعندئذ انقض خالد بفرسانه ومشاته على مشاة « الروم » ، مقتحمين عليهم خندقهم ، فتقهقروا وتراجعوا الى الوراء ، وكان وراءهم الواقوصة فوقعوا فيها وكأنهم جدار اندك من أساسه ، وعندما شاهد المسلمون ذلك شددوا الضغط عليهم حتى هوى فى الواقوصة مائة وعشرون ألفا .

وقد استمر القتال النهار كله ومعظم الليل ، ولم ينبثق نور الصباح حتى كانت « الروم » قد انهزمت هزيمة ساحقة ، وقتل « تذارق » أخو هرقل ، كما قتل عدد كبير من أمراء جيش « الروم » ، أما « باهان » فقد فر ونجا ليقف أمام المسلمين بعد ذلك فى مواقع لم يكن حظه فيها بأسعد من حظه فى « اليرموك » .

واستقر خالد فى رواق « تذارق » ، وغنم المسلمون كل ما فى معسكر « الروم » ، ولم يكن عدد من استشهد من المسلمين قليلا ، فلقد بلغ ثلاثة آلاف من بينهم عدد من كبار الصحابة والفرسان ذوى المكانة والبلاء .

وكان لكثير من فرسان المسلمين وأبطالهم أثر يذكر فى تحميس المسلمين واقدامهم ، وصبرهم وثباتهم ، فكان الزبير بن العوام أفضل من شهد موقعة « اليرموك » ، فقد اخترق صفوف « الروم » مرتين ، لم يصب فيهما الا بضربتين فى قفاه .

وكان عكرمة بن أبى جهل وابنه عمرو قد أصابتهما الجراح من كل جانب خلال المعركة ، فلما أصبح المسلمون جىء بهما الى خالد فى رواق « تذارق » ، فوضع رأس عكرمة على فخذه ، ورأس عمرو على ساقه ، وأخذ يمسح عن وجهيهما ويقطر الماء فى حلقيهما حتى استشهدا . رحم الله تلك النفوس التى استهانت بالدنيا ومتاعها التماسا للشهادة ، ورغبة فى نصرة الاسلام ، مطلبا لقهر العدو ، ونصرا لدين الله عز وجل .

وقد أبلت المسلمات فى ذلك اليوم كما أبلى الرجال ، فكن يقمن بسقى الماء ، ومداواة الجرحى والمرضى ، واستنهاض الهمم ، واستثارة الحماس فى قلوب الرجال ، ويواسينهم بأنفسهن فى ساحة القتال ، حتى بلغن من كيد العدو ما لا تبلغه منه السيوف ، وممن قاتلن فى هذه الموقعة أسماء بنت يزيد الاشهلية ، فقد حملت عمود خبائها وهجمت به على صفوف « الروم » تضرب به كل من تقابله ، فقتلت بهذا العمود تسعا من جنود الاعداء .

عــزل خالــد

وفى أثناء الموقعة والقتال على أشده بين الجيوش الاسلامية والجيش الرومى ، ولا يستطيع أحد أن يتكهن بنتيجة الموقعة وصل البريد بوفاة أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — وعزل خالد بن الوليد عن امارة الجيش ، وتولية أبى عبيدة بن الجراح مكانه (١) ، وحينما رأى المسلمون رسول الخليفة سألوه عما وراءه ، فأخبرهم بالسلامة والامداد ، واسر رسول الخليفة الى خالد بالخبر وبما قاله للجند ، فحمد له خالد رأيه واستحسنه ، وأخذ خالد الخطاب من الرسول وأخفاه معه ، ولم يذع ما جاء بــه حتى لا تضعف قوة المسلمين أثناء المعركة ، وبعد انتهاء المعركة سلم خالد الخطاب لأبى عبيدة بن الجراح وسلم عليه بالامارة .

وانتهى خبر هزيمة قوات « الروم » الى هرقل ، فارتحل عن « حمص » وجعلها بينه وبين المسلمين ، وولى عليها أميرا خلفه فيها ، كما ولى على « دمشق » أميرا ، وودع « سوريا » الوداع الاخير وعيناه مغرورقتان بالدموع بقوله : « سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء بعده » ، وامتطى صهوة جواده وهو منكس الرأس ليعبر جبال « طوروس » متجها الى الغرب .

هذه هى موقعة « اليرموك » التى تعد من المعارك الفاصلة فى تاريخ الشرق ، وبعبارة أدق بين المسلمين و « الروم » ، فقد تقلص سلطان القياصرة عن رقعة فسيحة ، وظهر سلطان الاسلام ، وتتابعت بعدها الفتوحات الاسلامية فى « الشام » .

ولقد استطاع سيف المسلمين فى هذه الموقعة أن يستخلص ثأرا ويسوى حسابا كان مفتوحا منذ انسحاب الجيش الاسلامى الذى أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى حدود « الروم » فى سرية « مؤتة » ، وكان خالد فيه جنديا ثم قائدا بعد استشهاد قواده الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحه ، رضوان الله عليهم أجمعين .

---

(١) فى اعتقادى أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قد توقع عندما أرسل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد مددا للجيوش الاسلامية فى « اليرموك » أنه سيتولى امارة الجيش بالاتفاق مع القواد ، وقد صدق توقعه فقد كان ملهما .

زهد المؤمن

للدكتور : أحمد الحوفي

١ ــ الزهــد :

هو العزوف عن المباح مع القدرة عليه ، تهذيبا للنفس وايثارا لنفع الآخرين ، فان كان عن معجزة وضيق فانه اضطرار لا مندوحة عنه ، فــلا يصح أن يسمى زهدا ، وان كان لاذلال النفس وتعذيبها بغير ما قصد الى نفع يتحقق للأمة أو لطائفة منها فليس من الزهد فى شىء بل هو رهبانية لا يقرها الاسلام ، قال تعالى « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مســجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيــاة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . (١)

والزهد بهذا المعنى السامى فضيلة موصولة بفضائل أخرى مثــل العفة والقناعة والصبر والتواضع والايثار .

وهو بهذا المعنى مظهر للقدرة على حرمان النفس مما تجد ، وتقوية للعزيمة ، وتغليب لها على الرغبات والحاجــات ، لأن الاستمتاع الدائم يعــود النفس على طــلب المزيد ، فاذا منعت شيئا مما تريده ضاقت ألما وحسرة .

وما من شك فى أن صاحب الاخلاق الفاضلة يتجافى عن اللــذات التى تستهوى غيره ، ويتعالى على الاستمتاع بما لا ينبغى الاستمتاع به ،

بل انه يبغض الاستهتار باللذات ، ولا يشعر بألم من الحرمان ، لأنه قليل المآرب والحاجات ، يرضى من حياته بما لا ضرر فيه ، وبما يلائم سيطرته على رغباته وايثاره غيره على نفسه .

٢ — ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى الزهد ، لأنه زهد زهادة المختار القادر ، المؤمن بأن الاستمتاع المباح حلال ، المؤثر على نفسه فقراء الأمة ومصالح الاسلام .

وهو بزهده ربى كثيرا من الرجال فتخلقوا بمثل خلقه ، فانصرفوا عن الخضوع للذات ومآرب النفس ، وآثروا غيرهم على أنفسهم ، كأبى بكر وعمر وعلى وغيرهم من كبار الصحابة وولاة الأقاليم ، فصار زهدهم تربية وتنمية ، أما التربية فللنفوس ، وأما التنمية فلاسعاد الناس ولتقوية الأمة .

وحسبنا أن نذكر أن السيدة حفصة قالت لأبيها عمر بن الخطاب حينما فتحت عليه الفتوح : البس ألين الثيا باذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر .

فقال لها عمر — يا حفصة ، ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته ؟ فقالت ، بلى .

قال : ناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ، ولا شبعوا عشية الا جاعوا غدوة ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن النبى صلى الله عليه وسلم لبث فى النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله قربتم اليه يوما طعاما على مائدة فيها ارتفاع ، فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ، ثم أمر بالمائدة فرفعت ، ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الارض ؟

وناشدتك الله ، هل تعلمين أن رسول الله كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها ، فلما استيقظ قال : منعتمونى قيام الليل بهذه العباءة ، اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ؟

فما زال يقول حتى أبكاها ، وبكى عمر وانتحب . (٢)

٣ — ويجدر بنا قبل أن نعرض بعض مظاهر زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجيب على هذا السؤال : هل كان الرسول ذا ثراء ومال حتى يثبت أن زهده عن وجد واقتدار ؟

نعم كان لرسول الله مال ، وكان ماله كثيرا فى بعض الأحيان .

أ) كان له نصيب فى خمس الغنائم التى يصيبها المسلمون من محاريبهم ، وقد كانت الحروب كثيرة وكانت غنائم المسلمين موفورة منذ غزوة بدر حتى تم فتح الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب ، فتوافدت الغنائم والجزية والصدقات .

قال تعالى « وأعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (٣) .

فللمجاهد أربعة أخماس الغنيمة ، وللرسول خمسها لنفسه ولأقاربه ولليتامى وللمساكين ولابناء السبيل .

ب) وكان للرسول نصيب من الفيء ، أى مما ناله المسلمون من أموال المشركين بغير حرب ، كالجزية ، وما تركوه فى حروبهم خوفا من المسلمين ، وما صالحوا المسلمين عليه .

قال تعالى « وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير . ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » . (٤)

وكان رسول الله ينفق من هذا الفيء على أهله نفقة سنتهم ، ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله فى السلاح والخيل ومصالح المسلمين ، وهذا مذهب الجمهور .

وقال الامام الشافعى أن الفيء يقسم خمسة أخماس وفقا للآية ، ثم يقسم خمسة على خمسة أسهم ، للرسول منها سهم ينفق منه على مصالحه ، فمصرف هذا السهم للمصالح العامة كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر وأرزاق القضاة .

والسهم الثانى لذوى القربى وبنى هاشم وبنى المطلب ، والثالث لليتامى الفقراء ، والرابع للمساكين ، والخامس لأبناء السبيل ، وأما الاربعة الاخماس فهى للمرتزقة وهم المرصدون للجهاد بتعيين الامام . (٥)

ومن هذا الفيء مزارع فدك وبساتينها ونخيلها وعينها الفوارة .

ج) يضاف الى الغنائم والجزية والفيء والصدقات ما كان يهدى الى رسول الله من بعض الملوك والأمراء .

٤ — أما زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المال فله صور ومظاهر شتى .

فهو لم يستأثر بشيء من المال الكثير الذى تدفق من الغنائم والفيء وغيرهما ، بل اقتصر على نصيبه من الخمس ، ثم لم يمسك درهما من هذا النصيب ، بل أنفقه فى وجوهه ، وقوى به المسلمين ، وأسعد به غيره ، وقال : ما يسرنى أن لى أحدا ذهبا يبيت عندى منه دينار الا دينارا أرصده لدينى .

وأتته دنانير فقسمها ، وبقيت منها ستة ، فدفعها لبعض نسائه ، لكنه لم ينم حتى قام وقسمها ، وقال : .. الآن استرحت .

واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو اليه الضرورة ، وزهد فيما سواه .

وأتى بمال من البحرين ، وكان أكثر مال أتى به ، فخرج الى الصلاة ولم يلتفت اليه ، فلما قضى الصلاة جاء فجلس الى المال ، فقلما رأى أحدا الا أعطاه .

ولما توفى لم يترك درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة الا سلاحه وبغلته البيضاء وأرضا جعلها صدقة (٦) .

٥ — وأما زهده فى الطعام فانه يتمثل فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يجمع فى بطنه طعامين ، فان أكل لحما لم يزد عليه ، وان أكل تمرا لم يزد عليه ، وان أكل خبزا كفاه ، وان وجد لبنا أغناه . (٧)

وقالت السيدة عائشة : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض . (٨)

وقالت : لم يمتلىء جوف النبى شبعا قط ، وكان لا يسأل أهله طعاما ولا يتشهاه ، ان أطعموه أكل ، وما أطعموه وما سقوه شرب . (٩)

وهنا يعرض لنا سؤالان :

أحدهما : هل أدخر رسول الله قوت عياله ؟ وهل هذا الادخار يناقض الزهد ؟

لقد روى أنه نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئا لغد . (١٠)

وروى أنه كان يدخر لعياله قوت سنة (١١) وكان — كما قال عمر بن الخطاب — يبيع نخل بنى النضير ، ويحبس لأهله قوت سنتهم ، اذ كان نخلهم فيئا له .

وليس بين الخبرين تعارض ، لأن النبى نهى عن ادخار القوت سنة حينما لم تكن الموارد كافية ، فلما كثرت اتسعت لهذا الادخار .

ولا تنافى بين ادخار القوت للعيال وبين الزهد ، آن النبى كان يدخر ، فاذا رأى المحتاجين منحهم ما ادخر ، وهذه أعلى درجات الايثار .

ويؤيد هذا قول السيدة عائشة : توفى رسول الله حين شبعنا من الأسودين التمر والماء . وكان هذا الشبع منذ فتح خيبر ، لأنها قالت — لما فتحنا خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر ، وفى حديث ابن عمر ، ما شبعنا حتى فتحنا خيبر .

وقد فتحت خيبر قبل وفاة النبى بثلاث سنين . (١٢)

السؤال الآخر : هل عصب رسول الله الحجر على بطنه .. ؟

قيل انه كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع (١٣) .

فهل بلغ الحال به الى هذا الحد .. ؟ ولماذا ؟

لقد أنكر بعض العلماء ذلك، ومنهم أبو حاتم محمد بن حبان التميمى البستى ، وقالوا ان الأحاديث التى رويت فى هذا باطلة ، واستدلوا بحديث الوصال . « لست كأحدكم انى أطعم وأسقى » وقال ابن حبان: ان رسول الله لم يكن يشد على بطنه الحجر ، بل كان يشد عليه الحجز (١٤) . لأن الله تعالى كان يطعم رسوله ويسقيه اذا واصل الصوم فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه ؟ وماذا يغنى الحجر من الجوع .

وقالوا لقد ثبت أن رسول الله كان يدخر لأهله قوت سنة ، وانه قسم بين أربعة من أصحابه الف بعير مما أفاء الله عليه ، وساق فى عمرته مئة

بدنه فنحرها وأطعم المساكين ، وأمر لأعرابى بقطيع من الغنم ، وأعطى جماعة كثيرة من خيرات خيبر ، وكانت فدك وقريظة والنضير خالصة له . ثم أن بعض الصحابة المقربين كانوا ذوى مال كثير مثل أبى بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن عبادة وعبد الرحمن بن عوف ، وكانوا يبذلون أموالهم وأنفسهم بين يديه ، فكيف يتركونه يشد الحجر على بطنه جوعا .. ؟

ولكن بعض العلماء ردوا على هذا بأن أهل الحجاز كان من عادتهم أن يعمدوا الى صفائح رقاق من الحجارة فى طول الكف يربطونها على بطونهم الخاوية لتعتدل القامة ، وكان رسول الله يفعل مثلهم ، ليعلموا أنه لا يملك ما يستأثر به عليهم ، وان لم يحصل له ألم من الجوع ، وقد فعل ذلك ايثار للثواب أيضا ، لا لفقدان ما يدفع به الجوع عن نفسه .

وذهبوا الى صحة الاحاديث التى رويت فى شد الحجر على البطن .

٦ ــ كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم زاهدا فى ملابسه وفراشه وآنيته ، فلم يكن له الا ثوب واحد من قطن ، وجبة ، ورداء ، وبردة يمانية ، وكان له رداء أخضر تداوله الخلفاء (١٥) .

ولما قبض أخرجت السيدة عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت : قبض رسوله الله فى هذين (١٦) .

وأهدى اليه أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل فروج حرير فلبسه ــ قبل تحريم الحرير فصلى فيه ، ثم انصرف فنزعه نزعا شديدا كالكاره له ، وقال لا ينبغى هذا للمتقين (١٧) .

ونهى عن الشرب فى آنية الذهب والفضة ، وعن الاكل فيها ، وحرم الحرير على الرجال (١٨) . وكان ينام على الفراش تارة ، وعلى النطع ــ الجلد ــ تارة ، وعلى الحصير تارة ، وعلى السرير تارة ، وكان فراشه ادما ــ جلدا ــ حشوه ليف ، وكذلك وسادته (١٩) .

ولكن اذا قدم عليه وفد من الوفود التى كانت تجىء لتسلم لبس أحسن ثيابه وأمر كبراء صحابته بأن يلبسوا أحسن ما عندهم من ملابس (٢٠) لأن هذا يعظمهم فى عيون القادمين ، ويعلى حزب الله ، وبخاصة أن الوافدين لم يتخلقوا بعد بأخلاق الاسلام .

٧ ــ ولكن زهادة رسول الله لم تمنعه من الكلف بالنظافة والطيب ، فكان صلى الله عليه وسلم مع زهده وتواضعه وايثاره كلفا بنظافة جسمه وملبسه ، محبا للطيب ، نفورا من الرائحة الكريهة ، ولهذا كان يقبل هدية الطيب ولا يرده (٢١) .

وله فى هذا أخبار شتى منها أنه كان يرجل شعره ، ويسرح لحيته ، ويدهن رأسه ، ويضع قناعا فى بعض الأوقات فوق شعره (٢٢) .

وقال على المنبر يوم الجمعة : ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته (٢٣) .

وقال : اغتسلوا يوم الجمعة ، وأغسلوا رؤوسكم ، وان لم تكونوا جنبا ، واصيبوا من الطيب (٢٤) .

وقال : ان الله جميل يحب الجمال ، سخى يحب السخاء ، نظيف يحب النظافة (٢٥) ..

٨ ــ وكثيرا ما حض النبى على الزهد كقوله : عليكم بالقناعة ، فان

القناعة مال لا ينفد (٢٦) .

وقوله : اذا أصبحت آمنا فى سربك ، معافى فى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء (٢٧) . وقوله : ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، وان لا بد فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه (٢٨) .

وقوله : ليس الغنى عن كثرة العرض ، انما الغنى غنى النفس (٢٩).

وقوله : أزهد فى الدنيا يحبك الله ، وأزهد فيما فى أيدى النـــاس يحبك الناس .. (٣٠)

لقد صدق رسول الله فيما قال ، ولقد كان القدوة المثلى فيما فعل ، فلعلنا نهتدى بهديه ، ونتبع سنته ، ونستضىء بنوره ..

---

(١) سورة الاعراف ٣١ — ٣٣ .
(٢) احياء علوم الدين للغزالى ١٩٢/٤ .
(٣) سورة الانفال ٤١ .
(٤) سورة الحشر ٦/٧ .
(٥) فتح المبدى ٣٣٤/٢ .
(٦) الاحياء للغزالى ١٦٦/٤ ، ١٦٩ والشفا للقاضى عياض ٧٣/١ وصحيح مسلم ٧٦/١ وفتح المبدى ٣٣٤/٢ .
(٧) السيرة الحلبية ٣٧٩/٣ والاحياء ٣١٧/٢ .
(٨) فتح المبدى ٢٦٢/٣ .
(٩) نور اليقين ٣٨٣ .
(١٠) الاحياء ٢٣٩/٤ .
(١١) الاحياء ٢٠١/١ و ١٣٩/٤ .
(١٢) فتح المبدى ٢٥٨/٣ ، ٢٦٠ .
(١٣) الاحياء ٣١٧/٢ .
(١٤) الحجز — جمع حجزة وهى التى يشد بها الوسط وهو طرة الازار .
(١٥) السيرة الحلبية ٣٧٩/٣ .
(١٦) فتح المبدى ٣٣٥/٢ والاحياء ٢٠٠/٤ ، ملبد مرقع .
(١٧) فتح المبدى ١٩١/١ .
(١٨) فتح المبدى ٢٩٦/٣ .
(١٩) زاد المعاد ٥٤/١ والاحياء ٢١/٢ م .
(٢٠) كنز العمال ٢٤/٤ .
(٢١) المواهب اللدنية ١٢٨ .
(٢٢) المواهب اللدنية ٤٦ .
(٢٣) زاد المعاد ٤٥/١ .
(٢٤) فتح المبدى ٢٨٨/١ .
(٢٥) الجامع الصغير ١٧٣/١ .
(٢٦) كنز العمال ٨٠/٢ والجامع الصغير ٩٤/٢ .
(٢٧) المصدر السابق .
(٢٨) الاحياء ٧٠/٣ ، ونور اليقين ٣٨٣ .
(٢٩) الاحياء ٢٠٦/٣ .
(٣٠) كنز العمال ٣٩/٢ .

هذا الزحف .. من يتصدى له ؟!

الصمت لا يجدى .. وليس يجدى كذلك أن نتجاهل الواقع الآنى الذى يدوس بغلاظة فاحشة على ما كان واقعا آنيا فى مرحلة من مراحل تاريخنا المفدوح !!

الصمت لا يجدى .. لأن جدلا عقائديا يصمت أحد طرفيه ، ينتهى فى نهـــاية الأمر الى غلبة الجانب الصائت على الجانب الصامت ، وينتهى كذلك إلى عزلة باردة يقبع فى دياجيرها ذلك اللائذ بصمته ، الهـــارب من حركة الجدل الى سكونية الغباء !!

وليس يجدى كذلك تجاهل الواقع . . لأن الواقـــــع الموضوعى لا يستحيل خرافة إذا نحن ــ كجيل ــ تجاهلناه ، وربما كان النقيض هو الحقيقى ، أعنى أن تجاهلنا البليد لواقع موضوعى مدجج بآلاف الاسلحة . هــو وحده الذى يتيح لهذا الواقع أن يعزز مواقعه ، وأن يكتشف من خـــلال التجريب والتخريب جميعا أروع وسائل زحفه ، وأرحب إمكانيات انتصــــاره !!

فلنكسر كل قضبان صمتنا الفاجع !!

ولنحرك طاقاتنا فى اتجاه المبالاة وليس فى اتجاه اللا مبالاة !!

ولتكن عيوننا مفتوحة .. فإن الخدر الذى يسرى فى أوصالنا بـــلا حـــدود يكثف من تراكمات الصـــدأ الحضارى الذى نعانى من غبـــائه الوبيـــــل !!

أدرى أننى بدأت هجوميا بـــلا تحفظ ، عدوانيا أكاد أن أكـــون ، وعن عمــد فعلت .. لأن مسلمة باهظة عششت فى أخلاد هـــذا الجيل توشك أن تفرض منطقهـــا الهابط على كل العقول ، وهى أن عقائديتها ليست فى حاجة الى من يناضل عنها ، وليست فى حاجـــة الى من يدعو لها ، لأن هذه العقائدية تملك من قدراتها الـــذاتية على الاشعاع والتوصيل ما يغنيها عن معاناة الدعاة ، وكدح الراشدين !!

إن هذه المسلمة الباهظة غبية من جانبين .. أولهما : أن دينـــا من الأديان لا يمكن أن يكون قادرا (بـــذاته) على الفتح ، أو حتى على الدفاع !! لا بد من (رسول) لكل رسالة .. من (نبى) لكل دين .. من (دعاة) على مستوى الفهم والإصرار والاستعداد كل يوم للشهادة لكل عقائدية تريد لدورها أن يؤدى ، ولضوئها أن ينســاح فى آفاق البقاء !! وثانيهما : أن إمكانية الخلود فى دين من الأديان تكمن بالضرورة فى كونه قابلا لمزيـــد من الكشف ، ولمزيد من العطاءات ، بما هو بالضرورة كذلك أكبر من أن يحتويه عصر ، وأرحب من أن يحتازه جيل ، وأثرى من أن يجف فيـــه الخصب بعد أول قطـــاف !!

والإســـلام واحـــد من الأديان السماوية الخالدة التى لم تنزل من السماء إلى الارض هكذا فى ليونة ونعومـــة وانسياب .. لقـــد عانده من عاند ، وكفر به من كفر ، وســـل عليه السيف غير جيل وغير قبيل ، ولم يقف منـــاط وحيه العظيم (محمد) موقف اللا مبالاة والاتكـــال .. لقد أشعل فى قلب العالم وعقله جميعا ثورة جدل فكرى وحضـــــارى ما تزال قابضـــة على أعنـــاق هذا العالم حتى اليوم .. ولقـــد رفض — غير مـــرة — أن يخلع (لأمتـــه) حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه !! إن الثائر فى محمد لم يمت ولا ينبغى له أن يموت ، ولست أعنى بالثائر هنـــا مجرد القابض على ســـيفه .. ولكنى أعنى به كذلك الثـــائر على بلادة الفكر ، والثائر على نضوب الوجدان ، والثائـــر على بتر التواصل الكونى بين إنسان هذا الكون وخالقه المحرك لكل قـــوانين النبض فى الأشياء !!

هـــذه مقدمة كان لا بد من إفراغها هكذا فى انفلات .. لنخلص

بعد إلى ما نحن بصدد الحديث عنه ، والحوار من حوله ، فقد حرجت الصدور من طول معاناتها بــلا حدود !!

القضية .. ليست أن نختار هنا أو لا نختار ، ولكنها على المستوى الفكرى والعقائدى جميعا أن نكون أو لا نكون !! ولست أدعو من خلال هــذه السطور إلى مصادرة القضية النقيض .. فإن أبعد الأشياء عن تصورى أن يستحيل الفكر فى يدنا إلى جلاد يهزم بالسوط معارضيه .. إن الفكر لا يمكن أن يكون إلا بطلا شريفا ، الحرف بالحرف ، والقضـــية بالقضية ، والحوار بمزيد من الحوار .. وثقوا معى أن الفكر المعارض يعطى القضية أكثر مما يعطيها الفكر الدعائى .. إن الفكر المعــــارض يكسبها جلادة فى العراك ، ومراسا فى المنافحة ، وبصيرة فى أصـــالة الإدراك .. فى الوقت الذى لا تجنى القضية فيه من الفـــكر الدعائى ســوى المرور الأبله الساذج بسطوح القضايا ومشارف الأشياء !!

القضية إذن فى حاجة إلى فهم عاقل متفتح ، وليست فى حاجة إلى تشنج من أى لون مهما كانت مبرراته العجفاء !!!

ولنبدأ معـــا : إن الفكر الملحد يقتات كل يوم بجموع هائلـــة مــن شبابنا القارىء شئنا أن نعترف بهذه الحقيقة أو لم نشأ .. ولعل انعكاسات هذه الحقيقة لا تخفى على أحد ممن يحاول أن يمر على حقـــولنا الفكرية الشـابة ، فينظر فى إبداعاتها الفنية .. مسرحا .. أو قصـــة .. أو رواية .. أو شـعرا ... إن هذه الحقول الإبداعية الشابة طافحة بمرارة العبث ، ولزوجة اللا جدوى ، وثورة الرفض ، وقساوة الإنكـــار ... وإذا كان كل شىء قائما على كل شىء .. إذا كانت كل نتيجة ثمـــرة طبيعية لكل مقدماتها بلا تخلف ، فإن هذا الإبداع الرافض الشـــــاك إنما هو محصلة طبيعية لروافد قرائية هى ثقافة هـــذا المبدع الشـاب ، لقد استطاع هذا الفكر المعبأ ضد كل ما هو مستقر فى حقول الفكـــــر والدين أن يحتل مواقعه فى صفوف الشباب . بما استحدث لنفســـه من وسائل التوصيل والإشعاع ، وكان أخطر هذه الوسائل المسرح .. والقصة .. والرواية .. والشعر .. ولست أستطيع هنا أن أقوم بمسح شـامـــل وكلى لكل هذه القطاعات والأنماط .. ولكننى أستطيع — إن استطعت — أن أقف عند كل ظاهرة منها وقفة خاصة، ربماتكشف عن جوانب العرامة فيها بــلا أقنعة ، وهذا هو ما أريد أن أقوله الآن ... إننى لا أقدم إيجابات على الاسئلة المطروحة فى هذه الأعمال .. لأن ذلك وحده يحتاج الى تعبئة حاشدة من كل قوى النضال الفكرى المسلح بإيمـــانه

العقائدى ، وليس تبعة واحد من الافراد .. إن كل ما أطمح إليه من خلال هذه الكلمات هو أن أدق الأجراس ، وأرفع الراية ، وللمقاتلين المدربين بعد أن ينفروا إلى ساحة المعركة ، مزودين بثقة قد لا أملكها ، وبثقافة قد لا أحتازها ، وبجسارة قد تعوزنى كما تعوز آلافا بلا حدود !!!

فى المسرح .. يجند الفكر الهاجم كل تكنيك العمل المسرحى فى محاولات الوصول ، وهو ينجح فى عديد من محاولاته .. إن ذكاءه الخارق لا يوقعه على الاطلاق فيما نقع فيه نحن من خطابية قد تصرف القارىء عن العمل .. لا يوقعه فيما نقع فيه نحن من افتراض أن المتلقى مؤمن بكل شىء ، وبقداسة كل شىء ، وهو لا يحتاج منا إلا إلى تكريس إيمانه ، ومباركة تقديسه الوهلى . إن كاتبا مسرحيا مثل (جان بول سارتر) .. أو مثل (البير كامى) .. أو مثل (صمويل بيكيت) .. أو مثل (يونيسكو) . .لا يمكن أن يقع فى خطيئة اتكائه على افتراض القداسة فى المتلقى لأى شىء .. وهو إن وقع فى هذه الخطيئة يقع فيها بنية إشعال الحرائق فى هذه القداسات وليس على نية تقبيلها والطواف حول محورها الدائخ من كثرة معاناة الطواف !!

وهذه نقول من مسرحيات ترجمت إلى العربية ، وفى كل قطر من اقطارنا يلتهمها الشباب المثقف القارىء ، لتصبح من بعد خليفته الفكرية ، ولتشكل فى النهاية نوعية رؤيته للكون ، ونوعية عطائه فى مجال الأدب والفن على السواء .. لن يجدينا كما قلت فى مطالع هذه السطور أن نصمت حيالها كظاهرة ، فالصمت لا يجدى .. ولن يطامن من زحفها الكاسح أن نتجاهل وجودها الحى ، فالتجاهل لا يحيل القضايا إلى خرافات .. إن النعامة لم تهزم الصائد حين — فى رمال اليأس — دفنت رأسها أبدا ، ولكنها هزمت إمكانية ان تحيا فى نفس اللحظة التى دفنت فيها رأسها فى الرمال !!

فى مسرحية (الشيطان والرحمن) لجان بول سارتر .. يدير المؤلف الحوار على هذا النحو :

جويتز : مات الله !!

هيلدا : مات .. أو عاش .. لا يهمنى . انقضى زمن طويل وأنا لا أهتم به !!

جويتز : قلت لك : مات الله .. (يأخذها بين ذراعيه) لم يعد عندنا شاهد .. سأرى وحدى شعرك وجبينك .. لكم أنت حقيقة منذ عرفت أنه غير موجود !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

جويتز : هاينريش .. سأطلعك على سر خطير .. إن الله غير موجود .. غير موجود .. افرح .. ابك من الفرح .. أيها المجنون .. إننى اخلصك .. لا سماء بعد اليوم ، لا جحيم ، لا شىء سوى الأرض !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

جويتز : ان الله يسمعنى .. وأنا أقطع الآذان نكاية فى الله وهذا

يكفينى إنه عدوى الوحيد المساوى لى لا يوجد إلا الله وأنا ... وأشباح الناس .. وسأصلب الليلة الله (١) .

وفى مسرحية (الذباب) لسارتر كذلك نقرأ هذا الحوار :

أورست : ماذا يهمنى جويتز ؟ العدالة هى قضية بشرية .. ولست بحاجة إلى إله ليعلمنى إياها (٢) !!

وفى مسرحية (كاليجولا) لألبير كامى .. نقرأ هذا الحوار :

سيزوينا : كلا .. لن يقتلوك .. وإلا نزلت عليهم صاعقة من السماء فأهلكتهم قبل أن يمسوك .

كاليجولا : من السماء !! ليست هناك سماء أيتها المسكينة !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

كاليجولا : إننى أمارس سلطانا محموما فى التخريب ، بحيث أن سلطان الخالق يبدو بالقياس إلى سلطانى تقليدا فاشلا .

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

كاليجولا : لقد أدركت أنه لا توجد سوى وسيلة واحدة لنكون فى مصاف الآلهة .. يكفى أن نكون قساة مثلهم (٣) !!

وفى مسرحية (سوء تفاهم) لكامى أيضا نقرأ هذا الحوار :

الأم : إننى أصرخ ولا أبكى ، لكن ألمى هو ألم الإحساس بالحب وهو يولد من جديد فى قلبى .. ورغم ذلك فهو ألم فظيع ، وأعرف أنه غير معقول ، لكن العالم نفسه غير معقول ، ومن حقى أن أعلن أنه غير معقول بعد أن خبرته كله .. من لحظة الميلاد إلى لحظة الفناء (٤) !!

وفى مسرحية (العادلون) لكامى أيضا نقرأ هذا الحوار :

كالياييف : سنصبح كلنا إخوة .. وستجعل العدالة قلوبنا شفافة .. هل تعرف عن أى شىء أتحدث ؟

فوكا : نعم .. مملكة الله ..

الحارس : اخفض صوتك ..

كالياييف : لا تقل هذا الكلام .. الله .. لا يستطيع شيئا !!

وفى نفس المسرحية نقرأ هذا الحوار :

الدوقة الكبيرة : إن الدم يفصل بيننا ، ولكنك تستطيع أن تجعل فكرة الله تجمع بيننا فى نفس الفاجعة .. صل على الأقل معى ..

كالياييف : إنى أرفض .. لم أعد أعتمد على موعدى مع الله (٥) !!

وفى مسرحية (محطم الأطباق) لأرمان سالاكرو .. نقرأ هذا الحوار :

الشاب : إذن .. فإننى قد مت فعلا ..

محطم الأطباق : كلا ..

الشاب : وهل أنا قريب من أحد الآلهة ؟

محطم الأطباق : نعم ..

الشـــاب : إذن هناك آلهة كثيرة ..
محطم الأطباق : إننى إله الأطباق ..
الشـــاب : إله الاطباق ؟ أنت تحطم وتقول إنك إله — أو ليس عمل الله أن يخلق ولا يحطم ؟
محطم الأطباق : (تاركا ثلاثة أطباق تسقط على الارض) : إننى أخلق قطعا من الأطباق ..
الشـــاب : ولكنك إن كنت إلها فلا شك أنك تعلم لغز هذا العالم ..
محطم الأطباق : نعـــم ..
الشـــاب : لقد سهرت ليالى بأكملها وعينى مركزة فى انبـــوبة من البلور ينعكس عليها ضوء شمعة .. واعتقدت أنه يمكننى أن أتبين الله بين ألوان الطيف جميعا ..
محطم الاطباق : هذا ممكن ..
الشـــاب : ولكننى لم أستطع ذلك .. وهل تلهو بالاطباق كمـــا يلهو الله بالدنيا والأكوان كلها ؟
محطم الاطباق : وأحطم الاطباق كما يحطمك الله ..
الشـــاب : لماذا ؟
محطم الاطباق : بحكم المهنة (٦) !!

وفى مسرحية (أليس الصغيرة) لإدوارد آلبى ، نقرأ هذا الحـــوار :

جوليان : آه .. لقد فقدت إيمانى بالله .
بتـــلر : آه .. (ثم نظرة تساؤل) .
جوليان : هل هناك شىء آخر ؟
بتـــلر : هل هناك شىء آخر ؟
جوليان : حسن .. لا شىء ذو أهمية ، لقد انحـــدرت ، تقوقعت داخل نفسى .. هبطت تحت قبة زجاجية . . فى هذا الشك كنت بعيدا .. لا يصلنى . وأخيرا لا أصل إلى شىء (٧) !!

وفى مسرحية (الأفواه اللا مجدية) لسيمون دى بوفوار ، نقرأ هذا الحوار :

عجوز : يا إلهى .. الطف بنا .. يا إلهى .. ارحمنا !!
امرأة : لن يرحمنا أحد .. لقد (انطرش) الله (٨) !!

بديهى .. أن هذه النقول قطرة من محيط لا ساحل له ، وليست هذه أول مرة تطالعها جماهيرنا من خلال هذه السطور ، فإننى أزعم أنها حصاد كل يوم ، وقراءة كل لحظة من لحظات أجيالنا العربية ،أولا : بما هى مترجمة وممثلة ومتداولة على مستوى العالم العربى تقـــريبا . . وثانيا : بما هى كل ما لديه أو أعمق ما لديه على مستوى حضارى وتكنيكى .. وثالثا : لأن الجانب الآخر .. أعنى جانب الفن العقائدى .. ما يزال على مستوى البداوة أو قل على مستوى البوار !!

إن طلائع كتاب العبث .. واللا معقول .. والرفض .. لم ينزلوا أرض المعركة بلا تخطيط مسبق ، ولم يضربوا ضرباتهم هكذا خبـــط

عشـــواء ، إن كل حركة من حركاتهم محسوبة جيدا ، ومصممة بـــلا تفريط ، إنهم يعرفون بلا مبالغة كيف يحركون الصمت إلى جوارهم ، كيف يستفيدون حتى من الفوضى والجمود ، إن الانطباع الاخير لـــدى المتلقى هو ما يعنيهم ، وهم يركضون إلى هـــــذه الغاية على كـــل الجيـــــــاد !!

(فى خطاب كتبه يونيسكو إلى المخرج) سيلفين دوم أول من قدم مسرحية (الكراسى) يقول : لما كانت الفكرة المحورية فى هذه المسرحية هـــو (الخـــواء) الانطولوجى .. أو (الغياب) فإننى أعتقد أن اللحظة الاخيرة ، اللحظة الحاسمة فى المسرحية يجب أن تعبر عن هـــــذا .. (اللاحضور) ولذلك فانه يجدر أن يسدل الستار على أثر خروج الخطيب العاجز عن النطق بالرسالة بعد نزوله من على المنصة وتحيته للامبراطور، فعندئذ سيعاين الجمهور ــ تحت ضوء صار ذابلا معتما كمـــا كان فى البـــداية ــ الكراسى الخالية فى ديكور خاو تزينه أشرطة وأوراق مزركشة وهو ما سيعطى الاحساس بالتعاسة التى يخلفها مرأى قاعة حفل بعد انفضاض الحفل وبذلك يكون كل شىء وقد وجد بلا معنى .. هـــــذا الإحساس الذى يتعدى المنطق هو الذى نسعى إليه ويجب أن نحصل عليه (٩) !!

وقـــد لا يواجهون قضية الإنكار والرفض هكذا وجها لوجه . . ربمـــا لأنهم يدركون جيدا أن حالة من العناد والتصميم تجتاح المتلقى إذا أحس أن الفنان يريد أن يقسره على شىء .. ومن هنا .. فهم يواجهون المواجهة مـــرة لإحداث نوع من الدهشة تذيب صدأ العادة والبلادة فى ذهن المتلقى أو القارىء .. وهم يهربون من هذه المواجهة مرة أخرى عبورا إلى مناطق التلقى فى فطانة وذكاء !!

صحيح أن (أنوى) لا يتعرض لفكرة وجود الله بطريقة مبـــاشرة كمـــا يفعل (سالاكرو) مثلا .. ولكنه لا يكف عن طرق فكرة المطلق ، مع التسليم الضمنى بعدم وجود الله (١٠) !!

وقـــد يلجأون إلى طرح قضيتهم عن طريق المعادل الموضوعى ، أى عن طريق خلق صور موضوعية تعدى المتلقى بنفس ما يريدون له مـــن انطباعات ، إنهم هنا لا يواجهون ولا يهربون من المواجهة ، ولكنهم يخلقون عالما بديلا أو قل عالما (معادلا) .. يستطيعون من خلال تصالبه الفنى مع العالم المعاش أن يقولوا لجماهيرهم ما يريدون ، بلا حركة استعداء .. وبـــلا انسحاب إلى مناطق الصمت !!

يقول (روبير دولدبيه) فى معرض حديثه عن مسرحية (سوء تفاهم) لألبير كامى : (.. فى مورافيا) أم وابنتها (مارتا) تـــديران فندقا منعزلا فى الريف . ويأتى (زبون) غنى . فتضعان له فى طعامه منـــــوما وتسلبانه ماله ثم ترميانه فى النهر ، وذات يوم يطرق الباب فيكون القادم

(جـان) الابن الذى غادر القرية منذ عشرين عاما فلا تعـرفه المرأتان (ذلك أنه قد أخفى هويته) ويكون مصيره أن يلحق بالآخـرين فى النهـر ..

(هذا المكان المنعزل الذى يعمره المجرمون إنما هو عالمنا العبثى اللا معقول وان جـان الغريب الذى يطرق الباب هو السؤال المطروح .. أما الجواب .. فهو الجثة التى تنتن عند سد النهر (١١) ..

إن رصـد ملامح التكنيك المسرحى فى أعمال هـؤلاء الرافضيـن ليس ترفا نتلهى بالتحديق فى عينيه ، ولكنه ضرورة حياتية إلى جـانب كـونه ضرورة فنية بما هو سـلاح قتالنا فى المعركة ، وبدونه تبقى أسلحتنا هجومية بـلا هجوم !! ولكن مثل هـذه الدراسة العجلى لا يمكن أن تنكفىء على رصـد هذه الملامح ، فكل همومها أن تدق أجراسـا ، وتقرع طبولا ، وترفع رايات ، وللقادرين من بعد أن ينكفئوا على هذه الدراسة الأكاديمية البحتة . من أين هذا المسرح ؟ وإلى أين هـذا المسرح ؟ وما مقوماته الجمالية والتكنيكيـة والحضاريـة ؟ إلى آخـر ما يطرح فى هذا المجال من أسئلة بلا حدود !!

وقريبا من لحظة الوداع أود أن ألقى بقفازى فى وجـه المسرح العربى الحديث .. فقطاع منه يتلهى بالتسكع الفاشل على ضفاف فكرة الزمن !! وقطاع منه يتغنى بانتصاراتنا التى أجهضها الواقـع الضـاغط حتى من قبل مواعيد ميلادها الطبيعى !! وقطاع منه يتلكأ على صـدر مومس عجوز تبيع الحب فى طرقات المدينة !! وقطاع منه يتهاوى تحت معاول عجزه الذاتى فلا يقوى حتى على مجرد أن يقول !!!

إن مضمون المسرح العربى الحديث لم يتحدد بعد ، لم يتشكل حتى هذه اللحظات ، لم يعرف وجـه قضيته الحقيقية ؛ وهو وحـده المتهم والقاتل فى قضية انتماء شبابنا إلى غير هذه الأرض ، ونضالهم ان ناضلوا كل طواحين الهواء !!

وليكن واضحا أننى لا أريد من وراء هذه الكلمات أن أصادر ثقافة وافـدة ، أو أغلق نافـذة مفتوحة على فكر حديث ، مهما كان لون هذه الثقافة أو لون هذا الفكر .. إننى أكون جارما بلا حدود إن فعلت !! إننى أنفى نفسى من العصر الذى أعيش فيه إن حاولت أن أفعل !!

إن كل ما أريد هو الا يكون صوت واحد صارخ فى البرية .. لا بد من تعدد الأصوات ، لا بد أن نقول كلماتنا نحن كما نبيح للآخـرين أن يقولوا كلماتهم أبدا ، لا بد أن نجد صيغة ما لمضمون حضارى ما يشكل فى نهاية الأمر رؤيتنا للكون ، وموقفنا من الله ، والتزامنا نحـو الآخـرين .. أما أن يستحيل فكرنا إلى ملامسة .. وأدبنا إلى منادمة .. وفننـا إلى استهواء غرائزى رخيص .. فهذا ما نرفضه .. وعلى جبينه الداعر ندوس .. وندوس !!!

إن التبعة هنا ذات شقين .. فواجب المثقفين العقائديين أن يناقشوا جذور هذه الفلسفات على مستوى فكرى بلا حماسيات مبحوحة جوفاء ..

وواجب الفنانين العقائديين أن يبدعوا فنا بلا جلجلة ، فنـــا يستوحى هـــذا التراب ، ويستلهم هـــذه الأرض . ويعطى من اكتنازه الـــذاتى بآلاف المواعيد !!

.. إن التصدى لهذا الفكر ليس تبعة الفنان العقائدى وحده ، ولكنه تبعة كل المبدعين .. إن مقالاتنا ، وبحوثنا ، وجرائدنا ، ومجـــــلاتنا .. يجب أن تتصدى لهذا الفكر .. فى محاولة للاســـتيعاب من البـــدء ، ومحاولة أخرى للعطاء من بعد .. أما أن ننكفىء فوق ما تهرأ من طـــول ما كتبنا حوله ، ومن طول ما أثرنا فيه من حوارات ، فليس قضـــــية العصر ، وليس التزام أى من المبدعين الشرفاء !!!

إننى واحد من الذين يقرأون دوريات العالم العربى — أو قـــل جانبا منها — ويصيبهم من ذلك دور بـــلا حدود .. إن شـهـــــوة النشر ، واكتناز الرصيد ، وإيثار السلامة ، هى ما يحرك قطاعا هائلا من الذين يلطخون وجه الورق الأبيض بمزيد من الحبر الأسود .. وليس أبـــدا الغيرة على راية سقطت فى أوحال عصر كل ما فيه شاهد زور !!

فلنتحرك من منطلق العقائدية وليس من منطلـــــق الوثـــــوب الاســـــــتفزازى !!

ولنضرب بسيف الحق ، لا بسيوف الانانيات !!

ولنقل كلماتنا المثقفة ، وليس كلمات من ماتوا بلا دفاع !!

ولتسقط كل الأقنعة .. عن كل وجوه الكاذبين !!!

---

(١) الشيطان والرحمن : جان بول سارتر .. ترجمة عبد المنعم الحفنى .
(٢) الذباب : جان بول سارتر .. ترجمة سهيل أدريس .
(٣) كاليجولا — البير كامى — ترجمة رمسيس يونان .
(٤) سوء تفاهم — البير كامى — ترجمة عبد المنعم الحفنى .
(٥) العادلون — البير كامى — ترجمة بسيم محرم وريمون فرنسيس .
(٦) المسرح الفرنسى المعاصر — دكتور لطفى فام .
(٧) أليس الصغيرة — أدوارد آلبى — ترجمة دكتور عبد العزيز حمودة .
(٨) الأفواة اللامجدية — سيمون دى بوفوار — ترجمة عبد المنعم الحفنى .
(٩) مسرح العبث — دكتور نعيم عطية .
(١٠) المسرح الفرنسى المعاصر — دكتور لطفى فام .
(١١) كامو والتمرد — روبير دولوييه — ترجمة د. سهيل أدريس .

مقتطفات من حجج الوقف

بوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية — الكويت

من محاسن الشريعة الاسلامية أن حثت على البر والتعاون بين الناس وصلة ذوى الأرحام ومواساة المحتاجين من الناس والعطف على الفقراء والمعوزين .

وعوامل الخير غير محدودة ولا منحصرة فى نوع معين من الاعمال ، فكما يكون الخير بالارشاد اليه يكون بعمله وبالمعاونة عليه والمساعدة لايجاده .

وقد كان من لطف تقدير الله أن استجاب ذوو النفوس الطاهرة والقلوب العامرة بالايمان للخير ، وابرازه فى جلائل الاعمال فارصد الخيرون من اموالهم على بيوت الله فاقاموها ، وعملوا على دوام صلاحيتها واقامة الشعائر فيها برجال قصروا أنفسهم على خدمة هذه البيوت الطاهرة .

كما أرصدت طائفة أخرى من الخيرين على جهات أخرى غير المساجد مثل المدارس والمستشفيات وتعليم القرآن ومساعدة طلبة العلم الشريف عونا لهم على تحصيل علومهم .

وهناك نوع آخر لا يغيب عن البال وهو الايصاء بثلث الاموال لجهات الخير والبر والاحسان .

كل هذه الانواع أوقاف خيرية يجرى ريعها على جهات كلها خير وتعاون وبر وصلات .

ووزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بصفتها الناظرة على هذه الاوقاف تديرها وترعى مصالحها وتصرف ريعها على ما شرطه واقفوها تقدم الى القارىء الكريم أمثلة من ملفات الأوقاف الخيرية بها .

بتاريخ ١ شوال ١٣٥٦ هـ أوقف المرحوم السيد حامد النقيب بن السيد رجب بيته الواقع فى محلة القبلة احدى محلات الكويت على أمام مسجد ابن عثمان أحد مساجد الكويت تصرف غلاته عاما بعد عام على امام المسجد المذكور مع العناية بتعمير هذا البيت ورعايته حتى تستدام غلته وتبقى به عينه حبسا تاما مؤبداً منجزا لا يغير عن حاله حتى يرث الله الارض ومن عليها .

وقد أراد بهذا الحبس وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجزيل ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ..

وقد جعل الواقف النظر عليه لامام المسجد المذكور كما حاز الناظر هذا الحبس وتولى عليه .

والآن هو ضمن أوقاف المساجد التى تديرها الوزارة بما فيه الخير والمصلحة .

الفتاوى

السؤال :

هل يصح حج الولد عن أبيه حجة الفرض ؟

الجواب :

الحج هو الركن الخامس من أركان الاسلام فرضه الله على من استطاع اليه سبيلا .

وتتحقق الاستطاعة بالصحة فى البدن ، والقدرة فى المال ، والأمن فى الطريق ، والأمن فى أماكن الحج .

والقدرة فى المال هى أن يكون الانسان مالكا المال الذى يكفيه لنفقته ونفقة عياله ومن يعولهم فى غيبته كفاية فاضلة عن حوائجه الاصلية من ملبس وسكن ومركب وآلة حرفة (ان كان صاحب حرفة) من مبدأ سفره لتأدية الفريضة الى أن يعود الى وطنه .

فمتى توفرت هذه الشروط كان الانسان مستطيعا ووجب عليه الحج ، فان لم تتوفر عنده الصحة أو كان عاجزا عن النفقة وكان يكسب قوته وقوت عياله يوميا أو كان الطريق غير آمن أو يخاف على نفسه هلاكا كان غير مستطيع ولا يجب عليه الحج .

ومن استطاع بحيث توفرت عنده شروط الاستطاعة ، ومات قبل أن يحج وجب على ورثته أن يؤدوا عنه الحج قضاء ، كما يقضون عنه الديون التى عليه للناس .

فقد روى البخارى عن ابن عباس (أن امرأة من جهينة قالت أن أمى نذرت أن تحج حتى ماتت أفأحج عنها قال نعم أرأيت ان كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء) ..

ومن استطاع السبيل الى الحج ثم عجز لمرض أصيب به لا يرجى برؤه ، أو شيخوخة ، أو كان يخاف على نفسه أناب عنه غيره .

وكذلك اذا مات وأوصى أن يحج عنه لزم الورثة تنفيذ الوصية بانابة من يحج عنه ان كان ترك مالا ، أو أن يتبرع الورثة ان لم يترك مالا .

ويشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد حج عن نفسه أما اذا لم يكن حج عن نفسه فلا يصح أن يحج عن غيره ، مستطيعا كان أم لا ، بدليل الحديث الذى رواه أبو داود وابن ماجه أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال صلى الله عليه وسلم له « أحججت عن نفسك قال لا قال له حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة » .

من هذا نفهم أنه يصح للولد أن يحج عن أبيه اذا قضى فرضه أولا ، وحج عن نفسه ، وحجه عن أبيه بر منه لأبيه .

السؤال :

ويسأل السيد/محمد نخيلان عن الأضحية .

الجواب :

الأضحية ـــ سنة مؤكدة على من وجد سعة بالمعيشة ، وهى ليست فرضا ، ولا فرق بين الأضحية للميت فى أول سنة أو فى ثانى سنة ، وليس هناك شىء يسمى ضحية الحفرة .

ويشترط فى الأضحية أن تكون سالمة من كل عيب ، ويصح الاشتراك فى الأضحية اذا كانت من الابل والبقر ، فاذا اشترك سبعة فى بقرة أو بعير صح ذلك ، ولا يصح أكثر من سبعة ، والسنة فى توزيع الأضحية أن يأكل وأولاده منها الثلث ، ويهدى الثلث ، ويتصدق بالثلث .

وان تصدق بها كلها جاز له ذلك ولا يجوز أن يتصدق بأقل من الثلث ، والأضحية توزع لحما .

السؤال :

بداخل مزرعتى حوض كبير حاولت تغطيته خوفا من وقوع المواشى فيـــه فمنعنى جيرانى لأنهم ينتفعون به وفى يوم مضى دخل ابنهم المزرعة ليسبح فغرق ، فهل على بذلك كفارة ؟

الجواب :

الولد مات بأجله والحوض داخل المزرعة والمزرعة محاطة بسور بدون باب، وقد حاولت صيانة الحـــوض فمنعك أهل الولد وليس عليك من ذلك شىء .

السؤال :

موظف صغير فى المباحث السياسية وظيفته حضور الاجتماعات للتجسس على ما يدور فيها ، ونقل أخبارها الى الجهات الخاصة . لا يتعمد ضرر أحد ، وهو صاحب عائلة ، ويشك فى أباحة رزقه من هذا المورد ، فهل راتبه حـــلال أو حرام ؟

الجواب :

اذا كان العمل لتلافى خطر يقع على الأمة كاخلال بالأمن وارجاف فى الوطن، أو خطر يقع على عائلة ، أو هتك عرض ، أو سرقة مال ، أو سفك دم ، أو ما شابه ذلك مما يمس بالوطن أو المواطنين فيجب على من علم بذلك اخبار السلطة وتدارك الأمر سواء كان هذا العالم موظف دولة أم من المواطنين أيا كانت مكانته فى الأمة سواء كان رجلا أم امرأة ..

أما ان كان الخبر لا أساس له وانما سببه عداء بين المخبر والمخبر عنه أو بقصد الانتقام أو سمع فلم يتأكد وأخبر بما لم يتأكد أو كان ظنا وبعض الظن اثم أو أن المخبر يريد أن يتقرب الى رؤسائه بنقل أخبار لا أساس لها من الصحة أو أن الأخبار كانت صحيحة ، ولكنه بالغ بها ظنا منه أن المبالغة ترضى الرؤساء فيكون آثما يحمل وزره ووزر من استمع اليه .

وعلى السائل أن يتحرى الأخبار الصحيحة فهو بعمله هذا على شفا جرف هار من النار يجب عليه أن يتقى الله فى الاخبار التى ينقلها ، ألا يقول الا الحق والايخبر الا بالصدق فان فعل حل رزقه والا فانه يأكل بيده النار .

بريد الوعي الإسلامي

السؤال :

بعث السيد محمد عبد اللطيف برسالة الى المجلــة يسألها : « نعرف أن الاسلام يحترم العقل الانسانى لكن بم تفسرون السمعيات فى الاسلام من ذات الله والحشر والحساب وغيرها من المغيبات التى يحجبها الاسلام عن العقل » ..

الاجابـــة :

تجلى احترام الاسلام للعقل ، بصونه عن الخوض فى أمور الغيبيات التى لا تنالها أدوات المعرفة الممكنة للانسان ولا يمكن للعقل أن يصل فيها الى شىء الا بارشاد الوحى .

وعلى كل حال ، فمجال الغيبيات فى الاسلام ، مجال ليس فيه ما يخشى الاسلام من الاطلاع عليه ومعرفة العقل لــه بل ان الوحى أوضحـــه ، وبيَّن تفاصيله ، من صفات الله والملائكـــة ، والبعث والحساب الخ ، وكان بيان هذه الامور بيانالا يترك فى الحقيقة لدى المؤمنين شيئا جديدا يريد الوقوف عليه .

فمنع العقل البشرى اذن من البحث فى ذات الله ، وحقائق الغيب ، انما كان لمصلحة العقل ذاته ، لانه لا يستطيع أن يخوض غمار البحث فى هذا المجال دون أن يضل ويحار .

وذلك ما عناه ــ فى اعتقادى ــ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهلاك حين قال : ((تفكروا فى مصنوعات الله ، ولا تفكروا فى ذاتـــه فتهلكوا)) وحين قال ((يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك ، فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)) .

والانسان الذى يتجاوز فعلا حدود الايمان بالله . وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر ، التى رسمها القرآن الكريم ، وفصلها بوضوحه ، ليقحم عقله فى محاولة استكناه حقائق الروح والعرش والكرسى والقـــلم والجن والشياطين وغيرها من الغيوب ، فانـــه لا يجد أمامه طريقـــا الى ما يريد ، الا الحيرة ، والتشتت .

وليس هذا الموقف ــ صون العقل عن التيه فى بحـــر الغيوب واستكناه حقائقها ليس موقفا جديدا فى الاسلام ولا بدعا ، بل سبقت الاديان والمذاهب

اليه ، بل ان من الاديان السابقة ، من حظر على العقل مجرد التفكير وطاب اليه أن يسلم تسليما بكل ما يفرض عليه من عقائد ، والفضل للاسلام فى أنه ضيق دائرة الحظر ، وقصَّر التسليم والايمان على غيبيات محددة يعجـز العقل عن ادراك حقائقها ، ثم لا تفيده معرفـة حقائقها فى شيء مـن دنياه الحـاضرة ووجوده النافـع له .

ولقد أدرك الفيلسوف الالمانى الاشهر ((كانت)) هذه الحقيقة ، فمع ثقته بالعقل ، وتعويله عليه ، فانه أنكر على العقل أن تكون له قيمة فى مجال المغيبات لانها فوق قدراته ، ولذلك فانه لا يملك فيها غير الحيرة .

بل ان الذين يوجهون سهام النقد الزائف الى الاسلام لصونه العقل عن هذه الغيبيات ويدعون أنه لا ينبغى أن يوقف العقل عن شيء ويؤمنون بالفلسفة المادية العملية التى تقوم على العلم العملى يجـدون أنفسهم أمام تحد من نوع جديد ، أمام غيبيات لا تستطيع عقولهم ، أن تقدم لها تفسيرا ، أو تمسك لها بحقيقة .

ويقال مثلا ((ان الذرة تفتتت الى ذرات متناهية فى الصغر ثم تتفتت هذه الذرات الى ذرات أخرى وهكـذا حتى تتحول الى طاقة .

وهنا يقف بهم العقل .. فلا يستطيع أن يحدد : ما شكل الطاقة ؟ وما كنهها ؟ وعلى أى الاوضاع تكون ؟ غيب من الغيوب لا أحد يعلم حتى الآن كما لا يعلم أحد : ما حقيقة الجاذبية والمغناطيسية ؟ بل ما حقيقة الكهرباء ؟ تلك التى نرى آثارها تحيط بكل منا فى الحياة العملية .

فاذا عجزت الفلسفة المادية على هذا النحو أن تقدم شرحا لحقائق هـذه الغيبيات التى وجدت نفسها أمامها ، فهل يمكن أن يتهم الاسلام بشيء من الجمود أو التحجر على العقل حين يصون هـذا العقل عن التخبط فى حقائق الغيوب ، ويطلب اليه أن يمارس ما يستطيع من فكر ، فى حدود الحياة العملية فقط ، فهى أنفـع له ، وأجدى عليه .

والى هنا نقرر مطمئنين : ان موقف الاسلام من العقل فى مجال الغيبيات يعتبر دافعا للعقل الى تركيز نشاطه فى التفكير الافيد لـه . وباعثا له علـى التجديد الدائم لفكره العملى فى الحياة النافعة لذلك خير له من التخبط فى الغيب فهو موقف يحسب للاسلام فى امكانيات الانهاض والتجديد وتطوير المجتمعات ولا يحسب عليه ، فى نظر العاقلين المنصفين .

قالت صحف العالم

ذكرى انتصار الثورة الجزائرية

كتبت مجلة البلاغ الكويتية تعليقا فى افتتاحيتها على ذكرى انتصار الثورة الجزائرية وذكرى وعد بلفور قالت :

فالأولى تكرس بطولة شعب ، قدم من خيرة أبنائه مليون شهيد ، حتى انتزع استقلاله من براثن أشرس قوى استعمارية ، جربت فى الشعب الجزائرى أفظع أساليب التعذيب ، الجسدى ، والنفسى .

والثانية تجسد جريمة مسؤول صهيونى ، ربط بلاده بوعد لبنى قومه من الصهاينة ، الامر الذى كلف بريطانيا — حيث كان بلفور وزيرا لخارجيتها — غاليا من عداء العرب ، ومقتهم ، اعتبارها المسؤولة عن غرس خنجر « اسرائيل » فى قلب العالم العربى ، وعلى اشلاء مليون شريد وطريد من أبناء فلسطين .

ولعل من محاسن الصدف ، ان تسبق ذكرى انتصار الثورة الجزائرية ، ذكرى وعد **« بلفور »** المشؤوم باعتبارها الاشارة الحاسمة ، الى الاسلوب المجدى الكفيل بانقاذنا من الحالة البائسة الراهنة ، أسلوب الجهاد والتضحيات والدماء وتقديم المزيد من الشهداء .

وتاريخنا الاسلامى المجيد ، حافل بالعظات والدروس والعبر ، حيث كان المسلمون الفاتحون من دعاة الاسلام سادة الحروب ، واخبار انتصاراتهم جعلت الاعداء يهربون من لقائهم ، ذلك أن الايمان كان يعمر قلوبهم وصيحات الجهاد كانت الدافع الاقوى لتسيير فتوحاتهم ..

لم ينجح المسلمون فى معاركهم ، والوصول الى أقاصى الدنيا ، خلال أقل من قرن واحد ، يوم دانت لهم أعتى الامبراطوريات ، الا أنهم استرخصوا أرواحهم فى سبيل الله وباعوا الدنيا وما فيها ، بجنة عرضها السموات والارض ولم ينتصروا وتكتب لهم الحياة الا لانهم أحبوا الموت ، وبمثل تلك النفسية وبهذه الكيفية يسجل التاريخ للشعوب انتصاراتها .

فتحية للجزائر الشعبية ، وشعبها المكافح ، ودعاء نرفعه الى الله تعالى أن يلهم المجاهدين فى بطاح فلسطين ، التأسى بتجارب تلك الثورة المباركة حتى يعود الشعب المشرد الى دياره ، أو نقدم مليون شهيد جديد .

العلمانيـــة

من مقال للأستاذ فتحى رضوان نشرته جريدة الاهرام فى احدى صفحاتها الدينية تحت هذا العنوان قال :

كيف حقق الاسلام ، كل ما عقد على (العلمانية) من آمال لم تتحقق لا فى داخل الدول ولا خارجها .

أولا : ليس فى الاسلام هيئة ولا طبقة تحترف صناعة الدين ، أو تستأثر بشرح أحكامه ، فكل مسلم مدعو لقراءة الدين والتفقه فيه ، وله الحرية فى أن يفهم ما يشاء ، ما دام يفهم لنفسه وله أن يستعين بمن هم أرسخ منه قدما فى اللغة ، وأقدر منه لثقافتهم وعلمهم ليأخذوا بيده ، فليست تلاوة القرآن حكرا لأحد ، ولا هى ممنوعة من أحد ، بل أنها مستحبة كلما تيسرت للانسان . والانسان يصلى وحده بلا رقيب لا موجه واذا اجتمع المسلمون ، تقدم أحدهم فأمهم ما دام يعرف أصول الصلاة ، ولو كان أشعث أغبر لا يؤبه له .

وفى هذا المعنى يقول الشيخ شلتوت : قد اتصلت بالقرآن — بعد أن التحق الرسول بربه — افهام العلماء ، والأئمة فيما لم تكن من آياته نص فى معنى واحد وكثرت الآراء والمذاهب فى النظريات والعمليات ، لا على أنها دين يلزم وانما هى آراء وافهام ..

ثانيا : عبادة المسلمين وصلاتهم جائزة فى كل شبر من كل أرض فالله تعالى قال : « **فأينما تولوا فثم وجه الله** » وقال الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : « وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا » .

ثالثا : ونبى المسلمين ورسول الله اليهم بشر مثلهم ، يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق ، وكان له كل نشاط الآدميين فتزوج وأنجب ، وصام وأفطر وحارب وسالم وعاهد ، وعرف اليتم والثكل ، ماتت له زوجات وبنات وبنون وأكد القرآن والحديث بشريته ووصفه القرآن ، بأنه عبد الله ، وقال عن نفسه انه عبد يأكل كما يأكل العبد ، ويجلس كما يجلس العبد .. ففى القرآن « **سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا** » وفيه « **قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء اللـــه** » وفى الحديث « **لست ملكا ولا جبارا ، انما أنا ابن امرأة تأكل القديد فى مكة** » والرسل جميعا — عند الاسلام — ليسوا الا مبلغين لرسالات اللـــه ووظيفتهم الارشاد والتعليم عن طريق الوحى .

رابعا : الأصل فى الأشياء الاباحة ولا تحريم الا بأمر الله ، فى نص من القرآن أو نص من الحديث قطعى الورود فالاباحة والتحريم من حقوق اللـــه وحده ولا يشاركه فى ذلك شريك من رسول أو خليفة ، أو هيئة أو جماعة أو طبقة أو فئة . وبالتالى لا يوجد من يغفر الذنوب الا الله ، وكل مسئول عن عمله لا تنفع أحدا عند الله قرابة حتى للرسول الكريم فقد قال عليه السلام : « يا معشر قريش **اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا** » وقال لو سرقت فاطمة — بنته رضى الله عنها — لقطعت يدها .

وأخيرا يساوى الاسلام بين رسل الله جميعا ، وأديانهم « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله** » .

وقد نشأ من كل ذلك جو من حرية الرأى أتاح للمسلمين وأخوانهم من أهل الكتاب أن يتعاونوا فى انشاء حضارة انسانية طابعها المميز التسامح وكراهيـــة القسر والعنف حتى فى أدوار انحلالها ، وقد روى مصطفى كامل فى كتابه الشهير (المسألة الشرقية) أنه لما فتحت القسطنطينية على يد محمـــد الفاتح السلـــطان التركى ، وانتخب المسيحيون الروم بطريركا قال له السلطان محمد « كن بطريركا لليونان والله يحميك ، وفى كل الاحوال والظروف اعتمد على مساعدتى وتمتع بكل الامتيازات التى كانت لأسلافك من قبل » ..

فهل علمانية كائنة ما كانت قادرة على أن تحقق هذا أو شيئا قريبا منه ؟ .

بأقلام القراء

الحكمة ضالـــة المؤمن

وأرسل الينا السيد محمد سعيد السيد أحمد الشبيب من سوريا كلمـــة بهذا العنوان يقول فيها : ـــ

قال تعالى «**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**» المؤمن ينظر الى الأمور بعقله لا بعينه فقط . والرجل المؤمن لا ينظر الى الغرب كامام وزعيم خالد ، والى نفسه كمقلد وتلميذ دائم ، انما ينظر الى الغرب كمجتمع سبق وقرين تفوق فى بعض العلوم المادية والمعاشية ، فيأخذ منها ما فاته من التجارب ، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة ، ويعتقد أنه ان كان فى حاجة الى أن يتعلم من الغرب كثيرا فالغرب فى حاجة الى أن يتعلم منه أكثر ، وربما كان ما يتعلمه منه الغرب أفضل مما يتعلمه هو من الغرب .

والحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها التقطها ، فالمؤمن يأخذ من علوم الغرب والشرق ما تفتقر اليه أمته ، وينفض عن كل ما يأخذ من الغرب والشرق غبارا لصق به فى القرون المضحلة وفى عصر الثورة على الدين عصر التوتر العصبى والقلق النفسى ، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الالحاد والعداء للدين ، ومن النتائج الخاطئة ، ويغلفها بايمان عميق بفاطر الكون ومدبره ، ويستنتج منهـــــا نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر اسعادا للانسانية مما توصل اليه أساتذة الغرب على الاطـــلاق .

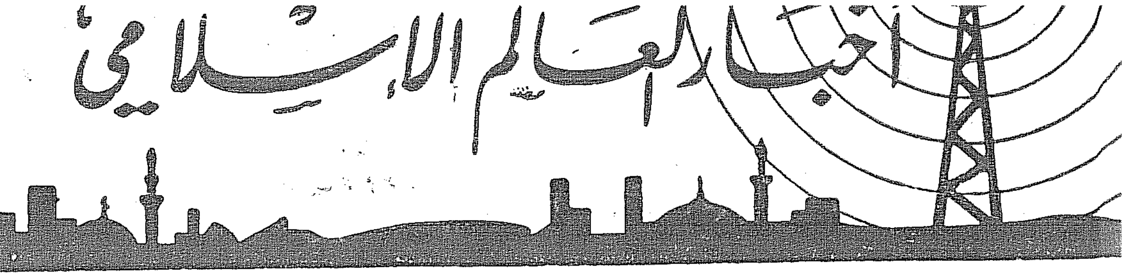
اضرار المسكـــرات

وتحت هذا العنوان بعث السيد عادل جلال سعيد كلمة اقتطفنا منها ما يلى : ـــ

ان احتساء الانسا نالخمر يفقد الانسان قيمة وعمل تلك الجوهرة التى ميزه بها الله تعالى عن سائر الحيوان ، ويجرده من عواطفه الغريزية ، فينسيه واجبه كابن أو كزوج أو كأب ، ويفقده مقدرته ويسلبه كفاءته فلا يستطيع القيام بعمله ويسوقه الى خيانة الامانة ، ويرغمه على الاحتيال والسرقة وارتكاب كل منكر ،

فيصبح مخالفا للشريعة مناقضا للناموس خارجا على القانون ، فنرى أن هنـــاك من انتحر أو قتل غيره أو تجرد من أملاكه بيعا ، أو أفلس بسبب الخمر ، ولا يقف خطر المسكرات عند هذا الحد بل أنه يؤسس كثيرا من الامراض الخطيرة كالشلل والتهاب المعدة وأمراض الكبد والكليتين والآلام العصبية ، زد على ذلــك أن الأطباء قد قرروا أن مجال الشفاء يتسع للذين لا يتعاطون الخمور حين يصابون بمرض من الامراض السالفة الذكر أكثر مما يتسع للمسكرين ، هذا وان تعاطيه يؤذي الجسم ولا يفيده بحـــال من الاحـــوال ، والكحول سم قوى قاتل فلو طلب من سكير أن يشرب سما فتاكا كالزرنيخ مثلا لما قبل مع أن الأدلة التى تثبت ذلك عديدة وموفورة ، فاننا لو وضعنا دودة من ديدان الأرض أو سمكة فى وعاء يحتوى على ما نسبة الكحول فيه ١ ٪ لماتت سريعا ، وكذلك لو أخذنا زلال بيضة وصببنا عليه قليلا مما يسمى الويسكى أو أى مشروب روحى قوى فانه يجمده حالا ، ويغير لونه ، كما لو كنا نضعه فى ماء يغلى أو فوق حديد محمى ، وحين نذكر أن القلب والكبد والكليتين والعضلات مركبة فى نفس المواد التى يتركب منها زلال البيضة ، عرفنا أن الكحول يحدث هذا التأثير ، ويعطل أنسجتها ، ويميت حيويتها ويحرق الجزء الذى يلامسه فى الجسم ولا يعطيه فيوقف نموه ، أما الاطفال الذين يعطون جرعات من المشروبات الروحية فان نموهم العقلى يصبح بطيئا ، ولا تقوى بنيتهم ، ولا يصلب عودهم الى الحد الذى بالامكان الوصول اليه لولا استعمـــال الخمور ..

فالرجل الذى يعاقر الخمر يحسب أنها تعينه على التفكير ، والواقع أن المخ فى غضون الدقائق العشر الأولى التى تعقب جرعة خفيفة من الخمر يحـــدث معه تنبه فى الابتداء فتتنبه الذاكرة وتسيل القرحة ، وتتدفق الافكار ولكن يلاحظ فى الوقت نفسه . أن الأفكار مضطربة متبلبلة ، والكلام متلجلج سخيف ، والألفاظ سمجة وبعيدة عن الاخلاق الفاضلة لأن الرجل المستقيم فى سلوكه ، المتعقل فى قوله ، والمتروى فى فعله عادة يظهر فى مظهر غريب بعد الاسراف فى معاقرة الخمر ، ومن الأدلة القاطعة على الضرر الذى يلحقه الكحول بالمخ كونه من أقوى الأسباب الداعية الى الجنون .



الكويت : افتتح سمو أمير البلاد المعظم الدورة الجديدة لمجلس الامة وقد القى سموه توجيها للشعب قال فيه علينا أن نكون يقظين أو مستعدين لمواجهة أى طارىء .

● أكد معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية أن الكويت لن تدخر وسعا فى بذل الجهود لمساعدة المسلمين فى الفيليبين سواء على الصعيد الديبلوماسى أم المعنوى .

● استضافت الكويت فى موسمها الثقافى الماضى فى رمضان عددا من كبار المفكرين والعلماء المسلمين الذين ألقوا محاضرات فى بعض الجمعيات والمساجد الكبرى تناولت الفكر الاسلامى وشئون المسلمين .

● أغلق باب الانتساب الى دار القرآن الكريم بعد فرصة دامت ستة أشهر وقد بلغ عدد المتقدمين لحفظ القرآن الكريم فى السنة الاولى ٩٠٠ طالب .

القاهرة : وافقت ادارة الازهر على بعثة طلبتها الكويت من المتخصصين فى القراءات وذلك للتدريس فى دار القرآن الكريم .

● أهدت القاهرة مكتبات اسلامية الى تونس وزامبيا وغانا والى الجاليات الاسلامية فى جمهوريات سلفادور ونيكاراجوا وهندوراس وكوستاريكا وجواتيمالا .

السعودية : قرر المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى فى دورته الثالثة عشرة دعم جميع القضايا الاسلامية والمطالبة بحقوق الاقليات الاسلامية فى العالم وانشاء صندوق للجهاد لدعم القضية الفلسطينية فى البلاد الاسلامية .

● أعلن وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية فى الامم المتحدة انه اذا أصرت اسرائيل على موقفها بشأن القدس فان العرب والمسلمين فى العالم كله سيضحون بأنفسهم من أجل التحرير .

● تقرر تبادل التمثيل الديبلوماسى بين المملكة وكل من قطر والبحرين .

● سيعقد مؤتمر وزراء الخارجية للدول الاسلامية مؤتمره القادم فى جدة فى شهر مارس القادم .

الاردن : أبلغ وزير الخارجية الاردنى الامم المتحدة بأنه طالما كان هناك احتلال اسرائيلى للارض العربية فلن يكون هناك سلام فى المنطقة .

● قدمت الاردن شكوى الى منظمة اليونسكو توضح فيها بالتفصيل عبث اسرائيل بالممتلكات الثقافية والحضارية فى الاراضى العربية المحتلة .

سوريا : قال وزير الخارجية السورى أمام الامم المتحدة ان طرد العرب من أراضيهم جريمة رهيبة وقال ان اسرائيل أهملت ٥٤ قرارا للامم المتحدة الامر الذى يجعلنا نطالب بطردها من المنظمة الدولية طبقا للمادة السادسة من ميثاق المنظمة .

لبنان : صرح لقمان هارون الزعيم الفيليبينى المسلم فى بيروت أن دولا عربية وعدت بتقديم المساعدات لمسلمى الفيليبين ، وقال ان اسرائيل تمد الفيليبين بالخبراء والمساعدات وان اليهود فى الفيليبين عدة آلاف يمثلهم وزير فى الحكومة بينما لا يمثل أربعة ملايين مسلم أى وزير .

ليبيا : ندد المؤتمر السادس للآثار العربية بجرائم اسرائيل .

تونس : قررت جمعية الجامعات الاسلامية فى تونس تقوية التعليم الاسلامى وتعصيره بالنسبة لسائر الكليات الاسلامية .

الجزائر : حلت اللغة العربية محل اللغة الفرنسية فى جميع المحاكم الجزائرية وسوف تكون هناك فقط ترجمة بالفرنسية للغة العربية .

السودان : أعلن الرئيس جعفر نميرى فى مهرجان شعبى كبير أن السودان عازم على الاشتراك فى تحرير الارض العربية واسترداد حقوق شعب فلسطين .

كينيا : قررت جمعية الدعوة الاسلامية فى كينيا مواصلة الجهود ونشر الدعوة فى كل مكان ومواجهة الحركات التبشيرية .

● القى الرئيس جومو كينياتا خطابا أكد فيه حقوق المسلمين فى وطنهم وأقر عيد الفطر والاعياد الاسلامية أعيادا وطنية لكينيا .

باكستان : حذرت الباكستان من نشوب حرب عالمية من جراء مشكلة اللاجئين وتدخل بعض الدول .

● تقوم بعثة من الجماعة الاسلامية فى باكستان بجولة فى بعض دول العالم لشرح حقائق الموقف فى باكستان .

أفغانستان : دعت الامم المتحدة دول العالم لمساعدة أفغانستان نظرا للقحط الذى تعرضت له خلال العامين الماضيين .

الفيليبين : تستمر المذابح ضد المسلمين فى الفيليبين وقد نشط زعماء المسلمين هناك لشن حملات توعية المسلمين فى العالم بما يلاقيه اخوانهم فى الفيليبين .

ماليزيا : دعا الدكتور تون اسماعيل رئيس الوزراء بالوكالة المرشدين ورجال الدعوة الاسلامية الى عرض الاسلام للشعب المليزى بطريقة صحيحة .

● سيقوم المجلس الاسلامى الاعلى بانشاء معهد لتدريب الدعاة وغيرهم من العاملين فى حقل التربية الدينية .

جمهورية أوزبكستان السوفيتية : عثر فريق من المستشرقين الروس على مخطوطة نادرة تتناول بالتحليل والنقد العلمى التاريخ الاموى والعباسى .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : **مكتبة مكة** ــ السيد عوض با عامر ــ ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء ــ السيد محمد زين العابدين

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : مكتبة ومطبعة دبى ــ السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

قطـــر : مكتبة الثقافة ــ السيد سالم الانصارى ــ الدوحة .

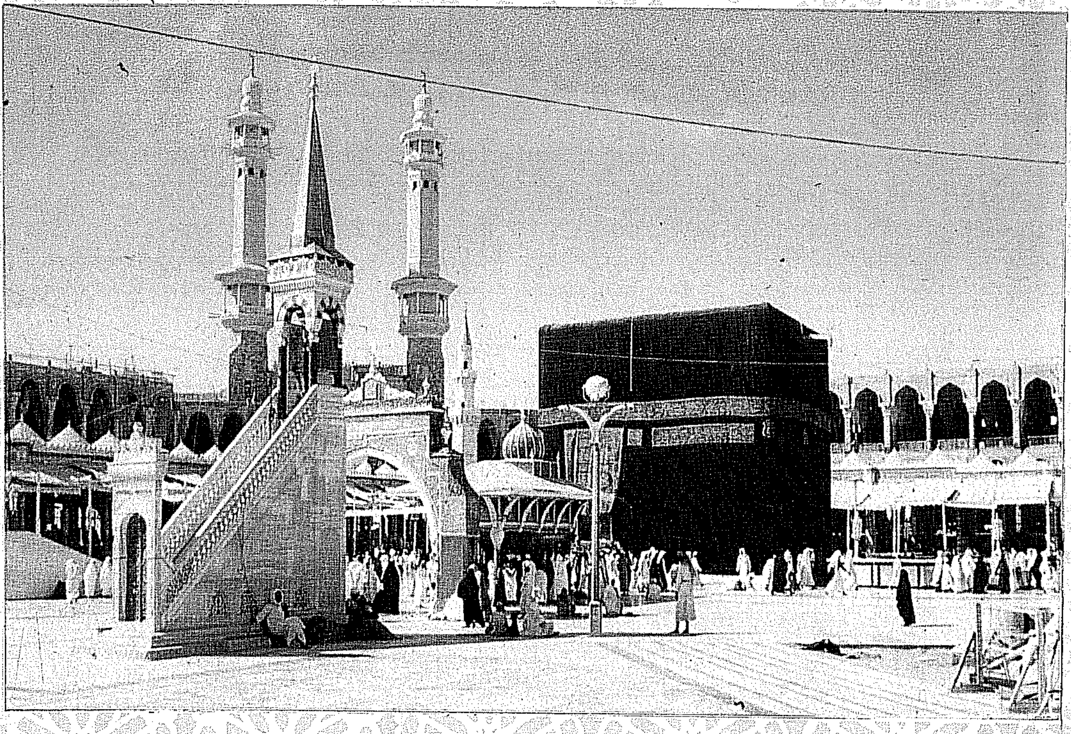
ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة — العدد ٨٣ — ذي القعدة ١٣٩١ هـ — ١٩ ديسمبر (كانون اول) ١٩٧١ م



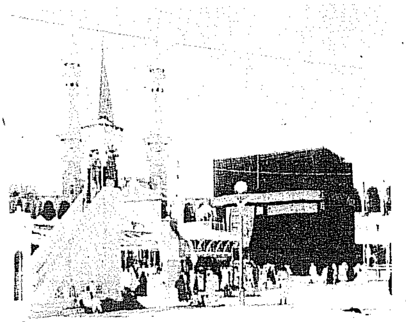
هديتك مع هذا العدد (رسالة الحج)



سمو أمير البلاد المعظم يصافح مهنئيه من رجال السلك الدبلوماسى بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد وذلك فى قصر السيف العامر .



سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وبعض اصحاب السعادة الشيوخ من آل الصباح يتقبلون التهانى من المواطنين بمناسبة عيد الفطر المبارك .



الكعبـة المشرفـة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السنـة السـابعة

العـــدد الثالث والثمانون

غرة ذى القعدة ١٣٩١ هـ

١٩ ديسمبر « كانون الأول » ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمـــن

الكـويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العـراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجـزائر	دينـــار وربع	
المغـرب	درهـم وربـع	
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشـتراك السـنوى للهيآت فقط

فى الكـويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسـا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنـوان المراسلات

مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ـ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

غريب الشهر

الرجولة

الرجولة مجموعة من الصفات النفسية والخلقية والعقلية تنسقها وتوجهها عقيدة تقدس الحق ، وتفنى فى سبيله ، وتعرف الواجب وتنهض لأدائه مهما كلفها من نصب ، وتهيم بمعالى الأمور ، وتترفع عن سفافها .

وليست الرجولة ارادة قوية تظلم وتبطش ، ولا رحمة رخوة تمالىء فى الحق ، وتجامل على حسابه ، ولا عقلا محتالا يبرر الدنية ، ويتلمس المعاذير لقبول الهوان والصغار .

وتتجلى الرجولة بأكمل معانيها وصورها الحية فى الرجل الاول والنبى الاول والرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم ، فحياته كلها كانت عنوانا على الرجولة الحقة ، وهو القائل : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته .

وما أشد حاجتنا فى هذه الظروف التى تتعرض فيها لأمة الاسلامية لغزو آقطارها قطرا قطرا ، الى التذكير بموقف من المواقف الحاسمة للرسول صلى الله عليه وسلم . اعتصم فيه بالحق ، فلم ينكص عنه لقلة جنده ، ولم يتهيب عدوه لشدة بطشه

روى ابن اسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص : انه حضر قريشا يوما وقد اجتمع أشرافهم فى الحجر ، فذكروا رسول الله ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من امر هذا الرجل قط . سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ... لقد صبرنا على امر عظيم فبينا هم فى ذلك اذ طلع رسول الله ، فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفا بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه ببعض القول ، فعرف ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فوقف ، ثم قال : « أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح » فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجلا الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى أن أشدهم وصاة فيه قبل ذلك ليرفؤه ، ويلاطفه بأحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول : انصرف يا أبا القاسم والله ما كنت جهولا .

وقد غنى تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد .. استعلوا على مغريات المال والجاه والحكم ، ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين أو أدنى منهم ، فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة ، ولو أن رجولتهم خانتهم ، فتخلوا عن واجبهم ، واستسلموا لشهوات السلطات وآثروا العافية ، على مشقات الجهاد وتكاليف العزة والحرية ــ لتغير وجه التاريخ وكانوا أمثولة للاجيال من بعدهم .

ونذكر فى هذا الصدد موقف أبى

بكر خليفة رسول الله فى حروب الردة فقد اثارته ردة المرتدين ، واغضبته اشد الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع ، ورفض ان يلين ويقبل منهم جزءا من الاسلام ويتسامح فى جزء آخر منه ، وصمم على الحرب ، ولم يقبل الا الاسلام كله . كلا من غير أن ينقض منه شىء وقد كان هذا الموقف للصديق مفخرته الكبرى التى انفرد بها فى تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك .

والرجولة ليست صفة كمال فى الفرد . وجودها وفقدانها فيه لا يقدح فى شخصيته . لا ـ انها صفة اساسية فيه ، فالناس اذا فقدوا أخلاق الرجولة صاروا أشباه رجال .. غثاء كغثاء السيل .. ذباب يتهاوى .. طبل أجوف .. جعجعة ولا طحن .. وقديما قال العرب : « ترى الفتيان كالنخل ، وما يدرك ما الدخل » .

والأمة الاسلامية لا تحتاج الى علم ، ولا تفتقر الى ثروة بقدر ما تحتاج الى رجولة ، وهى لم تؤت من قلة عددها ، ولا من ضيق رقعتها ، ولا من جدب أراضيها ، وانما اصابها الضعف والوهن ودب فيها داء الأمم من تهالكها ، على الشهوات ، وتقاتلها على الجاه والمركز وشيوع الملق والنفاق بين القادة والجماهير على حد سواء .

واخلاق الرجولة من اساسيات الزعامة الناجحة والقيادة الظافرة ، فهى تفرض على القائد والزعيم أن يفكر فى أمته قبل أن يفكر فى نفسه ، وأن يرى المنصب وسيلة للخدمة العامة لا للجاه والثراء ، وأن يتخلى عن مركزه عندما يشعر بأن غيره اقدر منه على حمل العبء والنهوض بالمسئولية .

وكل فرد فى الأمة محتاج الى هذه الاخلاق مهما كان مستواه الاجتماعى ووضعه الوظيفى والمهنى فى المجتمع ففى الرجولة متسع للجميع ، وهى ميدان فسيح تتنافس فيه الأمة علماء وساسة ، أدباء وفنانين ، مدرسين وطلبة ، تجارا وصناعا وأقواهم رجولة أقدرهم على خدمة أمته وأنفعهم للناس .

نظرة لغوية :

واذا كانت الالفاظ وعاء للمعانى ـ كما يقول العلماء ـ فان مادة هذه الكلمة (ر . ج . ل) تدل بأصل وضعها فى اللغة على طائفة كبيرة من المعانى غير الذكورة المقابلة للأنوثة فى بنى الانسان ..

تقول العرب فى المفاضلة بين الاثنين وتفوق أحدهما على صاحبه (أرجل الرجلين) وللدلالة على القدرة على التصدى للأحداث والتفرد بحل المشكلات تقول « رجل الساعة » وفى مقام المباهاة بالشرف والسناء تقول (هو من رجالات قومه) وعندما وصفت السيدة عائشة رضى الله عنها ببعد النظر وسداد الفكر واصالة الرأى قيل (كانت عائشة رجلة الراى) وعند الاشادة بالاعتزاز بالنفس والاعتداد بها وقدرتها على تحمل الصعاب

ومواجهة الاخطار يقول الشاعر العربي :

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على احد

واذا رجعنا الى المواضع التي وردت فيها هذه المادة في القرآن الكريم وجدنا انها فضلا عن دلالتها على النوع أفادت في كثير من هذه المواضع معاني اخرى تتجه بالنوع الى السمو والامتياز .

استعمل القرآن الكريم (رجالا) وصفا للمصطفين الاخيار الذين اختارهم الله من الناس وابتعثهم لقيادة الأمم وتحرير الشعوب وهداية الانسانية ، وتكرر هذا الاستعمال في عدة آيات من كتاب الله . قال سبحانه : ((**وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم**) ١٠٩ يوسف ٤٣ النحل ٧ : الأنبياء .

وساق الكتاب العزيز هذه الكلمة وصفا للاطهار والابطال قال تعالى :

(**فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**) ١٠٨ : التوبة .

وقال جل شأنه : (**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**) .

٣٧ : النور ، وقال عز من قائل :

(**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**) . (٢٨ : الاحزاب) .

والوصف بالرجولة في القرآن الكريم في هذه المواطن وفي المواقف التي يتوارى فيها الجبناء ليس عفوا ، بل هو تعبير مقصود يوحي بمقومات هذه الصفة من جراءة في الحق ومناصرة للقائمين عليه قال تعالى :

(**وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين**)

٢٠ : القصص ، وقال عز شأنه :

(**وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين**) ٢٠ . يس . وقال سبحانه : (**وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**) ٢٨ : المؤمنون .

واذا انتقلنا من القرآن الكريم الى السنة النبوية رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلع الى الرجولة التي تناصره ، وتعتز بها دعوته ، ويسألها ربه فيقول : اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر بن الخطاب أو عمر بن هشام ، فيستجيب الله دعاءه في الرجل عمر ، فما هي معالم الرجولة التي استشفها رسول الله في عمر ؟ وما اثرها في نشر الدعوة واعزاز الاسلام .. كان اسلام عمر حدثا كبيرا في تاريخ هذا الدين ، ولو ان آلافا من عامة الناس اسلموا ما عدلوا عمر ولا قاربوه بدت رجولته في اللحظة الاولى من اسلامه فبعد ان كان المسلمون لا يجرؤون على الجهر بدينهم جهروا به ، وكانت الدعوة من وراء حجاب ، فأرادها عمر علانية .. حمل نفسه على كفه دفاعا

عن عقيدته . وصمم على أن يموت او تعلو كلمة الاسلام . فكانت الثانية .. قال ابن عباس : لما أسلم عمر قال : المشركون قد انتصف القوم اليوم منا . وقال ابن مسعود : ما زلنا اعزة منذ أسلم عمر . ولم تكن رجولة عمر في قوة بدنه ولا في فروسيته ، فقد كان في قريش من هو اقوى منه بدنا ، واشد قتالا . ولكن رجولته كانت في نفسه الكبيرة التي تشيع الرهبة وتبعث على التقدير والاكبار .. هاجر الصحابة خفية اما عمر فقد تقلد سيفه ومضى الى الكعبة فطاف ، وصلى في المقام ، واعلن هجرته على ملأ من قومه ، وقال لهم « من اراد أن تثكله أمه وييتم ولده ويرمل زوجته ، فليتبعني وراء هذا الوادي » .. فما تبعه أحد منهم » .

وتمضى الايام وتتوالى الاحداث فتتكشف خصائص الرجولة فيه ويتجلى عدله وقدرته على تحمل المسئولية كاملة ، ويتألق ذهنه وصفاء عقله وسداد رايه ، فينزل القرآن الكريم موافقا له في اكثر من عشرين موقفا ، وقد روى في هذا الباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون — فان يك في أمتي أحد فانه عمر » .

وقديما نظر الشاعر العربي الى الناس نظرة فاحصة . يبحث عن مقاييس الرجولة ، فلم يجدها في الشكل والمظهر ، ووجدها في الحقيقة والمخبر فقال :

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي اثوابه اسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير

وبعد هذا العرض السريع لمفهوم الرجولة ، ومقوماتها ومظاهرها واثرها في حياة الأمة ، وبعد اللفتة العابرة الى هذه المادة في اللغة . بقيت الاشارة الى أن الرجولة ليست وحيا يوحى ، ولا معجزة يعجز البشر عن تحصيلها ، بل هي ثمرة دانية للعقيدة المكينة ، والتربية الصحيحة ، والقدوة الحسنة ، وهي مهمة يتعاون على تحقيقها البيت ومعاهد التعليم .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلي

من هدي السنة

الدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

٢ بدء الوحي

عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها انها قالت :

« أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهي التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ قالت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما انا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن اخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ؟ فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي ، وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي .

— رواية البخاري —

٣ ــ عهدا اكدته لك ايها القارىء الأريب أن نتجاذب أطراف الحديث عن ام المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أول سيدة عطر التاريخ باسمها صفحاته مستجيبة لله ورسوله منيبة الى الله تعالى ، متقية له فى صورة لم تعهدها الدنيا ، ولن تجود بتكرارها ، لأنه لا رسالة ولا رسول بعد سيدنا زوجها المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، لقد كان لموقفها الحاسم ــ وهى أول انسان يلتقى به الرسول بعد أول وحى ــ اثر كريم دافع الى البناء والعزم ، والمضى قدما دون رهبة ولا تردد ، والاقبال بقوة على الدعوة المنقذة للبشر من هوة الانحرافات القاتلة لكل كريمة ، والرافعة علم الهدى على طريق الرشاد ، !! فمن هى خديجة المعنية بالحديث ؟ وما احوالها التى تقلبت عليها ، قبل لقائها بسيدنا رسول الله ، وما هو الدافع لها الى الارتباط به صلى الله عليه وسلم زوجا يوم كان فقيرا معدما اعزل بعيدا عن ما يتمتع به كثير من شباب مكة من مال وتجارة ، وغير قليل مما يغرى النساء بالرجال ؟

والجواب . .اما من هى ؟ فهى خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصى وامها فاطمة بنت زائد بن الأصم ابن رواحة بن حجر ، ويلتقى نسب ابيها وامها فى غالب بن فهر ، وقد تزوجت قبل رسول الله بزوجين أولهما عتيق (١) بن عائذ بن عبد الله بن عمرو ولما توفى عتيق تزوجها أبو هالة ابن زرارة التميمى ، ومات ايضا فى الجاهلية ، وقد ولدت له ذكرا اسمه هند ، وقد شهد بدرا وقيل احدا وكان يحدث عنه الحسن بن على ويقول حدثنى خالى لأنه اخو فاطمة الزهراء لأمها ، وقتل هند يوم وقعة الجمل (٢) وعاشت خديجة بعد ذلك دون زواج رافضة يد كل من يتقدم اليها قال ابن هشام وكانت خديجة حازمة شريفة لبيبة مع ما اراده الله لها من كرامته ، كما كانت اوسط نساء قريش نسبا واعظمهن شرفا واكثرهن مالا ، كل قومها كانوا حريصين على الزواج منها لو يقدر عليه ، واما انجذابها الى محمد فنشأ منذ تسامعت بما تلوكه الألسن من الحديث المطر عنه ، وما ذكره لها خادمها ميسرة حين صحبه فى رحلة تجارية الى الشام فعلمت عنه ما لم تعلمه عن احد من اترابه ، وقلبت امره على وجوهه فما رات له شبيها ولا مماثلا فى السلوك والاخلاق والاستقامة ، ولا عرفت فتى يقاربه ، قد قدره عقلاء قومه حق قدره واضفوا عليه كل صفات الكمال ونعوت الفضائل ، فعملت على الارتباط به زوجا رغم فاصل السنين بينهما فهو فى شرخ الشباب وقد بدأت هى فى طور الكهولة ، وليهن كل شىء فى سبيل الهدف الأسمى ، وكانت محاولات انتهت بزواجها كما حكت ذلك مفصلا كتب السيرة ، وكأنى بتلك السيدة الالمعية تنظر ما وراء حجب

الغيب فتستشف المستقبل الذى ينتظر الشاب محمدا ، وأراد الله لها أن تخلد ما خلد الزمان ، وأن تكون أولى أمهات المؤمنين وخيرهن دافعت عن الدعوة بمالها وجاهها وعقلها وذكائها ، وكل ما تملك ، واعطت من البنين والبنات من كانت احداهن (٣) سببا فى امتداد نسل سيد البشر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فانطلقت به خديجة حتى اتت ورقة بن نوفل ، ومن اخبار ورقة هذا انه كره عبادة الأوثان التى بان له من حقيقتها انها حجارة صم لا تضر ولا تنفع ، فخرج مرافقا زيد بن عمرو بن نفيل الى الشام يسألون عن الدين فأما ورقة فقد اعجبه دين النصرانية فتنصر .

ويقول ابن حجر العسقلانى ناقلا عن كتب السيرة (وكان قد لقى من بقى من الرهبان على دين عيسى ولم يتبدل ، ولهذا اخبر بشأن النبى صلى الله عليه وسلم والبشارة به الى غير ذلك مما أفسده اهل التبديل) واتجاه خديجة الى ورقة يعطى مزيدا من الدلالة على فطنتها وذكائها ، وأن الله اعدها لتكون الى جانب رسوله فى هذا الظرف المصيب ، وكان يجمعها مع ورقة ورسول الله نسب واحد ، ولهذا قالت يا ابن عم اسمع من ابن اخيك ، وكان ورقة مجيدا للسريانية يكتب بها ، وينقل منها واليها ، وهذا دليل على انه كان عالما بأسرار الديانة المسيحية ، ومطلعا على كل ما ورد فى الانجيل والتوراة من البشارة بنبى هذه الأمة ، ولما قص عليه سيدنا رسول الله ما حدث له أجابه (هذا الناموس (٤) الذى نزل الله على موسى) واختص موسى لأن نزول جبريل عليه متفق على حصوله بين أهل الكتاب بخلاف عيسى ، فان كثيرا من اليهود ينكرون نبوته ، وتشوف ورقة الى مصاحبة رسول الله فى جهاده ، تمنى أن لو عاد شابا يحمل السلاح نصيرا لدعوة الحق ، وجنديا من بناتها (يا ليتنى فيها جذعا) والجذع بفتح الجيم والذال المعجمتين هو الصغير من البهائم ، وتمنى ورقة الشباب ليكون أمكن فى نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد عجب رسول الله كثيرا حين اخبره ورقة بأن قومه سوف يكذبونه ويقاتلونه ويخرجونه من دياره فقال (أومخرجى هم) ؟ قال ورقة نعم — لم احد يأت بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ويشاء العلى الكبير أن يلقى ورقة ربه مبكرا ، تقول عائشة رضى الله عنها : (ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى)ثم تتابع وتوفيت خديجة عليها رضوان الله قبل أن تفرض الصلاة ، وروى أن عائشة قالت ما غرت على احد ما غرت على خديجة ولقد توفيت قبل أن يتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ، ولقد امر رسول الله ان يبشرها ببيت فى الجنة .

هذا وما احوجنا فى ظروفنا الراهنة ان نتذكر ما عاناه سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وما قاساه فى سبيل نشر الدعوة ، وما كان من هجرته من البلد الذى هو احب بلاد الله اليه ، وما جابهه به المشركون من عداء سافر له ولأتباعه ، ثم ما شنوا عليه من حروب ما تكافأت فيها العدة ولا العدد ابدا ، ولكن النصر كان حليفه عليه افضل الصلاة لثقته بالله ، واعتماده على قوة رب العالمين تحارب معه الملائكة فى بدر ، وعوامل الطبيعة فى يوم الأحزاب ، وما وهن عليه الصلاة والسلام ولا ضعف أمام عدو ابدا .

وصاحب الحق المؤمن به الواثق بعون ربه ، تهون أمامه كل الصعاب، وتتلاشى العقبات ، ويلين لعزيمته الحديد وتطوى الآفاق ، وما ضاع حق وراءه مطالب ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ، ولعل فى ذكر بدء الوحى بدء الجهاد النبوى الكريم ما يدفع الدماء الحارة الى قلوب المسلمين فى آفاق الأرض ، فيفيقوا ، ويتنبهوا للسيوف التى يعملها أعداؤهم فى رقابهم فى كل مكان ، وليتناسوا ما بينهم من منازعات ، وليعتصموا بحبل الله ليلتقوا بعدوهم فى ساحة الجهاد على قلب رجل واحد ، ومن عاذ بالله أعاذه الله ، ومن لاذ بحماه نصره ، ومن توكل عليه كفاه (**وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خاسئين**) .

---

(١) ص ١٢٤ من الروض الانف ، للسهلى جـ ١ وقيل أن أبا هالة هو زوجها الاول وعتيق هو زوجها الثانى .
(٢) ورد هذا فى شروح المواهب والاستيعاب .
(٣) فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين وزوج على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين ..
(٤) فى اللغة الناموس صاحب سر الخير ، والجاسوس صاحب سر الشر .

مع العدد القادم
فهرس المجلة لعام
١٣٩١ هـ

القرآن والكعبة والخلافة

للشيخ أحمد حسن الباقوري

القرآن دستور المسلمين فى حياتهم ، والكعبة قبلتهم فى صلاتهم ، والخلافة مظهر وحدتهم ونظام شتاتهم .

وهذه الاصول هي الأسس التى قامت عليها أول دولة للاسلام فى مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وقد ظلت هذه الاصول قرونا طوالا موطن اعزاز وموضع تقديس من المسلمين تسوى — على اختلاف النزعات — صفوفهم ، وتقوى فى مواجهة الازمات عزائمهم وتملأ بالامل فى بسط سلطان الحق صدورهم وبالهيبة لهم صدور اعدائهم .

وعلى مقدار ما استمسك المسلمون بهذه الاصول وحرصوا عليها وناطوا آمالهم بها ، راح أعداؤهم يتربصون بهم الدوائر ، ويتلمسون لهم المزالق ويتتبعون فى صفوفهم الثغرات ، حتى اذا سنحت الفرصة اهتبلوها بكل ما تنطوى عليه صدورهم من حقد ، وتتلمظ اليه اطماعهم من سلطان ، فاذا دول الاسلام وشعوبه فى أيديهم فرائس دامية واشلاء ممزعة ، من المحيط الهادىء شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، ومن البحر الابيض شمالا الى المحيط الهندى جنوبا ، وكل ما تستهدفه أحقادهم وتتفياه دسائسهم ومكايدهم ، هو هذه الاصول الثلاثة التى لا قيام للامة الاسلامية الا بها وهى كما قلنا — الخلافة والكعبة والقرآن . ونقف فى هذا الحديث وقفة متأملة عند الكعبة والحج .

الكعبـــة :

من الكعوب وهو العلو والارتفاع ، والكعبة البيت المربع وجمعه كعاب .
والكعبة البيت الحرام ، سمي كعبة لارتفاعه وتربعه .

وقد ذكرت الكعبة في كتاب الله في مواضع كثيرة ذكرت باسم الكعبة في قوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » وقوله تعالى « هديا بالغ الكعبة » وذكرت باسم البيت في قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » وقوله تعالى « فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما » وقوله تعالى « ان أول بيت وضع للناس » وقوله تعـــالى « فليعبدوا رب هذا البيت » .

وذكرت باسم الحرم في قوله تعالى « أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا » وقوله تعالى « اولم نمكن لهم حرما آمنا » .

وذكرت باسم المسجد الحرام في قوله تعالى « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » وقوله تعالى « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام » وقوله تعالى « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » .

وفي خبر انشائها انها كانت رضما(١) نضدت حجارته بعضها فوق بعض من غير ملاط وكانت تسعة اذرع . وتختلف الروايات في خبر بنائها .

قيل : ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور وقيل بناها شيث ابن آدم ثم هدمها الطوفان ، وليس في هذا خبر صـــحيح يعول عليه ، وانما اقتبسوه من مجمل الآية « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل » .

فظاهر التعبير ان القواعد كانت موجـــودة ، وان كل عمل ابراهيـــم واسماعيل انما كان رفعها وليس تأسيسها ، وليس في لغة العرب ما يمنع من ان يراد برفع القواعد ابتداء بناء البيت على ضرب من التوسع في التعبير .

وفي تحديد مكان البيت وتاريخه يقول ابن خلدون .

ثم جاء نبي الله ابراهيم وكان من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف ، وقد أوحى الله الى ابراهيم أن يترك ابنه اسماعيل وأمه هاجر بالفلاة فوضعهما في مكان البيت وسار عنهما فجعل الله لهما من اللطف ما جعل من نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرهم فسكنوا اليهما ونزلوا معهما حوالي زمـــزم . ثم اتخذ اسماعيل بموضع الكعبة بيتا يأوي اليه وادار عليه سياجا من الردم وجعله زربا لغنمه وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مرارا لزيارته من الشام . وقد أمر في آخر زياراته ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب ، فبناه واستعان فيـــه بابنه اسماعيل ودعا الناس الى حجه وبقي اسماعيل ساكنا به . ولما قبضت امه هاجر قام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل أفق من جميع أهل الخليقة وقد نقل أن التتابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبعا كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا ، وقيل أيضا ان الفرس كانت تحج البيت وتقرب اليه وان من ذلك القربان غزالي الذهب اللذين وجدهما عبد المطلب حين احتفـــر زمزم .

ولم يزل لجرهم الولاية على البيت من بعد ولد اسماعيل من قبل خؤولهـــم حتى خرجت خزاعة واقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثر ولد اسماعيل وانتشروا وتشعبوا الى كنانة ثم الى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهـــم قريش

على امر البيت واخرجوهم منه ، وملكوا عليهم قصى بن كلاب ، فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخيل .

ثم اصاب البيت سيل ويقال حريق فتهدم واعادوا بناءه وجمعوا النفقة من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف ، وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا .

وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخل السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا من قواعده وتركوا منه ستة أذرع وشبرا وأداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر .

وبقى البيت على هذا البناء الى أن تحصن ابن الزبير بمكة وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية ورمى البيت سنة أربع وستين فأصابه حريق من النفط الذى رمى به على ابن الزبير . فأعاد بناءه احسن ما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة فى بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة لولا ان قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا فهدمه وكشف عن أساس ابراهيم وجمع الوجوه والاكابر حتى عاينوه ثم شرع فى البناء على أساس ابراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين بالارض وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ..

ثم جاء الحجاج لحصارها أيام عبد الملك ورمى على المسجد بالمنجنيقات الى أن تصدعت حيطانه . ولما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده فى البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم .

هذا ما ذكر ابن خلدون وزيادة فى التفصيل يمكن تقسيم بناء الكعبة الى خمسة أطوار ..

الطور الأول :

بناء ابراهيم مع ولده اسماعيل عليهما السلام وهو ما تشير اليه الآيات الشريفة من كتاب الله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

الطور الثاني :

بناء قريش اياها قبل بدء الاسلام بخمس سنين وقد اتفقوا على الا يدخلوا فى بنائها من كسبهم الا طيبا يتجنبون فى ذلك مهر البغى وبيع الربا ومظلمة احد من الناس . ثم أن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة — انا أبدؤكم فى هدمها . فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا ترع اللهم انا لا نريد الا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شىء فقد رضى الله عن صنعنا فهدمنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى أساس أبيهم ابراهيم نظروا فاذا قواعد البيت كأسنمة الابل — كما يروى البخارى وكانت القبائل من قريش تجمع الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة حتى اذا انتهوا الى موضع الحجر تنازعوا ايهم يضعه وتداعوا للقتال . وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدى على الموت ، ثم اجتمعوا وتشاوروا ، فاتفقوا على ان يحكموا أول داخل من باب المسجد فدخل محمد بن

عبد الله فقالوا جميعا هذا الأمين وبذلك كانوا يسمونه فتراضوا به وحكموه . فقال صلى الله عليه وسلم هلموا الى ثوبا فأتي به فأخذ الحجر الاسود فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه محمد بيده ثم بنى عليه وبهذا التصرف الحكيم انتهت الفتنة التي اوشكت أن تشب نارها بين القبائل العربية الحريصة على الظفر بنصيب من شرف اقامة البيت العتيق .

والطور الثالث :

بناء عبد الله بن الزبير اياها حين احترقت فى عهده . وفى هذا يروى مسلم فى صحيحه انه لما احترق البيت فى زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل الشام تركه ابن الزبير محترقا حتى قدم الناس الموسم يريد بذلك أن يجرئهم ويحزبهم على أهل الشام فلما صدر الحجيج قال ابن الزبير لمن حوله — يا أيها الناس أشيروا على فى الكعبة انقضها ثم أبنى بناءها او اصلح ما وهى منها ؟ فقال ابن عباس أرى أن تصلح ما وهى منها وندع بيتا أسلم الناس عليه وإحجارا أسلم الناس عليها وبعث عليها النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير لو كان احدكم احترق بيته ما رضى حتى يجدد فكيف ببيت ربكم ؟ انى مستخير ربى ثلاثا ثم عازم على أمرى فلما مضت الثلاث اجمع رايه على أن ينقضها فتحاماه الناس أن ينزل بأول من يصعد أمر من السماء حتى صعده رجل فألقى منه حجاره فلما لم يره أناس اصابه شىء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الارض فجعل ابن الزبير اعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه .

وقال ابن الزبير — انى سمعت عائشة تقول قال النبى صلى الله عليه وسلم لولا الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوينى على بنائه لكنت ادخلت فيه من الحجر خمسة أذرع وجعلت لها يعنى الكعبة بابا يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه قال ابن الزبير فأنا اليوم أجد ما أنفق ولست اخاف الناس فزاد عليه خمس أذرع من الحجر حتى أبدى اساسا نظر الناس اليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقصره فزاد فى طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه وكان بناؤها هذا سنة خمس وستين هجرية .

الطور الرابع :

بناء عبد الملك بن مروان اياها حين قام بالامر وكان قد ارسل الحجاج لحصار مكة فرمى على المسجد بالمنجنيقات الى أن تصدعت جدران الكعبة .

ولما ظفر بابن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده فى البيت فأمره بهدمه ورد البناء على قواعد قريش كما هى اليوم فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبرا مكان الحجر وبناها على أساس قريش وسد الباب الغربى وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقى وترك سائرها لم يغير منه شيئا فكل البناء الذى فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج فى الحائط صلة ظاهرة للعيان ولحمة ظاهرة بين البناءين اشكال قوى والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لحم .

وهنا اشكال قوى يقوله الفقهاء فى أمر الطواف فهم يحذرون الطائف أن يجعل على الشاذروان الدائر على اساس الجدر من اسفلها حتى لا يقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدر انما قامت على بعض الاساس مع ترك بعضه وهو

مكان الشاذروان وكذلك قالوا في تقدير الحجر الاسود انه لا بد أن يرجع الطائف من التقبيل حتى يستوى قائما والا وقع بعض طوافه داخل البيت .

واذا كانت الجدران كلها من بناء ابن الزبير — وهو انما بنى على اساس ابراهيم فكيف يقع هذا الذى قالوه ؟

ولا نخلص من هذا الاشكال الا بأحد امرين .

أحدهما ان يكون الحجاج هدم جميع البيت وأعاده على ما يروى ذلك جماعة الا ان العيان فى شواهد البناء بالتحام ما بين البناءين وتميز أحد الشقين من اعلاه عن الآخر فى الصناعة يرد ذلك .

وثانيهما أن يكون ابن الزبير لم يرد البيت على أساس ابراهيم من جميع جهاته وانما فعل ذلك فى الحجر فقط ليدخله فهى الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم وهذا بعيد ومع ذلك لا محيص من أحد هذين الاشكالين .

ولما انتهى الامر الى الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور فى ذلك فقال مالك بن انس انشدك الله أمير المؤمنين الا تركت هذا البيت حتى لا تجعله ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس قال فانصرف يومئذ أبو جعفر عن عزمه من هدمه واقامته على ما كان عليه فى عهد ابن الزبير .

وكأن مالكا قد استشعر أن عبد الملك هدم ما بنى ابن الزبير عن هوى سياسى وليس عن حافز دينى وأن أبا جعفر المنصور يريد هدم الكعبة أيضا عن هوى سياسى وليس عن حافز دينى ولهذا ناشده الله لا يفعل . ثم أن مساحة البيت أعنى المسجد كانت فضاء للطائفين ولم يكن عليه جدار أيام النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر من بعده ثم كثر الناس فاشترى عمر رضى الله عنه دورا هدمها وزادها فى المسجد وأدار عليها جدارا (سورا) دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعمد الرخام ثم زاد فيه المنصور والمهدى من بعده . ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك .

الطور الخامس :

تجديد عمارة الكعبة على يد السلطان مراد خان من سلاطين آل عثمان فى سنة ١٠٤٠ هـ ولهذا التجديد قصة خلاصتها أن مطرا عظيما معه برد استمر مدة طويلة حتى نشأ عنه سيل عظيم دخل المسجد الحرام وملأ معظم أرجائه ، واقتحم الكعبة المشرفة من بابها حتى وصل الى نصف جدارها فسقط الجدار الشامى منها وبعض الجدار الشرقى والغربى وسقطت درجة السطح فضج الناس وملأ الذعر قلوبهم فسارع السلطان الى عمارة الكعبة وهى العمارة الاخيرة التى لم يطرأ عليها تغيير الا بما هو اشبه بالصيانة منه بالتعمير .

والذين اكرمهم الله فيسر لهم سبيل أداء فريضة الحج قد رأوا بلا شك صورة اصلاح وتعمير فى الحرم لم يكن من السهل تحقيقها لولا ما وفق الله تعالى له وهدى اليه الاسرة السعودية الكريمة التى هى سادنة للبيت وراعية له ومحافظة عليه ، ولا يسع مخلصا الا أن يتمنى أن يتقبل الله تعالى هذا العمل الطيب وأن يجزى الذين قاموا به خير الجزاء ..

وتشريف الله هذا البيت وعنايته به أكثر من أن يحاط به وكفى من ذلك أن جعله مهبطا للوحى والملائكة ومكانا للعبادة وفرض شعائر الحج ومناسكه وأوجب لحرمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم ما لم يوجبه لغيره فمنع كل من خالف دين الاسلام من دخول ذلك الحرم وأوجب على داخله أن يتجرد من المخيط الا

ازارا يستره وحمى اللائذ به والواقع فى مســـارحه من مواقع الآفات فلا يرام فيه خائف ولا يصاب له وحش ولا يحتطب له شجر .
وحد الحرام الذى يختص بهذه الحرمة من طريق المدينة ثلاثة أميال الـــى التنعيم ومن طريق العراق سبعة أميال الى الثنية من جبل المنقطع ومن طريـــق الطائف سبعة أميال الى بطن نمره ومن طريق جده سبعة أميال الى منقطـــع البوقائ .
هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها ويقال لهـــا ايضا بكة اما لأن الناس يبك بعضهم بعضا اليها يعنى يدفع بعضهم بعضا اليها واما لأن الباء والميم يتبادلان لقرب مخرجيهما كما قالوا من طين لازب أو من طين لازم وقال بعض اهل اللغة بكة بالباء البيت وبالميم البلد والزهرى يقول بالباء المسجد كله وبالميم الحرم ..
وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة فى الجب الذى كان فيها سبعين الف أوقية من الذهب مما كانت الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار بمائتى قنطار وزنا فقال على يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك؟ فلم يفعل صلى الله عليه وسلم وابقى الامر على ما كان ثم ذكر لأبى بكر فلم يحركه شىء اليـــه .
وقد روى البخارى بسنده الى ابى وائل قال :
جلست الى شيبة بن عثمان فقال — جلس الى هنا عمر بن الخطاب فقـــال هممت الا ادع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين ، فقلت له ما انت بفاعل فقال ولم ؟ قلت — لم يفعله صاحباك قبلك فقال هما المرءان يقتدى بهما ، وقد اقام ذلك المال فى جب الكعبة الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن الحسين بن على بن على زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة فعمد الى الكعبة فأخذ ما فى خزائنها وقال ما تصـــنع الكعبة بهذا المـــال موضوعا فيها لا ينتفع به احد نحن أحق به نستعين به على حربنا فأخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ وفى شأن البيت يقول ابن اسحاق ان قصى بن كلاب هو أول بنى كعب ابن لؤى أصاب ملكا اطاع له به قومه فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفاده والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطعها رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى اصبحوا عليها وقد هابت قريش قطع شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بيده واعوانه فسمته قريش مجمعا لما جمع من امرها وتيمنت بأمره فما يتزوج رجل ولا امراة من قريش ولا يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء بحرب قوم من غيرهم الا فى داره يعقده لهم بعض ولده وما تدرع جاريه اذا بلغت أن تدرع من قريش الا فى داره فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى البيت وفيها كانت قريش تقضى امورها وفى قصى هذا يقول الشاعر :

قصى لعمرى كان يدعى مجمعـــا	به جمع اللـــه القبائل من فهر
هم ملأوا البطحاء مجدا وسؤددا	وهم طردوا عنا غواة بنى بكر

هذا ويقول الواقدى رحمه الله أن قريشا حين ارادوا البنيان كانوا يحذرون قطع الشجر من الحرم مخافة أن تنزل بهم عقوبة الله فى ذلك فكان أحدهم يطوف بالبنيان حول الشجر حتى تكون فى منزلة واول من ترخص فى قطع شـــجر الحرم عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقيقعان لكنه جعل دية كل شجرة بقرة وكذلك روى عن عمر رضى الله عنه انه قطع دوحة كانت فى دار أسد بن عبـــد

العزى وكانت اطرافها تنال ثياب الطائفين بالكعبة وذلك قبل أن يوسع المسجد فقطع الشجرة عمر ووداها بقرة .

وائمة المذاهب يختلفون فى ذلك فمذهب مالك انه لا دية فى شجر الحرم وأما الشافعى فجعل فى الدوحة بقرة وفى مادونها شاة وفصل ابو حنيفة فقال ان كانت الشجرة التى فى الحرم مما يغرسها الناس ويستنبتونها فلا فدية على من قطع شيئا منها وان كان من غيرها ففيه القيمة بالغة ما بلغت . وذكر أبو عبيد أن قصيا اتخذ دار الندوة يجلس القوم فيها للتشاور . والندوة مأخوذة من لفظ الندى والنادى والمندى يجتمع القوم الذين يندون حوله اى يذهبون قريبا منه يرجعون اليه وهذه الدار صارت بعد بنى عبد الدار الى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى ابن أخى خديجة أم المؤمنين فباعها فى الاسلام بمائة الف درهم وذلك فى زمن معاوية فلامه معاوية فى ذلك وقال أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم بمائة ألف يا حكيم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة الف درهم واشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله فأينا المغبون ؟

وقد اشترى امير المؤمنين عمر رضى الله عنه دار صفوان بن أمية وجعلها سجنا بمكة وهو أول سجن اتخذ فى الاسلام ومن جمال النظر أن ينكر طاووس هذا التصرف من عمر ذاهبا الى أن دار العذاب لا ينبغى أن تكون فى بيت رحمة .

وليس شىء من بلاد الله يشبه مكة فلا يسع مسلما أن يذهب الى ما ذهب اليه طاووس فيمنع اتخاذ السجن فى اى بلد آخر صيانة للامن وتوفيرا للطمأنينة وكذلك لا يسع مسلما أن يمنع رباع اى بلد من البيع وبيوتها من الكراء كما هى الحال فى مكة بقضاء رسول الله فى قوله الشريف ـ مكة مناخ لاتباع رباعها ولا تؤاجر بيوتها » .

وقد كره صلوات الله عليه أن يستأثر لنفسه ببيت أو بناء يظله من الشمس فى منى حين اقترحت عليه عائشة ذلك فقال صلى الله عليه وسلم « لا يا عائشة انما هو مناخ من سبق » تلك احدى خصائص الحرم .

وخصيصة ثانية له هى أن المسلم يؤاخذ فيه بارادة المعصية ولو لم يأتها فلو أن مكلفا أراد وهو بعد أبين أن يقتل رجلا بالحرم لعذبه الله تعالى على هذه الارادة وان لم ينفذ ما انتواه بدليل قول الله تعالى « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » فقد علق الله فى الآية اذاقة العذاب على ارادة الالحاد بالظلم .

وليس المراد بالالحاد ما يتبدر الذهن من الميل عن الايمان الى الكفر فان الاسلاف كانوا يرون الالحاد فى الحرم أن يقول الرجل لا والله بلى والله كما يقرر ذلك عبد الله بن عمر رحمه الله ولذلك كان يتخذ فسطاطين احدهما فى الحل والآخر فى الحرم فاذا أراد الصلاة دخل فسطاط الحرم واذا أراد بعض شأنه قصد فسطاط الحل لأن الله عظم الذنب فيه وكذلك كان لعبد الله ابن عمرو فسطاطان فى الحل والحرم فاذا اراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الحل واذا أراد أن يصلى صلى فى فسطاط الحرم فقيل له فى ذلك فقال ان كنا لنتحدث أن من الالحاد فى الحرم أن نقول كلا والله وبلى والله .

والمعاصى تتضاعف فى مكة كما تتضاعف الحسنات فتكون المعصية معصيتين احداهما بالمخالفة لأمر الله والثانية باسقاط حرمة البلد الحرام .

ذلك ما يتصل بتاريخ الكعبة وما احاط بها من محن واحداث ، ولا يخفى

ان الكعبة هى قلب الحج ، فحين ذكر الله الحج فى كتابه كانت هى مدار النص الكريم فذلك حيث قال سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » يعنى جل ثناؤه أن من ترك الحج مع الاستطاعة فان الله غنى عنه لأن الله غنى عن العالمين . ومما لا يجوز التجاوز عنه دون تنبيه اليه أن القرآن استعمل كلمة « ومن كفر » بدلا من كلمة « ومن ترك الحج » ايذانا بشدة حرص الاسلام على أداء هذه الشعيرة .

ولا يخفى أيضا أن دعوة الاسلام المسلمين الى أداء فريضة الحج دعوة مشددة مؤكدة لا تقف بهم عند قضاء حق الدين عليهم ، ولكنهم تضم الى ذلك منافع من صميم الحياة لا تستغنى عنها أمة تحمل رسالة الحق والخير . والى هذا المعنى يشير قول الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » يعنى جل ثناؤه أنه جعل الكعبة نظاما وانتعاشا لهم فى أمر دينهم ودنياهم ، ونهوضا الى أغراضهم ومقاصدهم فى معاشهم ومعادهم والى هذا أيضا تشير الآية الكريمة « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم » .

وربما ذهب أهل العلم الى أن المراد من المنافع فى الآية انما هو التجارة وليس من الميسور التسليم بهذا فان المنافع أوسع دائرة وأرحب أفقا ، فلا تقتصر على التجارة وحدها فانما هى منفعة من المنافع ولعل أبرز المنافع وأشملها للخير ، التجمع والتعارف مضيا مع قول الله تعالى « انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، ويؤيد هذا المعنى ويقويه شدة حرص الشارع على شهود المسلم للجمعة والجماعات فى الصلاة ، حتى لقد قال عليه الصلاة والسلام فى شأن قوم تخلفوا عن صلاة الجماعة « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم آتى قوما تخلفوا عن صلاة الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم » فليس وراء هذا دليل على فضل الجماعة وعلى شدة حرص الشارع عليها .

واجتماع المسلمين فى المسجد لاداء الصلاة انما هو اجتماع نفر قليل فى قرية أو بلد بيد أن اجتماع الحجيج فى الحج انما يكون من أبعد البلاد وأعمق الفجاج فالفائدة به أعم والثمرة أنفع والحرص عليه أشد ، وخليق بمن يتأمل حكمة الحج فى هذا الضوء ألا يقصرها على منافع التجارة والرزق ، وانما يمضى بها قدما الى ما أراده الله تعالى للمسلمين من التجمع والتعارف والتفاهم والتشاور الذى هو خير وبركة لكافة المسلمين .

والذين يتبعون فى عصرنا هذا ما صار عرفا متبعا بين الشعوب من المعاهدات الثقافية التى يتعارفون فيها ويتواصلون ، والمعاهدات الاقتصادية التى يتبادلون فيها المنافع والكسوب يرون الاسلام قد سبقهم الى ذلك بأربعة عشر قرنا من الزمان .

فالحج بهذا النظر ركن عظيم تستند اليه الجامعة الاسلامية التى تصون مصالح أمة القرآن .

الحج

الاسلام دين توحيد خالص ، دين لا يؤمن بالوساطة بين العبد وربه ، ولا بمشهود محسوس يركز عليه الانسان تفكيره ، ويصرف اليه همته ، ليتخيل به الاله الذى لا تدركه الابصار ، ويرتبط به فى خياله ويتمسـك بأذياله ، فلا وسائط ولا مظاهر ، ولا صور ولا أصنام ، ولا هياكل ولا طبقة كهان ولا سدنة ، « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشـدون » « فاعبـد الله مخلصا له الدين . ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أوليـاء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » .

اذا فالاسلام دين يطلب تجردا فى الخيال ، وسموا فى الفكر ، ونقاء فى الارادة والنية ، واخلاصا فى العمل والتطبيق وانقطاعا عن الغير ، لا يتصور فوقه أكثر منه ، ومستوى فى الفكر والعقيدة ، لم تبلغ الانسانية ولا الاديان والفلسفات ، والنظم الدينية أو العقلية الى مثله أو قريب منه ، وقد وصف الله نفسه بما لا مزيد عليه فى الدقة والسمو ، فقال : « ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » .

ولكن الفطرة البشرية ، هى الفطرة البشرية ، فالانسان ما زال — ولا يزال — باحثا عن شىء يراه بعينه ، فيوجه اليه أشواقه ، ويقضى به حنينه ويشبع به رغبته الملحة ، فى التعظيم والدنو .

وقد اختار الله أمورا ظاهرة محسوسة ، اختصت به ونسبت اليـه وتجلت عليها رحمته ، وحفتها عنايته بحيث اذا رؤيت ذكر الله ، وارتبط بها وقائع وحوادث ، وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه ، ودينه وتوحيده ، وحسن بلاء أنبيائه ، وسماها (شعائر الله) التى جعل تعظيمها تعظيمه ، والتفريط فى جنبها تفريطا فى جنبه ، وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهـم الكامن فى نفوسهم ، ورغبتهم الفطرية فى الدنو والمشاهدة ، بل حث على

الاسلام دين توحيد وتجريد لا وساطة فيه ولا تمثيل

لكاتب كبير

ذلك ، ودعا اليه فقال : « ذلك ، ومن يعظم شعائر الله ، فانها من تقــوى القلوب » ، وقال : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

ثم ان الانسان ، ليس عقلا مجردا ، ولا كائنا جامدا يخضع لقانون ، أو ارادة قاسرة ، ولا جهازا حديديا يتحرك ويسير تحت قانون معلوم ، أو على خط مرسوم ، أن الانسان عقل وقلب ، وايمان وعاطفة وطاعة وخضوع وهيام وولع ، وحب وحنان ، وفى سر عظمته وشرفه وكرامته ، وفى ذلك سر قوته وعبقريته وابداعه ، وسر تفانيه وتضحيته ، وبذلك استطاع أن يتغلب على كل معضلة ومشكلة ، وأن يصنع العجائب والخوارق ، واستحق أن يحمل أمانة الله التى اعتذرت عنها السموات والارض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، ووصل الى ما لم يصل اليه ملك مقرب ، ولا حيوان ولا نبات ولا جماد .

ان صلة هذا الانسان بربه ، ليست صلة قانونية ، عقلية فحسب ، يقوم بواجباته ويدفع ضرائبه ، ويخضع أمامه ، ويطيع أوامره وأحكامه ، انما هى صلة حب وعاطفة كذلك ، صلة لا بد أن يرافقها ويقتــرن بهــا ، ويتحكم فيها حنان وشوق ، وهيام ولوعة ، وتفان وتهالك ، والدين لا يمنع من ذلك ، بل يدعو اليه ، ويغذيه ويقويه ، فتارة يقول القرآن : « والذين آمنوا أشد حبا لله » وتارة يقول : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشــون كســادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » ويذكر أنبياءه ورسله وينوه بحبهم وحنانهم ، ويحدث عن أشواقهم وتفانيهم فى هذا الحب ، فيقول عن يحيى (عليه السلام) : « وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا » ويحكى قصة خليله ابراهيم كيف آثر حب الله وطاعته على حب

ولده ، وفلذة كبده ، وكيف وضع السكين على حلقومه ، وحاول ذبحه حتى شهد ربه بصدقه وحسن بلائه ، وقال : « يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين » ولذلك قال فى وصف ابراهيم : « ان ابراهيم لحليم أواه منيب » .

وذلك سر اطالة القرآن فى ذكر صفات الله وأفعاله ، وآلائه ونعمائه واشادته بها ، والعودة اليها مرة بعد مرة ، فان الصفات ، هى التى تثير الحب وتبعث الحنان ، وتوجد الاشواق ، وذلك سر تفصيل القرآن الذى يعبر عنه بعض علماء الكلام وأئمة الاسلام ، « بالنفى المجمل والاثبات المفصل فان الاثبات هو الذى ينبع منه الحب ، ويفيض منه الحنان ، وتنبعث به الأشواق ، وتتغذى به العاطفة ، فاذا كان النفى رائد العقل ، كان الاثبات رائد القلب ، ولولا هذه الصفات العليا وأسماء الله الحسنى ، التى نطق بها القرآن ، ووردت بها السنة ، وهام بها الهائمون ، وتغنى بها العارفون ، وسبح بها المسبحون ، وسبح فى بحارها ، ونزل فى أعماقها الغواصون ، لكان هذا الدين جامدا ، لا يملك على أتباعه قلبا ، ولا يثير فيهم عاطفة ، ولا يبعث فيهم حماسة ، ولا يحدث فى القلب رقة ، ولا فى الصلاة خشوعا ، ولا فى العين دموعا ، ولا فى الدعاء ابتهالا ، ولا فى الجهاد تفانيا ، وكانت علاقة العبد بربه علاقة محدودة ميتة لا حياة فيها ولا روح ، ولا مرونة ولا سعة ، وكانت الحياة كلها حياة رتيبة ، لا عاطفة فيها ولا أشواق ، ولا حنان فيها ولا هيام ، واذا ، أى فرق بين الحياة والموت ، وبين الانسان والجماد ؟!

لقد كان المسلم فى حاجة الى غذاء للقلب ، والى زاد للعاطفة ، والى أن يقضى شوقه ، ويروى غلته ، مرة بعد مرة ، وعلى فترة بعد فترة ، وكان فى حاجة الى أن تطفح كأسه ، فما قيمة كأس تمتلىء ولا تطفح ؟. وكان فى حاجة الى أن تفيض هذا الكأس ، فما قيمة كأس تطفح ولا تفيض ؟.

لقد كان للمسلم أن يقضى هذا الشوق ، وأن يبرز هذا الحنان ، وأن تفيض كأسه فى الصلوات التى يصليها كل يوم ، فيسلى بها قلبه ويطفىء بها غلته ، ويهدىء بها ثائرته ، ويخفف بها حرارة شوقه ، ووهج نفسه ، ولكنها قطرات محدودة تتكون خشوعا ، أو تسقط دموعا ، انها قطرات قد لا تفى بما يجيش فى الصدر من حنان وولوع ، وهى قطرات قليلة فى بعض الأحيان لا تسمن ولا تغنى من جوع .

لقد كان المسلم فى حاجة — بعد هذه الصلوات ، التى يصليها كل يوم ، وبعد شهر رمضان ، الذى يصومه كل عام ، وبعد الزكاة ، التى يقوم بها اذا تم النصاب وحال الحول ، الى أن يشهد موسما هو ربيع الحب والحنان ، وملتقى المحبين والمخلصين ، ومشهد العشاق والهائمين .

وكان المسلم فى حاجة الى أن يثور على عقله ، الرزين الوقور ، المقلد المطبق ، وما لذة حياة لا ثورة فيها ولا تمرد ؟ وكان فى حاجة الى أن يتخطى الدائرة المرسومة من عادات ومألوفات ، وقوانين وضعية ، وحضارة مصطنعة ومجتمع قاس ، ويفك قيوده وأغلاله ، وينتزع الزمام من يد عقله ، الذى استبد به زمانا طويلا ، ويعطيه لقلبه وعاطفته ، فيتحكمان فيه ما شاءا ، ويهيم على وجهه كما هام الهائمون ، ويذهب فى الحب كل مذهب كما فعل العشاق المتيمون ، فلا حرية لمن ملكه المجتمع ، وسيطرت عليه الحضارة ، وتسلطت عليه آلهة التقاليد ، ولا توحيد لمن أسرته العادات ،

والمألوفات والشهوات ، ولا يعتبر مطيعا منقادا مسلما مستسلما ، من اعتمد دائما على عقله ، لا ينشط لعمل ، ولا يسرع لامتثال أمر ، حتى يزنه فى ميزان عقله المخلوق ، ويعرف فوائده المادية المحسوسة . والحج بوضعه الدقيق الغامض ، المنافى للمألوف المعروف ، لعباد العقل والمادة ، وأسارى النظم والترتيبات ، ودعوة الى الايمان بالغيب ، واتباع الأمر المجرد ، وعزل العقل عن وظيفته لمدة محدودة ، وفى مكان محدود ، وصرفه عن طلب الدليل والحكمة ، والمنطق والفلسفة فى كل حين وأوان ، وفى كل زمان ومكان .

والحج بمناسكه وأركانه وأعماله ، كله تمرين وتمثيل للاطاعة المطلقة ، وامتثال للأمر ، وتلبية واجابة للطلب ، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى ، وعرفات والمزدلفة ، ثم منى ومكة : يقيم ويرحل ، ويمكث وينتقل ، ويخيم ويقلع ، انما هو طوع اشارة ورهين أمر ، ليست له ارادة ولا حكم ، وليس له اختيار ولا حرية ، ينزل بمنى ، فلا يلبث أن يؤمر بالانتقال الى عرفات ، من غير أن يقف بالمزدلفة ، ويقف بعرفات ، ويظل سحابة النهار مشتغلا بالدعاء والعبادة وتحدثه نفسه بالمكث بعد الغروب ، ليستجم ويستريح ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى المزدلفة ، ويقضى حياته محافظا على الصلوات فى وقتها ، ويؤمر بترك صلاة المغرب فى عرفة لأنه عبد لربه ، ليس عبدا لصلاته وعاداته ، فلا يصليها الا بالمزدلفة جمعا مع العشاء ، وتطيب له الاقامة فى المزدلفة ، فيريد أن يطيلها ، فلا يسمح له بذلك ، ويؤمر بالانتقال الى منى .

وهكذا كانت حياة ابراهيم وحياة الأنبياء ، وحياة العشاق المؤمنين والمحبين والمتيمين ، نزول وارتحال ومكث وانتقال ، وعقد وحل ، ونقض وابرام ، ووصل وهجر ، ولا خضوع لعادة ، ولا اجابة لشهوة ولا اندفاع للهوى .

وكان ينبغى أن يكون ذلك فى مكان ، قد قام فيه أكبر المحبين وامام المخلصين ، وأشد الناس حبا لله ، وأحبهم الى الله فى عصره ، وأسرته الصغيرة ، الطيبة المباركة ، بأكبر دور فى الحب والولاء ، والاخلاص والوفاء ، والايثار والفداء ، وقاموا بأروع رواية وأجملها ، فى تاريخ الحب السامى والولاء الطاهر ، والاخلاص المعجز ، وجاء من بعدهم الانبياء والمرسلون ، والموحدون المخلصون ، والمحبون فى كل عصر ، فنسكوا مناسكهم وشهدوا مشاهدهم ، واحتذوا حذوهم ، وترسموا خطاهم ، وحكوا هذه الرواية وأعادوها ، فطافوا حول البيت ، وسعوا بين الصفا والمروة ، ووقفوا بعرفات ، وباتوا فى المزدلفة ورموا الجمرات ونسكوا فى منى .

وكان فى المكان والزمان ، وفصول الرواية التى يعيدونها ، والأعمال التى يقلدونها ، ونسائم الحب التى ينشقونها ، والجو الفائض بالايمان والحنان الذى يعيشون فيه ، وطبقات الأمة ، التى يتصلون بها ويعاشرونها وفى هذا الالتقاء الدينى الروحى ، الذى لا نظير له على وجه الارض ، وفى هذا الضجيج من الدعاء ، والذكر والتلبية والاستغفار ، ما يعيد الحياة الى القلوب الميتة ، ويحرك الهمم الفاترة ، وينبه النفوس الخامدة ، ويشعل شرارة الحب والطموح التى انطفأت ، أو كادت تنطفىء ، ويجلب رحمة الله .

الحج

إن ايقاظ الجماعة من رقدتها وسباتها ، وهز أركان البنى الاجتماعية الواهية أو تغييرها ، ودحر فساد الحكم وعجزه عن طريق « الثورات » العالمية قد يرافقه أحيانا هدم وتخريب ، ومن أجل إنجاح الثورة يفرض رجـــالها سلطانهم ، ويعملون على تحقيق أهـــدافهم بالعنف والبطش والجاسوسية الرهيبة ، مما يؤدى الى تمزيق أوصال المجتمع ، وخلق نوع من الكراهية الجـــديدة والحقد الدفين بين فئات الناس .

أما طريق الاســـلام اذا وجد حماته الى تحقيق أهـــداف الثورة الاصلاحية الدائمة ، فهو فى تمثل معانيه الصـــافية ، ووعى مقاصده الاصيلة ، والتزام تطبيق تعاليمه وواجباته الرشيدة .

وفهم مقاصد الحج على نحو سليم يوحى لنا بكثير من العبـــر الخلاقة والقيم المبدعة فى تجديد بنية الجماعة وتخريج الاجيال المتطلعة الى مستقبل مشرق ونمط فى الحياة أصلح وأفضل .
ومن أهم قوى الدفع نحو حياة جديدة للجماعة هو التخلص مـــن أوزار الماضى ، ونبذ كل عوامل التخلف والتجزئـــة أو التمزق والانقسام ، وطريق ذلك فى الاسلام هو الحج .

فالحج ذلك المؤتمر الاسلامى الاكبر الذى يتجدد فى كل عام فـــى أقدس بقاع الله فى الارض طريق واضحة للوحدة والجامعة الاسلامية اذا شاء الحكام وساعدوا عليه واستغلوا امكانياته وطاقاتـــه الخيرة الكبرى ، اذ هو العبادة الجماعية الحسية المتميزة فى الاسلام بهـــذا

طريق الوحدة

للدكتور وهبة الزحيلي

الوصف ، فمناسكه وشعائره كلها مفروضة الاداء بصـــفة جماعية فى حد ذاتهـــا ، أو لان وقتها محـــدود فى أيام معلومـــة معينـــة ، وهى قائمـــة أساسا على التجمع والتكتل والتعارف والتآلف ، وكل جماعة تؤم البيت الحرام وتفيد من منجزات الحج تكون خير رسل لاقوامها تبلغهم ما يجب عليهم ، وتبعثهم على انجاز ما يلزم ، ومع الـــزمن يتصل حبل الجماعة وتتضافر جهودها فى بناء الوحدة والاجيال القادمـــة بتكرار مناسبات الحج كل عام ، لذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله الحرام ، فلم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » .

وواضح أننا لا نجد لغير الحج من فرائض وعبادات الاسلام الاخرى هذه الصـــفة الجماعية الذاتية ، لان تلك العبادات يمكن القيام بها بصفة منفردة ، وهى اما ذات نفع شخصى محض ، أو ذات هـــدف اجتماعى محصور فى نطاق معين . فأداء الصلاة جماعة ودفع الزكاة مثلا يقتصر أثرها على بقعـــة ضيقة بدليل جعل الجماعة فى الصلاة فرضا كفائيا فى كل بلدة ، وأن الزكاة لا يجوز نقلها الى بلد آخر ، وهذا لا عيب فيه ، بل هو

فضيلة لما فيه من تمتين بناء الجبهة الداخلية ، وتكافل كل جماعة قليلة فيما بينها ، باعتبار أنها أعرف بمناطق عيشها ، وأهل موطنها ، مما يدعو الى اتحاد الجماعات الصغرى ، واجتماع كلمتها ، ووقوفها صفا واحدا إزاء مصالحها المشتركة ، وتوثيق عرى التآلف وتبادل المحبة والاخاء بين أفرادها ، كما يحصل ذلك أيضا فى أداء صلاة الجمعة والعيدين .

وقد أبان العلامة الدهلوى فى « حجة الله البالغة » حقيقة الحج وأثره التجديدى فى المجتمع فقال : « اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين فى زمان يذكر حال المنعم عليهم من الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، ومكان فيه آيات بينات قد قصده جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين وراجين من الله الخير وتكفير الخطايا ، فان الهمم اذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ما رؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ... » الحديث ثم قال : « وكما أن الدولة تحتاج الى عرضة — أى اختيار — بعد كل مدة ليتميز الناصح من الغاش ، والمنقاد من المتمرد ، وليرتفع الصيت وتعلو الكلمة ، ويتعارف أهلها فيما بينهم ، كذلك الملة تحتاج الى حج ليتميز الموفق من المنافق ، وليظهر دخول الناس فى دين الله أفواجا ، وليرى بعضهم بعضا ، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده ، إذ الرغائب انما تكتسب بالمصاحبة والترائى .. »

والمكاسب الجماعية التى تتحقق بالحج متعددة متنوعة منها سياسى ومنها اقتصادى ، فبالتجمع المنظم وبتمثل وادراك غايات الحج يلتقى المسلمون على منهج واحد ، وخطة عمل موحدة ، ويقيمون دولة واحدة . وبالتعارف والتآلف تتعرف الشعوب حاجات بعضها وموارد وانتاج بلدانها ، بالاضافة الى ما تقوم به السفارات والقنصليات الحديثة والوفود الاقتصادية من دور وخدمة رسمية فى هذا الشأن . وبالاجتماع فى صعيد الحج يستنصر الضعيف بالقوى ، ويستعين صاحب الخطر الداهم بالبعيد عنه لدفع الاخطار وصد العدوان والضغط على الحكام المحليين اذا تراخوا أو قصروا فى القيام بواجبهم العام نحو اخوانهم المهدد وجودهم أو مصالحهم . وبذلك تتضح صور المواقف جلية وتنجلى الرؤى التى قد تشوهها أو تزيفها أو تسكت عنها وسائل الاعلام الحديثة .

وبهذا يتوصل المسلمون الى الظفر بمقاصد الحج الحقيقية ، اذ أن العبادة فى الاسلام ليست مقصودة لذاتها ، وانما لما يترتب عليها من ثمار ومنافع اجتماعية باعتبارها وسيلة اصلاحية تربوية ناجعة لمن يدرك معناها ويحظى بمغزاها الاصيل . ومن هنا لا نريد أن يتقوقع الاسلام فى زاوية ومفهوم العبادة المحضة ، وترك جوانبها النافعة بين أبناء المجتمع ، فالهدف الاول بجعل الاسلام رهين المسجد أو المنزل أو القلب هو غرض العدو ، والهدف الثانى بمد أثر العبادة الى المجتمع هو لب الاسلام وسمته وقصده الصحيح . ومن المؤسف أن الاعداء

استطاعوا غزو المجتمع الاسلامى وروجوا لهدفهم الاول ، وشلوا أو عطلوا فاعلية الحج وغيره فى اصلاح الاخلاق والمعاملات وتأييد التجمع الاسلامى .

وتتجلى أهداف الحج الجماعية من وجوه مختلفة فى التشريع الاسلامى ، وأخصها بناء الوحدة الاسلامية :

ففى أصل ايجاب الحج خاطب الحق تبارك وتعالى المكلفين بعبارة « الناس » التى هى أعم من عبارة « يأيها الذين آمنوا » التى يغلب استعمالها فى المطالبة بأداء العبادات ، فقال سبحانه « ولله على الناس حج البيت » « وأذن فى الناس بالحج » وكان نداء ابراهيم عليه السلام تنفيذا لهذا الامر الالهى « يأيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا ، فحجوه ، فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الارض ، وأسمع من فى الارحام والاصلاب ، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج الى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك » مما يدل على معانى الشمول والاحاطة فى أصل مفهوم الحج . وما أجمل تعبير النبى صلى الله عليه وسلم بوصف الحجاج أنهم وفد الله حيث قال : « الحجاج والعمَّار وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم » والوفد فى اللغة : الجماعة المختارة لشأن هام ، وليس هناك أهم شأنا من العمل على توحيد الصف الاسلامى . وفى سبيل ذلك وردت أحاديث نبوية كثيرة ترغب فى الحج وتبين فضله ، وأنه يلى مرتبة الايمان بالله ، والجهاد فى سبيل الله : « من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » « أى الاعمال أفضل ؟ قال : ايمان بالله وحده ، ثم الجهاد ، ثم حجة برة تفضل سائر الاعمال كما بين مطلع الشمس الى مغربها » .

وقد ذكرت أحكام الحج فى سورة البقرة بعد أحكام القتال فى سبيل الله باعتبار أن الجهاد طريق تكوين الجماعة وبناء كيانها وحفظ وجودها . وأما الحج فهو سبيل توحيد الامة ولمّ أشتاتها وجمع كلمتها واتجاهها نحو غاية واحدة . وبعدئذ أعقب الله تعالى ذكر النفاق وعلامات المنافقين تحذيرا من خطر التجزؤ والتفرقة والدسائس ، إذ ليس هناك كالنفاق أعظم تهديما منه لصرح بنيان الجماعة وتقويض شوكتها ، وبعثرة جهودها وعرقلة سيرها نحو سمو الهدف المنشود ، والحج طريق نبذ المنافقين والمثبطين المعوقين لاقامة الوحدة بين المسلمين .

واذا خالج الشك بعض الناس بقيمة الوحدة ، وانتابتهم مخاوف الحفاظ على مصالحهم الشخصية ، فان الاسلام يطمئن تلك القلوب المترددة بأن مبدأ الاسلام وشعاره هو المساواة بين جميع الناس ، والحج يترجم ذلك المبدأ الى واقع عملى ، حيث يتمثل الحاج أنه بزيارته لبيت الله تعالى مقبل على الله سبحانه قاصد له ، فيتجرد عن عاداته وينسلخ من مفاخره ومميزاته على غيره ، ويخلع كل مظاهر الدنيا ومفاتنها ،

يتساوى الغنى مع الفقير ، ويتماثل الدنى مع الامير ، الكل عبيد لله ، وإخوة متحابون فى سبيل الله ، وكان ذلك المعنى هو أبرز ما فى خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع فى الثانى من أيام التشريق : « يأيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لاحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر إلا بالتقوى » .

وبما أن تنظيم الجماعة سياسيا واقتصاديا ودفاعيا وبناء الوحدة الاسلامية لا بد له من جو يسوده الاستقرار والطمأنينة ، كان مكان الحج وزمانه الحرمة والجلال ، وكان موسم الحج عيدا أكبر للمسلمين ، ففى جعل الحرم آمنا وقصر دخوله على المسلمين ، وفى إيقاع الحج فى الاشهر الحرم إعلان لمبدأ الحرية والسلام ، وإكبار لشأنهما وتمكين من ممارستهما دون تخوف من سلطان جائر أو حاكم ظالم أو مفسد عات .

وفى أجواء الحرية والسلام والمساواة بحق تنبت الافكار الصالحة وتتهيأ الخطط الملائمة وتتضح معالم الشخصية الاسلامية الذاتية التى تريد الاستقلال والوحدة والتقدم وإقامة العدالة الشاملة فى شؤون الحياة ، وأخصها الاستفادة من منتجات البلاد وعطاء الله الخير : « خلق لكم ما فى الارض جميعا » أى أن جميع ما فى الكون مخصص للناس على جهة الانتفاع المشاع ، دون استئثار ولا احتكار ولا استغلال .

وحيثما تقلب الحاج لأداء مناسك الحج يجد لفتة قرآنية الى ضرورة التآخى والتعاون وتغيير مفاسد المجتمع وتجديد شباب الحياة وقلب الاوضاع الاجتماعية بأعدل الوسائل وأكرم الغايات ، ففى قوله تعالى بعد ذكر بعض أحكام الحج : « وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب » فى ذلك حث على فعل الخير والتزود من التقوى ، والخير اسم جامع لكل الفضائل الاجتماعية ، والتقوى التى هى التزام الاوامر والنواهى الالهية عنوان بارز على التقيد بآداب المجتمع كما حددها الله ، ومن أولى الاوامر وأهمها المطالبة بوحدة الجماعة الاسلامية ودعمها : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

وفى قوله سبحانه : « فاذا قضيتم مناسككم ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » دلالة على أهمية النتائج المستفادة من الحج ، وإدامة تذكر المطالب والمقاصد الربانية والتزام الاوامر العامة إثر التفرق فى أرض الله ، ومن أوجبها قوة الاحساس بمشاعر الاخوة ، وعواطف الايمان ، وتقوية الوحدة ، وإحكام روابطها الاساسية : « إنما المؤمنون إخوة » . ومن المعروف أن سبب نزول آية الامر بذكر الله يوحى بضرورة التجمع على أساس الصالح العام ، فقد كان أهل الجاهلية يقفون فى مجامعهم فى الموسم ، فيفاخرون فيها بآبائهم ، ويذكرون أنسابهم وفعال آبائهم ونحو ذلك مما لا نفع فيه .

وليس فى الدعوة الى الاتحـــاد بين المسلمين هـــدف سوى قوة الجماعة ورهبة جانبها وتحقيق الخير والنفع الكبير لهم فى الدنيا والآخرة ، وهذا هو شعار الحجاج المؤمنين البررة : « ومنهم من يقول : ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا ، والله سريع الحساب » . وقال عليه الصلاة والسلام : « الجماعة رحمة ، والفرقة عذاب » .

يتبدى لنا من كل هـــذه الاشارات النصية أن العبادة ولا سيما الحج لا تقصد لذاتها كما أشرنا ، وإنما لما تتمخض عنه أو تهدف إليه من إصلاح عام ، أو خير جماعى شامل . وأما الاحاديث المرغبة فى الحج فهى لبعث الهمم وشحذ العزائم باعتبار أن الانسان لا يقدم على فعل شىء غالبا إلا اذا كان منساقا بغايات نفعية خاصة ، وهـــذا لا ننكره عملا بمقتضى الاحاديث المقررة للثواب العظيم لمن بر فى حجه .

ولكن لا يصح الاكتفاء بالثمـــار الخاصة للحج ، وإنما لا بد من تمثل الاهداف البعيدة التى يرمى اليها المشرع من وراء أداء شعائر الحج وتعظيم حرماته وإطعام المحتاجين والانفاق فى سبيل الله . وهذا ما يميز الغرض من فريضة الحج فى الاسلام عن غيره من الديانات كاليهودية والمسيحية والبوذيـــة مثلا التى تقصر معنى الحج على التقديس والتبريك والتطهر من الذنوب والخطايا ، أى أنه مجرد عبادة شخصية ، ولـــذا فلم تثر اهتمام الاوساط الغربية عن اتباع تلك الديانات ، أما فى الاسلام فقد اهتم المستعمرون الغربيون بشأن الحج ، وحاولوا كما أبنت فى فاتحة مقالى عزل الحجاج عن الاهتمام بالمصالح العامة ، وقصر نشاطهم على العبادة المحضة والتزود منها للآخرة ، وترك قضايا الدنيا لاهلها وللحكام فيها ، وفى ذلك البلاء المبين ؟!

ولعل ذلك هو السبب ـــ بالاضافة الى جهل الحجاج وعدم ادراكهم مغزى الحج ـــ فى أن الحاج الواعى يؤوب الى بلده يائسا أو آسفا على عـــدم الافادة من طاقات هذه الجموع المؤمنة الغفيرة فى مضمار الحياة العامـــة وقضايا الاسلام الكبرى ومصير المسلمين . وقد بدت بوارق أمل باسمة وصيحات اسلامية واعية بضرورة الاستفادة من موسم الحج وعقد مؤتمرات اسلامية متكررة ، لكننا مع الاسف لم نجد للآن صدى وتجاوبا صادقا فى تنفيذ مقررات تلك المؤتمرات ، مما يؤكد ما ندعو إليه من أن الحكام هم المسؤولون عن توحيد روابط المسلمين فى العصر الحاضر .

اليمينيون واليساريون

— ١ —

اليمين واليسار فى اللغة أمرهما ذائع معروف ، وقد أصبحت الكلمتان تطلقان على المعتدل والمتطرف ، وعلى السهل والصعب ، وعلى المعقول وغير المعقول من العقائد والمذاهب والآراء .

والفضل فى استعمال هاتين الكلمتين بهذه المعانى ، وفى ذيوعهما يرجع للقرآن الكريم وحده ، فهو الذى كان له السبق الاول فى ذلك كله ، وعن القرآن الكريم أخذ القدماء والمحدثون يستعملونهما ويرددونهما كثيرا فى أحاديثهم ومحاور كلامهم ..

وليس هناك اليوم كلمات ذائعة مشهورة ، تتردد على الألسنة كهاتين الكلمتين ..

وفضل القرآن الكريم ، على اللغة ، وعلى التجديد والتطور اللغوى ، فى القديم والحديث ، لا يحتاج الى بيان ، فألفاظه وأساليبه هى التى أمدت أدبنا بكثير من كنوز اللغة وطرائفها وأماثيلها ، وصقله للالفاظ ، وتهذيبه للأساليب وتخليده لصور البيان الرائعة والأساليب البديعة ، والبلاغة النادرة ، مما لا يحتاج الى بيان ، ولسنا فى حاجة للدلالة عليه الى برهان ..

— ٢ —

ولأول مرة فى اللغة العربية يرد استعمال اليمين واليسار بالمعانى السابقة فى كتاب الله الحكيم ، فليست هناك نصوص أدبية أقدم من القرآن الكريم ، يتردد فيها ذكر هاتين الكلمتين للدلالة على المعتدل والمتطرف من العقائد والمذاهب والافكار ، أو على الجزاء الالهى العادل فى الآخرة لأهل اليمين وأهل اليسار .

في القرآن الكريم

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم يستعمل اليمين فى كل قصد واضح وجليل ونبيل وانسانى من العقائد ، وليس هناك لفظ أخف استعمالا ، ولا أدق معنى ، ولا أبلغ دلالة من هاته الكلمة فيما استعملت فيه من مقاصد واليمين ترمز الى اليمن ، والحظ الطيب ، والتفاؤل الكريم ، والطريق اللاحب والى سلوك السبيل السوى ، والى مرضاة الله وثوابه لسالكيها .

وقد استعمل الشمال فى الدلالة على عكس ذلك كله ، وفى لفظة الشمال رمز الى تنكب الفطرة ، والى البعد عن المحجة الواضحة ، والى ما فى سلوك مثل ذلك من غاية أليمة ، وفى الشمال ما فى الشؤم من تطير ، وهى توحى بأن طريق الشمال من وسوسة الشيطان ، كما أن طريق اليمين من هداية الله ، ولذلك استعمل القرآن الكريم كلمة الشمال لتدل على أعمق معانى كلمة اليسار ، والتى نستعملها نحن اليوم مخطئين متنكبين عن الاستعمال الدقيق ، كما تنكبنا طريقنا فى فهم معنى اليمين واليسار ، فعكسنا معنى الكلمتين فى استعمالاتنا عكسا بينا ، حتى أصبحنا ندل بكلمة اليمين على الجمود والتأخر والرجعية ، وبكلمة اليسار على التحرر ونبذ القديم والدين والعقيدة ، نظن أن ذلك هو سبيل التقدم والنهوض وحاشا لله أن يكون فى اطراح العقيدة ونبذ الدين تقدم أو نهوض أو تحرر .

ومن ثم كان استعمال القرآن الكريم لكلمة (الشمال) ، وإيثاره لها على كلمة (اليسار) ، أعمق فهما ، وأدق مسلكا ، وأدل على المقصود منها .

— ٣ —

وفى القرآن الكريم من سورة الحاقة يقول الله تعالى : « **فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه . انى ظننت انى ملاق حسابيه . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية . وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول : يا ليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون** » (الحاقة — الآيات ١٩ — ٣٧) .

والصورتان هنا متقابلتان ، وعلى غاية ما تكون البلاغة والروعة والبيان والسحر والاعجاز ، وفيهما من تطويع الأسلوب وموسيقاه وجماله ما لا نجد له نظيرا ولا شبيها من كلام أبلغ البلغاء أو أعظم الشعراء .

والبلاغة القرآنية هنا تسير فى طريقها الجليل النبيل ، من خدمة الانسانية ، وهداية البشرية الى الحق والى الله والى مثل الحياة وقيمها الرفيعة ، واللفظ هنا بقدر المعنى ، والأسلوب والبيان يسيران مع العقل والمنطق والحكمة .. ولا يمكن لواصف أن يصف شتى عناصر البلاغة والنظم فى هذا النص القرآنى العظيم ، لأن القرآن استعصت بلاغته على فهم البلغاء ، وعلى فلسفة النقاد ، فلم يعودوا يعرفون من أمر هذه البلاغة شيئا الا انها من كلام الخالق العظيم والاله القادر الحكيم .

— ٤ —

وفى سورة الواقعة يذكر الله عز وجل أهل الميمنة ، وأهل المشأمة ، وطبقة ثالثة هى طبقة السابقين المقربين ، ويبدأ بذكر الطبقتين الأوليين لوضوحهما وكثرتهما ، وأنهما الغالبية العظمى من بنى البشر ، ويؤخر الكلام على الطبقة الثالثة ، لقلتها وندرتها ودقة أمرها .

والسورة كلها فى الحديث عن هذه الطبقات الثلاث ، من بدئها لختامها .. ولننظر فى آياتها الكريمة ، نقف عندها ، نتأمل جلالها وروعتها ، وسحرها وحكمتها ، لنتفهم دلالتها فى حياة الانسانية كلها ، فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

يبدأ الله عز وجل سورة الواقعة بذكر وقوع الواقعة ، أى قيام القيامة وأثرها العظيم على الانسان والكون .. « إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة » ..

نعم إنها حق وصدق .

« خافضة رافعة . إذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا . »

ثم يذكر الله عز وجل أقسام البشر يومئذ ، يحسب أعمالهم ومنازلهم من الله عز وجل ..

« وكنتم أزواجا ثلاثة . فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة . والسابقون السابقون » .

ثم يذكر نصيب السابقين فى الآخرة من رضاء الله ونعيمه ، وحظهم فيها من الخير والجزاء الجميل .. وبدأ بهذا القسم الثالث تنويهـا وتعظيما وتشريفا وتبجيلا لمقامهم عند الله .

« أولئك المقربون . فى جنات النعيم . ثلة من الأولين (١) . وقليل من الآخرين (٢) . على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بما كانوا يعملون . لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قيلا سلاما سلاما » .

وهكذا تمضى هذه السورة الرفيعة ، جليلة كريمة ، ساحرة باهرة ، تتحدث عن السابقين ومنزلتهم فى الآخرة عند اللـه عز وجل .. وليس غرضنا هنا أن نفسر السورة ، ولكننا نقصد الى بيان مضمونهـا وحده ، وصلة هذا المضمون بماضى وحاضر ومستقبل الانسانية ، ومن ثم فلم نعرض لتفسير الآيات ، ولا لتوضيح الصور ، ولا لبيان بلاغة الاساليب ، فهى ماثلة أمـام كل ذى ذوق ، واضحة عند كل ذى طبع وموهبة من البيان .

ثم يذكر الله عز وجل أهل اليمين ، وما أعده الله لهم فى الآخرة من نعيم ..

« وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . فى سدر مخضود . وطلح منضود . وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة . لا مقطوعة ولا ممنوعة . وفرش مرفوعة . إنا أنشأناهن انشاء . فجعلناهن أبكـارا . عربا أترابا . لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين (٣) . وثلة من الآخرين » (٤)

وتنتقل السورة الكريمة المكية ، وهى سورة الواقعة ، الى ذكر أصحاب الشمال ، وما أعد لهم فى الآخرة ، من وبال ، وما يلقونه فيها من نكال ..

« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال . فى سموم وحميم . وظل من يحموم . لا بارد ولا كريم . إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم . وكانوا يقولون : أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ؟ أو آباؤنا الأولون . ؟ قل إن الاولين والآخرين . لمجموعون الى ميقات يوم معلوم » ..

وتستمر السورة فى خطاب هؤلاء الشماليين ، وبيان جزائهم فى الآخرة ، وفى الحجاج معهم رغبة إقناعهم بالبعث وصدق الأمر فيه وإمكان حدوثه عند العقل ، لان قدرة الله لا يستعصى عليها شىء . ولا يعجزها أمر فى الارض ولا فى السماء .

ثم تتحدث السورة الى الرسول الكريم عن القرآن العظيم ، وأنه تنزيل من رب العالمين .. وتعود الى جدال هؤلاء المشركين المكذبين الضالين والى مصيرهم عند الموت .. (٥٠ — ٨٧ من السورة) .

وتلخص السورة ما تتلقى الملائكة به عند الموت كلا من هؤلاء الطبقات الثلاث :

« فأما ان كان من المقربين . فروح وريحان . وجنة نعيم . وأما ان كان من أصحاب اليمين . فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما أن كان من المكذبين الضالين . (٦) فنزل من حميم . وتصلية جحيم . ان هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم (٧) » ..

وهكذا مضت هذه السورة سورة الواقعة ، فى ذكـــر اليمينيين واليساريين ،وفى ذكـــر طبقة رفيعة من خيار الانسانية وأصفيائها ، وهى طبقة السابقين المقربين .

على ما رأينا من الجلال والحكمة والروعة والبلاغة والبيان والسحر ، سارت الى هدفها المقصود من تبصير الانسانية وهدايتها واضاءة الطريق أمامها ، ورسم النهايات المحتومة للبشر واضحة أمام عقلها ومخيلتهـــا وعينيها ، ليهتدى من اهتدى عن بينة ، وليضل من ضل عن بينة .

— ٥ —

وجملة ذلك كله أن الله عز وجل تحدث فى كتابه الحكيم عن اليمينيين واليساريين ، ووصف كلا بأوصافه ، وأبـــان ما ينال كل منهما من جزاء فى الآخرة عند الله ..

فاذا كان الأمر عند المسلمين المعاصرين قد انقلب الى النقيض ، فصار اليمينيون عندهم كأنهم المتبوذون أصحاب الشمال ، وصار اليساريون عندهم هم المختارون وكأنهم أصحاب اليمين ، فان ذلك من وسوســـــة الشيطان ، ومن انقلاب الميزان ، ومن فساد المنطق بتأثير ســـــموم الصهيونية ، التى تنفث فى عقول ضعفاء الدين شرورها ، لتضلهم عـــن الطريق ، وتبعدهم عن الهدف ، وتقصيهم عن رضاء الله ، وعن سبيل العزة والقوة والكرامة ، ولتنقلهم من حالة الذاتية والشخصية الواضحـــة الى حالة أخرى من التبعية الذليلة والتقليد الأعمى لكل ضال وضار من المذاهب والعقائد والآراء . وفى ذلك للمسلمين المعاصرين الهوان والذل والشقاء الأبدى المقيم .

اللهم اجعلنا من أهل اليمين ، وابعدنا عن ضلالات أهل الشمال ، وأنزل علينا من رحمتك ، ما يهدينا الى سواء السبيل .

---

(١) أى هم عدد ضئيل من الامم السابقــة .
(٢) وعدد قليل من اتباع رسالة محمد آخر الرسالات .
(٣) أى هم عدد قليل من الديانات السابقة .
(٤) وعدد قليل من أتباع رسالة الاسلام آخر الرسالات .
(٥) أى أو يبعث كذلك معا آباؤنا الاولون ؟ ممن مضت عليهم آلاف السنين وهم فى أجداثهم راقدون .
(٦) وهم أهل المشأمــة .
(٧) الخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ..

الإمام أبو حنيفة

(٢)

للدكتور محمد محمد أبو شهبة

فى مقال سابق تحدثت عن بعض جوانب حياة إمام الفقهاء ، وهو الامـــام أبو حنيفـــة النعمان ، أحد الائمة المتبوعين والمشهورين ، وقد ركزت عنايتى فى ذاك المقال على نفى تهمة الصقت بالامـــام زورا من قديم الزمـــان ، وهى قلـــة بضاعته فى الحديث ، واليوم أعرض لجوانب أخرى من حياة هذا الامام الكبير ، ولا سيما اجتهاده الفقهى ، ومنحاه فى هـــذا الاجتهاد ، فأقول وبالله التوفيق .

تحول فى حياة الامـــام

لم يشتغل الامـــام فى صغره ومبدأ حياته بطلب العـــلم ، والاختلاف الى مجالس العلماء ، وانما كان يختلف الى الاسواق ، فقد كان يحترف التجـــارة فى البز (١) ، وفى غدوة من غدواتـــه الى السوق ، مر على الامـــام الشعبى وهو جالس . فدعاه ، فقال له : الى من تختلف ؟ فقال أبو حنيفة : أختلف الى فلان ــ ــ يريد رجلا معروفا بالتجارة ــ فقال الشعبى : لم أعن السوق ، عنيت الاختلاف الى العلماء ، فقال له أبو حنيفة : أنا قليل الاختلاف اليهم ، فقال له الشعبى : لا

تفعل ، وعليك النظر فى العلم ، ومجالسة العلماء ، فانى أرى فيك يقظة وفطنة ، فقال أبو حنيفة : فوقع فى قلبى من قوله ، فتركت الاختلاف الى السوق ، وأخذت فى العلم فنفعنى الله به .

اشتغاله فى أول طلبه بالجـــدل والكلام

وقد رأى أبو حنيفــة فى أول طلبه للعلم الاسلام يتعرض للطعن من بعض الطوائف كالزنادقة وأضرابهم ممن دخلوا فى الاسلام وهم يضمرون الكيد والعداء كمـــا رأى ظهور كثير من الطوائـــف المبتدعة الذين ابتـــدعوا فى الاســــــلام ما ليس منه كالروافض ، والخوارج ، والمرجئة ، والقدرية الذين يزعمون أن لا قدر ، وأن الامر أنف (٢) ، فاشتغل فى أول أمره بعلم الجدل ،و الكلام ، والرد على الروافض والخوارج والزنادقة وأضرابهم ، وقد أكسبه هذا اللون من المعرفة قوة فى الحجاج والجدل واقحام الخصوم ، والمرونة العقلية الفائقة ، والقدرة على حل المشكلات والمعضلات ، وسرعة البديهة فى المجادلة ، والمناظـــرة مما سنعرض لشىء منه فيما بعد .

ثم خطر له خاطر فقال : ان المتقدمين من أصحاب رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم ، والتابعين من بعدهم ، لم يكن فيهم شىء مما نذكره نحن ، وكانوا عليه أقدر ، وبه أعرف ، وأعلم منا بحقائق الامور ، ولم يـــروا منازعين ، ولا مجادلين ، ورأيت خوضهم فى الشرائع ، وأبواب الفقه ، فبدا له فى — الامـــر بـــداء (٣) — .

اشتغاله بالفقـــــه

وبينما هو على هذا الحال ، وكان يجلس بالقرب من حلقة الامام حماد بن أبى سليمان الذى صار فيما بعد أجل أساتذة أبى حنيفة ، وأعظمهم تكوينا له ، وتأثيرا فيه — اذ جاءته امرأة فقالت له : رجل له امرأة أراد أن يطلقها للسنة ، كيف يصنع ؟ قال أبو حنيفة : « فلم أدر ما أقول ، وسقط فى يدى فأمرتها أن تسأل حمادا ، ثم ترجع الى فتخبرنى ، فذهبت فسألت حمادا ، فأجابها ثم رجعت فأخبرتنى وكان لهـــذه الحادثة تأثيرها فى نفسه فقال : لا حاجة لى فى الكلام فأخذت نعلى وصرت أجلس الى حماد أسمع مسائله وأحفظ قوله حتى قال : « لا يجلس أحد فى صـــدر الحلقة بحذائى غير أبى حنيفة فصحبته عشر سنين » فقال أبو حنيفة فنازعتنى نفسى الطلب للرياسة يعنى أن يتصدى للتدريس ، فأحببت أن أعتزله وأجلس فى حلقة نفسى ، فخرجت ليلة ، وعزمى أن أفعـــل ، فلما دخل المسجد ورأيته لم تطب نفسى أن أعتزله ، فجلست معه ، ولأمر ما ، تخلف حمـــاد عن الدرس ، فأمر أبا حنيفة أن يجلس مكانه ، فوردت عليه مسائل ، فكان يجيب عنها ويكتب الجواب ، وبعد شهرين قدم أستاذه حماد ، فعرض عليه أبو حنيفة المسائل التى أفتى فيها فوافقه فى أربعين مسألة وخالفه فى عشرين فآلى الامام أبو حنيفة على نفسه الا يفارق شيخه حمادا أبدا حتى يموت ، فلم يفارقه حتى مات بعد ما أخذ عليه كل ما كان عنده من علم ، وكان كثيرا ما يناقش شيخه حمادا ويسأله ، ويناظره حتى كان ربما يتبرم منه لذلك روى عن الامام أنه قال : « لزمت

حمادا لزوما ما أعلم أحدا لزم أحدا مثل ما لزمته ، وكنت أكثر السؤال فربما يتبرم منى ، ويقول : « يا أبا حنيفة قد انتفخ جنبى ، وضاق صدرى » .

ولعلك أيها القارىء الكريم على ذكر من الكلمة الصادقة المعبرة عن غاية الاستقصاء التى قالها له شيخه حماد : « لقد أنزفتنى » .

تأهل أبى حنيفة للاستاذية

ولما مات شيخ الامام حماد فكر طلاب العلم والمعرفة فيمن يقوم مقامه فأجلسوا كثيرين من أهل العلم فلم يجدوا عندهم كبير غناء (٤) ، ثم أجلسوا الامام أبا حنيفة ، فوجدوا عنده من العلم والفقه ما لم يجدوه عند غيره ، ووجدوا عنده فى سائر المعارف ، والثقافات السائدة آنئذ نفاذا ، وسعة أفق وعلما غزيرا فلزموه وتركوا غيره ، وعظم شأنه حتى صارت حلقته أعظم حلقة فى المسجد ، فتخرج به أقوام صاروا أئمة فى العلم من أشهرهم الفقهاء : أبو يوسف ، ومحمد ابن الحسن الشيبانى ، وظفر بن الهذيل العنبرى ، وواعظ زمانه الحسن البصرى، وإمام أهل المغازى محمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة المشهورة ، ومتصوف زمانه ابراهيم بن أدهم وغيرهم .

وكذلك كان مرجع الناس فى الفتوى وحل المشكلات المستعصية والمسائل العلمية العويصة ، بل كانوا يرجعون اليه فيما يعتريهم فى حياتهم الدنيوية ، فيجدون عنده المعونة الصادقة والحل الموفق لا يدخل بلدا الا اجتنع عليه الناس ، فيجدون عنده المعونة الصادقة والحل الموفق لا يدخل بلدا الا اجتمع عليه الناس ، وسألوه ، قال الامام الليث بن سعد محدث مصر ، وعالمها وفقيهها : كنت أتمنى رؤية أبى حنيفة حتى رأيت الناس متقصفين (٥) على شيخ فقال له رجل يا أبا حنيفة وسأله عن مسألة ، فوالله ما أعجبنى صوابه ، كما أعجبنى سرعة جوابه .

منحاه فى الاجتهاد

الامام أبو حنيفة كغيره من الكثيرين من أئمة الفقه والاجتهاد يأخذ بالاصول الاربعة ، التى تستنبط منها الاحكام ، ويعرف الحلال والحرام : ١ ــ الكتاب ٢ ــ والسنة ٣ ــ والاجتماع ٤ ــ والقياس والثلاثة الأولى قدر متفق عليه بين جميع الفقهاء ، وأما القياس فهو محط خلاف الفقهاء فى الاخذ به أو عدم الاخذ به ، والآخذون به يختلفون فى الاخذ به قلة وكثرة ، فمنهم المكثر ومنهم المقل لاصول أصلوها وقواعد وضعوها .

وقد كان الامام أبو حنيفة ــ رضى الله تعالى عنه عالما بالاصلين الشريفين ، اللذين اليهما عند التحقق مرجع جميع الاحكام ، وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة ، علما أهله لان يكون إماما كبيرا بين أئمة الاجتهاد فى الاسلام ، أما علمه بالقرآن الكريم ، وأسباب نزوله ، وأول ما نزل ، وآخر ما نزل ، وتدرجه فى التشريع ، ومكيه ومدنيه ، وعامه ، وخاصه ، ومطلقه ، ومقيده ، ومحكمه ، ومتشابهه ، وناسخه ، ومنسوخه فهذا ما أقر به الموافق والمخالف ، وأما علمه بالمصدر الثانى من مصادر التشريع فى الاسلام .... فقد بينت فى المقال السابق

بما لا يدع مجالا للشك علم الامام أبى حنيفة بالسنن والاحاديث ، ونفيت عنه تهمة قلة بضاعته فى الحديث ، وندرة ما صح عنه من أحاديث .

وقد بين لنا الامام أبو حنيفة منهجه فى الاجتهاد ، فقد روى عنه أنه قال : « آخذ بكتاب الله ، فان لم أجد فى كتاب الله فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم أجد فى سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه من شئت وأدع من شئت ، ولا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم فاما اذا انتهى الامر الى ابراهيم يعنى النخعى — والشعبى وابن سيرين والحسن يعنى — البصرى — وعطاء — أى التابعين — فقوم اجتهدوا ، فاجتهد كما اجتهدوا » وروى عنه أيضا أنه قال « اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « فعلى الرأس والعين » واذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن رأيهم ، واذا جاء عن التابعين زاحمناهم » (٦) وقد قدمت فى المقال السابق أن الامام أبا حنيفة يعتبر من التابعين لانه لقى بعض الصحابة بل قيل إنه روى عن بعضهم فهو حينما يزاحمهم ويجتهد مثلهم فلأنه من طبقتهم ، وهو منهج لا غبار عليه .

ولكن بعض الحاسدين له ، والحاقدين عليه رموه بأنه لا يأخذ بالاحاديث والآثار ويغلب الرأى والقياس عليها . وها هو الامام يدافع عن نفسه فيقول : « عجبا للناس يقولون أفتى بالرأى وما أفتى الا بالاثر » .

وقال لما سئل عن الكلام فى الاعراض ، والاجسام : هذه مقالات الفلاسفة عليك بالاثر وطريقة السلف واياك وكل محدثة فان كل محدثة بدعة (٧) ، فهل بعد هذه المقالات الواضحة البينة يدعى مدع أن الامام كان لا يأخذ بالاحاديث والآثار (٨) — .

نعم اذا لم يجد فى القرآن والسنة والاحاديث وضاق عليه الاستدلال بها ولم يكن فى المسألة اجماع فليس الا إعمال الرأى والاجتهاد وهذا هو ما دل عليه الحديث المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل الانصارى الخزرجى ، الامام المقدم فى علم الحلال والحرام حين بعثه الى اليمن فى السنة العاشرة للهجرة أميرا وقاضيا ومفتيا « كيف تصنع إن عرض لك قضاء » قال بما فى كتاب الله ، قال « فان لم يكن فى كتاب الله » ؟ قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد ، وإنى لا آلو — أى لا أقصر . — قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى (٩) ، ثم قال « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله» رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه ، وهذا تقرير قولى من النبى صلى الله عليه وسلم لطريقة معاذ ، ومنهجه فى الحكم والاجتهاد — وقد شاع على السنة بعض أهل العلم ولا سيما المتحاملين منهم على الامام أبى حنيفة أنه لا يأخذ بكثير من الاحاديث ، وأنه يرجح الرأى والقياس عليها ، وهى مقالة فيها تجن على الامام ، ومجافاة للحق والواقع ، واليك ما قاله إمام اشتهر بحدة اللسان ، وصراحة النقد ، وعدم المداهنة فى الحق ، وهو الامام أبو محمد ابن حزم الاندلسى قال : وجميع أصحاب أبى حنيفة مجمعون على أن مذهب أبى حنيفة : ان ضعيف الحديث أولى عندهم من القياس ، والرأى : فهو لا يقيس الا اذا انسدت عليه مسالك الاستدلال بالاحاديث التى يحتج بها .

وقد بينت أن الامام له شروط شديدة فى الحكم على الاحاديث بالصحة

والحسن ، ومعاذ الله أن يترك حديثا صحيحا ، ثم يحتج بالقياس والرأى ، وما عسى أن يبدو فى نظر بعض العلماء والباحثين أنه كذلك بادىء الرأى ، فعند التحقيق والتدقيق يظهر أنه ليس كذلك ، وأرجو أن تتاح لى الفرصة للحديث عن ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

على أنى أحب فى هذا المقام أن أقول : ان المجتهد مهما جلت منزلته واتسع علمه بالاحاديث والآثار لا يلزم أن يبلغه كل حديث مروى ، ولو بلغه فليس بلازم أن يصح عنده ، ولو صح عنده فليس بلازم أن يأخذ به لانه قد يكون — ولو فى نظره هو — مرجوحا ، أو منسوخا ، أو مخصصا بدليل آخر أو مقيدا ، أو غير ذلك مما يعرفه أهل العلم بأصول الفقه ، ومسالك الاجتهاد فى الاسلام ، ومن ثم كان اختلاف الائمة فى الفروع الفقهية مع أنهم جميعا كان معولهم فى استنباط الاحكام الفقهية على القرآن والسنة ، وكانوا ينشدون الحق والصواب لا يبغون بهما بديلا ، ولم يكن للهوى النفسى ، والتعصب للرأى بغير حق أى أثر فى استنباطاتهم ، واجتهاداتهم ، واذا حدث فى بعض العصور تعصب مذهبى فقد كان ذلك فى العصور المتأخرة ، ومن اتباع الفقهاء المتأخرين حينما كسدت سوق الاجتهاد وغلبت ملكة التقليد .

وقد نقل الامام الشاطبى فى الموافقات أنه ما من إمام من الائمة الاربعة الا صح عنه أنه قال : « اذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط » وهذا هو اللائق بمقام أئمتنا الكبار وأخلاقهم ، وجلال أقدارهم .

هذا ولا يزال فى الحديث عن الامام الاعظم أبى حنيفة مجال ومجال ، فالى المقال الآتى إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى القاموس المحيط : البز : الثياب ، أو متاع البيت من الثياب ونحوها ، وبائعه البزاز ، وحرفته البزازة .

(٢) أى مستأنف : أى أن الله لا يعلم بالاشياء قبل وقوعها ، وقد تطورت كلمة القدرية فأضحت وصفا لمن يقولون ان العبد يخلق أفعاله الاختيارية وهم المعتزلة .

(٣) أى ظهر له رأى .

(٤) غناء بفتح الغين — أى نفع واستغناء بهم عنه .

(٥) مجتمعين فى التزاحم عليه .

(٦ ، ٧) عقود الجمان فى مناقب أبى حنيفة النعمان مخطوط بمكتبة الحرم المكى .

(٨) الحديث : هو قول النبى صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وتقريراته ، وصفاته الخلقية ، والاثر : هو ما روى عن الصحابة من أقوالهم وأفعالهم من غير أن يرفع وينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم .

(٩) يعنى بيده تثبيتا لما فى قلبه من هذا العلم المكنوز ، والفقه الاصيل ، وزيادة شرح لصدره .

التراث المفقود والموجود ..

للاستاذ عبد الرحمن أحمد رشادي

طالما وجدت الكتب من ينفق عمره فى مطـــالعتها وحفظها وصيانتها ولا يبخل عليها بشىء من ماله .. أما النكبات والمحن والبؤس الذى صادفته الكتب فشىء محزن كان نتيجة لعواصف الحقد البشرى الذى أتى فيما أتى على الكتب فدمرها وأحرقها وفعل بها الافاعيل ومزقها شر ممزق ، وويل للمغلوب من الغالب ، وللناسك من الفاتك ، وللمفكر من الذين لا يعرفون الا الظفر والناب والمخلب .

وقد خطر لى أن أجمع من مطالعاتى بعض حوادث بؤس الكتب ونعيمها وحين يطالع القارىء هذه الحقائق التاريخية والبيانات الواردة فى البحث فسيرى فداحة النكبة وبشاعة المحنة التى تعرض لها هذا التراث .

ولم يبق للأمة العربية والاسلامية بعد هذه الكوارث التى تعرضت لها الكتب ودورها وخزائنها ــ وأصيب بها الفكر العــربى والاســلامى فى الصميم ــ الا واحدا فى الألف ، أما ما ضاع فهو تسعة وتسعون وتسعمائة كما قال المرحــوم أحمد زكى شيخ العروبة .

وقد صدق فيما قال ولم تتطرق المبالغة الى كلامه فى قليل ولا كثير
وتبدو فداحة هذه الخسائر اذا علمنا أن بعض العلماء كالبيرونى كان فهرس كتبه فى نحو ستين ورقة بخط مكتنز فى علوم النجوم ، والهيئة والمنطق والحكمة وقد رأى ياقوت (١) هذا الفهرس لكتب البيرونى فى وقف الجامع بمرو ...

وهذا مثل آخر عن ابن حزم العالم الاندلسى المشهور روى نجله الفضل أبو رافع أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وبلغت مصنفاته حمل بعير ولم يتعد أكثرها عتبة باديته (٢) .

والجاحظ أيضا من المكثرين فى التأليف ، فله أكثر من ثلاثمائة وخمسين كتابا .

والكندى له مائتان وثلاثون كتابا .

والرازى له مائتان من الكتب ، أشهرها الحاوى فى الطب والمنصورى فى التشريح .

وأبو العلاء المعرى له هذا العدد من الكتب أيضا ، وشعره وحده أكثر من مائة ألف بيت .

ومن أراد أن يستكثر من المعلومات فى هذا الشأن فليطالع كتاب عقود الجوهر ، فيمن لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر . تأليف جميل العظم طبع فى بيروت ١٣٢٦ هـ ، وقد رتب العلماء فيه بحسب الشهرة ، ولكنه جعل كتب كل عالم أو مفكر أو فيلسوف حسب الحروف الأبجدية ، وقد ذكر الكتب ولم يبين الموجود والمفقود والمطبوع والمخطوط بصفة مطردة ، وان كان قد فعل ذلك أحيانا ، وفيه كتب الغزالى وابن العربى وابن الجوزى الخ .

هذا من جهة العدد ، أما ضخامة حجم الكتب فيكفى أن نذكر أن بعضها بلغ (٣) ثلثمائة مجلد وهو كتاب الشامل فى الطب لابن النفيس .

وبلغ كتاب الايك والغصون لابى العلاء المعرى مائة مجلد .

ويقع تاريخ الاسلام للذهبى فى خمسين مجلدا ، لم يطبع منه الا خمسة فقط .

مسالك الابصار فى ممالك الامصار للعمرى يقع فى خمسة وأربعين مجلدا لم يطبع منه الا الجزء الأول فقط .

والأغانى لأبى الفرج الاصفهانى فى واحد وعشرين جزءا وطبع أكثر من مرة .

وتفسير القرطبى طبع فى عشرين جزءا . الخ .

وهذه أمثلة فقط وهناك كتب كثيرة مشهورة بضخامة حجمها وكثرة أجزائها ومجلداتها ولا يستطيع ناشر واحد أن يقوم بطبعها على نفقته ، فحبذا لو كان هناك تعاون وثيق بين الناشرين فى مختلف الدول العربية والبلاد الاسلامية ودوائر المستشرقين ، فتوزع على هذه الدور أجزاء الكتاب لتقوم كل واحدة بطبع جزء مخصوص وبذلك يتم طبع الكتاب الضخم مرة واحدة ثم تكرر هذه العملية فى كتاب آخر ، وهكذا الى أن يتم طبع جميع المخطوطات ، ولا يبقى الا الأصول فقط الى أن يسعدنا الحظ بظهور مخطوطات أخرى لا يعرف الناس عنها شيئا .

بذلك نتقدم فى هذا الميدان بدلا من التوقف الذى نعانيه أو التقدم

البطيء ، وهذا شيء من مجهـود الذين بذلوا النفس والنفيس وساعدهم غناهم على ذلك في جمع الكتب من المشارق والمغارب ونقبوا عن المخطوطات حتى جمعوا منها ثروة طائلة .

ومن هؤلاء الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر الخليفة الأموى بالأندلس ، فقد كان يرسل وكلاءه ومندوبين وسفراءه ومبعوثيه لجمع الكتب من سائر الأمصار الإسلامية كبغداد والقاهرة ودمشق ودفع في نسخة من كتاب الأغاني لأبى الفرج الاصفهاني ألف دينار من الذهب الخالص ، واشترى من تاريخ الطبرى نسخة بمائة دينار ، وتعددت النسخ من الكتاب الواحد عنده حتى كان في مكتبته من كتاب الخليل بن أحمد نيف وثلاثون نسخة احداها بخط الخليل بن أحمد مؤلف الكتاب وكان عدد الفهارس أربعة وأربعين فهرسا في كل منها عشرون ورقة .

وكان بعواصم الاندلس الاخرى غير قرطبة نيف وسبعون مكتبة (٤) .

ومن هؤلاء ابن عباس وزير زهير أمير المرية أحد ملوك الطوائف بالاندلس اجتمع في قصره أربعمائة ألف مجلد عدا الكراسات (٥) .

أما المشارقة فمنهم الصاحب بن عباد كانت مكتبته تحمل على أربعمائة جمل أو أكثر وانشأ دار كتب بالرى أوقفها على طلاب العلم وكان فيها كتاب الحجة لأبى على الفارسي .

وأسس نوح بن منصور الساماني في بخارى مكتبة يحملها أربعمائة جمل . وكانت كتب القفطى الوزير المشهور تساوى خمسين ألف دينار أوصى بها للناصر صاحب حلب ولم تكن له زوجة تشغله عن كتبه وقصد بها من الآفاق لحبه لها وحرصه على اقتنائها .

أما آل عمار القضاة بطرابلس الشام فكان لهم مائة ألف ناسخ تجرى عليهم الارزاق سنويا وبلغ عدد الكتب عندهم ثلاثة ملايين .

أما في الحديث فيكفي أن نشير الى جهود المرحوم أحمد زكى شيخ العروبة فقد زار الاسكوريال بمدريد قبل ١٨٩٤ م وحصل وحده على أكثر من ستة آلاف مخطوط بالنسخ أو التصوير أو الشراء .

وجمع المرحوم أحمد تيمور عشرين ألف مجلد من الكتب المطبوعة والمخطوطة وبذل فيها الأموال بسخاء وخصوصا على المخطوطات ، وقد ضمت المكتبة الزكية والمكتبة التيمورية الى دار الكتب .

وعلى مبارك هو صاحب الفضل الأول في انشاء دار الكتب المصرية عام ١٨٧٠ م لانقاذ الكتب وحفظها من الضياع والأطماع وبقائها رهينة الانتفاع (٦) وقد وصف هو انشاءه لدار الكتب في كتابه المعروف الخطط التوفيقية .

ويتكون قسم كبير مما في المكتبات العامة ودور الكتب من وقف الأفراد واهدائهم الكتب في حياتهم وبعد موتهم .

ومن الخطوات الهامة التي تمت لانقاذ التراث المبعثر في ارجاء العالم انشاء معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، فقد بلغ ما صور وسجل (٧) من المخطوطات العربية القديمة ما يزيد على عشرة آلاف مخطوط .

وانشاء مجلة تصدر عن هذا المعهد مرتين في العام لاحصاء المخطوطات العربية في العالم ووصف أهم ما فيها ، والتعريف بمحتوياتها

الأستاذ عبد السلام هارون فى كتابه نوادر المخطوطات فى أربعة أجزاء .

ومخطوطات الموصل وداود جلبى طبع بغداد عام ١٣٤٦ ــ ١٩٢٧ .
والمخطوطات اللغوية فى مكتبة المتحف العراقى لأسامة ناصر النقشبندى نشرته وزارة الثقافة والاعلام ببغداد .

ولم تكن التفرقة بين المطبوعات والمخطوطات معروفة فى العصور القديمة لم يعرفها أحد الا بعد اختراع الطباعة ، فقد كان خط النساخ هو الأداة الوحيدة لنقل الكتاب . أما بعد أن عرف العالم الطباعة فقد ظهر الاتجاهان ..

احصاء الكتب المطبوعة ومحاولة التعريف بها وبمؤلفيها وبموضوعاتها ومن أقدم الكتب فى هذا الموضوع اكتفاء القنوع بما هو مطبوع للمستشرق أدورد فنديك طبع عام ١٣١٣ هـ ــ ١٨٩٦ م رتبه حسب العلوم والموضوعات ثم ألحقه بفهارس لأسماء الكتب والمؤلفين وبمراجعة الفهارس الثلاث يعرف القارىء ما فاته فى النظرة العجلى .

ومنها معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس فى أحد عشر جزءا طبعة ١٣٤٦ هـ ــ ١٩٢٨ م مرتب بحسب أسماء المؤلفين .

ومعجم المؤلفين ــ عمر رضا كحالة طبع بدمشق سنة ١٣٧٦ هـ ــ

١٩٥٧ م فى أربعة عشر جزءا ويذكر فيه كتب كل مؤلف المطبوعة والمخطوطة وأماكن وجودها . وهو مرتب بحسب أسماء المؤلفين .

ومن قبل أن ينفصل الاتجاهان كان كتاب الفهرس لابن النديم من أوائل الكتب التى حاولت حصر واحصاء كتب التراث العربى . وقد رتب الكتب فيه حسب العلوم ، وجعل لكل علم مقالة خاصة ويذكر قائمة بكتب المؤلف الذى يتحدث عنه .

وبعده بأمد طويل كان كتاب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لملا كاتب جلبى المشهور بحاجى خليفة محصيا لكتب التراث وقد رتبها حسب أسماء الكتب ..

أما حديث النكبات والمحن فيبدأ بحريق مكتبة الاسكندرية التى أحرق الأسقف تيلو فيلوس جزءا منها سنة ٣٩٠ م ثم أحرق معظمها فى عهد الملك تيودوس سنة ٩٣٠ م واتهم العرب عند فتحهم لمصر باحراقها وأبى الزاعمون والمتهمون الا أن يجعلوا عمر بن الخطاب شريكا لعمرو بن العاص فى هذه التهمة .

وقد صرح المستشرقون أنفسهم ببراءة العرب من هذه التهمة كما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية صـ ٣٢٨ جـ ٣ الترجمة العربية الطبعة الثانية . وخلاصة تاريخ العرب لسيديو ص ٨١ ط ١٣٠٩ هـ .

ومنها احراق مكتبة بغداد التى أنشأها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير الذى تولى الوزارة لبهاء الدولة أحد ملوك الديالمة ثلاث مرات وتوفى سنة ٤١٦ هـ ببغداد ، فقد جمع فيها أكثر من مائة ألف مجلد ،

ووقف عليها الأوقاف ولم يكن فى الدنيا أحسن كتبا منها كانت بخطوط الائمة المعتبرة وأصولهم المحررة كما قال ياقوت (٨) واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية الى بغداد سنة ٤٤٧ هـ .

وأحرق الصليبيون سنة ٥٠٢ هـ ـ كتب آل عمار فى طرابلس الشام وسبقت الاشارة الى عددها .

ولما ورد محمود بن سبكتكين مدينة الرى زعموا له ان ما فى مكتبتها هو كتب الروافض واهل البدع واستخرج ما كان منها فى علم الكلام « وأمر » بحرقه (٩) وكان فهرس مكتبتها فى عشرة أجزاء .

أما مكتبة بخارى فقد أحرقت واتهم ابن سينا باحراقها بعد أن حصل ما فيها من العلم لئلا يعرف أحد من أين أخذ علمه وهذا مستبعد (١٠) وكان فى ساوة وهى مدينة حسنة بين الرى وهمذان دار كتب لم يكون فى الدنيا أعظم منها قال ياقوت ان التتار قد أحرقوها (١١) وفى مرو عاصمة خراسان وصف ياقوت خزائن الكتب التى كانت بها وانها بلغت عشر خزائن وقد نسى من حبها كل بلد حتى الاهل والولد كما قال هو فى معجمه المشهور .

«١» صـ ٣٤٢ جـ ٢ بلدان ياقوت .

«٢» صـ ٣١٥ جـ ٢ ادباء ياقوت ط مرجليوث .

«٣» صـ ١ جـ ٥ وفيات الاعيان لابن خلطان .

«٤» صـ ٢١ جـ ٥ بلدان ياقوت .

وذكر أن فى العزيزية احدى هذه الخزائن بالجامع اثنا عشر ألف مجلد (١٢) وبلغ من سهولة الاستعارة وفرط الثقة بين الناس أنه كان يجتمع فى منزله مائتا مجلد أكثرها بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار واضطر ياقوت الى الرحيل فرارا من التتر وفارقها قبل النكبة وقد خربها التتر ولم يكن للكتب عندهم قيمة فقد اتخذوا من الكتب فى بغداد جسرا يعبرون عليه نهر دجلة . .

وفى الاندلس كانت كتب الفلسفة مضطهدة حتى احرق عبد الرحمن الناصر كتب ابن مسرة فيلسوف قرطبة الاول . .

وأحرق المنصور بن أبى عامر كتب الفلسفة أيضا ليتقرب بذلك الى الفقهاء .

وأحرقت كتب ابن حزم الفقيه الظاهرى المعروف بأشبيلية فى عهد المعتضد بن عباد (١٣) .

وفى حصار البربر لقرطبة بأمر الحاجب واضح من موالى المنصور ابن أبى عامر بيع أكثر ما جمعه الحكم المستنصر ونهب الباقى عند اقتحامهم المدينة .

ثم كانت الطامة الكبرى بعد الهزيمة فقد أعدم مطران طليطلة

الكردينال كيمنيتش جميع آثار المسلمين وأحرق ثمانين ألف كتاب عربى بخط اليد فى الميادين والرحبات العامة بمدينة غرناطة (١٤) .

وفى احدى ساعات اليأس أحرق أبو حيان التوحيدى بيديه كتبه التى ألفها قصدا وعمدا وكان فى عشر التسعين ، واعتذر الى القاضى أبى سهل على بن محمد الذى كتب اليه يعذله على صنيعه ولعل كتبه الباقية قد صدرت عنه وانتشرت بين الوراقين قبل ان يفعل فعلته تلك ..

وهذا أبو سعيد السيرافى لم يفعل ذلك بنفسه وانما أوصى ابنه بحرق كتبه اما ابو عمرو بن العلاء فقد لجأ الى طريقة أخرى لابادة كتبه وهى دفنها فى الارض ، وقد أوصى محمد بن العلاء بن كريب الهمذانى أحد شيوخ البخارى ومسلم والسجستانى والترمذى والنسائى وابن ماجه ان تدفن كتبه فدفنت ومات بالكوفة لثلاث بقين من جمادى الاولى سنة ٢٤٣ هـ .

وهذه طريقة جديدة وهى طرح الكتب فى البحر لجأ اليها داود الطائى وسبقت الاشارة الى طرح التتار للكتب فى دجلة لتعبر عليها جنودهم ومنهم من مزق كتبه وطيرها فى الريح كما فعل سفيان الثورى .
ومنهم من كان العجز سببا فى ضياع كتبه كما حدث لعبد الله بن خلف بن رافع المسكى أبى محمد المصرى الذى جمع تاريخا لمصر ومات وهو فى المسودات وعجز عن تبييضها فبيع على العطارين لصر الحوائج كأن لم يكن بمصر من يعينه على تبييضه ولا ذو همة فيشتريه كما قال ياقوت (١٥).

ولا زالت هذه المحنة قائمة لكثير من العلماء والادباء الناشئين الذين يعجزون عن نشر كتبهم على نفقتهم ويأبى أى ناشر أن يغامر بالطبعة الاولى لمؤلف مجهول أو كاتب مغمور وكم أضاعت هذه العقبة الكئود من كتب ودفنت من مواهب ..

وتنكب الكتب بعد موت أصحابها وعدم اهتمام الورثة بهواية أبيهم وتقديرهم لما أفناه فيها من زهرة عمره وصفوة ماله ومن هذا على سبيل المثال (١٦) أن مكتبة الحاج أمين الجليلى بالموصل قد تشتت بعد وفاة صاحبها ..

ومن أسباب الضياع أيضا كثرة التنقل والاسفار لأن العالم لا يريد أن يفارق كتبه ويحب صحبتها فى أى مكان فتتعرض للضياع ..

وتعيث عوامل البلى كالعثة والارضة والفئران فى المخطوطات الباقية فسادا كلما طال عليها الزمن فهى لا بد أن يكتب عليها الفناء الا أن تبعث من جديد بواسطة المطبعة فتصدر عن المخطوط الواحد آلاف النسخ ومن ألوان المحن التى تتعرض لها الكتب السرقة والنهب والتهريب وبهذه الطريقة نقلت وهربت الكتب فى الحروب الصليبية من قبرص وكريت وجزائر البليار والاندلس والاستانه ومصر .. الى أوروبا .

وحرص علماء الحملة الفرنسية على مصر على أخذ الكتب ونقلها الى فرنسا بعد الاستيلاء عليها من المساجد والزوايا .

ونقل الأتراك كثيراً من النفائس والكتب من مصر وأيران والعراق والشام الى تركيا فى مختلف الازمنة .

ولذلك كانت مكتبات أوروبا وتركيا غنية وعامرة بالمخطوطات وخصوصا بريطانيا وفرنسا وايطاليا والفاتيكان وألمانيا وهولندا وروسيا وأمريكا . ومن هذه الحوادث أن مكتبة مولاى زيدان كانت فى سفن ثلاثة فاستولت عليها مراكب الاسبانيين سنة ١٦٧١ م ١٠٨٢ هـ وأودعت فى قصر الاسكوريال وضاعت كمية ضخمة من المخطوطات عند هجوم الفرنسيين واحتلالهم لتونس عام ١٥٣٦ م وأحرقوا ما فى قسطنطينة من الكتب المخطوطة والمطبوعة عند احتلالهم للجزائر سنة ١٨٣٠ م ..

وغالبا ما تجنى المحن التى يتعرض لها العلماء والادباء والفلاسفة والمفكرون على كتبهم ومن هذه المحن الاضطهاد بسبب مخالفته رأيه لمن يضطهده وقد ذكرنا مصير كتب ابن مسرة وابن حزم .

١ ــ وهذا ابن الابار قتل طعنا بالحراب لأنه هجا السلطان سنة ٦٥٨ وفى اليوم التالى أحرق رفاته ومصنفاته وأشعاره وأجازاته العلمية محرقة واحدة (١٧).

وهذا شهاب الدين السهروردى قتل بحلب ٥٨٧ هـ قاربت كتبه الخمسين ولم يبق منها الا هياكل النور طبع ومجموعة ضخمة فى الحكمة الالهية نشرتها له جمعية المستشرقين الالمانية (١٨) .

وسأذكر بعض الامثلة على ضياع معظم كتب العلماء .

هذا ياقوت مؤلف معجم البلدان والادباء والمشترك لم يبق من كتبه الا هؤلاء الثلاث فقط ..

والقفطى الوزير الاديب بلغت مؤلفاته ستة وعشرين ولم يبق منها الا ثلاثة فقط (١٩) .

وأبو حيان الاندلسى المولود بغرناطة فى شوال ٦٥٤ هـ والمتوفى بالقاهرة ٧٤٥ ألف وخمسة وستين مصنفا كثير منها فى أكثر من مجلد ولم يبق له الا خمسة عشر (٢٠) .

وابن الخطيب الوزير المشهور صاحب كتاب الاحاطة فى تاريخ غرناطة بلغت مؤلفاته ستين لم يبق منها الا ثلثها (٢١) .

وماذا بقى لأبى العلاء المعرى الا سقط الزند واللزوميات ورسالة الغفران والفصول والغايات وهو ناقص لا يوجد الا الجزء الاول فقط .. ورسائله ، أما الشعر فيكفى أن نذكر فيه مقالة أبو عمرو بن العلاء (٢٢) .

« ما انتهى اليكم مما قالته العرب الا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير » ..

ومن الشعراء الفلاسفة الذين ضاع شعرهم ابن الشبل البغدادى والخريمى من شعراء بغداد فى عهد الامين والمأمون وابن الحجاج من شعراء بغداد فى عصر ملوك الديالمة وكان ديوانه فى عشرة مجلدات يباع بالثمن الغالى كما روى ابن خلكان .

وهناك كتب ابتسم لها الزمان بعد عبوسه نصف ابتسامة فضاعت أصولها ولكن الترجمة أبقتها للعالم مثل شروح ابن رشد الفيلسوف الاندلسى لأرسطو فقد ترجمت الى اللاتينية والعبرية ، أما الاصول العربية فهى ضائعة ..

ومنها كتب بقى القليل من نصوصها محفوظا فى مؤلفات من نقلوا واقتبسوا عنها وعلى سبيل المثال فقد حفظ لنا الثعالبى فى كتابه يتيمة الدهر شعرا كثيرا ضارعت دواوين شعرائه أو بقيت منها نسخة أو بقية صادفها رجل من أهل البصر بالكتب والتقدير لما فيها والمال الذى يشتريها فأنقذها (٢٣) من العدم ومن هذا الجزء الاول من الفصول والغايات (٢٤) الذى عثر عليه محب الدين الخطيب فى دشت اشتراه من شيخ وراقى بمكة المكرمة عام ١٣٣٧ هـ واستخرجه ورتبه ثم حفظه بالمكتبة التيمورية الى أن طبع ونشر .

أحيا الله الموتى من الكتب وبعث ما فى القبور من المخطوطات على يد الطبع والنشر ..

وبعد فكم سررت بهؤلاء الذين اشتهروا بحب الكتب وأفنوا فى جمعها ومطالعتها وحفظها أعمارهم .. وانفقوا كثيرا مما ملكته أيديهم من أجل الحكمة المسجلة والعلم المعروف والأدب الخالد .. وسبحان من وضع فى كل قلب ما يشغله ..

ثم حزنت وأنا أجمع هذه المعلومات التاريخية المتناثرة فى بطون الكتب والصحف حول التراث المفقود فأورثت فى الصدر غلة لا مياه النيل ترويها ولا أمواه دجلة كما قال المرحوم أحمد شوقى ..

---

(١) ص ٣١١ جـ ٦ أدباء ياقوت ط مرجليوث .
(٢) ص ٢٣٩ جـ ١٢ أدباء ياقوت ط فريد رفاعى .
(٣) ص ٤٠٣ جـ ٣ دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية الطبعة الثانية .
(٤) ص ١٤٩ تاريخ العرب فى اسبانيا محمد عبد الله عنان ط ١٩٢٤ .
(٥) ص ٤٧ ملوك الطوائف بالاندلس لدوزى ترجمة كامل كيلانى .
(٦) ص ٥١ جـ ٩ الخطط التوفيقية على مبارك مادة برنبال .
(٧) ص ٨٧ دليل جامعة الدول العربية وبطرس غالى ١٩٧٠/٣ الاهرام الاقتصادى .
(٨) ص٣٤٢ جـ ٢ بلدان ياقوت .
(٩) ص ٣١٥ جـ ٢ أدباء ياقوت ط مرجليوث .
(١٠) ص ١١ جـ ٥ وفيات الاعيان لابن خلكان .
(١١) ص ٢١ جـ ٥ بلدان ياقوت .
(١٢) ص ٣٦ جـ ٨ بلدان ياقوت — مرو .
(١٣) مقدمة طوق الحمامة فى الالفة والآلاف.
(١٤) ص ٢٦٥ خلاصة تاريخ العرب لسيديو .
(١٥) ص ٥٦ جـ ٨ بلدان ياقوت .
(١٦) ص. جـ مقدمة رسائل الجاحظ نشر باول كراوس ومحمد طه الحاجرى ١٩٤٣ .
(١٧) ص ١٩٥ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية ، الطبعة الثانية .
(١٨) أضواء من الماضى سامى الكيالى اقرأ ص ٩٢ .
(١٩) مجلة العربى الكويتية ١٩٧٠/٢ ابراهيم القطان .
(٢٠) ص ٤٥٨ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية .
(٢١) ص ٤٥٨ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية .
(٢٢) ص ٢٦٩ جـ ١ دائرة المعارف الاسلامية .
(٢٣) ص ١٧ طبقات الشعراء لابن سلام الجمحى .
(٢٤) مقدمة الفصول والغايات لابى العلاء المعرى .

المعاني المستوحاة من الحج

للأستاذ : جابر حمزة فراج

ان الناظر الى أداء فريضة الحج يرى عجبا .. والرائى لا يشاهد الا ما يدعو الى الدهشة فاذا رأيت ثم رأيت موكبا من مواكب الله وقافلة من قوافل الايمان .. وجيشا من جيوش الحق .. وجندا من جنود اليقين .. هديرهم تكبير .. وهتافهم تسبيح .. ونداؤهم تلبية .. ودعاؤهم تهليل .. مشيهم عبادة .. وزحفهم صلاة .. وسفرهم هجرة الى ربهم .. وغايتهم مغفرة ورضوان .. تراهم فى حشدهم صورة متكاملة متناسقة فى اطار نورانى على اختلاف أجناسهم .. وتباين اللغات وتغاير الأوطان .. اجتمعوا على كلمة الله .. والتأموا فى بيت الله .. والتحموا امام الله فى رحمة وعطف .. وحنان ، شعار كل فرد منهم ((واخفض جناحك للمؤمنين)) .. مظهرهم كأنهم بنيان مرصوص .. تركوا البلاد والديار والأهل والأولاد .. والتجارة والأعمال .. لم تسقهم قوة قاهرة .. ولم تجبرهم قوانين دنيوية .. بل جاءوا مندفعين بدافع من أعماقهم منبثق من وجدانهم نابع من فيض ايمانهم .. ومعين يقينهم .. قطعوا الفيافى والقفار .. واجتازوا الجبال والوديان .. وعبروا البحار والأنهار .. وطاروا على متن الهواء .. قاصدين بيت الله الحرام .. يعيشون فى رحابه .. وينعمون بقدسيته .. مستشرفين بضيافته متلمسين لرحمته .. مستهدفين المغفرة .. مستمطرين الرضوان كما قال ربهم ((واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا)) ..

البيت الحــرام : —

هو بيت العز والشرف ، بيت المجد والكرم ، بيت الرجاء والأمل .. واحة الضال .. وهداية التائه .. وملجأ القاصد .. وملاذ الخائف .. ومقام الطائف ، والعاكف .. من دخله كان آمنا .. فى جنباته الطهــر والنقاء .. وعلى أبوابه البذل والعطاء .. وبين أركانه الجود والسخاء .. فالأجر مضاعف .. والجزاء موفور .. والذنب مغفــور .. والســعى مشكور .. عند رب لا تغلق رحابه .. ولا تســد أبوابه .. لا يخيــب سائلا .. ولا يرد طالبا .. فهو الحليم الذى لا يعجل .. والكريم الــذى لا يبخل .. وفى ميدان هذا البيت يتجلى الدين فى أروع صورة وأبــدع مظهر .. جموع تطوف وتطوف .. وفئات تصعد وتنحدر بين الصــــفا والمروة .. فمن خلال الطواف نتعلم النظام ، ونتدرب على التعاون وانكار الذات ، ونتلقى دروسا عملية فى الآداب ، والمروءة ، والحب . والعطف والحنان ، ونؤمن بأن التوجيه الدينى أسمى من أى توجيه ، فأى توجيــه تكون له مثل هذه الفعالية .. ان الجيوش تحتاج الى ربط واحكــام ، وضبط ودقة .. بعد تدريب متواصل .. واشراف حازم .. الا أننا نرى الحجيج — على كثرتهم واختلاف أجناسهم وتباين لغاتهم — يسيرون فى اتجاه واحد .. وارتباط وتآزر ، ووحدة وتكاتف .. ووسط التلبية الهادرة ، والأصوات العالية .. اذا أذن المؤذن سمعوا الأذان .. ولبوا النداء .. فاذا بالجميع وقوف وكأن على رؤوسهم الطير .. لا تســـمع حينئذ الا همسا .. ولا تحس الا أنفاسا ، ولا ترى الا أجساما منظومة ، وأقدامــا مصفوفة .. اذا ركع امامهم ركعوا ، واذا ماسجد سجدوا ، واذا قرأ أنصتوا ، واذا دعا أمنوا .. انها صورة من صور الجمال .. من الحسن والجلال .. ومشهد من مشاهد الكمال .. ولتأت الدنيا .. الدنيا كلهــا لتطل على هذا المنظر البديع المتناسق .. وليشهد الوجود كل الوجود . بأن الاسلام هو دين النظام .. ودين التضامن .. ودين الألفة .. وديــن الحياة ..

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ..

نعم يا ابراهيم .. أذن .. أذن .. أذن .. فالدنيا تســمعك .. والكون يصغى اليك .. والجود يلبى .. فنداؤك عبر الزمان .. ينشر على الارض السلام .. ودعاؤك يبعث فى الآفاق رونق الحياة .. وعجبت يا ابراهيم عندما قال لك ربك اذن يا ابراهيم .. فقلت وقتئذ وما يبلــغ صوتى ؟ فقال لك مولاك .. يا ابراهيم عليك الأذان .. وعلينا البلاغ .. فناديت فى الأجواء والآفاق .. يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحــج فحجوا .. فلبى نداك أهل الأرض وأهل السماء .. حتى النطف فـــى أصلاب الرجال .. والأجنة فى أرحام الامهات ..

السعى بين الصفا والمروة : —

ومن خلال السعى بين الصفا والمــروة يستشعر الحجــاج معنى التضحية والجهد .. هذا الجهد الذى قاسته السيدة هاجر من أجل شربة

ماء تروى غلة طفل رضيع أنهكه الجوع وأرهقه الظمأ .. امرأة وحيدة وسط الجبال الشاهقة .. وبطون الوديان السحيقة تهرول هنا وهناك .. فى صعود وانحدار .. وحيرة واضطراب .. يمزق أحشاءها أنين ولد عليل .. جف ريقه .. وجمد لسانه اللاهث من شدة العطش .. فاذا ما اشتد الخطب .. وادلهم الأمر .. تجلت رحمة الله كالنور بعد الظلمة .. كالأمل الباسم وسط اليأس الحالك .. فتفجر الماء سلسا .. وانساب عذبا دافقا انه بئر زمزم .. زمزم الميمون .. زمزم المبارك .. النبع الطاهر .. الرحيق الحلو .. الدواء الشافى .. ليعرف الناس أن الله تعالى لا ينسى مخلوقاته .. وأن الفرج بعد الضيق .. وأن مع العسر يسرا .. « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا » ..

الوقوف بعرفات : ـ

وفى الموكب الالهى .. وفى الركب الروحانى .. وفى مسيرة الايمان .. يتوجه الحجاج بين الزحام المتكاثف .. وسط الجموع الصاخبة .. وخلال الكتل الزاحفة قاصدين عرفات .. متجردين من ملابسهم اللهم الا من إزار ورداء أبيضين يتساوى فيهما الغنى ذو المال الوافر والجاه العريض .. بالفقير والمسكين ليتذكروا جميعا ذلك الكفن الذى يلفهم عند وداعهم الأخير .. وكما قال عيسى عليه السلام « يا أيها الناس لقد جئتم الى الدنيا وأنتم عراة وستخرجون منها وأنتم عراة » .

ان هذا الزحام المائج يذكرهم كذلك بيوم الحشر وما فيه .. يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .. فى عرفات تذوب الطبقية .. وتتلاشى التفرقة .. وتتجسد المساواة الحقة .. المساواة الصادقة .. المساواة الخالية من كل تكلف أو خداع .. المساواة التى فقدت فى العالم المتحضر .. وضاعت فى دنيا المدنية الزائفة ..

عند الصعود الى عرفات .. يتسابق الحجاج ويتنافسون .. يتسابقون الى ربهم .. ويتنافسون فى كسب رضاه .. لله درك يا عرفات .. فيك ينسى المؤمن الدنيا وما فيها من متاع .. ويهجر الحياة بما تحويه من ترف وملذات .. لا يهمه لفح الهجير .. أو وهج الشمس .. ولا يمنعه شدة برد .. أو هطول مطر .. لأنه خرج من نطاق البشرية الى رحاب الروحانية .. لأنه انسلخ من المادية الى عالم المعنويات .. لأنه تجرد من ترابيته ليصعد الى الملأ الأعلى .. الملائكة .. وينتظم فى صفوف الأبرار .. أى سحر فيك يا عرفات ؟؟ ان البصر لا يقع عليك الا ويرى عابدا يتبتل .. ومذنبا يتوجع .. ومؤمنا يخشع .. ومصليا يركع .. وعاصيا ذا عين تدمع .. فكأنى بك بحيرة قدسية تغسل الآثام .. وتمسح الخطايا .. وتمحو السيئات .. يومك يوم نور .. ويوم رحمة .. يوم بركة .. ويوم عطاء .. يوم يباهى به الله ملائكة السماء .. فتبتسم الآفاق .. وتشرق الأكوان .. ويعم الغفران . .فينتحر الشيطان ..

كأنى بالحجاج يسألون عرفات عن هذه الأمجاد التى اعتلت ذروته ..

وتلك الكتائب الأولى التى عاشت على سطحه فترة من الزمن .. وكأنى بالجبل الرحيب يقول : كانوا أبطالا أفذاذا جنودا بواسل .. كانوا أنقياء أطهارا .. صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا تعرفهم بسيماهم من أثر السجود .. فرضى الله عنهم ورضوا عنه وذلك هو الفوز المبين ..

كأنى بالجبل الأشم يذكرنا بالقائد الأعظم .. بالــزعيم الأكبر .. بالمرشد الملهم .. محمد بن عبد الله وهو يلقى أسمى خطاب فى الوجود .. وأخلد حديث على صفحات الزمان .. وأظهر دستور عرفه التاريخ فـــى حجة الوداع .. يرسم للبشرية طريق خلاصها .. وسبيل مجدهـــا .. ودروب سعادتها .. وسكب فى أذن الدنيا أصدق قانون .. فيه صـــلاح المجتمع .. وتقويم للخلق أجمعين .. صان فيه حقوق الناس .. وكرامة الأنسان « اليوم أكملت دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينـــــا » .

زيارة الحبيــــــب : —

زيارة تختلف عن كل زيارة .. زيارة فيها السعادة والهناء .. زيارة فيها الصدق والوفاء .. زيارة فيها الفوز والفلاح .. لأنها نزهة القلب .. لأنها فرحة الفؤاد .. لأنها فسحـــة الروح .. لأنها متعة الخـــاطر .. لأنها فرصة الحياة .. زيارة فواحة بالعطر شذية العبير .. دافعــــة بالطهر .. وهاجة بالنور .. فياضة بالأمل الوضاء .

انها زيارة محمد عليه السلام أفضل العابدين .. درة الخاشعين .. سيد المرسلين .. انه أعظم مخلوق فى الوجود .. انه تاج الشرف عـــلى رؤوس البشر .. انه وشاح الحق على كتف الزمن .

وعبر هذه الزيارة الخاشعة .. تنهمر الدموع .. ويشتد النحيب .. وينتفض الوجدان .. فالكل أتى يدفعه شوق جارف وحنين عارم .. وشغف متحفز .. لزيارة رائد الانسانية ، ومعلم البشرية .. وباعث المحبة .. ليكحـــل العين برؤياه .. ويضمـــخ النفس بلقياه .. متنسمـــا ريـــح الجنة .. وأريج الفردوس .. فى صمت وخشوع .. ورهبة ورغبة .. وروعة وجلال .. فهنا مهابط الوحى .. ومنابع الطهر .. ومنزل الرحمة .. وشاطىء الأمان .. ومشرق الحضارة .. ومحراب القداسة .. ومن خلال تلك الرحـــاب .. يتفجر الايمـــان .. وينطلق اليقين .. وينبثق الدين .. وتذوب النفس فى كؤوس الصفاء .. فيبدو الحاج وقتئذ مجلوا بنور الله .. وضاء بشعاع التقوى .. ومزودا بخير زاد ، مغتسلا من الخطايا والآثام .. متوجا بتاج العز والكرامة .. عليه فيض من رضى .. وغمرة من حنان .. ولمسة من رحمة .. وهكذا يعود الحجاج من رحلتهم الميمونة ، ودراستهم المباركة ، الى بـــلادهم فى تألق واشراق ، ونقـــاء وانطلاق ، يمنحون الحياة الخير والرجاء ، وينشرون البر والسلام ؟

عمر بن الخطاب

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

مولـــده ونسبه :

قال الحـــافظ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الاستيعاب « ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة . وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : « إنه ولد بعد الفجار الاعظم بأربع سنين ، وذلك قبل المبعث النبوى بثلاثين سنة ، ورواية ابن عبد البر أوضح وعليها يكون النبى صلى الله عليه وسلم أسن من عمر بن الخطاب بثلاث عشرة سنة » .

فأما نسبه فهو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوى القرشى أبو حفص وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية . قاله الحافظان ابن عبد البر وابن حجر وقال ابن هشام : « وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة وعلى هذا تكون أمه أخت أبى جهل بن هشام بن المغيرة » . .

وقال أبو عمر بن عبد البر : « وقالت طائفة فى أم عمر : حنتمة بنت هشام بن المغيرة ومن قال ذلك فقد أخطأ . ولو كانت كذلك لكانت أخت أبى جهل بن هشام بن المغيرة وليس كذلك وانما هى ابنة عمه . فان هاشم بن المغيرة وهشام بن المغيرة أخوان . فهاشم والد حنتمة أم عمر وهشام والد الحارث وأبى جهل . وهاشم بن المغيرة هذا جد عمر لأمه كان يقال له ذو الرمحين » .

صفته الخلقية :

قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : « وأخرج ابن أبى الـــدنيا بسند صحيح عن أبى رجـــاء العطاردى قال : كان عمر طويلا جسيما أصلع أشعر شديد الحمرة كثير السبلة فى أطرافها صهوبة وفى عارضيه خفة » . .

وروى يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسند جيد الى زر بن حبيش قال رأيت عمر أعسر أصلع آدم قد فرع الناس كأنه على دابة قال فذكرت هذه القصة لبعض ولد عمر فقال سمعنا أشياخنا يذكرون أن عمر كان أبيض فلما كان عام الرمادة وهى سنة المجاعة ترك أكل اللحم والسمن وأدمن أكـــل الزيت حتى تغير لونه وكان قد أحمر فشحب لونه .

وروى الدينورى فى المجالسة عن الأصمعى عن شعبة عن سماك كان

عمر أروح كأنه راكب والناس يمشون والاروح الذى ــ يتدانى عقباه اذا مشى .
وأخرج سعد بسند فيه الواقدى كان عمر يأخذ أذنه اليسرى بيده اليمنى ويجمع جراميزه ويثب على فرسه فكأنما خــلق على ظهره » .
وقال الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب « وكان آدم شديد الادمة طوالا كث اللحية أعسر أيسر يخضب بالحناء والكتم .
نكتفى بهذا القدر من صفة خلقه بفتح الخاء وفيها ألفاظ تحتاج الى توضيح ليعم النفع القراء كلهم قويهم وضعيفهم .
الفجـــار : قال فى اللسان : « قال الجوهرى الفجــار يـــوم من أيام العرب وهى أربعة أفجرة ، كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية وكانت الدبرة على قيس وانما سمت قريش هذه الحرب فجارا لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا قد فجرنا فسميت فجارا .
والصهوبة : حمرة شعر الرأس واللحية .
والأعسر : هو الذى يشتغل بيده اليسرى والأعسر اليسر هو الذى يشتغل بيديه جميعا . وقد روى أن عمر كان كذلك .
والأدمة : الحمرة وهى حمرة ناشئة عن بياض لأنه جاء فى وصف عمر أنه كان أبيض وقوله فرع الناس : أى كان أطول منهم ، وقوله كأنه على دابة : أى اذا مشى مع القوم فكأنه راكب لطــول قامته .
شحب لونه : شحب اللون ككرم ، وشحب كمنع تغير لونه من هزال أو عمل أو جوع أو سفر .
وهذا من مناقب عمر التى لا يتصف بها الا خليفة نبى لان المجاعــة فى العادة لا تصيب الا عامة الناس ، أما الرؤساء فلا يجوعون وعمر رضى الله عنه فضل الجوع وترك الطيبات من الطعام عند قلّته إيثارا للعامة على نفسه . رحمه الله ورضى عنه فويل لمن يتنقصه من المبتدعين الضالين .
قوله سعد : لعل الصواب ابن سعد .
وجراميزه : ثيابه ويدل ذلك على أن عمر كان رياضيا ، قوى الجسم لأن ركوب الخيل بالصفة المذكورة لا يتأتى الا لقليل من مهرة الرياضيين . وفى ذلك دليل على أن المسلم ينبغى له أن يكون قوى البدن مرتاضا . قال الله تعالى فى سورة البقرة فى قصة طالوت حين قال بنو اسرائيل لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله فاخبرهم أن الله سبحانه بعث لهم طالوت ملكا . فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال . فظنوا لجهلهم أن الملك خاص بالأغنياء فرد عليهم نبيهم بقوله : « إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكــه من يشاء والله واسع عليم » .
فالملك لا يكون أهلا للملك بسبب ثروته وكثرة ماله ، ولــكن لقــوة جسمه وعلمه وتقواه . فان مال الدولة يكون بيــده وهو الــذى يقسمه طبقا لما أمر الله به أن يقسم فما حاجته الى المال . وهكذا قال العــرب أهل مكة : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » « سورة الزخرف » فرد الله عليهم بقوله « أهم يقسمون رحمة ربك » فظنوا لجهلهم أن النبوة لما كانت الرئاسة ملازمة لها لا تكــون الا لمن كان غنيا كثير المال

وقوة الجسم ، والرياضة البدنية من السنة التى اتصف بها الأنبياء ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحظ الأوفر من ذلك فقد ثبت فى صحيح البخارى أنه سابق عائشة أم المؤمنين فسبقته فلما ثقل جسمها باللحم سابقها مرة أخرى فسبقها وقال لها هذه بتلك .

وقوله : **يخضب بالحناء والكتم** : ذكر الحافظ فى الفتح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بهما وقد جاء مثل ذلك عن النبى . وقلت فى ذلك شعرا .

إنى لأخضب بالحناء والكتم   أقفو بذلك خير العرب والعجم

محمدا وأناسا من صحابته   كانوا مصابيح تجلو داجى الظلم

والكتم : يسمى بالعامية العراقية « الوسمة » وهو نبات شديد الخضرة وصفة الخضاب بها أن يخضب الرأس أو اللحية أو هما معا بالحناء ويبقى ثلاث ساعات ثم يغسل الشعر غسلا جيدا ويخضب بالكتم وبعد ساعة يغسل الشعر فيصير أسود ..

صفته الخلقية :

قال الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ « أبو حفص العدوى الفاروق وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أيد الله به الاسلام وفتح به الأمصار وهو الصادق المحدث الملهم الذى جاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو كان بعدى نبى لكان عمر » الذى فر منه الشيطان وأعلى به الايمان وأعلن الأذان .

قال نافع بن أبى نعيم عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه .. وأين مثل أبى حفص فما دار الفلك على مثل شكل عمر هو الذى سن للمحدثين التثبت » انتهى .

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ما نصه :

قال الزبير وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أشراف قريش واليه كانت السفارة فى الجاهلية ، وذلك أن قريشا كانت إذا وقعت بينهم حرب ، أو بينهم وبين غيرهم بعثوا سفيرا وان نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر رضوا به ولقبوه منافرا أو مفاخرا .

اسلامه :

قال ابن اسحاق وكان اسلام عمر — فيما بلغنى — أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما خوفا من عمر وكان نعيم ابن عبد اله النحام رجل من قومه من بنى عدى بن كعب قد أسلم وكان أيضا يستخفى باسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الأرت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن . فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم فيمن أقام

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابىء الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الارض وقد قتلت محمدا . أفلا ترجع الى أهل بيتك ، فتقيم أمرهم قال : وأى أهل بيتى ؟ قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه . فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها (سورة طه) يقرئهما اياها . فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم ، أو فى بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهيمنة التى سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد . فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك . . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ماصنع فارعوى وقال لأخته أعطنى هذهالصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا ، أنظر ما هذا الذى جاء به محمد وكان عمر كاتبا ، فلما قال ذلك قالت له أخته إنا نخشاك عليها . قال لها لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها . فلما قال طمعت فى اسلامه وأعطته الصحيفة وفيها « طه » فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام ، فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له : يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس وهو يقول : « اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر » فقال له عند ذلك عمر : فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال له خباب هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف . فقال حمزة بن عبد المطلب : فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له . فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة . فقال عمر : يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم . فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا فى

انفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم .

وذكر ابن هشام عن ابن اسحاق فى سبب اسلام عمر قصة أخرى اختصرها فيما يلى :

قال عمر : كنت أحب الخمر وأشربها فى الجاهلية . وكان لى رفقاء ينادموننى على شرب الخمر وكان لنا مجلس معلوم نجلس فيه كل ليلة نشرب الخمر فذهبت ليلة الى المجلس فلم أجد منهم أحدا فقصدت حانة لخمار مكة لأشرب فلم أجده فقصدت الكعبة لأطوف بها سبعا أو سبعين فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين الركنين ركن الحجر الاسود والركن اليمانى — مستقبلا الشام جاعلا البيت بينه وبين قبلته فأردت أن أستمع لقراءته دون أن يعلم بمكانى فجئت الكعبة من قبل الحجر فدخلت تحت كسوتها وأخذت أمشى بين جدارها وثوبها حتى قمت فى قبلته مستقبلا له وهو لا يرانى ولا يعلم بوجودى .

فلما سمعت القرآن رق قلبى له حتى بكيت فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته انصرف الى بيته فتبعته حتى أدركته فى الطريق فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى فظن انى تبعته لأوذيه ، فنهمنى (أى زجرنى) ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ فقلت جئت لأومن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ومسح صدرى ودعالى بالثبات .

واذا أردنا أن نجمع بين القصتين نقول : إن القصة الأولى سابقة للثانية وأن عمر حين قرأ الصحيفة فى بيت أخته مال قلبه الى الاسلام ولكن أراد أن يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم القرآن فاحتال لذلك حتى سمعه منه فازداد يقينا وأسلم فى تلك الليلة ثم قصد بعد ذلك دار الأرقم التى عند الصفا وأعلن اسلامه .

ويؤيد ذلك ما روى ابن اسحاق فى السيرة « عن أم عبد الله بن عامر ابن ربيعة بنت أبى حثمة . قالت : والله إنا لنرحل الى أرض الحبشة وقد ذهب عامر أى زوجها فى بعض حاجاتنا اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه : قالت : وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا . قالت فقال : انه للانطلاق يا أم عبد الله . قالت فقلت نعم والله . لنخرجن فى أرض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا فرجا . قالت : فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها . ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا . قالت فجاء عامر بحاجته تلك . فقلت له : يا أبا عبد الله : لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا . قال : أطمعت فى اسلامه قالت : نعم . قال فلا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ، قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على أهل الاسلام » . .

ومن ذلك يظهر لنا أن اسلام عمر لم يكن فجأة فانه من المستبعد فى طباع البشر أن يكون الرجل على دين متعصبا له أشد التعصب ويرى دينا جديدا فيحاربه أشد المحاربة ثم ينتقل من الدين الاول الى الثانى فجأة بدون أن يتقدم انتقاله فترة تردد وتأمل . وهذا مشاهد معروف عند من خبر أحوال المنتقلين من دين الى دين .

ومما يناسب ذلك أنى كنت فى برلين الغربية سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف بتاريخ النصارى فقصدت الجامع لصلاة الجمعة وهو فى

القسم الغربى ، وكنت أعرفه وأصلى فيه حين كنت طالبا ومدرسا هناك من سنة تسع وثلاثين الى سنة اثنتين وأربعين بالتاريخ المذكور فلما رآنى الامام دعانى لأصلى بهم الجمعة وبعد الفراغ من الصلاة قام وخطبهم هو باللغة الجرمانية ثم أخذنا نتجاذب أطراف الاحاديث فرأيت رجلا حسن الاصغاء لكل حديث يدور حسن السمت تظهر عليه الرغبة فى الازدياد من علوم الاسلام ويكثر الاسئلة فقلت له يا أخى تسمح لى أن أسألك منذ كم سنة أسلمت ؟ فقال لى لم أسلم بعد ! فقلت ولماذا جئت الى هنا وحضرت الصلاة ؟ فقال حضرت الصلاة ولم أصل !! ولكن استمعت الى الخطبة التى القيت باللغة الجرمانية فقلت هل زرت المسجد قبل هذه المرة ؟ فقال لى منذ سنة لم تفتنى ولا جمعة واحدة ومسكنى بعيد من المسجد أركب ساعة فى القطار لأصل إليه فقلت له : والى الآن ما تبين لك أن الاسلام حق ؟ فقال لى : أريد أن أزداد يقينا حتى يكون اسلامى مبنيا على أساس متين فان قلت : هذا الالمانى بقى سنة يدرس الاسلام وعمر فيما ذكرت لم يبق الا مدة قصيرة فهل كان الالمانى أكثر تثبتا منه ؟ فالجواب ان بين الالمانى وعمر فرقا شاسعا لأن الالمانى لا يعرف لسان القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولا يستطيع أن يقرأ القرآن أو يسمعه فيفهمه وانما يعتمد على ترجمة المترجمين ومن الفروق أن عمر يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صباه ويعرف صدقه وأخلاقه ويعرف من آمن به قبله وهم أربعون رجلا واحدى عشرة امرأة وكيف ثبتوا على دينهم واستعذبوا العذاب فيه ، وصبروا على مفارقة الوطن بل كان عمر يشاهد نور رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحجب الا عن شقى .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر بسند ذكره من طريق ابن معين عن هلال بن يساف قال :

« أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة قال أبو عمر فكان اسلامه عزا ظهر به الاسلام بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم » ..

وقال الحافظ ابن حجر فى الاصابة بسند ذكره عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : « اللهم أعز الاسلام بأبى جهل ابن هشام أو بعمر بن الخطاب » فأصبح عمر فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج أبو يعلى وذكر سنده الى ابن عمر قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هشام وكان أحبهما الى الله عمر بن الخطاب » ..

وأحب هنا أفعل تفضيل من حب بضم الحاء مبنيا لما لم يسم فاعله وقد منعه ابن مالك ولكنه كثير من كلام العرب ، وهو من جريان أفعل التفضيل على غير بابه فأحب هنا بمعنى محبوب لأن أحدهما وهو أبو جهل لا يشارك الآخر فى محبة الله حتى يفضل عليه فهو كقولهم الأشج والناقص أعدلا ملوك بنى مروان — أى عادلا ملوك بنى مروان اذ لا عادل فيهم غيرهما .

ثم ذكر الحافظ روايات متعددة لهذا الحديث عن جماعة من الصحابة تختلف ألفاظها ويتفق معناها .

بعض مناقبـــه :

١ — منها ما تقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا أن يعز الله الاسلام ويشده برجل يحبه الله تعالى فكان ذلك الرجل فثبتت له محبة الله تعالى ..

٢ — ومنها ما رواه البخارى فى صحيحه فى باب مناقب عمر بسنده الى جابر بن عبد الله قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « رأيتنى دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبى طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا ؟ فقال هذا بلال ورأيت قصرا بفنائه جارية فقلت لمن هذا ؟ قال لعمر فأردت أن أدخله فأنظر اليه فذكرت غيرتك فقال : عمر بأبى وأمى يا رسول الله أعليك أغار » ؟ انتهى .

والخشفة بفتح أوله وثانيه أى حركة وقع الاقدام ، وفى رواية أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى الى جانب قصر عمر امرأة تتوضأ والباقى مثل ما تقدم وفيها زيادة أن عمر حين سمع ذلك بكى وقال أعليك أغار يا رسول الله » .

٣ — ومنها ما أخرجه البخارى بسنده الى حمزة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا أنا نائم شربت يعنى اللبن حتى أنظر الى الرى يجرى فى ظفرى أو فى أظفارى ثم ناولت عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال : العلم » .

فهذه شهادة من النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بالعلم النافع الذى أخذه عنه عليه الصلاة والسلام .

٤ — ومنها ما أخرجه البخارى فى مناقبه عن عبد الله بن عمـــر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة على قليب ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين نزعـــا ضعيفا والله يغفر له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا ، فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطـــن ..

قال ابن جبير العبقرى عتاق الزرابى ، وقال يحيى : الـــزرابى : الطنافس لها خمل رقيق مبثوثة كثيرة .

شرح بعض ما يعسر فهمه على بعض القراء من هذا الحديث .

على دلو بكرة : البكر بفتح الباء والكاف : خشبة مستديرة يعلق عليها الدلو لتسهيل نزعه من البئر — والقليب البئر . الذنوب الدلو الممتلئة ماء الغرب . الدلو العظيمة تتخذ من جلد ثور يعنى أن عمر لما أخذ الدلو عظمت فى يده وكبرت وذلك اشارة الى كثرة الفتوحات التى أجراهـــا الله على يديه واتساع حوزة الاسلام ، ولم يقع مثل ذلك فى خلافة أبى بكر الصديق ، ولكن له مناقب أخرى كثيرة لا يشاركه فيها عمر .

والعبقرى : قال أبو عمر : وعبقرى القوم سيدهم وقيمهم وكبيرهم .

حتى روى الناس وضربوا العطن . قال فى اللسان العطن للابل كالوطن للناس ، يعنى حتى رويت الابل وبركت بمعاطنها ، كناية عما تقدم من كثرة الفتوحات والارزاق ، وانتشار العدالة والامن ، ورغـــد العيش وصلاح الاحوال .

٥ — وأخرج البخارى عن سعد بن أبى وقاص قال استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش

يكلمنه ويستكثرن عالية أصواتهن على صوته — فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ، فقال أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم . « عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب » قال عمر : « فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله » ثم قال عمر « يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله » فقلن : نعم أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إيه يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجك » .

قولهن « أنت أفظ وأغلظ » جرى أفعل التفضيل أيضا على غير بابه ، فان النبى صلى الله عليه وسلم ليس عنده شىء من الفظاظة ولا من الغلظة حتى يشارك عمر فيهما ويكون عمر أشد منه فى ذلك ، قال الله تعالى « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » معناه برحمة الله وفضله لنت يا محمد لاصحابك فأحبوك ولو كنت فظا غليظ القلب لتفرقوا عنك ..

قال الجمل فى حاشيته على الجلالين : الفظاظة الجفوة فى المعاشرة قولا وفعلا ، والغلظة التكبر ثم تجوز فيه عن عدم الشفقة وكثرة القسوة فى القلب —

٦ — ومنها أن الله أعز به المسلمين ، فأخرج البخارى بسنده عن عبد الله يعنى ابن مسعود قال عبد الله ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر —

٧ — منها ثناء على رضى الله عنه على عمر ، أخرج البخارى عن ابن أبى مليكة ، أنه سمع ابن عباس يقول : وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع ، وأنا فيهم فلم يرعنى الا رجل أخذ منكبى فاذا على بن أبى طالب فترحم على عمر وقال : « ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى بمثل عمله منك ، وايم الله ان كنت لأظن ، أن يجعلك مع صاحبيك وحسبت أنى كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر »

٨ — ومنها بشارة النبى صلى الله عليه وسلم بالشهادة أخرج البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : صعد النبى صلى الله عليه وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال: « أثبت فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيدان » .

٩ — منقبة التحديث والتكليم . ومنها ما أخرجه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فيما قبلكم من الامم ناس محدثون فان يكن من أمتى أحد فانه عمر » ، زاد زكرياء بن زائدة عن سعد عن أبى هريرة قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد كان فى من كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن فى أمتى منهم أحد فعمر » ..

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح . والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم من الموافقات التى نزل

القرآن مطابقا لها ، ووقع له بعد النبى صلى الله عليه وسلم عدة اصابات .

١٠ ـــ شهادة النبى صلى الله عليه وسلم بقوة ايمان عمر ، ومنها ما أخرجه البخارى بسنده فى صحيحه عن سعيد بن المسيب ، وأبى سلمة ابن عبد الرحمن ، قالا سمعنا أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما راع فى غنمه عدا الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها فالتفت اليه الذئب فقال له : « من لها يوم السبع ليس لها راع غيرى ، فقال الناس سبحان الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم فانى أومن به وأبو بكر وعمر وما ثم أبو بكر وعمر » انتهى ، يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم بالايمان أخبر لهذا الامر المغيب . .

١١ ـــ كمال دين عمر :

وأخرج البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدى ، ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص اجتره » قالوا فما أولته يا رسول الله قال : الدين .

١٢ ـــ بشارة النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بالجنة :

أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى موسى رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط من حيطان المـــدينة فجاء رجل فاستفتح ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبى صلى الله عليه وسلم : افتح له (وبشره بالجنة) ففتحت له فاذا هو عمر فأخبرته بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله . ثم استفتح رجل فقال لى : افتح له وبشره الجنة على بلوى تصيبه فاذا عثمان ، فأخبرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال : الله المستعان .

١٣ ـــ ومنها قولـــه « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه » أخرجه الترمذى وأحمد وصححه الحاكم .

وهذا الحديث يدل على فضل عمر رضى الله عنه وتوفيق الله له لاصابة الحق ، وكذلك حديث التحديث والتكليم ، وأحاديث أخرى فى هذا الباب ولا يدل شىء من ذلك على أنه معصوم من الخطـــأ فلا عصمة الا للأنبياء .

وأقتصر على هذا القدر من مناقب هذا الامام رضى الله عنه فانها لا تحصى الا بكلفة ولا يتسع لها المقام .

خلافتـــــه :

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب :

وولى الخلافة بعد أبى بكر بويع له يوم مات أبو بكر رضى الله عنه باستخلافه له سنة ثلاث عشرة فسار بأحسن سيرة ، وأنزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من الناس ، وفتح الله الفتوح بالشام والعراق ومصر ، ودون الدواوين فى العطاء ، ورتب الناس فيه على سوابقهم وكـــان لا يخاف فى الله لومة لائم ، وأرخ التاريخ من الهجـــرة الذى بأيدى الناس اليوم ،

وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين لقصة نذكرها هنا ان شاء اللــه تعالى ، وهو أول من اتخذ الدرة وكان نقش خاتمه « كفى بالموت واعظا يا عمر »

ثم قال أبو عمر « وأما القصة التى ذكرت فى تسمية عمر نفسه بأمير المؤمنين ، فذكر الزبير قال قال عمر : لما ولى كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يقال ، خليفة خليفة يطول هذا ، قال فقال له المغيرة بن شعبة « أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين — قال : فذاك اذن .

استشهاد عمر وسبب قتلـــه :

سبب قتله : المحافظـــة على اقامة العدل بين الناس .

قال ابن عبد البر عن الواقدى بسنده الى الزبير بن العــوام قال : غدوت مع عمر رضى الله عنه الى السوق وهو متكىء على يـــدى فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، ألا تكلم مولاى يضع عنى من خراجى ، قال : كم خراجك قال دينار ، قال ما أرى أن أفعل انك عامل محسن ، وما هذا بكثير ثم قال له عمر: ألا تعمل لى رحى ، قال : بلى ، فلما ولى قال أبو لؤلؤة لأعملن لك رحى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب ، قال فوقع فى نفسى قوله قال فلما كان فى النداء لصلاح الصبـــح خرج عمـــر الى الناس يؤذنهم للصلاة قال ابن الزبير (راوى هذا الخبر عن أبيه) وأنا فى مصلاى وقد اضطجع له عدو الله أبو لؤلؤة فضربه بالسكين ست طعنات احداها من تحت سرته هى قتلته — فصاح عمر أين عبد الرحمن بن عوف فقالوا هوذا يا أمير المؤمنين فقال تقدم فصل بالناس ، فتقـــدم عبد الرحمن فصلى بالناس وقرأ فى الركعتين قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، واحتملوا عمر فأدخلوه منزله فقال لابنه عبد الله اخرج فانظر من قتلنى ، قال فخرج عبد الله بن عمر فقال من قتل أمير المؤمنين فقالوا أبو لولؤة غلام المغيرة بنشعبة فرجع فأخبر فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلى بيد رجل يحاجنى بلا الــــه الا اللـــه .

وقد روى أبو عمر وغيره فى قصة استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبارا كثيرة بأسانيدها وهى لا تخرج عن معنى ما تقـــدم ..

تثبته فى رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم

كان عمر رضى الله عنه متثبتا فى رواية الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمع أحدا يروى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصحاب رسول الله يتردد فى قبوله منه حتى يتيقن وهذا مشهور عنه فمن ذلك ما ذكره الحافظ الذهبى فى التذكرة ، وهو مروى فى كتب الحديث ان أبا موسى الاشعرى رضى الله عنه سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن ، فرجع فأرسل عمر فى اثره فقال لم رجعت ؟ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع قال : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بـــك ، فجاءنا أبو موسى منتقعا لونه ونحن جلوس ، فقلنا ما شأنك فأخبرنا وقال : هل سمع أحد منكم فقلنا نعم كلنا سمعه فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره . أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبى موسى يقول صاحب آخر ففى هذا دليل على أن

الخبر اذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد .

ولا يلزم من كلام الذهبى رحمه الله أن يكون الخبر الواحد ليس بحجة أو أنه لا يفيد العلم ، وان كان أكثر العلماء من المتأخرين يقولون إن الخبر الواحد يفيد الظن فقط ، ولا يفيد العلم الا خبر التواتر ، قال المحققون ان خبر الواحد قد يحتف به من القرائن ما يجعله يفيد العلم ، وقد عقد البخارى رحمه الله لذلك بابا فى صحيحه وأورد حججا كثيرة فليراجع —

ولا يفهم من تثبت عمر رضى الله عنه أنه كان لا يقول بأن خبر الواحد حجة فانه رضى الله عنه هو نفسه حدث بأحاديث كثيرة انفرد بها وقبل خبر الواحد وجعل حجة حين كان يفتى بأن من أجنب ولم يجد ماء الا يتيمم بل يترك الصلاة حتى يجد الماء فجاءه عمار بن ياسر وذكر أنه كان معه فى سرية فأجنبا جميعا فأما عمر فترك الصلاة ، وأما عمار فتمعك كما تتمعك الدابة فى الصعيد ، فلما رجعا أخبرا النبى صلى الله عليه وسلم فقال لعمار : « إنما يكفيك أن تفعل هكذا » وضرب بيده الارض ضربة واحدة فمسح بها وجهه وظاهر كفيه صلى الله عليه وسلم فعند ذلك قال عمر لعمار أبصر ما تقول يا عمار ، فقال ان شئت لم أحدث به ، فقال لا بل نحملك ما تحملت والقصة مشهورة فى كتب الحديث . .

بعض مروياتـــه :

لا يتسع المقام لذكر كثير من مرويات هذا الامام وهى سهلـــة التناول فى كتب الحديث ، ولا سيما كتاب المسند للامام أحمد بن حنبل ، فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٣١٠) أحاديث ولكنى أردت أن أنتخب بعض مروياته لاختم بها هذا المقال تبركا ليكون ختامه مسكا وسأذكره بترتيب المحقق أحمد شاكر رحمه الله — ٨٩ — قال الامام أحمد بسنده عن معمر بن أبى طلحة اليعمرى إن عمر بن الخطـــاب قام على المنبر يـــوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر أبا بكر ثم قال : رأيت رؤيا لا أراها الا لحضور أجلى ، رأيت كأن ديكا نقرنى نقرتين ، قال وذكر لى أنه ديك أحمر فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبى بكر فقالت : يقتلك رجل من العجم قال وان الناس يأمروننى أن استخلف وان الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التى بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يعجل لى أمر فان الشورى فى هؤلاء الستة الذين مات نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فمن بايعه منهم فاسمعوا له وأطيعوا ، وانى أعلم أناسا سيطعنون فى هذا الامر أنا قاتلتهم بيدى هذه على الاسلام أولئك أعداء الله الكفار والضلال وايم الله ما أترك فيما عهد إلى ربى فاستخلفنى شيئا أهم الى من الكلالة وايم الله ما أغلظ الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى شىء منـــذ صحبته أشد مما أغلظ لى فى شأن الكلالة حتى طعن بأصبعه فى صدرى ، وقال تكفيك آية الصف التى نزلت فى آخر سورة النساء وانى ان أعش فسأقضى فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ وانى أشهد الله على أمراء الامصار ، وانى انما بعثتهم ليعلموا الناس ويبينوا لهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويرفعوا الى ما عمى عليهم ، ثم انكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهمـــا الا خبيثتين هذا الثوم والبصل ، وايم الله لقد كنت أرى نبى الله صلى الله عليه وسلم يجد ريحهما من الرجل فيأمر به فيأخذه بيده فيخرج به من المسجد حتى يؤتى به البقيع ، فمن أكلهما لا بد فليمتهما طبخا ، قال فخطب الناس يوم

الجمعة وأصيب يوم الاربعاء ، رواه مسلم أيضاً .

٩ ـــ قال الامام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر قال . خرجت أنا والزبير والمقداد بن الاسود الى أموالنا بخيبر نتعاهدها فلما قدمناها تفرقنا فى أموالنا ، قال فعدى على تحت الليل وأنا نائم على فراش ففدعت يداى من مرفقى فلما أصبحت استصرخ على صاحباى فأتيانى فسألانى عمن صنع هذا بك ، قلت لا أدرى قال فأصلحا من يدى ثم قدما بى على عمر فقال هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيبا ، قال أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم اذا شئنا وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه كما بلغكم من عدوتهم على الانصار قبله لا نشك أنهم أصحابهم ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحقه به فانى مخرج اليهود فأخرجهم .

قال الامام أحمد بسنده عن الحارث بن معاوية الكندى انه ركب الى عمر بن الخطاب يسأله عن ثلاث خلال : قال فقدم المدينة فسأله عمر ما أقدمك ؟ قال لاسألك عن ثلاث خلال قال وما هن ، قال ربما كنت أنا والمرأة فى بناء ضيق فتحضر الصلاة فان صليت أنا وهى كانت بحذائى ، وان صلت خلفى خرجت من البناء ؟ فقال عمر تستر بينك وبينها بثوب ثم تصلى بحذائك ان شئت ، وعن الركعتين بعد العصر ، فقال نهانى عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعن القصص ؟ فانهم أرادونى على القصص ؟ قال ما شئت كأنه كره أن يمنعه قال إنما أردت أن أنتهى الى قولك قال : أخشى عليك أن تقص فترتفع عليهم فى نفسك ثم تقص فترتفع حتى يخيل اليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك .

فى هذا الحديث فوائد أذكر بعضها :ـــ

الاولى : علوهمة السلف وجدهم وصدقهم فى طلب العلم فان الحارث ابن معاوية سافر الى عمر ليسأله عن هذه المسائل الثلاث وكان فى امكانه أن يكتب اليه أو أن يكلف أحد المسافرين أن يسأله ويأتيه الجواب .

الثانية : فقه عمر رضى الله عنه اذ أفتاه أن يجعل ثوبا يحول بينه وبين المرأة وتصلى الى جانبه فكأنه فهم أن الحكمة فى تأخر الزوجة اذا اقتدت بزوجها منع الملامسة وما أشبهها من الاستمتاع كالنظر فأباح صلاتها الى جانبه للضرورة .

الثالثة : كان عمر رضى الله عنه شديدا على من يصلى ركعتين بعد العصر حتى انه تغيظ على على بن أبى طالب حين صلاهما والذى نختاره وندين الله به أن النافلة بعد العصر لا تجوز حتى تغرب الشمس سواء أكان لها سبب أم لا ..

الرابعة : اللغة وما أعظمها من فائدة وأجدرها بالاعتبار وهى القصص ومعنى القصص فى لغة ذلك الزمان الوعظ والتعليم فقد خاف عمر رضى الله عنه على سائله مع فضله وتقواه وورعه اذا انتصب للوعظ والارشاد أن يشعر بالتعاظم والكبر فيخسر خسرانا مبينا فنهاه عن ذلك ..

ومحل ذلك اذا كان هناك من العلماء من يقوم لهذا الواجب ولم يتعين عليه والا وجب عليه أن يستعين بالله تعالى على النفس الامارة ويعظ ويعلم ويرشد ولا يترك الوعظ خوفا من ذلك ..

الحج

والعبادة المتكاملة

اذا لم يكن فى الفكر القرآنى غير تلك الصورة المتكاملة التى تستوعب فى خطوطها وألوانها أبعاد الوجود الانسانى كله ، فقد كفاها برهانا على عظمة هذا الدين الذى من الله به علينا وجعل منه طريق الهداية والرشاد .

عندما يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة المائدة : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .)) فقد قصد بهذا القول الكريم الى تقرير واقع الصورة التى يستخرجها المتدبر لآيات الله وكلماته المنزلة ويكتشفها بكامل خطوطها وألوانها وفنون التعبير مرسومة فى دقة بالغة .

نعم أن القارىء المتدبر الذكى قادر بصورة من الصور على استيعاب الرؤية القرآنية التى هى بدورها حكاية دقيقة ومعجزة لواقع الانسان والكون وعلاقتهما بالخالق جل وعلا .

واذا كان هناك ما يغمض معناه على القارىء المؤمن فهو نابع من العجز فى الفهم والقصور فى التفكير والانفعالية فى الرؤية .

كيف تفهم القرآن ؟ :

والسبيل الى فهم القرآن لا تتحدد ابعادها كما لا تتعين اتجاهاتها الا حين يدرس كلام الله ككل لا كآيات منفصل بعضها عن بعض . فالقرآن لا يفهم الا بالقرآن كله . تماما كما هو الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى وأخضعه لسنن وقوانين دقيقة ثابتة لا تتغير .

وكما أن الاخطاء فى فهم الكون ناجمة من اقتطاع جزء منه دون الاجزاء الأخرى فان الأخطاء فى فهم القرآن الكريم ناجمة هى بدورها من الاقتصار على تدبر آية أو آيات معينة دون بقية كلمات الله .

في الإسلام

للأستاذ رمضان لاوند

والجدير بالذكر أن هناك وحـــدة متكاملة لا تقبل التجزئة والانفصـــام فى ذكر الله . أن كل سورة بل كل آية بل كل كلمة تتردد بها معانى معينة أو تتكرر بها بعض المعانى دون بعض هى أشياء فى صميم الرؤية الفكريـــة المتكاملة للقـــرآن الكريم .

فى ضوء هذه الحقيقة التى نقررها بمثابة مدخل لدراسة آيات اللـــــه نستطيع أن نقـــول : ان المعجـــــزة القـــرآنية ليست فى ظاهرة معينة من التعبير بل هى فى الظاهرات كلها .. البيانية منها والفكرية والأخلاقيـــــة والتعبيرية بالاضافة الى ما يتقرر بها من فنون التكرار والالحاح فى معنى دون آخر وفى وجهة دون وجهـــــة أخرى .

ان وحدة الوعى القرآنى هى صورة لوحدة الوجود الكونى كله وبالتالى انعكاس لوحـــدة الارادة الخالقـــــة والسنة التى تعين بها مسيرة الخلق من بعد . وقد علمنا سبحانه وتعالى هذه الحقيقة حين قال لنا :

١ ــ فى الآية الثانية مـــن سورة الفرقان : (ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شىء فقدره تقديرا » .

٢ ــ فى الآية الحادية والعشرين من سورة الحجر : « وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقـــــدر معلوم » .

٤ ــ فى الآية التاسعة والاربعين من سورة القمر : « انا كل شىء خلقناه بقدر » .

٥ ــ فى الآية الثامنة عشرة مـــن سورة المؤمنون : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض » .. حتى السيول التى تسيل بها الوديان تتجمع بقدر معين ، والظاهرة نفسها تتكرر فى وقائع الحياة والمـــوت ،

والخراب والعمران ، والصحة والمرض ، وحركات الكواكب ،وتقلبات المناخ ، ومسيرة الرياح وغيرها من أجزاء الكون وأشياء الحياة ، كما تدخل فيها أيضا دقائق الانفعالات والافكار والعواطف .

هذه الوحدة ندركها من خلال آثارها وهى موضع لتناقضات عجيبة مدهشة فيها الكون والفساد والبقاء والفناء والثبات والتغير . وهى كلها تتعاقب على نحو معين وتبرز للمشاهد على صور متعددة من التغيرات خلا ظاهرة الوحدة فى الوجود التى لم تفسد أو تفتت حتى اليوم وستبقى حتى يأتى أمر الله .

ولما كانت وحدة الخلق والتكوين تعنى وحدة التفكير والسلوك والتصرف فقد وجب أن تكون الوحدة فى الرؤية القرآنية على صورة الوحدة الشاملة فى الكون كله .

هكذا فطر الله السماوات والارض وما فيهن ، وهكذا يجب أن يكون الفكر القرآنى حكاية لهذه الفطرة وظاهرة من ظاهرات التعبير عن الحقيقة التى هى وحدها سبيلنا الى الله .

العبـــادات :

وكما أن كل ذريرة من ذريرات الجزئيات الدقيقة جانب ضرورى من جوانب الاستمرار فى هذه الجزئيات فان كل أمر أو نهى هو أيضا جانب ضرورى من جوانب التكامل فى الوحدة القرآنيـة .

يدخل فى ذلك بالطبع فنون العبادات وألوان المعاملات ، وكل أنواع السلوك والتصرف ، وينابيع التأمل والتدبر ، والعجز عن ادراك هذه الوحدة المعجزة أو المعجزة الوحدة فى القرآن الكريم لا يعنى انتفاءها وعدم وجودها بل يبدو لنا جافزا يحفزنا جميعا لاعادة النظر وتقليب وجوه الرأى والتأمل العميق فى أبعاد الفطرة حتى يأتى اليوم الذى تكتشف فيه تلك الوحدة القرآنية المعجزة .

الشمول فى العبادات :

واذا كانت هناك عبادات معينة ذات شروط وحركات خاصة من مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة والنطق بالشهادتين فهى لا تقف عند هذه الحركات والتصرفات وحسب بل تنتشر فى عالم الانسان كله وتنسحب على فنون فكره وعقله حتى يكون كل أمر ذى بال من أمور الانسان شيئا داخلا فى مفهوم هذه العبادة . أو ليس أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال لأصحابه : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أجزم » ؟ أو ليست البسملة هنا أعلانا عن نوع من أنواع العبادة ؟ أو ليست تعبيرا عن ارادة الوحدة فى تقرير الارتباط الشامل والواعى بين الانسان وربه وبينهما والكون كله .

عبادة الحـج :

فى ضوء هذا المفهوم الشامل للعبادة نستطيع أن نتعرف الى الخطوط الرئيسية فى صورة العبادة كما نتعرف الى اللمسات الدقيقة التى ترافق هذه الخطوط فتكتمل بها صورة العابد وبالتالى يتم بها التكامل الذى يجعل من الانسان وجودا فى مكانه الطبيعى من الوجود الكونى كله .

فالحج ركن من أركان الاسلام . اذا تركه المسلمون مع توفر شروطه فقد أرتكبوا أثما عظيما ، وافتقدوا بالتالى الشخصية الاسلامية التى تحكى حكاية الفطرة ، والتى أطلق

الله سبحانه وتعالى عليهـا اسم (الفطرة) بالذات أو ليس أنه يقول فى محكم كتابه « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » ؟

قصة الحج :

والحج ليس عبادة مشرعة مع الاسلام وحسب ، فهو قديم قدم الدعوة الى الله ، بدأ منذ بدأ وجود مكة فها هو سبحانه وتعالى يقول فى الآية ٩٦ من سورة آل عمران « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين» . واذا فالعبادة لله قد نشأت لأول مرة وخصص لها بيت لأول مرة أيضا فى مدينة مكة . ولم تكن هناك عبادة يمارسها الانسان قبل نشوء هذا البيت المطهر الكريم . أما الاحداث والتغيرات التى تعاقبت من بعد فانها لا تغير من حقيقة الحج أبدا .

على ان عبادة الحج الى بيت الله الحرام تدخل فى التاريخ المعروف مع ظهور أبى الانبياء ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . واذا كان القرآن الكريم لم يحدثنا حديث مكة والحج قبل هذا التاريخ فهو لا يعنى عدم وجودها بل يعنى أن حركة التاريخ الانسانى الذى ارتفع الى مستوى الدعوة المنظمة والمقررة فى كتب أو صحف منزلة قد انطلقت منذ أيام ابراهيم الخليل .

وهذا هو السر فى أن الآيات القرآنية قد حدثتنا عن جهود ابراهيم وولده فى رفع القواعد من البيت أى فى رفع الجدران فوق قواعده المقررة الثابتة . فهو يقول فى الآية ١٢٧ ، ١٢٨ من سورة البقرة : « واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم » .

ان الحقيقة التى نخرج بها من هاتين الآيتين هى أن الجدران التى رفعت فوق القواعد من بيت مكة اعلان عن مرحلة جديدة فى تاريخ الدعوة الى الله . وقد تقررت بتلك الخطوة ظاهرة الاسلام باعتبارها رسالة الانسان نحو نفسه ونحو الآخرين حتى يوم القيامة . لقد دعا ابراهيم وابنه اسماعيل ربهما أن يجعلهما مسلمين له وأن يخرج من ذريتهما أمة مسلمة له أيضا .

وليس هذا وحسب فقد أوحى الله اليهما ان يطالباه ببعث رسول أو رسل من هذه الأمة يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم كما جاء فى الآية ١٢٩ من سورة البقرة نفسها « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » .

هذا الموقف الدينى التاريخى منح بيت مكة مكانة خاصة من دون بيوت الله الأخرى . فكان الحج اليه بمثابة الاحتفال الدورى بالرسالة التى يرمز اليها ، والمهمة التى يقوم بها فى مسيرة العقيدة البشرية .

فى هذا البيت يجد الناس مثابة وأمنا ويحسون فى جواره بالرضى والطمأنينة ويقتربون فى ظله من رحمة الله عز وجل ، ثم يجدون شيئا آخر فيه هو المصلى الذى تتطهر به النفوس .

واذ تقرر فى علم الله أن يكون الحج الى هذا البيت الكريم آية على كل هذه المعانى فقد توجه الأمر الى ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بالمبادرة الى تطهيره واعداده بحيث يصبح صالحا للطائفين والعاكفين على

العبادة فيه من راكعين وساجدين ، هذه المعانى نجدها فى قوله تعالى فى الآية ١٢٥ من سورة البقرة . « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » .

ولكن كيف يمكن الاحتفاظ بهذا البيت على الصورة التى أرادها الله له ؟

ويجيب ابراهيم الخليل عليه السلام على هذا التساؤل بوحى من السماء فيتوجه بالدعاء الى الله يسأله أن يجعل مكة بلدا آمنا وان يرزق اهله من الثمرات بحيث تستمر أسباب الحياة فيه ويكون فى كل الظروف صالحا لاستقبال افواج الحجاج اليه .

وردهذا المعنى فى جزء من الآية ١٢٦ من سورة البقرة حيث يقول تعالى ، « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » .

نقطة ارتكاز :

حتى هنا تبرز مكة فى تاريخ الدعوة الى الله مرتكزا تدور جهود المؤمنين من حوله يلجأون اليه فى كل عام ليتبادلوا فيه الراى ويفزوا بحرمته ومعناه حرارة العقيدة وارادة الكفاح من أجلها ، ويجدوا الى جانب هذا الغذاء الروحى ، بفضل الاحساس العميق بوحدة الرسالة والمصير منافع لهم تمهد الطريق لتبادل المصالح المادية عن طريق التجارة او تبادل المساعدات بحيث يتم التلاحم،ويتكامل التواد ، وتتعمق جذور الوجود المادى والروحى لمجتمع المسلمين فى العالم كله .

اغراض اخرى :

وفى تقديرنا أن هذا الوادى المحروم من الماء والزرع قد وقع الاختيار عليه لأغراض أخرى غير التى ذكرناها من قبل .

أولا : أن القحولة فى أرضه وسيلة لتذكير الانسان بعريه أمام الله ، يخرج فيها من حوله وطوله وماله ورزقه ليجد نفسه أمام الذات الالهية فقيرا اليه سبحانه ، وتتضح فى نفسه أمام الصورة الكاملة للسلطة الالهية العليا والوحيدة ، فليس أشد اغراء للانسان واثارة لغروره من أن يجد معالم الثراء تحيط به من كل جانب

ثانيا : أن الناس فى حاجة مستمدة الى ينبوع يلجأون اليه كلما نزل بهم ضر أو أغواهم الشيطان أو صرفتهم الصوارف عن ذكر الله وليس كالصحراء بما فيها من العرى التام ومن العزلة عن متاع الدنيا وزينتها مصدرا لمثل المعنى الذى تحدثنا عنه قبل .

ثالثا : أن التربية الاعتقادية فى الاسلام قد قصدت ، بجعل الوادى القاحل مكانا لعبادة الحج ، الى أن تعلن حقيقة نفسية اجتماعية هى أن عناصر التقدم فى المجتمع ليست محددة بمواطن الثروة المادية وحسب ولكن هذه العناصر فى حاجة مستمرة الى تلك الطاقة الروحية والمتوفرة فى مفهوم العبادة المحضة ، والتى بدورها تغذى ارادة التعاون والتجمع والجهاد . واستمرار مكة مدينة حافلة بالحياة رغم كل الظروف وكل المعوقات المادية هو الآية والعلامة على أن العامل الروحى الذى تصنعه العقيدة هو عنصر اساسى من عناصر التكوين المجتمعى ومصدر لانطلاقة مسيرة الحضارة البشرية .

ان قدرة العقيدة على استقطاب الرجال والنساء واجتذابهم لزيارة هذا الوادى المبارك هى وحدها التى تفسر احتفاظ مدينة مكة بوجودها الدائم .

رابعا : أن وجود البيت الحرام فى الارض القفراء والذى يرمز الى الوجود المستمر للعقيدة الاسلامية يبدو لنا بمثابة الضمانة المادية دون انصراف الاطماع الكافرة اليه . فليس فى ارضه ما يغرى اعداء الاسلام على اجتياحه او يدفعهم الى القضاء على معالمه الدينية .

اخلاق الحج :

اذا كان البيت الحرام مثابة للناس وامنا ، واذا كان وادى مكة مكانا صالحا للعبادة ولتبادل المنافع بين الناس كما جاء فى بعض آيات الذكر الحكيم ، فقد وجب أن يكون السلام شرطا اول للحفاظ على هذا الأمن وتلك المثابة من ناحية ، ولتوفير الظروف المادية التى تساعد على تبادل المنافع بين الناس من ناحية اخرى ، كما وجب ان يتقيد المؤمن بأخلاق الأتقياء فيمتنع عن كل تصرف او سلوك يتعارضان مع مفهوم العبادة اولا والسلام ثانيا ، ومن هنا كان قوله تعالى فى الآية ١٩٧ من سورة البقرة « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب . »

فى هذه الآية القرآنية دعوة صريحة للتجاوب مع معنى المثابة والأمن فى مكة خلال أيام الحج ، انها دعوة للامتناع عن فحش الكلام وعن الخروج على حدود الشريعة بل هى دعوة للامتناع عن الخصومة والمشاحنات حتى فى دقيق الأمور وصغيرها ، ان السلام فى فترة الحج يجب أن يكون ظاهرة شاملة فى داخل النفوس وفى العلاقات بين الناس ، انه يعنى التطهر الكامل فهو يذكرنا بما يمكن أن نسميه اليوم بعملية غسل القلوب والعقول من ادران النيات الفاسدة ومن اغراض الشهوات الدنيا .

فاذا بلغ الحاج المؤمن هذه المرحلة من التطهر الذاتى ، وبعد أن يصبح السلام هو المحتوى الحقيقى لعالمه الخاص فى ظاهره وباطنه ، فان فى وسع الناس من بعد أن يبتغوا فضلا من ربهم،وأن يتبادلوا التجارات وان يحققوا المكاسب المشروعة بالحفاظ على حدود الله .

عملية تربوية متكاملة :

فى ضوء هذه الصورة الدينية التى رسمها القرآن الكريم لعبادة الحج نستطيع أن نستبين الأبعاد الحقيقية للتربية الاسلامية ، هذه الأبعاد تعنى أن الغرض من الحج هو الغرض المقصود نفسه من عبادة فى الاسلام او من الثقافة الاسلامية كلها ، فالعبادة فى الاسلام ليست مجرد طقوس تؤدى ، ولكنها طقوس يقوم بها صاحبها فى صميم حركة الحياة اليومية بكل ما فيها من تبادل المنافع واختلاط المصالح واشباع الرغبات .

والناس فى نظر الاسلام ليسوا ملائكة معصومين من ضغط المطالب الدنيوية ، ان مهمتهم لا تقف عند العبادات الروحية المحضة ذلك أن عباداتهم تنسحب فى معانيها وأعراضها على اشياء الحياة العملية .

الطواف حول الكعبة عبادة محضة، ولكن الطواف يشتمل على معنى يجب أن ينسحب على التجارة أيضا ،

فالتجارة الصالحة عبادة ولا يبلغ الطواف غرضه المقصود الا بالقيام بالعمل الصالح ، وفى هذا الربط الذي يشد التجارة الى العبادة ، ويجعل منهما طرفين لوجود واحد مشترك آية على أن الوجود الانسانى كله هو عملية تعبدية .

فالعمل المتقن عبادة ، والكفاح فى سبيل رفع مستوى العيش ، وتوفير اسباب الراحة للناس عبادة ، وحسن السياسة فى التعامل مع الناس عبادة شرط أن تكون وراء كل هذه التصرفات الدنيوية ارادة العمل لوجه الله والاستنارة بنور الله .

الحج كل وجزء من الكل :

واذا فالحج عبادة متكاملة تتلاحم بها العقيدة والعمل ، ولكنه فى الوقت نفسه جزء من العبادة الشاملة فى الاسلام ، ان العملية التربوية فى عبادة الحج تتكرر على صور أخرى فى عبادات الصلاة والصوم والزكاة ، وان كلا من هذه العبادات وحدة متكاملة تستوعب الغرض العام من الدعوة الى الله ، ولكنها فى الوقت نفسه جزء مكمل للعبادات الأخرى بحيث لا تغنى الواحدة منهما عن غيرها ابدا . هذا هو معنى الرؤية المتكاملة فى العقيدة والشريعة ، أنها تستوعب كل الاوامر والنواهى بحيث تتحقق بها وحدة التربية الدينية الشاملة .

بين العبادة والكون :

ولتقريب رأينا فى مفهوم العبادة نستطيع أن نقول ان البناء الكونى العام هو صورة لمفهوم العبادة فى الاسلام ، فاذا كانت الذرة البالغة الصغر ، كما يقر علماء الفيزياء صورة لحركة الكواكب فى الفضاء كما يقررها علماء الفلك فان هذا لا يعنى أن الكون فى بنائه الذرى يمكن أن يستغنى عن بنائه النجمى ، ان وحدته تتحقق بتحقق التلاحم بين بناء الذرة وبناء المجرات ، فالكل أجزاء لوحدة متكاملة لا يلبث أن يفقد أصالته حين ينفصم اى جزء منه عن الأجزاء الأخرى ، هكذا العبادات فى الاسلام طقوسا تؤدى أو تصرفات تصدر عن صاحبها ، هذه وتلك وحدة متكاملة لا انفصام لأجزائها بعضها عن بعض .

فى ضوء هذا المفهوم نواجه عبادة الحج ، ومن خلاله نضيع هذه العبادة فى صميم البناء التعبدى الاسلامى كله ، واذا كان المسلمون اليوم يفتقدون النتائج المترتبة على العقيدة والعمل فى الاسلام ، وهى التى وعدنا الله بها فى كتابه الكريم ، وفى مقدمتها النصر والعزة والسيادة فلان العابد المسلم يعيش حالة من الانفصام يفتقد معها الاحساس القوى بوحدة العملية التربوية فى الاسلام .

ان النطق بالشهادتين هو المدخل الوحيد للانضواء فى عالم الاسلام وللالتزام بمسؤولياته كلها ، فاذا لم يكن الانضواء كاملا والالتزام شاملا ، فقد فقد النطق بالشهادتين وحدته والغرض والمقصود منه ، ان الاسلام لا يؤخذ بعضه ويترك بعضه بل يشترط فى صاحبه أن يحتفظ به وحدة متكاملة الأجزاء .

حكم الإسلام

في التلقيح الصناعي

للدكتور احمد الحجي

لقد تداولت الصحف والاذاعات العالمية في الآونة الأخيرة مسألة التلقيح الصناعى للانسان ودارت ندوات عديدة وكتبت أبحاث متفرقة حول هذا الموضوع تعالجه من جميع جوانبه الطبية والقانونية والاجتماعية وغيرها ، وكان لزاما على فقهاء الشريعة الاسلامية ان يبحثوا فى هذا الموضوع قبل غيرهم ويبينوا حكم الاسلام فيه وموقفه منه إباحة وتحريما ، لان قولهم الفصل فى مثل هذا الموضوع الخطير الذي يتعدى كونه مظهرا من مظاهر الابداع العقلي والتقدم الحضارى كسائر مظاهر التقدم والابداع والاختراع التى توصلت اليها الانسانية في شتى المجالات الصناعية وغيرها ، ذلك أن الجنس البشرى والمحافظة عليه نقيا مكرما هو الثمرة التى تسعى لخدمتها كل المخترعات وكل مظاهر التقدم والحضارة الاخرى ، ومن هنا جاءت خطورة هذا الموضوع الشائك .

الا ان فقهاء الشريعة الاسلامية ــ لا فى سورية وحدها بل فى العالم الاسلامى كله ــ تأخروا عن زملائهم علماء الحياة فى البحث فى هــذا الموضوع ، ولعل عذرهم فى ذلك هو استبعادهم الكامل لنجــاح مثل هذه التجارب وايمانهم العميق باخفاقها من الناحية الطبية . .

الا ان هــذا الاعتذار لا يمكن أن يكــون مقبولا ولا مبررا لابتعادهم عن دراسة مثل هذه المشكلــة ، ذلك أن هــذه النظرية غير مستحيلة عقلا ولا شرعا ولا طبا ، وليس هنالك من يستطيع الجزم باخفاقها فضلا عن أن بوادر نجاحها اصبحت ظاهرة جلية ، وعلى اى تقدير فان عليهم أن يدرسوها ويبينوا حكم الاسلام فيها ، وعلى ضوء هذا الحكم الذى يتفقون عليه ينبغى على الطب والعــلم ان يتابع طريقــه أو يتوقف عن متابعة التجارب ، أو على الاقل على العلماء والاطباء المسلمين ومن يؤمن ويعتقد بعالمية الشريعة الاسلامية ودقة أحكامها ان يلتزم بذلك وعلى غيرهم أن يستنير بهذا الحكم فيكون منبها له يضع اصابعه على مواطن الخطر فيما هو بصدده من أبحاث وتجارب .

والى ان يتم البحث فى هذه المشكلة او النظرية بين علماء المسلمين فى مؤتمراتهم واجتماعاتهم الدولية أو المحلية ارى أن من واجبى ضرورة القاء بعض الاضواء الفقهية على هذا الموضوع ، وهى أضواء ــ اعترف مسبقا ــ بأنها خافتة قد لا تستطيع أن تنير السبيل وتوضح معالم الشعاب المتعددة فيه ، ولكنها جهد المقل ، ولعلها تستطيع ان تثير انتباه فقهــاء المسلمين نحو بحث هذا الموضوع على الشكــل الــذى يتطلبه .

لم يتعرض فقهاء المسلمين السابقون الى بحث هذه المشكلة بالذات لانها لم تكن معروفة لديهم ولا متوقعة فى عصرهم ، ولو أنهم بحثوهــا فى زمنهم لاتهموا بالشطط فى البحث وإضاعة الوقت ، ويكفيهم ما اتهموا به ــ من قبل بعض الناس زورا وبهتانا ــ بالسفسطة عندما تعرضوا لمسائل يتعذر وقوعها أن يستبعد عادة حتى سموهم بالآرائيين لكثرة ما يصورونه فى المسائل الفقهية من احتمالات ممكنة الوقوع عقلا وان كــان وقوعهــا مستبعدا عرفا ، مما اغنى الفقه الاسلامى بثروة تشريعية ضخمة تعتبر كنزا دفينا لنا ونحن نعيش عصر نهضة وتقدم نحتاج فيه الى الكثير مما كان يعتبر بحثه عبثا أو اضاعة للوقت بعد أن أصبح واقعا لا مناص من دراسته وبيان حكم الاسلام فيه .

ولكن عــدم تعرض الفقهاء لدراسة هذا الموضوع لا يعنى بحــال أن ليس للاسلام حكم فيه ، بل يعنى أن علينا أن نرجع الى مصادر الفقــه الاسلامى نستنطقها الحكم الشرعى فى هذه المسألة كما كان يفعل الفقهاء والمجتهدون رضى الله عنهم ، ونحن إن كنا نقصر عن الوصول الى مرتبتهم فى العلم والنظر فما علينا الا أن نستهدى فى تخريجنا لحكم هذه المسألة بقواعدهم وضوابطهم مستلهمين الله تعالى التسديد والتوفيق للوصول الى الحق . .

ان من القواعد الفقهية الكلية قولهم : « الاصل فى الاشياء الاباحة ، والاصل فى الفروج التحريم » .

هذه القاعدة الفقهية الثمينة تعنى ان كل الاشياء تعتبر مباحة حتى يقوم الدليل على تحريمها الا مسائل الفروج فانها على عكس ذلك تعتبر محرمة

حتى يقوم الدليل على اباحتها ، والمراد بمسائل الفروج احكـام الزواج والطلاق وما يتبعها من الابواب والفصول الفقهية .

وبما أن التلقيح الصناعى للانسان من هذه الابواب فما علينا الا أن نطبق هذه القاعدة عليه فنعتبر ان الاصل فيه التحريم حتى يقـوم دليل الحل ، ثم نبحث عن هذا الدليل .

يؤيد مدلول هذه القاعدة الفقهية قوله تعالى « يسألونك عن المحيض قل هو اذى ... فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله » فان ذلـك يدل على ان أصل اتصال الرجل بالمرأة حرام الا بالشروط والاوضـاع والاشكال التى ورد الاذن بها من الله تعالى ، كما يؤيده قوله تعـالى « نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انا شئتم » فانه يبين المكان الـذى اذن الله تعالى باتصال الزوج بزوجته منه وهو القبل اذ هو مكان البذر فكـان غيره محرما بمفهوم هذه الآية .

ثم اننا اذا رجعنا الى المفهوم السامى الذى شرع الله تعالى من أجله التزاوج بين الرجل والمرأة لوجدناه يتجسد فى ايجاد السكن النفسى بين الزوجين بحيث يرتع الاطفال فى كنفه ويعيشون فى ردهاته ويشعرون تحت ظله بالعزة والكرامة التى فطر اللـه الانسان عليها وحققها فيه بقولـه سبحانه « ولقـد كرمنا بنى آدم » ، ومن اجل ذلك حرم الاسلام الزنا لما فيه من امتهان واستهتار بالولد وحقوقه وأضاعة لكرامته وقضاء على كبريائه والا فأى كرامة لابن الزنا الذى لا يعرف له أب يرعاه ويصونه ويقـوم باوده وبالتالى اى كرامة لذلك الطفل الذى يصنع فى أنبوبة الاختبار وينمى فيها كما تنمى فراخ الدجـاج تماما دونما فارق بينهما ، بل اى كرامـة أو عزة لذلك الطفل الذى اختلط فى رحم امه ماء أبيه وماء رجل آخر حمل اليها فى حقنة ليكون عنصرا مساعدا فى انجابه ، أى كرامة لهذا الانسان الذى زج به فى رحم امه بواسطة المحقن كما يزج أى دواء أو عـلاج آخـر ..

فاذا طلب منا أن نتنازل عن الكرامة ونتغاضى عن العزة الانسانية فى سبيل اغراض أخرى فان ذلك معناه التنازل عن انسانيتنا فنكون نوعـا من انواع تلك البهائم التى ترتع فى أرض اللـه لا فارق بيننا وبينها ، اذ الكرامة الانسانية وحدها هى العنصر المميز لنا عن انواع الحيوانات الأخرى ، ولا اعتقد أن أحدا ممن يحاولون انجاح التلقيح الصناعى للانسان يرضى بالنزول عن كرامته الانسانية أو شىء منها لأى غرض كان .

لذلك فاننا لا بد ان نقرر ان لا دليل مطلقا على حل هـذا التلقيح الصناعى فى الكتاب والسنة ومذاهب الفقهاء ، وعـلى ذلك يكـون محرما ــ طبقا للقاعدة الفقهية السابقة ــ ، بل أكثر من ذلك فان الدليل قائم على الحرمة أيضا بالنظر لانتفاء معانى الكرامة الانسانية فى طرق التلقيح الصناعى للانسان الذى لم يبح الله سبحانه اتصال الرجل بالمرأة الا بعـقد ضمانه حفاظا عليه وصونا له .

وتوضيحا لذلك أرى من المناسب تفصيل القول فى جميع الطرق الممكنة لهذا التلقيح والتعليق على كل طريقة منها بما يناسبها ، فان لكل طريقة من هذه الطرق معناها الخاص وميزاتها وبالتالى التكييف الفقهى لها ..

واهم هـذه الطرق هي : ــ

١ ــ أن يتم حمل النطفة من الزوج الى رحم المراة بطريق آلـة صناعية لضعف الزوج عن ايصالها الى رحم زوجته بسبب مرض أو عيب .

٢ ــ ان يتم نقل نطفة رجل غريب الى رحم الزوجة لعدم صلاحية نطفة الزوج للانجاب .

٣ ــ ان يتم الجمع بين نطفة الزوج وبويضة المراة في أنبوب اختبار لعدم تمكن الزوج من الاتصال بزوجته اتصالا طبيعيا مثمرا ، أو لاهداف علمية أخرى .

٤ ــ ان يتم جمع نطفة الزوج ببويضة المراة ولو أجنبية عنه فـي انبوب اختبار .

هذه الصور الاربع للتلقيح الصناعي هي الممكنـة والغالبـة في موضوعنا ، وعلينا أن ندرسها على ضوء الاحكام الفقهية العامة المتقدمـة واحدة واحدة ..

١ ــ الصورة الاولى يحكم الاسلام بحرمتها (١) من غير جدال ، ذلك ان الله شرع الاتصال الجنسي بين الزوجين لغاية أساسية أولى هـي تأمين السكن النفسي الناتج عن المتعة الجنسية والعاطفية ، وثانيـة تابعة لها وهي انجاب الاطفال ضمانا لاستمرار النوع البشري ، وهذه الصورة إن كانت تحقق لنا غاية الزواج الثانية فانها لا تحقق الغـاية الاساسية الاولى التي لا تقبل الثانية الا بعد تحققها ، مصداقا لقوله تعالى: « .. وجعل منها زوجها ليسكن اليها .. » وقوله تعالى « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » وغني عن البيان ان هذه الصورة لا تحقق مطلقا الاشباع العاطفي والنفسي لواحد من الزوجين ، وبالتالي تكون محرمة طبقا للقاعدة الفقهية التي أوردناهـا في أول هـذا البحث وهي « الاصل في الفروج التحريم حتى يقوم الدليل على الحل » ..

٢ ــ أما الصورة الثانية ، فهي زنا من كل وجه ، ومعروف لكل انسان موقف الاسلام من الزنا ، بل موقف العالم كله منه ، والا فما الفرق بين اتصال رجل بامرأة أجنبية عنه اتصالا طبيعيا أو اتصالا غير طبيعي بنقل نطفته الى رحمها ــ ما دام المعنى العام لتحريم الزنـا في الاسلام انما هو الحفاظ على نقاوة الانساب ، بل اين الكرامة الانسانية لهذا المولود المتخلق من هذا الامشاج غير الكريم وغير المحترم ، واذا فاتت الكرامة الانسانية انعدم الحل لارتباطه بها كما أسلفنا ، واذا كان لنا ان نبيح هذا العمل في حق الحيوان لان المعنى فيه هو مطلق ايجاده كيفما كان تحقيقا لرفاه الانسان ، فليس الامر كذلك في حق الانسان لانه الغاية التي خـلق الله الحيوانات لخدمته وسخرها له وفرق كبير بين الوسيلة والغاية ، ثم بأى النسبين نصل هذا الطفل ، أبنسب ابيه الفعلي صاحب النطفة أم بنسب زوج أمه الشرعي المسكين الذي ليس له في جسم هذا الطفل اى جزء أو اثر ، اليس في ذلك خلط للانساب وهتك للحرمات ودثر كامل لكرامة الانسان التي أمتن الله عليه بها .

٣ — واما الصورة الثالثة ، فغنى عن البيان القول بحرمتها أيضا لما فى ذلك من امتهان للكرامة الانسانية التى حرص الاسلام عليها ولم يبح الاتصال الجنسى الا فى كنفها وبعد توفرها ،

وقد قدمنا ما فى هذه الصورة من امتهان لكرامة الانسان والحاق له بالحيوان العادى وتجريده من أثمن ما امتازه الله تعالى به من عــزة وكرامة عن جميع مخلوقاته الاخرى .

٤ — واما الصورة الرابعة فهى ادنى حالا من الصورة الثالثة ، ولذلك فهى محرمة لنفس الاسباب المتقدمة ولما فيها من إضاعة للنسب وتشريد لهذا الطفل المخلوق .

هذه هى الصور التى رأيت أن التلقيح الصناعى يمكن أن يتم عــن طريقها ، بحثتها بشكل مجمل والمحت الى حكم الاسلام فيها من وجهة نظرى وفى حدود ما اتجه اليه قلبى من أنه الحق الذى لا مراء فيه ، وهى بالتالى ليست بحثا بقدر ما هى دعوة الى البحث والدراسة لهــذا الموضوع وعرض وجهات نظر الفقهاء المعنيين بالابحاث والدراسات الاسلامية ، وكم كــان بودى لو يعرض هذا الموضوع الخطير فى نتائجه وآثاره على مؤتمر البحوث الاسلامية فى دورته القادمة ليقول فيه قولته ويبدى فيه رأيــه كما يفعل فى كثير من الموضوعات الاسلامية المستجدة ذات الخطر الكبير .

والله ولى التوفيق ..

---

(١) بعض الفقهاء المعاصرين يرى حل هذه الصورة .

مائدة القارئ

خائنة الاعين

قال تعالى (يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور) .

قال سفيان الثورى ـ خائنة الاعين الرجل يكون في المجلس يسترق النظر في القوم الى المراة تمر بهم فان راوه ينظر اليها اتقاهم فلم ينظر ، وان غفلوا نظر . (وما تخفى الصدور) قال ـ ما يجد فى نفسه من الشهوة .

وقف الاعراس

من اوقاف المسلمين السابقين وقف الاعراس لاعارة الحلى الزينة فى الافراح . يستعير الفقير منه ما يلزمه فى عرسه ، ثم يعيد ما استعاره الى مكانه وتستعير العروس ما تتزين وتتحلى به فى يوم عرسها ثم تعيده الى مكانه وبهذا يتم الفرح وتمتلىء النفوس بالسرور ..

الجزاء العادل

روى سعيد بن منصور فى سننه عن عمر رضى الله عنه انه كان ـ يعنى عمر ـ يتناول طعامه اذ جاءه رجل يعدو ، وفى يده سيف ملطخ بالدم ووراءه قوم يعدون خلفه فجاء حتى جلس مع عمر ، فجاء الآخرون، فقالوا يا أمير المؤمنين ان هذا قتل صاحبنا ، فقال له عمر ما يقولون ؟ فقال يا أمير المؤمنين انى ضربت فخذى امراتى فان كان بينهما احد فقد قتلته ، فقال عمر ـ ما يقول ؟ قالوا ـ يا امير المؤمنين انه ضرب بالسيف فوقع فى وسط الرجل وفخذى المراة ، فاخذ عمر سيفه فهزه ثم دفعه اليه وقال ـ ان عاد فعد .

نفقات حج عمر

لقى سفيان الثورى الخليفة ابا جعفر المنصور فى منى ، فقال له سفيان ــ اتق الله فانما انزلت وصرت فى هذا الموضع بسيوف الانصار والمهاجرين وابناؤهم يموتون جوعا .
لقد حج عمر بن الخطاب فما انفق الا خمسة عشر دينارا ، وكان منزله تحت الشجر فقال له ابو جعفر ــ اتريد ان اكون مثلــك ، قال : لا تكن مثلى ولكن كن دون ما انت فيه ، وفوق ما انا فيه .

تاويــل آيـــة

قوله تعالى (فمن فرض فيهن الحج) احرم فيهن .

وقوله سبحانه (فلا رفث ولا فسوق ولا جــدال) الــرفث الجماع ، والفســوق السباب والجدال ــ ان تمارى صاحبك حتى تغضبه .

دخــول الكعبــة

عن عائشة ام المؤمنين قالت ــ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال ــ صنعت اليوم شيئا لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت ما صنعته ، قالت ــ قلت وما ذاك يا رسول الله ؟ قال دخلت البيت وانه لم يكتب علينا دخوله إنما كتب علينا طوافه .

الصلاة على رسول الله

عن كعب بن عجرة قال ــ لما نزلت (يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ــ يا رسول الله ــ هذا السلام عليك قــد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟فقال ــ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كماباركت على ابراهيم انك حميد مجيد .

الانسان بين المادة والروح

ندوة ثقافية اشترك فيها :
سعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية والشيخ محمد الغزالي

إعداد الأستاذ : عبدالله خلف

اقامت اللجنة الثقافية بجمعية الهلال الأحمر الكويتى أمسية ثقافية ، اشترك فيها وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ راشد الفرحان والشيخ محمد الغزالى مدير ادارة الدعوة والارشاد بوزارة الأوقاف فى جمهورية مصر العربية ، وطرحت فى هذه الأمسية ندوة عنوانها : « الانسان بين المادة والروح » وقدم الأستاذين لجمهور الحاضرين الأستاذ سعدون الجاسم وكيل وزارة الاعلام بكلمة مناسبة .

* * *

بدأ الندوة فضيلة الأستاذ محمد الغزالى فتكلم عن الفكرة القديمة التى كانت سائدة حول الجسم والروح قبل أن يظهر الاسلام بتعاليمه الهادية . وبين أن هناك صراعا قديما بين الجسم والروح وأن فكرة سادت فى تلك الفترة أعلنت بأن كمال أحدهما لا يتم الا على حساب الآخر وان طلاب التسامى الروحى قديما كانوا يلجئون الى رياضات عنيفة بدنية شاقة يكبتون فيها غرائزهم ويعودون فيها أبدانهم كثيرا من المشقات والصعاب ويعتقدون انه لا سبيل الى ادراك الصفاء النفسى الا على أنقاض بدن مهشم قد خذلته قواه وضعفت أركانه وذلك هو السبيل الى سناء النفس وزكاة الروح . كأن الروح والبدن كفتا ميزان ما ترتفع أحداهما الا على حساب انخفاض الاخرى كان ذلك قديما هو الفكر السائد . وربما احتضنه الهنود القدماء وكانت الرهبنة الهندية والرياضات التى نجمت عنها عبارة عن وأد البدن واذلاله وتكليفه ما لا يطيق، وتسللت هذه الىالمسيحية وكانت الرهبنة ودعا اليها بعض الصوفية المتطرفين .

نظرة الاسلام :

آمن الاسلام بالروح والجسم معا ونظر للانسان نظرة متكاملة فهو انسان



اقامت جمعية الهلال الاحمر الكويتى ندوة عنوانها (الانسان بين المادة والروح) وقد اشترك فيها وزير الاوقاف والشئون الاسلامية راشد الفرحان وفضيلة الشيخ محمد الغزالى مدير ادارة الدعوة بوزارة الاوقاف فى جمهورية مصر العربية ،وحضرها عدد كبير من المواطنين . ويبدو فى الصورة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وفضيلة الشيخ الغزالى اثناء الندوة .

بعقله وبدنه وأفكاره وغرائزه ، هو انسان كل لا يتجزأ وانه يجب أن ينظر اليه على انه هذا الكيان المتكامل المتماسك .

وبالنسبة الى الجسم نظر الاسلام اليه نظرة فيها شيء من الاعجاب . قال الله تعلى : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » . ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم الى هذا الجسم باعجاب أيضا فيروى أصحاب السنن عنه انه كان وهو ساجد يقول :

« سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين » .

هذا الجسم ما ينبغى قط أن يهمل أو يضيع . فالآلة الميكانيكية التى تخدم الانسان يعطيها الانسان كثيرا من رعايته واهتمامه فكيف بهذا الجسم العجيب الذى خلقه الله سبحانه .

وموضوع الجسم وحاجة الانسان فى حياته وأفعاله كلها أعمال مادية اهتم بها الاسلام كما اهتم بحياة الانسان الروحانية . اهتم بالجسم والروح فى الدنيا والآخرة ويتضح ذلك فى دعوات المسلم عندما يسأل الله العفو والعافية ، العافية لبدنه والعفو لنفسه فى الدين والدنيا والآخرة ويسأل الله الأمرين فى المعاش والمعاد : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة » . ونرى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : « اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا اله الا أنت » . قال العلماء استعاذ به من الكفر لأنه ضياع الآخرة واستعاذ به من الفقر لأنه ضياع الدنيا . والاسلام يهتم بالدنيا والآخرة على سواء . قال تعالى « وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا » . . ونسمع فى أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيج وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » . عندما استعاذ به من

الخيانة فانه يستعين به من الرذائل التى تستهلك دين المرء وتضيع ضميره وأخلاقه وعندما يستعيذ به من الجوع فهو يستعيذ به من الازمات التى تجعل الانسان ينطلق فى الدنيا وليس له وقود يتحرك به وليس له ما يجعل الدنيا فى عينيه ويجعلها ميدانا لأداء رسالته فيها .

واهتم بالجسم من ناحية النظافة وجعلها رمزا ودلالة على الايمان ، لهذا فرض الطهارة المستمرة لأطراف الانسان والمواضع التى تنشط فيها الافرازات عادة كما أوجب الاغتسال ، ولم يخص النظافة بجسم الانسان وحده بل الزمه النظافة العامة وعدم مضايقة الآخرين برائحة غير كريمة . نرى ذلك فى الاغتسال والتطهير عند الصلاة والتطيب عند دخول المساجد واتخاذ الزينة فيها . ولهذا قرر الفقهاء ان المريض فى فمه الذى تظهر منه رائحة كريهة تسقط عنه صلاة الجماعة وتسقط عنه صلاة الجمعة فلو أن انسانا فيه مرض البخر أو أى مرض تؤذى الآخرين رائحته فان صلاة الجماعة والجمعة تسقطان عنه ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على أن الاسلام يتجه الى النظافة العامة . واجمل من هذا اهتمام الاسلام بالزينة ، وغريب أن يهتم دين بزينة الانسان فقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا عليه ثياب رثة فقال له : الك مال ؟ فقال نعم . من كل انواع المال آتانى الله . قال : فلير اثر هذا عليك ، ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

ورأى رجلا ثائر الرأس فقال :

« اما وجد هذا ما يسكن به رأسه » فلما سرح رأسه ورجله وطيبه قال صلى الله عليه وسلم « هذا خير من أن يجيىء أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » . والرسول كان جميلا ونظيفا وكان الناس اذا وجدوا رائحة كريمة فى مكان قالوا لعل محمدا مر من هنا لأن الرائحة الطيبة كانت تتبعه حيث كان قد عرف بهذا .

سأله احد الناس احب ان تكون نعلى حسنة وثوبى حسنة اهذا من الكبر قال لا هذا جمال والله جميل يحب الجمال . ومن لطائف القرآن الكريم فى هذا قوله تعالى : « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » كأن زينة الحياة اصلا كانت للمؤمنين ولكن سمح أن يشركهم فيها الكافرون فى الدنيا ثم ينفردوا بها فى الآخرة دون الكفار .

وبعد ان بين فضيلة الشيخ مواضع الأخذ بالنظافة والطهارة والزينة من النصوص المشرعة فى الاسلام من القرآن والسنة ، وأسهب فى الندوة مع الشرح والايضاح تناول جانبا آخر وهو مكانة المسلم فى هذه الدنيا ، وكيف أن عليه أن يعيش مكرما فيها قويا لا ذليلا ضعيفا يحيا على هامشها ؟؟ أن الاسلام دعا المسلم أن يعيش ملء هذه الدنيا .

وقد رد فضيلة المحاضر على بعض دعاة التدين الذين يذهبون الى أن الايمان لا يكمل وان التقوى لا تتم الا اذا كان الانسان غير ممكن من الدنيا أو بعيدا عن ثرائها وجاهها أو محروما فيها ومن طيباتها ، وضح الشيخ الغزالى لهؤلاء رأى الاسلام بالآية الكريمة التى تحدث الله تعالى بها عن يوسف عليه السلام بعد أن اسند الى يوسف منصب تدبير المال :

« وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوء منها حيث يشاء » ثم قال : « نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين » . . هذا التمكين لا يقصد منه الا التمكين فى الحياة الدنيا وليس عن حياة الآخرة لقوله تعالى بعد ذلك مباشرة « نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » .

كما أوضح راى الاسلام فى هذه الموجة الانسحابية التى انتشرت فى العالم الاسلامى وتشبعت بأفكار المتصوفين الحمقى المتطرفين وردد اقوال الأئمة المتصوفين الصالحين الفاقهين ، وروى أن رجلا وضع يده على ملابس أبى الحسن الشاذلى صاحب الطريقة الصوفية المعروفة وقال له يا امام أهذا ثوب يعبد الله فيه ؟ وكان ثوبا فاخرا فقال له الحسن :

ثوبي ينادي علي بالغنى عن الناس أما ثوبك فينادي عليك بالفقر على الناس
وقال له آخر :

اني أترك اناء الماء فى الشمس حتى أشرب الماء ساخنا لأن نفسى تريد الماء باردا وانا أريد أن اكبت نفسى فقال له : انقل الماء من الشمس الى الظل فانك ان شربت الماء باردا ثم حمدت الله انتزعت الحمد من أعماق قلبك . هذا اتجاه رجال الصوفية الأتقياء عندما كانوا فقهاء مثقفين مدركين لمعالم الشريعة التى ينتسبون اليها فلما جاء ناس بعد ذلك لا قدم لهم فى الفقه روجوا ، محبة الفقر بين الناس واشاعوا نوعا من البطالة فى الاسلام وجهلوا أن يتصوروا أن دينا لا مال له لا ينتصر ، ويستحيل ان تكون لدين عدة جهاد وهو فقير ومحروم من القدرة المالية التى يعد بها سلاحه وجيشه وعلى أن يلقي الأعداء . وكان انسحاب هؤلاء من الحياة العامة سببا فى شرور كثيرة .

والاسلام حدد مكانة الانسان بين الروح والمادة ويتضح ذلك فى مواضع كثيرة اشار اليها كتاب الله وما يخص المال قال : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » فالمال قيام الانسان ، ويقول فى وصف المال انه خير « وانه لحب الخير لشديد » ويقول سبحانه « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا » كلمة خير هنا بمعنى المال . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص بعد اسلامه وقد بعثه فى غزوة من الغزوات : « سأبعثك فى غزوة تغنم فيها وتسلم فشعر عمرو وكأن هذه الكلمة تتهم ايمانه فقال : يا رسول الله انا ما اسلمت طلبا لمال فقال له الرسول : يا عمرو نعم المال الصالح للعبد الصالح .

وبعد ذلك تناول المحاضر ناحية أخرى انفرد فيها الاسلام عن الشرائع الأخرى وهى نظرة الاسلام الى الجنس . الجنس الذى اذله رجال الديانات السابقة بالرهبنة والرياضات القاسية والتزمت ، جاء الاسلام وحدده ولم يغفله لأنها فطرة فطر الله الانسان عليها ومشاعر خلقها الله فى الانسان ، كما خلق الطعام ودله عليه بحدود معينة وعلمه الحلال منه والحرام وكيف يقدم عليه . وكما وفر له اى نعمة من نعم الله الأخرى وهداه اليها وجعل لها انظمة وحدودا تكفل له الهناء والسلام واحترام النفس واكرامها . وتناول الشيخ الغزالى باجمال نظرة الدول الغربية للجنس وموقفها بين الرهبنة والاباحة وعدم التزامهم بنظم اخلاقية معينة وكيف ولد عندهم الانفجار الأخلاقى والابتذال بالجنس بالطرق غير المألوفة وبطرق

الحرام والضياع . أما الاسلام فكانت نظرته نظرة طبيعية بالنسبة للجنس .. ما قال الاسلام قط ان غريزة تولد فى الانسان وينمو كيانه عليها ويتصل وجوده بها يمكن أن تكون شرا أبدا ، نظر اليها كما نظر الى المتع والنعم الأخرى اذا كانت من مصدر شريف ومن كسب حلال مع عفة وادراك لوظيفة الانسان فى الارض ، وقد ساق الله هذه النعمة وسط نعمه الكبرى التى تفضل بها على عباده « ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون » .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

وكما اهتم بالسمو المادى اهتم بالسمو النفسى وكما اهتم بالطهارة الجسدية اهتم بالطهارة النفسية .

ومن حكم ابن عطاء السكندرى الصوفى : اذا مدحك أحد فانما مدح نعم الله عندك والفضل لمن منحك لا لمن مدحك .

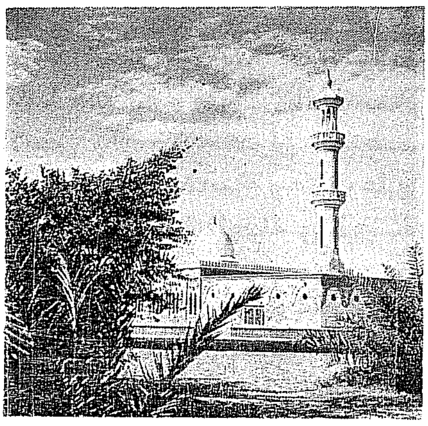
والروحانية هنا ليست بالتجرد من الدنيا والجسد ، ولكنه غذاء فكرى يجب على المسلم أن يهتم بعقله وبدنه وليس كالدابة التى تعيش لتأكل فقط بل الانسان يأكل ليعيش وفى عيشه يطلب لجسمه وعقله معا .. وبعد ذلك تحدث سعادة وزير الأوقاف الأستاذ راشد الفرحان فى نفس الموضوع الانسان بين المادة والروح . وموعدنا للحديث عن الجزء الآخر من الندوة العدد القادم .

مساجد الكويت

مسجد الميلم

يقع مسجد الميلم الفخم الذى بناءعلى نفقته الخاصة الحاج محمد عبد العزيز الميلم على شارع الرياض أحد شوارع الكويت الفسيحة وقد اسس هذا المسجد فى ٤ ذى الحجة ١٣٨٧ (١٩٦٨/٣/٣ م) .

وتلفت الناظر الى المسجد هـذه المئذنة السامقة التى تعبر بجلال عن تسامى القلوب المؤمنة الى السماء فى شوق ومحبة وهى أعلى مآذن الكويت على الاطلاق وقد غطيت فتحاتها المستطيلة بالزجاج الاخضر حتى اذا أضيئت ليلا سطعت شعلة خضراءتحيط بها هالات وسط الظلام يراها الناظر من مسافات بعيدة .



منظر لمسجد الميلم من بعيد تحيط به الاشجار .

ويحيط بالمسجد سور له أبواب أربعة وقد بنى على أحد جوانبه سبيل به مبرد كبير للماء للمارة والمصلين وحين تدخل السور فانك ترى خضرة العشب فى شبه حديقة صغيرة صفت فيها مقاعد رخامية أعدت كى يجلس عليها من ينتظر فتح أبواب المسجد للصلاة .

والمسجد على الطراز العربى المزين بفنون النقش العربى ذى الاشكال الفنية الرائعة وفى داخل هذا السور مبنى لدورة المياه وهو مزود بالماء الساخن والبارد كما يضم غرفتين خصصتا لموظفى المسجد وبه كذلك مبرد للماء .

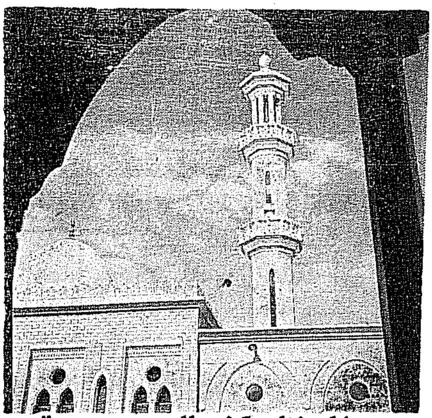
أما المسجد ذاته فانك ما تكاد تدخل من احدى بواباته الثلاث الحديدية ذات الزجاج الاخضر والقبضات النحاسية حتى تطأ أقدامك أرض الساحة الكبيرة التى تتصدر المسجد وهى معـــدة لاستيعـــاب المصلين عنـدما يزدحم المسجد فى صلاة الجمعة والعيدين ، وقد ظللت مساحة كبيرة من هـــذه الساحة وأقيم سقفها على أعمـــدة كسيت بالرخام الابيض وأرضيتهـــا من الرخام الملون .

وعندما تدلف الى المسجد فانـــك لا بد ستدهش برهة من الوقت امام الفن الرائع الجمـــال ، فالمسجـــد تعلوه قبة كبيرة تكـــاد تغطى ثلث مساحة المسجد وقد أضيئت اضاءة غير مرئية بالنور الابيض (النيون) تتدلى منها ثريا كبيرة تضفى عـــلى المسجد ضوءا أخاذا بجانب الضـــوء الـــذى ينبعث من الثريات الكثيـــرة المتقاربة المتدلية من السقف .

أما الاعمدة الاربعة التى تقـــوم عليها هذه القبة فهى من الرخـــام الابيض وقد حفلت جدران المسجـــد بفنون هندسية متناسقة وحفرت عليها اللوحات القرآنية الجليلة والمذهبـــة بينما علقت لوحـــات أخـــرى بيـــن كل نافذة وأخـــرى من نوافذ المسجد الكثيرة ذات الطراز العربى المستطيل والمصنوعة هى والابـــواب من خشب الساج العظيم وفى جدران المسجـــد خزانات مصنوعة من خشب الساج وقد أعدت كخزائن للكتب فى وضع هندسى رائع بحيث تعتبر مكتبة كبيرة

فاذا تقدمت على السجاد ذى اللون الاخضر الهـــادىء الذى فرشـــت أرض المسجد به وخطوت نحـــو المحراب أخذت بلبك الاضواء غيـــر المباشرة التى تحيط بالمحراب وتوحى للنفس بكل معانى الاجلال والرهبـــة وخاصة عندما تنعكس هذه الاضواء على حائط المحراب الذى غطى بطبقة من المربعات الصغيرة ذات اللـــون الذهبى ويحف بالمحراب شرفتان تطل نافـــذة كل منهما على المصلين واليمين منهما شرفة فسيحة يقف عليها خطيب المسجد .

أما الشرفة الثانية فعبارة عن غرفة صغيرة مزودة بتليفـــون وبكافـــة



وهذا منظر آخر للمسجد عن قرب

الاستعدادات اللازمة لنقل الاذاعـــة والتلفزيون شعائر الصلاة والندوات والحفلات الدينية فـــى المناسبات المختلفة . وبلغت نفقات بناء المسجد واحدا وسبعين ألف دينار .



القادياني والقاديانية

تأليف : أبو الحسن الندوي

عرض وتحليل : عبد المعطي بيومي

منذ أن ظهر القاديانى ، والكتابات الاسلامية والعلماء المسلمون ، فى ملاحظة دائمة له ، يكشفون أمره ويظهرون زيفه أمام الناس .

ومن أقدر الذين كتبوا عنه ، الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه « القاديانى والقاديانية » دراسة وتحليل ، والذى نشرته الدار السعودية.

وفى هذه الصفحات سنقف بالعرض والتحليل لكتاب الاستاذ الندوى ، الذى وضعه — وهو الهندى — بأسلوب عربى ، سهل واضح العبارة ، سليم المنهج .

وقد قسمه على أربعة أبواب : —

١) عن الميرزا غلام أحمد

٢) تطور فكرة القاديانية .

٣) القاديانى فى الميزان .

٤) القاديانية فى الميزان .

فالكتاب كما نرى يحتوى على جانبين :—

● جانب تاريخى يتضمن التحليل التاريخى المفصل والامين ، لحياة الميرزا غـلام أحمد كما يتضمن رصـد التطورات التى مرت بها فكـرة القاديانية .

● جانب نقدى .. ويضمنه الشيخ أبو الحسن تقييما صحيحا يعتمد على وقائع التاريخ للقاديانى والقاديانية .

ومع أسلوبه المشرق ندلف الى الباب الاول من كتاب أبى الحسن ، وهذا الباب عن الشخصيات الاساسية وعصرها وبيئتها ، وهو ثلاثـة فصول ..

ففى الفصل الاول : يجمل الكاتب حالة القرن التاسع عشر الميلادى ، وهو القرن الذى اشتد فيه عنف الصدام بين الحضارة المسيحية وحضـارة الاسلام ، وفى هـذا الصدام غلب العلماء المسلمون على القسس وأبانوا حجج الاسلام ، لكن المسلمين لم ينجوا من القلق الـذى صاحب هـذا الصراع ، ومن الاستعمار الذى غذى هذا القلق بسيطرته حيث كانت الجولة للقـوة لا للحجـة .

وكانت البنجاب أكبر مواقع القلق فى هـذا القرن ، الذى ما أوشك على الانتهاء حتى ظهر الميرزا غلام أحمد القاديانى .

فمن هو الميرزا غـلام أحمد هـذا ؟..

هذا ما يجيب عنه الفصل الثانى من الكتاب .

ويقول المؤلف فى هذا الفصل انه لا يعتمد فى نسـب الميرزا غـلام وعائلته غير مصادر الميرزا نفسه ، ومن هذه المصادر يتبين أنه انحدر من اسرة هى من أخلص الاسر للانجليز ، ويقول الميرزا ذاتـه « لقد أقرت الحكومة بأن أسرتى فى مقدمة الاسر التى عـرفت فى الهنـد بالنصح والاخلاص للحكومة الانجليزية ... وقد قدم والدى فرقة مؤلفة من ٥٠ فارسا لمساعدة الحكومة الانجليزية فى ثورة عام ١٨٥٧ ، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة ، وكان أخى الاكبر « غلام قادر » بجوار الانجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة » .

ولد الميرزا سنة ١٨٣٩ أو ١٨٤٠ فى قاديان ، وتلقى بعض العلوم الدينية والفلسفية والادبية والطب ، ثم عمل موظفا صغيرا بمبلغ شهرى قدره ١٥ روبية ، وكان أول أمره من قلة الفطنة بحيث لم يكن — كما يقول نجله الاوسط ميرزا بشير أحمد — يميز بين فردتى الحذاء اليمنى واليسرى حتى اضطر الى وضع علامة عليها بالحبر وكان يخطىء رغم ذلك . وكانت حياته مليئة بالطرائف . من ذلك :

● تحديه العالم بأنه قد أوحى اليه أنه سيتزوج فتاة اسمها « محمدى بيكم » وان ذلك أمر إلهى لا مرد له ، ولكن الفتاة تزوجت شابا آخر وعاشا بعد وفاته أعواما طويلة .

● ومن ذلك أنه تحدى عام ١٩٠٧ العالم المشهور ثناء الله الامرتسرى بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت قبل الآخر بالهيضة أو الطاعون وفعلا مات الميرزا غلام نفسه قبل ثناء الله بأربعين عاما ومات — كما اعترف هو لصهره — بالهيضة الوبائية سنة ١٩٠٨ وخلفه الحكيم نور الدين البهيروى .

وفى الفصل الثالث يروى المؤلف قصة حياة هذا الحكيم نور الدين ، الذى يعتقد بعض الباحثين أنه صاحب الفكرة والتصميم فى الحركة القاديانية ، فيقول إن نور الدين ولد ١٨٤١ م فى بهيرة من مديرية شاه بور فى بنجاب ، وثابر على الدراسة حتى عمل طبيبا لامراء جمون ولكنه عزل ، وفيما كان فى جمون تعرف على الميرزا غلام أحمد ، الذى كان مقيما حينئذ فى سيالكوت فلما ألف الميرزا كتابه « براهين أحمدية » ألف نور الدين « تصديق براهين أحمدية » وظلا معا حتى تولى خلافة الميرزا ست سنوات الى أن سقط من فرسه واعتقل لسانه قبل أيام من وفاته فى مارس ١٩١٤ وكان نور الدين يرفض التقليد أولا الامر ثم دان لنزعة اخضاع القرآن والدين للعلوم الطبيعية ، وتأويل المعجزات والحقائق .

وبعد أن ينتهى المؤلف من بحث الظروف التى ولد فيها الميرزا وحياته وحياة رفيقه نور الدين ، ينتقل الى الباب الثانى عن تطور فكرة القاديانية فيقف فى الفصل الاول مع هذه الفكرة وهى فى دور التأليف والمناظرة ، وينصب بحث المؤلف فى هذا الفصل على كتاب « براهين أحمدية » .

ويعيد المؤلف هنا الى الاذهان أن العصر كان عصر مجادلة فى العقائد وهجوم على الاسلام ، ولذلك فان الميرزا نهض لاستغلال ذلك ، وأعلن على الناس عزمه على تأليف كتاب للدفاع عن الاسلام بثلاثمائة دليل ، وانه تلقى الوحى بتأليفه ، وتحدى أن يأتى أحد بمثل هذا الكتاب ويثبت حجة دينه بالدلائل التى تكافىء دلائله فى هذا الكتاب أو تبلغ نصفها أو ثلثها أو ربعها أو خمسها ، والذى يقدم هذا الكتاب الذى يحكم له ثلاثة حكام عادلون يقدم له عشرة آلاف روبية ، وطلب من المسلمين أن يتبرعوا بنشاط وحماسة لتكاليف طبع الكتاب العظيم الذى هو انتصار للاسلام .

وأخيرا تمخضت الدعاية الكبرى عن أربعة أجزاء فقط ظهر بها الكتاب واستمر يؤلف فيها أربع سنوات ١٨٨٠ — ١٨٨٤ وتوقف فلم يؤلف الجزء الخامس الا سنة ١٩٠٥ بعد أن توفى كثير من الذين اشتركوا فى الكتاب .

والكتاب ملىء بادعاء الالهامات المختلقة حتى لقد نزل عليه الهامان بالانجليزية .

ومن أظهر ما فى هذا الكتاب أنه يدعو المسلمين الى موادعة الانجليز وتحريم جهادهم وضرورة الموالاة لهم ، ثم هو لا يتضمن دليلا واحدا كاملا من الثلاثمائة التى وعد بها .

وينتقل المؤلف الى الفصل الثانى متعقبا تطور القاديانى من التأليف

والنشر والدعاية لنفسه ، الى دعواه انه المسيح الموعود ، وذلك على الرغم من انه أوضح فى كتابه انه لا حاجة للامـــة الى وحى جديد ، ولقد كان ادعاؤه بأنه المسيح اجابة لاقتراح اقترحه عليه رفيقه الحكيم نور الدين الذى راح يملى عليه أوصاف المسيح ويحل معه المشكلات التى تعترضه فى هذا السبيل ، مثل حله لمشكلة احاديث نزول المسيح فى دمشق مع أنه فى قاديان .

ولكن الميرزا غلام أحمد لا يكتفى بادعاء أنه يمثل المسيح بل ينتقل من ذلك ــ كما بين الفصل الثالث ــ الى ادعاء النبوة ذاتها ، وقد مهد لها كثيرا من قبل فى كتبه حتى أعلنها صريحـــة فى يوم جمعة سنة ١٩٠٠ عندمـــا وقف الشيخ عبد الكريم ــ الرجل الثالث فى القاديانية بعد الميرزا والحكيم نور الدين ــ يقول للناس فى خطبة الجمعة إن الميرزا غلام أحمد رسول من الله وأن من لا يؤمن به يفرق بين الرسل ويخالف قول الله تعالى « لا نفرق بين أحد من رسله » فلما تصايح الناس وعلا نقاش المنكرين مـــع الخطيب خرج الميرزا من بيته وهو يقول « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » وكان يرى أن نبوته مستقلة يستطيع أن ينسخ زيف القرآن وأن من لم يتبعه كان كافرا وأنه يجوز أن يكون فوق الانبياء جميعا وان الله أوحى اليه « اسمع ولدى » « يحمدك الله من عرشه ويمشى اليك » ويذكر أن الله أراد مرة أن يوقع على صحيفة فنضح الحبر الآخر من القلم على قميص الميرزا .

والى هنا يكون الشيخ أبو الحسن الندوى قد انتهى من الجـــانب التاريخى فى الكتاب حيث عرض كما رأينا ــ من مؤلفات القاديانية ذاتها ــ ومن مؤلفات الميرزا وابنه على وجه خاص ــ لينتقل بعد ذلك الى الجانب النقدى .

وفى هذا الجانب يبدأ الباب الثالث عن القاديانى فى الميزان حيث يخصص الفصل الاول عن حياة الميرزا ومعيشته وعن التحول الكبير الذى جرى على هـــذه الحياة .

ظل خمسا وعشرين سنة فى شظف وخمول وضيق عيش ، اذا به يتحول الى بذخ باذخ وحياة مترفة لا تشبه فى شىء حياة الدعاة الحقيقيين الذين يشغلهم أمر الدعوة عن ترف الحياة وبذخها حتى لقد اعترض بعض أتباعه على ذلك التبذير فى أموال المسلمين وليست أمواله ، منهم الخواجة كمال الدين الذى قال « ان من الظلم المبين أن هذا المال الذى يكتسبه فقراء المسلمين بكد اليمين وعرق الجبين ويشحون به على نفوسهم وبطونهم لينفق فى المصلحة الاجتماعية يضيع فى الشهوات والاغراض » .
ويذكر المؤلف أن هذا البذخ فى « قاديـــان » تفاقم بعد مـــوت الميرزا

وانتقال الخلافـــة القاديانية الى ولده الميرزا بشير الدين ، حتى وصلت روايات هذا المجون الى ما يفوق ألف ليلة وليلة وقد وصف هذه الحـــال الاستاذ عبد الرحمن المصرى الذى كان مـــن كبار القاديانية بحيث كان يستخلفه الميرزا بشير فى الصلاة قال « ان الخليفـــة الحالى الميرزا بشير الدين محمود من كبار الفساق انه يتصيد الفتيات فى ستر من الزعامة الدينية ، وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء يحضرون لـــه الفتيات الغافـــلات والشباب الغر ، وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريا من أعضائه الرجال والنساء يفسق فيه » .

وفى الفصل الثانى يقدم الشيخ أبو الحسن دليلا آخر على كـــذب القاديانى فى ادعائه بتواطئه مع الانجليز الغزاة الذين قوضوا مملكـــة الاسلام فى الهند وقوضوا قواعد الاسلام ذاته ، وافتائه بتحريم الجهـــاد وعزلته عن حركات التجديد فى العالم الاسلامى لدرجة وصفهـــا الشاعر الفيلسوف الدكتور محمد اقبال فى قوله « انه ــ أى الميرزا ــ يعتقد ان بهاء الاسلام ومجده فى حياة العبودية وأن سعادة المسلمين فى أن لا يزالوا محكومين أذلاء انه كان يعد حكومة الاجانب رحمة إلهية لقد رقص الرجال حول الكنيسة ومضى لسبيله » .

ويقدم المؤلف دليلا ثالثا فى الفصل الثالث من هذا الباب على كذب القاديانى ببذاءة القاديانى فى المناقشة وسلاطة لسانه واقزاعه ، مع أن المقرر فى حياة الانبياء عفـــة اللسان وسلامة المنطق . عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذىء » .

وكدليل رابع وطريف يعرض المؤلف نموذجا من التحديات التى تحدى عليها الميرزا ولم يتحقق كتحديه بزواج « محمدى بيكم » بقوله « ولقد الهمنى الله .. ويسئلونك أحق هو قل اى وربى انـــه لحق وما أنتم بمعجزين زوجناكها لا مبدل لكلماتى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ومع ذلك تزوجت الفتاة بشاب آخر كما قلنا وعاشا معا بعد وفاته بزمن .

وفى الباب الرابع والاخير الذى خصصه المؤلف للقاديانية فى الميزان ذكر فى الفصل الاول أن القاديانية ليست فرقة اسلامية وانما هى ديانة خاصة مستقلة وزائفة تماما عن الاسلام بل هى تزاحم الاسلام فى شعائره ومقدساته فهى فرقة خارجة عن الاسلام خروجا كاملا ومن هنا كان اهتمام الهنادك وترحيبهم بها .

وليتها كانت ديانة خارجة عن الاسلام وكفى ، اذن لكانت اضرارها على متبعيها وحدهم بل هى ثورة على النبوة المحمدية ومنافسة كما بين المؤلف ذلك فى الفصل الثانى ثم هى تؤدى الى تفريق كلمة المسلمين وانهاء ارتباطهم بشخصية محمد صلى الله عليه وسلم ثم هى تفتح المجال للتنبؤات الكاذبـــــة .

ويرى الشيخ أبو الحسن الندوى أن القاديانية التى يتزعمها الميرزا بشير الدين محمود صريحـــة فى ادعاء النبوة للميرزا غلام أحمد لكن الفرع

(البقية ــ ص ٩٥)

توجيهات للحجــاج :



جلست ذات يوم أمام الكعبة المشرفة وأثر فى نفسى منظر الذين يطوفــون حولها ليل نهــار ، لا ينقطع الا عند الصلاة ثم ذلــك المنظر الذى يأخذ بالقلوب ــ ساعة الصلاة والمصلون ملتفون حــول الكعبة ــ قبلة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها جاءوا من كل فج عميق . لا فرق بين سيد ومسود ، وأبيض وأسود ، ولا تمييز بين هذا وذاك بــل الكل سواء ــ يجمعهم علم واحد هو علم الاسلام ، وتدور فى مخيلتى الذكريات الخالدات من يوم أن أمر رب العباد خليله ابراهيم بالنداء الخــالد الــى يومنا هذا والى أن تقوم الساعة « واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نــذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » وما زال هذا الطواف قائما وما يزال الله حافظا لبيته العتيق الى أن تقوم الساعة ــ وهذا المنظر يزداد روعة على مر الايام ونداء الخليل يتجدد بمرور الاعوام ، رغم مرور آلاف السنين ، ولم لا ؟ وهو أمر الله على لسان نبيه الكريم ــ وأى قوة تقف أمام قوة الخالق الذى يقول للشىء كن فيكون .

وبينما أنا هائم فى هذه البحار من الذكريات ــ وهذه المناظر التى تأخذ بالالباب اذا بكهل أخذ يتمتم بلغة لا أكاد أفهمها لم يكد يجد بجوارى

للدكتور محمد محمد أبوشوك
رئيس قسم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى
الكويت

دين اليسر والنظافة

فرجة من مكان حتى تهالك وجلس وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه ـــ وخفت على الرجل أن يلفظ نفسه الأخير وهو يستوى بجوارى ـــ وتركته يستريح بعض الوقت حتى اذا أحسست منه أنه يمكنه أن يتجاذب معى أطـــراف الحديث أخذت القى عليه بعض الاسئلة وهو يجيب بصعوبة ، وفهمت فى نهاية الامر أنه قدم من بلاد بعيدة وقطع المسافة بين بلده الى الحجاز فيما يقرب من ثلاثة أشهر سيرا على الاقدام ، وبمساعدة أهل الخير ، وكم قاسى الامرين وكم اشتدت عليه الامور ويعود فيقول (إن كل شىء بثوابه ولا بد لى أنى سأجازى أضعاف أضعاف من يأتى الى هنا بطرق سهلة ولا يقاسى من سفره) .

وبينما أنا أستقبل المرضى فى عرفات اذا بسيارة الاسعـــاف تحضر اثنين فى أشد الاعياء ـــ قىء وشبه غيبوبة وهذيان ، ما هذا ؟ انهما وجدا وهما يصعدان جبل الرحمة من شدة الحر أثناء الظهيرة والحر على أشده ، لماذا ؟ ليكسبا أجرا عظيما ـــ وتقبل حجتهما .

ثم هذه التى أتت من أقصى بلاد المسلمين وأفهمت أنه ليس أحسن للمرء من أن يذهب الى الحجاز ويموت هناك فى الاراضى المقدسة ، كانت جلدا على عظم وتعانى من داء الصدر « الدرن » وكم قلت لنفسى ما ذنب هذه وهى تحتضر وما ذنب أمثالها من النساء وأمثالها من الرجـــال سمعوا

هذا النصح وجاءوا ليقاسوا هول السفر ويلقوا بأنفسهم الى التهلكة ويقدموا على هذه المخاطرة يحضرون ليموتوا فى الاراضى المقدسة . ثم أقول لنفسى كم من عدوى تنتشر أيام الحج من هؤلاء المرضى ومن حاملى ميكروب لامراض أخرى .

ومن عجب أنك تشاهد حاجا لا يعى ما يفعل ، وتنتابه نوبات جنون ويقوم بأعمال تضره وتضر بحجاج آخرين . بالله لماذا حضر هذا الى الاراضى المقدسة ، فتجد الرد لعله يشفى من المرض الذى الم به وتحل عليه البركات ويذهب عنه جنونه .

وصور أخرى تتراءى أمام عينى وأفحصها — وارى العجب واحمد الله كيف وصل هؤلاء الحجاج الى الارض الطاهرة ، وقد لاقوا ما لاقوا من مشقة السفر ، هذا يعانى من هبوط فى القلب وذاك من ارتفاع شديد فى ضغط الدم ، وتلك من سمنة مفرطة أثرت على جميع مفاصلها وجعلتها قعيدة فى عقر دارها ، ثم هذا الذى يعانى من مرض صدرى مزمن لا يكاد ينتقل خطوات حتى يلهث من ضيق النفس ، وغير ذلك من صور لا تنتهى.

ثم أمام كل هذه الصور أذكر النداء نداء الخليل « واذن فى الناس بالحج » وحديث المصطفى وهو يشرع ويضع العمد الخمسة للاسلام « بنى الاسلام على خمس ، شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » ومن الاستطاعة استطاعة المال واستطاعة الصحة وتحمل مشقة السفر ، فمن كان مريضا أو ضعيفا بسبب كبر سنه أو شيخوخته ولا يمكنه أن يتحمل السفر عد من الذين لا يستطيعون . ثم ما هذا التشدد فى الدين وديننا يسر ، وما شاد الدين أحد الا غلبه ، فالبحث عن المتاعب ، والاجهاد وتسلق الجبال فى أشد أوقات الحر والسير المسافات الطويلة لارهاق الجسم ، وتعذيب البن بشتى الوسائل ، وعدم الاكل والمبيت فى الخارج فى شدة البرد القارس ، كلها ضارة بالجسم ، وحاشا لديننا أن يأمرنا بهذا أو يقبل منا ذلك ، وكان رسولنا الكريم يختار من الشيء أيسره ..

فأنى لهؤلاء بهذه الاعمال التى يقومون بها ، وأرجو من القائمين على الاسلام فى شتى البلاد الاسلامية أن يوفقوا فى اقناع حجاجهم فى أن يحافظوا على أبدانهم اثناء السفر — لا أن يعرضوها للاخطار طمعا فى الغفران ، وأن يأخذوا من الامور أيسرها وديننا الذى يحث دائما على النظافة فى قوله تعالى « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وقوله « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » والقول المأثور « النظافة من الايمان » كلها دفع قوى الى حيث تكون النظافة فى الملبس والمأكل والمشرب .

ففى الملبس أنه والله ليسىء الى المسلم والاسلام أن يرتدى الحاج ملبسا ممزقا أو تعلوه الاوساخ فيأنف منه من يراه أو يجلس بجواره ،

ويتحاشاه القريب والبعيد ، ووالله ما كان اللباس القذر رمزا للتقشف كما يدعى بعض الناس ، فديننا دين نظافة ، وأما ما دون ذلك فقد دخل على الاسلام لتشويه سمعته والنيل منه .

والنظافة فى المأكل يجب أن تكون رائد كل حاج فلا يأكل الا كل نظيف فكم من حاج تعرض للتسمم الغذائى لاكله طعاما غير صحى ويا حبذا لو تخير من الطعام أطيبه — وأسهله هضما ويكون فاكهة تغسل غسلا جيدا ويتحاشا ملء معدته فيسلم من الارتباكات المعدية والمعوية أثناء الحج والتى يعانى منها الكثيرون .

ويجب أن تذبح الضحية فى مكان الذبح لا أن ينحرها بجوار مسكنه ، فتجر عليه من الامراض والروائح الكريهة مالا يحمد عقباه وتكون سببا فى تفشى الامراض المعدية التى طالما تكثر زمن الحج لهذا السبب .

والنظافة فى الشرب وعدم تلوث الماء من واجب كل حاج حفظا على صحته وصحة الحجيج — فليس من الاسلام أن يحمل الماء أو يوضع فى أوان قذرة ، ويدعى ساقيها أنها بركة ولا تضر — ويأخذها الحاج بعد ذلك فى أوان غير مضمونة النظافة ، ويحملها مسافات طويلة الى بلده يهدى منها الاصحاب والاحباب ..

ثم يجىء دور النصيحة لنشر الوعى الصحى بين الحجاج ولكى يحافظ الحاج على صحته يجب أن يتبع القوانين الصحية فيطعم ضد الامراض السارية وهى الجدرى والكوليرا قبل سفره ثم أنه اذا كان مريضا لا بد وأن يستمر فى علاجه والا تعرض لمضاعفات المرض الذى يعانى منه .

ثم ليدفع كل حاج زميله بالتى هى أحسن ليبتعد عن كل ما يسىء الى صحته وصحة الحجيج . فلا يغالى فى أن يشق على نفسه وعلى أصحابه مقنعا اياهم بحسن الثواب وزيادة الجزاء . فكم رأيت من الحجاج المسنين يتبعون أناسا يحثونهم على تعرضهم للمشاق ، بل وللهلكة لكى يكون حجهم مبرورا وذنبهم مغفورا .

وما بالنا ونحن فى زمن العلم والتقدم لا نطبق ذلك فى أيام الحج فنجد البعض يضربون بالقوانين الصحية عرض الحائط ، ولا رادع يردعهم ولا وازع يمنعهم من أن يقوموا بهذه الاعمال التى تسىء الى سمعة الحج الصحية — فترى بعض الناس يرمون بالاوساخ بجوار مكان سكناهم ، ويبصقون ويتبرزون أنى وجدوا الى ذلك سبيلا غير مقيدين بالاماكن المخصصة لذلك . ثم هؤلاء الذين يتكدسون فى حجرات ضيقة ليساعدوا على انتشار العدوى فيما بينهم .

ثم من لى بهؤلاء الذين يدعون الطب ويعالجون الناس بالوصفات التى تكون فى بعض الاحوال ضارة ، أو يهون المرض على حاج ويحول دونه والذهاب الى الطبيب أو المستشفى للعلاج .

ثم هؤلاء المرضى من الجاليات الاسلامية المختلفة الذين يترددون على

العيادات والمستشفيات ، ولا يمكنهم أن يفصحوا عما بهم ، ويبقى الطبيب فى حيرة من أمره وأمرهم . ويا حبذا لو كان معهم دليل يعرف لغة كل جالية ويعرف العربية حتى يتسنى علاجهم على الوجه الاكمل .

وكم تمنيت تكاتف جميع الحجاج من كل بلاد المسلمين على جعلهم الحج فى المكان الاسمى الذى يليق بـــه ، سواء فى ذلك الناحية الروحية والناحية الصحية ــ والثقافية ــ ويتناول وجهات النظر ، وما يدور فى البلاد الاسلامية من أحداث والمساهمة فى كل اصلاح . بذلك نكون قد قمنا ببعض واجبنا نحو هذا الركن الاسلامى المتين ــ ونكون قد جنينا بعض ثماره ، والتى من الممكن أن تتكاثر وتتكاثر بمرور السنين ويعم نفعها على المسلمين فى أنحاء العالم . وبذلـــك نكون قد ربطنا أجزاء هذا العـــالم الاسلامى المشتت بجهود كل المسلمين وبازدياد وعيهم فى كل مجالات الحياة ونعيد للاسلام مجده ، ولا ندع الفرصة لمن يتقولون عليه ويفترون ، من أنه دين التأخر وهو والله دين التقدم والعلم والازدهار ، وسيبقى نوره ساطعا يزهو بتفهمنا له والرجوع اليه ــ « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا » . « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » ..

هذه بعض خواطر وصور تتراءى أمام ناظرى وأنا فى بيت الله الحرام ــ أرجو من كل مسلم غيور على دينه أن يرعاها ، وأتمنى لكل الشـــعوب والحكومات الاسلامية أن تضعها نصب أعين حجاجها حتى تقوم بهذا الركن المتين خير قيام .

اللاهورى من القاديانية الذى يتزعمه محمد على صاحب ترجمة القرآن أخبث وأشد تعقيدا ! لانها تلقب الميرزا أحمد بمجدد القرن الرابع عشر ومع ذلك تعتقد أنه المسيح الموعود وتلحد فى التأويل وتحرف تفسير القرآن عن مواضعه ويعرض المؤلف نماذج من هذا التفسير مثل تفسيره « فألقوا حبالهم وعصيهم » بأنهم لم يلقوا حبالا ولا عصيا بل انهم بذلوا غاية ما أمكنهم من حيل .

ويقول المؤلف ان هذا الفرع بالذات لجأ الى الدعاية الكاذبة والتهريج بانها عملت على اسلام العدد الكبير من المسيحيين ولكن ذلك لم يحدث الا فى القليل النادر حينما استغلت هذه الجمعية اسلام بعض الناس ومنهم المرضى والعجزة .

وفى الفصل الرابع والاخير يودعنا المؤلف بكلمة عامة عن حاجة الاسلام حينئذ الى المصلح والمجدد الذى يقيم ما أعوج من أخلاق الامة واعتقادها وعلومها فجاء الميرزا غلام أحمد ليضيف أزمة الى أزمات واعوجاجا فوق اعوجاج .

وهكذا ينتهى كتاب الشيخ أبى الحسن الندوى ويبدو فيه أن المؤلف ركز فيه البحث على إبطال فكرة النبوة لميرزا غلام أحمد القاديانى وكان المؤلف بارعا حقا وواضح العبارة فى هذا الغرض وان كنت أرى أن القارىء كان ينتظر المبادىء التى دعا اليها النبى المزعوم مع ما دعا اليه من تحريم الجهاد ، وان كان عذر المؤلف على ما يبدو أنه هدم الاساس الذى تقوم عليه تلك المبادىء وهو ادعاء النبوة واذا بطل ادعاء النبوة بطل ما بنى على هذا الادعاء من آراء .

حسب المؤلف أنه قدم للقارىء العربى المسلم هذه الفكرة الواضحة عن القاديانية معتمدا على المصادر القاديانية ذاتها .

قصة اسلامية

للأستاذ عبد اللطيف فايد

لم تكن من أجل الغنائم والمكاسب المادية تلك الحرب الضروس التى خاضها المسلمون على أرض فارس ، والتى انتهت فيها دولة الأكاسرة الى غير رجعة ، فقد ذهب المؤمنون بدين الله الحق الى هذه البلاد ، وفى قلوبهم يقين بأن هذه الحرب هى الفاصلة بالنسبة لهم وللعقيدة التى آمنوا بها خيرا وسعادة للبشرية جمعاء .. إذا انتصر الفرس دالت دولة الاسلام ولن تقوم لها قائمة ، واذا انتصروا هم فقد حطموا ملك الأكاسرة الجبابرة الى الأبد ، ومكنوا لصوت التوحيد من أن يرتفع عاليا فوق ايوان كسرى الذى بهر العالم بفخامته وأبهته ..

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يعرف الدولة يعرف لهذه الموقعة قدرها وما ينبغى أن يكون عليه الاستعداد لخوضها ، فقد سبق للمسلمين أن ذهبوا الى هذه البلاد منذ ثلاث سنوات فاتحين، واستطاعوا أن ينشروا الأمن فى رقعة كبيرة منها .. ولكن الفرس تجمعوا بعد أن اشتدت الفرقة بينهم ، ونبذوا خلافاتهم التى جعلتهم شيعا وأحزابا .. واختاروا الشاب « يزدجرد » الرجل الوحيد الباقى من سلالة « كسرى أبرويز » ليجلس على عرش أجداده ، يقودهم فيمتثلون ، ويأمرهم فيطيعون ويوجههم فلا يختلف اثنان فى الطريق الذى رسمه لهم .. وذلك حتى يثأروا لكرامتهم من المسلمين الذين فتحوا بلادهم ، ودخلوا اليها بدين بهر الناس فتركوا دياناتهم اليه ، وأظهروا على أرضها بسالة أذهلت قلوب الشجعان فحطموا الأسطورة القديمة عن دولة الفرس التى لا تقهر كما يحطمون الآن الأسطورة القديمة عن دولة الروم التى لا تنهزم ، وقد كان العالم

سوار كسرى

قسمة بينهما يختلفان عليه ويتفقان .

عندما ترامت الأنباء الى عمر بهذا الاستعداد ، وأن مناوشات الفرس للمسلمين هناك بدأت من جديد لم يتردد فى الاذن بمسير الجيش الاسلامى مرة أخرى الى فارس تحت امرة القائد العظيم ((سعد بن أبى وقاص)) ..

* * *

جيش الايمان الذاهب لتأديب الفرس لا يزيد عدده على أربعة آلاف فقط .. سيواجه هناك جيشا فارسيا مدربا على كل فنون القتال يزيد عدده على مائة وعشرين ألفا بين راجل وفارس ، تتقدمهم مجموعة كبيرة من راكبى الأفيال المدربة على القتال .. والأفيال فى جيوش الفرس قوة كبرى ضاربة لا يفوتها النصر فى أقسى المعارك ضراوة واستبسالا ..

ومع الأمر لجيش الايمان باتخاذ طريقه الى بلاد فارس أصدر أمير المؤمنين أمرا بالتعبئة العامة فى سائر الدولة الاسلامية يحشد للمعركة كل القوى التى تساعدها وتدعمها ويدعو كل قادر الى المشاركة فيها بما يملك ، ويحمل الأمر تكليفا الى عماله بالتنفيذ فورا وبلا ابطاء ..

انطلقت رسل أمير المؤمنين من المدينة الى كل الامارات والقبائل فى الدولة تحمل الى المسئولين فيها كتبه ، وفى كل منها عبارة موجزة واضحة صريحة تقول: ((لا تدعو أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأى الا انتخبتموه ثم وجهتموه الى .. والعجل العجل)) .

حتى الذين عرفوا بحسن النظر ودقة الرأى وصواب الحكم ممن يعيشون بعيدا عن المدينة ومقر الأمير

دخلوا فى هذا الأمر الهام والعظيم بالتعبئة العامة للمعركة الحاسمة الفاصلة ..

وقبل أن يصل جيش الآلاف الأربعة الى القادسية حيث الوقعة المرتقبة كانت الامداد قد بلغته من كل أطراف الدولة الاسلامية حتى بلغ عدده ستة وثلاثين ألفا ..

ومهما كان هذا العدد من الشجعان الصناديد والفرسان المغاوير فان قوتهم المادية تتضاءل كثيرا أمام قوة جيش الفرس بقيادة ((رستم)) عظيم جندهم وصانع انتصاراتهم على أمم كثيرة استذلها الفرس ، وحكموا فيها، وسلبوا خيراتها ..

لكن المقياس المادى وان كان له اعتبار عند جيش المسلمين الا أنه لم يكن العامل الحاسم فى سائر حروبهم، فكل المعارك التى خاضوها من قبل كان المقياس المادى فيها يرجح الميزان لصالح أعدائهم ، مع ذلك فالنتيجة كانت دائما فى جانب المؤمنين ذلك لأنهم يحملون فى قلوبهم ايمانا يحاربون به ، وعقيدة سادت كل تصرفاتهم ، فهانت أمامهم الشدائد ، وتبددت المحن ، وأقبلوا على الموت راضين ، فكتب الله لهم الحياة ، وأيدهم بنصره .

* * *

انفتاح على الحقيقة الكبرى فى دين التوحيد والعدالة هو الذى صنع هذا الايمان ، ورحلة طويلة من المعاناة والآيات مع النبى مكنت له من نفوس المؤمنين وقلوبهم .

لقد آمنوا بالنصر فى كل معركة خاضوها لأنهم آمنوا بأن قوتهم المادية لن تستطيع وحدها تحقيق النصر ، وبأن الله من وراء الاستعداد المؤمن ، وهم لم ينسوا يوم أن اغتروا بقوتهم وعددهم فى معارك واجهوا فيها الكفار فلقنهم صانع النصر دروسا يذكرونها ويعتبرون بنتائجها ..

ولقد سبقتهم بسنوات طويلة آمالهم العظيمة الى فتح بلاد فارس والسيطرة عليها ونشر دين الله على أرضها .. وتحولت هذه الآمال الى ايمان يفرض أرادة لن تقهر ، وليس دونها شىء الا الموت :

فهم يذكرون جيدا أن النبى حينما هاجر من مكة الى المدينة ، وتعقبه سرا فى الطريق ((سراقة بن مالك)) ليعود برأسه الى كفار مكة — وما حدث لسراقة فى وقت المواجهة وفرسه يكبو به على الارض ثلاث مرات ويوشك أن يقتله ، ثم يطلب العفو من النبى والأمان .. ويرى النبى بنقاء أحساسه مستقبل الايمان فى وجه سراقة ، فيقول له : ((يا سراقة ، كيف بك اذا تسورت بسوارى كسرى ..)) ويحسبها سراقة وقتئذ دعابة ثقيلة من النبى أو سخرية .. لكنهم آمنوا بأن هذا وعد من الله لنبيه بفتح بلاد كسرى ..

ويذكر المؤمنون كذلك وهم فى طريقهم الى تأديب فارس حينما اشتدت عليهم الحال فى غزوة الخندق والعدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، وأبصارهم زائغة ، وقلوبهم تكاد تخرج من أفواههم — يذكرون أن النبى وعدهم وهم يحفرون الخندق أن الله سيفتح عليهم بلاد الفرس وبلاد الروم ولم يؤثر فى عزيمتهم أنهم أصبحوا من الموت بمقدار رمية سهم ، بل آمنوا بأن الله سينصرهم على الرغم من هذه المحنة القاسية التى تأخذ عليهم كل طريق ، وما ظن واحد من المؤمنين أن وعد الله لهم بفتح بلاد الفرس وبلاد الروم كان تنجيما أو دعابة ، وانما هو وعد من الله لرسوله ، فرسول الله لا ينطق عن الهوى ...

ونصرهم الله يومئذ بالمطر الشديد

والريح العاتية ، وصرف عنهم اعداءهم ..

ويذكرون وهم فى طريقهم الى القادسية غير ذلك الكثير والكثير مما يقوى ايمانهم بالنصر ، ويؤكد فى نفوسهم ان الله محقق لهم وعده .

ليست هذه احلام يقظة تساور هؤلاء الجنود وهم فى طريقهم الى تاديب فارس ، وهى لم تساور خليفة المسلمين فى المدينة وجه الجيش لهذه المهمة فقد اعد الجميع انفسهم للاقاة العدو ..

الخليفة فى المدينة يعيش معارك جنده يوما بيوم .. يبعثون اليه بالأنبياء ، ويبعث اليهم بالامداد والرجال .. ويقيم العدل بين اهليهم حتى لا يشغل أحد منهم على قومه العدو بشبهة ظلم تقع على قومه وذويه ..

والناس جميعا فى المدينة وكل اقطار الدولة يعيشون حياة المعركة .. ليس بينهم مترف استبدت به انانيته ، او صاحب مال حبسه عن اغراض الجهاد ، او مالك ابل او خيل لا يستاقها للمقاتلين يكرون بها على اعداء الله ..

وما كان الخليفة الذى بعثهم الى هذه المعركة الضارية العاتية القاسية ليسمح بترف او رهافة او نعيم ، يعيش فيه البعيدون عن صليل السيوف ، وصهيل الخيول ، ودماء الشهداء تسيل زكية طاهرة على ارض المعركة دفاعا عن امجاد الاسلام .. وهو القدوة بين الناس جميعا ..

الجنود الذاهبون يعلمون ذلك حق العلم ، ويعلمون ان الخليفة شديد فى الحكم ، لا تاخذه فى الحق لومة لائم .. لا يحابى ، ولا يتهاون ، ولا يفرط، ولا يضعف ..

ولا تزال فى آذانهم اصداء قوله عقب ان بايعوه خليفة : « انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده ، فلينظر قائده .. حيث يقوده .. اما انا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق .. » ..

وليس بعيدا عن اذهانهم كلام آخر طيب ورقيق قاله للمقاتلين وهو يوجههم الى المعارك : « ولكم على ايها الناس خصال اذكرها لكم فخذونى بها :» ..

« لكم على الا اجتبى شيئا من خراجكم ولا ما افاء الله عليكم الا من وجهه .. ولكم على اذا وقع فى يدى الا يخرج منى الا فى حقه .. »

« ولكم على ان ازيد عطاياكم وارزافكم ان شاء الله تعالى ، واسد ثغوركم .. »

« ولكم على الا القيكم فى المهالك ، ولا اجمركم فى ثغوركم » ..

« واذا غبتم فى البعوث فانا ابو العيال .. » ..

والخليفة لا يرد على احد عصيانا او تمردا ، فهم يطيعون الله ورسوله فيما يوجه اليهم من امر او يسدى من نصح .. لم يخرج فرد منهم على امر له ، ولم يتمرد على اجماع لأهل الراى والشورى ..

الدولة كلها كانها رجل واحد .. ليس فيها مظلوم او ظالم ، وليس فيها صاحب حق ضاع منه دون ان يرده عليه خليفة رسول الله ، وينتقم له ممن تسبب فى حبس هذا الحق عنه ..

كل الناس فى الدولة سواسية كاسنان المشط ، لا فضل لأحدهم على آخر بنسب او ثراء او قرابة من صاحب السلطة .. وانما الجميع امام كتاب الله وسنة رسوله واجماع الأمة سواء .

تقوى الله واداء الواجب هما اساس التمييز والتفضيل والتقديم .. من هذا الاسلوب الفاضل فى

الحياة كان من حق المسلمين ان يفكروا فى غزو الفرس مرة ثانية ، وكان من حقهم ايضا ان يطمعوا فى الانتصار على هذه الدولة القويــــة العاتية المتجبرة التى تملك الســــلاح الكثير يزلزلون الجبال الرواسى ..

* * *

على مشارف القادسية صف «سعد ابن ابى وقاص» جنوده وعباهم ، واقبلت عليه الامداد من كل امارات الدولة الاسلامية .. واوصاهـــم ، وامر الخطباء والشعراء بان يتحدثوا فيهم ، وان يشحذوا هممهــــم ، ويذكــــروهم بالايـــــام العظيمــة التى خاضوها من قبل وانتصروا فيها على اعداء الله ، وانهم اليوم امـــام عدو جسور ، لن ينتصروا عليــــه بالعدد او بالسلاح ، وانما بالايمان الذى يملأ قلوبهم وبتقوى الله التى تشد سواعدهم وهم يتدافعون عــلى العــــدو ويضربون رقابه ..

وتقدم اصحاب رسول الله والذين جاهدوا معه صفوف الكتائب المؤمنة .

وعبر اليهم جيش «رستم» نهــر دجلة ، وصف عسكره وجنده ، وجعل فى المقدمـــة القوة الضاربة الكبرى من الفيلة المدربة على القتال الشديد العاتى الذى لا رحمة فيه ..

وهدد عظيم جند فارس وتوعد :

ما هى الا جولة واحدة حتى ادفنكم ايها الأعراب تحت رمال القادسية ، وارسل الى دياركم من يزيل دولتكـــم هناك ، ويحكم فيكم ويقضى ..

لكن هذه التعبئة المحكمة وما تجشا به «رستم» من تهديد ووعيــــد لم يضعف من عزيمة المسلمين ..

ودارت المعركة حامية قاسيـــــة وشديدة .. بالنهار قتال ، وبالليــــل قتال ، وتدافع الرجال الصفوف مـــن هنا وهناك حتى مرت اوقات لم يكـــن راصد المعركة يعرف فيها من المنتصر ومن المنهزم من الفريقين ..

حقيقة ان الفرس اشداء اقوياء .. كثير عددهم .. كثير سلاحهـــم .. والفيلة تؤدى مهمتها .. و «رستم» عظيم الجند وقائدهم فى كامل قوته ونشاطه ، يدير المعركة ويوجهها ويامر بالكر والعدو والضرب ، بينما اميــر جند المسلمين «سعد بن ابى وقاص» قد دهمه فجاة مرض شديد ارقده فوق منصة يشرف منها على المعركـــة ، ويصدر اوامره مع آهات الالم وانين التوجع ، وهزال الجسد العليل ..

لكن جيش الايمان صمد فى اليوم الاول صمودا باهرا ..

وفى اليوم الثانى كر على العدو ، فكشف صفوفه .. واختفت الفيلة من المعركة لان جيش الايمان فعل بهـــا آخر نهار الامس ما عطلهــــا عن الاشتراك فى جولة اليوم .. واستمر القتال باسلا عظيما حتــى منتصف الليل ..

وفى اليوم الثالث جمـــع الفرس صفوفهم ، واستماتوا قتالا ودفاعا ، واظهروا من البسالة والشجاعة مـــا يشهد لهم بانهم مقاتلون اكفاء .. الا ان المسلمين كانوا اكثر بسالــــــة وشجاعة وكفاءة .. لكن ذلك لم يمنع من ان تكون الحرب سجـــالا بين الفريقين فى هذا اليـــوم ، حتى ان تقييم المعركة التى هدات آخر الليل لم يستطع ان يسجل الغلبة لاحد الفريقين على الآخر .

وكان لا بد من يوم رابع على ارض القادسية يتقاتل فيه الفريقان .

والمسلمون على الرغم مما وقع بهم احسوا بنصر الله فى قلوبهم ونفوسهم .. وخاضوا قتال هذا اليوم وامامهم خيار بين امرين لا ثالث لهما : اما ان ينتصروا على العـــدو ، او يموتـــوا شهداء العقيدة والحق ..

ولم يكد ينتصف النهار حتى نصر الله جنده ..

تفرقت صفوف الفرس من شدة ضرب المسلمين فيهم ..

عمى الله بصائر الفرس حتى صار بعضهم يضرب بعضا ..

عند فرار الفرس الى الضفة الأخرى من نهر دجلة تحطم من تحت ارجلهم الجسر الذى يعبرون عليه فتدافعوا الى النهر فغرق فيه نحو ثلاثين الفا .

ومن قبل كل ذلك كان واحد من المسلمين قد انقض على « رستم » عظيم جند فارس ، وقتله بسيفه وهو يوشك ان يهرب ، ثم استولى على مقر قيادته ..

يسجل التاريخ هذه الأيام الأربعة باوصافها لتظل اعلاما مرفوعة خفاقة فى دنيا الجهاد والقتال دفاعا عن الحق والعقيدة .. وغنم المسلمون من مخلفات المعركة اموالا كثيرة لم تكن تخطر لهم على بال ، او يدركها تصورهم ..

لكنهم لم يقبلوا الى هذه البلاد من اجل الغنائم والاموال يجمعونها بعد جولة او جولات .. انما جاءوا لهدف آخر ، هو تاديب دولة طغت وتجبرت واعتدت ، ونقضت الأمن والأمان ، وتطلعت الى سابق عهدها لتستذل الشعوب وتحكم فيها بما يشاء لها الهوى .

وهم وان كانوا قد فرحوا بما حققوا على ارض القادسية فرحة خففت مرض قائدهم « سعد بن ابى وقاص » فامامهم مهمة اكبر من هذه المهمة ، هى ان يعبروا دجلة الى « المدائن » العاصمة الجديدة لبلاد فارس ، ووارثة مجد بابل القديم ، ومقر « يزدجرد » كسرى الفرس الجديد ، فان المدائن اذا انهارت فقد انهار ملك فارس الى غير رجعة .. وهم لم ينسوا امرا وجهه « عمر ابن الخطاب » من المدينة الى « سعد بن ابى وقاص » قبل بداية المعركة يقول فيه : « ان منحك الله ادبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم « المدائن » فانه خرابها ان شاء الله » ..

* * *

لا بد قبل ذلك من جولة ثانية فى سواد العراق ، هذا الذى تمرد اهله على حكم المسلمين بعد ان اقاموا العدل بينهم عقب الفتح الأول منذ ثلاثة اعوام .. ولا بد من مطاردة الفلول التى فرت من القادسية الى بابل والى سائر مدن السواد ، لاعادة الحياة فى هذه المنطقة ايمانا وامنا وسلاما ورخاء ..

وتم للمسلمين ما ارادوا من ذلك كله ..

بقى حصن واحد هو الطريق الى المدائن ، وان كان يفصله عنها نهر دجلة .. انه « بهرسير » ذات الأسوار العالية المنيعة ، وقد تجمعت داخلها حامية قوية من جيش فارس وعلى راسها عدد غير قليل من خيرة قواده ..

حاصر « سعد » المدينة قرابة عام ونصف عام يضرب اسوارها بالمنجنيق وله فى كل يوم مع حاميتها القوية مناوشات ..

وتطير ابناء هذا الحصار مع كل مساء الى « يزدجرد » كسرى فارس، ويوقن ان المدينة ذات الأسوار المنيعة ستقع حتما فى ايدى المسلمين طال الحصار او قصر ، فامر حاميتها ان تخرج بليل لتتحصن بالمدائن ، وتدافع عنها حين يعبر المسلمون اليها ..

ويستولى المسلمون على «بهرسير» بعد ان فر جندها ..

وتبدو امامهم « المدائن » بكل عظمتها وجمالها على الشاطىء الثانى من « دجلة » نهر العراق المتدفق ..

* * *

كيف للمسلمين ان يعبروا النهر الى « المدائن » ؟!!

جسر العبور احرقته حامية « بهرسير » بعد ان نجت بحياتها فى قرار الليل ..

وسفن الفرس التى كانت تطفو على ماء النهر قريبا من « بهرسير » قد ذهبوا بها بعيدا حيث لا يدركها المسلمون ولا يتمكنون من العبور فوقها الى الضفة الأخرى .. ويبقى النهر بين الفريقين يمثل خط دفاع طبيعى عن مجد فارس فى شمال العراق بعد انهيارمجدها فى الجنوب ..

وماء النهر فى وقت فيضان .. تيار سريع دافق يلطم الشاطئين ..

واعماق دجلة تهدد بالابتلاع كل من تسول له نفسه عبور النهر بمغامرة جنونية ..

وفلول جند فارس تجمعوا على الضفة الأخرى يهددون بالرمى اية محاولة يائسة للعبور ، بعد ان افاقوا من الهزيمة النكراء ..

على الرغم من كل هذه العوائق لم يكن امام جيش الايمان خيار عن العبور ، فايوان كسرى الجديد الذى بناه اجداده من مائة عام يرتفع شامخا على الضفة الأخرى يخلب الأبصار بهاء ، وروعة ، وفن بناء ، وصنعة زخرفة وتشييد .. ونفوس الجند تهفو الى اقامة صلاة لله بين اعمدته الراسية العملاقة ، وان يرتفع من فوق سقفه صوت المنادى للصلاة مع وقت كل فريضة : « الله اكبر » « الله اكبر ... »

واختار المسلمون مكانا من النهر ضاقت المسافة فيه بين الشاطئين ، والعمق فيه لا يسمح للماء بان يغطى فارسا يعبر النهر سبحا بجواده ..

واعلن القائد «سعد بن ابى وقاص» نداء بين جنده الى عبور كتيبة تحمى الشاطىء من الناحية الأخرى ليامن بقية الجند العبور ، فاعلنوا جميعا الاجابة للنداء .. واختار القائد ستمائة من اهل النجدة على راسهم « عاصم بن عمر » الملقب بذى الباس .

وتقدم « ذو الباس » كتيبته الى لجة النهر يعبره سبحا بفرسه ، ودعا فى اول الأمر ستين جنديا ان يعبروا معه ..

كان الفرس على الشاطىء الآخر يرقبون والدهشة تكاد تخرج عيونهم من حدقها ، ونفوسهم تحدثهم : انس هؤلاء الذين يعبرون ام جن .. ليكونوا كما يشاءون انسا او جنا ، فلجة النهر مقبرتهم لا محالة .. وتقدموا الى الشاطىء يرمون بنبالهم وسهامهم الجند العابرين ..

ودارت المعركة بين جند وسط الماء لا يستطيعون الحركة ، او توجيه خيلهم هنا وهناك ، وبين جند آخرين يحاربون من فوق ارض صلبة تعدو خيلهم كما يريدون ، وتاتى لهم الأمداد كما يشاءون .

ويلهم الله قائد هذه الكتيبة الفدائية وسيلة النصر ، فيصدر امره من لجة النهر الى جنوده العابرين ليصوبوا رماحهم الى عيون خيول الفرس ويضربوا ..

وانطلقت رماح المسلمين الى عيون خيل الفرس فى تصويب دقيق تخترقها فتطير منها الشرر ، فتعدو على غير هدى ، وترمى فرسانها على الأرض ، وتدوسهم باقدامها ..

وتختل صفوف اعداء الله على الشاطىء الذى حسبوه امنا وسلاما .

وتعبر بقية الكتيبة سبحا بالخيول .
ويتفقد ((ذو الباس)) جنده فلا يغيب عنه واحد منهم ، او يرى فيه اصابة من نبل او رماح فارسية ..
ويكبر ((سعد بن ابي وقاص)) في جيش الايمان على الشاطيء فيتدافع ابطاله بخيولهم الى النهر يعبرون ويكبرون ، تغطى اصوات تكبيرهم على كل صياح الفرس وهم يفرون من ((المدائن)) ..

وتمت المعجزة !!
ودانت للمسلمين مدينة كسرى !!
وصدق الله وعده لرسوله وللمؤمنين ..

وارتفع نداء التوحيد من فوق الايوان المنيف ..

* * *

اخذ المسلمون يحصون غنائمهم من قصر الاكاسرة وسائر القصور التى كانت ملكا للجبابرة العتاه .. حوت هذه القصور من التحف والنفائس ما لم يكن يخطر للعرب على بال ، وتجمعت فيها فنون الفارسيين وفنون الشعوب التي حاربوها وهزموها ، وسلبوا من خيراتها الشيء الكثير ..
بين يدى ((سعد بن ابي وقاص)) القائد المظفر وضع جند الاسلام الغنائم والحلى والأمتعة ونفائس الأشياء مما حوت خزائن الاكاسرة وعظماء الفارسيين الذين تركوها من خلفهم او فروا يحملونها في الركب المنهزم لكبيرهم ((يزدجرد)) ..
كل جندى حمل ما ظفر به والقاه في اكوام امام قائد جيش الايمان المنتصر .. لم يختص احدهم نفسه بشيء .. ولم يختلس جوهرة ولا سلاحا ، ولا تحفة ، ولا اناء ، ولا ثوبا ، ولا طعاما .. فليس من اجل شيء من هذا المتاع جاء يحارب ويقاتل ، وانما اتى مؤمنا يحارب في سبيل الله ، ويقاتل في معركة ايقن انها الفاصلة بين الكفر والايمان ..
اربعة اخماس هذه الغنائم قسمت عدلا بين المقاتلين ــ كما تقضى شريعة الاسلام في غنائم الحروب ــ لكل بقدر ما بذل من جهد ونضال ...
وارتفعت بين الجند روح الايثار واخذ كل منهم يسند شرف القتال الضارى الاكبر الى زميله في الجيش لينال حظا من الغنائم اكثر منه واغلى ثمنا ... فاصاب كل منهم ما يماثل اثنى عشر الفا ..

وبمثل هذه الروح العالية تركوا من انصبتهم غنائم نفيسة لترسل مع الخمس الباقى الى المدينة .
وحمل هذا النصيب الى المدينة ، وفي مجلس عمر بن الخطاب خليفة المسلمين وضعته القوافل مع آخر انباء النصر ..
هذا تاج كسرى مرصعا بالماس والياقوت والزمرد ..

وجواهره وحليه التى كان يتزين بها في مناسبات الدولة واعيادها ..
وثيابه من الديباج المنسوج بالذهب تزينها انقى الجواهر واخلصها ..
وخرزاته ، ووشاحه ، وسيوفه ، ودروعه ..
وسيوف ودروع الملوك وكبار القواد من جميع الدول التى حاربها الفرس وانتصروا عليهم وكلها مرصعة بالجواهر محلاة بالذهب : ملء عيبتين كبيرتين فيهما من نادر اسلحة القياصرة وهرقل ، والنعمان بن المنذر ، وخاقان الترك ، وملوك آخرين .. شيء كثير يرتفع على الوصف ..

وبساط الاكاسرة الكبير .. طوله ستون ذراعا وعرضه ستون مثلها ، وهو غاية في الروعة والجمال ... قطعة واحدة من اغلى القطيف ،

صورت فيه طرق مملكة فارس ، وبدت فيه ارضها مذهبة تجرى خلالها صور الأنهار مرصعة بالدر ، وحافته كالأرض المزروعة استطال فيها نبات الربيع على سوق من ذهب ، تدلت منه أوراق من الحرير بينها الثمر من الجواهر ..

وهذه صناديق كثيرة وسلال فيها التحف ، والأواني ، والتماثيل ، واللطائف من الذهب والفضة المزدانة بالجواهر الثمينة ، وثياب من الحرير والدمقس ، مطرزة بخيوط الذهب والفضة ، ومرصعة باللؤلؤ والمرجان ..

وغير ذلك كثير وكثير مما لم تر عيون العرب مثله نفاسة وفنا وقيمة غالية ..

استعرض امير المؤمنين هذه الغنائم وهو يفرزها صنوفا وانواعا ، ثم بكت عيناه !!

فياتيهم جوابه : ان الله يبتلى الناس

فياتيهم جوابه : ان الله يبتلى الناس

بالخير الكثير ماذا يفعلون به وفيما ينفقونه .. ولقد ابكتنى فرحتي بنصر الله وبامانة الجند فان قوما باعوا لله أنفسهم وادوا هذا كله لأمناء مؤمنون » .

ويرد سامعوه : يا أمير المؤمنين .. الناس على دين ملوكهم .. وقد ضربت للمسلمين المثل بأمانتك وعفتك وزهدك فسارت رعيتك على دربك ..

* * *

وشاهد عمر تدافع الناس ليروا ثياب كسرى وما فى زينتها من عجب ، فامر بان يحمل اليه فرع شجرة طويل غليظ ، فغرسه فى الارض والبسه هذه الثياب ليراها كل الناس ..

وبينما الناس يتفرجون راى عمر ابن الخطاب رجلا بدينا جسيما يتفرس فى الثياب وقد انبسطت اسارير وجهه .. ويعرفه عمر فيدعوه اليه .. انه « سراقة بن مالك » ..

وبيد عمر يرتدى سراقة ثياب كسرى .. ويقول عمر وهو يلبسه الثياب : هذا قميص كسرى ياسراقة ، وهذه سراويله ، وذاك قباؤه ، ومنطقته ، ونعل قدميه ، وتاجه .. البس يا سراقة بن مالك ؟ ..

واكتملت الثياب على جسد سراقة، فقال له عمر : ادبر يا سراقة ، فادبر .. ثم قال له : اقبل يا سراقة ، فاقبل .. ثم قال عمر : « بخ بخ ، اعيرابى من بنى مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه ! .. رب يوم يا سراقة بن مالك لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى وآل كسرى كان شرفا لك ولقومك ! »

ويجيب سراقة : والله يا امير المؤمنين ما احسست بعد لهذه الثياب كلها بالفرحة ، فانى اذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى يوم تعقبته من مكة وهو فى طريقه مهاجرا الى المدينة وبعد ان فشلت مؤامرة الكفر ضده : « يا سراقة .. كيف بك اذا تسورت بسوارى كسرى » .. ثياب كسرى فوق جسدى .. ولكن اين السواران .. ترى يا امير المؤمنين انهما غابا من متاع كسرى ! ..

ويتفقد عمر السوارين بين الجواهر والحلى وهو يقول : صدق رسول الله .. فيجدهما ..

ويتهلل وجه عمر .. ويتهلل وجه سراقة ..

ويكبر المسلمون الحاضرون ، وهم يرون سوارى كسرى فى يدى اعرابى فقير ..

* * *

الفتاوى

الحج عن الغير

هل يجوز الانابة فى الحج الفرض والنفل ؟

الاجابة :

قد انعقد الاجماع على انه لا يجوز لمن قدر بنفسه على الحج المفروض أن ينيب عنه غيره فى أدائه ، بل يجب عليه أن يؤدى بنفسه ولو احج عنه غيره لا يسقط عنه الفرض لاستطاعته الحج وقت الانابة ، فكان تركه الحج بنفسه ايثارا للراحة لنفسه على أمر ربه ، وهو بهذا يستحق العقاب ، بخلاف الحج النفل فانه تقبل فيه الانابة ولو مع القدرة لأن باب النفل اوسع خلافا للشافعي ، وعن أحمد فيه روايتان .

اما من عجز عن اداء الحج بنفسه بعد القدرة عليه لمرض أو حبس ونحوهما فقد رخص الله تعالى له ان ينيب عنه غيره ، أو ينوب عنه غيره فى أدائه وهو مذهب الحنفية والجمهور ، فاذا أدى النائب الحج سقط الفرض عن المحجوج عنه فى ظاهر الرواية وهو مختار الامام السرخسي ومحققي المتأخرين ويشهد له ما رواه احمد والنسائى من « أن امراة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ان فريضة الله فى الحج ادركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة أفأحج عنه ؟ قال : ارايت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته ؟ قالت : نعم ، قال : فدين الله احق أن يقضى » وبما رواه الجماعة عن ابن عباس قال : « جاءت امراة من خثعم عام حجة الوداع فقالت : يا رسول الله ان فريضة الله على عباده فى الحج ادركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستوى على الراحلة فهل يقضى عنه أن احج عنه ؟ قال : نعم » ففى الحديثين دليل على جواز الحج من الولد نيابة عن أبيه اذا كان ميئوسا من قدرته على الحج المفروض بنفسه . وقوله عليه الصلاة والسلام : نعم . معناه حجى عنه اى قضاء عنه ، فأفاد أن الحج يقع عن المحجوج عنه ، وظاهر أن هذا الحكم لا يختص بالخثعمية ولا بحج الولد عن والده لأن الأصل عدم الخصوص فى بيان الاحكام ولم يوجد ما يدل على التخصيص .

ويشترط لجواز النيابة عن العاجز فى الحج المفروض دوام العجز الى الموت ، لأن الحج فريضة العمر فيجب أن يستوعب العجز بقية العمر ليقع به اليأس عن الأداء بالبدن ، فاذا احج عنه غيره فى حال قيام العذر فان استمر العذر حتى مات ظهر أن الحجوقع مجزيا عنه لتحقق شرط الرخصة ، وأن زال العذر ظهر ان الحج لم يقع مجزيا عنه لانتفاء شرط الرخصة ووجب اعادته بنفسه . وأفاد

الكمال فى (الفتح) انه لا فرق فى لزوم الاعادة بزوال العــذر بين ما يرجى مــن الاعذار زواله كالمرض والحبس وما لا يرجى كالعمى والزمانة . وفصل آخرون من فقهاء الحنفية فأجبوا الاعادة فى الاول دون الثانى ، ويشترط لجواز النيابــة عن الغير أن تكون نفقة المأمور من مال الآمر وهى ما يحتاج اليه فى الحج من طعام وشراب وثياب احرام وركوب حسب المتعارف وأن ينوى النائب الحج عن الآمر . والأفضل عندنا أن يكون النائب قد أدى حجة الاسلام عن نفسه اذا تحقق وجوبها عليه ، ومن هذا يعلم انه يجوز للسائل أن ينيب عنه غيره فى الحج عنه ويقــوم بنفقته وينوى الغير الحج عنه .

حــج المراة

هل يجوز سفر المراة الى الحج بدون زوج او محرم ؟

الاجابـــة :

ان الأئمة قد اختلفوا فى اشتراط الزوج أو المحرم فى السفر البعيد فذهب الحنفية الى انه يشترط فى سفر المراة الى الحج شابة كانت ام عجوزا ان تكون مع زوج أو محرم بالغين عاقلين مأمونين ، فان لم يوجد لها زوج ولا محرم لا يجب عليها الحج ، لأنها تعد غير مستطيعة ، ولا يجوز لها هذا السفر ، والمحرم هو من لا يجوز له زواجها على التأبيد بسبب قرابة أو مصاهرة أو رضاع ، والســـفر البعيد هنا ما كانت مسافته بالسير المعتاد ثلاثة أيام ولياليها ، وقيل يوما واحدا ، ولا عبرة بالسفر الآن بالطائرة ، بل المعتبر شرعا تقدير المسافة بالسير المعتاد . وذهب الشافعية الى انه لا يجب الحج على المراة اذا لم تكن مع زوج أو محــرم أو نسوة ثقات ، فاذا وجد اى واحد من هذه الثلاثة لزمها الحج ، وان لم تجــد شيئا منها لم يجب عليها الحج ــ وهذا فى حج الفريضـــة . اما الحج النفــل فالصحيح عندهم انه لا يجوز الا مع الزوج او المحرم لعدم الضرورة فيه .

ونقل الشوكانى عن الامام أحمد انه لا يجب الحج على المراة اذا لم تجــد محرما ومثله الزوج وان اشتراط المحرم او الزوج فى الحج مذهب آل البيت وابى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه . ونقل عن مالك واحمد فى رواية اخرى انه لا يشترط الزوج أو المحرم فى سفر الفريضة ، ورجح ابن حزم فى المحلى عـــدم وجوب الزوج أو المحرم فى سفر الحج ، فاذا لم تجد واحدا منهما تحج ولا شىء عليها . وقد فرق بعض الفقهاء بين الشابة والعجوز فاشترط وجود الــزوج أو المحرم مع الشابة دون العجوز ، والجمهور على عدم الفرق بينهما .

بريد الوعي الإسلامي

كســوة الكعبة

تكسى الكعبة كل عام بالثياب الفاخرة ، وتطرز هذه الكسوة بالقصب وتزين ببعض الآيات المناسبة من القرآن الكريم ، ولباب الكعبة ستارة من الحرير الموشى تعتبر آية فى الجمال والروعة ، فهل لهذه الكسوة اصل فى الاسلام .

عبد الرحمن على — مصر

كان الناس على عهد الجاهلية يكسون الكعبة تعظيما لبيت الله ، حتى جاء الاسلام فاقر كسوتها ، فقد ذكر الواقدى بن اسماعيل بن ابراهيم بن ابى حبيبة عن ابيه قال — كسى البيت فى الجاهلية بالانطاع — وهو جمع نطع وهو ما يفرش على الارض كالبساط ويصنع من الجلد الأحمر — ثم كساه رسول الله صلى الله عليه وسلم القباب اليمانية وكساه عمر وعثمان (القباطى) جمع قبطيه وهو الثوب من ثياب مصر رقيق أبيض ، ثم كساه الحجاج الديباج — الحرير .

وروى أن أول من كساها الحميرى وهو (تبع) .

واخرج الواقدى عن اسحاق بن ابى عبيد بن ابى جعفر محمد بن على قال :

كان الناس يهدون الى الكعبة كسوة ويهدون اليها البدن عليها الحبرات فيبعث بالحبرات الى البيت كسوة . واخرج سعيد بن منصور ان عمر رضى الله عنه كان ينزع ثياب الكعبة فى كل سنة فيقسمها على الحجاج فيستظلون بها على السمر بمكة .

فكسوة البيت بفاخر الثياب سنة متبعة من قديم الزمان اقرها الاسلام وقام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والمسلمون بعده وهناك أوقاف فى كثير من البلاد الاسلامية وقفها المسلمون الخيرون على الكعبة المشرفة والبيت الكريم موضع تكريم المسلمين واعظامهم على توالى العصور وتطييه وتجمره بالعود عمل مشروع فقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره وطيب ابن الزبير جوف الكعبة كله ، وكان يجمر الكعبة كل يوم برطل من العود ويجمرها كل جمعة برطلين .

ثواب من يدفن بالمدينــة

يحرص بعض المسلمين ويتمنى على الله عز وجل أن يوافيه أجله فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يدفن فيها ، وأن الزائر للمدينة يرى كثيرا ممن تقدم بهم السن من مسلمى العالم مقيمون فيها انتظارا للأجل فهل لهذه البقعــة الطيبة خصوصية تمتاز بها على غيرها ، وهل لهذه المادة من أصل ؟

على حمزة ــ لبنــان

المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام قبة الاسلام ودار الايمان، وقد دعا لها رسول الله بالبركة وأخبر بأن الايمان يأرز اليها ، وكفى أنها مثــوى رسول الله وصاحبيه وأمهات المؤمنين والشهداء والصالحين ، وفى جيرة هؤلاء خير وأى خير والموت فى المدينة كان امنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد حقق الله له أمنيته فقد روى البخارى عن زيد بن أسامة عن أبيه ان عمر قال ــ اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى حرم رسولك صلى الله عليه وسلم .

وروى الطبرانى باسناد حسن عن امراة كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثقيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فانه من مات بها كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة .

ج. النصف ــ الكويت

المزاحمة على الحجر الأسود

نلاحظ اثناء الطواف بالكعبة أن كثيرا من الطائفين يتزاحمون على تقبيــل الحجر الأسود ، ويتدافعون بشدة ، وبين الطائفين المريض والمسن والمراة ، فهل اذا طاف الانسان ولم يقبل الحجر ينقص ذلك من ثوابه ؟

محمد فقيه ــ وادمونى

تقبيل الحجر الأسود عند بدء الطواف مع التكبير والتهليل ورفع اليديــن ووضعهما عليه سنة ان امكن ذلك فى يسر وسهولة وعدم ايذاء ، فان لم يتمكــن الطائف من تقبيله واستلامه لشدة الزحام مثلا يكفيه أن يشير اليه من اقرب مكان يكون فيه .

وقد ورد فى تقبيل الحجر احاديث كثيرة قال ابن عمر استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر ، واستلمه ووضع شفتيه يبكى طويلا ، فاذا عمــر يبكى طويلا ، فقال يا عمر هنا تســكب العبرات ــ رواه الحاكم وقال صحيــح الاسناد .

وعن ابن عباس أن عمر اكب على الركن فقال ــ انى لأعلم انك حجر ، ولو لم أر حبيبى صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلتك .

ويروى عن أبى الطفيل قال ــ رأيت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يطوف بالبيت ، ويستلم بمحجن معه ويقبل المحجن .

ولا بأس فى المزاحمة على الحجر بشرط ألا يكون فى ذلك ايذاء لأحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ــ يا أبا حفص انك رجل قوى فلا تزاحم على الركن فانك تؤذى الضعيف ، ولكن اذا وجدت خلوة فاستلم والا فكبر وامض .

بأقلام القراء

اسمى المراتب

من رسالة الاستاذ محمد العربي الخطابي

الذي يؤمن ايمان العجائز ، فلا يكلف نفسه مشقة التأمل والتفكر واستكناه الحقيقة يجد راحة النفس ، ويخلد الى الدعة ، وينام قرير العين ولسان حاله يقول : اللهم إني اومن بك ايمانا اعمى !

اما الذي يريد أن يؤمن ايمان أصحاب اليقين فانه يلازمه القلق ويصيبه الأرق من فرط الحضور والتدبر وتقليب النظر . وهو لا يفتأ يدعو : اللهم أرني آيتك حتى يستقر ايماني على قرار مكين !

خاطب الحق سبحانه نبيه قائلا : « فاذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب » عند فراغك الى نفسك بالعبادة — وهذا جهد روحي — فالنصب ، اذن ، شرط أي اذا فرغت من سعيك في تبليغ رسالة ربك — وهو جهد بدني وعقلي — فالنصب اذن شرط ملازم للعبادة المؤدية الى اليقين الذي لا سكينة بدونه .

الطريق الى الله دربان : درب يسير فيه السائح مفتح العينين لا يرى ابعد مما يقع عليه بصره . ودرب يسلكه السالك وهو مفتح القلب حاضر الوجدان فهو لا يفتأ يصيخ السمع ويرهف الحس ، يذهب بـه الاستغراق أبعد مـداه فيخترق الحجب وتنكشف لـه أسرار الطريق .

من الناس من يعبد الله عن طاعة أصلها الخوف والطمع ، ومنهم من يعبده حبا في وجهه الكريم .

ومن الناس من يتوجه الى الله بالدعاء يسأله العافية وسعة الرزق ، وكثرة الولد ، وطول العمر ، واقالة العثرات . فهو دائما يسأل المزيد وقلما يعطى من ذاته ونفسه . يصيبه الهلع في الضراء والبطر والجزع في السراء .

ومنهم من يتوجـه الى الله بذاته وقلبه وسائر جوارحه ، يقـدم بين يديه كل شيء ، لا يشتكي ولا يجزع ، ولا يلح ولا يسرف في السؤال ، وان هو طلب فمن الله لله .

اسمى مراتب الايمان . . المحبة ، وخير المحبة ما كان في صالح الجمـاعة قولا وفعلا . ولا محبة الا مع السعي والعمل وبـذل المجهود واجتماع الكلمة ، فذلك ، مع الايثار ، من وسائل التقرب الى الله ، والحصول على مرضاته .

دعـــــاء

رب ، يا من خذلتنا بذنوبنا ، وكسرت شوكتنا بما جنته يميننا ونبذتنا فى العراء لافراطنا وتفريطنا .

رب ، يا من نسيناك وقت طغياننا ، وندعوك عند ضعفنا واندحارنا ، امنحنا القدرة على تحمل عواقب اسرافنا .
وامنحنا الصبر على تجرع مرارة انهزامنا .
واصفح عنا حتى نكون جديرين بطلب النصر منك .
والهمنا الهدى حتى نسير فى السبيل التى رسمتها لنا
والثبات لنحافظ على الارض الطيبة التى وهبتها لنا .
ولنسترجع ما ضيعناه منها .

رب ، يا من كانت نعمتك حقا علينا ، ارزقنا القوة وحب العدل والحريـة وسواء القصد .
امنحنا العلم والعمل بـه ، والرزق وحسن التصرف .
امنحنا التكاثر واجتماع الصف .
واهزم ، يا رب ، من ظلمنا وعادانا وظاهر على اخراجنا من ديارنا واغرانا بالعصيان والتنازع والتفرقة .

يا رب آميـــن !

قالت صحف العالم

شبهات الماديين

من مقال بهذا العنوان تقول مجلة (التربية الاسلامية) :

من مناقشتك للماديين او قراءة كتاباتهم تراهم يتبجحون بمثل هذه العبارات : اذا كان الله موجودا فلماذا لا نراه ؟ اننا لا نرى الله ، اذن هو غير موجود . ان كل شيء لا نراه بأعيننا او نلمسه بأيدينا او نحسه باحدى حواسنا الخمس هو وهم من الأوهام .

وما أشبه ما يقول هؤلاء بما قال اليهود لنبيهم موسى عليه السلام :

— (واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون) البقرة ٥٥

فلا عجب ان يتغلب على اليهود طبعهم المادى فيصنعوا عجلا من ذهب ويعبدوه ، ولا عجب كذلك أن يتصل الماديون باليهود على مدار التاريخ بأكثر من سبب .

ان هؤلاء الماديين قد نسوا — أو تناسوا — حقيقة مهمة وهى ان عدم رؤية الشيء أو عدم تمكن احدى الحواس الخمس من الاحساس بوجود شيء معين لا يعنى ابدا عدم وجود ذلك الشيء ، وانما يعنى فقط عجز تلك الحواس عن الاحساس .

ان عدم رؤية الأعمى لضوء الشمس لا يجعل له الحق فى أن يمارى فى وجودها . ان كثيرا من الاشياء ، حتى فى عالمنا المادى لا تعرف بذاتها وانما بآثارها ، وكثيرة هى الاشياء التى دلت عليها آثارها .

ان هؤلاء الماديين يقولون انهم لا يؤمنون الا بما أدركته حواسهم يكذبهم واقعهم المادى ، فهم يؤمنون بأشياء كثيرة لم يدركوها بحواسهم وانما عرفوها من آثارها . اننا نسألهم عن اقرب الاشياء اليهم .. عن الحياة ، من رأى منهم الحياة ؟ ما الحياة ، ما شكلها ، ما حجمها ؟ ما وزنها ؟ ما طعمها ؟ ما لونها ؟ هل ينكرون وجودها ، أم انهم يتعرفون عليها بآثارها .. — الحركة — الحس — النمو — التنفس — التكاثر .. الى غير ذلك من مميزات الحياة ..

كذلك نسألهم عن الجاذبية الأرضية ، هل رأوها ؟ كيف اذن عرفوها ان لم يكن بآثارها ؟ .

ونسألهم عن المغناطيسية ، من رآها وأحس بها ؟ انهم عرفوها من جذب الحديد ، ولكن هل ان جذب الحديد هى المغناطيسية ، أو هو أثر من آثارها ؟

ان الأجواء المحيطة بنا مليئة بالأمواج الكهرومغناطيسية ، فهل يشعر بها منا أحد ؟ فهل يحق لنا لعدم احساسنا بوجودها أن ننكر هذا الوجود ؟ وماذا نعمل حين يأتى البعض بجهاز ترانزستور صغير يحول لنا بعض هذه الامواج الى اصوات مسموعة ؟!

ان حواسنا قاصرة وعاجزة ، ولنأخذ مثلا على ذلك حاسة البصر ، ان العين المجردة لا ترى الا في حدود معينة ، فهي لا ترى في الظلام ولا ترى الصغير جدا ولا البعيد جدا ، ولا تستطيع أن تخترق الجدر والحواجز لترى ما وراءها ، فأنت لو سألك ماذا يوجد وراء هذا الجدار ، وهو منك جد قريب لقلت على الفور : اني لا أرى ما وراءه ، ولا تقول : لا يوجد شيء .

البكتريا كائنات حية صغيرة جدا فهي لا ترى بالعين المجردة وانما تـرى بالمجهر ، والفايروس مخلوقات أصغر من البكتريا بكثير ، فهي لا ترى بالمجهر المادي وانما ترى بالمجهر الاليكتروني ، وهذه الكائنات لها دور مهم في حياة البشر وفي حياة الحيوان والنبات .

والانسان لم يكن يراها ولا يشعر بوجودها قبل اختراع المجاهر على اختلاف أنواعها ، فهل لم يكن لهذه الكائنات وجود قبل اختراع هذه الآلات ، لمجرد أن الانسان لم يكن يراها ؟

من من الماديين رأى الذرة ، فضلا عن بروتوناتها واليكتروناتها . . والذرة لا ترى بأقوى المجاهر ، اذ هي من الصغر بحيث اننا لو وضعنا مائة مليون ذرة جنبا الى جنب لبلغ طولها بوصة واحدة فقط ، فلماذا يؤمن الماديون بوجود الذرة وهم لم يروها ولن يروها ؟ !

الشريعة الاسلامية هي اساس الحكم

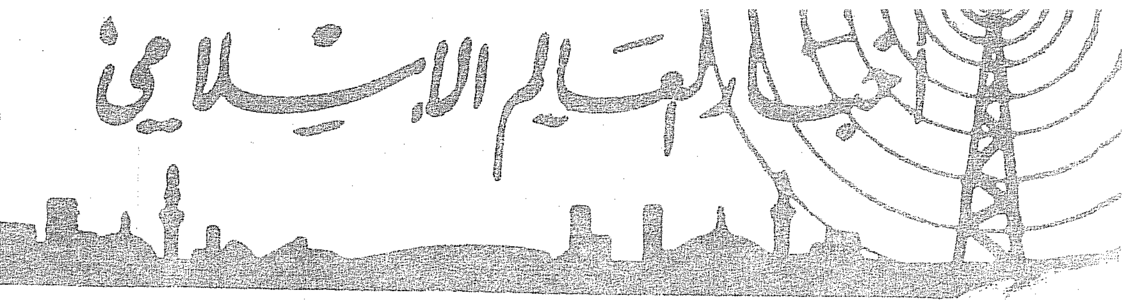
نشرت صحيفة اخبار العالم الاسلامي السعودية ما يأتي :

اتخذت ليبيا الشريعة الاسلامية مصدرا اساسيا للقوانين ، هذه الخطوة لها مغزاها العميق الرائع في سير الأحداث التي تتابع على منطقتنا العربية .

لقد اعلنت جمهورية مصر ومن قبل جمهورية اليمن أن الشريعة الاسلامية هي المصدر الاساسي الذي سيقوم عليه تقنين القوانين في مصر ، واليمن . بعد ان ثبت ان الأمة العربية المتمسكة بدينها وبأصالة تاريخها لن تتخلى عن قيمها وتراثها ، فخطوة جمهورية ليبيا اليوم واعلانها بجعل الشريعة الاسلامية هي الاساس الاول الذي تسن بموجبه كافة القوانين المدنية ، التي يحتاج اليها سير الحياة اليومية في القطر الليبي ، هذه الخطوة تؤكد من جديد تصميم الشعوب العربية على تمسكها بدينها واصرارها على رفض كل ما يخالف هذه الشريعة أو يمس بحقوقها وواجباتها .

وايضا كان اللواء النميري رئيس جمهورية السودان قد أعلن قبل فترة بأن شعب السودان شعب مسلم حريص على تقاليده ومعتقداته ، وان دستور السودان المقبل سيكون مبنيا وقائما على عقيدة هذا الشعب . فالاسلام هذا الدين العظيم الذي أعطى الأمة العربية امجادها ، وبعث فيها العزة والكرامة ، وصان مقدساتها ، وحفظ اصالتها ، هذا الدين العظيم جدير بهذه الأمة أن تكون وفيـة لمبادئه ، حريصة على تعاليمه منفذة لأوامره . . ساعية ما بلغها السعي في سبيل تحقيق اهدافه وتطبيق تعاليمه على حياتها اليومية في كل مجالاتها ، وتطبيق تعاليمه على حياتها اليومية في كل مجالاتها ، حيث أنه يملك العطاء الكامل لتسترد هذه الأمة من جديد عزتها المهدورة وكرامتها المسلوبة ، ومجدها الضائع اذا هي عادت اليه ممتزة بتعاليمه ، متمسكة بأهدابه .

نسأل الله سبحانه أن يعيد الى أمتنا الاسلامية اعتزازها بدينها ، ونصرها على اعدائها .



اعداد الاستاذ : ع. ب

الكويت : ادلى معالى وزير الخارجية ببيان فى مجلس الامة حول الاحتلال الايرانى لبعض الجزر جاء فيه ان موقف الكويت من موضوع الجزر نابع من ايمانها المطلق بعروبة هذه الجزر تاريخيا وبشريا وواقعيا .

● اجتمع معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بالامين العام للجامعة الاسلامية فى باكستان وتناول البحث أوضاع المسلمين هناك .

● أعلن معالـى وزير الداخلية والدفاع أن جمع شمل العرب ضرورى لاستعادة الاراضى المحتلة ، وان الكويت أميرا وحكومة وشعبا سيظلون بجانب مصر .

● تجرى المباحثات بين الكويت والاردن كى يزود الصندوق الكويتى للتنمية العربية مشروع انشاء سد الزرقاء وتقـدر تكاليفـه بحوالى خمسة ملايين دينار .

● بعثت الكويت (٢٢٠) صندوقا من الكتب والمراجع المدرسية والمقررات المدرسية هدية الى المسلمين فى اندونيسيا .

● بلغ عدد الخريجين بالكويت من سنة ١٩٦٦ — ١٩٧٠ — ١٢٠٠ مدرس كويتى .

● طلبت وزارة الشئون الاجتماعية من جمعية الاصلاح الاجتماعى تنظيم دورة لتحفيظ القرآن الكريم فى مراكز الشباب التابعة للـوزارة .

القاهرة : قررت مصر تحرير الارض المحتلة بعد أن رفضت اسرائيل لمـدة أربع سنوات تنفيذ قـرار مجلس الامن لحل المشـكلة ، كما رفضت التعاون مع ممثل الامم المتحدة وكل الجهود السلمية .

● بحث وزراء الخارجية والدفاع ورؤساء الاركان العرب خطط المستقبل من أجل المعركة .

● تقرر تدعيم العلاقات الثقافية الاســلامية بين جمهورية مصر العربيـة ، وكل مـن الاردن وأفغانستان واليابان وتزويد هذه البلاد بالمكتبات الاسلامية وتبادل الخبرات بينها وبين مصر .

● يجرى حاليا دراسة توحيد المناهج للتعليم الثانوى بين دول اتحاد الجمهورية العربية ، وسيتم توحيد المناهج فى التعليم الاعدادى فى العام الدراسى ٧١ — ٧٢ .

السعودية : صرفت وزارة المالية مساعدات الى عدد من المؤسسات الاسلامية فى مقديشو وغانا وجنوب الهند والاردن .

● حذرت رابطة العالم الاسلامى الشركات السينمائية من تمثيل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو شخصية أحد من أصحابه رضى الله عنهم .

● أقامت ادارة التعليـم بمكة المكرمة اسبوعا للقـرآن الكريـم ، وقد تبـرع جلالـة الملك فيصل لجماعة تحفيظ القرآن الكريم بمبلغ (٢٠) ألف ريال .

● تم صرف مبلغ(٤٠٠ر٤٢٧) ريال سعودى تكاليف طبع (٥٠٠٠٠) نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغـة اليابانية وهى أول ترجمة بهذه اللغـة .

العراق : تبذل العراق جهودا دبلوماسية من أجل العمل على توحيد الجهد العربى فى مواجهة اسرائيل وحماية عروبة الخليج .

● ابدت العراق استعدادها لبذل المساعدة في نهضة الامارات العربية وانجاح اتحادها .

الاردن : تواصل اسرائيل تنفيذ مخططاتها لتهويد القدس عن طريق بناء المستعمرات ، وهدم البيوت العربية ، ثم فتح الباب الذهبي المؤدى الى داخل الحرم القدسي والمغلق منذ مئات السنين .

سوريا : ستقوم وزارة الخارجية السورية بحملة اعلامية ودبلوماسية على نطاق واسع لتفنيد ادعاءات اسرائيل بشأن اليهود في سوريا .

● عقد في دمشق مؤتمر الكتاب العرب الثامن في الفترة من ١١ — ١٦ ديسمبر .

لبنان : شكل المجلس الاسلامي الاعلى لجنة لدراسة أوضاع العلماء في لبنان ورفع مستوى التعليم الديني .

ليبيا : بدأت لجنة من فقهاء القانون والشريعة الاسلامية في وضع قانون اسلامي جديد للاحوال الشخصية .

● سجل حوالي (٢٠) الف حاج ليبي اسماءهم لاداء فريضة الحج وهو رقم قياسي لم يسبق من قبل .

● اغلقت ليبيا متاجر الخمر والمتاجر المشبوهة ، واعلن عن عرض القوانين على الشريعة الاسلامية ، وترك القوانين التي لا تتمشى مع هذه الشريعة .

● صدر في ليبيا قانون تجبى بمقتضاه الزكاة طبقا لاحكام الشريعة الغراء .

تونس : بعث الرئيس الجزائري هواري بومدين رسالة للرئيس التونسي مع رئيس جبهة التحرير الجزائري تتعلق بالمشكلات التي تهم أفريقيا الشمالية والشرق الاوسط .

المغرب : بلغ عدد الجمعيات الثقافية التي تتقاضى المساعدات من وزارة الثقافة والتعليم العالي (٢٧٤) جمعية .

الصومال : قام الرئيس الصومالي محمد زياد بجولة لزيارة مصر والسعودية وسوريا أجرى مباحثات هامة استهدفت تدعيم العلاقات بين هذه البلاد الاسلامية .

اتحاد الامارات العربية : اعلن في الشهر الماضي في (أبو ظبي) عن قيام دولة اتحاد الامارات العربية ، وقد انضمت الدولة الجديدة الى الجامعة العربية والامم المتحدة .

● تم فتح الطريق الذي انجزته وزارة المواصلات السعودية لربط امارات الخليج العربي بعضها ببعض ، وبالمملكة العربية السعودية .

اليمن : فرضت ضريبة على طوابع البريد وتذاكر دور الملاهي جعل ريعها لتعليم الاميين في البلاد .

اندونيسيا : انشىء معهد اسلامي في جاكرتا للفقه الاسلامي بهدف المساعدة في وضع القوانين واصدار مجلة اسلامية ودائرة معارف اسلامية كذلك .

ماليزيا : افتتح ملك ماليزيا في الشهر الماضي المسابقة العالمية في تلاوة القرآن الكريم اشتركت فيها (١٤) دولة اسلامية وحكم المسابقة علماء من مصر والسعودية والكويت والمغرب .

● اقيم في الفترة ١١/٥ — ١٢/٥ في المسجد الوطني في كوالا لامبور معرض اسلامي موضوعه (الاسلام ومساهمته في تنمية العلم والتكنولوجيا) .

باكستان : اشتعلت نيران الحرب بين الهند وباكستان بعد تأزم العلاقات واشتد الخلاف بين البلدين بسبب باكستان الشرقية .

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافة .

جدة : **مكتبة مكة** — السيد عوض با عامر — ص. ب : ٤٤٧ .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين

عدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مسقط : المكتبة الحديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص. ب : ٨١ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبى : مكتبة ومطبعة دبى — السيد خليفة النابوذا .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص. ب : ٨٥٧ .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

قطر : مكتبة الثقافة — السيد سالم الانصارى — الدوحة .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

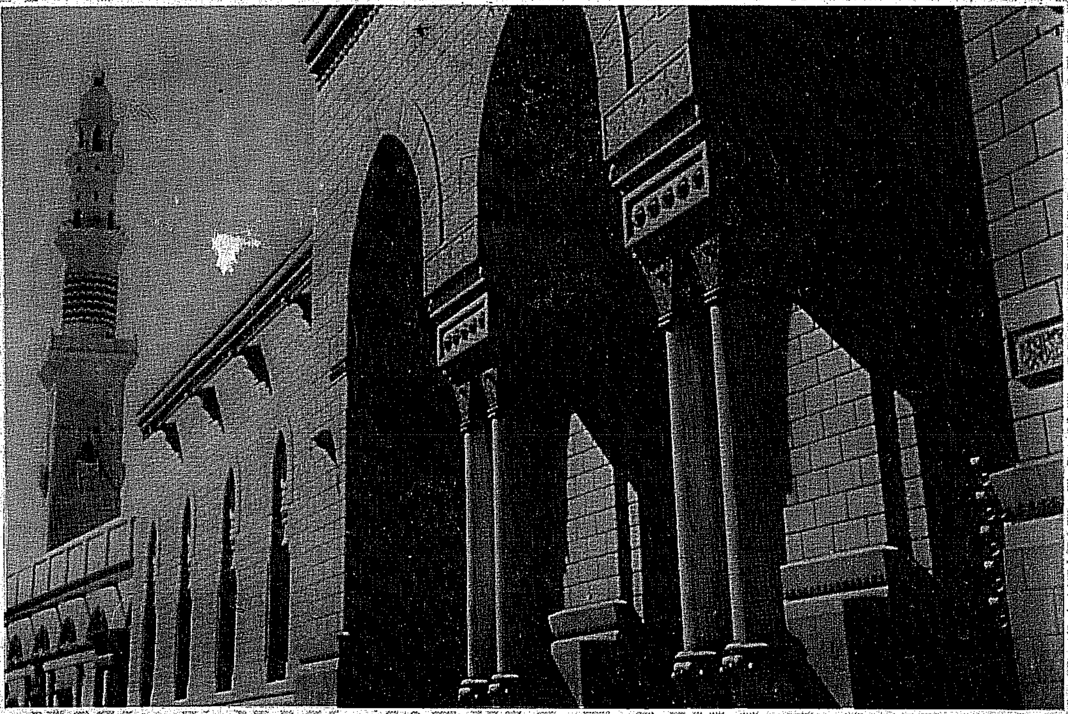
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية – الكويت

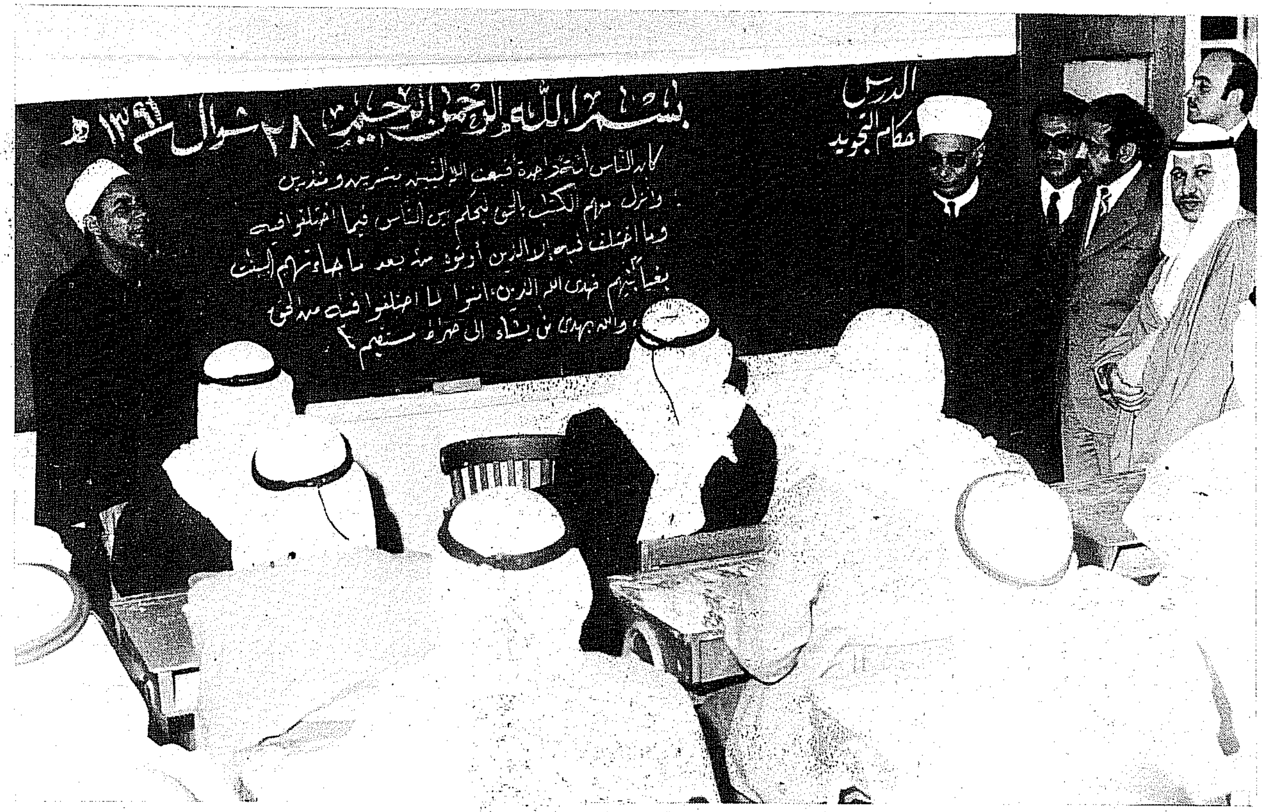
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة ـ العدد ٨٤ ـ ذى الحجة ١٣٩١ هـ ـ ١٧ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٢ م



العدد القادم "عدد ممتاز"



قام سعادة عبد الستار السيد وزير الأوقاف السورى يرافقه سعادة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية راشد عبد الله الفرحان بزيارة لدار القرآن وفى الصورة يبدو الوزيران فى أحد فصول تدريس القرآن الكريم



جانب خارجى من الحرم النبوى الشريف وتبدو فى الصورة احدى مآذن الحرم ..

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السنة السابعة

العدد الرابع والثمانون

غرة ذى الحجة ١٣٩١ هـ

١٧ يناير « كانون الثانى » ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

ألكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

القتال ...

على أمتداد تاريخ الانسان الطويل على هذه الارض لم يخل جيل من الأجيال ، ولا عصر من العصور ، ولا مكان من الأمكنة من حرب تسفك فيها الدماء ، وتزهق الأرواح .

أن حياة الانسان منذ نشأته الاولى الى الآن سلسلة متصلة الحلقات من المعارك والحروب ، وستظل هذه الظاهرة ملازمة للانسان ما دام له ظل على الارض .

والناظر فى تاريخ البشرية يجد صدق هذه الظاهرة من العصر الحجرى الى العصور التى تليه الى عصر الفضاء الذى نعيش فيه .. من عصر التخاطب بالاشارة الى عصر اللاسلكى والعقل الالكترونى .. من عهد الكهوف والمغارات الى عصر ناطحات السحاب .

والزائر للمتاحف يبصر بعينيه السكاكين التى كانت تستخدم لبقر البطون ، والفؤوس التى كانت تهشم بها الرؤس ، والسهام التى سددت فأصابت المقاتل والسيوف التى طالما حزت الرقاب وأروت ظمأ العطشى الى الدماء .

وأخيرا يبصر الانسان فى حاضره الصواريخ عابرة القارات والطائرات التى تخترق الحاجز الصوتى، والقنابل النووية التى تنسف الجبال نسفا وتحصد الأحياء حصدا .

ويبدو أن نزعة البغى والعدوان فى الانسان لم تكن وليدة بداوة ، ولا ناجمة عن جهالة ، والا لكان شهر السيوف واشتراع الأسنة سمة عصور الفوضى والهمجية ، وأرتفاع رايات السلام وسيادة الحب والوئام ميزة عصر العلم والنور والمدنية .

كما يبدو أن الاقتتال بين الناس لم يكن منشؤه الفقر والحاجة لتحصيل القوت ودفع الضرورة ، والا لكانت

أغنى أمم الارض أكرهها للحرب ، وأشدها نفورا منها ، وأحرصها على حقن الدماء .

ان التقدم العلمى زاد الحروب ضراوة واتساعا ونقلها من ميدان المتحاربين الى الآمنين الوادعين ، ومن الارض الى البحر الى الجو ، وسخر مواد الحياة وقوانين الطبيعة للتدمير والابادة : **(أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم)** .

وان وفرة الغنى والثروة فجرت أطماع الغنى ، وأشعلت شره الثرى ، وزادت من غشمه وظلمه ، وفجوره وبغيه ، **(ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى)** .

ان ومضات العقل والحكمة بددها قتام المعارك وغبار الميادين ، وان صيحات السلام طغى عليها قعقعة السلاح وضجيج معدات التهلكة والتخريب ، فلم يعد للرأى السديد حكم يطاع ، ولا للحكمة قول يسمع ، فقامت مصانع الذخيرة والمتفجرات مقام هيئات التحكيم ومجالس الحكماء واستبد السيف والمدفع بنصرة القوى وقهر الضعيف ، وفى ظل هذا الافلاس للحكمة والحجة فى حسم الشر ودفع البغى قال القائل :

السيف أصدق أنباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

وأنتهى علماء الاجتماع من دراسة تاريخ البشرية الذى تقطر صفحاته دما الى أن الانسان حيوان محارب ، أما منطقه فتضليل وأما ضحكه فخداع وأما عقله فهواء ، وأما قلبه فحجر **(وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله)** .

ولعل الملائكة تراءى لهم هذا الجانب من الصورة التى يكون عليها الانسان بعد خلقه واستخلافه فى الارض ، فاشفقوا على المخلوقات من وجود البشرية المحتربة الضالة ، وغلبت عليهم نظرتهم الملائكية الطاهرة التى لا تتصور الا الخير المطلق والا السلام الشامل ، فتمنوا ألا يكون لهذا الانسان وجود ، وخفيت عنهم حكمة المشيئة العليا فى بناء هذه الارض وعمارتها ، وفى استمرار الحياة وتنوعها ، وفى تحقيق أرادة الله جلت حكمته فى تطويرها على يد هذا ـــ الانسان الذى قد يفسد ، وقد يسفك ، فقالوا : **(اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)** ..

ولعل جريمة القتل الاولى التى حدثت فى فجر البشرية ، وراح ضحيتها المسالم وبقى بعده قاتله على قيد الحياة .. لعل هذه الجريمة كانت أنذارا وايذانا للأخلاف من بعد بما يكون عليه مستقبل البشرية من تعاد وتقاتل ، ونهم بأراقة الدماء وأزهاق الارواح ، وذلك ليقيموا حياتهم مع الحب والاخاء على الحذر والحيطة ، ومع الامان والسلام على الاستعداد لتوقى الغدر والغيلة ، ودفع الغادر ورد المغتال .

ان تسجيل القرآن الكريم لقصة هذه الجريمة التى يتوهم أنها فردية

وقتية ، وتصويره لاحداثها بوضعه نموذج الطبيعة الشريرة العادية الباغية وجها لوجه مع نموذج الطبيعة الوادعة الخيرة ، السمحة الطيبة ، ثم ما كان من نتيجة هذه المواجهة المؤسفة المحزنة .. ان هذا كله يوضح بجلاء فشل الاسلوب الرفيق والمنطق اللين فى حسم الشر ودفع العدوان .

وهذا هو النص القرآنى المعجز ينقل القارىء والسامع الى مسرح الحادثة القديمة ويصور له وقائعها خطوة خطوة فى سلاسة ووضوح قال الله تبارك وتعالى : **((واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين . انى أريد أن تبوء بأثمى وأثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين))** ..

وغير طبيعى ولا منطقى أن يترك الضعيف طعمة للقوى ، وأن يطلب من المظلوم أن يستسلم لظالمه ، وأن يخلو الميدان للذئاب تصول فيه وتجول وتقتحم الحرمات وتنتهب الأموال وتسفك الدماء .

لقد وقفت الديانات السماوية كلها صفا واحدا تمقت البغى والباغين وتعنف الظلمة والظالمين على اختلاف فى وسائل المقت والتعنيف ومناصرة الحق وأزهاق الباطل حتى جاء الاسلام فلعن الحروب التى تخوضها البشرية كفرا وعنادا وطغيانا واستعلاء ، ولعن الخائضين فيها والمساندين لهم ، وكان له فى مواجهة الشر موقفين متعاقبين، اذا لم يجد أولهما فليس الا ثانيهما :

الموقف الأول : من الصراع تقوم فيه الآراء مقام الجنود وتقوم الحجج مقام السلاح ، وتقوم العقول مقام الذخيرة ، فيحل بالرأى ما يحل بالحرب ، ويعالج بقوة الصبر ما يعالج بقوة الحديد والنار ، ويداوى بضبط النفس والتحكم فى الاعصاب ما يداوى بفحيح الغيظ ولهيب الغضب **((وجادلهم بالتى هى أحسن)) ((أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)) ((قل يأيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين)) ((وأصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون))**.

فاذا لم يحسم هذا الاسلوب الصراع ، فلا مفر من الموقف الثانى ، وهو القتال ، ومقابلة القوة بالقوة ورد العدوان بالعدوان ودفع الشر بالشر اذا لم تكف الحجة المقنعة ولا الكلمة الطيبة ، فليس الا السلاح ، ولا يفل الحديد الا الحديد .

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم
والشر ان تلقه بالخير ضقت به
ذرعا وان تلقه بالشر ينحسم

هذا هو منطق الحق والعدل ، وهذا هو الموقف الجاد لاقرار الأمن

والسلام ، والاسلام يفرض على الأمة اذا واجهت هذا الموقف ان توقظ كل خلاياها ، وأن تحشد كل قواها ، وتوفر على استعدادها وتجمع كل طاقاتها لتواجه القوة المهاجمة بايمان لا يتزعزع وارادة لا تتخلخل ويقين فى النصر لا يتحول .

والانتصار فى المعارك ليس بالامر الهين ، ولا المطلب السهل المنال ، وخاصة اذا كان العدو شرسا ضاريا، ولهذا نجد القرآن الكريم وهو يحرض المؤمنين على القتال بعد أن يأمرهم بالاعداد المادى يتجه الى أمرين أولهما تقوية الروح المعنوية فى أوليائه وثانيهما بث الخوف واشاعة الهزيمة واليأس فى قلوب أعدائه .

ففى جانب المؤمنين يقول الله لهم : **« فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » ويقول « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » . ويقول « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » ويقول « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون » « لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى »** وبعدهم على الشهادة فى سبيله بالحياة الدائمة فى دار النعيم **« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله »** ..

وفى بث الفزع واشاعة اليأس وتبديد الأمل فى قلوب الأعداء يقول الله سبحانه : **« ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون » ويقول : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم »** .

بقى موقف ثالث لا يعترف الاسلام به ، ولا يدخله فى حسابه ، بل يأباه ويرفضه ، وينهى عنه ويحرمه لأنه طريق الى الموت والفناء ، وهو موقف التخاذل والاستسلام والرضا بالواقع **« ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون »** .

والمسلمون اليوم على قدر مع القتال بعد اخفاق الحجة والبرهان وضياع الجهود المبذولة من أجل السلام وتمادى العدو فى صلفه وغروره **« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون »** .

مدير ادارة الدعوة وارشاد
رضوان البيلى

فريضة الحج

لفضيلة الإمام الدكتور محمد محمد الفحام
شيخ الأزهر

ان توافد الناس الى مكان مقدس يجتمعون فيه للتعارف وتقديم الضحايا والقربات للآلهة التى يعبدونها أمر مقرر عند أكثر الأمم قديمها وحديثها على اختلاف ما بينهم فى المعبود الذى يتقربون اليه ، وفى القربة التى يقدمونها ، والطقوس التى تلازم هذه العبادة ، والى رسوخ هذه الشعيرة وقدمها وعمومها يشير قوله تعالى فى سورة الحج ، « ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام » وقوله فيها أيضا « ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم » .

وقد جاء الاسلام فجعل للمسلمين منسكا يتقربون فيه الى الله بالضحايا ويجتمعون لتبادل المنافع وتوكيد التعارف ، وهو الحرم الآمن المقدس فى مكة ، عند ذلك البيت الذى اختاره الله لسيدنا ابراهيم مكان عبادة يجمع عليه العرب الذين يتناسلون من ذريته من اسماعيل الذى تركه وحيدا مع أمه هاجر فى هذا الوادى الذى لا زرع فيه ولا علامة تدل على حياة أو أنس . لقد دعا ابراهيم ربه وهو يترك وحيده مع أمه أن يبارك هذا المكان ويجعله آهلا بالسكان ، وأن يفيض عليه الخير من كل صوب وحدب وأن يجعل لأهله ذكرا باقيا وشرفا رفيعا جزاء ما قدموا من تضحية أرضوا بها ربهم قال تعالى : « واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » .

لقد حج العرب هذا البيت استجابة لدعوة ابراهيم كما قال سبحانه له « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » لقد كان للعرب مناط عزهم ومعقد فخرهم ، وكم تنافست عليه القبائل والعشائر لادارته وخدمته ، ثم شاء الله لهذا البيت أن يتبوأ مكانه الرفيع فولد فى رحابه خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وجاء الاسلام مؤكدا لفرضية الحج اليه فقال سبحانه « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » .

وان اختيار هذا البيت مثابة للناس وأمنا ومنسكا امتداد للاختيار الذى أراده الله لابراهيم أبى الأنبياء ، وايذان بالدعوة العالمية التى يدعو اليها محمد صلى الله عليه وسلم على دين أبيه والى الناس أجمعين . وقد نال المسلمون شرف الانتساب الحق الى ابراهيم مقرر دعوة التوحيد على أسس متينة أساسها البرهان القوى النابع من النظر فى الكون ، وكانوا بدعوتهم العالمية قاضين على فكرة المتعصبين من الأديان الأخرى الذين حاولوا كذبا وزورا أن يدعوا نسبة ابراهيم الى ملتهم كما قال سبحانه « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » .

لقد فرض الله الحج على المسلمين بعد أن أتم النبى صلى الله عليه وسلم تطهير البيت مما ألصقه به المشركون من صور وتماثيل وبما أدخلوا على مناسكه من تحريف وتشويه ، وكان هذا التطهير فى السنة الثامنة من الهجرة حين فتحت مكة ففرض بعدها الحج فى السنة التاسعة على مارآه المحققون .

ان الحج مفروض على كل قادر ببدنه وماله وعلى كل من توافرت لديه كل الوسائل وواتته كل الظروف التى يستطيع معها أن يؤدى هذه الفريضة فى

امن تام وهدوء كامل ليتفرغ قلبه كل التفرغ لاستمطار رحمة الله وليستعد كل الاستعداد لاستقبال نفحات الله وليحقق تماما أنه جدير بالانتساب الى وفد الله الذى يقول فيه النبى صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله ، ان دعوه أجابهم ، وان استغفروه غفر لهم » رواه النسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حيان فى صحيحيهما عن أبى هريرة ، ان الحج الذى يرجع منه الحجاج مغفورا لهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، والذى يباهى فيه الله الملائكة بمن لبوا دعوته وتركوا أوطانهم وأهليهم وتحملوا ما تحملوا من متاعب السفر والتضحيات الأخرى ، فيقول للملائكة يوم عرفة « انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق . أشهد كم أنى قد غفرت لهم » رواه البيهقى وابن خزيمة فى صحيحه عن جابر .

ان الحج الى جانب هذه النفحات الربانية العظيمة فرصة لتلاقى المسلمين لتبادل المنافع بينهم وهى منافع عامة واسعة تتناول الجوانب الاقتصادية والثقافية والسياسية وسائر الجوانب التى تقوى وحدة المسلمين وتشعرهم جميعا بأنهم جسد واحد . كل أمة أو جماعة تمثل عضوا فيه تستمد منه وجودها ويقوم كيانه عليها جميعا ، والمسلمون اذا وعوا هذه الحكمة العظيمة حق الوعى جعلوا من الحج مؤتمرا سنويا عالميا يبحثون فيه قضاياهم ويحلون فيه مشاكلهم ، ويجددون العهد مع الله أن يعيشوا أمة واحدة كما قال سبحانه « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . نعم ان المظاهر التى توحى بالوحدة كثيرة فى موسم الحج ، فالتلبية واحدة وهى شعار يدوى فى الأرجاء وتردده الأجواء وليس هناك الا معبود واحد كلهم لبوا دعوته وأقروا له وحده بالنعمة ودانوا له وحده بالطاعة ، والوقوف بعرفة فى الملابس المتواضعة التى ردت الانسان الى أصله الأول يوم خلق مجردا عن كل زيف كسابه نفسه ليمتاز به على اخوته وبنى جنسه ، والاجتماع فى هذه الساحة الواسعة على رمالها وصخورها بعيدا عن العروش والأرائك والفرش والنمارق والتوجه بالقلوب عند الافاضة الى وجهة واحدة هى بيت الله الذى بيده كل شىء لا بيت فلان أو فلان الذى يفتن بالقصد اليه من نسوا أن ربهم هو الغنى وحده والعزيز وحده من قصده أغناه ومن لجأ اليه أعزه وأواه ، والطواف حول البيت العتيق فى أمواجه المتتالية وتزاحمه الشديد الذى يشبه دوران الذرات حول نواتها وتمسكها بمركز قوتها والتزام مدارها المحدد لها ، كل أولئك وغيره من المظاهر يوحى ايحاء قويا بأن المسلمين لا تقوم لهم حياة كريمة الا بوحدتهم ولا يرتفع لهم شأن الا بتعاونهم ولا يستقر السلام بينهم الا بتآلفهم ومحبتهم .

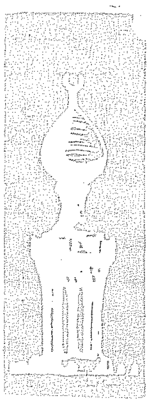
ان المسلمين الآن وهم فى محنتهم التى اغتصب فيها المسجد الأقصى وطرد اخوتهم من بيوتهم وسلبت حقوقهم واعتدى على أراضيهم — أحوج ما يكونون الى وحدة الصف وجمع الكلمة وتألف القلوب وتقارب النفوس ، والى البذل والفداء ، والى نسيان المصالح الخاصة فى سبيل المصلحة العامة

والى تناسى الأحقاد وطرح الحزازات ، وبدء حياة جديدة يشعرون فيها بماضى عزهم ويعقدون العزم على استعادة أمجادهم .

ان مؤتمر الحج الذى يشهده ممثلو المسلمين من جميع أنحاء العالم جدير أن يلاحظ هذه المعانى وهو يؤدى الفريضة المقدسة . وان كل مسلم يعيش لحظاته السعيدة فى هذه الأراضى الطاهرة يجب عليه أن يستعيد الذكريات القديمة لحياة الدعوة الاسلامية ويقرأ فى الجو الذى يعيش فيه كيف انطلقت أول صيحة لتحرير الانسانية من رقها ، وكيف واجه النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه الصعاب وتخطوا العقبات التى وضعها الشرك أمامهم ، وكيف تحملوا وصمدوا وصبروا وصابروا ، فما لانت لهم قناة أمام الوعيد ، ولا سال لهم لعاب أمام الاغراء والوعود ، وكيف انتقلوا بالدعوة الى ميدانها الفسيح فى المدينة فانطلقوا بها الى الآفاق الواسعة ينشرونها شرقا وغربا فى اخلاص كامل وتعاون تام وتضحية بالغة حتى قامت لهم دولة تغنى بها التاريخ ولا يزال يتغنى بأمجادها حتى تقوم الساعة .

كل هذه المعانى جدير أن يمتلىء بها قلب المسلم ليعود انسانا جديدا كله ايمان بربه وثقة بنفسه وغيرة على دينه واخلاص لوطنه وحب لمجتمعه ، انها معان تنبع من وحى هذه الجملة القصيرة التى صدر الله بها حكمة تشريع الحج « ليشهدوا منافع لهم » .

أرجو الله لحجاج بيته حجا مبرورا وعودا محمودا ، وتوفيقا لعمل الخير ، وأتوجه اليهم بالرجاء أن يدعوا الله فى الأماكن الطاهرة أن يلهم المسلمين الرشد ليوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم ويخلصوا قدسهم ووطنهم السليب من أيدى المجرمين . والله سبحانه ولى التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير .



في رحاب القرآن الكريم

للاستاذ عبد العزيز العلى المطوع

هذه نظرات فى كتاب الله تعالى بدأها الاستاذ عبد العزيز العلى المطوع القناعى بهذا المقال ، ووعد ــ مشكورا ــ بمتابعتها ، وسنوالى القراء بها ان شاء الله ..

مقدمة فى اعجاز القرآن وبيانه :

القرآن العظيم : آخر الكتب السماوية ، نزل على خاتم رســـل الله صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو المعجزة الكبرى ، والنعمة العظمى ، التى أنعم الله بها على عباده الى يوم الدين ، وهو المرجع الأكبر لهم فى شئون دينهم ودنياهم ، الصالح لكل زمان ومكان ، ولكل عصر ومصر ، وحسبنا فيه ما وصفه الرسول الكريم به حيث قال : « كتاب الله فيه نبـــأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الاتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا « انا سمعنا قرآنا عجبا » من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » ــ الترمذى .

جاء القرآن الكريم مصدقا لجميع الكتب السماوية من قبله ومهيمنا عليها ، فقد قال سبحانه فى سورة المائدة : « **وأنزلنا اليك الـــكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الـــــكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهـــاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** » (الآية ٤٨) .

والقرآن العظيم أنزله الله محكما ثم فصلت آياته ثم ازدادت تفصيلا وبيانا بتقدم العلم وتطور الزمن لأنه منزل بعلم الله الذى له ما فى السموات والارض : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى الســـماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » .

ولقد قال جل شأنه فى الآية الاولى من سورة هود : « **الر . كتـــاب**

أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » وقد جاء فى الآية (١٧) من سورة هود ما يضيف الى هذه الآية بيانا جديدا وذلك فيما يظهر من قوله سبحانه **« أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة »** .

والبينة هى النور المبين والقرآن العظيم ، ويتلوه أى يتبعه شاهد مما يظهر من تفصيل ما أحكم من آيات كتاب الله ، ويكشف عنه العلم كلما تقدم ، أما الشاهد قبله فهو كتاب موسى اماما ورحمة ، وفى الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سورة القيامة **« لا تحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم أن علينا بيانه »** .

وفى الآية ٣٨ من سورة الانعام : **« وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ، ثم الى ربهم يحشرون »** .

كما جاء فى الآية ٥٩ من سورة الانعام : **« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين »** وفى الآية ٨٩ من سورة النحل : **« ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ، وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ، ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »** .

وجاء فى الآية ٣٨ من سورة يونس : **« وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين »** .

وفى الآية ٧٥ من سورة النحل : **« وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين »** . وفى مستهل سورة يوسف : **« الر . تلك آيات الكتاب المبين ، انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون »** . وفى الآية ٥٢ من سورة الاعراف : **« ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون »**

وفى الآية ٥٣ منها : **« هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله ، يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ، أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ، قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون »** .

وفى الآية الثالثة من سورة فصلت يقول سبحانه : **« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون »** . وفى الآية ١١١ من سورة يوسف : « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن **تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »** .

يتضح لنا من الآيات المتقدمة أن القرآن العظيم منزل بعلم الله ، وأن فيه تفصيلا لكل شىء ، وتبيانا لكل أمر ، وهذا التفصيل يأتى تأويله تباعا فى أوقاته كما تتفتح البراعم فى مواسمها بحدائق البصائر النيرة ، وبفعل النظرات المخلصة ، والتفكير الموفق فى النفوس المؤمنة ، والافئدة المستعدة للنور ، والاجهزة المستقبلة للخير فى مختلف الازمنة والامكنة وآيات الله تحث الانسان على التفكير والتبصر والنظر مع البعد عن التكلف فى الرأى أو التعجل به قبل أوان الفتح وتفصيل الآيات لقوم يعلمون ..

ولقد جاء فى سورة فصلت : **« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »** (الآية ٥٤

من سورة فصلت) وجاء فى سورة الواقعة : ((**فلا أقسم بمواقع النجوم . وأنه لقسم لو تعلمون عظيم . انه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون . تنزيل من رب العالمين**)) (الآيات ٧٥ الى ٨٠) .

ولعل الذى يظهر من جواب القسم أن بين دفتى هذا القرآن العظيم المنزل من رب العالمين مكنونات من العلم كثيرة تتجدد مع تقدم المعرفة فى مسيرة الزمن وأنه لا يتماس معه لاستخراج هذه الكنوز المكنونة الا المطهرون ، ولعل بيان هذا الطهر جاء فى جواب المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الراسخين فى العلم وهو : « من طهرت سريرته وحسنت سيرته وعف بطنه وفرجه » وأن المقصود من هذا الحديث فيما يظهر أن يكون الانسان وعاءا طاهرا نظيفا لاستقبال الفيض ، وحمل أمانة العلم فى الوقت المناسب : ((**واتقوا الله ويعلمكم الله**)) .

والقرآن العظيم هو كتاب الزمن ومأدبة الله الخالدة ، مصداقا لقوله سبحانه : **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين**)) وقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « أنا رحمة مهداه » وقوله صلى الله عليه وسلم « القرآن مأدبة الله فى الارض فخذوا من مأدبة الله ما استطعتم » .

وفى الأثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآيات ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ من سورة الانعام وهى : ((**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض أنظر كيف نفصل الآيات لعلهم يفقهون**)) الى قوله سبحانه : ((**لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون**)) قال : انها ، آتية ولم يأت تأويلها بعد ، ولعل هذه الحروب من تأويلها : فالطائرات من فوق ، والالغام من تحت ، والحروب المذهبية والحزبية قائمة بين الأخ وأخيه فى جميع أنحاء العالم ، وما تلك الانباء الا من اعجاز القرآن العظيم واخباره عن المستقبل ، وقد كان السلف الصالح يتورع عن التكلف خشية استعجال المعنى قبل الأوان وقد وعد الله سبحانه ببيانه بعد الوعد بحفظه فى بضع آيات من سورة القيامة وقد تقدم ذكرها .

ومما يؤثر عن أبى بكر الصديق أنه سئل عن حرف من القرآن فقال رضى اله عنه : « أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، وأين أذهب ، وكيف أصنع ، اذا قلت بحرف من كتاب الله فى غير ما أراد الله » .

وسئل على بن أبى طالب كرم اله وجهه : هل خصكم الله بشىء من القرآن أهل البيت ؟ قال « لا ، الا فهما أوتيه رجل فى كتاب الله » .

ويقول سبحانه : ((**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**)) تكرر ذلك فى سورة القمر ويقول سبحانه : ((**ولقد يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون**)) سورة الدخان (الآية ٥٨) ـــ وجاء فى سورة الانعام : ((**قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ . وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون**)) ١٠٤ ، ١٠٥ ولعل مما يظهر من هاتين الآيتين وما قبلهما من السورة نفسها أن المتقدمين من العلماء فى العالم سيقولون بعد ما يستبين لهم الأمر : حقا لقد درست يا محمد بمدرستك الربانية فسبقت مدرستك جميع المدارس بل فاقتها : ((**وما ذلك على الله بعزيز**)) .

: ((**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**)) (الآية ٢٤ من سورة محمد) ((**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**)) (الآية ٨٣ من سورة النساء) . ((**يا أيها الناس قد جاءكم برهان من**

ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا » (الآية ١٧٤ من سورة النساء) .

ان كتاب الله العظيم هو دستور الزمن ونوره ومرجع الناس الى يوم القيامة وهو معين العلم تنهل منه النفوس العطشى الى المعارف والعلوم وتتطلب المزيد من معينه الصافى الذى لا ينضب .

ان طالب العلم نهم لا يشبع من سلسبيله وخضم العلم أمام طالبيه واسع الجنبات مترامى الشطان ، متزاحم الموج ، عذب المورد والله سبحانه يقول : « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » ولا يخفى ما فى ذلك من التشجيع للازدياد من العلم : « **وقل رب زدنى علما** » .

وقد كان رسول الله لا يستعجل بيان القرآن ولا يتكلف فيه وهو الذى نزل عليه القرآن وهو الطاهر الأمين الذى هو أولى الناس بالازدياد من العلم ، ومما يدل على عدم تكلفه صلى الله عليه وسلم فى معانى كتاب الله وتركه الامر للزمن وللاذهان المتفتحة أمر الله سبحانه لخاتم رسله فى ختام سورة (ص) « **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . أن هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين** » . وقوله صلى الله عليه وسلم « من سمع منى مقالة فليبلغها كما سمعها رب مبلغ أوعى من سامع » والسامع صحابى والمبلغ من بلغه الار بعد ذلك الى يوم القيامة .

على أن جانبا من المتأخرين قد أطلقوا أقلامهم بتفاسير مطولة لا تخلو من تكلف متعاقب ونقل مكرر ، وجاء بعضها كموسوعات كبيرة ومفيدة فى أمور كثيرة غير التفسير ، واذا كانت بعض آيات كتاب الله تشتمل على ما جاء فى بعض هذه التفاسير فانها لا تتقيد بها وحتى أسباب التنزيل تشتمل عليها الآيات دون التقيد بها وقد قيل : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ..

وغالبا ما يقيد المفسر نفسه بما سبقه من تفاسير محملا المسؤولية فى ذلك لغيره وربما كان ذلك خشية الرد عليه وفقدان مكانته بين الكثرة الغالبة فى المجتمع وربما أدى ذلك الى قطع رزقه ، ومعروف أن الاقوال القديمة لها استقرارها فى الأذهان على ما قد يكون فيها من غريب ودخيل وقد يذهب البعض الى ما يظنونه تمكينا للمعنى فيؤيدون ما يفسرونه ببيت من الشعر قد يرصونه رصا يحشرون معنى الآية فيه حشرا أو بأحدوثة من الاسرائيليات أو غير ذلك مما قد يشغل أغلبية القراء عن التفكير فى سمو المعانى القرآنية وأهدافها الكريمة وأسلوبها الرصين ، راضين بهذا الحشو الغريب عن مفهوم السلف الصالح وورعه .

ثم أننا فى عصر العلم وعصر العلم مدعاة لاستخراج الجديد من كتاب الله لتعلم الدنيا أن كل جديد فى العلم انما هو كشف عن بعض مكنونات هذا الكنز العظيم والكتاب الخالد الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أنه علم الله المبدع العظيم الذى يسعى الانسان لاكتشافه ما وسعه جهده فى هذا السبيل مصداقا لقوله سبحانه : « **لكن الله يشهد بما أنزله اليك أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا** » الآية ١٦٦ من سورة النساء .

وما دام القرآن العظيم هو المنزل بعلم الله والاسرار العلمية التى يحاول اكتشافها العلماء هى من علم الله فلا بد من يوم يعلم فيه الذين آمنوا بالعلم أن القرآن الكريم قد سبقهم الى الانباء بهذا الكشف فيعودون الى فطرة الايمان بآله واحد مالىء للكون ومهيمن عليه ، وتصحو روح الخير

فيهم ويستيقظ بيقظتهم الحيارى والمتشككون وكل منحرف عن الطريق الأقوم ، فيطلون على الحقيقة من النافذة التى أطل منها من آمنوا قبلهم فتتبلور الافكار الشاردة والآراء المتأثرة بالعصبية الموروثة والمعتقدات المتشعبة حول هذا الكتاب الخالد المنزل بعلم الله الذى يعلم الخبء فى السماوات والارض والذى سجل فضل العلماء بقوله سبحانه : ((**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**)) — وأن آيات كتاب الله فى فضل العلم لكثيرة ، كما ورد عن المصطفى صلى اله عليه وسلم الكثيرم فى فضل العلماء على النساك أذكر من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لغدوة أو روحة فى سبيل العلم تعدل عبادة أربعين خريفا » وفى الاثر عنه صلى الله عليه وسلم : « من تساوى يوماه فهو مغبون » ويفسر هذا الحديث حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم : « اذا طلع على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك لى فى شمس ذلك اليوم » .

وحبذا لو نقح ما لدينا من تفاسير واستخرج منها ما هو دخيل وغريب ثم ركز على ما يظهر من مفاهيم كتاب الله دون تكلف أو تزمت سيما ما ظهر حتى اليوم من علوم تؤيد ما ورد فى كتاب الله وشرحت فى اطار العلوم الثابتة دون الجنوح الى التشكيك فى أثر القديم وفضله ، ولا الى التثبت بالجديد ورواته واتخذ كتاب الله وسنة رسوله حكما وفيصلا فى ذلك .

وكما أن فى الكتاب العظيم منبعا لكل علم فان فيه حلا لكل الخلافات المذهبية فى المجال الاقتصادى والسياسى والاجتماعى وغير ذلك ، قديما وحديثا وأنه الوسط بين اليمين واليسار وكذلك كانت الأمة التى نزل عليها هذا الكتاب وفى موقعها الجغرافى أيضا لتكون فى الذروة المرموقة وفى موضع الحكم بين الناس ، قال جل شأنه فى سورة البقرة : ((**وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**)) **الآية ١٤٣** .

فاذا ما أمرت الأمة بالمعروف ونهت عن كل ما ينكره العرف عن ايمان بالله وتصديق بكلماته ، كانت خير أمة أخرجت للناس مصداقا لقوله سبحانه، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » الآية ١١٠ من سورة آل عمران . وفى الآية ٦٤ من سورة النمل قال جل شأنه : « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . وفى الآية ٢١٢ من سورة البقرة : ((**كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم**)) .

والقرآن العظيم كثيرا ما يطلب الى الجميع التفكر والتبصر والتدبر فى الآيات وفتح القلوب ، وعندها تفيض المعانى العظيمة منها على الالسنة والأقلام المؤمنة فتنطلق رسلا وكتبا الى العالم أجمع فى مختلف أحواله وعصوره ، وفى هذا نشر لرسالة الحق والسلام ، وبعث لنور الهداية المحمدية الى الدنيا بأسرها ، لتخرجها من الظلمات الى النور ، قال سبحانه : ((**أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم**)) الآية ٩ من سورة يونس . والايمان هو الهدف الأول وهو وسيلة الهداية التى هى المرحلة التالية بعد الايمان والعمل الصالح مصداقا لقوله سبحانه : ((**وانى لغفار**

لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » الآية ٨٣ من سـورة هود وقوله سبحانه : « **يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** » الآية ١٦ من سورة المائدة : « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين** » الآية ٦٩ من سورة العنكبوت . ولقد جاء فى الآية ١١ من سورة التغابن : « **ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم** » .

كذلك يوجب القرآن الكريم أن يقوم كل بدوره دون تقصير أو كتمان ، حيث حرم الله الكتمان فى كتابه ، وانى لأكتفى فى هذا المجال بذكر ما ورد فى سورة البقرة فى الآيتين ١٥٩ ، ١٦٠ : « **ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** » .

وان من يوفق للايمان والهدى كمثل المشكاة الصالحة المتصلة بالتيار تستمد النور وتشعه لذوى الابصار فتبدل ظلامهم نورا .

ومرة أخرى أقول أن القرآن العظيم حلقات متماسكة يفسر بعضه بعضا ويمكن أن تكون الفاتحة عنوانا له وواسطة لعقده ، بحيث يمكن أن يلتقى طرفا القرآن العظيم عند سورة الفاتحة (والطرفان هما سـورة البقرة وسورة الناس) . على أنى قبل أن أتابع الترتيب القرآنى أود أن أبدأ بسورة الناس وهى الخاتمة لأنها ترتبط مع الفاتحة برباط وثيق كما ترتبط السورتان (الناس ، والفاتحة) بسورتى (الفلق ، والاخلاص) وهذا ما أرجو أن أوفق الى تقديمه كانموذج وجهد محدود راجيا أن يحقق الله على أيدى من هم أوسع منى علما وأنسب ظروفا وامكانات اتمام ما سأبدأ به باذن الله .

وأنه على الرغم مما يحيط بى من مشاغل تستنفد جل وقتى ومن قلة معلوماتى وضيق اطلاعاتى فيما عدا تلاوة القرآن الكريم ، ككل مسلم يتلو كتاب الله أو يسـمعه ، فانى أرى أن على واجبا لا مناص من أدائه ازاء مسئوليتى أمام الله حول عرض ما ظهر لى من معان خلال تفكيرى عند تلاوة كلام الله مع اعترافى بالتقصير . وأنى لأعترف أيضا بأن ما أقدمه قد يحتوى جديدا على القارىء والسامع ومعروف أن الاستجابة السريعة للجديد ليست بالأمر السهل حتى ذلك الذى جاء على أيدى رسل كرام يوحى اليهم من رب العالمين ، مؤيدين بالمعجزات فكيف اذا كان الجديد من انسان مثلى يعترف بتقصيره وعدم سعة اطلاعه ولكن الذى يشـفع لى ويطمئنى أنى أحرص استطاعتى على ألا أتكلف ولا أخرج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أجانب العلوم الراسخة ولا أجافى المنطق السليم ولا أعرض معانى كتاب الله للنظريات القابلة للتغيير والتبديل ، الى جانب ذلك فانى كلى اصغاء لمن يرشدنى الى أخطائى وجل من لا يخطىء « والحكمة ضالة المؤمن » « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » .

واذا كنت أقدم للقارىء اللبيب ما وسعنى من جهد المقل فذلك للعرض لا للفرض وان هذا العرض ليس تفسيرا ولكنها خواطر تلوح لى عند تلاوة كتاب الله والتأمل فى رحابه .

فرأيت لزاما على أن أدونها عسى أن يكون بها من النفع ما أرجو معه عفو الله ورضوانه والله سبحانه هو العلام الحكيم والهادى الى سـواء السبيل ..

من هدي السنة

د. على عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ بجامعة الكويت

الشهيد

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : ((من قتل دون ماله فهو شهيد)) رواه البخارى وغيره بلفظ مقارب .

١ ـ ورد عن الحافظ بن حجر العسقلانى فى رواية هذا الحديث قصة تعطينا صورة صادقة لما كان عليه المسلمون الاوائل من التزام لحدود الله تعالى ، وامتثال تام لأوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يتعدونها ولا يخالفون هديها قيد أنملة ، مع حفاظهم على المال والعرض معادلين للحفاظ على النفس دون اعتداء أو مجاوزة للطريق السوى .. قال ابن حجر رضى الله عنه : « لما كان بين عبد الله بن عمرو وبين عنبسة بن أبى سفيان ما كان ، يشير الى القتال ، فركب خالد بن العاص متوجها الى عبد الله بن عمرو ، فوعظه ، فقال عبد الله بن عمرو : أما علمت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر له الحديث ، وذلك أن عاملا لمعاوية أجرى عينا من ماء ليسقى بها أرضا ، فدنا من حائط لآل عمرو بن العاص فأراد أن يخرقه ليجرى العين الى الارض ، فأقبل عبد الله ومواليه بالسلاح فقالوا : والله لا تخرقون حائطنا حتى لا يبقى منا أحد ، وذكر الحديث » والعامل المشار اليه هو عنبسة بن ابى سفيان كما روى الامام مسلم وكان عاملا لأخيه معاوية على مكة والطائف وكانت الارض بالطائف ،

وقد أخرج هذا الحديث : النسائى ومسلم والطبرى وأبو داود والترمزى ، كلهم بلفظه المشهور ، وفى رواية لأبى داود والترمزى : (من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد) قال النووى : « فيه جواز قتل من قصد أخذ المال بغير حق سواء كان المال قليلا أم كثيرا » وعند بعض أصحاب مالك رضى الله عنه : لا يجوز اذا كان المأخوذ مالا قليلا ، ويعقب على هذا القرطبى بقوله : من دواعى الخلاف عند المالكية أنهم نفارقوا فى أصل المسألة ، فرأى بعضهم أن ذلك من باب تغيير المنكر فلم يفرق بين القليل والكثير ، ورأى آخرون أنه من باب دفع الضرر فيختلف الحال ، وعن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : « من أريد ماله أو نفسه أو حريمه ، فله الخيار أن يكلمه (بسكون الكاف) أو يستغيث ، فان منع أو امتنع لم يكن له قتاله ، وان لم يمتنع أو يمنع فله قتاله ، ولو أتى على نفسه وليس عليه عقل ولا دية ولا كفارة ، لكن ليس له تعمد قتله » وفى رواية الامام مسلم رضى الله عنه روى الحديث بلفظ : « أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى ؟! قال : فلا تعطه ، قال : أرأيت ان قاتلنى ؟! قال : فاقتله ، قال : أرأيت ان قتلنى ؟! قال : فأنت شهيد ، قال : أرأيت ان قتلته ؟! قال : فهو فى النار » . ولفظ (دون) الوارد فى حديث الباب تستعمل فى الاصل ظرف مكان بمعنى تحت ، وتستعمل للسببية على سبيل المجاز ، وتوجيه ذلك فى نص الحديث : أن الذى يقاتل عن ماله انما يجعله غالبا خلفه او تحته ثم يقاتل عليه .

٢ ــ جرت سنة الله تعالى فى خلقه أن القوة تعنى المنعة (بفتح الميم والعين المهملة) بمعنى أنه لا يمكن الوصول الى صاحبها ولا النيل منه ، ولا الاعتداء على حرماته ، فهو دائما عزيز الجانب ، مهيب السلطان، بينما الضعف والتخاذل يطمعان العدو فيمن أتصف بهما ويصبح نهبا مشاعا للأهواء ، وهدفا واهيا للطغاة ، ومنال مرمى سهام الغزاة :

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وجرى مثلا (من لم يتذأب أكلته الذئاب) . وقد حرص الاسلام على التواصى بوجوب حفظ حقوق المسلمين من أموال وغيرها كأفراد ، وحماية الدولة من كل اعتداء ، فلا بد من الاعداد ، واخذ الحذر ، وتوقع العدوان فى كل وقت ، وتهيئة الامة الاسلامية للتغير العام عند أول بادرة تشعر بانتهاك حرمات الديار الاسلامية ، وهذا يستلزم المرابطة على الحدود ، والحراسة القوية للثغور ، وتدريب كل بالغ رشيد على حمل السلاح واجادة استعماله ، وتنويع آلات القتال مع تغير الزمان ، ومما يمكن للمسلمين فى هذا الامر أن تنشأ فى ديارهم المصانع الكاملة لبناء الاساطيل الحربية من جوية وبحرية وبرية ، وايجاد معامل البحث والدرس واعطاء الفرصة كاملة واتاحتها دائما للمفكرين المسلمين ليصلوا بأنفسهم الى ما وصل اليه غيرهم ويتفوقوا بجدهم ودأبهم ، ولما كانت الامة الاسلامية قد أهملت ان طوعا وان كرها أمثال تلك البحوث ، واكتفت دور العلم فيها بالامور النظرية وتاهت فى فلسفات بعيدة عن هذا الميدان ، فأولى لها الآن ودون ابطاء أن تبعث الى مختلف الاقطار المتقدمة من يدرس ويعلم ويتفقه مدركا حاجة بلاده الى المعارف المعاصرة مما يدور هناك فى المصانع

ودوائر البحوث مهما كان نوعها وأيا كان مصدرها ، ففى الاثر : « خذ الحكمة ولو من فم الكافر » ثم يعود أولئك الدارسون الى ديارهم معلمين ومؤسسين للدراسات العلمية العملية فى كافة صورها ، يقول الله سبحانه « .. فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فىالدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » الآية ١٢٢ من سورة التوبة ، ومعنى الآية الكريمة ليس بعيدا عما تقصد اليه من لزوم تعلم العلوم التى يسمونها دنيوية ، ولا أجد فارقا بين علم دنيوى وأخروى ، فالكل موصل الى التمكين لمن تعلمه فى الارض والنصرة على أعدائه فى كل ميدان ، وهذا هو طريق الحصول على مرضاة الله تعالى اذ هو مصدر للقوة « والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » وقد فسر العلماء الذين سبقونا فى الزمان هذه الآية الكريمة بما يؤيد ذلك المعنى ، فقال القرطبى ما نصه : (ليتفقهوا فى الدين) أى ليتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ، قال أبو بكر بن العربى : (وهذا يقتضى الحث على طلب العلم بأدلته والتعمق فيه ، وذلك بحسب ما يسره الله لعباده وقسمه بينهم من رحمته وحكمته بسابق قدرته) ، وروى الدرامى فى كتاب (بيان العلم) عن الاوزاعى عن الحسن قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين كانا فيمن سبقنا من الامم ، أحدهما كان عالما يصلى المكتوبة — حسبما ورد فى تعاليم نبيه — ثم يجلس فيعلم الناس الخير ، والآخر ، يصوم النهار ويقوم الليل — ولا يعلم أحدا شيئا مما علم — أيهما أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل العالم الذى يصلى المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذى يصوم النهار ويقوم الليل ، كفضلى على أدناكم » قال العلماء السابقون من شراح هذا الحديث : المراد بتعليم الخير هنا : ما يشمل علوم المعاش والمعاد ، فبالأولى تكون الغلبة على الاعداء والنصرة على الكافرين ، وبالثانية يكتسب رضوان الله وعونه ، وواضح بداهة من روح تعاليم الاسلام وهدى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل ما يعمل مقصودا به الدفاع عن حوذة الامة الاسلامية ، واعلاء كلمة الله تعالى هو من الباقيات الصالحات التى هى خير ثوابا وخير أملا ، وأن من جلس فى معمله أو فى مصنعه يكشف مخبآت الكون ويزيل النقاب عن أشياء لم يسبق اليها كان ذلك مما يضاعف مثوبته عند الله ، ويرفع درجته فى الصالحين ، فهناك وسائل للحياة الحرة الكريمة لا ينبغى أن يظل المسلمون يستجدونها من غيرهم ، فقد تنوعت وسائل الدفاع والقتال ، كما أصبح لاستغلال موارد الارض والبحار ، وغيرهما الكثير من الطرق والآلات ، ولا يمكن الحصول على الجنى المستطاب الا باستعمال مكتشفات العقول النيرة التى خدمت الانسان فى ميادين الحياة الصناعية وغيرها ، وفى وصول الآلات ذات الحدين الى يد المؤمن الذى يخشى الله واليوم الآخر ضمان لعدم استعمالها فى ايذاء الآخرين والسطو على حقوقهم واغتصاب أوطانهم كما هو دأب أعداء الانسانية الذين لا يتورعون عن الولوغ فى دماء الابرياء ، والذين يهيجون الدول الواقعة تحت سلطانهم بعضها على بعض ليضمنوا أسواقا رابحة لما تنتجه مصانعهم من وسائل الهلاك والدمار والافناء ، ثم ليخلو لهم الجو فيبيضوا ويصفروا ، ويستولوا على خيرات الدنيا دون منازع أو رقيب ..

٣ — وفى اللحظات التى تحياها الامة الاسلامية الآن يجرى دم

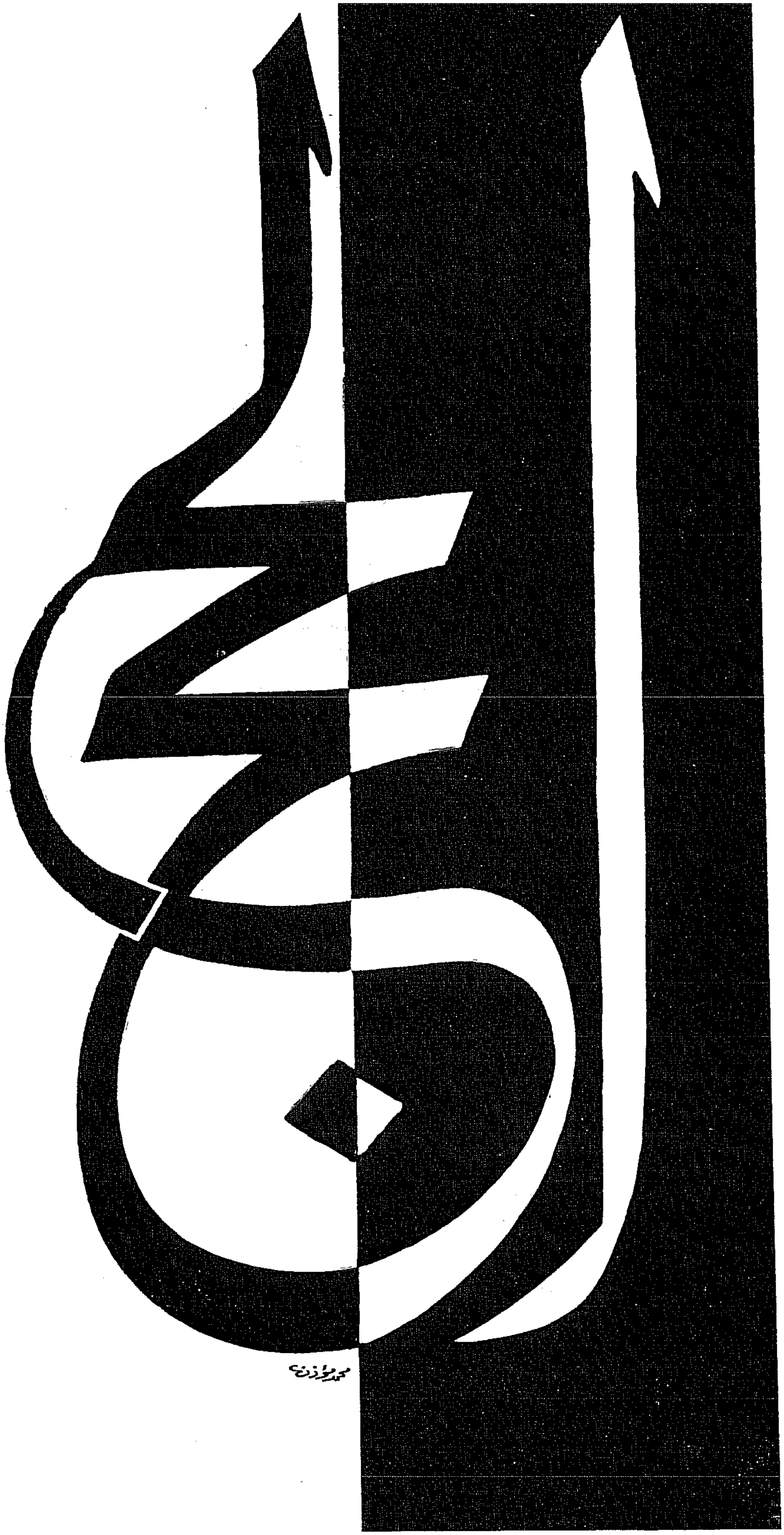
ابنائها على يد الطغاة فى كل مكان ، ولا أرى وسيلة تصد عنهم العدوان الا اعتصامهم بالله ، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم ، ونبذ كل ما يسبب الخلاف بينهم ، واطراح ما يدعو الى التفرق حتى يعملوا يدا واحدا مقاتلين دون أموالهم وأعراضهم مستصرخين النافر منهم ، متراحمين متوادين، مطيعين لقول الله تبارك وتعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ، فان انتهوا فان الله غفور رحيم ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » الآيات : ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ من سورة البقرة ..

وبعد ، ففى أثناء دراسة الحديث وتسجيل شرحه كما وفق الله سبحانه وتعالى سألنى أحد الابناء الحريصين على فهم مرامى السنة الشريفة ، قائلا : هل تجوز الاستعانة بالكافر فى حروب المسلمين مع أعدائهم ، ولم أجد جوابا أفضل ولا أصدق من قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله فهو عليه أفضل الصلاة والسلام القدوة والاسوة ، روى الامام مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل (بكسر القاف وفتح الباء الموحدة) بدر فلما كان (حرة الوبرة)(١) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تؤمن بالله ورسوله » ؟! قال : لا ، قال : « فارجع فلن أستعين بمشرك » قالت ثم مضى ، حتى اذا كنا بـ (الشجرة) أدركه الرجل ، فقال كما قال أول مرة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة ، قال : « فارجع فلن أستعين بمشرك » قالت ثم رجع فأدركه (بالبيداء) فقال له كما قال أول مرة : « تؤمن بالله ورسوله » ؟! قال : نعم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فانطلق » .

والمسلم الحق هو الذى يرتضى كل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطبقه على سلوكه واعتقاده ولا يبغى به بديلا ، ولهذا ليس لنا ما نضيفه جوابا على التساؤل فوق ما ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى طياته تكمن حكم وتوجيهات يحتاج بيانها الى مجلدات، ولدى المؤمن من ايمانه ما يكفيه للرضى والقبول الحسن ، والله يهدى من يشاء الى الصراط المستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ، ومن بيده ملكوت كل شىء وهو الولى الحميد سبحانه وتعالى العزيز الحكيم لا اله الا هو ربى عليه توكلت واليه أنيب ..

---

(١) اسم مكان ..



فرض الله سبحانه حج بيته الحرام على من استطاع اليه سبيلا ، فكان ذلك باعثا على تجمع مئات آلاف المسلمين من جميع أنحاء الدنيا ، كل سنة ، فى وقت واحد ، فى بقعة تتصل بالدعوة الاسلامية ، وذكريات الجهاد فى سبيلها ، وتحمل صنوف الأذى والعذاب من أجلها ، وتغلب قوى الشرك والظلم ، حتى اضطر الرسول أن يخرج من وطنه مهاجرا لاجئا ، الى من ألف الدعوة ، وقنع بها ، وحمل أعباءها فى المدينة الجديدة (يثرب) ، ثم تتابع أصحابه فى الهجرة اليها ، حتى كونوا المجتمع الاسلامى ، والدولة الاسلامية ، والقوى الاسلامية ، الى أن استعادوا الوطن الاسلامى الأول ، وعاد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما عاد اليه أصحابه الأكرمون ، من المهاجرين والأنصار ، تظللهم راية الانتصار ، وترفرف عليهم أعلام العزة والكرامة ، وقد حطموا الأصنام ، وهدموا الأوثان ، ورفعوا شعار الوحدة والايمان .

والوحدة الاسلامية

للشيخ عبد الحميد السائح

واذا كانت فريضة الصلاة جذبت كل مسلم الى الكعبة والبيت الحرام حينما اتجهوا اليها فى أثناء الصلاة ، فان فريضة الحج ربطت الشعوب الاسلامية ، على اختلاف لغاتها وألوانها ، بهذا المركز الاسلامى العظيم ، يتهيأون لزيارته ، ويعدون العدة لمشاهدته ، ويلتقى أسودهم بأبيضهم ، وعربهم بعجمهم ، فى مظاهر واحدة ، من التجرد عن الدنيا وزخارفها ، لا فرق بين رئيس ومرءوس ، وحاكم ومحكوم ، متجهين الى العلى القدير ، الذى اختار لهم الاسلام دينا ، فواجب المسلمين ، أن يغذوا مقتضيات هذه الوحدة ، بمشاعر واحدة ، ومناهج واحدة ، واتجاهات واحدة ، حتى يحققوا ما يهدف اليه الاسلام ، من اخاء رفيع ، يستلزم أن يمدوا أيدى العون

والمساعدة الى بعضهم ، سواء كان ذلك بصورة مادية أم معنوية ، لا منا ولا اختيارا ، وانما هى طبيعة الاسلام ، الذى جعل الحج واحدا من أركانه .

قال تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم(١) » .

وقال أيضا « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان(٢) » .

وقال سبحانه « ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون(٣) » .

وقال عز من قائل « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون(٤) » .

فالوحدة الاسلامية هدف واضح من أهداف الحج ، فيه يلتئم المسلمون من كل حدب وصوب ، ليتشاوروا فى شئونهم ، ويتبادلوا الرأى فيما يعود عليهم بالخير والمصلحة ، سواء كانت دينية أم دنيوية ويدعموا الوحدة فيما بينهم .

قال تعالى « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم .. (٥) » .

وقال سبحانه « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم(٦) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم(٧) » .

فاذن ليس القصد من الحج ، مجرد الزيارات ، وتأدية المناسك والعبادات ، والقيام بالتظاهرات فقط ، وانما القصد ترسيخ عوامل الوحدة وتثبيت مقتضيات الأخوة الدينية ، واظهار الشخصية الاسلامية ، والعمل على تنمية هذه المعانى بالنفوس ، والتصرفات والاعمال .

وفد الرحمن ..

ان حجاج بيت الله الحرام هم وفد الرحمن ، استجابوا لندائه ، وأخلصوا فى دعائه ، وتجردوا لعبادته ، وتنزهوا فى مناجاته ، لذلك كانت لهم عند الله منزلة المقربين ، ودرجة الأخيار المصطفين ، فواجبهم أن يستجيبوا لله وللرسول ، فى نشر الدعوة الاسلامية ، والاذعان لحكم الله فى تشريعه ، والمبادرة لما يرضى الله والرسول ، والاهتمام بأمور المسلمين .

قال تعالى « يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وانه اليه تحشرون . واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب(٨) » .

وقال « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما(٩) » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحجاج والعمار وفد الله ان دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم(١٠) » .

وقال أيضا « وفد الله ثلاثة ، الحاج والمعتمر والغازى(١١) » .

الحج والقدس ..

هذا الاسلام عجيب فى عظمته ، بديع فى أهدافه ، ولا يستكنه هذا السر الا من فتح الله قلبه ، وبسر أمره ، وأزال عنه الرين ، وأبعد عنه الغين ، كما قال سبحانه « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء(١٢) » .

وتتجلى هذه العظمة هنا ، بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أهل بعمرة من بيت المقدس غفر له(١٣) » . وقوله « من أهل بالحج والعمرة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام ، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة(١٤) » .

ومعلوم أن الرسول حينما قال ذلك كله لم تكن القدس فى سلطان المسلمين ، ولم يكن المسجد الاقصى متعبد المسلمين ، ولكنه فى مخطط العليم الخبير ، أن تدخل القدس فى حوزة المسلمين ، وقد مهد لذلك باسراء الرسول اليها ، وعروجه الى السماء منها ، ثم الاعلام بأن المسلمين سيحرمون بالحج أو العمرة من المسجد الاقصى ، يوم تكون القدس عزيزة بسلطانهم منيعة بحيازتهم .

واذن فليس القصد من ذينكم الحديثين وغيرهما من الأحاديث الشريفة النبوية ، الواردة فى فضل الاحرام بالحج أو العمرة من القدس ، أو المسجد الأقصى ، هو مجرد الترغيب ، وانما القصد أبعد من ذلك وأعمق ، هو ضرورة تكتيل الجهود الاسلامية ، والكفاءات الاسلامية ، والقوى الاسلامية ، والعقول الاسلامية ، للتخطيط والعمل ، على تخليص القدس أو المسجد الأقصى من أى خطر يتهدده أو عدو يقصده بالأذى والضرر .

وانه بعد دخولهما فى حوزة المسلمين أصبحا مرتبطين بعقيدتهم ، وجزءا من عباداتهم ، لا يجوز التفريط بهما ، أو التهاون فى أمرهما .

أيها الحجاج والمعتمرون :

ان الله سبحانه وتعالى جعلكم فى درجة المجاهدين ، الذين يمتازون عن القاعدين ، ويتقدمون على المتفرجين ، وذلك لأنكم لبيتم النداء ، وأجبتم الدعاء ، نطقت ألسنتكم ، لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، وهتفت قلوبكم بوحدانية الالوهية ، لا اله الا الله ، ووحدانية الربوبية ، لا مربى ولا مشرع الا الله ، قاومتم أصنام البشر كما حطمتم أصنام الحجر ، وكل تشريع ينافى كتاب الله فهو باطل ، وكل تقنين يتصادم مع شرعة الله فهو غير معتبر ،

وكل تصرف أو موقف أو اجراء يتضارب مع ما هدفت اليه شريعة الاسلام فهو موضوع .

أيها الحجاج والعمار :

اذا كنتم صادقين فى عبادتكم ، مخلصين فى رحلتكم ، متجردين فى نسككم فاستمتعوا بهذه الفرصة السانحة ، وتشاوروا فى شئون المسلمين ، وما أصاب ديار الاسلام ، من الغزو والاغتصاب ، وما أصاب المسلمين من الذلة والمهانة والاحتقار ، وقد شرع الحج لتشهدوا منافع لكم ، وأنتم تعلمون أن الله سبحانه جعل العزة من شعار المؤمنين ، فقال سبحانه « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين(١٥) » . وقال سبحانه « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا(١٦) » .

فكيف يجوز لكم أن تمروا على ما أصاب المسجد الأقصى ، ثالث المساجد التى تشد اليها الرحال ، من المهانة والتهديد ، وكيف يسوغ لكم فى شرعة الاسلام أن تسكتوا على حرمانكم من الاهلال بالحج أو العمرة من القدس أو المسجد الاقصى ، بسبب العدوان الصهيونى الأثيم ، على الديار المقدسة ، وكيف يسوغ لكم أن تسكتوا على قتل المسلمين فى الفلبين ، زرافات ووحدانا ، وكيف يرضى عنكم ربكم ، والاسلام متعتع مهتز فى كثير من الديار والبقاع ، بسبب اهمالكم وتقصيركم ، وتخاذل حكامكم ، وأنتم غارقون فى مصالحكم معرضون عن القيام بواجبكم ؟؟

أيها المسلمون فى المشارق والمغارب :

ان الاسلام صنع لكم فى تشريعاته ، ما يجعلكم أمة واحدة ، تصدر عن دستور واحد ، هو القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتحجون جميعا الى مكان واحد ، تتشاورون فى شئونكم ، ما أصاب جماعة المسلمين من آن لآخر ، وتشعرون بشعور واحد ، هو شعار الاخاء والوفاء « انما المؤمنون اخوة »(١٧) .

وقد كان المسلمون فعلا أمة واحدة ، لا فرق بين عربها وعجمها ، شرقها وغربها ، يوم كانت يقودها دينها ، ويسيرها اسلامها ، ويوم كان حكامها وأمراؤها هم المنفذين لشريعة الاسلام ، وعدالة الاسلام والمنقادين لاحكامه ، فتتبعهم شعوبهم ، وتتأثر بهم جماعاتهم ، وكما تكونون يولى عليكم ، فيكون المجتمع كله اسلاميا ، المال مال الله معد للدفاع عن بيضة الاسلام ، والحفاظ على مقدسات الاسلام ، وعلى أرض الاسلام ، فاذا اعتدى معتد على أية بقعة اسلامية ، تحركت الجماهير المؤمنة ، وتنادت بشعائر الاسلام ، الله أكبر ، الله أكبر ، كما تجاوبت أصداؤها فعلا بالاجابة فى موسم الحج ، لبيك اللهم لبيك ، وتحركت جيوشكم للنصرة والتأييد ..

ولكنكم فى عصور الفساد والتدجيل ، تفرقت كلمتكم ، وقطعتم ما وصل الله ، وحرمتم ما أحل الله ، ومنعتم جنودكم وأموالكم عن أن تتجه أو توجه للدفاع عن دين الله ومقدساته ، فانتهكت الحرمات ، وهددت المقدسات ودنست الكرامات ، فأصبح المسلمون يعيشون فى ظلال المهانة والاذلال ، والضياع والمتاهات ، كأن آيات القرآن وضعت فيه للمشاهدة لا للتنفيذ ، وللعرض لا للعمل .

فاتقوا الله يا أيها المسلمون فى أنفسكم ، واتقوا الله فى ذراريكم ، واتقوا الله فى مقدساتكم ، واتقوا الله فى أوطانكم ، واتقوا الله فى حضارتكم المهددة ، ليحل محلها حضارة زائفة ، ضالة مضلة ، فاذا استيقظتم وتنبهتم ، ووضعتم المخططات السليمة للانقاذ ، وهديتم الطريق المستقيم ، وشرعتم فى التنفيذ ، فحينئذ نقول لكم ، تقبل الله حجكم ، وأثابكم عن نسككم ، ورجعتم من آثامكم وتقصيركم ، كيوم ولدتكم أمهاتكم ، فاللهم ألهم ولاة أمرنا أن يسيروا على طريق الهدى والرشاد ، وألهم جماعات المسلمين أن يتكتلوا فى طريق السداد والصواب ، وطهر نفوسنا ، من الاغلال والاحقاد ، انك سميع مجيب الدعاء .

---

(١) الآية ٧١ من سورة التوبة .
(٢) الآية ٢ من سورة المائدة .
(٣) الآية ٩٢ من سورة الانبياء ..
(٤) الآية ٥٢ من سورة المؤمنون .
(٥) الآيتان ٢٧ و ٢٨ من سورة الحج ..
(٦) الآية ٣٧ من سورة الحج .
(٧) رواه مسلم ..
(٨) الآيتان ٢٤ و ٢٥ من سورة الانفال ..
(٩) الآية ٦٥ من سورة النساء ..
(١٠) رواه القزوينى ..
(١١) أخرجه النسائى وابن حبان وابن خزيمة فى صحيحيهما .
(١٢) الآية ١٢٥ من سورة الانعام ..
(١٣) أخرجه ابن ماجه باسناد صحيح ..
(١٤) أخرجه البيهقى ..
(١٥) الآية ٨ من سورة المنافقون .
(١٦) الآية ١١١ من سورة الاسراء ..
(١٧) الآية ١٠ من سورة الحجرات .

لبيك حجة حقا تعبدا ورقا

للشيخ عطية صقر

هذا العنوان الذى رواه البزار والدارقطنى عن النبى صلى الله عليه وسلم حين كان فى حجة الوداع ، مع قول سيدنا عمر رضى لله عنه وهو يقبل الحجر الاسود ، « والله أنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » كما رواه البخارى ومسلم — هذان القولان يجران الى الحديث عنحكمة التشريع للعبادات بوجه عام ، وحكمته للحج بوجه خاص .

ان عبادة الله تقتضى القيام بالتكاليف دون الحاجة الى فهم أسرارها والوقوف على الحكمة منها ضرورة ايمان العبد بأن أفعال الله سبحانه لا تخلو عن حكمة وان قصرت العقول عن فهمها ولم تصل الى ادراك سرها ، كما قال سبحانه فى تشريع القتال « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (البقرة ٢١٦) .

والله سبحانه يعلم أن العباد ليسوا على درجة واحدة من التسليم والانقياد . ولهذا بين لهم بعض نواحى الحكمة فى هذه التشريعات ، يأتى بها مجملة أحيانا ومفصلة أحيانا أخرى ، وتأتى الاحاديث النبوية فتوضح جوانب

هذه الحكمة وتكشف عن بعض أسرارها . ولم يحظر سبحانه على الفكر أن يسرح فى تفهم هذه الحكمة على ضوء ما جاءت بها النصوص . فما وصلت اليه العقول لا يغير حكما قرره الاسلام ، ولكنه يدعمه لتنشط النفس لادائه ، وتزداد ايمانا بحكمته .

وقد تحدث العلماء فى تقويم العبادة حين تؤدى دون ملاحظة حكمتها وحين تؤدى والنفس متعلقة بما يترتب عليها من خير عاجل أو آجل ، فقالوا : ان فهم الحكمة وان كان ينشط النفس عند الآداء ، ويحمى المكلف من الشبه التى يوجهها الاعداء الا أن العبادة المؤداة فى هذا الجو تشوبها شائبة المنفعة التى لولاها ما توجهت النفس اليها ولا تحملت ما فيها من تكليف . وهى فى درجة الاذعان لله ليست كالعبادة التى يؤديها المؤمن لمجرد أنها أمر من الله الموصوف بالحكمة والمنزه عن العبث ، غير متطلع الى ما وراءها من نفع ، فليس للعبد حاجة عند ربه ، فلله أن يأمر وعلى العبد أن يطيع — على ما يشير اليه ما جاء فى وصف صهيب نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه .

ومن هنا احتفظ الله بسر بعض التكاليف فلم يبينه ولم يشر اليه ليمحص ايمان المؤمنين ويميز الخبيث من الطيب . ومثل له العلماء بالحروف المنقطعة أوائل السور ، وببعض الاحكام الواردة فى ثنايا العبادات التى منها مثلا رمى الجمرات فى الحج .

يقول الامام الغزالى فى الاحياء « ج ١ ص ١٩١ طبعة عثمان خليفة » واجبات الشرع ثلاثة أقسام ، قسم هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه — وذلك كرمى الجمرات مثلا اذ لاحظ للجمرة فى وصول الحصاة لها ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى ، لأن ما يعقل معناه فقد يساعد الطبع عليه ، ويدعو اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية ، وقال فى ص ٢٤٠ « واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وان يكون زمامها بيد الشرع فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان مالا يهتدى الى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والاخلاق ، الى مقتضى الاسترقاق . واذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات » .

ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحس أن فى بعض النفوس خواطر تحوم حول بعض الشعائر التى تؤدى فى الحج فنبه الى جانب التعبد والتسليم المطلق فيها قائلا وهو يلبى : « لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا » . فالامر فى أداء العبادة لا بد أن يسيطر عليه مبدأ التسليم الذى أعلنه عمر وهو يقبل الحجر الاسود ، مقررا أنه ليست للنفوس حظوظ فى تقبيل مالا يضر ولا ينفع ، ولكنه الامتثال المطلق والاتباع التام لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو القدوة الحسنة والذى نزل فيه قول الله سبحانه : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » (آل عمران ٣١) . وقوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . (الحشر ٧) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم فى وجوب اتباعه فى العبادة بنوع خاص : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وقال فى الحج : «خذوا عنى مناسككم» كما روته الكتب الصحيحة .

وإذا كان فى بعض التشريعات الجزئية نواح لم ينص على حكمتها فإن العبادات .. الاساسية جاءت حكمتها منصوصة ، أما فى القرآن وأما فى السنة ، مع اطلاق العنان للفكر ليشرحها أو يبحث عن جوانب أخرى تدعمها ، فالله سبحانه أمر بالنظر والتفكر والتدبر ، والنبى صلى الله عليه وسلم شجع على البحث حتى جعل للمخطىء فيما وصل اليه باجتهاده أجرا لا يحرمه من ثمرة العمل ، فهو مثاب بنيته ، وان كان للمصيب اجران ، أجر على بحثه وتعبه ، وأجر على توفيقه الذى يفيد منه كما يفيد منه غيره .

ومهما يكن من شىء فان الحكمة العامة للتشريع تتلخص فى نقطتين أساسيتين أولاهما : ربط المخلوق بالخالق ، لأنه هو الذى خلقه ثم رزقه ثم يميته ويحاسبه ، فهو منه مخلوق واليه راجع ، فلا تنقطع صلته عن الله بدءا ونهاية ، وثانيتهما : اعداد العبد للحياة على الارض ليحقق خلافته فيها .

ومن مظاهر النقطة الاولى الايمان بالله واليوم الآخر والتوجه اليه سبحانه بالعبادة وطلب المعونة ، على ما يفيده قوله تعالى « اياك نعبد واياك نستعين » ..

ومن مظاهر النقطة الثانية الاخلاق الفردية والاجتماعية والتنظيمات الخاصة والعامة فى ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد والعمران وسائر الميادين التى تحدد فيها الحقوق والواجبات وعلى ضوء هذه ــ الحكمة العامة بشقيها يمكننا أن نوضح حكمة تشريع الحج فيما يلى :

قال تعالى فى بيان حكمة الحج المفروض من أيام ابراهيم عليه السلام والمأمور به فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كأحد الاركان التى بنى عليها الاسلام « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام » . (الحج ٢٧ ، ٢٨ . فكلمة المنافع التى يشهدها الحجاج كلمة عامة جامعة تشمل كل منفعة دينية ودنيوية ، مادية ومعنوية ، سياسية واقتصادية ، ثقافية واجتماعية وغيرها ، واليك تفصيل هذه المنافع على ضوء حكمة التشريع العامة للعبادات .

أولا : صلة العبد بربه تظهر فى الحج عندما يحرم الحاج ملبيا مقرا بوحدانية الله شاكرا له أنعمه : « لبيك اللهم لبيك ــ لبيك لا شريك لك لبيك ــ ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » وحين يطوف بالبيت سائلا متضرعا يستمنح الله عفوه وبره ، وحين يقبل الحجر ويستلمه معاهدا ربه على الطاعة مجددا معه البيعة على ما رواه ــ أحمد وابن خزيمة فى صحيحه عنه « أنه يمين الله يصافح بها خلقه » وفى سعيه بين الصفا والمروة كالمتردد قلقا على مصيره ، هل تفضل الله عليه عند طوافه فقبله أولا ، وفى وقوفه بعرفة متجردا من كل زينة خاشعا ضارعا فى ذلة وانكسار يباهى الله بأهل عرفات الملائكة اذ أتوه شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق ، يرجون رحمته ويخشون عقابه . وفى رميه للجمرات تشبه بحربه للشيطان ، وفى الهدى والفداء رمز للتضحية بالدم وبأغلى ما يملك الانسان ، ايثارا لما عند الله وجهادا فى سبيله .

وفى الحج ارتباط بمهد النبوة وعمارة لبيت الله ، وتذكر لحوادث ماضية كانت سببا فى قدسية هذا المكان ، من وجود هاجر واسماعيل وحيدين فى هذا الوادى ، ولطف الله بهما فنبعت زمزم وعمر المكان وبنى أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين . وذلك كله الى جانب ذكر الله بالتكبير والتلبية

عند المشاعر ، فى عرفات والمشعر الحرام ورمى الجمرات . مما يدل على حكمة الحج فى ربط العبد بخالقه كما يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « انما فرضت الصلاة وأمر بالحج وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح .

ثانيا : الاحرام بالحج فى ملابس متواضعة وبعد عن مظاهر الترف درس عملى فى التواضع وعدم الغرور بزخارف الحياة ، وفيه نكران للذات وتركيز على الاخلاص لله فى الطاعة ، وقد حج النبى صلى الله عليه وسلم على رحل رث وقطيفة خلقة ، وقال : « اللهم حجا لا رياء فيه ولا سمعة » رواه الترمذى . وعن ابن عمر أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من الحاج ؟ فقال : « الشعث التفل » رواه ابن ماجة باسناد حسن . والشعث هو البعيد العهد بتسريح شعره وغسله ، والتفل هو من ترك الطيب والتنظف حتى كادت تتغير رائحته ، وفى الحج تمرن على الاسفار والترحال ، وتحمل للمضايقات ، وضبط النفس عن السبب والفسوق والمغريات ، وفيه الى جانب ذلك ثقافة واطلاع وتفكر واعتبار ، وكل هذا كمال نفسى يفيد منه الحجاج .

ثالثا : لا ينكر أحد أن الحج فرصة لعقد مؤتمر اسلامى يتخطى حدود البيئة والجنس واللغة ، ويعلو على الفوارق والعصبيات ــ ينبغى أن تناقش فيه المشاكل وتوضع الحلول ... وتتلاقى الافكار وتتلاقح الثقافات وتتبادل المنافع من كل لون ، توكيدا للوحدة الجامعة التى يقررها الله فى قوله « ان هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » (الانبياء ٩٢) وذلك كله لننهض سويا بالواجبات الدينية والانسانية ، ولنقف صفا واحدا امام المحاولات التى التى تريد السوء للاسلام والمسلمين . وان للمسلمين فى هذا الموسم من عوامل الوحدة ما يعلو على كل العوامل . فربهم جميعا واحد ، ورسولهم واحد ، وشريعتهم واحدة ، وقبلتهم واحدة ، وزيهم واحد ، ونشيدهم واحد وكل ذلك يجعلهم كالجسد الواحد والبنيان المرصص . وفى موسم الحج فائدة لأهل الوادى المقدس ولأرض النبوة الاولى ، اجابة لدعوة ابراهيم « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » . (ابراهيم ٣٧) .

هذه بعض جوانب الحكمة فى شريعة الحج .. تدور حول المنافع التى ذكرت فى القرآن .. تلك المنافع التى يمكن أن تكون لها صور تختلف باختلاف الظروف والاحوال ، وعلى المسلمين أن يفيدوا منها ويطبقوها فى حياتهم العملية ليكون هناك تجاوب بين الدين والحياة ، ولعل مما يلح علينا فى هذه الايام أن نتنبه اليه هو وحدة الكلمة للوقوف أمام الاستعمار وأذنابه ، ولتخليص أرضنا المقدسة من رجس اليهود ، وتمهيد الطريق لانطلاق الثورة العربية لتعيد ماضيها المشرق المجيد ، الذى كانت به زعيمة العالم يوم كانت الدول المسيطرة على مصير الناس اليوم تعيش فى الاحراش وتتخبط فى الظلمات . ولا يكون ذلك الا بالتزام الطريق الذى خطه الاسلام واتباع النور الذى جاء به القرآن ، وصدق الله العظيم :« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (المائدة ١٥ ، ١٦) .

« يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا . فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيد خلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » . (النساء ١٧٤ ، ١٧٥) .

الحج

روائعه ومنافعه

ما أعظم هـذا الدين ـ الاسـلام ـ وما أروعـه .. !

وما أكثر عنايته بتربية الناس ، على الاخلاق القويمة ، فترة بعد فترة ، وموسما بعد موسم .. يذكرهم بها ان نسـوا ، ويوقظهم اذا غفوا ، ويحفزهم اذا تكاسلوا ..

منذ شهرين ـ شـوال والقعدة ـ فـرغ المسلمون من تدريب عملى على الصبر ، وضبط النفس ، والاحساس باحتياج الفقير ، ومعـاونته على قسـوة الحيـاة ، بشـطر من أموالهم ..

كان ذلك فى رمضـان خـلال ثلاثين يوما ختمناها بعيـد الفطـر ، وفيـه تبادلنا الزيارة ، وصـلة الارحـام ، ونسـيان العداوات القديمة ، وبـر ذوى القـربى والصـحبة ، والاحسـان الى من يستحق الاحسان من الأبعـدين ..

واليـوم ـ بعد شهرين من رمضـان المبـارك ـ نبدأ فى تـدريب عملى آخـر على الصبر وضبط النفس ، والاحساس بالاخطاء والذنـوب والأمل فى التوبة والصلاح ..

واليـوم أيضـا نستشعر قرابة المسلم للمسلم مهما شطت الديار ، ومهما اختلفت الالسنة والألوان ، ونحس بأن المؤمن للمؤمن كالبنيـان

ما أعظم هذا الدين الإسلام وما أروعه

للأستاذ أحمد محمد جمال

المرصوص يشد بعضه بعضا ، وندرك أن المسلمين عامة أمة واحدة ، لا بد من العمل على تجميعها وتشجيعها ، ومقاومة تعديدها وتنويعها ..

انها فترة الحج .. موسم الجهاد الأصغر الذى هو تمرين وترويض للنفوس المؤمنة على الجهاد الاكبر : جهاد الأهواء والاخطاء .. مرة أخرى .. ما أعظم هذا الدين وما أروعه ، وما أكثر عنايته ، وأكبر رعايته فى تربية أتباعه على مكارم الاخلاق ..

وصدق الله العظيم فيما يقوله :

— ان الدين عند الله الاسلام .. »

— دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا .. »

— وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه .. »

— وان هذه امتكم أمة واحدة ، وانا ربكم فاتقون .. »

الحج .. مؤتمر اسلامى

ان (الحج) كسائر الفرائض الاسلامية — مثل الصلاة والصيام والزكاة — جميعها عبادات يجب على المسلم أن يخضع لادائها ، ولو لم يدرك مقاصدها ومصالحها — تصديقا لقول الله عز وجل : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ..

ومع ذلك يدرك العقلاء المفكرون المتأملون : أن للعبادات فى الاسلام — كما للمعاملات — مقاصد ومصالح ومكارم . واذا كنا نذعن بأداء (الحج) كعبادة — يجب — فى الوقت نفسه — أن ننتفع بمقاصده ومصالحه ومكارمه. التى أشار اليها القرآن الكريم بقوله : (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ..)

(والمنافع) .. وان فسرها بعض المفسرين أو معظمهم بالتجارة — الا أنها فى حقيقتها تتسع لمعان وأبعاد ومجالات متعددة ومتنوعة .. فكل أمر أو فعل أو عمل أو سلوك فيه منفعة لجماعة المسلمين دينية كانت أم مادية أم اجتماعية أم سياسية ، فهو من (منافع) الحج لا ريب فيه ..

ولذلك ينبغى للمسلمين أن ينتهزوا فرصة الحج للتعارف والتعاون

على حل مشكلاتهم ، وفصل قضاياهم ، والتوفيق بين المتخاصمين منهم ، وللعمل على رفع شـأن الاسلام وعـزة المسلمين ، فى كل مكـان من العالم ، وتحقيق وحدتهم وقوتهم ..

واذا كان الحج فرصة واسـعة لاجتماع المسلمين من مختلف بقـاع الارض على مستوى عالمى وائتمارهم بما يصلحهم ، ويجمع كلمتهم على الحق والخير ، فان صلاة الجماعة والجمعة قد شرعتا للمسلمين لكى يتلاقوا على مستوى قومى أو محلى ، ويتعاونوا على قضاء حوائجهم ، ويتعارفوا على مشكلاتهم ، ويستمعوا الى خطبة الجمعة ، وما تحمله من موعظـة وذكرى تنفعهم فى معاشهم ومعادهم ..

وكما شرعت صلاة الجماعة كل يوم خمس مرات ، والجمعة كل اسبوع مـرة .. فقد شرعت صلاة العيدين — الفطر والاضحى — مرتين كل عام ، لتتكون بهذه اللقاءات الاخوية عواطف البر والتعاون فى المجتمعات الاسلامية .. وبهذا سبق الاسلام علم النفس الاجتماعى ، كما يشهد بذلك علمـاء النفس المسلمون ..

فالاسلام — اذن — دين المقاصد والمصالح والمكارم ، وليس دين العبادات المجردة من منافع الفرد المسلم ، والجماعة المسلمة ..

متى نحج حجـا مبرورا :

لنتساءل : لمـاذا نحـج ؟

— ألنطوف بالبيت الحـرام ؟

— أم لنبيت فى مزدلفة ؟

— أم لنقف فى عرفات ؟

— أم لنرجم بالحصى الجمرات الثلاث ؟

أم لنقدم الاضحيات والفدى ؟

— وغير ذلك من أعمال الحج ومناسكه ؟

حقـا هـذه مظاهر الحج وشعائره ، ولكنها ليست لبابه وجوهره . وحقـا تلك وسائله وصوره . ولكنها ليست غايته ومغزاه ..

اننـا — منـذ مئـات السنين — نحج من أجـل مظاهر الحج ، ونتخذ وسـائله وصـوره ، ونرجع ببعض بركاته : المريض يشفى ، والفقير يستغنى ، والعقيم تلد ، والعانس تتزوج ، والفاسد يصلـح ، والمـذنب يتـوب — وهى بركات — للحج المبرور — لا ريب فيها . لانها ثمرات الدعاء المخلص فى مواقف مباركات ورحاب مقدسات ..

والحج — وان شرع من أجل الصلاح الفردى والنجاح الذاتى — الا أنه شرع كذلك لاصلاح الجماعة الاسلامية كلها .. شأنه فى ذلك شـأن بقية المشروعات الاخرى : كالصيام والزكاة والصلاة ..

ان القرآن الكريم يتحدث عن دعوة المسلمين الى — الحج — ويعللها بقوله : (ليشهدوا منافع لهم) والمنافع هنـا فردية وجماعيـة فى وقت واحـد ..

ومن طبيعة البشر أنهم حريصون على تحقيق منافعهم الخاصة ، فهم سـاعون اليها ، باذلون فيهـا كل جهدهم ، جادون لهـا كل وقتهم .. ولذلك فالمنافع الفردية الخاصة — فى التشريعات الدينية — ليست محل تأكيد والحاح وحض . ولكن المنافع الجماعية التى بها يصـلح المجتمع

الاسلامى ، ويقوى ويعز ، هى التى يؤكدها التشريع الدينى ، ويلح فيها ، ويحض عليهـا ..

فمتى نحج من أجل جوهر الحج ولبابه ؟

— من أجل اصلاح المجتمع الاسلامى وتقويته ؟

— من أجل تطهير أرضنا وتنويرها ؟

— من أجل تحريرها من الاستعمار والصهيونية ؟

الى جانب ما نحققه من بركات فردية خاصة : من شفاء بعد مرض ، وغنى بعد افتقار ، وصلاح بعد مفسدة ..

مـرة أخـرى : متى نحج حجـا مبرورا ؟؟

حجوا قبـل الا تحجوا :

يقول الله تبارك وتعالى : (ولله على الناس حج البيت ، من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفـر فان الله غنى عن العالمين) ..

وهنـا نريد أن نقف قليلا لنضيف الى هذا النذير الآلهى : نذرا نبوية وصحابية ، صارخة للذين يتباطؤون ويتكاسلون عن الحج ، مع مقـدرتهم الماليـة واستطاعتهم البدنية ، ويعللون أنفسهم بالامانى عاما بعـد عام أو يعتذرون بأنهم لم يتزوجوا بعد ، أو لم يزوجوا أولادهم ، أو لم يكملوا تعليمهم ، الى آخـر المعاذير الملقاة ..

ان الزمن وأحداثه يمضى بهؤلاء ، وبوعودهم ومعاذيرهم حتى يفقدوا القـدرة المالية والبدنية على الحج ، فيأثموا ويدخلوا تحت طائلة الوعيد الآلهى : (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) ..

ولذلك فانى مذكرهم بتلك النذر فى سطور قلائل ..

(١) فى صحيح مسـلم : ان النبى صلى الله عليه وسلم قـال : (أيهـا الناس ان الله قـد فرض عليكم الحج ، فحجوا) — وفى الحديث الصحيح : (ان الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع) — وفى الصـحيحين : (العمرة الى العمرة كفارة لـا بينهما ، والحج المبرور ليس له جـزاء الا الجنة) — وفى حديث عائشـة — كما أخرجه أحمد وابن ماجة — أنها قالت : يا رسول الله هل على النسـاء من جهـاد ؟ قال : (عليهن جهاد لا قتـال فيه : الحج والعمرة) ..

(٢) وروى عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب أنه قال : (لقـد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الامصار ، فينظر كل من كان له جدة — أى مـال — ولم يحج ، فيضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمسـلمين ، مـا هـم بمسـلمين !) ..

(٣) وروى عن الامـام على أنه قال : (من قدر على الحج فتركه فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا) ..

(٤) وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تعجلوا الى الحج — أى الفريضة — فان أحـدكم لا يدرى ما يعرض له) ومثله قوله : (حجوا قبل ألا تحجوا) ..

وهنـا نريد أن نقف قليـلا لايضاح بعض النذر النبوية ...

الحج بلا رفث ولا فسوق ولا جدال :

حـرص القرآن الكريم على تهـذيب الفـرد الحاج ، وهو يؤدى نسـكه ، لان الفرد المهذب : أصـل الجماعة المهذبة ، فهى تتألف منـه

ومن أمثاله . ولن تكون جماعة صالحة ما لم يكن فرد صالح ، وصلاح الجماعة : طريق الى تعاونها وتضامنها فى الخير المشترك ، والسلام العام ..

يقول الله عز وجل — من أجل تهذيب الفرد الحاج — : (الحج أشهر معلومات .. فمن فرض فيهن الحج : فلا رفث ، ولا فسوف ، ولا جدال فى الحج — وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الالباب) ..

هذه الآية من القرآن الكريم تؤكد النهى عن الرفث والفسوق والجدال أثناء تأدية مناسك الحج ، وهى فى خلاصة معانيها : الفحش فى القول والفعل والعمل ، وعصيان أوامر الله ووصايا رسوله ، وتعدى حدود الآداب والاخلاق ، وكثرة الكلام جدلا ومراء واختلافا فى الآراء والمذاهب والمعتقدات ..

ونقول : (هذه الآية تؤكد النهى) لان تلك المناهى : وهى الرفث والفسوق والجدال هى مكاره ومذام فى كل مكان وكل زمان . ولكنها أشد كراهية واثما ومذمة فى موسم الحج ، لان الحج عبادة يرجى بها التطهر من الخطايا ، والمغفرة من الذنوب ، واستقبال عهد جديد من العمل الصالح — من جانب فردى ، كما يرجى بها من جانب جماعى التعاون بين المسلمين على الحق والخير ، وكل مكرمة من شأنها توثيق الرابطة الاخوية ، وشد الكيان الاجتماعى بين أبناء الاسلام ..

ان الحج — فى وجوب التأدب له — مثله مثل سائر العبادات الاسلامية الاخرى : كالصلاة والصوم ، لا بد حين تأديتها من تهيئة واستعداد ، وابتعاد عما يفسدها أو يبطلها ، ويذهب بأجرها سدى وبأثرها هباء ، فعلى الحجاج أن يذكروا أنهم فى عبادة روحية واجتماعية خاصة وعامة . خاصة بالنسبة لكل فرد منهم ، وعامة بالنسبة لمجموعهم كأمة اختارها الله تبارك وتعالى لأفضل رسالة وأكرم رسول — صلى الله عليه وسلم — وفرض عليها الحج لتجتمع من أقطار الارض ، ويلتقى بعيدها بالقريب ، وفقيرها بالغنى ، وسعيدها بالشقى ، ومصابها بالمعافى ، ومحتاجها بالموسر .. فيتعاونوا على البر والتقوى ، ورفع ما بينهم من بؤس وشكوى ، وتتحقق بذلك غاية الحج العظمى ، وهدفه الاسمى .. كما رسمهما القرآن الكريم فى قول الله عز وجل : (واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ..) .

ليذكر الحجاج أنهم فى فرصة مباركة ، نادرة التكرار ، وليتزودوا فيها — بالتقوى — وبالتوبة النصوح ، وبالعهد الصادق .. على أن يعودوا خيرا مما جاءوا : أقوياء الانفس ، أصفياء الارواح ، اسخياء الايدى بالخير ، يقولون الحق وبه يعدلون ..

موسم الحج فى نظر أعداء الاسلام :

مكة المكرمة : كانت وما زالت العقبة الكؤود فى سبيل أعداء الاسلام ومكائدهم وأعمالهم التخريبية لانها محضن (الكعبة) المشرفة ، ومهبط الوحى الآلهى ، ومثابة الوافدين ، ومهوى أفئدة المسلمين من كل مكان فى العالم قريبه والبعيد ..

انها المحور والمركز والمبدأ ، والمنتهى ، والملتزم ، والرابطة

لكل مسلم مهما نأت به دياره ، ومهما اختلفت لغته ، وجنسيته عن اخوانه المسلمين فى شرق الدنيا وغربها ..

والمسلمون – وبخاصة العرب ، يقرأون اعترافات الكائدين لدينهم ولقبلتهم ، وهم غافلون عن مقاصدها وأهدافها ، وعلى حركات الحاقدين الصريحة والخفية :

يقول القسيس (وليم جيفورد بالكراف) : (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب .. أمكننا حينئذ أن نرى العربى يندرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه) ..

ويقول الكاتب الروسى (كليموفتش) – فى مجلة فوستكا سنة ١٩٤٥ م – (ان الحج مصدر دخل لتجار العربية واقطاعييها ، وان القرآن انما ألف لارضاء الاقطاعيين والتجار) ..

وتجاوبا مع مقاصد الاستعمار ، المتربص بالمسلمين الدوائر – أوصى (البهاء) مؤسس الديانة البهائية بهدم الكعبة المشرفة .. لانها الجامعة المانعة : الجامعة لشمل المسلمين على اختلاف الديار والالسنة والألوان ، والمانعة من تصدعهم وتمزقهم .. اذ يتجهون اليها أكثر من خمس مرات فى اليوم ، لا يذكرون الها الا الله الواحد ، ولا أمة الا المسلمين فى كل مكان ..ثم يحجون اليها كل عام ، فيلتقى الاباعد والاقارب ، السود والبيض .. لا نسب بينهم الا الاسلام ، ولا تحية لهم الا الاسلام ..

فالحج – كما يقول الاستاذ محمد الغزالى فى كتابه (دفاع عن العقيدة والشريعة) – عمل ينغص على المستعمرين استقرارهم ، ويوهن كيدهن .. فان المسلم فى داكار على شواطىء الاطلسى عندما يلتقى بأخيه فى سنغافورة والملايو على شاطىء الهادى .. يخترق نطاق العزلة التى يريد الاستعمار حبسه وراء أسوارها ، كى يتمكنوا من الاجهاز عليه – ان تقطيع أوصال العالم الاسلامى ، وجعل كل قطر عربى غريبا عن الآخر : غاية أولى للسياسة الصليبية ، والحج عبادة تلقائية لجمع المسلمين من الارجاء القصية فى يوم واحد ، ومكان واحد ، فاذا ظهرت تعاليم دينية – كما هو الشأن فى البهائية – تسقط هذه الفريضة ، وتذود الجموع عنها ، فهذا ربح عظيم للاستعمار ، وخطوة فسيحة لتحقيق أغراضه) ..

واذا جاء الكاتب الشيوعى كليموفتش يزعم : ان موسم الحج فرصة للاقطاعيين والتجار ، وأن القرآن ألفه محمد أو ألفه المسلمون ارضاء للاقطاعيين منهم – فذلك لصرف حجاج بلاده والبلاد الدائرة فى فلك الشيوعية الدولية عن أداء هذه الفريضة الجامعة المانعة ، والاحتفاظ بنفقات الحج لزيادة الانتاج .. اذ لا ضرورة للحج ، بل لا ضرورة للدين كله ، فهو بزعمهم أفيون الشعب .. !

***

وبعد .. فان (الحج) فرصة كبرى للصلاح الفردى ، والاصلاح الجماعى . وعلى قادة المسلمين من أمراء وعلماء : أن يعملوا صادقين للانتفاع من هذه الفرصة المتكررة كل عام مرة لتحقيق عزة العالم الاسلامى ، ووحدته ، وقوته ، وانتصاره على المتآمرين ..

والله الموفق والمستعان ..

نظرات في حجة الوداع

للاستاذ : أحمد العنانى

— ١ —

عقد واحد من الزمان ، مقداره عشر سنين ، عشر فقط انقضت على الدموع التى سفحها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى الغار من خشيته على الرسول أن يصيبه شر الذين وقفوا على الغار ، وانتشروا من حوله جمعا غاضبا يتميز غيظا ، ويتنزى حقدا ، كل يريد أن يفتك بمحمد ، والله الذى معه يرد الى نحورهم كيدهم ، ويحكم على رغم أنوفهم أمره .

عشر سنين فقط مرت على ساعة الخطر الاكبر فى طريق الهجرة الى يثرب حين بكى أبو بكر تحسبا وانفعالا وخشية على الرسول والرسالة ، ومستقبل الاسلام والحق ، ومصير عبادة الله فى الارض .

والآن بعد عشر عددا يبكى أبو بكر فيما هو يسمع قول الله تعـــالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ، يبكى وهو موقن من وداع الرسول .

ولكن شتان بين دموع ودموع ، وبين حال وحال .

مع الدموع قبل عشر سنين كان المسلمون فرادى وجماعات صغيرة تتسلل من مكة خائفة تترقب ..

ومع الدموع الاخرى بعد عشر سنين تتقدم جموع هادرة كالســـــيل العرم من سائر أطراف جزيرة العرب تغطى أرض عرفات ، منصتة ، لو استطاعت بالأنامل تداولت السمع ، تتسقط كل كلمة يفوه بها الرســـــول

الكريم ، ويرددها من بعده بصوت جهورى ربيعة بن أمية بن خلف ، ليتمادى الصوت مغلغلا فى الجماهير الغفيرة الواقفة على عرفات لكى يسمع من حضر ، ثم ليبلغ الحاضر الغائب ..

- ٢ -

سبحانك اللهم ، آمنا بك ربا واحدا له الخلق والامر ، وبيده المحيا والممات ..
من مختبأ فى الغار قبل عشر سنين ، الى أعلى نشز مرتفع على أوسع منبسط من الارض .
ومن حال وحدة لا رفيق فيها سوى أبى بكر الى هذا الجمع الزاخر من سائر العرب ..
أحقا هذا الذى يتشرف بترديد كلمات الرسول مقطعا مقطعا ، ويصغى له سائر العرب هو ابن أمية بن خلف ، أمية الذى طالما شقى به بلال ، ثم أرداه الله بذنوبه يوم هزيمة الكفر الاولى ببدر .. ؟ وحقا هذا الذى يردد كلمات الرسول هو ابن أمية .. يرى المنتقمين من أبيه فيرد تحياتهم بأحسن منها ، يهش لهم ، ويبش فى وجوههم كأنما يخالط حبهم لحمه ودمه ؟
اليوم تجتمع وفود من سائر أطراف شبه جزيرة تكاد تعدل قارة بمساحتها وترامى أطرافها .
اليوم يجتمع العرب لغير ما كان يجتمع له بعضهم فى عكاظ أو ذى المجنه ، من مفاخرة ومنافرة وملاحاة ، وتحريض وفسق ، وخيلاء ..
اليوم يجتمعون بقلوب مجتمعة ، وزى أبيض موحد ويرددون كلهم كلمة حق واحدة ، ويعبدون كلهم ربا واحدا وينصتون كلهم لخطيب واحد ..
اليوم صلح العرب للحياة لأول مرة ..
وتحرروا من الخوف والعداوات والأحقاد دفعة واحدة وتكامل ما ابتدأ بدموع أبى بكر ساعة الروع قبل عشر سنين فأصبح بنيانا شامخا فى مشهد يهز القلوب ، ويطلق الألسنة بالشكر لله جل وعلا .

- ٣ -

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى له هاتف خفى بأنه قد لا يلقى الناس بعد ذلك العام ، وكذلك بأمر الله كان . لقد تمت النعمة ، واكتمل الدين الذى رضيه الله لعباده الذين رضوا عنه .
والرسول الأمين ، وهو يرى الأمر رسخت قواعده ، وتغلغلت فى الارض جذوره ، يريد بحرص الموقن من لقاء ربه لقاء قريبا ، أن يشهد الله والناس على أنه أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ..
والموقف لا يحتمل تكرار التفاصيل فليقتصر على المبادىء الكبرى ، والأسس الأهم .. ولينذر العرب مما يخشاه عليهم ، ثم لينذر الانسانية بعامة مما لا يرضاه لها ربها ، ذلك بأن أمر الهداية بين العرب قد انتهى ، ولا مزلزل لأمر الله فيهم أبدا .. وانما ثمة جيش يوشك أن يوجهه الى الروم ، ورسالة لا بد لها أن تنطلق الى أهل الارض طرا من فرس وأعجام .

فمن ماذا حذر الرسول الكريم والى ماذا دعا فى ذلك الموقف الفذ ؟
ولننظر نحن العرب بخاصة ، ولنعرض واقعنا البئيس على وصـــــايا نبينا ولننظر الى أين انتهى بنا حالنا ..

— ٥ —

كان طبيعيا أن يبدأ الرسول بشكر الله تعالى والثناء على نعمته وهو يرى أمة بكاملها دخلت فى عقد واحد من السنين فى دين الله أفواجا ..
ثم استغفر عليه السلام واستجار بالله تعالى للمسلمين من شرور أنفسهم وسيئات أعمالهم فيا لله ما أدق هذا الترتيب وما أروعه وما أحكمه .
هل كان شىء فى الدنيا ، أو قوة فى الوجود تستطيع أن تصد تيـــار الاسلام عن شمول الارض بنوره ، وجمع سائر البشر تحت لوائه .. لولا سيئات أعمال وشرور أنفس من بواطن المسلمين تولدت منها فتن سوء أدت الى وقف امتدادهم ؟

ثم أوصى عليه الســــــلام بتقوى الله ليمكن لأهمية اليقين فى أنفس المسلمين .. فلقد كان اليقين منذ حراء ، وما كانت الصلاة الا بعد الاسراء ..

وهل بغير اليقين تصلح عبادة أو معاملة ، أو تصح حياة فى ســـــلم أو حرب ؟

— ٦ —

ثم انتقل عليه السلام الى أشد خطر يتهدد الاسلام فى حياة العرب ، وبدفع من بيئتهم وسابق أعرافهم ، ألا وهو القبلية أم العصبية ، ومزاحمة الولاء لروح الاسلام ، ومثيرة أشكال الظلم والثأر والخصام .
من استغلال الانسان للانسان .

وما الربا فى الاعماق من معانيه ، والفــــادح من آلامه ومخـــازيه الا صورة الشرك فى عبادة حطام الدنيا دون خالق الدنيا ، والا صـــــورة القسوة التى تنضب لها ينابيع التجاوب فى الرحمة ، والا أفدح انحراف عن طبيعة المجتمع الربانى القائم على العدل والاحسان والمرحمة ، الى مجتمع التحكم والاذلال وروح الاسترقاق وامتهان انسانية الضعفاء والفقراء .

ثم ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم بحسه القيادى الأمثل وذوقه السامى مثلا لسائر الناس على ائتماره بما يطلب وادكاره نفسه وأهله حين هو بالبر يأمر ، فوضع ربا عمه العباس ، وسامح فى دم ابن عمه عامر بن ربيعة بن الحارث .

وبعد أن أعلن عليه الســـلام اطمئنانه الى تمكن أسس الاســـلام فى الارض بحيث لن تقدر قوة معادية مهما بلغت من العتو والجبروت أن تطمس معالمه ، حذر المسلمين من الاهمال فيما يستصغر من أمور الحياة متصلا

بشهوات النفوس ، ورخيصات المطامع ، ومحاولة التحـــايل على الحقيقة ضاربا على ذلك مثلا ما يكون فى النسىء وهو تأخير حرمة شهر الى شهر .

ثم مضى يضرب بسيف الحق جذور المساوىء الجاهلية ونواتهـــا ، الظلم الذى طالما اتخذ أفدح شكل له فى استضعاف المرأة فكرر تعداد واجباتها وحقوقها بحيث لا يحق بعد ذلك لأحد أن يظلمها أو يتجـــاوز حدود الله فى أمرها .

— ٧ —

ثم انتقل عليه الصلاة والسلام الى الجانب الأممى من رسالته الى الناس كافة .. فأكد وحدة المودة بين سائر المســـلمين فى الارض ، وحذرهم من أعظم مصيبة يتعرضون لها ألا وهى الفتنة الداخلية ، والانقسام الى شيـــــع متحاربة ، ودعاهم الى أن يعرضوا كل خلاف على كتاب الله وسنة رسوله .

وحيث أنهم أمة التوحيد يلتقون جميعا فى العبودية لرب واحد ، وحيث أنهم جميعا بشر ينتمون الى أب واحد فان مشروعية التمايز بينهم لا تنهض على غير الكفاية ، وهى الكفاية فى التقوى وما مظهرها الا العمل الصـــالح ونفع الناس فى الارض وما يتم شىء من ذلك الا بالكفاح المتصل وأكبر الجهد ، ثم أعلن حق الملكية المشروعة وتوريثها بالحق .

— ٨ —

ولم يلبث بعد حجة الوداع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالرفيق الاعلى وكان صدقا ما خشى منه أبو بكر ، فدمعت له عيناه !

ليت شعرى هل يفكر عاقل منصف فى سائر مصـــــائبنا على امتداد ماضينا وحاضرنا فيجدها الا على قدر انفراج المسافة بين نصائح رســـولنا وواقعنا ؟

ليت شعرى .. هل لنا من أمل فى مسيرة تسعدنا غير مسيرة تغطى الفرق بين أعمالنا والمنهج الذى رسمه لنا الرسول الذى أرسله لنا ربنا ، رحم به ضعفنا ، وأصـــلح أمرنا ، وجعل لنا بين الامم مكانا ، بل جعلنـــا برسالته خير أمة أخرجت للناس .

الأعياد في ال

للشيخ حسني عرابي عطوة

فى حياة كل أمة من الأمم فواصل تاريخية ، تنقلها من وضع الى وضع ، وتحولها من طبع الى طبع ، من جد ومتابعة ، الى طراوة واسترخاء ، ومن يقظة وحرارة ، الى هدوء وتوقف ، ومن تعقل واحساس بالمسئولية ، الى لهو وعبث ، وهذه الظواهر فى حياة الامم ، تسمى بالاعياد ، وهى تسمية قديمة فى قواميس كل أمة ، فى الكتب المقدسة لكل دين ، مر بها القرآن سريعا فى التحدث عن ابراهيم عليه السلام مع قومه حينما كسر أصنامهم فى يوم عيدهم ، وحينما ندبوه ليشاركهم فرحتهم بالعيد ، فاعتذر بالمرض ، وهم كانوا يخافون العدوى ، وظل فى مكانه حتى يصل الى ما انتواه وعزم عليه « وان من شيعته لابراهيم . اذ جاء ربه بقلب سليم . اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . أئفكا آلهة دون الله تريدون . فما ظنكم برب العالمين . فنظر نظرة فى النجوم . فقال انى سقيم . فتولوا عنه مدبرين » الخ . من ٨٣ الى ١٠٠ من سورة الصافات .

وقد أشار اليه القرآن الكريم فيما وقع بين الحواريين وعيسى عليه السلام ، وحينما ألحوا عليه أن ينزل عليهم مائدة من السماء ولم يجد بدا من دعائه لربه عز وجل فى أن ينزل عليهم تلك المائدة « قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وأرزقنا وأنت خير الرازقين » الآية ١١٤ من سورة المائدة . وقد كان للفراعنة عيد يظهرون فيه وفاءهم للنيل ، ويسمونه بيوم الزينة ، تعرض له القرآن الكريم حينما قص ما وقع بين موسى وفرعون وسحرته، حينما طلبوا منه موعدا يلتقون معه فيه فقال لهم فيما سجله القرآن الكريم « قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى » الآية ٥٩ من سورة طه .

وكان لقبط مصر فى شهر (توت) وهو من الاشهر القبطية عيد وهو عيد (النيروز) وكان الفرس يحتفلون به أيضا اعتزازا بفترة تاريخية سعدوا فيها بملك عادل عظيم ، وهناك فى دنيا كل أمة أعياد مختلفة لها ايحاءاتها الخاصة ، وذكرياتها البارزة فى حياة الامم والشعوب .

وليس المهم لدينا حصر الأعياد فى حياة الأمم والشعوب ، انما المهم أن نقول بأنه لم يثبت لدى أمة من الأمم تقليدا أو دينا أو اصطلاحا أو عرفا وضع سنن ثابتة وآداب عامة ، يدور الاحتفال بالأعياد فى فلكها ، ويتأدب بأدبها ، ويتخلق بأخلاقها ، وانما تركت من غير قيود ولا ضوابط ، فاختلط الحسن بالقبيح ، وغلب الشر الخير ، وضاع المعنى الكريم المقصود من الأعياد ، وهو الانسلاخ لفترة من حياة العناء والهم والنصب ، والخلود للراحة والاستجمام ، حتى يعود للجسم بناؤه ، وللفكر نشاطه ، وللعقل قوته ، لأن متابعة العمل من غير راحة ولو لفترات متباعدة يورث الجسم الكلل والنفس الملل ، وذلك أخطر شىء على حياة الانسان وسعادته .

لذلك كان للاسلام منهجه الخاص فى استقبال الاعياد والاحتفاء بها وهو فى هذا المنهج لا يخرج عن طابعه الأصيل ووجهته المعروفة ، فهو الدين الذى لمس القلب ومس النفس ، وأشرف على الضمير ، وخاطب

العقل ، واعترف بحاجات النفوس ، ونداء الفطرة ، وحث على العمل ، وجعل الراحة جزءا منه ، وعمودا من أعمدته وكانت له توجيهات هادفة ، ونصائح بناءة ، تعتبر دليل عمل للتوفيق بين حظوظ النفس وأداء الواجب للانسانية كلها « نفث روح القدس فى روعى وقال لى يا محمد أعلم أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها وتستوفى رزقها فلا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى اطلبوا الاشياء بعزة الأنفس فان الامور تجرى بمقادير » حديث شريف .

« روحوا القلب ساعة بعد ساعة فان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد »

« ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين » الآية ٧٧ من سورة القصص .

وللاسلام أعياده الهادفة ، التى تجعل العبد موصولا بربه حتى فى أحوال سروره وفترات تطلعه للاستمتاع بأنعم ربه ، فليس فيها مجال للتمتع الرخيص الذى يقوم على طغيان الشهوة وتمرد النزوة واشباع الغريزة ، والانحراف عن حدود القصد والاعتدال فى المأكل والمشرب والملبس حتى فى الكلمة التى يملأ بها فراغ هذه الأيام المباركة ، فلا بد فيها من التكبير والتهليل ورفع الصوت بالحمد على اتمام النعمة ، والنجاح فى تطهير النفوس ، والانتصار على نوازع الشر ، فى صراع لا تعرف فيه مداخل العدو ولا مخارجه ولا مصادره ولا موارده وأعدى عدو للانسان نفسه التى بين جنبيه « قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » سورة الشمس .

والأكل والشرب والملبس فيها بقانون قوامه القصد والعفاف والاعتدال « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين » ٩٢ سورة المائدة .

« أكثر الناس شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة » حديث شريف رواه البزار .

« من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة وألهب فيه نارا » حديث شريف رواه ابن ماجة .

وعلى رأس هذه الاعياد ، يوم الجمعة فهو عيد أسبوعى شرعه ديننا لجمع آحاد الأمة فى لقاء يتجدد عن قرب حتى تظل الرابطة بين الجماعة المسلمة قوية كما أرادها الله « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم . وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » ٥١ ، ٥٢ من سورة (المؤمنون) لذا أكد الاسلام الحفاوة به والتنويه بسيادته على الأيام وندب الاغتسال فيه مع الاخذ بشىء من الطيب والسواك وجعل له سورة فى القرآن تحمل اسمه وتحض فيه على ذكر الله والسعى بالمبادرة للصلاة وتعمير المساجد « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » وروى الامام مسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة » .

والناس يوم القيامة على قدر تراوحهم للجمعة ، قال علقمة : خرجت مع عبد الله بن مسعود الى الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة من الله ببعيد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان الناس يجلسون يوم القيامة على قدر تراوحهم للجمعات الأول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع وما رابع أربعة من الله ببعيد » رواه ابن ماجه والمنذرى .

هذا عيدنا الاسبوعى ولنا عيدان سنويان ، أولهما يربطنا بذكريات بدء الدين وهو عيد الفطر بعد صيام رمضان الذى ابتدأ نزول القرآن فى النصف الثانى منه ، وثانيهما عيد النحر الذى يذكرنا بتمام الدين حيث نزلت فيه تلك الآية فى يوم عرفة وكان يوم جمعة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » بعض الآية (٣) من سورة المائدة وأى عيد فى حياة أية أمة ينافس هذين العيدين ان أولهما يرمز الى بدء بناء الدين ولذلك سمى بالأصغر والثانى يرمز الى تمام البناء وشموخه ولذلك سمى بالأكبر ، ورد بأن أحد اليهود ويقال بأنه (كعب الاحبار) دخل على أمير المؤمنين عمر وكان كعب لم يزل على يهوديته وقال لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذى نزلت فيه فاتخذوه عيدا يجتمعون فيه فقال عمر : أى آية يا كعب فقال « اليوم أكملت لكم دينكم » فقال عمر « قد علمت اليوم الذى نزلت فيه وكان يوم جمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد » .

ومن خلال هذه المعانى شرع الاسلام الصلاة فيها فى السنة الاولى من الهجرة وهى سنة مؤكدة واظب النبى صلى الله عليه وسلم عليها وأمر الرجال والنساء وأن يخرجوا للحفاوة بها حتى العوائق والحيض يخرجن لشهود الخير ودعوة المسلمين ويعتزل الحيض المصلى وحرصا على تمام الحفاوة بتلك المناسبة شرعت الصلاة فيها فى الصحراء الا فى مكة فتؤدى فى البيت الحرام ، وذلك كله يعطى أقوى الدلالات على اهتمام الاسلام بهذين العيدين وذلك بعض ما يشير اليه قوله سبحانه فى آخر آية الصوم « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » الآية ١٨٥ من سورة البقرة . وهذا ما يخص عيد الفطر ، وأما ما يخص عيد الاضحى فهو قول الله عز وجل « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » من الآية ٢٠٠ — ٢٠٢ من سورة البقرة .

ولقد كان لأهل المدينة قبل الاسلام عيدان النيروز والمهرجان ، وعيد النيروز أول يوم تتحول فيه الشمس الى برج الحمل ، ويكون عادة فى شهر (برمهات) القبطى ، وعيد المهرجان أول يوم تتحول فيه الشمس الى برج الميزان ويكون فى شهر توت وهما يومان معتدلان فى الحرارة والبرودة يستوى فيهما الليل والنهار ، فلما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلم بعيديهم وعاداتهم فيهما قال لهم « ان الله تبارك وتعالى أبدلكم بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم النحر » .

وتمتاز أعياد الاسلام بمصاحبتها

لتشريعات تستهدف البر بالفقراء والعطف على أصحاب الحاجات والمعوزين ، وبوقوعهما عقب أداء ركنين من أركان الاسلام كلاهما تجربة غنية لتأديب النفس ، وصياغتها على مبادىء التعاطف الموصول والبر المبذول ، والتكافل الشامل ، وكمال الاحساس بما للجماعة على الفرد من حق المواساة والتراحم ، واشاعة السرور ، وصلة الارحام ، والانسلاخ من الأثرة والانانية ، ونبذ الخصام والبغضاء فعيد الفطر عقب فريضة الصوم وعيد الاضحى عقب فريضة الحج وكان فى صحبتهما تشريع صدقة الفطر والاضحية لتأكيد هذه المعانى الكريمة وتأصيلها كقاعدة تنطلق منها الروح الاسلامية الحريصة على اسعاد الفرد والجماعة .

ومن هنا يتضح بأن فى أعياد المسلمين معانى يتعذر أن تسمو اليها الاعياد فى أية أمة فهى تستسيغ الضحك والسرور وتلتذ البهجة والمرح وتعانق السعادة على أنها طاعة يعبد بها الله سبحانه ، وتبذل العون والرفد ، والمعروف والبر ، على أنه لون من ألوان سمو النفس وعشق الروح ، حتى يصبح العالم كله أسرة واحدة متحدة العواطف متعاونة على الخير الذى أراده الله لعباده ، ولا بأس فيها من تناول المرح واللعب فى صوره المباحة الهادفة كركوب الخيل والانتضال بالسيف والسباحة والالعاب المستحدثة التى تفيد الجسم قوة ، والفكر توقدا ، والعقل حركة ونشاطا ولا ضرر فيها من سماع الاغانى غير المثيرة ويا حبذا لو كانت من النوع الهادف الموجه كالاغانى الوطنية أو الدينية فلقد ورد عن السيدة عائشة « ان الحبشة كانوا يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم عيد فاطلعت من فوق عاتقه فطأطأ لى مكنبيه فجعلت أنظر من فوق عاتقه حتى شبعت ثم انصرفت » رواه أحمد والشيخان .

وروى البخارى عنها قالت « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمارة الشيطان عند النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال (دعهما) فلما غفل غمزتهما فخرجتا » وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر ان لكل قوم عيدا وان اليوم عيدنا » وقد لعب السودان فى يوم عيد بالدرق والحراب وسمح النبى صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة بأن تنظر وقال يومئذ « لتعلم يهود المدينة أن فى ديننا فسحة انى بعثت بحنيفية سمحة » رواه ابن السراج من طريق أبى الزناد عن عروة عن عائشة . وقد دخلت فى الاسلام أعياد دينية وقومية لها خطرها ودلالاتها وذكرياتها كالهجرة وميلاد النبى صلى الله عليه وسلم والاسراء والمعراج ويوم بدر ، وعيد العمال والفلاحين والاسرة وموقف الاسلام منها الاجازة مع الأعزاز والتقدير لأن بعضها يمثل منارات هادية وتاريخا مجيدا فى حياة الأمة والبعض الآخر يمثل مواقع تحول فى حضارة الأمة ومجدها وانا لننظر فى الغد القريب عيد الانتصار على الاعداء مع عيد الوحدة الكبرى الشاملة ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم

نساء ذوات عزائم وهمم

الاستاذ على الجندى

لم يخل الزمن السابق ، بل لم يخل أى زمن من نساء صالحات قانتات لهن عزائم الرجال الناسكين العباد ممن طرز ذكرهم أعلام التاريخ وعطرت سيرتهم صفحات الاسفار وسنوا للأعقاب السنن الحق فى الوصول الى رحاب القدوس الاعلى — عز وجل وتباركت ذاته وعزت صفاته ، منهن السيدة عائشة بنت الامام جعفر الصادق — رضى الله عنهما — المدفونة بباب قرافة مصر بلغ من ثقتها بربها وحسن ظنها به وادلالها عليه أنها كانت تقول : وعزتك وجلالك لئن أدخلتنى النار لآخذن توحيدى بيدى وأدور به على أهل النار وأقول لهم : وحدته فعذبنى .

ومنهن معاذة العدوية المكنية بأم الصهباء زوجة صلة بن أشيم العابد كانت تحيى الليل كله وكانت اذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه فتصوم واذا جاء الليل قالت : هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام وتصلى حتى تصبح فلا تزال صائمة قائمة ، وكان اذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول : يا نفسى النوم أمامك ثم لا تزال تدور فى الدار الى الصباح تخاف الموت على غفلة ونوم ، وكانت تصلى فى اليوم والليلة ستمائة ركعة ،ولما مات زوجها لم تتوسد فراشا حتى ماتت ، وقد أدركت السيدة عائشة وروت عنها كما روت عن الامام على ، وروى عنها كثير من الشيوخ وكان ابن معين يوثقها توفيت سنة ٨٣ هـ .

رابعة العدوية :

كانت كثيرة البكاء والحزن وكانت اذا سمعت ذكر النار غشى عليها زمانا وكانت ترد ما أعطاه الناس لها وتقول : مالى حاجة بالدنيا وقد عمرت الى الثمانين فأصبحت كأنها شن بال تكاد تسقط اذا مشت ، وكان كفنها لم يزل موضوعا أمامها فى موضع سجودها ، وكان موضع سجودها كالماء المستنقع من كثرة دموعها .

وتعد رابعة أشهر النساء الناسكات ولها كلام نفيس يدور على الالسنة من ذلك : أنها سمعت سفيان الثورى يقول : واحزناه فقالت له : واقلة حزناه لو كنت حزينا ما هناك العيش وكانت تقول : استغفارنا يحتاج الى استغفار . وكانت تقوم الليل كله ثم تقول : ان شكر قيام هذه الليلة أن أصوم غدا ، وقالت عبدة خادمتها : كانت رابعة تصلى الليل كله فاذا قرب طلوع الفجر هجعت فى محرابها هجعة حتى يطلع الفجر ثم تقوم وهى فزعة قائلة : يا نفسى كم تنامين ؟ يوشك أن تنامى نومة فلا تقومين الا لصرخة القيامة . فكان هذا دأبها الى أن ماتت .

ومن كراماتها : أنها باتت ليلة فجاء اللص فأخذ ثيابها ثم أراد الخروج فلم يجد الباب فهتف به هاتف ان كان المحب نائما فالمحبوب يقظان ضع الثياب واخرج من الباب .

ماجدة القرشية :

كانت تقول : ما حركة تسمع ولا قدم يوضع الا ظننت أنى أموت فى أثرها ، ومن قولها : لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضاء الرحمن الا بتعب الابدان ومن كلامها البليغ : يا لها من عقول ما أنقصها سكان دار أوذنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون فى المهلة كأن المراد غيرهم والتأذين ليس لهم ولا عنى بالامر سواهم .

حبيبة العدوية :

كانت اذا صلت العشاء قالت : الهى قد أقفلت الملوك أبوابها وحجبتها حجابها وكل حبيب خلا بحبيبه وهذا مقامى بين يديك . ثم تصلى حتى الفجر !

شعوانة الزاهدة :

قال يحيى بن بسطام : دخلنا على شعوانة نأمرها أن ترفق بنفسها ونلومها فى كثرة بكائها فبكت ثم قالت : والله لوددت أن أبكى حتى ينفد دمعى ثم أبكى دما حتى لا تبقى قطرة دم فى جارحة من جوارحى وأنى لى بالبكاء . فلم تزل تقول وانى لى بالبكاء حتى غشى عليها . ومن مناجاة شعوانة لخالقها ــ جل وعلا : الهى‌ما أشوقنى الى لقائك وأعظم رجائى لجزائك وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين الهى ان كان قد دنا أجلى ولم يقربنى عملى فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عملى فان عفوت فمن أولى بذلك وان عذبت فمن أعدل منك هنالك . الهى قد جرت على نفسى فى النظر لها ، وبقى لها حسن‌نظرك ، فالويل لها ان لم يسعدها حسن نظرك . الهى أنت لم تزل بى برا أيام حياتى فلا تقطع عنى برك بعد وفاتى ولقد رجوت من تولانى فى حياتى باحسانه أن يسعفنى عند مماتى بغفرانه . الهى ان كانت ذنوبى قد أخافتنى فان محبتك لى قد أجارتنى فتول من أمرى ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله . الهى لو أردت اهانتى لم تهدنى ولو أردت فضيحتى لم تسترنى فمتعنى بما له هديتنى وأدم لى ما به سترتنى . الهى ما أظنك تردنى فى حاجة أفنيت فيها عمرى . الهى لولا ذنوبى ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك . الهى انك لتعلم أن العطشان من حبك لا يروى أبدا .

ثم لا تزال تبكى حتى يطلع الفجر . وكان الفضيل بن عياض يزورها ويسألها الدعاء !

عفيرة العابدة :

كانت كثيرة الخوف من الله وكانت ملازمة لذكر الله يقول أحمد بن على : استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب فلما عرفت ذلك قامت وهى تقول : أعوذ بك ممن جاء يشغلنى عن ذكرك . ثم فتحت الباب لنا فدخلنا وسألناها الدعاء فقالت : جعل الله قراكم من نبق الجنة وجعل ذكر الموت منى ومنكم على بال ، وحفظ علينا الايمان الى الممات وهو أرحم الراحمين .

فاطمة النيسابورية :

كان ذو النون المصرى يقول عنها : فاطمة أستاذتى ، وكان أبو زيد يقول : ما رأيت امرأة مثل فاطمة ما أخبرتها عن مقام من المقامات الا وقد رأته عيانا ، ومن قولها : من لم يراقب الله تعالى — فى كل حال فانه ينحدر فى كل ميدان ، ويتكلم بكل لسان ، ومن راقب الله تعالى فى كل حال أخرسه الا عن الصدق وألزمه الحياء منه والاخلاص له .

أم هارون :

كانت من الخائفات العابدات وكانت تأكل الخبز وحده من غير ادام ، وكانت تحب الليل وتقول ما أنشرح الا بدخوله فاذا طلع النهار اغتممت ، وكانت تحييه كله وتقول : اذا جاء السحر دخل قلبى الروح — الراحة .. وسمعت مرة قائلا يقول : خذوها فتمثلت القيامة فسقطت مغشية عليها .

عمرة امرأة حبيب :

كانت تقوم الليل كله ، فاذا جاء السحر قالت لزوجها : قم يا رجل فقد ذهب الليل وجاء النهار وانفض كوكب الملأ الأعلى وسارت قوافل الصالحين وأنت متأخر لا تدركهم ، واشتكت عينيها مرة فقيل لها : ما حال وجع عينيك ؟ فقالت : وجع قلبى أشد .

أمة الجليل :

كانت من العابدات الزاهدات وبلغ من ثقة الصالحين بها : انهم اختلفوا مرة فى تعريف الولاية على أقوال فقالوا : امضوا الى أمة الجليل لنسمع رأيها فقالت لهم : ساعات الولى ساعات شغل عن الدنيا ليس منها ساعة يتفرغ فيها لشىء دون الله عز وجل .
ثم قالت : من حدثكم ان وليا لله تعالى — له شغل بغير الله — تعالى فكذبوه ..

عبيدة بنت أبى كلاب :

كان الناس يقدمونها على رابعة العدوية وكانت تتردد على مالك بن دينار وهو من هو فى العلم والزهادة وتأخذ عنه .

بلغ من ورعها انها كانت تقول : لا أبالى على أى حال أصبحت أو أمسيت . وسمعت شخصا يقول : لا يبلغ المتقى حقيقة التقوى حتى لا يكون شيء أحب اليه من القدوم على الله تعالى فخرجت مغشية عليها ..

منفوسة بنت زيد بن أبى الفوارس :

كانت اذا مات لها ولد ، تضع رأسه فى حجرها وتقول : والله لتقدمك أمامى خير عندى من تأخرك بعدى ولصبرى عليك أولى من جزعى عليك ولئن كان فراقك حسرة فان فى توقع أجرك لخيرة ثم تنشد قول عمرو بن معد يكرب :

وأنا لقوم لا تفيض دموعنا   على هالك منا وان قصم الظهرا

ميمونة السوداء :

حكى أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة عبد الواحد بن زيد عن الفضيل بن عياض أن ابن زيد سأل ربه ثلاث ليال أن يريه رفيقه فى الجنة فاذا بقائل يقول له : هى ميمونة السوداء ، قال :

فقلت : وأين هى ؟

قال : بالكوفة .

قال : فخرجت فى طلبها ، فلما سألت عنها قالوا : هى مجنونة ، وانها بموضع كذا ترعى غنما لها فأتيت اليها فرأيتها قد غرست عكازا وعليها جبة صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشترى ووجدت الغنم ترعى مع الذئاب بلا ضرر ووجدتها قائمة تصلى ، فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت : يا بن زيد ليس هذا موضع الموعد .

قلت : ومن أين عرفتنى ؟

قالت : الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

وفى رواية : قالت : جالت روحى وروحك فى عالم الملكوت فتعارفنا .

فقلت لها : عظينى .

فقالت : واعجبا من واعظ يوعظ !

ثم قالت : يا ابن زيد لو وضعت معيار القسط — العدل — على جوارحك لخبرتك — أى الجوارح — بمكنون ما فيها .

يا بن زيد ، ما من عبد أعطاه الله شيئا من الدنيا فابتغى اليه ثانيا ، الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب البعد وبعد الانس الوحشة ثم أنشدت :

يا واعظا قام لاحتساب	يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت السقيم حقا	هذا من المنكر العجيب
لو كنت أصلحت قبل هذا	غيك أو تبت عن قريب
كان لما قلت يا حبيبى	موضع صدق من القلوب
تنهى عن الغى والتمادى	وأنت فى النهى كالمريب

قال : ثم سألتها ؟ ما بال الذئاب ترعى مع الغنم لا تضرها ؟

قالت : أصلحت ما بينى وبينه ، فأصلح ما بين الذئاب والغنم .

آمنة الرملية :

كانت تسكن مدينة الرملة من أعمال فلسطين وكانت آية فى الورع والتقوى وقد حدث أن مرض بشر الحافى — رحمه الله — فسافرت الى بغداد لتعوده ، فلما دخلت اليه صادف مجيء الامام ابن حنبل اليه عائدا فقال : من هذه ؟ فقال بشر : هذه آمنة الرملية جاءتنا عائدة ..

فقال الامام أحمد : اسألها لنا الدعاء ، فقالت آمنة : اللهم ان بشر الحافى وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين .

قال الامام أحمد : فرأيت فى تلك الليلة فى المنام رقعة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم قد فعلنا ذلك ولدينا مزيد .

امرأة رباح القيسى :

كانت اذا صلت العشاء تطيبت ولبست ثياب الزينة ثم تقول لزوجها الك حاجة فان قال : لا . نزعت ثيابها وصلت حتى الفجر وكانت تقوم الليل كله فاذا قضى الربع الأول تقول قم يا رباح فلا يقوم وهكذا تعاوده الى تمام الليل ، فتجيئه فتقول قم يا رباح ، قد مضى عسكر الليل وانت نائم فليت شعرى من غرنى بك يا رباح ما أنت الا جبار عنيد ، وكانت تأخذ تبنة من الارض وتقول : والله للدنيا أهون على من هذه .

بريرة السعدية :

كانت بريرة كثيرة العبادة مواظبة على القراءة فى المصحف الشريف وظلت تبكى من خشية الله حتى ذهب بصرها .

ويقول ابن عمها العلاء السعدى : دخلنا اليها فقلنا لها : كيف أصبحت يا بريرة ؟

قالت : أصبحنا ضعافا مقيمين فى أرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب .

فقلت لها : لم هذا البكاء ؟ قد ذهبت عيناك منه !

فقالت : ان يكن لعينى خير عند الله فما يضرهما ما ذهب منهما فى الدنيا وان كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا .

فقال القوم : قوموا بنا فهى والله فى شيء غير الذى كنا فيه .

وعن عبد الله بن المبارك قال : بينما أنا أطوف فى الجبال اذا أنا بشخص . فلما دنا منى اذا هو امرأة عليها ثياب من صوف فسلمت ثم قالت : من أين ؟ قلت : غريب .

قالت : وهل تجد مع سيدك وحشة الغريب وهو مؤنس الضعفاء ومحدث الفقراء .

قال : فبكيت لكلامها .

فقال : ما أسرع ما وجدت طعم الدواء !

فقالت : هكذا العليل .

ثم قلت : عظينى يرحمك الله .

فأنشدت :

دنياك غرارة فذرها فانها مركب جموح

دون بلوغ الجهول منهـــا — أمنيـــة نفســه تطــوح
لا تركب الشر فاجتنبـــــه — فانه فاحش قبيــــــــح
والخير فاقدم عليه جهـرا — فانه واســـع فســيح

فقلت : زيدينى ..

فقالت : سبحان الله أوما فى هذا الموقف من الفوائد ما أغنىعن الزائد ؟

فقلت : لا غنى لى عنه ..

فقالت : أجب ربك شوقا الى لقائه ، فان له يوما يتجلى فيه لأوليائه .

وقال عبد الرحمن بن الحسن : كانت لى جارية رومية ــ وكنت أحبهـا ــ فنامت ليلة الى جوارى فانتبهت فلم أجدها . فطلبتها فاذا هى ســـاجدة تقول : اللهم بحبك لى اغفر ذنوبى ..

فقلت لها : كيف تقولين بحبك لى ؟

فقالت : يا مولاى ، بحبه لى أخرجنى من الشرك الى الاسلام وبحبه لى أيقظنى وكثير من خلقه نيام .

وقال بعض الصالحين : كانت لى جارية حبشــية ، فمضت معى الى السوق فى حاجة فأقعدتها فى مكان وقلت لها : اقعدى حتى أجىء .

ثم مضيت ، فقضيت ما أريد ، وعدت الى المكان فلم أجدها .

فأتيت منزلى فلما رأتنى قالت : يا سيدى لا تغضب انك تركتنى فى موضع لم أجد من يذكر الله تعالى فيه فخفت أن يخسف بهم ويخسف بى معهم .

فقلت لها : ان هذه الأمة قد أمنها الله من الخسف .

فقالت يا سيدى ، انما خفت أن يخسف بالقلوب فتزل عن الاستقامة .

فقلت لها : اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى .

فقالت يا سيدى ، حرمتنى من خير كثير كنت أعبد ربى وأخدمك فيكون لى أجران .

وقد ذكر الجاحظ فى كتابيه الحيوان والبيان والتبيين من نساء الخوارج الناسكات : الشجاء ، وحمادة الصوفية ، والبلجاء ، وغزالة الشيبانية وكحيلة وقطام .

ومن نساء الغالية : الميلاء ، وحميدة ، وليلى الناعطية والصدوف ، وهند وقد قتل بعضهن فأظهرن من الصبر والشجاعة فوق ما تتصـــوره العقول ..

هذا غيض من فيض مما حفلت به الكتب من تراجم الكرائم الســلفيات وقد يكون فى بعض ألوان هذه العبادة نوع من المغالاة التى تجــافى روح الملة الحنيفية السمحة البيضاء ولكن لا يصح أن ننسى أن هذه التعبدات تصدر عن رغبة صادقة وعقيدة راسخة وانبعاث حبى لا تعمل فيه كلفة وكل ميسر لما خلق له ومهما يكن فالتعالى فى الطاعة خير من التدلى فى المعصية خير من السرف فى التبرج الشائن أو التكشف المقيت خير من لبس المينى جيب والميكروجيب .

والله الهادى الى سواء السبيل ..

مع الخليل ابراهيم عليه السلام

محمد مؤذن

للأستاذ : عبد الرحيم عبد الخلاق

● لماذا اخترت هذه المعية السنية .. ؟

أولا : ايمانى بأن هذه هى الصفوة الممتازة من البشر التى اصطفاها الله من بين خلقه وصنعها على عينه .. وعلى قمتها ابراهيم عليه السلام .

ثانيا : أن تعهد الوحى لها كذلك .. عصمها من الخطأ الذى ينزل اليه كافة النـــاس فيهبطون تارة ويرتفعون أخرى .. !! فهى منارة الســـــالكين والمهتدين ..

ثالثا : أن الله قد أراد بوجودها بين الناس ، وتسجيل حياتها فى كتبه المقدسة .. نموذجا يختص بالاسوة والاقتداء .. « قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه .. »(١)

رابعا : موجات زحمت الفكر العالمى الحديث عن قصص زعماء وتعاليم قادة .. أحيطت بهالات من القداسة لم تبلغ فى حقيقتها ترابا مشى عليه هؤلاء الأنبياء والمرسلون .. !!

خامسا : آية من كتاب الله الكريم أوجبت على هذه المعية .. « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا » (٢) ..

سادسا : المأساة التى يتعرض لها قبره عليه السلام فى فلسطين ..

حيث تعمل حفريات اليهود هناك بحثا عن هيكل سليمان المزعوم .. !!
سابعا : حلول موسم (الحج) استجابة لندائه عليه السلام من آلاف السنين « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »(٣) . بعد دعائه ربه « فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم »(٤) .
ثامنا : أمل فى أن تكون ذكرى « لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ..

المعية ..

● ومن ثم عايشت الخليل ابراهيم عليه السلام — متخطيا حدود الزمان والمكان — لم أفارقه فى يقظتى ومنامى أياما .. !!
— عشت معه حواريا .. أستشف بمنظار البصيرة نفس النبوة الخالدة لأبى الأنبياء .. لعلى أستطيع أن أترسم الخطى وأسير على الدرب .. !!

— عشت معه فى بناء شخصيته وتكوينه .. حتى أصبح فتى يواجه وحده دنيا الشرك والضلال التى اجتمعت وتآمرت عليه .. حتى استحق وصف ربه له « ان ابراهيم كان أمة ، قانتا لله حنيفا ، ولم يك من المشركين »(٥) .

— عشت معه .. فى محنه القاسية .. أبحث عن عوامل القوة الصامدة أمام عوامل الشرك والتكذيب والمحاجة والعدوان تارة .. !! وأمام نوازع النفس وعواطف الانسان تارة أخرى .. !! وهو يخرج منتصرا كل مرة .. لم يهزم أو ينتكس .. !! مع تعدد المعارك وتباين الميادين والأعداء .. !! لعلنا نجد مددا لنفوسنا أمام التيارات المختلفة فى حياتنا المعاصرة ..
— تجولت معه فى كل ميدان ، ولحظته فى كل حركة وسكنة ، وراقبت طائفة الجند معه : « اذ قالوا لقومهم : انا برءاء منكم ، ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم .. »(٦) .

وأبصرت كتائب الأعداء تجاهه — بعد أن سفهوا رأيه واستصغروا شأنه — يصيحون : « حرقوه ، وانصروا آلهتكم ، ان كنتم فاعلين »(٧) .
● فتعالوا معنا فى ركب المعية السنية لابراهيم عليه السلام .. حتى تصل قافلتنا الى حيث كنا : أمة عظيمة وسط ، تفتح الامصار لتعلى كلمة الله ، وتجلو البصائر بنور التوحيد لتكرم الانسان ، وتبعث الامن والطمأنينة فى نفوس الناس بالعدالة المحكمة بين العالمين .. ولنسجد لله حينئذ شاكرين :

« قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم ، دينا قيما ، ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين »(٨) .
« ذلك من فضل الله علينا ، وعلى الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون ! »(٩) .

عقيدة ابراهيم ..

● ونقلب الصفحة الاولى فى حياة الخليل ابراهيم .. لنرى خطها الأول : ايمانا بالله واحد أحد ، فرد صمد ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .. انفاذا للعهد الذى أخذه الله على البشر جميعا منذ الأزل « واذا أخذ ربك من بنى آدم ، من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ،

ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين ! »(١٠) .

ـ ولعل دلالة هذا العهد والميثاق هى الفطرة السليمة المركوزة فى النفوس التى تهتدى اليها أفئدة الناس متغلبة على ما حواليها مما يخالفها .. حتى ينشد بها شعرا (زيد بن عمرو بن نفيل) فى الجاهلية :

أربا واحـــدا ؟ أم ألف رب ؟! أدين واحد اذا تقســمت الأمور
فلا الـــلات والعـــزى أدين ولا صـــنمى بنى عمـــرو أزور

ويلتقى معه على هذا الاهتداء أربعة نفر سموا جميعا (حنيفيون) .. كيف اهتدى اليها ابراهيم .. ؟

● اذا كانت الفطرة السليمة تهتف فى أعماق كل الموجودات بالوحدانية « كل مولود يولد على الفطرة ، وأبواه يهودانه ، وينصرانه ويمجسانه » .

فانها تجسدت فى نفس ابراهيم عليه السلام فى حالة الرفض لـــكل ما رآه وسمع عنه ، من عبادة غير الله سبحانه وتعـــالى .. مرحلة أولى تدفعه الى التجربة المريرة الشــــاقة فى الانصراف عن كل معبودات الآباء والأجداد ، والاصحاب والأنداد ، والتفكير فيما درجوا ونشـــأوا عليه من قداسة الأصنام والنجوم والكواكب واتخاذها آلهة من دون الله .. واستجاب لنداء فطرته ، ومن منهلها العذب أروى عقيدته .. حتى اذا ما أعمل فكره تجاه الأصنام التى لها يعبدون .. أدرك على التو أنها لا تنفع ولا تضر ، وأنها صنعة الانسان المخلوق مما لا يتفق عقلا ومنطقا فضلا عن الفطرة مع خلق الانسان وايجاد الكون .. فكان حكمه على عابديها فوريا بالضلال « أتتخذ أصناما آلهة ؟! انى أراك وقومك فى ضلال مبين »(١١) .

وحينما تقلب بوجهه فى السماء يبصر جهـــاز المعبودات الاخرى من النجوم والكواكب .. وصل الى اليقين بأن الوجود والعدم ، والظهور والخفاء لا يوصف بها خالق يبرىء النسم ويبدع الكون ، وتحتاج الى رعايتـــه كل المخلوقات « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا . قال : هذا ربى . فلمـــا أفل قال : لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى ، فلما أفل قال : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى . هذا أكبر . فلما أفلت . قال : يا قوم انى برىء مما تشركون » فأنهى ابراهيم مرحلة الرفض بمرحلة الادراك ، وحسم المرحلتين فى نفسه باليقين لمن فهم ووعى : « انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين »(١٢) .

موقف المحـــاجة .. !

● لكن هذا الايمان الذى انتهى اليه ابراهيم من رحلات المعرفة ، وهذا النور الذى سعى بين يديه بعد أن استضاء به فؤاده ، رمدت تجاهه أبصـــار قومه ، ولم تستطع القلوب المغلقة أن تستقبل أشعة النور من فتاهم .. !!

« وحاجة قومه !! قال : أتحاجونى فى الله وقد هدان !! ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيئا ،وسع ربى كل شىء علما . أفلا تتذكرون ؟! وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا !! فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون ؟! »(١٣) .

ـ لقد أدرك ابراهيم عليه السلام أن الشرك وتعدد الآلهة .. يورث القلق النفسى ، ويبعث فى نفوس ذوى البصائر الاستنكار والتساؤل : أى

اله أقوى يستطيع التغلب على الآلهة الاخرى وينكل بعابديها ؟! وأى اله ينعم فى ظله ورعايته عابدوه وسدنته وحاملوا القرابين اليه ؟! وأى معبود يأتى السجود والخضوع له ببركات الصحة والعافية ، والغنى والجــاه ، والغلبة والسيادة ؟!

.. اذن ستظل عوامل الاصطراع والخوف قائمة فى النفوس ما تراءت أمامها آلهة متعددة .. ويسيطر عليها الهلع والفزع ما لم تهتد الى اله واحد له القوة ومنه الرحمة وعنده ميزان العدالة المطلقة « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمـــــانهم بظلم — أى شرك — أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » — « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان ربك حكيم عليم »(١٤) وصدق الله العظيم « ان الذين قالوا ربنا الله ثم اســـتقاموا . تتنزل عليهم الملائكة ألا تخـــــافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنـــة التى كنتم توعدون »(١٥) .

فنفوس المؤمنين بالواحد الأحد مطمئنـــة ، وقلوب الموحـــدين هادئة (مستكنه) ، .. ومن هنا وقف عمر بن الخطاب بعد ابراهيم بآلاف السنين ليرد على (أبو سفيان) يوم (أحد) « الله مولانا ولا مولى لكم » حينما افتخر (أبو سفيان) عليه بأن له ولقومه (العزى) ولا (عزى) للمسلمين .. !

تعدد الآلهة .. !!

● ولقد يعتقد بعض الناس أن الآلهة أصنام من حجارة دون ما سواها ، وأنهم قد نجوا من الشرك ما كفروا بها وأنكروها على عابديها ، وأن عهـــد عبادتها كان مرحلة من البدائية الفكرية عفى عليها الزمن برشد وأتى الانسانية فى مراحل التقدمية من علم ومدنية .. !!

لكنهم جهلوا دوافع الانحراف عن الفطرة ، وأن الزيغ عن العقيدة من أمراض البيئة وسلطان الغفلة ، وأن الشرك يتسرب الى أفكارهم من مجارى التقاليد التى تتعصب للموروثات دون وعى واعمال فكر .. !! والا فما سر وجود عبدة النجوم والابقار ، ومنح بعض الأشخاص قداســـــة الأصنام ، والتمسك بموروث خرافات أسموها ديانات .. !! ذلك فى عصر الانطلاق الى الفضاء والصعود الى الأقمـــار ، ومع مكانتهم فى المجالس الدولية زعمـــاء وحكام ، ومنزلتهم كأصحاب رأى وذوى شأن .. ؟!

— ولقد كانت أدوار التمثيل والاندماج فيها على مسرح السلطة هى التى جعلت من (النمروذ) الها يدعى قدرة الاحياء والاماتة فيقول لابراهيم عليه السلام « أنا أحيى وأميت » !! حينما حكم على انسان من رعيته بالاعدام فنفذه ، وعلى آخر فأوقفه .. !! وهنـــا ألقى ابراهيم اليه بدليل معجز من وحى ايمانه ونظرته « ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب .. فبهت الذى كفر .. » .

— ولقد أصاب خلفاؤه من بعده نفس المرض فنادى (فرعون) موسى فى قومه :

« أليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون » ؟! وتطاول على مالك الملك كله قائلا « أنا ربكم الأعلى » !!

— وأصاب غرور العلم وما حققه ، والفكر المحدود وما أنتجه : من استثمارات طائلة وقوة غالبة .. نفس الوزير (قارون) فقال : انما أوتيته على علم عندى !! » أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ؟! » .

ــ وحينما يستحيل متاع الدنيا من أموال ونساء .. من وســـائل الى غايات تستهدف جذب الانسان اليها والانحصار فى متطلباتها .. تصبح له آلهة معبودة من دون الله خالقها وموجدها ، مفنيها وآخذها ، ويصـــبح الانسان لها عبدا مسخرا للحصول عليها من أى طريق وبأية وسيلة معميا عن حلالها وحرامها ، بعيدا عن الغاية من وجودها وتسخيرها لخدمته .. وذلك قول محـــمد صلى الله عليه وســـلم « تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة .. » .. ومن هنا كان الحكم الالهى فيها قاطعا أنطق الله به نبيه وأوحى به اليه قرآنا « أفرأيت من اتخـــذ الهه هواه ، أفأنت تكون عليـــه وكيلا ؟! » ..

مؤهلات حمل الرسالة

ونقلب الصفحة الثانية فى المعية السنية لابراهيم عليه السلام متتبعين بناء شخصيته المصطفاة لتكون داعية الى الله على بصيرة .. فنرى :

١ ــ أن حمل الدعوة والتبشير بها بين الناس تحتاج الى عقلية متمكنة وفكر متقد .. يقاوم الحجة والبرهان بحجج أقوى وبراهين أنصع :

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » ولذلك وقف من أقرب الناس اليه ، ومن له فضل انجابه وتربيته موقف المحاجة ثم المفاصلة .. « اذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون ؟! قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين » انصياعا لموروث العادات والتقاليد ، والأحســـاب والأنساب ، وعزوفا عن تغيير المراكز والمواقع ، وألفة للأهواء والشهوات .. رانت على قلوبهم .. فحالت بينهم وبين حق أنطق الله به فتاهم وأجراه على لسانه .. لكنه « قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين . قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟ » سخرية منه واستصغارا لشأنه .. لكن الفتى العاقل الراشد المؤمن قال لهم : « بل ربكم رب الســـموات والارض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين » .

٢ ــ وتحتاج الرسالة كذلك الى لسان قوى ينطق بالحق عمـــلاقا لا يطاوله لســـان ولا بيان .. ولذا كان دعاء ابراهيم « رب هب لى حكما ، وألحقنى بالصالحين ، واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » ، فمن الحكمة بلاغة القول تعبيرا عن المضمون .. فكان لسانه قويا ، وحكمته بالغة ، وحجته دامغة « اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟! قالوا : نعبد أصـــناما فنظل لها عاكفين . قال : هل يســـمعونكم اذ تدعون ؟! أو ينفعـــونكم أو يضرون ؟! قالوا : بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال : أفرأيتـــم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فانهم عدو لى الا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، واذا مرضت فهو يشـــفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمـــع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

ولذلك كان طلب موسى عليه السلام من ربه « وأخى هارون هو أفصح منى لســـانا فأرسله معى ردءا يصـــدقنى انى أخاف أن يكذبون » وكانت الاستجابة سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا ، فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون » .

وكان وصف شوقى رحمه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم :

واذا خطبت فللمنـــــــابر هزة   تغزو النـــدى وللقـــلوب بكاء

٣ ــ وتحتاج الرسالة كذلك الى تفكير حركى يأخذ من الواقع والحوادث دروس الاعجاز والاقناع :

« وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين » وفى جمود فـكرى وقلوب مغلقة ، لم يدركوا كيف يكيد لأصنامهم وآلهتهم ، فانصرفوا عنـه غافلين » !! وانسل هو اليها هازئا وساخرا .. وفى أبعاد تفكيره « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » وفى أعمـاقه « ما وسعتنى أرضى ولا سمائى ، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن » فقال لها : « ألا تأكلون ؟! ما لكم لا تنطقون ؟! » « فراغ عليهم ضربا باليمين » وأعمل الفأس فيها تكسيرا وتحطيما .. الا احداها ليكون مشجبا يعلق عليه أداة التحطيم ، وليكون علامة العجز للمعبودين ، ودلالة الافحام للمتناظرين « فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ، لعلهم اليه يرجعون ! قالوا : من فعل هـذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ؟! قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » .. انه لمن الظالمين !! ليت شعرى هل ظلمهم أم ظلم آلهتهم ؟!

هذا الفتى الذى سمعوا وعيده وتجاهلوه ، وطرق آذانهم تهديده لكنهم استصغروه حتى اذا رأوا ما غاب عن ظنهم وفكرهم ، أقبلوا اليه يزفون ! فى موكب تزاحمت فيه جماهير القوم ، وتدافع الناس من كل حدب وصوب .. فكانت فرصة ابراهيم المواتية ليعلن عليه السلام عقيدته ، ويبلغ رسالته .. فأنى له أن يطرق كل باب وقد اجتمعوا الآن حوله ! وأنى له أن يلقاهم واحدا واحدا أو يجمعهم فى مكان واحد !! وها هم أولاء فى مؤتمر جامع ومشهد عظيم ، كلهم آذان صاغية وعيون ناظرة .. ليقف ابراهيم اذن ثابت الجنان ، قوى اللسان ، ساطع الحجة والبرهان « أتعبدون ما تنحتون ؟! والله خلقكم وما تعملون » . فيسألونه فى تغيظ وانفعال ، لاهين عن المنطق الأخاذ والقول السليم « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم » ويجيب الفتى فى تؤدة واطمئنان فى أشد حالات السخرية والهزء بهـذه العقول المعطلة « بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون » لكنهم فى خزى وألم ، ومحاجة بالباطل ، واصرار عليه — شأن الكثيرين من مطموسى البصيرة « نكسوا على رءوسهم ، لقد علمت ما هؤلاء ينطقون » ويظلون فى جمودهم الفكرى ، وعماية الضلال الموروث والهوى المتبع ، وطول الأمد الذى كثف الغشاوة على الابصار .. فيسلط ابراهيم أمامهم أضواء الحقيقة لعلها تجد ثغرات فى جانب من جوانب الأغطية فتنفذ الى أفئدتهم « أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟! » ويوبخهم أخيرا مستثيرا بقايا عقولهم « أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون ؟! » .

توقف العقول !

لماذا توقفت العقول عن الحركة ؟ وقد حاول ابراهيم أن يزحزحها عن الموقف الخاطىء ، مستثيرا فيهم بقايا الفطرة السليمة .. لكن طول المكث على الاوزار ، واستمرار الاوضاع ، والحفاظ على المنـاصب ، والاعتزاز بالأنفس .. أسدل على عقولهم ستارا كثيفا من الدخان الأسود القاتم .. فخدر العقول وأعمى البصائر فتنادوا « ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم !! » « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم أن كنتم فاعلين »(١٦) .

نصر المؤمنين .. !

لكن الله العلى الكبير الذى اختاره واصـطفاه « انه من عبـادنا المؤمنين »(١٧) « انه كان صـديقا نبيا »(١٨) لا بد أن يحقق وعده « ان الله

يدافع عن الذين آمنوا »(١٩) « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »(٢٠) فكانت النجاة « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم ، وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين ، ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين »(٢١) .

٤ — وتحتاج الرسالة كذلك الى قلب سليم من أمراض الشرك وهوى النفوس ، وفؤاد غير عليل بضعف الايمان وخور العزيمة ، وجنان قوى لا يخاف الآلام ومتاعب الطريق ، ولا يركن الى دعة أو راحة ، ولا يفزعه تكاثر الأعداء وتكالب المكذبين .. !! « لا يخشى فى الله لومة لائم » فالله أحق أن يخشاه .. وهو على الهدى لا يوزن به كل المبطلين !! ومن هنا سار ابراهيم عليه السلام فى طريقه لا يبالى : ألقاه أعداؤه فى النار أو عذبوه ولسان حاله يقول :

ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أى جنب كان فى الله مصرعى

« اذ جاء ربه بقلب سليم » مطمئنا الى دينه الذى اصطفاه الله به « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » .

وكان وثوقه بحسن الخاتمة فى نهاية المطاف مدار دعائه ، ومنتهى آماله « ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » ..

٥ — وتحتاج الرسالة كذلك الى قوة فى الايمان تشد انتباه الداعى الى الله وحده ، فلا تهتز عقيدته ولا تتخلخل « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله » .

— ولا تزيده مطارق القوم الا لمعانا وضياء ، ولا تفعل به نيران المكذبين الا ظهورا واستعلاء ، ولدعوته بلاغا وانتشارا .. وهو فى شدته وكربه صابر محتسب ، متجه الى الله الذى « يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الارض » « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » ..

— فلا تحوم فى نفسه عوامل الشك ، ولا تنتابه لحظات من اليأس ، ولا تساوره عوامل القنوط .. !! لأنه موقن بوعد الله بعد أن اطمأن الى علامات الايمان فى نفسه « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ..

— وهو يقف فى كل مواجهة بينه وبين الاعداء بهذا الايمان .. لا يرهبه وعيد ولا تهديد .. يحاور ويداور ، ويتصدى ويواجه .. ويأخذ بكل الاسباب التى يحسبها تحقق الغرض وتأتى بالنتيجة .. موقنا بضآلة الكفر وأتباعه ، وأن سلطان الله أقوى وغلبته أشد .. !! ومن هنا وقف ابراهيم عليه السلام يواجه قومه قائلا :

« قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ، ان الله على كل شىء قدير ، يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه

تقلبون ، وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء ، وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ، والذين كفروا بآيات الله ولقـــائه أولئك يئسوا من رحمتى ، وأولئك لهم عذاب أليم ، فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون » ..

فقد كان عليه السلام بقلبه وجوارحه ، بكل أعصابه ومشاعره ، بروحه وجسده مع الله ربه .. لا تطرف عينه الا لبارئه ولا ينبض قلبه الا حبا فى خالقه .. !! لقد غاب عن المجتمع المتآمر حوله ، وان تراءى لهم شـــبحا يوقدون عليه نيرانهم .. ألقى بين أيديهم وعلى أسماعهم جميعا نذيرا بسوء المآل « وقال : انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ، ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضكم بعضا ، ومأواكم النار ، ومالكم من ناصرين » !!

●● وحينما نتوقف الآن فى المعية لابراهيم عليه السلام عند هذا الحد .. بينما وفود الحجيج تتجه الى (مقام ابراهيم) فى الارض المقدسة .. فلنا أمل فى أن يتعرف كل فرد من المسلمين — الذين أكرمهم الله بالوجود هناك — الى نفسه وذاته فلا يستصغر شأنه ودوره .. ويتأس بالنبى الكريم وهو فرد ! ويقتدى به وهو فتى ! ويغذ السير فى الطريق الذى رسمه له .. معتمدا على الله وحده فهو من وراء القصد والهادى سواء السبيل ..

---

(١) المتحنة ..
(٢) آل عمران ..
(٣) الحــج ..
(٤) ابراهيم ..
(٥) النحــل ..
(٦) المتحنة ..
(٧) الانبيـــاء ..
(٨) الانعـــام ..
(٩) يوســف ..
(١٠) الاعراف ..
(١١) الانعـــام ..
(١٢) الانعـــام ..
(١٣) الانعـــام ..
(١٤) الانعـــام ..
(١٥) المؤمن ..
(١٦) الانبيــاء ..
(١٧) الصافات ..
(١٨) مريم ..
(١٩) الحـــج ..
(٢٠) غافر ..
(٢١) الانبيـــاء ..

مكتبة المجلة

لسان العرب المحيط

اعادة لبناء معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور رتب ترتيبا جديدا على الحرف الاول من الكلمة بعد أن كان على لام الفعل ليتيسر على المطلع الوصول الى غرضه ، وجمعت الحواشى التى كانت فى ذيول الصفحات فى جدول ألحق بآخر كل مجلد ، كما اشتمل أيضا على المصطلحات العلمية والفنية باللغات العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، وهو فى ثلاث مجلدات تحتوى على خمسة آلاف صفحة كبيرة ، ومزين بالصور والرسوم ، به حوالى ستة آلاف صورة ، ومعه أطلس جغرافى لثمانية وأربعين خارطة بالالوان للعالم العربى ، وصدر هذا المعجم عن دار لسان العرب ..

لصاحبها يوسف خياط فى بيروت / لبنان ..

الاسلام وقضايانا المعاصرة

من تأليف الاستاذ أحمد موسى سالم ، ويبحث فى أكثر من قضية أهمها :

العرب والاسلام والعالم الجديد ..

وحدة أجزاء العلم فى الاسلام ، القومية العربية فى جهادنا المعاصر ، الاسلام والاشتراكية العلمية . التربية الدينية قضية الشعب والدولة ..

الجهاد وعقيدة القتال فى الاسلام ..

ويحتوى هذا المؤلف على ٢٩٠ صفحة ومن نشر مكتبة القاهرة الحديثة بجمهورية مصر العربية ..

الحجة فى القراءات السبع
للامام ابن خالويه

كتاب من تحقيق وشرح الدكتور عبد العال سالم مكرم الاستاذ بجامعة الكويت يعرض للقراءات فى ضوء النحو واللغة عرضا جذابا لا يبعد القارىء عنه ولا يجعل الملل يتسرب الى نفسه بأسلوبه الجزل وعباراته المختارة ، ويعطى النتيجة فى صراحة ووضوح من غير اجهاد أو تعب ..

ويحتوى الكتاب على ٤٠٠ صفحة ، ومن طبع ونشر دار الشروق بيروت / لبنان ..

منافع الحج

١ ـــ « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » .

انى لأمر بهذه الآية من كتاب الله فأقف عليها طويلا أقلب النظر فى دقائقها واشاراتها وعباراتها ، فأشعر بجديد من أهمية الحج لا أستطيع له تحديدا ، فاذا قدر لى الوقوف بعرفة ، والمبيت بمنى ، والطواف بالبيت أثناء الموسم أطللت ـــ فى ظلال تلك الشعائر ـــ على الكثير من أبعـــــاد الآية ودلالالتها ..

فالحج حق الله على الناس .. ولكن .. أى النـــــاس هؤلاء ؟ .. وما دلالة التعريف فى الكلمة ؟ .. أهى للعهد فتكون خاصة بأمة الاستجابة ، الذين هدوا سواء السبيل ، فأقبلوا على معانى الاسلام يحققونها فى وجودهم كله ، صلاة وصياما وزكاة وحجا وسلوكا .. أم هى للاســـتغراق ؟ فيكون التكليف بالحج واقعا على أمة الدعوة أى الناس جميعــــــا .. دون تفريق ولا استثناء ؟! .. أما أنا فلا أشك فى كونها أدنى الى الاستغراق ، اذ الأصل

من معجزات هذا الاسلام

للشيخ محمد المجذوب

فى الانسان مطلقا أن يكون مؤمنا خالص العبودية لله ، تحقيقا للغاية التى من أجلها خلق ، وهى عبادة الله بما شرع ، فاذا غلبت عليه الشـــياطين فاجتالته ، لم يسقط عنه التكليف ، بل أدرجت مسئوليته تحت طائلة الـكفر الذى خرج به من جنة الايمان ، ومن ثم يأتى عقابه على الكفر شاملا العقوبة على سائر التكاليف التى ميز بها الانسان السوى ، كالشأن فى القضاء حين يصدر حكم الموت على مجرم اقترف عشرات الجنايات ، فيكتفى له بالعقوبة القصوى التى تنطوى فيها العقوبات الاخرى جميعا .. ومما يؤكد هذا المفهوم أن أول دعوة أطلقها ابراهيم عليه السلام عقب بناء البيت كانت موجهة للناس جميعا دون تخصيص ..

والانسان الذى يعيش شعائر الحج بكل طاقاته العقلية والروحية يتوفر له شىء غير قليل من الادراك لهذا المعنى الدقيق ، اذ يحس من خلال الوهج الذى يحتويه مدى الخسار الهائل الذى أصيب به ذلك المخلوق المحروم كل هذا الخير ، الذى لا تعويض له فى أى عمل أو تجارة أو متعة .. وأى ربح

يمكن له أن يسد الفراغ الذى حفره فى كيانه الفطرى حرمانه نعمة الشعور بمصدره ومصيره ، والروابط العليا التى ترد اليه الشعور بكونه العضو الحى فى الأسرة الانسانية الكبيرة !

ويأتى بعد ذلك شرط الاستطاعة للمكلف ، فكل مؤمن ملزم أداء حق الله هذا بمجرد توفرها له .. وقد تعددت أقوال الفقهاء من السلف فى تحديدها . وفى الأثر الصحيح أنها الزاد والراحلة ، ولكن العلماء لم يجمعوا على أن المقصود بالزاد والراحلة دلالتهما الحرفية ، بحيث لا يجب الحج الا على مالكهما فى الحال ، بل (يجب على القادر على المشى على رجليه اما لعدم طول المسافة واما لقوته عليه ، وكذلك يجب على ذى الصنعة التى يحصل منها قوته فى سفره ، لأنه فى حكم واجد الزاد ..)(١) وهذا كله اذا أمنت السبل ، ولم يحل سبب قاهر دون الوصول الى المشاعر ..

ولا جرم أن فى ذلك توكيدا قطعى الدلالة على أهمية هذا الركن الاسلامى .. اذ سوى فى حكم الوجوب بين القاطن طوكيو ، والذى يجاور الحرم ، متى قدرا عليه ، ثم لم يعف منه أحد حتى الزمن والهرم ما دام لهما مال يؤديانه الى من يحج عنهما ، كما قرره جمهور العلماء من أئمة السلف .

وهنا ننتهى الى خاتمة الآية ، حيث نرى التعبير عن الشرك بالكفر مباشرة ، فبدلا من القول (ومن ترك الاجابة مع الاستطاعة ..) جاء سبحانه بفعل الشرط من الصفة التى يصير اليها التارك وهى الكفر .. وفى ذلك دلالة خطيرة من حقها أن توقظ النائمين ، وتنبه الغافلين ، اذ تريهم حقيقة ما هم عليه مقبلون باهمالهم ذلك الركن العظيم .. ولئن كان ثمة تفاوت فى نوع الكفر اذ هو كفر دون كفر — كما فهم أولو العلم — أن بحبسهم شرا أنهم دخلوا فى بعض صفات الكافرين فشاركوهم فى الاعراض عن هذا الخير العميم .. !

فاذا رجعنا البصر فى صورة الجواب (فان الله غنى عن العالمين) وجدنا مثل ذلك ، اذ كان مقتضى السياق أن يرينا تبارك وتعالى عواقب الكفر من ألوان العذاب ، ولكنه ترك لنا أن نستنتج ذلك من المفهوم ، وعمد الى التعبير الذى يلخص غاية هذه الشعيرة ، وهى أنها لمنفعة الانسان ، فلا فائدة فيها لله سبحانه ، اذ هو الغنى عن عمل العاملين ، واليه يتجه بحاجاتهم جميع العالمين .. وانما هى مصلحتهم وحدهم ، شأنها شأن سائر التكاليف الشرعية ، يريد بها تربيتهم على المثل العليا ، التى تضمن لهم الهداية الى الحياة الكريمة ، التى تليق بالمخلوق الممتاز ، الذى نفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ..

وعلى ضوء هذه المعانى الربانية نقدر تلك الأهمية البالغة التى صورتها الآية لهذا الركن السامق من بناء الاسلام ، حتى جاء صريحا فى الأثر (من لم يحبسه مرض أو مشقة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا)(٢) .

٢ — ولكن .. ما هذه المصلحة التى ركزت عليها الآية والآثار الى هذا الحد .. ؟

وللجواب على هذا التساؤل لا مندوحة لنـــــا من وقفة تدبر عند قوله تعالى (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ..) .

فها هنا رسالة من الله يكلف أبو الأنبياء عليه السلام تبليغها الناس ، وهى أن يهيب بهم : (يا أيها الناس ان ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه ..) فيكون جواب ذلك اقبال المستجيبين عليهمن أكناف الارض مشاة وركبانا .. وتكون غاية هذا الكدح أن يشهدوا منافع لهم ، ويتوفروا على ذكر الله ..

وقد أطلقت الآية الكريمة نوعية المنافع بالزامها التنكير .. فهى غير مقيدة بلون ولا شكل ولا ضرب .. وانما هى منافع تتجـــدد على الدهر مع تجدد حاجة الانسان ..

وقد زاد سبحانه هذه المنافع ايضاحا فى قوله الآخر (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ..) (المائدة — ٩٧) ففى التعبير عنها بكونها (قياما للناس) شمول يستغرق كل ما يتصور وما لا يتصور حدوثه من مرافق البر العام لكل المتصلين بهذا البيت المجيد ، من عاكفين — مقيمين مجاورين — وبادين — آفاقيين . .ذلك أن المدلول اللغوى للفظة القيام هنا هو أنها النظام الذى عليه تقوم حياة الانسان(٣) ولا تستكمل خصائصها الانسانية الا به ، وعلى هذا فهى مزيج من المقومات المــــادية والمعنوية جميعا ، ومن هنا كان شمولها الذى يستغرق كل خير يعود على الانسانية بالنفع العام كما أســــلفنا ، دون تقييد بمفهوم محدود فى زمن محدود .

ولقد جنى الجاهليون من منافع ذلك البيت المعظم الكثير من الخير الذى أنقذهم من شتى الكوارث ، ووضـــع عن أعناقهم الــكثير من الأوزار التى اقتضتها حياتهم القبلية ، فهو لهم الحرم الآمن الذى يوفر السلامة لكل لائذ به ، مهما يكن شأنه وجنايته ، بل ان الخائف المطارد ليكفيه أن يتقلد بشىء من شجر الحرم فيأمن على نفسه الغارة والأذى حتى من أشد الجاهليين عداء له — وتلك هى المشار اليها بلفظة القلائد فى الآية — ثم يلى ذلك تبـــادل المنافع المادية بتقايض السلع ، وتقارب الأفهام واللهجات ، وما يستتبعه من ألفة الامن وتحبيبه الى النفوس ، وبخاصة فى شهر الحج ، الذى يؤلف مع أخواته الثلاثة — رجب وذى القعدة والمحرم — فرصة السلام البيضاء فى ظلمات ذلك النظام القائم على الغارة والثأر ..

حتى اذا أشرقت شمس الاسلام اتسع نطاق تلك المنافع حتى عمت كل من هداه الله اليه من شعوب الارض ، فهو لهم المثابة التى يفيئون اليها لتجديد حياتهم ، وشحن جوارحهم بالأمداد الروحية ، وهو المحشر الذى يتعارفون فى ظلاله ، والمؤتمر الذى يدرسون أحوالهم من خلاله ..

ومن موحياته العليا يستقبلون ذكريات الماضى ، الذى يخطط لهم طريق المستقبل ، حيث يتصورون هجرة هاجر بصغيرها الحليم ، وعمل ابراهيـــم

واسماعيل فى بناء هذا البيت المطهر ، ثم محاولات أبرهة لتدميره ، وارتداده على أعقابه خاسرا مدحورا ، ثم انبعاث الحيـــاة الجديدة برســـــالة خاتم النبيين ، وما لاقاه والمؤمنون السابقون فى سبيلها من بلاء وعناء ، وهم ثابتون فى مهيع الحق لا يستجيبون لاغراء ، ولا يستهويهم اغواء حتى انتصر دين الله ، وعمت أنواره معظم أرجاء الدنيا ..

٣ — وتتصل خطوات القافلة الاسلامية فى طريقها حول هذه البنيـــة المكرمة تقيم شعائر الله ، وتتزود بموحياته السامية ، وتنتفع بعوامل التطور فاذا هناك اليوم — الى جانب تلك المنافع القديمة — ضروب أخرى من المنافع الجديدة ، تتمثل فى سوق اسلامية يعرض فيها نتاج الأمة فى مختلف بقاعها ، على مستوى عالمى لم يتحقق قط قبل هذا العهد(٤) الى مؤتمر سنوى يتألف من أساطين رجالات الاسلام ، تبحث أثناءه مصالح الأمة على المســـــتوى العالمى نفسه ، فتعرض أوضاعه ، وتعالج مشاكله ، فتصدر القرارات الهامة والفتاوى النافعة ، التى تضىء طريق المسلمين فى ظلمات الفتن التى تجتاح العالم الحديث ، فيساعد بذلك كله على تثبيت المفاهيم الاسلامية الصحيحة ، التى تؤلف الاساس الذى عليه تنهض حضارتهم الربانية ، وتتضح فى ضوئه خصائصهم الاسلامية ، فيتماسكون على المنهج الامثل الذى لا يقبل انحيازا الى شرق أو غرب ، ويمين أو يسار ..

وانها لمنافع عجيبة الأثر ، تعجز عن تحقيق بعضها كل قوى البشر ، لأنها من معجزات هذا الاسلام الذى يهدى دائمـــــا وأبدا للتى هى أقوم .. ولا جرم بعد ذلك أن تضيق بهذا الركن العظيم صدور الطواغيت من دعاة المذاهب الهدامة والأديان المزورة ، والحاقدين على الاسلام وأهله ، فيعلنوا بين الحين والآخر ألا سبيل الى انتصار حاسم على الاسلام الا بتدمير البيت الحرام ، وصرف المسلمين فى أنحاء العالم عن الحج اليه ! .. وعلى هـــذا تلتقى جهود القرامطة الأولين مع تدابير الغاشمين من المتحكمين فى مصاير المسلمين من أجانب ووطنيين ، ومع مخططات الهدامين من شياطين المبشرين والشيوعيين والمستعمرين ! ..

فكما يتذكر أولو الوعى من الحجيج — وهم على مزيد ولله الحمد — محاولات القرامطة تعطيل هذه الشعيرة المقدسة فى أوائل القرن الرابـــع ، يوم اقتحموا المسجد الحرام بقيادة النجس أبى طاهر ، فقتلوا المؤمنين وهم بين راكع وساجد وطائف ، حتى ملئوا بأشلائهم بئر زمزم وفناء البيت ، ثم مضوا يفتكون ويسبون ويدمرون ، وعادوا الى هجر بالحجر الأسود ، حيث جعلوه فى بناء زعموا أنه بديل من الكعبة ، ودعوا الناس للطواف به ، ثم لم يعد الى مكانه الحق الا بعد ثمانى عشرة سنة أجل .. كما يتذكرون فجائع الأمس على أيدى القرامطة الحاقدين على الاسلام وأهله ، يتذكرون محاولات نظرائهم من أعداء اليوم ، وهم ينفثون فى صدور ضحاياهم من أبناء المسلمين سموم التشكيك فى حقائق الرسالة الاسلامية باسم العلم وحرية البحث ،

أو يحظرون على رعاياهم من المسلمين الخروج لأداء هذه الفريضة المحيية .. لكي يقطعوا أرحام المسلمين ، ويمزقوا وشائجهم ، حتى اذا انتهى وجود الجيل المحافظ ، أعقبه الجيل الذى لا يعرف شيئا عن دين الله ، كما هو حال المسلمين وراء الأسوار الحديدية فى مناطق الديكتاتوريات الجهنمية ..

وفى ضوء هذه الروافد المجددة أبدا لبناء المجتمع الاسلامى — وهى نماذج محدودة لجوانب غير محدودة — يستشرف القارىء المتدبر لآيات الحج سعة الأفق الذى يشير اليه التعبير القرآنى ، حين يجعل من غايات الحج للناس أن (يشهدوا منافع لهم) وحين يوجه النظر المؤمن الى بعض حكمه تعالى من جعله الكعبة (قياما للناس) ..

على أن هذا كله على روعته لن يستوعب المضمون الكامل لحقيقة الحج اذا انفصل عن تفاعل الضمير ، الذى على احيائه ومدى حساسيته ، يتوقف استكمال النفس المسلمة خصائصها المتميزة ، ومن هنا نطل على المعنى الكبير الذى أعقب المنافع فى الآية الكريمة ، فهناك ذكر الله على ذبائح الشكر ، ثم التحلل من قيود المحظورات ، وايفاء النذور تزيدا من القربات ، ثم الطواف بالبيت العتيق .. وانما تستكمل تلك المنافع جمالها الحق حين تحاط بذلك الجو الروحانى ، الذى توفره هذه المناسك ، فترسخ جذور الربانية فى أعماق الحاج ، حتى تكون كل حركة منه وسكنة تعبيرا حيا عن الشخصية المسلمة .. (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ..) و (ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ..) .

٤ — والعبادات فى الاسلام هى المنطلقات الأساسية لاعداد الفرد الصالح ، ومن ثم لتكوين المجتمع الربانى المتكامل .. فالمواظبة على أداء الصلوات هى الحلبة اليومية الاولى لتدريب المؤمن على نظام الاسلام ، ثم يأتى رمضان مدرسة الثلاثين يوما السنوية — على تعبير الرافعى — وخلال ذلك تتوالى مناسبات الجمع والعيدين وتلاوة القرآن ، وملازمة ذكر الله جهرة وخفية .. ثم تقبل دورة الحج بما فيها من التجرد والانقطاع عن ملاذ الدنيا .. وهكذا تكون نفس المؤمن أبدا فى تدريب مستمر على معانى الاسلام ، يؤهله للنهوض بأمانة الله فى الدعوة اليه ، وتقديم الانموذج الصالح عنها الى الآخرين ، الذين لم تتيسر لهم سبيل الاطلاع عليه ..

وعلى الرغم من أن دورة الحج الملزمة لا تعدو الواحدة فى العمر كله ، فهى لا تقل من حيث عمق الأثر عن مجموع تلك الدورات ، ففيها المساواة الانسانية التى يتلاقى عليها المسلمون فى سائر عباداتهم ، فتحطم الفوارق الطبقية والعنصرية ، التى تنتج عن تفاوت المنازل الاجتماعية بسبب تفاوت العمل والمواهب .. الا أنها فى الحج أتم بما يشمل الحجيج من وحدة الشكل والسعى والمشقة والحرمان والتقشف ..

وفيها الى ذلك ضوابط الجوارح التى تحبسها عن السوء ، اذ هى كالصلاة اعتكاف يحصر النفس فى نطاق الذكر والتأمل حتى تنصرف الى عملها ، وكالصوم قيد للطاقات فى حدود العزائم وحدها حتى يحين موعد الافطار ، ولكن فى الحج فضلا عن ذلك كله الامساك الجاهد عن الرفث والفسوق والجدال ، ثم التفرغ المتصل لذكر الله والاكباب على تلاوة كتابه

وتدبره ، والتشدد فى محاسبة النفس على كل نزوة أو هفوة . وذلك على مدى أيام بلياليها لا يحجب فيها رأسا ، ولا يرتدى ثوبا ، ولا يقص ظفرا ، ولا يحلق شعرا ، ولا يؤذى حيا الا لضرورة وبفدية من الاحسان يرجو بهـــــا غفران الصغائر ، لأنه مصون بالمراقبة الصــــارمة عن اقتراف الكبائر .. وبهذه الميزات العالية خطى الحج بالسهم المعلى من الكرامة . حتى قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم فى مؤديه على الوجه الاكمل : « من حج فلم يرفث ، ولم يفسق .. رجع كيوم ولدته أمه »(٥) وبشرنا بان « الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »(٦) بل أكد لنا على لسان عائشة رضى الله عنها تفوقه على الجهاد بقوله : « لكن أفضل من الجهاد حج مبرور »(٧) .. ولا غرابة فمثل هذا الحج هو الذى يعد الطراز الأعلى من الأبطال الميامين لكل الميادين .

واذا كان للحج كل هذه القداسة فلا عجب أن يحرم الله زمانه فيفرض لوفوده السلام ، ويوجب عليهم التطهر من كل الآثام .

ولا جرم أن يقدس مكانه فيحرم على الناس عضد شجره ، الا لحاجة ، وايذاء حيوانه وطائره ، الا ما ثبت عدوانه . وحتى ليعد مجرد الهم بالظلم فيه ــ بله تنفيذه ــ موجبا لسخطه وعقوبته « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » .

ثم لا غرابة بعد هذا كله أن نسمع النبى أشعياء يحدد معالم هذا الحرم المكرم ، وهو يبشر بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم فيعين صفاته التى بها يمتاز على سائر بقاع الدنيا . اذ يقول فى المستجيبين لدعوة خاتم النبيين : « وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة . لا يعبر فيها نجس بل هى لهم »(٨) وهى الدلالة نفسها التى حققها التعبير القرآنى فى قوله تعالى : « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا .. » .

وأخيرا .. ما أروع نبوءة أشعياء أيضا وهو يصف عودة الحجيج من تلك البقاع الآمنة المقدسة الى صهيون ــ بيت المقدس ــ فيقول : « يسلك المفديون فيها ، ومفديو الرب يرجعون ، ويأتون الى صهيون بترنم وفرح أبدى على رؤوسهم .. ابتهاج وفرح يدركانهم . ويهرب الحزن والتنهد »(٩) .

وأى فرح أروع وأمتع وأسعد من ذلك الذى يداعب قلب الحاج وهو فى طريقه الى أهله بعد أدائه المناسك ، وقضائه التفث ، ووداعه البيت ، وقد اطمأن الى رحمة الله ، فراح يذرف دموع الشوق الى موعود الله ..!

---

(١) انظر أضواء البيان جـ ٥ ص ٩٣ .

(٢) تكاثرت الآثار التى رويت فى هذا المعنى وبالفاظ متقاربة حتى أصبحت من القوة بحيث لا تقل عن درجة الحسن ، انظر نيل الاوطار وأضواء البيان ١١٩/٥ .

(٣) الاصل قوام : قلبت الواو ياء لمجانسة الكسر قبلها .

(٤) من مقررات مؤتمر رابطة العالم الاسلامى لهذا العام اقامة سوق اسلامية ، نرجو أن تتحقق على أوسع مدى فتكون سببا للتخفيف من استيراد سلع الأعداء التى جعلت من ربــــوع الاسلام سوقا استعمارية .

(٥ و ٦) متفق عليهما .

(٧) رواه البخارى ..

(٨ و ٩) انظر كتاب أشعياء من العهد القديم الاصحاح ٣٥ .

القرآن بين الإيمان والتطبيق

لكاتب كبير

ان الله عز وجل لما انزل كتابه على آخر انبيائه صلى الله عليه وسلم انزله معلنا بأنه أكمل دينه ، ولن يبعث بعد ذلك نبيا جديدا ولن ينزل كتابا جديدا من عنده .. وهذا الاعلان نفسه يتضمن حقيقة ناصعة هى أن القرآن هداية ثابتة خالدة لكافة النوع البشرى فى جميع الازمنة والأمكنة . اذ لو ثبت أن هدايته غير كافية أو أصبحت مفتقرة الى الاكمال والتنمية فى عصر من العصور أو فى قطر من الاقطار أو فى وضع من أوضاع المجتمع الانسانى لكان يعنى ذلك عدم صحة ما أعلنه الله ، ومعاذ الله سبحانه وتعالى عن أن يكون فى كلامه شائبة من الخطأ . ولأجل ذلك يجب علينا ، كمسلمين ، أن نقرر فى كل شأن من شؤون حياتنا كنقطة الانطلاق : أن هذا الكتاب هو المصدر الحقيقى للهداية نستمد منه كل ما

نحتاج اليه من التوجيه .

والسؤال عن « نقطة الانطلاق » هذا هو الموضوع الوحيد الذى لـه اهمية بالغة اليوم بالنسبة لجميع اهل العلم والراى من المسلمين فى انحاء العالم . وان كانت مهمتنا الرئيسية تتركز على أن ندعو الدنيا الى هداية الله . الا انه من سوء حظنا أن السيطرة الشاملة للحضارة المادية فى العصر الحاضر اثارت فينا معشر المسلمين أنفسهم تساؤلا : هل حقا نعتبر القرآن مصدرا حقيقيا للهداية فى جميع شؤوننا للحياة ؟ واذا اعتبرناه كذلك ، فهل نعتبره جادين مخلصين ؟ واننا ما دمنا لا نجيب على هذا السؤال فى حد أنفسنا لا نستطيع أن نحقق مهمتنا العالمية التى كلفنا بها كأمة اخرجت للناس .

ان هناك عناصر فى الطبقات التى بيدها ازمة التوجيه والقيادة لا تعتبر القرآن مصدرا للهداية فى الحقيقة ، او تشك فيه على الاقل . فهؤلاء يفتقرون الى دلائل تقنعهم على أن الانسان كائن لا مندوحة له من هداية الله تعالى ، وأن القرآن كتاب منزل منه سبحانه ، وهو كتاب شامل مأمون يحتوى على توجيه خالد أبدى .

وهناك أناس آخرون سولت لهم أنفسهم الفكرة القائلة بفصل الدين عن الدنيا . وكل فرد منهم يجعل هداية الله مقصورة فى اطار تصوره المحدود للدين . ولن تزول شبهات هؤلاء القوم ما دامت لا تواجه ضربة قاضية على فكرة فصل الدين عن الدنيا ،وما دام لا يثبت بدلائل ناصعة قوية كون الانسان فى حاجة الى هداية الله ، فى جميع شؤون حياته ، وكون القرآن كتابا يهدى الى سواء السبيل فى جميع شؤون الحياة من أصغرها الى اكبرها .

وهناك نوع ثالث من الناس يقرون بشمول هداية القرآن وكماله وخلوده الا انه لما ينشأ السؤال حول استمداد الهداية منه ، رأينا بعضهم يلتفت الى مصادر غير القرآن يستورد منها الافكار والمبادىء ، ثم يكرس جهوده فى جعل القرآن يؤيدها ويصادق عليها . ورأينا بعضهم يحاول ان يستخرجمن القرآن التعاليم التى تصل اليها عقليته هو من خلال الفاظ القرآن ، لا بقطع صلة القرآن بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب ، بل بصرف النظر عما حققه علماء هذه الأمة وفقهاؤها ومفسروها من أعمال جسيمة فى شرح معانى القرآن واستنباط الاصول والفروع من تعاليمه . وهذه الاتجاهات فى باب الارتشاف من النبع الالهى لا تجد أى رجل عنده حظ من العقل ان يراها صورة صحيحة سليمة من الاستنارة بنور الهدى الالهى . كما لا يمكن أن ينشأ على اساسها نظام موحد من الفكر والعمل للامة الاسلامية . لأنه من المستبعد ان يقبل ضمير الامة هذا النوع من التفسير فى جانب ، وفى الجانب الآخر لا يمكن أن يجمع هذا النمط من المفسرين على تفسيراتهم . ولن يتولد من ازدهار هذه الاتجاهات الا المزيد من الخلافات فى الامة المسلمة واثارة شبهات وعقد جديدة فى أذهان المسلمين نحو دينهم وكتابهم . وبدل أن يلعبوا

دورهم العظيم فى دعوة الناس الى هداية الله يصبحون هم أنفسهم ضحية الحيرة والتخبط فى حقيقة هداية الله نفسها . وليس من العلاج لما يعانى هؤلاء القوم فى باب القرآن ، أن يوجه اليهم الطعن أو التقريع أو التأنيب ، بل انهم — فى الحقيقة — يحتاجون الى من يرشدهم الى الطريق القويم للاستفادة من هداية القرآن بوسائل وبراهين معقولة ، ويكشف لهم خطأ الطريق الذى يسلكونه فى هذا الشأن .

والذين قد ضنت بهم رحمة الله من أن يقعوا فى هذه الزلات ينشأ السؤال فى شأنهم أيضا ، وهو : الى أى مدى هم جادون فى اعتبار القرآن مصدرا حقيقيا للهداية ؟ ولا يقتصر معنى (الجدية) فى هذا الصدد أن نكون مخلصين فى ايماننا بالقرآن ككتاب الهداية فقط ، أو أن نكتفى باعلان هذا الايمان والبوح به ، بل الذى يقتضيه كوننا جادين كل الجدية فى هذا الباب أن نرجع الى هذا المصدر فى كل ما يتعلق بحياتنا الفردية والجماعية فى واقع الأمر ، وان نفرغ فعلا اخلاقنا وسلوكنا فى الحياة ، وقوانيننا وحضارتنا ، ونظمنا للتعليم والتربية ونظمنا للاقتصاد والسياسية فى قوالب الهداية التى يأخذ بنا القرآن اليها . والذى أشعر به وأشاهده : أن ينعدم هذا المستوى من الجدية فى طبقات تتولى أمر هذه الأمة مع كونهم على اعتقاد صحيح بالقرآن . أو لا تصل هذه الجدية المستوى المطلوب أن لم تنعدم فيهم كليا . وعلينا أن نستنفد جهدنا ، قبل كل شىء فى خلق الجدية هذه فيهم . لأنه ما دامت لا تولد هى لا تعدو جميع بحوثنا العملية ، فى تطبيق تعاليم القرآن فى مسائل الحياة ، حبرا على الورق حيث لا تجدى بشىء فى دنيا الواقع . وأن الدنيا لن تقتنع أبدا بحقية الاسلام من خلال البحوث التجريدية الفارغة بل لا بد من اقناعها بذلك من أن يتمثل الاسلام فى حياتنا القومية الواقعية . وبدون ذلك مهما بذلنا جهودنا فى تبليغ الاسلام لا تجد الدنيا أمام أعينها الا علامة الاستفهام التى تنم عن تساؤل : هل ان هذه الامة التى لا يتجاوز دينها حدود المساجد ، والتى تتبع مبادىء الاجانب وافكارهم ، وتنتهج نهجهم فى الحضارة والتشريع والتصورات للحياة — هل أن هذه الامة تؤمن بحقية الاسلام فى واقع الامر ؟

هذه بضعة أمور أريد أن الفت اليها الانظار آملا أن تنال من عناية المفكرين المسلمين ما تستحق من الاهتمام .

الإنسان بين المادة والروح

ندوة ثقافية اشترك فيها :
سعادة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية والشيخ محمد الغزالي

إعداد الأستاذ : عبدالله خلف

اقامت اللجنة الثقافية بجمعية الهلال الاحمر الكويتي أمسية ثقافية في برنامجها الثقافي لهذا العام واشترك فيها سعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الأستاذ راشد الفرحان ، وفضيلة الشيخ محمد الغزالي مدير ادارة الدعوة في وزارة الاوقاف بجمهورية مصر العربية ..

وعنوان هذه الندوة : « الانسان بين المادة والروح » .

وبدأ الندوة فضيلة الشيخ الغزالى . وقد وضحت فى العدد الماضى ما ورد فى حديثه حول الموضوع ورأينا كيف تناوله بعرض تاريخى فبين موقف الانسان من الروح وكيف كان يعتقد أن هناك صراعا بين الجسم والروح ، وأن كمال أحدهما لا يتم الا على حساب الآخر ، وكان طلاب التسامى الروحى يلجؤون الى رياضات بدنية شاقة يكبتون فيها غرائزهم ، ويعودون فيها أبدانهم كثيرا من المشقات والصعاب ، ويعتقدون أنهم يدركون بذلك الصفاء الروحى .

وكانت هذه الفكرة عند قدماء الهنود والشعوب القديمة وتسربت الى رجال الديانات السابقة للاسلام وبعض المتطرفين من رجال الصوفية فى الاسلام .

أما الاسلام فانه نظر الى البدن الانسانى نظرة فيها شىء من الاعجاب والتقدير ، وعرض كثيرا من النصوص الشرعية من القرآن والسنة ، وأن الاسلام أمر بالاهتمام بالبدن ونظافته وطهارته الى حد كبير ، كما بين الطريقة التى يجب أن يعيش عليها الانسان المسلم كما أرادها الدين الاسلامى له ، وليس كما اعتقد بعض أدعياء التدين والمتطرفين من الصوفية بأن الانسان المسلم عليه أن يعيش متجردا من المادة وعلى هامش الحياة ملتزما بالحياة الفقيرة الخالية من المال والغنى ، فان الاسلام زين له المال وعده خيرا ان جاء عن طريق الحلال ، وجعله حرا طليقا على هذه الارض لينعم ويكسب منها بحدود أخلاقية تكفل السعادة له ولغيره .

كما نظر الى الجنس نظرة بعيدة عن التزمت والرهبنة ، لقد خلق فيه الله تعالى غريزة الجنس لتكون له خيرا وبين له حدود التمتع فى هذه الغريزة . ولم يشر الى كبتها أو أماتتها كما اعتقد بعض رجال الديانات الاخرى ، وما الانفجار الجنسى الذى نشأ فى أوربا وأمريكا فى السنوات الاخيرة الا من ذلك الكبت وتلك الحدود التى لم يطقها الانسان فى تلك الحياة ، فانفجرت ليعم بانفجارها الضياع الخلقى وليتهدم النظام الاجتماعى والروابط الانسانية .

ثم تحدث بعد ذلك الاستاذ راشد الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية فعرض الموضوع على صورة جواب لسؤالين طرحهما فى مطلع الحديث فقال : أختصر الحديث فى الاجابة على السؤالين التاليين :
١ — ما هى المادة ؟ وما هى الروح ؟

فالمادة التى نعنيها فى حديثنا : هى الافعال التى يقوم بها الانسان كالبيع والشراء والسير والأكل والشرب وما الى ذلك من الأفعال الاخرى .

أما الروح : فلها معان متعددة . فمنها اسم جبريل عليه السلام ، جبريل يسمى الروح « نزل به الروح الأمين » والروح تطلق على سر الحياة فى الانسان ، والروح التى نعنيها فى حديثنا هى صلة العبد بخالقه وبربه وهذه تسمى بالناحية الروحية .

وعندما نتكلم عن الناحيتين الروحية والمادية نحاول أن نربط بين «المادة» أى الأفعال التى يقوم بها الانسان من الأفعال المادية الى الناحية (الروحية) التى هى صلة الانسان بربه وخالقه .

وصلة الانسان بربه وخالقه لها مجالات عديدة ومعظمها فى العبادات : كالصيام وفيه صلة لا يعرف كنهها الانسان لأنه سر بين العبد وخالقه « الصيام لى وأنا اجزى به » وعندما نأتى الى الصلاة نجد أن فيها أسرارا بين العبد وخالقه فيقول الله سبحانه وتعالى : « وأقم الصلاة لذكرى » .

ويرى بعض المفسرين فى قوله تعالى : « الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » اشارة الى الصلوات الخمس ، فكأن العبد عندما يأتى الى الصلاة كأنه يطير الى الله سبحانه وتعالى بهذه الأجنحة . وهذه الصلة الروحية التى تعددت فى الصيام، والصلاة ، والحج لا يعلم سر كنهها حتى الانسان نفسه .

هذه الناحية الروحية حددها الله سبحانه ، وفصل أحكامها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن بعض الناس تجاوزوا هذه الحدود ، وتجاوزوا هذه الاحكام وأوغلوا فى الروحية خرجوا بها عن حد الاعتدال ، ونشأ عن ذلك الآراء المتطرفة ، والفرق المختلفة .

وهناك اناس آخرون خرجوا عن الناحية المادية التي ارادها الله سبحانه لهم الى الحيوانية ، والمادية البحتة ، والله خلق الانسان خلقا عجيبا متميزا وأوجد فيه غرائز معينة واشواقا عليا تلبى حاجة روحه ووجدانه، فجعل فيه ميلا للمادة وميلا للروح ، جعل فيه غريزة التدين ، وجعل فيه غريزة الجنس وجعل فيه الغرائز الاخرى ، هذه الغرائز اذا تركت على حالها سارت على غير هدى واختل توازن الانسان فى الحياة ، واذا سارت سيرا حسنا اتزنت حياة الانسان .

٢ ــ والسؤال الثانى الذى عرضه السيد الوزير واجاب عليه هو :

هل يكتفى الانسان بالناحية المادية عن الناحية الروحية ؟

هل يستغنى الانسان بالناحية المادية عن صلته بربه ؟

الجواب : لا .

واود أن اضرب لكم امثلة شهدتها وسمعتها من بعض الأصدقاء أن الكثير من الشيوعيين الملحدين من المسلمين أصلا كان أحدهم اذا قاربته الوفاة يوصى بأن يصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين .. عجبا !! ملحد لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فى النهاية يوصى أن يصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ؟..

ما هذا السر الذى دخل فى قلوب هؤلاء وجعلهم يوصون هذه الوصية !! طبعا هى الناحية الروحية التى لا يستغنى عنها الانسان .

وحدث مرة اخرى أن زرت أحد البساتين الكبيرة فى طشقند وكان يراسها احد كبار الشخصيات ممن نال الداليات والاوسمة للاعمال التى قدمها لدولته ، فسرنا على مكان يجرى من تحتنا فيه الماء ، وفى مكان جميل وبديع وجدت هذا الشخص يهمهم ببعض الكلمات فهمت منها انه يذكر اسم الجنة فظننت انه يستهزىء بالجنة التى وعد الله بها المؤمنين فطلبت الى المترجم أن يسأله هل هو مسلم ؟ فصمت قليلا ثم اقترب منى ورفع يده الى السماء وقال الحمد لله انى مسلم ، فتأثرت كثيرا وزادنى ايمانا وثقة وتأكيدا بأن الناحية الروحية موجودة فى أعماقه ، وهذه الناحية تكمن فى كل انسان وليس فى المسلم فقط ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « كل مولود يولد على الفطرة » أى يولد على التدين ، فطرة الله التى فطر الناس عليها .

كما وجدت بعض الانجليز يعقدون حلقات يذكرون فيها الله ، ورسوله ، محمدا ويذكرون فيها الاسلام ، ولا بد للانسان أن يرجع الى حقيقة أمره لعبادة الله مهما تراكم عليه من الشوائب والحجب .

والله سبحانه خلق الانسان ليعيش بين المادة والروح ، وأن أوغل فى

أحدهما بعد عن انسانيته السوية ، والوضع الصحيح هو مزج المادة بالروح ، ووضع الموازين فى أماكنها ، ويحضرنى فى هذه المناسبة أن الرسول عليه الصلاة والسلام وجد رجلا يعبد الله فى المسجد ليل نهار فقال له : « من يكد عليك قال : أخى .. قال : أخوك أعبد منك » وهنا يقر الرسول حقيقة بأنه لا بد من مزج المادة بالروح .

ويجب على المسلم أن تكون أفعاله وأن تكون حركاته وسكناته مسيرة بأمر الله عز وجل بأوامره ونواهيه ويجب أن يقيس كل شىء بمقياس الحلال والحرام عندما يريد أن يفعل شيئا من الاشياء ، أو أن يقدم على عمل من الاعمال ، وفى الحالة التى يستطيع السيطرة على نفسه لا بد وأن يكون النصر حليفه فى كل أمر وفى كل شىء .

ومن هنا كان المسلمون الاولون ينتصرون فى قتالهم ، وتقوى عزيمتهم لأنهم كانوا يعملون للدنيا والآخرة ، يطلب المؤمن فيهم أحد أمرين : اما النصر أو الشهادة ، ويقدم على الموت مستبشرا فرحا كما يقدم على الحياة فى نصره وتغلبه ، والنصر ناحية مادية ، والشهادة ناحية روحية وهكذا يسير المؤمنون فى جميع أفعالهم وجميع أعمالهم وأقوالهم .

وبهذه المناسبة أود أن أقول ان علينا واجبا يدعونا الى القيام بالدعوة وبتحريك الناحية الروحية التى يستطيع الانسان بها أن يعود الى ربه ، وعلينا أن ندله ونرشده الى الطريق المستقيم ، طريق الايمان ، طريق الخير ، وطريق الانسانية الخيرة ، وطريق الاسلام ، وطريق الامن والسلام ، ووجب علينا نحن العرب الذين شرفنا الله بحمل هذه الرسالة أن نواصل حملها ونهدى من بعد عن الاسلام الى هذا الدين السمح العظيم قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » .

وبعد ذلك طرحتّ عدة أسئلة تولى الرد عليها الاستاذ راشد الفرحان والشيخ محمد الغزالى .

مائدة القارئ

الـــكتب النبــوية

فى شهر ذى الحجة سنة ست من الهجرة (ابريل ٦٢٨ م) بعث النبى صلى الله عليه وسلم كتبه وسفراءه الى ثمانية من الملوك والأمراء يدعوهم فيها الى الاسلام وهم قيصر قسطنطينية ، وكيروس حاكم مصر الرومانى ، والحارث بن أبى شـــمر الغسانى عامل قيصر على الشام ، وكسرى (خسرو) ملك فارس ونجاشى الحبشــــة ، وثلاثة آخرين من أمراء الجزيرة هم صاحب اليمامة وصاحب البحرين وصـــاحب عمـــان .

ســــتغلبون

جمع النبى صلى الله عليه وسلم اليهود فى سوق بنى قينقاع بعد رجوعه من غـــزوة بدر ، وقال لهم :

يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا ، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال ، انك والله لو قاتلتنا لعرفت انا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا ، فانزل الله عز وجل : (قل للذين كفروا ســـتغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) .

لا تحـــارب بمشـــغول

عن عبيد بن عمير قال :

غـــزا نبى من الأنبياء أو غير نبى ، فقال : لا يغزون معى ثلاثة :

١ — رجل بنى بناء لم يكمله .
٢ — رجل تزوج امرأة لم يدخل عليها .
٣ — رجل زرع زرعا لم يحصده .

فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين . ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ..

(قرآن كريم)

لا تحتقر عدوك

لما التقى جند الحجاج مع جند ابن الأشعث فى المربد ـ خطب ابن الأشعث فى جنده ، فقال :

أيها الناس : انه لم يبق من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة (البرص) تضرب به يمينا وشمالا ، فما تلبث الا أن تموت ، فسمعه رجل من قشير ، فقال :

قبح الله هذا ورأيه . يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ، ويعدهم الأضاليل ، ويمنيهم الأمانى .

ابن حنبل يحج

حج الامام الورع الزاهد أحمد بن حنبل رضى الله عنه حجتين راكبا فكم تقدر له من نفقة فى كل حجة ؟ كم تقدر لرجل يحج من بغداد عاصمة العراق الى الحجاز ، ثم يعود الى وطنه فيما يتراوح بين أربعة أشهر وستة أشهر ؟ .

لقد حدث ابنه عبد الله انه انفق فى احدى هاتين الحجتين عشرين درهما لا غير .

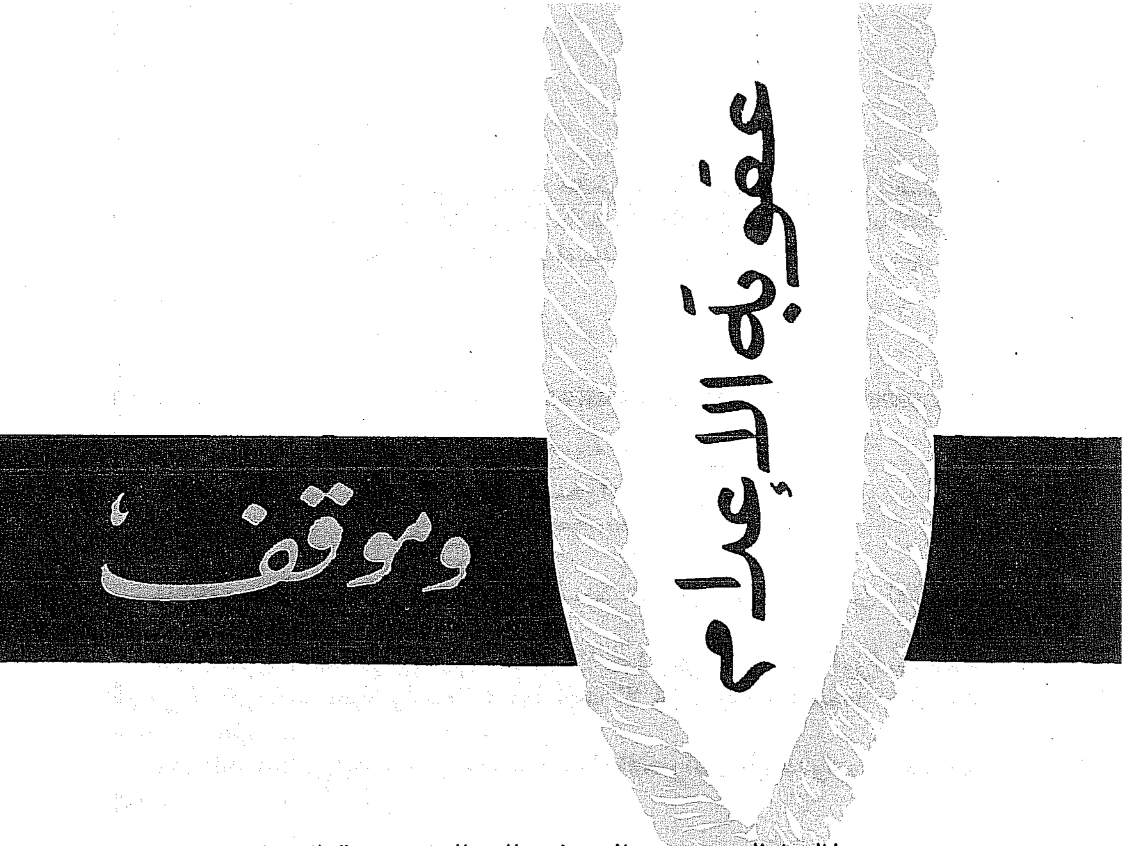
نظرة عاقلة

يروى أن ملكا كان له أخ من العباد الصالحين ، فقال له : ادع لى ، فقال : (كل وتبرز) .

فقال : ان هذه مسألة عادية تجرى تلقائيا لكل الناس .. فقال : اذن كل ، ولا تتبرز .

وكان الأمر كما قال ، واستجار الملك بكل الأطباء ، فلما استحال الدواء طلبوا هذا المتعبد ، وقالوا له : ان الملك يدعوك لتدعو له ، فلما رأى منه ما رأى قال : وماذا تعطينى ؟ قال : كل ما تطلب ، ولو طلبت ملكى لأعطيته لك ، قال : وماذا أصنع بملك هذا ثمنه ؟ .

عقوبة الإعدام ومَوقف



تطالعنا اليوم بعض الدعوات الى الغاء عقوبة الاعدام من قانـــون العقوبات المصرى وقوانين الدول العربية اقتداء ببعض القوانين الغربيـــة بدعوى ان هذه العقوبة اصبحت لاتتناسب مع التقدم الحضارى ، وانـــه من الناحية الانسانية يجب عدم مقابلة جريمة القتل بعقوبة قتل أخرى ، ونسى هؤلاء أن توقيع العقاب على الجانى يمنع غيره من ارتكاب جريمته . . فالعقوبة فى الشريعة الاسلامية لا يقصد بها العقاب فى حد ذاته بقدر مـــا يقصد بها الزجر والتخويف . . فشدة العقوبة تجعل الجانى يفكر مـــرات ومرات قبل ارتكاب الجريمة خوفا من العقوبة الرادعة التى تنتظره .

وعقوبة الاعدام لها قوة ردع لا ترقى اليها أية عقوبة أخرى سواء أكان ذلك فى مجتمع فقير أو مجتمع غنى لان شدة العقوبة (ازهاق الروح) تردع الجانى مهما كان مركزه الاجتماعى ولا يمكن اعتبار السجن كافيا كعقوبة رادعة لجريمة القتل فى المجتمعات الغنية كما يدعى البعض .

عقوبة الاعدام فى الامم السابقة :

كانت عقوبة الاعدام (قتل الجانى) مقررة فى الامم السابقة ، ولكنها لم تكن منظمة فكان المجنى عليه ينتقم بنفسه من الجانى أو من أى فرد من اسرته واحيانا ينتقم من عدد كبير من اسرة القاتل وقد تندلع الحـــروب وتستمر شهورا من أجل قتل فرد ، فلم يكن لهذه العقوبة ضابط أو رابط حتى جاءت الاديان السماوية فنظمتها على الوجه التالى : ــ

للأستاذ : توفيق علي وهبة

الإسلام منها .

اولا ـ اليهودية :

جاء فى سفر الخروج « اصحاح ٢١ عدد ١٢ »

(من ضرب انسانا فمات يقتل قتلا ، ولكن الذى لم يتعمد بل اوقع الله فى يده فانا اجعل له مكانا يهرب اليه . واذا بغى انسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحى نأخذه للموت ، ومن ضرب اباه أو أمه يقتل قتلا . ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا واذا تخاصم رجلان فضرب أحدهما الآخر بحجر وبلكمه ولم يقتل بل سقط فى الفراش فان قام وتمشى خارجا على عكازة يكون الضارب بريئا الا انه يعوض عطلته وينفق على شفائه . وان حصلت اذية نعطى نفسا بنفس وعينا بعين وسنا بسن ويدا بيد ورجلا برجل وكيا بكي وجرحا بجرح ورضا برض ، والقاتل خطأ يخرج الى احدى المدن التى اعدت للالتجاء ولاعقاب عليه ولا يجوز لولى الدم قتله) .

وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مشروعية القصاص فى الشريعة اليهودية يقول الله سبحانه وتعالى « من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا » ويقول جل شأنه « وكتبنا عليهم فيها (أى فى التوراة) ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما آنزل الله فاولئك هم الظالمون » .

ويقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان فى بنى اسرائيل

قصاص ، ولم يكن فيهم دية . فقـــال الله تعالى لهذه الامة : (كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شيئا فاتباع بالمعروف وأداء اليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) فما كتب على من كان قبلكم إنما هو القصاص وليس الدية .

ثانيا ــ المسيحيــــة :

جاء السيد المسيح عليه السلام بدعوة الحق والخير والسلام وكانت دعوته الى التسامح واضحة فى كل تعاليمه .. ولم تنقض المسيحية الدعوة اليهودية وانما كانت متممة لها يقول المسيح عليه السلام :« ما جئت لانقض بل لاتمم » .. ومن هنا كانت دعوته إتماما واستكمالا لدعوة موسى عليه السلام وعلى هذا فحكم القصاص الذى جاءت به اليهودية بقى ساريا فى المسيحية .. ولــكن السيد المسيح بما هو معــروف عنه من حب للعفو والتسامح دعا ولى الدم الى العفو عن الجانى وعدم الاقتصاص منه وترك أمره الى الله ، وأود أن انبه الى أن ذلك ليس دعوة الى ترك القصاص وعدم الاخذ به فكما سبق القول لم ينقض المسيح تعاليم موسى وانما هو يدعو الى العفو ويفضله عن الاقتصاص وإن رفض ولى الدم العفو فمن حقه أن يقتص من القاتل .. يقول المسيح عليه السلام « سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن وأما انا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من ضربك على خدك الايمن فأدر له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ رداءك فاترك لــه الرداء أيضا .. ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين » وهذا منتهى التسامح .

وقول السيد المسيح هذا يقابل ما جاء بالقرآن الكريم من قوله سبحانه وتعالى فى آية القصاص « فمن عفى له من أخيه شيئا فاتباع بالمعروف وأداء اليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

فالعفو فى الاديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام جوازى لولى الدم وان لم يعف ــ فلسلطة الدولة أن تقتص من الجانى .

عقوبة الاعدام فى الشريعة الاسلامية :

وعقوبة الاعدام (قتل الجانى) مقررة فى الشريعة الاسلامية لبعض الجرائم منها الردة ــ والحرابة (قطع الطريق) والقتل العمد . وتوقــع العقوبة على القاتل قصاصا .

والقصاص فى الشريعة الاسلامية معناه المساواة بين الجريمـــــة والعقوبة وعقوبة القصاص مقررة بالكتاب والسنة .

أما مشروعيتها بالكتاب ففى قول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيئا فاتباع بالمعروف وأداء اليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم . ولكم فــى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون » .

وفى أحاديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم توضيح لهذه العقوبة حيث يقول عليه السلام « من أصيب بقتل أو خبل فانه يختــار إحدى ثلاث : إما أن يقتص وإما أن يعف وإما أن يأخذ الدية فإن أراد الرابعة

فخذوا على يديه ومن أعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « العمد قود » ويقول « من قتل رجلا مؤمنا عمدا فهو قود به ومن حال دونه فعليه لعنة الله وغضبه ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا » .

وتقرر السنة النبوية قتل الجواسيس والخارجين عن الجماعة الذين يريدون تفريق المسلمين يقول صلى الله عليه وسلم : « من اتاكم وأمركم جميعا على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه» ويقول عليه الصلاة والسلام « ستكون بعدى هنات وهنات وهنات فمن اراد ان يفرق أمر المسلمين وهم جميعا فاضربوه بالسيف كائنا من كان » .

واذا كان القصاص هو المساواة بين الجريمة والعقوبة فمن الواجب ان يقتل الجانى بنفس الطريقة التى قتل بها المجنى عليه فقد روى انس بن مالك رضى الله عنه ان جارية وجد راسها قد رض بين حجرين فسألوها من صنع هذا بك ؟ فلان — فلان — فلان — حتى ذكر يهوديا فأومأت برأسها فأخذ اليهودى فأقر فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرض رأسه بالحجارة » .

وتقرر معظم قوانين العقوبات فى العالم عقوبة الاعدام لكثير من الجرائم ، كالقتل العمد المقترن بظرف مشدد ، والرشوة ، والتجسس والخيانة العظمى ، والاهمال ، والإضرار بالمصلحة العامة .. وغير ذلك .

وسنكتفى ببيان موقف قانون العقوبات المصرى من عقوبة الاعدام المقررة لجريمة القتل العمد التى تقابل القصاص فى الشريعة الاسلامية .

يعاقب القانون الجانى بالاعدام اذا اقترن القتل بأحد الظروف الخمسة التاليـــة : —

١ — سبق الاصرار : وهو القصد المصمم عليه قبل الفعل لارتكاب جنحة أو جناية يكون غرض المصر منها ايذاء شخص معين أو أى شخص غير معين وجده أو صادفه سواء كان ذلك القصد معلقا على حدوث أمـر أو موقوفا على شرط (مادة ٢٣١ ع) ويتوافر سبق الاصرار اذا استخلصته المحكمة من مرور بضع ساعات على المتهم وهو يفكر فى أمر الجريمة ويعمل على جمع عشيرته واعداد عدته فى سبيل مقارفتها ومن سيره مسـافة كيلومترين حتى وصل الى مكان الحادثة (نقض ٢٨ اكتوبر ١٩٤٠) .

٢ — الترصد : وهو تربص الجانى وترقبه للمجنى عليه مدة من الزمن كثرت أم طالت فى مكان يتوقع قدومه اليه ليتوصل بذلك الى الاعتداء عليه دون أن يؤثر فى ذلك أن يكون الترصد فى مكان خاص بالجانى نفسـه (نقض ٥ مارس ١٩٥٥) وتعرف المـادة ٢٣٢ ع . الترصـد بأنه تربص الانسان لشخص فى جهة أو جهات كثيرة مدة من الزمن طويلـة كانت أو قصيرة ليتوصل الى قتل ذلك الشخص أو إيذائه بالضرب ونحوه .

٣ — اذا حصل القتل بجواهر سامة يتسبب عنها الموت عاجـلا او آجلا (مادة ٢٣٣) .

٤ — اذا اقترن القتل بجناية أخرى أو اذا كان القتل مرتبطا بجنحه (مادة ٢/٢٣٤) .

٥ ـ الشركاء فى القتل الذى يستوجب الحكم على فاعله بالاعدام يعاقبون بالاعدام أو الاشغال الشاقة المؤبدة (مادة ٢٣٥ ع) .

هذا هو موقف القانون من عقوبة الاعدام أوضحناه من خلال جريمة واحدة من الجرائم المعاقب عليها بالاعدام .

رأينا فى الموضـوع :

نرى ضرورة الابقاء على عقوبة الاعدام حيث انها مقررة بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه الأعظم عليه افضل الصلاة وازكى السلام ، وقصرها على الجرائم التى يحددها الشرع الاسلامى .

بالاضافة الى ذلك فعقوبة الاعدام لها قوة ردع غير متوافرة فى عقوبة السجن ـ كما سبق القول ـ ويتضح ذلك مما يأتى : ـ (١)

١ ـ عقوبة القصاص جزاء من جنس الجريمة فمن قتل يقتل فليس من الرحمة فى شىء ان نفكر فى الجانى ولا نطفىء نار الم المجنى او وليه والرحمة فى غير محلها ظلم بين .

٢ ـ الخوف والرهبة لدى الجانى من توقيع عقوبة عليه تماثل ما يرتكبه مما يجعله يحجم عن ارتكاب الجريمة .

٣ ـ القصاص يشفى غيظ ولى المجنى عليه لان من قتل ابنه او من يلى امره لا يكفيه سجن الجانى مهما [illegible] قتل القاتل انتقاما منه وفى ذلك راحة نفسية كبيرة لا يحققها السجن .

٤ ـ فى القصاص حياة للمجتمع كله اذ يجتث الاشرار منه بقتلهم « يقول الله سبحانه وتعالى « ولكم فى القصاص حياة » فالاقتصاص لايعود على ولى الدم فحسب وانما تعم فائدته على المجتمع كله ، فحياة الجماعة فى القصاص لانه اذا لم يكن قد شرع القصاص لأهدرت الدماء وأصبح الأمر بيد الأقوياء والأشرار يعتدون على حياة الناس وأمنهم دون رقيب أو حسيب وبذلك تصبح الامور فوضى بلا رابط ، ولكن لكى يطمئن الناس فى حياتهم ويعيشون مترابطين تسودهم الرحمة والطمأنينة وتغشاهم العدالة لابد من تطبيق عقوبة القصاص ومساواة العقوبة بالجريمة ، فيحيا الناس مطمئنين على انفسهم وأموالهم وأعراضهم ولذلك اقتضت عدالة الله سبحانه وتعالى ان تكون العقوبة من جنس الجريمة .. ومن قتل يقتل .. ومن قطع يد غيره قطعت يده بالعدل والقسط ، ومن قطع الطريق وروع أمن الناس يقتل ويصلب .. ومن ارتد عن الاسلام بعد ايمانه يقتل .. ومن زنا وهو محصن يرجم حتى الموت .

وان الدعوى التى يروج لها البعض لالغاء عقوبة الاعدام سوف تفتح الباب لازدياد جريمة الثأر لان ولى الدم اذا لم يجد المجتمع متمثلا فى سلطة الدولة قد اقتص له وشفى غيظه بحث هو بنفسه عن طريقة ينتقم بها من عدوه فتنتشر الفوضى ويسود الاضطراب ولا يأمن الفرد على حياته أو ممتلكاته .

وعقوبة القتل للمرتد عن الاسلام أو الداعى الى توهين العقيدة (لانه لا يدعو الى توهين العقيدة الا من كان قلبه غير مطمئن بالايمان) مقـــررة بنص حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وســـلم « من بدل دينـــه فاقتلوه » .

وعلى هذا فعقوبة القتل عقوبة مقررة بنص الشـارع ولا يجوز تعديلها أو تغييرها . واذا كانت بعض قوانيننا تجنح الى الغرب تستقى من قوانينه ما يخالف عقيدتنا وبيئتنا وتقاليدنا ، فانه قد آن الأوان لكى نعود الى حقيقتنا ... الى ديننا لكى ننهل من مبادئه وأحكامه كل قوانيننا بما فيها الدساتير وهى أعلى قوانين الدول .

لقد كانت الشريعة الاسلامية مصدرا احتياطيا للقوانين فى مصر قبل الثورة ولكننا الآن وقد نص الدستور الدائم لجمهورية مصر العربية على أن تكون الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع فقد أصبح الطـــريق مغلقا أمام دعاة التغريب ومدعى التقدم ويجب منعهم من بث دعاواهـــم الباطلة التى تتعارض مع الدين ومع الدستور حتى نقيم دولتنا العصريـــة الجديدة على أساس راسخ من العلم والايمان ..

والله سبحانه وتعالى الموفق والهادى الى سواء السبيل .

---

(١) راجع فلسفة العقوبة فى الفقه الاسلامى ج ٢ لفضيلة استاذنا الكبير الشيخ محمد أبـــو زهرة ..

لك ارثي يا عليـــــــل ... ايهـــا الشرق النبيـــل
داؤك اليــوم عضـــال ... وعريـــض وطويـــل
اترى منـــه ستنجو ... وهو الخطب الثقيـــل ؟
كيـــف والـــداء دواء ؟ ... فمتى عنـــك يزول ؟
انت تختـــار طبيبـــا ... طبـــه داء وبيـــل
لم يزل يغـــويك حتى ... صرت ترضى وتميـــل
وترى الموت حيـــاة ... انـــه خطب يهـــول

.. ..

ايهـــا الشرق المريض ... منك في الحـــلق جريض
كنت نبع النـــور دهرا ... فيـــك بالوحي يفيض
ثم امسى من زمـــان ... ذلك النبـــع يغيـــض
وجـــرى فوقه ســـم ... جيلـــنا منـــه مريض
كانت الارض ربيعـــا ... كلهـــا روض اريض
ثم صارت ســـبخات : ... مرتقاها والحضـــيض
اى ويل ! اى شـــؤم ! ... انـــه هـــم عريض

.. ..

يا تراب الانبيـــاء ... يا ســـماء من صـــفاء !
يا مهـــب الروح نـــورا ... من عقـــول الحـــكماء !
يا نجى الوحى دهـــرا ... بقلوب الاتقيـــاء !
كيف حادت ؟ كيـــف ولت ... عنك اضواء الســـماء ؟
بالســـما فيك ضـــباب ... ســـد آفاق الفضـــاء
والثـــرى فيـــك كئيب ... كاســـف جون الـــرداء
اى يأس بمـــد بشرى ... غم ارض الاذكيـــاء !

يا محيط الفــــــاتحينا | يا منـــار الحـــائرينا !
يا ضــــياء المعجـــزات | فى طريق الســـائرينا !
يا دليــــلا كان يهـــدى | خطـــوات العـــالمينا !
كيف ضـــــاع السر حتى | تهت مثل التـــائهينا ؟
ومشى ركبك ــ جهــلا ــ | فى طريق الخــــاسرينا
وتدهورت ــ ضــــلالا ــ | بخـــداع المـــاكرينا
اى عقبى ومصـــــير ؟ | هو حـــظ العـــاثرينا

.. ..

يا لبـــاب الكون هـــلا ! | صنت مجدا كان نبـــلا !
كان خلقـــا من صــــفات | بســـــــمو تتحــــلى
كان فخــــرا كان عـــزا | ليس يفنـــى ، ليس يبلى
كان درعا ، كان حصـــنا | من عواد تتجـــــلى
كان نورا ليس يخبـــــو | كان وحيـــــا كان يتلى
فيـــه للشرق بقـــاء | هـــو روح ، هـــو اعلـــى
فــــاى عنـــه بجنب | وتجـــــافى وتخلى

.. ..

حفت يا شرق صراعـــا | كـــان مكرا وخداعـــا
كان ســـوقا من قمـــار | شـــغلت حزنا وقاعـــا
وقف الشـــيطان فيهـــا | داعيـــا حرا مطـــاعا
ثـــم اغـــــراك بدس | فاشـــترى منــك وباعا
بعتـــه النور بنـــار | لم تكن الا شـــعاعا
بعتـــه القلب بعقـــل | لم يكن الا ضـــياعا
ايهـــا الشرق عـــزاء | خاتم الحــكمة ضـــاعا

في الدراسات المعاصرة

للأستاذ ابراهيم عبد الرحمن البلهي

حيثما اتجه الانسان بطرفه الى جانب من جوانب الاسلام وجد انه قد اشبع بحثا وشرحا وتحليلا .. وهذه ظاهرة من مظاهر خلود هذا الدين .. وهي ظاهرة تجعل المسلم يمتلىء غبطة وارتياحا .. وحينما اردت ان اساهم بكلمة متواضعة في العدد الخاص بالحج من هذه المجلة .. وجدتنى منساقا الى تسجيل هذه الظاهرة .. لأدل القارىء على جملة من الدراسات المعاصرة التى تتناول موضوع العبادات في الاسلام بوجه عام وتلك التى تعالج موضوع الحج بوجه خاص .. ولأقتطف بعض الفقرات التى تنير الطريق لفهم اسرار الحج ومعرفة مقاصده .

ولعل اول ما يطالعنا من هذه الدراسات كتاب « حجة الله البالغة » للعلامة الهندى احمد بن عبد الرحيم الدهلوى ومما قاله في هذا الصدد : ومن مقاصد الحج موافقة ما توارث الناس عن سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فانهما اماما الملة الحنيفية ومشرعاها للعرب ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث لتظهر به الملة الحنيفية وتعلو به كلمتها وهو قوله تعالى « ملة ابيكم ابراهيم » فمن الواجب المحافظة على ما استفاض عن امامها كخصال الفطرة ومناسك الحج وهو قوله صلى الله عليه وسلم « قفوا على مشاعركم فانكم على ارث من ارث ابيكم .. » .

وللشيخ الجرجاوى بحث ضخم عن « حكمة التشريع وفلسفته » وقد أبان مقاصد الحج وأهدافه باستفاضة واطناب ..

أما الاستاذ محمد كامل حته فقد شرح مناسك الحج فى أسلوب قصصى ممتع يشد القارىء ويثير انتباهه وهو يشير الى فوائد الحج القريبة ومقاصده العاجلة فيقول : « .. ان الحج فريضة جماعية على مستوى عالمى وهو بذلك يستهدف غايتين : أما الغاية الاولى فهى التجريد ولعلها وسيلة الى الغاية الاخرى ... تجريد الانسان من كل ما التصق به أو خالطه من مواريث فكرية أو اجتماعية ومن امتيازات طبقية أو جنسية تبعد به عن فطرته أو تقطع الصلات الانسانية بينه وبين المجتمع .. فهو يجىء هنا متجردا من كل زينة أو شارة فى لباس متواضع بسيط يتساوى فيه الغنى والفقير والامير والاجير يذكره باللباس الذى يخرج به من دنياه يوم يستقبل الموت ويستدبر الحياة وهو يجىء هنا متجردا من جاهه وعصبيته وطبقته وماله وولده .. نكرة بين الملايين لا سيدا منتفخ الاوداج بين الاتباع والعبيد .. وهو يجىء هنا متجردا — بل متحررا — من أغلال الفقر والعبودية التى طحنت روحه واذلت وجوده فلا يرى للغنى المدل بغناه ولا للجبار المعتز بسطوته ولا للابيض المستعلى بلونه .. لا يرى لأولئك فضلا ولا امتيازا على من عداهم من عامة الناس الا بالتقوى والعمل الصالح لخير المجتمع .. ربما يملكون من رصيد انسانىهو وحده الذى ترجح به كفة الميزان أو تشيل .. ومن أجل ذلك تتجرد — بل تتحرر — الملايين فى الحج من هذه الاغلال اذ تسقط عن وجوه الآخرين اقنعة الزيف والضلال .. ذلك هو التجريد الذى يعود بالضمير الانسانى فى الحج الى فطرته ويطرح عنه كل ما لصق به أو خالطه فى صراع الحياة من رواسب هى مبعث كثير من الشر والبغى والفساد وتستيقظ فى أعماقه المعانى الحقيقية لوجوده وانسانيته فى مجتمع تتكافأ فيه الحقوق والواجبات ..

أما الغاية الاخرى — بعد التجريد — فهى التوحيد وهى النتيجة الطبيعية لذلك والحكمة الكبرى فى فريضة الحج تنتهى اليها شعائره وتؤدى اليها أعماله .. التوحيد فى صورته الكاملة الشاملة فى الفكر والعمل .. فى الحقوق والواجبات .. لأنه حين يتم التجريد فيعود المجتمع الى فطرته السوية النقية .. يسهل على النفوس أن تتقبل معانى التوحيد فى ظل المبادىء الانسانية فتتلاقى على هذه المبادىء تأخذ منها بمقدار ما تعطى لا تستأثر ولا تحتكر ولا تحقدولا تحسد ولا تضل ولا تشقى .. تتلاقى الملايين فى موسم الحج من مختلف أقطار الارض وقد اختلفت السنتهم والوانهم وأجناسهم وتباينت مستوياتهم الفكرية والاجتماعية فلا يلبثون — وقد تلاقوا متجردين متحررين — أن تتهيأ نفوسهم للوحدة وتهفو نفوسهم اليها .. انهم يلتقون وجها لوجه وقلبا الى قلب ورأيا الى رأى .. يتكاشفون ويتدارسون .. يعرضون على صعيد الوحدة كل ما لديهم من حصيلة العلم والتجربة وكنوز الطبيعة ومصادر القوة ثم يستعرضون ما أصاب بعض الشعوب من تخلف وحرمان وعزلة فرضها المستعمر الغاصب وما أصاب الجماهير فى البعض الآخر مما فرضه الطغاة والمستغلون ... يستعرضون هذا وذاك فى تجرد من التعصب والانانية وفى تعبير عن الفطرة السليمة واحساس بالمعانى الانسانية الاصيلة فيستشعرون ما بينهم من حقوق وواجبات يتم بها التكافل والتكامل وتتحقق بها الوحدة التى ارادها الله لخير أمة أخرجت للناس ... » .

ويعود الكاتب المبدع ليبين مقاصد الحج كلما انقدح له شىء من هذه المقاصد وهو يؤدى فريضة الحج .. فهو حين يذكر الوقوف بعرفات .. يقول :

« وفى هذا الموقف العظيم يوم الحج الأكبر على عرفات .. تتجلى روعة الحج وحكمته وتبدو المنافع التى وعد الله دانية القطوف ولكن كثيرا من هذه المنافع لا يغتنمها الناس كما أرادها الله للفرد والجماعة وقد يكون اغتنامهم هذه المنافع كأفراد أوفر من نصيبهم كجماعة تهيأت لهم من الاسباب المادية والروحية ما لا يتهيأ لهم أو لغيرهم من الامم على الصورة الرائعة يوم عرفات ... »

وينبغى أن أشير الى أن هذا الكتاب مفيد جدا للحاج .. ولعل هذا هو الذى جعل دار المعارف تعيد طبعه ثلاث مرات فى سلسلة « اقرأ » .

وقد انتهى الشيخ يوسف القرضاوى فى كتابه « العبادة فى الاسلام » الى حيث انتهى الاستاذ محمد كامل حته .. فأكد أن الحج يحقق الوحدة الاسلامية الضخمة الشاملة : وحدة فى المشاعر ووحدة فى الشعائر ووحدة فى الاهداف ووحدة فى العمل ... »

ويضيف الى ذلك الدكتور احمد الغندور فى كتابه « العبادات من القرآن والسنة » غاية أخرى للحج هى تدريب المسلم على المسلم والمحبة واستشعار الاخوة الاسلامية والانسانية ..

أما الدكتور عبد الحليم محمود فقد الف كتابا مؤلفا من جزئين عن : « العبادة : احكام وأسرار » ثم عاد واختصره وأخرجه بعنوان : « أسرار العبادات فى الاسلام » .. وهو يرى أن الحج احياء لذكرى أبينا ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام .. وهو يتلو قوله تعالى : « .. انى أرى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين .. » .. ثم يقول : « .. هذا الاسلام الذى ينطوى فيه الانسان انطواء كليا تحت الراية الالهية فيكون فى حماية الله ورعايته وعنايته هو الذى يسجل بحفل تذبح فيه الذبائح يأكل منها البائس والفقير ... واذا كانت الأمة الاسلامية كلها تحتفل فرحا بالعيد فان ذلك انما هو احتفال بهذه النخبة النادرة القليلة التى كمل دينها وتمت نعمة الله عليها وغمرها نور الاسلام .. والحج هو الوسيلة الكبرى للاسلام الخالص .. اذ هو اقتفاء لأثر سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى الانقياد والاستسلام للخالق العليم .. » .

ويرى الدكتور عبد الحليم محمود أن الحج يحقق كثيرا من المبادىء الانسانية وفى طليعتها : الاخلاص .. فهو بالتلبية يسجل على نفسه الاتجاه الخالص لله وحده ويسجل على نفسه العزم الوطيد على ألا يشرك به شيئا .. وأعمال الحج تختم برجم مصدر من اهم مصادر الشر والاثم والمعصية وهو : ابليس .. رجمه مرارا وتكرارا .. وذلك تسجيل مؤكد واعلان مشهود واشهاد سافر على أن الحاج قد عزم عزما لا تزعزعه أعاصير الشهوة أو مغريات الفتنة على أن يصبح خيرا كله لا مجال لنزعات الشيطان للتسلل الى نفسه فقد اصبح بتطهير نفسه وبرجم الشيطان : من عباد الله المخلصين الذين لا سلطان للشيطان عليهم .. »

أما الدكتور محمد البهى فيرى فى كتابه البالغ النفاسة : « الدين والحضارة الانسانية أن الحج دعامة من دعائم الحضارة الانسانية .. ووسيلة من وسائل التفاهم وعامل من عوامل التوازن والعدل والاستقامة .. وتحت عنوان : الدين فى حياة الانسان من هذا الكتاب القيم .. يبين أهمية الدين كعامل حضارى ثم يبين فضل الاسلام ثم يذكر اثر المبادات الاسلامية ومقاصدها .. ويقول عن الحج : « .. وجاء الاسلام بالحج .. وفى الحج عود بالانسان الى حالته الطبيعية .. فيه ترك ومنح معا .. فيه ترك للمظاهر

الزائدة على الطبيعة الانسانية وفيه منح عن طريق الأضحية .. وبذلك تصب عبادة الحج فى نفس الغاية التى تهدف اليها عبادات .. الصلاة والزكاة والصوم .. فيتحقق للانسان اتجاه واحد ويكون سلوكه سلوكا متزنا مستقيما معتدلا .. » (ص ٩٥) .. وتحت عنوان : « عناية الاسلام بالجانب العملى أو الارادى » .. يقول عن الحج : « .. أما الحج فهو عبادة تعود بالانسان الى أصله والى ماضيه قبل أن تحيط به الدنيا وزينتها فيرى نفسه أمام خالقه متجردا من كل ما هو عارض على البشرية وفى هذه اللحظات لا يذكر الا الله والا نفسه فى صلته بالله وبالتالى لا يقيم فى هذه اللحظات الا ما يتصل بالله وما يتصل بعلاقته الخالصة بالله سبحانه وتعالى وعندئذ لا ترجح لديه فى مقياس الحياة وفى مقياس العمل والانتاج الا ما يتصل بانسانية الانسان ومثل هذا الانسان لا تطغى على تفكيره ولا على وجدانه عوامل أخرى غير انسانية ومهما لاقى فى سبيل القيم الانسانية وتطبيقها فى الحياة من صعاب فانه سيجتازها حتما بارادته وبعزمه وبتصميمه لأن ايمانه قد استقر على أن الموجود الحقيقى فى هذه الحياة هو الله ونفسه البشرية .. ولا قيمة لعارض من عوارض هذه الدنيا بعد ذلك تعدل قيمة وجود أى منهما .. » ص ١٣٩) وتحت عنوان : « الاسلام كنظام للحياة » يقول : « ... واذا استعرضنا بعد ذلك عبادتى الزكاة والحج نجدهما تطبيقا عمليا لروح الجماعة التى أيقظتها صلاة الجماعة .. » ص ١٥٣ .

وهو يرى : « أن الحج عندما يؤديه القادر على أدائه : يضم فى نفسه معنى يزيد من قوة استطاعته التى تكونت لديه للمحافظة على كرامته الانسانية عن طريق العبادات الثلاث : الصوم والصلاة والزكاة ــ وهذا المعنى هو ما يتولد عن الأخوة والمساواة فى الطبيعة البشرية التى تفرضها عبادة الحج من وقوف الحجيج فى وقت واحد وفى لباس موحد وبشعار موحد .. هو شعار الطاعة والولاء لله وحده عندما ينادونه سبحانه وتعالى بقولهم : « لبيك اللهم لبيك » .. والشعور بالاخوة والمساواة يساعد حتما فى أن يحتفظ الفرد فى جماعته بمستواه الانسانى وبكرامته الانسانية اذ لا يكون هناك سيد ولا مسود وانما هناك أخوة فى البشرية والمساواة فى التوجه الى الله وفى الايمان به . ص ١٩٦ » .

ومن أكثر الكتاب افاضة فى بيان مقاصد الحج .. الاستاذ ابو الحسن الندوى فى كتابه القيم : « الأركان الاربعة » .. فلقد استوعب ما كتبه السابقون وخاصة الغزالى والدهلوى فى كتابيهما « احياء علوم الدين » و « حجة الله البالغة » .. وأضاف الكثير مما هداه الله اليه .. ومما قاله : « .. فالاسلام دين يطلب تجردا فى الخيال وسموا فى الفكر ونقاء فى الارادة والنية واخلاصا فى العمل والتطبيق وانقطاعا عن الغير لا يتصور فوقه وأكثر منه ومستوى فى الفكر والعقيدة لم تبلغ الانسانية ولا الاديان والفلسفات والنظم الدينية أو العقلية الى مثله أو قريب منه وقد وصف الله نفسه بما لا مزيد عليه فى الدقة والسمو فقال « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » ولكن الفطرة البشرية هى الفطرة البشرية فالانسان ما زال ــ ولا يزال ــ باحثا عن شىء يراه بعينه فيوجه اليه أشواقه ويقضى به حنينه ويشبع به رغبته الملحة فى التعظيم والدنو .. وقد اختار الله أمورا ظاهرة محسوسة اختصت به ونسبت اليه وتجلت عليها رحمته وحفتها عنايته بحيث اذا رؤيت ذكر الله وارتبط بها وقائع وحوادث وأفعال وأحوال تذكر بأيام الله وآلائه ودينه وتوحيده

وحسن بلاء أنبيائه وسماها : « شعائر الله » التى جعل تعظيمها تعظيمه والتفريط فى جنبها تفريطا فى جنبه وسمح للناس أن يقضوا بها حنينهم الكامن فى نفوسهم ورغبتهم الفطرية فى الدنو والمشاهدة بل حث على ذلك ودعا اليه فقال : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانهـا من تقوى القلوب » . وقال : « ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

لقد أطال الندوى فى بيان مقاصد الحج .. فلنقتصر على العناوين : « عنصر الهيام والحنان فى طبيعة الانسان : أثرهما فى الحياة ومنزلتهما من الدين » « الصفات هى التى تثير الحب وتبعث الحنان لذلك أطال وأكثر من ذكرها القرآن » « ماقيمة كأس لا تطفح ولا تفيض؟ » « تسلية البيت والحج لحنان المسلم وهيمانه » « طفرة أو قفزة واسعة من سجن ضيق الى عالم فسيح » « تحد لعبادة العقل والمادة ودعوة الى الايمان بالغيب واتباع الأمر المجرد » « الحاج طوع اشارة ورهين أمر » « فضل المكان والزمان وموسم الحب والحنان واجتماع أهل الصدق والطلب فى جلب رحمة الله وتحريك الهمم » « تجديد الصلة بأمام الملة الحنيفية ابراهيم : من أعظم مقاصد الحج » « اعادة قصة ابراهيم وتمثيلها فى الحج » « قصة ابراهيم فى القرآن وصلتها بالبلد الأمين » « الحج تخليد لخصائص ابراهيم ومآثره وتحديد لدعوته وتعاليمه » « مركز دائم للهداية والارشاد » « عرضة سنوية تحفظ على الأمة نقاءها وأصالتها .. » « مركز الاشعاع العالمى الخالد » « مظهر الجامعة الانسانية الاسلامية » ... الخ .

وممن أطالوا فى عرض مقاصة الحج وبيان منافعه .. الاستاذ أحمد حسين المحامى .. فى كتابه « الحج ! أسراره ومناسكه » .. ولست أملك فى هذه العجالة تلخيص كل ما كتبه عن أسرار الحج .. ولعل فى العناوين التالية ما يشير الى المحتوى الرفيع .. « الفناء فى الوجود » حكمة المبيت بمنى — التفكير جوهر العبادة — المساواة فى ذروتها العليا — سحر المبيت بالمزدلفة — فكرتى عن رمى الجمار — المؤتمر الجامع فى منى — حكمة المرابطة فى منى — التفرقة العنصرية — مجتمع الوفرة — منظر فريد — ...

ولقد أحسن المؤلف فى عرض مقاصد الحج .. وجاء ذلك بشكل ترتاح اليه النفس بعيدا عن التكلف والاعتساف .. انه لم يزد على أن صور خوالج نفسه ونبضات قلبه وتطلعات فكره .. وهو يؤدى فريضة الحج .. فكان الكتاب قصة ممتعة .. وكان مع ذلك بيانا لأسرار الحج ومناسكه ..

أما الاستاذ محمد أسد (ليوبولدفايس) .. فيقول فى كتابه « الطريق الى مكة » وهو المترجم باسم « الطريق الى الاسلام » : « ... ان جزءا من فريضة الحج أن تطوف بالكعبة سبع مرات : لا احتراما لقدس الاسلام المركزى فحسب بل لتذكير النفس بالمطلب الاساسى للحياة الاسلامية .. ان الكعبة هى رمز وحدانية الله .. وحركة الحاج الجسمانية من حولها هى التعبير الرمزى للنشاط الانسانى .. ومضمونه أن أفكارنا ومشاعرنا — وكل ما يشمله تعبير « الحياة الباطنية » — ليست هى وحدها التى يجب أن يكون محورها الله بل كذلك حياتنا الخارجية الناشطة وأفعالنا ومساعينا العملية

ويصف شعوره وهو منصرف من عرفات : « .. ونتابع ركوبنا هاجمين طائرين فوق السهل ويخيل الى أننا طائرون مع الريح منغمسون فى سعادة لا تعرف نهاية ولا حدودا .. وتزعق الريح فى أذنى بنشيد النصر : « انك لن تكون غريبا بعد الآن أبدا أبدا .. اخوان لى عن اليمين واخوان لى عن اليسار

كلهم لا اعرفهم ولكن احدا منهم ليس غريبا عنى : فنحن فى فرحة مسباقتنا المضطربة جسم واحد يسعى الى هدف واحد .. ووسط الضوضاء التى تصم الآذان من خطوات الالوف من الابل المندفعة والمئات من البيارق المصفقة تنمو صرختهم الى زمجرة منتشية ظافرة : « الله أكبر » وتسيل هذه الزمجرة فى موجات عارمة قوية فوق رؤوس الالوف من الرجال فوق السهل الفسيح الى أطراف الارض جميعا : الله أكبر » .. لقد سما هؤلاء الرجال فوق حيواتهم الصغيرة وها هو ايمانهم يدفعهم الآن دفعا الى الامام كأنهم بنيان واحد نحو آفاق غير محدودة والحنين لم يعد بحاجة الى أن يبقى تافها مكتوما فلقد وجد يقظته ، وجد وعد الله متمما ، هذا الاتمام يخطو الانسان خطوات واسعة بكل ما وهبه الله من بهاء وسناء : خطوه بهجة ومعرفته حرية وعالمه دائرة دونما حدود ... »

وأنت تلمح فى كتابات الاوربيين الذين أسلموا وأدوا فريضة الحج .. الشعور الفياض يملأ نفوسهم بروعة الحج وجلال المنظر المتمثل فى حجاج بيت الله الحرام ..

وهذا المستشرق روم لاندو يصف الحج فى كتابه « الاسلام والعرب » فيؤكد : أن الحج كان وما يزال قوة موحدة فى الاسلام اذ يجتمع المسلمون فى موسمه من بلدان متناثرة فى أطراف الارض كالصين وأندونيسيا وأميركا لأداء شعيرة دينية مشتركة .. » .

ويشير الدكتور احمد شلبى فى كتابه عن « الاسلام » الى نقطة هامة وهى أن لذة الحج يدركها الحاج أكثر مما يدركها أولئك الذين يكتبون عن الحج دون أن يقوموا به ... » .

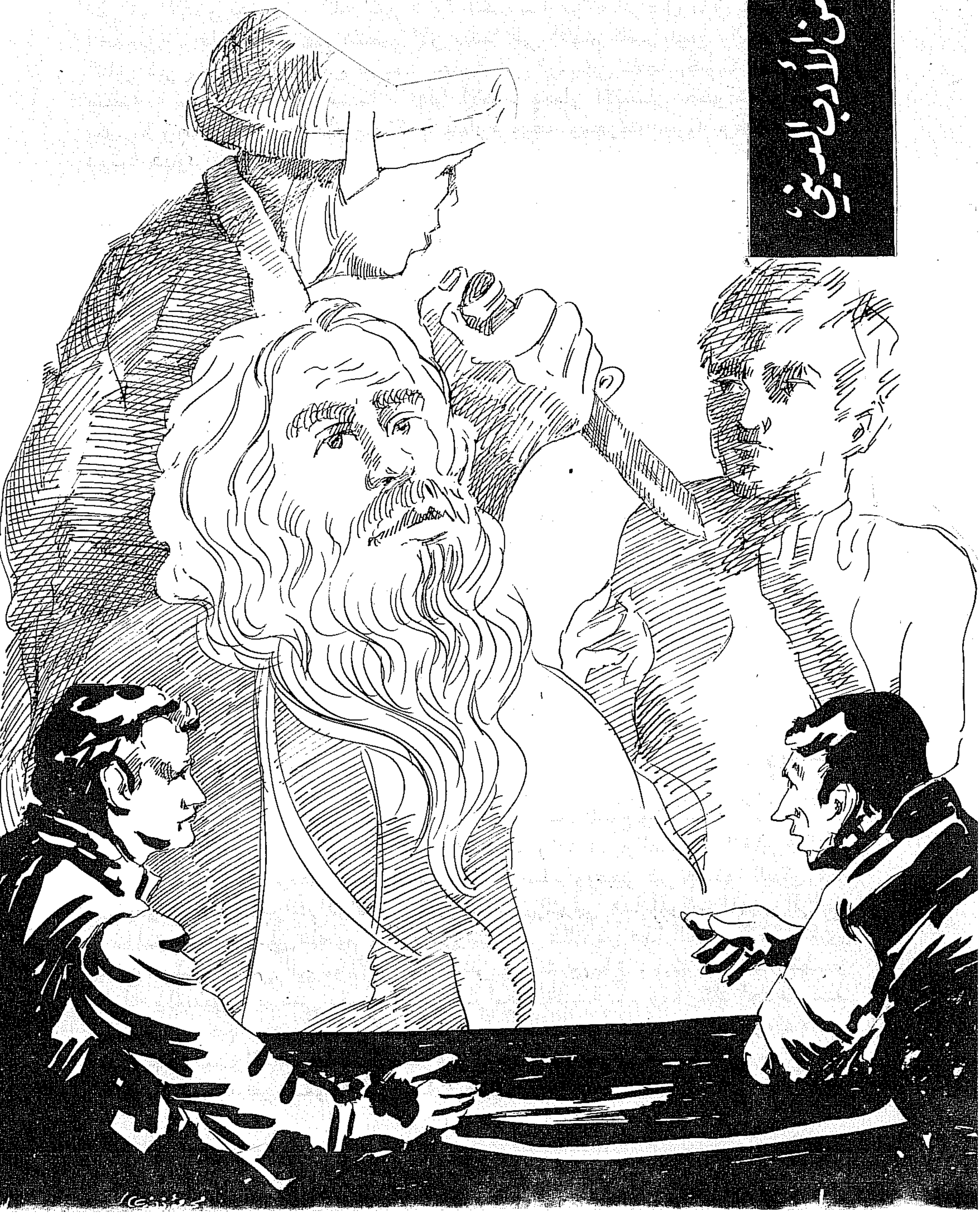
وبعد فقد أطلت وما جئت الا على بعض ما أريد وفى الختام أذكر القارىء بأن أكثر المؤتمرات الاسلامية والمنظمات والجمعيات والمراكز الاسلامية .. قد انبثقت من الحج .

كما اشير الى مؤلفات أخرى عن الحج ومنها : « الحج والعمرة فى الفقه الاسلامى » للدكتور نور الدين عتر وهو مشتمل على بعض الصور التى تعين الحاج على أداء الفريضة ومعرفة الامكنة .. و « العبادات الاسلامية مقارنة على المذاهب الاربعة » للشيخ بدران أبو العينين بدران .. وقد درجت هذه المجلة على اصدار رسالة عن الحج فى كل عام .. تقدمها كهدية مع المجلة أما الشيخ محمد ناصر الدين الالبانى فقد جمع أطراف حديث جابر المتعلق بالحج وأخرجها فى كتيب سماه « حجة النبى صلى الله عليه وسلم كما رواها عنه جابر رضى الله عنه » ..

وللاستاذ محمد اسماعيل ابراهيم كتاب عن الحج ومناسكه ..

ان روعة الحج وجلاله وجمال المنظر وبهاءه .. والسعادة الغامرة التى يصيبها الحاج كل أولئك أمور يقصر عنها الوصف ويعجز عن جلائها البيان .. ولا يدركها حق الادراك الا الذين حظوا بالاشتراك فى هذا الموكب المهيب الرائع .. المتجه نحو الخالق العليم .. وليس أدل على ذلك من هذا الحنين الغائر الذى يدفع بعض الناس الى موالاة الحج مثنى وثلاث ورباع .. ثم لا ينفك عنهم الوله والحنين .. حتى يعودوا لهذه المرابع المقدسة .. وما يكاد أحدهم ينصرف من حجه حتى يفيض الدمع من عينيه كأنما هو منتزع من أهله وولده .. ثم لا يملك — والحشرجة تملأ صدره والوجد يغمر جوانحه — الا أن يضرع الى الله بألا يعوقه عن العودة الى بيته العتيق .

قصة عصرية من الأدب الديني



محاكمة قابيل

بقلم : محمد لبيب البوهى

وضـــع السيد ــ ف ــ منظاره على عينيه وقرأ النبأ العجيب ... نبـــأ انتدابه لرئاسة محكمة لمحاكمة بضعة جنود وضابط صف ... لانهم احاطوا فى جوف الليل .. والناس نيـــام ــ بقرية صغيرة من قرى جنوب شرقى آســـيا واخرجوا بضع مئات من الاطفال والنساء .. واقامـــوهم والنـــوم ما يزال بمعاقد اجفانهم ، الى جوار جدار .. وحصدوهم بالرصاص حصـــــدا ..

* * *

لم يكن المستر ــ ف ــ يصدق عينيه ، وهو يتلو كتاب انتدابه لرئاسة هذه المحكمة .. كان يضع القرار الى جانبه .. ويحتسى كاسا ، ثم يعود لقراءة القرار .. وسألته امرأته .. : لماذا تبدو قلقا على غير العادة .. ؟

.. فاجاب : انظرى هذا القرار العجيب .. !!

.. لقد قرأته .. فأى عجب فيه .. ؟!

قال وهو يهـــز رأسه .. ويديه .. وكتفيه : محكمة لمحاكمة عشرات من جنودنا .. لانهم أبادوا ذبابا .. !! ؟

واجابت امرأته فى عجب : انك لم تتعود مثل هذا القول .. فهل انت واقع تحت تأثير الشراب .. ؟ انهم ليسوا ذبابا ..

فصرخ السيد القاضى المستر ــ ف ــ اذا لم يكونوا ذبابا .. فليحاكم هؤلاء الكبار الذين أصدروا قرار انتدابى أنفسهم .. فهم يقتلون .. أو على

وجه الدقة يصدرون الاوامر ويوافقون على قتل ألوف منهم كل يوم .. فلماذا هذه المحاكمة ..

قالت امرأته في رفق : يجب أن تدرك أنهم يريدون تغطية الموضوع .. تغطيته من حيث الشكل ..

* * *

وثار مستر ــ ف ــ وهو يحتسى الكأس التاسعة أو العاشرة : الشكل .. الشكل .. الشكل .. كل شىء من حيث الشكل .. لقد جعلونا اضحوكة .. لقد جعلوا دنيانا مثل التفاحة العفنة .. التي ينخر الدود باطنها .. ثم نكتفى بأن نغلفها بغلاف مذهب .. ثم ندعى بأننا نعيش في أرقى دول العالم حضــــارة .. !! ؟

قالت امرأته .. ليس لك من الامر شىء يا عزيزى .. ان الشـــكل هو المهم في مجتمعنا .. الا ترى أنهم يسمون المرأة المومس بالصــديقة الفاضلة .. والخمر : إنهم يسمونها الشرابالروحى .. وتشريد مليون أو أكثر في احدى بلاد الشرق نسميه العمل من أجل السلام .. أنه الشكل يا عزيزى .. وانت تدرك هذا تماما فلماذا الجدل .. ؟

قال السيد ــ ف ــ وأنت ماذا ترين .. ؟

ــ لا أمل تكرار القول بأن الاسماء يجب أن تسمى بأسمائها ، هـــذا حين تتوفر الشجاعة .. والمهم أنك سوف ترأس محاكمة نفر من النـــاس قتلوا نفرا آخـــر من الناس ــ اى أخوة قتلوا أخوة .. انني أشمئز من جريمة القتل .. انها جريمة بشعة قذرة .. لقد ابتكرها في التاريخ قابيـــل الذى كان أول قاتل على الارض .. لقد قتل أخـــاه ..

قال السيد القاضى المستر ــ ف ــ ان قابيـــل هذا مسئول عن هذا النوع من الجرائم ــ أنه هو الذى اخترع القتل ــ ليتنى أستطيع أن أحاكم قابيـــل هذا ، وضحكت امرأته وقالت : يبدو أنك شربت من الخمر أكثر مما ينبغى هيـــا الى فراشك يا عزيزى ..

* * *

ولم يكن المستر ــ ف ــ مستغرقا في النعاس تماما حين رأى نفسه وسط اثنين من كبار مستشاريه .. وقد قامت على باب مبنى عظيم لافتـــة تحمل جملة عجيبة .. ومسح القاضى منظاره واستمع الى صوت الحاجب وهو يصيح :

محكمة التاريخ ..

المتهم قابيل ..

وأنصت رئيس المحكمة .. وأنصت المستشاران .. ونظر كل منهم الى الآخر .. ذلك أنه قد مضت فترة زمنية .. ولم يمثل المتهم أمامهم .. فملأ الغيظ نفس القاضى وصاح :

المتهم ..

فانحنى الحاجب في مزيد من الاحترام وقال : ســـيدى .. يجب أن تصبر قليلا .. اننا ننادى عليه من جوف الزمن .. ان ذرات جسده الفانى الذى تلاشى منذ عشرات الالوف او ربما الملايين من السنين .. هـــذه الذرات قد تبعثرت في اركان الارض .. فلنصبر حتى تتجمع ذرات جسده ويحضر أمام المحكمة ..

قال عضـــو اليمين : ما دام قد مات من عشرات الالوف .. أو ربما الملايين من السنين فلا بد أن جسده قد تلاشى تماما .. وقـــد صار الى العدم .. فكيف يستطيع أن يحضر .. ؟!

قال المستر ــ ف ــ لا شيء يذهب الى العدم .. ان ذرات جيـــــده الفاني مبعثرة فى أركان الارض الاربعة .. وهى فى طريقها الى التجمع لتمثل أمـــام المحاكمة باسم الزمن والمسئولية والتاريخ ــ كل انسان مسئول عن عمله ــ ولو بعـــد ملايين الملايين من السنين .. المسئولية لا تنعدم ..

* * *

وارتجت أركان المحكمة .. وانشقت الجدران .. وظهر عملاق يمسك بيـــده سـكينا .. وعلى جسده بعض أوراق من الشجر .. فقال رئيس المحكمـــــــة :

من انت .. ؟

وأجـــاب المتهم بصوت قوى : قابيـــــل ..

وطبقا للصيغة التقليدية ساله رئيس المحكمة فى وقــــار :

ــ اسمك .. ومحل اقامتك ..

ــ انتم تعرفون اسمى .. أما محل اقامتى .. فهو سؤال عجيب .. اننى ميت منذ عشرات الالوف من الأجيال .. التى لا يعرف عددها غير الله ..

* * *

فغضب رئيس المحكمة وصاح : ولكن لا بد لكل متهم أن يذكر محل اقامته .. فاذا كنت انت الآن ميت .. فاين قبرك .. ؟ انه محل اقامتك ..

قال قابيـــل .. يا احفادى .. تسالوننى عن قبرى وقد ذكرت لكم اننى مت منذ الوف الاجيال البعيدة التى لا أعرف عددها ــ واذا كان لا بد لكم أن تعلموا شيئا عن قبرى فاستمعوا الى .. لقد دفنت فى أرض الشرق ــ وبعـــد أن تحللت عظامى وصارت ترابا .. ثار فى الارض بركان .. فانفجر قبرى .. فحملت الرياح ذرات ترابى الى اماكن بعيدة .. ان بعض ذرات جسدى تقبع الآن فى قاع المحيط الاعظم .. وبعضها على قمة جبـــــل افرست .. والوف الالوف من هذه الذرات فى أماكن لا أستطيع لهـــــا حصـــــرا ..

* * *

ولمـــا كانت القـــاعة قد ضـــاقت بعدد كبير من النظـــــارة الذين جاءوا من كل مكان لحضور هذه المحاكمة الطريفة ــ فقد استاذنت احدى الحاضرين أن توجه الى المتهم سؤالا ــ اذا كانت ذرات اجسادنا الجميلة .. تلقى هذا المصير المهين .. فلماذا اذن نقيم القبور من الرخام العظيمة وأحيانا نكسوها بالذهب ، هكذا فعلنا بجدى القائد العظيم الذى قتل مائة الف فى معركة واحدة ..

قال قابيـــل : يا سيدتى .. افعلوا ما تشاءون .. ولكن سنة الوجود تمضى كما شـــاء لها صاحبها .. انك تفخرين بجدك العظيم الذى اقيمت له مقبرة من الرخام المموه بالذهب ..

قالت السيدة : نعم ــ لقد كان أكثر من عظيم ــ لقد دمر بلدانا باكملها .

قال قابيـــل :

وا اسفاه لما أصاب ذرات جسد جدك العظيم يا سيدتي .. ان بعضها الان في قاع مستنقع ..

فصاحت المراة غاضبة تحتج ، فقال قابيـل :

يا سيدتي هدئي من روعك .. ان الجسد لا يهم ـ انه مثل الرداء الذى ترتدينه وحين يتلف الرداء وتلقين به ينتهي امره ـ ولكن هذا الجسد ليس هو الانسان .. انه مجرد وعاء .. الوعاء يفنى .. اما الانسـان الحقيقى فانه لا يفنى ..

قالت السيدة وقد رضيت : اذن فجدى البطل العظيم .. الذى دمر البلدان وقتل مئات الالوف هو شيء آخر غير وعاء جسده ـ انه الان في مكان ما .. ترى اين هو ذلك المكان ..

قال قابيـل :

وا اسفاه يا سيدتي لما يعانيه السـيد البطل .. انه يود الآن لو كان مجرد تراب فحسب ..

ولـما صرفت المراة امـر رئيس المحكمة باخراجها من القاعة وعاد الى سؤال قابيـل :

أنت متهم بارتكاب اول جريمة قتل على الارض ـ انت الذى اخترعت هذه الجريمة ـ وبذرت بذورها .. ونشرتها ـ كما ينشر حامل الميكروب المرض في ارجاء الارض ..

قال قابيـل :

لا بد انك تهزل يا سيدى ـ او تريد ان ترفه عن نفسك ببعض كلمات مضـحكة ..

وضجت القاعة بالضحك .. وهدد الرئيس في حـزم ـ أن يلتزم الجميع الصمت والا أمر باخلاء القاعة .. وعاد يسال قابيـل :

اجب بـلا .. او نعم .. هل قتلت اخـاك .. ؟ .. ولماذا سولت لك نفسك هذا الاثم الكبير الفظيع .. ؟

قال قابيـل : هل أستطيع قبل ذلك أن أبدى بعض ملاحظـاتى عن هذه المحاكمة :

فتشاور الرئيس مع عضوى اليمين والشمال ثم اجاب :

تستطيع ان تفعل ـ فنحن نعيش في مجتمع متحضر .. ونعطى المتهم الحق في رد المحكمة اذا كانت هناك أسباب لها قيمتها ..

قال قابيـل : انني متهم بانني قتلت أخى .. ان السيد رئيس المحكمة والسادة الاعضـاء يقراون الصحف وهذه صحيفة من صحفكم جاء فيها ما يلى :

ان نصف مواليد العالم يموتون قبل السادسة .. بسبب سوء التغذية ـ وكل من يظل على قيد الحياة في اكثر الدول النامية ـ نادرا ما يصلون الى امكانيات النمو الفعلى .. والسبب سوء التغذية ..

قال عضو اليسار غاضبا : يبدو أن معلوماتك ضـعيفة أيها المتهم ، ذلك لان آخر احصاء لدينا هو أن ثلثى سكان العالم يعانون جميعا من سوء التغذية .. ومن بينهم بعض ذوينا هنا في بلدنا الكبير المتحضر فلماذا تقصر ابحاثك على الدول النامية .. ؟ انك لا تعطى اهتماما لما يحدث هنا في بلادنا .. انك متهم ايضا بالتعصب العنصرى .. هذه تهمة سوف تضاف اليك ..

قال قابيل ضاحكا : ليكن .. أضيفوا الى ما تشاءون من تهم .. غير أنني أضيف .. انك أنت بالذات يا سيدي .. والسيد ــ ف ــ وكل من في هذه القاعة يرتكبون كل يوم من جرائم القتل ..

قال الرئيس : اذا كنت تبغي أن تشير الى ما يحدث في فيتنام .. أو كوريا .. أو الهند الصينية أو الملايو .. أو الفلبين .. أو الشرق الاوسط أو .. أو .. فان هذا ليس من اختصاص المحكمة .. أنها اجراءات تقــوم بهـــا الدولة من أجل حفظ الامن والسلام العالمى .

قال قابيل : انني لا أتحدث عما تقوم به دولتكم ــ انما أعني جرائم قتل اكثر فظاعة .. قتل غير مباشر .. أنك تقتل وانت جالس في بيتك عشرات ومئات ــ دون ان ترى ضحاياك .. هذا هو الفرق .. انك يا سيدى تناولت عشاءك أمس من البطارخ .. وفخذ من لحم الخنزير المتبل .. والسيد عضو اليسار كان يزور الطبيب من يومين بسبب أكلة من أكباد العصافير في نقيع النبيذ الابيض .. ان كل أكلة من هذه الاكلات تكلفت عـــددا من الدولارات ..

قال الرئيس : نحن لسنا وحدنا الذين نفعل ذلك .. ان اكثر اخواننا أهل أوروبا . وفي غير أوروبا تتكلف الاكلة الواحدة مثل هـــذا القدر

قال قابيل : ومع ذلك تعلمون أن نصف سكان العالم يموتون جوعا .. على حين ان كل أكلة من هذه الاكلات .. كانت تكفي عشرات .. انه يمكن أن يقال الآن .. أن نصف العالم يعمل على قتل النصف الآخر في زمن علمي متحضر يزعم أن العقل فيه بلغ أقصى غايات التفتح .. أنت قاتل يا سيدى القاضى .. والسيدان الآخران .. وكل من في القاعة .. هم قتلة بصورة ما .. يرتكبون جرائم قتل يومية بصفة مستمرة .. وبطريقة غير مباشرة .. غير منظورة .. وهذا مما يجعل الامر اكثر فظاعة .. في احصاءاتكم الرسمية يا سيدى ، أن الطفل عندكم يتكلف عشرين ضعفا مما يتكلفه الطفل في آسيا .. أى يعيش بامتصاص دمـــاء عشرين من الاسيويين والاشعاع الذرى الناتج من قنابلكم يملأ الجو ــ وينفذ الى اعماق البحار ــ حتى السمك في الاعماق البعيدة لم يسلم من جرائمكم بطريق غير مباشر ..

وسكت الجميع ــ وران الصمت ــ كأن الطير على رؤوس الحاضرين . وراح قابيـــل يجـــول ببصره فاذا به يرى فتاة تبتسم وتصفق في استحسان فقال لرئيس المحكمة : هذه الفتاة قد فهمت ما قصدته ..

قال رئيس المحكمة : انها ليست فتاة .. انها ولدى .. ولـــد طيب متخنفس ..

قال قابيل : ولماذا تركته يتخنفس يا سيدى ؟

قال المستر ــ ف ــ انه نوع من الاحتجاج على مجتمعنا ــ ان شبابنا يبدون في أزياء الفتيات ــ لعلهم يريدون أن يقولوا بلسان الحـــــال : ان الرجولة في هذا الزمن أصبحت أنثى ..

قال قابيـــل : وكذلك أرى يا سيدى الى جانب ولدك المتخنفس سيدا وقورا يهـــز رأسه موافقا ..

وضجت القاعة بالضحك والتصفيق حين نظر الجميع الى الرجـــل الذى أشـــار اليه قابيـــل وصاح السيد المحترم المستر ــ ف ــ قائلا :

أنه ليس بسيد وقور يا سيدى ــ انها زوجتى ــ انها هى الاخـــرى ترتدى ملابس الرجال ــ أنها تريد أن تقول أن مجتمعنا المتحضر قد فقد كل شىء حتى الشكل ــ هذا ما تريد أن تعبر عنه بلسان الحال .. ولكن اذا كنت تشمت أيها السيد قابيـــل ــ فاعلم أنه يوجد لديكم فى بلادكم ــ فى الشرق من يفعلون هذا ــ بلا ضرورة ــ بلا مبرر ــ لان مجتمعكم لم يصل الى ما يصح الاحتجاج الصامت عليه ــ ولكنها العدوى يا سيدى ــ او قل هو التقليد السهل الظاهرى التقليد الشكلى فحسب ــ الشكل فى كل شىء ولا غير الشكل .. ان الضعيف يريد أن يقلد شكل القوى ــ ولكن الاسد المحنط ليس أســـدا على الاطلاق ــ انكم تقلدوننا شكليا ــ لاننا أقوياء ــ أقوى أقوياء العالم .. اننا نملك من القنابل الذرية ما نستطيع به أن ندمر العالم فى لحظات .. فهل تستطيع أن تدلنى على مصدر للقوة أعظم من هذا ؟

قال قابيـــل : اذا كان التفاخر بالقوة العمياء ــ فانه يكفى أن تعـــلم أن هناك مخلوقا تافها حقيرا ــ هو وحده أقوى من حيث الشـــكل منكم مئات المرات ــ انه الشـــيطان ..

* * *

ضرب رئيس المحكمة المنضدة وصاح : لنعـــد الى موضوعنا ــ انك انت يا قابيـــل السبب فى هذا البلاء ــ انت الذى اخترعت القتل ــ قتل الانسان لاخيه ــ لنفسه ــ المجتمع .. انك انت الذى ابتكرت مبـــدأ الاحتكام الى القوة الطائشة العمياء الحيوانية الضالة المضلة لتقضى على أخيك بغير رحمة .. انه لا مناص لك من قبول هذه الوصـــــمة فماذا تطلب ..

* * *

وعلى حين غـــرة انبعث صوت قوى ارتجت له اركان المحكمة قائلا :

اننى ارى تأجيل المحاكمة حين يستعد الدفاع ..

قال رئيس المحكمة : من هذا المتحدث الذى لا نراه .. ؟

فأجاب الصوت القوى : اننى صوت التاريخ المنبعث من اعماق اعماق الزمـــن ..

قال رئيس المحكمة : وما الاجل الذى تطلب اليه التأجيل ..

قال الصوت القوى : أطلب التأجيل .. الى الحين الذى تكفون فيه عن التخمة ــ عن القتل الجماعى غير المنظور ــ عن تسميم الهواء والماء ــ أو تستيقظ الضمائر ــ أو يصحو العقل ..

قال رئيس المحكمة : واذا لم يتم شىء من ذلك ..

قال الصوت القوى : اذا لم تستيقظوا فلن تكون هناك محاكمة .. ولن يكون هناك محكمة ــ ولا مجتمع ــ لان القاتل والمقتول سيتساوون ــ ان قنابلكم الذرية هى التى سوف تحكم وتقضى على كل شىء ..

* * *

وجاءت امرأة السيد المحترم المستر ــ ف ــ تريد ايقاظه من النوم .. ولكنه ظل نائما .. ان المحكمة لا تريد أن تستيقظ ..

كتاب الشهر

المفكر الانسان

تأليف : محمود الشرقاوي
عرض وتحليل : محمد عبد الله السمان

ترددت كثيرا وأنا أستحث القلم للكتابة عن هذا الكتاب (سلامة موسى المفكر والانسان) فقد كان من الممكن أن نغض الطرف عنه ، لو أن مؤلفه كاتب عادى ، من محترفى الكتابة فى كل ما هب ودب ، لكن حين يكون المؤلف عالما من علماء الازهر الشريف ، وله أكثر من كتاب ، فان السكوت عنه يصبح تقصيرا ولا أقول .. اثما ..

عندما صدر هذا الكتاب منذ سنوات وابتليت بقراءته ، تمنيت — لو عقدت العزم على الكتابة عنه — أن أكتب عنه فى حياة مؤلفه ، ليتمكن من الرد على ان كان فى مقدوره أن يرد ، لكن جدت ظروف بالنسبة لى لم تكن تسمح لى بالكتابة ، وأنا فى معزل عن الحياة ، وما أن انتهت هذه العزلة وفكرت فى الكتابة ، حتى ترددت ، وقد أصبح المؤلف فى جوار الله ، ولم يعد متمكنا من الدفاع عن نفسه ، ان كان ثمة له قدرة على الدفاع ..

واقتنعت بأن ما يكتبه الكاتب يصبح بعد وفاته جزءا من تاريخ الفكر ، وملكا له ، فلا ينبغى حمايته لأن صاحبه أصبح فى ذمة الله ، ولنا أسوة حسنة فى علماء السلف ومفكريهم ، فقد كان المتأخرون يتناولون أفكار المتقدمين بالنقد الذى يصل أحيانا الى التجريح ، ولم يكن يشفع للموتى لديهم أنهم أصبحوا فى جوار ربهم ، فالامام الغزالى مثلا تعرض بالنقد لأفكار سابقيه بعشرات السنين ، ثم تعرضت أفكاره هو للنقد من متأخرين عنه ، لا بعشرات السنين ، بل بمئاتها ..

ولهذا الكتاب ومؤلفه قصة غاية فى الايجاز ، فقد عرضه للطبع والنشر بالقاهرة ، ولكنه لم يجد صدرا رحبا له ، ولا اقرارا عليه من المسئولين عن

النشر ، وكان أن يمم المؤلف وجهه شطر بيروت ..

فماذا في هذا الكتاب المثير .. ؟

وهل أحسن المؤلف بهذا الكتاب الى (المفكر والانسان) أم أنه أساء ؟

ان القارىء سيلمس عند قراءته لهذا الكتاب ، أن المؤلف قد وضع (سلامه موسى) في صورة الحاقد على كل شيء في الوجود الا أوروبا والثقافة الاوربية ، فهو حاقد على الدين ، حاقد على العرب والفكر العربي ، بل حاقد على الشرق وتراثه الفكري وعلى كل ما يمت اليهما بسبب ، وحاقد على الازهر .. الذي يبث ثقافة القرون الوسطى المظلمة ، وعلى رجاله : الذين يمثلون معوقات الفكر ، وعلى اللغة العربية الرجعية المتخلفة ..

كذلك وضع المؤلف (سلامة موسى) في صورة الداعية للالحاد ، المشايع لنظرية دارون وغيرها ، المناصر لكل فكر وقلم يشيعان الالحاد والانحلال .. ويدعوان الى العامية ونبذ اللغة العربية الفصحى ، وربط مصر بالفرعونية والاوربية الى الأبد ..

يقول المؤلف ص ١٨٩ : ان سلامة موسى في مطلع شبابه عام ١٩١٠ عرف في لندن جماعة من الدهريين فلم يترك لهم كتابا لم يقرأه . وكانت معظم مؤلفاتهم في نقض الأديان ..

وهذه بالطبع بداية الطريق بالنسبة لسلامة موسى ..

ويقول المؤلف ص ٦٢ ، ٦٣ : كذلك نجده — أي — سلامة موسى .. يؤلف كتابه عن الأدب الانجليزي فيضمر الدعوة التي لا ينفك يذكرها ويؤمن بها ويدعو اليها ، وهي زعزعة المخلفات الضارة من الغيبيات ، وهو يسرف في ذلك حتى ليكتب عن (شلي) الذي بدأ حياته بتأليف كتاب عن (ضرورة الالحاد) وعن (شو) الكافر الذي يعتقد في نفسه أنه مؤمن ، والمادي الذي يظن أنه روحي ، والذي يدعو الى انتخاب السلالات البشرية ، ولا يتقيد بالزواج وما يشعر نحوه الناس من قداسة زائفة لا قيمة لها ولا فائدة فيها .. كما يكتب عن (ويلز) الذي حاول أن يؤمن ، وأخلص في المحاولة الا أنه فشل .. ويشرح مذهب (لورانس) الذي يتلخص في أنه (يؤمن بدين عظيم هو الدم واللحم ، وهو يسمو على الايمان بالذهن) ..

ويؤلف سلامة موسى في عام ٩٢٨ كتابه عن (نظرية التطور وأصل الانسان) ثم يقول بعد ذلك بعشرين سنة في كتاب (تربية سلامة موسى) : أنه ألف نظرية التطور ، وكان مأربه من ذلك مكافحة الغيبيات الشائعة . ثم يقول المؤلف في ص ٢٠٦ : « وفي الفلسفة الدينية كان يعتقد مذهب سينوزا اليهودي في وحدة المادة والقوة ، فالقوة عنده هي المادة المتدفقة ، والمادة هي القوة المتجمدة . وكذلك الروح والجسد ، والعقل والمادة أيضا .. لذلك كان من أشد المنكرين لوجود الروح — وخلودها طبعا — وكان يرى أن حرق جثمان الميت أطهر وأنظف وأيسر ، وقد تمنى أن يحرق جسده في (المرمدة) الهندية بالقاهرة » ..

والعجيب المؤسف أن المؤلف يحاول في أواخر الكتاب — دفاعا عن صاحبه — معتمدا على مجرد حوار جرى بينهما ، يحاول تفسير الغيبيات بالأحجبة والتمائم والخرافات ، لكن المؤلف ينسى ما أورده على لسان صاحبه مما يؤكد ارتباط الغيبيات عنده بالأديان والبعث في ص ٢٠٦ : ليست لي أية مطامع غيبية بعده — أي الموت — وكثيرا ما يخطر ببالي لذلك أن احراق

الجثمان خير من دفنه ، لأن النار التى تلتهم الجسد وتحيله الى غاز ورماد تؤكد هذه النهاية ، أو على الأقل تؤكدها فى احساسنا ، لذلك أرجو أن أنتهى الى هذا المصير .. » .

كما ينسى المؤلف ما ذكره من أن سلامة موسى كان يعنى فى صحفه بنشر الافكار الالحادية ، ومن ذلك فى العدد الثانى من مجلته (المستقبل) اذ نشر لشبلى شميل قصيدة فيها مناقشة للعقائد ، وانكار للبعث والحساب والخلود ، ووصف للأديان بأنها (فتنة وحروب) وأن عصرنا الحاضر خير من العصور السابقة التى سيطرت على مشاعر أهلها العقيدة والايمان بالدين .. وشبلى شميل هذا هو الذى يقول عنه سلامة موسى : ص ١٨٤ . « رجل يجاهر بكفره ، ويسطو على رجال الدين مثلى .. بنظرية التطور .. » .

ماذا كان يريد سلامة موسى لمصر والشرق ؟ وماذا كان يريد لتراثنا الاسلامى والعربى والشرقى ؟

لندع المؤلف يجيب فى ص ٩٠ :

« كانت لسلامة موسى دعوات وآراء تشمل كل ما يشغل ذهن المفكر والكاتب فى مصر والشرق ، ويمكننا أن نطلق عليه وصفا واحدا يقرب مفهوم دعوته هذه وآرائه تقريبا كبيرا فنسميه (المصلح الاجتماعى) فقد كانت جميع الآراء التى يرتئيها فى صدر حياته ، والدعوات التى يجهر بها ، لها محور واحد هو اصلاح المجتمع المصرى والشرقى ، وكان السبيل الذى يرتئيه .. هو صبغه بالصبغة الاوربية ، كان لا يرى سبيلا للاصلاح سوى هذا السبيل .. ولا يرى سبيلا لسعادة الفرد فى المجتمع الشرقى الا اذا أقبل على ثقافة الغرب واعتنقها ، وآمن بها ، وسار على نهجها ، وترك وراءه ثقافة الشرق وتقاليده وأساطيره ومثله ومفاهيم الحياة التى تسوده .. كما يترك غيبياته أيضا .. يترك أزياءه فى اللباس فيلبس القبعة والبنطلون بدلا من اللباس الشرقى .. وأزياءه فى التفكير ، فيؤمن بالعلم والانسان ، بدلا من الغيبيات والميتافيزقا ، وأزياءه فى الأداء ، فيكتب ويقرأ بالحروف اللاتينية بدلا من العربية .. » .

وفى الصفحة التالية ينقل المؤلف عن لسان صاحبه :

« ان من مصلحتنا ومصلحة العالم كله أن نغرس فى أذهان الجميع .. جميع العرب فى مصر والعراق وسوريا وشمال أفريقيا أنهم أوربيون سلالة وثقافة وحضارة ، وأنهم يجب عليهم أن يسيروا مع أرقى الشعوب الاوربية ، يتثقفون بثقافتهم ويتعودون عادتهم » .

وفى نفس الصفحة : « نحن فى مصر ليس لنا من المؤسسات الحسنة كالمحاكم أو المدارس أو الدستور الا ما أخذناه عن أوربا .. وكل ما هو باق لنا من القديم سىء لا يزال يؤذينا مثل وزارة الاوقاف والمحاكم الشرعية والازهر والمجالس الملية والبطركيات العديدة .. » .

وفى الصفحة : ١٠٩ — بعد أن قدم للجزأين من كتاب (صبح الأعشى) للقشقلندى :

« **وبديهى أن كل** فائدة هذه الكتب تاريخية لا تتعدى وصفا للحالة التى كان يعيش فيها المؤلف ومبلغ المعارف التى كان يعرفها أهل زمانه ، وبديهى أيضا أن مقالة واحدة يترجمها المقتطف أو الهلال عن مجلة علمية أفيد

للقراء فائدة مادية من قراءة ألف صفحة من هذا الكتاب .. » .

وفى صفحة ١١١ يقول المؤلف :

« ونجد فى مجلته (المستقبل) من الدعوات الجديدة دعوته المصريين للزواج من الأجنبيات ، ودعوته لحرية المرأة وسفورها ، وعنـــايته بأدب المرأة فى حديث أجراه مع (مى) والدعوة لاباحة الزواج المدنى لرفع الظلم عن غير المؤمنين الذين لا يريدون تقييد حريتهم فى الاحوال الشخصية » .

وفى ص ٩٣ : يقول المؤلف على لسان صاحبه فى مقال له (الموتى يحكمون الاحياء) :

ان بلاد الشرق هى بلاد (السلف) يحكمونها وهم فى قبورهم بآدابهم وتقـــاليدهم وشرائعهم ، وليس للخلف الراهن الذين هم نحن ، ســـوى الاذعان .. !

وفى صفحة ٩٥ على لسان صاحبه :

« .. لنا حكومة منظمة على الاساليب الاوروبية ، ولكن وسط الحكومة أجساما شرقية مثل وزارة الاوقاف والمحاكم الشرعية — قبل الغائها — تؤخر تقدم البلاد ، ولنا جامعات تبعث بيننا ثقافة العالم المتمدين ، ولكن الجامع الازهر يقف الى جانبها يبث ثقافة القرون المظلمة ، ولنا (أفنـــدية) قد تفرنجوا ، لهم بيوت نظيفة يقرأون كتبا سليمة ، ولكن الى جانبهم شيوخ لا يزالون يلبسون الجبب والقفاطين ولا يتورعون من التوضؤ على قوارع الطرق فى الارياف » .

وفى ص ٩٩ يقول المؤلف عن صاحبه :

« كان لا يرى أن تقوم الروابط بين مصر والبلاد الاخرى على أساس من الدين ، فقد كان من أكبر المعارضين للجامعة الاسلامية ، وكذلك لا يرى أن تقوم هذه الروابط على أساس من الجنس — يقصد العروبة بالطبع — فهذه الرابطة قائمة على وهم وخطأ ، وأن العرب أوربيون .. كان يرى أن الرابطة الشرقية سخافة والرابطة الدينية وقاحة — أما الرابطة الحقيقية التى تثبت ولا تتزعزع فهى رابطة الحضارة والثقافة : هى رابطتنا بأوروبا ، لأننا فى حاجة لأن نزيد ثقافتنا وحضارتنا ، وهما لن تزيدا من ارتباطنا بالشرق بل من ارتباطنا بالغرب .. » .

ويواصل المؤلف تسجيل تطاولات صاحبه ففى ص ١٣٥ يذكر على لسان صاحبه كما ورد فى كتابه (النهضة الاوربية) :

« .. فالحـــكومة العربيـــة كانت فى أرقى وأحسن أوقاتهـــا حكومة استبدادية ، ولا عبرة لما يقال : بأن الاسلام يأمر بالشـــورى ، فان عمر بن الخطاب نفسه لم يكن يستشير أحدا فيما يراه خيرا لرعيته . دع عنك أنه ليس فى الشورى معنى الالزام ، وجميع خطب الخلفاء تثبت أنهم كانوا ينظرون الى أنفسهم نظرا بابويا ، بل البابا نفسه اذا قيس اليهم فى بعض الاشياء يعد دستوريا .. » .

« لنا من العرب ألفاظهم فقط ولا أقول لغتهم ، بل لا أقول كل ألفاظهم ، فاننا ورثنا عنهم هذه اللغة وهى لغة بدوية لا تكاد تكفل الأداء اذا تعرضت لحالة مدنية راقية .. واللغة العربية مع ذلك لغة شـــاقة تكبد الذهن فى حفظ قواعدها التى لا تنتهى .. اذا فرضنا أن اللغة الفصحى كانت يوما ما

يتكلم بها الناس ، فان اعتقادى أنها كانت الى حد بعيد لغة الكتابة فقط — أى لغة ميتة حتى فى زمن ظهور القرآن .. ولكن تعليم اللغة العربية فى مصر لا يزال فى أيدى الشيوخ الذين ينقعون أدمغتهم نقعا فى الثقافة العربية — أى فى ثقافة القرون المظلمة ، فلا رجاء لنا باصلاح التعليم ، حتى نمنع هؤلاء الشيوخ منه ، ونسلمه للافندية الذين ساروا شوطا بعيدا فى الثقافة الحديثة .. » .

هذا جزء يسير من الاطار الذى وضع فيه المؤلف العالم الازهرى صاحبه ، وأعتقد أنه كان رحيما به ، فقد ادخر لذاكرته الكثير مما لم يشأ أن يذكره فى كتابه عن (المفكر والانسان) فالذى لا ريب فيه أن هذا (المفكر والانسان) لم يكن داعية من دعاة مصر الفرعونية ثم مصر الاوربية ، ومن دعاة الالحاد الا بدافع عن حقده على الاسلام والعروبة ، ومهما حاول المؤلف أن يبعد عنه شبح الشعوبية ، فقد كان شعوبيا غارقا الى أذنيه فى الشعوبية ، فقد اشترك فى جميع الاحزاب المسيحية والصحف أيضا ، التى كانت تناهض الحزب الوطنى وتدافع عن الاستعمار الاوربى ، ومهما حاول المؤلف أن يبعد عن صاحبه شبح الطائفية ، فقد كان طائفيا غارقا الى أذنيه فى الطائفية ، ولعل المؤلف تجاهل الدور الذى قام به صاحبه من اثارة الطائفية بعد الاربعين على صفحات جريدة مصر ، حتى كادت مقالاته تؤدى الى فتنة عمياء ..

ان سلامة موسى يصرح فى كتابه (اليوم والغد) متهجما على الحضارة العربية : ليس علينا للعرب أى ولاء ، وادمان الدرس لثقافتهم مضيعة للشباب وبعثرة لقواهم .. » .

هذا بينما يقول مستشرق أيرلندى من غلاة المستشرقين هو (ديلاس أوليرى) : « أصبح الفكر العربى عاملا مثيرا فحول الفلسفة المسيحية الى مسالك عديدة ، وكاد يذيب اللاهوت التقليدى فى الكنيسة ، وأدى مباشرة الى النهضة التى كانت الضربة القاضية لثقافة القرون الوسطى .. » .

وبعد ..

فلم يكن القصد من الكتابة عن هذا الكتاب التصدى بالرد على مفتريات وأحقاد (المفكر والانسان) فهذا مجال آخر أرجو أن يكون قريبا — ان شاء الله — وانما القصد من الكتابة هو تلمس الاجابة عن سؤال جدير بالاجابة : هل أحسن المؤلف العالم الازهرى الى صاحبه أم أنه قد أساء اليه ؟ والمؤلف الذى أصبح فى ذمة الله عاجزا الآن عن الاجابة ، أما أنا فأقول : ان المؤلف استطاع بكتابه هذا أن يخرج جثة صاحبه (المفكر والانسان) ثم ينبشها بقلمه أو بأظفاره .. كان خيرا للمؤلف أن لا يكتب ، وكان خيرا له أكثر من ذلك أن لا يجعل خاتمة أعماله الكتابية مثل هذا الكتاب الذى أراد أن يحسن به الى ذكرى صاحبه ، فأساء اليه والى ذكراه كل اساءة ..

الفتاوى

وردت هذه الاسئلة الى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز من بعض مناطق اليمن ، وقد تفضل بالاجابة التالية عليها :

.. .. ..

السؤال : ما حكم الآذان ، والاقامة فى قبر الميت عند وضعه فيه ؟

.. .. ..

الاجابة : لا ريب أن ذلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان لأن ذلك لم ينقل عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا عن أصحابه — رضى الله عنهم — والخير كله فى اتباعهم ،وسلوك سبيلهم كما قال الله سبحانه : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » الآية ، وقال النبى — صلى الله عليه وسلم : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق على صحته ، وفى لفظ آخر قال — عليه الصلاة والسلام : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » وكان — صلى الله عليه وسلم — يقول فى خطبة الجمعة : « أما بعد فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد — صلى الله عليه وسلم — وشر الأمور محدثاتها وكل محدثه بدعة ، وكل بدعة ضلالة » خرجه مسلم فى صحيحه من حديث جابر — رضى الله عنه .

.. .. ..

السؤال : ما حكم ما جرت به عادة بعض الناس من ذبح الابل ، والغنم ، واقامة وليمة عند موت الميت يجتمع فيها المعزون وغيرهم ويقرأ فيها القرآن ؟

.. .. ..

الاجابة : هذا كله بدعة لم يفعله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا أصحابه — رضى الله عنهم — وقد ثبت عن جرير بن عبد الله الصحابى الشهير — رضى الله عنه — قال : « كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت وصنعة الطعام بعد الدفن من النياحة » أخرجه الامام أحمد ، وابن ماجه بسند صحيح ، وانما المشروع أن يصنع الطعام لأهل الميت ، ويبعث به اليهم من أقاربهم أو جيرانهم أو غيرهم لكونهم قد شغلوا بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم لما ثبت فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن جعفر — رضى الله عنه — قال : لما أتى نعى جعفر بن أبى طالب — رضى الله عنه — قال النبى — صلى الله عليه وسلم : اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم ما يشغلهم ، أخرجه الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه باسناد صحيح ، وهذا العمل — مع كونه بدعة — فيه أيضا تكليف أهل الميت وأتعابهم مع مصيبتهم ، واضاعة أموالهم فى غير حق ، والله المستعان .

السؤال : هل على السيارات التجارية التى تسافر وتجلب الحبوب ، وغيرها زكاة ، وهكذا ما أشبهها من الجمال ؟

.. .. ..

الاجابة : ليس على السيارات ، والجمال المعدة لنقل الحبوب ، والأمتعة ، وغيرها من بلاد الى بلاد زكاة لكونها لم تعد للبيع وانما أعدت للنقل ، والاستعمال ، أما ان كانت السيارات معدة للبيع ، وهكذا غيرها من الجمال ، والحمير ، والبغال ، وسائر الحيوانات التى يجوز بيعها اذا كانت معدة للبيع فانها تجب فيها الزكاة لأنها صارت بذلك من عروض التجارة فوجبت فيها الزكاة لما روى أبو داود ، وغيره عن سمرة بن جندب ـ رضى الله عنه ـ قال : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع ، والى هذا ذهب جماهير أهل العلم ، وحكاه الامام أبو بكر بن المنذر ـ رحمه الله ـ وعليه اجماع أهل العلم .

.. .. ..

السؤال : بلادنا تنتج الحب ، والعملة عندنا بالحبوب لقلة النقود ، فاذا جاء وقت البذر اشترينا من التجار الصاع بريال ، فاذا جاء وقت الحصاد وصفيت الحبوب سلمنا للتجار عن كل ريال صاعين مثلا لأن السعر فى وقت الحصاد أرخص منه فى وقت البذر ، فهل تجوز هذه المعاملة ؟

الاجابة : هذه المعاملة فيها خلاف بين العلماء ، وقدر رأى كثير منهم أنها لا تجوز لأنها وسيلة الى بيع الحنطة ونحوها بجنسيها متفاضلا ونسيئه وذلك عين الربا من جهتين ، جهة التفاضل ، وجهة التأجيل ، وذهب جماعة آخرون من أهل العلم الى أن ذلك جائز اذا كان البائع ، والمشترى لم يتواطأ على تسليم الحنطة بدل النقود ، ولم يشترطا ذلك عند العقد ، هذا هو كلام أهل العلم فى هذه المسألة ، ومعاملتكم هذه يظهر منها التواطؤ على تسليم حب أكثر بدل حب أقل لأن النقود قليلة وذلك لا يجوز ، فالواجب على الزراع فى مثل هذه الحالة أن يبيعوا الحبوب على غير التجار الذين اشتروا منهم البذر ، ثم يوفوهم حقهم نقدا ، هذا هو طريق السلامة ، والاحتياط والبعد عن الربا ، فان وقع البيع بين التجار ، وبين الزراع بالنقود ، ثم حصل الوفاء من الزراع بالحبوب من غير تواطؤ ، ولا شرط فالأقرب صحة ذلك كما قاله جماعة من العلماء ، ولاسيما اذا كان الزارع فقيرا ويخشى التاجر أنه ان لم يأخذ منه حبا بالسعر بدل النقود التى فى ذمته فات حقه ولم يحصل له شىء لأن الزارع سوف يوفى به غيره ويتركه أو يصرفه ـ أى الحب ـ فى حاجات أخرى ، وهذا يقع كثيرا من الزراع الفقراء ، ويضيع حق التجار ، أما اذا كان التجار والزراع قد تواطؤوا على تسليم الحب بعد الحصاد بدلا من النقود فان البيع الأول لا يصح من أجل التواطؤ المذكور ، وليس للتاجر الا مثل الحب الذى سلم للزارع من غير زيادة تنزيلا له منزلة القرض لعدم صحة البيع مع التواطؤ على أخذ حب أكثر .

بأقلام القراء

مــا قــل و دل

كتب الاستاذ عبد الرحمن أحمد شادى تحت هذا العنوان يقول :

ذكــــر جليس فى معرض المناقشة والجدل ، الايمان بالله واليوم الآخر والرسل والملائكة ، وأن هذا الايمان بالغيب مفروض على كل مسلم ومسلمة ..

ولكنه اشترط على أن تكون المناقشة بيننا عقلية لا تعتمد على النصوص ليقتنع بهـــا ، فقلت له أنا أرد عليك ردا حسنا وأوافق على شرطك ، هل رأيت أوروبا وأمريكا وآسيا واستراليا وما فى هذه القارات الأربع من آلاف المدن والقرى وملايين الخلق ؟ قال لا .. قلت انها غيب بالنسبة لك فكيف صدقت بوجودها دون أن تراها ؟! .. من أين علمت أنها موجودة ؟ قال : نقل الينـــا الرحالة والمسافرون ومدرسو الجغرافيا وشركات الانبــــاء أنهم شاهدوها وعاشوا فيها فصدقناهم ..

قلت كما صدقت هؤلاء فى كثير من الاخبار التى قالوها وفيهم العدل المأمون على الاخبار والانباء ، وفيهم غير المأمون على ما يروى ، فالرسل اذن أولى بالتصديق ما دمت تصدق من دونهم فى العدالة والامانة والتبليغ والفطانة وليس من العدل أن تفتح باب التصديق على مصراعيه ليدخل منه كل من هب ودب وتغلقه على الرسل وحدهم ، وأستطيع أن أذكر لك ملايين الامثلة فى الاشياء التى هى غيب بالنسبة لك ، ولكنك تصدق من يذكرها وعامة الناس وخاصتهم يستوون معك فى هذا التصديق .. ومعظم العلوم على هذا الحال .. التاريخ والجغرافيا والفلك ، وفى هذه العلوم وفى غيرها عجائب لم نشاهدها، واختراعات اكتشفها العلماء بعقولهم وأبحاثهم ..

أتصـــدق كتب التاريخ والرحلات وأى كلام ينشر عن أشياء هى غيب بالنسبة لمن يصدقها ثم لا تصدق القرآن الكريم والاحاديث الشريفة الصحيحة ، وهنا سكت محدثى وأقنعته الحجة فحمدت الله تعالى « ومنه التوفيق والعون »

على أن المباراة الفكرية انتهت من أول جولة بفوز الايمان على شرط السائل والمنافق والجليس دون الاستعانة بالنصوص .. ثم رأيت أن هذا سؤالا يتردد فى كثير من الاذهان وخصوصا لمن كان فى سن الشباب فنقلته من مناقشة محصورة بين جدران تدور بين جليسين ، اما باقى الجلساء فكانوا سماعين للخير — الى فكرة تنشر بين الناس لعموم المنفعة وهداية النفوس الحائرة وعلى الله قصد السبيل ..

« لعبة الموضة ... وأصابع الصهيونية »

تحت هذا العنوان يقول الاستاذ جعفر الهادى :

> **« انه لا بد من اشاعة الفوضى الاخلاقية فى العالم ، حتى نتمكن من السيادة اذ بتأثير الفوضى الاخلاقية يمكن عزل الجماهير عن واقعها السياسى ، وهو مدخل حساس ، عن طريقه تتم الغلبة وتتحقق السيادة » .. بروتكولات — حكماء صهيون**

ان حركة الأزياء والموضة الفلتانة التى أخذت تكتسح أكثر أوساطنا ، وأن ما تحمله معها هذه الحركة من ميوعة ودلع مثير وعرى وبما تؤدى من اثارة واشاعة لروح الانحلال ، وتمييع الرجولة والفتوة فى شبابنا الطليعى .. ان هذه الحركة ليست الا حركة مقصودة عالميا ومقصودة بالذات بالنسبة للمنطقة .. وخصوصا فى هذه الظروف ونعنى ظروف مواجهتنا مع الصهيونية، وهى حركة يقبع خلفها ، ويأخذ بخيوطها ويحركها ، ويروجها ويصرف عليها الصهيونية العالمية التى تتطلع نحو استعمار واستغلال عالمى ، وقبل ذلك استعمار محلى مسرحه الارض التى نعيش عليها وضحيتها شعبنا بأسره ، اذ الغرض من هذه الحركة هو الهاء الشعوب عن قضاياها المصيرية باستدراجها الى الفساد والتحلل تمهيدا للاستعمار والاستغلال ..

وحتى لو لم تستطع الأرقام رغم كثرتها وتواترها ودلالتها — من اثبات هذا الامر فان تصريح حكماء صهيون — يكفى لاثبات الامر ، والكشف عن الوجه الحقيقى لأصحاب لعبة الموضة الحقيقيين .. فان التصريح المذكور وان كان لا يشير بالتحديد الى ظاهرة الموضة الا أنها أكثر دلالة من الدلالة على الموضة التى قد تعتبر مدخلا لاشياء أخرى ومرحلة تمهيدية ليس أكثر ..

وبعد بات لاصحاب الرأى المخلصين أن يروا رأيهم ..

ولا ننسى أن نقول ان هذا القول موجه بالطبع الى الذين يجهلون حقيقة الامر حقيقة ، وأما الذين يعلمونها ويسكتون عنها ، وبالأحرى يتجاهلونها وهم أبصر بها من أمورهم الشخصية فان أمرهم متروك للعدالة الحقيقية عدالة الله ..

قالت صحف العالم

مؤتمر المسلمين

وتتحدث مجلة (الشبان المسلمين) القاهرية عن : مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا :

المؤتمر الذى حضره ستمائة وخمسون من المسلمين من جميع أنحاء القارة الامريكية الشمالية ، سافر بعضهم ما يربو على ثلاثة آلاف من الأميال ليستزيد علما بدينه ويلتقى باخوانه وأحبته يعيش معهم حياة اسلامية جماعية صافية لعدة أيام يغذى فيها قلبه وعقله .

ان أبرز ما فى المؤتمر الروح الاسلامية الصميمة : روح الأخوة الصافية .. روح المجتمع الاسلامى المترابط المتناسق يجتمع المؤتمرون للصلاة فى عدد كبير وكأنها صلاة العيد فى بلد اسلامى يمثلون كل البلاد الاسلامية فى الكرة الارضية وقد لبس بعضهم زيه الوطنى وتصلى الاخوات المسلمات فى الصفين الأخيرين وبينهم بعض أولادهن وبناتهن يشتركون معهن فى الصلاة .. ويتقابل الأصدقاء ويتعارف غيرهم فى حرارة وأخوة نادرة .. يكلم أحدهم الآخر فى تفاهم وشوق وكأنه يعرفه منذ السنين الطوال .

ان هذه المؤتمرات كالحج الأصغر يتقابل فيه المسلمون ويتدارسون دينهم ويجتمعون على طاعة الله ليقوى كل منهم عزيمة الآخر وتصميمه على اتباع صراط الله ورسوله ، ويناقشون مشاكلهم ويبحثون سويا عن حل هذه المشاكل . وان شباب المسلمين فى جمهورية مصر العربية وغيرها من الدول الاسلامية لفى حاجة ماسة الى مثل هذه المؤتمرات الجامعة وخاصة فى فصل الصيف .. ويا حبذا لو أقيمت الى جانب مثل هذه المؤتمرات الدراسية ، مخيمات صيفية اسلامية يمارس فيها الشباب الحياة الاسلامية الجماعية ويصقلون فيها عقولهم وأرواحهم وأجسادهم .. وهناك مخيم اسلامى يقام فى الولايات المتحدة كل عام فى فصل الصيف فى ولاية كاليفورنيا ويشرف عليه اتحاد الطلبة المسلمين العام والاتحادات المحلية القريبة ، وهو يستمر لمدة أسبوع ويحضره عدد كبير من المسلمين الكبار منهم والصغار . وتتعارف فيه العائلات ومن الطريف أنه يعتبر فرصة يتعارف فيها الشباب المسلم على الشابات المسلمات فى جو اسلامى نظيف وكثيرا ما تنتج عنه زيجات بينهم .

صلاة الفجر :

والبرنامج اليومى فى المخيم الاسلامى يبدأ كذلك بصلاة الفجر التى يعقبها برنامج رياضى مكون من تمرينات رياضية وسير على الاقدام فى الغابات

القرية أو على سفوح الجبال أو التلال المجاورة .. ويعقب البرنامج الرياضى الافطـــار ثم برامج تعليمية ودراسة فى الدين يقسم فيها أعضاء المخيم الى مجموعات مختلفة حسب العمر .. ويسبق صلاة الظهر مباريات فى الرياضات المختلفة بين الشباب ويعقب الغداء فترة راحة حتى صلاة العصر التى يفتتح بها برنامج المســاء حيث تنعقد فيه فترة دراسية أخرى تعقبها صلاة المغرب ثم تعد مائدة العشاء . ويختتم اليوم بعد صلاة العشاء بسمر مشوق حـــول نار هادئة يتبادل فيه الشباب الملح والطرائف . وهكذا يعيش المســـلمون الذين قد تمكن الايمان من قلوبهم فى وسط مجتمع تشيع فيه رائحة الانحـلال الكريهة ويستشرى فيه عفن التبذل .. رجال يحبون أن يتطهروا « **رجـــال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يـوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب** » صدقت ربنا وتعاليت وبلغت رسلك ونحن على ذلك من الشاهدين .

أزمـة باكســتان الشرقية

كتبت مجلة البلاغ الكويتية تحت هذا العنوان تقول :

ان الحقيقة التى لا شك فيها هى أن أهداف الهند البعيدة المدى تهدد الاستقرار فى كامل منطقة جنوب شرقى آسيا ، بل ربما يتجاوز التهـــديد هذه المنطقة تجاوزا كبيرا .

ان التوهم بأن بالامكان القضاء على باكستان لا يزال هو العامل المسيطر على كل التخطيطات الهندية البعيدة المدى ، سواء فيما يتعلق بالنزاع حول كشـــمير او انشاء ســد فاراقا ، أو عمليات التذبيح الدورية لمســـلمى الهند التى لا تنتهى ، أو محاولة فصل الجناحين عن طريق منع الطيران المدنى، والاستفزازات الهندية التى لا تنتهى ، صغيرة كانت أم كبيرة وأخيرا احتلال باكستان الشرقية بغض النظر عن جميع القوانين الدولية ، وبغض النظر عن ذيول هـــذا العمـــل .

فهل نطلب كثيرا عندما نأمل من العالم أن يجعل الهنـــد تدرك أن باكستان انمـــا جاءت لتبقى .. ؟ وان السلام الدائم لا يمكن تحقيقه الا اذا عاش البلدان معا كجيران على أساس متبادل .

ان الدليل المقنع الوحيد على هـــذا هو فى معالجة الهند للنزاعـــــات القائمة منذ وقت طويل بين البلدين بطريقة جديدة ، والا تنظر الى هذه المشاكل كأســلحة فى الصراع الهـــادف للقضـــاء على باكستان واعادة ابتلاعها مرحلة وقطعة أثر أخرى .

ولكن يجب النظر الى هذه المشاكل كمشاكل ينبغى حلها باتفاق وعدل على أساس دائم ولمصلحة البلدين ، والاعتراف بحقيقة هذه المشاكل وفى كونها ستظل دائما عقبة فى وجه التفاهم والسلام اذا لم يتم التغلب عليها . وطبعا فى وجه الاستقرار أيضا . أنه أنه فى التهديد للاستقرار يكمن الخطر الاكبر ، على الهند كما على أى دولة أخرى ..

حديث موضوع

السؤال :

بعض الناس ينسبون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكلام ((لو أحسن أحدكم ظنه فى حجر نفعه الله به)) .. فهل هذا حديث صحيح ؟

أبو أياد — لبنان

الاجابة :

تناول شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الكلام فى منهاج السنة ، وقال انه حديث موضوع وكذب مصنوع ، وهذا كلام فاسد اذ معناه أن احسان الظن بأى شىء ولو كان حجرا سبب فى الانتفاع به وهذا غير صحيح ، فان إحسان الظن بالأصنام والأوثان وما أشبهها كفر بواح يوبق صاحبه فى النار ، واحسان الظن بالزنادقة وأهل الزيغ والضلال والظلمة والفجار من المضار ، واحسان الظن بالمشعوذين الدجالين من أشد الأخطار ..

وسوسة :

السؤال :

أنا — والحمد لله — شاب مستقيم الحال ، ونشأت من صغرى محافظا على الصلوات مؤديا للفرائض ولكن مرت بى ظروف وسوس لى الشيطان فيها ، فارتكبت بعض المحرمات ، وانى أشعر بضيق ويأس ، فماذا أصنع .. ؟

لطيف عمر — وادمدنى

الاجابة :

المؤمن اذا وقع فى خطيئة ، ثم تاب الى الله ، وندم ، قبل الله توبته ، ومحا خطيئته ، ان الله يغفر الذنوب ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ، فلا يمنعنك الاستمرار على طاعة الله ما فرط منك ، جانب الله ، واستعن بالله ، واحذر الشيطان فان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ..

شبح القتيل :

السؤال :

عندنا عقيدة متوارثة وهى أن الانسان اذا قتل يظهر شبحه فى المكان الذى قتل فيه ، فهل لذلك أصل .. وما رأيكم .. ؟

عز الدين محمد — عمان

الاجابة :

هذه العقيدة الباطلة من آثار الجاهلية الاولى ، فقد كان العرب يعتقدون أن روح القتيل الذى لم يؤخذ بثأره تظهر فى المكان الذى ارتكبت فيه جريمة القتل ، وتصيح : اسقونى اسقونى ، ولا تزال كذلك حتى يؤخذ بالثـــأر . والعرب يسمون هذه الروح الهامة ، ولما جاء الاسلام حارب هذه العقيدة الخاطئة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبها ونهى عن هذا الاعتقاد الباطل فقال : لا هامة .

عبد رب النبى :

السؤال :

سمانى أبى عبد النبى ، ويقول الناس أن هذه التسمية غير جائزة ، وأنا فعلا أحس بأن فيها اثما .. فما رأيكم ، وماذا أصنع .. ؟

عبد النبى — الاسكندرية

الاجابة :

لا يجوز شرعا التسمية بعبد النبى لأنها تشعر بأن المسمى عبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعبودية لا تكون الا لله وحده ، وقد ثبت أن بعض الصحابة كان اسمه قبل الاسلام عبد العزى ، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ، ومنشأ هذا كله التهاون والجهل بالدين ..

وإنا ننصحك بأن تختار اسما آخر وخير الأسماء ما عبد أو حمد ، وأن تتخذ الاجراءات القانونية لتغيير هذا الاسم ..

التعزير .. ؟

السؤال :

ما معنى التعزير فى الشريعة الاسلامية .. ؟

صفاء الدين — الموصل

الاجابة :

المعصية ثلاثة أنواع مختلفة ، وكل نوع له عقوبته التى تتناسب معه :

١ — النوع الأول : فيه حد ، ولا كفارة فيه ، مثل السرقة .

٢ — النوع الثانى : فيه كفارة ولا حد فيه ، مثل المباشرة الجنسية فى الاحرام .

٣ — النوع الثالث : لا كفارة فيه ، ولا حد ، مثل سرقة ما لا قطع فيه .

والمقصود بالتعزير حينئذ فى الشريعة الاسلامية التــأديب على ذنب لا حد فيه ، ولا كفارة فهو عقوبة تأديبية يفرضها الحاكم المسلم المقيم لحدود الله على معصية لم يعين الشرع لها عقوبة ، وقد شرعه الاســـــلام لزجر العصاة ، وتأديب الخارجين على النظام ..

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزر ويؤدب ، ويحلق الرأس ، والنفى والضرب ، كما كان يحرق حوانيت الخمارين ، وقد اتخذ عصا يضرب بها من يستحق الضرب ، واتخذ دارا للسجن ، وضرب النائحة ..

والتعزير يكون بالقول ، مثل التوبيخ والوعظ ، ويـكون بالفعل مثل الضرب والعزل والحبس ، وقد روى أبو داود أنه أتى النبى صلى الله عليه سلم بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء ، فقال : ما بال هذا ؟ فقالوا : يتشبه بالنساء ، فأمر به فنفى الى البقيع ، فقالوا : يا رسول الله نقتله ، فقال : انى نهيت عن قتل المصلين ..

والتعزير يتولاه الحاكم لأن له الولاية العامة على المسلمين ، وللأب تعزير ولده وضربه على ترك الصلاة مثلا ، وللزوج تعزير زوجته فى النشوز ..

السؤال :

قصدت فى بعض أمورى الخاصة التى تتصل بالدين أحد الاصدقاء المعروفين بين الناس بالفقه فى الدين ، فعرضت عليه مشكلتى ، فأفتانى ، ولكنى زيادة فى الاطمئنان توجهت بمشكلتى الى الجهة الرسمية فى وطنى المسئولة عن الفتوى ، فكانت فتاواهم مناقضة تماما لما أفتانى به صديقى ، ولذلك ذهبت اليه وطلبت منه الدليل أو المصدر الذى رجع اليه فى فتواه ، فلم يستطع جوابا ، فما رأيكم فى أمثال هذا الانسان الذى يفتى بغير علم .. ؟

زيد عثمان — البصرة

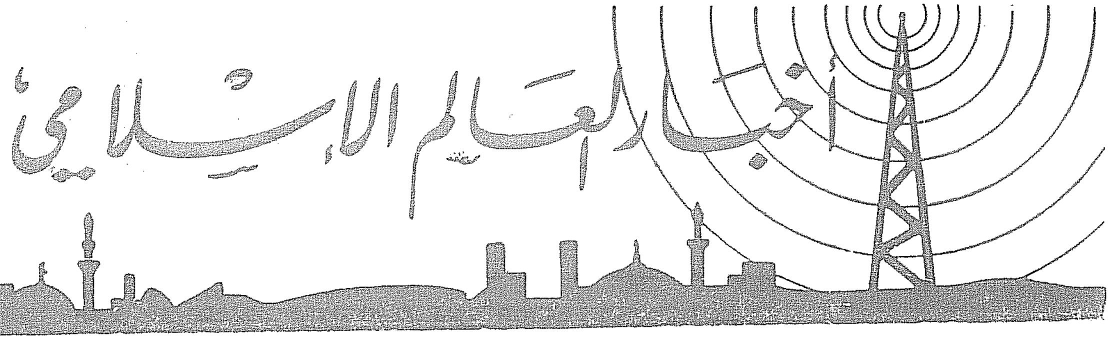
الاجابة :

الفتوى فى المسائل الدينية مسئولية كبرى وتبعة جسيمة ، ويحتاج من يتصدى لها الى فقه فى الدين ، وبصر بالكتاب والسنة وسعة اطلاع وفوق هذا كله دين يحجزه عن الفتوى بغير علم قال الامام الشافعى رضى الله عنه : « لا يحل لأحد أن يفتى فى دين الله الا رجلا عارفا بكتاب الله بصيرا بحديث رسول الله ، بصيرا باللغة الفصحى والشعر الجيد ، وما يحتاج اليه منها فى فهم القرآن والسنة ، وتكون مع هذا له قريحة فاذا كان هكذا فله أن يفتى فى الحلال والحرام ، واذا لم يكن كذلك فليس له أن يفتى » .

وكان المسلمون الأولون من أهل العلم يبتعدون عن الفتوى تعظيما لشأنها وخوفا من مسئوليتها أمام الله ، روى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه قال : أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما منهم رجل يسأل عن شىء الا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث حديثا الا ود أن أخاه كفاه ..

وقد توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يفتون بغير علم بالعذاب الشديد . فقال : من قال على ما لم أقل فليتبوأ بيتا فى جهنم ، ومن أفتى بغير علم كان اثمه على من أفتاه ومن أشار على أخيه بأمر يعلم الرشد فى غيره فقد خانه ..

وبعض الجهلة يجترئون على الفتيا ، وماذا عليهم لو أنهم أحالوا الامر على أهل العلم والبصر بالدين .. ؟



الكويت : يراقب المسئولون باهتمام شديد تطورات الوضع فى باكستان ، ويرفضون حل الوضع الجديد على أساس الامر الواقع بعد أن انتهت الحرب بينها وبين الهند فى الشهر الماضى باحتلال الهند لباكستان الشرقية ، وتكوين حكومة بها تحت اسم دولة بنجالاديش .

● استقبل سمو أمير البلاد المعظم سماحة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ، وقد أجرى الوزير السورى مباحثات هامة واطلع على بعض المنشآت الحديثة بالكويت وزار دار القرآن الكريم .

● طالبت الكويت فى الأمم المتحدة بحماية حقوق الانسان فى النزاعات المسلحة ، بعد اهدار هذه الحقوق فى بعض النزاعات .

● اجتمعت لجنة المساعدات الخارجية برئاسة السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ، وقد درست اللجنة أحوال بعض الهيئات الاسلامية والطلبات المرسلة منها .

● قررت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية اطلاق اسم المرحومين : ملا مرشد السليمـان المحمد ، ومحمد ابراهيم الشايجى على مسجدين من مساجد الكويت تقديرا لخدماتهما فى حقـل التعليم ..

● عهدت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الى عدد من الوعاظ لشرح مناسك الحج بمختلف اللغات للحجاج الـذى يعبرون البلاد الى أداء الفريضة ..

● أصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية رسالة فى الحج ضمنتها كل ما يحتاجه الحاج من ارشادات وأحكام وقامت بتوزيعها على الحملات وسائر الراغبين ، كما أصدرت الوزارة من قبل كتابا عن (الله .. صفاته وأسمائه) بأسلوب مبسط .

● أجرى تنكو عبد الرحمن السكرتير العام للأمانة الاسلامية محادثات مع المسئولين تناولت الشئون الاسلامية

القاهرة : أجتمع فى الشهر الماضى مجلس رئاسة اتحاد الجمهوريات العربية وقد أصدر كثيرا من القرارات لبناء الكيان الاتحادى .

● تقوم مصر بدور الوساطة بين الهند والباكستان لحل المشكلات الناتجة عن الحرب بينهما .

● استقبل وكيل الأزهر وفدا أندونيسيا اسلاميا أجرى معه مباحثات اسلامية .

● يتم الآن ترميم عدد من المساجد الأثرية الهامة أشهرها الجامع الازهر بمناسبة الاحتفال بعيده الألفى على مستوى الملوك والرؤساء فى الصيف القادم .

● أكد الأزهر انه لا يوافق على تمثيل شخصية الحسين ، ولا أى شخصية من الشخصيات الاسلامية من أهل البيت فى المسرحيات والأفلام ..

السعودية : أصدر الديوان الملكى بيانا ندد فيه بالهجوم على باكستان ، وطالب بمساعـدة باكستان فى جهادها وسحب القوات الهندية ، كما أصدرت رابطة العالم الاسلامى بيانا بهـذا الصدد ..

● طلب معالى وزير الحج والاوقاف تكريم المقرئين الاندونيسيين الذين فازوا فى مسابقة حفظ القرآن الكريم .

● قامت وزارة الحج باعداد الامكانيات اللازمة لراحة الحجاج هذا العام .

● أنشئت مكتبة للقرآن الكريم فى المسجد النبوى ضمت مئات المصاحف المخطوطة وغيرها الى جانب كتب التفسير المختلفة

الأردن : تعتزم الاردن عرض انتهاك اسرائيل للمقدسات الدينية على مجلس الامن الدولى .

● أحصى المراقبون عدد المهاجرين الروس الى اسرائيل بنحو (١٥٠٠) مهاجر ، وقد أعلنت اسرائيل أن عدد هؤلاء بلغوا عشرة آلاف فقط فى عام ١٩٧١ .

سوريا : أعلن سماحة وزير الاوقاف عقب عودته من الكويت أنه اتفق مع معالى وزير الاوقاف الكويتى على عقد مؤتمر لوزراء الاوقاف لتعزيز العلاقات والتعاون فيما بينهم .

● تقرر ترفيع جميع الموظفين الدينيين فى سوريا ..

لبنان : وافق البرلمان اللبنانى على اتفاق التعاون التجارى والاقتصادى بين لبنان والسعودية .

ليبيا : أممت ليبيا شركة البترول البريطانية بها ردا على تواطؤ بريطانيا فى احتلال ايران للجزر الثلاث فى الخليج العربى وهى جزيرة (أبو موسى) و (طمب العليا) و (طمب السفلى) .

● أسهمت الحكومة فى بناء مسجد محافظة مرادى بالنيجر .

الجزائر : أصبحت اللغة العربية هى لغة التعليم فى جميع المراحل التعليمية ، كما أصبحت من قبل لغة الادارات فى جميع المكاتبات الرسمية .

● أقيم فى الشهر الماضى أسبوع للثقافة التونسية فى الجزائر .

المغرب : صرح وزير الشئون الدينية المغربى أنه فى الفترة ما بين عامى ٦١ — ١٩٧١ اعتنق الاسلام رسميا ٦٨٢ من المقيمين من جنسيات مختلفة .

● تجرى فى الرباط مباحثات مغربية جزائرية لتخطيط الحدود بين البلدين .

السودان : تقرر رفع كافة القيود التى كانت مفروضة على الراغبين فى الحج ، وينتظر أن يرأس بعثة الحج السودانية هذا العام وزير الشئون الدينية .

● أعلن الرئيس السودانى أن شعب السودان يشارك بأبنائه على خط النار ، وأنه مهما غلت التضحيات فانه على استعداد لتقديمها .

ايران : تجرى المباحثات بين ايران وبعض الدول العربية لمناقشة احتلال ايران للجزر العربية الثلاث فى الخليج العربى .

باكستان : من المنتظر أن يزور الرئيس الباكستانى الجديد ذو الفقار على بوتو الصين وروسيا وأمريكا فى القريب العاجل .

● أفرج عن مجيب الرحمن الزعيم الانفصالى الذى تزعم حركة بنجالاديش لفصل باكستان الشرقية عن باكستان .

أندونيسيا : عرضت حكومة أندونيسيا وساطتها بين الهند وباكستان اذا طلب منها الجانبان ذلك ..

● عقد فى أواخر الشهر الماضى مؤتمر حزب نهضة العلماء فى أندونيسيا وهو ثانى الاحزاب فى البلاد .

● أصدر السيد تنكو عبد الرحمن أمين عام الامانة الاسلامية بيانا استنكر فيه عدوان الهند وتآمرها لفصل وحدة باكستان .

فهرس عام للمجلة

في عامها السابع

١٣٩١ هـ ١٩٧٢/٧١ م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

حديث الشهر

للشيخ رضوان رجب البيلى

من هدى السنة

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

فقه وتشريع واقتصاد

تاريخ وحضارة

تابع تاريخ وحضارة

الموضـــوع	الـكاتب	العدد/الصفحة
شهداء معركة بدر (خارطة)	التحريـر	٤٨/٨١
طابع الفن الاسلامى	الاستاذ محمد الحسينى عبد العزيز	٩٨/٨٠
قائمة بأهم الاحداث التى حدثت فى فلسطين	التحرير	٨٨/٧٩
قصة القافلة التائهة	الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى	٨٠/٧٥
ليلة القدر فى جامع قرطبة	الاستاذ عبد المجيد وافى	٥٤/٨١
مجالس العلم الزاهرة	الاستاذ محمد الحسينى عبد العزيز	٨٠/٧٤
مذبحة المسلمين فى الفلبين	التحريـر	٨٤/٨٠
المركز الاسلامى فى لندن	الدكتور محمد ابراهيم الجيوشى	٧٠/٨٢
مسجد السوق الكبير	الشيخ محمود وهبه	٧٥/٨٢
مسجد الميلم	الشيخ عبد المعطى بيومى	٨٣/٨٣
موقعة اليرموك	الاستاذ محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	٧٨/٨٢
نيجيريا	الاستاذ عرفات كامل العشى	٥٦/٧٥
هل قال ابن خلدون بنظرية التطور	الاستاذ قيس القرطاس	٥٩/٧٨
اليهود فى اقامتهم وخروجهم من مصر	الاستاذ محمد صبيح	٣٥/٧٤
يوم الفرقان	الدكتور زكى محمد غيث	٤٤/٨١

مناسبات اسلامية

الموضـــوع	الـكاتب	العدد/الصفحة
الاسراء فى مجال الدعوة	الدكتور محمد البهى	١٢/٧٩
الاسراء والمعراج		٤٠/٧٩
الاعياد فى الاسلام	الشيخ عبد الحميد السائح	٤٢/٨٤
أعظم مولود وأشرف موجود		٢٨/٧٥
أكذوبة الحدود الآمنة	التحريـر	٦٧/٧٩
آية الاسراء والمعراج	الاستاذ عبد الله كنون	٢٨/٧٩
تأملات فى يوم الذكرى	الاستاذ محمد المجذوب	٦٧/٧٥
جوانب من العظمة المحمدية	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٢/٧٥
الحج طريق الوحدة	الدكتور وهبه الزحيلى	٢٤/٨٣
خطوات فى الهجرة والحركة	الدكتور عماد الدين خليل	٣٣/٧٣
خواطر فى ذكرى الاسراء والمعراج	الشيخ حسن خالد	٢٤/٧٩

تابع مناسبات اسلامية

ركن الموسوعة

تحقيقات وموضوعات عامة

مكتبة المجلة

اعداد : الاستاذ عبد الستار محمد فيض

مائدة القارئ

العدد/الصفحة	العدد/الصفحة	العدد/الصفحة
٦٢/٧٣	٦٠/٧٧	٥٢/٨١
٥٦/٧٤	٤٦/٧٨	٦٨/٨٢
٧٨/٧٥	٦٢/٧٩	٧٦/٨٣
٣٨/٧٦	٥٨/٨٠	٧٦/٨٤

قصائد

عنوان القصيدة	الشاعر	العدد/الصفحة
بيت المقدس فى الشعر الحديث	الشاعرة نازك الملائكة	٩٨/٧٩
عودى الى ثوب العفاف	الاستاذ عبد الحى عبد اللطيف محمد	١١٢/٧٩
غزو الفضاء	الاستاذ على عبد العظيم	٤٠/٧٤
كيف ترقى رقيك الانبياء	الامام البوصيرى	٩٤/٧٥
ما أحلى الفدا	د. محمد عبد المنعم خفاجى	٦٤/٧٥
مملكة العجائب	الاستاذ محمد الأسمر	٤٢/٨٠

قصص

عنوان القصة	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن عمك (عزه عزك)	د. محمد عبد المنعم خفاجى	٩٢/٨٠
اشراقة النـــور	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	٩٦/٧٦
حبـــل المســـد	الاستاذ عبد البديع صقر	٧٦/٧٩
حوار رمضانى	الاستاذ محمد الخضرى عبد الحميد	١٠٠/٨١
حوار عن الارض فى كوكب بعيـــد	الاستاذ محمد لبيب البوهى	١٠٠/٧٧
ســـوار كسرى	الاستاذ عبد اللطيف فايد	٩٦/٨٣
شهداء بئر معونه	التحريـــر	٨٣/٧٨
فى خيمة أم معبد	التحريـــر	٧١/٧٣
مريم العذراء والمسيح	د. مصطفى عبد الواحد	٩٠/٧٤
من قصص الهجرة فى القرآن	الاستاذ أحمد محمد جمال	١٠٤/٧٣
النسمة المباركة	الاستاذ عبد المقصود حبيب	٩٦/٧٥
وانطفأت الفتنة	الاستاذ أحمد محمد السفارينى	٩٠/٧٩
هذا الزحف من يتصدى له	الاستاذ محمد أحمد العزب	٩٥/٨٢
يـــوم عصيب	الاستاذ أحمد العنانى	٩٨/٧٨

بريد الوعي

الأعلام

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أبو بكر الصديق	د. محمد تقى الدين الهلالى	٥١/٨٠
أبو حنيفة	د. محمد محمد أبو شهبة	٣٥/٨٣
أهل الحديث	د. محمد تقى الدين الهلالى	٥٥/٧٦
أهل الحديث	د. محمد تقى الدين الهلالى	٥٢/٨٣
ذو القرنين	الشيخ أحمد حسن الباقورى	٢٥/٨١
الرافعى	الاستاذ محمد أحمد العزب	٨٦/٧٤
محمد بن عبد الوهاب	الاستاذ عبد الله سعد الرويشد	٧٦/٨٠

كتاب الشهر

الكتاب	المؤلف	الناقد	الصفحة /العدد
القديانى و القديانية	الاستاذ أبو الحسن الندوى	الاستاذ عبد المعطى بيومى	٨٥/٨٣
منهج القرآن فى التربية	الاستاذ محمد شديد	الاستاذ ابراهيم عبد الرحمن البليهى	٩٠/٧٨

قالت صحف العالم

الموضوع	الصحيفة	العدد/الصفحة
مجلة البلاغ الكويتية	أزمة باكستان الشرقية	١٠٩/٨٤
الاسلام والحضارة	مجلة الحوادث اللبنانية	١١٢/٨٠
الالتزام بالاسلام يوفر الاستقرار	مجلة المجتمع الكويتية	١٠٨/٨١
التغلغل الاسرائيلى فى افريقيا	حضارة الاسلام السورية	١٢٧/٧٣
دخل الحجاج عصر النصف مليون	مجلة المجتمع الكويتية	١٠٦/٧٤
ذكرى انتصار الثورة الجزائرية	مجلة البلاغ الكويتية	١٠٩/٨٢
شبهات الماديين	مجلة التربية الاسلامية	١١١/٨٣
الشريعة الاسلامية هى أساس الحكم	صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية	١١٢/٨٣
الضياع بالذنوب الصغيرة	صحيفة الاخبار المصرية	١٠٧/٧٦
العلمانيــة	جريدة الاهرام المصرية	١٠٩/٨٢
عناية المغرب بحفظ القرآن والحديث	مجلة الميثاق المغربية	١١١/٨٠
فى تحضير الأرواح	صحيفة السياسة الكويتية	١٠٩/٧٩
التربية الخلقية	مجلة صوت الجامعة الهندية	١٠٨/٨١
ر المسلمين	مجلة الشبان المسلمين المصرية	١٠٨/٨٤
لة المسلمين فى الفلبين	صحيفة الاهرام المصرية	١٠٩/٧٨
ع الاسلامى والانسانية العذراء	مجلة الشبان المسلمين المصرية	١١١/٧٧
صفات الرسول	مجلة لواء الاسلام المصرية	١٠٦/٧٥
لسوالف الطويلة تقف الصهيونية	مجلة الازهر المصرية	١٠٧/٧٤
الهند وباكستان	صحيفة أخبار العالم الاسلامى السعودية	١٠٨/٧٦

بأقلام القراء

كلمات وأحاديث

أدب

طب وعلوم

الكتاب

الاســــم	الموضـــــوع	العدد/الصفحة
جعفر الهادى	لعبة الموضة وأصابع الصهيونية	٧٨/٨٤
حسن خالــد	الشخصية المسلمة	٢٣/٧٣
	خواطر فى ذكرى الاسراء والمعراج	٢٤/٧٩
حسن هويدى	نقل الدم لا يحرم	١٢٠/٧٣
حسنين محمد مخلوف	حكم الصلاة فى النعال	١٠٣/٧٥
	علاج الضرس فى الصيام	١٠٤/٨١
	النزيف فى الصيام	١٠٤/٨١
	الحقنة الشرجية فى رمضان	١٠٥/٨١
حسينى عرابى عطوة	الاعياد فى الاسلام	٤٢/٨٤
حمد العبد القاضى	الهدى فى الحج	١٢٤/٧٣
رضوان رجب البيلى	حديث الشهر	**جميع الاعداد**
رمضان لاونــد	هجرته عليه الصلاة والسلام	٨٨/٧٣
	لماذا عدوان الصهيونية ؟	٦٨/٧٩
	الحج والعبادة المتكاملة فى الاسلام	٦٤/٨٣
زكريا البرى	الوقاية هى العلاج	٩٤/٧٧
زكى محمد غيث	يوم من أيام الاسراء	٤٨/٧٩
	يوم الفرقان	٤٤/٨١
صبحى الصالح	البلاغة النبوية	٢٨/٧٦
صلاح عـــزام	مؤتمر علماء المسلمين السادس	٨٦/٧٦
عادل جلال سعيد	اضرار المسكرات	١١١/٨٢
عبد البديع صقر	حبل المسد (قصة)	٧٦/٧٩
عبد الحميد السائح	لماذا أرخ المسلمون بالهجرة	٢٨/٧٣
	أعظم مولود وأشرف موجود	٢٨/٧٥
	الاسراء والمعراج	٤٠/٧٩
	الحج والوحدة الاسلامية	٢٣/٨٤
عبد الحى عبد اللطيف محمد	عودى الى ثوب العفاف (قصيدة)	١١٢/٧٩
عبد الخالق عبد الرحمن	رعاية الاسلام للعقل	١٠٥/٧٤
	موازنة بين صحافة الرأى والخبر	١٠٤/٧٤
عبد الرحمد أحمد شادى	اختلاف الاشكال	١١١/٧٦
	التراث المفقود والموجود	٤٠/٨٣
	ما قل ودل	١٠٦/٨٤
عبد الرحمن محمد أمين	الشهيد	٨٨/٨١
عبد الرحيم عبد الخلاق	مع الخليل ابراهيم عليه السلام	٥٣/٨٤
عبد الستار محمد فيض	مكتبة المجلة	٧٧/٧٣
		١٠٣/٧٦
		٨٥/٧٧
		٦٧/٧٨
عبد العال سالم مكرم	غريب القرآن	٦٤/٧٤
	الشباب فى اطار التربية	٤٥/٧٨
	قضية الكلمات الاعجمية فى القرآن	١٢/٨٢

العدد/الصفحة	الموضـــوع	الاســـم
٧٨/٧٦	الحضارة الغربية وأثرها فى حياتنا	عبد العزيز خياط
١٢١/٧٣	من مسائل الربا	عبد العزيز عبد الله بن باز
٧٤/٨٠	الدعوة الى الله وأثرها فى المجتمع	
١٠٤/٨٤	حكم الأذان	
١٠٥/٨٤	زكاة السيارات	
١٠٥/٨٤	البيع بالمجانســة	
١٢/٨٤	فى رحاب القرآن الكريم (١)	عبد العزيز العلى المطوع
٧٣/٧٤	المستشرقون وتعدد الزوجات	عبد القادر السبسبى
٣٦/٧٥	مولد نبى وميلاد كلمة	عبد الكريم الخطيب
٣٦/٧٧	الشباب تربيته ومشكلاته	
٢٩/٨٢	الرسم العثمانى ولماذا ينفرد به المصحف .	
٩٦/٨٣	سوار كسرى (قصة)	عبد اللطيف فايد
٧٨/٨٣	الانسان بين المادة والروح (١)	عبد الله خلف
٧٢/٨٤	الانسان بين المادة والروح (٢)	
٧٦/٨٠	محمد بن عبد الوهاب	عبد الله سعد الرويشد
١١٠/٨١	من اشراقات الصيام	عبد الله عبد القادر بلفقيه العلوى
١١٠/٧٥	ذكرى مولد الرسول	عبد الله عبد الرحمن السند
١١٠/٨٠	وحدة الامــة	
٢٨/٧٩	آية الاسراء والمعراج	عبد الله كنـــون
٦٥/٨١	مدرسة الاحسان	
٥٤/٨١	ليلة القدر فى جامع قرطبة	عبد المجيد وافى
١١١/٧٤	يهود يثرب	
١١٢/٧٤	الاحوال الشخصية	
٧٣/٧٨	مؤتمر المراكز الاسلامية فى الرباط	عبد المعطى بيومى
٨٣/٨٣	مسجد الميلم	
٨٥/٨٣	القديانى والقديانية « كتاب الشهر »	
جميع الاعداد	الاخبـــار	
٩٦/٧٥	النسمة المباركة (قصة)	عبد المقصود حبيب
٩٦/٧٧	الشباب والقلق والدين	عثمان خليـــل
١٠٠/٧٣	ارتيريــا	عرفات كامل العشى
٥٦/٧٥	نيجريــا	
٢٨/٨٤	لبيك بحجة حقا	عطية صقر
٤٧/٨٤	نساء ذوات عزائم وهمم	على الجندى
١٢/٧٨	الفكر التشريعى فى الاسلام (١)	على الخفيف
٣٥/٨٠	الفكر التشريعى فى الاسلام (٢)	
٢٣/٨٢	الفكر التشريعى فى الاسلام (٣)	
٤٠/٧٤	غزو الفضاء (قصيده)	على عبد العظيم

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
محمد المجذوب	تأملات فى يوم الذكرى	٦٧/٧٥
	منافع الحج	٦٢/٨٤
محمود شيت خطاب	شجاعة النبى عليه السلام	٤٨/٧٥
	أهمية الدعوة	٢٢/٧٦
	التربية المثالية	٢٦/٧٧
	مونتكمرى وأراؤه فى التربية	٣٨/٧٨
	فوائد الصوم العسكرية	٣٢/٨١
	لغة القرآن الكريم	٣٩/٨٢
محمود على حماية	صيحة وعتاب	١١٢/٧٦
محمود وهبه	مسجد السوق الكبير	٧٥/٨٢
المدنى الجراوى	الخاتم الضائع « قصة »	٨٤/٨٤
مصطفى أحمد الزرقا	تعقيب حول مقال الاحاديث الضعيفة والقوية	١٢٤/٧٣
مصطفى عبد الواحد	مريم العذراء والمسيح (قصة)	٩٠/٧٤
مصطفى يوسف راجح	علماء الاسلام	١٢٦/٧٣
معوض عوض ابراهيم	الاسلام والجيل الصاعد	٥٣/٧٨
مصطفى يوسف راجح	علماء الاسلام	١٢٦/٧٣
نازك الملائكة	بيت المقدس فى الشعر الحديث	٩٨/٧٩
ناصر الدين الالبانى	تعقيب على تعقيب	١٠٨/٧٧
وليد عبد الحليم	حرية الفكر فى الاسلام	١١٠/٧٧
وهبة الزحيلى	أثر الترف	٥٨/٧٤
	الدين والشباب	٥١/٧٧
	من وحى الاسراء والمعراج	٥٤/٧٩
	ظاهرة المديح فى المجتمعات المتخلفة	٤٤/٨٠
	الحج طريق الوحدة	٢٤/٨٣

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
محمد سلام مدكور	صور من المعانى السامية فى الهجرة	٥٦/٧٣
	جوانب من العظمة المحمدية	٣٢/٧٥
	فلينظر الانسان مم خلق (٤)	٢٩/٧٨
	الايمان عقيدة وعمل (١)	١٩/٨٠
	الايمان عقيدة وعمل (٢)	٣٥/٨٢
	رحلة الفهرسة	٨٧/٧٥
محمد سليمان الاشقر	الايمان فضيلة وحضارة	١٢٥/٧٣
محمد سيد أحمد المسير	دعاوى المبطلين	١١٢/٧٥
	الايمان المادى	١١١/٧٨
محمد الصادق عرجون	كتاب المصاحف لابنأبى داود (٢)	٤٤/٧٤
	كتاب المصاحف لابن أبى داود (٣)	٦٧/٧٦
محمد عبد الرحمن بيصار	على طريق الهجرة	١٩/٧٣
محمد عبد الرحيم عبد الله السمان	الاسلام والربا	٢٩/٨٠
محمد عبد الرؤوف	من وحى الهجرة	٩٤/٧٣
	دار الهجرة	٦٤/٧٣
	السيرة النبوية فى الأدب القديم	٥١/٧٤
محمد عبد الغنى حسن	شباب الشرق والعرب والاسلام	٦٨/٧٧
محمد عبد الله السمان	المفكر الانسان (كتاب الشهر)	٩٩/٨٤
	ما أحلى الغدا (قصيدة)	٦٤/٧٥
	الاسلام فى العصر الحديث	٧٦/٧٨
محمد عبد المنعم خفاجى	ابن عمك (قصة)	٩٢/٨٠
	اليمينيون واليساريون فى القرآن	٣٠/٨٣
	فى دروب الايمان	١١١/٧٩
محمد العربى الخطابى	يهود الحجاز اسرائيليون يقينا	١٠٨/٧٨
محمد عزة دروزه	الايمان بالله سر القوة الاسلامية	٢٣/٨٠
محمد عطيه الابراشى	اصالة الفكر السياسى فى الاسلام	٦٠/٨٠
محمد على حيدر	دين زاحف مهما كانت العوائق	٥٠/٧٣
محمد الغزالى	لا علاقة بين العلم والالحاد	٣٢/٧٦
	التضحية بين الشباب والشيوخ	٦٢/٧٧
	العلم يدعو للايمان	٤/٨١
محمد لبيب البوهى	حوار عن الارض فى كوكب بعيد	١٠٠/٧٧
	محاكمة قابيل « قصة »	٩٢/٨١
محمد محمد أبو شهبه	أبو حنيفة	٣٥/٨٣
محمد محمد أبو شوك	أمراض الشتاء	١١٣/٧٣
	حياة طبيعية لمرضى السكر	٦٣/٧٦
	نحن قوم لا نأكل حتى نجوع	٩٦/٨١
	الاسلام دين اليسر والنظافة	٩٠/٨٣
محمد محمد خليفة	وقفة بين شبابين	٦٣/٨٢

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية
الكويت

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الا‍. عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

عدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مسقط : المكتبة الجديدة — السيد يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

د‍ ى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — السيد غازى بساط .

ا‍ ويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

ا‍ وحة : سالم الانصارى — الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الفهرس العام للمجلة فى عام ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ — ١٩٧٢ م .

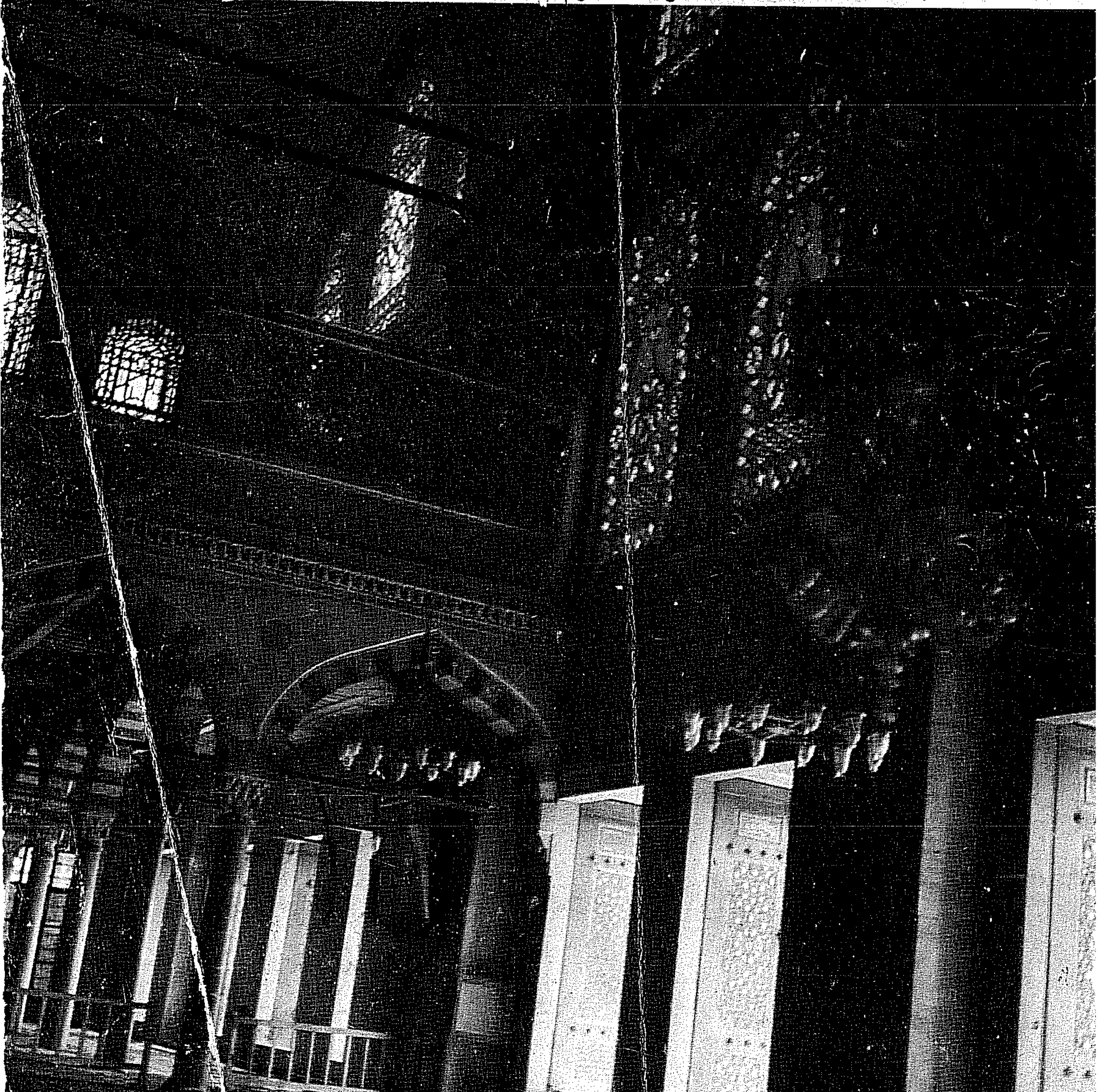
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

عدد خاص

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

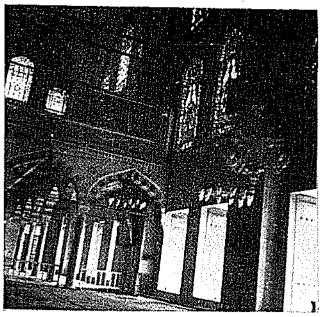
السنة الثامنة ـ العدد ٨٥ ـ غرة محـرم ١٣٩٢ هـ ـ ١٦ فبراير (شباط) ١٩٧٢ م





سمو أمير البلاد المعظم وهـو يستقبل بقصر السيف العامر كبار رجال الدولة ووجهاء البلاد وأعيانها ، حيث قدموا لسموه ولسمو ولي العهد ورئيس مجلس الـوزراء ، التهنئـة بمناسبة عيد الأضحى المبارك .

تحفة رائعة من الفن الاسلامى تنقلها هذه الصورة الفنية بآيات الابداع التى تتجلى فى كل ما ترمقه العين فى المسجد الأزرق بتركيا .



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السنة الثامنة

العدد الخامس والثمانون

غرة محرم ١٣٩٢ هـ

١٦ فبراير (شباط) ١٩٧٢

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليما
الجزائر		دينار وربع
المغرب		درهم وربع
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

إن الله معنا

تطالع المسلمين اليوم ذكرى هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى المدينة على راس ثلاثة عشر عاما قضاها فى معية الله ، وفى جوار بيته الحرام يهز جنبات الوادى بصيحة التوحيد ، ويفتح مغاليق القلوب بمنطق الوحى الجديد ، ويمهد للانسانية طريق حريتها ، ويفك عن أعناقها قيود الذلة والعبودية للحجر والبشر ، ويقيم الاصلاب الراكعة لغير الله ، ويرفع الجباه العانية لغير وجهه حتى ترى العيون وتبصر القلوب الوجه الحق الذى يجب أن تسلم له الوجوه ، وتعنو لألوهيته جباه العالمين .

وما كان لقريش وقد ذر قرن الشيطان فيها ، وشابت لمما فى الكفر والضلال — أن تفىء من قريب الى الحق ، أو تصحو على صوت النذير ، فقد أعماها الهوى وأضلها الشيطان ، فحاولت ما وسعتها الطاقة أن تضع فى طريق الرسالة أشواكا لا تخيف الا الفارغين من الايمان ، وان تلقى على كواهل المؤمنين أثقالا تعوقهم عن المسير ، وباءت محاولتها بالفشل والخيبة .

وأخيرا بعد ان أعياها الجهد العنيد والضلال الحقود دبرتها بليل ، وسول لها جبروتها وبطشها أن فى مقدورها أن تخضب أيديها بدم النبوة الزكى الطهور ، وأنى لها ذلك وصاحب الرسالة فى معية الله : « **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » .

وكانت الهجرة الخالدة ، وخرج المهاجر الاعظم صلى الله عليه وسلم بالنداء الذى تلقاه والوحى الذى وافاه فى غار حراء الى غار ثور ليكون منه المنطلق لاذاعته فى الأرجاء من فوق منارات المدينة أرض الهجرة المنورة التى استجاب أهلها لله وللرسول ، فآمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه، فكانوا حداة الركب المؤمن ورواد القافلة المسلمة التى حملت مشاعل التوحيد ، وشرقت وغربت تحت راية القرآن تعلى كلمة الله وتنشر نوره والله متم نوره ولو كره الكافرون .

وما اكثر ما تحمل الهجرة النبوية من حقائق عليا ، ومبادىء مثلى ، وقيم ونماذج تستوقف النظر ، وتأخذ بمجامع القلب ، وتضع الاعلام على الطريق لأمتنا التى تسعى لتنهض من كبوة ، وتستأنف مسيرتها من عثرة ، وترفع رايتها بعد نكسة .

التضحية .. الفداء .. الثبات على الحق .. الفهم الحقيقى للهدف .. الادراك الواعى لمرامى العدو .. ذلكم بعض ما تنطوى عليه الهجرة من معان وحقائق .. على أن الحقيقة الكبرى التى تعتبر الركيزة الاساسية والمنبع الحقيقى لهذه القيم والمبادىء هى الدخول فى معية الله والايمان الكامل بهذه المعية التى طمأن بها المهاجر الأعظم صاحبه وصديقه : ((ان الله معنا)) .

حقا ان سيد الغار صلى الله عليه وسلم كان فى معية الله لأنه كان أقوى المؤمنين ايمانا ولهذا كان اكثرهم عملا واصبرهم على الجهاد ، ومن ثم كان اكثرهم تفاؤلا وأملا ، اذ الايمان القوى يستلزم العمل الدائب ، والعمل يبدد ظلمات اليأس ، ويملأ آفاق النفس ، أملا ورجاء ، واننا لنرى النفس المحمدية فى جميع مراحل الدعوة الى الله تشرق بنور الأمل فى الله حتى فى اشد الظروف حرجا وأحلكها ظلمة ، وتشيع هذا الأمل فى القلوب المؤمنة الملتفة حولها :

١ — فى عنفوان الاضطهاد لأصحابه قبل الهجرة كان يدعوهم الى الصبر ، واحتمال ما يلقون من العذاب والأذى فى سبيل الله حتى يأتى الله بالفتح أوامر من عنده ، وكان يهون عليهم ما يجدون بتذكيرهم بسير المؤمنين فى الأمم التى خلت ، وما كان من قوة احتمالهم ورسوخ ايمانهم وصبرهم على الوان العذاب ، ويؤكد لهم أنهم فى معية الله وان النصر آت لا ريب ، وان الدنيا ستفتح عليهم .

روى البخارى عن قيس قال : سمعت خبابا يقول : ((أتيت النبى صلى الله عليه وسلم — وهو متوسد برده فى ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : الا تدعو الله ، فقعد وهو محمر الوجه ، فقال : قد كان من قبلكم يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم او عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق راسه ، فيشق باثنين .. ما يصرفه ذلك عن دينه .. وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله عز وجل والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون)) .

لا يقول هذا القول الا من كان فى معية الله ، ولا يرى هذه الرؤية الا من كان يرى بنور الله ولا يصبر هذا الصبر الا مؤمن اشد الايمان بالله .

٢ — وفى خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة والمنعة من ثقيف ، والشقة بين مكة والطائف ليست شقة هينة اذ تزيد المسافة بينهما على مائة وعشرين ميلا يقطعها ماشيا بين جبال وعرة ، ووهاد مقفرة — فى هذا الخروج الذى اساءت فيه ثقيف استقباله ، فأغرت به سفهاءها ، وسلطت عليه صبيانها ، فقعدوا له على الطريق يرشقونه بالحجارة حتى دميت

تدماه . فى هذا الوقت الحرج ، والموقف الرهيب يأنس الرسول بمعية الله ، وتنسيه لذة المعية كل أذى وتعب ، وتتحرك فى قلبه الشريف الآمال العراض فى نصر الله ، ويجيش صدره بالضراعة والابتهال الى الله ، ويفيض لسانه بكلمات عذاب تسكن بها نفسه ، ويطمئن بها قلبه :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس .. يا ارحم الراحمين .. أنت رب المستضعفين وأنت ربى .. الى من تكلنى . الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته أمرى .. ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي .. ولكن عافيتك أوسع لي .. أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك .. لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

هذه نبضات قلب ، ودفقات دم ، وموجات نفس تفرغ من حولها الى حول الله ، وتتخلى عن كل عون الا عون الله ، وتلقى بثقلها فى معية الله .

٣ ــ وفى الهجرة الى المدينة بلغ الخطر على حياته مبلغا لا يجد معه أشد الناس تفاؤلا منفذا لنجاة ، وبلغ ايمانه بمعية الله مبلغا لا يحس فيه صاحبه بخطر ما ، فقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت الجأش مطمئن الخاطر تغمره السكينة والطمأنينة ، ويملأ قلبه اليقين بأن الله يرعاه ، وأن قريشا ستبوء بالخيبة مهما دبرت له من كيد ، ومهما استعانت بمالها من خبرة وقوة ، ففى اللحظة التى وصل فيها الأعداء الى الغار ، وسمع أبو بكر صوت اقدامهم كان رسول الله يرى ما لا يراه أبو بكر ويحس ما لا يحسه أبو بكر . كان يرى جنود السموات والأرض فى حراسته ، ولهذا لما قال له الصديق يا رسول الله لو أن احدهم نظر الى موضع قدميه لأبصرنا اجابه من فوره . من قوة معاينته من صدق معيته : **« لا تحزن ان الله معنا ، ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما »** .

٤ ــ وفى غزوة الأحزاب ألب اليهود القبائل عليه وعلى المسلمين فى المدينة ، فخرج نحو عشرة آلاف مقاتل تحت امرة أبى سفيان ، وحاصروا المدينة قرابة شهر فى أيام شديدة البرد جافة الزرع يابسة الضرع ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثقة كاملة بالله وفى يقين قوى بمعية الله وقف مع أصحابه يشاركهم حفر الخندق ، ويبث الثقة والطمأنينة فيمن حوله ، ولما استعصت صخرة على سلمان الفارسى أخذ الرسول المعول منه وضرب ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحت المعول برقة ثانية ، ثم ضرب ضربة ثالثة ، فلمعت تحت المعول برقة أخرى . قال سلمان : قلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله . ما هذا الذى رأيت لمعه تحت المعول وانت تضرب به ؟ قال : أو قد رأيت يا سلمان : قلت : نعم . قال : أما الأولى فان الله فتح على بها اليمن ، وأما الثانية فان الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فان الله فتح على بها المشرق .

والحديث يطول عن التفسير العملي والايجابي لقول الرسول الكريم لصاحبه في الغار : « **ان الله معنا** » وكذلك تفصيل النتائج لهذه المعية الربانية في حياة الصحابة وفتوحاتهم وانتصاراتهم ، ولا شك ان ميدانا يغمر الواقفين فيه احساس عميق بأن الله معهم لهو ميدان النصر الذي يتحرك فيه المجاهدون على ثقة من الظفر ، ويقين من الغلبة والفوز ، وان ساحة تشيع فيها هذه الثقة لا تطيش فيها قذيفة ولا ينبو سيف ، ولا تخطيء طعنة ولا ضربة .

ان على امتنا ان تذكر ان معية الله قلبت موازين القوى ، فجعلت من الحفاة العراة الرعاة ابطال وغى وقواد أمم وساسة شعوب دانت لعقيدتهم ، وارتضت شريعتهم وتفيأت ظلال الأمن والعدالة . في ظل حكمهم وسلطانهم ، وما حكمهم الا حكم الله ، ولا سلطانهم الا سلطان الله والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

ان الدخول في هذه المعية يفجر الطاقات ، ويذلل الصعاب ، ويحطم العقبات ، ويعلو بالمؤمن فوق مستوى الماديات ، ويضع في يده مفاتيح الدنيا لأنه يرى رؤيا العين أن البعيد قريب وان الصعب سهل وان المستحيل ممكن وقد رأى انصار الله من قبل ان الطوفان مخاضة لا تبل الاقدام ، وان النيران التي تخطف الطير برد وسلام ، وان الفيلة نمال ، وان أصحابها كعصف مأكول .

والطريق لانقاذ المسلمين من الضياع الذي يخبطون فيه ، والفراغ الايماني الذي يعانون فيه انعدام الجاذبية بينهم وبين الله تعالى .. الطريق لدخولهم في حماية الله وكنفه واضح المعالم أمامهم كما كان واضحا أمام الأنصار والمهاجرين .. العودة الى دين الله ، والوقوف عند حدوده ، والالتزام بشريعته .

والدلالة على هذا الطريق واجب أجهزة الاعلام الاسلامية وحملة الأقلام الواعية التي تنطق باسم الله وتغار على دين الله ، وتحرص أشد الحرص على اقامة المؤمنين على الجادة التي لا يزيغ من سلكها ، ولا يضل من التزمها .

ومن فضل الله على هذه المجلة وهي تدخل بهذا العدد في عامها الثامن انها التزمت فيما تنشر ان تصل المؤمنين بالله ، وان تمهد لهم طريق العودة اليه ، وان تربط حبالهم بحبل الله حتى يكونوا أهلا لمعيته .

ولقد كان من الآثار الطيبة لهذه الدعوة المخلصة هذا التجاوب الحبيب من القراء وهذا النشاط المقدور من الكتاب وهذه الرسائل من المسلمين شرقا وغربا وهي تتابع ما ينشر فيها ، وتفتقدها اذا غابت ، وتسأل عنها اذا منعت .

وان هذا الاقبال الذي تلاقيه من القراء والعون الذي تجده من الكتاب ليحفز المسئولين فيها الى المزيد من الجهد والمزيد من العطاء حتى تؤدي الغاية المرجوة من نشر الفكر الاسلامي ، وايقاظ الوعي القرآني .

— ● —

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين .

مدير ادارة الدعوة والارشاد

رضوان البيلي

في رحاب القرآن الكريم

للاستاذ عبد العزيز العلى المطوع

(١١٤) سُورَةُ النَّاسِ مكيّة
وآياتها ٦ نزلت بعد الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾
إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

قل أعوذ : الاستعاذة فى بدء سورة الناس من الوسواس الخناس الـذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ، هى تخلية وطلب الهداية من رب العالمين الرحمن الرحيم الى الصراط المستقيم والطريق القويم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين — كما جاء فى ختام سورة الفاتحة — هى تخلية وجب الحمد عليها ، فكان ذلك الحمد فى الافتتاح لفاتحة كتاب اللـه ومن المعلوم أن الضلال والهدى لا يجتمعان فى قلب انسان فى وقت واحد ، كما لا يجتمع النور والظلام فى مكان وزمان واحد ..

صحيح ان قوة إشعاع النور تختلف وتبدأ من الشمعة الواحدة ، وان الانسان غالبا ما يتردد ويتشكك ويحتار ولـكن الحيرة والتردد والتشكك لا تلبث أن تزول ويحل محلها ايمان سليم يهدى الى صراط مستقيم ، كما يحل النور محل الظلمات ويذهب الباطل امام قوة الحق وهذه سنن كونية لا تبديل لها ولا تحول عنها ، قال سبحانه « وقل جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا » (الآية ٨١ من سورة الاسراء) وقال سبحانه ايضا : « وهو الـذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا » (الفرقان ٦٢) .

برب الناس : رب الناس هو رب العالمين الرحمن الرحيم كما جـاء فى سورة الفاتحة .

ملك الناس : هو ملك يوم الدين كما ورد فى سورة الفاتحة أيضا وكلمة ملك بالنسبة لله غالبا ما تأتى فى كتاب الله مقرونـة بيوم الدين ، اليـوم الـذى لا ملك ولا مالك فيه غيره سبحانه مصداقا لقولـه جل شأنه : « وما أدراك ما يوم الدين . ثم أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله » (الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ من سورة الانفطار) وقوله سبحانه : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم » (الآية ٥٦ من سورة الحج) وقولـه سبحانه : « قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور » (الآية ٧٣ من سورة الانعام) وقوله سبحانه : « الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوما على الكافرين عسيرا » (الآية ٢٦ من سورة الفرقان) وقوله سبحانه : « لمن الملك اليوم لله الواحد القهار » (الآية ١٦ من سورة غافر) — وفى الاثر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يطوى الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : انا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الارضين ثم يأخذهن قال ابن العلاء ، وهو محمد أبو كريب : بيده الأخرى « وكلتا يديه يمين » ثم يقول : انا الملك اين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ..

ولعل فى تكرار ذكر الناس ما يفيد أنهم مركز الثقل ، وبيت القصيد ومصداق قوله سبحانه : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون . إن فى هذا لبلاغا لقـوم عابدين . وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الآيات ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ من سورة الأنبياء) ..

الوسواس الخناس والجنة والناس : الظاهر أن كل ضار سواء أكان من

الناس أم من الجنة فهو شيطان يستعاذ من شره وكل ما جن عن الغين فهو من الجنة والخناس هو الذى يخنس أى ينكمش ويتضاءل ويقصر عند ذكر الرحمن وهم مردة الجنـــة كما قال الله سبحانه فى موضع آخر من كتابه الكريم « إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » (الآية ٢٠١ من سورة الاعراف) أن شياطين الجن تمثل الظلام الذى لا يجدى فى ازالته مهانة ، أو تجهم عليه ، أو لعنة توجه اليه ، ولكن شمعة واحدة تزيل جانبا من الظـــلام بقدر قوة إشعاعها وعلى قدر امتداد الاشعاع يكون انحسار الظلام .

ان شيطان الجن يخنس ويقصر ويتلاشى (عند ذكر الرحمن) ثم ينبعث ويكبر كلما غفل الانسان عن ذكر الله مصداقا لقولـــه سبحانه « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » (الآية ٣٦ من سورة الزخرف) .

وقد ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال لرديفه حينما عثرت ناقته وقال الرديف (تعس الشيطـــان) فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا تقل ذلك فانك إذا قلتها تكابر وقال بقوتى صرعته ، ولكن قل بسم الله فانك أذا قلتها تصاغر حتى يكون كالذبابة) . .

وقد جاء فى الحديث الشريف ما يدل على اعتبار الميكروبات الضارة شياطين ايضا لقوله صلوات الله عليه : (قصوا الاظافر كى لا تتظلل تحتها الشياطين) ولعل المقصود من ذلك الا تكون وكرا لهـــذه الشياطين أى الميكروبات الضارة ، ومن الفطرة حف الشارب وهو فى طريق مجرى الغذاء والتنفس ، وقد ورد فى الاثر عنه (صلى الله عليه وسلم) الفطرة خمس : حف الشارب ، واعفاء اللحية ، ونتف الابط . وقص الاظافر ، وحلق العانة) .

كذلك قال صلوات الله عليه (غلقوا الابواب أذا رقدتم ، واطفئوا المصابيح ، وأوكئوا الأسقية ، وخمروا الطعام والشراب) وقال أيضا : (تنكبوا الغبار فانه من النسمة) ومن الندب تغطية الفم باليد عند التثاؤب ، والاحاديث فى هـــذا المعنى كثيرة .

أما شياطين الانس فقد لا يتأثرون بكلمة الحق ، ولا يحفلون باشعاع النور ، وقد وصفهم الله سبحانه بقوله « وإخوانهم يمدونهم فى الغي ثم لا يقصرون » (الآية ٢٠٢ من سورة الاعراف) وإنما تردعهم العدالة الحقة بالقصاص عنـــد إقامة الحدود ، وقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه وذلـــك أضعف الايمان » . .

من هدي السنة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد
الأستاذ فى جامعة الكويت

العمل والجزاء

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال :

« قال : ان الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله لهعنده حسنة كاملة ، فان هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة » .

ـ رواه البخارى وغيره بلفظ مقارب ـ

تمهيد :

قال الحافظ بن حجر العسقلانى : [يحتمل ان يكون هذا الحديث مما تلقاه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه بلا واسطة ويحتمل ان يكون مما تلقاه بواسطة الملك] ..

الحسنة :

ضد السيئة وفى التنزيل : « من جاء بالحسنة فلهعشر امثالها » ، والجمع حسنات ولا يكسر ، والمحاسن فى الاعمال ضد المساوىء ، وقوله تعالى : (انا ويعين المظلوم ، ويعود المريض ، فذلك احسانه ، وقوله تعالى : (ويدراون بالحسنة السيئة) أى يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سىء غيرهم .

والسيئة : الخطيئة ، وسيء وسيئة عملان قبيحان ، يصير السيء نعتا للمذكر من الاعمال ، والسيئة نعتا للمؤنث منها ، وفى القرآن الكريم .. (استكبارا فى الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله .. الآية الكريمة) .. وهم بالشيء يهم هما : نواه وأراده وعزم عليه . ومن معانى الهم : ترجيح قصد الفعل ، يقال : هم بالشيء قصده بهمته .

١ ـ الله رحيم بعباده ، رؤوف بهم ، أرسل اليهم رسله مبشرين ومنذرين ليسلكوا بهم شعاب الحياة ودروبها فى يسر ، منيرين لهم دجناتها ، ليصلوا الى غاياتها الكريمة على هدى وبصيرة ، وليضعوهم فى أول درجات السلم ثم يرتقوا فيه على مقتضى السنن الكونية وطبائع الاشياء ، ولم يكلفهم ما لا يطيقون ، وجعل لكل عمل نافع مثوبة ، وبقدر اتساع رقعة التطبيق والفائدة تكون جزالة العطاء من الله تعالى والتفضل ، واقتضت سنته فى الكون انه لا بد من عمل وسعى وقوة عزم ، ونفاذ ارادة ، وصبر ومداومة لكى يصل السائرون فى مختلف المسالك الى أهدافهم ، ويجنوا ثمار جهودهم وينعموا بالبهجة والسعادة حين الحصاد ، وابان الجنى ، وبتأمل سلوك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السير بالدعوة الى ما استقرت عليه من كمال فى جميع مناحيها ومقاصدها ووضوح منهاجا ، نجد العمل الواقعى هو العدة فى كل خطوة خطاها عليهأفضل الصلاة وأزكى السلام وهنا لا أستطيع أن اقول : ان التنفيذ الدقيق الذى نراه فى كل حركة وسكنة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى انتقالات الدعوة من مرحلة ضيقة النطاق لا تتجاوز المخالطين فى المعيشة والسكن الى العشيرة الاقربين مستهلة بدعوة شركاء النسب وذوى القربى القريبة ، واللحمة البعيدة ، الى أن تتجاوز كل الحدود الى مختلف الآفاق ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه مسلم : **(والذى نفسى بيده لا يسمع لى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى الا دخل النار)** .. ويقول الله عز وجل : **((وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون))** الآية ٢٨ من سورة سبأ ثم ما كان بعد ذلك من هجرة عظمى الى يثرب ومفارقة للأهل والوطن وما تلا الهجرة من غزوات وحروب . أقول : لا نستطيع أن ننسب هذه الخطة الدقيقة الا الى الله رب العالمين ، ومنفذها فى الواقع المحس هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن دلالاتها ، التوجيه القوى للامة التى استجابت للنداء ان تدرس أمور حياتها وكونها على ظهر الارض دراسة مستنيرة واعية ، فلا تقدم على عمل الا بعد معرفة أبعاده ونتائجه وأن تتيقظ لكل ما يحيط بوجودها ، وما يرسى قواعد الدولةعلىأسس لا ينالمنها الزمان ولا الانسان، بل ولا تتطاولها الاحداث وهنا لا بد من وقفة مدركة لتوجيهات الاسلام المستوحاة من القرآن العظيم والسنة الشريفة تلك هى : أن الجدير بالانتساب الى الاسلام ، والحقيق باسم المسلم كما يريده الله ورسوله هو الذى يصل ليله بنهاره كادحا ، جادا فى ايجاد مصانع أدوات الحياة فى الوطن الاسلامى ومن أسس البقاء الكريم نماء انتاج القنابل الذرية واضرابها من المهلكات فى أرض الاسلام ، شريطة أن تنهض بها عقول مسلمة وجوهها لله تعالى مؤمنة بعظمته وعونه وانه بالغ أمره ، فهذا هو الفيصل بين الحق والباطل ، وتلك هى العدة التى أمرنا باعدادها فى بعض آى الذكر الحكيم ، فلئن قيل فيما مضى من زمان :

السيف أصدق انباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

فانه يقال هذا فى كل حين وزمان ، ويأخذ السيف اسماء متعددة متغيرة مع رقى وسائل الدمار ، وتقدم الانسانية فى هذا المضمار ، وكما كانت الأمة الأقوى هى الاكثر سيوفا ، فلا زال ولن يزال ميزان (الاقوى) منوطا رجحانه بالقنــا والقنابل ، وهنا تتداعى الى الأذهان حين قراءة هذا القول عدة أسئلة ربما يظن أنه ليس لبعضها جواب حاسم ، ولنقطع تلك الحيرة ونجيب على هذا الفكر بمـا نراه فى هذا الصدد ولعل لغيرنا من العلم ما لم يبلغه ادراكنا ولم يصل اليــه علمنا ، وبعد الاستعانة بالله على الصواب ومجانبة الخطل والخطأ نقول :

كيف وصل غيرنا الى ما اليه وصل فى هذا الميدان ؟ نشأ الاكتشاف فى دولة ثم تسرب الى اخرى وذاع وصار من الممكن أن يدرس ويدرك ، ووقائع احــوال ابناء الاسلام فى بلاد الشرق والغرب تشير الى رؤوس وأمخاخ وعقول مستنيرة استنارة ذرية علمية واقعية منتجة فى هذا الحقل ، وما ينقصها الا الأخذ بيدهــا وتهيئةالاسباب والاجواء الصالحة لانتاجها، ومن سار على الدرب وصل، ولنصبر ونصابر على المدى طال او قصر ، مع دأب ودرس وانتاج محلى وعمل على اكتفاء ذاتى فالإسماع قد صمت من (اسطوانات) القدماء وأمجادهم وتريد أن تصيخ الى مجد حديث يضاف الى التليد ، وتلك أمور لا تأتى ارتجالا ولا عفو خاطر ، وانمـا تحتاج الى لقاء عقول وأفكار ، وسرعة فى رسم خطة عملية مستمرة مع الحياة التى لا يتوقف سيرها، ومن اراد ايقاف عجلاتها حطمته وتركته أثرا بعد عين ، وهذا هو الاسلام المهيب الجانب أى الذى تدور فيه مصانع كل شىء من الابرة الى الذرة ، وليس الاسلام هو ما يحكى كل يوم فى كلمات نظرية تردد اقوالا غبر بها الزمان ، ولم يعد لصداها اى أثر فى النفوس والمتأمل فى بعض احاديث الرسول صــلى الله عليه وسلم يدرك أن الفقه الحقيقى لها كان غائبا ولا يزال عن مدارك الحاكين والسامعين ، ولنضرب لذلك مثلا بحديث تداعى الأمم على المسلمين ، حيث نرى فهما فجا وادراكا ضعيفا لما يهدف اليه ، اليس فى طياته مايشير الى ضعف يصيب المسلمين ، وانحلال يحل بواديهم فيحيل كثرتهم غثاء ، وجمعهم تفاهة ، وما لديهم هباء ، بلى هو كذلك فهل تدبر المسلمون موارد الضعف واحتاطوا لها ، وحاولوا توقيها حتى لا تحل بواديهم ولا يقعوا فيها ، الجواب : لا . لقد كان نسيان للتذكير واهمال للتوجيه وانتظار للموت والابادة ، على أن هذه نهاية محتومة وما عداها أمور موهومة ، ويقينى أن كل ما أشار اليه سيدنا رسول الله صلى الله عليــه وسلم مما ظاهره نذر خراب وفساد ، انما هو دعوة صريحة للعقلاء أن يفكروا فى الأمر قبل وقوعه ليتداركوا أخطاره ، وليتلافوا شروره ولكن انعكس الفهم فضلت القافلة الطريق فترددت فى مهاوى صار الخلوص منها صعبا ولكنه ليس محالا مع صدق العزائم والادراك ــ الحقيقى لأهداف التوجيه النبوى الكريم .

٢ ــ يعلم الله الذى وسع كل شىء علما ، أن فى كل عمل أخطاء ، وأن الكمال الكامل لا يصل اليه مخلوق محدود القدرة والفكر ، فمهما أوتى من علم فالله هــو العالم الحق ، وقل ذلك فى كل صفة ونعت تحبه ومن أجل هذا أخبر نبيه سيدنا وحبيبنا رسول الله ليخبرنا بأن لا نيأس من رحمته عند وقوع الاخطاء ، وليعلمنا أن الله يرانا ويراقب اعمالنا وأنه قد أوحى الى ملائكته أن يتصرفوا وفق ارادته هو وعلى مقتضى رحمة الرحيم بعباده الضعفاء (وخلق الانسان ضعيفا) .. فانظروا الى ما بين أيدينا من قول رسول الله حاكيا عن ربه عز وجل حيث نلحظ منتهــى

العطف والرأفة بالعباد الذين كلفهم الله بالعمل والجد ، فأبان انهم سيخطئون ويهمون بفعل ما يخالف المروءة والحق ولكنهم لا يواقعون الفعل فاذا ترك (بالبناء للمجهول) الفعل السيء خشية لله كتب حسنة قد تضاعف ، واذا جاوز السيء ولو كان التجاوز لأمر خارج عن الارادة ، عفى عنه ولم يسجل عليه شيء في صفحات المسئولية الالهية ، واذا أراد مسلم عمل خير ولم يستطع التنفيذ سجل ذلك له حسنة كاملة عند الله تعالى ، واما اذا هم ونفذ ما أراد من عمل نافع مفيد فهذا يضاعف فى كتاب الحسنات أضعافا كثيرة ، (مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) كما يشير الحديث الشريف الى أن من نفذ سيئة جوزى بها سيئة واحدة لا تزيد .

وفى ختام هذا البحث : أؤكد ان الاعمال التى ترفع بها الدرجات وتزداد بها الحسنات هى ما مكنت نتائجها لدين الله تعالى فى الارض ،-وما أثمرت عزة وقوة للاسلام والمسلمين ولا يمكن أن تنحصر فى صلوات لا روح فيها ، ولا صيام لا غناء منه ، ولا حج قصاراه رحلة شكلية . فان لم تكن الصلاة تنظيما لحرب وقتال تحت امرة قائد رشيد ، والصيام كفاحا وصبرا يعين على احتمال الشدائد ، والحج تمرينا عمليا على رحلة شاقة فى سبيل أهداف الاسلام السامية أقول اذا لم يكن ذلك كذلك مضافا اليه بذل المال فى اقامة مصانع الحياة الحرة المتمثلة فى انتاج ما يكفى البلاد من معاش وما يدفع عنها أذى اعدائها بمثل أسلحتهم مع خروج كل ذلك من بين ايد مسلمة لله وجوهها مؤمنة ايمانا كاملا بقدرته وعونه فقل على دنيا المسلمين العفاء ، واعتقد ان هذه هى الأعمال التى تضاعف حسناتها ويعفو الله عن سيئاتها .

١ ــ عن ابن عمر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب بزفاشترى منه قميصا باربعة دراهم فخرج وهو عليه فاذا رجل من الانصار فقال : يا رسول الله اكسنى قميصا كساك الله من ثياب الجنة فنزع القميص فكساه اياه .

ثم رجع الى صاحب الحانوت فاشترى منه قميصا باربعة دراهم وبقى معه درهمان فاذا هــو بجارية فى الطريق تبكى فقال : ما يبكيك ؟ قالت يا رسول الله دفع الى أهلى درهمين أشترى بهمـا دقيقا فهلكا فدفع النبى صلى الله عليه وسلم اليها الدرهمين الباقيين .

ثم ولت وهى تبكى فدعاها فقال : ما يبكيك وقد أخذت الدرهمين ؟ فقالت أخـاف أن يضربونـى فمشى معها الى اهلها فسلم فعرفوا صوته ثم عاد فسلم ثم عاد فثلث فردوا فقال : أما سمعتم أول السلام ؟ فقالوا نعم ، ولكن اهببنا أن تزيدنا من السلام . فما اشخصك بابينا وأمنا ؟ قال : أشفقت على هذه الجارية أن تضربوها . قال صاحبها : هى حرة لوجه الله لممشاك معها .

فبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير وبالجنة وقال : لقـد بارك الله فى العشرة كسا الله نبيه قميصا ورجلا من الانصار قميصا وأعتق منها رقبة ، وأحمد الله هو الذى رزقنا هــذا بقدرته ، اخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد جـ ٩ ص ١٣ » .

٢ ــ وعن عبد الله بن شداد عن ابيه رضى الله عنه قــال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسم فى احدى صلاتى العشاء وهو حامل حسنا أو حسينا فتقدم النبى صلى الله عليه وسلـم فوضعه ثم كبر للصلاة فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطالها .

قال أبى : فرفعت رأسى فاذا الصبى على ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ساجـــد فرجعت الى سجودى .

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قيل : يا رسول الله : انك سجدت بيــن ظهرانى صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى اليك ؟

قال : كل ذلك لم يكن ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت أن اعجله حتى يقضى حاجته ، أخرجه النسائى.

وعن بريدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا اذ جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال : صدق الله (انما أموالكم واولادكم فتنة) نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما ثم اخذ فى الخطبة . اخرجه الاربعة .

وعن أنس انه صلى الله عليه وسلم قال : انى لأدخل فى الصلاة وأنا أريد اطالتها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه . أخرجه الشيخان عن أنس .

٣ ــ وعن أبى موسى الأشعرى قال : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبى صلى الله عليه وسلم فرأينها سيئة الهيئة فقلن لها مالك ؟ ما فى قريش من رجل أغنى من بعلك .

قالت : مالنا منه شىء أما نهاره فصائم وأما ليله فقائم .

فدخل النبى صلى الله عليه وسلم فذكرن ذلك له قال فلقيه النبى صلى الله عليه وســلم فقال : يا عثمان : أمالك فى أسوة ؟ قال : وما ذاك يا رسول الله ؟ فداك أبى وأمى ، فقال : أما أنت فتقوم بالليل وتصوم بالنهار وان لأهلك عليك حقا وان لجسدك عليك حقا فصل ونم وصم وأفطر .

قال فاتتهم المرأة بعد ذلك عطرة كأنها عروس فقلن لها : مه . قالت : أصابنا ما أصاب الناس . رواه ابو يعلى والطبرانى .

النور الأعظم

للشاعر : محمود حسن اسماعيل

يا اوَّلَ نُــورٍ

.. سكبَ الله النورَ الاعظم من شفَتَيْهْ

يا اوّلَ نــورٍ

.. كُلُّ النورِ تَألّقَ منه ، وجابَ الكونَ على كَفَّيْهْ

يا أَوّلَ نــورٍ

.. خَفَّ اليه الروحُ القُدُس ، وكبَّر شوقاً بين يَدَيْهْ

يا اوّلَ نــورٍ

عطَشُ الدنيا جُنَّ عليه ، وروّىٰ الحَيْرةَ من قدمَيْهْ !!

... اَلْبيدُ الظّمآىٰ شربَتْ منهُ ،

وراحتْ تسقى الظَّما اللّاهثَ فى الاكوانْ

واذابَ ضحاهُ جــدارَ اللّيل ،

همّ الشاعر للعمرة، فكانت
هذه القصيدة نجوى من روحه
لنبي النور الأعظم صلى الله عليه وسلم

واوغلَ ، اَوْغَلَ ، حتَّى شَعْشَعَ فى الإنسانْ
رشَّ اليَقظةَ ، والتَّوحيدَ على رِئَتيْهْ
ومَحَا الذِّلَّةَ والإطراقةَ من جَفْنَيْــه
ودَهَىٰ الرقَّ وكان مُحالاً لا يَتَزَحْزَحُ عن كتفَيْه
ومضَى يسْـــحَقُ كلَّ ظـــلامٍ
عبَرَ الدهرَ ، ومَرّ عَلَيْهْ ...
عرَجَ الأُفقَ ، واذَّنَ من اعلَى اعـــلاهْ
وراح يدقُّ ، ويَطْرُقُ .. يَطْرُقُ فى الأبوابْ :
... اَلْفَجْرُ توهَّج يا سارِينَ على الأعتابْ
والليلُ الضَّاربُ حول الكَوْنِ ،
تصدَّع فى شفتَيْه وذابْ
والله الحقُّ .. تعالى اللّـــهُ
.. سَناهُ تَفجَّر فوق الغَارْ
وانْشَقَّ ستَارْ

وارتعدَتْ كلُّ حنايا الكـــونِ الفارقِ ،

في ليل مَسْجُورْ

بُشْرَىٰ للأرض .. اتاها النُّورْ !!

يا اولَ نـــورٍ

شرب الكونُ رحيقَ العزَّةِ ،

لمَّا سار على شطْئَيْه ..

... رفَضَ الظُّلْمَ ،

واوْقَدَ نـــارًا ،

لا تتحرَّكُ من جَنْبَيْهْ

... رفضَ خُضوعَ الحـــقِّ لبـــاغٍ ،

غَنَّىٰ الحقَّ ، وحلَّق بالأغْلال عَلَيْهْ

... رَفَضَ خُنوعَ المظلومينْ ،

وطِيبَةَ وَجْـــه المقهورينْ !

.. رفَضَ صلاةَ الأوَّابين لغير اللّٰهْ

.. رفضَ خشـوع الكذَّابينَ بغير شِفَاهْ !

.. رفض الرزقَ ، إذا لم يأتِ ،

أبيَّ الخطوة ، غيرَ هجينْ !

.. رفضَ الكِلْمَةَ ،

إنْ لم تسحَقْ كمَدَ الذُّلَ ،

.. بكلِّ جَبِينْ

.. رفضَ اللُّقمةَ ،

إنْ لم تأتِ حصادَ الفَرْس

لكلٍّ يمينْ

.. رفضَ خُفُوتَ المغلوبينْ

رفض سكوتَ المسلوبينْ

.. رفض هَسِيسَ الرشوةِ

حين تَفِحُّ ، وتَمْرُقُ كالتِّنِّينْ

.. رفض البَسْمَةَ حين تَزُوغُ

لتخلِسَ صيْدَ الغشَّاشينْ ...

★ ★

.. رفض حَياةً

شَقِيَ الرفْضُ عليها غَضَباً للغافين !!

رفع النُور حُدَاءَ الدرْبِ ..

وتُهْنَا عن نَغْمةٍ قدحَيْةْ ،

فشربنا الْحَيْرَةَ .. لم يرحَمْنا نُورُ يدَيْهْ !!

★ ★

عُدْ لِخُطَانَا ..

عُد لِهَوَانَــا ..

يَعُدِ النورُ لهذا اللَّيلِ ،

ويَرجعْ كلّ النورِ إليْهْ !!

قراءات

يوم الغار

ستطلع الأقمار بعد الأقمار ، وتقبل السنة القمرية بعد السنة القمرية ، وكأنها تقبل بمعلم من معـالم السماء يومىء الى بقعـة من الأرض هى غار الهجرة ، أو يومىء الى يوم لمحمد هو أجمل أيام محمد ، لأنه أول الأيام على رسالته ، وأخلصها لعقيدته ورجاء سريرته ، وهو يوم التقويم الذى اختـاره المسلمون بالهام لا يعلوه تفكير ولا تعليم .

لمَ كان يوم الهجرة ابتداء التاريخ فى الاسلام ، ولم يكن يوم الدعوة ؟

ولمَ لمْ يكن يوم بدر أو يوم ولادة النبى أو يوم حجة الوداع يوم ابتـداء التـاريخ ؟

كل يوم من هذه الأيام كان فى ظاهر الرأى وعاجل النظر أولى بالتاريخ والتمجيد من يوم الفرار بالنفس والعقيدة فى جنح الظلام .

فالرجل الذى اختار يوم الهجرة بدء التاريخ الاسلامى قد كان أحكم وأعلم بالعقيدة والايمان ومواقف الخلود من كل مؤرخ وكل مفكر يرى غير ما رآه .

لأن العقائد تقاس بالشدائد ، ولا تقاس بالقوة والغلب .

كل انسان يؤمن حين يتغلب الدين وتفوز الدعوة .. أمـا النفس التى تعتقد حقا ، ويتجلى فيها انتصار العقيـدة حقـا فهى النفس التى تؤمن فى الشدة ، وتعتقد ومن حولها صنوف البلاء .

وليس يوم أحق بالتاريخ اذا من اليوم الذى هجر فيه النبى بلده : (اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمـة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) .

ليقل من قال : إن التوقيت بما قبل الهجرة وما بعدها كان توقيتا معروفا

على عهد النبى عليه الصلاة والسلام .

وليقل من قال ان دخول المدينـــة هو المقصود بالتاريخ من الهجرة وهو يوم عظيـــم .

ليقل من قال هذا أو ذاك فان تاريخ النصر فى القرآن ظاهر اذ هـــو يوم ثانى اثنين اذ هما فى الغار .

وان ابن الخطاب لنبيل ملهم الفؤاد ــ سواء كان هو المقترح أو مجيب الاقتراح ــ حين نظر الى غار (ثور) ولم ينظر فى التاريخ الى نصر المدينـــة ولا الى نصر أحد ، ولا الى نصر فارس ، ونظر الى تلك الجنود التى لم تروها وقد نراها نحن الآن .

يوم الدعوة لم يكن يوم الاسلام الأول ، لأن الدعوة كلمة يستطيعها كل انسان ، ويستطيع النكول عنها بعد قليل أو كثير .

ويوم ميلاد النبى لم يكن يوم الاســـلام الأول ، لأن ميلاد محمد لم يكن معجزة الاسلام كما كان ميلاد عيسى معجزة المسيحية ، ولأن محمدا بشر مثلنا فى مولده ، ولكنه سيد الرسل يوم دعا ويوم نجا بالدعوة الى حيث تنجو وحيث تسود وحيث يكون امتحانها الاول فى قلب صاحبها وقلب صاحبه الصديق ، وهما اثنان فى غار .

كذلك تؤرخ العقائد والأديان بالشدة تاريخها ، وليس بالغنائم والفتوح وانها لشىء فى القلوب فلنعرفها اذن حين لا تكون الا فى القلوب ، وحين يكون كل شىء ظـــاهر كأنه ينكرها ، وينفى وجودهـــا وهى يومئذ من الوجود فى الصميم .

ان يوم الغار ليوم له عبرته وعزاؤه فى كل يوم ، ولا سيما أيام القلق والحيرة والانتظار .

انه يوم عقيدة فهو يوم رجاء ويوم نظر الى المستقبل الذى ينظر اليه من ليس له رضـــا فى حاضر عهده ، وحـــاضر العالم فى عهده لا يرضى أحـــدا من محبيه ..

حيثما غلبت الحيرة والقلق فى العالم فهناك أمر واحد كن منه على أتم يقين ، كن على يقين أن العالم يبحث عن عقيدة روحية .

لأنه يضيق بالحاضر ، وينظر الى المستقبل ، وكل مستقبل فلا محل له من جوانح الصـــدور ان لم يكن موضوع رجاء ومرجع ايمان وغاية ســـعى يستحق الكفـــاح .

وفى التاريخ الانســـانى كله لم تتم حركة عظيمة على المـــاضى الذى لا مستقبل بعده انما تقوم الحركات العظمى جميعا على الرجاء فى غد محجوب ، أو على شىء يمكن أن يتحقق فى حيـــاة الانسان ، أو شىء يبقى أبدا موضـــع الرجاء البعيد .

لقد كان (على) فتى يستقبل الدنيا ، وكان (أبو بكر) كهلا يدبر عنها يوم أعانا محمدا فى يوم حراء .

ولكنهما كانا معا على أبواب غد واحد ورجاء واحد . يستوى فيه الفتى الكهل والشيخ الدالف الى قبره لانه رجاء الايمان لا رجاء العيان .

الهجرة وتاريخها في السياسة الاسلامية

الدكتور : محمد البهى

● يحلو للمستشرقين من الغرب والشرق على السواء — والمغرضين من الكتاب والمؤرخين ضد الاسلام : ان يصوروا هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه رضوان الله عليهم على انها (فرار) وهرب من مكان الى آخر بعيد ، حماية للنفس وامنا على استمرار الحياة ..

ربما يكون هذا مفهوم الهجرة بالنسبة لفرد يريد أن يضمن لنفسه حياة مادية أفضل ، أو يخلق لنفسه جوا من الثقة والاطمئنان أكثر من الجو الذى يعيش فيه . وربما يكون مفهومها كذلك بالنسبة لجملة من الافراد على شاكلته . ولكن الهجرة بالنسبة لصاحب رسالة وصاحب دعوة فى سبيلها لاصلاح البشرية ودفعها الى الصراط السوى .. لا تكون من أجل الذات ووقايتها الاضرار المادية ، أو من أجل حصولها على متع افضل وانما تكون من أجل الرسالة نفسها ، ومن أجل تمكين دعوتها من أن تأخذ طريقها الى التحقق فى تحويل المجتمع الانسانى القائم على العبث والفساد والاعتداء والظلم .. الى مجتمع انسانى فى مستوى رفيع ، لا يخلد الى الارض ولا ينجذب نحو الهوى والغايات الدنيئة ..

وتلك كانت الغاية من هجرته عليه الصلاة والسلام وهجرة اصحابه : قبله ، ومعه ، وبعده .. من مكة أو من غيرها الى يثرب . هاجروا الى الله ورسوله ، ولم يهاجروا الى دنيا يصيبونها أو متعة يستمتعون بها . والهجرة الى الله ورسوله هى الهجرة فى سبيل الرسالة وفى سبيل الحفاظ على القيم العليا والدعوة اليها . وهى الهجرة الخالدة فى تاريخ الانسانية ، والهجرة التى يجازى عليها الله سبحانه وتعالى فى الدنيا والآخرة معا . اذ ترتبت عليها عدة نتائج تكون نظاما لمجتمع انسانى سليم : قام ليبقى ، ويزداد قوة فى تماسكه ، ترتب عليها :

—— ● ——

● ان نقلت المسلمين من قلة فى العدد الى كثرة فيه . اذ انضم الى مسلمى مكة وهم من يعرفون بالمهاجرين : نصراؤهم وحلفاؤهم من أهل يثرب وهم من اطلق عليهم اسم الأنصار . كما اضيف الى الفريقين معا : من دخل تباعا فى دين الله : من بعد الهجرة الى فتح مكة ، وهم كثيرون . ونقلتهم من ضعف الى قوة : كانوا آحادا متناثرين فى مكة وفى الحبشة وفى أماكن اخرى ، فأصبحوا فى يثرب مئات وآلافا مجتمعين ومترابطين على كلمة الله ، وليس على اعتداء على أحد ، ولا على ظلم أو اضطهاد لانسان . ثم نقلتهم من أفراد ليس لهم كيان المجتمع .. الى مجتمع له نظام حكم ، وسياسة ، ودولة لأفراده ، ومع غيره من المجتمعات المعادية أو المقاتلة أو المسالمة .

—— ● ——

● وان حملت المسلمين على مباشرة الدفاع عن النفس : فدخلوا الحرب ، وذهبوا الى ميدان القتال ، ومروا بتجربة الهزيمة والنصر . وتخلف منهم من تخلف عن القتال حبا فى الذات وطمعا فى سلامة النفس ، أو رغبة فى عون الاعداء ، وكان منهم المؤمنون صدقا ، والمنافقون فى ايمانهم .

يصور القرآن الكريم تجربة الهزيمة التى مروا بها فى (أحد) بقوله : « ولقد صدقكم الله وعده (بالنصر) اذ تحسونهم باذنه (أى تستأصلونهم عند الالتقاء بأمر الله) حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم (باستهدافكم الغنائم فى القتال دون الدفاع عن الايمان بالله وحده والحفاظ عليه) من بعد ما أراكم ما تحبون (من النصر على الاعداء فى أولى مرحلتى القتال مع المشركين) منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة (وهكذا فشلكم فى المحافظة على وحدة الهدف تسمكم الى طائفتين : واحدة تريد متع الحياة الدنيا ممثلة هذه المتع الآن فى الغنائم من الاعداء ، وأخرى تريد الايمان وتمكين رسالة الله فى الارض ، وبذلك تنتظر جزاءها فى الآخرة) ثم صرفكم عنهم ليبتليكم (وادى تفرقكم وانقسامكم من أجل الهدف فى قتال : (أحد) الى هزيمتكم . ولم يقصد بها انتهاء مجتمعكم ولا فناؤه ، وانما قصد منها التجربة والاختبار للوقوف على أسباب الهزيمة ، كى تتلافى مستقبلا فى الاشتباك مع الاعداء .. قصد منها الابتلاء) »(١) .. كما يصور دعاة الهزيمة المترددين فى ايمانهم فى هذا اللقاء فى (أحد) فيما يستطرد فى ذكره من موقعتها بقوله : وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن

أصحابه : بعض الاعراب ليكونوا سندا لهم فى مواجهة قريش ، لو تعرض لهم المحاربون فيها . ولكنهم تخلفوا ونزل فى هؤلاء الاعراب قوله سبحانه : « سيقول لك المخلفون من الاعراب : شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، قل : فمن يملك من الله شيئا ، ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا ؟ بل كان الله بما تعملون خبيرا . بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا (أى قدرتم أن لن يعود ومعه المهاجرون الى موطنهم فى مكة طول بقية حياتهم) وظننتم ظن السوء (أى وقدرتم كذلك أنهم سيهزمون ويولون الأدبار ، ان بقيت فيهم بقية من حياة عندما يواجههم كفار مكة) وكنتم قوما بورا (أى وكنتم قوما فاسدين هالكين بتصرفاتكم)»(٥) .

وكان كثيرون من المكيين — عندما علموا بقدومه عليه الصلاة والسلام ومن معه من صحابته عليهم رضوان الله — يرغبون فى عدم مقاومة دخوله . غير أن فريق المحاربين منهم لم تزل له قوة ولم يزل على المعارضة فى الدخول . وعندما وصل اليه عليه السلام نبأ هذه المعارضة استقر وصحبه فى الحديبية فى مكان ليس ببعيد عن مكة حيث ابتدأ يتفاوض مع المكيين . وحين لم تصل المفاوضة الى نتيجة أرسل عثمان بن عفان الى مكة فى حماية أسرته فيها له ، كممثل له . وعندما لم يعد وأشيع أنه قتل اجتمع عليه السلام مع صحابته تحت شجرة هناك سرا وبايعهم على نصرته لاتمام العمرة . وفى هذه المبايعة جاء قول القرآن الكريم : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما »(٦) . ولكن وصل بعد ذلك عدد من المكيين يعرض الصلح عليه ويعاهده على :

١ — أن يرجع الرسول عليه السلام والمؤمنون معه هذا العام (السادس من الهجرة) من حيث أتوا ، وأن يعودوا للعمرة فى العام القادم .

٢ — وأن يدخلوا مكة غير حاملين سلاحا .

٣ — وأن لا يأخذوا أيا ممن تبعهم من اهل مكة ، ان اراد أن يرحل معهم .

٤ — وأن لا يمكثوا بمكة أكثر من ثلاثة أيام ..

٥ — وأن يتركوا من يتخلف من المسلمين معهم بمكة ، ان أراد أن يبقى بها ..

٦ — وعلى أن توضع الحرب بين الطرفين عشر سنوات ، يأمن الناس فيها بعضهم بعضا ..

وعارض فى هذه الشروط كثير من الصحابة ، وفى مقدمتهم على بن أبى طالب . لأنها شروط تدل على عدم التكافؤ بين الطرفين ، وعلى أن جانب المسلمين هو الجانب الضعيف . ولكن رغم ذلك أمر الرسول عليه السلام بقبولها ، لأنها تتضمن الاعتراف به وبجماعته . وهو أمر كان المسلمون فى حاجة اليه . لأنه سيمهد الطريق الآن للكثير من القبائل العربية ، عدا قريش ، ولكثير من أفرادها أيضا ، للدخول فى الاسلام : فى غير خوف ورعب ممن هم سدنة البيت الحرام حتى هذه اللحظة ، وهم قريش .

الجـــاهلية ، يقولون : هل لنا من الامر من شيء ؟ قل : ان الامر كله لله ، يخفون فى أنفســـهم ما لا يبدون لك ، يقولون : لو كان لنـــا من الامر شيء ما قتلنا ههنـــا ، قل : لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتـــل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم واللـــه عليم بذات الصدور . ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعـــان انما اســـتذلهم الشيطان ببعض ما كسبوا »(٢) .

ويصور من جانب آخر تجربة النصر فى موقعة (بدر) فرغم قلة عدد المسلمين فى مواجهة المشركين المكيين ، ورغم ضـــعف موقعهم فى المعركة بالنسبة لموقع أعدائهم .. رغم هذا وذاك كان النصر للمؤمنين ، لأنهم وضعوا قيم الرسالة والدعوة اليها فى الاعتبار الأول ، قبل حياتهم أنفسهم . ولذا كان نصر الله لهم . يقول الله تعالى فى الحديث عن هذا النصر ، رغم ظروف عدم التـــكافؤ الواضح فى القوة العددية ، وفى المواقع الاســـتراتيجية : « واعلموا أنما غنتم من شيء فان لله خمسه ، وللرســـول ، ولذى القربى واليتامى ، والمساكين وابن السبيل ، ان كنتم آمنتم بالله ، وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان (أى ما خصصنا به رسول الله والمسلمين من النصر يوم [بدر]) يوم التقى الجمعان (جمع المؤمنين وجمع المشركين فيها) والله على كل شيء قدير . اذ أنتم بالعدوة الدنيا (أى عندما كان المؤمنون بشط الوادى القريب وقد كانت الارض فيه رخوة تسوخ فيها الارجل ، ويشق السير عليها . ومن شأن ذلك أن يضعف من تحركاتهم فى القتال ضد أعدائهم) وهم بالعدوة القصوى (أى والاعداء بالشط البعيد للوادى وهو أكثر صلاحية للحركة) والركب أسفل منكم ، ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد (أى أن لقـــاءكم مع أعدائكم فى [بدر] جاء طبقا لمشيئة الله وحده ، ولم يكن أثر ترتيب بينكم وبين أعدائكم . لأنكم لو عرفتم حقيقة أمرهم فى قوة العدد والعدة لتهيبتم منهم ، وربما يئستم من الظفر عليهم) ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة ، (وانما جاءت ارادة الله باللقاء بينكم وبين الاعداء فى [بدر] للفصل فصلا واضحا بين قوة الايمـــان وأثره ، وقوة الشرك والالحاد ونهايته ، ولبيان : أن الايمان لا بد أن يستمر أثره ويمتد بقاؤه فهو الرافد للحياة ، بينما يزول الكفر لا محالة وينتهى مصيره حتما ، فهو مصدر الموت والفناء) »(٣) .

—— ● ——

● وان حملت المسلمين — قبل أن يستكملوا قوتهم للرجوع الى البيت العتيق بمكة — على المرونة فى الأخذ والعطاء فى سياسة الاعداء ، حتى ولو كان على حساب أمر يهمهم أو ضرورة من ضرورات حياتهم . ففى نهـــاية السنة السادسة من الهجرة فى شـــــهر ذى القعدة (مارس ٦٢٨) طلب الرسول عليه السلام من أصحابه وهم بالمدينة أن يعدوا أنفسهم للعمرة معه فى مكة ، كما يعدونها للتضحية فى سبيل ذلك . فقد نزل عليه وحى الله فى قوله فى سورة الفتح : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ، لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا »(٤) .. ودعا مع المهاجرين والانصـــــار من

نعم ، لم تعترف معاهدة الصلح من جانب القرشيين المكيين بالرسول عليه السلام على أنه رسول ، ولكنها اعترفت بكيانهم الذاتي والسياسي . وذلك له مدلوله في العلاقات بين الجماعات .

وفي العام القادم ، وهو العام السابع الهجري (٦٢٩ م) أدى عليه السلام وصحابته العمرة . ودخل في الاسلام أثناء اقامته بمكة كثيرون من القبائل ، كما دخل عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد . وهنا زادت قوة المسلمين نوعا وكما . وأصبحوا على استعداد لأن يحموا أنفسهم ، ودينهم ، وحلفاءهم في شبه الجزيرة . ومع تزايد قوتهم بقوا على الوفاء بالعهد الذى وقعوه مع مشركى مكة ، وبالأخص على أن توضع الحرب بين الفريقين عشر سنوات . .

ولكن فريق المحاربين من المكيين وهم أئمة الكفر ساند قبيلة بكر ضد خزاعة التى تعتبر حليفة الرسول عليه السلام . وهنا اعتبر تصرف هذا الفريق نكثا للعهد في صلح الحديبية . وبنكثهم اياهم أصبح المسلمون في حل من عدم الوفاء به . وجاء تعبير القرآن الكريم عن ذلك في قول الله تعالى :

« وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر (وهم هؤلاء المحاربون وسماهم ائمة الكفر لاصرارهم وعنتهم في المعارضة طوال هذه المدة) انهم لا ايمان لهم ، لعلهم ينتهون . الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم ، وهموا باخراج الرسول ، وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم ، فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين »(٧) .

وبنكث المشركين لعهد الصلح في الحديبية ، أصبح الطريق مفتوحا أمام المسلمين ، لا قيود فيه . وبازدياد قوتهم المادية والمعنوية أصبحت لهم استطاعة على انهاء كل صيحة لعدو تواجههم . وترتيبا على ذلك ترأس الرسول عليه السلام في شهر رمضان من السنة الثامنة من الهجرة (ديسمبر ٦٢٩) جيش المسلمين المكون من المهاجرين والانصار ، والاعراب ، قاصدا به الى مكة . وقد اثار قدوم المسلمين ذعرا وقلقا بين المكيين الذين أصبحوا في وضع تقل فيه رغبتهم في الحرب يوما بعد يوم . وعندما اقترب جيش المسلمين من مكة التقى أبو سفيان في وفد كان فيه بعض الخزاعيين بالرسول عليه السلام وأعلن الطاعة له ، وحصل منه على وعد بالعفو عن جميع القرشيين الذين يلقون سلاحهم ويعلنون بذلك عدم معارضتهم . ثم كان الفتح المبين لمكة ، واستعادتها لا لأنها موطن المهاجرين من المسلمين فقط ، ولكن لأنها كانت الموطن الاول للدعوة الاسلامية قبل ذلك . . من أجل البيت العتيق : « ان أول بيت وضع للناس للذى بمكة مباركا »(٨) . . وبذلك تصحح رسالته عليه السلام رسالة ابراهيم التى شوهتها الوثنية المادية المكية في عهودها المختلفة ، وتعود بها الى التوحيد ، وتعيد الحج كفريضة من فرائض الله تستهدف التكتل وقوة الترابط فيما بين المؤمنين على أساس من طاعة الله جل شأنه : « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت : أن لا تشرك بى شيئا ، وطهر بيتى للطائفين ، والقائمين ، والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »(٩) .

وهكذا : تضمنت سنوات الهجرة أصلا ومبدأ في سياسة الاعداء ، هو

أصل التدرج والاخذ بمبدأ تعدد المراحل فى تحقيق الهدف . اذ لم يكن من الحكمة فى السياسة أن يقدم المسلمون من المدينة للقاء الكفار بمكة وهم غير متفوقين عليهم عددا وعدة تفوقا ظاهرا ، وليس لهم اتباع فيها يضمنون على الأقل عدم معارضتهم ، ان لم يضمنوا مؤازرتهم . نعم ، لاقوهم ببدر وهم قلة وانتصروا عليهم . ولكن الفرق بين خروج المسلمين من المدينة الى بدر ، وقدومهم من المدينة الى مكة للقاء الكفار .. يستتبع فرقا آخر فى الاعداد المادى والاجتماعي والسياسي . واذن المرونة فى سياسة الاعداء قبل اتمام الاعداد للقضاء عليه ضرورة فى الحفاظ على كيان الأمة ، ولاتخاذ الفرصة المناسبة قبل الكلمة الاخيرة ..

● وان دفعت بالمسلمين — بعد تفوقهم فى القوة — الى التزام الموقف المتعين الذى لا محيص عنه من وجهة النظر الى سلامة الأمة وبقائها عزيزة متماسكة . فالمسلمون الذين عارضوا صلح الحديبية .. عارضوه ، لأنهم كانوا يرون : أنه ترك للمشركين الماديين المكيين ، الكلمة يملونها عليهم . والاسلام لا يكون عزيز الجانب ، والدعوة الاسلامية لا يكون طريقها مفتوحا الا اذا كانت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، أى الا اذا كان المؤمنون هم اصحاب الكلمة الاخيرة وليس أعداؤهم .

من اجل ذلك كان الأمر بفتح مكة . ومن اجل ذلك أيضا كان فتح مكة بعد أن تم هو الفيصل فى تاريخ الاسلام بين ذلة المسلمين وعزتهم ، وبين ضعفهم وقوتهم . وأصبح الشعار هو : كلمة الله هى العليا .

جاء الوحى تقريبا فى شهر شوال من السنة التاسعة من الهجرة — بعد فتح مكة فى رمضان من هذه السنة — باعلان انتهاء عهد الحديبية مع المشركين ، على أن يعطوا مهلة أربعة اشهر يكونون فيها أحرارا : يدبرون فيها أمرهم ويفكرون فى التوبة والرجوع الى الله وحده : « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين (أى أن الله ورسوله قد برئا — أيها المسلمون — مما عاهدتم عليه المشركين ، واذن أنتم فى حل الآن من اتخاذ موقف آخر نحوهم ، غير الأمان الذى أعطى لهم ، كما جاء فى معاهدة الصلح بالحديبية) . فسيحوا فى الارض أربعة أشهر (أى وأنتم أيها المشركون لكم الحرية فى الحركة وفى تدبير الامر مدة أربعة اشهر منذ الاعلان بانتهاء المعاهدة) واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وان الله مخزى الكافرين (على أن تعلموا : انكم — أيها المشركون — لو بقيتم على كفركم ولم تعودوا الى دائرة الايمان بالله وحده ، وآثرتم الاستمرار فى عداء الدعوة الى الله .. لا تستطيعون أن تنالوا من دين الله ، لأن الله جلت قدرته لا يغلب أبدا ، وقد وعد المؤمنين بالنصر ، كما وعد الكافرين بالخزى والعار »(١٠) .

وطلب الى رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يعلن انتهاء العهد فى موسم الحج اذاعة له على نطاق أوسع . فقراه على رضى الله عنه على حجيج بيت الله الحرام فى شهر ذى الحجة من السنة التاسعة نفسها .

وجاء القرآن بذلك فى قول الله تعالى : « . أذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر : ان الله بريء من المشر ن ورسوله »(١١) .

وموقف المؤمنين الآن ازاء المشركين د الغاء المعاهدة : انهم اذا تابوا وعادوا الى الله وحده كانوا اخوانا لهم فى يمان بالله ، وان تولوا وأعرضوا كان القتال والاعتقال ، والأسر ، جزاء ن نقض العهد وظاهر عليهم أحدا من الاعداء . وجاء تعبير القرآن عن هذا الموقف فى قوله : « فان تبتم (أيها المشركون) فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم : الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصـــوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين . فاذا انسلخ الاشهر الحرم (وهى الاشهر الاربعة التالية لاعلان انتهاء المعاهدة والتى حددت لاعطاء الفرصة للتدبر فى الامر بين المشركين) فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم »(١٢) .

ويعتبر هذا الموقف الذى يطلبه القرآن الآن من المسلمين ازاء المشركين بعد فتح مكة ، واعلان الغاء معاهدة الحديبية كتصـــــفية للوضع المكى بين المسلمين والمشركين . والموقف الذى يعتبر مبدأ عاما يحدد علاقة المشركين الماديين ، وكذلك علاقة أهل الكتاب من جانب ، بالمسلمين من جانب آخر هو الذى تقصه الآية الكريمة فى سورة التوبة نفسها بعد الآيات السابقة فى قول الله تعالى : « قاتلوا :

١ ــ الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله (وهم الماديون الملحدون أو المشركون حتى يؤمنوا : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكن الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ») .

٢ ــ ولا يدينون دين الحق (أى وقاتلوا الذين لا يدينون دين الحق) من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(١٣) .
.. فلا يقبل من المشركين أو الماديين الملحدين فى أى عهد سوى الرجوع الى الايمان بالله وحده ، بينما يقبل من أهل الكتاب الاستسلام . أى لا يخلص هؤلاء وأولئكم من قتال المسلمين اياهم سوى الايمان بالله من جانب الماديين ، وسوى الاستسلام من جانب أهل الكتاب . وقد طوت الآية الغاية من قتال الماديين المشركين ، اكتفاء بما جاء فى آيات أخرى ، كما لم تعد الامر بقتال أهل الكتاب اكتفاء بما صرحت به فى أولها : « قاتلوا » ..

—— ● ——

● ولأهمية أحداث الهجرة وأثر هذه الاحداث على المجتمع الاسلامى فى قيامه ، وقوته ، وعزته ، وعلى الدعوة الاسلامية فى سيادتها وخروجها من شبه الجزيرة الى كافة أرجاء العالم .. قرر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ــ فى السنة السابعة عشرة منها ــ جعل الهجرة بداية لتاريخ جديد ،

هو تاريخ الأمة الاسلامية . وبذلك تستكمل عناصر الشخصية المستقلة لها ، كما أن أحداثها التى ارتبطت بأشهر معينة فى سنواتها ستكون مصدر ذكرى للمسلمين ، يستلهمون منها طريقهم فى السياسة ، وفى الوصول الى القوة والمنعة ، وقبل ذلك الى الترابط والتساند فيما بينهم .. يعرفون للايمان بالله أثره النافذ فى النجاح ، ويقفون على الوسيلة التى تضمن الحماية والنمو له ، ويتعلمون .. كيف ينتقلون من الضعف الى القوة ، وكيف يأخذون أنفسهم بالتدرج مع أعدائهم ان رأوهم أشد منهم قوة وبأسا ، وكيف يصرون على موقفهم الخاص بهم ان هم أصبحوا ذوى استطاعة مادية وذوى مستوى اجتماعى وسياسى يتيح للآخرين أن يفهموا أهدافهم فى غير لبس .

واستخدام المسلمين للتاريخ الهجرى ليس هو استخدام أيام وشهور وسنوات وانما هو احياء للعوامل التى حركت تاريخ المسلمين فجعلت منهم أمة ، ومجتمعا ، ودولة ، وجعلت من دعوة الاسلام دعوة عالمية انسانية كما هى فى موضوعها ومبادئها وليست عربية أو قبلية أو قومية ، حسبما كان موطن النداء الأول بها : فى مكة ، وبين قريش . واختيار شهر المحرم أول شهور السنة فيها ، لأنه شهر العمل الذى يأتى بعد أداء فريضة الحج الذى يتعاهد فيه المسلمون على عرفات .. على المساواة فى الاعتبار والطاعة لله وحده ، والاخلاص فى سلوك طريقه المستقيم . فالدفعة الجماعية الاولى لفريضة الحج فى سبيل الله تقع فى المحرم ، وتستمر الى ذى الحجة القادم ..

واغفال المسلمين لتاريخ الهجرة هو عامل من عوامل الضياع لاستقلال شخصيتهم وفى الوقت ذاته هو عامل من عوامل الحاق المسلمين بغيرهم فى التبعية ولا يقل استخدام المسلمين لتاريخ آخر : فى كتاباتهم ، ومعاملاتهم ، أثرا عليهم فى محو استقلالهم .. عن اتباع أيديولوجية أخرى غير الاسلام .

وقد بدأ اتباع (العلمانية) فى المجتمعات الاسلامية باستخدام تاريخ الميلاد للمسيح عيسى بن مريم بجانب استخدام التاريخ الهجرى ، كما ابتدأ نقل التشريع الاوروبى بجانب الشريعة الاسلامية ، والمدرسة المدنية بجانب المعهد الدينى الاسلامى ، والفكر الدينى بجانب التعاليم القرآنية ، وآداب المجتمع الاوروبى فى الملبس والأكل والشرب والعادات بجانب تقاليد المجتمع الاسلامى ..

وبالتدريج نسى المسلمون استعمال مالهم ، وتعلقوا بما نقل عن غيرهم .. حتى أصبح الفكر الالحادى المادى أقرب الى نفوس بعضهم من تعاليم القرآن ، وأصبحت حمايتهم لذلك الفكر تكاد تكون على حساب ما للقرآن وما للمسلمين من تراث خاص بهم ، وأصبح فى بلاد المسلمين جامعة علمانية لها الحول ، بجانب جامعة اسلامية تحيط بها العزلة وتعيش فى فترة الاحتضار ، واستقلت بالامر المحاكم المدنية وطوب فى ملفاتها وضع المحاكم الشرعية .. الخ .

● ولم يشأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يؤرخ بتاريخ ميلاد الرسول محمد بن عبد الله عليه السلام — وهو حبيب الله وحبيب المؤمنين

جميعا — لأنه تاريخ شخصى مهما كان له من سـمو المنزلة ، وليس تاريخ (موضوع) .. تاريخ الدعوة الى الحق الذى هو هداية الله للناس جميعا . والدعوة الى الحق هى دعوة الى مبادىء وليست الى اشخاص . والوثنية فى نشأتها هى تحول عن المبادىء الى أشخاص ، ارتبطت بهذه المبـادىء ارتباطا وثيقا : اما لنشاط هؤلاء الاشخاص فى سـبيلها ، أو لصدفة فى اتصالها بهم ..

فابقاء على دعوة الحق جلية واضحة ، وعلى وحدة الله فى الوهيته خالصة صافية .. جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه تاريخ الأمة الاسلامية من هجرة رسولها الأكرم عليه السلام من مكة الى المدينة لحماية دين الله وأمان الدعوة اليها ، وليس من ميلاده هو عليه الصلاة والسلام .

فهل يعرف المسلمون أثر العلمانية .. اليوم على حياتهم فى التوجيه ، وعلى استقلالهم فى المجتمعات :

هل يدركون أن الاسلام هو الذى كون مجتمعهم ، وأنه وحده العامل الآن فى سيادتهم على أنفسهم ، وأن تاريخ الهجرة هو عنوان الاسـتقلال والسيادة لهم .. ؟

والاحتفال اذن ببداية سنة هجرية جديدة بشهر المحرم هو اعادة لوعى المسلمين لماض يرتبط حاضرهم به ارتباطا وثيقا . فان وعوا هذا الماضى كانت لهم منه أسباب العزة . وان مروا عليه فى غفلة بقيت غفلتهم الى حين يتم تبعيتهم لغيرهم ويصبحون أذلاء لهم ..

---

(١) آل عمران : ١٥٢ .
(٢) آل عمران : ١٥٣ .
(٣) الانفال : ٤٢ .
(٤) سورة الفتح .
(٥) سورة الانفال : ١١ ، ١٢ .
(٦) نفس السورة : ١٠ .
(٧) سورة التوبة : ١٢ ، ١٣ .
(٨) آل عمران : ٩٦ .
(٩) الحج : ٢٦ ، ٢٧ .
(١٠) سورة براءة : ١ ، ٢ .
(١١) سورة براءة : ٣ .
(١٢) سورة براءة : ٣ ، ٥ .
(١٣) نفس السورة : ٢٩ ، ٣٠ .

دروس من الهجرة

الاستاذ مناع قطان

تمر الأيام والليالي عبر العصور ، وتدور عجلة الزمن تقطع مراحل التاريخ منذ فجر الحياة البشرية ، فمرحلة يعقبها مرحلة . وجيل يتلوه جيل ، ولا يبقى من الأزمان الغابرة للأجيال اللاحقة سوى ما فيها من ذكريات سطرتها الأحداث فى سجل التاريخ ، ومع عمر الحياة الممتد فى أغوار الماضى البعيد ، تظل بعض الأيام بأحداثها الجلّى جديدة كل الجـدة ، تحيى فى النفس البشرية العقيـدة الصافية ، والأخلاق الفاضلة ، والمثل العليا ، وتبعث فيها آمال المستقبل الوضاء الذى ينير أمام الانسانية الحائرة سبيل حضارتها ومنهج رقيها وسعادتها وفى مقدمة تلك الأحداث العظيمة حدث الهجرة .

حـدث من كيـان الأمـة

لكل أمة تاريخ ، وتاريخ كل أمة يحكى نشأتها وأطوار حياتها ، ووقـائع سيرتها ، وعوامل نموها وصعودها ، أو ضعفها وهبوطها ، وغـاية ما تحرص عليه أمة من تاريخها ، أن تحفظ سجلا لحيـاتها وأن ترويه لأبنائها حتى تتخذ منه العظـة والعبرة ، ولذا يكون اهتمامها بسيرة زعمائها الأبطال الذين يغيرون مجرى حياة أمتهم ، ويؤثرون فيها تأثيرا بالغا ، الا أن سيرة أى زعيم من الزعماء — مهما علا شأنه وذاع صيته — تظل سيرة مجيـدة لدى الذين يقدرون بطولته ، وقد تستمر هذه السيرة ردحا من الزمن ، ثم ينشأ زعيم آخر يتجه بأمته اتجاها مغايرا . فيعفو على آثار من سبقه من الزعماء ، حتى يكون وحيد عصره ، وفريد دهره ، لا ينافسه فى الزعامة منافس ، وقد يهيل التراب على ماضى السابقين ، ويثير النقـع فوق سـجل حياتهم ، فيبـدو تاريخهم صفحة مشـبوهة مغبرة ، وتتراءى أعمالهم ملوثة حقيرة .

ومن خصائص الأمة الاسلامية انها تدين بزعامة واحدة ، لشخص واحد ،

هى زعامة النبوة فى شخص محمد صلى الله عليه وسلم . فهو رسولها وإمامها وقدوتها «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر» فلا مجال للابتداع فى قيادة هذه الأمة وإنما يكون مجال المصلحين فى التجديد والاتباع . وسيرته عليه الصلاة والسلام ليست سيرة بطل فى أمة لحقبة من الزمن قد يعفو أثرها بسيرة بطل آخر ، ولكن سيرته سيرة رسول أرسله الله الى الانسانية كافة وختم به رسالات الأنبياء قبله « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » « كان كل رسول يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس كافة » « أنا العاقب فلا نبى بعدى » وهذه السيرة جزء من كيان الأمة ، لأنها جزء من عقيدتها ، فما كانت حياته صلى الله عليه وسلم فيما له مساس بالدين عن اجتهاد منه يخطىء فيه ويصيب وإنما كانت حياته القولية والسلوكية والعملية فى هذا الجانب وحيا يجب اتباعه . وما ذكر من حوادث اجتهاده — عند من يرى جواز اجتهاد النبى حيث لا نص — يئول أمره الى الوحى لأن الله تعالى إما أن يقره على اجتهاده اذا أصاب ، واما أن يبين له الصواب اذا أخطأ .

وقد قال سبحانه : « وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى » وللشريعة الاسلامية مصدران أساسيان : كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم : والسنة ما روى عن رسول الله من قول أو فعل أو تقرير أو صفة . وبهذا كان حادث الهجرة جزءا من كيان أمتنا .

التماس التربة الخصبة :

يبدو لأول وهلة .. أن حادث الهجرة كان فرارا من أذى المشركين بمكة ، وطلبا للنجاة بالدين والذى ينظر الى ما سبق الهجرة فى تاريخ الدعوة يدرك أنها كانت التماسا للتربة الخصبة التى تثمر فيها الدعوة وتؤتى أكلها وتستوى على سوقها حتى يقوى ساعدها ، ويشتد أزرها ويكون ذلك منطلقا لفتح عظيم يفتح الله به للاسلام قلوب الناس وديارهم .

لقد واجهت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته بصنوف الأذى وألوان العنت ، وضروب الشدة ، وصدت الناس عن سبيل الله فلم تلن له — صلى الله عليه وسلم قناة . ولم يقبل مساومة .

إن معادن الناس متفاوتة والمؤمن غيث حيثما حل أحيا موات القلوب بدعوته ولا يأس مع الايمان ، فعلى الداعية إذا ادلهم الأمر وأجدبت النفوس فى موطن من المواطن ، أو فترة من الزمن ، أن يتطلع الى مستقبل مشرق فى موطن آخر ، بفترة أخرى . وهكذا كانت سيرته صلى الله عليه وسلم فى دعوته إذ عرض نفسه على القبائل .

قال ابن اسحاق : ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، — أى بعد سعيه الى ثقيف بطلب النصرة — وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، الا قليلا مستضعفين ، ممن آمن به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى المواسم ، اذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم الى الله ، ويخبرهم أنه نبى مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه ، حتى يبين لهم الله ما بعثه به ..

قال ابن ابسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس : قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبى ، قال :

انى لغلام شاب مع أبى بمنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول : يا بنى فلان : انى رسول الله إليكم جميعا ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من

هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بى ، وتصدقوا بى ، وتمنعونى ، حتى أبين عن الله ما بعثنى به قال : وخلفه رجل أحول وضىء له غديرتان ، عليه حلة عدنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا اليه ، قال ذلك الرجل : يا بنى فلان ان هذا إنما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش ، الى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه ، قال : فقلت لأبى : يا أبت ، من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟

قال : هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب ، أبو لهب . .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله وعرض عليه ما عنده .

فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه ، واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم ، وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا .

قال ابن اسحاق : فحدثنى عاصم بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج قال : أمن موالى يهود ؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن ، وكان مما صنع الله بهم فى الاسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : ان نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم الى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم تعلّموا والله إنه للنبى الذى توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم اليه ، فأجابوه فيما دعاهم اليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا : انا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعزمنك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا . . »

ثم كانت بيعة العقبة الأولى ، حيث وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة ، وبايعوه على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب ، فلم يبايعوه على القتال ، وبيعة النساء ، هى المذكورة فى القرآن بقوله تعالى : « يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » وكانت مبايعته صلى الله عليه وسلم للنساء ، أنه يأخذ عليهن العهد والميثاق فإذا أقررن بألسنتهن قال : قد بايعتكن .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بعد أن أخذ عليهم البيعة مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الاسلام ، ويفقههم فى الدين ، فكان يسمى المقرىء بالمدينة .

ثم كانت بيعة العقبة الثانية بعد ذلك حين خرج من خرج من الأنصار من المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة . فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط ايام التشريق ، فاجتمعوا فى الشعب حتى جاءهم رسول الله ومعه عمه العباس ، وهو يومئذ على دين قومه ، الا انه أحب أن يحضر أمر ابن اخيه ويتوثق له ، وكان عددهم ثلاثة وسبعين رجلا ، ومعهم امراتان : نسيبة بنت كعب ، أم عمارة إحدى نساء بنى مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدى ، احدى نساء بنى سلمة ، وهى أم منيع ، فتكلم العباس وبين لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم فى عز ومنعة من قومه ولكنه أبى إلا الانحياز إليهم ، ثم تكلم رسول الله ، فتلا القرآن ، ودعا الله ، ورغب فى الاسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله ابناء الحروب ، واهل الحلقة ، ورثناها كابرا عن كابر ، فاعترض القول أبو الهيام بن التيهان ، فقال : يا رسول الله . إن بيننا وبين الرجال حبالا ، وانا قاطعوها — يعنى اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى احارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم . وطلب منهم رسول الله ان يخرجوا اثنى عشر نقيبا — ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، وكانت هذه البيعة بيعة الحرب ، حين اذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال : عن عبادة بين الصامت — وكان أحد النقباء — قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب ، على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » .

وذلك حين عتت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم وعذبوا ونفوا من عبده ووحده واعتصم بدينه . فكانت أول آية نزلت فى القتال « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » .

وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلمى مكة بالهجرة الى دار يأمنون فيها ، ويجدون تربة خصبة لدعوتهم وأعوانا لدين الله ، فكانت الهجرة اعزازا للاسلام ، واذلالا للشرك وأهله .

آيات النصر :

تعتمد الحياة فى مقاييسها العادية فى النصر والهزيمة على موازين القوى المادية فى السلاح والعدة ، والشجاعة والكثرة ولا يكاد الانسان يقرأ تحليلا عسكريا لموقعة حربية من المواقع التاريخية الا وجد هذا التحليل قائما على الأسباب العادية فى اختلال توازن القوى ، وذلك إن صح فى تحليل الاحداث التاريخية السياسية بحياة الامم ، فانه لا يكون قاعدة منضبطة فى تحليل تاريخ العقيدة ، فالعقيدة الدينية لها موازين أخرى فى القوة الروحية التى تنبثق من

الايمان العميق بالله ، والثقة فى وعده ونصره ، واستمداد العون من السماء .

وتاريخ الامة الاسلامية فى الصدر الاول يمثل تاريخ عقيدتها أروع تمثيل، ولو كان للاعتبارات المادية أثر لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لدى صحابته من بعده ما كانت هذه الانتفاضة الاسلامية الكبرى التى دقت معاقل الشرك ، وحصون الوثنية وتهاوت أمامها قوى البغى بجيشها اللجب وجحافلها المتكاثرة مدحورة خاسئة مهزومة ، يجللها عار الدمار ، وخزى الانحدار . فلم تمض سوى سنوات معدودة فى عمر الزمن حتى رفرفت راية الاسلام على ثلاثة أرباع الدنيا واندكت قصور الاكاسرة والقياصرة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

ان الاسلام اذ يأخذ بعين الاعتبار الاعداد المادى امتثالا لقوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » يعطى الاعتبار الأكبر للقوة الروحية ، قوة الايمان بعقيدته ، والثبات عليها ، والصبر على الأذى فيها ، وبذل النفس والمال فى سبيلها وفاء بالبيعة « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ولم يكد يبلغ عدد المؤمنين مئات حتى نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ، يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » وقد تجلت هذه المعانى فى حادث الهجرة .

انه لما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شيعة من غيرهم فى المدينة ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا . وأصابوا منهم منعة . فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم : فاجتمع الملأ منهم فى دار الندوة — وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها — يتشاورون فى أمر رسول الله حين خافوه ، وحضر معهم ابليس ، وتمثل لهم فى صورة شيخ نجدى . لأنهم قالوا : لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة ، لأن هواهم مع محمد . فقال قائل منهم احبسوه فى الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله . زهيرا والنابغة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم ، فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم ، فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به — حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأى — فانظروا فى غيره ، فتشاوروا . ثم قال قائل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا ، فوالله ما نبالى أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا ، وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت ، فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا لكم برأى ألم تروا ، حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يطؤكم بهم فى بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام :

والله إن لى فيه لرأيا ، ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه ، فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعقل ، فعقلناه لهم، فقال الشيخ النجـدى : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فتفرق القوم على ذلك ، وهم مجمعون له .

وفى هذا يقول الله تعالى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » وقوله عز وجل « أم يقـولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين » .

فلما كانت عتمة من الليل اجتمع الفتية على بابه صلى الله عليـه وسلم ، يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، وأخبر جبريل رسول الله أن لا يبيت هذه الليلة على فراشه . فأمر على بن أبى طالب أن ينام على فراشه ، وأن يتسجى ببرده ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ حفنـة من التراب ، ورمى به على رءوس القوم وهو يتلو صدر سورة « يس » فأغشاهم الله ، وخرج دون أن يروه ، ولم يدركوا ذلك حتى الصباح ، وتلك آية من آيات نصر الله .

قال ابن اسحاق : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حفنةمن التراب فى يده . . . وأخذ الله تعالى على أبصارهم فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو هـذه الآيات من يس « يس ، والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم » الى قوله « فأغشيناهم فهم لا يبصرون » حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب ،فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقـال : ما تنتظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا قال : خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكـم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كل رجل منهميدهعلى رأسه ، فاذا عليه تراب . ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلما يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام على رضى الله عنه عن الفراش ، فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا ، فهذه آية من آيات نصر الله . ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة وخرج أبو بكر معه ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . تطلعت نفس سراقة بن مالك بن جعشم الى هذا الجعل ، فامتطى جواده وامتشق سلاحه . وقد علم من بعضالناس أين قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مع بعض صحابته ، وظل يغذ السير حتى كان على مقربة منه ، فعثر به فرسه ، وساخت يداه فىالارض . وهو ينظر فى تلك الآونة الى ضالته ، ويرى فيها مغنما كبيرا ، يرى فيها مائة ناقة ، وأمامه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صاحبه ، فنزل عن فرسه ، وانتزع يديه من الارض ، وظن أن رسول الله وأبا بكر فى قبضته فانه منهما قاب قوسين أو أدنى ، فاذا به يرى ريحا شديدة تثير غبارا كثيفـا فى وجهه لا يرى منه شيئا أمامه ، عندئذ علم أن الله مانع منه رسوله ، وأنه تعالى غالب على أمره ، وأسقط فى يده وطلب الامـان لنفسه ، ثم كان اسلامه يوم الفتح ، قال سراقة يحكى هذه القصة : فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بى فرسى . فذهبت يداه فى الارض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع

يديه من الارض وتبعهما دخان كالاعصار ، قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منى ، وأنه ظاهر ، قال : فناديت القوم فقلت : أنا سراقـــة بن جعشم ، انظرونى أكلمكم ، فوالله لا أريبكم ، ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر . قل له : وما تبتغى منا ؟ قال : فقال ذلك أبو بكر . قال قلت : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك ، قال : اكتب له يا أبا بكر . » فهذه آية ثانية من آيات النصر .

وأقام رسول الله صلى اللهعليه وسلم فى الغار ثلاثا ومعه أبو بكر ، وقد استلحقه من خف لطلبه طمعا فى جعل قريش مقتفيا الاثر ، ووصل بعضهم الى الغار ووقف على بابه ، وتردد فى اقتحامه أيكون فى داخل هـــذا الغار حيث انقطع الاثر ؟ ولكن ، فما باله يبدو كالطلل البالى ؟ نسج العنكبوت عليه بيته ، وكأنه كسى حلة من خيوطه ، أخفت معالمه فكيف يتأتى أن يكون بداخله انسان ؟ ويرتجف قلب أبى بكر الصاحب الصديق خوفا على دعوة اللـــه ، فى شخص رسول الله صلى عليه وسلم ، ويتمزق فؤاده حزنا ، إن القوم على باب الغار مدججون بأسلحتهم ، فأين المفر ؟ ويقول أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لو نظر أحدهم الى موطىء قدميه لرآنا ، ولكن القلب الكبير الذى يتنزل عليه الوحى ، تغمره الثقـــة فى عون الله ونصرتـــه ، وتحفه الطمأنينة الكاملة ، فيقول صلى الله عليه وسلم لصاحبه : يا أبا بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن إن الله معنا ، وفى هذا نزل قوله تعالى : « ألا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبـــه لا تحزن إن الله معنا فأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

إن هذه « المعية » فى قلوب المؤمنين هى القوة التى يتسلح بها أهل الايمان ، فتشد أزرهم أمام الشدائد وتقوى عزائمهم فى أهوال المحن ، وتمدهم بالسكينة التى لا ترهب بطش الجبارين وعسف المستبدين وتلك آية من آيات النصر كذلـــك .

نـــواة الدولـــــة :

إن الاسلام عقيدة وعبادة ، وخلق وتشريع ، فهو نظام متكامل للحيـــاة ، وليس الاسلام فلسفة نظرية تعيش فى أحلام المفكرين ، وآمال المصلحين ، ولكنه منهج حياة ، لا يؤتى ثماره الا فى واقع مجتمع يدين به ، ويعمل بما فيه ، ويقوم على تطبيق شرائعه ، ولا يسوغ فى دين هذا شأنه أن يظل دعوة باللسان ، أو سطورا فى كتاب حتى تكون سطوره فى كتاب الواقع الذى يعيشه المؤمنون به .

إن خبير علوم التربة والنبات يستطيع أن يتحدث عن أنواع التربة وخصائص كل تربة منها ، وعن أنواع النبات وميزات كل نوع كذلك ، وقد يضع تخطيطا كامـــلا لحائط من الفاكهـــة يشمل اختبار التربة الصالحة ، وتهيئتها للزرع ، وطرق الغرس السليمة ، ووسائل تعهدها بالرى والسماد ، وصيانتها من الآفات حتى تزهر ثم تينع وتثمر ، ولكن هـــذا الحائط يظل تخطيطا يقرأ حتى يتم تنفيذه ، وتكمل مراحله وعندئذ ينتفع الناس بـــه ، فيستمتعون بثماره .

كذلك الاسلام لا يؤتى أكله لخير الانسانية حتى يكون له واقع حى فى مجتمع مسلم . يحتكم الى شريعـــة الله فى شئون حياته كلها ، وهذا هو ما نعنيه عندما نقول : الاسلام دين ودولة .

وقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام طوال العصر المكى ثلاثة عشر عاما ، فآمن به قليل ، وعاش هذه الفترة مـــع أهل الجاهلية

يدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتى هى أحسن ، وهم يواجهونه بالتكذيب والاتهام والاضطهاد فينزل الوحى عليه بالصبر على أذاهم حيث لا يستطيع أن يجابه قوتهم بمثلها ، ولكن هذه المهادنة للجاهلية الاولى كانت الى حين ، فان المجتمع الجاهلى بتصوراته وأوضاع حياته لا يتعايش معه الاسلام ، ولئن هادنه الاسلام فى فترات ضعفه فان أمد ذلك أن تتهيأ بيئة صالحة لقيام مجتمع مسلم يمارس فيه المسلمون واجبات دينهم الفردية والجماعية فى شئون حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحرية كاملة ، وتكون السيطرة فيه للاسلام وحده عقيدة وعبادة وسلوكا وتشريعا ، وقضاء وحكما ، ومن هذا المجتمع ينطلق العمل الاسلامى لنشر الدعوة بالجهاد فى سبيلها والذود عن حياضها فتكون المفاصلة بين الاسلام والكفر مفاصلة حاسمة ، وهذا هو المفهوم الصحيح للدولة .

وحين وجدت تلك البيئة فى المدينة ، وبايع الأنصار بيعة الحرب على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره . أذن الله للمسلمين بالهجرة وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت نواة المجتمع الاسلامى ، أو بعبارة أخرى كانت نواة الدولة المسلمة ، وأصبح الولاء فى هذا المجتمع لله وحده ، فلا مهادنة للكفر ، وبدأت قاعدة هذه الدولة بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، هذه المؤاخاة التى بلغت درجة الايثار « والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وكانت لها حقوقها فى الأرث والموالاة والنصرة « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » ثم نسخ الأرث بقوله تعالى « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » وما نزل فى المواريث ، وبقيت الموالاة والنصرة .

ان هذه المفاصلة التى تمت بالهجرة قطعت وشائج قرابة الجنس والدم وأحلت محلها قربة النفس والروح بالعقيدة « لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون » .

وبهذا كان التمايز بين دار الاسلام ودار الكفر أو الحرب ، فالاسلام لا يؤتى ثماره الا فى مجتمع مسلم يؤمن بالاسلام عقيدة ومنهج حياة ، ويرسى دعائم شئونه كلها على هدى شريعته ، ومن هذا المجتمع — على ضيق رقعته — يكون منطلق العمل الاسلامى الشامل حتى يكون الدين كله لله ، ومن نواة الدولة فى المجتمع المدنى عند الهجرة كانت شجرة الاسلام الباسقة فى أوج الحضارة الاسلامية ، وذروة عظمتها ، وعلى العاملين للاسلام أن يعوا هذه الحقيقة فى طبيعة الدعوة ، وأن يميزوا بين عهدين ، أحدهما يكون توطئة للآخر ، حتى يحقق الله لهم النصر الذى وعده المؤمنين .

وبعــد :

فتلك دروس من الهجرة لها معانيها ، عسى أن نهتدى بها ، ونقتفى أثرها « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

الإيمان عقيدة وعمل

— ٣ —

للدكتور : محمد سلام مدكور

انتهينا فى المقال السابق الى ذكر العقائد الاساسية التى يجب الايمان بها ، وأن أسلوب مخاطبة العقل وحده هو مسلك المسلمين فى توجيه الناس الى الايمان بالله سبحانه وعرضنا صورا من ذلك ، وبينا منهج القرآن فى ربط النظر فى الكون وفى أنفسنا بتصحيح الايمان واصلاح العقيدة . وقد عدنا بالكلام هنا عن الايمان بالبعث والحساب والرسل .

تعاقبت الرسالات السماوية على الانسان أمة بعد أمة وكلها توجه الى طريق الكمال وتبصر الناس بما فيه خيرهم يقول سبحانه : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » ويوجه الاسلام الى الايمان بجميع الرسل وبما أنزل عليهم من رسالاته يقول الله تعالى : « **قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم** » ..

وكما طلب الاسلام الايمان بجميع الرسل طلب الايمان بأن محمدا صلوات الله عليه خاتم النبيين والرسل وأن رسالة الاسلام هى خاتمة الشرائع التى بها تستقيم حياة الانسانية وأنها موجهة للناس جميعا فى كل عصر وفى كل مكان يقول الله سبحانه : « **ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** » ويقول جل شأنه : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » **ويقول :**

« **وما أرسلناك الا كافة للناس** » ويقول سبحانه لنبيه محمد صلوات الله عليه « **قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » .

فالاسلام دين الانسانية كلها ورسول الاسلام جاء للبشرية عامة بشيرا ونذيرا وموجها الى الخير وحقا ان تعاليم الاسلام جاءت بعمومها وشمولها ومرونة مصادرها صالحة للتطبيق فى كل مكان وعصر مع اختلاف الاعراف والمصالح مما يدل عن طريق العقل أنه آخر الشرائع السماوية التى ينبغى أن يلتزمها الناس ويحتكموا اليها .

ومحمد صلوات الله عليه خاتم النبيين حقا فالواقع يؤيد ذلك وقد مضى على دعوته أكثر من أربعة عشر قرنا دون ظهور دين سماوى آخر ولا رسول من بعده ولذا فانه يجب الايمان بجميع الرسل السابقين وقد تحدث عنهم القرآن والايمان بأن محمدا خاتم النبيين والرسل وأنه لا رسول من بعده ولا رسالة بعد رسالة الاسلام فهو الدين الواجب الاتباع الذى يلزم الناس لقاء الله عليه .

وأما الايمان بالبعث والحساب : فهذا أقوى ما يدفع الانسان الى الكمال فى عمل الخير والرقى فى حياته ، والاديان السماوية جميعها تتفق على الايمان بالبعث بعد الموت والحساب على ما قدم الانسان فى حياته من أعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر . وهذا حق لا شك فيه .

فالفرد يقضى فترة فى الدنيا يعمل فيها ما توجهه اليه مواهبه ورغباته ثم يمضي من الحياة تاركا وراءه أعمالا وآمالا وأهلا وخلطاء فيهم المحب وفيهم المبغض ، ويزول الانسان من الوجود وتبقى ذكراه وأعماله ومنها ما هو ظاهر معروف ومنها ما هو سر دفين، ومنها ما هو خير ومنها ما هو شر . والناس فى كل هذا متفاوتون .

فهل ينتهى كل شىء بوفاة الانسان وينمحى أثره فلا حساب ولا عقاب ويستوى المفسد والمصلح ، والعامل على احياء الرذيلة وبذر الشر مع الخير المتمسك بأهداب الفضيلة . ؟ وهل يستوى القاتل بغير حق القاطع على الناس هدوء أمنهم والمعتدى على أموالهم وأعراضهم المثير للفتن والقلاقل بينهم الكذاب الأثر المناع للخير المنغمس فى شهواته وملاذه . هل يستوى هذا مع المصلحين أعمالا المتفانين فى خدمة المجتمع الحريصين على اداء الواجب على أكمل وجه وأحسنه الذين تتفجر جوانبهم بالانسانية الكاملة والتعاون الصادق الذين لا يقولون الا حقا ولا يفعلون الا خيرا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ويجودون بالروح والدم فى سبيل العقيدة والحق ؟ وهل بانتهاء حياة الفرد انتهى كل شىء وزال حق المظلوم وفاز الظالم بما اقترفت يداه ؟

وكيف يقبل العقل البشرى أن يكون مصير جنسه الذى عمر الارض واكتشف بعض ما فى الكون من أسرار زائلا الى الابد دون رجعة أو جزاء ؟! هل يقبل العقل هذا أم يرى أنه لا بد من عالم آخر توفى فيه كل نفس ما كسبت « يوم تجد كل نفس ما عملت

من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » ؟

لا شك أن الانسان لو خلى وعقله لانتهى بادراكه وتفكيره الى أن الموت نهاية مرحلة أولى وبداية مرحلة أخرى وأنه يخفى من ورائه شيئا آخر ، وأن الروح انما تنتقل من وجود الى وجود، وأن بعد الحياة حياة أخرى نجهل كنهها ووصفها لكن العقل يؤمن بها ويوجه اليها ، هذه الحياة الاخرى يحاسب فيها الانسان على ما قدمت يداه فى حياته الاولى ويلقى حسابه ان خيرا فخير وان شرا فشر . وعمل الانسان فى دنياه يكون أمامه واضحا كتابا مسطورا وكأنه يقرأه ليعرفما له وما عليه وصدق الله سبحانه القائل « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » ويقول جل شأنه « أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » ؟!

وما أجمل التعبير القرآنى الكريم بأسلوبه العالى الرفيع لاقناع الانسان من أقرب الطرق بأن هناك بعثا وحسابا فيقول « فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . انه على رجعه لقادر » فمن نظر فى كيفية خلقه من هذا الماء المهين وجعله فى ذلك القرار المكين ، وكان صائب النظر مستقيم الادراك فانه منته لا محالة الى التصديق بأن وعد الله واقع وأن قدرته على ذلك الخلق البديع العجيب لا يعجزه أن يحقق ما وعد به من الحياة الآخرة واليوم الموعود الذى تجد فيه كل نفس ما عملت ماثلا أمامها ولله در القائل « من عرف نفسه فقد عرف ربه » « ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » .

هذا هو مسلك القرآن فى توجيه الناس الى الايمان بالبعث والحساب والجنة والنار . فهو يوجههم الى ذلك بالحجة الواضحة والبرهان القاطع . فهم الحجة وهم البرهان وصدق الله **« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس . وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون »** .

ففيم يختلف الناس من أمر هذا الخالق ، وكيف يتنكرون للقائه بعد ذلك أليغالطوا عن الحقائق أنفسهم فيعيشو الى الدنيا كما تعيش الانعام ، ويرخوا لانفسهم حبل الامل فى حياتهم الدنيا لتلعب وترتع ؟ وقد نبههم الله وتندر منهم فى قوله جل شأنه « **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون »** موجها بذلك كله القلوب الناسية والنفوس الجامحة الى الاذعان بالبعث والحساب وأن هناك يوما يرجعون فيه الى الله . حتى يستقيم سلوكهم ولا يتظالموا فيما بينهم ويؤدى كل منهم لأخيه حقه اتقاء لذلك اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة من شدة هوله عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها نتيجة لما أصابها من خوف واضطراب وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . فلا وربك ان ما توعدون لصادق وان الدين لواقع . وكل نفس بما كسبت رهينة .

ومن صور تندر الله سبحانه بمنكرى البعث والمترددين فى الايمان به وأخذ

العدة له قوله سبحانه « ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا » وذلك اذ يرد على هذا التساءل بأسلوب كله اقناع من أقرب الطرق من غير تتبع أو تلفت ، وانما فى محيط الانسان نفسه وخلقه فيقول : « أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » وكذلك فان من هذا القبيل قوله سبحانه « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » .

والبعث وان كان حقيقة جاء بها الدين ووجه الناس الى الاقتناع والايمان به فانه أيضا حقيقة يدركها العقل السليم اذ العقل يتجه تلقائيا الى أن الفاضل يجب أن يلقى خيرا جزاء عمله وأن الآثم يلقى شرا جزاء عمله ، وقد لا يحدث ذلك فى الحياة على وجه الارض . فما أكثر الفضلاء التاعسين فى حياتهم وما أكثر الاشرار الذين ينعمون بخيرات الدنيا واذا فأين يكون الجزاء الذى أدركه العقل لا بد من يوم آخر يلقى فيه المثيب جزاءه والمجرم عقابه انه اليوم الموعود . يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . ان العقل البشرى ليهتدى من نفسه الى الحياة الاخرة ، وقد اهتدى الى ذلك قدماء المصريين منذ قرابة خمسة الاف سنة حينما انتشرت عبادة « أوزوريس » فقد كان أساسها أن كل انسان مسئول بعد الموت عن أعماله فى الدنيا أمام محكمة الهية فاذا حكمت بأن حسنات الميت ترجح سيئاته كوفىء بالنعيم الخالد ، وان حكمت بأن سيئاته أكثر ألقى فى النار أو ضرب عليه نوع آخر من العذاب .

وكذلك فقد آمن الفرس والاغريق والرومان بالبعث والحساب حتى الهندوكيين والبوذيين فانهم يؤمنون بأن الروح تنتهى أخيرا الى وجود آخر . بل نجد بعض الفرق الاسلامية وهم المعتزلة والماترودية من أهل السنة يرون أن أمور العقائد ومنها معرفة الله والايمان بالبعث والحساب من الامور التى تدرك بالعقل ولا تتوقف معرفتها على النقل ولا أرسال الرسل فالايمان وكل ما يتعلق بالعقائد يتطابق فيه حكم الشرع مع العقل ، وينبنى على هذا أن أهل الفترة محاسبون على ضلالهم فى العقائد وقد نقل عن أبى حنيفة أنه قال : لا عذر لاحد فى الجهل بخالقه لما يرى من خلق السموات والارض ويقول : « لو لم يبعث الله رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم »

وهكذا نرى أن البعث والانتقال من هذه الحياة الدنيا الى حياة الخلد أمر يتفق فيه العقل مع الدين وذلك لان الانسان لم يخلق فى هذه الحياة عبثا بل خلقه الله لغاية جليلة فى عمارة الكون فلا مناص اذا من أن يبعث بعد موته ليلقى بعد الحساب ما يستحق من ثواب أو عقاب .

أنظر معى أيها القارىء الكريم — وفقك الله الى الحق وزادك ايمانا — أنظر قول الله تعالى : **« ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا ، وخلقناكم أزواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهاجا . وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا . لنخرج به حبا ونباتا . وجنات ألفافا . ان يوم الفصل كان ميقاتا . يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا .. »** فان ما يعدده لنا من بديع خلقه ودلائل قدرته وكمال وصفه ليوصلنا دون

جدال الى الايمان الكامل به وبالبعث والحساب . فمن الذى أوجد هــذا الكون وأوجدنا نحن فيه وخلق لنــا العقل والتفكر ، ومن الذى سخــر لنا الارض طيعة فيما نريد منها وجعلها

تخرج عجائب النبات والزرع صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحـــد ويتغذى بغذاء واحد ويعيش فى جو واحد لكن النبات والزرع مع هــذا

مختلف أكله ولونه وتكوينه . وما دمنا قد آمنا بأن هناك خالقا فهل يتصور العقل أنه خلقنا وكلفنا بفعل الخيــر والابتعاد عن الشر ولا أثر يترتب على طاعته أو عصيانه .

انه سبحانه بهذا يخاطب عقولنا لتتفتح الى الايمان به واتباع أوامــره وارشاداته واجتناب نواهيه ، والعمل فى الحياة بما يجعلها نافعة مفيــدة للجميع . ثم ينتهى بنتيجة يذكرنا بها دائما لخفائها عن الانظار فيقول : « ان يوم الفصل كان ميقاتا » .

والانسان متى آمن بهذا كله : آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث والحساب كان حريا أن ينأى عــن الشرور والآثام وأن يقبل على الخير ويبادر الى الطاعات ويستفيد من دنياه لأخراه كما قال الرسول صلوات الله عليه فى موعظة له « أغنم خمسا قبل خمس . شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقــرك ، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبــل موتك » .

والى لقاء فى مقال آخر نختتم به الكلام فى هذه الحلقة ونبين فيه أثر الايمان فى النفوس . اللهم اهدنــا الى رشاد واملأ قلوبنا بالايمان .

العقيدة الناشطة

رأى فى القيادة :

قال لى أحدهم فى معرض الحديث عن الرجال الممتازين ، القائد هـو الرجل الذى يتميز من سواه بالحركة . والناس يسيرون وراء القائد ويطيعونه لانه يملك قدرة فائقة على تغيير مواقعه فى خدمة أفكاره . والواقع ان القيادة الناجحة هى تلك التى لا تؤمن بالسكون . أنها خيال حافل بالنشاط وحركة متصلة فى غير راحة وعداوة طبيعية لكل ما هو ساكن هادىء . الغليان فى الفكر كالغليان فى العاطفة وكالاضطراب المادى فى الارض ، أنها كلها آيـة على الحياة القوية الممتازة .

من هنا تصبح الحركة عند المفكر المبدع والبطل الطموح والعابد الصابر والمغامر الجرىء صفة لازمة لكل منهم . فهم لا يستطيعون الانفصال عنها لأنها المبرر الوحيد لوجودهم .

ومن هنا أيضا كان الرجال المهاجرون ـــ بحثا عن مواطن الرزق وحفاظا على سلامة عقيدتهم ـــ هم الرجال الذين يمنحون المسيرة البشرية محتواهـا الحضارى .

واذا كانت هناك حضارات متعاقبة فى تاريخ البشرية فلأن الحضارة اللاحقة حضارة فتية تجتاح الحضارة السابقة الهرمة التى فقدت القدرة على الاستجابة للتحديات الخارجية .

في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

للاستاذ رمضان لاوند

الحضارة والفتوة :

فى ضوء هذه الحقيقة التى نقررها نستطيع أن نقول : إن الحضارة هى فتوة الفكر والجسد والعاطفة والارادة .

فيوم يفقد المجتمع قدرته على التحرك والتغلب على ما يصادفه فى عالم الطبيعة والانسان من العراقيل والمتاعب فقد كتب على نفسه الموت .

ولذلك فاننا نعتقد بأن الانتفاضات التى يتحرك بها الجسد العربى المسلم اليوم والتناقضات العنيفة التى يعانيها هى الآية والعلامة على أن احتياطيا كبيرا من النشاط بدأ يتفجر بطاقاته فى طريق التاريخ . واذا كان ما يزال متعثرا فى خطواته ، مبهورا أمام ما يواجهه من التجارب عاجزا عن استيعاب الأبعاد الحقيقية لمعضلته فلأنه ما يزال فى حاجة الى مزيد من الوقت والنضج والممارسة ..

إنه لم يعرف فى تاريخ أمة أو حضارة أن هذه أو تلك قد خرجت الى الدنيا برؤية فكرية واضحة يرفدها نشاط فائق الا بعد أن يكون أبناؤها قد دفعوا من أعصابهم ودمائهم وأرواحهم الثمن الكبير الذى تفرضه عليهم .
المتواكلون ساقطون فى الطريق لأنهم يخافون الحركة . والمقلدون طريدو الحياة لأنهم يهابون الابداع . والملحدون الخربون فاشلون فى تحمل مسؤوليات البناء لأنهم عاجزون عن تكوين رؤية اعتقادية بناءة .

الاسلام والحركة :

والجدير بالذكر أن القرآن الكريم قد ناقش ظاهرة الحركة واعتبرها عنوانا على القوة الفائقة ومخرجا من مخارج الخلاص حين حدثنا على لسان الملائكة والضعفاء ونقل الينا الحوار التالى بين هؤلاء وأولئك . قال عز وجل فى الآيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ من سورة النساء :

« أن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » ..

الصورة واضحة جدا . ان تبرير الخضوع بادعاء الضعف موقف مرفوض لانه عنوان على التواكل وآية على السكون الذى هو بعض معنى الموت . وتقرر هذه الآيات الكريمة أن الخروج من الضعف لا يكون بمواجهة القوة وحسب بل يكون أيضا بالمهاجرة والخروج فى أرض الله الواسعة . والقرآن لا يجد عذرا مشروعا للناس المزعومين مستضعفين ما لم يكونوا من الولدان والنساء والرجال العاجزين حقا عن الحركة والتنقل . ويسترسل الوحى من بعد فى ابراز ثمرة المهاجرة ونتائجها فيقول : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما (١) كثيرا وسعة . ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » .

واذا فالتعليم الاسلامى واضح فى هذا المعنى . إنه يرفض أى اعتذار .

الهجرات فى التاريخ :

ولماذا نذهب بعيدا فى البحث التجريدى عن معنى الحركة والتنقل ؟! يكفى ان نتذكر بأن الهجرات البشرية التى ترافقها رسالات فكر وعقيدة هى وحدها التى تصنع الحضارات وتبنى المجتمعات المزدهرة وتصلح الارض وتشيع الحياة والخضرة فى ارجائها .

أو ليس أن تاريخ الاسلام فى فجر نهضته هو سلسلة من الهجرات التى يحمل أصحابها رؤية فكر وعقيدة ؟ أوليس أن حضارات الشرق الاوسط فى سوريا والعراق ومصر كانت كلها ثمرة هجرات بشرية متعاقبة من الصحراء ؟

وأخيرا أليس أن نهضة القارة الاوروبية فالاميركية من بعد كانت حصيلة الافواج من الرجال والنساء الذين خرجوا من ديارهم يبحثون عن الرزق ويسعون الى الاستيطان فى الاراضى البور التى لم يحسن أصحابها القيام عليها ؟ !

واذا كانت هناك فوارق بين حضارة وأخرى فهى فوارق ناجمة عن نوعية الفكر الذى تحمله أفواج المهاجرين وعن قيمة العقيدة التى بها يعتقدون .

المهم هو أن الهجرات التى ترافقها رسالة معينة ذات عقيدة خاصة هى وحدها القادرة على صنع الحياة وجعل أصحابها جزءا من التاريخ البشرى الاصيل ..

هجرة النبى عليه الصلاة والسلام :

فى ضوء هذه البينة نواجه ظاهرة أخرى فى تاريخ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . لقد حاول عليه السلام أن يواجه جماعة قريش بكل ما كان

يملك من قوة الخلق وقدرة على الصبر ووضوح فى الرؤية وأصالة فى العقيدة . ولكن مكابرة هذه الجماعة المشركة وضعته أمام أحد موقفين لا خيار له معهما فاما أن يستسلم للشرك فى جموحه وعناده وأما أن يهاجر بحثا عن أرض أخرى وشعب آخر يجد عندهما من الوعى ومن الاستعداد للفهم ما لم يجده عند جماعة قريش ومن الطبيعى أن يختار الموقف الثانى فيصدع بأمر الله ويقرر الهجرة اليه فى أرض جديدة وجماعة جديدة . والجدير بالذكر ان الهجرة النبوية الكبرى قد سبقت بهجرتين جانبيتين أريد بهما أن تكونا مخرجين من المآزق التى كان المسلمون يجدون فيها أنفسهم بسبب من تعنت قريش ومغالاتها فى أضطهاد الفئات المؤمنة . والواقع أن هاتين الهجرتين قد كانتا بمثابة تجربتين تمهيديتين يتحسس بهما المسلمون موطنا ظنوا انه يصلح لهم . أو أنهما كانتا محاولتين أراد بهما النبى صلى الله عليه وسلم أن يتعرف الى النتائج العملية المترتبة على الخروج من الديار .

وقد أراد الله سبحانه وتعالى فى سابق علمه أن تكون الهجرة الكبرى التى تغيرت بها أقدار المسلمين ووضعت بها أحجار الأساس لدولة الاسلام الفتية فى أرض عربية والى شعب عربى . وهى ارادة متفقة مع سنن الله فى خلقه . ان احتمالات الوحدة فى العمل والتعاون بين الفئات المهاجرة وبين الشعب الجديد تكون أكثر توفرا حين تشد الفريقين اللغة المشتركة والعقلية المتقاربة والجغرافية الواحدة . هكذا صدر الامر الالهى ونزل بهالوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم ان اخرج من بلدك مكة الى حيث تجد حظا أوفر من النجاح وقوما أكثر استعدادا لتقبل رسالة الاسلام .

سياق آية الهجرة :

ومما يلفت النظر أن الوحى السماوى قد وضع الحديث عن الهجرة فى صميم آيات قرآنية تناقش القاعدين عن القتال والمتواكلين المترددين فى الحركة وتكشف عن أخطار التثاقل والتباطؤ فى ميدان الكفاح من أجل العقيدة والعمل فى سبيل رسالة الله . والحديث عن الهجرة فى هذا السياق يطرح قضيتين هامتين :

القضية الاولى هى قضية الحركة الناشطة التى ترمز الى الفتوة والحيوية عند صاحبها . والقضية الثانية ، هى قضية العقيدة والثقة المطلقة بنصر الله كآية على أهمية الرؤية الاعتقادية المرافقة لحركة الهجرة الى الارض الجديدة والشعب الجديد .

لنقرأ فيما يلى كلام الله فى هذا المعنى . انه يقول « يأيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير . الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم . انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ..

هكذا يبدو لنا أن سخط الله عز وجل موجه الى المتثاقلين فى الارض

المتوانين فى الحركة والمترددين أمام المسؤوليات التى يفرضها الجهاد فى سبيل العقيدة .

انه عز وجل يهدد هذه الفئة من الناس بالعذاب واستبدال قوم غيرهم ويؤكد لهم أن نصر الله للنبى لا يتوقف عليهم فاذا ترددوا فى الهجرة الى ميدان القتال وجبنوا أمام العدو فعليهم أن يتذكروا يوما لم يكونوا فيه الى جانب محمد عليه الصلاة والسلام ولم تكن لهم يد فى نصره . يوما أخرجه فيه كفار قريش يرافقه صاحبه وصفيه أبو بكر رضى الله عنه . فاذا آنس النبى فى صاحبه خوفا أو شبه خوف بادر الى طمأنته فيقول له : لا تحزن ان الله معنا . فى هذا اليوم تم النصر له وأخرجته العناية الالهية من المأزق الشديد الذى وجد نفسه فيه وصاحبه وجعلت كلمة الذين كفروا السفلى وبقيت كلمة الله هى العليا . ثم يمضى الوحى السماوى فيحرض المتواكلين المتثاقلين المؤثرين لمتاع الدنيا وزينتها على النفرة والنهوض للقتال خفافا وثقالا . يجاهدون بالأموال والأنفس فى سبيل الله لا يردهم خوف ولا تزلزلهم تهديدات العدو .

ولو شئنا ان نمضى مع الآيات القرآنية التالية لوجدنا صورة حقيقية لنفسية الفئة المتواكلة المتثاقلة على ان هذه الصورة ليست مما نقصد الى تحقيقه فى هذا الموضوع .

الهجرة وحضارة الاسلام :

واذا فنحن حين نتحدث عن الهجرة النبوية انما نتحدث فى الواقع عن قمة الانتصار على الضعف وحين نستشهد بوقائعها نحاول ان نقرر الحقيقة البسيطة التالية — وهى ان الحضارة ثمرة الفكر المهاجر الباحث فى أرض الله الواسعة عن الخلاص والازدهار .

فاذا قلنا ان هجرة النبى صلى الله عليه وسلم هى التى وضعت حجر الأساس لمجتمع الحضارة الاسلامية فنحن لا نجاوز الواقع . انها البرهان الدامغ على ان العقيدة الحية الناشطة والمتحركة هى وحدها التى تصنع تاريخ الامم العظيمة .

ولو أردنا أن نستعمل اللغة العصرية فى تصوير معنى الهجرة النبوية لقلنا ان هذه الهجرة هى قمة المعاناة التى تتفجر بها ينابيع القوة والالم وتتلاقى بها أشعة الايمان وظلمات الكفر ويتقابل فيها يقين الارادة واضطراب الضعف البشرى ثم تنتهى هذه المعاناة الى موقف النصر بفضل الخلق القوى والايمان الواعى واليقين المطمئن .

ولئن لم يكن لذكرى الهجرة من دور تقوم به غير أنها تذكير لنا بقيمة العقيدة المتحركة النشيطة لكان حقا علينا أن نحتفل بها للعظة والعبرة .

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » .

---

(١) المراغم : هو المهرب والمخلص والحصن مشتق من الرغام وهو التراب .

الفتوح الإسلامية

للدكتــور أحمد ابراهيم الشريف

إن توحيد العرب فى شبه الجزيرة العربية تحت راية الإســلام على يد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم تثبيت هذه الوحدة على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه بعد القضاء على حركة التمرد التى قامت بها القبائل العربية والتى عرفت باسم ((الردة)) ، كان حدثاً كبيراً فى تاريخ العــرب ، فلم يعرف العرب هذه الوحدة الشاملة تحت راية دولة ودين إلا بمجىء الإسلام . وقد ترتب على هذا الحدث الكبير حدث أكبر منه بالنسبة لتاريخ البشرية جميعاً ، فقد خرج العرب الى المجــال الخارجى فى حركــة فتوح عظيمة امتدت فى المشرق الى أواسط آســيا ، ووصلت فى المغرب الى شــواطىء المحيط الأطلسى وغرب أوروبا ، ونتج عن ذلك نتائج بعيدة المدى فى تاريخ الإنسانيــة من جميــع النواحى السياسية : السياسية والدينية والحضارية على السواء :

فأما من الناحية السياسية ، فقد تغيرت خريطة العالم السياسية ، إذ سقطت امبراطوريات كبيرة كانت تمد سلطانها على جزء كبير من العالم المعروف وتتحكم فى تقرير مصيره ، وقامت دولة جديدة امتدت على رقعة فسيحة من الأرض شملت العالم المتحضر كله فى ذلك الوقت ، ولم يشهد العالم امبراطورية امتدت على رقعة متصلة من الأرض هذا الامتداد ، وكان لهذه الامبراطــورية الجديدة خصائص تخالف الامبراطوريات القديمة والحديثة فى التفكير السياسى والحضارى والاجتماعى .

وأما من الناحية الدينية ، فقد قامت ديانة جديدة اعتنقها معظم الشعوب المتحضرة فى العالم يومئذ ، وغلبت فيها على ديانات كبرى . وبقيامها تم القضاء على الوثنية قضاء حاسما . وعرف العالم لأول مرة معنى الحرية الدينية ، فان الإسلام اعترف بالديانات السماوية ، ولم يحترم حــرية العقيدة فحســب ، وإنما كفلها ورعاها .

وبقيام الامبراطورية الإسلامية قامت حضارة إسلامية ، نستطيع أن نقول مطمئنين إنها أول حضارة عالمية قامت على هذه الأرض ، فقد اتسع أفق المسلمين الفكرى لهضم الحضارات السابقة ، واتسع صدرهم للاعتراف بها ، وهذا الاتساع فى الأفق الفكرى يرجع إلى خصائص الإسلام الذى كما نادى بوحدة الخالق نادى بوحدة الخلق ، وجعل العقل أساس المعرفة ، ولهذا نقب المسلمون عن حضارة اليونان ، فاستخرجوا كنوزها المدفونة فى طيات التاريخ، كما فتشوا عن حضارة بابل وآشور وفينيقيا ومصر وبحثوا عن حضارة الفرس وحكمة الهند ، ونقلوا هذا الترا ثالى اللغة العربية ، ثم درسوه وشرحوه ، وأضافوا اليه وأصلحوه ، وطبخوه جميعا فى وعاء واحد ، فأخرجوه للناس بعد ذلك مزاجاً جديداً ، اتخذ اللغة العربية أداته والمثل الإسلامية العليا قواعده وسياجه .

ولم ينفرد رجال العرب بالقيام على هذه الحضارة وتنميتها ، بل أتاحوا لكل العقول على اختلاف أجناسها ودياناتها أن تشارك فيها وتسهم بقدر ما تتيح لها مواهبها وكفاياتها ، فبرز كثير من رجال الفرس والترك والسريان والشوام والمصريين والمغاربة والاسبان وكل الشعوب التى دخلت فى الإسلام أو خضعت لدولته ، فى كافة ميادين الحضارة . وكما برزت كفايات الرجال كأفراد ، برزت كذلك كفايات الشعوب كمجموعات ، فقد أتاح الإسلام لكل الشعوب أن تدخل فيه وأن تسهم فى نشاطه السياسى ، وأن تتقدم بحسب كفايتها وقدرتها فتصل الى مركز الصدارة فى حكم العالم الإسلامى وقيادته ، فلم يمض كبير وقت حتى تصدر الفرس العالم الإسلامى ، ثم تلاهم الديالمة ، ثم الترك السلاجقة ، ثم الترك العثمانيون ، وفى كل ذلك لم يجد المسلمون غضاضة فى أن تتصدر هذه الشعوب وأن تحكم تحت راية الإسلام ، فقد ألغى الإسلام فوارق الجنس واللون ، وهذه الظاهرة لم يعرف العالم لها نظيراً فى تاريخه القديم والحديث على السواء ، فلم يعرف التاريخ شعباً من الشعوب التى ضمتها الامبراطورية قديمها وحديثها ، تصدّر الامبراطورية أو ساد فيها أو حتى وصل الى المساواة مع أصحابها . وحتى العالم المتحضر الغربى لم يستطع التخلص من نزعة التفرقة الى الآن ، فهى ظاهرة لم تتحقق إلا فى دولة الإسلام . كما أتاح الإسلام للشعوب فى ظل الامبراطورية الاسلامية أن تنمى شخصيتها الإقليمية ، وأن تقوم فى حواضرها مراكز للحضارة تسهم فيها وتنافس غيرها فى مضمارها ، فتعددت مراكز الحضارة فى العالم الإسلامى ، فسمرقند وبخارى ومرو والرى والبصرة والكوفة والقيروان وفاس وغرناطة وغيرها من مدن العالم الاسلامى كانت مراكز للحضارة ، وكانت تنافس المدينة ودمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة وهى العواصم التى قامت فيها الخلافة . وإنها لظاهرة فريدة كذلك أن لا يسعى شعب من الشعوب التى ضمها العالم الإسلامى حين أتيحت له فرصة التقدم والتفوق أن ينفصل عن هذا العالم برغم تعدد القوميات . وحتى فى أوقات التمزق السياسى لم تصطنع الحدود ولم تفرض الحواجز ، ولم يكن هناك حجر على العلماء والأفراد أن ينتقلوا عبر الدول والممالك والامارات التى قامت فى نطاق العالم الاسلامى أو أن يتعارفوا ويتعاونوا . ومن ثم ظلت الوحدة الحضارية والفكرية قائمة ، وظل الاعتراف بالوحدة المعنوية للعالم الإسلامى موجودا ، وظل المسلمون كالجسد الواحد إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

ولأول مرة فى تاريخ البشرية تختلط الدماء بين الشعوب وتنصهر الجماعة

فى شعب إسلامى واحد ، فيحصل التصاهر والتزاوج وتنشأ أجيال لا نستطيع أن نرد دمها صريحا الى جنس بعينه من الأجناس المتلاحمة فى هذا العالم الإسلامى الواسع .

وعلى كل من يريد أن يقدر قيمة الفتوح الإسلامية ، وأن يقيم مقارنة بينها وبين الفتوح التى سبقتها أو التى أتت بعدها ، أن ينظر اليها من نواح ثلاث :

١ — من ناحية الفكرة التى دعت اليها .
٢ — من خلال الطريقة التى تمت بها .
٣ — من حيث النتائج التى ترتبت عليها .

(١)

حين بُعث محمد صلى الله عليه وسلم فى مكة رسولا يدعو الى دين جديد ، كان الهدف الدينى والاجتماعى واضحاً ، فهو يدعو الى عبادة إله واحد هو الله رب الوجود ومبدعه ، ونبذ ما عدا ذلك من أصنام وأوثان وكل ما يلقى ظلا من المشاركة مع الله « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد » وقد استطاع النبى بعد كفاح دام أكثر من عشرين سنة أن يقضى على الوثنية فى بلاد العرب قضاء حاسماً ، وأن يقر الوحدانية اقرارا نهائيا واضحا . ولم تكن الوثنية قد قضى عليها فى العالم على الرغم من وجود الديانات السماوية الكبرى وعلى الرغم من سعة انتشارها ، فقد ظلت الوثنية تقوم الى جانب هذه الديانات وتعايشها ، وأكبر شاهد على بقاء الوثنية بكل قوتها وجودها فى الجزيرة العربية وهى بلد متوسط تحيط به مراكز النصرانية واليهودية على السواء ، هذا الى أن آثار الوثنية خالطت هذه الديانات مخالطة شديدة وأثرت فى طبيعتها ، فكان ظهور الإسلام وتقريره للوحدانية تقريراً واضحاً أمرا ضرورياً ، وكان قضاؤه على الوثنية فى هذه البقعة قضاء حاسماً ، وتتبعه لها فى باقى معاقلها ومحو آثارها أمراً لازماً .

ثم إن الهدف الإنسانى كان واضحاً منذ أول الأمر ، فقد جاء الإسلام بفكرة المساواة الاجتماعية بين الناس ، وإلغاء ما قام بينهم وما كان متحكماً ومعترفاً به بين الشعوب والدول حتى ذلك الوقت من التفرقة الجنسية والتفرقة الاجتماعية . فقد قرر تقريراً حاسماً أن الناس كلهم إخوة ، وهم لذلك يجب أن يكونوا متساوين فى الحقوق والواجبات ، وليس أكبر دليل على ذلك مما تعطيه الآية القرآنية الكريمة : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . فقد حوت كل أصول المساواة بين الناس ، كما أوضحت أصول التعامل بينهم ، فالخطاب فيها موجه للناس جميعاً دون تمييز بين جنس وجنس ، ثم هى تذكر أنهم جميعا متساوون فى مبدأ الخلق ، فالله رب الوجود خلقهم جميعاً ، ولذلك فلا تمايز بينهم ولا تفاضل بالأرباب . والله حين خلقهم لم يخلقهم من آباء متعددين أو أمهات متعددات ومن ثم فلا تمايز بالآباء أو تفاضل بالأمهات ، ثم تكاثروا فكانوا شعوبا وقبائل ليسهل التعارف بين جماعاتهم ويتم التعاون ويسهل التعامل . ثم أن الآية الكريمة تقرر نوع الفضل وميزة التقدم ، فتجعلها عمل الخير والسعى لتحقيق المصلحة العامة التى تحقق النفع للجميع فى ظل الإخاء العام والمساواة الشاملة ،

فهم من حيث المبدأ العام متساوون جميعاً ، وهم فى ظل المساواة متعاطفون متراحمون ، يقوم على قيادتهم أكثرهم عملا للخير وأعظمهم براً بهم وتحقيقاً لمصالحهم ، وأبعدهم عن غاية الطمع والاستبداد . ومن هذا المفهوم نبع المثل العربى « سيد القوم خادمهم » .

وكان العالم قبل الإسلام يعيش على غير هذه السنن ، فالأفراد فى الشعب الواحد ينقسمون إلى طبقات يعلو بعضها على بعض ، دون ما سند من الكفاية والعدل ، فهناك طبقة أشراف ، وطبقة عامة ، وطبقة عبيد ، ولكل طبقة حدود ، وأعطيت امتيازات ، وحرمت من حقوق ، وقد وصل الحرمان فى ذروته الى حد الحرمان من حق الحياة نفسها . وفى كل ذلك لم تكن المواهب والكفايات والعمل هى الحكم والفيصل ، وإنما كان المولد والثروة والطغيان . وكما تمايزت الطبقات فى الشعب الواحد ، تمايزت الشعوب فى المجتمع الإنسانى العام ، فشعب له السيادة وله كل الحقوق ، وشعب حمل العبودية والخضوع وحرم من الحقوق . وكان الغلب الحربى هو أداة السيادة وعامل العبودية فى كلتا الحالتين . ومن ثم امتلأت الحياة بالتناقضات العجيبة ، وفاضت النفوس بالحقد والعداوة ، وتعطلت كثير من مواهب الأفراد والشعوب ، وسارت الحياة بخطى ثقيلة بطيئة نحو غاية الكمال التى هى هدف رسالة الإنسان على الأرض ، ولقد تمر القرون ووسائل الحياة كما هى لم يدخل عليها تحسن ملحوظ ، ونكاد نحس أن القريحة الإنسانية عقمت فلم تعد تتفتق عن حيلة جديدة أو تنتج عملا جديدا ، وكان يبلغ بالعقم الانسانى فى أن يحارب العقول وأن تجازى المواهب بالقتل ، ويعاقب أصحاب الملكات الخلاقة بالتعذيب والإعدام .

وحتى الدين الذى كان المفروض أن يكون رحمة للناس ، فيوقظ الضمير ويرد عن الهوى ويحد من الطغيان ، حوله رجال الدين الى قيد تغل به رقاب الناس ، وقد تحالف رجال الدين مع الحكام أو نازعوهم السلطان ، وقد أصبح الناس يلف رقابهم غل مزدوج ثقيل ، أو يغلون بقيدين أحدهما يحكم الجسد ومفتاحه فى يد الحكام والآخر يسيطر على الروح ومفتاحه فى يد الكهان ، فلا حرية للجسد ولا حرية للروح .

والاسلام حين جاء فك عن العقول عقالها ، وأطلق للبصيرة الانسانية قيودها وحللها من جمودها ، ولم يرض منها بغير الانطلاق ، فانطلقت تبدع فى كل مجال . كما حرر الروح والضمير من كل سلطان ، فلا وساطة بين الإنسان وربه فهو أقرب إليه من حبل الوريد ، وكل نفس بما كسبت رهينة . وحتى مجال الإيمان نفسه لم يقبله الإسلام تقليداً ، ولم يرض من الإنسان أن ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداءً « ومثلُ الذين كفروا كمثل الذى يَنْعِق بما لا يَسْمعُ إلا دعاء ونداء ، صُمٌ بكم عمى فهم لا يعقلون » فالتقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين . والمرء لا يكون مؤمنا الا اذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فمن رُبى على التسليم بغير عقل ، والعمل ولو صالحاً بغير فقه ، فهو غير مؤمن . فليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد منه أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم ، فيعمل الخير لأنه يفقه أن الامر النافع المرضى لله ، ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته .

ثم إن الإسلام دعا الى أدب النفس وتهذيبها روحياً واجتماعياً أساسه

الإيمان بالله ، ورياضة العقل والقلب على هذا الاساس ، دون نظر الى منفعة مادية يجنيها الانسان من وراء هذا الأدب .

ولكى تتحقق هذه المبادىء التى جاء بها الاسلام ، كان لزاما أن يضمن لها التطبيق العملى ، وإلا تحولت الى مجرد دعوة نظرية ، لا يلبث أن يخفت صوتها مع مرور الزمن وبين ضجة الحياة . لذلك حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أن يقيم لدعوته أمة وينشىء لها دولة تكون مجالا لتطبيقها عملياً ، فما كاد يصل الى مدينة « يثرب » بعد هجرته من مكة حتى أنشأ هذه الدولة . وهو حين أنشأها حرص على وضع دستور مكتوب لها عرف عند المؤرخين باسم « الصحيفة » . وفى هذا الدستور قرر المبادىء الرئيسية التى سار عليها المسلمون من بعد ، والتى كانت أول تطبيق عملى للمبادىء التى جاء بها الإسلام .

وأول بنود هذا الدستور هو « المؤمنون والمسلمون من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس » وبهذا التقرير أعطى النبى صلى الله عليه وسلم صفة للأمة الإسلامية ، فكلمة الأمة هنا ليست اسماً لجماعة تربطها رابطة النسب أو الجنس ، وإنما هى تدل على الجماعة بالمعنى المطلق . وبهذا ألغى النبى الحدود الجنسية فلم يجعل لها وجوداً بالنسبة للدولة ، وبهذا أصبح الإسلام ملكاً لمن دخل فيه . وبناء على هذه القاعدة دخل فى الاسلام وشارك فى حياة أمة الاسلام شعوب كثيرة ، دون أن يضع الاسلام أمامها عقبات تحول بينها وبين الاشتراك اشتراكاً فعلياً فى حياة العالم الاسلامى . وهذا المبدأ هو الذى كفل للإسلام حيوية متجددة دائما ، فلم يربط الامة بشعب واحد تخمد حيويتها كلما خمدت حيويته وقلت كفايته ، وانما جعلها مجالا عاما تبرز فيه كفايات الشعوب ، فتتجدد حياة الامة بظهور المواهب والكفايات الجديدة فى العالم الواحد المترابط .

وهذا المبدأ كان جديداً كل الجدة على العوالم القديمة من يونانية ورومانية وفارسية وغيرها من الأمم والشعوب ، وهو لا يزال يحمل طابع الجدة حتى فى عصرنا الحديث . فالامة فى دستور الاسلام هى جماعة الله التى تتسع لكل البشر ، وهى التى ترعى مبادىء السلام ومبادىء حماية الحق ومنع الظلم ، والله هو الشهيد الذى يشرف عليها ، فالإيمان هو رباط الاتحاد والمؤمنون هم ممثلو معناه ، وهم لذلك أول من يجب عليهم الوفاء له ، وهم فى الوقت نفسه أول من يتمتع بالحقوق التى يكفلها لهم .

وإلى جانب هذا المبدأ العام الذى يكفل للناس جميعا أن يعيشوا فى ظل أمة واحدة بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم ، وضع النبى صلى الله عليه وسلم بنداً يكفل الحرية الدينية لاصحاب الديانات السماوية . ولذلك فان هذه الدولة الاسلامية كانت فذة فى تاريخ البشرية ، لانها — بالرغم من قيامها فى الاصل على أسس دينية — أقرت مبدأين لم تعرفهما الدول الدينية أو غير الدينية من قبل . وأول هذين المبدأين هو حرية الاديان ، وهى حرية لم تقرها الدولة الاسلامية فحسب ، بل إنها تتعهد بحمايتها . وثانيهما هو مبدأ تعريف فكرة الوطن والدولة فى أوسع معانيهما تسامحاً وإنسانية ، وهو مبدأ يكفل المساواة فى الحقوق والواجبات الوطنية بين جميع أفراد الامة على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم .

تحت ظل هذه المبادىء قامت دولة النبى صلى الله عليه وسلم فى يثرب،

واستطاعت فى مدى عشر سنوات أن توحد الجزيرة العربية كلها تحت لوائها ، وأن تطبق على أهلها هذه المبادىء تطبيقا عمليا .

ولم يكن محمد عليه السلام رسولا للعرب وحدهم ، وانما كانت رسالته للناس أجمعين ، بين ذلك القرآن الكريم ، وأيده الرسول بإيفاد رسله الى ملوك العالم المعروف حوله يدعوهم بدعوة الاسلام ، ولقى رسول الله ربه ولم تنتشر دعوته فى أمم العالم ، ولكنه ترك أمة قال الله فيها : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . ولقد أشربت نفوس العرب مبادىء الاسلام ، وهم إذ توحدوا على هذه المبادىء كان عليهم أن يتمموا دعوة النبى صلى الله عليه وسلم فيبلغوها للعالم من حولهم وكان عليهم أن يسعوا الى تطبيق مبادئهاالعليا بين شعوب هذا العالم، ليكونوا بذلك شهداء على الناس كما كان الرسول عليهم شهيدا . وبهذه الافكار اندفع العرب الى المجال الخارجى فاصطدموا بقوى الدول الكبرى القائمة من حولهم .

(٢)

هذا من ناحية التفكير الدينى الإنسانى . أما من ناحية التفكير السياسى والعسكرى ، فان الدولة الجديدة التى قامت فى جزيرة العرب بظهور الإسلام، كانت تحيط بها دول كبرى تتحكم فى مصير العالم وتتنازع السيطرة السياسية والاقتصادية فيه ، فقد كانت الامبراطورية الفارسية تقوم على الجانب الشمالى والشرقى للجزيرة العربية ، ودولة الروم (الامبراطورية البيزنطية) تقوم على جانبها الشمالى والغربى ، وبين الدولتين صراع شديد امتد زمناً طويلا تخللته حروب دموية رهيبة . وقد وقعت أطراف الجزيرة العربية فى مجال هذا العراك الدولى ، بل كانت هذه الاطراف مسرحا للصدام المسلح بينهما ، ولم ينج داخل شبه الجزيرة من محاولات الامبراطوريتين لإخضاعه ، ولم يحمه من الخضوع المباشر إلا طبيعة أرضه الصحراوية التى كان يصعب على جيوش الدولتين اجتيازها ، فضلا عن قلة خيراتها . وقد خضع لنفوذ الدولتين من كان يجاورهما من قبائل العرب فى بادية العراق وبادية الشام ، كما خضعت اليمن التى كانت المفتاح الجنوبى لطريق التجارة العالمية الواردة من المشرق ، وقد استخدم الفرس والروم هؤلاء العرب فى حروبهم ، وسخروهم لتحقيق مصالحهم ، ولكنهم حين رأوا منهم قدرة على النهوض وميلا للاستغلال ضربوا ممالكهم ، فحول الفرس مملكة الحيرة إلى ولاية فارسية بعد أن قتلوا ملكها النعمان بن المنذر ، كما حول الروم مملكة غسان الى ولاية رومية ، وسقطت اليمن تحت حكم الاحباش حلفاء الروم ، ثم استغل الفرس الثورة الوطنية التى قام بها سيف بن ذى يزن فحولوا اليمن الى ولاية فارسية بعد موت سيف .

وحين أرسل النبى صلى الله عليه وسلم رسله الى الملوك بدأت الدولتان تنظران بعين الحذر الى قيام الدولة الاسلامية فى الحجاز ، وتراقبان تقدمها وتسعيان الى الحد من سلطانها . فأما كسرى فارس فقد أرسل الى نائبه على اليمن (باذان) يأمره بأن يأتيه بذلك الرجل الذى ظهر فى الحجاز ، ولم يمنع كسرى من إرسال حملة لضرب الدولة فى الحجاز إلا أن الاضطراب الداخلى الذى كانت تعانيه دولته ، والذى كان من نتائجه قتل كسرى نفسه فى ثورة قام بها عليه ابنه ، ثم اسلام باذان لادراكه اضطراب أحوال الفرس وشعوره بقدرة الدولة العربية الناشئة على النمو . وأما قيصر الروم فان

عماله قد بدأوا يتحرشون بحدود الدولة الاسلامية فى شمال الحجاز ، وأخذوا يستعدون لضربها ، الامر الذى جعل النبى عليه السلام يوالى توجيه الحمـــلات الحربيـــة للمحافظة على حدوده الشمالية ، فأرسل حملة الى مؤتة على حدود بادية الشام قاتلت جيوش هؤلاء العمال ، ثم قام بنفسه على رأس حملة كبيرة الى تبوك حين بلغته أخبار حشود رومية لغزوه ، ولكنه لم يتجاوز حـــدوده وعاد حين لم يتقـــدم العدو لقتاله ، وقد ظل أمر هذا الحد الشمالى يشغل باله حتى أعـــدّ حملة أخرى لتأمين هذا الحد بقيادة أسامة بن زيد ، ولكنهـــا لم تنفذ إلا بعد وفاته .

لم يتعـــد هدف النبى السياسى حدود الجزيرة العربية نفسها طـــوال حياته . وظل هذا الهدف هو هدف الدولة الاسلامية بعد وفاته ، حتى تطـــورت الظروف الى توسيع هـــذا الهدف ، فان الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه حين أرسل جيوشه لحرب المرتدين ، ولتطبيق « بيان براءة » وهو استبراء العرب من الوثنيـــة استبراء تاما ، كان الهدف واضحا وهو ضم العرب فـــى أطراف الجزيرة الى الدولة ، حتى تتم الوحدة العربيـــة وحتى تستقر الدولة فى حدودها الطبيعية . ولكن الدولتين الكبيرتين لم تسمحا للدولة الناشـــــئة باستكمال هذا الهدف الطبيعى بل أخذتا فى مناوأتها مما أضطر الجيـــــوش الاسلامية الى الاشتباك معهما . ومع هـــذا الاشتباك فان الهدف السياسى للمسلمين ظل هدفا اقليميا ، لم يتخطوه الا مضطرين . وحين تقدمت جيوشهم لتزيل التهديد الفارسى الرومى عن الحدود ، لم تفكر فى اجتيـــاز الحـــــدود العربيـــة الطبيعية .

فإنها حين تقدمت نحو الشام إنما تقدمت فى المنطقة العربية الغسانية ، ولم تتجه الى ما وراءها ، فلم تتجه الى فلسطين أو الى سورية ، وانما اتجهت الى « بُصْرى » عاصمة الغساسنة . لكن الروم تصـــدوا لها فاضطرت الى الاشتباك معهم فى معركتين صغيرتين هما معركة « داثن » ومعركة « العربة » فلم يكن انحـــراف الجيوش الاسلامية الى هاتين الجهتين انحرافاً مقصـــوداً ، وإنما كان انحرافاً اضطرارياً لمواجهة التجمعات الرومية . ثم حشـــــدت الامبراطورية الرومية حشودها لقتـــال العرب ، فاضطر هؤلاء لمواجهة هـــذه الحشود فى أجنادين سنة ١٣ هـ . وحين علم أبو بكر بخبر هذا الاســـتعداد الرومى قال : « يا هادى السبيل ، انه الفجر أو البجر » وهذه الكلمة توضح سياسة العرب توضيحاً تاماً وتبرز موقفهم ، فان الهدف كان إقليميا مشروعا ، لضم العنصر العربى من ناحية ولتأمين الحدود من ناحية أخرى . ولكن الامر تطور بحيث أصبحت الدولة فى موقف جديد لم تستعد له ولم ترسم له خطـــة واضحة ، ولذلك يقول أبو بكر : « يا هادى السبيل !! » ثم هو يقدر خطـــورة الموقف فيقول انه سوف يتفتحعنفجر جديد بالنسبة للدولة الجديدة ، أو أنه سيؤدى الى الدمار لو تراجعت ، فان العدو سيتعقبها ليقضى عليها ، وبهـــذا الإدراك دخلت جيوش المسلمين هذه المعركة ، فلما انتصروا على الروم فى أجنادين كان لزاما عليهم أن يكملوا الموقف أو يعودوا لمواجهة هذا التهـــديد الخطير .

وفى جبهة العراق كان الموقف كذلك ، فان الجيوش العربية كانت تتجـــه لهدف إقليمى ، وكانت دوافع هذا الهدف قديمة ترجع الى أيام إسقاط مملكـــة الحيرة وصدام العرب مع الفرس فى معركة ذى قار سنة ٦١٠م . وقد ظل عرب منطقة الخليج وبادية العراق فى صراع مع الفرس منذ ذلك الحين ، وكان

يتولى الاشتباك مع الفرس ، بعد قيام الدولة الاسلامية وتثبيت دعائمهما بعد القضاء على تمرد المرتدين ، رجال من عرب هذه المنطقة وعلى رأسهم المثنى بن حارثة الشيبانى وهو من زعماء بكر بن وائل الذين اصطدموا بالفرس فى ذى قار . والمثنى بن حارثة ومن معه من زعماء القبائل العربية هم الذين طلبوا من الدولة العربية الاسلامية فى أول عهد أبى بكر ، وكان لزاما على الدولة أن تقف الى جانب حركة التحرر العربى فى منطقة الخليج والعراق لضمهم الى دولة العرب من ناحية ، ولتأمين الحدود من غارات الفرس من ناحية أخرى . وكان عمال الفرس يتحفزون لقتال العرب وسحق حركة النهضة فيهم . فلما انتصر العرب على الفرس اكتفوا بضم العراق العربى ، ومنع الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه جيوشه من دخول إقليم فارس ، بل وقف بها عند الحدود العربية الطبيعية ، واعتبر الجبال الفاصلة بين العراق وايران حدا طبيعياً تكتفى الدولة بالوقوف عنده . وقد عبر الخليفة عمر عن هذه السياسة بقوله : « وددت أن هذا الجبل من نار ، فلا يجوزنه إلينا ولا نجوزه إليهم » . ولكن الفرس أخذوا يجمعون جموعهم لإزالة العرب . ولو قدر لهم أن ينتصروا عليهم ، لما وقفت جيوشهم دون القضاء التام على دولتهم . وأمام هذا التهديد الفارسي تقدمت الجيوش العربية ففتحت فارس كلها ، كما فعلت فى الجبهة الرومية أمام التهديد الرومى فتحت الجزيرة وفتحت مصر .

(٣)

من كل ما سبق نرى أن الفتوح الإسلامية كانت حركة سياسية وحربية اضطرارية دُفع إليها العرب بحق حماية النفس المشروع من ناحية ، وهى حين انتصرت فى الحرب لم تستبد بالشعوب وإنما أنهضتها ، وأسلمتها فى آخر الأمر زمام القيادة فى العالم الجديد كله . فلم تكن الحركة الاسلامية حركة بربرية اكتساحية كحركة المغول أو حركات الجرمان تدمر المدن والحضارة وتفتك بالشعوب ، وكذلك لم تكن حركة استعمارية كما عرف العالم من حركات الاستعمار تستغل ثروات الشعوب وتعمل على تمزيق وحدتها .

ولكنها كانت حركة حضارية إنسانية حملت فى طياتها مبادىء إنسانية سامية ، أقرتها بين الشعوب التى خضعت لها ، وقدمت للشعوب فيها نوعاً من التحرر الإنسانى للأفراد وللشعوب على حد سواء ، فأزالت عنها ما كان يسودها من نظم ظالمة قاسية وممن كانوا يحكمونها على شريعة التأله والعسف والطغيان .

والامبراطورية الإسلامية لم تكن كالامبراطوريات التى عرفها التاريخ ، تخضع الناس لشعب واحد وملك واحد يحكمها بقوته ويسيطر عليها بجبروته ، وإنما كانت عصبة أمم إسلامية ، تسعى لغرض انسانى بالغ غاية السمو ، غايتها أن يعيش الناس أحرارا تربط بينهم روابط المحبة والرحمة والعدل . وفى ظل هذه العصبة الاسلامية نهضت الشعوب وبرزت مواهبها ، وحتى الشعوب المتبربرة استطاع العالم الاسلامى أن يدخلها فى نور الحضارة وأن يبرز قدراتها ، واستطاعت فى خلاله أن تصل الى مراكز الصدارة فى الحكم والسياسة . وكان مقر الخلافة فى هذا المجتمع الاسلامى هو مقر العصبة ، ولم تستأثر الخلافة بالسلطة الروحية ، كما لم تستأثر عاصمتها بالعلم ونوره ، فقد كان المسلمون لا يعرفون سلطة روحية غير أمر الله تعالى ، وكانت العواصم الاسلامية كلها عواصم للعلم والفن والنشاط المادى للحضارة .

هذا تقديم لحركة الفتوح الإسلامية ، نأمل أن نعود لتفصيلها فى مقالات لاحقة إن شاء الله .

حق الطلاق

للشـــيخ : على الخفيف

الزواج كما وصفه الله سبحانـــه وتعالى فى كتابه الحكيم ميثاق غليـــظ بين الزوجين ، أخذه كل منهما مـــن صاحبه ، فكانت له به حقوق قبله ، كما وجبت عليه واجبات لـــه ، دون مجافاة لما هو خير ومعروف ، وفـــى ذلك يقول الله تعالى فى كتابه ((ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجـــال عليهن درجة والله عزيز حكيم)) ، وتلك درجة القوامة التى حملوها ، حتى لا يثقل على النساء عبؤها ، ولا ينؤن بأوزارها ، وكان فى هذه الحقوق وتلك الواجبات ، قيام حياة الزوجين ، واستقامة أمورهمـــا ، وســـداد عوزهما ، وقوة رابطتهما ، وكمـــال تراحمهما وتعاونهما ، وتمكين المودة بينهما ، وسكن كل منهما الى الآخر ، كما كان لكل ذلك آثاره الكريـــمة ، وثمراته الطيبة فيما للزوجين من أولاد وحفدة ، وأسر وأقارب ، اذ تمتـــد اليهم روافده وتزدهر فيهم ثمراته ، فيورثهم ذلك الفا ومودة وتعاونـــا ورحمة ، وقوة ووحدة ، ولذلك أثره فى بناء مجتمع سليم ، واقامة حياة انسانية كريمة .

والزواج كحافز ووسيلة ، يرتبـــط أشد الارتباط بثراء الأمة واقتصادها ، وقدرتها على العمل ، واستمتاعهـــا بالوجود المثالى الكريم ، القائم عـــلى التعاون والتماسك ، البعيد عـــن الانحلال البرىء من الوهن والتنافر ، ذلك لان سلامة البناء وبقاءه وقوتـــه واحتماله ، رهن بسلامة لبناتـــه وقوتها ، واســـتقرارها وشـــدة ترابطها ، وليس لبناء المجتمع لبنـــات سوى أسره .

ذلك ما للزواج من مكانة ، وما له من أثر فى الحياة الانسانية ، ومآثر فى الاولاد والاسر والاقـــــارب والمجتمع ، ولهذا امتن الله به عـــلى عباده ، وجعله آية من آياته ، فقال تعالى : ((هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليســـكن اليها)) وقال : ((ومن آياته أن خلـــق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) كما أمر به فى كتابه وجعله سنة هداية لرسله حتى يكون للناس بهم فيه قدوة فقـــال تعالى : ((وأنكحوا الأيامى منكـــم والصالحين من عبـــادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله)) .

وقال تعالى : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية » ثم لم يعن جل وعلا فى كتابه بأمر بعد عقيدة التوحيد عنايته بأمر الزواج وما يتصل به ، فبين نظامه ، وفصل أحكامه ، وذكر حقوقه وواجباته بما يحفظ له ما أراده له الحكيم العليم ، من الدوام والصيانة من تقلبات الأهواء ومنازعها ، ونزعات النفوس السيئة الجامحة وهواجسها ، وما يجنبه أسباب الشقاق والبغضاء ، ومثار الخلاف والنزاع ، مما يعوقه عن أن يحقق ما لأجله شرع وطلب ، وما يرجى منه من خير وصلاح ، فكانت هذه هى حدود الله فيه التى حض على التمسك بها ، والتزام متطلباتها : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » ، « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

تلك هى شرعة الله فى الزواج ، فاذا انتهى الامر فيها لسبب من الاسباب الى انهيارها ، فتعرت عن خصائصها ، وفقدت أغراضها ، وانحرفت عن أهدافها ، وحيل دون اقامة حدود الله فيها ، انتكس وضعها ، وساء حالها ، وأدت الى عكس ما يطلب منها ، وأصبحت جحيما يصلى بناره الزوجان ، ويشقى به أولادهما وذوى قرابتهما . وصدعا كبيرا فى بناء الأمة ، ومرضا أليما فى جسمها ، موهنا لقوتها ، ومفسدا لسلامتها ، ولم يكن من الجائز بقاؤها ، ووجب عندئذ انهاؤها قطعا لشرورها ، ودرءا لمفاسدها ان لم يمكن علاجها واصلاحها .

وفى هذا ولأجله شرع الله الطلاق ، فكان شرعه جلبا لمصالح أريدت منه ، ودرءا لمفاسد كان فيه الخلاص منها ، ولم يكن شرعة عقوبة وانتقاما ، ولا تسلطا واستذلالا .

انه ليس بالرأى السليم ، ولا بالأمر المشروع الذى حددت حدوده ، وفصلت أسبابه أن يترك أمر الزواج فى بقائه واستمراره ، وقيامه لتحقيق اعراضه الى أهواء جامحه ، ونـهوات عارمه ، وغضب طائش ، او اضطراب نفسى ، أو انفعال وقتى لاسباب طارئة وظروف مفاجئة ، ليس لها بقاء ، ولا تقوم على أسباب معقولة ، ولا ترتد الى دواع مقبوله ، ليكون فى مهب رياح عاصفة تعصف به ، فتودى بوجوده ، وتذهب بمصدر المودة ، وتقطع سبب الرحمة ، وتقضى على مبعث التعاون وملاذ السكن ، وهو ما امتن الله به ، وجعله للناس آية ورحمة ، دون أن يكون له من ذلك وقاية ولا عاصم ، وذلك ما لا يتسق مع شرع الزواج ، وما قصد منه ، وما يختلف عنه فيما يمكن أن يكون غرضا له وهدفا ، وتلك آية خطره وانتفاء شرعه ، فانه لا اختلاف ولا تعارض ولا تناقض فيما يشرعه الحكيم العليم .

ليس الزواج الا عقدا بين الزوجين ، لا ينشأ ولا يتم الا باتفاقهما وارادتهما ، وشأنه فى ذلك شأن أى عقد لا يقوم الا بارادة طرفيه ، واجتماع رأيهما عليه ، واذا كان المبدأ العام المقبول عند ذوى العقود السليمة أن العقد وقد ترتب عليه لكل طرف من طرفيه قبل صاحبه حقوق وواجبات أقرها الشارع الحكيم ، وأوجب تنفيذها ، وألزم القيام بها الا ينفرد أحدهما بفسخه ، وبخروجه عن التزامه وابطال حقوق صاحبه ، اذ لا سلطان له عليه ، وفى حد اقدامه على ذلك اعتداء بين ، فذلك ما كان يجب فى الزواج ، وبخاصة اذا لوحظ أنه ليس كغيره من العقود من ناحية ما يترتب عليه كذلك من حقوق وواجبات لغير طرفيه ، يجب احترامها والمحافظة عليها ، غير أنه وقد تعرض له من العوارض النفسية والخارجية ما

يجعله وبالا وجحيما لطرفيه ، ويفقده أغراضه ومزاياه ، ويجعل بقاءه مصدر افساد ، ومبعث اضطراب ونزاع قد يؤدى بسلامة الأسرة ، ويهز من كيان الأمة ، فان الشارع قد رأى علاجا لهذه الحال — وقد لا يكون من الميسور اتفاق طرفيه على فسخه — ان يستثنيه من هذا المبدأ ، وأن يجعل فسخه بارادة أحد طرفيه ، وقضت ارادة الحكيم العليم أن يناط بارادة الزوج ، لما له من تفوق فى الروية ، وقلة انصياع للعواطف والأهواء ، وقلة متابعته للأغراض الوقتية ، ولبصره بالعواقب ، والتزامه بما يترتب عليه من حقوق وواجبات ، ولما للرجال من القوامة على النساء ، حتى لا يلجأ اليه الا حيث يتعين أن يكون هو الملجأ الذى يوجب الشرع الالتجاء اليه ، وايقاعه بارادة الزوج وحده ، ولم يجعل الشارع هذه الارادة مطلقة ، بل قيدها بقيود شرعها حين تدعو داعية المصلحة الى استعمالها ، وهى قيود عديدة أشار اليها فى كتابه الحكيم ، وسماها حدودا له فقال : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » وقد بينها وفصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وقضائه ، وأهمها ما أوجبه الله سبحانه وتعالى عند خوف الشقاق والنزاع من بعث الحكمين اذ يقول : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » وهو أمر منه تعالى موجه الى الأمة وأولى الأمر فيها ، لمجيئه عاما مسندا الى جميع المخاطبين ، اذ يقول : فابعثوا .

ولما كان تقدير الأحوال والظروف الموجبة للطلاق ، أو المسوغة له شرعا ، الى نظر الزوج وحكمه بسبب ان الطلاق اليه وحده ، وقد يخطىء فى تقديره فلا يتانى فى ايقاع الطلاق ، حذره الشارع من ذلك ، ورغبه فى الصبر والمعاشرة بالمعروف ، فقال : « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » .

كما حذر الزوجة من ان تميل الى الطلاق فتطلبه ، او تاتى من الامر ما يدعو اليه ، فقال : « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير » وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان الطلاق حين يكون حلالا فى نظر الزوج وتقديره فهو أبغض الحلال الى الله تعالى ، فكيف اذا كان محظورا لا تدعو اليه حاجة حقيقية .

اذا كان الطلاق بارادة الزوج مقيدا غير مطلق ، كما بينا فاقدام الزوج عليه فى حال لا تبرره ولا تسوغه شرعا ، ولا تتوافر فيها شروطه التى أشار اليها الله تعالى فى كتابه ، اعتداء بين وعصيان ، ومخالفة لأمر الشارع الحكيم ، وهو عند ذلك معصية لم يقدر لها الشارع عقوبة ، وكل معصية هذا شأنها يجوز التعزير عليها شرعا .

إن جعل الطلاق بارادة الزوج وحده ، واعتباره حقا له لا يعنى أنه مختار فيه ، ولا يتعارض مع تقييده بما أشرنا اليه ، فهو الى الزوج وارادته ، حيث تتوافر شروطه ومبرراته ، وليس له حيث لا تتوافر هذه الشروط ، ولا يعنى الا أن ايقاعه ومباشرته يكون اليه ، لا الى غيره حيث تدعو الداعية اليه .

لقد شرع الشارع الطلاق علاجا اجتماعيا ، ونظاما طبيعيا ، لتلافى أمراض اجتماعية خطيرة ، وقاية من شرورها المستطيرة ، وضررها الأليم ، وشرها الماحق المزق لأوصال

الأمة ، المفرق لجماعتها ، ولكن تركه بارادة الزوج وحده دون قيد كما هو واقع فى أكثر البلاد الاسلامية ، يسر لمن لا ثقافة له من الجهلاء والحمقى ، وأرباب الهوى الغارقين فى الشهوات ، أن يقدموا على الطلاق بلا روية ولا نظر ، ولا تدبر فى العواقب ، فانقلب داء — وقد شرع دواء — وذلك للاقدام عليه فى غير وقته ، واستعماله فى غير موضعه ، حتى أصبحت مشكلة الطلاق من أكبر المشكلات الاجتماعية ، وأعظم المعضلات العصرية ، ومحل بحث بين الاجتماعيين ، ونزاع وخلاف بين المتشرعين ، فى سبيل الوصول الى علاج حين غاب عنهم سبيله المستقيم ، وغفلوا عن كتابهم المبين ، وما تضمنه من حدود ، وما قدر من قواعد وأصله من أصول .

لقد كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد أبى بكر ، وسنتين من خلافة عمر رضى الله عنه طلاق الثلاث واحدة — كما روى ابن عباس رضى الله عنه — غير أن الناس قد تتابعوا فى الطلاق ، وتعجلوا فتجاوزوا حدود اللهفيه ، وطلق بعضهم مرتين أو ثلاثا فى عدة واحدة ، أو بلفظ واحد ، وكثر ذلك منهم ، ظنا منهم — فيما أرى — أن الطلاق تصرف وكل اليهم ، ونيط بارادتهم ، فكان لهم أن يستعملوه كما أرادوا ، فيكون طلاقا معتبرا فى وقوعه وفى عدده ، فلما رأى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عده خروجا عن حدود الله ، وعصيانا لما شرع الله ، فاستشار الصحابة وقال : ان الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم ، فلما وافقوا امضاه عليهم ، وقال : أيها الناس قد كان لكم أناة فى الطلاق ، وانه من تعجل اناة الله فى الطلاق ألزمناه اياه — فالزمهم اياه ، ولكن بحكم السياسة الشرعية ، والنظر الاجتماعى ، ومراعاة للمصلحة العامة ، وذلك ما جعله الله لأولى الأمر من المسلمين ، وقد أراد عمر أن يمنع الناس بذلك من الاسترسال فى الطلاق ، ومن التعجل الى بت الفراق ، فمنع المطلق ثلاثا من مراجعة مطلقته بارادته فى العدة ، بل ومن أن يتزوجها الا بعد أن تتزوج غيره ، بزواج جديد ، وكان ذلك — فيما أرى — الزاما من ولى الأمر بطريق السياسة الشرعية ، لا حكما بوقوع الطلاق ثلاثا كما أراد المطلق ، أنه لا يملك عمر ولا الأمة جميعا ، تغيير حكم شرعه الله فى كتابه .

واذا كان هذا فعل عمر ، وما رآه علاجا فى طلاق تعدى فيه المطلق حدود الله ، أفلا يكون من حق ولى الأمر بطريق أولى أن يضع قيودا يحول بها دون ما فشا وانتشر من إقدام الناس على التطليق لغير موجب ، وفى غفلة من الزوجة ، ولغير سبب يتصل بها ، أو حدث على علم به منها ، وهو ظلم وعصيان ، وايذاء وطغيان ، وجناية على الزوجات والأولاد ، وعلى الأمة جمعاء .

لقد ظهر مما ذكرنا أن الطلاق لغير سبب يوجبه شرعا ، أمر محظور ، أو أنه اعتداء وخروج على حدود الله ، وعصيان لأمره ، أفلا يكون من حق ولى الأمر بل من الواجب عليه وقد أمر بتغيير المنكر ، ومنع الجريمة ، ودفع الضرر أن يشرع ما يحول بين الأزواج واقدامهم على هذه المعصية ، وأن يضع من القيود ما يمنع من وقوع هذه المعصية ، بما لا يمس ما للزوج من حق مباشرته الطلاق عند توفر الأسباب الشرعية التى تسوغ له الاقدام عليه .

ليس فى كتاب الله ، ولا فى سنة رسوله ما يمنع من هذا الاصلاح ، بل هو أمر مطلوب شرعا من ولى الأمر ، فالدين يدعو الى منع المعصية ما أمكن المنع ، بل قد يرى بحق أنها معصية تستوجب تعزير من يقدم عليها — غير أن ذلك قد يكون من الناحية العملية مؤديا الى ضرر من المصلحة تجنبه ، وهو اشاعة أسرار الأسر ، وخفايا البيوت ، وما قد يتصل بذلك من اختلاق الأسباب ، وافتراء الكذب باشاعة الفحشاء والعيوب ، وغير ذلك مما ينبنى عليه طلب الطلاق ، وذلك ما يدعو الى تفاقم النزاع واشتداد البغضاء ، ولهذا يكون من المصلحة تجنب ما يثير ذلك ، ويكفى فى الوصول الى الغاية المرجوة أن يكون العلاج بوضع تشريع يوجب على الزوجين اذا ما أريد الطلاق الرجوع الى القاضى ، ليقوم بينهما بما أمر الله به فى كتابه من محاولة الصلح بينهما ، وازالة أسباب الخلاف بالحكمة والموعظة الحسنة ، حرصا على بقاء الأسرة ، ومحافظة على ما ترتبط به من المودة ، وما يصدر عنها من رحمته ، وما ينجم عنها من صلة ، وليقوم اذا لم تفد عظته ، ولم ينجح ارشاده بانفاذ ما أمر الله به من بعث الحكمين ، حتى اذا كان من نتيجة ذلك اعادة الوفاق والمودة ، وتمام صلاح النفوس ، وسلامتها فذلك من توفيق الله وهداه ، والا أذنه بالتطليق بحسب ما تقضى اليه الأمور بينهما من تبين مصدر الاعتداء ، ومبعث النزاع والخلاف ، وأيهما كان ظالما لصاحبه وما يترتب على ذلك من أحكام — فاذا أقدم الزوج على التطليق قبل أن يتمكن القاضى من ذلك فطلق عوقب لمخالفته أمر ولى الأمر فيما أصدره من قانون ملزم لجميع الأفراد — وليس فى عقاب من خالف أمر ولى الأمر مخالفة لشرع الله تعالى ، فان أمره واجب الطاعة حين يكون الباعث عليه المصلحة لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

وقد عالجت بعض الحكومات الاسلامية هذه المشكلة فذهبت حكومة الى فرض قيود على من أراد التطليق ، توجب عليه أن يذهب الى القاضى يطلب إيقاع الطلاق ، والحصول على حكم به ، فاذا تعذر عليه ذلك وجب عليه تسجيل الطلاق بالمحكمة خلال مدة العدة ، وذهبت حكومة أخرى فى معالجته الى سن قانون يقضى بأن الطلاق لا يقع الا لدى القاضى ، ولم تذهب حكومة الى اشتراط صدوره من القاضى وعدم وقوعه الا منه ، وذلك ما يوحى بأن العلاج بطريق التقييد هو ما يمكن الالتجاء ، حتى لا يمس ما للشارع من أصول ومبادىء فى صدده ، وذلك ما لم يلتفت اليه من يطالب الآن من الزوجات بأن يكون الطلاق بيد القاضى وحده ، غير آبه بما عليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها منذ ظهر الاسلام الى الآن ، من أن الطلاق بارادة الزوج وحده ، وأن ذلك هو ما شرعه الاسلام وسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طلب يقوم على شطط فى الرأى ، وتنكر لما يجىء به الدين — ذلك ما أردنا بيانه فيما تعالج به مشكلة الطلاق فى البلاد الاسلامية الآن ، وأن المعالجة بالالتجاء الى وضع القيود بما لا يعارض كتابا ولا سنة هو العلاج الصالح المقبول ، الذى لا تأباه قواعد الشريعة وأصولها ، وبه يتقى ما قد يجره التطليق عن رعونة أو طيش ، أو سوء ظن وتقدير ، أو شهوة دنيئة من شرور واضرار تلحق بالناس ، والله الموفق لما فيه السداد والصلاح .

تماسك الأسرة وصلاحها رهن بسياستها

تنظر الشريعة الاسلامية الى الاسرة ، على انهاروح المجتمع وعموده الفقرى ، فكل ما يتمتع به المجتمع من مظاهر الصلاح والخير والتماسك ، أو يعانيه من بلاء الفساد والشر والتفكك ، انما هو انعكاس مباشر لحال الاسرة ونظامها .

ولا نستطيع أن نعتبر هـذه النظرة ، مزية اختصت الشريعـة الاسلامية بها ، بل هى نظرة علماء الاجتماع والتربية والقانون . ما منهم الا من أيقن أن ينبوع الصلاح والفساد فى المجتمع انما يبدأ من الاسرة .

ولكن هـذا لا يعنى أن المجتمع لا سلطان له على الاسرة بأى تأثير أو تسيير . بل ان المجتمع ــ رغم ما ذكرنا ــ يعتبر هو المسؤول عن كثير من المناهج والاوضاع التى تنصاع لها الاسرة دون ارادة او اختيار منها . ولا تملك الاسرة فى هذه الحال الا ان تنتقم من المجتمع الذى أكرهها على تلك الاوضاع بأن ترد اليه ثمارها ونتائجها ، متكاثـرة ومستفيضة فى كل جوانبه وجهاته .

فبين الاسرة والمجتمع تفاعل متبادل ، كما يقول غوستاف لوبون ، فى كتابه روح الاجتماع . ولكن ما من ريب أن أثر الاسرة فى المجتمع أقوى وأشد ، من حيث الاسبقية فى الزمن ومن حيث مقومات التأثير .

المالية كما رسمتها الشريعة الإسلامية

للأستاذ محمد سعيد رمضان البوطي

ولقد حرصت الشريعة الاسلامية على أن يكون التفاعل بينهما جاريا فى سبيل مصلحة كل منهما . وأقام ضمانة ذلك بتسيير كل منهما وفق مبادىء واحدة وضمن سياسة لا تختلف .

فنظام القوامة فى الشريعة الاسلامية واحد فى كل من المجتمع والاسرة .

ونظام الانفاق ومسؤولياته واحد أيضا فى كل منهما .

والاسس والاهداف التربوية التى يؤخذ بها المجتمع هى عين الاسس والاهداف التى تؤخذ بها الاسرة .

ثم نظر الى ما للاسرة من أهمية ذاتية فى تكوين المجتمع ونسج خلاياه المتفرقة ، فحشد لها طائفة كبيرة من القوانين والنظم الواسعة التى تحيط بالضبط والتنظيم كل شؤونها وهى قوانين لا تجد ما يشبهها فى الاتساع والشمول عند أرباب أى حضارة أخرى غير حضارة الاسلام .

فنظام الزواج والطلاق والحضانة والوصية والميراث والانفاق والتربية وآداب البيوت — كل ذلك بشموله وتفصيله المعروفين فى مصادر الفقه الاسلامى ، شىء لم تعرفه أى النظم والقوانين الوضعية الاخرى .

غير أن النظام المالى بخصوصه — ونقصد به ما يشمل الانفاق

والميراث — يعتبر أهم ضمانة فى اقامة صرح الاسرة على نحو يكفل تكوين مجتمع صالح متسم بالقيم وأسباب التماسك والقوة .

ذلك لان هذا النظام ينبع من مراعاة أسس بالغة الاهمية والخطورة فى حياة الاسرة والمجتمع ، وينتهى الى انتاج قيم ومبادىء بالغة الاهمية والخطورة فى كل منهما ، وتنشأ عن معاكسته واهماله أوضاع بالغة الضرر فى كل منهما أيضا .

وربما كان أهم مظاهر الفرق بين الاسرة الاسلامية الصالحة المتماسكة والاسرة الغربية الفاسدة المتفككة ، وليد مراعاة هذا النظام أو اهماله .

ويتمركز النظام المالى فى الاسرة فى محور ذى أهمية كبرى ، هو التمييز الخطير الذى وضعه الشارع بين الذكر والانثى فى مجال الكسب والانفاق . فقد قضى بأن يكون الاول منهما هو المسؤول عن الانفاق وسياسته ، مهما كان اسمه فى تكوين الاسرة ، ومهما كان اسمها . فالرجل ، زوجا كان أو أبا أو أخا كبيرا أو عما ، هو المسؤول عن الانفاق ، ضمن حدود وترتيب وضوابط معينة . والانثى ، زوجا كانت أو بنتا أو أختا أو حفيدة لا تعتبر مسؤولة عن اعالة أحد من أفراد الاسرة ، اللهم الا فى حالات شاذة نص عليها الفقهاء ، فان الضرورة تقضى عندئذ بأن تقوم هى بهذا العبء ، ريثما تنتظم الاوضاع فى مجراها الطبيعى . وليس من مظاهر هذه الضرورة — على كل حال — حال الزوجة الغنية ، فانها لا تكلف بالانفاق على زوجها مهما كانت من الغنى ومهما كان هو من الحاجة والفقر .

ويتبع هذا التنظيم الاساسى تلك التنظيمات الفرعية الاخرى التى تعتبر تابعة له دائرة حول محوره . فتوزيع الميراث على أساس من جعل نصيب الذكر مثل حظ الانثيين ، وجعل المهر من مسؤوليات الزوج وحده ، واناطة القوامة والاشراف على الاسرة بالزوج أو الاب من دون بقية الاعضاء الاخرى ، والنظرة الشرعية العامة الى انطلاق المرأة فى ميادين العمل الى جانب الرجل — كل ذلك تابع ضرورى للمحور الاساسى المذكور .

ومن هنا نعلم أن النقاش اذا كان لا بد أن يجرى فى شىء من هذه المبادىء والاحكام ، فينبغى أن يتمركز فى مناقشة هذا النظام الاساسى ، لا فى مستلزماته من تلك الفروع الجزئية الاخرى .

فلنتساءل اذا : لماذا ميزت الشريعة الاسلامية بين كل من الرجل والمرأة هذا التمييز ، ولماذا لم يكن حق الكسب وواجب الانفاق أمرا مشاعا بينهما ؟

والجواب ان مرجع ذلك الى مبدأ جوهرى لا تتكون حقيقة الاسرة الا به ، ولا تستمر حياتها الا بحراسته ورعايته . هذا المبدأ هو تنظيم المسؤولية حيال توالد الحياة واستمرارها المتمثلين فى حلقات النسل المتتابعة ، خلال مسيرة الحياة التى أقامها الله عز وجل .

لا بد من قانون تنتظم بموجبه رعاية هؤلاء الوافدين ، ومن دونه

تنمحق الرعاية ، ويضيع أبسط وأخطر مقومات الحياة الطبيعية فوق هذه الارض .

وأول شرط لوجود هذا القانون وفعاليته ، هو تنظيم اللقاء الجنسى ، الذى جعله الله تعالى الشرط الوحيد لاستمرار الحياة . فكل رجل وامرأة ، يعهد اليهما بمسؤولية الرعاية لتلك اللبنات التى أسهما فى تقديمها لاقامة صرح الحياة . وبدءا من هذه المسؤولية الكبرى تتوالد حلقات المسؤوليات الفرعية الاخرى المترتبة عليها .

فالزنا جريمة فى حق الحياة والنسب امتياز قانونى واجتماعى ، والولد للفراش الذى ولد عليه وليس للعاهر المستولد أى حق فى الامتلاك أو الالحاق . والحياة الاجتماعية ينبغى أن تكون عونا لتطبيق هذه الشرعة لا حربا عليها أو عقبة فى سبيلها . فالاختلاط بين الرجل والمرأة لا ينبغى أن يكون الا فى ظروف معينة وضمن حدود مرسومة ، والستر والاحتشام فريضة لا مناص منها للمرأة ، والرجل منهى عن أن يطلق نظره فى وجوه الاجنبيات عنه من النساء .

ولكن ما علاقة هذا المبدأ التنظيمى لبناء الاسرة ، بمسألة النظام المالى فيها والفرق بين الرجل والمرأة فى كل من مبدأى الكسب والانفاق ؟.. وما المانع من أن تكون حقوق الكسب والانفاق مشاعا بينهما ، ثم يلتزمان مع ذلك هذه المبادىء التنظيمية التى تحدثنا عنها ؟!..

والجواب أن بينهما تعارضا يمنعهما من التلاقى والانسجام ، ولكنه تعارض خفى كثيرا ما لا يتنبه له حتى الباحثون والمشرعون والكتاب الاجتماعيون ، رغم وضوح نتائجه وبروزها فى الصعيد الاجتماعى .

وبيان ذلك أن تنظيم اللقاء الجنسى الذى أشرنا اليه ، لا يمكن أن يتم الا بفرض أسس تجعل أحد الطرفين من الرجل والمرأة طالبا والآخر مطلوبا !.. ذلك لان هذا اللقاء ، بالاضافة الى كونه وظيفة اجتماعية كبرى يترتب عليها بقاء النوع ، متعة انسانية هائجة مركوزة فى أعمق النوازع الفطرية لدى كل من الرجل والمرأة . فاذا ترك الطريق مفتوحا أمام كل منهما الى الآخر ، هاج الجنسان الى بعضهما وحطما كلما قد يوضع حولهما من قيود وحدود وتنظيمات .

اذا لا بد من ايجاد وضع يجعل من أحد الجنسين غاية مطلوبة مستقرة ثابتة ، ويجعل الجنس الآخر طالبا لتلك الغاية فهو يسعى بكل ما يملك للبحث عنها والوصول اليها . ومن خلال هذا الوضع يمكن تخطيط السبيل اللائق المشروع واقامته جسرا وحيدا لا سبيل غيره للوصول الى الغاية المنشودة . وعندئذ تحشد تلك المبادىء التنظيمية على هذا الجسر ، فلا يستطيع أن يمر الباحث الا من خلالها ، ولا يستطيع أن ينال متعته الا عن طريق الخضوع لها .

أجل .. اذا لا بد من فرض وضع يجعل من أحد الجنسين مطلوبا ، والجنس الآخر طالبا ، فأيهما ينبغى أن يكون المطلوب ، الرجل أم المرأة ؟..

ان الوضع السليم الذى يضمن تنفيذ أصل الغاية ألا وهو تنظيم اللقاء الجنسى ، محصور فى جعل المرأة هى المطلوبة دائما والرجل هو الطالب دائما .

ذلك أن المرأة اذا كانت فى وضع يجعلها هى الساعية للبحث عن زوج لها ، فقدت بذلك أخص سماتها الفطرية التى تتعلق بالجنس ، فقد أقام الله تعالى تكوينها النفسي والجسمى على نحو يجعلها متعة للرجل أكثر من أن يكون الرجل متعة لها ، ويجعل سعادتها فى شعورها بأنها كذلك وبأن الرجل منساق للخضوع لهذه الخصيصة التى فيها . ولذلك كان الشأن فى عبارات التودد والحب والاستعطاف أن تأتى من جانب الرجل ، وأن يكون من المرأة تجاه ذلك دلال لا يحد ، وتأثر لا يترامى أو يتهالك .

ومعنى هذه الحقيقة ، ان المتعة التى يجب أن تقابل بثمن عليها (كما ينص عليه القانون الاقتصادى) تتجسد فى جانب المرأة أكثر من الرجل . فأيهما يسعى الى الآخر : المتعة التى لا تبذل الا بثمن أم المستمتع الذى يطالب بالثمن ؟

هذا شيء .

والشيء الثانى أن ضوابط التنظيم المذكور تفقد سلطانها ، بل وجودها ، اذا وجد الرجل أن المرأة تسعى اليه وتتعرض له هنا وهناك .. فأى أمر يدعوه الى أن يلتزم تجاهها بالشروط والقيود المشروعة التى ألمحنا اليها ، وهى تسعى اليه بالعرض والرجاء ؟.. ومتى كان قانون العرض والطلب متفقا مع هذا المنطق المقلوب ؟!..

فى أمريكا وكثير من أنحاء أوروبا نشأت أوضاع فرضت على المرأة أن تكون هى الطالبة للزوج والباحثة عنه فى أغلب الاحيان . فما الذى ترتب على ذلك ؟

من السهولة بمكان أنتعرف الامر الذى ترتب على ذلك ، عندما تعلم كم تسقط المرأة هناك من سقطة ويلهو بها من رجل ، ريثما تعثر على الزوج الذى هو الزوج حقيقة .

الذى ترتب على ذلك ، أنالرجال نظروا ، فوجدوا أن فرص المتعة الخلفية المباحة قد كثرت أمامهم ، بفضل بحث النساء عن أزواج لهن فى المجتمع . وأعجبهم الوضع .. فازدادوا تثاقلا وزهدا فى الزواج ، لتزداد النساء بحثا عنهم وطلبا لهم وسعيا وراءهم .

وهكذا كان سعى المرأة فى البحث عن الزوج أهم سبب من أسباب فقدها له !..

وانتشرت موجة الاباحية لعدة عوامل ، ولكن هذا العامل أهم واحد فيها . وتفسخت الاسرة وتهاوت أركانها لعدة عوامل . ولكن ما من شك أن هذا العامل أخطر واحد فيها . وفقدت المرأة هناك سعادتها اذ فقدت أجمل وأغلى أحلامها وهو الانضواء فى عش زواج هانيء سعيد ، لعدة أسباب ، ولكن هذا السبب فى مقدمتها .

اذا ما من ريب أن ضبط اللقاء الجنسى بين الرجل والمرأة ، لا يتم الا فى أوضاع تفرض على الرجل أن يكون هو الطالب للزوجة وتفرض على المرأة أن تكون هى المطلوبة .

فما هى الاوضاع التى تضمن تطبيق هذا المبدأ ؟

ليس ثمة أى ضمانة لذلك الا فى تطبيق نظام النفقة كما سنته الشريعة الاسلامية .

فالرجل هو المسؤول عن نفقة المرأة سواء كان والدها أو زوجها أو أى قريب آخر لها . والمرأة تأخذ مهرها كاملا من الزوج ، نحلة كما قال الله عز وجل ، وليس على الزوج أن يفرض عليها أى تعاون أو شركة فيه ، فضلا عن أن يحملها — بطريقة‌ما — على أن تتقدم هى بالمهر له . ونتيجة لذلك كان نصيب الرجل من الميراث ضعف نصيب المرأة منه ، لان نصف نصيب الرجل من ذلك ، أو أكثر ، يقتطع منه ، تحت سلطان هذا النظام الالهى ، ليضاف الى نصيب المرأة .

وأثر هذا التنظيم فى حراسة المبدأ المذكور واضح جدا :

فان الشأن — فى المسلمات الاقتصادية — أن الطالب للشىء هو الذى يبذل الثمن ، أى أن الذى يطالب الآخر بشىء يقر بحاجته اليه . وهذا الاقرار يعتبر حجة للآخر فى مطالبته بالاجر أو القيمة . فاذا علم كل من المرأة والرجل ، أن الثانى هو المطالب بنفقات الزواج من مهر وانفاق على الزوجة والاولاد ، لم يكن للمرأة من سبيل عندئذ للتقدم والطلب ، لان طلبها يعنى — حينئذ — اعلان حاجتها الى الزوج ومهره معا ، وهو وضع معكوس فى ميزان تبادل المنافع ، وقانون العرض والطلب . وبذلك ينحصر السعى المادى لاقامة ركن الزوجية فى الرجل فقط ، وعندئذ يسهل حصره فى سبيل الضوابط الفرعية الاخرى التى عددنا طرفا منها .

أما اذا اصطلح المجتمع على أن تكون نفقات الزواج من مهر وغيره شركة بين الزوجين ، أو حقا على الزوجة كما هو الحال فى بعض جهات أوروبا ، فان الامر عندئذ ينعكس بالتدريج : يتثاقل الرجل عن المبادرة الى الزواج ، ويخفى رغبته فى ذلك ، طمعا فى عروض أفضل !.. وتزداد المنافسة بالمقابل من الطرف الآخر ، اذا كان سبيل الفوز بالزوج هو الغنى الاوفر والعروض الافضل ، وتتوالد بعد ذلك النتائج السيئة الاخرى .

ولا تحسبن أنا بهذا نقرر التحذير من أى تعاون مادى يقوم بين الزوجين فى سبيل حياة رغيدة لهما ، بل نقول : ان هذا التعاون مكرمة تدعو اليها الشريعة الاسلامية وتحبذها ، ولكنها تدعو اليها فى النطاق الاخلاقى وفى حدود الرغبة الشخصية التى تتم بعد توفر المحبة والالفة بين الزوجين ، لا على الصعيد القانونى الملزم ، وفيما بين شخصين ليس بينهما من الصلة الا فكرة الاستفادة والانتفاع .

وهنا ينبغى أن نتساءل : ما الذى يدفع الى اشراك المرأة فى نفقات الاسرة ، وكيف السبيل الى جعلها فى مأمن من ذلك ؟

والجواب : ان ثمة أسبابا ، اذا وجدت ، دفعت المجتمع بدون قصد أو شعور الى هذا الوضع الخطير ، وأهم هذه الاسباب اشتراك المرأة مع الرجل فى الكدح من أجل الرزق . فهى عندما تشترك معه ، بل تنافسه، فى تربية المال وجمعه ، تضيق من سبيل ذلك على الرجل بلا شك . فتضطرب بذلك الصلة بين التزاماته المادية ومجالاته الكسبية ، بسبب ضيق هذا الثانى وبقاء الاول على ما هو عليه . وتتولد من ذلك مشكلة ، بل معضلة ، سرعان ما يبدو لارباب النظر السطحى أن لا حل لها سوى جعل المرأة شريكة مع الرجل فى غرم النفقات كما أصبحت شريكة له فى غنيمة الكسب .

فهذا هو أهم الدوافع الى اشتراك المرأة مع الرجل فى نفقات

الاسرة ، وبالتالى فهو أهم الدوافع الى أن يتحول الامر عن سبيله الطبيعى ، فتصبح المرأة — بالتدريج — هى الباحثة عن الزوج والمبادرة الى طلبه !..

وبناء على ذلك ، فان الضمانة الكبرى لبقاء الامـور على نهجهـا السوى ، هى أن لا تنزل المرأة الى ميدان العمل من أجل الرزق الا فى أضيق الظروف والحـدود الضرورية .

ولست أعجب لشيء كعجبى ممن يرفض هـذه الضمانة ، ويفضـل عليها أن تتقوض الاسرة بكل كياناتها ، محتجا بأن عمل المرأة الى جانب الرجل ، يزيد من الدخل القومى وينشط حركة العمل الاقتصادى ويرفـع من انتاج المعامل والمصانع !...

مثل هذا الكلام يقـال فى أمة تشكو مصانعهـا العامـرة الوفيرة الفراغ من الايدى التى تديرها ، أو تشكو من أنها لا تجد شابا واحدا يتسكع على ناصية شارع أو يجتر البطالـة فى زاوية احدى المقاهى . ومعلـوم أن مثل هذه الامة لم توجد بعد حتى فى دول الدرجة الاولى بهذا الاعتبار .

يظن هؤلاء الناس أن المرأة فى أمريكا وأوروبا انما تشترك مع الرجل فى الكسب ، من أجل أن يتعاونا للحاق بالآلة التـى لا تتوقف . فيحلو لهم — بناء على هذا الظن — أن يستعيضوا عن واقع ما يعانونه من التخلف والعجز ، بمجرد المحاكاة والتقليـد ، حتى فيما هم واهمـون فى تصوره وتحليلـه .

وهذا الظن خطأ من أساسه !..

ان اشتراك المرأة مع الرجل فى مجالات الكسب ، فى أوروبا ، يرجع الى دافعين :

أولهما : تفاقم سلطان الاباحية والمتعة الجنسية ، حتى لم يعد يصبر الرجل عن المرأة ، والعكس ، فى أى طور مـن أطوار العمل والحياة . فالرجل حريص على أن تكون المرأة الى جانبه فى الوظيفـة التى يقوم بها ، والمعمل الذى يشتغل فيه ، والمتجر الذى يتردد عليه ، والمطعم الذى يأكل فيه ، والطريق الذى يسير فيه . وهو بطبيعته وضع شاذ يتسبب فى شقاء الجنسين أكثر مما يتسبب فى اسعاده .

ثانيهما : دافع الشح والتكالب المادى . والرجل الغربى يعانى اليوم من هـذا الشح الشيء المذهل العجيب . فرب الاسرة ، لا يرى ما يدعوه للانفاق على ابنته ، طالما يعتقد أنها قادرة على أن تذهب فتشتغل فى أى وظيفـة أو معمل أو مطعم أو فندق !.. وكذلك الزوج ، لا يرى أى مسوغ للانفاق على الزوجة التى بوسعها أن تنطلق فتأتى بالمال من أى مكان !..

وهكذا ، فان البذخ الشديد من جانب يستلزم الشح والبخل الشديدين من جانب آخر !..

ان انصهار الغرب فى أتون المادة ، حـول الـذات الانسانية بكل خصائصها وأشواقها ونوازعها الخلقية الى ما يشبه كتلا ممسوخة مـن المادة !.. فهى تتحرك وتذهب وتجيء فى فلك المادة وسلطانها . فلا جرم ان كان ما يسمى بالاسرة هناك قد انصهر فى ذلك الاتون ايما انصهار . فأى قيمة أو معنى لذات الاسرة وتماسكها عندهم اذا كان انتثارها يعنـى تحول كل جزء من أجزائها الى عمل آلى يكون رقما ماديا معينا ؟!..

وهكذا فالاسرة فى أوروبا عنوان لا مسمى له على الصعيد الغالب

اليوم ، وقد انعكست آثار ذلك على مجتمعاتها العامة ، وباتت تنذرهـــا بدمار مذهل رهيب .

وسبحان من قضى أن يعيدالتاريخ نفسه دائما !..

فلقد كان هلاك الرومان بسبب تفاقم الاباحية وأمر الجنس ، واستتبع ذلك نفس النتيجة التى تعانى أوروبا منها اليوم : الشح الشديد من جانب والبذخ الشديد من جانب آخر . وأطلق فيلسوفها الحكيم (كاتون) صيحة النذير دون أى جدوى ، وذلك حين قال :

(يا أيها الرومان لقدسمعتمونى كثيرا ما أشكو من اسراف الرجال والنساء والعامـــة والمشترعين أيضا ، ولقد سمعتمونى كثيرا ما أقول : ان الجمهورية مصابة بداءين متناقضين : الشح والبذخ ، وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأسا على عقب) (١) .

وتسير أوروبا اليوم على نفس الحافة التى كانت تسير عليها الرومان ذات يوم من الايام . وتترنح نحو الهاوية ذاتها التى هوت فيها رومانية : هاوية الاباحية والمادية الجانحـــة التى علمتها البذخ والشح الشديدين ، وجعلت من الاسرة كبش فداء لهذين البلاءين .

وبعد ، فقد آن لك أن تعلم لماذا لا يقر الاسلام خروج المرأة لميـــدان الكسب ، الا فى نطاق الضرورة والظروف الخاصة المناسبة ، ان السبب انه لا يريد منها أن تنفرد أو تشترك مع الرجل فى شىء من الانفاق علـــى الاسرة ، حتى لا ينشأمن حولها وضع جديد يفـــرض عليها أن تكون هـــى الساعية الى البحث عن الزوج بدلا من الرجل ، فانها اذا وصلت الى هذه النهـــاية انتثرت الاسرة حطاما وأشلاء ، وعادت مصدر شر وبيل للمجتمع كلـــه .

واذا تدبرت هذا جيدا ، آن لك أن تعلم أن هـــذه الشريعة الاسلامية العجيبة فى دقتها ، العميقة فى أبعادها ، الكاملة فى تقديرها وضماناتها ، لا يمكن أن تكون من وضع بشر أيا كان مستواه ونوعه . انها شريعـــة رب البشر وخالقهم . وحرام علينا نحن ــ عباد هذا الرب العظيم ــ أن نعرض عن حكمه وشريعته التى ارتضاها لنا ، الى تلك الشرائع الزائفة الاخرى التى لا قيمة لها أكثر من أنها تتحـــدى حكم الله وسلطانه .

---

(١) دائرة المعارف لفريد وجدى : ٦١٨/٨ .

الأسرة

ومدى صمودها في وجه تحديات الانحلال والمادية

د / عثمان خليل عثمان

١ ـــ الأسرة الواحدة فى خضم الخلايا الاجتماعية :

لقد أعيى الباحثين فى علمى الاجتماع والأجناس ما بذلوا من جهد للتعرف على أولى الخلايا الاجتماعية التى عرفتها البشرية ، ولمحاولة حصر أنواع تلك الخلايا ، وتبين العوامل التى أسهمت فى ظهورها وفى تطورها على مر العصور . ومرد هذه الصعوبة بصفة أساسية كون التجمع البشرى قد يكون وليد البيئة الجغرافية ، أو العوامل المناخية ، أو الأحداث الطبيعية التى لا يدركها الحصر . وقد يكون وليد اعتبارات تاريخية وتقاليد متباينة يلعب فيها الزمن دورا كبيرا ومتفاوتا كذلك . ولئن كان هذا النوع من التجمع وذاك لا تبدو فيهما ارادة الانسان الا فى المقام الثانى ، فان أهم الخلايا الاجتماعية ما جاء وليد ارادة الانسان وثمرة تفكيره ووعيه .

وفى هذا المجال أيضا يتعدد المردود من الخلايا الاجتماعية ويتنوع تبعا لتعدد مناحى الفكر الانسانى ، وتنوع مستويات الوعى فى كل زمـــان ومكان .

لذلك لم تكن « الأسرة » ــ بالغة ما بلغت أهميتها ــ الا واحدة فى هذا الخضم من الخلايا الاجتماعية بحيث يعرض حتما ومنطقيا ذلك السؤال : لماذا اذا انحازت الأسرة من بينها بتلك المكانـــة الخاصة واقعيا وتاريخيا ودينيا وسياسيا ؟

٢ ــ انفراد الأسرة بمقومات متعددة كفلت لها البقاء والصمود :

لقد رجح المحدثون من الباحثين ــ ان لم نقل قد قطعـــوا بأن الاسرة (**كوالدين ، أو أحدهما وأولاد** تحت سقف ، أو فى عش واحد) لم تكن ثمـــرة للغريزة وحدها،بحيث لم تكن أسرة قط بغير هذا الدافع،وبحيث أدى هذاالدافع يقينا وفى جميع الاحوال الى تكوين أسرة ، ولكن هذا القطع أو ذاك الترجيح لا ينفيان القطع بأن الغريزة كانت ولا تزال وستظل أحد العوامل الأساسية فى تجمع البشر فى شكل أسرة ، ولا يحتاج تقرير ذلك للربط الجامع المانع بيـــن الغريزة والأسرة ، بل لعله من حسن طالـــع الأسرة كخلية اجتماعية ، أن يكون هذا هو غاية أرتباطها بالغرائز ، وأن يكون هذا الارتباط واحدا فقط من مقوماتها المتعددة فان تخلف أحدها ولو كان الغريزة أغنى عنه غيره من المقومات ، ولعله لهذا بالذات بقيت الأسرة على مر العصور ، وصمدت فـــى وجه مختلف التطورات ، وتحديات الزمن ، وأخطرهـــا تحديات الانحـــلال الاسرى والنزعة المادية فى العصر الحديث .

وعليه فللأسرة نصيب كبير من الفطرة آيته ذلك المزيج الدافع اليها من غرائز الجنس ، وحب البقاء ، وعواطف الأمومة ، والابوة والبنوة والاخاء والرحم ، مع ما يفتعل من خلال هذه الوشائج المتعـــددة من مودة وحب ورحمة فاذا الأسرة سكن بين الزوجين ورحم بين الآل والأقربين ، ثم يضاعف هـــذه المشاعر والوشائج التضامن المتولد عن تشابه هؤلاء عادة فى النوع والظروف والمصالح ، وتضامن كذلك ينتج عن تقاسمهم العمل كضرورة أولية من ضرورات الحياة ، فاذا بثمرة كل ذلك جمع متكاثر باطراد من ذوى القربى ، ويزداد تكاثره بمن يرتبطون به كذلك ، لأسباب متباينة كالنسب والرضاع ... هكذا تكونت الأسرة وتجمعت الاسرات ، وهكذا تضافرت مقوماتها وتكاثر عديدها فكتب لها البقـــاء ..

وما أروع التصوير القرآنى لهذه الحقائق الاجتماعية والتاريخية ، حيث يقول تعالى فى سورة الروم « ومن آياته أن خلق لـــكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلـــك لآيات لقوم يتفكرون » (الآية ٢٥) وقوله سبحانه فى سورة النساء : « يا أيها الناس اتقوا ربـــكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا » . (الآية الاولى) ..

جـ) وفى شأن الأقربين عامة :

يقول تعالى فى سورة الاسراء : « وآت ذا القربى حقه » (الآية ٢٦) وفى سورة الشورى : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » الآية ٢٣) وفى سورة البقرة : « الوصية للوالدين والاقربين » (الآية ١٨٠) .

وفى سورة النساء : «واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام» (الآية ١) وعن النبى صلى الله عليه وسلم قوله « الأقربون أولى بالمعروف » وقوله : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلـــك » وفى حديث آخر « اذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة » كما قال صلى الله عليه وسلم « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه » وقال « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة » ، بل ان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « ان من أبر البر صلـــة الرجل أهـــــل ود أبيه بعد أن يولى .. » ..

د) جعل أساس الاسرة الزواج الشرعى المرتبط بالدين حلا وتحريما .

وهذه صفة بارزة فى الأسرة الاسلامية ، حيث فصل الاسلام أحكـــام الزواج شاملة الجانب الشخصى ، والجانب المالى ، من بدء الخطبة الى عقد الزواج ، الى واجبات الزوجين والابناء والأقربين ، الى النفقـــات والطـــلاق والميراث والوصية وما الى ذلك ..

وكل ذلك بأحكام دينية ترتبط بالعقيدة ، وبالحلال والحرام ، ولذلك عض المسلمون بالنواجذ على هذا الطابع الدينى ، لاحوالهم الشخصية برغم ما حاوله المستعمر فى بعض البلاد العربية ، لكى يحول هذه العلاقات الى علاقات مدنية بل واخضاعها للقانون الفرنسى ، وهنا صمدت الأسرة الاسلامية بفضل هذا الطابع الدينى العقائدى للاحوال الشخصية فى وجه التيار الحديث المتزايـــد فى أروبا نحو اعتبار الزواج مجرد رابطة عقدية مدنية كسائر العقود المدنية ، وبالتالى لا يكون لها من السند الدينى والعقائدى ما يجنبها عواصف الزمن ، ومخاطر الانحلال ..

ومن أجل ذلك اعترض المسلمون عندما أخذ مشرع احـــدى الدول العربية بأحكام للتبنى تخالف الاسلام ، وذلك باعطاء الولد المتبنى كل حقوق الابن الحقيقى فى الميراث والنفقة وغيرهما ، وكذلك عندما جاوز تنظيم تعدد الزوجات بالتقييد الى التحريم القاضى على ذات المبدأ الاسلامى فى جواز التعدد .

ونلاحظ فى هذا المقام بصدد التبنى ذلك الاعجاز فى استمرار نسبـــة الولد المتبنى الى أبيه الحقيقى ، لقوله تعالى فى سورة الأحزاب : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » (الآية ٥) وقد نزل ذلـــك فى حق زيد بن حارثة

٣ ـ الأسرة فى الاسلام :

من وراء هذا التصوير القرآنى العام للاسرة (بادئة بالتزاوج سكنا ومودة ورحمة ، ومنتهية بذلك التكاثر وصلات الارحام) نذكر بعضا من آيات القرآن الكريم الكثيرة ، والسنة النبوية المتواترة ، لبيان بعض خصائص النظـرة الاسلامية الى هذه الخلية الاجتماعية الاساسية .

أ) فيما بين الزوجين يقول تعالى : « هن لباس لـكم وأنتم لباس لهن » (الآية ١٨٧ من سورة البقرة) ويقول فى سورة النساء « وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل اللـه فيه خيرا كثيرا » (الآية ١٩) وفى سورة البقرة : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » (الآية ٢٢٨) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « خيركم خيركم لأهلـه وأنا خيركـم لأهلى » وفى رواية أخرى « خياركم خياركم لنسائهم » ، كما قرر أن فى بضع أحدكم صدقة وأن اللقمة يضعها الرجل فى فم زوجه له صدقة ، ونهى أن يفرك مؤمن مؤمنة (أى يبغضها) فان كره منها خلقا رضى منها آخر وقوله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع « ألا واستوصوا بالنساء خيرا » ..

ب) وبالنسبة الى الوالدين ..

يقول تعالى فى سورة الأحقاف « ووصينا الانسان بوالديه احسانا » (الآية ١٥) وفى سورة لقمان : « ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير . وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيـا معروفا واتبع سبيل من أناب الى) . (الآيتان ١٤ ، ١٥) ..

ويلفت النظر بشدة فى هاتين الآيتين الشريفتين ، ذلك الاكرام الذى خص به الله الوالدين ، برغم مجاهدتهما الابن ، لكى يرتكب أكبر جرم وهو الشرك « ذلك الذنب الذى لا يغتفر » ومع ذلـك جاء لفظ القـرآن فلا تطعهما ، ولم يقل فخالفهما ، أو فاعصهما ، ثم يتبع جل شأنه ذلك بأمر ملـزم جازم بقولـه « وصاحبهما فى الدنيا معروفا » ..

كذلك نذكر قوله تعالى فى سورة الاسراء : « وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (الآيتان ٢٣ ، ٢٤) ..

وحسبنا من الاحاديث الشريفة ذكر قوله صلى الله عليه وسلم « الجنة تحت أقدام الامهات » والتنويه بالعديد مما جاء فى شأن بر الوالدين ، والتحذير من عقوقهما حتى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل بر الوالدين تاليا فى الفضل للصلاة على وقتها ، وسابقا على الجهاد فى سبيل الله ، وقال لمن جاءه يطلب الجهاد وله والدان « ففيهما فجاهـد » ..

أما الابناء فحسبهم أن نذكر فى شأنهم قوله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » (الآية ٤٦ من سورة الكهف) ..

الذى تبناه الرسول صلى اللهعليهوسلم وكان الناس يسمونه زيدا بن محمد ، حتى نزل النهى عن ذلك ، وبقدر ما فى هذا الحظر من اعجاز بالغ من يلم بأخطر مشاكل التبنى فى أوروبا اليوم ، حيث يحمل المتبنى اسم الأسرة الجديدة ، فيجرى فى المجتمع مجرى الابن أو البنت أو الاخ أو الأخت ، والحقيقة غير ذلك ، وعلى خلاف ما فى الاوراق والبطاقات ، فأدى ذلك الى أكبر المشاكل ، حيث يتبنى رجال فتيات ، وتتبنى نساء فتيانا ، ويستغل ظاهر الأسماء أسوأ استغلال ، وتقف الهيئات الرسمية والخيرية عاجزة عن العلاج الشافى لهذا الانحراف ، فبالنص القرآنى السابق ذكره احتاط الاسلام للأمر ، وجاءت السنة مؤكدة لهذا الاحتياط ، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم من انتسب الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله » ..

هـ) الحفاظ على الاسرة عبر الأجيال بفضل نظام الميراث :

وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « لأن تترك أولادك أغنياء خير من أن تتركهم فقراء يتكففون الناس » فالمرء بفطرته معنى بسعادة أبنائه وأحفاده من بعده ، وبهذا يتضاعف الحافز على العمل ، والادخار ويكون التواصل برغم تعاقب العصور ، ويستمر الارتباط باسم جد معين مثلا أو اعتزازا بمكان خاص بالأسرة جيلا بعد جيل أو بمهنة عرفت بها ، أو بثروة تتوارثها وتضم شتات الفروع على الزمن ، وبغير هذا الميراث لا يتعلق الخلف بالسلف الا بقدر أقل ، ولحين أقصر ، كما أن نظام الميراث اذا كان على مثل ما فى الاسلام من الزام يحفظ المودة بين الأجيال ، ويمنع المظالم والنزوات ، وكان على شاكلته من رحابة لا تقصر الارث على الابن الأكبر ، بل تمتد الى العصبات وأصحاب الفروض ، وذوى الأرحام ، اذا كان الميراث على هذا النحو حقق كذلك وبصورة آلية توزيع الثروات ومنعها من أن تكون دولة بين القليلين ، وشحا أو منعا على الاكثيرن . كل ذلك دون حرمان المورث من حق الوصية الحرة فى حدود ثلث التركة ، ولغير وارث على التفصيل المعروف ، ولقد كانت هذه الاحكام المتعلقة بجوانب الأسرة الاسلامية ، مصدر اعجاب المنصفين من المستشرقين ، وسببا من أسباب ذلك التقدير والانصاف المتزايدين لشريعتنا الغراء .

٤ ــ الأسرة فى الدساتير وفى مواجهة تحديات العصر :

تباينت نظرة الدول ، وخاصة فى العصر الحديث ــ الى الأسرة ــ فمنها ما آمن بالمعانى والقيم السابق ذكرها ، فحرص على جعل الأسرة بمقوماتها السالفة الذكر أساسا من الأسس الجوهرية للمجتمع ، ومن ذلك دستور الكويت الصادر فى ١١/١١/٦٢ حيث أورد النصوص التالية بهذا الخصوص .

الأسرة أساس المجتمع ، قوامها الدين ، والأخلاص وحب الوطن ، يحفظ القانون كيانها ، ويقوى أواصرها ، ويحمى فى ظلها الأمومة والطفولة (المادة ٩) . .

والميراث حقه تحكمه الشريعة الاسلامية (الفقرة الثانية من المادة ١٨)
ترعى الدولة النشء ، وتحميه من الاستغلال ، وتقيه الاهمال الادبى والجسمانى والروحى (المادة ١٠) ..

دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع (المادة ٢) ..

تصون الدولة التراث الاسلامى والعربى .. (المادة ١٢) ..
بمثل هذه الاحكام الدستورية ، تربط الدولة مصيرها بنظـام الاسرة الاسلامى العربى ، دون السماح بالانحراف عن هذه الجادة ، لا من حيث مبدأ الاسرة ، ولا من حيث أحكامها الاسلامية القطعية ، وعلى خلاف هذه النظرة تذهب النزعة المادية فى بعض الدساتير ، وخاصة دساتير الكتلـة الشرقيـة الى تجاهل الأسرة كخلية اجتماعية ، حتى لا تكون فاصلا بين الفرد والدولة ، وحتى لا ينال التعلق بها والارتباط بعواطفها من تعلق الفرد بالجماعة الكبرى ، وولائه لها ، وتفانيه فيها ، ولما زعمه أفلاطون من أنه خير للأطفال منذ ولادتهم أن ترعاهم الدولة بدلا من الوالدين ، ولذلك كله وجدت محاولات لم تنجح لالغاء الاسرة ، كذلك عملت النصوص على تقليص سلطان الدين مع توكيد حريـة الدعاية اللادينية ، وعندما عنى بالنص على حقوق المرأة ، أو رعاية النشء مثلا لم ينظر لذلك من زاوية الاسرة ، وانما من زاويـة المواطنة العامة ، ولقـد شد أزر هذه النزعة المادية ما أصاب الاسرة فى الغرب بصفة خاصة من تقويض لبعض أركانها ، نتيجـة لجهل نسب كبيرة من الناس لانسابهم ، ولأسرهم بسبب الحروب ، وما يصاحبهـا من قتل وفساد وتشريد ، ولكثرة المواليد غير الشرعيين ، وذيوع الحياة خارج عش الزوجية الشرعية ، حتى عمدت دول عديدة الى الاعتراف بالبنوة غير الشرعية على مسـتوى البنـوة الشرعية كليا ، أو جزئيا ، كذلك تضاف موجة خروج المراهقين تزايد مستمر على القيم والتقاليد والضوابط ، ونزوعهم الى الاستغلال المبكـر عن أسرهم ، والهجرة والتنقل والتخلص من رقابة الوالدين مع ما يصاحب ذلـك كله من انحلال خلقى ، وصحى وثقافى وحضارى ، يجرف فيما يجرف القيم المرتبطة بالأسرة ، كخلية اجتماعية ، وبالزواج كمقوم أساسى لتلـك الخلية .

هذه هى المحنة التى تمر بها الأسرة خاصة فى الغرب ، والتى تهدد كيانها تهديدا خطيرا ، وذلك على خلاف تلك الحصانة التى لا تزال تنعم بها الاسرة فى بلادنا ، بحكم الاسلام والتقاليـد العربية والشرقية ، وما من شك فى أن الاسرة الشرقية التى نحياها ستبقى صامـدة فى وجه تحديات ذلـك الانحلال ، وتلك المادية ما استمسكنا بديننا ، وحرصنا على تقاليدنا ، وحافظنا على أجيالنا الصاعدة التى نشأت فى ظل الرعاية الاسرية ، والضوابط الاسلامية ، من أن يجرفهم التقليد الاعمى ، الى محاكـاة شباب من المغرب يقتله الضياع ، ويؤرقه ويقض مضاجعه فقدان النسب ، والعمل والآمال .

كيف وبأي الوسائل نستعيد بناء الاسرة المسلمة

بقـــلم : محمد المجذوب

١ ـــ موضوع الاسرة هو موضوع الفرد والكل منفردين ومجتمعين ، لذلك كان اختيار (الوعى الاسلامى) لهذه الفكرة محرجا لكتابها بالنظـــر لسعته ولتشعب فروعه ، وشموله العـــديد من دروب البحث ، بحيث لا يستغنى معالجه عن أى الجوانب التى تؤلف عناصر المجتمع البشرى . ومن هنا تأتى خشية الكاتب أن يكون موضوعه ترددا لسواه أو تواردا مع زملائه ، وبخاصة عندما يكونون من ذوى الاتجاه الموحد أو المتقارب . وهذا التقدير هو الذى جعلنى أمحـــو الكثير من الخطوط التى أعددتهـــا للبحث لأكتفى ببعض الجوانب الاساسية من الموضوع تجنبا للتوارد والتكرار .

٢ ـــ لكى نعطى التقويم السليم لقضية الاسرة ، والاسرة الاســـلامية بوجه خاص ، لا بد من النظر الى أصلها أولا ، ثم تعيين القيمة النوعية لهذا الأصـــل على الموازين المعتمدة فى مقاييس الحضارات .

والأصل الاول للاسرة هو الانسان وقد اتفق أهل الاديان قاطبة على أن الذكر هو السابق ، ومنه انبثقت أنثاه ، ولا اعتراض على هذا المفهوم فى أى مذهب فكرى ، اذ لا أهمية فى موازينها لتقدم أى النوعين على الآخر .

وتكاد النظرة الدينية تتفق على تكرمة الانسان ــ ممثلا فى أصله الاول ــ اذ تخبرنا بأنه المخلوق الممتاز الذى فضله خالقه وهيأه لخلافة الارض وسياستها ، فأودعه أسس المعرفة ، وزوده بالخصائص التى تؤهله للسيادة على كل موجودات الارض . من أحياء وجوامد ونبات .. !

ومن هذا الاصل اشتق الخالق سبحانه قرينه فكان من جنسه ، مزودا بمنحة التكرمة نفسها ، وبالقدرة الانشائية المتممة لمهمته فى رحاب هذه المملكة المذللة لجنسهما ، المسخرة لخدمته .

ثم من هذا الاصل المزدوج نشأت الاسرة الاولى للجنس البشرى ، تحمل خصائصه المتميزة كلها ، والمؤهلة لبناء الكيان الامثل لسائر أفراد الجنس .

فالأبوان بادراكهما لمؤهلاتهما العليا ، الناشئة عن النفخة الربانية ، التى ميزتهما على سائر المخلوقات ، قد أدركا عظم المهمة التى اختيرا لتحقيقها على الارض ، عن طريق اعداد النسل الصالح لخلافة الله ، المدرب على مقاومة العدو الاول ، الذى أعلن خصومتهما وحسدهما على ذلك الامتياز منذ اللحظة الاولى .

وطبيعى أن مثل هذا التصور اليقينى لموضوع تكرمة الانسان يعين بوضوح تام منزلة الاسرة البشرية فى القمة من منازل الخلق .. لانها منبثقة عن المميزات التي خص بها هذا الجنس من بين سائر المخلوقات الاخرى .. فهى أسرة ممتازة ، ذات وظيفة كونية ، تتجلى فى استخدام قوانين الطبيعة لتشييد الحضارة الربانية ، على الاسس المنسجمة أتم الانسجام مع خصائص الفطرة السليمة ، التى من شأنها تحقيق الصورة الفضلى للحياة السعيدة ، القائمة على التعاون فى طاعة الخالق ، وفق المخطط الالهى الذى تعهد بتزويد الانسان به على مر الازمان .

٣ ــ ذلك هو الافق الذى منه ينطلق تصور المؤمن لكيان الاسرة الذى كان على الانسان ان يتعهده بالاستمرار فى هذا الطريق الامثل ، مهما تتقلب الايام ، وتتطور الاحداث ، على ان الواقع قد حاف على هذه الحقيقة اذ تعرضت للمشوهات الكثيرة خلال التاريخ . وكان مرد ذلك كله الى فساد التصور البشرى لموضوع التوحيد ، وقبول الانحرافات الكبيرة فى مفهوم الانسان لصفات ربه العلى ، فكل انحدار فى هذا المفهوم عن مستواه الصحيح استتبع مثله فى مفهوم القيمة الانسانية .. وقد بدا ذلك جليا فى موازين الامم المختلفة ، نخص منها بالذكر وثنية اليونان ، التى انحدرت بتصور الالوهية الى أحط الدركات ، فجعلت لكل ظاهرة من القوة إلاهه أو إلها خاصا ، ثم اخترعت لهذه الآلهة أحداثا أفسدت الخلق اليونانى ، اذ أوقعت فى ضميره أن الفجور والخداع وارتكاب أحط الموبقات هى من أقدس الصفات .. ! وتلاقت الوثنية الهندية معها فى ذلك المنحدر ، الذى جعل تصوير العملية الجنسية شيئا رائعا يستحق أن يحفر على جدران المعابد (١) وتسربت هذه المنكرات الى الكتب اليهودية المقدسة . اذ نسبت مثل هذه الأرجاس الى أنبياء الله أنفسهم ! .. ثم تسللت الى المسيحية فى بعض الاقطار كأنجلترة ، حيث أعطت المحاكم الكنسية ــ فى القرن الحادى عشر ــ الزوج الحق فى أن يبيع زوجته أو يعيرها لآخر الى أجل ــ كما يؤكد ذلك هربرت سبنسر ــ ولم ينج العرب فى جاهليتهم من هذا الزيغ فكان ــ الى جانب البغاء العلنى ــ زواج الاستبضاع ، الذى يبيح للرجل دون معرة أن يأمر زوجته بمضاجعة الرجل الذى يتسم ببعض المواهب العالية رجاء

أن يرزق منه بغلام من نبعته (٢) .

فاذا انتهينا الى واقع المرأة فى الحضارة الغربية المعاصرة واجهنا الحقيقة الكبيرة التى تؤكد أن قيمة المرأة هى حصيلة تلك الانحرافات جميعا وبخاصة اليونانية منها ، بحيث لا تعدو أن تكون متعة وملهاة ، يرغب فيها ما دامت صالحة لتوفيرهما ، فاذا فقدتهما نبذت ، ولم تجد من يعيرها التفاتة أو اهتماما ! ..

وقد أحدثت هذه النظرة فى جسم الاسرة نفسها ندوبا بالغة توشك أن تدمره تدميرا ، بل لقد أنتجت مذاهب فكرية تدعو علانية الى نسف الاسرة كليا ، وذلك عن طريق الغاء الروابط الشرعية ، التى يتبعها عفويا انحلال العلاقات الوالدية بأسرها ، وتعطيل الاحكام المدنية الخاصة بحقوق الزوجية والبنوة ، وعلائق الارحام المتقاربة والمتباعدة ، حتى يستحيل المجتمع البشرى الى قطيع من الحيوانات بل من أدنى الحيوانات ! .. ولا ننسى محاولة الشيوعية تطبيق ذلك المذهب باقدامها على الغاء الكيان العائلى فى مطلع الدولة الماركسية بزعامة لينين .. وقبل ذلك فى الدولة الساسانية بفارس أيام انتشار المذهب المزدكى ، الذى اعتبر مجرد امتلاك المال واحتكار المرأة المصدر الاول لكل شقاء ! .. ثم ما تولد عنه فى العصر العباسى من نحل قرمطية وخرمية انطلقت من البؤرة نفسها لتقويض الوجود الاسلامى .

٤ — ومما لا سبيل الى تجاهله هو أن مثل هذه الاحكام الخاطئة لا تقتصر على المرأة بمفردها ، بل هى تتناول الرجل معها وبالتالى تشمل الجنس كله . ذلك أن أساس الخلل فى موازينها عائد الى القدر المشترك الذى يجمع بينها على اعتبار أن الانسان لا يخرج عن كونه حيوانا ، مهما يضيفوا اليه من صفات تميزه ، بأن يسموه حيوانا اجتماعيا ، أو مدنيا ، أو ناطقا ، أو حيوانا منتصب القامة ، أو أنه الحيوان الضاحك أو الحيوان ذو الراحة الملساء .. الى آخر ما ابتدعوه له من نعوت لا تستطيع انتزاعه من المستنقع الحيوانى ، الا بما يعترفون له من تطور لا يبعد — بنظرهم — أن يصيب غيره من تلك الأنسال على مر الزمان ! .. وهى نظرة تسللت مبادئها الاولى الى الفكر العربى عن طريق المترجمات اليونانية منذ عصر المأمون . فهى دخيلة عليه ، أجنبية عن تصوره العقدى الذى يرفع الانسان الى أسمى مراتب الخلق ، منذ اطلاله على الوجود متميزا بتلك النفخة المقدسة .

ولقد تضخمت هذه الفرضية المادية أخيرا بما استحدثته الحضارة الغربية من مذاهب تقيم بنيانها على هذا الاعتبار الحيوانى ، الذى يجرد الجنس البشرى من خصائصه العليا جميعا ، ثم يقنعه بانحطاطه ، فيألف الاستسلام الى أخس الغرائز ، حتى يقتل فى كيانه أخيرا كل شعور بالتميز أو السمو .. ! وهكذا ينتهى دور الانسان الذى كرمه الله ، ليبدأ دور الحيوان المتطور الذى أذلته التخرصات المادية ! ..

وبديهى أن لكل من الاتجاهين أثره العميق فى نوعية الاسرة وفى تحديد مضمونها واهدافها ، ومن ثم فى مسيرة الحضارة البشرية .

أما فى ظل النظرة المادية فالاسرة وضع عرضى غايته القصوى هى التلاقى العابر على متعة شخصية قلقة ، لا استقرار معها لانها لا قداسة لها .. حتى المواليد فى مفهوم هذه الاسرة لا أثر لهم فى تكوين أى ضرب من الروابط الروحية بين أعضائها ، لانهم غير مسموح لهم بالخروج الى

الدنيا ، ولا بالبقاء فيها الا ضمن حدود المصلحة المادية نفسها ، فاذا بلغوا حدود القدرة الذاتية فصلوا عن جسم الاسرة بقسوة ليضربوا فى جوانب الارض على غير هدى .. ثم لا يبالى أحدهم أن يلقى الآخر ، أو يطمئن الى مصيره ، حتى اذا وافى أحد الوالدين شبح الموت ورغب فى مشاهدة ولد له اعلمه ذلك عن طريق الاذاعة الخاصة (٣) وقد يبلغ الانفصام فى الواحد من هؤلاء الاعضاء أن يوصى بثروته كلها لكلب أو قط ، دون أن يشعر بأية عاطفة نحو قريب له مهما تبلغ حاجة هذا الى عطفه ! ..

ومثل هذه الاسرة أوهى علائق من خيوط العنكبوت ، فهى أضعف من أن تقاوم التيارات التى تريد اقتلاعها ، وأعجز من أن تأمل بالبقاء طويلا ، لأنها مبتوتة الجذور ، كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار .

واذا كانت الاسرة هى المجتمع الاول الذى يؤلف مع أخواته عناصر المجتمع القومى ثم البشرى ، فالحصيلة الحضارية لهذا الضرب من الاسر هى تحول الحياة الى معترك صراع ، يجعل من الطاقات البشرية وسائل جهنمية تتجه الى تدمير الجنس كله .. وهى النهاية التى تشهد طلائعها فى ما يسمونه بالثورات الثقافية ، التى تكتسح أوساط العالم الذى تخلى عن الفضائل الروحية ، كما نشهدها فى المذاهب الانحلالية المتمثلة فى الوجودية والخنفسة والهيبية ، التى أصبحت كمجمعات الاقذار ، هدمت سدودها ، فهى تكتسح الاخلاق وتجرف الفضائل ، لتقضى على البقية الباقية من مقومات البقاء ! ..

ولا جرم أن أكثر الناس شقاء فى مثل هذا الجو المسموم الملغوم هى المرأة ، لأنها العضو الاشد حساسية ، فهى بسبب ذلك أوفر شعورا بالحرمان من نعمة الامومة والاستقرار فى ظل الحياة الطبيعية ، التى أعدت لها بكل أجهزتها الفطرية . ولقد كثرت الوقائع التى تعلن هذه الحقيقة ، وامتلأ الفضاء بأصوات البقية من أولى الوعى رجالا ونساء ، الذين أحاطوا بهذه المخاطر ، تنذر البشرية بالويل والثبور وعظائم الامور ، اذا لم يتداركها المسؤولون عن قيادة الحضارة بالاصلاح العاجل السديد . وسأكتفى بمثل مصغر لهذه الكارثة الانسانية نقله الى ابن لى عن مشاهداته فى عالم الغرب. ذلك أنه ذات يوم ضل الطريق الى العربة التى كان يأوى اليها من القطار العامل بين لوبيانا وفيينا ، فلم يجد مناصا عند تحركه من اللياذ بأية عربة فاذا هو بفتاة أوربية .. وخلال الحديث بينهما علم أنها تقصد البلد النمساوى لزيارة خطيبها الذى مضى على علاقته بها عدة سنوات ! .. فسألها ابنى عن السبب الذى يحول دون زواجهما فاجتماعهما فى بيت واحد ! .. فأخبرته أنها لم تستطع حتى الآن توفير المال الذى يحقق لها هذه الامنية ، وهنا أطلعها الابن على الحقيقة التى لم تعرفها قط ، وهى أن الرجل المسلم هو الذى يقوم بتقديم الصداق الى المرأة ، دون ان يكلفها شيئا سوى التعاون معه على توفير الجو الزوجى السعيد .. وما كان أبلغها مفاجأة اذ هبت عن مقعدها ترفع يديها وتقول « أين أجد مثل هذا الانسان ؟! .. أليس من مسلم يتزوجنى فينقذنى ! .. »

ولعمرى انها لصورة مصغرة من المأساة الكبيرة التى تعيشها المرأة بل الاسرة ، فى ظلمات هذه الحضارة التى لا تعترف للانسان بغير الجانب الحيوانى .. !

٥ — بقى أن ننعم النظر قليلا فى الجانب المقابل من العرض ، لنرى

مقومات الاسرة فى ظل النظام الاسلامى الصحيح . ولن تجد صعوبة فى تبين المنطلق الذى تصدر عنه ، بعد أن وضحت للبصيرة مكانة الانسان فى مفهوم الاسلام . انها الملاذ الكريم الذى يهيىء لكل من الزوجين وبكل منهما الجـو الفطرى ، الذى يتحدد مضمونه بقول الله : (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة . ان فى ذلك لآيات لقـوم يتفكرون) (الآية ٢١ من سورة الزمر) .

فالزوجة مخلوق من نفس الزوج ، وبذلك يتعين مكانها الطبيعى ، بوصفها انسانة تملك المقومات الانسانية نفسها التى تميز قرينها عن سائر المخلوقات الاخرى ، وبهذا التعيين تسقط الاحكام الزائفة التى تعتبرها روحا شيطانيا فى جسم انسان .. والمذاهب الاجتماعية المدخولـة التى تحـدد وظيفتها ضمن نطاق الإلهاء والامتاع ! ..

ثم انهـا مبعث السكينة لقرينها . والسكينة وضع نفسى يصـور الجـو الزوجى ملاذا للنفس القلقة التعبة ، تجد فيه الأنس والهدوء والطمأنينة التى تخف بها أعباء الحياة .. وهى فى الوقت نفسه منبت المودة التى هى ثمرة الانسجام الروحى بين الزوجين ، ومن ثم بين أجزاء الاسرة الآخرين مهما امتدت أعراقهم وتباعدت منازلهم . والمودة قرينة الرحمة التى هى فيض القلب الطيب .. وبهاتين الميزتين — المودة والرحمة — تجد كل مشـكلة زوجية او أسرية حلها السليم القويم .

بيـد أن مثـل هذا الكيـان الاسرى لا يمكن تأليفه على الوجه الاكمل بالجمع بين أى رجل وامرأة ، بل لا مندوحة فيه من التخير الواعى ، ومن هنا كان توكيد الاسلام على المقومات الخلقية والدينية الرفيعة . ففى الكتاب الحكيم (ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ..) (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ..)

وايثار المؤمنة أو المؤمن على المشركين لا يمت بسبب الى التمييز العرقى أو الوراثى ، بل هو منبثق من نظر الاسلام الى ثمرات كل من الفريقين للمجتمع فـ (أولئك — المشركون — يدعون الى النار) نار الشقاء الدنيوى الصادر عن الانسياق فى غير طريق الفطرة ، الصائر بأهليه أخيرا الى جهنم ، وبئس المصير .. على حين أن المؤمن انما يدعو لما يستيقنه ويسعى لتحقيقه من بث الخير والعمل الصالح ، الذى لا سبيل سواه لتحصين المسيرة الانسانية من حبائل حبائل الشيطان .. ومن أجل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليـه وسلم « اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه .. ان لا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد عريض » (٤) فضابط الاختيار بالنسبة الى الزوج هو الدين العاصم من الزيغ ، والخلق المساعد على الفضيلة . وكل تجاوز لهـذا المقياس النبوى ، من اغترار ببهارج الدنيا منصبا وجاها ومالا .. انما هـو انحدار بالاسرة فالمجتمع الى مزالق الفساد منذ الخطوة الاولى .

وكذلك الشأن بالنسبة الى الزوجة ، فليس كل فتاة صالحة للبناء ، فقد تعجبك المرأة لمالها او حسبها او جمالها ، ولكن ذلك كله لا يعدو ان يكـون وسائل تدمير للحياة العائلية اذا تجردت عن فضائل الايمان والعمل الصالح، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالهـا ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يـداك (٥) ويجعل غايـة التلاقى الزوجى استمرار النسل الصالح لحمل مسئولية الاصلاح والتصحيح ، وعن هذا يقول صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاننى مكاثر بكـم الانبياء يـوم القيامـة (٦) وغير مقبول ولا معقـول أن تكون رغبتـه صلى الله عليـه

وسلم فى المكاثرة لمجرد الاعجاب بالعدد الكثيف ، وهو الذى يبين فى الاثر الصحيح أن صعلوكا من أهل التقوى يفضل ملء الارض من غيرهم (٧) ، ناهيك بالغثاء الضخم من أشباه الضفادع والببغاوات ، ولو كانوا من كبار الجامعيين والجامعيات ! .. وبهذا التحديد يغلق أبواب الاسرة المسلمة نهائيا بوجه التافهات من حثالات الفتيات ، اللواتى عرين عن الخلق والدين ، لان الطيبين للطيبات ، والخبيثين للخبيثات و (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين) ٣ من سورة النور ومن خلال هذا المبدأ الاسلامى نلاحظ تركيز القرآن على تلك الخاصة التى اشترط توافرها فى الكتابية ليصح للمسلم تزوجها ، وهى اتصافها بالاحصان (والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب) ٥ — ٦ ففى التعبير بهذا اللفظ توكيد حاسم على كل ما ينطوى تحته من العفة والحشمة والبعد عن مزالق الريب . ولو أن السلطات التى تحكم الشعوب الاسلامية أخذت بهذا المبدأ لأبطلت كل عقد بين مسلم وكتابية لا تتقيد بهذه الصفات . ولكن المؤسف أن الحاكم والمحكوم فى منأى عن هذا المفهوم .. الا من رحم الله، والمغترب من أبناء المسلمين حين يؤثر الفتاة الغربية لا يشعر غالبا بأى التزام اسلامى ، وانما ينحصر همه — بعد النزوة الجنسية — فى أمر واحد هو تلقيح وجوده وبلده بخصائص الجنس الاجنبى الذى آمن بامتيازه ، أيا كانت ثمرات هذا اللقاح ! .. وما ذلك الا نتيجة الجهل المطبق للمفهوم التربوى الذى يقرره الاسلام فى هذا التوجيه النبوى الحكيم : (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) (٨) وأى مفسدة أخطر على البيئة الاسلامية اليوم من تلك الانثى التى نشأت فى احضان الحرية الجنسية ، وأشربت تقاليد الغرب المتدهور ، بكل ما فيها من سموم وخبائث ! .. وما أكثر الرزايا التى حملتها هذه المطايا ! .

ولا حاجة الى التذكير بأن اهتمام الاسلام بأصلى الاسرة — الذكر والانثى — الى هذا الحد انما هو نابع من القدسية التى يسبغها على هذا الكيان ، الذى يريده مصنعا دائم الصلاحية لانواع الفضائل الانسانية .

٦ — على أن هناك نقطتين لا مندوحة عن وقفة عليهما لاستيفاء عناصر البحث . أما احداهما فمشكلة التعدد التى كثر فيها الجدل ، وقد نالت من الاقلام الاسلامية حظا كبيرا ، ولا أرى ضرورة لمناقشة جوانبها المختلفة فى القديم والحديث ، بعد الذى سطرته عنها فى كتابى (تأملات فى المرأة والمجتمع) وانما أريد فقط أن أضيف الى ذلك ما توفر لدى من تجربة فى هذا المضمار علمتنى مالم أكن أعلم .

لقد أكدت لى هذه التجربة أن التوحد هو الاصل فى الحياة الزوجية ، وان التعدد عارض طارىء ،ليس من مصلحة المسلم أنيتطلع اليه الا عندالضرورات التى يتعذر تحديدها ، ولا تدرك الا بعد حصولها ، لان الزواج ليس مجرد متعة يبدل الرجل وسيلتها كلما حركه الهوى او تيسرت له السبل .. وانما هو تعاون روحى متكامل غايته انشاء الجو الهادىء الودود .. وقد أودع الله فى طبيعة المرأة أسرارا عجيبة منها اعتبارها كل مشاركة فى هذا الجو عدوانا على وجودها كله ، وبدافع من هذا التصميم تجدها مستعدة لان تحيل طاقاتها البناءة الى أدوات تخريب تدمر كل شىء .. عندما تستشعر أى ظاهرة من هذا العدوان ! .. وحسبك بهذا نذيرا بنسف كل عوامل السكينة والمودة والرحمة ، التى لا شىء غيرها صالح لاعطاء الحياة الزوجية معناها الصحيح .. ناهيك بما وراء ذلك من معارك خفية وظاهرة ،

قــد تشمل بشرورها القريب والبعيد من أعضاء الاسرة ! .. وهذا هو البلاء الذى دونه كل بلاء .. وكفى بالمؤمن رادعا عن هذه التجربة فى غــير ضرورة حكم العليم الخبير باستحالة العدل بين النساء (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ٤ — ١٢٩ بجانب توجيهه المؤمن الى ايثار الواحدة بمجرد ان يساوره خوف العجز عن تحقيقه : (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ٤ — ٣) .

واما الثانية فمشكلة التربية التى لا غنى للزوجين عن اتقان اصــولها الفعالة فى انشاء الابناء . ولعل أخطر جوانب هذه المشكلة هو فقدان البيت المسلم ضوابط التربية الاسلامية ، ثم قطع المدرسة — فى البلد المسلم — كل صلة لمناهجها بهذه الضوابط ! .. فنحن بيتا ومدرسة ودولة قد نعلم الكثير من نظريات الغربيين فى التربية على اختلاف موازينها ، ونحــاول تطبيق كل ما وقفنا عليه منها ، ســواء كان حقا أم باطلا ، وســـواء أثبتت التجارب نجاحه او اخفاقه .. فى حين لا نكاد نسأل تراثنا التربوى الاسلامى عن أى شىء من ذلك ! .. ولا أذيع سرا اذا قلت اننا سلبنا أزمة التربيــة حتى لانفسنا فضلا عن بيوتنا ، وقد بلغت المحنة أشدها حين أخفق العلمـــاء أنفسهم — او معظمهم — فى قيادة أهليهم الادنين الى جادة الاســلام ، حتى بات من المألوف جدا أن ترى الداعية الاسلامى يكتب ويخطب ويجهد فى عرض فضائل الاسلام على الناس ، ولكن ما ان تنظـــر الى ســلوك الذين اليه ولايتهم حتى ترى العجب ، لانك ستجد البون شاسعا بين دعوته واسرته ! .. وانا لا أحمل بذلك على هؤلاء الفضلاء فوق ما يستحقون ، لانى أعلم بل أحس عذرهم فى هذا التباين ، الذى هو حصيلة عشرات العوامل الجبرية ، فهم لا يعفون من المسئولية عن بعض هذا التردى فى بيوتهم ، ولكن لا ننسى أنهم لم يعودوا وحدهم القابضين على توجيهها .. بل ليس فى أيديهم من أزمتها الا النزر اليسير ، أما السيطرة العملية عليها ففى أيدى المدرسين ، وحملة الاقلام ، ومؤسسات الاعلام من اذاعة وتلفزة .. وما الى ذلك من عديد المؤثرات ! .. ومعظم المسئولين عن هذه المصادر لا يملكون ذرة من الوعى الاسلامى ، اذا لم نعترف بالواقع المر ، وهو أنهم يعــادون كل ما هو اسلامى ! .. حتى انهم ليصبغون المعانى الاسلاميــــة بالالوان الدخيلة ، التى تذهب بكل أثر يتاح لها أن تتركه فى نفوس السامعين والناظرين والقارئين ! .. وبازاء ذلك كله لا يسع المفكر الغيور على أمته الا أن يتساءل فى دهشة لاذعة (كيف وبأى الوسائل يتاح للمسلمين اعادة بناء الاسرة المسلمة والجيل المسلم ، بعد أن أصبحا نهبا مباحا لكل هذه التيارات المدمرة) !

أللهم ان الظلمات لكثيفة ، والمحنة لعظيمة .. ولا مخرج منهــا الا بخارقة من خوارق قدرتك .. ولا حول ولا قوة الا بك .

(١ و ٣) انظر (الحجاب) للعلامة المودودى و (تأملات فى المرأة والمجتمع) لكاتب هذا البحث .

(٢) من حديث شريف رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها .

(٤) للترمذى عن أبى هريرة مرفوعا

(٥) للشيخين وابن داود والنسائى .

(٦) رواه أحمد عن أنس . وفى أبى داود والنسائى (الامم) مكان (الانبياء)

(٧) مضمون حديث رواه الشيخان — انظر جمع الفوائد رقم ٥٥٩٥

(٨) لمسلم والنسائى

مساجد الكويت

اعداد : الشيخ احمد جلباية

مسجد عبد الله بن بحر

من بني مسجدا يبتغي به وجه الله ، بني الله له بيتا في الجنة ..
(رواه البخاري ومسلم وغيرهما)

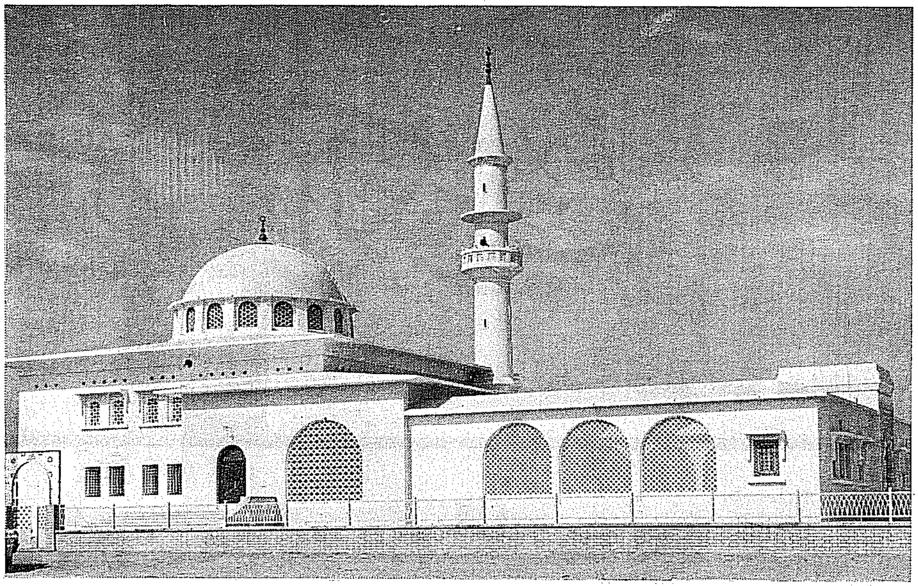
بهذا الهدى النبوي ، وبهذه التوجيهات السديدة ، اتجهت قلوب المحسنين واهل الخير ، الى بناء بيوت الله في الارض ، لتكون مصدر اشعاع ، ومهبط رحمة ، ومنار علم ، ومبعث حكمة ، ومنبع هداية ، ومجمع خير ..

ولو قل المال ، وضاق الحال ، واشتدت الحاجة ، وكثرت المشاغل ، وانصرف الكثير الى شئون دنياهم .. ترى نفرا من الناس ، لا يشغلهم ما يشغل الناس ، ولا يصرفهم ما يصرف الناس ، انما عملهم البناء ، وغايتهم الله ..

ان المساجد لله ، ولعل الله يختار لعمارتها ، من صفت سريرته ، وكرمت علانيته ، وخلصت نيته ، وملأ الايمان قلبه ..

والايمان متى كان صادقا ، اشاع الحياة في كل شيء ، والنور في كل شيء ، وجعل الدنيا في خدمة الدين ، والمادة في خدمة الروح ، وجعل كل شيء مسخرا في طاعة الله ، خالصا لوجهه الكريم « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، واقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، ولم يخش الا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ..

ومن هذا المنطلق ، كان المحسنون من الناس هم الذين يقومون بمهمة عمارة المساجد ، يدفعهم الى عمارتها ايمان لا يخالطه نفاق ، وحب لله لا يشوبه رياء ، ورجاء في الهداية ، يرد الناس الى ربهم ، ويذكرهم بلقائه ، ويخوفهم من جبروته ..

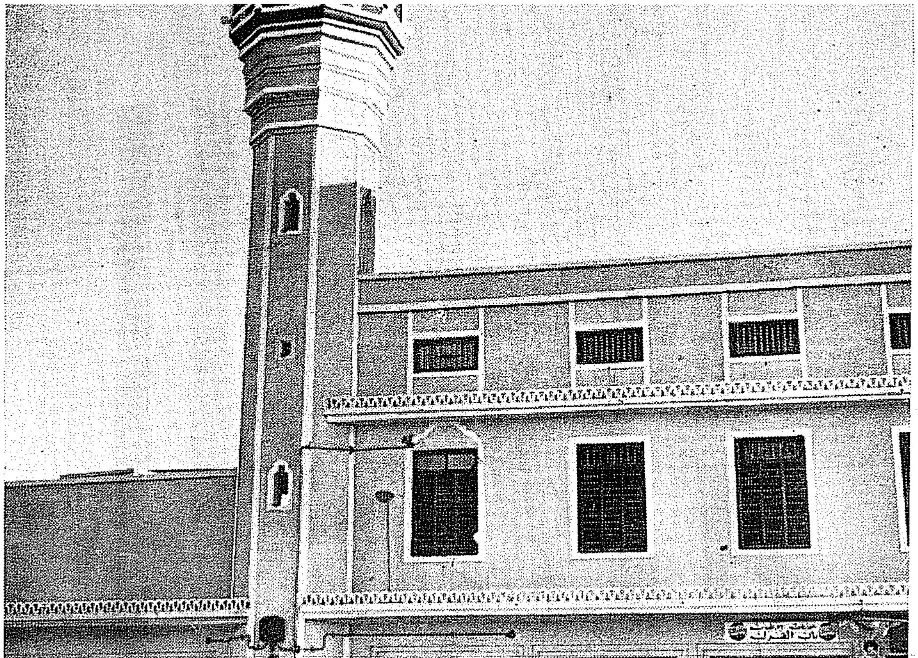


حتى قامت وزارة الاوقاف بالكويت بهذا العمل ، وحملت أعباءه ، وتحملت مسئوليته ، واخذت على عاتقها أن تنشر كلمة الله فى الارض ، وأن ترفع رايته فى السماء ..

ومسجدنا هـذا كان يسمى من قبل « مسجد ابن ابراهيم » على الفرضة سابقا (١) أو مسجد الابراهيم ، ويعتبر الاول من ثلاثة من أقـدم مساجد الكويت .. أسسه ابن ابراهيم عام ١١٧٩ هـ . وجددت بناءه دائرة الاوقاف العـامة بتاريخ ١٣٧٦/٣/٢٢ هـ الموافق ١٩٥٦/١٠/٢٧ م . وقد بلغت تكاليفه آنذاك ٢٠٨٠٠٠ روبية ..

ولما كانت هذه المنطقة عامرة بالمساجد ، وقد اقترب بعضها من بعض دون حاجة ، رات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية نقل هذا المسجد الى منطقة أخرى ليس فيها مسجد ، فكان من نصيب منطقة ميدان حولى ، وهى منطقة جديدة تقع بين أحياء : السالمية والرميثية وحولى التى يوجد بها كثير من المساجد ، ولكنها بلا شـك بعيدة عن سكان ميدان حولى ، الذين يلاقون على ظمـأ ..

ولقد اقامته الوزارة على نفقتها فى عـام ١٣٨٧ هـ الموافق ١٩٦٧ م . ووفـاء منهـا لمؤسسه الاول ، وتقديرا لمـا قام به من جهود فى بنـائه من قبل ، وفى امامته للناس فى الصلاة ، وتخليدا للمحسنين العاملين ، جعلت هذا المسجد الجديد يحمل اسمه فأطلقت عليه : مسجد عبد الله بن بحـر . وهو غير مسجد محمد عبد الرحمن البحر الموجود حاليا فى شارع عبد الله السالم ..



والمسجد على بساطته تحيط به المهابة . وتبدو عليه العظمة وقد أقيم على ربوة مرتفعة بعض الشيء ، وسط المبانى الحديثة ، والفيلات الرائعة ، وحوله فضاء واسع من جيمع الجهات ، يجعل المسجد وسطه يبدو وكأنه درة بيضاء ..

وللمسجد حرم كبير يحيط به ، غطيت أرضه المؤدية الى أبوابه الخارجية بالبلاط الكبير ، والمصلون اذا اشتد بهم الحر فى الصيف يصلون فى هذا الحرم .. وعندما تدخل المسجد من أحد ابوابه الثلاثة تجد نفسك فى فناء لا تقل مساحته عن مساحة المسجد ، وبعضه مسقوف والبعض الآخر غير مسقوف ، ليتمكن المصلون من أداء الصلاة به فى جميع فصول السنة .. وفى الجهة الشرقية من الفناء ، أقيمت على جانب منه حجرتان ودورة مياه للمؤذن والخادم ، وعلى الجانب الآخر دورة مياه عامة ..

وللمسجد من الداخل ثلاثة أبواب زجاجية سميكة متجاورة . ويكاد يكون مربع الشكل ، له قبة كبيرة ترتكز على أعمدة أربعة ضخمة مضلعة من الاسمنت المسلح ..

وواجهة القبلة من الرخام الابيض الجميل ، وفيها شرفتان عن يمين المحراب ويساره ، تقوم اليمنى منهما مقام المنبر ، يقف فيها الخطيب يوم الجمعة .. وبه كذلك مكتبة فيها كثير من المراجع الاسلامية فى التفسير والحديث والفقه والسيرة وجميع المعارف الاسلامية ، وهى مفتوحة للمصلين فى أوقات الصلاة ، فيها زاد لمن اراد الاستزادة ، وفائدة لمن أراد الافادة . وعلى جانبى المحراب والشرفتين ساعتان أنيقتان ، احداهما تشير الى الزمن الغروبى ، والاخرى تشير الى الزمن الزوالى .. وتتدلى من القبة ثريا جميلة تضفى على المسجد روعة وجمالا ، والمئذنة عالية شامخة تظهر من بعيد بمكبرات الصوت التى يسمعها سكان المناطق الاخرى ..

الأسرة

كما يريدها التشريع الإسلامي !
لا كما أرادتها الحضارة الغربية !

للأستاذ احمد محمد جمال

في الحضارة الغربية المعاصرة .. « امسى البيت فندقا ، والحياة الزوجية متاعا جنسيا ، والنساء — زهرات المجتمع ، ربات البيوت . الأمهات — تحولن الى عاملات كادحات .. يمارسن كل عمل ، انهن جزارات، حمالات ، بائعات تذاكر ، حلاقات ، وكانسات طرق وأسواق — قالت لى احداهن : حذار أن تظن المرأة فى مجتمعكم الشرقى أن عملها فى كافة المجالات تقدير لها واكرام . . انه امتهان لكرامتها ، وحط من مكانتها . فنحن النساء الغربيات لم يعد فى امكاننا أن نتمتع بأنوثتنا ، فقد أضعناها فى عملنا المرهق ، ولا بأمومتنا ، فلا وقت لدينا لحنان الامومة وسعادتها .. ولا بحياة عائلية سعيدة ، لان المفاهيم تغيرت ، لم يعد الرجل هنا يطيق ان يرى امراته أو قريبته لا تعمل .. ان عليها أن تعمل لتكسب قوتها ، وتنفق على نفسها ، انها حياة قاسية ، لا رحمة فيها ولا مودة ، انها نوع من الجحيم الدنيوى » (١) .

وفى الحضارة الغربية المعاصرة ايضا : « تترك الامهات اطفالهن لدور الحضانة ، حتى ينصرفن لأعمالهن او مطامعهن الاجتماعية او مباذلهن او هوايتهن الأدبية والفنية ، او ارتياد دور السينما — وهكذا يضمن اوقاتهن فى الكسل .. انهن مسؤولات عن اختفاء وحدة الاسرة ، واجتماعاتها التى يتصل الطفل فيها بالكبار ، فيتعلم منهم امورا كثيرة .. لان الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلي والعاطفى طبقا للقوالب الموجودة فى محيطه ، فهو لا يتعلم من الاطفال الذين فى مثل سنه الا قليلا .. وحين يكون مجرد وحدة فى المدرسة فانه يظل غير مكتمل . وهكذا نرى أن المجتمع المصرى قد ارتكب غلطة جسيمة باستبداله تدريب الأسرة ورعايتها بالمدرسة استبدالا تاما .. » (٢)

* * *

يكفى ما نقلناه آنفا عن (الأسرة) فى الحضارة الغربية المعاصرة . للمقارنة بينها وبين الاسرة كما ارادها الاسلام نشأة ومكانة وآدابا ، وهو ما نوجز الحديث عنه فيما يأتى :

ان اول فكرة — عن الاسرة — يلهمها القرآن الكريم للرجل المسلم هى قوله عز وجل : « ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا ، لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة .. » (٣)

فالسكن والمودة والرحمة : هى ما ينشده كل من الرجل والمراة فى رفيقه ، بدافع من الطبيعة الداعية الهادية التى فطرا عليها ، ولن يهدأ لأحدهما بال ، ولن يستقر حال حتى يلتقى بالآخر .. يسكن اليه ، ويواده ويرحمه ، ويقاسمه أطايب الحياة ومتاعبها . وصدق الله الذى هو اعلم بما خلق وبمن خلق اذ يقول : « علم الله انكم ستذكرونهن » (٤) اى أن بال الرجال لا يخلو من ذكر النساءوالشوق اليهن ، وكذلك بال النساء لا يخلو من ذكر الرجال والشوق اليهم !

ان الرجل والمراة — بالفطرة التى فطرا عليها — ملتقيان من بدء الخليقة ، وانما جاءت الاديان لتنظيم هذا الالتقاء ، ليكون شركة متعادلة متعاونة بينهما .. فيها حقوق يجب أن ترعى ، وواجبات ينبغى أن تؤدى ، ولها ثمار وآثار يجب أن تصان .

ذلك ان هذا الالتقاء الفطرى بين الرجل والأنثى ، الذى جاءت الاديان فنظمته وسمته : (زواجا) هو نواة لشىء آخر نظمته الاديان ايضا وسمته (الاسرة) . والاسرة هى الاخرى نواة لشىء اكبر نظمته الاديان وسمته (المجتمع) .

وقد قيل فى الاسرة : انها الامة الصغيرة ، وانها مدرسة النوع الانسانى .. التى تعلم فيها الانسان افضل أخلاقه الاجتماعية : وهى الغيرة ، والعزة ، والوفاء ، ورعاية الحرمات ، كما قيل : انه لا بقاء لما اكتسبه الانسان من فضائل المروءة والايثار .. اذا هجر الاسرة ، وأهمل روابطها ، وعطل مسؤولياتها .

وقيل فى الاسرة — كذلك — : ان الرجل اذا عاش فى حرمها المقدس، وغرامها المباح ، والتزامها المعذب — كان شجاعا فى كده وسعيه وانتاجه وتحصيله ، ومقداما فى الطموح الى مزيد من التفوق والنجاح ، من اجل اسعاد زوجته وأولاده ، حيا وبعد أن يموت .

الأسرة كما يريدها الاسلام

تلك كلمة عامة عن الزواج وعن الاسرة ، كما تريدهما سنن الفطرة ونواميس الخليقة . أما الاسلام كشريعة ، فحديثه عن الزواج أو الاسرة معجب مطرب لم يسبقه اليه ولم يلحق به دين قديم ، ولا حضارة حديثة .

فالزواج — فى منهاج الاسلام — استقرار وسكن ، وشعور بالمسؤولية وارواء لغريزة الابوة والامومة ، وللرغبات الجنسية أيضا . ولذلك كان حث الاسلام على الزواج ، وأمره بتيسيره — من جهة — ومنعه أولياء النسوة الراغبات فيه : ان يعضلوهن من جهة ثانية ، وأباحته تعدد الزوجات من جهة ثالثة ، ثم اباحته للطلاق بين زوجين متنافرين ليجد كل منهما رفيقا آخر يرضى عنه — من جهة رابعة — وشرع آدابا للاسرة تحميها من العبث والفساد والتمزق من جهة خامسة . والغاية التى يرمى اليها الاسلام ، من وراء ذلك كله : هى أن يستقر الرجال والنساء فى أسر متعاطفة متعاونة ، فيستقر بذلك المجتمع كله بعيدا عن فوضى الغرائز ، وعبث الشهوات ، آمنا من تشرد الاطفال ، وتهدم البيوت .

والزواج — فى نظر الاسلام — مع ما سبق : رباط مقدس ، وعقد بين الزوجين محترم ، يلتزم كل طرف منهما فيه بواجب شريف نحو الآخر . وحتى يكون هذا الرباط الزوجى الوثيق بعيدا عن الظنون والفتن ، لا تحوم حوله شبهة فى صهر ، ولا تهمة فى نسب ، ولئلا تكون المرأة — من ناحية أخرى — فى مقتضى هذا العقدالزوجى مجرد وسيلة للاستمتاع الجنسى وحده .. جاء التوجيه النبوى : (أعلنوا هذا الزواج ، واجعلوه فى المساجد) وذلك ليعلم الناس — عيانا او سماعا — أن فلانة زوجة لفلان ، وليعلموا كذلك ما نسل منهما من أولاد وأحفاد .

وجاءت — أيضا — الاحكام والشروط الاسلامية لصحة الزواج ، التى تكفل سلامته ابتداء ، وامانته انتهاء ، واستقراره بين ذلك : من ذلك — مثلا لا حصرا — :

● خلو المرأة من موانع عديدة مؤبدة ومؤقتة .. كحرمة الزواج بالامهات وان علون ، والبنات وان نزلن ، وبالاخوات والعمات والخالات ، وبنات الاخ وبنات الاخت . وحرمة الجمع بين الاختين ، ونكاح امراة الأب وزوجة الابن . وقد شمل التحريم القريبات من الارضاع مثل اولائك القريبات من النسب على سواء .

● كما حرم الاسلام — مؤقتا — نكاح الحامل حتى تضع ، والمعتدة حتى تستبرىء .

● واشترط الاسلام لصحة الزواج : ان يعرض ولى المراة زواجها على خاطبها قولا ، وان يقبلها الزوج قولا كذلك ، وان يشهد على العقد شاهدان .

● وأقر الاسلام رضا المرأة واذنها ، فلا تكره على زوج لا تريده لكبر سنه او سوء خلقه — كما أقر ما قد يشترطه الزوجان احدهما فى الآخر من تكافىء أو تقارب فى العلم والنسب والدين والحرية والصلاح والمال والعمر . وذلك ليقوم الزواج بينهما ، وتنشأ الاسرة منهما : على أساس قوى من الرضاء والصفاء .

● كما اباح الاسلام للمراة ـ باعتبارها فى المفهوم العام تابعـــة للرجل ، وهو قوام عليها ـ ان تشترط فى عقد الزوجية اذا شاءت : الا ينقلها من بلدها ، أو لا يتزوج عليها بأخرى ، أو تكون عصمتها بيدها .. وغير ذلك من اشتراطات لا تتعارض ومقاصد الزواج . فاذا نكث الزوج عما عاهد عليه الزوجة كان لها الخيار بين ان تفسخ نكاحها منه او تبقى معه (٥) .

● واوجب الاسلام على الرجل الانفاق على زوجته واولاده ، مهمـــا كانت الزوجة غنية ، وكان هو فقيرا او مريضا او لا اربة له فيها . ومن حق الزوجة ان تشترط سكنا خاصا منفردا عن اهل زوجهـــا او زوجـــاته الاخـــريات .

***

● ولـــا كانت (الاسرة) لا تعنى الزوجين واولادهما فحسب بـــل تشـــمل الآباء والأمهات والاجداد والاحفاد والأقرباء الآخرين ، فقد شرع الاسلام (للنفقات) نظاما فريدا فى احكامه والزامه بحيث يشعر ســـيد الاسرة بمسؤوليته تجاه اعضاء اسرته ، كما يشعرون هم ـ فى ظله ـ بأنهم فى مأمن من الاحتياج والضياع .

ان الاسلام يريد وئام (الاسرة) وامتدادها .. لذلك اكد واجب البر بالآباء والامهات ، على أولادهم بنين وبنات ، تأكيدا جعله قرينا للايمان بالله وتوحيد عبادته : « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم : الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا (٦) » وقوله سبحانه « وقضى ربك : الا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا » (٧) .

وزيادة فى تقوية روابط الاسرة يعتبر الاسلام الاجداد والجدات بمنزلة الآباء والامهات ، من حيث الرعاية والانفاق . وحتى اذا افتقد (المحتاج) من ينفق عليه من أب وان عـــلا او ابن وان نـــزل ، فان اخوته مطالبون ـ فى التشريع الاسلامى للاسرة ـ بأن يسدوا خلته ، ويصونوا كرامته ، ويكفوا وجهه عن مذلة السؤال .

ولا يفوتنا ـ هنـــا ـ ان الامم غير الاسلامية ، لافتقارها الى مثل التشريع الاسلامى الانسانى .. تجعل فى عامها يوما تسميه (يوم الام) لتذكر الابنـــاء من ذكور واناث بفضل أمهاتهم عليهم ، وتستهديهم لهن العطايا والهدايا ، دون الآباء فان فضلهم عند هذه الامم غير مذكور . أما الاسلام فانه بتشريعه الحكيم الرحيم يدعو المسلم كل يوم الى بر ابيه وامه معا ، ويذكره دائما بمتاعبهما فى حمله ورضاعه ، وتربيته والانفاق عليه : « اما يبلغن عندك الكبر أحدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جنـــاح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » (٨) .

والانفاق على الاولاد ـ اطعاما وكساء وايواء وتعليما حتى يكتسبوا ـ امر مقرر طبعا ومسن شرعا ، شأنه فى طبيعته وشرعيته شأن الانفاق على الآباء والامهات . والوصايا فى القرآن والسنة النبوية ـ علاوة على ذلك ـ كثيرة تفجر أقسى الافئدة : عطفا وبرا بالوالدين .

***

الاسرة في التوجيه القرآني

اهتم القرآن الكريم (بالاسرة) نشأة ومكانة واثرا — اهتماما كبيرا ، وسوف نكتفى بذكر الآيات دون شرح لها او تعليق عليها ، لان مجال الحديث هنا عن الاسرة لا يتسع لهذا التفصيل ، ولان الآيات ذاتها واضحة لفظا ومعنى — يقول الله عز وجل :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. »

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. »

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم .. »

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة .. »

« ووصينا الانسان بوالديه احسانا .. »

« .. فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما .. »

« واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا .. »

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل .. »

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة »

« .. وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف .. »

« وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .. »

« يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء .. ثلاث عورات لكم .. »

وغير ذلك من توجيهات قرآنية تعرضت لشؤون الاسرة من إرث ووصية وطلاق وارتجاع ، وغض للأبصار وحفظ للفروج ، وعدم ابداء زينة النساء الا لمحارمهن ، وكل ذلك لوقاية الاسرة من التصدع والانهيار .

الاسرة في التوجيه النبوى

ونذكر الآن — بايجاز — الاهتمام النبوى بنشأة الاسرة المسلمة ، وحمايتها من التمزق ، لان فى صلاح الازواج صلاح ذريتهم ، وبالتالى : صلاح المجتمع كله .

يقول صلى الله عليه وسلم :

« تزوجوا الولود الودود ، فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة »

— تنكح المرأة لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »

« لأمة سوداء ذات دين أفضل »

« أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » (٩)

« ان أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج »

« خياركم خياركم لأهله .. »
« من أفسد امرأة على زوجها فليس منا » .
« بروا آباءكم تبركم أبناؤكم » .
« لعن الله من استعق ولده » .

آداب الاسرة فى الاسلام

وتأكيدا لقولنا آنفا : ان الاسرة كيان اجتماعى يراد له الامتداد والسعة والخلود نثبت هنا بعض (الآداب) التى أدب بها الاسلام كلا من الرجل والمرأة فى نطاق الزوجية المقدس ، ليبقى ظل البيت عليهما باردا كريما ، وليبقى حماه مصونا ، وبنيانه غير منهار :

(١) على الوالدين — أى الزوجين — فى منهاج الاسرة الاسلامي : ان يتشاوروا ويتراضيا فى أمور أطفالهما رضاعا وتأديبا ..

(٢) على الزوج الا يتيح لزوجته الفرص لمجالسة غير المحارم من أهله وأهلها ، منعا للافتتان والافساد . فقد أثمر الاختلاط المحرم بين الاسر ، وما يجرى فيه من تكشف نسائها على رجالها ، وتبادل الاسماء وأحاديث اللهو بينهم وبينهن — اثمر حب امرأة لغير زوجها ، واعجاب رجل بغير زوجته ، ثم اغراء بالطلاق ، ووعد بالزواج .. على أنقاض بيوت تنهدم ، وأطفال يشردون !

(٣) وضع الاسلام سياجا بين الزوجين — فى فترات الاختلاء ونزع الرداء — وبين الذين يعيشون معهما من أولاد وخدم وأتباع ، لئلا يطلعوا على ما بينهما من عورات وأسرار قد تغرى بالفتنة والعبث بين خادم بمخدومته ، أو بين مخدوم بخادمته .

(٤) منع الاسلام أن تتزين المرأة وتتعطر لغير زوجها ، ووصف الحديث النبوى المرأة التى تتعطر ليجد الناس ريحها بأنها (زانية) .

(٥) ووجه الاسلام الرجل اذا أعجبه شيء من امرأة أجنبية : أن يفزع الى أهله « فان معها مثل الذى معها » !

(٥) ولكى تتوثق الاواصر بين الاسر المتقاربة والمتزاوجة — أوصى الاسلام بصلة الرحم تزاورا وتعاطفا وتصدقا وبرا .

(٦) كما منع الاسلام المرأة من أن تأذن لاحد فى بيت زوجها ، وهو كاره . والا تخرج وهو كاره.والا يتحدث احدهما الى الناس بسر صاحبه .

(٧) وبالنسبة للآباء والابناء وجه الحديث النبوى — كما وجه القرآن من قبل — الى وجوب طاعة الابناء والبنات ، لآبائهم وامهاتهم ، وبرهم لهم ، واحسانهم اليهم ، كما أوصى الآباء والامهات — من جهة اخرى — برحمة أولادهم ، والاهتمام بتربيتهم وتعليمهم ، وتنشئتهم على الدين القويم : (ما نحل والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن) .

اخطاء فى الاسرة المسلمة

ونختم هذه الدراسة القصيرة عن الاسرة باشارة موجزة الى بعض (الاخطاء) التى تسربت الى بيوتنا الاسلامية ، رجاء فى التنبه لها وتصحيحها

لتعود أسرنا وبيوتنا اسلامية حقــا :

● اكراه الآباء لبناتهم على التزوج بمن يكرهن . وقد منع الاسلام ذلك كما جاء فى حديث الفتاة التى شكت الى الرسول صلى الله عليــه وسلم : « ان أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع لى خسيسته وانا كارهة » فأحضر الرسول أباها وجعل الامر اليها . ولكن الفتاة كانت ذكية رضية فقالت : (يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى . ولكنى أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من الامر شىء) .

● اهمال الامهات لارضاع أولادهن من ثديهن ، والاعتماد على التغذية الصناعية ـــ أو تسليمهم الى المحاضن العــامة والمربيات الاجنبيات ، مما أوهن علائق الاسرة ، وأضعف ارتباط الابناء بآبائهم وامهاتهم ، كما اعترف بذلك علماء التربية والباحثون فى شؤون النساء والاطفال (١٠) .

● ومن المفاسد التى طرأت على الاسرة المسلمة : ظاهرة الاختــلاط بين الجنسين ، بدعوى ان ذلك من أجل ايجاد تفاهم وتعارف بينهما خطبة وزواج ـــ وهو فى الواقع كما تشهد حضارة الغرب : فتنة وفساد كبير . وقد اعترفت بذلك صحف امريكا ومجلاتها (١١) .

● اتخاذ (المرأة) لصاقة ذباب .. بنشر صورها العارية الكاسية مجلبة لانظار الجماهير وأفكارهم ، وذلك فى الاعلانات التجــارية التى تخصها والتى لا تخصها على سواء فأنت تراها فى اعــلانات الساعات والسيارات ـــ والادوية ـــ والاشربة ـــ والسجائر ـــ ومعاجين الاسنان ـــ والثلاجات ـــ والدراجات الخ . ومع ذلك يزعم (النسائيون) أنهــم يطالبون بحرية المرأة وكرامتها ومساواتها بالرجل زورا وبهتانا ، وهــم يهينونها ويجعلونها (لصاقة ذباب) ومجلبة زبائن ، ووسيلة تكســب وارتزاق !!

❋ ❋ ❋

وبعد .. فهذا موجز عن (الاسرة) كما يريدها الاسلام ، لا كما أرادتها الحضارة الغربية المعاصرة . والموضوع مهم ويتسع لبحث طويل ، بــل لكتاب كامل ، ولكن ما اثبتناه يكفى للعظة والاعتبار ، وللافتخار ايضا .. لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) الدكتور محمد طه الجاسر / مجلة (المسلمون) / ١٣٨٢ هـ

(٢) أليكسس كاريل / فى كتابه « الانسان ذلك المجهول »

(٣) الآية ٢١ من سورة الروم

(٤) الآية ٢٣٥ من سورة البقرة

(٥) فى التوجيه النبوى : (المؤمنون عند شروطهم الا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا) ولان أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج)

(٦) الآية ١٥١ من سورة الانعام

(٧) الآية ٢٣ من سورة الاسراء

(٨) الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة الاسراء

(٩) من قوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة بن شعبة عندما خطب فتاة ولم ينظر اليها .

(١٠) عن كتاب (اطفال بلا اسر) لمؤلفة اوروبية

(١١) نيويورك هيرالد تريبون / ١٩٦٢

الأسرة والمشكلات الاجتماعية للمجتمع

للاستاذ : محمد همام الهاشمى

تقديـــــم :

من الحقائق الثابتة التى لا تحتاج الى مزيد من التأكيد أن الأسرة هي النواة والخلية الاساسية فى المجتمع الانسانى . وذلك ما تثبته التجربة التاريخية . فما من مجتمع انسانى استطاع أن يستغنى عن هذا التنظيم الاجتماعى الــذى ينظم العلاقة بين الرجل والمرأة ، ويسمح لهذه العلاقة المشروعة أن تؤتى ثمارها ذرية تتجدد بها حياة المجتمع ، ويتوارث أعضاؤها حضارته جيلا بعد جيــل ، ذلك أن وظيفة الأسرة لا تقتصر على مجرد اشباع الاحتياجــــات الجنسية والعاطفيــة للزوجين ، ولكنها الى جانب ذلك تنشىء وتربى وتحتضن النشء وترعاه وتؤصل فيه من القيم والمثل ما يحفظ على المجتمع استمراره وتطوره ، كل ذلــك عــن طواطية تصدر عن الفطرة .. فطرة الله التى فطر الناس عليها إعمارا للكــون

واستمرارا للجنس البشرى . ولو لم تكن الروابط الأسرية صادرة عن الفطرة الكامنة فى الطبيعة البشرية لاستطاعت المحاولات المتكررة من — تربوية وثورية — على مر التاريخ ان تقضى عليها . فقد نشأ من النظم السياسية منذ القدم ما حاول استقطاب ولاء الفرد للدولة عن طريق إبعاده عن الانتماء الى أى ولاء آخر ... ومن ثم فلم يكن للاسرة دور فى جمهورية أفلاطون .. وخصوصا بين الطبقة العليا المختارة والمهيأة لقيادة المجتمع .. وهذا هو موقف الرفض الكامل لمفهوم الأسرة الذى يعتمد على خصوصية العلاقة بين زوج وزوجة وأولادهما .. وعلى مر التاريخ حاولت بعض الفلسفات والنظم السياسية أن تجتذب الولاء من نطاق العلاقات الأسرية كالمزدكية فى القديم والنازية والشيوعية فى التاريخ الحديث .. وهكذا أثبت التاريخ أن كل فلسفة تعتبر أن الولاء المطلق للدولة ذو أهمية خاصة كانت تقلل من شأن الأسرة بأن تضعف من الرباط الوثيق الخاص الذى يربط أفرادها ببعضهم البعض .

والعجيب أنه ما أن تخف حدة الضغوط المذهبية أو السياسية حتى تعود العلاقات الأسرية الى سابق عهدها ، مع ما تخلفه هذه الضغوط عادة من صعوبات ومشكلات يعانى منها النشء الذى تربى فى ظل هذا الانفصال من اختلال عاطفى وتحجر فى الأحاسيس والمشاعر .

ومن هنا كان القول بأن دور الأسرة ووظيفتها بالنسبة لأعضائها وبالنسبة للمجتمع يزيد أضعافا مضاعفة عن دور ووظيفة أى عضو من أعضائها منفردا .
من أجل ذلك اجمع علماء الاجتماع على أن الأسرة هى أهم النظم الاجتماعية بل هى قاعدة كل النظم الاجتماعية الأخرى .. وعلى هذا الاساس كان النظر الى العلاقة الوثيقة بين الأسرة والمجتمع من حيث تأثر كل منهما بما يصيب الآخر من تغير أو تحول — نتيجة لظروف وأوضاع أيهما أو كليهما .. واصبح هذا المقياس من وسائل تحليل الظواهر والمشكلات الاجتماعية فى المجتمع .

ولعل أوضح دليل على ذلك ما نستمع اليه ونقراه من صيحات التحذير التى ترتفع بين آن وآخر من الباحثين والاخصائيين الاجتماعيين والنفسيين فى المجتمعات الغربية — تحذر وتنذر وتوجه الانظار الى خطورة ما أصاب الأسرة الغربية من تفكك يهدد بالقضاء على المجتمع بأسره .. وقد تعدت هذه الصيحات نطاق البحوث والكتب والدوريات المتخصصة الى المجلات العامة . فقد صدر مثلا عدد خاص من مجلة تايم الأمريكية فى ٢٨ ديسمبر ١٩٧٠ وهى تحمل على غلافها صورة رجل وامرأة وأولادهما وكتب تحتها بعنوان بارز — الأسرة الامريكية .. الى أين ؟

لقد جندت المجلة لبحث موضوع الأسرة الامريكية أكفأ باحثيها وخصصت هذا العدد من المجلة لدراسة هذا الموضوع .. تقول المجلة : إن الأسرة الامريكية غارقة فى شتى ضروب المشاكل الاجتماعية بما أصبح يهدد مستقبل الأمة الأمريكية بأسرها وأوردت المجلة أن هذا التقييم الخطير هو حصيلة ما انتهت اليه دراسات وبحوث أربعة آلاف من المتخصصين فى شئون الأسرة والطفولة الذين اجتمعوا مؤخرا فى البيت الأبيض . وذكرت المجلة أن من أهم التوصيات التى انتهى اليها هذا المؤتمر بناء على الأبحاث والدراسات التى نوقشت خلال اجتماعاتهم هو مناشدة الرئيس الأمريكى اقامة معهد يسمى « المعهد الوطنى لشئون الأسرة »

يعمل من خلاله المربون والاجتماعيون والنفسيون على تلافى اسباب التدهــــور السريع الذى تنحدر اليه الأسرة الأمريكية .

وفى هذا العدد من مجلة تايم الأمريكية تتساءل مرجريت ميد فى عجب .. وهى من أشهر علماء الانتروبولوجيا فى العالم المعاصر : هل تبقى الأسرة كوحدة اجتماعية بعد كل ما أصابها من انحلال ؟ ويرد عليها ريتشارد فارسون بغير تردد، مؤكدا بأنه لم تعد للأسرة الآن وظيفة ولم تعد بالضرورة الوحدة الاساسية فــى المجتمع ويحذر بول يوبينو مؤسس المعهد الأمريكى للعلاقات الأسرية بأن تحلــل الأسرة ينتهى الى تحلل المجتمع بأسره . ويضيف غيره فى نفس عدد المجلة بأن هذا هو ما حدث بالفعل فى أثينا فى القرن الذى أعقب الحرب البولونيزية ، وفى روما فى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد .

ومن العجيب ــ كما يذكر فريدمان فى كتابه عن القانون والمجتمع ــ أنــه بالرغم مما يصدر عن الدراسات الاجتماعية والنفسية من صيحات التحذير فى المجتمع الغربى ــ وما تطالب به الدراسات من اعادة النظر فى جميع السياسات والنظم التي أوصلت الأسرة والشباب الى ما انحدرت اليه ، وما توصى به مــن وسائل تعمل على اعادة التماسك والتراحم والتكافل والتعاون بين أفراد الأسرة وأجيالها وبينها وبين مؤسسات ونظم المجتمعات الغربية عن طريق مساعدتها فى مواجهة مشكلاتها المزمنة والطارئة .

تقول أنه من العجيب انه بالرغم من كل ذلك ــ فان الأسرة الشرقية عامة والغربية على وجه الخصوص تتهافت على تقليد الانماط الحضارية للأسرة الغربية ــ وتفسير ذلك عند فريدمان أن هذه الانماط تكتسب شعبية فى البلاد الشرقيــة نتيجة لما ران عليها من جمود خلال قرون عدة جعلتهــا تحاول أن تتمثــل انماط الحضارة الغربية بعد أن كيفت الأسرة حياتها مع المستويات والمفاهيم الغربية .

لا نريد من ذلك أن نتشفى فيما تواجهه الأسرة الغربية من شقاء وما يشعر الفرد فى نطاقها من ضياع ــ وخاصة ما يتصل بالجيل الجديد ــ ولكننا نريد أن نستفيد العبرة من تجربة تطبيق هذه المبادىء والافكار التى نتطلع الى تقليدها حتى لا ننزلق ــ تدريجيا الى ما وصلوا اليه ــ وأن نراجع مفاهيمنــا وسياساتنــــا الاجتماعية على ضوء ما تؤدي اليه من آثار ونتائج تهدد نظاما اجتماعيا هو اقدس وأهم النظم التى تقوم عليها أركان مجتمعنا ودعائمه .

الأسرة والمشكلات الاجتماعية :

وحتى تتضح الصورة المتشابكة للعلاقة الوثيقة بين الاسرة والمشــــكلات الاجتماعية فى المجتمع علينا أن نوضح الاهمية الاستراتيجية للاسرة من حيث انها هى التى تقدم للمجتمع لبناته التى تحمل بناءه بالقوة والاحتمال الذى يحتاجه هذا البناء .. فهى تحيط بالفرد طوال حياته ، وهى القــــادرة على توفير الافــراد المسلحين بالمعرفة وبعادات وتقاليد المجتمع ووسائل التعامل والتفاعل فى حياته بالقدر الملائم لتوافقهم الاجتماعى والنفسى .. والاسرة لا تستطيع أن تقــوم بهذا الدور الا بتدعيم المجتمع وتشجيعه باعتباره النظام الاجتماعى الكبير الذى يتلقى ما تقدمه الأسرة وبالتالى يغذى خلاياه الصغيرة .. ومن ثم فيجب أن يكون النظر

الى الأسرة باعتبارها الوسيط بين المجتمع والافراد .. وكلما كان الوسيط موصلا جيدا للحرارة ــ كان التوافق والانسجام افضل بينهما .. واذا فهى تسهم فى خلق المشكلات الاجتماعية ــ كما تسهم فى علاجها والتغلب عليها .. وهنا نجد انفسنا أمام نظريتين مختلفتين .. احداهما تقول ان الاسر المريضة تسهم بنسبة اكبر من حجمها العددي فى المشكلات الاجتماعية فى المجتمع ــ ابتداء من الطلاق وادمان أرباب الاسر أو أعضائها للمسكرات والقمار أو المخدرات الى غير ذلك من الانحرافات التى تصيب بعض الافراد بما يسبب مشاكل البغاء والجريمة وحتى حوادث المرور ، مرورا بالسرقة والغش والتزوير وغيرها ..

أما النظرية الأخرى فتتهم هذه النظرة بأنها تحاول أن تصرف أنظارنا عن الاسباب الحقيقية لهذه المشكلات ، وهى الظروف والاوضاع والنظم الاجتماعية والاقتصادية السائدة فى المجتمع ــ والتى تؤثر بدورها على الأسرة وأفرادها بما يعتبر المنابع الحقيقية لهذه المشكلات ..

واذن فنحن أمام نظريتين : الاولى تعتبر الاسرة مسئولة عن المشكلات الاجتماعية .. **والثانية** تعتبر المجتمع مسئولا عما يصيب الاسرة من مشكلات تمنعها أو تعوقها من أداء وظيفتها لخدمة المجتمع .. والحقيقة أنه لا تناقض حقيقى بين النظريتين لأن كلا منها تكمل الأخرى .. اذ يستحيل الفصل بين الأسرة والمجال الاجتماعى الذى تزاول حياتها فى نطاقه .. وهو بلا شك ذو تأثير بالغ على ما يصيب الأسرة من مشكلات تنعكس بدورها على المشكلات الاجتماعية فى المجتمع ..

وتفصيل ذلك أن المشكلات الاجتماعية تجد منابعها من محصلة التفاعل بين نظم اجتماعية تفرض أنماطا سلوكية معينة .. وبين الافراد والجماعات فى المجتمع ... ومن ثم فمن الطبيعى أن تختلف هذه المشكلات ــ حجما وطابعا ومدى ــ من مكان الى مكان ، ومن زمان الى زمان بتأثير اختلاف الظروف المتداخلة فى أحداث المشكلة .

ومع ذلك ــ فالمجتمع الانسانى والافراد فى كل المجتمعات تجمعهم روابط انسانية معينة ــ فالسلوك الانسانى فى كل مكان يتشابه فى بعض معالمه الاساسية نتيجة لتوحد السمات البيولوجية للانسان أينما كان .. وهذه السمات البيولوجية تتضمن الدوافع والتوترات التى يستشعرها الانسان فى أى مجتمع .. ويؤدى منع الانسان من اشباع الحد الادنى منها الى تهديد استمرار الحياة الانسانية .. ومن ثم كان على هذه السمات البيولوجية ان تجد تنظيمات وترتيبات معينة من جانب الجماعة تستطيع أن تواجه هذه الدوافع والتوترات البيولوجية وتمدها بحد أدنى من الاشباع ــ ضمانا لاستمرار الوجود الانسانى ــ فكان قيام نظام الأسرة فى كل المجتمعات الانسانية لاشباع دوافع الفرد فى العلاقة الجنسية ، والمشاركة الوجدانية ، وتحقيق استمرار الذات عن طريق الانجاب .. كما كانت حاجة المجتمع الى قيام نظام الامن الذى يطمئن الفرد على ماله وعرضه ليستطيع أن يتفرغ لعمله ــ خدمة لاهدافه ولاستمرار المجتمع .. وهكذا فى كل النظم الاجتماعية التى تعتبر ضرورة لاستمرار بقاء أى مجتمع انسانى ــ والتى نجدها بشكل أو بآخر فى كل مجتمع .. لأنها جهود موجهة لاشباع التوترات والدوافع البيولوجية التى يستشعرها الانسان أينما كان .. مع أن هذه النظم

شاملة للمجتمعات جميعا ، الا أنها تنطوى على عادات وتقاليد وقيم تنظم عمليات الاشباع ، ومواجهة الاحتياجات الفردية بالطرق والوسائل التى تتفق مع الظروف الخاصة بالمجتمع ، وبموارده وامكانياته ، وبنظام بنائه الاجتماعى . ومن ثم فهذه العادات والتقاليد والقيم تأخذ أشكالا متعددة بتعدد المجتمعات التى تنشأ فيها بما يسمح بظهور أنماط اجتماعية مختلفة من مجتمع الى مجتمع .. أى انه بالرغم من التشابه الذى نجده فى كل المجتمعات الانسانية — من حيث وجود النظم الاساسية التى تعين الانسان على مواجهة احتياجاته واشباع رغباته (وخصوصا البيولوجية منها) الا أن هذه النظم تختلف مكوناتها من العادات — والتقاليد والقيم والتشريعات — من مكان الى مكان تبعا لاختلاف الظروف البيئية من مجتمع الى مجتمع .. ومن ثم فاننا نستطيع أن نجد تشابها فى بعض المشاكل الاجتماعية كما نستطيع أن نجد اختلافات كذلك .. وكثير من المشكلات الاجتماعية التى كانت تعانى منها المجتمعات القديمة كانت تتشابه لأنها كانت تستمد معينها من الدوافع والتوترات البيولوجية للانسان فى كل مكان .. فالفقر .. والجهل .. والمرض .. والبغاء .. وغيرها كانت جميعا مشكلات توجد فى كل مجتمع انسانى . على اختلاف فى المدى والحجم ، وفى مواجهة المجتمع لها .. ففى ظل بعض النظم الاقتصادية يعيش الفقر المدقع جنبا الى جنب مع الغنى الفاحش ، وترتفع نسب الجريمة ، كما تقع محاولات الهروب من الواقع عن طريق المسكرات والمخدرات .. وفى ظل التخلف العلمى كان المرض يفتك بالآلاف عن طريق الاوبئة والامراض وهكذا .. ومع ذلك فقد استمرت هذه المشكلات الاجتماعية حتى وقتنا الحاضر لأن الظروف المهيأة لها ما زالت مستمرة .. وان كان قد جد عليها الجديد الذى لم يكن معروفا فيما سبق أو كان أضيق نطاقا فى الماضى .

لقد أصبح المجتمع الحديث مطالبا بمواجهة هذه المشكلات التقليدية وتوفير حلول لها مستفيدا بالاكتشافات العلمية والتطبيقات العملية المذهلة التى حققها الانسان فى هذه الحقبة من التاريخ ، وكذلك تحت ضغط تيقظ الآمال الشعبية ، ومطالبة الناس فى كل مكان برفع مستوى المعيشة ونشر التعليم وتوفير الخدمات الصحية .. وهو ما تحقق فعلا فى معظم المجتمعات المتقدمة .. ومن ثم فقد تضاءلت هذه المشكلات لتشغل فى هذه المجتمعات جانبا هامشيا لا يتضح الا فى بعض فئات المجتمع .. وفى أقلياته العنصرية فى أغلب الاحيان :

كما أن نظرة المجتمع الى هذه المشكلات من حيث أسبابها ونتائجها قد تغيرت أيضا — فبدلا من النظر الى الفقر والجهل والمرض والبغاء والجريمة وغيرها باعتبار أن عيوبا فى الافراد هى التى توقعهم فى هذه المشكلات .. تغيرت النظرة بعد ذلك الى البحث عن أسباب هذه المشكلات فى الظروف الاجتماعية باعتبارها تلقى ضغوطا اجتماعية على الفرد ، أو لا تسمح له بتنمية قدراته وامكانياته الانسانية ، أو لا تساعده على التغلب على مشاكله ومواجهة احتياجاته .. ثم تطورت النظرة أخيرا الى أن هذه المشكلات وغيرها محصلة لعوامل ثلاثة : الفرد ، والظروف الاجتماعية ، والحضارة — أى التراث الحضارى — الذى يلقى بظله على حاضر المجتمع سواء من حيث الكيان الاجتماعى ، والنظم الاجتماعية . (ومن ثم يسود الاعتقاد) بأن طبيعة هذه

المشكلات الاقتصادية والصحية والاجتماعية أكبر من قدرة الافراد والمؤسسات الخاصة والجهود التطوعية فى التغلب عليها . وانها تحتاج الى عمل جماعى مشترك من القادة السياسيين ومن المجتمع ككل .. وان على الدولة أن تتدخل لتعديل النظم والتشريعات وتبنى السياسات الاجتماعية التى تتيح تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية ، وتوفير الخدمات التى تسهم فى مواجهة هذه المشكلات .

الأسرة والتغيير الاجتماعى :

واذا كان تدخل الدولة والمجتمع أمرا هاما لمساعدة الاسرة على القيام بدورها وأداء وظيفتها فى المجتمع القديم ... فان هذا التدخل يصبح أمرا أولى بالاهتمام فى ظل التغييرات الاجتماعية العنيفة التى تشهدها المجتمعات المعاصرة .. على أن يكون اهتماما علميا مخططا واعيا بآثار هذه التغييرات التى أثرت فى الأسرة من داخلها أو تحيط بها من خارجها .

ذلك أن تحت وطأة الاتجاه المتزايد لسكنى المدن ، والاقبال على التصنيع والاستفادة من منجزات التكنولوجيا الحديثة شهدت الأسرة الجديدة تغييرات فى حجمها وفى وظائفها وفى نوع العلاقات التى تسود بين أعضائها ، كما تغيرت طبيعة العلاقة بينها وبين المجتمع ..

فقد لاحظ الباحثون أن سكنى المدن الكبيرة والاتجاه الى التصنيع — كسمتين أساسيتين من سمات المجتمع الحديث — قد صاحبهما اتجاه الاسر حجما الى الكيان نتيجة لما تفرضه ظروف الحياة فى المدينة وضيق مساكنها عن استيعاب الاصول والفروع التى كانت تكون العائلة فى المجتمع القديم .. ولأن الدخول تقصر عن اعالة المرضى والمتعطلين وكبار السن ممن لا يسهمون فى ميزانية الأسرة بل يمثلون أعباء اقتصادية على مواردها — فقد تغير مفهوم التكافل الاجتماعى ، والاسرة بتركيبها الجديد أصبحت أكثر تفتحا وأشد تأثرا بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى المجتمع .. ولكنها أصبحت أكثر تعرضا للمشكلات — فمرض الأم أو تعطل الأب يهدد كيانها ، ومن ثم أصبحت أقل استقرارا واطمئنانا وأكثر توترا وقلقا .. واضطرت أن تتنازل عن كثير من وظائفها وواجباتها الى مؤسسات أخرى تتولى عنها تربية النشء وتعليمه والترفيه عنه .. ومن ثم أصبحت الأسرة الصغيرة لا تمارس الضبط الاجتماعى ، كما كانت تمارسه العائلة بحيث أصبحت تعجز عن التدخل فى المصير الذى يتجه اليه أولادها الذين ترعاهم مؤسسات كبيرة قد تختلف عن الأسرة فى اتجاهات اجتماعية وفكرية ..

والمجتمع الحديث — تحت وطأة سكنى المدن والتصنيع — ذو تأثير فى تغيير طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة من حيث حقوق وواجبات اعضائها فى مواجهة بعضهم البعض — فالاقتصاد النقدى الذى يسود المدن اجتذب المرأة الى الخروج الى العمل .. واذ تستقل المرأة اقتصاديا يكون لها ان تطالب بتغيير طبيعة علاقتها بالرجل من التبعية الكاملة الى المشاركة على قدم المساواة ، وانشغالها بعملها يقصر الوقت الذى تقضيه فى رعاية أطفالها — فتضطر أن تعهد بهم الى الخدم أو دور الحضانة أو الجيرة .. مما

يعرضهم الى المعاناة العاطفية نتيجة نقص الحنان الفطرى الذى جبلت عليه قلوب الأمهات .. وتعدد مراكز السلطة داخل الاسرة بين والدين يوقع الاولاد فى حيرة نفسية ، ويشتت عواطفهم ، ويبدد بعضا من أمنهم النفسى الذى كانوا يستمدونه من الأب باعتباره المصدر الاساسى للسلطة. وفى هذا الاطار تكون دراسة دور الأب فى الاسرة ذات أهمية خاصة .. فهو الذى يضع اسرته فى المجتمع .. فمهنته تحدد موقعهم فى النسيج الاجتماعى ، كما تقرر القدر الذى ستحصل عليه الأسرة من احتياجاتها — ففى ظل مجتمع المدنية تؤدى الفروق فى الطبقة والمركز الى فروق فى الرضا والاشباع المادى والاجتماعى والنفسى ، مما ينعكس على دور الأب فى الأسرة .. وعلى علاقاته بزوجته وأولاده .. فالمركز المتدنى قد يثير انفعالات شاذة تتراوح بين التعويض من جانب أو العدوان من جانب آخر .. واحساس الأب بفشله فى شغل المركز الاجتماعى أو المهنى الذى يشعر أنه يستحقه ينعكس على دوره فى الأسرة — ومن هنا كان تفسير بعض الباحثين للشدة الملحوظة من جانب آباء الطبقة الدنيا فى تربية أولادهم .. أو لا مبالاتهم المكلفة بمصير أولادهم ..

فى ظل هذه الظروف المتغيرة فى نطاق الاسرة ذاتها ، أو من حولها — فانها تسعى مضطرة الى التوافق مع الاوضاع والظروف الجديدة التى اخرجتها عما الفته ، وتواضع عليه الآباء والاجداد من عادات وتقاليد وقيم .

ولأن التوافق مع الجديد لا يتم بنفس الدرجة للجميع .
ولأن الجيل القديم يصر على التمسك بما الفه وتعوده .
ولأن الجيل الجديد يقبل على التغيير بتلقائية .

ينشأ ما يسمى بصراع الأجيال داخل الأسرة ، وتهتز القيم والمعايير السلوكية بما يفقدها دورها فى الضبط الاجتماعى وتوجيه الفكر والسلوك — وتتعرض الأسرة والمجتمع الى كثير من المشاكل الفردية والاجتماعية وحالة من التفكك تقتضى التدخل بالعمل الاجتماعى المخطط .. بالتشريع والبرامج والمشروعات لحماية الأسرة : بحيث « يحفظ القانون كيانها ، ويقوى أواصرها ، ويحمى فى ظلها الامومة والطفولة » .

وبعد — فاذا كان التغيير الاجتماعى قدر لا فكاك منه — فى ظل ما يحيط بنا من ظروف عالمية ضاغطة ، وما نتجه اليه بارادتنا من تحضر وتصنيع — فهل ننزلق طواعية الى التسليم بكل ما نحرص عليه من قيم وتقاليد تكافلنا وتراحمنا ؟ ام أن علينا أن نتدخل بالعلم والوعى والبصيرة فنعمل على السيطرة على مسار التغيير ، ونقوده عبر الطريق الذى يخدم تطورنا وتقدمنا — حتى يرتفع البناء لا تعوقه العقبات ، وحتى لا يقضى التطور على اصالتنا وقيمنا .. وحتى لا يسلبنا التقدم المادى المحتوى الحقيقى لحياتنا الانسانية ...

وهذا هو واجب مؤسساتنا التشريعية والتنفيذية ..

بل هو مسئولية المجتمع بكامله ..

مائدة القارئ

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » ..

صدق الله العظيم

اذا صلت المراة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت لها فرجها ، واطاعت زوجها قيل لها ادخلى الجنة من اى الابواب شئت .

حديث نبوى

البيت تدل عليه بناته قبل ان يدل عليه أبناؤه .
لأن الفضل فى نشاتهن كلها للبيت .
من حيث يحسب لغير البيت فضل فى نشأة الابناء .

واجب المراة

اجتمع النساء مرة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وارسلن واحداهن الى الرسول لتقول له :
يا رسول الله : انا وافدة النساء اليك .. هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فان يصيبوا اثيبوا ، وان قتلوا كانوا احياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم ، فمالنا من ذلك الأجر ؟
فاجابها عليه الصلاة والسلام بقوله : ابلغى من لقيت من النساء ان طاعة للزوج واعترافا بحقه يعدل ذلك — يساوى اجر المجاهدين — وقليل منكن من يفعله .

شن وطبقة

شن رجل من عقلاء العرب ، اقسم الا يتزوج الا امراة عاقلة حكيمة فخرج يبحث عنها فوجد رجلا فى الطريق ، فسارا معا ، فقال له شن : اتحملنى أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل أنا راكب وانت راكب ، كيف احملك او تحملنى ، وسارا فوجدا فى الطريق زرعا ناضجا ، فقال شن لصاحبه : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ترى نبتا ناضجا ، فتقول أكل أم لا ، وسارا فلقيتهما جنازة ، فقال شن لرفيقه : أترى صاحب هذا النعش حيا أو ميتا ، فقال له الرجل : ما رأيت أجهل منك ، واستضاف الرجال شنا ، وكان للرجل بنت اسمها طبقة ، فسألته عن ضيفه ، فأخبرها بكل ما كان من شن وأخبرها بانه مغفل جاهل ، فقالت : يا ابت ما هذا بجاهل .

أما قوله : اتحملنى أم احملك ، فأراد اتحدثنى أم أحدثك حتى نقطع طريقنا ، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ، فأراد هل باعه اصحابه ، فاكلوا ثمنه ، أم لا ، وأما قوله فى الجنازة فأراد هل ترك ذرية يحيا بهم ذكره أم لا .

فدخل الرجل على شن ، وقال له : اتحب أن أفسر لك ما سألتنى عنه ؟ قال: نعم ، ففسره فقال شن : ما هذا من كلامك فأخبرنى من صاحبه ؟ قال ابنة لى اسمها طبقة ، فخطبها وتزوجها وحملها الى اهله فقالت العرب وافق شن طبقة وذهبت مثلا لكل اثنين متوافقين ..

ذكاء المراة

كان العرب يخطبون فى المراة سعة الحيلة ، ومضاء الذكاء ، وما أرادوا بذلك الا أن يكون تراثا لبنيها .

روى أن امرأ القيس الكندى اقسم يمينا الا يتزوج أمراة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين ، فجعل يخطب النساء فاذا سألهن عن هذا قالوا : اربعة عشر ، فبينا هو يسير فى جوف الليل اذا برجل مع ابنته ، فاعجبته ، فقال يا جارية : ما ثمانية وأربعة وثنتان ، فقالت : أما ثمانية فاطباء الكلبة ، وأما أربعة فاخلاف الناقة ، وأما ثنتان فثديا المراة ، والاطباء والأخلاف الأثداء وهى حلمات الضرع .

فخطبها الى ابيها .

المراة فى الجهاد :

طويت صحف السير والسنن والتاريخ على كثير من فضليات النساء خرجن فى رفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزواته ليداوين الجرحى ، ويأسون المرضى ، ويسقين الماء ورحن بأجر المجاهدين فى سبيل الله ، ومن هؤلاء :

ام سنان الاسلمية جاءت الى رسول الله وهو خارج الى خيبر ، فقالت :

يا رسول الله اخرج معك فى وجهك هذا ، اخرز السقاء واداوى المريض والجريح ان كانت جراح — ولا تكون — وابصر الرجل .. فقال رسول الله : اخرجى على بركة الله فان لك صواحب قد كلمننى وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم ، فان شئت فمع قومك وان شئت فمعنا ، قلت : معك، قال : فكونى مع ام سلمة زوجتى ، قالت : فكنت معها .

الأئمة الأربعة

مالك . أبو حنيفة . الشافعي . أحمد

لقد كان من لطف الله بهذه الأمة ، وكان من التيسير ، ان قيض لهذه المهمة الجليلة رجالا يعدون من الافذاذ والنوابغ الذين أنجبتهم الانسانية فقها وامانة ، واخلاصا وكفاية . كان منهم هؤلاء الأربعة (ابو حنيفة م ١٥٠ هـ . ومالك م ١٧٩ هـ . والشافعي م ٢٠٤ هـ واحمد بن حنبل م ٢٤١ هـ) الذى قدر لفقههم أن يعيش الى هذا اليوم ويخضع له العالم الاسلامى . وقد فاق هؤلاء فى فهمهم الواسع ، ووقفوا حياتهم واستعملوا مواهبهم بسخاء فى تكوين هذه الثروة الفقهية والقانونية التى لا تعادلها ذخيرة فقهية فى العالم ، والتى لا تزال مرجعا ومادة واسعة للتشريع لهذا العصر . وقد توفر هؤلاء على هذه الخدمة التى تدين لها الأمة ، ويدين لها العالم ، وآثروها على كل راحة ولذة وجاه ومنصب فى الحياة ، وقد خاب ملوك عصرهم وامراؤه . وخابت الأطماع والاغراءات ان تشغل قلوبهم ، او تتوزع عقولهم واوقاتهم ، وقد عرض على ابى حنيفة منصب القضاء الذى كان منصبا كبيرا وشرفا عظيما مرتين فرفض وامتنع ومات فى السجن وقد ضرب مالك مائتى سوط لأجل مسألة جهر بها وخلعت كتفاه . وهى أن طلاق المكره ليس بشىء . وقد قضى الشافعى معظم حياته فى عسر وضنك ، وبذل صحته وقوته فى استنباط الأحكام وتدوين الفقه ، وعارض احمد بن حنبل اتجاه حكومة هى كبرى الحكومات واقواها على ظهر الأرض فى عصره ، ودافع عن السنة والفكر الاسلامى الصحيح حتى عوقب وعذب وضرب وسجن .

وقد انتج كل واحد منهم ثروة علمية ، وخلف تراثا فقهيا ينوء بالمجامع العلمية والمؤسسات الكبيرة فى هذا العصر ، فقد روى ان ابا حنيفة قال ستين الف مسالة . وقال بعضهم ثلاثة وثمانين الفا : ثمانية وثلاثين الفا فى العبادات وخمسة واربعين الفا فى المعاملات . وقد ذكر شمس الائمة الكردرى : ان عدد المسائل التى دونها يبلغ الى ست مائة الف . ومهما كان العدد مبالغا فيه فلا شك انه انتج ثروة فقهية ضخمة هى اساس هذا الفقه الحنفى الذى استطاع أن يحكم المساحة الكبرى فى المملكة الاسلامية ايام ازدهارها ، ويكون دستور مملكة هى ارقى المملكات فى عصرها ، وهى الدولة العباسية .

وكذلك شان مالك فى الفقه ، فكتابه (المدونة) الذى هو مجموعته الفقهية ، تبلغ نحو ستة وثلاثين الف مسالة . وكتاب الأم الذى هو من افادات الشافعى مجموعة فقهية ضخمة تقع فى سبعة اجزاء وقد جمع ابو بكر الخلال (٣١١ هـ) مسائل الامام احمد فى اربعين مجلدا اسماه الجامع لعلوم الامام احمد ..

تلاميذ الائمة الأربعة :

وقد رزق الله هؤلاء الائمة الفقهاء تلاميذ نجباء قاموا بعلمهم وزادوا فى ثروته ، وظلوا يشغلون بتنقيحه وتهذيبه ، وقد رزق الامام ابو حنيفة تلاميذ : مثل القاضى ابى يوسف (م ١٨٢ هـ) الذى استطاع بذكائه النادر ، ومقدرته الفقهية ان يكون قاضى الامبراطورية العباسية العظيمة ، والمشرف الدينى عليها ، وقد الف كتاب الخراج الذى يشهد بسعة علمه ودقة فهمه ، ومحمد بن الحسن (م ١٨٩ هـ) الذى هذب الفقه الحنفى والف مؤلفات لا تزال مصدر الفقه الحنفى . وزفر بن هذيل (م ١٨٥ هـ) الذى عرف بحدة القياس وقوة الحجة .

ورزق الامام مالك تلاميذ عرفوا بحسن الوفاء لشيخهم ، والحرص على نشر مذهبه ، مثل عبد الله بن وهب (م ١٩٧ هـ) وعبد الرحمن بن القاسم العتقى (م ١٩١ هـ) واشهب بن عبد العزيز (م ٢٥٤ هـ) وعبد الله بن عبد الحكم (م ٢١٤ هـ) ويحيى بن يحيى الليثى (م ٢٣٤ هـ) الذين دانت بفضلهم مصر وشمال افريقيا بالفقه المالكى .

ورزق الامام الشافعى مثل البويطى (م ٢٣١ هـ) والمزنى (م ٢٧٠ هـ) فقد دونا الفقه الشافعى وهذباه . وكذلك كان من اتباع الامام احمد مؤلف ومحقق ، مثل ابن قدامة الذى صنف (المغنى) الذى يعد من مفاخر المكتبة الاسلامية الفقهية .

أسرة

من تاريخنا

د. عماد الدين خليل

كثيرة هى الاسر المسلمة التي لعبت دورها فى تاريخنا ... تعاضد آباؤها واخوانها وابناؤها ونساؤها فى انجاز عمل جماعى مبدع ، او صد خطر خارجي داهم ، او مد قيم الاسلام ومعطياته الى اراض جديدة ، وآفاق بعيدة ، ولقد رأينا كيف لعب بنو ارتق (١) دورهم الكبير فى فجر الغزو الصليبى لعالم الاسلام ، وكيف راح الواحد منهم يسلم راية المقاومة الاسلامية للآخر ، فيمضى بها هذا اشواطا الى الامام ، فاذا مات او قتل انتقلت الراية الى التالى . وهكذا جاءت انتصارات « البليخ » ٤٩٧ هـ ، « وساحة الدم » ٥١٣ هـ ، « وسروج » ٥١٦ هـ ، « وخرتبرت » ٥١٧ هـ ، « ومنبج » ٥١٨ هـ ، لتشهد بان اسرة واحدة انجبها تاريخنا يمكن ان تبر بامها المعطاء ، وتفديها عطاء وتضحية وفداء .

وفى هذا العدد الذى يصدر خاصا « بالاسرة » أريد أن استعرض بايجاز جهود أسرة اخرى لعبت دورها المشهور فى العصر نفسه ، فأسهمت فى تعزيز مواقع المقاومة ازاء الغزو الصليبى ، وحملت راية الجهاد عقودا طويلة ، محققة عبرها الانتصار تلو الانتصار ، ومسلمة اياها أخيرا لربيبها واحد ضباطها الابرار : الناصر صلاح الدين .

تلك هى أسرة آل زنكى : الجد والابن والحفيد ... فأما الحفيد « نور الدين محمود » فقد كتب عنه الكثير ، وأما الجد والابن فلم تسلط عليهما الاضواء بما فيه الكفاية ... لذا سيكون هذا المقال عرضا موجزا لما قدماه فى ساحة تاريخنا وحضارتنا (٢) .

اما الجد فهو آق سنقر بن عبد الله آل ترغان الذى ينتمى الى قبائل « السابيو » التركمانية التى قدم بعض ابنائها بصحبة السلاجقة خلال تقدمهم غربا ، وقد حظى آق سنقر هذا اللقب بقسيم الدولة ، والمعروف بالحاجب ، باهتمام المؤرخين بسبب الدور الذى لعبه على مسرح الاحداث السياسية والعسكرية للدولة السلجوقية ، فقد كان مملوكا للسلطان السلجوقى ملكشاه بن الب أرسلان ومن المقربين لديه ، وقد تربى معه ورافقه فى عهدى الطفولة والصبا ، وعندما تولى ملكشاه السلطنة عام ٤٨٥ كان آق سنقر من أعيان امرائه ، واخص أصدقائه ، وقد اعتمد عليه فى كثير من الامور ، فارتفعت منزلته ولقب بقسيم الدولة يوم كانت الالقاب لا تعطى الا لمستحقيها ، ولا توجد اشارة الى المقصود من هذا اللقب ، الا ان تسمية ابن خلكان لآق سنقر بالحاجب ، فضلا عن اشارة بعض المصادر الى كثرة اعتماد ملكشاه عليه فى مهام الامور ، ترجح أن هذا اللقب كان يعنى قيام آق سنقر بمنصب الحجابة ، ومقاسمة ملكشاه شؤون الحكم والادارة .

اشترك آق سنقر الى جانب السلاجقة فى معارك عديدة ، فقد سيره ملكشاه عام ٤٧٧ فى محاولة للاستيلاء على الموصل ، وطرد العقيليين منها ، وقد تمكنا من انجاز هذه المهمة ، وبعد مرور سنتين اشترك مع السلطان ملكشاه فى انتزاع حلب من نواب العقيليين ، فولاه اياها تقديرا لجهوده ، وقد تسلم آق سنقر منصبه فى حلب وأعمالها كمنبج ، واللاذقية ، وكفر طاب ، واستطاع أن يوسع نطاق ولايته بالاستيلاء على حمص عام ٤٨٣ هـ ، وحصن افامية عام ٤٨٤ هـ كما فرض طاعته على صاحب حصن شيزر عام ٤٨١ هـ .

وفى عام ٤٨٥ هـ اشترك مع ملكشاه فى مهاجمة العقيليين والانتصار عليهم قريبا من الموصل .

ظلت علاقة آق سنقر بالسلطان ملكشاه قائمة على الطاعة والتفاهم المشترك ، ولم يسع يوما للخروج على أوامره ، ورفض السلطان — بدوره — الاستجابة لشكاوى معارضى رفيقه القديم ، أو اقرار مساعيهم للتخلص منه ، ولما توفى ملكشاه عام ٤٨٥ هـ تولى الحكم بعده ابنه بركياروق ، ثار عليه عمه تاج الدولة تتش سلطان الشام ، وطالب بالسلطنة لنفسه ، وقد وجد آق سنقر نفسه مضطرا للانضمام اليه ، لعدم امكان مقاومته ، ولان الاخبار باستقرار بركياروق فى السلطنة جاءت متأخرة .

وقد استطاعت قوات تتش والامراء المتحالفين معه الاستيلاء على معظم مدن الجزيرة الفراتية ، ثم اجتاحت الموصل بعد أن انتصرت على العقيليين فى معركة لعب آق سنقر ، دورا رئيسيا فيها ، واتجهت بعد ذلك الى أذربيجان لمجابهة السلطان بركياروق ، وما أن التقى الجيشان حتى ادرك آق سنقر أن عليه الوفاء بعهده لملكشاه ، واستطاع أن يقنع بعض الامراء بذلك ، فانسحبوا جميعا من معسكر تتش وانضموا الى

قوات بركياروق ، الامر الذى فت في عضد تتش فآثر الانسحاب الى الشام .

ما لبث بركياروق ان امر آق سنقر بالتوجه الى حلب لايقاف مطامع عمه ، وامده بقوة من جنده لتحقيق هذا الغرض ، فلما علم تتش بذلك سار على رأس جيشه لمجابهة قائده القديم .[١]

وفى التاسع من جمادى الأولى عام ٤٨٧ هـ التقى الطرفان عند تل السلطان القريب من حلب ، فحاقت الهزيمة بقوات آق سنقر ، وتمكن تتش من أسره وقتله ، ومن ثم اتجه الى حلب واستولى عليها ، وقد استطاع احد مماليك آق سنقر العاملين فى جيش تتش أن يغتال سيده السلجوقى خلال المعركة التى جرت فى العام التالى بينه وبين بركياروق فى بلاد فارس ، فحاقت الهزيمة بقوات تتش واستتب الامر لبركياروق .

انجز آق سنقر — خلال ولايته على حلب أعمالا شتى ، كان اهمها : تمكنه من تحقيق الامن شمالى الشام فى تلك الفترة التى ازداد فيها نشاط قطاع الطرق ، وانتشرت اعمال السلب والنهب ، مما الحق اضرارا بالغة بالزراعة والتجارة هناك ، وقد قام آق سنقر بنفسه « بمطاردة « الحرامية » وقطاع الطريق ، ومخيفى السبيل ، فأوقع بهم ، واستأصل شأفتهم قتلا وأسرا » ٤ وكتب الى سائر عماله يأمرهم بتتبع المفسدين وتوفير الحماية التامة للمسافرين ، وقد بلغ من تشدد آق سنقر ازاء المفسدين أن أمر بصلب عدد منهم على ابواب حلب ليثير الرعب فى قلوب الآخرين ، كما اعلن بأنه سيغرم اهالى أية قرية تتعرض القوافل التجارية المارة بها للنهب ، بمقدار ما سلب من الاموال قلت أم كثرت ، الامر الذى دفع اهالى كل قرية الى بذل جهودهم فى حراسة القوافل التى تمر بهم ، والسهر على امنها حتى تستأنف مسيرها .

عادت هذه السياسة الحازمة التى انتهجها آق سنقر بنتائج هامة على المنطقة اذ ساد الاطمئنان وأمنت الطرق ، وانتشر العمران ، فانتعشت التجارة ، وازداد دخل البلاد بالواردين اليها بالبضائع من جميع الجهات والاقطار ، ورخصت الاسعار ، وقد بلغ من سيطرة آق سنقر على الامن فى قرى حلب وضياعها ان ارسل من ينادى فيها أن لا يغلق احد بابه ، وأن يتركوا آلاتهم الزراعية فى اماكنها ليلا ونهارا .

اتبع آق سنقر مع سكان ولايته سياسة عادلة ، فأحسن السيرة فيهم ، ونشر العدل بينهم ، وكان شديد التقوى ، عميق الايمان ، أنفق الكثير من الاموال على اعمار مسجد حلب ، وأقام الحدود الشرعية فى بلاده ، وكان كما وصفه ابن واصل الحموى ، « ذا وفاء عظيم ، وحسن عهد ، ومروءة غزيرة ، وانما كان قتله وفاء لسلطانه ، ورب نعمته ملكشاه ، وحفظا لولده — بركياروق من بعده » .؟

● ● ●

واما ابنه عماد الدين زنكى الذى انتقل الى الموصل ، لكى ينال هناك الحظوة والرعاية على يد أصدقاء أبيه من ولاة السلاجقة ، فسرعان ما وجد نفسه أميرا فارسا بطلا يشار اليه بالبنان ، وكأنه كان على موعد مع حركة التاريخ ، ذلك أن نجمه لمع فى قلب الظلمة التى غطى بها الغزو الصليبى مساحات واسعة من عالم الاسلام .

كان هؤلاء الغـــزاة قد تمكنوا هنـــاك فى فترة لا تزيـــد عن العقـــد « ٤٨٩ — ٤٩٨ » ه ، وأنشأوا اماراتهم الاربع — الرها ، انطاكيا ، بيت المقدس ، وطرابلس — التى أصبحت تشكل خطرا بالغا على بقية المواقع الاسلامية فى المنطقة ، وأخذ ذلك الخطر يزداد يوما بعد يـوم بسـبب ما كانت تعانيه القوى الاسلامية آنذاك ، من ضعف وتنازع ، فالخلافتان العباسية والفاطمية ، كانتا أضعف من أن تقفا بوجه هذا الزحف الجديد ، أما السلاجقـــة فقد بددوا قواهم فى الصراع على السلطة .

ولم يبق لتحمل عبء القتال ضد الصليبيين سوى الامراء المحليين فى الجزيرة والشام ، لكن التنافس بين هؤلاء كان يعرقـــل فى كثير من الاحيان نجاح أى مشروع لطرد الغزاة .

وهكذا غدت الظروف السياسية والعسكرية فى الجزيرة والشام تحتم ظهور امير قوى يتمكن من القضاء على تناحر الامـــراء المحليين ، وتوحيد اماراتهم فى جبهة اسلامية واحدة بمقدورها التصدى للصليبيين ، وقد قدر لعماد الدين زنكى أن يقوم بهذا الـــدور بعد أن ولاه السلطان محمود السلجوقى حكم الموصل والجزيرة ، وما يفتتحه من بلاد الشام عام ٥٢١ ه نظرا لقوة شخصيته وشجاعته ومواقفه السابقة فى القتال ضد الصليبيين ، عندما كان يعمل تحت امرة ولاة الموصل طيلة الفترة بين ٥٠٥ و ٥١٤ ه حيث اشترك معهم فى معظم حروبهم فى هـــذا المجال ، وقد جاءت هذه التولية نصرا هاما للمسلمين فى صراعهم ضد أعدائهم ، ومبدأ عهد جديد فى تجميع قوى المقاومة الاسلامية والانتقال مـــن خطوط الدفاع الى مواقع الهجـــوم .

لم يشأ زنكى الاشتباك مع الصليبيين منذ البداية ، ورأى أن يسعى اولا الى تثبيت امارته الجديدة ، وتعزيز امكانياتها الاقتصادية والعسكرية ، وتوحيد ما يمكن توحيده من الامارات الصغيرة المتناثـــرة التى تحيط بهـــا من كل مكان ، وتشكل عوائق أمام اية خطـــة يستهدف من ورائها اعلان الجهاد العـــام ضد الاعـــداء ، اذ كانت المصالح الخاصة لامرائهـــــا ، والمنافسات المستمرة فيما بينهم تمنع تشكيل حلف متماسك بوجه الصليبيين .

ومن ثم قام زنكى بمراسلة جوسلين أمير الرها ، وعقد معه هدنة مؤقتة « يعلم انه يفرغ فيها من الاستيلاء على ما بقى له من البلاد ، واصلاح شأنها ، والفراغ من اقطاع بلادها لجنـــد يختبرهم ، ويعـــرف نصحهم وشجاعتهم » . ويبدو أن المشاكل التى جابهت جوسلين اضطرته الى قبول هدنة لصالح غريمه المسلم .

كان هدف زنكى الاول ، اثر عقد الهدنة ، هو الاستيلاء على حلب ، واتخاذها نقطـــة انطلاق له فى بلاد الشام ، وعندما دخلها فى العـــام التالـــى (٥٢٢ ه) لقى ترحيبا بالغا من أهاليها الذين خرجوا لاستقباله فى تظاهرة عبروا خلالها عن فرحهم بالامير الذى جاء لتخليصهم من تهـــديد الصليبيين الدائم لهم ، ومما كانوا يقومون به من تخريب لا حد له على مـــدى المناطق الزراعية المحيطـــة بمدينتهم ، وانطلق زنكى بعد ذلـــك لاكتساح ما كان يقف فى طريقه ، من حصون مستقلة ، وامارات محلية ، منتهزا فرصة هدنته مع جوسلين ، ساعيا الى توسيع حـــدود امارته فى شتى الاتجاهات .

وعند حلول عام ٥٢٤ هـ كان زنكى قد انهى الكثير من مشاكله فـــى المناطق الاسلامية ، كما كانتَ هدنته مع جوسلين قد انتهت ، فقرر البدء بالهجـــوم على المواقع الصليبية مستهدفا أشدها قربا وخطرا على كيانه السياسى فى حلب ، ولم يكن غير حصن الاثارب المجاور ذلك الهدف ، بسبب ما كان يلحقه من اضرار بفلاحى المنطقة من المسلمين ، وكان من فيه من الصليبيين يقاسمون سكان حلب كافة قراها ومزارعهـــا الغربية ، ويقومون بغارات مستمرة عليهم ، وقد جمعوا فيه خيرة فرسانهم نظرا لخطورة موقعه ، وأهميته بالنسبة لاهدافهم فى المنطقة .

اتجه زنكى الى هـــذا الحصن وفرض الحصار عليه ، فلما علم صليبيو الشام بذلك حشدوا قواتهم فى كل مكان ، وشكلوا جيشا ضخما اتجهوا به لقتال زنكى ، فاستشار هـــذا أصحابه وقادته فيما يعمل ، فأجمعوا أمرهم على الانسحاب وترك الحصن ، لان لقاء الصليبيين فى بلادهم مجازفة غير مأمونة العواقب ، الا أنه اجابهم : « ان الفرنج متى رأونا قد عدنا من بين ايديهم ، طمعوا وساروا فى أثرنا ، وخربوا بلادنا ، ولا بد من لقائهم على كل حال » ومن ثم سار للقائهم بعيدا عن الاثارب وجرت بين الطرفين معركة قاسية انتهت بانتصار المسلمين ، وقتل وأسر عدد كبير من الاعداء . ثم ما لبث زنكى أن اتجه الى الحصن وفتحه عنوة ، وقتل وأسر معظم أفراد حاميته ، ثم أمر بتخريب تحصيناته ، وكيلا يكون الموقع عرضة لتهديد مستمر من قبل الصليبيين ، وتقدم من هناك الى (حارم) الواقعـــة على طريق انطاكية وضرب عليها الحصار ، فبذل له أهلها نصف دخل بلدهم والتمسوا مهادنته ، فأجابهم الى ذلك وقفل عائدا الى حلب .

وقد اشار ابن الاثير الى نتيجة من أهم نتائج معركة الاثـــارب ، وهى : ان الاحداث فى الشام أخذت تتجه اتجاها جديدا لصالح المسلمين ، الامر الذى جعل الصليبيين يدركون أن عليهم مجابهة قوة جديدة لم تكن فى حسابهم ، ويحولون خططهم العسكرية من الهجوم الى الدفاع ، بعد أن كانوا « قد طمعوا فى ملك الجميع » !!

انشغل زنكى طيلة السنوات الاربع التالية (٥٢٥ ــ ٥٢٨ هـ) بتنظيم شؤون امارته وتوسيعها ولم يستطع أن يوجه اهتمامه الى الصليبيين رغم المنازعات التى نشبت بينهم اثر وفاة (بلدوين الثانى) أمير انطاكية عـــام ٥٢٥ هـ .

وفى عام ٥٢٩ هـ اتيحت له الفرصة ثانية لتحقيق انتصارات جديدة فى بلاد الشام ، حيث قام بمهاجمة عدد من المواقع الصليبية المحيطة بحلب ، والتى كانت تهددها باستمرار ــ فضلا عن كونها الخط الدفاعى الذى يحمى انطاكية من هجمات المسلمين ، وتمكن من الاستيلاء علـــى خمسة منها .

ادت هذه الانتصارات التى حققها زنكى ضد الصليبيين الى تنبيههم الى تزايد خطره على ممتلكاتهم فى الشام ، والى ضرورة توجيه ضربـــة حاسمة اليه ، وراحوا يتحينون الفرصة المواتية لانزال هذه الضربة ، وبعد عامين ، وحينما كان منهمكا فى حصاره لمدينة حمص التابعة لامارة دمشق قامـــوا بحشد جيش كبير تقدمـــوا بـــه مسرعين لمباغتة زنكى والقضاء عليه ، وكسب حكام دمشق الى جانبهم ، وعندما سمع زنكى

بذلك سار للقائهم بعيدا عن حمص كيلا يوقــع نفسه فى شقى الرحــا بينهم وبين الحمصيين ، ورأى أن خير وسيلة يستدرج بها الصليبيين اليه وتتيح له فى نفس الوقت تولى زمـــام المبادرة بنفسه ، هو أن يظهر عزمه على مهاجمة حصن بعرين الصليبى القريب .

وما أن بدأ زحفــه صوب ذلك المــوقع حتى تقدم اليه الصليبيون بقيادة كل من فولك ملك بيت المقدس ، وريموند كونت طرابلس ، ودارت بين الطرفين معركة شديدة انتهت بانتصار المسلمين ، وقتل وأسر عدد كبير من جند العدو وأمرائه وقادته ، كان ريموند من بينهم ، أما فولك فقد تمكن من الهروب الى حصن بعرين .

ما لبث زنكى أن تقدم نحو الحصن وفرض عليه حصارا شديدا ، بينما اتجه عدد من المنهزمين من المعركة الى بــلاد البيزنطيين وأوربا ، طالبين النجدة من أبناء العالم المسيحى وأمرائه قائلين لهم ان زنكى اذا ما تمكن من الاستيلاء على بعرين ، سهلت عليه السيطرة على بقية المواقع الصليبية فى الشام لعدم وجود من يدافع عنها ، فجمع المسيحيون جيشا كبيرا من الصليبيين والبيزنطيين وساروا لنجدة الحصن ، الا ان زنكى كان قد عزله عن العالم الخارجى ومنع عنه تسلل الاخبار ، كما أن تشديده الحصار على هــذا الموقع أدى الىتناقص الميرة والذخيرة فيه ، الامر الذى اضطر اصحابه الى طلب الصلح ، فأجابهم زنكى اليه بعد أن علم بتقدم الاعداء لنجدته وتسلم الحصن .

بعد أن أخفقت حملة الروم والصـــــليبيين التى قادها الامبراطور البيزنطى (حناكومنين) فى انقاذ بعرين سعت الى محاولة اســتغلال الفرصة ، والاستيلاء على عدد من المواقع الاسلامية فى الجهات الشمالية من الشام ، وتم عقد اتفاق بين الامبراطور ، وريموند أمير أنطاكية ، كان من أبرز بنوده أنه اذا ما استولى المتحالفون على حلب وما يحيط بها من حصون فان ريموند يقوم بالتنازل عن أنطــاكية للامبراطور البيزنطى ، ويتخذ لنفسه عوضا عن ذلك ، امارة صليبية جديدة تضم حلب وشيزر وحماة وحمص ، وقد قام ريموند — كتأكيد لهذا الاتفاق — باعلان تبعيته للامبراطور .

ولكى يغطى الامبراطور على أهدافه الحقيقية سعى الى خداع زنكى الذى كان معسكرا آنذاك بين حمص وحماة بأن أرسل اليه رسولا ليقدم له بعض الهدايا ، ويخبره بعدم تعرض الامبراطور لامارته ، ثم ما لبث الاخير أن أصدر أوامره بالقاء القبض على جميع المسافرين القادمين من حلب والقرى المجاورة كيلا تصل أنباء تحركات العدو الى زنكى ، ومن ثم تقدم الامبراطور ، يصحبه أميرا الرها وأنطاكية ، وبدأوا بمهاجمة حصن بزاعة القريب من حلب ، وتمكنوا من الاستيلاء عليه ، وقد استطاع بعض أهاليه أن يفروا الى حلب حيث أنذروا المسؤولين فيها عن قرب الخطر ، فقام هؤلاء بتعزيز التحصينات الدفاعية ، وارســلوا الى زنكى يطلبون نجدة مستعجلة ، فأمدهم بقوة من الفرســـان ، كان لدخولها حلب تأثير كبير على رفع معنويات أبنائها .

وعندما جوبه المتحالفون بمناعة حلب وصمودها آثروا الانسحاب ، وتقدموا الى معرة النعمان فاستولوا عليها ، وتوجه من هناك — بقيادة

الامبراطور ـ الى حصن شيزر وفرضوا الحصار عليه ساعين بذلك الى وضع أيديهم على موقع هام يمنحهم السيطرة على وادى نهر العاصى ، ويقف سدا أمام مطامح زنكى البعيدة فى المنطقة .

استنجد سلطان بن على الكنانى صاحب شيزر ، بزنكى ، فاتجه على رأس قواته شمالا وعسكر بالقرب من حماة ، وراح يشن ما يعرف اليوم بحروب العصابات ضد معسكرات الاعداء ، كما سعى الى خداعهم فأرسل اليهم يقول : « انكم قد تحصنتم بهذه الجبال ـ المحيطة بشيزر ـ فاخرجوا عنها الى الصحراء حتى نلتقى !! فان ظفرتم أخذتم شيزر وغيرها ، وان ظفرنا بكم أرحت المسلمين من شركم ، ولم يكن له بهم قوة لكثرتهم ، وانما كان يفعل هذا ترهيبا لهم » .

وبهذا استغل زنكى مبادىء علم النفس الحربى ، وعمل على تحطيم الروح المعنوية للصليبيين ، وقد اشار هؤلاء على الامبراطور بلقاء عدوهم ، فرفض ذلك اعتقادا منه بأن زنكى لم يكن يظهر أمامهم من عسكره سوى القليل ، وأن وراءه قوات ضخمة اتاحت له أن يتحداهم الى اللقاء .

استمر زنكى يطلق ما فى جعبته من سهام الحيلة والدهاء ، لتفتيت هذا التحالف الخطير ، فراح يراسل صليبى الشام ويحذرهم من امبراطور الروم ، ويعلمهم أنه ان استولى على حصن واحد فى الشام « أخذ البلاد التى بأيديهم منهم » ويراسل الامبراطور ـ من جهة أخرى ـ يتهدده ويوهمه أن الفرنج معه ، فسادت الشكوك بين الطرفين المسيحيين سيما وأن أميرى الرها وانطاكيا لم يسعيا الى التعاون الجاد مع الامبراطور ، فضلا عن اشتداد المنافسة بينهما وتخوف ريموند من انتصار الروم ، وبالتالى تنفيذ الاتفاقية التى وقعها معهم والتى تجعله يقف وجها لوجه أمام قوات المسلمين بعيدا عن انطاكية . ولم يرغب امير الرها ـ هو الآخر ـ فى أن يكون منافسه قريبا منه فى حلب فى حالة انتصار المتحالفين ، وتنفيذ بنود الاتفاقية المعقودة بينهم .

ولم يأل زنكى جهدا فى طلب النجدات من شتى انحاء العالم الاسلامى ، فأرسل الى بغداد يلتمس معونة السلطان مسعود السلجوقى ، والى سلاجقة آسيا الصغرى يشير عليهم بالاغارة على المواقع البيزنطية هناك ، كى يتحول اهتمامهم الى تلك الجهات ، ووردت انباء تشير الى أن أراتقة ديار بكر أرسلوا جيشا كبيرا من التركمان ، وأن قوات دمشق تحركت لمساعدة زنكى ، وازاء هذا وذاك رأى الامبراطور ضرورة الانسحاب فأنهى حصاره لشيزر فى رمضان عام ٥٣٢ بعد أن عرض عليه أميرها مبلغا من المال ، وضريبة سنوية كرمز لتبعيته ، وقاد القوات المسيحية المتنازعة عائدا الى انطاكية . وحينذاك انقض زنكى على آلاتهم الحربية الثقيلة (ومجانيقهم العظام) فاستولى عليها ورفعها الى قلعة حلب ، كما أرسل بعض جنده فى آثار قوات العدو المنسحب فقتلوا وأسروا عددا كبيرا منهم .

ويبدو واضحا أن أهم النتائج التى اسفرت عن فشل حملة التحالف المسيحى هذه ، هى تدهور العلاقات بين البيزنطيين والصليبيين ، وعدم استطاعتهم القيام بعمل سريع ضد نشاط زنكى فى المنطقة فى السنين التالية ، وقد اندفع زنكى فى أعقاب انتصاره ذاك فانقض على عدد من

المواقع الصليبية شمالى الشام واستولى على أربعة منها ، ثم قفل عائدا الى الموصل .

انهمك زنكى فى الفترة التالية بالعمل على اتمام خطته بتوحيد الجبهة الاسلامية ، كى يكون اكثر قدرة على مجابهة الصليبيين ، وقام عام ٥٣٣ باستئناف السعى من أجل تحقيق هدفه القديم بالاستيلاء على دمشق وتوحيد الجبهة الشامية ، فاتجه اليها فى أواخر ذلك العام وفرض عليها حصارا شديدا كاد أن يسقطها فى يديه ، لولا استنجاد امرائها بصليبيى بيت المقدس ، واستجابة هؤلاء لهم ، رغبة منهم فى القضاء على الخطر المشترك ، الذى يمثله وجود زنكى فى المنطقة ، الامر الذى اضطر الاخير الى الانسحاب .

وفى عام ٥٣٨ هـ اتيح لزنكى استغلال مركزه القوى فى ديار بكر ، والقيام بفتح عدد من المواقع والحصون العائدة لامارة الرها الصليبية ، وكان هدفه من وراء ذلك تمهيد الطريق لانزال ضربته المباشرة بالرها نفسها ، وتحقيق حلمه الذى طالما راود خياله عبر سنى صراعه الطويل ضد الصليبيين .

كانت الرها من أهم المراكز الصليبية باعتبارها قاعدة لاحدى اماراتهم الاربع فى الشرق الاسلامى ، ولقربها من العراق ، وقوة تحصيناتها ، وما كانت تسببه للمناطق الاسلامية المجاورة من أخطار لا تقف عند حد ، وتشكل عائقا يحول دون قيام زنكى بتوحيد الجبهة الاسلامية فى الجزيرة ، وشمالى الشام ، بسبب تدخلها المستمر لصالح أعدائه من أمراء المسلمين فى المنطقة ، وتهديدها الدائم لخطوط المواصلات الاسلامية التى تربط بين الموصل وحلب من جهة ، وبين بلاد فارس وسلاجقة آسيا الصغرى من جهة أخرى .

من أجل ذلك راح زنكى يعد العدة للاستيلاء عليها ، وتأمين الاهداف الكبرى التى يتيحها اسقاط هذا الجدار ، منتظرا سنوح الفرصة لتوجيه ضربته ودخول المدينة التى كان ذكرها — كما يقول ابن القلانسى : « جائلا فى خلده ، وأمرها ماثلا فى خاطره وقلبه » وسرعان ما غدت ظروف الصليبيين فى أواخر الثلاثينيات ملائمة الى حد كبير لقيامه بهذه الخطوة ، اذ اشتد النزاع بين ريموند أمير انطاكية ، وجوسلين الثانى أمير الرها ، وانتهى الامر بمقاطعة أحدهما للآخر وعدم نجدته لصاحبه فى حالة تعرض امارته لغزو خارجى ، ومما زاد أمر الصليبيين سوءا وفاة فولك ملك بيت المقدس ، ومجىء بلدوين الثالث الى العرش ، وهو حديث السن ، ضعيف الشخصية ، الامر الذى جعل الصليبيين لا يخضعون لارادة مدبرة تستطيع أن تنهى ما قام بين جوسلين ، وريموند من نزاع ، وتوحد قواهما بمواجهة المسلمين .

هذا الى أن التحالف القديم بين الصليبيين ، والامبراطور البيزنطى قد انتهى عام ٥٣٧ هـ وحل محله عداء شديد ، وحروب دائمة بين الطرفين بسبب أطماعهما الدائمة ، واخيرا جاءت وفاة حنا كومنين لكى تخلص زنكى من عدو خطر لدود ، ثم ان موقع الرها نفسه كان ملائما لمهاجمة زنكى بعد ، اذ أحاط بها المسلمون من كل مكان ، وفصلها الفرات عن بقية الامارات الصليبية فى الشام .

استغل زنكى الفرصة ، وسعى الى تدبير خدعة تتيح له تحقيق هدفه من أقصر طريق ، وكان يعلم انه لن يستطيع أن ينال غرضه من الرها ما دام جوسلين وقواته موجودين فيها ، وهكذا انصب اهتمامه على ايجاد وسيلة تدفع غريمه الى مغادرة مقر امارته ، فاتجه الى آمد ، وأظهر أنه يعتزم حصارها ، وأنها هدفه دون غيرها ، وبث عيونه — فى الوقت نفسه — ليطلعوه — اولا بأول — على تحركات أميرها الذى ما أن رأى انهماك زنكى بحروبه فى ديار بكر حتى غادر مقر امارته على رأس قواته بعد أن اتخذ اجراء احتياطيا ، بأن عقد هدنة مع قرا أرسلان صاحب حصن كيفا الذى كان قد التجأ اليه بعد تهديد زنكى لامارته ، ومن ثم اتجه الى تل باشر الواقعة على الضفة الغربية للفرات ، كي يتخلص — هناك — من كل مسئولية ويتفرغ لملذاته .

وجاءت عيون زنكى لتطلعه على النبأ الذى كان يتحرق شوقا اليه ، فأسرع بالتوجه الى الرها « مستعينا على السرعة بركوب النجائب والابل » ، مستنفرا كل قادر على حمل السلاح من مسلمى المنطقة للجهاد فى سبيل اعلاء كلمة الله ، وما لبث أن انهالت عليه جموع المتطوعين ، فطوق بهم الرها من جهاتها الاربع . وحاول — فى البدء — أن يتوسل بالطرق السلمية علها تحقق هدفه دون اضطرار لرفع السيف ، فراسل أهالى الرها باذلا لهم الأمان ، طالبا منهم أن يفتحوا له الابواب قبل أن يجد نفسه مضطرا الى تدمير أسوار بلدهم ، واخلاء ديارهم ، الا أنهم أبوا قبول الأمان . وحينئذ اشتد زنكى فى التضييق على الحصن مستخدما آلات الحصار الضخمة التى جلبها معه لتدمير أسواره ، قبل أن تتاح الفرصة لتجمع الصليبيين ، والتقدم لانقاذ هذا الموقع الخطير .

وارسل جوسلين — لدى سماعه نبأ الهجوم — فى طلب نجدة مستعجلة من كافة الامارات الصليبية ، فلم يستجب له سوى (ميلزاند) الوصية على بيت المقدس التى وصلت نجدتها بعد فوات الأوان ، كما أنه قام بمحاولة للدخول الى المدينة ، أو ارسال نجدة لتعزيز دفاعها ، فحيل بينه وبين ذلك .

وفى السادس والعشرين من جمادى الآخرة (٥٣٩ هـ) وبعد مرور ثمان وعشرين يوما على بدء الحصار انهارت بعض أجزاء الحصن اثر الضرب المركز الشديد الذى تعرضت له ، فاجتاحت قوات المسلمين المدينة ، ثم ما لبثت القلعة أن استسلمت بعد يومين ، وقام القس اليعقوبى برصوما باجراءات تسليم الرها لزنكى ، الذى أصدر أوامره الى جنده بايقاف أعمال القتل والأسر والسلب واعادة ما استولوا عليه من سبى وغنائم ، وأعقب ذلك باصدار أمر آخر بالاسراع فى تنظيم ما اضطرب من أمور الرها ، وتعمير ما تهدم خلال أيام القتال الطويلة ، ورتب من رآه أهلا لتدبير أمرها ، والاجتهاد فى مصالحها ، « ووعد أهلها باجمال السيرة وبسط العدالة » مستهدفا من وراء ذلك استمالة سكانها الاصليين من المسيحيين الشرقيين ، ضد الصليبيين الكاثوليك ، الامر الذى يؤكده قيامه بتدمير عدد من الكنائس الكاثوليكية واحتفاظه بكنائس الشرقيين .

حقق زنكى بفتح الرها أهم أعماله التى قام بها ضد الصليبيين طوال

حكمه ، وكان لهذا النصر نتائج هامة فى العالمين الاسلامى والمسيحى ، كما كانت له نتائجه بالنسبة لزنكى وامارته ، فأما بالنسبة للمسلمين ، فقد أعطاهم سقوط أولى الامارات الصليبية أملا جديدا ، وعد نصرا عظيما للاسلام « لم ينتفع المسلمون بمثله وطار فى الآفاق ذكره ، وصار حديث المحافل » اذ أنه أوضح مدى قدرة المسلمين على مجابهة القوى الصليبية ، وانتزاع أقوى حصونهم منهم ، كما أن هذا الانتصار مهد الطريق أمام الذين أعقبوا زنكى لاكمال عمله ، واسقاط بقية الامارات الصليبية ، واحدة تلو الاخرى .

كما أدى الى القضاء على الحواجز التى أقامها الصليبيون فى هذه المنطقة والتى أعاقت الاتصال بين سلاجقة آسيا الصغرى ، وسلاجقة العراق ، وبلاد فارس .

وأما فيما يتعلق بالعالم المسيحى ، فقد أثار سقوط الرها مخاوف المؤسسات الصليبية فى أوروبا ونبههم الى خطورة الاوضاع فى الجزيرة والشام وتحولها الى اتجاه مضاد لمصالحهم واهدافهم ، لذلك نشطوا فى الدعوة الى حملة صليبية جديدة ، وصلت الشام بعد مقتل زنكى ، وتولى ابنه نور الدين زعامة المسلمين فى الشام ، وعرفت بالحملة الصليبية الثانية ، كما أن سقوط هذا الموقع الهام دفع ريموند ، أمير انطاكية الى الاعتقاد بعدم قدرته على مجابهة زنكى بمفرده ، والذهاب — بالتالى — الى القسطنطينية لاعلان تبعيته للامبراطور البيزنطى (مانويل) الذى وعده بمساعدته ضد غريمه .

فاذا ما انتقلنا الى امارة زنكى وجدنا كيف كان لسقوط الرها دور كبير فى تخليصها من مصدر قريب للخطر كان يهدد المنطقة دوما بشن الغارات « فأصبح أهلها بعد الخوف آمنين » . كما أن هذا النصر مهد الطريق أمام زنكى للاستيلاء على الحصون الصليبية المجاورة ، وفرض سيطرته التامة على ممتلكات أعدائه فى المنطقة .

وفوق هذا وذاك حقق فتح الرها نتائج هامة بالنسبة لزنكى نفسه ، اذ عزز مركزه تجاه السلطان السلجوقى ، والخليفة العباسى الذى أنعم عليه بعدد كبير من الالقاب الشرفية كالأمير المظفر ، ركن الاسلام ، زعيم جيوش المسلمين ، ملك الأمراء ، أمير العراقين والشام ، كما أن هذا النصر جعل من زنكى أمام المسلمين ، والمدافع عن الدين ، والمجاهد فى سبيل اعلاء كلمة الله .

استغل زنكى فرصة سقوط الرها ، واضطراب أمور الصليبيين فى المنطقة وأخذ يسعى للاستيلاء على مراكزهم وحصونهم هناك ، فاتجه الى سروج التى تخلت عنها حاميتها مولية الفرار واستولى عليها ، وما لبثت الحصون المجاورة أن أخذت تسقط فى يديه واحدة تلو الاخرى . ويقول ابن القلانسى : « وجعل — زنكى — لا يمر بعمل من أعمالها ، ولا معقل من معاقلها ، الا سلم اليه فى الحال » . ولم يوقف زنكى عن تقدمه سوى نبأ اغتيال نائبه فى الموصل مما دفعه الى وقف عملياته والعودة الى هناك لاقرار الامور فى مقر حكمه .

ما لبث سكان الرها من الارمن أن دبروا — فى العام التالى — مؤامرة استهدفت الفتك بالمسلمين واعادة المدينة الى السيطرة الصليبية بعد القيام باستدعاء جوسلين ، الا أن زنكى سرعان ما تمكن من كشف

هذه المحاولة الخطيرة ، والقبض على مدبريها واعدامهم ، ثم أعقب ذلك بنفى عدد كبير من الأرمن كيلا يتاح لهم مرة أخرى أن يسعوا الى طعن المسلمين من الخلف ، وتسليم أهم مواقعهم لقمة سائغة للغزاة الصليبيين .

استأنف زنكى سعيه للسيطرة على دمشق وتوحيد الجبهة الاسلامية فى قلب الشام لمجابهة الصليبيين هناك ، وتحقيق مزيد من الانتصارات ، الا أن مقتله عام ٥٤١ خلال حصاره لاحدى المواقع المطلة على الفرات وضع حدا لهذه المحاولة التى كان زنكى يطمح لتحقيقها منذ بداية حكمه .

وهكذا تبدو لنا واضحة أهمية الدور الذى لعبه زنكى فى تاريخنا الاسلامى ، اذ يعتبر من أولئك الرواد الذين سعوا لتجميع القوى الاسلامية وفق برنامج مرسوم لمجابهة تزايد الخطر الصليبى الذى لم توقفه المحاولات الجدية التى سبقت زنكى وبخاصة تلك التى تمت على يد كل من (مودود بن التونتكين ٥٠٢ ــ ٥٠٧) و (ايلغازى وبلك الارتقيين ٥١٢ ــ ٥١٨ هـ) و (آق سنقر البرسقى ٥١٨ ــ ٥٢٠ هـ) .

ومن المرجح أنه لو تمكن زنكى من فتح (دمشق) وانجاز محاولته لتوحيد الشام ، ولو لم يقتل ــ وهو فى قمة انتصاراته ضد الصليبيين ــ لكان قد استطاع أن يستكمل الاجزاء المتبقية من برنامجه ، ولتكاملت أمام الباحث الحديث الصورة الواضحة للدور الذى قام به فى التاريخ الاسلامى ، وهو دور فاصل ، تتضح خطورته اذا ما عرفنا أن نور الدين محمود ، ومن بعده الناصر صلاح الدين ، لم تكن جهودهما سوى اتمام للعمل الذى بدأه زنكى ، وفى نفس الطريق .

---

١) أنظر الاسرة المجاهدة ، الوعى الاسلامى عدد ٥٢ ــ السنة الخامسة .

٢) أنظر كتاب (عماد الدين زنكى) للمؤلف ، وهو اطروحة ماجستير نشرته الدار العلمية فى بيروت عام ١٩٧١ م .

عروس ، ومهر ، وحفل عرس

عن ربيعة الاسلمى قال ــ كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا ربيعة الا تزوج قال قلت والله يا رسول الله ما أريد أن أتزوج ما عندى ما يقيم المرأة وما أحب أن يشغلنى عنك شىء فاعرض عنى فخدمته ما خدمته ثم قال لى الثانية يا ربيعة الا تزوج فقلت ما أريد أن أتزوج ما عندى ما يقيم المرأة وما أحب أن يشغلنى عنك شىء فأعرض عنى ثم رجعت الى نفسى فقلت والله لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يصلحنى فى الدنيا والآخرة أعلم منى والله لئن قال تزوج لأقولن نعم يا رسول الله مرنى بما شئت قال فقال يا ربيعة الا تزوج فقلت بلى مرنى بما شئت قال انطلق الى آل فلان حى من الانصار وكــان فيهم تراخ عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى اليكم يأمركم أن تزوجونى فلانة لامرأة منهم ، فذهبت ، فقلت لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى اليكم يأمركم أن تزوجونى فلانة فقالوا مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يرجع رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بحاجته فزوجونى وما سألونى البينة فرجعت الى سول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فقال لى مالك يا ربيعة فقلت يا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بحاجته فزوجونى وألطفونى وما سألونى البينة فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فقال لى مالك يا ربيعة فقلت يارسول الله أتيت قوما كراما فزوجونى وأكرمونى والطفونى وماسألونى بينة وليس عندى صداق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بريدة المسلمى اجمعوا له وزن نواة من ذهب قال فجمعوا لى وزن نواة من ذهب فأخذت ما جمعوا لى فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذهب بهذا اليهم فقل هذا صداقها فأتيتهم فقلت هذا صداقها فرضوه وقبلوه وقالوا كثير طيب قال ثم رجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم حزينا فقال يا ربيعة مالك حزين فقلت يا رسول الله ما رأيت قوما أكرم منهم رضوا بما آتيتهم وأحسنوا وقالوا كثير طيب وليس عندى ما أولم قال يا بريدة أجمعوا له شاة قال فجمعوا لى كبشا عظيما سمينا فقال لى رسول اللــه صلى الله عليه وسلم اذهب الى عائشة فقل لها فلتبعث بالمكتل الذى فيه الطعام قال فأتيتها فقلت لها ما أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت هذا المكتل فيه تسع آصع شعير لا والله ان أصبح لنا طعام غيره خذه فأخذته فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما قالت عائشة فقال اذهب بهذا اليهم فقل ليصبح هذا عندكم خبزا فذهب اليهم وذهبت بالكبش ومعى أناس من أسلم فقال ليصبح هذا عندكم خبزا وهــذا طبيخا فقالوا أما الخبز فسنكفيكموه وأما الكبش فاكفونا أنتم فأخذنا الكبش أنا وأناس من أسلم فذبحناه وسلخناه وطبخناه فأصبح عندنا خبز ولحم فأولمت ودعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الدينار العربي

للاستاذ : محمد الحسين عبد العزيز

لم يعرف الانسان النقد عند بدء ظهوره على سطح المعمورة حين كان يعيش فى الغابات ويجد طعامه وكساءه ، ولما تعلم الزراعة وانخرط فى سلك الجماعة استخدم نظام المبادلة بين سلعة وأخرى ، ومن السلع التى تم التبادل بها المحار فى بلاد الصين والثيران فى بلاد اليونان ، والشاى والأرز فى بلدان أخرى ، لكن هذه السلع قابلة للتلف أو صعبة النقل كالثيران ولهذا اقتضى الأمر أن يعتمد على سلعة تجمع بين المنفعة وطول البقاء ، وقابلية التجزئة وسهولة النقل فابتكر التعامل بالمعادن من ذهب وفضة لعظم مزاياها .

وقد تعامل المصريون القدماء بالذهب فى القرن الثلاثين قبل الميلاد على هيئة حلقات ذات وزن معين للاشياء الثمينة ، أما النحاس فقد كان للمبادلات البسيطة . واستخدمت بابل فى بلاد العراق القديمة قطعا من الفضة تزن الواحدة منها جزءا من الستين من الرطل .

ويعتبر النقد الذهبى والفضى الذى صدر فى عهد الملك كرستوس ملك ليديا بآسيا الصغرى وقد حكم بين عامى ٥٦١ — ٥٤٦ ق.م أول عملة فى التاريخ ، وانتشرت بعدها فى بلاد اليونان حيث تم تطويرها فى رسمها وتصميمها .

وكلمة الدينار يونانية الأصل وهو وحدة العملة الذهبية ووزنه ٤ر٢٥ جراما .

أما الدرهم (الدراخما) فيونانى أيضا ، ويصنع من الفضة ووزنه ٢ر٩٧ جراما ، أما الفلس فكان وزنه



نقود معاوية بن أبى سفيان

يعادل ١ : ٤٨ من الدرهم ويصنع من النحاس .

ويقول المؤرخ البلاذرى ان دنانير هرقل كانت ترد على أهل مكة فى الجاهلية بينما ترد الدراهم الساسانية اليها أيضا وكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهما وتزن الذهب بوزن تسميه دينارا وكل عشرة من أوزان الدراهم تعادل سبعة من أوزان الدنانير ووزن الشعيرة يعادل ١ — ٦٠ من الدرهم .

وكان أهل يثرب يتعاملون بالدراهم منذ قدم الرسول عليه الصلاة والسلام فأرشدهم الى وزن مكة ، ويطلق على المثقال من الذهب دينارا ويعادل اثنين وعشرين قيراطا الا حبة ، ويزن اثنين وسبعين حبة شعير ، وفرض رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام زكاة الاموال فجعل فى كل خمس أواق من الفضة الخالصة خمسة دراهم وهى النواة ، وفرض فى كل عشرين دينارا نصف دينار .

وقد ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الدراهم على نسق الدرهم الكسروى وشكله وأضاف اليه عبارة « الحمد لله » وفى بعضه « محمد رسول الله » وفى الآخر « لا اله الا الله وحده » وكان وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل ، كما ضرب الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان دينارا وعليه نقش تمثال يتقلد سيفا ولما أعلن عبد الله بن الزبير استقلال الحجاز وانفصالها عن الدولة الأموية ضرب دراهم مدورة نقش على أحد وجهيها « محمد رسول الله » وعلى القفا أمر الله بالوفاء والعدل » وضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم فى العراق ، وجعل وزن كل عشرة منها سبعة مثاقيل .

ولما استقر الأمر لعبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير وأخيه ضرب الدينار العربى الموحد الذى بعث به الى الولايات الاسلامية وذلك فى عام ٧٤ هـ وقد اختلفت الروايات التاريخية حول سبب ضرب هذا الدينار فقيل ان خالد بن يزيد بن معاوية قال له « ان العلماء من أهل الكتاب الأول يذكرون أنهم يجدون فى كتبهم أن أطول الخلفاء عمرا من قدس الله تعالى فى درهم ، أما الرواية الثانية فهى الكتاب الذى بعث به الخليفة الى ملك الروم وذكر فيه سورة الاخلاص مما أغضب الامبراطور ، وكتب لعبد الملك أن لم تركوا هذا ذكرنا نبيكم فى دنانيرنا بما تكرهون « فعظم ذلك على عبد الملك واستشار الناس فأشاروا عليه بضرب عملة عربية وترك استخدام الدنانير الرومية والراجح أن عبد الملك رأى أن الدولة العربية وقد عظمت مكانتها السياسية والحربية جدير بها أن تستقل بضرب عملة عربية عنوانا لاستقلالها الاقتصادى ، وتحررا من رابطة بيزنطة .

بالسكة (١)

وبعث الخليفة الى الحجاج بالعراق فسيره الى الآفاق ليضرب بها الدراهم والدنانير ، وعلى الولاة فى الامصار أن يكتبوا الى الخليفة بما يجتمع فغلبهم من المال كى يحصيه عندهم وتحمل اليه الاموال أولا بأول وقدر ضريبة مقدارها . درهما عن كل مائة درهم مقابل ثمن الحطب وأجر الضرب ونقش على الدينار الاموى فى الوجه « قل هو الله أحد » وعلى القفا « لا اله الا الله » ونقش فى الطوق « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

وعندما بدأ عبد الملك تفكيره فى ضرب الدينار العربى عمد الى نقد من النحاس لهرقل ملك الروم وابنيه ، كان يضرب فى مدينة الاسكندرية مصر آنذاك ، وهذا النقد لم يكن يحمل تاريخا فضرب على مثاله ديناره الذهب عدا بعض التغيير فاستبدل رسم الصلبان بالحلقات والكرات مما وجد على الوجهين وأحاطهما بكلمات التوحيد بخط كوفى بسيط ، وكان هذا أول نقد عربى يحمل الشعائر الاسلامية ، ولم يذكر فى الدينار تاريخ الضرب .

وقد أدخلت تحسينات على هذه العملة ، واستبدلت النواقص وزيد على أحد الوجهين تاريخ الضرب بحروف كوفية ورفع الحرفان اللاتينيان اللذان كانا منقوشين فى الدينار الاول واستبدلت صورة الامبراطور وابنيه بنقش يمثل صورة الخليفة وقد تقلد سيفه ، أما المرحلة الثالثة فكانت عام ٧٧ هـ حين أصبح الدينار عربيا خالصا لا يحمل الا كتابات كوفية ، واستمر هذا الطراز سائدا حتى نهاية الدولة الاموية .

والجدير بالذكر أن الدينار الذهبى الموحد الذى ضربه الخليفة عبد الملك لم يسمح بضربه فى غير الفسطاط بمصر ، وفى دمشق بالشام ، وكان وزن الدرهم ستة دوانق ، وتسمى خفافا أى خفيفة الوزن ، وبعضها ثقالا ، كل درهم ثمانية ، وتسمى البغلية « بلدة قريبة من الحلة بالعراق » أو نسبة الى رجل يدعى بغل ، كان يقوم بضربها ويعادل الدانق قيراطين ، والقيراط أربع حبات من حبات الحنطة كما وجدت دراهم وزنها أربع دوانق ، ولما أرادوا جباية الخراج جمعوا بين الدرهمين « الدرهم الذى يزن أربع دوانق » والذى يزن ثمانية دوانق ،



اسم السلطان بيبرس

وأخذ معدل الوزنين فصار الدرهم الشرعى يزن ستة دوانق . ولهذا قال المؤرخون ان دنانير ودراهم عبد الملك ذات ثلاث فضائل ، فان كل سبعة مثاقيل تزن عشرة دراهم ، وأنه عدل بين صغار الدراهم وكبارها فصارت ستة دوانق ، والثالثة أنها موافقة لما سنه الرسول عليه الصلاة والسلام بغير وكس ولا شطط »
وهكذا أصبح الدرهم الشرعى الذى اجتمعت عليه الأمة يزن خمسين حبة وخمسا حبة من الشعير أو الحنطة .

وقد ضرب الوليد بن عبد الملك أجزاء من الدينار فضرب نصف دينار يزن ٢ر١٣ جراما وضرب ثلث دينار يزن وزنه ٤٢ر١ جراما ولم يضع الأمويون أسماءهم ، ولا أسماء أحد من أبنائهم أو قوادهم على الدينار كما فعل العباسيون فيما بعد ، ولعل عبد الملك الأموى هو الخليفة الذى وضع صورته على الدينار كما كان يفعل البيزنطيون ، ثم تركه عندما ترك طراز نقودهم ، ونظرا لعدم تسجيل اسم الخليفة على الدينار فقد أدى هذا الى الالتباس اعتمادا على التاريخ فقط فاذا توفى أحد الخلفاء فى سنة ما وتولى خليفة آخر مكانه ، فهذا الدينار اذا عثر عليه لا يمكن نسبته الى خليفة معين ، بل يمكن نسبته الى كليهما .

ولم يذكر الأمويون مدن الضرب الا على الدينار الذى ضرب فى مدينة طرابلس الغرب والقيروان بالمغرب الأوسط ، وظلت الدنانير العربية الاندلسية ينقش عليها الكتاب باللغتين العربية واللاتينية .

الدينار العباسى :

وحين تولى أبو العباس السفاح الخلافة العباسية ضرب دينارا فى مدينة الانبار اعلانا لزوال الدولة

الأموية ، وميزه عن الدينار الأموى بحذف سورة الاخلاص التى كانت تكتب فى مركز الوجه ونقش محلها « محمد رسول الله » ، كما ظل حجم الدينار ووزنه وقطره كما كان أيام الأمويين ، ولم يذكر مدينة الضرب ، أو اسمه اقتداء بالأمويين .

وقد مر الدينار العباسى بثلاث مراحل **المرحلة الأولى** تبدأ من ١٣٢ — ٢١٨ هـ وتبدأ **المرحلة الثانية** من ٢١٨ — ٣٣٤ هو **والثالثة** من ٣٣٤ — ٦٥٦ هـ وفى **المرحلة الأولى** أدخل المأمون تعديلا على ما كان يكتب على الوجه فاستبدله بما كان يكتب على القفا فدون فى مركز الوجه « لا اله الا الله وحده لا شريك له » وفى مركز القفا « محمد رسول الله » واستحدثت كلمة الامام كما أدخلت كتابة بين الطوق والمركز عرفت باسم النطاق فدون فى نطاق الوجه « بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة كذا سنة كذا .. » وفى نطاق القفا كتبت عبارة « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

وفى **المرحلة الثانية** استمر الدينار يضرب على نمط واحد على آخر ما وصل اليه زمن المأمون فذكر اسم الخليفة ، ومدينة الضرب ، وباقى النصوص ، ولم يطرأ على وزن الدينار أو قطره الا شىء يسير من التبدل .

وفى خلال هذه نقشت أسماء أولياء العهد ، وأمراء البيت العباسى كما دونت على النقود أسماء الحكام الذين استأثروا بالسلطة دون الخلفاء من بويهين وغيرهم كما ضرب بعض الخلفاء أسماءهم مع أسماء أبنائهم على العملة .

وفى **المرحلة الثالثة** كتبت أسماء حكام السلاجقة ، كما نقشت أسماء خلفاء بنى العباس أيضا . وضرب حكام الولايات أمثال ابن طولون والى مصر عملة تحمل اسمه اعلانا لاستقلاله بحكم مصر ، وضرب الاخشيديون ثم الفاطميون عملة باسمهم أيضا .

وقد كان الدينار العربى عملة دولية ونقدا ممتازا فى القرن العاشر الميلادى تعامل به أهل جنوب شرق آسيا ، كما أن الدينار الأندلسى كان عملة متداولة فى ممالك أوربا الى جانب العملة الفرنسية .

وكانت العملة الفاطمية قبسا للعملة التى ضربها البنادقة ، كما استعانوا بصناع من العرب والمسلمين للعمل فى دور سك النقود .

وهكذا كان الدينار العربى ذا عيار من الذهب مرتفع ووزن ثابت لا يقل عن ٤٫٢٥ جراما وله مكانته الدولية بسبب الرخاء الاقتصادى ، والمكانة السياسية التى وصلت اليها الدولة الاسلامية فى هذه الحقبة الزاهرة من تاريخنا المجيد .

الفتاوى

المكافأة ميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجته وبنته ووالده ووالدته ، وترك مكافأته عن مدة خدمته فى الحكومة ، فكيف توزع هذه المكافأة ؟

عـــدى الهنـــدى — دبى

الاجابة :

هذه المكافأة تعتبر ميراثا عن المتوفى وبناء على هذا توزع طبقا لأحكـــام المواريث فى الشريعة الاسلامية فيكون لزوجته ثمنها فرضا ولابنته نصفهـــا فرضا ، ولأمه سدسها فرضا لوجود الفرع الوارث ولأبيه الباقى فرضا وتعصيبا .

ميراث ووصية واجبـــة

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وأربعة أبناء وثلاث بنات ، وعن ولدى بنت توفيت فى حياته ، فما نصيب كل من هؤلاء فى التركة ؟

وهبـــة عـــلى — القـــاهرة

الاجابة :

تقسم هذه التركة خمسة وتسعين سهما : منها سبعة أسهم لولدى البنت المتوفاة وصية واجبة بالسوية بينهما ، والباقى هو الميراث ، فتعطى الزوجة منه الثمن لوجود الفرع الوارث وهو أحد عشر سهما ، ويخص كل ابن أربعة عشر سهما ، وكل بنت سبعة أسهم .

تسعير مــواد التموين

السؤال :

هل يجوز شرعا للحاكم أن يحدد ثمن بيع بعض المواد الخاصـــة بالتموين ؟.

سعيد الرزاز ــ حلب

الاجابة :

اذا اقتضت المصلحــة العامة تدخل الحاكم لوضع سعر معين لسلعـــة من السلع والزام التجار البيع للجمهور بهذا الثمن ومعاقبتهم اذا خالفوا كـان ذلـك جائزا شرعا رعاية للمصلحة واستنادا للقاعـدة الشرعية العامـة (لا ضرر ولا ضرار) وبناء على هذا يحرم على التاجر أن يبيع بأعلى من السعـر الـذى قرره ولى الأمر ..

غسل شعــر المــرأة

السؤال :

أنا سيدة متزوجة وموظفة ومواظبة على الصلاة والحمد لله ، وأجد عند اغتسالى من الجنابة مشقة شديدة فى غسل شعر رأسى حيث يصعب عــلى تسويته وتزيينه بعد الغسل كما كان ، فهل يكفينى صب الماء عليه دون نقضه ؟

مريم الفهـد ــ الكويت

الاجابة :

يجب عند الاغتسال من الجنابة تعميم بشرة الجسم بالماء عند جميع الأئمة ، ومن البشرة بشرة الرأس قال على رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من ترك موضع شعرة من جنابة لم يصبها الماء فعل الله به كذا وكذا من النار) رواه أحمد ..

ومثل غسل الجنابة الغسل من الحيض والنفاس ، فيجب على المـرأة فى الغسل ايصال الماء الى منابت شعر رأسها فاذا كان الماء يصل الى هذه المنابت دون حاجة الى نقض الضفائر أو تسريحة الشعر مثلا لم يلزم نقضها ولا اعادة التسريح . روى أن أم سلمة قالت يا رسول الله انى امرأة أشد ضفر رأسى أفأنقضه للغسل من الجنابة (وفى رواية للحيض والجنابة) فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا . انما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات من ماء ، ثم تفيضى عليك الماء فاذا أنت قد طهرت .

أما اذا لم يصل الماء الى منابت الشعر الا بنقض الضـفائر مثلا فيجب نقضها ..

بريد الوعي الإسلامي

مسلم حائــر

السؤال :

وقعت فى فاحشة بينة ، وترتب عليها طلاق زوجة من زوجها ، وطــلاق زوجتى منى ، وقد تزوجت بالسيدة الأولى بعد تطليقها فماذا أصنع للتكفير عن ذنبى ؟

هـ ــ ش ــ البحرين

• • • • • • •

الاجابة :

ان هذه الفاحشة من كبائر الاثم لما فيها من عدوان على العرض ، وانتهاك لحرية الأسرة واجتراء على شرع الله وحدوده ، وهى من أكبر الكبائر التى توجب لفاعلها الخزى فى الدنيا ، والعذاب الشديد فى الآخرة .

ولكن الله سبحانه فتح باب التوبة للمذنبين وأمرهم بالمبادرة اليها ، ووعدهم بقبول توبتهم اذا هم أخلصــوا وأنابوا واستقاموا قال تعالى فى سورة الفرقان بعد أن ذكر الفواحش ومنها الزنا (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحــا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) .

وعليك أن تديم الاستغفار والعمل الصالح ، وترجو من الله أن يلهم صاحب الحق الذى اجترأت على عرضه التجاوز عنك يوم الحساب .

قبلة بيت المقــدس

السؤال :

كيف توجه النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة الى بيت المقدس مــع انه لا توجد آية فى القرآن الكريم تفرض عليه ذلك وهل كان يتوجه اليها فى مكة قبل الهجرة ؟

الفاضل بن على ــ المغرب

• • • • • • •

الاجابة :

الذى عليه جمهور الفقهاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى

فى مكة بعد فرض الصلاة عليه متوجها الى الكعبة المشرفة ولم يزل يصلى اليها طول مقامه بها ، ولما هاجر الى المدينة أوحى اليه بوحى غير متلو ان يصلى الى صخرة بيت المقدس ، فصلى اليها ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشرا شهرا على ما رواه البخارى ، ثم نسخ الله ذلك وأمره أن يستقبل الكعبة فى صلاته قال تعالى : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فـول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .. وقد أنكر اليهود ذلك ، وطعنوا فى الاسلام ، وقالوا إن محمدا يأمر أصحابه بشىء ثم ينهاهم عنه، فأنزل الله عز وجل « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلهـا ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير » ..

السؤال :

تاريـخ الطبـرى

قرأت فى تاريخ الطبرى أن آدم عليه السلام هبط من الجنة فى الهند ، وان حواء هبطت بجدة ، فجاء فى طلبها حتى اجتمعا ، فازدلفت اليه حواء ، فلذلك سمى المكان المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، فهل هـذا صحيح ..

عز الدين فياض — السودان

• • • • • • •

الاجابة :

حرص الامام الطبرى فى كتابه (تاريخ الأمم والملوك) على تسجيل الروايات وجمعها دون الاشارة الى توثيقها أو تضعيفها ، ولم يذكر المؤلفات التى نقل عنها ، ويؤخذ عليه انه ذكر خرافات وأسرائيليات ولم يعلق عليها بما يدل على تكذيبـه لها ، وأغلب الظن أنه سجل مثل هذه الخرافات لأنها مما سمعه أو قرأه دون تعليق لأنه رسم لنفسه خطة وهى أن يسجل الروايات دون تعقيب ، أشار الى هذا فى مقدمة كتابه فقال : انه سيذكر أخبارا عن الماضين قد ينكرها القارىء ، أو يستسيغها السامع ، فليعلم أن اللوم على من نقلت عنهم ، وأننى انمـا سجلت ما سمعت ، أو قرأت والمنصفون من العلماء مع اعترافهم بقيمة الكتاب وقدره أخذوا عدم تمحيصه لبعض الأخبار والروايات وعدم تعقيبه عليها بما يبين درجتها من الصحة والضعف ، وهذا الذى ورد فى الرسالة من الخرافات التى لا يعرف لها أصل ولا سند .

بأقلام القراء

ذكرى الهجرة الخالـــــدة

كتب الأستاذ خير الله التركستانى تحت هذا العنوان يقول :

استقبلت الصحارى والجبال والوديان موكب النور الذى تغشى أمامه كل الأعين المريضة والحاقدة الزائفة عن الحق ، وكان خلفه بعوث من قريش تحلـم بالجعل الذى فرضه على أنفسهم كبارها لمن يلحق بالركب ويثنيه عن غايته الكبرى. كلهم كانوا بمكة فى عجب وفى غيظ ونقمة ، والصاحبان ضمهما مكان أمين (اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) ..

اذن لقد انتصرت الفكرة ، وانتكست كل أحلام قريش وفشلت مساعيها ، وخذل كبراؤها ، وانها لتنتظر اليوم الذى يأتى وترى فيه أن ذلك الرجل والسيد المنتظر ، خاتما للأنبياء والمرسلين ، أكمل خلق الله وأعظمهم شأنا ومقاما .

وفى يثرب ، المدينة التى طيبها الله جل شأنه لرسوله الاعظم ، كانت قـد سبقته اليها البشائر والآمال من أهلها ، الأوس والخزوج ، وقد نذروا أنفسهم لنصرة هذا القادم العظيم عليهم ، يحمل أقدس رسالة ، ويريد أنبل غاية ، ويسعى بآيات ربه البينات لاصلاح العالمين .

٢٢ وعلى مشارف طيبة الطيبة بضاحية (قباء) توقف الموكب النورانى حيث صلى محمد الهادى وصاحبه ومن سارع فى مقابلتهما صلاة الحمد والشكر ، وأقام الرسول عليه الصلاة والسلام آنئذ أول مسجد أسس على التقوى فكان تفسيرا أوليا للفكرة التى انتصرب : أن يعبد الله وحده ، وأن يجتمع الناس على هـداه وعلى اصلاح شئونهم .. أول مسجد يلتقى فيه المسلمون فى مساواة (كأسنان المشط) منيبين الى بارئهم ، خاشعين بين يديه ، يصـل بعضهم بعضا اخـاء وتراحما .

وما هى الا نحو عشر سنين حتى دخل محمد عليه الصلاة والسلام مكـة التى طورد منها ، دخلها والمؤمنون فاتحا بالقرآن ، يهدم الأصنام ويبدد ظلمـات الجهل ، ويطهر البيت العتيق من رجس الأوثان ، فلا يعبد من دون الله أحد (لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) ..

ان لنا معشر المسلمين عظات بالغات فى هذه الهجـرة التى منهـا كانت الانطلاقة الاولى الى أفضل وجود ، وأكمل حياة ، فلنراجع أعمالنا ، ولنتعظ بجهاد المؤمنين المخلصين ، ولندعو الى روحانية الدين الحنيف التى تقربنا الى الغاية من وجودنا .. وقد اصطلحت المادية اليوم لمقاومة مبـادىء الحق والعدالـة والايمان .

وحرى بنا أن نجند أنفسنا لندرأ أخطار تلك المادية ، وأن نكون فى هجرة دائمة لنشر الدين والتمسك بفضائله وأهدابه والذود عن حياضه .

الشـــــباب

يقول الأستاذ محمد سيد أحمد المسير تحت هذا العنوان :

ان الشباب فى العالم كله تتصارعه الآن مذاهب شتى ونزعات مختلفة .. وهو من هذا وذاك فى حيرة وقلق واضطراب ، والقائمون على أمر الشبـــــاب يحاولون ، تحليل ذلك وتعليله ولكنهم جميعا فى غفلة عن العنصر الأساسى الذى أفتقده العالم ، وكان الفراغ منه سببا فى كل ما نراه من انحراف .. السـلوك وخرافة الفكر .. انه الايمان صانع المعجزات ، والقادر وحده على مقاومة كل اغراء وارهاب بشخصية متفاعلة مع الحق بعيدة كل البعد عن التقليد الأعمـى والمجاملة الحمقاء .. ولما كان الشباب فى كل أمة هم عمد حياتها ، وقوة نهضتها، فمن الوفاء لهم ولأمتهم أن تتوافر لهم من خلال البيئة والمجتمع ، من فضائـــل العادات ، وكريم التقاليد ، ومناهج التربية القويمة ما يكفل لهم أن يثبوا أقويـــاء مبرئين من أسباب الضعف ودواعى الانحلال .. كذلك من الخير أن يعرف كل فرد موقعه الذى يجب أن تبرز فيه شخصيته ، وتحقق لها ولمجتمعها الأمل الذى ترنو اليه .. فمواقف الرجولة ومواقف الأنوثة كل منها متى أكد دوره الرئيسى فـى معركة الحياة استقلالا وتكاملا كان جديرا بلقب البطولة الرائعة .. فمثلا الأمومة المؤمنة التى تولى وجهها شطر المبادىء والمثل ، وتغرس فى بنيها روح الايثـار والتضحية ، وتفجر فى أبنائها ينابيع الخير — هى بحق عبقرية فذة وبطولة نادرة نادرة لا تقل عن بطولة الرجولة فى ساحة الوغى .

ان عصر الكهوف قد ولى ، وبلغت الانسانية رشدها وتخلصت من كل آثاره اللهم الا من شريعة الغاب التى ما زالت سائدة فى مثل فلسطين وجنوب افريقيا ، فاذا حاول شباب اليوم استعادة هذا الماضى بكل مآسيه بأن يعيشوا عـــــراة الأجسام رجالا ونساء ، ويمارسوا الجنس كحيوانات الغاب ، ويتخلوا عن كرامة الانسان بتلك الوحشية الفاحشة .. فهذا وباء يجب أن يحاصر ويحصر ..!!

ان مسئولية هذا الانحراف تقع أولا على المجتمع والأسرة ، حيث لا يوجـد الناصح الأمين ، وحيث وئد صوت الحق وحيث تفككت العرى وأصبحنا أمـــــام مهزلة دعاوى الحرية الهوجاء ، والمجتمع المفتوح أو المفضوح على حد سواء .

يحاول بعض الكتاب أن يجعل من ظاهرة الهيبز رد فعل وتمردا على المجتمع الذى يعيشون فيه حيث ساءت العلاقات وتقطعـــت الاواصر .. وعلى فـرض التسليم الجدلى بذلك فان هذه الظاهرة ليست بالظاهرة الصحية ، فلم تتخذ موقف التصحيح لمجتمعها ، ولم تحاول النهوض به من وهدته ، بل كانت عاملا مساعدا — ان لم تكن عاملا أساسيا — على هدم المجتمع وتفتيت قيمه الراشدة ، وتحطيم معالمه الانسانية .. واذا توجهنا الى الاسلام نستلهم منه الرشد نجد أنه رسـم صورة ايجابية وضاءة لمحاولة تقويم المجتمع الفاسد ، واتخذت تلك الصـــورة عناوين رئيسية فى الاسلام وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أو بمعنى آخر التواصى بالحق أو التناصح .. وبهذا استحقت الأمة المسلمة الخيرية كما فـى قوله تعالى : **((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله))** وذلك لأنها تملك القدرة والحيوية على التجديد والتجدد بأصالة وموضوعية تتوخى حرية الرأى الناضج والنقد البناء حرصا على سلامة المجتمـــع وأمنه ..

قالت صحف العالم

عن مجلة الأصالة الجزائرية :

بما أن الشريعة الاسلامية تعتبر الأسرة الخلية الأساسية للحياة الاجتماعية وتربية النشء .

وبما أن نظام الأسرة فى البلدان العربيـــة والاسلامية يواجه أخطار التفكك والانحلال الذى يظهر بصفة خاصة فى سلوك الشـــباب . وذلك بسبب أزمات ناشئة عن تطوره السريع من جهة ، وتسرب تيارات ثقافية وحضارية أجنبية لا يتماشى بعضها مع الأسس الأصيلة لهذا النظام .

وبما أن وجود نظام متماسك للأسرة يمثل القاعدة الاساسية ، والشرط الأول للانطلاق فى بناء شخصيتنا الوطنيـــة والحضارية المتميزة والمتفتحة فى نفس الوقت ، وبما أن الثقافة والتوعية يجب أن تصل الى داخل هـــذه الأسرة لقيامها بتربيـــة اسلامية بناءة سوية ، فان الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى يوصى بما يلى :

١ ــ وجوب تعليم المرأة حتى تتمكن من القيام بمسؤولياتها فى تربية النشء ، والمشاركة الفعالة فى تطوير مجتمعاتنا النامية ، وذلك بايصال الثقافة الى داخل الأسرة بالوسائل المختلفة ، ومشاركة المرأة فى الحياة الثقافية داخل المســاجد والمعاهد والندوات مع تشجيع المنشورات المتخصصة فى مشاكل التربية والأسرة

٢ ــ التأكيد على ضرورة توحيد القوانين الخاصة بالأسرة فى جميع البــلاد لاسلامية لضبط أنظمتنا وتشريعاتنا فى هذا الميدان طبقا لمبادىء الاسلام .

٣ ــ تشجيع الدراسات الاجتماعية والعلمية الخاصة بالأسرة فى بلادنا لعربية والاسلامية لاحصاء مشاكلها ، وفهم ظروفها واقتراح الحلول اللازمة لها .

٤ ــ مقاومة التأثيرات والحركات التى تهدد كيان الأسرة الاسلامية ســـواء كانت ثقافية أو مادية أو اعلامية وتعبئة جميع الوسائل والامكانيات لتوعيـــة المواطنين بهذه الأخطار .

٥ ــ ابعاد النشء وخاصة البنت عن المدارس التبشيرية المنتشرة فى جميع البلاد العربية والاسلامية .

٦ ــ العناية بالأسرة المسلمة خارج العالم الاسلامى ، وخاصة فى أوروبا وأمريكا بشمالها وجنوبها حيث تتعرض هذه الأسرة للذوبان والإمحاء .

تنظيم الأسرة الاســـلامية

عن مجلة دعوة الحق المغربيـــة :

ان أول ما وضـــع من التشريعات لتنظيم حياة البشر : الوصيـــة بالوالدين فهما رمز الحياة الأسرية وعمودها الفقرى ، وكان ذلك بعد الأمر بعبادة الله وحده قال تعالى : ((**وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا**)) .

وكان من أسس التنظيم للأسرة التوجيه الى الدقة فى اختيار شريك الحياة والعناية بتلمس جوانب الخير فيه ، تلك الجوانب التى تؤهله لتحمل التبعات وتقدير المسؤوليات ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : ((**تنكح المرأة الأربع : لمالها ، ولحسبها ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك**)) . ويقول أيضا : ((**الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة التى اذا أمرتها أطاعتك ، واذا دعوتها أجابتك ، واذا غبت عنها حفظتك فى نفسك ومالك**)) . والزوجة المثالية تكون اما لشباب مؤمن طاهر يعرف ربه ويعرف حق الوطن عليه وينفع نفسه وغيره : ((**والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا**)) . ففى حسن اختيار الزوجة اطمئنان للقلب وارتياح للنفس ، ولا ينبغى الاندفاع وراء صيد براق خلاب ، من غير تفكير ولا تدبير ، وقد نهانا ديننا عن الزواج من بيئة هابطة فاسقة لا أخلاق لها ولا أمن يرجى فيها **ولا أمين الا من يخشى الله** قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**اياكم وخضراء الدمن ، قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء**)) . وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم راعى بأن الأم هى القدوة لابنتها وابنها : ((**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**)) .

وعلى الأب الولى أن يكون مراعيا الجانب الدينى فيمن يختاره زوجا لابنته ، فلا يهمل هذا الأساس : ((**اذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ألا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض**)) . وذلك لأن الزواج المؤسس على هذا المنهج الذى أرشد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى الأسرة على تقوى من الله ورضوان وذلك مما امتازت به الشريعة الاسلامية . ومن زوج ابنته من فاسق أو مستهتر بدينه فقد أساء اليها وجنى عليها .

كما نظم الاسلام العلاقة بين الشريكين على أساس العدل والتعاون ((**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف**)) واختار للاشراف على الأسرة ورقابة سير الأمور فيها من كانت أسهمه فى الشركة أكثر ومؤهلاته القيادية أقوى وأكمل فقال سبحانه : ((**وللرجال عليهن درجة**)) . وقال : ((**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**)) . وحث على اخلاص الطرفين بعضهما لبعض وعدم تقصير أحد فى الواجبات المكلف بها ازاء الآخر فقال تعالى : ((**فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله**)) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : ((**والرجل راع فى أهل بيته ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**)) . ولا بد فى هذه الشركة من التشاور والتعاون واحترام رأى المرأة عند النظر فى المشاكل ، قال تعالى فى حق الزوجين : ((**فان أراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما**)) . فذكر التراضى والتشاور دليلا على أن للمرأة رأيها ولها شخصيتها المستقلة فى بحث المشاكل وسياسة البيت بعيدة عن الاستبداد والتحكم من أى طرف من الطرفين .

ان هذه الشركة لا بد لها من أرباح ، وما هى الا الذرية ، وقد أمر الله بالعناية بها ، كما أمر الله هذا الناشىء الجديد أن يدفع لأبويه ضريبة التربية فيبر بهما ويحسن اليهما خصوصا عندما تشتد اليه حاجتهما كما يقول تعالى : ((**أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**)) . ففى هذا الأدب من التكامل والتضامن ما يسمو على كل تشريع وفى هذا التنظيم السماوى الذى وضعه العليم بأحوال الناس ما يفوق كل تنظيم .

أخبار العالم الإسلامي

اعـــداد الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكـــويت : صرح سمو أمير البلاد المعظم بأن الكويت تقف الى جانـــب دول المواجهة وهى عـــلى استعداد لدفع كل ما لديها من مال ورجال .

● أدلى معالى وزير الخارجية بتصريح جـــاء فيه أن الكويت ترفض وجود قواعد عسكرية أجنبية فى أى بلد عربى .

● وافق مجلس الوزراء على اقتراح قدمه وزير الأوقاف والشئون الاســـلامية باقتطاع (١٠٠ فلس) لتمويل صندوق المعونة الطبية لمعالجة غير الكويتيين .

● احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الهجرة النبوية فى مسجد السوق الكبير ، وقد افتتح معالى الوزير الاستاذ راشد الفرحان الحفل بكلمة تحدث فيها عن واقـــع المسلمين وواجبهم فى ضوء ما توصى به الهجرة النبوية من تضحية وجهاد .

● أقامت وزارة التربية مسابقات لتحفيظ القرآن الكريم اشترك فيها عدد كبير من تلاميذ الابتدائى والمتوسط والثانوى وقد وزعت الجوائز على المتفوقين .

● تقوم وزارة الأوقاف بتجميع ما ينشر فى الصحف والمطبوعات العربية والاجنبية وتصحيح كل شبهة تثـــار والرد عليها .

● رحبت وزارة الاوقاف بزيارة السيد سكرتير عام اتحاد الجمعيات الاسلامية فى بريطانيا للبلاد للبحث فى جمع التبرعات لاقامة مركز دائم للاتحاد .

● أحيل للوزارة طلب الامانة العامة للجامعة العربية لموافاتها بأسماء المؤسســـات والمعاهد الاسلامية تحقيقا لرغبة المعهد الدولى لحقوق الانسان فى جنيف .

● كما أحيل للوزارة طلب الامانة العامة للجامعة العربية لموافاتها بأسماء المؤسســـات والمعاهد

● وتبحث وزارة الاوقاف كذلك طلب رئيس الاتحاد الاسلامى لكلومبيا البريطانية بكندا بخصوص حاجة المسلمين الى بناء مسجد هناك .

● تقرر التبرع للمسلمين فى الفلبين بمساعدات مالية لســـد حاجة المنظمات وأسر الشهداء والجامعة الاسلامية .

القاهـــــرة : أعلن الرئيس أنور السادات أن قرار المعركة مع اسرائيل لتخليص الاراضى المحتلة قـــد اتخذ ولا رجعة فيـــه .

● أهدت الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية عددا ضخما من الكتب الدينية لبعض مراكز جمعيات الشبان المسلمين .

● بعثت وزارة الاوقاف بعض القراء الى مساجد كينيا ، وقد رجـــا المسلمون فى كينيا أن تبعث الوزارة عددا من الوعاظ والمرشدين .

● رأس فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف وشئون الازهر بعثة الحج الأزهرية وقد قام معالى وزير الأوقاف بالقاء عدد من المحاضرات فى جوانب الثقافة الاسلامية .

● بحث رئيس جمعيات الشبان المسلمين مع مفتى طشقند وسائل تدعيم التعـــاون بين الجمعيات والمسلمين فى روســـيا .

الســـعودية : انتقل الى رحاب الله معالى أمين رابطة العالم الاسلامى الشيخ محمد سرور

الصبان ، والوعى الاسلامى اذ تنعى هذا الرجل المجاهد للعالم الاسلامى لترجو من الله المغفرة له والعـزاء للمسلمين .

● استنكرت رابطة العالم الاسلامى المجازر الوحشية التى يرتكبها الهنود ضد سـكان باكستان الشرقية ولفتت نظر المنظمات العالمية لتعمل معها من أجل حقوق الانسان .

● أهدت رابطة العالم الاسلامى (مصحف مكـة) وترجمة (صحيح البخارى) بالانجليزية وعددا من الكتب الدينية للبطل المسلم (محمد على كلاى) أثناء زيارته للسعودية فى الشـهر المـاضى .

● بلغ عدد الحجاج هذا العام حوالى مليون وربع مليون حـاج .

● رصدت الحكومة (٣٠٠) ألف جنيه استرلينى فى ميزانية العام القادم لاقامة مصنع للكسـوة الشريفـة .

الأردن : احتجت الاردن لدى هيئة الصليب الأحمر الدولية بسبب مواصلة اسرائيل انتهاكها لحقوق الانسان فى الاراضى المحتلة وابعاد المواطنين العرب من ديارهم .

● قامت المقاومة الفلسطينية بارسال طرود ناسفة أثارت الرعب فى اسرائيل فى أيام عيـد الميـلاد .

لبنـــان : ندد الرئيس اللبنانى بتحدى الصهيونية للضمير العالمى والقيم الدولية واستنكر اقدام اسرائيل على تغيير معالم القدس العربية وسعيها من أجل تهويدها .

ليبيـــا : بعث الرئيس القذافى برقية الى الرئيس الباكستانى ضمنها استعداده للتأييد العملى دون التأييد بالكلمات وأعرب عن أمله فى أن يتغلب الرئيس بوتو على المصاعب الكبيرة التى تواجهه.

● أعلن الرئيس القذافى أن ليبيا لا تنظر الى الصراع العربى الاسرائيلى على أنه مشكلة الشرق الاوسط بل على أساس قضية فلسطين وضرورة اعادة حقوق الفلسطينيين فى بلادهم .

● تلقت اللجنة الاسلامية لعون الطلاب العرب فى ليبيا من امارة أبو ظبى عشرة آلاف جنيـــه استرلينى .

تـــونس : قرر اتحاد العمال تقديم معونة للثورة الفلسطينية بمبلغ (٢٥٠) ألف دينار تونسى .

● أقيم مهرجان بمناسبة مرور (١٣٠٠) سنة على انشاء مدينة قيروان عاصمة الفاطميين ومعقل الاسلام فى عصرهم .

الجـــزائر : دعا الرئيس بومدين الدول العربية للتعاون فيما بينها باخلاص من أجل تنسـيق الجهود وتوحيدها للحرب ضد اسرائيل دفاعا وانقاذا للاراضى المحتلة .

● وقعت ٤ اتفاقيات بين الجزائر وتونس تتناول الحدود وبعض القطاعات الاقتصـادية وينتظر أن توقع الدولتان مزيدا من الاتفاقيات فى اطار بناء المغرب العربى الكبير .

المغـــرب : ستصدر وزارة الثقافة والتعليم مجلة جديدة باسم (الباحث) للبحث فى جميـع ميـادين المعـرفة .

الصـــومال : قام الرئيس محمد زياد بجولة فى بعض الدول العربية استهدفت تدعيم العلاقات بين الصومال والبلاد العربية وبحث قضية فلسطين على ضوء التطورات الاخيرة .

باكســـتان : قام الرئيس الباكستانى بجولة فى بعض الدول العربية والاسلامية لشرح حقائق الموقف فى باكستان .

● سيرأس الرئيس الباكستانى بنفسه لجنة الطاقة الذرية الباكستانية وسيعمل على تطوير الابحاث العلمية فى البلاد .

أندونيســـيا : اتفقت الاحزاب الاسلامية فى أندونيسيا على انشاء سكرتارية واحدة لها جميعا لتوحيد ساسة وآراء هذه الاحزاب .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الا. عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـــ ٧ شـارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبـــة الشـعب ـــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الجديثة ـــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ـــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

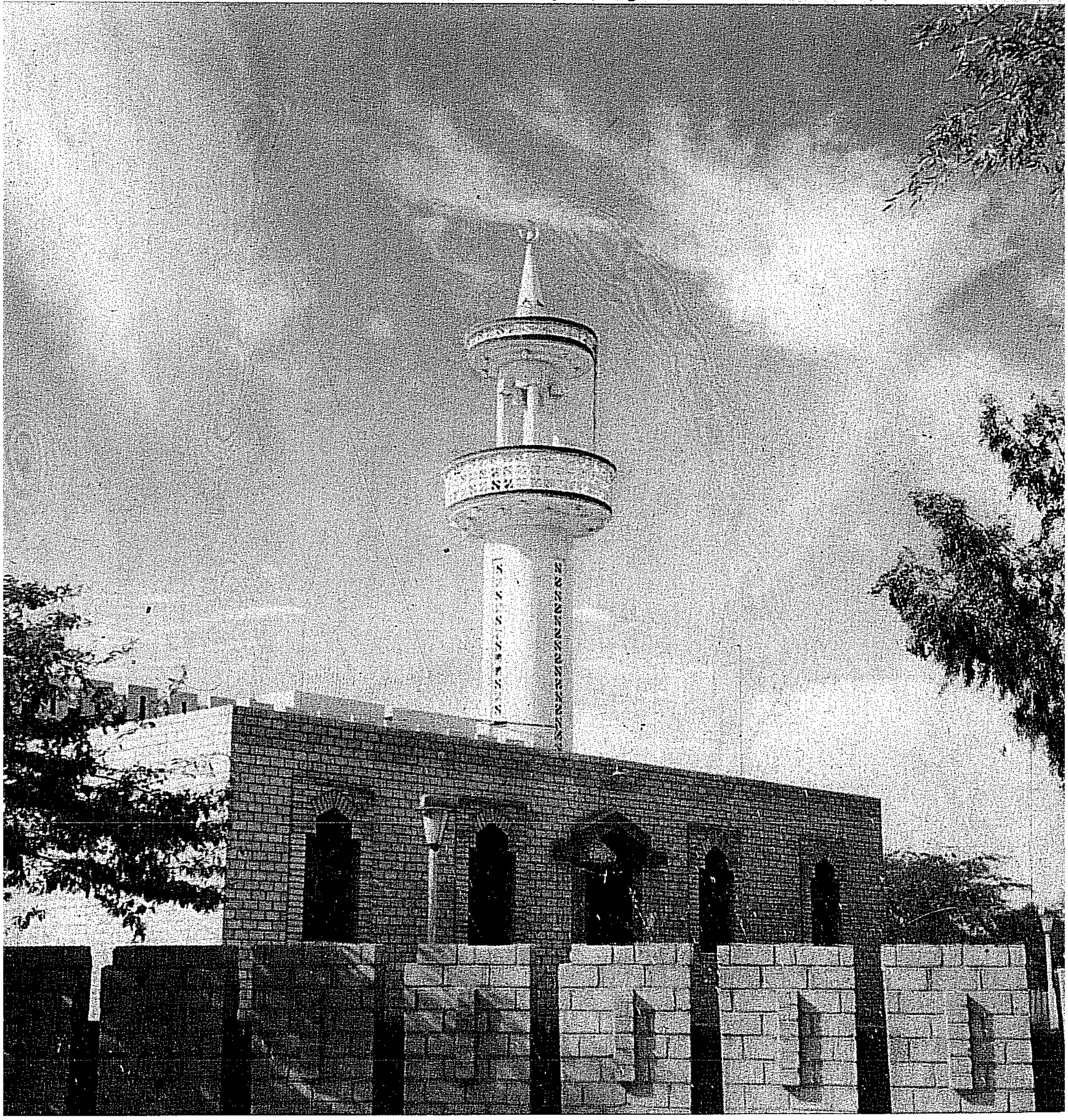
اقرأ في هذا العدد

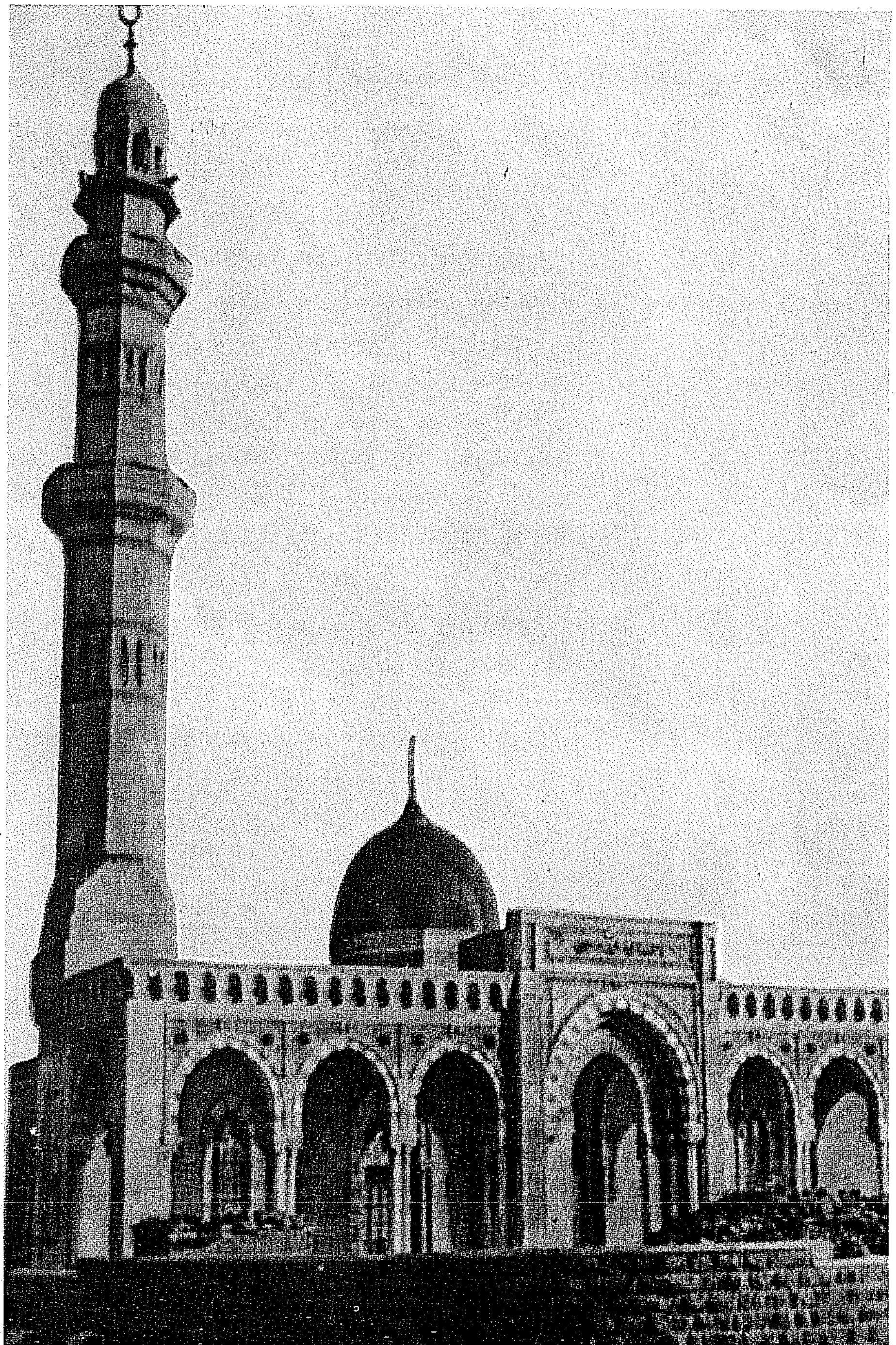
مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

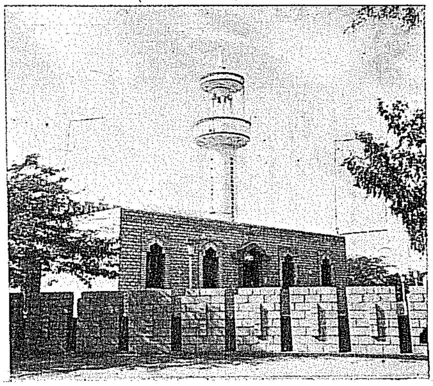
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة — العدد ٨٦ — غرة صفر ١٣٩٢ هـ — ١٦ مارس (آذار) ١٩٧٢ م





الجامع الجــديد فى مدينة البيرةشمال مدينة القدس وقد سقطت فى قبضة اليهود أخيرا .



مسجد أحمـــد عبد الله الصقر
بمنطقة الشامية احدى مناطق الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B. 13

السنة الثامنة

العدد السادس والثمانون

غـــرة صفر ١٣٩٢ هـ

١٦ مارس (آذار) ١٩٧٢

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والســـياسية

الثمـــن

الكـــويت	٥٠	فلســا
السعودية	١	ريـــال
العـــراق	٧٥	فلســا
الاردن	٥٠	فلســا
ليبيــا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمــا
الجـــزائر	دينـــار وربع	
المغــرب	درهـــم وربـــع	
الخليج العربى	١	روبيـــة
اليمن وعدن	٧٥	فلســا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشــا
مصر والسودان	٤٠	مليمــا

الاشـتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكـــويت ١ دينـــار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأســــا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنـــوان المراسلات

مدير ادارة الدعـــوة والارشـــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٢٢٠٨٨ ـــ كويت

الهجرة

بداية التطبيق العملي .. لنظام الاسلام في الحياة

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الهجرة النبوية ، فى مسجد السوق الكبير ، ونقلت الاذاعة والتليفزيون وقائع الحفل الذى حضره عدد كبير من المسلمين وتحدث فيه معالى الوزير الاستاذ راشد الفرحان وبعض السادة الوعاظ وفيما يلى نص الكلمة التى القاها السيد الوزير :

أيها السادة ،

نحتفل بذكرى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، ولهذه الذكرى أهمية عظيمة فى نفوس المسلمين ، اذ أن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم هى بداية للتطبيق العملى لنظام خط الاسلام فى الحياة .

١) ومن أعظم هذه المبادىء اعطاء الامة العربية مكانة وأهمية ، فحرص على اذابة الفوارق بين بدوها وحضرها وشعبها وقبائلها وجعلهم ينصهرون فى وحدة واحدة تحت راية دولة واحدة ، وكانت الدولة العربية الاسلامية يومئذ التى هزمت الطغاة واهتز لها البغاة . وكانت لها المكانة العظمى بين الدول واحترمتها الشعوب .

٢) وحدة العقيدة :

جعل العبادة لله وحده بعدما كانت متعددة للحجر والشيطان والانسان .

٣) أقام حكم الشورى (الديمقراطى) السليم .



معالى الاستاذ راشد الفرحـــان وزير الاوقاف والشئون الاسلاميـــة أثناء القاء كلمته .

٤) فرض نظام العدالة فى السياسة والاجتماع والاقتصـــــاد (الناس سواسية كأسنان المشط) .

٥) أوجد الجيش النظامى والتجنيد الاجبارى وفرض الجهاد فى سبيل الله لتحرير الارض من الكفر والظلم والطغيان .

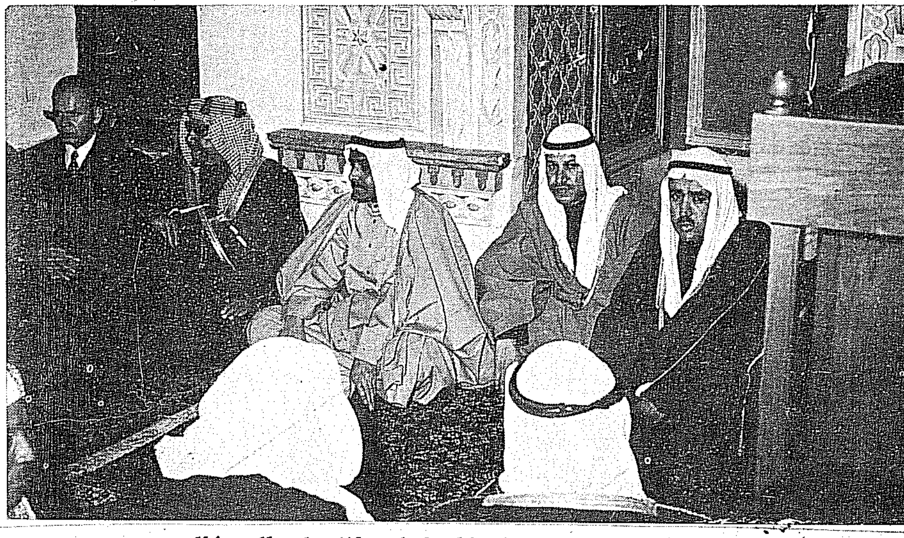
٦) حرر المرأة وأعطاها حق العلم والعمل والتعبير والتفكير وحفظ لها كرامتها وصان حقوقها (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) .

٧) قرر الاسلام مبدأ العمل (الاجر على قدر المشـــقة) (لان يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطـــوه أو منعوه) .

٨) دعا الاسلام الى ابداء الرأى وحرية الفكر .

٩) وقبل ثلاثة عشر قرنا قرر الاسلام مبدأ الضمان الاجتماعى للناس (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) . ونادى بالاخوة والامن والسلام لجميع البشر (يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى الســلم كافـــة) .

١٠) لقد أضفى الاسلام على الاخلاق العربية الفاضلة ثــوب



بعض كبـــار المسئولين أثنـــاء الاحتفال .

الاسلام فحسنها وهذبها وأكمل ناقصها (انما بعثت لاتمم مكـــارم الاخـــلاق) .

أيها السادة ،

ان الكويت البلد العربى قد آمن شعبها بهذه المبادىء السامية دينا له ، واشربت اهله الروح العربية وتفاعل معها ، ومن هنا جـــاء النص فى الدستور ان دين الدولة الاسلام ، والشريعة مصدر رئيسى للتشريع ، وان الكويت جزء من الامة العربية وان اللغة العربية لغـــة رسمية ، وقد تجسدت هذه المعانى شعبيا ورسميا باقامة الشـــعائر وربط الصلات الوثيقة بين الكويت والشعوب العربية والاسلامية ، ولقد كانت للمعونات التى تقدمها الكويت بلا فخر اثرها الطيب وثمرتهـــا المحسوسة فى اقامة المراكز الاسلامية وتشييد المساجد والمـــدارس والملاجىء والمستوصفات فى أنحاء العالم ، واننا فخورون بالمركـــز العظيم الذى تتمتـــع به الكويت على المســـتوى الشعبى والرسمى وبالجسر الروحى الذى يربطنا باخواننا المسلمين فى القارات الخمس ، وهذه نعمة من الله من بها علينا يجب ان نحافظ عليها وان نرعاهـــا ونطلب المزيد منها (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء عـــلى الناس) .

وهنا أود التنبيه الى وسائل الاعلام والفكر ولا سيما الصحافة



جمهور من المسلمين الذين شهدوا الحفل .

.. فأقول انها لم تعط مبادئنا العربية وعقيدتنا ونظامنا الاسلامى حقه ، ولم تعن بالتربية الاسلامية والاخلاق والعادات والطباع العربية الاصيلة ، بينما احتلت صور المستهترات والعاريات أكبر مكان .. وأخذت مسائل الجنس واللهو أشد الاهتمام .. ولقد آلمنى وآلم كل مؤمن ما نشرته بعض الصحف دفاعا عمن يسب الله ويستهزىء به ونشر قصائد لذلك الشاعر الداعر الذى يستهين بالله خالق الكون والانسان والحياة .. خالق الناس ورب العالمين ذلك الشخص الحقير الذى سب العرب وزعماء العرب واستهان بالمؤمنين .

ولقد اتخذت الحكومة الاجراءات اللازمة وما يفرضه الواجب . وانني احذر الصحافة بأن هذا الطريق طريق خطأ انما يسير فيه اعداء العروبة والاسلام وانه طريق ترسمه الصهيونية والاستعمار لضرب الامة وتفرقة صفوفها .

أيها السادة ، لا يصلح هذا الامر الا بما صلح به أوله .

انه لا يمكن الفصل بين العروبة والاسلام بحال .. كما لا يمكن الفصل بين الدين والدنيا .. وبين الاخلاق والنصر :

وانما الأمم الاخلاق ما بقيت

فان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا .

في رحاب القرآن الكريم

للأستاذ عبد العزيز العلي المطوع

(١١٣) سورة الفلق مكية
وآياتها ٥ نزلت بعد الفيل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

الاستعاذة : بدئت سورة الفلق بالاستعاذة كما بدئت سورة الناس ، غير ان الاستعاذة فى هذه السورة استعاذة برب الفلق ، والفلق يشمل الكائنات جميعا وهذا اشمل معنى مما جاء فى سورة الناس وأعم .

من شر ما خلق : ان الاستعاذة فى سورة الناس قد جاءت من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ، اما فى سورة الفلق فقد جاءت الاستعاذة من كل مخلوق يمكنه أن يبعث الشر او يلحق الضرر بعباد الرحمن بالذات أو بالواسطة .

ومن شر غاسق اذا وقب : تكررت الاستعاذة فى هذه السورة وركزت الآية بصفة خاصة على الغاسق اذا وقب ، ويظهر أن الغاسق : اسم فاعل مشتق من الغسق الذى هو الظلمة فى الثلث الاول من الليل ، لأن الوسوسة فى الصدر تحدث أرقا وقلقا يذهب بالنوم ويسلب لذة الراحة والطمأنينة وقد يدفع ذلك الى مغادرة المرء فراشه غاسقا خارج منزله ، فهذا الغاسق اذا استبدت به شهواته غسقا فقد وقب وكبا وهوى فى حمأة الذنوب ، فالرجل الميقاب لغة : كثير شرب الخمر والوقباء : سبة معروفة عند العرب ومداخل السوء وقبات ، ومن ولجها يعتبر واقبا والسير الميقاب : المتواصل ليلا ونهارا ، والاوقاب الحمقى ، وقد ورد فى معنى الوقبة أنها : كل نقرة فى الجسم كالنقرتين الموجودتين بالقرب من كتفى الانسان ، كما أن ضمور البطن من اثر الجوع يسمى فى اللغة وقبة ، وكذلك أوقاب الناس ملابسهم وحوائجهم فلو سرق لص فى الغسق اوقاب الناس بدافع الجوع شمله معنى الوقب .

ومن معانى الوقب غور العين وعفونة شماريخ النخلة وبالجملة فان كل ما يطرأ على الغاسق من عمل سىء يدخل فى شموله كلمة الوقب .

ومن شر النفاثات فى العقد : النفث لغة : خروج شىء من داخل الجوف كنفاثة المصدور ، ونفث الحية للسم وقد جاء النفث بصيغة جمع المؤنث مما قد يشير الى انه اذا كان الرجل المؤرق يزايل منزله عادة للتنفيس والترفيه عن نفسه ، فليس ذلك من عادة المراة بمفردها كما هو النظام الغالب فى المجتمع فتنفث المرأة المنعزلة المعقدة الناقمة على المجتمع نفثا يخشى معه على تفكيك عرى الخير وعقد النكاح وغير ذلك . والله سبحانه هو اعلم بما يريد .

ومن شر حاسد اذا حسد : الحاسد كالغاسق وزنا ومغزى فالغسق مشتق من ظلمة الليل والحسد من ظلمة الصدر والنفوس لا تكاد تخلو فى الغالب من رذيلة الحسد وأن تفاوتت درجاتها .

والحسد غير الطموح المشروع ، وغير الغبطة والتنافس فى الخير ، وفى الحكمة المعروفة : قاتل الله الحسد ما أعد له بداء بصاحبه فقتله « فالحاسد يستعاذ منه اذا رام الاذى بمحسوده ومن سهام الحسد نظرة العين ، وهى احدى نوافذ الشر خارج الصدر .

هذه الامور الثلاثة التى تأكدت وتكررت الاستعاذة منها وهى : الوقب،والنفث

والحسد ، انما تخرج من الصدر وليدة القلق والارق ، المتأتيين من وسوسة شياطين الجن والانس فى الصدور ، ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ما روى من أن خالد بن الوليد اشتكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الارق ـ فقال له صلوات الله عليه : الا اعلمك كلمات اذا قلتهن نمت ؟ **(قل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الارضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جارا من شر خلقك اجمعين ، أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى ، عز جارك وتبارك اسمك) .**

ولعل المتأمل المفكر فى هذا الحديث الشريف ـ يرى أن الرسول صلوات الله عليه ، قد استنبط ذلك من السور الثلاث . سورة الفاتحة ، والناس ، والفلق .

فبدأ الحديث بربوبية الله للخلق كلهم التى بدئت بها السور الثلاث ، وقد طلب منه الرسول أن يستعيذ بالله بعبارة « كن لى جارا من شر الخلق أجمعين »

والاستجارة هى الاستعاذة وهكذا ورد فى سورة الفلق : **« قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق »** ولعل فى قول الرسول صلوات الله عليه : **« أن يفرط على أحد منهم أو يطغى »** استجارة بالله من الشياطين ، حتى لا يفرط عليه أحد منهم بالوقب أو النفث أو الحسد او غير ذلك .

وفى هذا الحديث ما يطمئننا على سلامة ما ذهبنا اليه من ترابط بين السور الثلاث المذكورة : سورة الفاتحة ، وسورة الناس ، وسورة الفلق .

من هدي السنة

المسئولية

الدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » (١) .

تمهيد :

هذا الحديث الشريف جامع للقوى الساهرة على منافذ المجتمع ، التى بقوتها حفظ كيانه ، وادامة استوائه على اشده ، وبيقظتها استمرار تطوره الى الافضل ، وسد لثغرات الفساد ودفع لها بعيدا عن ساحته ، فقد جمع هذا الكلم الشريف الرؤوس التى لو عمرت بالخير وادت وظيفتها كاملة لسعدت أمة الاسلام وقويت ، واحتلت مكان الصدارة فى الوجود الانسانى ، فلم يخرج عن دائرة هذا القول وذلك التحديد من يعتد به : فالامام والمراد به الوالى الحاكم الراعى للأمة كلها هو المحور الذى تدور عليه كل مقدراتها ، ورب الأسرة سيد فى أهله ان ذل ذلوا وان سما سموا ، والمرأة الزوجة قرينة له وند ، لها دورها الأول فى الحفظ والتوجيه والرعاية ، والخادم أمين مؤتمن على سر العائلة وعلنها ماديا ومعنويا ، فهو ليس غريبا عنها وانما هو واحد منها له حقوق وعليه مسئوليات ، والولد الى جانب أبيه سند له وقوة ، وعلى هذا فالكل حافظ للكون الاجتماعى ولن يفلت من مسئوليته أمام علام الغيوب الذى لا يخفى عليه شىء ، وأمام الأجيال التى تعاصره والتى تجىء من بعده ، والتاريخ حكم لا يضل وسجلاته لا تغفل عن شىء ، وفوق ذلك كله فانه العلى المجيد وسؤاله للعباد : **« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا .. » (٢) .**

وانطلاقا من الفهم المستنير النافذ الى أغوار معانى كلمات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجده عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام قد وجه كل فرد من ذكور الأمة واناثها شيبها وشبانها الى ما عليه من واجبات هو مسئول عنها ولو أحسن أداءها لاستكملت الأمة قوامها ، كما أوضح أنه لا يحق لامرىء يحترم نفسه ووجوده أن يعيش لنفسه وحده دون نظر الى وجود غيره ، ومن الحكم المنشورة : « ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط » .

١ ــ ((الامام راع ومسئول عن رعيتــه)) :

الامام ــ كما سبق ــ هو القمة في الأمة ، وهو قدوتها ، ومصدر كــل توجيه فيها اذا توافرت فيه شروط الولاية الاسلامية ، وعمر قلبه بحب اللــه ورسوله ثم وطنه وقومه وعشيرته ، وادرك أن وجوده من وجود شعبه ، أنــه لولاهم لم يكن ، حاول جاهدا ايصال كل حق الى صاحبه ، وادرك أنه مسئول عن كل صغيرة وكبيرة فى طول بلاده وعرضها ، وأن مسئوليته تفوق كل مسئولية ، فحافظ على ثغور بلاده بالمرابطين الأقوياء عددا وعدة ، ونمى الثروة وارتفع ــ بمستوى الأفراد ، وانشأ لكل حاجة وطنية مصنعا يبتدىء من الخيط الدقيق الى الآلات الثقيلة حتى يحدث للوطن وأبنائه الاكتفاء الذاتى من كل مقومات وجودهم ، وعبأ الجهود كلها للعمل النافع المفيد ، فالزراع الى حقولهم ، والصنــاع فــى مصانعهم ، والمعلمون فى دور العلم ، والعالمون فى معاملهم ، والجيوش فــى مواقعها ، والكل مترابط مزود بالمحبة والتعاطف والتفانى فى اداء الواجــب الموكول اليه ، فهو راع ومسئول عن رعيته ، وحذار أن يمتاز الحاكم العــادل الواعى عن أفراد أمته فى مسكن أو ملبس أو أى مظهر من مظاهر الحياة سوى القوة العقلية والارادة الحازمة والأوامر الرشيدة النافذة ، واللجوء الى الله وحده فى كل نازلة ، والاستعانة به سبحانه فى الشدائد ، والاعتصام بهدى القــرآن ونور النبوة الأمينة وليتعامل مع العالم المحيط به وبقومه معاملة ند لأنداد لا يذل ولا يهن ، ولا يتخاذل ولا يضعف فما من أمة مهما بلغت قوتها تستطيع أن تعيش فى معزل عن أضعف أمة فى الوجود :

الناس للناس مــن بدو وحاضــرة بعض لبعض وان لم يشــعروا خــدم

وكل من ولى شيئا من السلطة العامة وعهد اليه بمصلحة من أمور الأمــة مهما ضؤل أمرها أو قوى واشتد أثرها فهو راع ومسئول عن رعيته .

٢ ــ ((**والرجل فى اهله راع ومسئول عن رعيته**)) :

وأول ما يسأل عنه من شئون أهله وأسرته ، هو السعى على معاشــها واكتساب قوتهــا ونفقاتها ، ويجب أن يحدث هذا بعد تأمل وتفكير واختيار أفضل الطرق الموصلة الى الكسب الحلال من وجوهه المشروعة ، واستدامة اليقظــة والرقابة لما عسى أن يعترض طريقه من عقبات فيحيد عنها ، أو فرص فيسارع الى اغتنامها ، مع ادامة الكد والجد ، مع شدة الاحتراس من التهالك المفســد لدينه المضيع لمروءته ، والابتعاد عما يغضب الله وما يسىء الى مواطنيه ، ومــع هذا يحافظ على أفراد أسرته من الانزلاق فى مهاوى الفساد حتى لا يكونوا حطبا لنار جهنم ، وليتأمل دائما قول الله تبارك وتعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا قــوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ..**)) **الآية ٦ من سورة التحريم .** وذلك يستلزم تربية ناشئة الأسرة على قواعد الدين والأخلاق الكريمة ، واحترام المبادىء الاسلامية فى عاداتهم ومعاملاتهم ، كما يراقب حركاتهم وسكناتهم بفكر نير ، وعقل يقظ ، ولا سيما فى مرحلة المراهقة حيث ثورة القوى الحيــوية ، وتوثبها ، كما يجب أن يرشدهم الى مسالك الحياة الصحيحة ، ويوجههم الــى ما ينفعهم فى كسب معاشهم ، والاستعداد لمعادهم ، ويعودهم المحافظة عــلى صحتهم الجسمية والعقلية ، ويمضى بهم فى مراحل التعليم الى نهايتها مــع استيعاب ونجاح وامتياز فى النجاح ، ولا شىء أجدى فى التربية من القــدوة العملية ، فليكن رب الأسرة هو مثلها الأعلى فى السلوك ورائدها فى كل خــير ، وقدوتها فى كل عمل نافع مفيد ، ويدخل فى هذا ملازمته لأسرته فى كل حالاتها فلا يبعد عنها الا للضرورة القصوى التى لا يستطيع لها دفعا ، وبهذا يتحقق لــه

دعاء الصالحين المسطور في قول الله تبارك وتعالى : ((**والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما**)) الآية ٧٤ من سورة الفرقان . ومن أدب نفسه أدب أهله ، وجنى الثمار الطيبة آجلا وعاجلا ، واستحق شكر أسرته واحترام مواطنيه ، حيث أقام فيهم لبنات صالحة بها تقوى شوكتهم ، وتشتد سواعدهم وتحصل سعادتهم فى الدنيا والعقبى .

٣ ــ ((والمراة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها)) :

للمراة الصالحة القدح المعلى والمكانة المرموقة فى الأسرة ، فهى سر السعادة ، وعلى وجودها تدور الحياة الكريمة ، هى فى الواقع قائدة وليس مقودة ، هى الرحمة ــ ان صلحت ــ والجحيم ان فسدت ، والمراة التى تدرك دورها الحقيقى فى بناء الأسرة هى الزوجة التى يقول فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة**)) تلك هى ذات الدين العارفة بربها المصدقة لنبيها ، المؤمنة بأسرتها الساعية فى حفظ كيانها ومراعاة مصالحها يحملها رسول الله صلى الله عليه وسلم مسئولية رعاية زوجها وولدها ومالها وخدمها وكل ما يتصل بحياتها ، هى التى تدرك أن سعادتها الحقة فى اسعاد أسرتها فى تربية أولادها ، فى حفظ مالزوجها وما عليه ، تسره اذا حضر وتحفظه اذا غاب ، وهى شقيقته فى الحياة ((**انما النساء شقائق الرجال**)) لها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات ، تدير نظام بيتها ، وتكبح جماح رغباتها ، تقتصد فى حال اليسر ما يكون عدة حين العسر ، تتعاون مع زوجها فى احسان تنشئة أطفالها ، ترضعهم المكارم مع لبنها ، وتغذوهم بالمكرمات مع حضانتها لهم ، هى دائما باشة هاشة طلقة المحيا أم رؤوم ، وزوجة عطوف ، ورائدة حكيمة ، وراعية أمينة ، تنشىء أطفالها على المحبة والتعاون والاحساس بآلام غيرهم واسداء المعروف لكل من عرفوا ومن لم يعرفوا ، تحافظ على شعور من يعايشها فى بيتها من زوج وولد وخدم وأقارب ، ولتعلم أنها فى صلاحها وتقواها تقود الأسرة الى سعادتى الآجلة والعاجلة ، ولتدرك ان كل كبيرة وصغيرة فى بيت زوجها بين يديها فى حاجة ماسة الى عنايتها وجميل رعايتها ، وانها مسئولة بين يدى الله تعالى عن كل ما يصدر منها ، وأنه لا جزاء لصلاحها وكريم خلقها الا الجنة ، وتوزع حبها وحنانها على الجميع بالقسطاس المستقيم فالكل يرنو اليها ويتمنى نصيبا من رعايتها ، لا فرق بين بنين أو بنات فهم جميعا منها واليها ..

والله معينها ومسدد خطاها ان لازت بحماه ، والقت برحالها فى رحابه .

٤ ــ ((والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته)) :

للخادم فى نظر الشرع الشريف اثره وخطره ، يغشى الأسرة ويطلع على سرها وعلنها ، وكثيرا ما يترك له التصرف فى أموالها ، وقد جعله سيدنا رسول الله راعيا فى مال سيده ، وحمله مسئولية حفظ ذلك المال ، وحسن القوامة على ادارته حين يعهد اليه ما يتصرف فيه بمحض ارادته ، فعليه أن يكون أمينا بعيدا عن الريب والشكوك متجنبا للمسالك البعيدة عن الخير التى يتردى فيها من لا خلاق لهم ، وأن لا يغمض عينيه عن حق سيده طمعا فى أن يستفيد هو شيئا حراما من المال المؤتمن عليه ، وكما أن على الخادم واجبات حيال سيده ، فان له حقوقا لا تنكر فقد ورد فى صحيح البخارى أن أبا ذر الغفارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**أن اخوانكم خولكم (٣) جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم**)) وفى الخادم الصالح يقول رسول

الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى عن مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم : ((**العبد اذا نصح سيده واحسن عبادة ربه كـــــان له اجره مرتين**))
وفى الموطأ وصحيح الامام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : ((**للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق**)) . وهكذا حـــــرص الاسلام دائما على حفظ الحقوق الانسانية كاملة غير منقوصة مهما كان وضع ذلك الانسان تابعا او متبوعا ، فمن عرف حقه قام بما عليه من واجب ، وبذلك تستقيم امور الحياة وتسير فى طريق غير ذى عوج .

٥ ــ ((الرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته)) :

يقول بعض شراح الحديث من شيوخنا الأجلاء رحمهم الله تعالى : ((**هــذا سير مع ما يجرى كثيرا فى متعارف الناس ، اذ ينشأ الولد فى حجر أبيه حــتى يبلغ اشده وتكمل رجولته ويدخل فى طور التكليف ولا تزال يده تجول بالتصرف فى مال أبيه كما يتصرف المالك فى ملكه ، فالشارع الحكيم يقر هذه الحالة على ما هى عليه ويرشد من هو كذلك الى انه فى تصرفه راع مسئول ، لا مطلق التصرف من جميع الوجوه ، فيجب ان يكون تصرفه تصرف القيم الأمين لا تصرف المالـــك المطلق**)) . وهذا قول له وزنه وقيمته فالشباب فى حاجة ماسة الى مثل هــذه النصيحة القيمة لأن طبيعة الشباب يغلب عليهـا التبذير وبعثرة المـــال ، لأن التجارب لم تحكم أمورهم ولأن نفوس الشباب أسرع الى الزهو والاغترار بمكذوب الثناء ومعسول القول ، فهم عرضة لأن تسلبهم أصحاب الألسنة المذقـــة ، والنفوس المتملقة ما بأيديهم وفوق ذلك لم يكدوا ولم يحصلوا المال بمشقة ولـم يذوقوا عناء جمعه حتى يدركوا قيمته ، ولهذا جاء التعبير الشريف : ((**راع فى مال أبيه**)) ليشير الى أن مال الأب سهل المنال بالنسبة للأبناء فعليهم ان لا يسرفوا ، وليتأملوا قول الله تبارك وتعالى : ((**كلوا واشربوا ولا تسرفوا**)) وقوله جـــل شأنه : ((**أن المبذرين كانوا اخوان الشياطين**)) .

وجاء فى ختام الحديث الشريف : ((وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) فكان هذا القول اجمالا بعد تفصيل ليقرر ما سبق ويزيده تأكيدا وتثبيتا وليدخـل ما عساه لم يدخل فى التفصيلات السابقة كرعاية الجار شئون جاره والصديـــق مهام صديقه ، بل كرعاية المرء شئون نفسه الخاصة من ضبط جوارحه وحواسه ، فهو راع فى لسانه ، راع فى جنانه ، راع فى حواسه ، ومسئول عن كل ذلك ، وقد قيل : ((من علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه)) ..

نسأل الله جلت قدرته أن يوفق كل راع مسئول فى رعاية ما استرعاه ، ان ربى سميع مجيب هو نعم المولى ونعم الموفق والمعين .

---

(١) الراعى يرعى الماشية اى يحوطها ويحفظها ، واكثر ما يقال : رعاة للولاة ، والرعيان لراعى الغنم ، ورعى الأمير ــ عينه رعيّة ، ورعيت الابل ارعاها رعيا ، ورعاه يرعاه رعيا حفظه ، وكل من ولى امر قوم فهو راعيهم ، وهم رعيته .

ومعنى ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)) اى حافظ مؤتمن ، والرعية كل من شمله حفظ الراعى ونظره .. عن لسان العرب ص ١١٨٨ جـ ١ ــ طبع بيروت .

(٢) الآية (٣٠) من سورة آل عمران .

(٣) الخول بفتح المعجمة والواو : هم الخدم ، سموا بذلك لانهم يتخولون الامور اى يصلحونها ومنه (الخولى) لمن يقوم باصلاح البستان ، ويقال الخولى جمع خائل وهو الراعى ، وقيل : التخويل التمليك ، تقول : خولك الله كذا اى ملكك اياه ، وفى تقديم لفظ اخوانكم على خولكم اشارة الـــى الاهتمام بالاخوة ــ عن فتح البارى ص ١٠٠ جـ ٦ طبع مصطفى الحلبى بالقاهرة .

الايمان
عقيدة وعمل

- ٤ -

الدكتور : محمد سلام مدكور

انتهينا فى المقال السابق الى منهج القرآن فى توجيه الناس الى الايمان بالرسل ، وبأن محمدا صلوات الله عليه خاتم النبيين والرسل ، وأن دعوة الاسلام جاءت عامة للبشرية فى مختلف العصور والبقاع ، وأن الايمان بالبعث والحساب ينتهى اليه العقل والفكر قبل أن يثبته النقل ، وأن الايمان بكل هذا لمن أقوى ما يدفع الانسان الى الكمال فى عمل الخير ، وكان حريا أن ينأى به عن الشرور والآثام ، وقد وعدنا بالكلام عن أثر الايمان فى النفوس وهو ما نختتم به هذا الموضوع ..

الايمان مصدر القوة لأن القلب متى عمر بالايمان الصحيح تحول الى طاقة من القوة لا تصدها الجبال ، ولا تقهرها الرجال ، ولا تمنعها الاهوال ، ولا يعوقها شىء . والايمان سبيل التماسك بين الآخذين بحبله ، لأنه يؤلف القلوب على الخير ، ويجمعها على البر ، كما يقول الله سبحانه فى وصف جماعة المؤمنين : « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء

بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعمون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله » ووعدنا الله ووعده الحق اذ يقول جل شأنه : **« وكان حقا علينا نصر المؤمنين »** .

فطبيعة الايمان الصحيح تستتبع اجتماع الكلمة ، وتستلزم النصر من الله لا محالة ، اذ الايمان اعتصام بحبل الله وابتغاء للعزة من سلطان الله ، ومن ابتغى العزة عند الله وجدها ، وليس بمؤمن من طلب العزة من غير الله سبحانه ، انظر كيف جعل الله اثرا للايمان في نفوس المؤمنين ، ورتب عليه الولاية بينهم ، يتآمرون بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر ، وهذا وحده يكفى أن يكون دستورا لجميع نواحى الاصلاح ، وسبيلا الى كل رقى وفلاح ، كما رتب عليه اداء العبادات البدنية والمالية وتهذيب النفوس والانقياد بالايمان لله ورسوله . ثم عقب على ذلك بوعده الكريم بأنه سيدخلهم فى رحمته وتشملهم عنايته .

حقا ان الايمان هو سكينة النفس القلقة ، وهداية القلوب الضالة ، ومنار السالكين الحائرين ، وأمان الخائفين ، وناصر المجاهدين ، فهو المعين الفياض الذى تستمد منه الارادة القوية سر قوتها لأنه الاساس لجميع الفضائل من الصبر والعزيمة والثبات والاقدام والعزة والكرامة ، ولذا فان النبى صلى الله عليه وسلم مكث فترة كبيرة من صدر رسالته يوجه الناس الى العقيدة ويرسى قواعد الايمان فى نفوس متبعية ، حتى اذا رسخت جذور العقيدة فى نفوسهم ، وثبتت أصولها ، واشرقت بنور ربها جاءه الوحى بالتكاليف الاخرى بعد أن هذب بالايمان نفوسهم وجعلها أرضا طيبة صالحة لأن تكون مصدر خير وسعادة لمجتمعهم ، ولبنة طيمة لتلقى التوجيه والارشاد ، بما فى قلوبهم من ايمان متأصل قد احاطه الله بالاخلاق الفاضلة المهذبة للنفس .

ولقد كان للايمان اثره القوى فى نفوس قوم كانوا متفككين متعادين يغير بعضهم على بعض فجمع الايمان بينهم ووحد كلمتهم . وعزلهم عن المجتمعات الفاسدة ، وصنع منهم نفوسا قوية أبية لا تلين لها قناة ، وتأبى الضيم . تقف فى الارض هاتفة باسم العدل والاحسان، وداعية الى الحق والايمان . ومناوئة لكل مرض فى المجتمع وثائرة على كل فساد فى الارض .

تلك هى امة الاسلام التى التفت حول محمد بن عبد الله صلى اللهعليه وسلم منذ ذاقت طعم الايمان ، واستطابت مذاقه ، فرضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، فلم ترض الا حكم الحق وحملت العالم كله على النزول على فطرة الله ، فكان لها من القوة بسبب الايمان ما كتب لها النصر فى جميع المعارك برغم قلة عددهم ، وضعف عتادهم ، واذل جبابرة الارض لهم ، وكان فيما يدينون به من آثار الايمان ، ومظاهر التدينالصحيح المنبعث عن العقائد السليمة ما جمع القلوب حولها ، وجعل النفوس تؤثر العيش فى كنفها ، وكنف الرحمة والاحسان المستمدين من الدين والايمان ..

وبذلك اتسعت رقعة فتوحاتهم ، فملكوا العالم وصاروا سادة الارض ، وملوك الدنيا لا بالسيف وحده ، ولكن بقوة الايمان وبما اثاره فى النفوس من خلق فاضل ، وانسانية كريمة ، واحكام عادلة رحيمة .

انظر الى هذا النفر اليسير الذى آمن بمحمد صلوات الله وسلامه عليه والتف حوله وناصر دعوته غير عابىء بما يلاقيه من اضطهاد وتعذيب

واساءة وتغريب ، لأن الايمان فى أبسط معانيه هو الثقة بالنفس ، وهو قوة الانسان المعنوية والا فبم انتصر هذا النفر اليسير من المسلمين فى غزوة بدر على جيش قريش الكبير فى عدده وعدته ، وكيف فتح المسلمون الاوائل — لما كان الايمان متمكنا فى قلوبهم — هذه الدول العديدة والاراضى الفسيحة ، وواجهوا جيوش الروم والفرس فى كل مكان دفاعا عن عقيدتهم ، وحماية لمن آمنوا بدعوتهم ، وحقا ان رجلا بلا ايمان رجل ضائع ، والامة التى لا يتمثل الايمان فى قلوب ابنائها امة ضعيفة ، وحقا ان الايمان هو الذى يصنع الرجال والامم .

انظروا الى اثر الايمان فى نفس ابراهيم ، وابنه اسماعيل حينما قال له فيما يحكيه القرآن الكريم : **« يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى ؟! قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين »** . ويصف الله ابراهيم وقد صدق الرؤيا التى كانت ابتلاء واختبارا فقال فى وصفه : **« انه من عبادنا المؤمنين »** .

وانظروا معى الى اثر الايمان فى نفس بلال رضى الله عنه الذى صدق الله ورسوله ما عاهده عليه ، وظل ثابتا صامدا مصرا على ايمانه ويقينه ، يستعذب العذاب ، ويستطيب حر الرمضاء ، وثقل الحجارة المحماة ، التى كان يعذبه بها مولاه امية وهو يتقبل ذلك بصدر رحب ويلهج بقوله احد احد ، حتى اشتراه أبو بكر الصديق تعاونا منه فى تخفيف ويلات ذلك البلاء عنه ، واعتقه فى سبيل الله جزاء ايمانه .

وهذا أبو بكر رضى الله عنه آمن بدعوة الاسلام ، وصدق رسالة محمد صلوات الله عليه ، وكان لهذا الايمان أثر قوى فى نفسه ، فقد كان فذا فى صداقته وفدائيته وتعاونه الى حد التضحية بالنفس والاهل والمال . لقد شارك النبى فى امره كله ، حلوه ومره ، وما فارقه قط فى حضر ولا سفر ، لا يتخلى عنه فى احرج مواقفه فضحى بتجارته وامواله واهله وخرج معه وحيدا لا يصحبه الا الله فى وحشة الليل ، ووحشة الصحراء ، ووحشة الفرار من تتبع اولئك المجرمين ثم ليستقر معه فى ذلك الغار الذى يزيد الوحشة تفاقما والخوف تضاعفا . ثم يأبى بدافع من الايمان الا أن يستخدم ابنته اسماء ذات النطاقين لاستحضار الطعام لهما من داره بمكة الى مكانهما فى ذلك المخبأ المخوف البعيد فى ظلمة الليل ووحشته ايضا ، وكذلك يدفعه ايمانه الى استخدام ابنه فى تتبع الاخبار وتسقطها نهارا ليجىء بها ليلا اليهما فى الغار ، والى استخدام راعيه فى احضار المركبتين لهما ليلا ليسيرا بهما الى مهاجرهما ، ويأبى كل واحد من هؤلاء فى جو ذلك الايمان الا ان يسهم بقسطه من التضحية والايثار ، وهذه طبيعة الايمان التى يوضحها قول الرسول عليه السلام : « والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وهذا على بن ابى طالب الذى آمن بالدعوة من صباه ، وكان حركة دائبة فى مسير فلكها وقد عرض نفسه للقتل والهلاك حين تآمرت قريش برسول الله ليقتلوه ، وقد خرج مهاجرا اذ تبرع الفتى بنفسه فداء للنبى ونام مكانه فى فراشه مستهدفا لتلك الفتكة من غير تبرم ولا تضجر ، ايمانا منه بما يصنع الله لرسوله فى المتعاونين معه ، وكم كان ذلك الفتى مقصد العدو وغايته اذ ظل صاحبه يقدمه فى احرج المواقف فيتقدم ويحمله الراية فى الحروب فيحملها بقوة وصلابة مؤمنا بأن

غايته الذود عن الحق واعلاء كلمة الله ، ومن كان هذا سبيله هان كل شيء عليه حتى نفسه . وبمثل هذا التعاون والتفاني الذى فعله الايمان فى نفوس هؤلاء المؤمنين وغيرهم ممن آمنوا برسالة محمد صلوات الله عليه وناصروه تم النصر المبين يقول سبحانه : ((**هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم**)) .

يا اخى المسلم المتلىء ايمانا والذى تنشد الكمال فيه انظر معى الى اثر الايمان فى نفس الخنساء التى اوشكت ان تنتحر قبل اسلامها لما قتل اخواها صخر ، ومعاوية ، فلما استجابت هى واولادها لدعوة الرحمن وامتلأ قلبها بالايمان وكانت موقعة القادسية جمعت أولادها الاربعة وحرضتهم على القتال وقالت لهم : ((**لقد اسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين فاذا اتيتم الحرب فخوضوا غمارها وكونوا اول المبارزين**)) .

فاندفعوا الى القتال بعزم صادق ، وحماس مشتعل ، وانقلبوا بايمانهم أسودا فى المعركة فقاتلوا والقوا بعدوهم خسائر فادحة واستمروا فى القتل حتى قتلوا واحدا بعد الواحد ، وكلما قتل واحد منهم ازداد حماس الآخر ليستشهد ويلحق بأخيه ، ولما علمت أمهم بمقتلهم عن آخرهم ما جزعت ولا ضجرت ولا ندمت على تحريضهم وانما قالت : ((**الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى الاسلام وارجو من ربى أن يجمعنى بهم فى فسيح رحمته**)) !!

يا لسحر الايمان الذى يصنع فى النفوس المعجزات ، ويجعل الأم تتقبل نبأ قتل ابنائها الاربعة بثبات واطمئنان غير نادمة ولا آسفة ، لكنها راضية مستبشرة لأنها تؤمن بأنهم عند ربهم فرحون ، فأين موقفها هذا من موقفها السابق عند مقتل أخويها اذ جزعت واشتد حزنها حتى اقبلت على الانتحار . انه من أثر الايمان .

وانظر معى يا اخى ، الى اثر الايمان فى نفس أحد المحاربين فى الصدر الاول تلقى طعنات الرماح والسيوف التى ازهقت روحه فنطق وهو فى النزع الاخير وقال : ((**فزت ورب الكعبة**)) اذ يؤمن بأن للمجاهدين احدى الحسنيين ، اما نصر وغنيمة ، واما موت واستشهاد ، وهكذا يلقى المؤمن الموت باسما مغتبطا لأنه مطمئن لوعد الله الذى آمن به وصدق ، وانه يفنى فى سبيل تحقيق مبدئه واسعاد جماعته .

وانظر أيضا الى اثر الايمان فى نفس الفتاة المؤمنة فى عصر عمر بن الخطاب رضى اله عنه وقد أمرتها امها ان تغش اللبن وتخلطه بالماء لتحقق ربحا أكثر فتعصى امر امها ، لأن امير المؤمنين نهى عن غش الناس ، ولأن الرسول عليه السلام قال : ((**من غشنا فليس منا**)) ولما قالت الأم : ((**وما الذى اطلع امير المؤمنين ؟! قالت يا اماه . ان كان عمر قد نام فان رب عمر لن ينام**)) !!

هذا هو اثر الايمان فى نفوس المؤمنين فهو يوجههم الى الخير دائما فى السر والعلن ، ويوجههم الى الشجاعة والاقدام دائما والصبر والاحتمال الشاق وعدم اليأس والقنوط ، وهو الذى يجمع كلمتهم ، ويوحد صفوفهم ، ويعلى شأنهم بعد ان الف بين قلوبهم ، وهكذا يضع الله امامنا مثلا عليا من صفات المؤمنين الاولين ، وما وصلوا اليه بايمانهم من سلطان وقوة حتى نحذو حذوها ، ونسير على نهجها تاركين

البقية صفحة ١٠٤

حول نكاح نساء أهل الكتاب

لعالم كبير

قد طلب منا احد اخواننا المخلصين بالحاح شديد ان ننشر كلمة مفصلة عن زواج المسلمين بنساء اهل الكتاب مستندين فى ذلك الى احكام الكتاب والسنة لأن فتنة ــ الافرنجيات ــ كما يقول هذا الأخ الكريم ، فى تفاقم وانتشار هذه الايام وقد اتخذ المسلمون من الأذن الشرعى فى هــذا الباب حيلــة للاستمتاع بهــن واستيرادهن بكثرة لا يوجد لها مثيل فى تاريخهم الماضى .

ومما لا مجال فيه للريب ان هذه فتنة كبيرة فى واقع الامر ، ظهر من تاثيرها فى الهند ومصر وسوريا والكويت وغيرها من بلاد المسلمين ، ان ((السيدات الغربيات)) ولجن فى حياة المسلمين الاجتماعية ، ثم عملن ما وسعهن لاستئصال الحضارة الاسلامية واخطر من ذلك ما ظهر من النتائج السياسية مما لا يستطيع مسلم — ان كان فى قلبه حب للاسلام والمسلمين — ان يسكت عليه .

وعلى هذا ان كان المخلصون من افراد المسلمين اليوم يشعرون بحاجة الى ان يقوموا فى وجه هذه الفتنة ، ويضعوا لها حدا معلوما فلا شك ان ذلك ان دل على شىء فانما يدل على حبهم للاسلام ونصحهم للمسلمين .

ولكن كيف يكون عندنا التغيير والتعديل فى قضية شرعية ثابتة ان الذى قد انزل القرآن حكيم عليم على الاطلاق لا ينظر الى كل المصالح والضرورات والحاجات الا بغاية من التوازن والتناسب ، فلا بد لادراك أحكامه وتطبيقها على الظروف الراهنة تطبيقا سليما من ان نوسع دائرة نظرنا بقدر الامكان ، ثم نستعرض المصالح كلها — ما جل منها وما دق — استعراضا تفصيليا شاملا حتى لا تنزل كل واحدة منها الا بدرجة من الرعاية والاهمية قد انزلها بها الشارع نفسه .

فالآية التى تبيح للمسلمين ان يتزوجوا بنساء اهل الكتابين من اليهود والنصارى هى بالفاظها : ((اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات — وهن العفيفات — من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذ آتيتموهن أجورهن — اى مهورهن — محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان ((المائدة ٥)) .

اختلاف السلف حول تفسير هذه الآية :

لا شك ان السلف رحمهم الله قد اختلفوا كثيرا حول تفسير هذه الآية الا ان جمهور العلماء فى كل زمان انما حملوا حكمها على ظاهر الفاظها وعموم اطلاقها ، اذ لا بد من أن يكون اكثر حكمة فى تشريعه وتقنينه من الذى قد انزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيرا ، فهو لو راى حاجة الى استثناء أو تخصيص فى حكمه ((والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)) لقيده به بنفسه ، اذ مما لا يجتمع مع حكمته فى التشريع ان لا يستعمل فى بيان الاحكام القانونية ولا مثل اللغة الرصينة المتقنة التى يستعملها واضعو القوانين فى الدنيا ، فكيف يجوز أن نعتقد اذن ان كل مقصوده بهذا الحكم أن يحل للمسلمين التزوج بنساء طائفة خاصة من اهل الكتاب وقد اختار لبيان هذا الحكم الفاظا عامة شاملة لاهل الكتاب كلهم لا اشارة فيها قطعا الى استثناء أو تخصيص ، لاجل هذا فان جمهور الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين من السلف قد حملوا هذه الاية على الاذن العام فى التزوج بنساء اهل الكتاب بدون قيد ولا شرط ، بل قد تزوجهن جماعة منهم ولم يروا بذلك باسا لعموم هذا الاذن ، فقد تزوج عثمان بن عفان بنائلة بنت الفرافصة الكلبية وهى نصرانية ، وتزوج طلحة بن عبيد الله يهودية من اهل الشام ، وتزوج حذيفة اليمان وكعب بن مالك والمغيرة ابن شعبة بنساء من اهل الكتاب او خطبوهن للزواج .

راى عبد الله بن عمر :

ولكن ((عبد الله بن عمر من الصحابة وحده هو الذى كان لا يرى التزوج بنساء اهل الكتاب مطلقا ، وكان يقول ان الله حرم على المؤمنين النساء المشركات فى قوله تعالى : ((ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)) وكان يقول : لا أعلم شركا من أن تقول — اى المراة — ان ربها عيسى أو عبد من عبيد الله ، ولذا فانه يحرم التزوج بنساء كل من يوجد الكفر والشرك فى اعتقادهم من أهل الكتاب وقد فسر كلمة ((والمحصنات)) بالمسلمات فمعنى الآية بموجب رايه ان لكم أيها المسلمون ان تتزوجوا أيضا باللاتى يدخلن فى الاسلام من نساء اهل الكتاب .

رأى غير صحيح :

ولكن لا يصح فى هذا الباب رأى ابن عمر رضى الله عنهما وذلك لأسباب نذكرها بالاختصار فى ما يلى :

ان الله سبحانه وتعالى بنفسه قد بين فى كتابه من معتقدات أهل الكتاب ما هو مبنى على صريح الشرك كقولهم « ان الله هو المسيح ابن مريم » وكقولهم « ان الله ثالث ثلاثة » وكقول اليهود « عزير بن الله » وقول النصارى « المسيح بن الله » بل قد نسب اليهم كلمتى الشرك والكفر ، ولكنه على ذلك لم يذكرهم فى أى موضع من كتابه بكلمة « المشركين » كاصطلاح لهم ، وانما ذكرهم فى كتابه كله بكلمة « أهل الكتاب » أو بكلمات أخرى لها نفس هذا المعنى ، اقرأ القرآن من أوله الى آخره تجد فيه ثلاث طوائف مستقلة بعضها عن بعض : طائفة المشركين والكفار أى الذين ليس عندهم كتاب سماوى على وجه محرف أو غير محرف ، وطائفة أهل الكتاب أى الذين يؤمنون بنبى من الأنبياء وبكتاب من الكتب السماوية ، على كل ما هم فيه من الضلالات الاعتقادية أو العملية ، وطائفة أهل الايمان ، وهم المؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بصرف النظر عما أن كانوا ولدوا فى الاسلام أو دخلوا فيه من طائفة أهل الكتاب ، أو طائفة المشركين والكفار .

والقرآن فى ذكره هذه الطوائف الثلاث يميز بعضها عن بعض بما لا مجال فيه للاشتباه والاختلاط مطلقا فلا يقول : « أهل الكتاب » ويريد بهم المشركين ، أو يقول : « المشركين أو الكفار » ويريد بهم اليهود والنصارى ، أو يقول « الذين أوتوا الكتاب » ويريد بهم المسلمين فلما قال تعالى فى موضع من كتابه « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ثم قال فى موضع آخر « اليوم أحل لكم الطيبات .. الى أن قال « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » فلا بد من القول بانه ليس المراد بالمشركات » فى الآية الاولى نساء اهل الكتاب وانما المراد بهن نساء الوثنيين وغيرهم من الامم غير الكتابية .

ونحن اذا لم نفسر كلمة « المشركات » و « المحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » بهذا المعنى فان ذلك يستلزم تعارضا صريحا بين آيتين فى القرآن لا يمكن رفعه بمجرد أن يقال ان المراد بالمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اولئك اللاتى كن قد دخلن فى الاسلام من نساء اليهود والنصارى ، او ان المراد بهن نساء الفرق الكتابية المتنزهة عن الشرك والكفر وذلك :

١ — لأن الله عز وجل قد قال : « المحصنات من المؤمنات » قبل أن يقول « والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب » ، وليس المراد « بالمؤمنات » اللاتى قد ولدن فى الاسلام فحسب ، بل المراد بهن كذلك اللاتى قد دخلن فى الاسلام تاركات أديانهن السابقة ، فلما كان قد احل الزواج بالمؤمنات عموما وفيهن من كن يهوديات أو نصرانيات قبل الاسلام ، فاية حاجة اقتضت اذن ذكر « المسلمات من الذين اوتوا الكتاب » بالذات بعدهن ؟ اذ لو كان الامر هكذا لما كان لهذه الجملة اى معنى ابدا .

٢ — وقد قيل قبل هذه الآية كذلك : « وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم » فهل المراد بهم هنا ايضا اولئك المسلمين الذين قد دخلوا فى الاسلام من اليهودية او النصرانية ؟ فان قيل « لا » فعلى اى اساس جاز أن يفسر « الذين اوتوا الكتاب » فى جزء من آية بمعنى غير المعنى الذى يفسر به فى جزء آخر من الآية نفسها ؟

٣ — اية فرقة من فرق اهل الكتاب هى بريئة من الشرك اوالكفر؟ واين كان بقى فيهم الاعتقاد السليم عن الله ؟ ومن اين كان لهم ان يهتدوا اليه ؟ لقد كانوا حرفوا اصل تعاليم موسى وعيسى عليهما السلام فانى كان لهم ان يجدوا سبيلا الى صحة الاعتقاد حتى تكون فرقة منهم على الصراط المستقيم ؟ اذن لا يصح القول ابدا بأن المراد « بالذين أوتوا الكتاب » فى قوله تعالى « والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم » ... فرقة من اليهود او النصارى سليمة فى اعتقادها

اما الآيات التى قد يخيل الى الانسان عند قراءتها انه كان فى اهل الكتاب فرق سليمة

فى اعتقادها فانها تشير فى حقيقة الامر الى أناس من أهل الكتاب كانوا قد آمنوا بالقرآن واتبعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، أو كادوا بناء على طهارة قلوبهم وسلامة فطرتهم .

٤ ـ واذا فرضنا أن اليهود والنصارى فيهم طائفة مثل هذه ، فان الله تعالى ما قيد ((الذين اوتوا الكتاب ، من قبلكم)) بشىء يجوز الاستدلال به على أن هذا الحكم خاص بتلك الطائفة وحدها . وليس بشامل لسائر أهل الكتاب ، فما لنا اذن نشغل أنفسنا بفحص معتقدات أهل الكتاب ، ونقضى بقياسنا أنه يجوز للمسلمين أن يتزوجوا بنساء الفرقة أو الفرق الفلانية من أهل الكتاب ، ولا يجوز لهم أن يتزوجوا بنساء سائر فرقهم ؟.

دليل آخر غير سليم :

والذين قد أيدوا ابن عمر رضى الله عنهما فى رأيه يستدلون كذلك بقوله تعالى ((ولا تمسكوا بعصم الكوافر)) مع أن هذه الآية انما نزلت خاصة فى أولئك الرجال والنساء الذين قد هاجروا من دار الحرب الى دار الاسلام ، والذين ـ بقيت زوجاتهم ـ أو أزواجهن ـ على الكفر فى دار الحرب ، والمقصود من الآية بيان أن نكاح الجاهلية ينفصم مع مجرد دخولهم فى دار الاسلام ، ويكون من حق الرجل المهاجر أن ينكح غير زوجته السابقة ومن حق المراة المهاجرة ان تنكح غير زوجها السابق ... هذا المعنى يتحقق باعتبار شان نزولها ، أما اذا اقتصر احد على نفس الفاظها ، فنقول : ان الله عز وجل انزل فى موضع حكما عاما بقوله : ((ولا تمسكوا بعصم الكوافر)) وبين فى موضع آخر ان جماعة من الكفار (١) وهم أهل الكتاب ، مستثنون من هذه الحرمة العامة وذلك بقوله : ((والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم)) وانكم اذا كنتم لا تقولون بان هذا الحكم الثانى قد خصص الحكم العام الاول ، فلا بد أن تقولوا بان هناك تناقضا فى اقوال الله عز وجل : يحل شيئا فى موضع ، ويحرمه فى موضع آخر والعياذ بالله .

رأى ابن عباس :

والصحابى الثانى الذى حاول أن يضع حدا لاباحة الزواج بنساء أهل الكتاب هو عبد الله بن عباس رضى الله عنهما اذ يقول ان هذا الحكم خاص بالذميات دون الحربيات فلا يجوز الزواج الا بنساء اليهود والنصارى الذين هم من رعايا دار الاسلام ، مهما كانت عقائدهم فاسدة . واما أهل الحرب منهم ـ أى الساكنون خارج حدود دار الاسلام ـ فلا يجوز الزواج بنسائهم ، ودليله على ذلك ان الله قد أمر المسلمين بقتال هذه الطائفة من أهل الكتاب ، وذلك حين قال ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)) التوبة ـ ٢٩ ، وأيضا قد حرم على أهل الايمان ان يوادوا من حاد الله ورسوله ((المجادلة ـ ٢٢)) هذا من جانب .

ومن جانب آخر فالعلاقة الزوجية لا تقوم الا على المودة والرحمة ((خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة)) الروم ٢١ فعلى هذا كانت علاقة الزواج توجب المودة والمحبة وكانت موادة الحربيين من المشركين وأهل الكتاب محرمة على المسلمين وكان قتالهم واجبا عليهم فانه ينبغى أن يكون زواج الحربيات سواء أكن من المشركين أم من أهل الكتاب محظورا .

هذا ما يحتج به سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما الا أن جمهور الصحابة والتابعين والائمة الفقهاء لم يوافقوه على رأيه كما لم يوافقوا سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما على رأيه ، وهم وان كانوا كلهم يكرهون الزواج بأمراة من أهل الكتاب اذا كانت من دار الحرب أو دار الكفر ولكن ما قال بحرمته احد منهم ، لأن اباحته المذكورة فى قوله تعالى ((والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)) عامة شاملة لأهل الكتاب جميعا ، سواء أكانوا من أهل الحرب أم من غيرهم والله تعالى ما قيدها بشىء .

هذا بالنسبة للجواز القانونى ، والمقصود مما قلنا أن هذا الجواز القانونى يجب ان يبقى على

عمومه وشموله الموجودين فى آية القرآن ، اما عدم تناسب الزواج وكراهيته على اعتبار المصالح القومية او الظروف الشخصية ، فهذا امر آخر ، لا يجوز لنا ان نحرم الحلال ، غير انه من حقنا ولا ريب ان نجتنب فعلا حلالا اذا كان لا يناسبنا فى وضع خاص ، اذ ليس معنى الحل والاباحة الامر واللزوم .

راى جمهور الصحابة والائمة واختلافهم :

والذين لا يوافقون عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما على رأيهما ، ويقولون بان حكم الآية شامل لاهل الكتاب كلهم يدور الخلاف بينهم فى معظمه حول تفسير كلمتين وهما ((المحصنات)) و ((الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)) .

فالمحصنات عند جماعة منهم ((العفائف)) وعند جماعة اخرى ((الحرائر)) دون الاماء ، فلا يجوز الزواج عند الجماعة الاولى الا بالعفائف من نساء أهل الكتاب دون الفاحشات والمومسات منهم ، ولا يجوز الزواج عند الجماعة الاخرى بالاماء من نساء اهل الكتاب ولو كن عفائف ويجوز بالحرائر منهم ولو كن فاحشات .

راى الشافعى :

اما اهل الكتاب فيقول الامام الشافعى رحمه الله : انهم اليهود والنصارى من بنى اسرائيل واما الامم الاخرى التى قد انتحلت اليهودية او النصرانية فلا تطلق عليها كلمة ((اهل الكتاب)) لانه ما ارسل موسى ولا عيسى عليهما السلام الا الى بنى اسرائيل وما كانت دعوتهما لغيرهم من أمم الارض .

راى الاحناف والجمهور :

ويقول الاحناف وجمهور الفقهاء : ان كل أمة اذا كانت مؤمنة بنبى من الانبياء وبكتاب من الكتب الالهية تعد من آهل الكتاب ، وليس كونها من اليهود أو النصارى شرطا فى ذلك ، فلو كانت فى الدنيا طائفة مؤمنة بصحف ابراهيم وحدها ، أو الزبور وحده لكانت طائفة كتابية .

رأى جماعة آخرين :

وقد ذهبت جماعة قليلة من السلف الى ان كل أمة عندها كتاب يجوز الظن بانه سماوى هى من أهل الكتاب كالمجوس مثلا ، وهذه الفكرة قد وسعها فى هذا الزمان جماعة من المجتهدين الجدد ، حتى قالوا ان الهنادك والبوذيين أيضا من أهل الكتاب ، فيجوز الزواج بنسائهم لانه لا بد أن يكون قد جاءهم نبى من الانبياء ، ولا بد أن يكونوا قد اوتوا كتابا من الكتب السماوية .

الراى الصحيح :

وأصح رأى فى كل هذه الاختلافات عندنا الرأى القائل بان المراد من اهل الكتاب اليهود والنصارى ، سواء اكانوا من بنى اسرائيل أم من غيرهم فان كلمة ((اهل الكتاب)) ما وردت بالقرآن الا لهاتين الطائفتين ، وقد صرح فى موضع آخر بانهما هما اهل الكتاب وذلك حيث يقول عز من قائل : ((وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ، ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا)) ((الانعام — ١٥٦)) اما الامم الاخرى التى انزلت اليها الكتب ، فهى لما قد اضاعت كتبها ولم يبق شىء من معتقداتها واعمالها يتفق مع تعاليم الانبياء فلا يجوز ان تطلق على احداها كلمة ((اهل الكتاب ولذا فان الرسول صلى الله عليه وسلم ما جعل المجوس من اهل الكتاب على اعتقادهم بزرداشت فلما أخذ الجزية من مجوس هجر قال : ((سنوا بهم سنة اهل الكتاب)) ولم يقل انهم من اهل الكتاب .

ولما كتب اليهم يدعوهم الى الاسلام قال بكل صراحة ((فان اسلمتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا ومن ابى فعليه الجزية غير اكل ذبائحهم ولانكاح نسائهم)) فلا مجال للشبهة بعد ذلك

بانه يجوز أن تعد أمة غير اليهود والنصارى من أهل الكتاب فتؤكل ذبائحها وتنكح نساؤها .

الرد على مخالفي هذا الرأى :

أما رأى الامام الشافعى رحمه الله أى اشتراطه بالاسرائيلية ، فلا يصح كذلك ، لأنه وان كان الخطاب فى دعوة موسى وعيسى عليهما السلام لبنى اسرائيل وحدهم الا أن الله ورسوله قد عد من أهل الكتاب حتى الامم غير الاسرائيلية التى انتحلت النصرانية ويدل على ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما كتب الى قيصر الروم يدعوه الى الاسلام ضمن فى رسالته هذه الآية (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) مع انه لم يكن الروم من بنى اسرائيل .

أما الذين فسروا المحصنة بالعفيفة أو الحرة وجعلوا العفة أو الحرية شرطا لتزوج الكتابية فلا يصح رأيهم أيضا عندنا اذ لا شك أن الاحصان يشمل مفهومه كلا من العفة والشرف وما المحصنة الا عفيفة وشريفة معا ، ولكن ليس من مقصود الشارع بقوله « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » أن يجعل العفة أو الشرف شرطا لجواز الزواج بنساء أهل الكتاب ، وانما مقصوده به اظهار الافضلية والاولية ويقصد فى حقيقة الامر بيان أنه وان كان لكم ، ايها المسلمون أن تتزوجوا أية امرأة من المؤمنات أو من أهل الكتاب ولكن الاولى والأفضل أن تكون تلك المرأة محصنة أى عفيفة وشريفة .

وقد قيدت كثير من أحكام القرآن بأمور ليست بشروط لثبوت الحكم وانما هى كقيود زائدة لاظهار أفضل ناحية فى فعل من الافعال المباحة أو لاظهار أرذل ناحية فى فعل من الافعال المحرمة حتى يبذل أهل الايمان اهتمامهم لاختيار الافضل واجتناب الارذل ، وهذا عين ما رآه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا الباب حين تزوج حذيفة بن اليمان بيهودية فكتب اليه عمر « أن خل سبيلها » فكتب اليه حذيفة أحرام هى ؟ فكتب اليه : لا ولكنى أخاف أن تواقعوا المومسات منهن ! » .

فاصح رأى عندنا أن نجعل السماح الشرعى بتزوج نساء أهل الكتاب عاما من الحربيات كن أو من الذميات ومن العفائف كن أو من غير العفائف ، ومن الاماء كن أو من الحرائر .

---

(١) يلاحظ أن الكاتب قرر من قبل أن كلمة كفار لم ترد فى استعمال القرآن مرادا بها أهل الكتاب .. فلا بد أن يكون كلامه هذا على سبيل التنازل ..

من أدب الجيل الماضي

سلطة الآباء :

رحم الله زمانا كان الاب فيه الآمر الناهي ، والحاكم المطلق والملك غير المتوج ينادي فيتسابق من في البيت الى ندائه ويشير فاشارته أمر وطاعته غنم ..

تحدثه الزوجة في خفر وحياء ويحدثه الابن في اكبار واجلال ، من سوء الادب أن يرفع اليه بصره أو يرد عليه قوله ، أو يراجعه في رأي أو يجادله في أمر اما البنت فاذا حدثها لف الحياء رأسها وغض الخجل طرفها قليلة الكلام متحفظة الضحك خافضة الصوت ، تتوهم انها أخطأت في التافه من الامر فيندى جبينها ويصبغ الخجل وجهها ، واذا جاء الحديث عن الزواج فالى أمها الحديث لا الى أبيها بالتلويح والتلميح لا بالتصريح ..

والأمر الى الاب فيما يقبل وفيما يرفض وفيما يفعل ، وما لا يفعل .

احمد امين

بنت اليوم والأمس :

كانت البنت من أوساط الناس اذا تزوجت لا تكاد تجشم الزوج أو أولياءه شيئا ، فطعامها من طعام أهل الدار ، وكسوتها إزاران ورداءان في العام ، وما حاجتها الى حذاء وهي حلس خدرها طوال الأيام ؟ اذا في الكوث (الشبشب) على رأى أستاذنا العلامة الشيخ مهدى خليل ، غنى وكفاية .

ثم أنها توفر على الاحماء أجور الخدم وسائر تكاليفهم بما تقوم به من العجن والخبز ، والطهي ، وغسل الثياب ، وكنس الارض ، ونفض الأثاث ، وتقديم القهوة للزائرات ، وصنعها للزائرين وخدمة الطفل الخ ..

والآن لا تحسن البنت الحضرية شيئا من هذا ، وقد لا تعرفه ، وان عرفته واحسنته لا ترضى بأن تعالجه أنفة وحفظا للكرامة ، ودعنا من الأنفة والكرامة ، وحدثني بعيشك ، متى تضطلع البنت او الزوجة الحضرية بهذا أو ببعضه ، ولا بد لها كل يوم من غشيان السينما أو غيرها من دور التسلية والترويح ؟ ولا بد لمن يسهر الليل من أن ينام صدرا من النهار . ولقد يتصرم سائره في الاختلاف الى الخياطة ، ومتاجر الثياب والزينة ، وزيارة الاصدقاء والأتراب ، والتفرج في المتنزهات في صحبة الزوج أو بعض ذوى الارحام ، واستقبال الضيفان . وناهيك بما يستهلك من الوقت ، بعض النهار ومهبط الليل ، في التجمل والتزين ، وتصفيف الشعر طوعا لآخر بدع (مودة) سواء جرى ذلك في البيت أو في دكان الحلاق ، ولا بد أن يكون لقراءة الروايات من مساحة اليوم حظ غير قليل .

عبد العزيز البشري

تزوجوا

تزوجوا ، وانظموا اوطاننـــا اسرا لا تتركوا وطن الأمجـــاد منتثرا

لا تجعلوا البيت والتزويـــج مشكلـــة ويسروا من امور العيش مـــا عسرا

لا تخشوا الفقر ، كم من اسرة شبعت عزا ومالا ، وفرد خاب وافتقـــرا

ولا تخافوا شقاقا في بيوتكمـــو بل اضمروا الحب يبق الحـــب منتصرا

فان تعاظمكم خلـــف واعضـــلكم فخالفوا آمـــر التفريق ان امـــرا

واستخلصوا حكما من اهلكم وخذوا من اهلها حكما واسترحموا القـــدرا

ولست ارضى سوى الأهلين محكمة وليبق سري وسر البيـــت مدخـــرا

فان قضى اللــــه تفريقا فنازلـــة ان تلق صـــبرا فطوبـــى للذى صبرا

وربما كـــان في التفريق منفعـــة قـــد يبرا الجسم من عضـــو اذا بترا

حياتنا صـــفقات تلك واحـــدة منها فذا رابـــح فيها وذا خســـرا

— ● —

ومن يعدد زواجـــا دون ملجئـــة فقد اتـــى بضرار او اتـــى ضررا

ليس التعـــدد الا رخصـــة فاذا اسرفت فيها ركبـــت الحمق والخطرا

يصور الشاعر محمد مصطفى حمام في هذه القصيدة تعدد الزوجات في حكمة التشريع :

من ينتقص حق أولاد لثانية	لم يلق من ربه عفوا اذا اعتذرا
وفي التعدد ان أدركت حكمته	بر رخي وجبر للذى كسرا
من للمطلقة الحسناء يعصمها !	وللعوانس تفني عمرها ضجرا !!
وللأرامل ، والأحزان تعصرها	والحزن يفتك بالأعواد ان عصرا
ومن لأم اليتامى ، هل تقوتهمو	بالخد معتصرا وللقد مهتصرا !
وما الخطاء لمن زلت وساورها	من الفضيحة طيف يرسل النذرا !
وما السبيل الى ذرية نجب	ان كنت زوج عقيم حظها عثرا !
هو التعدد يهدى الفارقين الى	بر الأمان ويبنى بيننا أسرا
هو التعدد كم آوى اليتيم واشـ	ـباه اليتيم وكم واسى وكم سترا
هو الحلال الذى ينفي الحرام وكم	حمى من الفحش انثى او حمى ذكرا
عدد ان اسطعت لكن عادلا لبقا	لا تعطين الهوى سمعا ولا بصرا
واحكم رعاك الله بالحب الصحيح تجد	مغناك لا غيرة يشكو ولا غيرا
واسأل ضميرك في امر التعدد ، لا	تلجأ لقاض ولا تستأذن البشرا
اذا جرؤت على قاضى السماء فلن	تكون يوما بقاضى الأرض مزدجرا

دراسة حول القصص القرآني :

مصادر القصص القرآني ومقاصده

تمهيـــد :

كانت القصة ــ وما تزال ــ مدخلا طبيعيا يدخل منه اصحاب الرسالات والدعوات ، من الرسل والقادة والمصلحين ، الى عقول الناس وقلوبهم ، ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه من معتقدات وآراء واتجاهات .. ولعـــل عصرنا هذا خير شاهد يشهد لما للقصة من سلطان على الناس ، ومن تأثير في مجرى الحياة ، وفي تلوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وفي كل ما يمس الوجود الانسانى للانسان فى خاصة نفسه ، أو فى الوسط الاجتماعي الذى يعيش فيه ، ابتداء من مجتمع الاسرة ، وانتهاء الى المجتمع الانسانى كله ، والى الوجود جميعه فى أرضه وسمائه !! ونستطيع أن نقرر فى غير مبالغة أو مجازفة أن القصة كانت أول رفيق صحب الانســـان منذ خطواته الاولى على هذا الكوكب الارضى ، فآنست وحشته ، وكشفت معالم الحياة من حوله ، ووصلت ما بين عالمه المائج المضطرب فى كيانه ، وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة .

فمنذ التقى الانسان بالحياة ، وهو فى صراع عنيف متصل بكل شىء فيها .. سواء ما يقع منها فى متناول حواسه أو ما يتولد من صـــورها فى أوهامه وخيالاته ورؤاه .

ان خطوات الانسانية الاولى فى الحياة كانت تتحرك على بســـاط سحرى مهول من القصص المثيرة المذهلة ، يقصر عن تصورها أبرع خيال ، ويعجز عن تصويرها أعظم شعراء الملاحم والاساطير .

لقد كان كل شىء على الاطلاق يبدو لعينى الانسان الاول ، عـــالما مجهولا مخيفا ، يضم فى كيانه قوى وأسرارا يعجز العقل عجزا مطلقا عن تأويلها ، أو الوقوع على شىء من عللها وأسبابها .. فالسحاب ، والرعد ، والبرق ، والمطر ، والريح ، والنار ، والشجر ، والحب والثمر ، والليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم .. وكل صغير وكبير وحى وميت ، ومتحرك وساكن ــ كل أولئك جميعا وغيرهن مما فى هذا الوجود من موجودات كان عند الانسان الاول عوالم مجهولة ترمى اليه بالمخاوف ، وتحدق فيه بعيون تتهدد وتتوعد بالمرسلات من الصواعق والمهالك .

ومن هذه النظرة وعلى طول اتساعها وامتدادها نشــــأت الديانات والمعتقدات .. فالخوف أبو الآلهة ــ كما يقولون فمن مشاعر الذعر والخوف تولد الرهب والرغب الى عالم الاشياء ، والى القوى الخفية الكامنة فيها ،

وسرعان ما تجسدت تلك المشاعر فى خيال الانسان وتصوراته ، فخلعت على الاشياء ثوب الآلهة ، على تعدد أشكالها ، واختلاف صورها ، من حيوان ونبات وجماد ، وكان من هذا أن تعبد الانسان لكل شىء يتوقى شره ، ايرجو خيره ، بما يقدم اليه من قرابين وما يرفع من صلوات ودعوات .

واذن فلم يكن عن مبالغة منا اذا قلنا ان القصة كانت أول ما صحب الانسان من تصورات عقله ، وصيد خواطره وطوارق أحلامه ، وهواجس رؤاه ، ولسنا بالمبالغين أيضا اذا قلنا ان هذه التصورات وتلك الخواطر والطوارق والهواجس كانت أقوى قوة دفعت الانسان الى تحريك لسانه ، والى ايقاظ ملكاته ، واطلاق جميع القوى الكامنة فيه بحثا عن الكلمات التى يضعها على شفتيه ليصور بها تلك الاهوال التى تضطرب فى أعماقه ، وتموج فى مسارب تفكيره وتتراقص على مسرح خياله .

لقد كانت اللغة ــ بلا شك ــ هى اليد الرحيمة الحانية التى رفعت ــ وفى الوقت المناسب ــ الغطاء عن صدر ــ الانسان الذى كان يغلى ويفور بتلك الأخلاط الغريبة من التصورات والخيالات ، التى تدافعت سيولها اليه من كل منحدر ، وكادت تجرفه فى تيارها العتى ، وتحيله مزقا ! وانه ما ان جرت على رسانة بعض الكلمات وما أن وجد لها آذانا تسمع ، وعقولا تعى حتى أرسلها رسل سلام بينه وبين الاشياء ــ كل الاشياء ــ القريبة والبعيدة منه ، مصورا بتلك الكلمات تسابيحه وصلواته ، معبرا بها عن ولائه واستسلامه ، وكان لهذا أثره العظيم فى طرد الكثير من مخاوفه ، وفى بعث دفعات غير قليلة من الامن والطمأنينة اليه .

ولعل هذه النظرة التى تنظر بها كثير من الديانات والمتدينين حتى عصرنا هذا ــ الى الله على أنه الاله المنتقم الجبار الذى لا يرحم ، والذى يأخذ الابناء بذنوب الآباء الى سبعة أجيال ــ لعل هذه النظرة هى من بقايا هذه المشاعر الانسانية الاولى فى دورها الطفولى ، التى غلب عليها الخوف الذى كان هو الباعث الاول فى عبادة ما عبدت من آلهة ، ثم توارثته الاجيال جيلا بعد جيل . . ولعل هذا الاحساس الدفين بالخوف من المجهول الذى يختفى وراء عوالم الطبيعة وظواهرها ــ هو الذى جعل آلهة اليونان ــ مثلا ــ قوى جبارة عاتية لا ترحم تترصد الناس وترمى اليهم بالمهلكات ، وتنزلهم على حكم قدر يضع الناس تحت رحى طحون ، لايرضيه الا الصراخ الدائم والعويل المتصل ، ثم بعد أن طال ليل هذه الآلهة التى أحالت حياة الناس مأساة دامية ــ تنفس الصبح عن آلهة الخير ، والجمال ، والحب ، والخمر . ولكن تلك الآلهة لم تكن تحتل الا جزءا ضيقا فى مسرح الحياة الانسانية ، لا تظهر الا بين الحين والحين ، ولا تعطى الا فى قصد وحذر على حين ظلت آلهة الشر والحرب رائحة غادية تملأ دنيا الناس ، وتتحكم فى مصائرهم فى قسوة وشراسة .

بين القصة والدين :

وعلى أى فان الدين فى صورته الاولى لم يكن سوى القصة أو الحكاية ، أو الخرافة ، ممثلة على مسرح الحياة فى خطوات الانسان الاول وفى خطراته ووساوسه وأوهامه .

ان معتقدات الاولين كانت فى الاغلب الاعم منها ، ممثـــلة فى تلك الاساطير والخرافات المخلفة من نسيج الوهم والخوف ، وقـــد ظلت تلك الاساطير متوارثة فى أجيال الناس ، فكانت منها ديانات الفراعنة ، واليونان، والفرس والهنود وغيرهم ، وكانت منها تلك الآلهة التى عبدها الناس فى تلك الازمـــان .

نقول هذا لنرى مبلغ العلاقة الوثيقة بين الدين والقصة ، وأن الدين لم يكن فى كثير من الاحيان الا مجرد قصة طويلة ، كانت يوما ما عند أهلها كتابا مقدسا ، وان بدت لنا اليوم نسيجا مهلهلا من خرافات وأباطيل وضلالات

ونقول هذا أيضا لندرك بعض المرامى التى قصد اليها القرآن الكريم من هذا القصص الكثير الذى ضمت عليه آياته وسوره ، ففى هذا القصص يلتقى الانسان التقاء صادقا واضحا مع أقوى دوافعه وعواطفه التى ولدت معه فى ضباب طفولته ، والتى نضجت مع الزمن فى صراعه الطويل مع الحياة . ومن هذه الدوافع وتلك العواطف يقاد الانسان ويؤخذ بناصيته نحو الغايات التى تدعوه اليها القصة وتقوده نحوها ! فالقصص القرآنى هو أحـــد الاساليب التى حملها القرآن بين يديه ليحاج بها الناس ، وليقطع المعاندين والمجادلين عن المماحكة والجدل ، شأنه فى هذا شأن ما جاء به القرآن من أساليب الاستدلال ، والمناظرة والتعجيز والوعد ، والوعيد ، وغير ذلك من المشاهد والمواقف المثبوتة فى القرآن الكريم كله ، من قصار الســور الى طوالها ، ولا نجد سورة مهما قصرت تخلو من مشهد ، أو موقف يمهد للدعوة الاسلامية ، ويضع معلما من معالم الهدى للاتجاه اليها ، والتبصرة بها ، فى منطق محكم ، وحجة دامغة ، وبيان معجز . مفحم .

مصادر القصص القرآنى :

والمعروف عن القصص الانسانى انه يعتمد أكثر ما يعتمد على الخيال، وعلى خلق صوره ومشاهده من هذا العالم المجنح ، البعيد عن أرض الواقع، وانه كلما اغرب القصصى وأبعد فى الخيال كانت سوق قصصه أكثر رواجا ، وأطول عمرا ، ذلك أن الطبيعة الانسانية تشوقها الغرائب ، وتستهويها العجائب التى تطل عليها بوجوه غير مألوفة لها ، على خلاف الواقع الذى تعيش فيه .. ومن هنا قيل : أعذب الشعر أكذبه .

فصانع القصة الانسانية لا يتقيد كثيرا بالواقع ، ولا يلتزم الصـــدق فيما ينطق به الاشخاص والاحداث التى تدور حولها قصته ، كما أنه لا يحفـــل كثيرا بالمثل والمبادىء والقيم التى يودعها كيان شخصياته التى يقيم عليهـــا بنـــاء قصـــته .

فالخيال الجامح الذى يبعد القصة عن مألوف الناس هو الذى يعطى القصة الناجحة أسباب نجاحها ، بما تحمل من الوان التشويق والاثارة لمداناة هذا العالم المجهول ، وارتياد معالمه على زورق سحرى من زوارق الاحلام !

تلك هى مادة القصص الانسانى حتى التاريخى من هذا القصص فانه لا يحترم وقائع التاريخ ، ولا يتقيد كثيرا بما سطر فى صحفه ، بـــل يبيح القصصى لنفسه أن يلون هذه الوقائع بما يشاء من الوان وأصباغ ، تغير كثيرا، أو قليلا من وجوه الاشخاص والاحداث ! .

فهل صاغ القرآن الكريم قصصه على نحو من تلك الصياغة التى صبت

فى قوالبها مواد القصص الانسانى ؟ بمعنى أن القصص القرآنى مزج بين الحقيقة والخيال ، وزواج بين الواقع والوهم ؟

ونقول : ان القصص القرآنى نسيج وحده ، فى مادته وفى أسلوب ادائه وفى مقاصده وغاياته — فهو فى مادته — صدق خالص ، وحق مطلق لا تشوبه شائبة ، من وهم أو خيال ، أنه بناء محكم من لبنات الواقع بلا تزويق ولا تمويه ، وهذا الواقع لا تتغير لمحة من لمحات وجهه حين يعرض هذا العرض المعجز فى آيات الله وكلماته ، فالاعجاز والروعة انما يتجليان فى صدق الاداء ، وفى نقل الواقع ، وما تلبس به من خلجات النفوس ، وسرائر الصدور .. وانه ليس بالنقل « الفتوغرافى » الذى يقف عند السطح ولا يتجاوز ما وراءه من أبعاد واعماق ، بل هو نقل حى للاحداث حتى لكأنها تتجسد فى الزمان والمكان اللذين حملاها ، فتظهر وكأنها فى ساعة ميلادها ، لا يختلف يومها عن أمسها ، ولا يفقد من يشهدها اليوم مصورة فى كلمات ، شيئا مما شهده منها الشاهدون حين وقعت ! .

وهنا أمر ينبغى ان نلتفت اليه فى هذا المقام ، وهو التفرقة بين الواقع فى ذاته وبين نقله مصورا فى كلمات . أو فى عمل من أعمال الرسم ، أو النحت أو الموسيقى ، اذ ليس الاعجاب الذى يستولى علينا ، والروعة التى تأسر البابنا وتملك مشاعرنا من آيات العبقرى من الفنون ليس ذلك لمجرد الدقة فى المحاكاة ، والصدق فى النقل ، والامانة فى العرض ، وانما مرده الى ما وراء تلك القشرة السطحية للاشياء ، وما ينكشف لبصيرة الفنان الملهم من أسرارها المضمرة فى كيانها ، وما تستطيع أدوات فنه من اقتدار على متابعة رؤى بصيرته والتجاوب الصادق معها .

فالزهرة فى الطبيعة مثلا ، هى فى مرأى العين زهرة حمراء ، أو بيضاء، أو صفراء لها ريح طيب نفاذ أو غير نفاذ ، وهى فى مجال النظر والشم نبتة ذات لون وريح ، ولكنها فى مجال الشعور والوجدان وفى مجلى الخاطر والبصيرة كائن حى يحدق بأحداق ، ويحدث بلسان ، ويبسم بفم ، فهى ترضى وتسخط ، وتبسم وتعبس ، وتمنح وتمنع الى غير ذلك مما يتبدى من الكائن الحى ذى العاطفة والشعور .

والفن اذ ينقل الزهرة فى عمل فنى بأية أداة من أدواته التى تحملها يدفنان صناع لا ينقلها مجرد نقل سطحى ، كما يحدث فى النقل بأداة التصوير، وانما ينقلها محملة بهذه الرؤى التى انكشفت لبصيرته ، وتجلت لخاطره ، ووقعت لسمعه وبصره ، ومست شغاف قلبه ومسارب وجدانه .

ويبدو هنا سؤال ، لا بد من طرحه والاجابة عليه وهو : الا تكون تلك الرؤى التى تلوح للفنان فى الاشياء أو الاحداث والتى ينقلها فى العمل الفنى مع الشىء او الحدث — الا تكون هذه اضافات تبدل من صورة الواقع وتغير من حقيقته ؟ ثم الا يكون لنا أن نقول عن هذا الشىء ، أو الحدث المنقول الى عمل فنى ، انه ليس هو ، ولكنه شىء آخر من توليدات الفنان وتركيباته ؟

والاجابة على هذا السؤال من وجهين :

فأولا : أن أصالة العمل الفنى هى التى تضفى الخلود على هذا العمل، وتقيمه فى الحياة ميراثا باقيا على الزمن ، وانه لن يكون العمل الفنى أصيلا الا اذا كان من منبعه الى مصبه ملتزما الحق ، جاريا معه ، أو بمعنى أدق ،

ان الفنان الاصيل لا يمكن ان ينحرف عن الحق ، لان أصالته لا تقبل الزيف ، ولا تلتئم مع الباطل أبدا ، وما خلد ما خلد من أعمال فنية ، الا كان الحق هو روحه السارية فيه ، والحق خالد فى ذاته ، وفى كل ما يبنى عليه .

واذن فالعمل الفنى الاصيل يخرج فى ضمان هذه الاصالة معافى من الزيف ، مبرءا من الباطل ، سليما من التمويه والكذب .

وثانيا : ان الفن مهما بلغ من الاصالة لا يمكن ان يجمع الحق من جميع أطرافه وان يستولى عليه من كل جوانبه وذلك لما فى الانسانية من عوارض النقص والقصور ، فلا يمكن بحال من الاحوال أن يرقى انسان الى غاية الكمال الذى هو منزل الحق ، ومطلع شمسه ، وانما بحسب الفن من الاصالة أن يلم ببعض أطراف من الحق ويحوم حول حماه .

واذا كان ذلك هو غاية مستطاع الفن فى أعلى مستوياته — فان كلمات القرآن الكريم وحدها ، دون سائر الكلام هى القادرة القدرة المطلقة على أن تحمل الحق كله ، تضمه اليها ، وتحتويه فى كيانها ، لانها هى ذاتها الحق المطلق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وفى هذا يقول الحق جل وعلا عن آيات القرآن الكريم وكلماته : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .

واذن فنحن فى مواجهة القصص القرآنى ، وفى لقاء الاحداث التى يعرضها هذا القصص انما نشهد الواقع فى جلال الحق ، وفى روعة الصدق .. الحق الذى يقوم عليه وجود الموجودات على ما خلقها الخالق جل وعلا ، كما يقول سبحانه : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق » .. والصدق هو الذى ينقل هذا الواقع فى معرض آيات الله وكلماته .

تلك هى مادة القصص القرآنى ، وهذه هى مصادره التى صدر عنها .. من الحق ، والحق المطلق بناؤه ليس فيه شىء مما فى القصص البشرى من واردات الخيال ، أو الوهم مما يلجأ اليه أصحاب القصص ، تعويضا لما عجزوا عن تناوله من سماء الحق .

هذا ، وقد انخدع بعض الدارسين المحدثين بكلمة (قصص) التىجعلها القرآن الكريم عنوانا دالا على ما ذكر من سير الاولين ، واخبار الغابرين ، فوقع فى فهم هؤلاء أنهم قد يكونون فى المجتهدين فى الاسلام ، أو المجددين فى الادب ، اذا هم أخذوا القصص القرآنى بمعايير القصص الادبى بما فيه من تلقيات الخيال ، وتلفيقات الاوهام ، ثم جرهم هذا أو جراهم على القول بأن القصص القرآنى ليس كله حقا وصدقا ، اذ ليس الحق والصدق من مقاصد قصصه ، انما هو مسوق للاثارة الفنية التى تجىء من ورائها العبرة والعظة التى هى المقصد الاول من هذا القصص ، وانه لا اثارة للفن اذا هو التزم حدود الواقع الذى يحكى الحق والصدق ، اذ أن الفن فى صميمه حرية ، ولا حرية مع الزام والتزام !!

ولقد اندفع أصحاب هذا القول الى ابعد من هذا فقايسوا بين الله والانسان .. فما الله فى حسابهم — فى هذا المقام — الا فنان ينزل على حكم الفن فيسوى قصصه على نحو ما يسوى عليه الفنانون قصصهم ، من مزج الحقيقة بالخيال ، وخلط الواقع بالوهم والمجال !!

وهذه المقولات فوق أنها عدوان على الحق فى جانب الله ، وما ينبغى

لذاته وكلماته من تنزيه وتقديس ، ومن بعد عن نقائص البشر وقصورهم — هى عدوان صارخ على الفن ذاته ، إذ الفن بمعناه الحق نسيج محكم من صميم الحق ، ورحيق مصفى من لباب الواقع أو المتوقع وانه اذا اضطر الفنان لداع من دواعى القصور البشرى الذى لا يخلو منه انسان الى تلوين الحقائق وصبغها بألوان واصباغ من الوهم والخيال ، فذلك انما يكون بالقدر الذى لا يجوز على الحقيقة ولا يمسخ مضمون الواقع ، والا كان عملا يتلهى بـه لا تلقاه النفوس على حال من الجد أبدا ، ولا تنزلـه العقول منهـا منزل التوقير له والاعتداد به .

مقاصد القصص القرآنى وغاياته :

اما مقاصد القصص القرآنى وغاياته ، فهى — فى صميمها — الدعوة الى الحق والهداية الى مواقع الخير واقامة وجه الانسانية على مسـالك الحق والخير ، والميل بها عن مسارب الضلال والبوار .. فليس فى القصص القرآنى شىء مما فى غيره من القصص الادبى ، من تلك المواقف والصور التى يراد منها استثارة العواطف المريضة ، واسترضاء الميول المنحـرفة فى الانسان وتملق غرائزه الحيوانية واقتياده منها .. وانما القصص القرآنى حرب على تلك العواطف المريضة وهذه الميول المنحرفة ، والغرائز المتدلية ، يلقاها جميعها فى حزم وحسم ، وينزل أصحابها منازل البوار والهوان فى كل موقف يلقاهم فيه ، لانه كما وصفه الحق سبحانه وتعالى بقوله : « ان هذا لهو القصص الحق » وما كان للحق ان يلبس الباطل ، أو يسلك مسالكه ، وما كان لدعوة الحق أن تجعل الباطل لسانا ينطق عنها ، ووجها يلقى الناس تحت رايتها ، ان ذلك حرب على الحق نفسه وسلاح ان أصاب فلن يصيب الا الحق فى صميمه .

وأما كيف نلتقى بالقصص القرآنى ، ومن اى جانب ننظر اليه ، وبأى مقياس نقيسه ، وعلى أى وجه من وجوه فن القول نعتبره ، وفى أى جـانب من جوانبه يلتقى بالقصص الادبى — فموعدنا للاجابة على هذه الاسئلة وما يدور فى فلكها لقاءات أخرى على صفحات « الوعى الاسلامى » فى أعداد قادمة ، ان شاء الله .

مكتبة المجلة

الفهرس الهجائى لكتاب المغنى لابن قدامه فى الفقه الحنبلى :

كتاب المغنى من امهات كتب الفقه فى الشريعة الاسلامية ، وليست فائدته قاصرة على من يريد التعرف على المذهب الحنبلى ، بل هو نافع لمن يريد أن يعرف أقوال سائر المذاهب الاسلامية ، بالاضافة الى معرفة الادلة الرئيسية فى كل المسائل الفقهية المطروقة . وقد تميز بترتيبه . وفصله الموضوعات الجزائية كلا فى فصل خاص أو مسألة خاصة .

والكتب الفقهية الرئيسية ليس لها فهارس الفبائية بالرغم من النجاح الكبير الذى اثبتته الفهرسة الهجائية ، الا انه قد صدر مؤخرا (معجم فقه ابن حزم الظاهرى) (فهرس حاشية ابن عابدين) .

يأتى الآن هذا الفهرس الهجائى للمغنى ليسد فراغا كبيرا فى هذا المجال وقد صدر عن البحوث العلمية بالكويت .

المجموعة العلمية السعودية :

كتاب يضم جملة من عقائد السلف الصالح الفها عدد من أهل التحقيق والتدقيق من العلماء ويحتوى الكتاب على عدة عقائد لبعض ائمة الاسلام وكتاب التوحيد وكشف الشبهات والاصول الثلاثة وأدلتها والقواعد الأربعة وشروط الصلاة وكمال الشريعة وشمولها وقد حقق هذه المجموعة وراجع أصولها الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد وتفضل الشيخ قاسم بن على بن قاسم آل ثانى بطبعها على نفقته .

والكتاب طبع بمطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ويقع فى ٢٥٠ صفحة .

محاضرات فى الثقافة الاسلامية :

مجموعة محاضرات فى كتاب لمؤلفها الاستاذ احمد محمد جمال استاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز .

وتدور هذه المحاضرات حول الثقافة الاسلامية وفطرة الدين والعقائد الغيبية وفلسفة التعبد والقضاء والقدر وأخلاقية الاسلام والقومية فى ميزان الاسلام والادارة فى الدولة الاسلامية ومهمة الحاكم المسلم وعبقرية الاقتصاد الاسلامى والمرأة فى التشريع الاسلامى .

وهذا الكتاب يحتوى على ٢٩٤ صفحة ومن طبع دار الفكر ببيروت ونشرت مكتبة الثقافة بمكة المكرمة .

الخطر الذي يهدد المصحف

كيف

نشرت صحيفة (الاهرام) القــاهرية تحقيقا للاستاذ محمد مهدى عن الاخطاء التى كثر وقوعها فى طبعات المصحف الشريف ، وقد اســتطلع فيه رأى فضيلة شــيخ الازهر ومدير ادارة القرآن بوزارة الاوقاف ، ولأهمية هذا الموضوع القصوى ننقل للقراء على هذه الصفحات نص هذا التحقيق :

ان فضيلة شيخ الازهر يرى أنه لا سبيل الى القضــــاء على الاخطاء التى تقع فى بعض نسخ المصاحف الا بوجود جهة واحدة تتخصص فى طبع واصدار المصحف الشريف ، بشرط أن تكون هذه الجهة تحت اشراف الازهر ، ومزودة بأفضل العناصر المتخصصة فى علوم القراءات وفن الطباعة الحديثة .. فان وجود أكثر من جهة لطبع المصحف — ومعظمها شركات خاصة — دون رقابة صارمة عليها ، يؤدى الى اهمال بعضها ، ولو عن غير قصد ، فى العناية الواجبة لكتاب الله .

والحقيقة أن هذا الاهمال الذى يشير اليه فضيلة الامام هو — بالقطع — وراء كثير من حالات الخطأ التى وقعت فى المصحف ..

ومنها مثلا :

ندفعه؟

●● نفس الشركة التى طبعت وأصدرت المصحف الذى أشـــــار اليه (الاهرام) وتداخلت فيه بعض آيات القرآن الكريم تداخلا جعلها تأتى فى غير ترتيبها السليم .. أصدرت نفس هذه الشركة — وهى شركة خاصة — مصحفا آخر من نوع (الجيب) تداخلت فيه سورتا (مريم) و (المؤمنون) حيث جاءت الآية (٧١) من سورة (المؤمنون) بعد الآية (٤٨) من سورة (مريم) .

كما تداخلت سورة (النحل) مع سورة (مريم) أيضا ، حيث جاءت بقية الآية (٤٩) من سورة (مريم) بعد الآية (٦٤) من ســـورة (النحل) . وتبعا لذلك تداخلت سورة (المؤمنون) مع سورة (النحل) فجاءت بقيـــة الآية (٦٥) من سورة (النحل) بعد الآية (٧٠) من سورة (المؤمنون) .

فقط ١٨ آية من سورة الكهف .. !

احدى الهيئات الحكومية الكبرى المتخصصة فى الطباعة أصدرت طبعة خاصة من المصحف لاحدى الوزارات ، وسجلت على الغلاف اسمها واسم الوزارة وعام الطبع .. ولكن :

● لا توجد فى المصحف سورة كاملة ، وهى سورة (مريم) !

● سورة (الكهف) وهى احدى السور الطوال وتضم !! آيات ، لا يوجد منها فى المصحف سوى ١٨ آية فقط .

● سورة (طه) سقطت منها ٩٣ آية ، حيث بدأت فى المصحف بآية (٩٤) .

● سور الشورى والزخرف والدخان والجاثية والاحقاف مكررة مرتين : مرة بين الجزء الناقص من سورتى (الكهف ، وطه) ومرة فى موضعها الاصلى ..

● سورة الاحقاف ، عندما وردت فى غير موضعها الاصلى جاءت ٢٨ آية فقط ، بينما هى ٢٥ آية .

٩٠ خطأ فى مصحف واحد .. !

● احدى دور النشر الكبرى طبعت العام الماضى مصحفا من نوع (الجيب) فيه نحو ٩٠ خطأ .. وبالرغم من أن لجنة تصحيح ومراجعة المصاحف بالازهر اكتشفت هذه الاخطاء فى أثناء عرض (بروفات) المصحف عليها ، وطالبت بضرورة تصحيحها قبل الطبع النهائى للمصحف .. وبالرغم من هذا فان الدار التى أصدرت المصحف لم تستجب لتوجيهات اللجنة وصدر المصحف بأخطائه دون علم من اللجنة ..

ولم تتبين ادارة البحوث والنشر بالازهر التى تتبعها لجنة تصحيح ومراجعة المصاحف حقيقة الامر ، الا عندما أرسل اليها أحد ضباط القوات المسلحة برسالة أشار فيها الى أنه اكتشف بأحد المصاحف مجموعة من الاخطاء وبينها على نسخته التى أرفقها بالرسالة . وعند دراسة النسخة المرسلة تبين أنها نفس الاخطاء التى أشارت اليها اللجنة وطالبت بتصحيحها .

وعلى الفور تم الاتصال برئيس مجلس ادارة الدار التى أصدرت المصحف ، وابلاغه بما حدث .. وفى نفس الوقت تم الاتصال ــ أيضا ــ بالرقيب العام بمضمون الموضوع ، ومطالبته بجمع كل النسخ من هذه الطبعة ــ وقد تبين أنها تتجاوز الخمسين ألف نسخة ــ ومصادرتها واحراقها .. ثم أحيل الموضوع الى النيابة العامة ..

مصحف غير صالح للقراءة .. !

● احدى الوزارات كانت قد رأت منذ نحو عشر سنوات اصدار طبعة خاصة بها من المصحف الشريف .. وبعد الطبع تبين لها أن فى المصحف نحو ٢٠٠ خطأ فى علامات ضبط الحروف ، مما يجعل المصحف غير صالح للقراءة فيه ، فأحجمت الوزارة عن توزيعه .. وكدسته فى مخازنها التى توجد فيها الآن آلاف النسخ منه .

ان المسئولين فى الازهر يؤكدون أنه ــ حتى الآن ــ لا توجد لدى الازهر أو أى جهة أخرى سلطة توقيع عقاب على الدار التى يصدر منها الخطأ ، أكثر من حرق النسخة أو مجموعة النسخ المغلوطة .. كل الذى تفعله ادارة البحوث والنشر التابعة لمجمع البحوث الاسلامية ، فى حالة اكتشاف خطأ فى أحد المصاحف عن طريقها ، أو عن طريق نسخة يرسلها أحد القراء الحافظين لها ، هو أن تكتب الادارة للرقيب ومباحث أمن الدولة

بحقيقة ما جاء فى المصحف .. وتطلب مصادرته .. ثم ينتهى الامر !

من أين يأتى الخطأ .. ؟

ان الذى يحدث فى حالة صدور أى مصحف جديد ، هو — كما يقول الدكتور أحمد مهنا مدير البحوث والنشر بالازهر — أن تتقدم الدار أو الشركة التى ترغب فى ذلك بطلب الحصول على تصريح بطبع المصحف ، وعلى الفور تحصل عليه .. ثم تبدأ عمليات الطبع .. فى هذه الاثناء تعرض الدار أو الشركة بروفات المصحف أولا بأول على لجنة التصحيح والمراجعة التى تقوم بتصحيحها ومراجعتها ، ثم إعادتها الى المطبعة لتنفيذ توجيهاتها .. حتى اذا انتهت كل البروفات وأصبح المصحف جاهزا للطبع النهائى .. تطلب الدار تصريحا آخر بنشر المصحف وتداوله فى الاسواق ، وتحصل عليه أيضا .

وتتم اجراءات الحصول على التصريحين وعملية التصحيح والمراجعة بالمجان ، وبمنتهى السهولة ، دون أن تدفع الدار شيئا للازهر . وفى خلال هذه العملية يمكن أن يقع أكثر من خطأ .. فمثلا :

● قد تهمل المطبعة فى اللحظة الاخيرة تنفيذ أوامر الطبع التى تنص على عبارة (يطبع بعد تنفيذ التصحيح) .. وقد يفوت الخطأ — عن غير قصد — لجنة التصحيح والمراجعة ، فيصدر به المصحف .

● قد يكون — الاتفاق فى تصريح النشر على طبع ٥٠ ألف نسخة ، ويطبع الناشر — رغبة فى الكسب — أكثر من ١٠٠ ألف نسخة على نفس (الكليشيهات) والرصاص الذى يتآكل بعد كمية معينة ، ويصبح بعدها غير صالح للطباعة على مستوى الدقة التى يتطلبها المصحف ، وفى هذه الحالة قد يضيع حرف أو تطمس كلمة أو تكسر حركة فتتحول الضمة — مثلا — الى فتحة ..

● ان الناشر يرسل الى ادارة البحوث عددا معينا من النسخ بعد النشر ، وعادة يختارها من أحسن المطبوع .. وقد يقع الاهمال فى مجموعات كبيرة بعد ذلك فى أثناء ترتيب الملازم أو تجليد المصاحف ، ويؤدى الى اخطاء لا يمكن لاحد فى الازهر أن يكتشفها الا عن طريق الصدفة البحتة اذا وقعت فى يده احدى هذه النسخ .

والذى يساعد على وجود هذا الاهمال ، الذى يفضى بدوره الى الوقوع فى الخطأ :

أولا : سهولة الحصول على التصاريح من حيث :

— عدم تسديد رسوم للحصول عليها .

— عدم حرمان أحد منها ، حتى ولو كان قد ثبت عليه الوقوع فى خطأ فى مرة سابقة .

ثانيا : الرغبة فى الكسب بطبع أكثر من الكمية المتفق عليها ، دون تجديد الكليشيهات وغيرها من أدوات الطبع .

ثالثا : قصور الملاحظة المستمرة لجميع المراحل التى يمر بها طبع المصحف .. فلا يوجد واحد من لجنة التصحيح فى المطبعة ليشرف بنفسه على تنفيذ أوامر الطبع ، ولا آخر يراقب صلاحية الكليشيهات ، ولا غيره يحضر عملية ترتيب الملازم والتجليد .

وعند هذا السبب الاخير يشير فضيلة الشـــيخ عبد الفتاح القاضى رئيس لجنة تصحيح ومراجعة المصاحف الى أن عدد المكلفين بعملية التصحيح والمراجعة فى الازهر كله لا يتجاوزون تسعة أشخاص ، بينما يحتاج حجم العمل ثلاثين شخصا على الاقل .. وقد اقترح فعلا زيادة العدد ، خصوصا وأن هؤلاء التسعة يقومون بجانب عملهم فى المصاحف المصرية ، بمراجعة كل المصاحف التى ترد من الخارج ، حتى ولو جاءت فى شكل هدية لاحد الاشخاص ، ما دامت قد دخلت البلاد عن طريق البريد .

دار القرآن .. ضرورة .. !

من أجل هذا كله .. وحتى لا يستمر وقوع الاخطاء ، تأتى ضرورة الاسراع فى البحث والاتفاق على جهة واحدة تكون المسئولة عن طبع المصحف والاشراف عليه فى كل مراحله ، وتعمل على تلافى كل نواحى القصور التى تؤدى الى الخطأ ، والكل يكاد يتفق على أن دار القرآن التى بدأت وزاره الاوقاف فى انشائها عام ١٩٦٤ ثم توقف العمل فيها .. لو اســتؤنف العمل فيها مرة أخرى لكانت خير دار تقوم بهذا العمل الكبير .

●● والى أن يتحقق هذا فان فضيلة الامام الاكبر يقترح اصــدار قرار على أعلى مستوى يحيط عملية طبع المصــحف بمجموعة من الضــمانات الدقيقة ، بحيث لا تعطى تصاريح طبعه ونشره لمن يثبت اهماله .. ومن يحصل عليها ثم يثبت اهماله ، لا يكتفى معه باحراق النسخ المغلوطة ، بل توقع عليه غرامة مالية تتناسب مع حجم الاهمال ، تنفق قيمتها فى ســبل الخير ، ويخصص جزء كبير منها للمجهود الحربى وأسر المجندين .. وهذا بجانب حرمانه من الحصول على تصريح طبع لمدة زمنية محددة .

ويذهب لبيب السعيد مدير عام ادارة القرآن الكريم بوزارة الاوقاف الى أبعد من هذا ، فيقترح أن ينص القانون على أن صدور أى نســخة مغلوطة من المصحف يعتبر جنحة يقدم المتسبب فيها الى القضاء .. واذا تكرر منه الخطأ مرة أخرى ، اعتبر تصرفه هذا جناية ، ويعاقب عليهــا بنفس العقوبة التى توقع على مرتكبى الجنايات .

العقاب ليس هو المهم .. !

والحقيقة أن هذه العقوبات ، قد تقلل فعلا من نسبة الخطأ ، ولكنها لن تمنعه بحال من الاحوال .. ولهذا يجب أن تســبقها وتحوطها فى الوقت نفسه مجموعة من الاجراءات التى تتلافى نواحى القصور الحالية أولا .. ويذكر مدير شئون القرآن منها :

● زيادة عدد العاملين فى تصحيح ومراجعة المصحف ، مع ضرورة الاشراف على اللمسات الاخيرة فى عملية الطبع من داخل المطبعة نفسها .

● زيادة عدد المفتشين الفنيين الذين يقومون بعملية التأكد من سلامة كل ما يرد فى المصحف بعد نشره رسما وأداء بمختلف القراءات المتواترة ، ثم يطالبون بمصادرة أى نسخة تخالف هذه القراءات . انهم ثلاثة أشخاص فقط ، فى كل وزارة الاوقاف ، وقد تجاوز كل منهم السبعين من عمره ، وبذلك لن يغطوا كل دور عرض الكتب التى تبيع المصاحف مهما بذلوا من جهد ..

واذا علمنا أن عملهم فى غاية الاهمية ودراستهم ذات نوعية خاصة لا يقبل عليها الكثيرون ، وجب علينا العمل بكل وسيلة تشجيعية على تكوين جيل ثان منهم يواصل رسالتهم من بعدهم .

● فى حالة زيادة المراجعين والمفتشين ، تجب مراجعة كل طبعات المصحف نسخة نسخة مهما بلغ عددها .. وستكون هذه المراجعة ميسورة لو ركزت فقط على التأكد من ترتيب الصفحات لتفادى الناقص أو المكرر منها أو الموضوع فى غير موضعه .

وقد حدثت هذه المراجعة فعلا — كما يقول لبيب السعيد — عام ١٩٦٢ فى الطبعة الثانية للمصحف المرتل ، حيث تم فحص كل اسطوانات المصحف واحدة واحدة ، وكانت تبلغ ٤٤ ألف اسطوانة . وقد وجد فعلا نحو ١٥ ٪ لا يصلح فأعدم على الفور واستبدل بغيره .

— ● —

والكلام عن طبع المصحف من حيث الاهتمام بطبعه ونشره ، وضرورة وجود جهة واحدة تتولى هذا العمل الهام ، لا على المستوى المحلى فقط ، بل وتصديره الى كل العالم الاسلامى .. هذا الكلام يطرح سؤالا هاما هو :

— بأى خط يطبع هذا المصحف الذى ستتوافر له كل الضمانات .. ؟

ولعل الذى يفرض هذا السؤال أن المصحف يطبع الآن فى العالم الاسلامى بثلاثة خطوط :

■ يطبع فى مصر وبعض البلاد الاسلامية بالخط العثمانى أو ما يعرف بالرسم العثمانى ، وهو الذى نقرأه فى مصاحفنا ، ولا يخضع لقواعد الاملاء التى نكتب بها من حيث كتابة كل ما ينطق ، بل ينهج سبيلا آخر يرجع فى رسم حروفه الى المصحف المتوارث من العصور الاسلامية الاولى .

■ يطبع فى المغرب بالخط العثمانى مع تصرف فى رسم بعض الحروف ، فتكتب القاف — مثلا — بنقطة واحدة ، وتوضع النقطة من تحت الفاء وليس من فوقها .. وهكذا .

ويقول فضيلة الامام الاكبر أنه نفسه — لولا حفظه للقرآن — لوجد صعوبة كبيرة فى مواصلة القراءة بالخط المغربى .

■ ويطبع فى لبنان والعراق وتركيا وغيرها بالخط الاملائى الذى يخضع لقواعد الاملاء الحديثة التى تكتب كل ما ينطق باستثناء حالات معينة التزم فيها المصحف بالرسم العثمانى . ويجد مسلمو هذه البلاد صعوبة كبيرة فى قراءة أى مصحف مطبوع بغير خطهم .

خوفا من التحريف :

وبالرغم من أن مصر كانت حتى عام ١٩١٧ تطبع المصحف بالخط الاملائى ، تتبع فى ذلك الدولة العثمانية ، الا أنه منذ ذلك التاريخ بدأت فى طباعة المصحف بالخط العثمانى ، ثم صدر قرار من مشيخة الازهر بتحريم طبع وتداول ومصادرة أى مصحف فى مصر مطبوع بغير الخط العثمانى ، وذلك على اعتبار أن الخط الاملائى خط مستحدث مرتبط بعصرنا ، ويمكن أن يستحدث خط غيره فى عصر من يأتون بعدنا ، فيؤثر ذلك على سلامة المصحف الذى سيصبح فى هذه الحالة خاضعا للتغيير حسب خط كل عصر ، مما يخشى معه التحريف فى كلمات الله .

العربية لغة

يتردد فى دنيا العروبة بين الحين والحين تساؤل حول صلاحية اللغة العربية للحياة بوجوهها المختلفة ، وفى الايام الاخيرة تركز السؤال حول صلاحيتها لغة لتدريس العلوم ..

وتمهيدا للوصول الى غاية من البحث أترك الجواب لعدد من الباحثين العالميين مبتدئا بغوستاف لوبون الذى يقول :

ظلت ترجمات كتب العرب — ولا سيما الكتب العلمية — المصدر الوحيد تقريبا للتدريس فى جامعات أوروبا خمسة قرون ، ويمكننا أن نقول أن تأثير العرب فى بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام الى أيامنا ، فقد شرحت كتب ابن سينا فى مونبلييه فى أواخر القرن الماضى ..

أما الدكتورة سيجريد هونكيه فانها تقول : (قبل ستة قرون امتلكت كلية الطب فى باريس أصغر مكتبة فى العالم . وكانت محتوياتها مجرد كتاب واحد لمؤلف عربى هو أبو بكر الرازى) . ثم تتحدث عن هذا الكتاب قائلة : (لقد كان مؤلفا قيما جدا حتى أن صاحب الجلالة ملك جميع المسيحيين لويس الحادى عشر أراد مرة استعارته فدفع تأمينا باهظا له . وكان غرضه من استعارته تمكين أطبائه الخصوصيين من الحصول على نسخة منه

للرجوع اليها . وهذا الكتاب الذى كان يكون مكتبة طلبة طب جامعة باريس عبارة عن موسوعة لسائر المعارف والعلوم الطبية) وتضيف الباحثة قائلة : (ويجب أن نذكر للرازى أيضا كتابا صغيرا وضعه . وهذا الكتاب حجة فى مادته وقد طبع فى أوروبا بين عامى (١٤٩٨ — ١٨٦٦) أربعين مرة وهو المرجع الوحيد للنقرس والحصوة وأمراض المثانة والكلى وأمراض الاطفال). ومن أراد الاستزادة من معرفة مكانة العرب العلمية فى الفلك والضوء والجبر فما عليه الا أن يرجع لما كتبته هذه الباحثة الامينة عن ابن الهيثم والبيرونى وابن سينا وغيرهم من الأدمغة العربية التى أنارت للعالم طرق البحث والدأب للوصول الى الحقيقة ..

وأما نيلينو فانه يقول : (قياس العرب لمحيط الارض هو أول قياس حقيقى أجرى كله مباشرة مع كل ما اقتضته تلك المهمة من الوقت الطويل

العلوم

للدكتور
تيسير اماره الدعبول

والصعوبة ، واشتراك جماعة من الفلكيين والمساحين فى العمل وذلك كله حدث فى زمن المأمون وقد بلغ طول المحيط حسب قياسهم (٤١٢٤٨) كيلو مترا بينما معطيات التقدم الحديث دلت على أن محيط الارض (٤٠٠٧٠) كيلو مترا) ..

وأعتقد الآن ، وبعد أن قدمنا شهادات من لا يمكن لهم أن يتعصبوا للعرب ، أقول أعتقد الآن أننا نستطيع أن نقول : ان العلم التجريبى بضاعة عربية ، وأن الطب الحق الجدير بهذا اللقب لم يكن معروفا خارج الوطن العربى . وهذا يدفعنا الى الاستنتاج : أن اللغة العربية كانت اللغة العالمية للعلم . وما كان يمكن لأى باحث أن يجهل اللغة العربية ، ونستطيع أيضا أن نعلن : أن المعرفة العلمية المتاحة كانت عربية اسلامية وحتى الورق الذى يمكن أن تنسخ عليه المعارف كان سلعة عربية ..

وأعتقد أيضا أننا قد توصلنا الى القناعة بأن المجتمع العربى كان مجتمعا مثقفا بكل ما تعنيه هذه الكلمة كما يقول ويل ديورانت فى كتابه (قصة الحضارة) ، ولأننا نجد فى لحظة المغيب : مغيب الحضارة العربية الباحث

الكبير ابن خلدون الذى ــ يعلق الفيلسوف الانكليزى الشهير أرنولد توينبى على مقدمته بأنها : (بلا شك أعظم مؤلف من نوعه حاول خلقه أى عقل على الاطلاق فى أى زمان وفى أى مكان) . ترى ! ما الذى حدث لهذه اللغـــة العالمية حتى زحزحت عن مكانها الاول لتنزل فى المرتبة السابعة بين لغات العالم الآن حسب تصنيف العالمة الاميريكية مارجريت ميد : الانكليزية ، فالأندو أوروبية فالروسية، فالالمانية ،فالاسبانية، فاليابانية، ثم العربية ، فالبنغالية، فالبرتغالية، فالفرنسية، فالملايوية، فالايطالية وهنا بالذات نقرأ جواب سلامه موسى على هذا التساؤل أنه يقول : (هذه اللغة ــأى العربيةــ لا ترضى رجلا مثقفا فى العصر الحاضر ، اذ هى لا تخدم الامة ولا ترقيهـــا لأنها تعجز عن نقل مائة علم من العلوم التى تصوغ المستقبل) ، ولا أدرى أى مائة علم يعنى !؟ كما يقول عنها : (هى أس البلاء والمسؤولية عن كل الرزايا ، ان تأخرنا اللغوى فى مصر هو سبب من أعظم الأسباب لتأخرنا الاجتمــــاعى) . .

ويحق لنـــا أن نقول : ياله من تفسير علمى رائع لتخلفنا الاجتماعى اذ ليس للاستعمار ولا للاقطاع دخل فى تأخرنا ، ويكفى لنصبح فى الصـــف الأول مع المتقدمين أن نلوى ألسنتنا بغير اللغة العربية التى امتدحهـــــا المستشرق (فان دايك) قائلا : (ان اللغة العربية هى اللغة الخالدة وهى أحـــق اللغات فى الحيـــاة والبقاء) . نعم هذا ما قالـــه سلامه موسى فـــى لغة قومه ولا بأس من عرض ما يقوله بعض اليهود فى لغتهم المندثرة . يقول سابا توماريس اليهودى الأمريكى : (ان معرفة اللغة العبرية هى المحور الذهبى الذى يدور حوله كياننا القومى والدينى ، فاللغة العبرية الهابطة من جبـــال الأبدية اختارها الله لنشر الحقائق) ويقول سمولنسكين : (هنا مخزن فسيح الأرجـــاء مملوء كنوزا ومفاتيحه اللغة العبرية ، فهل يجوز لنا أن نلقى بهذا المفتاح فى محيط النسيان أكثر من ذلك) ؟؟

ولعل المقابلة بين أقوال اليهود فى لغتهم وأقوال سلامه موسى ومـــن لف لفه ممن غذاهم الاستعمار ليخدموا مصالحه تبين لنا مكانة كل منهم فى أمته حرصا عليها ودفاعا عنها ..

ولعل أيضا شهادة ماسينيون (استاذ اللغة العربية فى جامعـــــة السوربون) توضح عمالة هؤلاء وحرصهم على خدمة سادتهم حيث يقول : (ان اللغة العربية بفضل تركيبها قادرة على التجريد والنزوع الى الكلية والشمول ومن هنا كان للعرب الفضل فى استكشاف رموز الجبر والمسلسلات الحسابية ، وهى لغة وعى ولغة شهادة وينبغى انقاذها سليمة بأى ثمن لتصبح اللغة الدولية المستقبلة ..

ان هذا الخلط يدعو الباحث المتأنى الى العودة لمعرفة أصحاب هذه الدعوات وغاياتها والمروجين لهـــا والجهات التى تخطط لهم وتدعمهم ..

لقـــد ظهرت هذه الدعوة ، دعوة تحطيم العربية بشعبها الثـــلاث : الدعوة الى العامية ، والدعوة الى تبسيط القواعد وحذف أبواب منها واصلاح

الخط العربى باستبدال الحرف اللاتينى به ..

لقد قلت ظهـرت هـذه الدعوة عـام ١٨٨٢ فى صحيفة المقتطف ثم انتقل أثرهـا الى بقية السماسرة والمهرجين فى أرجـاء عالمنا العـربى ويكفى أن أذكر على سبيل الاختصار أسـماء سبيتا وفولازروباول وفيلوت وبوريان الذين قادوا هذه الحملة فى مصر منذ عـام ١٨٨٠ وفعل عمـال الاستعباد مثل ذلك فى بـلاد عربية أخرى ، فكتب كوسان دى بريسفال : كتـابا فى (قواعد العامية الشرقية والمغربية) ١٨٥٢ وكتب ماسينيون كتابا فى (لهجة بيروت العامية) ١٩١١ ، وكتب فى السنة التالية كتابا آخر فى (لجهة بغـداد العامية) طبع فى مصر ١٩١٢ وكتب بن سميل : كتابا فى (لهجة مراكش العامية) ١٩١٨ ، وكتب برجشتراسر كتابا فى (عامية دمشق) طبع فى هانوفر ١٩٢٤، وكتب لويس مارسييه كتابا فى(عربية مراكش) طبع فى باريس ١٩٢٥ وكتبت عشرات أخرى من الكتب على هذا المنوال . ولم يكتفوا بذلك ، وانما أدخلوا تدريس اللهجات العامية فى مدارسهم وجامعاتهم ، وأنشأوا لهـا مدارس خاصة فى بعض الاحيان . لقد أنشأت جامعـة لندن فرعا لتدريس العربية الفصحى واللهجات العامية فى أوائل القرن التاسع عشر وكلف أحمد فارس الشدياق بتأليف كتاب لها فى اللهجات فكتب (أصول اللغـة العربية المحلية) وأسست مدرسة نابولى للدروس الشرقية ١٧٢٧ ثم جددت ١٨٨٨ وأسست مدرسـة لتعليم القناصل لهجات العرب العامية فى فيينا ١٧٥٤ ، وألف حسن المصرى كتابا فى العامية المصرية ١٨٦٩ سماه : (أحسن النخب فى معرفة لسان العرب) ، وأسست مدرسة باريس للغات الشرقية الحية فى أواخر الثلث الاخير من القرن الماضى وألف لها ميخائيل الصباغ كتابين فى العامية المصرية والشامية سماهما (الرسالة التامة فى كلام العامية) . و (المناهج فى أصول الكلام الدارج) ، وأنشئت مدرسـة لازاريف الاكليركية للغات الشرقية فى موسكو ١٨١٤ وكلف محمد عيـاد الطنطاوى بتأليف كتاب لها سماه (أحسن النخب فى معرفة كـلام العـرب) ..

وليس هذا وحده ما يستدعى العجب ، فان أحد أعضاء مجمع اللغة العربية فى القاهرة وهو عبد العزيز فهمى نادى ١٩٤٣ باقتراح كتـابة العربية بالحروف اللاتينية وغيره ممن نادى بذلك كثير ..

أليس ذلك يدعو الى أن نتساءل : هل أنشىء هذا المجمع لينظم جهود حمـاة العربية ، أو أنشىء ليكسب الهدم والهدامين صفة شرعية ، وليضع على بيت جفـار القبور لوحـة نحاسية كتب عليها بخط عريض (طبيب) ، وعلى وكر القاتل السفاح اسم (جـراح) (١) ..

ولعلنا بعـد هذا العرض نستطيع اعادة كل شنشنة قـام بها بوق مأجـور ، أو سمسار عميل أو مغفل مخدوع الى مصدرها الحق من كتب هؤلاء المستعمرين المدربين ، الذين لا هم لهم الا محاربة الفصحى والقضاء عليها بل على ما تمثل من تراث ماض مجيد وحضارة خالدة ومثل وقيم ظلت منارة يهتدى بهـا الباحثون المنصفون ..

وأما تلك الحفنة التى ذرت على نفسها غبـــار الاعتدال فدعت الى تطـــور اللغـــة ، فانى أترك الجواب عليها للباحث الكبير الدكتور محمد محمد حسين (رئيس قسم اللغة فى جامعة الاسكندرية وبيروت العربية) الذى يقول : (ويقولون ان اللغات الأوروبية قــد تطورت فيجب أن تتطور لغتنا كما تطورت لغاتهم . وهناك فرق بين التطور والتطوير ..

تتطـــور اللغـــة بأن تفرض عليها قوانين قاهـــرة هذا التطور . أما التطوير فهو سعى مفتعل الى التطور هو ارادة أحداث هـــذا التطور دون أن تكون له مبررات تستدعيه . والتطور لا يسعى اليه ولا يصطنع ولكنه يفرض نفسه ، فلا نجد بدا من الخضوع له . وأى نعمة وأى مزية فى تطـــور اللغات الأوروبية حتى نسعى الى افتعال نظيره فى لغتنا ؟ ان هذا التطور كان نكبة على أصحابه قطعهم أمما بعد أن كانوا أمة واحدة فما زالوا فى خـــلاف وحروب منذ ذلك الوقت ، ثم انه لم يحكم على تراثهم القــــديم المشترك وحده بالموت بل هو ما يزال يقضى بين الحين والحين على التراث القومى لكل شعب من هذه الشعوب ، حتى ما يستطيع الانكليزى اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة شكسبير الذى مات فى القرن السابع عشـــر ، بينما لا يستطيع الانكليزى المثقف أن يقرأ ما قبل شكسبير مثل تشـــوسر ولا يقدر عليه الا قلة من المتخصصين ومثل ذلك الفرنسية والايطـــالية وسائر اللغات الأوروبية الحديثة ..

أما نحن العرب على اختلاف أقدارنا من الثقافة فنقرأ القرآن الكريم ونفهمـــه ونقـــرأ رســـائل الجاحظ وأغانى الأصفهانى فلا نكاد نحس فارقا ، بين أسلوبها وبين أسلوب بعض المعاصرين . فلماذا نسعى الى أن تفقد أنفسنا هذه المزايا التى لم تفرض علينا فقدها ضرورة من الضرورات ..

لماذا نحســـد أوروبا — التى ابتليت بذلك . على مصابـــها ونصـــنع صنيع اليهود الذين قالوا لنبيهم حين مروا بقـــوم عاكفين على أصـــنام لهم يعبدونها : (اجعل لنـــا الها كما لهم آلهة) . وأما استقصاء الواقع فانـــه يدل على أن اللغـــة القومية لشعب ما حتى وان كانت مندثرة أو قاصرة ، فانهـــا هى المتبناة فى مدارســـه وجامعـــاته لغـــة للأدب والفلسفة والعلم الا عندنا(٢) وعلى سبيل الذكر لا الحصر اليكم مثلا :

هـــولندا ، البرتغال ، بلغاريا ، النمسا ، الدانمارك ، الســـويد ، النروج ، فنلندا ، المجـــر ، يوغوسلافيا ، البانيـــا ، الصين (٣) ، رومانيا ، وكل من هذه الدول تتكلم بلغتها القومية ، وأما سويسرا ، بلجيـــــكا ، تشيكوسلوفاكيا ، كندا فانها تتكلم لغتين قوميتين فأكثر ، حسب الاصـــول القوميـــة لســـكان كل منهـــا ..

والنتيجة المنطقية لهذه الاستعراضة الموجزة السريعة هى : أن اللغة تقدمت وأصبحت لغـــة العالم عندما كان لأهلها بأس وسلطان وحضـــارة وعمران ، وانحسرت متراجعة عندما أخلد أهلوها الى نوم عميق . وقـــد

دلت الدراسات الحديثة على أن الرسم البيانى لمسار لغة من اللغات هو نفسه المسار البيانى الذى يصور تطور المجتمع الذى يتكلمها ، ولعل هذا أيضا يفسر لنا سبب الهجمة الشرسة التى يشنها الاستعمار على عربيتنا لأنه يسعى الى مرأد الحضارة العربية وقيمها ومثلها وأخلاقيتها ..

ولسائل أن يسأل وما هو موقفنا من الأشياء الجديدة التى لا علم لنا بها ؟ وهنا أقول ان المعاناة التى يعيشها الصانع واللذة التى يشعر بها عند اتمام صنيعه توجبان بتسمية هذا المصنوع . ان الأنثى لا تفكر بالاسم الا عندما تشعر بحركة الوليد فى جوفها ، وهنا أهمس فى آذان هؤلاء : ضعوا لنا المولود وسنكفيكم مهمة التسمية . فان رتش كولدر يقول : ان صانع الآلات هو فى الوقت نفسه صانع الكلمات ..

ولست أعنى من هذا أن ننقطع عن التعريب والترجمة والنقل لأنى أعلم أن القراءة تفكير فى عقول الآخرين وان المطالعة والدراسة سبيل من السبل التى تزود الناس بالخبرات ، اننى أقول بصراحة ان علينا أن نجيد أكثر من لغة(٤) ، ولكن بشرط ألا تكون هذه الاجادة على حساب لغتنا ..

ولتصبح لغتنا عالمية كما كانت :

ــ لا بد لها من الكتاب الجيد الواضح بأسلوبه ومضمونه وطباعته ..

ــ لا بد لها من المدرس المتمكن الذواقة الأمين ..

ــ لا بد لها من المعرب الذى لا يقل اطلاعه على لغته على اطلاعه على اللغة التى ينقل عنها ..

ــ لا بد لها من ثورة صناعية تهىء لها المولود الصناعى الجديد حتى توجد لها ما يناسبه من ملابس وليس هذا غريبا لأن أسماء المخترعات الحديثة لم تكن جاهزة فى لغاتها وانما أوجدوا الاسم بعد ايجاد المصنوع ..

ــ لا بد لها من جهود مجتمعة لان ما يصدر فى العالم اليوم من مجلات وكتب علمية تند على الحصر (١٢) ألف كتاب علمى سنويا و (٨٠) ألف مجلة علمية فى العالم هذه الجهود يجب أن تكون على مستوى الجامعات والمجامع بل والدول العربية كلها ، ولا أعدو الحق اذا قلت : انها بحاجة الى جهد كل عربى غيور على نفسه ومجتمعه وأمته ولغته ..

انها ان نهىء لها ذلك عادت الى وضع بدع آخرين يقولون مع فاندايك (ان اللغة العربية هى اللغة الخالدة أو هى أحق اللغات بالحياة والبقاء) ..

---

(١) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد محمد حسين .

(٢) لدينا فى العالم العربى حوالى (٢٠ جامعة) ، كلها تدرس العلوم والطب باللغة الاجنبية ما عدا واحدة هى جامعة دمشق فانها تدرس العلوم باللغة العربية .

(٣) ليس للصين حتى الآن (بعد أن امتلكت القنبلة الهيدروجينية) أبجدية تقيم عليها لغتها ، وتقوم لغتها على الرموز والصور التى لا حصر لتعدادها .

(٤) وفى الوقت الراهن يجب ألا يتخرج من جامعاتنا طالب علوم الا بعد اجادته لاحدى اللغات الأجنبية : كتابة وقراءة ومكالمة .

المقاييس التي وضعها الاسلام

للأستاذ يوسف العظم

من المسلم به أن الشعر أسلوب تعبيرى أباحه الاسلام بل حث عليه فى ميادين الخير وآفاق المحبة ومجالات البناء ، وليس للاسلام علاقة بقوالبه الفنية أو أشكاله الادائية طالما لا يدعو الى شرك « أو يحث على منكر أو يعين على ضلال » .

والاسلام لا يستنكر الشعر أو يستقبحه الا حين يكون العوبة فى يد سلطان يسمى باطله حقا وظلامه نورا أو حين يكون عبثا مترفا وتخمة عفنة يتقيؤه السكارى فى مجالس الخلاعة والمجون ، أو حين يتحول سوطا من الارهاب على رقاب الناس فى يد جلاد ظالم وطاغية لا يرحم .

للشعر العربي

ومثلما استثنى القرآن الكريم شعراء الدعوة من بين الشعراء وخصهم بالتكريم والثواب ، ومثلما استثنى النبى صلى الله عليه وسلم شعراء الايمان وأثنى عليهم وذكرهم بخير فان الاسلام وهو الدين الخالد يصدر اليوم حكمه على الشعراء ويصنفهم امتدادا للتصنيف القرآنى القويم والنظرة النبوية الثاقبة ، وهو اليوم يطلب شعراءه بين الشعراء ويبحث عن شعر الدعوة والخير والهدى فى « دوامة » الشعر الهادرة بالنفاق والهبوط ، الصاخبة بالكذب والبهتان ، الملوثة بالجنس والعهر والرذيلة .

واذا كان من مهام الداعية المسلم كاتبا وخطيبا ، والعالم المسلم فقيها ومحدثا استخدام الكلمة الطيبة وتسخيرها فى سبيل اعلاء كلمة الله والعملعلى نشر دعوته فان مهمة الشاعر المسلم لا تقل قيمة ورسالته لا تتخلف خطوة ، ذلك أنه أقرب الى نفوس الناس وأحاسيسهم وعواطفهم بتصوير الخير ورسم اللوحات الرائعة والتغلغل فى أعماق النفس البشرية يهزها هزا بالحكمة والبيان .

واذا كان لكل فئة من الناس اليوم ألسنة تنطق باسمهم وأفواه تتحدث عنهم وتعبر عن آرائهم فلم لا تكون للمؤمنين ألسنة وأفواه تنشر الدعوة فى الناس وتبث الخير والحق والمعرفة والنور والخلق والفضيلة سواء أكانت تلك الألسنة والافواه مترسلة أم ذات قواف وأوزان .

والاسلام الذى لا يشجع يوم جاء شعر الملحمة كما عرف يومئذ لما احتواه من الكذب وما قام عليه من التضليل التاريخى لا يعارض اليوم شاعرا مسلما يمسك بقلمه ليخط ملحمة أو مسرحية شعرية رائعة يستمد أحداثها أو حوارها بوعى وبصيرة من أحداث اسلامية صادقة وقعت ضخمة فى تاريخ هذه الارض وأمجاد هذه الامة ابتداء بغزوة بدر فى دار النبوة وانتهاء بمعركة « عين جالوت » على أرض فلسطين .

ان مثل هذا العمل الادبى الرائع الذى لم ينبر له شاعر حتى اليوم يمكن أن يخلد صاحبه ، ولو جاءت صور الصدق والواقع والحق فى اطار من العاطفة المشبوبة والوجدان العارم .. ومن ذا الذى يقف يومئذ يطالب الشاعر المسلم ألا يكون محلق القلم مجنح الابداع خصيب الخيال الا حكم موتور أو ناقد مغرور !؟

ان فى أحداثنا التاريخية وفى صفحات أمجادنا من المآثر ما يقف المصور أمامه مبهوتا والقلم بين يديه حائرا ، وهو فى انتظار الريشة المبدعة والقلم الساحر والبيان البليغ

ليخرج لنا ثمارا ناضجة غير فجة فى ميادين الملحمة والمسرحية بلا زيف ولا تضليل .

ان فى حزم أبى بكر وعدل عمر وكرم عثمان وفروسية على وصبر بلال وبطولة خالد وشموخ الخنساء واستشهاد سمية لصورا رائعة من سجل حضارى متكامل يأخذ بالالباب ويجعل المرء فى حيرة من الامر ان كان فى خيال لا يرقى اليه أو واقع فوق مستوى الخيال ؟!

ان الشعر الملحمى والمسرحى أسلوبان من أساليب الاداء ووجهان من وجوه التعبير ، واذا كان الشعر الغنائى فى عصرنا اليوم عاجزا كما يرى البعض عن مواكبة التطور الانسانى سلاسة أداء وبساطة تعبير وعمق احتواء أو كانت متطلبات الحياة والتطور المعيشى الحضارى يقتضيان أسلوبا جديدا أو قوالب أخرى تخرج عن الاسلوب الغنائى وأغراضه فان الاسلام لا يحول دون ذلك ولا يأباه ما دام الفكر غير منحرف والعقيدة غير زائفة والرأى غير مدسوس ولا موتور .

لقد تناول الشعر الغنائى كما عرفه العرب من قبل أغراضا عدة من مدح رخيص يتزلف به صاحبه الى الناس ويتكسب به لقمة العيش أو وجاهة المركز ، وفخر مختال يقوم على المبالغة والكذب والتزوير ، وهجاء مقذع يهتك الاعراض ويسخر من كرامة الانسان ، وغزل فاحش يدعو الى العهر والرذيلة ، يرافق ذلك كله أو يدور معظم ذلك فى مجالات لاهية عابثة تراق فيها الخمر وتسحق فيها الكرامة ويهدر فيها العقل مما لا يرضاه الانسان الحق والطبع السليم .

ومن الطبيعى أن يضع الاسلام للشعر الضوابط والمعايير والقيم والمقاييس حفاظا على كرامة الحياة وسلامة الخلق وانسانية الانسان .

فاذا مدح الشاعر المسلم كان ذا غاية لا يحركه خوف من طاغية أو رغبة فى نفع مادى زائل بل لأن رباطا متينا كريما وعلاقة وثيقة مثلى تربطه بالمدوح فلا يبالغ حتى يخرج بالمدوح عن طبعه الانسانى وفطرته السوية ، ولا يكثر من المدح بحيث يصبح بضاعة مزجاة فى كل سوق وعلى قارعة كل طريق ينالها ويلتقطها كل من دفع الثمن .

ان شعراء الدعوة الاسلامية فى صدر الاسلام الاول من أمثال حسان ابن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وغيرهم لا يصفون جبانا بالشجاعة ولا بخيلا بالجود ولا فاجرا بالورع وهم حين يمدحون رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يذكرون أصحابه بخير — وهم بعض أصحابه — لا ينتظرون عرض الدنيا الزائل بل يرجون رضوان الله وثواب الآخرة .

والملاحظ اليوم فيما نطالع من شعر لشعراء الدعوة الاسلامية الذين سلكوا طريق الهدى والتزموا الخط الاسلامى فى شعرهم ان شعر المدح فيه يكاد يكون معدوما أو نادرا ، ذلك أنهم لا يرون — وهم أصحاب المثل السامية والقيم الاسلامية — ان هناك من هو جدير بالمدح والثناء كما استحقه عن جدارة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم الرضوان ومن تبعهم من الائمة والتابعين والمجاهدين .

والشاعر المسلم حين يفتخر تراه يفتخر بدعوته لا بنفسه وبجماعة

المؤمنين لا بالعشيرة وبمفاهيم الخير والصلاح لا بالتقاليد القبلية المهترئة البالية ، وهو الى جانب ذلك رزين موزون لا يهول ولا يجنح به الخيال فيبقى معقولا مقبولا مرضيا عنه من ربه ونبيه وجماعة المؤمنين .

وفى تتبع واع لسيرة النبى صلوات الله عليه وحياة أصحابه نستطيع أن نرى تبدل القيم وتغير المفاهيم من مفاخرة بالعدوان واذلال النفوس وسيطرة القوى على الضعيف الى مفاخرة بقيم جديدة ترتبط بصدق الجهاد وعمق الفكر وشفافية الروح وطهر النفس التقية .

أما الهجاء فان الشاعر المسلم حين يهجو لا يتعرض لنقص فى خلقة أو عيب فى جسد كما لا يهتك عرضا أو يخوض فى شرف ولكنه كان يتناول المهجو من حيث قصور عقله عن الهدى وتقاعسه عن دعوة الخير وتخلفه فى متاهات الضلال والغواية .

وكان اقسى نوع من أنواع الهجاء الذى سلطه المسلمون على المشركين هجاء حسان فى جاهليتهم وهجاء عبد الله بن رواحة بعد أن أسلموا وذاقوا حلاوة الايمان ، وأدركوا ضحالة تفكيرهم وسخف عقولهم اذ يسجدون لصنم ويعبدون وثنا ويرفضون الخضوع لرب الارباب .

انه الهجاء الفكرى القائم على المآخذ العقلية والسلوك السطحى والتصرفات المسعورة الرعناء التى ترفض الهدى وترضى بالضلال وتأبى النور وتحيا فى دياجير الظلمة الحالكة .

أما ذكر المرأة بصورة غير مرذولة والحديث عن جمالها بأسلوب عف كريم فأمر لا غبار عليه ولا حرج فيه

وقد ذكر القرآن الكريم مظاهر جمال المرأة فى آيات كثيرة وأشار الى مقاييس معينة عن جمالها بأدب ربانى كريم وأسلوب عف سامق لا اثارة فيه ولا صخب . وجميل من الشعراء أن يقتفوا أثر القرآن عند الحديث عن المرأة وجمالها فلا يهبطون ولا ينحدر منهم الاسلوب أو يخبث الهدف « فيهن خيرات حسان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، حور مقصورات فى الخيام ، فبأى آلاء ربكما تكذبان ، لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان » .

أما الوصف وهو غرض عام من اغراض الشعر العربى فلا يرتبط بمعنى واحد مما أشرنا اليه أو تحدثنا عنه ، والخير أو الشر فى الوصف ، والحلال أو الحرام يكمن فى طريقة عرض الموصوف نفسه وأسلوب الحديث عنه ، فاذا تحدث الشاعر عن جمال المروج الخضر ورهبة الصحراء وهياج البحر وتلألؤ النجوم ووهج الشمس ودوى الرعد وربط ذلك كله بعظمة الخالق سبحانه ، أو دعا الناس الى الانتفاع بما خلق الله وأبدع فان الوصف لا يكون الا حلالا . وأمامنا فيما ذهبنا اليه القرآن الكريم الذى وصف السموات والارض والقمر والنجوم والبحر والفلك التى تجرى فيه بأمر الله بأسلوب رائع اخاذ أذهل المشركين وجعل بعضهم يسجد للفصاحة لا للعقيدة وللاسلوب لا للفكرة .

أما اذا وصف الشاعر مظاهر الطبيعة المختلفة وقواها المتعددة وربط ذلك بالطبيعة الخالقة كما يزعمون أو أنكر صنع الله فيما وصف وأبدع فان فكرة الانكار لا فكرة الوصف هى المردودة ، وعقيدة الكفران والجحود لا أسلوب التصوير هى المنكرة المحرمة :

في حياة الاسلام

نساء ومواقف

إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك

من حديث الرسول عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة ..

للاستاذ محمد محمد الشرقاوى

لمعت فى أفق الاسلام انجم زاهرات من نساء الاسلام الأوليات .. أفضن على تاريخ المرأة مفاخر وامجادا .. قل أن تحاكيها أمثالها فى تالد التاريخ وطارفه .. حتى لقد بلغت بهن المخاطرة والشهامة .. مبلغا زاحمن فيه عظماء الرجال ، ومشاهير الأبطال .

ولقد كان للاسلام حين شمت بشاشته فى قلب المرأة .. أثره الفعال فى تفجير عظمتها الذاتية ، وعواطفها الانسانية . فوقفت مع الرجل جنبا

الى جنب فى ميادين العمل والكفاح والخدمة العامة ، وضربت المثل تلو المثل .. على صلابة العزم ، ورجاحة

العقل ، وسمو العاطفة ، وحلاوة الايمان ..

جارية مؤمنة

يروى ابن هشام فى سيرته أن عمر بن الخطاب وهو فى ابان جاهليته .. كان يسوم جارية مسلمة لبنى المؤمل العذاب ليفتنها عن دينها الجديد .. وليخنق فى المهد ايمانها الوليد .. بقسوته المعهودة ، ولم يكن يكف عن اذاها .. الا حين يعجزه امرها ، ويعييه شأنها قائلا لها : انى لم اتركك الا ملالة .. فتقول له فى صبر يصدع صفاة الحليم « كذلك فعل الله بك » .. وهكذا لم تستسلم امرأة الرعيل الأول للتعذيب والاضطهاد ، وادت دورها فى تثبيت ركائز العقيدة .. واستطاعت تلك القنة المسترقة أن تقاوم ذلك الثالوث المتضافر عليها فى صورة رق وانوثة واضطهاد ، وأن تتحدى صولة عمر .

ام كلثوم

لقد ادركت المرأة بفطرتها قيمة الاسلام حين آوت اليه .. فآمنت به عن عقيدة . ودافعت عنه بارادة حرة .. وسلكت مسالك المجاهدين .. فهاجرت من وطنها وهجرت أهلها .. وركبت متن الخطر .. ابقاء على دينها واستمسكا بمبدئها .. ولنضرب مثلا لذلك بأم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط .. فقد روى صاحب الاصابة : انها كانت تعيش فى أمن وكرامة تحت رعاية والدها .. وكان من سادات قومه .. فلما أسلمت فى مكة .. بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسها قبل الهجرة .. متحدية بذلك الأعراف السائدة والتقاليد المتبعة .. ثم ما لبثت أن فرت بدينها مهاجرة تحت جنح الظلام .. ضاربة فى بطون الأودية ، ومخارم الجبال .. الى موئل الاسلام الجديد بالمدينة .. وهناك تزوجت من زيد بن حارثة حب الرسول ، ولما قتل عنها اقترنت بالزبير بن العوام .. ثم سألته الطلاق لخشونته .. فطلقها .. وعقد عليها من بعده عبد الرحمن بن عوف .. ولما مات عنها .. دخلت فى عصمة عمرو ابن العاص الذى توفى بعد شهر من زواجها .. ولقد ضربت تلك المهاجرة الأولى المثل لأمها أروى بنت كريز أم عثمان بن عفان رضى الله عنه .. فقد حذت حذو بنتها ، ولحقت بها فى دار هجرتها .. وكانت خير خلف لخير سلف ..

وحين تحدثت كتب السيرة والحديث عن النهضة الاسلامية الأولى .. لم تغفل جانب المرأة ، واعتبرتها شريكة للرجل فى وضع حجر الاساس لذلك الصرح الشامخ ، وتناولت دور المرأة على مسرح الاحداث بافاضة وتفصيل .. ونسجت من واقع أمرها قصصا أغرب من أفانين الخيال .. تلقى على الأجيال الصاعدة دروسا فى الفداء والبطولة والتضحية .. ولعل مبعث التأثير والفاعلية فى حديث المرأة المسلمة .. ما وقر فى تقدير الرجال من أن الانوثة بحكم طبيعتها أضعف من ان تحتمل تلك الضغوط السالية من جانب الشدائد ..

ام سليم

المرأة تقبل التحديات وتتبدى على الأفق .. مصدرا للاشعاع الروحى ومركزا للتوجيه المشرق بمعانى الصبر والجلد وقوة الاحتمال .. ففى

صحيح البخارى (أن أم سليم سهلة بنت ملحان الانصارية .. كانت قرينة لأبى طلحة زيد بن سهل ، فمرض ابنها أبو عمير .. فبينا أبو طلحة بالمسجد اذ فاضت روح الصبى .. فهيأت أمه أمره ، وقالت لمن معها : لا تخبروا اباه بموته .. فرجع من المسجد .. ووجدها متطيبة متصنعة .. وسألها عن ابنها فقالت : هو اسكن مما كان .. فحسبه الرجل طيبا .. وقدمت له عشاءه .. فتعشى هو وأصحابه الذين قدموا معه ، ثم أتما ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون الزوجان ، فلما كان آخر الليل .. قالت : يا أبا طلحة .. الم تر الى آل فلان .. استعاروا عارية .. فتمتعوا بها ، فلما طلبت اليهم شق عليهم .. فقال : ما انصفوا .. قالت : (فان ابنك فلانا كان عارية من الله فقبضه اليه .. فاسترجع وحمد الله وقال : والله لا أدعك تغلبيننى على الصبر .. حتى اذا أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما رآه قال (بارك الله لكما فى ليلتكما) فاشتملت زوجته منذ ذلك الليلة على عبد الله ابن أبى طلحة .. وهذا الأخير لم يفارق دنياه الا بعد أن رأى عشرة من أبنائه .. كلهم يحفظ القرآن .. وكلهم جاهد فى سبيل الله) .. بمثل هذا الروح الصابر المصابر .. اقتحمت المرأة فى مطلع الاسلام ميدان العمل .. ووقفت من زوجها فى تلك المحنة الباكية .. موقف الواعظ الحصيف ، والصديق الصدوق فصار حديثها على الايام موردا عذبا ترتوى منه الاكباد الحرى ، والقلوب الولهى .. وترى فيه المواجد المحزونة بريق الرجاء فى رحمة الله التي وسعت كل شيء .

والحق أن حديث ام سليم هذه .. لم ينته عند هذا الحد .. فما يزال فيه بقية من عظمة .. واثارة من ايمان .. يبدو ذلك من مسلكها حين أسلمت فى مكة مراغمة بذلك زوجها ، وبايعت الرسول عليه الصلاة والسلام على الهجرة .. متحدية بذلك طاعة قرينها مالك بن النضير .. فقد رأت أن من حقها أن تؤمن ولو كفر رجلها ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية خالقها حتى أنها فرضت اسلامها على تربية أولادها .. فكانت تلقن ولدها أنس مالك .. كلمة الاسلام فى بدء عهده بالنطق .. وتقول له : قل لا إله الا الله .. قل أشهد أن محمدا رسول الله .. فكان أنس يلوك بها لسانه الغض حتى استقامت له .. فكانت الشهادتان أول ما تحرك به اللسان ، وخفق له الجنان عند أنس ولم تعبأ أم سليم بثورة زوجها على ذلك الأسلوب التربوى وقوله لها : لا تفسدى على ولدى .. وانتهى به الأمر الى اليأس منها فهجرها الى الشام .. مغاضبا لها .. فلما قتل .. قالت : لا جرم .. لا أفطم أنسا حتى يدع الثدى ، ولا أتزوج حتى يجلس فى المجالس ويأمرنى .. فكان أنس بعد ذلك يذكر أمه بكل خير ويقول : جزى الله أمى عنى خيرا .. لقد أحسنت ولايتى ..

.. ولما شب أنس عن الطوق .. تقدم لخطبتها أبو طلحة زيد .. وكان على الكفر .. فتوقفت معه ، وتحايلت عليه قائلة : أرأيت حجرا تعبده .. لا يضرك ، ولا ينفعك .. أرأيت خشبة تأتى بها لنجار .. فينجرها لك .. هل تنفعك أو تضرك .. وأكثرت عليه .. وما زالت به تروضه وتراوده حتى لان عصيه ، ودنا قصيه وقال لها : لقد وقع فى قلبى الذى قلت، وآمن بين يديها وتزوجته وقالت : لا أريد منك صداقا غير الاسلام ..

وقد بقى فى شأن هذه المرأة

العظيمة أن نقول أنها كانت تصحب الرسول فى غزواته ، لتقوم بواجبها فى الميدان .. فى اطار أنوثتها .. فكانت تضمد الجرحى وتسقى العطاش .. وأحيانا تحمل السلاح .. ولقد أشهرت يوما خنجرا فى موقعة حنين وكانت حاملا .. قد استبان أمرها .. فشكاها زوجها الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : اتخذه ان دنا مشرك بقرت بطنه ، فتبسم الرسول قائلا : « يا أم سليم .. ان الله كفى فأحسن » .

لقد سبقت المرأة الاسلامية الأولى سنة التطور الطبيعى فى انتقالها من عالم الجهالات والخرافات الى دنيا النور والعرفان .. بتلك السرعة المذهلة .. وذلك التحول الفجائى .. حتى انه لم توجد فترة انتقال بين العهدين .. وما مثل هذا . الا كمثل مصباح كهربائى .. أضاء فورا لضغط على زره .. فاستحال الظلام الدامس الى نور بهيج بدون واسطة أو تدرج .. كذلك كان حال المرأة المخضرمة التى سلخت من عمر الجاهلية أزمانا ، ومن حياة الاسلام أحيانا ..

هنـد بنت عتبة

ونجد المثل لذلك فى هند بنت عتبة التى أهدر النبى صلى الله عليه وسلم دمها يوم فتح مكة جزاء ما اقترفته يداها يوم أحد من تمثيلها بجثمان سيد الشهداء حمزة .. مما بقى أثره عميقا غائرا كالجرح الذى لا يندمل .. فى قلب الرسول .. فلما جاءته قائلة : يا محمد انى امرأة مؤمنة بالله .. مصدقة برسوله .. كشفت عن نقابها ورأى النبى شفتيها اللتين لاكت بهما كبد عمه حمزة كأبغض وأبشع ما ترى الشفاه .. ولكن كلمة الاسلام التى انسابت من بين تينك الشفتين قد أحالتها الى ما يشبه وريقات الزهر البسام .. فلم يعد يرى فيهما النبى حمرة الدم المسفوح .. ولكن رأى غمرة الاسلام الأبلج فقال لها : مرحبا بك .. مرحبا بك .. ومحا اسلامها ماضيها الأسود .. كما تمحو طلقة الصبح سدفة الظلام .. فلما عادت الى خدرها .. مفعمة النفس بشتى الانفعالات .. أنحت على صنم لها بالقدوم تحطمه فلذة فلذة .. وتقول : كنا منك على غرور .

وكان هذا الموقف الثورى الجديد .. نقطة تجول عظيم فى حياة المرأة العربية .. اذ انتقلت بسرعة البرق من عهد الكهان والعرافين ، وزواجر الطير ، وطوارق الحصى ، وكل ذى لغو مموه ، أو ظن مرجم .. انتقلت من هذا كله .. كما انتقلت من خرافة البرء بتعليق الخرزات ، ومطاولة حبال العمر بالرقى والتمائم .. وفعالية الأقدار باستفتاء الأزلام ، .. الى عقيدة تحدوها الى ركعة ساجدة .. أو قومة هاجدة .. أو دعوة صاعدة .. وأعطت ما لله لله ، وزايلتها الى غير رجعة صور الهواتف الموهوبة ، وأصداء الأرواح الهائمة .. وحلت محلها .. رؤى لجنات عرضها السماوات والارض .. ذوات رياض باسمات ، وظلال وارفات .. وكان الأثر المترجم عن هذا عمليا فى واقع الحياة الايمان والعمل ، فقد جاء فى البخارى أن الرسول صلى الله عليه وسلم .. حين كلمهن فى شأن الصدقة (أخذن ينزعن الفتح (الخواتم الكبيرة) والأقراط ، والعقود ، والأطواق ، والخلاخيل ، ويلقينها فى ثوب بلال وهو يجمع الصدقات وقد حدث ابن سعد عن

عروة بن الزبير انه لما نزل قولـه تعالى (ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم) .. تصدقت عائشة رضى الله عنها بسبعين الفا .. وانها لترفع جانب درعها ، .. وفى رواية : « ان ابن الزبير بعث الى عائشة رضى الله عنها مالا فى غرارتين يبلغ مائة الف .. فدعت بطبق .. وهى صائمة ، وقسمت به المال كله بين الفقراء .. فلما حان وقت الافطار سألت جاريتها عما تفطر به .. فلامتها جاريتها أنها لم تشتر ببعض المال لحما تفطر عليه فقالت لها عائشة (لا تعنفينى .. لو كنت أذكرتنى .. لفعلت) .

الخنساء

.. ولعل أبلغ مثل فى الدرجة القصوى للمرأة الموقف المشرف فى حياة الاسلام .. ما جاء بشأن الخنساء الشاعرة المعروفة وهى تماضر بنت عمرو بن الشديد وقد غلب عليها لقب الخنساء .. وقد أجمع نقاد الشعر على تميزها بامارة الشعر بين النساء .. لدرجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجبه شعرها ويستزيدها ويقول لها : « هيه يا خناس » فهذه المرأة المخضرمة قد لبست ثوبين متباينين وتقمصها روحان متناقضان .
.. ففى الجاهلية أعلنت بشعرها الحداد القاتم الجزوع على اخويها صخر ومعاوية .. ورثتهما بآهاتها الحرى التى سارت بها الركبان .. وتعاقب على ترديدها الملوان ، ومما قالته فى صخر :

أعينى جودا ولا تجمدا
الا تبكيان لصخر الندى ؟

الا تبكيان الجواد الجميل
الا تبكيان الفتى السيدا ؟

طويل النجاد رفيع العما
د ساد عشيرته أمردا

اذا القوم مدوا بأيديهمو
الى المجد مد اليه يدا

فنال الذى فوق أيديهمو
من المجد ثم مضى مصعدا

يحمله القوم ما عالهم
وان كان أصغرهم مولدا

وان ذكر المجد الفيته
تأزر بالمجد ثم ارتدى

.. ثم ماذا كان من أمرها ؟ .. رضيت بالله ربا ، وبمحمد رسولا ، وبالاسلام دينا .. فتحول أنينها المنظوم .. الى رضا مكظوم ، ورثاؤها المكلوم ، الى در يتسلسل منها فى عذوبة الجدول الرقراق .. ففى موقعة القادسية على عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه .. الهبت عزائم أبنائها الأربعة ، وقذفت بهم فى أتون المعركة وهى تقول لهم « يا بنى .. انكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا اله الا هو .. انكم لبنو رجل واحد .. كما انكم بنو امرأة واحدة .. ما هجنت حسبكم ، وما غيرت نسبكم ، واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية .. اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون .. فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجللت نارا على أرواقها ، فيمموا وطيسها اقصدوا (المعركة) ،، وجالدوا رسيسها (اضربوا أصولها) تظفروا بالغنم والكرامة ، فى دار الخلد والمقامة » .

وقد عملت تلك الوصية الخالدة عملها فى نفوس أبنائها ، فاندفعوا كالسهام المريشة يستبقون الى حياض المنية واحدا بعد الآخر ولما بلغها نعيهم .. لم ترثهم بشعر ، ولم تبكهم بنثر ، ولم تشق جيبا ، أو تلطم خدا .. وكل الذى فعلته أنها قالت (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وارجو من الله أن يجمعنى بهم فى مستقر الرحمة) .

.. وبعد .. فما أبعد الثريا من الثرى ، وما أعمق تلك الهوة السحيقة الفاصلة بين عهدين فى حياة المرأة .. عهد رزحت فيه تحت ظلم وظلمات الجاهلية بغيها وضلالاتها .. وعهد .. استروحت فيه نسمات الحرية الفكرية .. وأبصرت فيه وجه الغد المؤمل ، وانبعثت فيه بوحى من ايمانها تضرب الأمثال للأجيال الصاعدة ، وتكتب فى سجل الخلود صحيفة نسائية مشرقة .. وقد رأينا فيما قدمنا أنها فى ظل الاسلام صارعت برقها أحرار الرجال ، وتخطت بايمانها حواجز العرف والتقاليد .. وسارت فى ركب المهاجرين الأولين خطى ثابتة وجريئة وان ثقتها بخالقها ، ورضاها بأقدارها قد أوصلها فى احتسابها الى صبر أيوب وكانت بحق صانعة الرجال ، ومربية الأجيال .. تصوغهم فى المهد على عينها .. وتبذر فى تربتهم الخصبة حبات ايمانها .. كما انها امتشقت الحسام فى ميدان الوغى .. فضلا عن مزاولتها خدماتها الطبيعية بين الجرحى والعطاش .. وقامت بواجبها كاملا فى ميدان الخدمة العامة .. فبذلت مالها لغيرها .. وجاعت ليطعم الجياع من حولها .. وكانت داعية لدينها بحيلتها وحسن تأنيها .. وأخيرا لم تضن على وقود المعركة الاسلامية المقدسة بأولادها لتجعل منهم حطبا يزيد من أوارها ، ويؤجج سعيرها .. ولا غرو فقد بلغت واحدة منهن مبلغ سيادة نساء العالمين .. وهى صغرى بنات الرسول عليه الصلاة والسلام .. فاطمة .. التى كانت تشبهه خلقا وخلقا ..

وكان يقول لها : « ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك » ..

الجمهورية الموريتانية الاسلامية

١ ــ تقع الجمهورية الموريتانية بين الجزائر ومالى والسنغال والمحيط الأطلسى .
٢ ــ مساحتها : مليون و ١٦٩ الف كيلومتر مربع .
٣ ــ عدد سكانها : (٢١/٢) مليون تقريبا .
٤ ــ معادنها : الحديد والنحاس والذهب .
٥ ــ صادراتها : المواشى والسمك والحديد والصمغ والملح واللحــوم والجلــود .
٦ ــ عملتها : الفرنك الافريقى .
٧ ــ عيدها الوطنى ٢٨ نوفمبر .

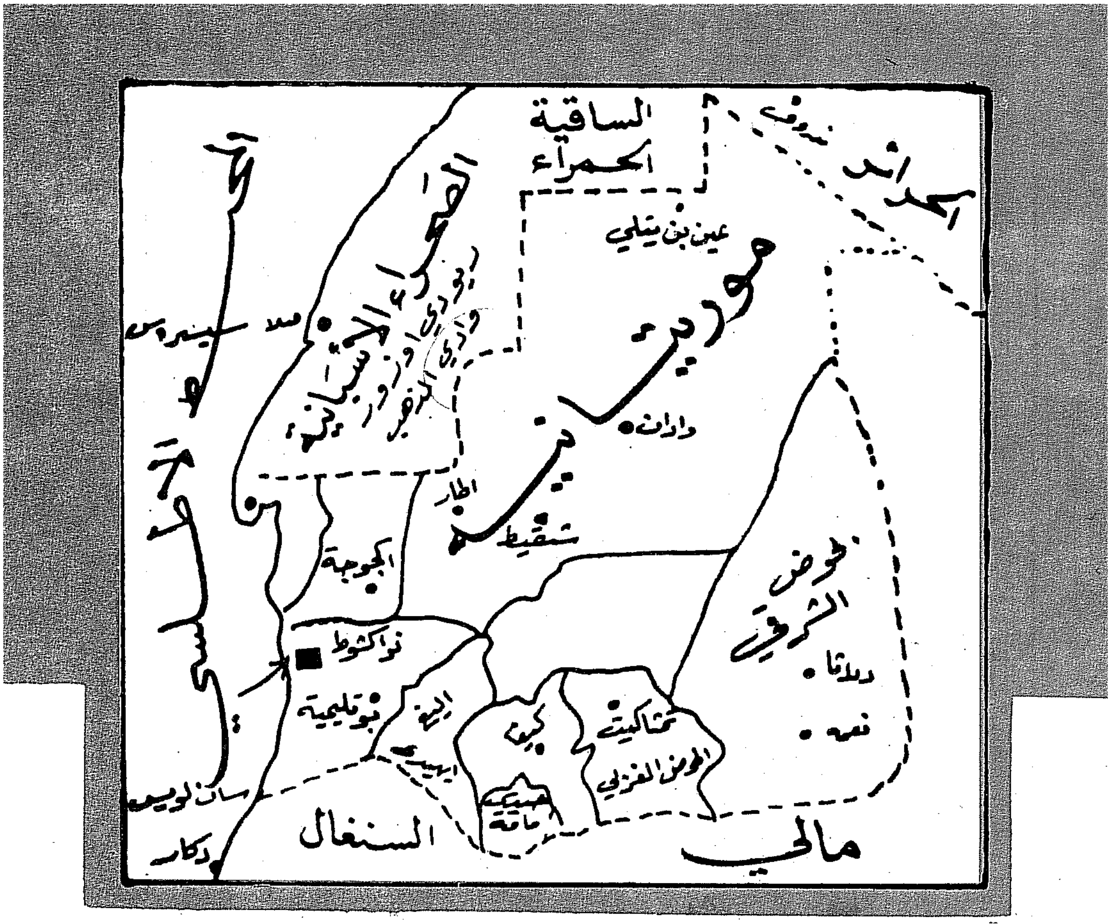
التعريف : الجمهورية الاسلامية الموريتانية بلد عربى مسلم والاسلام به مئة فى المئة واللغة العربية هى اللغة الاصلية للشعب الموريتانى وان كــان هناك عدة لهجات مختلفة .

تاريخها : وكانت فى الماضى تحت نير الاستعمار الفرنسى وتم استقلالها فى عام ١٩٦١ وهى برئاسة المختار ولد داده .

اقتصادها : يعتمد على الحيوانات وتربية المواشى والزراعة والصمغ والحديد والنحاس وصيد الاسماك .

الاسلام فيها : تكثر فيها المساجد والجمعيات ويدرس فيها العلــــــوم الدينية وحفظ القرآن الكريم واللغة العربية وأهلها محافظون متمسكون بأمور الدين الاسلامى الحنيف وآرائه الفاضلة وأخلاقه السمحة .

المنح الدراسية : جمهورية مصر العربية منحتها ٨٠٪ من المنح التــى



أعطيت لموريتانية يتلوها الكويت والعراق وليبيا وسوريا والجزائر . وعدد الطلاب فى الخارج زهاء (١٥٠٠) طالب فى جميع الدول .

الحياة الاجتماعية : الشعب الموريتانى ماضيا كما مر بنا شـــعب زراعى رعوى . ولكن التعدين أوجد منه مجموعات عمالية ، وقد صاحب هذا التحويل فى حياة العمال تأسست الحكومة مركزا فى نواكشوط للاهتمام بتحويل العمال العاديين الى خبراء ــ واختصاصيين وفتح أبواب مكاتب التدريب المهنى فى بورت اتين وكفل القانون ضمان حقوق العمال والتعويضات والمنح العائلية .

المرأة : أما عن المرأة الموريتانية فهى تعيش كالرجل حياة عـــادية فبالاضافة الى كونها زوجة ، تقوم ببعض الاعمال الزراعية والرعوية وجمع الصمغ وقطف التبغ وهى أمية ما عدا القليل ويغلب على مظاهر حديثهـــا وارتدائها الملابس وسلوكها العام المظهر البدوى الصحراوى . والفتـــاة الموريتانية تتمسك بالتقاليد الاسلامية الاساسية وهى متحررة من التقاليـــد البالية ، والدستور الموريتانى أعطى المرأة حقوقها الاساســـية ، والمرأة الموريتانية حنطية اللون ، وعليها سمات من سمرة الصحراء ويعتبرها البعض أجمل أفريقية بيضاء لو تزيت بزى العصر .

زعموا

ان الشريعة الإسلاميّة غير صالحة للتطبيق

اكثر الذين لا يعجبهم ان يسود حكم الاسلام في المجتمعات الاسلامية ، يسوغون موقفهم هذا بدعوى ان الشريعة الاسلامية لم تصلح للتطبيق خلال عصور الاسلام كلها ، الا مدة يسيرة لا اعتبار بها ، هى الفترة الاخيرة من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومدة خلافة أبى بكر وعمر . ثم انتثر نظام الاسلام وحكمه وسط أوار الفتنة الداهمة ، ولما هدأت نارها قليلا استطاع عمر بن عبد العزيز أن يقيم دعائم الاسلام مرة اخرى ، خلال فترة قصيرة من الوقت . ولكن ما لبث النظام الاسلامى ان عاد من بعد انكاثا ، وعاد الحكم بالشريعة الاسلامية مستعصيا على التطبيق الى هذا اليوم .

فهل يصح شيء من هذا الكلام ؟

للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطي

هل صحيح ان الشريعة الاسلامية لم تصلح للتطبيق كما قالــوا ، وان دعائم الحكم بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله قد دمرت وسط اوار الفتنـــة الداهمة ، ثم ضيعت فى قصور الخلفاء والحكام ؟

اننى اقرر جازما ان الشريعة الاسلامية ، لم تزل منهجا للحكم فى الأمم الاسلامية ، منذ أن اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة المنورة دولة الاسلام ، الى أواسط عهد الخلافة العثمانية .

ولقد تقلبت الصور والأوجه السياسية لدولة الاسلام : من خلافـــة راشدة ، الى دولة أموية ، فعباسية ، فدويلات ومماليك ، فخلافة عثمانية — وان شرعة الاسلام هى العصب الممتد فى حياة هذه الدول والممالك كلها .

ربما تنافست فيما بينها على حكم ، أو اختلفت مع بعضها من أجـــل مصلحة ، أو توجس بعض رجالاتها خيفة من بعض ، فتنوعت أو تناسخــت من اجل ذلك هياكل الدولة ، ولكن هذا شىء ، ومنهج الحكم والقضاء ضمن هذه الهياكل شىء آخر .

ولكى نتصور حقيقة هذا الكلام ، بل بداهته ، يجب أن نعرض لتفصيل يكشف عن المغالطة الخطيرة ، واللبس الشنيع اللذين يعتبران العمدة الوحيدة لزعم هؤلاء الناس .

ولنسأل أنفسنا بادىء الأمر هذا السؤال : ما معنى أن دولة من الدول تحكم بالاسلام ؟

ان معنى ذلك ، أن قانونها الذى يعتمد عليه القضاء فى حل قضايا الناس ومشاكلهم ، وضبط نظامهم ومختلف شؤونهم ، هو قانون الشريعة الاسلامية

وفائدة اعتماد هذا القانون — بعد احراز رضى الله عز وجل — انــه يكسو المجتمع الذى يطبق فيه كسوة العدل والنظام بين أفراده ، ويوفر له من الضمانات الخلقية ما يجعل الصيغة العامة فيه بيضاء نظيفة ، لا يتماسك عليه شىء من درن التفسخ أو الانحراف .

فلا جرم أن أفراد هذا المجتمع — من وراء الكسوة التى يلبسها والصبغة التى يتحلى بها — بشر غير معصومين : يخطئون أو يجرمون أو ينحرفون ، وقد يسترهم الله تعالى فلا يطلع على حالهم أحـــد فيعكفون على أخطائهـــم وانحرافاتهم وقد يفتضح أمرهم فيطوقهم القانون وتنحط فيهم العقوبـــة ..

وربما نشأت فى القضاء ملابسات أو تسللت اليه بينات زائفة ، فعوقب البرىء وبرىء المجرم . كل ذلك شىء لا علاقة له بكون هذا المجتمع يحكم بالاسلام أو بغيره ، فان مناهج الحكم — الهية كانت أو وضعية — لم يراع فى تطبيقها ذات يوم أن تجعل من البشر ملائكة لا يعصون أو أن تغرس فيهم بذور العصمة والمثالية ، بل أن الحاكم الاعلى جل جلاله ، قضى أن يظل الناس (حكاما ومحكومين) ما عاشوا فى هذه الدنيا ، خطائين غير معصومين — حاشا الرسل والأنبياء — وخير ما يرتقى اليه حال أحدهم أنه اذا أخطأ فانحرف تاب وندم ، وأخذ يصلح ما أفسده من أمر نفسه أو أمر غيره .

ولقد كان فى الصحابة — وهم الرعيل الاول وصفوة هذه الأمة — خطئون وآثمون ، وقد وجد فيهم من سرق فقطعت يده ، وشرب الخمر فضرب الحد ، وزنى فجلد أو رجم ، دون أن يضير ذلك بشىء من بنية الحكم الاسلامى المطبق ، اذ يتناقض مع واقع المنهج الاسلامى ونظامه .

ومهما كان من أمر المسلمين بعد الصحابة ، فما ينبغى أن يكونوا أفضل حالا منهم ، ان لم يكونوا أدنى منهم منزلة وفضلا : واذا فما ينبغى أن يعتبر حالهم التى قد يوجدون عليها — من معاص وآثام مختلفة — ذا دلالة ما على أن القضاء فيهم غير اسلامى ، أو أن الشريعة الاسلامية مستعصية عندهم على السيطرة والتطبيق .

ونسأل : فما هى فائدة الحكم الاسلامى اذا ؟

والجواب أن فائدته حصر نطاق المعاصى والشرور المختلفة ، وعزلها فى أضيق دائرة ممكنة ، بحيث لا تنبسط فى صفحة المجتمع المتجسدة بأسواقه وميادينه وحوانيته وأزقته ومرافقه العامة المختلفة ، كى لا تتحول من آثام وانحرافات فردية خاصة الى أوبئة سارية عامة .

أى فالحكم الاسلامى علاج وقائى للهيئة الاجتماعية المسلمة ، وليس سبيلا الى خلق روح العصمة من الذنوب فى أفراد تلك الهيئة .

ولو كان لنظام الحكم الاسلامى العام أى قصد الى خلق هذه العصمة ، أو قريب منها فى نفوس أفراد المسلمين ، لما اشترط توفر أربعة شهود على جريمة الزنا لاخضاع صاحبها لحكم الحد ، ولما أوصت الشريعة الاسلامية الزانى نفسه بأن يبذل كل جهد ممكن لستر نفسه ، ولما نصحت الشهود على أى معصية تستلزم العقوبة أو الحد بالستر والكتمان ما وسعهم ذلك .

نقول بعد هذا : أما أن خلفاء المسلمين وحكامهم من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعرضوا لأخطاء ، أو انزلقوا فى آثام ، فصحيح لا مجال للشك فيه ولا داعى لانكاره . وأما أنهم عمدوا الى القضاء الاسلامى فاستبدلوا به غيره ، أو استجروه الى التطبيق فاستعصى عليهم ، فشىء باطل لم يعرفه تاريخ ، ولم يثبته باحث ، ولم يقل به أحد .

لقد كان القضاة — على مر العصور الاسلامية — المختلفة — من المجتهدى وفقهاء عصورهم ، وكانوا من أروعهم وأحرصهم على حراسة شرعة الله وحكمه ، وبوسعك أن تقف على شىء من تراجمهم لتتصور بنية الحكم الاسلامى الراسخ الذى لم يتضعضع ، ولم يصب بأى تصدع أو اهتزاز خلال مختلف تلك التقلبات والاوضاع السياسية المتطاحنة .

وليس شرطا لاعتماد القضاة على الحكم الاسلامى فى دولة ما ، أن لا تنشأ فتنة أو يظهر اضطراب ، أو تثور خصومة وشقاق فى كيان تلك الدولة ،

فان لكل ذلك أسبابه الخاصة التى قد تنشأ بعوامل مختلفة بعيدة عن موضوع الحكم وشكله .

والذين يزعمون أن التاريخ أثبت عدم صلاحية الاسلام للحكم ، لم تقع أيديهم من هذا الذى أثبته التاريخ — بزعمهم — الا على معاص ، أو انحرافات شخصية ، أو فتن لاسباب اجتهادية ، ظهرت فى عهد من عهود الدول الاسلامية وهى أمور لا علاقة لها بما يشتهون أن يزعموه كما أوضحنا .

الا أنهم لم يكتفوا بوضع أيديهم على هذه الملاحظات ، بل راحوا يبالغون فيها مبالغة عجيبة ورهيبة ، وأخذوا يتزيدون فيها زيادة باطلة ليس لها من جذور ولا أصول ، كما أخذوا يرسمون حياة كثير من خلفاء المسلمين وحكامهم كما شاءته أخيلتهم وأهدافهم الخبيثة وراء صدورهم ، أملا منهم — اذا نجحت الصورة وصدقها الناس — أن تحجب عن أعينهم سائر الحقائق الأخرى ، فلا يبقى أمام أعينهم من تاريخ الاسلام ورجاله الا سيوف تتقارع ، أو يهيمون فى مجالس السكر والطرب ! . .

اقرأ أخبار الفتنة بين على ومعاوية رضى الله عنهما فى أى مصدر تاريخى حديث ، تجد أحداثا غريبة ، ليس لها من أساس ، وليس عليها من دليل ، ولا تقع على أى أثر لها فى شىء ، من أمهات كتب التاريخ ! . . وتجد الى جانب ذلك استنتاجات وتفسيرات لما وراء الوقائع والاحداث ، ليس عليها من برهان ، ولم يقل بها أحد من كتاب التاريخ السابقين .

بل اقرأ فى كثير من هذه المصادر الحديثة أخبار الفتح الاسلامى فى الجزيرة العربية ، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تجدهم قد ألبسوه هو الآخر — رغما عنه — قبعة وشدوا عنقه برباط أجنبى ، وأخضعوه قسرا لقصة اليسار واليمين ومعركة الرأسمالية المستغلة مع الطبقة الفقيرة الكادحة !.. فالفتح الاسلامى اذا لم يكن — على رغم أنف التاريخ وسجل أحكامه — الا أثرا من آثار الفلسفة الماركسية وما لف لفها ، وان جاء قبلها بثلاثة عشر قرنا من الزمن ! . .

واقرأ ترجمة خليفة من خلفاء المسلمين مثل هارون الرشيد ، فى شىء من المصادر الحديثة ، تجد نفسك أمام ماجن مستهتر ، لا يستفيق من السكر ، يتطوح بين أحضان الجوارى ويعيش منغمسا فى أمواج الترف وبحار اللذة !..

ويأخذ منك الكرب ، ويمضك الالم ، من أن يكون خليفة المسلمين فى أزهى عصورهم الذهبية ، على هذه الحالة من السوء والانحراف ، فتلتفت الى ما تطوله يداك من أمهات كتب التراجم والتاريخ من أمثال الطبرى والمسعودى وابن خلدون لتقف منها على شأن هذا الرجل وحقيقة أمره ، فلا تعثر فى شىء منها على هذا الذى تعج به المصادر الحديثة ، وانما تجد نفسك أمام ترجمة انسان رقيق صالح آلى على نفسه أن يهب حياته كلها للجهاد فى سبيل الله وحراسة دولته وحكمه فى الارض ، يحج عاما ويغزو عاما آخر ، يحرص على أن يمضى شطرا كبيرا من الليل مصليا خاشعا ذاكرا ، يصلى فى اليوم والليل مائة ركعة ما لم يمنعه شاغل من أمر المسلمين وشؤونهم ، لا يقطع فى شىء من قضايا المسلمين برأى حتى يستشير فى ذلك أولى البصيرة والرأى من علماء المسلمين وفقهائهم ، ولكنك تجده — مع ذلك بشرا كبقية الناس غير معصوم من الاخطاء والآثام : قد يجتهد فيخطىء وقد يغضب فيظلم ويأثم ، وقد يعصى ثم يتوب .

فمن أين جاء هؤلاء الكتاب اذا ، بتلك الترجمة التي لم تلصق بالرشيد الا في هذا العصر الحديث ؟!.. وهل للمؤرخين اليوم ، اذا أرادوا أن يكتبوا في التاريخ العربي ، من مرجع ينهلون منه ، غير هذه الكتب المعدودة بين ايدينا من أمهات كتب التاريخ ؟!

والجواب : ليس المهم أن يجد هؤلاء الكاتبون مرجعا أمامهم يصدقهم فيما يتخيلون ، فان المنهج التاريخي الحديث يخول صاحبه أن يجعل من الحبة قبة ، ويبني من الحصاة قصرا ، ويؤلف من القطرة بحرا ، ويدعوه الى أن يذهب في استنتاجاته وتوسمه للاحداث مذهبا لا يحده الا سلطان خلقه وضميره .

ولذا فقد كان على تلك الأمهات الكبرى من مراجع التاريخ أن تخضع هي لأحكامهم واستنتاجاتهم ، لا أن يخضعوا هم لنقولها وأخبارها الجافة القائمة على مجرد الرواية والسند .

من أجل هذا ، كانت البحوث التاريخية الاسلامية ، الهواية العلمية المفضلة عند أكثر المستشرقين ، لا يبغون بها بديلا ولا يفضلون عليها شيئا آخر ذلك لأنهم يستطيعون — بفضل مناهجهم الاستنتاجية الحديثة — أن ينطقوها بما يشاءون .. وأن يجعلوا منها شاهدا على كل ما يحبون ..

فما أسهل على أحدهم أن يدير القلم في يده ساعة من الزمن ، واذا به قد جعل قصة الفتح الاسلامي كلها عبارة عن صراع على السيادة بين العرب وغيرهم .. وليس دافع العقيدة والدين فيها الا غلافا للستر والاستغلال !.. ثم ما أسهل أن يديره على نحو آخر واذا بأحداث هذا الفتح الاسلامي نفسه ليست اكثر من معركة يسار ويمين ! .. ثم ما أسهل أن يقلب القلم في يده على نحو ثالث ، ليثبت لك أن الاسلام — كنظام وحكم — استعصى على التطبيق ، وان الحكام والخلفاء المسلمين لم يكونوا الا رهطا من تجار اللذة والمجون !! ..

وليس لك — وهو يتنقل بين هذه الأحكام كلها — أن تطالبه بأي ثبت أو مرجع يروى عنه ويعتمد عليه ، لأنه انما يستنتج !!.. وما على المستنتجين من سبيل .. وما على القراء الا أن يصدقوا !..

وكل هذا أقل في باب الخطورة والخسة ، من شأنهم عندما يعمدون الى وقائع وأخبار تاريخية لا تخدم أغراضهم ، فيحورونها ويغيرون منها على نحو ينكسون به مدلولاتها ويعكسون مفاهيمها ، ثم يسجلونها في كتبهم ، ويروونها في مجالسهم ومحاضراتهم .

ثم لا يزالون يبثونها بين أسماع الناس وأبصارهم ، حتى يطمئنوا الى أن الحقيقة اختنقت تحت وطأتها وضاعت في زخمها ، وحتى يتأكدوا أن الشك أيسر أن يراود الناس حول الحقيقة الثابتة في المراجع القديمة الاصيلة من أن يراودهم حول الباطل الذي روجوا له بمختلف الفنون والاساليب .

واليك هذا المثال :

يقرأ طلاب المدارس الثانوية في بعض كتب التاريخ الرسمية المقررة خبرا مفاده أن الترف والبذخ بلغا بهارون الرشيد مبلغا جعله ينفق على طبق واحد من أطباق مائدته العامرة ما يزيد على الف درهم ، وكان الطعام الذي فيه عبارة عن ألسنة أسماك !..

لا ريب أن هذه القصة تنسج لهارون الرشيد في أخيلة الطلاب صورة من الترف العابث الذي تتقزز له النفس ، لا تتخيل مثلها في أساطير الف ليلة وليلة

ولا ريب أنها تفعل فعلها بعد ذلك فى نفوسهم وأفكارهم حيال قيمة التاريخ الاسلامى كله .

ولكن تعال فانظر الى حقيقة هذه القصة ، كما هى ثابتة فى مروج الذهب وابن الأثير وغيرهما :

حدث ابراهيم بن المهدى قال : استزرت الرشيد بالرقة فزارنى ، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وضعت البوارد رأى فيما بينهم جام قريص مثل قريص السمك ، فاستصغر القطع ، فقال : لم صغر طباخك تقاطيع السمك ؟ .. فقلت يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك !.. قال فيشبه أن يكون فى هذا الجام مائة لسان . فقال مراقب خادمه : يا أمير المؤمنين ، فيها أكثر من مائة وخمسين ، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك ، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم ، فرفع الرشيد يده ، وحلف أن لا يطعم شيئا دون أن يحضره ألف درهم ، فلما حضر المال أمر أن يتصدق به ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال : أخرج من دار أخى ، ثم أنظر أول سائل تراه فادفعه اليه ، قال ابراهيم : وكان قيمة الجام مائتين وسبعين دينارا فغمزت بعض خدمى للخروج مع الخادم ليبتاع الجام ممن يصير اليه ، ففطن الرشيد ، فقال له : يا غلام اذا دفعته الى السائل فقل له : يقول لك أمير المؤمنين احذر أن تبيعه بأقل من مائتى دينار فانه خير منها (مروج الذهب ٣/٣٦٣) .

هذه هى القصة ، كما وردت فى أصول كتب التاريخ ومراجعها الاولى . وهى وحدها ترجمة كافية لحياة أعظم خلفاء العصر العباسى وأعدلهم على الاطلاق .

ولكن انظر كيف مسخت وحورت وبتر منها جوهرها على ألسنة وأقلام طائفة من كتاب العصر الحديث ، لترغم ارغاما على النطق بعكس مدلولها ، لتشهد على صاحبها بالترف والبذخ بعد أن كانت تشهد له بنقيض ذلك تماما كما قد رايت !! ..

وليس هذا العمل — على كل حال — غريبا ولا عجيبا عندما يصدر من طائفة المستشرقين ومن هم من أبناء جلدتهم ، فان بين جوانحهم من شعور الحقد ما يدفعهم الى اكثر من هذا التزييف وأعجب من هذا الكذب والافتراء .

فأنت تعلم أنهم ليسوا الا أحفادا لأولئك الرومان الذين جند الرشيد حياته كلها لسحق كيدهم واخضاعهم لحكم الدولة الاسلامية ، وأنهم ليسوا الأحفاد مليكهم (نقفور) الذى أراد أن يتمرد على نفوذ الدولة الاسلامية وحكمها فى عهده ، وأرسل الى الرشيد يهدده ويتوعده ، فكتب اليه الرشيد : **« من هارون الرشيد أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم ، قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما ترى لا ما تسمع »** . ثم انطلق اليه فى جيش جرار على طريق مفروشة بالثلوج مملوءة بالصقيع والاعاصير ، حتى أناخ بباب هرقله ، ففتح وغنم وقاتل ، حتى خضع له نقفور ، وطلب منه الموادعة على خراج

يؤديه كل عام ، فلما رجع الرشيد ووصل الى الرقة ، نقض العهد وخان الميثاق يائسا من رجعة الرشيد اليه ، اذ كان البرد شديدا ، والثلوج تهمى على طول الطريق ، ووصل الخبر الى الجند فكتموه عن الرشيد اشفاقا عليه وعلى انفسهم ، ولكنه ما لبث أن علم بالخبر فقال : أوقد فعل نقفور ذلك ؟ وكر راجعا فى أشد محنة وأعظم كلفة ، ثم لم يبرح يغزو ويقاتل حتى بلغ ما أراد .

فماذا عسى أن تكون ترجمة هذا الخليفة على السنة أحفاد نقفور اليوم ؟!

وأى مجنون يتوقع منهم أن يكونوا أقل افتراء عليه مما يكتبون ويقولون ؟!

ان هؤلاء منطقيون مع أنفسهم بكل معنى الكلمة ، عندما يعمدون الى مثل هذا الصنيع ، ولكن العجب الذى لا ينتهى انما هو من صنع هؤلاء الصغار !! ..

هؤلاء الذيول الذين يصطنعون المباهاة ، ملء أشداقهم بما يشاعون من الفاظ القومية والوطنية والعروبة ، ثم يلوون رؤوسهم وعقولهم ، فى خضوع منكسر ، لحكم الحقد الذى ينفثه أحفاد نقفور اليوم على تاريخهم العربى المجيد وعلى سيرة أعظم رجالاته !! ..

● ● ●

ان الشريعة الاسلامية لم تزل مطبقة ـــ كنظام وقانون ـــ منذ اليوم الأول الذى أقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دولة الاسلام وحكمه ، الى الثلث الاخير ـــ تقريبا ـــ من عهد الخلافة العثمانية .

يعلم هذا كل من يتتبع أنظمة القضاء فى هذه العصور كلها ، بل وما لبست المجتمعات الانسانية ثوبا قانونيا جاء على قدرها ، كثوب النظام الاسلامى وحكمه ، يعلم ذلك جميع المنصفين من رجالات الفقه والقانون .

والناس كانوا ، وما يزالون ـــ حكاما ومحكومين ـــ بشرا كما أرادهم الله تعالى ، خطائين غير معصومين ، تصلحهم رقابة الدين ، وتفسدهم ميعة الفسوق والعصيان .

ولم يكن حكام المسلمين وخلفاؤهم الا بشرا من هؤلاء الناس يجاهدون فى اصلاح نفوسهم ومجتمعاتهم ، ولكنهم قد يجتهدون فيخطئون ، وقد يغضبون فيظلمون ، وقد يتوجسون خيفة ممن حولهم فيتعادون ويتخاصمون .
وكل ذلك لا شأن له بمنهج الحكم ونظامه ..

فليبالغ محترفو الكذب فى التاريخ ما شاؤوا أن يبالغوا فى اسناد السوء والنقيصة الى المسلمين وحكامهم فى العصور السالفة ، فان ذلك لا يمت بأى صلة الى واقع القضاء الاسلامى الذى كان يسير محلقا باستقرار وهدوء فوق جميع الوهاد والتضاريس التى يخترعونها أو يضخمونها على صفحة التاريخ الاسلامى العظيم .

اعداد الشيخ : عبد الحى مختار

مسجد فهد السالم الصباح

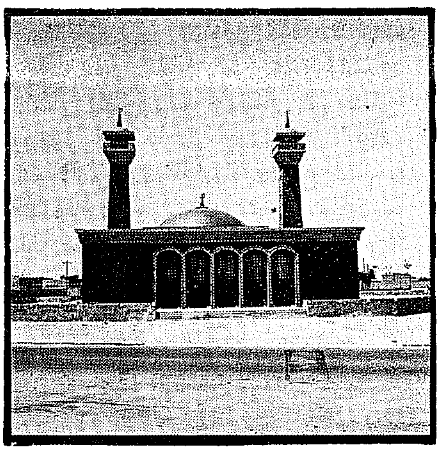
أنشأته : الشيخة بـدرية الصباح حرم الشيخ فهد السالم .

وأطلقت عليه اسم : مسجد فهـد السالم ـــ تخليدا لاسم زوجها الراحل الكريم .

يقع هذا المسجد فى حى السالميـة الذى يعد من أجمل أحياء دولة الكويت وقد تميز هذا الحى بقصوره الشاهقة وعمائره الضخمة ومتاجره الفخمـة وكثافة سكانه مما جعل الحاجة ملحة الى وجود مثل هذا المسجد ، ويمتاز موقعه بأنه مطل على شارع السالمية الرئيسى من جهة الخليج العـــربى مقابلا لقصر الشيخ فهد السالم .

ويعتبر هذا المسجد آية من آيات الحضارة ومن روائع الفن المعمـارى الاسلامى وقد بلغت نفقات بنائه ربع مليون دينار كويتى .

والناظر اليه لأول وهلة يتمثل فيه قلعة اسلامية ضخمة فجمال الموقع مع روعة البناء يلفت النظر ويشد الانتباه كما يرى فى مئذنتيه الشامختين اللتين



صممتا على نظام هندسى مـربع ، ما يوحى بفنية الفكرة مع جلال الهدف .

وقد اجتمع فى هذا المسجد روائع الفن الشرقى القديم مع براعة الفن الشرقى الحديث المنحدرين عن ذوق سليم أصيل متغلغل فى المشرق العربى منذ قديم الازمنة متجدد مع مرور الايام مما جعل منه هذا المسجد الفريد من نوعه فى مساجد الكويت الآخذ فى التسابق مع أرقى دول العالم تقدما فى النهضة العمرانية الحديثة وبالتالى فان المساجد بها لم تقف عند فنها من الطراز

العربى القديم بل نراها آخـــذة فى التسابق مع الفن العمرانى الحديث .

وقد ضرب حوله سور له باب فى الجهة البحرية يرتفع عن سطح الارض مالا يزيد عن متر واحد ولكـــبر ذلك السور زود بمصابيح من الكهرباء تضاء ليلا مع أضواء المسجد فتشـــعر ان الانوار ساجدة من حوله وعند اجتياز السور تجد فضاء حول المســـجد يوصلك الى درجات من الســـــلم الرخامى تصعد عليها لتصل الى باب المسجد الخارجى فاذا ألقيت عليـــه نظرة سريعة تجد أن للمسجد خمسة أبواب متراصة متقاربة تزيد من هيبة المسجد وكلها توصلك الى سلم من الرخام المرمرى الابيض فتصعد ست درجات حتى تصل الى فناء المسجد الداخلى الذى لا بد للمصلى أن يجتازه للوصول الى داخل المســجد للعبادة والصلاة وهذا الفضاء متسع قـــد اتخذ منه ممشى على جميع جوانبـــه وكلها مسقوفة وبقى وسطه مكشوفا على شكل دائرى مربع ويوحى هـــذا المنظر بصحن الازهر وأحيط هـــذا الصحن بستة وعشرين عمودا تزيـــد من رونق هذا الصحن وينتظر أنتحمل هذه العمد قبة فى القريب لتغطى هذا الصحن ولتكون مع قبة المسجد المصلى تكاملا فنيا يتسق مع روعة هـــذا البناء الشامخ .

فاذا صعدت الدرج الداخلى ووقفت على الطرف الاول من الفناء وجـــدت أمام ناظرك فى الطرف الاخر منـــه خمسة أبواب متشابهة فالباب الذى فى أقصى اليمين يـــؤدى بك الى استراحة للامام والزائرين للمكتبـــة وهى حجرة فسيحة فرشت بالسجاد العجمى وصفت بها الارائك على نظام هندسى وزودت بمكتبة علمية ضخمة .



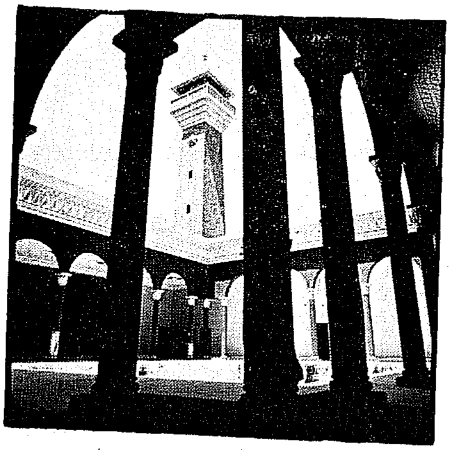
أما الابواب الثلاثة الوسطى فهى الابواب الموصلة الى حرم المسجد .

أما الباب الخاص وهو الموجـــود بالجنوب فيؤدى الى صالة فسيحـــة بداخلها سلم رخامى يصل بك الى أعلا المسجد حيث يوجد مصلى خـــاص بالنساء يجتمعن فيـــــه فى أوقات الفرائض ودروس العلم وصـــلاة الجمعة كما يوجد فى تلك الصالة باب خاص يوصل الى خارج المسجد فى الجهة الشرقية بعيدا عن ممـــرات الرجال وعلى هـــذا الباب الخارجى ساتر الى نهاية المسجد حيث تجـــد السيدة نفسها بعيدة عن حـــــرم المسجد ويفتح ذلك الباب فى أوقات الصلاة فقط ولا يطرقه الرجـــال ومحاذيا له دورة مياه للنساء فقط . فاذا نظرت عن يمينك وأنت واقف فى نفس المكان على الطرف الاول مـــن الفناء وجدت ثلاثة أبواب تصل بك الى مكان الطهارة والوضوء للرجـــال وقد أعد هذا المكان على أحدث النظم وجهز بأحدث الادوات العصرية وكل جدرانه وأرائكه وأرضه من الرخـــام المرمرى الابيض الذى فرش به فناء المسجد أما الباب الرابـــع فخاص بحجرة خادم المسجد . أما البـــاب

الخامس فخاص بالمعدات الكهربائية ثم باب المئذنتين واذا نظــــرت عن يسارك وجدت حجرة خاصة بالامــام بداخلها غرفة نوم ودورة مياه كاملة ثم حجرة خاصة بالمؤذن متسعةالارجاء وكلها مؤسسة بأحدث الاساس فاذا ولجت باب المسجد الداخلى (المصلى) من أحد أبوابه الثلاثة المتراصة وجدت نفسك فى حرم المسجد فترى المحراب أمامك وقد أخذ شكلا اسطوانيا تتدلى من سقفه ثريا من الكهرباء تشـــبه عنقود العنب فاذا أجلت بصرك بسقفه وجدت احدى عشرة ثريا وضعت بنظام هندسى وكلها من النوع السابق .

أمــــا اذا نظـــرت ببصرك الى قبة هذا المسجد فترى قبة متســعة الدائرة تدلت من وسطها كبرى الثريات وقد تميزت بضخامة حجمها العنقودى أحيطت بفروع من الثريا العنقودية الدقيقة المتقاربة امتلأت بهــا القبــة على سعتها فالفت كوكبا وضاء ونجما لامعا أما القبة نفسها فقد صنعت من مادة (فبركلاس) المشعة ففى النهار ترسل ضوءا ذهبيا يبعث البهجـــة والسرور الى نفس الرواد فهى تجلب الضوء وتبعث الدفء مما يعين العابد على طاعة ربه .

هذا المسجد مع ما صـــورنا نرى قصورا فى التصوير لحسن مظهره وسلامة ذوقه وفنه ونقدم اعتذارنا عما نكون قد قصرنا فى تصويره فاننا لم نصل الى الغاية ولم نأت على النهاية ــ وقد سلم لوزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة رمضان ١٣٩٠ هـ الموافق ١٩٧٠ .



ولعظم مكانة هذا المسجد فقـــد نظمت به وزارة الاوقاف والشـــئون الاسلامية حلقات علمية دينية تدرس فيها علوم الدين على أيدى متخصصين ويؤم هذا المســـجد لحضور تلــك الندوات رجال الفــكر والثقافـــة على جميع المستويات .

وهذا المسجد يشهد لمن عمــــره بالبناء والعبادة بالايمان والتقوى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين .

واجب علماء المسلمين

ينبغى أن يكون النهوض قائما على احترام العقائد والحقائق التى أمرنا الله باتباعها ، وتعبدنا بطاعتها ، حتى يكون التقدم منطقيا وسليما تحمد عاقبته وتجنى ثمرته ، وان الله سبحانه وتعالى قد رفع مقام العلم والعلماء ، وأكد عليهم فى وصية التبليغ والاداء ، وما ذلك الا لأن العلم نور يستوضح المشاكل والمجاهل ، ويستشف ما وراء ذلك من خبايا وخفايا ، وما ذلك الا لأن الذين أوتوا العلم والايمان ، هم الذين يحق لهم أن يسهروا على حياة الرشد والسداد ، وينهضوا بمهام التوجيه والارشاد ، وينصرفوا بقوة ايمانهم الى العدل والانصاف وينكروا ما يعن من الباطل والاعتساف .

وهم الذين يتحملون الاذى فى سبيل صدعهم بالأمر ، وجهرهم بالحق ، فلقد ضرب الامام مالك رحمه الله وهو عالم المدينة وامام الأئمة حتى غشى عليه فى سبيل الصراحة بحكم من أحكام الله ، ولقد سجن الامام أحمد رحمه الله وهو علم من أعلام الدين الشاهقة ، فى سبيل التمسك بعقيدة تتصل بصفة من صفات الله : « فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . وان حياة الاسلام كما تعلمون لا تتحقق الا بمرحلتين : مرحلة نظرية وهى مرحلة الايمان والتصديق ، ومرحلة عملية وهى مرحلة الانجاز والتحقيق ، بعد ما يكون من التصميم والتنسيق ، فأما الايمان من دون عمل ففكرة عقيمة ، لا وزن لها ولا قيمة ، وأما العمل من دون ايمان فلا يوثق به ولا يعتمد عليه لأنه معرض لاخطار الشك والترك .

ولهذا كان من العناء والشقاء فصل الدولة عن الدين والايمان ، وسيطرة المادة على الحياة والانسان ، اذ المقومات المعنوية والخصائص الروحانية تنعدم فى العنصر المادى الصرف فلا يعود الانسان يخضع لقوة العقل والروح وانما هو عبد من عبيد المادة وأسير من أسارى الشهوة ، وذلك هو الضلال البعيد ، وذلك هو الخسران المبين .

والمسلمون حقا هم الذين يستمدون قوتهم وعزتهم وحياتهم وسياستهم من كتابهم المقدس ودستورهم المحفوظ ولا يتعلقون بشىء آخر مما هو من

أوضاع البشر ، ولقد سار المسلمون فى صدر الاسلام سويا على صراطه ومنهاجه ، فطاعت لهم الدنيا ، ولاح فجر الفلاح ، ونصروا الله به فنصرهم ،

عقد علماء المغرب مؤتمرهم الرابع مؤخرا فى مدينة مراكش وتدارسوا فيه أحوال المسلمين فى جميع المجالات ، واتخذوا توصيات شاملة وواقعية تناولت كل القضايا التى تمس المسلمين محليا ودوليا . وقد ألقيت فى المؤتمر عدة كلمات منها كلمة العلامة السيد الرحالى الفاروق ، وفيما يلى ننشر بعض فقراتها :

وأقاموا حدود الله فاستخلفهم ، وعرفوا المعروف وأنكروا المنكر فرفعهم ، وحفه الأولون بجهادهم وصدق ايمانهم فكان كلما تلقى صدمة من الكائدين له هب الحماة لنجدته وأسرعوا لصد الهجوم عن ساحته ، من غير تلكؤ ولا تلعثم .. ومن دون تكاسل ولا تواكل ، ولكننا أصبحنا الآن نرى هذا الكتاب الحكيم ، وهذا الدستور المستقيم ، وكأنما هو أثر من الآثار ، لا يرجع اليه فى الحياة ، ولا يستشار ، وهذه أعظم نكبة وأكبر خسارة أصيب بها المسلمون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

انه خضوعا للشعور بخطورة الحالة واهانة الضمير ، فانه يتحتم أن يعاد النظر فى تقرير المصير ، وفى كيفية المسير ، وأن يؤكد العلماء وجودهم فى هذه الفترة العصيبة فيعرضوا رسالتهم من جديد وبأسلوب جديد ، ويوطنوا نفوسهم على الصبر والمزيد فى سبيل التعريف بالمعتقدات الدينية ، والتجديد للحضارة الاسلامية ، وأن يوسعوا صدورهم ويصعدوا نشاطهم لتخليص هذا الجيل من فتنته وللابقاء على لون الاسلام وصبغته ، ولو يكون ذلك بتأسيس مدارس تلقحه بمادة الدين والاخلاق ، وتعوده على ممارسة وظائف الدين وأعمال الخير — ثم يساق بمهارة الى ما يتطلبه المستقبل من القيام بشتى المسئوليات ، والى ما ينتظره العصر الذى يعيش فيه من تحمل التضحيات ، ويتقاضى ذلك منه أن يتسلح بسلاح العصر — ليساهم فى معركة النصر — تلك المعركة التى نرى كتائبها تستغيث ولا تغاث وتستجير ولا تجار ، وذلك فى كل موطن أصبح عرضة لأعداء الحق والدين ، ولاجرام الصهيونيين والصليبيين .

وايم الله انه لقد حان الحين وآن الأوان لتظهروا مجتمعين بقلوبكم فى الميدان ، ومسلحين بسلاح اليقين والايمان ، ومربوطين برباط القصد والاحسان ، ومعلنين كلمة الحق فى كل وقت وفى كل مكان : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . ولعلكم اذا أحكمتم خطتكم وأعددتم معنويتكم وتقدمتم بالحكمة والموعظة الحسنة تجدون تفهما لمطالبكم وانجازا لبعض رغائبكم فانكم لا تدعون الى جمود وخمول ، ولا الى فتنة وبدعة ، وانما تدعون الى ما يعود على الوطن الاسلامى بالنفع العميم والتقدم السليم .

الاسرة

لا يُحكم

الأسرة : هى الخلية الاولى فى حياة البشر ، والقاعدة الاولى فى بناء المجتمعات والأمم ، قال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » .

فمن هذا الازدواج الاول نشأت الاسرة الاولى ، وعنها نشأت ازدواجات وأسر وقرابات ورحم ، وتكون المجتمع الانسانى الكبير .

وهذا أمر فرغ منه الباحثون المنصفون الدارسون لشئون الحياة والاجتماع وهو حق وصدق : حق من حيث الواقع وصدق من حيث التاريخ والمنطق والتسلسل فى الوجود منذ كان الكل يتألف من أجزاء فتتألف السلسلة من حلقاتها والمدينة من بيوتها ..

ويخطىء من يظن غير هذا ، أو يحسب أن الفرد بمعناه المطلق هو قوام المجتمع أو الأمة !! فلا يزال هذا الفرد منبتا ناقصا حتى يتم الزوج المكمل لوجوده ، ولاستمرار هذا الوجود .

فكما أنه يستحيل أن يقوم مجتمع صالح بجنس واحد من الرجال ، أو جنس واحد من النساء ! فكذلك يستحيل أن يقوم مجتمع صالح بدون أسرة ، فانها ضرورة للحياة ، ووعاء طبيعى لبناء الفرد وتماسك المجتمع : « فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » .

ان حاجة الفرد والمجتمع لهذه الاسرة تساوى حاجته الى الحياة ،

للشيخ عبد المعز عبد الستار

قاعدة الحياة الإنسانية بناها غير الإسلام

وصلاحها ، ذلك بأن الاسرة هى المهاد الطبيعى الذى يستقبل الوليد ، وفيه يجد حاجاته وضروراته ومقومات وجوده المادى والمعنوى ، وكمال هـذا الوجود فهو يرضع مع لبان أمه وكفالة أبيه معانى الحب والحنان والرحمة والايثار ويجد منهما وفى أخوته معانى النصح والاخوة والعون والبر ، فينشأ ملىء القلب ريان النفس بهذه المعانى التى لا تصلح الحياة بدونها أبدا ، ومن ثم ينشأ سويا فتيا لم تصبه عاهات الحرمات وأمراض جدب العاطفة والروح كبعض هؤلاء الذين حرموا هذه النعمة فنشأوا وفى صدورهم نار وحسـد وأحقاد تأجج على الحياة والاحياء ودت لو صيرتها رمادا .

أعداء الأسرة والفطرة :

وقد زعم الماديون من أعداء الفطرة والحيـاة وقوانين الوجود الذين يقولون « لا اله والحياة مادة » زعموا أنهم يستطيعون أن يسـتغنوا عن الأسرة ومهاد الفطرة فبعثروا أفرادها واستبدلوا بها المصانع والشـوارع ودور الحضانة ومؤسسات ابتدعوها ليست خيرا من الملاجىء التى نعرفها ، فما زادوا على أن تعجلوا للولد اليتيم وللأم الثكلى وللأب معاناة هذا التشتت والحرمان والضياع وللارحام هذه القطيعة والوجيعة بقطع ما أمر الله به أن يوصل .

لقد زعموا أن الاسرة هى الدولة — أى الحزب — أو أنه ينبغى أن يكون ذلك وتوهموا أن ولاء المرء لأسرته ووفاءه لاحبته وأقرب الناس اليه يتعارض مع الولاء لدولته والوفاء لقومه مع أن جميع قوانين البشر ومواصفات الناس تثبت لرفيق الطريق ، وزميل العمل ، وجار المنزل حقوقا والتزاماتليست لغيرهم ، بل لم يقل أحد ان وفاء جندى لأفراد كتيبته ، أو فرقته يقدح فى ولائه لقيادته وأمته ، ولكنهم لا يحفلون بعقل ولا منطق وانما يحرصون على ألا يكون للأمة كيان أو تجمعات بصورة ما تستعصى عليهم أو تقول يوما .. لا ..

ومن أجل ذلك نسفوا بناء الأسرة نسفا فأخرجوا المرأة للشارع تعمل فى غير حاجة وبعثروا العيال على المحاضن فى غير ضرورة ، وألغوا كل ارتباطات والتزامات تربط بين أفرادها ، من نفقة أو وصية أو ميراث ، كل ذلك لتتكون الأمة من آحاد لا يقوى على المقاومة ولا يستطيع أن يقول فى أمر .. لا .

وبهذا سحقوا الاسرة والفرد معا ، وسحقوا بذلك الأمة جميعا فكانوا من « الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

لقد نسوا أن مثل هذه الأمة التى تتكون من ذرات وفتات لا تكون أمة ولا تثبت ساعة على المقاومة والبلاء اذا اشتدت بها الريح فى يوم عاصف .

عناية الاسلام بالاسرة :

واذا كانت الاسرة هى القاعدة الاولى فى بناء الحياة البشرية والمجتمع ، فان العناية بها واحكام بنائها أمر يساوى الحياة نفسها قيمة وأهمية ، ومن أجل ذلك كانت محل عناية الحكماء والمصلحين وأهل الفكر ورجال التربية عبر التاريخ ..

ولم يبلغ منهج فى العناية بها واحكام بنائها مبلغ الاسلام ، فهو الذى أرسى قواعدها على أثبت الاصول وأحكمها ، ورفع سمكها ، وكون منها المجتمع الفاضل الذى تخيله واشتهته أحلام الفلاسفة والمصلحين مجتمع الحب والرحمة والتعاون على البر والتقوى ، مجتمع العدل والاحسان الذى يمضى عليه العام والعامان لا يختصم الى الحاكم والقاضى فيه اثنان كما حدث ذلك فى المدينة المشرفة على عهد أبى بكر وعمر . والسر فى هذا يرجع الى أمرين :

الأول : أنه يغالى بقيمتها وقد جعلها الله آية تستحق الاعتبار والتفكر ، ونعمة منه تستوجب حسن الرعاية والشكر ، قال تعالى : « ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها . وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . وقال سبحانه : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات . أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون .. » .

فقد نبه سبحانه الى أن هذه الزوجية والحياة الأسرية شىء هام هو سنة وفطرة وآية ونعمة ، فهى تستوجب ذكرا لله وشكرا له بالحفاظ عليها .. ففى أى دين أو مذهب نجد لها مثل هذه القيمة والحرمة .. ؟

الثانى : أنه أقام بنيانها على أدق قواعد العلم والبناء على نحو ما تبنى به العمائر الشاهقة والحصون ، أو القلاع وان بناء الأنفس والأمم لأشد وأعضل ، ومن المعلوم أن قوة أى بناء تقاس بأمور ثلاثة هى :

١ ــ قوة الأساس .

٢ ــ قوة الوحدات التى يتألف منها .

٣ ــ قوة الارتباط بين هذه الوحدات .

ولهذا الاجمال والمثال توضيح نفصله فيما يلى نتبين منه كيف أحكم الاسلام بناء الأسرة على هذا النحو الذى تكونت به خير أمة أخرجت للناس .

كيف بنى الاسلام خير أسرة وأمة .. ؟

على مثل هذه الأصول الثلاثة بناها وأرساها .

على الأساس القوى ، وبالوحدات السليمة القوية ، وبالرباط القوى الذى يؤلف بينها ..

١ ــ أما قوة الأساس :

فقد أرسى الاسلام بناء الأسرة على (الدين) أى طاعة الله وتقواه ، ومراقبته والتقيد بأمره ، وحلاله وحرامه فى كل شىء ، فهو الباعث الأول على بنائها وانشائها ، المشير الاول فى اختيار طرقها وتحديد مواصفاتها المرجع الأول فى تحديد حقوقها وواجباتها ومكانها من فضائل الحياة وتبعاتها . هو الذى جعلها آية ونعمة كما تقدم ، وهو الذى أوجب اقامتها اذا أوجبت أسبابها . قال صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج » . وقال صلى الله عليه وسلم : « النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

والدين هو المستشار الأول فى اختيار الزوجين وتحديد مواصفاتها . قال صلى الله عليه وسلم : « اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ألا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير » . فشرط الدين الرضي والأمانة وهى جماع الدين . وقال صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » . وهذا أخلص النصح وأصدقه ، فان المال والجمال والحسب والنسب كلها أمور اضافية وكمالات خارجية قد تحول ، أما الدين فكمال ذاتي ثابت لا يستغنى عنه أبدا فيه تكون العفة عند الفتنة ، والثبات عند المحنة ، والسعة عند الضيق ، والرضا والتجمل والتحمل وسائر ما يجعل للحياة طعما ويملأ القلب سكينة وسلاما ..

سأل رجل الحسن البصرى فى خاطبين تقدما لابنته أيهما يزوج فقال له : أرضاهما دينا فانه ان أحبها أكرمها وان كرهها لم يظلمها . وقديما شكا رجل لعمر رضى الله عنه أن حبه لزوجه قد خبا وأنه يريد أن يستبدل بها فقال له : ويحك أوكل البيوت تبنى على الحب ؟ أين تقوى الله وعهده ، وأين حياؤك منه « وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا » .

فالدين هو المصدر القانونى الذى يحدد لكل فرد فى الاسرة حقوقه

وواجباته ، والضمير القانونى الذى يضمن لها التنفيذ والطاعة فهو روح يسرى كعصارة الحياة فى قلب الشجرة تترسخ منها الجذور وتستوى منها السوق وتورق منها الفروع وتثمر ، لا تقوم الحيـاة بدونه أبدا ومن ثم كان اختيار الزوج وبناء الاسرة على أساس الدين أجل نعمة تهدى للأولاد والاحفاد وأجيال الانسانية كلها ، وقديما امتن الشاعر على بنيه فقال :

وأول احســـانى اليكم تخيرى لمـاجدة الأعراق باد عفـــافها

وصدق الرجل فان الولد سر أبيه وأمه أيضا ، وقد جاء فى الخبر : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » ورحم الله القائل :

أرى كل عود نابتـــا فى أرومة أبى نسب العيدان أن يتغـــيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء ســوء يلقهم حيث ســـيرا

وصدق الله العظيم : « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا » .

٢ ــ أما قوة الوحدات :

فنعنى بها سلامة تكوينها وصلابتها ، ذلك أن البناء لا يقوم ولا يدوم الا اذا تألف من لبنات قوية متجانسة فلا يقوم بناء من خليط هش أو غير متجانس : طوبة وخرقة وورقة وخشبة وزجاجة ورمل وهلم .. لا .. لا بـد ان يتألف من وحدات متجانســة صالحة يشد بعضـها الى بعض ، وهذه الوحدات هنا الأولاد ، فانهم اللبنات التى تتكون منها الاسرة ابتداء ثم الأمة فان صلحوا صلح البناء ، والا أسرع اليه الفناء . ومن هنا كانت عنـــاية الاسلام بالولد فى كل أطوار نشأته ومن قبل أن يوجد أو يولد ، عناية ربانية لا تجد لها نظيرا فى منهج أو دين قديم أو حديث . ذلك بأن الانســـان فى الإسلام هو خليفة الله فى أرضه علمه وأكرمه وسخر له ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ، فمن ثم هو يعده لهذه الخلافة .

بل ان الانسان نفسه هو الهدف الوحيد للاسلام ، وهدايته هى مهمة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام من أجله بعث وأنزل عليه القرآن وجاهد وكابد ليخرجه من الظلمات الى النور لا هم له الا انقاذه واصلاحه واسعاده ، ومن أجل ذلك عنى به وهو سر فى عالم الغيب وقبل الوجود يوصى بتخير أبويه على أساس الدين ثم صاحبه وعنى به فى كل أطوار حياته .

عنى به وهو جنين فى بطن أمه فشرع لها الفطر فى رمضان اذا خشيت عليه ..

عنى به وهو وليد جديد فشرع تكريمه والاحتفال به .

عنى به وهو طفل فشرع الأحكام لحمايته ووقايته .

عنى به وهو ناشىء وفتى فشرع الاحكام لتأديبه وتعليمه .

عنى به فى مماته وبعد مماته كما عنى به فى حياته .

ولذلك تفصيل وشرح يطول ، ولكنا نشير الى شىء منه فيه تنبيه لازم وذكرى والذكرى تنفع المؤمنين ...

وسنشير الى ثلاث :

١ ــ تكريمه ..
٢ ــ وحمايته ..
٣ ــ وتأديبه ..

فمن تكريمه :

أن شرع له حسن استقبال مولده (ذكرا كان أو أنثى) بذكر الله وشكره نؤذن فى أذنه اليمنى ، ونقيم فى اليسرى تفاؤلا بالذكر أن يكون هو أول ما يطرق سمعه ، وأن يكون الله فى قلبه أكبر من كل كبير وايحاء بذلك لمن حوله .. من صغير أو كبير ونعوذه وندعو له .. فاذا كان يوم السابع أقمنا له حفلا ووليمة فدعونا الاحياء ، وأطعمنا الفقراء وتسمى هذه الوليمة (عقيقة) نذبح فيها عن الذكر شاتين والأنثى شاة لمن استطاع ، ثم نحسن اختيار اسمه ونجرى ختانه .

وكل ذلك تكريم للوليد وطاعة وعبادة وقربى وتشريع من حكيم حميد ، فأين تجد مثل هذا التكريم للانسان .. أعند عباد الوثن .. ؟ أم عند الذين يقولون أنهم من سلالات القرود ... ؟

ومن حمايته :

أنه شرع له القوانين الملزمة لحمايته ورحمته فى رضاعه وفطامه وحضانته ونفقته وتربيته وتعليمه حتى يستوفى رشده ويبلغ أشده ويستقل بكسبه أو نفسه ، وربط كل ذلك بتقوى الله والعدل والمعروف والاحسان على نحو لا تجد له مثيلا فى قوانين البشر أو أديانهم .

ومن تأديبه :

أنه عنى بصياغة الولد صياغة ربانية هى أدق من صياغة الذهب والجوهر ، وأعظم من صياغة الفولاذ ، وهل أثمن من الانسان وهو انسان عين هذا الوجود ؟ لقد تناوله الاسلام فى أخص أمور حياته ورسم لها فشرع لطعامه وشرابه وثيابه وحفظ لسانه وبصره وسمعه وجوارحه وحواسه حتى قص شعره وظفره وطهوره وقضاء حاجته وغسل بدنه تماما كما تناوله فى عبادته وصلته بربه وتقواه ومراقبته . كما تناوله فى صلاته بغيره ومعاملاته لوالديه وأخوته وأقاربه وجيرانه والناس جميعا .

وهكذا لم يدع شيئا يتعلق بظاهر بدنه ، أو باطن قلبه الا طب له وأفتى فيه واستحفظ عليه والديه واعتبره أمانة وكلفه أن يرعاها ، فانه مسؤول عنها ومحاسب عليها : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا » ونبه الى خطورة ذلك وأن : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » .

ولقد يبدو عجيبا أن يتدخل الاسلام فى الطعام والشراب والثياب .. وهلم جرا .. ولكن يزول العجب حين نعلم أن الظاهر صورة لما فى الباطن ودعوة اليه أيضا ، وأن حياة الناس صورة لما فى قلوبهم .

فالثوب للمرأة قد يكون ثوب صيانة ووقاية ، وقد يكون ثوب إغراء وفتنة .. وهو للرجل قد يكون ثوب زينة ووقار ، وقد يكون ثوب خيلاء وفساد .

فأباح الاسلام الأول وحرم الثانى ، وقال صلى الله عليه وسلم عن الثوب من الحرير لامرأة « أخاف أن تصف حجم عظامها » ، الا تشبيف

تصف) فتدخل الاسلام فى طول الثوب ومادته ونوعه وتفصيله واستعماله وهو فى كل ذلك منطقى مع رسالته وهى صيانة الانسان (ذكرا أو أنثى) وحفظه وكماله أن يصيبه الانحراف أو يقتله الترف .

وكان عمر رضى اله عنه يأخذ الاولاد بالجد ويقول لهم اخشــوشنوا وتمعددوا واياكم ولبس الثوب من الحرير وزى الأعاجم .

وهل يكون التهود الا فى التبعية لليهود فيما يبتدعون للناس فى المودات والأزياء وصنوف العهر والتهتك لتدميرهم والقضاء عليهم .

وهل يريد الاســـلام الا الحفاظ على سلامة الفطرة وطهارتها ونقائهـــا وصلابتها : « والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » .

فالاسلام صلب فيما لا بد منه لكمال النفس الانسانية وصلابتها .

مرن فيما لا جناية فيه عليها وعلى فطرتها .

ومن ثم فهو يفرض على الوالدين أن يأخذا الولد بالجد والحزم فى كل ذلك ويرخص لهم فيما وراء ذلك .

فهو يكره لأهله أنواع الترف والزينة والاسترخاء والميوعة مثلما يحبب اليهم أن يعلموا أبناءهم السباحة والرمى وأن يثبوا على الخيل وثبا .. وهو حريص على أن ينشئهم على الصدق والعفة والحياء والمروءة وسائر صفات النبل ومكارم الاخلاق ، وهو يعتبر البيت مغرسا لها والأمين الأول عليها ومن ثم فهو يحاسب الوالد عليها كما يحاسب الولد :

ـــ سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، أما تنادى وليدها وترغبه ليقبل وتقول تعال أعطك وتشير الى شىء ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم معها شيئا فقال لها : « ما أردت أن تعطيه » قالت تمرة معى فقال صـــلى الله عليه وسلم : « أما أنك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة » .

ان البيت هو الوعاء الأول الذى يجد فيه الولد غذاء جسمه وروحه وعقله وقلبه ، ومن ثم يتكيف ويتكون وهو يتلقى عن أبويه . ومن هـــذا الولد يتكون البيت نفسه وتتكون الأمة معه ، وهنا مكمن الخطر وأول الداء أو الدواء فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها .

٣ ـــ قوة الارتباط :

وهى الأصل الثالث الذى يقوم عليه بناء الاسرة وأى بناء وهو يعنى مجموعة الآداب والقوانين والفضائل والقيم التى تؤلف ما بين المرء وزوجه ، وما بين الولد ووالديه ، وما بين الأخوة وذوى القربى والرحم .

وقد أحكم الاسلام هذا الرباط بأسباب من الايمان وتقوى الله والرحم ، ومن التشريع الملزم فى ايجاب البر والنفقة والوصية والعقل والميراث .

فأما ما بين المرء وزوجه فقد وثقه بالعهد والعقد الذى جعل منه مودة ورحمة ، وأوجب على كل منهما رعاية الحرمة وحسن التبعل ، أى القيام بحقوق الزوجية من النصح والنفقة وحسن المعاشرة وحفظ الغيب بغض البصر ، وحفظ المال والولد والعرض ، وتقرير المساواة فى الحقوق المشروعة قال تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن » وقد كان ابن عباس يصلح من زينته فسئل عن ذلك فقال أتزين لها كما تتزين لى ، أى أن ذلك حقها وهو فقه دقيق ، وقد اكمل الله النعمة بهذا التقرير الاخير فقال : « وللرجال عليهن

درجة » فجعل الرئاسة والقيادة للرجل فزاده درجة هى الصوت المرجح عند الخلاف كما هو الشأن فى أى مجتمع فطرى سوى لم يزغ عن الفطرة ولما أضاع ناس هذه الدرجة فقد الرجل سلطانه على الزوج والولد جميعا فانحل نظام البيت ، وفسد الولد ولم يعد يدرى عنه أو يقدر على اصلاحه .

وأما الاولاد ففرض عليهم البر والاحسان للوالدين وقرن العبودية لله وتوحيده وطاعته بذلك وحرم عليهم العقوق وأوجب عليهما النفقة والطاعة ، ووصى بهما عند الكبر خاصة كما وصى الأبوين بالتسوية بينهم فى البر والرعاية ..

وأما الأخوة وذوو القربى والارحام ، فقد أمر ببرهم والاحسان اليهم وصلتهم وان قطعوا والعفو عنهم وان أساءوا ، وأوجب عليهم التعاون على البر والتقوى ، والتناهى عن الاثم والعدوان ، ووثق ذلك بالقوانين الموجبة والوصايا الحكيمة فجعل الدية على العاقلة فى الخطأ وجعل النفقة على الولى الأقرب ، وجعل الميراث حقا ، (ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم » .

وبهذا التوفيق الربانى بين آحاد الاسرة ، وهذه الصياغة الربانية والتربية الآلهية لافرادها .

وعلى هذا الأساس الدينى أرساها عليه الاسلام . قامت الاسرة التى تكونت منها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله . وقادت العالم الى الخير والعدل والاحسان والحرية والمساواة وسادت حضارته الانسانية الزاهرة وهدته الى الحق والى طريق مستقيم .

و « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

حقوق الانسان في الاسلام

للاستاذ أنور السيد يعقوب الرفاعى

أعلنت حقوق الانسان نتيجة ثورات القرن الثامن عشر ، وهى مبادىء أساسية سامية فوق القانون ، فالتشريع يسترشد بها ويستقى منها . وقد ذكرت هذه الحقوق فى الدستور الامريكى لسنة ١٧٨٧ ، وهو أقدم الدساتير المكتوبة، كما وردت فى الدساتير المتعددة للثورة الفرنسية التى اشتعلت سنة ١٧٨٩ ، ثم جاءت تباعا فى الدساتير الحديثة ودعت الى العدالة الاجتماعية والاقتصادية كأهم مقومات المساواة السياسية والقانونية للفرد .

وأهم تعاليم حقوق الانسان تقديس حرية الفرد كحق طبيعى له ، واحترام حقه فى الامتلاك والعمل ، وتساوى المواطنين فى الفرص والوظائف ، وحرية الرأى والعقيدة ، والتجارة ، ومساواة المواطنين أمام القاضى ، وأن يباشر الحكم على أساس أن الشعب مصدر السلطات ، ولا فرق بين شخص وآخر .

وتأيدت هذه المبادىء فى الاعلان

العالمى لحقوق الانسان الذى صـــدر فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ووافقت عليه الأمم المتحدة ، وخاصة ما بين الحربين العـــالميتين ، وبعد الحرب العالمية الثانية صارت الحريات بحكم الدساتير منظمة وموجهة ، وتدعمها العدالة الاقتصادية ، وتتدخل الدولة فى تنظيم الانتـــــــاج ، وتوزيع الاختصاصات ، وتوفير الاعمـــــال للناس .

فتعهدت الدول التى وافقت على اعلان هذه الحقوق والحريات بالعمل على احترامها ، واختلف التعبير عنها باختلاف الثقافات والحضارات فـــى الغرب ، فهى واحدة فى ابراز ارادة الشعب نتيجة ثوراته ، فالثـــورة الامريكية يعبر عنها فى الدســـــتور الاتحادى بتحقيق السعادة للانسان بضمان حرياته فى كافة صورها .

وفى الثورة الفرنسية يعبر عنهـــا بالحريات ، والمساواة ، والاخاء ، وفى الثورة الإنجليزية يعبر عنها بتعهد الملك باحترام حقوق الناس ، وفى نظم الجمهوريات الشـــــعبية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى يعبر عنها بأن من لا يعمل لا يأكل .

ولننظر الى حضارة المسلمين التى سبقت الثورات المذكورة بأحد عشر قرنا لنرى الى أى حد تأصـــــلت الديمقراطية والحريات والمســـــاواة والعدالة الاجتماعية ، وعدم التمييز بين الرجال والنساء فى تلك المبادىء التى عنى الاعلان العالمى بها ، والتى يفخر بها الغرب .

وسأتناول ما ورد فى التعـــاليم الاسلامية من الحقوق الاساســـية للانسان ، هذه الحقوق التى رددها الاعلان العالمى مرارا ..

أولا : المساواة فى الاسلام :

الناس فى الاسلام ســـواء أمام الشارع ، وكلهم سواسية كأسنان المشط ، وليس هناك تنافر وتدابر بين المســــــلم والذمى ، ولم يعرف المجتمع الاسلامى مذابح الاضـــطهاد الدينى على وتيرة مذبحة (ســـانت بارتلمى) مثلا فى فرنسا ، التى أمرت بارتكابها (كاترين دى مدسيس ، ودوق دى جيز) فى عهد شـــــارل التاســـع ضد البروتســــتانت فى أغســـــطس ١٥٧٢ لابادة الأقليـــة المســـيحية المنشقة على الكنيســـة الكاثوليكية . بينما كان من الذميين فى الدولة الاسلامية الشــــــعراء ، والوزراء ، والعلماء والأدباء ، ورجال الجيش والدولة . يقول الله تعالى فى التعاطف والتسامح « لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم . وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون »(١) .

وجاء فى القرآن الكريم كذلك بمناسبة الألفة ، والمحبة ، والدعوة الى الخير كنتيجة للمســـاواة بين الناس قوله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقـــاتلوكم فى الدين ولم يخــــرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقســـــطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » .

واتضحت المساواة فى بســـاطة الرسول ، وحسن معاملته لقومه ، وفى تواضـــع الخلفاء الراشــــدين وقناعتهم وتقشفهم فى الحياة ، فقد اشـــتهر عمر بن الخطاب بالزهد والقناعة والنزاهة والتشـــدد فى

الحق . وقال رضى الله عنه حينما اعتدى عليه بطعنة الخنجر وأحس بدنو أجله لابنه :

« انى استلفت من بيت مال المسلمين ثلاثين ألفا فليرد من مال ولدى ، فان لم يف مالهم فمال آل الخطاب » .

وكان على بن أبى طالب يتحلى كذلك بالزهد والعدل ، ومن عدله أنه رأى درعا له عند رجل فتقاضيا الى القاضى ، ووقف الى جانب خصمه احتراما للعدل .

ثانيا : العدالة والحرية :

العدالة هى ميزان الاجتماع فى الاسلام ، وهى التى يقوم بها بناء الجماعة ، وكل تنسيق اجتماعى لا يقوم على العدالة منهار مهما تكن قوة التنظيم فيه ، فالاسلام يحض على معاملة الناس بالحسنى، قال تعالى : « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. »(٢) وفى الحديث الشريف : « يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » .

ويشيد المستشرق مونتيه Montet بحاضر الاسلام ومستقبله بما اتصف به من التسامح فى معاملته للشعوب فيقول : « لا يكون تعليم الناس وتهذيبهم بالقوة مهما بعدوا عن الحضارة »(٣) . والمسلمون لم يفرضوا الاسلام بالقوة حيال أهل مصر ، والشام ، وفارس ، والأندلس ، بل تركوا البلدان التى دخلوها حرة فى أداء شعائر دينها ، واحترموا عادات وطباع أهلها .

وتجلت الحرية فى البحث عند العرب ، وفى ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان ، وقرب خلفاء المسلمين العلماء والشعراء والأدباء النصارى ، وكان ابن ميمون من فلاسفة العرب يهوديا ، وكان الأخطل شاعر النصرانية مقربا الى الخليفة فى عصر الدولة الأموية .

وقد أسلم كثير من النصارى من غير اكراه ، وكانوا هم واليهود مساوين للمسلمين ، وكانوا يتقلدون مناصب الدولة كالمسلمين .

وكان طبيعيا أن تؤدى نظم الاسلام الحرة الى اتساع التبادل التجارى فى دار الاسلام وخارجها ، وتأمين حرية الانتقال ، الذى اهتم بها الاعلان العالمى لحقوق الانسان .

كذلك لم ينازع الاسلام أحدا فى ملكه ، وثروته ، وتأيدت الملكية الخاصة بما جاء فى الكتاب الكريم « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا »(٤) ، وجاء فى الحديث الشريف فى شأن الملكية الخاصة للفرد « من أحيا أرضا مواتا فهى له .. » .

ثالثا : العدالة الاجتماعية :

يقوم الاسلام على رعاية الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، ونشأ بيت المال لهذه الغاية فى عهد عمر بن الخطاب لتنظيم تحصيل الضرائب من جزية ، وخراج ، وتوزيع النفقات على عمال الدولة من أجور ومرتبات . وتحصل الزكاة من المقتدرين لانفاقها على المستحقين من المسلمين ، وهى صدقة يدفعها المسلمون لسد حاجات الفقراء ، والأرامل ، واليتامى ، والمرضى ، وللمحافظة على بيوت العبادة للمسلمين ، والزكاة منشأ العدالة الاجتماعية فى ذلك العصر الذى راج فيه خارج ديار الاسلام الجور ، والظلم ، والاستبداد .

رابعا : حقوق المراة :

كان المجتمع الاوروبى يسىء معاملة المراة ، وكان الرجل هناك يقسو عليها ، فى حين أن المراة العربية كانت تتمتع بحقوقهما ، ويقول جوستاف لوبون « الاسلام حقا لا النصرانية هو الذى رفع المراة من الدرك الأسفل الذى كانت فيه .. »

والاسلام لم يعرف حجرا على اموالها ، وقد منح القرآن الكريم الحقوق المدنية الكاملة للمراة . كما جعل للمراة الحق فيما اكتسبته اذ يقول « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا .. »(٥) .

وساهمت المراة العربية فى ميدان الفكر مما لم يكن معروفا للمجتمع الاوروبى ، واشتهر من النساء العديدات فى ميدان العلوم والآداب .. فكانت عائشة أم المؤمنين راجحة عقل ، وواسعة ادراك وافق ، وكانت راوية الحديث عن الرسول الكريم ، وكذلك عائشة بنت طلحة بن عبيد الله الصحابى ، وهى ذات علم غزير بأخبار العرب ، وسكينة بنت الحسين ، واسماء بنت ابى بكر ، وهي أم عبد الله بن الزبير ، وكانت غاية فى الشجاعة .

والخلاصة ..

والأمة الاسلامية فاقت الأمم جميعا بحضارتها الروحية المادية ، فهل من عودة الى تطبيق الاسلام الذى صنع هذه الحضارة ورفع من شأن الانسانية ؟!

---

(١) سورة الحج .. الآيات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩
(٢) من محاضرات له بالكوليج دى فرانس
(٣) الآية ٥٨ من سورة النساء .
(٤) الآية ٣٢ من سورة الكهف .
(٥) الآية ٧ من سورة النساء .

مائدة القارئ

الذهب المنثـــور

قال عبد الله بن عباس دعانى عمر بن الخطاب . فاذا حصير بين يديه ، عليه الذهب منثور نثر الحناء فقال : هلم فاقسمه بين قومك ، فالله أعلم حبس هذا عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر وأعطانيه الخير أراد بذلك ، أم الشر ؟

قال ابن عباس : فاكببت أقسم . فسمعت بكاء فاذا هو عمر يبكى ويقول فى بكائه : كلا والذى بعثه بالحـق ما حبس هذا عن نبيه ، وعن أبى بكر أراد الشر بها . وأعطاه عمر أرادة الخير له .

احصائيات لعدد الحجاج هذا العـــام

بلغ عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات هذا العام ٤٧٩ر٣٣٩ مـــن الذكور والاناث من مختلف بلــــدان العالم الاسلامى ما عدا المملكة العربيـــــة السعودية وكان أكثر الحجاج عددا من البلدان التالية :

ـ نيجريــا	٤٤٠٦١
ـ ايــــران	٣٠٢٩٩
ـ مصـــر	٢٩١٧١
ـ السودان	٢٩٠٠٤
ـ سوريـــة	٢٧٠٤٥

وقد بلغ مجموع حجاج البـــــلاد العربية ٢٥٩ر٦٧٢ منهم ٨٧٩ر١٦٥ من الاناث .. أما مجموع الحجـــاج القادمين من بقية دول آسيا فقد بلغ ٦٠٧ر١٤١ منهم ١٤٢ر٩٤ من الذكور و ٤٦٥ر٤٧ من الاناث ..

أما الحجاج القادمون من بقيـــة دول أفريقية فقد بلغ ٥٩٤ر٤٣ مـــن الذكور و ٣٢٦ر٨٢ من الاناث ومـــن الملاحظ فى أفريقية غير العربية أن مجموع الاناث الحاجات يكاد يبلـــغ ضعف الرجال .

أما القادمون من أوروبا وأمريكا فقد بلغ عددهم ٦١٣٠ من الذكـــــور والاناث ..

منافسة

قال عبد الملك بن مروان يوما فى بعض مجالسه : أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه مرتبة وله على ما يتمناه ؟ فقال سويد بن غفلة ؟ أنا لها يا أمير المؤمنين : فقال : هات ، فقال سويد : أنف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ... فقال آخر فى المجـلس : يا أمير المؤمنين : أنا أقولها فى جسد الانسان مرتين ، فقال سويد أنا أقولها ثلاثا : أنف ، أسنان ، أذن ، واستمر .. فاعجب عبد الملك بن بديهته وأجازه ..

الرفــق بالحيوان

من روائع حضارتنا الاسلامية هذه الروح الرحيمة التى استظـل بظلها الانسان والحيوان .

روى أن أبا الدرداء الصحابى الجليل كان له بعير . فلما حضرته الوفاة ، قال يخاطبه : يا أيها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم أحملك فوق طاقتك . .

وكان الصحابى العظيم عدى بن حاتم يفت الخبز للنمل ويقول : انهن جارات لنا ولهن علينا حق .

وكان الامام الكبير أبو اسحاق الشيرازى يمشى فى الطريق ومعه بعض أصحابه ، فعرض له كلب فزجره صاحبه ، فنهاه الشيخ وقال له : أما علمت أن الطريق مشترك بيننا وبينه .

وقد خلت حضارتنا من مظاهر القسوة والتحريش بين الحيوانات ، وهى التى كانت معترفا بها رسميا لدى اليونان والرومان ، ولا تزال معترفا بها فى اسبانيا حيث تقام الحفلات الكبرى لمصارعة الثيران .

الحـــكماء

طلب أحد الخلفاء بعض العلماء ليسامره ، فلما جاءه الخادم وجده جالسا وحواليه كتب يقرأ فيها فقال له : ان أمير المؤمنين يستدعيك ، فأجابه : قل له : عندى قوم من الحكماء أحادثهم ، فاذا فرغت منهم حضرت ، فلما عاد الخادم الى الخليفة وأخبره بذلك قال له ويحك من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عنده ؟ قال الخادم : والله يا أمير المؤمنين ما كان عنده أحد ، قال فأحضره الساعة كيف كان ، فلما أحضر العالم قال له الخليفة : من هؤلاء الحكماء الذين كانوا عندك ؟ قال يا أمير المؤمنين :

هم جلســـاء ما تمل حديثهـــم ... أمينون مأمونون غيبا ومشـــهدا
اذا ما خلـونا كان خير حديثهـــم ... معينـــا على نفى الهمـــوم مؤيدا
يفيدوننـــا من علمهم علم ما مضى ... وعقـــلا وتأديبا ورأيا ومســـؤددا
فلا ريبـــة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقى منهم لســـانا ولا يدا
فان قلت أموات فلست بكـــاذب ... وان قلت أحيـــاء فلست مفندا

فعلم الخليفة أنه انما يعنى بالحـــكماء الذين كان يجتمع معهم كتب العلماء والحكماء ، فلم ينكر عليه تأخره .

دار الحـــكمة

مكتبة الحكمة بالقاهرة ، أنشأها الحاكم بأمر الله ، وافتتحت فى ١٠ من جمادى الآخرة ٣٩٥ هـ ، بعد أن فرشت وزخرفت ، وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وأقيم بها القوامون والمناولون والفراشون ، وقد جمع فيها من الكتب ما لم يجتمع لأحد قط من الملوك . حتى كانت تضم أربعين خزانة ، احتوت احدى خزائنها على ١٨٠٠٠ كتاب من العلوم القديمة .. وكان الدخول اليها مباحا لجميع الناس . فمنهم من يحضر لقـــراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعلم ، وكان فيها كل ما يحتاج اليه الناس من الحبر والأقلام والورق والمحابر .

هؤلاء المتصدون
من
يدعمهم ؟

يشهد انسان الثلث الاخير من القرن العشرين كثيراً من القيم الدينيه والروحية ينالها ويمسها بعض التشويه ، بل أن بعض الناس قد اصيبوا بانهيار تام او غير تام فى عقيدتهم الدينية ، فهل كان ذلك وليد يوم وليلة ، أم هو نتيجة عوامل متعددة .. ؟

الواقع ان هذا التزلزل فى القيم والموروثات الروحيـة لم يكن وليد المصادفة البحتة ، او مصاحبا لتغيير مفاجىء ، بل مهد له وسبقه اندفاع حضارى متهور الى مجالات التقدم العلمى منذ بداية النهضة فى العصر الحديث .

والتطور الحضارى فى حد ذاته مرحلة هامة وجليلة فى تاريخ البشرية دائما ، والاخذ بوسائل التقدم العلمى شىء مشرق فى حياة الانسان ، لكن هذا شىء والالتواء بهذا المد الحضارى الى غير وجهة تشويها للدين ، وغضا من قيمة الاتجاه الروحى فى سبيل اعلاء الاتجاه المادى هو أسوأ ما فى الامر . آية ذلك أن الحرب العالمية الثانية وقفت على رأس فترة شهدت تغيرات عالمية هائلة فى كثير من المجالات ، وكان مجمل هذه التغيرات بروز الانجاز المادى بروزا خطيرا مروعا ازاء الاتجاه الروحى القابع خلف ضمير الانسان الذى لا يملك الا الدفاع امام وسائل الهجوم المتعددة .

وفى غمرة اصطباغ العالم بالطابع العلمى والاحساس المادى برزت أسماء فى زعامه الفكر والاتجاهات العلمية والثقافيه الحديثة مثل : (داروين) فى علم الحياه (وفرويد) فى علم النفس ، و (كارل ماركس) فى علم الاقتصاد ، و (سارتر) فى مجال الادب والفلسفة ، واصبحنا نلتقى بالمواقف الالحادية الصارخة التى لا تمتثل ، مجافاة التيار الدينى فحسب ، بل تمثل غرورا وصلفا وانحلالا لا يتلاءم مع المستوى الرفيع للتقدم الحضارى للانسان فى العصر الحديث ، وذلك مثلما رأينا لدى (جان بول سارتر) وغيره من كتاب الوجودية ثم كتاب اللامعقول .

وهناك جانب آخر يتمثل فى أن شبح التقدم العلمى المفزع فى مجال الدمار والفناء ، وتطور أساليب الحروب ، وتعدد وقائعها فى كثير من الاماكن فى العالم ، كل هذا ولد لدى الانسان أزمة احتلت قمة قضاياه : الدينية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وتمثلت هذه الازمة فى الشعور المتزايد بالقلق .

ان احساسا يتمدد شبحه المخيف فى أعماق كل انسان بأن القنابل الذرية النووية ترقبه من بعيد اينما حل ، وتهدد يومه وغده ، وتتوعده كما تتوعد اجياله التالية من بعده ، كل هذا جعل القلق تنينا مخيفا يتمدد خلف أجفان من يريد النوم ويحجب الرؤيا أمام المستيقظين .

ومن الناحية السياسية فان انقسام العالم الى معسكرين أو

للاستاذ يوسف حسن نوفل

اتجـــاهين . أحدهما شرقي والآخر غربي ، ثم تعـــــدد المواقف ما بين اليمين واليسار ، كل هذا شــــكل علاقات معقدة متشـــابكة لا يقتصر ارتباطها على الناحية الدينية فحسب، بل يتعداها الى النظم الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية وســـائر ما يكتنف العلاقات الانســـــانية ، وانماط السلوك البشرى .

نتج عن ذلك كله صراع حاد فى مجال القيم والمبادىء ، واخذ هنــا الصراع يحتكم الى مبدأ واقعى خطير هو : القوة ، فمن ملكها ارتفع مؤشر نمو قيمه . ومن فقدها تهاوى مؤشر قيمه الى الحد الذى يتلاءم مع مستوى قوته .

هذا من النــاحية العملية ، أو الواقعية ، أو التطبيقيـــة ، أما من الوجهة النظرية ، أو التعريفية فهناك تعدد الآراء حول موضوع القيم ، فقد دارت دراسات وتحددت مواقف ازاء تحديد القيم ، فكان هناك من يرى أن القيم توجد بعيدة عن الانســــان وما عليه الا أن يكتســــبها ويطبقها فى سلوكه ، كالقيم التى نصت عليهــا الشرائع ، وهذا هو اتجاه الوضعية المنطقية .

وهناك اتجاه آخر يرى أن القيم وليدة العقل البشرى وتهدف لمصلحة الانسان ، فهى واقعية ترتبط بالحياة والخبرة ، وهذا هو اتجاه الفلسفة الطبيعية .

وبعد هذا العرض الموجز للاسباب والدوافع التى ادت الى مواقف الالحاد والخروج عن اطار ما يجب أن يلتزم به الانسان ، ولاختلاف المذاهب فى تحـديد ماهية القيم التى يلتزمهـــا الانســـان فى حياته بعد ذلك ننظر فنرى أن معظم ما تتجه اليه نماذج الادب وخصوصا فى مجال المسرحية والقصة ، يندفع فى أحضان الالحاد كما سبق أن تناول الاســــتاذ محمد أحمد العزب فى بحث أمين جاد فى عدد ســــابق من مجلة الوعى الاسلامى .

لكننا لا ينبغى أن تغيب عنا تلك النمــــاذج العديدة التى تقف على الشاطىء الآخر ، وفى الوقت الذى وقفنا فيه على النماذج الملحدة يمكن أن نقف على نماذج أخرى يتجلى فيها موقف ادبى ملتـــزم — اذا صح استعمال المصطلح هنا — موقف أدبى يتكىء على موقف عقدى نظيف يؤمن بقيم الدين الاسلامى فينعكس ايمانه علـــى ما يكتب موضـــــوعا وفكرة واسلوبا .

وللنقاد والأدباء ازاء هذه القضية مواقف ، فيرى (تشـــارلتون) فى كتابه (فنون الادب) أن استخدام القصة فى هذا المجـــال خطر ، فالفيلسوف الذى يكتب قصة سيبشر فيها بمذهبه بأن يبدى العـــالم فى الصورة التى يريدها له « ومن الجائز أن يصلح العـــالم بذلك لكن على حساب الفن القصصى ، فقصـــة لا تصور الواقع كما هو ليست من ذلك الفـــن فى شىء » ، علـــى حين يرى (تولســــــتوى) أن الفن المعبر عن الدين فن جديد وما عداه فهـــو فن ردىء .

وهناك من قدم أعمالا مسرحية أو روائية ذات موضوع اسلامى يدافع عن الاسلام ويدعو الى ما يدعو اليه، أو يشيد بواحد من رجالاته وقادته ويسلط الاضواء على جوانب هـــذه الشخصية فنرى فيها المثل والقدوة ، ومن خلال ذلك كله نرى وجها مشرقا للاسلام مثلما نرى لدى عبد الحميد جوده السحار ، وعلى أحمد باكثير ، ومحمد عبد الحليم عبد الله وغيرهم .

ان صانعى هذا الفن العظيم يؤدون رسالة هامة ولا شـــك لا يصح أن نتجاهلها ونحن فى معرض تنـــاول

ظاهرة انتشار اللادين فى الاعمال الفنية وتغلغل ذلك بين أيدى قرائنا .

واذا كانت الاعمال المشار اليها اعمالا ترتبط بموضوع اسلامى بداية، فهناك نوع ثان من الاعمال الفنية تناول اطارا عاما وقدم من خلاله اهتماما دينيا ، وتكفى فى هذا المجال الاشارات المجلى والتى يمكن من خلالها أن نلمس احساسا دينيا حيا لدى الكتاب ، لم ينل منه ثقافاتهم الاوروبية أو قراءاتهم لنماذج ملحدة فى الفن الروائى .

هناك روايات تعرض الاهتمام بالاولياء ومدى ما يظهره الله على أيديهم من كرامات وما يشيع لدى العامة من الاحتفال بالمولد .. الخ . ما هنالك من مظاهر تشيع وتنتشر فى الريف ودلالتها تتمثل فى تعلق الريفى بالدين وايمانه بربه ، وكثيرا ما تصور الرواية شخصياتها يرددون آيات من القرآن الكريم ، أو يستشهدون بها ، نرى ذلك لدى فتحى رضوان فى قصته (محام صغير) ، ونجيب محفوظ فى كل من : خان الخليلى ، وميرامار ، ومحمد عبد الحليم عبد الله فى سكون العاصفة ، كما تستخدم شخصية احمد عاكف فى رواية خان الخليلى آراء اخوان الصفا ، وتتردد ألفاظ الصوفية كثيرا فى رواية الباحث عن الحقيقة لمحمد عبد الحليم عبد الله ، كما تصور رواية خان الخليلى احتفال البيئات الشعبية بقدوم المناسبات والمواسم الدينية ، كذلك استقبال الاسرة المصرية لقدوم شهر رمضان المبارك ، ويقدس الكبار والصغار ذكرى الشخصيات الاسلامية وخصوصا من يمت الى الرسول صلى الله عليه وسلم بصلة القربى ، ويصور الكاتب شخصية الحسين ذات قيمة كبرى فى أعماق سكان الحى فيرد ذكره فى قصة (زقاق المدق) محاطا بالجلال وشغلت معرفة الله سبحانه وتعالى كثيرا من ابطال الروايات ، مثلما نجد فى قصة : (محام صغير لفتحى رضوان) ، وللزمن بقية والباحث عن الحقيقة ، وكلتاهما لمحمد عبد الحليم عبد الله ، وفى هذه الرواية الاخيرة يتناول الكاتب شخصية الصحابى الجليل سلمان الفارسى ، وكيف احتج على عبادة المجوسية فغادرها الى النصرانية ثم الى الاسلام .

وهناك نوع ثالث من الروايات والقصص ظهر اهتمامه بالقيم من خلال نقده لكثير من العيوب والمفاسد او تنبيهه الى ما يطرا على المجتمع من انحراف أو اعوجاج ، وكان من أبرز هذه الموضوعات موضوع الحرب العالمية الثانية ، وما قامت به من تشويه لكثير من القيم فى مختلف المجتمعات، ومنها مجتمعاتنا العربية، وقد حفلت هذه القضية باهتمام كثير من الروايات فتناولها نجيب محفوظ مرارا ، وكان أبرز صور هذا التناول ما قدمه فى روايته : (زقاق المدق) ، كما تضمن هذا الجانب أيضا لحظة الانبهار التى أصابت بعض أفراد الجيل اعجابا وشغفا وتعصبا للحضارة الطارئة التى أحدثت دويا هائلا فى رؤوس بعض الناس فمادت الارض من تحت اقدامهم ، وفقدوا صلتهم بواقعهم وتاريخهم ودينهم ، وفى هذا المجال يبين الدكتور طه حسين ، سبب تغير بعض القيم قائلا : « فاحمل هذا كله غير متردد ولا متهيب على هذه الحضارة الطارئة ، التى غزتنا ، فكانت بعيدة الاثر فى حياتنا المادية والاقتصادية والادبية ومع ذلك تهافت الناس عليها تهافتا عنيفا وهم لا يشعرون » .

ولا يعنى تعليق الدكتور طه حسين هنا الوقوف ضد تفاعل الشعوب مع

الحضارات المتقدمة ، ولكنه يعني الاحتفاظ بالذات ويعارض الذوبان والتقهقر والتلاشي أمام ثقافات العصر . ويذكرنا هذا بقضية هامة اثيرت عام ١٩٦٩ ، فلقد عقد اجتماع في مقر منظمة اليونسكو في التاسع والعشرين من مايو (آيار) حتى الثالث من يونيو (حزيران) عام ١٩٦٩ . واشترك في هذا الاجتماع ممثلو البلاد العربية التالية : الجزائر ، السعودية ، العراق ، لبنان ، المغرب ، مصر ، السودان ، سوريا ، تونس . وحضر الاجتماع بعض المستشرقين ومنهم :

جاك بيرك عن فرنسا ، و ج. شاربا توف عن الاتحاد السوفيتي ، و ج. ا. فون جرونباوم — عن أمريكا ..

وناقش الاجتماع اصالة الفكر والادب والفن العربي في المائة عام الاخيرة ومغزى هذا الفكر والفن لدى العرب انفسهم ، ومدى مساهمته في الحضارة الحديثة .

وقد تركزت المناقشات في أربع نقاط أساسية هي :

١ — مفهوم الثقافة العربية المعاصرة .

٢ — التطور والتكيف في هذه الثقافة .

٣ — التطور والتحول في هذه الثقافة .

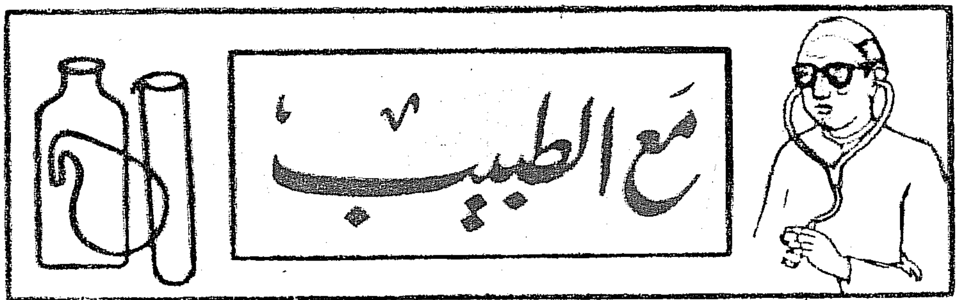
٤ — الثقافة العربية والحضارة العالمية .

ويهمنا في هذا الامر النتيجة التي خرج بها المجتمعون ، لقد خرجوا بهذه النتيجة الخطيرة وهي أن الثقافة العربية المعاصرة لا تحتل المكان اللائق بها في عالم اليوم .

وهذه النتيجة هي سر انتشار موجة الادب الالحادي المترجم بشكل وحشي والمنتشر بغزارة بين أيدي قراء العربية ، وهو نفسه سر تقوقع وتقلص وانكماش المحاولات الجادة المؤمنة الواعية التي قدمت في شكل اعمال روائية ، او مسرحية من كتاب مسلمين ، لكنها لم تتحرك الا في اطار دائرة ضيقة وقصرت عن التحليق في الآفاق العالمية ، لأنها لم تقدر لها أجنحة الترجمة والتعريف الدولي كما لم يتح لها التعريف على المستوى المحلي بالقدر الكافي ، وتلك جريمة يرتكبها النقد الادبي عن عمد أو جهل أو تجاهل ، فكثير من هذه الاعمال العظيمة — لم يلتفت اليها النقاد ، ولم يلقوا اليها بالا ، وحين يقوم الباحثون باعداد (بيليو جرافيات) روائية يغفلون كثيرا من هذه الروايات ولا يعدونها من الاعمال الفنية .

ان القضية قضية دعم ومساندة وتأييد واحتفاء ، وهذه واجبات مقدسة على المختصين أن يطمئنوا الى تحقيقها في مجال النشر والترجمة والتوزيع ، وعلى أصحاب الاقلام الامينة في مجال النقد أن يحيطوا هذه الاعمال بأنفاس الحنان الدافئة ولمسات التشجيع الرقيقة ، واساليب التوجيه الراشدة البناءة الهادفة تحقيقا لهدفين ساميين هما :

الفن ، والخلق الاسلامي القويم .



أمراض الحويصلة المرارية

للدكتور ـ محمد ابو شوك

اردت بمقالى هذا ان القى الضوء على الامراض التى تصيب الحويصلة المرارية (المرارة) لأنه طالما سئلت عن هذه الامراض سواء فى ذلك من مرضى أو من أصحاء ـ ولعل ذلك يرجع لانتشار هذه الامراض التى تصيب الرجال والنساء على حد سواء .

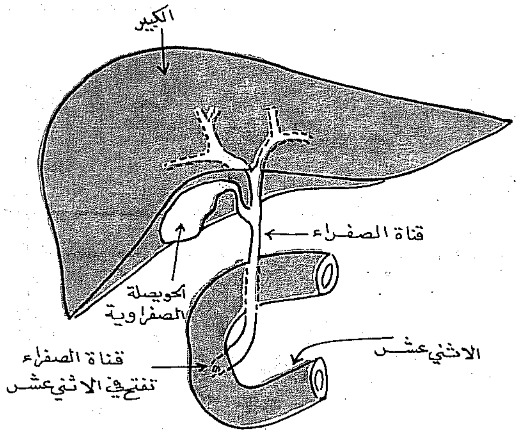
وتتوالى الاسئلة : ما هى الحويصلة المرارية ؟ وما وظيفتها ؟ وكيف يعيش الانسان بدونها بعد استئصالها ؟ ومتى ولماذا ينصح الاطباء بعمل هذه العملية ؟ وهل هناك مضاعفات لمثل هذه العملية ؟ وغير ذلك من الاسئلة العديدة .

الحويصلة المرارية :

هى عبارة عن كيس يقع فى الجزء السفلى من الكبد فى الجهة اليمنى فى أعلى البطن . هذا الكيس يتصل بالقناة المرارية الرئيسية بواسطة أنبوب صغير يحمل المادة الصفراوية من الكبد لتخزن فى الحويصلة فتتركز هناك ، وتبقى لحين الحاجة اليها عند تناول الوجبات ، خصوصا الدهنية منها ـ عندها تنقبض المرارة وتفرغ ما بها الى الامعاء لتساعد على عملية هضم هذه المواد الدهنية . من هذا يتضح أن العمل الرئيسى للمرارة هو خزن المادة الصفراوية وتركيزها ثم دفعها الى الأمعاء لتساعد على هضم المواد الدهنية . وبعد عملية الاستئصال يفقد الجسم هذا المخزن ـ وتتنزل المادة الصفراوية الى الامعاء (والتى يبلغ حجمها حوالى لتر يوميا ١٠٠٠ سم٣) دون ما خزن ـ لذا لا يتأثر هضم المواد الدهنية ـ ولفقدان هذا المخزن يجد من استؤصلت مرارته صعوبة فى هضم كميات كبيرة من المواد الدهنية التى كانت تحتاج الى ما اختزن من المادة الصفراوية فى الحويصلة المرارية . لذا كانت النصيحة لهؤلاء المرضى بالحد من تناول هذه الكميات الضخمة من الاطعمة الدسمة .

الالتهاب الحاد :

ان أهم الامراض التى تصيب الحويصلة الصفراوية هى الالتهاب الحاد ، وتصيب فى معظم الحالات السيدات اللاتى يتمتعن بوزن ثقيل ، بعد سن الاربعين ، وقد أنجبن أطفالا عدة ـ ولكن ليس معنى ذلك أن الرجال معصومون من هذا المرض ـ فكل سن معرض له ـ فلا غرابة اذن فى أن تصاب فتاة فى سن العشرين



أو رجل فى مثل سنها .

وتظهر الاعراض فجـــأة ويحس المصاب بألم شديد ومستمر — يزداد قسوة بين الحين والحين ، ويكون فى المنطقة العلوية اليمنى من البطن — تحت الضلوع ، وينتشر الى منطقـــة المعدة ، والى الظهر ، وفـــى بعض الحالات الى منطقة الكتف الايمن — ويصحب هذا الالم غثيـــان — وقىء ربما يكون لونه أصفـــر وذا مـــرارة شديدة — وهذه هى المادة الصفراوية — وتزداد حـــدة المرض ويشـــعر المصاب بقشعريرة وترتفع درجـــة حرارته .

وفى بعض الاحيان تنتفخ البطـــن لتجمع الغازات بها ، ويحدث امساك واذا حدث انســـداد فى مجـــرى الصفراء ، ظهر صفار فى بيـــاض العين ، وتغير لون البول الى أصفر داكن — ويحمل الالم الشديد المريض الى طبيبه ، ونصيحتى أن يكون ذلك فى أسرع وقت ممكن ، اذ أنه لو ترك الالتهاب وشأنه فقد تحدث المضاعفات منها انتفاخ الحويصلة وانســـداد قناتها مع امتلائها بصديد ربما أدى الى انفجارها ، فتسبب الالتهاب الحاد فى تجويـــف البطن ، أو أن يمتـــد الالتهاب الى الكبد . وكلمـــا كـــان العلاج مبكرا كلما كانت الاستجابـــة اليه سريعة ومفيدة اذا لم تحـــدث مضاعفات .

وعلاج مثل هذه الحالـــــة هو أن يستريح المريض فى فراشه ، ويعطى سوائل خفيفة معظمهـــا من عصـــير الفاكهة المحلى بالسكر ، وعندمـــا تتحسن حالته يتناول كمية قليلة مـــن الأرز المسلوق — وصدر دجاجـــة مسلوقـــة — وفى حـــالات الالم يعطى المسكنات حسب راى الطبيب — والأهم من ذلك هو المضـــادات الحيوية التى ساعدت كثيرا عـــلى شفاء هذا المرض — وتعطى حســـب رأى الطبيب (البنسلين ومشتقاتـــه الاستريتوميســـين وغير ذلك مـــن المضادات الحيوية) ، وأرجـــو أن أن يستمع المريض لطبيبه فيأخـــذ العلاج الكافى والمدة الكافية للراحة ، فلقد واجهت كثيرا من أولئك الذيـــن يتحمسون لترك الفراش والتوقف عن العلاج رغم نصـــح الطبيب لهم — نابلتهم وقد عاودهم المرض أشد مما كان — أو بعد حدوث مضاعفـــات لهم .

والفحص بعد الشفاء من النوبـــة الحادة هام جدا بما فى ذلك عمـــل اشعة على المرارة اذ ربما يكون بها حصى يساعد على هذا الالتهاب مـــن آن الى آخر — أو أن المرارة أصبحت لا تقوم بوظيفتها وأصبحت بـــؤرة للالتهاب المزمن .

التهاب المرارة المزمن :

وهذا يحدث بعد الالتهاب الحاد اذا لم يعالج العلاج الناجع ، وترك الميكروب الذى أثر على المرارة دون أن يقضى عليه — فتعترض المريض نوبات حادة تتبع نشاط هذه الميكروبات — يزيد فى حدوثها اذا كان الغشاء المخاطى المبطن للمرارة ليس فى حالة جيدة أو ان هناك انسداد يعترى انبوب الحويصلة من آن الى آخر — أو وجود حصى فى المرارة — أو ضعف فى عضلاتها فلا تنقبض انقباضا كافيا يفرغ ما بها من المادة الصفراوية ، كما هو معروف عند الاطباء والمرضى « بكسل المرارة » ويحدث ايضا الالتهاب المزمن بعد اصابة المريض بالحمى التيفودية . فاذا ذهب المكروب الى المرارة اختزن بها وسبب بها التهابا مزمنا ويبقى الميكروب بها لسنين عدة ينزل مع الصفراء الى المعا ويخرج مع البراز ويكون المريض حاملا للميكروب الذى يسبب العدوى لكثير من الناس وخصوصا لو كان حامل هذا الميكروب يعمل فى حقل التغذية كطباخ مثلا .

ويشكو المصاب بالتهاب الحويصلة المزمن من عسر فى الهضم والاحساس دائما بامتلاء المعدة — وتزداد هذه الاعراض اذا تناول المصاب موادا دهنية وتكثر الغازات فى البطن — ويعتريه امساك مزمن — يتخلله اسهال فى بعض الاحيان .

هذا النوع من الالتهاب « كسل المرارة » والذى لا يكون مصحوبا بوجود حصى فى المرارة يمكن أن يتحسن اذا ما قلل المريض من الاطعمة الغنية بالمواد الدهنية — وقلل من وزنه اذا كان من أصحاب السمنة المفرطة ، وأخذ ما ينشط المرارة ويجعلها تنقبض بصورة أقوى وتفرغ ما فيها : مثل كبريتات المغنيسيوم والتى تكون المزيج المعروف « بالمزيج الابيض » أو اقراص فاريكوليت وغيرها كثير .

واذا كان ممن يكرهون تعاطى الدواء فليأخذ ملعقة كبيرة من زيت الزيتون فى المساء فانها منشطة قوية للمرارة .

أما اذا صحب هذا الكسل نوبات التهاب حادة فيعاد اعطاء المضادات الحيوية — وتختبر قوة انقباض المرارة من آن الى آخر ، فاذا كثرت النوبات الحادة رغم العلاجات الصحيحة الكافية وازداد ضعف المرارة — واصبحت لا تقوم بوظائفها كما يجب — بل على العكس أصبحت مصدر تعب دائم للمريض فيستحسن ازالتها .

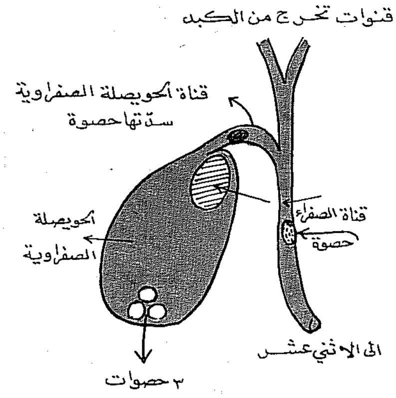
حصى المرارة :

وهذا يتكون فى الحويصلة نتيجة لالتهاب مزمن بها ، مما يؤدى الى تهتك فى الغشاء المخاطى فيجعله أرضا خصبة لترسب الاملاح الموجودة فى الصفراء ، وتساعد الميكروبات على حدوث ذلك وتضع نواة لهذه الحصى فتكبر وتكبر بمرور الوقت — أو يكثر عددها — ففى بعض الحالات تكون الحصى كبيرة حتى تملأ الحويصلة أو تكون هناك حصاتان أو ثلاث كبيرات — وفى الحالات الاخرى تبقى صغيرة وتكون عشرات وعشرات تملأ الكيس : —

وهناك انواع ثلاث من الحصى :

أ — حصى تتكون من مادة الكوليسترول وهى نتيجة لاضطراب فى نسبة الكوليسترول الى الصفراء — فاذا زادت النسبة كثيرا ترسب الكوليسترول وتجمع على هيئة حصى .

ب — حصى مختلط : أى يتكون من أملاح عدة هى الكوليسترول



الحويصلة الصفراوية وقناتها

والكالسيوم والصفراء وغيرها — وهى كثيرة الحدوث وتكون دائما نتيجة لالتهاب مزمن بالمرارة .

ج — حصى ناتجة من تكسر الكرات الدموية الحمراء بكثرة وهذه تصحب أمراض الكرات الدموية الحمراء ونوع من فقر الدم ناتج من هذا التكسر الشديد المتكرر — كما هو الحال فى فقر الدم المنجلى .

ولقد وجد من الاحصاءات أن نسبة المصابين بحصى المرارة هى من ٥ — ١٠ ٪ وتصاب الأناث خمسة أضعاف الرجال .

والمرارة التى بها حصى غير سليمة وننصح نحن الاطباء دائما بازالتها اذ أنها تكون بؤرة مزمنة للالتهاب . يحس صاحبها دائما بآلام تعتريه لا فى منطقة المرارة فحسب بل فى مفاصل الجسم وأجزاء عدة منه زيادة على الاعراض التى ذكرتها فى كسل المرارة . والحصى فى المرارة لا يرجى نزوله كما هو الحال فى حصى الكلى والحالب — بل على العكس يزداد عددا وحجما . اذن فليس هناك أمل فى الانتظار لينزل الحصى أو ليتخلص الانسان منه بأى وسيلة — ثم لا يوجد علاج لذوبان أو ازالة حصى المرارة حتى يتريث المريض ويؤجل العملية .

والحصى فى المرارة يسبب مضاعفات عدة ربما كانت فى بعض الحالات خطيرة ، فربما تحركت احدى الحبات الصغيرة وذهبت وسدت القناة الصفراوية مسببة مغصا شديدا ويرقانا فى الجسم . بما فى ذلك اصفرار بياض العين ، مع تلون البول باللون الاصفر الداكن واذا حدث التهاب نتيجة لهذا الانسداد أحدثت رجفة للمريض مع قىء شديد — وتتحرك هذه الحصوات على فترات متقطعة تكون النوبات التى ربما سببت انسدادا مؤقتا فى قنوات الكبد الصغيرة ، مسببة تليفا فى الكبد ، خصوصا اذا طالت مدة الانسداد المرارى واذا تعسر اجراء العملية ربما سببت هبوطا فى عمل الكبد وما يكتنف ذلك من أخطار ربما أودت بحياة المريض .

والحصوات اذا ذهبت الى القناة المرارية الرئيسية ربما سدت قناة البنكرياس — وحدث ذلك المرض الخطير وهو التهاب البنكرياس الحاد واذا قدر للحصاة أن تترك القناة المرارية وتذهب الى الامعاء الدقيقة ربما سببت فى بعض الحالات انسدادا فى الامعاء وما يصحب ذلك من انتفاخ فى البطن وقىء شديد . ولا بد من اجراء العملية لازالة الحصاة ، التى سببت الانسداد .

ومن هذا يتضح جليا لماذا يصر الاطباء على اجراء العملية اذا كان هناك حصى فى المرارة لتعرض

المريض للمضاعفات ولخطورة هذه المضاعفات .

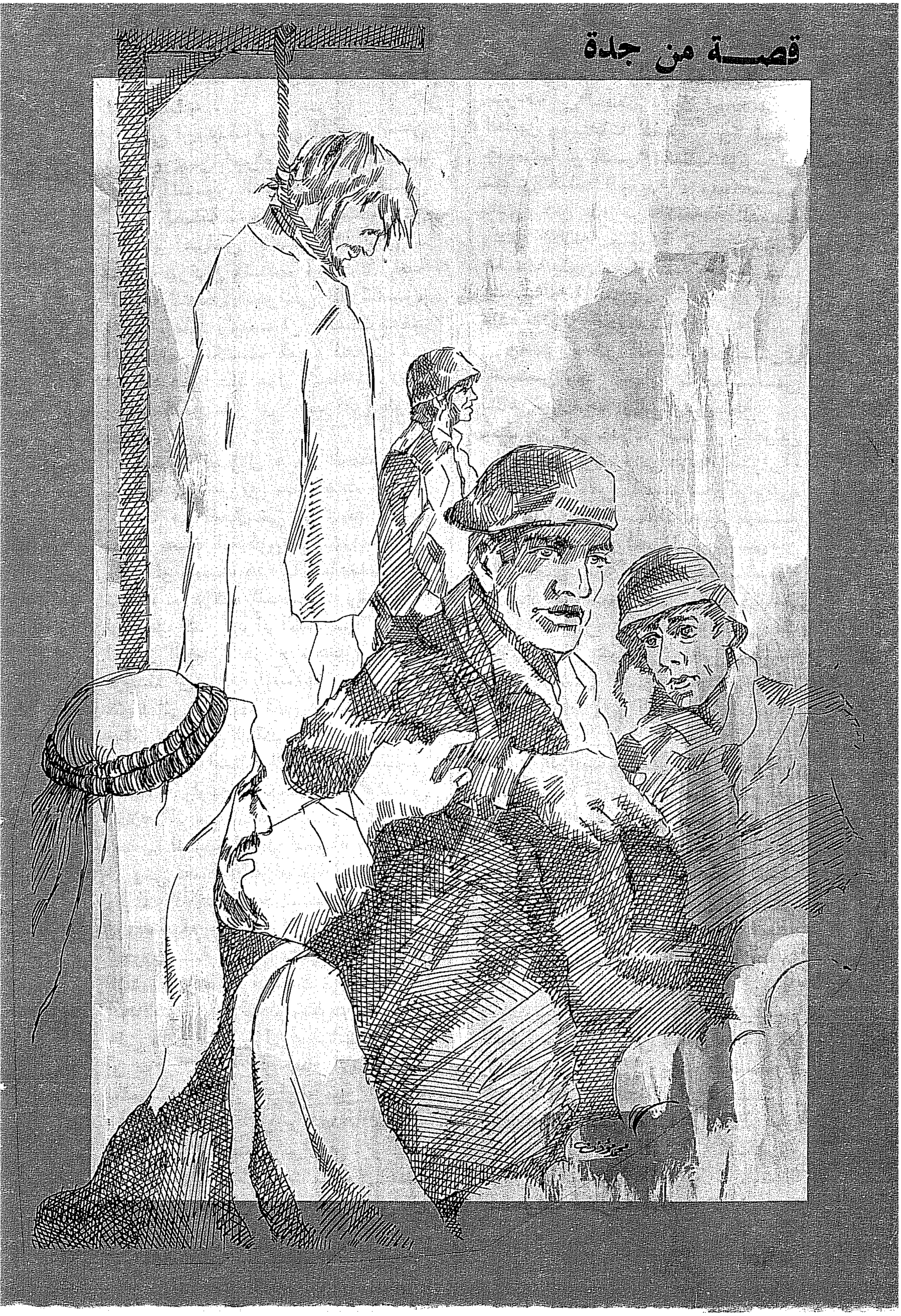
على أن هناك من المرضى من يستثنون من اجراء العملية وهم أولئك المسنون الذين لا يقوون على تحمل العملية — والذين لا يشكون من آلام أو اعراض الانسداد المرارى — فهؤلاء يتركون وشأنهم وتحت المراقبة الطبية للتدخل الجراحى اذا لزم الامر . فلقد وجد أن هناك بعض الاشخاص تكتشف فيهم الحصى فى المرارة عفوا عند عمل أشعة لهم دون أن يشكو من أى أعراض طوال حياتهم .

ويكون السؤال هل للعملية خطورة ؟ وهل من مضاعفات ؟ .

كما هو الحال فى كل عملية كبيرة تكون هناك الخطورة والمضاعفات ، ولكن لو قيست هذه بالمضاعفات التى تحدث لو تركت الحصوات وشأنها لرجحت كفة اجراء العملية ، واذا اجرى العملية جراح مختص قدير لوجدنا أن نسبة المضاعفات تقل كثيرا الى حد أنها تكون طفيفة جدا . فمثلا لا بد من التأكد بأنه لم تترك أى حصاة بعد استئصال المرارة فى القناة المرارية الرئيسية سواء فى اعلاها أو فى اسفلها اذ أن ذلك يسبب انسدادا بعد العملية يحتاج المريض بعدها لاجراء عملية أخرى — وكذلك التأكد من عدم وجود ميكروبات أو القضاء عليها بواسطة المضادات الحيوية حتى لا يتعرض الجرح للالتهاب وتجمع الصديد فى مثل هذه الحالات . على أنه لو سارت الامور على ما يرام دون أى مضاعفات أثناء أو بعد العملية فان مدة الاقامة بالمستشفى تتراوح بين أسبوع واثنين ، يخرج المريض بعدها ليواجه حياة دون حويصلة مرارية . وفى معظم الحالات لا يحدث ما يعكر صفو حياته شريطة أن يأخذ التدرج فى كل عمل يقوم به ، وليكن معتدلا : لا اسراف فى الطعام ، ولا اطالة فى السهر وساعات العمل ، ولا اجهاد جسمانيا أو نفسيا ، فكلها تؤثر على مجرى حياته الجديدة . وليبتعد بادىء ذى بدء عن الاطعمة الدسمة ولتكن أكلاته مسلوقة أو شواء فان هضمها يكون سهلا عليه ، دون ما حاجة الى المختزن من الصفراء الذى فقده بفقدان الحويصلة المرارية .

وفى بعض الحالات تعترى الشخص بعد العملية ما يسمى بالاعراض بعد ازالة الحويصلة وتتلخص فى حدوث اصفرار بالعينين والجلد مع ارتفاع فى درجة الحرارة ، وربما رجفة فى الجسم مع الم وقىء وهناك احتمال انسداد جديد مع التهاب فى القنوات المرارية سرعان ما تتحسن حالة المريض بالعلاج بالمضادات الحيوية مع الراحة وتناول السوائل لفترة يومين . ومعنى ذلك أنه يجب أن يفحص المريض فحصا دقيقا لاحتمال انسداد جديد والتدخل الجراحى اذا لزم الامر .

من الواضح اذن أن أمراض الحويصلة المرارية من الامراض المنتشرة ، ولكن ليس معنى ذلك أن كل من يشكو من الم فى منطقة المرارة أن يكون مصابا بها ففى هذه المنطقة تقع الاثنى عشر والقولون والكلى اليمنى والكبد — وربما تكون هذه مصابة بمرض ، وما أكثر الاخطار التى يتعرض لها الأطباء والمرضى ويعتبرون أن الألم فى المنطقة اليمنى من أعلى البطن ما هو الا « مرض بالمرارة » ويجب للوصول الى التشخيص الدقيق أن تجرى الفحوصات اللازمة بما فى ذلك عمل أشعة ملونة على المرارة ، للتأكد من مرض الحويصلة المرارية ، واتخاذ الخطوات اللازمة للعلاج .


قصـــة من جدة

وفوجئ الناس بالمشانق

للأستاذ محمد المجذوب

وقعت أحداث هذه القصة فى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى ، وفى مدينة جدة بالذات . . .

كان الهدوء يغلب على كل شيء . . الناس والاشياء على السواء ، حتى الميناء الذى يستقبل العديد من السفن الشراعية ، والقليل من المراكب البخارية التى لم تكن قد انتشرت كثيرا بعد ، لا يزال محافظا على وقاره الذى ورثه عن الاجيال الغابرة . . فالبضائع التى ترد من مختلف الانحاء ، تحملها الروافع الحديثة ، وتنقلها الشواحن الضخمة ، فى موكب من ضجيج الآلات ، ما تكاد تشرف على ميناء جدة حتى تجلببها الاناة ، فتنتقل من السفن الى المستودعات بأيدى العمال ، وعلى ظهورهم ، ثم ترفع الى متون البغال والحمير والابل ، أو ترص فى العجلات البدائية تجرها هذه الحيوانات المذللة الى قلب المدينة أو الى خارجها . . دون أن تزعج عابرا ، أو تقلق نائما ، وذلك على الرغم من كل النشاط الذى يستحوذ على الجميع . .

وكانت القناعة هى القدر المشترك الذى يشمل الناس جميعا على اختلاف أعمالهم ومهامهم ، لان الحياة لم تزل محتفظة بأصولها البسيطة ، لم يتسلل اليها الكثير من ذلك التعقيد الذى بدأ يهاجم أوضاع الناس فى العالم الغربى ، فيعرضهم كل يوم لنوع جديد من الحاجات ، كلما أمدهم بضرب حديث من الانتاج الذى تحدثه الآلات . . .

وهكذا كان كل شيء يجرى فى تؤدة لا يمسه التغيير الا قليلا . فالتعليم على طرائقه الموروثة من عهود الحضارة الاسلامية ، أكثر ما يقوم فى المساجد ، حيث تتألف حلقات الشيوخ ذوى الفضائل الخلقية ، التى لم يكن أثرها فى قلوب العامة وسلوكهم أقل عمقا من متونهم وشروحهم . . .

حتى الكتاتيب القليلة التى يديرها بعض المعلمين خارج نطاق المساجد ، لا تختلف عنها من حيث الاتجاه العام ، الذى يجعل القدوة الصالحة غاية التعليم ..

ومن هنا كان الطابع الاجتماعى متقارب الالوان فى سلوك الناس ، يستمد كله من ذلك الرافد الخلقى الذى يتلقونه من تلك المناهل ... فهو يطالع الانسان حيثما كان ، وأنى ذهب ، فى البيت ، والسوق ، والمصنع .. وفى كل شىء .. ولعل أكثر ما يكون تألقا فى ذلك التعاون الكريم الذى يجمع الناس كلهم فى رباط من الاخاء الروحى ، الذى لا يهمل فيه محروم ، ولا يضيع فى كنفه بائس .. فاذا شح الماء ، وكثيرا ما كان يشح فى جدة أيامئذ ، تساوى فى التأثر بـه الفقير والغنى على السواء . واذا اقبل الشتاء بلذعه ولسعه لقى المعسرون من عون الموسرين ما يوفر لهم الدفء والشبع ..

هذا فى الايام العادية ، فاذا جاء رمضان فاضت مواسم الخير من كل جانب ، ولربما انتقل به الفقير من حالة الاخذ الى موقف العطاء ، فيبذل مما بذل له ، وبذلك يشترك الناس جميعا فى صفات المواساة ..

ولم يكن الناس هنا فى معزل عن أنباء العالم وتطوراته ، بل على الضد من ذلك ، فهم عن طريق هذا الميناء القديم قدم البحر الاحمر ، يتلقون أخبار الشرق والغرب ، وكثيرا ما تصلهم الصحف العربية والتركية الصادرة فى مصر أو الاستانة ، فيقرؤها القارءون ، ثم يتحدثون بما فيها للآخرين ، فاذا مضامينها تنتشر هنا وهناك . وكثيرا ما يحمل الوافدون أو العائدون عن طريق هذا الميناء ما لا تتسع له جداول الصحف من الانباء المتعلقة بمجرى الاحداث فى دولة الخلافة ، أو بمجرى التطورات الكبرى فى جوانب العالم ، وبخاصة العالم الغربى ، الذى اخذ يتمطى بقوة عجيبة ، فيمتد فى كل اتجاه ، ويكتشف كل يوم جديدا من الغرائب التى لم تمر فى تصورات أحد من قبل ... فاذا جاء موسم الحج انتقلت الدنيا الى جدة ومكة ، وانتقل معها من اخبار هذه الوقائع ما لا مزيد عليه ، مما ينتقل بالروايات الظنية الى دائرة العلم اليقينى ..

وكان فى هاتيك الاحاديث ما يسر الناس ويحزنهم ويثير تطلعاتهم .. ولعل أشدها اثارة لمشاعرهم تلك الاعتداءات الحمقاء التى يشنها الافرنج على بلاد الاسلام فى آسية وأفريقية ، حيث جعلوا يستغلون مكتشفاتهم العلمية فى غزو المسلمين ، واحتلال ديارهم ، دون أن يستطيع هؤلاء لهم دفعا ، على الرغم من بسالتهم التى تضرب بها الامثال ، لان العدو يقاتلهم بسلاح العلم الجديد وبخاصة تلك القذائف الشيطانية التى تدمر كل ما تصيبه عن بعد عشرات الاميال ، وهم يقاتلونه بما ورثوه من سلاح الاجداد ، الذى لا جدوى له الا فى زحمة التلاحم !.

وقد بدؤوا هم ـ سكان جدة ـ يلمسون عن كثب بوادر هذا العدوان فى دسائس المبعوثين الدبلوماسيين من الاوروبيين ، الذين يطلقون عليهم كلهم لقب الافرنج .. فهؤلاء الخبثاء الذين جاءوا البلد بحجة الرعاية لمصالح بلادهم التجارية ، ما لبثوا أن أقاموا من أنفسهم شبه حكومة داخل حكومة

البلاد ، اذ جعلوا منازلهم ملاذا لكل خبيث ولكل مجرم ، فاذا تسلل أحد هؤلاء الى داخلها أحيط بالحماية التى تمنعه من كل ملاحقة .. حتى الارقاء قد بدؤوا يجدون فى ظلها ما ينقذهم من كل تبعـــة ، ففى وسع أى منهم أن يقتل سيده ، أو ينتهب ماله ، ثم يأوى الى هذه المنازل الاجنبية ، فاذا هو من عاقبة ما صنع فى حصن منيع .. الامر الذى أشاع البلبلة فى وجود الناس وعرض مصالحهم للخطر ، فبات ينذر بأسوأ العواقب .. وها هى ذى أنباء الطائف التى يحملها المسافرون تؤكد أن فريقا من البدو ، الذين نكبوا بفرار عبيدهم الى منازل هؤلاء الفرنج لم يتمالكوا أن شنوا الغارة على سكانها ، فراحوا يصلونها نارا حامية من بنادقهم ذات الطلقة الواحدة ، ثم لم يعودوا الا بعد أن استردوا ما وجدوه من عبيدهم ، وسجلوا عددا من الاصابات فى أجساد اولئك المحرضين لهم على الفرار . وهى لا شك فتنة من شأنها أن تجر الى فتن ، لان كثيرين مستعدون لشن مثل هـــذه الغارات على أولئك الاشرار ، غير عابئين بما تجر وراءها من كوارث تتجاوز عواقبها كل تقدير ، اذ تكون حجـــة صالحة لتلك الدول العدوة ، تعطيها فرصا جديدة لزيادة المتاعب التى تعانيها دولة الخلافة .. وهذا ما يبعث القلق فى نفوس العقلاء ، اذ يخشون أن يرتفع ضغط الالم فى نفوس العامة الى حد الانفجار ، فينفسون عن صدورهم بألوان من الانتقام لا تلبث أن تعدو دائرة بيئتهم المحلية الى المستوى العالمـــى .. ولذلك فهم دائبون فى نصح الناس ، وتحذيرهم من التسرع الذى لا تحمد عقباه .

ومما يضاعف قلق هؤلاء العقلاء ما يعلمونه وما يرونه من اضطراب الاوضاع العامة فى أنحاء هذه الدولة الاسلامية كلها من أقصى الهنـــد الى أقصى البلقان .. فقد استشرت دسائس الصليبية فى معظم هذه الشعوب التى تحكمها ، فهى تحرضها ليل نهار على الانتفاض واشعال الثـــورات ، وتمدها من أجل ذلك بكل وسائل التخريب ، ثم تعمد الى التآمر فيما بينهـــا فتدفع الشرق الى انتقاص أطرافها ، وتحرك عليها كل ذى طموح من ذئاب الغرب ، ثم توقد نيران الفتن الطائفية هنا وهناك . لتضطر الى مهادنة هؤلاء وأولئك من أعدائها . وبذلك أصبحت نهبا لمختلف التيارات تهب عليها من كل مكان ، فلا تعرف كيف تصدها ، ولا تكاد تعرف المصدر الذى يمدها .. حتى طمع بها من لم يكن يستطيع الدفع عن نفسه !.

وقد كان ذلك كله محتملا بنظر هؤلاء العقلاء ، لو سلمت الصفوف الداخلية من أسباب الفرقة والشـــحناء ، ولكن ... أين هذه السلامة ، والبادية ملتهبة بجاهليتها الجـــديدة ، والثغور العربية مرتـــــع خصب للدسائس الرهيبة ، وحتى جهاز الحكم نفسه فى هذه الديار لا يخلو من التنافس الصغير ، الذى لا يقيم وزنا للآلام الكبيرة ، التى تقاسيها الامة .. وها هم أولاء أشراف مكـــة وحكامها الاتراك على خلاف مستمر ، يختفى حينا ويبرز أحيانا ، وقد انقسم السكان أنفسهم الى أنصار لهؤلاء وأعوان لاولئك .. حتى كادت تنطمس معالم العدالة ، فلا يطمح ضعيف الى حق ، ولا ييأس قوى من باطل ...

وأطل (بومباى) من بعيد يتهادى على اثباج اليم ، وقد لاح لصاحبه

(با سعيد) كطائر الماء يرف بجناحيه باحثا عن الفريسة ، ثم ما يزال يتضح ويكبر ، حتى اذا شارف الميناء بدا كاحدى هذه القلاع التركية الناهضة على قمم المرتفعات لحراسة الطرق ، وتأمين سبل القوافل ..

وبا سعيد هذا تاجر حضرمى لزم هذه البلاد منذ طفولته ، وقد بدأ حياته العملية مستخدما صغيرا لـدى أحد تجار جدة ، فما ان بلغ سن الشباب حتى بات مؤهلا للاستقلال بعمل تجارى صغير ، ما زال يكبر ويتسع حتى أمسى فى مقدمة المتاجر ، التى لا تكتفى بتصريف السلع المحلية وما اليها من الاشياء الصغيرة ، بل تمتد حتى تصل ما بين بومباى وجدة ... وها هوذا مركبه الهندى الضخم يحمل اليه اليوم ما خف وغلا مـن منتوجات تلك البلاد ...

دخل (بومباى) ميناء جدة تحت العلم البريطانى ، اذ كان با سعيد قد اشتراه من ذلك الثغر الهندى ، وسجله على اسمه هناك .. وما كان له مندوحة من أن يرفع على ساريته السامقة تلك الراية التى لا أجدر منها باكسابه الحماية أثناء رحلته الطويلة .. ولكن كان ضيق الصدر جدا بهذه الخرقة شديدة البغض لاهلها ، لانه عميق الايمان بأن معظم الكوارث التى ألمت وتلم بالمسلمين ، حتى ساعته تلك ، انما هى وليدة مؤامرات هذه الدولة الباغية ، التى لا تنفك حاملة لـواء الغدر والعداء لامة محمد ، منذ عهد ذلك الصليبى المتعصب ريتشارد الى يوم الناس هـذا ... ومما يزيد فى حقده على هذه الراية وأهلها ما يشاهده ، اثناء سفراته الكثيرة فى بلاد المسلمين ، من طغيان الانجليز ودسائسهم وكيدهم لاهل الاسلام ، فيمتلىء يقينا بأن ما يلمسه من حاضرهم المشئوم هـذا انما هو امتداد لذلك الماضى الملعون الذى سجله آباؤهم أثناء عدوانهم على ديار المسلمين فى حروبهم الصليبية المتوحشة ، مما لا يستطيع نسيانه ، ولم تبارح أشباحه مخيلته ، منذ أن طالع أخباره فى بعض كتب التاريخ ...

ولبث با سعيد يراقب مركبه العزيز من على رصيف الميناء حتى ألقى مراسيه على مبعدة قليلة ، وهناك وثب الى قارب « التجريم » الذى سبح للاتصال بـه ، وما ان داناه حتى قفز اليه .. ولم ينس أن يوجـه الى بحارته تحية جامعة وهو يأخذ طريقه باتجاه السارية الكبرى . وبمثل رشاقة البحار المحترف جعل يحل عقدة الحبل المتصل بالراية ، ثم يسحبها ، حتى اذا صارت فى متناول يده شرع يفك أربطتها بعصبية بالغة ، ثم يقذف بها الى ظهر السفينة ، وبسرعة فتح الكيس الذى يحمله ، واستخرج منه العلم العثمانى فعلقه مكانها ،وجعل يشد به الى الاعلى ، حتى اطمأن الى احتلاله المكان المناسب ... ومن هناك ألقى عليه نظرة ابتهاج تمازجها بسمة الانتصار وهو يخفق فـى اعتزاز ... ومن ثم عاد الى بحارتـه يصافحهم واحدا واحدا ، ويسألهم عن صحتهم ورحلتهم ، مهنئا اياهم بسلامة الوصول ...

كان المبعوث الانجليزى جالسا مع مدعويه من قناصل الدول الاجنبية فى شرفة داره المطلة على الميناء عندما طالعهم بومباى من أبعاد الافق ... وأخذ بعضهم يحدق اليه بالمنظار المكبر ليستطلع هويته ، ولكن لم يستطع

البت بشأنها ، فناوله جارا له ، ولكن هذا أيضا لم يتمكن من تحديدها ...
وهكذا جعلوا يتداولون المنظار حتى اقترب المركب الى المدى المساعد ، فلم يبق لديهم شك فى جنسية العلم . ولاحظ الانجليزى حركة انزاله من خلال المنظار ثم استبدال العلم العثمانى به ، فلم يتمالك أن يقفز من مكانه كأن جمرة لذعته .. وراح يرطن بالسباب والشتائم ، ثم ينطلق دون استئذان من زملائه الى عربته فيصرخ بحوذيه العربى ، ثم يأمره بالاتجاه الى قلب الميناء ... وما هى الا فترة وجيزة حتى كان على ظهر المركب ، وهناك جعل يشق الطريق بين البضائع والملاحين دون كلام حتى انتهى الى السارية وأخذ يسحب حبل العلم حتى استقر فى يده ، ولم يكتف بتمزيقه وطرحه على الارض ، بل راح يدوسه ويركله فى فورة جنونية ، ثم أعاد العلم الانجليزى الى مكانه ، حتى اذا استقر فى أعلى السارية تراجع الى الوراء قليلا ، ثم أخذ له التحية فى وضع عسكرى صارم .. ومن ثم استدار ليعود الى البر ، حيث امتطى عربته فى الطريق الى البيت .. واتجه الى مقعده بين الزمـــلاء فى صمت مثير ، وقد ارتسمت على محياه الشديد البياض ، وفى عينيه الحادتى الزرقة ، بوارق تترجم عما يختلج فى أعماقه من مشاعر الزهو ، كالمصارع المنتصر بعد جولة مرهقـــة ...

ولم ير القناصل حاجـــة لسؤال زميلهم عما حدث ، اذ كانوا قد شاهدوا نزول العلم البريطانى .. وشاهدوه حين رفعه ... ولا شك أنهم معجبون بجرأته وغيرته على كرامة دولته ، وان كانوا يرون أن الطريق الى حفظ الكرامة لم يكن محصورا بهذا التصرف الاخرق ، بل كان خيرا منه أن يتصل بممثل الحكومة العثمانية فى جدة فيحتج لديه ، وينذر بوجوب الاسراع لاصلاح الوضع ... على أنهم جميعا واثقون أنه لن يكون لهـــذا العمل أى رد فعل ، لانهم مدركون أن دولهم ، الناهضة المتيقظـــة الدائبة على اضعاف دولة الخلافة ، لن تدع لهـــذه أية فرصة للاحتجاج فضلا عن الانتقـــام .

وأنى للرجل المريض — وهو بنظرهم هذه الدولة — أن يفكر بالانتقام أو الثأر لايـــة مهانة توجه اليه ، بعد أن فقد كل قدرة على التحرك ، ولم يعد يجد سبيلا للدفاع عن نفسه الا بالاعتماد على هـــذه أو تلك من دولهم نفسها ... بعد أن بلغ من القوة ذات يوم ما مكنه من تهديد العالم الغربى كله ، وأعطاه الحق أن يخاطب أعظم أباطرتهم باللهجـــة التى يخاطب بها أصغر خدمه !...

وشاء الله ألا يشاهد با سعيد عمل القنصل الانجليزى ، اذ كان غائبا تلك الساعة عن منطقة الميناء ، لانجاز معاملات السفينة لدى نائب الوالى ، ولكنه ما ان عاد فبصر العلم البغيض يخفق فوق سارية مركبه حتى أدرك كل شىء .. وأقبل عليه البحارة يروون له ما حدث .. ويعتذرون اليه عن سكوتهم بضعف امكاناتهم ، وايثارهم الانتظار ريثما يحضر ...

وطار صواب با سعيد حين علم بمصير الراية العثمانية ، وما أصابها

من الهوان على يد ذلك العلج ، فلم يجد متسعا للتفكير بالذى يجب أن يصنعه ، وأطلق لاعصابه العنان فراح يصرخ بالحمالين والملاحين والموظفين ، يثير غيرتهم ويحرك مروءتهم ... ومضى على وجهه لا يدرى أين يذهب ، ولا ينقطع عن الكلام فى موضوع الجريمة ... ومر ببعض المقاهى ، وقد اكتظت بالعمال والغرباء ، فوقف يخطب فيهم بلهجة لا تنقصها بلاغة التأثير ... : أين الدين ؟ .. أين الشرف ؟.. أين الغيرة ؟..

وسرعان ما سرت عدوى الانفعال فى أعصاب الناس فاذا كل واحد منهم با سعيد . وما هى الا ساعة أو دونها حتى كان جمهور من العامة يقتحم دار المعتدى الانجليزى ، واذا هذا بعد قليل مقيد الرجلين بحبل من الليف المجدول ، يسحب على وجهه فى شوارع جدة ... وتداعت الذكريات المختزنة فى صدور العامة ، وعاودتهم أشباح المآسى التى تنزلها دول هؤلاء الاجانب فى دولة الخلافة ، والدور التجسسى الذى تقوم به جالياتهم فى بلاد المسلمين ، فاذا ثورة عاصفة تجتاح بقايا الوعى فى نفوس العامة فلا تفرق بين انجليزى وفرنسى ويونانى وايطالى و ... واندفعت الجموع كالسيل تفتش عن منازلهم ، وتقصد الى حوانيتهم ... فلا ينجو من غضبتها الا من لاذ بجار من المسلمين أو التجأ الى دار الحكومة ...

وأقبل مساء ذلك اليوم على جدة ... ولا حديث فيها لأحد الا موضوع الانتفاضة التى زلزلت أكنافها ، وصرفت العامة عن حياتهم الرتيبة الهادئة الى هزة لم يعتادوا مثلها من قبل ، ولا يقدرون عواقبها من بعد ...

وكان الناس ، الا أولئك العقلاء ، يستشعرون الرضى عن أحداث يومهم ، اذ أحسوا أنهم لاول مرة يتاح لهم أن يثأروا لدينهم ولدولتهم من هؤلاء الاعداء الذين ما زالوا منذ مئات السنين يجرعونها صنوف الارزاء ..

ومرت الايام .. وكاد الناس ينسون تلك الاحداث ، حتى استيقظوا من غفلتهم ذات صباح على دوى القذائف الرهيب يملأ أسماعهم ، وعلى سحب الدخان تنتشر هنا وهناك من انحاء بلدهم ...

وتراكض الناس يستطلعون الخبر ، فاذا هم ببارجة انجليزية من الاسطول الهندى ترجم جدة بمقذوفاتها الجهنمية ، فتريهم منها لأول مرة مالم يعرفوه من قبل الا عن طريق السماع .. وكان الرمى مركزا على جوانب معينة من البلد تكاد لا تتجاوز المنطقة التى شهدت ثورة العامة قبل اسبوعين ..

واستمرت المحنة طوال ساعات ، وسقط من جرائها عدد من الابنية ، وعلى الرغم من عدم تمرس الناس بوسائل الوقاية من هذه الرجوم ، فقد أدركوا بفطرتهم ما ينبغى عليهم لحماية أنفسهم ، فلزموا الطبقات السفلى من مساكنهم وبذلك سلمت النفوس ، وقلت الاصابات بين الناس ..

واجتمع مجلس الحكم برئاسة والى مكة لبحث الموقف ، فقر الرأى على ارسال وفد فى قارب يرفع الراية البيضاء ، ويصطحب أحد المترجمين الى مواجهة البارجة ، ليقولوا لقائدها : « ان البلد جزء من الدولة العثمانية ، وضربه من قبله بمثابة اعلان حرب عليها ، وخير من ذلك احالة الموضوع لمسئولى الدولتين .. هذا مع احاطته علما بأن الحكومة المحلية جادة فى ملاحقة الثائرين والمحرضين ...

ونجحت الوفادة ، وكف الضرب عن البلد .. ولكن البارجة ظلت مرابطة تجاه المدينة لمعرفة النتيجة ...

وأخذت المراجعات الدبلوماسية طريقها بين الدولتين ، حتى انتهت الى الاتفاق على تسيير لجنة خاصة من عاصمة الخلافة للتحقيق فى الاحداث ، ولاصدار الاحكام الرادعة .. وما هى الا أيام حتى وصلت اللجنة السامية الى مرفأ جدة ، وباشرت التحقيق مع الموقوفين ...

وسلك المحققون مع هؤلاء أسلوب الاغراء ، فأخذوا يطرون غيرتهم ، ويمجدون رجولتهم .. وأكدوا لهم أنهم سيرفعون الى الباب العالى قائمة بأسماء الرجال الذين نهضوا بأكبر الاعباء فى نطاق هذه القضية ، لتصرف لهم المكافآت السخية ، والتقديرات الوفية ...

وكان الاسلوب مقنعا وجذابا لعواطف الموقوفين ، فراحوا يتدفقون بالاعترافات المفصلة ، ويعينون أسماء المجلين فى تلك الحلبة ... حتى اذا استوفيت التحقيقات ، صدرت الاحكام التى سبق تقديرها قبل تحرك اللجنة من دار الخلافة ...

وكم كانت الصدمة بالغة عندما فوجىء الناس بالمشانق فى منطقة الميناء ، وقد تدلى منها اثنا عشر من أعيان جدة وعمالها .. كان على رأسهم التاجر الحضرمى الشهيد با سعيد ...

×) تلقينا أصول هذه القصة من فقيد جدة الغالى الشيخ محمد نصيف تغمده الله برحمته ورضوانه .

الاثرة ، وحب الذات جانبا ، مستعيذين بالله من الشيطان ، معرضين عن كل ما يؤدى الى الانحراف أو الذبذبة فى العقيدة اذ الانحراف فى العقيدة اضطراب وذبذبة وسبيل جائرة حائرة ، ومرض فى القلوب يملأ الحياة ظلمة ومخاوف ، فالمنحرف فى العقيدة لا يستطيع أن يتخذ لنفسه سبيل طمأنينة .

ومن تأمل قول الله سبحانه وتعالى : ((**فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا**)) تبين له كيف كان الايمان معتصما لصاحبه ، ومشعلا لهدايته ، وثباتا لقدمه ، روت كتب السنة : ((**أن قوما جاءوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يدعون الايمان فقال لهم : أتصبرون عند البلاء قالوا : نعم . قال : اتشكرون عند الرخاء ؟ قالوا : نعم . قال : اتصبرون عند الحرب ، واللقاء ؟ قالوا : نعم . فقال صلوات الله وسلامه عليه : مؤمنون ورب الكعبة**)) **وقال** : ((**المؤمن كله منفعة ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة**)) . **وقال** : ((**عجبا لأمر المؤمن ان أمره كله خير ، وليس ذلك الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له**)) . **ويقول** : ((**المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف**)) .

والايمان تتفق الى الدعوة اليه كل الشرائع ، ويوجه اليه كل الفلاسفة والمفكرين ، وان اختلفت متعلقاته بينهم فقد جاء فى انجيل متى ((**الحق أقول لكم ان كان لكم ايمان ولا تشكون ثم قلتم للجبل انتقل فيكون ، وكل ما تطلبونه مؤمنين تنالون**)) .

ويقول (باكون) أحد العلماء الطبيعيين : ((**والحقائق الدينية لا تظهر لنا باطلة الا لضعف معارفنا**))

ويقول (ايزنهاور) : ((**بغير الايمان بالله والعودة اليه لا تستطيع أن تحيا حكومة**)) وقد قلنا من قبل ان الرسول صلوات الله عليه بين أثر الايمان فى نفوس المؤمنين وصقله لهم فى قوله : ((**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**)) وهذا قول الله تعالى : ((**قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون ..**)) .

اللهم أرزقنا الايمان وحببه الى نفوسنا ، وأهدنا اليه يا رب العالمين ، واجعلنا من المؤمنين العاملين ، وكره الينا الكفر والفسوق يا رب العالمين ، وجنبنا الزيغ والانحراف واهد الزائغين الضالين يا رب فان ترحمهم بهدايتك فهم عبادك .

اللهم أدم للقلوب المؤمنة ايمانها ليدوم لها أمنها وهداها ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

الفتاوى

طهارة الثوب

السؤال :

هل تجوز الصلاة بالملابس التى تغسل مع ملابس الاطفال .. ؟

أ. م — الكويت

الجواب :

ان طهارة الثوب واجبة للصلاة ، وينبغى على كل مسلم ومسلمة أن يتنزه قدر استطاعته عن القاذروات والنجاسات .. وهذا مظهر المسلم الكامل يقول الله تبارك وتعالى : ((وثيابك فطهر)) .

ولا مانع من الصلاة فى الملابس التى تغسل مع ملابس الاطفال على شرط تطهيرها بعد ذلك بالماء الطهور .

والذى نراه أنزه وأفضل عدم الجمع بين ملابس الصغار والكبار . ويغسل كل منهما وحده ما دام هذا لا يؤدى الى الحرج .

انصاف الزوجة ..

السؤال :

يدعى والدى أن زوجتى لا تطيعه وطلب منى طلاقها وأنا أحبها وان طلقتها فلا قدرة لى على الزواج .. فماذا أصنع .. ؟

هاشم الصنعانى — اليمن

الجواب :

قال الله تعالى فى سورة النساء ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا)) . وقال فى سورة الاسراء ((وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)) . وسئل الرسول صلوات الله وسلامه عليه عن منزلة الوالدين وأجاب السائل بقوله : ((هما جنتك ونارك)) . وقد حذر القرآن الاولاد من عقوقهما ورغب فى التودد لهما حتى فى الحالة التى أمرت الشريعة عندها بعصيانهما ، يقول الله تعالى : ((وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا)) . الا أن الشريعة تلزم المسلم مع ذلك أن يعطى كل ذى حق حقه : فاذا كان للوالدين حق . فكذلك للزوجة حق ، ومن العدل أن تعطى كل ذى حق حقه . وعليك أن تراجع والدك برفق ، وأن تشدد على زوجتك بالنصح ، وهذا هو طريق المؤمنين ، ولا بأس عليك أن تمسك عليك زوجك .

عقم الزوج .. ؟

السؤال :

هل للمرأة أن تطلب الطلاق اذا ثبت أن زوجها عقيم .. ؟

أبو خالد — الاردن

الجواب :

ليس عقم الرجل من العيوب التى يرد بها الزواج ولا يثبت للزوجة بمقتضاه الخيار فى فسخ نكاحه ولو بعد الرفع الى القاضى — كما يرى فقهاء الشافعية . فاذا كانت المرأة لم تعد تطيق عشرة الزوج فان لها أن تختلع منه استنادا الى قول الله تعالى : ((فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به)) .. وروى الامام البخارى رضى الله عنه أن أم حبيبة بنت سهل الانصارى جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له : يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما أنقم عليه فى خلق ولا دين ، ولكنى امرأة أكره الكفر فى الاسلام — أى كفران نعمة العشير لأن الزوج لا يخلو من نعمة على الزوجة فلا تقوم بشكرها غالبا فقال لها : ((أتردين عليه حديقته)) ؟ أى بستانه وكان أعطاها اياه مهرا . فقالت : نعم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ((اقبل الحديقة وطلقها تطليقة)) . واستجاب ثابت لحكم رسول الله صلوات الله عليه وسلامه . وكان هذا هو أول خلع فى الاسلام .

أما اذا قدرت على استمرار العلاقة الزوجية وأحسنت صحبة شريك حياتها ، فانها مأجورة اذ أن ديننا يعتبر من جهاد المرأة حسن تبعلها لزوجها أى قيامها بواجباته والصبر على رعاية شئونه .

وصية لغير وارث

السؤال :

توفى والدى منذ عام بعد أن كتب وصية بمثل نصيب أحد أبنائه الستة لابن عمه فيما تركه ميراثا من عقار ومنقولات وغيرها ، وشهد على تلك الوصية الشهود ومنهم ابنه الاكبر . فما حكم الشرع فى هذه الوصية .. ؟

فهد الجحدرى — السعودية

الجواب :

الوصية لغير الوارث بالثلث فأقل من باقى التركة بعد أداء الدين جائزة شرعا بدون توقف على اجازة الورثة كما نص عليه فى معتبرات كتب المذاهب الاربعة ، فوصية هذا المتوفى لابن عمه وهو غير وارث بمثل نصيب أحد أبنائه صحيحة نافذة شرعا بدون توقف على أجازة الورثة ، ولمعرفة مقدار هذه الوصية تبين الفريضة أولا بقسمتها على جميع الورثة ، فما أصاب أحد الابناء من الاسهم يزاد على مخرج الفريضة ويكون هو ما يوازى الوصية لابن عم المتوفى وبعد اخراج مقدارها من التركة يقسم الباقى على الورثة ثانيا .

بأقلام القراء

العلم والتعلم

كتب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند تحت هذا العنوان يقول :

يتساوى الناس عند ولادتهم فى خروجهم من بطون أمهاتهم عرايا لا يستر أجسامهم شىء ، كذلك يستوون عندما يفدون على هذه الحياة فى تجردهم من العلم وخلوهم من المعرفة ، لا يقرأون ولا يكتبون ولا يعلمون شيئا ، ولكن الله الرازق الكريم الذى كساهم من عرى ، وأطعمهم من جوع ، هو العليم الحكيم الذى تفضل على خلقه فأمدهم بالاستعداد والقوى التى تمكنهم من التعلم ، وزودهم بالأدوات والرسائل التى تساعدهم على العلم والمعرفة ، وأنزل لهم الكتب وتعهدهم بالوحى ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وأرسل لهم الرسل هادين ومرشدين ومعلمين ، قال الله سبحانه وتعالى : ((**هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وأن كانوا من قبل لفى ضلال مبين**)) والوسائل التى زود الله بها الانسان هى السمع والبصر والعقل ، هذه هى المنافذ المفتوحة التى يطل منها على هذا الكون الفسيح ليعرف أسراره ، وهى الأدوات التى يكتسب بواسطتها العلم والمعرفة . لا نعرف دينا كرم العلم ودعا اليه وأشاد بالعلماء ورفع من قدرهم ، مثل ما فعل الاسلام وكتابه الكريم ، فالقرآن يلفت أنظارنا ، ويوجه عقولنا الى أن نسلك كل طريق للعلم ، لأنه الأساس فى بناء العز والمجد وحياة الأمم .

العلم وحده هو الذى يميز به الانسان بين الكفر والايمان ، بين التوحيد والالحاد ، بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والصواب والخطأ ، والهدى والضلال ، والحسن والقبيح ، والضار والنافع ، .

العلم ضرورى لسعادة الانسان وهناءته ضرورة الهواء لحياته ، والضياء لعينيه ، العلم ضرورى لعزة الأمة وسيادتها ، وعلى قدر نصيبها من العلم يكون نهوضها الحضارى ، ورقيها الصناعى ، وازدهارها التجارى ، واتساعها العمرانى ..

العلم هو الذى يرقى بالحياة ويجعلها وارفة الظلال قال الله عز وجل : ((**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**)) أول خطوة للتعلم هى

معرفة القراءة والكتابة ، ولذلك رفع الاسلام من شأن الكتابة وأعلا قدرها ، وهذه أول آيات نزلت من كتاب الله تعالى قال الله جل شأنه : ((**اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم**)) ، وهذه سورة ((ن)) يقسم العلى الأعلى فيها بالقلم وما يسطرون ، وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه ويدفعهم الى أن يتقنوا الخط ، ويحذقوا الكتابة ، ويهيء لهم سبيلها بكل ما يستطيع ، ففى مكة المكرمة اتخذ دار الأرقم بن الأرقم مدرسة للمسلمين ، ومركزا ثقافيا يلتقى فيه بأصحابه ، ويعلمهم مبادىء الاسلام ، ويأمرهم بكتابة ما نزل عليه من القرآن ، وبعد الهجرة الى المدينة المنورة يقيم مسجده مكانا للعبادة ، ودارا للقضاء ، وساحة للجنود ومركزا للتعليم ، تدرس فيه أسس الاسلام وأحكامه وأهدافه ، وفى غزوة بدر أسر المسلمون ستين مشركا فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتدوا أنفسهم بتعليم أصحابه القراءة والكتابة ، وجعل فداء الأسير تعليم عشرة من أصحابه .

وكان له صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون الوحى ، منهم الأربعة الخلفاء ومعاوية ، وخالد بن الوليد ، وزيد بن ثابت وغيرهم ، وعلى يد هـذه الصفوة المختارة من صحابته عليه الصلاة والسلام تتلمذ المسلمون الذين جاءوا من بعدهم فدرسوا كل علم ، واقتنوا كل فن ، وانتشروا فى مشارق الأرض ومغاربها يعلمون ويؤلفون ويبتكرون ، وكانوا رسل الحضارة وأساتذة الدنيا .

ان العلم خير من المال ، خير من كل الثروات ، خير من كل ما فى الأرض ، وطالب العلم اذا حسنت نيته ، وظهرت استقامته مجاهد فى سبيل الله تعالى ..

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر زيد ابن ثابت بتعلم اللغة السريانية ، قال زيد فتعلمت له كتابة يهودية بالسريانية ، وقال انى والله ما آمن يهود على كتابى ، قال زيد فوالله ما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وجدت فيه فكتبت له اليهم وقرأت له كتبهم اليه .

إن التعلم والتعليم روح الاسلام ، وسر بنائه ، وسياج وجوده ومناط عزته وكرامته ، وأن أسلافنا الأماجد سبقوا فى مضمار العلوم والمعارف بدافع من دينهم ، وحافز من كتابهم ، فمن الكتابة على الرق وهو : جلد رقيق ، والكتابة فى الخاف وهى : حجارة بيض رقاق ، والكتابة فى سعف النخل وهى : الجريد الذى لا خوص عليه ، ومن المسجد والكتاب ملأوا الدنيا علما وفنا واختراعا ، وبرهن طالب العلم المسلم على حماسة منقطعة النظير فى طلب العلم ، فذلل العقبات التى قامت فى طريقه ، وتغلب على الصعوبات التى اعترضته ، ولم يكن الطريق الى طلب العلم فى هذه العصور ممهدا ، ولا كانت الحياة ميسرة ، ولكن الطالب المؤمن لا يكترث بالشوك ، ولا يبالى بالمخاطر ، هذا أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : ((لو أعينى آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفسرها لى الا رجل ببرك الغماد — أقصى مكان فى اليمن — لرحلت اليه)) ، وهذا الامام الشافعى رحمه الله يتحدث عن حياته فى طلب العلم فيقول : كنت يتيما فى حجر أمى ، ولم يكن لى مال ، وكان المعلم يرضى من أمى أن أخلفه اذا قام .

فلما جمعت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث ، وكنت أكتب فى العظم فاذا كثر طرحته فى الجرة .

بهذه الروح الجادة ، وبهذه الرغبة القوية ، طلب أسلافنا العلم ، وأقبلوا عليه لا طلبا للمال ولا رغبة فى الجاه ، ولكن ارضاء لله واعلاء لدينه .

قالت صحف العالم

المؤتمر الاسلامى

يطبع هذا العدد ولا يزال المؤتمر الاسلامى الثالث المنعقد فى جدة يواصل اجتماعاته وفيما يلى نبذة عنه وعما سبقه من مؤتمرات اسلامية نقلا عن صحيفة الرأى العام الكويتية ..

المؤتمر الاسلامى الذى افتتحه جلالة الملك فيصل لوزراء خارجيـــة الدول الاسلامية هو المؤتمر الثالث للوزراء ، ويأتى انعقاده فى جدة للمرة الثانية بعد أن تعذر عقده فى أفغانستان لظروف خاصة ..

وكان المؤتمر الاول قد عقد فى جدة ، وعقد الثانى فى كراتشى وقد سبق جميع هذه المؤتمرات مؤتمر القمة الاسلامى الذى انعقد فى الرباط بالمغرب ما بين ٩ ـــ ١٣ رجب الماضى حيث تمت الموافقة على انشاء المراكز الثقافية الاسلامية وتأكيد التعاون بين الدول المشتركة ، حيث جاء فى ختام أعماله : ايمانا من رؤساء الدول والحكومات والممثلين للدول الاسلامية التى حضرت مؤتمر القمة الاسلامى الاول بأن الوحدة عقيدة اسلامية وهى عامل قوى للتقارب بين الشعوب وتفاهمها ولعملهم على صيانة القيم الاسلامية الروحية والاخلاقية والاجتماعية والاقتصادية التى تبقى أحد العوامل الجوهرية لتحقيق التقدم ، وتعبيرا عن ايمانهم الراسخ بتعاليم الاسلام التى أقرت قاعدة المساواة التامة فى الحقوق بين جميع البشر ، وتأكيدا لالتزامهم بميثاق الأمم المتحدة بالحقوق الأساسية للانسان التى يربط ذاتها وأهدافها أساس مبنى للتعاون المثمر بين الشعوب ، وحرصا منهم على توثيق الروابط الأخوية والروحية التى تجمع بين شعوبهم ، وحفاظا على حريتها وتراث حضارتها المشتركة القائمة بصورة خاصة على مبادىء العدل والتسامح ، ونبذ التفرقة العنصرية ، وحرصا على توفير الرفاهية وتحقيق التقـــدم وتأكيد الحرية فى كافة أنحاء العالم ، وعزما على توحيد جهودهم لصيانة السلام والأمن الدولى ، لهذا كله يعلنون ما يلى :

ستتشاور حكوماتهم بغية التعاون الوثيق والمساعدة المتبادلة فى الميادين الاقتصادية والعلمية والثقافية الروحية وهى من تعاليم الاسلام الخالدة ، وتعلن التزامها بتسوية المشكلات التى قد تنشأ فيما بينها سلميا مما يؤكد مساهمتها فى تكريس السلام والأمن الدولى طبقا للأهداف ومبادىء الأمم المتحدة .

وقد عقد المؤتمر الأول لوزراء خارجية الدول الاسلامية فى جدة يوم ١٥ محرم ٩٠ هـ/٢٥ مارس ٧٠ م حيث اشتركت فيه ٢٢ دولة اسلامية ووفود من الجامعة العربية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية وأقر فى هذا المؤتمر انشاء الأمانة العامة وجعل مقرها فى جدة ، كما أكد المجتمعون حقوق الشعب الفلسطينى ، ودعوا الى جعل حرق المسجد الأقصى هو يوم تضامن اسلامى .

ثم عقد المؤتمر الثانى فى كراتشى من ٢٦ ـــ ٢٨ ديسمبر واشتركت فيه ٢٣ دولة ، وقد دخلت مالى وتشاد كأعضاء فى هذا المؤتمر بينما تخلت السودان عـــن

المشاركة الحقيقية ، والكاميرون عن المراقبة ، وأكد المجتمعون فى هـــذا المؤتمر ما سبق وأعلن من القرارات فى المؤتمر السابق ، كما أدان العدوان البرتغالى على دولة غينيا ، وعهد الى مصر بالقيام بدراسات حول انشاء بنك انمائى اسلامى، وكذلك موافقة مبدئية على انشاء وكالة أنباء اسلامية دولية ، ولهـــذا الغرض ـــ الوكالة ـــ عقد مؤتمر فى طهران بدعوة من الحكومة الايرانية حيث تمت مناقشة المشروع من جميع نواحيه .

أما المؤتمر الثالث الذى جرى افتتاحه أمس كما أشرنا فى بداية مقالنا فيبدو أنه أهم المؤتمرات الاسلامية نظرا لكثرة الدول المشتركة وحرصها على اشراك الوزراء فى وفودها ، كما أن جدول أعمال المؤتمر يعالج ما تم اقراره أو اقتراحه خلال المؤتمرات السابقة ، وقد اتخذت الحكومة السعودية استعدادات كبيـــرة على طريق انجاح هذا المؤتمر كان من أهمها انشاء عدة لجان فى وزارة الخارجية السعودية .

أما الدول المشتركة فهى أفغانستان ، الجزائر ، مصر ، تشاد ، غينيا ، أندونيسيا ، ايران ، الاردن ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، ماليزيا ، مالى ، موريتانيا ، المغرب ، النيجر ، باكستان ، الصومال ، تونس ، السنغال ، اليمن ، تركيا ، الكاميرون ، البحرين ، عمان ، قطر ، الامارات العربية ، السودان ، سيراليون ، ووفد منظمة التحرير الفلسطينية والجامعة العربية ..

وتعتبر دول البحرين ، الكميرون ، عمان ، قطر ، الامارات العـــربية ، السودان ، سيراليون ، دولا جديدة تشترك لأول مرة فى المؤتمر الاسلامى .

وتأتى أهمية هذا المؤتمر بسبب الظروف الدولية والخاصة التى تحيط ببعض الدول كقضية فلسطين ، ومسلمى الفلبين وأنقسام الباكستان ، واستمرار احتلال اسرائيل لأجزاء من الدول العربية الاسلامية .

كما أن جدول أعماله يتضمن عدة نقاط أهمها :

١ ـــ اقرار ميثاق المؤتمر حيث درس هذا الميثاق فى مؤتمر جدة وتم بحثه من قبل الحكومات المشتركة ، وتم تقديم التوصيات اللازمة ..

٢ ـــ اقرار الميزانية العامة وحث الدول المشتركة على دفع بدل عضويتها ، وجدير بالذكر أن بدل العضوية هو عشرة آلاف دولار ..

٣ ـــ تنظيم الجمعيات والمراكز الثقافية الاسلامية ، وقد نوقش هذا فى مؤتمر القمة بالرباط وأقر مبدئيا وهو يسعى الى توعية المسلمين فى البلاد التى تحكمها أقلية غير مسلمة ..

٤ ـــ انشاء وكالة دولية اسلامية للأنباء ـــ وقد نوقش هذا البند من قبل مؤتمر طهران وأرسلت التوصيات الخاصة بذلك الى الامين العـــــام للمؤتمر الاسلامى ..

٥ ـــ اقرار البنك الانمائى الاسلامى ، وقد نوقش فى المؤتمر المعقود مؤخرا فى القاهرة وحضرته وفود ١٨ دولة اسلامية وحققت مصر دراسات شاملة ويبدو أن جمهورية مصر العربية متحمسة للمشروع وتحبذ أن يكون مقره فى القاهرة ، ويستدل على ذلك من رئاسة السيد حسن التهامى مستشار رئيس الجمهورية للوفد المصرى ، وخبير اقتصـــــادى وأخيرا وليس آخرا أن أمنيـــات كثيرة معقودة على المؤتمر وسيكون الحكم على نجاحه من قراراته العملية التى سيتخذها ازاء الأحداث الراهنة .

الميثاق الالهى

يقول الله سبحانه : ((واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا .)) كيف أخذ الله الميثاق من بنى آدم قبل أن يخلقوا ، وكيف أشهدهم على أنفسهم قبـــل أن يوجدوا ، وكيف خاطبهم بقوله ألست بربكم ، وكيف أجابوا بقولهم بلى شـــهدنا ..

عيسى النعمان ـــ صنعاء

الله سبحانه ليس كمثله شيء ، وما دام الأمر كذلك فلا سبيل الى تشبيه فعله بفعل أى شيء ، والادراك البشرى لا يملك أن يدرك كيفيات فعل الله ، لأنه لا يملك أن يدرك ذات الله ، وكل محاولة لتصور كيفيات أفعال الله على مثال أفعال خلقه هى محاولة بعيدة عن الصواب ، فكيفية أخذ الله سبحانه الميثاق من ذرية بنى آدم المكنونـــة فى عالم الغيب غيب لا يمكن للعقل البشرى الوصول اليه وكل فعل ينسب لله سبحانه مثل الذى يحكيه قوله : **((ثم استوى الى السماء وهى دخان)) و ((ثم استوى على العرش)) و ((يمحو الله ما يشاء ويثبت)) و ((والسموات مطويات بيمينه)) و ((جاء ربك والملك صفا صفاً)) و ((ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم))** كل فعل من هذا القبيل لا بد من التسليم بوقوعه دون محاولة لادراك كيفيته .

وبعض المفسرين يرى أن الميثاق الذى أخذه الله على ذرية آدم هو ميثاق الفطرة ، ويقصد به أنه سبحانه وتعالى خلقهم مفطورين على الاقرار له بالربوبية والوحدانية ، وان التوحيد مركوز فى فطرهم لا يميلون عنه الا تحت تأثير عوامل خارجية ضالة مضللة ، وعزز هـــذا الفريق هذا التفسير بأحاديث تؤيد تأويله . منها ما رواه أبو هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **((كل مولود يولد على الفطرة ـــ وفى رواية على هذه الملة ـــ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)) .**

وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله :
((انى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم)) ..

.. ..

القضاء والقـــدر

أسئلة كثيرة وردت للمجلة حول الجبر والاختيار وهل الانسان مسير أم مخير ، وقد عالجت المجلة هذا الموضوع بافاضة فى أعداد سابقة ، وقد وجه هذا السؤال الى الشيخ محمد الغزالى ، فأجاب عليه اجابة ساخرة من الجهلة المكثرين من ترداد هذا السؤال المتعللين لكسلهم وقصورهم بالقاء اللوم علـــى الأقدار ، قال :

سألنى سائل : هل الانسان مسير أم مخير ؟ فنظرت اليه فى ضيق شديد ، وقررت أن ألتوى معه فى الاجابة ، كما التوى هو مع فطرته فى هـــذا التساؤل ، وقلت له : الانسان نوعان : نوع يعيش فى الشرق ، ونوع يعيش فى الغرب ، والأول مسير والثانى مخير .. ففغر الرجل فاه عن ابتسامة هى بالضبط نصف تثاؤب الكسالى والعجزة والثرثارين الذين ينتشرون فى بلادنا ..

ثم قال : ما هذا الكلام ؟ اننى أسألك : هل للانسان ارادة حرة وقدرة مستقلة يفعل بهما ما يشاء ويترك ما يشاء ، أم هو مجبور ؟

فقلت له : إن القوم فى الغرب شعروا بأن لهم عقولا ، ففكروا بها حتى كشفوا المساتير من بدائع الكون ، وشعروا بأن لهم إرادة حرة فصمموا بها حتى التقت فى أيديهم مصاير الأمم ، وشعروا بأن لهم قدرة فجابوا المشارق والمغارب ، وصنعوا العجائب والروائع ..

أما نحن فهذا رجل من ألوف الألوف التى تزحم البلاد يأتى ليستفتى :
أله حقا عقل حر يستطيع أن يفكر به ؟
أله ارادة يستطيع أن يعزم بها ؟
أله قوة يستطيع أن يتحرك بها ؟

الرجل فى الغرب ألقى به فى تيار الحيلة فعلم أن له أعضاء يستطيع أن يعوم بها ، فظل يسبح مع التيار تارة وضده تارة أخرى حتى وصل الى الشاطىء .

أما هنا فلما ألقى بالرجل فى معترك الامواج بدأ يسائل نفسه : هل أنا حر حقا أم أنا جثة هامـــدة .. هل أنا حر أم أعضائى مقيدة .

ولكن التيار الجارف لا ينتظر نتائج هذه السفسطة ، فلا يلبث أن يطويه اليم مع الهالكين ..

اعمل أيها الرجل ، ولا تقل : هل أنا مسير أم مخير ؟

واستغل المواهب التى آتاك الله ، واشعر بان لك فى الحياة حقوقا وعليك واجبـــــات .

اعداد الاستاذ عبد المعطى بيومى

الكويت : افتتح حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم المبنى المركزى للمواصلات السلكيـــــــة واللاسلكية ، ومحطة الاستقبال والارسال ومعهد التدريب للمواصلات .

● رأس معالى وزير الخارجية والاعلام بالوكالة وفد الكويت الى مؤتمر وزراء خارجية الـــدول الاسلامية الذى عقد فى السعودية فى الشهر الماضى .

● صرح معاليه بأن الكويت تستنكر الاعتداء الاسرائيلى على جنوب لبنان ، وأنها تؤكد مجددا وقوفها الى جانب لبنان الشقيق وتشجب هذا الاعتداء .

● صرح الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بأنه انطلاقا مــن الخطة التى رسمتها الوزارة لتحقيق أهدافها فى نشر الدعوة الاسلامية ، وتوثيق الروابط الاخوية بين المسلمين فى جميع أنحاء العالم .. فقد زادت اتصالاتها مع أبناء الجاليات الاسلامية ، والمراكـــز والجمعيات الاسلامية ، واتحادات الطلبة المسلمين فى مختلف القارات ، وخاصة فى اوربا والامريكتين واستراليا .. واستطاعت من خلال هذه الاتصالات أن تقف على أحوالهم وتدرس مشكلاتهم ، وتزيد من أواصر الاخوة الاسلامية بينهم وبين اخوانهم فى الكويت .

● عممت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية على جميع الوزارات والمؤسسات الرسمية قرار مجلس الوزراء بالتبرع لصندوق المعونة الطبية بالنسبة لغير الكويتيين على أن لا تقل قيمة التبرع عــن مئة فلس ، وتترك الحرية لمن يريد زيادة نسبة التبرع ..

● زار الكويت فى الشهر الماضى وفد اسلامى من سيراليون يمثل منظمة الشـــبان المسلمين الثقافية فى سيراليون ، ويهدف الوفد الى توطيد العلاقة بين مسلمى سيراليون والكويتيين .

● يعقد خلال هذا الشهر مؤتمر المناهج التعليمية بوزارة التربية ، وقد تأجل عن موعده السابق الذى كان مقررا فى الشهر الماضى بناء على رغبة بعض الهيآت والجمعيات الشعبية المشتركة فــى المؤتمر .

مصـــــر : نفى فضيلة شيخ الأزهر أن الأزهر وافق على تمثيل فيلم محمد رسول الله .

● يعقد فى شهر ربيع الثانى القادم (مايو) المؤتمر السابع لعلماء المسلمين ، وصرح الدكتور بيصار الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بأن المؤتمر تلقى عددا من البحوث الدينية التى تناقش القضايا المعاصرة لمناقشتها فى المؤتمر .

● عقد فى الشهر الماضى مؤتمر الانماء الاسلامى حيث وضعت خطة البنك الاسلامى عـــلى الأسس المصرفية الحديثة القائمة على الشريعة الاسلامية ، وينتظر لهذا البنك النجاح الكبير فـــى الدول الاسلامية .

● قام فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة مفتى مصر بزيارة الى ليبيا حيث بحثا مع المسئولين الليبيين بعض الترتيبات التى تتعلق بالشريعة الاسلامية كمصدر رئيسى للقوانين الليبية .

● استقبل الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف زميله وزير الأوقاف فى فولتا العليا ، وقد اتفق الوزيران على تدعيم الدعوة الاسلامية والتعليم الدينى فى فولتا العليا .

السعودية : أعلن السيد حسن التهامى مستشار الرئيس السادات وهو فى السعودية أن جميع القوى العالمية بلا استثناء تجتمع اليوم ضد المسلمين لتقويض صرح الاسلام ، وأن هزيمة ٦٧ كانت نتيجة طبيعية للزيغ العقائدى الذى اجتاح عالمنا العربى عشرين سنة .

● عقد فى الشهر الماضى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، وكان فى مقدمة الموضوعات التى ناقشها المؤتمر فكرة البنك الاسلامى لتدعيم التضامن الاسلامى .

● اتخذت اللجنة المشكلة من عدة جهات مسئولة توصيات بالمحافظة على الذات الاسلامى فى المنطقة الغربية .

● يعقد المؤتمر الاسلامى القادم فى كابل فى مايو سنة ١٩٧٣ .

● استنكرت رابطة العالم الاسلامى المجازر الوحشية التى ترتكبها القوات الهندية وقوات مايسى ببنجالادش بالبيهاريين المسلمين فى باكستان الشرقية .

سوريا : تبرعت سوريا بمبلغ ١٥٠ ألف ليرة سورية للمساهمة فى بناء معهد اسلامى فى امريكا

دبى : تأسس فى دبى صندوق لجمع التبرعات للدفاع عن باكستان ، وسترسل التبرعات فورا الى كراتشى .

الجمهورية العربية اليمنية : شكر رئيس وزراء اليمن الدول العربية على مساعدتها فى حقل التعليم ، وأكد أن التعليم هو الطريق للخروج من التخلف والانتصار على التحديات .

● طلب رئيس الوزراء من برنامج الغذاء العالمى المساهمة فى اعمار المناطق المنكوبة بالحرب الأهلية ، وتقدر مساعدة البرنامج الحالية بحوالى ١٠ ملايين دولار .

ليبيا : صرح العقيد معمر القذافى (أثناء زيارته لموريتانيا الاسلامية) أن الخمر واستعمال اللغة الأجنبية محظوران فى ليبيا ، وأن البلاد سائرة الى تطبيق اسلامى مخلص .

تونس : صدر بيان تونسى سعودى يقول انه لن يكون سلام فى المنطقة العربية الا بانسحاب اسرائيل من الارض العربية المحتلة ، وأكد البلدان دعمهما للأشقاء العرب وعزمهما على توسيع الروابط الثقافية والعلمية والتجارية بين البلدين .

● صدرت باللغة العربية صحيفة النصر ، وكانت تصدر بالفرنسية ، وسوف يتم تعريب صحيفتين أخريين عما قريب وهما صحيفتا المجاهد والاريبوبليك فى نطاق خطة التعريب للبلاد .

المغرب : قرر المؤتمر الاسلامى الأول لتنظيم الاسرة الذى عقد فى أواخر العام الماضى أن تنظيم النسل مباح ومسموح به بخلاف الاجهاض والتعقيم .

باكستان : اجتمع الرئيس الباكستانى ذو الفقار على بوتو بانديرا غاندى ومجيب الرحمن فى دلهى الشهر الماضى .

● أبلغ ناطق رسمى مؤتمرا صحفيا فى لاهور أن الرئيس بوتو يعتقد ان الكلمة الاخيرة فى باكستان لم تقل بعد وانه مازال يعتقد بامكان نوع من الصلة بين شطرى باكستان .

● أبلغ وزير الاعلام الباكستانى رؤساء تحرير الصحف الباكستانية بالغاء الرقابة على الصحف والمنشورات .

ماليزيا : صرح رئيس الوزراء ووزير الداخلية ان ماليزيا قد اتخذت كافة الاجراءات للقضاء على الخطر الشيوعى كما قال ان ٤٨ ارهابيا شيوعيا قد تم قتلهم فى العام الماضى .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار — ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر — ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة — ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب — ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الجديثة — السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات — ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع — ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية — ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات — ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى — ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية — ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — ص.ب ١٧١٩ .

الدوحــة : سالم الانصارى — الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

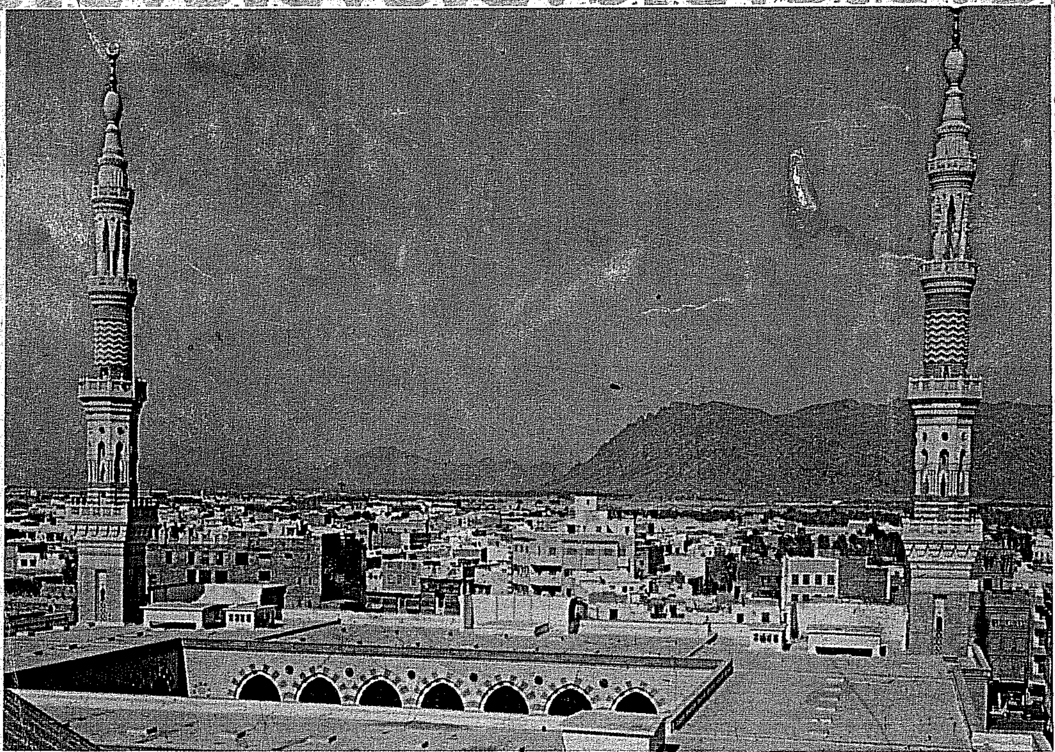
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة — ٨٧ — غرة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ — ١٥ — ابريل (نيسان) ١٩٧٢ م

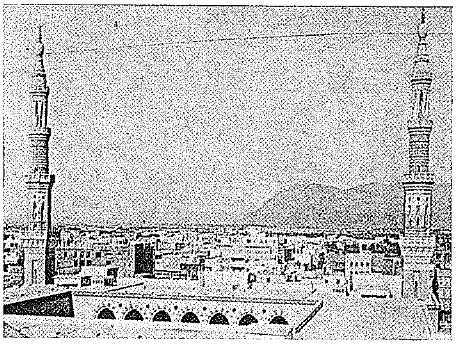


عدد خاص بمناسبة المولد النبوى الشريف



بعض أعضاء وفد المركز الاسلامى بلندن أثناء زيارتهم للكويت ...

١ لصفار



المسجد النبوى الشريف وتبـــدو فى الصورة المنارتـــان السامقتان ومن خلفهما بعض جبال المدينة والأبنية الحديثة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السـنة الثـامنة

العدد السابع والثمانون

غرة ربيع الأول ١٣٩٢ هـ

١٥ ابريل (نيسان) ١٩٧٢

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غرة كل شـهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمن

الكـــويت	٥٠ فلسا
السـعودية	١ ريال
العـراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعـدن	٧٥ فلسا
لبنان وسـوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار
فى الخـارج ٢ دينـاران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشـتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسـلات

مدير ادارة الدعوة والارشـاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسـلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

أحاديث يجب تصحيح فهمها

لعل خير ما يقدم للقراء فى ذكرى مولد رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ـ تجلية معانى بعض أحاديثه الشريفة التى اشتبهت مفاهيمها على بعض الناس ، فبعدوا عن مراميها ، وفسروها على غير وجهها . أما لعدم احاطتهم بالأحداث والملابسات التى تلقى الضوء على المقصود بها ، وأما لعزلها عن مرماها ، وتحدد مسارها مما جاء به الوحى الالهى والهدى النبوى .

ولو ان هؤلاء المحدثين المفسرين ممن لا يستمع لقولهم ، ولا يؤخذ عنهم ولا يوثق فيهم لهان الخطب ، ولكنهم ممن تقبل أيديهم ، ويتحلق العامة حولهم وتتلقى أقوالهم بالقبول والرضا دون مناقشة ولا تردد .

ولو لم يكن لهذا الشطط فى التفسير أثر بعيد فى سلوك العامة ـ وما أكثرهم ـ أضر بهم وبأمتهم فى دينهم ودنياهم ـ لما احتاج الأمر الى هذا الاهتمام والتنبيه .

ونختار من هذه الأحاديث نماذج من أبواب العفو والزهد والفتن . نلفت النظر اليها ، وندعو الى التركيز عليها وتصحيح مفاهيمها فى أذهان من غرر بهم ـ عن قصد أو غير قصد ـ فاستمرءوا الذنب والتوبة طمعا فى المغفرة ، أو رضوا بالدون من الحياة اعتمادا على أن ما خف حمله خف حسابه ، أو جبنوا عن الجهر بالحق والجهاد فى سبيله ايمانا بالعزلة وخطأ فى تصور (عليكم أنفسكم) .

١ ـ أحاديث العفو :

وردت أحاديث كثيرة تنبىء عن سعة رحمة الله ، وتدل على واسع مغفرته وواسع عفوه ، وأنه ـ سبحانه ـ يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، وان هذا الفضل الالهى العظيم متاح للانسان ما لم يغرغر ، ومتاح للناسى جميعا فى طول الدنيا وعرضها ، وعلى اختلاف اجيالها وممر عصورها حتى تطلع الشمس من مغربها ، ويأذن الله

للحياة على ظهر الارض بالأفـــول والانقطاع .

وهذا الكرم الالهى الكبير الـــذى تشير اليه هذه الأحـــاديث تسانده الآيات القرآنية فى وضوح وجلاء ، وبهذا أصبح عقيدة راسخة فى قلوب المؤمنين ، فالله سبحانه غافر الذنب وقابل التوب ورحمته وسعت كـــل شىء ، ولا يتعاظمه شىء ، ولا حرج على فضل الله ، ولو أن الخـــلق جميعا أطاعوه ما زاد ذلك فى ملكه شىء ، ولو أنهم جميعا عصوه ما نقص ذلك من ملكه شىء ، ولو أن الانسان أتى ربه بقراب الارض خطايا ثم لقيه مؤمنا تائبا لأتاه بقرابها مغفرة .

ومن أحاديث العفو هذه قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال :

« اذنب عبد ، فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال الله عز وجل : أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفـــر الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال : أى رب أغفر لى ذنبى ، فقال الله تعالى : اذنب عبدى ذنبا ، وعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب ، فقال : يارب اغفر لى فقال الله تعالى : أذنب عبدى ، فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . أعمل ماشئت فقد غفرت لك) .

ليس المقصود من هـــذا الحديث قطعا ــ تيسير المعصية ، ولا الاغراء بالخطيئة ، ولا التهوين مـــن شأن الجريمة ولا الغاء قانون الجـــزاء والعمل ، فان الله سبحانه لا يأمـــر بالفحشاء ، ولا يظـــلم الناس مثقال ذرة : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » و « كل امرىء بما كسب رهين » .

والحديث يشير الى نوع خاص من المؤمنين الذين يلمون بالمعصيـــة ، فيخجلون فورا من سقطتهم ويلتمسون فورا من الله أن يقيلهم من عثرتهم ، ويحسون بالضيق الشديد عندما تزل أقدامهم ، فيسرعون الى الله بالانابة والمتاب ، فدائرة عفو اللـــه تحتضن أولئك الـــذين أخلدوا الى الأرض فى لحظة نسيان أو جهالة ، وطبيعـــة الانسان الذى يمتزج فيهـــا الخيـــر والشر ، ويلتقى فى ساحتها الملـــك والشيطان تسمح بهـــذه الهفوات والزلات ، والايمان لا يقتضى العصمة (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الأرض) .

ولا بد من أن ينزع المرء مرة
الى الحمأ المسنون ضربة لازب

ففهم هذا الحديث ، ونقل هـــذا الفهم للناس علـــى أنه استهانة بالمخالفات واستباحة للمحرمات ، فهم معوج لا يتفق مع الايات والأحاديث التى تشيع الرهبة من الذنوب والآثام « ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هـــو نـــزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، وهو الران الذى قال الله فيه : « كلا بـــل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كـــلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم أنهم لصالوا الجحيم » .

ان استمالة العامة بهـــذه الشروح

المبتوتة الصلة بمسئولية الانسان عن كل ما يصدر منه كما هو قانون العدل الالهى — تجعلهم لا يأخذون الدين والتكاليف مأخذ الجد ، فيقصرون فى الواجبات ، ويتهاونون فى الحقوق اعتمادا على أمانى خادعة كاذبة : ((ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)) .

٢ — أحاديث الزهـد :

وفى مقام تذكير الذين شغلتهم الدنيا عن القيام بالواجبات والنهوض بالمسئوليات ، وردت أحاديث صحيحة كثيرة فى التزهيد فيها والعزوف عن شهواتها ومتعها ، وقد شرحها غير الفاهمين لطبيعة الاسلام ، وغير العارفين برسالة هذه الامة شرحا يعزل المسلمين عن الحياة ، ويأسرهم فى المساجد ، وينفرهم من العمل حتى يدعوا ميادين الرقى والتطور لمخالفيهم فى الدين ، ومن هذه الاحاديث التى ظلمها هؤلاء ما رواه مسلم عن جابر ابن عبد الله : ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق داخلا من باب العالية ، والناس كنفية فمر بجدى أسك (صغير الأذنين أو مقطوعها) ميت ، فتناوله ، فأخذ بأذنه ، ثم قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا كان عيبا فيه لانه أسك ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)) .

ان هذا الحديث وغيره مما ورد فى هذا الباب لا يقصد به التزهيد فى عمارة الارض ولا تجميد الفكر الاسلامى عن استكناه أسرار الكون ، ولا تقييد تحرك المسلم عن التسابق والتنافس فى تحصيل الغنى والاستمتاع بطيبات ما أحل الله من الرزق ، والامساك بزمام الحضارة .

ان من الأحاديث النبوية أحاديث أدوية وأشفية ، ولكل داء دواء ، ولكل مرض طب وعلاج وما يصلح من الدواء لمرض لا يصلح الآخر ، والأمراض الخلقية والاجتماعية بمثابة الأمراض العضوية ، فلا يقال للبخيل أمسك عليك مالك ، كما لا يقال للعائل المعدم أد الزكاة ، ولا يقال للمترف أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ، كما لا يحذر المسكين من الترف والبذخ .

ان الذين يفسرون هذه الاحاديث على أنها تناول الجاف من الطعام ولبس الخشن من الثياب ، والرضا بالفقر والمسغبة ، بعيدون كل البعد عن المنهج الذى رسمه الاسلام للحياة وقد أصاب المسلمين من هذا الفهم الخاطىء ضرر كبير .

ان الزهد فى الدنيا ليس دعوة الى الراحة والفراغ من العمل الدنيوى الجاد ، بل هو دعوة صريحة الى اقتحام الاهوال وركوب المخاطر ، والتعرض للحتوف والتضحية فى سبيل الله لأن الدنيا أهون من أن يتشبث بها مسلم تشبثا يفقده كرامته أو يخل بمرؤته أو يقعده عن خدمة دينه وأمته .

٣ ــ أحاديث الفتن :

ومن الاحاديث التى أسىء فهمها ، وتأولها نفر من الناس على غير وجهها الحق الاحاديث التى وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتن ، ومنها هذا الحديث الذى رواه مسلم عن أبى بكرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون فتن ألا ثم تكون فتن ، : القاعد فيها خير من الماشى فيها ، والماشى فيها خير من الساعى اليها ، ألا فاذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له ابل فليلحق بابله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه » ..

قال ، فقال رجل : يا رسول الله : أرأيت من لم تكن له ابل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : يعمد الى سيفه ، فيدق على حده بحجر ، ثم لينج أن استطاع النجاء .. اللهم هل بلغت .. اللهم هل بلغت .. اللهم هل بلغت » .

ان المعنى الذى ينبغى أن يحمل عليه هذا الحديث هو حصر الفتنة المسلحة التى تقع بين المسلمين فى نطاق ضيق حتى يمكن أخمادها والقضاء عليها لأن الاشتراك فيها يؤدى الى امتداد شرارها واتساع نطاقها ، وفى هذا تمزيق لشمل الأمة واصابة أهل الحق بأضرار جسيمة وعندئذ يمكن لأعداء المسلمين القضاء عليهم ، فى يسر وسهولة ، وقد تعرضت الأمة الاسلامية فى عصور التاريخ المختلفة لمثل هذه الأزمات ، وأصابها من نيران فتن التقاتل على الحكم والسلطان ما جعلها مغنما لأعدائها .

وليس فى هذا الحديث دعوة للاستسلام للشر ، ولا للنكوص عن الجهاد ، ولا للسكوت عن الظالم كما يرى بعض المتأولين .

ان الذين يدعون الى العزلة عن المشاركة فى الحياة العامة ،ويروجون للسكوت عن المنكرات بدعوى فساد الزمان ، ويحرضون على الانسحاب من المعركة المستمرة بين الحق والباطل استنادا الى التأويل المعوج والفهم الخاطىء لسنة رسول الله ــ هؤلاء ليسوا أعلم بشرح الأحاديث وفهمها من سفيان الثورى وسعيد ابن المسيب والامام أحمد وابن تيمية والعز بن عبد السلام وغيرهم ممن تصدوا للظالمين ينكرون عليهم ، ويصرخون فى وجوههم ، وينقذون الناس من عسفهم وبغيهم .

وليست هذه هى كل الأحاديث التى يخبط بعض الناس فيها على غير هدى وبصيرة ، بل هناك غيرها كالأحاديث الواردة فى التوكل والأحاديث المروية فى القدر ، وكم جر سوء الفهم على المسلمين من تأخر وتواكل وذل واستسلام استغله أعداء الاسلام فنشطوا وتقدموا ، واحتلوا وتمكنوا .. على الذين يتصدرون لتربية الأمة أن يكونوا أهلا لتحمل هذه المسئولية علما وفقها والله ولى التوفيق .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى

في ذكرى المولد النبوي

خاتم النبيين

هداية الدين لاغنى عنها للناس مهما بلغوا من الرقى والتقدم فى مدارج الحياة ، وقد تفضل الله تعالى على خلقه تفضل المنعم الكريم بنعم لا سبيل الى احصائها وتبيان وجوه الخير فيها ، وفى ذروتها أنه أرسل اليهم من صفوة خلقه رسلا مبشرين ومنذرين يدعونهم الى الله ويهدونهم الى صراطه المستقيم الذى يظفر من سار فيه بخيرى الدنيا والآخرة .

ومحمد عبد الله ورسوله هو خاتم النبيين ، وقد اصطفاه الله من الأمة العربية هاديا من ضلالة ، ومنقذا من جهالة ، ومخرجا من ظلمة الى نور ، ومن باطل الى حق ، ومن شقاء الى سعادة ، ومن حيرة وقلق الى سكينة واطمئنان .

ولا ريب أن اختياره عليه السلام من العرب مع اختيارهم جندا له وحملة لرسالته ، انما هو فضل لهم لا يجحده الا جاحد وان جهلناه نحن الأخلاف الذين ورثوا عن أسلافهم أكرم تراث فأساءوا فيما ورثوا الصنيع . والشرف الرفيع حين تتداوله أيدى الجهالات والضلالات ، يوشك أن يضيع ، ليكون به الذين ضاعوا وأضاعوا سبة للأولين ومعتبرا للآخرين .

فأما أن الله تعالى قد اختار محمدا خاتما للنبوات ومتمما للرسالات فذلك حيث يقول « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم

للشيخ أحمد حسن الباقورى

والمرسلين

النبيين » ، « وأنزلنا اليـــك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ، وأما أنه ــ سبحانه ــ قد اختار العرب لشرف الرسالة الاسلامية الخاتمة ، يحملونها الــى العالمين فذلك قوله « لقد أنزلنا اليــكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون » ، وقوله خطابا له عليه السلام « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك علــى صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » ، فالذكر الشرف الــذى سوف تسأل عنه الأمة العربية يــوم القيامة ، وعن قيامها بحقه ، وعــن تعظيمها للرسالة التى نيطت بها ، وعن شكرها ربها على أن رزقها اياه وخصها به بين العالمين .

وليس ينبغى لمنصف أن يسارع الى الحكم على هذا القول بأنه اتجاه قومى يتعصب للعروبة ويعتز بالعــرب فى حين أن الناس أحوج ما كانوا الــى اطراح النعرات القوميـــــة واعتناق المعانى البعيدة عن الاعتزاز بالأجناس والعروق ، وفى حين أن الناس أيضا يعلمون ــ أو ينبغى أن يعلموا ــ أن الاسلام دين لا يضيـــق بشىء كمـــا يضيق بالدعوات العنصرية ولا يدعو الى شىء كما يدعو الى اعتناق المعنى الانسانى الشامل الذى تختفى فيــه معالم العصبيــات لأنها فى اعتباره ضلال عن سواء السبيل . وذلك أن هناك فرقا بين العصبيـــــة التى هى طغيان واستطالة على الناس ، وبين

العصبية التى هى اعتزاز بفضائل القوم ، تمتهد بها السبل الى اقامة معالم العدل والحق والخير بين الناس . ومصداق ذلك ما يقوله رسول الله لسائل سأله عن العصبية ما هى ؟ فقال له النبى « العصبية أن تعين قومك على الظلم وأن تنصر أخاك ظالما ومظلوما » ، فاذا خلت العصبية عن هذه الحدود الفاصلة بين الخير والشر والنفع والضر ، فانها عندئذ تصبح عصبية حميدة يدعى اليها ويعتز بها ويحرص عليها على ما يقول النبى نفسه « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم » .

قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام استقبلت الانسانية وليدا مبارك الثمرات ميمون الغدوات والروحات ، لم يكن أحد يظن ، لا من بيته ولا من قبيلته ، ولا من أمته ولا من المجاورين لأمته من أصحاب الحضارات العظيمة أن سيكون له شأن ، وأنه سوف يكون أماما للقومية فى مثلها العليا ، ورسولا للانسانية كلها فى قدوتها الحسنى .

ذلك هو محمد بن عبد الله النبى العربى رسول رب العالمين الى جميع خلقه من عرب وعجم ، ومن بيض وسود ، ومن سادة ومستعبدين ، وهو — مع كونه نبيا عربيا مبينا ورسولا من لدن رب العالمين الى جميع خلقه — كان راضيا بعروبته معتزا بها ، يحمد الله لأنه ولد يوم أعز الله العرب ونصرهم على متربصين بهم طاغين على حوزتهم وقد استباحوا ما استباحوا من جوارهم ، فكان صلوات الله عليه يحب قومه ، ولا يحب أحد يبغض قومه ، فلا يكره العرب الا منافق ، ولا يكون مخلصا فى عقيدته من لا يخلص فى رعايتهم وعرفان حقهم ، فيقول لصفيه ومشيره سلمان رضى الله عنه : يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك ، فيقول له : وكيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ فيقول له النبى تبغض العرب فتبغضنى .

كان محمد يحب قومه ، ويحب أن يحب الناس قومه ، وهذا غاية ما تبلغه النفس من القومية فى شعورها وعاطفتها ، وكان حبه هذا هو الحب الذى يعمل ولا يقنع بأن يشعر وينطوى على شعوره ثم يستطيل على الناس فى ظل من هذا الشعور بغير عمل ، أو يعمل يناقض الاعتزاز الكريم فهذا الحب هو الذى جمع شمل العرب وألف بين قلوبهم وأخرج من شتات قبائلهم أمة مهيبة عزيزة الجانب رحيبة آفاق الفكر ، تتلقى عنها الأمم ذوات الحضارات العريقة رسالة الهداية باسم الله رب العرب والعجم والترك والروم ، رب العالمين ، رب المشارق والمغارب ، فلا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود ولا لقرشى على حبشى الا بالتقوى ..

تلك هى المعجزة الالهية لمن يشاء أن يتدبر المعجزات فى حياة محمد رسول الله ، وهى أن تجىء دعوة الأمم الى المساواة ، والى فضل العمل ، والى كرامة القومية فى غير مساءة الى أحد ، من ناشىء بين قوم بلغوا بالعصبية غايتها من الانفة لها والاعتداد بها والغيرة عليها .

ولو أنه صلى الله عليه نشأ فى غير العرب ، فى غير هذه الأمة التى لا ترى سوى القبيلة ، وفى غير هذا الجيل من الأعزاء المتكبرين باللغة وبالسلف وبالمنعة ، لكانت رسالته بالمساواة بين آدم وحواء رسالة من معدنها لا تستغرب من صاحبها ولا من

قومه ، ولكن محمدا كان فى الذروة من فخار النسب ، وكان نسبه العريق ملتقى الأنساب بين أقوى الأقوياء وأغلب الغلاب وأشرف البيوتات ، يجتمع معه فى مضر قبائل قيس كلها ، ويجتمع معه فى نزار قبائل بكر وتغلب ، ويجتمع معه فى عدنان من لم يجتمع من هؤلاء وهم جميعا فى الصفوة من ذوى العصبية الأعزاء فاذا كان فى مكة فهو فى بلد الكعبة التى كان يهدى اليها العرب أعز ما يملكون وأنفس ما يقتنون ، والتى أهدى اليها كسرى ـ فيما يذكر الامام السهيلى ـ الغزالين من الذهب اللذين كشف عنهما حفر عبد المطلب بئر زمزم ، واذا كان عليه السلام فى قريش فهو فى بنى عبد مناف ، واذا كان فى بنى عبد مناف فهو فى بنى هاشم ، واذا كان فى بنى هاشم فهو ابن عبد المطلب ، خلاصة من خلاصة من خلاصة ، كما يقول الأثر الشريف « ان الله اصطفى من بنى اسماعيل كنانة ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى بنى هاشم من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

ان محمدا أكبر من أن تجلى كرائم صفاته كلمات ، كما أن دعوته أجل وأعظم من أن تشرح مقاصدها وأهدافها أقلام عجلى فى يد أذهان مجهودة تكتب الى قراء رهقتهم تكاليف الحياة ، وأحاطت بهم خبائث الدعايات الكواذب التى تعوق عن التأمل الصحيح والاستيعاب الواعى لفضائل المذاهب الاصلاحية والقائمين عليها وفضائح المذاهب الهدامة والمتعصبين لها .

والذين يطيب لهم أن ينتفعوا بالحديث عنه صلوات الله عليه لا بد أن يستقوا حديثهم من منابع القرآن العظيم ، لكى يتهيأ لهم الربط الوثيق بين المنهاج وبين القدوة فى هذا المنهاج ، لأن القرآن مع كونه منهاجا اصلاحيا كاملا لم يبلغ غايته ، ولن يبلغ غايته من الاصلاح المنشود الا بالقدوة الصالحة ، ويكذب الذين يظنون أن المنهاج بغير قدوة يستطيع أن يفعل شيئا ، ويصدق الذين يقولون إن القدوة ولو بغير منهاج أقدر على الاصلاح وأيسر سبيلا اليه .

وفى القرآن والخبر يستطيع المتأمل أن يتمثله عليه السلام بشرا رضى الخلق ثقيل الأعباء داعيا الناس الى الاستقامة على الطريق بعمله أكثر من دعوته اياهم الى ذلك بقوله ، الى أنه عليه السلام حبيب الى قلوبهم مطاع فيهم فى المنشط والمكره وفيما يأخذون وما يدعون .

وأول ما يسترعى الانتباه من حديث القرآن عن رسول الله ، تلكم الآيات التى وصفته بأنه بشر ، يأكل ويشرب وينام ويستيقظ ويرضى ويغضب ويفرح ويحزن ثم يحيا ويموت « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى » ، « فاصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم » ، « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » ..

فهذه الآيات وأمثالها حين تصفه بالبشرية ، تقارن فى القرآن آيات أخر تصفه بالعبودية لله رب العالمين « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » ، « سبحان الذى أسرى بعبده » ، « أليس الله بكاف عبده » وهذه الآيات وتلك الآيات ـ فى وصفها اياه عليه السلام بالبشرية والعبودية ـ تستهدف أمرين :

أحدهما تبيان الحق وأخذ الطريق على المعاندين الذين يطلبون اليه ما ليس فى طاقة البشر ، وثانيهما تطهيره من الغلاة الذين قد ينساقون — خبثا أو جهلا — الى السمو به فوق البشر فيضعونه فى منازل الالوهية . وعجب فى هذا المعنى أن ترى من أمته من يرفعه بعض أتباعه الى منزلة الاله مع أنه صلوات الله عليه ظل على مر القرون فى منزلته من كونه بشرا عبدا لخالق السماوات والأرض ، فلم يتحدث عنه تاريخ الا بأنه عبد الله ورسوله وفيض رحمته للعالمين ، ومرد ذلك عند التحقيق الى هذه الآيات التى أدامت على الاسماع وصفه بالعبودية حتى صرف ذلك طلاب الغلو عن الغلو فيه ، وحتى وقفوا به عند وصف القرآن اياه .

ولئن كانت هذه الآيات قد أدارت على الأسماع وصفه بالبشرية فحال ذلك بين الغلاة وبين رفعهم اياه الى منزلة الألوهة ، لقد كانت هذه الآيات نفسها مجالا لعناد معاند وتكذيب مكذب « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » .

واما أخلاقه عليه السلام فحسبك منها فى القرآن قول الله « وانك لعلى خلق عظيم » ، « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ، وخلقه العظيم صلوات الله عليه — بكل ما ينطوى عليه من مفردات الصفات الكريمة — لم يتهيأ له بعد الرسالة فحسب ، ولكنه كان خلقا ملازما له من قبل ومن بعد على ما يعرف ذلك كل من قرأ ما كتبه عنه الكاتبون عربا وعجما وأصدقاء وأعداء ، ومن ذلك ما يرويه الثقات من اختيار زيد بن حارثة البقاء معه عبدا على اللحاق بأبيه وقومه حرا ، فى حديث طويل يرويه الثقات من المحققين وفيه يستبين قول الله تعالى « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » فان هذه الآية نزلت بسبب تبنى محمد زيدا واشهاده قريشا على أنه ابنه وأنهما يتوارثان كما يرث الولد والده والوالد ولده ، وكان ذلك عرفانا من محمد لفضل زيد وتقديرا كريما لموقفه معه حين آثره على أبيه وآثر بيته على بيت قومه .

وأما ثقل أعبائه ففى قول الله تعالى تبيان له « يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا » فقد فرض الله عليه قيام الليل ، وفرض على نسائه تبعا له ما لم يفرضه على سائر نساء المسلمين فضاعف لهن العقوبة فى الاساءة والمثوبة فى الاحسان .

وأما أنه كان قدوة للمؤمنين يدعوهم الى الخير بعمله أكثر مما يدعوهم اليه بقوله فما نرى أحدا يخفى عليه أن يجد لذلك مثلا لا تخضع لحصر ولا تنقاد لبيان ، وآية ذلك أنه يدعو الناس الى التقشف وهو سيد المتقشفين حتى تقول عائشة « لقد كان يمضى الشهر والشهران دون أن توقد فى أبيات النبى نار فليس له ولا لأهله من طعام الا التمر والماء » .

ويذكر الثقات أن بعض أصحابه — بعد أن فتح الله عليهم الدنيا — قدم بين يديه طعاما طيبا فلما هم يضعه ليأكل رآه الناس يبكى بدل أن يطعم فسأله سائل ما يبكيك فقال : أبكى لأن رسول الله فارق الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وهأنذا كما ترانى وبين يدى أطيب الطعام .

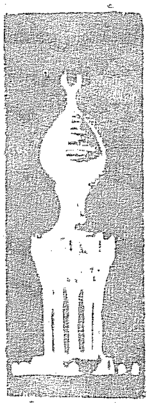
وأما حب الناس له وايثارهم طاعته على كل أثير ، فأمر يعرفه المتدبرون تدبر الفاقهين المنصفين .

كان بعض أصحابه — فيما يروى الثقات من أهل الحديث — يؤم المسجد ، وفيما هو فى الطريق اليه سمع صوت النبى يقول اجلسوا أيها الناس ، فحين أنتهى صوته عليه السلام الى مسمع صاحبه جلس حيث هو فى السوق أو على باب المسجد ، لم يزد خطوة واحدة بعد أن انتهى الى مسمعه الصوت الشريف ، ولم يزل كذلك حتى خرج النبى ورآه على هذه الحال فسأله : ما أجلسك هذا المجلس ؟ فقال يا رسول الله انى سمعتك تقول اجلسوا فجلست حيث ترانى ، فقال له النبى « زادك الله طاعة » ..

فهكذا كان أصحابه يحبونه حبا يدعو الى القدوة به ، وهو الحب الذى يمضى بسالكيه الى مرضاة الله سعادة فى الدنيا ونعيما يوم يقوم الأشهاد ، وليس حب المجاذيب التافهين الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا فيقودهم هذا الحب المصنوع الى سخرية الساخرين فى الدنيا والى مساخط رب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

أسأل الله تعالى أن يرزقنا حبه حبا يدعونا الى القدوة به والمسارعة الى طاعته ، وأن يرزق المؤمنين به ايمانا يدعوهم الى صيانة تراثه من عبث العابثين وتآمر المتآمرين وتربص المتربصين ، ولئن فعل — وله الفضل والنعمة — لقد أدركتنا رحمته فخرجنا بها من ظلمات تلف الماضى وتحجب المستقبل وتنذر بأكبر الاضرار واشد الأخطار .

والله الهادى الى سواء السبيل .



الرسول الأمى

للاستاذ الدكتور : محمد البهى

*** هو محمد بن عبد الله عليه الســـلام .**
*** هو ذلك الانسان الذى تخلص منذ طفولته من تأثير الشهوة والهوى على تصرفاته . وما يروى عن أنس من أنه قد شق صدره فى طفولتـــه وأخرجت منه المضغة السيئة ليس الا تعبيرا حسيا عن هذا التخلص ، أو بالأحرى ليس الا تعبيرا عن مدى تجنبه منذ الصــغر وقدرته على الحركة لما يؤذى الذات أو يؤذى الآخرين ، وعن التزامه بالسلوك الانسانى الكريم فى تصرفاته وفى مواقفه .**
*** هو الطاهر ، والأمين : لم يفعل الا ما هو مقبول عند الناس . ولم ينقل أو يتحدث الا من واقع ملموس .**

* *

* كان معدا بصفاته الانسانية الكريمة لأن يتلقى رسالة من اللـــه للبشر ، تجمعهم على الكرامة الانسانية التى تتمثل فى الايمان بالله وحده ، وتهديهم الى الصراط السوى ، وهو صراط العدل والاحسان .
ولكنه لم يكن معدا لأن ينقل عن الآخرين من أهل الكتاب ممن أصابوا طرفا من رسالات الرسل السابقين . اذ كان اميا : لا يستطيع الاطـــلاع

على ما لديهم بالقراءة ، كما لا يستطيع تسجيله بالكتابة ، فضلا عن اختلاف اللسان بينه وبينهم : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون : انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه (أى يحيدون عنه ويكفرون به) أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين (١) » .

* فاذا أضيف الى كونه عليه السلام أميا : ان القرآن « موضوعى » يستهدف البشرية وحدها وتخليصها من آثار الشهوة والحزبية ، وآثار الشعوبية والعنصرية .. يستهدف نقل المجتمع الانسانى من بداوة السلوك ، وقبلية التصرف والموقف .. الى مجتمع ذى حضارة ترى فيها خصائص الانسان فى بناء العلاقات ومباشرة التصرفات .. اذا أضيفت الى أميته : « موضوعية » رسالته ، فان صدقه فى هذه الرسالة لا يحيد عنه الا جرىء فى الانكار ، أو واقع تحت تأثير دفع العادة أو جمود الذهن وحركة التفكير .

وموضوعية القرآن تتجلى :

أولا : فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . والمعروف هو ما شاع فى عرف الناس قبوله واستحسانه . والمنكر هو ما راج لديهم استنكاره ورفضه . وما كان من المعروف أو المنكر على هذا النحو لا يختلف فيه فريق من الناس مع فريق آخر منهم . وبالتالى لا يمثل حزبية ولا غرضا خاصا . وانما يعبر تعبيرا واضحا عن « موضوعية » .

وثانيا : فى تحليل الطيبات فيما يستمتع به الناس : فى الأكل والشرب ، وفى العلاقة بين الرجل والمراة . وفى تحريم الخبائث وتجنيب الناس اياها : فيما تشتهيه النفس كأكل الخنزير أو الميتة ، وكشرب الخمر ، ولعب الميسر ، وكالربا فى المعاملات المالية ، والزنا فى علاقة الذكر بالأنثى .

والطيبات هى ما تنطوى على المتعة التى لا يصحبها ضرر للذات أو للغير . والخبائث هى ما يؤدى تناولها أو مباشرتها الى ضرر يعود على الذات أو على الغير ، أو عليهما معا . وتحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث فى القرآن لا يستند الى التأثر بعادة فى مجتمع ما . وانما يستند الى « موضوعية » فوق كل الفروق فى العادات والتقاليد فى المجتمعات البشرية وتستهدف الصالح العام وحده لكل انسان .

وثالثا : تتجلى هذه الموضوعية للقرآن فى تحرير المجتمعات مما وراء ذلك من قيود على الاستمتاع بمتع الحياة المادية ، أو على المعاملات أو العلاقات .. تلك القيود التى وضعتها تقاليد معينة أو أعراف خاصة . وعلى وجه معين تحريرها من عبادة الاصنام وعبادة الانسان للانسان ، والاعتقاد فى الخرافات والاوهام .

وهذا كله بالاضافة الى أداء عبادة المال ، ووجوب مباشرة العدل ، والسعى الى سلوك طريق الاحسان : « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ،

فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »(٢) .

ان (أمية) الرسول عليه السلام مع (موضوعية) رسالته ، هى الحجة القاطعة اذن فى صدقه فى الرسالة .

وموضوعية الرسالة يبعدها عن أن تكون طريقا للانتقام ، أو الانقلاب ، كما يبعد أن تكون الدعوة اليها لاثارة الاحقاد ، وهدم أواصر الاخوة البشرية بين الافراد جميعا .

موضوعية الرسالة تجعلها تسلك مسلك التوجيه ، وتخاطب منطق الانسان ، دون شهوة المعدة أو الفرج ، وتحتكم الى الارادة الحرة فيه .

ولذا : ما يعرضه القرآن من أمارات محسوسة فى الكون تشير الى وحدة الله فى الوجود .. يقرها كل صاحب منطق سليم ، ويستخلص منها الدلائل كل من لا يعترض تفكيره تمسك بعادة أو تقليد خاطىء . وعلى نحو هذه الأمارات فى وضوح استخلاص نتائجها منها ما يضربه من أمثال . فهى توجه الى العقل البشرى وحده . نقف قليلا عند قوله تعالى : « وضرب الله مثلا رجلين : أحدهما أبكم لا يقدر على شىء ، وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم »(٣) .. اذ من النظر فى هذا المثل يصل العقل الى التمييز والمفارقة بين شخصين لا ينبغى أن يكونا فى مستوى واحد . اذ أحدهما فاقد الارادة واستقلال الذات ، بينما الثانى يملك زمام أمر نفسه ، كما يملك شأن العدل بينه وغيره . ومن وصول العقل الى هذا التمييز بين موجودين فى عالم الوجود يدرك : أن هذا العالم لا يستطيع أن يوجده الا من كان كامل القدرة على الأشباه والمتباينات . وكامل القدرة يجب أن يكون واحدا ، ويستحيل أن يكون متعددا .

وبقدر ما تخاطب الرسالة الموضوعية لدعوة القرآن العقل البشرى ، بقدر ما تعتمد كذلك على الارادة الحرة والمشيئة المطلقة فى الانسان . أى تعتمد على الاقتناع الذاتى بها : « قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ، فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل »(٤) .

فالحق — وهو دعوة القرآن — معروض فقط وغير مفروض بالقدرة المادية أو بالتحكم فى مصائر الأفراد وأرزاقهم ، والانسان له أن يهتدى فيؤمن بها ، أو ينحرف ويضل فيكفر بها . والقائم بأمر هذه الدعوة ان هو الا مبلغ ومعلن لها .. ان هو الا موضح بعيد فى توضيحه كل البعد عن أن تكون له ولاية أو سلطة على من يدعوهم .

ولذا اذا كان موضوع الدعوة القرآنية انسانيا من حيث المبادىء والقيم العليا التى انطوت عليها .. فأسلوبها انسانى كذلك ، من حيث : بعده عن الاكراه ، ومن حيث : اتجاهه المباشر الى عقل الانسان وحده .

وبانسانية موضوع الدعوة ، وبانسانية أسلوبها مع ذلك : تقوم رسالة الرسول الأمى عليه السلام للانسانية حضارة فى مستوى رفيع ، تعجز البشرية حتى الآن عن أن تقدم لونا من الحضارة يخلو من اثر الحزبية ومن وسيلة العنف والاكراه . والقرن المشرون بما له من فخر الابداع فى بحوث الفضاء والآلية ، والاعتزاز بالتوسع فى التطبيق التكنولوجى .. فان ما استحدثه من وسائل التدمير الرهيبة يجعل من بعض الشعوب أمما

كبرى ذات نفوذ على حساب ماعداها ، ومن البعض الآخر امما صغرى تدور فى فلك غيرها ولسيادتها ومصالحها الذاتية . كما أن ما يتصارع فيه من ايديولوجيات لا تعرف للقيم الانسانية العليا وزنا وانما تمجد نظم حكم معينة والقوة المادية وحدها ، كما لا تعير حرية الانسان اهتماما فى قبوله لما يشاء . بل تكرهه اكراها على قبول رأى معين بطريق مباشر أو غير مباشر . ولذا اذا كان القرن العشرون قرن الحضارة العلمية الصناعية فانه قرن مفلس بالنسبة للحضارة الانسانية الخالصة .

ومحمد الأمى عليه الصلاة والسلام فى بلوغه هذا المستوى الرفيع المعجز فى موضوع الرسالة وفى أسلوب الدعوة اليها ، انما كان له ذلك بفضل اصطفائه من قبل الله لهداية البشرية . ولو لم يكن مصطفى ومختارا من الله لوجد قصور فى موضوع الرسالة ــ أو لكان قد التجأ ولو مرة الى الهوى أو الاكراه فى اسلوبها : « أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا (أى تناقض) كثيرا »(٥) .

لم يفرض عليه السلام دعوته الى الحق على أحد ، عندما كان يستطيع أن يفرضها بالقوة على المكيين يوم أن دخل مكة فاتحا وكان له النصر المبين اذ ذاك وانما بقى ملتزما اساس الأسلوب فى الدعوة اليها : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

وأسلوب دعوته لذلك لم يكن أسلوب ثورة ، وانما كان اسلوب توجيه واقناع .

ولم يكن أسلوب انقلاب ، بل كان أسلوب تطور .

فالثورة والانقلاب ــ مع فرق بينهما ــ وسيلة لتمكن صاحب الفكرة من السلطة أولا عن طريق القوة المادية . ثم بعد أن يتمكن يفرض دعوته بكل الوسائل التى تصم الآذان بها ، وتعمى الأبصار عن غيرها ، وتغلق القلوب والعقول دون قبول ما سواها .

ثم شتان بعد ذلك بين موضوع دعوته عليه السلام وموضوع ما يسمى بالثورة أو الانقلاب فى عصر العلم والتيكنولوجيا . فبينما الحق للبشرية كافة يتجلى فيما جاء به وحى القرآن .. اذا بالهوى والشهوة يسيطران على خطوط الايديولوجية الثورية وعلى وسائل نشرها .

ان الثورة أو الانقلاب من أجل السلطة فقط ، بينما دعوة الحق التى جاء بها محمد الأمى عليه السلام هى لاصلاح البشرية ، وتمكين الخصائص الانسانية فى العلاقات بين أفرادها . ولم يكن فى تصوره عليه السلام عندما قام بدعوته مبشرا ونذيرا وهاديا الى صراط الله : أن ينقض على عرش ملك أو نظام حكم ، ليرث الحكم وجاهه ، أو أن يكون ثريا يحيا حياة الترف عن طريق ثرائه الطارىء . وانما بقى فى تواضعه فى أسلوب الحياة قبل الدعوة ، ولم يتغير بعد أن دان له النصر ، واصبحت له أمة متماسكة ، وقوة عزيزة الجانب تصد العدوان عن دين الله الذى أجتمع عليه من كانوا أشد فرقة فيما بينهم ، وأقرب الى الهاوية بسبب خصومة بعضهم لبعض ، فى لحظة من اللحظات : « واذكروا نعمة الله

عليكم » اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »(٦) ..

● ●

والاحتفال بذكرى ميلاد الرسول الأمى عليه السلام هو قبل كل شىء فى ابراز موضوعية رسالته ، وبانسانية مبادئها وأسلوب الاقناع بها .. هو فى تأكيد اصطفائه من الله . لأن القرآن بما له من موضوعية مطلقة يستحيل أن يأتى به شخص — وشخص أمى — مهما تعاون معه المتعاونون وشد أزره أصحاب المعرفة والحكماء المختلفون : « قل : لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن (فى موضوعيته وتجرده عن الغرض والهوى قبل كل شىء) لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »(٧) .. هو فى ادراك المسلمين فى حاضرهم أنهم باتخاذهم أسلوب العلمانية أو التبعية لايديولوجية أجنبية ، انما يستبد لون الذى هو أدنى بالذى هو خير . لانهم عندئذ يأخذون بجملة من المبادىء صاغها الحقد والهوى ، أو صاغتها الأنانية ، بدلا من نظام يرى العلاقات الانسانية فى انسانيتها ومودتها والاخاء بين أفراد الانسان جميعا . وانهم بعد ذلك يسخرهم الشيطان فى سبيل الطغيان وحده ..

---

(١) النحل : ١٠٢/١٠٣ ..
(٢) الاعراف : ١٥٦/١٥٧ ..
(٣) النحل : ٧٦ ..
(٤) يونس : ١٠٨ ..
(٥) النساء : ٨٢ ..
(٦) آل عمران : ١٠٣ ..
(٧) الاسراء : ٨٨ ..

من هدي السنة

للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد
الاستاذ فى جامعة الكويت

سيدي رسول الله

عن الصعب(١) بن جثامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
((لا حمى(٢) الا لله ولرسوله)) .
رواه البخارى

كل عاقل يجب أن يستكثر من الخير ، وكل قوى يريد أن يبسط سلطانه على ما تؤهله له قوته ، ولا يخلو الامر فى كل حال من ظلم يحيق بآخرين ، وتعد على مستضعفين ، وقد مر ويمر بالحياة قاهرون ومقهورون ، وغالبون ومتغلبون ، ولو أن البشر تركوا وشأنهم دون قيادة حازمة تضع كل شيء فى موضعه ، وتعمل على ايصال الحقوق لاصحابها لصارت أوضاع الناس فوضى حيث لا هادى ولا رائد ، ولا حامي ولا ذائد ، وفى هذا الحديث الشريف يوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم متزعمى الجاهلية الى ربهم القوى ويمضي بهم الى رحاب رسوله المصطفى ويعلمهم أن كل شيء لله وحده ولا يحق لعبد أن يخص نفسه بزائد يتجاوز به حدود رب العالمين ،

فقد روى أن هذا القول الشريف موجه اصالة الى شرفاء الجاهلية الذين كانوا اذا نزل أحدهم أرضا استعدى كلبا فحمى مدى عوائه لا يشركه فيه غيره ، وهو يشارك القوم فى سائر ما يرعون فيه ، فكان هذا التوجيه نهيا عن فعل ممقوت ، ضرره يقع على الاكثرين ، ويعود فضله على آحاد . ويستمر واجب التطبيق فى كل عصر ومصر حتى ينفخ فى الصور لا يقبل نقدا ولا تعديلا ، لان مصدره من يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، ومبلغه ومنفذه المجتبى المختار .

والاسلام فى حاجة ماسة الى ادامة الدعوة لمبادئه القويمة ، حتى تثبت فى الارض وتستقر فى النفوس، وتصبح واقعا عمليا مطبقا فى أرضه، فلا بد من تبصير أممه وشعوبه بمناهجه الصريحة السليمة البينة ،

التى ترسى أسس العمران القائم على مجتمع متكاتف متحاب ، متحد متساند ، ولا ينمو ولا يزدهر الا بدعاة مخلصين مؤمنين بالله وحده وبرسوله الامين : ((**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**)) ووثقوا بقيوم السموات والارض ، وعرفوا عن يقين لا يتسرب اليه شك ، ولا يداخله ريب ، أن الله الذى رفع السموات بغير عمد ، وبسط الارض ودحاها ، ذلك الاله القوى القادر القاهر العظيم ، هو رب محمد النبى العربى الهاشمى القرشى ، سليل أمة شرفت به فى دنياها وأخراها ، وقد رعاه فى الجاهلية وتعهده وأدبه فأحسن تأديبه ، وأكرمه اذ حال بينه وبين الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واختاره من بين خلقه أجمعين لحمل الرسالة وأداء الامانة الى الناس كافة ، وحفظه بعنايته من شياطين الجن والانس ، وجعله من أولى العزم ، تحمل الاذى من قومه وصبر عليه ، فقد أوذى فى سبيل الله فصبر حسبة لله ، ألقيت عليه الحجارة وبصق على وجهه الشريف ، وجمعت القاذورات على باب داره ، وأخرج من بين أهله وعشيرته ، فما وهن عزمه ، ولا ضعفت ارادته ، ولا أوغر صدره على أحد ولا قسا أبدا حين قدر : ولا تخاذل فى القيام بالمهمة التى وكلت اليه ، بل مضى قدما فى الدعوة الالهية وجاهد وجالد وصبر وصابر ، وكان جوابه الدائم للمعاندين ، والمؤذين والمعوقين جواب الرحيم ، والاخ الكريم ، والرسول الحكيم ، ((**اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون**)) ..

وهنا نتساءل : هل كان رسول الله صلى اله عليه وسلم يريد من دعوته مالا ؟ أم هل كان يطلب جاها ؟ ، أم كان يسعى لدنيا فى صورة أخرى ؟ والجواب على هذا التساؤل جواب واحد وهو : لا ، والف لا ، يقولها التاريخ بملء فيه ، وتتردد أصداؤها فى الدنيا بقوة قوية جارفة للباطل ، ماحقة للكفر ، وكيف يطلب دنيا ؟ ورب الدنيا يقول له فى محكم كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : ((**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا**)) وكيف يطلبها وهو يعلم : أن الدنيا خداعة غدارة ، ماكرة فاجرة ، عزها ذل ، وغناها فقر ، لا بقاء لها ولا استقرار : ((**لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء**)) .

نعم : لقد طلبها فى حدود أوامر الله تعالى ونواهيه ، واستقر فيها لحظات من عمر الزمان ليعلم البشر أن العاجلة مزرعة الآجلة ، وأن هنا سوق للبيع والشراء ، وهناك احصاء الربح والخسارة ، وقد رحل عنها يوم أطمأن على رسوخ أقدام الدعوة ، وثبات مبادئها ، واستقرار الامر لخلفائه من بعده .

وكيف يطلب جاها ؟ وجاهه مستمد من رب كل شيء المبدىء المعيد الذى أوحى اليه ما أوحى بعدما أطلعه على جلاله وعظمته ربه مسير الفلك ، ومقيم الملوك ، ومبيد الظلم والظالمين ، أهلك فرعون وهامان ، وأسرى به فى لحظات ، وطاف به الملكوت فى لمح البصر : ((**علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالافق الاعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى**)) .. الآيات من سورة النجم .. ـــ كيف يطلب جاها غير جاه ربه الذى أراه منازل العتاة الجبارين فى النار : ((**اذ الاغلال فى اعناقهم والسلاسل يسحبون ، فى الحميم ثم فى النار يسجرون**)) هناك

يقال لهم : ((**ذوقوا مس سقر**)) ويقول قائلهم : ((**يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه**)) فيجاب : ((**خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه**)) . الآيات من سورة الحاقة .

وكيف يريد من الدنيا مالا وهو صلى الله عليه وسلم الذى انزل عليه : ((**ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا**)) . الآية ٣٠ من سورة الاسراء — ويوقن بغنى وقدرة من يقول : ((**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون ، وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**)) الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من سورة الزخرف .

هيهات هيهات ، أن تكون دعوة خير الخلق لدنيا أو لجاه أو لمال ؟!! وانما كان لبها وجوهرها ومبدؤها وخيرها ، وأولها ومنتهاها ، هداية الحائرين وارشاد الضالين ، وانشاء مجتمع اسلامى قوى قويم مستقيم ، فيه يتعاطف المواطنون ويتراحمون ، يعرفون لربهم حقه ، ولدينهم واجبه ، وينالون من طيبات الدنيا فى غير مخالفة ولا تجاوز لحدود الله : ((**قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون**)) . الآية ٣٢ من سورة الاعراف .. دعا سيدى رسول الله الى تكوين أمة سداها ولحمتها الايمان بالله ، والتواصى بالخير والمرحمة ، أمة تتواصى بالحق وبالصبر ويعرف أبناؤها أن لهم مكانا على الارض يجب أن يحموه ، وأن يشهروا السلاح فى وجوه أعدائه ، ويؤمنون بأن القوة كل القوة فى التعاطف الأصيل الذى يمحو الفوارق ، ويبيد الفتن التى تنشأ من حقد الفقير على الغنى ، وما الغنى فى أمة الاسلام الا نائب عن الله فى ماله ، وليس له مما ملك أو مما ملكه الله الا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأبقى ، وأن يعرفوا تمام المعرفة أن من دواعى انهيار المجتمعات السعى فيها بالفساد فمحوا من بينهم الساعى بالنميمة المفسد بين الناس بالوقيعة الخادع الغاش فكل أولئك لهم مكان فى سواء الجحيم ، فمجتمع الاسلام الحقيقى يوقن العائشون على أرضه المستظلون بسمائه أنهم كما هم سواسية فى هوائه وشمسه ومائه هم كذلك سواء أمام رب الهواء والشمس وخالق الليل والنهار لا فضل لأحدهم على أخيه الا بالتقوى ان أكرمكم عند الله اتقاكم .

لله أنت سيدى رسول الله ، حولت كل شىء الى الافضل ، فبدلت الظلم عدلا ، والجور انصافا ، والجهل علما ، والظلمة نورا ، والكفر اسلاما وايمانا ، والتنافر محبة ووئاما ، لقد حولت الحمق والعنجهية والجاهلية الجهلاء فى بعض أصحابك الى صرامة فى خدمة الدين ، ودفاع فى ايمان وصوفية فى قوة ، وصيرت من قصاب كسعد بن أبى وقاص قائد جيش وفاتح ممالك ، وبدلت من خالد ابن الوليد الحرب على الاسلام صديقا مؤمنا سيفا للاسلام مجاهدا فى سبيل الله حتى لقى ربه وهو عنه راض ، وجعلت من العبد ذى الرأى المطروح والقول المتروك وخدن المهانة وقرين الذل ، عنوانا على الصبر ورمزا للجهاد فى سبيل الحق والعقيدة ، وقبل كل أولئك أريتنا كيف يصير الاسلام الرجل صديقا صدوقا ، وحبيبا مخلصا ، يفدى صاحبه بنفسه ، ويقدم راضيا روحه فى

سبيله ، وحسمت هـــذه المعانى فى نماذج كثيرة من أصحابك الاكرمـــين على الله وعلى الناس .

هذه التركة التى ارسى قواعدها سيدنا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم والتى تهيجها فى نفوســـنا ذكرى مولـــده الشريـــف تحتاج الى رجال مؤمنين موقنين بفناء الـــدنيا وبقـــاء الآخـــرة يعملون لها (أى للدعوة) ليلا ونهارا حتى تبقى وتثبت وتطبق ، تريد عاقـــلا تعـــاف نفسه طعام الزائلة ، ويدعو مخلصا لوجه الله ، يقول مقالة نوح لقومه : « **ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ان اجرى الا على الله ..** » ومقالة هود لعاد : « **يا قوم لا أسألكم عليـــه أجرا ان أجرى الا عـــلى الـــذى فطرنى افلا تعقلون** » وذلـــك ليثقوا فى اخلاصه ولا يجدوا ثغرة ينفـــذون منهـــا الى عرضه وخلقه .. التركة تريد رجلا حازما مجاهدا فى سبيل الله يتحمل المشاق بقوة أولى العزم ، فقد بدأ الاسلام بالـــدعوة المسالمة الى الله ، حملها رجال آمنوا باللـــه وزادهم هدى ، وباب العمل مفتوح ، ولكل مجاله الـــذى يستطيع فيه خدمـــة عقيدته فـــلا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين .

وبعد : فان الحقبة التى نعيشها الآن ، تطلب من كل فـــرد قادر ان يتحمل المسئولية كاملة وان لا يحاول إلقاء التبعـــة على غيره ، فالحاجة دافعة الى تضافر الجهود ، واستغلال الخيرات ، واطراح الأنانية المقيتة ، والتجافى عن الراحـــة والدعـــة ، والسير نحو البناء المعمر الشامل ، كل ذلك مع طاعة الله ، وانتهـــاج الطريق الأقوم ، الذى نصل منه الى قهر العدو الكاشح المتربص ، وبهذا يظل الحمى للـــه ولرسوله مهـــابا مصونا ، فمن لم يـــذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يحمى حماه يهلك ، ومن ينكص على عقبيه فالنار مثواه والدمار نهايته ، والحق واضح أبلج ، والباطل ضعيف لجلج ، والله مع العاملين ولن يترهم أعمالهم ..

---

(١) الصعب ، بفتح الصـــاد وسكون العين المهملتين ، وجثامة ، بفتح الجيم وتشـــديد المثلثة ، ليثى .

٢) الحمى ـــ لغة : المحظور ، وفى الاصطلاح الفقهى ، ما يحمى الامام من الارض الموات لرعاة يعينها لهم ، ويمنع سائر الناس مـــن النزول فيها ، ويطلق الحمى أيضا على محارم الله تبارك وتعالى ، وفى الحديث الشريف ، ألا وان حمى الله محارمه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يواقعه .. الخ .

الطلاق

للشيخ : محمد ابو زهـرة

١ ــ ((ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمــة ، إنك أنت الوهاب)) .

((ربنا إنك تعلم مــا نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء)) .

ربنا اجعلنا من الذين قلت فيهم : **((وهدوا الى الطيب من القول ، وهدوا الى صراط الحميد)) .**

ربنا اجعلنا من الذين يستمعون الى كتابك الخالد من غير تحريف للقول عن مواضعه . واجعلنا من الذين يدعون اليك سبحانك .

وممن ينطبق عليه قولك الحكيم : **((ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ، ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)) .**

أما بعد ، فقد قرأت فى العدد الخامس بعد الثمانين من مجلة (الوعى الاسلامى) التى أعرف أنها لا تنشر الا ما يتفق مع كتاب الله وسنة رســوله صلى الله تعالى عليه ، قرأت فى هذا العدد مقالا مسهبا لأستاذنا على الخفيف ، قد كتب بعبارات انسانية واضحة ، تنتهى الى ضرورة أن يكون الطلاق بعــد التحاكم أمام القاضى ، وأن من يطلق من غير تحكيم للقضاء يعاقب بالســجن والغرامة ، وقد ساق المبررات لذلك فى نظره .

وكنت أود مع اخوانى أن يبدى هــذه المقدمات التى ساقها امام لجنــة الأحوال الشخصية التى قدمت مشروعها سنة ١٩٦٢ ، وكان من ابرز أعضائها لكى يجنبها الخطأ الذى وقعت فيه وهو منع أن تقع عقوبة على المطلق ، ولقــد قررت ذلك بالاجماع ، ولم يعترض الأستاذ على منع عرض أمر الطــلاق على القضاء الا أن يكون بطلب المرأة مما نص عليه القانون فهو قد وافق مع الموافقين ولم يخــالف .

وكنت أود أن يقدم ذلك البيان البليغ لمؤتمــر مجمع البحــوث الاسلامية ليهدى المجتمعين الى ما يراه الحق المبين ، ولكنه لم يقدم ، ووافق على ما رآه أعضاء المؤتمر بالاجماع ، وهو منع وجود عقوبة على المطلق وعدم الحاجة الى ان يكون تحكيم فى مجلس القضاء .

ولا ندرى لماذا لم يقدم ذلك البيان البليغ فى الحالين ، ولمـــاذا وافق مع المجتمعين ، لعله كان معهم ، ولما انفرد عنهم رأى ما رأى ، والرجوع الى الحق فى زعمه خير من التمادى فى الباطل ، وسبحان مقلب القلوب .

٢ ـــ واذا كان أستاذنا لم يقدم ذلك البحث المزين بأحسن الألفاظ فى وقت الحاجة اليه ، ووافق على ما اجتمع عليه أخوانه ، فكان معهم ، فأنا لا نسأل لماذا غير ما اجمع عليه مع اخوانه ، ولكن ندرس البحث فى ذاته من غير نظر الى ما أحاط به ولا الى وقت تقديمه ، وان كان مؤخرا عن وجوب تقديم ، ولا نلتفت الى ما سبق ، فسبحان الذى لا يتغير ولا يتبدل ، ولا يجرى عليه البداء بأن يبدو له ما لم يكن فى اعتباره ونلاحظ ابتداء على بحثه انه أحيانا يقتطـــع الآيات عما سبقها ، وأحيانا يقتطعها عما وليها ، فمثلا يقول : قال تعـــالى : **((تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون))** . والاشـارة فى تلك الى حدود الله السابقة ، فلم لا يذكرها ؟ اليوهم انها ما يراه هو حدا من حدود الله ؟.

ولنتم له الآيات بذكر ما اقتطعه مما قبلها ، حتى صرنا لا نفهم لفظ الاشارة فى (تلك حدود الله) يقول تعالى : **((والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ، وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصــلاحا ، ولهن مثــل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما افتدت بـــه تلك حـــدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حـــدود الله فأولئك هم الظالمـــون))** .

انظر قد قطع لفظ الاشـارة عن المشـار اليه ، فلم تكن الحدود أن تكون ثمة رقابة من القضاء ولكن كانت الحدود لمدة الطلاق ، وحق المطلق فى الرجعـــة وجوازها عند ارادة الاصلاح والفدية فى التفريق ان خيف الا يقيما حدود الله ، هذه هى الحدود وليس منها وضع الطلاق تحت رقابة القضاء .

وقد ذكر بعض هذه الآيات فى مقام آخر ليوهم فيه شيخنا مســـاواة الرجل بالمرأة الا فى حـــق القوامة عليها ، وهى : **((ولهن مثل الذى عليهن))** والآية لو تأملها شيخنا لوجد أنها لا تتعرض لمساواة المرأة بالرجل ، بل هى تدل على تساوى حقوقها مع الواجبات عليها ، فالله تعالى يقول : **((ولهن مثل الذى عليهن))** أى لهن من الحقوق مثل الذى عليهن من واجبات بدليل التعـــدية فى الأول باللام ، التى تفيد الملك ، والثانى بعلى التى تفيد الالزام ، ولا نحســـب أن ذلك كان يخفى على شيخنا صاحب ذلك البحث البليغ لو تأمله ، ولكنه نظر اليه نظرة عابرة ، وظنه يفيد مساواة الرجل بالمرأة وان ذلك مبدأ خلقى وشرعى فلا واجب الا وفى مقابله حق ، فاذا كانت المرأة عليها تربية ولدها فانه يقـــابله حق الحضانة .

والحقوق الشرعية كما يعلم الشيخ هى للتمكن من أداء الواجبات الشرعية

والشيخ حفظه الله تعالى يقتطع الآية عما يليها ، ومن ذلك انه يستشـهد فى الاصلاح فقد نقل قوله تعـــالى : **((وان امرأة خافت من بعلها نشـــوزا أو أعراضا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير))** واكتفى بهذا القدر ، وما بعده يوضح المعنى أكثر ، ولكنه يريد الوقوف عند ذلك ، وفيما

بعده بيان أن شح النفوس محضر ، وأن العدل النفسى غير ممكن ، وانه اذا حضر شح النفس بدل السماحة ، والظلم بدل العدل فالتفرق واجب ، ولنقرأ الآية كاملة ، لا كما اقتطعها شيخنا حفظه الله تعالى :

((وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وأن تحسنوا وتتقوا ، فان الله كان بما تعملون خبيرا ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل . فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا ، وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما . وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما .))

ترك الشيخ حفظه الله تعالى ذلك الجزء الأخير من الآية ، ولا أدرى لماذا أهمله ولم يذكره لعله لا يريد أن يغضب أحدا بذكره ، ولعله لا يريد أن يذكر أن فى القرآن استحسانا للطلاق ولو فى بعض الأحوال .

٣ ــ ولقد استشهد الشيخ حفظه الله بأن عمر رضى الله عنه لما رأى الناس يكثرون من الطلاق بلفظ الثلاث أو يكررونه فى العدة جعله ثلاثا ، فقال :

روى ابن عباس رضى الله عنه أن الناس تتابعوا فى الطلاق ، وتعجلوا ، فتجاوزوا حدود الله تعالى فيه ، وطلق بعضهم مرتين وثلاثا فى عدة واحدة او بلفظ واحد ، وكثر ذلك منهم ظنا منهم فيما أن الطلاق تصرف وكل لهم أن يستعملوه كما أرادوا فيكون طلاقا معتبرا فى وقوعه ، وفى عدده ، فلما رأى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عده خروجا عن حدود الله ، وعصيانا لما شرع الله ، فاستشار الصحابة ، وقال ان الناس قد استعجلوا فى أمر لهم كانت لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم ، فلما وافقوا أمضاه عليهم ...

ولنا تعليق على هذا الخبر عن عمر رضى الله تعالى عنه من وجوه :

أولها : ان الذى استكثره عمر رضى الله عنه أنهم طلقوا أكثر من مرة فى العدة ، ولم يذكر أنهم طلقوا ثلاثا بلفظ الثلاث (راجع كتاب الطلاق للمرحوم الشيخ شاكر ، وأعلام الموقعين) .

ثانيا : انه زاد فى الخبر انه استشار الصحابة ووافقوه ، وظاهره أن الموافقة كانت بالقول . والخبر كما جاء فى صحيح مسلم ليس فيه استشارة ولا موافقة صريحة ، وانما الامر كما جاء فى فتح القدير أنهم سكتوا ، ولم يعترضوا فعد ذلك اجماعا ، لان السكوت فى موضع الحاجة الى البيان بيان ، وفى الاجماع السكوتى كلام ، وأنكره الشافعى وفيه كلام طويل (راجع الاحكام فى اصول الاحكام للآمدى) .

ثالثا : أن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنه لم يقل مع كثرة الطلاق أن يكون بتحكيم بين يدى القاضى فيكون طلب الشيخ أن يكون بتحكيم القاضى بدعة ، وهو تقليد للنصارى ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

رابعا : أنه ادعى أن عمر فعل ما فعل للمصلحة .

واذا كان الثلاث مصلحة فى نظر الشيخ فهو يأتى على أصل دعواه بالنقض ، لأنه اذا كان الطلاق لا مصلحة فيه عند التهور ، فان توكيده يجعل الثلاث تمضى ايغالا فى البعد عن المصلحة ، فكيف يسمى ذلك مصلحة ، ولكنه سماه مصلحة لغاية فى نفسه ، والله عليم بذات الصدور .

خامسا : أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يجد نصا قاطعا فى منع قوله ،

ولو كان هناك نص قاطع في رد قوله ما وافق عليه أحد من الصحابة ، ولا التابعين ، ولا الفقهاء أصحاب المذاهب .

٤ — وان الشيخ ينتهي من بحثه الذي سماه علاجا لحال الطــلاق الذى ادعى الاسراف فيه الى أن الطلاق يكون بعد التحكيم أمام القاضى ، واحسب ان ذلك داء لا علاج ، وهو اتباع للكنيسة لا للقرآن ، وللاهواء والشهوات ، وليس محاربة للاهواء والشهوات .

يقول الشيخ : « يكون العلاج بوضع تشريع يوجب على الزوجين اذا ما أريد الطلاق الرجوع الى القاضى ، ليقوم بينهما بما امر الله فى كتابه من محاولة الصلح بينهما ، وازالة أسباب الخلاف بالحكمة والموعظة الحسنة حرصا على بقاء الاسرة ، ومحافظة على ما ترتبط به المودة . . . واذا أقدم الزوج على التطليق قبل أن يتمكن القاضى من الصلح عوقب لمخالفته ولى الأمر ، فيما أصدره من قانون ملزم ، وليس فى عقاب من خالف ولى الأمر مخالفة لشرع الله ، فان أمره واجب الطاعة . . » .

هذا ما قاله فضيلة الأستاذ ، وهو متناقض مع ما سبق من قوله من أن الطلاق بيد الزوج ، وأن الله تعالى أعطاه ذلك الحق ، اذ هو يوجبه فى قانونه المحترم أن يذهب الزوجان ، ومقتضى كلامه اذا ذهب الزوج وحده لا يلتفت اليه .

قد يقول اذا ذهب الزوج وحده دعيت الأخرى ، ويحاول القاضى الصــلح بينهما ، وبقى أمر آخر لم يذكره أن عجز القاضى عن الصلح ، واعادة المودة . ورأى الزوج أن يطلق ، أيمنع من الطلاق ويجبر على الصلح اجبارا .

واذا امتنعت هى عن الصلح . وطلق الزوج أيعاقب أيضا . ان قوله هذا تفكير غريب ، واذا كان قانونا مقترحا ، فهو أغرب .

واذا كان لدى الزوج اسباب مبررة للطلاق كريبة ارتابها . أو خروج عن جادة الزوجية الصالحة ، أو كانت النفرة المستحكمة التى لا يستطيع القضــاء أن يجعل منها الصفاء محل الخصام وطلق الرجل فى هذه الحال ، أيعاقب ، والله يقول : **((وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته))** .

الله يقول ذلك ، وقانون الشيخ يقول : بل تبقى الزوجية على دخن ، ويكون الكفر فى الاسلام ثم ألا يفصل القاضى اذا تقدم الزوج بأسباب يراهــا مبررة للطلاق ، وألا يكون ذلك عدلا ، لئن قال الشيخ ذلك فانه يكون متناقضــا مع نفسه ، لأنه يمنع ان يكون الطلاق بحكم من القاضى ، فيقول قبل ذلك لأنــه منع التعزير على الطلاق بقوله :

بل قد يرى بحق أنها (أى الطلاق) معصية تستوجب تعزير من يقدم عليها غير ان ذلك قد يكون من الناحية العملية مؤديا الى ضرر ، من المصلحة تجنبه ، وهو اشاعة أسرار الأسر ، وخفــايا البيوت وما قد يتصــل بذلك من اختلاق الأسباب وافتراء الكذب ، واشاعة الفحشاء ، والعيوب وغير ذلك مما ينبنى عليه طلب الطــلاق ، وذلك ما يدعو الى تفاقم النزاع واشتداد البغضــاء . . وهكذا نرى أن الشيخ يهدم بيد ما يبنيه باليد الأخرى . .

انه يوجب رفع الأمر الى القاضى ، والقاضى يفصل فى الخصــومات ، ولكن أيريد مشروعه أن يقتصر على محاولة الاصلاح فقط ، ولا ينظر ما لدى الرجل من أسباب للطلاق ، وقد جاء الأمر اليه ، والا لا يكن قاضيا جالسا فى مجلس القضاء ، وأن نظر ألا يكون فى ذلك ما حاول الشيخ أن يتوقاه ، أم أنه يجعل مهمته فقط محاولة الصلح ، وهل يستطيع أن يمنع الزوج مما يراه مبررا

للطـــلاق . والا يكون أولى من القاضي حينئذ محكمون ، او الموثق الشرعى اللهم ان هذا لفكر لا جدوى فيه ، الا أن يكون استدراجا للشيخ ومن معه الى الا يكون الطلاق الا بحكم القاضي كالنصارى .

وكان غريبا أن يقول شيخنا أن العقوبة بالغرامة او الحبس ليست لأجل الطلاق انما هى لمخالفة ولى الأمر .

وقد وجدنا ذلك الكلام يجرى على السنة كل من لف لفه من اعضاء لجنة وزارة الشئون الاجتماعية ، وانا نسأله هو ومن معه لم وضع ولى الأمر هـــذه العقوبة اليست على الطلاق من غير عرض الأمر على القضاء ، وحينئذ يكون وضع العقوبة على الطلاق ابتداء ، وان العقوبة على الطلاق تكون مصـــادمة للنصوص القرآنية ، وما أثر الصحابة أنه حلال عند الحاجة النفسية اليه ، وتقدير الحاجة نفسى للمطلق لا ينظر أمام القضاء ، وخفـــايا النفوس لا يمكن القضاء أن يتعرفها .

الله تعالى يقول : ((**لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمســـوهن او تفرضوا لهن فريضة**)) . ويقول تعالى : ((**واذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة**)) يقول الله تعالى ذلك ، ويقول ولى الأمر باقتراح الشيخ من طلق من غير محاولة صلح عندى اغرمه او اسجنه ، الا يكون ذلك معصية ، ولو كانت باقتراح الشيخ ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

ان من الانصاف أن نقول : ان الشيخ قال فى بعض الصحف السيارة انه يجوز لولى الأمر ان يقيد المباحات وانه يبنى على هذا القول انه يجوز له أن يقيد الطلاق بأن يكون بعد محاولة الصلح أمام القضاء . ونقول الحق فى هذا القول:

ان المباحات قسمان مباحات بالنص . كالطلاق وتعدد الزوجات وغير ذلك من المباحات التى جاءت النصوص المحللة ، وهذه لا يصح منعها ، ولا تقييدها ، وان من يحاول منعها ينطبق عليه قول الله تعـــالى : ((**ولا تقـــولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب**)) وينطبق عليها قول الله تعالى ناهيا : ((**يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين**)) . وقد عاتب الله تعالى نبيه عندما حرم زوجاته على نفسه ، فقد قال تعالى : ((**يايها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة ازواجك ، والله غفور رحيم**)) .

هذا هو القسم الأول ، ومن حرمه ، انما يحرم ما أحل الله ، فلا يجوز لشيخ ولا ولى أمر أن يحرمه .

والقسم الثانى ما كان مباحا بأصل الاباحة ، وبمقتضى أن الله تعالى خلق لنا كل شىء كالمرور فى الطرقات فان ولى الأمر ينظمه بقيود يقيدها ، بحيث لا يصل الأمر الى درجة التحريم ، فليس لأحد أن يحل أو يحرم .

٥ ــــ هل كثر الطلاق المفرق للأسرة :

اكثر الشيخ حفظه الله من ذكر أن الناس يتسرعون فى الطلاق ، فيطلقون تحت تأثير غضب جامح ، أو فكرة عارضة من غير تدبر ولا تفكير ولا مراجعة النفس ، وان علاج ذلك يكون بأن يكون بين القاضى مصـالحـــا ، أو حاكما ، والأولى ستجر الى الثانية لا محالة .

وذلك تقليد مسيحى ، فهل الشرع الاسلامى لم يعالج ذلك ، وهل المشروعات التى وافق على بعضها الشيخ موافقة تامة لم تعالج ذلك .

ان الشرع الاسلامى بنصوص القرآن وسنة النبى صلى الله عليه تعالى عليه وسلم عالج ذلك فجعل الطلاق كله يكون رجعيا ، وأزواجهن احق بردهن فى العدة ، كما قال تعالى : ((**وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك**)) فان كانت الطلقة الرجعية جاءت تحت تأثير حال عارضة ، فهى انذار ، والفرصة قائمة وان عرض ما جعله يطلق مرة أخرى فهى ايضا رجعية ، وهى نذير شديد الانذار اذ يستمع فيه الى قوله تعالى : ((**الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان**)) .

فان لم تجد النذر كانت عقوبة الله تعالى لا عقوبة ولى الامر التى لا يملكها ويريد الشيخ أن يملكها (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .. وهى تجربة نفسية عنيفة لخطأ نفس متكرر ، فعيوب النفس تعالج بالنفس لا بالقضاء ، والقضاء لا يعالج النفوس .

والقرآن أشار الى أن الطلاق لا يكون فى الحيض ، فقال تعالى : ((**يأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن**)) أى مستقبلات عدتهن وهن الحيض .

والفقهاء قرروا أن الطلاق اذا كان فى الحيض ، أو طهر دخل بها فيه يكون بدعيا ، فالقرآن والسنة ، والفقهاء بهديهما عالجوا خطأ النفس بالنفس ، لا بالقضاء ، لأنه يؤرث العداوات على أنى سائل قضاة الأحوال الشخصية ، — وقد شغل فضيلة الشيخ ذلك المنصب امدا — هل كانوا يعملون على الصلح فى قضايا النفقات والحضانة وغيرها مما يعرض أمام المحاكم الشرعية ، ونص القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ ولائحة المحاكم الشرعية قبل أن يدخلها التعديل بهذا القانون كان يدعو الى الصلح قبل أن يسير فى القضية ، ابقاء على المودة بين الزوجين ، حتى لا تمزقها الخصومات ، فهل حاول القضاء ذلك ، وهل دون فى محاضره هذا فلماذا تحمل الآن القضاء ذلك الأمر ، وهو لم يفعل ذلك من قبل اذ طلب ، لأنه حسب نفسه للفصل لا للصلح .

وأنا سائل الشيخ عن أنواع الطلاق الآتية ، أتكون العقوبة مقررة فيها :

أ — وقوع الفرقة بالايلاء بمقتضى قوله تعالى : ((**للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم ، وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم**)) ماذا تقول أيعاقب الحالف الذى تربص أربعة أشهر ولم يأت امرأته فيها ووقع الطلاق نتيجة لذلك ، فان كان يعاقب ، فانه يعاقب على حكم الله بالطلاق ، اذ لم يطلق ، وفوق ذلك فالعقاب مصادمة لحكم الله تعالى ، واجبار على أمر لا يستطيعه ، وهو الدخول .

وان كنتم لا تعاقبون فقد هدمتم ما بنيتم ، اذ يلجأ الناس عند المباغضة الى الايلاء .

ب — اذا فوض الرجل الى المرأة أمر طلاقها ، فطلقت نفسها ، أيعاقب الزوج أم تعاقب الزوجة أم يعاقبان ، هو على تفويضه ، وهى على ايقاع الطلاق ، ولا أحسب أن السيدة الدكتورة وزيرة الشئون الاجتماعية تعاقب الزوجة لانها لا تلقى تبعته على امرأة ، بل تلقيها على الرجل .

جـ — اذا افتدت المرأة نفسها من عشرة لا تطيقها ، ودفعت مالا أو أبرأت عملا بقوله تعالى : ((**فان خفتم الا يقيما حدود الله ، فلا جناح عليهما فيما افتدت به**)) اذا كان ذلك كذلك ، وكان الطلاق بالخلع أتكون عقوبة ، وعلى

ايهما اعلى الزوج أم على الزوجة لأنها التى حملته على ذلك حملا ، أم عليهما ، ولا احسب أن السيدة وزيرة الشئون الاجتماعية ترضى بتحميل المرأة تبعة .

انى احسب أن الذين وضعوا المشروع الذى يدافع عنه الشيخ أو يحاول تبريره لم يفكروا فى الامر من كل نواحيه ، ولو تدبروا فيه من كل وجوهه لرجونا أن يعدلوا ، ولاهتدوا الى سواء السبيل .

ان الأمر لا يقف عند تحكيم القاضى ، بل سيكون منع الطلاق الا باذن القاضى ، وانهم يستدرجون الشيوخ الى ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

انهم يريدون أن تكون الأسرة الاسلامية محكومة بحكم الكنيسة لا بحكم الاسلام تقليدا وليس حماية للمرأة ، بل المرأة فى حماية الله ، وهو الرءوف الرحيم .

ولكن لماذا يتهجمون بهذه البدع التى لم يكن لها نظير فى الاسلام ، ويتحملون تبعة ذلك الابتداع فى شرعنا ، بل فى ديننا .

قالوا : ان الطلاق المفرق للأسرة قد كثر ، وان تشتيت الأولاد قد عم ، وان الطلاق هو الذى يسبب ذلك ، وان المصلحة تقتضى وضع قيود مانعة من الاندفاع فيه ، ذلك قولهم بأفواههم والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

ولنناقش هذا الذى ادعوه :

ان وقائع الطلاق فى مصر أقل من وقائع الطلاق فى امريكا ، فقد بلغت نسبة وقائع الطلاق فى أمريكا ، وهو بيد القاضى نحو ٤٨٪ من وقائع الزواج ، وقريب من ذلك فى البلاد التى اباحت توثيق الزواج غير الكنسى ، انه يكفى عندهم أن تقول المرأة انه لم يقبلها فى الصباح كعادته فى ابتداء الزواج حتى يطلق القاضى ، هذا ما ترويه الصحف .

ونسبة وقائع الطلاق فى مصر الى الزواج ، كما يدل على ذلك احصاء ١٩٦٠ هى ٢٣٪ .

ونريد أن نقول ان الاحصائية تذكر عدد الطلاق بالنسبة للزواج سواء اكان قبل الدخول أم بعده ، وسواء كان الطلاق رجعيا أم كان بائنا ، وسواء أكان بتراضى الزوجين أم بمجرد ارادة الرجل ، ان الاحصائية لا تتعرض لذلك ، انما تحصى الوقائع احصاء ، ويجيء فلاسفة العصر المحاربون للشرع والموالون لغيره بتفكيرهم ، فيقولون كل طلاق يخرب أسرة ، ويفرق بين الأبوين ، وهو قول من لم يمحص الحقائق ، ولم يدرس الاحصاء .

ونحن شهد الله لا نتعصب لفكرة لم نفحص ادلتها ، ولا نحارب فكرة من غير بينة من البرهان القاطع فى بطلانها ، ولكنا نفحص ما يعرض فحصا يليق بمن يدرس أمرا اجتماعيا خطيرا فى مبناه ومغزاه .

٦ ــ الاحصاء يدل على أن الطلاق لا يخرب أسرا :

لقد قمنا باحصاء سهله لنا بعض ابنائنا من موظفى المحكمة الشرعية بمصر القديمة سنة ١٩٥٦ . ولقد دلنا الاحصاء على أن نسبة الطلاق بالنسبة للزواج تزيد على ٣٦٪ ، وهى تزيد على النسبة العامة فى مصر ، اذ انها حول ٢٣٪ فى عمومها .

وذلك لأسباب اجتماعية اقتصادية خاصة بمصر القديمة لأنها مرسى

السفن التى تجىء من الوجه القبلى . وفى بولاق لأنها مرسى السفن التى تجىء من الوجه البحرى والملاحون والحمـــلة فى السفن يتزوجون ، وعند الرحيـــل يطلقـــون .

ومهما يكن السبب ، فقد درسنا حال الطلاق الكبير فى نسبته فى مصر القديمة سنة ١٩٥٦ أيخرب الأسر أم لا يمسها بسوء .

لقد وجدنا عدد الزواج يصل بالاحصاء الى ١٦٨٦ (ستة وثمانين وستمائة والف) عـــدا .

ووقائع الطلاق عددها ٦٠٥ (خمس وستمائة) .

ولا شك أن الطلاق الذى يخرب الأسرة ، ويفرق بين الأولاد يجب أن يكون بعد الدخول والا تكون رجعـــة بين الزوجين كما شرع الله تعالى ، والا تستأنف الحياة الزوجية بعقد بين اثنين وقع الطلاق بينهما ولم يتراجعا فى العدة ، والا يكون بالتراضى بين الزوجين .

ولنحكم الاحصاء فى ذلك ، بأن نتعرف عدد الطلاق قبل الدخول ونسقطه من وقائع الطلاق ، لأنه طلاق فى موضعه ، اذ هو منع لحياة زوجية غير صالحة للبقاء ، فهو وقاية من حياة زوجية فاسدة .

ولنتعرف عدد الرجعات ، فانه عند الرجعة لا تنفصم العلاقة الزوجية ، ولا تفرق فى الأسرة ، ولا يحتار الأولاد بين ابوين منفصلين .

وكذلك الأمر بالنسبة لتجديد الزواج بين زوج ومطلقته ، فان الأسرة اذا كانت قد تقطعت ابتـــداء ، فقد وصلت انتهـــاء ، ولا تخـــريب ولا تشتيت فى هـــذا الحـــال .

ويجب أن نسقط من العدد الطلاق برضا الزوجين ، لأن الزواج بتراضيهما فالطلاق بتراضيهما ، وفى أكثر أحواله يكون بطلب المرأة اذا كرهت زوجها كما كان فى أمر النبى بالنسبة للمرأة التى قالت للرسول : انى لا اشكو من زوجى خلقا ولا دينا ، أنى أكره الكفر فى الاسلام ، انى لا أطيقه بغضا ، فأمره النبى أن يطلقها على أن ترد اليه حديقته التى كانت مهرها .

ولان التراضى بين الزوجين يكون اذا خافا الا يقيما حدود الله ، فكـــان الافتـــداء ولذلك ننزل من عدد الطلاق ، الطلاق قبل الدخول ، وعدده فى سنة ١٩٥٦ بمحكمة مصر القديمة « ٣٩ » ، وعدد الرجعات كانت « ٣٨ » وعـــدد الزواج بعد الطلاق وانتهاء العدة « ١٥٠ » وعدد الطلاق بالابراء أى برضـــا الزوجة وتقديمها مالا فى سبيله « ٤٠٤ » .

وبجمع هذه الاحوال يكون مجموعها ٣٩+٣٨+١٥٠+٤٠٤=٦٣١ .

واذا كان عدد الطلاق ٦٠٥ ، فانه يزيد الذى يسقط عن أصل العدد بست وعشرين واقعة ، وهى تكون من عدد الطلاق فى السنة التى قبلها ولم تدخل فى حساب سنة ١٩٥٦ م .

وان نتيجة هذا الاحصاء ، انه بعد اسقاط الأعداد التى لا يمكن أن يكون تخريب أسرة ، اذ يكون الطلاق الذى يخرب او يظلم المرأة لا وجود له ، وان وجد فبنسبة لا تذكر فى حساب يترتب عليه محاربة نظام مستمد من الاسلام ، ولا مصلحة فى هذه المحاربة ، بل هى عبث فى عبث ، لا خير وراءه .

وانه يجب أن يعرف انه كان احصـــاء قام به المركـــز القومى للبحـــوث الاجتماعية والجنائية قام به الاستاذ الدكتور عويس اثبت فيه أن الاولاد الذين

لا يتربون فى ظل أبويهم أكثر مما هم عندنا ، ولكن حكوماتهم تقوم بالرعاية والتتبع .

لقد ثبت من احصاء الدكتور عويس ، أن اسباب تخريب الأسرة فى انجلترا متعددة :

أ — ومنها الفراق الجسدى ، وهو أكثر من عدد الطلاق عندنا .
ب — ومنها اتخاذ الخلائل ، وهو اكثر من تعدد الزوجات .
جـ — ومنها الهجر الشديد ، وهو عندنا يعالج ، وان كان أقل عددا .
د — ومنها ادمان الخمر ، وهو عندنا لم يبلغ من الفحش درجة تقارب ما عندهم .
هـ — ومنها القمار المخرب ، وهو عندنا محرم أولا ، ولا يقارب ما عندهم

ولذلك كان الأولاد الذين لا يتربون فى رعاية أبويهم مجتمعين اكثر مما عندنا ، ولكن هناك رعاية للاحداث ليست عندنا كما قلنا ، فالعيب فى حكوماتنا لا فى شعبنا ، ولا فى شرعنا وديننا .

٧ — ومن الغريب أن تكون هذه الحملة الباطلة فى الوقت الذى تحاول فيه الحكومات الكاثوليكية أن تتحلل من منع الطلاق ، وقد صدر فى ايطاليا موطن البطريق الأكبر للكاثوليك ، قانون يبيح الطلاق .

ولكن لا غرابة فان عندنا نوعين من الناس يحاربون المبادىء الاسلامية فى الأسرة :

أولهما : نوع لا حريجة للدين فى قلوبهم ولا يجدون حرجا فى انفسهم فى تقليد الكنيسة فيما تقضى به ، ولذلك يدعون الى تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات ، ويدعون باطلا من القول وزورا وبهتانا ان الطلاق يخرب الأسر ، وليس فيه شيء من ذلك الا قليلا وما عند الأوروبيين اشد وبالا ، واقبح مآلا .

ثانيهما : طائفة من الناس يظنون انفسهم انصارا للمراة وهم أعداؤها ، يظنون ان جعل الطلاق بيد الزوج اهدار للمراة .

الا فليعلم هؤلاء أن الطلاق اذا شحت النفوس بالمودة يكون خيرا للمراة ، لأنه اذا لم يكن كان الاعتداء المتكرر عليها ، وربما أدى الى موتها ، وأى سعادة مع رجل يبغضها . وليعلموا أن كل تضييق فى الأسرة يقلل الاقبال على الزواج فتعنس المراة وتفسد أعصابها ، أو تضع نفسها فى موضع الافتراش المحرم ، وأى مهانة للمرأة أكثر من هذا . فاتقوا الله بهؤلاء الذين رضوا بأن يكونوا أمعات طائعة لهؤلاء وأولئك . وليعودوا الى كتاب الله وسنة رسوله ، انهما الوقاية من كل شر ، اللهم اهدنا فيمن هديت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، ويسر لنا من أمرنا عسرا ، واهدنا الى الرشاد .

مولد آخر

محمد بن عبد الله صلوات الله عليه رسول الله للبشرية كلها ، سيدى يا رسول الله . يا من نطقت باسمك ملايين الملايين ، وسيبقى اسمك مرددا فى القلوب وعلى الألسنة حتى يوم الدين ، سيدى يا رسول الله يا من اتبعت دعوتك جموع غفيرة من ملايين البشرية فى كل مكان وحين ، سيدى يا رسول الله يا معلم البشرية الخلق الكريم ويا من بعثك الله رحمة للعالمين وجعلك خاتم النبيين والمرسلين ، ان مولدك عيد ، وعيد اكبر للمؤمنين به والمهتدين بهديك على مر السنين ، ان مولدك ينبغى ان يكون اكبر عيد للبشرية كلها ، فمولدك فى الحق مولد الحق المبين ، فقد اصطفاك الله من بين خلقه وجعلك على خلق عظيم ، لتبشر الناس بالحق ، وتهديهم الى الصراط المستقيم وتنقذ البشرية كلها مما كانت تتخبط فيه من عقائد تزيف افكارها ، حتى اوصلتها الى جانب كبير من الفوضى ، بعثك الله على فترة من الرسل ضل فيها الناس رشادهم ، فصاروا اصناما تعبد اصناما ، تاسرهم الشهوات ، وتستذلهم الاموال ، وتستعبدهم قوى البغى والطغيان .

لقد اضاء الله بمولدك الظلام الداجى ، يوم كان العالم يتخبط فى متاهات الحيرة والضلال ، وجعل منك الداعية الصابر الحليم ، المستميت فى سبيل اعلان كلمة الله ، وانتصار الحق ، والوقوف فى وجه الطغيان ، مهما كلفك ذلك من جهد ، او تطلب منك تضحية وبذلا ، فكنت المعلم المثالى ، والقدوة الصالحة ، وكان الوحى هاديا لك ومرشدا ، والسيف فى يدك لمجرد الحماية من غير بغى ولا عدوان ، تدعو الناس الى التحرر من ربقة الذل والاستعباد ، وتنصف المظلوم من الظالم ، وتنصر الضعيف على القوى ، وتقف بجانب الحق دائما ، ولا تعبا الا بصوت الضمير ، فاعدت للانسان انسانيته ، ووصلته الى الطريق الذى يحفظ به كرامته ، ويكون

رسول ورسالة

مرفوع الراس دائمـا لانه يسير على الطريق المستقيم ، فكنت بحق رحمة للعالمين .

* * * *

تفتح يوم مولده صلوات الله وسلامه عليه فى شهر ربيع الاول عن خير شمل الدنيا كلها والانسانية جمعـاء وكان من حكمة الله أن ينشأ يتيما فقد مات أبوه عبد الله بن عبد المطلب وهو جنين فى بطن أمه آمنة بنت وهب فى أوائل مراحل الحمل ، ثم ماتت أمه وهى فى طريق عودتها بـه صغيرا الى مكة بلده ومسـقط راسه ، وكانت فى زيارة أخوال ابيه ـ بنى النجار ـ بيثرب ، فحرم صلوات الله عليه من حنان الامومة وهو فى سن أحوج ما يكون الطفل متطلبا له ، وحرم من عطف أبيه وتوجيهه وبره ، وخلا قلبه من شواغل الابوة والامومة ليمتلىء بما اعـده الله له من حمل رسالة الاسلام بعد أن يصنعه الله على عينه ويتعهده بالرعاية والتوجيه ، فكان فى كنف الله ، وحسبك من كان فى رعاية الله ، وكان سبحانه هو الذى يتولاه .

نشأ محمد بن عبد الله يتيما لا مال له ، بعيدا عن الجاه والسلطان فلم يخلف له أبواه مالا ولا سلطانا ، كان عزوفا منذ نشأته عن كل رجس ودنس، يميل بفطرته الى الخير ، وكان فى شبابه الصادق الامين فى قومه ، عرفوا عنه من أول أيامه بينهم الصدق والامانة والوفاء والمروءة والتعاون وحب الخير للناس جميعا ، وعندما اكتملت رجولته خلا بنفسه فى الغـار بعيدا عن الناس وعن كل متع الحياة يناجى ربه فيتقبله الله قبولا حسنا ، ويعلمه تعليما ربانيا ، وينزل عليه الوحى بكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، ويأمره

أن يبلغ الناس ما انزل اليه من ربه ، فيصدع لأمر ربه غير عابىء بما يقف فى سبيل ذلك من عقبات .

نعم علمه ربه ورعاه فلم يعلمه بشر ولم يتعهده بالرعاية والتوجيه انسان ، أدبه ربه فأحسن تأديبه وقوم خلقه فأحسن تقويمه ، ورعاه فأحسن رعايته ، وغرس فى نفسه مبادىء الخير واستأصل من نفسه كل معانى الشر فاستحق أن يصفه ربه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » وصدق الله اذ يقول : « ما ودعك ربك وما قلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى .. » فكان خير تلميذ لافضل أستاذ ، وصدق اذ يقول فيما يروى عنه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » فكان بحق انسانا سويا ، ومثلا أعلى للانسانية ، يسيل رقة ، ويفيض حنانا ، ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله العلم والحكمة ، وجعله نبيا مرسلا وختم به رسله وختم برسالته رسالاتهم ، وكان بذلك أهلا لتحمل هذا العبء الكبير ، وأن يحمل للبشرية جمعاء فى عصورها المختلفة دعوة التوحيد . فحمل الرسالة ، وصان الامانة ، وأحسن الرعاية ، وأخلص فى دعوته ، وكان المثل الاعلى لكل من آمن به حتى يرث الله الارض ومن عليها .

* * * *

ويوم أن دعا محمد صلوات الله عليه بدعوة الاسلام ، كان يقف فى وجهه واقع ضخم من عقائد وتصورات ونظم مختلفة ، وتقاليد متأصلة فى النفوس ، وكانت السيطرة الكاملة للمال والقوة ، لكنه وقف صامدا أمام كل ذلك غير عابىء بشىء منه ، ورفض ما عرضوا عليه من مال وجاه وسلطان وقال كلمته الشهيرة التى ملأت فم الدنيا طوال هذه السنين : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الامر أو أهلك دونه ما تركته حتى يظهره الله » وانتصر محمد بقوة ايمانه ، وانتصرت دعوته على الواقع الضخم ، ونادى فى الناس مقررا مبدءا انسانيا كبيرا ما كانت البشرية تعرفه فى ذلك العصر فقال :

« أيها الناس . ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد . كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربى على عربى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى » ، وبلغهم قول ربه فيما أوحى اليه : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله اتقاكم » . وقوله جل شأنه : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .. »،

ولم يكن هذا المبدأ أو غيره من المبادىء الانسانية التى جاء بها الاسلام ، ولم يسبقه اليها قانون حضارى لم تكن مبادىء نظرية ، ولكنها كانت أوضاعا عملية ، فقد خضعت رقعة فسيحة من المعمورة للحكم الاسلامى ، شملت أجناسا مختلفة والوانا متباينة ، وعاش الجميع فى ظل الحكم الاسلامى إخوانا متحابين ذابت من بينهم فوارق الجنس واللون والطبقية المتحكمة ، وانما كان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ،

وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى لـــه سائر الجسد بالحمى والسهر .

كان هذا المبدأ واقعيا اذا فى حياة الجماعة المسلمة التى طبقت حكــم الاسلام وخضعت لنظمه وتعاليمه ، وسرعان ما عم أوطانا كثيرة دخلها الاسلام بنوره قبل أن يدخلها المسلمــون بسيوفهم ، وسرعان ما انتشرت الدعوة الاسلامية ، وساد المسلمــون العالم بالقيم الخلقية ، والمبادىء القانونية العادلة ، ونشروا العلم والمعرفة وحافظوا على التراث العلمى ، وكانوا كقائدهم الاول ، ومعلمهم الذى يقتدون به وينهجون نهجه ويتمثلون بـــه ، ان انتصروا لم يبطرهم الظفر ، وان كانت الاخرى لم ييئسوا ولم ييأسوا ، فهم فى الحـــالين منتصرون على أنفسهم ، لانهم أصحاب محمد صلوات الله وسلامه عليه الذين صاغهم من معـــادن العرب رجالا ونساء قدمهم الى الدنيا كلها .

＊ ＊ ＊ ＊

ان الدين الذى جاء به هذا الرسول الكريم منهج الهى للحياة البشرية ، وقوة بناءة وحركة دافعة الى النمو المطرد وانطلاق الى الحركة ، وهـــذا المنهج يتم تحقيقه فى حياة البشر بجهد البشر أنفسهم ، وفى حدود طاقتهم ، وفى حدود الواقع المادى للحياة الانسانية فى كل بيئة ، ولا يتحقق بمجرد ابلاغه للناس وبيانه لهم ، وانما بالعمل على مقتضى تعاليمه ، عمل العقل ، وعمل البدن .

وعمل العقل يكون بفهم نصوصه والتعرف على مقاصده فى ضوء واقع الحياة الذى جاء هـــذا الدين مسايرا لمصالـــح الناس الحقيقية لا التوهمية ، وهذا يقتضى التزود بالعلم والمعرفة ، ومن أجل ذلك وجه الاسلام الى العلم والتزود بـــه فى أول آية نزلت من القرآن جميعه ، اذ يقول جل شأنه « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

وعمل البدن بالمشى فى مناكب الارض ابتغاء للرزق واستثمار كل ما فيها من خيرات يقول الله : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخـــرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ». فقد قرن الله العمل بالعبادة ونبه الى أنه لا ينبغى أن يصرف التوغل فـــى العبادة الناس عن أمور معاشهم وشئون دنياهم يقول سبحانه جل شأنه : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » .. فربط الرزق بالسعى فى طلبه والعمل من أجله ، وان حرص الدين الاسلامى على العمل لمن أهم ما يتجلى فى توجيهاته الرشيدة وتشريعاته الحكيمة فقد كلفنا الله بالعمل والضرب فى الارض لعمارتها فى آيات عديدة ولقد كان الرسول نفسه مثلا أعلى فى الكفـــاح والسعى ، وكان يشـــارك أصحابه فى الشـــئون العامـــة حين يتحركون ويقول صلوات الله عليه فيما يروى عنه : « اطلبوا الرزق فى خبايا الارض » ويقول : « لان يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعـــه » وكان أبو بكر يتعيش من حرفته فى صدر خلافته وكان عمر يقول : مـــن كان لـــه مال فليصلحه ومن كانت له أرض فليعمرها ولا تؤخروا عمل اليوم الى غد »

وصدق الله العظيم : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

****

أخى القارىء الكريم : أعتقد أنه من واجبى ونحن فى هذه الذكرى العطرة — التى يجب ألا يختص بها هـذا الشهر وحده ، وانما ينبغى أن تكون حاضرة وماثلة فى الاذهان دائما — أن أقدم شيئا من المثل العليا فى صفات الرسول وأعماله لنعمل على منوالها فى حياتنا ما أمكن ، وشيئا عن الرسالة التى حررت الانسان من الاستعباد والظلم والطغيان .

أولا : من صــفات الرسول وأعماله :

١ — خلقه ومظاهر السلام فى حياته : كانت مثالية النبى صلى الله عليه وسلم فى الخلق الرفيع أكبر حافز لاصحابه أن يتنافسوا فى القرب من معانيه العظيمة الكريمة . وسألوا عائشة رضى الله عنها وعنهم عن خلقه فقالت « كان خلقه القرآن ، يحل حلاله ويحرم حرامه ، ويقف عند حدوده »، ولقد صدقت فيما وصفت ، فقد كان القرآن رضاه وسخطه ، به يصادق وفيه يعـادى ، وقد جعل صلوات الله عليه نفسه المثل الاول فى مظاهر التحرر الاسلامى ، فكان ينهى أن يعظموه فيقول : « لا تعظمونى كما تعظم الاعاجم ملوكها » وكان من الآثار العامـة لهذا الخلق : أن ألغى الفوارق فى مجتمعه وحاربها ، فقوى المجتمع الاسلامى قوة ناهز بها جميع الامم .

واذا كان السلام هو الامان ، وكانت الوسيلة اليه تأليف القلوب بكف الاذى تارة والاحسان تارة أخرى ، فقد كان رسولنا الكريم النمط الاعلى والغاية التى ليست وراءها غاية فى ذلك المعنى ، فهو الذى قال له جبريل وحى السماء : ان الله كلفك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقد روى ابن عباس أن المنافقين كانوا يؤذون النبى ، وكان كلما أذن له فى التشــديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة ، فكـان يستغفر لهم حتى أنزل الله قوله : « استغفر لهم أو لا تستغفر ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، ولقد وضعت له احدى اليهوديات السم فى الشاة التى قدمتها له طعاما فى المدينة فما حاول أن ينتقم منها ايثارا للسلام .

وكذلك من تتبع سيرته مع زوجاته وجـد ايثاره للسلام حافا بـه ومسيطرا عليه فقد روى انهن شغبن عليه فى بعض المناسبات . فما زاد على أن أعتزلهن حتى يثوب اليهن رشدهن دون خصومة ولا ايذاء ، فلا غرو أن تصفه السيدة عائشة بقولها : « لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا يجزىء السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح وما ضرب بيده شيئا قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا أن يضرب فى سبيل الله ، ولا سئل شيئا قط فمنعه الا أن يسأل مأثما ، ولا انتقم لنفسه الا أن تنتهك حرمات الله » .

روت كتب السيرة أنه حين أخرج من مكة الى الطائف ، وأغرى به أهل الطائف سفهاءهم وصبيانهم على رميه بالحجارة حتى أوجعوه وأدموا

قدميه ، وقف يدعو الله قائلا : « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى » فأرسل الله اليه ملك الجبال يقول له : ان الله أرسلنى اليك لأكون طوع أمرك فان شئت طبقت عليهم الاخشبين ـــ وهما جبلان يحيطان بمكة ـــ فأهلكتهم جميعا . فقال عليه السلام : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئا » . فانظر كيف آثر الرحمة والسلام وهو فى أشد حالات الضنك . أليس هو القائل : المسلم من سلم الناس من لسانه ويده .

وما يدل على أن الرسول عليه السلام عرف بين قومه وأعدائه بحبه للسلام ما روى أنه وقد عـــاد هو وأصحابه من بعض الغزوات ، ونزلوا فى بعض الطريق ليستريحوا من أعباء الجهاد والسفر . فتفرقوا وكان النبى نائما وحده تحت شجرة فأتاه بعض المشركين خلسة ، وأخذ سيف النبى فهزه فى يده ليقتل به النبى فاستيقظ الرسول وهو على ذلك فقال لـــه المشرك : من يمنعك منى يا محمد ؟! قال : الله . فارتعدت فرائص الرجل ووقع السيف من يده . فأخذه النبى وقال للرجل من يمنعك منى ؟ فقال يا محمد : كن خير آخذ . فعفا عنه .

وانظر اليه حينما دخل مكة فاتحا منتصرا وخافه المشركون من أهلها لانهم آذوه وعذبوه وأخرجوه منها لكنه جمعهم وقال : يا معشر قريش ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

جاء محمد رسول سلام ينادى به ويحرص عليـــه ، لكنه السلام العادل ، والعدل المسالم ، فاذا ما تهـــدده البغى هب للدفاع لا يرجو الا النصر أو الشهادة ، ويتحدى خصومه فى ساحة الحرب ، وما ذلك الا لان الاسلام حينما يدعو الى التسامح والسلام ، انما يدعو اليـــه فى عزة اذ حينما يكون فى مركز الضعف فانه يكون استسلاما لا سلاما .

٢ ـــ علو همته وبعده عن السفاسف :

جاء فى شمائل النبى صلى الله عليه وسلم أنه اذا أوى الى منزله جزأ وقته ثلاثة أجزاء . جزءا لله ، وجزءا لأهله وجزءا لنفسه . ثم جعل ما لنفسه قسمة بينه وبين الناس ، فيعلم خواص أصحابه ما ينقلونه الى عامتهم ، وان كان صلوات الله عليه يعلم الجميع اذا خرج اليهم فلا يدخر عنهم شيئا .. ويقول الامام على : انه كان من مسلكه فى جزء أمته الذى خصصه لهم ايثار أهل الفضل بالاذن لهم بالدخول عليه فيعطى كلا منهم ما يناسبه من العلم ، وكان يتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم ويصلح الأمة معهم ، فكان يقول لهم : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وأبلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته ، فان من أبلغ ســـــلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة » لا يذكر عنده الا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، فيخرجون من عنده أدلة على الخير اذ كان صلوات الله عليه كما يقول الامام على : يحفظ لسانه الا فيما يؤلفهم ولا ينفرهم ، ويحسن الحسن ويقبح القبيح ، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا .. لكل حال عنده عتاد ، وفى هذا ما يدل على ما كان عليه النبى صلوات الله عليه من الجد والصراحة ، وعلو الهمة والبعد عن الدنايا والسفاسف ، كان حاذقا يحترس من الناس من غير أن يتجهمهم .

وكان على جانب موفور من الذكاء وقوة العقل ، وكان لذلك أثره

الواضح فى توجيه الانظار الى الاسلام بالتقدير والاقبال ، فكان يسع الناس بحلمه وكرم نفسه ..

وقد كانت مقدمات الهجرة آيات بينات على صدق تلك العبقرية فقد تخير فيها من يبيت مكانه ، وتخير فيها من يصحبه ، وتخير فيها غارا يختبىء فيه فى الطريق المضاد لهجره ، وتخير فيها من يروحون ويغدون بين الغار ومكة ، كما كان اعداده لفتح مكة وتكتمه حتى بالنسبة لجنده وقواده وجهته ، وتكتيكه العسكرى لذلك وتوزيع قواته عند الهجوم لأكبر دليل على ذكاء متوقد وقدرة فائقة فى علو الهمة .

انظر اليه وهو يضع أسس الوحدة بين من آمنوا به حتى أصبح الواحد منهم يؤثر أخاه المسلم على أهله وعشيرته المخالفين له فى العقيدة ؛ فالمسلمون جميعا يخضعون لاله واحد لا شريك له ، ويتجهون له فى صف واحد لا تمايز بين أفراده ، والى قبلة واحدة وهدف واحد ، والجميع يتعاونون فيما بينهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يتوفر على العبادة بما لا يطلبه من اتباعه ، ويملأ كل فراغه بطاعة الله والانابة اليه والخشوع بين يديه ، ويسأل الله أن يعطيه العون على شغل ما استطاع من وقته بالعبادة ، وأن يحفظه من التورط فيما لا يرضيه ، وكان فى كل أوقات حياته منيبا الى ربه لا يغفل عن ذكره ولا يشتغل بغير مرضاته والاتجاه الى ذاته ، ولهذا كان يمده الله سبحانه بخير مدد يقوى هذه العناية وهو لقاء جبريل معه ومدارسته القرآن فى شهر رمضان .

ومع حرصه صلوات الله عليه على اليسر له ولأمته فانه كان أحيانا يختص نفسه بمواصلة الصوم زيادة فى الرياضة النفسية الملائكية .. روى الشيخان عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن صوم الوصال رحمة بالناس . فقالوا : انك تواصل ؟ فقال : انى لست كهيئتكم انى يطعمنى ربى ويسقين » .

* * * *

هذه مقتطفات سريعة نعرضها فى هذه المناسبة من صفات الرسول وأعماله وما أجملها وأكثرها نكتفى بها حتى نجد مجالا فى هذا المقال لما وعدنا به من الاشارة الى بعض ما جاءت به الرسالة من ثورة اصلاحية على النظم الفاسدة ..

ثانيا : دعوة الاسلام :

كانت دعوة الاسلام ثورة اجتماعية على الاوضاع الظالمة ، والنظم الفاسدة التى أشاعت فى الناس الانحلال الخلقى فأوغلوا فى الشهوات بلا عفة ، واندفعوا وراء الملذات بلا ضابط ولا حاجز الا سلطان المقاومة الجائرة بكل ما يتصور من وسائل العنف والقسوة . فقد كانت هذه النظم الفاسدة فى التعامل وفى سائر الصلات ، والتفاوت الواسع بين

الناس فى الحقوق والواجبات أمرا شائعا فى كثير من بلاد العالم .

فلما بعث الله محمدا برسالة الاسلام .. قضى بالحكمة والموعظة الحسنة على ذلك الفساد شيئا فشيئا حتى اجتثه أولا فى أمته من جذوره عندما أخذت بتعاليم هذا الدين ، فثار بدعوته على البغى والطغيان ، وعلى الخيانة والكذب ، وعلى التعـــالى والتعاظم ، وعلى التفرقة بين الناس : الافراد والجماعات ، اذ جاء بالعدل الكامل ، والامانة التامة ، وحث على الصـــدق وأوجب التزامه فى كل شىء ، وحارب الفوارق الطبقية الواسعة ، ودعا الى التعاون والتآزر ، وجعل للفقير حقا فى مال الغنى يقوم بأوده ويطهر قلبه من عوامل الحقد والغل ، فاستقام النهج وامتلأت قلوب المسلمين حبا وخيرا ، واستحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للنـــاس ..

ومما ضرب به رسول الله المثل فى رفع رؤوس المسلمين وتحريرهم من ربقة الذل والاستعباد ، أنه وقعت خصومة بين أبى ذر وبلال ، وكان أبو ذر موسرا صاحب مال وجاه ، وكان بلال فقيرا لا مال له ولا جاه ، فكان مما جرى فى تلك الخصـــومة أن عير أبو ذر بلالا بقوله : يا ابن السوداء ، فلما سمع النبى ذلك تغير وجهه وقال : « طف الصاع ، طف الصاع . أعيرته بأمه ؟! انك امرؤ فيك جاهلية » . ثم انتهز هذه الفرصة فقام خطيبا بين أصحابه لينبه الى حق بلال وأمثاله من وجوب تكريمهم ومساواتهم للآخرين ، فكان مما قال : « اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ولا تكلفـــوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينـــوهم ، فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم » .

حرصت رسالة الاسلام على رد الانسان الى فطرته التى فطر الله الناس عليها ، واخضاعه لربه ، فالتوحيد هو المعنى الاول الذى اذا تمكن من النفوس ذاقت طعم التحـــرير ولم ترض ربا غير الله ، وهو المعنى الذى يشع فى العقول بأن الناس سواء فى الانسانية ، ولهذا قرن بهذه الدعوة الموحدة رفع آصار التعظيم لغير الله أيا كان قدره ، يقول جل شأنه : « اياك نعبد واياك نستعين » فلا معبود غير الله ، ولا مســتعان سواه ، فمن عبد غير الله ولجأ اليه فهو مفتر على الله الكـــذب ، ومن استعان بسواه فهو خارج عن نطاق الدعوة المحمدية .

ولقد كان من ثمرات ذلك التحرر الكريم أن سوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق والواجبات على الجملة ، ورفع من شأنها وخاطبها بما خاطب به الرجل من تكاليف وعبادات ، بعد أن كانت مغلوبة على أمرها ، مهضومة الحق تعتبر ميراثا ضمن تركة المورث فى بعض الجماعات .

نعم ، لقد ساوى الاسلام بينهما ، وما وجد فى بعض أحكامه من فوارق يسيرة نشأت عن اعتبارات خاصة ، فان كان نصيب الذكر فى الارث ضعف نصيب أخته ، فلأنه هو المنفق عليها وعلى أولادها منه .. كما قاوم الرق بكل صور الاسترقاق لأن ذلك الرقيق المستعبد ان هو الا انسان فيه طاقات الانســـــان ومزاياه ، ومن انحرف عن تقديره وتكريم انسانيته فقد انحرف عن الاسلام ، ولولا أن الرق كان نظاما دوليا لما أقره الاسلام ولما اعترف به حتى فى الحد الضيق الذى قصره عليه معاملة بالمثل فى الحروب ..

ونظم حياة الأسرة وجعل للزواج حدودا يرعاها كل من الزوجين وجعل القوامة للرجل ، وجعل أساس الزواج الواحدة ، وأباح التعدد فى نطاق معين اذا ما وجدت الحاجة اليه مع القدرة وتحقق العدالة ، وذلك لاعتبارات تقتضيه وتتطلبه . ورأى الاسلام أن تحل مشاكل الاسرة بأيدى أفرادها وفى دائرتهم الضيقة كما يقول الله سبحانه : « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن » فاذا لم يجد ذلك واستعصى الامر استعانوا بأقربائهم يقول الله : « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته » . كما بين حقوق الاولاد وواجباتهم ، وما تتطلبه صلة القرابة عموما من واجبات وحقوق .

ونظم الارث نظاما محكما فترك للشخص حق التصرف فى تركته وفى حدود الثلث ، ووزع الشارع الحكيم الباقى بين الاولاد والاقارب وأحد الزوجين ، وأمرنا باتباع حدوده فى هذا وقال : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما » ..

* * * *

وهكذا فقد وضع الاسلام للاسرة من القواعد والنظم ما يحفظ كيانها ويؤمنها الزلل ويجنبها الهزات العنيفة ، ان أحسن الناس فهم دينهم ، وأخلصوا النية عند تطبيق أحكامه ، كما نظم علاقات الافراد والجماعات فى السلم والحرب فى جميع شئونهم ومختلف الحياة بينهم — وجاء فى كل هذا بالمبادىء الثورية القويمة التى هدمت الفساد والظلم ودعت الى ما فيه صلاح الانسانية ورقيها ، فكانت دعوة الاسلام ثورة كبرى ، مصلحة لجميع النظم ، مقومة لكل زيغ فى العقائد والاخلاق والصلات والمعاملات ، وكانت ثورة محققة لأن يعيش الناس جميعا فى أمن ورخاء وفى هدوء واستقرار .

ومع هذا فكانت ثورة لا توجب بغيا ولا ظلما ، ولا توقع الناس فى عدوان ، ولا غرو فهى دعوة الحق بوحى من الله الذى لا تخفى عليه خافية وهو أعلم بعلل الناس وأمراضهم فهو خير مرجع وأفضل متبع .

* * * *

وبعد .. فما أجدرنا أن نذكر وأن نتذكر أن حياة هذا الرسول الكريم وهداه لم يخل كلاهمـــا من عبرة ومن تذكرة ، ومن درس خالد يذكره المسلمون دائما ويهتدون بهديه صلوات الله عليه فهو نبى السلام ونبى الجهاد ، الذى رسم لنا سبيل الحياة وسبيل الدفاع عن حق الحياة ، بدأ البناء على أساس عقيدة صلبة ثم أرسى فوق هذا البناء صرح الاخلاق ، فكانت دولة الاسلام قوية بالحق ، فياضة بالعدل ، محمية بســـلاح الايمـــان ..

مكتبة المجلة

للاستاذ : عبد الستار محمد فيض

من حيـــــاة الرسول
(صلى الله عليه وسلم)

دراسة فى كتاب تتناول جانبا هاما من حياة النبى صلى الله عليه وسلم اعتمدت على مصادر مشهود لها بالثقة والتحرى والدقة وتقدير المسئولية فى نقل الاحداث وتدوين الاخبار ، والكتاب يتعرض للفترة التى قضاها النبى عليه السلام قبل البعثة وقد عرض الغزوات فى أسلوب سهل وعبارات يسيرة وكانت غاية المؤلف فى هذه الدراســـة ألا يقتصر عمله على الرد الموضــوعى المجرد لحوادث الغزوات بل تنـــاول كل غزوة فغذى حوادثها بتحليل لبعض زواياها وأضاف اليها تصويرا لبعض أركانها ومشاهدها كما حلل موقف أبطالها بقصد التشويق النفسى وجذب القارىء لمطالعتها فيجد فيها المتعة الذهنية والمتـــابعة العذبة ومع ذلك لم يتخل الكاتب عن أساليب كتب السيرة المتقدمة فخرج الكتاب مزيجا من القديم والحديث .

والكاتب هو الاستاذ سعد صادق محمد وكتابه يقع فى أكثر من ثلاثمائة صــفحة والتزم بطبعه ونشره مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلى باشا — القـــاهرة .

الرسول والرســـــالة
للرد على شبهات الضالين ودرء مفتريات الحاقدين

كتاب من تأليف الاســـتاذ توفيق علي وهبه يتضمن الرد على كتاب صدر مؤخرا تعرض فى صفحاته للرسول صلى الله عليه وسلم وللقرآن الكريم ولبعض الامور المتعلقة بالرسالة الخاتمة علاوة على بعض الخرافات التى ألصقها مؤلفه بالفاتحين من المسلمين .

ولم يقصد الكاتب بهذا الرد الا بيان الحقيقة ، فضمن كتابه سبعة فصول تناولت تأكيد القرآن والسنة لبشارات المسيح ومعجزة الرسول وكيفية انتشار الاسلام وتحويل القبلة وحروب الردة وغير ذلك من الامور التى تعرض فيهـــا الكتاب المذكور للرسول وللاسلام وللمسلمين فخرج كتاب (الرسول والرسالة) ليفند تلك المفتريات والمزاعم ويبين للعالم بطلانها وفسادها .

والكتاب ما زال تحت الطبع ونأمل أن يكون بين أيدى القراء قريبا ..

الله أعلم

حال النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة دليل على صدق رسالته

د. وهبه الزحيلى

ان ينبوع احترام الانبيـــاء والعظماء كامن في خصـــائص شخصية ومقومات ذاتية ، والتزام بقيم عالية ، يعتبرون بها قمة المثل العليا ، وخير أسوة حسنة أخرجت للناس ..

وان مقياس تقدير الرجال والزعماء الخالدين فى أذهان الناس قاطبة مقياس حساس يتجلى فى مدى الاحترام الذى يكنه السامعون لكلامهم ، وفى ميدان الاعمال البارزة التى تصدر عنهم أثناء مراقبة تصرفاتهم وسلوكهم عن كثب ..

ثم ان نجاح القادة فى مهماتهم أمر نسبى ، فغالبا ما يتخلل تاريخهم

حيث تجعل رسالته

عثرات قد تكون بعيدة الأثر فى حياة بلادهم ، واذا نجحوا أحيانا فى تحقيق نصر ما ، فانتصارهم اما مؤقت أو مقيد بناحيـــة معينة أو فى مكان خاص ، وقلما يحصل الفوز فى كل نواحى الحياة .

ويمتاز الانبيـــاء فى كل ذلك بأنهم طراز من نوع خاص يفوقون به كل أوصاف العظمة والتفوق لدى الابطال والقادة ، اذ ما من عظيم أو بطل ، ولو كان عبقريا أو مفكرا مبدعا الا وله هنات أو معايب تنقص من قدره ، كارتكاب بعض الزلات أو الاخطاء ، أو الوقوع فى كبوات فكرية ، أو السير فى سلوك شائن فى مسيرة قافلة الحياة التى يحياها .

أما الانبياء ــ بتكوين الله ورعايته لهم ولو قبل النبوة ــ فلا نجد منهم اطلاقا ما يعد كبوة فكرية أو زلة اعتقادية تصبح يوما ما مستمسكا للشماتة والتعيير ، أو محلا للنقد والتشهير والتكذيب . وما قد يقع من نبى من وقائع مادية خاطئة فى الظاهر قبل النبوة ، فهو لا يصدر عن تصميم وسابق اصرار وتفكير ، وانما يعد اجتهادا خاطئا أو اختيارا لأحد أمرين مأذون فيهما ، لكن أحدهما أفضل من الآخر فى تقدير الاله الحكيم .

وكذلك نجاح الانبياء ولاسيما رسل الله عليهم صلوات الله وسلامه ، كان عاما وشاملا جميع مناحى الحياة لوجود وحدة منهجية متكاملة لديهم فى العقيدة والاخلاق والمعاملة الطيبة والسلوك الشريف .

وأنموذج الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى ولد منذ أربعة عشر قرنا وشهور ثلاثة يعتبر مثلا فذا واضحا للاستدلال بمنهج حياته قبل البعثة على صدق رسالته التى اصطفاه الله لتبليغها للنـــاس ، وكان لذلك آثاره النفاذة فى اقناع اتباعه بدعوته ، والثقة بأقواله كما سيظهر لنا من خلال الامثلة التى سنذكرها من أقوال وكلمات خصومه أو عقلاء العرب فى الجاهلية عندما بدأ بدعوته .

ففى حياة النبى صلى الله عليه وسلم من الميلاد الى البعثة مظهر حى يدعونا الى الثقة برسالته متمثلا ذلك فى يتمه ، وأميته ، وكثرة تأملاته فى الكون ونفوره من عادات قومه الســـيئة ، وشخصيته القوية ، وســـمو أخلاقه ، وتميز سلوكه ، ورعاية الله له ، ونحو ذلك ، مما جعله يبلغ مرتبة الكمال الانسانى التى لا تكون لغير نبى مرسل معصوم مصـــدق فى ادعائه الرسالة . .

أما معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البعثة الدالة على صدق نبوته فكثيرة معروفة ومحلها بحث آخر ، من أهمها ما أيده الله به من وحى القرآن الكريم الذى نجد فيه ذلك التحدى الخالد الموجه لا لكل انسان

فحسب ، بل للانس والجن معا للاتيان بمثله أو ببعض مثله أو بآية : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، لأنه ليس كلام بشر ، وانما هو كلام الخالق الذى لا يضارعه أحد ، ومن أروع صفاته تأثيره العجيب فى نفوس سامعيه ، واشتماله على وحدة خفية عميقة بعيدة المدى سواء فى ترابط سوره أو فى ضمن السورة الواحدة التى قد يذكر فيها عدة موضوعات تكمل بعضها بعضا فى سبيل غاية كبرى وان تراءت فى الظاهر مفككة المعانى بعيدة عن الوحدة المنطقية لدى بعض المستشرقين السطحيين الحاقدين ، مثل كارليل وموير وأرفنج ومرجليوث ونحوهم من شبابنا المثقف الذين اغترفوا من بؤرهم الخبيثة فصاروا كفارا أمثالهم .

فبالاضافة لهذا التأييد الحاسم الكلى من الله لرسوله بالمعجزة الخالدة التى جعلته ليس فى ذروة البطولة فقط ، بل هو الرحمة الكبرى المهداة للوجود كله ، نرى فى شباب النبى صلى الله عليه وسلم ومولده أمثولة الاعجاب : فقد حفظ الله له طيب المحتد ، وكرامة المنشأ والمعدن والاصل ، فقال عليه السلام عن نفسه ونسبه : « أن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ؛ واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار » وكان يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى » وأبان صلى الله عليه وسلم مرة أخرى عن نفسه ودوره بالنسبة للانبياء السابقين ، وصلته بهم بعد أن سئل عن ذلك فقال : « أنا دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام .. » .

وكان اليتم وحرمانه ، وشظف العيش وقسوته ، وهواء الصحراء وخشونة عيش البادية ، رفيق النبى صلى الله عليه وسلم فى طفولته حيث انه فقد أباه عبد الله وهو جنين كما يقول ابن هشام ، أو هو ابن شهرين أو أكثر كما يقول أكثر العلماء ، وتوفيت أمه آمنة وهو ابن ست سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، وكانت مرضعته فى الصحراء حليمة السعدية ضعيفة الحال ، الا أنها كانت تحدث أنها وجدت فى رضيعها محمد منذ أخذته أى بركة .. سمنت غنمها ، وزاد لبنها وبارك الله لها فى كل ما عندها ، ولكن هذا اليتم وقسوة الحياة كان منبت أعظم الرجال ، والمثل الاعلى للعظماء والانبياء معا .

وذلك بالرغم من كونه عليه السلام نشأ أميا لا يقرأ ولا يكتب كشأن قومه الأميين الذين كانوا يجهلون عقائد الملل الاخرى ، وتواريخ الأمم وعلوم التشريع والفلسفة والادب ، حتى يتهيأ للوحى الالهى الذى يلقنه تشريع السماء الكامل العادل دون أن يكون له دور أساسى فى استنباط شىء بعقله ، أو ايجاد تشريع بفكره ، أو كتابة شىء بقلمه الا ما يأتيه به الوحى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » ، « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ، « فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » . فأمية هذا النبى لم تمنعه بواسطة الوحى من تغيير وجه الحياة رأسا على عقب ، وقلب الأمة العربية الأمية ، الى أمة تتسنم أرقى مدارج العلم والمدنية والحضارة ، بعد أن كانت

غارقة فى حمأة الهمجية والخرافة والرذيلة ، أو قابعة فى أوضار الوثنية المتردية ، والعقول المشتتة بين أصنام عدة تمثل آلهة متعددة .
ولقد أحسن البوصيرى رحمه الله تعالى ، اذ عبر عن معجزتى اليتم والأمية فقال :

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة   فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وتتجلى عقلية النبى الشاب الكبيرة فى شدة كراهيته للأوثان ، ونفوره من عادات قومه السيئة ، وعبادة الأصنام وكثرة تأملاته وتفكيره فى الكون ، وانقطاعه للعبادة أو التحنث فى غارحراء — على فرسخين من شمال مكة — فذلك كله أكسبه دقة نظر ، وحصافة عقل ، وارهاف ذوق ، وسلامة فطرة ، وقوة غذاء للقلب والروح ، وطاقة فكرية مجردة مستقلة هيأته لمنصب النبوة الأسمى ، ومركز الرسالة الاعلى للتبليغ عن الله شرعا دائما ، وسنة كاملة ونظاما بديعا الى آخر الدهر : جوهره الايمان بالله وحده ، وعبادة الخالق الاعظم ، ورفض الأوثان ، والكفر بالطاغوت والشرور والآثام ، واعلان هذا النداء الخالد : « يا أيها الناس قولوا : لا اله الا الله تفلحوا » .
ومن أجل تحمل أعباء الرسالة الالهية والاعداد لنشر الاصلاح العام ، كان النبى صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى للشخصية القوية صاحبة الارادة الشديدة فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، وتحمل شتى ألوان الاضطهاد ، والتعذيب من قومه وعشيرته ، وارتفع فوق الاحداث حتى استطاع تغيير الطبائع المعوجة ، واصلاح الاخلاق الشاذة ، وانارة طرق المثل العليا ، والنهوض بأمته الى مستوى أعلى ، والدفع بقومه نحو التقدم والرفعة ..
وقائد كمحمد صلى الله عليه وسلم جدير بأن يكون فى سبيل نشر دعوته مثلا فذا للانسانية ، ومحبة الآخرين والاخلاق الرفيعة ، لذا وصفه الحق تبارك وتعالى بأشرف صفة فى الانسان ، فقال عنه : « وانك لعلى خلق عظيم » ووصفه الحسن بن على رضى الله عنهما بقوله : « كان الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم أشد الناس زهدا وقناعة ، ليس بمتكبر ولا متجبر ، رءوفا رحيما ، كريما حليما ، صادقا أمينا ، شجاعا مقداما ، جامعا لكل محاسن الصفات البشرية ومكارم الاخلاق الادبية » .

وقد بوأته هذه الاخلاق الكريمة أن ترضي به معشر قريش حكما فيمن يضع الحجر الاسود ، قال أبو أمية بن المغيرة المخزومى . يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضى بينكم فيه ، ففعلوا فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد . واتصافه بلقب (الامين) كان حجة قوية ودليلا واضحا على صدقه بادعاء الرسالة من عند الله ، كما أن اتجاره بمال خديجة — رضى الله عنها — الى الشام وربحه الوفير ورعيه الغنم كان دليلا على عزة نفسه وعلو همته ومقدرته ورقة شمائله ، وجمال نفسه مما لا يصدر الا عن شخصية خاصة يدمغها خاتم النبوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبى الا وقد رعى الغنم » قيل : « وأنت يا رسول الله ؟ » قال : « وأنا » .

وكانت رعاية الله ترعاه فى حياته « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » وكان من ارهاصات نبوته ملء قلبه بالحكمة بكيفية مادية ، حدثتنا عنها سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس لنا الا تصديق ما جاء فيها لصحة خبرها وترك ظاهرها الى الله سبحانه ، وهو حادثة شق الملكين صدر النبى صلى الله عليه وسلم حينما كان طفلا صغيرا فى بادية بنى سعد فيما ذكره ابن هشام وتأيد ذلك مرة أخرى قبيل الاسراء فيما أخرجه مسلم(١) عن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فأتيت بطست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا فشق من النحر الى مراق(٢) البطن فغسل بماء زمزم ثم ملىء حكمة وايمانا » .

هذه الالوان وغيرها من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت مدعاة لقبول دعوته وأثرت فى مشاعر الناس ، فمهدت لتصديق رسالته ، وامارات ذلك تتضح فيما يأتى :

١ — قال الراهب بحيرى لعمه أبى طالب فى بصرى الشام أثناء تجارته لخديجة : ارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده ..

٢ — وقال ورقة بن نوفل حينما بدىء النبى بالوحى : لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبى هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبى ينتظر هذا زمانه .

٣ — قالت خديجة بعد أن أخبرها النبى صلى الله عليه وسلم ببدء الوحى : « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

٤ — قال رجل عائف(٣) من لهب من أزد شنوءة حينما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الغلام : على به » . فغيبه عنه عمه أبو طالب فجعل يقول : « ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شأن » .

٥ — حينما أراد النبى صلى الله عليه وسلم الجهر بدعوته التى ظل يدعو قومه اليها سرا ثلاث سنين خرج الى البطحاء فصعد الصفا فنادى (يا صباحاه) فاجتمعت اليه قريش فقال :

« أرأيتم ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا . فقال : انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فسخر به جماعة ، وآمن به آخرون متذكرين صفاته السامية طوال عمره الاربعين سنة فيهم ، وكان أبو جهل يقول : « انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به » .

٦ — قال كاهن جنب من مذحج بطن من اليمن لقومه حينما طلبوا منه

النظر فى أمر هذا الرجل — رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيهـا الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيهـا الناس قليل » .

٧ — قال الوليد بن المغيرة عن القرآن بعد أن نفى نفر من قريش عن النبى صلى الله عليه وسلم صفة الكاهن والمجنون والساحر : « والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق(٤) وان فرعه لجناه ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل » .

٨ — قال عتبة بن ربيعـة لاصحابه : « انى قد سـمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهالة يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هـذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فان تصـبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به .. » .

٩ — نصح النضر بن الحارث قريشا بالتدبر فقال : « يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صـدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينـا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها : هزجه ورجزه ، وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا فى شأنكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم » .

١٠ — قال الجلندى ملك عمان عندما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام : « والله لقد دلنى على هذا النبى الأمى أنه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به ، ولا ينهى عن شىء الا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد ، وينجز الموعود ، وأشهد أنه نبى » ..

وهكذا كانت مراحل حياة النبى صلى الله عليه وسلم سواء قبل البعثة أم بعدها حلقات متكاملة تتآزر عراها مؤيدة صدقه فى رسالته وانتصاره فى دعوته حتى عد أعظم الانبياء والمصلحين الدينيين نجاحا لأنه أحدث فى عصره تغييرا شاملا فى كل نواحى الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية ، لم يشهد له العالم نظيرا أو شبيها فى التاريخ .

---

(١) راجع شرح مسلم للنووى : ٢/٢٢٣ — ٢٢٦ .

(٢) وهو ما سفل من البطن ورق من جلده ..

(٣) العائف : الذى يتفرس فى خلقة الانسان فيخبر بما يئول حاله اليه .

(٤) العذق : النخلة ، يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها ، وقوى وطاب فرعها اذا جنى .

مشاعر أسيفة في ذكرى المولد :

يا للرجال

محمود مؤذن

الله جلّ جلاله ، ربّى محمداً ليربي به العرب

وربّى العرب بمحمد ليربي بهم الناس

بغير دين

للشيخ محمد الغزالى

أحيانا يقترف الناس فى جنب الله سيئات يظهر فيها جهلهم بـــه ، واجتراؤهم عليه ، وينكشف فيها ما فاتهم من خشوع وأدب ، فيكون تعليق القرآن الكريم على هذا النوع أو العوج المنكور « وما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز » أو ما أشبه ذلك من التعليقات التى تبرز بعد الشقة بين ما يجب لله ، وما يقع من الناس .

والنقائض فى أفعال البشر كثيرة ، ولعل أخسها بعد الاساءة الى الله ما يلقاه محمد صلى الله عليه وسلم من جماهير العرب فى هـــذا العصر الأنكد . ! انهم ما أحسنوا الى تراثه ، ولا قدروه حق قدره ، ولا غالوا بشرف الانتساب اليه عندما ابتلوا بالتقصير فيه !! بل وجد فيهم من يريد العيش بعيدا عن رسالته زاهدا فى دعوته ..

ولما كان الله قد ربى محمدا ليربى به العرب ، وربى العرب بمحمد ليربى بهم الناس ، فان معنى التجهم لمحمد وتراثه أن العرب ينتحرون فى الميدان العالمى ، وأنهم يحاولون أن ينأوا بأنفسهم فى ركن من الارض فقير من عناصر الشرف والسيادة ومقومات الحق فى الدنيا والآخرة .. !!

اننى أسأل نفسى بالحاح فى هذه الايام العجاف : هل يشعر العرب بأن محمدا : مرسل للعالمين ؟ وأن هذه (العالمية) فى دعوته تفرض عليهم بعد اذ عرفوه أن يعرفوا الناس به ، وهم عندما يعرفون الناس به لن يصفوا لهم ملامحه الشخصية وانما يشرحون لهم رسالته الآلهية .. !!

لكن عرب اليوم لا يقدرون محمدا قدره ، ولا يخلفونه بأمانة فى مبادئه وتعاليمه ، ولا يحسون قبح الشبهات التى أثارها خصومه ضده ، بل هم — علما وعملا — مصدر متاعب للاسلام ونبيه الكريم ، وشاهد زور يجعل الحـكم عليه لاله !! قد تقول : حسبك حسبك ، ان الناس بخير ، ومحبتهم لرسولهم فوق التهم فلا تطلق هذه الصيحات الساخطة فما تحب الجماهير أحدا ، كما يحب أتباع محمد محمدا ..

وأقول لك : سوف أغمض العين عن ألوف من المتعلمين ضلـــل الاستعمار الثقافى سعيهم ، وشوه بصائرهم وأذواقهم ، مع أن وزنهم ثقيل فى قيادة الامة العربية فما قيمة الحب الرخيص الذى تكنه جماهير الدهماء ؟

انه حب غايته صلوات تفلت من الشفتين مصحوبة بعواطف حارة أو باردة ، وقلما تتحول الى عمل كبير وجهاد خطير ، والترجمة عن حب محمد بهذا الاسلوب فى وقت ينهب فيه تراثه أمر مرفوض ، ان لم يكن ضربا من النفاق !!

اذكر أنى ذهبت يوما لأحد التجار كى أصلح شيئا لى ، فاحتفى بى وقـدم بعض الأشربة ، وأفهمنى أنه أتم ما أريد بعد أن وفيته ما أراد ..

ثم شعرت أن عمله كان ناقصا ولا أقول مغشوشا ! فقلت : ليته ما حيا ولا رحب ، وأدى ما عليه بصـدق ! ماذا أستفيد من تحيـات لا جد معها ولا اخـلاص ؟

والشأن كذلك مع أقوام قد تموج أحفال المولد النبوى بهم ، أو قـد يصرخون بالصلاة على رسول الله فى أعقاب الأذان ، أو قد يؤلفون صلوات من عند أنفسهم يحار المرء فى تراكيبها لاغراقها فى الخيال .

وقد يكون حبهم تمسكا شديدا ببعض النوافل ، وهروبا تاما من بعض الفرائض ، أو حنانا لا ندى معه ولا عطاء كهذا الذى قال له الشاعر :

لا ألفينك بعد الموت تندبنى   وفى حياتى ما قد مت لى زادا

أى حب هذا .. ان العرب لا يعرفون أى شرف كتب لجنسهم ولغتهم وأمسهم وغدهم عندما أبتعث الله محمدا منهم ، وان التقدير الحق لهـذا الشرف لا يكون بالسلوك المستغرب الذى يواقعونه الآن ، ومنذ بدءوا يعبثون برسالة الله بينهم ..

لما أراد رب العزة أن يعلن بركته النامية ورحمته الهامية ، اختار فى كتابه العزيز عبارتين مبينتين :

الأولى : تتحدث عن هذه البركة فى مظهر القدرة التى تجمع أزمة الكون فى يده ، فيستحيل أن يغلب يوما على أمـره ، أو يشركه أحد فى ملكه ، وفى هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير » ..

والثانية : تتحدث عن هذه البركة فى صورة الرجل الذى حمل هداه الأخير الى عباده ، وتفجرت ينابيع الحكمة من بيانه وسيرته ، فكان القرآن الذى يتلوه مشرق شعاع لا ينطفىء ، يهتدى على سناه اهل القارات الخمس ما بقى الليل والنهار . وفى هذا المعنى يقول جل شأنه : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » .

ان الانسان المبعوث رحمة للعالمين اشعل الأمة التى ظهر فى ربوعها فانطلقت لاول مرة من بدء الخليقة تحمل للناس الخير والعدل ، واستطاعت ان تؤدب جبابرة الارض الذين عاثوا فى ارجائها فســـادا ، وظنوا ان كبرياءهم لن يخدشها أحد !

حتى جاء الرجال الذين رباهم محمد فقوموا صعر المعتدين ، واعزوا جانب المستضعفين ، وكم تحتاج الدنيا فى يــوم الناس هذا الى هــذا الطراز من الرجال ليحموا الحق الذليل ، وينقذوا التوحيد المهان ، ويقروا الأخوة الانسانية المنكورة ، وينزلوا البيض الى منزلة السود او يرفعوا السود الى منزلة البيض ..

لكن السقطة الرهيبة للعرب المعاصرين انهم ذاهلون عن المكانة التى منعهم محمد اياها ، هابطون عن المستوى الذى شدهم اليه ، وفيهم من يفتح فمه ليقول : ان العرب يمكن أن يكونوا شيئا من غير محمد !!!
قبح الله وجهك من قائل افــاك ..

ومن ايام جاءنى نفر من العامة متنازعون على ادارة مسجد ، بعضهم يريد فى الاذان أن يقول اشهد ان سيدنا محمدا رسول الله .. والآخر يريد الاكتفاء بالوارد ، فلا يذكر لفظ سيدنا لأنه مبتدع ..

ونظرت الى اعراض المرض الذى يفتك بالأمة المعتلة ، وقلت لهم : ان محترفى الافك من المبشرين والمستشرقين ملأوا اقطار العالم بالافتراء على محمد وشخصه ودينه ، ورسموا له صورة مشوهة فى أذهان الكثيرين وانتم هنا لا تزالــون فى هذا الغباء .

ما اشقى دينا انتم اتباعه ، ان المسلمين بين ما ورثوا من جهل ، وما نضح عليهم من ضلال العصر لا يزالون يهرفون بما لا يعرفون .. ان حب محمد يوم يكون لقبا يضفيه عليه الكسالى الواهنون فهو حب لا وزن له ، ولا اثر !! ويوم يكون احفالا رسمية وشعبية بيوم ميلاده ، فهو حب لا وزن له ولا اثر !! ويوم يكون قراءة لكتابه فى مواكب المــوت ومجالس العزاء فهو حب لا وزن له ولا اثر ، ويوم يكون ادعاء تستتر به الشهوات الكامنـــة والطباع الغلاظ فهو حب لا وزن له ولا اثر .. لأن محمدا هو الرسول الذى رسم للبشر طريق التسامى الحقيقى ، ورسم للجماعات طريق التلاقى على الحقائق والفضائل ، فدينه عقل يأبى الخرافة ، وقلب يعلو على الأهواء .

ماذا كسب المسلمون عندما حولوا الدين من موضوع الى شكل ؟ وماذا كسب العرب عندما شقوا طريقهم الى المستقبل وهم يطوون اسم محمد وتراثه من نشاطهم السياسى والعسكرى ؟

ان مسلمى الباكستان هزمتهم سياسة امراة ذكية ماهرة ! ورجالات العرب دوختهم سياسة عجوز شمطاء ! يا للرجال بلا دين !!

. . . .

اننى ، وألوفا من المؤمنين نحب محمدا صلى الله عليه وسلم ، ونشعر بما له فى اعناقنا من دين ، وبما افاء علينا من نعمة ، وبما يجب أن يتوطد له فى الدنيا من سلطان مادى وادبى ، وبالفقر المدقع الذى يمانيه العالم لحرمانه من الرسالة التى اضطلع بها وخلفه فى ابلاغها العرب ، فلم يحسنوا البلاغ .

اننى الوم نفسى ، والوم قومى ويتردد فى نفسى صدى قوله تعال : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

. . . .

قال لى احد الصالحين : اننا نحيى ربنا جل شأنه ونحن جلوس فى صلوات اليس كذلك ؟

قلت : نعم ، عقب الركوع والسجود ، نهمس وايدينا على الركب التحيات لله . .

قال : ثم نتوجه الى الرسول بالسلام بصيغة المخاطب الحاضر ، نقول — وكأن الكلام لشخص قريب منا — : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . . !

قلت : أجل ، كذلك نفعل ، على بعد المكان والزمان بيننا وبين الرسول الكريم . . !!!

قال : ان السلام أفرغ فى تلك الصيغة قصدا ، لأن النبى يجب أن يكون حيا فى ضمير كل مؤمن ، يجب أن ينتصب له مثال مرموق فى وعى المسلم اليقظ تتحقق فيه ملامح الصورة الذاهبة !!

وهل تؤخذ الأسوة الواجبة الا من هذا الاستحضار الدائم ؟

لقد مرت أعصار على موت الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكن القيم الرفيعة التى تجسدت فيه ونماذج العبودية لله ، والجهاد فى سبيله والحنو على خلقه ، وصور الكمال البشرى فى العفاف والعدل والايثار والمرحمة . تلك كلها معان لم تمت ، وانما خلدت فى كيان هذا النبى المحمد . .

والمسلم عندما يقول فى صلواته : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته انما يقترب من أمامه الاعظم الذى أمره الله ان يتأسى به ، وان يسعى فى ركابه : ؟

« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ..

. . . .

واسترسل الرجل الصالح فى عاطفته المهتاجة ، واخذ يشرح لى ما يعنى قال :

ان الشمس فى رائعة النهار لا تعتبر غائبة عن بصير ، وتستطيع كل مرآة مجلوة الصفحة ان تعكس صورة لقرصها او لهالتها أو لأشعتها ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عالم اليقين والخلق ، شمس لا ينكر لها بريق ولا يغيم لها ضوء ..

والمهم ان يكون لك فؤاد مصقول يستطيع استقبال هذا النور فى حناياه ، والاستهداء به فى دروب الحياة .

ان القدوة الطيبة تقوم على استحضار المثل الاعلى فى الذهن ، ومحاولة السير على غراره فى الخارج ، والائتناس الدائم بهذا المثل الأعلى هو الذى يلهج الالسنة بعد تحية الله تبارك وتعالى بالسلام على رسوله ، سلام « حضور » لا سلام « غيبة » ومن ثم كان كل مصل يقول : « السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباده الصالحين » .

ومحمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معقد الحقائق التى يصلح بها العالم من ازله الى ابده ، والتعاليم التى جاء بها لا يستغنى عنها الاولون والآخرون الا اذا استغنت الأكوان عن نظام الجاذبية وسائر السنن العامة واضطراب الحياة انما يرجع الى تجاهل الهدايات التى جاء بها النبيون ، والتى اتمها وأجملها هذا النبى الخاتم وما يثوب الناس الى رشدهم الا يوم يحتفون بهذه الرسالة وصاحبها ويعرفون حكم الله عن طريقه ..

وكان حقا على العالم كله ان يصدق بهذه البعثة العامة ، ولكن العالم تنكر لها وتطاول على رجلها الكبير .

وعندى أن الشفاعة العظمى ، التى جاءت السنن بثبوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم — لا تعدو أن تكون لونا من تأديب البشر كافة على موقفهم السابق من نبى الاسلام ، فان رسول أى عظيم يستحق من التوقير والاعزاز بقدر ما لمرسله من مكانة ، والرجل الذى أرسله رب العالمين .

كان يجب ان يلقى من التكرمة ما يرفع ذكره ، ويعلى شأنه ، غير أن اكثر الناس تواصوا بالصد عنه وجحد دعوته ، ورغبوا عن الحق الذى معه ، وبخسوا قيمته ثم تتابعت الاجيال والخلف فى أغلب بقاع الارض يتوارثون عن سلفهم هذا التكذيب الشنيع ..

ولو نظرت فى هذه الالوف المؤلفة من الكنائس والمعابد ، لوجدت داخلها أجهزة منظمة دوارة تعمل فى غير ملل لصرف الناس عن الاسلام ونسبة أقبح النعوت الى نبيه المبرا الشريف ..

وكأن الله تبارك اسمه شاء أن يعرف هذه الأمم مدى ما كانت فيه من غباوة ، وأن يذيقها شيئاً من مرارة الجريمة التى ارتكبتها ، فهو فى ساحة العرض الشامل لأصناف الخلائق يحشر سكان القارات الخمس على مـــر القرون يحشرهم فى صعيد واحد ، ثم يكشف الغطاء عن عيونهم واذا هم يتبينون فداحة جهلهم بالله الكبير المتعال . ويتبينون شناعة خصامهم لامام رسله ..

وهنا يموج بعضهم فى بعض ، ويضطربون فى حيرة مفزعة لا يرجى منها خلاص ، وتتحرك جموعهم الى كل نبى سمعوا باسمه فى العالم الذى انتهى ، يناشدونه أن يسأل الله لهم الرحمة . ولكن النبيين كلهم يرفضون التصدى لهذا المطلب ويعود اهل القارات الخمس متراكضين الى الرجل الذى طالما قيل لهم انه كذاب . انهم يحسون الآن عن يقين انهم اخطأوا فى حقه ، وانهم يوم صدوا عنه كانوا يخسرون انفسهم واهليهم .. !

الشفاعة العظمى — فى نظرى — موقف يحاكم فيه التاريخ البشرى كله ، ليعترف ان انصرافه عن الاسلام كان مشاقة لله وعداء لأحب أوليائه وأصدق دعاته ..

وما أعجب ان تجد الانسانية نفسها فى حرج يوشك ان يقضى عليها ، ثم تعلم فجأة أن التنفيس عن كرباتها ربما تم باللجوء الى الرجل الـــذى عاشت دهورا ، وهى تروى عنه الاكاذيب وتنسب اليه الاساطير ...

والتجاء اهل الارض الى محمد فى تلك الساعة العصيبة ، ولجوؤه الى الله يطلب مغفرته للعبيد الأغرار ذلك فى ظنى هو المقام المحمود ، المقام الذى نسأله لمحمد عقب كل اذان يتردد صداه فى مهاب الريح ليستجيب له قوم وينصرف عنه آخرون « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت « محمدا » الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته » ..

. . . .

قلت : ان محمدا فى عالم العقائد والحقائق شمس وضاحة نفاحة ، لكن العميان كثير وقد مكث هذا الرسول النبيل يصدع بأمر الله وينقذ الناس من أهوائهم ومظالمهم ، ثم ذهب الى الرفيق الاعلى تاركا فينا تراثه الجليل ، من كتاب وسنة . فليتعلم الدعاة من حياة سيد الدعاة ان اجر الحـــق المبذول لا يعجل فى الدنيا ، وأن للمقام المحمود موعدا فى غير هـــذه الدار يتعلق به وحده الدعاة الابـــرار ..

الأسوة الحسنة

وكيف نحققها

للاستاذ محمد المجذوب

كان مما واجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة احتفال الناس هناك بيومين فى العام فسأل عنهما فأجيب « أنهم كانوا يلعبون فيهما فى الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الاضحى

ويوم الفطر (١) وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (ان يوم الجمعة يوم عيد وذكر) (٢) وكان ذلك كافيا لألغاء كل عيد غير هذه الثلاثة التى حددها نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وبات واضحا ان كل محاولة لاستحداث عيد آخر ، أو

اطلاق اسم العيد على أية مناسبة سواها ، مخالفة صريحة لحكم الشريعة .. فمن أين جاء عيد المولد وعيد راس السنة .. وعشرات المناسبات التي يسميها الناس وبعض الحكومات أعيادا ؟!

ولكي نقدم الجواب الصحيح على سؤالنا هذا يجدر بنا أن نلقى نظرة واعية على أعياد الامم السابقة للبعثة النبوية والتالية لها .. وسنرى اننا عاثرون هناك على الجذور البعيدة لكل ما أحدثه الناس من الاعياد التي لا تكاد تحصى .

١ — ففي تاريخ المجتمع اليوناني أعياد بعدد آلهتهم ، التي اخترعتها أساطيرهم لظواهر الطبيعة ، فجعلت لكل ظاهرة كونية آلهة أو إلها .. ولكل واحد من هؤلاء عيده وزمنه واحتفالاته المميزة عن سواها .

وفي حياة الهند الوثنية حتى اليوم أعياد لجموع آلهتها التي تكاد تعجز الحاسب ، ولها احتفالاتها ومواكبها التي يقرها حتى مثقفوهم على أنها من تراث الهند ، الذي يحفظ لها شخصيتها القومية على مدار الزمن ولو هبط بالمعقول الى أدنى الدركات !

وفي سورية — الطبيعية — بقايا آثار عجيبة لألوان من هذه الاحتفالات الوثنية ، تتمثل في قلعة بعلبك وعشرات الطلول ، التي يحاول الجاهليون الجدد احياءهم باسم (الفولوكلور) الشعبي ، الذي لا غرض له في المفهوم البعيد سوى أضعاف سلطان الاسلام على نفوس الجماهير ! ...

ولم يكن شأن الجاهلية العربية في أكناف الجزيرة شاذا عن هذا الطريق ، وان كان اهتمامها بآلهتها أقل حجما ، اذ كانت وثنيتها ضربا من التقليد السطحي لا يمس ضمير الناس كثيرا ، فلم يكن لها مثل الفلسفة والاساطير التي نسجها خيال اليونان والهنود والمصريين والفينيقيين حول آلهتهم .. ولأن ظروفهم القلقة لم توفر الجواء الصالحة للتوسع في مثل هذه الاحتفالات .

ولما انكشف الضغط الروماني عن المسيحية ، واخذت طريقها الى العلانية بعد السرية الطويلة ، لم يستطع شعوبها التخلص من آثار وثنيتهم الاولى ، ومال المسئولون عن دعوتها الى التساهل مع هؤلاء ، فأقروهم على الكثير من تقاليدهم الموروثة ، ثم لم يمض الا قليل من الزمن حتى تبنت مسيحية بولس الجديدة بعض أعياد الرومان نفسها ، كعيد الفصح الذي يرمز عند الرومان الى انبثاق الحياة ، وعند اليهود الى تذكار خروجهم من مصر ، واتخذه النصارى عيد لفطرهم اذا خرجوا من صومهم واكلوا اللحم — كذا في اللسان — وهو عندهم — في المنجد — عيد تذكار قيامة المسيح من الموت .

وحتى عيد الميلاد لم يوقت بيوم ولادة المسيح بل أخذ من أعياد الرومان أيضا .. وهكذا حلت أعياد القديسين لدى النصارى مكان أعياد الآلهة الرومانية ، حتى لم يبق قديس مشهور بغير عيد ، ثم أفرد لمجموعهم عيد عام أطلق عليه اسم (عيد جميع القديسين) ... حتى اذا وافت العهود الحديثة اتسعت دائرة الاعياد في العالم المسيحي ، بحيث تجاوزت حدود المناسبات الدينية الى نطاق الذكريات الخاصة ، فبات مألوفا بل من الامور الحتمية أن يحتفل كل فرد بعيد ميلاده ، وعيد ميلاد شفيعه من القديسين أيضا ، وكما يتعاون المجتمع المسيحي على ابراز عيد ميلاد المسيح في اطار من روائع المظاهر ، هكذا يعنى الفرد المحتفي بميلاد نفسه ، فيحيط تلك المناسبة بأزهى ما يستطيع من الظواهر ..

فاذا أطللنا على التاريخ الفرعوني نرى أساطير الامم الجاهلية كلها تجتمع تحت أسماء محلية ، منها

السار الفرح ، والمحزن الترح ، ولعل من اشهر اعياد تلك العهود عيد (أوزريس) الذى يزعمون أنه قدم نفسه قربانا لتخليص الخطاة ، على الطريقة التى عرفت لدى الهنود والصينيين من قبل ، واحتلت مركزها الاخير فى عقيدة الفداء لدى النصارى (٣) . ولقد ظلت مصر تحتفل بعيد النيل الى أيام الفتح الاسلامى ، ثم عادت الى احيائه بعد قرون فى ظل الدولة العبيدية . . .

وقد كان لهذه الدولة الشيعية اثرها الكبير فى اختراع الاعياد ، ومن ثم فى اذاعة بعضها فى العالم الاسلامى . . فعيد لرأس السنة ، وآخر ليوم غدير خم (٤) ومثله لذكرى عاشوراء ، ثم يأتى موالد النبى صلى الله عليه وسلم وعلى والحسن والحسين وفاطمة و . . . حتى ذكرى خروج يوسف من السجن لم يغفلوها من قائمة مستحدثاتهم ، فجعلوا لها عيدا ، ترفع فيه الزينات ، وتسير المواكب وتعرض فيه التمثيليات الشعبية التى تجبى لها الاموال من التجار تحت سمع الدولة وبصرها وتشجيعها (٥) .

ولا جرم أن الذى حمل الفاطميين على استحداث هذه المواسم أمران . اما أحدهما فهو رغبة القوم فى تغيير ملامح المجتمع الذى ما أنفك يحمل طوابع الاصول الاسلامية المتحدرة من الصدر الاول ، كما هو الشأن فى كل حركة ثورية تستهدف فرض خصائصها على البيئة التى تتحكم بها . وأما الحافز الثانى فهو الهاء الجماهير الخفيفة بالعراضات التى ترافق تلك الاحتفالات ، وبخاصة فى النطاق الرسمى ، حيث كان المكلفون اعدادها يفتنون فى أن يوفروا لها كل وسائل الاغراء والجاذبية ، فينظمون مواكب الخلافة ومسيرتها ، وطرق استقبالاتها ، ويفرغون على كل ذلك من مظاهر الأبهة والفخامة والترف ما يشعر بالقوة ويوحى بالمهابة ، ويشغل العامة بألوان الملاهى التى تشبع فضولهم ، وتروى أهواءهم ، فتصرفهم عن التفكير بما يراد بهم وبدينهم ! . . وما أحسب باحثا فى تاريخ هذه المواسم الفاطمية بمستبعد أثر اليهودية والمجوسية فى التخطيط لها والتركيز عليها ، تحقيقا لذلك الغرض المنشود ، ولا سيما حين يتذكر ما وراء الواجهة العبيدية من التعاليم السرية ، التى نسجت فى ظلمات المؤامرات اليهودية ، ثم فى دهاليز المجوسية الفارسية ، سواء فى جذورها التى وضعت فى السلمية — من سورية — ثم امتدت الى المغرب فمصر فديار الشام ، أو فى فروعها الاخرى التى رسخت فيما بعد بأيدى اليهودى الاصيل (يعقوب بن كلس) وزير العزيز بن المعز ، ثم بأيدى حمزة الزوزنى ، وحسين بن حيدرة الفرغانى الاخرم ، ومحمد بن اسماعيل الدرزى الذين وفدوا من فارس على الحاكم بأمر الله فأعلنوا الوهيته لأول مرة فى جامع عمرو ، ثم انتقل بعضهم بهذه النحلة المجوسية اليهودية الى بعض جبال الشام (٦) حيث لا تزال قواعدها قائمة حتى الساعة ! . .

ولا خلاف بين المؤرخين فى كون الفاطميين هم السابقين الى احداث عيد المولد النبوى منذ القرن الرابع(٧) ومن هناك انتشر تقليد الاحتفال به الى سائر بقاع المسلمين ، حتى اتخذ فى بعض الدول العربية والاسلامية يوم عطلة رسمية . وفى علمى أن أول دولة أقرتها حديثا لبنان ، وكان الباعث لذلك هو التنافس الطائفى ، اذ كان النصارى يحتكرون لأعيادهم معظم العطلات الرسمية وليس للمسلمين سوى اثنتين الفطر والاضحى ، ثم رأى المسلمون ان ينافسوا مواطنيهم فى الاحتفالات بذكرى المولد النبوى مقابل حفاوة هؤلاء بميلاد المسيح ، فاذا جاء موعده

ملأوا الشوارع والاحياء بأنواع الزين وخرجوا فى تظاهرات شعبية لا تخلو من الاغراض السياسية .. ثم مازالوا حتى الحقوا تلك المناسبة بالاعياد الرسمية ، وما لبث ذلك التقليد أن سرى الى الحكومات المجاورة وما وراءها من بلاد المسلمين ...

٢ — والاحتفال بذكرى المولد النبوى لا يزال حتى اليوم موضع أخذ ورد بين المقرين والمتهيبين ، ولكل منهما حجته فى موقفه . فهؤلاء يرون التزام سبيل السلف باجتناب كل حدث لم يقره الصدر الاول ، وأولئك يتذرعون بحاجة المسلمين الى المنبهات التى تصلهم بحياة نبيهم صلى الله عليه بين الحين والحين ، ليظلوا على ذكر منها ، دون أن يتقيد ذلك بموعد ثابت وان كانوا يخصون يوم ولادته بالاكثر والافخم من مظاهر التكريم .

والى هنا والخلاف بين الفريقين ضيق المسافة ، اذ هما متفقان على وجوب التذكير ضمن هذا النطاق ، فما دام رسول الله هو أسوة المؤمنين كان لزاما عليهم أن لا يقطعوا صلتهم بذكره وسيرته ، ليحققوا ما يمكنهم تحقيقه من معانى هذه الاسوة ... ولكن الاختلاف بينهما انما ينصب على الوسيلة التى تعتمد لتنفيذ ذلك التذكير . فبينا يرى الملتزمون لسبيل السلف أن الوسيلة المشروعة شرط أساسى فى الوصول الى الغاية المشروعة ، نرى الآخرين لا يعبأون بمشروعية الوسيلة ، بل يرتضون ، أو يسكتون بالاقل عن كل ظاهرة لا يقرها الشرع ، ولا تنسجم مع روحه ، مما يرافق فى العادة هذه الاحتفالات ... التى تتحكم فيها نزوات العامة والدجالين ، ولا يتاح فيها لمصلح سليم الطوية نظيف الوسيلة أن يتعرض لها بكلمة نقد أو اصلاح ! ...

صحيح أن الاحتفال بهذه الذكرى ليس سواء فى بلاد المسلمين ، اذ يقتصر فى بعضها على قراءة القصة والقاء بعض الخطب النافعة — أحيانا — ثم توزيع الحلوى ، واقامة الزينات وتعطيل الدوائر ... ولكن منكراته تتجاوز كل تصور فى مواطن أخرى ، حتى لتشكل وصمة عار فى حياة المجتمع الاسلامى ، وتضع فى يد أعداء الاسلام أمضى سلاح لتشويه وجهه المشرق الجميل ، اذ (اصبحت الموالد هناك مراتع الفسوق والفجور وأسواقا تباح فيها الاعراض ، وتنتهك محارم الله تعالى (٨) ولا غرابة ، لأن الشأن فى كل بدعة ان تبدأ خطواتها فى وقار الحكماء متظاهرة بكل ما يستهوى ذوى العواطف الساذجة من الخير والاستزادة منه ، حتى اذا اطمأنت الى الانصار واستحكم سلطانها فى الصغار والكبار ، خلعت عذارها المستعار ، واندفعت الى الفساد على رؤوس الاشهاد ، حتى لا يجرؤ على معارضتها ذو رشاد !.

اجل .. أن الاتصال بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة نشأته ، ودعوته وجهاده وأثره فى صحابته ، أحد الأسس التربوية التى لا مندوحة من التشبع بها والاقتباس من أشعتها لتصحيح المسيرة الاسلامية ، ولتكوين الجيل الصالح لاستئناف دعوته فى المجتمع الاسلامى الحائر ، وفى العالم البشرى الضائع ولكن الطريق الى هذا النور لن يكون أبدا فى السير وراء القطيع الضرير من العامة وأشباههم من الطرقيين والمرتزقة .. بل فى احياء سننه الصحيحة ، ونشر المطوى المجهول من أخلاقه العظيمة ، وتيسير السبل المؤدية الى تفهم رسالته المحيية بكل الوسائل الممكنة والمشروعة . ومن اجل ذلك لا مندوحة عن تنظيف الوسط الاسلامى من تلك الشنائع التى لا تزال تقترف على مشهد من كبار علماء الاسلام ، ورجال دولهم ، باسم الدين ، والحفاوة بميلاد سيد

المرسلين ... ولكن هذا الرجاء سيظل حلما بعيد التحقيق ، ما دام المسئولون من حكام المسلمين ، الذين يشهدونها بأعينهم ، لا يحركون ساكنا في مكافحتها ، بل ربما استراحوا الى انشغال الجماهير العمياء بها عن الحقائق التي ضلوا سبيلها ، ولا سيما اذا كان في استمرارها ما يتوهمونه مصلحة لخزينة الدولة ، ولترويج اسواق المرتزقة في مواسمها المعتادة ! .. وهو المسلك نفسه الذي ورثه هؤلاء عن عهود الاستعمار الذي كان من دابه تشجيع أمثال هذه الضلالات ، بجانب مطاردته لأهل الحق من كبار الدعاة والهداة ..

٣ ــ لما بعدت الشقة بين عهد النبوة والتابعين في العصر الاموي ، وزالت النماذج الحية التي كانت تمثل آثار التربية المحمدية في شخصيات الصحابة رضوان الله عليهم ، وجد المسئولون عن قيادة الأمة لزاما عليهم أن يعوضوا اجيال المسلمين عن المثل المنظور بالخير المسموع ، فأقاموا لهم القصاص ورواة السيرة ، والحافظين لأخبار المغازي النبوية ، يغذونها بتلك المعاني المحركة للهمم ، والمثيرة لروح الفداء والتضحية ، وكان ذلك أول تنظيم لما يسمونه اليوم بـ (التوجيه المعنوي) في أوساط العسكريين ، وكان له أثره العميق في تماسك البنيان الاسلامي على الأساس الاول زمنا غير يسير ، حتى ضعف هذا الاتجاه ، وخلف الجيل الذي عرف عن الثقافة الدخيلة أكثر مما علم من شريعته الجليلة .. فاذا الدعائم تهتز ثم تهوى ، لتحل مكانها نزوات الساسة وشهوات القادة ، ومن هنا جاءت الطامة الكبرى ، اذ زلزل الكيان الاسلامي ، ثم لم يلبث أن انقض بأجمعه ..

ولقد كان المعقول بازاء هذا التدهور العام أن تنهض البقية من اولى العزم بعبء الاصلاح على اساس رد القطيع الضائع الى جادة الاسلام . والطريق الى ذلك هو ايقاظ ما همد من روح الايمان وابراز ما اندرس من معالم الوحي ، اذ لا صلاح لآخر هذه الأمة الا بما صلح به اولها .. ولا ننسى أن بعض ذلك قد حدث على ايدى المصلحين ومن تبعهم في طريقهم السليم .. ولكن المؤسف أن ازمة السواد الاعظم من العامة ظلت في أيدي الجاهلين والمضللين من اصحاب الاهواء ، الذين زادوا الواقع السيء سوءا بما وسعوا من ساحة المحدثات على حساب الحقائق .. ثم نبتت من بعدهم خلوف على شاكلتهم ، لا عمل لهم الا ترسيخ قواعد الانحراف بما يتولونه من مبتدعات ، يحسبونها خيرا وهي في منظار الاسلام شر عظيم ...

وهكذا وجدنا أنفسنا فيما بعد تلقاء ركام من تلك المواريث المعوقة ، تنهض كجدران السد بين جماهير المسلمين والاسلام الصحيح الذي لا خلاص الا به ... وليست تلك الاحتفالات الشائهة ، التي تستقبل بها ذكرى المولد النبوي ، والتي يحتشد لها ملايين المسلمين في بعض اقطارهم ، على تلك الصور المخجلة المدمرة ... الا احدى المآسي التي يعانيها الاسلام في ظل هذه الانحرافات .

لقد شوهت هذه (الموالد) في عقول الجماهير المضللة شخصية صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم اذ حجبت عنهم حقيقتها القيادية ، وأثبتت مكانها صورة غريبة لا تمت الى واقعها العظيم بأية صلة ، وقد زاد المحنة عمقا تلك الحكايات المختلقة التي يقرؤها بعضهم في مجالس العامة باسم قصة المولد ، فلا تحمل من سيرته صلى الله عليه وسلم الا طيوفا غائمة لا تزيد عن كونها تعميقا لمزاعم خبيثة ، توهم أولئك

المساكين بانفصال تلك الشخصية المطهرة عن كل صفات البشر . . . ولن انسى يوما حضرت فيه تلاوة احدى هذه القصص فى مسجد سورى ، وكان يقرؤها للناس معمم له بعض المؤلفات فى الحديث ، ومع ذلك لا يستطيع التخلص من مفتريات الدجالين ، فيصرف الوقت كله فى سرد نعوت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبلها حتى عقله . . . ثم لم يكد يعرض لشىء من أخلاقه ولا جهاده ولا رسالته ! . . . ويتخلل ذلك أناشيد تافهة لا تعدو ذلك النطاق الذى يجعله صلى الله عليه وسلم مخلوقا عجيبا لا يتكون من لحم ودم ، بل من الجواهر والمعادن ، حتى لتحدد نسبة كل من هذه العناصر فى تركيب جسده الشريف !! . .

ولا جرم أن الذين يقرؤون هذه المفتريات من أولى العلم لا يفوتهم الاحاطة بمصادرها الوثنية ، التى تصور لعامة أتباعها معبوداتهم فى أشكال خارجة عن المألوف . . وفى تكوينات مزدوجة تمتزج فيها الخصائص البشرية بالميزات الالهية على نحو لا يقيم للمعقول أى وزن أو اعتبار ! . . وهذا ما يسوغ للمفكر المؤمن القطع بأن وراء هذه الاضاليل أيديا شيطانية ، تصدت الى افساد التصور الاسلامى فى صدور الكافة عن سابق تصميم وثيق الاحكام ، دقيق التخطيط .

٤ — ونقف هنا قليلا لنتساءل « أليس بالامكان تعديل بعض هذه الفوضى ، التى تنتظم احتفالات جماهير المسلمين بهذه المناسبة العزيزة ، بحيث تتحول الى مجهود اجتماعى ذى مردود صالح ! . .

ان المواسم الروحية فى مثل أمتنا وبازاء ما تعانيه من اضطراب عام ، يجب أن تكون مراكز حساب وانطلاق حساب على ما أسلفنا وما اعددنا ، وانطلاق الى ما قررنا من هدف نوجه طاقاتنا لتحقيقه فى زحام الاحداث . . واذا نحن لم نحسن استغلال هذه المواسم لتلك الغاية المزدوجة لم نخرج عن كوننا مجموعة ضخمة من الاطفال الكبار ، كل همها العثور على اية مناسبة للهو والعبث واللغو المفرغ من كل مضمون ! . . .

ومن فضل الله على هذه الأمة أنها لم تخل قط ، حتى فى أيام انحدارها خلال التاريخ ، من مفكرين جديين ارتفعوا على واقع الغوغاء ، فاتخذوا من مثل هذه المناسبات مواطن يراقبون منها مسيرة أمتهم ، ويدرسون تجاربها ، على ضوء المهمة التى القاها القدر على عاتقها ، فينبهون الغافلين ، ويوجهون المخطئين ، ويحذرون الزائغين ، ويضعون فى أيدى الجميع المخطط السليم ، الذى من شأنه أن يصحح مسيرتهم فى الطريق القويم .

وذلك هو المسلك الامثل ، الذى لا ينبغى لذى لب وعلم أن يغفله أو يحيد عنه فى كل مناسبة اسلامية ، سواء منها ما كان حقا بنفسه ، محددا فى كتاب الله أو سنة نبيه ، كالجمع والعيدين والصوم والحج . . أو ما كان مضافا الى الحق ، من عمل المتزيدين الذين ضاقت عقولهم عن ادراك الحكمة فى تحديد الالتزامات الشرعية فراحوا يخترعون ما يحسبونه زيادة فى الخير ، واجتهادا فى القربات ! . .

ولا ريب أن ذكرى المولد النبوى واحدة من هذه المناسبات التى يمكن الانتفاع بها فى اثارة العزائم وتصحيح المفاهيم ، والاتصال بأعماق المشاعر الفطرية فى قلوب الخاصة والعامة من هذه الأمة . . .

على أن الوصول الى هذا الغرض متوقف الى حد كبير على التزام الوسائل المشروعة فلا نحابى فى الحق ، ولا نراعى فى ذلك مشاعر

العامة ، رغبة فى الانتفاع بما تهيئه تلك المحدثات من فرص للتخفيف من فرقة المسلمين ، كما قال لى أحد (كبار المشايخ) وهو يحاورنى فى موضوع بعض البدع ، اذ راح يؤكد لي انه مقر لانكاري ، ولكنه يؤثر بقاء المنكر ايثارا لما يجره من المعروف !. وقد نسى أصلحه الله الا معروف فى منكر ، وان من لا يُصلحه الحق لا يجديه كل ما فى الارض من الباطل .

ان التساهل فى امرار المحدثات — فى الدين — والسكوت عليها قد اذاب الذاتية الاسلامية لدى السواد الاعظم من المسلمين ، فتهدمت بذلك تحصيناتهم الروحية حتى اصبحوا مرتعا صالحا لأى طارىء من التقاليد الداخلية . وها نحن أولاء نعيش من هذا الانهيار فى بلاء لا نكاد نعرف منه مخرجا ، فالهيبية والخنفسة والوجودية ، الى جانب الطرقية الزائفة والافكار الهدامة ، والتقاليع الجائحة ... تقتحم كياننا المفتوح لكل غاز .. وقد اعان دعاة هذه المفاسد ما يحسونه من الانفصام الرهيب بين جماهير المسلمين ومنابع دينهم الحق ، حتى بات سوادهم فى معزل شبه تام عن كتاب الله وسنة نبيه ، واستقراء أحكامهما فى تدبر وتفاعل ، لأنهم استناموا الى محض التقليد ، وبات معظمهم لا يعدو نطاق القائلين (أنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) ... حتى الطبقة التى تمتاز ببعض الوعي من هؤلاء المسلمين لم يعد لديها من المناعة الخلقية ما يعصمها من الخوض فى وحول التبعية لكل من يستهويها ببهارجه .. فهى تتقمص راضية أخلاق غير المسلمين ، وتتلبس عاداتهم .. وبدافع من هذا الذوبان الشخصى تحتفل بذكريات ميلادها على الطريقة نفسها التى يسلكونها ، فترى أحدهم يستقبل مهنئيه ، ويوقد الشموع بعدد سنيه ، أو سنى من يحتفل بميلاده من بنيه ، وقد يكون هذا الانسان قائدا مرموقا ، يخوض بأمته معركتها الفاصلة ، فلا يشغله حرج الموقف فى بلاده عن التفرغ للاحتفال بعيد ميلاده ! ... بل ان بعضهم لينصبون فى بيوتهم شجرة عيد الميلاد ، محاكاة لأولئك .. ولا ينسون حتى البابا نويل وكل مالا يخطر بالبال ، من مبتدعات الخيال ، ومغويات الاطفال ، دون أن يسألوا أنفسهم عن حكم الاسلام فى هذا التقليد الذى يلحقهم وأبناءهم بغير المسلمين ، لأن القاعدة الشرعية أن (من تشبه بقوم فهو منهم) .. ولكنها الببغاوية التى يصورها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول فى أمثال هؤلاء (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم .. (٩) ولا عجب ، فانما يسير هؤلاء القردة على آثار من سبقهم من الغافلين ، الذين ضلوا سبيل الاسوة المحمدية ، فراحوا يتبعون طرائق أهل الكتاب فى الاحتفال بموالد أوليائهم ، محاكاة لهم فى الاحتفال بموالدقديسيهم ! ... وتقليدا لمن تقدمهم من أمم الوثنية فى المهرجانات التى يقيمونها لموالد آلهتهم ! ..

وها نحن أولاء نشهد سباقا فى ميدان التقليد لا نعرف له حدودا يقف عندها ، فعيد للعمال — أول أيار — وعيد للأم ، وآخر للطفل ، ومثله للثورة ، والأسرة ، والشجرة و ... ولو نحن رحنا نستقصى ما كان ويكون من هذه الفنون ، لعجزت عن تصورها الظنون .. ومع ذلك لا تعدم هذه المبتدعات مؤيدين لها باسم الدين أيضا على أنها مواسم مشروعة للاصلاح أو اللهو المباح !. وقد نسوا أن الاعياد أعمال شرعية ليس لغير الله ورسوله تعيينها أو احداثها ،

وفاتهم كذلك ان لو كان فى هذا الابتداع من خير ما سكت عنه نبى الله ، الذى حذر امته اشد الحذر من موافقة غير المسلمين فى اعيادهم ومهارجهم ، صونا للشخصية الاسلامية من الذوبان فى غيرها ، وبالتالى لو كان فى اتخاذ الاعياد من ذكريات النصر والمجد صلاح لما فات الصحابة وخير القرون الحفاوة بأيام بدر والخندق وخيبر ونهاوند ودمشق وبيت المقدس ... وعشرات الاشراقات العظيمة فى تاريخ الاسلام .. ولكن .. قد يغفل اللبيب ، حتى يقع من الهفوات فى العجيب الغريب !..

٥ ـ واخيرا رب لاغ بعد هذا يقول « ان هذا الرجل يريد أن يصرفنا عن الحفاوة بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى مناسبة ، على ما يحف بها وما يعتريها ، خير من الغائها ! ... ولهذا وأمثاله نقول « ان العناية بذكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته الطاهرة فرض عين على كل مسلم مستطيع ، لأنها الوسيلة الى دراسة حياته ، التى هى مجال التطبيق الأسمى لاخلاق القرآن وحقائق الاسلام ، وبدونها لن تتم الأسوة الحسنة ، ولن يعرف المسلم طريقه الحق .. وهى على هذا الأساس عمل مشروع ، عنى به الصحابة والتابعون ، وعنهم وصلنا ، وفى سلوك منهجهم استمرار لسبيل الخير ، وتثبيت للتراث الاسلامى فى ضمائر الاجيال ، بيد ان الذى نريد ، وندعو اليه هو أن نسلك الى هذه الغاية الكريمة سبيل أولئك الكرام ، الذين لم يعينوا لهذه الذكرى موعدا خاصا ، بل اعتبروها من أبواب العلم المطلوب فى كل زمان ..

ولمجلس علم يدرس فيه شىء من صحيح السيرة النبوية فى تدبر وتفاعل أرجح فى ميزان الخير من الف موكب والف سماط ، والف حلقة ذكر ، من ذلك الضرب الذى لا يقرب المحتفلين من حقائق الاسلام قيد أنملة ، ولا يزودهم من معانيه العليا بأية عبرة .

ولهذا نهيب بأولى الامر فى كل بلد اسلامى ممن تهمهم مصالح شعوبهم ، أن يصادروا كل قصة للمولد كتبها الدجالون أو الجاهلون ، وان يطهروا مجتمعاتهم الاسلامية من تلك الشنائع التى لا يرضى عنها الا العابثون والمستغلون ...

ولكن هذه الاهابة ستظل بغير مردود حتى يتحرك لها أولو البصائر من أهل العلم المؤتمنون على دين الله ، الغير على أمتهم أن يضللها الماكرون من أعداء الله ..

ولسوف يسألون عما كانوا يعملون .

---

(١) أبو داود والنسائى والترمذى واسناده على شرط مسلم .

(٢) عن أبى هريرة واسناده حسن .

(٣) العقائد الوثنية وآثارها ... لمحمد التنير .

(٤) اول المحتفلين بهذه البدعة هم البويهيون عهد معز الدولة سنة ٣٥٢ وذلك قبل عشر سنوات من ظهورها فى مصر (ظهر الاسلام) ص ١٩٤ .

(٥) (الدولة الفاطمية فى مصر) ص ١٧٢

(٦) (الوفيات) ٤٩١/٢ .

(٧) (الدولة الفاطمية ...) ٩٦ و ٩٧ .

(٨) فى مقال نشرته مجلة (جوهر الاسلام)التونسية عدد ٩ شهر ربيع الاول ١٣٩١ ترد احداث المولد الى أواسط القرن السادس ،والصحيح ما ذهبنا اليه ـ انظر (الابداع ...) ص ١٢٦ و (الدولة الفاطمية فى مصر)ص ١٦٣ .

(٩) « الوعى » ما يستنكر فى الاحتفال هو الوسيلة لا المبدأ كما انتهى اليه الكاتب .

قراءات

انت انت الله

اذا ما اتجه الفكر فى السموات حيث انتشرت النجــوم فى الليل ، واذا ما كل البصر فيما لا نهاية لــه من الآفاق المظلمة ، واذا ما خشعت النفس من رهبة السكون الشامل ــ فانك تشرق بوجهك الكريم ــ من خلال هذه الآفاق وتمس بعظمتك النفس الخاشعة المطمئنة .

حينئذ تبدو الآفاق المظلمة كانها باسمة مشرقة ، ويتحول السكون الى نبرات مطربة تنبعث من كل صــوب وحينئذ تتغنى النفس الخاشـــعة لتقول انت انت الله .

واذا كان المتامل على شاطىء البحر الخضم ، وارسل الطرف بعيدا حيث تختلط زرقة السماء بزرقة الماء وحيث تنحدر شمس الاصيل رويدا رويدا كانها الابريز المسجور لتغيب فى هذا المتسع الملح الاجاج ، وحيث تتهادى الفلــك ذات الشراع الابيض فى حدود الافق الملون بالوان الشفق كانها طائر يسبح فى النعيم .

اذ ذاك يشعر المتأمل بعظمة واسعة دونها عظمة البحر الواسع وإذ ذاك تقر العين باطمئنان الفلك الجارى على اديم الماء الممهــد ، وفى رعاية الله الصمد حيث تكون مظهر العظمة وحيث تطمئن النفس لرؤية ما تطمئن اليه فى منظر جميل .

إذ ذاك يدق الفؤاد بدقات صداها فى النفس انت انت الله .

وإذ ما انطلقت السفينة بعيدا بعيدا فى البحر اللجى ، وهبت الزوابع وتسابقت الرياح ، وتلبد بالسحب الفضاء واكفهر وجــه السماء وابرق البرق وارعد الرعد ، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض ولعبت بالسفينة الامواج واجهد البحار جهده وفرغ الربان من حيلة واشرفت الســـفينة على الغرق وتربص الموت من كل صوب وحدب .

إذ ذاك يشق ضياؤك هذه الظلمات والمسالك ، وتحيط رافتك بهـــذه الاخطار والمهالك وتصل بحبال نجداتك المكروبين اليائسين . وإذ ذاك يردد القلب : أنت انت الله .

واذا ما اشتد السقم بمن احاطت به عناية الاطباء وسهر الاوفياء ونام بين آمال المخلصين ودعوات المحبين ، ثم ضعفت حيلة الطبيب ولم ينفع وفاء الحبيب واستحال الرجاء الى بلاء .

إذ ذاك تتجلى مستويا على عرش عظمتك والنواصى خاشعة والنفوس جازعة والايدى راجفة والقلوب واجفة لتقول : انا قضيت ويقول الطبيب والقريب والحبيب لك الامر انت انت الله .

فيما يمس النفس من مظاهر العظمة ومظاهر الســـعة ومظاهر الرحمة ومظاهر القدر والقضاء ومظاهر الـــدوام والبقاء ومظاهر الجمال والجلال اعتاد الناس ان يصفوك بالعظيم والواسع والرحيم والقـــادر والدائم والجميل والجليل واوتار القلوب تردد : انت انت الله . انت انت اللــه .

من خواطر نفس للدكتور منصور فهمى .

الطريقة الحديثة للهجوم

لم يكن محمد عليه الصلاة والسلام

ثائرا انعكست عليه آمال قومه ، وانما

كان رسولا أمينا بلغ رسالة ربه

تقوم اصول الطريقة القديمةلحرب الاسلام والتشكيك فى عقائده وقواعده ، على هجوم علنى مباشريستهدف ابرز ما تتمثل فيه هذه العقائد والقواعد ، وأبرز ما يتمثل فيه ذلك كله : كتاب الله تعالى، وشخص نبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

ويتخذ هذا الهجوم سبيلا مكشوفاللنيل من عظمة القرآن والحط من مكانته ، كما يتخذ سبيلا مكشوفا مثلهلتشويه سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ودس النقيصة الكاذبةفى حياته ! ..

طريقة عتيقة :

الا ان هذه الطريقة استبدلت فيمابعد ، واستعيض عنها غيرها ، فقد رؤى بعد تجربة وطول بحث ، انهاتضر بأصحابها اكثر مما تنفعهم ، فالسب والشتم واختلاق السوءوالنقيصة ، كل ذلك يكشف عن حقد اربابه اكثر مما يدل على منهجيتهموتفكيرهم ، وما علم أن مسلما صادق الاسلام أصغى بتجرد الىالشتيمة التى يسمعها فى حق رسوله

على الإسلام

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى

وكتاب ربه ، فهداه ذلك الى ترك دينه الحق واتباع الشاتمين فيما يشتمون وينتقصون ! .. بل المعروف أن كل ذلك لم يزد المسلمين الا يقينا بدينهم وتحفظا من أعدائهم .

الثناء الساخر ، او المديح الكاذب :

لقد استبدل اقطاب الغزو الفكرى اذا بطريقتهم العتيقة طريقة جديدة سواها ، فما هى ؟ ..

انها طريقة الثناء الساخر ، أو المديح الاجوف الكاذب ، طريقة تستهدف استغلال الطاقة الاسلامية بدلا من الجهد الضائع المبذول فى تحطيم الطاقة الاسلامية ! .. طريقة رددها كثيرا الزعيم الشيوعى الايطالى (توليياتى) وهو يملى وصيته الاخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه .

طريقة تقول : الشريعة الاسلامية عظيمة ، ومن أبرز مظاهر عظمتها انها تقوم على قاعدة رائعة تتسع لجميع التشريعات الحديثة التى تفرضها الحضارة والعصر الحديث ألا وهى : تبدل الاحكام بتبدل الازمان !! ..

وتقول : ليس ثمة وثيقة خلدها العرب فخلدت أمجادهم أعظم من القرآن ! .. وحسب الرسول نبوغا فى العقل والفكر أنه قد ترك من ورائه هذا الكتاب ! ..

وتقول : لم تقم أمة بثورة فكرية

شاملة على قديمها البالي كثورة الجزيرة العربية على جاهليتها البالية، ولم يقم في التاريخ العالمي ثائر انعكست عليه تطلعات أمته وقومه ، كمحمد العربي اذ تجسدت فيه ثورة الجزيرة العربية كلها ! ..

أجل .. هذه هي الطريقة الحديثة طريقة الثناء الساخر، والمديح الاجوف الكاذب . عسى رجل يصدق .. فتلفه النشوة . ويسكره المديح ممن لم يكن يتوقع منه المديح .. فتسترق اليد العابثة عقيدة الاسلام من قلبه . وتصوغ له في مكانها عقيدة فارغة لها من الاسلام شكله وهيكله . وليس لها من جوهره الاصيل شيء ! ..

المنطق العلمي هو العاصم السليم :

ولكن فلنتساءل : أي قدر من النجاح احرزته هذه الطريقة الحديثة ؟

والجواب : ان أي قدر من النجاح لا يتراءى في هذا السبيل الجديد ، فلئن كانت ردود الفعل هي المعتصم الواقي ضد الطريقة القديمة ، فان المنطق العلمي النير هو العاصم السليم ضد الطريقة الحديثة .

ومن ابرز مزايا الاسلام ، أنه يقوم في مبادئه الاعتقادية ، وقواعده التشريعية على موازين المنطق والمنهج العلمي ، ولذلك لم تكن مقابلة الدين بالعلم الا سخافة لا معنى لها ، في دائرة الاسلام وحكمه .

فلا الثناء الذي يهدف الى العبث بمبادئه يفر ويخدع .. ولا الحرب المباشرة لكتابه ، أو سيرة نبيه تصد عن الايمان بهما والخضوع لسلطانهما اذ كان ضياء العلم الخالص المجرد ، هو الهادي الى سبيل الاسلام ، وهو ضياء تنحط دونه جميع المساعي الخادعة مهما كان لونها .

لقد وقف مدرس يحترف التشكيك بالاسلام وعقائده ، أمام تلاميذه ذات يوم ، وراح يسألهم : أيهما اليق في حق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ أن نقول انه ابدع هذا التشريع العظيم والكتاب المعجز البليغ من فكره النافذ البصير ، أم أن نقول انه ليس الا ساعي بريد حمل هذا كله الى الناس دون أن يكون له أي حكم او راي فيه؟

قال ذلك وهو يحسب أنه قد اصطاد بقوله الخادع هذا ايمان الصغار وعقيدتهم . ولم يكن يتوقع بكل ما لديه من شخصية المعلم العاقل أن يقوم أصغرهم سنا فيقول : ايهما أليق واكرم بحق محمد عليه الصلاة والسلام ؟ أن نقول انه كاذب يأتفك على الله ما لم يقله ولا اذن به ، أم أن نقول انه صادق أمين لم يأتفك على خالق ولا كذب على مخلوق ؟! ..

لقد كان المنطق والمقياس العلمي بجانب الصغير الذي قام اسلامه على دراسة وعلم . وكان الدجل والختل بجانب المعلم الكبير الذي قام احترافه لحرب الاسلام على مجرد شهوة نفسية فارغة .

الخديعة الكبرى :

ومع ذلك ، فان الطريقة الجديدة في حرب الاسلام ، ماضية في سبيلها، على أمل ان دوام التلبيس على الحق قد يمزجه أخيرا بالباطل ، فلا يتبين هذا من ذاك ، وتضيع بينهما موازين المنطق والعلم .

وتؤلف الطريقة الجديدة صورة خادعة كبرى تقف عندها وترددها وتتصرف في تكرارها بكل الاساليب الممكنة ، على أمل أن تميع عقيدة المسلمين بنبوة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام .

فمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيما ترسمه هذه الصورة ، ثائر من هؤلاء الثوار الذين تتجمع فى اشخاصهم تطلعات أقوامهم وأمانيهم ، فيغيرون سبيل التاريخ ، وينسخون تيارا اجتماعيا بآخر ، ويقيمون منهجا من التقويم والاصلاح سرعان ماتخضع له أممهم بشتى وسائل السلم أو الحرب .

انه — فيما ترسمه هذه الصورة — ثائر يغلى دم الثورة حارا فى عروقه، ظهر بين قومه فى عهد هرمت فيه تقاليد الجزيرة العربية من وثنية وأوضاع اجتماعية فاسدة ، وتفتحت فيه العقول على سخافات الشرك وعبادة الاوثان ، واخذت تنزع الى سبيل ما تتخلص به من تبعات القرون وآثار الماضى السحيق . وكما هى العادة فى كل أمة وعند كل قفزة من قفزات التطور الاجتماعى — فقد تجمعت هذه النزعات واتخذت مثابتها فى نفس أقوى شخصية عربية ظهرت فى الجزيرة العربية على الاطلاق ، وما هى الا أن نضجت فكرا ومنهجا فى ذهنه ثم اشتعلتثورة وحماسا فى نفسه ، حتى قام بدعوته الاصلاحية التى شاءت لها الظروف أن تلبس لبوس الدين والحكم الالهى !! ..

الف باء المنطق التاريخى :

وهذه الصورة تعنى أن الجزيرة العربية فى العصر الجاهلى ، كانت ترتفع رويدا رويدا عن سخافة الوثنية والشرك ، وتقترب شيئا فشيئا نحو عقيدة التوحيد والقيم الاسلامية التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى اذا جاء زمن البعثة ، كانت قد نضجت فى النفوس والعقول نزعة التخلى عنالقديم البالىواصطفاء الفكر الدينى الجديد أتم ما يكون النضج ! .. أى أن العرب كانوا قبل ثلاثة قرون — مثلا — من بعثةالرسول عليه الصلاة والسلام ، مستغرقين فى حمأة الوثنية والشرك ، فلما طال بهم العهد وحان وقت البعثة كانوا قد استيقظوا الى عقيدة التوحيد ودبت فيهم روح الثورة على تقاليدهم القديمة ! ..

فهل هكذا يقرر التاريخ فى أبسط الف بائه التى يعرفها أطفال المدارس ؟! ..

ان كل من سمع باسم التاريخ العربى يعلم ان أمر العرب والوثنية جار على عكس ما يزعمه هؤلاء تماما .. فقد كانوا قبل بضعة قرون من بعثته عليه الصلاة والسلام يؤمنون بالحنيفية السمحة التى بعث بها أبو الانبياء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولا يبتغون بعقيدة التوحيد بديلا ، فلما تطاول عليهم الزمن ، تسللت اليهم أفكار الوثنية من جهة الروم ، ثم أخذت تنتشر بينهم بعامل الجهل والامية وبعد العهد ، حتى أطبقت عليهم ظلمات الشرك ، اللهم الا بقايا لمع كانت تظل تبرق هنا وهناك ، فعندئذ أكرم الله العالم ببعثة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ليخرج الناس من ظلمات الشرك والكفر ويعيدهم الى ضياء الايمان والتوحيد .

عمرو بن لحى الخزاعى ، وكيف انتشرت الوثنية فى الجزيرة العربية :

وايضاح ذلك — وهو شىء واضح معلوم فى جميع كتب التاريخ — أن عمرو بن لحى بن قمعة (وهو جد قبيلة خزاعة) خرج من مكة الىالشام فى بعض أموره ، فلما قدم (مآب)

من ارض البلقاء ـــ راى اهلها يعبدون الاصنام (ولم يكن العرب يعلمون اذ ذاك شيئا عن الاصنام وعبادتها ، وكانوا جميعا على فطرة التوحيد والايمان بالله عز وجل) فقال لهم : ما هذه الاصنام التى اراكم تعبدون ؟ قالوا له هذه آلهة نعبدها نستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : افلا تعطوننى منها واحدا فأسير به الى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنما يقال له (هبل) فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه (١) .

وهكذا انتشرت عبادة الاوثان فى الجزيرة العربية وشاع فى اهلها الشرك ، فانسلخوا بذلك عما كانوا عليه من عقيدة التوحيد ، واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره ، وانتهوا الى مثل ما انتهت اليه الامم الاخرى من الضلالات والقبائح فى المعتقدات والتقاليد والافعال .واخذت هذه المظاهر كلها تزداد ضراوة وشيوعا كلما امتد بهم الزمن ، شأن سائر الامم والشعوب عندما يغشاها الجهل ، ويطول بها العهد ، ويندس بين صفوفها المشعوذون والمبطلون .

بقايا ضياء قديم لا ثورة فكر جديد :

غير أنه بقيت فى العرب طائفة من الناس ـــ كانت تقل مع الزمن ـــ ظلت متمسكة بعقيدة التوحيد ،سائرة على نهج الحنيفية : تصدق بالبعث والنشور ، وتوقن بأن الله يثيب المطيع ويعاقب العاصى ، وتكره هذا الذى استحدثه العرب من عبادة الاوثان وضلالات الراى والفكر .

ولقد اشتهر من هذه البقية كثيرون كقس بن ساعدة الايادى ، ورئاب الشنى وبحيرا الراهب .

وكان هؤلاء يعيشون فى غربة وعزلة عن اقوامهم ، وكانوا يقلون مع الزمن ، وكانوا يشبهون فى مظهرهم وتجافى الناس عنهم وثباتهم على الحق الثابت القديم ، بقايا اطلال مهشمة لبناء خرب قديم مهجور ! ..

فلئن كان هؤلاء دعائم ثورة فكرية نشأت عند العرب وقادها محمد عليه الصلاة والسلام ، فلقد كان فى الجزيرة العربية اضعاف تلك الدعائم قبل قرن او قرنين من بعثته عليه الصلاة والسلام ، فلماذا لم تقم الثورة الفكرية فى ذلك العهد ؟ .. وما الذى بطأها عن الظهور حتى تحطمت جميع دعائمها ما عدا بقايا محطمة منها معزولة هنا وهناك ؟!

وبتعبير آخر : ان فكرة التوحيد والنزوع الى فضائل الحنيفية السمحة التى هى دين الانبياء جميعا ، والتى كانت تظهر على شكل بقايا ضياء قديم فى عهد البعثة المحمدية ، لم تكن تبلغ عشر معشار تلك الفكرة ذاتها قبل قرنين أو ثلاثة قرون من الزمن ، واذا فقد كان المفروض ـــ حسب تصور هؤلاء الناس لمعنى النبوة والبعثة ـــ أن تكون بعثته عليه الصلاة والسلام قبل الزمن الذى بعث فيه بعدة قرون واجيال فلماذا لم يكن الامر كذلك ؟ ..

انها شخصية رسول ! ..

ثم أين هى حصيلة الفكر الثورى الذى تجسد فى دعوة محمد عليه الصلاة والسلام ، خلال ثلاثة عشر عاما ، لم يجد خلالها من هذا الفكر الثورى الا الكيد المتواصل المطبق على دعوته وعقيدته ؟

وفيم يحتاج هذا الانسان الثورى

ــ على زعم الصورة المرسومة ــ الى أن يستنزل ثورته من السماء ، وهى انما نبتت من أدمغة أصحابه وبنى عشيرته فى الارض ؟ .. وفيم يستعين لها بقرآن متلو ، وعقائد غيبية بدلا من أن يستعين لها بالثورة الفكرية التى تغلى فى دم قومه وأمته ؟ ..

وما حاجة هذا الانسان الثورى ــ اذا ــ الى أن يحيى ليالى عمره متنسكا ضارعا باكيا يحذر الآخرة ، ويرجو رحمة ربه ، وأن يوقظ من قلبه رقيبا دائما على جميع حركات نفسه وسكناتها فى سبيل أن لا يلقى الله غدا وهو عليه ساخط ــ .

أقول : ما حاجة هذا الانسان الثورى الى شىء من هذا كله ، وهو انما يتعامل برأس مال ورصيد من فكر أمته وبنى قومه ؟ ..

أشهد أن كل ذى عقل من البشر يدرك ــ اذا أراد أن يصدق ــ أنها شخصية نبى مرسل من عند الله ، لا شخصية زعيم ثائر يستلهم الفكر مما عند الناس .

وأشهد أن كل ذى عقل من الناس يعلم ــ اذا أراد أن يصدق ــ أن محمدا عليه الصلاةوالسلام جاء ليكون حجة على هذه الامة أولها يوم القيامة، حتى لا يقول قائل : ما جاءنا من نذير . فقد جاءكم النذير ، ولكنكم أبيتم الا أن تستقبلوا كلامه بعقول مقلوبة وبصيرة عوراء ! ..

ايها الناس تنبهوا جيدا ، فان مصيرنا واحد ! ..

هذه الحقيقة التاريخية ،من الامور الواضحة التى لا يتعثر فى فهمها صغير ولا كبير ، فكيف يتجاهلها ــ مع ذلك ــ أولئك الذين يحلو لهم أن يستروا نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقول بهذا الزعم الذى يناقض هذه الحقيقة مناقضة حادة بل ينطوى على عكسها تماما ؟! ..

ان الذى يدعوهم الى هذا التجاهل العجيب ، انما هو العصبية ! .. العصبية ضد الحقائق الدينية بكل ما تستلزمه من قيم وقواعد واحكام وتشريع ! ..

ولكن ما هى حساب أرباحهم من وراء هذه العصبية العمياء ؟! ..

ان البائع الذى يتعصب ضد السعر الذى يفرضه المشترى ، ينبعث فى عصبيته من الربح الذى يتوقعه ويطمع فيه . والجماعة التى تتعصب فى معركة الانتخابات لشخص ضد آخر تنبعث فى عصبيتها له من آمال المكاسب التى تعلقها عليه .

ولكن عن أى شىء ينبعث من يتعصب ضد بلاغ رب السموات والارض للصفوة المختارة من مخلوقاته ؟! ..

ان رسالة الله الى عباده عن طريق المرسلين الذين ابتعثهم اليهم واحدا اثر آخر ، يتضمن النبأ العظيم الذى يتعلق بمصيرهم جميعا، ويحدد نهاياتهم المطلقة التى لا مناص منها ، فأى معنى غير معنى الجنون فى أن تتعصب طائفة من هؤلاء العباد ضدها ؟!

شخصان يسيران فى مفازة مجهولة ، انتهيا الى مفترق يقفعلى فم طريقين : أحدهما ينتهى الى هلاك لا ريب فيه ، والآخر ينفذ الى الغاية المطلوبة لهما ، فهل أمامهما من سبيل غير التعاون المطلق لمعرفة الطريق المطلوب ، وتجنب سبيل الهلاك ، حتي ولو كانا من قبل ذلك خصمين متخالفين ؟ .. وهل سمع أحد من

الناس أن عاقلا اجتهد فى معرفة الطريق السليم ، فلما واجهه صاحبه بالراى السديد وبصره بخطئه ، اخذت منه العصبية مأخذها ، وابى الا التمسك برايه ، ثم انحط يسير فى طريق الهلاك ، حتى لقى حتفه آمنا مطمئنا ، لانه ابى التبعية لغيره ، ولم يخضع لراى غير الراى الذى فى رأسه ؟! ..

أيها الناس : أما والله ان بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ، لم تكن عبثا من الامر ، ولا ترفا فى باب الزعامة او الثورة أو الفكر ! .. وانما جاء ليبلغ انذار الله لعباده على فترة من الرسل الذين جاءوا من قبله .

فانظروا فى الكتاب النذير الذى تركه أمانة بين أيديكم ، وأمعنوا فيه الفكر محررا من كل عصبية وغرض وحقد ، فان الامر متعلق بمصيرنا جميعا ، مصير هائل مخيف جدير أن يذوب تحت سلطانه جميع معانى المصالح الآنية والعصبيات المذهبية والفكرية .

فان رأيتم أن الامر كذلك ، فأجمعوا أمركم واحزموا قواكم وانطلقوا صفا واحدا نحو تحقيق الهدف الذىيدعوكم اليه كتاب الله ، وتحملكم عليه سنة رسول الله ، وسيروا فىالطريق التى لقى الله عليها أسلافكم ، لقد خافوا الله تعالى فخافهم كل شىء ، وجعلوا همهم تحقيق مرضاته فكفاهم الله تعالى جميع هموم الدنيا .

أما إن أبى كل صاحب رأى وهوى الا مزيدا من العصبية لرايه أو مصلحته وهواه ، فليعلم أنه انما يتعصب ضد ذاته هو ، والا فليرفى ثباته الدائم على عصبيته هذه ! .. وليظل على هذه الحال الى أن يمتد منه الجسد الذاوى على فراش الموت وتريه عيناه الملك الموكل بقبض روحه والدنيا المطوية المنطلقة من حساب عمره ، والمصالح العاجلة التى غرته اذ كان يحسبها ماء فراتا ، ثم تخلت عنه اذ رآها سرابا باطلا ووهما مستحيلا .. !

أيها الناس : اجعلوا من ذكرى مولد رسول الله ، مثابة عهد جديد تبايعون به نبيكم وتصطلحون به مع ربكم ثم انطلقوا فى مجاهدة صادقة فى سبيل مرضاة الله . قبل انينطوى عنكم بساط العمر ، ويبدو لكم من ورائه وادى الحسرة والندم .. ولات ساعة مندم .

---

(1) سيرة ابن هشام : ٧٧/١ والاصنام لابن الكلبى : ٨ و ٩ وانظر ما كتب فى هذا البحث مطولا فى كتابنا فقه السيرة .

محمد صلى الله عليه وسلم

في أبحاث المستشرقين الألمان

للشيخ : طه الولى

لا بد من القول بأن الصدام التاريخى الذى وقع بين الشرق الاسلامى والغرب المسيحى اثناء الحروب الصليبية قد لفت نظر الاوروبيين الى الاهتمام بكل ما يتصل بالدين الاسلامى لا سيما بشخص النبى صلى الله عليه وسلم نفسه باعتباره مؤسس هذا الدين وحامل لوائه الاول . وان شخصية الرسول الاعظم ، عليه الصلاة والسلام استقطبت فى جاذبيتها المبدعة انظار المستشرقين الالمان ، شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من المستشرقين الاجانب، لان هؤلاء وأولئك وجدوا فى دراستهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ما يكمل دراستهم للاسلام من خلال القرآن الكريم . فوجهوا عنايتهم الى هذه الشخصية العظمى بنفس الحرارة التى رافقت عنايتهم بالقرآن نفسه .

وفى عام ١٧١٠ ميلادية قرأ المتحدثون باللغة الالمانية « ان محمدا لا يبتعد عن التعاليم الكبرى للديانة الحقيقية الاصيلة . وقد قام أتباعه بنشر هذه التعاليم الى أقصى شعوب آسيا وأفريقيا . وفى كثير من البلاد قام الاسلام بالقضاء على المعتقدات الوثنية التى وقفت أمام التعاليم الصحيحة عن وحدانية الله وخلود الروح » وكان قائل هذا الكلام المتزن والرأى الرصين هو الفيلسوف الالمانى « لايبنيتز » الذى شق أمام أبناء جلدته من المستشرقين طريقا مستقيما لدراسة شخصية محمد صلى الله عليه وسلم فى ضوء العقل والمنطق وبأسلوب العالم الذى

يتحرى الموضوعية والانصاف فى ما يكتب عن الاسلام ورسوله .

ولم يلبث الطريق الذى شقه لايبنتز ان وجد من يسلكه من بين الالمان ، ففى القرن الثامن عشر كتب « ليسينغ » أكبر الشعراء والنقاد فى زمانه يقول :

« اننى واثق من أنه بين هؤلاء الذين يرون أن الديانة « التركية » (ويعنى بها الاسلام) هى السبب ، أو هى التى تتحمل الذنب فى هذا أو ذاك ، هم اقل من قرأوا القرآن .

وانه أيضا من بين الذين قراوه لا يوجد الا عدد قليل جدا حاول أن يعطى كلماته المعنى الصحيح . واننى واثق انه لو كان فى نيتى أن أقوم بهذا العمل لاستطعت أن اعرض أهم ما فى الديانة الطبيعية فى القرآن بوضوح ، كما اننى أعتقد أن كل مفكر يوافقنى على أن كل المبادىء الرئيسية فى تعاليم محمد ، تنبع من الديانة الفطرية الطبيعية . »

ولم يأت القرن التاسع عشر للميلاد حتى رأينا الدكتور جوستاف فايل يصدر دراسة كاملة تناول فيها المسيرة النبوية الشريفة حرص فيها على تقديم صورة يركن الى صحتها عن المرحلة الاولى لظهور الاسلام ، ومن حسن الحظ فى دراسته هذه انه اعتمد على مصادر كانت أفضل بكثير من تلك التى اعتمد عليها الذين كتبوا عن حياة النبى صلى الله عليه وسلم من قبله . وقد انتهى فايل من دراسته المذكورة ، الى الاقتناع بأن محمدا يمكن أن ينظر اليه من جانب غير المسلمين ، على أنه بالفعل « رسول الله » .

ومنذ ذلك الحين أخذ المستشرقون والادباء الالمان بدراسة النبى صلى الله عليه وسلم واحتلت هذه الدراسة مركز الصدارة فى علوم الاستشراق بين الالمان . وعندما ألف الشاعر الفرنسى الكبير « فولتين » مسرحيته الضخمة « محمد النبى » سارع الادباء الالمان الى ترجمتها الى اللغة الالمانية ، وما زالت الترجمة التى وضعها الشاعر الالمانى الكبير « غوته » سنة ١٨٠٠ ميلادية تعرض على المسارح الالمانية حتى اليوم .

على أن غوته لم يكتف بترجمة مسرحية فولتير عن « محمد النبى » بل انه وضع هو نفسه « الانشودة الثنائية بين على وزوجته فاطمة التى اشتهرت بعد ذلك باسم « انشودة محمد » وفيها يصور هذا الشاعر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم على أنه « النموذج الاعلى للانسان الذى ملأ الله عليه قلبه وحياته ، وانعم عليه وطهره واصطفاه ليؤسس الديانة الكبرى » وتدور أحداث هذه الانشودة حول النبى صلى الله عليه وسلم وهو بعد فى صباه يقف على ملتقى الطرق بين الافكار الدينية المختلفة ويكافح من أجل الايمان والاعتقاد بإله واحد « وفيها يشبه غوته النبى صلى الله عليه وسلم بنهر عارم مطرد ، يجرف أمامه كل شىء ويقتلع ما يصادفه معه ويندفع به بقوة الى الاله الابدى .

ولقد شغلت شخصية محمد صلى الله عليه وسلم شاعر المانيا الكبير غوته طوال أيام حياته . فعندما صنف كتابه « الديوان الشرقى الغربى »

فانه ضمن هـذا الديوان اكثر من اثنتى عشرة قصيدة تدور كلها حـول محمد وتعاليمه ودعوته الدينية .

والى جانب غوته نجد شاعـرة المانية أخـرى تتنـاول بقصائدهـا شخصية النبى محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابين صدر أولهما سنة ١٨٠٤ تحت عنوان « حلم محمد فى الصحراء » والثانى صدر فى سنة ١٨٠٥ تحت عنوان « محمد ، نبى مكة » على أن هذه الشاعرة قدمت النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الناسك الزاهد متأثرة بما علق فـى ذهنها مـن حياة الزهـاد والنساك النصارى . الامر الـذى أدى الى فشـلها فى اجتذاب الجمهـور الى الاهتمام بعملها .

وفى سنة ١٨١٥ جعل الشاعـر براون مسرحيته التى كتبها بأسلوب كلاسيكى ، تحت عنوان « وفـاة محمد » وقد صور فيها هذا الشاعر وفاة النبى صلى اللـه عليه وسلم متأثرا بفعل السم الذى وضعته لـه فى طعامه احدى النساء من الكفار . وقد اعتمد براون فى ذلك على بعض الاقوال القديمة التى تزعم بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد توفى فعلا بالسم ، مع العلم بأن هذه الاقوال لا ترقى الى درجة اليقين التاريخى .

وفى غضون القرن التاسع عشر تضاعف عدد الالمان الـذين عرفوا بدراسة الاسـلام بصورة عامـة وبالكتابة عن شخصية النبى عليـه الصلاة والسلام بصورة خاصـة . فنجد باعث الحركة الادبية فـى هذا القرن يقول :

« أن الدافع فى مجرى حياة محمد النبوية ، كان نفوره وبغضـه التـام للوثنية وعبادة الأصنام وايمانه الحاد بمبدا الاله الواحد ، وعبادة اللـه بنقاء فى عمل الخير » .

وفى هذا العصر بالـذات جاء المستشرق الالمانى الكبيـر « يوسف فون هامر » ــ بورشتال »

فوضع ، حوالى سنة ١٨١٨ كتابا جمع فيه سير الخلفاء والامراء والملـوك الكبار ونشر فى نحو خمسين مقالـة تحت عنوان « أيوان الصور لحكماء المسلمين الكبار فى القرون السبعـة الاولى للهجرة » وفى هـذه المقالات يعالج فون هاير سير الملـوك المشهورين فى بلاد الاسـلام مبتدئا بسيرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه :

« يجب أن نتمسك بوجهـة نظـر أن محمدا لم تكن تدفعه مجرد تلـك الفكرة العظيمة وحدها ، فكرة اخراج قومه من ضلال تعدد الالهة ، وهداية هؤلاء القوم الـى الصراط المستقيم واعادتهم الى الايمان بالاله الواحـد بل أنه كان يتملكه أيضا شعور دينى حى . واقتناع ذاتى بالوحى الالهى الذى ينزل به الروح الامين على قلبه وكان على ايمان عميق ، شأنه فـى ذلك ، شأن سابقيـه من الانبياء الآخرين بأنه ارادة السماء بأخذ أمته فى طريق الهدى والصراط المستقيم ، انه واحد من مؤسسى الاديان الثلاثة الكبرى التى نشأت فى مصر وسورية والجزيرة العربية ، وانتشرت فـوق سطح الكرة الارضية بكاملها ، وهـو خاتم النبيين . »

ولفون هامر كتب أخـرى فـى الاسلام والنبى محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك القصائد الشعرية التى

نظمها سنة ١٨٠٦ تحت عنوان « نفير الجهاد » وصور فيها النبى الكريم داعية عظيما للجهاد فى سبيل الله .

وفى سنة ١٨٢٣ ندب هامر نفسه للرد على ما جاء فى مسرحية فولتير من تهجمات على شخصية النبى عليه السلام فألف كتابا تحت عنوان « محمد أو محاصرة مكة » تحدث فيه عن فتح النبى صلى الله عليه وسلم لمكة المكرمة .

وقد ادت حركة النقد التى تعرضت لها الديانة المسيحية فى القرن التاسع عشر الى الاهتمام الزائد بالاسلام وصاحب رسالته . فألف « دوامر » فى سنة ١٨٤٨ ديوانا أسماه « محمد واعماله » حاول فيه المقارنة بين كبرياء المسيحية وترفعها الروحى وبين بساطة الاسلام ويسره واتفاقه مع الطبيعة السمحة . وتوالى فى هذه الفترة المؤلفون الالمان الذين تناولوا بالكتابة سيرة النبى عليه الصلاة والسلام من ذلك (« دوللر » الذى كتب « قصصا تاريخية » ونشرها فى سنة ١٨٤٤ تحدث فى هذه القصص عن نشأة محمد عليه الصلاة والسلام وتطوره حتى مرحلة النبوة وذلك بأسلوب رومانتيكى جذاب . وكذلك أصدر كل من الكاتبين شافها يتين وفون دير بفوردتن ، كتبا وقفا فيها موقفا ايجابيا مؤيدا للنبى العربى الكريم .

ولم يقف أهتمام المستشرقين الالمان عند تأليف الكتب فى هذا الصدد ، بل أن بعضهم عمد الى نشر ما الف فى القصة العربية من كتب السيرة النبوية الطاهرة كما فعل المستشرق الالمانى فرديناند وستنفيلد الذى أصدر سنة ١٨٦٠ سيرة ابن هشام بنصها العربى ثم قفى عليه المستشرق « فايل » سنة ١٩٦٤ بترجمة هذا الكتاب التاريخى الهام من العربية الى اللغة الالمانية .

أما المستشرق الالمانى الكبير تيودور نولدكه فانه أصدر كتابا قائما بذاته تناول فيه شخصية النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته وأطوار حياته تحت عنوان :

« حياة النبى محمد » كما شارك فى الاشراف على طبع « تاريخ الطبرى » وترجمته الى الالمانية .

ويقول نولدكه فى كتابه الذى وضعه عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم :

« اننا لكى نصدر حكما صحيحا وعادلا على محمد ، يجب أن لا نتأمله فقط فى حياته كنبى وداع وحاكم ، بل نتأمله أيضا فى حياته ومعاملاته مع اتباعه وأصدقائه ، وفى حياته اليومية . فان عددا لا يحصى من الشواهد والادلة الصادقة يبرز صورته فى ضوء بهيج . أما ما يقال عن اخطائه فانه يجب على المرء أن يعرف انها لم تكن اخطاؤه هو ، بل هى الى أكبر حد أخطاء عصره وشعبه . وانه كان يملك انبل الخلق والايمان برسالته فى العودة بالناس الى الدين الصحيح ينجيهم من العذاب المقيم ويمكنهم من نعيم السماء » .

وهكذا ، فلقد توالى بعد ذلك اهتمام المستشرقين الالمان بهذا النوع من الدراسات التى وجدت أهتماما ملحوظا فى المانيا بصورة خاصة ، حيث لم يعد محمد صلى

الله عليه وسلم فى نظـــــر العلماء الالمان مـــن المعنيين بالدراســـــات الاسلامية ، مجرد وثن أسطـــورى يعبده المسلمون الاغبياء ولا نبيا كاذبا خداعا يضلل الناس عن جادة الحـــق والصواب ، كما كان يصوره أحبـــار الكنيسة والدائرون فى فلكها المتزمت سابقا ، بل أصبح النبى عليه الصلاة والسلام فى نظـــر الالمان ، انسانا جـــــديرا بكل احترام وتبجيـــــل « لانه جـــــاء بدين ينطـــــوى على أجـــود الآراء وأحســـــنها » كما كان يقول المستشرق الالمـــــانى القديم « غ » بوستل وهو يعظ الناس المتألبين حوله عند جسر ريالتـــو . بالبندقية فى أواسط القرن السادس عشر للميلاد ..

واننا لنجد فى مؤسسات الابحاث الاسلامية المنتشرة اليوم فى طـــول البلاد الالمانية وعرضها العديد مـــن الدراسات المفيدة سواء فىحيـــــاة النبى صلى الله عليه وسلم شخصيا أم فى سيرة صحابته الكرام رضوان الله تعالى عليهم ، وآخــــر هـــذه الدراسات كما يقول الدكتور البرت ديتريش فى كتابـــــه « الدراسات العربية فى المانيا » آخـر هــــذه الدراسات هو الكتاب الذى الفـــه الدكتور رودى باريت تحت عنـــوان « محمد والقرآن » ..

ويحسن بنا أن نختم هذا الحديث بالاشارة الى أن « كل الاعمـــــال الادبية التى قامت فى المانيـــا مـــع غوته وبعده حول شخص النبى صلى الله عليه وسلم ، حـــــاولت وبذلت جهدها لكى تقدم صورة صادقة عنـــه بقدر امكانها ، وان تقرب هذه الصورة بقوة الى القارىء الالمانى ، وانهـــا جميعها تقر وتعترف عن قناعة وتجرد : « بأن محمدا عليه الصلاة والسلام هو نور الله الداعى الى الحق والهدى » .

مائدة القارئ

« جعل رزقى تحت ظل رمحى ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى » .

(رواه البخارى)

مراتب الوحى

١ — الرؤيا الصادقة ، وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم .

٢ — ما كان يلقيه الملك فى روعه وقلبه من غير أن يراه .

٣ — كان الملك يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يحفظ عنه ما يقول .

٤ — كان الملك يأتيه فى مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه .

٥ — كان يرى الملك فى صورته التى خلق عليها فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه .

٦ — ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلوات وغيرها .

٧ — كلام الله له بلا وساطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران .

حاضنات النبى

أمه آمنة بنت وهب ، وثويبة ، وحليمة والشماء ابنتها ، وأم أيمن بركة الحبشية .

زوجات الرسول

١ — خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

٢ — سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية رضى الله عنها .

٣ — عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنها .

٤ — حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها .

٥ — زينب بنت جحش الأسدية رضى الله عنها .

٦ — هند أم سلمة بنت أبى أمية المخزومية رضى الله عنها .

٧ — جويرية بنت الحارث رضى الله عنها .

٨ — صفية بنت حيى بن أخطب وهى من ذرية هارون عليه السلام . رضى الله عنها .

٩ — أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان الأموية رضى الله عنها .

١٠ — ميمونة بنت الحارث الهلالى رضى الله عنها .

١١ — زينب بنت عبد الله المعروفة بأم المساكين رضى الله عنها ، وقد توفيت والسيدة خديجة فى حياته صلى الله عليه وسلم .

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

(قرآن كريم)

أولاد النبى

القاسم ، ثم زينب ، ثم رقية ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم عبد الله ، وكلهم من السيدة خديجة .

ثم ولد له ابراهيم بالمدينة — من السيدة مارية .

أعمام النبى

حمزة بن عبد المطلب ، والعباس ، وأبو طالب واسمه عبد مناف ، وأبو لهب واسمه عبد العزى ، والزبير ، وعبد الكعبة ، والمقوم ، وضرار ، وقثم ،والمغيرة ولقبه حجل ، والعيداق واسمه مصعب .

ولم يسلم منهم الا حمزة والعباس.

وأسن أعمامه الحارث ، وأصغرهم العباس .

سلاح النبى

كان له صلى الله عليه وسلم تسعة أسياف وهى :

ما ثور ، والعضب ، وذو الفقار ، والقلعى ، والبتار ، والخنف ، والدسوب ، والمخذم ، والقضيب .

وكانت له سبعة أدرع وهى :

ذات الفضول ، وذات الوشاح ، وذات الحواشى ، والسعدية ، وفضة والبتراء ، والخرنق .

كتاب النبى

أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وعامر بن فهيرة ، وعمرو بن العاص وأبى بن كعب ، وعبد الله بن الأرقم ، وثابت بن قيس ، وحنظلة ابن الربيع الأسدى ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن رواحة ، وخالد ابن الوليد ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وقيل أن أول من كتب له معاوية بن أبى سفيان وزيد بن ثابت.

مؤذنو الرسول

كانوا أربعة ، اثنان بالمدينة . بلال ابن أبى رباح وهو أولمن أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن أم مكتوم القرشى العامرى الأعمى . وأذن له بقباء سعد القرظ مولى عمار ابن ياسر ، وأذن له بمكة ابو محذورة واسمه أوس بن المغيرة الجمحى .

خدم النبى

١ — انس بن مالك ، وكان على حوائجه .

٢ — عبد الله بن مسعود صاحب نعله وسواكه . .

٣ — عقبة بن عامر الجهنى صاحب بغلته .

٤ — أسلع بن شريك صاحب راحلته .

٥ — بلال بن رباح .

٦ — أبو ذر الغفارى .

٧ — أيمن بن عبيد وكان على مطهرته وحاجته .

مولد محمد

صلى الله عليه وسلم

— ١ —

فى كل كائن عنصر يندس فى كيانه ، ويضمر فى وجوده .. هـذا العنصر هو سر بقائه ، وحافظ نظامه ، وروح ذاتيته ، ومختصر حقيقته ، سواء فى هذا ما كان من عوالم السماء ، أو عالم الارض .. ابتداء من الهباءة والذرة ، الى النجم ، والمجرة ، ومن الانسان فـى شخصه الى الانسانية كلها فى امتداد زمانها ومكانها ..

فالكائن الحى — مثلا — حين يكشف عن سره ، ويصرح عن مكنونه ، نراه يعرض فى معرض الحياة وجوده كله مختصرا فى مولود من مواليده ، أو فى آية من آيات خلقه وابداعه ..

فاذا وقف بنا النظر عند شاعر مثلا ، رأيناه مشخصا فى مرآة ديوان شعره ، الذى يضم قصائده ومقطعاته ، ثم رأيناه فى صورة أدق وأوضح فى قصيدة أو مقطوعة ، هى عين شعره ، ويتيمة درره ، ثم رأيناه آخر الامر مجسدا فى بيت ، هو بيت القصيد كله ، فى ديوان شعره !!

ويؤدى بنا هذا الى القول بأن فى كل أمة ، من عالم الانسان ، او الانعام ، والدواب ، والطير ، وليدها وبيت قصيدها ، الذى تتمثل فيه كل وجودها ، وتستشعر منه نبض حياتها ، وتتلقى عنه — حاضرا أو غائبا — مثلها الاعلى الذى يراود احلامها ، وتدور فى فلكه آمالها ..

فاذا كان ذلك كذلك فى الكائنات الحية ، فانه فى الكائن الانسان أصرح وأوضح ، سواء ذلك فى ذات الانسان الفرد ، أو فى محيط الاسرة والقبيلة ، أو فى دائرة الشعب والأمة .. حيث لا تخلو أمة من الامم ، أو شعب من الشعوب ، من مولودها الذى تجتمع فيه خصائصها ، وتتخلق فى كيانه عناصر تكوينها المادى والروحى والعقلى جميعا .. ففى الامة اليونانية « أرسطو » وفى الامة الانجليزية « شكسبير » وفى قديم الامة الهندية « بوذا » وفى حديثها « غاندى » .. وهكذا ..

إنسان الإنسانية ونبي الأنبياء

للاستاذ عبد الكريم الخطيب

وطبيعى أن يتولد من هذا المنطق الذى تحكم به الطبيعة كائناتها ، أن يولد فى الانسانية المولود الذى يكون قمــة الجنس البشرى كله ، حيث ينتهى اليه كمالها ، وتستوفى بــه غاية حظها ، فيما تحلم بــه من سمو ، وفيما تنزع اليه من كمال ورقى .. وأحسب أن هــذه حقيقة لا يمارى فيها كثير من الناس ، فان يكن ثمــة افتراء أو خــلاف ، فهو فى هــذا الانسان : من يكون ؟ ومن تكون الامة التى ولدته ؟ وما الظرف الزمانى الذى ظهر فى كوكبه ، ولمع فى أفقه نجمه ؟

— ٢ —

والامة الاسلامية على ايمان واجماع بأن « محمدا » النبى العربى ، الذى ولدته الامة العربية فى مكة البلد الحرام ، وعلى بضع خطوات من البيت الحرام — اول بيت لله وضع للناس على هذه الارض — الامــة الاسلامية ، على ايمان واجماع بأن « محمدا » هذا ابن عبد الله ، بن عبد المطلب ، العربى ، القرشى ، هو مولــود الانسانية ، الــذى حملته فى ضميرها ، وغذته بمجاجة وجدانها ، وعصارة عقلها ، وتنقلت بــه عبر الاجيال والازمان ، على امتداد حياتها الضاربة فى أعماق الــزمن ، حتى جاءها المخاض بــه فى اليوم الموعود ، والمكان المشهود ، فأخذها منه ما يأخذ الامهات لحظــة الولادة ، وما يسرى فى كيانها من مشاعر الرهبة والخوف ، وخفقات الرجاء والامل .. وهكذا تنازع الوجود كله لحظــة هذا الميلاد ، ومن بين يديه ومن خلفــه ، رهب ورغب .. فرجفت قلــوب ، وخفقت قلوب ، وغامت وجوه ، وأسفرت وجوه .. وكان صباح ، وكان مساء ، واذا بين يدى الناس فى كل أفق شاهد مبين ، من هــذا النبأ العظيم !!

فاذا تحدثت أخبار السيرة النبوية عن ميلاد الرسول الكريم ، وما واكب هـذا الميلاد من ارهاصات تنبىء عن أمر عظيم قد وقع ، أو هو وشيك الوقوع ، من شأنه أن يتغير بـه وجه الحياة كلها ، وتتحول بـه كثير من أحوال الناس فى المشارق والمغارب — اذا تحدثت كتب السيرة عن كثير أو قليل من تلك الارهاصات التى واكبت مولد النبى ، فليس ذلك بمنكور أن يحدث كله ، أو بعضه ، على صورة مطابقة ، أو مقاربـة لما تحدثت بـه هذه الكتب ، وما صورته تلك المرويات !

فغير مستبعد أن يكون قد حدث فى زمن الميلاد ما تحدثت به كتب السيرة النبوية ، من تصدع ايوان كسرى ، وخمود نار فارس . وذهاب ماء سادى ، وغير ذلك مما قل أو كثر ، من هذه الاخبار التى تضاف الى عوالم الجماد ، فلا يحمل ذلك على محمل الخيال الشعرى ، أو الحماس العاطفى ، فان ذلك الا يكن قد حدث كله أو بعضه على الصورة التى تحدثت بهـا كتب السيرة ، فانه جدير أن يحدث ، ان لم يكن فى اعراض هـذه الكائنات وهيولاها ، ففى صميم جوهرها وحقيقتها !!

واذا صح أن يقع مثل هذا فى عالم الجماد من ذلك النبأ العظيم ، فان وقوعه فى وجدان الناس ، وفى شعورهم ، وعلى مسرح احلامهم ، ومسبح رؤاهم ، أمر ينبغى التسليم بـه ، وترك المماراة والجدل فيه ..!

ان فى النفس البشرية ، قوى استطلاعية متخفية ، لا يملك الانسان سلطانا عليها ، فلا تستجيب لاستدعائه ، ولا تعطيه شيئا حين يطلب اليها أن تعطيه مما عندها .. وانما هى فى ذات الانسان سلطان لا سلطان عليه ، تظهر حين تشاء ، وتعطى كيف تشاء ، ومتى تشاء !

هذه القوة المندسة فى أعماق الانسان يجد كل انسان بعض آثارها فى حياته ، على اختلاف هذه الآثار ، كثرة وقلة ، وقوة وضعفا ، ووضوحا وخفـاء ..

ولو رصد الانسان — أى انسان — معطيات هذه القوة الكامنة فيه ، لوجد فيها اسرارا عجبا ، تحار لها العقول ، وتعجز عن تأويل اسرارها الافهـام ..

فكم من مرة يلقى فى روع الانسان أن أمرا ما قد وقع أو سيقع على صفة ما ، ثم يقع على تلك الصـفة التى استشعرهـا هـذا الانسان استشعارا ، وتظناها تظنيا ، دون أن يكون بين يديه شاهد منها ، أو نبأ عنهـا !

وكم من مرة ترتسم فى مخيلة الانسان صورة لشخص ما ، من غير أن يكون له فى تلك اللحظة ، مكان فى خاطره ، أو مدار فى تفكيره ، ثم اذا بهذا الشخص يطلع عليه ، على غير انتظار ، أو توقع ؟

وكم وكم من هذه الرؤى فى اليقظة أو فى المنام يراها الانسان رأى العين ، أو يجد مسها فى خفقات قلبه ، أو مسارب تفكيره ، أو خطرات نفسه ؟

ثم ان لهذه القوى الاستطلاعية فترات تستيقظ فيها ، فيكثر تحديثها الى الانسان ، ويعلو صوتها الخفيض بين جوانحه ، كما أن لها فترات تخمد فيها جذوتها ، ويفتر نشاطها ، ويخرس لسانها ..

وللاحـــداث ذات الاثر التى تنتظر الانسان فى خاصـــة نفســه ، أو تنتظره مع الناس ــ فى دائرة تضيق أو تتسع ــ لهـــذه الاحداث المقبلة اثرها فى تحريك هذه القوة الاستطلاعية فى الانسان . وفى انبعاثها من مكامنها ، لتؤدى وظيفتها فى الوقت المناسب . كـدعوة للانسان بالتهيؤ والاستعداد ، للقاء هذا الطارق الذى يوشك أن يدخل من غير استئذان ..

فاذا كانت الاحداث ذات طابع ثورى حاد ، تنقلب به الاوضاع القائمة فى الحياة ، ويتحول به سير الامور على غير الوجهة التى هى عليها ــ كان ذلك مما يهيج هذه القوة الكامنة فى الناس ، ويحرضها تحريضا قويا على تشيم بروق هذه الاحداث ، وتتنسم أرواحها . وتفتح خياشيمهـــا على مهابها ، فتلقاها قبل أن تولد فى الواقع الذى يعيش فيه الناس ، وتكشف عن وجهها قبل أن تقع عليها عين ، أو تلمسها يد !

وفى القرآن الكريم مثل واضح لهـــذا ، وهو ما كان من رؤيا فرعون التى جاءت فى قوله تعالى : « وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات » .. فلقد رأى فرعون فى هذه الرؤيا أن أمرا خطيرا سيقع ، ولكنه لم يدر هو ، ولا الملأ من حوله ، تأويل هذه الرؤيـــا ، حتى كان يوسف ــ عليه السلام ــ هو الذى عرف دلالـــة هذا الحلم ، ودل على تأويله ..

وحلم فرعون هذا ، ليس الا ارهاصا بالاحداث التى كانت ستستقبلها مصر ، ويتأثر بها أهلها .. واذا كان فرعون هو القائم يومئذ على أمر البلاد والعباد ، فان ما يطرقه من تلك الاحداث المقبلة أكثر مما يطرق غيره مـــن الناس ، ولهذا وقع فى نفسه هـــذا الاحساس الخفى ، الذى تحول الى حلم فى المنام ، ثم الى خبر فى تأويل يوسف له ، ثم الى واقع فيما جـــاءت به الايام ، بعد سبع سنين !!

ولك أن تسمى هذه القوة ، حاسة غير الحواس الخمس المعروفة ، خفية ، مهمتها أن تستقبل ــ أحيانا ، وليس فى كل حين ــ ما لا تستطيع الحواس المعروفة استقباله من أنباء وأحداث مقبلة ..

ففى المراصد ــ مثلا ــ أجهزة تنبىء عن العاصفة قبل أن تجىء ، وعن الهزات الارضية قبل أن تقع فى حواس الناس .. انها فى هـــذه الاحوال لا تخلق العاصفة ، ولا تصنع الهزات ، وانما كل ما فى الامر ، أنها ادق حسا ، وأسرع واسبق تأثرا من تلك الاجهزة الكائنة فى الانسان .. وعملها هنا اشبه بالسبق الصحفى فى عمل الصحافة اليوم !!

— ٤ —

نقول ان الاحداث اذا كانت ذات طابع ثورى فى الحياة ، هيجت هذه القوة الاستطلاعية الكامنة فى الناس ، ودعتها اليها ، فرأت ما لا يرى الناس ، وعرفت ما لا يعرفون . ثم عادت والتقت الى الناس بأنباء وأخبار ، يعجبون لها ، ويدهشون منها ، ويقفون بين مصدق ومكذب لها ، حتى تطلع عليهم من قريب أو بعيد ..

والنبوة أمر عظيم ، وحدث جليل ، قلما تشهد الحياة مثيلا له ، الا حين يظهر نبى ، وتظهر فى الحياة دلائل نبوته ..

ان النبوة صلة مباشرة بين السماء والارض .. فحين يظهر نبى يكون

معناه أن السماء قد صافحت الارض ، أو أن الارض قد صافحت السماء على يد انسان من الناس ، اصطفاه الله تعالى لرسالته .. انسان يتناول من عالم الحق بعض ما فيه من رحمة ، وهدى ، ونور ، ليأخذ الناس من بين يديه حظهم من الرحمة والهدى والنور ..

— ٦ —

ونبوة « محمد » — صلوات الله وسلامه عليه — آية الآيات فى النبوات، ومجتمع أنوار الرسالات، ولها من الآثار فى الحياة ما يربو على ما تفرق فى النبوات والرسالات من آثار فى المجتمع الانسانى كله .. انها ليست لشعب ، أو قبيلة ، أو بلدة ، كما كان الشأن فى الرسالات السابقة ، وليست لجيل أو جيلين أو ثلاثة على نحو ما سبقها من رسالات الرسل ، وانما هى للانسانية كلها ، وللاجيال جميعها ، منذ ظهورها الى أن ينتهى دور الانسانية على هذه الارض ..

فليس عجيبا أنه اذا آن أوان هذه النبوة وأظل زمانها أن يكون لها هذا الدوى العظيم فى كيان تلك القوى الاستطلاعية الكامنة فى الناس ، ذلك الدوى الذى يكاد يحيل هذه القوى الى كائنات حية ، تحدث الناس عن استطلاعاتها بلسان قوى مبين ..

وقد حدث هذا أو ما يقاربه حين بدأت الخيوط الاولى من أضواء الفجر تظهر فى آفاق الجزيرة العربية ، مؤذنة بمطلع شمس النبوة المحمدية ، بعد هذا الفجر الوليد !

فلقد استيقظت فى الناس قوى روحية تتلمس مواقع هذا النور ، وتتهدى اليه ، واتقدت فى صدور كثير منهم شرارة الايمان ، فلم يستطيعوا معها صبرا على معتقداتهم الفاسدة التى وجدوا ريحها العفن ، حين طلعت عليهم انسام النبوة ، واستطابوا شميمها الزكى العطر !

وتسجل صحف التاريخ لهذه الفترة التى قامت بين يدى النبوة ، انباء وأحداثا كثيرة مستفيضة ، من الظواهر والخوارق التى ازدحم بها زمان تلك الفترة ومكانها ، حتى بلغت حدا من الكثرة والغرابة دعا بعض الناس الى انكارها ، وتكذيبها جملة وتفصيلا ، كما دعا بعضا آخر الى قبول بعضها ، والتوقف عند بعض ، وانكار بعض ..

والذى نراه فى هذه الاخبار ، ونكاد نقطع به ، هو أن الاصول التى بنيت عليها تلك الاخبار ، أصول صحيحة سليمة ، فان ظهور النبى ، بل خاتم الانبياء لا يمكن أن يقع دون أن يقوم بين يدى موكبه من يعلن فى الناس نبأه ، ويفسح الطريق لجلال هذا الموكب الجليل المهيب !

فهذه الاحداث التى وقعت ، وتلك الاخبار التى تروى عن الذين شاهدوا أنوار النبوة قبل أن تبزغ ، وشاموا مخايلها قبل أن تظهر — هى احداث وأخبار ، تستند — كما قلنا — الى أصول صحيحة ، وتقوم على واقع مشهود لا شك فيه . ولكن الذى يؤخذ على المرويات من تلك الاحداث والاخبار ، هو ما دخل عليها من اضافات ، وما اتصل بها ، وأضيف اليها من منحولات ، أملتها عواطف ساذجة ، أو استجلبتها خيالات مريضة ، عن نيات حسنة ، أو رمى بها مكر ماكر ، أو كيد كائد ، يريد بذلك افساد تلك الصورة المشرقة بهذه الالوان الصارخة المنكرة التى ألقيت عليها ..

وليس يعنينا نحن المسلمين ، اتباع محمد ، أن تصدق هذه المرويات جميعها ، أو لا تصدق ، فانها ان صحت لا ترفع من مقام النبى الذى رفعه الله تعالى اليه ، والذى ليس فوقه ، أو على مساماته مقام لبشر ، وان لم تصح فانها لا تنال من هذا المقــام ، ولا تنقص من ميزانه مثقال ذرة .. ذلك ان هذه الارهاصات ليست من جوهر النبوة ، ولا من ذاتية النبى ، وانها لا تعدو أن تكون نسمات مرت على روض ، فأصابت شيئا من شذا أزهــاره ، وطيب وروده ، دون أن يتأثر الروض فى بهائــه ، وجلاله ، وجماله ، بزيادة أو نقص ..

فاذا نظر ناظر فى كتب السيرة النبوية ، سواء المبالغ منها والمقتصد ، فيما يروى من أحداث وخوارق واكبت مطلع النبوة ، واستملنت مع انبثاق فجرها ، فلا عليه أن يقبل ما يقبل ، أو يرفض ما يرفض منها ، على أن يكون حسابه قائما ابدا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر ، وأن ما كساه الله تعالى به من حلل الجلال والكمال ، لا يجاوز بــه حدود البشرية فى أعلى مقاماتها ، وأرفع منازلها ..

— ٨ —

وندع حديث الخوارق والارهاصات ، دون أن نقيم حسابا لما صــح منها وما لم يصح ، ولنقم نظرنا على هذا الوليد الذى ولد لآمنة بنت وهب ، فى هذا البيت المتواضع المجاور لبيت الله الحرام ، ثم لنكن من شهود هذا المولد ، وممن يرقبون مستقبل هذا الوليد ، وما يمكن أن يكون له من وضع فى الحياة التى يحياها قومه .. اننا هنا لا نرى شيئا مما أعده الله تعالى لهــذا الوليد من سوابغ فضله واحسانه ، وما طواه الغيب عنا من اصطفاء الله تعالى له ، ليكون خاتم رسل الله ، والمبلغ عن الله ، دين الله ، الى عباد الله جميعا ..!

وبعيدا عن جلال النبوة ، وبمعزل عن أنوارها القدسية الجليلــة المهيبة ، نرصد مسيرة هذا الوليد فى اطار من الزمن بلغ اربعين عاما ، عاشها « محمد » بين قومه ، قبل أن يكتسى بجلال النبوة ويتوج بتاجها الكريم ..

فماذا يرى الراءون فى محمد ، وفى مسيرته عــلى درب الحياة ، وليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وغلاما ، وشابا ، وكهلا ، الى أن بلغ الاربعين من عمره ، حيث التقى برسالة السماء اليه فى غار حراء ؟

فهذا انسان من الناس ، ولد لابوين كما يولد الناس ، ثم لم يتلق من الحياة إرثا من الملك أو الغنى ، كما يتلقى هذا وذاك ، بعض الواردين على الحياة من أبناء الملوك ، وأصحاب الغنى والجاه . وانما الــذى استقبله هذا الوليد ، من يوم مولده ، بل وقبل يوم مولده ، هو اليتم والفقر ، أعدى أعداء الانسان ، وأشدهما ضراوة عليه ، واستبدادا به ، وهو بعد نبتة ضعيفة واهية لم تعلق جذورها بالارض ..!

هــذا الوليد ، اليتيم ، الفقير .. ماذا تظن به ؟ وما تقدر لــه مع الايــام ؟

انه لو جرت الحياة به على مألوفها ، لكان مصيره الى الضياع فــى دنيا الضائعين من اليتامى والفقراء ، فى عالم البادية الغليظــة الجافية ، وفى كنف الصحراء ، ووجهها المتجهم الكالح ..!

ولو اننا أحسنا الظن بالحياة فى شأن هــذا الوليد اليتيم الفقير ، لما بلغ بنا الظن فيه على أبعد الاحتمالات ، وأكثرها تفاؤلا ، الى أكثر من أن يكون فتى من فتيان قريش ، يلعب مع اللاعبين ، ويلهو مع اللاهين ، ويقطع أيامه ولياليه فى معاقرة الخمرة ولعب الميسر ، وفى مغازلــة النساء ، ومخالكة القيان .. ثم ينتهى به الامر فى شيخوخته الى أن يكون شيخا من شيوخ قريش ، يأخذ مكانه بين رواد الندوة ، يأخذ ويعطى مما يدور مــن أحاديث الجد والهزل فيها ، ثم تطويه الايام فيما طوت من سادات قريش وصعاليكها ، لا يكاد يجرى له ذكر ، او يعلق بــه خــاطر ، الا عند من خلفهم وراءه من أهل وخلان فى زمن ينتهى بانتهاء جيله ، ثم يعفى عليــه النسيان الى آخر الدهر !

أليس هذا كل ما يمكن ، وغاية ما يتصور أن تدور فى فلكه حياة هذا الوليد الفقير اليتيم ، الذى ولدتــه آمنة بنت وهب ، وسمته « محمدا » ودرجته فى سجل المولودين من مواليد قريش ؟

ولكن الذى جاء من هذا الوليد اليتيم الفقير ، منذ أيامه الاولى ، وعلى كل خطوة خطاها فى الحياة بعد هــذا ــ كان شيئا خارجا عن كل تقدير ، مجاوزا كل حساب ، بعيدا عن مواقع كل ظن !

وأحسبك تنتظر من وراء هذا القول أنى أحدثك عن أحداث خارقة ، وعجائب مذهلة ، تطلع عليك من كل خبر من أخباره ، وكل مــوقف من مواقفه .. وليدا ، وصبيا ، وفتى ، وكهلا ..

وكلا ، فان شيئا من هــذا لم يحدث ، وان يكن حدث كثير أو قليل منه فان أحدا يومئذ لم يلتفت اليه ، ولم يقف عنده .. وان يكن فى الناس من التفت اليه ، أو وقف عنده ، فما كان لهذا اليتيم الفقير حساب فيه .. كل شىء فى محيط هذا الوليد ، كان يجرى فى مجراه المألوف .. فلم تهبط عليه ثروة مفاجئة تتبدل بها حاله ، ولم يتحول فى قريش شىء عما عهد فيها ، من خير وشر ، ومن جد ولهو ، ومن رشاد وغى .. والصحراء هى الصحراء كما عهدها ساكنوها ، لم يتغير وجهها المتجهم ، وما يعلوه مــن جفاف وجدب ، وما يتعاور عليه من زمهرير الشتاء ، وسموم الصيف !

لقد ظل كل شىء هناك كما عهده الناس .. اليتيم على يتمه وفقره ، وقريش على عهدها فى صحوها ونومها ، والحياة على سيرها فى نهارها وليلها ، وكأن شيئا لم يكن قد دخل على تلك الحياة ، وكأن قدرا من الاقدار المسعدة التى يتغير بها وجه هذا الوجود لم يكن نجم فى سمائها ، وطلع فى أفقها ، وكأن هــذا الوليد اليتيم الفقير لم يكن عما قليل سيملأ أسماع العالمين ذكره ، ويبدد ظلام الوجود نوره .. وهكذا ظل هذا النور القدسى مطويا فى ضمير الغيب ، يتحرك فى كيان الحياة فى هينة ورفق ، الى أن يبلغ الكتاب أجله ، ثم يصبح الناس ذات يوم ، واذا هذا اليتيم الفقير ، هو محمد رسول الله ، خاتم النبيين ، وهادى الانسانية الى الحــق ، والى صراط مستقيم !!

ــ ٩ ــ

لقد كان هذا اليتيم الفقير يصنع بيد العناية الربانية حياته على طريق النبوة ، دون أن يشعر .. يصنعها فى رفق وعلى مهل ، صادر فى ذلك عن

طبع غير متكلف ، وعن شعور غير مصطنع ، وعلى طريق غير مطروق من أحد .. فهو يصدق القول حين يكذب الناس ، وهو يؤدى الامانة حيث يخون الناس ، وهو يعف عن الخمر ، حين يتهافت عليها الشيب والشباب ، وهو يعزف عن اللهو ، حيث يتهالك عليه الرجال والغلمان ، وهو يحتقر الاوثان ويشيح بوجهه عنها ، اذ يتخاشع لها قومه ، ويسعون الى مراقدها مصبحين وممسين .. كل ذلك وما اليه من الشمائل الحلوة ، والصفات الكريمة الحميدة ، كان يدور فى فلك « محمد » ويرسل نوره الوديع فى رفق ولطف ، دون أن تنبهر به عين ، أو يغشى به بصر ، ودون أن يثير فى الناس ضجة ، أو يحدث فى الحياة هزة .. لانه ـــ كما قلنا ـــ يصدر عن طبيعة لا تكلف فيها ، ويتدفق من فطرة سليمة ، لا صنعة معها ..!

ولقد تسأل ويسأل الناس : من أين لهذا اليتيم الفقير ، بهذا الادب العالى الرفيع ، ومن أين له بتلك الاخلاق المجتمعة من الفضل والنبل ، والجامعة لكل معانى الفضل والنبل ، فى بيئة أمية ، غارقة فى الجهل والضلال ، تائهة فى غياهب الرمال والجبال ؟

انه قد يتهيأ لانسان فى مثل هـذه الظروف أن يستقيم على خلق فاضل ، ولكن بعيد أن يستقيم العمر كله على هذا الخلق ، دون أن يهتز أو يتبدل .. وانه لابعد من هذا ، وأدخل فى باب المستحيل أن يجمع انسان بين اثنتين أو ثلاث من تلك الصفات الفاضلة ، وأن يمسك بها جميعا فى قوة واستقامة ، دون أن ينفرط عقدها ، ويتبدد شملها ..!

وانى لهذا اليتيم الفقير ، فى هذا الجو العاصف ، وفى تلك الحياة الجديب المكفهرة ـــ انى له أن يربى نفسه هذه التربية العالية ، وأن ينشئها تلك التنشئة الرفيعة ، وأن يحوز كل هذه الفضائل التى خف ميزانها فى قومه ، وغربت شمسها فى مجتمعه ؟ وانى لهذا اليتيم الفقير ـــ فى هـذا المكان ، وفى تلك الظروف ـــ أن يتخلق بأخلاق الانبياء ، قبل أن يلبس ثوب النبوة ، ويتوج بتاج خاتم الانبياء ؟

انه صنع رب العالمين ، وفضل أرحم الراحمين ، يصيب به من يشاء من عباده : « ذلك فضل الله ، يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » .. ذلك هو مقطع القول ، وكلمة الفصل ، فيما يسأل عنه من أمر محمد ، قبل البعثة وبعدها ..

ــ ١٠ ــ

ان النبوة التى تلقاها « محمد » من فضل ربه ، على رأس الاربعين من عمره ، هى التى جاءت بتأويل كل ما عرف الناس ، وما شهدته الحياة من أمر « محمد » منذ مولده ، بل ومن قبل مولده الى مبعثه ، مما لم يكن يستبين منه شىء للمتوسمين فى وجه (محمد) والشاهدين لخطواته الرشيدة المستقيمة ، فى كل متجه اتجه اليه ، قبل مبعثه ..

ومن هنا بدأ الناس يلقون نظرا مجددا على كل شأن من شئون (محمد) منذ حملت به أمه .. فكان حمله حدثا ، ومولده عجبا ، وخطواته على الحياة معجزات ومذهلات !

ان الذين ينظرون الى « محمد » جنينا ، ووليدا ، وطفلا ، وصبيا ، وغلاما ، وشابا ، وكهلا ـــ انما ينظرون الى « محمد » النبى ، بعد أن

أشرقت شمس نبوته ، واكتحلت بسنا نورها عين الوجود .. فلا عجب أن يكون كل حدث مهما يكن شأنه محسوبا بحساب النبوة ، موزونا بميزانها ، طالعا من سمائها .. وهذا حق لو سلم من طغيان العاطفة الجامحة ، أو خلص من استبداد الهوى الغالب !!

ان العقل لا ينكر أبدا أن يكون « محمد » فـي جميع أدوار حياته محفوفا بالعناية الربانية ، ممدودا بألطافها ، اذ كان مرشحا لنبوة النبوات ، وخاتمة الرسالات .. والله سبحانه يصنع لانبيائه فوق ما يصنع للناس جميعا ، قبل النبوة وبعدها .. يقول جل شأنه فى يحيى عليه السلام : « وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا » فكيف بما يصنع الله لصفوة رسله ، وخاتم أنبيائه ؟

وحسبنا فى هذا المقام أن نشير الى ظاهرة أو ظاهرتين مما يمكن أن ينظر اليه — بعد النبوة — على أنه من ارهاصات النبوة ، ومن آياتها البينة ، قبل أن تطلع شمس النبى !

فليس من قبيل المصادفة أن يكون « محمد » هو الاسم الذى أطلقته آمنة على وليدها ، دون غيره من الاسماء الشائعة فى قومه ، كعبد الدار ، وعبد شمس ، وعبد ود ، وعبد يغوث ، وحرب ، وحزن .. ونحو هذا مما يحرص الآباء على تسمية أبنائهم بـه ، ومما يعد ميراثا متنقلا فى أجيال القبائل والعشائر ..

ان اسم « محمد » لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ، ولم يسم بـه عربى ، أو قرشي قبله .. فمن أين لابنة وهب بهذا الاسم الذى بشر بـه المسيح ، علما على هذا النبى العربى ، كما يقول تعالى على لسان المسيح : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ؟ و « محمد » هو الاحمد ، والمحمود ، والحامد ..!!

ثم ما تأويل هذه الموافقات من الاسماء التى ولدت محمدا ، ونشأته فى حجرها ، وأرضعته من ثديها ؟

فأبوه « عبد الله » لا عبد العزى ، ولا عبد الدار ، ولا عبد ود .. انه عبد الله ، وليس عبدا لصنم من تلـك الاصنام التى تعبد لهـا آباؤه وأجداده ، وأضافوا وجودهم وذواتهم اليها ..

وأمه « آمنة » .. لا خنساء ، ولا عاصية ، ولا رباب ، ولا هند ، ولا دعد .. انها أمن وسلام ، حملت فى بطنها الامن والسلام الى العالمين ..!

وأبو أمه « وهب » .. لا جمح ، ولا لهب ، ولا شداد .. انه وهب الحياة لهذه الام المباركة التى ولدت « محمدا » !

ومرضعة « محمد » « حليمة » .. لا عفراء ، ولا عنيزة .. بل هى « حليمة » أرضعته الحلم ، وبنت كيانه منه ..

وبنو « سعد » دار حضانته ، ومرتع صباه ، لا بنو أسد ، ولا بنو ضبة ، ولا بنو نمير .. انه هلال سعد ، طلع فى أفق بنى سعد ، ثم ما زال يدرج فى منازل السعود ، حتى صار بدرا ، يبدد ظلمة الليل ، ويـكون للمستوحش أنيسا ، وللحيران دليلا ، وللسهران مسامرا ..

« محمد » .. « آمنة » .. « وهب » .. « عبد الله » .. « حليمة » .. « بنو سعد » .. هى فرائد من كريم الاسماء والصفات ، انتظم منها عقد هـذا النسب الكريم ، لمن اصطفاه ربه هدى ورحمة للعالمين ..

هذه واحدة الى مئات ومئات كثيرة غيرها ، يجد فيها الناس ريـح

النبوة ، قبـل ان يلتقوا بالنبى ، وتصافح عيونهم انوار ذاته العلويـة البهية !

أما محمد النبى ، فان وصفه يجل عن الوصف ، وان هباته الجليلة ، وعطاياه العظيمة للانسانية تستعلى عن الحصر ، وحسب محمد أن يقيم للناس دينا قيما ، محررا من الشرك والعبودية لغير الواحد المعبود .. وحسب محمد أن يقيم على هدى هذا الدين امة وصفها الحق سبحانـه وتعالى بقوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » .. وحسب محمد أن يكون ميراث الانسانية منه هذا الهدى الذى يقوم فى القلوب والعقول مقـام ضوء الشمس فى العيون ، والذى من بعد عنه ضل ، ومن اتخذ سـبيلا غير سبيله خاب وخسر ..!

— ١١ —

وندع ما يقول أتباع محمد فى محمد ، وما شهدوا من معجزاته ، وما حفظوا من سيرته ، فقد يكون هذا بمظنة من المبالغة أو التجوز ، فى مقام الحب والولاء ، شأن المحبين مع من يحبون ، حيث تكون الكلمة للقلب ، لا للعقل ، وللوجدان ، لا للادراك ..

ولكن ماذا يقول القائلون فيما تنطق به فى الحـديث عن « محمد » السنة لم تعطفها على « محمد » أية عاطفة من قرابة جنس ، أو لغة ، أو دين ، ولم يكن منطقها فيه قائما على غير منطق العقل المجرد ، امـام الحقائق السافرة التى ينزل العقل على حكمها ، ويفقد وجوده واحترامه ان هو كابر فيها ، فأنكرها ، أو سكت عنها ؟

واحسب أن عاقلا لا يقبل أن يتهم رجلا مثل « لامارتين » شاعر فرنسا العظيم ، بأنه كان مجاملا أو محابيا لمحمد ، اذ يقول فيه : « انه نبى أقل من إله ، وأعظم من انسان » .. ان لامارتين اذ يقول هذا فى نبى الاسلام لم يكن واقعا تحت تأثير أية عاطفة غير عاطفة الاجلال والاكبار لهـذا الجلال المهيب ، الذى يطلع عليه من كل أفق ينظر فيه الى هذا الانسان العظيم ..!

واحسب أن عاقلا يحترم عقله يتهم فيلسوفا عظيما من فلاسفة القرن العشرين هو (برنارد شو) بأنه كان واقعا تحت تأثير أية قوة غير قوة الحق ، وهو يشهد شهادة الحق ، عن علم ، ودراسة ، وتمحيص ، فيقول فى محمد ، وفى الدين الذى جاء بـه محمد : « لقد كان دين محمد موضع تقديرى العظيم دائما ، لما ينطوى عليه من حيوية معجزة ، لانه على ما يلوح لى ، الدين الوحيد ، الذى له ملكة الهضم لاطوار الحياة المختلفة ، ولذلك فانه يستطيع أن يجذب اليه كل جيل من الناس » !!

اما فيلسوف المانيا العظيم « جوته » فيقول ، وهو يستعرض الدين الاسلامى ، بوصفه قوة من أعظم قوى التهذيب والتأديب .. يقول « جوته » مخاطبا صاحبه : « أكرمان » : « انت ترى أن هذا الدين بتعاليمه تلك لا يخفق أبدا .. ونحن بكل ما لنا من نظم لا نستطيع ، بل أقول بوجه عام : ان احدا من البشر لا يستطيع أن يذهب الى ابعد من هذا » ..

فهذا قول فيلسـوف غزا العالم بفلسـفته ، ولفح العقل الحديث بآرائه !!

ونختم مقولات فلاسفة الغرب وعلمائه بما يقول العـالم العالمى ، « ول ديورانت » صاحب الموسوعة التاريخية : « قصـة الحضارة فى العالم » .. فكلمة هذا العالم لها قدرها ووزنها فى هذا المقام، حيث شملت

نظرته الموسوعية العالم كله ، قديما وحديثــا ، واشخاصا واحداثا ..
يقول « ول ديورانت » :

« اذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من اثر فى الناس ـ قلنا أن محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والاخلاقى ، لشعب القت به الحياة فى دياجير الهمجية ، وحرارة الجو ، وجدب الصحراء .. وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لــم يدانه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله !!

ثم يقول :

« واستطاع دين « محمد » فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة ، وفى قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة ، وأن يبقى الى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم فى العالم .. »

هكذا يقول فى الاسلام ، وفى نبى الاسلام ، كل منصف ، مسلما كان أو غير مسلم ، لان ذلــك هو الحق الذى لا يتغير وجهــه أبدا ، اذا استقبلته قلوب سليمة من آفات الهوى ، ونظرت فيه عقول محررة من قيود التعصب ، والحسد ..

ولسنا نذهب بعيدا اذا قلنا ان الذين انصفوا الحقيقة فى محمد ، وفى دين محمد ، من علماء الغرب وفلاسفته ، لم تكن آراؤهم تلك التى أعلنوها على الملأ مجرد كلمات صوروا بها تلك الحقيقة التى استبانت لهم ، وانما كانت آراؤهم هذه منهج سلوك ، واسلوب عمل فى حياتهم العامــة والخاصة .. فكانوا يتأسون بمحمد ، ويترسمون خطاه ، وان لم يعلنوا أنهم من المسلمين .. انهم مسلمون عملا لا قولا ، وأتبــاع محمد حقا لا ادعاء !!

ولسنا نذهب بعيدا كذلك اذا قلنا ان أكثر المسلمين من اتباع محمد ، لم يجاوزوا حدود الكلام عما يعرفون من أخلاق « محمد » وشريعة الدين الذى جاء به محمد ـ لم يجاوزوا حدود الكلام الى العمل ، والى التأسى برسول الله ، والاستقامة على طريقه .. ولو أنهم فعلوا لما كان حــال المسلمين اليوم مما يسوء الصديق ويسر العدو ، بل لكانوا قــادة ركب الانسانية ، وحارس أمنها وسلامها ، ومصباح نورها وهداها ..

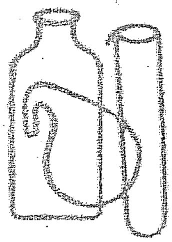
وها نحن أولاء أتباع « محمد » نستقبل مولده العظيم ، كما يستقبل المريض ريح العافية ، وكما يستقبل التائه فى الصحراء وجه الدليل ..

فليكن احتفاؤنا بهذا المولد ، وتكريمنا له ، أن نخرج مما نحن فيه من قواقع الجمود ، والتواكل ، والجهل ، والبهيمية ، وأن نولد ميلادا جديدا فى الحياة ، على سنا أضواء هذا الميلاد العظيم ، الذى أشرقت به الدنيا ، فنقيم وجهنا فى هذه الحياة على هدى وبصيرة ، فى ظل الاسوة الحسنة برسول الله ، وبالنجوم الزاهر من أصحاب رسول الله ..

فصلوات الله ، وسلامه عليك أيها النبى ، يوم ولدت ، ويوم مت ، ويوم تبعث حيا .. ورضى الله تبارك وتعالى عن آلك وأصحابك ، ومن أقام وجهه على طريقك ، واهتدى بهديك الى يوم الدين .



مع الطبيب



وفي أنفسكم أفلا تبصرون

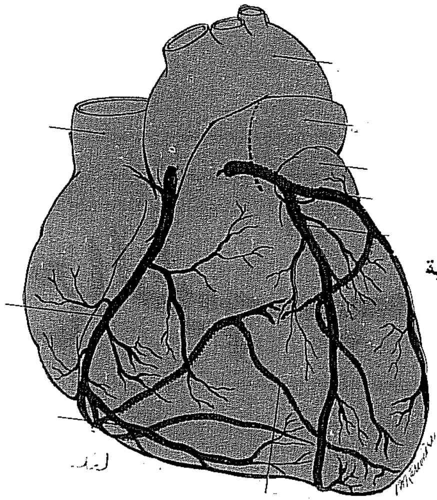
صدق الله العظيم

القلب

الدكتور/محمد محمد ابو شوك
رئيس قسم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميرى

تباركت ربى خلقت الانسان فأبدعت صنعه ــ وجعلت من خلقه معجزة تحير الألباب وتبهر العقول ــ الست القائل : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » . وقولك : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » . وها نحن معشر الاطباء ــ ومعشر العلماء فى شتى العلوم والمعرفة نقف فى رحاب علمك حيارى من أمرنا ، نبذل قصارى جهدنا ونخترع الآلات ، ويزداد عدد المكبرات ، وبعد هذا كله نرد مبهوتين ونرى الا نستحق بعد كل هذا الا قولك الحق : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » . .

ها هى الخلية وحدة تكوين أعضاء الجسم ، نقول انها تتكون من جدار يحوى بداخله النواة وما حول النواة ــ ونصف ما فى هذا وذاك حتى نصل الى مادة السيتوبلازم فنقول وهى مادة حية ولا نعرف كنه حياتها ولماذا هى كذلك ؟



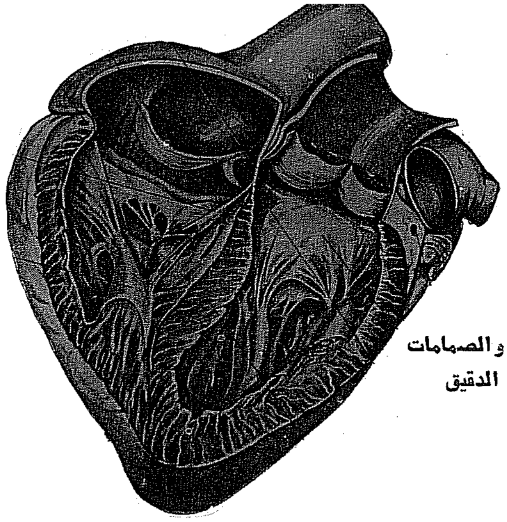
القلب وشرايينه التاجية وفروعها

فاذا كنا قد عجزنا عن فهم الوحدة المكونة ، فما بالنا امام ملايين الملايين من الخلايا المكونة لاجزاء الجسم المختلفة .

ولنبدأ بالقلب ــ هذا العضو الهام من الجسم ــ والمضخة التى لا تتوقف من يوم أن تبدأ العمل الى يوم أن يفارق الانسان منا هذه الحياة .. هذا القلب يتركب من الياف عضلية خاصة لها خصائصها ، فهى ليست كعضلات الحركة وتتميز بأن لها القدرة على الانقباض والارتخاء فى حركة منظمة دقيقة تعد بالثوانى وما دونها .. هذه الحركة التى لا تتوقف تغذيها أعصاب تساعد على زيادة نبضات القلب عند الحاجة كما هو الحال عند القيام بأى مجهود عضلى ويقل العدد عند الاسترخاء والنوم ــ هذا النظام المتناهى فى الدقة الذى تتمتع به عضلات القلب ــ لا فى دقة حساب المسافات بين النبضة والنبضة ولكن فى قوة النبضة ، فنجد النبضات كلها على وتيرة واحدة حوالى ٧٠ ــ ٨٠ نبضة فى الدقيقة وفى ٢٤ ساعة تكون النبضات ٨٠×٦٠×٢٤=١١٦٫٢٠٠ نبضة فكم يكون يا ترى عدد النبضات فى الاسبوع وفى الشهر وفى السنة وفى سنى عمر الانسان ــ وتستمر هذه المعجزة الخارقة فى هذه النبضات التى يحيا بها الانسان ما شاء الله أن يقضى من العمر وصدق شوقى حين يقول :

دقات قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثوان

ويحاول العلماء وما زالوا فى محاولاتهم سنين وسنين يقلدون هذه الدقات بقلب صناعى ليحل محل القلب الطبيعى ــ وفشلوا المرة بعد المرة ــ وكم من ملايين الدولارات صرفت فى هذا المجال دون ما فائدة ــ ولا أقول ذلك ضنا منا على العلم ولكن لابراز هذه القدرة الالهية فى عمل واحد من أعمال القلب . ولو أطلت فى هذا المجال لوجدت نفسى والقارىء فى متاهات لا حد لها ولكن لأبسط الامر وليضع الواحد منا يده على شريان من شرايينه ويجس نبضه ــ أو يسمع دقات قلبه وهو مضطجع بالليل فى هدوء تام ويلاحظ هذا النظام الدقيق ــ ثم لينظر ماذا يحدث له لو اختل هذا النظام لبضع دقائق أو حتى لثوان ــ وتأتى دقة ليست فى آوانها ــ ويحس كأن روحه ذاهبة وجسمه ينهار ــ وكم من مريض أسهده هذا الخلل الطارىء ــ وراح مستنجدا بمن يجيره من هذا الذى نسميه عدم انتظام القلب ، يتساوى فى ذلك من أسرع قلبه أو بطؤ من تخلل نبضات قلبه الطبيعية نبضات زائدة وتجرى الفحوصات لمعرفة السبب من اضطرابات فى القلب نفسه ــ أو أسباب خارج القلب ــ كزيادة افراز الغدة الدرقية أو خمولها ــ



القلب من الداخل والصمامات
تأمل التركيب الدقيق

او اضطرابات نفسية — أو اضطرابات فى الجهاز الهضمى ، وما الى ذلك من أسباب — يحاول الطبيب التوصل اليها فيعرف الداء ويصف الدواء .

ويتخلل عضلات القلب جهاز أكثر تعقيدا ، ألا وهو جهاز التوصيل يبدأ من بؤرة فى الاذن اليمنى ويمر ما بين الاذنين ثم يتفرع الى البطينين ، وهذا الجهاز تسرى فيه الشحنة التى تسير بسرعة مدهشة فتعطى الاوامر للعضلات فتنقبض وتسرى بالترتيب من الاذين الايمن الى البطين الايمن الذى ينقبض فيدفع الدم الى الرئتين ويسرى الدم منهما الى الاذين الايسر الذى ينقبض فيدفع الدم الى البطين الايسر وهذا الاخير يدفع بالدم الى الابهر ليوزعه الى الجسم . هذه الحلقة الكهربية الباهرة التى تسير فى منتهى الدقة لسنين شاء الله أن يحياها الانسان دون ما توقف ، أنى لمعامل الدنيا — أن تقلد جزءا منها بهذا النظام السوى المتين . وهل منا من لم يواجه توقف التيار الكهربى فتعطل العمل أو صارت حياته فى ظلام دامس الى أن يعاد مرور التيار — مهما كانت دقة من يقومون على صيانة هذا التيار .

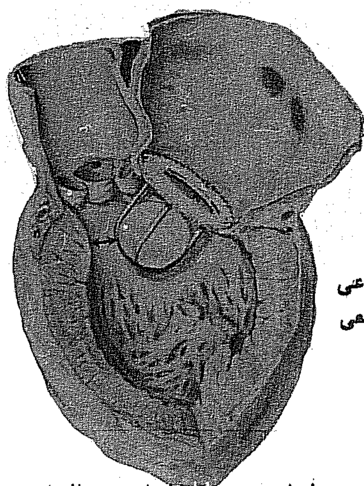
هذا الجهاز ربما يصاب بمرض كذلك فيتوقف مرور التيار وترتبك نبضات القلب أو ربما يحدث به خلل فيموت فى القلب ذبذبات ، أو ربما يتوقف مروره ما بين الاذين والبطين فينقبض كل على حده وفى النهاية يؤدى الى هبوط فى القلب وفى بعض أمراض القلب الحادة الشديدة يتوقف كلية واذا استمر لفترة طويلة فارق المريض الحياة .

والامثلة واضحة للعيان أمام أعيننا نحن الاطباء ونحاول أن نزيل الذبذبات بالعقاقير أو بالآلات — واذا توقف القلب حاولنا أن نعيد اليه نبضاته بتيارات كهربية وان نجحنا ولو لبعض الوقت فى حالة فاننا نفشل فى عشرات بل مئات الحالات — ونعجز أمام القدرة الالهية العظمى ونلتف حول المريض ونشاهد بأعيننا وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة ونذكر قول البارى فى علاه .

« فلولا اذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون . فلولا ان كنتم غير مدينين . ترجعونها ان كنتم صادقين » وأنى لنا أن نرجعها ورب العزة والجبروت قابضها .

ومن أجزاء القلب الهامة الصمامات ، صمام ما بين الاذين الايمن والبطين الايمن وصمام فى مدخل الشريان الرئوى بين الشريان والبطين الايمن ثم صمام ما بين الاذين الايسر والبطين الايسر وصمام بين البطين الايسر والابهر وهو صمام الأبهر .

هذه الصمامات المختلفة تختلف فى تركيبها وفى حجمها ، فى قوة اتصالها



بالقلب والاوتار التى تربطها به فى عملها — والفاحص المدقق فيها يحار فى قدرة صانعها — ويا لها من قدرة التى تجعل الصمام يفتح ويغلق فى وقته المحدد لا يؤخر ولا يقدم فى جزء بسيط من الثانية — بل كل شيء بمقدار .

ويريد البارى فى علاه ان يجعلنا نحس بنعمائه فيبتلى البعض بمرض خلقى لا يمكن أن تستمر معه حياة — واذا أصيب أحد هذه الصمامات او أكثر من واحد بمرض — كما هو الحال فى مرض روماتيزم القلب — أو تكلس صمامات القلب فاما أن يضيق هذا الصمام أو يتهتك ويتسع — وفى كلتا الحالتين لا يستقيم للقلب عمل — ويتعرض لهبوط ان عاجلا: أو آجلا .

ونحاول نحن الاطباء جاهدين لنصلح خلل الصمامات ، فان كان هذا الخلل طفيفا وخصوصا اذا كان الخلل قد أدى الى ضيق فى الصمام ، حاولنا توسيع هذا الصمام حتى نهيىء للمريض حياة تبعده عن نوبات هبوط القلب وربما ننجح لفترة طالت أو قصرت ولكن ربما يعاود الخلل الصمام — اما اذا كان الصمام قد تهتك واتسع فاننا نكون فى مأزق اشد — وقد حاول الجراحون أن يقللوا من هذا الاتساع بشتى الطرق — ولكن انى لهم هذا وباءت كل محاولتهم بالفشل ، ثم توصلوا الى وضع صمام من البلاستيك بدلا من الصمام الطبيعى — ولكن سرعان ما وجدوا أن هذا ربما يعمل فترة ثم تظهر المضاعفات من تجلط الدم حول الصمام — يؤدى الى تجلط فى الشرايين الهامة كالتى تذهب الى القلب أو الى المخ أو الى غيرها من الاعضاء .. ثم استعاضوا بالصمام البلاستيكى صماما ينقل من قلب متوفى — وما زالت التجارب تشق طريقها — ومدى صلاحية هذه الصمامات ومنتهى فعاليتها . وفى بعض الحالات التى يكون قد استفحل أمرها وأثرت على معظم الصمامات وأرهقت القلب — بدأوا بزراعة القلب ..

واعيد القول هنا ، أن الدين يشجع العلم ، ويرفع من قدر العلماء وما من دين حث على العلم كالدين الاسلامى — وآياته الباقية شاهدة بذلك : « فلينظر الانسان مم خلق » .. « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله .. من شيء » . أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » . وغير ذلك من الآيات التى تحث على العلم والبحث . ولكن أردت أن أبرز القدرة الخارقة وراء هذا الصنع المتناهى فى الدقة والذى يستمر السنين العديدة دون ما خلل أو عطب اللهم اذا أصيب الانسان بمرض شاءه الله له ..

وتشاء قدرة القادر العظيم ان تجعل هذه الصمامات وامتداد الغشاء المبطن للقلب من الداخل فى حالة ملساء حتى لا تلتصق به السكرات الدموية الحمراء أو صفائح الدم فتساعد على صنع جلطات دموية تذهب فى شرايين الجسم المختلفة فتحرم أجزاء من الجسم من الدم الذى هو سبب حياتها .

وللقلب شرايينه الخاصة به والمعروفة باسم الشرايين التاجية والذى يدقق فى الصفة التشريحية للقلب يجد العجب فى شريان هذه الشرايين — فى وضعها وفى تغلغلها داخل القلب والاجزاء التى يمدها كل شريان من الشرايين — وفى كيفية عمل هذه الشرايين حينما تمتلىء وحينما تدفع ما بها من دم فى عضلات القلب لتقوم بعملها الذى يلائم هذا العضو الهام من الجسم ، وكيف أنها تحتفظ دائما بفاعليتها حتى لا يتعرض القلب لأى اضطراب وهى فى قدرتها هذه كقدرة صاحبتها التى تغذى المخ — اذ أن كلا منها من الاعضاء الجوهرية فى الجسم وليس ببعيد على كل قارىء ما يحدث للانسان عند حدوث خلل سواء أكان طفيفا فى الشرايين وما سببه من ذبحة صدرية أو انسداد فى الشريان وما يسببه من مرض الجلطة أو السدة القلبية المعروف ، ويساعد على مرض الشرايين التاجية مرض البول السكرى — والسمنة ، والتدخين ، ومرض ارتفاع ضغط الدم — وما أولى المرضى بهذه الامراض أن يعالجوا ما الم بهم من مرض حتى يحافظوا على سلامة هذه الشرايين التاجية الهامة .

ويبطن القلب من الخارج غشاء املس رقيق مكون من طبقتين رقيقتين يدعى التامور — ومده الله بأعصاب الحس حتى يكون حارسا أمينا على هذا العضو الجوهرى ، فاذا أصاب القلب أذى من الخارج أو من الداخل وامتد الى التامور حملت أعصاب الحس به نبأ الاصابة وترجمته الى الم شديد يحس به المريض فيسعى للعلاج والدواء حتى لا تأتى اى آفة ولا مرض على القلب — ومن عجب أن ناقوس الخطر هذا الذى يحس به المريض يكون مع كل نبضة من نبضات القلب ليحث المريض فلا يتوانى فى علاج نفسه ، وما أشده من الم يحسه كل من اكتوى به . وما التهاب التامور الذى يسببه فيروس — أو يكون نتيجة لروماتيزم القلب أو نتيجة لتدرن به — أو لغير ذلك من الاسباب الا مثل حى للالم الشديد الذى يشكو منه المريض فيسعى الى طبيبه جاهدا فى أسرع وقت ليعالجه مما ألم به . .

ويشاء الحكيم الخبير أن يضع القلب فى مكان أمين فى وسط الصدر خلف عظم قوى هو عظم القص ويغطى معظم الجزء الباقى منه بالرئتين حتى يكون بعيدا عن المخاطر التى يتعرض لها الجسم .

هذا هو قلبك أيها الانسان الذى كرمك ربك ومن حقه عليك أن تشكره ، وتحافظ على نعمته هذه وتبتعد جاهدا عما يضره من تدخين لا يجدى نفعا ، وتعرض الافراط فى البدانة تجهده — وأمراض مثل الضغط والبول السكرى لا بد من معالجتها ، والاسراع فى علاج كل مرض يلم به فان الله قد خلق الداء والدواء .

ولتكن بقلبك هذا مع الله الذى خلقك من عدم وقال وقوله الحق :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . — ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين » .

مولد نبي الرحمة

قبل مولد الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم كان العرب في حالة من الفوضى والاضطراب ، والتفكك والارتباك ، وسوء الاحوال ، وكانت الوثنية فاشية فيهم يتخذ اهل كل بيت صنما يعبدونه ، او يتقربون به الى الله ..

وليس بينهم جامع يجمعهم ، ولا قانون يسودهم ، ولا حاكم يسوسهم ، سوى العصبيات القبلية التي تبنى على التحزب الأعمى .

ولم يـكن حال الامم الاخرى بافضـل من حال العرب ، في كثير من النواحي ، خصـوصا حال دولة الفرس في الشرق ، ودولة الرومان في الغرب .

للشيخ عبد الحميد السائح

ويصور الاستاذ الامام الشـيخ محمد عبده الحالة فى تينك الدولتين بقوله : « كانت الدولتان فى تنازع وتجـالد مستمر ، دماء بين العـالمين مسفوكة ، وقوى منهوكة ، واموال هالكة ، وظلم من الاحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان الزهو والترف والاسراف والفخفخة والتفنن فى الملاذ بالغة حدا لا يوصف ، فى قصور السلاطين والامراء ورؤساء الاديان من كل أمة .

وكان شره هذه الطبقة من الامم لا يقف عند حد ، فزادوا فى الضرائب، وبالغوا فى فرض الاتاوات ، حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم ، وأتوا على ما فى أيديهم من ثمرات أعمالهم ، وانحصر سلطان القوى فى اختطاف ما بيد الضعيف ، وفكر العاقل فى الاحتيال لسلب الغافل ، وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب من ضروب الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب ، لفقد الامن على الارواح والاموال .. الخ (١) » .

واذا كان حال العرب وغير العرب بهذا السوء وأكثر منه فقد تهيأت البشرية لتتلقى منقذا ينقذها من ضلالتها ، وهاديا يدلها على طريق رشادها وصوابها ، فكانت ولادة الرسول الاعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وكان أن بعثه الله سبحانه للبشرية جمعاء ، وللانسـانية عامة ، رحمة وهاديا ومرشدا ومنقذا ..

قال تعـالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (٢) ، وقال أيضا : « وما أرسلناك الا كافة للناس »(٣) وقال سـبحانه : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا »(٤) .

ولذلك كانت رسالته الى الناس عامة ، لأن الحاجة للاصلاح والانقاذ كانت عامة ، وقد قامت دعوته على وحدانية الله وعبادته ، وارتباط الانسان بخالقه ، كما قامت على الرحمة والحرية والعدالة والانصاف ، وقد هيأ اللـه لهذه المهمة الكبرى والرسالة الانسـانية العظمى ، نفسـا كانت فى ذروة

الصفاء والنقاء ، مجندة لانقاذ الانسان من جهالاته ، وانتشاله من تخبطه وضلالاته ، واحاطته بالرحمة الشاملة ، والعناية الكاملة ، لا تحمل حقدا ولا ضغينة ، هدفها أن يسمو الانسان ليحتل مكانة الكرامة التى اختصه الله بها ..

قال سبحانه : « الله أعلم حيث يجعل رسالته »(٥) .

فسار المصطفى المختار فى سبيله ، وجل همه أن يهتدى أى انسان لطريق السداد ، وان تسلم أية نفس من مهاوى الشر والفساد ، ويعتبر ذلك نصرا عظيما ، ونجاحا كبيرا ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لسهل بن سعد — رضى الله عنه « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم »(٦) .

وذلك لأن هذا الرسول الاعظم لا يقصد الدنيا ومباهجها ، وانما يقصد اصلاح البشر ، وانقاذ الانسانية من سفاهتها وضلالتها ، واحاطتها بالرحمة والرعاية ، ولذلك كان فى سيرته رؤوفا رحيما ، ويعتبر الرحمة من أهدافه ، وأفضل مناهجه ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » (٧) . ويقول أيضا : « ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء »(٨) . وقال أيضا : « والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تراحموا » ، قالوا كلنا رحيم يا رسول الله ، قال « انه ليس برحمة أحدكم — يعنى نفسه وخاصته — ولكنها رحمة العامة »(٩) . وقال أيضا : « لا يرحم الله من عباده الا الرحماء »(١٠) .

وعن ابى بكر الصديق — رضى الله عنه — ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : « ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى »(١١) .

فهذا الرسول العظيم الذى جنده الله منذ نشأته ليحيط العالم برحمته ، ويشمل الناس برأفته ، ويكون القدوة فى مسلكه ، منحه الله سبحانه وسام التقدير الاعظم بقوله سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم »(١٢) .

ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »(١٣) .

من صفات الرسول ..

قال الحسن بن علي — رضى الله عنهما : سألت خالى هند بن أبى هالة التميمى وكان وصافا ، عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانا اشتهى أن يصف لى منها شيئا أتعلق به ، فقال فى حديث طويل ، جاء فيه :

« كان صلى الله عليه وسلم فخما مفخما ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، يبدأ من لقيه بالسلام ، ويتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول فيه ولا تقصير ، ليس بالجافى ولا بالمهين ، يعظم النعمة وان دقت . وكان اذا أوى الى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء ، جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ، ثم جزء نفسه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ، فلا يدخر عنهم شيئا ، فكان من سيرته فى جزء الامة ايثار أهل الفضل على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم فيما يصلحهم ويلائمهم ، ويخبرهم بالذى ينبغى لهم ، ويقول :

ليبلغ الشاهد الغائب ، وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغها اياى ، فانه من بلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة ..

وكان صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم ، فيكرم كريم كل قوم ، ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ..

يتفقد اصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه .. لا يقصر عن الحق ، ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس ، خيارهم وافضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة ..

من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء .

مجلسه مجلس حلم وحياء ، وصبر وأمانة ، لا ترفع فيه الاصوات ، ولا تؤبن فيه الحرم ، ولا تنثنى فلتاته ، متعادلين متواصين فيه بالتقوى ، متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذوى الحاجة ، ويحفظون الغريب .

قد ترك نفسه من ثلاث : المراء والاكثار وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم أحدا ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه .. ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته ، حتى ان كان اصحابه يستجلبونهم ، ويقول : اذا رايتم طالب الحاجة فأرشدوه .. وجمع له الحذر فى أربع ، أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه القبيح ينتهى عنه ، واجتهاد الرأى فيما أصلح أمته ، والقيام لهم بما جمع لهم الدنيا والآخرة(١٤) .

أسباب انتشار دعوة محمد

بهذا السمو فى مبادىء الرسالة العظمى ، وهذا التجرد لمصلحة الانسانية فى اهداف صاحب الذكرى ، انتشرت بسرعة دعوة الاسلام ، وعم خيرها ، وارتفعت راياتها بصورة لا يعرف لها مثيل .

وفى غزوة القادسية ، بعث قائد المسلمين سعد ، رسولا الى رستم ، ربعى بن عامر ، وقال هذا لرستم فى شرح أهداف الرسالة : ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد ، الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام .

وحينما سأل رستم المغيرة بن شعبة عما جاء بهم ، قال له ، انا لا نطلب الدنيا ، وانما همنا طلب الآخرة ، وقد بعث الله الينا رسولا ، بدين هو دين الحق ، لا يرغب عنه احد الا ذل ، ولا يعتصم به الا عز ، أما عموده الذى لا يصلح شىء الا به ، فشهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ، واخراج العباد من عبادة بعضهم الى عبادة الله ، والناس بنو آدم ، فهم أخوة لأب وأم(١٥) .

قبس من نور المصطفى

روى ابو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تحاسدوا

ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه(١٦) .

وخطط صاحب الرسالة العظمى لشمول المنافع ، وذيوع الخيرات والاكثار من المبرات ، وقال صلىٰ الله عليه وسلم : « السخى قريب من الله، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار ، ولجاهل سخى احب الى الله من عابد بخيل »(١٧) .

وعن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال : بينما نحن فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم ، اذ جاء رجل على راحلة له ، قال فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) . قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل(١٨) .

وعن أبى امامة — رضى الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن آدم انك ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى(١٩) .

وعن انس بن مالك — رضى الله عنه — ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى الله المشاءون بالنميمة ، الملتمسون العثرات ، المفرقون بين الاخوان(٢٠) .

الشخصية الاسلامية ..

واذا كان صاحب الذكرى فى رسالته صلى الله عليه وسلم عمد الى هذا السمو الانسانى الرفيع حتى يوحد الصفوف على الخير ، ويؤلف القلوب ، ويكبح النفوس الجامحة ، فانه حافظ على الشخصية الاسلامية ، وحرص على أن لا يذوب المسلمون فى غيرهم ، وجعل شعاره ، الاهتمام بشئون المسلمين ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، واعتبر المسلمين أمة واحدة ، يتناصرون ويتعاونون على ما فيه خيرهم وخير الانسانية جمعاء ، ويقاومون الظلم والعدوان ، مهما كان مصدره ، لأن هدف رسالة صاحب الذكرى أن ترتفع راية العدالة ، وأن يأخذ كل ذى حق حقه ، مهما كانت عقيدته ومذهبه ، « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى »(٢١) .

وفى السنة كثير من الاحاديث ترمى الى الاحتفاظ بالقومية (الشخصية) وعدم فناء الامة فى غيرها ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (خالفوا سنة المجوس) . ومثل النهى عن التشبه بغير المسلمين ، الى آخر ما يحفظ للأمة كيانها ولا يذيبها فى غيرها(٢٢) .

موقفه من غير المسلمين

كان موقف صاحب الذكرى صلى الله عليه وسلم من غير المسلمين

الذين يعاهدون المسلمين ، الوفاء بعهودهم والحرص على مشاعرهم وعدم ايذائهم ، وشرع من الاحكام فى حسن معاشرتهم ما شرح له صدورهم ، وأباح البر بهم والاقساط اليهم ، ومصاهرتهم والتزوج بهم ، وأكل ذبائحهم وطعامهم ، وجعل للزوجة غير المسلمة من الحقوق مثل ما للزوجة المسلمة ، وأباح للمسلم أن يضيفهم ويذهب الى ضيافتهم ، ويتبادل معهم التهـــادى والتصافح ، « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن »(٢٣) .

وفى ظل هذه الاحكام السـمحة والعدالة والمســاواة ، عاش غير المسلمين مع المسلمين فى بلاد الاسلام ، طوال السنين ، لا يشكون ضيما ولا يبخسون حقا ، وفى كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة ، شرط عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم ، من العرب ولا من العجم ، ولا يدلوهم على عورات المسلمين ..

وجعل لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو اصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله .. الخ .

ولما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن سيرتهم فيهم صاروا اشداء على أعداء المسلمين ، وعونا للمسلمين على أعدائهم ، فبعث أهل كل مدينة ، ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتحسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وعما يريدون أن يصنعوا ، فأتى أهل كل مدينة يخبرون المسلمين بأن الروم قد جمعوا لهم جمعا لم ير مثله ..

ولما تتالت الاخبار على أبىعبيدة بذلك كتب أبو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى تصــالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية والخراج ، وكتب اليهم أن يقولوا لهم : انما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنــا ما جمع لنا من الجموع ، وأنكم قد شرطتم علينــا أن نمنعكم ، وانا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتب بيننا وبينــكم ، ان نصرنا الله عليهم . فقالوا ردكم الله علينــا ، ونصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا وأخذوا كل شىء بقى لنا حتى لا يدعوا لنا شيئا .

وكان أن غلب الروم ونصر الله المسلمين وكتب أبو عبيدة الى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — بما أفاء الله على المسلمين ، وما أعطى أهل الذمة من الصلح ، فكتب اليه عمر كتابا جاء فيه ، ومنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم الا بحقها ، ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم* ولا يمنع الاسلام أية دولة اسلامية من أن تتبادل مع دولة غير اسلامية علاقات تجارية وسياسية وسفراء لنظر المصالح ، ومعاهدات لضمان حقوق الافراد فى كل من الدولتين واجراء العدل بينهم(٢٤) .

كلمة الختــــام ..

مع أن دعوة صاحب الذكرى صلى الله عليه وســـلم بقيت فى أوج سموها ، وذروة انسانيتها ، الا أنها تضمنت ضرورة الحفاظ على مقومات الأمة الاسلامية وكيانها ، ودفع العدوان مهما كان مصدره ، ولزوم تكاتف المسلمين وتعاونهم لدرء الخطر ، عما يصيب أى فريق أو جماعة منهم ، أو أى جزء من أراضيهم ومقدساتهم .

فازاء الخطر المتلاحق على ديار الاسلام من كل صوب ، وخصوصا فى الديار المقدسة والمسجد الاقصى المبارك ، يفرض على المسلمين فرضا لا مناص منه ، أن تجند قواهم وتكتل جهودهم وترصد أموالهم وتعبأ كل طاقاتهم ، فى معركة مصيرية ، لحفظ بيضة الاسلام ، واعادة الديار والمقدسات الى أربابها ، حتى يمكن أن يرضى صاحب الذكرى ، ولعلها مناسبة سعيدة أن يتذكر المسلمون ما عليهم من أعباء يجب المبادرة لتحملها ، حتى ترد الكرامة ، ويصان السلام فى هذا العالم ، والحذر ، الحذر من أى تخاذل أو تهاون قد يقضى على البقية الباقية ، ويعرض الأمة الاسلامية لشر مستطير ، قد يهز كيانها ويزلزل عقيدتها وأصولها ، وعندئذ لا ينفع أى احتفاء ولا يجدى أى تظاهر فى مولد الرسول الاعظم صلوات الله وسلامه عليه .

---

(١) رسالة التوحيد ، الاسلام شريعة الله الخالدة .
(٢) آية ١٠٧ من سورة الانبياء .
(٣) آية ٢٨ من سورة سبأ .
(٤) آيات ٤٥ — ٤٧ من سورة الاحزاب .
(٥) آية ١٢٤ من سورة الانعام .
(٦) رواه أبو داود .
(٧) رواه البخارى ومسلم .
(٨) رواه الطبرانى .
(٩) مستدرك الحاكم .
(١٠) البخارى .
(١١) رواه أحمد بن عدى فى الكامل .
(١٢) آية ٤ من سورة القلم .
(١٣) رواه البخارى فى الادب .
(١٤) الطبرانى فى الكبير ومجمع الزوائد .
(١٥) البداية والنهاية لابن كثير ، والاسلام شريعة الله الخالدة .
(١٦) أخرجه مسلم .
(١٧) رواه الترمذى .
(١٨) أخرجه مسلم وأبو داود .
(١٩) رواه الترمذى .
(٢٠) رواه أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد .
(٢١) آية ٣ من سورة المائدة .
(٢٢) الدعوة الاسلامية .
(٢٣) آية ٤٦ من سورة العنكبوت .
(*) ان وقوع بعض هذه الحوادث بعد وفاة الرسول الاعظم لا يمنع من ذكرها فى سيرته ، لأن الخلفاء وقادة المسلمين انما كانوا يتصرفون بهدى الرسول وعلى سنته .
(٢٤) الدعوة الاسلامية .

خواطر مؤمن

محطم الأقفال

وقف الاستاذ الكبير أبــو الحسن الندوى وقفة تأمل عند غـــار حراء ، بمكة المكرمة ، وتحدث الـى نفسه بهذه الكلمات المضيئة :

كانت الحياة كلها اقفالا معقدة ، وابوابا مقفلة كان العقل مقفلا أعيا فتحه الحكماء والفلاسفة كان الضمير مقفلا أعيا فتحه الوعاظ والمرشدين ، كانت القلوب مقفلة أعيا فتحهـــا الحوادث والايام كانت المواهب مقفلة اعيا فتحها التعليم والتربية والمجتمع والبيئة ، كانت المدرسة مقفلة أعيا فتحها العلماء والمعلمين ، كـــانت المحكمة مقفلة أعيا فتحها المتظلمين والمتحاكمين ، كانت الأسرة مقفلـــة أعيا فتحها المصلحين والمفكرين ، كان قصر الامارة مقفلا أعيا فتحه الشعب المظلوم والفلاح المجهود والعامـــل المنهوك ، وكانت كنوز الاغنياء والامراء مقفلة اعيا فتحها جوع الفقراء وعرى النساء وعويل الرضعاء ، لقد حاول المصلحون الكبار والمتشرعون العظام فتح قفل من هـــذه الاقفال ففشلـــوا واخفقوا ، فان القفل لا يفتح بغيـــر مفتاحه ، وقد ضيعوا المفتاح مـــن قرون كثيرة ، وجربوا مفاتيح مـــن صناعتهم ومعادنهم فاذا هى لا توافق الاقفال ، واذا هى لا تغنى عنهـــم

شيئا ، وحاول بعضهم كسر هـذه الاقفال فجرحوا أيديهـم وكسروا آلتهم .

ففى هذا المكان المتواضع المنقطع عن العالم المتمدن على جبـل ليس بمخصب ولا بشامخ تم ما لم يتم فى عواصم العالم الكبيرة ومدارسـه الفخمة ومكتباته الضخمة ، هنا من الله على العالم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وفى رسالته عـاد هذا المفتاح المفقود الى الانسانيـة ذلك المفتاح هو (الايمـان بالله والرسول واليوم الآخر) ففتح به هذه الاقفال المعقدة قفلا قفلا ، وفتح به هذه الابواب المقفلة بابا بابا ، وضع هذا المفتاح النبوى على العقل الملتوى فتفتح ونشط واستطاع أن ينتفع بآيات الله فى الآفاق والانفس ويتوصل مع العالم الى فاطره ومن الكثرة الـى الوحدة ، ويعرف شناعـة الشرك والوثنية والخرافات والاوهام .

وكان قبل ذلك محاميا مأجـورا يدافع عن كل قضية حقا وباطـلا . وضع هذا المفتاح علـى الضمير الانسانى النائم فانتبه،وعلى الشعور الميت فانتعش وعاش ، وتحـولت النفس الامارة بالسوء مطمئنـة لا تسيغ الباطل ولا تتحمل الاثم حتى يعترف الجانى أمام الرسول بجريمته ويلح على العقاب الأليم الشديـد ، وترجع المرأة المذنبة الى البادية حيث لا رقابة عليها ثم تحضر المدينة وتعرض نفسها للعقوبة التى هى أشد مـن القتل ، ويحمل الجندى الفقير تاج كسرى ويخفيه فى لباسـه ليستر صلاحه وأمانته عن أعين النـاس ويدفعه الى الامير لانه مال اللـه الذى لا تجوز الخيانة فيه .

كانت القلوب مقفلة لا تعتبر ولا تزدجر ولا ترق ولا تلـين فأصبحت خاشعة واعية تعتبر بالحوادث وتنتفع بالآيات وترق للمظلوم وتحنو عـلى الضعيف .

وضع هذا المفتاح على القـوى المخنوقة والمواهب الضائعة فاشتعلت كاللهيب وتدفقت كالسيل ، واتجهت الاتجاه الصحيح فكان راعى الابـل راعى الامم ، وخليفة يحكم العالم ، وأصبح فـارس قبيلة وبلد قاهـر الدول وفاتح الشعوب العريقة فـى القوة والمجد وضع المفتـاح عـلى المدرسة المقفلة وقد هجرها المعلمون وزهد فيها المتعلمون وسقطت قيمـة العلم فذكر من شرف العلم وفضل العالم والمتعلم والمربى والمعلم وقرن الدين بالعلم حتى كانت له دولـة وأصبح كل مسجد وكل بيت من بيوت المسلمين مدرسة ، وأصبح كـل مسلم متعلما لنفسه معلما لغيره ، ووجد أكبر دافع الى طلب العـلم وهو الدين . وضعه على الحكمـة المقفلة فأصبح كل عالم قاضيا عادلا ، وكل حاكم مسلم حكما مقسطـا ، وأصبح المسلمون قوامين لله شهداء بالقسط ووجد الايمان بالله وبيـوم الدين فكثر العدل وقل الجدل وفقدت شهادة الزور والحكم بالجور .

وضعه على الأسرة المقفلة وقـد فشا فيها التطفيف بين الوالد وولده والاخ وأخوته والرجل وزوجته وتعدى من الاسرة الى المجتمع فظهـر بين السيد وخادمه والرئيس والمرؤوس والكبير والصغير ، كل يريد أن يأخذ ما له ولا يدفع ما عليه وأصـبحوا مطففين إذا أكتالوا علـى الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهـم يخسرون ، فغرس فى الأسرة الايمان وحذرها من عقاب الله وقرأ عليها قول الله (يا أيها الناس اتقوا ربـكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخـلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به

والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ، وقسم المسؤولية على الاسرة والمجتمع كله فقال (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وهكذا أوجد أسرة عادلة متحابة مستقيمة ومجتمعا عـــادلا ، وأوجد فى أعضائه شعورا عميقـــا بالامانة وخوفا شديدا من الآخرة حتى تورع الامراء وولاة الامور وتقشفوا وأصبح سيد القـــوم خادمهم ووالى الامة كولى اليتيم : فزهدهم فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة وأضاف الاموال لله وقرأ عليهم « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

وحذرهم من اكتناز وادخار الاموال وعدم الانفاق فى سبيل الله فقـــرأ عليهم (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نـــار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهـــم وظهورهم هـــذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ابرز رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله الخائف من عقاب الله الخاشع الامين المؤثر للآخرة على الدنيا المستهين بالمادة المتغلب عليها بايمانه وقوته الروحية يؤمن بان الدنيا خلقت له وانه خلق للآخرة فاذا كان هذا الفرد تاجرا فهو التاجر الصدوق الامين ، واذا كان فقيـــرا فهـــو الرجل الشريف الكادح ، واذا كـــان عاملا فهو العامل المجتهد الناصح ، واذا كان غنيا فهو الغنى السخـــى المواسى ، واذا كان قاضيا فهـــو القاضى العادل الفهم ، واذا كـــان واليا فهو الوالى المخـــلص الامين ، واذا كان سيدا رئيسا فهو الرئيس المتواضع الرحيم ، واذا كان خادما أو اجيرا فهو الرجل القوى الأمين ، واذا كان أمينا للاموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم وعلى هـــذه

اللبنات قـــام المجتمع الاســـــلامى وتأسست الحكومة الاسلاميـــة ولم يكن المجتمع والحكومة بطبيعة الحال الا صورة مكبرة لاخـــلاق الافراد ونفسيتهم فكان المجتمع صالحا أمينا مؤثرا للآخرة على الدنيا . متغلبا على المادة غير محكوم لها انتقل اليه صدق التاجر وأمانته وتعفف الفقير وكدحه واجتهاد العامل ونصحه وسخـــاوة الغنى ومواساته وعـــــدل القاضى وحكمته واخلاص الوالى وأمانتـــــه وتواضع الرئيس ورحمته وقـــــوة الخادم وحراسة المخازن ، وكـــانت هذه الحكومة حكومة راشدة . مؤثرة للمبادىء على المنافع والهداية عـــلى الجباية وبتأثير هذا المجتمع وبنفوذ هذه الحكومة وجدت حياة عامة كلها ايمان وعمل صالح وصدق واخـــلاص وجد واجتهاد وعدل فى الاخذ والعطاء وانصاف النفس مع الغير .

وقد ذهلت فـــى حديثى لنفسى وتمثلت الى الجماعات الاسلاميـــة الاولى بجملها وتفاصيلهـــا كأنى أشاهدها واتنفس فى جوها وانقطعت الصلة بينى وبين العالم المعاصر .

وحانت منى التفاته الى هـــذا العصر الذى نعيش فيـــه فقلت انى لارى أقفالا جديدة على ابواب الحياة الانسانية وقد قطعت الحياة مراحل طويلة ، وخطت خطوات واسعة ، وتعقدت الحياة والتوت ، وتطـــورت المسائل وتنوعت ، وتساءلت هـــل يمكن فتح هذه الاقفال الجديدة بذلك المفتاح الضيق ؟ وأبيت أن أحكم بشىء هل أختبر هذه الاقفال وأضع عليها المفتـــــــاح ، ولمست هـــذه الاقفال بالبنان فاذا هـــى الاقفـــال القديمة بتلوين جديد واذا المشاكـــل نفس مشاكل العصر القـــديم ، واذا المشكلة الكبرى وأساس الازمة هـــو الفرد الذى لا يزال لبنة المجتمـــع وأساس الحكومة ، ووجدت أن هـــذا الفرد قد أصبح لا يؤمن الا بالمـــادة

والقوة ولا يعنى الا بذاته وشهواته وانه يبالغ فى تقدير هذه الحياة ويسرف فى عبادة الذات وأرضاء الشهوات وقد انقطعت الصلة بينه وبين ربه ورسالة الانبياء وعقيدة الآخرة فكان هذا الفرد هو مصدر شقاء هذه المدنية فاذا كان تاجرا فهو التاجر المحتكر النهم الذى يحجب السلع أيام رخصها ويبرزها عند غلائها ويسبب المجاعات والازمات واذا كان فقيرا فهو الفقير الثائر الذى يريد أن يتغلب على جهود الآخرين بغير تعب ، واذا كان عاملا فهو العامل المطفف الذى يريد أن يأخذ ماله ولا يدفع ما عليه ، واذا كان غنيا فهو الغنى الشحيح القاسى الذى لا رحمة فيه ولا عطف ، واذا كان واليا فهو الوالى الغاشى الناهب للاموال واذا كان سيدا فهو الرجل المستبد المستأثر الذى لا ينظر الا الى فائدته وراحته . واذا كان خادما فهو الضعيف الخائن واذا كان خازنا فهو السارق المختلس للاموال، واذا كان أكبر من ذلك فهو المادى المستأثر الذى لا يخدم الا نفسه وحزبه ، ولا يعرف غيره واذا كان زعيما أو قائدا فهو الوطنى أو الجندى الذى يقدس وطنه ويعبد عنصره ويدوس كرامة البلاد الاخرى والشعوب الاخرى واذا كان مشرعا فهو الذى يسن القوانين الجائرة والضرائب الفادحة واذا كان مخترعا اخترع المدمرات والناسفات واذا كان مكتشفا اكتشف الغازات المبيدة للشعوب والمخربة للبلاد والقنبلة الذرية التى تهلك الحرث والنسل واذا كان فيه قوة التطبيق والتنفيذ لم ير بأسا بالقاء هذه القنابل على الامم والبلاد .

وبهؤلاء الافراد تكون المجتمع وتأسست الحكومة فكان مجتمعا ماديا اجتمع فيه احتكار التاجر وثورة الفقير وتطفيف العامل وشح الغنى وغش الوالى واستبداد السيد وخيانة الخادم وسرقة الخازن ونفعية الوزراء ووطنية الزعماء واجحاف المشرع وأسراف المخترع وقسوة المنفذ ، وبهذه النفسيات المادية تولدت أزمات طريفة ومشاكل معقدة تشكو منها الانسانية بثها وحزنها كالسوق السوداء وفشو الرشوة والغلاء الفاحش واختفاء الاشياء والتضخم النقدى وأصبح المفكرون والمشرعون لا يجدون حلا لهذه المشاكل وأصبحوا اذا خرجوا من ازمة وأجهوا أزمة أخرى بل أن خلولهم القاصرة ومعالجتهم المؤقتة هى التى تسبب أزمات جديدة وتنقلوا من حكومة شخصية الى ديمقراطية الى دكتاتورية ثم الى ديمقراطية ومن نظام رأسمالى الى نظام اشتراكى الى شيوعى واذا الوضع لا يتغير لان الفرد الذى هو الاساس لا يتغير ، ويجهلون أو يتجاهلون فى كل ذلك أن الفرد هو الفاسد المعوج ولو عرفوا أن الفرد هو الاساس وأنه فاسد معوج لما استطاعوا اصلاحه وتقويمه لانهم على كثرة مؤسساتهم العلمية ودور التعليم والتربية والنشر لا يملكون ما يصلحون به الفرد ويقومون اعوجاجه ويحولون اتجاهه من الشر الى الخير ومن الهدم الى البناء لانهم أفلسوا فى الروح وتخلوا عن الايمان وفقدوا كل ما يغذى القلب ويغرس الايمان ويعيد الصلة بين العبد وربه وبين هذه الحياة والحياة الاخرى وبين المادة والروح وبين العلم والاخلاق وفى الاخير أدى بهم أفلاسهم الروحى وماديتهم العمياء واستكبارهم الى استعمال آخر ما عندهم من آلات التدمير التى تبيد شعبا بأسره وتخرب قطرا بطوله حتى استهدفت الحضارة والحياة البشرية اذا تبادلت الدول المتحاربة استعمال هذه الآلات للنهاية الأليمة .

الفتاوى

ميراث ووصية واجبة

قرأت فى آخر العدد الخاص من الوعى الاسلامى ذى الرقم (٨٥) المؤرخ فى غرة المحرم لعام ١٣٩٢ ﻫ فى الصفحة (١٢١) منه فى حقل الفتاوى ، فتوى تقدم بها السيد وهبه على من القاهرة يسأل فيها عن رجل توفى عن زوجته ، وأربعة أبناء ، وثلاث بنات ، وعن ولدى بنت توفيت فى حياته ، فما نصيب كل من هؤلاء فى التركة ؟

حيث كان الجواب هو تقسيم التركة الى خمسة وتسعين سهما ، منها سبعة أسهم لولدى البنت المتوفاة وصية واجبة بالسوية بينهما ..

وأنا قبل أن أعطى رأيى فى الجواب هذا أريد أن أوضح أن هذا الحكم (وهو استحقاق أبناء البنات حصة فى تركة جدهم مع وجود أخوالهم بطريق الوصية الواجبة) خاص بقانون الوصية المصرى دون غيره من قوانين وتشريعات الدول العربية والاسلامية الاخرى ، ذلك أن قانون الاحوال الشخصية السورى النافذ فى سورية يقضى بحرمان ولدى البنت هذين من التركة ، فلا يستحقان شيئا فيها ، لا عن طريق الارث ، ولا عن طريق الوصية الواجبة ، لانهما من ذوى الارحام ، وذوو الارحام مؤخرون عن أصحاب الفروض والعصبات فى الارث ، وما دام هنالك أبناء وبنات وهم من العصبات فلا يستحق أبناء البنت شيئا معهم ، وكذلك الوصية الواجبة فانه لا حصة لهم فيها لأنها فى القانون السورى المشار اليه خاصة بأولاد الابن دون أولاد البنت ، وفقا للمادة / ٢٥٧ / منه ..

وكذلك الحال فى جميع البلدان الاسلامية التى تسير فى نظام المواريث على وفق المذاهب الفقهية المعتمدة من غير أن تصدر تشريعات خاصة له ، فانها لا تعطى ابنى البنت هذين من التركة شيئا لا ارثا لأنهما من ذوى الارحام كما تقدم ، ولا وصية واجبة لأن الفقه الاسلامى فى مذاهبه المشهورة المعتمدة — وفيها المذاهب الاربعة — لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى جاء به القانون المصرى ..

وأغلب الظن أن السائل انما يطلب اجابته وفقا للفقه الاسلامى .

لا وفقا للقانون المصرى فان ذلك هو المتبادر للذهن عند الاطلاق ، ولولاه لطلب السائل اجابته وفقا للقانون المصرى دون غيره ..

وعليه فان التركة هذه تقسم فقها الى ثمان وثمانين سهما تعطى الزوجة منها أحـــد عشر سهما ، وهو ثمن التركة فرضا ، ويعطى كل من الذكر من الاولاد اربعة عشر سهما ، والانثى منهم سبعة أسهم تعصيبا ، ولا شيء لولدى البنت ، لانهما من ذوى الارحام ..

هذا الى جانب أننا اذا رجعنا الى قانون الوصية المصرى الذى اعتمده الاستاذ المفتى فى فتـــواه هذه ، وطبقناه على هذه المسألة لوجدناها غير منطبقة عليه ، ولا أعلم كيف قســـمت التركة الى خمسة وتسعين ســهما ..

والحل الصحيح لهذه المسألة وفقـــا لمـــا جـــاء فى قانون الوصية المصرى هو أن تقســـم المسألة الى — ٨٤٤٨ — سهما يكون للزوجة منها — ٩٧٩ — سهما فرضا ، ولكل واحـــد من الابناء الذكور — ١٢٤٦ — سهما ، ولكل واحد من البنات — ٦٢٣ — سهما تعصـــيبا ، ويعطى ولدى البنت — ٦١٦ — سهما مناصفة بينهما ، لكل منهما — ٣٠٨ — وصية واجبة ولا تصح على خـــلاف ذلك ..

د : أحمد الحجى الكردى
جامعـــة دمشق

◆ ◆ ◆

ان ما ذكره المعقب صحيح بجميع تفصيلاته ونحن معـــه فى أن الفقـــــه الاســـلامى فى مذاهبه المشهورة المعتمدة لا يعرف الوصية الواجبة على النهج الذى اعتمده القانون ..
وان الذى أصدر الفتوى المذكورة اعتمد فى اخراج مقدار الوصية الواجبة على رأى بعض العلماء المحدثين فى أن طريقة تطبيق قانون الوصية الواجبة فى مثل الحالة المسؤول عنها تكون باعطاء فرع الولد الذى مات فى حياة والده من تركة الجد مثل نصيب واحد من الاحياء من الورثة ممن يماثلون الولد الميت فى الذكورة أو الانوثة . وعلى هذا استخرج نصيب بنتى البنت فقسم المسألة ٨٨ سهما ، ولما كان نصيب كل من البنتين الوارثتين ٧ أسهم ، رأى اعطاء بنتى البنت المتوفاة ٧ أسهم كذلك وصية واجبة ، ثم أضاف أسهم الوصية الواجبة هذه الى أصل المسألة فكانت (٩٥) الا أن هذه الطريقة لا تنطبق على نص القانون الذى يصرح بانه (يجب لفرع ولد الموروث وصية بمثل ما كان يستحقهأبوهم لو كان حيـــا) ..

فلو كانت أم هاتين البنتين حية لما كان نصيبها ٧ / ٩٥ وانما يكون نصيبها ٧ / ٩٦ وقد بين العلماء ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه (أحكام التركات) ص ٢٩٢ وما بعدها وجـــه الخطأ فى الطريقة السابقة ، وان وجه الصواب فى القسمة أن يفرض الابن أو البنت الذى مات أولا حيا ، ويعرف نصـــيبه وهو فى مسالتنا هذه ٧ من ٩٦ فيكون هو الوصـــية الواجبة وما بقى بعد ذلك وهو (٨٩) سهما يعمل له مسألة جديدة هى هنا (٨٨) سهما ، فيقسم على الورثـــة بموجبهـــــا ..

محمد سليمان الاشقر

بريد الوعي الإسلامي

مخيمات اسلامية

ورد فى مجلة الوعى الاسلامى التى تصدر عن وزارتكم الموقـــرة فى عددها رقم ٨٤ الصادر فى غرة ذى الحجة سنة ١٣٩١ الموافق ١٧ ينـــاير سنة ١٩٧٢ فى الصفحة رقم ١٠٨ فى باب « قالت صحف العالم » تحت عنوان « **مؤتمر المسلمين** » حديث عن مؤتمر اتحـــاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا ، جـاء فيه « ان شباب المسلمين فى جمهورية مصر العـــربية وغيرها من الدول الاسلامية لفى حاجة ماسة الى مثل هذه المؤتمرات الجامعة وخاصة فى فصل الصيف .. ويا حبذا لو أقيمت الى جانب هــــذه المؤتمرات الدراسية مخيمات صيفية اسلامية يمارس فيها الشباب الحيـــاة الاسلامية ويصقلون فيها عقولهم وأرواحهم واجسادهم .

وأود أن أحيطكم علما أن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية بجمهورية مصر العربية ، يقيم منذ نشأته فى عام ١٩٦٠ معسكرا صيفيا بمدينة أبى بكر الصديق لأبناء العالم الاسلامى (بالاسكندرية) على هيئة مؤتمر لشباب وشابات العالم الاسلامى الذين يتلقون العلم فى مصر يستمر طوال شهرى يوليو واغسطس من كل عـــام يلتقى فيه أكثر من ألفى طالب وطالبة من جميع الجنسيات ضيوفا على المجلس ويشمل البرنامج اليومى لهذا المعسكر ، الى جانب أداء فـــرائض الصلاة بجامع المدينة وممارسة أنواع الرياضة المختلفة وزيارة معـــالم الاسكندرية والاستمتاع بصـــيفها ، ندوات ومحاضرات يحضرها أســاتذة متخصصون من الجامعات وعلماء الازهر ورجال الفـــكر والادب وزعمـــاء وسفراء الدول الاسلامية ، هذا بالاضافة الى اجتماع الطلاب والطالبات فى حلقات للمناقشة بنادى المدينة لدراسة شئون دينهم وكل ما يهم العـــالم الاســـلامى .

مـــدير
ادارة الابحـــاث
محمد جمال الدين خليل

اتقـوا الله

لاحظت وجود مصاحف ، يوجـد التحريف على غلافها الخلفى ، حيث كتب المحرفون المتاجرون الآية الكريمة (**لا يمسه الا المتطهرون**) ـ خطـأ .. والصواب (**لا يمسه الا المطهرون**) .

وذلك بزيادة تـاء ، حارب الله تعالى أمثال هؤلاء الذين اتخذوا آيات الله هزوا ، وغرتهم الحياة الدنيا ، ولم يتورعوا عن تحريف آيات الله الكريمات حتى على غلاف المصاحف .

ورغم أننى لم أتمكن بعد من مراجعة المصحف كله للتأكد من عدم التحريف الا أننى أناشدكم التدخل لصيانة كتاب الله من التحريف واقترح :

١ ـ سحب المصاحف المحرفة من السوق .
٢ ـ عدم السماح ببيع المصحف الشريف الا فى أماكن شريفـة وتحت اشراف الدولة .
٣ ـ مراجعة المصحف ، ومراجعة غلافه .
٤ ـ العقاب الرادع والحاسم والفاصل لكل من حرف ، ويحرف القرآن الكريم على عيون الأشهاد ليكون ذلك رادعا لهم وعبرة لغيرهم .
٥ ـ ارسال هذا الخطاب لأعلى سلطة اسلامية بالأزهر الشريف ومجمع البحوث الاسلامية ، وكافة الهيئات الدينية فى مصر والبـلاد الاسلامية لاتخاذ اللازم .

أنـور محمود وصفى عبد الوهاب
كلية الهندسة / جامعة عين شمس

الوعى الاسلامى

يسعدنى أن أنوه بالجهود المضاعفة التى تبذلونهـا للنهوض بمجلتكم الاسلامية الراقية (**الوعى الاسلامى**) التى تصدرها وزارة الاوقاف والشـئون الاسلامية فحفظكم الله ورعاكم ، وزاد فى معناكم ، وآجاركم علىّ ما تبذلونه من حب صادق وتضحية وايثار فى سبيل نشر كلمة الله ، والدفاع عن عقيدته الطاهرة ومبدأه الصالح .

محمد بنعبد الله
رئيس تحرير دعوة الحق ـ الرباط

التراث المفقود والموجود

جـاء فى المقال المنشور فى العدد (٨٣) تحت هذا العنوان : أن تاريخ الاسلام الذهبى يقع فى خمسين مجلدا لم يطبع منه الا خمسة فقط ، مع أن المطبوع منه ستة أجزاء لا خمسة ، ويحتوى الجزء السادس على تاريخ عشرين سنة من ١٤١ ـ ١٦٠ وهو فى ٣٤٤ صفحة ، وهو مذكور فى قوائم المكتبات منـذ بضـع سـنين .

محمد زاهر أبو اليمن

بأقلام القراء

نصـــــيحة ..

تحت هذا العنوان يقول : الاستاذ / عبد الرحمن احمد شادى :

تحاول الدول النامية المسكينة أن تعيش فى العصر الحديث فتســـتورد الأدوات ، والآلات اللازمة لها ، من الدول الغنيـــة المتقدمة .. لأنها لا تملك المصانع التى تزودها بما تحتاجه من هذه الأدوات ، والآلات ، والســـلع ، وتضطر (**والمضطر يركب الصعب**) أن تدفع ثمنا باهظا ، وتنزف دماءها لـــكى تشترى هذه الآلات .. وعلى سبيل المثال فالطائرة الالمانية (البوينج ٧٤٧) التى خطفها الفدائيون ، كما ورد فى صحف ١٩٧٢/٢/٢٧ ، تســـاوى ثمانية ملايين جنيه تقريبا ، وقد الحت على فكرة عقد مقارنة بين ثمن طائرة من هذا الطراز وبين انتـــاج الأفدنة الزراعية ، وفرض الســـؤال التالى نفسه .. كم عدد الأفدنة التى تنتج محصولات يشتريها ثمن طائرة واحدة ، ومتوسط انتاج الفدان الواحد يقدر بمائة جنيه فى العام : ٨٠٠٠،٠٠٠÷١٠٠=٨٠،٠٠٠ فدان .

فثمن طائرة واحدة يشترى انتاج ثمانين الف فدان من المحصـــــولات الزراعية ، فمن المغبون فى هذه الصفقة ، ومن الخاسر فى هذه البيعة ؟ الدول النامية التى اشترت أو الدول الغنية التى باعت .. ؟

واذا افترضنا أن المصنع ينتج طائرة واحدة فى الاسبوع ، وخمسين طائرة فى العام ، فماذا يشترى انتاج مصنع واحد : ٨٠،٠٠٠×٥٠=٤،٠٠٠،٠٠٠ ، انتهت المسألة الحسابية البسيطة الى أن انتاج المصنع الواحد فى العام يشترى محصولات أربعة ملايين فدان .

والمصانع هناك بالمئات لعشرات ومئات وآلاف الســـلع ، والأدوات ، والآلات ، والأجهزة التى تستوردها الدول النامية المســـكينة التى تظن أنها باستعمالها لهذه الآلات قد عاشت فى العصر الحديث ، وبدلت ظهر الناقة بجوف الطائرة ، اذا أرادوا أن يتحضروا فلا بد أن يصنعوا هذه الآلات بدلا من الاكتفاء باستعمالها فقط ، وأن يكونوا كما قال الزهاوى :

طاروا بأجنحة الصناعة فامتطوا ظهر الرياح مكان ظهـــر النوق

وهم فى معظم الأحوال لا يملكون الا المحصولات الزراعية ، والمواد الخام ، التى تقدم لهذه الدول الغنية بثمن بخس بدلا لهذه الآلات المستوردة .

ان هذه الدول تنزف دماءها ، وستظل كذلك الى أن يغنيها الاســـتقلال الاقتصادى بالمصانع الكثيرة عن أن تنزف دماءها ، وينقل هذا الدم المنزوف الى الدول الغنية .. هل تستطيع الدول النامية أن تحارب الفقر وهى تعصر عصرا ،

نعيم الدول الغنية فى بؤس الدول الفقيرة ، ومصائب قوم عند قوم فوائد . جربت هذه الدول انشاء القليل من المصانع فحمدت التجربة ، وأدت كثيرا من الغايات الاجتماعية والاقتصادية بوجود هذه المصانع ، وأهمها أن تحفظ ثروتها لأهلها ، وأن لا تنزف دماءها .

قد يقول قائل : وأين الاموال التى تكفى لانشاء الصناعات الهامة التى يكلفنا استيرادها ثمنا غاليا ؟ والجواب هو توجيه النظر الى الأموال التى تنفق على الزينة ، والزخرف ، والنعيم ، والمظاهر ، والترف ، والاسراف ، ألا تستطيع هذه الاموال أن تقيم المصانع المطلوبة .. !

قد يقول قائل آخر : وأين الخبرة والعلم ؟ والجواب أن بعض الدول الفتية التى لا تجاوز عمر الطفولة فى الحضارة والنهضة قد بدأت حياتها وحضارتها من نقطة الصفر ، ومع هذا فقد سبقت الدول والأمم العريقة فى الحضارة .

ولكن الدول النامية المسكينة مصابة فى همم أهلها ، وعزائم بنيها ، فهم يريدون أن يتحضروا بهمم وأموال وعقول وأيدى غيرهم ، فهل يتسق هذا المنطق أم لا بد أن ننهض ونتحضر ونفعل ما يفعله غيرنا بهممنا وأموالنا وعقولنا وأيدينا .. !!

المادية الملحدة ..

تحت هذا العنوان يقول الأخ تاج السر محمد حمزة من السودان :

بين المادية والدين عداوة وحرب لا هوادة فيها ، ولا مهادنة ، فالمادية نظام مادى يستمد فكرته من نظرية فلسفية ملحدة ، تزعم أن كل ما يقع فى التاريخ من حركات فان مرجعه الى الاسباب الاقتصادية ، وما دامت الاسباب الاقتصادية هى التى تملى على التاريخ حركته ، فلا مجال للاعتراف باله خالق أو قوة وراء الغيب توجه البشر الى مصائرهم بقوة وارادة .

وليس الدين عند الماديين الا تفسير خاطىء للظواهر الاجتماعية ، وبقية من بقايا النظم الاستغلالية البالية فهو عندهم مظهر جهل ، ووسيلة استغلال ، ومن واجبهم أن ينبذوه ويتحللوا من قيوده . فالمادى هو الذى ينبذ دينه ، ولا يكتفى بأن يتبرأ من الدين بقلبه بل يعمل ما وسعه لرد المؤمنين بالله عن دينهم .

ويفيض الماديون فى تبرير انكارهم للدين ، ومحاربتهم له ، فيزعمون أن الدين خرافة ، وجهل ، ويعللون انتشار الاديان بالظروف المادية التى عاش فيها الانسان الاول ، ويقولون : ان الانسان الفطرى يقف عاجزا أمام ظواهر الطبيعة كالرعد والبرق مما جعله يردها الى ارادة عليا ، فسعى لكسب عطفها واصطناع ألوان العبادات ، ومن ثم نشأ الايمان بالقوى غير المنظورة .

فالمادية الملحدة تعادى الاديان ، ومن ثم فهى مخالفة لمبادىء الاسلام الاساسية ، وأساس العقيدة الاسلامية شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واعتبار القرآن وحى الله للنبى محمد ، والايمان بالحياة بعد الموت والجزاء ، والمثوبة ، والعقاب ، وهذه جميعا ينكرها الملحدون .

قالت صحف العالم

كتبت مجلة (المسلم) تحت هذا العنوان تقول :

يظهر أن صمت المسلمين على ما يحدث فى الفلبين قد شجع الآخرين فى مناطق أخرى ، فقد جاء من جنوب أفريقيا .. ان علماء المسلمين فى بورت اليزابيث بجنوب أفريقيا دعوا رئيس حكومة جنوب أفريقيا الى ضمان سلامة المساجد الاسلامية من الحريق وأعمال الفوضى ، وقد جاءت هذه الدعوة بعد أن تعرضت المساجد فى كل من (سيمولزتاون وكلير مونت وكيب تاون) وغيرها لحرائق وأعمال تحقير واهانة على يد عصابات مجهولة .. هذا الخبر وهو نتيجة طبيعية لموقف المسلمين ازاء مشاكلهم ولا أظن أن كثيرا من مؤسساتنا الاسلامية فى العالم لديها علم به ولا أظن أنهـــا ستتحرك بالصورة المطلوبة التى توقف هذه التصرفات وتمنعها من الظهور مرة أخرى و .. يا مسلمو العالم .. ان اليهود فى أى بلد اذا تعرضوا لعقوبات مشروعة وقانونية فالمؤسسات اليهودية فى العالم والافراد منهم يتحركون فما بالكم اذا تعرضوا لأى اهانة السنا خيرا منهم وأكثر عددا .. انى أرجو وأنا أنشر هذا الخبر أن يكون لنا موقف آخر مع فعله هذه الاحداث ومثيلها سواء فى الفلبين أو فى جنوب أفريقيا أو ..

ونشرت مجلة (المجتمع) الكويتية تحت هذا العنوان :

ان عيوبا بدأت تزحف على أسرنا مع زحف الافكار والمذاهب المختلفة وان هذه العيوب اذا لم تعالج بالاسلام انتشرت واستتبت وأصبحت آفة من الآفات التى تهدم مجتمعنا وتقوض كيان أمتنا وأن مظاهر هذه العيوب بدأت تظهر واضحة فى ابنائنا وبناتنا المتسكعين هنا وهناك واللاهين فى هذا المكان أو ذاك ..

فى الشوارع حيث تطير بهم مراكبهم الامريكية الطائشة فيزعجون المارة ويثيرون اعصـــاب الناس ويودون بانفسهم الى الهلاك وفى الاســواق حيث يســـيحون لاهثين بحثا عن لحم آدمى يرسلون اليه نظراتهم الجائعة وفى المنتزهات وعلى شـــواطىء البحار حيث لا يتركون أسرة تنعم بجمال الطبيعة فى هدوء واطمئنان .

هذه كلها ظواهر مرض عضال ينخر فى الاسرة كالسوس ولا نرى من هذا المرض باعيننا الا هذا الجيل الثائر المتمرد والرافض فى كل مكان، ان أسرنا وقد أعماها حب المظهر ، وفت فى عضدها طغيان المادة لم تعد تعبا بالرقابة على الابناء وحسن تربيتهم وتوجيههم بل ان الزوجين فى الاسرة فقدا الرابطة الاصيلة التى تجمعهما على المودة والرحمة فانشغل الزوج بسهراته ورحلاته ولم تجد الزوجة فيه ما كانت تؤمله فلم تعد تبالى باحترامه أو تقديره أو حتى حفظه فى غيبته وتسربت الى الاسرة فى مجتمعنا مظاهر التفسخ الاخلاقى فكثرت السهرات والحفلات المختلطة وخفت الملابس

وقصرت وكشفت المفاتن وأتاحت الفرصة للشهوات وبدأ الاهتمام بالمظهر من ملبس ورياش وأثاث وقصور وحدائق يطغى على كل شيء وتفلتت الاسرة من عاداتها الاسلامية الاصيلة وتقاليدها الدينية العريقة وكان الاولاد نتاج هذا الجو وثمرة هذا التفكك .

صحيح أن الاسرة لا بد من بنائها بناء جديدا ليس أساسه استبداد الرجل وطغيانه وضياع حقوق المرأة واضطهادها وكبت الاولاد وقهرهم فلئن كانت هذه بعض ظواهر الاسرة فى عهود تخلت عن الاسلام فنحن لسنا ملزمين بها كأسس تقوم عليها أسرتنا الاسلامية الحديثة والتى تقف فى وجه هذه التيارات الحضارية المتلاطمة والمستوردة .

ان الثقافة مفتاح الحياة فى هذا العصر الذى لم يعد للأمى مكان فيه وان هذه الثقافة من حق ربة الاسرة ومديرة شئونها قبل أى انسان آخر لكن هذه الثقافة يجب أن تكون خادمة لهذا الدين موطدة لدعائمه مركزة لاركانه .

فلتتعلم الفتاة ولتتسع مداركها ولتحط بكل ما تستطيع الاحاطة به من علم وخبرة ولتشارك بعد ذلك فى حياة أمتها بكل منحى من مناحيها ولتكن فى بيتها أما تصنع الاجيال مصلحة ترشد من يضل عاملة تثبت فكرها ومبادئها سياسية تقول رأيها وما تؤمن به اجتماعية تقيل العثرة وترأب الصدع وفى اسلامها مجال يتسع لكل ذلك شرط أن تعمل فى اطاره وبوحى منه .

ان الاسرة مصنع الرجال ومولد الابطال ولقد آن لنا أن نبدأ رحلتنا من داخلها فننير جوانبها ونبدد الظلمات من حولها ونوثق رابطتها ونديم ودها فان الخير منها ينبعث اذا أردنا وفيها يندفن اذا رغبنا ..

ماذا فى أمريكا .. ؟

نشرت احدى المجلات المسيحية حديثا على لسان طبيب أمريكى قالت فيه :

ان الممثل الهزلى يتقاضى مليونا من الدولارات فى السنة بينما يتقاضى المدرس فى مدرسة عاليه الفين من الدولارات بلغ عدد القتلى فى حرب فيتنام فى مدة التسع سنوات ٤٣٫٠٠٠ قتيل ولكن السائق المخمور فى بلادنا قتل فى طرقات أمريكا فى هذه المدة عينها ٢٤٫٠٠٠ قتيل وقد كشفت الاحصاءات الاخيرة عن أن ٢٠٫٠٠٠ شخص على الاقل يقتلون سنويا باطلاق النار عليهم .. يضاف الى هذا جرائم هتك العرض والفساد والاباحية التى تهدد نظامنا الاجتماعى كله ثم ينبغى أن نعترف فى ألم وأسى أن الرجل الاسود فى بلادنا لم يحظ بكامل حريته انما هو (نصف عبد) بالامس أصدرت محكمتنا العليا قرارا يصم بغير الدستورية أى تعليم دينى يقدم للاطفال فى مدارسنا وأنه مما يناقض روح الدستور أن ندمج فى برنامج التعليم أية معرفة عن الله وانك لترى اليوم ٨٥٫٠٠٠٫٠٠٠ من الامريكيين أو ٦٣٪ من السكان لا ينتمون لأية كنيسة بصفة اسمية وبالامس أصدرت احدى الولايات قرارا بتحريم اعطاء موانع الحمل للفتيات غير المتزوجات وطالبات الجامعة وعلى أثر ذلك انعقدت المحكمة العليا بالولاية وأصدرت حكما بعدم شرعية قرار الحاكم ومخالفته لروح الدستور .

أخبار العالم الاسلامى

الاستاذ : عبد المعطى بيومى

الـــــكويت : زار البلاد وفد من السفراء المسلمين فى لندن خلال جولة فى بعض الدول الاسلامية للدعوة لجمع تبرعات لانشاء المركز الاسلامى ، ومسجد فى لندن .

● اتفق على أن يمول الصـــــندوق الكويتى للتنمية العربية مشروعات فى الاردن ، وفى السودان ، فى اطار التعاون بين الكويت والدول العربية .

● قررت وزارة الاوقاف تخصيص ايجار البيوت التى انشاتها الوزارة لموظفى المساجد .

● أقيم فى الشهر الماضى بقاعة المعهد الدينى احتفال حضره الاستاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم وكيل الوزارة حيث سلم سيادته الشهادات لخريجى معهد الامامة والخطابة .

مصـــــر : قام الرئيس أنور السادات بالتشاور مع المسئولين فى المملكة العربية الســـعودية ، والكويت ، فى اطار خطة لتوطيد دعائم الاخوة العربية .

● أعلن الرئيس السادات أن مصر ماضية فى تطوير اسلحتها ، وتصنيع هذه الاسلحة محليا ، لمواجهة تصنيع اسرائيل لاسلحتها .

● تحدد يوم ٩ سبتمبر القادم موعدا لانعقاد مؤتمر علماء المسلمين بالقاهرة بعد أن كان محددا له آخر مايو القادم ..

● بعث الازهر وفدا من علماء المسلمين للاتصال بالمسئولين وبالمسلمين فى الفلبين لاخمـــاد الفتنة ، ووقف المذابح ضد المسلمين .

الســـعودية : أكد جلالة الملك فيصل لأكثر من مائتى صحفى بأن معظم فساد العالم انما كان نتيجة الصهيونية والمذاهب الالحادية .

● اتخذ مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى الثالث عدة قرارات بالموافقة على قيـــام الامانة العامة ، وميزانيتها ، وادانة اسرائيل .

● خصصت السعودية اذاعة خاصة للقرآن الكريم ابتداء من صفر الماضى فى كل من الرياض وجدة ..

الاردن : أعلن الملك حسين عزمه على تنفيذ قراره بانشاء المملكة العربية المتحدة ، من قطر أردنى وقطر فلسطينى ، يتمتع كل منهما بالحكم الذاتى ، رغم اعلان الدول العربية عن رفضه .

العـــــراق : أبلغ العراق حكومة الاردن بانها وافقت على اعادة التبادل التجارى والاقتصادى بين البلدين .

● دعت العراق الى وحدة فورية مع مصر وسوريا وتجرى اتصالات على مختلف المستويات لتحقيق هذا الهدف ..

● اقترح العراق على جامعة الدول العربية انشاء صندوق عربى لمساعدة عائلات شهداء المقاومة ..

لبنــــــان : أعلن الرئيس اللبنانى أن لبنـــــان لن تغير موقفها من الفدائيين ، رغم العمليـــات الاسرائيلية فى الجنوب فى الشهر الماضى .

● تلقت لبنان مساعدات من الكويت ، ومصر ، والسعودية ، لاعادة بناء القرى التى هدمتها القوات الاسرائيلية المعتدية فى الشهر الماضى .

● وافقت الحكومة اللبنانية على انشاء المجمع العربى الاسلامى ، ومهمته احياء التراث العربى الاسلامى بالتعاون مع بعض الدول العربية .

قطـــر : تبرعت قطر بمبلغ (٢٠٠) ألف جنيه استرلينى لبناء المسجد والمركز الاسلامى فى لندن (يتكلف بناؤه حوالى مليون ونصف مليون جنيه استرلينى) .

الســودان : توصل فى السودان الى اتفاق يمنح الجنوب الحكم الذاتى فى اطار السودان الواحد .

● سيجرى قريبا استفتاء شعبى للانضمام الى دولة اتحاد الجمهوريات العربية .

ليبيـــا : سيقوم الرئيس معمر القذافى بزيارة لباكستان فى شهر ابريل الحالى ، والجدير بالذكر أن ليبيا كانت قد بذلت جهدا مركزا لادانة الهند ونصرة باكستان .

● استشهد خمسة ليبيين فى معارك بين الاسرائيليين والفدائيين الفلسطينيين فى منطقـة جنوب لبنان .

● صدر قرار بمنع دخول المجلات التى تنشر صورا نسائية عارية أو مثيرة .

الجـزائر : قام مساعد وزير الخارجية الامريكى للشئون الافريقية بزيارة الجزائر فى الشهر الماضى فى اطار التعامل الاقتصادى بين البلدين .

● دعت الجزائر الى استمرار النضال العربى ضد اسرائيل .

موريتـانيا : أكد الرئيس الموريتانى أن موريتانيا تستلهم الشريعة الاسلامية أساسا لحياتهـا وتقدمها .

باكســتان : أعلن الرئيس الباكستانى أن حالة الحرب مستمرة بين باكستان وبين الهند ، وأنه يحمل الهند مسئولية اعتقال أسرى الحرب الباكستانيين .

● رفض المسئولون عن الحكم فى داكا استقبال بعض أعضاء وفد المؤتمر الاسلامى لوزراء الخارجية ..

الهنــد : طردت الهند (٤٠٠٠) مسلم من المناطق التى تحتلها من باكستان الغربية كما أقامت الهند عدة تحصينات على خط وقف اطلاق النار بينها وبين باكستان .

● أعلنت رئيسة وزراء الهند أنها لن تطلق سراح أسرى الحرب الباكستانيين الا اذا اعترف الرئيس الباكستانى بادارة ما يسمى ببنجالاديش .

أخبار متفرقة :

أوغندا : قرر الرئيس عيدى أمين طرد جميع الاسرائيليين من أوغندا .

لنــدن : أنشىء أخيرا اتحاد يضم الجمعيات الاسلامية الـ ٥٩ التى تمثل الجالية الاســلامية فى بريطانيا (نصف مليون مسلم) .

● قام وفد من السفراء المسلمين بجولة فى السعودية ، والكويت ، وقطر ، والامارات العربية بهدف الاستعانة على بناء مسجد ومركز اسلامى فى لندن .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ـ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ـ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الجديثة ـ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ـ الدوحة / قطر .

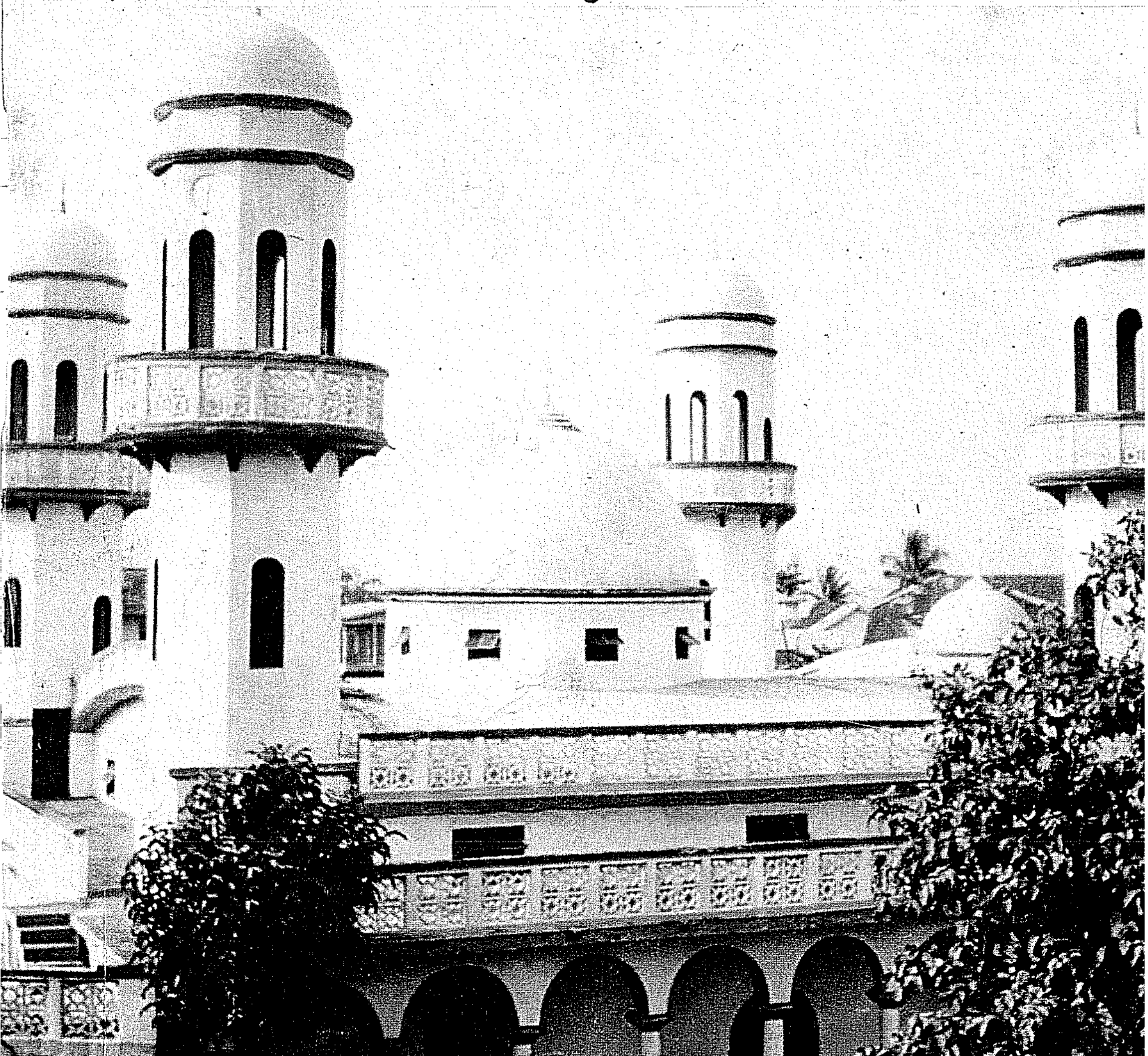
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

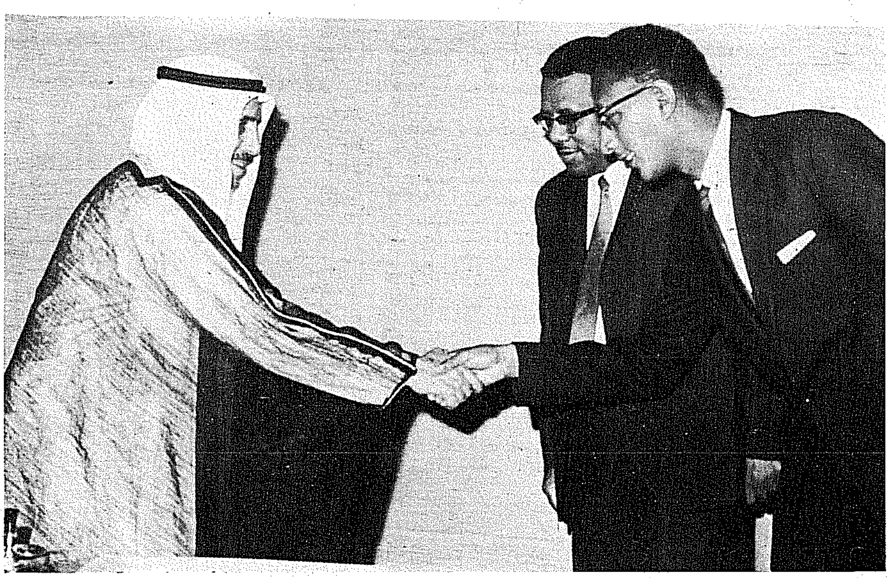
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد الثامن والثمانون ـ ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ ـ ١٤ مايو (آيار) ١٩٧٢ م

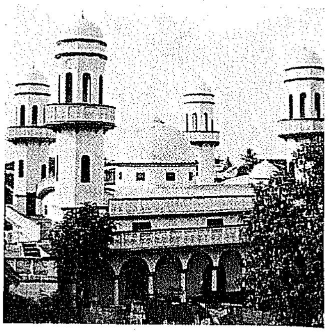




سمو أمير البـــلاد المعظم وهو يستقبل بمطار الكويت الدولي الفريق حافظ الاســد رئيس الجمهــورية العربية السورية ، الذى وصل الى الكويت فى زيارة رسمية .



سمو أمير البـــلاد المعظم وهو يستقبل بمكتبه بقصر السيف العامر الدكتور عون الشريف ، وزير الاوقاف والشئون الدينية الســودانى والوفد المرافق له بمناسبة زيارتهم الكويت .



مسـجد الفولا بمدينة فريتاون بسيراليون ، ويعتبر من أكبر المساجد وأضخمها ، ويمتاز بمآذنه وقبابـه الكثيرة ..

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السـنة الثـامنة

العدد الثـامن والثمانون

غرة ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ

١٤ مايو (آيار) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت فى غرة كل شـهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمن

الكـويت	٥٠ فلسـا
السـعودية	١ ريـال
العـراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليبيـا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبيـة
اليمن وعـدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسـوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار
فى الخـارج ٢ دينـاران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشـتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسـلات

مدير ادارة الدعوة والارشـاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسـلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ـ كويت

كلمة

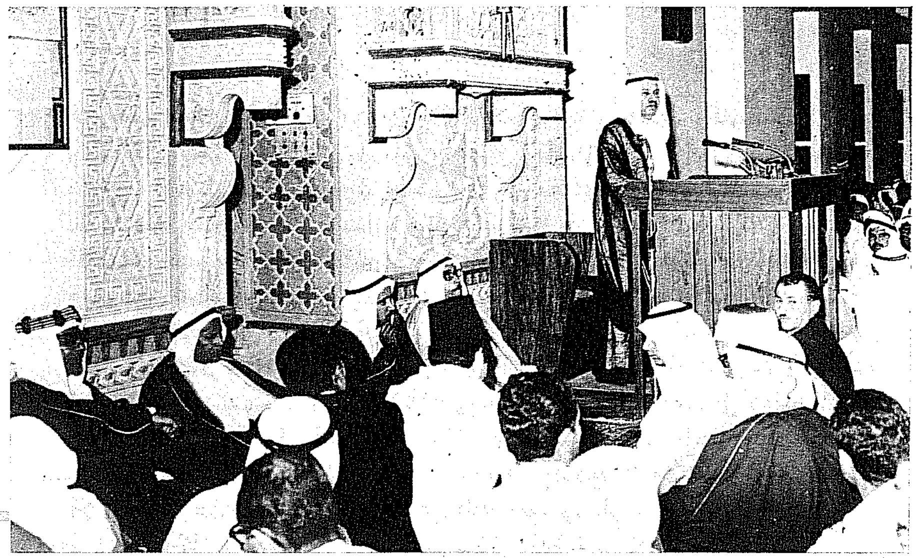
معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلها السنوى المعتـــاد بذكرى ميلاد الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد السوق الكبير بعد صلاة العشاء يوم الثلاثاء ١١ من ربيـــع الأول ١٣٩٢ هـ وشهد الحفل جمهور كبير من المسلمين امتلأ بهم المسجد على سعته وكان فى مقدمة الحاضرين سعادة رئيس مجلس الامة وسعادة المستشـار الخاص لسمو الأمير المعظم ولفيف كبير من المسئولين ، وقد استهل الحفل بتلاوة آى الذكر الحكيم ، ثم ارتجل سعادة الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية ، وتتابع بعد ذلك الخطباء والشعراء وختم الحفل بآيات من القرآن الكريم ، وتولت الاذاعة والتلفزيون نقل وقائع الحفل ، وفيما يلى نص كلمـــة الأستاذ الوزير :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

أيها السادة يحتفل العالم الاسلامى اليوم فى مشارق الارض ومغاربها بذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وتحتفل الكويت بهذه الذكرى العظيمة . ذكرى مولد زعيمنا وقائدنا وعظيمنا . ان الدول تحتفل بزعمائها وعظمائها ونحن نحتفل بقائدنا وبانى نهضتنا محمد صلى اللـــه تعالى عليه وسلم .

ونحن اذ نحتفل بهذه الذكرى فانما نحتفل بالمبادىء العالية السامية والمثل الخالدة ... نحتفل بالنور العظيم الـــذى أنزله الله تعالى على قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، النور الـــذى جاء لينقذ البشرية من الضلالة الى الهدى ومن الجهل الى العلم . اجل لقد قام محمد صلى الله



وزير الاوقاف والشئون الاسلامية راشد عبد الله الفرحان وهو يلقى كلمة فى الاحتفال الذى أقامته بمسجد السوق الكبير وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف . وقد حضر هذا الاحتفال رئيس مجلس الامة خالد صالح الغنيم ومستشار حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله الجابر الصباح وعدد آخر من المسئولين وجمهور غفير من المواطنين .

عليه وسلم بدعوته ودعا الناس الى هذا الدين بالهدى ودعاهم بالحق ودعاهم بالقول الحسن ودعاهم بالحكمة فعندما جاء محمد صلوات الله وسلامه عليه الى هذه الدنيا وجد أمامه دولتين عظيمتين تتقاسمان العالم دولة فى الشرق ودولة فى الغرب وكلا الدولتين من الدول العظمى التى تسيطر على مقاليد الناس ولكن محمدا جاء الى الأمة العربية وأخرج منها رجالا وأبطالا عظاما . أخرج منها جيشا عربيا اسلاميا سلحه بالنور والهدى الذى أنزل معه ، وسارت جيوش المسلمين وجيوش العرب الى هاتين الدولتين فأسلم الناس ودخلوا فى دين الله أفواجا ودالت تلك الدولتان العظيمتان وبقيت دولة الاسلام الدولة العربية الاسلامية التى يقودها محمد بن عبد الله ..

كان الجند الذين بعثهم محمد هم من أبناء العرب بعثهم لا ليقتلوا الناس وانما بعثهم هداية للناس وكان ما كان . وكان المجد للأمة العربية الاسلامية وكانت الدولة العظيمة التى أنشأت المفكرين والعظماء والكتاب والأطباء ، والمهندسين ، وغيرهم من علماء الارض ، واستفاد من هذا النور خلق كثير ، ولا يزال العالم ينعم بهذه الحضارة الى يومنا هذا .

فيا ترى ما هذا السر الذى جعل هؤلاء العزل الذين يتقاتلون على بعير ما هذا السر الذى جعلهم يصلون الى هذه المرتبة ويكونون هذه الدولة وتكون لهم هذه المكانة بين دول العالم ؟ ان السر يكمن فى قيادة محمد صلى الله عليه وسلم ..

لقد كان القوم يأتون الى محمد يسألونه عن الصلاة ويسألونه عن الزكاة ويسألونه عن الحج ويسألونه عن النظام الاسلامى الجديد ويسألونه

عن نظم حياتهم فما كان يجيبهم بالتعقيد وما كان يجيبهم بالتعصب الأعمى وانما كان يقدم لهم الهدى بأسهل ما يمكن وبأوجز ما يمكن من الكلمات فكان يقول : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ولم يعطهم من الشروط ومن التعقيد ما يجعلهم ينفرون من الاسلام وكان يقول « خذوا عنى مناسككم » بهـذه الكلمات البسيطة يحج الناس وبهذه الكلمات البسيطة يصلى ويتوضأ الناس ويعرفون عبادتهم ، وكان يأتيه الرجل يحفظ آية أو آيتين فيبعثه الى بـلاد أخرى كبلاد اليمن وغيرها ليهدى الناس ويدعوهم الى الايمان : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ، » وبهـذا سارت رسالـة الاسلام . لقد بعث محمد فى أتباعه ورسخ فيهم ارادة القتـال حينما لا تنفع أرادة الحكمة والقول الحسن عندما لا ينفع مع الأعداء الكـلام الطيب حين لا ينفع فيهم الا القتال « لا يفل الحديد الا الحديد » ولا تقف أمام القـوة الا القوة ، هذه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

لقد كان يستعرض الجند حتى يختار منهم ، يستعرض المتقدمين للجيش فيختار منهم من يصلح للجهاد والقتال فيأتي رافع بن خديج وهـو صغير وقصير ولكنه يتطاول بين الصفوف ليوهم النبي بأنه يصلح للقتال ويصلح للجيش ويصلح للجهاد في سبيل الله عندما رأى النبي صلى الله عليه وسلم قد نحى زيدا وأسامة وغيرهما من الصغار فيقول له الرسول لماذا تفعل ذلك ، فيقول : أريد أن أذهب الى الجهاد يا رسول الله . أين هـذا ممن يفرون من الجندية اليـوم .

وهذا عمرو بن الجموح رجل أعرج وله أربعة أولاد يقاتلون فى سبيل الله مجندون فى الجيش يأتى الى النبى ويقول خذنى معهم يا رسول الله فيقول : انك رجل أعرج لا تستطيع القتال ، فيقول أريد أن أذهب بعرجتى الى الجنة ..

هذه هي ارادة القتال التى بعثها محمد فى أتباعه وهذه هى الخنساء التى ظلت تنوح أياما وليالى على أخيها صخر فى الجاهلية ولكـن عندما استشهد أبناؤها الأربعة فى الجهاد فى سبيل الله قالت : « الحمد للـه الذى شرفنى بقتلهم جميعا فى سبيل الله » ولم ير لها دمعة .

هذا هو الايمان وهذا هو الفكر الاسلامى الصحيح وهذا هو الخط العربى الذى بعثه محمد فى الأمة العربية هذا هو النور الصحيح الـذى يجب أن ينتهجه أبناء هذه الأمة العربية .

أيها السادة : يدور الزمان دورته ويقف العـرب الآن ويقف معهم المسلمون الآن على مفترق الطرق بين دول عظيمة كثيرة تحاول كل منها أن تسير سياستنا وان تجعلنا ننطوى تحت لوائها وان نخضع لارادتها وان تكون هى المسيطرة على اقتصادنا وعلى سياستنا وعلى أفكارنا ويا للأسف قـد انساق بعض نفر منا وراء هذه الأفكار الجديدة وظنوا أن مثل هـذه الدول الكبرى تريد خدمتنا وتعمل لتكسب ودنا وصداقتنا ولكنها تخشى هذه الأمة حينما تقوم لها قائمة وحينما ترجع لها دولتها وحينما يكون لها وحدتها . وأول ما تخشاه هذا النور العظيم الـذى جاء به محمد وأول ما تخشاه هـذه الارادة ، وهذا النظام وهذا الخط الـذى جاء به محمد الى أتباعه ولكننا نقول الى أصحاب اليمين والى أصحاب الشمال الـذين اعتنقوا أفكـار

الشمال والى الذين اتبعوا اليمين : ان هذا ليس هو شأن العرب وليس هذا هو خط الاسلام وليس هذا هو العقيدة وليس هذا هو الايمان .

وكل يوم تطلع علينا الصحف والجرائد والأخبار بأن هناك يسارا وان هناك يسار اليسار وان هناك انقساما فى اليسار وما الى ذلك وان هنـــاك يمينا وان هناك يمين اليمين ، وهكذا تنقسم ، وهكذا يتجزأ أتباع محمد وهذا شيء نأسف له ونأمل ألا يكون فى أمتنا والا ينخدع به بعض شبابنا واذا ما أريد لفدائيينا واذا ما أريد لجيوشنا واذا ما أريد لشعبنا أن ينتصر وان شاء الله سينتصر باذن الله ، اذا ما أريد له ذلك فليتجنب اليمين وليتجنب اليسار وليسلك الطريق الوسط : ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهـــداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) .

ان هذه الافكار جاءتنا من الغزو الفكرى الذى تغلغل فينا بعد ما وهنا وبعدما ضعفنا . واننى أوجه كلمتى الى اخواننا المجاهدين والمقاتلين من الفدائيين أن ينبذوا هذه الافكار وان يوحدوا كلمتهم وصفوفهم وأن يقاتلوا فى سبيل عقيدة واحدة وحول فكرة واحدة لكى يستطيعوا أن ينتصروا ، وليساند الشعب العربى ولتساند الأمة العربية هؤلاء الشباب ولتسر مـــع هؤلاء المقاتلين وتؤيدهم وتمدهم بالمال وتعينهم بكل ما يمكن أن يعان به ، وبكل ما يمكن أن يقدم للمعركة وبذلك نستطيع أن ننتصر .

والكلمة الثانية التى أود أن أتوجه بها الى كل مسلم يسمع كلمتى هذه فى بقاع الارض أود أن أقـــول ان الحرب مع الكافر ومع المستعمر ومـــع الصهيونية لا تنفع بالقتال وحدها وانما يجب أن تكـــون هنـــــاك مساندة شعبية من جميع أفرادنا وان يكون هناك مساندة فعالة وان يكـــون هناك مقاطعة لجميع بضائع الاستعمار ولمن يساند الصهيونية ، وهذا هو أيها الاخوان أقوى سلاح نستطيع به أن نقدمه لمعركتنا أن كنا نريد النصر . النصر لا يأتى بالخطب ولا يأتى بالكلام وانما يتطلب من الشعوب المسلمة أن تقف وراء المناضلين أن تقف وراءهم بالمال وان تقف وراءهم بشد أزرهم بالروح المعنوية وان تثبط همم الأعداء أننا حينما نقاطع بضائع الأعداء يأتوننـــا راكعين .

ان اسرائيل لم تقف على ركبتيها وتتحد جميع العرب والمسلمين الا عندما ساندها وساعدها الكفر والاستعمار عندما بدأوا يجمعون لها الأموال فلماذا لا نقاطع هذه البضائع . سنة واحدة فلنقاطع بضائعهم إن هؤلاء الأعداء لا يحترمون الا من لا يحترمهم ولا يقدرون الا من يقف فى وجوههم . ومن يهن يسهل الهوان عليه . ولا نريد للأمة العربية التى قادهـــا محمد ان تهون وانما نريدهـــا أن ترجع قوية وان تكون أمة وان تكـــون دولة ولا يكون ذلك الا بالتكاتف ((ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)) وبذلك نستطيع أن نقدم شيئا جزئيا للمعركة ونستطيـــع أن نقدم شيئا فى مثل هذه الذكرى العزيزة علينا ونستطيع أن نحب محمدا صلى الله عليه وسلم إن حب محمد لا يكون بالكلام وانما يكون بالاقوال والأفعال معا .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يشد أزرنا وان ينصرنا على أعدائنا أنه عزيز كريم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

مع القرآن

١

القرآن والعلم

للشيخ محمد حسين الذهبي

فضل العلم قضية لاتحتاج الى برهان يؤيدها ، واقدار العلماء ومكانتهم العالية حقيقة لا ينكرها الا من أنكر عقله وسفه نفسه !!! ..

والقرآن الكريم — فى كثير من آياته — يشيد بفضل العلم ، ويرفع من أقدار العلماء ، وهو اذ يفعل ذلك لا يقصد اثبات حقيقة تحتاج الى اثبات ، ولكنه يهدف الى أن ينبه القلوب الغافلة والعقول اللاهية الى قدسية العلم وسمو العلماء ، لعلها تتحرر من جهلها ، فتنخرط فى موكب العلم ، وتمضى فى ركاب العلماء لا تلوى على جهالة .

ولقد تكون أبلغ قارعة تقرع قلوب الغافلين وعقول اللاهين ، تلك الآيات البينات التى تقرر : ان العلم صفة من صفات الكمال التى يتصف بها الله سبحانه ، ويجب أن نقدسه عن الاتصاف بضدها :

((عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)) — الرعد : ٩

((ان الله عالم غيب السموات والأرض)) — فاطر : ٣٨

((انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما)) — طه : ٩٨

ولقد يكون أبلغ شاهد بعد هذه الآيات على فضل العلم ، ومكانة العلماء ، تلك الآيات القرآنية التى وردت فى حق الأنبياء عليهم السلام .

تثبت لهم صفة العلم ، وتقرر — فى صراحة ووضوح — أنها من نعم الله التى أنعم بها عليهم :
يقول سبحانه فى أول ما نزل من القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :
((اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .)) — العلق : ١ — ٤
ويقول ممتنا عليه : ((وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)) — النساء : ١١٣

ويقول مخاطبا عيسى عليه السلام وممتنا عليه « يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » — المائدة : ١١٠ .
ويقول فى شأن داود وسليمان عليهما السلام : ((ولقد آتينا داود وسليمان علما)) — النمل : ١٥
ويقول عن يوسف عليه السلام : ((ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما)) — يوسف : ٢٢
ويقول فى شأن لوط عليه السلام : ((ولوطا آتيناه حكما وعلما)) — الأنبياء : ٧٤
ويقول عن آدم عليه السلام : ((وعلم آدم الأسماء كلها)) — البقرة : ٣١
ثم نجد القرآن الكريم — بعد ذلك — ينكر على من يسوى بين العلماء وغير العلماء فيقول فى أسلوب تهكمى ساخر : ((هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) ؟ — الزمر : ٩

ثم هو بعد يقرر هذه الحقيقة : ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) — المجادلة : ١١ ولعل الله جمع بين الايمان والعلم هنا ، وجعلهما السبب فى علو المكانة والمنزلة عنده ، لأن الايمان لا يقوم ولا يقوى الا على أساس العلم بالله ، والعلم بكل ما جاء منه ، وصدر عنه :

وفى كل شىء له آية   تدل على أنه الواحد

نعم ، فى كل شىء له آية تدل على وجوده ، ووحدانيته ، وقدرته ، وربوبيته . . . وكل صفات الكمال له ، ولكنها آيات لا يعقلها الا العالمون . أما الجاهلون : ففى غفلة واعراض عن هذا كله ، كما يقول سبحانه وتعالى عنهم :
((وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)) — يوسف : ١٠٥

القرآن يدعو الى العلم والمعرفة :

ولأن الله — سبحانه — يعلم أن من الناس ناسا قلوبهم غافلة عما فى الكون من حقائق ، وعقولهم لاهية عما تنطوى عليه هذه الحقائق من علوم ومعارف ، وأنهم بتعطيلهم لقلوبهم وعقولهم عن النظر فى ملكوت السموات والأرض ، واستنباط ما أودع الله فيها من علوم وأسرار ، قد أهدروا انسانيتهم وانحطوا بها الى مستوى الحيوان الأعجم الذى لا عقل له ولا

ادراك .. ((لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بهـا ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون)) — الأعراف : ١٧٩

لأن الله يعلم ان من الناس ناسا هذا شأنهم ، ساق فى محكم كتابه آيات تهيب بأصحاب هذه القلوب اللاهية : أن يفتحوا قلوبهم وعقولهم على الكون وما فيه من آيات ، ليستخلصوا منها أسرارها وعلومها التى تأخذ بيدهم الى ما فيه خير الدنيا وسعادة الآخرة ، فقال لهم فى صرامة الآمر واستنكار اللائم :

((قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)) — يونس : ١٠١

((أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق اللـه من شىء)) ؟ — الأعراف : ١٨٥

((افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . ؟ والى السماء كيف رفعت . ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الأرض كيف سطحت . ؟)) — الغاشية : ١٧ — ٢٠

((وهو الذى انزل من السماء ماء فأخرجنـا به نبات كـل شىء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية ، وجنات من اعناب ، والزيتون ، والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان فى ذلـكم لآيات لقوم يـؤمنون)) — الأنعام : ٩٩

((وفى الأرض آيات للموقنين . وفى انفسكم ، أفلا تبصرون . ؟)) — الذاريات : ٢٠ ، ٢١

((الم تر ان الله انزل من السماء ماء فأخرجنـا به ثمرات مختلفـا الوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها ، وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه كذلك ، انما يخشى اللـه من عباده العلماء)) — فاطر : ٢٧ ، ٢٨

انظر الى هذه الآيات ونحوها مما ورد فى القرآن الكريم ، فسوف ترى أنها تدعو باصرار والحاح الى اعمال العقل والفكر فى آيات الله التى بثها فى الآفاق والأنفس ، لنأخذ منها الدليل على وجود الله وقدرته ، ثم لنستخلص منها — بعد ذلك — ما تحويه وتشير اليه من علوم ومعارف ، تنفع البشرية وتسـعدها فى حياتها الدنيـا التى لاتقوم الا عـلى العلم والمعرفة .

وتأمل قول الله سبحانه : ((انما يخشى الله من عباده العلماء)) تجد أنه يقرر — فى صراحة ووضوح أن للعلم دخلا كبيرا فى معرفة عظمة الخالق عن طريق ما يهدى اليه من المعرفة بعظمة المخلوق الذى أودع الله فيه من الأسرار ما يجعل العالم البـاحث المنقب يؤمن — عن مشـاهدة ويقين — بأن الله هو الخلاق ذو القوة المتين ، فيتصاغر علمه أمام علم الله ، وتتضاءل معرفته أمام معرفة الله ، ويتبدد كبرياؤه وغروره أمام عظمة رب الكون .. رب العالمين !! ..

ومن هنا كانت قلوب الجاهلين مغلقة لا تنفتح على حق ، ولا تتقبل حقيقة :

((كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون)) — الروم : ٥٩

وكانت قلوب العالمين مفتوحة على الحق ، تهتدى اليه ، وتؤمن به على طمأنينة ويقين :

((وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون)) — العنكبوت : ٤٣

((والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا)) — آل عمران : ٧

((شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم)) — آل عمران : ١٨

((وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وأن الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم » — الحج : ٥٤ .

والقرآن الكريم — حين يدعونا الى العلم والمعرفة — لا يريد منا علما فطيرا ، ولا يدعونا الى معرفة فجه ، وانما يريد منا علما ناضجا يرتكز على قواعد ثابتة ، ومعرفة تنبنى على مقدمات سليمة ، وأن يكون سبيل ذلك كله وسائل العلم والمعرفة التى أودعها الله فى الانسان ، يقول عز من قائل :

((ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)) — الاسراء : ٣٦ وتأمل قوله ((ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)) بعد قوله : ((ولا تقف ما ليس لك به علم)) تجد أن الله سبحانه — ينبه الى أن أدوات المعرفة ووسائلها عند الانسان هى : سمعه ، وبصره ، وفؤاده ، فمن تلقف الوقائع ، وتقبل الأخبار ، وانتهى الى النتائج بدون أن يتحراها ويتأكد صدقها وصحتها بكل وسائل المعرفة التى أودع الله فيه ، فقد عطل ما ميزه الله به عن غيره من الحيوان ، وسوف يسأله الله يوم القيامة عما ضيع من نعمة الله التى فضله بها ، وأوجب عليه شكرها بقوله :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون)) — النحل : ٧٨

((وتأمل بعد ذلك — قوله سبحانه فى شأن من ضلوا طريق الحق وأعرضوا عن سواء السبيل :

((ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا)) — النجم : ٢٨

((ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس)) النجم : ٢٣

تأمل هاتين الآيتين تجد أن الله ما نعى على هؤلاء الضالين ضلالهم الا لأنهم ساروا وراء ظنونهم وأهوائهم .. والظن سراب ، والهوى مهلكة !! ...

والقرآن الكريم يكره لنا — كل الكراهية — ان نكون مقلدين لا مبتكرين متعلقين :

((واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا . بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون . ؟)) — البقرة : ١٧

ولا يرضى القرآن للباحث عن الحقيقة — أيا كانت — أن يبحث عنها فى جو من الفوضى التى تحول دون رؤيتها ، وتعوق عن الوصول اليها . وانما يرضى لنا ويطلب منا : أن نوفر للبحث العلمى الموصل للمعرفة

بها جوا هادئا يبعث على التأمل والتدبر فى روية وحكمة ، يقول سبحانه مخاطبا نبيه ليوجه المكابرين المعاندين من أمته :

((قل انما اعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا))
سبأ : ٤٦

يقول العلامة الزمخشرى فى تفسيره لهذه الآية :

((والمعنى : انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم ، وهى : أن تقوموا لوجه الله خالصا ، متفرقين . اثنين اثنين ، وواحدا واحدا ، ثم تتفكروا فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم — وما جاء به أما الاثنان : فيتفكران ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه ، وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين ، لا يميل بهما اتباع هوى ، ولا ينبض لهما عرق عصبية ، حتى يهجم بها الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه . وكذلك الفرد : يفكر فى نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابرها ، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجارى أحوالهم . والذى أوجب تفرقهم مثنى وفرادى : ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ، ويعمى البصائر ، ويمنع من الرؤية ، ويخلط القول ، ومع ذلك يقل الانصاف ، ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ، ولا يسمع الا نصرة المذهب)) (١)

ويقرر القرآن الكريم — فى وضوح تام — أن الهداة والدعاة والقادة من أصحاب الرسالات الدينية ، أو المذاهب السياسية ، أو غيرها ، لا بد أن يكونوا على جانب كبير من العلم والمعرفة ، حتى تتأكد زعامتهم وتلزم طاعتهم ، ولا يرضى القرآن لانسان يحترم انسانيته أن ينقاد لمن لا علم عنده ، ولا أن يكون منه بمنزلة التابع من المتبوع ، فان من حرم العلم حرم الخير كله ، ومن لم يتحل بالمعرفة لا يصح أن يكون قدوة ، يقول الله سبحانه — على لسان ابراهيم عليه السلام مخاطبا أباه :

((يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا)) — مريم : ٤٣

ويقول مخاطبا موسى وهرون عليهما السلام :
« فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون » — يونس : ٨٩ .
ويقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ((.. ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)) — الجاثية : ١٨

□ □ □

والقرآن الكريم لا يرى للعلم حدا يقف الانسان عنده ، وانما يرى العلم بحرا لا ساحل له ، ويطلب منا أن نتزود منه ونزداد يوما بعد يوم دون أن نقف عند غاية ، ولهذا يقول الله — سبحانه — لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو الأسوة والقدوة :
((وقل رب زدنى علما)) — طه : ١١٤
ولا يرى القرآن غضاضة فى أن يتلقى الفاضل عمن دونه فى الفضل

مالديه من علم يجهله ولو كان ذلك لا يتم الا اذا كان منه بمنزلة التابع من المتبوع . يحل حيثما حل ، ويرتحل حيثما ارتحل ، وفى ذلك يقص علينا القرآن الكريم قصة موسى مع الخضر عليهما السلام :

((فارتدا (يعنى موسى وفتاه) على آثارهما قصصا . فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . قال له موسى : هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ؟ . قال : انك لن تستطيع معى صبرا . وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ؟ . قال : ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا . قال . فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . . » الى آخر القصة (٢) — الكهف : ٦٤—٨٢ وتأمل قوله سبحانه : « فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا » .
وتأمل قوله سبحانه : ((فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا))

تجد أن القرآن الكريم لا يرضى بالتسرع فى طلب العلم ، ولا بعدم التريث فى تحمله وتلقيه ، لأن ذلك قد يفوت الكثير على طالب العلم والمعرفة ، ومن أجل هذا يقول سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :
((ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما)) طه : ١١٤

ويقول له أيضا . ((لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه)) — القيامة : ١٦—١٩

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشرى حـ ٢ ص ٥٦٥ — ٥٦٦ — ط : الحلبى سنة ١٩٤٨ م .
(٢) أنظر ما كتبه المفسرون على هذه الآيات ، وأنظر صحيح البخارى وشروحه فى كتاب العلم . قال القرطبى عند تفسيره لقوله تعالى ((قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا)) ما نصه :
((فى هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وان تفاوتت المراتب ، ولا يظن ان فى تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه ، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول ، والفضل لمن فضله الله ، فالخضر ان كان وليا فموسى أفضل منه لأنه نبى ، والنبى أفضل من الولى ، وان كان نبيا فموسى فضله بالرسالة)) حـ ١١ ص ١٧ ط : دار الكتب المصرية .

لغة القرآن الكريم

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

أعلن المؤتمر الصهيوني الأول الذى عقد برئاسة (هيرتزل) فى مدينة (بازل) السويسرية سنة (١٨٩٧م) أن يهودا يشكلون وحدة دينية عنصرية ، وأنهم شعب واحد ، لهم الحق فى تكوين دولة خاصة بهم ، على جزء من فلسطين كخطوة أولى للتوسع ، حتى تشمل دولتهم فلسطين كلها ، ثم تتوسع دولتهم لتشمل فى النهاية منطقة اسرائيل الكبرى : من النيل الى الفرات .

ومن المعروف أن مقومات الشعب الواحد فى الدولة الواحدة ثلاث : العقيدة الواحدة ، والوطن الواحد ، واللغة الواحدة .

وبدأت الصهيونية العالمية بتنفيذ مقررات مؤتمرهـــا الأول بموجب خطط مرسومة وتوقيت دقيق .

واستطاعت الصهيونية العالمية التغلب على التناقضات المذهبيـــة بين يهود ، بحجة أن تجمعهم فى مكان واحد ينقذهم من الاضطهاد والتشرد ، وهذا الهدف أهم من الفرقة التى تفرضها تعدد المذاهب ، والتى يمكن التغاضى عنها ولو إلى حين .

واستطاعت الصهيونية العالمية بالخداع والمال والجنس ، وبكل الوسائل الأخرى ، أن تحصل على وعد بلفور سنة (١٩١٧م) وعلى إقرار مشـــروع التقسيم سنة (١٩٤٧) فى هيئة الامم المتحدة ، فأعلنت مولد دولة اسرائيل سنة (١٩٤٨م) ، ووسعت رقعتها قليلا فى حرب (١٩٥٦) ، ثم استولت على كل فلسطين وقطاع غزة وسيناء والهضبة السورية المحتلة سنة (١٩٦٧)

وقد أعانها على تحقيق أهدافها التوسعية الاستيطانية فى الوطن العربى بالاضافة الى وسائلها الخاصة بها ــ الاستعمار القديم ، والاستعمار الحديث، واعانها تفرق العرب ، وضعف المسلمين ، وأعانها قبل كل ذلك ، وبعد كل ذلك ، وأكثر من كل ذلك ، نفوس العرب والمسلمين التى دب اليها الوهن ، وابتليت بحب الدنيا ، واستبدلت الذى هو خير بالذى أدنى ، واستمرأت الذل والهوان ، وركزت على مصالحها الذاتية ، وتركت المصالح العامة وراءهـــا ظهريا .

ولكن نجاح الصهيونية العالمية فى التغلب على التناقضـــات المذهبيـــة مشكوك فيه ، فهذه التناقضات موجودة وستنطلق من عقالها إذا زال خطـــر العرب والمسلمين ، ولن يزول أبدا ، وصدق الله العظيم : ((**تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى**)) .

كما أن التوسع الصهيونى على حساب الوطن العربى لن يدوم ، وأعمار الأمم لا تقاس بالسنين ، والوقت مع العرب على اسرائيل ، ما فى ذلك أدنى شك ، وسيأتى اليوم الذى يندم يهود فيه على تجمعهم فى مكان واحـــد فى منطقة واحدة ، واذا خسر العرب الف معركة فان المعركة الأخيرة سيربحونها باذن الله ، أما اسرائيل فانها ستنهار اذا خسرت معركة واحدة ، واسرائيل أول من يعرف هذه الحقيقة .

ولكن الصهيونية العالمية نجحت فى جمع كلمة يهود على لغة واحدة ، هى اللغة العبرية ، فأصبحت هذه اللغة لغتهم القومية ، ولغتهم الرسمية ، ولغتهم الدينية .

قبل انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول سنة (١٨٩٧م) كانت اللغة العبرية محصورة فى نطاق رجال الدين اليهودى داخل المعابد الدينية ، وكان يهـــود يجهلون هذه اللغة ويعتبرونها لغة ميتة غير صالحة للحياة .

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول ، بدات أجهزة الصهيونية العالمية المختصة باللغة العبرية ، تكتب الكتب ، وتؤلف المعجمات ، وتنشىء الصحف والمجلات ، وتوجه الاذاعات ، وتقيم المدارس والمعاهد والجامعات ، لإحياء اللغة العبرية والكتابة بها والتخاطب ، وجعلها اللغة الرسمية للمؤسسات الصهيونية ، كالوكالة اليهودية مثلا . فلما حلت سنة (١٩٤٨م) واعلن مولد دولة اسرائيل ، اصبحت العبرية لغة الدولة الرسمية ، واصبح لهذه اللغة كتاب وشعراء ومؤلفون وصحف ومجلات ومدارس ومعاهد وجامعات وإذاعات ، واصبح جميع يهود فلسطين يتقنون هذه اللغة ، كما انتشرت فى الجاليات اليهودية خارج فلسطين ، واصبح لزاما على كل يهودى يزمع الهجرة الى فلسطين أن يتعلم فى بلده الأصلى هذه اللغة .

هكذا ... بالعمل الدائب تطبيقا للخطط المرسومة ، استطاعت الصهيونية العالمية خلال إحدى وخمسين سنة (١٨٩٧م — ١٩٤٨م) ، أن تجعل من اللغة العبرية الميتة لغة تدب فيها الحياة ، وان توسع انتشارها من نطاق رجال الدين اليهودى الى نطاق يهود العالم ، وان تجعلها لغة رسمية فى اسرائيل ، وهى لا تنفك تطالب الهيئات العالمية أن تكون لغة على النطاق العالمى .

— ٢ —

فى اسرائيل مهاجرون من كل اقطار العالم من البلاد العربية ، والولايات المتحدة الامريكية ، وانكلترا ، وفرنسا ، وايطاليا ، والاتحاد السوفياتى ، والمانيا ، والنمسا ، ويوغسلافيا ، وإسبانيا .

وقد قدم المهاجرون الأولون قبل عام (١٨٩٧م) وبعدها ، وهم لا يعرفون كلمة واحدة من اللغة العبرية ، وكانوا يتكلمون لغة بلادهم : الانكليزية ، والفرنسية ، والايطالية ، والعربية ، والروسية ، والألمانية ، والاسبانية ، واليوغسلافية .. الخ .

وكان على كل مهاجر أن يتعلم اللغة العبرية ويبدا بتعلمها فور وصوله الى فلسطين فى مدارس ومعاهد وجامعات خاصة وفى المدارس والمعاهد والجامعات العامة أيضا .

وكانت الوكالة اليهودية قبل عام (١٩٤٨م) مسئولة عن شئون المهاجرين القدامى والجدد ، وكانت تعتبر الحكومة غير الرسمية ليهود فلسطين فى أيام الاحتلال البريطانى ، فحرصت على جعل اللغة العبرية لغة رسمية ، وأجبرت حكومة الانتداب على الاعتراف بها لغة رسمية ليهود فلسطين .

كان على اليهودى فى فلسطين ، الذى يحتاج الى عون الوكالة اليهودية أو يريد أن تعاونه على حل مشاكله المادية أو المعنوية أن يتقدم بمذكرة الى الوكالة باللغة العبرية ، وكانت الوكالة ترفض كل مذكرة مكتوبة باللغة

الانكليزية ، أو لغـــات المهاجرين ، حتى ولو كان المهاجر لا يحسن العبرية ، وحينذاك كان عليه أن يلجـــأ الى شخص يحسن العبرية لكتابة مذكرته ، وإلا كان نصيبها الاهمال .

وبدات الوكالة اليهودية بعد سنة (١٩١٨م) حين أصبحت فلســطين تحت سيطرة بريطانيا ، تستورد المطـــابع العبرية ، وتصدر الكتب المجـــلات والصحف بالعبرية ، وتجرى المسابقات بين المؤلفين والكتاب للتأليف والكتابة بالعبرية ، وتقدم الجوائز المجزية للمجيدين فى التأليف والكتابة شعرا ونثرا .

كانت الجوائز محلية ، وكانت الوكالة اليهودية فى فلسطين وفروعها فى خارج فلسطين هى التى تتبنى هـــذه الجوائز وتحث غيرهـــا من المؤسسات الصهيونية فى أرجـــاء العالم على تبنيها وتقديمها للمجيدين فى العبرية ، بل ذهبت اسرائيل الى مدى ابعد من ذلك ، فتطلعت الى الجوائز العالمية كجائزة (نوبل) وبذلت كل جهودها لفوز أدبائها الذين كان لهم أثر فى احياء العبرية بها ، وقد استطاعت أن تحمل المسئولين عن هذه الجائزة العالمية على تقديمها الى اديب من أدبائها ، وصاحب تقديم هذه الجائزة لهذا الاديب دعاية للغة العبرية دليلا على فعاليتها ورسوخ قدمها .

ولعل الأديب الذى استلم هذه الجائزة ، والذين قدموهـــا له ، والذين طبلوا وزمروا بمناسبة تقديمها من يهود ومأجورين ليهود والصهيونية العالمية واسرائيل ، أول من يعلم أن منح هذه الجائزة لهذا الأديب اليهودى مهزلة من المهازل ، ودليل صارخ على أن هذه الجائزة وغيرها من الجوائز تقدم خضوعا لمراكز النفوذ لا الى العدل المطلق ، ولكن بالرغـــم من ذلك استفادت العبرية دعائيا ، واعتبر يهود وأذنابهم تقديمها شهادة ببعث العبرية بعد موت طويل .

واذا كان بلفور قد أصدر وعده لانشاء الوطن القومى الصهيونى ســـنة (١٩١٧م) ، ووعد بلفور وثيقة سياسة ظالمة .

واذا كانت هيئة الأمم المتحدة قد أصدرت وثيقة التقسيم لإنشـــاء دولة اسرائيل فى قلب الوطن العربى سنة (١٩٤٧م) وهذه الوثيقة السياســـية ظالمة أيضا ، لأن الأمير وهب ما لا يملك كما يقول المثل العربى الشهير .

فان جائزة « نوبل » التى منحت فى أواخر سنة (١٩٦٦م) لكاتب صهيونى متعصب وثيقة ادبية ظالمة لا تقل خطرا عن الوثيقتين السياسيتين الظالمتين ، وهى تعتبر بمثابة وثيقة بلفور ووثيقة تقسيم أدبية .

ان كل ما كتبه هذا الكاتب اليهودى لا يخرج عن النطـــاق الدينى أولا ، والدعوة الى التوسع ثانيا ، واحتقار الشعوب الأخرى ثالثا واخيرا ، وانتاجه لا يمكن أن يعد أدبا عالميا يستحق عليه جائزة نوبل ، فى رواياته جميعـــا ، يجتمع الأبطال ليتحدثوا أو يمارسوا التقاليد الدينية اليهودية ، ويتذكروا أبطال العهد القديم .

ويندر أن ترد فى أية قصة من قصصه كلمة : (الله) دون أن يضع وراءها : « سبحانه وتبارك » أو اسم نبى يهودى دون أن يضع وراءه : « رضى الله عنه » ، أو اسم ميت دون أن يتبعه بـ : « رحمه الله وأسكنه فسيح جناته » .

وفى إحدى رواياته تقف بطلته المفضلة (تاهيلا) لتعلن : « اننى أدعو الله أن يأتى اليوم الذى تتوسع فيه حدود أورشليم حتى تصل الى دمشق ، وفى كل الاتجاهات » .

وهو يكرر — هذه الدعوة (التوسعية) فى كل مكان من مؤلفاته ، دون أن ينسى وضعها تحت رداء الدين . ففى روايته : (فى قلب البحر) ، يضع مدينتى صور وصيدا ضمن نطاق دولة اسرائيل التى يطمح اليها . وهو يصور العرب بتصاوير بشعة ، وبأنهم شعب ميئوس منه ، فى درك الانحطاط ، ولا يكتفى بذلك بل يشوه تعاليم الدين الاسلامى عمدا .

وقد سوغت لجنة منح جوائز « نوبل » تقديم هذه الجائزة لهذا الكاتب الصهيونى المتعصب بقولها : « ان كتاباته تمثل رسالة اسرائيل الى عصرنا ، وتكافح كفاحا رائعا من أجل تقديم التراث الثقافى للشعب اليهودى عن طريق الكلمة المكتوبة » وأفردت اللجنة تقديرا خاصا للكاتب الصهيونى الفائز بسبب « فنه القصصى المتميز بعمق استحياء موضوعات من حياة الشعب اليهودى » .

ان لجنة جوائز « نوبل » قد باركت الرسالة الاسرائيلية ، كما عبر عنها الكاتب اليهودى الفائز .

— ٣ —

هكذا بكل إصرار يدافع الصهاينة عن باطلهم ، احياء للغتهم العبرية .

فلماذا نتراخى عربا ومسلمين عن الدفاع عن حقنا فى الحفاظ على لغة القرآن ؟

وما هى حجج دعاة العامية ، وما الأدلة على بطلانها ؟

هل هذه الحجج لمصلحة العرب والمسلمين ، أم لمصلحة اسرائيل وأعداء العرب والمسلمين ؟

نشر السنة

واجب ديني
وإصلاح خلقي واجتماعي

في لقاء لمجلة منبر الاسلام القاهرية مع الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر دار الحديث فيه حول السنة النبوية ومكانتها ودورها التشريعي والاصلاحي قال فضيلته :

ان السنة دعوة بالحسنى الى الرقى الاخلاقى الذى تجرى وراءه الانسانية المهذبة .

انها دعوة الى التاجر أن يكون صدوقا فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء .. والى العامل أن يتقن عمله **(ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)** والى الصانع أن يؤدى العمل كما يجب حيث أخذ الاجر ، ومن أخذ الاجر حاسبه الله على العمل .

وهي دعوة الى الأب باعتباره أبا ، والى الأم فى وضع أمومتها ، والى الأخ فى مهمة أخوته ، والى غيرهم من أفراد المجتمع ، أن يرعى كل منهم ما وكل اليه من أمر رعيته ، لانه مسئول عن رعيته يقول صلى الله عليه وسلم : ((**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته**

والرجل راع فى مال أبيه وهومسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وهى دعــوة للناس الى الامانة حيث أنه لا ايمان لمن لا أمانة له، والى الصدق ، وان الرجل ليصــدق حتى يكتب عند الله صديقا ، يقول صلى الله عليه وسلم : « **عليكم بالصدق، فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، واياكم والكذب ، فان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وما يــزال الرجل يكذب ويتحرى الكــذب حتى يكتب عند الله كذابا »** . وهى دعوة الى الرحمة . الرحمة العامـــة الشاملة .. وصلوات الله وسلامه على من قال : «**انما أنا رحمة مهداة**» ومن قال : « **ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء** » ومن قال : « **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** ».

وخذ أى خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع فسترى فى السنة دعوة اليه بوسيلة وبأخرى وبثالثة .. خذ مثلا ترابط المجتمع وتضامنه فستجد قوله صلى الله عليه وسلم :

« **مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهــم أسفلها ، فكان الذين فى اسفلها اذا ما استقوا من الماء مــروا على من فوقهم : فقالوا : لو انا خــرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا** » .

وقوله صلى الله عليـــه وسلم : « **ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انه تخلف من بعدهم خــــلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهــو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهــو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهـــو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل** » .

وهى فى هذه الدعوة تنبه دائما الى دور الامة الاسلامية فى الاخـــلاق العالية .. ان دورها انما هو دور الرائدة الراعية ، وعلى الرائـــد دائما أن يكون المثـــل الاعلى ، والاسوة الكريمة ،والقدوة الصالحة.

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **انما بعثت لأتمم صـــالح الاخلاق** » وفى رواية اخرى : « **انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق** » .

وسئل صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة ، فقال: « **تقـوى الله وحسن الخلق** » .

ومن قوله المعبر صلوات الله وسلامه عليه : « **ان من أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاســنكم أخلاقا** » .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الصورة الحية الناطقـة التى طبقت ــ كمبادىء انســانية ممكنة ــ الخلق الذى رسمه الله واحبه للانسانية جمعاء والذى عبرت عنه السنة أجمل تعبير وابلغه .

لقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها ــ كيف كان خلق رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ؟ .. **قالت ، كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن .. ثم قالت: اتقرا سورة المؤمنون اقرأ : (قــد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغــو معرضون ، والذين هم للزكـــاة**

فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجكم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون ،الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) . قالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن أجل هذا التقدير الكريم للسنة الشريفة ، كان العلماء المستنيرون فى كل عصر يجاهدون من اجلها ومن أجل مكارم الاخلاق التى تعبر عنها . وكان هؤلاء العلماء علماء السنة يعرفون بسيماهم . فقد كانوا من الزهد فى حطام الدنيابحيث لا ينازعون الناس فى دنياهم .

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء : **« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير ، تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب » .**

وكانوا صادقين ، ، لقد كان الصدق ديدنهم وفطرتهم مهما نالهم فى سبيله من اذى وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل .

لقد اقاموا نهارهم وأسهروا ليلهم عملا على مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

والمثل الذى نحب أن نسوقه — كصورة لهؤلاء القوم — هو الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، انه المحدث الذى حاول ان يكون صورة صادقة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الزاوية الاخلاقية .

وسيرة الامام — رضوان الله عليه — مثل أعلى فى التمسك بما يراه حقا ، وفى الصبر على ما يناله فى سبيل التمسك بالحق .

على ان كل من تشبع بالسنة حقا انما هو صورة — قريبة بقدر المستطاع — من الامام احمد .

ولقد كان الامام البخارى وغيره ممن اشربت نفوسهم حب السنة امثلة كريمة للخلق الكريم .

ومن الامثلة التى يجهلها الناس عادة وهى مثال رائع لخلق المحدثين مثال الامام سفيان الثورى .

يقول صاحب كتاب (نتائج الافكار القدسية) عنه : كان عالم هذه الامة وعابدها وزاهدها ،وكان لايعلم احدا العلم حتى يتعلم الادب ، ولو فى عشرين سنة ، وكان يقول :

اذا فسد العلماء فمن بقى فى الدنيا يصلحهم ؟ .. ثم ينشد :

يا معشر العلماء يا ملح البلد
ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وكان سفيان المذكور ، كما حكى عنه فى الطبقات الصغرى ، اذا جلس للعلم واعجبه منطقه ، يقطع الكلام ويقوم ويقول : « اخذنا ونحن لا نشعر » .. وكان يملى الحديث ويقول : « والله لو رآنى عمر بن الخطاب لضربنى بالدرة وأقامنى وقال : مثلك لا يصلح للحديث »وكان يقول للناس اذا طلبوا منه الحديث: « والله ما أرى نفسى أهلا لاملاء الحديث ، ولا انتم اهلا ان تسمعوه، وما مثلى ومثلكم الا كما قال القائل (افتضحوا فاصطلحوا) . وكان قد امتنع من الجلوس للعلم ، فقيل له

فى ذلك فقال : « والله لـو علمت انهم يريدون بالعلم وجه الله لاتيتهم فى بيوتهم وعلمتهم ، ولكن انمـــا يريدون به المباهاة وقولهم حـدثنا سفيان » .

لقد وقفت طويلا عند قوله : « اذا جلس للعلم وأعجبه منطقه يقطـع الكلام ويقوم ويقول : « أخذنا ونحن لا نشعر » .

لقد أخذت أتأمل فى هذه الحادثة التى تعبر عن محاولة مخلصـــة للابتعاد عن الفخر والعجب ، وذلك من أجل اخلاص النفس فى حركاتها وأفعالها وأقوالها لله وحده .

ان الناس عادة يباهون بمنطقهم القوى ، وبأقوالهم الحسنة ، وبتعلق الناس بهم ، ويحبون المدح والثناء .

أما سفيان فانه حينما كان يجلس للدرس فتتعلق الآذان بمنطقـــه الرائع ، وتتعلق القلوب بمعانيـــه النفيسة ، وتمتد اليه الاعين لا تريد أن تفوتها حركة من حركاته ،ويسكت الناس وكأن على رؤوسهم الطير ، فيجد سفيان أحيانا لكل ذلك أثـرا من الارتياح فى نفســـه ، يعتريه مباشرة الخوف من أن يكون ذلـك اعجابا أو فخرا أو كبرياء ، فيستغفر الله : ويطوى أوراقه ، ويقول كلمته: (أخذنا ونحن لا نشعر) .

والامثلة للخلق الكريم هـدف ــ دائما ــ لسهام العصابات الاثيمـة التى استهواها الشيطان فى قليل أو فى كثير ، انه النزاع الدائم بين الفضيلة وأصحابها وبين الممثلـين لنزعات الهوى والضلال .. ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الاخلاق فى كل عصر ، لفقدت الانسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن انسان لانسان، ولما وثق شخص بآخر .

لقـــد ربت السنة رجـالا ، وخصائصها التى ربت بها الرجـال موجودة فيها لانها من طبيعتها ومن ذاتها ، لقد شـــــهدت الانسانية واعترفت بسمو هــؤلاء الرجال ، وأولتهم ثقتها وتقديرها .

ان الامام أحمد بن حنبل ، وان الامام البخارى ، وان أمير المؤمنين فى الحديث الامام سفيان الثـورى وأمثال هؤلاء ــ رضى الله عنهم ــ منارات يهتـدى بها عشاق المثـل العليا الاخلاقية .

لا بد ــ اذن ــ من العمل على نشر السنة واذاعتها ، ومحـاولة الاكثار من النفوس التى تتشربهـا وتحققها وتتمثلها وتجعلها كيـان حياتها .

لا بد من نشرها وطنية . ولا بد من نشرها دينيا .

ولا بد من نشرها انســـانية لانها تعبرعن أرقى مستوى انسانى.

ولا بد من نشرها ذوقا أدبيا .

ولا بد من نشرها للثروة اللغوية .

ومن أجل ذلك كله شرعنا بتوفيق الله تعالى فى انشاء كلية للسنة . مبتدئين فى ذلك بالنواة الاولى لهـا وهى (القسم العالى للسنة) الذى يتبع مؤقتنا كلية أصول الدين .

* * *

وان أول هذه الكتب وأجـدرها بالعناية وبتكرار القراءة هو صحيح البخارى ، ورضى الله عن مؤلفه .. وصحيح البخارى يفيد فى :

١ ــ اللغة ، فهو ثروة لغـوية هائلة ، والامام البخارى يفسر فى كثير من الاحيان بعض الالفاظ ، ومنها ألفاظ القرآن الكريم .

٢ ــ الاسلوب ، انه أعلىأسلوب بشرى فهو اسلوب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى أوتى الفصاحة والبلاغة وجوامع الكلم .

٣ ــ أحكام الدين : ان الامـام البخارى ــ رضى الله عنه ــ رتبه

على ابواب الفقه ، وفى كل حديث منه توجيه او شرح لزاوية من زوايا الدين .

٤ — الاخلاق فى ذروتها وقمتها : والله سبحانه وتعالى يقـــول عن صاحبها : (وانك لعلى خلق عظيم) .

٥ — وقراءته تفيد كثيرا فى فهم القرآن ، بل يمكنك أن تقول انهـا كلها فوائد فى فهم القرآن ، انهـا تفيد فى ناحية اللغة ، وتفيد من ناحية العمق فى فهم الاسلوب ، وتفيـد كثيرا من ناحية ما تذكره عن أسباب نزول الايات ، وتفيد فى فهم القرآن حينما تتحدث بطـــريقة مباشرة عن تفسير القرآن الكريم .

٦ — ولقد سئلت مرة عن أحسن سيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : صحيح البخــارى وصحيح مســـلم وكل الاحـاديث الصحيحة .. وذلك أن سيرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — تبدو أوضح ما تكون وأدق ما تكون فى الاحاديث الصحيحة ، وكل حـديث منها هو سيرة ، سواء تعلق بالاخلاق أو بالغـــزوات أو بالعبـادات أو بالتشريـــع .

وهى تفيد فى تصوير البيئة والجو الذى كان يعيش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفيد فى بيـان مدى التغيير والتبديل الذى أحـدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيئته عن طريق الوحى .

٧ — وقراءته عبادة ، وذلك أنـه تعلم لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتفقه فى أحـــكام الدين : ووسيلة للتخلق بأخلاق من قال فيه الامام البوصيرى :

ومنتهى القول فيـــه أنه بشر
وانـــه خير خلق الله كلهـم

والامر كذلك فيما يتعلق بصحيح الامام مسلم .

واذا كان صحيح الامام البخارى أصح كتاب بعد القرآن الكريم ، فان صحيح الامام مسلم لا يكاد يقل عن هذه المرتبة ، وكلاهما من الكتـب المباركة .. والفوائد التى تترتب على القراءة فى كتاب البخارى هى الفوائد التى تترتب على القراءة فى صـــحيح الامام مسلم ، وهى الفوائـــد التى تترتب على قراءة الموطأ للامام مالك رضى الله عنه .

واذا كان موطأ الامام مالك هـــو أولا وبالذات كتاب فقه ، فانه يستند فى آرائه الى الاحاديث الشريفـــة ، ويرتبها بحسب الباب الذى يتحدث فيه وبحسب فصول الباب .. انــه كتاب (فقه) فى الصورة المثاليــة للفقه ، وهو كتاب (حديث) مـــن أوثق كتب الحديث ، وهو يشترك مع الصحيحين فى أنه يصور الســـيرة النبوية بالمعنى العام للسيرة .

وان من الكتب المباركة التى يجب أن تكون عند كل مسلم ، كتاب رياض الصالحين .. ولقد تحرى الامـــام النووى أن لا يدخل فيه الا الصحيح والحسن من الاحاديث ، وهو كتاب يصف الاخلاق الاسلامية فى مكارمها وفى سموها .

وبعد : فان السنة النبوية الشريفة هى تصوير لاكرم الخلق على الله ، انها صورة لمن جعله الله أسوة حسنة : فقراءتها وتدارسها وتدريســـها انما هو وسيلة لاتباعه صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك اتباع للخير ونشر له . وصلوات الله وسلامه على من كان خلقه القرآن .

من هدي السنة

حق الله وحق العباد

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

> عن معاذ رضى الله عنه قال : كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير(١) فقال يا معاذ : هل تدرى حق الله على عباده ، وحق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، قلت يا رسول الله : أفلا أبشر به الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا ..
>
> (رواه الامام البخارى)

١ ــ من تعمق فى دراسة المجتمع الانســانى ، وغاص فى بحــاره ، وأدرك مخبأته ، وشــاهد اختلاف المشارب والمآرب ، وتباين الاهداف وتنوع الغايات ، خرج بنتيجة ملزمة، هى الايمان بوجود الله تعالى ، وثبت له بما لا يقبل الجدل ، ان هذا الاله لا شريك له ، فهــو المتوحد فى ربوبيتــه المتفرد فى عظمتــه ، المخصوص بالعبادة ، سبحانه ابتدأ من لا شىء كل ما أنشــأ ، فالآيات الواضحة والحجج الظاهرة ، تشهد له بالعزة والقـــدرة ، والعظمــة والجبروت ، هو الأول بلا أبد يحصى، والباقى بلا أمد يفنى ، عالم بخفيات الامور ، وخطرات القلوب ((**لا يعزب عن علمه مثقــال ذرة فى الارض ولا فى السماء**)) . قال جل شأنه : ((**ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلــك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ..**)) ويقول جلا وعلا : ((**وعنــــده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعـــلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين**)) محيى من حى ومهلك من هلك ، لا يغلبه

غالب ، ولا يند عن سلطانه كائن ، هو العالى فى مشيئته ، والقاهر فى عباده ، المنزه عن مشابهة خلقه كما قال : ((**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**)) خلق الانسان بقدرته وهداه النجدين برحمته ، وأوضح له السبيل الى معرفته : ((**الذى أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون**)) ثم خاطب فى الانسان عقله ، ودعاه الى التبصر فيما حوله ، وأرشده الى معالم ربوبيته ، فقال فى محكم تنزيله : ((**يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون**)) ثم أمتن على عبده بالزوجة الصالحة الوفية المؤمنة بربها الراكنة الى مولاها فقال تعالى : ((**ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) ثم دله على مظاهر قدرته فى ابداع السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، وتباين الالسنة والالوان ، وما ذلك بمستكن عنا ، ولا بعيد عن متناول حواسنا فقال تسامت عظمته : ((**ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين**)) .

واشار سبحانه الى انه وحده الحافظ لعباده حين يتوفاهم بالنوم ، ومنجيهم عن الهلاك على يد هوام الارض ، ودوابها ، والرازق لهم دون سواه ، حين ينتشرون فى فجاج الارض كادحين باحثين عن أقواتهم : ((**ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون**)) وما الظواهر الكونية والتقلبات الطبيعية الا برهان لنا على عظمته ، ودليل على ضعف الانسان ووهنه : ((**ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون**)) وها هو ذا سبحانه أبدع السماء ورفعها وبسط الارض ودحاها ، وأمسكهما بقدرته أن تزولا ، ولم يشركه أحد فيها فلم تفسدا ، فبأمره وحده يتم كل شيء ، فاذا دعا الموتى الى النشور بادروا ولم يستطيعوا عن ذلك حولا : ((**ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون**)) يدين له بالطاعة والعبادة من وما فى السموات والارض : ((**وله من السموات والارض كل له قانتون**)) .

دعا عباده الى الاستدلال على وجوده وهيمنته بما بطن لهم من أمور الحياة وما ظهر ، وما أراهم من بديع حكمته ، وجميل صنعته ، وضعفهم أمام قهره وغلبته ، وساءلهم : ما الذى غركم بربكم حتى تنكصوا عن طاعته : ((**يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك ، فى أى صورة ما شاء ركبك**)) ألا تتفكر فى خلق السماء ورفعها بغير عمد ترى ، وما يسبح فى الفلك من شمس وقمر ، ونجوم مسخرات بأمره ، لا يستقيم أمر العالم الا بها ، فهى تعلمك سير الازمنة التى فيها صلاح الحرث والنسل ، واحياء الارض ، وتعاور الليل والنهار : ((**وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا**)) .. ((**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك**

تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » . ثم هذه الجبال التى جعلها للارض أوتادا ، وأرساها على نظام بديع ، وتلك الانهار التى أجراها لنحيا بمائها ، والبحار التى تستخرج منها طعامك وزينتك ، قال تعالى :

« وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » .

٢ — لقد وصل العلم أو قارب ذروته ، وبرز الى العيان فى عصرنا ما كان يعد الحديث فيه أو عنه ضربا من الخيال أو الخبال ، فرأينا العجب العجاب الآخذ بالالباب من مذياع وتلفاز وشاهدنا الذرة وكيف تبيد أمما فى لحظات وتفنى ممالك فى طرفة عين ، والكهرباء ، وكيف تشفى العلل وتنير الدجنات ، وتسير ما دق وما عظم من آلات ، ثم كيف تنقلب ماردا مهلكا فتقتل الأنفس وتهلك الحرث والنسل ، كل هذا تعرف عليه وافد من وادى عبقر ، ولكن أى عبقرى أو صاحب جاه أو سلطان يستطيع أن يصد عن نفسه عاديات الأيام ، أو يؤخر ميقات رحيله اذا واتاه القدر المحتوم ، كلا فالله تبارك وتعالى يقول وهو الصادق القادر : **« اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون »** . . وهل استطاع أو يستطيع عالم أن يوقف حركة الليل

والنهار ، أو يطمس معالم البحار ، أو يحصى نجوم السماء ورمال الصحراء ، أو هل يستطيع واحد من هؤلاء أن يرد على تحدى ابراهيم عليه السلام : **« ان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب »** أو هل فى امكان أحد أن يقطع صلته برب كل شيء فلا يتضرع اليه اذا أصابته البأساء ، أو مسه ضر ، أو لاحقته البلواء ؟ لا وربى : انما يتصاغر

الانسان ويضعف ويهن وتخور قواه، عند الملمات ، ويبطر ويتكبر ، اذا أنعم الله عليه ، وقد ضرب الله تبارك وتعالى المثل لحالى ابن آدم فى استكانته وضعفه ، وتعاليه وتجبره ،

فقال عز من قائل : **« هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق .. »** الآية . والعجب لابن آدم أن يظن عند نجاته من المآزق أنه سلم مدى الحياة ، ولم يدرك أن الحياة حائلة متقلبة لا تدوم على حال ، وأن نهايتها حتمية ، وأن مردنا الى الله العليم الخبير : **« يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ، ثم الينا مرجعكم ، فننبئكم بما كنتم تعملون »** .

٣ — اذا كان الانسان بهذه المثابة من الضعف أمام أعاصير الحياة ، وأن ملاذه الوحيد هو عون الله ، وحده ، فلماذا يشرك به غيره ،

وينكص على عقبيه متباعدا عن هديه ونوره ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، ان المؤمن الصادق الموقن بربه عن دليل — وفى كل شيء آية تدل على

انه الواحد — لا يزعزع ايمانه شيء مهما عظم ، فهو يوقن أن عظمة مولاه فوق كل عظمة وجاهه دونه كل جاه وعطاؤه يتضاءل أمامه كل عطاء ، وهل يستوى خالق ومخلوق ، حاشا وكلا . . المؤمن الصادق يقاوم الشرك فى نفسه وبين قومه ولو كلفه ذلك

روحه ما دام يقيم بذلك حقا ويبيد باطلا ، وكيف يتراخى عن نصرة حدود الله تبارك وتعالى من يدرك أن لكل اجل كتابا وأن أشرف حالة لفراق

الدنيا هى ما كانت فى سبيل الله ، ولله وحده ، على أن ما يراد منا لا يكلفنا ذلك أبدا ، ولا يصل بنا الى تلك الحالة مهما كان ، فما يطلب من

المسلمين الآن الا أن يرجعوا الى ربهم ، ويستجيبوا لبارئهم ، ويقيموا حدوده كما يجب أن تكون ، المطلوب

ان يحاسب كل مسلم نفسه التى بين جنبيه عما اجترحت من السيئات فى جنب الله ، وليعلم علم اليقين أن الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين :

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » وحبل الوريد عرق فى العنق اذا قطع مات صاحبه ، وأن

يدركوا سمة المجتمع الاسلامى فيرسوا قواعد مجتمعاتهم على أسس اسلامية قويمة كما أمر الله تبارك

وتعالى : **« الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »**

فلا يدعوا منكرا فاشيا فيهم الا عملوا على ازالته ، ولا فضيلة محمودة الا تمسكوا بها ، حتى يغير الله أحوالهم الى أحسن مما هم عليه : **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »** يجب أن تكون أيامنا هذه حدا فاصلا بين عهدين ، عهد العمى عن الحق والغواية والضلال ، وعهد الهدى والنور وأن نستمع القول فنتبع أحسنه ، وأن نتخذ ما نتعلم وسيلة للعمل حتى يكون حجة لنا لا علينا وأن نسعى جاهدين ليحتل كتاب الله مكانته فى التشريع والقضاء وفض الخصومات بين شعوب الارض جميعا ، بعد أن نبرهن على صلاحيته

لهذه المهمة بتطبيقه على واقعنا أولا وقبل كل شيء ، وكيف ندعى الاسلام ولا نحتكم الى كتاب الله والله تبارك وتعالى يقول : **« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »** ..

٤ — تلك معان تداعت الى النفس ان شئت أو الى القلب ان أردت حين وجدتنى بعيدا عن أحباب كنت ألتقى بهم صباح مساء فأجد فى لقائهم برد الايمان وراحة اليقين ، وكنت كلما حزبنى أمر — وما أكثر ملمات الحياة — أفزع الى رأى شقيقى روح فأجد العزاء وأنس الروح ، فأعود راضيا ،

وانقلب أشد ايمانا بالأخوة فى الله كما رسم سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما دعيت — وتنفيذا للمقدر أجبت ، ومن كتبت عليه خطى مشاها — جلت فى المدينة

الغربية (بالغين المعجمة) حيث أقيم الآن وحيدا على ضفاف النهر الذى يخترقها منذ آلاف السنين حاملا بين جنباته الرى والخير وعلى ظهره ظلمات نفوس ماجنة عابثة ، ينوء

بحملها ويود أن لو انقلبت طعاما لاسماكه ، وجدتنى باحثا عن الانسان الذى فقه وجوده ، وعرف سر مجيئه

من عالم الغيب ، الانسان الذى يحترم انسانيته ويضعها فى المكان المراد لها بين الكائنات المحيطة به ، فلم أعثر له على أثر فى هذه الجموع الصاخبة المتلاطمة كأمواج بحر هائج ، أفزعته

ريح صرصر عاتيـــة ، فأخذ يضرب نفسه بنفسه يمينا وشـــمالا طالبا النجاة ولكن هيهات ، وجلست متأملا تلك الطبيعة الناضرة والوجوه التى تبدو كئيبة رغم ملاحتها خلقة، وتذكرت — وما كنت ناسيا — أن الله يريد

بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، وأضاء أمامى الحديث الشريف الذى جعلته عنوان البحث حيث وجدت فيه رحمة الله بعباده ، ولـــكنها رحمة مشروطة ، ولكل شيء ثمن وغاية ، فالعباد بخير ما لم يشركوا بالله شيئا ولكن أنى يتحقق للانسان المعـــاصر الذى أرى هـــذا الشرط وقد قامت مجتمعاته على أسس إلحادية فكفرت بالمثل ، وعصت الرسل ، ونسيت

حقوق رب العالمين الذى تبدو آثار قدرته ودلائل وجوده وقيوميته فى كل شيء بدا أو اختفى .. فانطمست المعـــالم الخيرة فى تلك الأنفس ، وتحولت حيوانات من نوع تشمئز منه العجماوات نوع لم يوضع له تعريف فلا هو بالانسان ولا هو بالأعجم ،

وعجبا وأى عجب لفلاسفة ناسبوا زمانهم فجعلوا الخروج عن الحقائق المسلمة فلسفة ، وأنشأوا لها كراسي فى جامعاتهم تتولى تقديمها ثقـــافة للناشئة المنكوبة فيهم وفى نفسها ، والويل للانسانية ان لم يتداركهـــا لطف الله ، وبأى شكل يكون ؟ علم ذلك عند علام الغيوب ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، ولئن كانت فى الاجل بقية فستكون للقلم جولة أخرى فى هذا الميدان ، ميدان

المجتمع المعـــــاصر وفلاســــفته البوهميين ، والسلام على من اتبع الهدى .

---

(١) عفير : تصغير أعفر ، كما ورد فى تصغير أسود ســـويد ، والعفرة : حمرة يخالطها بياض ، وورد أن عفير : حمار أهداه المقوقس الى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، وأن هناك آخر يقال له : يعفور أهداه فروة بن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قراءات

ذاكرة

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ: ما أرى ذاكرة الشعوب الا كهذه اللوحات السود التى توضع للطلاب والتلاميذ فى غرفات الدرس وحجراته يثبت عليها هذا الاستاذ ما يمحوه ذاك ، وهى قابلة للمحو والاثبات ، لا تستبقى شيئا ولا تمتنع على شىء.

قال الاستاذ الشيخ لتلميذه الفتى: هذا حق ، ولكن وراء هذه اللوحات السود فى ضمائر الشعوب ، لوحات أخرى ناصعة تحفظ مايسجل التاريخ من أعمال الناس . ومن وراء هذه وتلك كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، ثم يسأل أصحابها عنها يوم لا تنفع خلة ولا شفاعة .فأضعف الناس عقلا وأوهنهم عزما وأكلهم حدا هو الذى لا يحفل الا باللوحات السود . والرجل الماهر الاثر ذو القلب الذكى والبصيرة النافذة ، هو الذى يحفل بما وراءها من هذه اللوحات الناصعة التى يكتب فيها التاريخ . والرجل كل الرجل هو الذى يمتاز بالضمير الحى والقلب النقى والنفس الزكية ، فلا يحفل بهذه ولا تلك ، وانما يحفل بهذا الكتاب الذى تحصى الحفظة فيه على الناس أعمالهم ، لتعرض عليهم بين يدى اله فى يوم مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون .

طه حسين

الأدب المكشوف

مليون نسخة فى مدينة القاهرة وحدها من كتب الاسرار الجنسية . هكذا تقول الصحف .. وهى حالة يتعلم منها الكبار ما ينبغى لهم أن يتعلموه من حقائق هذه الاسرار .

وأول ما يتعلمونه من دروسها أنهم يخطئون حين يظنون أن الاقبال على الكتب الجنسية نتيجة من نتائج الكبت والحجر على علاقات الفتيان والفتيات فان مثل هذا العدد من الكتب لم ينتشر فى مدينة القاهرة أيام البراقع والستائر والمقاصيروالخصيان مع حساب الفارق فى عدد القارئين والقارئات .

ومن دروس هذه الحالة للكبار قبل الصغار أن الادب الذى يسمونه بالادب المكشوف ليس بالنهضة التقدمية التى نستحث لها خطوات الابناء والفتيات وانما هو عارض من عوارض الضعف التى تنم على الحاجة الى التربية والرياضة الخلقية وتدل على أن الشباب مفتقر الى ضبط الارادة فى هذه الفتنة ، وليس بالمفتقر الى اطلاق الارادة لاستباحة ما يباح والا يباح .

العقاد

حكم المسكرات في الإسلام

حقيقة الخمر وحكمة تحريمها

د. محمد سلام مدكور

من الجلى الواضح لمن مارس هذا الدين ممارسة فاحصة ، وتأمل فى أحكامه وتشريعاته ، أنه يجده يتجه الى ربط الاحكام بما يصلح العباد . فيدعو اليه بما فيه من مصلحة لهم فى نفوسهم ، أو مجتمعاتهم ، أو علاقات بعضهم مع بعض ، وينظر الى ما فيه مفسدة أو مفاسد ، فينهى عنه ، وينفر منه ، بمقدار ما فيه من مفسدة تعود على المكلف ، أو على ما بينه وبين الآخرين من علاقات ، وملابسات فى أسرته أو فى أمته ، أو فيما بين أمة وأمة أخرى . وهذا المعنى تركز عليه الشريعة وتدل عليه نصوصها صراحة أو ايماء . ومن ذلك قوله تعالى (وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ، وقد عرف الشارع كيف يتوخى فى تشريعه ناحية المصلحة ، وكيف يهدف الى أن يشرح صدور المكلفين الى الانبعاث الى عبادته ، والاتجاه الى امتثال أمره ونهيه .

ومن قرأ قوله سبحانه (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ..) عرف كيف يتجه الشارع الى تقويم شئون العباد ، والحيلولة بينهم وبين الفساد ، وكيف يتجه بهم الى توخى مقاصد الشريعة بتعليل أحكامها والتوجيه الى أسرارها . وقد مهد الشارع للدعوة الى اجتناب الخمر ببيان ما تجمعه وتحويه من المفاسد ، بعد أن بين قبل ذلك أن ما فيها من آثام وأضرار أكثر مما فيها من منافع ، وصور أنها رجس من عمل الشيطان ، ثم رتب على ذلك أن الفلاح منوط باجتنابها والبُعد عن تعاطيها . فهو تشريع تكليفى بيَّن ناحيتين عظيمتين من نواحى التوجيه الى امتثاله :

احداهما تمهيد له وهو بيان ما فيها من مفاسد .
والثانية ثمرة الامتثال وهو بيان ما يترتب عليه من المنافع والمصالح المنحصرة فيما تنشده جميع النفوس من الفلاح .

وكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية تنادى من تأمل فيها بأن الشارع الحكيم لم يكن عابثا ــ ان صح منا هذا التعبير ــ فيما يوجه اليه من أحكام شرعية فهو سبحانه يقول : « ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » . . فلا يدع التشريع غير معلل رحمة بالعباد ، حتى يعملوا عقولهم ، ويروضوا نفوسهم على الامتثال والطاعة . ويقول سبحانه : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا » فهى جزئية كانت تستهين بها الناس فى جاهليتها ، ولا تدرى ما يترتب عليها من الضرر فى ملابساتها ، ولكن لطف الله بعباده ورفقه بهم أبى الا أن يعللها بثلاث علل :

انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا . ويقول سبحانه : « ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » . وهكذا النصوص الكثيرة المعللة ، وهذا أمر واسع جدا ، وفسيح لمن تأمله ، وحاول استيعابه .

ونوعية العقوبة عليها

وانما سبيلنا أن نلقى الضوء على هذا وأمثاله ليحاول استيعابه من حرص على التحقق منه ، والتأكد من صحته . بل اتجه بعض الفقهاء والاصوليين الى أن الأحكام مرتبطة بالمصالح ، وان اختلفت فى ظاهرها مع دلالة بعض النصوص ذهابا من القائلين بذلك الى أنه لا يعقل أبدا أن يكون هناك تشريع الا وفيه رحمة بالعباد ورأفة بهم ، حتى لا يزيغوا عن القصد ولا يضلوا السبيل . حتى قالت بعض الطوائف الاسلامية بقاعدة مشهورة عنها وهى : الحسن والقبح عقليان ، على معنى أن الشرع يطلب الشىء ويدعو اليه ويأمر به بمقدار ما فيه من مصلحة متأكدة أو راجحة ، ورتب الفقهاء على هذا الاتجاه أن الاحكام الشرعية التى لم يرد فيها نص صريح يمكن أن تتغير وتتبدل بتغير المصالح المرتبطة بها أو اختلاف المفاسد المترتبة عليها .

وفى هذا المقام يقول الامام الغزالى فى المستصفى : مقصد الشارع منحصر فى الضروريات الخمس التى هى الدين والنفس والعقل والمال والنسل . فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة ، وكل ما يفوتها فهو مفسدة ، ودفعه مصلحة .

والواقع أن الشارع يراعى المصلحة فى نصوصه فيكتفى فى كثير من الأحكام بذكر جزئيات تلمح الى ما فيه المصلحة ، كما أنه كثيرا ما يقرن الحكم بحكمته صراحة ، وأحيانا بالنصوص العامة التى تدل على ربط الاحكام بالمصالح .

ومراتب المصالح حسب مقصود الشريعة : ضرورية لا بد منها لقيام حياة الناس ، ومن ذلك أصول العبادات التى ترجع الى حفظ الدين ، والعادات التى ترجع الى حفظ النفس والعقل والصلات ، والمعاملات التى ترجع الى حفظ النسل

والمال . وتلك النواحي الخمس الضرورية يقول الغزالي : ان حرمتها لم تبح في ملة قط . وقد أفاض الشاطبي في بحث هذا الموضوع وهو يتحدث عن الضروريات الخمس .

فالمحافظة على العقل اذن أمر ضروري يتطلبه الدين ، ذلك أن العقل هو الاساس المقوم للانسانية في الانسان ، وهو مناط التكليف ومرجع المسئولية فيما يرجع الى المرء من افعال يحاسب عليها في دنياه ، فيثاب أو يعاقب على حسب ما يتوخاه من امتثال أوامر الله وتحقيق حسن الصلة بينه وبين غيره سواء أكان خالقا أم مخلوقا ، وبدون العقل لا يمكن أن تتحقق مسئولية ، واذا لم تتحقق هذه المسئولية فان الناس يكونون هملا ، ويعيشون فوضى ، كما تعيش البهائم لا تعرف الا طعامها وشهوتها ، وبهذا يكون الخلق عبثا ، ويكون تمييز الانسان عن غيره من أصناف المخلوقات بالتكليف أمرا غير معقول ولا لائق أن يقع من خالق الانسان الذى خلقه ليكون في الارض خليفة ، يعمرها بعقله ، وينظمها بتفكيره فاذا زال هذا العقل لم يكن هناك تكليف ، ولم يتوجه خطاب الى انسان يعرف ماله وما عليه .

ولقد أحسن الفقهاء فأداروا صفة العقل حول كل ما كلف به الانسان من عبادات أو معاملات . فالعبادات لا يكلف بها الا عاقل ، ولا تصح اذا وقعت الا من عاقل ، وكذلك المعاملات فانهم اشترطوا لصحتها الأهلية ، ولا بد لتحققها من العقل .

لهذا كان الشارع حريصا على حفظ العقل وحياطته باطار صلب حتى لا يتسرب اليه شيء من الخلل أو الفساد ، فيبقى الانسان متمتعا بانسانيته حريصا على اكتمالها ، مصلحا في الأرض ، فاذا شرب الخمر أو ما فيه معنى الخمر من المسكرات التى تجعل على عقله غشاوة ، وتحول بينه وبين التمييز بين الحسن والقبيح تخبَّط في عيشه ، وتمادى في غيه ، واجترأ على كل ما لا يمكن أن يفكر فيه وهو محتفظ بعقله ، متمسك بسلامة اداركه وتفكيره .

وانا لنلمس هذه الناحية في كل من يتعاطون الخمر ، ويحتسون كؤوسها ، فنجد أنهم يستحسنون ما يستقبحه الصبية الذين لهم أدنى شعور وتفكير ، فيقدمون على أفعال لا يشعرون بآثارها ونتائجها الا بعد افاقتهم من نشوتها ، ثم يقع الندم ولات ساعة مندم . وما أكثر ما سمعنا عن ضحايا هذا الرجس الخبيث حين يقدم شاربو الخمر على قتل الأنفس التى حرم الله الا بالحق ، وعلى استباحة الاعراض ، وعلى بعثرة الأموال ، وعلى الاستهداف لخصومات الناس وعداوتهم بهتك أستار التقاليد ، والاجتراء على السب والشتم والضرب ، وارتكاب كل جريمة من الجرائم الأدبية ، والخلقية ، مما تجمعه كلمة واحدة من جوامع كلم الرسول صلوات الله عليه وسلامه اذ يقول فيما روى عنه : « الخمر أم الخبائث » وفي كلمة أخرى مثلها : « الخمر مفتاح كل شر » مما جعل العرب في جاهليتهم يسمونها اثما كما قال الشاعر الجاهلي :

شربتُ الإثم حتى ضلّ عقلي   كذاك الخمر تفعل بالعقول

ومن ربط بين هاته الناحية وبين تدرج الشارع في التشريع اذ بدأ فأباحها كما يقول بعض الفقهاء في تفسير قوله تعالى « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » وكان ذلك تمشيا مع عقول من دخلوا في الاسلام ممن ألفوا شربها ، ثم تدرج فوصفها بما فيها من اثم مع تلك المنافع التى كانوا ينتفعون بها ، وكانت أيضا اثما عندهم كما قلنا ، وكان فيها منافع فربط بين

هاتين الناحيتين : وهى كونها اثما كما يقوله المصلحون منهم ، وكونها منافع كما يتوهمونه أيضا .

ومن أبرز صور الانتفاع بها الاتجار فيها ، والربح المادى من ورائها ، أما ما فيها من آثام فهى ترجع لأمور كثيرة ، فهى كما يقول الشيخ رشيد رضا : (١) سبب لوقوع العداوة والبغضاء بين الناس حتى الأصدقاء منهم ، وكثيرا ما ينشأ عن العداوة والبغضاء التى يثيرها السكر : القتل والضرب ، والعدوان ، والسب والفسق والفحش ، وافشاء الاسرار ، وهتك الاستار ، وخيانة الحكومات والاوطان ، ويكفى فى تصديق ذلك والدلالة عليه قول الله تعالى بعد أن وصف الخمر بأنها رجس ، وأمر باجتنابها : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون » ويكفى ان الله قد وصفها بالرجس الذى يدل على منتهى القبح ، والرجس فى اللغة : الشىء القذر . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخمر أم الفواحش ، وأكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع مع أمه وخالته وعمته » .

واذا نظرت فى قول الله تعالى « انما الخمر والميسر .. » لوجدته صدر الجملة بإنما الدالة على الحصر للمبالغة فى ذمها فكأنه قال : ليست الخمر الا رجسا ، كما أنه جعلها من عمل الشيطان ، وهو العدو الأكبر لعباد الله المؤمنين .

على أن أكثر الناس حتى فى الدول المتقدمة علميا وحضاريا يعتقدون أن الخمر شديدة الضرر فى الجسم والعقل والمال وآداب الاجتماع ، حتى ألف الغربيون والشرقيون من غير المسلمين جمعيات للنهى عن شرب الخمر ، والسعى لابعاد الناس عن ادمانها ، وبيان ما يترتب على ذلك من اضرار بدنية وخلقية ومالية ، وكان من أقوى هذه الجمعيات منذ عهد قريب الجمعية التى أنشئت فى الولايات المتحدة . ومن العجيب أن يدخل بعض المسلمين فى هذه الجمعيات وينشئون لها فروعا فى البلاد الاسلامية ، وما أجدرهم أن يكونوا هم الائمة المتبوعين فى هذا أخذا بتعاليم دينهم ، وقد نشرت احدى الطبيبات الالمانيات مقالا ضد تعاطى الخمور تقول فيه : (٢) « اقفلوا لى نصف الحانات ، أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والمارستانات والملاجىء والسجون » .

وقد ثبت أن السكر يضعف الجنود عن القيام بأعباء الحرب ، واحتمال أثقالها ، والتنبه الى مفاجآتها ، حتى قررت بعض الدول ابطال الخمور بها مدة الحرب .

والخمر بما تفقد من الوعى وبما تهيج من شهوات ونزوات تفقد شاربيها فى العادة حساسيتهم ، وتوقعهم فى مشاحنات ، وان غيبوبة السكر تنافى اليقظة الدائمة التى يفرضها الاسلام على قلب المسلم ليكون موصولا بالله فى كل لحظة ، مراقبا له فى كل خطوة ، ثم ليكون بهذه اليقظة عاملا ايجابيا فى نماء الحياة وتجددها ، وفى حماية نفسه وماله وعرضه ، وحماية أمن الجماعة من كل اعتداء ظاهر أو خفى والفرد المسلم ليس متروكا لذاته وللذاته ، فعليه فى كل لحظة تكاليف تستوجب اليقظة الدائمة ، حتى حين يستمتع بالطيبات فان الاسلام يحتم عليه أن يكون يقظا لهذا المتاع ، فلا يصبح عبدا لشهوة أو لذة ، وأسيرا لعادة أو خصلة . وغيبوبة السكر لا تتفق فى شىء مع هذا الاتجاه ، ثم ان هذه الغيبوبة فى حقيقتها ان هى الا هروب من واقع الحياة فى فترة من الفترات ، والاسلام ينكر على الانسان هذا الطريق ، ويريد من الناس أن يروا الحقائق وأن

يواجهوها وأن يصرفوا حياتهم وفقها ، وهذا وحده كاف لتحريم الخمر من وجهة النظر الاسلامية ، وتحريم كل ما يشاركها فى علة التحريم . وبذا تكون حكمة تحريم الخمر قد ظهرت جلية واضحة لكل من له عقل .

اباح الشارع السكر فى بادىء الأمر على ما قلنا ، ثم انتقل من ذلك الى بيان أن اثمها أكبر من نفعها وافحش ، إثر سؤال وجه الى الرسول عليه الصلاة والسلام فجاء الوحي بقوله تعالى « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » .

أخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت هذه الآية شربها قوم لقوله : « منافع للناس » وتركها قوم لقوله : « إثم كبير » . حتى نزل قول الله تعالى : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » . فتركها قوم وشربها قوم يتركونها بالنهار حين الصلاة ويشربونها بالليل ، وهكذا حتى نزلت آية تحريم الخمر وهى قوله سبحانه : « انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . فتركها الناس .

وقد جعل الشارع الأمر بتركها من مادة الاجتناب اذ يقول : « فاجتنبوه » وهو ابلغ من الترك لأنه يفيد الأمر بالترك مع البعد عن المتروك ، ولم يؤكد القرآن التحريم فى شىء بمثل ما أكد به التحريم هنا ، وحكمته شدة افتتان الناس بشرب الخمر ، وتناولهم كل ما يمكن تطرق الاحتمال اليه . وقد فهم النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة كافة من هذه الآية ان الله حرم الخمر تحريما باتا لا هوادة فيه . فالقطع بتحريم الخمر والنهى عنها كان بعد تمهيد بالذم ، والنهى عن السكر فى حال قرب الصلاة ، وأوقات الصلاة متقاربة ، فمن ينهى عن قرب الصلاة وهو سكران ، فلا بد أن يتجنب السكر فى أكثر الاوقات كي لا تحضره الصلاة وهو سكران .

والحكمة فى وقوع التحريم على هذا الترتيب والتدرج ان الله تعالى علم أن الناس كانوا قد الفوا شربها ، وكان انتفاعهم بها كثيرا فعلم الله انه لو منعهم منها دفعة واحدة لشق عليهم ، ووقعوا فى الحرج ، والله تعالى يقول : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ، وهكذا شأن التشريع الاسلامى فى أغلب الأحكام .

ان من تأمل فى حكمة تشريع هذا التحريم ، وفكر فيه استطاع أن يطمئن كل الاطمئنان الى سلامة اسلوب التحريم وقوته وبراعته . وقد أمر الله الناس باجتناب الخمر ، ولم ينههم عنها بعبارة من صيغ النهى ، كقوله لا تشربوا ولا تقربوا مما قاله فى غيرها ، ولكنه امر بالاجتناب الذى ينم عن التحذير ، ولا يصدر التعبير به الا فى جو مليء بالاشفاق ، مشبع بالحرص على تحويل النفوس وصرفها مما علق بها من رغبة أو حرص وشهوة . وانظر كيف سماها رجسا ، والرجس معنى تستقذره النفوس ، وتحرص أشد الحرص على اجتنابه ، وجعلها من عمل الشيطان الذى عرف بأنه عدو مضل مبين مفسد فى الارض ، ثم انظر كيف ختم الفقرة بعد الأمر بالاجتناب بالتشويق الى ضالة كل النفوس ، وبغية كل انسان ، وهى تحقيق الفلاح ، وتكليل المساعى بالنجاح بقوله : « لعلكم تفلحون » ، فمن أراد ذلك فليجتنب الخمر ، وليحذر قربانها والتلوث بها . فهل بعد هذا يمكن لعاقل أن يقول : ان الخمر لم يرد نص قاطع بتحريمها ، وان طلب الاجتناب دون التحريم .. وكفى بالمرء اثما أن يحل ما حرم الله جريا وراء الهوى والشهوات .

هذا فرش تمهيدى فى شأن الخمر وما يرتبط بها من مفاسد ، وحكمة

تحريمها ، والدليل القاطع على التحريم ، واننا ننتقل بعد ذلك الى بيـــــان ماهية الخمر ، وما يدخل تحت هذا الاسم ، وما يشترك معها فى الحكم ، مما يشاركها فى وصف الاسكار والتأثير على العقل والادراك ، وما يتعلق بذلك من أحكام .

التعريف بالخمـــر :

الخمر فى اللغة : ما خامر العقل . وعرفه صاحب القاموس بأنه : ما أسكر من عصير العنب أو عام كالخمرة ثم قال : ــ والعموم أصح لأنها حرمت ، وما بالمدينة خمر عنب ، وما كان شرابهم الا البسر (٣) والتمر ثم قال : ــ انها سميت خمرا لأنها تخمر العقل وتستره ، أو لأنها تركت حتى أدركت واختمرت ، أو لأنها تخامر العقل أى تخالطه . وينقل الشيخ رشيد رضا (٤) عن ابن عبد البر أنـــه قال :

تطلق الخمر لغة على كل مسكر ، وهذا ما ذهب اليه أشهر علماء اللغة ، والظاهر أن هذا الاطلاق حقيقى ، وقد فهم الصحابة من تحريم الخمر تحريــــم كل مسكر .

والخمر فى الاصلاح الفقهى هى ــ كما جاء فى كتب الفقه الحنفى ــ (٥) النيىء من ماء العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد ، وهذا القيـــد الأخير وهـــو القذف بالزبد يثبته الامام دون صاحبيه فهما يعتبران عصير العنب خمرا اذا غـــلا واشتد سواء قذف بالزبد أم لم يقذف لتحقق معنى الاسكار . ورأيهما فى هذا هو المعتبر فى المذهب وعليه الفتوى ، وبمثل قول الصاحبين قال الظاهرية والزيدية وهو أرجح عند الامامية .

الا أن صاحب البحر الزخار فى الفقه الزيدى .

قال : ــ « لا يغلى العصير الا ويقذف بالزبد » ، وهذا يفيد أن الخلاف بين الامام وهؤلاء لفظى ، لأنه اذا غلا لا بد أن يقذف بالزبد .

ونرى أنه لا يلزم من وجود الغليان وجود القذف بالزبد اذ أن هذا لا يمكن الا بعد درجة معينة من الغليان وعلى هذا فالخلاف جوهرى لا لفظى .

ويعرف بعض فقهاء المالكية الخمر بأنها : ما أسكر وخامر العقل (٦) ، وجاء فى كتاب الخلاف بيانا لمدلول الخمر فى مذهب الامامية : انها عصير العنب الذى اشتد وأسكر وكذا كل مسكر من الاشربة يســـــمى خمرا ، يدل على هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « ان من العنب خمرا ، وان من التمر خمرا ، وان من العسل خمرا ، وان من البر خمرا ، وان من الشعر خمرا » (٧) . وفى رواية أخرى : « ان من الشعير خمرا ، ومن العسل خمرا ، ومن الزبيب خمرا ، ومن الحنطة خمرا ، ومن التمر خمرا ، وأنا أنهاكم عن كل مسكر » ، ويؤكد هذا أيضا قوله صلوات الله عليه وسلامه « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام »، وقوله : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ، وقد سئل رسول الله عن المزر ــ بكسر الميم ــ (شراب يتخذه أهل اليمن من الذرة) ، وعن البتع ــ بفتح البـــاء ــ (شراب يتخذونه من العسل) قال فيما رواه البخارى ومسلم : « كل مسكر حرام » ، ولما كان قليل الخمر يدعو الى كثيره لزم أن يدار التحريم على كون الشأن فيها الاسكار لا على وجود الاسكار فى الحال .

وأما ما روى عن الرسول من قوله : « الخمر من هاتين الشجرتين ، النخلة والعنبة » فانه من قبيل اعتبار الغالب ، أو عينهما لمناسبة خاصة مثل وجوده عندها فى ذلك الحين ، ويؤكد أنه لا يريد بذلك حقيقة الحصر فيهما ما استفاض من

أحاديث فى تحريم كل مسكر ، وكل ما ادى الى المفاسد التى نص القرآن عليها . وهذه وتلك موجودة فيما استخرج من العنب والبلح ، وفيما استخرج من غيرهما ، وقد يكون المستخرج من غيرهما أشد افسادا وأسرع اسكارا .

واطلاق الخمر على كل مسكر هو اتجاه كثير من المذاهب الفقهية ، وهو الذى يمثل اتجاه جمهور الفقهاء (٨) فهم يرون أن سائر المسكرات تأخذ حكم الخمر من كل الوجوه سواء من حيث التحريم ، أم من حيث العقوبة ، أم من حيث حرمة الانتفاع بها وعدم تقومها ، وهو المروى عن جمع خفير من فقهاء الصحابة والتابعين ، منهم عمر ، وعلى ، وابن مسعود ، وسعد بن أبى وقاص ، وأبى ابن كعب ، وأنس ، وعائشة من الصحابة ، وعطاء ، وطاوس ، ومجاهد ، والقاسم ، وقتادة ، وعمر بن عبد العزيز من التابعين(٩) .

وعلى هذا فما كان مسكرا سواء كان متخذا من العنب والرطب والتين والحنطة والشعير والعسل وغيرها من الثمار أو الحبوب أو الحلويات يأخذ نفس الحكم بالتحريم الذى جاء به الشارع سواء كان مطبوخا أم نيئا (١٠) ، وسواء فى ذلك ما استحدث من أصناف وما عرف قديما يدل على هذا العموم والشمول ما رواه الامام أحمد ، وأبو داود عن مالك الأشعرى : انه سمع النبى عليه الصلاة والسلام يقول : « ليشربن أناس من أمتى الخمر ، ويسمونها بغير اسمها » (١١) .

وبهذا يبين أن الاتجاهين الفقهيين فى تصوير الخمر لا يبعدان عن المعنى اللغوى كما نقلناه عن صاحب القاموس ، ويكون الخلاف اذن فى مصدر التحريم هل بالنص بالنسبة لكل مسكر أو بالنسبة للمستخرج من العنب ، والباقى ثبت تحريمه بالقياس الذى اقتضاه وجود العلة المشتركة بين المنصوص عليه وغيره وهى الاسكار . فالاسكار وصف موجود فى النيىء من ماء العنب ، كما أنه موجود فى كل ما يتحقق فيه الاسكار من غيره من الاشربة ، وعلى هذا فكل مسكر حرام اما بالنص أو بالقياس دون خلاف فى أصل التحريم .

ولا يتسربن الى بعض الاذهان أن ثبوت التحريم بالقياس فى غير النيىء من ماء العنب — على القول بذلك — لا يكون موضع اعتبار ، فان الثابت بالقياس فى وجوب العمل به مثل الثابت بالنص ، والاثم على فاعل ما ثبتت حرمته بالقياس متحقق ، هذا فضلا عن أنه ثبت تحريم سائر الأنواع بالسنة فيما روى النسائى بسنده عن ابن عباس مرفوعا للرسول عليه الصلاة والسلام : « حرمت الخمر ، قليلها وكثيرها ، والمسكر من كل شراب »

فالأشربة التى من شأنها أن يسكر قليلها وكثيرها محرمة لذاتها بالنص سواء كانت من العنب أو غيره ، وأما سائر الأشربة التى ليس من شأنها الاسكار فالقدر المسكر منه حرام (١٢) كما هو مفاد ظاهر الحديث .

ولكن روى أحمد وابو داود والترمذى عن السيدة عائشة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال : « — كل مسكر حرام وما أسكر الفرق (١٣) منه فملء الكف منه حرام » ، وروى أحمد وابن ماجه والدارقطنى وصححه عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : — « ما أسكر كثيره فقليله حرام » ، وروى النسائى والدارقطنى عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : — « أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره » .

قال الحافظ النسائى : تحريم قليل كل مسكر وكثيره صح فى عدة أحاديث وثبت بالإجماع ، ولا خلاف بين أهل العلم أن السكر بكليته لا يحدث عن الشربة

الأخيرة دون الأولى ، والثانية بعدها ، أى أن السكر يكون بمجموع ما يشرب ، ويمكن القول بأن المقدار المسكر محرم لذاته ، وما دون ذلك محرم لسد الذريعة . وقد يظهر الفرق بين ما يعتبر خمرا وما لا يعتبر فى العقوبة الواجبة لا فى التحريم ، والأمر بالاجتناب ، وفى تكفير مستحل الخمر المتخذة من العنب ، حيث البيان السابق فى تعريف الخمر ، وتفسيق مستحل ما عداها على ما سنذكر بعد .

ويؤكد أن الخمر الذى تكلم عنها التشريع وحرمها فى قوله سبحانه : « انما الخمر .... رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » لا تقتصر على ما استخرج من العنب ، أنه لما نزل التحريم فهم المسلمون من الأمر بالاجتناب تحريم كل مسكر ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب وبين ما يتخذ من غيره ، ولم يتوقفوا فى الحكم ، ولم يشكل عليهم شىء من ذلك ، بل بادروا الى اتلاف ما كان من غير عصير العنب ، ولو كان عندهم أدنى تردد لتوقفوا عن اراقة ما عندهم .

روى البخارى فى صحيحه عن ابن عمر أنه قال : ــ نزل تحريم الخمر وان بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ، ما فيها من شراب العنب شىء .. وروى أحمد والبخارى ومسلم عن أنس قال : ــ كنت أسقى بعض الاصحاب عند أبى طلحة حتى كاد الشراب يأخذ منهم فأتى آت من المسلمين فقال : ــ أما شعرتم أن الخمر قد حرمت ؟ فقالوا : حتى ننظر ونسأل ، فقالوا : يا أنس ــ اسكب ما بقى فى انائك ، وما هى الا من التمر والبسر وهى خمرهم يومئذ . ومن ذلك أيضا ما رواه مسلم وأبو داود والترمذى من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » .

ويقول رشيد رضا فى تفسيره المنار (١٤) المعروف بتفسير الامام محمد عبده : الخمر نوعان ــ نوع يخمر تخميرا ، ونوع يقطر تقطيرا ، وأقوى الخمور سما ، وأشدها ضررا ، ما كانت مقطرة ، ويعبرون عنها بالأشربة الروحية ، ثم يقول : ولم يختلف الصحابة فى تحريم ما كان عندهم من خمر البسر ، والتمر ، والحنطة والشعير ، وغيرها . وقد خطب عمر على منبر الرسول بحضرة كبار الصحابة فقال : ــ أيها الناس نزل تحريم الخمر وهى من خمسة : من العنب ، والتمر ، والعسل ، والحنطة ، والشعير ، والخمر ما خمر العقل .

ولم ينقل أن أحدا من الصحابة أنكر على عمر قوله هذا ، وقد قيل : ان هذا يأخذ حكم الحديث المرفوع الى النبى من حيث هو تفسير لحكم شرعى لا يقوله الصحابى برأيه ، وعلى فرض أنه رأى صحابى باعتبار ما فهمه من النصوص فان فهم عمر للغة والدين ، وموافقة جمهور الصحابة ، وعدم اعتراض أحد يجعله قويا .

فظهر بهذا أن كون كل شراب من شأنه الاسكار خمرا حكم ثابت بالكتاب والسنة واجماع الصحابة ، وقد حرم الله الخمر تحريما لا يقبل الجدل ، واعتبرها رجسا من عمل الشيطان .

وأبو يوسف الفقيه الحنفى ينضم الى الامام فيريان فى بعض الأشربة (١٥) غير المستخرجة من العنب أن الذى يحرم منها هو القدر المسكر فقط ، أما ما دونه فيحل ، ولا يقام عليه حد اذا غلب على ظنه أن نوعه لا يسكره ، ولم يكن الشرب بقصد اللهو ، ومع هذا فاذا سكر من القدر القليل الذى لا يسكر عادة ، والذى لم يأخذه بقصد اللهو والطرب فانه يعاقب من غير حد .

والشيخان فى هذا يتجهان وجهة ابراهيم النخعى ، وسفيان الثورى ، وابن أبى ليلى ، وشريك ، وابن شبرمة ، وبعض فقهاء الكوفة والبصرة واستدلوا ببعض آثار لا تسلم من النقد ، ويعتريها الضعف .

وبذا فقد ظهر لك أيها القارىء الكريم حقيقة الخمر التى حرمها الاسلام ، وأنها تشمل كل ما من شأنه الاسكار ، وأن تحريم الشارع لها جاء عاما ، وفى العدد القادم نعرض باقى البحث .

---

(١) تفسير المنار جـ ٧ ص ٥٩ .

(٢) تفسير المنار جـ ٢ ص ٣٢٥ .

(٣) البسر — البلح النيىء .

(٤) تفسير المنار جـ ٢ ص ٣٢٣ .

(٥) حاشية ابن عابدين جـ ٥ ص ٣١٤ المطبعة اليمنية بمصر ، وباب الأشربة فى جميع كتب الفقه الحنفى ، المبسوط جـ ٢٤ ، البدائع جـ ٥ ، الفتح جـ ٨ ، تبيين الحقائق جـ ٦ وغيرها .

(٦) بداية المجتهد جـ ٢ ص ١١ طبعة سنة ١٣٢٥ .

(٧) تحفة المحتاج جـ ٧ ص ٧٣٦ .

(٨) راجع المغنى لابن قدامة جـ ٨ كتاب الأشربة من صفحة ٣٠٣ ، الطبعة الثانية مطبعة المنار ، وانظر فى هذا صفحة ٣٠٥ الشرح الكبير للدردير جـ ٤ ص ٣٥٢ فما بعدها ، تحفة المحتاج ، وحاشية الشرقاوى عليه جـ ٧ ص ٦٣٧ ، المحلى لابن حزم جـ ٧ ص ٥٦٢ فما بعدها ، مطبعة الامام ، كتاب الخلاف عند الامامية جـ ٢ ص ٤٨٤/٤٨٧ ، الروض النضير جـ ٣ ص ١٥٤ ، شرح الازهار جـ ٤ ص ٣٦١ .

(٩) أنظر تبيين الحقائق للزيلعى جـ ٦ ص ٤٤ .

(١٠) نيل الاوطار للشوكانى جـ ٨ كتاب الأشربة ص ١٦٩ فما بعدها .

(١١) البدائع جـ ٥ ، الهداية والفتح جـ ٨ باب الأشربة فى كل منهما ، وكذا غيرهما .

(١٢) نيل الاوطار للشوكانى جـ ٨ ص ١٧٩ .

(١٣) الفرق : — بفتح الفاء — مكيال يسع ستة عشر رطلا على أساس أن الرطل ١٣٠ درهما .

(١٤) تفسير المنار جـ ٧ ص ٨١ .

(١٥) من هذه الانواع : نقيع التمر الذى لم تمسه النار أو النيىء من ماء الرطب اذا غلا واشتد غليانه .. النضيح : — بفتح النون وكسر الضاد — وهو النيىء الذى لم يطبخ من ماء البسر اذا غلا واشتد .

نقيع الزبيب — وهو النيىء من ماء الزبيب المنقوع فى الماء حتى خرجت حلاوته من غير طبخ اذا غلا ، المثلث : وهو المطبوخ من ماء العنب اذا تبخر ثلثاه ، وبقى ثلثه ، وصار كثيره مسكرا ، وكذا نبيذ التمر أو نبيذ الزبيب اذا طبخ كل واحد منهما أدنى طبخة ، وصار مما يسكر كثيره لا قليله ، وكذا نبيذ العسل ، أوالتين ، أو البر ، أو الشعير على تفصيل وخلاف فى المطبوخ منها .

جريمة القذف في الشريعة والقانون

للاستاذ توفيق على وهبة

تعريف القذف : هو رمى المحصنة أو المحصن بالزنا أو نفى النسب ، ولقد شرع حد القذف بعد حادثة الافك المشهورة حيث أقام الرسول صلى الله عليه وسلم الحد على مرتكبى هذا الجرم بعد نزول القرآن ببراءة السيدة عائشة رضى الله عنها وبتحديد عقوبة للقاذفين .

أدلة تحريم القذف :

أ) من القرآن الكريم :

يقول الله سبحانه وتعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » .

ويقول تعالت كلماته : « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . » .

ب) من السنة النبوية :

يقول النبى صلىالله عليه وسلم : اجتنبوا السبع الموبقات .. قالوا : وما هى يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصناتالغافلات .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « إن قذف المحصنة يحبط عمل مائة سنة » .

ويقول الامام القرطبى رضى الله عنه فى تفسير الآية الاولى المشار اليها « للقذف شروط عند العلماء تسعة : شرطان فى القاذف وهما العقل والبلوغ لأنهما أصل التكليف ، اذ التكليف ساقط دونهما . وشرطان

فى الشىء المقذوف به وهو أن يقذف بوطء يلزمه فيه الحـد ، وهو الزنا واللواط ، أو بنفيه من أبيه دون سائر المعاصى . وخمسة فى المقذوف ، وهى العقل والبلوغ والاسلام والحرية والعفة عن الفاحشة التى رمى بهـا سواء كان عفيفا من غيرها أم لا ، وانما شرطنا فى المقذوف العقل والبلوغ كما شرطناهما فى القاذف وان لم يكونا من معانى الاحصان لأجل أن الحد انما وضع للزجر عن الاذابة بالمعرة الداخلة على المقذوف ولا مضرة على من عدم العقل والبلوغ ، اذ لا يوصف اللواط فيها ولا منها بأنه زنا » .

واتفق العلماء على أنه اذا صرح بالزنا كان قذفا ورميا موجبا للحد ، فان عرض ولم يصرح قال مالك « هو قذف . وقال الشافعى وأبو حنيفة : لا يكون قذفا حتى يقـول أردت به القذف . والدليل لما قاله مالك هو أن موضوع الحد فى القذف انما هو لازالة المعرة التى أوقعها القـاذف بالمقـذوف . فاذا حصلت المعرة بالتعـريض وجب أن يـكون قذفا كالتصريح والمعول على الفهم » .

أركان الجريمة :

للجريمة ثلاثة أركان :

١ — اسناد واقعة الزنا أو نفى النسب للغير مع عجز الرامى عن اثبات الواقعة ، أما اذا كان الرمى بغير الزنا أو نفى النسب فلا يحـد الرامى ولكنه يستحق التعزير ويتحقق الاسـناد بأى طريقة سـواء أكانت كلامية أم كتابية من شأنها أن توصل الجمهور الواقعة المدعاة .

٢ — أن يكون القاذف مكلفا بالغا عاقلا غير مكره على اسناد الواقعة عالما بتحريم القذف وأن يكون المقذوف مسلمـا محصنـا عاقـلا بالغـا وأن يكون معلوما .

٣ — القصد الجنائى وهو قصد الرامى وعلمه أن ما يرمى به المقذوف فى حقـه غير صـحيح أو عدم استطاعته اثبات الواقعة او احضار شهود لاثباتها ، ففى الشريعـة الاسلامية مسموح للقـاذف أن يقيم الدليل على صحة الواقعـة ، فاذا ثبتت أقيم الحد على من تثبت عليه أما فى التشريع الوضعى فلا يسمح للقاذف باثبات الواقعة . ويعاقب على اسناد الفعل للمجنى عليه .

ويثبت القذف بالشهادة أو الاقرار كما هو فى سـائر الجرائم فى الشريعة الاسلامية ..

عقوبة القذف :

١ — عقوبة القاذف اذا كان حرا ثمانون جلدة لقوله سبحانه وتعالى « والذين يرمون المحصـنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شـهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » .

٢ — عدم قبول شهادة القـاذف بنص الآية السـابقة الا بعد التوبة وعدم العودة الى هذا الجرم .

أما اذا كان القـاذف عبدا فيرى جمهور الفقهاء أن توقع عليه نصـف العقوبة .

ويسقط الحد عن القـاذف اذا استطاع اثبات الواقعـة أو اقرار المقذوف فى حقه بصحة القذف .

القذف فى القانون الوضعى :

تعريف الجريمة :

تعرف المادة ٣٠٢ فقرة (١) القذف فيقول : « يعد قاذفا كل من أسـند لغيره بواسطة احدى الطرق المبينة بالمادة ١٧١ من هذا القانون أمورا لو كانت صادقة لأوجبت عقـاب من أسندت اليه بالعقوبات المقررة لذلك

أو أوجبت احتقاره عند أهل وطنه » .

أركان الجريمة :

١ — اسناد واقعة للغير لو صحت لوجب عقاب من أسندت اليه واحتقاره عند أهل وطنه .

٢ — حصول الاسناد بطريقة من الطرق المحددة بالمادة ١٧١ ع .

٣ — القصد الجنائى وهو أن ينشر القاذف أو يذيع أمورا متضمنة القذف وهو يعلم أنها لو كانت صحيحة لأوجبت عقاب المقذوف فى حقه أو احتقاره عند أهل وطنه ولقد أضاف المشرع مادة الى قانون العقوبات تحت رقم ٣٠٨ مكررا سنة ١٩٥٥ عاقبت على أمور استحدثها القانون واعتبرها جريمة قذف لم يكن معاقبا عليها من قبل وتنص المادة ٣٠٨ مكررا على أنه : « كل من قذف غيره بطريق التليفون يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها بالمادة ٣٠٣ وكل من وجه الى غيره بالطريق المشار اليه بالفقرة السابقة سبا لا يشتمل على اسناد واقعة معينة بل يتضمن بأى وجه من الوجوه خدشا للشرف أو الاعتبار يعاقب بالعقوبة المنصوص عليها فى المادة ٣٠٦ واذا تضمن العيب أو القذف أو السب الذى ارتكب بالطريق المبين بالفقرتين السابقتين طعنا فى عرض الافراد أو خدشا لسمعة العائلات يعاقب بالعقوبة المنصوص عليها فى المادة ٣٠٨ » .

طرق اسناد واقعة القذف :

حددت المادة ١٧١ فقرات ٣ ، ٤ ، ٥ الطرق المحددة لاسناد واقعة القذف كما يلى :

١ — يعتبر القول أو الصياح علنيا اذا حصل الجهر به أو ترديده باحدى الوسائل الميكانيكية فى محفل عام أو طريق عام أو مكان آخر مطروق أو اذا حصل الجهر به أو ترديده بحيث يستطيع سماعه كل من كان فى مثل ذلك الطريق أو المكان أو اذا أذيع بطريق اللاسلكى أو بأى طريقة أخرى (مادة ٣/١٧١) .

وعلى ذلك فالقول يعتبر علنيا فى الحالات التالية :

أ) الجهر بالقذف باحدى الوسائل الميكانيكية فى مكان عام أو أى طريق آخر مطروق .

ب) الجهر أو الصياح فى مكان خاص يمكن سماعه من مكان عام .

جـ) اذاعة القذف بطريق اللاسلكى أو بأى طريقة أخرى .

٢ — يكون الفعل أو الايماء علنيا اذا وقع فى محفل عام أو طريق عام أو فى أى مكان آخر مطروق أو اذا وقع بحيث يستطيع رؤيته من كان فى مثل ذلك الطريق أو المكان (مادة ٤/١٧١) .

٣ — العلانية بالكتابة وقد حددتها الفقرة (٥) حيث تنص على أنه : « تعتبر الكتابة والرسوم والصور الشمسية والرموز وغيرها من طرق التمثيل علنية اذا وزعت بغير تمييز على عدد من الناس أو اذا عرضت بحيث يستطيع أن يراها من يكون فى الطريق العام أو أى مكان مطروق أو اذا بيعت أو عرضت لبيع فى أى مكان .

فالعلانية بالكتابة تكون على الوجه التالى :

أ) توزيع المطبوعات أو الرموز .

ب) عرضها بحيث يستطيع أن يراها من يكون فى الطريق العام .

جـ) بيعها أو عرضها للبيع .

وقد تتوافر العلانية بغير الوسائل المذكورة بالمادة ١٧١ ع والتى يستخلصها قاضى الموضوع من كل ما يحيط بها من ظروف وملابسات .

وترفع الدعوى من المقذوف فى حقه أو وكيله بتقديم شكوى الى النيابة العامة أو أحد مأمورى الضبط القضائى ويجوز التنازل عن الشكوى

فى أى وقت الى أن يصير فى الدعوى حكم نهائى .

ويباح القذف فى الحالات الآتية :

١ — الطعن فى أعمال موظف عام أو من فى حكمه (مادة ٢/٣٠٢) .

٢ — اخبار الحكام القضائيين أو الاداريين بأمر مستوجب العقوبة فاعله (مادة ٤٠٣) .

٣ — اسناد القذف من خصم الى آخر فى الدفاع الشفوى أو الكتابى أمام المحاكم (مادة ٣٠٩) .

٤ — القذف المباح وفقا لمبدأ عدم المسئولية البرلمانية (بنص الدستور) .

٥ — نقد التصرفات ونشر الاخبار فى الصحف .

العقوبة :

يعاقب على القذف بالحبس مدة لا تتجاوز سنتين وبغرامة لا تقل عن عشرين جنيها ولا تزيد على مائتى جنيه أو باحدى هاتين العقوبتين فقط (مادة ١/٣٠٣) . وتشدد العقوبة فى الحالات الآتية :

١ — القذف فى حق موظف عام أو من فى حكمه : اذا وقع القذف فى حق موظف عام أو شخص ذى صفة نيابية عامة أو مكلف بخدمة عامة وكان ذلك بسبب أداء الوظيفة أو النيابة أو الخدمة العامة كانت العقوبة الحبس وغرامة لا تقل عن خمسين جنيها ولا تزيد على خمسمائة جنيه أو احدى هاتين العقوبتين فقط .

٢ — ارتكاب القذف بطريق النشر أو فى احدى الجرائد والمطبوعات (اذا ارتكبت جريمة من الجرائم المنصوص عليها فى المواد ١٨١ الى ١٨٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ بطريق النشر فى احدى الجرائد أو المطبوعات رفعت الحدود الدنيا والقصوى لعقوبة الغرامة المبينة فى المواد المذكورة الى ضعفها ، ولم يجز أن تقل عقوبة الغرامة فى الجريمة المنصوص عليها فى المادة ٣٠٦ عن عشرين جنيها .

٣ — الطعن فى الاعراض : تنص المادة ٣٠٨ على انه « اذا تضمن العيب أو الاهانة أو القذف أو السب الذى ارتكب باحدى الطرق المبينه فى المادة ١٧١ طعنا فى عرض الافراد أو خدشا لسمعة العائلات يعاقب بالحبس والغرامة معا فى الحدود المبينة فى المواد ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ على أن لا تقل الغرامة فى حالة النشر فى احدى الجرائد أو المطبوعات عن نصف الحد الاقصى ولا يقل الحبس عن ستة شهور .

تلك هى جريمة القذف فى الشريعة الاسلامية والقانون الوضعى . اذ تقصرها الشريعة على الرمى بالزنا ونفى النسب فقط بينما يوسع القانون دائرة الجريمة فيعاقب كل من يسند الى غيره أمورا لو كانت صحيحة لأوجبت عقابه واحتقاره بين أهل وطنه .

ولم يكن القانون يحدد عقابا لجريمة الطعن فى الاعراض حتى أضيفت بالقانون رقم ٩٧ لسنة ١٩٥٥ باضافة مادة ٣٠٨ مكررا الى قانون العقوبات ورفع حد العقاب على هذه الجريمة بحيث لا تقل عن الحبس لمدة ستة شهور .

واننا نهيب بالمشرع الوضعى أن يعود الى أحكام الشريعة الاسلامية فيضع العقاب المنصوص عليه فى قوله تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » .

ملاحظات في الميلاد

للدكتور : عماد الدين خليل

ان الاطار التاريخى لسيرة رسولنا عليه السلام منذ مولده حتى وفاته يضم حشدا كبيرا من الروايات ، يكثر ويتكاثف فى مرحلة نبوته ، ويقل ويتباعد طيلة الاربعين سنة التى سبقت مبعثه فى غار حراء ، فلا يكاد يغطى سوى مساحات قليلة من هذه السنين الطويلة ، ولا يكاد يرسم سوى خطوط عريضة عن (طفولة وشباب) الرجل الذى قدر له أن يعيد صياغة الحياة الدنيا بما ينسجم ونواميس الكون ، وتلك هى الصعوبة الكبرى فى تاريخ الرجـــال الكبار فى حياة البشرية .. ان اهتمام الناس بأبطالهم يقتفى أثـر النواميس الطبيعية ذاتها فحيثما تجمعت الاضواء فى جانب حيثما زادت الظلال المجاورة عتمة وخفاء .. وما أن يبرز البطل فجأة على مسرح الاحداث حتى تسلط عليه الاضواء فلا يتبقى من سيرته أية مساحة غير معرضة للانارة والتلوين .. لكنه قبل أن يظهر .. قبل أن يجىء من وراء الكواليس ، يحيطه الغموض ، ويصعب على الناظرين تمييز جل مساحات حياته ، مهما امتدت سنى هــذه الحيــاة ..

ان أربعين سنة من حياة رسولنا العظيم عليه الصلاة والسلام هى الارضية التى أقيمت عليها نبوته الشامخة .. ترى ما الذى قــدمته لنا الروايات عن أمداء هذه الارضية ؟ النسب الاصيل لامه وأبيه فى بيئة (ترفض) الهجناء

والمختلطين .. اليتم السريع للأب والأم ولما يتجـاوز المولود عهد طفولتـه .. الفقر والحرمان فى صحراء تزيد نار الفقر والحرمان اشتعالا .. رعى لقطعان من الغنم وحيدا فى الصحراء .. رحلتان الى الشام ، احداهما صبيا برفقـة عمـه أبى طالب ، والأخرى شابا مسؤولا عن تجارة للسيدة خديجة رضى اللـه عنها .. اسهام حريص فى عدد من الاحداث المهمة التى شهدتها مكة : حرب الفجار ، حلف الفضول ، بناء الكعبة .. زواج بالسيدة خديجة بعد عودته من رحلته الثانية الى الشام .. رفض حاسم لقيم الوثنية وعاداتها وتقاليدهـا وأخلاقياتها .. ثم فترات من العزلة والتأمل فى غار حراء بعيدا عن صخب مكـة وضجيجها ..

وبين هذه الاحداث (المرئية) الأبعاد جميعا ، لمحات غير مرئية الأبعاد ، ذات دلالة عميقة ، أكدتها الروايات والاسانيد ، جاءت بمثابة ارهاصـات أولية عن أن هذا الانسان سيلعب دوره فى القضية الكبرى فى تاريخ البشرية : قضية الحوار المفتوح بين السماء والارض : الخير العميم الذى راح يتدفق فى مضارب مرضعته آمنة بعد اعسار وجفاف .. شق صدره واستخراج علقة من قلبه قبل ان يتفتح وعيه للحياة .. اشارات أولى عن نبوته تصـدر عن الراهب بحيرا فى طريق الشام .. ولن نذكر هنا أية واقعة أخرى لعب الخيال الشعبى والاسرائيلى دورا بارزا فيها ..

تلك هى النقاط الاساسية التى لم يتمكن (باحث) لحد الان أن يعثر على ما يفوقها أهمية او ما يضيف اليها حقائق أخرى .. ولن نلقى اللوم على رواتنا ومؤرخينا فتلك هى ، كما قلنا ، طبيعة التاريخ . فالابطال ، أنبياء وغير أنبياء ، يظلون مجهولين ، يتحركون فى مناطق الظلال ، لكيما يلبثوا ان ينتقلوا فجأة لاداء أدوارهم حيث تسلط الاضواء . ولنا أن نحمد الله سبحانه على أن هيـأ لنا هذا القليل عن هذه المرحلة الطويلة الاساسية عن حياة الرسول عليه السلام. فهذه القلة — على ندرتها — يمكن ان تقدم لنا الكثير اذا ما استنطقناها بالاسلوب العلمى الهادىء الرصين بعيدا عن ضجيج النزعات الخطابية والبلاغيـة والانشائية مستمدين من الشعر — فى الوقت نفسـه — نقاءه ووجدانيتـه ، رافضين اندفاعاته صوب المبالغة والفخامة والتمجيد ، فليس البحث الجاد كلمات تقال فى حفل يموج بالناس ، تستدر عواطفهم فتدفعهم الى الهتـاف والتصـفيق .. !!

• • •

ان البطل فى التاريخ ، نبيـا أو غير نبى ، لكى يلعب دوره الحاسم ، لا بد أن يستكمل شرطين أساسيين ، أحدهما يتعلق بتكوينه الذاتى الخاص ، والاخر بالعالم الذى يضطرب فيه عبر دوائره التى تبدأ بعلاقاته الضيقة ثم تتسع وتتسع عبر الاقليم والجماعة والوطن والشعب والامة ، لكى تشمل العـالم كله .. ومن ثم فان أى حوار ينفتح بين الانسان والعالم سوف لن يبعث أبطالا ان لم يكن كلا القطبين مهيأ لانجاح ذلك الحوار ..

وهكذا فان أية دراسة عن حياة رسولنا عليه الصلاة والسلام قبـل مبعثه ، وبعده ، سوف لن تتوغل فى فهم هذه الحياة ، توغلا كافيا ، ان لم تضع فى حسبانها هذين الطرفين ، وتتمعن فيهما عن كثب ، بقدر ما تسعفها الوقائع والاحداث . وها نحن نمر على كل منهما مرورا سريعا بحسب ما يتيحه مقـال كهـذا ..

١ ــ الانســـان : يبدو أن الظروف (البيئية) و (الوراثية) التى تسهم معا فى تكوين الانسان ، وتمنحه صفاته الخلقية ، والخلقية ، وتصوغ بنيانه الجسدى والنفسى ، وتحدد قدراته العقلية ، واستجاباتـــه العاطفية ، قـــد اجتمعت لكى تجعل من محمد عليه الصلاة والسلام الانســـــان المهيأ لتحمل المسؤولية التى أنيطت به بعد أربعين سنة من ميلاده .. اربعة عقود فى حياة الانسان المحدودة ، تمثل ولا ريب امتدادا زمنيا طويلا أريد به أن يستكمـل محمد الانسان كل مساحات تكوينه الذاتى ونضجه البشرى قبل أن يتاح له أول لقاء مع الوحى الكريم .. وما أصعب اللقاء الاول بين ممثلى السماء والارض . وما أشق الحوار ..

طيلة هذه العقود الاربع ومحمد عليه الصلاة والسلام يأخذ ويتلقى ، ويجابه ، ويهضم ، ويتمثل شتى المؤثرات الوراثية والبيئية لكى يحولها الى خلايا تبنى كيانه وسماته المادية والروحية ، وتهيئه لليوم العظيم . فعن (أصالة) أبيـــه وأمـــه أخذ الرسول فى دمه وأعصابه أصـــالة الشخصية ووضوحها ونقاءها ، وكسب على المستوى الاجتماعى احتراما وتقديرا فى بيئة كانت تستهجن مجهولى الانساب وتحتقر الخلطاء . ومن مرارة اليتم ووحشة العزلة وانقطاع معين العطف والحنان قبس الرسول الصلابة والاستقلال والقـــدرة على التحمل والارادة النافذة ، والتحدى الذى لا تنكسر له قناة . . وبالفقر والحرمان تربى ونمـا ، بعيدا عن ترف الغنى ، وميوعة الدلال واتكالية الواجدين .. وعبر رحلته الاولى الى الشام ، فى رعاية عمه ، فتح محمد عليه الصلاة والسلام عينيه ووعيه تجاه العالم البعيد الذى يتجاوز حدود الصحراء وسكونها الى حيث المجتمعات المدنية التى تضطرب نشاطا وقلقا ، والجماعات العربية التى فصلتها عن شقيقاتها فى الصحراء الام سلطات أجنبية أحكمت قبضتهـا على الاعناق وساقت الشيوخ والامراء العرب الى ما تريد هى وتهـــــوى لا ما يريدون ويهوون . وعن رحلته الثانية الى الشام ، مسؤولا عن تجـارة للسيدة خديجة ، تعلم الرسول الكثير الكثير : عمق فى حسه معطيات الرحلة الاولى ، وزاد عليها ادراكا أكثر لما يحدث فى أطراف عالمه العربى من علاقات بين الغالب والمغلوب ، والسيد والمسود ، وافادة أغنى من كل ما يتعلمه الذين يرحلون من مكان الى مكان فيتعلمون من رحيلهم طبائع الجماعات والشعوب ، وكنـــه العلاقات بينها ، واختلاف البيئات والاوضاع ، ويزدادون مرونة وقدرة على التعامل المنفتح الذى لا ينقطع له خيط مع شتى الطبائع ، وفهما لمـــا يتطلبه الانسان فى عصر من العصور بعد اطلاع مباشر على عينات من هـــذا الانسان فى سعادته وهنائه ، أو فى تعاسته وشقائه .. وفوق هذا أو ذاك فقد أتيح للرسول فى رحلته هذه تنمية واضحة لقدراته الخاصة التى تعلمها أيام الرعى صبيا ، وها هو الآن (يدير) تجارة لسيدة تملك الكثير ، فيعرف كيف يحيل القليل كثيرا ، ويصمد ازاء اغراء الذهب والفضة ، أمينا لا تلحق أمانته ذرة من غبار .. قديرا على الارتفاع فوق مستويات الاغراء الى آخر لحظة ..

ثم يجىء اسهامه فى القضايا الكبرى التى عاشتها مكة آنذاك ، متنوعا شاملا مغطيا شتى مساحات العمل البشرى الجماعى ، وكأنه أريد له أن يجرب كل شىء ، أن يسهم عاملا فى كل اتجاه ، وان يبنى عبر نشاطاته المتنوعـــة جميعا شخصية قادرة على التصدى لكل مشكلة ، والاسهام الايجابى الفعال فى كل ما من شأنه أن يعيد حقا أو يقيم عدلا .. فى حرب الفجار مـــارس

الرسول شؤون القتال ، وفى حلف الفضول شارك فى تجربة السياسة والحكم، وفى بناء الكعبة أعرب عن بداهته المثيرة للاعجاب فى حل المشاكل التى تلعب فيها المعتقدات والقيم والمقدسات دورا كبيرا .. وخلال هذا وذاك يتزوج فيمارس فى أعقاب زواجه ذاك كبرى التجارب الاجتماعية فى حياة الانسان ، وينجح فى التجربة ، ومن وراء نجاحه تقف السيدة البرة التى وضعها الله فى طريق رسوله لكى تكون سنده النفسى واليقينى الاول فى السنين الصعبة الطويلة التى تطيش معها ألباب الثائرين الذين بعثوا لتغيير العالم والانقلاب على الاوضاع والمألوفات ..

هكذا تبدو حياة رسولنا الكريم قبل مبعثه ، سلسلة مترابطة الحلقات ، منطقية التعاقب من التجارب والخبرات فى شتى المساحات : عائلية ونفسية وتجارية وحركية وحربية وسياسية ودينية واجتماعية . أما البعد الاخلاقى فى حياة الرسول المديدة هذه فيتمثل واضحا نقيا فى انسلاخه الحاسم عن كل الممارسات الجاهلية اللاأخلاقية ، التى كانت تعج بها الحياة العربية فى المدينة والصحراء : شربا للخمر ، واستمراء للزنا ، ولعبا للميسر ، وتصعيدا للربا ، وتهافتا على مال اليتيم ، ووأدا للبنات ، وظلما للذين لا يقدرون على رد الظلم ، واستعبادا محزنا للذين لا يعرفون طعم الحرية .. ممارسات شتى لا يحصيها العد كانت تجرى على مسرح الجزيرة العربية وممثلتها مكة ليل نهار ، ويغدو من تعاقبها وتكرارها أن تصبح الفا وعادة ، ثم تتجاوز هذا لكى ما تلبث أن تصبح مفاخر ومكرمات ، يتبارى العرب فى الاتيان بالمزيد منها . ومحمد عليه الصلاة والسلام بعيد عن هذا كله ، منسلخ عنه . ولقد منحه موقفه النبيل هذا نظافة وطهرا لم يعرفها انسان قط ، وعلمه ، فى الوقت نفسه ، كيف يكون الرفض والتمرد على الوضع الدنىء ، الوضع اللاانسانى ، مهما حمل هذا الوضع من تبريرات انتقلت به من كونه اثما وفسقا وفجورا الى مرتبة الالف والعادة .. ثم الى مصاف القيم والمفاخر والمعتقدات ..

ولم يبق ثمة الا البعد الروحى — الفكرى ، وهو أشد الابعاد ثقلا وخطرا فى حياة الانسان ، والروايات القليلة التى تحدثنا عن عزلة الرسول عليه الصلاة والسلام بعيدا عن صخب مكة وضجيجها حينا بعد حين ، وعناء انقطاعه الى الصحراء وحيدا ، متأملا ، باحثا ، منقبا ، مقلبا وجهه فى أمداء السموات والارض .. هذه الروايات تكفى لالتقاط الاشارة الاخيرة الحاسمة المتممة للصورة التى علينا أن نعرفها عن حياة الرسول قبل مبعثه ..

فكما علمه الانشقاق الاخلاقى على الوضع المكى القدرة على الرفض والتمرد ، فقد جاء تغربه وعزلته وانقطاعه امدادا نفسيا باتجاه آخر ، لكنه متمم ، وبدونه لا يمكن لانسان ما أن يلعب دوره الحاسم الكبير . انه امداد باتجاه الاندماج والاتصال بمواجهة رفض الجاهلية والتمرد على قياداتها وأعرافها وسلطاتها .. اندماج بالكون على اتساعه ، بالعالم الجديد الذى جاء لكى ينقل البشرية اليه ، بالنواميس التى سيبعثها عما قريب كى يجعل الانسان فى كل مكان وزمان يعود اليها وينسجم فى مساراتها المعجزة ، مغادرا مواضعه المنحرفة الخاطئة التى ساقته اليها زعامات جائرة ، وسلطات مستبدة ، وألوهيات زائفة ، وأعراف وبيئات مليئة بالدنس والوحل والخطيئة .. واتصال — عبر البحث والقلق والتقلب الطويل — بالسلطة الواحدة التى تشرف على الكون وتحرك الانسان والخلائق فى ساحاته الكبرى ، وفق خرائط غاية فى

الدقة والاعجاز .. اتصال بالمصدر الوحيد للحيوات والاشياء ، بالارادة التى تنبثق عنها سائر الارادات وتؤول اليها .. بالله الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى !!

كان محمد اذن يستكمل بناءه النفسى واستعداداته التجريبية ، وخبراته التى بنتها السنين الطويلة ، والاعمال التى غطت كل المساحات .. كان يضع ، بمشيئة الله ، اللمسة الاخيرة ، الحاسمة ، للانسان الذى سيغدو نبيا عما قريب .. ان عزلة رسولنا وانقطاعه ، واتساع مساحات هذه العزلة والانقطاع ، عكسا ازاء طغيان الجاهلية ، وطردا اتجاه يوم الوحى ، كانت بمثابة الارهاص الاكبر والاخطر والاخير فى الوقت نفسه الى أن موعد القطاف قد حان ، وأن هذه الشخصية التى ربتها عناية الله فى مدى أربعين سنة قد غدت على استعداد تام للتلقى ، واتصال مباشر بمبعوث الله فى آخر حلقة من حلقات (تعاليم) السموات للأرض ..

• • •

وازاء هذا الهيكل المرئى من حياة الرسول الكريم قبل مبعثه ، يقف عدد من الاشارات والاحداث ملفتا الانظار فى ذلك الحين ، وفى كل حين ، الى أن هذا الانسان ، من بين كل الناس ، قد اختير لاداء دور ما ، لانجاز عمل أو الانقلاب على وضع .. وأن هنالك عناية تفوق كل العنايات ، واهتماما يتعدى كل الاهتمامات تجاه هذا الانسان بالذات ، تمهد له الطريق وتسهم اسهاما غيبيا يند عن التحليل والتعليل فى تكوينه النفسى الذى سيمكنه من أن يكون نبيا عما قريب . وأن هذه الاحداث الموثوقة المنتزعة من بين حشد من الاحداث الضعيفة والمكذوبة ، لهى فضلا عن كونها أسلوبا من أساليب العناية الآلهية فى تربية الشهداء والقديسين والانبياء ، أشبه بالرموز المكثفة والدلالات العميقة على أبعاد الدور الذى سيلعبه هذا المخلوق ..

ان تدفق الخير على مضارب القبيلة التى احتضنت محمدا طفلا ، بعد أيام من العسر والجفاف والمجاعة ، توحى ، فيما توحى ، الى أن مجاعة العالم كله ، وجفاف الروح الانسانية جميعا ، وعسر الحضارة البشرية فى تمخضها الدائم .. تنتظر من يعيد توجيهها وصياغتها من جديد ، فيحيل الجوع شبعا وريا ، وجفاف الروح انطلاقا وامتلاء ، وعسر الحركة الحضارية تدفقا وابداعا. وان هذا الطفل الذى تفجرت بميلاده ينابيع الخير سيكون هذا الرجل ، وأنه قد آن الأوان . وهذه الحادثة ستقال مرارا وتكرارا بعد أن يكبر الطفل ويفتح وعيه على الحياة ، وستلعب دورها ولا ريب فى صياغته النفسية وفى لفت الانظار الى تفرده وتميزه .. والتمهيد لقبول الدور (الخاص) الذى سيلعبه بعد عدة عقود من السنين ..

ومن أجل مزيد من لفت النظر ، والتمهيد .. تجىء اشارة (بحيرا الراهب) الى أن هذا الصبى الذى يعود من الشام برفقة عمه هو النبى الموعود . واشارة بحيرا هذه هى اشارة الاديان السابقة جميعا ، واقرارها بصدق رسالة النبى الاخير التى أكدتها عهودهم القديمة والحديثة على السواء . ومن ثم تلعب دورها — هى الاخرى — فى عملية لفت النظر والتمهيد للنبوة الجديدة كى لا تجىء فجأة دونما سوابق من اشارات وأحداث ذات دلالة وارهاصات .. وسواء على المستوى العربى الجاهلى أم على المستوى الدينى اليهودى — المسيحى ، فان هذه الاشارات قد جاءت وليس ثمة معذر لكل من يقول : ان

رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام تنزلت مفاجئة دون مقدمة ولا تمهيد ..

وأما حادثة شق الصدر ، فهى ولا ريب مما يند عن مواصفات علمنا البشرى فى ميدانى النفس والتشريح ، لانها ، كأية تجربة او حدث روحى ، لا تخضع لمقاييس العقل والحس المحدودة ، وكيف يخضع الكلى المطلق للمقيد المحدود ؟! يكفينا أن نلتقط منها رمزا أو دلالة تغطى مساحة ما فى صورة الاربعين سنة من حياة محمد . ولنقرأ معا السطور القليلة لهذا الحدث : (عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه فاستخرجه ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده الى مكانه .. وجاء الغلمان يسعون الى أمه — يعنى مرضعته — ان محمدا قد قتل ، فاستقبلوه وهو منتقع اللون) . (أخرجه مسلم) ..

يقول محمد الغزالى فى فقه السيرة : (لو كان الشر افراز غدة فى الجسم ، ينحسم بانحسامها ، أو لو كان الخير مادة يزود بها القلب كما تزود الطائرة بالوقود فتستطيع السمو والتحليق .. لقلنا : ان ظواهر هذه الآثار مقصودة . ولكن أمر الخير والشر أبعد من ذلك ، بل من البديهى أنه بالناحية الروحية بالانسان ألصق ، واذا اتصل الامر بالحدود التى تعمل الروح فى نطاقها ، أو بتعبير آخر عندما ينتهى البحث الى ضرورة استكشاف الوسائل التى يسير بها الروح هذا الغلاف المنسوج من اللحم والدم ، يصبح البحث لا جدوى منه ، لانه فوق الطاقة . وشىء واحد هو الذى نستطيع استنتاجه من هذه الآثار ، أن بشرا ممتازا كمحمد لا تدعه العناية غرضا للوساوس الصغيرة التى تتناوش غيره من سائر الناس . فاذا كانت هناك (موجات) تملأ الآفاق ، وكانت هناك قلوب تسرع الى التقاطها والتأثر بها ، فقلوب النبيين — بتولى الله لها — لا تستقبل هذه التيارات الخبيثة ولا تهتز لها . وبذلك يكون جهد المرسلين فى متابعة الترقى لا فى مقاومة التدلى ، وفى تطهير العامة من المنكر لا فى التطهر منه ، فقد عافاهم الله من لوثاته) ..

وهذا يكفى .. فما دمنا بصدد تحليل المؤثرات البيئية والوراثية والغيبية فى تكوين الرسول وتهيئته للرسالة ، فان حادثة شق الصدر تقف فى القمة من المؤثرات جميعا ، صياغة روحية — مادية لشخصية النبى الانسان ، وتهيئة من لدن العليم بمنسربات النفوس ، الخبير بتعقيدات الشخصية البشرية .. لكى يكون هذا الرجل بالذات ، ووفق تكوينه الموجه هذا ، قادرا على التقاط اشارة السماء ، ومقابلة الوحى ، وتحمل المسئولية نبيا الى الناس جميعا ، صعدا الى القمم الشامخة التى تتقطع دونها أعناق الرجال !!

• • •

٢ — العالم : وعلى قدر ما تشح الروايات والاحاديث عن حياة الرسول الانسان قبل مبعثه ، على قدر ما تزيد وتتسع لكى تمنحنا ما فيه الكفاية عن العالم الذى ولد فيه محمد عليه الصلاة والسلام . وذلك أمر معروف أيضا ، ان المدى يتسع هنا لكى يحتوى فى دوائره المتسعة شيئا فشيئا عشائر ، وقبائل، وشعوبا ، وأمما ، كانت قد مهدت بممارساتها وتوقعاتها فى الوقت نفسه الطريق الى المولد الجديد .. بالاحرى ان تاريخ العالم كله ، فى فترة قد تجاوز الاربع أو الخمس قرون بعد استنفاد النصرانية دورها ومهمتها ، هى المساحة التى تهمنا فى دراستنا هذه ، وما أكثر الروايات والاحاديث والابحاث عن هذه المساحة زمانا ومكانا ..

ومن ثم فان كل ما يمكن أن يقال ايجازا وتركيزا لهـذا المدى الواسع هو أن العالم كان قد فسد فى القرن الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليـه وسلم ، والانسان ـ ثانية ـ كان قد ضاع ، الانسان فردا ، والانسان فى جماعة . حيثما التفتنا ، أنى قلبنا وجوهنا فى جهات العالم الاربع فسوف لن نعثر الا على الفساد والضياع ، وابتداء بأعمق أعاميق النفس البشرية وانتهاء بالعالم فى مداه الشامل ، مرورا بالتجارب والممارسات الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية ، لا نجد الا السوس ينخر فى البنيان ، والعفن يتسرب عميقا فى ضمائر الاشياء والتجارب والممارسات ، لكى ما يلبث السوس والعفن أن يفسدا كل شىء ويدنسا كل حياة .

ان سيل ـ على سبيل المثال ـ يحدثنا عن نصارى القرن السادس الهجرى بأنهم (أسرفوا فى عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا فى ذلك الكاثوليك فى عصرنا هذا) (١) . ويحدثنا الفردج . بتلر بأن (ذينك القرنين، الخامس والسادس ، كانا عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين ، نضال تذكيه اختلاف الجنس واختلاف الدين ، وكان اختلاف الدين أشد من اختلاف الجنس ، اذ كانت علة العلل فى ذلك الوقت تلك العداوة بين الملكانية والمنوفيسية . . وكانت الطائفة الاولى كما يدل عليها اسمها حزب مذهب الدولة الامبراطورية وحزب الملك والبلاد ، وكانت تعتقد العقيدة السنية الموروثة وهى ازدواج طبيعة المسيح ، على حين أن الطائفة الاخرى من أهل مصر كانت تستبشع تلك العقيدة وتستفظعها وتحاربها حربا عنيفة فى حماسة هوجاء يصعب علينا أن نتصورها، وأن نعرف كنهها فى قوم يعقلون ، بله يؤمنون بالانجيل : (فتح العرب لمصر ص ٣٧ ـ ٣٨) . وفى عهد هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١) يقول الندوى (وقع فى مصر على يد واليه قيرس اضطهاد فظيع استمر عشر سنين حدث خلاله ما تقشعر منه الجلود ، فرجال كانوا يعذبون ثم يقتلون اغراقا ، وتوقد المشاعل وتسلط نارها على الاشقياء حتى يسيل الدهن من الجانبين على الارض ، ويوضع السجين فى كيس مملوء من الرمل ويرمى به فى البحر . الى غير ذلك من الفظائع . ويقول غوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) : « لقد أكرهت مصر على انتحال النصرانية ، ولكنها هبطت بذلك الى حضيض الانحطاط الذى لم ينتشلها منه سوى الفتح العربى ، وكان البؤس والشقاء مما كانت تعانيه مصر التى كانت مسرحا للاختلافات الدينية الكثيرة فى ذلك الزمن . وكان أهل مصر يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الاختلافات ، وكانت مصر التى أكلتها الانقسامات الدينية وأنهكها استبداد الحكام ، تحقد أشد الحقد على سادتها الروم . وتنتظر ساعة تحريرها من براثن قياصرة القسطنطينية الظالمين : ص ٣٣٦) . ويعود بتلر فيؤكد أن (اختلاف الناس ومناظراتهم العنيفة كلهاكانت مبنية على خيالات صورية من فروق دقيقة بين المعتقدات ، وكانوا يخاطرون بحياتهم فى سبيل أمور لا قيمة لها ، وفى سبيل فروق فى أصل الدين ، وفيما وراء الطبيعة ، يدقفهمها ويشق ادراكها . . ولم يكن نظر الناس الى الدين على أنه المعين يستمدون منه ما يعينهم على العمل الصالح ، بل كان الدين فى نظرهم هو الاعتقاد المجرد فى أصول معينة : ص ٤٧) وما دمنا بصدد مصر كنموذج لما كان يجرى فى المستعمرات الشرقية كلها ، فلنستمع الى ما يقوله مؤلفو تاريخ العالم للمؤرخين (ان مصر كانت تضيف الى مالية الدولة البيزنطية

مجموعا كبيرا من حاصلها ومنتجاتها . وكانت طبقات الفلاحة المصرية مع حرمانها من كل قوة سياسية ومن كل نفوذ مرغمة على أداء الخراج للدولة الرومية ككراء الارض فضلا عن الضرائب . وكانت ثروة مصر فى هذا العهد تتجه الى النقص ٧ / ١٧٣) ..

وفى الدولة (الكبيرة) نفسها ، الدولة البيزنطية (ذابت أسس الفضيلة، وانهارت دعائم الاخلاق ، حتى صار الناس يفضلون العزوبة على الحياة الزوجية ليقضوا مآربهم فى حرية — كما يقول ادوارد جيبون فى كتابه عن الامبراطورية الرومانية — وكان العدل ، كما يقول سيل ، يباع ويساوم عليه مثل السلع . وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الامة التشجيع ..

وجيبون فى كتابه المذكور يقول : فى آخر القرن السادس وصلت الدولة فى ترديها وهبوطها الى آخر نقطة ، وكان مثلها كمثل دوحة عظيمة ، كانت أمم العالم فى حين من الاحيان تستظل بظلها الوارف . ولم يبق منها الا الجذع الذى لا يزداد كل يوم الا ذبولا . ويعود مؤلفو تاريخ العالم ليحدثونا بأن : المدن العظيمة التى أسرع اليها الخراب ولم تسترد مجدها وزهرتها أبدا تشهد بما أصيبت به الدولة البيزنطية فى هذا العهد من الانحطاط الهائل الذى كانت نتيجته المغالاة فى المكوس والضرائب ، والانحطاط فى التجارة واهمال الزراعة وتناقص العمران فى البلدان : ٧ / ١٧٥) . .

وفى الموسوعة البريطانية (مادة جوستين) ان اضطرابا وقع فى العاصمة نفسها عام ٥٣٢ م ذهب ضحيته ثلاثون ألف شخص !! ويتحدث بريفولت عن النظام الطبقى الجائر فى الدولة البيزنطية فيقول (مما جرت العادة عليه أنه اذا أصيبت مؤسسة اجتماعية بالزوال والانحطاط لا يرى القائمون عليها حيلة الا أن يمنعوها من الحركة والتطور ، لذلك كان المجتمع الرومى — فى عهد الانحطاط — خاضعا لنظام طبقى جائر يرزح تحته ، وما كان لاحد فى هذا المجتمع أن يغير حرفته ، وكان لا بد للابن أن يتخذ حرفة أبيه : ص ١٦٠) .

وعن أوربا يقول بريفولت : (لقد أطبق على أوربا ليل حالك من القرن الخامس الى القرن العاشر ، وكان هذا الليل يزداد ظلاما وسوادا . لقد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا وأفظع من همجية العهد القديم ، لانها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة وقضى عليها بالزوال ، وقد كانت الاقطار الكبيرة التى ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها فى الماضى كايطاليا وفرنسا فريسة الدمار والفوضى والخراب : ص ١٦٤) ولم تكن فى أوربا الغربية فى ذلك العهد كما يقول هـ.ج ويلز ، فى مختصر تاريخ العالم ، امارات الوحدة والنظام ..

فاذا ما انتقلنا شرقا الى الدولة الكبيرة الاخرى (الامبراطورية الفارسية) فماذا نرى ؟ ان فى كتاب (ايران فى عهد الساسانيين) للبروفسور آرثر كرستنسن ، الكثير الكثير : (كان المجتمع الايرانى مؤسسا على اعتبار النسب والحرف ، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة . وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشترى أحد منهم عقارا لأمير أو كبير . وكان من قواعد السياسة الساسانية أن يقنع كل واحد بمركزه الذى منحه نسبه ولا يستشرف لما فوقه ، ولم يكن لاحد ان يتخذ حرفة غير الحرفة التى خلقه الله لها . وكان ملوك ايران لا يولون وضيعا وظيفة من وظائفهم . وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزا واضحا ،

وكان لكل واحد مركز محدد فى المجتمع : ص ٥٩٠ ، ٤١٨ — ٤٢٢) ويقول المؤلف المذكور : « كان الجباة لا يتحرزون من الخيانة واغتصاب الاموال فى تقدير الضرائب وجباية الاموال . ولما كانت الضرائب تختلف كل سنة وتزيد وتنقص ، لم يكن دخل الدولة وخرجها مقدرين مضبوطين .. ولم يكن ما ينفق على أهل البلاد فى ايران من مالية الدولة شيئا كثيرا . وقد اعتاد ملوك ايران من القديم أن يكتنزوا النقود ويدخروا الطرف والاشياء الغالية . ولما نقل خسرو الثانى فى المدائن أمواله الى بناية أحدثها سنة ٦٠٧ — ٦٠٨ كان ما نقله ٤٦٨ مليون مثقال ذهب ، وذلك ما يساوى ٣٧٥ مليون فرنك ذهبى. وفى العام الثالث عشر من جلوسه على العرش كان فى خزانته ٨٠٠ مليون مثقال ذهب : ص ١٦١ و ١٦٢) . ويقول : « كان الفلاحون فى شقاء وبؤس عظيم وكانوا مرتبطين بأراضيهم ، وكانوا يستخدمون مجانا ويكلفون بكل عمل . ويصف المؤرخ اميان مارسيلينوس كيف كان هؤلاء الفلاحون البؤساء يسيرون خلف الجيوش مشاة كأنهم قد كتب عليهم الرق الدائم ، ولم يكونوا ينالون اعانة أو تشجيعا من راتب أو أجرة ، وكانت علاقة الفلاحين بالملاك أصحاب الاراضى كعلاقة العبيد بالسادة : ص ٤٢٤) ..

ويحدثنا شاهين مكاريوس فى كتابه عن تاريخ ايران : انه كان لكسرى ابرويز ١٢ ألف امرأة وخمسون ألف جواد وشىء لا يحصى من أدوات الترف والقصور الباذخة ومظاهر الثروة والنعمة ، وقصره مثال فى الابهة والفن . ولم يرو فى التاريخ أن مليكا بذخ وتنعم مثل الاكاسرة الذين كانت تأتيهم الهدايا والجرايات من كل البلدان الواقعة ما بين الشرق الاقصى والشرق الادنى : ص ٩٠ و ٢١١) . وفى الطبرى أن أهل فارس كانوا يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم فى عشائرهم ، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف ، وكان هرمز ممن تم شرفه فكانت قيمتها مائة ألف ، وكانت مفصصة بالجوهر . ذكروا — يقول كرستنسن — أن يزدجرد آخر ملوك فارس لما فر من المدائن أخذ معه الف طاه ، والف مغن ، وألف قيم للنمور ، وألف قيم للبزاة وآخرين وكان يستقل هذا العدد : ص ٦٨١ . أما عن الدين فيقول مكاريوس (كان الفرس فى الزمن القديم يعبدون الله ويسجدون له ، ثم جعلوا يمجدون الشمس والقمر والنجوم مثل غيرهم من الاوائل ، وجاء زرادشت فدعا الى التوحيد وابطل الاصنام .. وأمر بالاتجاه الى جهة الشمس والنار ساعة الصلاة لان النور رمز الاله .. وجاء بعده علماء سنوا للزرادشتيين شرائع مختلفة فحرموا عليهم الاشتغال بالاعمال التى تستلزم النار .. ومن هذا التمجيد للنار واتخاذها قبلة فى العبادات تدرج الناس الى عبادتها حتى صاروا يعبدونها عينا ويبنون لها الهياكل والمعابد ، وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار : ص ٢٢١ — ٢٢٤) ..

أما الهند — يقول الندوى — (فقد اتفقت كلمة المؤلفين فى تاريخها على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا ذلك العهد الذى يبتدأ من مستهل القرن السادس الميلادى .. وقد امتازت الهند عن جاراتها بظواهر يمكن ان نلخصها ثم ثلاث (١) كثرة المعبودات والآلهة كثرة فاحشة (٢) الشهوة الجنسية الجامحة (٣) التفاوت الطبقى المجحف والامتياز الاجتماعى الجائر : ص ٤٦ و ٤٧) . ونكتفى باشارة الى النقطة الاولى ، ان البوذية فقدت بساطتها وحماستها وابتلعتها البرهمية الثائرة الموتورة فتحولت وثنية تحمل معها الاصنام حيث

سارت ، وتبنى الهياكل وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت ونزلت . وقد غمرت هذه التماثيل الحياة الدينية والمدنية التي ظهرت في عهد ازدهار البوذية ، يقول الاستاذ ايشورا توبا استاذ تاريخ الحضارة الهندية في احدى جامعات الهند : لقد قامت في ظل البوذية دولة تعنى بمظاهر الآلهة وعبادة التماثيل، وتغير محيط الرابطات الاخوية البوذية . وظهرت فيها البدع ، ولاحظ ذلك أيضا جواهر لال نهرو فقال في كتابه (اكتشاف الهند) : جعلت البرهمية بوذا مظهرا للالهة ، وقلدتها في ذلك البوذية نفسها ، وأصبحت الرابطات الاخوية تملك ثروة هائلة ، وأصبحت مركزا لمصالح جماعات خاصة ، وفقدت النظام ، وتسرب الى مناهج العبادة السحر والاوهام وبدأت الديانة تتقهقر وتنحط بعد ما سادت في الهند وازدهرت ألف سنة : الندوى ص ٤٤ و ٤٥) .

أما عن نظام الطبقات الجائر فهنالك الكثير ، ان القانون الهندى المدنى السياسى الدينى المعروف بـ (منوشاستر) يقسم البلاد الى أربع طبقات هى (١) البراهمة ، طبقة الكهنة ورجال الدين (٢) شترى ، رجال الحرب (٣) ويش ، رجال الزراعة والتجارة (٤) شودر ، رجال الخدمة ، وعن الطبقة الاخيرة (وهم المنبوذون) يصرح القانون المذكور بالنص (من سعادة شودر ان يقوموا بخدمة البراهمة ، وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك ، وليس لهم أن يقتنوا مالا أو يدخروا كنزا فان ذلك يؤذى البراهمة ، واذا مد أحد من المنبوذين الى برهمى يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده ، واذا رفسه فى غضب فدعت رجله ، واذا هم أحد منهم أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكوى إسته ، وينفيه من البلاد ، واما اذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، واذا ادعى أنه يعلمه سقى زيتا فائرا ، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء) !!

والامر كذلك بالنسبة للصين . أما الامم الاخرى فى آسيا الوسطى وفى الشرق كالمغول والترك واليابانيين فقد كانت بين بوذية فاسدة ووثنية همجية ، لا تملك ثروة علمية ولا نظاما سياسيا راقيا ، انما كانت فى طور الانتقال من عهد الهمجية الى عهد الحضارة ، ومنها شعوب لا تزال فى طور البداوة والطفولة العقلية : الندوى ص ٤٦ . وأما عن العرب فى جاهليتهم فهنالك أيضا الكثير الكثير اسوة بالامم الاخرى فى العالم الذى ولد فيه محمد عليه الصلاة والسلام (٢) . .

* * *

هكذا ، فى كل ميدان ، وفى اى اتجاه ، لا نعثر الا على الفساد والضياع . . ان العالم الذى ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم عالم فى أمس الحاجة الى منقذ ، وهو يفسر بوضعه الراهن ذاك لماذا جاء الرسول فى ذلك العصر بالذات . . إن القرآن الكريم ، تحدث فيما بعد ، عن أبعاد الازمة البشرية عندما قال (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدىالناس لنذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) لقد جاءت هذه الآية بمثابة انذار وبشارة فى الوقت نفسه ، انذار الى أن هذا العفن الذى يغمر العالم انما هو من صنع أبنائه أنفسهم ، وانهم يغرقون الان الى أذقانهم بما صنعوا !! وبشارة لكل الذين انشقوا على دنس العصر واستعلوا على عفنه وفساده ، وآلوا على أنفسهم أن يتحملوا المسؤولية ، وان يسيروا وراء رسولهم بعيدا عن الحفرة التى كان

العالم يختنق فيها ، من أجل ان (يخرجوا) بالناس من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ومن عبادة العباد الى عبادة الله . وتلك هى قمة الحرية التى بعث الرسول لكى يمنحها للانسان ، وغاية الدور الكبير الذى يفسر ميلاد رسولنا عليه الصلاة والسلام ..

ان مهمة أى دين سماوى شامل هو ان ينقل البشرية من وضع معين الى وضع أرقى منه وفقا للمهمة التى أنيطت بالانسان عندما استخلفه الله على الارض واستعمره فيها .. وعندما انتصف القرن السادس للميلاد كانت جميع الاديان والمذاهب قد عجزت تماما — بما عانته من تمزقات وما استضافته من أجسام وقيم خاطئة غريبة — عن أداء دورها المنشود .. وما كان لها من ثم الا ان تفسح الطريق للقادم الجديد كى يأخذ على عاتقه مهمة القيادة فى عملية الاعمار والتحضر . ولقد كان محمد هذا القادم .. وبعد اربعين سنة من ميلاده تلقى رسالة الاسلام الى العالم كله فأشار الى الطريق الواحد لكل من يريد أن يحيا كانسان استخلفه الله على الارض واستعمره فيها .. والا فان هنالك ألف طريق !!

---

(١) هذا النص والنصوص التى ستليه كاستشهادات ، مقتبسة جميعا من الفصلين الاول والثانى لكتاب أبى الحسن الندوى القيم (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) الطبعة الخامسة ١٩٦٤ . وبامكان القارىء ان يرجع اليهما بالتفصيل لاستكمال الصور الشاملة عن العصر الذى ولد فيه محمد عليه الصلاة والسلام .

(٢) انظر بالتفصيل كتاب الندوى المذكور فى الهامش السابق .

مائدة القارئ

الاخراج من الوطن جريمة

قال تعالى : « انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجــوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئـــك هم الظـــالمون .

أصحاب السنن :

(١) البخارى ..
محمـــد بن اسماعيل بن ابراهيمبن المغيرة ــ البخارى. ولد فى بخارى فى ١٩٤ هـ ــ ٨١٠ م . نشأ يتيما . ومات فى (خرتنك) من قرى سمرقند فى ٢٥٦ هـ ــ ٨٧٠ م .

(٢) مسلم ..
اسمه : مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشـــيرى ــ النيسابورى . ولد بنيسابور . فى ٢٠٤ هـ ــ ٨٢٠ م . وتوفى بظاهر نيسابور فى ٢٦١ هـ ــ ٨٧٥ م .

(٣) أبو داود ..
ســليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشـــير الأزدى السجستانى . أصـــله من سجستان . ولد فى ٢٠٢ هـ ــ ٨١٧ م . وتوفى بالبصرة فى ٢٧٥ هـ ــ ١٨٨٩ م .

(٤) ابن ماجة ..
محمـــد بن يزيد الربعى القزوينى ــ أبو عبد الله ، ابن ماجة .
من أهل قزوين . فىالقاموس ماجة : لقب والد محمد . وقيل هو اسم لأمه . ولد فى ٢٠٩ هـ ــ ٨٢٤ م وتوفى فى ٢٧٣ هـ ــ ٨٨٧ م .

(٥) الترمذى ..
محمد بن عيسى بن سورة السلمى البوغى الترمذى .. أبو عيسى . من أهل ترمـذ (على نهر جيحون) . ولد فى ٢٠٩ هـ ــ ٨٢٤ م وتوفـى بترمذ فى ٢٧٩ هـ ــ ٨٩٢ م .

(٦) النسائى ..
أحمد بن على بن شعيب بن على بنسنان بن بحر بن دينار. أبو عبد الرحمن النسائى ــ أصله من نسا (بخراسان) ، دفن ببيت المقدس . وقيل خرج حاجا فمات بمكة .
ولد فى ٢١٥ هـ ــ ٨٣٠ م. وتوفى فى ٣٠٣ هـ ــ ٩١٥ م .

العشـــرة الـــبررة

أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأقواهم فى دين الله عمر ، وأشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم على ، ولكل نبى حوارى ، وحواريى طلحـــة والزبير . وحيثما كان سعد بن أبى وقاص كان الحق معه ، وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن ، وعبد الرحمن بن عوف الزهرى من تجار الرحمن ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح أمين الله وأمين رسوله .
وقد جمع أحد الشعراء أسماء هؤلاء العشرة فقال :

بعد بشرت بعد النبى محمد بجنة عدن زمرة سعداء

سعيد وسعدوالزبير وعامر وطلحةوالزهرى والخلفاء

ذو الشهادتين

حضر خزيمة بن ثابت الأنصارى نقاشا بين الرسول وبين أحد الناس على دين كان على الرسول وقضاه ، فقال خزيمة : أشهد أنك قد قضـــيته يا رسول الله .
فقال له النبى : كيف تشهد ، ولم تحضره ، ولم تعلمه ؟
فقال خزيمة يا رسول الله : نحن نصدقك على الوحى من السماء ، فكيف لا نصدقك على أنك قضيته .. !
فسر رسول الله بهذا الايمان الوثيق ، وأطلق عليه ذلك اللقب (ذو الشهادتين) .
وروى الامام البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادة خزيمة شهادة رجلين .

ذو البجادين

لما أسلم عبد الله بن عمرو المزنى طرده عمه ، ونزع عنه كل شىء حتى ثيابه فأعطته أمـــه بجادا من صوف (والبجاد : هو الثوب المخطط الخشن) فأخذه ، وشقه قطعتين ، جعل احداهما ازارا ، والاخرى رداء ، وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وحينما سأله عن اسمه قال : اسمى عبد العزى. فقال له النبى : بل أنت عبد الله ذو البجادين . فصار ذلك اسما ولقبا له .

فرعـــون الأمـــة

عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى وكنيته أبو الحكم وكان من أشـــد الناس عداوة لرسول الله واضطهادا للمسلمين ، وغير رسول الله كنيته ، وكناه بأبى جهل ، ولقى مصرعه فى غزوة بـــدر ، وحينما رآه رســـول الله مقتولا قال : (قتل فرعون هذه الأمة) .

هذا هو حكم

في لباس المرأة وعملها وتعلمها

واعوذ بالله من أن اقول : (حكم الاسلام) ثم اخلط به شيئا من رأيى ، أو بعضا مما قد تشتهيه نفسى . وأعوذ بالله من أن ألبس على الناس ما لا يمكن أن يلتبس على الله ، فأجمّل لهم قولا تنزع اليه نفسى بصبغة زائفة من الدين لا يرضى عنها ربى ! . .

ان الكاتب ليستطيع ــ اذا شاء ــ أن يخلط بين رأى باطل تشتهيه نفسه ، وحق واضح قد قضى به ربه ولكنه انما يخلط بذلك على الناس أوفئة منهم ، أما فى علم الله عز وجل ــ وهو الرقيب على كل شىء ــ فان الحق لا يمتريه بذلك أى تبدل ولا تحوير . وكل ما قد يكون جناه الكاتب بتلبيسه الذى أقدم عليه أنه تحمل أوزارا مما قد اقترفه الناس فى جنب الله ، اعتمادا على ما قد أفتاهم به من الحكم الذى خيل اليهم أنه حكم الله .

وما أغنى الكاتب المؤمن بالله واليوم الآخر عن أن يذلل عنقه لأوزار يتحمل عن الناس تبعاتها ، ويجد يوم القيامة اليم نتائجها وسوء مغباتها . وما اغناه عن أن يجعل نفسه واحدا من أولئك الذين يدأبون على تضليل الناس عن معالم الحق الالهى ، حتى اذا اجتمع الناس لليوم الذى لا ريب فيه ، واكتشف هؤلاء الضالون عظم الخديعة التى ابعدوا

الإسلام

د. محمد سعيد رمضان البوطي

بها عن الحق ، اتجهوا الى ربهم يقولون :

(ربنا اننا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ، ربنا فآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) .

اجل ! .. فأنا أعوذ بالله من ان أزعم للناس انى أحدثهم عن (حكم الاسلام) فى شأن من شؤون المرأة ، ثم انحاز بهم الى سبيل هوى من أهواء النفس أو غرض مما قد تستدعيه مصالح الدنيا ، فأكون بذلك واحدا من هؤلاء الكبراء الذين يقفون غدا أمام محكمة الله عز وجل وقد تعلق بأذيالهم المغرورن والمخدوعون من الناس ، يطلبون لهم من الله عز وجل مزيدا من العذاب ومزيدا من اللعن والعقاب !! ..

وقائع الاحوال ليست مصدرا من مصادر الحكم الاسلامى

وانما يؤخذ حكم الاسلام من نص ثابت فى كتاب الله تعالى ، أو حديث صحيح من سنة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، أو قياس صحيح عليهما ، أو اجماع التقى عليه ائمة المسلمين وعلماؤهم .

فلا جرم أن التصرفات الفردية من احاد الناس ، أو ما يسميه الاصوليون بـ (وقائع الاحوال) لا يعتبر أساسا أو دليلا لأى حكم شرعى صحيح ، سواء كان هؤلاء الافراد من الصحابة أو التابعين أو ممن دونهم . بل المقطوع به عند المسلمين جميعا أن تصرفاتهم هى التى توزن — صحة

وبطلانا — بميزان الحكم الاسلامى ، وليس الحكم الاسلامى هو الذى يوزن بتصرفاتهم ووقائع أحوالهم .

ولو كان لتصرفات آحاد الصحابة أو التابعين مثلا قوة الدليل على حكم شرعى ، دون حاجة الاعتماد على دليل آخر ، لبطل أن يكونوا معرضين للخطأ والعصيان ، ولكانوا مثل رسول الله عليه الصلاة والسلام معصومين عن الوقوع فى أى خطيئة أو انحراف . ومعلوم بالبداهة أن الانبياء والرسل هم وحدهم المعصومون من الزلل والآثام ، وأما من دونهم من الناس فما منهم الا من رَدَّ ورُدَّ عليه وحق عليه قرار الله تعالى : كل بنى آدم خطاء .

وبناء على ذلك ، فانما يكون السبيل الى معرفة حكم الله تعالى فى موضوع المرأة ، بتلمس قرار كتاب الله وسنة رسوله فى ذلك . فاذا انتهيت الى هذا القرار ورأيته مؤيدا بفهم العلماء العاملين من أئمة الكتاب والسنة ، فذلك هو الحكم الالهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،ولا يؤثر عليه بنسخ أو تحوير أو تقييد أن تجد آحادا من الناس يخالفونه من أى طبقة أو سوية كانوا .

كل ما عدا الوجه والكفين من المرأة عورة

وقد كانت المرأة فى العصر الجاهلى تحرص على اظهار زينتها امام الرجال ، وأن لم تكن تبالغ فى ذلك كشأن المرأة فى الامم الاخرى . وقد كان الجيد والنحر وجمة الشعر من ابرز مفاتنها عناية وظهورا أمام الرجال .

فلما جاء الاسلام وتنزلت أحكامه الشرعية تترا ، نزل فى حق المرأة ولباسها قول الله عز وجل : **(يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما)** ونزل أيضا قوله عز وجل :

(وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ماملكت ايمانهن أوالتابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) النور :

فقد دلت الآيتان بصريح البيان على أن ذلك التبرج الذى كانت قد تعودت عليه المرأة العربية فى جاهليتها قد أصبح أمرا محظورا وسلوكا محرما مشينا ، وأن عليها أن لا تكشف من زينتها ومفاتنها أمام الغرباء الا ما يظهر منها بطبيعة الحال وتقع فى حرج وضيق عند محاولة ستره . وقد وضع البيان الالهى هذا الحكم ضمن اطار بارز من الخطورة والاهتمام ، عندما عدد أصناف الاقارب والناس الذين يستثنون من عموم هذا الحكم صنفا صنفا كما قد رأيت فى الآية الثانية .

من أجل ذلك أجمع ائمة المسلمين كلهم على أن ما عدا الوجه والكفين من المرأة داخل تحت وجوب الستر ، اذ الظاهر الذى قد تتحرج المرأة من ستره لا يعدو أن يكون الوجه والكفين على حالة طبيعية لا زينة فيهما .. وقد أمر الله بستر ما عدا هذا الظاهر من جيد ونحر ونحوهما . فلم يقع

بين أئمة المسلمين فى أى عصر من العصور خلاف فى أنه يحرم على المرأة أن تكشف أمام الاجانب — وهم ما عدا الاصناف الذين استثنتهم الآية — شيئا غير الوجه والكفين ، من شعرها أو بقية أجزاء جسمها .

تحقيق العلماء عن الوجه ذاته

الا أن محل البحث والنظر فيما بينهم ، انما كان فى أمر الوجه نفسه ، وقد انقسم العلماء فى ذلك الى فريقين :

فأما الفريق الأول ، فقد فسر ما ظهر من الزينة ، فى الآية المذكورة ، بزينة الثوب وأطراف الاعضاء وما قد يبدو معها كالخاتم ونحوه .. فبقى الوجه والكفان داخلين فى عامة ما يحظر كشفه . وعليه فلا يجوز للمرأة أن تكشف وجهها أمام غير من استثناهم الله تعالى ، من أصناف الاقارب ومن يلوذ بهم .

ويستدل أصحاب هذا التفسير — وهم الحنابلة وبعض الشافعية — على ما ذهبوا اليه بالاحاديث التالية :

١ — ما رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها فى باب ما يلبس المحرم من الثياب : (لا تلثم المرأة ولا تتبرقع ولا تلبس ثوبا بورس ولا زعفران) . ومثله ما رواه مالك فى الموطأ عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول : لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين . فما معنى نهى المرأة عن أن تتبرقع أو تنتقب أثناء الاحرام بالحج ، لو لم تكن فى عامة أحوالها الاخرى مبرقعة ؟

٢ — ما رواه البخارى أيضا عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أردف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه — وفيه قصة الخثعمية التى وقفت تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم — فطفق الفضل ينظر اليها ، فأخذ النبى عليه الصلاة والسلام بذقن الفضل فحول وجهه عنها . قالوا : فلولا أن وجهها عورة لا يجوز نظر الرجل الاجنبى اليه ، لما فعل رسول عليه الصلاة والسلام ذلك بالفضل ، أما المرأة ذاتها فقد كان عذرها فى كشف وجهها أنها كانت محرمة بالحج .

٣ — ما رواه ابن هشام عن ابن اسحاق فى سبب اجلاء النبى عليه الصلاة والسلام ليهود بنى قينقاع عن المدينة ، من أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها (ما يجلب الى السوق للبيع) فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست الى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها ، فلما قامت تكشف جسمها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين فقتله .. الخ قالوا : فلولا أن الحجاب الشرعى سابغ للوجه أيضا لم يكن أى دافع الى أن تسير هذه المرأة فى الطريق ساترة وجهها . ولولا أنها قد فعلت ذلك تحقيقا لحكم دينى تعلمه وتؤمن به لما وجد اليهود ما يدفعهم الى ما صنعوا ، لأنهم انما أرادوا بذلك مغايظة شعورها الدينى .

٤ — ما أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه وغيره ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لما نزلت آية الحجاب خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها .

وأما الفريق الثانى ، فقد فسر « ما ظهر منها » بالوجه والكفين . اذ هما الظاهر الذى قد تتحرج المرأة من الدوام على ستره . ولكن أصحاب هذا التفسير شرطوا لجواز كشف المرأة وجهها أن لا يكون ذلك

فى حالة تثير الفتنة كأن تكون بارزة الجمال أو أن تظهر أمام فساق يغلب على الظن أنهم يتأملونها بشهوة ، فان عليها فى هذه الحال أن تنهى عن هذا المنكر الذى هى المتسببة فيه . وانما يكون نهيها له بأن تمنعه من النظر اليها بهذا الشكل ، أو أن لا تخرج من بيتها الى مثل هؤلاء الناس ، أو أن تحتجب عنهم ببرقع تسدله على وجهها .

قالوا : فكل ما ورد من الاحاديث الصحيحة الدالة على الانتقاب مما احتج به الفريق الاول ، يفسر بحالة الخوف من الفتنة أو يفسر بحب الحيطة والورع فى الحكم ، والراجح أن أكثر نساء الصحابة والتابعين فيهن من الورع وحب الحيطة فى دين الله ما يدفعهن الى الانتقاب .

محل الإجماع .. ونتيجة الخلاف

فقد تحصل من هذا الكلام أن ائمة المسلمين كلهم أجمعوا على ما يلى :

أولا : لا يجوز أن تكشف المرأة أمام الاجانب شيئا أكثر من وجهها وكفيها .

ثانيا : لا يجوز أن تكشف المرأة الوجه والكفين أيضا اذا علمت أن من حولها من قد ينظر اليها النظر المحرم الذى نهى الله عنه وهو التأمل بشهوة .

ثالثا : اتفقوا على جواز كشف الوجه — ترخصا — لضرورة تعلم أو تطبب أو شهادة أو تعامل ما من شأنه أن يستوجب الشهادة .

واختلفوا فيما وراء هذه الاحوال، وهو أن تكون المرأة بادية الوجه فى مجتمع عام ، وليس ثمة من يتأملها بشهوة . فقد ذهب البعض الى انه لا حرج عليها فى ذلك ، وهم الجمهور ، وذهب آخرون — وهم الحنابلة وبعض الشافعية الى أنه يجب عليها ستر وجهها مطلقا .

هذا هو حكم الاسلام فى لباس المرأة . اتفقت عليه كلمة علماء المسلمين كلهم ، معتمدين فى ذلك على نصوص واضحة صريحة فى كتاب الله تعالى واحاديث ثابتة صحيحة من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام . فاذا عثرنا بعد ذلك على وقائع وتصرفات فردية لبعض نساء الصحابة أو التابعين أو غيرهم ، تخالف هذا الذى أجمع عليه الأئمة مما دل عليه صريح الكتاب والسنة ، فانها وقائع محجوجة بالحكم المبرم فى كتاب الله جل جلاله ، وحاشا أن يكون حكم الله محجوجا بها .

ليس فى أمر العمل والتعلم ما تختلف به المرأة عن الرجل

اما أن تباشر المرأة عملا ما تستدر به الرزق لنفسها أو لأسرتها ، أو أن تعكف على علم من العلوم تدرسه وتتعلمه ، فليس للاسلام فيه الا الحكم العام الذى يشمل المرأة والرجل على السواء . واذا عثرت على حالة ينهى فيها الاسلام المرأة عن أن تعمل خارج بيتها أو أن تتعلم، فذلك لما قد يصحبه من ارتكاب لبعض المحاظير ، كأن لا تلتزم بأحكام الستر والاحتجاب عن الأجانب على النحو الذى أوضحناه . أما اذا جمعت بين التمسك باللباس الاسلامى المشروع ، والعمل المباح فى ذاته أو العلم النافع الذى تسعى الى تحصيله ، فليس فى الامر مشكلة تحتاج الى بحث . ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أى حديث فى المنع عن شيء من ذلك ، بل اتفق الفقهاء على أن المرأة المتوفى عنها زوجها لها أن تخرج من بيتها فى مدة العدة اذا اضطرها الى ذلك حاجة اكتساب ورزق .

وتعلم من هذا الذى ذكرناه ، أن المفتاح الذى بيده حل المشكلات الاجتماعية المختلفة المتعلقة بالمرأة ، انما هو انصياعها لحكم الله عز وجل فيما ينبغى أن يكون عليه لباسها وسترها . فاذا انصاعت لهذا الحكم الالهى ، فلا عليها أن تناكب الرجل أو تسابقه فى جميع الاعمال والميادين والمهارات المباحة المختلفة . أما عندما لا تنصاع لهذا الحكم الالهى فان جميع أعمالها وتصرفاتها تتسم بطابع الحرمة والحظر ، ولكن لا لذاتها بل من أجل ما صاحبها من المحظور الذاتى الذى لا شك فى حرمته .

أيهما المشكلة التى .. تحتاج الى حل ؟

فاذا تبينت — يا أخى القارىء — حكم الله تعالى فى هذه المسألة ، فأيهما تعتبر مشكلة تحتاج الى معالجة وحل ؟ .. المرأة التى تحتاط لدينها وتبالغ فى تحقيق مرضاة ربها فتفيض على جسمها مزيدا من الستر وتسدل منه على وجهها وسائر أطرافها ، مخافة أن يتأملها ناظر بشهوة فتكون هى المسببة لذلك فتبوء باثمها واثمه أم المرأة التى تتأول حجاب الجسم بعفة النفس وتتخذ من كشف بعض شهيرات النساء عن وجوههن — تابعيات كن أم صحابيات — دليلا على زيف الحجاب من أساسه ، فتنطلق بين الرجال عارضة من جسمها كل ما فيه زينة وفتنة واغراء ، دون أن تتقيد من ذلك بحد الا ما تفرضه (الموديلات) المتناسخة التى ترعاها دور الازياء فى باريس وأنحاء أوروبا وأمريكا ؟! ..

اجل يا أيها القارىء المسلم : أيهما تعتبر مشكلة دينية واجتماعية وخلقية تحتاج الى اهتمام وحل ؟!..

أليس من أعجب العجب أن تجد طائفة من كتابنا — وهم مسلمون بألسنتهم — وكثيرا من مجلاتنا — وهى مطبوعة بطابع التوحيد والايمان — تجعل من الحيطة فى دين الله والاهتمام الصادق بشرع الله مشكلة المشاكل وكبرى المصائب ، فتجرد لها الاقلام وتستعين لحلها بالصور المغرية آنا والساخرة آنا آخر ، وبالايحاءات والمعالجات النفسية المختلفة ، كل ذلك من أجل أن طائفة من النساء المسلمات — وهن قلة على كل حال — دفعتهن الحيطة ابتغاء مرضاة الله عز وجل فأسدلن الحجاب على وجوههن أو على ما سواها من بقية أعضاء الجسم ، دون أن يشفع لها أنها قد تساهم مع ذلك فى خدمة مجتمعها ورعاية أمتها ، وتقوم فى مجال النشاط الثقافى والاجتماعى الصحيح بما لاتقوم به الاخريات — ثم لا تستشعر فى المقابل بأى مشكلة أو خطيئة تحتاج الى معالجة وتقويم بالنسبة لهذه الكثرة الكاثرة من النساء والفتيات اللاتى وقعن أسيرات تحت حكم بيوت الازياء الحديثة التى يعلم المطلعون جميعا أنها انما تنقاد لادارة طائفة من الادمغة الصهيونية التى تعمل جاهدة على أن تتحكم بلباس المرأة فى العالم الاوروبى والامريكى عامة وهذا الشرق الاسلامى خاصة ! ..

اليس من اغرب العجب أن تجد طائفة من الكتاب — وهم مسلمون بألسنتهم — يتعلقون بما قد يعثرون عليه من الوقائع الفردية لحال بعض نساء الصدر الاول من التاريخ الاسلامى ، ليسوغوا به هذا الواقع الاليم الذى لا يقره دين سماوى ولا خلق انسانى ولا ينطوى الا على شر خطير طالما تنادى المصلحون لمعالجته وغالط بعضهم بعضا فى الاشارة الى مصدره ثم لا يعرجون على شىء من حكم الله تعالى الواضح الصريح فى كتابه وعلى لسان نبيه والمجمع عليه عند ائمة المسلمين ، ليتخذوا منه وسيلة الى اصلاح شىء من هذا الفساد العظيم ، وتخفيف قدر ولو يسير من بلاء هذا التعرى الذى انحرفت اليه الاسرة المسلمة دون أن تجد فى طريقها أى مقاومة ولا تنبيه ! ..

عشرات الأبحاث والمقالات تنشر بين حين وآخر فى الغمز واللمز والسخرية من بقايا حجاب المرأة المسلمة ، وهو لم يأت الناس الا بالفائدة والخير ، ولا يكتب فى مقابلها بحث واحد يلفت فيه النظر الى ضرام هذه النار التى تتقد فى كل بيت وتندلق الى كل شارع ومجتمع ، وهو لم يقدم الى جيل هذه الأمة بل الى شباب العالم كله الا أخطر أسباب الهلاك والدمار !!! ...

أختى المسلمة !

أختى المسلمة : لئن كان ثمة من يريد أن يزيد مشاعرك تخديرا تحت وطأة هذه (التقاليع) التى أحاطت بك كما تحيط خيوط العنكبوت بالضحية الحبيسة ، فيذكرك بفلانة التى كانت تبرز مفاتنها أمام الرجال وفلانة التى كان لها « صالونها » الادبى البارز بين الناس ، فانى لأذكرك بالحكم الالهى الذى نقلته لك بأمانة وبالحديث الثابت الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول :

(صنفان من أمتى لم أرهما قط : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة (أى كسنام الجمال) لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا) .

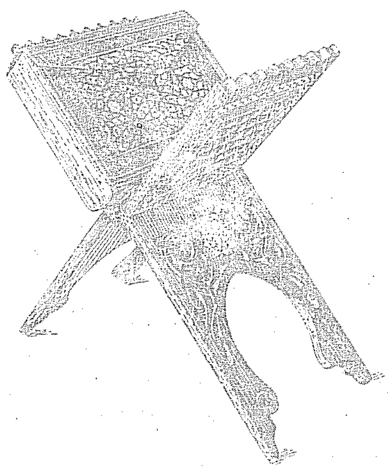
ولئن كان ثمة من يزعم لك بأن حجاب المرأة عائق عن مشاركتها الرجل فى نهضته الفكرية والثقافية والاجتماعية ، فانى اقطع لك بأن هذه المقارنة بهتان كبير لا أساس له ، وأقرر لك — وأنا شاهد عيان — أن فى فتيات بعض جامعاتنا العربية متحجبات بحجاب الاسلام مستمسكات بحكم الله عز وجل ، وهن أسبق الى النهضة العلمية والثقافية والنشاط الاجتماعى من سائر زميلاتهن المتحررات . لقد رأينا الكثير من مظاهر التبذل والعرى فى افريقيا وجهات أخرى وما رأيناها نبعت بشىء من سحر النهضة العلمية والنشاط الفكرى والتقدمى . كما رأينا الكثير من مظهر المحافظة على شرع الله وحكمه دون أن ينحط هذا المظهر بأصحابه أو صاحباته عن أوج الرقى الصحيح والحركة الثقافية الناشطة . ان التخلف له أسبابه والتقدم العلمى له أسبابه ، واقحام شريعة الستر والاخلاق فى الامر خدعة لا تنطلى الا على متخلف عن مستوى النظر والفكر .

ولئن كان ثمة من يزعم لك بـأن عفة الفتاة حقيقة كامنة فى ذاتهـا وليست غطاء يلقى ويسدل علـى جسمها ، فانى أقول لك : ان هـذا صحيح ، ولكن من هذا الذى زعـم أن مشروعية الحجاب فى دين اللـه انما تعنى خلاف هذه الحقيقة ؟ .. ان الله عز وجل انما فرض الحجاب على المرأة حفاظا على عفة الشاب الذى قد يقع نظره عليها ، لا حفظا علـى عفتها هى من العين التى قد تراها ، ولئن كانت تشترك معه فى هـذه الفائدة فى بعض الاحيان ، فـان فائدته من ذلك أخطر وأعظم ، والا فمن ذا الذى يقول ـــ تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة ـــ ان للفتاة أن تبرز عارية أمام الرجـال كلهـم ما دامت انها ليست فى شك من قوة أخلاقهـا وسلامة عفتها ؟! ..

ثم أن كان ثمة من يذكرك بجمال هذه الدنيا ومغريات الانطلاق فيها ، فانى اذكرك بخطـورة عقبـاها ، وجسامة ما ينتظرك من آثارهـا ونتائجها .. أذكرك بيوم الديان ، ان كنت قد آمنت بوجوده . أذكرك بهذا كله ، فان ذلك أدعى الى أن تتلمس سعادة الدنيا والآخرة معا .

ودعينى اذكرك أخيرا ، بأن جميع هؤلاء الخادعين انما ينظرون فيما ينصحون لك بزعمهم الى أمر أنفسهم وحاجة شهواتهم ، ولو أنـى أردت لنفسى حظها لفعلت مثلهم ولانضممت الى ركبهم ، فأنا رجل فى نفسى من هوى الرجال وشهواتهم مثل الذى عندهم جميعا . ولكنى ايتها الاخت المسلمة لا أريد أن أبوء بإثمى وإثمك يوم القيامة ، أريد أن تكونى حسنـة فى ميزانى وأن أكـون حسنة فـى ميزانك . أريد لى ولنفسك شيئـا أقـدس وأسـعد من كل هـوى وشـهوة .

أريد لى ولك مرضاة الله .



نموذج من دعاة الاصلاح في عصور الركود الفكري

الامام ابن تيمية

– ١ –

للشيخ محمد الصادق عرجون

ليس هذا الحديث ترجمة لابن تيمية رحمه الله لأن ترجمة شخصية تاريخية مثل شخصية هذا العلم العليم ، عبقرى دهره ، ونسيج وحده ، تستدعى كتابا جامعا ، يحلل ويستشهد ، ويوازن بين أحداث الشخصية ليحكم بعد أن ينقد ، ويجمع النظير الى نظيره ليستنتج ، ودون ذلك مئات الصفحات تنفد ولا ينفد الحديث عن معالم هذه الشخصية التى فتح لها التاريخ صدره فاستقرت منه فى قرار من الخلود مكين .

وانما هو حديث عن جانب من جوانب شخصية هذا الامام الذى جدد الله به لهذه الأمة أمر دينها بعد أن فقد المسلمون معالم الطريق لهدايته فى غمرة من المحن، وصيب من البلاء ، والذى نهض بعبء الاصلاح فى الامة الاسلامية ، وبعث الله به الفكر الاسلامى بعد الجمود ، وأيقظ به الحياة بعد الركود .

ذلك الجانب هو جانب الدعوة الى الله تعالى ، فهذا الحديث يقصد الى تصوير شخصية ابن تيمية بوصفه نموذجا حيا للدعاة فى عصور الركود الفكرى والجمود الدينى ، وفى هذا الجانب نجد فى ابن تيمية شخصية عريضة المعالم ، عميقة الغور ، صنعها الله على عين الاسلام فى بدئه غريبا ، وفى قوته مؤيدا رهيبا ، وفى سماحته رغيبا أريبا ، وفى عدله حكيما لبيبا ، وفى رحمته مواسيا حبيبا ، وفى آدابه وشرائعه معلما نجيبا .

جاء ابن تيمية الى الحياة على فترة من المصلحين فى تاريخ الاسلام ، كان المجتمع الاسلامى فيها قد وصل الى صورة يعجز القلم عن تصوير ما كان يغمر هذا المجتمع من الانحلال الاجتماعى ، والتحلل السياسى ، والتفتت المذهبى ،

والتفرق الطائفي ، والتعصب القومي ، والجمود الفكـري ، والركود الديني ، مجتمع فرقه الهوى ، ومزقه الترف البطين ، واستولت على سياسته قيـادات حاكمة عاشت لشهواتها الداعرة في ظل من الجهالة الجاهلة ، واستحوذ عليه البلاء من كل جانب ، وصبت عليه المحن القواصم صبا ، واحاطت به الرزايـــا العواصف ، فعصفت بمقوماته حتى أفقدته الاحساس بالمقاومة ، فهو يبصر ولا يعى ، ويسمع ولا يفقه ، ويساق فلا يدرى ، تألبت عليه الصليبية الحاقدة فـي تعصب مسعور ، تريد أن تستأصل شأفته من الارض ، وتكالبت عليه معهـــا وحشية التتار في جنون مجنون ، تعب من دماء البشر فلا تشبع ، وتخرب كـل عامر فلا تقنع ، وتدمر كل قائم فلا تهدأ ، تشرد الآمنين ، وتطارد الهاربين ، وتفتك بالزمنى والعاجزين لا يصدها عن غيها دين ، ولا يردعها عن كفرها وضلالها ضمير ولا تردها عن طغيانها رحمة ، ولا توقف عتوها مروءة ، فهى لعنة الله على أهل الارض ، ونقمته بالمسلمين ، وبطشه بمن نام منهم عن رعيته فتولى رعيها الذئاب تنهش ما تبقى في أشباحها من بقايا الحياة ، ولا تـزال أسواء هاتين النكبتيـن العاصفتين بفضائل الاسلام في مجتمعه تلازم هذا المجتمع وتفتك به ولا يزال هذا المجتمع في أشد الحاجة الى من يقوده ويوجهه من نماذج الدعاة المصطفين للقيام بالدعوة الى الله بايمانهم وعلمهم وصادق اخلاصهم .

فالصليبية الحاقدة لا تزال تشن على الاسلام والمسلمين حربا شعواء في صور وألوان مختلفة ، من أقساها وامرها واشدها فتكا بخصائص المجتمـــع الاسلامى ، هذه الحرب الفكرية الالحادية التحللية التى وجهت وتوجه الفكر الاسلامى وجهات بعيدة كل البعد عن معالم دينه ، وصرفته عن منابعه الاصيلـة وأصوله التى انزله الله عليها ، فأخرج بها الناس من الظلمات الى النور ، والتى وضع الله بها في يد الأمة الاسلامية أزمة القيادة الانسانية منذ أهاب بها (كنتـم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنـــون بالله) فاستجابت متصدرة محافل العلم والمعرفة ، حاملة لواء القيادة للحياة سلطانـا وعلما وخلقا ، مما أوغر صدور أعدائها حقدا ، فتربصوا بها حتى عشت عن طريق اسلامها وضلت طريقه في الهداية والدعوة الى الله ، وخلعت عن جيدها قلائد فضائله ، فوثبوا عليها وثبة المجنون ينطلق من وراء أسوار الظلام ، فلا يصادفه في طريقه شىء الا أتى عليه تحطيما .

وهذا الحقد الصليبى الاسود الذى أدرك الامام ابن تيمية آثار أعاصيـره الدامية لم يكتف باثارة العصبية العمياء في اشعال نيران الحروب المدمرة ، وتأليب النصرانية الكافرة بنعمة الاسلام والمسلمين عليها يوم أن عاشت في ظله آمنة مطمئنة في الشرق والغرب ، ولكنه اثارفي ظل تكتلاته المسعورة بجميع مذاهبه وطوائفه حربا من الاكاذيب الفكرية ، توهم موقدوها من قسيسيهم ورهبانهم كما يتوهم مستشرقوهم اليوم أنهم يستطيعون — وحروبهم المدمرة تحميهم — أن ينالوا من الاسلام في عقائده وتشريعاته نيلا ، ولكن الله تعالى كان لهم بالمرصاد فسلط عليهم سيف ابن تيمية العلمى ، فنهض بقلمه ولسانه الى رقاب شبههم يجزهـا بحجته ، حتى تركها بين أيديهم كالرميم ، ورماهم بباقعة الدهر في كتابه العظيـم (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) الذى لم يؤلف في موضوعه مثله ، بيـن فيه أغاليط النصرانية الكافرة المبدلة المحرفة ، وكشف سوءات الحقد الصليبـى فيما زعموه دينا وفلسفة ، وقد حفظ الله للاسلام والمسلمين هذا الكتاب القيـم ليكون مادة علمية تمد كل مسلم بأصدق البراهين على حقـائق الاسلام ، دينا سماويا خالدا ، وشريعة الهية نسخ الله بها جميع الشرائع قبلها ، وختم بها وحيه

الى الناس كافة ، وسيظل هذا الكتاب شجا فى حلق الاستشراق والتبشير يغصان به ، كاشفا عن أباطيلهما ، مضيئا للناس فى طريق الدعوة الى الله .

ولئن خدع متزعمو المسلمين فى أوطان الاسلام شرقا وغربا بأكاذيب النفاق السياسى — فتوهموا أو وهموا أن هذه الحروب التى تشنها الصليبية الحاقدة اليوم بكل قواها وبكل صورها وأشكالها الظاهرة والخفية هى حروب سياسية جديدة لا تتصل بمطالع تلك الحروب الدينية الحاقدة المدمرة — فلن يخدع الواقع الاسلامى أمام الحقائق التى تلظى هذه الحروب ، وتلونها مرة فى صورة علم وبحث استشراقى خبيث ، يضع للمسلمين السم فى الشهد ، ومرة أخرى فى صورة تبشير دعائى آثم كفور ، يفتك بالعقائد والاخلاق ، ومرة ثالثة فى صورة أوضاع حضارية اباحية لا تقيم وزنا للقيم الاخلاقية والفضائل الانسانية ، ليخدعوا بها غرائز الشباب الفوارة ينذر المراهقة لتنهار أمام عينيه حصون الفضائل ، ومرة رابعة فى صورة فلسفة الحادية منحلة متحللة تدعو الى الدعارة الوجودية والاباحية الفاجرة ، لتحطم مقدسات الاديان وأصول الشرائع الالهية.

أما نكبة الوحشية التتارية فلا تزال رواسبها التى انحدرت وراثة فى مواليد الأجيال تكمن فى مكامن الحياة من نفوس العالم الاسلامى الذى أصطلى بنار تلك النكبة المسعورة فى جنونها ، فولدت فيه الرعب والخوف من كل حركة ، يستشعرها حوله ، لا يبالى أن تكون له أو عليه حتى أصبح كأنما هو المعنى بوصف الجذوع الخاوية من أشباح المنافقين **(يحسبون كل صيحة عليهم)** فاذ هو مجتمع متهافت ، فقد كل مقومات المقاومة للدفاع عن نفسه ، ودينه ووطنه ، ومقدساته فى الداخل والخارج ، نتيجة لما أصيب به على أيدى وارثى وحشية التتار المغوليين من الملاحدة الشيوعيين الذين أفنوا ملايين المسلمين فى أوطان اسلامية ، كانت أنضر رياض الاسلام ، بما كان فيها من شموس أعلام العلماء ، حتى أصبحت — من شدة الهلع — كلمة « الاسلام » غريبة فى منطق المتزعمين على أمم الاسلام ، لا تكاد تجد لها مكانا فى أحاديثهم وخطبهم ، واذا الجئوا اليها الجاء لظرف قاهر ، خرجت مهزوزة ، مريضة، كأنما تعانى بها السنتهم سكرات الموت، واذا اضطروا لمناسبة تتملق الجماهير الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، ذكروه كما يذكره من لم ينشأ نشأة إسلامية أصيلة ، فيقولوا : « النبى محمد » أو « محمد النبى » هكذا بهذا التعبير الغريب عن شعائر المسلمين .

من هذا التصوير الموجز لفداحة ما أصاب المجتمع الاسلامى فى حياته الدينية ، والفكرية ، والاجتماعية ، يوم أن نهد فيه الامام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم المشهر بابن تيمية ، داعية الى الله تعالى فى عصره ، مصلحا ما أفسده الجمود الفكرى والضعف الاجتماعى ، نستطيع أن نتعرف على المعالم الاصليةالتى جعلت من هذا الامام نموذجا لأفضل الدعاة الى الله تعالى فى عصره والأعصر التى توالت بعده .

ومعالم الداعية الى الله تعالى هى التى تهمنا فى دراسة شخصية ابن تيمية ، وقد أخترناه نموذجا للدعاة الاصلاحيين فى عصور الركود الفكرى ، وأما ما وراء ذلك من معالم عامة أو خاصة لشخصية هذا الامام ، فقد أشرنا الى أنها أوسع وأعمق من أن يحاط بها فى صفحات دراسية معدودة فى زمن محدود .

والامام ابن تيمية كان حظيا جد الحظوة فى سجل التاريخ ، فقد كتب عنه الكثير بين كتب مطولة ، تترجمه ، وبحوث موجزة ، تتحدث عنه ومقالات وفصول تبين بعض فضائله ،وتعليقات على فتاويه ورسائله ، تشيد بعلمه ، بيد أنه عاش

عمره يتقلب فى سراديب المحن ومضايق البلايا ، وهو صابر مصابر ، لا يحقد على احد ناله بأذى ، ولا تلين قناته أمام صولة باطل ، مهما أزبد وأرعد ،قوال بالحق فى غير تكلف ولا مصانعة ، لا يصده عن الجهر به فى وجه من كان ــ وعد أو وعيد ، ولا يقعده عن اظهار معتقده وآرائه ترغيب أو ترهيب ، زهد الدنيا فتحرر من ربقتها ، كان ايمانه بالله مصدر قوته يناضل عن الحق ، مهما لقى فى طريقه من مصاعب وعقبات ، والناس فيه بين محب أفرط فبالغ وتجاوز المدى ، وشانىء أعمته البغضاء عن رؤية الحق .

ولو حكم الناس على الناس والأحداث بعلم ومعرفة ومعدلة لاستقامت بين أيديهم موازين الحق والعدل فى تقدير الرجال ، ووضعهم من الحياة فى مكانهم الصحيح مع احداث التاريخ ، ولا سيما حياة الاسلام والمسلمين ، فهى حياة ولود، ودود ، لا تعرف العقم فى ولادة الأكملين فى خصائص الانسانية الفاضلة ، ولا ترضى بالظلم فى غمط الفاضلين ، فهى حياة مخصبة عادلة ، والله تعالى وضع الميزان للناس فى كتابه العزيز فقال عز شأنه **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)** وقال تبارك وتعالى **(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين)** .

وللامام ابن تيمية نسب روحى عريق فى المحن والصبر على لأوائها ، فهو وليد أسرة علمية تتمذهب بمذهب الامام قدوة الصابرين فى الاسلام على محن البلاء احمد بن حنبل رضى الله عنه ، فكأنما كان مهد ابن تيمية فى أحضان هذه الأسرة ارهاصا لما كان ينتظره فى حياته مسطورا فى لوح الغيب من الابتلاء بما ابتلى به فى سبيل آرائه العلمية ، فلا بد أن يكون ابن تيمية قد فتح عينيه ، وأرهف أذنيه وأصغى بقلبه وعقله الى ما تتناقله أسرته وترويه من حياة أمامها أحمد بن حنبل معجبة به ، فخورة بصبره وثباته لتثبيت الحق فى قلوب المؤمنين ، ولا بد أنه قرأ عن محنة امامه وعرف مصادرها ومواردها ونهاياتها ، ومن كان فيها وليا للشيطان يوقد نارها ، ومن كان فيها وليا للرحمن يطفىء بصبره أوارها ، ومن كعّ وتوارى وراء التورية والتعريض ، ومن تخاذل فهرب من ميدان الجهاد فى الله ، ومن تلقى نبلها من قوس باطلها فرده فى نحر أعداء الحق ، فاختار ولا خيرة لمثله فى هذا المقام ، لأنه لماح تواق لتسنم ذرى معالى مراتب الايمان ، ولو كانت بين أشواك المحن والبلاء ، وانها لكذلك فى واقعها ، ولا بد انه سأل نفسه ، هل كانت هذه المحنة ، محنة العقيدة فى صورة القول بخلق القرآن أولى وآخر البلايا والمحن فى تاريخ الاسلام ؟ وهل كان امامه ، الامام أحمد بن حنبل أول وآخر مبتلى صبار فى أحداث الاسلام ؟ ولا بد أنه أجاب نفسه عن هذه التساؤلات وتمثلت أمام عينيه مواقف من المحن والرزايا منذ كانت دعوة الاسلام ، وكان دعاتها الذين خاضوا فى سبيلها لجج البلاء والمحن صابرين مصابرين حتى أقاموا منائر الحق تضىء للسالكين طريق الدعوة الى الله .

واذا كان الصحابة رضوان الله عليهم فوق مستوى من جاء بعدهم ، فلا يلحقهم فى صبرهم على البلاء من يحاول اللحاق بهم ، لما كان لهم من خصيصة التربية النبوية ، ففى تلاميذهم من التابعين وتابعيهم نماذج وشواهد ، وأى امام سادت آفاق الارض سمعته وسيرته وطوف فى الأرجاء علمه وفضله لم يمتحن

بقواصم البلايا على أيدى الظالمين ؟ سعيد بن المسيب ، سعيد بن جبير ، مالك بن أنس ، أبو حنيفة ، سفيان الثورى ، البويطى ، وغيرهم وغيرهم ممن لا يحصيهم العد ، فليكن ابن تيمية سليل هذا الرعيل فى نسب الروح والايمان وصلابة العزيمة ، وليعمل كما عملوا ، وليصبر كما صبروا ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون .

● أول معالم الداعية وأعظمها فى شخصية ابن تيمية التى جعلته نموذجا يحتذى ، وقدوة به يقتدى ، سعة معارفه فى جميع فنون المعارف التى كانت معروفة فى عصره ، وكان كثير منها قد استوى فى ذروته ونضجت مباديه وأصوله ، فقرأها وهضمها ، ونقدها وزيف الباطل منها ، وانتفع بما فيها من حق وخير .

ولقد صادف ذلك عنده تبحره فى علوم الاسلام والعربية بما لم يعرفه التاريخ العلمى فى الاسلام لفرد غيره منذ أن أقام بنهضته الاصلاحية داعيا الى الله ، مبلغا رسالة الاسلام كما فهمها من الكتاب والسنة وأقاويل الصحابة والتابعين ، وقد اعترف بفضله وقوته فى العلوم والمعارف الفطاحل من معاصريه الذين كان لهم فى مجال الفكر الاسلامى القدح المعلى ، والذين تعتبر شهادتهم مفخرة فى حياة هذا الامام الداعية المجاهد . يقول فيه الامام ابن دقيق العيد . وكان قد اجتمع به وسئل عنه : (رأيت رجلا جمع العلوم كلها بين عينيه ، يأخذ منها ما يريد ، ويدع ما يريد) . ويقول عنه ابن سيد الناس : (كان يستوعب السنن والآثار حفظا ، ان تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر فى الحديث فهو صاحب علمه ودرايته ، أو حاضر بالملل والنحل لم تر أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من دلالته ، برز فى كل علم على أبناء جنسه ، ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه) . ويقول فيه الامام الزملكانى : (كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف اذا جلسوا معه استفادوا فى مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه من قبل ، ولا يعرف أنه ناظر أحدا فانقطع معه ، ولا تكلم فى علم من العلوم سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها إلا فاق فيه أهله والمنسوبين اليه) .

نشأ ابن تيمية فى بيئة علمية بأوسع ما تعطى هذه الكلمة من معنى ، فبيئته الخاصة ، بيته وأسرته ، أبوه وجده ، من أساطين العلماء فى عصرهم ، اشتهر جده فى علم الحديث ، وفى فقه السنة وأصول الفقه وكان مرجعا للفتوى فيها ، وحسبه كتابه « المنتقى » فى الحديث وفقهه ، والذى شرحه الشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) واشتهر أبوه بالتدريس فى مدارس الاسلام ببلده وفى دمشق التى رحلت الاسرة اليها أمام هجمات الوحشية التتارية حتى بلغ مرتبة مشيخة الحديث فى مدارسه ، وجدته ذكرت فى التاريخ بأنها واعظة تجلس مجالس الوعظ والتعليم ، وأمه يكتب اليها من مصر وهو فى محنته رسائل لا يكتبها الا لمن كانت على جانب من المعرفة بما يجرى فى الدين والدنيا .

وبلده التى ولد ونهد فيها فكانت حاضنة طفوليته « حران » وطن الفلسفة ومهد الصائبة وهى نحلة فلسفية وملة فلكية ، ودمشق مهاجره ومهاجر أسرته العالمة كانت فى عصره معلمة الدنيا بما تعج به من مدارس اسلامية للحديث

والتفسير وفقه المذاهب ، يقوم بالتدريس فيها أعلام العلماء وأئمة الحديث والتفسير وعلم الكلام ، وفنون العربية وآدابها ، والفقه وفروعه ، وعلوم الفلسفة وطوائف الملل والنحل ، وزعماء الفرق الاسلامية وغيرها .

ففى هذه البيئة الخاصة والعامة نشأ الامام ابن تيمية ، يزينه عقل جمع الله له فى المعارف قوى الفكر الانسانى ، حفظا وادراكا ، ووعيا ، فالتاريخ يضعه مع طليعة الافذاذ الذين يضرب بهم المثل فى الألمعية والذكاء المتفوق ، وفى الحفظ الضابط ، والذاكرة الواعية ، الذين لا تغلطهم الأغاليط ، ويقول عنه معاصروه : انه ما حفظ شيئا ونسيه ، ولا نظر فى مكتوب قل أو كثر الا وحفظه ، ولا سمع من العلم والمعارف شيئا غاب عنه بعد أن علمه فاذا قرأنا عن مالك بن أنس امام دار الهجرة أنه كان يسمع من شيخه أمام المحدثين ابن شهاب الزهرى من الثلاثين الى الاربعين حديثا فى مجلس واحد فيحفظها لا يخرم منها حرفا اذا تلاها ، وقد ذكر الرواة أنه سمع مرة هذا القدر وفيه حديث السقيفة على اتساعه وطوله وتنوع الكلام فيه ، فأعادها كلها لم تند عنه منها كلمة ، واذا قرأنا عن الامام أبى عبد الله الشافعى أنه سمع من شيخه مالك بن أنس بضعة عشر حديثا فى مجلس واحد ، فأعادها حفظا بأسانيدها لم يختلف فيها عن سماعه من الامام فى كلمة أو حرف ، الى كثير ممن أوتوا فى الاسلام حوافظ ضابطة ومدارك واعية — فان ما أثر عن ابن تيمية منذ طفولته — وهو الرجل المخاصم الذى يتربص به خصومه ليأخذوا عليه شيئا يعيبونه به — ليضعه فى الذروة مع أولئك الغر البهاليل من أئمة الاسلام ، دون نكير . يقول صاحب العقود الدرية فى ترجمة ابن تيمية (اتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم الى دمشق ، وقال سمعت فى البلاد بصبى يقال له أحمد ابن تيمية . وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت قاصدا لعلى أراه ، فقال له رجل خياط ، هذه طريق كتابه ، وهو الى الآن ما جاء ، فاقعد عندنا الساعة يجىء ... فجلس الشيخ الجليل قليلا ، فمر صبيان . فقال الخياط للشيخ الحلبى هذا الصبى الذى معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية فناداه الشيخ فجاء اليه ، فتناول الشيخ اللوح ، فنظر فيه ، ثم قال يا ولدى امسح هذا حتى أملى عليك شيئا تكتبه ففعل ، فأملى عليه من متون الاحاديث أحد عشر أو ثلاثة عشر حديثا ، فقال اقرأ هذا ، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته اياه ، ثم رفعه اليه وقال اسمعه ، فقرأه عليه عرضا كأحسن ما أنت سامع ، فقال يا ولدى امسح هذا ففعل ، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ، ثم قال اقرأ هذا ، ففعل فيه كما فعل أول مرة فقام الشيخ وهو يقول : ان عاش هذا الصبى ليكونن له شأن عظيم ، فان هذا لم ير مثله » .

وكانت مراجع العلوم والمعارف رجالا وكتبا بين يديه ، يغترف منها اغترافا ، وينهل من معينها عذبا ذلالا ، فشيوخه أربوا على المائة من الفطاحل البهاليل فى كل علم وفن ، ومراجعه من الكتب تدل على كثرتها كثرة لا تدخل تحت حصر نقوله منها — وهو الصادق المخاصم — فى فتاويه وكتبه ، ولم يعرف — على كثرة خصمائه — أنه اتهم فى نقل نقله ، بل ان أصدقاءه بالغوا فيه وقالوا فى علمه بالحديث : ان كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث . ولم يعارض خصومه هذا القول ولا اتهموا قائليه .

ونشأة ابن تيمية ليست فيها غرائب ولا عجائب ، فهى نشأة طبيعية ، بيد أنها نشأته هو لا نشأة كل طفل وشاب ورجل ، نشأته فى بيئته وخصائصه العقلية وصفاته النفسية ، فهى نشأة طفل حفظ القرآن الكريم فى بيته منذ حداثة سنه ، تقول بعض الروايات أنه أكمل حفظ القرآن فى سن السابعة من عمره ، واستبقى الله له هذه النعمة ، فلم يكن شىء أيسر عليه فى حجاجه وفتاويه وكتبه من سوق الآيات القرآنية لمواضعها من الاستدلال بها فى مناسباتها .

وكان من الطبيعى فى مثل بيئة ابن تيمية أنه بعد أن حفظ القرآن يتجه الى علم الحديث والفقه ووسائلهما من اللغة والأدب فحبب اليه علم الحديث ، وجعله كما هو فى أصول الاسلام ثانى اثنين ، القرآن والسنة ، فبرع فيه وأحاط حفظا بالكتب الستة المعتبرة أصولا عند الأمة وأضاف اليها موطا مالك ومسند إمامه أحمد ، والمستدرك للحاكم والمستخرجات وسنن الدارقطنى وابن حبان والبيهقى ومعاجم الطبرانى ومسند الدارمى وغيرها من كتب الرواية والمسانيد وكان يورد أحاديث هذه الكتب كلها املاء ويسند اليها دون رجوع الى أصولها ، فتأتى فى صحة النقل وجودة الحفظ كأنما هى منقولة نقلا حرفيا من كتبها ، وكان الى جانب ذلك من أعرف الناس وأعلمهم بفقه الحديث يورد المسائل ويستدل عليها بالاحاديث كأنما جاءت هذه الاحاديث لهذه المسائل بعينها .

أما معرفته بالفقه الاسلامى فعجب من العجب ، كان ضليعا فى معرفة فقه المذاهب الأربعة . حتى قيل أن علماء المذاهب كانوا يستفيدون منه مسائل فى مذاهبهم لم يكونوا يعرفونها ولا اطلعوا عليها . فاذا اختبروا صدقه فى هذه الغرائب التى يجىء بها اليهم من داخل بيوتهم وهم عنها غافلون وجدوه صدوقا متحريا ، وكان الى جانب ذلك عليما بفقه الصحابة ومسائلهم التى تضمنتها المصنفات مثل مصنف عبد الرزاق وابن أبى شيبة وغيرهما ، الى ما كان يورده من فقه الأئمة الذين لم تدون مذاهبهم كالاوزاعى والسفيانين الثورى وابن عيينة والليث بن سعد ، وزيد وجعفر ، وأبى ثور ، وداود وسواهم كثرة لا تحصى ، يورد أحكام المسائل من مذاهبهم ويحتج لهم بما احتجوا به من الادلة القرآنية والحديثية .

أما علمه بتفسير القرآن وأقاويل المفسرين من لدن الصحابة الى عصره فأمر يدخل فى دائرة الاكرام الالهى الذى لا يستقل به فرد من الافراد ، والنظر فى تفسير ما فسره من آيات أو سور من القرآن الكريم يحقق ذلك ويصدقه ، ويقول بعض مؤرخيه أنه كتب فى التفسير نحو ثلاثين مجلدا ، بعضها نقل لأقاويل السلف من الصحابة والتابعين مجردا عن الاستدلال وبعضها بيان لمعانى الآيات مستعينا عليه بالمنقول ان كان عنده روايات من صحيح هذا المنقول ، وهذا النوع الأخير هو الذى تظهر فيه براعة الامام ابن تيمية وعمق نظره ونضج عقله ، وقد كتب اليه بعض تلاميذه وهو فى سجنه الأخير — وكان الامام قد عكف على مذاكرة القرآن والتفقه فيه وإثارة حقائقه ومعانيه — يطلب منه كتابة تفسير مرتب للقرآن كله انتهازا لفرصة خلوته فى سجنه ، فكتب اليه الامام يقول : « إن القرآن منه ما هو بين بنفسه ، وفيه ما قد بينه المفسرون فى غير كتاب ، لكن بعض

الآيات أشكل تفسيرها على جماعةالعلماء ، فربما يطالع الانسان فيها عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها ، وربما كتب المصنف الواحد فى آية تفسيرا ، ويفسر غيرها بنظيره ، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل ، لأنه أهم من غيره ، واذا تبين معنى آية تبين معانى نظائرها ... وقد فتح الله على فى هذه المرة من معانى القرآن ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها وندمت على ضياع أكثر أوقاتى فى غير معانى القرآن) .

وقد طبع من تفسيره الذى أمكن العثور عليه تفسير سورة النور ، وسورة الاخلاص ، وسورتى المعوذتين، وأدرج له فى الفتاوىكثير من تفسير الآيات ، كما أدرج له منها تفسير سورة الجن ، وقد فسرها تفسيرا موجزا ، وله مقدمة التفسير ، صغيرة الحجم عظيمة المعانى والنفع ، وله رسالة فى منهاج التفسير بين فيها الطريق الى فهم القرآن ، ويظهر من تتبع سيرة الامام ابن تيمية العلمية أن القرآن الكريم كان جماع علمه ومعارفه ، وكان محوره الذى يدور عليه عقله متفقها ، مستنبطا ، وقد يحسن بمن يحاول أن يجلى جانب الدعوة الى الله فى هذا الامام أن يبين نهجه فى تفسير القرآن ليكون نموذجا يتجلى به طريقه فى فهم الكتاب الكريم الذى جعله مفتاح معارفه العقلية والنقلية ، وقد تخيرنا هذا النموذج مما ذكر فى فتاويه استطرادا لتفسير قوله تعالى (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) قال رحمه الله (ولما سلط الله العدو على الصحابة يوم أحد قال (أو لما أصابتكم مصيبة) الآية ، وقال (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير) الآيات — والاكثرون يقرأون قاتل ، والربيون الكثير عند جماهير السلف والخلف هم الجماعات الكثيرة ، قال ابن مسعود وابن عباس فى رواية عنه ، والفراء : ألوف كثيرة ، وقال ابن عباس فى أخرى ومجاهد وقتادة : جماعات كثيرة وقرىء بالحركات الثلاث فى الراء ، فعلى هذه القراءة — أى قراءة (قاتل) — فالربيون الذين قاتلوا معه الذين ما وهنوا وما ضعفوا ، وأما على قراءة أبى عمرو وغيره — أى قُتِل — ففيها وجهان :

أحدهما يوافق الأول ، أى الربيون يقتلون فما وهنوا ، أى ما وهن من بقى منهم لقتل كثير منهم ، أى ما ضعفوا لذلك ولا دخلهم خور ولا ذلوا لعدوهم ، بل قاموا بأمر الله فى القتال حتى أدالهم الله عليهم وصارت كلمة الله هى العليا .

والثانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قتل معه ربيون كثير فما وهن من بقى منهم لقتل النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا يناسب صرخ الشيطان أن محمدا قد قتل ، لكن لا يناسب لفظ الآية . فالمناسب انهم مع كثرة المصيبة ما وهنوا ، ولو أريد : أن النبى قتل ومعه ناس لم يخافوا لم يحتج الى تكثيرهم ، بل تقليلهم هو المناسب لها ، فاذا كثروا لم يكن فى مدحهم بذلك عبرة . وأيضا لم يكن فيه حجة على الصحابة ، فانهم يوم أحد قليلون ، والعدو أضعافهم ، فيقولون ، ولم يهنوا لأنهم الوف ونحن قليلون . وأيضا فقوله (وكأين من نبى) يقتضى كثرة ذلك ، وهذا لا يعرف أن أنبياء كثيرين قتلوا فى الجهاد . وأيضا فيقتضى أن المقتولين مع كل واحد منهم ربيون كثير ، وهذا لم يوجد ، فان من قبل موسى من الأنبياء لم يكونوا يقاتلون ، وموسى وأنبياء بنى اسرائيل لم يقتلوا فى الغزو ، بل ولا يعرف نبى قتل فى جهاد ، فكيف يكون هذا كثيرا ويكون جيشه كثيرا ؟

والله تعالى أنكر على من ينقلب سواء كان النبى مقتولا أو ميتا فلم يذمهم اذا مات أو قتل على الخوف بل على الانقلاب على الأعقاب ، ولهـذا تلاها الصديق رضى الله عنه بعد موته صلى الله عليه وسلم فكأن لم يسمعوها قبل ذلك .

ثم ذكر بعدها معنى آخر وهو أن من كان قبلكم كانوا يقاتلون فيقتل منهم خلق كثير وهم لا يهنون ، فيكون ذكر الكثرة مناسبا لأن من قتل مع الأنبياء كثير ، وقتل الكثير من الجيش يقتضى الوهن ، فما وهنوا وان كانوا كثيرين ، ولو وهنوا دل على ضعف ايمانهم ، ولم يقل هنا : ولم ينقلبوا على أعقابهم ، فلو كان المراد أن نبيهم قتل لقال فانقلبوا على أعقابهم ، لأنه هو الذى أنكره اذا مات النبى أو قتل فأنكر سبحانه شيئين : الارتداد إذا مات أو قتل ، والوهن والضعف والاستكانة لما أصابهم فى سبيل الله من استيلاء العدو ، ولهذا قال (فما وهنوا لما أصابهم) الخ ولم يقل : فما وهنوا لقتل النبى ، ولو قتل وهم أحياء لذكر ما يناسب ذلك ، ولم يقل : (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله) ومعلوم انما يصيب فى سبيل عامة الغزوات لا يكون قتل نبى .

وأيضا فكون النبى قاتل معه أو قتل معه ربيون كثير لا يستلزم أن يكـون النبى معهم فى الغزاة بل كل من اتبع النبى وقاتل على دينه فقد قاتل معه ، وكذلك كل من قتل على دينه فقد قتل معه ، وهذا الذى فهمه الصحابة ، فان أعظم قتالهم كان بعـد وفاته صلى الله عليه وسلم ، حتى فتحوا البلاد ، شاما ومصرا وعراقا ويمنا ، وعجما ، ودوما ، ومغربا ، ومشرقا ، وحينئذ فظهر كثرة من قتل معه ، فان الذين قاتلوا وأصيبوا وهم على دين الأنبياء كثيرون ، ويكون فى هذه الآية عبرة لكل المؤمنين الى يوم القيامة ، فانهم كلهم يقاتلون مع النبى صلى الله عليه وسلم على دينه ، وإن كان قد مات ، والصحابة الذين يغزون فى السرايا والنبى ليس معهم كانوا معه يقاتلون وهم داخلون فى قوله (محمد رسول الله والذين معه) الآية ، وفى قوله (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) الآية ، ليس من شرط من يكون مع المطاع أن يكون مشاهدا للمطاع ناظرا اليه .

وقد قيل فى (ربيون) هنا : أنهم العلماء ، لما جعل هؤلاء هذا كلفظ الربانى ، وعن ابن زيد : هم الاتباع كأنه جعلهم المربوبين ، والأول أصح من وجوه :

أحدها : ان الربانيين عين الأحبار ، وهم الذين يربون الناس ، وهم أئمتهم فى دينهم ، ولا يكون هؤلاء الا قليلا .

الثانى — أن الأمر بالجهاد والصبر لا يختص بهم ، وأصحاب الأنبيـاء لم يكونوا كلهم ربانيين ، وان كانوا قد أعطوا علما ومعه الخوف من الله .

الثالث — ان استعمال لفظ الربانى فى هذا ليس معروفا فى اللغة .

الرابع — أن استعمال لفظ الربى فى هذا ليس معروفا فى اللغة ، بـل المعروف فيها هو الاول ، والذين قالوه قالوا هو نسبة للرب بلانون ، والقـراءة المشهورة (ربى) بالكسر ، وما قالوه انما يتوجه على قراءة من قراه بنصب الراء، وقد قرىء بالضم ، فعلم أنها لغات .

الخامس — أن الله تعالى يأمر بالصبر والثبات كل من يأمره بالجهاد ، سواء كان من الربانيين أو لم يكن .

السادس — أنه لا مناسبة فى تخصيص هؤلاء بالذكر ، وانما المناسب ذكرهم فى مثل قوله (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار) الآية ، وفى قوله (ولكن كونوا ربانيين) فهناك ذكرهم به يكون مناسبا .

السابع — قيل أن الربانى منسوب الى الرب ، فزيادة الالف والنون كاللحيانى ، وقيل : الى تربيته الناس ، وقيل الى ربان السفينة ، وهذا أصح ، فان الاصل عدم الزيادة فى النسبة ، لأنهم منسوبون الى التربية ، وهذه تختص بهم

وأما نسبتهم الى الرب فلا اختصاص لهم بذلك ، بل عبد له فهو منسوب اليه اما نسبة عموم أو خصوص ، ولم يسم الله أولياءه المتقين ربانيين ، ولا سمى رسله وأنبياءه ، فان الربانى من يربى الناس ، كما يربى الربانى السفينة ، ولهذا كان الربانيون يذمون تارة ، ويمدحون أخرى ، ولو كانوا منسوبين الى الرب لم يذموا قط ، وهذا هو الوجه .

الثامن — أنها جعلت مدحا ، فقد ذموا فى مواضع ، وان لم تكن مدحا لم يكن لهم خاصة يمتازون بها من جهة المدح ، واذا كان منسوبا الى ربانى السفينة بطل قول من يجعل الربانى منسوبا الى الرب ، فنسبة (الربيون) الى الرب أولى بالبطلان .

التاسع — أنه اذا قدر أنهم منسوبون الى الرب فلا تدل النسبة على أنهم علماء ، نعم ، تدل على ايمان وعبادة وتأله ، وهذا يعم جميع المؤمنين ، فكل من عبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا ، فهو متأله ، عارف بالله ، والصحابة كلهم كذلك ولم يسموا ربانيين ، ولا ربيون ، وانما جاء أن ابن الحنفية قال لما مات ابن عباس : اليوم مات ربانى هذه الأمة ، وذلك لكونه يؤدبهم بما آتاه الله من العلم ، والخلفاء أفضل منه ، ولم يسموا ربانيين ، وان كانوا هم الربانيين ، وقال ابراهيم : كان علقمة من الربانيين ، ولهذا قال مجاهد : هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، فهم أهل الأمر والنهى ، والأحبار يدخل فيه من أخبر بالعلم ورواه عن غيره ، وحدث به ، وان لم يأمر أو ينه ، وذلك هو المنقول عن السلف فى الربانى ، نقل عن على : هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها . وعن ابن عباس قال : هم الفقهاء العلماء الحكماء . قال ابن قتيبة : وأحدهم ربانى ، وهم العلماء المعلمون . قال أبو عبيد : أحسب الكلمة عبرانية أو سريانية ، وذلك أن أبا عبيد زعم أن العرب لا تعرف الربانيين . قلت : اللفظة عربية منسوبة الى ربان السفينة الذى ينزلها ويقوم لمصلحتها ، ولكن العرب فى جاهليتهم لم يكن لهم ربانيون ، لأنهم لم يكونوا على شريعة منزلة من الله عز وجل .

الإسلام دين الوحدة والقوة

للاستاذ محمد الدسوقى

١ ــ هل كان هؤلاء العرب الرحل الذين عاشوا فى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ينظر اليهم من الدول التى تحيط بهم أو تبعد عنهم نظرة اهتمام أو اكتراث .. ؟

هل كان يتوقع من هؤلاء الذين ثارت بينهم الحروب لاتفه الاسباب وأوهى العلل أن يوحدوا كلمتهم ، ويجمعوا أمرهم ، ويكونوا مصدر قلق لسواهم .. ؟

ان عرب الجاهلية على ما عرفوا به من البأس والشدة ، لم يكونوا مصدر قلق لغيرهم من الامم لأنهم عاشوا أوزاعا لا تجمعهم رابطة ، ولا يقودهم زعيم ، ولا يخضعون لقانون أو سلطان ، فبأسهم بينهم شديد ، وثاراتهم تمتص كل ما لديهم من طاقات فضلا عن المنكرات التى فشت فيهم وفى مقدمتها عبادة الحجارة ..

٢ ــ فلما جاء الاسلام حول هذه الأمة المفككة المتصارعة المنحلة ، الى أمة أخرى ، لها قيمها الخالدة ورسالتها المجيدة ، لقد صار العرب بالاسلام أمة جديدة فى عقيدتها وسلوكها ومثلها ، أمة توحدت كلمتها ، وقويت ارادتها وسمت مبادئها وغاياتها ، فقادت البشرية الى الامام وأذهلت العالم بفتوحاتها فى شتى الميادين . فلولا الاسلام لظل العرب كما كانوا فى جاهليتهم جماعات متحاربة ، تحصدها العداوات والغارات ، وتسلب أمنها الضغائن والاحقاد ولظلوا يعيشون

فى عزلة فى تلك الصحراء المجدبة ، لا يقيم العالم لهم وزنا .

٣ — ان الاسلام دين الحياة المتجددة الفاضلة ، لأنه دين الوحدة الشاملة والقوة العادلة وبالوحدة والقوة تتحقق كل المعجزات وتعيش الامة التى تؤمن بهما قولا وعملا مرهوبة الجانب عزيزة المكانة يخطب ودها الجميع .

على أن دعوة الاسلام الى الوحدة والقوة ، لا تقوم على نزعة عنصرية كريهة ، تبغى الاستعلاء والسيطرة ، لأن الاسلام دين الله الى الناس جميعا ، لا يعرف عصبية الا للحق ، ولا يبغى علوا الا لكلمة الله .

٤ — من أجل ذلك قرر الاسلام أولا أن الناس من نفس واحدة وأصل واحد « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

وحين قرر الاسلام ذلك فقد أبطل تلك المزاعم التى تذهب الى تفضيل بعض الشعوب والاجناس على بعض لاسباب ليست لها علاقة بهذا التفضيل ولا تدل الا على عنصرية بغيضة عفى عليها الاسلام ، ونزعة منحرفة قاستمنها البشرية وما زالت الويلات والمتاعب ، ويكفى أن الحربين العالميتين فى هذا القرن قد حدثتا نتيجة لهذا الانحراف الكريه ، كما أن الصهيونية العالمية بنشاطها المحموم فى كل مكان من أجل تحقيق أحلامها العريضة فى الوطن العربى انما يحركها ويشد أزرها مزاعمها العنصرية البغيضة التى تنظر الى غير اليهود نظرة الكراهية والاستعلاء والعداء .

٥ — فالمسلم اذن يؤمن بأنه عضو فى الجماعة الانسانية كلها ، وان هذه الانسانية لا يتفاوت أفرادها من ناحية الشكل والمكان ولكن من ناحية ما يقوم به كل فرد من عمل صالح ينفع الناس ، وهذا الايمان يفرض على المسلم أن يسهم ما استطاع فى تقدم الحياة ورفاهيتها وأن يكون دائما رسول خير وسلام وداعية أمن ووئام .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يؤمن المسلم بأنه والمسلمين جميعا يشكلون أمة أبرز سماتها الوحدة « وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . والاخوة « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » . والمحبة والتناصر والتكافل « وتعاونوا على البر والتقوى » . (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

٦ — فوحدة المسلمين قوامها الاخوة والمحبة والايمان بأن وشائج العقيدة أقوى وأولى من وشائج الدم والنسب ، ولذلك فهى وحدة راسخة الدعائم لا تنال منها الاحداث ، لأنه لا يمكن تحقيق وحدة سليمة أصيلة فى مجتمع لا يشعر أفراده بأنهم سواسية كأسنان المشط ، وبأنهم أخوة تجمعهم عقيدة لا تؤمن بفوارق الاجناس والالوان .

ان الوحدة فى الاسلام وحدة جامعة ، والمسلمون بها كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام كالجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

٧ — ولحرص الاسلام على وحدة اتباعه وتماسكهم وبقائهم دائما صفا واحدا وقلبا واحدا نهى عن كل

ما يضعف هذه الوحدة فلا غيبة ولا حقد ولا كذب ولا نفاق ولا اعتــداء على الحقــوق والحــرمات ، واذا ما نشب خلاف بين جمـــاعتين من المسلمين فقد وجب الاصلاح بينهمـــا وازالة جميع أســـباب الخــلاف والشـــقاق ، واذا لم تذعن احدى الطائفتين لما فيه الخير للمسلمين كان استعمال السلاح ضدها أمرا مشروعا وعملا مطلوبا « وان طائفتـــان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهمـــا بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

ان الاسلام يمقت التفرق ويحذر من الخلاف ويحض على الوحدة لأنها ســبيل القوة وطريق النصر والعزة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .. « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

٨ — وقد يقال — اذا كان الاسلام دين وحدة واتحاد فلماذا نرى المذاهب الفقهية والكلامية قد فرقت المسلمين الى نحل ومذاهب تتخاصم وتتعادى وتحدث بين المسلمين شقاقا وخلافا ؟ ولكن اذا عرفنا أن المذاهب الفقهية والكلامية لا تخوض فى المسائل القطعية والاحكام الـكلية ، وانما تبحث فى المسائل الظنية والفرعية وان اختلافات المجتهدين ليست مبعث شقاق لأنها آية على تفاوت العقول فى المدارك والاستنباط — اذا عرفنا هذا أدركنا أن ما نراه ونسمعه من تخاصم بين المذاهب الفقهية انما ظهر فى عصور الضعف والتخلف والتقليد ومع هذا فان الذين يفقهون الاسلام فقها واعيا يرون أن هذا الدين يدعو الى الوحدة بكل معانيها ، ولا يرون فى مذاهب الفقهاء وعلماء الكلام ما ينقض هذه الوحدة ، لأن هــذه المذاهب ليست منزلة من عند الله ، فهى آراء كونتها ظروف بيئيه واجتماعيه وثقـــافية محدده ، وبالتالى ليست فرضا يجب اتباعه ، وليس لازما على المسلمين او بعضهم الاحد بقول امام دون احر وعد ان للمسلمين ان يتحرروا ممـــا خلفته لهم عصور الضعف والتقليد . فلا ينزلون مذاهب الفقهاء منزله لا يقرها دين ولا منطق ، ولا يحتلفون بسبب آراء لم نؤمر باتباعها وعدم الخروج عليها ، وليجعلوا قبلتهم فى تعرف أحكام دينهم كتاب الله وسنه رسوله مع الاسترشاد بآراء الصحابة والتابعين والائمه المجتهدين .

٩ — واذا كانت الوحدة طـــريق القوة والمنعة ، لأنه لا يمـــكن لأمة مفككة متشاحنة متنابذة أن تكون قوية متقدمة ، فان مفهوم القوة فى الاسلام يختلف الى حد كبير عن مفهومها فى بعض المذاهب الاجتمـــاعية والآراء الفلسفية .

القوة التى يدعو اليها الاســـلام تتسع فى مدلولها لتشمل كل قوة روحية أو مادية تحتاج اليها الامة ، فليست قاصرة على جانب من جوانب الحياة ، ولكنها تعم جميع مظـــاهر الأمة المختلفة من شـــئون فردية وجماعية .

يقول الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » .

ويقول الرسول الكريم « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » .

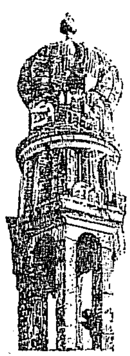
ولا ريب فى أن مظـــاهر القوة المادية تختلف من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل ، فالخيـــل فى الآيـــة يناظرها فى عصرنا الحاضر المدفع والدبابة والطائرة والصاروخ ، وحتى لا يتخلف المسلمون فى عصر مـــن

العصـور عن غيرهم من الأمم فى مضمار اعداد القوة المادية ، دعا الاسلام الى العلم وأمر بالنظر والتدبر والعلم فى الاسلام يشمل كل جوانب الحياة وليس خاصا بعلم الدين أو الفقه مثلا ، والمسلمون لم يضعفوا ويتخلفوا الا يوم أن هجروا العلم وقنعوا بحياة التقليد والمحاكاة ولم ينهجوا نهج أسلافهم فى التجديد والابتكار ، فوقفوا حيث تحرك غيرهم وضعفوا حيث قوى سواهم ، فكان أن أصبحوا وبخاصة فى القرن الماضى لقمة سائغة لعدو متربص لم ينس ما فعله البطل المسلم صلاح الدين .

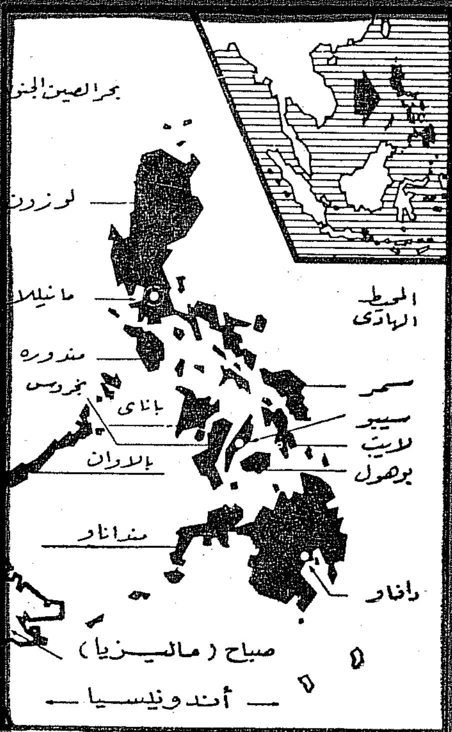
١٠ ــ أما القوة الروحية فهى سند للقوة المادية ، ولا تجدى قوة مادية هائلة ليس من ورائها قوة روحية راسخة ، والقوة الروحية سبيلها العقيدة النقية التى ترى هذه الحياة الدنيا سلما لحياة خالدة باقية، وتؤمن بأن لكل أجل كتابا وأن الشهادة مطمح تتشوف اليه النفوس المطمئنة التى تخشى الله سرا وعلانية .

وبعد ، فان القوة فى الاسلام قوة عادلة رحيمة لا تعرف الاعتداء ولا تعشق اراقة الدماء ولكنها قوة تحمى الحق وتنصر الخير وتنشر السعادة، وتقضى على الذين يفسدون فىالارض ولا يصلحون ، كما أن الوحدة الاسلامية وحدة انسانية غايتها تحقيق التقدم والرفاهية للناس جميعا فليست وحدةعنصرية طائفية متعصبة تعيش فى دائرة مغلقة وتؤمن بأفكار منحرفة تجلب على البشر الضر والشر كما نرى لدى بعض الامم الآن .

والمسلمون اليوم وهم يواجهون محنة وامتحانا لا مناص لهم من الاعتصام بحبل دينهم وجمع كلمتهم وتقوية أنفسهم حتى يحققوا النصر الذى كتبه الله للمؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد » .



أخطر تقرير عن المخططات الصليبية والصهيونية ضد مسلمي الفلبين !!



وردت من المصادر الوثيقة أن المنظمات الارهابية المسيحية بالفلبين عادت الى تجديد نشاطها محاولة تصفية المسلمين حيث تقوم بعمليات القتل والارهاب ضد مسلمى الفلبين وذلك بتشجيع وبمساعدة الحكومة الفلبينية والجيش الفلبيني وبامداد حكومة اسرائيل بالمال والسلاح والخبراء فى حرب العصابات الارهابية المتعصبة التى تطلق على نفسها عصابة ايلاجاس ـ أى جماعة الفئران والتى قيل فى بعض الصحف أن فرديناند ماركوس رئيس جمهورية الفلبين هو الذى أسسها لتنفيذ مخططه . ولعل هذا التقرير الذى ننشره فى هذا العدد يوضح مدى وحشية هذه الجرائم التى ترتكب اليوم ضد المسلمين فى الفلبين .

لا شك أن حالة مسلمى الفلبين فى الوقت الحاضر هى أخطر وأكبر مما تنشره الجرائد الرسمية ولا ريب أنها أشد خطرا من حالة اخواننا الفلسطينيين ذلك لأن فلسطين تحيط بها الاقطار العربية والاسلامية أما مسلمو الفلبين فانهم يقطنون فى جزيرة بعيدة معزولة وسط المحيط الهادى ويكون مصيرها الهلاك الجماعى أن لم تهتم بهم الدول الاسلامية والعربية .

وان أخطر الجرائم التى يرتكبها أفراد العصابات المسيحية ضد المسلمين انهم يطردون المسلمين من

أراضيهم ويحرقون بيوتهم ومساجدهم ومزارعهم ويهتمون باحراق القرآن الكريم وبقتل أئمة المساجد أكثر من غيرهم ويهتكون أعراض النساء قبل قتلهن ويمثلون بالشهداء من المسلمين وذلك بقطع ثدى المرأة وقطع رؤوس الاطفال وآذان الرجال وقد أخذ من مصدر موثوق به أن من الاغراض فى تمثيلهم بالشهداء من المسلمين أن لكل من أحضر أذنا أو ثديا أو رأس طفل جائزة مالية من زعماء المنظمات السرية قدرها يتراوح من ١٠٠ الى ١٠٠٠ بيسو من عملة الفلبين .

ويؤكد هذا ما ذكرته صحيفة الاهرام بتاريخ ٢٩ — ٩ — ١٩٧١ نقلا عن مسئول حكومى فلبينى أن عصابات معروفة باسم الفئران قد قامت بقطع آذان ضحاياها من المسلمين للحصول على مكافأة وصلت الى ٨٠ فرنكا للاذن الواحدة وما ذكرته صحيفة أخبار اليوم بالقاهرة بتاريخ ٢ — ١٠ — ١٩٧١ أنه خصصت جوائز تتراوح من ١٠ الى ١٠٠ جنيه ثمنا — لاذن — القتلى المسلمين فهم يقطعون آذان المسلمين بعد قتلهم .

ولا شك أن أكبر هذه الجرائم وأبشعها ما ذكرته الصحف العربية بتاريخ ٢٣—٦—١٩٧١ أنه قتل سبعون مسلما فلبينيا فى مذبحة رهيبة فى قرية صغيرة بجزيرة ميندانائو الفلبينية وهى احدى الجزر الجنوبية التى يسكنها أغلبية من المسلمين .

وقد نشرت أنباء المذبحة فى صحيفة مانيلا تايمز التى ذكرت نقلا عن مسئول حكومى — ان جميع الضحايا كانوا فى داخل أحد المساجد فى انتظار عقد اجتماع صلح مع المسيحيين فى الجزيرة عندما اقتحمت المسجد مجموعةمن الاشخاص وأطلقت الرصاص على الرجال والنساء والاطفال وقد قتل ٧٠ وأصيب عدد كبير آخر ومن الملاحظ هنا أن هؤلاء المسلمين الشهداء لم يدفنوا فى المقابر المعروفة لتعذر نقل أجسامهم المفتتة من المسجد الى المقابر بل جعل المسجد مدفنا لهم اضطراريا كما يلاحظ هنا أن ثلاثة أطفال ماتوا وهم فى أحضان امهاتهم .

ومن أبشع الجرائم أيضا التى ارتكبت ضد المسلمين ما لم تنشره الجرائد الرسمية أن عصابة ايلاجاس أغارت على المسلمين فى بلدية الامادا فى منطقة كوتاباتو فى ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٩١ هـ الموافق ٧ — ٥ — ١٩٧١ م أثناء احتفالهم بمولد النبى صلى الله عليه وسلم فقتل جميع من فى المولد — وهم ثمانية وتسعون مسلما — ما عدا خمسة أولاد اذ لجأ الخمسة الى ثكنة الجنود لطلب النجدة من الجيش الفلبينى فوجدوا أن قائد الثكنة مسلم فاتجه القائد المسلم الى مكان الحادث وأخذ معه خمسة جنود وهم مسيحيون وبينما هم يمشون فى الطريق أخذ الجنود الخمسة يطلقون الرصاص على ثلاثة من الاولاد الخمسة فاستشهدوا فى الحال وبقى صبى وصبية ثم أطلق القائد المسلم الرصاص على الجنود الخمسة فماتوا كلهم وهرب القائد وانضم الى المسلمين المجاهدين .

وتتلخص النتائج التى أسفرت عنها المذابح التى تعرض لها مسلو الفلبين الى ما يأتى .

١ — احرق أكثر من ستة آلاف من بيوت المسلمين كما أحرق أكثر من ستين مسجدا .

٢ — ان ضحايا المسلمين أكثر من ثلاثة آلاف شخص رجالا ونساء

وأطفالا وشيوخا .

٣ـ لقد هاجر أكثر من خمسين ألف أسرة من أراضيهم وهم الآن بين الموت والحياة لمعاناتهم الجوع والالم .

٤ ـ المسلمون المهاجرون لم يستطيعوا أن يحصدوا مزارعهم لطردهم من أراضيهم وانما حصدها الجيش الفلبينى وأفراد العصابات المسيحية .

٥ ـ استولى المسيحيون على ١٢ بلدية من أراضى المسلمين .

وجدير بالذكر أن معظم هذه الخسائر حدثت قبل أن يتحد زعماء مسلمى الفلبين وبعد اتحادهم استطاع المسلمون المقاتلون بصبرهم وشجاعتهم وايمانهم أن ينتصروا فى كثير من المعارك التى نشبت بينهم وبين الجيش الفلبينى كما استطاعوا أن يقتلوا عشرات مقابل شهيد واحد من المسلمين .

هذا وبالرغم من انتصار المسلمين فى كثير من المعارك التى دارت بينهم وبين الاعداء بعد اتحاد زعمائهم بالرغم من ذلك كله فانهم بحاجة ماسة الى المال والسلاح والذخيرة الامر الذى دعاهم الى مناشدة زعماء الدول العربية والاسلامية الوقوف الى جانبهم بالعون المادى والمعنوى .

ولا ريب أن الاكتفاء بالنداء الى وقف اطلاق النار بين الجيش الفلبينى والمسلمين ليس كافيا فى تسوية النزاع لأن الاعداء استولوا على ١٢ بلدية من قرى المسلمين وأراضيهم وأحرقوا آلافا من بيوتهم ومساجدهم وقتلوا أكثر من ثلاثة آلاف مسلم .

بدأت مأساة مسلمى الفلبين من أيام مجىء الاسبان واستمرت الى يومنا هذا ، اذ قاوم مسلمو الفلبين الاستعمارين الاسبانى والامريكى فى شجاعة خارقة ، وبطولة خالدة ، وتضحية نادرة ، وواجهوا المسيحيين الذين تولوا الحكم بعد المستعمرين ، كافحوا وناضلوا دفاعا عن العقيدة الاسلامية وعن الوطن ، وتتلخص أسباب المأساة التى تعرض لها مسلمو الفلبين فى مختلف العصور الى ما يأتى :

أولا ـ اقتراح زعماء المسيحيين بضرورة جعل حكومة الفلبين حكومة مسيحية بحتة خالية من المسلمين بحجة أن انتشار الامن والسلام بالفلبين يتوقف على خلوها من المسلمين ، فمن المقترحين الجنرال ـ باولا ـ قائد الجيش الفلبينى سابقا ، فقد قدم مشروعا الى الحكومة الفلبينية فى عام ١٩٥٦ وهو ضرورة توحيد الدين ، وارغام أهالى الفلبين كلهم على الدين المسيحى مدعيا بأن تقدم البلاد أو انتشار الامن والسلام فيها يتوقف على مشروعه ، ولكن هذا المشروع قوبل بالنفى ، حيث رفضه المسلمون ، حتى استعدوا للجهاد ، فلذلك غير الزعماء المسيحيون اقتراحهم العلنى باقتراح سرى لا يعرفه الا أعضاء المنظمات السرية الارهابية .

ثانيا ـ تأييد مسلمى الفلبين لجميع القضايا الاسلامية عامة ولقضية الشرق الاوسط بصفة خاصة .

ويتجلى هذا التأييد فى مطالبة مسلمى الفلبين بالتطوع الصادق فى كل معركة تدور بين المسلمين وغيرهم من الطوائف الاخرى المعتدية ، ومعارضة زعماء مسلمى الفلبين اقامة العلاقات بين الفلبين واسرائيل ومهاجمتهم الحكومة الفلبينية لدعوتها جولدا مائير لزيارة الفلبين عام ١٩٦٤ ودعوتها أبا ايبان لزيارة الفلبين عام ١٩٦٧ م .

كما يتجلى هذا التأييد فى مظاهرة أبناء مسلمى الفلبين ضد هاتين الزيارتين لجولدا مائير ، وأبا أيبان ، فطاردوا جولدا مائير حتى اضطرت الى السفر بعد ١٢ ساعة من مجيئها الى الفلبين ، وحاصروا جامعة الفلبين أثناء زيارة أيبان ، وسدوا الطرقات المؤدية اليها من المطار ، مما اضطر ايبان الى أن يخرج من باب جانبى فى المطار ، ويستخدم طائرة هليكوبتر ليذهب الى — مالاكانيان — قصر الجمهورية ، ثم الى الجامعة وكان مقررا أن يلقى محاضرة فى الجامعة فلم يستطع وعاد من حيث أتى :

وقد ذكرت صحيفة الاهرام بتاريخ ٢ — ٦ — ١٩٦٩ م تعليقا على زيارة ابا ايبان للفلبين ، فقيل فى التعليق : والغريب فى الامر أن سفير اسرائيل ظل يتحرى عن الطلبة الذين قادوا هذه المظاهرات ، وعرف أسماءهم فوجه الى زعمائهم جميعا الدعوة لزيارة اسرائيل .. وقد رفضوا كلهم قبول هذه الدعوة المجانية ، وحتى الآن فان السفير الاسرائيلى قد دعاهم ثلاث مرات دون أن يمل ، وفى كل مرة كانت الدعوة تقابل بالرفض .

وفى الوقت نفسه فان زعماء المسلمين لديهم دعوات مفتوحة لزيارة اسرائيل فى أى وقت ولكنهم جميعا أيضا — رفضوا هذه الدعوات . وأغرب من هذا فان السفير الاسرائيلى يجرى اتصالات للسفر الى الجنوب الى مناطق المسلمين ، وعلى وجه التحديد الى منطقة جزيرة ميندانـاو ص ٧ ع ٧ .

ويظهر هذا التأييد أيضا فى مظاهرة المسلمين فى عاصمة الفلبين — مانيلا — عندما سمعوا خبر احراق اسرائيل للمسجد الاقصى أولى القبلتين ، وثالث الحرمين ، حتى أحرق الطلبة علم اسرائيل فى سفارتهم ، كما أحرقوا سيارة سفيرها وكاد هؤلاء الابناء أن يقتلوا السفير لولا تعطل مصعد السفارة ، وان يحرقوا السفارة نفسها لولا جهود الشرطة الفلبينية .

ويؤيد هذا السبب المذكور ما ورد فى صحيفة الاهرام بالقاهرة بتاريخ ٢٩ — ٩ — ١٩٧١ م نقلا عن مسئول حكومى بالفلبين — ان المذابح التى تعرض لها المسلمون فى جنوب الفلبين كانت وراءها بعض المصالح الاجنبية ، وان اسرائيل قد تكون على صلة بالمصادمات بين الطوائف وذلك بسبب مساندة مسلمى الفلبين لموقف العرب ص ٢ ع ٤ .

كما يؤيد ذلك ما ذكرته صحيفة الجمهورية بالقاهرة بتاريخ ٣ — ١٠ — ٧١ نقلا عن زعيم فلبينى — أن الصهيونية العالمية وراء كل المذابح التى يتعرض لها المسلمون فى الفلبين ، للمعارضة التى أبداها مسلمو الفلبين لسياسة اسرائيل ، واستنكارهم العدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية .

ثالثا — تواطؤ اسرائيل مع الحكومة الفلبينية والعصابات المسيحية ، لأجل القضاء على الاسلام والمسلمين بالفلبين والاستيلاء على أراضيهم ،

ويرجع السبب فى هذا التواطؤ الى أن للرئيس فرديناند ماركوس مستشارا يهوديا صهيونيا هو — ما نويل اليسالدى — واختصاصه هو شئون الاقليات من المسلمين والبوذيين واللادينيين ، وهو المتهم الاول فى حوادث الفلبين ، وهو فضلا عن كونه — مليونير — فهو

وزميله اليهودى الآخر الجنرال — هانـز منزى — المستشار الخـاص للرئيس ماركوس يملكان مـزارع شاسعة فى جنوب الفلبين — منطقة المسلمين — .

ويؤيد هذا ما ذكرته صحيفـة الجمهورية بالقاهرة بتاريخ ٢١ — ١٨ — ٧١ أن بعض المراقبين السياسيين يعزو اهمال حكومة الفلبين لمصالـح الاقلية المسلمة ، التى تعيش فـى الجنوب الى تسلل النفوذ الصهيونى الى السلطة فـى الفلبيـن ، اذ أن مستشار الرئيس ماركوس لشئـون الاقليات شخص يهودى هو — مانويل اليسالدى — وهو يمتلـك مـزارع شاسعة فى الجنوب ، ويمد رجال القبائل هناك بالسـلاح لمهاجمـة المسلمين .

كما يؤيد هذا ما نشرته صحيفـة أخبار اليوم بالقاهرة بتاريخ ١٤ — ٨ — ٧١ أن الذى يحدث الآن للمسلمين فى الفلبين صورة مفزعة — مكررة — لما حدث فى فلسطين ... وليس غريبا أن يقود عملية الفلبين اثنان من أغنى الصهاينة اليهود : الجنرال منزى ، والمليونير اليسالدى ... وكلاهمـا يمتلك مزارع شاسـعة فى أراضى المسلمين .

كما يرجع السبب فى هذا التواطؤ الى زيارة جولدا مائير للفلبين عـام ١٩٦٤ م يوم أن كانت وزيرة الخارجية لحكومة اسرائيل ، واجتماعها بزعماء المسيحيين بالفلبيـن ، وانتهـى اجتماعهم بأن تتحمل اسرائيل مساعدة المسيحيين بالفلبين بمعونات ماديـة ومعنوية ، وامـدادهم بالخبـراء والاخصائيين فى مجال الزراعـة ، ولكن جولدا مائير اشترطت فى هـذه المساعدة وهذا الامداد أن يعمـل المسيحيون بجميع طاقاتهم وجهودهم على تحويل أراضى المسلمين جميعها الى أراض مسيحية بحتة .

وعندما بلغ هذا الخبر الغريـب الى زعماء مسلمى الفلبين هاجمـوا الحكومة الفلبينية لدعوتها جولدا مائير لزيارة الفلبين . وقال أحدهم فـى برلمان الفلبين نيابة عن الآخرين : ان لم تستطع الحكومة الفلبينية أن تطرد جولدا مائير على الفور فاننا نتولى مطاردتها بأنفسنا .

وقد صرح ابراهيم اسماعيل فى كتيبه — نقلا عن مصدر موثوق به — أن الرئيس فرديناند ماركوس استلم عشرة ملايين دولار كمساعدة مـن اسرائيل للفلبين ، كما استلم أسلحة من اسرائيل تسلم الى عصابـة ايلاجاس التى تمارس القتل والارهاب ضد المسلمين .

رابعا — اكتشـاف المليونيـر اليهودى — مانويل اليسالـدى — الاسبانى الاصل وهو يعمل مستشارا للرئيس ماركوس اكتشافه أن فـى جزيرة مينداناو عددا من المعـادن المختلفة : كالذهـب ، والفضـة ، والنحاس ، والحديد ، والمانجانيز ، والالمنيوم ، والكبريت فبناء على هذا شجع المستشار أفراد العصابـات المسيحية عـلى عمليات القتـل والارهاب ضد المسلمين ، وطردهم من أراضيهم ، وأمدهم بكل مـا يحتاجون اليه من المال والسـلاح والذخيرة لمهاجمة المسلمين .

خامسـا — احتـلال أراضى المسلمين بأى وسيلة ممكنة .

ويتمثل هذا فى تشجيع حكومـة الفلبين للمسيحيين على الهجرة الى أراضى المسلمين فى المناطق الجنوبية واعطاء الحكومة الفلبينية للمسيحيين الذين يتمردون ضدها جزءا كبيرا من أراضى المسلمين ، لكى يكفوا عـن تمردهم .

هذا ، وقد بدأت عمليات التهجير سافرة ومبتدئة من شمال الفلبيـن — منطقة المسيحيين — الى جنوبها

ـ منطقة المسلمين ـ فى عام ١٩٤٨ م بعد أن قررت الحكومة الفلبينية اباحة امتلاك أى أرض بالفلبين ، ما دامت لم تسجل باسم أحد من سكان الفلبين فبسبب هذا فقد المسلمون أرضهم بما عليها من ثروات ، اذ كان القادمون المسيحيون من الشمال يسجلون الارض بأسمائهم بعد قليل من استقرارهم فى أراضى المسلمين فى الجنوب ، بينما لم يكن هناك من بين المسلمين من يكترث أو يفطن الى ضرورة احتفاظه بسند يثبت ملكيته للارض ، ذلك لأن معظم المسلمين يملكون سندا لهم فى احقيتهم وملكيتهم لاراضيهم بأن جزر الجنوب التى يعيشون فيها توارثوها عن آبائهم وأجدادهم جيلا بعد جيل لمدة تزيد فى بعض الاحيان على ستة قرون ، فعليه لا يرغب كثير من المسلمين فى تسجيل أراضيهم عند حكومة الفلبين ، ولأن أغلبية منهم لا يعترفون بأن الدولة الفلبينية هى دولتهم ، ولا يرضون بتسميتهم الفلبينيين ، وانما يعترفون بالسلطات الاسلامية ، مثل : السلطنة فى سولو والسلطنة فى ماجنداناو ، والسلطنات فى منطقة ـ لاناو ـ .

وبعد التسجيل كان المسيحيون المهاجرون من الشمال يسعون الى انتزاع الارض من أصحابها المسلمين وعندما يصل الامر الى القضاء الفلبينى يحكم لصالح من لديه دليل اثبات الملكية ، وهكذا عاما بعد عام فقد المسلمون آلاف الهلكتارات من الاراضى الزراعية بل وطردوا منها ويقدر بعض الناس أن متوسط عدد الاسر التى تهاجر كل عام من الشمال الى الجنوب يصل الى ٥٠٠ أسرة .

سادسا ـ وجود الحزبين بالفلبين وتفرق زعماء مسلمى الفلبين .

فكان هؤلاء الزعماء المسلمون موزعين على حزبى الفلبين : الاحرار والقوميين وبقدر ما هناك من صراع دائم وعنيف بين الحزبين فان زعماء المسلمين وجدوا أنفسهم متصارعين بالضرورة أيضا ، بحكم ارتباط مصالحهم بالقوى الاقتصادية والسياسية الرئيسية التى تحكم البلاد ، والتى تتمثل فى حزبى الاحرار والوطنيين ، وأصبح المسلمون كذلك ممزقين بين هذين الحزبين ، بغير مصلحة تعنيهم لا فى هذا ولا فى ذلك ، فينتج من هذا التفرق البغيض أن الاعداء يستغلونه فى تحقيق أغراضهم ونواياهم السيئة ضد الاسلام والمسلمين .

غير أن هذا الفرق عولج فى وقتنا الحاضر بعد أن عرف تحالف الجيش الفلبينى مع العصابات المسيحية ، التى تقوم بعمليات القتل والارهاب ضد المسلمين .. وبعد أن ظهرت النوايا السيئة من قبل اليهود والنصارى الفلبينيين ، عولج هذا حيث رفع زعماء مسلمى الفلبين شعارا واحدا ، وهو الوحدة للدفاع عن الاسلام وعن الارض .. وللمحافظة على أرواح المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، وأصدروا بيانا فى ١٥ ـ ٧ ـ ١٩٧١ م وقع عليه ٣٠ من كبار زعمائهم من الحزبيين أعلنوا فيه استنكارهم للمذابح الدموية التى تحدث فى الفلبين .. ومذابح الجوامع ، والتفرقة فى المعاملة ، وقلة الفرص المتاحة للمسلمين ، وعدم احترام الشريعة الاسلامية ، أو الشعائر الدينية ، وعدم معاقبة المسئولين عن هذه الحوادث دائما ، وتواطؤ البوليس والجيش مع المجرمين .. ومحاولة تصفية المسلمين فى الجنوب تماما ، وهم أصحاب البلد الاصليون (راجع صفحة أخبار اليوم بتاريخ ١٤ ـ ٨ ـ ١٩٧١ م وصحيفة مانيلا تايمز

بالفلبين تاريخ ٢١ — ٧ — ١٩٧١ م ص ١٣) .

سابعا — عدم نجاح عمليات التبشير المسيحي في تحويل المسلمين الى الدين المسيحي .

فبالرغم من أن البعثات التبشيرية المسيحية أقامت المستشفيات .. والمدارس ، والجمعيات الدينية ، وكل مشاريع الخدمات الممكنة ، وشدت كثيرا من المسلمين الفقراء الى هذه المواقع ، حيث وجدوا فيها التعليم والرعاية الطبية ، والغذاء والكساء ، بل والمال أحيانا ، فبالرغم من ذلك كله فان هذه البعثات لم تحقق جميع أغراضها ، في تحويل جميع المسلمين الى الدين المسيحي ، وأنه يوجد هناك من يعتنق الاسلام من المسيحيين والقسيسين أكثر عددا ممن يعتنق الدين المسيحي من أبناء المسلمين ، الذين تربوا في الملاجيء والمدارس المسيحية ، فلذلك لجأت هذه البعثات الى تشجيع العصابات المسيحية على القيام بعمليات القتل والارهاب ضد المسلمين .

ثامنا — استمرار الحروب الصليبية :

ومن المعروف تاريخيا أن الحروب الصليبية هي : حروب حدثت بين المسيحيين الاوروبيين والمسلمين من سنة ١٠٩٥ م ، وانتهت بانتصار قوى الحق على قوى الشر (أي بانتصار المسلمين على الصليبيين الاوروبيين)

وكان السبب في الحروب الصليبية استياء الاوروبيين من ازدياد نفوذ الاتراك في آسيا .. وتوالي اكتساحهم لأمم الشرق ، ولكن هذه الحروب قد تركت في نفوس الاوروبيين ما تركت من آثار مرة عميقة ، فتغيرت حالتها الى حالة أخرى ، ولبست ثوبا جديدا واتخذت أشكالا أربعة :

١ — استعمار البلاد غير المسيحية

وكان الغرض منه عادة التوسع في النفوذ ، وسلب خيرات البلدان ، والتسهيل لنشر الدين المسيحي وثقافته وحضارته ، وكان السبب الرئيسي الذي دعا الاوروبيين الى عمليات الاستعمار هو سبب ديني في الدرجة الاولى لما تركته الحروب الصليبية من حب الثأر والانتقام .

ب — الاستشراق ، وهو دراسة الثقافات والحضارات الشرقية عامة والثقافة والحضارة الاسلامية بصفة خاصة ، ثم توجيه النقد اليها .

وقد تركت أهداف الاستشراق مع تنوعها أخيرا في التخاذل الروحي وايجاد الشعور بالنقص في نفوس المسلمين والشرقيين عامة .. وحملهم من هذا الطريق على الرضا والخضوع للتوجيهات الغربية .

جـ — التبشير بالدين المسيحي ، وهو الدعوة الى الدين المسيحي بكل وسيلة ممكنة ، وكان هدف التبشير هو تفتيت وحدة المسلمين والتنفيس عن السلبية ، وعن الانهزامات التي منى بها الصليبيون طوال قرنين من الزمان أنفقوهما في محاولة الاستيلاء على بيت المقدس .. وانتزاعه من أيدي المسلمين ، وكان من أهداف التبشير أيضا تمكين الاوروبي المسيحي من البلاد الاسلامية .

ومن هنا يبدو واضحا أن التبشير مقدمة أساسية للاستعمار الاوروبي كما أنه سبب مباشر لتوهين قوة المسلمين ، ولقد كانت الدول الاستعمارية تبسط الحماية على مبشريها في بلاد الشرق ، لأنها تعدهم حملة لتجارتها وآرائها ، ولثقافتها الى تلك البلاد .

د — تأسيس المنظمات السرية التي تمارس القتل والارهاب ضد المسلمين ، ولا شك أن هذا الشكل الاخير للحروب الصليبية هو السبب المباشر للحوادث والمذابح التي

تعرض لها مسلمو الفلبين فى وقتنا الحاضر ، ذلك لأن غيره من الاشكال لم يجد نفعا فى تحويل جميع مسلمى الفلبين الى الدين المسيحى .

تاسعا — تحيز الحكومة الفلبينية وتعصبها للعناصر المسيحية الكاثوليكية ، واهمالها لمصالح الطوائف الاخرى وبالاخص المسلمين.

ويتجلى هذا التحيز فى رفض الحكومة الفلبينية معاقبة المجرمين المسئولين عن الحوادث والمذابح التى تعرض لها مسلمو الفلبين ، وأكثر من هذا تحيزا وتعصبا تحالفها مع العصابات المسيحية فى قتالهم ضد المسلمين .

ويظهر أيضا هذا التحيز ويأخذ شكلا واضحا فى معاملة الحكومة الفلبينية للمسلمين كمواطنين من الدرجة الثانية ، ونظرتها لهم على أنهم أقل شأنا من المسيحيين .. ونصيبهم دائما أقل من القليل .

والدليل على هذا التحيز الحكومى الخطبة التى القاها أحد زعماء مسلمى الفلبين فى المؤتمر الاسلامى الخامس فى مدينة (زامبوانجا) بالفلبين بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٧٠ م ، وهذا هو ملخص الخطبة :

« ان التفرقة فى معاملة حكومة الفلبين للمسلمين ازاء اخوانهم المسيحيين تتبين فى الامور الآتية :

١ — فى الملكية .

ان سبعين فى المائة من المسلمين لا يملكون أراضى .

٢ — فى الخدمات الطبية والصحية .

نجد أن المسلمين لا يتمتعون بالخدمات الطبية والصحية ، على نقيض غيرهم من المسيحيين ، فانهم يتمتعون بها أكثر بالرغم من شدة حاجة المسلمين اليها .

٣ — فى الاصلاح الزراعى والرى :

لا يوجد فى أراضى المسلمين أى مشروع من مشروعات الرى بينما توجد عدة مشروعات للرى فى أراضى المسيحيين .

٤ — فى توزيع المدارس :

فرص أقل فى التعليم بالنسبة للمسلمين ، فان المدارس تقل بكثير فى المناطق الاسلامية ، فى حين أنها تزداد فى المناطق المسيحية ، مع أن المسلمين فى أمس الحاجة الى تلك المدارس .

٥ — فى تطوير البناء والتعمير فى المناطق الريفية :

ان هناك اهتماما كبيرا بالنسبة لتطوير البناء أو التعمير فى المناطق الريفية المسيحية ، بينما لم يكن أى اهتمام بذلك فى المناطق الريفية المسلمة ، مع العلم بأن فى رئاسة الجمهورية لجنة لشئون المناطق الريفية مهمتها تطوير المناطق والريف .

٦ — فى اعداد القوى العاملة :

لا توجد هناك فى المناطق الاسلامية مراكز للتدريب المهنى ، ولكنها توجد كثيرا فى المناطق المسيحية .

٧ — فى الشئون العسكرية :

لا تقبل الحكومة الفلبينية أى مسلم للالتحاق بالكلية الحربية الفلبينية ، لأنها انشئت أساسا للمسيحيين ، وربما يوجد من يعترض على هذا بأن السيد العقيد (لويس مار ، وهو بسار) من أهل منطقة سولو تخرجا فى كلية الحربية الفلبينية ، فيجاب عليه بانهما تلقيا تدريبا عسكريا فى الكلية الحربية الفلبينية فى عهد الاستعمار الامريكى ، وأما تحت حكومة الفلبين المستقلة فلم يكن هناك أى مسلم يقبل فى الدراسات العسكرية أو الحربية .

عاشرا – تعصب الحكومة الفلبينية فى أحكام الدين المسيحى وعدم سماحها للمسلين أن يمارسوا أحكام دينهم تحت حكمها .

وهذا هو الفرق الواضح بين الدولة الاسلامية والدولة المسيحية الكاثوليكية فى مبدأ التسامح فان الدولة الاولى يفرض عليها دينها الاسلامى أن تتيح الفرصة لرعاياها غير المسلمين أن يمارسوا أحكام دينهم تحت حكمهافى حين أن الدولة الثانية لا تسمح بذلك للمواطنين غير المسيحيين فلذلك لا تجد فى قانون الفلبين أى حكم من أحكام الدين الاسلامى وانما تجد فيه الاحكام المسيحية فقط .

ويمكن أن يقال ان هذا غير صحيح لغرابته وشدته نقول ان أحد زعماء مسلمى الفلبين طلب فى برلمان الفلبين فى عام ١٩٤٦ أن يتاح للمسلمين عن طريق الاستثناء اباحة ثلاثة أحكام الى أجل مسمى تلك هى تعدد الزوجات والطلاق والتوارث ولكن الموعد المسموح به قد انتهى فى سنة ١٣٩١ ﻫ الموافق ١٩٧١ ميلادية ولم يحدث شىء .

ويتجلى هذا التعصب الدينى فى كراهة الحكومة الفلبينية للدين الاسلامى وعدم رضاها بالتغيرات التقدمية التى وصل اليها الدين الاسلامى والمسلمون بالفلبين لذلك نجد أن الحكومة الفلبينية قد تحالفت وتواطأت مع العصابات المسيحية فى قتالهم ضد المسلمين واحراقهم للقرآن الكريم ومساجد الله وقيامهم بمذابح الجوامع والمدارس ومذابح الحفلات الدينية الاسلامية .

والسبب الحادى عشر وهو الاخير هو انتماء المسلمين الى الدين الاسلامى وانتسابهم اليه .

فكل المآسى التى عاناها المسلمون فى مختلف العصور من يوم مجىء الاسبان فى الفلبين الى يومنا هذا وكل الحوادث والمذابح الدموية التى يتعرض لها مسلمو الفلبين أخيرا فى بلادهم وأراضيهم وبيوتهم ومساجدهم وحفلاتهم الدينية كل ذلك من أجل الفتنة فى الدين ويرجع سببها الى انتماء المسلمين الى الدين الاسلامى وانتسابهم اليه فيقتلون لأجل كونهم مسلمين فلو كانوا مسيحيين لما اقدمت الحكومة الفلبينية والعصابات المسيحية على محاولة تصفيتهم .

لهذا قضى الاسلام دفاعا عن الاقليات المسلمة بأنه ما من مسلم قتل أو ظلم من أجل دينه أو عرضه أو ماله فى أى دولة من الدول التى يحكمها غير المسلمين الا وجب وتحتم على الدولة الاسلامية أن تغير على هذه الدولة المعتدية منعا للفتنة وفى هذا يقول الله تعالى فى سورة البقرة آية ١٩٤ ((فمن أعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)) ويقول فى سورة البقرة آية ١٩٠ ((وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم)) ويقول فى سورة البقرة آية ١٩٢ ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)) ..

ولا شك أن أكبر هذه الاسباب وأهمها الاخيرة وهو الدين أى انتماء المسلمين الى الدين الاسلامى وانتسابهم اليه وذلك لكونه سببا تتفرع عنه الاسباب الاخرى .

لجنة المتابعة لمسلمى الفلبين

للشيخ : مصطفى عيد

مسجد عبد الله العثمان

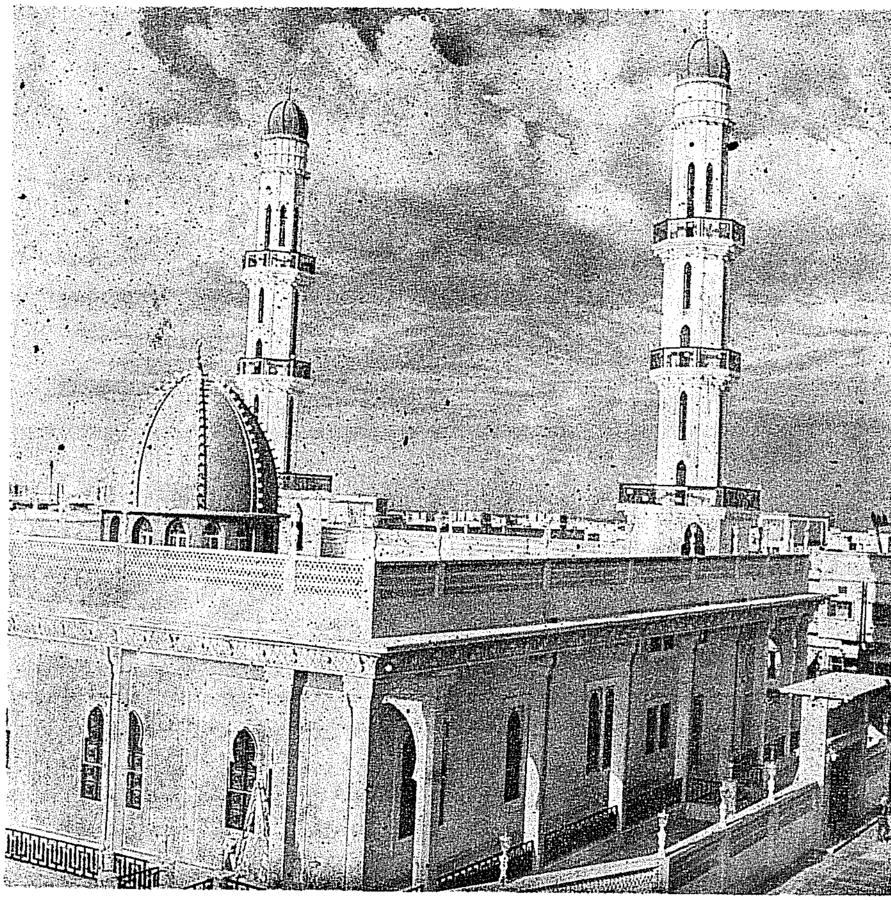
روى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يرويه عن ربه :
((ان بيوتى فى الارض المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لمن تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره)) .

المساجد بيوت الله فيها يعبد وفيها يذكر اسمه ولا يعمر المساجد الا أهل الغيرة على الدين حيث التوحيد الخالص والعبودية الصادقة لله عز وجل .

ومن هنا كان من أبر الاعمال وأعظمها منزلة عند الله بناء المساجد وتعمير بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله .

وليس أمتع للنفس ولا أهنأ للروح من أن يرى المسلم ويسمع أينما حل وأنى سار اهتمام الخيرين بانشاء المساجد وحرص الذين آتاهم الله من فضله ورزقه على تعميرها وبنائها .

ومسجدنا هذا الذى نكتب عنه بناه رجل ممن أعطاهم الله من فضله وأسبغ عليهم من نعمه وأفاء عليهم من رزقه . فكانت نفسه سخية وكفه ندية فى انشاء المساجد حيث لم يقتصر — رحمه الله — على بناء مسجد فى الكويت بل وفقه الله الى أن يحظى بالخير ويزداد من الثواب فأنشأ المساجد فى كل من البصرة بالعراق ، وفى دمشق بسوريا ، وفى صيدا وبحمدون فى لبنان وأسهم فى انشاء عدد كبير من المساجد والمنشآت الخيرية فى كثير من الاقطار .



مسجد عبد الله العثمان

وإذا حاولنا أن نعطى القــارىء الكريم لمحة عن روعة وجمال مسجد عبد الله العثمان ، فاننا لن نستطيع أن نلم بكل ما فيه من فن وروعة ومعمار تجلت فيه يد الراحل الكريم حيث كان هو الــذى وضع بنفسه تصميم المسجد وكــان موظفو مكتبه وعماله هم الذين قاموا بالتنفيذ وكان يشرف على كل صغيرة وكبيرة فيه فلم يعهد به الى شركات المعمار وكبــار المهندسين لانه أراد أن يزداد بهــذا العمل والمشاركة فيه بالجسم والخبرة بعد المــال قــربا الى الله وعلم الله صدق نيته وصفاء سريرته فكــان التوفيق حيث جاء المسجد روعة فى البناء .

أقيم المسجد فــى ضاحية النقرة بدولة الكويت ولعل السبب فى اختيار هذه المنطقة وتفضيلها على غيرها أنها آهلة بالكثير من السكان حيث الحاجة ماسة الى مثل هــذا البناء فضلا عن أنها المنطقة التى عاش فيها الراحل الكريم .

وأقيم على أرض مساحتها (٣٣٧٠) مترا مربعا أى ما يعادل ٣٦٣٢٩ قدما مربعا وهو محــاط بأربعة شوارع رئيسية وبلغت قيمة الارض وثمــن مواد البناء الفعلية حسب تقــدير المرحوم عبد الله عبد اللطيف العثمان نفسه (٣٫٥٠٠٫٠٠٠) ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف روبية أى ما يعــادل

(٥٠٠ر٢٦٢) مائتين واثنين وستين ألفا وخمسمائة دينار كويتى .

ولقد بدأ فى بنائه فى أواخر عام ١٩٥٨ وتم افتتاحه فى فبراير ١٩٦١ م والمسجد له قبة واحدة كبيرة ومئذنتان ترتفعان الى علـو شاهق يراهمـا الرائى من مسافة بعيدة وخاصة فى الليل عندما تتلألأ أنوارهما الكهربية مع سائر الانوار المنبثـة فى المسجد ويخيل للرائى أنه جنـة خضراء تهز روعتها النفس وتضفى عليـه الجلال والخشية .

وللمسجد ثلاثة أبواب رئيسـية ضمن سور كبير يحيط به وقد نقشت عليها الآيات القرآنية . وعندما يتهيأ الانسان لدخول المسجد يرى باحة كبيرة وقد فرشت بالسجاد الفاخر ثم يجد بابا ضخما ما أن يدلف منه الى حرم المسجد حتى لا يملك الا أن يقف فى خضوع وخشوع حيث المسجد من الداخل بجماله وجلاله ونقوشه التى جمعت بين روائع الفـن الاسلامى والهندسة المعاصرة . ولـقد زينت جدران المسجد بأربع عشرة لوحـة قرآنية كل لوحـة فى اطـار كبير كتبت فيهـا الآيـات القرآنية بماء الـذهب . وإذ رآن الانسان ببصره الى أعلى شاهد الثريات الكهربية التى صنعت لهذا المسجد واستحضرت له حسب المواصفات المطلوبة ونثرت فى كل جنباته وقد توسطتها ثريا كبيرة ويبلغ طولها (٣٣٥) سم وقطرهـا (٢٥٦) سم وتحتوى على أكثر مـن مائتى مصباح (لمبة) ولها واجهـة من نحاس نقش عليها لفظ الجلالة (الله) وأما باقى الثريات فكل واحدة منها يبلغ طولها (١٣٥) سم وقطرها (١٠٠) سم وتحتوى كل واحدة على (٢٧) مصباحا (لمبة) .

كما فرش المسجد بالسجاد الذى استورد خصيصا له حسب المقاسات المطلوبة فأضفى جمالا على جمـال وجلالا على جلال وقد تم تركيب جهاز تكييف عـام للمسجد حتى تشـعر النفس بالـروح والراحة وتؤدى العبادة فى خشوع وخضوع .

وبالمسجد مصـلى بمدخل خاص للسيدات بمعـزل عن الرجـال ، وبالمسجد مكتبة ضخمة حوت الكثير من الكتب الدينية التى تعين الباحث وترشد الحائر وتهدى الضال الـى سماحة الدين وتشريعاته ، كما أنشىء مكتب لامام المسجد يستقبل فيه كل من أراد الوقوف على رأى الدين فى مسألة من المسائل الدينية .

ولقد ظل الفقيد يشرف على المسجد ويوفر لـه جميع احتياجاته الى أن توفى رحمه الله فى آخر عام ١٩٦٥ . وبعد وفاته أسند الاشراف الى وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية .

ولما لهـذا المسجد من أثر كبير فى توجيه المسلمين وارشادهم فقـد حرصت الوزارة مشـكورة على أن تنظم فيـه الـدروس اليوميـة والمحاضرات الاسبوعية بالاضافة الى أنه جامـع يغص بالمصـلين عـلى سعته .

وبعد فانه لا يسعنا الا أن نعترف بأننا لم نوف المسجد حقه فى تلـك العجالة السريعة ، وندعو بالرحمـة لمن أنشأه لتكون بمثابة الشكر على هذا العمل الجليل . ففى الحـديث القدسى عن رب العزة : ((عبدى اذا لم تشكر من أجريت الخير على يديه لم تشكرنى)) .

كتاب الشهر

المعجزة الكبرى.. القرآن

تأليف الشيخ محمد أبو زهرة
عرض وتحليل : محمد عبدالله السمان

انه لمن تحصيل الحاصل اذا قلنا : أن فضيلة أستاذنا الجليل ، الشيخ أبو زهرة غنى عن التعريف ، فالدراسات الاسلامية الناضجة التى قدمها فضيلته الى المكتبة الاسلامية والعربية وأثرت بها ، تجعل من عبارة : غنى عن التعريف .. عبارة استهلاكية ليس لها مكان فى مقام الكتابة عن أحدث انتاج فكرى اسلامى ، لعلم من أعلام الفكر الاسلامى وعالم من العلماء الرجال ، الذين يسمو بهم ايمانهم عن انحناءات الرءوس ، وعن اهتزازات الأقلام لتمالىء الباطل على حساب الحق ..

هذه كلمة عابرة ، قبل أن نعرض هذا الكتاب الجديد الذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة ، فى زهاء خمسين وستمائة صفحة من القطع الكبير ، وقد تضمنت أبوابه دراسات على جانب من الاهمية :

« نزول القرآن .. كتابته .. جمعه .. اعجازه .. جدله .. علومه .. تفسيره .. ثم حكم الغناء به .. »

وفى رحاب هذه الأبواب الرئيسية ، ناقش أستاذنا كثيرا من القضايا :

- قراءات القرآن ووجوه الاختلاف فيها ، وأنها ليست الأحرف السبعة ، بل هى على حرف واحد ..
- مذهب الصرفة وبطلانه ، وأن مصدر القول بالصرفة هندى ..
- وجوه اعجاز القرآن ، وآراء العلماء فى هذه الوجوه ..
- قصص القرآن من الناحية البيانية وأنه لون من تصريف بيانه ..
- تفسير الكتاب ، ومناهج التفسير ومصادره ..
- ترجمة القرآن ، وأن ترجمته غير ممكنة ..

● الغنـــاء بالقـــرآن ، والفرق بين الغناء والتغنى ..

قد يخيل الينا لأول وهلة ، أن مثل هذه الدراسات القرآنية ، ليس فيهـــا جـــديد ، فطـــالما كتب فيها الكتاب ، وأدلى العلماء فيها بدلائهم ، لكن حين نقرأ هذه الدراسات بشيء من التروى يتأكد لدينا ، أن أهمية هذه الدراسات ليست ــ وحسب ــ فى اســـتيعابها بين دفتى كتاب واحد ، فى اسهاب غير ممل ، بل أيضا فى جو المناقشة الذى ساد معظم قضاياها ، وفى وجهـــات النظر الجديدة فى بعضها .. فمثلا ، يعرض المؤلف سؤالا ذا أهمية ويناقش الاجابة عنه :

لماذا كانت معجزات الأنبياء السابقة حسية ، ومعجزة الرسول معنـــوية ، فقد كانت بيانا يتلى ، وذكرا حكيمـــا يحفظ ، فيه بيان الشرائع المحكمـــة الخالدة ؟

ويرى أستاذنا الشيخ أبو زهرة : أن معجزات الأنبياء ، ســـواء أكانت مادية فى كونها ، أم كانت متضـــمنة معانى روحية كانت من النـــوع الذى يحس بالرؤية ، ويكون من بعدهـــــا التأمل ، وليس من النوع الذى يكـــون بالتأمل ، ولا يدرك الا بالتأمل ، وان كان قائما ثابتا فى الوجود من غير ريب ، وكانت حـــوادث تقـــع ، ولا تبقى ، ولا يبقى منها الا الاخبار بها ، فلا يعرفها على اليقين الا من عاينها .. لكن معجزة محمد عليه السلام ، كانت من نوع آخـــر لم يكن حـــادثة تقع ، وتزول من غير بقاء لها الا بالخبر .. انها مناســـبة لرسالة لعمـــومها فى الاجيال ، ولمكانته بين الرسل، ومقامه فى هـــذا الوجود الانســـانى الى يوم القيامة ..

وحـــول قراءات القـــرآن ، يقرر استاذنا الشيخ أبو زهرة أمرين :

أولهمـــا : أن قـــراءات القـــرآن المتواترة ليست هى الاحرف السبعه ، بل ان الرأى القويم الذى انتهى اليه الباحثون ، كابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ وغيره ، الى أن القراءات كلها تنتهى الى حرف واحد ، وهو الذى كتب به المصـــحف المحفـــوظ عند أم المؤمنين حفصة ، وهو الذى جمعـــه عثمان ، والزم به الأقاليم الاسلامية ، وهو مطابق تمام المطـــابقة للمصحف الذى كتب فى عهد أبى بكر وعمر ، وهو الذى حفظ فى بيت أم المؤمنين حفصة ..

ثانيهما : أن هـــذه القراءات تنتهى فى نهايتها الى أنها من ترتيل القرآن الذى رتله الله ، وتفضل بنسبته الى ذاته الكريمة : « ورتلناه ترتيلا » فهى الأصوات التى أثرت عن النبى عليـــه السلام .. فهى فى مدها ، وغنها ، واهمازهـــا ، واهمـــال همزاتها ، وامالتها ، واقامتها ، أصوات القرآن المأثورة ، اذ أن القراءة سنة متبعة ، وان اختلاف القراءات الصحيحة وكلها متواترة عن الصحابة الذين أقرأهم النبى وأعلمهم طرق الأداء التى تعلمها والمنهل السائغ ، وهو تلاوة النبى ، لكن الاختلاف ليس اختلاف تضاد فى المعانى ، أو اختـــــلاف تباين فى الألفاظ ..

ويرى أستاذنا أن مصـــدر مذهب الصرفة الهند ، فالبراهما يقولون فى كتابهم (الفيدا) وهو مشتمل عـــلى مجموعة من الاشعار : ليس فى كلام الناس ما يماثلها ، وان البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها ، لأن براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها ، وعنـــدما دخلت الأفكار الهندية فى عهـــد العباسيين تلقف هـــواة الأفـــكار الوافـــدة من الفلاسفة هـــذه الأقـــوال واعتنقوها وأرادوا تطبيقها على القرآن ، فقال قائلهم : ان العرب اذ عجزوا عن أن

الذى أعجزهم ، وقد كان القرآن معجزة النبى ، والقول بالصرفة ينفى عنه خواص الاعجاز .. لا سيما وأن معجزات السابقين من الأنبياء ما كان فى طاقة الناس الاتيان بمالها ، فلماذا لا تكون معجزة محمد كسائر المعجزات وهى أجل وأعظم ؟

وتحت عنوان : « علم الكتاب » الذى أشارت اليه الآية الكريمة : « قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ، ومن عنده علم الكتاب » تساءل أستاذنا : ما هذا العلم القرآنى الذى يعلو بصاحبه الى هذا المقام الاسمى والمنزلة العليا ؟ ثم أجاب عن هذا التساؤل بجوابين : أحدهما فيه اجمال والآخر فيه بعض التفصيل :

■ الاول : انه علم النبوة ، أى علم الرسائل الالهية ، فالقرآن قد اشتمل — فيما اشتمل عليه — على لب الرسالة الإلهية وهو التوحيد ، وهذا الجواب مبنى على ما قرره الذين قرءوا القرآن من السلف وما نقلوه عن النبى عليه السلام .

■ الثانى : ان من علوم النبوة علم الغيب .. والغيب هو لب الايمان ، وان العلم بمنشىء الكون هو الفطرة الانسانية ، وان الفلاسفة يحاولون أن يدركوا المغيب عنهم من حقيقة المنشىء ، ولا تجد فى كلام الفلاسفة ما يهدى للتى هى أقوم ، وما كان عجزهم عن أن يدركوا الشىء الاول الا من سيطرة أوهام سبقت ، عكرت على الفطرة ، وضللت العقل ، ولنظريات ضالات كنظرية الأسباب والمسببات ، متوهمين أنها تنطبق على منشىء الوجود . كما هى ثابتة فى العلة بين الموجودات .

وان من علوم النبوة : علم الرسالة الإلهية والمعجزات التى اقترنت بها .

وقد أطنب الاستاذ فى الحديث عن الخوارق التى صاحبت رسالات يأتوا بمثل القرآن ، ما كان عجزهم لأمر ذاتى من ألفاظه ومعانيه ونسجه ونظمه ، بل كان لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله .

معنى هذا أن رواج هذا القول يؤدى الى أمرين :

أولهما : ان القرآن ليس فى درجة من البلاغة ، والفصاحة تمنع محاكاته ، وتعجز القدرة البشرية عن أن تأتى بمثله ، فالعجز ليس من صفات القرآن الذاتية ..

ثانيهما : الحكم بأنه ككلام الناس لا يزيد عليه شىء فى بلاغته أو معانيه ..

وبعد أن أشار فضيلة أستاذنا الى أن القول بالصرفة نبت أول نبت له فى رواق الفلسفة الكلامية ، قاله شيخهم ابراهيم بن سيار الشهير بالنظام والمتوفى عام ٢٢٤ هـ ، ولقد نقده تلميذه الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥ هـ ، كما أشار الى أن فكرة الاعجاز بالصرفة مجال اختلاف بين العلماء ، ما بين مقرر لها وما بين مستنكر ، بعد الاشارة الى هذا وذاك ، أخذ أستاذنا يبين بطلان هذه الفكرة من أساسها ، فدلائل البطلان قائمة ثابتة ، مأخوذة من الوقائع التاريخية والموازنات الحقيقية الثابتة ، من هذه الدلائل :

■ ان العرب — راعهم بيان القرآن وأثار اعجابهم أسلوبه وعباراته ، فكان المعجز لذاته لا لشىء خارج عنه .

■ أن المعجز لو كان لأمر خارجى لا لأمر ذاتى فيه ، بأن تكون للعرب المقدرة على أن يأتوا بمثله ولكنهم صرفوا ، فان ذلك يقتضى أن تثبت لهم القدرة أولا ، وقد نفوا ذلك عن قدرهم ، وليس لنا أن نفرض لهم قدرة قد نفوها عن أنفسهم ..

■ لو أخذنا بمذهب الصرفة ما كان القرآن معجزا ، بل يكون الله هو

الأنبياء ، مبررا لذلك بأمرين :

■ **الاول** : أن التوحيد الذى هو لب العقيدة الاسلامية ، بل هو اللب فى كل الاديان السماوية ، انما يقوم على أوصاف ثلاثة :

وحدة الخالق فى انشائه الكون . ووحدانيته فى ذاته فهو منزه عن المماثلة للحوادث ، ليس كمثله شيء . . ووحدة المعبود ، وهو الله سبحانه وتعالى .

■ والوصف الثانى : ان الله مريد مختار فعال لما يريد ، وأنه أنشأ كل ما فى الوجود بارادته وقدرته ، ولم ينشأ عنه نشوء المعلول عن علته . .

■ الوصف الثالث : ثبوت الرسالة الإلهية للمصطفين من خلقه ، ولا تثبت الرسالة الا بأمره .

■ **أما الأمر الثانى** : الذى من أجله أفاض فضيلته فى ذكر بعض الخوارق فهو أن بعض الذين يجعلون أمور الدين خاضعة للتجارب يدعون أن رسالة محمد قامت على العقل ، ولم تقم على الخوارق ، وأن القرآن الذى هو حجة محمد الكبرى خاطب العقول ولم يخاطب الخوارق ، وجرت عباراتهم بما يفيد أن الاسلام لا يعرف الخوارق . .

وفى باب . . تفسير الكتاب : أشار أستاذنا الى رأى من رأى من العلماء ، أن القرآن لا يحتاج الى تفسير ، الا فى بعض الألفاظ الغريبة على القارىء والا بعض الاحكام والمجملات المبينة بالسنة ، وما عدا ذلك لا يحتاج الى بيان الا أن يكون متشابها ، وهذا لا تفسير له . .

ويرى أستاذنا أن لهذا الرأى سندا من القرآن ، فقد وصف بأنه مبين أى بين،والبين لا يحتاج الى تبيين، وربما دفع اليه ما تورط فيه بعض المفسرين من نقل اسرائيليات قد تفسد المعنى ، وتضع ستارا كثيفا بين الآية الكريمة ونورانيتها المشرقة،وكأن صاحب هذا الراى يريد أن يجد التالى للقرآن الاشراق والنور من غير حجب يحجبها من روايات ما أنزل الله بها من سلطان . .

ويعرض أستاذنا بعد ذلك لرأى آخر غريب وجد فى بعض كتب المعتزلة ، مؤداه : ان القرآن يتعبد به ويتلى تلاوة ، ولا تتعرف معانيه الا بتعريف من النبى صلوات الله عليه . . ويرى أستاذنا أن الذى دفع الى هذا الرأى توقع خشية انحراف الفكر فتصرف معانى القرآن الى غيرها ، فرؤى الاكتفاء بالتلاوة والتعبد بها وقوفا عند ذلك ، حتى لا يقال على الله بغير علم — لكن مهما يكن المقصد فان هذا الرأى لا يؤخذ به ، ولم يشر اليه أحد الا القاضى عبد الجبار المعتزلى فى كتاب المغنى وقد تولى تفنيده والرد عليه . . فالقرآن مقصود بمعانيه وبتلاوته ، وان التفسير علم يدرس وهو مفيد ، وهو قائم منذ عهد التابعين الى اليوم .

وبعد أن أسهب أستاذنا فى شرح مناهج التفسير ، عرض لمصادر التفسير : اللغة ، والسنة ، وأقوال الصحابة مع تلاميذهم التابعين ، أشار الى المصدر الرابع وهو التفسير بالرأى — أى بالنظر المجرد الذى لا يخالف اللغة ، بل يستعين بمناهجها ، ولا يخالف السنة ، بل يعتمد على الصحيح من اسانيدها ان صحت عنده ولا يناقض تفسير الصحابة المأثور ، ولا أسباب النزول التى صحت بسند صحيح . .

وقد تضاربت أقوال العلماء فى التفسير بالرأى ، منهم من عارضه بشدة كشيخ الاسلام ابن تيمية ، ويراه حراما ، وأن من يفسر القرآن برأيه يقول بغير علم . وساق حديث: من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ

مقعده من النار ، لكن استاذنا الشيخ أبو زهرة يرى أن الحديث خاص بمن لم يؤت أدوات التفسير من علم اللغة ، ومصادر الشريعة ومواردها ومرامى الاسلام وغاياته .

أما من اخذوا فى تفسير القرآن بالرأى فقد سلكوا مسلك الفقهاء الذين أخذوا بالقياس ، ان لم يجدوا فى الموضوع نصا .. وكان هذا المسلك مسلك الذين حاولوا تعرف اعجاز القرآن ، وعلى رأسهم الامام الزمخشرى ومن قبله كان الامام الطبرى ، وكذلك كان الامام الغزالى الذى استدل على جواز التفسير بالرأى بعدة أدلة ..

ويعقب أستاذنا الشيخ أبو زهرة على قول الامام الغزالى : « ان المأثور من التفسير بالسنة قليل لا يشمل القرآن كله » فيرى أن ذلك فى غير الحلال والحرام . فيما يتعلق بتفسير القرآن بهما ، ورد عن النبى فيه كثير وليس قليلا ، لانه بيان الشريعة .. وتبليغ رسالة الله ، اذ أن التكليفات لا بد أن يبينها النبى ، ولا يتركنا الا وقد بين ما يجب على المكلفين فعله ، وما يجب عليهم تركه ..

والذين سوغوا التفسير بالرأى منعوه فى موضعين ، يكون الرأى فيهما مذموما :

▪ **الاول** : أن يفسر القرآن مفسر على هواه ، أو يحاول حمل الآيات على مذهبه أو رأيه ..

▪ **الثانى** : المسارعة الى تفسير القرآن بظواهر الآيات والاقتصار على هذه الظواهر من غير تعرف للمنقول فى موضوعها ، ومن غير ادراك للاساليب البيانية القرآنية المعجزة .

وبعد ..

فهذه جولة سريعة بين صفحات كتاب استاذنا الشيخ ابو زهرة الذى ضم بين دفتيه دراسات قرآنية على جانب من الاهمية ، ولا أعتقد أن دارسا أو باحثا الا فى حاجة اليها ، وان كان لا بد من ملاحظات ، فلن تكون الا ملاحظاتعلى الهامش :

أولا : كنا نود ألا تضم هذه الدراسات حديثا نبويا واحدا دون تخريجه ، ذكر السند والدرجة معا ، لان هذه الدراسات أثارت مناقشات وقضايا كثر فيها الجدل .

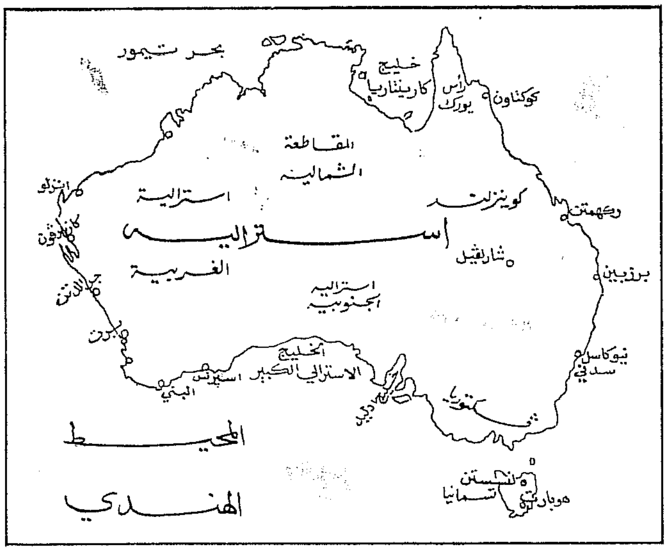
ثانيا : ان علماء السلف الذين تعرضوا لوجوه الاعجاز القرآنى — لم يتطرقوا — على ما أعتقد — الى التشريع القرآنى كوجه من وجوه الاعجاز ، وقد سبق لاستاذنا دراسة فى هذا الموضوع سبق نشرها فى مجلة (المسلمون) تحت عنوان : « شريعة القرآن دليل على أنه من عند الله » وفى هذا الكتاب اشارة عابرة الى هذا البحث ، لذلك كنا نود أن يعطى حقه فى هذا الكتاب ، فهو موضوع الساعة بلا جدال .

ثالثا : لقد عرض أستاذنا للقصص القرآنى فى ١٢٥ صفحة ، لكن من الناحية البيانية وحسب — ولذلك كنا نود أن يناقش أستاذنا قضية على جانب من الأهمية ، هى واقعية القصة فى القرآن ، وهذه القضية سبق لها أن شغلت الأذهان ..

رابعا : لقد خلت هذه الدراسة القيمة من استعراض سريع لحاضر القرآن ، فالقرآن هو المصدر الأول للتشريع الإسلامى الذى يمر اليوم بمحنة .. ولا أقول بمأساة ..

هذه ملاحظات على الهامش ، ولم يكن هناك مبرر لذكرها ، لولا ثقتنا فى علم أستاذنا الشيخ أبو زهرة ، وفقهه وايمانه .. وشجاعته ..

الوجود الإسلامي في استراليا



دخل الاسلام الى استراليا عن طريق التجار والعمال من المسلمين القادمين من أفغانستان وباكستان والهند والذين نقلتهم الحكومة الانجليزية الى استراليا للاستعانة بهم لدى قيامها بفتح طرق المواصلات الداخلية .. ولا زالت السكك الحديدية فى بلدة ــ اوليد الايك ــ تسمى بكلمة ــ خان ــ تخليدا لذكرى هؤلاء العمال المسلمين . .

ولقد دأب المسلمون على نشر الاسلام فى البلاد بحسب امكانياتهم وظروفهم وعلى المستوى الفردى حينا والجماعى حينا آخر حتى اذا كانت سنة ١٨٨١م كان عدد المسلمين قد وصل الى ٤٧٠٠ مسلم وأكثر فى مقاطعتى ــ اديلاند ــ وبريسبين .

أما عدد المسلمين اليوم فى استراليا فيبلغ ما يقارب ١٢٠ الف نسمة من بين عدد سكان البلاد البالغ عددهم ٢٠ر١٢ مليون نسمة .

ويتوزع المسلمون فى استراليا الى ثلاث فئات :

١ ــ أعضاء السلك الديبلوماسى المسلمون .

٢ ــ الطلاب المسلمون القادمون للدراسة بموجب مشروع ــ كولومبو ــ أو على حسابهم الخاص .

٣ ــ المهاجرون والوطنيون من اهل البلاد .

اما المهاجرون فهم قادمون من يوغسلافيا وأفغانستان والباكستان وقبرص والاردن والبانيا .. وماليزيا واندونيسيا .

وقد عمد المسلمون الى تأسيس مجالس اسلامية عديدة لهم .. وآخرها المجلس الاسلامى للدعوة الاسلامية .. ولا زال المسلمون هناك فى حاجة ماسة الى المزيد من الدعم المادى والادبى من قبل الحكومات والمنظمات الاسلامية .. وذلك لتحقيق غرضين هما :

١ ــ رفع مستوى الوعى بالدين الاسلامى لدى المسلمين ولدى من اعتنقوا الاسلام .

٢ ــ دعوة غير المسلمين من الوثنيين وغيرهم الى اعتناق الاسلام وخاصة ان كل الفرص متاحة الى ذلك .



ابنة العقبة

تمثيلية من تاريخنا العظيم

للاستاذ أحمد العنانى

فى قصر الخليفة عبد الملك بن مروان فى دمشق
عبد الملك مستوحدا على شرفة مظللة بالشجر من أمامهـــا

عبد الملك « منفعلا وبلهجة هادئة » الله الله ! هذه ظلال الدنيا آيـــات من الجمال معجبة كيف اذاً يكون الظل الظليل فى الجنة ؟!

كيف الظلال الوارفة ، والقطوف الدانية « يتنهد ويصمت قليلا » إيه ! اللهم انى قد خلطت عملا صالحـــا ، وآخر ســـيئا ، اللهم انك تعلم أنى وجدتنى محمولا عـــلى ظهر الفتنة شقت فيها عصا الطاعة ، وطـــال عذاب الناس بالخلاف ، ولقد فعلت ما أحسب أن فيه رضـــاك يا رب فارحم بفضلك يا رحيم (يتنهد) .

يسمع خطوات مقبلة .

أف لما أنا فيه من فضـــول الاهل أما يدعوننى فى خلوتى ، وائتناسى فى العزلة بطلب العفو من ربى ..

عاتكـــة بنت يزيـــد « زوجة عبد الملك » : حتى لو كانت عاتكة ؟!

عبد الملك : كل الناس الا عاتكة « ضحك منهما » .

عاتكة : مضى عليك وقت غير قليل يا ابن العم

عبـــد الملك : هل كان قليـــلا ما واجهت من شر وغم .. ؟!

عاتكة : ولـــكن الله عافـــاك ونصرك .

عبد الملك : وإنى استـــأله العفو

يا عاتكة ، شد ما بليت بهذه الامارة يا ابنة العم (يتنهد) .
عاتكة : الآن تحزن بعدما صفا الجو ، لو كان ذلك ساعة خرجت لقتال مصعب ، فثار عليك من خلفك ابن سعيد الاشدق .
عبد الملك : كفى يا عاتكة دعينى من ذكرى كأنها قطعة ليل اسود .
عاتكة : ذلك ما ابغى أن تنسى كل شيء يحزن قد زال الخطب يا امير المؤمنين والحمد لله .
عبد الملك : الحمد لله !! « يتنهد ويهز رأسه ثم يصمت قليلا ويبتسم » أذاكرة أنت حين وقفت تودعيننى والدموع ملء عينيك ؟
عاتكة : أما اتفقنا على أن ننسى ؟
عبد الملك : الا ساعة الوداع تلك فى ضيق اليأس ما كان لها أن تنسى ، لقد ذكرت بيتا من الشعر ربطت به على قلبى .
عاتكة « تضحك » .
عبد الملك : أحسبك سمعت ذلك منى غير مرة ومع ذلك فلقد يحلو لى أن أردده يتمتم به ببطء وانفعال :
اذا ما أراد الغزو لم يثن همه
حصان عليها نظم دُرّ يزينها
عاتكة : لقد أذهب الله الحرج وكشف الغمة ..
عبد الملك : الحمد لله يا عاتكة تمر الايام بالحلو والمر فلا هذا يبقى ولا ذاك يدوم .. ويتنهد .
عاتكة : كأن شيئا يشغل بال امير المؤمنين ..
عبد الملك : اجل ، ولقد تحسنين فيه الرأى .
عاتكة : انا يا امير المؤمنين ؟ « تضحك » .
عبد الملك : ليس فى كل مشورة تخالفين (يضحك) استمعى إلى يا عاتكة ، هل تملكين من نفسك ان تخفى هواك وتقدمى عقلك فى امر يمسك أكثر من سائر الناس .
عاتكة : وما ذاك ؟
عبد الملك : زواج الوليد .
عاتكة : الله الله يا أمير المؤمنين!! وهل أحب الى قلب حرة عاقلة من خبر عن فرحة ابنها وفرحتها به ؟
عبد الملك : اذاً فقد سألت الوليد فى زواجه فأطرق راضيا وهو يتعثر بحيائه .
عاتكة : بشرك الله بالخير ، وطوبى لمن كان حظها أن تزف الى الوليد .
عبد الملك : وبمن تشيرين على لزواجه ؟
عاتكة : استغفر الله يا امير المؤمنين ما كان الوليد ولدى وحسب. انه المنظور للخلافة بعد عمرك الطويل يا أمير المؤمنين وليس زواجه كسائر الناس ، بل حتى الأمراء .
عبد الملك : بوركت يا عاتكة ، لقد خشيت ورب البيت أن تجنحى الى غير ذلك من القول فأجابهك بما لا ترضين .
عاتكة : معاذ الله يا أمير المؤمنين.
عبد الملك : لقد فكرت فى الامر طويلا واراني انتهيت الى رأى .
عاتكة : ونعم ما ترى .
عبد الملك : إنها ابنة محدث فقيه كريم .
عاتكة : ليست اموية إذاً
عبد الملك : ابناء عمومتنا وبناتهم طرفت اعينهم الدنيا ، ولقد اذكر انى كنت بمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بيثرب ولا همّ لى غير العلم فلما نوديت للخلافة والله يعلم ما كان ذلك على رأى منى أو رغبة أسقط فى يدى ، ولولا عمر ابن عمى عبد العزيز

لقلت ذهب المروانيون بغير علم ولا آخرة .

عاتكة : ولكنى لا أعرف أى فقيه محدث يعنى أمير المؤمنين لعلها من آل الخطاب ... إنهم نعم الناس .

عبد الملك : لا يا عاتكة .. أبوها من غير العرب كلهم .

عاتكة : كذا يا أمير المؤمنين ؟

عبد الملك : ذلك لا يضرها فى شئ .. بل إنها هى تضارع فى علمها أباها وتبز فيما نمى إلىَّ من سواها ، جمالا فى الخلق ، وعظمة فى الخلق ، وخفرا وفهما .

عاتكة : آه .. ها .. لا .. لا « مترددة » ولكن ليس غير التى

عبد الملك : « يضحك » لن تفطنى لها .

عاتكة : بل قد عرفتها .. أعنى سمعت بها ، ولكن أباها يا أمير المؤمنين

عبد الملك : ومن أبوها ؟ بل ومن هى ؟

عاتكة : أبوها سعيد .. سعيد بن المسيب .. لكن هذا الرجل يا أمير المؤمنين ، فى أحسن علمى عنه ، معتصم بمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ، مباعدا ما بينه وبينكم حتى ..

عبد الملك : « يقاطعها » حتى لم يبايع أحدا من بنى أمية بخلافة ! ولكنى سائلك عن ابنته .

عاتكة : إن كانت فى حقيقتها على عشر ما أسمع عنها ، إذاً فهى نعم الزوجة لوليد ... ووليد رزين يا أمير المؤمنين كما تعلم .

عبد الملك : ونحن نريد أن يبايعنا هذا الرجل يا أم الوليد ، والله لقد بلغ من علمه وخلقه ما فتن الناس به فى سائر الامصار ، وأن الرجل ليحج من المغرب أو المشرق فلا يقصد بعد انتهاء الحج لأمر قبل لقاء سعيد أو السماع منه ، هذا الرجل ينبغى أن نصلح ما بيننا وبينه .

عاتكة : ما أحسن العلم ذخيرة لدنيا وآخرة . لقد نلت حظا يا ابنة المحدث الفقيه تتقطع لمثله أميرات أمية أيديهن ، توكل على الله يا أمير المؤمنين وامض بهذه العزيمة ففيها لك ولابنك رضا من الله وخير إن شاء الله .

عبد الملك : كذلك ترين ؟

عاتكة : مبروك ما عزمت عليه .

عبد الملك : أرسل إذاً لهشام بن اسماعيل ؟

عاتكة : وهل أحب إلى من شىء أستعجله كزواج الوليد ؟

عبد الملك : سأرسل مع هشام احسن الهدايا وأسناها وسنغالى فى عرس الوليد بما ينبغى له .

عاتكة : على بركة الله يا امير المؤمنين .

عبد الملك : قبل أن تنهضى ، لا أريد لهذا الخبر ذيوعا أبدا أبدا .

عاتكة : حتى الفرح نكتمه يا أمير المؤمنين ؟

عبدالملك : كذلك أوصانا الرسول ، وهل الضلالة إلا أن نخرج عن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم « تنهض وعبد الملك صامت يلاحظ خروجها » .

(ينتهى هنا المشهد) .

المشهد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
سعيد بن المسيب ينهى درسا له بعد صلاة العصر ..

سعيد : كذلك أيها الناس أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأمر الحديث المروى عنه ، فإياكم ونفسى أوصى ، وإياكم ونفسى ، أحذر من التهافت فى النار فى الخوض فيما لا

نعلم علم اليقين ، اقول هذا واستغفر الله لى ولكم ، ومن كان عنده سؤال فليدع ذلك الى غــد إن شاء الله .

همس : يريد أن يرى ضيوفه هذا عامل أمير المؤمنين ينتظر انتهـــاء الدرس .

بصوت مسموع : جزيت الخــير لا فض فوك السلام عليكم .

سعيد : وعليكم السلام ورحمـــة الله . . . حركة خروج الناس .

هشام بن اسماعيل : جزاك الله خيرا يا سعيد . لقد قلت فأجدت . وأفضت ولم تترك زيادة لمستزيد .

سعيد : ربنا لا تجعلنا ممن يحبون الحمد فيما لا يفعلون أو يستحقون .

هشام : بل أنت بكل محمدة حقيق يا سعيد .

سعيد : هات يا هشام أنت ومن هم معك ، لم تجيئوا طبعـــا لفقه ولا لحديث .

هشام : قد جئتك يا سعيد بهؤلاء النفر من خيرة أهل الشام ووجوههم لنحمل اليك أحسن التحيات من أمير المؤمنين ، ولا نطيل عليك ، لكنه شرف نحمله ، ورسالة يسعدنا إبلاغها . وليست هى الا عدل علمك وحسبك فى تقوى الله تعالى، ان أمير المؤمنين يا سعيد لما عرف من فضلك وعلمك ومقامك عند الله تعالى يسعده ان يعرض عليك الصهر لابنه وولى عهده الوليد بن عبد الملك ، ولو كان غير الوليد طلب ذلـك ما رأى لـــه أمير المؤمنين ما رآه لولى عهده وافضـــل أبنائه .

سعيد : أذلك كل ما تقول ؟

هشام : تكلم كما تريـــد أنت يا سعيد .

سعيد : بل قل كل ما تشاء أنت .

هشام : هذا وأمير المؤمنين اجزل الله لـــه الخير غيـــر منقص لكم ولا لكريمتكم قدرا لم يكفه ما يهـــدى من الحجاز . فساق معنا قافلة مسوقة بكل غال من الشام .

« تدخل من الرجال الذين مـــع هشام » .

ما هكذا تورد الابل يا ابن اسماعيل عمرك اللـــه يا مخزومى . . . أمير المؤمنين حين يزوج ولى عهده ليس عليه ولا على عرسه بضنين .

هشام : حسبكم يا رجال ما ينبغى لى أن أنسى هـــذا أيضا .

سعيد : هل انتهيت ؟

هشام : حين تشاء يا سعيد فنحمل لأمير المؤمنين بشائر الرضا والقبول .

سعيد : حسبتك انتهيت لا يلبث الرجال أن يملأوا المسجد استعدادا للمغرب .

هشام : ما أراك والله إلا بطيئا الى صهر أمير المؤمنين كبطئك فى البيعة له . أما وربى يا سعيد لئن شـــئت الدنيا كلها ساقها اليك أمير المؤمنين . أما ندمت على تركك البيعة ، ومفارقة الجماعة ؟ . .

أحد الرجال : تـــريث يا هشام فالرجل لم يرفض طلب أميرّ المؤمنين والى من عساه يصهر إن يرفض ولى عهد المؤمنين ؟

هشام : بل أنت واهم وأنا والى أمير المؤمنين هنا ، وأنا أعـــرف منك بمن أخاطب ، قد والله عـــرفت فى وجهه الرفض قبل أن يسكت سكوت المريب .

استمع يا سعيد لا نجاة هذه المرة بما تريد . . أمير المؤمنين أعز عزا وأعلى شأنا من أن تفضحه برفض آخر ، فقد كفى ما سكت عليه حتى الآن منك . أما والله لتزوجنها لابن أمير المؤمنين ، أو لتفعلن ما يريد راغم الأنف . . أفهمت يا سعيد ؟!!

سعيد : بلــى يا ابن اسماعيــل لأزوجنها إن شاء الله رجلا يتمنى أمير المؤمنين ، وابن أمير المؤمنين ، وعمال أمير المؤمنين وولاته أن لو كانوا من بعض خدمه وعبيده يوم لا ظل إلا ظل الله ، دعنى الآن فقد حان لى أن أقوم لشأنى هنا ..

هشام : هيا بنا يا رجال وفى غد يكون لنا مع هــذا الرجل شأن غير هذا الشأن .

« ينهض هشام ويتبعه من معه يخرجون وسعيد يشير الى فتى فى المسجد طالب علم » .

سعيد : الى هنا يا بنى .

طالب العلم : حبا وكرامة .

سعيد : جزيت خيرا ما شأن طالب العلم المغربى ابن وداعــة ؟

طالب العلم : لا تؤاخذه فى غيابه عن الحلقات والدروس ، لقد رزىء بزوجته المغربية من قــريب لعلــه استوحش لذلك فآوى الى منزله .

سعيد : « يقاطعه » كذا !! وأين يقيم ؟ أولستم واسيتموه فى مصابه ؟

طالب العلم : بلــى يا سيدى لم ندعه وحده إلا منــذ يومين بسـبب إلحاحه علينا فــى الا نشــق على أنفسنا .

سعيد : أظن بيته فى جوار بيت ابن مسعود ؟

طالب العلم : بل هو دونه بكثير انه لصق جدار الحرم من الجنوب .

سعيد : كذا ؟ جزيت الخــير يا ولدى .

يخرج الفتى وسعيد مطرق كأنما يناجى الحق تعالى فى سكوته .. ينهض ويتجه فى سرداب مسقوف من جانب جدار الحرم حتى يصل الــى بيتهفاذا ابنته خارجــة من صــلاة نافلة .

سعيد : يتقبل الله يا ابنتى .

ابنة سعيد : منك ومنى يا أبتاه .. أراك جئت فى غير موعد يا أبتاه .

سعيد : لأمر قد ترضين عنــــه يا ابنتى إن شاء الله .

ابنة سعيد : إن كان يرضيك ففيه اذاً لله مرضاة .

سعيد : رعاك الله يا ابنتى ودلك على الخير ودله عليــك ، استمعى إلىّ يا ابنتى كل أمر فيه سلامــة الفطرة ففيه الخير أيضا ، وقد حان زمان زواجــك يا ابنتى وأحســبك ترضين رجلا صادقا فى طلب العــلم ومخافة الله .

ابنة سعيد : أبتاه !

سعيد : إنى لأسألك وأنا أعــلم سلفا أن هواك مع الله ... وأنك تختارين من كان فى عيشك معه قربى من الله .

ابنة سعيد : لعلك لم تسأم مقامى معك يا أبتاه ؟

سعيد : هيا يا ابنتى .. أعدى نفسك فنحن خارجان بليلالى ما أرجو أن يكون بيتك الجـــديد إن شاء الله ... تظلين بخير .. يا ابنتى ..

المشهد بليل وقد سار سعيد ومن خلفه ابنته تتعثر حياء ومعهــا صرة ملابس .. يقفان عند باب متواضع سعيد ينقر الباب وابنته تتراجع مجفلة ..

ابن وداعة : من بالباب ؟

سعيد : افتح يا عبد الله لا تخشى شرا يا بنى .

ابن وداعة : « مندهشا » من ؟ أنت يا سيدى تطرق بيتى المتواضع ؟

وهو يفتح الباب من أنا حتى تزورنى .. وقد مضت عليك السنون لا تبارح الا الى مسجد رسول الله !!

« الباب يفتح كله الآن » .

سعيد : السلام عليكم .

ابن وداعة : وعليكم السلام ورحمة الله ألا تدخل يا سيدى ؟

سعيد : لعلى ان شاء الله أفعل غير هذه المرة أصغ الى يا عبد الله ، وأجبنى بصدقك الذى أعهد فيك .

ابن وداعة : تفضل يا سيدى .

سعيد : أما كنت تخبرنا عن وفاة زوجك يرحمها الله ... لعلك غير جازع يا بنى من أمر الله .

ابن وداعة : معاذ الله أن أكون من الجاهلين .

سعيد : ولعل حالك لم تسؤ ..

ابن وداعة : لقد أضر بى فقدها حتى الجأنى للقعود لحاجة نفسى هنا ، والغياب لبضعة أيام عن الدروس .

سعيد : قل لى لو رزقك الله فتاة شريفة الخلق ، صحيحة الدين والعقل والجسم أكنت تتزوج ومعك صداق ؟

ابن وداعة : يا سيدى أن كان لا بد لى من الجواب فمعى بضعة دراهم ولكن من ذا يزوج طالب علم فقير غريب وحاله كما ترى ؟

بلى أنا أزوجك من ابنتى .

ابن وداعة : يتلعثم ! .. أنا يا سيدى .. وهل أستاهل الشرف الذى به تغمرنى .

سعيد : تقدمى اذا يا ابنتى .. تتقدم متعثرة بخطاها .. هات دراهمك يا ابن وداعة ثم امض فأت برجلين من جيرانك يشهدان على زواجك .

ابن وداعة : يا سيدى حملتنى فوق ما يحمل الناس ، وطوقت عنقى بفضل .. هيهات انهض لجزائه .. الله يجزيك وهو وحده يكفيك قدر ما أحسنت لى ألا تدخل يا عماه !

سعيد : هيا يا بنى انى لارجو أن أكون عقدت الليلة عقدا . ليس فيه للشيطان نصيب « ابن وداعة يتحرك نحو جيرانه » .. وأنت يا ابنتى لقد زوجتك ممن أرجو الا تتفرقى عنه يوم يتفرق الناس ، الى العذاب أو الى روضات جنان فيها يحبرون ! اللهم قد اردت وجهك اللهم بارك لهما فى آخرتهما ، واغفر لنا ، انك أنت الرحمن الرحيم .

ابن وداعة : أحسن الله اليك يا أبت ! وصانكمن صولاتالجبّارين، وجعلنى لك سترا من النار ، يوم يكون الفوز لمن زحزح عنها وسيق مع الوفود الى جنة النعيم .

ابن وداعة : يظهر ومعه بعض جيرانه .

أصوات زغاريد ..

سعيد : لا .. لا ، دعو الضجيج الآن حتى لا تفسدوا علينا أمرنا ... دعو ذلك حتى منصرفى الى مكانى من مسجد رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .

---

(١) من أروع القصص الانسانى الحق فىتاريخنا قصة زواج ابنة الفقيه المحدث التابعى الجليل سعيد بن المسيب رضى الله عنه وقدكتبها بالاسلوب القصصى المترسل الكاتب الاسلامى العظيم مصطفى صادق الرافعىرحمه الله .

وهذه كتابة لها بالاسلوب التمثيلي دون أىخروج من واقعها التاريخىأما البناء (الدرامى) فهو متوفر فى الواقع للحادثة . (الكاتب)

الفتاوى

(وردت هذه الأسئلة لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز فأجاب عليها ، وتفضل بارسالها الى هــذا البــاب .)

العقـــــر

السؤال : إذا تخاصم قبيلتان أو شخصان حكم شيخ القبيلة على المدعى عليه بعقائر من الإبل أو الغنم تعقر وتذبح عند من له الحق ، الى آخره ؟

الاجابة : الذى يظهر لنا من الشرع المطهر ان هــذه العقــائر لا تجوز لوجوه ، أولها : ان هذا من سنة الجاهلية ، وقــد قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (لا عقر فى الإسلام) ، والثانى أن هذا العمل يقصد منه تعظيم صاحب الحق ، والتقرب اليه بالعقيرة ، وهــذا من جنس ما يفعله المشركون من الذبح لغير الله ، ومن جنس ما يفعله بعض الناس من الذبح عند قدوم بعض العظماء ، وقد قال جماعة من العلماء : إن هــذا يعتبر من الذبح لغير الله ، وذلك لا يجوز بل هو فى الجملة من الشرك ، كما قال الله سبحانه : (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وأنا أول المسلمين) ، والنسك هو الذبح ، قرنه الله بالصلاة لعظم شأنه فدل ذلك على ان الذبح يجب أن يكون لله وحده ، كما أن الصلاة لله وحده ، وقال تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر) ، وقــال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (لعن الله من ذبح لغير الله) ، الوجــه الثالث : أن هذا العمل من حكم الجاهلية ، وقد قال الله سبحانه : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وفيه مشابهة لأعمال عباد الاموات ، والاشــجار ، فالواجب تركــــه وفيمـــا شرع الله من الأحكام ، ووجوه الإصلاح ما يغنى ويكفى عن هذا الحكم ، والله ولى التوفيق

السؤال : قد اشـــتهر عندنا أن الرجــل اذا غاب عن بلاده ثم قدم أن النساء من جماعته يأتين اليه ويسلمن عليه ويقبلنه ، وهكذا فى الأعيــاد ، عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، فهل هذا مباح ؟

الاجابة : قد علم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن المرأة ليس لها ان تصافح أو تقبل غير محرمها من الرجال سواء كان ذلك فى الأعياد أو عند القدوم من السفر او لغير ذلك من الأسباب ، لأن المرأة عورة ، وفتنة فليس لها أن تمس الرجل الذى ليس محرما لها سواء كان ابن عمها أو بعيدا منها ،

وليس لها أن تقبله أو يقبلها ، لا نعلم بين اهل العلم ــ رحمهم الله ــ خلافا فى تحريم هذا الامر وانكاره لكونه من أسباب الفتن ، ومن وسائل ما حرم الله من الفاحشة ، والعادات المخالفة للشرع لا يجوز للمسلمين البقاء عليها ، ولا التعلق بها بل يجب عليهم أن يتركوها ، ويحاربوها ، ويشكروا الله سبحانه الذى منّ عليهم بمعرفة حكمه ووفقهم لترك ما يغضبه ، والله سبحانه بعث الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم نبينا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ لدعوة الناس الى توحيده سبحانه ، وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، ومحاربة العادات السيئة التى تضر المجتمع فى دينه ، ودنياه ، ولا شك أن هذه العادة من العادات السيئة . فالواجب تركها ، ويكفى السلام بالكلام من غير مس ، ولا تقبيل ، وفيما شرع الله وأباح غنية عما حرم ، وكره ، وكذلك يجب أن يكون السلام مع التحجب ولا سيما من الشابات لأن كشف الوجه لا يجوز لكونه من أعظم الزينة التى نهى عن ابدائها ، قال الله تعالى : (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن) الى آخر الآية الكريمة ، وقال تعالى فى سورة الإحزاب : (واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن) الآية ، وقال تعالى : (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) ، وقال تعالى : (والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن والله سميع عليم) والقواعد هن العجائز ، بين الله سبحانه أنه لا حرج عليهن فى وضع ثيابهن عن الوجه ونحوه إذا كن غير متبرجات بزينة ، وأن التستر ، والتحجب خير لهن لما فى ذلك من البعد عن الفتنة ، أما مع التبرج بالزينة فليس لهن وضع الثياب بل يجب عليهن التحجب ، والتستر وان كن عجائز ، فعلم بذلك كله أن الشابات يجب عليهن التحجب عن الرجال فى جميع الاحوال سواء كن متبرجات بالزينة أم غير متبرجات لأن الفتنة بهن أكبر ، والخطر فى سفورهن أعظم ، واذا حرم سفورهن فتحريم الملامسة ، والتقبيل من باب أولى لأن الملامسة ، والتقبيل أشد من السفور ، وهما من نتائجه السيئة ، وثمراته المنكرة ، فالواجب ترك ذلك كله ، والحذر منه ، والتواصى بتركه وفق الله الجميع لما فيه رضاه ، والسلامة من أسباب غضبه إنه جواد كريم ، والذى أوصى به الجميع هو تقوى الله سبحانه ، والمحافظة على دينه ، ومن أهم ذلك ، وأعظمه المحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها ، وأداؤها بالخشوع والطمأنينة ، والمسارعة من الرجال الى أدائها فى الجماعة فى مساجد الله التى أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما قال الله سبحانه : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) ، وقال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) ، ومن الأمور المهمة الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالحق ، والصبر عليه ، وهذه هى أخلاق المؤمنين ، والمؤمنات ، وصفاتهم كما بين الله ذلك فى قوله عز وجل : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) .

المنجم والفلكي

نقرا كثيرا في الصحف والمجلات تنبؤات خاصة بالمستقبل ، وبأحداث سارة او محزنة سوف يتعرض لها أشخاص ولدوا في أشهر معينة ، وذلك في باب تفرده الصحيفة أو المجلة تحت اسم « حظك هذا الاسبوع » .

ونحن نعلم أن التنجيم او الفلك علم قديم له أصول وقواعد .. فهل ما يرد في مثل هـذا الباب مبني على حقيقـة يعتمد عليها ؟ وقد أخبرني أحد الاصدقاء بحرمة قراءة هذا الباب أو تصديق ما جاء فيه . فهل صديقي محق في قوله أم لا ؟

★ ★ ★

هناك فرق بين علم التنجيم وعلم الفلك . فالتنجيم يقصد بـه صناعـة أحكام النجـوم تمييزا له عن علم الفلك الذي هو علم طبيعي ينظر في النجوم والكواكب من حيث مواضعها وحركاتها والظواهر الطبيعية كالخسوف والكسوف واتجاهات الرياح . وقد اخترع لكل ذلك آلات حاسبة وعدسات مقربـة ومراصد كاملـة المعدات عرف بواسطتها الكثير من علوم الفضاء والكون . فعلم الفلك صحيح لأنه يعتمد على قواعد حسابية .

أما التنجيم أو النجامة فتنصرف الى صناعة النظر الى النجوم من حـيث علاقتها بحوادث العالم كالحرب والسلم والولادة والوفاة والسعد والنحس . ويقوم التنجيم على أساس أن ما يحدث في الكون وما يجري للانسان ذو اتصال سببي بحركات النجوم ومواقعها .

لهذا يعتبر علم الفلك من العلوم الطبيعية اليقينية ، بينما التنجيم مـن التخيلات الوهمية . ويعرف المشتغل بالعلم الاول بالفلكي ، أما من يعمل بالعلم الثاني فيطلق عليه المنجم .

ولا يستند التنجيم الى أصل شرعي اسلامي ، بل انه مردود أو مذموم . وقد جاءت الاحاديث الدالة على ذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام « من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا » .

وروى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنه قال : « من أتى عرافا ، فسأل عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » .

وغير ذلك من الاحاديث التي وردت بهذا الخصوص مما يفهم منه تأكيد حرمة استخدام علم النجوم في معرفة الغيب قال تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا) .

الاستشارة والاستخارة

ورد في بعض الكتب الدينية هذان اللفظان ــ الاستشارة والاستخارة ــ فما معناهما ؟

***

الاستشارة هى استشارة أهل الخير والصلاح والخبرة قبل الاقدام على السفر ، أو على أمر من الامور الهامة وهى مشروعة ــ قال تعالى آمرا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (وشاورهم فى الامر) وقال تعالى فى وصف المؤمنين (وأمرهم شورى بينهم) .

قال قتادة : ما شاور قوم يبتغون وجه الله الا هدوا الى أرشد أمرهم .

وقال ابن تيمية : ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين . فالأليق بالمؤمنين أن يستأنسوا برأى أهل الصلاح والتقوى قبل ان يشرعوا فى أمر من أمورهم المهمة .

والاستخارة هى أن يستخير الانسان الله تعالى قبل الشروع فى كل أمر ذى بال . ولقد وجهنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى ذلك الهدى الكريم ، فقال « من سعادة ابن آدم استخارة الله . من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله . ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله . ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله » .

وصفة الاستخارة كما روتها كتب السنّة انه اذا أراد المسلم أمرا من الامور أن يتوضأ ، ويصلى ركعتين من غير الفريضة ، فى أى وقت من الليل أو النهار ، يقرأ فيهما الفاتحة ويقرأ بعد الفاتحة شيئا من القرآن الكريم . ثم يحمد الله ، ويصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو بالدعاء الذى رواه البخارى ، من حديث جابر رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الامور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن يقول « اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل :

اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر ــ ويسمى حاجته ــ خير لى ، فى دينى ، ومعاشى ، وعاقبة أمرى (أو قال عاجل أمرى وآجله) فاقدره لى ، ويسره لى ، ثم بارك لى فيه . وان كنت تعلم أن هذا الامرشر لى ، فى دينى ، ومعاشى ، وعاقبة أمرى (أو قال عاجل أمرى وآجله) فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم ارضنى به » .

قال النووى ينبغى أن يفعل بعد هذه الاستخارة ما ينشرح له صدره ويطمئن اليه قلبه ، فاذا انشرح صدره للاقدام على الامر الذى استخار الله من أجله ، فليعتمد على الله ويقدم عليه والله الموفق . وهو الهادى الى سواء السبيل .

هذا وان نظام الاستخارة هو البديل الذى جاء به الاسلام ، بعد أن حطم النظام الجاهلى البغيض ، نظام الاستقسام بالازلام ونظام التطير . وبعد أن كان العربى قبل الاسلام يستخير الحجارة الصماء والطيور السوانح والبوارح ، أصبح فى نور الاسلام لا يطلب الهداية والرشد الا من الله رب العالمين .

الوســـاطـة

ما معنى قول النبى عليه الصلاة والسلام (اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ما يشاء) ؟

★★★

هذا الحديث النبوى رواه الشيخان واللفظ للبخـــارى فى كتاب الادب . فعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال « اشفعوا فلتؤجروا ــ الحديث » .

والشفاعة الحسنة التى قصدها الرسول فى هذا الحديث ، ونوه بشأنها القرآن الكريم حين قال (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها) هى التوسط ابتغاء وجه الله تعالى فى جلب نفع للناس أو دفع ضر عنهم ، فى غير معصية لله تعالى ولا حد من حدوده بعد أن يبلغ الحاكم ولا ابطال حق للغير .

ومن الشـــفاعة الحسنة . التحريض على الصدقات للفقراء ، وتفريج الكربات عن المكروبين . وقضاء الحاجات لاصحابها ولا سيما العاجزين عـــن الوصول الى حقوقهم . والعاجزين عن بيان مطالبهم . ومن الشفاعة الحسنة . التوسط فى تخفيف الدين عن المدين ، أو ابرائه منه ، أو تأديته عنه من غير من ولا أذى . واذا كانت الشفاعة أو الوساطة للاضرار بالآخرين ، أو لاخــلاء سبيل مجرم ، او لاسناد عمل لمن لا يصلح له او نحو ذلك مما يضر مصلحة الفرد والجماعـــة فانها غير جائـــزة .

ــ الوعى الاسلامى ــ

وصلتنا أعداد رمضان وشوال من مجلة « الوعى الاسلامى » الغراء ، كما وصلتنا الأعداد التى قبلها ، وهى بحق غذاء روحى دسم ، وفيها الكثير من الحلول لما نواجه اليوم من مشكلات الحياة ، فهى تصوير دقيق لما يعج فى مجتمعنا الحديث من تيارات ومذاهب ، مع البيان السليم لما ينبغى أن يسير عليه المسلم ، ويأخذ طريقه للوصول الى بر الأمان .

وان معهدنا الذى يضم عشرات من أساتذة الدين والعربية ليتخذون من المجلة مادتهم ، كما يقرأها أيضا بعض طلبة المعهد العالى ، وهـــو معهد خاص فى العربية والدين فى مستوى الكليات . يضم مالا يقل عن مائة طالب .

ونحن اذ نحيى ونكبر فيكم روح العمل ، والنظام ، والتجديد الذى يساير العصر مع التمسك المتين بالمبادىء ، والمثل الاسلامية ، نرجو أن تخصصوا للبحوث الادبية التى تقدم روائع الادب الحديث وتراجم الشـــعراء والادباء المعاصرين بابا خاصا ، بجانب البحوث العلمية الدقيقة ، والمواضيع الاسلامية الاخرى ، وذلك لأن اتصالنا بالعالم العربى جـــد محدود .

واخيرا نضرع الى المولى الكريم أن يأخذ بيـــد الأمة الاسلامية نحـــو النصر ، ويجعل من دولة الكويت منارا هاديا ترشد الأمة الاسلامية نحو صلاح امورهم ، ورائدا من رواد البعث الاسلامى الجديد .

الرئيس محمد بارقبـــة
مجلس المعلمين للمعهد الاسلامى
بكالونجان ــ جاوى ــ اندونيسيا

بأقلام القراء

بـــــــــلاغ

من كلمـــة للاستاذ محمد سيد أحمد المسير :

متى تتكاتف الجهود الخيرة للحفاظ على قيم المجتمع ومبادئه الاسلامية .

ان الاسلام اليوم يتعرض لحملات عدائية كثيرة شرقية وغربية ، بل انه فى محيط ابنائه غريب غرابة كاملة ، الامر الذى يضاعف الجهد والجهاد .. وان الاسلام قد امتحن كثيرا وخرج من كل امتحـــان أشد صلابة وأقوى عـــودا ، ففى العصر الاول اجتمعت الجزيرة العربية لتحطيم الاسلام .. لكنه انتشر ، وأراد اليهود لـــه كيدا .. فبـــاءوا بالخسران ، ثم اقتتل المسلمون وخيل للعـــــالم أن الاسلام يصفى نفسه .. لكنه واصل الفتوحـــات وخلص الانسانية من براثـــن الطغيان ، ثم هجم عليه التتار هجمة قاصمة وانهزم المسلمون فى الميدان العسكرى .. ومع ذلك انتصر عليهم الاسلام فى الميدان الفكرى فاسلموا واحتضنوا دعوته ، ثم جـــاء الصليبيون بحقدهم الحاقد واستولوا على أرض الشام وبيت المقدس .. فكانت معركة حطين وعلت راية الاسلام خفاقة .. وفى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لم يكن هناك بلـــد اسلامى الا وهو مكبل بالاغـــلال وواقع تحت السيطرة الصليبية .. وقد انقشعت الآن هذه السحابة القاتمة وأصبح المسلمون أحرارا فى أوطانهم .

ولكن هل انتهى الكيـــد للاســـلام ؟

ان كل الدلائل الماديـــة تؤكد بشكل قاطع أن روح العـــداء والتعصب البغيض ما زالت هى السائـــدة .. وما حادثة انشقاق اقليم بيافرا ومذبحـــة الانقلاب ضد المسلمين فى نيجيريا ، ومذابح المسلمين فى الفلبين ، وعمليات التقتيل والتبشير فى ربوع افريقيا .. ماذلك كله ببعيد ، ولقد كشفت محاكمة قائد المرتزقة العالمى (رودلف شتاينر) فى السودان عن وقائع مذهلة اذ تبين أن حركة المرتزقة فى أفريقيا عامة وفى السودان خاصة يتولى الاشراف عليها قساوسة ، ويقوم الفاتيكان بتمويلهـــا بمساعدة دول الغرب المسيحى بهدف التصدى لانتشار الاسلام ..

أن علينا أن ندرك ما يحاك ضدنا ـــ بالوعى والبصيرة ، بالقدوة والسلوك ، بالعلم والايمان ، بالتعـــاون والنصرة ..

* * * * * * * * * * * * *

العقبـــــة

سأل سائل عن الفائـــدة التى تعطيها المصارف لمن يودعون فيها أموالهم أحلال هى أم حرام .. وهذا سؤال شغل الالوف من الناس عشرات السنين ، وظل قائما لا يجد حلا حاسما يوفق بين الدين والدنيا ..

وائتمان المصارف على الاموال أصبح ظاهرة شائعة فى هذا العصر ، وهى تقوم باستغلال هذه الامـــوال واستثمارها فى المشاريع الصناعية والزراعية ، ولا تبقيها فى خزائنها ، وتظل هى حارسة

على الكنز المعطل .. ثم تعطى فائـدة محدودة ونسبة ثابتة فى المائة ، فيجد المودع حرجا فى أخذ نصيبه منها ونفسه لا تطيب باستثمار أمواله دون أن يجنى هو ثمرة .. واذا كانت التضحية سهلة بالنسبة للمبالغ القليلة .. فهى ثقيلة على النفس فى المبالغ الكبيرة والعقبة الكئود هى سعر الفائـدة المحدد ، ولو علا وانخفض بحسب زيادة المكسب أو نقصه ، واختلف من عـام لآخـر واحتمل الخسارة الى جانب المكسب لما كان هناك حرج فى أخذ ربح من المضاربة ، وتسمى أحيانا بالقراضة ـ المشروعـة بين العمل ورأس المال ، ويصح أن يتعدد أصحاب رأس المال ، كما هو الحال فى أموال المصارف المكونة من أيدى الناس ..

فقال السائل .. لو ذكرنا ذلك للناس لما أقدم أحد على ايـداع امواله فى المصارف لان الفائدة المحـددة المضمونة من المصرف ومن الدولة فى بعض الاحيان تغرى أصحاب الاموال بايداعهـا فى المصارف .. فقلت للسائل ان الخسارة احتمال ممكن الوقوع ، وأن مسألة الضمان هذه قاصرة ، ولا يستطيع أحد أن يضمن حياته وعمله غـدا .. وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا .. والدنيا كلهـا معرضة للفناء ، فهل فيها شىء لا يحتمل الخسارة والكسب . ومهما كانت المشروعات التى تستثمر فيهـا الاموال مضمونة المكسب مؤكـدة الربح كما يقول الخبراء الاقتصاديون ، فعوامل الفناء والفساد تبغت المصارف والخبراء بما لم يحتسبوا ، ومن هذه العوامل الحرائق ، وقيام الحروب ، وتدمير مـدن كاملة لا شركة واحدة أو مصنع واحد أو بيت واحد الخ .. فيها بلايين الجنيهـات موظفة فى المشروعات الصناعية والزراعية والتجارية والعمرانية ، وهـذا ما لا يستطيع أحد أن يكابـر فيـــه .

قال : ان الدولة تضمن الفائدة الثابتة المحددة أحيانا فقلت : ان الخسارة حين تقع فلن يستطيع أحد أن يفر من نتائجها ، واذا بقى سعر الفائـدة ثابتا فى الظاهر ، فان الدولة تعوض الخسائر بالضرائب التى يضطر الافراد لدفعها رضوا أم كرهوا ...

فلماذا لا يشترط المصرف على المودع أن يتحمل المبلغ المكسب والخسارة ما دام هذا هو الذى يحدث فعلا ..

ثم هناك النظرة القاصرة التى ينظرها الافراد الى الدولة ، وهى أنها على كل شىء قديرة كنظرة الطفل والمـرأة الى رب البيت ، كما جاء فى المثل المرأة والطفل الصغير يعتقدان أن رب البيت على كل شىء قدير ..

فالفرد يظن أن الدولة ما دامت قد ضمنت الفائـدة فلن تقع عليه خسارة ما ، وقد بينا خطـأ هـذا الظن ..

واذا ناقشنا مناقشة عقلية مبدأ الفائـدة المحدد سلفا ، وجدنا أن فيه ظلما فاحشا لمن يودعون أموالهم اذا حققت المشروعات والاستثمارات أرباحا ضخمة ، فهى فى البترول مثلا تصل أرباحها الى ٩٠٠٪ . فى حين أن المسكين صاحب المبلغ لايأخذ الا تراب الربح ٩٪ وشتان ما بين تسعة وتسعمائـة .. فأى عدل فى هذا .. لماذا لاترفع الفائـدة تبعا لزيادة المكاسب ، وتقل فى أعوام الازمات والشدائد ، ثم يتحمل نصيبه فى الخسارة حين تقع كارثة ..

هذه هى العقبة الكئود فهل نجد بين محافظى المصارف ومديريها والعاملين فيها من يقتحم هـذه العقبة فلا يكون هناك تعارض أو تناقض بين الدين والدنيا ، ومن المعروف أن الاسلام للدارين معا ، فكل نظام يؤدى الى تعارض وتناقض بين الدارين فهو نظام غريب عنه ، فمتى تزول هذه الحيرة ، ومتى يأتى الانسجام بين ضمير الفـرد الدينى وبينمعاملاته الدنيوية .

لماذا لا نجرب ولو فى مصرف واحد كنقطة ابتداء فى كل بلد اسلامى ، ولكن هناك عقدة أخرى .. عقدة نقل النظم الغربية نقل مسطرة دون تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان حتى وان خالفت الدين وتعارضت مع العقل كاننا لو غيرنا فى الاشكال والنظم بما يتلاءم مع الدين والعقل والبيئة فسنغرق فى البحر ، وكأن عقول الغربيين من مسك وعقول الشرقيين من طين ..

جربوا وانا على يقين من أناللهلنيخذل قوما أرادوا أن يقتربوا من الدين والعقل والعدل ..

قالت صحف العالم

الدولـــة الاســـلامية

عن صحيفة الأهرام القاهرية :

ان هذه الدولة لم تقم فى مكة ، وانما قامت فى المدينة . لم تقم فى مكة مع أنهـــا البلدة التى نشـــأ فيها محمد عليه الصلاة والسلام ، والذى وقع عليه الاختيار من بين بنيها أجمعين ليكون رسول الله الى الناس والتى عاش فيها ثلاثا وخمسين سنة قضى منها ثلاث عشرة سنة فى الدعوة الى الدين الجديد ينـــذر الناس ويبشرهم . ينذرهم بعاقبة أمرهم ان هم اســتمروا على ما هم فيـــه من ضــــلال وفســـاد ، ويبشرهم بحياة أفضل فى مجتمع أفضـــل ان هـــم آمنوا بما جـــاء به من عقيدة ومارسوا الحياة على أساس مما يدعو اليه من قيم : أخلاقية ، واجتماعية ، وروحية .

وقامت الدولة فى المدينة مع أنهـــا البلد التى هاجر اليها محمد عليه الصلاة والســـــلام بعد أن جاوز الثالثة والخمسين ، والتى لم يكد يستقر فيها حتى أنشأ هذه الدولة .

هذه الظاهرة التاريخية الاجتماعية تحتاج ، فيما نرى ، الى مزيد من البيـــان والايضاح ، ان الفرق بين مكة والمدينة ، فيما يخص العوامل المؤثرة فى قيام الدولة ، انما يكمن فى القوى التى كانت تحيط بمحمد عليه الصلاة والسلام فى كل من البلدين — تلك القـــوى القادرة على انشـــاء دولة ، والتمكين لهـــا من ممارسة وظائفها المدنية والعسكرية .

والقوى التى تؤثر فى قيـــام دولة دينية قد تكون الهيـــة ، وقد تكون بشرية .

فمن حيث القـــوى الالهية نستطيع القـــول بأن عناية الله بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ورعايته له ، لم تختلف فى المدينة عنها فى مكة . لقد كانت واحدة فى البلدتين ولم يحدث أبدا أن تخلى الله عنـــه فى مكة ورعـــاه فى المدينة حتى نتخذ من ذلك دليلا على احداث آثار فى المدينة تختلف عنها فى مكة .

ان الاختلاف انما كان بسبب اختلاف القوة البشرية فى كل من البلدتين .

لقد كانت القوى البشرية التى تحيط بمحمد عليه الصلاة والسلام فى مكة قلة قليلة ، عاجزة عن حماية نفسها فضلا عن أن تحمى محمدا عليه الصلاة والسلام ، وكانت مستضعفة ينالها الأذى ويقع عليها الاضطهاد فلا تستطيع الدفاع عن نفسها ، وكل ما تستطيعه هو الهجرة . الهجرة الى الحبشة والى غيرها من بقاع الارض فرارا بدينها ، وحماية لنفسها .

وكانت هذه القوى فى المدينة كثرة كاثرة . كانت فى منعة وفى عزة ، وكانت قادرة على فرض ارادتها وعلى الدفاع عن نفسها . ومن هنا كانت عاملا قويا فعالا فى نشأة الدولة .

وهذه الظاهرة التاريخية الاجتماعية من حياة النبى عليه الصلاة والسلام ونشره للدعــوة الاسلامية ، واقامته للدولة العربية التى اتخذت من الاسلام عقيدة ونظاما تؤكد دور القــوى البشرية ، أو القواعد الشعبية فى كل من العقيدة والدولة . فى انتشار العقيدة ، وفى انشاء الدولة ، وفى استمرار كل منهما .

ان العقيدة انمــا تحيــا فى أنفس المؤمنين بهــا ، وتقوى بقــوة الايمان وبممارســـة الحيــاة على أساس منها ، وتنتشر بكثرة عــدد الذين يؤمنون بهــا ، ويدافعون عنها .

ان العقيدة حين لا تمارس الحياة بهــا تضعف وتضمحل لان قوتها انما تكون فى قدرتها على دفــع الناس الى هذا العمل ونهيهم عن ذلك .

القوى البشرية أو القواعد الشعبية مطلوبة كمقوم أصيل فى كل من العقيدة والدولة . فى النشأة الاولى ، وفى الاستمرار فى الحياة .

قوانين اسلامية جديدة

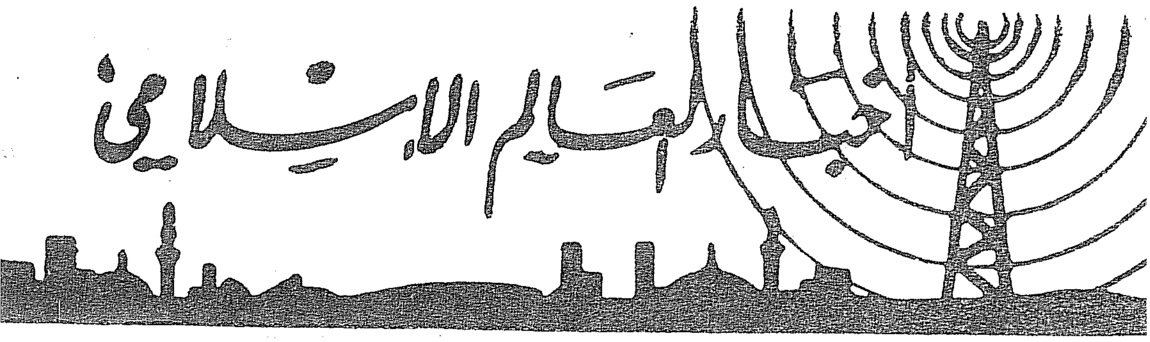
كتبت مجلة (العربى) تقــول :

من أهم التطورات التى حدثت فى الجمهورية العربية الليبية بعد ثورة الاول من ســبتمبر عــام ١٩٦٩ ، الاتجاه الاسلامى الذى تميزت به هذه الثورة .. فبعد الثورة صدر قانــــون تحريم الخمور .. وأغلقت النوادى الليلية وبيــوت اللهــو غير البرىء .. كما صــدر أخيرا فى عــام ١٩٧١ قانون فرض الزكاة وهو ينص على انشاء ادارة عامــة لشئون الزكاة بوزارة الخزانة تتلقى الاقرارات من المكلفين بأداء الزكاة وفحصها والتحقق من مقدار الزكاة الواجب أداؤه وجبايتها وتوريدها الى الجهات التى تقوم بالصرف منها فى الوجوه المقررة شرعا .

ونص القانون على أن من حق الادارة العامة أن تستدعى مقدم الاقرار اذا شكت فى صحة المعلومات المكتوبة فيه ، كما نص أيضا على توقيع غرامة لا تجاوز قيمة مثلى الزكاة المستحقة على كل من لا يقدم اقرار الزكاة .

ولم تمض شهور على صدور قانون الزكاة الا وصدر قانون جديد ينظم اجراءات النفقـــة للزوجــات المطلقــات وينص القانون على أن لا تحصل رسوم قضائية على قضايا النفقة وعلى ضرورة البت فى هذه القضايا بسرعة . وقد لاحظنا فى مدينة طرابلس حركة دائمة فى انشــاء مســاجد جــديدة ..

وفى نفس الوقت تم تشكيل عــدة لجان لتطوير القوانين المدنية والتجارية والجنــــائية بحيث تتفق مع الشريعة الاسلامية ، وتم تأليف لجنــة عليــا يرأسها رئيس المحكمة العليــا ولجان فرعية متخصصة تقوم كل لجنة منها بدراسة قانون من القوانين . وينتظر أن تنتهى هذه اللجان من أعمالها خلال العام الحالى وبذلك يتم تحويل كل قوانين البلاد بحيث تتفق مع الشريعـــة الاســــلامية ..



اعداد : عبد المعطى بيومى

الكويت : بحث وزير خارجية موريتانيا أثناء زيارته للبلاد مع المسئولين المشاكل المتعلقة بالشرق الاوسط .

● زار البلاد فى الشهر الماضى وفد يمثل مسلمى الاتحاد السوفيتى برئاسة المفتى ضياء الدين خان بدعوة من وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ، وقد تركزت المباحثات بين المسئولين على النشاط الاسلامى والجهود التى تبذل لخدمة الدعوة الإسلامية فى روسيا ..

● يصدر قريبا الجزء الثالث من كتاب المطالب العالية الذى تطبعه الوزارة ضمن سلسلة احياء التراث الاسلامى .

● زودت الوزارة المدرسة الاسلامية فى بوروندى بافريقيا الوسطى ، وبعض المؤسسات الاسلامية فى غانا بمجموعات من التفاسير والكتب الاسلامية .

● ساهمت الحكومة فى مشروع توسيع كلية الزاهرة فى كولومبو بسيلان .

● أعلن سفير ج م ع فى الكويت بأن ما بين الكويت ومصر من علاقات وثيقة يعتبر وحدة كاملة غير معلنة ..

● نشرت الصحف المحلية أن الكويت تؤيد ترشيح السيد محمود رياض أمينا عاما للجامعة خلفا للسيد عبد الخالق حسونة ..

مصر : احتفلت مصر بعيد المولد النبوى ، وقد ألقى الرئيس أنور السادات خطابا فى هذه المناسبة بشر فيه المؤمنين فى العالم بانهاء الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية خلال عام .

● قرر الرئيس أنور السادات افتتاح فرع لجامعة الازهر فى غزة .

● ستفتتح جامعة أزهرية جديدة تحتوى على كلية للطب وكلية للشريعة فى كفر الشيخ .

● أوصت لجنة من مجلس الشعب بتدعيم الأزهر وزيادة الاعتمادات المخصصة لمبانى الجامعة والمدينة السكنية للطلاب .

● نقلت مصادر مطلعة ان اتحاد الجمهوريات العربية سيبدأ بانتاج الطائرات محليا .

● رشحت مصر السيد محمود رياض أمينا عاما للجامعة العربية خلفا للسيد عبد الخالق حسونة .

السعودية : قام وفد من رجال التشريع الاوربى بزيارة الى الرياض لمدة ١١ يوما من الشهر الماضى للمقارنة بين حقوق الانسان فى الاسلام والوثيقة الدولية .

● قام البنك الاهلى بتحويل مبلغ (٢١٦ ر٦٧) ريالا الى باكستان ، وذلك من أموال التبرعات التى يدفعها الاهالى للبلد الاسلامى الشقيق .

● قامت وزارة المعارف بتزويد معهد التضامن الاسلامى فى مقديشو بمكتبة كاملة (٧٠٠ كتاب) من المقررات الدراسية ..

الأرض المحتلـة : بلغت المساعدات الاقتصادية والعسكرية التى قدمتها أمريكا لاسرائيل فى العام الماضى فقط مليـار و ١٠٠ مليون دولار ..

● قامت اسرائيل بهدم عدد آخر من مبانى الوقف الاسلامى كما هدمت مسجدا فى مدينـة القدس ، ولم تعبـأ بمذكرة احتجاج بعثها العلماء استنكارا لهذه الاعمـال ..

لبنـان : قام مفتى لبنان ببحث الانتهاكات الاسرائيلية للمقدسات الاسلامية والمسيحيـة فـى الارض المحتلة ، وذلك مع المسئولين السوريين أثناء زيارته لسوريا .

● يقوم العدو بتحرك عسكرى كبير فى المنطقة المواجهة للمرقوب بجنـوب لبنان .

السودان : عين فى الجيش السودانى ١٨ ضابطا من المتمردين سابقا فى جنوب السودان ، بعد أن انتهت نهائيا مشكلة الجنوب باعطائه الحـكم الذاتى فى اطار السودان الواحد (كـانت اسرائيل تستغل هذه المشكلة لانهاك السودان) .

المغـرب : يبذل المكتب الدائم لتنسيق التعريب جهودا متواصلة مع الدول العربية من أجـل مؤتمر التعريب الذى سيعقد فى العام القادم ..

ايـران : صدر العدد الأول من مجلة (الهادى) التى تصدر فى مدينة قم باللغة العربية ، وتنطق بلسان دار التبليغ فى ايران .

ماليزيـا : قال وزير الشباب الماليزى أن التعاليم الاسلامية تلعب دورا هاما فى صقل سلوك الشباب ، ودعا الى تخصيص فصول دراسية لتدريب الشبان وفق التعاليم الاسلامية ، وأعلن عـن استعداد وزارته للمساهمة فى هذا الموضوع ..

قطـر : تبرعت حكومة قطر بمبلغ ١٥ ألف جنيه استرلينى للمشروعات الخيرية التى يقـوم بهـا اتحاد مسلمى غرب أفريقية .

الفلبين : أعلن فى مانيلا عن وفاة خمسين مسلما معظمهم من الاطفال بسبب المجاعة والمرض بعد أن طردتهم العصابات المسلحة من ديارهم ..

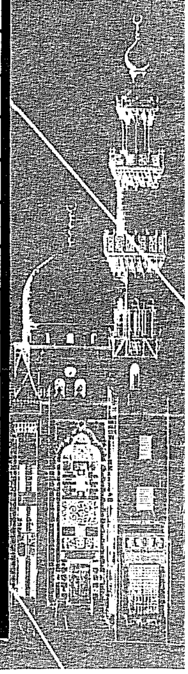
أوغنـدا : دعا الرئيس عيدى أمين الى تعاون عربى وافريقى واسع من شانه أن يطـرد النفوذ الاسرائيلى فى أفريقيا كما طرده من أوغنـدا ..

أخبـار متفرقـة

فرنسا : أقام اتحاد الطلبة المسلمين فى باريس تسعة فروع جديدة فى تسع مدن فرنسية لنشر الاسلام وتعليم اللغـة العربية ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الثاني ١٣٩٢ هـ	مايو ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	تن د	س د
الأحد	١	١٤	١٧ ٣	٥٧ ٤	٤٤ ١١	١٩ ٣	٣١ ٦	٥٩ ٧	٣٧ ٩	١. ١١	٣٥ ٥	٩ ٩	٢١ ١
الاثنين	٢	١٥	١٦	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٠٠ ٨	٣٥	٨	٢٤	٨	٢١
الثلاثاء	٣	١٦	١٥	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٠٠	٣٣	٦	٢٣	٧	٢١
الاربعاء	٤	١٧	١٤	٥٥	٤٤	١٩	٣٣	١	٣١	٥	٢٣	٦	٢١
الخميس	٥	١٨	١٣	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٢	٢٩	٣	٢٢	٦	٢٢
الجمعة	٦	١٩	١٢	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٣	٢٧	١	٢١	٥	٢٢
السبت	٧	٢٠	١١	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٤	٢٥	٠٠	٣٠	٤	٢٢
الأحد	٨	٢١	١٠	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٥	٢٣	٥٨ ١.	٢٩	٤	٢٢
الاثنين	٩	٢٢	١٠	٥٢	٤٤	١٩	٣٦	٦	٢١	٥٧	٢٩	٣	٢٣
الثلاثاء	١٠	٢٣	٩	٥٢	٤٤	١٩	٣٧	٧	١٩	٥٥	٢٨	٢	٢٣
الاربعاء	١١	٢٤	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٧	٧	١٧	٥٣	٢٧	١	٢٣
الخميس	١٢	٢٥	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٨	٨	١٥	٥٢	٢٦	١	٢٣
الجمعة	١٣	٢٦	٧	٥٠	٤٤	١٩	٣٨	٨	١٣	٥٠	٢٥	٠٠	٢٣
السبت	١٤	٢٧	٧	٥٠	٤٥	١٩	٣٩	٩	١١	٤٨	٢٤	٥٩ ٨	٢٤
الأحد	١٥	٢٨	٦	٥٠	٤٥	٢٠	٤٠	١٠	١٠	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤
الاثنين	١٦	٢٩	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤٠	١١	٨	٤٥	٢٤	٥٨	٢٤
الثلاثاء	١٧	٣٠	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٢	٧	٤٤	٢٣	٥٧	٢٤
الاربعاء	١٨	٣١	٤	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٣	٥	٤٢	٢١	٥٧	٢٥
الخميس	١٩	يونيو	٤	٤٨	٤٥	٢٠	٤٢	١٤	٣	٤١	٢١	٥٦	٢٥
الجمعة	٢٠	٢	٣	٤٨	٤٥	٢٠	٤٢	١٤	٢	٤٠	٢٠	٥٥	٢٥
السبت	٢١	٣	٣	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٥	٠٠	٣٩	١٩	٥٤	٢٥
الأحد	٢٢	٤	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٣	١٥	٥٨ ٨	٣٧	١٩	٥٣	٢٦
الاثنين	٢٣	٥	٢	٤٨	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	٥٦	٣٥	١٨	٥٣	٢٦
الثلاثاء	٢٤	٦	٢	٤٧	٤٦	٢٠	٤٤	١٦	٥٥	٣٤	١٧	٥٢	٢٦
الاربعاء	٢٥	٧	٢	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٧	٥٤	٣٣	١٧	٥٢	٢٦
الخميس	٢٦	٨	١	٤٧	٤٦	٢١	٤٥	١٨	٥٢	٣٢	١٦	٥١	٢٧
الجمعة	٢٧	٩	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	٥٠	٣٠	١٥	٥٠	٢٧
السبت	٢٨	١٠	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٦	١٩	٤٩	٢٩	١٥	٤٩	٢٧
الأحد	٢٩	١١	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	٤٨	٢٨	١٤	٤٩	٢٧



« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الجديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

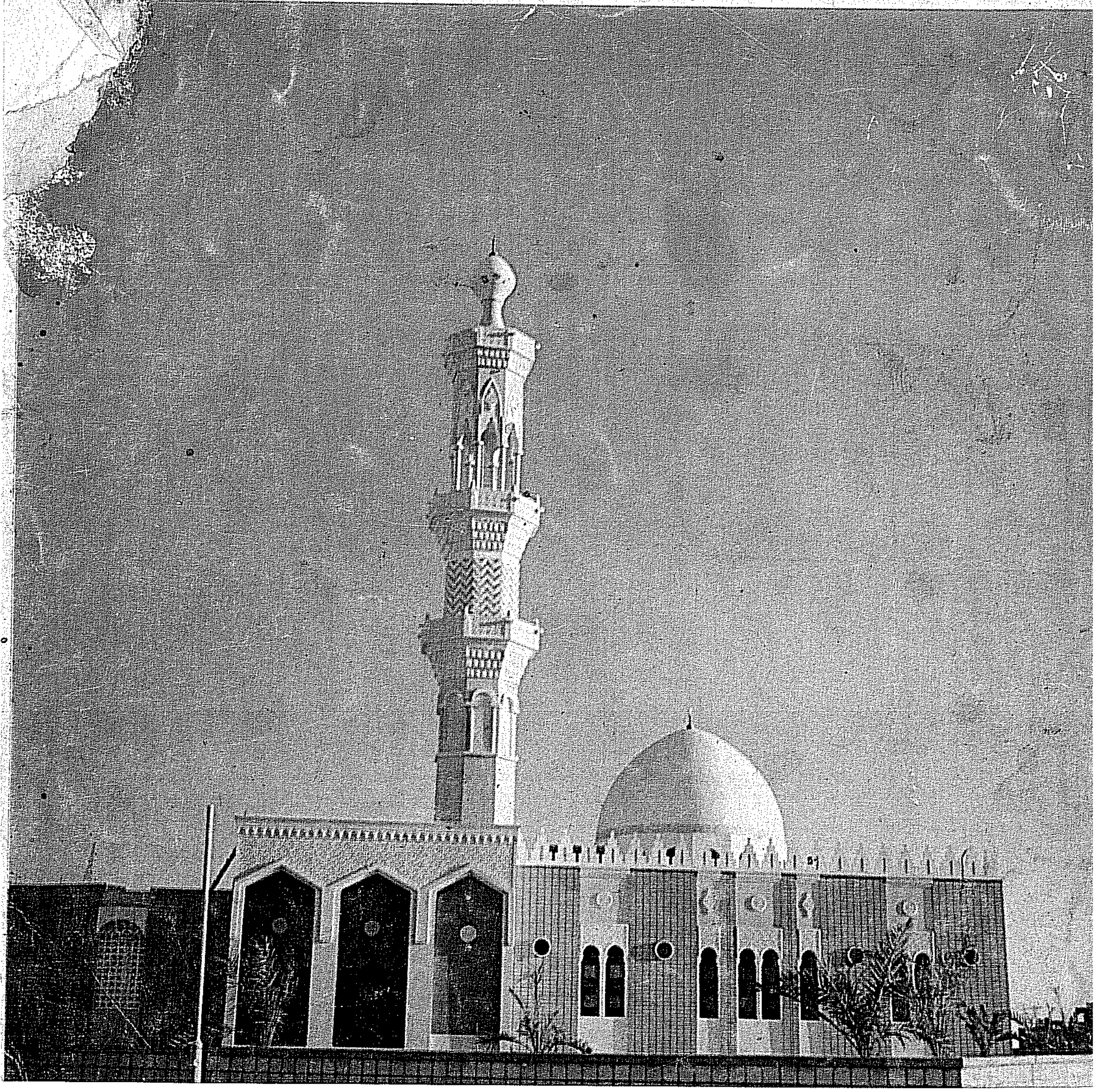
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

سنة الثامنة ـ العدد ٨٩ ـ غـرة جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ ـ ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٢





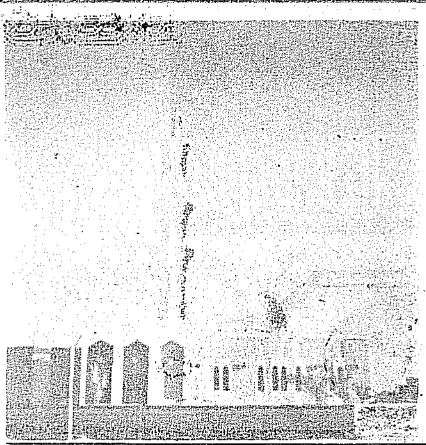
تفضـــل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة ، فشمل برعايته السامية حفل تخريج الدفعة الثالثة من الطلاب الضباط فى الكلية العسكرية ، ويبدو سموه وهو يسلم شـــهادة التخـــرج لأحـــد الخريجين .



سمو الأمير المعظم وسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وسعادة رئيس مجلس الأمة وعدد كبير من السادة الوزراء والمسئولين أثنـــــاء الاحتفـــــال .

مسجد الجابرى بضاحية عبد الله السالم بالكويت ــ شيدته الشيخة مريم الجابر الصباح وافتتح فى سنة ١٣٩١ هـ .

تصوير كاظم الناصر



الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد التاسع والثمانون

غرة جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ

١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

مشكلة الفراغ

الفراغ : بمعنى خلو اليد من العمل الجاد ، وخلو العقل من الفكر الباحث هو الضياع الذى ليس بعده ضياع ، والفراغ : بمعنى الاعتماد على الغير فى كل عمل يحتاج اليه مع القدرة على الاستقلال به ، أو المشاركة فى انجازه هو طفولة هزيلة ، ونفسية مهزوزة .

الفراغ : بمعنى تعطيل المواهب ، وقبر القدرات اكتفاء بمواهب الناس وقدراتهم ، هو الداء العياء والمرض العضال .

الفراغ : بمعنى الوقوف عند حد من الكسب ، أو حد من الخبرة مع الفسحة فى العمر والقدرة على المزيد والتجديد ، هو الزهد الكاذب والنقص الكبير .

الفراغ : بمعنى انقضاء العمر يوما فيوما وعاما فعاما دون سعى الى تحصيل علم ، أو اكتساب خبرة استنادا الى حسب أو نسب ، أو اكتفاء بمال موروث هو التسول الحقيقى والفقر المشين .

والانسان الفارغ المكفى الطاعم الكاسى كيف يستطيب الحياة أو يجد لها طعما ، وهو لا يبذل جهدا ولا يغبر قدما ولا يكد ذهنا .

كيف يكسب احترام الناس وثقتهم من يعيش عالة على سواه يأتيه رزقه رغدا من كل مكان لا لكفاية نادرة ، ولا لموهبة خلاقة ، ولكنه لأنه الحسيب النسيب ابن الاصول والاسياد .

ان العربى القديم بفطرته الصافية وطبيعته السوية ، وتقديره الصحيح لقيمة الوقت أبى أن يمنح الفارغ المكفى احترامه وتقديره ، بل أسقطه من حسابه ، ولم يعده فى عداد الرجال ، ولم يعول عليه فى النهوض لكريهة أو تحصيل مكرمة أو الدفاع عن حمى بل امتهنه وشهر به فى شعره السائر .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

هذا الفراغ الذى يعيشه الفارغون بلا قيود ولا حدود أخطر ما يكون على حياة أصحابه وحياة المجتمع الذى يضمهم ويؤويهم لأنه يسوقهم الى الانحراف والفساد واشباع النزوات ، وبهذا الانحراف والفساد يخربون بيوتهم بأيديهم ، ويدمرون حياتهم ويقتلون أنفسهم بأنفسهم .

ان الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أى مفسدة

وما يقبل انسان حر يحس بوجوده ويشعر بشخصيته ، ويتفهم رسالته فى الحياة أن يعيش واهن العزم منحل الارادة ، خائر القوى يكفيه من دنياه أن يطعم أطيب الطعام ، ويلبس أرفه الثياب ويركب أفره المراكب ينتقل من الظل الى الشمس شتاء ، ويتحول عن الشمس الى الظل صيفا ، ويظل يدور حياته كلها فى هذا المدار البهيمى ما يقبل انسان أن يكون فى وضع المرأة الحمقاء المتاثة التى ندد القرآن بها لأنها تقضى حياتها فيما لا غناء فيه ((ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا)) .

ألا ان هذه العقول الفارغة والنفوس المغلقة والحواس المعطلة والمواهب المطموسة ، أوعية للتأخر والجمود والهوان ، وما شقيت أمة من الأمم شقاءها بهؤلاء الذين لا يعيشون الا على طريقة الشاعر الذى يقول .

سألت الله أن يجمعنى بليلى ...
...... الخ .

ولندع هؤلاء الذين منحوا أنفسهم اجازة تفرغ للراحة طول الحياة فهم فارغون دائما لا يستريحون الا من عناء الراحة ، لندعهم وشأنهم وكان الله فى عونهم وعون أمتهم ، الى فريق آخر يعمل ولكنه لا يعمل طول وقت العمل ولا نصفه ، أو أنقص منه قليلا ، وينتج ولكنك لو حسبت ما ينتجه من العمل ، وما يصرف من الوقت لراعك مقدار الزمن التالف والوقت الضائع .

وايا كان السبب فى هذا : التضخم الوظيفى بلغة دواوين الموظفين ومجالس التخطيط وأدارات الاحصاء واسناد عمل الواحد الى الثلاثة أو الاربعة أو عدم كفاءة الموظف للعمل لأنه وضع فى المكان غير المناسب أو حالته النفسية واحساسه بالغبن الواقع عليه لعدم تقديره وانصافه ، أو الاستخفاف بالمسئولية وعدم المبالاة والامان من الحساب والمجازاة لأنه مسنود محسوب ... أيا كان السبب فيوجد فراغ كبير لا يملؤه عمل ولا يسده انتاج ، هناك طاقات ضخمة مهملة وقوى كبيرة ضائعة ، وثروة طائلة مبددة ومصالح كثيرة معطلة .

أرقب الموظفين فى مكاتبهم ومواقع عملهم تجد مظاهر هذا الفراغ كثيرة ومتنوعة ، تجد الكثير والكثير ليس لديه عمل يشغل وقته ولهذا يبحث عن الاساليب والوسائل المختلفة لتزجية هذا الفراغ تجده يضيع وقت العمل فى طعام خفيف يتناوله وقهوة أو

شاى يشربه وصحيفة أو مجلة يقلب صفحاتها وفى استقبال صديق يقضى معه الساعات الطوال فى حديث ، أو فى محادثة تليفونية لا تمت لمصلحة العمل بصلة ، فاذا استنفد هذه الوسائل والاساليب انتقل الى مكتب رئيسه يتملقه ويتزلف اليه ويشكو له كذبا من كثرة العمل أو عرج على زميل له يشغله عن عمله وليس هذا قاصرا على حملة الاقلام وأصحاب المكاتب ، بل لو راقبت قاطع الاشجار فى طريق من الطرق لوجدت أنه يقطع فى الساعات الطوال ما يستطيع أن يقطعه فى ساعة واحدة وبقية الوقت فراغ فى فراغ وضياع فى ضياع .

وبجانب هؤلاء طبقة عالية من موظفين كبار سابقين لهم كفايتهم ولهم خبرتهم ولكنهم لا يعملون ، ولا ينتجون ، ولا يشغلون أنفسهم بعمل ما فى انتظار تحول الاحوال وتغير الاوضاع وانتهاز الفرص لتحقيق الحلم اللذيذ والعودة الى المنصب المرموق .

ولو تجاوزنا وقت العمل الرسمى الى بقية اليوم وحسبنا كم يمضى من الوقت فى الجلوس على المقاهى والتردد على الاندية والسهر فى المسارح والسينما واللف والدوران على الملاهى والمراقص ، لو فكرنا فى هذا الوقت الضائع لوجدنا فراغا كبيرا لا يستفيد منه الفارغون فى عقلهم أو جسمهم ولا تستفيد منه الأمة عملا نافعا يزيد من انتاجها ويضاعف من قوتها ... مئات الآلاف من الساعات تضيع من عمر الأمة فى يوم واحد ، ليس فيها عمل لا للدنيا ولا للآخرة وليس فيها رياضة بدنية ، ولا رياضة عقلية .

ويجىء فصل الصيف بشمسه الموقدة ورياحه اللافحة ، وجوه الملتهب ، وعرقه المتصبب وللصيف فى المناطق الحارة آثاره الواضحة على الحيوان والنبات والجماد والشاعر العربى الذى عاش فى هذه البيئة لم يعد الحقيقة كثيرا حين صور تلك الآثار فى هذه الابيات :

فى زمان يشوى الوجوه بحر
ويذيب الجسوم لو كن صخرا
لا تطير النسور فيه اذا ما
وقفت شمسه وقارب ظهرا
ويود الغصن النضير به لو
أنه من لحائه يتعرى

ومع الصيف يحس العاملون بحاجتهم الماسة الى الراحة من العمل والتخفف من المسئوليات ، والترويح عن النفس فيصيفون فى الاماكن التى يلطف جوها ويطيب هواؤها ويهرعون اليها يقضون فيها فترة الحر ومدة الصيف .

ومع الصيف تغلق المدارس والمعاهد والجامعات أبوابها ، ويفرغ الاساتذة والطلاب من الدراسة وتحصيل العلم ويطوون الكتب ويدعون الكراسات والافلام ويرتحلون مع أهليهم وذويهم الى شواطىء البحار وأماكن الاصطياف وتستغرق فترة الفراغ فى الصيف ثلاثة أشهر وتزيد أو تنقص قليلا فكيف تقضى هذه الفترة التى تقرب من ربع العام من حقهم أن يفرغوا من العمل ، ومن حقهم أن يروحوا عن أنفسهم ، ولكن ليس من حقهم ولا من صالحهم أن يقضوها فى فراغ مهمل أو لهو مفسد .

هناك ألوان كثيرة من اللهو ، وفنون من الرياضة أقرها الاسلام

ترويحا عن النفس وتجديدا لنشاطها وترويحا عن القلوب وجلاء لهمومها ، هناك السباحة والرماية والفروسية ومن مأثورات عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ((علموا أولادكم السباحه والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبا) وقال عليه الصلاه والسلام (عليكم بالرمى فانه ليس من اللهو) وقال ((كل شىء ليس من ذكر الله فهو لهو الا أربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين (للرمى) وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليمه السباحة)) .... وهناك الصيد وهو رياضة ومتعة وكسب : صيد البر بالنبال والرماح والجوارح كالكلاب المعلمة والصقور ، وصيد البحر ، وما أجملها من جلسة على الشاطىء تؤخذ فيها النفس بزرقة المياه وتموجها وحركتها ، وهناك الرحلة بين السهول الفسيحة والوديان الجميلة والينابيع الساحرة والجبال ذات الالوان البديعة وهناك القراءة ، والكتاب هو المسامر الذى لا يمل والجليس الانيس والصديق المخلص ومصاحبة الكتب تملأ النفوس بهجة والعقول معرفة والقلوب نورا .

هم جلساء ما تمل حديثهم
مأمونون غيبا ومشهدا
اذا ما خلونا كان خير حديثهم
معينا على نفى الهموم مؤيدا
يفيدننا من علمهم علم ما مضى
وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

وهناك معسكرات العمل ونشاطات الجوالة ، وقبل كل شىء هناك معسكرات التدريب التى يجب أن تقام فى كل مكان فى البلاد العربية لتدريب كل قادر على حمل السلاح .

هذه وأمثالها فنون الرياضة والراحة واللهو التى يشغل فيها وقت الفراغ ... أما موائد القمار ومجالس الشراب والليالى الحمراء فانها تقتل الوقت وتقتل النفس ...

الفراغ عندنا فى الشرق كبير وطويل ، ومشاكله متعددة : مشاكل اقتصادية ، ومشاكل ثقافية ، ومشاكل أخلاقية .

الاراضى الخصبة المترامية مهملة ومعطلة ، وفى حاجة الى مشروعات وأيد تعمرها وتستنبتها .

الثروات الطبيعية المخبوءة فى باطن الارض ضخمة وفى حاجة الى عقول وجهود لاستخراجها .

الأمية والجهالة نسبتها مرتفعة وفى حاجة الى كتائب لمحوها وازالتها .

التخلف العلمى والصناعى والثقافى فى حاجة الى من يتصدى لانقاذنا منه .

نحن فى أشد الحاجة الى عقل واع وضمير يقظ مفعم بالايمان .. الايمان الذى علمنا من جهالة وغنانا من عيلة .. الايمان الذى أيقظنا من همود ، وحركنا من خمود، وجعلنا رواد العلم وملوك العالمين ..

نحن فى حاجة الى كل عقل وكل يد . فى حاجة الى كل ثانية وكل دقيقة ، ولن يتحقق ذلك الا اذا عملنا وشغلنا فراغنا وكان شعار كل فرد منا ماذا عملت فى وقت عملك ، وماذا ربحت فى وقت فراغك ..

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى

من هدي السنة

من أخطائنا

دكتور على عبد المنعم عبد الحميد

عن شداد بن أوس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

((سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربى ، لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى ، اغفر لى ، فانه لا يغفر الذنوب الا أنت))(١) .

(رواه البخارى)

١ — ثلاث مقالات ظهرت فى كبريات مجلات الكويت ، بل انها تعتبر طليعة مجلات العالم الاسلامى والعربى ، دعت تلك الاحاديث المثــالية فى عصرنا ، المعبرة باخلاص عن أخطائنا ، الداعية بصدق الى تلافى نقصنا ، ومحاولة بذل الجهد للقول الجاد ، والدعوة المثمرة ، فى حقل لا يضار فيه أحد ، ولا يهدف الى ما يروم الناس من عرض زائل ، وانما هى فى اعتقــــادى دعوة للعقل المستنير المستطيع أن يعمل ، مقتديا بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يتأثر بما يصادفه فى الحياة العملية من عقبات ، أو ما يضاده من أفكار ، أو ما يلاحقه من تعويق ..

أولى الثلاث التى اشرت اليها ، لمست بلطف وعفة قلم ما وقع فيه فضلاء المسلمين من تأويل بعض الاحاديث النبوية الشريفة بما لا يتفق وروح النص . ولا يليق بمجتمع يقيم عمده على أسس الشريعة الواقعية العملية الداعية الى الحق ، واعمار الارض ، والاعداد للحفاظ على كيان الدعوة والارض التى تعيش عليها ، وتكوين أجيال تتفاعل مع أزماتها ساعية الى قيادة عالمية فاضلة فى كل ميدان ، فى الخلق ، فى الصناعة ، فى الاقتصاد ، فى الحكم ، فى السياسة ، فى كل مناحى الوجود ، دون استعمال (الا ّ) أو احدى أخواتها .. وقد ضرب الكاتب العلامة لذلك الامثال بما اتسع له المقام .

والثانية : كانت مسطورة فى نفس العدد ، وهى مداعبة بين عالمين متكافئين علما وعملا فيما أرى ، ويعلم الناس ، وفضل الله عليهما (حين أتاح لهما العلم الواسع ، والعقل الناضج ، ويسر لهما السـبيل لخدمة الشريعة فى مؤلفات سارت بها الركبان) لا ينكر ، وأسميها مداعبة ، ذلك لأن مداعبات العلماء بعضهم لبعض طالما دافعت عن حق ورد الى صواب ، وكبحت من جماح ، والذى لا ينكر من بوادر عصرنا ، هو أن فتاوى كثيرة صدرت من شخصيات علمية لها وزنها لدى العامة والخاصة ، ما زالت تيسر وتيسر حتى وصلت الى درجة لو تابعناها فى السلوك لانتهينا الى تمييع كامل للشريعة ، واضاعة تامة لحدود الله ، والقينا بالناس فى بيداء مجهل لا يعلم ما وراءها الا بارىء السموات والارض ، والحلال بين والحرام بين ، فمن أراد الدين الخالص فليسلك طريقه ؛ ومن رام غير ذلك ونكص فانما ينكص على نفسه ، ولهذا فأنا (ولا أقصد الا وجه الله وحده) مع العلامة الشيخ أبو زهرة فيما سجل تحت عنوان : (الطلاق) وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر !!

والثالثة : حملتها زعيمة مجلات العرب فى العصر ، وجر ّها يراع مقول مرموق ، وخطيب مفوه ، نرجو له السلامة والعافية ، جاء فيها : « .. ما أحوج أمتنا اليوم الى متدينين مستنيرين ينظرون الى المرأة ، لا على أنها آفة من آفات المجتمع ، بل على أنها نعمة من نعم الله فيه .. » .. وهذا قول جيد وطيب الأثر ، وحديث تتفتح له آذان المسلمين العقلاء ليتدبروه على ضوء أصـول الشريعة ، وسلوك رسولها الامين ، ولكن هل لى أن أسر الى السيد المفضال وهو شيخ العارفين ، أو أعلن على ملأ من الناس ، أن الأسلوب الذى عيب على الشرق فى أقسى درجات نظرته الى المرأة قد كان فى الغرب ما يزيد عليه فظاظة وفظاعة ، وهل درى المتحاملون على الشرقيين أن الزمن الذى حفظ فيه الاسلام حقوق المرأة كاملة ، وصانها عن الابتذال ، ووضعها فى مكانها اللائق بها فى المجتمع ، كانت أختها فى الغرب تعيش فى أتعس حالة تسف اليها قسوة الجهالة ، حيث كان يصنع لها غطاء من حديد يوضع على موطن العفة منها وله مفتاح يحمله الزوج الكريم أو الأب الرحيم المسـافر جنديا فى الحروب وقد لا يعود ، صورة لم أستطع أن أصدقها الا عندما رأيت رأى العين الغطـاء ومفتاحه فى أحد متاحف باريس ، وقرأته خبرا مقتضبا فى قاموس (روبير) وأخذ الحياء السيد (لاروس) فلم يشر اليه فى قاموسه الشهير !! ماذا أريد ان اقول ؟!

سؤال يردده القارىء البصير ، والجواب : لقد ثارت المرأة فى الغرب لترفع القيد ، ثورة صامتة فى ظاهرها ، ولكنها تحمل وقود الاشتعال السريع فى باطنها ، وظهر لها أنصار يدعون الى حريتها ، ولكنهم حين أزاحوا الغطـاء الحديدى ، طووا معه كل أرديتها وتركوها مجردة كيوم ولدتها أمهـا ؛ فلم تكن

حرية ولكن ابتذالا لها وتناسيا لكرامتها ، وقتلا لأنوثتها ، وبعدا بها عن موطن سعادتها .. وكانت بدايتهم معها أن سخروا الفنانين وخاصة الرســـــامين والنحاتين ، فأعمل كل ريشته ومعوله فى ابراز مفاتن الطبيعة فى الحيوان أولا (كإرهاص لما سيكون) وليست للحيوان الأعجم عورة مستورة ، وقد يقال إنها مستورة بما لا يبعد عن لون الهيكل البادى للعيان ، واذا برزت فى صورة ما اشمأز العقلاء من منظرها مجردة من سترها ، ومع هذا قال الفنــانون : إنها الطبيعة وهذا شىء مع الاعتياد لا يخدش الحياء ، ولا يثلم المروءة ، ولو أطيل النظر اليه ، ثم انتقلوا الى الانسان وأى انسان ؟! اقلب أولى صفحات كتاب (ميكائيل لانج) المنشور فى مجلدين عظيمين بالالوان الطبيعية ، تجد صورا متفرقة يظهر فيها السيد المسيح (وهو فى عقيدة — ميكائيل — سليل الاله ووحيده) فى صور عارية تماما وعورته بادية دون أى ستار ، فى ابتذال وقح مثير .. وبعد هذا .. فلا ضير أن يظهر الفنان المتدين (كما كانوا ينعتــونه) عورات غير المسيح من البشر العظماء فى نظره ، وعمرت تلك التماثيل الميادين ، ورآها الناشئة وأفهموا أن هذه هى فلسفة الحياة ، شىء طبيعى لا غبار عليه ، وما زالوا يقلدون فى واقعهم تلك التماثيل حتى تجردوا من ثيابهم ، ثم وقعوا فيما يعف عنـــه بعض الحيـــوان الأعجم ، وهكذا كانت الطـــامة الخلقيـــة ، والاجتماعية ، وصار من المعتاد أن تشاهد فتاة فى عمر الزهور لم تتجــــاوز الخامسة عشرة ولها وليد يجرى وراءها من سفاح تحميه الحـــكومة وترعاه الدولة ، وكأنها تناجيها : انسلى ولا ضير عليك ، وليس هذا من الأسرار التى تخشى اذاعتها ، وانمـــا هى من الأمور التى يجب أن تعـــلم عنـــد القوم ليقتدى اللاحق بالسابق .. والى أين المسير .. الله أعلم بالمصير ..

٢ — هنا فى بلاد المســـــــلمين يجب أن نقول : ان لله حدودا يجب أن لا تتعدى ، وأن لا نتهادى بالتهوين من شأنها فى مجالسنا العامة أو الخاصة ، فالمرأة فى الاسلام لها شأن عظيم لا ينكر ، ووضع كريم لا يطاول ، ووظيفة أو وظائف جديرة بها ، ولم يكن الاسلام هو الذى رسم خطة قصور الســـــلاطين ولا حريم اســــــتامبول ، وانما الذى فعل ذلك شىء آخر كالذى حمل أروبى العصور الوسطى على أن يغطى موضع العفة من زوجته أو بنته بقفل ورتاج من حديد ، والذى أخشى هو أن نتمادى مع الغرب فنقول : ان الاختلاط سهل وهين ، وان العرى جميل ، وان الجلوس فى المقاهى حرية ، وان الاســـــفار لا غبار عليها ، حتى يجىء اليوم الذى وصل اليه الغرب حيث لا تعرف الأسرة رباطا ، ولا يدرى المولود من والده ، ولا يصدق الرجل أن هذا المخلوق الجديد من نسله ، وهكذا يتفرق المجتمع أيدى سبا ، ويتلاشى الجميع فى تيار الحيـــاة التقليدية دون وازع من ضمير ، أو حماية من عقل ، أو رادع من حكم ..

وبعـــد :

فمن يستطيع أن يقول ان المرأة آفة من آفات المجتمع ، هل صدر هذا القول فعلا ؟! هل له فى الحقيقة واقع ..؟!

ما أظن أن مجنونا بله العاقلين يستطيع أن يقول هذا ، وانما الذى تجرى عليه سنة الحياة ولن تجد لسنة الله تبديلا ، هو أن المرأة زمام الاسرة ، وعافية العقل ، وراعية الخلق ، وداعية العمل الجاد ، هى ركن ركين فى الحياة ان ضاعت ضاع الوجود كله ، وهى دعامة لو فقدت لاختفت كل الفضائل ، انها الأم والاخت والبنت ورفيقة الحياة ، فمن ذا يقول ان الاسلام ضيق عليهـــا

الخناق ، انه لم يضارها أبدا لا فى واقعة الحق ، ولا فى تشريعاته الاصيلة ، وتعالوا الى الحرية التى يتمتع بها صنوها الرجل أية حرية يملك ذلك المسكين ؟! انه عبد للأسرة ، وخادم للمجتمع ، وقِنّ قوته ، وطوع أمر رئيسه ، ان الرجل رقيق فى الحياة ، فما الحرية الحقيقية بمعنى الانطلاق الواسع الذى لا يحده حاجز ولا يعوقه قيد ، ان هى الا خيال الشعراء وحلم الفلاسفة ، وان شئت فقل : ربما تتحقق لدى المتدينين كأمل يوم القيامة ، أما فى وجودنا هنا على ظهر الارض فلا حرية مطلقة أبدا ، وانما لكل نافذة تطل على الحرية باب يستر وراءه عدة قيود وسدود ..

وتعالوا : ننظر الى التدرج الغربى فى حرية المرأة والنتيجة التى وصل اليها : قفل ورتاج من حديد على المرأة ومفتاح بيد الرجل ، ثم حرية فى ابراز العورات على الحجارة الصماء ، والالواح البكماء ، ثم تقصير للثياب ، ثم ترك الجسد عاريا ، وهنا حامت الكلاب حول الرمم ، وتداعى الفراش الى النار ، وأحب السائم المرعى ، وعيث الماجن بالجسد دون رقيب ، وحصل على طلبته فى يسر ، وجاء نتاج لا يعرف أبا ، ولا ترعاه أسرة ، فلنأخذ أمورنا نحن برفق ولا نغالى ولا نبالغ فى التعبيرات ، فان الحرب أولها كلام ..

والخلاصة : أن أعمالنا جميعا (وأبدأ بالمتصدين لتفسير الإسلام وشرح قواعده) تحتاج الى مزيد من الاستغفار ، فالاستغفار فى عقيدتى لا يصدر الا من عارف بربه ، ومن عرف ربه هداه سواء السبيل ، ولنبدأ الطريق بازالة الغبار عن الاحاديث الشريفة ، وتجليتها فى صورتها الصادقة الاصيلة كما أرادها قائلها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وفى النهاية أقول : ان المرأة ليست مشكلة ، وحاشا لله أن تكون آفة مجتمع ، وانما المرأة الآن عالمة ومتعلمة ، ومنهن من لا ترضى عن الأوضاع التى يراد لها أن تسود أبدا بل ترى فيها كل الضياع للمرأة ولكرامتها ..

ونعود الى الحديث الشريف فى صحبة عالم جليل من شراحه الأكرمين الذين سبقونا باحسان طيب الله ثراه فنعيد مقالته رضى الله عنه « **قد جمع** هذا الحديث الشريف من بديع المعانى ، وحسن الالفاظ ما يحق أن يسمى سيد الاستغفار ، ففيه الاقرار لله وحده بالألوهية والعبودية ، والاعتراف بأنه الخالق ، والاقرار بالعهد الذى أخذه على عباده ، والرجاء لما وعدهم به ، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه ، وفيه اضافة النعماء الى خالقها ، واضافة الذنب الى العبد ، ورغبة فى المغفرة ، واعتراف بأنه لا يقدر على ذلك الا رب العالمين سبحانه » .. فاللهم انى أستغفرك وأتوب اليك ، غفرانك ربنا واليك المصير .

---

(١) شرح مفردات الحديث الشريف :

أ) سيد الاستغفار : أفضله ، وصيغ الاستغفار كثيرة ، ومنها ما فضله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على غيره ، لمزية خاصة ، أو حالة مفردة ، أو لمعنى يراد .

ب) وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت : المراد : الايمان بك ، واخلاص الطاعة لك ، فلا أشرك بك غيرك ، ولا ألوذ بحمى سواك ، وفى قوله : ما استطعت : اعتراف من العبد بالتقصير والعجز عن القيام بحق الشكر كما ينبغى ، فهذا شىء لا يمكن الوصول اليه مهما حاول العبد وعمل من طاعات فنعم الله لا تحصى ، ان عدت .

ج) أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى : أى أعترف وأقر ، ففضلك فى الحالين غير مجحود ، ففى الأولى : تفضل ومنة ، وفى الثانية : غفران ورحمة .

من القرآن

٢

القرآن والعلم

آراء الغلاة والمتطرفين

للشيخ محمد حسين الذهبى

آراء الغـلات والمتطرفين :

تتبع العلامة المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى آيات القرآن الكريم فلاحظ : أن الآيات التى تتعلق بالعلوم الكونية سبعمائة وخمسون آية صريحة ، وأن الآيات التى تتعلق بالفقه الاسلامى لا تزيد عن مائة وخمسين آية صريحة .. وانطلق من خلال هذه النتيجة يبدى الأسف والعجب لكثرة ما ألفه علماء المسلمين فى الفقه ، وقلة ما ألفوه فى علوم الكائنات ، وكان الأولى بهم أن يبرعوا أكثر وأكثر فى علوم الكائنات التى أعطاها الله حظا أوفر من كتابه (١) ولسنا ننكر على الشيخ طنطاوى ـ اذا تغاضينا عن منحاه فى التفسير العلمى للقرآن ـ ما أبداه من أسف وعجب ، فمبلغ علمنا وتعليلنا لزيادة الآيات المتعلقة بالعلوم الكونية على الآيات المتعلقة بالعلوم الفقهية ، تجعله على حق فيما ذهب اليه ، ذلك لأن العلوم الكونية لها تعلق قوى بالعقيدة الاسلامية، فالنظر فيها طريق الى معرفة الله ، وكلما ازداد الانسان علما بأسرار الكون كلما ازداد علما بخالقه ومكونه ، هذا علاوة على ما يترتب على

العلم بالكون وأسراره من تقدم ، ورقى ، وازدهار مادى ، لا يقل فى نظر الدين عن الجانب الدينى أو الروحى ، أما العلوم الفقهية أو علوم التشريع . فهى — على أهميتها — تأتى فى المرتبة الثانية بعد العقيدة ، فالعقيدة أساس تقوم عليه الشريعة ، ولا يمكن أن يكون لها كيان بدونه .

والحقيقة التى لا يمارى فيها أحد : أن القرآن الكريم حوى من علوم الدين والدنيا ما فيه خير البشرية وسعادتها فى الدنيا والآخرة .

ولكن هذه الحقيقة تنازعها فريقان من المسلمين على مدى تاريخ القرآن الطويل : فريق غالى وبالغ فقال : ان القرآن حوى كل علوم الدنيا والدين ، ما كان منها وما يكون الىيوم القيامة .

وفريق اعتدل والتزم أمرا وسطا فقال : ان القرآن حوى الكثير من علوم الدنيا والدين ، بعضها صريح ، وبعضها بتلميح ، ونبه الى أن الكون ملىء بعلوم كثيرة حث على استنباطها من خلال كتاب الكون المفتوح أمام أبصارنا وبصائرنا ، لتفتح لنا الطريق الى الله ، ثم الى حياة زاهرة ، آمنة ، مستقرة .

ولقد كان من أبرز العلماء القدامى الذين تبنوا القول الاول وجهروا به وروجوا له فى الأوساط العلمية حجة الاسلام الغزالى المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، فقد نقل فى كتابه « احياء علوم الدين » (٢) عن بعض العلماء: « أن القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم ، اذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، اذ لكل كلمة ظهر ، وبطن ، وحد ، ومطلع » .

ثم يروى عن ابن مسعود — رضى الله عنه أنه قال : « من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن » . ثم يقول بعد ذلك كله : « وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، وفى القرآن اشارة الى مجامعها » .. ثم يزيد على ذلك فيقول : « بل كل ما أشكل فهمه على النظار ، واختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات ، فى القرآن اليه رموز ودلالات عليه ، يختص أهل الفهم بدركها » .

ثم يمضى الغزالى — فى كتابه « جواهر القرآن » الذى ألفه فيما يبدو بعد كتابه الاحياء — فيقرر هذا الرأى الذى قرره فى الاحياء ، ويزيده بيانا وتفصيلا ، وذلك حيث يعقد الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن ، فيذكر علم الطب ، والنجوم ، وهيئة العالم ، وهيئة بدن الحيوان ، وتشريح أعضائه ، وعلم السحر وعلم الطلسمات .. وغير ذلك ثم يقول : « ووراء ما عددته علوم أخرى يعلم

تراجمها ، ولا يخلو العالم عمن يعرفها ، ولا حاجة الى ذكرها ، بل أقول : ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التى لا يتمارى فيها : أن فى الامكان والقوة أصنافا من العلوم بعد لم تخرج من الوجود ، وان كان فى قوة الآدمى الوصول اليها ، وعلوم كانت قد خرجت من الوجود واندسرت الآن .. وعلوم أخر ليس فى قوة البشر ادراكها والاحاطة بها ، ثم هذه العلوم ما عددناها وما لم نعددها — ليست أوائلها خارجة من القرآن ، فان جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله وهو بحر الأفعال ، وقد ذكرنا : أنه بحر لا ساحل له ، وأن البحر لو كان مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد :

فمن أفعال الله تعالى وهو بحر الأفعال — مثلا — الشفاء والمرض كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم : « واذا مرضت فهو يشفين » ، وهذا الفعل الواحد لا يعرفه الا من عرف الطب بكماله ، اذ لا معنى للطب الا معرفة المرض بكماله وعلاماته ، ومعرفة الشفاء وأسبابه .

ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان ، وقد قال تعالى : « الشمس والقمر بحسبان » وقال : « وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » وقال : وخسف القمر وجمع الشمس والقمر » وقال : يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » وقال : والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم » ولا يعرف حقيقة سير الشمس بحسبان ، وخسوفها ، وولوج الليل فى النهار ، وكيفية تكور أحدهما على الآخر الا من عرف هيئات تركيب السموات والارض ، وهو علم برأسه .

ولا يعرف كمال معنى قوله : « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك » الا من عرف تشريح الاعضاء من الانسان ظاهرا وباطنا ، وعددها ، وأنواعها ، وحكمتها ، ومنافعها ، وقد أشار فى القرآن — فى مواضع — اليها ، وهى من علوم الأولين والآخرين ، وفى القرآن مجامع علم الأولين والآخرين .

وكذلك لا يعرف معنى قوله : « سويته ونفخت فيه من روحى » ما لم يعلم التسوية ، والنفخ ، والروح ، ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق ، وربما لا يفهمونها ان سمعوها من العالم بها ، ولو ذهبت أفصل ما تد لعليه آيات القرآن من تفاصيل الافعال لطال ، ولا تمكن الاشارة الا الى مجامعها .. فتفكر فى القرآن والتمس غرائبه لتصادف فيه مجامع علم الاولين والآخرين » (٣) .

ثم يأتى جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ ، ويقرر فى كتابه « الاتقان فى علوم القرآن » وفى كتابه « الاكليل فى استنباط التنزيل » ما قرره الغزالى : من أن القرآن قد حوى كل علوم الأولين

والآخرين ، ويسوق من الأدلة على ذلك قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتـاب من شىء » وقوله : « ونزلنا علـيك الكتاب تبيانا لكـل شىء » ، وقولـه صلى الله عليه وسـلم فى شأن القرآن — كما فـى سنن الترمذى — « فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم »، وقول ابن مسعود رضى الله عنه — كما أخرجه ابن أبى حاتم — « أنزل فى القرآن كل علم ، وبين لنا فيه كل شىء ، لكن علمنا يقصر عما بين لنا فى القرآن » (٤) .

ثم يذكر السيوطى عن أبى الفضل المرسى : أنه قال فى تفسيره « جمع القرآن علوم الأولين والآخرين ، بحيث لم يحط بها علما حقيقـة الا المتكلم به ، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم — خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى — ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم، مثل : الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، حتى قـال : « لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى » ثم ورث عنهم التابعون باحسان ، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم ، وتضـاءل أهل العلم ، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه » .

ثم تكلم عن العلوم التى تفرعت عن القرآن ، فذكر : علم القراءات، وعلم النحو ، وعلم التفسير ، وعلم الاصول ، وعلم الفقه ، وعـلم القصص والتاريخ ، وعلم تأويل الرأى ، وعلم الفرائض ، وعـلم البلاغة .. ثم قال « هذه الفنون أخذتها الملة الاسلامية منـه (يعنى القرآن) وقد احتوى على علوم أخر من علوم الاوائل ، مثل الطب ، والجدل ، والهيئة ، والهندسة ، والجبر والمقابلة ، والنجامة ، وغير ذلك من العلوم » .

« أما الطب : فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ، وذلك انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك فى آية واحدة ، وهى قوله تعالى : « وكان بين ذلـك قواما » .

« وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله ، وحـدوث الشفاء بعد اعتلاله فى قوله تعالى : « شراب مختلف ألوانه فيه شـفاء للناس » ، ثم زاد عـلى طب الاجسام بطب القلـوب : « وشـفاء لما فى الصدور » .

« وأما الهيئة : ففى تضاعيف سوره من الآيات التى ذكر فيهـا ملكوت السموات والارض وما بث فى العالم العلـوى والسفلى من المخـلوقات » .

« وأما الهندسة . ففى قوله تعالى : « انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب » فان فيه قاعـدة هندسية وهى : أن الشكل المثلث لا ظل له » .

« واما الجدل : فقد حوت آياته من البراهين ، والمقـدمات ، والنتائج ، والقول بالموجب ، والمعارضة ، وغير ذلك شـيئا كثيرا ، ومناظرة ابراهيم نمرود ، ومحاجته قومه أصل فى ذلك عظيم » .

« وأما الجبر والمقابلة : فقد قيل : ان أوائل السور فيها ذكر مدد ، وأعوام ، وأيام التواريخ لأمم سالفة ، وان فيها بقاء هذه الامة، وتاريخ مدة أيام الدنيا ، وما مضى ، وما بقى ، مضروب بعضها فى بعض » .

« واما النجامه : ففى قوله تعالى : « أو اثارة من علم » فقد فسره بذلك ابن عباس » .

« وفيه أصول الصنائع ، وأسماء الآلات التى تدعو الضرورة اليها، كالخياطة ، فى قوله : « وطفقا يخصفان » والحدادة : « آتونى زبر الحديد » . والبناء : فى آيات ، والنجارة : « واصنع الفلك بأعيننا » والغزل : « نقضت غزلها » ـ والنسيج : « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » والفلاحة : « أفرأيتم ما تحرثون » الآيات . والصيد . فى آيات . والغوص . « والشياطين كل بناء وغواص » « وتستخرجون منه حلية » .

والصياغة : « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا » والزجاجة : « صرح ممرد من قوارير » « المصباح فى زجاجة » . والفخارة . « فأوقد لى يا هامان على الطين » والملاحة : « أما السفينة » الآية والكتابة « علم بالقلم » . وفى آيات أخر والخبز : « أحمل فوق رأسى خبزا » والطبخ : « بعجل حنيذ » . والقصارة : « وثيابك فطهر » . « قال الحواريون » وهم القصارون . والجزارة « الا ما ذكيتم » . والبيع والشراء: فى آيات . والصبغ « صبغة الله » . « جدد بيض وحمر » . والحجارة : « وتنتحون من الجبال بيوتا » . والكيالة والوزن : فى آيات كثيرة . والرمى : « وما رميت اذ رميت » ، « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

« وفيه من أسماء الآلات ، وضروب المأكولات ، والمشروبات ، والمنكوحات ، وجميع ما وقع ويقع فى الكائنات ما يحقق معنى قوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » . قال السيوطى ـ انتهى كلام المرسى ملخصا مع زيادات » (٥) .. وأخيرا عقب السيوطى على هذا بقوله : « وأنا أقول : قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شىء : أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هى أصل الا وفى القرآن ما يدل عليها ، وفيه عجائب المخلوقات ، وملكوت السموات والارض ، وما فى الأفق الأعلى ، وما تحت الثرى وو .. الى غير ذلك مما يحتاج الى مجلدات » (٦) .

ثم يأتى من المحدثين من يقول بما قال به الغزالى والسيوطى ، وأبو الفضل المرسى ، مع مزيد من المبالغة والتكلف وعلى رأس هؤلاء المحدثين المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، فقد حمل كتاب الله كل علوم الدنيا والدين فى كتابه « الجواهر فى تفسير القرآن الكريم » .

ولو أننا تتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن الكريم فى هذا العصر الحديث وفى وقتنا الحاضر بالذات لوجدنا لأصحاب هذا المنزع العلمى فى فهم القرآن الكريم وتفسيره بحوثا كلها تعسف

وتكلف ، ولوجدنا لهم فى ذلك مؤلفات كثيرة تحمل بعض النصوص القرآنية مالا تحتمل من نظريات علمية مستحدثة !! ..

ونستعرض بعض هذه الكتب فنرى فيها عجبا :

فى كتاب « الجواهر فى تفسير القرآن الكريم » للمرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، عند تفسيره لقوله تعالى فى سورة البقرة : « واذ قال موسى لقومه : ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة » الآيات ٦٧ وما بعدها الى آخر القصة نراه يقول ما نصه :

« وأما علم تحضير الارواح ، فان من هذه الآيات استخراجه . ان هذه الآيات تتلى ، والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم الارواح بأمريكا أولا ، ثم بأوربا ثانيا » ثم يذكر نبذة طويلة عن مبدأ ظهور هذا العلم ، وكيفية انتشاره ، ومدى فائدته ، ثم يقول :

« ولما كانت السورة التى نحن بصددها قد جاء فيها حياة العزيز بعد موته ، وكذلك حماره ومسألة الطير ، وابراهيم الخليل، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فماتوا ثم أحياهم . وعلم الله أننا نعجز عن ذلك ، جعل قبل ذكر تلك الثلاثة فى السورة ما يرمز الى استحضار الارواح فى مسألة البقرة ، كأنه يقول : اذا قرأتم ما جاء عن بنى اسرائيل فى احياء الموتى فى هذه السورة عند آواخرها فلا تيأسوا من ذلك فانى قد بدأت بذكر استحضار الارواح فاستحضروها بطرقها المعروفة ، واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » (٧) .

وفى كتاب « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » للمرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبى ، نراه يقول فى ص ٢٣ — ٢٥ ما نصه :

« ان العلم كشف فى هذه القرون الاخيرة حقائق وطبائع كثيرة تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوربا وأمريكا ، والمدقق فى القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به فى القرآن من ثلاثة عشر قرنا ، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء الا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن ، شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه — » .

ثم يذكر بعض المكتشفات العلمية التى يقول ان القرآن سبق اليها فيقول :

« وكشفوا أن التغيير فى التركيب الكيمائى ، بل والمعنوى ناشىء عن تخالف نسبة المقادير ، والقرآن يقول : « وكل شىء عنده بمقدار » .

« وكشفوا طريقة امساك الظل ، أى التصوير الشمسى ، والقرآن يقول : « ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا » .

وفى كتاب « الاسلام والطب الحديث » للمرحوم الدكتور عبد العزيز اسماعيل ، نراه يعرض لقوله تعالى فى الآية (٢) من سورة

البقرة « وأنزل من السماء مـــاء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم » تحت عنوان « الحياة تحت ضوء القرآن » فيقـــول فى ص ١٣ ــ ١٥ ما نصـــه :

« هذه الآية الكريمة معناها ــ والله أعلم ــ أن اللحوم والاسماك والالبان .. الخ . أفضل فى التغذية من البقول والقمح والذرة » .

ثم يعقد مقارنة بين الاغذية الحيوانية والاغذية النباتيـــــة ، ويخرج بنتيجة تقرر هذه الافضلية ثم يقول : « ان هذه النتيجة التى لخصها القرآن الشريف ، ولم تظهر حقيقة ثابتة الا منـــذ ســـــنوات قليـــــلة » .

وها نحن ــ أخيرا ــ نقرأ لبعض الكاتبين ، ونســـمع من بعض المحاضرين نماذج من هذا التفسير العلمى للقرآن الكريم ، وفى كثـــير منها تكلف ظاهر !! .

يقول بعضهم : ان الصعود الى القمر والنزول على سطحه ــ وهو أحدث ما وصل اليه العلم فى عصرنا قد ورد فى آيات من القرآن الكريم ، منهـــا :

قوله تعالى : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطـــــار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » ــ يعنى سلطان العلم .

وقوله : « ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قـــدير » . وها هو ذا ســــــائل يسأل المرحوم الاستاذ العقـــاد فيقول :

قوله تعالى : « فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا : هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم بـــه ريح فيها عذاب أليم . تدمـــر كل شىء بأمر ربها فأصبحوا لا ير ىالا مساكنهم كذلك نجزى القـــوم المجـــرمين » . أليس من المـــكن أن تعتبر هـــــذه الآيـــــة « يريد الآيتين » اشارة مبكرة من القرآن الكريم الى القذيفة الذرية **ودليلا قاطعا** على سبق القرآن العلمى الذى أمكن اثباته فى مواضع كثيرة ؟ ..

.. هذه بعض الأقوال والآراء لجماعة من الغلاة المتطرفين !! ..

---

(١) انظر الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهرى ص ٢٥ ص ٥٣ ــ ط : الحلبى سنة ١٣٤٠ ــ ١٣٥١ هـ .

(٢) جـ ٣ ص ١٣٥ ــ ط لجنة نشر الثقافة الاسلامية .

(٣) جواهر القرآن ص ٣٢ ــ ٣٤ ط : كروستان العلمية سنة ١٣٢٩ .

(٤) الاكليل ص ٢ ، والاتقان حـ ٢ ص ١٢٦ .

(٥) الاكليل ص ٢ ــ ٥ ، والاتقان جـ ٢ ص ١٢٦ ــ ١٢٨ .

(٦) الاتقان جـ ٢ ص ١٢٩ ــ ١٣٠ .

(٧) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ص ٧١ ــ ٧٢ .

ما وجدت لتبقى

للأستاذ : نديم الجسر

الذين يهمنى اقتناعهم ، من قراء هذه المجلة الواسعة الانتشار ، هم الشبان المسلمون المثقفون ، الذين فتحوا عيونهم على النكبة وليس فى أيديهم من الأمر شىء ، وسوف يكون فى أيديهم ، وحدهم ، عما قريب ، كل شىء . . .

والكلام مع هؤلاء من أصعب الصعاب ، وأهون الهينات :

أما السهولة فهى من جهة ان المتحدث اليهم يجد نفسه مستغنيا عن الاسهاب بالايجاز ، وعن التصريح بالتلميح ، وأما الصعوبة فهى من جهة انهم لا يؤخذون بالسفسطات والاغاليط والمبالغات ،

فلا بد للكلام ، معهم ، ان يعتمد على المنطق الصارم . وبهذا المنطق الصارم ساحدثهم عن بعض جوانب النكبة ، وعن اسرائيل ، بلا غرور ، ولا غلو ولا أوهام ، ولا احلام .

اعرفوا اقداركم :

من جوامع الكلم المروية عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قوله (ما هلك امرؤ عرف قدره) ومما اشتهر على ألسنة الحكماء ، من عهد الاغريق ، قولهم (اعرف نفسك) .

ولكن أكثر الناس يحملون هاتين الكلمتين الجامعتين على وجه واحد من النصيحة : وهوأن يعرف الانسان جوانب ضعفه ، ونواحى عجزه . وقل ان يتبادر منهما الى الاذهان ذلك المعنى الاعم الاوسع الذى نحن اليوم ، أحوج اليه .

ان غفلة الانسان عن معرفة نفسه ، فى حقيقة ضعفها وعجزها ليست أكثر ضررا من غفلته عن عرفان نفسه ، فى حقيقة قوتها وقدرتها . . . ويزداد هذا الضرر ، ضراوة واستشراء ، اذا كانت هذه الغفلة فى أمر يتعلق بالجماعة أو الأمة للخور والتهلك واليأس عند صعقة البلية وبغتة النازلة ، عدوى سارية طاغية تنتقل من الضعفاء الى الاقوياء بل من السخفاء الى الحكماء . . . ولولا ذلك لما تهلكنا ، كلنا ، امام المعركة الباغتة ، حيارى ، معولين ، يائسين ، قانطين . . .

الكبوة ليست نكبة الأبد :

ان نكبة (أحد) ، التى جرح بها النبى القائد الاعلى ، فى قلب معقله هى كبوة . وليست نكبة الابد ...

وفتح الافرنج لبلاد الشام ، واستيلاؤهم عليها ، مدة قرنين لم يكونا نكبة الابد ...

وفتح بغداد وتخريبها من قبل (هولاكو) لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع أن يصنع معركة (حطين) ، ثم استطاع أن يبيد ، جيوش المغول المتحالفة مع الافرنجة فى (عين جالوت) ...

وهزيمة دمياط التى كانت تحمل كل عناصر النكبة : بخيانة القائد ، وموت الملك (الصالح) ، ووضع الخلافة الاسلامية ، لأول مرة فى التاريخ فى حضن الجارية (الصالحية) لم تكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع أن يأسر ملك فرنسا العظيم ويضعه فى دار القاضى لقمان (غير الحكيم) ..

واسر لويس التاسع هذا فى (المنصورة) لم يكن نكبة الأبد ، كما أن اسر (فرنسوا الأول) فى معركة (بافيه) ، لم يكن نكبة الأبد على الشعب الافرنسى ، الذى استطاع بعد ذلك بامد غير طويل أن يخلق (لويس الرابع عشر) الذى تحكم ، فترة من الزمن بمقدرات اوروبا ...

واحتلال نابليون الأول لالمانيا كلها ، لم يكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع ، بعد ذلك بامد قصير ،أن يخلق (بسمارك) ويصنع معركة (سدان) ، ويأسر نابليون الثالث .

واحتلال الالمان لباريس ،لم يكن نكبة الأبد ، على شعب استطاع أن يخلق (ديغول) ، الذى بدأ طريدا شريدا ، وانتهى ، بأن يتحكم بمقدرات اوروبا ...

واحتلال الاستعمار فى القرن الماضى ، للهند ، واندونيسيا ، ومصر والسودان ، والجزائر ، وتونس ، والمغرب الاقصى ، وليبيا ، وسوريا ولبنان وفلسطين ، والعراق ، اى للعالم العربى والاسلامى كله تقريبا لم يكن نكبة الأبد ، بدليل أن هذه الاقطار كلها تتمتع اليوم بالاستقلال وتقعد مع تلك الدول المستعمرة على مائدة واحدة فى الامم المتحدة ...

واحتلال الحلفاء فى سنة ١٩١٨ لاستانبول ، لم يكن نكبة الأبد على شعب استطاع أن يحطم قيوده ثم ينتهى الى أن يرى الحلفاء الذين اذلوه يركعون امامه مستجدين منه أن يدخل معهم فى حلف الاطلسى

عناصر البقاء

فى معركة (المصير الأبدى) للامم عناصر ثلاثة اساسية ضرورية يقوم عليها بقاء الأمة :

١ — الأرض الكافية الوافية للبقاء
٢ — العدد الكافى للبقاء .
٣ — الوحدة الفكرية الكافية لجمع القلوب .

وكل نقص ، فى غير هذه العناصر الثلاثة ، من علم ، وتصنيع ، وتسليح يمكن تلافيه مع الزمن .

فان قيل لك ، ايها الشاب المسلم أن امة على وجه الأرض بل فى تاريخ الأرض ، قد اجتمعت لها هذه العناصر الاساسية الثلاثة ، اكثر مما اجتمع للأمة الاسلامية ، فلا تصدق .

ومهما قيل لك عن ذهاب ريح المسلمين الى الأبد ، بسبب ضعفهم وتنازعهم ، فلا تصدق .

ولا يخدعن المستعمرين اننا ، بمكائدهم ، نختلف ونتنازع ، واحيانا نتقاتل ، فان هذه الخلافات مؤقتة وسطحية : فما من مسلم ، مهما وهن ايمانه ، الا ويخشع قلبه لقول الله

تعالى (انما المؤمنون اخوة) ولقول النبى صلى الله عليه وسلم (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النـــار) ومن اثر الحديث كانت الحروب التى جرت بين المسلمين قليلة ومحدودة اذا قيست بالحروب الدائمة الضارية الهائلـــة التى لا تنقطع بين دول اوروبا ...

وان امة تبلغ ثلث ســـكان الارض وتملك في سرة الدنيــــا ، اكبر واغنى رقعة متواصلة غير متفاصلة تمتد من اقصى المغرب الى اقصى المشـــرق ، وتمتلك ثلثي ساحل (البحر المتوسط) وتتسلط على معابره الثلاثة ، وتمتلك البحر الاحمر بكامله ،وتنام على بحر من البترول ويشد قلوب ابنائها كتاب واحد ، نحو ايمان واحد ، بآله واحد واخوة واحدة ، ليســـت بالأمة التى تغلب وتقهر الى الأبد .

ما وجدت لتبقى

اما اسرائل فلن يكتب لها البقاء . لانه لم يكتب لها البقاء ...
يقول الذين خلقوها انهـــا (وجـــدت لتبقى) ... وانا اقول : انها وجدت لتزول ... لا اقولهـــا مغرورا ، ولا موتورا ، ولكنى اقولها عالما بنواميس الاجتماع التى يبنى عليها وجود الأمم وبقاؤها ، وزوالها بامر الله ، وحتمية التاريخ .
نعم نعم . أن دولة اســـرائل هذه ، وفى فلسطين بالذات ، لن تبقى ، ولو اجتمع يهود العالم بملايينهم العشرة المتفرقين فى أطراف الارض وجاءوا كلهم الى فلســـطين ، وحمل كل واحد منهم مدفعا فى سيارة وصاروخا فى طيارة ...
وقبل أن اقول لماذا لن تبقى ، امهد بكلمة عن دولة اسرائيل فى التاريخ وعن دورها ونصيبها من البقاء ، فى صراع ناموس تنازع البقاء :

ما هى دولة شاوول وداود وسليمان عليهمـــا الســـلام اللذين نقرا عن امجادهما فى تاريخ الدين صفحات ذهبية تكاد توهمنا انها دولة عظيمة ؟ انهـــا دويلة ، بل اصغر من دويلة ، لا تتعدى حدود رقعة صغيرة من قطر فلسطين الصغير القاحل ،الضيق ، المحصـــور بين الامبراطـــوريـــات : الفرعونية والكـــلدانية والآشـــورية والفارسية والرومانية ، المتطاحنة فى حروب لا نهاية لها ، للســـيطرة على العالم القديم ... فهى كدولة (وبقطع النظر عن الرسالة الســـماوية التى كانت ملقاة بامر الله على عاتقها) لا تكفى بارضها وسكانها وهيكلها الذهبى أن تكـــون لقمـــة فى اشـــداق تلك الامبراطوريـــات هذا من بديهيـــات النـــاموس الالهى الاجتمـــاعى الذى يســـمى ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب : ولكن دولة شاوول وداود وسليمان قد وجدت بتدبير الله لغاية عظيمة ، استنفذت اغراضها :
انها وجدت لحمل رسالة فى سبيل غاية سامية يريدها الله وهى حماية الشعب الوحيد الباقى (بعد ابراهيم ونســـله) على عبادة الله الحق من مظالم الوثنيات الفرعونية والكلدانية والآشورية والفينيقية .

وقـــامت هذه الدولـــة الصغيرة وازدهرت فى عهد داود وســـليمان على اساس مبادىء الحق والخير . ثم فسد الشعب ، فخرج عن مبادىء الحق والخير ، بظلمه وترفه وقتله الانبياء فخسرت الدولة ســـند بقائها الالهى الاوحد ، وخسرت الديـــانة مقومات صلاحها ، فارسل الله السيد المسيح عليه السلام بالانجيل والدين الحق ليحل محل الديانة التى افسدها اهلها ... وسلط الله على الفاسدة من زلزلها ، وعلى الشعب الظالم من مزقه وفرقه وشرده تشريدا لم يعرف

التاريخ له نظيرا فى اى شـــعب من شـعوب العالم : فكان الاجلاء الاول الى بابل على يد (بختنصر) ، ثم كان التشـتيت الأبدى على يد (تيطوس)

وهـــكذا انتهت الديانة اليهودية المنسوخة بالمسيحية ، فلم يبق مبرر لوجودها الهيا . وانتهت الدولـــة اليهودية لانه لم يبق لوجودها مبرر وهو حماية الدين الحق ... وانتهى الشعب اليهودى (كوحدة سياسية) لانه لم يبق لوجوده ، اى مبرر او سند اجتماعى بحكم قلته وضعفه وبحكم تنازع البقاء ، فتمزق فى الأرض ابادید بعد هذا التمهيد التاريخى ارجع لاكرر القول : إن اسرائيل الدولة الحالية المصنوعة فى فلسطين ما صنعت لتبقى اولا — لان كيان الدولة الاسرائيلية فقد مبررات وجـــوده الدينيــــة والاجتماعية فاعطاها لغيره .

ثانيا — لان دولة اسرائيل الجـــديدة الاصطناعية غير الطبيعية التى فقدت مبررات وجودها هى بذاتها ، وبقطع النظر عن النظرة الدينية غير صالحة للبقاء بحكم نـــاموس القوة فى تنازع البقاء : لانهـــا تفتقر الى العنصرين الاساسيين من عناصر البقاء : وهما الارض الكافية ، والعدد العديد الكافى كما سبق البيان فى صدر الكلام .

ثالثا — لان الفلاسفة الذين وضعوا نواتها قد وقعوا فى ســـوء اختيـــار البقعة الصالحة لتكوين دولة يمكن ان يكتب لها البقاء ، بل وقعوا فى الفخ الذى نصبه لهم الاستعمار حين وافقهم على اختيار بقعة فلســـطين بالذات لتأسيس الدولة الاسرائيلية الجديدة. فالاستعمار اراد ان يجعل اسرائيل شوكة فى حلق الامة العربية من غير أن يبالى بالمصــــيبة على من تقع من الطرفين (فبأيهما جاءت فبالعدو) .
ولو قدر للفلاسفة اليهود الذيـــن وضعوا نواة الفكرة لاعادة دولـــــة اسرائيل أن يختاروا بقعة أخرى فى احدى بلاد الوثنية الافريقية مثلا لكان من الممكن أن تتكون لهم دولة اسرائيلية قابلة للحياة والبقاء ولكن فلاسفـــــة اليهود خدعوا أنفسهم حين ركـــزوا أنظارهم على جاذبية الدعاية الدينية ، التى يتأثر بها كل يهودى ساذج يقال لهانك سوف تحي دولة داود وسليمان فى نفس هيـــكل داود وســـليمان . فيا لغباء الفلاسفة ما أغربه ...

انهم فكروا فى جاذبية الدعايـــــة الدينية وغفلوا عن رد الفعل للدعاية الدينية نفسها عند المسلمين ، الذين يدخل فى صميم عقيدتهـــم تقـــديس المسجد الاقصى وما حوله ، والذين بذلوا فى الحروب الصليبية دمـــــاء غزيرة حتى استردوها ، والذيـــــن مضى على استقرارهم التاريخى فيها أربعة عشر قرنا ، حتى رأت الـــدول المسيحية العظمى ، التى هى أقـــدر على انتزاعها من أيدى المسلمين ، ان تحترم ذلك الاستقرار التاريخى المزمن فتركتها لهم .

من كل هذا يظهر بوضوح ، ليس بعده وضوح ، ان خلق دولة اسرائيل فى أرض فلسطين الضيقة القاحلـــة التى لا تكفى بمساحتها وثروتهـــــا الطبيعية لتكوين دولة ، ومن شعب لا يكفى بعدده لو اجتمع كله للصمود ، وفى وسط بحر من الامتداد العربـــى الاسلامى الهائل الذى وصفناه ، وفى أتون من نار الغيرة الدينية الاسلامية والمسيحية ، ومع التجاهل لأثر الحق الناتج من الاستقرار التاريخى ، كـــان خلقا اصطناعيا يحمل فى صـــــدره عناصر زواله لانه لا يعتمد على أى مبرر للوجود والبقاء مـــن المبررات الدينية والاجتماعية والتاريخيـــة أو الارضية أو البشرية أو الاقتصاديـــة وان قيل لكم أيها الشباب ان هـــذا

الكيان الاصطناعى تحميه الـــدول الغربية الى الابد فلا تصدقوا لأنه لا مبرر طبيعى وأساسى لحماية هـذا الكيان الى الابد .

فالحماية أما أن تكون للعاطفـــة . وأما أن تكون للمصلحة :

أما العاطفة فلا عاطفة . . . وتاريخ الاوربيين مع اليهود هو سلسلة من القتل ، والذبح ، والخنق ، والحرق كما تعلمون .

وتبقى المساعدة للمصلحة . وهذا هو الواقع . فالدول الاستعماريـــة التى خلقت دولة اسرائيل لتكـــون شوكة فى صدر الأمة العربية ، انما خلقتها لمصلحة سياستها الاستعمارية والبترولية ، ولم تخلقها للعاطفـــة . وستظل تحميها ما دامت لها مصلحة فى حمايتها . . . فاذا قيل لكم أنهـــا سوف تحميها الى الابد فلا تصدقـــوا فما فى سياسة المصلحة شىء ثابـــت الى الابد .

هذه حقيقة يؤيــــدها المنطـــق . ويؤيدها التاريخ :

فالمصلحة السياسية والاقتصادية تكاد تكون وحدها المنطلق الاساسى الرئيسى لاستعمار البلاد العربيـــــة والاســــلامية . . . ، والمصلحـــة السياسية والاقتصادية هى وحدهـــا المنطلق للتخلى عن البلاد العربيـــــة والاسلامية واعطائها استقلالها .

وعلى ضوء هذا الوضـــوح اطرح هذين السؤالين :

هل التخلى عن تونس والجزائـــر والمغرب أعظم واوجع فى ميـــزان المصلحة الاستعمارية الفرنسية من التخلى عن مساعدة اسرائيل ؟

وهل التخلى عن الهند الدرة فـــى التاج البريطانى ، أعظم واوجع فى ميزان المصلحـــة الاستعماريـــة الانكليزية من التخلى عن مساعـــدة اسرائيل ؟

الجواب واضح وبديهى .

ناموس التدافع

ومع ذلك فان ســياسة المصلحة السياســـية الدولية العامة اجبرت فرنســـا وانــكلترا على ترك هذه المستعمرات العزيزة الغالية .

هذه السياسة الدولية العليا التى تتفاعل على الارض فترغم الجبابرة على أن يتخلوا عن جبروتهم وطغيانهـــم بحكم تدافعهم هى الناموس الاجتماعى الذى عبر عنه القرآن بقوله **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض)** . وبقوة هذا الناموس يقوم التوازن الدولى بين الغرب والشرق اليوم . . . وبقوة هذا الناموس أرغمت فرنسا وانكلترا وهولانده وايطاليـــا على ترك أعز وأعظم مستعمراتها .

وبقوة هذا الناموس دفن الانكليز والافرنسيون أربعين ألف عسكرى من شبابهم أمام حصون سيفاستابـــول ليردوا روسيا المسيحية عن تركيـــا المسلمة . . .

وها هو الناموس الآلهى نفســـه يعود ليتجلى من جديد فى سياســـــة الدولتين الاوروبيتين اللتين هاجمتـــا بور سعيد بالاشتراك مع اسرائيل من عهد قريب .

وتبقى اميركا . وسوف يأتى دورها وتنقشع الغشاوة الصهيونية عــــن عيون الشعب الاميركى الذى لا يخلو من عقول نيرة ترتفع أحيانا فـــوق الدعايات وفوق الرواسب :

وليس ببعيد ذلك اليوم الذى سيقول به الشعب الاميركى ياويلنا من الخطر الاصفر . . .

وليس ببعيد ذلك اليوم الذى تقف به امريكا المسيحية تستجدى مســاندة المدار الاسلامى المؤمن فى حربها مع الوثنية الصفراء .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . .

بل .. هذا الزحف من يتصدى له ..!

بقلم: الاستاذ محمد أحمد العــزب

حين كتبت مقالى (هذا الزحف من يتصدى له ؟) فى عدد شـوال ١٣٩١ هـ ١٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧١ م على صفحات مجلــة الوعى الاسلامى ، محاولا من خلاله أن أعبىء لثورة عقائدية فى الفن تصالب ثورة الالحاد فى الفن على كل العقائد والموروث الدينى هنا وهناك ، كنت أطمح الى اشتجار جــدل حقيقى حول هــذه الدعوة الى التعبئة ، وليس الى تثاؤب مرضى يســحب عليه غطاءه وينام !!

وفى عدد (صفر) ١٣٩٢ هـ من الوعى الاسلامى قرأت أول أصداء هــذه الدعوة . بحثا بحجم ثقافة عصرية واعية ، كتبه الصديق الفنان الشاعر الاستاذ يوسف حسن نوفل المدرس بالكــويت تحت عنوان (هؤلاء المتصــــدون من يدعمهم ؟) !!

وبدءا .. نحن لم نختلف حول محاور الدعوة الصميمية ، وإن كنا قد اختلفنا بعض الشىء فى منظوراتنا حول تطبيقية المقولات .. اننى لا أكتب الآن ردا على الصديق الباحث الشاعر الفنان ، ولكنى أكتب استدراكا ، أو قل إننى أرفــع يدى لمجرد الاستفسار عن أشياء !!

وقبل أن أستطرد .. فقد يكون من المفيد أن أوجز رؤيتى للقضية ، وأن أوجز كذلك رؤيــة الصديق للقضية ، ثم أرفع فى نهاية الرحلة يدى متسائلا . وللصديق أن يمنح جوعى الحقيقى قرى إجاباته على كل ما أثير من تساؤلات :

قلت وأقول : إننا على مستوى العالم الاسلامى ـــ نواجه كل القضــايا

الصميمية بمزيد من لزوجـــة الصمت ومزيـــد من لزوجة اللامبالاة ، فى نفس اللحظة التى يتحرك فيها الآخرون بمزيد من بنادق الوعى ، ومزيد من رايات الاستبصـار !!

وقلت واقول : إن فننا العقائدى يتكىء فى تحركـــه ــ إن تحرك ــ على فرضيتين : اولاهما أن العقائديات ليست فى حاجة الى من يناضل عنهـــا . . . وثانيتهما أن هـــذه العقائديات تملك من قدراتها الذاتية على الاشعاع والتوصيل ما يغنيهـــا عن معاناة الدعاة وكدح الراشدين !! وهذه فيما يخيل إلىّ مقولات باهظة غبية تطفىء أحداق الدعوة وأحداق الدعاة على السواء !!

وقلت واقول : إننى لا اصادر الفكر النقيض ، ولا يمكـــن أن أدعو الى مصادرته ، لأن معنى ذلك إذا حدث أننى أنفى نفسى من العصر الذى أحياه مـــن جهة ، وأننى اصادر رافد الخصب الحقيقى ــ وإن كان نقيضا لا يهم ــ فى حقول فكرنا العقائدى وفننا العقائدى جميعا من جهة أخرى ، وتلك جريمة لا يتصدى للعمل فى رهجها إلا المهرجون !!

وقلت واقول : إن ما يقرؤه شبابنا فى هذه المرحلة لا يعدو أن يكون واحدا من اثنين :

(١) فكر بلا فن ، وفن بلا فكر ، هذا على الشاطىء العقائدى !!
(٢) فكر مبطن بالفن ، وفن مائج بحـــــركة الفكر ، هـــذا على الشاطىء اللا عقائدى !!

وحتى لا اتهم بتسطيح قضية من اخطر قضايا فكرنا المعاصر بلا تحفظ حددت لنفسى محاور من خلالها قلت ما قلت . قلت إن فى المسرح الغربى ، والروايـــة الغربية ، والشعر الغربى ، نزوعا الى مصادرة مقولة (الله) ربما تبدأ بخلخلة الجذور ، وربما تنتهى الى اقتلاع الشجرة مرورا بالاكباب على بتر شروشـها مرة ، وعلى إجهاض ثمارها مرة أخرى ، هكـــذا بلا توقف وبلا مبالاة !! وقلت ــ من خلال إحصاء مقارب استشـهادى ــ إن نمطا من انماط هـــذا الابـــداع الفنى المكرس لهـــذه الغاية وهو (المسرح) قد ضرب فى هذا الصدد ضرباتـــه الفاجعة ، مؤسسا كل خطوة من خطواته على اقتدار فنى ، وعلى استبصار ثقافى بطبيعة المرحلة ، وطبيعة العصر ، وطبيعة الشخوص الذين تتعـــامل معهم هـــذه الكلمات !! وقد حـــاولت أن استكنه ملامح هـــذه الحركة الفنية القاصدة الى خلخلة ايماننا بكل شىء ، مستنهضا ملكات واقـــلام أدبائنا وفنانينا ونقادنا جميعا على طريق التصدى لهـــذا الزحف المسلح بكل إمكانيات عصره الخـــلاق !!

وقلت واقول : إن مسرحنا العربى فى مواجهة هذا الزحف ــ واحزن معى إن شئت ــ ما يزال قطاع منه يتلهى بالتسكع الفاشل على ضفاف فكرة الزمن ، وقطاع منه يتغنى بانتصاراتنا الوهمية التى أجهضها الواقع الضاغط فى أول لقاءاته معها ، وقطاع منه يتلكأ على صدر مومس عجوز تبيع الحب فى طرقات المدينة ، وقطاع منه يتهاوى تحت معاول عجزه الذاتى فلا يقوى حتى على مجرد أن يقول !!

هذه محصلة مقولاتى التى حملها مقالى الاول ، واعتقد أن لقاء المقال أجدى بكثير من القناعة بمجرد المرور المسطح على حروف هذه المحصلة مهما كانت قدرتها على حمل ملامح هذا المقال ..

وقبل أن أدير نقاشا من أى لون ، فلأغامر بتحديد ملامح مقال الصديق الاستاذ يوسف حسن نوفل (هؤلاء المتصدون من يدعمهم ؟) ، وعذرا من لحظة البداية اذا كبوت على طريق فهمى الجاد لمقولات مقاله الممتع ، وآمل أن تجنبنى المعاناة مرارة العثار على هذا الطريق !!

يقول الصديق الباحث : إن إنسان الثلث الاخير من القرن العشرين قد تعرض لهزات عقائدية فادحة مهد لها التطور الحضارى بإنجازه المادى من جهة ، وببروز عمالقته الملحدين من جهة أخرى ، وبتدفق الحس المأساوى القلق المصاحب لتطور أدوات الحرب من جهة ثالثة ... وقد زكّى هذا الصدع الفاجع انشطار العالم الى شرق وغرب ، وإيمانه الاعمى بمنطق القوة المغرورة بلا حدود .

ويحيل الصديق الباحث الى هذه الاسباب والدوافع التى أسلف بروز تيارات الالحاد المعاصر مرتبا فيما يشبه الحتمية هذه النتيجة على هذه المقدمات !! ثم يمهد لقضية (الفن العقائدى) — التى من أجلها يدور هذا الحوار — باستعراض آراء (تشارلتون) الذى يرى أن الفن ينبغى أن يكون (تصويرا للواقع كما هو) — ولا أدرى كيف ؟ — (وتولستوى) الذى يرى أن الفن المعبر عن الدين فن جيد ، وما عداه فهو فن ردىء !! ويسوق الصديق نماذج من كتابات أدبائنا — فى مجال القصة — يستوحون فيها تراثنا العقائدى ، على مستوى الارتباط الميكانيكى مرة ، ثم على مستوى التحرك من خلال إطار عام مرة أخرى ، ثم على مستوى الاهتمام بالاولياء وكراماتهم وأحفالهم ومواسمهم وعاداتهم آخر الأمر ؟!

ويستطرد الصديق الى رصد نتائج اجتماع اليونسكو عام ١٩٦٩ وخروجهم بنتيجة أن الثقافة العربية المعاصرة لا تحتل المكان اللائق بها فى عالم اليوم !! ثم ينعى فى نهاية مقاله الممتع بحق على نقادنا تنطعهم اللا محدود فى إنغاض رءوسهم عن كل فن له محتوى عقائدى ، بلا تبرير لهذه الحركة المدوانية الصماء !!!

هذه محصلة المقولات الصميمية التى يمكن أن يكون مقال الصديق الباحث قد دار فى محاورها ربما على وجه اليقين ... وآمل أن أكون قد وفقت فى نشدان هذا القطع اليقينى .

فهل يأذن الصديق لى الآن بأن أرفع يدى فى محاولة مخلصة للتساؤل المتشوف الى مزيد من إطلالات ضوء على هذا الطريق ؟؟

كان مقالى صيحة احتجاج على عشوائية الخلق فى فننا المسرحى ، ولم أكن بعد قد خطوت خطواتى على طريق التأمل فى ملامح القضية الروائية والقصصية فى أدبنا العربى ، وهى القضية التى استقطبها مقال الصديق الباحث .. ربما امتدادا وليس معارضة لمقالى الاول ، ولكننا على الرغم من كل ذلك نختلف هنا فى عديد من الأساسيات !!

اولها : اننى ــ ودع الجانب التاريخى فى مقال الصديق ــ لا اوافق على أن نتناول القضية على مستوى فنى وعقائدى معا من هذا المنطلق ، فحين تحركت بهذه القضية من مخاضها الفكرى الى واقعها الحلولى لم أكن أريد بها هــذا اللون من ألوان اللقاء (مصادفة) مع الفكر العقائــدى ، فما أكثر هذه اللقاءات اللقيطــة فى أدبنا المعاصر ، وإنما أردت لها أن تكون قضية وجود كونى مقاتل على كل الجبهات فى آن ، أعنى أننى أردت لهذه القضية أن تستحيل فى أدبنا العربى الى ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح (الخلفية الفلسفية) ينزع عنها الفنان نزوعه عن نبضات الوعى فى شرايينه ، أعنى أن تكون هذه الخلفية العقائدية خبزه وهواءه ، لا يتحرك إلا من خلالها ، ولا يصدر إلا عنها ، ولا يتيح للجــدل الجانبى أن يصرف وجهه عنها بما هى أساسا حركة حلوله الجوّانِىّ فى الكون ، وحركة جدله البرّانِىّ مع ظواهر هذا الكون إذا استعرنا بعضا من هــذه المصطلحات !!

إن نجيب محفوظ ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، وعلى أحمد باكثير ، وعبد الحميد جودة السحار ، أولئك الذين استشهد بهم الصديق الباحث فى مقاله لا يمكن أن يكونوا نموذج هــذا الفنان العقائدى الــذى ينزع عن خلفية فلسفية عقائدية ، وبالتالى لا يمكن حتى أن يكونوا قلعــة صمود على الاقل ، حين لم يستطيعوا أن يكونوا جبهة فتح وانتصار .. إن الوجودية بمضمونها الملحــد عند واحد كجان بول سارتر تشكل خلفية كل أعماله على السواء . الفكرية ، والفنية ، والاكاديمية جميعا ، فهل نستطيع أن نقف واحدا من هؤلاء الادبــاء العرب مع سارتر على هذا المستوى الصميمى ؟ أوشك أن أصرخ : الف لا .. ولا !! فمثلا نستطيع فى أدب واحــد كنجيب محفــوظ ــ على روعته وقيمــة إضافاته ــ أن نعثر ليس على قضية محور تستقطب أبعاد تحركه الفنى فى شتى الاتجاهات ، وإنما نعثر بلا تــردد على أمشاج هائلــة من البنى الفكريــة ، والرؤى العقائدية ، والتجاريب الروحية ، وليت كل ذلك كان صميم المجرى الفنى للكاتب المبدع يعمقه من مستوى الى مستوى جديد ، إن الواقع الفنى لكاتب مثل نجيب محفوظ يؤكد بالضرورة صيرورته المستمرة ، من الكاتب المــلامس للاشياء ، الى الكاتب المتأمل للاشياء ، الى الكــاتب الحائــر فى مواجهة كل الاشياء ... إن الموت اللامبرر ، والعشوائى ، والغــاشـم ، يطل كواحد من المصائر اللازبة لأبطال هذا الكاتب ، إن الاسئلة الطفلة عن الحب ، والموت ، والله ، لا تجد فى مساحات الواقع الفنى لروايات الكاتب العربى وقصصه إجابة واحدة مقنعــة ، وهى إن وجــدت إجابــة إيجابية مــرة ، فسوف تواجــه إجابات قلقة غير واحدة من المرات !! فهل نستطيع مع هــذا الكاتب أن نقول : إنه كاتب عقائــدى ؟؟ هل نستطيع مثلا فى رواية (أولاد حارتنا) أن نبايع نجيب محفوظ حتى بمجرد الادعاء العقائــدى على النحو الذى ندير من حوله هــذا الحوار !!

ولأضع هنا تحفظا ، فقد يقال إن الفن لا يمكن أن يقدم حلولا أو إجابات ... وأنا معكم .. ولكننى أعتقد انكم معى فى قضية انه يوحى بكل أولئك جميعا !!
إن نجيب محفوظ ثروة قومية وأممية على مستوى فنى لا أجادل فى ذلك على الاطلاق ، ولكنه على مستوى عقائدى واحد من ملايين الراكضين على سفوح القلق الوجودى بلا قرار ، وربما كان هــذا القلق واحدا من العناصر الهائلــة

التى تعطى إبداعه مذاقه الخاص !! ولكنى لست عن كل أولئك أبحث ــ إننى باحث عن الفنان العقائدى الذى ينزع فى تحركه الفنى عن خلفية فلسفية عقائدية صامدة ، لا أعنى نزوعا جامدا يبــدأ من حيث ينتهى ، وينتهى من حيث يبــدأ بلا ملال .. وإنما أعنى نزوعا متخلقا متناميا متسقا ، يكتشف من خلال تجاربه ذاته وابعاده ، ويطور من خلال مغامراته رؤيته الصميمية ، لله ــ والكون ــ والانسان .. الشرط التاريخى الوحيد الذى أضعه هنا هو أن يكون مؤمنــا أساسا بهذه العمد الثلاثة : (الله . والكون . والانسان) !! وتستطيع أن تقول فى ادب عبد الحليم عبد الله ، وعلى أحمد باكثير ، وعبد الحميد جودة السحار . وغيرهم وغيرهم .. نحــوا من هــذا الذى قلت فى أدب كاتبنا الرائع نجيب محفوظ !! مع الاحتفاظ لباكثير ببعض حقه علينا فى هذا المجال !!

ثانيها : إننى أرفض أن يكون الوعظ من جهة ، والخرافة من جهــة أخرى ، طريقنا الى محاولة الترشيد العقائدى ، وما أشك فى أن الصديق الباحث يوافقنى على أن مجرد ذكر الاسلام فى قصة أو رواية لا يعنى بالضرورة أن هــذه القصة أو هذه الرواية يمكن أن تكون خلقا عقائديا مسلما على الاطلاق ، وما أشك فى أنه يوافقنى كذلك على أن احتواء الخرافة التى تستضرى فى ريفنا العربى حتى وإن كان محورها دينيا لا يعنى على الاطلاق احتواء ظل من الحس العقائدى خاصة على المستوى الاسلامى الــذى يرفض منذ البــدء منطق الخرافة ، ومنطق التدين الأبله الساذج المتسكع فى دروب الهلوسات !!

إن الصديق الباحث ــ وهو بصدد إعداد رسالــة الدكتوراه عن الفــن القصصى ــ يعلم اكثر مما أعلم أن روائع الادب العالمى التى عالجت قضية الدين كانت تحمل هموما أكبر من مجرد الوعظ ، وأعمق من مجرد الهروب فى مستودع الخرافة ... إن أعمــالا من أمثال : (الاخوة كــرامازوف. لديستويفسكى) . (والاخوة الاعــــداء . لكازانتزاكس) . (والفثيان . لجـــان بول سارتر) (والطاعون . لألبير كامى) . (والقصر ، والمحاكمـــة . لكافكا) . وعشرات غيرها كثيرة ، لم تتلكأ على أرصفة التناول الهش لقضية من أخطر قضايا الفكر العالمــى ، وإنما واجهت قضيتها ــ رفضا وقبولا ــ بحس المسئولية وهيبة الفن ، فأتاحت بذلك لنفسها خلودا مجذرا فى تربة كل العصور !! فهل نجم فى أدبنا العربى حتى اليوم عمل واحد فنى يسامت واحدا من هذه الاعمال !! إن عينى على العصر الذى نحياه ، على إحباطنا الحضارى ، على وقوعنا فى المضايق ، على الحصـــار الوضعى الذى نعانى من كبوله وسيوله !! ولكننى مع كل أولئك لا استطيع أن أغفــل قضية أننا نتنفس من خلال قرون ومواريث كان من الممكن أن تشكل فى وجداننا الفنى رافــدا متنامى العطاء يقفنا فى النهــاية على مستوى الندية الصميمية لأولئك الاغيار ، وهذا ما لم تلح له إيماضة واحدة، حتى إيماضة واحدة على أفق حياتنا المركوم بظلام الظلام !!!

ثالثها : إن طموحى يمتد الى ملاقاة فنان عقائــدى مثقف بثقافة عصره وكل العصور ، أعنى أن رعيلا هائــلا من فنانينا المبدعين قد يكــون مثقفا بثقافــة العصر ، ولكنه مجدب تماما فى قضية احتوائه للتراث ، تراثه هو ، وهذا واحد من العوامل الصميمية فى حركة عجز هذا الفنان عن استيعاب تجربته العقائدية ، وبالتالى عجزه عن استقطابها فنا رائعــا فى مسيرة إبداعــه الكَمّىّ والكيفى ،

وأذكر أننى كتبت فى هذا الصدد على صفحات (الوعى الاسلامى) تحت عنوان: (دعوة الى أدب إسلامى) . ومرة أخرى وأخيرة ، آمل أن لا تفهم هـــذه الدعوة على أنهـــا تقوقع داخل جغرافية ثقافية أو حتى روحية مغلقة ، إن معنى ذلك لو حدث أن يستحيل الفكر العقائـــدى ، والفن العقائـــدى جميعا الى استحلاب ذاتى مريض يرفض شمس العالم وهواءه ، ثم ينتحر فى غرفه المغلقة غير تارك وراءه سوى قدر البوار !!

إن نوعية الثقافة التى أدعو الى احتوائها هنا هى (الانسانية) أحجاما وأغوارا ، ثم التحرك بهذه الثقافة الانسانية الشاملة فى اتجاه تأصيل عقائـــدى بمنهج (الفن) ومنطقه ، وليس بمنهج الدعاية والخرافة من جهة .. وليس كذلك بلا منهج على الاطلاق !!

هذه هى المحـــاور الاساسية الثلاثة فى قضيتى بلا هروب من قدر المواجهة .. المحور الاول هو أن منحى القضية الصميمى أن يولد على خريطـــة الوطن الاسلامى هذا الفنان العقائدى الذى ينزع فى تحركـــه الفنى عن خلفية فلسفية مكتملة أو متنامية ، بلا جنوح للتخبط فى دياجير التناقض أو احتطـــاب أمشاج الحلول !!! والمحور الثانى هو أن يكون طريق هذا الفنان الى إبداعه العقائـــدى ليس الوعظ الدعائى بما هو مقولة مرفوضة فى منطق الفن ، وليس الخرافة المسطحة بما هى حركة ممرورة لا تستطيع أن تواجه شمس الحقيقة الكونية !!! والمحور الثالث هو أن تكون هموم هذا الفنان الأمل أن يحرك فى اتجاهه ثقافة عصره وكل العصور ، قابضا فى حركة إبداعـــه على قيمة وضعيته العقائدية ، غير هارب فى أردية التوافق الجماهيرى من هويته الذاتية التى قد يوصم معها بالجمودية ، والرجعية ، والورائية . الى آخر ما فى جعبة الأغرار من شعارات فارغـــة جوفـــــاء متآكلة الجبين !!

فهل — فى أدبنا العربى المعاصر اليوم — حتى ما يوحى بميلاد مثل هذا الفنان المبدع الخالق ؟؟

وهل — فى أدبنا العربى المعاصر اليوم — حتى ما يومىء الى ميلاد مثل هذا الفن المغامر المدجج القابض على أمل الخلاص ؟؟

اترك الاجابـــة للذين يستطيعون !!!

الفقه
الاسلامي
يبحث
قضية

المحتسب وأحكام

- المحتسب يمنع الاحتكار وارتفاع الأسعار
- واللباس غير المحتشم من النساء والرجال
- وينفذ فوراً ولا ينتظر إذناً من القاضي

لعل من نافلة القول الاشارة الى ان معالجات المشاكل ، والقضايا ، فى المجتمع الاسلامى ، أحكام شرعية مصدرها الفقه الاسلامى سيان فى ذلك العبادات ، والمعاملات او مسائل السياسة الداخلية ، والخارجية . والتى تكون فى جزئياتها مستنبطة من أدلة الفقه التفصيلية من الكتاب ، والسنة ، وما دلا عليه ، كالاجماع ، والقياس، ليس الا . وهذا الحصر للاحكام فى الفقه ، وللفقه فى أدلته الاصولية ، هو الذى يضمن تنقية المعالجات ، والقانون ، والدستور لدى المسلمين من اية شائبة ، قد تخلط الاوضاع ، او تفقدها صلتها الاصيلة بالاسلام . كما انه المحك الذى يميزها ، ويحفظ عليها صبغتها الاسلامية . ومن أجل ذلك ، كان على كل من يحاول ان يعرض لبحث اية قضية ، مهما كان لونها ، وأيا كان اتجاهها فى عالمنا الاسلامى ، ان يلتزم الفقه الاسلامى دون سواه . مجالا لبحثه . وليس معنى هذا أن

وظيفة الحسبة

الأستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى

ما سجل من تراث اسلامى للائمة المجتهدين هو وحده الفقه الاسلامى ولكن معناه أن الباحث فى أية مسألة بغض النظر عن أنها نالت قسطا من عناية المجتهدين السابقين على اعتبار أنها مشكلة قديمة ، عرضت لهم . فاستنبطوا لها حكما شرعيا أضيف الى ثروة الاسلام الفقهية أم أنهـا جديدة لم تكن على أيامهم ، ولم‌تعرض لهم ، فهى بحاجة الى اجتهاد ، لبيان حكم الله فيها ، ان على هذا الباحث ان كان يملك آلة الاجتهاد ، واهليته، ان لا يبيح لنفسه الخروج عن ما قرره الاسلام من أصول فقهية . ومسـألة الحسبة هى واحدة من المسـائل الكثيرة الملحة فى المجتمع الاسلامى، وقد عرض لها الفقهاء الاسبقون ، لانها واجهتهم ، فبينوا حكم الله فيها وفصلوها تفصيلا شافيا ، شأنهم فى كل ما بحثوا ، من مشكلات . واذا كنا نحن فى أيامنا هذه ، نستغرب مثل هذه التعابير لان مجتمعنـا . وقاموسنا القانونى ، قد خلتا منذ فترة غير قريبة منهـا ، واستبدلت بمسميات جديدة ، عن قصد حينا ، وعن جهل حينا آخر ، فان لنا من دقتها ، وشمولها ، وصدق دلالتها على معانيها ، وتصميمنا على العودة الحميدة للحياة الاسلامية الخالصة ، دافعا قويا ، لاستعادتها ، للمجـال الفكرى فى العـالم الاسلامى .

فالحسبة لغة : اسم من‌الاحتساب . وهو البـدار الى طلب الأجر ، وتحصيله ، قال الفيروزباى : حسن الحسبة يعنى : حسـن التدبير ، واحتسب عليه . يعنى أنكر . ومنه المحتسب . أما معناها الفقهى : فهو مشـارفة السوق ، والنظر فى مكاييله وموازينه . وتحديد الاسعار، ومنع الاحتكار ، والغش والتدليس

ورفع الضرر عن الطريق ، بدفــع الحرج عن السابلة الى نحو ذلكمن الاعمال . وقد يدخل فى مضمونهــا العمل على اقامة الصلاة فى مواقيتها والنظر فى أحوال الائمة والمؤذنين. والزامهم باداء وظائفهم حسب مقتضى الشرع . ولذلك وصفها الماوردى فى الاحكام السلطانية : الحسبة هىأمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر اذا ظهر فعله . أما الغــاية منها فهى أن يكون الدين لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، والاصل فيها أن انضباط الناس فى مجتمعهم بالتعاون ، والتناصر ، ودفع الضرر وأن الاوامر والنواهى تحتاج الى من يقوم بتنفيذ مقتضاها ، والسهر على تطبيقها ، وهى متعلقات انبثقت عن العقيدة الاسلامية عند المسلمين ، لأنها أساس الدولة ، وأساسالمجتمع فمهما يكن من قوة هذه العقيـــدة، وتأثيرها على السلوك لدى المسلم ، فلا بد من ملاحظة استمرار الالتزام بها ، لا سيما وأن الدولة تضـــــم الكثيرين من أهل الكتاب ، ومع أن للتقوى عند الفرد المسلم ، قـــوة لا يستهان بها ، لجعل المقياس لديه الحلال والحرام ، وان التنــاصح لدى الجماعة بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، قدرة ، تحد من انحراف المنحرفين ، وان فى عدالة التشريع الاسلامى ، الطمأنينة التى لا تلجىء ذا الفطرة السليمة للمخالفة ، الا ان الهيبة من قوة السلطان ، ضرورية، لحياة الجماعة ، وايجاد التناســق فى المجتمع ، وبعث التأثير العملى للنظام . هذا بالاضافة الى أن طبيعة الانسان ، ليست دائما فى نقائهــا، وصفائها ، وان لهذه الهفوات التى يشهد الواقع بها أحكاما تشكل نظام العقوبات فى الاسلام ، مما يجعــل وجود الاشراف عليها ، من الامور التى لا يجوز اغفالها ، ومن هنا نشأت ادارات الدولة الاسلامية ، وعلىهذا الاساس قامت ، وكانت تعـــــرف بالولايات العامة ، والولايات الخاصة ومن تلك الولايات الخاصة : الحسبة: وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم هو ، أو من ينيبه عنه فى ولاية المدينة ، أو مكة ، او البحرين ، او اليمن ، بأعمال المحتسب علىاعتبار أنه رئيس دولة ينفذ ما يرشد اليــه الوحى ، وهكذا استمرت الحالة فى عهد أبى بكر الصـــديق ، حتى اذا ما تشعبت مهمات الخليفة فى عهد عمر ، ولى على الحسبة عبد الله بن عقبة للنظر فى الاسواق ، والتفتيش على المكاييل ، والموازين ، ومنــع الغش فيما يباع وما يشترى ، فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللا ، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فقال : اصابته السماء يا رسول الله ،قال: أفلا جعلته فوق الطعام كى يـــــراه الناس ؟ من غشـــنا فليس منا .. وهذا الحديث يدل على أعمـــال الحســـــبة ، وولاية المحتسب على الاسواق . وروى المسيب بن دارم قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى اللهعنه، يضرب جمالا ويقول : حملت جملك ما لا يطيق . كما روى أنه علا أبا سفيان بدرته بعد ان أنذره ثلاثة أيام وهو يقول له : قم بابك أبـــا سفيان . ومن بعد عمر استكملت الحسبة مقوماتها كولاية خاصة يقوم عليها موظف او موظفون من الفقهاء فى كل مدينة . ومن ثم فقد تعرض المجتهدون بكثير من الاســـــهاب لصلاحيات المحتسب وشرعيةالأعمال التى يقوم بها حتى أن بعضهم أفرد لها كتبا خاصة مثل (نهاية الرتبة فى

طلب الحسبة) لعبد الرحمن الشيزري توفي (٥٨٩) هـ ، و (معالم القربة في أحكام الحسبة) لمحمد بن محمد القرشي المشهور بابن الاخوة توفي (٧٢٩) و (الحسبة في الاسلام) ، لتقي الدين بن تيمية المتوفي (٧٢٨)هـ كما بحثها ضمن كتاب كل من (الماوردي) ، و (أبي يعلى) في كتابيهما (الاحكام السلطانية) والغزالي (٥٠٥) هـ في كتابه (احياء علوم الدين) وابن خلدون (٨٠٨) هـ في مقدمته، والنويري في نهاية الأرب .

ونحن حينما نستعرض دوائر الدولة الاسلامية ، نرى ان الخليفة هو الذي كان يشرف عليها ويقوم بأعمالها في الخلافة الراشدة ، ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فاذا ما وجد الحاجة ماسة الى معاونة اشخاص ،اختارهم وانشأ لهم دوائر محددة المسئولية ، والاعمال ، كانشاء بيت المال (الادارة المالية) ثم ادارة الجيش (ادارة الحربية) واحصاء اصحاب الاعطيات وادارة الزكاة ، وادارة القضاء وادارة الحسبة ، وغيرها . اما سلطات هذه الادارات فكانت تتسع، وتضيق حسب الحاجة ، ووفقا لمقتضيات الحال ، « وجميع الولايات الاسلامية انما مقصودها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى ، ونيابة السلطنة ، وولاية الشرطة ، وولاية الحكم ، وولاية المال ، وولاية الدواوين ، وولاية الحسبة ، لكن من المتولين من يكون بمنزلة الشاهد المؤتمن ، ومنهم من يكونون بمنزلة الامين المطاع » ، كما يقول ابن تيمية في كتابه الحسبة في الاسلام ، ثم يضيف : « عموم الولايات ، وخصوصها وما يستفيده المتولى بالولاية ، يتلقى من الالفاظ ،والاحوال والعرف ، ليس لذلك حدا في الشرع فقد يدخل في ولاية القضاء في بعض الامكنة والازمنة ، ما يدخل في ولاية الحرب في مكان وزمان غيره . وكذلك الحسبة وولاية المال ، وجميع هذه الولايات هي في الاصل ولاية شرعية ومناصب دينية ، فأي من عدل من هذه الولايات ، فساسها بعلم وعدل، واطاع الله ورسوله بحسب الامكان فهو من الابرار الصالحين ، وأي من ظلم ، وعمل فيها بجهل فهو من الفجار الظالمين . اما المحتسب ، فله الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، مما ليس من خصائص الولاة ، والديوان، والقضاة ، ونحوهم ، وكثير من الامور الدينية هي مشترك بين ولاة الامور ، فمن أدى الواجب وجبت طاعته فيه » ، اما الاعمال التي يقوم بها المحتسب ، وتناط به ، فهي بعامة لا تخرج عن كونها معالجات ، لجرائم وقتية ، واحكامها واضحة كل الوضوح ، لا تحتاج الى كبير جهد في معرفتها ، وتقصيها ، فهو بوليس آداب ، ومفتش صحة ، وموظف بلدية ، مما نعرفه اليوم ، لان الادارة في الدولة الاسلامية تتسم بطابع البساطة ، وسرعة التنفيذ . لان الموظف يقوم بواجبه تجاه الله ربه ، بأذن من السلطان . فموظف الحسبة مسئول عن السوق ، وما يجري فيه من مخالفات ، له السلطة على كل ما يتعلق بالصفقات التجارية اليومية كالغش في البضاعة ، من أن تكون فاسدة ، أو مصنوعة من مواد غير جيدة ، او موضوعة للعرض بشكل لا ينبيء عن حقيقتها كما انه مسئول عن الموازين ، والمكاييل، من أن تكون ناقصة ، أو فيها زيادة عن وزن وكيل السوق . كما انه يفحص العملة الفضية ، او الذهبية ، او الورقية ، من أن تكون مزيفة ، وهو يمنع أية صفقة يتم فيها البيع والشراء ، على

غير ما بين الشرع كالبيوع الربوية، وبيوع الغرر ، وبيع المجهول ، والميسر والنجش وهى أن يزيد فى السلعة من لا يريد شراءها ، وتصرية الدابة اللبون ، وسائر أنواع التدليس . وهذه معاملات يحرمها الشرع ولا يجيزها ، فلا يجوز ان يتعامل بهـا المسلمون ، ولا ان يسمح بوجودها فى أسواق المسلمين . ومن المعاملات المنكرة ، تلقى السلع قبـل أن تجىء الى الســوق ، وبيـع من لا يماكس بسعر مرتفع عن الســوق وله أن يمنع الاحتكار ، وارتفــاع الاسعار ، او خفضها بقصــد التغرير . وهو يملك سلطة يمنع بها أهل السوق من الاتفاق على ســعر فيه ضرر على المستهلكين لسلعة هى من ضرورات الجماعة . والمحتسب مسئول عن كل منكر يظهر فى مجتمع المسلمين ، فهو العاش الذى يتجول فى أسواق المدينة ليلا ، لمنع أيــة مخالفة شرعية ، كالاجتماعـــات المشبوهة لشرب أو لزنا . وبحيث لا يظهر فى المجتمع ما هـــو من المخالفات الشرعية ، كالتماثيــل فى ميادين المدن ، واللباس غير المحتشم من النساء والرجال . ومسئول أيضا عن نظافة المدينة ، وازالة كــل ما يعترض سبيل المارة ، ومنع الابنية التى تضيق على السابلة . كما ان المحتسب مسئول عن أئمة المساجد، وصلاة الجمعة، والجماعة، لا يتعدى فى ذلك كله ما أمر بــه الشرع ، والعقوبات التى يطبقها هى التــى لا تصل الى تنفيذ ، أو اقامة حد ، لان تلك ليست من صلاحياته ، ولا تقام الا بأمر يحكم به القاضى بشهود ومجلس قضاء ، ولكنه يتلف الطعام المغشوش ، او الفاسد ، حــالا ، ولا ينتظر من القاضى اذنا بذلك . ويعزر المغرر فى بيعه . أو الــذى ارتكب مخالفة البيع بســعر فيه غبن فاحش حالا ، ولا يرفع قضيته الى القاضى . هذه هى مســألة الحسبة . كما حــددها الفقهاء ، وبينوا ما يندرج تحت احــكامها . ولعلها لو طبقت فى أى بلد اسلامى، لخلا من التعقيدات الكثيرة المقيتة ، ولاراح ، واستراح ، وضرب مثــلا ســاميا .

عظمة الخالق

للنابغة الجعدى

الحمـــــدُ للهِ لا شـــريك لـــــه
مـن لم يَقلْهـــا فنَفْسه ظَلَمـا

المولـج الليـلَ فى النهـــار وفى
اللّيْـــلِ نهـــارا يفـرّج الظّلَمـا

الخافـضِ الرافـع الســـماءَ عـلى
الأرضِ ولم يبْنِ تَحْتَهـا دِعَمَـا

الخالقِ البـــارئ المصوّرِ فى الـ
أرحـَـام ماءً حتّى يَصيرَ دَمَـا

مِـنْ نُطْفَـةٍ قَدّهـا مُقَدّرُهـا
يَخْـلُق منها الأبشـارَ والنّسَمَـا

ثم عظـاما أقامهـا عَصَـبٌ
ثمّــتَ لحمــاً كساه ، فالتَأمـا

ثم كَسَى الـريش والعَقَـائقَ أبْـ
شـارا وجِـلْداً تخـاله أدَمَا

ثمّــتَ لا بُـــدّ أن سَيَجْمَعُكــم
واللهِ جهـــراً شـــهادة قَسَمَـا

فائْتَمِـــروا الآن ما بَـدا لكـــمُ
واعتصموا إن وَجَــدْتمْ عِصَــمَا

فى هــذه الأرض والســماءِ ولا
عِصـــمة مِنْــهُ إلاّ لِمَنْ رَحَمَـا

في سبيل الدعوة

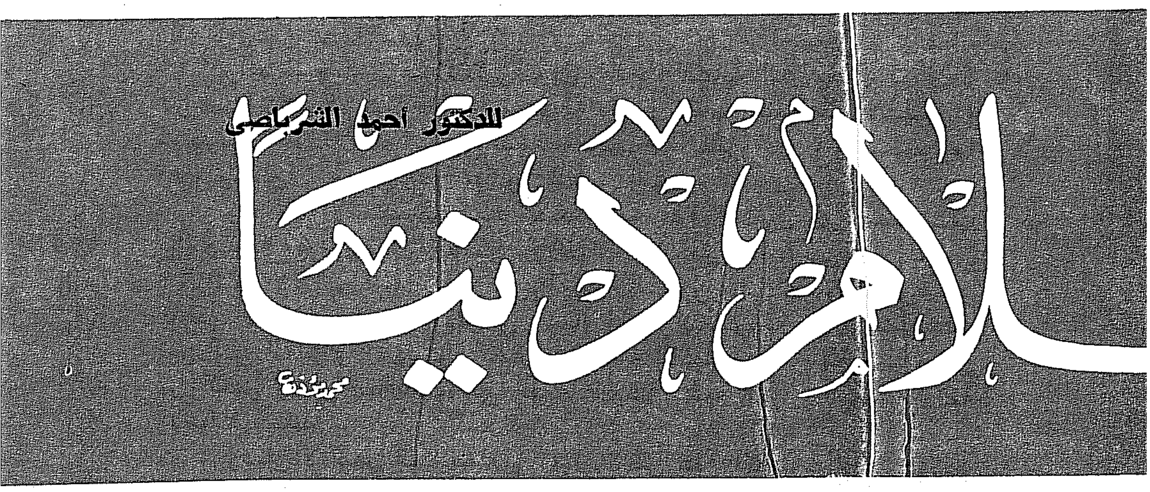
رضينا بالإسلام

من الحقائق التى لا تحتاج الى تدليل على ثبوتها ــ لأنها ملموسة مشاهدة ــ أن الغرب الصليبى الاستعمارى قد حرص منذ قرون وقرون على مهاجمة الاسلام ، وتشويه صورته ، وتجريح نبيه عليه الصلاة والسلام ، حتى قال « جون وبستر » الانجليزى الذى اهتدى الى الاسلام : « يظهر أن الغرب المسيحى قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الاسلام ، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة كلما تحدث عنها » .

ويقول « السير عبد الله أرشبالد هاملتون » ، الانجليزى الذى اهتدى الى الاسلام : « لا يوجد دين أسىء فهمه ، وكثر الهجوم عليه من الجهلة والمتعصبين مثلما أسىء فهم الاسلام وهوجم » .

ولم يكتف الغرب الصليبى الاستعمارى بتشويه ديننا فى أنظارنا وانظار سوانا ، بل بذل جهوده الظاهرة والباطنة ، لكى يخرجنا عن هذا الدين ، ويسلكنا فى فلك دينه : « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

وحاول هذا الغرب الصليبى الاستعمارى أن يفرض علينا مدنيته الحديثة بغثها قبل سمينها ، ومغارمها قبل مغانمها ، وسلك الى ذلك كل سبيل ، سلك طريق التغرير والتخدير تارة ، وطريق المخادعة والمطاوعة تارة ، وطريق الارغام والافحام تارة أخرى ، وأوهمنا هذا العدو الماكر أنه ليس فى الامكان أبدع من حضارته ، ولا أروع من مدنيته .



وحين يقول بعض العقلاء البصراء من الشرقيين : ان المدنية الغربية المادية فيها الكثير من البرق الخادع ، والبهرج الزائف ، الى جوار ما فيها من خير ، يقال من أعدائنا ان ذلك القول منا ناشىء عن عجزنا وقصورنا وتخلفنا .

ولكن ها نحن أولاء نقف أمام اشخاص رتعوا فى حقل المدنيـــــة الغربية ، وشبوا بين أحضانها ، وبلغوا مراكز عالية ملحوظة بين أهلها ، ومع ذلك ضاقوا بها ، وحملوا عليها ، وفروا منها ومن قيمها حين رأوهـــا تزيد الحس ضراوة وشراسة ، وتزيد الروح فقرا وقلقا ، وتزيد القلب حيرة واضطرابا ، ثم وجدوا أمنهم واطمئنانهم بعد طول البحث والتنقيب فـــى رحاب الاسلام العظيم .

ولعل من أدق العبارات التى تصور آفة المدنية الغربية تلك العبارة التى جرت على قلم واحد من رجال هذه المدنية ، وهو « اللورد سنل » اذ يقول : « لقد استطعنا بناء هيكل خارجى متكامل الاطراف ، ولكننا أغفلنا العامل الاساسى فى بناء نظام داخلى . لقد وضعنا تصميم الكأس بعناية فائقة ، كما قمنا بزخرفة شكلها الخـــارجى ، ولكن داخل الكـأسٌ ملىء بالفضلات والشوائب ، لقد استعملنا معرفتنا وما نملك من قدرة بالغة لما فيه صالح الجسد ، ولكننا تركنا الروح تشكو الفقر والحرمان » .

ولقد تنكرت المدنية الغربية المادية لروح الدين الحق ، وتنكـــرت للمسيحية التى تنتسب اليها ، وتستبقى رسومها جسدا بلا روح ، واساءت

استغلال هذه المسيحية لتخفي من ورائها مطامع أهلها وعدوانهم ، فلا هي وفت لعقيدتها ومبادئها ، ولا هي تركت التمسح بالدين جانبا . وواجهت العالم بنزعتها الاستعمارية الباغية ، وهذا هو « السير عبد الله أرشبالد هاملتون » يردد عبارة صريحة صارخة يقول فيها : « بينما نجد الاسلام يرشد الانسانية الى الحق والصواب فى حياتها اليومية ، نجد المسيحية المعاصرة تعلم متبعيها ــ بطريق غير مباشر من الناحية النظرية ، وبطريق مباشر من الناحية العملية ــ أن يصلوا لله يوم الأحد ، وأن يفترسوا عباد الله فى بقية أيام الأسبوع » .

ولقد سعدت سعادة غامرة حين طالعت الكتاب الذى يحمل عنوان : « رضينا بالاسلام دينا » وهو مجموعة فصول لأناس كانوا غير مسلمين ، ثم درسوا الاسلام دراسة موضوعية بصيرة ، فتأثروا به ، واستجابوا له ، ودخلوا فيه ، وأخذوا يدعون الناس اليه .

وقد قام الأستاذ خورشيد احمد بجمع هذه الفصول فى كتاب بالانجليزية ، وقدم لها ، وطبع الكتاب بالانجليزية مرتين ، فى سنتى ١٩٦١ و ١٩٦٧ م . ثم ترجمه الى العربية الدكتور عبد المحسن البيلى مدير المركز الاسلامى بلوس انجلوس ، بناء على رغبة كريمة من الدكتور على نور الدن العنيزى الذى قرأ الكتاب فى لغته الانجليزية ، وأعجب به ورأى من الخير أن يترجم الكتاب الى اللغة العربية : لغة القرآن الكريم ، ولغة الاسلام العظيم .

ولعلى لا أعدو الحقيقة حين أقول : كان هذا الكتاب نوع من التكفير الجزئى عن الجريمة العامة الكبرى التى ارتكبها الغرب الصليبى الاستعمارى ، حيث شوه بها الاسلام فى انظار أهله ، وفى انظار غير أهله ، وحمل فيها على الاسلام ونبى الاسلام وأتباع الاسلام حملته الشعواء النكراء .

وعنوان هذا الكتاب « رضينا بالاسلام دينا » يذكر الانسان بالرضى والرضوان ، والأمن والاطمئنان ، ويذكر الانسان بقول الله جل جلاله : « اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » . ويذكره بفضل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وعلى اتباعه حين يقول له : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » . ويقول له : « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها » .

وحين يقول عن الأخيار الأبرار من عباده المؤمنين : « ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم » . ويقول لهم : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

وحين يتحدث عن ذلك الرضى المتبادل بين الله تبارك وتعالى وعباده المؤمنين ، فيقول : « قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم » . ويقول : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات

تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » .

وحين يشعر النفس المؤمنة الصالحة بأنها ستتمتع بالرضى والرضوان فى أولاها وأخراها ، فيقول لها : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » . ويقول عن المؤمن الذى يتلقى كتابه بيمينه يوم لقاء ربه ، ويفوز بنعيمه . « فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الأيام الخالية » .

ومن اللافت للنظر وللفكر معا ان هؤلاء الذين كانوا على غير الاسلام ، ثم ادركتهم نعمة الله فاهتدوا اليه وسعدوا به ، لم يدخلوا الاسلام اعتباطا أو عن جهالة أو بتغرير أو بتأثير ، بل دخلوه على علم به ، وبعد دراسة وتمحيص ، وكثير منهم ظل حينا طويلا وهو يدرس ويحاور ، ويشك ويتردد ، ويجادل وينتقد ، قبل أن يعتنق الاسلام عن ايمان ويقين ، وكثير منهم ظل سنوات قضاها فى الدراسة والبحث ، فالحاج لورد هيدلى الفاروق ــ يقرر أن اعتناقه للاسلام كان نتيجة لسنوات طويلة من الدراسة والتفكير ، ومحمد أسد ــ أو ليوبولدوايز وهو اسمه الأصلى ــ ظل خمس سنوات يقرأ عن الاسلام حتى تمكن نوره من قلبه .

والدكتور أحمد ماركوس الالمانى ظل سنوات يباحث العارفين بالاسلام ، قبل أن يرتضى الاسلام لنفسه دينا ، و « وليام بورشيل بشير بيكارد » ظل كذلك سنوات يدرس ويبحث ، حتى اقتنع بأن الاسلام دين الفطرة والخير ، والسيدة « أمينة موسلر » الالمانية مكثت سنوات عديدة تدرس الاسلام قبل أن تأخذ طريقها الى الدخول فيه ، وهكذا . .

وبعض هؤلاء كان فى أول أمره يهاجم الاسلام ويطعنه ، ويقوم بانتقاده وتجريحه على ملأ من الناس ، ويعيب على الاسلام اقراره للرق ، وتعدد الزوجات والطلاق ، ولكن هذا البعض استطاع بعمق النظر وسعة البحث أن يدرك أن ما فى الاسلام خير الف مرة مما فى غيره من النظم والشرائع ، ومن الأمثلة على ذلك المسلمة الانجليزية « ماتيس . ب . جولى » التى اعترفت بصراحة أنها ظلت مدة طويلة تحقد على الاسلام وتهاجمه وتعيبه ، ثم اقتنعت أخيرا بصوابه وسموه ، وأعلنت دخولها فيه ، وهى تقول :

« لقد فعلت هذا وانا اشعر بقدر عظيم من الرضا والارتياح ، لادراكى التام أن هذا الايمان لم ينشأ عن نزوة عاطفية عارضة ، بل كان نتيجة لعملية فكرية طويلة ، امتدت عامين تم خلالهما تأكدى من أصالة الاسلام وروعة تعاليمه ، مما جعلنى فى النهاية أعتنقه وأومن به » .

وأغلب هؤلاء الذين كانوا غير مسلمين ، ثم درسوا الاسلام وآمنوا به ، أناس متعلمون مثقفون ثقافة واسعة ، ففيهم أساتذة جامعات ، وأساتذة قانون ، ورجال سياسة ، ورجال صحافة ، وغير ذلك ، ومعنى هذا أنهم لم يؤمنوا ايمان العجائز ، ولم يتابعوا متابعة العاجزين ، ولم يندفعوا اندفاع الجاهلين ، ولم يقعوا فريسة للتغرير أو التضليل أو الاكراه ، ولم تكن هناك عوامل غير طبيعية لاسلامهم ، كالوقوع فى شرك غرام جامح ، أو طمع مثير ، أو نحو ذلك .

ونلاحظ على بعض هؤلاء ظاهرة الانتقال من أقصى اليسار الى أقصى اليمين ، أو من الضد الى الضد ، وهم فى طريقهم الى اعتناق الاسلام : الدين السهل السمح الوسط العادل ،فبعض هؤلاء قد ضاق ذرعا بما فى دينه من أمور لم يستسغها ولم يؤمن بها ولم يصبر عليها ، فثار ثورته العارمة ، وانتقل مثلا من الكاثوليكية المتشددة أو الارثوذكسية المحافظة ، الى الشيوعية المادية الجاحدة ، أو الالحاد المطلق الكافر بكل دين ، ولعل ذلك الانتقال السريع الواسع كان « رد فعل عنيف » لعدم الرضا أو الاقتناع بالدين الموروث دون دراسة واقتناع ، ثم عاد هؤلاء بعد حين ، ففكروا ودبروا ، ودرسوا الاسلام ، فوجدوا فيه الدواء والشفاء والغذاء والضياء ، فلجأوا الى رحابه آمنين مطمئنين .

وهذا على سبيل المثال المانى مسيحى كاثوليكى متشدد وهو « سيف الدين ديرك والترموسيج » كان يعد نفسه ليكون قسيسا كاثوليكيا ، ومع ذلك هدته دراسته الدينية المجردة الى الاسلام ..

يقول فيما يقول : « عثرت على ترجمة للقرآن الكريم باللغة الأسبانية ، ولم يعترض والدى على قراءتى لها فى البداية ، حيث كان يظن أنها ربما تساعدنى على توسيع مداركى لا اكثر ولا أقل ولم يكن يدرى مدى الأثر العميق لكلمات الله فى عقلى ..

كنت كاثوليكيا متعصبا عندما بدأت فى قراءة القرآن ، وأصبحت عند انتهائى منه مسلما على الأصالة ، ومن البديهى أن فكرتى عن الاسلام كانت فكرة خاطئة قبل قراءتى للقرآن الكريم ، حيث بدأت أقرأه فى تعجب وسخرية ، متوقعا أن أجد بين طياته أخطاء فاحشة ، وأفكارا كافرة ، وخرافات زائدة ، ومتناقضات لا يقبلها العقل السليم .

لقد كنت متعصبا وأنا فى هذه السن الصغيرة ، ولكن لحسن حظى لم يكن قلبى قد أصبح صلدا بعد . ولقد بدأت قراءة السور على الرغم منى فى البداية ، ثم انتهيت وأنا أكثر ما أكون ظمأ لمعرفة الحقيقة .

وفى لحظة من أعظم لحظات عمرى شرح الله صدرى للاسلام ، وهدانى الى الصراط المستقيم ، وأخرجنى من الظلمات الى النور ، ومن المسيحية الى الاسلام .. » .

والكثير من هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام بعد أن كانوا غير مسلمين ، قد درسوا الأديان الأخرى بتوسع قبل دراستهم الاسلام ، فكانت لديهم الفرص الواسعة للمقارنة بين دين ودين ، ثم ختموا مطافهم بدراسة الاسلام ، وانتهوا اليه بالدخول فيه والاستقرار عليه ..

لقد درس الكثير من هؤلاء : اليهودية ، والمسيحية ، والبوذية ، والهندوكية ، والشيوعية ، والفاشية ، والمادية ، والتاوية ، والديمقراطية ، والمذاهب الفلسفية ، ومع ذلك لم يقنعوا ولم يشبعوا .. ثم درسوا الاسلام بعد هذا كله فوجدوا لديه المرفأ الامين ، والرائد الذى لا يمين .

واغلب هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام كانوا يعتنقون المسيحية قبل اسلامهم ، وقد ضايقهم فى المسيحية المعاصرة أمور لم يستطيعوا هضمها ولا الرضى بها ، ومنها ما يلى :

١ ــ غموض عقيدة التثليث ، وتأبيها على التصور العقلى .

٢ ــ القول بألوهية المسيح ، وأن مريم أم الرب ــ عليه وعليهما السلام ــ .

٣ ــ عقيدة الشقاء الأبدى المضروب على بنى البشر ، ونشأة البشر كلهم فى ظل المعصية السوداء ، بسبب خطيئة آدم وحواء ــ عليهما السلام ــ وعدم الاقتناع العقلى بوراثة كل البشر خطيئة أبويهم منذ أول الحياة .

٤ ــ عقيدة الصلب على أساس أن المسيح قد قبل أن يصلب للتكفير عن خطايا الناس وسيئاتهم .

٥ ــ عقيدة « الاتحاد » عن طريق « الخبز المقدس » الذى يمثل جسد المسيح ، حيث يقال ان قطعة الخبز التى يتناولها الكاثوليكى من يد الكاهن .. وقت صلاة الاتحاد المقدس تتحول الى دم المسيح فى صورته اللاهوتية والناسوتية .

٦ ــ السلطة المخولة لرجال الكنيسة والكهنوت ، والقول بأنهم وسطاء بين البشر وربهم ، وأنهم يملكون حق الغفران ، وأن البابا له سلطة مقدسة ، وأنه لا يخطىء .

٧ ــ المطالبة بتصديق ما تقرره الكنيسة ، وان لم يقتنع به العقل .. الخ .

واذا كانت هناك أشياء قد نفرت هؤلاء ــ كما رأينا ــ من عقيدتهم السابقة ، فمن الطبيعى أن تكون هناك فى الاسلام أشياء شدت اليه هؤلاء ومنها ما يلى :

١ ــ عقيدة التوحيد : « لا إله الا الله » فالاسلام يقرر وحدة الخالق تبارك وتعالى ، وتنزيهه عن أى مشابهة لما عداه ومن عداه : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » . وهذه العقيدة تمتاز بالوضوح واليسر ، والبعد عن التعقيد الغامض الذى نراه فى عقائد أخرى كعقيدة التثليث ، والقرآن يقرر :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

٢ ــ تقرير الاسلام لوحدة الرسالات الالهية ، ودعوته الى الايمان بجميع رسل الله وكتبه : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » ، « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

٣ ــ كفالة حرية الاعتقاد : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » :

٤ ــ احتكام الاسلام الى العقل ، وايقاظه العقل ليتدبر ويتأمل ويحكم : « قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

٥ ــ دعوة الاسلام القوية العميقة الى العلم والازدياد منه : « وقل رب زدنى علما » .

٦ ــ ابتعاد الاسلام عن النظم الكهنوتية القائمة على الوساطة المزعومة بين الله وعباده ، فصلة المسلم بربه صلة مباشرة لا تتوقف على

وسيط : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » .

٧ ــ تأكيد الاسلام لحقوق الفرد وحقوق الجماعة ، وربط الأمة برباط الأخوة والمحبة : « انما المؤمنون اخوة » .

٨ ــ دعوة الاسلام الى السلام العادل المنصف ، وافادة كلمة « الاسلام » نفسها معنى السلام ، لأنها تفيد معنى الاستسلام للخالق جل علاه ، وهذا الاستسلام يورث الانسان خشوعا لخالقه من ناحية ، وسلاما مع عباد الله من ناحية أخرى : « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم » ، « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

٩ ــ الاسلام دعوة انسانية عالمية ، تعمق معانى الأخوة والمساواة والحرية بين البشر : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

١٠ ــ الاسلام عقيدة وعبادة ومعاملة وأخلاق : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » .

١١ ــ المواءمة بين المادة والروح ، وبين أمور الدين وأمور الدنيا ، مع التوسط والاعتدال والتوازن : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين » ، « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » .

١٢ ــ القرآن ــ وهو دستور الاسلام ظل محفوظا مصونا كما نزل من عند الله تعالى ، لم يطرأ عليه تغيير أو تحريف كما حدث لغيره : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

والعجيب أن كثيرين من هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام يقررون انهم اكتشفوا فى أنفسهم ــ بأنفسهم أنهم كانوا مسلمين قبل أن يتجهوا الى اعتناق الاسلام دينا ، وقبل أن يقرروا لأنفسهم أن يكونوا من المسلمين ، فهذه مثلا هى السيدة : « ايفلين زينب كوبولد » الانجليزية تقول :

« اننى لا أتذكر على وجه التحديد اللحظة التى انجلت فيها حقيقة الاسلام أمام ناظرى ، فيبدو أننى كنت مسلمة طوال حياتى ، دون أن أتأكد من هذه الحقيقة » .

وهذه هى السيدة « سيسليا محمودة كانولى » من استراليا تقول :

« ان سبب اعتناقى للاسلام يرجع فى الدرجة الأولى الى أننى كنت مسلمة فى قرارة نفسى ، دون أن أكون على شعور تام بهذه الحقيقة » .

ان هذه العبارات الصريحة الواضحة تذكرنا بحقيقة قررها القرآن الكريم ، وأكدتها السنة المطهرة ، وهى أن الاسلام دين الفطرة الصافية النقية التى لم يطرأ عليها فساد أو انحراف ، والله جل جلاله يقول : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله

ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة ، وانما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

وثمة ملاحظة مهمة لابد أن نتذكرها دائما ، وأن نعتبر بها ونتعظ ، تلك الملاحظة هى أن بعض هؤلاء الذين اهتدوا الى الاسلام لم يغب عنهم الفرق الواسع الشاسع بين الاسلام والمسلمين ، ولا بين روعة مبادىء الاسلام وواقع المسلمين المخجل ، فالاسلام غير المسلمين . الاسلام ثابت خالد ، والمسلمون يتغيرون ويتبدلون ، الاسلام باهر رائع ، والمسلمون اليوم لا يعطون صورة صحيحة لهذا الاسلام ، وهم يحيون حياة غير مشرفة للاسلام ، ولا يجوز فى شرعة العدل والانصاف أن نحكم على الاسلام من واقع المسلمين .

ولذلك لم يكن عجيبا ان تسمع « ليوبولد وايز » — أو محمد أسد كما تسمى بعد اهتدائه الى الاسلام — يقول : « ان واقع المسلمين اليوم لا يعكس المثل الأعلى الذى يمكن أن تحققه تعاليم الاسلام .

ان كل ما فى الاسلام من حيوية ودفع وتقدم ، قد تحول على أيدى المسلمين الى اضمحلال واهمال وجمود .

ان مافى الاسلام من حث على كرم الطبع والاستعداد ، وبذل النفس والتضحية ، قد تقلص على أيدى المسلمين المعاصرين الى ضيق فى الأفق ، والتعود على حياة كلها دعة واستكانة » .

ولم يكن عجيبا أن نجد « خديجة فيزوى » الانجليزية التى اهتدت الى الاسلام ، تحث المسلمين حثا قويا على أن يكونوا عناوين طيبة للاسلام ، وأن يكونوا قدوة كريمة أمام الناس تعبر عن الاسلام تعبيرا صادقا فى سلوكهم وأعمالهم ، فتقول فيما تقول : « اننى لا اشك لحظة واحدة فى أن الاسلام يمكن أن يكون عاملا فعالا لتحقيق الخير والسلام فى العالم ، اذا ما تحقق المسلمون من أن المبادىء الدينية لا تتعارض مع التقدم المادى ، واذا ما بدأوا فى بناء صرح حضارة قيمة قائمة على تراث ماضيهم المجيد ، بدلا من نقلهم للحضارة المادية الغربية ، بما فيها من معايير أخلاقية منحلة » .

ثم تضيف قولها : « ان كل ما أرجوه أن يضرب المسلمون الذين يزورون بلادنا المثل الطيب ، حتى يثيروا فى نفوس الانجليز اهتماما وشغفا بالاسلام » ! .

ليت المسلمين يسمعون ..

وليتهم اذ يسمعون يستجيبون ..

أما بعد ، فاذا كان القدماء قد قالوا : « الفضل ما شهدت به الأعداء » ، فان هذا الكتاب يرينا للاسلام فضلا أعظم وأكبر ، لأنه فضل جعل الأعداء من صميم الأولياء ، ولذلك أحرص على التنويه بهذا الكتاب ، ولفت الأنظار والأفكار اليه فى عالم الاسلام .

وأرى أنه من واجب المسلمين نحو هذا الكتاب — وأمثاله من كتب التعريف بالاسلام ، والحديث عن جماله وجلاله وحقه وصدقه — أن تتنافس دول الاسلام الغنية القادرة فى نشرها وتعميمها بمختلف اللغات ، وأخص بالذكر هنا دولا اسلامية آتاها الله واسع نعمته ، وعندها

الاقتدار والاستعداد لخدمة الاسلام ، أذكر ليبيا والكويت . والسعودية وقطر وأبو ظبى ..

ان نشر هذا الكتاب وأمثاله بلغة القرآن وغيرها من اللغات ، يعد جزءا مهما من الدعوة الى سبيل الله تبارك وتعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، واذا كان هذا الكتاب قد طبع مرتين باللغة الانجليزية ، وطبع منه ٣٥ ألف نسخة فى الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ م ، وطبع منه خمسون ألف نسخة فى الطبعة الثانية ١٩٦٧ م ، فانه ينبغى أن تطبع منه مئات الآلاف من النسخ باللغة العربية ، وأن يترجم كذلك الى اللغات الشرقية : الافريقية والآسيوية ، ويطبع منه مئات الآلاف كذلك بهذه اللغات ليقرأ المسلمون بشتى لغاتهم هذا الكتاب ، ويزدادوا ايمانا وثقة بدينهم وعقيدتهم ، وأن يعاد طبعه باللغة الانجليزية وباللغة الفرنسية وباللغة الألمانية وغيرها ، بعد ترجمته الى تلك اللغات ، لكى يقرأه غير المسلمين بلغاتهم ، فيثير فى نفوسهم الشوق الى مطالعة المزيد عن تعاليم الاسلام ومبادئه ، فيكون ذلك بابا الى استضاءتهم بنور الله الذى أشرقت له السموات والأرض ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

وينبغى كذلك أن يتفرغ بعض المسلمين فى الشرق والغرب ليواصلوا تتبع الظروف والأحوال التى اعتنق فيها الاسلام أناس لم يكونوا مسلمين من قبل ، فلقد أعلم أن هناك كثيرين أسلموا وكتبوا عن الدوافع التى دفعتهم الى الايمان بالاسلام ، وأن هناك كثيرين قد أسلموا ، ولم يكتبوا عن هذه الدوافع ، ويستطيعون أن يكتبوا اذا سئلوا ذلك .

ولا شك فى أنه من صميم التعريف بالاسلام والدعوة اليه ، أن نضع أمام العالمين التفاصيل المتعلقة بهذه الدوافع ، ليزداد المسلمون اعتزازا باسلامهم ، ولينجذب غير المسلمين الى ضوء الاسلام والايمان .

انى أؤكد أنى كنت سعيدا حين طالعت هذا الكتاب ، فقد جعلنى أصحب طائفة من اخوتى فى الانسانية وفى الاسلام ، وأشهدهم وهم يتحدثون عن خطواتهم التى خطوها ، حين أراد الله تبارك وتعالى لهم أن يتجهوا — بفضله وتوفيقه — من ظلمات الحيرة والضلال فى متاهات الاعتقاد الى نور الاسلام .

وسأكون أكثر سعادة وغبطة حين أشهد هذا الكتاب وهو يسعى الى الملايين من بنى الانسان ، ليحدثهم بشتى اللغات عن دين الاسلام .

ان موضوع هذا الكتاب وأمثاله ليس لفرد دون فرد ، ولا لطائفة دون طائفة ، ولا لجنس دون جنس ، انه موضوع الناس جميعا ، لأنه موضوع الهداية الربانية التى نريدها ونتمناها للناس جميعا ، وموضوع الرحمة الالهية التى يضعها بديع السموات والارض بين أيدى الناس جميعا ، والله جل جلاله هو القائل لرسوله :

(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) .

رسالة
من
لندن

ماذا يجري هنالك ؟

شبهات ساذجة !

للدكتور : محمد ابراهيم الجيوشى
المركز الاسلامى ـ لندن

تلقيت رسالة من طالب عربى يدرس بأحد الأقسام العالية فى جامعات انجلترا . أرى من الخير أن أضعها بنصها بين يدى القراء ليعلم العرب والمسلمون أى شر يراد بهم وبدينهم ، وليكونوا على يقظة دائمة لما يتعرض له دينهم من الكيد والهجوم الظالم حتى فى دور المفروض فيها أنها معدة للبحث العلمى الخالص الذى لا صلة له من قريب أو بعيد بأمور الدين والعقيدة يقول الشاب العربى ـ المسلم ـ بعد الاحتفاظ باسمه ومكان دراسته خشية أن يسبب له ذلك ضررا فى عمله الدراسى ـ **أنا طالب عربى من ... أقطن الآن فى مدينة ((....)) التى تبعد ... من لندن وادرس المستوى العالى فى علم الأحياء والفيزياء والكيمياء .**

١ ـ لقد كنت فى بلدى اداوم على قراءة الصحف والمجلات الدينية .. كالوعى الاسلامى ((والتربية الاسلامية)) ولكن منذ مجيئى الى هنا لم أتمكن من الحصول على احداها مما جعلنى أشعر بفراغ هائل فان كنتم تتسلمون اى مجلات او صحف دينية فأنا مستعد أن أدفع الرسوم المستحقة لأحصل عليها .

٢ ـ تعطى لنا كل أسبوع .. حصتان فى دراسة الأديان وفى

احدى الحصص تكلم المدرس وهــو قسيس عن الاسلام فذكر فوائد الزكاة والحج والصــوم ، ولكنه قال ان سيدنا محمد صلى الله عليه وســلم قد قرأ الانجيل ونقل منه الى القرآن وذكر ايضا أن كثيرا من الناس بداوا يدخلون الاسلام لأن الشيوعية تزود الدعاية الاســلامية بالمال لإخمــاد المسيحية التى تقترن بعدو الشيوعية الا وهو الغرب فاخبرته ان محمدا كان اميا فكيف استطاع قراءة الانجيل ، اما الشيوعية فانها تكن للاسلام عداء اشــد من عدائها للمسيحية فكيف لها ان تعينه ؟.

ارجو منك يا سيدى ان ترسل لى جوابين على هذين الافترائين ، لأقحم بهما منطق هذا القسيس الواهن .

. . . . . .

وهذه صورة الرد .

الأخ العــربى المسلم الشــاب . حفظك الله ورعاك ، وسدد خطاك ، وعصمك من الزلل ووقاك شر الفتنة وحصــنك باليقين ، وشرح للحــق صدرك ، وكان معك فىغربتك يهديك ويحميــك ، ويأخــذ بيدك للفــوز والتوفيق .

أخى قرأت رسالتك والدهشة تعقد لسانى ، والمرارة تعتصر قلبى ، لأنى كنت أحسب أن هــذه النماذج التى تفترى على الحقيقة ، وتجترىء على الباطل ، قد انطوت بانطواء العصور الماضــية ، ولم يعد لها وجــود فى عصرنا هذا الذى يقولون عنه . ان العقل الانسانى قد تحرر من قيــود الجمود ، ولم تعد تؤثر فيه افتراءات المفترين ولا أضاليل المضللين ، ولكن رسالتك أعطت الدليل القاطع على أن هؤلاء الناس لا يكفون عن عداوتهــم للاسلام ، ولا يتركون فرصة تمر الا انتهزوها للنيل منه والأفتراء عليــه بغير دليل ، ولا حجة .

ولســت أدرى لم ســولت لهذا القسيس نفسه أن يذيع هذه الاباطيل على الشباب فى دار من دور العــلم والبحث يؤمها الطلاب من كل انحــاء الأرض ، وكان الأولى بالقائمين عليها أن يقدموا لروادها الحقيقة ناصــعة خالية من كل شائبة ، أمانة للعــلم ذاته ، وقياما بحق البحث العــلمى الحر النزيه ، واذا كان هذا الجــانب الذى تعرض له القسيس قد تبين فيه مقدار تجنيه على الحقيقة وبعده عن الواقع لنا فقط ولا يعرف الشــباب من غير المسلمين الــذين يحاضرهم هذا القسيس أين تكون الحقيقة فإنا ندرك مدى الخيــانة العلميــة التى تقترف فى ساحات العلم ودوره وكم لها من نظائر واشباه ، ولولا أن فى ساحة الدرس من يحيا الاسلام فى قلبه وعقله وضميره لما تهيأ لنا أن نقف على هذه الفعلة الشنعاء التى ارتكبها القسيس المحاضر ، وكان الاولى به وقد تصدر لأسمى رسالة ، وأقدس أمانة ، أن يعرف أو يقدر انه ربمــا يكون فى ساحة الدرس من يعــرف جوهر الاسلام ، يحيا فى وجدانه ، ويستمد من سموه مبدأ فى الخلق ، ومنهجا فى السلوك ، وأسلوبا فى الحياة يمضى على هــداه فى الأرض ستمائة مليون مســـلم الآن ينضم اليهم اخــوان جــدد مع كل مشرق شمس ، لأنهم لمســوا سمو مبادىء الاسلام ، ونقاء جوهره ، واقتنــاع منطقه ، فى وقت سعت فيه الانسانية الى البحث عن الحقيقــة ، وتطلعت الى عقيــدة تلبى اشــواق الروح أو ترضى فى اعتــدال مشروع مطــالب الجسد ، من غير افراط ولا تفريط ، حتى اهتدوا الى ما فى الاسلام من تحقيــق للسلام والطمأنينــة للنفس الانسانية .

ومع ذلك يأتى هـذا وأمثـاله ، فيلقون بهذه الاتهامات جزافا ، ومن غير اكتراث ، لأن الحقد قد أعماهم عن ادراك الحقيقة ، وباعد بينهـم وبين الصواب .

هذه نفثة صدر يلقيها مسلم لمسلم وتعبير عـن ألم ينهش القـلب لهذا المسلك المعوج ، الذى يلجأ اليه هذا وأمثاله . ولنقف معا أمام القضـايا التى أثارها لنناقشـها فى منطق وهدوء ونرى مـدى ما بينهـا وبين الحـق والواقع من بعد ، ومدى ما تقـوم عليه من مغالطات .

١) يزعم أن الرسول صلوات الله عليه قد قرأ بعض الانجيل ونقل منه الى القرآن .

هذه دعواه ، وقد ألقاهـا كأنها حقيقة ثابتة مسلمة لأن ملقيها يلقنها شـبابا أتوا للدراسـة فى المستوى العـالى . وهى كـأى قضـية من القضايا التى تعرض فى ساحـات الدرس ــ ان كان للحـرية الفكرية مجال كما نتصور ــ تحتاج الى الأدلة التى تثبتها والمصـادر التى استقيت منها هذه الأدلة ، ثم توضع هـذه الأدلـة ومصادرهـا تحت البحث لتناقش وتمحص ، ثم يعرض بعـد ذلك مقدار ما اشتملت عليه من صدق أو ما انطوت عليـه من زيف ، فهل فعل شيئا من ذلك أو بعضا منه هذا المحاضر ؟ هل كلف نفسه ــ كما تدعو اليه أمانة البحث العلمى ــ أن يناقش ذلك أو يعرضه على حقائق التاريخ ووقائعه ؟

يقينى أنه لم يفعل شيئا من ذلك ، ولم يعد الى هذه الأحكام ليناقشـها ويمتحن صلابتها ، لأنه لو فعل لمـا وقع فى هذا الخطأ الفاحش ، وارتكب تلك الحماقة الكبرى ويقينى أيضا أنه ألقى نظرة عجلى على بعض الكتب الحاقدة التى كتبها زملاء له من قبل ، ينتهجون نفس المنهج ، فعلق بنفسه منها ما وافق هواه المحموم ، وارضى تعصبه الأعمى ، فأخذ هذه المجالات وأضفى عليها الوانا قاتمة من تفكيره الضيق ، وذهنه المريض . وحقـده الأسود ، والقى بها فى ساحـات الدرس كأنها قضايا مقررة لا مجال فيها لأخذ أو رد . أما أمانة العلم ، أما قدسية الحقيقة ، أما مسئوليـة الضمير ، فليس لكل ذلك اعتبار فى تقدير القسيس المحترم .

لم يقل لنا متى قرأ النبى الانجيل ؟ وبأى لغة كان يقرأ ؟ ومن الذى علمه القـراءة ؟ كل ذلك لم يكن من هـم الباحث ان يلقى اليـه بالا ، لأنه لا يعنيه ، ولا يهتم به ، ولا يحاول أن يجشم نفسه عناء البحث من ورائه ، حسبه أن يصدر الحكم الذى لا نقض فيه ولا ابرام ، مـا دام ذلك يوافق هواه . ويرضى تعصبه الجامح .

الم يعلم ذلك الـذى تسنم مقـام الأستاذية لصفوة من شباب العالم أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ؟ وأن القرآن الكريم الذى يزعم انه نقل من الانجيل يقول الله فيه : ((**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينـك اذا لارتاب المبطلون ، بل هو آيـات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ، وما يجحد بآياتنا الا الظالمون**)) .

ولو كان للعقل سلطان عند ذلك القسيس الباحث لأدرك أن محمـدا صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هـذا القرآن على هـؤلاء الذين يعرفون دقائق حياته من يوم أن ولد ، الى أن لحق بالرفيـق الأعلى ، وأن سادتهم وكبراءهـم ناصـبوه العداء وانهـم يدركون جيدا أنه لم يعرف القـراءة ولا الكتابة من قبل ، والا لكان يسيرا عليهم ان يردوا عليه ، ولكنهم لـم

يفعلوا ، لأن أمية محمد صلى الله عليه وسلم حقيقة لا يدنو اليها الشك ولا ينازع فيها منازع ، والا لكان المجال مهيأ لمعارضيه من أهل مكة أن يردوا عليه دعواه . ان كان هناك الى رد من سبيل .

ويشير القرآن الكريم الى أمية النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر من موضوع فيقول مثلا فى سورة الأعراف : ((**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث . ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ، قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**)) .

تلك هى أمية النبى تعرض لها القرآن الكريم فى أكثر من موضع وهو يتلى على قوم يعرفون كل ما دقّ وجلّ من حياة هذا النبى الكريم ، ولو كان فى مقدورهم أن يردوا هذه الدعوة لردوها ولكنهم لم يفعلوا .

أما ما أشار اليه المحاضر من نقل الرسول عن الانجيل الى القرآن ، فهناك سؤال بديهى ، كنت أود لو وجهه الى نفسه قبل أن يلقى بهذه القاصمة ، ترى ما هى مواضع ذلك النقل الذى أشار اليه ؟ وهل قرأ القرآن الكريم وقارن بينه وبين الانجيل ليحدد تلك النقاط ويبين مدى الصلة بين الأصل المأخوذ عنه — فى زعمه — وبين القرآن الكريم ؟ .

يقينى أنه لم يفعل ، ولو فعل لأحجم أن يقدم على هذه الجرأة العجيبة ، لأنه لو قدر له أن يقرأ القرآن الكريم ، لأدرك مدى ما فيه من احاطة وشمول وعمق ، ومدى ما يحويه من عظمة التشريع ودلائل الهداية ، ولأحجم عن القاء باطله الذى ألقاه لا تسليما واقتناعا ، لأن أمثاله ليسوا أهلا للانقياد الى الحق والتسليم به ، ولكن خوفا من أن يكون بين صفوف المستمعين من هيىء له أن يقرأ ويفهم ، ويستوعب فيكشف عواره ، ويبين عن مغالطاته ، ويتصدى للرد عليه ، وتفنيد مفترياته وهو ما يخشاه اشد الخشية ، ولست أدرى اذا كان الباحث يعلم أن الانجيل ليس فيه الا وصايا وأخلاق ، أما القرآن فهو شامل لكل مناحى الحياة ، ملب لحاجات البشر جميعا فى الأخلاق والسلوك والمعاملات والتشريعات ، ونظم الحياة وأساليبها لعله لم يعرف ذلك ، ولعله ان قرأ يستفيد من القرآن مادة تنفعه فى منهج الحياة والحرص على الحقيقة .

ولست بحاجة الى أن أبين أن هناك من الأمور التى اتفقت عليها الأديان السماوية ما يعطى اتفاقا أو شبه اتفاق فى التعرض لها والحديث عنها ، ولكن لا يعنى ذلك أن بعضها نقل عن البعض أو أخذ عنه فلا نقول إن الانجيل قد اخذ عن التوراة مثلا بل سبب ذلك أن المصدر واحد وهو الوحى الالهى .

٢) تلك واحدة ، أما الثانية فهى دعواه أن الشيوعية تزود الداعية الاسلامى بالمال لاخماد المسيحية التى تقترن بعدو الشيوعية الا وهو الغرب .

صدقونى أننى ما كنت أتصور أن تفاهة هذا التفكير وسخف التصور واهتزاز النظرة تبلغ بالفرد العادى الى هذا الحد الذى يغثى النفس ويصيبها « بالقرف » حينما تسمع منه

هذا الكلام ، فما بالك برجل يحمل شعار الدين أولا ويتصدى للأستاذية فى مجالاتها العليا ثانيا ؟. لا شك أن شخصا يصدر منه هذا الهراء جاهل كل الجهل بتاريخ الأديان ، غير مدرك لأبعاد المعركة الضارية التى تدور رحاها بين الأديان والالحاد .

هلا قال لنا المحاضر . كيف انتشر الاسلام فى أفريقيا ؟ ومتى ساد بلاد آسيا ؟ وكيف جذب اليه القبائل والشعوب هناك ؟ وهل قرأ ما كتبه سادته المبشرون منذ بدأت حركة التبشير والاستشراق حتى الآن ؟ وكيف صوروا اكتساح الاسلام لهذه الشعوب فى آسيا وأفريقيا ، واقبال الناس على اعتناقه بدون حملات تبشير ولا بعثات ارساليات دينية تغرى بالمال والجمال !! وترهب بالمدفع والسلاح ، وتضحك على البسطاء بالعلاج والدواء . .

هلا قرأ صراخ أسلافه المبشرين واصغى الى عويلهم ، وهم يسجلون بمداد الحسرة والأسى كيف يقبل الناس على اعتناق الاسلام فى أفريقيا على يد تاجر ضرب فى مناكب الارض سعيا عن الرزق ، سلاحه الأمانة والصدق والوفاء ، نزل بقرية أو حل فى قبيلة ، يبيع ويشترى ، فأدهشتهم أمانته ، وأسرهم صدق حديثه ، وأنسوا الى خلقه ، ولمسوا فيه الناصح الأمين ، والمحب للناس جميعا ، وأن كل هذه الفضائل اكتسبها من دينه السهل السمح العميق ، الذى يدعو الى المساواة بين البشر جميعا ، لا يفرقهم لون ولا جنس ولا لغة ، لأنهم كلهم لآدم وآدم من تراب ، وأن مجال السبق والوجاهة عند الله والناس هو العمل النافع ، والاستعداد الطيب النبيل ، كما قال نبى الاسلام « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، وأن الله لا ينظر الى صوركم وأجسامكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » . وأن القرآن الكريم دستور الحياة ومنهجها يقول مؤكدا هذه الحقيقة **« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم »** .

بهذه السماحة فى التشريع ، والسمو فى النظرة الى بنى الانسان ، وعدم اهدار القيمة الانسانية فيهم ، على اختلاف الوانهم واجناسهم ، وعقائدهم ولغاتهم ، والبساطة والسهولة والاقناع التى تمتاز بها العقيدة الاسلامية ، بكل تلك الوسائل والميزات تهيأ للاسلام أن ينتشر فى ربوع آسيا وأفريقيا وكل بقاع الأرض على أيدى تجار يضربون فى الأرض ، لتحصيل الرزق ، أو دعاة من العباد سلاحهم الايمان ، وارادة الخير للناس جميعا ، مما دفع الناس الى اعتناق دينهم اقتناعا بتعاليمه ، وايمانا بمبادئه ، واقتداء بأخلاقه ، ولم يكن هؤلاء الدعاة الى الاسلام — من العباد والتجار — يحملون فى أيديهم ، ولا من خلفهم سلاحا أو مالا ولا تتبعهم أو تمهد لهم جيوش جرارة ودعايات محبوكة .

لست أدرى اذا كان القسيس يعلم أو حاول أن يعلم أن الاسلام حقق هذا الانتصار من قبل أن توجد الشيوعية بمئات السنين ، أغلب ظنى أنه لا يعنيه أن يعلم ذلك ، لأن الحقيقة لا تعنيه فى قليل أو كثير ، وانما الذى يشغل اهتمامه أن يقول على الاسلام كذبا وزورا ما تسول له نفسه .

هل يعلم القسيس المحاضر أن الشيوعية قامت فى أكتوبر سنة ١٩١٧م ، وأن الاسلام كانت له السيادة فى العالم قبل ذلك بقرون

عــديدة ؟ هــل يعلم أن الشيوعية خاضت ولا زالت تخــوض حــروبا مريرة ضد الاسلام والمسلمين فى كل مكان وأن هــذه الحــروب امتــداد للصراع بين قياصرة روسيا من قبلهم وبين المســلمين فى هــذا الجزء من العــالم ؟.

هل يعلم المحاضر أن الجمهوريات السوفيتية تضم عددا من الجمهوريات التى كان حكامها وســكانها مسلمين من قبل ، وأنهم واجهوا من الضغط عليهم مثلما كانوا يواجهون من قبل فى عهد القياصرة ؟

ليت المحــاضر يكلف نفســه عناء البحث والدرس ، ليعرف الحقيقة ان كان يبغى يوما أن يعرف الحقيقة ؟.

هل يعلم القسيس المحــاضر أن الاسلام يحقــق للانســانية نظــاما اجتماعيا كاملا كفيلا بتحقيق العدالة والحرب والمساواة لشعوب الأرض جميعا ، لو أنهم أرادوا حقا أن تسود هذه القيم الانسانية العــالية ، وأن سيادة مثل هذا النظام واستقراره لا يسمح لأى نظــام آخر أن يتخذ من العدالة والمساواة والحرية أهــدافا يتغنى بها ، ولهذا تخشاه كل الأنظمة وتحاربه ســواء كانت شــيوعية أم استعمارية محتكرة .

أخى الشاب العربى المسلم هذه خواطــر تجد فى طيــاتها اجــابات لسؤاليك ، ولكنى أود فى ختام هذا الحديث أن أوجه نداء الى القائمين على أمر هذه المعاهد والدراسات أن يحترموا عقول الشباب الذى جاءهم راغبــا فى التزود من المعرفة ، وأن يختــاروا الرجــل المناسب للمكان المناسب ، واذا كان لا بد من دراسة الأديان فى قسم يتخصص دارســوه فى « علم الأحياء والفيزياء والكيمياء » فلتسند هذه الدراسات الى ايد أمينة خالية من التعصب بعيدة عن الهوى واننى اخشى ان أقول إن هنــــاك سياسة مرسومة للنيل من الاسلام . وزرع الكراهيــة والخــوف منه فى نفوس الأجيال ، وعند ذلك ينبغى أن يكون لنا نحن المسلمين موقف آخــر نعرف منه أعداءنا من أصدقائنا .

ولعل واضعى المناهج العلمية فى بلادنا الاســلامية والمسئولين عــن البعثــات يأخــذون من هذا عظــة وعبرة ، ويرون بأعينهم ، أن الغرب رغم دعواه العريضــة ــ أن ليس للدين عليه سلطان ــ يعطى قســطا من الدراسات الدينية للطلاب فى كل المستويات والمجــالات حتى ما يظن منها أن ليس له صلة بالدين .

ليت شعرى هــل يدرك قومنــا الحقيقة أو يظلون رغم هــذه النذر غافلين .

القصة ومفهومها في القرآن

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

القصص القـــرآنى كله عرض لأحداث تاريخية مضى الزمن بها .. فهو — والامر كذلـك — وثيقـــة تاريخية ، من أوثق وأصدق ما بين يدى التاريخ من وثائق ، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث ، وما يتصـــل بالاشـــخاص والاحداث من أمكنة وازمنة ..

ونحن فى دراستنا هنا للقصـة القرآنية ، لا نقف كثيرا عند هـذه الحقيقة — حقيقة واقعية القصص القرآنى ، من حيث أنها ذات قيمة كبيرة فى الدراسات التاريخية ، وفى تصحيح كثير من مرويات التاريخ ، وانما الذى يعنينا من واقعية القصص القرآنى أولا وبالذات ، ذلك الاثر الذى لتلك الواقعية فى الجو الفنى للقصة .. بمعنى أن القصة الادبية فى القديم وفى الحديث ، لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها ، حتى ولو أتيح لها الظفر بها ، وانما هى تعتمد فى كثير أو قليل على عنصر الخيال ، الذى من شـــأنه أن يلون الاحداث بغير ألوانها ، وأن يبدل ويغير من صورها وأشكالها ، وذلك لكى تبدو الاحداث مختلفة فى وجوهها عما ألف الناس أن يروها عليه ، مما يضفى عليها شيئا من الجدة والطرافة ، مما يبعث على الاثارة والتشويق ، الامر الذى ان خلت منه القصة لم تقع من القلوب موقع القبول والرضا .

ونسأل : هل اذا اعتمدت القصة اعتمادا كليا على الحقيقة المطلقة — كما هو الشأن فى القصص القرآنى — يمكن أن تكون قصـــة بالمعنى المفهوم ؟ وهل يعتبر عرض الحقائق كما وقعت ، عملا فنيا ، وقد خلا من كل اضافة يضيفها اليه ناقل تلك الحقائق من تصوراته ، ومدركاته ، ومشاعره ، وخيالاته ؟ .. وأخيرا

هل يمكن أن تكون القصة المنسوجة من خيـــوط الواقع قادرة على أن تشوق وتثير ؟ ثم هل هى قادرة بعد هذا على أن تمس المشاعر ، وتلمس الوجدان ، وتقود الى ما وراءها من منازع وغايات .. ؟

هذه الاسئلة وما اليها ليس هنا جوابها ، حيث أن للاجابة عليهـــا مكانا خاصا فى هذا البحث .. ولكن الذى نريد أن نقـــرره الآن ، هو أن القصة القرآنية قد بنيت بناء محكما من لبنات الحقيقة المطلقة ، التى لا يطوف بحماها طائف من خيال ، ولا يطرقها طارق من وهم ، ثم هى — مع هذا — أكثر من قصة .. حيث سمى القرآن كل قصة منه قصصا . كما يقول سبحانه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » وكما يقـــول جل شـــأنه : « ان هـــذا لهو القصص الحق » .. فكل قصة هى قصص ، لما فى كل مشهد منها من غنى عريض من المعانى التى لا تنفد أبدا ..

وهكذا أطلق القرآن الكريم لفظ القصص على ما حدث به من أخبار الماضـــين فى مجال الرســـالات السماوية ، التى حملها رسل الله الى أقوامهم ، وما كان يقع فى محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال ، وبين مواكب النور وجحافل الظـــلام .. فقصة كل نبى تشكل قصصا ، متجدد العطاء : « يؤتى أكله كل حين باذن ربه » ..

الشخصية والحادثة :

ويقوم العمل القصصى على أحد محورين : اما الشـــخصية ، واما الحدث .. بمعنى أن تكون الشخصية الانسانية هى الفلك الذى يدور حوله الحدث ، أو أن يكون الحدث هو المركز الذى تدور حوله الشخصية .. وقد يتوازن فى العمل القصصى كل من الشخصية والحدث ، فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجـــمع ، مرة ، بعد مرة ..

ويلاحظ فى القصص التاريخى غلبة الشـــخصية على الحدث ، فيـــكون الشخص هو محـــور الحركـــة فى القصـــة ، وهو متعلق الاحداث الجارية فيها .. ويصدق هذا أيضـــا على القصص المتخـــيل .. اذ كان الناس دائما يحبون أن يروا أنفسهم فى غيرهم ، وأن يشهدوا الانسان ، وكيف يتعامل مع الحيـــاة ، وكيف يواجه الاحداث التى يواجهونها ، أو التى يمكن أن يواجهوها .. ذلك أن الناس لا يعنيهم الحدث من حيث هو ، وانما يعنيهم اذا كان مما يقع فى حياتهم ، ويتصل بوجودهم ، وهذا لا يكون الا اذا تعلق بانســـان ، أو تعلق به انسان .. !

ومن هنا كان أبطـــال الحدث التاريخى أو الخيـــالى فى العمـــل القصصى — أشخاصا لا أحداثا .. وقل أن يكون بطل القصة فى هذا العمل ظاهرة من ظاهرات الطبيعة ، أو كائنا من الكائنات غير الانسان .. فان كان شىء من هذا كان منظورا اليه دائما من خلال الانسان ، مؤثرا أو متأثرا بهذه الظاهرة أو هذا الكائن ، حتى القصص الحيـــــوانى ، هو حيوانات تنطق بلسان انسان ، أو انسان يلبس مسلاخ حيوان .. !

ماذا فى القصص القرآنى .. ؟

أما فى القصص القرآنى ، فاننا نرى تدبيرا عجيبا معجزا ، فى توزيع المشاهد القصصية توزيعا محكـــما متوازنا بين الشخصية والحدث ..

فلا نجد فى القصص القرآنى موقفا من المواقف تستأثر به الشخصية وحدها ، أو الحدث وحده .. وانما تلتقى الشخصية مع الحدث ، أو الحدث مع الشخصية ، فيتخلق من اجتماعهما مضمون ، هو الذى يكون بطل الموقف ، فتصبح شخصيته أبرز شخوص القصة ، ويبدو صوته أندى الاصوات فيها ، وأقواها سلطانا على المشاهدين ، أو المستمعين ..

فالاشخاص فى القصص القرآنى — أيا كانوا — ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد ابراز حياتهم ، وكشف أعمالهم ، والتمجيد أو التنديد لسيرتهم ، وانما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات ، كنماذج بشرية فى مجال الحياة الخيرة أو الشريرة ، وفى صراعها مع الخير والشر ، وفى تجاوبها أو تعاندها مع الاخيار والاشرار ..

ان الشخصية فى القصة القرآنية ، انما ينظر اليها بهذا الاعتبار الذى تؤدى فيه دورها كشاهد من شواهد الانسانية ، فى قوتها وضعفها ، وفى استقامتها وانحرافها ، وفى هداها وضلالها ، وفى رشدها وغيها ، وفى حكمتها وسفاهتها .. الى غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الانسانية ، وتتشعب فيه مذاهب سعيها ومسلكها فى وجوه الحياة ..

وكذلك الشأن فى الاحداث التى يعرضها القرآن الكريم فى قصصه .. انها ليست الا محاك اختبار تظهر بها معادن الرجال ، وتختبر بها مواطن القوة والضعف فيهم ، وتنكشف بها منازع الاحسان والسوء منهم .

ومن أجل هذا ، كان الذى نشهده فى القصص القرآنى من عرض الشخصية الواحدة فى معارض كثيرة وفى مواضع متعددة من القرآن ، حيث تستدعيها الاحداث والمواقف .. وهذا هو بعض السر فيما نشهده فى قصص القرآن الكريم من توزيع بعض الشخصيات ، وعرضها فى مواقف متعددة ، وفى أزمنة متباعدة حسب نزول القرآن بها حالا بعد حال ، ومشهدا بعد مشهد .. ولو أن الشخصية كانت مقصودة قصدا أصليا لذاتها ، لذكرت أحداثها ومواقفها فى معرض واحد ، حتى تظهر مرة واحدة بكل شخصياتها وسماتها ..

فكنا نجد قصة موسى — مثلا — فى سورة واحدة ، كسورة البقرة ، أو سورة الاعراف ، أو سورة القصص ، بدلا مما هى عليه فى القرآن الكريم ، وقد ذكرت فيه فى نحو مائة وعشرين موضعا .. وكذلك الشأن فى قصة ابراهيم وهود ، وصالح ، وموسى ، وعيسى ، ونوح ، وآدم ، وغيرهم .. فنحن نرى فى القرآن الكريم مشهدا من مشاهد الشخصية ، مع حدث من الاحداث ، تواجهه ، وتتفاعل معه ، وتمضى به الى غايتها فى موقفها منه ، أو موقفه منها ، ثم ينتهى المشهد ، ويطوى الموقف ، حتى اذا مضى زمن — طال أو قصر — طالعنا وجه الشخصية من جديد ، مع حدث آخر ، يأخذ دوره معها ، ثم يمضى .. ثم يجىء غيره .. وهكذا ..

وعلى هذا فان التكرار الذى يقال عنه فى القصص القرآنى ، ليس تكرارا لحدث ، ولا اعادة للواقعة بصورتها التى عرضت بها أولا ، بل

ان أكثر القصص القرآنى تتكرر فيه الشخصية ، ولا يتكرر فيه الحدث ، وانما الذى دعا الى هذا القول الذى يقال بأن فى القرآن الكريم تكرارا واضحا فى قصصه ، هو ظهور الشخصية فى مواقف متعددة ، فوقع من ذلك للنظرة المجردة من التعمق والتبصر ، أن ذلك من التكرار ، بل والتكرار المعيب الذى لا تدعو اليه داعية من حال ، أو مقام .. حتى لقد فتح ذلك لذوى النيات السيئة ، وأصحاب العقول المريضة — مجالا للاتهام ، والتطاول على مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والطعن فى نبوته ، وأن هذا التكرار الذى فى القرآن — وفى القصص القرآنى كذلك — انما هو نتيجة لاحوال كانت تعترى النبى ، من صرع ، وجنون — كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا — حتى لينسى ما كان قد قاله من قبل ، فيعيد قوله من جديد ، بصورة أو بأخرى ، مقاربة أو مباعدة ، لما كان قد ذكره منذ زمن قريب أو بعيد .. !

هذا بعض ما يقوله المتقولون على كتاب الله ، وعلى رسول الله فى ظاهرة التكرار التى وردت فى كثير من معارض القرآن الكريم ، سواء أكان ذلك فى مشاهد القصص القرآنى ، أم فى غيره ، كما فى سورة (الرحمن) ، وقد تكرر فيها قوله تعالى : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » احدى وثلاثين مرة خلال آياتها التى بلغت ثمانيا وسبعين آية .. وكما فى سورة (القمر) التى تكرر فيها قوله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » أربع مرات، وتكرر فيها قوله تعالى : « فكيف كان عذابى ونذر » أربع مرات أيضا .. وكما فى سورة (المرسلات) وقد تكرر فيها قوله تعالى : « ويل يومئذ للمكذبين » عشر مرات .

ولا نعرض هنا للرد على هذه المزاعم الفاسدة التى يرددها الذين يكيدون للاسلام ، ويتلقاها عنهم أدعياء العلم ، ممن ينتسبون الى الاسلام ، ويلبسون ثوب المجددين والمجتهدين فيه .. فالرد على تلك المزاعم له موضعه من هذا البحث ان شاء الله .. وذلك بعد أن نستكمل بحثنا عن مفهوم القصة فى القرآن الكريم .

ونعود فنقول : ان الشخصية فى القصص القرآنى ليست مقصودة لذاتها ، ولا كان ذكر الاشخاص فى هذا القصص منظورا اليه نظرة القصص التاريخى الى شخصياته ، وعرضها فى معارض البطولة فى أى مجال من مجالاتها .. وانما الذى كان المقصد الاول للقرآن الكريم من قصصه ، هو الحدث .. لأنه مناط العبرة والعظة ، فيما يكون من موقف الناس منه ، وتلقيهم له ، من بين محسن ومسىء ، ومقبل ومعرض ، ومستقيم ومنحرف .. ومن خلال هذه المواقف التى يقفها المحسنون أو المسيئون من الحدث أو الاحداث ، تنكشف وجوه العبرة والعظة منها .. وهذا ما جاء القصص القرآنى كله من أجله .. كما يقول تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » وقوله جل شأنه : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون »

والذى يتتبع القصص القرآنى يجد احداثه كلها تدور حول الدعوة الى الله ، والى تحرير العقيدة ،

وتصفيتها من العبودية لغير الله ، وتوجيهها الى عبادة الاله الواحد ، الخالق ، رب العالمين ، والاستقامة على صراطه المستقيم .. ولهذا كانت دعوات الانبياء — لا الابنياء — هى الوجه البارز فى القصص القرآنى ،

وانه لو كانت شخصية النبى هى مناط القصة ، ودافعها الاصلى ، لجاءت قصة كل نبى ، فى موضع واحد من القرآن الكريم ، فى سورة أو بعض سورة ، ولما كان هناك ثمة داعية لتقطيع حياة تلك الشخصية الى هذه الاجزاء الموزعة فى مواضع متباعدة من القرآن الكريم .. ولكن اذا اعتبرنا الحادثة ، لا الشخصية ، هى محور القصة ، لم نجد هذا التمزق فى وحدة الشخصية ، بل نجد كل حادثة، أو موقفا يمثل قصة كاملة ، وان كان هذا لا يمنع من أن نلتقى بالشخصية الواحدة مع أكثر من حدث ، وفى أكثر من موقف ، مع تباعد الزمان والمكان ، كما أن هذا لا يمنع من أن تقترن الاحداث المتماثلة ، فى مساق واحد ، وفى عرض متصل ، فى سورة أو بعض سورة ، لشخصيات متعددة ، متباعدة الزمان ، والمكان ..

ففى أكثر من سورة من سور القرآن الكريم نجد عرضا متصلا لدعوة عدد من الانبياء ، حيث تتماثل الاحداث ، وتتشاكل الوقائع ، وفى هذا الجمع بين الاحداث المتماثلة والوقائع المتشاكلة ، ما يعطى دلالة واضحة لهذا الصراع الدائم بين الخير والشر ، وما يكشف عن هذا العناد والكنود فى الطبيعة البشرية .. وأن الانسان هو هو الانسان ، فى كل زمان ومكان ..

والمثل الواضح فى هذا ما نجده فى سور : الاعراف ، ويونس ، وهود ، والشعراء ، والنمل ، والقصص .. فقد جمعت كل سورة من هذه السور مواقف لكثير من الانبياء مع أقوامهم ، اذ يدعونهم الى الله تعالى فى لين ورفق ، وفى رحمة ومودة ، ثم لا يجدون لدعواتهم تلك آذانا سامعة ، أو قلوبا واعية ، وانما الذى يأتيهم من أصداء تلك الدعوة ، امعان فى الضلال ، واغراق فى الكفر ، وسفاهة وتطاول ، بلا بقية من مروءة أو حياء !

القصة القرآنية : نبأ ، أو خبر ، أو حكاية .. ؟

ونحن حين ننظر فى المعنى اللغوى للقصة ، نرى أن أصل اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذى قام عليه أصل التسمية للقصص القرآنى .. فالقصة مشتقة من القص ، وهو تتبع أثر الشىء ، وما خلفه وراءه للاستدلال منه عليه ، ومنه قوله تعالى : « وقالت لاخته قصيه » .. أى تتبعى آثاره حتى تصلى الى ما انتهى اليه أمره .. ومن هذا قولهم : قص الاثر ، أى نظر فيه ، ليستدل منه على مسيرة صاحبه ، يقال : قصصت أثره ، واقتصصته ، وتقصصته وخرجت فى أثر فلان قصصا ، أى أتتبع آثاره ، وفى القرآن الكريم : « فارتدا على آثارهما قصصا » .. ومنه قص عليه الرؤيا ، والحديث ، أى أعاده عليه ، وحكاه له كما حدث .. وفى القرآن الكريم : « لا تقصص رؤياك على اخوتك » .

فالقص للاثر ، اشبه بما يعرف فى عصرنا بتصوير (البصمات) أو رفع

الآثار التى خلفها الجناة ، وراءهم ، والنظر فيها نظراً دارسا ، ليستدل منها عليهم .

والقصة فى القرآن ، انما تتبع أحداثا ماضية واقعة ، وتعرض منها ما ترى عرضه ، ومن هنا كانت تسمية الاخبار التى جاء بها القرآن قصصا .

وقد استعمل القرآن الكريم الخبر، والنبأ بمعنى التحدث عن الماضى ، وما وقع فيه من أحداث ، وان كان قد فرق بينهما فى المجال الذى استعملا فيه ، جريا على ما قام عليه النظم القرآنى من دقة واحكام واعجاز .. فاستعمل لفظ النبأ والأنباء فى الاخبار عن الاحداث التى مضى الزمن بعيدا بها ، ولفها فى أطوائه ، حتى حجبها عن الانظار .. ومن ذلك قوله تعالى فى أصحاب الكهف : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » .. ومنه قوله تعالى فى شأن الامم الغابرة وما وقع فيها من مثلات : « ذلك من انباء القرى .. نقصه عليك .. منها قائم وحصيد » ومنه قوله سبحانه فيما يقص على نبيه صلى الله عليه وسلم ، من قصص الاولين : « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا .. » .

أما لفظ الخبر والاخبار ، فقد كثر استعماله فى القرآن الكريم للكشف عن الوقائع القريبة العهد بالوقوع ، أو التى لا تزال مشاهدها قائمة ماثلة للعيان .. ومن ذلك قوله تعالى مخاطبا المؤمنين : « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلو أخباركم » .

واذ ننظر فى القصص القرآنى نجد انه يجىء بمادته كلها من الماضى البعيد ، الذى يطلق عليه لفظ نبأ ، أكثر مما يطلق عليه لفظ خبر .. وفى هذا يقول الله تعالى فيما يقص على النبى صلى الله عليه وسلم من انباء الرسل عليهم الصلاة والسلام : « ولقد جاءك من نبأ المرسلين » أى من خبرهم ، ولكنه عدل عن لفظ خبر ، الى لفظ نبأ ، لما اشرنا اليه من تفرقة القرآن الكريم بين النبأ والخبر ، وان تقاربت مواردهما .

وأما الحكاية ، فمعناها فى اللغة محاكاة الشىء ونقله فى صورة مطابقة له ..

ويبدو من هذا أن لفظ الحكاية أقرب شىء الى معنى القصص .. اذ كان القصص هو نقل الخبر فى صورة مطابقة لما وقع عليه ، كما فى قوله تعالى : « فلما جاءه وقص عليه القصص » أى أن موسى حين التقى بشعيب قص عليه ما وقع له من الاحداث التى من أجلها خرج من مصر ، طالبا النجاة من الذين يريدون أن يقتلوه بالقتيل الذى قتله خطأ ..

ولكن القرآن الكريم لم يستخدم لفظ الحكاية فى الدلالة على قصصه ، كما انه لم يجعل لهذه اللفظة ومشتقاتها مكانا فيه ، فلم يرد فى القرآن الكريم لفظ حكى ، أو يحكى أو حكاية ، أو محاكاة .. وما الى ذلك من مشتقات تلك اللفظة ..

وهذا أمر يدعو الى كثير من التأمل والتدبر ، للكشف عن أسرار هذا التدبير الحكيم ، الذى تقوم منه شواهد ناطقة بأن هذا القرآن من لدن حكيم عليم ، وأنه فوق قدر العالمين جميعا .

وحسبنا أن نشير هنا — فى ايجاز — الى سر من تلك الاسرار التى لا

تنتهى فى أبعاد لفظ (الحكاية) عن ساحة القرآن الكريم كله ، فى قصصه ، وفى غير قصصه .. وذلك ان الحكاية للشىء ، وان جاءت مطابقة له ، فى صدق وأمانة ، الا انها — مع هذا — غير الاصل .. هذا من جهة .. ومن جهة أخرى ، فان حاكى الشىء غير منشىء لهذا الشىء ، بل هو مقلد ومحاك لمنشئه .. وتعالى الله جل شأنه أن يحكى عن غيره ، اذ كان كل شىء فى هذا الوجود ، هو فى ملك الله ، خلقا وأمرا ، والحاكى انما يحكى ما ليس له .. فتنزه جل شأنه أن يكون حاكيا لشىء ، وكل شىء حوله ..

وما فى القصص القرآنى ، وعرضه للاحداث الماضية ، ليس محاكاة لها ، ولا تمثيلا لشخوصها ومشاهدها ، وانما هو بعث لها ، واعادة لوجودها ، فى هذا النظم المعجز الذى ينقل الينا الماضى ، او ينقلنا نحن اليه ، فنطالع وجوه الحياة فى زمانها ومكانها ، وفى تحركات أشخاصها واحداثها .. تماما كما تبعث القدرة الالهية الموتى من القبور ، فيقومون بأشخاصهم ، وسماتهم على ما كانوا عليه فى الحياة الدنيا .. فهذا البعث ليس محاكاة للحياة الاولى ، وانما هو اعادة لها كما هى .. وكذلك الشأن فى القصص القرآنى .. انه ليس محاكاة للاحداث الماضية ، وانما هو اعادة لها من جديد كما هى : « كما بدأنا أول خلق نعيده » .. « فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة » .

وعلى هذا ، فان اطلاق لفظ القصص على أحداث الماضى التى ذكرها القرآن الكريم ، فيما يتصل بأنبياء الله وغيرهم هو أنسب لفظ ، وأعدل وأصدق اسم يدل على مسماه .. اذ أن قص أثر الشىء وتتبعه ، أنما غايته هى الوقوف على ذات الشىء نفسه ، لا على صورته ، أو مايشبه صورته ، الأمر الذى جاء عليه القصص القرآنى ..

ونخلص من هذا الى القول بأن القصص القرآنى ، هو أنباء واحداث تاريخية ، بعثها القرآن الكريم من مرقدها ، ونفض عنها غبار الزمن المتراكم عليها ، واعادها الى الحياة مرة ، لم يتلبس بها شىء من الخيال ، ولم يدخل عليها شىء من غير الواقع ..

نقول هذا حتى لا يقع خلط بين القصص القرآنى ، وما يصطنعه الناس من قصص تاريخى ، أو خيالى ، فهذا كلام الله ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وذاك من كلام البشر ، يختلط فيه الحق بالباطل ، والصدق بالكذب ، والواقع بالخيال .. وهذا أمر أوضح من أن يدل عليه فى القصص القرآنى ، الذى كان بمرصد من الباحثين والدارسين من غير المسلمين ، ليقعوا على خبر من أخباره أو حدث من أحداثه ، كشف عنه غبار الزمن ثم جاء على غير ما تحدث به القرآن ، فأعياهم ذلك ، وحملهم الحق الواضح فيه على أن يذعنوا له ، ويصححوا كثيرا من معارفهم على ضوء ما نطق به .

أما التكرار فى القصص القرآنى ، والذى كان ، ولا يزال مظنة تهمة للقرآن الكريم عند بعض المستشرقين ، ومن تتلمذ عليهم من المستغربين — فذلك موضوع حديث تال ان شاء الله ، نكشف فيه عن هذا التكرار ، وانه اعجاز قائم بذاته الى اعجاز القرآن الكريم كله ، آية آية ، وسورة سورة .. والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل ..

مائدة القارئ

التشهد

عن ابن عباس قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن وكان يقول :
التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله . سلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله .

التوكل

قال الغزالى : قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن ، وترك التدبير بالقلب ، والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة ، وكاللحم على الوضم ، وهذا ظن الجهال ، فان ذلك حرام ، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل انما يظهر تأثير التوكل فى حركة العبد وسعيه الى مقصده .

تعزية

عزى على بن أبى طالب رضى الله عنه الأشعث بن قيس عن ابنه فقال :
ان تحزن فقد استحقت ذلك منك الرحم ، وان تصبر ففى الله خلف من كل هالك ، مع أنك لو صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور ، وان جزعت جرى عليك القدر وأنت موزور ، سرك الله وهو بلاء وفتنة ، وحزنك وهو ثواب ورحمة .

الرجال أربعة

قال الخليل بن أحمد : الرجال أربعة :
رجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى ، فسلوه .
ورجل يدرى ، ولا يدرى أنه يدرى ، فذاك ناس ، فذكروه .
ورجل لا يدرى ، ويدرى انه لا يدرى ، فذاك مسترشد فعلموه .
ورجل لا يدرى ، ولا يدرى انه لا يدرى ، فذاك جاهل ، فارفضوه .

كتمان السر

قال تعالى اخبارا عن نبيه يعقوب حين أوصى يوسف ابنه :
((يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لـــك كيدا)) ..

أبو بكر الصديق بن أبي قحافة

اسمه : عبد الله بن عثمان بـــن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التميمى .
مولده : بعد الفيل بسنتين وستة أشهر .
وفاته : يوم الاثنين/جمادى الاولى سنة ١٣ هـ — وهو ابن ٦٣ سنة .

عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب بن نفيـــل بـــن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى — أبو حفص أمير المؤمنين .
قيل ولد قبل المبعث النبوى بثلاثين سنة .

عثمان بن عفان

عثمان بن عفان بن أبى العـــاص ابن أمية بن عبد شمس القـــرشى الأمـــوى .
مبايعة عثمان : السبت غرةمحرم سنة ٢٤ هـ .
وقتل على رأس ١١ سنة ، ١١ شهرا ، و ٢٢ يوما من خلافته ، مـــع اختلاف .
وقيل : قتل يوم الجمعة لـ١٨ خلت من ذى الحجة بعد العصر ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء فى حش كوكب كان عثمان اشتراه فوسع به البقيع وقتل وهو ابن ٨٢ سنـــة وأشهر على الصحيح المشهور .

على بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبـــــد مناف القرشى الهاشمى .
أول الناس اسلاما فى قول كثير من أهل العلم .
ولد قبل البعثة بعشر سنين عـــلى الأصح .
تربى فى حجر النبى .
قتل فى ليلة ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ
مدة خلافته ٥ سنوات الا ٣ أشهـــر ونصف شهر .

قال الأضمعى : أول العلم الصمت والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ ، والرابع العمل ، والخامس النشر .

- البخيل انسان يعيش فقيـــــرا ويموت غنيـــا .
- كل شيء اذا كثر قلت قيمته الا العلم .
- المقابر مليئة بأناس خالـــوا الدنيا لا تدوم بدونهم .

التزام الدولة الإسلامية بأرزاق الناس في خلافة عمر بن الخطاب

— ١ —

تقـــديم :

منذ نشأة العمران البشرى وحتى يومنا هذا لم يخل وجـه الأرض من الصراع بين العقائد والمبادىء والنظم والأفكـار ، وقد شـمل هـذا الصراع كل مجالات الحيـاة البشرية فى الحرب والسياسة والاقتصـاد والفكر ، بالسيف والمدفع والكلمـة والذهب ، بالتضحية والفداء والصدق والخـداع والمغالطـة والتشـويه والاغـراء .. بكل مـا يمكـن أن يستخدمه الانسان لنصرة المبـدأ أو النظام أو المعتقد أو الفكرة . وهـذا الصراع الدائم المتتابع سنة من سنن الله فى الكون ، قال تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وقد أوجب الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسـلم وعلى المؤمنين به إزاء هذا الاختلاف وما يتبعه من صراع أن يدعـوا الى سبيل الله بكل الوسائل الميسرة لهم وأن يعملوا على مكانتهم لنصر كلمـة الله حيث قال لرسوله صـلى الله عليـه وسلم بعـد ذلك (وقل للذين لا يؤمنون اعمـلوا على مكانتكم إنـا عاملون . وانتظروا إنا منتظرون) .

على أن التقدم العلمى وما حققه للانسان المعاصر من سهولة الاتصال وسرعة نقل الأفكار والمبادىء وبثها فى أنحـاء الأرض بوسائل مختلفـة بالغة السرعة والتأثير — بصرف النظر عن خطها الحقيقى من الصـدق — قـد أججت هـذا الصراع وحمـلت الكثيرين من دعاة مختلف النظم الى

للدكتور محمد بلتاجى

إظهار نظمهم وصياغتها فى صـــورة دعائية تكسب بها الأنصار والمعتنقين من شتى أنحاء العالم بالكلمة المطبوعة والمسموعة والصـــورة والتمثيليــــة وغيرهـــا من الفنون التى تســـتغل بطـــريق مباشر أو بصـــورة ضمنية مستترة موحية لخدمة فكرة والتبشير بها فى كـــل مكان . وكثيرا ما يكون النجاح فى هذه المهمة نتيجة لحســـن العرض والحذق فيه ودراسة نفوس الناس ومسايرة بعض أهوائهـــم ، والدخول اليهم من الطرق التى تفتح مغاليق قلوبهم ، بصرف النظر فى هذا كله عن الحـــق الخالص والصـــدق الصريح . بل كثيرا ما يكون عـــرض الحـــق والصـــدق فى ذاتهما ضارا بالقضية التى يدعون اليها .

وفى خضم هذا المعترك ينبغى على علمـــاء الاسلام ودعاته المتصـــدين للحديث باسمه فى مختلف المجـــالات أن يبـــذلوا أقصى ما يستطيعونه من جهد فى تجلية مبادئه الحقيقيـــة فى صورة ميسرة للناس جميعـــا ، وأن يتصدوا لصياغة تلك الجوانب التى يهتم بها الانسان المعاصر اهتمامـــا كبيرا ويعتبرها مقاييسه الأساســـية التى يعيش بها جـــودة النظـــريات ورداءتهـــا ، والتى تهتـــم النظـــم المتصارعة كلها بأن تأخذ منها موقفا معينا تجليه للناس وتحسنه وتظهره لهم فى أحسن صورة تكشف فيها عن الجوانب المضيئة البراقة التى يمكن أن تجتذب الناس أو طوائف منهم .

والاسلام متين كعقيدة وكشريعة ، وليس فيه أسرار كهنوتيـــة مستورة عن غير الخاصة ، وهو كلمة اللـــه

الواضحة الاخيرة الى الناس ، وهو أصلح نظام يمكن أن يطبق بين الناس بيد ان هذا كله يجب أن يصاغ للناس جميعا فى صورة تخاطبهم بأسلوب عصرهم وتقارن لهم مبادئه ونظمه المنزلة بذلك السيل من المبادىء والنظم والأفكار الأخرى التى يتعرضون لدعاياتها الموجهة بإحكام وتدبير فى كل لحظة بغية صرفهم عن كلمة الله عن طريق الكلمة المطبوعة والمسموعة وعن طريق الصورة وغيرها من شتى السبل والفنون التى تتخذها المبادىء لبث دعاياتها وأفكارها بطريق مباشر وغير مباشر. وهذه الصياغة هى بالنسبة للمسلمين القادرين عليها واجب دينى وأمانة يسألون عنها يوم الدين .

— ٢ —

واذا كانت (الكفاية الاقتصادية التى تحققها الدولة لمواطنيها) تمثل أحد المقاييس الرئيسية المعاصرة التى تقاس بها جودة النظام الذى تحكم به الدولة أو رداءته — فاننا نقدم فى الصفحات القليلة التالية نموذجا من نتائج التطبيق الاقتصادى لمبادىء التشريع الاسلامى ما لم يتحقق مثله — ولا ما يقاربه — فى أى عصر آخر من عصور التاريخ البشرى باطلاق وحتى عصرنا الحاضر ، وذلك على اختلاف النظريات والنظم الوضعية التى تداولها العالم ولا يزال يتداولها وسنرى أيضا أن ما حققه عمر بن الخطاب حين طبق التشريع الاسلامى فى صدق ودقة وعبقرية ما يزال حلما من أحلام البشرية حلم بعض المفكرين المثاليين بتحقيقه فى صور خيالية بعيدة عن أوضاع الواقع ومتطلباته أما عمر فقد حققه فعلا .

روى عن عمر بن الخطاب أنه قال حين قدم عليه أحد عماله بأموال كثيرة من فىء المسلمين : « والله الذى لا إله الا هو ما أحد إلا وله فى هذا المال حق .. وليؤتين الراعى نصيبه من هذا المال وهو بجبل صنعاء ودمه فى وجهه » . وكان عمر يعلم يقينا أن هذه الاموال حق للناس جميعا ، فليست له أو لآله خاصة ، أو لفئة معينة من الناس . يروى ابن سعد أن عمر لما كتب الى حذيفة عامله : « أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم » فكتب اليه حذيفة : « إنا قد فعلنا وبقى شىء كثير » — كتب اليه عمر : « إنه فيؤهم الذى أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ، ولا لآل عمر .. اقسمه بينهم » .

وقد أجمعت الروايات التاريخية على أن عمر عمل طوال خلافته بهذا المبدأ ، فكفل بذلك رزق كل فرد من الناس فى الدولة الاسلامية مما لم يشهد له التاريخ البشرى مثيلا من قبل أو من بعد . وحين أمر بانشاء ديوان الاموال أمر باتخاذ دفاتر يكتب فيها اسم كل مولود ، ذكر أو أنثى ، وفرض له مائة درهم ، وجريبين من الطعام فى كل شهر ، تدفع لأهله . لا فرق بين أن يكونوا محتاجين اليها أو أغنياء عنها ، فهو انما كان يفرض للمولود لا لأهله . وفى أول الامر لم يكن يفرض للوليد حتى يفطم ، ثم حدثما جعله يفرض له من يوم ولادته فقد قدمت الى المدينة قافلة من التجار فنزلوا المصلى ، فقال عمر لعبدالرحمن ابن عوف : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق ؟ فباتا يحرسانهم ويصليان فسمع عمر بكاء صبى ، فتوجه نحوه وقال لأمه : اتقى الله وأحسنى الى صبيك ، ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه ، فعاد الى أمه فقال لها مثل

ذلك ، فلما كان فى آخر الليل سمع بكاءه ، فأتى أمه فقال : ويحك ، إنى لأراك أم سوء ، مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ فقالت : يا عبد الله — وهى لا تعرفه — قد أرقتنى منذ الليلة ، انى أريغه عن الفطام فيأبى ، قال : ولم ؟ قالت : لأن عمر لا يفرض الا الفطم ، قال : وكيف له ؟ — يسأل عن عمر الصبى — قالت : كذا وكذا شهرا ، قال : ويحك ، لا تعجليه . فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلم قال : يا بؤسا لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ، ثم أمر مناديا فنادى: ألا لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فأنا نفرض لكل مولود فى الاسلام .

ولم يكن عمر يفرق فى هذا العطاء بين المواليد الشرعيين واللقطاء ، لأنه كان « اذا اتى باللقيط فرض له مائة درهم ، وفرض له رزقا يأخذه وليه كل شهر بقدر ما يصلحه ، ثم ينقله من سنة الى سنة . وكان يوصى بهم خيرا ، ويجعل نفقتهم من بيت المال » وعلى هذا يمكننا القول بأن عناية عمر باللقطاء كانت اكبر من عنايته بالاولاد الشرعيين الذين يعيشون فى كنف آبائهم ورعايتهم ، أما اللقطاء فإن عمر ولى وأب لمن لا اب له . ومن البدهى أنه قد نص على أن اللقيط حر ، تجب معاملته كسائر الأحرار .
ثم ان الطفل اذا نما واصبح صبيا زاد عمر عطاءه الى مائتى درهم . فاذا بلغ زاده الى خمسمائة او ستمائة .
وكان عمر يصدر فى هذا العطاء من الفكرة التى اعلنها فيما سبق وهى أن أموال بيت المال ملك لجميع الناس ، فلكل فيها حق يجب أن يصله بما يكفيه ويعف نفسه .

ولم يكن هذا الرجل العظيم يرى أن مسئوليته المالية إزاء الناس تنتهى بايصال عطائهم اليهم ، انما كان يرى أنه مسئول عن توجيههم الى صرف هذا العطاء فيما ينفعهم ، فكان يشغل نفسه بالتفكير فى مستقبل الناس بعده ، فكأنه لم يكتف بتأمين حاضرهم حتى شغل نفسه بتأمين مستقبلهم بعده ، يروى ابن سعد والبلاذرى أن خالد بن عرفطة العذرى قدم على عمر ، فسأله عما وراءه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، تركت من ورائى يسألون الله أن يزيد فى عمرك من عمرهم ، ما وطىء أحد القادسية الا عطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة ، وما من مولود يولد الا الحق على مائة وجريبين كل شهر ، ذكرا كان أو أنثى ، وما يبلغ لنا ذكر الا الحق على خمسمائة أو ستمائة . فاذا خرج هذا لاهل بيت منهم من يأكل الطعام ومنهم من لا يأكل الطعام ، فما ظنك به ؟ فانه لينفقه فيما ينبغى وفيما لا ينبغى .

قال عمر : فالله المستعان ، انما هو حقهم أعطوه ، وأنا أسعد بأدائه اليهم منهم بأخذه ، فلا تحمدنى عليه ، فانه لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه ، ولكنى قد علمت أن فيه فضلا ، ولا ينبغى أن احبسه عنهم ، فلو انه اذا خرج عطاء احد هؤلاء العريب ابتاع منه غنما ، فجعلها بسوادهم ، ثم اذا خرج العطاء الثانية ابتاع الرأس فجعله فيها ، فانى — ويحك يا خالد بن عرفطة — أخاف عليكم ان يليكم بعدى ولاة لا يعد العطاء فى زمانهم مالا ، فاذا بقى احد منهم أو احد من ولده كان لهم شىء قد اعتقدوه فيتكئون عليه . فان نصيحتى لك — وأنت عندى جالس — كنصيحتى لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين وذلك لما طوقنى الله من أمرهم . قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة » .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نفهم ما روى من أن عمر كان فى سفر ، فلما كان قريبا من الروحاء ، سمع صوت راع فى جبل ، فحول الركاب اليه ، فلما دنا منه صاح : يا راعى الغنم ، فأجابه الراعى ، فقال له عمر : انى قد مررت بمكان هو أخصب من مكانك ، وان كل راع مسئول عن رعيته . ثم عدل صدور الركاب الى طريقه بعد أن أرشد الراعى الى المكان الاكثر خصبا . وفى كلمة واحدة كان عمر يرى انه مسئول عن كل ما يصيب الانسان أو الحيوان داخل الدولة الاسلامية . أليس هو القائل : لو مات جمل ضياعا على شط الفرات لخشيت ان يسألنى الله عنه . فاذا كان عمر يعد نفسه مسئولا عن كفالة الطعام للحيوان حتى لا يموت ضياعا ، فان فرضه العطاء لجميع الناس كان نابعا عن تقديره لهذه المسئولية والتزامه بها .

وقد أسلفنا أن العطاء فى عهد عمر لم يقتصر على الاموال النقدية ، حيث يروى أنه أمر بجريب من طعام فعجن ، ثم خبز ، ثم برد بزيت ، ودعا ثلاثين رجلا فأكلوا منه غذاءهم حتى شبعوا ، ثم فعل بالعشى مثل ذلك ، وقال : يكفى الرجل جريبان كل شهر فكان يرزق الناس ، الرجل والمرأة والمملوك جريبين كل شهر ، وقد سبق أنه جعل للاطفال مثل ذلك . فكان الرجل اذا أراد أن يدعو على صاحبه قال له : قطع الله عنك جريبك !

ويروى أبو عبيد وغيره أن عمر قال — وقد أخذ المدى بيد والقسط بيد ، وهما مكيالان عربيان — : انى قد فرضت لكل نفس مسلمة فى كل شهر مدى حنطة وقسطى خل وقسطى زيت . فقال رجل : والعبيد ؟ قال عمر : نعم ، والعبيد . ثم انه صعد المنبر فحمد الله ثم قال : انا أجرينا عليكم اعطياتكم وارزاقكم فى كل شهر — وفى يديه المدى والقسط — فحركها ، ثم قال : فمن انتقصهم فعل الله به كذا وكذا (ودعا عليه) . ومن ثم كان أبو الدرداء يقول « رب سنة راشدة مهدية قد سنها عمر فى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم منها المديان والقسطان »

لم يكتف عمر إذن بما فرضه للناس من أموال نقدية ، ففرض لكل منهم نصيبا من الخبز والزيت والخل يأخذه كل شهر ، لا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة ، والحر والمملوك ، والكبير والصغير . ومن ثم لم يفرق عمر فى هذا العطاء بين البشر على أساس الوضع الاجتماعى من حيث الحرية والرق ، لانه كان يرى الرق وضعا اجتماعيا مؤقتا ، وأن حاجة المملوك المادية — من حيث هو انسان — لا فرق بينها وبين حاجة مالكه . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باطعام المملوك مما يطعم منه مالكه ، وفرض للارقاء من الغنيمة فى حياته . الا أن الوضع الاجتماعى الذى يقصد به الدوام والاستمرار ويؤثر فى حاجة الانسان المادية — كان له وزن عند عمر فى العطاء ، فقد كان يعطى المتزوج ضعف نصيب العزب لأن حاجته أكبر .

وتظهر عبقرية عمر وعظمته الانسانية النابعة من تفهمه العميق لروح الاسلام وتشريعه الذى يطبقه فى أنه لم يفرق بين العربى وغيره من الأجناس الاخرى فى العطاء أو غيره ومن ثم لم يعرف عمر التعصب للجنس أو اللون . وكان هذا منه اتباعا لروح

التشريع الاسلامى ونصوصه العامه والخاصة التى لا تميز بين الناس على أى أساس عنصرى ، ولا تعرف فكرة التعصب الجنسى ، ولا تقر سـيادة قومية معينة ، انما يتفاضل الناس فيها بتقوى الله وحدها ، يروى أبو عبيد أن عمر حين فرض للناس ساوى بين العرب والمـوالى ، ثم كتب الى أمراء الأجناد : « ومن أعتقتم من الحمراء فأسلموا فألحقوهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم وما عليهم . وان أحبـوا أن يكونوا قبيـلة وحدهم فاجعلوهـم أسـوتكم فى العطـاء والمعروف » . ولما قدم قوم على أحد ولاته فأعطى العرب وترك الموالى ، كتب اليه عمر : « أما بعد ، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، ألا سويت بينهم » .

ولم يفرق عمـر بين النـاس فى العطاء على أساس وضعهم الجغرافى ومكان اقامتهم ، ومن ثم لم يقتصر على المقيمين فى المدن والتجمعات الكبيرة وانما كتب أهل العوالى وعيـالهم وعمالهم ، ثم فرض لهم .

وقد كان الامر يصل بهذا الرجـل العظيم الى أن يحمـل بنفسه ديوان قبيلة خزاعة ، حتى ينزل به قديدا ، فيجتمع الناس عليه « فلا يغيب عنه امـرأة بكر ولا ثيب ، فيعطيهـن فى أيديهن ، ثم يروح فينزل عسـفان فيفعل مثل ذلك .. حتى توفى » . وفى مثل هـذا المجتمـع لا يسرق السارق عن جوع ، انما عن اعتداء وظـلم كبير ، ولا يتاح للاضـطرار المادى أدنى مجال فى أن تبيع المرأة عرضها بالمال ، أو أن يموت الاطفال الذين لا عائل لهم ضياعا .

واذا كانت النزعة الانسانية العامة عنـد عمر — فى تطبيقـه للتشريع الاسلامى ، لم تفرق فى العطاء بين الناس على أسـاس الجنس ، أو السن ، أو الرق ، أو الحـرية ، أو الوضع الجغرافى — فهل فرقت بينهم على أساس العقيدة ؟

يروى أبو يوسف أن عمـر « مر بباب قوم وعليه سائل يسأل ، شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى . قال : فما الجأك الى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده ، وذهب به الى منزله ، فرضخ له بشىء من المنزل ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال : انظر هـذا وضرباءه ، فواللـه ما انصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهـرم . انما الصـدقات للفقـراء والمساكين ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب . ووضع عنه الجـزية وعن ضربائه » .

ويروى البلاذرى أن عمر « مر عند مقدمة الجابية — من أرض الشام — بقوم مجذومين من النصارى ، فأمر أن يعطوا من الصدقات ، وأن يجرى عليهم القوت » .

فعمر كان يرى أن الصدقات التى يزكى بها المسلمون ما لهم ينبغى أن تدفع فى مصارفها الخاصة كما ذكرها القرآن ، ومنها سهم المساكين . وقد كان يرى أن المسكين هو الذى لا يقدر على كسب ما يكفيـه ، لا فرق بين مسلم وغيره . أوليس انسـانا يستوى فى حاجاته المادية مع سائر الناس ؟ وكيف يكون عمر مسئولا عن موت جمل بشط الفرات ضياعا ، ولا يكون مسئولا عن انسان من رعيته ، أو ليس التشريع الاسلامى قد حصن على مطلق الانفاق على الناس بصرف النظر عن عقائدهم ؟

يروى أبو عبيد عن ابن عباس قال كان ناس لهم أنسباء وقرابة من قريظة والنضير ، فكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهـم ويريدونهم على الاسـلام ،

فنزلت آية (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) . وعن سعيد ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهى تجرى عليهم .

وقد تصدقت صفية زوجه (صلى الله عليه وسلم) على ذوى قرابة لها ، يهوديين ، فبلغت صدقتها ثلاثين ألف درهم . وقال ابن جريج فى قوله تعالى : (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) « لم يكن الاسير يومئذ الا من المشركين » . قال أبو عبيد : « يريد أن الله تبارك وتعالى قد حمد على اطعام المشركين » .

فعمر بن الخطاب فى فرضه العطاء المنتظم لغير المسلمين من مواطنى الدولة الاسلامية انما كان يصدر عن أساس من أسس التشريع الاسلامى ومبدأ من مبادئه العامة ، وهو الانفاق المطلق . ولا بأس بعد ذلك ألا نجد نصا خاصا فى القرآن أو السنة فى طريقة اجراء القوت عليهم وكتابتهم فى الديوان ، فانما كان الديوان وتنظيم العطاء من المستحدثات فى عهد عمر .

ويبدو من قصة عمر مع الشيخ اليهودى أنه لم يكن يرى فى التسول مصدرا مشروعا للكسب ، وكان ــ فى موقفه هذا ــ يصدر عن كراهية أصيلة فى التشريع الاسلامى للتسول ، باعتباره أمرا مهينا للكرامة البشرية . ولا يتسع المجال هنا لتفصيل القول فى هذا .

.. وبعد ، هل بقيت فئة من الناس لم تلتزم الدولة الاسلامية فى خلافة عمر بأرزاقها ؟ اللقطاء ، والأرقاء ، والمواليد ، والفلمان ، وأهل ذمة الله ورسوله من اليهود والنصارى ، وأهل العوالى من الرجال والنساء .. بعد هذا كله نستطيع أن نقول ان الدولةالاسلامية عرفت فى خلافة عمر بن الخطاب نوعا من الكفالة والضمان والأمان والكفاية لم تعرفه البشرية فى غيرها حتى عصرنا الحاضر وبالقياس الى كل ما عرفته من نظم ودول .

يقول الدكتور طه حسين بحق عن هذا العصر : « فأما أن تكفل الدولة رزق المسلمين جميعا على هذا النحو فلسنا نعرفه فى التاريخ القديم ، وما أظن أن الحضارة الحديثة قد وفقت اليه . وكل ما وصلت اليه الحضارة الحديثة فى بعض البلاد ، وصلت اليه بآخرة ، انما هو التأمين الاجتماعى الذى تؤخذ نفقاته من الناس لترد عليهم بعد ذلك ، حين يحتاجون فى بعض الامر الى العلاج حين يمرضون والى كفالة الحياة للشيوخ والضعفاء والعاجزين عن العمل لكسب القوت ، وتأمين العمال من اخطار العمل ، وتأمين الذين يخدمون الدولة والهيئة الاجتماعية على رزقهم حين تنقضى خدمتهم . فأما أن يكون لكل فرد من افراد الأمة نصيب مقسوم من خزانة الدولة فشىء لم يعرف الا منذ عمر » .

ولا نظن أن احدا يستطيع أن يرمى الدكتور طه حسين بالتعصب العاطفى للاسلام وما يتصل به ، فقد كان هنا يصدر عن وثائق تاريخية ثابتة عرضنا فى الصفحات السابقة لشىء منها .

على هامش المؤتمر العالمي لزرع الأعضاء

المؤتمر يبحث

- شرعيّة إعطاء أو بيع أحد الأعضاء الزوجية من إنسان حيّ إلى آخر
- شرعيّة أخذ الأعضاء الفرديّة من إنسان ميت إلى آخر حيّ
- ملكيّة الجثة بعد الموت .. وأهمية وصيّة المتوفّى

للدكتور : محمد حسن محمود سعيد

لا يزال العالم يعيش فى نشوة أثر انتصاره بتحقيق ذلك الحلم وهو الوصول الى القمر .. وقد كان الدكتور (دادا) أشهر جراحى القلب فى بلاده ومبتكر الصمام الأورطى الصناعى محقا عندما صرح فى احدى الصحف بقوله : **(إن أعظم ما حققه الانسان علميا فى هذا القرن ، هو الوصول الى القمر وزرع قلب شخص فى صدر شخص آخر)** . وأنا هنا لا أريد أن أبحث فى الوصول الى القمر فقد رأى العالم بأم عينيه ذلك واختصاصيو هذا الميدان أحق منى بالحديث ، وأنا أود أن أطرق الموضوع الآخر وهو زرع القلب .

بصفتى طبيب أولا ، رأيت عن كثب بل وشاركت فى عمليات كثيرة وناجحة أجريت على الكلاب فى مستشفى الـ Conceqclon بمدريد .

وثانيا : انى كنت ممن أتيحت لهم الفرصة للمشاركة فى أول مؤتمر عالمى يمثل سبع عشرة دولة لا للبحث فى زرع القلب وحده ، بل فى زرع الأعضاء الاخرى الرئتين ، الكليتين ، الجهاز الهضمى ، العصبى ، وحتى الأعضاء التناسلية ، ولم يكن الحضور مقصورا على أساطين الطب فى العالم كل فى اختصاصه بل حضره المشرعون ورجال القانون ، والاطباء الشرعيون ورجال الأديان ممثلة باختصاصيين عنها فى هذا الميدان .

تنظيم المؤتمر :

اما منظم المؤتمر باسم الحكومة الاسبانية فهو المركيز الدكتور مارتينيث Martinez الصهر الأوحد لرئيس الدولة الاسبانية فرانكو واول من قام بعملية زرع القلب فى اسبانيا . كان افتتاح المؤتمر بحضور رئيس الدولة الاسبانية وحضور كافة الوزراء ورجال الدولة ورؤساء الكنيسة .. وهذا ما يؤكد أهميته وخاصة اذا القينا نظرة على من حضره من المندوبين الرسميين ، والذين يزيدون على المائتين ، وأضعاف مضاعفة حضروا المؤتمر كمستمعين او مراقبين . وقد انشغلت الصحافة الاسبانية بكاملها طيلة تلك الأيام بنقل دقائق المؤتمر وقراراته ، وأنا فى هذا التقرير البسيط سأحاول تلخيص ما دار به والتأكيد على بعض النقاط التى اثارت اهتمامى كعربى مسلم وجعلتنى أكتب حول هذا المؤتمر .

الاختصاصات التى وجهت اليها الدعوة :

قسم المؤتمر الى الأقسام التالية :

أولا — قسم القلب وكان عدد الرسميين المدعوين اليه سبعة وعشرين على رأسهم برنارد C . Barnard وقد حضر معه المريض الشرطى Smith الذى زرع له القلب وهو فى حالة جيدة وكذلك Houston Cooley وفشينسكى Vishneski من روسيا ، وروس Ross من لندن ودوبست Dubost من فرنسا ومريضه الذى زرع له القلب منذ اكثر من سنة الراهب Boulogne والدكتور Wade اليابانى وحتى ليفى من فلسطين المحتلة وغيرهم .

ثانيا — قسم الكليتين وكان عدد المندوبين الرسميين أربعة وعشرين على رأسهم دوسيت Dausset الطبيب الفرنسى العالمى المختص بمعامل صنع Sueros التى تقاوم رفض الجسم للعضو المزروع والاسبانى المشهور رئيس نقابة أمراض الكليتين Hernando وكذلك الاسبانى الفارس Alferez و الفرنسى و Penn و Danielson الامريكيين وغيرهم .

ثالثا — قسم الرئتين وعدد الرسميين من المندوبين فيه عشرون على رأسهم Derom البلجيكى وفكرى اليكان الأمريكى من أصل تركى و Trapeznikov الروسى وغيرهم ..

رابعا — قسم الجهاز الهضمى بأنواعه المعدة والبنكرياس ، الامعاء ، الكبد ، فكانوا اثنين وعشرين ، على راسهم Clane من لندن و Lillehil من نيويورك ومورينو Moreno و Banet الاسبانيين وغيرهم ..

خامسا — قسم Inmunology فكان عدد الرسميين واحدا وعشرين على راسهم Parra الاسبانى و Van Bekkum الهولندى و Mathe الفرنسى و Rapaport الامريكى وغيرهم .

سادسا — أما قسم الأمراض العصبية وجراحتها وتخطيط المخ فكان على راسهم الجراحان العالميان Schwab و Silverman . الامريكيان و Arfel الفرنسى و Obrador الاسبانى وغيرهم .

سابعا — أما قسم الطب الشرعى فكان عدد الرسميين ثمانية وعشرين على رأسهم Spann الالمانى Chivdi الايطالى Matera الارجنتينى و Gisbert الاسبانى وغيرهم .

ثامنا — قسم التشريع القانونى فكان عدد الممثلين اثنى عشر محلفا وقاضيا ومحاميا عينوا من قبل وزير العدلية لبحث أمور زرع الأعضاء واستنباط تشريع قانونى وحتى يؤخذ رأى الاديان فقد وجهت الدعــوة الى ممثلين عنها ، فكان عن الكاثوليك مجموعة كبيرة من علماء اللاهوت عندهم على رأسهم Fuchs من روما والراهب الذى زرع له القلب من فرنسا و Cuyas و Higuera .. وغيرهم من اسقانيا وكـــذلك ممثلون عن الارثوذكس والبروتستانت .. وعن الديانـــة اليهودية حاخام مدريد الشاب المغربى الجنسية والذى كان والده وزيرا للبريد فى احدى الوزارات المغربية ، وهو على قدر كبير من النشاط والدهاء واسمه Garzon Serfaty والحاخام الأكبر لمدينة تل أبيب من فلسطين المحتلة بالذات وهو Rabinonritz

وأما عن المسلمين فعلى ما يظهر فالحكومة الاسبانيـــة وجهت دعوة الى المغرب لارسال علماء يمثلون وجهة نظر الاسلام وقد حضر اثنان من أســـاتذة كلية الشريعة وأصول الدين هناك .

تقسيم المؤتمر الى لجان وأهمية اللجنة الدينية :

قسم المؤتمر الى لجان مختلفـــة حسب التقسيم الذى ذكرته بحيث ان كل لجنة تجتمع على انفراد .. لمناقشة الأمور المعروضة على بساط البحث لاصدار قرار بشأنها مع أن هنالك لجانا عدة كانت على اتصال فيما بينها فمثلا اللجنـــة الدينية كانت على اتصال مباشر بالطب الشرعى وبعض اللجان الأخرى .. وقد حدد يوم لاجتماع كل المؤتمرين وقراءة القرارات والنتائج النهائية التى توصلت اليها كل لجنة .

لقد كانت الأنظار وحب الاستطلاع متجها الى رجال الدين .. وخاصة لعامة الشعب الذى لا يفقه كثيرا من أموُر الزرع المعقدة ، بل يهمه أن يعلم رأى الدين فى ذلك ، هذا اذا أخذنا بعين الاعتبار مقدار تدين الشعب الاسبانى وتقيده الى حد كبير بتعاليم الكنيسة ويكفى أن اذكر مثالا على ذلك أنه عندما أصدر البابا قراره ضد حبوب منع الحمل فقد اختفت من الأسواق والمعامل وأصبح الحصول عليها من أصعب الأمور بعد أن كان شيئا عاديا .. وكذلك كان الاطباء فى شوق لمعرفة رأى الأديان حتى تكون لهم الحرية وراحة الضمير فى مثل هذه الأمور .

الاتصال بالمندوبين المسلمين والأسئلة المعروضة للبحث :

وعلى ضوء ما تقدم وبسبب الأهمية الكبرى لرأى الأديان كان لا بد لليوم السابق للاجتماع من الاتصال بالمندوبين المغاربة لمعرفة آرائهم حول المواضيع المعروضة للبحث وخاصة أنهم فى نظر المؤتمرين يمثلون الاسلام ، وان كان ما يقولونه سينشر حرفيا فى الصحافة ، ويلقى على المؤتمر ، ويترجم الى اللغات المختلفة ويحمله المؤتمرون الى بلادهم . وقد كانت دهشتى كبيرة عندما علمت أن أحد الأخوة أبلغ بالتهيأ لحضور المؤتمر فى اليوم السابق على وصوله الى مدريد ، وبيومين أو ثلاثة من بدء المؤتمر ، وأما الآخر فلا أدرى الظروف الخاصة به . . هذا مع العلم أن الدعوة أرسلت منذ أكثر من شهرين على بدء المؤتمر كما أخبر منظموه . وان الاخوة وان كانوا على اطلاع كاف فيما يخص الشريعة الاسلامية ، الا أن هناك دقائق وأمورا طبية كان لا بد من دراستها ومعرفة ظروفها حتى يستطيع العالم المسلم قول كلمة الدين فيها . . ومؤتمر ماليزيا الذى عقد من مدة قد بحث أمور زرع القلب بشكل مجمل ، ولكن ممثلى الأديان فى هذا المؤتمر كان عليهم أن يجيبوا على الأسئلة المذكورة أدناه ، وقد شاء الله أن أنضم الى الوفد المذكور لابداء الراى وتوضيح الأمور الطبية والمناقشة والبحث ، وأما الأسئلة فهى كما يلى :

١ ــ شرعية اعطاء أو بيع أحد الأعضاء الزوجية (الرئتين ، الكليتين) من انسان حى الى آخر .
٢ ــ شرعية اخذ الأعضاء الفردية (القلب ، الكبد) من انسان ميت الى آخر حى .
٣ ــ ملكية الجثة بعد الموت . واهمية وصية المتوفى اذا وجدت .
٤ ــ الموافقة أو عدمها على اعلان الموت من قبل المختصين من الأطباء .
٥ ــ احترام الآراء الدينية التى تخالف عملية الزرع .
٦ ــ امكانية الزرع جزئيا أو كليا للشخص الحى كعملية تجريبية أكثر منها علاجية .
٧ ــ كيفية معاملة الأشخاص الذين هم فى غيبوبة (Descerebrados) أى أن جهازهم العصبى المخ قد مات مع أن أجزاءهم الأخرى كالقلب والرئتين الخ لا زالت حية (وطبعا هؤلاء الأشخاص لا يؤمل شفاؤهم بسبب موت الجهاز العصبى المركزى) .
٨ ــ البحث بامكانية زرع المخ كليا أو جزئيا ، وكذلك بحث امكانية زرع المبيضين عند المراة او الخصيتين عند الرجل .

راى الأديان :

وقد بدأ ممثلو الديانات المختلفة بالقاء كلماتهم ويمكن تلخيصها فيما يلى :

اولا ــ المسيحيون واليهود سمحوا باعطاء احد الأعضاء الزوجية من انسان حى الى آخر حى دون تحفظ ، وبخصوص البيع فقد أعلن اليهود أنهم يقرون ذلك وان عملية البيع فى حد ذاتها ليست مشكلة وانما هو شىء شخصى يهم البائع نفسه . واما المسيحيون فقد تضاربت آراؤهم ، ولكن الراى القائل بجواز البيع

قد رجح وان كانوا قد وضعوا بعض التحفظات ، ولا زلت اذكر أن احد علمائهم الكبار فى اللاهوت قال : ما يعطى يمكن أن يباع . وقد أخبر أحدهم كذلك بأنه اذا لم يسمح بالبيع العلنى ، فسيكون هناك بيع سرى كالسوق السوداء وقارن ذلك بالبلدان التى لا تسمح بافتتاح بيوت الدعارة ..

وأما رأينا نحن فقد كان صريحا واضحا وهو أن حياة الانسان ليست ملكا له وحده ، بل هى لله وملكا لمجتمعه ، فلا يجوز أن يتصرف بجسمه على هواه اذا كان فيه الحاق ضرر كبير .. وقد ضربنا مثالا على ذلك بالمنتحر الذى هو فى نظر الاسلام مخطىء يعاقب فى الدنيا وهو فى الآخرة فى النار .. وهكذا رأينا أن تؤخذ هذه الاحتياطات بعين الاعتبار من قبل الطبيب عندما يسمح بنقل عضو زوجى من حى الى حى .

وأما عن البيع فقد أجبنا بأن جسم الانسان لا يقدر بثمن فى نظر الاسلام وأن هذا البيع هو أمر تشمئز منه الشريعة الاسلامية وتقاومه . وقد رددنا على الأب الذى طالب بالسماح له خوفا من السوق السوداء وتشبيهه ذلك بالسماح فى بعض الدول لافتتاح بيوت الدعارة .. بأن هذا قول مردود ، فالاسلام لا يقاوم الشر بالشر ، وخوفا من الزنا وانتشاره السرى لا يمكنه أن يقبل بافتتاح بيوت له ، لأن ذلك محرم . وقد كان لرأينا الصريح بعدم جواز البيع ضجة كبيرة حيث أنه أيدنا أكثر من فى المؤتمر وأهم من دافع عن عدم جواز البيع هو الطبيب العالمى الفرنسى Dauset وزوجته حتى أنه طالب بتحريم بيع الدم وأخبر أنه ممنوع فى فرنسا ، وأن الاعطاء هو عملية اختيارية من الأشخاص الصحيحى الجسم وتحريم هذه العملية هو الاحتياط حتى لا يلحق الانسان الأذى بنفسه فى سبيل الحصول على منفعة مادية ، وأذكر أنه فى احدى الجلسات وعندما رفضت الجوانب الأخرى الأخذ برأيه انسحب غاضبا ، وكان يود أن يترك المؤتمر ويغادر اسبانيا ، وقد أخبرنى أن أدافع بقوة عن رأينا بعدم البيع والا فان قرار السماح سيكون مأساة لها نتائجها الخطيرة .

وأما الاجابة على السؤال الثانى وهو السماح بنقل العضو الفردى من الميت الى الحى فقد اتفقت وجهات النظر على انه جائز اذا تأكد بشكل قاطع بأن المنقول منه قد مات فعلا ، وهذا شىء من اختصاص الاطباء .. ولكننا أبدينا ملاحظة وهو انه لا يكفى أن المنقول منه قد مات بل لا بد من التأكد بأن عملية الزرع للمريض هى الطريق الوحيد لعلاجه ويجب أخذ رأيه فى ذلك ، وأن الذى يقوم بالعملية هو شخص اختصاصى قادر على عملها وله خبرة فى ذلك (قد تكون تجريبية فى الحيوانات) وأن تكون فى مكان مناسب ومجهز تجهيزا كافيا ، وقد أكدت قرارات اللجنة المختصة وجهة نظرنا .

أما الأمر الثالث وهو بخصوص الجثة فقد أعلن اليهود تقديس الجثة ، وانه لا يمكن أن تكون ملكا لأحد مع أنهم زادوا على ذلك أن بعض رجال الدين اليهود يسمح فى بعض الحالات بعكس ذلك على أن يطلب من أهله أو أقربائه . وكذلك المسيحيون اكدوا أن الجثة ليست ملكا لأحد وانه فى حالة وجود وصية من الميت يجب احترام وصيته وفى حالة عدم وجودها يمكن أخذ رأى العائلة أو الأقرباء .

وأما رأينا فقد كان موافقا ، الا اننا زدنا على ذلك وهو أنه يوجد فى الاسلام بالاضافة الى القرآن السنة ، الاجماع ، القياس والاجتهاد شىء يدعى بالمصالح المرسلة أو الاستحسان ، وهو انه اذا كان هنالك أمر فيه مصلحة عامة

ولا يتعارض هذا الامر مع القرآن والسنة فيمكن اعتباره أمرا تشريعيا وبناء على ذلك فقد قلنا بأنه يمكن لولى أمر المسلمين أن يسمح بالتصرف فى الجثث اللازمة للبحث العلمى أو حتى لأخذ الاعضاء اللازمة وحفظها ، ثم استعمالها عند الضرورة لمصلحة الافراد ، وهذا ما يعمم عملية الزرع فى المستقبل فيجعلها ليست قاصرة على الطبقات الثرية ، وكذلك فى هذه الحالة يمكن منادات اعطاء أحد الاعضاء المزدوجة من الحى الى الحى وما يترتب عليها من اضرار وذلك لوفرة ما يؤخذ من الاعضاء فى حالة تطبيق هذا الامر .. وقد كان لهذا الرأى أهمية كبيرة وثورة فى عالم العلم اذ أن الديانات الاخرى لا تسمح بذلك .. وقد اثبتنا بأن الاسلام يرى أن المصلحة العامة هى المقدمة أولا .. وقد لاحظت أن الاخوة الغاربة احتجوا على ذلك ، ولما تناقشت فى جواز الامر اقتنعوا ، ولكنهم قالوا : لا يمكن أن نعطى هذا الامر الى فلان من الحكام أو زيد من الملوك . فقلت لهم : اننا هنا نناقش أولا أمرا دينيا محضا فاما فلان أو فلان فهو أمر يهمنا نحن ، وكثير من الأطباء المختصين أدركوا أهمية اصدار مثل هذا القرار ، وخاصة ان عملية الحفظ أصبحت الآن على مستوى رفيع .

وأما بخصوص الامر الواقع فقد اتفقت وجهات نظر الأديان الاخرى ووجهة نظرنا بأن اعلان الوفاة هو أمر يخص الاطباء ، ولكن اليهود أكدوا أنهم بالاضافة الى رأى الأطباء لا زالوا يتمسكون بانقطاع التنفس كأمر روحى بالنسبة لهم كما هو مذكور فى لاهوتهم (مع العلم بأن العلم الحديث لا يقر هذه النظرية) .

أما الأمر الخامس فقد اتفقت وجهات النظر باحترام الآراء الدينية التى تعارض عملية الزرع وعدم الزامهم بها .

أما الأمر السادس .. فقد كان هناك اختلاف متضارب فيما بين الديانات الأخرى حول القيام بعملية الزرع كحاجة تجريبية أكثر منها علاجية وقد أقر بعضهم ذلك . وكان رأينا قاطعا وهو أنه محرم حسب الاسلام بأن يكون هناك هدف آخر غير علاج المريض وشفائه ولا يهم ذلك اذا كانت نتيجة العملية ضئيلة أو كبيرة .. المقصد الوحيد هو العلاج وهذا شىء يتعلق بضمير الطبيب الذى يقوم بالعملية .. وقد اختلفنا عنهم بذلك وأثبتنا انسانية الاسلام .

أما الأمر السابع .. وهو يتعلق بالطريقة التى يجب اتباعها للاشخاص الذين هم فى غيبوبة ولا يمكن شفاؤهم .. فقد عجبنا بأنهم قسموا هؤلاء الى قسمين — منهم من لا يحتاج الى أدوات أو آلات خاصة بل يستطيع التنفس والأكل والافراز وحده وهذا يعتبر انسانا له حق البقاء على هذه الأرض . وأما الآخر الذى يحتاج الى آلات للتنفس .. النبض — لاعطاء الطعام ... الخ

وانه لا يستطيع العيش بدونها فهو غير انسان (كما قال بعضهم) وأن الديانة المسيحية وعلى رأسها الكاثوليكية ليسوا ملزمين بالمحافظة على حياته .. وأما اليهود فقد أخبروا أن التلمود لا يسمح بأن يعيش الانسان الذى لا فائدة منه .. وقد احترنا نحن فى ابداء الرأى . فالشخص المذكور هو حقيقة ميت من الناحية العصبية وان كان حيا من الناحية الاخرى .. ولكن الواضح أن التقسيم هذا الى قسمين يحافظ على أحدهما ولا يلزم بالمحافظة على الآخر إذا كان أساسه الناحية الاقتصادية فقط ، اذ أن القسم الثانى يكلف أموالا باهظة ، وما داموا قد زجوا بالناحية المادية فى أمر دينى فقد أعلنا رأينا وهو أن الاسلام يطلب المحافظة

بكل الوسائل وبقدر الاستطاعة على حياة الانسان منذ أن تتكون النطفة ، اى منذ اتحاد البويضة مع الحيوان المنوى وحتى انتهاء حياته على الارض ، اى موت جميع أعضائه . . واننا نعتبر أن هذا المريض هو انسان ولا يمكن تقسيمه الى قسمين ، وأن الدولة فى الاسلام يجب أن تتولى المحافظة على حياته فى حالة عجز الافراد . . وقد كان لرأينا كذلك ضجة كبيرة وخاصة أمام الشعب حيث أنه ثبت له انسانية الاسلام . . واننى لا زلت أذكر أنه بعد انتهاء المؤتمر قمت بزيارة لاعب الكرة الاسبانى المشهور (Moisner) والذى يعيش فى غيبوبة منذ اكثر من ثلاث سنوات عن طريق الاجهزة والآلات ، وكان أحد أفراد عائلته قد تابع المناقشة حول هذا الامر عندما مد يده الىّ وقال شكرا . . وقد أدرك بأن الديانات الاخرى لا تلتزم بالمحافظة على حياة قريبه وانه من الممكن الآن سحب احدى الآلات ليقضى نحبه حالا ، وقد أجبته (الشكر للاسلام) . . وأنا أقول بصراحة باننى لا زلت محتارا ، اذ أن هذا المريض حسب التعريف الحديث هو ميت ، لأن جهازه العصبى المركزى ليس به حياة فهل كان رأينا مطابقا للاسلام ؟؟ فما قول علمائنا ؟.

وأخيرا فقد نوقشت امكانية زرع الاعضاء التناسلية والجهاز العصبى ، وخاصة المخ . . وقد حدثت مناقشات حادة وبعض المسيحيين سمحوا بذلك وقالوا ان هذه العملية لا حرج فيها ولا فرق بينها وبين زرع أعضاء أخرى . . واما اليهود فقالوا بأن الأمر مبكر ولا يستطيعون البت بذلك ، وكان رأينا صريحا بأن هذه العمليات اذا كان من شأنها تغيير شخصية المرء كما هو الحال بزرع المخ (وطبعا هذا شيء نظرى لانه من المستحيل من الناحية العلمية) فهو ممنوع اصلا وكذلك فان زرع الأعضاء التناسلية وخاصة المبيضين سيجعل الشخص المزروع فيه ينتج نسلا لا يمت اليه بصلة بل يمت الى الشخص المنقول منه اذا أن البويضات قد تكونت أصلا فى المبيض أثناء الجنين والخلايا التى تنتج الحيوانات المنوية كذلك وقد قارنا تلك العمليات بالتلقيح الصناعى وهو محرم فى الاسلام .

تميز الاســـلام :

وقد تبين بعد المناقشات شموخ الاسلام وانفراده بشيئين اساسيين هو مسايرته للتقدم العلمى مع الاحتياط اللازم . . ووضع مصلحة المجتمع كحجر أساسى ثم انسانيته العظيمة التى لا ترقى اليها ولا يشوب مبادئها اى شرط مادى او منفعة خاصة . .

وكانت ردود الفعل هائلة من الشعب عامة ومن ممثلى الديانات الاخرى خاصة اذ أنهم أصبحوا فى موقف حرج لانفراد الاسلام فى تلك الأمور واجاباتنا بشكل واضح صريح وصعوبة اجابتهم وعدم استطاعتهم استنباط أحكام شرعية من كتبهم المقدسة التى تخلو من كثير من الامور . .

استنتاج وخلاصــة :

ولا أستطيع أن أذكر التطورات الاخرى للجان المختلفة لسعة المقال . .

ولكن الأهمية بالنسبة لي هو في هذه النتائج التي استخلصها من هذا المؤتمر ليطلع عليها الأخوة في بلادنا وهي :

١ — أنه من الصعب أن تجد في مثل هذه المؤتمرات العلمية أشخاصا من بلادنا ، وبالنسبة للمجال الطبي .. فهل خلت بلادنا من مثل هؤلاء .. لا أعتقد ذلك فهنالك لا شك أناس على جانب من الاهمية .. ولكنهم مع الاسف مغمورون لا يسمع بهم أحد انهم كالزهرة في عرض الصحراء لا يشمها الا الأقوام الرحل .. وقد يسأل سائل هذا تحامل ، ان الاعداء يحاولون اخفاء معالمنا وعلمائنا ، وانا أقول هذا ليس صحيحا كليا اننا فرضنا العزلة على انفسنا .. فكثير من جامعيينا قد درسوا في الدول الخارجية ، ولكنهم اذا رجعوا الى البلاد استنهك قواهم جمع المادة والترفع عن الشعب ، وحتى عدم مواصلة البحث فهمهم العيش الرغيد . ولا شك أن الحكومات لها اثر كبير في ذلك ، لقد سألت منظم الحفل لماذا لم توجه دعوة الى بعض الأطباء في البلدان العربية ؟ فقال لي : لمن .. هل تعرف أحدهم .. وقد سكت وطبعا قد أعرف ولكني لم اقرأ على الاطلاق مقالا واحدا لأحدهم في مجلة أجنبية أطلعت عليها حتى الآن ، فاما أنهم لا يكتبون على الاطلاق ، واما أنها كتبت في المجلات الاخرى التي لم يحالفنا الحظ بالاطلاع عليها .. والمجلات على استعداد أن تنشر الابحاث والأمور العلمية والحالات المرضية من أي مكان وما أكثر هذه الحالات في بلادنا .. وأنا القي اللوم في هذا على نقابات الأطباء لعدم الاهتمام بمثل هذه الامور ، وأقترح أن يدخل بهذه النقابات أطباؤنا ممن يزاولون اختصاصهم في أوروبا وأمريكا أو غيرهما ، وأن يكونوا على اتصال مع هذه النقابات لتبادل المجلات والمقالات وترجمتها ونشرها اذا لزم.

لا تمر أشهر عدة الا ونسمع أن هناك مؤتمرات في بلادنا عمالية ، اشتراكية سياسية ... فلاحية .. بعضها عالمي والآخر محلي .. وأما المؤتمرات العلمية فهي ضئيلة وكلها محلية للدول العربية .. فهل يا ترى نعجز عن اقامة مؤتمرات عالمية لأبحاث علمية محضة .. ان هذا ليس بالصعب كما يتصور البعض ، فاذا وجدت الدول التي تستطيع الانفاق وما أكثرها .. ووجد الرجال العلميون من مختلف الدول العربية وهم كثيرون كان بالامكان اقامة مثل هذه المؤتمرات .. وفي هذه الحالة تكون لجان ، ويتصل بطلابنا ممن يدرسون بالجامعات الاجنبية لاستشارتهم بشأن توجيه الدعوات واحضار اختصاصيين للقيام بهذا الامر .. واسبانيا مثال على ذلك فقد عقدت مؤتمرات سابقة كانت بدايتها سيئة ، ثم اخذت بالتحسن شيئا فشيئا كما أن حضور هذه المؤتمرات سيكون دعاية على جانب كبير من الأهمية ، فالعالم لا ينظر الينا الا من خلال السنتنا ، ولم ينظر إلينا بعد من خلال عقولنا .. وواحد من هذه المؤتمرات العلمية في عصر القمر أفضل من عشرات من تلك العمالية أو السياسية التي سئمنا ومللنا من سماعها .

٣ — ان التعرف في هذه المؤتمرات على علماء من البلدان الاخرى سيفيد قضيتنا سياسيا دونما أن نحاول الجهد الجهيد في اظهارها وذلك عن طريق تكوين صداقات مع غيرنا وافهامهم قضيتنا والتقدم في بلادنا ، ولا زلت اذكر أول مقابلة مع برنارد عندما علم انني عربي مسلم من فلسطين ومقدار فرحه ، وكأنه وجد شيئا مجهولا بالنسبة اليه وقبوله دعوتي بكل سهولة واشتياق والتحدث بأمور شتى .

٤ — ان حضور مؤتمرات فى الخارج يجب أن يسبقه الاستعداد ، ويجب ان يكون من يحضره على اطلاع كبير ، وبالنسبة لهذا المؤتمر فالمسؤولون المغاربة الذين تلقوا دعوة الحضور يتحملون مسؤولية الاهمال وعدم الاهتمام المناسب لابلاغها للمختصين بالامر بالوقت الكافى لدراسة الموضوع .. كما أن الاخوة عند تبليغهم هذا القرار كان عليهم التريث قبل السفر حتى يتسنى دراستهم للموضوع دراسة كافية ، فالعصر هو عصر العلم الذى يقوم على المعرفة والتجربة ، وليس العيب أن يتواضع المرء ويقول انى لا أعرف .. وأنا أذكر أنه أثناء المناقشات اثيرت قضية دينية سئل عنها الراهب الذى أرسلته روما وهو Fushs عندما قال : (لا أعرف ما اجيبه الآن ، ولكن اذا أمهلتمونى اربعة وعشرين ساعة حتى افكر واراجع الكتب سأجيبكم ..) .

كما أنه فى الاسلام ليس هنالك فرق بين الدين والنواحى الاخرى فى الحياة فالاحكام يعنيها مصلحة المجتمع والفرد ، وهذه المصلحة اذا كانت تخص الناحية الطبية مثلا فانه يقدر اهميتها الاطباء .. فعلى علماء المسلمين اذا حضروا أى مؤتمر فى أى اختصاص كان ، ان يأخذوا رأى ذوى الشأن ولا يستنكفوا عن أخذ تلك الآراء من هؤلاء بحجة أنهم لم يتضلعوا فى الشريعة أو لم يحصلوا على شهادة من الأزهر أو الزيتونة مثلا .

٥ — عند حضور مثل هذه المؤتمرات ، فعلى المندوبين أن يدخلوا فى صميم الموضوع وما يسألوا عنه ، ومن المفضل ان يتفقوا قبل حضورهم على كل الامور ويكتبوا ذلك فى بيان مجمل حول النقاط التى ستثار فى البحث ويوزعوا هذا البيان على المؤتمرين ، واذا أرادوا تصريحات ، فمن الافضل أن تكون الأسئلة مكتوبة ، والأجوبة عليها كذلك . وهذا يسد على الصحفيين التأويلات ويسد عليهم كثرة الكلام وتضارب الآراء .. وقد وزع اليهود قبل القاء كلمتهم بيانا يوضح كل النقاط وكان خطابهم لا يزيد عن قراءة البيان .

٦ — ان من يحضر هذه المؤتمرات يجب أن يكون على علم تام بلغة اهل البلاد ، وشىء من نفسيتها وطباعها ، وأن لا يتنازلوا عن النقاط الرئيسية .. وأنا هنا أود أن أذكر أنه رغم دفاعنا عن تلك الأمور التى ذكرتها واختلاف وجهة نظرنا عن الديانات الاخرى .. الا أن نتيجة القرارات النهائية كانت مخيبة للآمال بالنسبة لى ، فقد علمت بمكر الآخرين ودهائهم وعدم السماح لى بحضور الجلسة النهائية التى سيوقع فيها على القرارات بحجة أنى لست مندوبا رسميا فى اللجنة الدينية .. وقد أوصيت الاخوة أن ينتبهوا ، وأن يثابروا على ما أبديناه .. ولكن عندما قرئت القرارات على المجتمعين ونشرت بالصحافة كان هناك غير ما أبديناه فمثلا لم يذكروا أننا ضد عملية البيع للاعضاء من الحى الى الحى ، بل ذكروا بأن الديانات كلها تشمئز من البيع ، وتطالب بأن تتدخل السلطات فى حالة استغلال هذه العملية .. أى أننا اقترنا عملية البيع على أن لا يكون استغلالا . وبخصوص امكانية ولى الامر أو الدولة بأن تسمح بالتصرف بالجثث اللازمة اذا كانت فيها مصلحة عامة ، ومع أننا قلنا أن هذا رأى وليس يلزم كل المسلمين .. الا أنه عند ظهور القرار النهائى ذكروا هذا الرأى ، ولكنهم قالوا هناك رأى اسلامى معاكس لا يسمح بأى حال من الاحوال بالتصرف بالجثة .. وطبعا غاظهم أن ينفرد

الاسلام بذلك فوضعوا شرطا مقابله لابطال مفعوله . وبالنسبة للامر الذى يتعلق بعدم استعمال عمليـــة الزرع كأمر تجريبى أكثر منه عـــلاجى ، لم يذكروا رأى الاسلام القاطع .. وكذلك لم يذكروا رأى الاسلام فى امكانية زرع الاعضـــــاء التناسلية .. وهذا ما جعلنى أعتقد بأن الأخوة لم يثابروا على تلك الامور ، إما عن حسن نيـــة ، واما ارضاء لهم وفى تلك الحالات كان مناقضا لقولنا فعنــد خروج القرار كان هناك تساؤل من الطبيب الفرنسى ، لماذا هذا التنازل ؟ وقــد رايت من الواجب علىّ أن أعطى تصريحات أوضح لتلك الامور . أن من يحضر هذه المؤتمرات لا بد أن يكون داهية ويعرف مكر الآخرين ، وأن لا يتنازل قيد أنملة عما يعتقده أساسا .. وقد كان التنازل فقط من ممثلى الدين الاســـلامى ، ولم يتنازل أحد من أولئك .. لقد تذكرت موقف الرسول عليه السلام عندما جاءت قريش لتطلب منه فقط أن لا يسب آلهتها فقط ، ولكنه أبى . فقد كان ذلك تعارضا مع مبـــادئه التى ينادى بها ولم يهتم بخصـــومه ، مع أكثريتهم وكذلك ، فيجب الانتباه عند حضور هذه المؤتمرات من التلاعب بالالفاظ فقد أراد المؤتمرون فى البداية عند قولنا بجواز عملية الزرع أن يقولوا بأن التقدميين فى الاسلام هـــم الذين يوافقون .. وقد أصررت كل الاصرار أن يحذفوا كلمة (التقدميين) وقد بينت بأنه ليس هناك فى الاسلام شيء اسمه تقدم أو محافظ أو رجعىّ ، بل هناك آراء واجتهادات والاسلام كله تقدم .

اليهـــودية والصهيونيـــة :

٧ ــ أما مسألة حضور اليهود مثل هذه المؤتمرات فان هناك مبادىء اساسية لا نتنازل عنها وهو اعتبار أن الدولة المحتلة لفلسطين غير شرعية ، فلا مفاوضات ولا صلح ولا سلام ، واذا كان هذا من الناحية السياسية فما موقفنا من المؤتمرات العلمية التى يحضرها اناس من هذه الدولة ؟ ان الشيء الذى نوده هو أن توجه الدعوة الينا وحدنا دون أن توجه اليهم ، ولكن اذا كان هذا يتحقق فى الدول العربية والاسلامية ، وبعض الدول الاسيوية والافريقية ، فان هذا مســـتحيل فى الدول الاخرى .. فاليهود يتمتعون بمركز مرموق فى عالم الاقتصاد والعلم فى العالم ، ولا يكاد يخلو مؤتمر ما من نفوذهم ، فهل نمتنع عن الحضور بحجـــة وجودهم ؟ ان هذا ما خطر بفكرى فى البداية وجعلنى أستشير الاصـــدقاء من الاسبان ، وبعض الاخوة العرب . واهم شيء التفكير بعيـــدا عن العاطفة فى بلاد ليست عربية .. واستقر الراى على أن عدم الحضور هو عمل سلبى ، وهو افساح المجال لهؤلاء الأعداء بالضحك علينا للانسحاب ، وشرب نخب هزيمتنا وعدم قدرتنا على المجابهة .. فالعالم العلمى والثقافى بحاجة أن يعرف وجهـــة نظرنا وهو يستمع الينا ، ويعطف علينا اذا احسنا نقل تلك القضية اليـــه .. ومحاولة بعض زعمائنا التفريق بين اليهود والصهيونية ، وبين يهود فلسطين ، واليهود الآخرين هو شيء جميل أمام العالم لاثبات أننا لسنا ضد اليهودية كدين ولكنه شيء خطير اذا حاولنا غرس هذا الراى فى بلادنا ، وخاصة لفدائيينا . فهذه التفرقة ستؤدى الى أن تخلق فى النفس مشاعر من الشك ، ونحن أحوج ما نكون الى رجال حربيين مائة فى المائة على جانب عظيم من الحماس والتعصب

الأعمى الذى يتجاوز الحد ، وهـذا التعصب سيسد المنافذ التى قد يحـاولون التسلل منها .. وأنا أعلن هذا بصراحة بأنى طيلة وجودى بأوروبا واختـلاطى الكثير ، ومعرفتى الشخصية وسماعى واستنتاجاتى لم أجد يهوديا واحدا ليس صهيونيا ، أو على الأقل لا يعطف عليها وأولئك الذين هم فى بعض البلدان العربية السنتهم معنا لتحقيق مصالحهم ، ولكن قلوبهم وأعمالهم مع الصهيونية ، فكم من يهودى مغربى درس بمنحة من حكومة المغرب فى اسبانيا ، حتى اذا أنهى دراسته سافر الى فلسطين المحتلة ، كذلك فان التفريق بين اليهود الذين يسكنون فلسطين وبين من يعيشون فى الخارج هو تفرقة لها نتائجها الخطيرة .. فمن يمد الدولة هذه بالسلاح والمال .. وكلنا يعلم بأن يهود أمريكا هم المسؤولون بالدرجة الاولى واذا كانوا لا يحملون جنسية الدولة اليهودية فى فلسطين ، ولا يعيشون هناك فهذا بالنسبة لهم أمر ثانوى .. ولا شك أن هناك افرادا قلائل من اليهود قـد يعارضون الصهيونية ، ولكن كيف يمكننا التأكد من صحة قولهم والوثوق بهم ، انه على كل يهـودى أن يضـع علامة استفهام لأول مرة بأنه صهيونى حتى يثبت العكس .

انـا فلسـطينى :

وقبل اختتامى لهذا الحديث ، أحب أن اذكر مشادة كلامية جرت بينى وبين الحاخام لفلسطين المحتلة عندما كان فى قاعة الفندق يتحـدث عن دولته وحبها للسلام ، حينها قلت له : هل تسمح لى بكلمة .؟ قال : تفضل — وهو يتحدث خليطا من الاسبانية والبرتغالية — .

قلت : من أين حضرت قبل ذهابك لفلسطين .

قال : انا أصلى من بولندا ، وقد عشت فى البرازيل ..

قلت : هل تدرى من أين انا بالضبط .؟

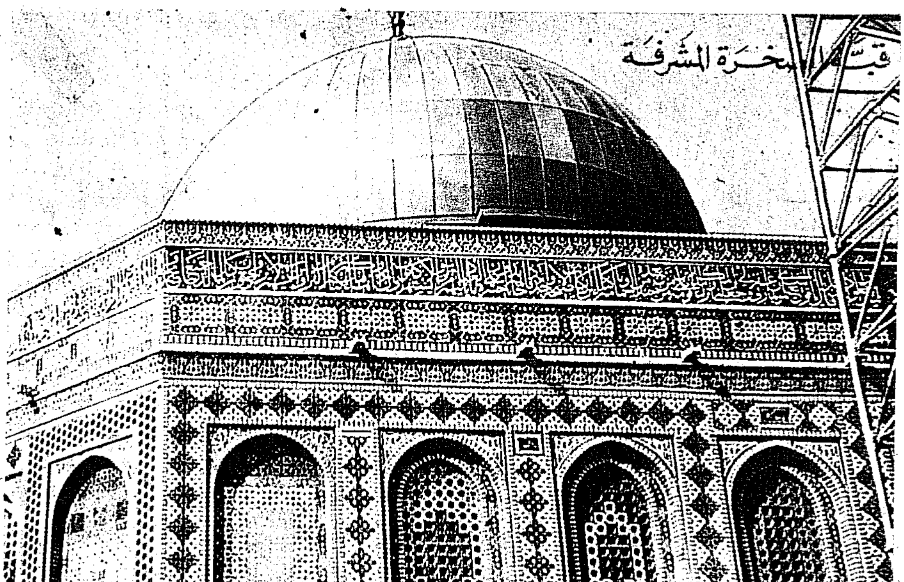
قال : لا أدرى ..

قلت له من فلسطين .. من حيفا أولا ، ومن نابلس ثانيا .. طردت مرتين ووجهت كلامى للحاضرين .

اليست مأساة أيها الاصدقاء أن يستطيع هـذا البولندى الذى قـد يكون أجداده قد اعتنقوا اليهودية من أمد قريب . يستطيع هذا أن يرجع الى فلسطين معتمدا على حق مشكوك فيه بعد أربعة آلاف عام .. أما أنا الفلسطينى الذى لا أعرف وطنا غيره .

انا الفلسطينى لا أستطيع الرجـوع الى بيتى والتمتع بهـواء بلادى .. وتوجهت اليه وقلت له : هل تسمح لى حضرتك بأن تخبرنى من اضطهد اليهود ؟. اليسوا هم الأوربيين ؟. وأن اليهود لم يجدوا ملجأ الا الدول العربية ، وهل بلغت الحضارة اليهودية أوجها الا فى زمن الاسلام فى اسبانيـا ، وانه بعد خروجهم ماتوا فى محاكم التفتيش .. وهل تعلم أن الجاليات اليهودية فى البلدان العربية تتمتع بامتيازات ومعيشة أفضل منا .؟ وقد أجاب على ذلك بدهاء وقال : نعم .. ولكن حاول أن تقارن رجال العودة من الفلسطينيين باليهود الذين هاجروا من

البلدان العربيـــة . وقد رددت عليه أمام الحاضرين أن هذا القول مغلوط ، ان هؤلاء هاجروا باختيارهم .. كما أنهم لم يذهبـــوا الى فلسطين كمواطنين ، بل ذهبوا لاقامة دولة موجهين من قبل الصهيونية والاستعمار فى العالم .. كمـــا أخبرته بأن كون الفلسطينيين عرب لا يمنع من أن يتمتعوا بمقومات خاصة ومميزة تجعلهم شعبا قائما بذاته يحب الحرية والاستقلال وان كان جزءا من الأمة العربية وأن هذا الشعب يرفض الاندماج أو التعـــويض للعيش فى البلدان العربيـــة ، وضربت له مثالا ، فقلت له : اننى أعيش هنا فى أسبانيا ، وقد أتيحت لى الفرصة للتمتع بالعيش الرغيـــد ، ولكن قلبى وأنظارى معلقة دائما فى حيفا ولا أرضى عنها بديلا .. فما بالك بأولئك الملايين المشردين الذين لا يملكون شيئا .. هل تعتقد بأنهم يرضون ببلادهم ثمنا .. وقلت له : ألا تعترف بحق هؤلاء فى الرجوع لبلادهم ، أليس كفاحهم الآن كفاح حق وعدل ، فأجاب بلهجة داهية : نعم .. هذا صحيح . .ولكن نريد أن نجلس معا على مائدة واحدة لنبحث هـــذه الامور .. وأدركت ذلك الاصرار من طرف دولتهم بالجلوس معنا وذلك الوسواس الذى يؤرق حياتهم وانه رغم تلك الانتصارات العسكرية لم يتقدموا خطوة واحدة . فقلت له : كيف يمكن الجلوس معكم ؟. ان هـــذا يعنى أن نعترف بدولتكم التى قامت على جثثنا وأرواحنا ، يعنى أن نعترف للمجرم بجريمته .. ان هذا غير ممكن ، عليكم أن تسمحوا أولا للفلسطينيين بالعودة ، ثم بعد ذلك يعيش الجميع بما تسمح به البلاد بالاتساع وترجع تلك الارض مرة أخرى تحمل اسم فلسطين بدل اسرائيل . وقلت له موجها : أتستطيع أن تقول لحكومتك بأننا مصممون على العودة مهما كلف الامر ، وان حل القضية لا تحاولوا أن تبحثوه مع أى زعيم عربى فالحل يقرره شعب فلســـطين بأجمعه ، واذا أحببت فليكن ذلك باســـتفتاء عام بحضور ممثلين عن هيئة الامم المتحدة لترى أن هناك اجماعا على العودة ، ونحن الآن كتلة واحدة فى ساحة المعركة ، ولم يطل ذلك النقاش حيث انصرف الى شأنه .



تربية النفوس في الاسلام

للدكتور محمد محمد خليفة

واجه الاسلام وحشية الوثنيين فى مكة ، ثم واجه تنكر اليهود وغدرهم به فى المدينة ، وهم الذين كانوا يستفتحون به على الكفار (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) .

وقد أمر الله رسوله بتبليغ رسالته (يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) وتبليغ الرسالة فى مجتمعات الوثنيين المعاندين والكتابيين الذين حرفوا كلام الله من بعد ما عقلوه أحوج ما يكون الى قوة ، تحمى تلك الرسالة من التيارات المناوئة وتصون صاحبها والمؤمنين بها ، وتنشرها تحت ظلال السيوف اذا ركب الضلال رءوسهم .

والقوة المرجوة تحتاج أول ما تحتاج الى تربية النفوس واعدادها للمستقبل الذى يواجهها حتى لا يخوض الرسول صلى الله عليه وسلم أهوال ذلك المستقبل بنفوس تتطاير حين تواجه شرور الوثنية او اليهودية او عدوان المتشبثين بعروشهم وراء جزيرة العرب خوفا على تلك العروش من أن يقوض الاسلام سلطانها .

تربية الله للنبى وتربية النبى للمسلمين

أدب الله نبيه وصنعه على عينه منذ نشأ فى مكة فأدب النبى أمته وصنعها على عينه منذ بعث ، وقد حدثت عائشة رضوان الله عليها عن تربية الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (القرآن) .

تلقاه من ربه فتأدب به وحمل نفسه على العمل به قبل ان يحمل غيره ، وبنى به نفسه قبل ان يبنى به سواه ليكون فى عمله لامته القدوة الصالحة والأسوة الحسنة .

أصاخ الى أمر الله : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فكان خير مثل لامته فى العفو عند القدرة حين قام على رأسه احد الاعداء بالسيف فى غفلة من أصحابه فقال له : من يمنعك منى ؟

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : الله

فسقط السيف من يد الرجل فالتقطه الرسول وقال للرجل : من يمنعك منى ؟

فقال الرجل : كن خير آخذ ، قال الرسول : قل أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله ، فقال الرجل : لا . غير أنى لا اقاتلك ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى الرسول سبيله ، فعاد الرجل الى أصحابه فقال لهم :

جئتكم من عند خير الناس .

وقد أكمل الله بناء نبيه فكان أشجع الناس وأعدلهم واسخاهم واصبرهم على الجوع والمكاره ، وأشدهم تواضعا ، وأرحمهم بالفقراء والمساكين .

بل لقد اجتمعت فيه مكارم الاخلاق كلها فلو تجسمت فضيلة من الفضائل لكانت محمدا صلى الله عليه وسلم وبكل الاداب الاسلامية أدب أصحابه وبأخلاق القرآن بنى نفوسهم ففتحت اخلاقهم البلاد قبل أن تفتحها سيوفهم ودانت لاخلاقهم القلوب قبل أن تدين للرماح الاعناق وما أكثر الوصايا التى وصى بها الرسول وخلفاؤه القواد المحاربين بألا يقاتلوا الشيوخ والاطفال والنساء والضعفاء ، وإليكم الدعائم التى بنى عليها الرسول نفوس المسلمين :

١ ـ الايمان ..

كان الايمان من اعظم الركائز التى اعتمد عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى بناء الامة الدينى والسياسى والحربى والاقتصادى والاجتماعى فكان المسلم بايمانه الكامل لبنة صلبة فى بناء المجتمع الشامخ لا يزعزعه مروق من حدود الدين وآدابه ، ولا يهزه هوى سياسى ، ولا يقعده تواكل حربى ولا يغل يده عن البذل اضطراب اقتصادى ولايصم أذنه عن نداء مبدأ اجتماعى .

كان المسلم ايمانا عاملا فى دنياه، متفاعلا مع الحياة يعطيها الجهد ، فلا تضن عليه بالخير ، ويجذبها الى ما يقربه من ربه فتستجيب بل تدين له ، عاش لمجتمعه ، فعاش به مجتمعه ، وبهذا الايمان شقت الامة الطريق بين الاشواك والادغال والبحار والجبال فدقت أبواب الهند والصين وفارس وما وراء فارس ، واستهانت الامة بالجهد بل بالموت فى ذلك المنتأى لتشترى للاسلام هنالك الحياة ، وما اشتكى دعاتها فى ذلك المنتأى اغترابا ولا نصبا بل حبب الايمان الى نفوسهم العمل الدائب فى نشر دعوة الحق مخلصين لله صادقين فى رفع كلمته .

فمالنا لا نعمل الا حيث نؤجر ، ولا نعطى الا حيث نأخذ ونشح بما وهبنا الله من علم لنبيعه لمن لا يصونه أو ينتفع به ونشيح بوجوهنا عن طلابه وربما أنتفع به أولئك ونفعوا ؟

أترانا فقدنا ايماننا او انكرنا أثره فى الخلق والاصلاح أو أيأستنا من رسالتنا المجتمعات المنحلة فطوينا على اليأس والالم النفوس ؟

ان أمتنا الاسلامية الكبيرة مازالت ترجو ايمانا هاديا يقودها الى الحق

فى دنيا التيارات المذهبية التى تلعب بعقول شبابها ، وما زالت ترجو ايمانا عاملا فى كل حقل من حقول مجتمعاتها التى يهددها الجدب الروحى بل انها لترجو ايمانا ثائرا يصرخ فى وجه الحاكم : ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ، فردوا عن هذا الدين حماقات المأجورين ، وصونوا الاجيال مما يهدد العقائد (ولينصرن الله من ينصره) .

٢ ـ جهاد النفس :

ان أشق ما يعانيه الانسان جهاد نفسه التى بين جنبيه والتى تسول له الخطيئة ، وتزين له الشر حتى يقع بين حبائله ولا يستطيع كبح جماح النفس غير المؤمن الذى يحارب شيطان نفسه حتى يقهره .

وربما يكون جهاد العدو أيسر على المجاهد من جهاد نفسه وذلك ما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لقوم قدموا من الجهاد (مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) .

قالوا : وما الجهاد الاكبر يا رسول الله ؟

قال : جهاد النفس .

فلا يستقل بوصف المجاهد عند الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك الذى يصارع أعداء الله ، او الذى يسيل دمه فى سبيل الله ، او الذى يقضى حياته غازيا يفتح الآفاق لكلمة الله ، وانما المجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله .

فاولئك الذين يتحكمون فى بشريتهم ليجردوها من الحيوانية الشرهة ، ويتساموا بها فوق البشرية الطينية ، واولئك الذين يحملون نفوسهم على الخير ، ويحاربون فيها نوازع الشر .

وأولئك الذين لا تثنيهم متاعب الحياة عن عبادة الله ، كل لولئك وامثالهم هم المجاهدون فى نظر رسول الله ، فجهاد شهوات النفس والبطن وجهاد ميولهما وثوراتهما جهاد اكبر .

وقد حدثت عائشة رضوان الله عليها عن جهاد البطن فقالت : ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا .

وحدثوا أن معاوية بعث الى السيدة عائشة فى خلافته بمائة وثمانين الف درهم فقسمتها بين الناس فلما امست قالت لجاريتها : (هلمى فطورى) وكانت صائمة فجاءتها بخبز وزيت وقالت الجارية : ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشترى لنا بدرهم لحما نفطر عليه ؟ فقالت : لو ذكرتينى لفعلت .

لقد نسيت عائشة نفسها وهى تقسم الاموال على الناس فلم تفكر فى فطورها وبين يديها اكوام المال حتى استنفدت عطية معاوية ، وكيف لا وهى بنت أبيها بنت أبى بكر الذى جاد بكل ماله لله ، فليتنا ننتفع فى دنيانا بأخلاق عائشة وأمثال عائشة وليتنا نجاهد نفوسنا ونؤثر المحروم لنكسب حبه ونحقق بذلك دعامة من الدعائم التى بنى عليها الرسول امته .

٣ ـ الصبر :

ودعامة الصبر تتناول الصبر على الجوع ، والصبر على الايذاء والصبر على المكاره والصبر على المصائب والصبر على لقاء الاعداء والصبر على الطاعات .

وفى كل أنواع الصبر كان الرسول صلى الله عليه وسلم قمة الصابرين وانعكست طبيعته الصابرة على من حوله من المسلمين فكان لهم أسوة نعم الأسوة :

صبر على الجوع حتى شد الحجر على بطنه ، وصبرت أبياته على ذلك وصبر أصحابه فأكلوا أوراق الشجر

حين قاطعتهم قريش وعزلتهم فى شعب بنى هاشم ليرغموهم على الرجوع عن دينهم . ولكنهم آثروا الموت جوعا على عبادة الأحجار أو الأرباب كما كانوا يعتقدون .

وصبر الرسول على ايذاء قريش له حتى أخذوا بتلابيبه فى الحرم وخنقوه ووقف أبو بكر بينهم وبينه يبكى ويقول : أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله .

وتأسى به فى الصبر على الايذاء بلال وعمار وياسر وسمية وغيرهم ممن صبروا على العذاب وآثروا الشهادة فى سبيل الله بل ظفرت سمية بالشهادة وهى تكوى بالنار وتهتف : لا اله الا الله محمد رسول الله .

وصبر محمد عليه الصلاة والسلام على غلمان الطائف وهم يقذفونه بالحجارة حتى ادموا عقبه حين راح يعرض على ثقيف أن تجيره من قريش فردته ثقيف وخرج فى اثره غلمانها يقذفونه بالحجارة ، فكان هذا الموقف درسا لفاطمة بنت الخطاب فى موقفها من عمر (قبل اسلامه) حين انكر عليها وعلى زوجها اسلامهما فحمل عليهما وضربها فشج رأسها وسال وهى صابرة لا تخشع لغلظة عمر بل تعلن فى اصرار اسلامها غير خائفة من بطشه .

وصبر الرسول صلى الله عليه وسلم على طاعة الله فكان يقوم أكثر ليله متعبدا ، وثبت عن حذيفة انه كان يقرأ فى الركعة الواحدة نفلا (البقرة والنساء وآل عمران).

وصبر على المعارك فشجت رأسه فى أحد وسال فخضب لحيته ، وصبر على البرد وهو يحرس موقعه من الخندق حين زحفت قريش وأحلافها على المدينة فحفر الخندق حولها ، وسهر كالجندى يحمى موقعه فلم ينم حتى وافاه صحابيان فطلبا منه أن ينام وان يقوما هما بحراسة الموقع فاستجاب وأغفى اغفاءة ثم رفع رأسه وقال للصحابيين : انصرفا فقد عصمنى الله من الناس حيث نزل جبريل بقوله تعالى : « والله يعصمك من الناس » .

ولقد حقق الصبر للمسلمين النصر فى معاركهم مع العرب وغيرهم وكان من أعنفها معاركهم مع الفرس الذين كانوا يدفعون بالفيلة أمام جيوشهم لينفروا بها خيول المسلمين فكان المسلمون يترجلون عن خيولهم ويعترضون الفيلة برماحهم فيطعنونها ليزحزحوها عن أرض المعركة وتحت أقدام الفيلة كان يلقى طاعنوها مصارعهم فى صبر وايمان .

وما أكثر قصص المجاهدين الذين صبروا فى المعارك واستهانوا بالموت طلبا للشهادة .

بل لقد بكى خالد بن الوليد سيف الله كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو على فراش الموت لان الله لم يكتب له الشهادة التى كان يتمناها وقال :

لقد شهدت مائة زحف أوزهاءها ومافى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف او رمية بسهم او طعنة برمح وهأنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) .

وأثر عنه أنه كان يقول : ما كان فى الارض ليلة أحب الى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو) .

فما لنا لا نتخذ من سيرة الرسول وصحبه دروسا نربى عليها الاجيال لنعيد الى الوجود المعسكر الاسلامى كمعسكر له دينه واخلاقه وايمانه وصبره .

نموذج من دعاة الاصلاح في عصور الركود الفكري

— ٢ —

للشيخ محمد الصادق عرجون

فى المقال السابق عرضنا فى حديثنا عن الامام ابن تيمية فى جانب من جوانب حياته العريضة الخصبة ، وهو جانب الداعى الى الله تعالى — لونا من نهجه فى تفسير القرآن الكريم ، أدار فيه الكلام على لفظ (ربيون) من قوله تعالى (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير) بعد أن اعطى مجمل الآية حقهـــا .

والمتأمل فى هذا التفسير يرى أن الامام ابن تيمية يجمع فى نهجه بين التفسير بالمنقول عن السلف ، والتفسير الذى يعتمـــد على فهم المعنى من أوضاع الالفاظ واستعمالاتها فى اللغـــة ، وعلى سياق الآيات ، واســـباب نزولها ، والاحداث المشابهة لها فى دلالاتها ، بل انه يذهب الى أوســـع من ذلك ، الى ابعد مما يحتمله اللفظ فى مجرد وضعه اللغوى ، كما يلمح ذلك فى ادارته معنى المعية فى قوله (قاتل معه) حتى جعلها تشمل كل قتال على الدين، وكل قتل فى سبيله ، وجعل كل مجاهد فى سبيل الله من المؤمنين الى يـــوم القيامة مقاتلا مع النبى صلى الله عليه وسلم ، داخلا فى معية الآية .

فما اشتهر عنه من القول انه يمنع التفسير بغير المأثور ، معناه — فيما يظهر لنا — انه يحظر الهجوم على تفسير القرآن بمجرد الرأى والهـــوى ، اعتمادا على مجرد فهم المعنى من اللفظ بدلالته اللغوية تأييدا لمذهب أو فكرة ، او انتزاعا لرأى دون بحث عن نص مأثور ، أو ربط لألفـــاظ الآية بسياقها وسباقها ، ولكنه لا يمنع مع التقيد بالآثار إن وجدت أن يفتح الله على عبد من عباده العلماء المخلصين باب فهم يؤتيه اياه ، لم يكن مأثورا ، ولكنه من معين

الحكمة والفضل الالهى ، والاتجاهان موجودان فيما ثبت عنه من التفسـير ، ويدل على ذلك ما رواه صاحب العقود الدرية من قول الامام (ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير ، ثم اسأل الله الفهم ، وأقول : يا معلم آدم وابراهيم علمنى ، وكنت اذهب الى المساجد المهجورة ونحوها ، وأمـرغ وجهى فى التراب وأسأل الله تعالى ، وأقول : يا معلم ابراهيم علمنى) .

وكان رحمه الله تعالى فى علوم العربية آية من آيات الله فى الاحاطة بفنونها ، وقد ذكر مترجمو حياته أنه وقع له مع أبى حيان المفسر النحـوى صاحب كتاب البحر فى التفسير قصة تدل على سعة اطلاعه وطول باعه فى معرفة دخائل العربية .

وكان أبو حيان مفتونا بسيبويه امام العربية ، ينكر على من يغمزه بخطأ فى العربية ، وكان أبو حيان عارفا بفضل ابن تيمية يقدره ويعرف مكانته من العلم والمعرفة ، ولكنه سمع ابن تيمية مرة يخطىء سيبويه فى مسألة مـن كتابه ، فعظم ذلك على ابى حيان واشتد على ابن تيمية فى انكاره أن يكـون سيبويه مخطئا ، مما حمل ابن تيمية على النظر فى كتاب سيبويه نظرات ناقدة، فاستخرج منه عدة مواضع كشف فيها عن خطأ سيبويه .

وحسب ابن تيمية حجة فى براعته اللغوية فصاحة أسلوبه فى المناقشة والجدل واملاء كتبه ورسائله وفتاويه ، وهى بالقدر الذى لم يذكر التاريخ أن أحدا خلف مثلها كيفا وكمـا .

وقد يكون غريبا أن يقف ابن تيمية للفلاسفة يناقشهم وينقض عليهم فلسفتهم بأسلوبهم ومنطقهم ، فقد تعرض لابن سينا وآرائه وناقش ابن رشد فيما ذهب اليه فى كتابه (فصل المقال) وغيره ، مناقشة الخبير بطرائقهم ، وفضـح رسائل اخوان الصفا ، ونقد المتكلمين من جميع الفرق ، وفند آراءهـم المخالفة لنهج الكتاب والسنة ، وانتقد ابا حامد الغزالى فى انحيـازه الى الفلاسفة فى بعض المسائل ، وان كان يعترف له بأنه لم يكن يوافقهم فى كل ما يقولون ، وفى ذلك يقول ابن تيمية (كان أبو حامد مع ما يوجد فى كلامه من الرد على الفلاسفة وتكفيره لهم وتعظيمه النبوة ، ومع ما يوجد منه من أشياء حسنة بل عظيمة القدر نافعة يوجد فى بعض كلامه مادة فلسفية وأمـور أضيفت توافق أصول الفلاسفة المخالفة للنبوة ، بل المخالفة لصريح العقل ، وينقل ابن تيمية عن أبى عبد الله المازرى ، وكان من اشد خصوم الغـزالى قـولـه :

(ووجدت هذا الغزالى يعول على ابن سينا فى اكثر ما يشير اليه فى علوم الفلسفة حتى انه فى بعض الاحيان ينقل نص كلامه من غير تغيير وأحيانا يغيره وينقله الى الشرعيات أكثر مما نقل ابن سينا لكونه اعلم بأسرار الشريعة منه ، فعلى ابن سينا ومؤلف رسائل اخوان الصفا عول الغزالى فى عـلم الفلسـفة) .

ولابن تيمية موقف اسلامى عظيم مع الشيعة الرافضة والنصرانية الملحدة والباطنية الكافرة أبان فيه عن الحادهم وكشف كذبهم ، وجعل من كتـابه (المنهاج) آية على أن هذه الطوائف الخبيثة التى ينتسب بعضها الى الاسلام زورا هى أعدى أعداء الاسلام ، ولم يقف معهم عند حد كشف باطلهم علميا ،

ولكنه ابان عن عوارهم السياسى وخبثهم فى دسائسهم ضد الاسلام والمسلمين، وأنهم كانوا أعوان أعداء الاسلام من الصليبيين الحاقدين ومن التتار المتوحشين، وأن خبيثهم ابن العلقمى وزير الخلافة العباسية فى أيام احتضارها على يدى المستعصم هو الذى خان الاسلام والبلاد وفتح أبواب بغداد لهؤلاء الوحوش المغوليين حتى قضوا على الخلافة الاسلامية قضاء نهائيا ، بل قضوا على الفكر الاسلامى وآثاره من التراث العلمى التى عبثوا بها عبثا بغيضا ، منكرا ، وأعملوا سلاح الفتك بالعلماء يقتلونهم ويشردونهم ، ولو لم يقيض الله تعالى ملوك مصر وجندها بتحريض الامام المجاهد الصابر المحتسب ابن تيمية فردوهم عن بلاد الاسلام مدحورين لما بقى على الارض اثر للخير والهدى ولكن الله تعالى الذى أنزل كتابه المجيد هدى ورحمة للعالمين ، ورضى لعباده الاسلام دينا — القى فى روع الامام ابن تيمية أن ينفر الى سلطان مصر الناصر قلاوون بعد هزيمته أمام التتـــار ، ولم يزل به يقوى عزيمته ويستنهض همته ، ويوقظ دعائم الايمان فى قلبه ، ويعده بنصر الله حتى شرح الله صدر هــذا السلطان وجهز كتائبه وعاد الى الشـــام لملاقاة الوحوش التتارية ، فحاربهم حــربا مريرة كان فيها ابن تيمية جنديا مجاهدا أو فارسا معلما ، يقف موقف الموت فى صدر أبطال الحملة الاسلامية ، وقد نصر الله جنــده وهــزم الباطـــل وحزبه ، وعادت كلمة الاسلام مدوية فى الآفاق ، ولم تقم لدولة الباطل المتوحش قائمة بعد هذا النصر الاسلامى المؤزر الذى كان بطله الحقيقى هــذا الامام العالم الذى رباه الاسلام بتعاليمه وأدبه فأحسن تربيته .

ولم يقف اثر هذا النصر عند حد الهزيمة للمتوحشين التتـــار ، ولكنــه فتح امامهم باب الهداية فدلفوا الى الاسلام يدخلون فيه أفواجـــا ، حتى أصبحوا من اهله وأنصاره ، واقاموا فى ظله المؤمن الموحـــد ، وهذا من عجيب صنع الله (يدخل من يشاء فى حمته والظالمين أعد لهم عذابا اليمـــا) .

كان من اشد المحن التى لقيها الامام ابن تيمية فى حياته موقفـــه من (متصوفة) عصره فقـــد حاربوه بألسنتهم وأيديهم ، وأغروا به السفهاء حتى نالوا منه بأيديهم ، وهذا أقسى ما يلقاه داعية الى الله تعالى ، وقـــد كان الامام ابن تيمية كريما مع أعدائه الذين آذوه بألسنتهم وأيديهم ، لانه كان يعيش للحق ، يرفع لواءه ، وينشره بين الناس ، وهو اعرف العارفين بما لقى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فى سبيل الدعوة الى الله ، ولم يكن يقابل اشـــد الايذاء من الســـفهاء الا بالتضرع الى الله أن يهـــدى قومه ، ويعتذر الى الله عنهم بأنهم لا يعلمون ، فكانت له برسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الاسوة ، ذكر بعض من ترجم له أن بعض محبيه ومقدرى فضله من عامة أهل مصر أرادوا أن يدافعوا عنه بمثل ما اوذى به فأبى عليهم اشد الاباء ، وقال لهم فى مدافعتهم عن مقابلة السفهاء بمثل عملهم : اما أن يكون الحق لى ، أو لكم ، أو لله ، فان كان الحق لى فهم فى حل منه ، وان كان الحق لكم فان لم تسمعوا منى فلم تستفتونى ؟ افعلوا ما شئتم ، وان كان الحق لله ، فالله يأخذ حقه ان شـــاء .

والمتصوفة الذين حاربهم ابن تيمية هم أرباب الشطح الذين فلســـفوا « التصوف » العملى ، وجعلوه مذهبا نظريا ، يشطحون فيه بما يخـــالف

شريعة الاسلام ، بل بما يناقض الشرائع الالهية كلها ، وينقضها من أساسها ، فقد جعل كثير منهم هجيراه الكلام فى وحدة الوجود ، وظهر من بعضهم كلمات شديدة لا تقبل التأويل ، وقد تبع ذلك شيوع الخرافات والاساطير ، وأغرق العامة فى الدعاوى الكاذبة والاباطيل ، تقال باسم الدين ، والدين منها برىء ، فشمر لهم ، وانكر عليهم أشد الانكار ، وجاهر بانكاره وتفنيد باطلهم ، وانتهض لمحاربتهم بالحجة والبرهان ، وكان شيوخ المتصوفة المعاصرون له الذين يتبطنون مذهب وحدة الوجود على صلة سياسية بالسلاطين ، يقودون لهم الشعب بزمام السيطرة القلبية والسلطان الروحى ، ولكن ابن تيمية لا يعرف المداهنة فى الحق ، فلم يسكت على هذا الباطل ، وناضل عن آرائه وعقيدته، وناظر شيوخهم فحجهم ، فعمدوا الى ايذائه ، وشكوه الى السلطان وافتروا عليه الكذب ، واختلقوا عليه الاقاويل ، فحبس وضيق عليه فى حبسه، ولكنه مضى فى سبيله قدما ، يجهر بكلمة الحق ، فتخرج من وراء أسوار سجنه داوية ، وكان يعلن عن تكفير كل من يذهب الى القول بوحدة الوجود ، أو القول بالحلول والاتحاد ، ويبدع كل من يخرج على السنة المطهرة فى عمل أو عبادة .

وقد اتصل ذلك بمسألة حساسة لدى جمهور المسلمين ، أثارها عليه هؤلاء المتصوفة ، وهى فتواه الحموية ، وقد امتحن امتحانا شديدا بما جاء فيها ، وكان اشد ذلك على قلوب الجمهور قوله بالمنع من زيارة الروضة المشرفة ، وشد الرحال لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقوله بعدم جواز الاستغاثة بأحد من المخلوقين ، نبى أو ولى ، وأن الاستغاثة حق لوحدانية الله تعالى المنفرد بتدبير ملكه ، ونفع العباد أو ضرهم كإحيائهم وإماتتهم ، ورزقهم .

وابن تيمية لا ينكر (الصوفية) بمعنى السلوك الخلقى ، والنهج العملى الذى يحقق تطبيق الحقائق الشرعية تطبيقا عمليا ، باخلاص العبادة والعمل لله تعالى سواء وضع تحت هذا العنوان أم لم يوضع تحته ، وقد بحث ابن تيمية فى لفظ (الصوفية) و (الصوفى) ومرد ذلك من اللغة والتاريخ ، فلم يجد له مساغا لغويا الا على انه نسبة للصوف الذى كان اكثر واظهر لباس الزهاد فى الاسلام ، فعرفوا به تمدحا وقد جاء فى كلام الحسن البصرى الذى رواه عنه أبو نعيم فى الحلية : لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف. ولم يظهر هذا اللقب كعنوان على طائفة مسلمة لها صفاتها وخصائصها ومعارفها ومصطلحاتها الا فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، أما قبل ذلك فلم يكن الا الزهد والتقلل من الدنيا ، واخلاص العبادة لله من قوم اعتزلوا المجتمع الى زوايا العبادة ، وتشددوا فى أخذ أنفسهم بهذا التشدد ، ويقول ابن تيمية فى فتاويه — وقد سئل عن التصوف — : أما لفظ « التصوف » فانه لم يكن مشهورا فى القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك ، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل وابى سليمان الدارانى وغيرهما وقد روى عن سفيان الثورى أنه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصرى . ثم يقول ابن تيمية : أول ما ظهرت الصوفية فى البصرة وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد ، وعبد الواحد من أصحاب الحسن ، وكان فى البصرة من المبالغة فى الزهد والعبادة والخوف

من الله ونحو ذلك ما لم يكن فى سائر أهل الأمصار .. ولهذا غالب ما يحكى من المبالغة فى هذا الباب انما هو عن عباد أهل البصرة ، مثل حكاية من مات او غشى عليه فى سماع القرآن ونحوه كقصة زرارة بن أوفى قاضى البصرة فانه قرأ فى صلاة الفجر (فاذا نقر فى الناقور) فخر ميتا .. فلما ظهر ذلك أنكره طائفة من الصحابة والتابعين .. والمنكرون يظنـــون أن ذلك تكلف وتصنع او أنه بدعة لم يعرف من هدى الصحابة ...

ثم يقول ابن تيمية (والذى عليه جمهور العلماء أن الواحد من هـــؤلاء اذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه وان كان حال الثابت اكمل منه ، ولهـــذا لما سئل الامام احمد عن هذا فقال : (قرىء القرآن على يحيى بن ســعيد القطان فغشى عليه ولو قدر احـــد أن يدفع هـــذا عن نفسه لدفعه يحيى بن ســعيد فما رايت اعقل منه) وقد نقل عن الشافعى انه أصابه ذلك ، وعلى بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب فى صدقه .. وقد يذم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرين عليها والجفاء عن الدين ما هو مذموم ، وقد فعلوا ، ومنهم من يظن أن حالهم هذا اكمل الاحوال وأتمها واعلاها ، وكلا طرفى هذه الامور ذميم) .

ثم قال الامام ابن تيمية : بل المراتب ثلاث :

« احداها » حال الظالم لنفسه الذى هو قاسى القلب ، لا يلين للسماع والذكر ، وهؤلاء فيهم شبه من اليهود ، قال الله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو اشد قســـوة) الآية ، وقال تعالى (الم يأن للذين آمنوا ان تخشـع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) .

« الثانية » حال المؤمن التقى الذى فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه، فهذا الذى يصعق صعق موت أو صعق غشى ، فان ذلك انما يكون لقـــوة الوارد وضعف القلب عن حمله .

« الثالثة » حال من لم يزل عقله مع انه حصل له من الايمان ما حصل لهم أو مثله أو اكمل منه ،فهو افضل منهم وهذه حال الصحابة رضوان الله عليهم .

ثم قال : والمقصود أن هذه الامور التى فيها زيادة فى العبادة والاحوال خرجت من البصرة ، وذلك لشدة الخوف من الله فان الذى يذكرونه من خـــوف عتبة الغـــلام وعطـــاء السلمى وامثالهما أمر عظيم ولا ريب ان حالهم اكمل وأفضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم أو تفضل عليهم .

ثم قال : والتصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة .. وهم يسيرون بالصوفى الى معنى الصديق .. ولهذا ليس عندهم بعد الانبيـــاء أفضل من الصوفى ، لكن هو فى الحقيقة نوع من الصديقين .. ثم قال : والصواب أنهم مجتهدون فى طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذى هو من اهل اليمين .. وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل

التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا ، فان اكثر مشائخ الطريق أنكروه واخرجوه عن الطريق مثل الجنيدين بن محمد سيد الطائفة وغيره ويقول ابن تيمية فى موضوع آخر : نعم للمؤمنين العارفين بالله المحبين له من مقامات القرب ومنازل اليقين مالا تكاد تحيط به العبارة ولا يعرفه حق المعرفة الا من أدركه وناله ، والرب رب ، والعبد عبد ، ليس فى ذاته شىء من مخلوقاته ولا فى مخلوقاته شىء من ذاته وليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات ، وان سمع شىء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب اختلقه الأفاكون الاتحادية المباحية الذين أضلهم الشيطان والحقهم بالطائفة النصرانية) .

ومن هذه التلخيصات التى قبسناها من نصوص كلام الامام ابن تيمية فى فتاويه وهى مطبوعة بين أيدى طالبيها يتبين ما يأتى :

أولا — أنه كغيره حاول أن يرد لفظ « التصوف » و « المتصوفة » و « الصوفى » و « الصوفية » الى أصل لغوى فى الاشتقاق والنسبة فلم يجد ما يمكن أن يكون أصلا يرجع اليه هذا اللفظ رجوعا لغويا صحيحا سوى « الصوف » ونقل عن بعض الاشياخ أن « الصوف » كان اللباس الغالب على أهل الزهادة المتشددين فى العبادة المعرضين عن الدنيا وزخارفها .

ثانيا — انه يرى أن هذا اللفظ كان منذ القرن الأول يدور على ألسنة بعض الاشياخ من التابعين كالحسن البصرى وأصحابه مثل عبد الواحد بن زيد وتلاميذه ، ومثل سفيان الثورى ، وانه ظهر أكثر فى عهد تابع التابعين ، وذكر منهم الامام أحمد وأبو سليمان الدارانى وغيرهما . ثم اشتهر اللفظ وعرفت به طائفة من العباد بعد القرن الثالث ، واكثر ما كانوا فى البصرة ، وكان يغلب عليهم الخوف واذا سمعوا القرآن أو الذكر أخذتهم غشية أو صعقة ، وذكر أمثلة لذلك أقرها ولم ينكرها .

ثالثا — انه يؤخذ من كلامه انه لا يرى ابقاء هذا اللفظ عنوانا على طائفة من العباد ، لانه لم يرد فى القرآن ولا فى السنة ، ولا عرف فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم وأن المعنى الذى يدور عليه عند القائلين به هو معنى الصديقين الذى ورد فى القرآن واليا لوصف النبوة فى ذكر طوائف اكمل المؤمنين ولم يستفد من كلامه أن لفظ « الزهد » و « الزهاد » يمكن أن يؤديه لفظ « الصوفى » و « الصوفية » عند القائلين به .

رابعا — أن الامام ابن تيمية ذكر أن للتصوف مراتب وأحوالا ، وأن المخلصين من هذه الطائفة مجتهدون فى طاعة الله ، واذا جاء عنهم شىء لا يقبل ظاهره فى الشرع عذروا فيه بأنهم قالوه لغلبة الوارد على قلوبهم وضعفها عن احتماله ، وأن الثابتين الذين لا يعتريهم من غلبة الوارد شىء يغطى عقولهم اكمل من أولئك الضعفى .

خامسا — ان الذين خرجوا بسلوكهم واقاويلهم ممن ينتسب الى هذه الطائفة الى تقرير أمور تتعارض مع الاسلام وأحكامه فهم بدعيون مفارقون للسنة ، وإما كفار فجرة إن كان ما يقولونه يناقض أصول الدين فى العقيدة

كالقول بوحدة الوجود أو الحلول والاتحاد ، وشيوخ الطائفة صادقو الايمان كالجند واضرابه أخرجوا من ديوانهم من يذهب الى شىء من ذلك كالحلاج واضرابه .

سادسا — أن الامام ابن تيمية لا يحكم أحكاما عامة يذهب فيها الطيب مع الخبيث ، ولكنه يعدل فى احكامه ويتحرى ، ويعطى كل ذى حق حقه فيثنى على الذين عرفوا بالصحة والصدق فى ايمانهم وعباداتهم ويأخذ عليهم ما خالفوا فيه منبها على ضرره فى الدين ، وذلك كقوله فى الحكيم الترمزى أنه تغلب على كلامه الصحة والصدق ، ثم نقده نقدا شديدا فى وضعه كتاب (ختم الاولياء) وكقوله فى عدى بن مسافر أنه كان رجلا صالحا ، وان اتباعه وضعوا على لسانه عقيدة لم تكن من وضعه وانها منقولة من كلام غيره ، وانهم وضعوا اسانيد للبس الخرقة الصوفية .

والخلاصة ان ابن تيمية فى علمه وفضله لا ينكر على المخلصين من شيوخ الصوفية حالهم ، ولكنه حارب فى متأخرى الطائفة الخروج الى الابتداع ، وحارب من انتسب اليهم من الزنادقة والمتفلسفة الذين احالوا اصول الاسلام الى كفريات وحدة الوجود والحلول والاتحاد مما يقول به النصارى وسواهم من الوثنيين .

ويتجلى من كلام الامام حرصه على الوقوف فى اخلاص شديد مع الكتاب والسنة وما اثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسوخ والثبات مع قوة الايمان .

هذا العرض الموجز لمكانة ابن تيمية العلمية ومعارفه وقيامه بموجب ما حباه الله من فضل هو المعلم الاول الذى يجب أن يتجلى فى نموذج افضل الدعاة الى الله تعالى ، وعلم ابن تيمية ومعارفه لا يمكن ان يصل أحد الى مكانه منهما الا اذا أحاط درسا وبحثا بجميع ما أثر عنه فى مؤلفاته ومناظراته ورسائله ودون ذلك نفاد أعمار الافراد قبل الوصول الى تحقيق البحث فى مأثور العلم والمعرفة عن هذا الامام ، فقد بالغ قوم فى مؤلفاته وكثرتها مبالغة لو صحت لكانت ضربا من الاعجاز ، وحسب القادرين لمكانة العلم أن يبلغوا الغاية أو قريبا منها فى التفقه فيما عرف مطبوعا أو مخطوطا متعالما دون شك من كتب ومؤلفات الامام ابن تيمية ، وكثير من مؤلفاته وفتاويه ورسائله لم يعثر عليه ، والذى عثر عليه لا تزال المطبعة منه فى منتصف الطريق .

وقد حاولت جاهدا ان يكون عرضى لموجز هذه المعلومات مستقى من مطالعاتى الشخصية لما أمكن ان يقع تحت يدى فى الماضى والحاضر من مأثور هذا الامام ، ولا يزال الطريق طويلا يضىء للسالكين (وثانى) المعالم فى شخصية بن تيمية التى جعلته — فى نظرنا — نموذجا لأفضل الدعاة الى الله الذين يجب أن يقتدى بهم هو شجاعته الفائقة ، وجراته فى الحق والجهر به ، لا يخاف وعيدا وترهيبا ، ولا يتلمظ الى وعد وترغيب وصبره واحتماله الأذى مما لم يعرف لاحد سوى افراد من أبطال الاسلام فقد عرف هذا الامام منذ أحس بالمسئولية الايمانية وواجباتها وهو لا يزال فى ميعة الشباب انه مسئول عن دينه وأمته التى تخوض المحن والبلايا ، فلا بد أن يكون طليعة لها وقائدا دينيا يقودها الى طريق عودتها الى حقيقة اسلامها ، تلك الحقيقة التى اضلتها فى غمرة المحن والجهالات والاساطير والخرافات ، فدرس وبحث

وتعمق وتضلع ، ونهض ليقوم بالعبء وحيدا ، ولداته وأقرانه من حــــوله رضوا بالمقام فى دنياهم ، يدفعون عن أنفسهم شر المحن والبلايا سلبا ، وحسب الفاضلين منهم أن يحتلوا كراسى التدريس فى مدارس العـــلم المنتشرة فى عواصم الاسلام ، ولا عليهم أن يكون المجتمع على مستوى ما يدرسون له من علم ومعارف تبين حقائق الاسلام وشرائعه ، ولكن ابن تيمية أبى أن يكون شحنة يفرغ درسا فى المدارس والمساجد ، وانما رأى أن دينه يكلفـــــه تكليفا ويدفعه دفعـــا الى أن يطبق علمه على أعمال الناس ، ولا ســـيما فى عقيدتهم لان العقيدة هى الاساس لوزن كل عمل يصدر من المكلفين .

وقد نشاهد فى المجتمع أمورا أنكرها علمه ومعارفه ، فجاهر بانكاره ، واشتد فى دحض الاباطيل التى كان يراها منسوبة الى الاسلام ، والاســـلام منها برىء ، واجتهد فى أمور ظهر له فيها من اجتهاده مخالفة من سبقه من الائمة ، فأعلن ذلك وجاهر به ، ولم يبال بصيحات المقلدين المتعصبين ولا بقعقعة العامة ولا ببطش الملوك والسلاطين ولم يتهيب الالقاب والسمعة ، ووقف مع اجتهاده يناضل عنه ويجادل الذين يجادلونه ، يقرع الحجة بالحجة ، ويـــرد الشبهة بالدليل مع ثبات جأش وقوة يقين ، لا يلين ، ولا يستكين ، وقد أتعب خصومه ، وكانوا من ذوى السمعة العلمية فى عصره ، وذوى السلطان فى الدولة ، فعقدوا له مجالس المناظرة فكان يحضرها وحده ، وكان خصـــومه كثرة فى العدد ، وقوة فى التناصر بمكانتهم فلما استيأسوا منه خلصوا نجيـــا يتآمرون عليه ، وكتبوا مرات يشكونه للسلطان ، فحبس وأطيل حبسه ، ولكن قلمه لم يحبس ، فكتب وأعلن عن آرائه ، وأطلق من الحبس فعـــــاد الى الدرس ، واستشرى الخصام بينه وبين عديد الطوائف من فقهاء الى صـــوفية الى فلاسفة الى شيعة باطنية رافضة ، الى ملاحدة لا يؤمنون بالنبوة والرسالة ولكنهم ينتسبون الى الاسلام ، فلما عجزوا عن مناضلته آذوه وحرضوا عليه الغوغاء فنالوا منه بأيديهم ، وأبى على أنصاره ومريديه أن يشتبكوا معهم لدفع عدوانهم ، وترجمته مليئة بالقصص والحوادث التى وقعت له بســـبب آرائه العلمية ، ولكنه خرج منها كلها أشجع ما يكون ونحن لم نتعرض لجـــوانبه السياسية والعسكرية التى كان يصول فيها ويجول دفاعا عن الاســـــلام والمسلمين وفيها تجلت شجاعته بما لم يعرف فى التاريخ الا لقلة من أبطـــال الاسلام قادة وعلماء ومواقفه مسطورة فى تراجمه ، فليرجع اليها من شـــاء .

المعلم الثالث : من معالم الداعية فى شخصية الامام ابن تيمية التى جعلته نموذجا للداعى الى الله ، صفاء قلبه واخلاصه فى دعوته ، لقد كثر خصـــومه واشتد عليه منهم الاذى ، وبلغوا منه فى محنته كل مبلغ الا أن يسكتوه عن قولة الحق جهيرة مسموعة ، وكثيرا ما تمكن من رد عدوانهم عليه ، ولكنـــه تكرم ولم يؤذ أحدا منهم بل أنه كان يدافع عنهم ويلتمس لهم الاعذار وقد كتب بذلك من مصر الى بعض أصدقائه بدمشق فقال : (تعلمون رضى الله عنكم انى لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين ، فضلا عن أصحابنا بشىء أصلا، لا ظاهرا ولا باطنا ، ولا عندى عتب على أحد منهم ، ولا لوم أصلا ، بل لهم عندى من الكرامة والاجلال والمحبة والتعظيم اضعاف ما كان ، كل بحســـبه ، ولا يخلو الرجل اما أن يكون مجتهدا مصيبا أو مخطئا ، أو مذنبا ، فالاول مأجور مشكور،

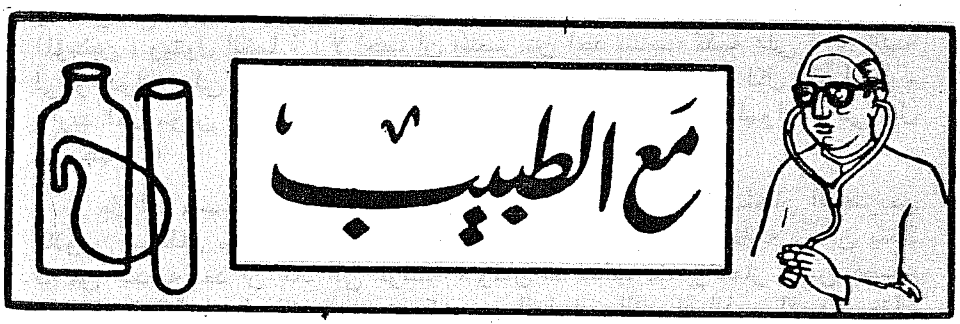
والثانى مع أجره على الاجتهاد معفو عنه ، والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين) ويقول أيضا : (لا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه على ، أو ظلمه لى وعدوانه على ، فانى قدأحللت كل مسلم ، وأنا أحب الخير لكل المسلمين ، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أريده لنفسى ، والذين كذبوا وظلموا هم فى حل من جهتى) .

بل لقد سما ابن تيمية بنفسه لارفع المنازل ، فقد أراد السلطان الناصر بن قلاوون سلطان مصر — وكان صديقا للامام ، يعزه ويعظم مكانته — أن يأخذ له من أعدائه بعد أن عاد الى عرشه ، وكان قد سلب منه وانحاز بعض خصوم ابن تيمية الى أعداء الناصر ، فسأله عن العلماء والقضاة الذين آذوه ، فقال ابن تيمية : ان دماءهم حرام عليه ، وانه لا يحل انزال الاذى بهم ، فقال له السلطان : انهم قد آذوك وارادوا قتلك مرارا ، فقال له الامام : من آذانى فهو فى حل من جهتى ، ومن آذى الله ورسوله ، فالله ينتقم منه ، وأنا لا انتصر لنفسى ، ثم قال للسلطان: انك اذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم .

وقد كان لهذا الموقف الكريم أثره فى نفوس هؤلاء القضاة والعلماء الذين ناصروا خصم السلطان عليه ، وتوقعوا قتلهم ، فلما نجوا قال ابن مخلوف قاضى المالكية بالديار المصرية — وكان أشد خصوم ابن تيمية عليه — ينطق على لسان سائر القضاة والعلماء من خصوم الامام : (ما رأينا مثل ابن تيمية، حرضنا عليه ، فلم نقدر ، وقدر علينا فصفح وحاج عنـــا) .

ولا شك أن هذا من أرفع ما عرف فى أخلاق الدعاة الى الله تعـــالى ، وهو خلق ربى عليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الطليعة من الرعيل الأول الذين سبقوا الى الاسلام ، واحتملوا الاذى فى سبيل عقيدتهم وايمانهم

المعلم الرابع — من معالم الامام ابن تيمية باعتباره نموذجا لافضل الدعاة الى الله تعالى : هو تجافيه عن الدنيا وتباعده عن طلبها تباعدا فرغ عقله وقلبه وجوارحه الى العلم والمعرفة ، والى العمل الايجابى فى تطبيقهما على أحوال المجتمع الاسلامى، فلم يعرف عنه أنه اشتغل بعمل من أعمال الدنيا ، ليكسب منه مالا ، أو يقتنى ضياعا ولا عرف عنه انه تولى عملا من أعمال الدولة ، يتقاضى عليه أجرا ، ولكنه أعطى حياته وجهده للدعوة الى الله تعالى ، من طـــريق العلم ، يقول صاحب الكواكب الدرية (ما خالط الناس فى بيع ولا شراء ، ولا معاملة ولا تجارة ، ولا مشاركة ولا مزارعة ولا عمارة ، ولا كان ناظرا لوقف أو مباشرا لمـــال .. ولا كان مدخرا دينارا ولا درهما ، ولا طعاما ولا متاعا ، وانما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته — رضى الله عنه — العلم اقتداء بسيد المرسلين الذى قال (العلماء ورثة الأنبياء ، والأنبياء لم يورثوا دينـــارا ولا درهمـــا ، ولكن ورثوا العلم ، فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر) . والله ولى التوفيق .



بنك الدم

بقلم طبيب

مر بالكويت حين من الدهر كان كل الاعتماد فيه على الدم المستورد . وكثيرا ما كانت تستهلك شحنة من الدم قبل ان تصل الشحنة التالية ، فتمر فترة من الحيرة والقلق ، وتترك المستشفيات كالجبهة المكشوفة ازاء كل حادث يحتاج فيه الى اجراء عملية نقل الدم ، ويروح الاطباء فى لهفة وعجلة يفتشون بين أقارب المرضى عمن يوافق دمه دم المريض او المصاب ، بل ان من بين الاطباء ممن تطوع فعلا بدمه هو ليستنقذ حياة مريضه .

ولقد ظلت فكرة الاكتفاء الذاتى المحلى فيما يختص بالدم حبيسة الصدور فترة من الزمان . لأن الناس فى ظروف حياتهم اليومية كانوا فى شغل عن معرفة مدى الحاجة اليه . حتى مر بالكويت ظرف نحسبه لا يزال حيا فى ذاكرة كل مواطن ، وعرضت شدة كشفت عن روح البذل واصالة المعدن فى هذا الشعب .. ورب صفات وشمائل يسترها الرخاء ولا تبين عنها الا الشدائد . فلم يكد يشيع فى يوم من الايام منذ سنوات أن الكويت قد يضطر الى الدفاع عن الحدود والذود عن الحياض ، حتى سارع أهلوه لا الى حمل السلاح فحسب ، ولكن الى تلبية دعوة الجهات الصحية الى التبرع بالدم . وانشىء يومها فى المستشفى الاميرى بنك مؤقت للدم ، ازدحم بالمتبرعين من أبناء الكويت مواطنين وضيوفا ، واستبق الشيب والشباب ذكرانا واناثا الى التطوع بدمهم ، على نطاق دعا السلطات الصحية ان يصدروا نداء آخر يناشد المواطنين تأجيل التبرع بدمهم وحفظه فى عروقهم الى حين الحاجة اليه ، ومرت الأزمة بسلام والحمد لله .

ومرت الشدة وتركت وراءها حقيقتين . الحقيقة الاولى هى أن هذا الشعب لا تعوزه طاقة البذل وملكة العطاء كلما آنس أن الواجب يدعوه الى ذلك .

والحقيقة الثانية هى استبانة أن الحاجة الى التطوع بالدم ليست رهن شدة معينة أو محنة طارئة ، بل ان حياة الكثيرين فى المستشفيات بالكويت فى كل ساعة من ليل أو نهار وفي كل يوم من شدة او رخاء انما تتوقف على نقل الدم وعلى توفره فى اوان الحاجة اليه .

وكم من مصاب وكم من مريض وكم من والدة يدهمهم النزف فلا يحول بينهم وبين مصير الطير الذبيح الا أن ينصب فى عروقهم دم بدلا من الدم الذى نزفوه ، فتستقيم الحياة وتنبض العروق مرة أخرى ويحدث الله من بعد عسر يسرا .

يحدث ذلك الآن وقبل الآن وفى كل آن . ويشهده كل مستشفى فى الكويت . ولهذا فان اقامة بنك للدم لم يجىء ترفا ولا بهرجا وانما صادف حاجة قائمة دائمة فى مجال حياة أو موت .

واذا كان بنك الدم اليوم قد استوى عوده بما توفر لديه من المتطوعين ، فاننا نود ان ننوه لكل مواطن أن هؤلاء المتطوعين ليسوا طائفة بذاتها أو صنفا خاصا من البشر . وأن الدعوة الى التطوع بشىء من الدم ليست دعوة خاصة لناس بذاتهم . بل هى دعوة عامة موجهة اليك كما هى موجهة الى غيرك . وهى دعوة حرية بأن يستجيب لها كل مؤمن بالخير ، وكل مؤمن بأنه ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط ، وكل مؤمن بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، وكل مؤمن بأن من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا .

ويخطىء من يظن بأن دعوته للتبرع بشىء من دمه هى دعوة الى تهلكة يلقى بيديه اليها ، أو الى شطط نود ان نحمله عليه . فأول خطوة يخطوها المتطوع هى أن يستوثق الطبيب بالفحص الطبى والتحليل المخبرى ، ان عملية بذل الدم لن يكون لها اى ضرر صغير أو كبير على المتطوع نفسه . لأن العرف الطبى المتفق عليه أن يضحى الرجل الكريم بشىء من دمه بشرط الا يضحى على الاطلاق بشىء من صحته قل أو كثر فى الحاضر أو فى المستقبل .

أما الخطوة التالية فهى أن يفحص المتطوع ويفحص دمه لضمان خلوه من أى مرض ينقله الى غيره .

ثم تعين بعد ذلك فصيلة دمه ، لأن دماء الناس تنتمى الى عدد من الفصائل ولا بد أن يكون الدم المحقون ودم المريض من فصيلة واحدة حتى لا تحدث مضاعفات قد تؤدى الى أوخم العواقب .

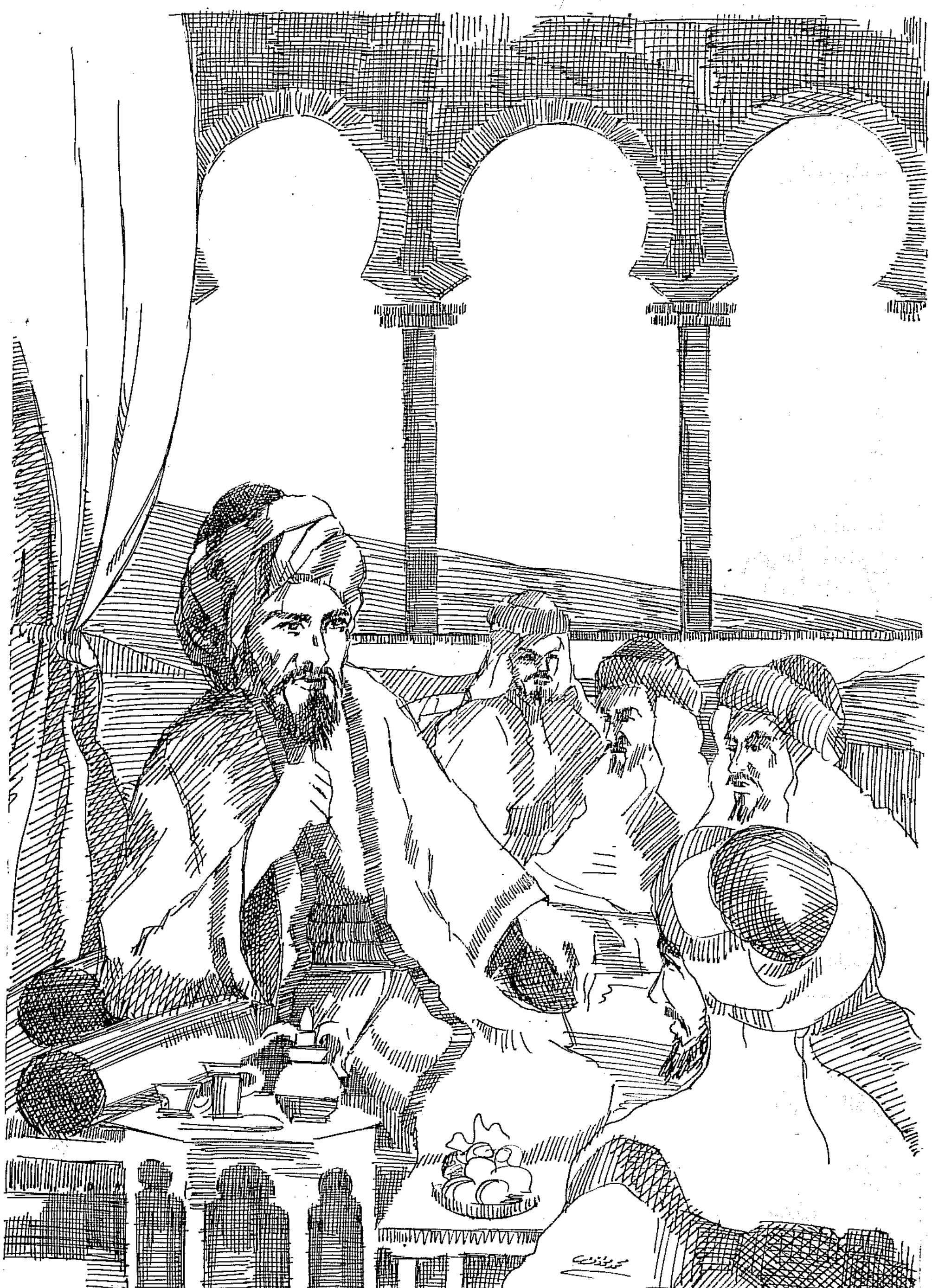
ثم يجمع الدم بطريقة معقمة ويحفظ تحت ظروف خاصة فى بنك الدم ، حتى يجد طريقه الى المحتاجين اليه حاملا اليهم الحياة .. وحاملا اليهم اهم من ذلك دليل صحة هذه الحياة .. وهو أن الناس بخير لا نقول ما عاشوا فحسب ؛ ولكن نقول ان الناس بخير ما تراحموا . وصدق من قالها .

والخلاصة اذن ان فى الكويتبنك دم . وانه بحاجة الى تدعيم مستمر ، وانه فى رسالته السامية الصامتة يطرق كل اذن بقول الله تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا » ..

فمنذا الذى لا يجيب ؟! ..

طبيب

من القصص الإسلامي



المجلس الكبير

للأستاذ : حسين الطوخى

● انقضت خلافة أبى العباس عبد الله — السفاح أول خلفاء بنى العباس بما حفلت من خير وشر ، بوفاته فى شهر ذى الحجة من العـــام السادس والثلاثين بعد المائة الاولى للهجرة .

لم يكن هناك من أمر كان يشغل بال ((عبد الله السفاح)) طوال سنوات خلافته التى لم تدم غير أربعة أعوام ، الا مطاردة فلول بنى أميـــة فى شرق البلاد وغربها والقضاء على عصبيتهم ، ومصادرة أموالهم وضياعهم ، وتقويض نفوذهم بالرغم من أنها كانت خلافة عربية خالصة لم تمتزج دماؤها بدم غـــير عـــربى نقى وأصـــيل .

ولقد عـــانى المسلمون الاهـــوال والويلات فى أخريات أيام الدولـــة الأموية وأوائل أيام الدولة العباسية ، فذلك سمة كل حكم تؤذن شمسه بالمغيب ليطلع من بعدها نـــور فجـــر جديد يحمل فى غلائل ضــــوئه تباشير تغيير شامل وملامح تبديل هـــائل .

ثم يبايع ((أبو جعفر المنصور)) بخلافة المسلمين بعد موت اخيه السفاح ، وتنقضى أيام خلافته لينة على المسلمين ، ويرونه يتجاوز عن كثير من سيئات خصماء البيت العباسى ليكسبهم الى جانبه ويفيد من تجـــاربهم وقدراتهم ، ويرونه كذلك يلتفت الى الجبهة الداخلية ليتحسس مواضع الصدع فى كيان الامبراطورية الاسلامية ، فيرأب خللها ، ويقوم معوجها ، حتى استقامت له امور العباد فى شتى الامصار والبلاد .

والحق الذى لا خلاف عليه أن ((المنصـــور)) يعد المؤسس الحقيقى لدولة بنى العباس ، فقد ظل طوال خلافته التى امتدت اثنتين وعشرين سنة ، يرسى قواعد حكم رشيد بعد مغيب دولة استنامت فى أواخـــر أيامها الى أحـــلام الترف ونعيم الحياة الزائف ، وأدارت ظهرها لما أمر به الدين الحنيف .. خير دين أنزل للناس .

ويوم أن اعتلى الخلافة ((محمد المهدى)) ولد المنصور ، كان ملك الدولة العباسية قد قويت دعائمه ، واشتد عوده ، فاستقرت أمور الدولة ، وهدأت من حولها الثائرات ، وامتد سلطان المسلمين حتى بات يتاخم حدود الصـــين شرقا وينفسح غربا حتى يلامس شطآن أسبانيا .

افتتح المهدى خلافته بالترفيه عن الناس بعد أن زالت ضرورات الشدة التى مارسها عمه السفاح وأبوه المنصور ، فأمر باطلاق من كان فى الحبس على أيام أبيـــه الا من كان معروفا بالسعى فى الارض فسادا وبين النـــــاس تضـــــليلا .

كان الرخـــاء ويسر العيش قد عم « بــــغـــداد » عاصمة العباسيين ، وانتقل منها الى جميع أقاليم الامبراطورية الاسلامية الشاســــــعة ، وكانت الاموال وخيرات الارض والبحر تتدفق عليها مدرارا من شرق ومن غـــرب ، ولم تكن هناك ايامئذ قيود مفروضة على الناس حين يغدون أو يروحون الا من كان يسعى فى الارض فسادا .

كذلك كان « المهـــدى » يجلس بنفسه للمظالم ليستمع الى الشــــاكى والى المشكو فى حقه وهما يقفان بين يديه على قدم سواء ، ثم يصدر حكمه بمعاونة قضاته وفقهاء الدين ليأخذ كل ذى حق حقه بالعدل والقسط .

ويوم أن بلغه تدخل عماله وقبولهم الرشا لتقديم هذا النفر واقصــــاء ذلك النفـــر من الشاكين ، اتخذ قاعة لها شباك من حديد على الطريق العام تطرح فيه شكايات الناس مكتوبة ، ويدخل الخليفة وحده الى هذه القاعـــة ، فيأخـــذ ما يقع بيده أولا فأولا وينظر فيه دون أن يقدم بعضها على بعض .

لم يكن يحكم على أحد من الناس أيام المهدى بالحبس أو بأية عقــــوبة دون حجة دامغة ودلائل ثابتة . كما كانت عيون الخليفة وآذانه تتعقب المفسدين فى الارض ومن يسيئون استخدام ما بأيديهم من مركز وسلطان ، فيمسك بهم ويحاسبهم بالقسط ويقمع ظلمهم ويرد الحق لصاحبه دون التفات لوشيجـــة قربى ومصاهرة ، أو أواصر صداقة ومسامرة .

ولم تكن فى بغداد أو فى غيرها من عواصم الامصار الاســــلامية أيام الخليفة المهدى ضوائق عيش أو أزمات تأخذ بتلابيب الناس وتمسك بخناقهم . ولم تكن هناك أسواق سوداء للغذاء والمأوى والكساء ، انما كانت ضرورات

الانسان مكفولة وحاجاته ميسورة وهى بعد موفورة للجميع وفقا لخطط مرسومة ونظـــم محتومــــة .

كان الخليفة « المهـــدى » يستمد سعادة أيامه من سعادة المحكومين ، وكان يحس برخـــاء الحياة ورغـــد العيش من خلال ما ينعم به المسلمون من

رخـــاء حياتهم ورغـــد عيشهم ، فلا يستكبر ولا يستعلى ، ولا يكل أمـــــور العباد الا لمن يثق فى طهارة ضميره وخشيته من الله ، وكان يسأل عن صغير الامور قبل كبيرها ، ولا يفتأ يذكر نفسه آنــــاء الليل وأطراف النهار بأن معظم النـــار من مستصغر الشرر .

لكن « المهـــدى » مع كل ما كان يشعر به من غبطة وسعادة كان يحس كذلك بوخز يؤلمه ويؤرقه بالليل وبالنهار .

انها ولاية ((**خراســـان**)) التى يأتيه بريدها بأنها تشق عصـــا الطـــاعة وتوشك ان تنقض بيعتها بخلافته وتطرد عمال الخلافة وتلتوى بمـــا عليها من الخراج وتمتنع عن أدائه .

ويحدث « المهـــدى » نفسه فى أخريات الليل وقد استبد به الارق والحزن:
ــ ترى هل اغتر أهل خـــراسان بحلمى ، ووثقوا بعفوى ، فكسروا الخراج ، وطردوا عمال الخلافة وسألوا ما ليس لهم من الحق ؟

والحـــق انه شـــاع واثر عن المهـــدى انه كان حليما بأهل خراســـان غاية الحلم ، واحتمل عنتهم ودالتهم ، واقال عثرتهم مرة تلو مرة ، واغتفر زلتهم تطولا بالفضل واتساعا بالعفو واخذا بالحجة ورفقا بالسياسة .
وتعاود الخليفة المهـــدى احزانه وهمومه فى ليلة أخرى ويحدث نفسه من جديد : قد يكون لهم بعض العذر فيما يشتطون فيه ، فخراسان قد حملت لواء الدعوة لخلافة بنى العباس بقيادة ((**أبى مسلم الخراسانى**)) وقد قتل بتدبير من ابيه « المنصور » بعد أن ركبه الكبر والاستعلاء فظل اهلها يضمرون السوء حتى انتهت خلافة المنصور ثم طمعوا فى حلم المهدى فأرادوا أن يثأروا لمقتـــل عميدهم بنكث البيعـــة وطرد عمال الخلافة والامتناع عن أداء الخراج .

لكن المهدى يقهر احزانه ، ويطرد همومه وراء ظهـــــره ، ويهب كالليث القضوب لمـــا تبين له خطورة ما انتوى عليه اهل خراسان ، سرعان ما تبخرت من قلبه هوادته وانزاح عن نفسه اغضاؤه ومداهنته ، اثرة للحـــق وقيـــاما بالعدل واخذا بالحـــزم .

والخليفـــة المهـــدى مع ما يملك من ســـلطان وقوة ونفوذ ، لم يحب يوما أن يكون مستبدا برأيه ، متفردا بالحكم على الامور ، انما الذى يحبــه المهـــدى ، انه يدعو الى مجلس كبير يضم مستشاريه ونصحائه ، وفيهم نفر

من لحمته ووزرائه ، ليعلمهم الحال ويستنصحهم ما فيه صالح الرعيـــة وصوالح المســـــلمين .

وينعقد المجلس الكبير ذات ليلة من العام الواحد والاربعين بعـــد المائة للهجرة بقصر الرصـــافة فى بغداد ويتذكر المهـــدى قول الرسول العظيم :

(لا نـــدم من استشـــار ولا خـــاب من اســـتخار) .

ثم يبعث المهـــدى الى ولديه ((**موسى الهادى**)) و ((**هارون الرشيد**)) ليحضرا مجلسه وليشاركا بالرأى ، وأمر ((**محمد بن الليث**)) بحفظ مراجعـــة كل من يتحدث فى المجلس واثبات مقالاتهم فى كتاب يرجع اليه عند الحاجة .

افتتح المهـــدى الكلام فى المجلس الكبير بقوله :

ان المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما رأى ولا يفل معهما حـــزم فأشيروا برأيكم ، وقولوا بما يحضركم فانى من ورائـــــكم وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الربيع بن يونس حاجب الخلافة بعد أن حمد الله واثنى عليه :

أيهـــا المهـــدى : ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة ، وان الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ، ولكن « خراسان » أرض بعيدة المسافة ، متراخيـــة الشقة ، متفاوتة السبل ، ولكن الرأى لك أيها المهـــدى ـــ وفقك الله ـــ ان تصرف احالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه من التدبـــير لحربهم والحيل فى أمرهم ، الى الطلب لرجل ذى دين فاضل وعقل كامــــل وورع واسع ليس موصوفا بهوى فى سواك ، ولا متهما فى أثرة عليك ، ثم تسند اليه أمورهم ، وتفوض اليه حربهم ، وتأمره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم أمرك ما لزمه الحزم ، وانيواثب أمرهم من قريب ، ويسقط عنه ما يأتى من بعيد .

وسكت الربيع بن يونس بعد أن فرغ من ابداء مشورته ، فأشار الخليفة الى الفضل بن العباس ليدلى برأيه فقال الفضل :

أيها المهـــدى ان ولى الامور وسائس الحروب ربما نحى جنوده وفـــرق أمواله فى غير ما ضيق أمر حزبه ، ولا ضغطة حال اضطرته ، فيقعـــــد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديما منها ، فاقدا لها ، لا يثق بقوة ، ولا يصول بعدة ، ولا يفزع الى ثقة . فالرأى لك أيها المهـــدى ـــ وفقك الله ـــ ان تعفى خزائنك من الانفاق للأموال ، وجنودك من مكابدة الاسفار ، ومقارعــــة الاخطار ، وتغوير القتال ، ولا تسرع للقوم فى الاجابة الى ما يطلبون ، والاعطاء لـــا يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجرىء من رعيتك غيرهم ، ولكن اغـــزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلهم بالرفق ، وأبـــرق لهم بالقول ، وأرعد نحوهم بالفعل ، وابعث البعوث ، وجنـــد الجنـــود ، وكتب الكتائب ، واعقد الألوية ، وانصب الرايات ، واظهر انك موجه اليهم الجيوش مع أحنق قوادك عليهم ، وأسوئهم أثرا فيهم ، ثم ادسس الرسل ،

وابثث الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضا على خوف من وعيدك ، فان مرام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناصبة بالكتب ، والمكايدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل الى القلوب ، القوى الموقع من النفـوس ، المعقودة بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبنى على اللين ، الذى يستميل القلوب ، ويسترق العقول ، ويسبى الآراء ، ويستميل الاهواء ، ويستدعى المواتاه .. ذلك كله ، انفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح . كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة ، احكم عملا والطف نظرا وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك الا بالقتال ، والتغرير والخطـار والاتلاف للاموال . وليعلم المهـدى ــ وفقه الله ــ أنه ان وجه لقتالهم رجلا ، لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج على حال شديدة ، وتقدم على أسـفار ضيقة ، وأهوال متفرقة ، وقواد غششة ، ان ائتمنتم استنفدوا مالك ، وان استنصحتهم كانوا عليك لا لك .

قال المهـدى : هذا راى قد أسفر نوره ، وبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسد حقه فى القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم .

ثم وجه المهـدى الحديث الى ولده ((**موسى الهادى**)) **فقال** : ما ترى يا أبا محمـد ؟

قال موسى الهادى ولـد المهـدى :

ايها المهدى : لا تسكن الى حلاوة ما يجرى من القول على السنتهم ، وانت ترى الدمـاء تسـيل من خلل فعلهم ، والحال من القوم تنادى بمضمرة شر ، وخفية حقد . والرأى للمهـدى ــ وفقه الله ــ الا يقيل عثرتهم ، ولا يقبـل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ، ويستحربهم القتل ، ويحدق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ، فان فعل المهـدى بهم ذلك ، كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم .

سكت الخليفة لحظة تأمل خلالها راى ولده موسى الهادى ، ثم أشار الى ولده « هارون » أن يدلى برايه فقال :

خلطت الشدة ايها المهـدى باللين ، فصارت الشدة أمر فطام لما تكره ، وعاد اللين اهـدى قائد الى ما تحب ، ولكن أرى غير ذلك .

قـال المهـدى :

ــ لقد قلت قولا بديعا ، وخالفت به أهل بيتك جميعا . والمرء متهم بما قال ، وظنين بما ادعى ، حتى يأتى ببينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت .

قـال هـارون :

ــ ايها المهـدى : ان الحرب خدعة ، والاعاجم قوم مكرة ، والطبيب

الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأى للمهدى ــ وفقه الله ــ ان يسبر غورهم بمتابعة الكتب ، ومظاهــــرة الرسل ، وموالاة العيون حتى تهتك حجب غيوبهم ، وتكشف أغطية أمورهم . فان تبين للمهـــدى انهم يسألون أمورا بما لهم من دالة مناصحتهم ، وسابقة حمل لواء دعوتنا ، فالرأى للمهـــدى ــ وفقه الله ــ ان يتسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويولى عليهم من أحبوا ، ويداوى بذلك مرض قلوبهم . ثم ان خراسان بخاصة ، لهم دالة محمودة ، وحقوق واجبة ، لانهم أيدى دولته، وسيوف دعوته ، فليس من شأن المهـــدى المؤاخذة لهم ، ولا التوعر بهم ، ولا المكافأة باساءتهم .

قـــال المهـــدى :

ــ ارى ان تدعوا ما قد سبق موسى فيه أنه هو الراى ، وثنى بعــده هارون ، ولكن من لأعنة الخيل ، وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ان امعن بهم اللجاج ، وافرطت بهم الدالة ؟

قال محمد بن الليث كاتب المجلس :

ــ أهل خراسان ــ أيها المهدى ــ قوم ذوو عــزة ومنعة ، وشياطين خدعة ، الروية عنهم عازبة ، والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطــرهم ، وسيوفهم عذلهم ، لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ، ولا يفطمون الا بالقهر ، وان ولى المهـــدى عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء ، وان ولى امرهم شريفا تحامل عليه الضعفاء . وليس المهـــدى ــ وفقه الله ــ فاطما عاداتهم ، ولا قارعا صفاتهم ، بمال أحــــد رجلين لا ثالث لهما ، ولا عدل فى ذلك بهما : **أحدهمـــا** لسان ناطق موصــــول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ، نقى العرض نزيه النفس ، جليل الخطر ، فان قلدته أمرهم ، وحملته ثقلهم ، فجعل العدل عليه وعليهم اميرا ، والانصــــاف بينه وبينهم حاكما ، وسلك المعدلة فأعطاهم مالهم واخذ منهما عليهم ، غرس لك فى الذى بين صدورهم ، واسكن لك فى السويداء داخل قلوبهم طاعـــة راسخة العروق ، باسقة الفروع . **وثانيهمـــا** عود من غيضتك ، ونبعة من ارومتك ، فتى السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، يجــرد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيره بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون .

سكت المهـــدى ساعة يقلب وجوه الراى ، ويستصفى ما تحدث به كل من حضر مجلس المشاورة ، وفى النهاية قال :

ــ ولكن أين تركتم ولى العهد موسى ؟

قالـــــوا : لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ، فكرهنا شسوعه عن محلة

الملك ، ودار السلطان ، ومقر الامامة والولاية ، وموضع المدائن والخزائن وقلنا: ان وجه المهــدى ولى عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله ، لم يستطع المهــدى أن يعقبه بغيره ، الا ان ينهض اليهم بنفســه ، وهذا خطر عظيم ، وهول شديد . وان تنفست الأيام بمقامه ، واستدامت الحال بأيامه ، حتى يقع عرض مــا ، أو يحدث أمر لا بد من حدوثه ، صار ما بعده مما هو أعظم هــولاواجــل خطرا ، له تبعا وبه متصلا .

قال المهــدى بعد أن امعن التفكير فيما قالوا :

ــ الخطب أيسر مما تذهبون اليه ، وعلى غير ما تصفون الامر عليه . نحن اهــل البيت . نجرى من اسباب القضايا ومواقع الامور على سابق من العلم ، ومحتوم من الامر قد انبأت به الكتب ، وتتابعت عليه الرسل ، وقــد تناهى ذلك بأجمعه الينا ، وتكامل بحذافيره عندنا ، فيه ندبر وعلى الله نتوكل: انه لا بد لولى عهدى ــ وولى عهدى عقبى بعدى ــ ان يقود الى خراســان البعوث ، ويتوجه نحوها بالجنــود .

ثم بعث المهــدى الى ولى عهده موسى الهادى ليسمع آخر ما استقر عليه رأى المجلس ، وقال متوجها اليه بالحديث :

ــ اى بنى : انك قد اصبحت بسمت العيون نصبا ، ولمثنى اعطــاف الرعية غاية ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من اسخطه، عليك ايثارك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضا من سواه . ثم اعــلم أن الله تعالى فى كل زمان عترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه ، وخبــايا لنصرة حقه ، يجدد حبــل الاسلام بدعواهم ، ويشيد اركان الدين بنصرتهم ، ويتخذهم لأولياء دينه أنصارا ، وعلى إقامة عدله اعوانا ، يسدون الخلــل ، ويقيمون الميل ، ويدفعون عن الارض الفساد . واعلم ــ بنى ــ ان اهل خراسان اصبحوا أيدى دولتنا ، وسيوف دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونصرف نزول العظائم بمناصحتهم ، وقد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات. فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وانزلهم فى حدائق نعمتك ، ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، بالاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم ، والاثابــة لحسنهم ، والاقامة لمسيئهم . اى بنى : ثم عليك العامة ، فاستدع رضــاها بالعدل عليها ، واستجلب مودتها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتزين به فى عين رعيتك ، واجعل عمال القدر وولاة الحجج ، مقدمة بين يدى عملك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك ان تأمر قاضى كل بلد ، وخيار اهل كل مصر ، ان يختاروا لانفسهم رجلا توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فان أحسن حمدت ، وان أساء عذرت . ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الامصــار ، اقواما يكونون جيرانك وسمارك ، واهل مشاورتك فيما تورد ، واصحاب مناظرتك فيما تصدر . فسر على بركة الله أصحبك الله من عــونه وتوفيقه دليلا يهدى الى الصواب قلبك ، وهاديا ينطق بالخير لسانك .

وقبل أن يطلع فجــر اليــوم الجديد ، كانت الرسل والبعوث التى تحمل كتب الخليفة ورسائل ولى عهده الى أئمة وزعماء خراسان ، قد تجهزت للرحيل، ووقف جميع من حضر المجلس الكبير يودعون الرجال ويوصونهم بتقوى الله فيما يصدر عنهم من أقوال وأفعال .

وان هى الا أيام قليلة حتى كان « **موسى الهادى** » قد نظم وعبأ جيشــا ترى العين أول صفوفه ولا تدرك نهايته الطويلة الممتدة وهو يقطع الطــريق من أطراف بغــداد الى خراســان .

وانقضى شهر وراء شهر والأنباء ترد الى المهــدى من خراســان ، تحمل استتباب الحال ، والعدول عن القتال ، وان « الهــــادى » يسير فى الناس أحسن سيرة ، على خير ما أمربه الله ، وما أنزل فى كتابه الحكيم ، وكفى الله المؤمنين القتــال .



المراجـــــع :

العقد الفريد لابن عبد ربه . عيون الاخبار لابن قتيبة . الاغانى للاصــفهانى . تاريخ الامم الاسلامية لمحمــد الخضرى .

بريد الوعي الإسلامي

القراءات المتواترة

أثناء الاستماع الى القرآن الكريم فى الصباح من اذاعة الكويت يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ صفر ١٣٩٢ ، وكان القارىء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد لفت نظرى أنه عندما قرأ الآية السادسة من سورة الحجرات قال : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتثبتوا » .. وحسب حفظى لبعض آيات الكتاب الكريم ، ورغبة فى التأكد من صحة الآية رجعت الى المصحف فوجدت أن المكتوب بالمصحف « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ..

فهل يجوز التغيير فى اللفظ حتى ولو كان بنفس المعنى ...؟

أرجو ألا يكون المقرىء قد وقع فى خطأ لمكانته وحبنا جميعا لطريقة تلاوته للقرآن الكريم ..

حمدى الكفراوى — جامعة الكويت

. . . . . .

— ان قراءة (فتثبتوا) قراءة مشهورة صحيحة متواترة قرأ بها كل من حمزة والكسائى وخلف وهؤلاء الثلاثة من العشرة الذين أجمع المسلمون على صحة قراءتهم ..

وتوجيه هذه القراءة كما ذكر العلماء أنها مشتقة من الثبت أو التثبت وقراءة باقى القراء العشرة (فتبينوا) أنها مشتقة من التبين .

وكلا القراءتين متقارب فى المعنى فالتثبت معناه التبين .

هذا وكون المصاحف التى رجع اليها الاستاذ غير موجود فيهـا هذه القراءة ، فهذا صحيح لأن المصاحف التى اطلع عليها منقوطة على رواية حفص ، ولو أن المصحف كتب على قراءة حمزة أو قراءة أحد ممن معه فى عصرنا هذا لنقط على ما يوافق قراءته وقد تكون هناك مصاحف مكتوبة بالفعل على هذه القراءة والعبرة بما صح سنده وتواتر وقد صحت هذه القراءة وتواترت .

ولو أن السائل الكريم تأمل قليلا لوجد أن الرسم يحتمل القراءتين معا . وان اختلف نقطهما وهذا سر من أسرار الرسم العثمانى للمصاحف حيث لم يكن بها نقط ولا شكل فى الصدر الاول عندما كتبت فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه .

عبد الرءوف محمد سالم

معجزات النبى صلى الله عليه وسلم

هل للرسول صلى الله عليه وسلم معجزات كما كان للانبياء من قبله .. ؟

ــ أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وايده بمعجزات كثيرة اهمها واجلها القرآن الكريم الذى نزل بأفصح اللغات وأصحها وأبلغها وأوضحها وأثبتها وأمتنها . وتلك معجزة عظمى حيث لم يكن عليه الصلاة والسلام كاتبا ولا قارئا وقد تحدى القرآن بلغاء العرب أن يأتوا بمثله أو بمثل آية منه فعجزوا وهم أهل الفصاحة والبلاغة .. !!

واظن السائل يريد من سؤاله معرفة المعجزات الاخرى لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كثيرة منها : الاسراء والمعراج ، وانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين اصابعه الشريفة ، وبركاته فى الطعام وغير ذلك ..

روى أنس بن مالك رضى الله عنه : « بأن اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين » وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : « بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ..

ولقد ثبت أن حجرا كان يسلم على النبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته .. كما أن الجذع الذى كان يخطب عليه بكى عندما تركه النبى واتخذ منبرا غيره . فعن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسله : « انى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل أن ابعث إنى لأعرفه الآن .. » .

اما عن نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فقد روى أنس بن مالك رضى الله عنه : « ان نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالزوراء (قال : والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيما ثمة) دعا بقدح فيه ماء فوضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ جميع أصحابه قال قلت : كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمائة ؟ » .

كما أن هناك كثيرا من المعجزات والبركات للنبى صلى الله عليه وسلم منها انقياد الشجر له وبركاته فى الطعام وفى الماء والسمن واللبن . وما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه رأى النجاشى ملك الحبشة عند موته وأنه خرج الى المسجد وصلى عليه .

وغير ذلك الكثير مما رواه المؤرخون والمحدثون .

. . . . .

الافلام الفاضحة .. !!

هل عرض الافلام السينمائية ومشاهدتها حرام .. ؟

ــان الافلام التى تعرضها دور الخيالة او الاذاعة المرئية التى تحض على الفضيلة ومحاسن الاخلاق أو التى تصور حياة المصلحين أو المجاهدين او تلك التى تدعو الى الدين وتوضح اهدافه كل تلك الافلام جائزة .

اما الافلام او الصور او اللافتات التي تصـور حياة المجون وتحض على الفسق والفجور وتعرض صورا لممارسة الجنس او القبل او المواقف الآثمة ، التي تجرح الشعور وما شاكلها محرمة لانها تؤدى الى انهيار الاخلاق ، ونشر الفاحشة ، والعدو الاسرائيلي والاستعمار العالمى يستخدمان مثل هذه الافلام للقضاء على الاخلاق الفاضلة حتى تنهار قيم الشباب العربى فيقتنع بالخنوع والخضوع والذلة ، ويعيش تائها ضـائعا لا تحده قيم ولا تحـكمه مبادىء .. ولا اعتقد أن انسانا لديه حمية من دين أوخلق يرضى بذلك .

انا لنرى اليوم الكثير من الشـباب وقد تشبهوا بالنساء ، وأصـبحنا لا نستطيع التمييز بين الفتى والفتـاة ..!! وهـذا عين ما تريده اسرائيـل والاستعمار .. !!

اننا نتوجه الى أولى الأمر والى الرقباء والى الكتاب أن يراعوا حق الله ، وأن يراعوا حق أمتهم وشبابهم وأن يحافظوا على الاخلاق ما وسعهم الجهد :

وانمـا الأمم الأخـلاق ما بقيت فان همو ذهبت اخلاقهـم ذهبـوا

الله الله يا سادة فى أخلاق امتنا وشبابها الذى هو عدتها للنصر القريب باذن الله ..

ادعوه سبحانه جل علاه أن يحفظ أمتنا ويتم لها دينها ، ويحفظ لنا الاسلام دائما ظاهرا قاهرا انه سميع مجيب .

توفيق على وهبه

. . . . .

اتحاد الطلاب المسلمين فى لييج

مدينة لييج هى احدى كبرى المدن البلجيكية الناطقة باللغة الفرنسية ويبلغ تعداد سكانها حوالى (٧٠٠) الف من السكان وهى منطقة صـناعية ضخمة (للصناعات الثقيلة) لذا يتوفر فيها عدد كبير من الاجانب الذين يسـعون للرزق وهناك عدد من المسلمين من جنسيات مختلفة وخاصة من المغرب العربى ومن تركيا وقد كان الطلاب يحافظون على صلاة الجمعة فى غرفة صغيرة من مبانى الجامعـة حتى يسر الله لنا بمعونة السيد قنصل المغرب مبنا كبيرا تابعا لأحد المدارس ليصبح مسجدا للمسلمين فى لييج واصبحت الآن تقام فيه الصلوات وهناك ندوة اسبوعية فى تفسير القرآن الكريم وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما اقيمت فيه لأول مرة صلاة العيد وكنا فى السابق نضطر للصلاة فى احد كنائس المدينة . كما ان مدينة لييج قريبة من مدينة آخن الالمانية لذا فان هناك تبادلا للزيارات مع الاخوة فى مسجد بلال واننا لنرجو الله ان يوفقنا لما فيه خير ديننا ودنيانا . كذلك هناك لقاءات مع الأخوة فى المركز الاسلامى فى بروكسل .. وعسى ان يكون لنا معكم لقاءات عن طريق الكتب والمجلات ، ونحن الآن فى صدد اقامة محاضرة عن الاسـلام فى الجامعة يلقيها احد الاخوة المسلمين الذى اعتنق الدين الاسلامى بعد ان وجد فيه ما وجد وهو من أصل بلجيكى .

المندوب الثقافى للاتحاد .
عصام عناية

الفتاوى

خالــة الزوجــة

السؤال :

توفيت زوجتى ، ولى منها أولاد صغار ، ولها خـــالة ، فهل يحـــل لى شرعا تزوجها ؟

الاجابة :

يحل لك شرعا التزوج من خالة زوجتك بعد وفاتها ، أو طلاقها والمحـــرم شرعا هو الجمع بينهما ، أما تزوج كل منهما على انفراد الواحدة بعد الأخـــرى فلا مانع منه شرعا ، روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها .

دفن البهائيين

السؤال :

توفى أحد البهائيين ، وأراد بعض أصدقائه دفنه فى مقابر المسلمين ، ولكنه وجد معارضة شديدة بحجة أنه لا يجوز شرعا دفنه مع المسلمين ووقع خلاف شديد ، فنرجو بيان حـــكم الشرع فى ذلك .

الاجابة :

صدرت فتاوى كثيرة فى أزمان مختلفة عن هيئات علمية اسلامية ، كلهـــا تقضى بفساد معتقـــدات البهائيين وكفرهم ، وعدم صحـــة زواجهم ومنعهم من دفن موتاهم فى مقابر المسلمين .

ومن بين الفتاوى التى صدرت عن دار الافتاء بجمهورية مصر العربية فتوى فى هذا الموضوع ونصها :

ان هذه الطائفة ليست من المسلمين كما يعلم هذا من عرف معتقداتهم ، وقالت الفتـــوى :

من كان فى الأصل مسلما أصبح مرتدا عن الاسلام باعتناقه عقيدة البهائية وتجرى عليه أحكام المرتد ، واذا كانت هذه الطائفة ليست من المسلمين فانه لا يجوز شرعا دفن موتاهم فى مقابر المسلمين سواء من كان منهم فى الأصل مسلما ، ومن لم يكن كذلـــك . .

الرهـــن

السؤال :

طلب منى أحد الأصدقاء مبلغا من المال على سبيل القرض ، وطلبت منـــه

رهنا يضمن لى المبلغ الذى أقرضته له ، فرهن عندى دارا واذن لى فى سكناها، فهل يحل لى شرعا الانتفاع بهذه الدار .

الاجابة :

المحافظة على المال بالكتابة والاشهار عليه ، أو بالرهن أمر مشروع قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » وقال سبحانه : « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة » وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودى بالمدينة ورهن عنده درعا ، فالرهن جائز فى الحضر والسفر ، وهو للاستيثاق وضمان الدين ، وليس للانتفاع والاستثمار ، وكثير من الفقهاء يرى أن الانتفاع بالعين المرهونة غير جائز وان أذن بذلك المقترض لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل قرض جر نفعا فهو ربا » وهذا هو ما تطمئن اليه النفس ، ويقتضيه التراحم والتعاون بين الناس ..

بعث الحيوانات

السؤال :

هل تبعث الحيوانات وتحاسب يوم القيامة كما يبعث الانس والجن ويحاسبون فى هذا اليوم .

الاجابة :

البعث والحساب للمكلف ، والمكلف هو الثقلان : الانس والجن ، من الحيوانات لا مسئولية عليه ، فلا حساب عليه قال الامام الالوسى فى تفسيره : « ليس فى هذا الباب يعنى بعث الحيوانات نص من كتاب أو سنة يعول عليه يدل على حشر غير الثقلين من الوحوش والطيور » ..

فى الطلاق

السؤال :

طلقت زوجتى طلقة اولى رجعية ، وقبل أن أراجعها طلقتها فى العدة طلقة ثانية ووقع الطلاق الثانى كما وقع الطلاق الأول فهل تحسب طلقتان او طلقة واحدة ..

الاجابة :

الطلاق يلحق الطلاق الرجعى والبائن بينونة صغرى ما دامت فى العدة ، وبهذا يكون قد وقع على السائل طلقتان لا طلقة واحدة ، فاذا طلقها للمرة الثالثة لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره .

فى الميراث

السؤال :

توفيت امراة ، وتركت اخوين شقيقين واختا شقيقة ، واولاد اخ شقيق متوفى ، واولاد أخت شقيقة متوفاة فمن يرثها من هؤلاء وما نصيب كل وارث ؟ .

الاجابة :

تقسم التركة خمسة اسهم ، أربعة منها لشقيقيها مناصفة بينهما وسهم واحد لأختها الشقيقة ، ولا شىء لأولاد أخيها لحجبهم بالأخوة الأشقاء ولا لأولاد أختها لكونهم من ذوى الأرحام ..

بأقلام القراء

ذخيـــرة

للاستاذ / عبد الرحمن احمد شادي

كان من عادة العرب قديما أن يرسلوا أولادهم الى البادية فى فترة الطفولة ليشبوا على فصاحة أهلها ، وقد نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النشأة كما هو مدون فى كتب السيرة .

وبطول الزمن واختلاط العرب بغيرهم من الأمم فشت العجمة ، وابتعدت السنة أهل البادية عن العربية الفصحى .. ولا يتيسر لكثيــر من العرب الــذين يسكنون العواصم والحواضر والمدن والقــرى أن يلتمسوا الفصاحة من اهــل البوادى .. ولا يستطيعون ارسال أبنائهم اليها ليشبوا فيهــا ... ويمكن ايجــاد بادية صناعية تتمثل فى دور الحضانة ورياض الاطفال والمدارس التي يحفظ فيها التلميذ القرآن الكريم وقدرا من الأحاديث الشريفة الصحيحة ، وعيون الشعــر العربى ، وأقوال الحكماء والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها .

أليس هذا من العلاج لضعف النشء فى اللغة العربية .. وهم بذلك يبتعدون عن كتب التراث لأنهم لا يفهمونها ولا يعرفون ما فيهــا ، وليس الأديب وحده هو الذى يحتاج هذه الذخيرة ، وانما يحتاج اليها العــالم فى أى علم أيضا لابد له من البيان عما فى نفسه من العلم ،ولا بد له من ورثة وتلامذة وطلاب يعرفون علمه فكيف يؤدى عمله وينقل علمه اليهم أن لم تكن عنده هذه الذخيرة التى تعينه على نقل أفكاره بسهولة ،بالتعليم الشفوى او تأليف الكتب ... أليس من العجيب أن يكون التعبير بلغات أخرى أســهل على بعض العلماء والادباء العرب الذين نشأوا فى بادية صناعية انجــليزية أو فرنســية من التعبير باللغة العربية ... والبادية الصناعية الانجليزية والفرنسية التى تتمثل فى مدرسة أو مربية أجنبية خطوة فى سبيل النهضة والتقدم والرقى أما البادية الصناعية العربية فهى خطوة الى الوراء ... فى نظر هؤلاء .

ان اللغة الأم للاطفال العرب أحق بالحضانة من بقية اللغات حتى اذا شبع الطفل من لبنها فليأكل من بقية اللغات والعلوم ما شــــاء .

جوارى القرن العشـــــرين

للاستاذ : محمد سيد أحمد المسير

اذا كان العـــالم قد الغى الرق ومنع مزاولتـــه فأحرى بنا ان نحرر هؤلاء الجدد من رق الشـــهوة والدنس والابتذال ، ورق الجنس والمهـــانة والضياع ليعرفن معنى الحرية الشريفة والشرف الحر .. ولحســـاب من يزاولن هذا العمل ؟

ان عشاق جوارى المجتمع الحديث انما هم جراثيم البيئة من السادة المترفين أو النساء الساقطات أو الشباب المنحل ... وما بهؤلاء تنهض أمة وما هؤلاء بالمتحملين تبعاتها ، انهم وباء يجب أن يحاصر ويحصر ، وعدوى يجب أن تطارد وتطرد .. واذا كنا نسمع بين الحين والحين صيحات تقييد الطلاق وتعدد الزوجات ، فان ارباب الفن الماجن هم الذين يسيئـــون الـــى المجتمع بنزواتهم الخبيثة ، فما من أحد منهم الا ونجد الزواج التاســـع أو العاشر فى حياته ، ويعلم الله ما وراء ذلك وما أظن رجلا يكدح يومه يقضى ليلة مع هؤلاء الاماء ...

وما أظن جنديا يرابض على خط النار يســـتبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ويسامرهن فى شعاع القمر ... وما أظن شبابا يعد للمستقبل وآماله يتغازل معهن والنجوم ساهرة ..

هذا وينبغى أن يفرق بين الفن الرخيص والفن الســـامى الذى يهذب الذوق ، ويزكى حاسة الجمال التى كثيرا ما استوقفنا القرآن عليها .. مثل قوله تعالى : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . » (سورة النحل) .

وقوله : « وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » . سورة النمل ، وقوله : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناهـــا وزيناها وما لها من فروج » . (ق) وان التصوير القرآنى لمشاهد الجنة واهلها ليفوق الوصف الجمالى بكل الوانه ففيها ـــ كما ورد به الأثر ـــ ما لاعين رات ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشـــــــر ...

فالفن بمدلولة الجـــمالى الشريف ومغزاه التثقيفى النبيل له احترامه وتأثيره المحمود ... وماذا علينا لو عمدنا الى غرس فكرة رشيدة أو محو عادة ســـيئة عن طريق تمثيلية هادفة بعيدة عن مشـــاهد الاثارة ومواقف المجون أو عن طريق فكاهة طريفة أو اغنية عذبة لاتكســـر فيها ولا تخنث

أما أن يتخذ الفن معول هدم للقيم ، وتفتيتا لبنـــاء المجتمع بوســـائل الرقص الفاضح والغناء الماجن والصـــور العاريـــة والتمثيل المحموم فهذا ما لا يقره العقل الراشد فضلا عن الدين الخالد ....

قالت صحف العالم

ارادة القتال ... لا ارادة التعايش

ما زال العدو الصهيونى يسعى جاهدا ، على كل المستويات ، العلمية والنفسية ، والاعلامية ، ليوقع اليأس والشعور بخيبة الامل ، فى قلوب العرب والمسلمين عامة ، والفلسطينيين خاصة ، لتخويفهم واقناعهم بأن لا فائدة لهم من التصدى للأطماع الصهيونية ، ولا امل فى الانتصار على القوات الاسرائيلية ولا بد لهم من التخلى عن ارادة القتال والصمود ، وان الخير لهم فى القبول بالأمر الواقع والرضا بالتعايش مع الصهيونيين المحتلين .

ولقد سبق للأعداء أن استغلوا انتصاراتهم السهلة التى نالوها نتيجة ضعفنا وتخاذلنا وقصر نظرنا ، وهم اليوم يتابعون هذه الحرب النفسية الخطيرة ، مستغلين تضخيم ما يحصلون عليه من المساعدات العسكرية الامريكية ، من مدافع ومصانع وطائرات وأموال : لايقاع المزيد من اليأس وخيبة الامل فى النفوس ، وللتمهيد من جديد ، لروح الاستسلام وآراء التخاذل والتنازل أن تتوطن فى النفوس ، ولدعم القائلين بالتخلى عن ارادة القتال ، والتحلى بارادة التعايش السلمى ، مهما كانت الحال ..

ولما كان العلم العسكرى ، يعتبر الانتصار الحاسم رهنا بالقضاء على ارادة القتال لدى الخصم ، فان أعداء العرب من صهيونيين ومستعمرين ، يعملون بدهاء لبلوغ هذا الهدف ، وهم يعلمون أن النصر فى معركة أو أكثر ، لا يعنى النصر الكامل ما دام العرب متمسكين بحقوقهم وبلادهم ، ومصممين على الاستمرار فى القتال والفداء فى سبيل انتزاعها من أيدى الأعداء والحفاظ عليها.

ان الشعب الفلسطينى الذى قارع السياسة البريطانية والصهيونية العالمية بكل بسالة وشجاعة ، لن يتخلى عن حقوقه ، ولن يتراجع عن تصميمه على القتال ، وهذا الشعب الأبى المجاهد الذى رفض جميع المشاريع الاستعمارية وقاوم كل محاولات الترويض والخداع لكبح جماحه وتضليله ، وتصدى بحزم لكل عروض التخاذل والتنازل المزيفة بطلاء الاغراء والتمويه ، هو الذى ما زال

العقبة الكبرى فى طريق تصفية القضية الفلسطينية أو تسويتها تسوية تحقق للصهيونيين أهدافهم وتنتزع منه اعترافا شرعيا بوجودهم العدوانى فى فلسطين ذلك أن الشعب الفلسطيني الذى تمرس بالصعاب ، وعانى الكثير من التآمر الاستعمارى الصهيونى ، يدرك أكثر من غيره حقيقة الصراع المصيرى وخطورة المخططات الصهيونية ، وأن معركته مع اليهودية العالمية لا تقبل أى تسوية ، أو تعايش أو تنازلات اقليمية ، لأنها معركة مصير ووجود فى هذه المنطقة الحساسة من العالم ، التي لا تتسع للحقوق العربية والاسلامية ، وللمطامع اليهودية والاحلام الصهيونية معا ...

لقد حاول الأعداء كثيرا ، ارهاب الشعب الفلسطينى ، وبث الرعب فى نفوس أبنائه بوسائلهم الارهابية الوحشية ، واشعاره باليأس وخيبة الأمل للقضاء على معنوياته ، وتحطيم مثله العليا ، واليوم يشيع الأعداء مختلف الأنباء عن المساعدات العسكرية والمالية الضخمة التى تنهال عليهم ، وذلك لقصد التأثير من جديد على نفوس الفلسطينيين وسائر العرب ، ويلوحون لهم فى الوقت نفسه بمشاريع الحلول والتسويات ناصبين شراك المفاوضات والتنازلات فى محاولة جديدة لتحطيم ارادة النضال فى نفوس الفلسطينيين واخضاعهم للامر الواقع ، لكن الفلسطينيين الذين أدركوا منذ بداية كفاحهم المجيد خطورة أهداف الصهيونية العدوانية واستيقنتها أنفسهم ، كما قدروا وفرة الامكانات والوسائل العربية والاسلامية واهميتها فى خوض معركة المصير ، وقفوا بكل قوة وتصميم فى وجه جميع المحاولات التى بذلت لانتزاع اعتراف منهم بشرعية الوجود الصهيونى ، واختاروا طريق الجهاد والصمود ، وقاوموا كل الدعايات المضللة لأيهامهم بأن اليهود قوة لا تغلب ، واثبتوا بجهادهم المتواصل وثوراتهم المتوالية أنهم قادرون على المحافظة على وطنهم وكرامتهم ، وما زالوا يؤملون فى أن يكون جهادهم وفداؤهم الوسيلة لايقاظ النائمين وتنبيه الغافلين ، وأن يكون شهداؤهم الابرار القدوة الصالحة للمجاهدين من اخوانهم العرب والمسلمين وهم فى ذلك مؤمنون بأن قضية فلسطين ليست لهم وحدهم بل هى ملك للعرب والمسلمين جميعا ، وأن قضية فلسطين ليست قضية حدود ، تنقص أو تزيد ، بل هى قضية مصير ووجود ، وأن وجوب التصدى للخطر الصهيونى ليس قاصرا على الفلسطينيين وحدهم ، ولا على الجيل الحاضر من العرب والمسلمين ، بل هو أمانة فى أعناق الأجيال المقبلة أيضا ، ولذلك لا يحق لأحد أن يتنازل عن شبر من أرض فلسطين ، ولا أن يقبل بأى نوع من أنواع التعايش مع الأعداء المحتلين

وبعد فان القتال هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين عملا بالآية الشريفة :

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » .

« والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

عن مجلة (فلسطين)

أخبار العالم الاسلامي

اعـــداد : الأستاذ عبد المعطى بيومى

الكـــــويت : أدلى سعادة رئيس مجلس الامة اثناء زيارته لـــ (ج.م.ع) على رأس وفد برلمانى بحديث طالب فيه بضرورة عقد مؤتمر قمة عربى من أجل حشد الطاقات العربية لازالة آثار العدوان الاسرائيلى .

● يشترك سعادة وزير الاوقاف والشئون الاسلامية فى الوفد البرلمانى الذى يزور كــوريا الشمالية فى الشهر القادم تلبية لدعوة رسمية .

● تبرعت الكويت بنصف مليون دينار لاعادة تعمير المناطق التى هدمت نتيجـة العــــدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان .

● وافق مجلس الامة على تخصيص عشرة ملايين دينار تدعيما لسوريا .

● تعاقدت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مع بعض الشركات لتكييف ٤٧ مسجدا توفيرا لراحـــة المصـــلين .

● تعد ادارة شئون المساجد سجلا حافلا بأسماء المساجد محلى بالصور .

● نظمت جمعية الاصلاح الاجتماعى بالاتفاق مع وزارة الاوقاف والتربية دروس تقوية مجــانا فى مـــواد الشهادة المتوسطة والثانوية فى عدد من المساجد بالكويت .

● تجـــرى امتحـــانات الطلاب المنتسبين لدار القـــرآن الكريم ، وكان عـــدد المتقدمين ٤٥٠ طالبـــــا .

● تعكف وزارة الأوقاف حاليا على اعداد كشف بالكتب الاسلامية المزمع توزيعهـــا مجـــانا باللغات المختلفة فى كافة انحـــاء العـــالم .

القـــــاهرة : قام وفد اسلامى مصرى بزيارة أوغندا فى الشهر الماضى ضمن اطار التعاون الاسلامى والعلمى بين العرب وأوغندا .

● افتتحت مصر اذاعة بحرية موجهة الى الشعب الاسرائيلى كما وجهت اذاعة للعـــرب فى الارض المحتلة .

● أوقفت الحكومة المصرية بتوجيه من الرئيس السادات عرض الافـــــلام التى تتنـــــافى مع الخلق ومنـــع استيرادها على الاطلاق .

● من المنتظر أن تحتفل القاهـــرة فى سبتمبر القادم بالعيد الالفى للازهر بمرور الف عـــام عليه ــ وسيحضر الاحتفال ملوك ورؤســـاء الدول الاســـلامية وتجرى الاعدادات لهذا الحفل . وتقدر نفقات الاحتفال بربع مليون جنيه .

السعـــــودية : استنكرت رابطة العالم الاسلامى موقف الهند من اسرى الحـــرب الباكستانيين واهابت بالدول والشعوب الاسلامية أن تستنكر هذه المعاملة وان تقف صفا واحدا ازاء الاوضـــاع هنـــــاك .

● صرح الامير فهـــد بن عبد العزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء انه قد آن للعرب أن يدركوا أن الصهيونية والاستعمار اليسارى واليمينى مظهران لجوهــــر واحد وان عليهم أن يجمعوا الجهود فى اطـــار علمى للتضامن والاحترام المتبادل .

● تستمر فى الامانة الاسلامية العامة الاجتماعات لانشاء وكالة الانباء الاسلامية .

● أعلنت الحكومة السعودية أنهـا ستعطى الطلاب اليمنيين تسهيلات فى جامعاتها بالقدر الذى تعطيه للطالب السعودى .

الأردن : طلبت اسرائيل من ٥٤٢ أسرة عربية فى القدس القديمة أن تخلى مساكنها ومنحتهم مـدة أقصاها شهر لتنفيذ القرار وذلك ضمن خطة التهويد للمدينة .

● نشر اتحاد الطلاب الاحرار فى لندن تقريرا أفاد فيه عن وجود عشرة آلاف فلسطينى فى سجون اسرائيل بدون محاكمة وقد سلم الاتحاد نسخة من التقرير الى السفارة الاسرائيلية فى لندن .

● تواصل اسرائيل اجراءاتها الوحشية ضد سكان قطاع غـــزة لحملهم على الهجرة وتهويد القطاع وقد صرح موشى ديان فى الشهر الماضى بان قطاع غـــزة خاضع لاجراءات تل أبيب .

العــــراق : قدمت العراق ٥ مليون دولار مساهمة فى المجهود الحربى المصرى .

● بعثت الحكومة العراقية وفـدا الى أوغندا يحمل تاكيدا بمساندة العراق لأوغندا ودعمها لمواقفها من التسلل الصهيونى .

ســـوريا : سـيقام قريبـا أسبوع الثقافة المصرية وقد بحث البلدان امكان تنسيق برامج التاليف والترجمـــة والنشــر بين مصر وسوريا .

لبنــــان : قام مفتى لبنان بزيارة الى ليبيـا استهدفت تدعيم العلاقات الاسلامية بين البلدين .

● تقـوم لجنة لبنانية بجولة فى السعودية والكويت وبعض امارات الخليج لجمع التبرعات لانشـاء جامـع الامـين فى بيروت .

ليبيـــا : طلبت الحكومة الليبية من القائم بالاعمال الامريكى ابلاغ حكومته بقلق الحكومة الليبيـة من الاشتباكات التى جرت فى مسجد هارلم بنيويورك ..

● انشات ليبيـا رابطة لنشر التعاليم الاسلامية تكون مهمتها الاشراف على تنفيـذ الشريعة الاسـلامية فى البـلاد ونشرهـا .

● عقد فى طرابلس الغرب فى مطلع شهر مايو ندوة اسلامية كان موضوعهـــا (التشريع الاسلامى) وقد حضر النــدوة علمـاء من مختلف البلاد العربية والاسلامية .

تـــونس : أجرى الرئيسان التونسى والجـزائرى عـدة مباحثات لاقامة المغـرب العربى وقـد بارك جهودهما الملك الحسن الثانى ملك المغرب .

الجــزائر : سيعقد فى مدينة الجزائر فى الفترة من ١٥ ـ ٢٥ يوليو القادم مؤتمر للتعرف على الفكر الاسلامى بالمغرب وسيحضره طلاب وطالبات من جامعات الجزائر وقسطنطينة ووهران وبعض طلاب المدارس الثانوية .

الســـودان : أغلقت الحكومة المركـــز الثاقى الالمانى الشرقى بالخرطوم لاسباب تتعلق بأمن البـــلاد .

أوغنـــدا : فتح الرئيس عيـدى أمين طريقـا يربط بين حدود أوغندا والسودان ودعا الى تعاون مشترك بين البلدين .

● اقترح الرئيس عيـدى أمين تكوين حلف عسكرى على غـرار حلف وارسـو وحلف شمال الاطلسى بين الدول العربية والافريقية للوقوف فى وجـــه الصهيونية والاستعمار .

أندونيســـيا : أقيم احتفال كبير فى الشهر الماضى بمناسبة اعتناق حوالى ٢٠٠٠ رجل من قبائل كادازان التى تسيطر على ولاية صباح ـ للدين الاسلامى .

● شن ديوان الدعوة الاسلامية باندونيسيا حملة لانشاء مشروع مستشفى ابن ســـــيناء الاسلامى فى اندونيسيا وهـو بحاجة الى التبرعات المالية .

باكســـتان : انتهت الاحكام العرفية واجرى العمل بالدستور المؤقت وانتخب الرئيس بوتـــو رئيسا لباكستان وقد أعلن الرئيس الباكستانى أنه لن يتساوم ولن يتنازل عن مبادئه .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ	يونيو ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	١٢	١ ٣	٤٧ ٤	٤٧ ١١	٢١ ٣	٤٧ ٦	٢٠ ٨	١٤ ٨	.. ١٠	.. ٥	٣٤ ٨	٣٣ ١
الثلاثاء	٢	١٣	١	٤٧	٤٧	٢١	٤٧	٢٠	١٤	..	..	٣٤	٣٣
الاربعاء	٣	١٤	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩ ٩	..	٣٤	٣٣
الخميس	٤	١٥	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	..	٣٤	٣٣
الجمعة	٥	١٦	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٨	٢١	١٣	٥٩	..	٣٤	٣٣
السبت	٦	١٧	١	٤٧	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩ ٤	٣٣	٣٣
الاحد	٧	١٨	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	٨	١٩	١	٤٨	٤٧	٢٢	٤٩	٢٢	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	٩	٢٠	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاربعاء	١٠	٢١	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الخميس	١١	٢٢	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الجمعة	١٢	٢٣	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
السبت	١٣	٢٤	٢	٤٩	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاحد	١٤	٢٥	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	١٥	٢٦	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الثلاثاء	١٦	٢٧	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الاربعاء	١٧	٢٨	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	.. ٥	٣٤	٣٣
الخميس	١٨	٢٩	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	..	٣٤	٣٣
الجمعة	١٩	٣٠	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	..	٣٤	٣٣
السبت	٢٠	يوليو	٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤	١٤	.. ١٠	..	٣٤	٣٣
الاحد	٢١	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	..	..	٣٥	٣٣
الاثنين	٢٢	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	..	..	٣٥	٣٣
الثلاثاء	٢٣	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الاربعاء	٢٤	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الخميس	٢٥	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
الجمعة	٢٦	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
السبت	٢٦	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الاحد	٢٨	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الاثنين	٢٩	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الثلاثاء	٣٠	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الجديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

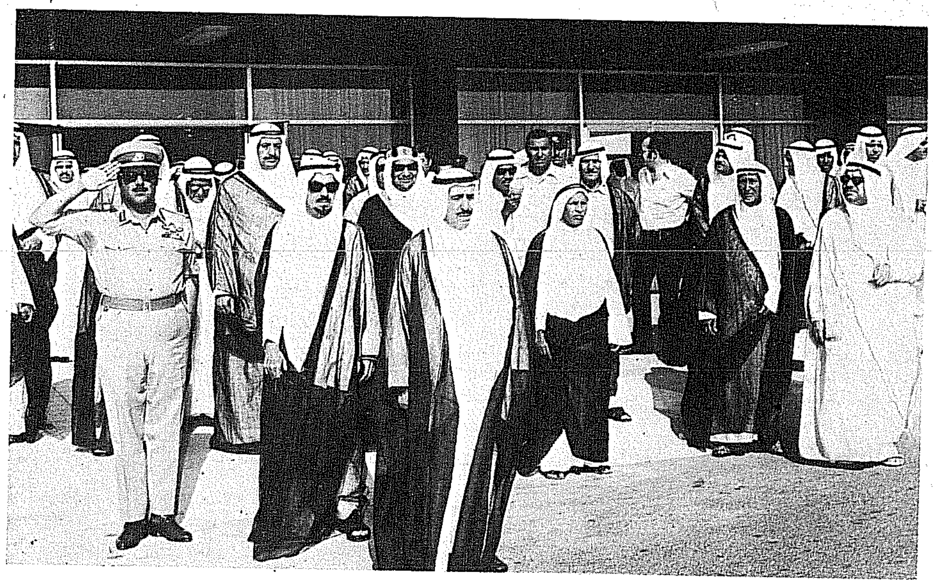
الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ٩٠ ـ غرة جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ ـ ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧٢ م



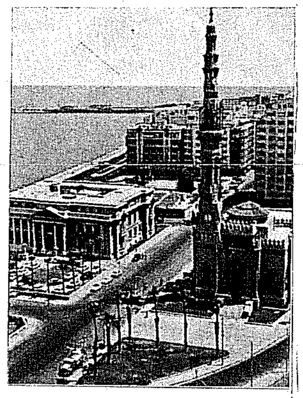
العدد القادم
خاص



حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم لدى مغادرته أرض الوطن الى لبنان وكان فى وداعه جمهور غفير من المودعين في مقدمتهم سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر نائب الامير المعظم وولى العهد وسعادة رئيس مجلس الأمة وسعادة المستشار الخاص لسمو الامير المعظم وأصحاب السعادة الشيوخ والوزراء وجمع من كبار المسئولين .



سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء يوزع الشهادات على الدفعة الثانية من كلية الشرطة ..



جامع القائد ابراهيم
بالاسكندرية

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد التسعون

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ

١٢ يوليو (تموز) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ — كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

ما أشبه الليلة بالبارحة

عرف المسلمون من قديم أساليب أعداء الاسلام فى الخداع والتضليل وتشويه الحقائق ، وقد تصدى القرآن الكريم لكشف زيف الذين يتخذون الغيرة على الحرمات متاريس لهتك تلك الحرمات ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد استغل اليهود حادثة الهجوم على مطار اللد لاظهار العرب بمظهر المعتدين ، وراحوا يتباكون على الضحايا ليشغلوا العالم عن جريمتهم الكبرى فى القضاء على شعب بأكمله واخراجه من أرضه ، وليفتوا فى عضد المجاهدين، ويوقعوا البلبلة فى نفوسهم والفرقة فى صفوفهم .

وقد وقع فى صدر الاسلام حادثة تلقى الضوء على ما حدث اليوم ، ونزلت فيها آيات بينات نقدمها مع ما قيل فى تفسيرها وسبب نزولها ليشدد المجاهدون من هجماتهم ، ويسلبوا أعداءهم والمساندين لهم الامن والطمأنينة ..

أما الآيات فهى قول الله عز وجل فى أمر القتال فى الشهر الحرام « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله . والفتنة أكبر من القتل . ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا . ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم

فى الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » .

واما تفسيرها وسبب نزولها ، والكلام لمفسر كبير — أنها نزلت فى سرية (عبد الله ابن جحش) رضى الله عنه — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — قد بعثه مع ثمانية من المهاجرين ، ومعه كتاب مغلق ، وكلفه الا يفتحه حتى يمضى ليلتين ، فلما فتحه وجد به « اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل بطن نخلة — بين مكة والطائف — ترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم ، ولا تكرهن أحدا على المسير معك من اصحابك » وكان هذا قبل غزوة بدر الكبرى ، فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال : سمعا وطاعة ، ثم قال لاصحابه قد أمرنى رسول الله ان امضى الى بطن نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منها بخبر ، وقد نهى أن استكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأنا ماض لأمر رسول الله، فمضى ومعه اصحابه لم يتخلف منهم احد حتى اذا كانت السرية ببطن نخلة مرت عير لقريش تحمل تجارة ، فيها عمرو بن الحضرمى وثلاثة آخرون ، فقتلت السرية عمرا ، واسرت اثنين وفر الرابع ، وغنمت البعير ، وكانت تحسب أنها فى اليوم الاخير من جمادى الآخرة ، فاذا هى فى اليوم الأول من رجب وقد دخلت الاشهر الحرم التى لفظها العرب ، وقد عظمها الاسلام واقر حرمتها ، فلما قدمت السرية بالعير والاسيرين على رسول الله . قال : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، فظن القوم أنهم قد هلكوا ، وعنفهم اخوانهم من المسلمين ، واستغلت قريش هذه الفرصة ، وقالوا قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم واخذوا فيه الاموال واسروا الرجال ، وقالت اليهود : تفاءلوا بذلك على محمد .. عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله .. عمرو : عمرت الحرب، والحضرمى : حضرت الحرب ، وواقد : وقدت الحرب .

وانطلقت الدعاية المضللة على هذا النحو بشتى الاساليب الماكرة التى تروج فى البيئة العربية ، وتظهر محمدا واصحابه بمظهر المعتدى الذى يدوس المقدسات حتى نزلت هذه الآية ، فقطعت كل قول ، وفصلت فى الموقف بالحق ، فقبض رسول الله الاسيرين والغنيمة .

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير » .

نعم .. للشهر الحرام حرمته ، ونعم القتال فيه كبير .. ولكن :
« وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » .

يقول المفسر الكبير : ان المسلمين لم يبدأوا القتال ، ولم يبدأوا العدوان .. انما هم المشركون . هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله والكفر به وبالمسجد الحرام .. لقد

صنعوا كل كبيرة لصد النـــاس عن سبيل الله ، ولقــد كفروا بالله ، وجعلوا الناس يكفرون به ، ولقــد كفروا بالمسجد الحرام . انتهـــكوا حرمته ، فآذوا المســـلمين فيه ، وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عاما واخرجوا أهله منه ، وهو الحرم الذى جعله الله آمنا ، فلم يأخـــذوا بحرمته وقدسيته ..

واخراج أهله منه أكبر عند اللهمن القتل فى الشـــهر الحرام ، وفتنــة الناس عن دينهم اكبر عند الله من القتل .. وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم فى التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام ، ووضح موقف المسلمين فى دفع هؤلاء المعتدين على الحـــرمات الذين يتخذون منها ســـتارا حين يريدون ، وينتهكون قداســـتها حين يريدون ، وكان على المســـــلمين أن يقاتلوهم أنى وجدوهم لأنهم عادون باغون أشرار . لا يرقبون حرمة ، ولا يتحرجون أمام قداسة ، وكان على المسلمين الا يدعوهم يحتمون بستار زائف من الحرمات التى لا احترام لها فى نفوسهم ولا قداسة .

لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل، وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد ستار يحتمون خلفه لتشـــويه موقف المسلمين واظهـــارهم بمظهر المعتدى ، وهم المعتدون ابتداء ، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء .

ان الاسلام لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة فى قوالب نظرية ،انه يواجه الحياة البشرية كما هى .. يواجهها بحلول عملية .

هؤلاء قوم طغاة بغاة معتدون ، لا يقيمون للمقدســـــات وزنا ، ولا يتحرجون أمام الحرمات ، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع على احترامه من خلق ودين وعقيدة يقفون دون الحق ، فيصدون النـــــاس عنه ، ويفتنون المؤمنين ، ويؤذونهم أشـــد الايذاء ، ويخرجونهم من البلد الحرام الذى يأمن فيه كل حى ، ثم بعد ذلك يتسترون وراء الشـــــهر الحرام ، ويقيمون الدنيـــــا ويقعدونها باسم الحرمات والمقدسات .

كيف يواجههم الاســـــلام ؟ .. يواجههم بحلول مثالية نظرية طائرة .. انه ان يفعل يجرد المســــــلمين الاخيار من السلاح بينما خصـــومهم البغاة الاشرار يســــــــتخدمون كل سلاح ، ولا يتورعون عن سلاح .

كلا ان الاسلام لا يفعل هذا لأنه يريد مواجهة الواقع لدفعه ورفعه .. يريد أن يزيل البغى والشر ، وأن يقلم أظافر الباطل والضلال ويريد أن يسلم الارض للقوة الخيرة ، ويسلم القيادة للجماعة الطيبة ، ومن ثم لا يجعل الحرمات متاريس يقف خلفها المفسدون البغاة الطغـــــاة ليرموا الطيبين الصالحين وهم فى مأمن من رد الهجمات .

— ● —

ان الاســـــــلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات ، ويشدد فى هذا

المبدا ويصونه ، ولكنه لا يسمح بأن تتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات ويؤذون الطيبين ، ويقتلون الصـــــالحين ، ويفتنون المؤمنين ويرتكبون كل منكر وهم فى منجاة من القصاص تحت ستار الحرمات التى يجب أن تصان .

ان الاســـلام يصــــون الحرمات ويحمى الفضائل ، ولــكن لا حرمة لمعتد أثيم ولا حماية لفاجر داعر .. انه يحرم الغيبة ، ولكن لا غيبـــة لفاسق ، فالفاسق الذى يشــــتهر بفسقه لا حرمة له يعف عنها الذين يكتوون بفسقه ، وهو يحرم الجهر بالسوء من القول ولكن من ظلم له ان يجهر فى حق ظالمه بالسوء من القول لأنه حق .. ان الاسلام يحمى الامن امن النـــــــاس على دمائهم واموالهم واعراضهم ، ولكن لا أمن لقاتل ولا لغاصب ..

ان الاسلام لا يتدنى الى مستوى الاشرار ولا الى أســـلحتهم الخبيثة ووسائلهم الخسيسة ، ولكنه يدفع المسلمين الى قتالهم وقتلهم والـــى تطهير الحياة منهم .

هذا هو الاسلام صريحا واضــــحا قويا دافعا لا يلف ولا يدور ، ولا يدع الفرصة كذلك لمن يريد أن يلف ويدور .

هذا هو القرآن يقف بالمســـلمين على أرض صـــــلبة لا تتأرجح تحت اقدامهم وهم يمضون فى سبيل الله لتطهير الارض من الشر والفساد ، ولا يدع ضــــمائرهم قلقة متحرجة تأكلها الهواجس وتؤذيها الوساوس .. هذا شر وفساد وبغى وعدوان ، فلا حرمة له اذن ، ولا يجـــــوز أن يتترس بالحرمات ليضرب من ورائها الحرمات .

على المجاهدين أن يمضـــوا فى طريقهم فى يقين وثقة ، والله معهم .

تفسير القرآن بالقرآن

للدكتور : عبد العال سالم مكرم

معنى التفســــير :

التفسير فى اللغة يرجع الى معنى الاظهار والكشف ، واصله كما يقول الزركشى فى كتابه : « البرهان » مأخوذ من التفسرة .

والتفسرة كما يقول صاحب « اللسان » : هى البــــول يستدل به على المرض ، وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل ، وكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية ، وقصصها ، ومعناها ، والسبب الذى أنزلت فيه ، وكأنه تسمية بالمصدر ، لأن مصدر فعّل جاء أيضا على تفعلة نحو : جرب تجربة ، أو كرم تكرمـــــة .

وفى رأى ابن الأنبارى أن أصل التفسير مأخوذ من قول العرب : فَسَرْتُ الدابة ، وفسَّرتها اذا ركضتها وهى محصورة لينطلق حصرها ، وعلى هذا المعنى يصير معناه الى الكشف أيضا .

ومعنى التفسير على هـــذا الرأى : كشف المغلق من المراد بلفظه ، والفعل منه يأتى مزيدا وغير مزيد ، يقال : فسرت الشىء أفسره تفسيرا ، وفسرته أفسره فسرا ، وقد سمى ابن جنى كتبه الشارحة الفسر وهى مصدر فسر .

والرأى الذى أميل اليه ، لانه أوضح فى مجال الدلالات ، وعلاقات المعانى أن التفسير أصله ، سفر لا فسر ، وضعت الفاء موضع السين على اساس القلب

المكاني ، والقلب المكانى باب معترف به فى مجال اللغة ، وسفر معناها : الكشف، يقال : سفرت المراة سفورا اذا القت خمارها عن وجهها وهى سافرة ، واسفر الصبح : اذا اضاء .

وإنما بنوه على التّفعيل فقالوا : التفسير ، لأنه للتكثير كقوله تعالى : « يذبحون ابناءكم » ، « وغلقت الأبواب » فكأنه يتبع فى تفسيره سورة بعد سورة ، وآية بعد أخرى .

والتفسير معناه فى اصطلاح المفسرين : علم نزول الآية وسورتها واقاصيصها ، والاشارات النازلة فيها ، وترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها ، وعامها ، ومطلقها ، ومقيدها ، ومجملها ، ومفسرها .

متى بدأ التفسير ؟

مما لا ريب فيه أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، ولغة العرب فى هذه الفترة من التاريخ كانت مضرب المثل فى رصانة الالفاظ ، وبلاغة المعانى وقوة التراكيب ، وقد برزت خصائصها كاملة فى الشعر العربى مما جعل بعض العلماء يقول : « ولو وجد أرسطو فى شعر اليونان ما يوجد فى شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال ، والاستدلالات ، واختلاف ضروب الابداع فى فنون الكلام لفظا ومعنى ، وتبحرهم فى أصناف المعانى وحسن تصرفهم فى وضعها ، ووضع الالفاظ بإزائها ، وحسن مآخذهم وتلاعبهم بالاقاويل المخيلة كيف شاءوا — لزاد على ما وضع من قوانين الشعر » ومع قوة اقتدارهم فى فنون القول تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثله ، أو بعشر آيات منه ، أو بأقصر سورة من سوره ، فعجزوا بعد أن حاولوا ، وصدق الله العظيم حين يقول : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ومما لا شك فيه ان هـذا يدل على ان كلام الله لا يشبهه كلام فى مجال الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع ، والمعانى اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب فى البلاغة ، والتشابه فى البراعة .

ولنا أن نتساءل : هل القرآن الكريم الذي بلغ هذه الذروة فى فصاحة الكلمة وبلاغة المعنى يفهمه العرب جميعا ، ولا يحتاجون فى مجاله الى بيان أو تفسير ؟ وللاجابة عن هذا السؤال أقول : ان من المفكرين العرب من يرى هذا الرأى كابن خلدون الذى نص فى مقدمته على : « أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه » .
وفى رأيى أن ابن خلدون تجاوز الحقيقة فى هذا الرأى ، وذلك للأمور الآتية :

١ — لغة العرب لم تكن ممثلة فى لهجة واحدة ، حقا قال الرواة : ان

القرآن الكريم نزل بلهجــة قريش لان قريشا ـ كما يقول أبو نصر الفارابى فى كتابه : المسمى (بالالفاظ والحروف) ـ كانت أجود العرب انتقاء للأفصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق .

أو كما يقول أبو حاتم الرازى فى كتابه : « الزينة » بصدد لهجة قريش : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نزل القرآن الكريم على قلبه لينذر قومه أفصح العرب ، وهو مــن قريش ، وقريش من ولــد اسماعيل ، وولد اسماعيل أفصح من اليمن الذين هم من ولد يعرب بن قحطان » .

ولكنى مع هذه النصوص لا أميل الى أن القرآن الكريم نزل بلهجة قريش وحدها ، بل نزل بها وبغيرها من اللهجات العربية الاخرى لان هنالك نصوصا تؤكد ان القرآن الكريم نزل بسبعة أحرف لييسر للعرب جميعا الانتفاع به ، ومعنى ذلك أن هذه الاحرف تشتمل على كثير من اللهجات العربية ، وحوادث اختلاف القراءات بين الصحابة عديدة سجلتها كتب الرواة والتاريخ . واذا كان الامر كذلك فان كثيرا من الاحرف التى نزل بها القرآن لا يعرفها العرب جميعا ، وتحتاج الى بيان وتوضيح ، وتفسير لمعانيها ، والامثلة على اختلاف مدلولات الكلمات باختلاف اللهجات عديدة ، والى القارىء طائفة منها لتكون دليلا على ما أقول :

ذكر اسماعيل بن عمرو المقرىء فى كتابه الشهير (اللغات فى القرآن) الأمثلة الآتية من سورة البقرة :

« رغدا » آية ٣٥ = الخصب بلغة طيىء .
« فأخذتكم الصاعقة » آية ٥٥ = الموت بلغة عمان .
« رجزا » آية ٥٩ = العذاب بلغة طيىء .
« اشتروا » آية ١٦ = باعوا بلغة هذيل .
« فلا رفث » آية ١٩٧ = الجماع بلغة مذحج .

الا يدل هــذا على اختلاف المدلولات بين اللهجات مما يؤكد أن العرب جميعا لم يكونوا على مستوى واحد فى فهم مدلولات القرآن الكريم .

٢ ـ ذكر ابن قتيبة فى كتابه (المسائل) أن العرب لا تستوى فى المعرفة بجميع ما فى القرآن من الغريب والمتشابه ، بل لبعضها الفضل فى ذلك على بعض ، والدليل عليه قوله تعالى : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » ، ثم قال ابن قتيبة ويدل عليه قول بعضهم : يا رسول الله إنك لتأتينا بالكلام من كلام العــرب ما نعرفه ، ونحن العرب حقا ؟ قال : إن ربى علمنى فتعلمت » .

٣ ـ وقد ذكر ابن تيمية فى مقدمته « أصول التفسير » : انه يجب أن يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم بين لاصحابه معانى القرآن كما بين لهم الفاظــه فقوله تعالى : « لتبين للناس ما نزل اليهم » يتناول هذا ، وهذا ، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان ،

وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم ، والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا » .

فهذه النصوص التى قدمتها ترد قول ابن خلدون السابق ، وتشير الى أن العرب لم يكونوا على درجة واحدة فى ادراك معانى القرآن ، بل لبعضهم الفضل فى ذلك على بعض ، وأن الذين لا يدركون هذه المعانى من حقهم أن يدركوها فالنبى عليه الصلاة والسلام بينهم يبيئن ما غمض عليهم ، ويوضح ما خفى عنهم .

= الخطوة الاولى لتفسير القرآن الكريم :

وكان بيان النبى عليه السلام لما غمض ، وتوضيح ما خفى ، هو الخطوة الاولى لتفسير القرآن ، واليك الدليل :

١ — لما نزل قوله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن » قال بعض الصحابة : وأينا لم يظلم نفسه ؟ ففسر النبى عليه الصلاة والسلام الظلم بالشرك ، واستدل عليه بقوله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » .

٢ — سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحساب اليسير فى قوله تعالى : « فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا » فيبين لها النبى عليه الصلاة والسلام أنه العرض يوم القيامة .

٣ — حديث عدى بن حاتم قال : لما نزلت : « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » عمدت الى عقال أسود ، والى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتى ، فجعلت أنظر فى الليل ، فلا يستبين لى ، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » . وهذه الخطوة الأولى من التفسير التى تمت على يد النبى عليه الصلاة والسلام موضع اتفاق بين العلماء جميعا ، ذلك لان السنة هى الضوء الكاشف لما أجمله القرآن ولم يفصله ، والسنة هى التى حددت لنا عدد الصلوات ، وعدد الركعات والسجدات فى الصلاة ، وهى التى بينت لنا مقدار النصاب فى الزكاة ، ولذلك رد عمران بن حصين على كل رجل كان يرى أن القرآن حوى كل شىء ، فقال له : انك رجل أحمق ، أتجد الظهر فى كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة ، والزكاة ، ونحو ذلك ثم قال : اتجد هذا فى كتاب الله لنا مفسرا ؟ ان كتاب الله تعالى ابهم هذا ، وان السنة تفسر هذا .

هذا وقد ثار الجدل بين العلماء حول تفسير النبى صلى الله عليه وسلم للقرآن هل فسر القرآن الكريم كله أو فسرجزءا منه ، أو فسر فقط ما أشكل من آياته ؟

فى رأيى ان النبى عليه السلام لم يفسر القرآن كله متتبعا سوره ليفسر آياتها آية آية كما يفعل ذلك المفسرون ، لانه لو فعل ذلك لاغلق باب التفسير ..

ووقف الفكر عند هذا الحد ، وبذلك يتعطل الاجتهاد ويتجمد الفكر ، والاســـلام من أخص خصائصه أن يتيح الطريق للافكار المطشى أن تنهل من معين القرآن ما شاء لها أن تنهل ، بشرط أن تكون أدوات التفكير متكاملة ، ومن ثم ازدهر التفسير وتعددت مناهجه عبر القـــرون الى يومنا هذا .

ولكن الذى يمكن أن يقال : ان النبى عليه الصـــلاة والسلام تنـــاول فى تفسيره التى تحتاج الى بيـــان فى العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو السلوك ، وما كان فى إطار غير هذا الاطار تركه النبى صلى الله عليه وسلم للعرب يفهمونه بلغتهم ، وعلى مقتضى أساليبهم فى فنون القول . ولا أستطيع فى هذا البحث الموجز أن أبين مناهج التفسير المختلفة فى عصر الصحابة أو التابعين ، ومن جاء بعدهم ، ولكن الذى أستطيع أن أتبينه هنا أن من أهم مصادر التفسير ومناهجه تفسير القرآن بالقرآن .

تفسير القرآن بالقرآن :

وتفسير القرآن بالقرآن يتوقف على الادراك الواســـع ، والفهم الدقيق لآياته ، والنظر الى الآيـــات المتكررة وربطها بعضها ببعض ، وجمعها فى إطار واحد لينظر اليها فى صورتها المتكاملة ، وان الاشعاعات الفكرية التى تعطيها هذه الصورة المتكاملة تزيل التناقضات، والاختلافات التى يرمى بها الجهلة كتاب الله ، وكتاب الله منها برىء لانه كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وفهم القرآن ليس سهلا ، لانه يحتاج الى تصـــفية النفس من أكدارها ، والعقل من شبهاته ، والقلب من خطراته ، ولا أدل على ذلك من كلمة على كرم الله وجهه ، وقد سئل : هل خصكم يا أهل البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء ؟ فقال : ما عندنا غير ما فى هذه الصحيفة ، أو فهم يؤتاه الرجل فى كتاب الله . والزبيدى يبين أن مرتبة فهم كتاب الله مرتبة عظيمة ويستدل لذلك بقوله تعالى : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » فانه تعالى خصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم ، وجعله مقدما على العلم والحكم ، فهذه الامـــور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ، ومتسعا بالغا ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه .

وتفسير القرآن بالقرآن يتمثل فى صور عديدة أذكر منها ما يأتى :

١ ــ المعانى العديدة للكلمة الواحدة .

ذلك لان الكلمة الواحدة فى القرآن الكريم قد تتصرف الى عشرين وجها أو أكثر أو أقل ، ولا يوجد ذلك فى كلام البشر ــ من ذلك كلمة الهدى فهى :

= بمعنى البيان فى قوله تعالى : « أولئك على هدى من ربهم » .
= وبمعنى الدين فى قوله تعالى : « قل ان هدى الله هو الهدى » .
= وبمعنى الايمان فى قوله تعالى « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » .
= وبمعنى الداعى فى قوله تعالى « ولكل قوم هاد » .
= وبمعنى الرسل أو الكتب فى قوله تعالى : « فإما يأتينكم منى هدى » .

= وبمعنى الرشاد فى قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » .
= وبمعنى التوراة فى قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الهدى » .
= وبمعنى الحجة فى قوله تعالى : « والله لا يهدى القوم الظالمين » .
بعد قوله تعالى : « الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه » .
= وبمعنى التوحيد فى قوله تعالى : « ان نتبع الهدى معك نتخطف » .
= وبمعنى السنة فى قوله تعالى : « وإنا على آثارهم مهتدون » .
= وبمعنى الالهام فى قوله تعالى : « أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » .. الخ

٢ ـ التكـــرار :

والتكرار تفسير وتوضيح ، فقصة موسى عليه السلام ذكرهـا الله تعالى ـ كما قال بعضهم ـ فى مائة وعشرين موضعا فى كتابه ، ومع ذلك التكرار فان الصورة لا تهتز ، لانه تفنن فى القول ، وابداع فى التصوير ، واساليب مختلفة تساق لقصة واحـدة ، وفى هذا من البلاغة ما فيه .

على أن التكرار لا يخلو من زيادة مفيدة ، ففى قصة موسى مثلا نجد ان الله تعالى صور العصا فى سورة طه آية (٢٠) بأنها حية تسعى ، وذكرها فى الاعراف آية (١٠٧) بأنها ثعبان مبين ، وفى موضع آخر ـ تهتز كأنها جان ولى مدبرا ـ :

ويعقب السيوطى فى الاتقان على صور العصا المختلفة بقوله : « ان خلقها خلق الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركتها كاهتزاز الجان وخفته » .
ويبين الزركشى بعض الاسباب التى من أجلها كررت القصة فى القرآن فيقول :

١ ـ إن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود الى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل ، فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى الى قوم ، وقصة عيسى الى آخرين ، وكذلك سائر القصص ، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها فيكون فيه إفادة لقوم ، وزيادة تأكيد وتبصرة لآخرين ، وهم الحاضرون .

٢ ـ ومن الاسباب تسلية النبى عليه الصلاة والسلام ، وتكرار هذه التسلية ليثبت قلبه دائما فى مجال دعوته الى الحق كما قال تعالى : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

٣ ـ إن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الاحكام فلهـذا كررت القصة ، دون الاحكام .

وانى اميل الى رأى ابن فارس فى قوله : إن تكرار القصة نوع من الاعجاز

القرآنى لبلغاء العرب وفصحائهم ، فبعد أن عجزوا عن الاتيان بمثل آية ، بين لهم وأوضح الامر فى عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة فى مواضع إعــلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأى نظم جاءوا ، وبأى عبارة عبروا . ويؤيد هذه الفكرة الامام الباقلانى فى إعجاز القرآن فيقول :

« ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت ، بل هو على نهاية البلاغة ، وغاية البراعة ، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر ، لان الذى يقدرون عليه قد بينا فيه التفــاوت الكثير عند التكرار ، وعند تباين الوجوه » .

على أن الناظر الى قصص القرآن يجد أن الهدف من التكرار هو الهداية والعبرة ، وكأن هذا التكرار يذكر الامم دائمـــا بالمصير الوبيل الذى حل على هؤلاء الناس الذين وقفوا من دعوات أنبيائهم موقف التحـــدى والنكران .

٣ ــ توضيح الفكرة بضروب من الاستدلالات المختلفة :

ومن تفسير القرآن بالقرآن أن الفكرة تتضح ابعادها ، وتنكشف جوانبها ، اذا تعددت الاستدلالات عليها من واقع الحياة ، وبذلك يطمئن القلب اليهـــا . وتستريح النفس لها ، ويؤمن العقل بها ، والمثال على ذلك قصة البعث والاعادة :

وقد سلك القرآن الكريم لتفسير قصة البعث طرقا مختلفة :

١ ــ قياس الاعادة على الابتداء بقوله تعالى : « كما بدأكم تعودون » .

٢ ــ قياس الاعادة على إحياء الارض بعد موتها بالمطر والنبات بقوله تعالى : « ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » .

٣ ــ قياس قدرة الاعادة على قدرة إخراج النار من الشجر الأخضر ، وقد ورد فى هذا أن أبى بن خلف لما جاء بعظام بالية ففتها وذرها فى الهواء ، وقال يا محمد : « من يحيى العظام وهى رميم » فأنزل الله تعالى : « قل يحييها الذى انشأها أول مرة » ثم زاد الحجاج بقوله : « الذى جعل لكم مـــن الشجر الاخضر نارا » .

٤ ــ احتمال اللفظ معنيين فى موضع ، وتعيين واحد منهما فى موضع آخر :

ومن تفسير القرآن بالقرآن أن اللفظة أو الكلمة تحتمل معنيين فى موضع ثم يعين أحد المعنيين فى موضع آخر وذلك كقوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ، فيحتمل أن يكون السمع معطوفا على « قلوبهم » ، ويحتمل الوقف على « قلوبهم » ، والابتداء بقوله : (وعلى سمعهم) والاحتمال الاول أولى لقوله تعالى فى سورة الجاثية : « وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » .
وكقوله تعالى : « ويستغفرون لمن فى الارض » والمراد بهم المؤمنون بدليل قوله تعالى فى موضع آخر : « ويستغفرون للذين آمنوا » .

٥ ـ الاستنباط مع ضميمة اخرى تعين عليه :

وذلك كاستنباط على وابن عباس رضى الله عنهما أن اقل الحمل ستة اشهر من قوله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » مع قوله تعالى « وفصاله فى عامين » ، وعلى هذا الاستنباط جرى الامام الشافعى .

وكاستنباط بعض المتكلمين أن الله خالق لافعال العباد من قوله تعالى : « وما تشاءون الا أن يشاء الله » مع قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » فاذا ثبت أنه يخلق ما يشاء ، وأن مشيئة العبد لا تحصل الا اذا شاء الله أنتج أنه تعالى خالق لمشيئة العبد .

٦ ـ رفع التناقض وإزالة الاختلاف :

وذلك كقوله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » مع قوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » .
جمع بينهما بعض العلماء ، فحمل الاول على التوحيد بدليل قوله تعالى بعدها : « ولا تموتن الا وانتم مسلمون » ، وحمل الثانية على الأعمال .

ومثله قوله تعالى : « وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة » مع قوله تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر » .
قيل : إن آية الاعراف تجرى على الظاهر من أن الوعد كان ثلاثين ثم أتم بالعشر ، فاستقرت الاربعون ، ثم أخبر فى آية البقرة بما استقر .

وقد سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد » ، فأخبر أنه لا يقسم ، ثم أقسم فى قوله : « وهذا البلد الأمين » فقال له : اعلم ان هذا القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال ، وبين ظهرانى قوم ، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدو فيه مغمزا ، وعليه مطعنا ، فلو كان هذا عندهم تناقض لتعلقوا بـــه ، واسرعوا بالرد عليه ، ولكن القوم علموا وجهلت ، فلم ينكروا منه ما أنكر ت، ثم قال له : إن العرب قد تدخـــل لا فى أثناء الكلام وتلغى معناها ، وانشد عليه أبياتا .

٧ ـ علم المبهمـــات :

ومن تفسير القرآن بالقرآن علم المبهمات ، هكذا أطلق عليه علماء التفسير ، والمراد بـــه أن يبهم فى موضع استغناء ببيانه فى موضع آخر فى سياق الآية ، ويمثلون لـــه بقوله تعالى :
« مالك يوم الدين » فقد بين يوم الدين بقوله فى موضع آخر فى سياق الآية : « ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ للـــه » .
وكقوله تعالى : « صراط الذين انعمت عليهم » فقد بينه بقوله : « فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

٨ ــ تفسير الألفاظ الغريبة :

وهو ضرب من تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسيرها بالسياق القرآنى نفسه ، ويمثلــون له بقوله تعالى : « إن الانسان خلق هلوعا » وقد فسر السياق القرآنى نفسه هــذا الهلوع بقوله بعد ذلك : « اذا مسه الشر جزوعــا . واذا مسه الخير منوعا » .

٩ ــ تفسير المراد بنص صريح يبين خفاءه :

لما نزل قوله تعالى : « وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» اضطرب الصحابة ، لانهم اعتقدوا انهم سيحاسبون على كل شىء حتى خواطر انفسهم ، وحركات قلوبهم . فقالوا يا رسول الله : نزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها . فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : اتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم : سمعنا وعصينا ، بل قولوا سمعنا واطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير . فأخذوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى انزل الله بيانها فى نص صريح وهو قوله : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » الى آخر السورة ، وبعد نزولها علموا انهم لا يحاسبون على خطرات النفس ، وهواجس القلب .

ولما توفى عبد الله بن ابى ، كبير المنافقين ، كفنه النبى عليه الصلاة والسلام فى ثوبه ، وأراد أن يستغفر له ، ويصلى عليه ، فقال عمر رضى الله عنه : أتصلى عليه وقد نهاك ربك ؟ فقال صــلى الله عليه وسلم : إنمــا خيرنى ربى فقال : « استغفر لهم او لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مــرة .... » .. وسأزيد على السبعين وصلى عليه بناء على هذا الفهم الانسانى ، ولكن القرآن وضع النقاط على الحروف ليزيل خفاء المعنى ، ويمنع اللبس ، حيث قال تعالى بعد ذلك : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » .

١٠ ــ الاجمال والتفصيل :

هناك آيات قرآنية وردت مجملة موجزة ، واخرى موضحة مفصلة فــى موضوع واحد ، ونحن بإزاء هذه الآيات يجب الا نقف عند المجمل وحده من غير نظر الى الآيات التى فسرته وفصلته ، ولو فعلنا ذلك لوقعنا فى الخطأ لاننا اخذنا الحقيقة مغلفة ولا ندرى ما بداخلها .

ويمثلون لهذا النوع من التفسير بقوله تعالى : « وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم » ولكن ما الذى يتلى علينا ، ويحرم علينا أكله ؟ لم تبينه هــذه الآية ، ولكنها اجملت ما يتلى فى هذا الموقف ، وتعود الآيات بعد ذلك لتوضح هذا الذى يتلى فيقول تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » الى آخر الآيــة .

وقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » فسرتها آية « وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة » .

وبعد ، فان المنهج السليم لتفسير القرآن الكريم يجب ان يتناول أولا وقبل كل شىء هذه الآيات العديدة التى يفسر بعضها بعضا ، ولا يستطيع المفسر المنصف أن يبنى حكما ، أو يقــرر رأيــا أو يكشف معنى الا بعد استيعابه الكامل لهــذا اللــون من التفسير ، الا وهو تفسير القرآن بالقرآن .

من هدي السنة

بين الخطأ والإكراه

دكتور على عبد المنعم عبد الحميد

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله تعالى تجاوز عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

(رواه ابن ماجة والبيهقى)

نستعين الله جلت قدرته ، ونجول قليلا مع سادتنا العلمــاء الذين سبقونا باحسان ، ولم تعج دنياهم بما يملأ دنيانا من مساوىء ومخاطر ، وملهيات ودافعات الى الشرور ، فعاشوا باعصاب هادئة ، ولم يلووا رءوسهم عن نداء ربهم ، واخلصوا الله تعالى عملهم ، وحمدوه على توفيقه ، فادوا للعلم خدمات لا يمكن ان تؤدى فى نفس المجال الآن ، واقول : لا يمـكن ان تؤدى ، وان لا ! فاين صاحب الهمة العالية ، والعزيمة الماضـــية ، التى لا تضعفها الملاحقات المعاصرة المنبثة فى كل مكان ، ليسير على درب البحث الخالص لله وحده ، والرغبة الاكيدة فى عمل يرضيه ، وان كان ما نرى ، فيما أرى مرض يلاحق دورة الفلك ، ولا يسـتطيع الثبات دائما اذا واجه الطبيب النطاسى ، وامتدت اليه يد الاخلاص مع التوفيق الالهى ، وما دام سليل آدم يدرج على البسيطة فالامل مرجو ، والشفاء مدرك ، وسبحان من يبدىء ويعيد ، دون معقب أو رقيب .

بعد هذا : أورد مقالة الاقدمين فى هذا الحـــديث الشريف ، بادئا بلغوياته ومعقبا بمعنوياته ، فقد قالوا — رحمهم الله تعالى — وحســـنا ما قالوا : **الخطا :** هو نقيض الصواب ، ومن المشـــكل توضيح الواضح ، ومعلوم منطقيا : أن النقيضين هما الامران الوجوديان اللذان لا يجتمعـــان ولا يرتفعان ، فاما خطأ ، واما صواب ، وقالوا : من اراد الصواب فصار الى غيره فهو المخطىء ، ومن فعل مالا ينبغى فهو الخاطىء ، وفى حـــديث شريف (لا يحتكر الا خاطىء) . **والنسيان :** هو عدم الذكر للشىء ذهولا ، أو غفلة ، وهما (الخطأ والنسيان) من ملازمات الانسان ، فهو كانســـان لا بد وأن يخطىء ويصيب ، وأن يتذكر وينسى ، وقد كلف الله جلت عظمته ، عباده أن يسألوه رفع المؤاخذة عنهم لدى الخطأ والنسيان ، فقال سبحانه فى محكم كتابه العزيز « **.. لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كســبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ..** » الآية الكريمة (٢٨٦) من سورة البقرة ، **وما استكرهوا عليه :** وما قهروا عليه قهرا أورد له علماء الفقه شروطا كثيرة ووضحوا الحد الذى يحمل المسلم على الظهور بما يخـــالف اعتقـــاده تطبيقا لقوله تعـــالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » ..

هذه لمحات يسيرة من آثار الاقدمين رضوان الله تعالى عليهم نعرج بعدها على واقع عصرنا فندرس فيه — على ضوء هذا الحديث الشريف — ظاهرتين تلويان اليهما الاعناق ، وتثيران التساؤل ، أولاهما : موقف أولئك الذين وسدت اليهم أمور لبها وجوهرها خدمة الانسانية ، ومنفذها الايمان العميق بخالق القوى والقدر حيث يتلاشى الاكراه ويختفى الخوف ، ولكنهم خرجوا من أعمالهم أقل ايمـــانا منهم حين دخلوها ، ثم لما انصرم العصر ، وانسأ الله لهم فى الاجل بدأوا ينقدون ما اشتركـــوا فى تنفيذه ، ويحملون غيرهم تبعاتها ، دون حياء من الله أو خجل من الناس ، **والظاهرة الثانية :** قد تكون ضاربة فى القدم والزمان يعيدها ، وقد تكون من ملابسات العصر ، الا وهى : المحاكاة دون وعى ، أو ادراك لشؤم عواقبها ..

وعن الاولى : قد حيرنى كثيرا حديث (متابع) التقى به صباح مساء ، يعيد الى ذاكرتى صورة مجلس حملته اليه مناسبة لا يد له فيهـــا ، يردد ما دار فيه ، ويضع تحت بصر القارىء ، وسمع المنصت ، رسما لواقعة حية لا مدخل للخيال فيها ، وليست صنو رؤى أو وليدة احلام .. قريبا من التاسعة مساء يوم من شهر يناير حيث يتكاثر زوار بلدنا ، دلفت مع الصحب الى رحاب مبنى لا أستطيع وصف مشتملاته من الاشياء والناس ، تعددت طبقاته ســـامقة فى جو المدينة ، حيث وجدت المصاعد فيهـــا مجالا للغدو والرواح ، فهى لا تصعد الا لتهبط ، ولا تمس الارض الا لتجافيها ، وفى أحد أروقة هذا المبنى الشامخ كبرياء المدل بجناته ، تكشفت لنا غرفة فسيحة ، صفت فيها الارائك الغربية الصنع الى جانب الطنافس الشرقية الابداع ، وتصدر المجلس شيخ جاوز السبعين وتارب المدى الذى دعا الشـــاعر الجاهلى لصاحبه أن يبلغه ، وان كان قد أحوج سمعه الى ترجمان ، تنم هيئة الشيخ عن خلجات قلبه ، وتحمل أشلاؤه مياسم الصراع العنيف الذى

اعتمل ويعتمل فى جوانحه ، والذى لم يجد منفذا سليما مباحا فاصطدم بأحد أركان الهيكل العام فهدمها ، وتركها صريعة تحمل ولا تحمل (الاولى بضم التاء المثناة والثانية بفتحها) فهى كلة على سيدها ، وعبء على أقرانها ، وما كان لها من ذنب فيما كان من ضياع قوتها ، الا انها اختيرت ولم تختر لتصرف غير معتاد ولا منتظر ..

سلمنا ، ورد الشيخ الذى وجدت فيه شخصا كانت تربطنى به صلات عمل منذ أمد هو فى عمر الزمان قصير ، وفى حساب عادّ الايام طويل ، وجرى الحديث متخذا مداخل ومخارج شتى والحديث ذو شجون ، وكان من شجونه وان شئت فقل من أشجانه حديث مؤسسات ضاربة فى أغوار الماضى ، ماضى الانسانية البعيد ، قد نالتها يد العابثين فصارت الى الاسوأ قصدا وعمدا مع سبق اصرار الفاعل كما يقول رجال فقه القانون الجنائى حين يقفون أمام قضية تلطخ جبين الانسانية بالعار ، وراح شيخ السبعين يكيل اللوم ويستنزل لعنات السماء على العاملين والمشاركين فى أعمال أخرت سير القافلة ، وأهاضتها ، وحطمت جوانحها ، ونشرت الرعب فى آفاق حداتها ، ولم يفته أن يطلب الى الملائكة المقربين أن ينقضوا على من دوخوا الحرية بل قتلوها ، وهدموا أركان الفضيلة بل أبادوها ، ومنعوا افعال الخير ، وعاقبوا عليها ، وكانت النتيجة أن وصل المجتمع الذى أظلتهم سماؤه وأقلتهم أرضه ، ونعموا منفردين بخيراته ، الى الحد الذى انبتت فيه روابط البر (كما وردت فى احدى سور القرآن الكريم) وتباعدت القربى فلا رحم ، ولا أخوة ، ومن نجا بنفسه ان استطاع فقد نجا ، ومن رام أن يمد يده لغيره سقط وكبا ، وهكذا يمضى الشيخ فى حديثه والحضور منصتون ، وهذا أمر لا غبار عليه لولا أن المتحدث نفسه بعقله الالمعى ، وفكره الذكى ، وادراكه العبقرى ، لم يكن عضوا فعالا فى كل ما حدث كما يحدّث ، فهل كان ما صدر عنه من مشاركة فعلية ، لا بالصمت فقط ، تنفيذا لما ورد فى الذكر الحكيم « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » ؟! أم أن وراء الأكمة ما لا يستطيع أحد ادراك كنهه الا هذا اللوذعى الفطين ، ألم تسنح له فرصة الحديث الى من تسنم غارب الامر والنهى ليقف منه موقف امرأة من عمر ، أم أن جاه الوظيفة ، وبريق السلطان المؤقت قد غشى عينيه وأنساه التاريخ الذى لا يرحم ولا يستر ، واليوم الثقيل الذى ينتظره هناك يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ؟! .. لعمرك لا أدرى ، ولا المنجم يدرى .. !!

لعلك يا سيدى القارىء أدركتها شخصية شرقية معاصرة ، والحقيقة انها لا شرقية ولا غربية ، فليست مختصة باقليم أو قارة ، ولكنها قدر مشترك فى الانسان ولا تستثنى الا من رحم الله ، فالمرء اذا ابتعد عن ساحة ربه وهدايته تخبط يمينا وشمالا ، وتلمس الطريق فى احساس شهوانى مريب عجيب ، لا شهوة الجنس نقصد ، وانما هى أخفها اذا قيست بملازمات لا تنفك بل لا تفارق ولو عمر الشيخ قرونا .

وهنا : لا بد من الافصاح عن الذى حمل (المتابع) على اثارة مثل هذا الحديث المؤلم الدامى ، وجوابه ثورة اعتملت فى نفسه حين أهاجه استعراض اجراه تلفاز باريس على مرحلتين فى شهر مايو المنصرم ، وترك القول فى

المرحلة الاولى لسكان تلك الارض الطيبة ، وأعطى الجولة الثانية ، للذين خرجوا على أشلاء مليون شهيد ، والذين كانوا دائما فى حوارهم لا يرددون كلمة (عرب) أبدا ولو على سبيل الخطأ ، وانما تمسكوا بأن محاربيهم (هم المسلمون) والمسلمون فقط ، وجاء دور العسكريين الغاصبين فتباكى أحدهم وقد كان قائد الدمار حينذاك ، على الجزائر الفرنسية ، وسب ولعن فى أسلوب سياسى مقنع أولئك الذين زجوا به فى السجن ، ولم يدعوه يقتل الابرياء المطالبين بحق مشروع حين بلغوا الحلم وارادوا رفع الوصاية عنهم ، وبرز فى الميدان شيخ ويا ليته ما كان ، قد انحاز الى الشيطان يوم كان له السلطان ، وتباكى مع الراعى يوم أمن أنياب الذئب العاوى ، الوالغ فى الدم ، يقول أكرهنا وعَلاَمَ أكرهوا ؟ على المناداة بدوام الاستعباد والكف عن الجهاد ، وكانت لحظة ثقيلة على نفس (المتابع) ذكرته بمواقف كثيرة مثيرة لعديد من رجال الاسلام خاصة « على حد تعبير العسكريين الفرنسيين عن الجزائريين » وبالأخص قادة الفكر منهم ، فلهم مواقف لا يقرها قانون ولا يعترف بها اسلام ، فقد عالجوا الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة حسب أهواء سادتهم ، وقالوا للعامة عذرنا مقبول (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ..

ولصاحبى مقياس لهذا الاكراه لا يتقيد فيه بحديث الفقهاء ولا غيرهم ، فهو لا يرى أى مجال لتطبيق هذا الاكراه ، ويقول : لو اتخذنا مقولات البعض مقياسا ، لما دافع أحد عن حق ، ولما وصل مظلوم الى انصاف ، وعلى سبيل المثال : لو أن الخوف من الموت والفناء ، وضياع المال والولد جعل أساسا ، لما مضى رسل الله فى دعواتهم ، ولما حققوا رسالات ربهم ، ولما هدوا الى صراط مستقيم ، فقد أخرجوا من ديارهم وأوذووا فى أنفسهم وأموالهم ، واهيجوا عن حماهم ، بل وانتهى الامر ببعضهم الى القتل الفعلى ولقى ربه أشخب دما يشهد بقسوة الانسان على أخيه ، وما يدعوه الا الى هدى وخير ، وليس هذا حديثا مبتدعا أو القاء للقول على عواهنه دون دليل .

فاليك سيدى القارىء قول الله تبارك وتعالى « .. الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم **فلم قتلتموهم** ان كنتم صادقين » الآية ١٨٣ من سورة الاعراف : اذا هم قد قتلوا الانبياء الذين لم يتوقفوا عن التبليغ وهم على منصة الاعدام ، فالمقصود بالاكراه الذى يتجاوز الله عنه لأمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاكراه الذى يشق على النفس ولا يترتب عليه مهما كان ضياع شىء من مقومات الدين ، أو مساس بالايمان ، والحياة ماضية مهما حرصنا عليها ، فمن يستطيع ايقاف سير الفلك ، أو التصدى لعجلة الزمان ، فاذا أدى الامر الى وضع تهان فيه حدود الله تعالى فالموت خير من الحياة ، والبقاء على الضيم هو والموت سواء ، ومن حرص على الموت فى سبيل عقيدته فقد أحرز الحياة التى تليق به كانسان حريص على انسانيته وبالتالى على عقيدته . ومن حرص على عقيدته وافتداها بالنفس والمال حرص على تراب أرضه ومثوى أجداده ..

وأما الخطأ كما أسلفنا فكثير الوقوع وهو عمل غير متعمد ، وطبيعة الانسان أنه خطّاء ، والله لا يوصد باب رحمته أمام الخطائين التوابين أبدا ، والنسيان أصل متمكن من ابن آدم وقديما قيل :

وما سمى الانسـان الا لنسـيه ولا القلـب الا انـه يتقلـب

وعلى هذا فالله سبحانه عفو غفور يغفر لمن نسى أو أخطأ ، ولكن باب الاكراه له حد مقبول ، وآخر موصد ، لو فتح كما يريد الذين شـاركوا ويشاركون المفسدين فى الارض ويساعدونهم بالفتيا والتأويلات البعيدة عن الاسلام ، لبادت الفضائل ، وسادت الرذائل ، وعفت آثار الخير ، وخلا الجو للشر ليبيض ويفرخ ..

ونختم القول بتوجيه الحديث الى الذين قاربوا الفناء جريا على المعتاد ، وحان موعد لقائهم مع رب السموات والارض ، فلعلهم يكونون أكثر تعقلا ، واشد احساسا بالحاجة الى رضى لله وحده وأكثر علما وتجربة بأن الخسران المبين فى اغتنام عاجلة زائلة واطراح آجلة باقيـة ، وما عند الله خير للابرار ، عندئذ يحركون أقلامهم ويجرونها بما يرضى الله ، ولا يمهدون لشر قد فتح له غيرهم الابواب على مصاريعها ، وعرف أكثر مما يعرفون كيف يصل الى تثبيت أركانه وتقويض عمد الخير فى أرضنا لينفذ من ذلك الى ما يريد من اغتيال مصادر خيراتنا ، وليكونوا عوامل دفاع عن ما دافع عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن منح علما وفضلا وعرفه النـاس بالمعرفة خير له أن يتحرى قبل أن يكتب ، وأن يدقق قبل أن ينطق ، حتى يبعده الله عن غضبه ، ويتلقاه بواسع رحمته وسبحانه القائل « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » .

وأما عن المحاكاة فالحديث يطول ، ولنا معه لقاء فى غد قريب اذا لم تسبق المنايا الامانى ..

وان غدا لناظره قريب .. وكل شىء عنده بمقدار جل ربى وعلا .

مع القرآن

٣

القرآن والعلم

آراء المعتدلين

للشيخ محمد حسين الذهبى

أما الفريق المعتدل الذى لم يشأ أن يحمل القرآن كل علوم الأولين والآخرين ، ولا أن يخضعه للنظريات العلمية ، فأبرز علمائه الأقدمين : الفقيه الأصولى أبو اسحق الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ ، فقد حمل لواء المعارضة ، وتوجه باللوم الى من حملوا القرآن كل علوم الدنيا والدين ، وبين أنهم قد تجاوزوا الحد فى دعواهم على القرآن فقال :

« ما تقرر من أمية الشريعة ، وأنها جارية على مذاهب أهلها — وهم العرب — ينبنى عليه قواعد : **منها** أن كثيرا من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم الطبيعيات والتعاليم : كالهندسة وغيرها من الرياضيات ، والمنطق ، وعلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ، وهذا اذا عرضناه على ما تقدم لم يصح » (١) ..

ثم يصحح الشاطبى رأيه هذا ، ويحتج له بما عرف عن السلف من نظرهم فى القــرآن ، فيقــول :

« إن السلف الصالح ـــ من الصحابة والتابعين ومن يليهم ـــ كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا انه تكلم أحد منهم فى هــذا المدعى سوى ما تقدم (٢) ، وما ثبت من أحكام التكاليف ، وأحكام الآخــرة ، وما يلى ذلك ، ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة ، الا أن ذلــك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلــك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشىء مما زعموا » (٣) .

ويمضى الشاطبى فينقض أدلة الغلاة التى استندوا اليها من نحو قوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » وقوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » بحملها على ما يتعــلق بحال التكليف والتعبد . ثم ينهى الشاطبى كلامه بقولــه :

« .. فليس من الجائز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ، ويجب الاقتصار فى الاستعانة على فهمه عــلى كل ما يضاف علمه الى العرب خاصة ، فيه يوصل الى عــلم ما أودع مــن الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه ، وتقول على الله ورسوله فيه » (٤) ..

وفى العصر الحديث تجد من بين علمائنا الأفاضل من يتصدى للغــلاة الذين حملوا القرآن كل علــوم الأولين والآخرين ، وعــلى رأس هــؤلاء الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى ، فقد قال فى تقريظه لكتاب « الاسلام والطب الحديث » الذى تحدثنا عنه من قبل :

« لست أريد من هذا (يعنى ثناءه على الكتاب ومؤلفه) ، أن أقول : إن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمى المعروف ، وانما أريد ان اقول : انه اتى بأصول ، وترك الباب مفتوحا لأهــل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ، ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها فى الزمان الذى هم عائشون فيه » (٥) ..

● ● ● ● ●

وهكذا نجد لكل من فكرتى الغلو والاعتدال فى قضية القرآن وما حوى من العــلوم مؤيدين ومعارضين من بين علمائنا القدامى والمحدثين .

والذى نرتضيه فى هذا الشأن هو ما يلى :

١ ـــ إن القرآن حوى كثيرا من علوم الدنيا والدين تصريحا أو تلميحا .

٢ ـــ إن اهتمام القرآن بعــلوم الدنيا لا يقل عن اهتمامه بعلوم الدين ، لأن علــوم الدنيا تؤيد الدين ، وتحميه ، وتفتح الطريق أمامه ، والا فما السر فى امتنان الله سبحانه على داود عليه السلام وقومه بقوله :

« وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ؟ » ـــ الأنبياء : ٨٠ ..

وقوله : (ولقد آتينا داود منا فضلا : يا جبال أوبى معه ، والطير ، وألنا له الحديد . أن أعمل سابغــات وقدر فى السرد واعملــوا صالحا انى بمــا تعملون بصير » ـــ سبأ : ١١ وعلى أى أساس غير علوم الدنيا يمكــن أن نستجيب لأمر الله سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ؟ ـــ الأنفال : ٦٠ ..

٣ ــ إن العلم لا يقف عند غاية ، وإن الكون ملىء بأسرار لا تحصى ، ومهما كشف الانسان من حجب عن أسرار هذا الكون فلن يستوعب كل مكنونه من علوم ومعارف ، ويقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة فى نحــو قوله عــز وجــل :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ــ الاسراء : ٨٥ ..

وقوله : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومــن أنفسهم ومما لا يعلمون » ــ يس : ٣٦ ..

وقوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ــ فصلت : ٣٦ ..

ولن يحيط بكل شىء علما الا الله خالق الكون ومبدعه :

« الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ » ــ الملك : ١٤ .

« وهو بكل خلق عليم » ــ يس : ٧٩ .

« وكنا بكل شىء عالمين » ــ الأنبيــاء : ٥١ .

« وكان اللــه بكل شىء عليما » ــ الأحزاب : ٤٠ .

٤ ــ ان الله سبحانه ــ لا يرضى للانسان الــذى استخلفه فى الأرض واستعمره فيها أن يقتنع بالقليل من العلم ، أو ينام عن استجلاء ما احتواه الكون من كنوز العلم والمعرفة ، بالنظر والتأمل ما وسعه ذلك « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (٦) وبالرجوع الى العلماء المختصين فيما وقفت قدرته دونه « فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون » (٧) ..

وفى القــرآن الكريم آيات كثيرة تتحــدث عن الظواهر الكونية ، ثم تختم هذه الآيات .

بنحو قوله تعــالى :

« قد فصلنا الآيات لقــوم يفقهون » ــ الأنعام : ٩٨ .

« إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » ــ الرعــد : ٣

« إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون » ــ النحل : ٦٧

« إن فى ذلك لآيات للعالمين » ــ الــروم : ٢٢

ولسنا نفهم من هذه العبارات وأمثالها الا أن الله يهيب بأولى الألباب والعقول أن يفتحوا أبصارهم وبصائرهم على آياته التى بثها فى الأنفس والآفاق ليتكشف لهم بعــض ما حواه الكون من علوم وأسرار ، تشهــد أولا عــلى قدرة الله وعلو سلطانه ، ثم لتكون لهم هذه الثروة العلمية ــ فيما بعد ــ مصدر قوة وعزة ومنعة فى حياة سلاحها العلم والمعرفة .

٥ ــ لا شك أن القرآن الكريم « يتحدث الى عقول الناس جميعا من لدن نزوله الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، وهو يساير حياتهم فى كل ما يمرون به من مراحل الزمن ، وهذا كله بحكم كونه كتاب الشريعة العامة الشاملة ، وقانون الدين الذى جعله الله خاتم الأديان السماوية لأهل الارض » (٨) .

ولا شك أن فى القرآن الكريم نصوصا يفهمها العربى وقت نزول القرآن على نحو ما وصل اليه العلم فى زمانه ، ولا يكاد يخرج فهمه عن حدود دلالة النص ، ويفهمها العربى فى العصر الحديث على ضوء ما وصل اليه العــلم فى زمانه فهما آخر لا يخرج هو أيضا عن دلالة النص ، ومثال ذلك :

قوله تعالى فى الآية ٣٠ من سورة الانبياء : « أو لم ير الذين كفروا أن أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما» فقد فسرها ابن عباس ــ رضى الله

عنهما — على ضوء ما وصل اليه العلم فى زمانه تفسيرا تحتمله الآية فقال :

« كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق للأرض أهلا ، فتق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات » (٩) . .

وفسرها بعض علماء العصر الحديث على ضوء ما انتهى اليه العلم فى زمانه فقال :

« قرر الكتاب الكريم أن الارض كانت جزءا من السموات وانفصلت عنها . . . وهذا الذى قرره الكتاب الكريم هو الذى دل عليه العلم ، وقد قال العلماء : إن حادثا كونيا جذب قطعة من الشمس وفصلها عنها ، وأن هذه القطعة بعد أن مرت عليها أطوار تكسرت وصارت قطعا ، كل قطعة منها سارت سيارا من السيارات ، وهذه السيارات طافت حول الشمس ، وبقيت فى قبضة جذبتها ، والارض واحدة من هذه السيارات ، فهى بنت الشمس ، والشمس هى المركز لكل هذه السيارات » (١٠) . .

ولا نكاد نجد تعارضا بين الفهمين ، والآية — على فرض صحة الرأى الثانى — تتسع لهما ، وذلك من وجوه الاعجاز القرآنى .

غير أن الذين فتنوا بنظرية أن القرآن حوى كل ما كان وما يكون من العلوم بالغوا فحملوا بعض النصوص القرآنية حملا فيه تعسف ظاهر وتكلف غير مقبول على بعض العلوم ومصطلحاتها التى جدت ولم يكن للعرب عهد بها من قبل ، بل وعلى بعض النظريات العلمية التى لم تستقر بعد ، ومن لم تستخفهم هذه النزوة العلمية قرروا : أن هذا تأول للقرآن على غير تأويله يقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى — رحمه الله فى تقريظه « لكتاب الاسلام والطب الحديث » :

« يجب الا نجر الآية الى العلوم كى نفسرها بها ، ولا العلوم الى الآية ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها » (١١) . .

ويقول فى أحد دروسه التى كان يلقيها فى تفسير القرآن الكريم :

« وجد الخلاف بين المسلمين فى العقائد والأحكام الفقهية ، ووجد عندهم مرض آخر ، هو . الغرور بالفلسفة ، وتأويل القرآن ليرجع اليها ، وتأويله وتأويله وفقا لبعض النظريات العلمية التى لم يقر قرارها . وذلك خطر عظيم على الكتاب ، فان للفلاسفة أوهاما لا تزيد عن هذيان المصاب بالحمى . والنظريات التى لم تستقر بعد لا يصح أن يرد اليها كتاب الله » (١٢) . .

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله تعالى :

« كل ما يجب على المسلم أن يؤمن به : أن كتابه الالهى يأمر بالبحث والتفكير ، ولا ينهاه عنه ، ولا يصده عن النظر والتأمل فى مباحث الوجود وأسرار الطبيعة ، وخفايا المجهول كيفما كان ، ولكنه لا يأمره بالتماس التوفيق بين نصوصه وبين نظريات العلوم كلما ظهرت منها نظرية بعد نظرية يحسبها العلماء ثابتة مقررة وهى عرضة بعد قليل للنقص والتبديل » (١٣) . .

ويقول فى موضع آخر :

« فمن الحق أن نعلم أن كتابنا يأمرنا بالبحث ، والنظر ، والتعلم ، والاحاطة بكل معلوم يصدر عن العقول ، ولكن ليس من الحق أن نزعم : أن كل ما تستنبطه العقول مطابق للكتاب ، مندرج فى الفاظه ومعانيه ، فان كثيرا من آراء العلماء التى يستنبطونها أول الأمر لا يعدو أن يحسب من النظريات التى يصح منها ما يصح ، ويبطل منها ما يبطل ، ولا تستغنى على الدوام عن التعديل واعادة النظر من حين الى حين » (١٤) .

ويبدو لنا أن هؤلاء الغلاة الذين حملوا القرآن الكريم مالا يحتمل من علوم ونظريات ، حتى جعلوه مصدرا لجوامع الطب ، وضوابط الفلك ، ونظريات الهندسة ، وقوانين الكيمياء ، ومعادلات الرياضة .. الخ ، حسبوا ان ذلك يخدم القرآن ويبرز جانبا هاما من جوانب اعجازه ، وهذا وهم منهم ، فان مثل هذا التكلف لا يبرز الاعجاز ، وانما يذهب بالاعجاز !!

وليعلم هؤلاء الغلاة أن القرآن الكريم غنى عن ان يعتز بمثل هذا التكلف الذى يوشك أن يخرج به عن هدفه الانسانى الاجتماعى فى اصلاح الحياة ، ورياضة النفس ، والرجوع بها الى الله .. !!

وليعلموا — أيضا — أن من الخير لهم ولكتابهم ألا يسلكوا هذا المسلك فى فهم القرآن وتفسيره ، رغبة منهم فى اظهار اعجازه ، وصلاحيته للتمشى مع التطور العلمى فى مراحله الزمنية المتتابعة ، وحسبهم وحسب القرآن اعجاز الا يكون فيه نص يصادم حقيقة علمية ثابتة ، وانه يمكن التوفيق بينه وبين ما جد ويجد من نظريات وقوانين تقوم على أساس من الحق ، وتستند الى اصل صحيح ..

---

(١) الموافقات للشاطبى هـ ٢ ص ٧٩ ط : التجارية . ويقصد الشاطبى بقوله (ما تقدم) ما قرره من أن الشريعة امية وأهلها كذلك . وتنزيلها كان على مقتضى حال المنزل عليهم ، وخالهم الاعتناء ببعض علوم ذكرها لا بكل العلوم ..

(٢) يريد أن العرب لم يتكلموا الا فى العلوم التي كانت لهم بها معرفة .

(٣) الموافقات هـ ٢ ص ٧٩/٨٠ ..

(٤) الموافقات هـ ٢ ص ٨٠ — ٨٢ .

(٥) الاسلام والطب الحديث ص د. وانظر ما كتبه المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار هـ ١ ص ٧ ، وما كتبه المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت فى العدد ٤٠٧ ، ٤٠٨ من السنة التاسعة لمجلة الرسالة (أبريل سنة ١٩٤١ م) ، وما كتبه المرحوم الشيخ امين الخولى فى كتابه « التفسير . معالم حياته . منهجه اليوم » عند الكلام عن التفسير العلمى .

(٦) فى الايسة ١٠ من سورة يونس ..

(٧) فى الآية ٧ من سورة الأنبياء ..

(٨) التفسير والمفسرون هـ ٢ ص ١٥٨ ..

(٩) تفسير ابن كثير هـ ٢ ص ١٧٧ ط : الحلبى ..

(١٠) تفسير سورة لقمان للاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ص ١٣ مطبعة الازهر ..

(١١) الاسلام والطب الحديث ص ٣ ولبعض قدامى المفسرين اقوال قريبة من هذا فلتراجع فى كتب التفسير .

(١٢) الدروس الدينية للشيخ محمد مصطفى المراغى لسنة ١٣٥٦ هـ ص ٤٢ .. مطبعة الازهر ..

(١٣) الفلسفة القرآنية للعقاد ص ٢٠٦ — ط : دار الكتاب العربى — بيروت ..

(١٤) التفكير فريضة اسلامية ، للعقاد ص ٧٨ ط : دار الكتاب العربى — بيروت .

حكم المسكرات في الإسلام

حقيقة الخمر وحكمة تحريمها ونوعية العقوبة عليها

د : محمد سلام مدكور

- ٢ -

بينا في المقال السابق أن الشارع الحكيم ربط الأحكام بما يصلح العبـــاد ، ويجنبهم الوقوع في المفاسد ، وأن الشارع مهد للدعوة الى اجتناب الخمر ببيان ما تجمعه من المفاسد ، وأنه في كثير من الأحكام يذكر جزئيات تلمح الى ما فيه المصلحة ، كما أنه كثيرا ما يقرن الحكم بحكمته صراحة أو يكتفي بالنصوص العامة التي تدل على ربط الأحكام بالمصالح ..

وبينا أن العقل أمر ضروري يتطلبه الدين ، واعتبره من الضرورات الخمس التي يجب الحفاظ عليها ، لأنه الاساس المقوم للانسانية ، وهو مناط التكليف ، لذا فان الشارع حرص على احاطته باطار صلب حتى لا يتسربَ اليه شيء من الخلل أو الفساد .

وبينـــــا أن الخمر ، وما فيه معنى الخمر من المســكرات تؤثـــر على العقل ، وتجعل الشخص متخبطا في حركاته ، وأقواله ، وأفعاله ..

كما بينا حقيقة الخمر التي جاء الاسلام بتحريمها ، وأنها تشمل كل مسكـــر مما عرف قديما أو استحدث في العصور المتأخرة ، وأن التحريم جاء بأسلـــوب الأمر بالاجتناب بعد بيان أنها رجس من عمل الشيطان ، وتكلمنا عن حكمة التحريم والتدرج فيه ، وانتهينا الى أن كل شراب من شأنه الاسكار يكون من الخمر ، وأن الله حرم الخمر تحريما لا يقبل الجدل ، وأن ما أسكر كثيره فقليله حرام ، وقلنا

أن الامام أبا حنيفة وصاحبه أبا يوسف يريان أن الاشربة التى لم تستخرج من العنب ، المحرم منها هو القدر المسكر ، واما ما دونه فانه اذا شربه لغير لهو مع غلبة ظنه أنه غير مسكر فانه أيضا يأثم ، ويلزمه العقاب ، الا أن عقابه يكون دون العقاب على الحد المسكر منه ، وقلنا أن ما استدلوا به ضعيف لا يسلم لهم .

وسنتكلم هنا عن ضابط الاسكار ، وعقوبة مستحل الخمر ، وشاربها ، وحكم التداوى والانتفاع بها على أى وجه ، وحكم تناول المخدرات .

وضابط السكر الموجب للحد كما يرى أبو حنيفة أن يصل الشخص بسبب الشرب الى درجة لا يعقل شيئا ، ولا يفرق بين الرجل والمرأة ، أو الأرض والسماء، أى أن أبا حنيفة بنى الحكم على اكمل السكر ، لأن الحدود يؤخذ فى أسبابها بأقصاها درءا للشبهة ، بينما يرى الصاحبان أن السكر الذى يجب فيه الحد هو أن يكون الشخص قد غلب على كلامه الهذيان ، لانه المتعارف بين الناس ، وهذا القياس واضح مما روى عن الامام على فى قوله : « اذا سكر هذى ، واذا هذى افترى » ، والمفتى به فى المذهب بالنسبة لضابط السكر ، هو ما قاله الصاحبان ، وهو المعتبر فى المذاهب الأخرى ، من الاكتفاء بغلبة الهذيان على كلام الشخص .

واذا كان الشيخان يتجهان هذه الوجهة فى قصر التحريم على القدر المسكر بالنسبة لبعض الأشربة مسايرة لبعض فقهاء الكوفة والبصرة ، على ما بينا فى المقال السابق فان محمد بن الحسن الفقيه الحنفى يتجه وجهة جمهور الفقهاء من المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والظاهرية والشيعة الجعفرية والزيدية ، وعامة فقهاء الحجاز ، فى تحريم ما قل أو كثر من كل شراب مسكر من أى نوع كان .

واذا كان محمد بن الحسن لا يوجب الحد فى بعضها ، ويوجب عقوبة التعزير فان سائر المذاهب الأخرى يوجبون الحد فى تناول أى قدر من أى شراب من شأنه الاسكار ، وهو المروى عن جمع من الصحابة والتابعين (١) ومع هذا فانه يروى عن الشافعية والحنابلة بالنسبة لبعض الأصناف التى ليس من شأنها الاسكار الكراهة لا التحريم ..

عقوبة مستحل الخمر وشاربها : —

لا خلاف بين الفقهاء فى أن المتخذ من العنب والرطب على ما بينا يكون خمرا وكذا غيرهما من المسكرات على ما ذهب اليه جمهور الفقهاء ، فقد بينا قبل أن اتجاه كثير من المذاهب الفقهية : أن سائر المسكرات تأخذ حكم الخمر من كل الوجوه ، سواء من حيث التحريم أم من حيث العقوبة أم من حيث حرمة الانتفاع بها وعدم تقومها .

ولهذا فان الفقهاء يكفرون مستحل الخمر المتفق على تحريمها لثبوتها بالدليل القطعى ، أما غيرها مما جاءت به السنة وألحقته بالخمر مما اختلف الفقهاء فى اعتباره خمرا ، فانه لا يحكم بكفر مستحلها ، وانما يفسق ، وان كان شاربها يستحق العقاب ، بل نص الشيعة الامامية على أن مستحل الخمر يقتل ولا يستتاب لأنه مرتد من حيث انكاره ما علم من الدين بالضرورة .

أما عقوبة شارب الخمر : فانه يجب معاقبة شارب الخمر طوعا واختيارا ،

وان لم يسكر ، سواء شرب الكثير أو القليل على التفصيل والخلاف السابق . نقل الصنعانى (٢) عن طائفة من أهل العلم أن العقوبة الواجبة هى التعزير ، لأن الرسول صلوات الله عليه وسلامه لم ينص على حد معين ، وانما ثبت عنه الضرب المطلق ، فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أنه كان يؤتى بالشارب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فيضرب بالأيدى ، والجريد ، والثياب ، والنعال .

وفى حديث أنس الذى رواه كل من أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى: أن النبى صلوات الله عليه وسلامه أتى برجل قد شرب الخمر فجلد بجريدتين نحو أربعين . قال — وفعله أبو بكر . فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن أخف الحدود ثمانون ، فأمر به عمر للشارب .

وفى الصحيحين عن على : ما كنت لأقيم على أحد حدا فيموت ، واجد فى نفسى شيئا الا صاحب الخمر ، فانه لو مات وديته — بفتح الدال وسكون الياء — أى دفعت ديته — وذلك أن رسول الله لم يسنه .

ويقول الشيخ رشيد رضا : « ويستفاد من مجموع الروايات أن المشروع فى العقاب على شرب الخمر هو الضرب ، المراد منه اهانة الشارب ، وتنفير الناس من الشرب وأن ضرب الشارب أربعين أو ثمانين كان اجتهادا من الخلفاء » (٣) ويروى فى هذا عن الامام على أنه قال : « لما استشار عمر الصحابة فى حد الشرب : انه اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة . ومع هذا فيروى فيما أخرجه مسلم فى صحيحه أن عليا جلد الوليد بن عقبة أربعين ، وقال : جلد النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكل سنة ، وهذا أحب الى . وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله اتى برجل قد شرب فقال : — اضربوه ، قال أبو هريرة فمنا الضارب بيده والضارب بنعله . فلما انصرف — أى هم الرجل بالانصراف — قال بعض القوم : أخزاك الله ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان !! . .

ومن هذا يبين أن عقوبة شرب الخمر كانت فى عصر الرسول، وفى خلافة أبى بكر لا تتجاوز الاربعين جلدة ، ولما كان عهد عمر وقد أرسل له خالد بن الوليد بعض الرجال يقول : ان الناس قد انهمكوا فى الشرب ، وتحاقروا الحد والعقوبة، وكان فى مجلس عمر كل من عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعلى وطلحة ، والزبير ، قال عمر هم هؤلاء عندك فسألهم فقال على : نراه اذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة . فقال عمر للرجل : بلغ صاحبك ما قالوا .

ونستطيع القول بأن عقوبة شرب الخمر من قبيل التعزير ، وليست حدا ، لأن كل الأخبار الواردة عن الصحابة لا تدل على اجماع قاطع بتحديد حد ، بل تفيد أنهم لم يستقروا على رأى لم يجدوا معدلا عنه أكثر من القدر المشترك بعقوبة التعزير . وما كان فى عهد عمر فانه من قبيل السياسة الشرعية ردعا للناس لما قال رسول خالد : ان الناس استهانوا بعقوبة الخمر .

وتقرر هذا المبدأ ببيان ان الفقهاء قالوا : ((**ان الحد ماله عقوبة مقدرة فى كتاب الله ، والخمر ليست له عقوبة مقدرة محددة في كتاب الله ، بل ولا فى عهد الرسول عليه السلام ، بل كانوا يضربون بالوان مختلفة من الضرب ، والآلة ، والقدر فالعدد الذى ورد فى بعض الاحاديث لم يكن على سبيل التحديد ، وانما جاء بصيغة تفيد التقريب ، وهى نحو الاربعين**)) ..

وكذلك فى عهد الخلفاء لم يقع هناك استقرار على رأى نقل الينا أمره على وجه التحديد ، وانما كان اجتهادا . ولو كان هناك حد معروف لما قال عمر لرسول خالد : هؤلاء . على أن صيغة رواية هذا الخبر وما قاله عمر بعد ان افتوا : ابلغ خالدا ما قالوا — ليشعر انه يريد اظهار انه ليس مصدر الفتوى ، وان كان قد اقرها تبعا لهم ..

على ان عليا برغم انه فى مناسبة اخرى أفتى بطريق النظر والاجتهاد بثمانين جلدة قياسا على عقوبة القذف ، فاننا نجده قد بقيت فى صدره بقية من الحرج والتردد حتى قال : لو مات الشارب المجلود بمقتضى فتواى لألزمت نفسى بالدية . ولو كانت هذه العقوبة حدا مقدرا لما ألزم نفسه بالدية ان صحت الرواية عنه بذلك ، ومع قياسه هذا فانه كان أحيانا يعاقب بأربعين جلدة ويقول : ان كلها سنة . مما يدل على أن عقوبة الشرب ليست من قبيل الحدود (٤) .

هذا وجمهور الفقهاء من الحنفية ، والمالكية ، والحنابلة ، والزيدية ، والجعفرية على أن عقوبة شارب الخمر الحد ، وأن القدر الواجب لشارب الخمر أو غيرها من المسكرات ثمانون جلدة (٥) ، واستدلوا بما روى عن انس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم اتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين **نحو اربعين . قال أنس** : وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن ابن عوف : أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر (٦) . وليس فى هذا ما يدل على أن عقوبة الخمر شرعها الرسول ثمانين ، واعتبرها من قبيل الحد .

وقد أدعى بعض الفقهاء الاجماع على أنها من قبيل الحد ، وأنها ثمانون جلدة لكن أى اجماع هذا مع ما صدرنا به الكلام فى عقوبة الشارب من نقل الصنعانى عن طائفة من أهل العلم : أن العقوبة الواجبة هى التعزير ، ومع ما قدره الشافعية والظاهرية من أن حد الخمر وسائر المسكرات أربعون جلدة (٧) .

واختلف الفقهاء أيضا بالنسبة لمن تكرر منه شرب الخمر فذهب ابن حزم الى انه يقتل فى المرة الرابعة ، مستدلا بما أخرجه أحمد عن معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى شارب الخمر : اذا شرب فاجلدوه ، ثم اذا شرب فاجلدوه ، ثم اذا شرب الثالثة فاجلدوه ، ثم اذا شرب الرابعة فاضربوا عنقه (٨) . لكن جمهور الفقهاء لم يروا القتل ، وقالوا : انه منسوخ بما رواه أبو داود عن الزهرى من أنه صلوات الله عليه ترك القتل فى الرابعة (٩) .

وينبغى أن نشير هنا الى ما قاله الفقهاء فيما اذا مزجت الخمر بالماء ، أو طبخت مع مرق ، أو لحم ، أو عجن بها الخبز ونحوه فقالوا : اذا مزجت بالماء وبقى طعم الخمر ورائحتها لكثرتها أقيم عليه الحد ، أما أن زالت رائحتها وطعمها

لكثرة الماء وتلاشيها فيه ، فانه لا يجب الحد عند القائلين باقامة الحد ، وانما يجب زجره بالتعزير لحرمة شربها مع ذلك بالاتفاق (١٠) .

وكذلك بالنسبة للخمر اذا ما طبخت وخلطت بالمرق وان كان الشافعية يوجبون الحد اذا ما طبخ اللحم بالخمر ، ثم شرب الشخص المرق وان كان لا يحد بأكل اللحم دون المرق ، واما أكل الخبز ونحوه المعجون بخمر أو مسكر آخر فانه حرام ويعزر فاعله ، وكذلك من يحتقن بالخمر فانه يجب التعزير لا الحد ، ومن هذا يظهر الحكم بالنسبة للماكولات والحلوى التى دخل فى صنعها شىء من الخمر وما الحق بها ، كما يبين حكم الاحتقان بالمخدرات من الافيون ونحوه لانها تأخذ نفس الحكم على ما سنذكر .

حكم التداوى بالخمر

اختلف العلماءفقيل بعدم الجواز مطلقا ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » ، ولقوله فى الخمر فيما رواه مسلم : « انه ليس بدواء ولكنه داء » ويرى الشافعية ايضا حرمة التداوى بالخمر غير المزوجة بما تستهلك فيه أما اذا استهلك فى شىء آخر من الحلال فانه يجوز التداوى بها ، وبعضهم لا يجيز التداوى بالخمر (١١) ، والذى يتضح من قول الشافعى فى الام اذا علم المريض أو اخبره أهل العلم به ، أن برأه يكون بأكل كذا أو شرب كذا ، او انه أعجل ما يبرئه كان له اكله وشربه ما لم يكن خمراً اذا بلغ ما يسكر ، وكذا ما يذهب العقل من المحرمات . ويتضح من هذا ان الممنوع فى هذه الحالة هو القدر المسكر ، ولعل حقيقة الخلاف فى الفقه الشافعى انما ترجع الى القدر المسكر دون غيره ، فالتداوى بالقدر الذى لا يسكر يبدو انه جائز عندهم .

بينما يذهب الزيدية والامامية الى جواز التداوى بالخمر اذا تاكد حصول الشفاء بهـا ، ويكون ذلك من قبيل الاضطرار ، والقاعدة : ان الضرورات تبيح المحظورات . وكذلك فان ابن حزم الظاهرى يجعل التداوى من حالات الضرورة ويقول : التداوى بمنزلة الضرورة ، وقد قال الله تعالى : (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه ، وأورد أدلة المانعين ، وضعف بعضها وأول الاحاديث فقال : ان المحرمات فى حالة الاضطرار الى التداوى بها تكون مباحة ولا تكون من الخبائث ، ويقول الكاسانى الحنفى (١٣) : يجوز التداوى بالخمر اذا تيقن حصول الشفاء فيه . ويقول السرخسى (١٤) : الدواء مما لا طريق الى معرفة حقيقته من جهة معرفة الشفاء به على وجه اليقين ، وما لا طريق الى معرفة حقيقته يعتبر فيه غالب الرأى . ويقول فى موضع آخر بالنسبة للدواء المزوج بمسكر : ولو عجن دواء بخمر أو جعلها احد أخلاط الدواء ثم شربها والدواء هو الغالب فلا حد عليه ، وان كانت الخمر هى الغالبة فانه يحد لأن المغلوب يصير مستهلكا بالغالب اذا كان من خلاف جنسه ، والحكم للغالب . ويقول ابن تيمية (١٥) : اذا استهلكت الخمر فى المائع بأن زالت عينها لم يكن الشارب لهذا المائع شاربا لخمر . ويشترط الامام محمد عبده لجواز أخذ دواء من الخمر أن لا يقصد المتداوى بها اللذة والنشوة ، ولا يتجاوز مقدار ما يحدده الطبيب ، ثم قال : ان اخذها لمجرد تقوية الدم أو اصلاح المعدة ونحو ذلك منهى عنه حتى لو بأمر الطبيب لقول النبى صلى الله عليه وسلم

لما سئل : « انه ليس بدواء ولكنه داء » (١٦) ، كما جاء فى تفسير المنار أيضا : اذا وصل التداوى بالخمر الى حد الاضطرار ولو بشهادة الثقة من الأطباء فانه يجب أن يراعى فى تعاطيه قاعدة الضرورة ، وأنها تقدر بقدرها ، وقد فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « الاباحة عند الأصوليين والفقهاء » .

وجاء فى فتاوى ابن تيمية (١٧) نقلا عن الحنابلة : عدم اباحة التداوى بمحرم وقد أفتى كل من ابن تيمية ، وابن القيم بذلك (١٨) ، وبه قال كل من سحنون ، وابن العربى ، من فقهاء المالكية (١٩) ، واحتجوا بجملة أحاديث ، منها ما رواه مسلم فى صحيحه عمن سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن صنعه الخمر بقصد أن تكون دواء : « انه ليس بدواء ولكنه داء » ، بل نجد الامامين — مالكا ، والشافعى — لم يجيزا شرب الخمر لضرورة العطش ، جاء فى الأم (٢٠) : « وليس للمضطر أن يشرب خمرا » ، ونقل ابن العربى (٢١) عن مالك أنه قال : لا يزيده الخمر الا عطشا . لكن ابن العربى استظهر أنها تدفع العطش فتباح لضرورة دفع الهلاك عن النفس .

الانتفاع بالخمر وتقومها ونجاستها

امر الله سبحانه باجتناب الخمر ووصفها بانها رجس ، فحرم لهذا على المسلم الانتفاع بها بأى وجه ، كما يحرم عليه تملكها أو تمليكها للغير ، وقد وردت أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر فى تحريم الانتفاع بالخمر ، منها ما رواه مسلم ، وأحمد ، والنسائى ، عن ابن عباس ، كما روى عن طريق أبى هريرة أن الرسول صلوات الله عليه قال : « ان الذى حرم شربها حرم بيعها » ، كما روى أبو داود عن ابن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها وعاصرها ، ومعتصرها وحاملها ، والمحمولة اليه ، وآكل ثمنها) ، وقد حرم بعض الفقهاء كالمالكية ، والحنابلة ، والشافعية ، ساقيها للدواب غير أن الشافعية يجيزون مداواة البهائم بها (٢٢) ، وقال السرخسى : (الانتفاع بالخمر حرام ، فقد لعن رسول الله فى الخمر عشرا ، وقال فى الجملة من ينتفع بها ، ولا تمشط المرأة بالخمرة لانهافى خطاب تحريم الشرب كالرجل ، وكذلك يقام عليها الحد عند الشرب فكذلك فى الانتفاع بها من حيث الامتشاط ، وقد صح عن السيدة عائشة انها كانت تنهى النساء عن ذلك اشد النهى . ثم قال : ولو عجن الدقيق بالخمر ثم خبز كره اكله ، لان الدقيق تنجس بالخمر ، والعجين النجس لا يطهر بالخبز فلا يحل اكله ولو صب الخمر فى حنطة لم يؤكل منها حتى تغسل لانها تنجست بالخمر .وذكر فى النوادر عن ابى يوسف فيما اذا تشربت الحنطة بالخمر ، تغسل ثلاث مرات وتجفف فى كل مرة ، وعند محمد لا تطهر بحال لان الغسل انما يزيل ما على ظاهرها ، فاما ما تشرب فيها فلا يستخرج الا بالعصر ، وهو لا يتاتى فيها . .ثم قال : ولو سقى شاة خمرا ، ثم ذبحت ساعتئذ فلا بأس بلحمها ، وكذلك لو حلب منها اللبن فلا بأس بشربه ، لان الخمر مستهلكة بالوصول الى جوفها ، ولم تؤثر فى لحمها ولا لبنها ، وهى على صفة الخمرية (٢٣) ، « ولا يبعد فقهاء المذاهب فى حرمة الانتفاع بالخمر عن ذلك (٢٤) .

كما نص الفقهاء على حرمة مجالسة شارب الخمر وغيرها من المسكرات ، أو الأكل على مائدته . لما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله : « ملعون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر » . .

ويتفق فقهاء المذاهب على نجاسة الخمر نجاسة مغلظة لأن الله سماها رجسا ، وينص المالكية على أن كل مسكر من أى نوع نجس الذات ، ويوافقهم على ذلك صراحة الشيعة الجعفرية اذ ينصون : ومن النجاسات المسكرات ، وقالوا « وفى المعتبر الأنبذة المسكرة عندنا فى التنجس كالخمر (٢٥) .

أما من ناحية ماليتها وتقومها ، فان الفقهاء متفقون على عدم تقومها بالنسبة للمسلم ، وان كانت ماليتها لا تسقط فى الاصح ، وأما بالنسبة للذمى فانها تكون متقومة اذا كانوا يعتقدون ذلك ، وعلى هذا لو أتلف ذمى لمسلم خمرا فلا ضمان عليه ، لأن ما أتلفه ليس بمتقوم ، واذا أتلف مسلم لذمى خمرا فانه يضمن قيمته ، لأنه مال متقوم فى عقيدته ، والعبرة فى كل حال بعقيدة المالك للخمر ، الذى وقع عليه الاعتداء ، وقد فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « المدخل للفقه الاسلامى) .

حكم المخدرات :

هذا وينبغى بعد أن بينا الأحكام المتعلقة بالخمر والمسكرات فى الاسلام أن نشير هنا الى أن فقهاء المذاهب من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والظاهرية والشيعة الجعفرية ، قرروا حرمة تناول كل ما يؤثر فى العقل كالحشيش ، والأفيون ، وما فى حكمها لثبوت ضررها .

والأصل فى تحريمها ما رواه احمد عن أم سلمة قالت : نهى رسول الله عن كل مسكر ومفتر . واذا كانوا قد نصوا على عدم وجوب الحد على شارب شىء من ذلك لعدم ورود نص فيها ، فانهم نصوا على معاقبة من يتعاطاها بعقوبة التعزير وفقا لما يراه القاضى رادعا وزاجرا ومحققا للصالح العام (٢٦) غير أن ابن تيمية نص فى فتاويه على أنه يجلد متعاطى الحشيش كما يجلد شارب الخمر ، والى هذا اتجه الشيعة الجعفرية (٢٧) .

● ● ●

وفى الختام نستطيع أن نقول : ان الخمر من الكبائر ، وهى أم الخبائث ، لأن من تأمل فى الاخبار الواردة فيها ثبت له أن تحريمها لما فيها من المفاسد ، لأنها تتصل بحفظ العقل الذى هو من الضروريات الخمس ، التى وردت جميع الشرائع للمحافظة عليها .

وما أكثر ما صنعت الخمر بشاربيها فهان عليهم قتل النفس ، وهان عليهم الزنى ، حتى بأقرب الناس اليهم ، وقد ورد فى بعض الاخبار : أن الخمر أم الفواحش ، وأكبر الكبائر ، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته (٢٨) . وهذا أكبر تفظيع للخمر ، وتنفير منها ، وهو أمر مشاهد ، فان من زال عقله زال تقديره واستوت عنده الأمور ، فحسن عنده أن يزنى كيف شاء ، وأن يفحش كيفما اشتهت نفسه ، دون تقيد بقيم ولا اعتبار لحرمات .

ومن المشاهد أن الكثير ممن يقدمون على ارتكاب الجرائم يحتسون كئوسا

من الخمر يدسون بها عقولهم ، ويورون بها نور تفكيرهم ، ويتجهون بعد ذلك الى جرائمهم ، وهذا مما يفسر لنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الخمر أم الخبائث » . فهذه سهرات الخمر تستباح فيها الأعراض ، وتسقط القيم الخلقية ، وتهان الكرامات ، وتنزل الخمر بشاربها من الاتزان الى أن يصير أضحوكة يستخف بأمره ويستهزأ به .

ولقد لمسنا آثار المسكرات والمغيبات على الصحة النفسية والجسمية ، فنجد شاربها يتميز عن غيره ، بأنه سريع الغضب ، قليل الاحتمال كثير التبرم ، قليل الصبر على ما يؤديه من الواجبات ، وأنه يصبح أسيرا لهذه العادة ، عبدا لهذه الشهوة ، وسرعان ما يجد نفسه مشدودا اليها ، مضطرا الى معاودة تعاطيها ، ومعالجة حاله بها فيقول : وداونى بالتى كانت هى الداء .

ولا يزال الداء هو الدواء لا فكاك منه حتى يدرك أنه خسر انسانيته فيقلع عنها اقلاعا تاما فيستقيم أمره ، ثم تهدأ أعصابه ، وتستريح نفسه ، ويسير فى حياته سيرا طبيعيا .

ولقد ترالمت الينا آراء الحكماء ، ولا سيما أطباء الاعصاب من أن للخمر وغيرها من المسكرات والمغيبات تأثيرا فاتكا على الكبد ، الذى هو دعامة الهضم ، وأساسه ، والذى اذا فسد فسد انتفاع الانسان بطعامه وشرابه ، فانها تحدث فيه تليفا ، وتعرض صاحبه لكثير من الأمراض .

من أجل هذا وذلك حرم الاسلام شرب الخمر والمسكرات ، وسبق كل المدنيات ، وتقدم جميع النظريات فى اعلان الحرب على هذه الأشربة الخبيثة التى بدأت الأمم المتحضرة تشعر بمضارها وتعمل على الحد من سلطانها على الناس ، فهو سبحانه القائل : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

ومن هذا النص القرآنى الكريم يبين أن الاسلام أسبق فى مفهوم أن تعاطى الخمور من دوافع ارتكاب الجرائم ، وأن فى منعها وتحريمها منعا لكثير من الجرائم وهكذا دائما نجد أن الاسلام أسبق الى كل ما يعود على المجتمع الانسانى بالخير .

نعم للاسلام شرف السبق فى هذا ، شأنه فى كل أحكامه وتوجيهاته ، ولا غرو فان الاسلام الذى يحافظ على العقل وينظر اليه عنوانا لميزان الانسان فى حياته ، أبى على معتنقيه أن يفرطوا فى هذه الجوهرة ، ولو فى ساعات قد تكون فيها كبوة الواحد منهم ومهلكته .

● ● ●

والنتيجة التى ننتهى اليها أنه لو اتجه الناس الى الاسلام وجهة صادقة خالصة فأخذوا بهديه وتشريعه ، لوجدوا أنه هو رائد سعادتهم ، وكافل انسانيتهم ، وحامى تآلفهم وتوادهم ، ودعامة ذلك كله المحافظة على العقل ، ودعامة المحافظة على العقل فى اجتناب هذا الاثم ، وانظر كيف اتجه التشريع الى تحريم القليل والكثير من كل مسكر فى قوله صلوات الله عليه : « ما أسكر منه الفرق — بفتح الفاء والراء — فملء الكف منه حرام » ، حتى يغلق كل باب دون تعاطيها محافظة

على عقولهم ، ومهابتهم ، وكرامتهم ، وللانسان على نفسه بصيرة ، هدانا الله الى الخير والفلاح ، وجنبنا الشر والفسوق والعصيان .

---

(١) راجع المغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٢٠٥ ، المحلى لابن حزم جـ ٧ ص ٥٦٢ ، البحر الزخار جـ ٤ ص ٣٤٩ .

(٢) سبل السلام جـ ٤ ص ٣٧ ، مطبعة محمد على صبيح — باب حد الشارب وبيان المسكر — وانظر هذه العبارة فى ص ٣٩ .

(٣) تفسير المنار جـ ٧ ص ٩٨ .

(٤) ويتجه هذه الوجهة صاحب رسالة تعليل الاحكام اذ يصرح بان عقوبة شرب الخمر من قبيل التعزير لا الحد ، راجع ذلك فى ص ٦٠/٦٢ .

(٥) المغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٣٠٤ ، البحر الزخار جـ ٥ ص ١٩٥ ، الروضة البهية جـ ٢ ص ٣٧٢ شرح النيل جـ ٧ ص ٦٥٢ .

(٦) سبل السلام للصنعانى جـ ٤ ص ٣٨ .

(٧) مغنى المحتاج جـ ٤ ص ١٨٩ ، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج جـ ٨ ص ٩ فما بعدها ، المحلى لابن حزم جـ ٧ ص ٥٦٢ .

(٨) سبل السلام جـ ٤ ص ٣٩ .

(٩) المرجع السابق .

(١٠) مغنى المحتاج جـ ٤ ص ١٨٨ ، المغنى جـ ٨ ص ٣٠٦ ، المحلى جـ ٧ ص ٥٦٨ ، البحر الزخار جـ ٥ ص ١٩٢ ، الروضة البهية فى فقه الشيعة الامامية جـ ٢ ص ٣٧١ .

(١١) المجموع جـ ٧ ص ٤٩ .

(١٢) جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(١٣) البدائع جـ ٥ ص ٦١ .

(١٤) المبسوط جـ ٢٤ ص ٥٠ .

(١٥) فتاوى ابن تيمية جـ ١ ص ٢٠ .

(١٦) تفسير المنار جـ ٧ ص ٨٩/٩١ .

(١٧) جـ ١ ص ٢٧٠ .

(١٨) زاد الميعاد جـ ٣ ص ١١٤ .

(١٩) أحكام القرآن جـ ١ ص ٥٩ .

(٢٠) جـ ٢ ص ٢٥٣ .

(٢١) أحكام القرآن جـ ١ ص ٥٦ .

(٢٢) المحلى جـ ٧ ص ٥٦٢ .

(٢٣) المبسوط جـ ٢٤ ص ٢١ .

(٢٤) الشرح الكبير وحاشية الدسوقى جـ ٤ ، تحفة المحتاج جـ ٧ ، المغنى لابن قدامه جـ ٧ ، البحر الزخار جـ ٤ ، جواهر الكلام جـ ٦ .

(٢٥) راجع ابن عابدين جـ ٥ ، المقدمات جـ ٢ ، مغنى المحتاج جـ ٤ ، المغنى لابن قدامة جـ ٨ ، المحلى جـ ٧ ، البحر الزخار جـ ٤ ، شرح النيل جـ ٤ ، الخلاف جـ ١ .

(٢٦) حاشية ابن عابدين جـ ٥ .

(٢٧) الروضة البهية جـ ٢ ص ٣٨٥ .

(٢٨) الجامع الصغير للعزيزى جـ ٢ ص ٢٧٦ .

فقهاء إيران

ان أبا جعفر الطوسى (المولود فى ٣٨٥ والمتوفى ٤٥٩ أو ٤٦٠ للهجرة) كان من كبار فقهاء الاسلام فى ايران ، ولكن ليس هو الوحيد منهم ولا الأول من بينهم . ان زملائى من أهل العلم ذكروا لنا ذلـــك فى دراسة حياتـــه وآثاره ، ولعل بحثى القصير الحقير يبين كيف تيسر للطوسى أن يصل الى ما وصل من المعارف والفضائل العلمية .

ان ايران أمة ذات ثقافة قديمة وتاريخ طويل . ومن حسن حظها أن من الله عليها بسعادة روحانية أيضـــــا بعد أن كانت قد نالت ما نالت من السعادة المادية الملك والمال ، فدخل الاسلام فيها منذ أول الامر . وهذا مكن الايرانيين من أن يساهموا فى تطور الفقه الاسلامى ، فصاروا شركاء فى ملكيته ، لا فى الاستفادة منه فقط .

ان أساس الفقه أو القانون الاسلامى هو كلام الله ، وسنة رسوله وهما أعلى وأرفع من أن يكونا لأمة من الامم البشرية . بل انهما لجميع الانسانية . فاذا لم يجد الانسان فيهما صراحة ، فلا بد من أن يجتهد برأيه . وقد ساهم المفتون والفقهاء والقضاة والولاة خاصة فى هذا الصدد . وهذا منذ العصر النبوى . فقد روى أن بعض الصحابة ، مثل سيدنا أبى بكر ، كانوا يفتون للسائلين حتى فى حضرة النبى عليه السلام ، طبعا فى بسائط المســـــائل « التراتيب الادارية ــ للكتانى ٥٧/١ ــ عن ابن الجوزى » . ويشير اليه أيضا الحديث الشهير الذى ذكره كثير من المحدثين أن النبى عليه السلام لما أرسل معاذ بن جبل قاضيا الى اليمن ، سأله : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد فيه ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد فيه ؟ قال : فأجتهد رأيى ولا آلو جهدا . فسر النبى عليه الســــلام وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسوله بما يرضى رسوله .

للدكتور محمد حميد الله

قبل الطوسي

عصر الصحابـة :

ذكر بروكلمان (فى كتابه الالمانى تاريخ الآداب العربية) ٩٣ من الفقهاء قبل ابى جعفر الطوسى ، وصلت الينا تآليفهم . فمنهم أصـنـاف : أهل السنة ، وأهل الشيعة ، وأهل الظاهر ، وسائر الفرق الاسلامية . ولا يقال ان هذا العدد يستقصيهم كلهم .

نجد بين الصحابة رضى الله عنهم عددا من الرجال والنسـاء الذين كانوا ايرانيين ، اما نسلا أو وطنا . وفيهم فقهاء أيضا . ونبدأ بذكر بعضهم :

سلمان الفارسى :

ان سيدنا سلمان الفارسى كان قد أسلم فى أوائل سنى الهجرة ، وكان كاتب مالكه اليهودى ليستخلص من الرق ، فشرط اليهـودى أن لا يتمتـع سلمان بالحرية قبل أن تأتى النخيل التى غرسها سيدنا سلمان بثمرها . فبقى فى العبودية الى السنة الخامسة للهجرة ، ثم صار من أخص أصحاب النبى عليه السـلام ، بل صـار من أهل بيته موالاة ، كما يؤكد قوله عليه السلام فى أثناء غزوة الخندق : « سـلمان منا أهل البيت » وكان زاهدا ورعا ، وفاضلا فقيها . وشمّر ذيله لنشر الاسلام فى ايران وبين الايرانيين . وروى عنه أحاديث كما روى عنه فتاوى فقهية . وهو أول من ترجم آيات من القرآن ، فقد ذكر السرخسى (المبسوط ٣٧/١) : « روى أن الفرس كتبوا الى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرأون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية » وزاد تاج الشريعة (فى النهاية

حاشية الهداية) أن سلمان عرضها أولا على النبى عليه السلام ثم أرسلها اليهم بإذنه . وتوفى سلمان الفارسى فى سنة (٣٥) هجرية .

ابو هريرة :

ومن الصحابة سيدنا أبو هريرة الدوسى اليمنى ، وكان يجيد اللغة الفارسية كما نرى فى حديث ذكره البيهقى (فى السنن الكبرى ٣/٨) : « بينما انا جالس مع أبى هريرة اذ جاءت امرأة فارسية معها ابن لها (وزوجها) فادعياه ، وقد طلقها زوجها . فقال ابو هريرة : استهما عليه ، ورطن لها بذلك » . وذكر الاستاذ المرحوم مناظر أحسن كيلانى أن سيدنا أبا هريرة كان يعرف اللغة الحبشية أيضا « وتعرف أن الحبشة حكموا اليمن قبل مجىء الايرانيين على دعوة أهل اليمن » . ونجد عنده طلبا للعلم ما لا مزيد عليه ، فقد ذكره الذهبى (فى تذكرة الحفاظ ٣٤/١) : « قال كعب الأحبار : ما رايت احدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة » . ومعلوم أنه من كبراء المحدثين للحديث النبوى . ويطعن فيه أعداء الاسلام ليهجنوه فى نظر المسلمين فيتركوا أحاديثه ليضيع قسم كبير من أحاديث نبى الاسلام عليه السلام .

وهناك حديث ذكره كثير من الرواة مثل ابن عبد البر (جامع بيان العلم ٤/١) وابن حجر (فتح البارى ١٧٤/١) عن الحسن بن عمرو بن أمية الضمرى قال : « تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت : انى سمعته منك . فقال : ان كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى . فأخذ بيدى الى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك ان كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى » . فنرى فى هذه الرواية أن سيدنا أبا هريرة كان من أهل العلم وكان دوّن الأحاديث فى كتب كثيرة . ووصل الينا منها صحيفته التى أملاها لتلميذه همام بن منبه اليمنى . ولمعرفة سيدنا أبى هريرة الادارية والفقهية كان النبى عليه السلام والخلفاء بعده يستعملونه فى مهمات الوظائف . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسله مرة سفيرا الى المنذر بن ساوى عامل كسرى على البحرين « وهى بلاد الاحساء اليوم فى شرقى جزيرة العرب ، وليس جزيرة البحرين ، وكانت تسمى حين ذلك (أوال) » كما ذكره ابن سعد فى (الطبقات، ٢/١ ، ص ٢٧ — ٢٨) .

أبو موسى الاشعرى :

ومن كبار فقهاء الصحابة اليمنيين سيدنا أبو موسى الاشعرى . وأبسط ترجمة لحياته فى تاريخ دمشق لابن عساكر « مخطوطة السلطان أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٨٨٧ ، ج ٦ ، ورقة ١٨٢ / ألف الى ٢٠٠ ألف » تحت كلمة (عبد الله بن قيس) . أرسله النبى عليه السلام الى زبيد ، وعدن ، وساحل اليمن واليا وقاضيا . ثم ولاه عمر البصرة وكتب اليه كتابه فى « سياسة القضاء وتدبير الحكم » وشهرة هذا الكتاب مستغن عن التفاصيل « راجع لنصه ومصادره واختلاف رواياته كتابنا : (الوثائق

السياسية) ، طبعة ثالثة ، رقم ٣٢٧ ، وللبحث فى صحة الانتساب مقالتنا فى مجلة (فرانس اسلام) الباريسية سنة ١٩٦٩ » : ولمعرفته المسائل القانونية والادارية جعله سيدنا على حكما بينه وبين سيدنا معاوية .

وهناك صحابة آخرون كانوا يعرفون اللغة الفارسية قبل الاسلام واشتغلوا بمهمات المسائل الادارية مثل عبد الله بن حذافة السهمى حامل رسالة النبى عليه السلام الى كسرى . ومنهم المغيرة بن شعبة الثقفى . وكذلك صحابة اشتغلوا بالقضاء أو بالفتيا فى البلاد التى هى الآن فى ايران ، يطول ذكرهم ..

شريح :

ولا بأس بأن نضيف ههنا ذكر القاضى شريح مولى الكنديين وهو من اكبر قضاة العالم . ولد فى حياة النبى عليه السلام ولكن لم يره ، بل قدم المدينة بعد وفاته ، ذكره ابنكثير (فى البداية ٢٢/٩) وزاد : « أصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن »تولى القضاء بالكوفة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وللخلفاء بعده . وقضى أيضا بالبصرة فى امارة زياد . ولذلك سمى بقاضى البصريين . ولشدة فطانته ولاه عمر قاضيا مع أنه كان شابا حدثا ، فكتب اليه يعلمه أصول القضاء وآدابه « كما رواه وكيع فى أخبار القضاة ١٨٩/٢ — ١٩٠ ، وابن كثير ٢٤/٩ ، واللفظ لوكيع » : « اذا جاءك أمر فاقض فيه بما فى كتاب الله . فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله فاقض بما سن رسول الله . فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يسنه رسول الله ، فاقض بما اجمع عليه الناس . فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يسنه رسول الله ولم يتكلم به أحد ، فاختر أى الأمرين شئت : فإن شئت فتقدم واجتهد رأيك ، وان شئت فأخره . ولا أرى التأخير الا خيرا لك » . وفى رواية : « ولا أرى فى مؤامرتك اياى الا أسلم لك » . فكأنه كان يراجعه فقد نقل وكيع (١٩١/٢ — ١٩٤) نحو عشرين مكتوبا لعمر الي شريح فى دقائق القضايا .

ولما اتخذ سيدنا على بن ابى طالب الكوفة دار خلافته ، أراد امتحان من يشتغل هناك بالفقه . فقال (فيما رواه ابن كثير ٢٣/٩ ، وكيع ١٩٥/٢) : « يا أيها الناس ، يأتونى فقهاؤكم يسألونى وأسألهم . فلما كان من الغد غدونا اليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم .. حتى اذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فانه جاث على ركبتيه لا يسأله عن شيء الا أخبره . قال سمعت عليا يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب » .

وبدأ شريح بتزكية الشهود سرا قبل قبول شهادتهم — وكانوا من قبل يكتفون بتزكية العلانية — فلما قيل له فى ذلك ، قال : أحدثتم فأحدثنا (رواه السرخسى فى المبسوط ٩١/١٦) .

قال ابن كثير (٢٢/٩) لما ولاه عمر « رزقه على القضاء فى كل شهر مائة درهم . وقيل : خمسمائة درهم » . وروى السرخسى (فى المبسوط ١٢٢/١٧) ما يدل على ورع شريح وورع على ، فقال : « روى أن الحسن شهد لعلى مع قنبر عند شريح بدرع له ، فرد شريح شهادة الابن لأبيه ، قال : ائت بشاهد آخر .. فعزله على عن القضاء ، ثم أعاده عليه وزاد فى رزقه » .

ومكث شريح قاضيا نحو سبعين سنة . وتوفى بالكوفة سنة ثمان وسبعين وعمره مائة وثماني سنين (ابن كثير ٢٢/٩ . وقد بسط وكيع فى أحوال شريح فى كتابه ١٨٩/٢ — ٣٩٨) .

عصر التابعين :

المراد بالتابعين المسلمون الذين جاءوا بعد عصر الصحابة ، أو رأوا الصحابة ولم يروا النبى عليه السلام ، وعدد الفقهاء الايرانيين بين هؤلاء كثير جدا . وللكوفة ، وهى فى العراق ، مكانة خاصة فى هذا الصدد ، لأسباب تاريخية . كما هو معروف ، لليمن ثقافة قديمة ، فى سبأ ومعين ، وهذا قبل تأسيس أثينا وروما . ولما انهدم سد مأرب ، هاجرت القبائل المجاورة طلبا للخصب . فوصلت بعضها الى الحيرة ، واسست هناك دولة لها صيت عظيم فى العرب كما فى ايران .

ثم جاء الى اليمن أبرهة الحبشى ونصرانيته ، ثم تلاه وهرز الايرانى ومجوسيته . فكانت اليمن ملتقى للثقافات والافكار العديدة . ولما انعم الله على الانسان بدين الاسلام ، وجدوا الحيرة فى محل جغرافى مهم ، فأسسوا بلدة اسلامية جديدة بجانب بلدة الحيرة القديمة ، وسموها الكوفة . وأسكنها سيدنا عمر العرب ، أكثرهم من أهالى اليمن . فكما ذكر البلاذرى وياقوت ، سكنها اثنا عشر الفا من اليمنيين ، وبين الاهالى ١٠٥٠ من الصحابة ، ومن بينهم ٢٤ من أهل غزوة بدر . فلما بنوا مسجدا جامعا بالكوفة ، أسسوا فيه كالعادة مدرسة ، فأرسل سيدنا عمر معلما من أعظم فقهاء الصحابة ، الا وهو سيدنا عبد الله بن مسعود . وقال عمر فى رسالته : « أما بعد ، فانى بعثت اليكم عمار بن ياسر أميرا ، وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا . وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصحاب بدر . وقد جعلت عبد الله بن مسعود على بيت مالكم . فتعلموا منهما واقتدوا بهما . وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسى « الوثائق السياسية لمحمد حميد الله رقم ٣١٤/ الف ، عن ابن سعد والبلاذرى ، والحاكم وابن القيم » .

ولكثرة الطلاب فى المدرسة ، كانت توجد فى مسجد الكوفة أربعمائة محبرة كالوقف (الموفق ، مناقب أبى حنيفة ١٤٠/٢) فلما توفى سيدنا عبد الله بن مسعود فى سنة ٣٢ هـ ، خلفه تلميذه علقمة النخعى (المتوفى ٦٣ هـ) ، ثم تلاه تلميذه ابراهيم النخعى (ف ٩٥ هـ) . وكلهم كانوا فقهاء ، حتى رسخ اختصاص الفقه فى الكوفة . فلما توفى ابراهيم النخعى ، جعلوا تلميذه حماد بن أبى سليمان (ف ١٢٠ هـ) مدرسا هناك . وكان ايرانيا ، مولى للأشعرين . وكان من كبار الفقهاء ، وقد ألف كتبا فى الموضوع ضاعت اليوم . وكفى له فضلا انه أستاذ الامام أبى حنيفة ، وهذا الاخير أيضا درس الفقه فى مسجد الكوفة بعد ما ارتحل حماد الى جوار رحمة الله . ومما يذكر ، أن الكوفة انتخبها أيضا سيدنا على كدار للخلافة ، فانتشر هناك علمه ، واجتمع حوله كبار العلماء والصلحاء مما لا بد منه فى عاصمة .

ابو حنيفة :

هناك حديث ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم : « لو كان العلم

بالثريا لناله رجال من أبناء فارس » ووجده أسلافنا يتحقق فى الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه . وكان يعرف الفارسية (راجع الموفق ٢/٥٥ — ٥٦) وكان تاجرا موسرا . فلمـا جاء عصر عمر بن عبد العزيز ، عصر الذهب ، زاد اهتمام الناس بالعلم . وكان أبو حنيفة اذ ذاك شابا لم يبلغ العشرين ، فبدأ يتعلم الفقه حتى فاق أهل عصره ، وينسب اليه كتب عديدة فى علم الفقه . من‌بينها كتاب الرأى (كأنه فى أصول الفقه) . وكذلك ينسب اليه رسالة خاصة فى أحكام الصلاة سماها كتاب العروس (كما ذكره الموفق ١/٦٧ — ٦٨) . وهو أيضا أول من دون كتاب الفرائض ، وكتاب الشروط ، ولم يبحث فيهما أحد قبله بحثا مستقلا (الموفق ١/٣٥) . وهو كذلك أول من ألف رسالة فى علم السير ، وهو القانون بين الدول يبحث عن مسائل الحرب والسلم . وكأنه أول تأليف فى الموضوع فى العالم ، لان القدماء من اليونان والهند والصين وغيرها كانوا يبحثون فى هـذا الموضوع ضمن علم السياسة .

مجمع الفقه :

وقد ذكر ابن حجر فى توالى التأسيس (١) أن أبا حنيفة ألف هذه الرسالة ، وأباح فيها قتال الظلمة على أساس انه : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . فرد عليه الاوزاعى فى رسالة ، وقال : تحملنا كل شىء من ابى حنيفة حتى جاءنا بالسيف . فكتب تلميذه أبو يوسف ردا على كتاب الأوزاعى ، وصل الينا ، وطبع تحت اسم « الرد على سير الاوزاعى » . ثم بدوره حاكم الشافعى ، ونقل آراء أبى حنيفة والاوزاعى وأبى يوسف ، ثم أبدى رأيه ، وكل هذا موجود فى كتاب الأم للشافعى ، فى باب (سـير الاوزاعى) .

وأكبر سهم أبى حنيفة فى علم الفقه هو تأسيس مجمع علمى لتدوين الفقه . وكانت الحاجة ماسة اليه . فقد ذكر ابن المقفع (فى كتاب الصحابة) أن الفرق عظيم جدا بين آراء الفقهاء والقضاة حتى فى نفس البلدة . فكتب رسالة الى الخليفة وقال : لو أمرت لأرسل القضاة اليك ما يختلفون فيه ، مع تفصيل ما له وما عليه ، ثم ترى أنت بأمرك فيكون واجبا على جميـع قضاة الدولة ويجتمع الناس على أمرك (٢) ..

فخاف الفقهاء أن تخضع الشريعة لأهواء الخلفاء ولسياسة الظلمـة الفجرة ، بينما كانت الشريعة حرة الى ذلك العصر . فجمع أبو حنيفة أربعين من فضلاء تلاميذه ، كأبى يوسف ، ومحمد الشيبانى ، وزفر ، وعبد الله بن مبارك الخراسانى ، وفضيل بن عياض ، وداود بن نصير ، ووكيع ، وحسن ابن زياد ، وحفص ، وعافية ، ويحيى بن زكريا ، وحبان ، ومندل ، وقاسم ابن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وغيرهم . بعضهم يختص بالتفسير ، وآخر بالحديث ، وغيره باللغة والشعر ، أو المنطق أو الرياضيات وسائر ما يحتاج اليه أبواب الفقه . فلم يستبد بمذهبه ، بل جعله شورى بين أعضـاء المجمع . وبدأ يدون الاحكام بابا بابا وكان أبو يوسف كاتبا للمجمع . فبعد البحث كلما وصلوا الى نتيجة ، دونها أبو يوسف كتـابة (الموفق ١/٣٣ ، الكردرى ، مناقب أبى حنيفة ١/٥٠) . ولعل الاعضـاء الآخرين أيضا دونوا على حسابهم ولنفسهم .

فلو رجعنا مثلا ، الى كتاب المبسوط ، للامام محمد الشيباني لرأينا أن أبواب الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والسير مثلا على النهج : « قال أبو يوسف : أرأيت .. قال ابو حنيفة : .. » فجميع الباب مرتب على الاسئلة والأجوبة ، بدل سرد الاحكام ومع الاسف لم يصل الينا كتاب أبي يوسف حتى نرى عيانا هذا الامر . مهما كان وان أبا حنيفة هو الذى بدأ يدون الفقه بابا بابا ، إما على أساس القرآن الكريم والحديث الشريف وفتاوى السلف من الصحابة ، أو على القياس والاستنباط لمسائل لم تقع ، ففرضوها وبحثوا الجواب فيها ، قال الامام مالك : إن أبا حنيفة أبدى رأيه فى ستين الفا من المسائل (الموفق ١/٩٦) ، وقال آخرون : بل بلغ ما استنبط من المسائل الى نصف مليون (الموفق ٢/١٣٧) .

الشيباني :

وبين أصحاب أبي حنيفة يجب ان نذكر هنا الامام محمد الشيباني . وكان قاضي القضاة بالرّيّ ، وتوفى ودفن هناك على جبل طبرك . فهو ايراني الوطن . ولد فى واسط ، وتدرّس بالعراق وخراسان وسوريا والحجاز وسائر كبار المراكز العلمية الاسلامية فى عصره ، وتتلمذ عند أبى حنيفة ومالك والأوزاعى بين آخرين ، وبرز بين أبناء عصره حتى أنه لما توفى أبو يوسف ، لم يجد هارون الرشيد غير محمد الشيباني يتخذه قاضي القضاة، فكان يأخذه معه أينما سار ونزل ، من الرقة الى الرى .

لم يصل الينا كتب أبي حنيفة فى الفقه . ولا بأس بأن نفترض أن محمدا الشيباني هو مؤسس المذهب الحنفى كتابة وتدوينا . وذكر الكفوى أن لمحمد ٩٩٩ تأليفا ، ولم يصل الينا الا القليل منها ، يظهر أن محمد الشيباني كان عنده مساعدون للتأليف ، فقال الكردرى (٢/١٦٣) وطاشكوبريزاده (مفتاح السعادة ٢/١١٠) وغيرهما أن الامام محمدا لما جلس فى مكتبته : « كان بين يديه طست من ماء ، وبين يديه عشر جوار روميات عالمات بالكتابة والعربية يقرأن العلم عليه » .

ألف محمد الشيباني فى العقائد ، وفى أصول الفقه وفى الفقه والحديث . يوجد بعضها كما الفها المؤلف ، وأخرى فى شروح لفحول العلماء . وضاعت أخرى . مثلا ينسب اليه كتاب فى أصول الفقه ، ولم يصل الينا الا اقتباس وجيز نقله عنه أبو الحسن البصري المعتزلي فى كتابه المعتمد فى أصول الفقه . وليذكر فى الشروح ما هى للسير الصغير والسير الكبير والجامع الصغير والجامع الكبير والزيادات وزيادات الزيادات وكلها لشمس الأئمة السرخسي . ويوجد له كتاب الموطأ عن مالك ، وكتاب الآثار ، وكتاب الحجج ، وكتاب المخارج فى الحيل أيضا . ولكن أكبر تآليفه هو كتاب المبسوط ، ويسمى ايضا كتاب الأصل . ومخطوطة له فى مكتبة مراد ملاّ باستانبول فى ثمان مجلدات فى ٤٧٤٠ صفحة استنسخه أبو بكر بن أحمد ابن محمد الطلحي الاصبهاني فى ٦٣٩ للهجرة . وفى الكتاب ستون بابا فى العبادات والمعاملات والزواجر ، والمعاقل والفرائض وغير ذلك سوى ما ألف مستقلا لم يدخل فى هذا الكتاب ، مثل كتاب الحج ، وكتاب أدب القاضي .

ولا بأس أن نذكر أن الشيباني هومعاصر شارلمان امبراطور المانيا

وفرنسا وايطاليا . ويوجد كتاب يحتوي على قوانين دولته ، يسمى (كابى تولاريا) ، لا يزيد على خمسين صفحة ، واكثر تلك الاحكام تتعلق بادارة اراضى نفقات الامبراطور نفسه . ولو قابلنا محمد الشيبانى بيوستينيان أكبر مقننى أوروبا ، لرجح أيضا . فإن الامبراطور يوستينيان لما رأى كثرة الاختلاف بين كتب القانون الرومانى اسس لجنة تنتخب ما يصلح لعصره من الاحكام . فكان أمام اللجنة نتائج العلم الرومى يمتد على مئات السنين . وبعد ما تم عمل اللجنة ، لم يرض يوستينيان بل لم يزل يغير القوانين ويبدلها طول حياته حسب أهوائه . أما الامام محمد فلم يكن أمامه اى تأليف فقهى جدير بهذا الاسم . ففعل ما فعل من تلقاء نفسه ما يدهش الناظر . وتوفى الامام محمد فى ١٨٩ للهجرة ، واحتفلوا هذه السنة على مرور ١٢٠٠ سنة على وفاته فى تركيا والهند وباكستان وباريس أيضا .

أما الفقهاء فى القرن الثالث للهجرة فعددهم كثير بين الايرانيين مثل مقاتل الرازى ، والأعرج القمّى ، وغيرهما . وفى القرن الرابع نجد الحاكم المروزى ، والجصاص الرازى ، والمكحول النسفى ، والبردعى والشاشى ، والمنذرى والنيسابورى ، والنويختى ، وعلى بن محمد الخزاز القمّى ، وابن بابويه القمّى ، والكلينى ، وبختيار بن راسباس الديلمى ومن لا يحصون عددا .

أما أبو جعفر الطوسى فولد فى ٣٨٥ للهجرة وتوفى اما فى ٤٥٩ أو ٤٦٠ للهجرة . ومن معاصريه قاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى ، والفورانى المروزى ، وأبو على المروروذى ، والجويتى ، والجرجانى بين آخرين .

رحمهم الله فكل فعل حسبما تيسر وبدا له ، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ..

---

(١) طبع بولاق ، ص ٧٨ ، ولفظه : « ومن طريق عمر بن خالد ، قال جاءنى الشافعى فاخذ منى كتاب موسى بن أعين ، وهو كتاب اختلاف الاوزاعى وابى حنيفة . قال البيهقى : هو كتاب فى السير ، اصله لأبى حنيفة ، فرد عليه فيه الاوزاعى ، فرد أبو يوسف على الاوزاعى رده على ابى حنيفة . فاخذه الشافعى ، ورد على أبى يوسف رده على الاوزاعى . وهو الكتاب المعروف بسير الاوزاعى . قلت « وهو ابن حجر العسقلانى مؤلف توالى التاسيس » ، (وهو من جملة كتب الأم) .

(٢) وهذا نص ما قال : (راجع رسائل البلغاء نشرة محمد كرد على الرسالة الخامسة رسالة ابن المقفع فى الصحابة ، ص ١٢٦) : « ومما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحى ، اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التى قد بلغ اختلافها امرا عظيما فى الدماء والفروج والاموال ، فيستحل الدم والفرج بالحيرة وهما يحرمان بالكوفة . ويكون مثل ذلك الاختلاف فى جوف الكوفة ، فيستحل فى ناحية منها ما يحرم فى ناحية أخرى غير انه على كثرة الوانه نافذ على المسلمين فى دمائهم وحرمهم يقضى به قضاة جائز أمرهم وحكمهم .. فلو رأى أمير المؤمنين أن يامر بهذه الاقضية والسير المختلفة فترفع اليه فى كتاب ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة أو قياس ثم نظر فى ذلك أمير المؤمنين وامضى فى كل قضية رايه الذى يلهمه الله ويعزم عليه عزما وينهى عن القضاء بخلافه وكتب بذلك كتابا جامعا ، لرجونا أن يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطا حكما واحدا صوابا ولرجونا أن يكون اجتماع السير قربه لاجماع الامر برأى أمير المؤمنين وعلى لسانه ثم يكون ذلك من امام آخر ، آخر الدهر أن شاء الله » مما يذكر أن ابن المقفع أيضا ايرانى ، ترجم كتبا فارسية الى العربية مثل كليلة ودمنة وغير ذلك .

علمتني الحياة

الإيمـــــانُ

جَلَّ مَنْ صَاغَهُ نداءً قوياً .

علَّمتنِي الحيــاةُ أَنَّ مِــنَ الإِيــ ـــمــانِ ما يَصْنَعُ العَجَائِبَ صُنْعَا
وَيُثِـــيرُ النُّفوسَ كل مثــــــار ويزيــدُ القُلــوبَ وَقْداً وَلَفْعَــــا
فإذا ما انْتَفَضَىٰ العــزَائِمَ هَبَّــتْ تَدْفَعُ الجَمْــرَ فى الأَضَالِعَ دَفْعَــا
جَلَّ مَنْ صَاغَــهُ نِــداءً قَوِيــًّا طَابَ صَوْتًا وَلَذَّ فى السَّمْعِ وَقْعَــا

الحَقيقَـــــةُ

وسارتْ على هُدَاهَا الأُمــورُ

علَّمتنِى أنَّ الحَقيقَـــةَ نُــورٌ لَيْسَ يَغْشَىٰ رَفِيفَهَـــا الدَّيْجُورُ
نَقِيَتْ مِــنْ شَــوَائِبِ الرَّيْبِ والبُطْـ ـــلِ وسارتْ على هُدَاهَا الأُمُورُ
حُلْــوَةٌ مُــرَّةٌ تبَــارَكَ حَامِيــ ـــهَا وللحقِّ حافظٌ وَنَصِـــيرُ
صُــورَةٌ تبْهَــرُ العُيُـــونَ وَرَمْزٌ لا يُضَاهَىٰ وَعَزْمَـــةٌ لا تَخُــورُ

الركونُ الى الدنيا

يا لدارٍ قد رَوَّعَتْ ساكنيهــا

علَّمتنِى أنَّ الرُّكُـــونَ إلى الدُّنـ ـــيا ضلالٌ ما بَعْدَهُ مِنْ ضَلَالِ
ما ارْتَضَاهَا اللَّبِيبُ يوماً ولا اخْتَا رَحِمَاهَـــا أخو النُّهَىٰ والكَمَـــالِ
يا لــدَارٍ قَدْ رَوَّعَتْ سَاكنيهــــا بضُروبٍ مِـــنَ الأذىٰ والنَّكَـــالِ
تَتَلَقَّىٰ زُوَّارَهـــَا بُكَاهُــــمْ وَتـَــرُدُّ المَاضِيـنَ بالإعْــوَالِ

للاستاذ أنور العطار

التفرُّقُ هدَّامٌ

طبعتهم على الخِصامِ اللّيالِي

علَّمتنِي أنَّ التَّفــرُّق هــدّا ... مٌ يثيرُ العِــداءَ والبغضــاءَ
ويــرُدُّ الأُلَى ارتضوه ســبيلاً ... أنفسًا لا ترى الوجــودَ إخــاءَ
طبعتهُمْ عــلى الخِصــامِ اللّيالِي ... ورمتهُــمْ أذلّــةً ضُعفــاءَ
ونفتْ عنهم الرّعــايةَ والحـــبَّ وزادتهم قِــلىً وجفــاءَ

التَّــدْبِيرُ

وارْضَ بالعيشِ فقرِه وغِناهُ

علَّمتنِي الحيــاةُ أنَّ مــنَ التَّــد ... بِيــرِ ما يَجْعَــلُ القليــلَ كثيــرًا
فتدبَّرْ ما استطعْتَ أمْــركَ واسْلُكْ ... جانِبَ الرُّشْدِ واتَّخِــذْهُ نصِــيرًا
كُنْ عطوفًا إذا غــدوْتَ غنيــًّا ... وصــبُورًا إذا انْقلبْتَ فقِــيرًا
وارْضَ بالعَيْشِ فقْــرِهِ وغِنــاهُ ... ولا تبُــذِّرْ خيْراتِــهِ تبْذِيــرا

الرّأْيُ الصّرِيحُ

وأفْضتْ بِكُلِّ رأْيٍ صريح

علَّمتْنِي الحيــاةُ يا خيْرَ ما أهــ ... ــدتْ إلى النّفْسِ من عطاءٍ ربيح
أرْشدتْنِي إلى الصّــوابِ وشدّتْ ... عزَماتِي وضمّــدتْ منْ جُروحِــي
فلهــا أنْ أخُصّها بصحيـــحٍ ... منْ ثنــائِي وصادقٍ منْ مديحِــي
فلقد أوْلتِ الكثيرَ مــنَ الخيْــ ... ــرِ وأفْضتْ بكلِّ رأيٍ صريــحِ

الاسلام والمسلمون في أوروبا

١

للاستاذ : محمد علوى عبد الهـادى

١ ـ دعاة الاسلام فى اوربا

يتركز المفهوم العام للبلاد الاسلامية فى الاقطار الاسيوية والافريقية التى تسود فيها غالبية من السكان المسلمين وقلما يتذكر المسئولون أن فى كثير من بلاد أوروبا والامريكيتين جاليـــات اسلامية قوية تهفو آمالها وأشـواقها الى اخوانهم فى الديـــن فى الاقطـــار الاســـلامية الكبيرة بل إن كثيرا مـــن خاصة المتعلمين لا يعلمون أن فى كثير من بلاد اوروبـــا مناطق يتركز فيهـــا المسلمون ويكونون جـــاليات تختلف قوة وضعفا حســـب أقدار تاريخها . ذلك أن مقررات التـــاريـــخ التى تدرس فى مدارسنا ومدارس معظم البلاد العربيـــة تغفل اغفالا معيبا ما كان من امر بلاد الاسلام بعد العصر العباسى الثانى ، ولذلك فان خريجى مدارس التعليم العام لا يعلمون شيئا عما كان من دول شرق ووسط آسيا الاســـلامية ولا عن تاريخ الاتراك من تتار ومغول وعثمانيين وصراعهم مع الدول الاوروبيـــة وهم يجـــهلون كل الجهل امر دولة الاسلام فى صقلية .

ولعل أحداث التاريخ القريب فى بلاد العرب قد القت فى نفوس العرب شيئا من الكراهية لسلطنة آل عثمان كما أن الجزء الضئيل من تاريخ المغول والاتراك الذى يدرس بالمدارســـ

العربية لا تصور الا وحشية المغول والتتار .

ولكن القراءة الواعية لنشاط هذه الدولة تجعل مشاعر السخط المعتادة تختفى قليلا ليحل محلها شعور بفضل هذه الدول فى نشر الاسلام فى ربوع كثيرة وقفت فتوح دولة الاسلام الاولى عندها .

٢ ــ كيف دخل الاسلام أوروبا

على مدى أربعة قرون من الزمان من فتح القسطنطينية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى حتى منتصف القرن التاسع عشر دامت الحروب والغزوات بين آل عثمان وممالك أوروبا الشرقية والروسية واحتل الاتراك بلاد اليونان والبلقان وبعض الولايات السوفيتية بين بحر البلقان والبحر الاسود .

وقف المد الاسلامى على يد العرب عند حدود دولة تركيا الحالية شمالا وعند حدود بلاد السند جنوبا .

ولكن ظهور الدول التركية الغزنوية والسلجوقية أعطى دفعة للمد الاسلامى فدخل فى حوزة الدول الغزنوية كثير من بلاد الهند وأفغانستان وأجزاء من تركستان الشرقية والصين . وامتدت دولة السلاجقة الى آسيا الصغرى وبلاد البلغار الشرقية وجورجيا والقوقاز حتى أصبح البحر الاسود وبحر آزوف بحيرة اسلامية .

ثم جاء جنكيزخان وأولاده وأحفاده من بعد فانتشروا غربا ، ولا تذكر كتب التاريخ الا الدمار الذى أوقعوه فى البلاد التى فتحوها .

ولكن الحق والانصاف يقضى بأن نذكر أنهم بعد أن خربوا بغداد وقضوا على دولة الخلافة العباسية المتداعية اعتنقوا الاسلام واعتنق من بعدهم اتباعهم هذا الدين الحنيف ثم اتجهوا نحو الغرب الشمالى فغزوا معظم بلاد الاتحاد السوفيتى وجمهوريات بحر البلطيق .

وقد زار ابن بطوطة هذه البلاد فى النصف الاول من القرن الثامن الهجرى ووصف أحوال المسلمين بها

ثم جاء العثمانيون

وعلى مدى ٤ قرون من الزمان بعد فتح القسطنطينية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى حتى منتصف القرن التاسع عشر دامت الحروب والغزوات بين آل عثمان وممالك أوروبا وروسيا ودخل تحت حكمهم بلاد البلقان وأجزاء من النمسا والمجر .

ولكن الدول الاوروبية وخاصة الدول الكاثوليكية لم تترك الاتراك فى هدوء ودامت الحرب ضد الترك من جانب النمسا أو الروسيا تارة أو من جانب أحلاف مقدسة بين دول أوروبا المختلفة القوية يباركها البابوات وتبادلت هذه الاطراف النصر ولم تهدأ ثائرة الدول الاوروبية ضد العثمانيين حتى قضت عليها تماما فى الحرب العالمية الاولى .

وبعيدا عن جو الحروب الذى حال دون توطيد أركان حضارة اسلامية قوية بشرق أوروبا فان سياسة الاتراك اتسمت بقدر كبير جدا من الحرب الدينية . فلم يكن للدولة دخل اى دخل فى عقائد الشعوب التى فتحوها فى الشرق أو الغرب متأسية فى ذلك بسياسة المسلمين الاول .

ولكن ولو أن دولة صدر الاسلام لم تتدخل رسميا فى نشر الدعوة ، فان الشعب نفسه سار على نهج الصحابة والتابعين فى الحماس لنشر الدعوة .

ولكن انهيار الشعوب الاسلامية الذى انتهى بسقوط بغداد فى يد

المغول والشام فى يد الصليبيين كان عرضا لضعف مستوى التعليم والتربية وبالتالى لضعف مستوى البشر ومن ثم ضعف حال الدولة الاسلامية .

ولما ظهر العثمانيون اتجهوا بقوتهم الحربية غربا وحاولوا أن يجددوا من شأن الاسلام فأنشأ محمد الفاتح هيئة دينية من كبار علماء البلاد الاسلامية التى دانت لسلطانه وجعل من رئيس هذه الهيئة شيخا للاسلام

وكان المأمول أن تقوم هذه الهيئة بدور الدعوة والتوجيه الروحى والتشريعى للمسلمين ولكن الحالة العامة للفكر الاسلامى فى ذلك العصر لم تستطع مواجهة حاجات الامم الجديدة ولم تهىء لها برامج للدعوة والتعليم ولذلك بقيت غالبية شعوب هذه الامم على دياناتها القديمة .

ولكن رغم ذلك فقد استطاع الاسلام ببساطته واعجازه أن يدخل قلوب الناس فى كثير من البلاد ليس فقط تلك التى غزاها العثمانيون ، ولكن فى كثير من البلاد التى ربطت الحروب بينها وبينهم بسبب .

ويقول مرجع نمساوى (١) إنه فى منتصف القرن الثانى عشر احتل بعض الجنود المسلمين الذين كانوا يعملون فى خدمة ملوك البحر بعض أراضى النمسا (٢) وأن صلوات الجمعة كانت تقام علنا وسرا فى بعض قرى النمسا . وأن بلاط ملوك المجر كان يضم رجالا ممتازين من المسلمين كمستشارين وقواد ورجال مال . ويقول هذا المرجع إن التقاويم الغربية تذكر أسماء أربعة رؤساء لبعثات تبشير اسلامية دخلت النمسا من المجر . وأن هؤلاء المبشرين كانوا يرتدون قفاطين وأغطية للرأس من شعر الجمل وكانوا يعيشون معيشة بسيطة ويرفضون أطعمة أهل العقائد الاخرى ولايشربون الخمر ويحمدون الله كثيرا على كسرة من الخبز الاسود ويدعون للمعطى برفع أيديهم للسماء وكانوا يتكلمون عدة لغات ولهم قدرة غريبة على الجدال السلمى

وبفضل أمثال هؤلاء دخل الاسلام كثير من القبائل التى تسكن بلاد شرق أوروبا من اليونان جنوبا حتى بلاد بحر البلطيق وبولندا شمالا .

ويذكر المؤرخون الاوروبيون أن السلطان سليم الاول أراد أن يرغم اليونان على اعتناق الاسلام ولكن شيخ الاسلام « على الجمالى » حال دون ذلك وذكره بما أصدره جده محمد الفاتح من فرمان يعطى حرية التدين الى اليونانيين ، ومع الحرية الدينية التى تمتعت بها الشعوب الاروبية تحت حكم الاتراك يذكر المؤرخون عهود العسف والظلم التى وقعت وكانت تقع على غير الكاثوليك عندما ينسحب المسلمون من أى من هذه البلاد .

٣ ــ العوامل المضادة التى حجبت انتشار الاسلام فى اوروبا

ولو أن الفتح العثمانى تم وحال المسلمون كان كما كانوا فى صدر الاسلام . لكان من المؤكد أن نور الاسلام قد ساد ربوع أوروبا كلها .

ولكن القوى التى أثرت فى عقول الناس منذ محمد الفاتح كانت مستقطبة فى قوتين :

أ ــ دعوة الاسلام ويحمل لواءها هيئة العلماء التى كونها محمد الفاتح فى الشرق الاسلامى .

ب ــ قوة الكنيستين الكاثوليكية والشرقية التى تولت عبء المحافظة على المسيحية والدعوة لها ، ليس فى

أوروبا فقط ولكن فى نفس بلاد السلطنة العثمانية .

فأما عن قوة هيئة العلماء المسلمين ونشاطها فقد كان شأنها شأن باقى مرافق الدولة والشعب — خمول وتواكل وكسل — وعجزت هذه الهيئة عن أن تساير الهيئة الحربية التى كانت لدولة آل عثمان فى أول أيامها . ولم تكن هذه الهيئة أكثر من مجموعة من العلماء الجامدين يلوذون ببلاط السلطان دون أن يكون لهم تنظيم ادارى أو علاقة روحية تربطهم بالشعب . وعندما عم الفساد فى بلاط السلاطين أصدروا فتوى بوقف الاجتهاد فى الفقه الاسلامى وبذلك زاد موقف المسلمين جمودا على جمود .

ولو كانت القوة الحربية التى اظهرت آل عثمان ومن قبلهم الاتراك السلاجقة قد صاحبها دعوة مذهبية كدعوة المعتزلة التى عاصرت الفتوحات العربية فى دولة بنى أمية ودولة العباسيين الاولى والتى كان لها تنظيم رائع من الدعاة والمدرسين الذين كان لهم الفضل فى دعوة الناس للاسلام وفتح المدارس وتعليم النشء لو كان قد أتيح للاتراك السلاجقة والعثمانيين مثل هذا التنظيم التثقيفى لكان الفتح العثمانى قد انتهى بادماج الشعوب التى فتحوها فى نطاق الامم الاسلامية .

ولكن مع ضعف اجهزة التوجيه والتعليم للمسلمين كان على الجانب الآخر جهاز قوى مدعم بسلطات روحية وادارية يقف مع سلطة الحكم الزمنى على قدم سواء ، إن لم يكن فى ذلك الوقت يفوقها اذ كان على الملوك واجب الولاء لهذا السلطان ونعنى به سلطان الكنيسة التى كان الملوك يستمدون السلطة الزمنية منها

وفى الوقت الذى كان النشاط العقلى للمسلمين يتجه نحو الخمول والركود كانت الكنيستان الارثوذكسية والكاثوليكية تجتاحهما نهضة عقلية شاملة . وبعد الفرقة التى دامت قرونا طويلة تحالفت هاتان الكنيستان بل إن الكنيسة البروتستانتية التى نشأت ثائرة على كنيسة روما قد اتحدت معها للوقوف فى وجه الزحف التركى .

وواجهت الكنيسة الغزو العقلى الاسلامى بكل وسائل الدعوة ، من فقه فلسفى وكتابات علمية على شتى المستويات الى التأثير المركز لفنون الغناء والموسيقى والشعر والقصائد الشعبية والقصص الذى راج وروج معه أفكارا سوداء تناقلها الناس حتى رسبت فى أعماق باطنهم تبث فيهم روح الكراهية ضد الاسلام والتعصب ضده ، وكانت عاملا لاشك فيه لوقف تأثير الاسلام على عقول الناس وبالتالى وقف انتشاره بين الشعوب الاوروبية ، ولكن رغم ذلك فقد دخل الاسلام عدة ملايين من البشر آمنوا به عن عقيدة وصدق ايمان .

وحتى بعد أن خرجت هذه البلاد من حكم العثمانيين بقى الموحدون على دينهم يعبدون الله الواحد الاحد القهار رغم عسف الحكام الجدد وقسوتهم فى اجبار الناس على اعتناق الكثلكة

ولقد اغتصبت الروسية عدة مناطق من أوروبا وآسيا بعد ثورتها على الاحتلال المغولى الذى دام بها قرابة ثلاثة قرون واستولت النمسا على مناطق أخرى ، واستقلت اليونان تحت حماية القوى الاوروبية الكبرى فى أوائل القرن التاسع عشر واستولت ايطاليا على جنوبها والجزء المحيط بها بما فيها صقلية وسردينيا وأخذت فرنسا كورسيكا واحتلت

بريطانيا قبرص ومالطه . وانفردت الكنائس بأمر التعليم والتثقيف والتعبئة الروحية للناس ولكن رغم كل الصعوبات فقد بقى الناس على دينهم حتى اليوم .

حقا لقد تقلص العدد بشكل ملحوظ ولا زال يتناقص بحكم قسوة الظروف وانعدام السبيل نحو تعليم الاجيال الجديدة أمر دينهم .

٤ ـ الأوضاع الحالية للمسلمين فى أوروبا

على أنه بالرغم من هذه العوامل فان تعداد المسلمين التقريبى فى هذه البلاد يقدر كالآتى (٣) :

٤٨ مليون مسلم فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى الاوروبية والآسيوية

٣ مليون مسلم فى يوغوسلافيا

٣ مليون مسلم فى بلاد البلقان (البانيا ، رومانيا بلغاريا ، المجر واليونان)

٢٠٠ الف مسلم فى بولندا

٦٠ الف مسلم فى فنلندا

كذلك فقد أعقب الحرب العالمية الثانية دخول مهاجرين مسلمين الى أوروبا قدموا من آسيا وافريقيا لاجل العمل أو التعليم أو اللجوء السياسى كما قدموا من البلاد الاوروبية لنفس الاغراض وبذلك وجدت جاليات اسلامية كبيرة فى المانيا وسويسرا والنمسا وفرنسا وايطاليا وأسبانيا وبريطانيا (٤) وتختلف حال المسلمين فى كل بلد من هذه البلاد قوة وضعفا شدة ورخاء تبعا للظروف السياسية لبلادهم .

وقد اتصلت شخصيا ببعض الجاليات الاسلامية فى أوروبا ولمست أحوالهم ومشاكلهم وفى المقالات التالية تقرير عنهم .

---

١) النمسا والاسلام : للدكتور اسماعيل باليش وهو نمساوى مسلم ويعمل بمدرسة التجارة العليا بفينا .

٢) يلاحظ أن هذا الزمن كان زمن الحروب الصليبية وظهور قوة عماد الدين زنكى وولده نور الدين

٣) هذه الارقام مؤخوذة من بيانات شبه رسمية للمسلمين فى تلك البلاد ..

٤) لا يمكن اعطاء أرقام محدودة عن أعداء هؤلاء المهاجرين المسلمين لتغير اعدادهم باستمرار ولان مصادر الاحصاء القومية لاتنشر بيانات عنهم . ولكن البيانات غير الرسمية تشير الى تفوق العدد الاجمالى فى هذه البلاد عن مليونين .

حق المساواة بين الناس

مبدأ من مبادئ الإسلام الكبرى

للدكتور وهبه الزحيلى

ان الحملة الحضارية الانسانية الشاملة التى اقترنت بالاسلام اقتضت اقرار كل المبادىء الخلقية الاصيلة ونبذ كل مظاهر التخلف والتعثر والرجعية والتفرقة الظالمة بين أبناء البشر دون اعتماد على ميزان معقول أو حساب صحيح للنتائج ..

ومن الاصول الحضارية للاسلام ومنهجه الديمقراطى فى الحياة **السياسية والاجتماعية اعلانه مبدأ** المساواة التامة دون تمييز بين الناس بسبب الجنس أو العرق ، أو اللون أو النسب ، والحسب ، أو الدين ، أو المنصب والجاه وسلطة الحكم ، أو السن ، أو الغنى والمال أو المحبة والبغض وذلك تجاوبا مع نزعة الاسلام العالمية وعموم رسالته للبشرية واعتبار تنظيماته وشرائعه رحمة للعالمين ..

ومن أهم مظاهر المساواة اجمالا ثلاثة أمور :

١ ــ المساواة فى القيم الانسانية المشتركة : أى لا تفاضل فى الاجناس « فالجنس الآرى والحامى والسامى كلها سواء » ولا تفاضل فى الالوان « فالابيض والاسود والاحمر والاصفر على حد سواء » ، ولا تمييز فى

الانساب والاحســـاب « فالشريف والوضيع لهما حقوق متســـاوية » وبذلك ألغى الاسلام نظام الطبقات وحارب العنصرية البغيضـــة ، والعصبية الـــكاذبة الحمقاء وأهدر نظام الاسر الراقية والالقاب الفارغة وسوى بين دماء الناس ، فليس هناك دم أزرق نبيل وآخر عادى من دماء العامة .. !!

٢ ــ المســـاواة امام القــانون والقضاء وفى تكافؤ الفرص : يعنى أن النـــاس جميعا متســـاوون فى التكاليف والالتزامات العامة والحقوق وفى نطاق الجريمة والعقـــاب وفى مبدأ تكافؤ الفرص بالنســـبة للعمل والتوظف ونحو ذلك .

٣ ــ المساواة فى جزاء العمل : فما دام الاشـــخاص متكافئين فى العمل ، فهم يستحقون أجرا متساويا دون تمييز أو محـــاباة لأحد على حساب الآخرين . وعليه فلا يصح أن ينخفض اجر انسان ، لانه أسود مثلا ، ويعطى آخر أجرا أعلى ، لكونه أبيض أو منحدرا من سلالة رفيعة النسب عريقة المجـــد ، أو لقرابة ونحو ذلك . فالناس جميعـــا متســـاوون فى الاجور ، متفاوتون بقدر ما ينجزونه من أعمـــال ، أو يظهرونه من كفاية وابداع وانتاج .

الكرامة الانســـانية أو الوحدة الانسانية :

وفى سبيل اقرار مبدأ المساواة فى مظاهره الثلاثة السابقة نظريا وعمليا نادى الاسلام بوحدة الســـلالة البشرية ، وأن البشر أبيضـــهم وأسودهم من أب واحد وأم واحـــدة وهم ســـواء فى مبدأ الـــكرامة الانسانية ، فلا ينبغى أن يترفع انسان على آخر أو يستعبد انسان غيره بســـبب اللون ، أو الحسب ، أو القوة أو الغنى أو الفكر والمواهب والفضائل أو الجماعة الخاصة ، قال الله تعالى فى قرآنه الكريم : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونســـاء ، واتقوا الله الذى تســـاءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » (النساء : ١) .

ويعلن القرآن مبدأ تكريم الجنس البشرى عامة فى قوله سبحانه : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنـــا تفضيلا » (الاسراء : ٧٠) فهـــذا النص الصريح يدل على أن التـــكريم العام شامل لكل انسان ، وكرامته ملازمة لانســـانيته والانســـان أخ للانسان أحب أم كره والانســـانية مكرمة سواء فى السلم أم فى الحرب فالصراع على المصـــالح الخاصة وبالتالى اراقة الدماء واســـتباحة الانفس يجب الا يكون سببا لتلويث كرامة الانسان ، فلا تمثيل ولا تقتيل بدون حق ولا تشويه ولا تجويع ولا اظماء ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اياكم والمثلة » « اذا قتلتم فا « حسنوا القتلة » .

وكرامة بنى آدم تقضى عدم التفريق فى المعاملة بين طبقة وطبقة ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين فقير وغنى ، أو قوى وضعيف ، لأن الاسلام يجعل الناس جميعا سواء ، ومرجعهم الى اصل واحد ، العدل يعمهم ، والرحمة تشملهم ، والخير والسعادة حق كل فرد منهم . قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : « يأيهـــا

الناس ، ان ربكم واحد ، وان اباءكم واحد ، الا لا فضـــل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لاحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى ، ان أكرمكم عنــد الله أتقــاكم » (رواه البيهقى فى سننه عن جابر) « الناس مستوون كأسنان المشــط ، ليس لاحد على أحد فضل الا بتقوى الله » (رواه الديلمى عن أنس) .

ولقد كان اعلان الاســــلام لمبدأ الوحدة الانسانية — وحدة الاصــل والمنشأ سبيلا لتقرير مبدأ المســاواة بين الاخوة فى الحقـــوق الفطرية الطبيعية وللرد على اليهـــود الذين جعلوا رحمة الله حكرا على شعبهم ، وان الاله اله بنى اسرائيل وحدهم ، ولا يحق لأى شعب آخر الايمان به أو الانتماء اليه .

أما الاسلام فمبدؤه أن الله تعالى اله العالمين «الحمد لله رب العالمين» (الفاتحة : ٢) « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الانبياء : ١٠٧) « قل : أغير الله أبغى ربا ، وهو رب كل شىء » (الانعام : ١٦٤) .

ثم ان مبدأ الكرامة الانســـــانية يقضى تحرير الانسان ، وتوفير كل أسباب العزة والكرامة والشرف له ، عملا بتكريم الله له وازالة كل عوامل التفرقة بين أبناء البشرية بســـــبب الجنس واللون وغير ذلك من العوامل الآتية ، لأن الكرامة هى الاحساس المعنوى بشخصية الانسان، والانسان هو أساس كل القيم والحضــارات التى تقوم على الخير والســـــلام والعدل والاخاء والحرية ولن يؤمن بالحرية من لا يؤمن بالانسان وكرامة الانسان ، فأى انسان يولد بالفطرة حرا متساويا فى الحق والكرامة مع سائر الناس .

١ — الجنس :

عرفنا أن الاســـــلام لا يميز بين الاجناس والاعراق فليس هناك جنس أو شعب هو بنشأته وعنصره ودمه أفضل من غيره ، وانما الناس جميعا اخوة فى النسب ، ووحدة فى الاصل والمنشأ . قال تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعــارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » (الحجرات : ١٣) فمهمة الشعوب فى العالم هى التعارف والتعــاون والتآلف، لا التناكر والتفاخر والتزاحم غير الشريف ، ولا تفاضل الا بالايمان الصحيح والتقوى والعمل الصـــالح البناء ، فبالعمل والانتــــاج وبالنفع العام للانسانية يفضل الشــــخص غيره .

وبهذا هدم الاسلام برج العصبية القـــاتلة والقبليـــــة أو العنصرية البغيضة ، وحارب كل أشكال التمييز العنصرى وأزال كل الوان الفـــوارق الطبقية عملا بمبدأ المساواة الانسانية العامة . وسبب محاربة الاســـــلام لفكرة الطبقية والعنصرية : هو أنها تكون عادة سبيلا للظلم والتحـــــكم والطغيـــــان ، وغمط الحقوق ، والانحـــراف عن جادة الحيـــــاة المستقيمة ، والسلوك الرشـــــيد ، والعدالة لذا قال نبى الاسلام : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » (حديث حسن رواه أبو داود عن جبير بن مطعم) « من قتل تحت راية عميـــــة يدعو لعصبية أو ينصر عصبية ، فقتلتــه جاهلية » (رواه مسلم والنســــــائى بسند صحيح) . وقال تعالى : « اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على

رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شيء عليما » (الفتح : ٢٦) .

واذا كانت الدول الحديثة قد أعلنت مبدأ حقوق الانسان عام ١٧٨٩ م وقررت الامم المتحدة اعتبار عام ١٩٧١ كله لمكافحة ومحاربة التمييز العنصرى بكل أشكاله ، فان ذلك ما يزال أمرا نظريا لا عمليا ، فما زال الرجل الابيض يستذل الاسود فى قلب أوروبا ، وما تزال أمريكا زعيمة العالم الحر وبريطانيا تؤيدان مبدأ التفرقة العنصرية الذى يشجبه العالم كله والضمير الانسانى والشرائع السماوية ، سواء فى قلب أمريكا ضد الزنوج أم فى قارة أفريقيا متمثلا ذلك فى حكومة روديسيا ودولة جنوب أفريقيا ، والمستعمرات البرتغالية ضد الملونين .

وعلى أساس هذه النظرة العنصرية قامت فى الشرق العربى دولة اسرائيل العنصرية التى تمثل أحط صور المفهوم العنصرى ضد الشعب العربى الذى تضطهده أجهزة الحكم الاسرائيلى ، فتمنع حقوق الانسان وتمارس ضد السكان الشرعيين الاصليين كل أنواع القتل والسجن والتعذيب والتشريد والطرد ومصادرة الممتلكات الخاصة والعبث بأوقاف المسلمين وباحراق المسجد الاقصى .

وبمثل ذلك تفعل دولة أثيوبيا ضد العرب المسلمين فى الحبشة وأرتيريا حيث القتل والهدم الكامل للقرى والمدن والابادة الجماعية للسكان .

٢ ــ اللون :

كذلك لا تمييز بين الناس بسبب اختلاف اللون ، فهذا من أثر البيئة الجغرافية أو الاصل البشرى قال تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم، ان فى ذلك لآيات للعالمين » (الروم : ٢٢) « ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه ، كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور » (فاطر : ٢٨) .

وقد فطن الاسلام الى مشكلة اللون فى بادىء الأمر ، فقرر مبدأ المساواة التامة بين الابيض والاسود ، حدث مرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع أبا ذر الغفارى يعير صحابيا بأمه ، ويدعوه : يا ابن السوداء فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، وقال مستنكرا : طف الصاع ، طف الصاع ، طف الصاع (أى تجاوز الامر حده) ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو بعمل صالح ، فما كان من أبى ذر الا أن وضع خده على التراب وقال لصاحبه : دس بقدمك على رأسى ، لما استشعر من تعديه عليه .

وفى عبارة أخرى لهذه القصة أن رجلا قال : لقيت أبا ذر بالربذة (مكان قرب المدينة) وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : انى ساببت رجلا ، فعيرته بأمه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم (أى أعوانكم وحشمكم) جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » . وقد شاهد عمر رضى الله عنه قوما فى مكة يأكلون ، والخدم يقفون لهم ، فغضب وقال للسادة : « ما بال قوم يستأثرون على خدامهم ؟ » وأمر بالخدم فأكلوا

مع السادة فى أجفان — أى آنية واحدة . وقال الرسول صلى الله عليه‌وسلم مؤكدا نبذ التمييز بالالوان : « أنا أخو كل تقى ، ولو كان عبدا حبشيا ، وبرىء من كل شقى ، ولو كان شريفا قرشيا » « سلمان منا أهل البيت » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لوليته » أى الخلافة . وقد تولى فعلا كثير من الموالى المسلمين قيادة الجيوش وامارة المدن . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يرفع بهذا الكتاب — أى القرآن — أقواما ويضع به آخرين » .

فأين هذه المحاربة للعصبية القبلية والعنصرية فى نطاق الاسلام مما تفعله الحضارة الحديثة التى تبيح للامريكان افناء عنصر الهنود الحمر بطريقة تدريجية منظمة ، أو القيام بتخصيص مدارس ومطاعم وناقلات خاصة ومقاهى وغير ذلك للزنوج الملونين ، بل تحرمهم من أبسط الحقوق المدنية والسياسية ، وتسن لهم القوانين الخاصة ، وتحول دون انتفاعهم بمظاهر المدنية الجديدة كالكهرباء والطرق والمرافق العامة المنظمة والمساكن الصحية والمشافى اللائقة ، ولا تمنحهم الاجور العادلة .. ويتم مثل ذلك فى حكومة جنوب أفريقيا التى تجاهر بالقوانين العنصرية ضد الملونين ؟

٣ — الدين :

لم يفرق الاسلام بين الناس فى النظرة الانسانية بسبب العقيدة أو الدين ، فاذا لم يكن هناك حرب ولا عدوان فلا فرق بين مسلم وغير مسلم فى مظاهر المساواة الثلاثة السابقة : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يحرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » (الممتحنه : ٨ — ٩) .

ويمنح الاسلام حقوقا مساوية للمشركين المعاهدين عند الاعتداء على الدماء ، فيوجب نفس الدية والكفاره الواجبتين بقتل المؤمن خطأ : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله ، الا أن يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة » (النساء : ٩٢) .

وهذا نقيض ما تفعله بعض الدول الحديثة فى الشرق أو الغرب أو فى أفريقيا من تعمد افناء المسلمين وتشريدهم فى الآفاق .

كما أنه ليس فى الاسلام ما يعرف بطبقة رجال الدين الذين يتمتعون بامتيازات معينة أو لا يخضعون للقانون .

٤ — النسب :

ان من أصول الاسلام الثابتة قطعا ألا تأثير للنسب فى مركز الانسان ، ولا فى المفاضلة بين الناس ، قال الله تعالى : « فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » (المؤمنون : ١٠١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا صفية بنت عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد يا بنى عبد المطلب : انى لا أملك لكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم » (رواه الترمذى عن

عائشة رضى الله عنها) وفى عبارة أخرى مماثلة : « يا معشر قريش لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا » (رواه البخارى ومسلم) .

وفى نداء آخر من الرسول موجه لقومه وأقاربه : « يا بنى كعب بن لؤى ، انقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف ، انقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم انقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد ، انقذى نفسك من النار ، فانى لا أملك لك من الله شيئا » (رواه البخارى فى الادب المفرد عن أبى هريرة) أى أن قرابة الرسول عليه السلام لا تفيد أحدا شيئا ولا تكون سبيلا للمفاضلة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم محددا الغاء دور النسب فى الاعمال بصفة نهائية : « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (رواه مسلم عن أبى هريرة) .

وبذلك تقرر فى الاذهان ألا نفع لغير العمل ، قال عمر بن الخطاب : « والله لئن جاءت الاعاجم — غير العرب — بالاعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » وفى كتاب عمر الى سعد بن أبى وقاص : « ان الله ليس بينه وبين أحد نسب الا بطاعته ، الناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » .

٥ — الحسب (ما تعده من مفاخر آبائك ، أو المال ، أو الدين ، أو الكرم ، أو الشرف فى الفعل ، أو الفعال الصالح ، أو الشرف الثابت فى الآباء) :

ان الاعتماد على الحسب أمر موهوم أيضا ، فصاحب الحسب الشريف لا ميزة له على غيره فى تطبيق أحكام الشريعة ، ففى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقعت حادثة سرقة من امرأة قرشية ذات حسب ونسب ، واسمها فاطمة المخزومية ، فأتى أهلها أسامة بن زيد ، فكلموه ، فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا أسامة لا أراك تشفع فى حد من حدود الله عز وجل ، ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فقال : انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف (الضعف هنا : الصغار فى المجتمع) قطعوه ، والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية » (رواه أحمد ومسلم والنسائى) .

وفى فاتحة التاريخ الاسلامى واقعة أخرى مشهورة وهى : لما أسلم جبلة بن الايهم الغسانى ، وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذن له عمر ، فخرج اليه فى خمسمائة من أهل بيته ، وأمر جبلة مائتى رجل من أصحابه ، فلبسوا السلاح والحرير ، وركبوا الخيول معقودة أذنابها ، والبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه ، فلما انتهى الى عمر رحب به والطفه وأدنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة . فبينما هو يطوف بالبيت ، وكان مشهورا بالموسم ،

اذ وطىء ازاره رجل من بنى فزارة ، فانحل ، فرفع جبلة يده ، فهشم أنف الفزارى فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه ، فبعث الى جبلة، فأتاه ، فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، انه تعمد حل ازارى ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقررت فاما أن ترضى الرجل ، واما أن أقيده (القود : القصاص أى العقاب بالمثل) منك . قال جبلة : وماذا تصنع بى ؟ قال : آمر بهشم أنفك كما فعلت ، قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سوقه وأنا ملك ؟ قال : ان الاسلام جمعك واياه، فلست تفضله بشىء الا بالتقى والعافية قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا ، فانك ان لم ترض الرجل أقدته منك . قال : اذاً أتنصر ، قال : ان تنصرت ضربت عنقك ، لأنك قد أسلمت فان ارتددت قتلتك .

ثم استمهل جبلة الى الغد ، وفى جنح الظلام فر مع خمسمائة رجل من قومه الى بلاد الروم ، فدخل الى هرقل ، فتنصر وقومه (أنظر تمام القصة فى سيرة عمر بن الخطاب للاستاذ على الطنطاوى وأخيه ناجى : ١/٣٦٠ ، الطبعة الاولى) .

فهذا تطبيق عملى حاسم لمبدأ المساواة فى العقوبات ، حيث لا مجاملة ولا محاباة ولا استثناء قل أن نجد نظيره فى تاريخ الامم .

٦ ــ المنصب والجاه وسلطان الحكم :

سوى الاسلام بين الحاكم والمحكومين ، والولاة والرعية أمام القانون والقضاء ، فلم يجعل لصاحب المنصب أو الولاية أى امتياز على غيره فى تطبيق أحكام الشريعة، قال النبى صلى الله عليه وسلم قبيل انتقاله الى الرفيق الاعلى : « ألا من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى فليستقد (أى فليقتص) ، ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضى فليستقد منه » (رواه الفضل بن عباس فى الكامل لابن الاثير : ٢/١٥٤) .

وكان الخلفاء الراشدون بعد النبى صلى الله عليه وسلم يعلنون فى أول خطبة سياسية لهم : « انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ؛ أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليكم » .

فليست ذات الحاكم مقدسة أو مصونة ، وانما هو وغيره سواء . كذلك ليس فى الاسلام امتيازات خاصة بالاسرة الحاكمة أو ما يسمى بطبقة الاشراف .

فهذا عمر بن الخطاب يقيم عقوبة الحد على ولده عبد الرحمن عندما شرب شرابا مسكرا ، وكتب الى واليه عمرو بن العاص يهدده بالعزل ويؤنبه حينما بلغه أنه جامل ابن عمر فى اقامة حد السكر عليه (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ١/٢١٨ وما بعدها) .

وقدم رجل قبطى من أهل مصر شكوى الى أمير المؤمنين عمر ، فقال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل ، فأقبلت فرسى ، فلما رآها الناس ، قام محمد بن عمرو

(والى مصر) ، فقال : فرسى ورب الكعبة ، فلما دنا منى عرفته فقلت : فرسى ورب الـــكعبة ، فقام الى يضربنى بالسوط ، ويقول : خذها وأنا ابن الاكرمين ، وبلغ ذلك عمرا أباه فخشى أن آتيك ، فحبسنى فى السجن ، فانفلت منه ، وقد أتيتك . فلم يزد عمر الخليفة على أن قال له : اجلس . ثم كتب الى عمـــرو : اذا جاءك كتابى هذا فأقبل ، وأقبل معك بابنك محمد ، وقال للمصرى : أقم حتى يأتيك .

وفى وسط جمع كبير من النـــاس بعد أن قدم عمرو وابنه ، قال عمر للمصرى : دونك الدرة فاضرب بها ابن الاكرمين . فضربه حتى أثخنه ، وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين ، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه . قال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى .

ثم قال الخليفة عمر : أيا عمرو ، متى تعبدتم (استعبدتم) الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ فجعل يعتذر ويقول : «انى لم أشعر بهذا» (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ٢٣٩/١ وما بعدها) .

وشكا يهودى على بن أبى طالب فى خصـــومة ، فأحضرهما عمر ، وقال عمر لعلى : قف يا أبا الحسين بجانب خصمك ، فتأثر على ، فقال له عمر : أكرهت يا على أن تقف الى جانب خصـــمك ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيتك لم تسو بينى وبينه ، اذ عظمتنى بالتكنية ، ولم تكنه .

وجمع عمر عماله (أى ولاته) فى موسم الحج ، ثم قام فقال : « أيها الناس ، انى والله ما أبعث اليكم عمالى ليضربوا أبشـــاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أبعثهم اليكم فيعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الى ، فوالذى نفسى بيده لأقصنه منه » (المرجع السابق : ٢٢٦/١) .

٧ ـــ الغنى والمال :

لا فرق فى الاســـلام بين غنى وفقير ، وانما الاغنياء والفقراء سواء أمام الشرع ، فلا ألقاب ولا امتيازات للاغنياء ، ولا احتكارات ولا استغلال ولا استعباد ولا اقطاع لشريف ، وانما التقدير للعمل والـــكفاية قال تعالى : « وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ، الا من آمن وعمل صالحا ، فأولئـــك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم فى الغرفات آمنون » (سبأ : ٣٧) « واصـــبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبـــع هواه وكان أمره فرطا » (الكهف : ٢٨) ، « يأيهـــا الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقـــيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » (النساء : ١٣٥) .

وكان عمر بن الخطاب يرى أولا المفاضلة فى العطاء من بيت المال ، ثم لما رأى المال قد كثر ، رجع الى رأى أبى بكر آخذا فى التسوية بين الناس فى القسمة ، وقال : لئن عشت الى قابل ، لألحقن آخر الناس

بأولهم حتى يكونوا فى العطاء سواء، فتوفى رحمه الله قبل ذلك » (سيرة عمر ، المرجع السابق : ٢٦٥/١ ، ٢٧١) .

ولم يقسم عمر الاراضى المفتوحة فى العراق والشام ومصر بين الغانمين الفاتحين ، حتى لا يأتى الذين بعدهم فلا يجدون شيئا لهم (الخراج لابى يوسف : ص ٢٨ — ٣١) .

قال أبو بكر الصديق فى أول خطبة له بعد استخلافه : « الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله » .

٨ — الشهرة والسمعة :

ان الشهرة أو السمعة الادبية عن الشخص فى العلم أو الدين أو الخلق لا تجعل له ميزة عن غيره فى استحقاق جزاء فعل ارتكبه أو باعفائه من التزام واجب مفروض عليه ، فهو وغيره من الناس العاديين أو المغمورين أو الجاهلين سواء أمام حكم الشرع فى المثول أمام القضاء . وأما اشادة القرآن بالعلم فى قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (الزمر : ٩) فالقصد منها تعظيم قدر العلماء المستقيمين ، وأنهم يستحقون جزاء أوفى .

٩ — العمر أو السن :

الناس كبارا وصغارا بالغين سواء أمام الحق ، وفى مجال التنافس الشريف ، وفى الولايات وادارة الاعمال، فقد ولى النبى صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد الشاب قيادة الجيش وفيه أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة .

وأما تقديم الاكبر سنا فهو فقط فى مجال المجاملات الادبية كالدخول والخروج والتوقير والاحترام والاطعام والمساعدة ونحو ذلك ، قال غلام لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : « أصلح الله أمير المؤمنين ، انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا ، وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه . ولو أن الامر يا أمير المؤمنين بالسن ، لكان فى الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك . فقال : صدقت ، قل ما بدا لك .

١٠ — نوع الحرفة :

ليس فى الاسلام حرفة أو مهنة مبتذلة ، وأخرى شريفة ، ويقدس كل صاحب عمل لعمله ، ولا يؤثر ذلك على مركزه الحقوقى اطلاقا ، فكل عمل ضرورى للامة ، ولا بد من تقدير ذوى الحرف لما فى ذلك من عود النفع على الآخرين ، فقد ذكرنا سابقا أن عمر بن الخطاب مر يوما بمكة ، فرأى الخدم وقوفا لا يأكلون مع سادتهم، فغضب ، وقال لسادتهم مستنكرا صنيعهم : « مالقوم يستأثرون على خدامهم ؟ » ثم يدعو الخدم للاكل مع السادة فى اناء واحد . وقال الله سبحانه : « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ،

ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » (الزخرف : ٣٢) أى ليسخر بعضهم بعضا فى الاعمال لاحتياج كل واحد من البشر الى غيره .

١١ ـ المحبة والبغض :

ان عاطفة المحبة أو الكراهية ينبغى الا تؤثر فى ميزان العدالة والحق والمساواة ، قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله (أى كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لاجل الناس والسمعة) شهداء بالقسط (أى وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور) ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، (أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل فى كل أحد صديقا كان أو عدوا) ، أعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » (المائدة : ٨) .

ومن الوقائع العملية للتغلب على عاطفة البغض أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجل : انى لا أحبك . فقال : أتنقصنى شيئا من حقى ؟ قال : لا ، قال : فما يفرح بالحب بعد هذا الا النساء .

وخلاصة القول أن الاسلام كان شعاره منذ بدء أمره هو اقرار واحترام حقوق الانسان بشكل كامل، فهو الشريعة الفريدة بين الشرائع التى ضمنت توفير ذلك الاحترام من الناحية التطبيقية العملية ، وذلك يعنى أنه لم تقتصر على مجرد اعلان ما يسمى مجددا بحقوق الانسان ، ولاسيما احترام مفاهيم الكرامة الانسانية والحرية والعدالة والاخاء والمساواة ، وانما كان القضاء الاسلامى مثلا رائعا فى تنفيذ وتطبيق تلك المفاهيم ، حتى أن أعمال المسلمين اصطبغت بهذا اللون الاخاذ من المساواة المادية والمعنوية فى عباداتهم وأعرافهم وتقاليدهم وتعاليمهم وأحكامهم القضائية حتى مع غير المسلمين .

ومرجع تحقيق المساواة هو السلطة ، فالحكومة الاسلامية منوط باختصاصها لا باختصاص الافراد تحقيق المساواة نظريا وعمليا . وما على السلطات الحكومية القائمة الآن الا أن تحذو حذو الاسلام فى هدم الطبقية ونبذ التفرقة العنصرية وازالة كل الفوارق التى تتنافى مع كرامة الانسان والشعور بالمعنى الانسانى الصحيح ، وبذلك يسقط امتياز النسب أو المال أو ارستقراطية المواهب والفضائل أو أى أرستقراطية اخري تقوم على الفكر أو التجمع أو العنصرية القومية أو الدينية أو الايدلوجية : « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

مظهر التقوى في أدب العرب

للأستاذ منذر شعار

كان الادب العربى مزاج ما بين الدين وغليان النفس ، كما تمزج الكهرباء اليوم النور والحركة ، فمن ينظر فى أدب العرب بعد الاسلام يجد شعرا ونثرا عريضين مرتاحين لانبساط النفس ، سيالين برغباتها ومكنونها ، ولكنه ان أنعم النظر وألقى قلبه وراء السطر والقافية أحس الدين ، وما من شك فى أن الاسلام حين مس العرب هزهم هزة مباركة ظلت ، عبر القرون ، تحدو مواكبهم — جيوشا وأنفسا — نحو مجد الحياتين .

فما يعقل أن يسلم العرب مناهج وسبل دولة ولا يسلم أدبهم ، بل ان الكلمة المهتزة تسبق غيرها من جوانب الكون البشرى الى الدين ، ومهما يلقها العربى فى جريان الادب ومهما يلبسها من لبوس ، فان التقوى وراءها ان لم تكن بمظهر الطيلسان فهى بسر الكهرباء . ولا نريد من هذا القول شعر الزهد والتصوف وذكر الموت والآخرة ، ولكننا ننساق فى ركب الادب المحض حيث لا يظن ظان أن تقوى وراءه فننظر ونغوص ونلمس فاذا الدين قائم فى كل معان واذا التقوى موجودة وراء الحركة النفسية التى منها القافية والكلمة والادب العريض ، واذا بنا نرى أن العرب أسلمت بقوة واتساع حتى لقد أسلمت خلجاتها البعيدة وأغوار عواطفها السحيقة . وبدا ذلك فى أدبها عبر العصور فكان للتقوى مظهر فى الادب الذى هو حرية فى التفكير وربما شطحة فى الخيال .

ولسنا نريد ههنا الا حوادث من التقوى لطيفة جرت على هامش الادب ، فى تلك الاحوال التى تصنع نفسها ولايصنعها المرء ، بل تصنعها التقوى المستكنة فى نفوس أولئك الذين كانوا دعاة الله فى أرضه مهما يتقلب بهم الزمان .

من ذلك ما رواه أبو العباس المبرد قال : نزل اعرابى من طيء يقال له المثنى بن معروف بأبى جبر الفزارى ، فسمع الطائى أبا جبر — وهما يتسامران — يقول : والله لوددت أنى أبيت الليلة خاليا بابنة عبد الملك بن مروان ، كلام جار مجرى ما يسمى اليوم « اللامبالاة » ، ولكن الطائى ينتبه للكلمة ، ولا تمر على حسه النقى ، وتقواه الفطرية مرورا غبيا ، يتمنى الفزارى وهو المضيف ، أن يبيت ليلة خاليا بابنة الخليفة القرشية الجميلة !!. فى كلام معتاد هاذر .. فلا يحبس الطائى نفسه عن أن يسأل مضيفه : أحلال أم حرام ؟؟ نعم .. تحديد للفكرة وتقييد للكلمة العابرة ، انه لا مزاح فى عالم التقوى ولا شطط ، والمسلم أبدا جاد ، لــه من نفسه على نفسه رقيب ، ومن دينه وعقله على لسانــه محاسب ... أحلال أم حرام ؟ ولكن المضيف الفزارى فى نشوة السمر ، وبحبوحة الترف الطامع ، والامنية المتمردة ، وهو يحسب أن الكلام حر ، والفكرة مشاع ، فيقول مجيبا : ما أبالى !!.. فيثب عليه الطائى الضيف فيضرب رأسه برحالة (١) ، ويمضى عنه قاليا ضيافته . وكأن شيئا كالنار فى ذهنه يدور ويشتعل ، كيف يبيح مسلم لنفسه شطط الحديث بلا تقوى ولا جلال ، وهل نساء الامة عرض فمن شاء مزقهن بأمانيه فى غير تحرج ، شيء كثير عنيف دار حينئذ بذهن المثنى ، ولكنه سلسله رقيقا لطيفا فى هذه الابيات :

أبلــغ (٢) أمير المؤمنين رسالـــة	على الناى أنى قد وترت أبا جبر
كسرت على اليافــوخ منه رحالــة	لنصر أمير المؤمنين وما يــدرى
على غير شيء غير أنى سمعتــه	بنى بنساء المسلمين بــلا مهر (٣)

هذه الابيات هى التى قربت الحادثة من بساط الادب . وهى التى — من بعد — خلدتها على العصور ، وكان المثنى الطائى تقيا حتى الغايــة ، لم ينس تقاه فى ساعة السمر والحديث المغامر ، فكان ممن يحاسبون أنفسهم وغيرهم على ما يظن الآن أنه سهل يسير ، وما هو بيسير ، لأن المتساهل بالفكرة مؤداه أن يتساهل بالعمل ، وهذا — اذن — ضوء ساطع من أضواء التقى فى أدب العرب ، كثير الدلالــة على الحساب الجــاد للنفس واللسان ، ظاهره الخشونة وباطنه التحرج أبــدا من الاثــم وما يدانيه .

ومما يروى من هذه الدلائل ما ساقــه الاصفهانى فى أخبار الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة ، وهو شاعر فحل من أصحاب المعلقات ، وهن مذهبات شعر الجاهلية ، ومعلقته كبيرة الشهرة فى المعلقات وأولهــا :

عفت الديــار . محلهــا فمقامهــا	بمنى تابــد غولها فرجامهــــا

وكان لبيد قد أدرك الجاهلية والاسلام جميعا ، وحسن اسلامه حتى أنه لم يقل شعرا بعد الاسلام الا نثرات فى الملمات ، فروى عنه الاصفهانى هــذا الخبر قال : « لم يسمع من لبيد فخر فى الاسلام غير يوم واحد ، فانه كان فى رحبة غنى (٤) مستلقيا على ظهره ، قد سجى نفسه بثوبه ، اذ أقبل شاب من غنى فقال : قبح الله طفيلا (٥) حيث يقول :

جزى الله عنا جعفرا (٦) حيث أشرفت	بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملـــونا ولو أن أمنــــا	تلاقى الذين يلقون منا لملت

ليت شعرى ما الذى رأى من بنى جعفر حيث يقول هذا ؟ قال فكشف لبيد الثوب عن وجهه وقال يا ابن أخى . انك أدركت الناس وقد جعلت لهم شرطــة يزعون بعضهم عن بعض ، ودار رزق تخرج الخــادم بجرابها فتاتى برزق أهلها ، وبيت مال يأخذون منه أعطيتهم ، ولو أدركت طفيلا يوم

---

(١) الرحلة : السرج ، أو من جلود لا خشب فيه/القاموس/غير أن سياق الابيات بعد يقتضى أن فى الرحالة خشبا .

(٢) البيت مخروم عروضيا ، والخرم حذف فاء فعولن وأكثر ما يكـــون هــذا فى صدر الطويل .

(٣) عن كتاب الكامل للمبرد ج ١ ص ٣٥٤ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥١ .

(٤) هم بنو غنى بن أعصر ، احدى قبائل مضر .

(٥) طفيل بن عــوف . أحد شعراء الجاهلية الكبار ، وكان وصافا للخيل .

(٦) هم بنو جعفر بن كلاب ، قبيلة الشاعر لبيد وفخره الادنى ، والمعنى اذن . جزى الله قبيلة جعفر .

يقول هذا لبنى جعفر لم تلمه . ثم استلقى وهو يقول : استغفر الله ، فلم يزل يقول استغفر الله حتى نام (١) . فأكرم بهذه تقوى مزهرة ، وأحسن بلبيد مسلما حسان (٢) بالـدين على رهافـة وحصافة ، فانه كان تقيا مع كونه شاعرا أديبا ، وفحوى القصة هـذه أن الشاب الغنوى مـر بلبيد وهو من بنى جعفر ، فتعجب من أبيات كان قالها فى الجاهلية الشاعر طفيل الغنوى يمدح بنى جعفر قوم لبيد ، ويقول ما كان طفيل صادقا أو مصيبا للحق فى مدحـه بنى جعفر ، فيسـتاء لبيد ويزيح الثوب عن رأسه ويرد عليه بتلك الكلمات البليغـة . ولكن لبيدا بعد أن رد العيب ونافح عن قومه . تذكر على الفور أن الفخر محرم فى الاسـلام ، فرجع يستغفر الله مرددا تائبا مع أن الذى قاله ليس شيئا ازاء الفخر القديم المتعصب الطاغى ، وما هو ههنا الا رد لجاحد ، ليس غير ، بكلام عذب فيه علم وحقيقة ، ولكن لبيدا التقى كره كل ذلك ، واستغفر من جمـاح لسانه ، وندم ندما شديدا دل عليه ترداد الاستغفار حتى أخـذه النوم . وهـذا كله لا يكون لـولا التقـوى البعيدة الغور فى نفس لبيد المسلم المؤمن ، ولا عجب ، فلبيد كانت لـه أخبار فى الاسلام حسان ، وهو القائل فى الجاهلية :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محـالة زائـل

وهو القائل فى الاسلام :

ان تقوى ربنـا خير نفـل ... وباذن اللـه ريثى وعجـل

أحمد اللـه ولا نـد لـه ... بيديـه الخير ما شاء فعـل

من هـداه سبل الخير اهتـدى ... ناعم البـال ومن شاء أضـل

وقد روى لـه صاحب الاغانى خبرا جميلا بليغـا فى الدلالـة على حسن التقوى فى أدب العرب ، وفحوى الخـبر أن عمر بن الخطـاب رضى الله عنه كتب الى عاملـه على الكوفـة المغيرة بن شعبة أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوه فى الاسلام ، فأرسل المغيرة الى الشاعرين المفردين فى مصره : لبيد والاغلب العجلى ، فأما الاغلب فقال للمغيرة :

أرجـزا تريـد أم قصـيدا ... لـقد سألت هينا موجـودا

واستمهلـه حتى يكتب ما أحدث ، وأما لبيد فجـاء يوم الموعد ومعه صحيفة ، فقدمها الى المغيرة، فنظر فيها المغيرة فاذا فيها سورة البقرة . وتعجب المغيرة والتفت الى لبيد ، فاذا هو مبتسم يقول : أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر (٣) . انه لجواب ، وانها لتقوى ظاهرة ، فلبيد يعـلم أن الشعر مكروه فى الاسلام ، خلا شعرا ينافح به عن دين الله فى ظرف مخصوص ، وأن آيات الله حلت محل أبيات الشعراء فى العظـة والعلم والجمال الادبى ، واستولت تقـاه على منافذ نفسه وسكنت حينا وبرزت وقت الحاجة كأحسن ما تكون ، وكانت ألطف ما تزين بـه صحائف الادب ودواوين الشعراء .

وقد كانت التقوى مبسوطة فى نفوس العرب نساء ورجالا ، فقد روى أن عزة صاحبة الشاعر المشهور كثير بن عبد الرحمن دخلت على الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقال لها : أنت عـزة كثير ؟ فأجابت : أنا عزة بنت حميل الضمريـة .. كأنها كرهت أن تنسب الى شاعر غريب عنها ، يشبب بهـا ، ويشهرها بالحب ، مع أن كثيرا قال فيها ما تنحنى على جماله الثريا ، وتنبسـط لرقراقة البحار ، وكانت عزة تسر بما يقوله فيها — وكان لا يقول الا خيرا — ونجد فى نفس الزهو أنهـا مهبط إلهام شاعر ، ولكنها وقت الجد ترجع الى تقواها ، وتأنف من أن تنسب الى غير الاب أو الزوج أو العشيرة ، ثم يقول لها عبد الملك : هل تروين قول كثير فيك :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدهـا ... ومن ذا الـذى يا عز لا يتغـير

---

(١) عن الاغانى للاصفهانى ج ١٥ ص ٣٩٦ — ٣٦٧ ط بيروت دار الثقافـة .

(٢) حسان . شديد الاحساس ، وهو فعلان من الحس كقولك عطشان من العطش . وهو أجود مـن قولهم « حساس » .

(٣) الاغانى ج ١٥ ص ٢٩٧ — ٢٩٩ .

وظاهر من هذا البيت أن عزة تتهالك على كثير ، فقالت للخليفة : لا أعلم هذا ولكنى سمعتهم يقولون :

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت   من الصم لو تمشى العصم زلت (١)
صفوحا فما تلقاك الابخيلـة   فمن مل منها ذلـك الوصل مـلت (٢)

وهما بيتان لكثير فى عزة يصف هجرانها وقسوتها ونفورها من الوصل وبعدها من الريبة ، وتمام الخبر أن عبد الملك أمر أن تدخل عزة على زوجه عاتكة بنت يزيد ، فدخلت فسرت بها عاتكة ثم قالت لها : أخبرينى ياعزة عن قول كثير فيك :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه   وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان ذلك الدين الذى له عليك ؟ فقالت عزة : قبلة وعدته إياها ثم أخلفت . فتقول عاتكة : هلا كنت قضيتها له وعلىَّ إثمها . يقول الراوى : ثم ندمت عاتكة على هذه الكلمة ، واستغفرت واعتقت عنها أربعين رقبة . (٣) فهذا خبر مزدوج فيه أدب ، وعلى الادب التقوى ظاهرة ، فعزة تأنف من قران اسمها وحالها باسم كثير وحاله ، ولا مانع الا تقوى الله ، وكثير يصف هذا منها فى شعره ويذكره أليما لـه . مع أن المعشوقات كن يجبن الشعراء فى الجاهلية ، كما يدل على ذلك قول امرىء القيس :

ويا رب يـوم قد لهوت وليلة   بآنسة كأنها خط تمثـال (٤)

وجل الشعراء الجاهلين قد ذكروا استجابة حبائهم لهم ، ووصفوهن وصفا ماديا حتى اذا جاء الاسلام تحرجت النساء ، ومنهن التقى كالذى رأينا من عزة ازاء كثير وأحسن من ذلك وأدل على حس التقوى فى غضون الادب نـدم عاتكة بنت يزيد على حماستها لكثير وعلى تمنيها لو أن عزة أجابت كثيرا الى القبلة ، ثم استغفارها وعتقها لذلك أربعين رقبة ، وكل ذلك من أجل كلمة عابرة قالتها فى جريان الحديث وأخذ الحماسة والرقة ، نـدم فاستغفار،فاربعين رقبة . كم كان خوف عاتكة من الله شديدا ومحاسبتها لنفسها كبيرة ، حتى فعلت ما فعلت . وهذه تقوى شديدة . ونعم قوم يحاسبون أنفسهم على خلجات وكلمات ، ونعم ما طرزت به تقوى القلوب آداب العرب .

وان أكرم مظهر للتقوى فى أدب العرب ماحدث فى ضرام الحب البدوى والقروى بعد الاسلام ، فمما لا شك فيه أن العرب كانوا ذوى نفوس مرهفة رقيقة ، وحين استولى الدين على هذه الانفس ، ثم جاشت غوارب الحب اصطرع الهوى والتقى،فنجم حب مطهر صاف ما فيه ريب ، وحفظت لنا الكتب أخبارا عظاما من أولئك العشاق الذين انتصرت فيهم التقوى على الهوى ، وغنى شعرهم ذلك النصر ، فهذا الشاعر جميل بن معمر يقول لبثينة فى أعلى أحوال الغرام .

وأنت التى أن شئت كدرت عيشتى   وان شئت ، بعد الله ، انعمت باليا (٥)

فهو حين ألقى نفسه على سجية هواه وجعل بثينة سبب سعادته وشقائه تذكر — والبيت لم يكمل — أنه مسلم وأنه قبيح به أن يقول الشطط ، ويتعدى الدين ، فاستدرك وهو حيران ولهان ،

---

(١) العصم . ج أعصم وهو الوعل فى ذراعيه أو احداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . والوعول مسكنها الجبال ، والصخرة أشد ما تكون اذا كانت ملساء تزلق عليها الوعول مع مرانها عليها ، وعزة اذا ناداها العاشق كتلك الصخرة الهائلة فى عدم الجواب .. بلاغة فى وصف العفة واستطراد من عزة لوصف الصخرة .

(٢) صفوحا : هاجرة تخيلة ممرضة ..

(٣) أتم ما رويت به هذه الحادثة الادبية جاءت فى كتاب « ثمرات الاوراق » ، لابن حجة الحموى ص ٣٨ المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٣٠٠ هـ .

(٤) الديوان ص ١٠٧ طبعة لسند وبى سنة ١٩٢٠ المطبعة الرحمانية بمصر . والبيت مقبوض عروضيا عند قوله « بآنسة كأنها » ولم يكن الا القدماء يأتونه ههنا .

(٥) ديوان جميل ص ٧٥ طبعة صادر بيروت .

فقال : « بعد الله » فجــاء استدراكه ههنا نصرا للبلاغـــة وللتقوى جميعا ، فما أحسن « بعد الله » هنا فى حس الفن الادبى الشعرى ، وما أحسنها فى معنى التقوى وحساب النفس أمام دين الله .

ومن هذا النوع قول جميل فى موضع آخر من ديوانه :

أصلى فأبكى فى الصلاة لذكرها لى الويل مما يكتب الملكـــــــان (١)

فشعوره بمن يكتب عنه حسناته وسيئاته غاية التقوى ، ومن يشعر وهو فى قوة الحب بقوة الملكين لا يكن الا تقيا على أن أحسن ما يستشهد به هنا ذلك الحوار الرائع الذى جرى ذات عصر بين عبد الرحمن القس وبين سلامة المغنية ، وكانا متحابين متعاشقين كاقوى مايكون بين الرجل والمرأة ، ضمهما يوما مجلس منفرد فماذا يقولان والهوى ضرام ، والشوق دفّاع . قالت سلامة : أنا والله أحبك .

فقال عبد الرحمن : وأنا والله الذى لا إلــه الا هو .

فقالت سلامة : وأشتهى أن أعانقك وأقبلك .

فقال القس : وأنا والله .

فقالت : فما يمنعك ، فوالله ان الموضع لخال .

فقال القس : يمنعنى قول الله عز وجل « الاخــلاء يومئذ بعضهم عدو الا المتقين » (٢) فاكــره أن تحول مودتى لك عداوة يوم القيامة . (٣) ..

وعبد الرحمن القس شاعر ، ولكنه وراء الشعر تقى ، لا يقول ولا يفعل الا صدورا من الدين ووردا اليه ، وله أشعار حسان فى سلامة وحاله ومأساته ، وهو واحد منعشرات ومئات كانوا قبل الادب أتقياء فمـــا اشتطوا وماغلوا وخلفوا للتراث العربى بدور كلام فى سماء تقوى عريضة .

وهذا المعنى العفيف الذى سيطر على غرام الشعراء كان منتشرا عند الكثرة الكثيرة ، ونقدة الشعر أجمعوا على أن الاسلام كان هو السبب فى نشوء الحب العذرى المعروف ، وظل هذا النهج حتى عصور بعيدة من تاريخ الاسلام ، يـــدل على ذلك قول الشاعر أبو عبيد اللــه ابراهيم ابن عرفـــة :

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى منه الحياء ، وخوف الله ، والحذر

أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم وليس لى فى حـــرام منهم وطـــر

كذلــك الحب ، لا اتيـــان معصية لا خير فى لذة من بعدها سقر(٤)

ويقول هذا الشاعر أيضا :

ليس الظريف بكامل فى ظرفـــه حتى يكـــون عن الحـــرام عفيفـــا

فاذا تعفف عـــن محــــارم ربـــه فهناك يدعى فى الانام ظريفـــا (٥)

وقد كان من مظاهر التقوى على هوامش الادب أن يرغب الممدوح بمدح الروح فوق مـــدح الجسد ، وبان يوصف بما يناسب الدين أكثر مما يناسب الدنيا . كالذى جرى بين الخليفة عبد الملك ابن مروان والشاعر عبد الله بن قيس الرقيات ، فقد كان هذا الشاعر مختصا بمصعب بن الزبير ، يمدحه ويهاجم بنى أمية ، فلما قتل عبد الملك مصعبا وتمزق أمر الزبيرية آب عبد الله الرقيات الى عبد الملك . فدخل عليه يمدحه بقصيدة أولها :

عادلـــه من كثيرة الطــــرب فعينــــه بالدمــــوع تنســـــكب

حتى اذا وصل الى قوله فى عبد الملك :

أن الاغـــر الـــذى أبوه أبو الـــ ـــعاصى عليه الوقار والحجب ٦)

---

(١) ديوان جميل ص ٧٧ طبعة صادر بيروت .

(٢) الآية ٦٧ من سورة الزخـــرف .

(٣) آثرنا نقل هذا الحوار من كتاب وحى القلم ج ١ للرافعى ، وهو مبثوث فى كثير من كتب الادب .

(٤) عن زهـــر الآداب ج ٣ ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٥) عن زهر الآداب ج ٣ ص ١٥١ .

(٦) أبو العاصى بن أمية جد عبد الملك ، وهو أيضا جد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) .

يعتـدل التاج فـوق مفرقـه على جبين كأنـه الذهـب

صاح فيه عبد الملك . ما زدت على أن جعلتنى علجا من أعلاج العجم ، هلا قلت فىَّ ما قلته فى مصعب .

انما مصعب شـهاب من اللـ ـه تجلت عن وجهـه الظلمـاء
ملكـه ملـك عـزة ليس فيـه جبروت ولا بـه كبريـاء (١)

رغب الخليفة عن مدح الدنيا الى مديح الآخرة ، وكره أن يشبه بذوى التيجان من الاعاجم ، وأحب صفات تقربـه من الدين ، ولا سبب الا التقوى التى يستشعرها إزاء كل عمل . وعبد الملك كان قبل الخلافة يسمى حمامـة المسـجد لطول ملازمته المسجد الحرام فى مكة المكرمة .

ورغبة الامراء والخلفاء فى مديح دينى ورغبة الشعراء فى ذلك كثيرة فى شعر العرب وان خفى بعض الاحيان على النظر الاول ، ولا عجب أن يرغب فى ذلك معشر لم يزالوا يرددون قوله تعالى (أن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٢) ، فيتسامون لذروة التقوى فى قول وفعل ، ومن الادلـة على ذلك بائية أبى تمـام فى مـدح الخليفة المعتصم يوم انتصر على الروم فى وقعة عمورية ، فهى قصيدة ذهبت مثلا أدبيا رائعا فى تراث العرب وحوت من البيان والبلاغـة والتأريخ ما لا تبلغـه قصيدة أخرى ، ولكن المتمعن فيها يجد أبا تمام حريصا على وصف ممدوحه بما يقرب من التقوى وبما يدخل أبياته العظيمة فى باب الدين من أفق واسع ، فهو يقول فى فتح عمورية :

فتح تفتح أبواب السماء لـه وتبرز الارض فى أثوابهـا القشب

ويخاطب ذلك اليوم فيقول :

أبقيت جد بنى الاسلام فى صعد والمشركين ودار الشرك فى صـبب

ويتحدث عن الخليفة المعتصم بهذا الاسلوب :

تدبيـر معتصم باللـه منتقـم للـه مرتغب فى اللـه مرتقـب

هكذا كل نأمـة عمل ، كل هجسة فكرة فهى لله وفى سبيل الله ، ثم يوضح أبو تمام وجـه التقوى فى مدحه فيخاطب المعتصم قائلا :

رمى بـك الله برجيهـا فهدمها ولو رمى بـك غيـر الله لم تصب

انه يجعل سبب النصر الله سبحانه ، فهو الذى رمى بواسطة المعتصم ، ولو رمى غير الله بواسطة المعتصم لما أصاب ولما نجح ، هكذا يربط الشاعر عمل الدنيا بطلب الآخرة ، ويلبس الخليفة القائـد وشاحا دينيا ويسره اذ يرده الى التقوى لا الى شىء سواها ، واذ يبارك لـه سعيه فى سبيل الدين ، واذ يقول لـه :

خليفة الله .. جازى الله سعيك عن جرثومة الدين والاسلام والحسب (٣)

ويختم رائعته بهذا القول العظيم الدال بقوة على ما نذهب اليه من أمر التقوى فى أدب العرب فيقول :

أن كان بين صروف الدهر من رحم موصولة أو ذمـام غيـر منقضـب (٤)
فبين أيامـك اللاتى نصرت بهـا وبين أيـام بـدر أقـرب النسـب

ومثل أبى تمام المتنبى حين مدح سيف الدولة الحمدانى اثر معركة الحدث فقال :

ولسـت مليكـا هازما لنظـيره ولكنـك التوحيـد للشرك هـازم

وهذا أمر كثير فى شعر العرب القدماء ، يصعب حصره ، أما الشعر الذى يصف أصحابه فيه عفة نفوسهم وخوفهم من الله فشىء ضخم واسع ، وانما أردنا مظهر التقوى الخفى الظاهر فى حيث لا يظن ظان أنه موجـود ، فلا شك فى أن كثيرا من أدباء العرب كانـوا أتقياء مع كونهم أدبـاء وشعراء ، وكانت يومئذ أمة سواء ذات أصالة وسداد ، تنبثق عن رشد وتنتشر برشد ، ولا ينسى انسانها أنه مؤمن حيثما جذب ، أوجذبته الحيـاة .

---

(١) القصة هذه فى الاغانى مع تغيير فى اللفظ ج ٥ ص ٧٠ طبعة دار الثقافة بيروت .
(٢) جزء من الآية ١٣ من سورة الحجـرات .
(٣) الجرثومـة : الاصـل ..
(٤) منقضب : منقطع .

وذكرهم بأيام الله

الدعوة الموسوية

نظرة في العرض القرآني لها

للأستاذ : محمد صبيح

يتحدث القرآن الكريم فى قصةموسى عليه السلام ،عن شخصيتين: هما فرعون ، وهامان .. ويصف فرعون بأنه علا فى الارض وقسم الناس الى طبقات ، استضعف طبقةمنها ، وسامها العذاب ، وكان يقتل الذكور من ابنائها .

وبعد أن عرض القرآن لرحلةموسى الى بلاد مدين ، التى وصفته فيها احدى فتاتى شيخ القبيلةبأنه ((القوى الامين)) ، جاءته النبوة ، ولخصت دعوته فى آياتبينات :

((اننى أنا الله لا اله الا أنا ،فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى .))

((ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى .))

((فلا يصدنك عنها من لا يؤمنبها،واتبع هواه فتردى .))

(طه)

ومؤدى هذه الرسالة ان النبوة فى صورتها الموسوية تدعو الى ثلاث:

* وحدانية الله ، ولا يعبد الا هو منزها عن كل شبيه ونظير .

* الصلاة لله تعالى ، أى الاتجاه بالدعاء له وحده .

* الايمان بالبعث وبالحساب فى الآخرة عن أعمال الانسان فى الحياة الدنيا . وعدم الاستجابة لمن يدعو الى غير هذه السبيل .

وقد استعان موسى على اقناع فرعون بوحدانية الاله بمنطق سهل

بسيط ، فعندما سأله فرعون عن ربه :

« قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ، ثم هدى . »

« قال فما بال القرون الاولى . »

« قال علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل ربى ولا ينسى . »

« الذى جعل لكم الارض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء . »

« فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى . »

« كلوا ، وارعوا انعامكم ، ان فى ذلك لآيات لاولى النهى . »

« منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى . »

واذن فقد تحدث موسى عن الاله الواحد ، الذى خلق وحده كل شىء وكل حى ، وهو اله الحاضر والماضى والمستقبل ، ليس قبله شىء ، وليس بعده شىء . وان من آيات وجوده هذا النبات ، ودورته حتى يصبح حياة ، ويصبح طعاما للانسان والحيوان . والله الواحد الاحد ، خلق أيضا الانسان ، ثم اماته ورده الى الارض ، ثم هو الذى يبعثه حيا فى يوم معلوم .

هذه حدود الرسالة الموسوية المبلغة الى مصر ملكها ، وقائد جيشها (هامان) ، او لعله كبير كهنتها .

الطغيان وما يجر اليه :

أما لماذا استحق حاكم مصر واعوانه هذا التبليغ من رب السماء والارض ، على لسان موسى واخيه هارون .. وما الاثم الذى ارتكبه فرعون فتحدده الآية :

« اذهبا الى فرعون إنه طغى »

فقد عد الطغيان كبيرة الكبائر ، والاثم الذى لا يعد له اثم واستحق تحذير السماء واستحق عقوبة السماء .

الطغيان هو مجانبة العدل ، والعدوان على حريات الناس وارزاقهم واعراضهم وارواحهم ..

الطغيان هو الاعتزاز بالقوة ، واهدار آدمية البشر ، وهم خلق الله .. أعظم خلق الله .. أعظم من الملائكة واجل شأنا .. هم صورة الله فى أرضه .. فمن نسى الله فى عباده ، فقد استحق هذا الوصف القرآنى . .استحق ان يكون طاغية .

ولم يكن استبداد فرعون موجها الى اليهود وحدهم ، وكانوا ضيوفا على مصر منذ اربعة قرون وبعض قرن ، ولكنه انصب أيضا على شعب مصر ، لان الطاغية لا يعرف حدا يقف عنده ولا يعرف ناسا يؤثرهم ويكرمهم ، وآخرين يبعدهم ويذلهم ، الا بمقدار ما يحقق مصلحة .

وقد كره القرآن الكريم الطغيان، وأعطى صيغة مبالغة لمن يتصف به، فهو « الطاغوت » وأحب القرآن العدل ، وحث عليه ، وجعله من صفاته تعالى ، قرن به الرحمة التى لا تميل على الضعف والضعفاء ولكن تمد لهم يد المساعدة حتى يزول ما بهم من هوان ، ويسيروا مع الناس فى مسيرة الحياة الحرة باقدام ثابتة ليس فيها مجال للخوف، ولا للتهديد به .

اذهبا الى فرعون انه طغى .. هذا هو أمر السماء . وقولا له قولا كريما سهلا ، وهو انه انسان خلقه الله ، وان الناس جميعا من خلقه ، حتى هؤلاء الذين اذلهم حكمه وهم اليهود . والله لم يخلق الناس، ولكنه خلق النبات كذلك ، وخلق الحيوان ، وخلق كل شىء . وانه هو، وليس فرعون واهب الحياة ، وهو

الذى يستردها ، فلماذا الطغيان ، ولماذا الاذى ؟ . .

وما حدث كان مقدرا له ان يحدث، فقد شاعت دعوة موسى الى التوحيد ، والى العدل بين الناس ، والى ترقب الموت والحساب فىحياة اخرى . . شاعت بين كثير من المصريين بل اعتنقها بعض امراء واميرات البيت المالك المصرى فى ذلك الوقت . .

واذن فلم تكن الدعوة الموسوية موجهة الى اليهود وحدهم ، ولا هى قاصرة على هذه القبيلة من بنى يعقوب ، ولكنها كانت دعوة عامة .

وليس عجيبا ان تكون هناك دعوة سماوية توجه الى قوم الحضارة من أبناء النيل ، بل لعلها لم تكن الدعوة الاولى . فقد سبقتها صيحة اخرى من أجل التوحيد ، ونبذ عبادة الاوثان ، صحبت وجود يوسف الصديق الى مصر ، قبل أن يتحدث بها موسى . وفى هذا نص صريح فى سورة المؤمن :

« ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب . »

وتوالت الاحداث من بعد ذلك ، فقد واجه موسى ملك مصر ، ووجه اليه دعوته فأجاب اجابة ساذجة ، وهو انه سيبنى برجا عاليا ، يصل الى السماء ، ليرى اين يوجد اله موسى، ليواجهه . ولكن هذا البرج لم يبن، على الرغم من أن مصر بلاد البناء والتشييد ، واكتفى فرعون بمواجهة عامة بين معجزات موسى ، ومايمكن ان يقوم به سحرة مصر ، وعلماؤها، وكهانها لابطال هذه المعجزات والتفوق عليها . وقد وصف القرآن كلا من هؤلاء الافراد بأنه « سحار عليم » وقد تفوق موسى ، فهو مؤيد من السماء .

وذهل فريق العلماء والكهان والسحرة لما رأووا بأعينهم . ولا بد أن هذه المباراة كانت صاعقة مفحمة، لم يملك مشاهدوها من المصريين (باستثناء فرعون وبعض اركان حكمه) من أن يخروا سجدا ، ويعلنوا على الملأ أنهم آمنوا برب موسى ، وكان تحديهم لفرعون ، يدل على شديد تأثرهم . لقد رفضوا تهديد الطاغية بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وان يصلبهم على جذوع النخل ، ويسومهم من العذات مالا قبل لبشر به . . أكثر من عذاب الآخرة فى زعمه .

فى ثقة ويقين قال هذا الحشد لفرعون الطاغية : « فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا » وقد عدوا ما كانوا فيه من عبادات وطقوس وثنية خطايا تمنوا على الله ان يغفرها لهم .

واذن فقد آمن بدعوة موسى الى التوحيد هذا الفريق الكبير من مفكرى مصر وكهانها وكانوا قد وفدوا للاجتماع الخطير من أقصى البلاد وادناها ، من الدلتا والصعيد وما بينهما . . وارجح الظن ان هذا اللقاء كان فى منف (الجيزة) فهى حاضرة البلاد الثانية بعد طيبة (الاقصر) ، وذلك لقربها من جاسان (الشرقية) حيث استقر اليهود واقاموا .

ولم تقتصر دعوة موسى على من شهد المعجزات ، بل لعل التمهيد للدعوة سبق هذا الموقف ، فان القرآن الكريم يحدثنا عن **« رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه »** ، ولا عجب أن يكون لموسى فى القصر الملكى أصدقاء وأوفياء ، فقد نشأ

فيه وعاش حتى بلغ سن الاربعين ولا بد أنه كان يتحدث عن عقيـــــدة التوحيد كما جاء بها ابراهيم الخليل، وهو حديث هامس ولا شك لم تعلم به السلطات الحاكمة ، وان كانت سجلت عندها ان موسى قتل رجلا من المصريين وانه هـرب من مصر حتى لا يحل به العقاب .

لقد تصدى هذا الرجـل من آل فرعون للملك ، عندما قرر أن يعدم موسى ، حتى لا يبدل دين المصريين جميعا .. وكان منطقه فى الدفاع عن رسول دعوة السماء ، انه اذا كان كاذبا فعليه وحـــده الذنب ، **« وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم »** . ويبدو أن هـذا المصرى المؤمن بالتوحيد كان وافـر العلم ، وافر الشجاعة ، فقد ضرب أمثلة لما حدث للظالمين من الحكام السابقين فى شعوب أخرى .

وانتهى أمر المواجهة بين ملك مصر ونبى الله موسى ، لتســـتمر باقى المعجزات التسع التى اريد بهـــا اظهار سلطان الله تعالى على الخلق جميعا ، وكل آية تكبر التى قبلها .

المسيرة الى ســينا :

وفى ليلة من ليالى الربيع المصرى أوحى الله الى موسى ، أن يســير بقومه من اليهود الى ســينا ...

وكانت مصر فى هذا الفصل من العام بادية الرونق ، مروجهـــا مزهرة ، وقنواتها جارية ، ولقـــد أصاب بعض الاضطراب جنبـــات الحياة ، على يد موسى ومعجزاته التسع ، فان آخر منظر رآه اليهود فى مصر مما لا ينمحى من الذاكرة . وقد ورد وصف سريع فى ذلك الوقت ضمن ما تحدث به القرآن عن خروج اليهود .. قال :

« كم تركوا من جنات وعيون » .
« وزروع ومقام كريم » .
« ونعمة كانوا فيها فاكهين » .

وما اكثر ما كانت تنبت مصر من أصناف الغذاء .. « من بقلهـا ، وقثائها ، وفومها (١) ، وعدسها ، وبصلها » .. وما أكثر خير النيـل عندما كانت أسماكه تغذى النـاس بأشهى غذاء .. ولكن هذه الوسائل الميسرة للحياة ، لم تكـن كافيـــة لتشعر اليهود ، وشعب مصر مـن حولهم بالراحة النفسية والرفاهيـة الحقيقية ، طالما أن سلطان القانون قد اختل فى يد حاكمهم ، وهانت عليه أرواح الناس وأموالهم فكان طاغية، وحق لليهود وهم غرباء عن البلاد ، أن ينجوا بأنفسهم ، متبعين داعيهم الاكبر موسى الكليم ، وأخاه هارون .

وقـــد عرض كثير من الباحثين للطريق الذى سلكه موسى وقومـه فى خروجهم من مصر . قالت التوراة أن موسى لم يتجه مباشرة عبر سينا الى فلسطين ، حتى لا يفزع اليهود من محاربة الفلسطينيين ولم يكونوا مستعدين لهذه المعـارك ، فيعودوا ادراجهم الى مصر ، أرض عبوديتهم .

ووصفت التوراة الماء الذى اجتازه اليهود بأنه ، بحر سوف « وقـــد اخترنا من بين المراجع عن رحـلة الخروج كاتبا ، كان قنصلا للولايات المتحدة فى مصر منذ قرن من الزمان تقريبا ، او على وجه التحديد عـام ١٨٧٦ ميلادية . وقد سهل له الخديو اسماعيل القيام برحلة علمية متبعا خط سير موسى وقومه ، ودارسا على الطبيعة ، ما كان عليه طـريق العبور فى ذلك التاريخ البعيد .. هذا القنصل ، واســـمه (البرت فارمان » (٢) .

قام هذا الرحالة الامريكى برحلتين واحدة على شواطىء بحيرة المنزلة ، ثم الى موقع مدينة (زون) القديمة، أو (تانيس) كما أسماها الاغريق ، او (صان) وهذا هو اسمها الحديث .. قال فى يوميات رحلة :

« اختلفت الآراء بالنسبة للمكان الذى استقر فيه الاسرائيليون أثنـــاء اقامتهم فى مصر . فهــــؤلاء الذين يتمسكون بنظرية مرورهم بالفعـــل من المكان الذى يعتبر الآن جزءا من البحر الاحمر . يقولون ان هـــذا المكان فى اقصى الجنوب ، بينمـــا يعين آخرون ذلك المكان فى اقصى الطرف الشمالى الغربى من البـــلاد « وتدل القرائن اللغـــوية على أنه من المحتمل ان يكونوا قد احتلوا الجزء الاكبر من الاقليم الواقع فى شمال الدلتا ، وشرق فرع دمياط من النيل عندما اصبح عددهم كبيرا . ويشمل هذا الاقليم أخصب الاراضى المصرية انتاجا (كذا) . وكان كافيا لاقامـــة مليون نسمة . ولقد أصبح الجـــزء الاكبر من هذه الاراضى صــــحراء غطتها المستنقعات ، بعد ان كانت من أغنى الاراضى زراعة .

« وكان يوجـــد بالمنطقة المجاورة لبحيرة المنزلة أراض وطيئــــة تنتج الحشائش الرديئة التى تتغذى عليها الماشية . وكانت تحد شرقا بالصحراء التى تنتج من النباتات فى كثير من الاماكن فى فصـــل الشتاء ما يكفى لتغذية عدد محدود من الماعز والاغنام .. وكان يبلغ عدد ذرية يعقوب وقت نزولهم مصر ستا وستين نفسا .. ولقد أقاموا فى بقعة صـــغيرة من الارض الخصبة المجاورة للصحراء، مثلهم فى ذلك مثل اعراب الوقـــت الحاضر . كما انهم ضموا اليها جزءا من الاراضى اللاطبـــة المجـــاورة للبحيرة . وكان هـــذا بالنسبة لهم اختيارا موفقا ، فهى حديقة فيحاء . وكان هذا هو الواقع اذا قورنتهذه الاراضى بالاراضى الصخرية الوعرة التى هاجروا منها . كانت هـــذه الارض ملائمة تماما لحياة الرعاة ، ولحفظ قطعانهم التى احضروها معهم ولأنها لم تكن مرغوبة لدى المصريين . وبعد رحلة استكشافية فى الارض المجاورة لشـواطىء بحيرة المنزلة . والوقوف عند اطلال مدينة صان عاد القنصل الامريكى وصحبه ، واذا بهم امام مفاجأة لم تكن فى الحسبان . فقد وجد القارب الذى كانوا يستقلونه فى البحيرة ابتعد بضعة أميال عن موقعه الذى تركوه فيه . وذلك لان الرياح الشمالية ترفـــع المياه وتغير مناسيبها . فهى فى وقت من اليوم ضحلة قليلة الغور يمكن السير منها بالاقدام العارية ، ونفس المـــكان فى وقت آخر موفور الماء يغطى قامات الرجال مثنى وثلاثا .

وكانت بحيرة المنزلة تمتد عشرات الاميال خارج حـــدودها الحالية ، وكانت للنيل فروع تصب منها جفت الآن ، وربما كانت البحيرات المـــرة الحالية من مخلفات بحيرة المنزلة .

يقول هذا المصدر ، وينقـــل عن الأثريين الذين عاصروه :

« فى مخطوطات التوراة القديمة، كانت الكلمات التى ترجمت بالبحـــر الاحمر هى (يم سوف) ، والكلمـــة العبرية (سوف) تعنى الأعشـــاب والبوص وسمار الحصر ونبـــات البردى .

وهى تشير الى منطقة صالحـــة للملاحة مغطاة بالنباتات المائية مثل بحيرة المنزلة . وكانت تطلعه على البحيرات والمستنقعات الواقعة فى شمال شرق مصر .. وقد صنع تابوت موسى من السوف ، أى من السمار والبردى .

ووصف رحالة قديم (ديو دورس) هذه المياه بقوله : « ان ســــــطح المستنقع الذى يمتد اميـــالا ، كان مغطى برمال جارفة تغوص فيهـــا الاقدام . .لقد غصت حتى ركبتاى تقريبا فى الوحل) .

وكانت البحيرات الضحلة ممتدة على طول الساحل ، وتكون عديدا من الخلجان ، وما بين هذه الخلجان يمكن العبور الى شاطىء البحر . وقد

ورد فى التوراه أن بنى اسرائيل فى خروجهم تملكهم الفزع و (جعل الله البحر ينحسر بواسطه ريح شرقيـــة قوية هبت طوال الليل واحالت البحر ارضا يابســـة) .

وذكر الرياح الشرقية فى هــذه الرواية يجعــــل طريق العبور بين بحيرة المنزلة والبحر الابيض حيث يمكن ان تتراجع المياه الضحلة اذا دفعتها رياح قوية كما ورد فى هذا الوصف . واستمرت معجزة العبور طوال الليل ، فلما قدم فرعون وجنده، مقتصين أثر القبائل الهاربة ، تابعوها على نفس الارض ، دون ان يتنبهوا الى أن انحسار الماء عنها ، هـــو أمر مؤقت ، فلما سكنت الريح انطبق الماء من الجانبين : جانب البحيرة ، وجانب البحر ، فغرق فرعـــــون ومن معه .

وقد ورد فى التوراة ان المياه كانت على جانبى طريق العبور كالجـدار من يمين ومن شمال وقد أدى هــذا الوصف المجازى بتصور أن هــذا الماء هو ماء البحر الاحمر ، وعلى هذا الاساس تصور سيسيل دى ميل وخبراؤه فى فيلم السينما الذى عرض لهذا الحادث ، قاع البحر الاحمــر بأعماقه البعيدة ، والماء من الجانبين أعلى من جدار كل أهرام فى البلاد .

ومحققو القـــرن الماضى الذين راجعوا طبيعة الارض المصرية على امتداد خليج السويس والبحـيرات المرة ، استبعدوا كل مـــكان الا شواطىء بحيرة المنزلة .

وكانت الحملة المصرية وراء اليهود الفارين مكونة من ٦٠٠ عربة حرب، وكانت المطاردة فى أواخر الليل ، وقد غاصت العجلات فى الوحل ، ثم ما لبث مد البحر ان غمر الطريق.

وبعد ان أوغل الاسرائيليون فى الصحراء متجهين جنوبا ، دار البحث عن جثث الغرقى ، وامكن انقـــاذ جثة فرعون ، كما ورد فى القرآن لتكون للناس عبرة . وقد وجدت جثث الفراعنة الاربعة الذين تعاقبوا فى الاسرة الثامنة عشرة الفرعونية، وأحدهم على أرجح الاقوال ، هـــو فرعون الخروج ، وجثثهم الاربعة من بين ما يحفظه متحف القاهرة .

وقد ورد فى القرآن أن فرعون ، وقد رأى الموت يحتويه ، تأكد ان معجزات الله طالته هو فهتف يعلن ايمانه ، ولكن هيهات .. تقول سورة يـــونس :

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر، فاتبعهم فرعون وجنوده » .

« بغيا وعدوا ، حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه » .

« لا اله الا الذى آمنت به بنـو اسرائيل ، وانا من المسلمين . »

« فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية »

« وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون » .

وفى هذه اللحظة الحاسمة ، يتبين لنا أن نقطة الخلاف بين العقائـــد المصرية فى ذلك الوقت ، وعقيـدة موسى هى « التوحيد » والايمـان باله واحد أحد .

وهكذا أغلق باب من هداية السماء فى مصر ، حاول اخناتون فيما بعد ان يفتحه قليلا ولكن لم تستمر محاولته ولم تفلح ، وظل الامر كذلك حتى جاء المسيح عليه السلام ، فأقبـــل المصريون على رسالته ثم جاء محمد بن عبد الله ، فكانت مصر ، وما زالت كلمة التوحيد الكبرى » .

---

(١) الفوم هو الحنطة .

(٢) كتاب مصر وكيف غدر بها تاليف البرتفارمان ترجمة المجاهد الوطنى ، من شـباب ثورة سنة ١٩١٩ الاستاذ عبد الفتاح عنـايت

أساليب مسمومة في كتب الأدب

للدكتور محمد كامـــل الفقي

اكثر شبابنا لا يفطنون حين يتلقون ثقافتهم من كتب الأدب ـــ وغيرها ـــ لما فى هذه الكتب من أساليب مسموحة ، يسرى سمها الناقع الى الافكار والعقـــول ..

أنهم يشغلون بما فى هذه الكتب من صور جديدة ، وقصص مثيرة ، عن التعبيرات الخبيثة التى لا تلتقى مع مبادىء الدين الاسلامى فى شىء . ويبيح اصحابها لأنفسهم من الحرية والانطـــلاق ما يشتهون ، دون حساب لقيم ، او مراعاة لمثل . انما هى جرأة وتبجح . يحاول بها اصحابها ، بعد الحاح ومثابرة ، أن يصلوا الى خط من الشهرة . وأن يعقدوا بينهم وبين الناشئة الفا وآصرة .

ومن عجب أن هذه الكتب تجد رواجا ملحوظا ، ويتهم بالجهل والتخلف من قصر عن النظر فيها . والعلم بها .

ان شبابنا يقرأون كتب التبشير وهم فى حذر ويقظـــة ، ويرتادون ميادينها ليعرفوا اسلحة خصومهم . ووسائل كيد هؤلاء للاسلام واهله .

والدين نفسه لا يكره أن يقرا المسلم حجة اعدائه او يناقش ما تكاد تفتن به العقول القاصرة ..

بل لعل الذى يتصدى لاحباط كيد المارقين . يجد نفسه امام حاجـــة ملحة للنظر فى هذه الضلالات ليحفظ الأغرار من خطرهـــا .

ولا سيما حين نعلم أن هنالك اكاديميات علمية فاجرة تكيد لدين الله كيدا . ولديها من العدة والمال ما تدخل به الى نفوس كثير من النشء وهم غافلـــون ..

لكن النظر فى الثقافات ، وفى الآداب المختلفة ، يعصب العيون عن الدس والتدبير اللئيم ، الذى تحتويه هذه السطور . خلف بريق وخداع واغراء .

ولقد راينا اثر هذه الاساليب فى شبه رانت على بعض العقول . بل راينا شبابنا ينقلون . وهم يدرون أو لا يدرون قولا وتعبيرا مما قرأوا لهؤلاء المارقين .

ان من شر ما يصيب المسلمين ان يعزلوا ثقافتهم عن دينهم . وأن ينظروا الى العلوم والمعارف بعين . وينظروا الى مقومات دينهم ، وفروع دستورهم بعين أخرى .

يجب أن يكون للمسلمين كيان أدبى خاص . وما ينبغى بحال أن نتميع حتى تذوب أفكارنا فى بحر لجى من الكفر والضلال .

فليس أحد من غير المسلمين بالذى يخضع علومه ومعارفه لسلطان الإسلام ، ومهما قرأ من كتبنا . فانه يعزل ما قراه — ولو فتنة — عن علومه ومعارفه .

ليست حرية الكلمة تعنى أن يهرف مسيحى فيما يخرجه للناس بتعبيرات غريبة ضالة ، ويسلط اغراءها على عقول المبتدئين فيشبوا على الفتنة بها .

ولا ازعم انى مبالغ أو مزيد اذا قلت ان البلاد الاسلامية فى أشد الحاجة الى فرض رقابة قوية واعية على كل كتاب يصل الى حدودها .

هذه فتن ومزالق ، وتلك اغراءات ومعاول . تطبع فى نفوس ابنائنا ما شاءه هؤلاء الضلال من انحراف وضلال .

وكما نسهر على عصمة أبنائنا وحمايتهم من كتب الجنس والمبادىء الهدامة . يجب أن نضع فى اعتبارنا وفى عملنا ومنهاجه أن الكتب التى تحاول أن تحل عرى العقائد ، وتجرىء على التعبير الكافر ، هى أشد خطرا وأعظم فاحشة من كتب الجنس والمبادىء الهدامة .

وليس يعز علينا ضرب الامثال بكتاب لهم هذه الرسالة النكراء .

ولا يضيق صدرنا واطلاعنا بكتب حوت هذه التعبيرات المارقة . فهى كثير وكثير .. لقد يكون فى مثل هذه الكتب ما ينفع الناس من نظريات وآراء . ومن نقد وبحث . لكنها تضيف الى ذلك هذه الحمى التى تسرى عدواها فى صمت وفى نهم .

ان ممن عرفناهم بسعة الاطلاع وغزارة البحث .ووفرة الانتاج الاستاذ « مارون عبود » . وفى المكتبة العربية فيض من آثاره . لكنى وجدته لا يقف فى حرية التعبير عند مدى . ويبيح لنفسه من الاساليب ما هو عجيب ومثير ومنكر حقا . انه راض كل الرضا عما يفعل . بل لعله فخور يملأ الزهو نفسه ، لما يجده من جدة فى تعبيره وأسلوبه .

واذا كان هو مسيحيا لا يتعارض مع كيانه ذلك الذى يقذفنا بحممه ، فاننا مسلمون ، نزن بميزان الدين القيم . كل قول . كما نزن به كل عمل .

والاستهتار طبعا هو الذى يحدو الكاتب الى أن يرسل القول على عواهنه فى هذه الأساليب ، فلا حرمة لعقيدة . ولا هيبة لدين ، أو احد

لقد اخترت كتابا واحدا من كتب هذا الكاتب لأعرض على الناس بعض ما جاء فيه . وليس كل ما جاء فيه ليفتحوا عقولهم على شىء غريب . حين يقرأون هذا التجديد .

ففى موضوع « الأدب والحياة » يقول الكاتب فى الصفحة الخامسة « .. الكلمة قوام الادب . ولولاها لم يكن شىء مما كان . فالله سبحانه وتعالى هو الأديب الأول . أنشأ

بالكلمة هذا الكون » .

وفى موضوع « ثورة على القديم » يقول فى الصفحة الثامنة : « جدد الله فى حياته الازلية الابدية مرتين الأولى حين كانت الارض خربة وخالية والظلام يسودها فقال : ليكن نور فكان نور . .. وبعد حين رأى الله أن أبناء آدم زاغوا وفسدوا فشاء أن يقوم بتجديد جديد شامل . فأرسل الطوفان العرمرم . وأفنى بنى البشر الا نفرا قالوا أنهم كانوا من الصالحين » ..

وفى هذه الصفحة يقول فى الموضوع ذاته : « ان الذين ينكرون الماضى لفى ضلال . فهم لن يفلتوا من براثن الامس . وبرهانى على ذلك أننا ما زلنا نحنى الهام عندما نذكر راسين وهو ميروس وشكبير وفرحيل وامرأ القيس وسليمان وداود ومحمد وعيسى وغيرهم » .

فقد ذكر محمدا وعيسى عليهما الصلاة والسلام مع هؤلاء ، وقدم عليهما هؤلاء .

وفى موضوع « الشيوخ والشباب » يقول فى الصفحة السادسة عشرة : « .. شباب شيوخ ، قديم جديد ، هذا نزاع أزلى سرمدى . فالملائكة ثاروا فى شبابهم على الله القديم الأجيال .

هذه حجة العاجز فاصفعوا بها لحيته . الحياة شباب . وان لم نصدق الله سبحانه وتعالى فمن نصدق ؟ انه لم يعلل عبيده الابشباب دائم .. لم يعللهم بالحكمة والكهول والعجائز بل بجنة للشباب فى حافاتها زجل . كل من فيها أمرد ، ولا ملتحى فيها غيره سبحانه وتعالى » .

« أومن بأدب عربى واحد ، لا فينيقى ولا فرعونى تألم وصلب على عهد الحريرى واليازجى . وأومن بالشباب والمشيب والروح القدس المنبثق منهما . وبكنيسة أدبية واحدة جامعة » ..

وفى موضوع « من ذكريات جيل » فى الصفحة الواحدة والثلاثين قال : « فى أورشليم الأمس حيث عبد الحب . وتأله الاحساس بالجمال . فى بيباوس ملعب الاله المغامر . فى مدينة الثالوث هيكل الاله الذى صرعه الخنزير » الخ .

وبعنوان أباطيل قال فى الصفحة الثالثة والخمسين : « تحت يدى الآن ديوانا شعر لطالبين جامعيين أحدهما عراقى ، وعنوان ديوانه أباطيل . والثانى لبنانى وعنوانه « فى دروب المغيب » الديوانان من قطع واحد ، وعدد صفحاتهما واحد . ولا فرق بينهما الا أن الجلد العراقى أحمر .. والجلد اللبنانى أزرق . أما الفكرة فى الديوانيين فهى واحدة . ثورة على الله المسكين .. الخ .

هذا كتاب واحد من عدة كتب .

وهذا كاتب واحد من جملة كتاب .

ماذا يفعل شبابنا حين يقرأون هذه المزالق ؟ اليسوا متأثرين حتما بها ؟ هل هم من الوعى والحذر واليقظة حين يفتحون عيونهم عليها بحيث ينقدون ويسخطون ؟

اغلب الظن انهم سيغفلون عن النقد والسخط بما فيهما من بريق ورواء وجدة وابتداع . ليس لدى اقتراح محدد بهذا الصدد فى هذه الكارثة الادبية التى تنتهى الى كارثة اجتماعية ودينية ووطنية .
لكنى أنادى بتنحية هذا الخطر عن أفلاذ أكبادنا .

والوقاية خير من العلاج .

وربما كان من الزم ما يكون فى أعناقنا أن ننوه دائما بمن هم فى عداد هؤلاء الكتاب . وأن نشير فى وضوح ونور الى امثال هذه الكتب حتى لا نخدع السذج والاغرار .

مائدة القارئ

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القــوم الظالمين » .

(قــرآن كريم)

خمس .. ؟

رأى المنصور فى منامه ملك الموت فسأله كم بقى لى من العمــر ؟ فأشار اليه باصابعه الخمس ، فانتبه مذعورا ثم سأل عن تأويل رؤياه فقيل خمسة أعوام وقيــل خمسة شهور وقيل خمسة أيام ، وأخيرا سأل احد العلماء ـــ فقال المشار اليه خمسة أمور انفرد الله بعلمها وهى أن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت .

أول مولــود فى الاســلام مــن المهاجــــرين

عبد الله بن الزبير بن العــوام ـــ ابوه الزبير حوارى رسول اللـــه وامه أسماء ذات النطاقين بنت أبى بكــر الصديق وجدته صفيــة بنت عبد المطلب عمة رسول الله وعمة أبيه خديجة بنت خويلـــد أم المؤمنين وخالته عائشة أم المؤمنين .

هاجرت أمه أسماء وهى حامل به فولدته فى (قباء) فى السنة الأولى من الهجرة وهو أول مولود فى الاسلام من المهاجرين بالمدينة .

فيــل المدينــة

روى أنه حضر فيل فى المدينة المنورة وكــان مالك بن أنس يدرس فى المسجد فقال قائل حضر الفيل فقام تلاميذ مالك ينظرون الفيل وتركوه الا يحيى بن يحيى الليثى الاندلسى فقال له مالك ـــ لم لم تخــرج لتــرى هذا الخلق العجيب وليس فى بلادك ؟ قال ـــ انما أتيت لآخذ علمك ولم آت لانظر الفيل ..

العلم والسلاح

مجالسة السوق مذمومة
ومنه مجالس قد تحتسب
فلا تقربن غير سوق الجياد
وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى
وهاتيك آلة أهل الادب .

فى اللغة

قال عبد الملك يوما فى بعض مجالسه — أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه مرتبة وله على ما يتمناه ؟
فقال سويد بن غفلة — أنا لها يا أمير المؤمنين فقال — هات فقال سويد — أنف بطن ترقوة ، ثغر ، جمجمة . حلق خد دماغ ..
فقال آخر فى المجلس — يا أمير المؤمنين — أنا أقولها فى جسد الانسان مرتين ، فقال سويد أنا اقولها ثلاثا — أنف أسنان اذن واستمر فأعجب عبد الملك من بديهته وأجازه .

الفيل والهرة

حكوا عن هارون بن موسى الازدى أنه كان يحارب مع المسلمين فى أرض الهند وقد اكتشف سرا خطيرا وهو أن الفيل يخاف من الهرة فلما حضرت الوقعة جاء ومعه هر فلما دنا الفيل منه رمى الهر فى وجهه ففزع الفيل وولى هاربا وهربت الفيلة على أثره وتساقط الاعداء من فوقها .

أفضل من عجل

سئل أحد الزعماء الذين يقدسهم أتباعهم — أحقا أنك تحمل روح الله فى بدنك وانك لهذا تعبد ؟

سكت الرجل قليلا .. ثم قال ضاحكا — أنا أولى بالالوهية من غيرى انهم فى الهند يعبدون البقر وأحسبنى أفضل من عجل ..

بغداد

كانت بغداد قبل أن يبنيها المنصور الخليفة العباسى الشهير ضيعة صغيرة يجتمع فيها على رأس كل سَنَة التجار من الاماكن القريبة منها فلما عزم المنصور على بنائها أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالمساحة وقسمة الارضين ثم وضع بيده أول حجر فى بنائها وقال — بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال ابنوا على بركة الله وبلغ مجموع ما أنفق على بنائها أربعة ملايين وثمانمائة ألف درهم وبلغ عدد العمال المشتغلين فيها مئة الف وكان لها ثلاثة أسوار يلى الواحد منها الاخر وبلغ عدد سكانها مليونى نسمة وبلغت عدد روابيها وسككها ستة الاف بالجانب الشرقى وأربعة الاف بالجانب الغربى وكان فيها عدا دجلة والفرات أحد عشر نهرا فرعيا تدخل مياهها الى جميع بيوت بغداد وقصورها وكان فى دجلة وحده من المعديات (المعبرانيات) ثلاثين الفا أما حماماتها فقد بلغت ستين ألف حمام .

وأما مساجدها فقد بلغت ثلاثمائة ألف مسجد . وأما سكانها وكثرة العلماء والادباء والفلاسفة فذلك فيها ما لا يحيط به حصر .

المدينة الفاضلة وصلتها بالأخلاق عند الفارابي

للأستاذ : سعيد زايد

أبو نصر الفارابى الذى لقب بالمعلم الثانى ، عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث والنصف الاول من القرن الرابع الهجرى ، فقد استنتج تاريخ مولده فقيل إنه كان حوالى ٢٥٩هـ أما تاريخ وفاته فهو مؤكد برواية المؤرخين وكان سنة ٣٣٩هـ ولقد هوى أبو نصر التنقل والأسفار ، ونشأ على ثقافة لغوية دينية ، وأقبل على العلوم الاسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية ، وقد كانت رحـــلاته وراء البحث عن الدراسات العقليـــة فذهب الى بغداد وحران وحلب ودمشق .

ولم يكن المعلم الثانى بالرجل الذى تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل إنه قضى حياته كلها فى شظف من العيش ، وكان يكسب قوته بعمـــل يديه ، حتى إنه كان يعمـــل ناطورا إبان الفترة التى ذهب فيها الى دمشق . وقد توفى فيها . وكرمه سيف الدولة بن حمـــدان بأن صلى على جثمـــانه مع بعض خواصه ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

وفلسفة الفارابى من الفلسفات ذات المعالم الواضحة والأهداف المحددة ، ترتبط أجزاؤهـــا بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، بحيث تبدو منسجمة متناسقة . وقد كتب فى جميـــع فروع الفلسفة من منطق وأخلاق وفيزيقا وميتافيزيقا .

وقد ارتبطت نظريته فى الأخـــلاق بفكرته عن المدينـــة الفاضلة ارتباطا وثيقا . ان السعادة هى الغاية القصوى التى يشتاقها الانسان ، واذا كان كل ما يسعى اليه الانسان ، هو فى نظر المعلم الثانى خير وغاية فى الكمال ، فان الســـعادة هى أسمى الخيرات جميعها ، فبقدر سعى الانسان الى بلوغ الخير لذاته تكتمل سعادته .

وينال الانسان سعادته بممارسة الأعمال المحمودة عن إرادة وفهم متصلين ، ولذا فان أى انسان يستطيع عمل الخير ويسير فيه ، وينال السعادة ، اذا أراد ذلك فما عليه إلا محاولة تنمية خصال الخير الموجودة فى نفسه بالقوة لتصير ملكة راسخة تتجه دائما الى عمل الخير . فان الممارسة عنصر هام ، عند الفارابى ، لاكتساب الأخلاق المحمودة أو المذمومة ، ومن الممارسة تتولد السعادة .

ويحاكى الفارابى أرسطو فى اعتباره أن الفضيلة وسط بين حدين : الإفراط والتفريط . فهو فى كتابه « التنبيه على سبيل السعادة » يعتبر العمل الصالح هو العمل المتوسط ، فالشجاعة — مثلا — حد وسط بين التهور والجبن ، والكرم يتوسط بين البخل والتفريط ، والعفة تقع بين الخلاعة وعدم الشعور باللذة .

واذا كانت اللذات الجسدية تأتى عن طريق الحواس ، فان اللذات الفكرية طريقها العقل . واذا كانت الأولى سهلة المنال فهى أيضا سريعة الزوال ، بعكس الثانية التى لا تكتسب الا بممارسة الخصال الحسنة مثل جودة الروية والتمييز وقوة العزم ، وجودة التمييز — كما يقول المعلم الثانى — هى التى نحصل بها على المعرفة والمعرفة نوعان : نوع يُعلم ولا يعمل ، مثل علمنا أن العالم محدث وأن الله واحد ، ونوع يُعلم ويعمل ، مثل علمنا أن طاعة الوالدين حسنة . أى أن المعرفة عبارة عن العلم النظرى والعلم العملى ، وهما يؤلفان الفلسفة التى بها تنال السعادة ، واذا كنا نصل الى الفلسفة وننال السعادة بجودة التمييز فاننا نصل اليها بوساطة المنطق .

ويذكر المعلم الثانى فى كتابه « تحصيل السعادة » أن الأشياء الانسانية التى بها تحصل السعادة للناس فى الدنيا والآخرة عبارة عن أربعة أجناس ، وهى :

١ — **الفضائل النظرية** : وهى العلوم الأولى ، أى المبادىء الاولى للمعرفة ، منها ما يحصل للانسان بلا شعور ، ومنها ما يحصل نتيجة للتأمل والفحص والاستنباط والتعليم والتعلم ، مثل : المنطق والبحث عن مبادىء الموجودات .

٢ — **الفضائل الفكرية** : وهى لا تفارق الفضائل النظرية ، وبها يمكن للانسان أن يستنبط ما هو أنفع بالنسبة لغاية فاضلة ، وهى على حد تعبير الفارابى « أشبه أن تكون قدرة على وضع النواميس » ولذا فانها فضائل فكرية مدنية .

٣ — **الفضائل الخلقية** : وهى فى مرتبة تالية للفضائل الفكرية ، لأن الفضائل الفكرية شرط لها ، وبها يلتمس الخير .

٤ — **الفضائل العملية** : وهى تحصل للانسان اما بالأقاويل الإقناعية وإما بالاكراه .

هذه هى الفضائل الأربع التى يذكرها الفارابى فى كتابه « تحصيل السعادة » . وهو يرى أن من الفضائل ما هو كائن بالطبع ، ومنها ما يكون بلا إرادة ، فمن أوتى طبعا فائقا عظيما تحصل عنده الفضائل النظرية والفكرية والخلقية العظمى ، وكذلك تحصل عنده الصناعة العلمية العظمى . ومن الممكن أيضا الحصول على الفضائل الانسانية بالإرادة ، وذلك يأتى بمراقبة الانسان لنفسه

والعمل على تلافى نقائصها فاذا وصل الى درجة الفضيلة المتوسطة عد فاضلا .

وبالتعليم والتأدب تحصل الفضائل المختلفة فى الأمم ، فالأول طريق للفضائل النظرية ، والثانى طريق للفضائل الخلقية والصناعات العملية ، ويحصل الأول بالقول فقط ، أما الثانى فيحصل أحيانا بالقول وبالفعل .

ومن يقوم بمهمة التعليم والتأدب ، معلم أو مؤدب ، وهو رئيس المدينة أو من ينتدبه الرئيس لهذا الغرض . فرئيس المدينة — الذى هو واضع النواميس والشرائع — هو المعلم والمرشد والمدبر ، ذلك لان الفطر تختلف بين كافة البشر ، فمن أوتى فطرة قوية وحصل على السعادة ، يقف موقف المعلم والمرشد لمن لم يعلم السعادة من تلقاء نفسه .

ورئيس المدينة عند الفارابى ، تجتمع فيه جميع الخصال الحميدة ، قوى الشخصية ، تام الأعضاء ذكى ، لبق ، قانع فى المأكل والمشرب والنكاح ، غيرى لا محبا لذاته ، صادق لا يكذب ، كبير النفس ، كريم، عادل ، مبغض للجور والظلم ، قوى العزيمة ، شجاع لا يخاف . وقد ذكر المعلم الثانى صفات الرئيس فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » .

ذلك أن مهمة الرئيس ليست سياسية فحسب ، ولكنها خلقية أيضا . فمن الناحية السياسية هو الرئيس الاعلى لكل المدينة ، ووزراؤه ومساعدوه ليسوا إلا منفذين لأوامره ومن الناحية الخلقية هو النموذج الذى يقلده المدنيون والمثال الذى يحتذونه ويترسمون خطوات سيره . وما على الرئيس الا أن يحاول ما استطاع أن يصبغ جميع الأفراد بطبيعته هو .

وهذه الصفات التى يرى المعلم الثانى ضرورتها فى رئيس المدينة ، اذا اجتمعت فى رجل واحد كان هو ، بالطبع ، رئيس المدينة ، أما اذا توزعت على عدة رجال ، كانوا جميعا الرؤساء الأفاضل بشرط أن يكون هؤلاء الرجال متلائمين . أى أن يكون منهم الحكيم ، والعادل ، وصاحب العزيمة .. وهكذا ، أما إن خلوا جميعا من رجل حكيم ، فان المدينة تبقى بلا ملك ، ويكون رئيسها ليس بملك ، وبذا تتعرض للهلاك .

هذا باختصار بعض ما يتعلق برئيس المدينة الفاضلة . فما هى المدينة الفاضلة ؟

الانسان مدنى بطبعه ، وليس من الممكن أن يبلغ كمالا ما اذا عاش منفردا دون معاونة الناس . فان الانسان مفطور فى بلوغ أفضل كمالاته الى أشياء كثيرة لا يمكنه القيام بها وحده ، فالاجتماع وسيلة لبلوغ الكمال ، والحياة فى المجتمعات تهيىء الانسان لنيل السعادة التى هى غاية الفرد .

والمجتمعات عند الفارابى قسمان : مجتمعات كاملة ، ومجتمعات غير كاملة .

اما الكاملة فهى ثلاث : العظمى ، وهى جماعة من أمم كثيرة أى عبارة عن المجتمع الانسانى بأسره .
والوسطى ، وهى عبارة عن أمة واحدة . والصغرى ، وتتكون من أهل مدينة واحدة .

واما غير الكاملة ، فهى مجرد اجتماعات فى القرى أو فى الطرق أو فى البيوت ، ومن الطبيعى أن تختلف

الأمم بعضها عن بعض بفعل العوامل الجغرافية والأخلاق والشيم الطبيعية واللغة ، وما الى ذلك .

والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد هو وسيلة السعادة ، وبه تنال ، وتصير المدينة فاضلة ، وبه أيضا تصير الأمة التي هي مجموعة من المدن أمة فاضلة ، وبه كذلك يصير المجتمع الانساني الذي هو مجموعة من الأمم مجتمعا انسانيا فاضلا . فالمدينة الفاضلة أشبه بجسم الانسان يختص كل عضو من أعضائه بعمل معين ، فاذا قام كل عضو بعمله على الوجه الأكمل صار الجسم في مجموعه صحيحا ، وكذا المدينة الفاضلة فطر افرادها بفطر متفاضلة ووجهتهم إرادتهم نحو فعل الخير ، وبذا تصبح المدينة سعيدة .

وكما أن القلب هو العضو الرئيسي في البدن تخدمه جميع الأعضاء ، وكما أن للنفس — عند الفارابي — وحدة ، وتترتب قواها بحيث نجد القوة الغازية في المرتبة الدنيا ، والقوة الناطقة في المرتبة العليا ، فكذا المدينة الفاضلة ، فيها مراتب رئاسات تبدأ بالرئيس الأعلى وتنتهي الى مرتبة من الخدمة « ليست فيها رئاسة ولا دونها مرتبة أخرى » وكذلك تصير المدينة الفاضلة في انسجامها وتسلسل مراتب افرادها شبيهة أيضا بمراتب الموجودات .

والى جانب المدينة الفاضلة ، ذكر المعلم الثاني بعض مدن أخرى هي :

ا — **المدينة الجاهلية :** وهي التي لم يعرف أهلها السعادة ولم تخطر ببالهم . وجل اهتمام أهلها هو سلامة الأبدان والحصول على الثروة وممارسة اللذات ، وهم يرون في ذلك سعادتهم . وللمدينة الجاهلية عدة أقسام منها :

١ — المدينة الضرورية ، **ويقتصر** أهلها على الضروري مما يحفظ عليهم صحتهم .

٢ — والمدينة البدالة ، ويتعاون اهلها على الثروة لذاتها .

٣ — ومدينة الخسة والشقوة ، ويقتصر أهلها على التمتع باللذة المحسوسة .

٤ — ومدينة الكرامة ، ويتعاون اهلها على أن يصيروا مكرمين ذوى عظمة وشهرة ، سواء بالقول أو بالعمل .

٥ — ومدينة التغلب ، وغاية سكانها التغلب على غيرهم ، وسعادتهم في هذه الغلبة .

٦ — والمدينة الجماعية ، ويعيش اهلها حسبما يشاءون ، وليس لأحد منهم على أحد سلطان .

٧ — ومدينة النذالة ، ويتعاون سكانها على جمع الثروة فوق ما يحتاجون ، ولا ينفقون منها .

ب — **المدينة الفاسقة ،** وهي التي عرف أهلها ما يعرفه اهل المدينة الفاضلة ، ولكن اعمالهم تشبه أعمال اهل المدن الجاهلة .

ج — **المدينة المتبدلة ،** وهي التي كان يعتقد أهلها ما يعتقده أهل المدينة الفاضلة من آراء ، ولكنهم تبدلوا ، فدب الفساد في آرائهم وأفعالهم .

د — **المدينة الضالة ،** وهي التي لا يسير اهلها على العقيدة الصحيحة في الله ويخدع رئيسها الناس ، ويدعى انه موحى اليه .

هـ ـ **النوابت** ، وهذه توجد فى المدن الفاضلة نفسها ، وفى غيرها من المدن ، وهم عبارة عن أناس يضرون بالمجتمع ، ومثلهم ـ كما يقول الفارابى ـ مثل الشوك النابت بين الزرع . ومنهم البهيميون بطبعهم وهم لا يعدون مدنيين ، بل هم أشبه بالبهائم الانسية أو البهائم الوحشية ، يأوون البرارى متفرقين أو مجتمعين، أو يأوون قرب المدن ، منهممن يعيش على اللحوم النيئة ، ومنهم من يعيش على النبات ، ومنهم من يفترس مثل السباع ، فمن كان من هؤلاء إنسيا يترك ويستعبد وينتفع به كما ينتفع بالبهائم ، والا فيقاتل كما تقاتل سائر الحيوانات الضارة .

هذه ، باختصار ، أشكال المدن الجاهلة والضارة ، أما آراؤهم فصبغتها الجهالة والضلالة ايضا . فهم قوم أنانيون ، يرى بعضهم أن الاجتماع لا يقوم الا على الحاجة والضرورة ، ويرى البعض الآخر أنه يقوم على التحاب . ولكنهم اختلفوا فيما يكون به التحاب . فقيل ان أساسه القربى ، وقيل ان أساسه التماهد ، وقيل ان أساسه تشابه الخلق والاشتراك فى اللغة ، وقيل ان أساسه الاشتراك فى السكنى أو فى السكة أو فى الملة . وهم فى الجملة يرون العدل من وجهة نظر خاصة ، لا تخرج عما يدعو اليه الطبع ، ففعل الغالب عدل دائما ، وعلى الضعيف اتقاء شر القوى بممارسة القناعة وقبول الاستعباد .

هذا على عكس صفات أهل المدينة الفاضلة التى تقوم على النظام والعلم وتعشق الفضيلة ، فكل عضو يقوم بالعمل الذى يصلح له .

أسرة من الأطباء والطبيبات

وطبيبات مسلمات

للاستاذ مصطفى الشهابى

طالعت بمزيد الاغتباط ذلك المقال الذى دبجته يراعة الدكتور محمد أبو شوك تحت عنوان « أسرة من الاطباء » فى مجلة الوعى الاسلامى وفيها تحدث عن الاطباء من تلك الاسرة الفريدة « أسرة ابن زهر » حديثا يثلج له صدر كل مسلم اذ جلى فيه ناحية من النواحى التى يجهلها الكثيرون عن حضارة الاسلام .

غير اننى لا ادرى لماذا أغفل

السيد الدكتور ابو شوك الحديث عن طبيبتين من تلك الاسرة قد نوه بهما ابن أبى أصبعة فى كتابه الذى أشار اليه سيادته .

وخشية أن يمر هذا الموضوع دون استدراك خاصة وقد اهتمت المجلة بمشروع « رابطة تاريخ الطب العربى » ، لذلك بادرت بالكتابة اليكم فى هذا الصدد ، استكمالا للبحث فأقول :

كان للحفيد ابى بكر بن زهر اخت وابنتها وكانتا عالمتين بصناعة الطب والعلاج وامتازتا بخبرتهما فى علاج أمراض النساء ولذلك كان المنصور لا يقبل معالجا لنسائه الا اخت ابى بكر فلما توفيت الاخت عهد بالعلاج الى ابنتها .

وقد ماتت ابنة الاخت هذه مع خالها اثر تناول سم فى بيض دسه لهما ابن يوجان وزير المنصور .

وتشاء عدالة الله تعالى أن يموت ابن يوجان هذا مقتولا .

وغير بنات زهر سجل لنا التاريخ نساء مسلمات اشتغلن بالطبابة منذ فجر الاسلام نذكر منهن :

١ ــ السيدة عائشة زوج النبى وابنة الصديق :

ذكر ابن الجوزى فى (صفوة الصفوة) عن هشام بن عروة قال :

« كان عروة يقول لعائشة رضى الله عنها : يا أماه ، لا أعجب من فقهك ، أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة ابى بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وايام الناس أقول ابنة أبى بكر وكان من أعلم الناس ولكنى أعجب من علمك بالطب؟ فضربت على منكبه وقالت : « أى عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الانعات فكنت أعالجها من ثم » .

وفى تاريخ الاسلام الذهبى ، قال عروة بن الزبير :

« ما رأيت أعلم بالطب من عائشة، فقلت : يا خالة من أين تعلمت الطب ؟ قالت : كنت أسمع الناس ينعت بعضهم البعض فأحفظه » (١) .

٢ ــ أم عطية الانصارية :

وهى من النساء المسلمات اللائى روى عنها بعض الاحاديث محمد بن سيرين واخته حفصه وغيرهما ، هذه السيدة الجليلة غزت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، كانت تطهو فيها للمجاهدين طعامهمفى رحالهم وتداوى جرحاهم وتقوم على المرضى منهم .

٣ ــ رفيدة الاسلمية :

كان أبوها انصاريا من بنى أسلم أسمه سعد وكانت من فضليات عصرها اشتهرت بالتمريض وعلاج الجرحى ولذلك اختارها النبى لتقوم بالعمل فى خيمة متنقلة واقامت بمسجده خيمة تداوى فيها المرضى وتسعف الجرحى وفى واقعة الخندق أصيب سعد بن معاذ بسهم فقال النبى : « اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب » .

وقد تناولها بعض الشعراء فى قصائدهم ومنهم الشاعر احمد محرم فى ملحمته الاسلامية الذى قال يناجيها وهو يصف مشهدا من مشاهد قتال المسلمين ، يوم الاحزاب ، ومطلع هذا الجزء :

رفيدة علمى الناس الحنانا
وزيدى قومك العالمين شانا
خذى الجرحى اليك فاكرميهم
وطوفى حولهم آنا فآنا

ويفهم من ذلك أمور ثلاثة :
أولا : ان النبى صلى الله عليه وسلم اول من أمر بالمستشفى الحربى المتنقل .

ثانيا : عناية الاسلام باسعاف وعلاج رجال الحرب قبل ان يعرف ذلك ابناء اوروبا .

ثالثا : ان رفيدة هذه سبقت فى ظهورها « فلورنس نيتنجيل » (٢) التى يعتبرها الانجليز وغيرهم رائدة فن التمريض الحربى ، بنحو ١٢ قرنا

٤ ــ الشفاء بنت عبد الله :

صحابية جليلة اسلمت قبل الهجرة اشتغلت بالطب ومما اشتهرت به معالجتها النملة (الاكزيما) .

٥ ــ زينب طبيبة بنى أود :

واشتهر فى عصر الامويين من النساء اللاتى اشتغلن بالطبابة ، زينب طبيبة بنى أود ، وكانت ماهرة فى صناعة الكحالة (أى طب العيون) .
ذكرها أبو الفرج الاصفهانى فى كتابه « الاغانى » فقال :

« قال رجل من الاعراب : أتيت امرأة من بنى أود لتكحلنى من رمد أصابنى فكحلتنى ثم قالت : اضطجع قليلا حتى يدور الدواء فى عينيك ، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر :

امخترمى ريب البنون ولم أزر
طبيبة بنى أود على النأى زينبا

« فضحكت وقالت : أتدرى فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا ، قالت فى والله قيل وانا زينب التى عناها الشاعر ، أنا طبيبة بنى أود : أفتدرى من الشاعر ؟ قلت لا ، قالت : هو عمك ابو سماك الازدى » .

٦ ــ بنت أبى الصائغ المصرى :

وهى ابنة أحمد بن سراج الدين المعروف بابن الصائغ المصرى الذى كان رئيسا للاطباء بدار الشفاء المنصورى بالقاهرة (قلاوون) وشيخا لاطباء مصر ، فلما توفى عام ١٠٣٦ هـ لم يعقب الا بنتا واحدة تولت مكانه مشيخة الطب (٣) .

٧ ــ أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الطنجالى :

وهى من أهل لوشة (الأندلس) ، كانت تجيد القرآن ونواحى اخرى منها نظم الشعر ، قال عنها لسان الدين ابن الخطيب فى كتابه الاكليل الزاهر ما نصه :

« ثالثة حمدة وولادة ، وفاضلة الادب والمجادة ، تقلدت المحاسن من قبل ولادة واولدت ابكار الافكار قبل سن الولادة ، نشأت فى حجر أبيها ، لا يدخر عنها تدريجا ولا

سهما ، حتى نهض اداركها وظهر فى المعرفة حراكها ودرسها الطب ففهمت اغراضه وعلمت اسبابه واعراضه » (٤) .

وهناك غير من تقدمن كثيرات أقل شأنا وشهرة منهن :

١ — خرقاء العامرية :

وكانت احدى نساء بنى عامر بن ربيعة .

كانت تحل فلجا (٥) ويمر بها الحاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم. كانت كحالة فداوت عينى ذى الرمة الشاعر المعروف من رمد كان بهما فزال فقال لها ما تحبين فقالت عشرة أبيات تشبب بى ليرغب الناس فى اذا سمعوا أن فى بقية للتشبيب ففعل ، وكانت تقول أنا منسك من مناسك الحج لقول ذى الرمة فيها :

تمام الحج أن تقف المطايا
على خرقاء واضعة اللثام

٢ — حبة :

وقد ذكر لسان العرب فى مادة (نظر) انها امرأة علقها جنى فكانت تطبب بما يعلمها وفى ذلك قيل :

ولو أن منظورا وحبة اسلما
لنزع القذى لم يبرئا لى قذاكما

والى جانب هؤلاء وغيرهن يمكننا أن نسجل بفخر ان عددا كبيرا من النساء المسلمات قمن بانشاء بيمارستانات أوردها الدكتور أحمد عيسى بك فى كتابه « تاريخ البيمارستانات فى الاسلام » ومن أشهرها بيمارستان السيدة الذى انشأته ببغداد السيدة شغب جارية المعتضد وام المقتدر بالله عام ٣٠٦هـ وكانت تنفق عليه كل شهر ستمائة دينار . وبيمارستان قيسارية التى توجد جنوبى شرقى انقره المسمى دار الشفاء الذى انشأته عام ٦٠٢ هـ السيدة كوهى خاتون ابنة قليج ارسلان السلجوقى الذى كان يحكم بلاد الروم (الاناضول وتركيا الحالية).

رحمهن الله جميعا وأثابهن على حسن صنيعهن .

---

(١) تاريخ البيمارستانات فى الاسلام للدكتور أحمد عيسى بك صفحة ٥ ، ٦ .

(٢) فلورنس هذه تشتهر باسم سيدة المصباح نشأت فى اسرة كريمة ، وقد مالت الى التمريض ودرست نظمه فى انجلترا وأوروبا ثم عينت رئيسة لمستوصف نسوى صغير حيث شرعت فى اعداد ممرضات مدربات . وفى سنة ١٨٥٤ هالها كثرة المرضى والجرحى والوفيات فى حرب القرم التى قامت بين روسيا وبين انجلترا ودول اخرى ، فلما طلب اليها الانتقال الى القرم وافقت وهناك قامت بجهود جبارة انخفضت فيها نسبة الوفيات من ٤٢ ٪ الى ٢ ٪ وبعد انتهاء تلك الحرب ساهمت فى تنظيم التمريض فى انجلترا وغيرها كما دعت الى الاهتمام بجرحى الحرب وكان من ثمار دعوتها انشاء هيئة الصليب الاحمر .

(٣) خلاصة الاثر فى أعيان القرن الحادى عشر للمحبى الجزء الاول صفحة ٢٠٤ .

(٤) الاحاطة فى اخبار غرناطة لابن الخطيب تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان صفحة ٤٣٨ المجلد الاول .

(٥) الفلج : النهر الصغير او القناة والفلوجة هى الارض المصلحة للزرع .

كتاب الشهر

جمع الجوامع
أو ..
الجامع الكبير للإمام السيوطي

للاستاذ حسين عيسى عبد الظاهر

- **العصر : عصر تدوين موسوعى فى كل فنون العلم والمعرفة**
- **المؤلف : معلمة اسلامية واسعة الاطلاع غزيرة الانتاج**
- **الكتاب : أكبر موسوعة أبجدية فى السنة النبوية**

من المعلوم أن سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما نقل الينا بطريق التواتر المقطوع بصحة نسبته اليه وهو القليل ، ومنها ما نقل بغير هذه الطريق المقطوع بها ، بل بطرق مرجحة ومرجوحة .

ولقد تفاوتت الكتب التى تصدت لجمع هذه السنة من حيث الكم والكيف فمنها ما هو مقل فى الجمع ومنها ما هو مكثر . وكلاهما فى اقلاله واكثاره بنى على معايير محددة ارتضاها لاختياره ورده ، ولم يدع أى منهما أن ما جمعه هو كل ما صح عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وما عداه غير صحيح ، كما لم يدع واحد أنه استقصى كل سنته ، والا كانت دعوى يحيلها العقل اذ أن ما فعله وما قاله وما أقره فى حياته بعد البعثة خلال ثلاث وعشرين سنة تفوق أضعاف المرات أى كتاب جامع للصحيح أو لغيره . بل انه قد استدرك على أئمة السنة كثير مما فاتهم وعلى معاييرهم التى أرتضوها فى تدوينهم للسنة .

والناظر فى كتب السنة بعامة يرى أنها يتكامل بعضها ببعض فى الجمع الا أنها فرادى لا تعطى الا القليل .

من هنا كان لزاما بل ودينا فى عنق الأمة الاسلامية القيام بعمل موسوعة تضم — ما أمكن — كل ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وثبتت نسبته اليه ، وبرغم ما قام به السلف الصالح من محاولات لهذا الجمع فلا زالت الحاجة ملحة لعمل هذه

الموسوعة ، وكتاب (جمع الجوامع) للامام السيوطى خطوة رائدة لهذا المشروع بل ونواة طيبة يمكن البناء عليها مع جهد فى التهذيب والتكميل ومحاولة استقصاء فى الجمع ، بل هو يمثل اكتمال مرحلة من مراحل تدوين السنة يمكن أن تسمى مرحلة الموسوعات فقد سبق بمحاولات فذة ومخلصة اقتفى أثرها وحاول أن يضيف اليها جديدا وقد كان له من عصره ونشأته ركائز قوية أرتكز عليها فى عمله هذا .

عصر السيوطى :

ولد السيوطي ونشأ فى عصر كانت شمس الحضارة الاسلامية فيه تؤذن بكسوف فى شرق العالم الاسلامى على يد المغول ، وفى مغربه على يد الاسبان . وكان شر ما ابتليت به هذه الحضارة من شقى هذه الرحى فى شرق وغرب احراق المكتبات الاسلامية وما تحويه من تراث لا يقدر بثمن ، ففى بخارى ونيسابور وغيرهما من بلاد المشرق كان البلاء على يد (جنكيز خان) الذى أحرق المدن وفى الأندلس فى المغرب كانت سلسلة من المآسى ختمت بشر خاتمة فى آخر القرن التاسع على يد الكردينال (زيمتسى) الذى أحرق مكتبة غرناطة وكانت تضم بين جنباتها ما يقارب ثمانين ألف مجلد فى عصر لم تعرف فيه الطباعة وكتبت بالجهد البشرى .

فى هذا العصر كانت الحضارة الاسلامية انتهت الى أوج استقر فيه الفكر الاسلامى على لون من التأليف والتدوين استوعب — تقريبا — كل فنون العلم والمعارف وتفريعاتها .

ثم هب عليه هذا الاعصار من شرق وغرب ليأتى عليه بالحرق والابادة فى صورة همجية جاهلة حقود .

وكانت يقظة العلماء فى مواجهة هذه التيارات العاصفة يستنقذون منها تراث الأمة ويعيدون تجميعه وتدوينه وتنسيقه فى صور شتى اتسمت بالجمع الموسوعى الضخم وذلك لأمور :

منها : ما وقع ويقع تحت سمعهم وبصرهم من زحف مبيد على هذا التراث ومحو معالمه وطى سجلاته مما كان داعية لاعادة التدوين والجمع الموسوعى المستوعب لجل الكتابات فى أى فرع من الفروع .

ومنها : أن حركة التدوين والتأليف كانت قد انتهت فى ذلك العصر الى لون استقرت فيه أصول العلوم وفروعها واتسم كل منها بحده ورسمه فلم يكن المجال — آنذاك فى معظم امره — مجال اجتهاد وابتكار بقدر ما كان مجال بسط وتخريج وتفريع وتجميع وبخاصة ما كان منها متصلا بعلوم الرواية . وفى ذروتها علم الحديث .

ومنها : أن هذا الاكتفاء أو التكامل كان داعية الى لون من اعادة النظر فى هذا التراث بالنقد والتمحيص والحذف والاضافة والانتخاب والاختيار فى التصنيف والتجميع .

ومنها : أن هذه الفنون من المعرفة وقد استوت على سوقها اتجه التأليف فيها الى شرح أصولها باسهاب بل واستطراد فى كثير منها كما نرى فى « فتح البارى » لابن حجر « وعمدة القارى » للعينى ، اتسمت حركة التأليف بهذه السمات فى كل فن تقريبا فأبرزت نوعا من التأليف الموسوعى الذى يحق للأمة أن تفخر به فى وقت لم يتسن لغيرها الا بديهيات المعرفة وأبجديتها ، وكان هذا عملا حفظ

للأمة تراثها بل وكان قدوة للعصور والأمم من بعد .
نرى من ذلك فى عالم اللغة موسوعات ومعاجم كان فى الريادة منها . (لسان العرب) لابن منظور (٧١١ هـ) و (القاموس المحيط) للفيروز أبادى (٨١٧ هـ) .

وفى التاريخ والأدب (نهاية الأرب) للنويرى (٧٣٢ هـ) ، و (المقدمة . والتاريخ) لابن خلدون (٨٠٨ هـ) و (صبح الأعشى) للقلقشندى (٨٢١ هـ) ..
وكذلك كان الشأن فى فن الحديث والذى بلغ أوج الجمع الموسوعى فيه بكتاب (جمع الجوامع) للسيوطى .

السيوطى ونشأته :

أما اسمه فهو : عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى .

ولد بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب عام ٨٤٩ هـ بالقاهرة وبها نشأ وتربى يتيما فحفظ القرآن الكريم وهو دون ثمان سنين . ثم حفظ العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك وأخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ . وأجيز بتدريس العربية فى مستهل عام ٨٦٦ هـ وكانت سنه اذ ذاك ١٧ سنة يقول : وقد ألفت فى هذه السنة فكان أول شىء ألفته (شرح الاستعاذة والبسملة) وأوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقينى فكتب عليه تقريظا — ولزمت فى الحديث والعربية شيخنا الامام العلامة تقى الدين الشبلى الحنفى فواظبته أربع سنين وكتب لى تقريظا على شرح ألفية ابن مالك وعلى (جمع الجوامع فى العربية) تأليفى وشهد لى غير مرة بالتقدم فى العلوم بلسانه وبنانه . ورجع الى قولى مجردا فى حديث .. وشرعت فى التصنيف فى سنة ٨٦٦ وبلغت مؤلفاتى الى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه ..
وسافرت بحمد الله تعالى الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور (غرب أفريقية) ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها : أن أصل فى الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى . وفى الحديث الى رتبة الحافظ ابن حجر . وأفتيت فى مستهل سنة (٨٧١) وعقدت املاء الحديث من مستهل سنة (٨٧٢) ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع .
وقد كملت عندى الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا ..
وقد أزف الرحيل وبدا الشيب وذهب أطيب العمر . ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحولى ولا بقوتى .
وأما مشايخى فى الرواية سماعا واجازة فكثيرون أوردتهم فى المعجم الذى جمعتهم فيه وعدتهم نحو مائة وخمسين . ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالى بما هو أهم وهو قراءة الدراية . وهذه أسماء مصنفاتى لتستفاد .. »
ثم أخذ رحمه الله يصنف كتبه فنونا ذاكرا مع كل فن ما معه من

كتب بادئا بالتفسير والقراءات مثنيا بفن الحديث وما يتصل به وأحصى فيه وحده تسعين كتابا منها :

أسعاف المبطأ برجال الموطــأ ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج اللآلىء المصنوعة ، تدريب الراوى ، الأزهار المتناثرة ، الجامع الصغير . ثم الجامع الكبير .

وكان ــ رضى الله عنــــه ــ قد اعتزل الناس فى أواخر أيامه وترك الافتاء والتدريس وسكن فى جزيرة الروضة متجردا للعبادة والاشتغــال بالتأليف . وألف فى ذلــك كتابه (التنفيس فى الاعتذار عــن الافتاء والتدريس) وبقى على ذلك فـــى الروضة لم يتحول عنها الى أن مات . وكانت وفاته سنـــة ٩١١ هـ ودفن بالقاهرة فى مشهد عظيم فى المكان المعروف ببوابة السيدة /عائشة فى حى السيدة عائشة فى طريق الذاهب الى مسجد الامام الشافعى . بعـد حياة حافلة بالعلم والتدريس والفتيا والعفة والصلاح والتقوى لا يمد يده لسلطان ولا يقف على بابه حتى سعى اليه الأمراء والوزراء يقول الشبلى فى (السنى الباهر) : (ولما مات لم يتعرض أحد فى تركته مع أن الزمن كان زمن جور ، وقـــال الغورى (السلطان الغورى) : لم يقبل الشيخ منــا شيئــا فى حياتــه نتعــرض لتركته) .

كتابه : جمع الجوامع أو الجامع الكبير :

كان جمع السنة من أفواه الرواة وتدوينها والنظر فى رجـــال الأسانيد ودراستهم وبيان علـــل الحديث من صحيحه كاد ذلك كله ينتهى بانتهـــاء القرن الرابع الهجرى ، وسلـــك المؤلفون بعد ذلك فيها مسلك التهذيب والترتيب والاختصـــار والبسط ثم الجمع فى موسوعات تضم الكثير من الكتب . وبدأ ذلك بالجمـــع بين (الصحيحين) قام به كثير منهـــم الجوزقى ، وابن الفرات ، والحميدى ــ الخ ــ ثم الجمع بين الكتب الستة وممن قام به الاشبيلى ، وقطب الدين المكى ، والسرقسطى فى كتابــــه (تجريد الصحاح) الذى هذبه ورتب أبوابه وأضاف اليه ما أسقطه مـــن الأصول ابن الاثير الجزرى ٦٠٦ هـ ثم اختصر هذا الجامع المـــروزى ثم الحموى ثم الزبيدى ثم جاءت مرحلـــة كان يؤلف فيها جوامع عامة شاملة . منها : (جامع المسانيد والألقاب) لأبى الفرج الجوزى جمع فيـــه بين الصحيحين ومسند أحمـــد وجامـــع الترمذى ومنها : (مجمع الزوائـــد ومنبع الفوائد) للهيثمى جمع فيـــه زوائد مسانيد أحمد وأبى يعلى والبزار ومعاجم الطبرانى الثلاثة . ومنها : (المطالب العالية بزوائد المسانيـــد الثمانية) لابن حجر ثم منها : (جمع الجوامع) فى الحديث للسيوطى .

تعريف بالكتاب : هــــذا الكتاب (جمع الجوامع) يعد من أضخم كتب السنة باطلاق جمع فيه مؤلفـــه بين الكتب الستة وغيرها فـــى محاولـــة جادة ومثابرة لجمع السنة بأسرهـــا التى يصل اليها جهده . يقول فـــى مقدمته : (قصدت فيه الى استيعاب الأحاديث النبوية وأرصدتـــه مفتاحا لأبواب المسانيد العلية) .

والكتاب مخطوط فى عـــدة نسخ مختلفة فى خطها وحجمها والـــزمن الذى نسخت فيه وموزعة فى مكتبات العالم الاسلامى عامة وخاصة . منها نسخة (بدار الكتب) بالقاهرة برقم ٩٥ حديث (قوله) .

ومنها نسخة بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٦٩٥٦ نسخ أحمد بـن أحمد ابن محمد بن أحمد بن ابراهيم المعروف بابن العجمى وعليه تعليقات كتبهـا أحمد مرتضى .

ومنها نسخة برقم ٤٧٣ كتبخانه الخديوية المصرية .

ومنها نسخة بالمكتبة الأحمديـة بالجـامع الأعظم من نسخ يوسف الشرقاوى ١٤١١ .

ومنها نسخة بالمكتبة الظاهريـة بدمشق حديث ١٩٥ تاريخ النسـخ ٩٤٩ بخط عبد الخالق عبد الرحمن ابن عباس مدون على ورقتها الاولى : (هذا ما وقفه الوزير المكرم والمشير المفخم الحاج أسعـد باشا محافظ الشام على مدرسة والده المرحـوم الحاج اسماعيل باشا) .

وكل هذه النسخ مكتوبة بخط نسخ دقيق بعضها يقرأ بسهولة وبعضهـا يحتاج الى جهد وعنايـة وتوجـد مصورات لهذه النسخ كلهـا برواق لجنة السنة بمجمع البحوث الاسلامية وكذا نسخة مخطوطة للقسم الثانى من الكتاب من محفوظات مكتبة المعهد الدينى بدمياط .

منهج الكتـاب :

التزم الامام السيوطى فى جمعه لهذا الكتاب عدة أمور بعضهـا لم يسبق اليه ، الامر الاول : أنه اقتفى أسلوب الجمع لسابقيه مـن الكتب وزاد عليه أنه لم يقصر جمعه هـذا على كتب محددة بل جنى فى كتابـه هذا ثمار ما يزيد على ستين مؤلفـا ذكرها فى مواطنها عند المنقول منها بين صحاح ومسانيد ومراسيـل وبعضها يكاد يكون انتهى تماما مـن المكتبة الاسلاميـة ولا أثر له الا فى كتابه هذا . وبعضهـا لا يزال فى أضابير المخطوطات الخاصة والعامة يعمل فيه الزمن عمله .. فهو بهـذا وبجانب أنه عمل موسوعى قد حفظ على الأمة فى كتابه هذا تراثا لولاه لضاع وضاعت به فوائد جمة فى عصر تحاول فيه الامم أن تحفظ كل كلمـة كتبت وتكتب فى حضارتها فى مجالات الأديان والشرائع والعلوم بل وأقامت لذلك المؤسسات الضخمة لحفظ مثل هذا التراث .

الأمر الثانى : قسم كتابه الـى قسمين كبيرين وأولهمـا أكبر من ثانيهما :

القسم الأول : أسمـاه (السنن القولية) يسوق فيه متـن الحديث مباشرة ثم يتبعه بذكر من خرجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتبرة مـع بيان من رواه من الصحابة واحـدا الى عشرة أو أكثر . وبهـذا يعرف الباحث اسم الصحابى الراوى واسم الكتاب المنقول منه واسم مؤلفه ان شاء رجع اليه للبيان والاستيعاب .

القسم الثانى : السنن الفعلية أو المشتملة على قول وفعل أو سبب أو مراجعة أو نحو ذلك .

الأمر الثالث : التـزم فى ترتيب القسم الأول ترتيبا لغويا على حروف المعجم مراعيـا أول الكلمـة فما بعـده . وبدأه بالحـديث الشريـف (آتى بـاب الجنـة يـوم القيامـة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) حم ، وعبد بن حميد ، م ، عن أنس ، والتـزم فى ترتيب القسم الثانى ترتيبـه عـلى مسانيد الصحابـة رضى الله عنهم بادئا بمسانيد العشرة المبشرين ثـم بالباقى على حـروف المعجم فى الأسماء ثم بالكنى كذلك ثم بالمبهمات

ثم بالنساء ثم بالمراسيل .

الأمر الرابع : أنه فى جمعه لهذا الكتاب ناقل عن أئمة هـذا الفن وعما دونوه ويعزو كل نقل الى مصدره ولو تعددت المصادر مختارا لفظ واحد منهم ومشيرا اليه واليهم برمز مصطلح عليه مثل خ للبخارى ، م لمسلم وهكذا ..

الأمر الخامس : لبيان معرفة درجة الحديث فانه سلك طريقة يعرف منها صحة الحديث أو حسنه أو ضعفه وذلك بتصنيف المؤلفين الى درجات بحيث تعرف درجة الحديث بالعزو الى واحد منهم فيقول : (ورمزت للبخارى خ ، ولمسلم م ، ولابن حبان حب ، وللحاكم فى المستدرك ك ، وللضياء المقدسى فى المختارة ض ، وجميع ما فى هذه الخمسة صحيح فالعزو اليها معلم بالصحة سوى ما فى المستدرك من المتعقب ..) وهكذا ثم يعدد بعد ذلك كتبا أخرى كسنن أبى داود وجامع الترمذى وغيرهما ويقول : (وهذه فيها الصحيح والحسن ، والضعيف فأبينه غالبا) ثم يذكر ثالثا : (وللعقيلى فى الضعفاء عق ، ولابن عدى فى الكامل عد ،وللخطيب خط ، فان كان فى تاريخه أطلقت وإلابينته ، ولابن عساكر فى تاريخه كر ، . وكل ما عزى لهؤلاء الاربعة أو للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول أو الحاكم فى تاريخه أو لابن النجار فى تاريخه أوللديلمى فى مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغنى بالعزو اليها أو الى بعضها عن بيان ضعفه) ولم يترك — رحمه الله — القارىء أمام هذا التعميم بل كان دقيقا فى عبارته وتعقبه فيقول مثلا بالنسبة لأبى داود : فماسكت عليه فهو صالح وما بين ضعفه نقلته عنه ..

ويقول عن الترمذى : وأنقل كلامه على الحديث ، ويقول عن الكتب التى فيها الصحيح والحسن والضعيف : « والضعيف فأبينه غالبا) :

وسار على هذا المنهج فجمع ما يقارب مائة ألف حديث وسنة ثم وافاه أجله قبل اتمامه .

هذا الكتاب الجامع أختار منه مؤلفه عدة آلاف من الأحاديث رتبها أبجديا وأسماها (الجامع الصغير) عدته أربعة وثلاثون وتسعمائة وعشرة آلاف حديث ، ثم جاء علامة الهند الشيخ علاء الدين على بن حسام الدين الهندى الشهير بالمتقى المتوفى ٩٧٥ هـ فجمع كلا الجامعين الكبير والصغير مع اضافات وترتيب وتبويب وأسماه (كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال) وهو فى صورته تلك يعتبر كتابا ذا منهج مستقل عن منهج السيوطى ، ثم طبع المنتخب منه مع مسند الامام أحمد بعد حذف المكرر الذى يقارب ثلث الكتاب .

أما كتاب (جمع الجوامع) للسيوطى فحتى عام ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م كان فى عداد المخطوطات الموزعة فى مكتبات العالم الاسلامى عامة وخاصة حتى هيأ الله له بعض الصالحين من عباده ليقفوا وراءه بعزم المؤمنين لاخراجه للأمة الاسلامية .

ويقوم مجمع البحوث الاسلامية الآن باخراجه مطبوعا الطبعة الأولى على أجزاء محققا ضمن مطبوعاته (من موسوعة السنة) وخرج منه حتى ربيع الاول ١٣٩٢ هـ تسعة أجزاء تضم ستا وثمانين وخمسمائة وثلاثة آلاف حديث تتلوها بقية الأجزاء

بعون الله تعالى وتوفيقه .

وتقدم هذه الطبعة لأول مرة من واقع المخطوطات التى سبقت الاشارة اليها . ولا تكاد تكون نسخة منها كاملة بل هى كلها فى مجموعها متكاملة وقد نهجت اللجنة القائمة بتحقيقه منهجا علميا بينته فى مقدمة الجزء الأول اذ راجعت وقابلت بين صور هذه المخطوطات ثم نسخت صورة كاملة من مجموع هذه النسخ مستعينة بالرجوع الى اصول الكتب المنقول عنها — ما أمكن — وقد التزمت فى التحقيق بأصل من هذه المخطوطات جعلته عمدة فى النسخ والطبع ونبهت على الخلاف الذى يكون بينه وبين بقية النسخ مع الاشارة — ما أمكن — الى تمام النص فى مصدره الذى نقل عنه السيوطى أو الاحالة عليه وبيان قول العلماء فى درجته وبخاصة ما كان متكلما فيه بالتوهين أو الوضع وهو جهد نسأل الله تعالى أن يكون مقبولا عنده ..

ملاحظات وتعقيبات :

لم يسلم هذا الكتاب — كأى عمل علمى بل كأى جهد بشرى — من بعض ملاحظات هى اذا ذكرت انما لتداركها وسد ثغراتها والمؤمن مرآة لأخيه يسد عيبته . لا انتقاصا من جهد سلف صالح ينوء بمثله العصبة من الرجال .

من ذلك ما ذكره صاحب (كنز العمال) من أنه : (لا يمكن كشف الحديث الا اذا حفظ رأس الحديث ان كان قوليا ، واسم راويه ان كان فعليا ، ومن لا يكون كذلك يعسر عليه ذلك) وذلك نظرا لترتيبه أبجديا فى قسمه الاول . وعلى المسانيد فى قسمه الثانى ، ومن ذلك : أن بعض الاحاديث ترد فى غير ترتيبها الابجدى وذلك راجع اما الى خطأ من النساخ عن الاصل ، واما أن المؤلف كان يستدرك ما يفوته فيضعه كيفما اتفق على أن يعود اليه بالترتيب . وقد وافاه الاجل قبل ان يحقق ذلك .

ومن ذلك أن المؤلف حين التزم الترتيب الابجدى لييسر على القارىء العتور على طلبته من الحديث فقد فاته بذلك الوحده الموضوعيه بين الحديث وسابقه ولاحقه فقد يكون السابق فى العبادات والتالى فى الجنايات واللاحق فى مكارم الاخلاق وهكذا .

.. .. ..

وهذه الملاحظات يمكن تداركهاحين يستكمل الكتاب بفهارس كامله ابجديه وموضوعيه واعلام تكوندليلا يوضح للقارىء معالم هذه الموسوعه الفريده .

ومن ذلك : ان يكون للحديث عده روايات مختلفة المطلع فيختار المؤلف واحدة منها محيلا القارىء على مصادر بقية الطرق واحيانا يبينراوى اللفظ المختار .

وقد عالجت اللجنة — ما أمكن — مثل هذا الوضع بالهوامش بالتنبيه على صاحب الرواية المذكورة بقولها: اللفظ لفلان — وتورد احيانا الرواية بطولها لبيان الحال ومايفيده من أحكام .

.. .. ..

يبقى بعد هذا أمران اشتد النكير بهما على المؤلف من بعض السادة العلماء المعاصرين شدة بلغت حد الاغماض عن فائدة هذا السفر الجليل والتراث الرائد الى درجة المناداة باهماله وتناسيه .

الامر الاول : أن بالكتاب أحاديث موضوعة . وهذه لا يصح أن تخرج الى الناس ما دام قد حكم

بوضعها .

الامر الثانى : أن المؤلف أحيانا يختار طريق روايته للحديث أقل درجة بينما يكون للحديث طريق أخرى أقوى .

والخطب فى هذين الامرين أيسر من أن ينادى برفض هذا العمل الضخم بل باستدراك ما فيه وتصحيحه .

ذلك ان أمر (الوضع) فى السنة قد بينه علماء هذا الفن ودرسوه وحصروه ووضعوا القواعد الوافية لمعرفة الصحيح والزيف مما لم يعهد فى أمة من الامم وأفردوا له المصنفات مثل (اللآلىء المصنوعة) و (تنزيه الشريعة) و (موضوعات) ملا على القارى . مما أصبحت معه السنة المطهرة فى مأمن من كل دخيل عليها . يعرفه كل متذوق ودارس للسنة .

ثم إن الحكم بالوضع يختلف حسب المعايير التى ارتضاها الائمة ومنهم المتشدد المغالى ومنهم دون ذلك وقد يصح عند هذا مالا يصح عند ذاك . ومالا يتفق على الحكم بوضعه لا يصح أن يترك اذ هناك ضوابط للاخذ والترك .

ونحن فى كتابنا هذا أمام موسوعة ضخمة لم يدع مؤلفها أنه جردها للصحيح أو الحسن بل هو فيها بصدد عمل مستوعب يجمع فيه من كتب الصحاح وغيرها ويعزو كل نقل الى من نقل عنه ويبين درجته .. ولم تكن له مندوحة — بحكم أنه ناقل عن غيره نقلا أبجديا — أن يغفل فى كتابه هذا نقل ما تكلم فيه من أحاديث وذلك حتى يضع القارىء وجها لوجه أمام تراث السنة وما فيه .. وعمل الموسوعات من شأنه الاستقصاء والاستيعاب لا الاختيار والانتقاء .

على أن ايراد الضعيف او الموهن أو الموضوع فى هذه الموسوعة منبه عليه من المؤلف بالنص صراحة أو بحكم ما وضعه من قاعدة وتصنيف لمعرفة ذلك . وما يكون قد فاته فان لجنة تحقيقه تنبه عليه . فهو حين يقرأه القارىء انما يقرأه مقرونا بالحكم عليه بدرجته وما على القارىء حين يقرأ حديثا موهنا لم يكن يعرف توهينه الا انه سيفيد فائدة جديدة بمعرفته لدرجة مثل هذا الحديث الذى قد يكون درج على لسانه وتناوله بالقراءة أو الحفظ أو التداول فيعرف بذلك مثلا أنه موضوع فيأخذ الحيطة له وتكون أمانة العمل به أو تركه معصوبة برأسه اذ أن المؤلف قد أخلى عهدته ببيان الحال والدرجة والمصدر . ولم يكن ليقطع بالحكم بالوضع — وهو بصدد النقل الا فيما اتفق على الحكم بوضعه لا ما اختلف فى شأنه وهذا منهج علمى سليم .

صحيح أن ما اتفق على الحكم بوضعه كان المقتضى أن يستبعد عند النقل اذ لا يسع مسلما أن يقر كلاما أو فعلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تثبت صحة نسبته اليه ، والامام السيوطى على دين وتقوى نعيذه بهما أن يقر ذلك عن علم متثبت منه . ولو كان امتد به الاجل وأتيحت له فرصة للمراجعة لكان له شأن آخر فى مثل هذا — وهو على أى حال قليل لا يحجب رؤية جلال هذا العمل وضخامته وفائدته .. ولجنة تحقيقه بصدد عمل ملاحق له ومنها ملحق خاص بالموضوعات التى فيه لحصرها والتنبيه عليها وسبحان من له الكمال وحده .

الامر الثانى : أن المؤلف حين يختار الرواية الضعيفة تاركا الاقوى منها فلعله بذلك يريد ان يترك الاقوى لقوته ويقف بجانب الرواية الضعيفة

يوردها ويقويها بالشواهد التى هى أقوى منها حتى تستقيم على سوقها بالشاهد والمتابع والاقوى ولا يتركها للاندثار .

وبعد : فاذا كانت الامة الاسلامية فى حاجة ملحة الى موسوعة ضخمة تجمع كل ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محققا ومرتبا فان هذا أمل يراود كل مسلم ودين فى عنق الامة واجب الوفاء وقد استشعر هذا مؤتمر علماء المسلمين المنعقد بمجمع البحوث الاسلامية فى رجب ١٣٨٦ هـ اكتوبر سنة ١٩٦٦ م فأوصى بوضع موسوعة مفهرسة للاحاديث النبوية الشريفة تتولى تحقيقها لجنة خاصة حتى يكون رجوع الناس الى المصدر الثانى فى الاسلام أمرا مأمونا وميسرا .

واذا كان مالا يدرك كله فلا يترك كله .

فان كتاب (جمع الجوامع) أقل ما يقال فيه انه نواة لهذه الموسوعة وخطوة رائدة فى الطريق اليها .. وان لم يكن له من ميزة الا انه اختصر كثيرا من خطوات مراحل الجمع لهذه الموسوعة وانه حفظ لنا كثيرا من كتب السنة التى فى حكم المندثر لكفاه .

فهو أساس صالح للبناء عليه وتدارك ما فيه . واخراجه وطبعه خطوة ميسرة لبناء موسوعة كاملة تتضافر عليها الجهود والاجيال والله الموفق لما فيه الرشد والصواب وصلى الله على سيدنا محمد صاحب السيرة العطرة والسنة المطهرة وعلى آله وصحبه وسلم . ورحم الله الامام السيوطى وجزاه عن جهوده فى خدمة السنة خير الجزاء ووفق كل عامل يسر لهذه الموسوعة طريقها الى المسلمين للافادة منها .

نتيجة الامتحان فى دار القرآن الكريم

أعلنت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية نتيجة امتحان الطلاب المنتسبين لدار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح فى الفترة الصباحية ٨٢٪ وفى الفترة المسائية ٧٩٪ فى امتحان الدور الأول .

وتقرر أن يكون امتحان الدور الثانى يوم السبت ٨ من شعبان ١٣٩٢ هـ الموافق ١٦/٩/١٩٧٢ وأن تبدأ الدراسة للعام الجديد ٧٢/١٩٧٣ يوم السبت ١٥ من شعبان ١٣٩٢ الموافق ٢٣/٩/١٩٧٢ م .


قصص لا تنسى ..

جريمة في المدينة!

للاستاذ محمد المجذوب

من حق الناس فى طيبة المباركة أن يدهشوا لهــذه الخيانة ويتحدثوا بها ، فهم لا يزالون يعيشون فى جو النبوة الذى أشرقت بــه نفوسهم ، وزكت به أرواحهم ، فارتفعوا على الشهوات والضرورات ، وبــات كل واحد منهم حارسا طبيعيا لمبادىء الاسلام يأمــر بالمعــروف وينهى عن المنكر ، ويؤمن ملء قلبه أن تلك هى وظيفته الاولى لضمـــان استمرار الحياة السعيدة ، التى تركهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ولقد استمر على ذلك عهد الصديق ، الذى ثبت الله بــه كيان الدولــة المؤمنة ، ثم جاء عهد الفاروق امتدادا له وتوسعة لأمجــاده وخيراته ، حتى نعم الناس بما لم تحلم به الدنيا من العدالة والامن والتعاون على البر والتقوى ... وهم على تفاوت عقولهم ومفاهيمهم متفقون على الثقة بخليفتهم الملهم ، الذى جعل غاية مأمله أن يلحق بصاحبيه رسول الله وصديقه على الجادة نفسهــا التى سلكاها قبله .. ومن أجل ذلك جعل حياته جهادا متصــلا فى خدمــة المسلمين يفقههم فــى دينهم ويعنى بمصالحهم ، ويسهر لحمايتهم ، ويعلن فى كل مناسبة ، وفى كل موسم ، لوفود الحجيج والتجار ، وللمترددين على المدينة ، أنه وعماله ليسوا سوى أجراء مستعملين لرعاية شئون الامة كلها ، والطوائف التى تعيش معها فى ظل هذه الدولة الربانية ، مهما تباعدت أمصارهم ، وتباينت أفكارهم ..

ومن هنا كان استكبار الناس لهذه الحادثة ، التى ما كانوا ليتوقعوا مثلها فى بلد ما بـرح يتوهج فى أنـوار الوحى ، ويسعد بالعديد من تلاميذ النبوة السابقين الى الايمان ، على الرغم من توالى هجرتهم الى أنحـاء العالم ، الذى كلفوا إبلاغـه رسالة نبيهم ، وهدايـة شعوبه الشـقية المضللة الى سبيل ربهم ..

انها جريمة قتل لم يعرف مقترفها ، بالرغم من كل الجهود التى بذلـت لاظهاره .. وانهم ليتناقلون خبرها فى أسى عميق وحيرة بالغة ...

كان القتيل فتى يشارف الثامنـة عشرة ، صبيح الوجه أمرد لم ينبت الشعر فى عارضيه الا طلائع متفرقة، فهو أقرب الى منظر الانثى الناعمة منه الى منظر الرجل الخشن .. وقد ثبت أنه لقى حتفه بطعنة وجأت عنقه فاستنزفت دمه ، وأنـه حمل بعـد مقتله الى تلك البقعـة الواقعة فى طريق الناس ، فكأن القاتل قد خشى المفاجآت ، فلم يتسع لـه الـوقت للابتعاد به عن مجال العمران .

بيد أن هذه المعلومات لم تخفف من حيرة الفاروق ، ولم تكف مـن تساؤلات الناس ، الذين ذهبوا فى تقدير أسبابها وعواملها مذاهب شتى .. ولكنهم مع كل ذلك لا ييأسون من انكشاف الحقيقة على يدى خليفتهم ، الذى يشعرون أنه محفوف بتوفيق الله فمهما تعقدت الامـور ، وعميت الطرق ، فـلا قنوط من الفرج ، ولا مندوحة عن معرفة القاتل ولو بعـد حين !...

وأطرق أمير المؤمنين يفكر فى هذه المعضلة ، وراح يتتبع بتصوراته حال هذا القتيل ... من هو ؟ ... وكيف تم القضاء عليه ؟.. وأين حدث ذلك ؟ ... ومن الـذى حمله الى تلـك البقعة ؟!.. ولم يسـتطع أن يأمن من قلقه وحيرته الا باللجـوء الى الدعاء ، فرفع يديه ، وهو فى مصلاه من بيته ، يضرع الى ربه فى حرارة « اللهم .. اظفرنى بالقاتل !...)

. .... .

ومرت الايام ، وتلاحقت الاشهر ، وقل حـديث الناس عن الجريمة ، حتى كادوا ينسونها .. لولا هـذه المفاجأة التى ووجهوا بها منذ فجر اليوم ... ويالها مفاجـأة أن يعثر الناس على وليد ابن يومه ، فـى البقعـة نفسها التى عثروا بها على القتيل قبل تسعة أشهر !...

وحمل الصغير اللقيط الى أمير المؤمنين ... وكانت لحظة قاسـية جددت قلق الناس ، وألهبت ما هدأ مـن مشاعرهم التـى أوشكت أن تنطفىء ... فليس باليسير أن تقـع الفاحشة فى الحرم المطهر ، وان يلقى بثمرتها عـلى أعين الناس دون أن يعثروا على الفاعل ، الذى جرؤ على الاستهانة بحدود الله ، ثم لم يكتف بذلـك حتى راح يتحـدى الدولـة الحارسة لشريعته باعـلان جريمته على هذا النحو الشرس !...

وفى المسجد النبوى ضـم أمير المؤمنين الوليد البرىء الى صـدره وهو يتأمله فى حنان أبوى لا يوصف .. ولكنه بدلامن أن يتغضن جبينه من الغضب المهيب ، تلألأت على وجهه ــ ذى البيـاض النقـى المشرب بالحمرة ــ ابتسامة غامضة .. وتمتم فى صوت لا يكاد يسمع (ظفرت بدم القتيل ان شاء الله ...) (١) ..

وتململ الوليد على ذراع الخليفة ، وانطلق يصرخ كأنه يطالب بحق .. فتنبه الخليفة الى ما كاد ينساه ، وهمس فى أذن احدهم (ايتنى بفلانة حالا ..) وما هو الا القليل حتى عاد بها تتبعه على الاثر ...

وبعد الفاروق يديه بالصغير الى المرضع وهو يقول (قومى بشأنه وخذى منا نفقته ..)

وكادت المرأة تغيب عن ناظره بحملها المظلوم ، حين استوقفها ، ثم مضى حتى انتهر اليها بعيدا عن الناس ، وهناك قال لها فى صوت منخفض (انظرى من يأخذه منك .. فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه الى صدرها فاعلمينى بمكانها ..)

وتلقت المرضع كلمات الفاروق هذه بكثير من الرضى ، اذ شعرت انه انما يعبر لها عن ثقته بذكائها وحكمتها ... فلم تر جوابا له خيرا من قولها (سمعا وطاعة .. وأرجو أن يوفقنى الله الى ما يسر أمير المؤمنين ...)

وعادت المرأة برضيعها وقد قررت أن تعطيه من الرعاية كل ما تستطيع تقديرا لحسن رأى الخليفة ... ولم يغفل أمير المؤمنين أمر الصبى ولم يكن لينساه ، فكان لا يكتفى بتأمين نفقته وإكرام مربيته ، وزيادة أجرها كلما تقدم فى مدارج النمو ، بل كان يقصد اليه لتفقده بين الحين والحين، فيحمله ويداعبه ويطرفه بالهدايا المبهجة للطفولة .. ثم يعود الى عمله فى خدمة المسلمين وتفقد أوضاعهم وأسواقهم ، وهو يردد دعوته الاولى التى رفعها الى الله قبل سنتين (اللهم اظفرنى بالقاتل ..)

وبينا هو ذات صباح — يغادر مدخل المسجد النبوى فى أعقاب صلاة الفجر ، تلقى سمعه صوتا يناديه بما يشبه الهمس فيتجه صوبه ، فاذا المرأة التى ائتمنها على الصبى، وكأنه توقع أمرا هاما ، فأسرع اليها يسأل « هل من جديد ؟..» وبمثل ذلك الهمس تقول « نعم عندى الجديد الذى تنتظر يا أمير المؤمنين . »

وكأنما كان على موعد مع هذا الجديد ، فلم يبد عليه أى تأثر ، ولم يحدث فى لهجته أى تغير ، بل قال للمرأة (اذن فالى المسجد) .

وعاد أدراجه ، والمرأة خلفه ، وقد كاد المسجد يخلو من آخر المصلين عندما جلس على الحصباء يستمع اليها وهى تحدثه فى انفعال لا تستطيع كتمانه :

(كان ذلك مساء أمس .. حين جاءتنى جارية فلان ...)

ولم يتمالك الفاروق أن يقاطعها فى لهجة مشحونة بالتعجب ، وكأنه ينبهها الى وجوب التثبت مما تذكر « تقولين » جارية فلان ..

— وعادت المرأة فى تصميم الواثق « بلى .. جارية فلان الشيخ الانصارى نفسه ... »

— حسن .. فأتمى ما تريدين ..)

وتابعت المرأة « قالت الجارية »

وتابعت المرأة « قالت الجارية : « ان سيدتى فلانة .. أعنى ابنة الشيخ يا أمير المؤمنين .. »

ولم ير أمير المؤمنين حاجة لذلك التفصيل فقال « تلك فتاة مشهورة بالفضل . فلا ضرورة لتعريفها ... أتمى حديثك » .

— قالت لى ان سيدتى بعثتنى اليك لتبعثى اليها بالصبى تراه وترده عليك ...)

ـ حسن .. حسن .. ثم ماذا ؟!
ـ رأيت أن أحقق رغبتها على أن أكون مع الصبى أراقب ما تصنع .. تماما كما أمرتنى يا أمير المؤمنين ..)
ـ نعم ما فعلت . ثم ماذا ؟..)
ـ لقد أخذت الصبى فقبلته وضمته اليهـا ..)

ولم يجد الخليفـة حاجة لمزيد من التفصيل فقال للمرأة « حسبك .. حسبك ، وانصرفى راشدة .)

. . . . .

ووقف عمر على الشيخ الانصارى وهو متكىء على باب داره ، فحياه ، وأخذ يسألـه « ما فعلت ابنتـك فلانة ؟!.. »

ورد الـرجل فى لهجـة راضية « جزاها الله خيرا يا أمير المؤمنين هى من أعرف الناس بحق أبيها ، مع حسن الصلات والقيام بالدين ..»
فقال عمر « قد أحببت أن أدخل اليها فأزيدها رغبة فى الخير وأحثها عليه .. »

ونهض الشيخ لفوره يؤذنها برغبة الخليفـة ، الذى لحق بـه علـى الاثر .. وفى حجرة الفتاة اتخذ عمر مجلسه على جانب مـن الفراش ، وأمر من هناك بالخروج ، حتـى لم يبق ثمة سواهما هو والفتاة ...

وهنا كشف أمير المؤمنين طـرف ردائه عن السيف الذى اشتمل عليه ، وأطبق قبضته على قائمه ، وهو يقول فى نبرات مركزة حاسمة « أصدقينى ... والا ضربت عنقك .. »

وأدركت الفتاة أنهـا تلقاء انـذار عمرى لا يعرف التردد .. فاستوت فى مجلسها ونظرت اليه من خلال نقابها بعينين تنطقان بالتصميم علـى الرضى بكل شىء ... وجعلت تتكلم فى لهجة تصور عزيمتها القاطعة ...
ـ على رسـلك .. فواللـه لأصدقن .. »

وصمتت قليلا تجمع أفكارها ، ثم تابعت « انعجوزا كانت تتردد علينا حتى ألفناها دون أن نعرف منبتها .. وقد بلغت ثقتى بهـا وحبى لهـا أن اتخذتها مكان أمى التـى توفيت ، فكانت تقابل ودى بمثله ، وتقوم من أمرى بما تقوم به الوالدة .. حتى مضى لذلك حين .. ثم جاءتنى ذات يوم تقول « يا بنية .. لقد عرض لى سفر ، ولى ابنة فى موضع أتخـوف عليها بـه ان تضيع ، وقد أحببت أن أضمها اليك حتى أرجع ...)

وعادت الفتاة هنا الى الصمت ، وأطرقت برأسها الى الارض كأنهـا تريد أن تتخير الكلمات المجزئة .. ولم يشأ عمر أن يراجعها أو يستحثها على المتابعـة ، بل جعـل يدقق فـى حركاتها ، ويتفطن الى نبراتها بوعيه العميق ، وقد مضت أصابعه فى فتل سبلتى شاربيه ، على دأبه حـين يستغرقه الغضب والتفكير ، حـتى رجعت الى مواصلة الحديث :

(وجاءت العجوز بابنتها الينا ، وتركتها لنا وديعة ريثما تعـود ، وأكرمت البنت كما كنت أكرم والدتها وأكثر .. وقابلـت هى إكرامـى بالتقدير ، فكانت تخالطنى فى شئونى كلها ، وجعلت ترعانى باللطف نفسه الذى عهدته من أمها .. حتى كانت تلك الليلة المشئومة ...)

وعند هـذه العبارة بدأت لهجتها تتغير ، وخشن صوتها حتى أشـبه السعال اليابس ، وتوقفت عن الكلام للحفاف الذى اعترى فمها .. وكأن

الخليفـــة قد خشى أن يعرض لها ما يؤثر على تصميمها فقال ويده علـــى قائم السيف « لا ينبغى لك أن تكتمى عنى شــــيئا ، يجب أن أعلم كل شىء ..)

وأجابت الفتاة فى قوة « أبدا لن أكتم ... ان من حق أمير المؤمنين أن يحيط علما بكل ما جرى .. ان هذه الفتـــاة التى ألفتهـــا وأمنتهـــا وفسحت لها مكانا دائما من مخدعى ... قد انتهزت فرصة استغراقى فى نومى ذات ليلة ، فاذا هى تخالطنى ثم تعلونى .. ولم أســـترد يقظتى التامة الا بعد أن أصاب منى ذلـــك الغادر — الذى ظل يخدعنا بأنوثته المزورة حتى تلك اللحظة — كل ما أراد !...

ولم يستطع أمير المؤمنين الا أن يتعجل تتمة الاقـــرار فقـــال « ثم ماذا ؟... »

قالت الفتاة « لقد مددت يدى الى شفرة كنت أجعلها تحـــت فراشى فطعنته حتى استوثقت من نفوقه .. ثم أمرت به فألقى حيث رأيت .. »

وفجأة تتحول لهجتهـــا الى رقـــة محزنة فتقول « وقد شاء اللـــه أن اشتمل من ذلك الغادر على هـــذا الصبى ، فلما وضعته أمرت به فألقى موضع أبيه ..

ومسحت عينيها بنقابها ثم تابعت (ذلك والله خبرهما على ما أعلمتك بـــه ...)

ولم يعد عمر فى حاجة الى مزيد من الكلام فنهض واقفا وهو يقـــول للفتاة « ولقد صدقت .. والله أسأل أن يزيدك من فضله ، فواصلى سبيلك فى طاعة الله وفى مرضاة والدك ..)

ثم غادر الحجرة ليلقى والدهـــا الشيخ ، وقد انتقع وجهه ، وغرق فى حيرة مبينة ، وأطرق برأسه ينظر فى ما بين يديه ، على صورة يمتزج فيها الخوف بالخجل !.. ولكن أمير المؤمنين لم يشأ أن يطيل قلقه ، فألقى عليه تحيته بلهجـــة ملأت قلبه غبطة وطمأنينة ، ثم غادر المنزل وهو يقول له « نعمت الابنـــة ابنتك أيهـــا الشيخ ...)

---

* اقتبست أصول هـــذه القصة من كتاب (الطرق الحكمية ...) للامام بن القيم .

الفتاوى

تعلم النساء الكتابـــة

السؤال :

قرأت حديثا منسوبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونصه « لا تسكنوهن الغرف ؟ ولا تعلموهن الكتابة » فهل هذا الحديث صحيح ؟

الاجابة :

هذا الحديث الذى يشير اليه السائل لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهـــن الكتابة رواه الحاكم فى المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحـــاك عـــن عائشة ، وهو كاذب كما قال أبو حاتم ، متروك كما قال النسائى ، منكر الحديث كما قال الدار قطنى ، وقال الحافظ بن حجر فى الاطراف بعد ذكر تصحيح الحاكم له ـــ بل عبد الوهاب متروك ، وقد تابعه محمد بن ابراهيم الشامى عن شعيب ابن اسحق ، وابراهيم رماه ابن حبان بالوضع ، وابن حبان هـــو الذى روى حديثه هذا فى كتاب الضعفاء ، وقال الدار قطنى فيه ـــ كذاب . وأخرج ابن حبان فى الضعفاء أيضا عن ابن عباس مرفوعا (لا تعلموا نساءكم الكتابة) وفى سنده جعفر بن نصر وهو متهم بالكذب كما قال الذهبى وهذه الروايات الواهية أو الموضوعة معارضة بروايات صحيحة فى مشروعية تعليم النساء الكتابة . منها حـــديث الشـــفاء التى علمت حفصـــة أم المؤمنين الكتـــابة وقال لهـــا النبى صلى الله عليه وسلم مرة مازحا (الا تعلمين هذه ، رقية النملة كما علمتها الكتابة) رواه أحمد وأبو داود بسند رجاله رجال الصحيح إلا ابراهيم بن مهدى البغدادى المصيصى وهو ثقة كما قال ابن القيم ، ورواه النسائى والحاكم وصححه وغيرهم وقد صرح كثير من العلماء بان حديث الشفاء يدل على جـــواز تعـــليم النساء الكتابة وفى الأدب المفرد للبخارى أن عائشة بنت طلحة كانت فى حجر عائشة أم المؤمنين تكاتب الرجال . كانوا يكتبون اليها من الامصار ويهدونهـــا

لمكانها من أم المؤمنين فتأمرهـــا أم المؤمنين بان تجيبهم على كتبهم وتثيبهم على هداياهم ، وعلى هذا جرى المسلمون فكان فيهم كثير من الكاتبات العالمـــات بالحديث والأدب والفنون وهن يدخلن فى عموم خطاب الشرع فى جميع أحكامه الا ما خصص ، ومن مقاصد الشرع اخراج الامة من الأمية وتعليمها الكتـــاب والحكمة كما هو منصوص فى كتاب الله تعالى ..

مجـــلس المعصيـــة

السؤال :

ما حكم الله تعالى ورسوله فى رجل يمضى وقتا كل يوم فى قهوة عمومية بها مسكرات ولعب ميسر ولعب بليارد وغير ذلك مع انه لا يتعاطى شيئا من ذلك كله ، وينكر ذلك بقلبه ، بل قصده تمضيـــة وقت فهل يجوز له الجلوس أم لا ؟

الاجابة :

قال الله تعالى : « **واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقـــون من حسابهم من شىء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا » الآية** ـــ وقال تعالى ـــ « **وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات اللـــه يكفر بها ويستهزأ بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره »** .

هذا حكم الله فيمن يرى الباطل والمنكر أو يسمعه من غيره وهو أنه منهى عن القعود مـــع أهله لان أقل ما فى قعوده اقرار ما يرى ويسمع واحترام أهله والاستئناس به وهو نوع من المشاركة فيه ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان) رواه مسلم وغيره من حديث أبى مسعـــود البدرى رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم (إياكم والجلوس بالطرقات) قالوا ـــ يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . قال فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا ـــ وما حقه ؟ قال (غض البصر وكف الأذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر) رواه البخارى

ومسلم ، والاحاديث فى هذا كثيرة ، وهى واضحة المعنى ، وقلما واظب أحد على مجالسة أهل المعاصى والأنس بهم الا وشاركهم فى معاصيهم ولو بعد حين ، وما يجده أولا من إنكار القلب وتوبيخ الضمير الذى هو أضعف الايمان يزول بالتدريج فليتق العاقل ربه ، ولا يغش مجالس المنكرات ويجالس أهلها الا لضرورة وبقدر الضرورة ان وجدت وتقطيع الوقت ليس بضرورة ولا حاجة صحيحة بل الوقت أثمن ما يملك العاقل فعليه أن يصرفه فيما ينفعه فى دينه أو دنياه لا فيما يعد وسيلة الى أضاعتهما جميعا .

قراءة العامى للحديث

السؤال :

هل يجوز للعامى الذى لا يعرف نحوا ولا صرفا ان يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اللحن فيه أم لا ؟

الاجابة :

يجوز للعامى أن يطالع كتب السنة للاستفادة منها فان عوام العرب يفهمون كثيرا منها فهما صحيحا واذا أراد أن يحفظ حديثا ليرويه ويفيد الناس به فعليه أن يعتمد على بعض أهل العلم فى ضبط الفاظه وفهم معناه ودرجته فى الصحة وما يقابلها ..

بريد الوعي الإسلامي

تعقيب ..

جاء في المقال الذي كتبه الاستاذ أحمد حسن الباقوري في العدد ١٦٢ من هذه المجلة أن جارا للنبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى طعام فأبى الا أن تصحبه زوجه عائشة ، وأنه حضر وليمة عرس فقامت العروس بنفسها على خدمة الضيوف .

وربما حسب كثير من الناس أن الحديثين دليل على أن للنساء أن يختلطن مع الرجال على نحو ما يتم اليوم في السهرات البيتية والاندية الليلية .. وربما ظنوا أن الاستاذ الباقوري يقصد ذلك فاحتملوها منـــه فتوى باطلة بهذا الامر المشين الذي لم يرد به نص كتاب ولا هدى رسول .

ولا ريب أن الكاتب لا يريد ذلك وما ينبغي له ـــ وهو المؤمن بكتاب الله وهدى رسوله ـــ أن يقصد شيئا من ذلك .

ان ذهاب عائشة رضى الله عنها مع النبي عليه الصلاة والسلام الى تلك الدعوة لا يعني أنها ظهرت سافرة متبرجة أمام الاجانب من الرجال ، وليس بين الأمرين أى تلازم أو اقتضاء . وقد روى مسلم وغيره عن أنس بن مالك أن أم سليم صنعت حيسا (نوع من الحلوى) وأرسلت به الى رســـول الله عليه الصلاة والسلام بمناسبة زواجه من زينب بنت جحش ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وجلسوا يأكلون ويتحدثون ، ورسول الله جالس وزوجته مولية وجهها الى الحائط الى أن خرجوا .

فتلك هي صورة ما أراد أن يستشهد به الاستاذ الباقوري ، وهي صورة لا تمت بأى نسب كما نرى الى واقع كثير من الناس اليوم .

والعروس التي قامت تخدم الضيوف بنفسها في الحـــديث الآخر لم تكن مزينة بادية الجسم والمفاتن كما هو الشأن اليوم ، وانما كانت كما قال شارح البخارى : متسترة بعيدة عن كل أسباب الفتنة ومظاهر التبرج (فتح البارى : ٩/٢٠٠) واذا كان الشأن في كل من الحديثين كما قد اتضـــح لك فليس في عرضها أى تسويغ للتبرج أو الاختلاط المشين الذي يتم في بعض الأسر اليوم .

واغلب الظن أن الاستاذ الباقورى انما أراد أن يوضح اتساع الشريعة الاسلامية لتلاقي الرجل والمرأة في مثل هذه المناسبات ، اذا توفرت الصيانة والحجاب الاســـــلامي الذي نص عليه القرآن في كل من ســـــورتي النور والاحزاب ، كما يتلاقيان على هذا النحو في المســــاجد والمؤسسات العامية ونحوها .

ولكن الواقع السيىء الذى يعيش فيه أكثر المسلمين اليوم ، كان يقتضى من الاستاذ الباقورى التركيز على القيد والشرط أكثر من أن يركز على أصل الفكرة والمبدأ .. المبدأ المجرد عن أى قيد .

د . محمد سعيد رمضان البوطى

.. .. ..

حول مقال :

((الخطر الذى يهدد المصحف .. كيف ندفعه .. ؟))

نشرت (الوعى الاسلامى) الزاهرة فى العدد ٨٦ للسنة الثامنة تحقيقا واسعا حول الاخطاء التى كثر وقوعها فى طبعات المصحف الشريف ، للاستاذ الفاضل محمد مهدى ، جزاه الله تعالى عن قرآنه الكريم خير الجزاء ، وقد وردت فى التحقيق العبارة التالية :

((ويطبع ــ المصحف ــ فى لبنان والعراق وتركيا وغيرها بالخط الاملائى الذى يخضع لقواعد الاملاء الحديثة التى تكتب كل ما ينطق باستثناء حالات معينة التزم فيها المصحف بالرسم العثمانى ، ويجد مسلمو هذه البلاد صعوبة كبيرة فى قراءة أى مصحف مطبوع بغير خطهم ص ٤١)) أقول إن هذه العبارة مجانبة للصواب وبعيدة عن الواقع خاصة فى ما يتعلق بالعراق من عدة وجوه .

١ ــ أن المصحف الشريف ما طبع فى العراق أبدا بالخط الاملائى الذى يخضع لقواعد الاملاء الحديثة وانما طبع بخط (النسخ) .

٢ ــ طبع المصحف الشريف عدة طبعات تزيد على عشرين طبعة ، وكلها بخط المرحوم الحافظ عثمان التركى الخطاط المتوفى سنة ١١١٠ هـ وكان المرحوم الاعظمى يأخذ احدى النسخ المطبوعة فى القاهرة أو دمشق ويسحب كليشيهات مستقلة لكل صفحة بكاملها بما فى الصفحة الواحدة من الاطار والزخرفة والسجدة ، والحزب والجزء ورقم الصفحة وآياتها وأرقام الآيات .

ابتغاء للدقة والامانة واعتمادا على النسخة المطبوعة فى القاهرة والموقعة من لجنة الفحص ومشيخة المقارىء المصرية ..

٣ ــ أخرج المرحوم الاعظمى طبعة للمصحف الشريف سنة ١٩٦٠ م وكان فى تلك الطبعة حرف واحد مطموس هو حرف (و) فى احدى الآيات الكريمة ــ لا أذكرها ــ وقد انطمس ذلك الحرف لكثرة الطبع حيث لم تحتمل الكليشيهات ذلك ، وقد نبه على ذلك الخطأ أحد عمال السكك الحديدية فى العراق ورفع مذكرة الى رابطة العلماء وقاضى بغداد وديوان الأوقاف .

٤ ــ المصحف الذى طبعته مكتبة المثنى سنة ١٩٦٢ م فى ألمانيا ، كان بخط المرحوم مصطفى نظيف قدرغلى الخطاط التركى البارع .

والمصحف مطبوع فى القاهرة وفى تركيا ، ويعرف أيضا باسم (مصحف استانه) وطبع فى ألمانيا بنفس الطريقة وهى كليشيهات مستقلة لكل صفحة بكاملها .

٥ ــ المصحف الذى طبعته مديرية المساحة العامة فى العراق ســنة ١٣٧٠ هـ بحجم كبير بخط المرحوم محمد أمين الرشدى التركى الخطاط كتبه سنة ١٢٣٦ هـ وطبع بسحب كليشيهات مستقلة لكل صـــفحة وقد أتم بعض حروفه المطموسة الاستاذ هاشم محمد الخطــاط البغدادى ، وقد أشرف على طبعه بنفسه .

٦ ــ المصحف الذى طبعته رئاسة ديوان الاوقاف العراقية فى ألمــانيا سنة ١٣٨٦ هـ هو نفس مصحف مديرية المساحة العامة ، وقد كتب له الاستاذ هاشم البغدادى عناوين السور ، وأرقام الآيات وزخرفة الفاتحة وأول البقرة .

٧ ــ كل هذه المصاحف طبعت بخط النسخ وعلى الرسم العثمانى ، ولم يطبع مصحف واحد بالخط الاملائى أبداً بل أكثر من ذلك أن الكتب المدرسية التى تتضمن نصوصا من القرآن الكريم طبعت تلك النصوص بالرسم العثمانى مغايرة بذلك حروف الكتاب المدرسى نفسه حتى يشعر الطالب بالنص القرآنى ولا يرتبك حين يجد مغايرة فى الكتاب المدرسى نفسه ونسخة المصحف الشريف ولا أدرى من أين استقى الاستاذ الفاضل محمد مهدى هذه المعلومات المغلوطة عن طبع المصحف فى العراق .

٨ ــ المقصود بالرسم العثمانى هنا هو الطريقة التى رسمت بها الحروف وتركيبها فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى اله عنه ، وطريقتها تخالف الطريقة الاملائية الحديثة طبعا مثل (أمرأت عمران) وسنت الله ، والزكوة ، والصلوة ، والحيوة الدنيا ، وأمثالها .

ثم تطورت الخطوط العربية وتنوعت من الناحية الفنية والجمالية كالثلث والنسخ والرقعة والديوانى والتعليق والاجازة والريحانى والــكوفى والمغربى وغيرها ، وهى فى كل الكتابات تخضع للقواعد الاملائية الحديثة الا فى كتــابة المصحف الشريف فانها تلتزم بالرسم العثمانى وتكتب مثلا (حاميم) هكذا : حم وتكتب (سنت الله) هكذا أيضا .

ثم جاء دور المطابع وطبعت عدة مصــاحف بخط النسخ ، ولــكنها على الرسم العثمانى وأشهرها وأجملها وأوضحها مصحف (الحافظ عثمان) ولا يزال الناس يفضلون المصحف المطبوع بخط الحافظ عثمان على غيره ، ولعل الأمر يلتبس عند كثير من الناس فيخلطون ((سيدنا عثمان بن عفان والدولة العثمانية والحافظ عثمان)) ولا يدرون معنى (الرسم العثمانى) لمن يعود من هؤلاء ، والصحيح أنه يعود الى سيدنا (عثمان بن عفان) ومعنى الرسم العثمانى أنه يكتب بالطريقة التى كتب بها مصحف سيدنا عثمان والذى أخذت عنه ســائر اقطار المسلمين الى يومنا هذا ، وحتى الخط المغربى فانه على الرسم العثمانى ايضا ، ولا عبرة بنقطة الفاء والقاف لأن التنقيط استحدث بعد ذلك ، ولكن وضع الحروف وتركيبها فى الكلمات سواء مثل (الحيوة الدنيــا) فى الخط المشرقى والمغربى سواء ، وحتى فى التعليق الفارسى ، فقد طبع المصـــحف الشريف فى ايران والهند بخط التعليق و (نستعليق) ولكنه على الرســـم العثمـــانى .

وليد الاعظمى

بأقلام القراء

((الاسلام بين انصاره واعدائه))

من كلمة للدكتور السيد عبد الله عبد القادر تحت هذا العنوان نقتطف ما يأتى :

ان الدين الاسلامى هو الدين الاجتماعى ، ففى القرآن أصول المسائل الاجتماعية التى ينبنى عليها بقاء الامم وفناؤها وسعادتها وشقاؤها ، وهى فى القرآن ابسط من سائر الاشارات العلمية ومع ذلك فقد سئل الدكتور جرينيه الفرنساوى عضو مجلس النواب سابقا عن سبب اسلامه ، فقال : انى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها تعلق بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية وهى التى درستها من صغرى وأعلمها جيدا فوجدت هذه الآيات منطبقة تماما على معارفنا الحديثة فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا عليه الصلاة والسلام أتى بالحق الصريح من قبل أكثر من الف سنة من غير أن يكون له معلم أو مدرس من البشر ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلمه جيدا كما قارنت أنا لأسلم بلا شك اذا كان عاقلا خاليا من الاغراض .

وليست المسائل الاقتصادية فى القرآن بأقل من المسائل الاجتماعية الا ترون كيف نص على تحريم الفواحش الثلاث المضادة للفطرة والمخربة للديار والمذهبة للثروة والمثيرة للبغضاء والحسد والكراهية والوقاحة وهى الزنا والخمر والقمار مع ما فى الزنا من ضياع الانساب وخراب البيوت والأسر وفساد الأخلاق وذهاب الحياء وفشو الامراض التناسلية وقلة النسل وظلم النساء أن يصرن العوبة بأيدى الفساق محرومات من الكرامة البيتية ومن الذرية والحقوق الزوجية وما يتصل بها كالارث والنفقة والحضانة مع أن المتزوجة انما تحاول ارضاء رجل واحد هو زوجها تأخذ منه بايجاب الشرع كل ما تحتاجه من النفقة والكسوة وأسباب الزينة وتصير أم بيت وأسرة وذات ذرية تقر بها عينها الى غير ذلك .

فالزنا هو الذى يفتح باب ظلم المرأة وامتهانها ، والزناة هم الذين يظلمون البيئة الاجتماعية بافسادهم جانبا منها ومثل الزنا فى كونه يفتح باب ظلم المرأة كل ما صار سببا اليه أو حال دون سهولة الزوجية الشرعية . فان كل قيد مانع من سهولة الزواج الشرعى أو حائل دونه يلجىء لا محالة الى اقتحام الرذيلة فانه اذا ضاق على النفوس البشرية جانب الحلال المشروع اقتحمت لا محالة جانب الحرام الغير المشروع .

فالدين الاسلامى سد باب الزنا من كل وجه ووسع للناس فى النكاح الحلال الى الاربع الزوجات أما عكس ذلك فهو السبب فى قلة العفة عند بعض الامم واضطرارهم الى اباحة الزنا أو تخصيص حرمته بالمتزوجة ، ومع ما فى الخمر من ازالته للعقل واضعافه للبدن واتلافه أنسجته بتأثير الكحول كما

أجمع على هذا محققو أطباء العالم وهو مبدد للثروة سائق الى الفجور والى الجنون فى النسل .

ومعلوم تأثير القمار فى افناء الثروة وافساد الخلق وتقوية خلق الطمع والشراهة الى مال الغير كما تشاهدون ذلك فى بلاد أوروبا أظهر وأظهر وحسبنا فى ذلك قول الله تعالى : ((**انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**)) (المائدة — ٩) .

وتأملوا كيف نهى الله عز وجل عن التبذير وأمر بالاقتصاد وأثنى على أهله فقال عز وجل : ((**ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**)) (الاسراء — ٢٦/٢٧) .

وكما أشار فى سورة النساء الى فائدة اقتصادية عظيمة نبه بها الى أن ثروة الافراد هى فى الحقيقة ثروة الأمة من حيث تكافلهم وتشريعه الحجر على السفهاء لئلا يضيع مجموع ثروة الأمة بتبذير أفرادها وان المال قوام الأمة لا يصلح شأنها بدونه . وذلك فى قوله تعالى : ((**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا**)) (النساء — ٥) . وقال تعالى فى سورة الانعام : ((**وهو الذى جعلكم خلائف فى الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات** (أى فى القوة والثروة والعلم وسائر ما يتفاوت فيه البشر) **ليبلوكم فيما آتاكم أن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم**)) (سورة الانعام — ١٦٥) أى ليختبركم فيما آتاكم من النعم التى تفاوت بسببها رفع بعضكم فوق بعض .

وقال تعالى فى سورة الزخرف : ((**نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا**)) (الزخرف — ٣٢) ، فالتفاوت وشعور القوى بقوته عادة ينتج التغالب بالحق والباطل فيما بين البشر أفرادا وأمما بل يكاد يكون عاما فى الاحياء كافة فانك تنثر الحب للطيور فتراها تتزاحم عليه وينقر قويها ضعيفها ، فيطرده ويحرمه ويخرج الاطفال من المدرسة فيتزاحمونُ حول بائع الثلج فيزحم القوى الضعيف بمنكبيه فيغلبه على مكانه حتى قيل إن الظلم من شيم النفوس ومهما كان الحال فان العقلاء غير معذورين فيما خرج فى التغالب عن دائرة العدل والابتلاء الالهى فى قوله تعالى : ((**ليبلوكم فيما آتاكم**)) . انما هو فى كيفية استعمالنا تلك القوى مع غيرنا ممن هو أضعف منا بأن تكون هناك حقوق وأسباب وحدود فيما بين الفريقين ولا بد من تحديد المعاملة فيما بينهم لا يبغى قويهم على ضعيفهم ولا يستأثر دونه بقوته ولا يستعملها فى سلب حقه . فهل يوكل الى البشر ايجاب الحقوق ووضع الحدود وأى الفريقين يوكل اليه ذلك وهما إما قوى لا يعدل واما ضعيف لا ينتصف .

لا جرم أن خالق الخلق قد تكفل بانزال هذا القرآن الذى فيه نظام العدل وأصوله الاساسية وفيه فوق ذلك نظام الاحسان والفضل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع » ، فقد روعى حال ضعفاء الأمة وفقرائها فى شرع الاسلام فأوجب لهم ربع العشر من النقد من مال أغنيائها كل عام ، ومن سائر الانواع الزكوية حصصا متفاوتة لتتم ألفتها واتحادها ولا يبلغ الى حال الاضطرار والفاقة والفقر المدقع فى تحريمه الربا لئلا يستغل ذو الثروة حاجة الضعفاء فتقسوا قلوبهم عليهم ويستولوا بالتدريج على اكسابهم وعقاراتهم وأبدانهم فالبطبع يكونون تحت نفوذهم وسيطرتهم يسخرونهم لاغراضهم كيف شاؤوا أو تتراكم الثروة فى يد عدد معدود من الافراد والجماعات .

قالت صحف العالم

الاجتهـــــاد

تتبعت منذ بدأت مطالعتى موضوع (الاجتهاد) الذى كان يثور بين الحين والحين فى حياة المسلمين وما استمعت اليه من خلال الاحاديث ومن خلال الصحف وتعمقته من خلال البحث وآمنت به من خلال الممارسة العملية لقضايا الحيـــاة وشؤون المجتمع وادركت أى هوة باعدت بين المسلمين وبين الرقى منذ أن أغلقوا باب الاجتهاد .

هل فى وسع الانسان أن يتمثل دعوة أشد على المسلمين أثر سوء من هذه الدعوة ــ الدعوة الى الصمت فى مجابهة صوت الواقع والاذعان فى مقابلـــة التحدى ..

وكيف نقفل باب الاجتهاد فى حياة تفتح لها فى كل يوم بابا وتواجـــه فى كل ساعة حدثا ويكون لها مع كل لحظة الجديد .

فى البداية كانوا يقولون ــ أين الذين تكتمل لهم شروط الاجتهاد ؟ حسنا ولكن اقفال الباب شىء والدعوة الى أن يلجه أصحابه والقادرون عليه شىء آخر .

ان الاجتهاد ركن من أركان الحياة الاسلامية ولقد ظل المسلمون يتقدمون على طريق الحضارة ما داموا يجتهدون فلما وقفوا وقفت بهم الحياة عند الحدود التى جمدوا عليها وخلفتهم من ورائها أمم كثيرة على الارض .

لو لم يكن هناك اجتهاد فى صميم الفكر الاسلامى لكان علينا أن نوجده ، لو لم يكن هناك باب مفتوح لكان علينا أن نفتحه ، وان حركة الحياة لا تقبل جمود الفكر ، وحين نواجه احداث الحياة بتراث لا يتجدد وفكر لا يتحـــرك فاننا نقود هذه الحياة الى حافة الموت . كل شىء فى حياتنا الداخلية والخارجية فى حياتنا المادية والمعنوية فى حياة الافراد والجماعات يشعرنا بالقصور الكبير ويلهب جلود الطبقة المثقفة من العلماء السلفيين والمحدثين بسياط من الاحساس بالمسؤلية .

ويؤرق ضميرها ويدعها نهب هذا الاحساس العميق بأن عليها فى الفترة المعاصرة واجبا مزدوجا ــ واجب الخروج من التخلف وواجب مواكبـــة الركب الحضارى ولن يتيسر شىء من ذلك الا من طريق الاجتهاد وبه .

لا بد للمسلمين وقد تخلفوا فى كل شىء واختلفوا فى كل شىء ان يلتقـــوا على هذا وان يعدوا له عدته من الفهم والدراية وان يفتحوا بابه على أساس من هذا التفتح للحياة الجديدة بمتطلباتها التى تفرضها وشؤونها التى استجدت فيها وتطلعها الى البعيد الذى تخترق به فى كل يوم طبقا بعد طبق .

ما من شك فى أن هناك جهودا كبرى صادقة تبعث على التقدير والاعجاب يقوم بها علماء أعلام بين أطراف الوطن الاسلامى يكتبون بهذا الوضع المتأخر .

ولكن عيب هذه الجهود انها جهود فردية حتى فى حدود الوطن الواحد وما لم تخرج هذه الجهود الى عمل منظم له مؤيداته الادبية وسلطانه المعنوى فان هذه الاغلال التى تكبل المسلمين وتشدهم الى التأخر تظل علـى عنفوانهــا وتحكمها ..

اننى لا أدعوا الى سلطة جديدة فى الاسلام ولكنى أدعو الى أن يـؤمن المسلمون بحقهم فى تجاوز الحاضر الماثل الى المستقبل المأمول .

أليس من صميم هذا الجمع بين الفكر والعمل فى الاسلام أن يكون هـذا الجمع بين الاجتهاد فى معناه المادى الـذى يعنى بذل الجهود وبين الاجتهاد فى معناه الفكرى الذى يعنى التفتح على أبعد الآفاق .

ترى هل غفل المسلمون حتى عن معانى الالفاظ فى حياتهم فأصبحت حياتهم الفاظ دون معان وهيكلا من دون روح ..

عن مجلة الثقافة الجزائرية ..

شعب فى فـراغ

وتلك هى طبيعة الامة الاسلامية عبر التاريخ ولا استغراب .

ان الله سبحانه وتعالى خص هذه الامة بالقيادة والهداية واكرمها بتجديف سفينة الانسانية الى يوم القيامة فكيف يسمح لها بالنكر لدينها والتنكب عن طريقها والخيانة بمادئها والغدر بأهدافها ومراميها والانسانية كلها عالـة عليها ، والدنيا كلها فى حاجة إليها .

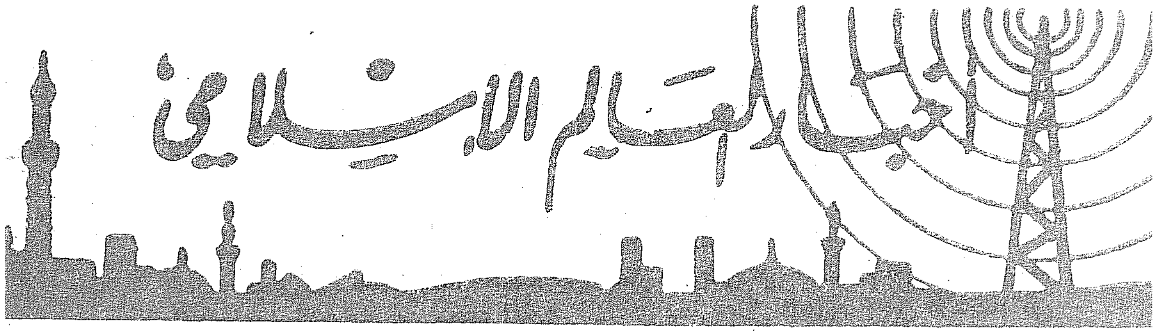
اذا فحرام على هذا الشعب أن يعيش فى فراغ ان يعيش من غير عقيدة وعاطفة وشخصية وحرام عليه أن تكون له عقيدة غير عقيدة الاسلام وان تكـون له عاطفة غير عاطفة الايمان وان تكون له شخصية غير شخصية المؤمن الصالح المصلـح ..

وإذا نفعت استعارة المبادىء وسرقة الافكار وانتحـال الفلسفـات وتقليد القرود والببغاوات بعض الشعوب الآسيوية والافريقية وإنها قطعت بعض الشوط فى النهضة الصناعية والمادية واحسنت المحاكاة والتقليد وربما سبقت معلماتها فى التكنية فى بعض المجالات فانها لا تنفـع الشعب المسلم اينما كان وبأى قميص تقمص ولو تفهد وتنمر لان الله حصر العزة والمجـد والنهضة والاستعلاء فـى دعوته العامة التى لا تفرق بين الاجناس والالوان والاوطـان ومبادئه الخالـدة التى لا تتغير ولا تدور مع الريـاح ..

اننا لا نستطيع أن نعيش فى فراغ ولا نستطيع فى نفس الوقت ان نملأ هذا الفراغ بمبادىء ما أنزل الله بها من سلطان ان الله لم يسمح لنا بالاختيار بين دعوات جاهلية وحركات هدامة من شرقية وغربية أو من حمراء وصفراء والتنقل بين معسكرات وتكتلات ، فيجب أن نملأ هذا الفراغ بمبادىء اسلامية واضحة تسد أبواب الفساد والقلق والحيرة والضياع .

أننا لسنا فى فراغ ولسنا فى جمود فكلاهما مستحيلان فى عالم الحقيقـة والواقع انما نحن فى حالة ما بعد الفراغ وما بعد الجمود اننا نجنى أشـواك الفراغ الـذى وقع بترك المبادىء الاسلامية كالدافع الاقوى ونجنى أشـواك الجمود بايقاف العمل الاسلامى فى المجتمع .

عـن مجلـة البعث .



اعـــداد الاستاذ عبد المعطى بيــومى

الكــــويت : يقضى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فترة الصيف فى لبنـــان للراحـــــة والاســـــتجمام .

● أعلن سعادة رئيس مجلس الوزراء بالوكالة ووزير الداخلية والدفاع أن العمل جار بسرعة لتزويد القوات المسلحة الكويتية بالصواريخ والطيارات ومختلف أنواع الاسلحة الحديثة .

● صـــدر الجزء الثالث من كتاب المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية وتقـــوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بتزويد الهيئات العلمية والاسلامية فى العالم به .

● بلغ مجموع التبرعات التى وافقت عليها اللجنة الدائمة للمعونة الاســـلامية الخارجيـــة لتسع مؤسسات اســـلامية فى نيجريا ثلاثين ألف دينار .

● ووافقت اللجنة على التبرع لكل من اللجنة النسائية فى الاردن التى تشرف على خــــدمة الطالبات اليتيمات ، والمساهمة فى تجديد مسجد الغيل فى المحافظة الخامسة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومساعدة جمعية غرباء أهل الحديث فى كراتشى لتجديد مسجد الجمعيـــة وبنـــاء بيت مسكن الطلاب هنـــاك .

● تدفق على السفارة الليبية عدد كبير من الراغبين فى التطوع فى صـــــفوف المقـــاومة الفلسطينية .

● انتظمت الدراسة فى جميع مراكز تحفيظ القرآن الكريم التى اقامتها جمعية الاصــــلاح الاجتماعى .

القــــــاهرة : بحث الرؤساء الثلاثة فى مرسى مطروط آخـر تطورات الموقف بعـد العـدوان الاسرائيلى على لبنان .

● قـــام وزير الاوقاف وشئون الازهر بزيارة لبنان واجرى مباحثات مع المسئولين اســتهدفت توثيق الروابط الدينية والثقافية بين البلدين .

● قـــام وفـــد اسلامى مصرى بزيارة باكســـتان .

الســــعودية : أكـــد جلالة الملك فيصل والرئيس ذو الفقـــار على بوتـــو فى البلاغ المشترك الذى صـــدر عقب زيارة الرئيس الباكســـتانى للمملكة ايمانهما العميق بأنه لا خلاص للعالم من الضياع الذى يعيشـــه الا بالرجوع الى ما نادت به الرسالات الســـماوية .

● صرح الامين العـــام للامانة الاسلامية لوكالة الانبـــاء الاسلامية بان الهزيمة التى واجهها المسلمون فى الشرق الاوسط وشـــبه القـــارة الهندية كانت أقسى تجربة يعانيها المسلمون فى العصر الحــــــديث .

● تبرعت السعودية بمبلغ ١٥ ألف دولار للجمعية الخيرية الاسلامية فى ماليزيا كما تبرعت بـــ ٥ آلاف ريال لمدرسة التربية الاسلامية فى مالى .

● تبرع جلالة الملك فيصل بالمبالغ التأسيسية لتكوين وكالة الانبـــاء الاسلامية وستبدأ الوكالة عملها عما قريب .

الاردن : اجتمع وفد من الزعماء الدينيين الاردنيين مع أمين عام الامم المتحدة فشرحوا له ما يتعرض له العرب فى الارض المحتلة من الظلم واهدار حقوق الانسان .

● بلغ عدد الفلسطينيين ثلاثة ملايين نسمة بزيادة قدرها مليون و ٨٠٠ الف عن سنة ٤٨ احصائية عن وكالة الانباء العراقية .

● أعلنت فصائل المقاومة الفلسطينية توحيدها تحت قيادة واحدة وقد قام الفدائيون ببعض العمليات داخل الارض المحتلة منها حريق معمل التكرير فى حيفا .

العراق : وقفت الدول العربية المصدرة للبترول موقف التاييد المادى بالقروض والمساعدات مع العراق فى موقفها مع شركات البترول المؤممة بعد ان أيدت كل الدول العربية موقف العراق .

● عقدت اتفاقية تجارية بين العراق وافغانستان فى نطاق تدعيم الصلات الاقتصادية بين البلدين المسلمين .

سوريا : دعا الرئيس الاسد الشعب السورى الى تعزيز الوحدة الوطنية والا فستبقى عرضة لكل الاعاصير .

لبنان : سيقوم الرئيس اللبنانى بزيارة بعض الدول العربية ومنها دول الخليج فى الخريف القادم .

● قام العدو بهجمات انتقامية على جنوب لبنان ومرتفعات الجولان .

● واصل الثوار الفلسطينيون عملياتهم الجريئة فى عمق الوطن المحتل وقد منى العدو بخسائر فادحة .

السودان : صرح الرئيس السودانى أنه فى سبيل تدعيم البلاد اقتصاديا واجتماعيا وايجاد حلول للمشكلات فى السودان .

● ساهمت مصر وليبيا وقطر فى اعانة توطين العائدين الى جنوب السودان .

ليبيا : أعلن الرئيس القذافى أن ليبيا تمد يد المساعدة لمسلمى الفلبين والمسلمين السود فى أمريكا .

● أصدر مجلس الثورة الليبى قرارا بانشاء جمعية الدعوة الاسلامية هدفها نشر الاسلام واللغة العربية .

تونس : أقيم معرض للفكر الاسلامى ضم عديدا من المؤلفات الاسلامية لمفكرين اسلاميين من الشرق والغرب وبعض المستشرقين .

الجزائر : دعا الرئيسان بومدين وبورقيبة الى تجنيد طاقات الامة العربية كلها فى مواجهة الخطر الصهيونى .

● استقدمت الجزائر ١٠٠ مدرس من العراق للتدريس فى مدارس الجزائر .

المغرب : أصدر مؤتمر القمة الافريقى الذى انعقد فى الرباط فى الشهر الماضى أقوى قرار لادانة اسرائيل لاحتلالها الاراضى العربية كما قرر المؤتمر تقديم المساعدات المادية والمعنوية لمصر .

موريتانيا : أعلن الرئيس مختار ولد داده أن اسرائيل هى التى تسببت فى فشل جهود الحكماء الافريقيين فى التوسط لحل المشكلة العربية الاسرائيلية .

● أعربت الجزائر وليبيا وتونس عن استعدادها لمساعدة موريتانيا فى اصلاح نظامها التربوى .

باكستان : قام الرئيس الباكستانى بجولة فى بعض الدول العربية والافريقية استعدادا لجولة المباحثات مع رئيسة وزراء الهند .

الفلبين : اشتعلت فى الشهر الماضى من جديد المذابح بين المسلمين والمسيحيين وقد قتل ١٥ مسلما بينما أنكر الرئيس الفلبينى اشتراك قوات الجيش فى المذابح .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ	سبتمبر ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاربعاء	١	١٢	٣ ١١	٤ ٥٦	١١ ٥٣	٣ ٢٨	٦ ٥٠	٨ ٢١	٨ ٢٢	١١ ٦	٥ ٣	٨ ٣٨	١ ٣١
الخميس	٢	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
الجمعة	٣	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
السبت	٤	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الاحد	٥	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الاثنين	٦	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الثلاثاء	٧	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الاربعاء	٨	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠
الخميس	٩	٢٠	١٧	٥ ٠٠	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
الجمعة	١٠	٢١	١٨	١	٥٣	٢٩	٤٦	١٦	٣١	١٤	٧	٤٣	٣٠
السبت	١١	٢٢	١٩	١	٥٤	٢٩	٤٦	١٥	٣٣	١٥	٨	٤٣	٢٩
الاحد	١٢	٢٣	٢٠	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٥	١٧	٩	٤٤	٢٩
الاثنين	١٣	٢٤	٢١	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٦	١٨	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	١٤	٢٥	٢١	٣	٥٤	٢٩	٤٤	١٣	٣٧	١٩	١٠	٤٥	٢٩
الاربعاء	١٥	٢٦	٢٢	٣	٥٤	٣٠	٤٤	١٢	٣٨	٢٠	١٠	٤٦	٢٩
الخميس	١٦	٢٧	٢٣	٤	٥٤	٣٠	٤٣	١١	٤٠	٢١	١١	٤٦	٢٨
الجمعة	١٧	٢٨	٢٤	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٢	٢٣	١٢	٤٧	٢٨
السبت	١٨	٢٩	٢٥	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٨	٢٨
الاحد	١٩	٣٠	٢٦	٦	٥٤	٣٠	٤١	٩	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الاثنين	٢٠	٣١	٢٧	٧	٥٤	٣٠	٤١	٨	٤٦	٢٦	١٣	٤٩	٢٧
الثلاثاء	٢١	اغسطس	٢٨	٧	٥٤	٣٠	٤٠	٧	٤٨	٢٧	١٤	٤٩	٢٧
الاربعاء	٢٢	٢	٢٩	٨	٥٤	٣٠	٣٩	٦	٥٠	٢٩	١٥	٥٠	٢٧
الخميس	٢٣	٣	٣٠	٨	٥٤	٣٠	٣٨	٥	٥١	٣٠	١٥	٥١	٢٧
الجمعة	٢٤	٤	٣١	٩	٥٤	٣٠	٣٨	٤	٥٣	٣١	١٦	٥٢	٢٦
السبت	٢٥	٥	٣١	٩	٥٣	٣٠	٣٧	٣	٥٤	٣٢	١٦	٥٢	٢٦
الاحد	٢٦	٦	٣٢	١٠	٥٣	٣٠	٣٦	٢	٥٦	٣٤	١٧	٥٣	٢٦
الاثنين	٢٧	٧	٣٣	١١	٥٣	٣٠	٣٦	١	٥٨	٣٥	١٨	٥٤	٢٥
الثلاثاء	٢٨	٨	٣٤	١١	٥٣	٢٩	٣٥	٠٠	٥٩	٣٦	١٨	٥٤	٢٥
الاربعاء	٢٩	٩	٣٥	١٢	٥٣	٢٩	٣٤	٧ ٥٩	٩ ١	٣٨	١٩	٥٥	٢٥
الخميس	٣٠	١٠	٣٦	١٣	٥٣	٢٩	٣٤	٥٨	٢	٣٩	٢٠	٥٦	٢٥

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعــة ضياء .

عــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـلا : مكتبــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســقط : المكتبــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

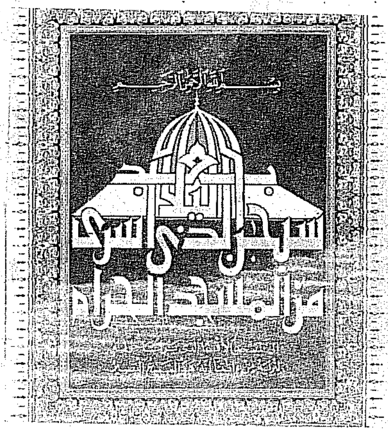
الدوحــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

١٠

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت



الوعى الاسلامى

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد الحادى والتسعون

غرة رجب ١٣٩٢ هـ

١٠ اغسطس (آب) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

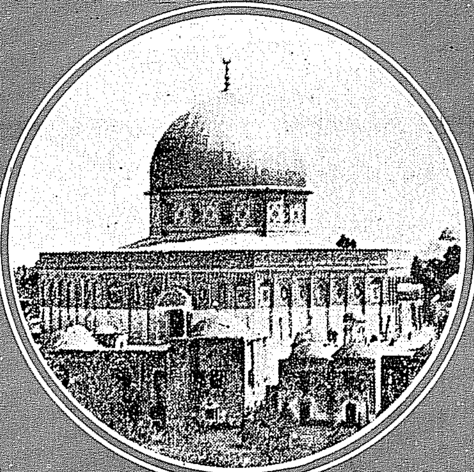
الاشتراك السنوي للهيئات فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

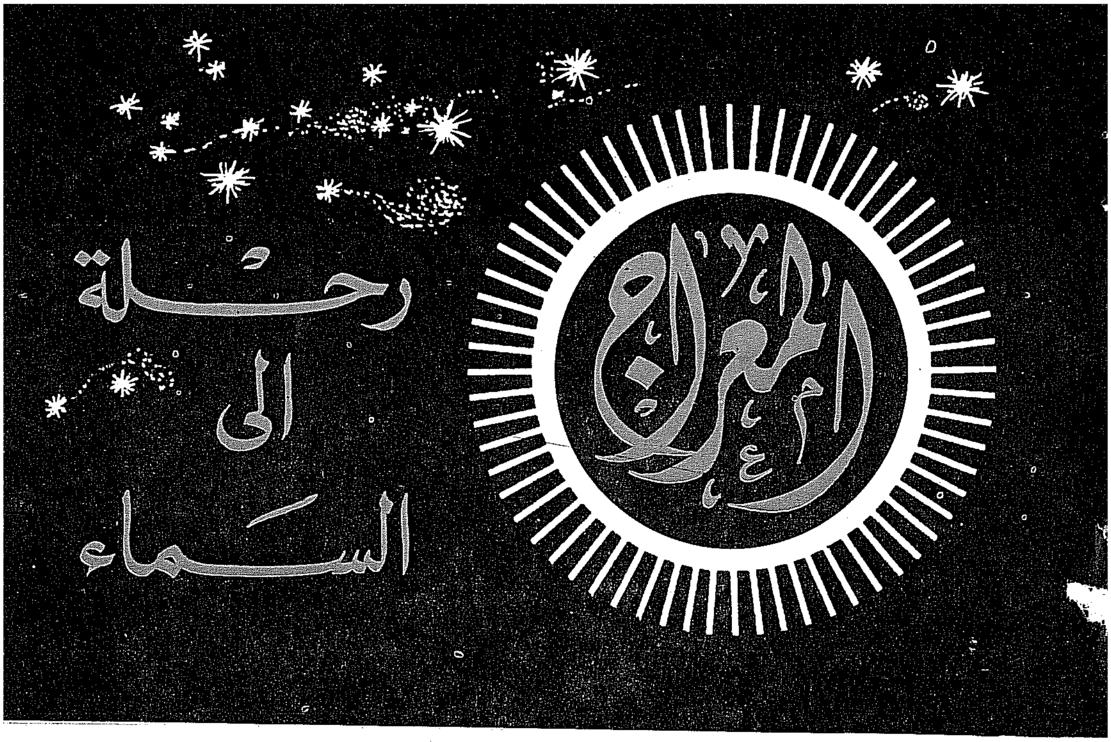
مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت

من وحي الاسراء والمعراج



تتضمن رحلة الاسراء والمعر ج ـ بعد معانى التثبيت والتكريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ موحيات كثيرة متجددة تهدى المسلمين طريقهم وسط الضباب الذى يلفهم ، والاعاصير التى تهب عليهم .
وفى هذه الكلمة القيمة التى تفضل بها سعادة الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية تذكيرا ببعض هذه المعانى :

فى رحلة الاسراء والمعراج تجسيد للرباط الروحى بين المسلمين على مختلف اوطانهم وتعدد اجناسهم ، وفى امامة محمد صلى الله عليه وسلم للانبياء والمرسلين تأكيد لقيادة الأمة العربية للشعوب الاسلامية ، وفيها إشارة للفتوحات العملية والقيادة الفكرية . وإسراء النبى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام فى مكة الى المسجد الأقصى فى القدس ، وكلا المسجدين اتجه نحوهما المسلمون فى صلاتهم وشدوا الرحال اليهما لدليل آخر على الرابطة القوية بين العرب والمسلمين ... فاحتلال بيت المقدس يؤلم كل مسلم ، وإنقاذه واجب على الجميع ، واذا لم يستطع العرب اخراج اليهود من الأرض العربية الطاهرة المحتلة ، فلا يمكن اغفال بقية المسلمين فى العالم ، وهم يشكلون ثلث اعضاء المنظمة الدولية ، ولكن الذى ينقصهم هو : التنظيم والتصميم على العمل وعدم الركون الى آراء الاعداء ... (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) والكفر والاستعمار والصهيونية يعمل ضد العرب والمسلمين ، فعلينا أن نتعاون ونتعاضد لصد هذا التيار الزاحف المتحالف ضدنا والمتكالب على خيراتنا وعلينا أن نضع الايمان قبل العمل .



للشيخ عبد الله كنون

كان الكلام فى المعراج ، مع المؤمنين طبعا ، يقتضينا البحث فى ادلته ، وامكانيته ، وصفته ، والآيات الكبرى التى شاهدها النبى صلى الله عليه وسلم فى عروجـــه ، والمغزى المظيم الذى ينكشف عنه هذا الحدث العجيب ، من حيث ثبوت المعجزة ، وصدق الرسالة ، واثر القدرة الباهرة التى لا يمتنع عليها شىء .

والآن بعد ريادة الفضاء ، والرحلة الى القمر ، اصبحنا فى كلامنا على المعراج ، بحاجة الى رفع الالتباس عند بعض المؤمنين الذين ظنوا ان الصعود الى القمر ، صعود الى السماء ، ومن ثم فان منهم من وقع فى شبهة عقائدية ، ومنهم من احالوا وقوعه ، وجزموا بأن كل ما يقال عن الرحلات الفضائية ، انما هو دعاية كاذبة وزعم باطل .

وقد كنت أدليت بحديث الى وكالة المغرب العربى للانباء ، بمناسبة نزول مركبة أبولو ١١ فوق سطح القمر سنة ١٩٦٩ حول نظر الاسلام فى هــذه القضية جـــاء فيه : ليس فى الاسلام ما يعارض صعود الانسان الى القمــر ، وليس فى وصول الانســـان الى القمر ما يناقض اى تعليم من تعاليم الاسلام . ذلك أن القمر ما هو الا كوكب من كواكب مجموعتنا الشمسية الســـابحة فى الفضاء ، والوصول اليه كالوصول الى أميركا ذلك الجزء من كوكبنا الارضى الذى بقى مجهولا للانسان ، آلافا من السنين .

والالتباس الذى يقع فى اذهان بعض الناس انما يجىء من الاشتراك فـــى لفظ الســـماء بين مدلولها اللغوى ومدلولها الغيبى اى الدينى ، فالســـماء فى اللغة هى كل ما علاك ، ومنها الكواكب السيارة مثل الشمس والقمر . وفى الدين

هي عالم الملكوت المحفوظ المحروس مقر الملائكة والعرش ، والذي لا يصل اليه ولا يدخله الا من أكرمه الله بذلك ، وهو الذي عرج اليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعاد منه ، ليلة السابع والعشرين من رجب السنة الثانية عشرة بعد النبــوة ، فأين هذا من السماء اللغوية التي معناها المكان العالي لا غير ؟ ..

ومع هذا فان صعود الانسان الى القمر ، مأثرة علمية جليلة ، وهي مما يستدل به على صحة وقوع المعراج ، وهكذا نرى العلم دائما يسير في ركاب الـــــدين .

ومن المعلوم أن السماوات في النصوص الدينية سبع ، مثل الأرضين ، وهي من خلق الله وصنعه ، ويجب الايمان بها كما نؤمن بعالم الغيب وان لم نره ، ولا يصح تنزيلها على هذه الكواكب المشاهدة من عالمنا الارضي المعروف ، فالكون غير محصور في هذا العالم ، والعلم لم يحط ولا بهذه الكواكب ، فكيف بالكــون كله ؟ وفي عالم المجرة وحده ما حير عقول العلماء ، علمـــاء هـــــذا العصر ، والمختصين منهم بالدراسات الفلكية قبل غيرهم .

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية : (**الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن**) انه قال : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم تكذيبكم بها . ولعله أشفق عليهم من اجل أن عقولهم لم تكن لتتصور عظمـــة هذا الكون وسعته ، بالنسبة الى ما كان عندهم اذ ذاك من عـــــلم قليل بهـــــذه الشـــــؤون .

واذا كان هذا العصر على ما بلغ اليه من رقي في العلوم الكونية ما يزال يتعثر في الاتصال بأحد الكواكب السابحة في الفضاء ، فضائنا الارضي المعدود والمحدود بغاية الدقة ، فما بالنا بآلاف بل ملايين النجوم والكواكب بل المجموعات الشمسية والافلاك التي لا يحصي عددها الا خالقها ؟ فما بالنا بالسماوات السبع والأرضين السبع التي لا نعلمها الا غيبا ، ولا نعرفها الا وحيا ؟ .

ولئن قال بعض علمائنا ان المراد بالسماوات السبع طـــرائق السيارات ومداراتها ، وقالوا في الارضين السبع انها السبعة الأقاليم ، فان مما ينقض هذا القول انه ثبت علميا وجود سيارات أخر ، غير السيارات الســـــبع المعروفة كأورانوس ونبتون ، وان الاقاليم السبعة لا يصح أن يقال في كل واحد منها انه أرض الا على ضرب بعيد من المجاز .

على أن النصوص المتواترة تفيد أن خلق السماوات هو من قبيل البنـــاء والتشييد : (**والسماء بنيناها بأيد**) (**وبنينا فوقكم سبعا شدادا**) حتى أن العلماء يتطرقون الى امكانية الخرق والالتئام ، عند الكلام على المعراج ، فأين هذا من اعتبار طرائق السيارات ومداراتها هي السماوات ، بله جعلها هي هذه الكواكب ، مع أن الكواكب انما هي زينة للسماء الاولى (**وزينا السماء الدنيا بزينة الكواكب**) ؟

وعلى كل حال فان المعراج كان رحـــــلة الى السماء ، السماء الحقيقية

بالمعنى الشرعى ، أى باعتبار الحقيقة الشرعية لا السماء اللغوية التى هى كل ما علاك ، وهى رحلة فريدة فى تاريخ الانسانية لم تقع لبشر حى من غير خلاف ، الا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولن تقع لأحد بعده على الاطلاق .

والريادة القمرية انما هى استكشاف فضائى ، وفى عالمنا الارضى ، لا يعدو أن يكون مثل استكشاف أميركا وأوستراليا على ظهر البسيطة ، بعد ما بقيتا مجهولتين لنا آلاف السنين كما قلنا فى الاستجواب المشار اليه من قبل .

ومن الغرور أن يعتقد أحد رواد الفضاء ، وهو الرائد السوفياتى الاول يورى جاجارين ، أنه صعد الى السماء وانه لم ير الله هناك .. فان مجرد الزمان الذى يقضيه الرواد فى الرحلة الى القمر ، وقياسه بالزمان الذى قضاه الرسول صلى الله عليه وسلم فى معراجه ، مما يبين الفرق العظيم بين الرحلتين .. وهذا بقطع النظر عن نهايتى الرحلة : القمر والسماء . السماء التى قدر القرآن بعدها من الارض بخمسين الف سنة **(تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)** فهذه المسافة التى تكاد لا تتصور ، قد قطعها الرسول الكريم فى سويعات من ليلة ، مع ما صحبها من الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ..

فتبارك الله ما أعظم قدرته ، وأجل حكمته ! ..

وأختم هذه الكلمة بقصيدة رجزية كنت قلتها لما قال جاجارين كلمته النكراء آنفة الذكر :

وقال رائد الفضا من جهله	**ما إن رأيت الله فى السماء**
اى سماء رادها وهل درى	**أن السما ليست من الفضاء**

* * *

وهل درى بأنه سبحانه	**ما إن يرى بهيكل الفناء**
قال لموسى الطهر لن ترانى	**فكيف بالحصاد والبناء**

* * *

وهل درى أن السماء لم تكن	**قط مكان الله ذى السناء**
فالله فوق عرشه قد استوى	**وأين عرشه من الأجواء**

* * *

وقد نهى نبينا محمد	**فيما روى عنه ذوو الانباء**
عن المفاضلة بين من رقى	**الى السما ومن هوى فى الماء(١)**

* * *

فان ربنا تعالى معنا	**بعلمه المحيط بالاشياء**
فى كل ما أين نكون فيه	**وكل ماء آن من الآناء**

* * *

يا زنة ما إن لها إقالة	**وهل لداء الهذر من دواء ؟**
فقسما لو أن (لايكا) نطقت	**لما أتت بهذه العوراء (٢)**

---

(١) اشارة الى الحديث : لا تفضلونى على يونس بن متى .

(٢) العوراء : الكلمة الشنيعة ، ولايكا هى الكلبة التى كانت اول مخلوق ارضى حى نزل على القمر .

ثلاثة مساجد وثلاث دلالات

المسجد الحرام :

مسجد المدينة :

المسجد الأقصى :

* يروى عن ابى هريرة رضى الله عنه ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، ومسجد الحرام ، ومسجد الاقصى)) . ومعنى شد الرحال الى هذه المساجد : القصد فى الانتقال اليها لزيارتها واداء الصلاة فيها .

والاسلام يحتاط كثيرا فى ربط العبادة بالأماكن ، خشية ان تتحول العبادة من الله لذات الأماكن نفسها ، ومن ثم يعود الشرك بالله من جديد . ولكنه يربط مناسك الحج باماكن معينة في مكة وما حولها : لاحياء ذكريات تاريخية خاصة .. او استهداف غايات دينية معينة . وعلى نحو ربط عبادة الحج باماكن معينة وجواز الانتقال اليها لاداء هذه العبادة .. كذلك يجيز الانتقال الى هذه المساجد الثلاثة واداء عبادة الصلاة فيها ، لأهداف تستهدف من زيارتها ، بجانب اداء الصلاة فيهـا .

صيانة هذه المساجد وبقاؤها تحت
إمرة المسلمين واجب ديني .. وتاريخي ..
وانساني في عنق المسلمين وحدهم !!

اقترن بمقاومة الالحاد واتجاه المادية

اقترن بريادة الدعوة الاسلامية في تصحيح انحرافات أهل الكتاب

اقترن بقيام مجتمع انساني معافى من وباء المادية

للاستاذ الدكتور محمد البهى

عودة الرسالة الالهية إلى صفائها

* فالمسجد الحرام بمكة : زيارته وأداء الصلاة فيه يذكران المؤمن برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام : بعودة الرسالة الالهية الى صفائها ، والى ما كانت عليه ، على عهد ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام . فالكعبة فيه أول بيت لله : « **إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم** » (١) .. واقامه ابراهيم واسماعيل : « **واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ، واسماعيل ربنا تقبل منا ، انك انت السميع العليم** » (٢) .. وقصدا من اقامته : الدعاء والصلاة فيه بأن يجعلهما مسلمين ويخلق منهما امة مسلمة : « **ربنا واجعلنا مسلمين لك** ، ومن

وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم (٣) وعهد الله الى ابراهيم واسماعيل بجانب الدعوة الى السلام : ازالة آثار الشرك والوثنية المادية في محيط بيته ، حتى تكون عبادة الناس فيه خالصة لله وحده : « **وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل : ان طهرا بيتي للطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود** » (٤) .. وحتى يستقر الامر للاسلام وحده ، ويكون ما عداه ، كفرا وسفها : « **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا ، وانه في الآخرة لمن الصالحين** » (٥) .

وبالكعبة — بيت الله — في المسجد الحرام بمكة ارتبطت ذكريات تاريخية كانت أهدافا لرسالة ابراهيم واصبحت مستهدفة كذلك في رسالة محمد بن عبد الله من نسل ابراهيم ، ولده اسماعيل ، بعد أن طغت الوثنية المادية على حياة المكيين :

الذكرى الاولى : وجود اول بيت لله ، فيه ، يجب أن يحافظ عليه كل مؤمن بالله .

الذكرى الثانية : اعلان الاسلام ، بعد الايمان به ، واتخاذه دينا للبشرية كلها .

الذكرى الثالثة : مقاومة الوثنية المادية ، وتطهير الحياة الانسانية منها ، وتخليص الانسان في عبادته لله من صفوف الشرك ، واتجاهات المادية .

.. أصبحت هذه الذكريات الثلاث مستهدفة في جانب كبير من رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لان الفترة التي مرت على مكة منذ ابراهيم وولده اسماعيل .. حتى رسالة المصطفى عليه السلام غيرت معالم رسالة ابراهيم في مكة .. وحولتها الى مادية جارفة أوصلت الانسان هناك الى أن يعبد الاصنام ويشركها في العبادة مع الله سبحانه وتعالى . وبذلك كانت مقاومة الوثنية المادية من جديد امرا رئيسيا في رسالته عليه السلام بجانب اعلان الاسلام والدعوة اليه ، بعد الايمان به ، وبجانب الاحتفاظ ببيت الله في مكة خالصا لعبادة الله وحده ، وبعيدا عن الشرك والوثنية .

وتصور الدعوة في القرآن : الى الوحدة في الالوهية ، كما يصور فيه : بيان مضار الشرك والوثنية المادية على الانسانية .. امر هذه المقاومة . ويعتبر ما اوحى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة قبل الهجرة .. خاصا بالمادية واتجاهاتها : واساس المادية كما يحددها القرآن في : عدم الايمان بالله .. وعدم الايمان باليوم الآخر .. وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله . وجاء هذا الاساس في وصف الماديين عند مطالبة القرآن رسول الله صلى الله عليه وسلم — والمؤمنين معه — ان يقاتلوهم في قوله : « **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** » (٦) . وجعل الغاية من قتالهم : أن يكون الدين كله لله ، أى ان تكون العبادة له وحده : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير . وان تولوا فاعلموا : ان الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير** » (٧) . وفي تأكيد ولاية الله للمؤمنين ومساندته لهم في قتالهم ضد الماديين ، ووعده بنصرهم عليهم . ما يوضح خطورة أصحاب الاتجاه المادي في الحياة ، ومبلغ عبثهم وفسادهم ، ومنتهى سخريتهم بالقيم العليا التي تتمثل أخيرا في صفات المولى سبحانه .

وقد اتم الرسول عليه الصلاة والسلام في حياته بفتح مكة : تحقيق

الاهداف الثلاثة التي ارتبطت ببيت الله بمكة : تحقيق مقاومة المادية ، وتطهير الكعبة من مظاهر هذه المادية التي تمثلت في احط صورة لها ، وهي صورة الاصنام التي لا تنفع ولا تضر . وبذلك حافظ على ان يبقى بيت الله لله وحده ، لا شريك له ، واعاد رسالة ابراهيم واسماعيل في نصاعتها وهي رسالة الاسلام ، وتكوين أمة مسلمة خالصة لوجه الله .

فزيارة المسجد الحرام بمكة وشد الرحال اليه ليس لانه مكان عبادة . ولكن لانه يذكر كل مؤمن قادم اليه بالمهمة التي أنجزها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته، بتكليف من ربه . وهي مهمة مقاومة المادية ، التي هي ليست ممثلة فحسب في الاصنام . ولكن قبل ذلك : ممثلة في عدم الايمان بالله واليوم الآخر ، وعدم تحريم ما حرم الله ورسوله ، على اي عهد وفي اي عصر . وبالانتصار على المادية ينتهي الشرك بالله ، ويصان بيت الله ، لله وحده . ولقد جاء قوله تعالى : **((يا ايها الذين آمنوا : انما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)) (٨)** .. تعبيرا عما يجب أن يكون لدى المؤمنين من اصرار على مقاومة المادية مقاومة مستمرة . اذ لو تركت وشأنها ربما تطغى وتقتحم من جديد كل مكان يعلو فيه صوت المؤذن بـ : لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

والمادية الان ليست المادة .. وليست الاستمتاع بها . ولكنها اتجاه مخرب في الحياة للقيم الانسانية ، وللروابط السليمة في المجتمعات البشرية .

تصحيح رسالة موسى وعيسى
من تحريف بني اسرائيل

*** وزيارة بيت المقدس** — او المسجد الاقصى — واداء الصلاة فيه يذكر ان المؤمن برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام بما طلب اليه في كتاب الله من اعلان تصحيح رسالة موسى وعيسى وابعاد ما لحقها من تحريف على يد بني اسرائيل : **((ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون)) (٩)** . وقد جاء تحريفهم على نحو ما يحكيه قوله تعالى : **((وما قدروا الله حق قدره ، اذ قالوا : ما انزل الله على بشر من شيء ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ؟** (والحديث هنا عن الماديين المشركين بمكة) **تجعلونه** (والخطاب الآن الى بني اسرائيل) **قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا** (أي انهم قسموا كتاب موسى الى صحف واجزاء : أبدوا البعض .. واخفوا الكثير منها . وهذا كناية عن أن التوراة لم تعد صالحة الآن : لان تكون نورا وهدى للناس ، كما جاءت أول الامر . ولذا كان هناك فراغ في البشرية نزل القرآن ليملأه . كما أشير بعد في هذه السورة ، في قوله : **((وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه** (يعني التوراة) **))** .

واسراء الله بعبده : محمد صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس هو بمثابة زيارة له من الرسول . فاذا ضم الى هذه الزيارة اداؤه عليه السلام الصلاة فيه — كما يروى في الحديث الصحيح — وامامته في هذه الصلاة : لانبياء بني اسرائيل ومن بينهم : موسى وعيسى .. عد ذلك توجيها من الله بمهمته مع أهل الكتاب . وهي مهمة التوجيه .. وهي مهمة الكشف عن التحريف واعلان الباطل الذي باشره المستكبرون من الزعماء في بني اسرائيل : في استغلال الرسالة

الالهية التى تصورهـــا التوراة فى عهديها القديم ، والجديد .

وشـــد الرحال من اتباع الرسول عليه السلام بعده الى اليوم : الى بيت المقدس ، وأداء الصلاة هناك . تذكير بحادث الاسراء .. وبالتـــالى تذكير بما كان لزيارته عليه السلام من ارتباط بوجوب اعلان الحق فى رسالة الله ، ازاء أهل الكتاب ، مما تآمر على اخفائه المتآمرون من بنى اسرائيل ، لمصـــالح دنيويـــة يرجونها من وراء ما يخفون من الهداية الالهية .

والقرآن الكريم يفصل بين آياته دعوة أهل الكتاب الى الرجوع الى الحق ، فيقول فى بعضها : « **قل : يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** (كما كان النمط الاخير : هو شأن المستضعفين من المستكبرين فى مجتمـــــع بنى اسرائيل) **فان تولوا فقولوا : اشهدوا بانا مسلمون . يا اهـــل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم ، وما انزلت التوراة والانجيل إلا من بعده ، أفـــلا تعقلون ؟** » (١٠) .

ولم يرق لزعماء بنى اسرائيل أن يعلن القرآن الحق الذى أخفوه بصورة ما فى رسالة الله لموسى . لأن اعلانه سيفوت عليهم مصالحهم الدنيوية . واصروا على أن ما أبدوه من كتـــاب موسى يمثل وجده الحق ، وأن ما عداه مما جاء بتصحيحه القـــرآن : كذب واختلاق : ويقص القرآن فى هذا الشأن قول الله تعالى : « **واذا بدلنا آية مكان آية** (اى اذا غير الله فى القرآن وأتى بحكم فيه على خلاف ما فى التوراة) **والله اعلم بما ينزل، قالوا** (اى لرسول الله عليه السلام): **انما انت مفتر ، بل اكثرهم لا يعلمون . قل :نزله روح القدس من ربك بالحق، ليثبت الذين آمنوا وهـــدى وبشرى للمسلمين** » (١١) .

وبيت المقدس من أجل المهمة التى نيطت برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوته : فى مواجهة اهل الكتاب .. **لا يقل اهمية اطلاقا فى** حياة المسلمين وفى دعوة القرآن ، عن اهمية بيت الله فى مكة . فكل منهما يتصل اتصالا وثيقا برســـالة الله التى أوحى بها الى رســـــول الله محمد بن عبد الله صـــــلوات الله عليه وسلامه . فقـــــد طالب القرآن ــ ويطالب المؤمنين به الى يوم البعث ــ بمواجهة الماديين الذين تمركز نشاطهم اذ ذاك فى الكعبة: بضلالهم .. كما طالب ، ويطـــالب المؤمنين به ايضا الى يوم البعث ، بمواجهة أهل الكتاب ــ الذين اتخذوا من بيت المقدس قبل الاسلام مقـــر نشاطهم : بتزييفهم فى رسالة الله ؛ وبوجوب عودتهم الى دين الله ، كما يعبر عنه القرآن ويعبر عنـــه دين ابراهيم : جد اجدادهم وآبائهم . وكل من بيت المقدس ، وبيت الله بمكة اذن : مشعر ، أو تعبير مجسم لجانب من جـــوانب الدعـــــوة الاسلامية . وفقد المسلمين لاى منهما ــ فى أى وقت ــ هو فقد للعوامل التاريخية التى تذكى روح النشـــاط للدعوة الى الاسلام ، والتى تعود بصلة الرسالة للرسول عليه السلام الى ابراهيم ، والتى تلقى الضـــوء الواضح على حق هذه الرســـالة فى مواجهة ضلال الماديين، وتصحيف المستكبرين من أهل الكتاب ، والتى تضع أمام البشرية الى يوم البعث: هداية الله للمستوى الفاضـــل من الانسانية .

الصراط الســـــوى
للمجتمع الانسانى المهذب

* وزيارة مسجد المدينة النبوية، وأداء الصلاة فيه يذكـــران المؤمن

برسالة الرسول عليه السلام : انه المسجد الذى اسس على التقوى من أول يوم ، كما يذكران ببناء المجتمع الاسلامى وتطوره فى هذا البناء الذى ارتبط به .. الى أن انتهى الوحى بقوله تعالى : ((... **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا)) (١٢) .**
فشأن المجتمع الاسلامى : فى علاقة افراده بعضهم ببعض . وفى سياسة حكمه . وفى صلاته بالآخرين فى المجتمعات الاخرى .. تحدد فى هذا المسجد بما كان يتلوه فيه رسول الله عليه السلام : من وحى ينزل عليه ، لمعالجة مشاكل المؤمنين وقضاياهم التى كانت تحدث لهم ، وتتجدد من حين الى آخر .

والقرآن الكريم — بما جاء فى السور المدنية منه — يوفر للمؤمنين دستور هذا البناء ، ونظام حكم مجتمعهم : انفى العلاقات الاجتماعية .. أو فى المعاملات الاقتصادية والمالية .. أو فى شؤون الاسرة . أو شؤون الحرب والسلم .. أو فى شؤون السياسة الدولية .

وهكذا : ان اقترن بيت الله بمكة بمقاومة الالحاد واتجاه المادية فى الدعوة الاسلامية .. واقترن بيت المقدس والمسجد الاقصى هناك بريادة الدعوة الاسلامية فىتصحيح انحرافات أهل الكتاب .. فمسجد المدينة يقترن بقيام مجتمع انسانى معافا من وباء المادية ، ومرض الاختلاق والتصحيف فى الرسالة الالهية من أصحاب النفعية ممن وقعوا تحت تأثير اغراء الدنيا وجاه الحياة المادية من اهل الكتاب .

والقرآن فى دعوته موزع علىهذه الاتجاهات الثلاثة : توضيح عاقبة المادية وشرورها على البشرية : فى حديثه عن الشرك والمشركين .. وتوضيح التحريف فى الرسالة الالهية : فى كلامه عن أهل الكتاب ومعارضتهم لدعوة الرسول عليه السلام .. وتوضيح الصراط السوى للمجتمع الانسانى المهذب : فىتناوله للمؤمنين ولآثار الايمان فى الحياة الانسانية .

* * *

وشد الرحال الى هذه المساجد الثلاثة له دلالته القوية اذن ، وله كذلك آثاره على المؤمن فى اعتزازه بانتسابه الى أمة القرآن . لانها الأمة التى تقيم مجتمعها على أساس من التقوى .. على أساس منتجنب مفاسد المادية ، وتجنب استغلال دين الله فى سبيل مصالح دنيوية .

وطالما كانت الفرصة أمام المسلمين متاحة لزيارة هذه المساجد الثلاثة . فسبيل الاعتزاز والفخر بالانتماء الى الأمة الاسلامية مفتوح لكل مسلم ، لم يغلق بعد . ومن هنا كانت صيانة هذه المساجد الثلاثة وبقاؤها تحت أمرة المسلمين : واجبا دينيا .. وتاريخيا .. وإنسانيا ، فى عنق المسلمين وحدهم .

---

(١) آل عمران : ٩٦/٩٧
(٢) البقرة : ١٢٧
(٣) البقرة : ١٢٨
(٤) البقرة : ١٢٥
(٥) البقرة : ١٣٠
(٦) التوبة : ٣٩
(٧) الانفال : ٢٩/٣٠
(٨) التوبة : ٢٨
(٩) النمل : ٧٦
(١٠) آل عمران : ٦٤ ، ٦٥
(١١) النحل : ١٠١ و ١٠٢ .
(١٢) المائدة : ٣

على هامش الإسراء

للشيخ محمد الغزالى

عندما يتدبر التالى سورة الجمعة يرى فى آياتها صنعة الأمة العربية ، والحكمة التى من اجلها ولدت فى التاريخ !

ولك ان تسأل : ما علاقة أمة العرب بسورة الجمعة ؟ وقد جرى فى نفسى هذا التساؤل قبل ان أعلم ان يوم الجمعة كان يسمى فى الجاهلية « يوم العروبة » ثم غلب عليه عنوان الشعيرة التى استحدثها الاسلام ، والتى لم يكن العرب من قبل يحتشدون لها ، أو يلتقون فى عيدها !

ومعروف ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة فى مكة ، وإنما صلاها بعد ما قدم المدينة ، فهل صليت فى المدينة قبل الهجرة النبوية إليها ؟

يبدو ان ذلك قد وقع فقد روى عبد الرزاق فى مسنده قال : « جمع أهل المدينة قبل ان يقدمها النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن تنزل الجمعة ، قالت الأنصار : إن لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك ، فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلى فيه ، فجعلوه يوم العروبة ، واجتمعوا إلى « أسعد بن زرارة » فصلى بهم ، وقد روى ذلك الحديث من طرق أخرى صحيحة .

فكان سورة الجمعة هى سورة

العروبة ! فلننظر بعد هذه التقدمة إلى السورة نفسها .
لقد بدأت بتسبيح الله الملك القدوس العزيز الحكيم . والله ولى المنة والفضل ، واهل التقوى والمغفرة ، وقيم السموات والارض ومن فيهن . »

ومن حكمة الله الماضية إلى يوم الدين أن يمنح اصطفاءه من شاء من الأفراد والأجناس ليكونوا مجالى رحمته ، ومظهر نعمائه .

وفى الآية الثانية من هذه السورة، وبعد ثناء الرحمن على ذاته ، ذكر — تبارك اسمه — أنه اختار العرب ليحملوا رسالته الخاتمة إلى خلقه « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته .. ويزكيهم .. ويعلمهم الكتاب والحكمة .. وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .
وقوام هذا الاختيار ثلاثة معان بارزة !

● الأول : تلاوة آيات الله : فإن اهل الكتاب أخفوا كثيرا منها ، وعبثوا بمعالم الوحى حتى التبس الحق بالباطل ، وتحول الدين من أفواههم إلى سقام للعقول والضمائر بدل أن يكون شفاء لما فى الصدور ، واستنارة لذوى الألباب .

.. لكن النبى الخاتم تلا على أمته آيات الله كاملة غير منقوصة ، مستقيمة لا عوج فيها وأصبح العرب من بعده أمناء الله على هداياته ، وفى أيديهم وحدها الصحائف التى لا ترقى إليها ريبة ، ولا تلحقها آفة .

● وتلاوة الحق يتممها التأثر به ، والارتفاع إلى مستواه بسيرة وسريرة، وذلك معنى التزكية ، وقد ربى محمد .. عليه الصلاة والسلام جيلا من الناس له فضل أدب وتقوى أهله لقيادة العالم عن جدارة لا عن دعوى . والمتأمل فى مسالك هؤلاء الأميين من العرب يعجب لإدمانهم العبادة ، وحبهم الجهاد ، وغيرتهم على الحق ، ونفورهم من الدنايا .

إن هذه الأمة الجديدة التى امتحنتها فى التربية النفسية والاجتماعية ، أعز الإيمان ، وأعلى قدره !!

● والمدد العقلى لهذه الرفعة الخلقية والسياسية نبع من علوم الكتاب والسنة ، ومدارسة ما أودع الله فيها من حكمة بالغة .. ثم إن علوم الدين عندنا تتسع دائرتها لتشمل الكون كله ، أى لتشمل كل ما يدل على الله ، ويكشف عن جلاله وعظمته . ومن هنا كانت الحضارة الإسلامية تستند إلى الوحى الحق ، وما ينبعث عن هذا الوحى من علم وأدب .

وذلك ما نهضت به الأمة العربية فأضاءت ظلمات التاريخ ، وصححت مسيرة الحياة . وذلك ما أسداه محمد للناس وأولهم قومه « وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .. لكن عهد العرب بالنبوات بعيد ، فإن علم « الكتاب » عرف بقوم آخرين تخصصوا فيه وتوفروا عليه ، أما العرب أنفسهم فقد ألفوا الأمية والفتهم ، حتى أصبح اسم « الأميين » علما عليهم ..

فأنى لهم قيادة العالم فى هذا المجال ؟ وهؤلاء ، بنو اسرائيل، قد احتكروا النبوات دهرا طويلا ؟ حتى ظنوا أنفسهم همزة الوصل بين الأرض والسماء ، وتسموا بالشعب

المختار إشارة إلى هذه المكانة المتيدة !!!

هنا يرد قوله تعالى فى سورة «الجمعة» أو فى سورة «العروبة» : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

لكن الفضل الإلهى لا يتنزل على من لا يترشح له ، ولا ينسحب عن أمة دون سبب واضح ! فلم عزل الله اليهود وأحل مكانهم العرب ؟

وبدأت السورة تجيب على هذا التساؤل « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين » .

إنك لا تأمن على تأديب ولدك معلما سيىء الأخلاق ردىء الطبائع ! فكيف يكل الله تربية العالمين لشعب قاسى القلب ، مظلم السريرة ، جامح الشهوات ؟

لقد عزل اليهود عن مكانتهم القديمة لأنهم برذائلهم ومعاصيهم هبطوا دونها ؟ .. إن صلتهم بالوحى الإلهى تشبه صلة الدابة بما تحمل من كتب .

وما داموا لم يستفيدوا هم أنفسهم منها فكيف يفيدون غيرهم ؟

ومن ثم جردوا من أمجادهم الأولى وقلد العرب هذه الأمجاد ، فالعرب ـ بابتعاث محمد منهم ـ أصبحوا الشعب المختار الجديد المكلف بحمل أمانات الوحى المؤتمن على هدايات الله !!

ومضت سورة « الجمعة » أو سورة « العروبة » تسرد العيوب الجسيمة التى فشت بين اليهود فأزلتهم عما كانوا فيه من فضل رفيع .

إن موالاة الله تقتضى حتما البذل فيه ، والتضحية من أجله ، وإيثار ما عنده على الدنيا وما فيها .

وموالاة الله تجعل ذويها يحبون الآخرة أكثر مما يحب غيرهم الدنيا ، وتطهرهم تطهيرا من الجبن والإخلاد إلى الأرض .

ولكن اليهود بلغوا فى حب المال حد الشره ، وفى حب الحياة حد التشبث بها والحرص عليها .

وقد أخذت السورة الكريمة تقرعهم على هذه الخلال « قل : يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم .. الآيات » .

إن الأمة العربية لما اختارها الله لحمل رسالته الخاتمة كانت أنقى جوهرا ، وأعمق أثرا ، من بنى اسرائيل ! ..

ويبدو أن العرب حتى فى جاهليتهم الأولى ـ كانوا يحسون فتك الأمراض النفسية والاجتماعية بأهل الكتاب المجاورين لهم ، وأن هؤلاء الكتابيين يفقدون الصلاحية المفروضة فيمن يتصل بالوحى ويتحدث عنه !

وتأمل قوله تعالى وهو يستحث العرب على الإيمان « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون . أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين . أو تقولوا: لو أنا أنزلنا علينا الكتاب لكنا أهدى منهم .. » !!

إن أولئك الأميين لا يقولون ذلك إلا لأنهم احتقروا أهل الكتاب ، واكتشفوا فى بواطنهم وظواهرهم ما يسوء .

والواقع أن التدين الفاسد لعنة على الحياة ، وأن تحول الدين إلى كهانة واحتراف واحتكار يخلق طائفة من المرضى المستكبرين أو الموجهين المنخورين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، تتاخر بهم الحياة ولا تتقدم، وتشقى بهم ولا تسعد .

من أجل ذلك اصطفى الله العرب بعد ما آتاهم رشدهم ، وأقام عوجهم، فخرجوا على الناس وهم أسلم فطرة وأهدى سبيلا .

فكان انسياحهم فى الأرض عجبا ، وكانت بركتهم على الحياة نامية ، وكانت ضرباتهم للباطل حاسمة شافية ، وما ندرى اى درك كانت الدنيا جمعاء سوف تهوى اليه لو لم ينطلق العرب شرقا وغربا بهذا الدين الحنيف ..

وفى الموازنة بين الأمة الجديدة ، حاملة الرسالة الخاتمة ، وبين أهل الكتاب الأوائل يقول الله تعالى «كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم .. منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون » .

والأمم تصلح للحياة والسيادة بمقدار كثرة الخير وقلة الشر فيها .
إن مادة الشر يستحيل أن تنحسم من بين الناس ولو كان الأنبياء رعاتهمولكن الأمم إذا توارى الانحراف فى مساربها وشعر فاعلوه بنكره ، واستعلن البر فى أرجائها ، وشعر فاعلوه بمجده كانت أجدر بالبقاء ، وأحق برعاية الله .

أما إذا قل الأخيار ، وبرز الفجار فإن البلاء يعم ، والانكسار يحيق ، ما يغنى فى دفعه صلاح نادر ، وتقوى ضئيلة !!

والأمر بالمعروف يجىء إثر الإحساس بحقهفى الظهوروالسيادة، والنهى عن المنكر يجىء إثر الإحساس بضرورة استخذائه واستخفائه . وهذا وذاك يلدهما الإيمان النابض بالقدرة والنشاط .

وقد كان ذلك الإيمان سمة الأمة الفتية الناشئة من قلب الصحراء .
أما بقايا أهل الكتاب فإن العفن الفكرى أو النفسى كان ضاربا فى أحوالهم وأعمالهم .

وربما اصطلحت ضمائرهم مع المنكر فأساغته ، وتراخت عن المعروف فتركته ينسحق تحت أقدام الطغاة والفساق .

كان العالم — والحالة هذه — فقيرا إلى نجدة تسعف الحق المهزوم ، والشر المتبجح ، وذلك ما فعله أبناء القرآن الكريم الذين نفخ فيهم محمد من روحه وتعهدهم بحكمته .. !

وفى سورة الجمعة ، أو سورة العروبة ، نرى أن الله ذكر فضله على العرب بهذه الرسالة فقال : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

ثم شرع يذكر مآسى بنى اسرائيل وغدرهم بما اخذ عليهم من عهود .
أما فى سورة آل عمران فإن الله جل شأنه ذكر أولا انحراف اليهود وفسقهم عن أمر الله ثم أعلن عزله لهم ، ونزع الملك منهم ، واختيار العرب دونهم لقيادة العالم .

فقال أولا : « الم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم

يتولى فريق منهم وهم معرضون » . .

وبعد أن رفض هذا السلوك ، وبنى عليه طرد أصحابه وجه الخطاب إلى نبيه محمد : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير »

وظاهر من السياق أن ذلك فى إيثار محمد وأمته العربية على بنى إسرائيل! قد نقول : ما علاقة هذا كله بقصة الإسراء ؟ والجواب أن ليلة الإسراء كانت تقريرا عمليا للحقائق التى أبرزناها من سورة الجمعة ، وغيرها ، قلنا فى كتابنا « فقه السيرة » : « لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة ؟

إن هذا يرجع بنا الى تاريخ قديم . لقد ظلت النبوات دهورا طوالا وهى وقف على بنى إسرائيل . وظل بيت المقدس مهبط الوحى ، ومشرق أنواره على الأرض ، وقصبة الوطن المحبب الى شعب الله المختار .

فلما أهدر اليهود كرامة الوحى واسقطوا أحكام السماء ، حلت بهم لعنة الله ، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد : ومن ثم كان مجيء الرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم انتقالا بالقيادة الروحية فى العالم ، من أمة إلى أمة ومن بلد إلى بلد ، ومن ذرية « إسرائيل » الى ذرية « إسماعيل » .

وقد كان غضب اليهود مشتعلا لهذا التحول ، مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب » .

لكن إرادة الله مضت ، وحملت الأمة الجديدة رسالتها ، وورث النبى العربى تعاليم : ابراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها فكان من وصل الحاضر بالماضى ، وإدماج الكل فى حقيقة واحدة ، أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين فى الإسلام ، وأن ينتقل إليه الرسول فى إسرائه فيكون هذا الانتقال احتراما للايمان الذى درج [illegible] قديما فى رحابه .. ثم يجمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية فى هذه الارض وما حولها ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة .

إن النبوات يصدق بعضها بعضا ، ويمهد السابق منها للاحق وقد أخذ الله الميثاق على أنبياء بنى إسرائيل بذلك . « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

وفى السنة الصحيحة أن الرسول صلى بإخوانه الأنبياء ركعتين فى المسجد الأقصى فكانت هذه الإمامة إقرارا مبينا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه ، أخذت تمامها على يد « محمد » بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين والكشف عن منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ليس مدحا يساق فى حفل تكريم ، بل هو بيان حقيقة مقررة فى عالم الهداية ومنذ تولت السماء إرشاد الأرض ، ولكنه جاء فى إبانه المناسب .

لماذا سردت هذا القصص الغابر ؟ إنه ليس سرد تاريخ مضى ، وخبر كان .. !!

إنه تعريف أمة تائهة بحقيقتها ، ورسالتها ، وقدرهـــا المـكتوب ، وحسابها الدقيق !!

إن العرب ينبغى أن يعرفوا : من هم ؟ وبم أوثروا ؟ وما المطلوب منهم لليوم الحاضر والغد القريب .

وســـورة الإسراء التى حكت فى الآية الأولى وحدها خلاصة القصة ، ثم تتابعت آياتها تستعرض الحكم ، وتسوق النذر .. هذه السورة أكدت للعرب مثل ما أكدت لغيرهم أن الله يعامل شتى الأجناس بقانون موحد لا مكان فيه لمحاباة أو فوضى .

فمن تطلع إلى الدنيا وحدها حبسه الله فى نطاقها ورمى إليه ــ جل شأنه ــ بما يريد منها . أمـــا الآخرة فلا بد لكسبها من شـــروط ثلاثة :

- أن تكون إليها الوجهة .
- أن يقترن الاتجاه بالســعى الجـــاد .
- أن يقترن السعى بالإيمـــان الخالص .

وفى الفريقين معا يقول الله جل شأنه : « من كان يريـــد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريـــد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومـــا مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » هذا الحكم ينطبق على خلق الله أجمعين لا يستثنى منهم أحد .

فماذا يريد العرب من الله ؟ إن غيرهم لما أهان وحيه نزعت منـــه الراية ، وأهين فى الأرض والسماء، فهل يريدون أن يتنكروا لوحى الله لديهم ، ومواريثه بينهم ، ثم يتجاوز عنهم ، ويبسط يده عليهم بالخـــير والنصر ؟

« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعمـــلوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم !! ســـاء ما يحكمون ! »

ونعود إلى خواتيم سورة الجمعة أو « سورة العروبة » ، لنرى فيهـــا السعى إلى ذكر الله واقام الصلاة ماذا وفينا بحق الله انتشرنا فى الأرض لننال من خيرها ما يعيننا على أسباب الفـــلاح .

إن الدين والدنيا قد اجتمعا عندنا فى قرن ، واتسقا فى غاية « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفحلون » .

خطوات النبى

للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

تمهيد :

يعد الاسراء حدثا بارزا من أحداث الاسلام ، ومعلما واضحا من معالمه، اذ كان متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكاشفا عن شأن من شئونه مع ربه جل وعلا ، الامر الذى يعنى كل مسلم أن يتعرف اليه ، وأن يتلقى العبرة والعظة منه ، شأنه فى هذا شأنه مع كل ما يتصل بسيرة رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — من قريب ، أو بعيد ..

ففيه — صلوات الله وسلامه عليه — القدوة والأسوة لكل مؤمن ومؤمنة : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٢١ : الاحزاب) .

والحديث عن الاسراء ، يتلقاه المسلمون وحيا من عند الله ، فيما نزل من آيات القرآن الكريم ، على رسوله الامين .. ومن هنا كان الايمان به ، والتصديق بوقوعه على الصورة التى جاء بها القرآن الكريم، شرطا لازما لايمان كل مؤمن بالله ورسوله ، فمن كذب به ، أو شك فيه ، فهو على غير الايمان ، وعلى غير سبيل المؤمنين .

القرآن والاسراء :

وفى القرآن الكريم سورة تسمى سورة الاسراء ، آخذة اسمها من هذا الحدث العظيم ، الذى استفتحت به آياتها ، وذلك بقوله تعالى : **« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير »** .

وفى هذا الاطار المحدود من النظم القرآنى جمع القرآن الكريم حديث الاسراء كله ، فى زمانه ، ومكانه ، ومعطياته .. وانه بحسب المؤمن من حديث الاسراء أن يتلو هذه الآية الكريمة ، وأن يقف بين يديها فى خشوع ، مفكرا ، متدبرا ليجد ما يحف برسول الله من ألطاف ربه . وما يفاض عليه من جليل آلائه ومننه،

فى الجو العطر والأفق الطهور

مما يعجز البيان عن وصفه ، وتشفق الكلمات من حمله ..

ونحن اذ نحاول أن نرصد مطلع هذه الآية الكريمة ، وأن نتملى على ضوء نورها القدسى مشاهد هذه الرحلة المباركة ، ونرقب آثار خطوات النبى فى جوها العطر ، وعلى أفقها الطهور ــ نحن اذ نفعل هذا فانما لنروى ظمأ ، ونبل أشواقا من هذا المورد العذب ، الذى من نغب نغبة منه ، وجد ريا لا ظمأ بعده .. !

ونود قبل أن نبدأ هذه المحاولة ، ونتزود من الآية الكريمة بالنور الذى سيكون دليلنا فى تلك المسيرة الروحية ــ أن نقف قليلا على أول الطريق ، حتى تألف أبصارنا هذا النور الساطع وتأنس به ، كى لا يخطفها اذا هى هجمت عليه ، والتقت بوجودها فى عبابه ..

وأول ما ينبغى أن نتنبه له ، وننبه اليه ، هو ما بين آية الاسراء التى افتتحت بها السورة ، وبين الآية التى ختمت بها سورة (النحل) قبلها ، من تطابق ، وتوافق ، وتناسب ، الامر الذى يجعل منهما معا قضية واحدة ، أحد طرفيها مقدمة والآخر نتيجة لتلك المقدمة ..

فلقد ختمت سورة النحل بقوله تعالى مخاطبا النبى الكريم : **« واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون ، ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »** .. وفى هذا ما يشير الى تلك الحال من الضيق والالم التى كان يعانيها النبى صلى الله عليه وسلم ، من عناد قومه ، وخلافهم له ، وما كان يجد لذلك فى نفسه من مشاعر الاسف والحزن ، الذى لا يخفف لواعجه ، ولا يطفىء تأججه الا ما كان يتنزل عليه من آيات ربه ، وما تحمل اليه من عزاء كريم ، يمسح بيد اللطف على تلك الجراح الغائرة ، التى كانت تصيبه من رميات قومه وأهله ، ومن ذلك قوله تعالى : **« ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ، فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »** (٩٧ ــ ٩٩ الحجر) .

وقوله سبحانه : « **لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين** » (٣ : الشعراء) وقوله تبارك اسمه : « **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .. ان الله عليم بما يصنعون** » (٨ : فاطر) ..

وختام (النحل) بالآيتين السابقتين ، هو من هذا المدد السماوى ، الذى كان يتلقاه النبى الكريم من ربه ، تثبيتا له على مسيرة الدعوة ، وتخفيفا لما يحمل من ثقال الهموم والآلام .. ثم يجىء بعد هذا الختام مفتتح سورة الاسراء كاشفا عن تلك الرحلة المباركة التى حل بها النبى ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ضيفا على ربه فى الملأ الاعلى ، سابحا فى عالم النور ، لا يلم به شىء من هموم الحياة الدنيا ، وأكدارها ، ولا يطوف به طائف من آلامها وأحزانها ..

ثم ان مما ينبغى أن نتنبه اليه ، وننبه له أيضا ، هو سورة الاسراء نفسها ، وما وقع من خلاف فى الاسم الذي سميت به .. فانه على الرغم من أن السورة قد بدئت بأعظم حدث فى حياة النبى ، بل وفى حياة البشرية كلها ، الامر الذى يجعل من هذا الحدث العظيم علما عليها ، فان بعضا من المفسرين يطلق عليها اسم سورة بنى اسرائيل ، قولا واحدا فيها ، على حين أن كثيرا منهم اذا أطلق عليها اسم الاسراء ، قرن ذلك بقوله : وتسمى سورة بنى اسرائيل ! وقليل هم أولئك الذين وقفوا بها عند اطلاق اسم الاسراء عليها ..

فالطبرى مثلا يسميها سورة بنى اسرائيل ، ولا يضيف اليها اسما آخر ، وكذلك فعل البيضاوى ، ومثلهما فعل الطبرسى ، فى تفسيره المسمى (مجمع البيان) ، كما نجد مثل هذا فى التفسير المنسوب الى ابن عباس .

وأما ابن كثير ، فيجعل للسورة اسمين ، هما : (سبحان) و (بنو اسرائيل) ، ولا يجعل (الاسراء) من أسمائها .. وأما الألوسى فى تفسيره (روح المعانى) فيطلق على السورة ثلاثة أسماء : (بنى اسرائيل) و (سبحان) و (الاسراء) وكذلك فعل النورى فى تفسيره !

ويكاد الزمخشرى ينفرد بتسمية السورة (الاسراء) وجعل هذا الاسم علما عليها دون غيره ..

وأيا كان الامر ، فان اطلاق اسم (بنى اسرائيل) على سورة (الاسراء) هو كيد من كيد اليهود ، تسلل الى المفسرين وأصحاب السير فيما تسلل اليهم من الاسرائيليات التى دسها اليهود على المسلمين فى خبث ودهاء ..

ولو كان لبنى اسراعيل أن تكون لهم سورة باسمهم في القرآن الكريم ، لكانت سورة البقرة ــ مثلا ــ أولى من الاسراء فى هذا المقام ، اذ كان فى البقرة من الحديث الممتد عن بنى اسرائيل ما ليس فى سورة الاسراء ، ومع هذا فقد أخذتالسورة اسم (البقرة) وهى بقرة بنى اسرائيل ، ولم تأخذ اسمهم ، الامر الذى يحمل على القول بأنه مستبعد أصلا أن يكون لبنى اسرائيل سورة تسمى باسمهم فى القرآن الكريم ، وان كان لأبى (لهب) سورة باسمه فى كتاب الله .. !!

ومن جهة أخرى ، فانا نرى سورا كثيرة فى القرآن الكريم ، تكاد تكون كلها حديثا متصلا عن بنى اسرائيل ، كسور الاعراف ، وطه ، والقصص ،

ومع هذا فلم تسم أى منها باسم بنى اسرائيل .. !

فلماذا اذن كانت سورة (الاسراء) بالذات هى التى يدخل عليها هذا الاسم الغريب ، وينازعها شرف الاسم الكريم الذى سميت به .. ؟

اننا نشم هنا ريح اليهود الخبيثة ، ونجد بصمات أصابعهم الملتصصة ، التى تريد أن تقلل من شأن الاسراء ، وأن تجعل الحديث عنه حديثا خافتا ، لا يذكر الا عند تلاوة الآية الكريمة فى مطلع السورة ، دون أن يجرى له حديث عند ذكر سور القرآن ، كلما ذكرت آية من آيات الكتاب الكريم منسوبة الى سورتها .

هذه واحدة من فعلات اليهود فى حديث الاسراء ..

واخرى ، اشد مكرا ، وابلغ كيدا ، وهو ما ادخلوه على حديث الاسراء ذاته ، من زور القول ومفتراه ، والذى أخذه عنهم بعض العلماء عن غفلة ، أو نية حسنة ، باعتبار أن هذه الاحاديث المبالغ فيها ، تعلى من قدر النبى ، وترفع من شأنه ، اذ ليس مما يعقل أن ينتحل اليهود مثل هذه الاحاديث ، وهم على ما هم عليه من عداوة للنبى ، ولأمة هذا النبى !! وما درى هؤلاء العلماء أن تلك المفتريات المفضوحة ، اذ تجتمع مع الحق ، تبعث حوله الشك والاتهام ، الامر الذى يذهب بجلال الحقيقة وروعتها ، ذلك الجلال وتلك الروعة النابعان من بساطتها ، وجريها على حدود الطبيعة البشرية ، ومداناتها للواقع المألوف .. وحسبنا شاهدا لهذا ، القرآن الكريم فى اعجازه الذى أفحم الإنس والجن جميعا ، وهو مع هذا كلام لم يخرج عن مألوف اللسان العربى ، ولم يجاوز حدود اللغة العربية !!

وسنرى فى حديث الاسراء ، ما دخل على هذا الحديث من دس اليهود وكيدهم ، الامر الذى القى شبها كثيرة عند من يستمعون الى هذا الحديث ، وما أضيف اليه من ذيول ضافية من نسج الكذب والزور ، فلا يدرى المؤمن ماذا يأخذ وماذا يدع من هذا الحديث ، فلو أنه أخذه جملة لما اطمأن اليه قلبه ، ولما سكن اليه عقله ، ولو انه اخذ بعضا وترك بعضا لفقد الثقة فيما اخذ أو ترك ، جميعا !!

مع الاسراء :

ونعود الى كتاب الله ، لنتلقى ما يحدثنا به عن (الاسراء) اذ يقول الحق جل شأنه : « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » .

و (سبحان) مصدر منصوب بفعل دل عليه هذا المصدر ، وتقديره : سبح الله تسبيحا ، أو سبح الله سبحانا .. فالمصدر قد ناب عن الفعل ، واضيف الى مفعوله ، فقوله تعالى : « سبحان الذى اسرى بعبده » معناه : سبح الذى اسرى بعبده ، أى اعبده ، واذكره بالحمد ، والتنزيه عن كل نقص ..

واسرى بكذا ، أى سار به ليلا ، وأصل الفعل من السر ، وهو ما خفى من الامور عن غير صاحبه .. ولأن الليل يستر الناس ، ويخفى شخوصهم وأفعالهم ، فقد سمى السير فيه سرى ، وسمى تحرك الليل نفسه سرى ، قال تعالى : « والليل اذا يسر » اى يسير متخفيا فى ظلامه ، فلا تنكشف حركته للناس ..

وعلى هذا ، فكل حركة أو عمل يكون فى خفاء يمكن أن يطلق عليه لفظ السرى ، فيقال : أسريت بهذا الامر ، أى فعلته سرا ، دون أن يطلع عليه أحد .. يقال ذلك دون قيد بظرف الليل او النهار ، ما دام الفعل قد فعل سرا ..

وقيد السرى بالليل فى قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » يحقق أمرين : أولهما اتخاذ الليل ستارا للسير ، وظرفا حاويا له ، حتى لا تنفذ اليه الابصار .. وثانيا : وقوع الامر فى حذر وحيطة، دون جلبة أو ضوضاء ، الامر الذين يعين على وقوع الامر دون أن يشعر به أحد .. فان الليل وان كان سترا يحجب الأبصار بظلامه ، فانه لا يحجب الآذان عن أن تسمع ما يقع فيه من حركات ، ولا يعطل ظلامه وظيفة السمع ، بل ان سكونه يزيد من قدرة السمع على التقاط اخفى الاصوات ..

ونستظهر من هذا امرين : أولهما أن الاسراء بالرسول صلوات الله وسلامه عليه ــ كان بالجسد والروح ، ولم يكن بروحه الشريف ، كما يذهب الى ذلك بعض العلماء ، لانه لو كان بالروح لما جاء التعبير القرآنى بلفظ (أسرى) الذى يدل بذاته على الستر والخفاء ، لأن الروح أخفى منَ أن تراه عين ، أو تسمع به أذن ، ثم لما كان لجعل السرى فى مضمون ستر آخر ، وهو الليل ، موضع فى هذا المقام ..

وثانى الامرين ، هو أن الاسراء بالنبى الكريم لم يكن معجزة متحدية ، وانما كان رحلة روحية ، واستضافة كريمة من الله الرحمن الرحيم ، للنبى ، فىَ رحاب ملكوته ، حيث يشهد من آيات الله ، ويتزود من الطافه ، ما لم يشهده بشر ، وما لم يتزود به انسان من عالم الحق ..

ولو أن الاسراء كان معجزة متحدية لشهدها الناس فى يومها أو ليلها ، أو لشهدوا آثارها ، الامر الذى لم يحدث ، وانما كل ما حدث هو ما نزل من كلمات الله ، مخبرا عن هذا الحدث ، الذى تلقاه المؤمنون بالتصديق ، والحمد لله الذى اختص نبيه بهذا الفضل العظيم ، على حين تلقاه المشركون والذين فى قلوبهم مرض ، بالبهت والتكذيب ، والتشنيع : « **فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون . واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون** » (١٢٤ و ١٢٥ التوبة) .

فى اطار الحق :

تلنا ان حديث الاسراء قد احتوته آية واحدة من آيات الكتاب الكريم ، فأمسكت به من جميع أطرافه ، وعرضته فى هذا النظم الموجز المعجز ، الذى تقوم الكلمة فيه ، بل الحرف منه بما لم تقم به عشرات الفصول الضافية مما كتب الكاتبون عن الاسراء ، ومما حشدوا من بين يديه ومن خلفه من الوان وظلال ، وما أضافوا اليه من تهاويم وتهاويل !

واستمع الى قوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » وخذ لنفسك موقفا بين يدى هذا الجلال الذى يملأ الوجود عليك ، من انغام هذا النشيد العلوى ، الذى ينتظم الكائنات جميعها فى مقام الولاء والتسبيح بحمد الله رب العالمين ، الذى أسرى بعبده محمدا، وجعله فى معيته ، وأضافه الى ذاته، وانزله منازل فضله واحسانه . فأى مقام من الكرامة والتكريم ناله

عبد من عباد الله ، يرتفع الى هذا المقام الذى ناله محمد من ربه ؟ انه سبحانه هو الذى أسرى بعبده ، وحفه بما شاء أن يحفه به من فواضل كرمه ونفحات بره ، وحمله فى هذه الرحلة المباركة على جناح القدرة ، مكسوا بحلل من النور ، متوجا بتاج من البهاء والجلال ، مأنوسا بألحان التسبيح والتحميد الصادرة من قلب الوجود ، لتزف ابن الانسانية وبكرها الى الملأ الاعلى فى ليلة عرسه هذه، حيث عروسه التى تنتظره ، وقد صاغها له ربه من جوهر العلم والحكمة !!

هذا وتستمع الى قصة الاسراء فى كثير من كتب الحديث ، والتفسير ، والسيرة ، فتجدك بين يدى أخلاط من العجائب والغرائب ، قد اختلط فيها الوهم بالحقيقة ، والخيال بالواقع ، حتى ليكاد يختنق هذا الشعاع المنبعث من هذا الحدث العظيم ، وتغيب عن نظر الناظر فيه ، مواقع العبرة والعظة منه ، وتبهت صورة الروعة والجلال الحافة به ..

ان الذى يطالع مسيرة الاسراء على تلك الصورة ، أو الصور المجسدة ، التى تعرضها بعض كتب السيرة والتفسير والحديث ، لتموت فى نفسه كثير من تلك المشاعر الروحية ، التى كان خليقا أن يثيرها فيه حديث الاسراء ، لو انه قد أزيح من طريقه هذا الركام الكثير من العوائق والسدود .. ولا تنخدع لتلك الالوان والاصباغ الساذجة التى يطلى بها القصاص وجه هذه المجسدات ، ليجعلوا لها بتلك الاصباغ وجها تدخل به الى العالم العلوى .. ذلك ان هذا (المكياج) المصطنع يجعل منها مسخا أكثر منها حقيقة ، ويردها الى تراب الارض أكثر مما يرتفع بها الى آفاق السماء ..

فالبراق — مثلا — الذى يأخذ فى حديث (الاسراء) لونا بارزا صارخا، والذى يهيأ للرسول الكريم ليتخذ منه مطية فى مسراه — هذا البراق ليس الا أتانا ، هو دون البغل وفوق الحمار ، كما جاء وصفه فى كتب الحديث والسيرة ، وقد ركب عليه جناحان من ريش .. !

وتسأل : لم هذا الحيوان ؟ ولم جاء على تلك الصورة ؟ فيأتيك الجواب مما يقع تصورات الخيال والوهم ، بأن مثل هذه المرحلة الطويلة لا تقطع فى هذا الزمن القصير الا على دابة مما كان يركب فى هذا الزمان ، ثم لا بد أن يكون لهذه الدابة جناحان لتكون سرعتها سرعة الطير ! ولو أدرك واضعوا هذه القصةعصر النفاثات والصواريخ لما جرءوا على القول بتلك المقولة المفضوحة .. !

ثم ما يقال عن هذا الحجر الذى يشد اليه الانبياء دوابهم عند المسجد الاقصى ، وتلك الحلقات المفروشة فى هذا الحجر لتمسك المقاود واللجم ، والتى شد البراق الى واحدة منها — ان هذا وأشباهه لما يمسك بالمعانى العالية الكريمة التى كان من شأن الانسان أن يجدها فى نفسه لو أنه أزاح هذا الخجر ، وأزاح معه اللجم والمقاود، والسروج وغيرها مما يكون فى مرابط الحيوان .. !!

وأمر آخر من أمر تلك الملفقات والمماحكات التى اتصلت بحديث الاسراء ، فصرفت الانظار اليها ، وشغلت العقول بها ، وجارت على الموقف الذى كان ينبغى أن يقفه المؤمن بين يدى الاسراء فى نقائه ، وصفائه ، وبهاء أنواره ، وجلال

موكبه .. وذلك فيما وقع من خلاف حول طبيعة الاسراء ، وهل كان بالروح ، أم كان بالجسد .. ؟ وهل كان مناما أم في يقظة .. ؟

ومن عجب أن تتخلق من هذا الخلاف قضية ، وأن تتعدد أطراف الخصومة فيها ، وأن يمسك كل طرف برأى ، وأن يقيم لرأيه الادلة والبراهين ، وأن يأتي له بالمرويات المتصلة الاسانيد .. !!

وقد فصل القاضي عياض في كتابه (الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى) وجوه هذا الخلاف ، وذلك في قوله : « اختلف السلف والعلماء ، هل كان اسراؤه عليه الصلاة والسلام ، بروحه أو جسده، على ثلاث مقالات : فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح ، وأنه رؤيا منام ، مع اتفاقهم على أن رؤيا الانبياء حق ووحى .. والى هذا ذهب معاوية ..

« وذهب معظم السلف والمسلمين ، الى أنه اسراء بالجسد وفي اليقظة .. وهذا هو الحق ، وهو قول ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وحذيفة ، وعمر ، وأبى هريرة ، ومالك بن صعصعة ، وأبى حية البدرى ، وابن مسعود ، والضحاك ، وسعيد بن جبير .. وهو قول الطبرى ، وابن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين » ..

وقالت طائفة : « كان الإسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس ، والى السماء بالروح ، واحتجوا بقوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى » فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء .. ولو كان الإسراء بجسده الى زائد عن المسجد الأقصى لذكره ، فيكون أبلغ في المدح . »

ثم بعد أن انتهى القاضي عياض من عرض هذه الآراء عرض رأيه هو ، فقال :

« والحق من هذا ، والصحيح ان شاء الله ، انه إسراء بالروح والجسد في القصة كلها — أى في الإسراء والمعراج — وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار ..

« وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة ، اذ لو كان مناما لقال : « بروح عبده » ولم يقل « بعبده » ولو كان مناما لما كان فيه آية ولا معجزة ، ولا استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ، ولا ارتد ضعفاء من أسلم وافتتنوا به ، اذ مثل هذه المنامات لا ينكر . بل لم يكن ذلك الانكار منهم الا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه ، وحال يقظته »

ونقول : ان هذا الخلاف في كون الاسراء والمعراج كانا بالجسد أو بالروح ، خلاف ينبغى الا يقف عنده المؤمن ، لأنه لا يؤثر في حقيقة الاسراء والمعراج ، وما نال فيهما الرسول الكريم من الطاف ربه وعطاياه ، وما رأى من آياته في ملكوت السموات والارض ، فان قدرة الله تعالى لا تتقيد بتلك القيود التى تحكمها الضرورات البشرية ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .. وانه لخير من هذا الخلاف الذى يذهب بجلال الاسراء ، ويعبث بالستر الخفى الملقى عليه من عالم الحق — خير من هذا أن نشهد هذا الجلال في موكب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في مسراه المهيب الجليل ، تحف به الطاف ربه ، وتحدوه رعايته الى حيث يسبح في عالم النور ، ويطعم من موائد السماء الممدودة بين يديه ، وينهل من ينابيع العلم والحكمة المتدفقة من حوله ..

وعلى أيّ فان الإسراء ، سواء أكان معه معراج أم لم يكن ، وسواء أكان بالروح أم بالجسد ، لم يخرج بالنبى الكريم عن بشريته ، ولم يباعد بينه وبين الإنسان الرسول الذى هو « محمد » .. فقد عاد — صلوات الله وسلامه عليه — من هذه الرحلة العلوية المباركة، ولقى قومه — مؤمنين وكافرين — فلم ينكر احد من هؤلاء وأولئك شيئا مما كان يعهده فيه ، حتى ان المشركين انفسهم لم يجدوا عليه أمارة من أمارات تلك الرحلة العظيمة الميمونة ، يقوم منها شاهد يقطع السنتهم التى كانت ترميه بالكذب والبهت .. ذلك أن خير هذه الرحلة كان كله مخبوءا فى كيانه ، منطويا فى صدره ، ساريا فى روحه . ان ذلك شأن من شأن الله تعالى مع نبيه ، وزاد روحى زوده به ربه ، تكريما له ، وعزاء لما كان يحمل فى نفسه من هموم ، وما يعالج من آلام .. فلقد كان النبى صلوات الله وسلامه عليه قبيل الإسراء فى حال من الضيق هو أشد ما يكون حاجة فيها الى تلك النقلة البعيدة عن هذا الجو الخانق الذى انعقد من حوله فى مكة ، حيث كانت تغلى صدور المشركين بالنقمة عليه ، وعلى اصحابه ، وحيث كانت سياط العذاب تلهب ظهور المستضعفين من أصحابه فيجد وقعها فى كل خلجة من خلجاته !!

ماذا هناك ؟

وإنه لكى ندرك بعض الحكمة العالية من الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحلوله ضيفا على ربه فى الملأ الأعلى ، ينبغى أن نلقى نظرة على موقع الأحداث التى كانت تجرى فى مكة بين النبى صلى الله عليه وسلم ، والمشركين من قومه ، بعد أن ظل نحو عشر سنين بينهم يدعوهم الى الله ، دون أن يلقى منهم إلا امعانا فى الإعراض عنه ، والإعنات له ، والافتنان فى خلق وسائل الكيد لدعوته ، وأخذ السبيل عليها فى داخل مكة وخارجها .

إنه بعد أن يئست قريش من بنى هاشم ، وبنى عبد المطلب — رهط النبى الأدنين — من أن ينحلّوا عنه ، ويدعوه للقوم لمضوا أمرهم فيه — اجمعوا رأيهم على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، وعقدوا بذلك عقدا مكتوبا بينهم أودعوه الكعبة ، ويقضى هذا العقد بمقاطعة رهط النبى مقاطعة حاسمة صارمة ، فلا يزوجونهم ، ولا يتزوجون منهم ، ولا يأخذون منهم أو يعطونهم ، ولا يتبادلون معهم نفعا أبدا ما داموا على موقفهم هذا من النبى ..

وقد أبت العصبية العربية على بنى هاشم ، وبنى عبد المطلب أن يتخلوا عن النبى ، وأن يسلموه لقريش ، وكانوا فى هذا يدا واحدة، لا فرق فى ذلك بين من أسلم ، ومن بقى على شركه ، وعداوته للنبى كعمه أبى لهب . فجمع أبو طالب — عميد بنى هاشم — أهله ، وانحاز بهم الى شعب ، سُمى فيما بعد شعب أبى طالب ، معتزلا القوم الذين اعتزلوه وأهله .. وقد استمر هذا الحصار نحو ثلاث سنين ، بلغ بهم الجهد فيها غايته ، حتى لقد كان يسمع بكاء صبيانهم وهم يتضاغون جوعا من وراء الشِّعب .. !

ولا تسأل عن الآلام النفسية ، بل

والجسدية ، التى احتملها النبى خلال تلك المحنة التى عاش فيها أهله .. إنها كانت اقسى واشق ما لقى النبى فى طريق دعوته من آلام .. انه حمل آلام أهله كلها ، وان ذهب كلّ منهم بنصيبه منها .. ومما ضاعف من آلام النبى أن معظم الذين احتملوا هذه المحنة لم يحتملوها من أجل العقيدة ، وانما كان من أجل العصبية للقرابة والدم ، ولو كان ذلك من أجل العقيدة لهان الأمر ، ولخف وقعه على النبى، ولكان على اصحاب العقيدة أن يؤدوا بمواجهة تلك المحنة ضريبة الدفاع عن عقيدتهم ، لقاء الثواب العظيم من الله تعالى الذى آمنوا به ، واتبعوا رسوله ..

وينتهى هذا الحصار ، بعد أن يئست قريش من جدوى هذا الأسلوب الذى اتخذته مع بنى هاشم الذين تربطهم بهم روابط وثيقة من النسب والمصاهرة ، ويخرج أبو طالب بأهله من هذا الحصار ، وقد أثخنتهم الجراح النفسية والجسدية ، ويدخل الهاشميون مكة ، متوحشين منها ، ضائقين بها وبأهلها ..

رحلة فى العالم الأرضى :

أما النبى — صلى الله عليه وسلم — فانه بعد أن خرج أهله من هذا الحصار ، كان على نية أن يخرج من مكة ، حتى لا يحمل أهله على مواجهة تجربة أخرى تجربها قريش معهم ، اذا هم ظلوا على تعصبهم للنبى ، والوقوف معه ، وهو قائم بالدعوة الى الله ..

ولكن الى اين يذهب النبى ، وهو مدعو من ربه أن يواجه قومه بدعوة الإسلام ، وأن يكون ميدانه الأول بتلك الدعوة أهله وعشيرته ، كما يقول الحق جلّ وعلا : ((**وانذر عشيرتك الأقربين**)) .. ويؤذنه ربه بما سيلقى من أذى قومه له ، وخلافهم عليه ، فيقول له : ((**يأيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر**)) .. ثم اذ تتحرك فى نفس النبى مشاعر التحول عن قومه ، والانتقال بدعوته من مكة ، الى بلد آخر ، يجيئه أمر ربه ، ليمسك به ، فيقول له جلّ شأنه : ((**فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ، ولا تستعجل لهم**)) (٣٥ : الاحقاف) .. ويقول له سبحانه : ((**واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله ، وهو خير الحاكمين**)) (١٠٩ : يونس) ويقول له تبارك : ((**فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم**)) (٤٨ : القلم) .. وهكذا تتوالى آيات الله لتربط على قلب النبى ، ولتنعش فؤاده بأنسامها المعطرة ، فيصمد للمحنة ، ويصبر على مواجهة هذا البلاء ..

ثم انه ما يكاد النبى — صلى الله عليه وسلم — يجد برد السكينة من هذا العزاء الجميل ، حتى يتعرض لامتحان جديد ، تمتلىء منه نفسه حسرة وحزنا ، اذ يصاب بعمه أبى طالب ، وبزوجه خديجة ، فى وقت واحد ، فسقط الجناحان اللذان كان يظلانه ، ويرفان عليه حنانا ورحمة ، ذلك أنه ما كادت محنة الحصار تنتهى حتى يموت عمه أبو طالب بعد الخروج من الشّعب بستة أشهر ، ثم تلحق خديجة — رضى الله عنها — بربها ، بعد موته بثلاثة أيام ..

وكان لا بد أن يخرج النبى من مكة ولو لأيام ، بعيداً عن هذه الوجوه

المنكرة المتجهمة ، التى تطل منها نظرات الشماتة ، محملة بنذر التهديد والوعيد ..

وخرج النبى سرا الى الطائف — وهى أشبه بضاحية من ضواحى مكة — يصحبه مولاه زيد بن حارثة.. وهناك يلتقى برءوس القوم ، ويعرض عليهم دعوة الاسلام ، فردوه أشنع رد ، ثم أغروا به سفهاءهم ، وصبيانهم يرجمونه بالحصا ، ويرمونه بالحجارة ، حتى أدموا قدميه الشريفتين .

وعاد النبى من الطائف ، وقد تضاعفت همومه ، وأثقل ظهره حملها واشفق أن يدخل مكة على تلك الحال، وليس معه فضل من قدرة على احتمال فوق ما يحمل !!

وفى الطريق من الطائف الى مكة نزل النبى منزلا بمكان يسمى «نخلة» قضى فيه ليلته . مع آيات الله ، يتلوها ، ويأنس بترتيلها .. حتى اذا طلع الصباح ، جاء الوحى بآيات الله ، تحمل اليه هذا النبأ المسعد : « **وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا انصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين ، قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى يهدى الى الحق ، والى طريق مستقيم ، يا قومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين** » (٢٩—٣٢ : الأحقاف)

عندئذ وجد النبى — صلوات الله وسلامه عليه — من القوة والعزم ما يستطيع به مواجهة قريشٍ ، ومثلها معها من أهل العناد ، والضلال .. إنه يحمل فى قلبه ، وعلى لسانه وبين يديه آيات الله التى لم يكد الجن يستمعون اليها حتى آمنوا وخرّوا بين يدى جلالها ساجدين ، صاغرين ، ولن تكون قريش ، أو غير قريش ، أشد عتوا ، وأمعن فى العناد والضلال من الجن !!

وعلى هذا العزم ، ومع تلك القوة مضى الرسول الى مكة ، وهناك تلا على القوم ما نزل عليه من آيات ربه، من استماع الجنّ اليه ، وايمانهم به .. فما زادهم ذلك الا تكذيبا له ، ونكيرا عليه ..

ويستعرض النبى الكريم موقف الجن بالأمس من آيات الله ، وايمانهم بها ، وموقف قومه اليوم ، وقبل اليوم منه ، ومن آيات الله التى يتلوها عليهم ، فيجد أنه فى مواجهة قوم قد اغتال الكبر والعناد كلّ معالم الخير فيهم ، فكانوا كما وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله : « **إنا جعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه ، وفى آذانهم وقرا ، وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذن ابدا ..** » (٥٧ : الكهف) .. لقد استنفد النبى كل وسيلة ممكنة ، لشفاء أخبث العلل العارضة لبنى الانسان ، ولعالم الجنّ أيضا ، ولكن ذلك لم يفد شيئا فيما ابتلى به قومه من داء الكبر والعناد !!

لقد أبلى الرسول الكريم بلاءه فى الأرض ، واستنفد كل ما يمكن أن يُعطى أو يأخذ من أهلها ، فكان لا بد من تحوله الى عالم آخر ، يتزود منه بزاد روحى ، يشيع فى كيانه قوى مجددة ، لا تنفد أبدا على كثرة ما ينفق فى هذا النضال المتصل بينه وبين قومه ، حتى يحكم الله بينه

وبينهم بالحق ، وهو خير الحاكمين . فكانت رحلة الاسراء .. وذلك قبل الهجرة بنحو عام ، ولسبع عشرة ليلة من ربيع الاول ..

ان الاسراء لم يكن فى صميمه الا رحلة روحية لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فى عالم النور ، والا استدناء لـه من مواطن الرحمة والاحسان ، وان ذلك لهو الجزاء الحسن المعجل لرسول الله فى هذه الدنيا على جهاده الصادق فى سبيل الله ، وما احتمل من جهد وعناء ..

ان الاسراء شأن خاص بالنبى ، وفى حدود هذا المعنى ينبغى أن نقيم نظرنا الى الاسراء ، فاذا حدث الرسول صلى الله عليه وسلم بالاسراء ، وبما رأى من آيات ربه فى مسراه ، كان على المؤمن أن يجعل من ايمانه ، التصديق بهذا الحديث ، ثم اذا ذكر القرآن هذا الخبر فى آية من آياته ، لم يكن لمؤمن بالله أن يشك أو يجادل أو يمارى فى هذا الخبر .

عود على بدء :

هذا ما ينبغى أن نقف عنده من حديث الاسراء ، فهو آية من آيات الله ، اختص بها سبحانه نبيه فيما اختصه به من نعم وآلاء .. فاذا كان لنا أن نمد النظر الى ما وراء هذا فليكن الى المسجد الأقصى ، الذى كان معلما بارزا من معالم الاسراء ، حيث كان غاية لتلك المسيرة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحيث كان الميقات الذى التقى فيه بأنبياء الله ، وصلى بهم إماما أولى صلاة من تلك الفريضة التى فرضها الله على المسلمين فى تلك الليلة ..

وهذا من شأنه أن يصل مشاعر المسلمين بهذا المسجد ، ويجعل منه ومن المسجد الحرام آيتين من آيات الله فى الأرض ، وعلمين من أعلام الهداية ، يستظل المسلمون بظلهما ، ويقومون على عمارتهما ، وتأمين السبيل اليهما .. وهذا لا يكون الا اذا كان هذان المسجدان داخل دار الاسلام ، وتحت يد المسلمين ، الأمر الذى يكشف عن وجه من وجوه إعجاز القرآن فى اخباره بالغيب عن هذا المسجد الذى لم يكن يقع لنظر احد من المسلمين يومئذ ، أو يدور فى خاطره ، انه سيكون بعضا من دار الاسلام ..

وقد مكّن الله تعالى للمسلمين من المسجد الأقصى ، ودخل هو وما حوله فى دار الاسلام منذ خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، الى اليوم ، والى ما بعد اليوم والى يوم الدين ، ان شاء الله .. وانه على رغم ما بذل أعداء الاسلام من جهد ، وما دبروا من كيد ، وما ساقوا من جيوش لاخراج هذا البيت من يد المسلمين — فانه كان اذا خرج لا يلبث أن يعود كما يعود المسافر الى أهله ، فى رحلة ، قد تطول ، وقد تقصر .. انها غربة تلفت أنظار المسلمين اليه ، وتحرك أشواقهم اليه وتبعث فيهم يقظة الى الأعداء المتربصين بهم ، والمتخذين من هذا المسجد معبرا الى القريب والبعيد من أوطانهم ..

وانه ليس من قبيل المصادفات أن يكون هذا المسجد المبارك هو الذى يتلقى دائما الصدمة الأولى فيما يُراد بالمسلمين من سوء ، وما يدبر لهم من عدوان ، فيكون ذلك أشبه بالنذير لهم أن يستيقظوا من نومهم ، وأن ينتبهوا من غفلتهم ، وأن يتداركوا أمرهم ،

وأن يعملوا على رد البلاء قبل أن يحيط بهم .. ان ذلك من آيات الله ، ومن لطفه بأمة محمد الذى وضع جبهته الشريفة على أرض هذا المسجد المبارك ، ليكون مرقبا يكشف لتلك الأمة كل كيد يساق اليها ..

ونحن نكتب هذا فى سنة الف وثلاثمائة واثنتين وتسعين من الهجرة (١٩٧٢م) والمسجد الأقصى فى يد اليهود منذ أكثر من خمس سنوات .. اليهود الذين عملوا لذلك من قبل ظهور الاسلام يوم كانوا خاضعين لحكم الرومان ، واليهود الذين عملوا لذلك بعد ظهور الاسلام ، فأشعلوا الفتن ، وأوقدوا الحروب ، وأغروا النصارى بالمسلمين ، حتى وقع الشر بينهم فى تلك الحروب الصليبية التى اتصلت نحو قرنين ، والتى خرج المسجد فيها أكثر من مرة من أيديهم ثم لم يلبث أن يعود اليهم .. كل هذا ليجد اليهود فرصتهم الى هذا البيت المقدس .. وها هم أولاء قد وجدوها اليوم ، مستعينين بأموالهم ، وبسلطانهم على أمريكا التى ساندتهم ، ووقفت وراءهم ، وأمدتهم بالعتاد ، والرجال والأموال ..

ان المسجد الأقصى اليوم ، ومنذ خمس سنوات فى يد اليهود ، ولا ندرى السبيل الذى نسترده به من أيديهم ، أهو سبيل الحرب أم السلم .. ولكن الذى ندريه ونستيقنه ، هو أن هذا المسجد وما حوله لا بد أن يعود الى المسلمين ، وأن يدخل فى دولة الاسلام ، وأن غربته فى يد اليهود ستنتهى حتما ، ويعود الغريب الى أهله .. ان شاء الله .

واذا كان المسلمون اليوم فى حال من الألم والأسى لغربة هذا المسجد عنهم ، أشبه بتلك الحال التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغربة قومه عنه ، وخروجهم من يده — فان مسرى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، الذى اتصل فيه اتصالا مباشرا بالملأ الاعلى والذى جاءت فى أعقابه الهجرة ، ثم الفتح ودخول الناس فى دين الله افواجا — ان فى هذا المسرى ما يفتح للمسلمين طريقا الى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والى أن يرتادوا بوجودهم كله الطريق الى الله ، والى مصالحة ربهم ، بالاستقامة على دينه ، والجهاد بالأموال والأنفس فى سبيله ، حتى يعطوا من رضوان الله ، ومن أمداد عونه وتوفيقه بعض ما أعطى رسول الله فى مسراه ، ويومئذ يفتح الله للمسلمين مغالق الخير ، ويمكن لهم من أسباب العزة والغلب ، ويرد عليهم غربة هذا المسجد وما حوله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، وان ذلك لقريب ان شاء الله .. والله سبحانه وتعالى يقول : « **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين** » ..

الاسلام عسكريا

جهاد وذياد

للاستاذ أحمد محمد جمال

يخوض العرب اليوم معركـــــة حاسمة مع عدو ثلاثي حاقد غشوم(١) بعد أن طال الامد على استذلالـــه لانسانيتهم ، واستغلاله لأمكانيتهم ، واكله لخيراتهم ، ونهبه لثرواتهم وبعد أن نقض ميثاقه ، وأخلف موعده ، وكذب بعمله الفاجر الغادر دعواه أنه صديق العرب وحليفهم ، وانـــه يريد ان ينهض بهم الى العزة والمعرفة والحضـــارة .

أجل ، ان العرب اليوم يخوضون معركة حياة أو موت ، مع عدو مبين كان يلبس لهم ثوب المحالف، ويتحدث اليهم بلسان الصديق ، ويمثل أمامهم دور المحامى، وهو خادع لهم، متربص بهم ، باسط اليهم فى الخفاء يـد الســوء .

وما أجدرنا اليوم ، ونحن نقف وقفتنا الفاصلة مع عدونا اللدود ، ان نعرف بعض الحقائق عن الحرب الاسلامية ،باعثها وغايتها ووسائلها، ليشتد يقيننا ويقوى ايماننا ، ويتضح وتثبت أقدامنا ، حتى ندرك غاية الحياة فينا : عزة وحرية وعملا صالحا ، او نبلغ مصيرها المحتوم : شهادة وسعادة .

يقرر القرآن الكريم أول ما يقرر فى فلسفة الحرب الاسلامية : تربية النفوس المسلمة على حب السلام ، ويؤكد فى هذا السبيل طبيعة الكراهية فى هذه النفوس للقتال فيقول :

— (وان جنحوا للسلم فاجنح لها) .

— (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا) .

— (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة) .

وجاءت التعاليم الاسلامية بتعبير للتحية بين المسلمين ، وهو (السلام عليكم) ، يوحى اليهم دائما بحب السلام ، ويذكرهم أبدا بواجب نشر السلام بينهم ، وعدم العدوان على غيرهم ، كما جاء الحديث النبوى ناهيا عن تمنى المسلم لقاء العدو، موجها اياه الى التماس العافية .

الى جانب هذا الحض القرآنى على السلام يقرر القرآن ان الحرب قد تكون فرضا لا عذر منه ، مع ادراكه لطبيعة الانسانية الكارهة للقتال فيقول : (كتب عليكم القتال، وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم) .

ذلك ان المسلمين مع حبهم للسلام وكرههم الطبيعى للحرب ، لن يسلموا من مكر غادر ، ولن ينجوا من بغى معتد أثيم ، ولن يعزوا على أمنية طامع فى ثروات أفرادهم وخيرات بلادهم ، الا اذا عرفوا للسلام حقه فاحترموه ، وعرفوا للحرب واجبها فأحسنوه . ومن هنا جاء قول القرآن : (الفتنة أكبر من القتل) و (الفتنة أشد من القتل) .

* * *

نعم لئن كانت الحرب شديدة على النفوس المسلمة المحبة للسلام ، كبيرة بتكاليفها وتضحياتها الا ان الفتنة — وهل بعد التآمر الثلاثى الكافر فتنة — أشد وأكبر ، فان المتآمرين يفتنون المسلمين عن دينهم، سياسيا وخلقيا وثقافيا واقتصاديا وعسكريا ، ومن ثم وجبت حربهم وحقت لعنتهم ، ولزم اخراجهم من بلادنا ، لتبقى لنا دنيانا التى فيها معاشنا رخية أبية ، ويبقى لنا ديننا الذى به صلاحنا وعصمة أمرنا : سيدا متبعا .

ان الحرب الاسلامية جهاد وذياد. جهاد فى سبيل الدعوة الى الحق ، والامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر، وتطهير البشرية من أرجاس المادية والاباحية .. وهى ذياد عن حمى الاسلام ، لئلا تطأه أقدام ملوثة بالدنس ، وتمتد اليه يد باغية بالسوء ، وتنطلق السنة حداد طعنا فى المسلمين .

وليست عسكريتنا الاسلاميةكعسكرية الغربيين : عدتها الخراب والدمار ، وغايتها الاستلاب والاغتصاب .وانما هى نظام لرد الحق المنهوب ، ونصر الكرامة الانسانية المنتهكة ، ونشر الحرية المطوية ، وتعميم الأمن والرخاء .

● يقول القرآن الكريم عن الغاية من الحرب الاسلامية :

— (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) .
— (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) .
— (ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) .

● ويقول عن التنظيم العسكرى والاستعداد الحربى :

— (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ، فانفروا ثبات ، او انفروا جميعا) .
— (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص)
— (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .
— (واذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا) .

● ويقول القرآن عن مصدر الانتصار فى الحرب الاسلامية :

— (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) .
— (فلم تقتلوهمولكن الله قتلهم) .
— (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) .

● ويقول القرآن عن مثوبة القتال الاسلامى :

— (ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) .

—(ولئن قتلتم فى سبيل الله ، أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) .

— (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) .

ذلك شىء يسير من روائع القرآن فى الحرب الاسلامية الفاضلة العادلة ، التى هى حرب أشبه بالسلم ، واقرب للسلامة ، وأضمن لإقرار الرخاء والاخاء فى الارض ، لانها مقاومة للبغاة ،وتأديب للمعوقين وزجر للظلمة ليست كحرب الغربيين: مطامع وفظائع ، وافتراء واعتداء ، وسلبا لحرية الحى ، وانتهاكا لكرامة الحياة .

* * *

ويضع القرآن — بعد ذلك — قواعد ووصايا حكيمة رحيمة ،للحرب الاسلامية ، فيدعو المجاهدين المسلمين الى المسارعة لتلبية نداء السلام اذا وجه اليهم من اعدائهم : (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) .

وهو فى الوقت نفسه ، يحذرهم من الافراط فى حب السلام ، بحيث يغفلون عن مكائد المعاهدين من اعدائهم : (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء . ان الله لا يحب الخائنين) ، (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر .. انهم لا ايمان لهم) .

والقرآن يوصى فى آية واحدة بالإثخان وشد الوثاق ، وبالمن على الأسرى أو مفادتهم بأسرى المسلمين عند الاعداء : (فاذا اثخنتموهمفشدوا الوثاق ، فإما منا بعد ، وإما فداء) .

وفى باب مقت الجبن ، ومقاومة التخاذل وخشية الموت يقول القرآن : (اينما تكونوا يدركم الموت، ولو كنتم فى بروج مشيدة) — (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا .. قل فادرأوا عن انفسكم الموت) — (وما كان لنفس أن تموت الا بإذن الله كتابا مؤجلا) — (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا) . الخ.

وعندما خالف المحاربون المسلمون

واجب (الطاعة) فى نظام الحرب الاسلامية ، جاءتهم العبرة والموعظة العمليتان الزاجرتان فى معركة أحد التى بدأت بانتصارهم ، واختتمت بهزيمتهم لما خالفوا أمر قائدهم — عليه السلام — فنزل الرماة من الجبل، وانتهزت جنود قريش ذلك ، فانصبوا على المسلمين منه .

ويقص القرآن قصة اخرى ، بل درسا تأديبيا .. عندما غفل الجنود المسلمون عن حقيقة الغلبة فى الحرب ، وباعثها الحق ، وهو الايمان والصبر والتضحية ، وليس كثرة العدد والعتاد : (ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مذبرين) .

هذا هو نظام الجندية ، كما وضعه القرآن لادارة الحرب الاسلامية . وهو كما نرى نظام حكيم رحيم ، سبيله : الانتصاف والرحمة ، وغايته دعوة الحق ، ومقاومة العدوان .

❊ ❊ ❊

بقى أن نلم بتاريخ الحرب الاسلامية كما وقعت فى حدود هذا النظام :

ففى رسائل النبى عليه الصلاة والسلام — فى العام السابع الهجرى — الى ملوك الاعاجم يومذاك (كسرى هرقل ، المقوقس ، والنجاشى) وغيرهم من ملوك الجزيرة العربية — كان عليه الصلاة والسلام يقول لكل واحد منهم : اسلم تسلم فان ابيت فعليك إثم امتك !

ومعنى هذه الدعوة النبوية السلمية ان النبى كان يعتقد قابلية تلك الامم التى يحكمها اولئك الطغاة، لتلبية دعوته ، واعتناق دينه ، وكان يعلم أن الملوك والرؤساء وحدهم هم الحوائل والعوائق دون اسلام رعاياهم حرصا على سلطانهم وزعاماتهم واقطاعياتهم من المال والعقار والعبيد .

وقد ثار بعض اولئك الملوك والرؤساء على سفراء النبى الذين حملوا، اليهم دعوة الاسلام ، وهددوا بمحاربة المسلمين .. فلم يكن بد للجيش الاسلامى من أن يستعد للدفاع وان يستعد للهجوم ايضا فى سبيل دعوته الى رعايا اولئك الملوك .. تلك الرعايا التى كانت مستعدة لاعتناق الاسلام دينا ، او على الاقل كانت مستعدة لقبول الاسلام كدولة تحكمها بالعدل والمساواة بدلا من ملوكها الطغاة المترفين .

ان الفتوح الاسلامية التى تجاوزت بلاد العرب لم تكن طمعا فى استعمار البلاد المفتوحة ، او رغبة فى استذلال اهلها — كما يفعل الفاتحون الغربيون اليوم — وانما كانت ضمانا لسلامة الدولة الاسلامية من جانب ، وحبا فى إدخال العالم الحائر التعس ، فى دين الحق والخير والعدل والسلام من جانب آخر .

فعندما بدأت الاحوال فى دولتى فارس والروم تضطرب حينذاك ، لم يكن الخليفة المسلم ملوما فى العمل على حماية دولة الاسلام من عدوى ذلك الفساد بما اعد من جند للفتوح الجديدة ، التى يقيم بها فى البلاد المفتوحة قواعد عسكرية تحمى ظهر الدولة الاسلامية ، وقواعد اجتماعية تصلح بها حياة الناس إن رضوا بالاسلام دينا ، وان لم يرضوا ، فهم بعد الجزية والمسالمة احرار مكرمون، محفوظة حقوقهم ، محمية أعراضهم، كالمسلمين تماما . وهذا أندر مايطمع فيه مغلوب من غالبه ؟

ولقد اتهم المؤرخون الاوربيون الاسلام بأنه : دين سيف ، ودين عدوان ، ودين (قطع طريق) ولو رجعوا الى تاريخ الحرب الاسلامية

لعرفوا أولا — أن الاسلام كان فى بداية عهده هو المعتدى عليه ، ولم يكن معتديا على احد ، وكان المسلمون يؤمرون — فى القرآن — بقتال من يقاتلونهم فحسب .

● ولعرفوا ثانيا : ان المسلمين كانوا يحاربون من لا يؤمن عهده ، ولا يتقى شره بالمعاهدة والمسالمة — كما جاء فى وصايا القرآن .

● ولعرفوا ثالثا : ان ما كان من حرب المسلمين لغيرهم هجوما لم يكن الا مبادرة بالدفاع بعد التثبت من نكث العدو للعهد ، وإقباله على القتال . حتى إن الجيش الاسلامى رجع من تبوك دون ان يطارد جيش الروم الذى نكص على عقبيه ، على فرط ما تكبد المسلمون من متاعب ونفقات، فى مسيرهم الى تبوك .

● ولعرفوا رابعا : ان (السرايا الاسلامية) التى اسموها (قطعا للطريق) قد اتبع نظامها قائدهم العسكرى الاشهر نابليون ، عندما منع السفن الانجليزية التجارية من الوصول الى القارة الاوربية ،وحول المعاملات الاقتصادية من طريق بريطانيا الى طريق فرنسا .. هذا الى أن القانون الدولى الحديث ، ونظام هيئة الامم المتحدة ، وتجارب الحربين العالميتين الماضيتين قد أقرت فرض العقوبات الاقتصاديةعلى الدول المعادية .

● ولعرفوا خامسا : الفرق الفارق بين الاسلام كدين عالمى عام جاءليمنح العالم كله منهاج الخير والحق والعدل والسلام ، وبين اليهودية كدين خاص بشعب اسرائيل ، يكره معتنقوه ان يشاركهم فيه الناس ، فكانوا من أجل ذلك لا يدعون اليه احدا من غيرهم — وبين المسيحية كدين جاء للتربية الخلقية ، دون القوانين السياسية التى كانت الدولة الرومانية تفرضها وتنفذها ، وهى دولة اجنبية مسيطرة لم يكن لاصحاب الدين المسيحى الجديد قدرة على مناهضتها .

● ولعرفوا أخيرا : ان الاسلام لم يحارب بالسيف مبادىء وافكارا ودعوات يمكن مقاومتها بالدليل والحجة والبرهان .. وانما شهر الاسلام السيف فى وجوه سلطات وقوى وزعامات ورئاسات وموروثات كانت تقف فى سبيل دعوته الجديدة الرشيدة ، وهى تطرق الابواب والآذان والقلوب ..

ولكن انى لهؤلاء المؤرخين الحاقدين ان يعرفوا هذه الحقائق من تاريخ الحرب الاسلامية — وهم عامدون عمدا ، وقاصدون قصدا الى الكذب والبهتان .. ؟

على هامش الإسراء والمعراج

القرآن والبعد الزمني

د . عماد الدين خليل

في القرآن الكريم اشارات ولمحات معجزة عن البعد الزمنى فى الكون ، تثير الدهشة والتساؤل ولـو تيسر لجمعها وتنسيقها وتحليلهاعالم طبيعي او رياضى (مؤمن) وقارنها بنسبية (آنيشتاين) التى ادخلت البعـــد الزمنى كبعد جديد ثالث فى دراســة الكتلة الكونية ، لرأى بأم عينيـــه العجب العجاب ولأدرك يقينا ان هذه الاحاطة الرياضية الشــاملة بابعاد الكون ، وعدم التقيد بمقاييس الارض ونسبياتها المحدودة ســيما فى زمن نزول القرآن حيث عـــلوم الطبيعة والرياضة تحبو بعد ، لم تتجـــاوز مرحلة طفولتها وهذه النظرة الكلية التى تطل على الكون ولا تندمج فيه إنما هى جميعا من لدن العليم الخبير الذى احاط بكل شىء علما .

ولست هنا بالذى يبحث عن هذه التحليلات والمقارنات ، وما أنا بقادر عليها ، إنما أريد أن أتقـــدم ببعض الملاحظات الأولية فى هـــذا الجانب المعجز من القرآن الكريم ومن حياتنا البشرية على السواء لأنه ــ والحق

يقال — يثير الرغبة فى التأمل ويدفع الى الاستقصاء حتى لو اوقع المتأملين والباحثين فى عشرات الأخطاء لكن عذرهم أنهم يـريدون بهذا البحث أن يتعبدوا الله جل جلاله ويتقربوا إليه.

ما الذى يلفت الانظار فى قرآننا الكريم بهذا الصدد ؟ حشد من الآيات واللمسات والإشارات منبثة فى حنايا السور هنا وهناك ، نذكر منهـا هذه الآيات الموحية ذات الدلالة العميقة : **« قال كم لبثت ؟ قال : لبثت يوما أو بعض يوم »** : (البقرة ٢٥٩) **(ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار)** يونس ٤٥ **« يوم يدعـــوكم فتستجيبون بحمده ، وتظنون إن لبثتم إلا قليلا »** الاسراء ٥٢ **« قالوا لبثنـا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين »** المؤمنون ١٣ **« ويوم تقوم الساعـة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة »** الروم ٥٥ **« ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة ممـــا تعدون »** السجدة **« يسأله من فى الســموات والارض كل يوم هـــو فى شـان »** الرحمن ٢٩ **« كأنهم يوم يرونهـا لم يلبثوا الا عشـــية أو ضـحاها »** النازعات ٤٦ **« اذ يقول أمثلهم طريقة أن لبثت الا يوما »** طه ١٠٤ **« وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون»** الحج ٤٧ **« ادعو ربكم يخفف عنـا يوما من العذاب »** غافر ٤٩ **« ان ربكم الله الذىخلق السموات والارض فى ستة ايام »** الاعراف ٥٤ **« الله الذى خلق السموات والارض ومـا بينهما فى ستة ايام »** السجدة ٤ .

ان بين هذه الآيات المنبثة فى حنايا القرآن—وغيرهـا— ترابطا وانسجاما رياضيا دقيقا ، وأن فيها تأكيـــدا مستمرا على الحقيقة (الطبيعية) الكبرى لم تتكشف بعض جوانبهـــا للعلم الا أخيرا تلك هى ان الزمـــن فى الارض والزمن فى امداء الكـــون ليسا سواء ، وان هناك فرقا شاسعا بين الوحدة الزمنية الارضية والوحدة الزمنية الكونية، تبلغ تارة ٣٦٥ر٠٠٠ ضعفا وتبلغ تارة أخرى ١٨ر٢٥٠ر٠٠٠ بحساب القـــرآن الـكريم نفسه .. فأين نحن فى حياتنا الدنيا وفى أيامنا الضئيلة التافهة هذه ؟

من أجل ذلك سيشده الناس يوم القيامة وسيظنون ان حياتهم الدنيا لم تكن سوى ساعة من نهار وانهم لم يلبثوا الا قليلا وعندما يســـأل أحدهم : كم لبثت ؟ يجيب : لبثت يوما أو بعض يوم .. أما المجرمـــون فيقسمون أنهم ما لبثوا غير ساعة . ويقول أمثلهم طريقة : ان لبثت الا يوما ، ويسعى هؤلاء المجرمون الى التأكد من هذه الحقيقة الواضـحة فيلتمسون من الله جل وعلا ان يسأل العادين فلعل عندهم الخبر اليقين ، ومن أجل ذلك كانت دعوة الكافـرين وهم يتخبطون فى أعماق جهنم أن يخفف عنهم يوما واحدا من العذاب، فما أشد هذا اليوم الكونى وما اطوله فهو ربما يكون ثلاثمائة وخمســا وستين ألف يوم ارضى وربما يكون ١٨ر٢٥٠ر٠٠٠ من أيامنـــا على الارض .. حقيقة رهيبة هائلةتقشعر لها الأبدان وتشعرنا لو كنا مؤمنين قليلا بضآلتنا وتفاهتنا وانحســارنا فى زاوية من زوايا الكون لا تعـدو أيامها ان تكون لحظات من الايام هناك فيما وراء عالمنا الارضى ونسبياته المحـــزنة .

ورغم ان الله ســبحانه يريد ان يرفعنا ويطهرنا ويكرمنا على العالمين ويمنحنا مكانة كبيرة فى هذا الكون الشاسع نتجاوز بهـــا انحسارنا وضآلتنا وتفاهتنا فاننا نرفض هذه المنحة ونشيح هذا النداء الكبـير ونتجمع على بعضنا خائفين مرتعبين كالديدان من أجل الا نسمع صـوتا

ينقلنا من الحفرة الضيقة الى رحاب الكون ومن اجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله يمهل ولا يهمل) وانه (يملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته) وهذا الامهال للكفار والطواغيت والمجرمين يبدو فى حسابنا الارضى طويلا .. طويل قد يتجاوز السنوات وقد يمتد الى عقود السنين وربما القرون لكى تحق كلمة الله على الظالمين ويأخذ العدل الالهى مجراه لكن هذه الايام والسنين والعقود والقرون لا تعدو فى زمن الله يوما او بعض يوم ومن ثم كان تمهل الله بطيئا فى حسابنا سريعا سرعة مذهلة فى حساب الملأ الاعلى واذا كنا نحن نستبطىء عقاب الله حينا فربما كان الملأ الاعلى يتسرعه أحيانا ، وما كان لنا اذن الا ان نذعن لامر الله وتتيقن نفوسنا عدله الازلى الشامل الذى يتجاوز نسبيات الزمان والمكان الىالقيم المطلقة التى لاينحرف بها ميزان ولا يطيش عندها جزاء أو عقاب .

ومن بين هذه الآيات المحكمة نلتقى بحقيقة (طبيعية) أخرى لا تقل فى خطورتها وضخامتها عن الحقيقة السالفة ان لم تفقها وتتجاوزها الى ما هو اشد واخطر ، ان القرآن الكريم يعلن ان الله سبحانه وتعالى خلق السموات والارض فى ستة أيام ويكرر هذا الاعلان فى اماكن عديدة ثم يفصله فى سورة (فصلت) فيقول: قل **(ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة ايام سواء للسائلين • ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء أمرها)** ٩ — ١٢

ولنا ان نتصور لا بحسابناالارضى ولكن بحساب المطلقات القرآنية الامداء الزمانية لهذه الايام الست التى (خلق) فيها الله سبحانه بناء السموات والارض واعد كرتنا الارضية لاستقبال الحياة وانمائها وتطويرها على يد الانسان خليفة الله فى الارض وسيد مخلوقاتها ، ولنا ان نتصور كذلك كيف تم هذا التصميم والاعداد **المعجزين القائمين** على قوانين وسنن ونواميس غاية فى الدقة والاتقان والانضباط،ليس اقلها قوانين الجاذبية وتصريف الرياح وحركة الليل والنهار وانبات النخل والرمان والعنب من تقلب التربة ، وتوازن نسبة مكونات الغلاف الغازى وخلق الانعام وإرساء الجبال وتكثيف الغاز والدخان الى كتلة صلدة صالحة للحركة والبناء،وتزيين السماء الدنيا بالمصابيح الزرقاء وتفجير الحياة من الطين اللازب ولنا ان نتصور بعد هذا وذاك ماذا تريد هذه الآية ان تقول لنا **(يسأله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن)** كل يوم واى يوم انه ذلك الذى قلنا أنه ربما يبلغ ٠٠٠ر٢٥٠ر١٨ يوم من أيامنا (**فبأى آلاء ربكما تكذبان)) ؟**

ونريد ان نقف قليلا عند هذه الآيات ففيها من الحقائق الشاملة والايحاء العميقة ما يهز الفكر والوجدان ، والعجيب أنها تعرض هذه الحقائق (الرياضية) باسلوب يقطر موسيقية وتأثيرية ووجدانا ولنتدبرها معا : **(سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع • من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا)** المعارج ١ — ٧ .

ان الملائكة والروح وقد تجردت من عوائق الجسد والتراب التىتقيد

الانسان ، وتجاوزت قوانين الزمان والمكان الارضية النسبية تصعد الآن فى طريقها الى بارئها عبر معارج وامداء لا يحيطها خط خيال انسان مهما امتد به الخيال،لانها ستجتاز هذه الامداء التى تبعثرت فيها خمسمائة مليون مجره فى كل منها آلاف المجموعات الشمسية كمجموعتناواكبر ولتجتاز هذه كلها فى يوم واحد لكنه ليس كأيامنا انه بحساب أيامنا يبلغ ثمانية عشر مليون وربع المليون يوما ولكنه يوم كونى . اشار اليه انيشتاين فى نسبيته تلك التى قادته الى آفاق جديدة رحبة فى ميدان العلوم الطبيعية والرياضية .

واذكر مرة انى كنت استمع الى ندوة تلفزيونية علمية ، وتحدثأحدهم عن جوانب من هذه النظرية وقال فيما قال : ان وصول انسان ما الى احدى المجرات ، وسماها،يحتاجالى خمسمائة سنة ضوئية وإن هذا الانسان نفسه إذا تيسر له جهاز ينقله عبر الفضاء بسرعة الضوء فانه سيختزل هذه المدة الشاسعة الى ما يقرب من خمسين سنة فحسب .

ان الملائكة والروح المتخفف من أعباء الجسد وشد الاعضاء لايعجزها أن تفوق فى حركتها سرعة الضوء ومن ثم فهى تعرج الكون كله فى طريقها إلى خالق الكون جل وعلى فى يوم واحد فى حساب حركتها الزمنية عبر الكون لكنه فى حسابنا ! ومن ثم ينادى الله فى علاه رسوله الكريم وهو يشقى بدعوة اناس يرون يوم الحساب بعيدا كبعد السراب **(فاصبر صبرا جميلا . انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) .**

وهذا يقربنا بعض الشيء من فهم حادثتين زمنيتين عرضهما عليناالقرآن الكريم فى سيرة نبيين من أنبيائه عليهم السلام تكريما لهما وتقديرا . حادثة نقل عرش بلقيس من أقصى الجنوب الى اقصى الشمال فى جزء من لحظة ، وحادثة الاسراء بالرسول عليه السلام من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم العروج به الى رحاب الكون فى ليلة واحدة او جزء من ليلة .

نقرأ عن الاولى **(قال يا أيها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل أن ياتوني مسلمين ؟ قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوى امين.قال الذى عنده علم من الكتاب ، انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك ؟ قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين)** النمل ٣٨ — ٤٢ .

ألا تلفتنا فى هذا العرض عبارات كهذه **(عنده علم من الكتاب) (واوتينا العلم من قبلها)** ثم الا يثير تساؤلنا تفوق (الانسان) الذى عنده علم من الكتاب على (العفريت) وتمكنه من اختزال عملية النقل من ست ساعات الى سدس اللحظة وربط سليمان إتيانه العلم من قبلها بكونه مسلما أى منقادا لأمر الله وسننه ونواميسه ثم الا يعنى هذا كله أن منح (علم الكتاب) لرجل او عفريت او نبى او ملك هو اطلاعه على الدستور الرياضى والطبيعى لقوانين السموات والأرض ومن ثم تسخيرها الى اقصى مدى ممكن لتحقيق منجزات زمنية ومكانية خارقة ؟

إن الناس قبل أن يسخروا قوى البخار والكهرباء والذرة كانوا يقطعون المسافة بين بغداد والقاهرة

بشهرين أو ثلاثة ، ولو قيل لهم حينذاك أن بامكان الانسان ـ لو حظى بمزيد من العلم بنواميس الطبيعة وسننها ـ ان يختزل هذه المدة الى أيام والى ساعات فانهم سوف لن يصدقوا وسوف يتهمون المتسائل بالجنون او بشطط الخيال على اقل تقدير ومضت الايام والسنون وسخر البخار والكهرباء والذرة ، وصرنا نصل الى أطراف الارض بساعات معدودات ونجتاز الارض صوب القمر ونتطلع للذهاب الى ما هو أبعد فى مجموعتنا الشمسية فى يوم قريب او بعيد ولو قال لنا قائل الآن انه سيجىء يوم يكشف العلماء فيه عن مزيد من (السنن والقوانين) الطبيعية والرياضية وانهم سيتمكنون بذلك من صنع اجهزة تنقل الانسان الى القمر فى ساعتين أو ثلاث لاتهمناه بالجنون او بشطط الخيال على اقل تقدير .

ولكن ذلك اليوم سيجىء وسيجىء حتما طالما كان هنالك سعى دائب للكشف عن مزيد من جوانب العلم الذى تسير به السموات والارض .

وكثيرا ما يقول القائلون ويكتب القصاص ويخرج المخرجون روايات عن محاولات تجرى لنقل الاجسام والاشياء من مكان الى مكان بعيد بسرعة كسرعة الضوء بعد تفكيكها الى تكويناتها الذرية الاولى واعادة تركيبها فى المكان الذى استقرت فيه متحدية حواجز المكان والزمان ،وهذا الامر كذلك لا يستبعد ان يتحقق فى يوم قريب او بعيد وهل كان بامكان أحد قبل قرنين من الزمان ان يصدق ان بامكان قنبلة لا تتجاوز حجم كتاب عوملت فيها الذرات التافهة الحقيرة معاملة خاصة معقدة انتدمر مدينة كبيرة بأسرها وتمحقها محقبا من الوجود فى دقائق ولحظات ؟!

ان القوانين والسنن الطبيعية التى تسير السموات والارض الى غاياتها المرسومة فى علم الله والطاقات التى تحتويها هذه الكتلة الكونية هى هى فى كل زمان .. والذى يتاح له الاطلاع على بعض جوانبها وفاعلياتها يستطيع أن يأتى بالعجب العجاب وان يتحدى الوقائع المألوفة ويتجاوز تحديات المكان والزمان فكيف وان هذا العلم يمنح مباشرة من الله سبحانه معززا بارادته التى لا تغلب لذلك الرجل الذى (عنده علم من الكتاب) او الى نبى كسليمان عليه السلام ، هل يعجزهما أن يأتيا بعرش بلقيس عبر آلاف الاميال فى جزء تافه ضئيل من لحظة زمنية ؟ .

ونقرأ عن الحادثة الثانية فىسورة الاسراء **(سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** . ونقرأ فى سورة النجم : **(ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى)** ١٣ـ١٨ وفى صحيح البخارى نقرأ : عن مالك ابن صعصعة أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسرى به قال :

(ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ، قال الراوى : وهو البراق يضع خطوة عند اقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا .. الى آخر الحديث الشريف) .

لقد أمتطى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ـ اذن ـ براقا ، انطلق به من القدس ليجتاز به امداء الكون صوب (سدرة المنتهى) حيث (جنة المأوى) من أجل ان تتاح

للرسول عليه السلام فرصة نادرة المثال لرؤية جوانب من الملكوت عن كثب تكريما له وتقديرا .

ان البراق هذه المخلوق المجهول الذى يضع خطوة عند أقصى طرفه والذى يقطع المسافات الشاسعة فى ليلة واحدة أو جزء من ليلة وربما فى لحظات خاطفة يشتق اسمه من عالم الضوء والكهرباء وهى تسمية ذات مغزى عميق جاءت فى عصر لم يكن أحد فيه يعرف شيئا عن قوانين الضوء وسرعته وطاقات الكهرباء وامكاناتها ، وهى لعمرى رمز ما بعده رمز للتعبير عن الانسجام الكامل بين رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين سنن العلوم وقوانينها ، تلك الرحلة التى لم يرد لها ان تكون اعجازا يفحم المشركين بعد اذ لم تقنعهم معجزة القرآن ذاتها ، بقدر ما أريد لها أن تكون رحلة تكريم يطلع فيها الرسول صلى الله عليه وسلم على اطراف الكون الذى ابدع الله صنعه واتقن حبكه ، وأن كان من بديهيات القول ان بامكان الله سبحانه ان يتجاوز السنن والقوانين فى أية لحظة يشاء لانه جلت قدرته صانع السنن والقوانين لكن هذه الحقيقة الكبيرة لا تمنعنا من القول بأن رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن ان تجد لها تفسيرا وتحليلا حتى على نطاق الطبيعة والرياضيات .

وفى صبيحة اليوم التالى عندما تحدى مشركو مكة الرسول عليه السلام أن يصف لهم بيت المقدس ان كان رآه حقا طفق الرسول يصفه وكأنه معروض عليه عرضا أزقته واسواقه وباحاته وكنائسه وطرقاته ، عن جابر قال : قال رسول الله : (لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر ، فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وانا انظر اليه) وانا أنظر اليه لحظة من لحظات تجاوز الابعاد والحواجز الزمانية والمكانية تعتمد السنن نفسها التى نقل فيها عرش بلقيس من أقصى الجنوب واسرى بالرسول عليه السلام الى اقصى الشمال وعرج به فى ليلة الى أقصى الكون ، السنن التى جعلت عمر بن الخطاب فيها بعد يصرخ وهو فى مسجد المدينة (يا سارية الجبل . . الجبل .) سارية الذى كان يقاتل فى العراق ويتعرض وجنده لكمين قاتل .

وكنا نسمع فى طفولتنا من جداتنا وهن يتصصن علينا ان أناسا من أصحاب الكرامات يطلق عليهم (أهل الخطوة) كانوا يجتازون المسافات الشاسعة ويقطعون مئات الاميال وينتقلون عبر القرى والمدن بمجرد خطوات فحسب تصل بهم الى اهدافهم وكان تصديق ذلك أمرا صعب الاحتمال يفوق قدرات خيالنا وتخيلنا الضئيل الصغير ، تماما كما يفوق خيال وتحليل (الكبار) الذين يرفضون بمجانية رخيصة الايمان بكل ما لا يخضع — ابتداء — لخبرات الحواس الخمس ويقيناتها ، اولئك الكبار الذين يصفهم القرآن بسبب موقفهم الرخيص المبتذل هذا بأنهم كالانعام بل هم أضل .

لكن الانسان عند ما يكبر لا بحساب الاعمار ولكن بحساب القدرات والادراك فانه سيعرف حتما ان احداثا كهذه يجب ان تعالج بأسلوب جاد فى البحث والتمحيص ، من أجل الوصول الى كلمة الحق ، صحيح أن الكثير من تلك الاقاصيص كانت خيالا منمقا لا رصيد لها فى ساحة الوقائع والاحداث التاريخية ، الا أن الفكرة مبدئيا تحتمل التصديق بل اليقين ، ذلك أنه كما لعوالم الطبيعة قوانين وسنن من (علم) بها تمكن

من اجتياز العقبات الظاهرية والوصول الي اهداف كانت تبدو لاول وهلة عسيرة التحقيق تفوق حدود الخيال كذلك الحال فى عوالم الروح والارادة التى تحكمها هى الاخرى قوانين وسنن أراد لها الله ان تنظم الطاقات الروحية فى الكون كما تنظم قوانين الجاذبية والنسبية طاقاته المادية . الا ان الكشف عن هذه السنن الروحية وتلمسها اصعب من الكشف عن قوانين الطبيعة والمادة بما يفوق القياس والاحصاء ، لاننا اذا امكننا ان نطل على الطبيعة من نوافذ حواسنا الخمس فان الاشراف على عالم الروح لا يتحقق بهذه السهولة ولا يتيسر إلا للقلة القليلة التى تتمكن برياضتها الدائمة أو بمعونة الله سبحانه ان تكشف عن جوانب من سنن الروح فتسخرها وتصنع بها الاعاجيب ، ولذلك لما سئل الرسول عن الروح : ما هى ؟ وما كنهها ؟ وما طبيعة السنن التى تحكمها ؟ قال له الله سبحانه (ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا) .

وعن طريق هذا التكشف لبعض سنن الروح الذى يجىء عن رياضة ومراس كما هو الحال بالنسبة لغير المسلمين (بعموم لفظ الاسلام) او عن امداد الهى كما هو الحال بالنسبة للمسلمين عامة ولمتصوفيهم على وجه الخصوص وهى قضية شبيهة وموازية تماما للكشف عن قوانين الطبيعة التى يمكن ان يحظى بها علماء ملحدون او رجال وانبياء يؤمنون بالله واليوم الآخر كما حدث لسليمان ومحمد عليهما السلام .

وعن هذا الطريق أمكن لكثير من الناس ان يعتمدوا هذا التكشف ويسيطروا به على قوانين الجسد وسنن الطبيعة ويصلوا الى اهدافهم او يحققوا فاعلياتهم بأساليب يعجز العلم الطبيعى عن تفسيرها وتحليلها

واذكر على سبيل المثال ما حدث قبل سنتين فلقد قيل لطبيب حاز درجة الدكتوراه فى الجراحة ومارس عمله طويلا وتمرس فيه أن جماعة من (أهل الدرباشه) جاءوا الى المدينة وراحوا يقدمون عروضهم فى ادخال السيوف فى بطونهم واخراجها من ظهورهم وغرز المسامير الحديدية فى خدهم الايمن واخراجها من الخد الآخر، ومضغ الآنيةالزجاجية وابتلاعها على أصوات الطبول وفى غمرة من الادعية والابتهالات ، هم يفعلون ذلك كله دون أن ينزف لهم دم ، أو يتمزق لهم عضو ، فسخر (الدكتورالجراح)من ادعاءاتهم هذه، وقرر أن يذهب بنفسه ليرى بأم عينيه وماذا كانت النتيجة ؟ تدم هؤلاء عروضهم كالمعتاد وشده الطبيب واكتفى بالقول بأن أمرا كهذا يحيره ولا يجد له تعليلا (علميا) مقبولا لان هذه العروض تمثل تحديا سافرا لعلوم الفسيولوجى ووظائف الاعضاء. الى آخره .

هذا أمر كثير الوقوع أمام أعيننا، البوذيون الذين يمتنعون عن الطعام والشراب اشهرا طوالا أمر مسلم به وما يحدث فى حلقات ومختبرات تحضير الارواح والتنويم المغناطيسى عجز عن رده الماديون والطبيعيون ، فكيف بأهل الخطوة واصحاب الكرامات الذين يستمدون قدرتهم على الكشف الروحى من اللهسبحانه لا من رياضة ذاتية ، اليس بامكانهمأن يختزلوا المسافات الشاسعة بلحظات ويجتازوا المدن والبلاد بخطوات ؟! .

ان الرسول الكريم عليه السلام يبين لنا فى حديث قدسى أن العبد ما يزال يتقرب الى الله حتى يكون يد الله التى يضرب بها وعينه التى

يرى فيها ثم ما يزال يتقرب حتى يصل الى تلك القمة الروحية السامقة التى تسخر الاشياء والاحداث والخلائق باشارة واحدة اذ تقول له كن فيكون .

ان الله سبحانه صانع السنن والقوانين فى عالمى الروح والطبيعة يهب بعض عباده هذه القدرة الخارقة التى يتمكن بها العبد من طبيعته الخاصة ، ومما يحيط بها من اشياء وموجودات فيصنع المستحيل ، وتبدو هذه المستحيلات (خوارق) بالنسبة لاناس ينظرون من الخارج لكن القضية بالنسبة للعبد لا تعدو ان تكون قضية (علمية) تعتمد قوانين الروح وطاقاتها لتسخير الاشياء والموجودات ولتحطيم الحواجز الخارجية للزمان والمكان .. لقد كشف العلم الطبيعى نفسه وفى العقود الاخيرة ومن خلال تحليله لخواص المادة وتوغله فى تركيبها الباطنى عن حقيقة خطيرة ، هى أن الطاقة او الحركة انما هى قاعدة المادة واساس الاشياء ، وان تركيب الذرات وما تحتويه من تكوينات أدق كالنيوترونات وما تضمه هذه من تركيبات أشد دقة وضآلة يؤول فى نهاية المطاف الى طاقة حركية غير مادية هى التى تتشكل منها الذرات والجزئيات ، وهى التى تصوغ فى سرعتها وابطائها وطبيعة حركتها اشكال الاشياء الصلبة والسائلة والغازية .

فاذا كانت الوحدة الاساسية للبناء الطبيعى المادى قد تكشفت عن الحركة اللامادية أفلا يمكن القول اذن بأن الطاقة الروحية التى تتميز بالوعى والانفصال والامتثال والاستشراق والارادة يمكن ان تتعامل مع هذه الطاقة (اللامادية) بشكل من الاشكال وتطوعها لامرها فتذعن وتلبى ؟!. ان اشارة ضوئية غير ملموسة توجه مركبة فضائية فى غاية التعقيد الى اهدافها فى ظروف تقرب من المستحيل أفلا يمكن لاشارات الروح أن تحقق فى عالم الطبيعة ما هو أكثر استحالة واعجازا ؟!

ان انهيار الاساس المادى للاشياء الذى كشف عنه العالم اخيرا يقربنا خطوات من فهم وادراك طبيعة التعامل بين الروح والمادة ، ولكنها خطوات فحسب ربما ستطلعنا على وحدة البناء الكونى ، فوحدة خالقه جل وعلا ، ولكنها لن تطلعنا بحال على كل ابعاد وخصائص الروح الانسانى ولا على كل سننه وقوانينه ، هذا الروح الذى هو نفحة الله فى الطين ، ومصدره الحياة والفكر والارادة والتقدم ، وسيظل مستغلقا على الادراك والتحليل الكاملين لان اخلاقنا على الارض لا تقتضى هذا التكشف الكامل ولان المقادير الضئيلة التى يمنحنا الله اياها فى عالم الروح توازى فاعليتها المقادير الضخمة التى مكننا من معرفتها فى عالم الطبيعية ، وهذا التوازن الحضارى الفذ بين الروح والمادة فى ميدان الكشف والمعرفة هو ما يقودنا القرآن اليه فى حشد كبير من الآيات التى تدعونا الى أن نفتح كل منافذنا على الطبيعة لاستكشاف قوانينها وطاقاتها وتسخيرها لتنمية الحياة البشرية وتطويرها ، يقابل هذا الحشد آية كريمة تقول (**ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا**) وصدق الله العظيم .

من وحي الاسراء ..

الوحدة أولاً

ولا وحدة بدون محور جامع
ولا جامع إلا الاسلام !

للدكتور : محمدسعيد رمضان البوطى

ليس اثقل عليّ من ان اكتب فى موضوع يتعلق بمشكلة فلسطين وعلاجها !!
وليس ذلك عن جهل منى بجوهر المشكلة وطريق علاجها ، ولكنى اجدنى عندما اتحدث فيها ، كمن يعزف فى قاعة على لحن سمعه الجالسون امامه ما يزيد على عشرة آلاف مرة ، سمعوه بآلات مختلفة وصور متعددة . وما من عازف ينتمى بنسب الى الفن الا واقبل يبنى امجاده الفنية بينهم عليه ، يعيد اللحن من اوله كلما انتهى الى آخره ، ويملأ الآذان بانغامه كلما رأى انها فرغت من ذكره وضجيجه !..

فلو كان هذا اللحن مستوحى من نشوة فراديس الجنان ، او الدواء الشافى من سائر المصائب والأسقام ، لكان فى كثرة هذا التكرار له والمباهاة به واقامة شوامخ الأمجاد عليه ما يقلب نشوته الى اشمئزاز وسآمة ويحيل ترياقه الشافى الى بلاء يزيد المريض آلاما !..

لو أحصينا النشرات والمقالات والمؤلفات التى كتبت عن قضية فلسطين ، وضممنا الى ذلك المحاضرات والندوات والخطب التى القيت أو عقدت من أجلها — لاجتمع من ذلك أعظم مكتبة عمومية فى العالم كله . ولو كان من شأن الكلام يوما ما أن يدفع الباطل ويزهقه ، ويحفظ الحق ويعيده لأهله ، لكان ذلك من شأن هذه المكتبة العظيمة من الكلام !..

ولكن الكلام لا يفعل شيئا من ذلك ، وانما شأنه أن ينبه الناس الى الحق وان يلفت أنظارهم اليه . فاذا تكرر واستمر يتكرر ، كان من شأنه أن يثير فى الناس مشاعر السآمة والضجر . فاذا ظل مع ذلك يدور ويتكرر ، أثار فى الناس مشاعر الاشمئزاز والكراهية ، لأنهم يرون اذ ذاك أن المتكلم انما يريد بذلك أن يلفت الأنظار الى ذاته بدلا من أن يلفتها الى القضية التى يتحدث عنها . وليس أثقل على الناس من رجل أعوزه أن يجد فى عمله سبيلا الى الشهرة والمجد ، فاتخذ الى ذلك سبيلا من الخطب والكلام .

نكبة تحولت الى مائدة طعام

لقد انقضت سنوات طويلة من عمر النكبة ، وأكثر الذين يعالجونها فى الظاهر ، انما يحدثون بها ليتغذوا على مائدتها ، كل يحاول أن يستل منها غذاءه الصالح له .

فلقد كانت هذه النكبة — كما قد أريد لها — ينبوع فائدة عظيمة لمصالح الشرق والغرب ، كما كانت فى الوقت ذاته دريئة شر وقناع فضيلة لكثير من أهل الدار ذاتها !..

لقد بات من الحقائق الواضحة التى لا تغيب عن الأطفال فى مدارسهم أن كلا من الشرق والغرب انما يسعى جاهدا لخلق أو استبقاء مناطق نفوذ له فى هذا الشرق العربى المسلم ، وانما السبيل الى ذلك أن يتكىء على نقطة ضعف يعانى منها .

ولقد كانت قضية فلسطين — ولا تزال — أضعف نقطة رائعة تصلح معتمدا لهذا الغرض !.. انها مفتاح سحرى يمكن أن يدار بيد غربية ، واذا الأبواب الموصدة بيننا وبين الغرب مفتحة واذا بسلطانه الاستعمارى قد انبسط فوق هذه المنطقة وأحدق بها . وهى مفتاح سحرى يمكن أن يدار بيد شرقية أيضا ، فما هو الا أن تجد جميع الحواجز الكيانية والفكرية قد تهاوت مما بيننا وبين الشرق ، واذا نحن كتلة مستعمرة أو مستذلة بيده لا تملك من أمر نفسها أو مصيرها شيئا .

لقد كان من أخطر نتائج المشكلة الفلسطينية الفقر .. والفقر لا يندفع (وأستغفر الله) الا بمعونة شرق أو غرب !..

ولقد كان من أهم آثارها ضرورة الالتجاء الى ركن شديد ينحاز الى صفنا ويشد من أزرنا ويزجر بالتخويف أعداءنا ، وانما يتم ذلك بأن نولى وجوهنا صاغرة ذليلة قبل الشرق أو الغرب !..

ولقد كان من أبرز عواقبه حاجتنا الى الجديد من السلاح ، والمال الذى يؤخذ به السلاح الصالح مفقود ، فكان لا بد للحصول عليه من الاعتماد على اريحية الشرق أو الغرب ! .. وهكذا ، فقد كان احتياجنا الى معونة دولة كبرى ترد عن بلادنا الحيف والظلم مجرد وسيلة من وجهة نظرنا ، ولكنه من وجهة نظر تلك الدولة غاية ذاتية تحلم بها وتخطط أكثر من سبيل اليها !.. فأى نتيجة ، اذاً ، يحق أن ينتظرها السائل الذى يصبر على ذلّ المسألة طمعا بالخير الذى يتأمله ، اذا كان المسؤول يرى فى استجدائه أعظم غاياته التى يحلم بها ؟!..

لسوف يظل المسؤول يظهر فنون الرقة والتأثر بما يسمعه من لحن الاستجداء والرجاء ، ليظل السائل يأمل الخير بسعيه فيزداد فى التشبث والرجاء .. وتستمر القصة عند هذه الصورة التى لا تبديل لها .

معـــونات .. ولكـــن لإطالة عمر النكبـــة !..

إن أى دولة لم تقدم عونا لحـــل مشكلتنا الا بالقدر الذى يزيد فى أجل آمالنـــا ، ويبعد السبيل الى حـــل مشكلتنا . لقد تجلت هذه الحقيقة فى معونات السلاح .. وفى المعونات الاقتصادية المختلفة .. وفى المعونات الأدبية فى المحافل الدولية .

ومع ذلك فان الكثيرين منـــا لا يزالون يلتمسون حل المشكلة من خلال معونة الأصدقاء ! .. كان الأصدقاء لا يعلمون أن انتهاء المشكلة انما يعنى انتهاء الحاجة الى معونتهم ، وبالتالى انتهاء ما يلزمنا بالخضوع لأحكامهم وقيودهم .

اذاً ليس من أمل فى حل نكبة فى فلسطين ، عن طريق الاعتماد على عواطف شرق ولا غرب .. وليس فى هذه الحقيقة أى خفاء يدعو الى التأمل أو الارتياب .

فما هو سبيل الحل ؟!..

فلنتذكر اعمدة النكبة اولا

أما عنوان هذا السبيل فواضـــح معروف ، يردده اليوم كثير من الناس فى كثير من المناســـبات . وهـــو العنوان الذى يقول : لا حل للمشكلة الا باعتماد أصحاب المشـــكلة ــ وهم العرب والمسلمون عمـــوما ــ على أنفســـهم . ان هذا العنـــوان رغم بساطته يحمل البذور الحقيقية لحـــل المشكلة .

غير أن أى تفسيرات ايجـــابية صادقة لم تظهر لهذا العنوان الى اليوم .

وكل ما يفعله دعاة هـــذا العنوان والمنادون به ، انهم يقـــدمونه اسما بارزا ضخما لكتاب فخم لم يكتب على شىء من صفحاته سطر واحد بعد !.

أجل .. لا بد من اعتماد أصحاب المشـــكلة على أنفســـهم ، ولكن اذا اعتمدوا على أنفسهم فأى شىء ينبغى عليهم أن يفعلوه بناء على ذلك ؟..

ونقول فى الجواب : ان عليهم أن يتذكروا التغيرات العضوية والذاتية التى أدخلت بتخطيط دقيق على كيان هـــذه الأمة بين يدى حلول نكبـــة فلسطين .

لقد كانت تلك التغييرات الجوهرية هى الأعمدة الأساسية لها .

فاذا تذكروها واستيقنوها ، كان عليهـــم أن يكروا عليهـــا بالنقض ، فيعيدوا الأمور الى ما كانت عليه من قبل ، ويستعيدوا لأنفسهم الذاتيـــة التى كانوا يتمتعون بها فيما مضى .

لقد كان أكثر المسلمين ــ من قبل أن يفقدوا فلسطين ــ ينضوون تحت سلطان حكم واحد ودولة واحـــدة . (ولا يعنينى أن أخوض هنا فى بيان شكل تلك الدولة وخصائصها) ولقد كان لشعب أو شعوب هذه الدولة ، الى أوائل الربع الأخير من حياتهـــا ذاتيتها المستقلة فى المنهج والحيـــاة والعقيدة والسلوك ، ولقـــد حاولت المحافـــل اليهـــودية والماسونيـــة طويـــــلا أن تقتنـــص فلســـــطين الى ذلك سبيلا بطريقة ما من قلب هذه الدولة الاسلامية الواحدة فمـــا استطاعت .

بل لقد منيت تلك الدولة فى أواخر عهدهـــا بأسباب استوجبت ضعفها وإسراع الهرم ــ قبل ميعـــاده ــ اليها ، فمـــا استطاعت المحـــافل الصهيونية ، مستعينة بكل من كان يشد أزرها ، رغم ذلك الضعف ، أن تنال من بغيتها منالا !..

طوق الوحدة..وصلابة الذات

لقد كان السبب الذى خيب آمال اليهودية بشتى أحلافها ، هو طـــوق الوحدة !..

« طوق الوحدة العثمانية » ــ وهو

التعبير الذى عبر به حاييم وايزمن فى مذكراته ــ هو الذى حال دون أن تجنى المؤسسات الصهيونية لنفسها اى ثمار إيجابية من وراء طول سعيها وكثرة مؤتمراتها .

ولقد استفرغ اليهود كل ما لديهم من جهد ، قبل أن يتجهوا بكامل قواهم الى بنية الخلافة ذاتها ، فلم يأت شيء من جهدهم بطائل :

قدموا العروض المالية الخيالية الى السلطان عبدالحميد ، فلم يتأثر بها ، ورفض أن يبيعهم شبرا من أرض فلسطين الا بنفس الثمن الذى جاءت به ، الا وهو الدم الطاهر الزكى .

وهددوه بتقويض ملكه وإزهاق روحه ،فلم يثنه التهديد ــ وهو عنوان الدولة المريضة ــ عن عزمه الذى واثق نفسه عليه !..

ولقد أرسل اليه الثرى اليهودى المعروف « قرصو » برقية من ايطاليا لا يزال بعض كتب التاريخ التركى يحتفظ بالصورة الأصلية لها ، وهى :

(أنت رفضت عرضنا ، ولكن هذا الرفض سيكلفك أنت شخصيا ، ويكلف مملكتك كثيرا) .

وعندئذ اتجه السعى منهم الى (تكسير طوق الخلافة) على حد تعبير حاييم وايزمن واعترافه . حتى اذا تم تحطيمه ، وانتشرت القوى التى فى داخله ، وتمزق الشمل ، وظهرت حواجز الفرقة والخلاف ــ تحققت الغاية اليهودية من ايسر سبيل ، كل مستعمر يغرس لنفسه فى أرض فلسطين فسيلة أو غرسا .

هكذا ضاعت فلسطين ، وبعكس ذلك تعود..

فهكذا ضاعت فلسطين !..

وباصلاح الفساد الذى تم ، واعادة الطوق الذى تحطم ، ولم الشعث الذى تناثر ، تعود فلسطين مرة أخرى بأيسر سبيل كما ضاعت بأيسر سبيل .

وليثق العرب والمسلمون جميعا أنها لن تعود بغير ذلك ، مهما طال عمر النكبة ، ومهما بذل لعلاجها من محاولات وجهود .

ولعل أكثر الناس اليوم يؤمنون بهذا الكلام الى هذا الحد . فغدبات أمرا معلوما بأن الوحدة هى العلاج الذى لا بديل عنه ، وقد أصبحت كلمة (الوحدة) بسبب ذلك من أقدس الغايات التى تتطلع اليها الشعوب العربية .

ولكن أكثر هؤلاء الناس يحسبون أنمن اليسير أن تستولد الوحدة فى مراسيم ودساتير مجردة ، ثم لا تحتاج لبقائها ونجاحها الا أن توثق بمعاهدات وتواقيع ثابتة !.. ويغيب عن تفكيرهم أن ثمة أساسا شاقا وخطيرا لا يمكن أن تنهض الوحدة الا عليه .

يرى هؤلاءالناس تاريخهم الطويل مستظلا بظل وحدة كلية غالبا ، وجزئية فى بعض الظروف ، ولا يتنبهون الى المحور الجاذب لتلك الوحدة والعصب الممتد فى كيانها ليقيها من التصدع والانتشار . فيحسبون أن اعادة مثل ذلك البناء أمر يسير ، لا يحتاج الى اكثر من تناعة فكرية يلتقى عليها الحكام وايمان بتاريخهم الوحدوى الطويل .

الوحدة ليست إرادة ذاتية ، بل هى انجذاب ضرورى إلى محور

والحقيقة أن الأمر ليس بهذه السهولة واليسر !..

ان الوحدة فى تاريخنا ثمرة ضرورية لاجتماعها على عقيدة ومبدأ ، وليست ارادة ذاتية مستقلة نشأت فى أعماقه او كيانه . والأصل أن يظل الناس

متفرقين مختلفين ، طالما لم يكن بينهم قاسم مشترك من الاعتقاد والشعور، حتى اذا لمسوا فيما بينهم شيئا من ذلك ، تكون لهم على قدر ذلك نسيج من الوحدة والائتلاف ، وكلما ازداد نسيج هذه الوحدة قوة وكمالا، وازداد فيما بينهم شمولا واتساعا .

فعلى قدر ما يتوفر فى الناس من قاسم فكرى مشترك ، يتحدون ، وعلى قدر ما يستشعرونه من خلافات الفكر والرأى يتفرقون ويتدابرون .

وما أشبه الذى ينادى فى أقوام يسلكون من حياتهم الاعتقادية والفكرية طرائق قددا ، بالاتحاد والتضافر ، بمن ينادى فى ارض قاحلة ليس فيها اى نبت بأن تلد الفاكهة والثمار !.

ان وحدتنا التاريخية التى نحلم بمثلها ، لم تستولد فى حياة اسلافنا رغبة منهم بالوحدة ذاتها ، ولم يكونوا فى ذلك مخيرين . وانما جاءت نتيجة مقدمات تحققت فى حياتهم : بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، فآمنوا بنبوته ورسالته ، وقراوا كتاب الله تعالى فأيقنوا انه كلام منزل من عند الله . واصاخوا السمع اليه ، فعلموا ان لا اله الا الله الخالق البارىء الذى بيده ملكوت كل شىء واليه مآل كل أمر ، وانه الحاكم المنفرد بالحكم فى عباده ، فما ينبغى أن يجنحوا الى شرع غير شرعه — آمنوا بذلك كله ، فاضطرهم الأمر الى أن يتخلوا عن كل مبدأ ورأى كانت تنزع اليه نفوسهم وأن يتراجعوا عن سبيل المنافسة على المناصب والزعامة والحكم ، وأن يرتضوا بالله الذى آمنوا به حكما فى كل ما يستشكلونه أو يختلفون فيه . فتولدت لهم من ذلك وحدة لم يكونوا مخيرين فى شأنها ، وذابت الخصومات وأسباب الشقاق مما بينهم تحت سلطان تآلف لم يكن لهم أى يد فى ايجاده وفرضه .

لقدكان اذا ثمة محور جذاب ائتلفت عليه افئدة العرب واجتمع من حوله شملهم ، ولم يكن هذا المحور غير الايمان الصادق بالله ورسوله واليقين بأن الحاكمية ليست الا لله وحده . ولولا هذا المحور الذى طرح فيما بينهم لظلوا اشتاتا متفرقين ، مهما ظهرت بينهم زعامات موحدة او عقول مفكرة أو آراء مدبرة .

وانظر فى تصوير هذه الحقيقة الى دقة التعبير الإلهى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا) لقد أمر أولا بوضع المحور ثم ذكر بضرورة الالتفاف من حوله والاجتماع عليه . ولو امرهم ابتداء بالاتحاد ونهاهم ابتداء عن التباعد والشقاق ، لما انصاع احد منهم الى امر ولا نهى .

ومن اعجب الغرائب أن ترى فى الناس اليوم — على كثرة ما يستشهد بهذه الآية ويجمل القول بها — من لا يفهم منها الا جزءها الثانى ، فيمضى يدعو الناس الى بناء من غير اساس بل يدعوهم الى ثمار بدون مثمر !..

ومنذا الذى يكون ذا عقل ثم يجهل ان برادة الحديد اذ تمتزج وسط تراب فى الارض ، لا يمكن الا أن تكون مبعثرة بين ذرات التراب ، وليس من قانون يستطيع أن يغير من وضعها الطبيعى هذا مهما طال عليها الامد وتنوعت المحاولات ، حتى تعمد الى قطعة من المغناطيس الجاذب فتلقيه بينها ، فعندئذ تلتقى هذه الذرات التائهة الى بعضها ، وتجتمع من شتات ، وتتحول الى كتلة قوية واحدة ذات ثقل واحد ، ملتصقة بذلك المحور المغناطيسى الجاذب !.

هل من بديل عن محور الاعتصام بحبل الله ؟

واليوم . على أى محور يمكن أن

يتحـد العرب ، وقد تحول محـور الاعتصام بحبل الله فيما بينهم الى مئات الخيوط والحبال ، كل ينتهى الى غاية غير التى ينتهى اليها الآخر ؟

اى جامع هذا الذى يمكن أن يضم أشتاتا من الناس ضاعت مما بينهم معالم الجادة العريضة الكبرى ، فانطلقوا يتفرقون فى متاهات من السبل الصغيرة المتعرجة ؟

ربما قال بعض الناس : حسبنا محورا للوحدة والاتفاق ، وحدة الشعور بالمشكلة والاتفاق على ضرورة حلها باستعادة الارض السليبة لأصحابها ، وما يضرنا أن نختلف بعد ذلك الى مذاهب وآراء .

والواقع أن هذا الكلام لا يعدو أن يكون غلطا بينا نتيجة جهل وغباء ، أو مغالطة فاحشة نتيجة مكر وخبث !

من المعلوم أنه لا قيمة لاى راى فرعي جامع اذا كان من قبله أصول من العقائد الكلية المتخالفة . ذلك لان كل رأى فرعي فى حياة الانسان انما ينصبغ لا محالة بلون عقيدته الكبرى، بل انه لا يظهر الا بدافع من تلك العقيدة وعلى هدى منها . بل ان من المقطوع به أنه لا قيمة لأى فرعي فى حياة الانسان اذا جاء ذلك مخالفا لمقتضى مبدئه العام وعقيدته الكبرى .

وتستطيع أن تلمس تطبيق هذا الذى نقول فى واقعنا ، حيال نفس المشكلة التى نتحدث عنها . فأنت ترى أننا رغم اتفاقنا على شعار : (الأرض العربية لأصحابها) نتفرق فى صدد تحقيق هذا الشعار الى شيع وأحزاب ، لأن كلا منا يريد أن يجعل من هذا الشعار ظلا لعقيدته وأثرا من آثار مبدئه .

وربما قال آخرون : نعم لا بد من مبدأ جامع ، ولكن أفحتم أن يكون هذا المبدأ هو الاسلام ؟.

والجواب : أن اى مبدأ موحد جامع يمكن أن ينهض بحل المشكلة ، ولكن هل أكتشف العرب والمسلمون بعد طول مغامرة — أى مبدأ غير مبدا الاسلام لدين الله يمكن أن يجمع الناس كلهم فى حمى منهج وشرع واحد ؟

ان من أجلى الحقائق الواضحة ان شيئا من المبادىء والعقائد الأرضية لا يمكن أن تصلح يوما ما محورا لتوحيد الامم وأئتلافها .ذلك لان الناس أحرار بفطرتهم ، وهميشعرون بحريتهم هذه كما يشعرون بوجودهم ومن نتائج ذلك أن أحدا من الناس لا يستطيع أن يفرض شيئا من أفكاره وآرائه ويجعل منها عقيدة يدين بها الآخرون . ولئن استطاع فرض ذلك على أسرته بسلطان تربوى يمتلكه ، فانه لا يستطيع أن يفرضه على أوسع من ذلك النطاق ، ولئن استطاع ذلك بما له من سلطان وهيمنة وقوة حكم ، فلن يكون ذلك الا الى حين .. أى ريثما تتجمع عوامل الثورة على نظامه وحكمه .

وما الحروب الطاحنة التى تدور رحاها اليوم ، فى كثير من جهات العالم ، وما التهديدات المتكررة بالاهلاك والتدمير ، الا نتيجة صراع بين مبادىء الارض .. مبادىء متناكرة يسفه كل منها الآخر ، ويستبق الآخر الى حرية الناس وسيادتهم .

بلاء التناقض المهلك

ونحن لا نريد ، فى صدد بحث مشكلتنا الخاصة ، أن نتحدث عن علاقة هذه الحقيقة بالمصائب العالمية الكبرى وتهديدها للسعادة الانسانية المطلقة ، فحسبنا اليوم أن نعالج على ضوئها نكبتنا الانسانية الخاصة بنا .

اننا فى هذا الشرق مؤمنون بالله، وغالبيتنا العظمى تفسر هذا الايمان بالعقيدة الاسلامية التى بعث بها

محمد عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين مؤيدا ما جاء به سائر النبيين من قبله . اذا فنحن نملك منطلق المبدأ الجامع والمحور الجاذب ، لو أحيينا كوامن هذه العقيدة فى نفوسنا والتزمنا بما تقتضيه من منهج وشرعة نقيم عليهما حياتنا الفردية والاجتماعية .. ونحن نملك — لو فعلنا ذلك — أن نحزم مشاعر المسلمين المتفرقة فى شرق العالم وغربه فى شعور ملتهب واحد ، لا ينهض على مواصفات فكرية عابرة ، بل على عقيدة راسخة تستند الى دلائل العلم القطعى ، والواقع التاريخى ، والتجربة البصيرة الحية .. فلماذا لا نفعل ذلك .. ؟

ألسنا مسلمين ؟ .. ألسنا نبرهن على اسلامنا كل صباح ومساء على أمواج الاثير وفى شاشة التلفزيون عندما نقرأ مترنمين أو ننصت خاشعين الى آيات من كتاب الله ؟ فلماذا لا نتخذ من هذا الكتاب الذى نؤمن به المحور الجاذب لحياتنا والمبدأ المقوم لسلوكنا ، واذا لتهاوت حواجز الفرقة مما بيننا ولقامت روابط الالفة والوحدة فى حياتنا ، ولنبعت لنا من خلال ذلك قوة ذاتية تمدنا بالمال الوفير والرأى السديد والعدة الكافية ؟ ..

ولعمرى ما رأيت أغرب من عقل انسان يزعم أنه مسلم ، ويتباهى بأنه من أسرة عريقة فى اسلامها ، وأنه قد حجج والدته وأختيه على حسابه(!) ثم يقول : ولكنى أرى أن الاسلام غير صالح فى هذا العصر أن يكون أساسا جامعا أو مبدأ موحدا !!

اذا فلماذا أنت يا أخى ، مسلم ؟ وماذا بقى من اسلامك الذى يرضى الله ورسوله اذا كنت لا ترى أن الاعتصام بحبل الله الذى هو منهجه وتشريعه يجمع من فرقة ويؤلف من شتات ويعتبر أساسا لدولة ؟! ..

واذا كان الاسلام الذى هو دين الله وحكمه ، لا يعتبر مبدأ جامعا لأشتات الناس ، فأين هو المبدأ الذى يعتبر جامعا لذلك ؟ ..

ملايين من الشبان المؤمنين بالله المسلمين أنفسهم لدين الله ، تنقدح النيران فى مشاعرهم تطلعا الى سبيل من القيادة الاسلامية الراشدة ، ليتحولوا فى هذه السبيل الى شعلة وضرام ، وليبيعوا النفس والنفيس فى سبيل أعزاز الحق واستعادة الارض وحراسة القيم .

فلماذا تغمضون العين عن هذه القوى الهائلة العارمة ، ثم تبحثون عن ركائز جامعة أخرى ، لن تزيد عالمنا العربى إلا ضيعة وشتاتا ؟ ..

. . . . . .

وبعد فأن الذين استلبوا فلسطين منا ، انما استلبوا قبل ذلك وحدتنا الاسلامية وخلقنا الاسلامى . والذى يكون جادا فى استعادة الحق المسلوب هو الذى يحرص على استعادة الدار قبل أن يتجه الى استعادة ما كان فيها من أثاث ورياش .. وهو الذى يحرص على استعادة البستان قبل أن يتجه الى استعادة ما فيه من ثمار ..

والذى يكون جادا فى استعادة حق له ، لا يفوته أن يعلم بأن الذى ليست له دار تؤويه لن يملك أثاثا يتنعم فيه ، والذى لا يملك أرضا يجنى قطافها لن يمتلك ثمارا يستمتع بمذاقها . والذى لا يملك حصنا من الوحدة الحقيقية الواقية ولا خلقا ذا صلابة ذاتية رادعة ، لن يبقى على أرض ولا وطن . ومهما افتعل البحث والتنقيب فانما يصيح فى واد وينفخ فى رماد ..

لماذا احتضنت القدس

محمد مؤذن

قلوب المسلمين باسراء الرسول

وواجب المسلمين اليوم

قال تعالى : « سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، الذى باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير » (١) .

آية كريمة من كتاب الله ، يتلوها المسلمون فى كل زمان ومكان ، ويرددونها فى صلواتهم وعباداتهم ، والايمان بها جزء من ايمانهم بقرآنهم، ولكن ما معنى ذلك كله ؟ واخرج ابو داود وابن ماجه ، كما اخرج الامام احمد وابو يعلى عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم ، قلت يا رسول الله :افتنا فى بيت المقدس؟ قال « أئتوه فصلوا فيه ، وكانت البلاد اذ ذاك حربا ، فان لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا بزيت يسرج فى قناديله » (٢) وهذا حديث نبوى شريف يقتضى ايماننا بسنة الرسول عليه السلام ، ان نستلهم ابعاد هذا الحديث ، وماذا أراده الرسول بذلك ؟ .

وحينما نزلت الآية الكريمة وحين وقع الاسراء بالرسول الاعظم الى القدس ، وحين أفتى الرسول فى أمر بيت المقدس ، بان دعا المسلمين ان يأتوا اليه ويصلوا فيه ، كانت القدس تحت حكم الرومان ، وليس للاسلام عليها سلطان ، ولم يكن لهم فيها ديار ، فما هدف الآية الكريمة ؟ وما أبعاد إسراء الرسول إلى القدس حينئذ ؟ وماذا قصد الرسول من حديثه الشريف وهو الصادق المصدوق ، الذى لا ينطق عن الهوى . إن هو الا وحى يوحى ؟

وهل يكفى فى صحة الايمان ان نردد القول ونكرر التلاوة ونتعبد الله بذلك ؟ أم لا بد فى الايمان من تنفيذ مقتضى ما نؤمن به ونحقق ما هدف اليه ؟

يقول عبد الله بن محمد البخارى سمعت محمد بن اسماعيل (يعنى صاحب الصحيح الامام البخارى) يقول : لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخراسان ، فما رأيت واحدا منهم يختلف فى هذه الاشياء ، « ان الدين

للشيخ عبد الحميد السائح

قول وعمل » وان القرآن كلام الله » (٣) .

والايمان الصحيح ليس مجرد عبادة محضة يتجه بها المخلوق نحو خالقه وحسب ، وانما هو اتجاه للخالق مع الاخلاص للناس ، والبعد عن كل رذيلة تنافى شريف الاخلاق ، والعمل المثمر للصالح العام ، وخوض معارك الكفاح فى سبيل مجد الاسلام وقوته (٤) .

وروى الطبرانى عن ابن عمر رفعه « لا يقبل ايمان بلا عمل ولا عمل بلا ايمان » (٥) .

اذن أراد الله أن يوحى للمؤمنين بأن عليهم أن يستخلصوا القدس من الاغيار ، ويبسطوا عليها سلطان الاسلام ، حتى يحموا عقيدتهم الاسلامية ، ويطهروا موطن امجادهم وذكرياتهم الدينية ، ويطمئنوا الى أن منتهى الاسراء كمبتداه فى أمان واستقرار ، تشد اليها الرحال ، من كل حدب وصوب ، بحرية تامة ، وبلا خوف أو وجل ، رغبة فى ثواب الله وطاعته ، وحرصا على احياء سنة رسوله ومرضاته .

واذ لم يحقق الله هذا على يد حبيبه ورسوله ، فقد حققه على يد خليفته الثانى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وبذلك تأكد للاسلام بالفتح العمرى للقدس ما تأسس من قبل فى الاسراء من مقدم الرسول اليها ، واصبحت الرابطة بين مكة والقدس ، وبين المسجد الحرام والمسجد الاقصى وثيقة لا انفصام لها ، كما ان الابواب أصبحت مفتحة لكل مسلم أن يأتى القدس ويصلى فى المسجد الاقصى كما أراد . لكن الشيء الذى يجب أن يثار هنا ، وهو موضع التساؤل؛ اذا كان الاسلام فى اسراء الرسول الى القدس استهدف تحريك الهمم واثارة نفوس المؤمنين لينشروا دعوة الحق ، ويرفعوا ألوية الايمان ، ورايات العدالة وشعائر الاسلام ؟ فهل يسوغ فى عرف الاسلام ومبادئه، أن يتخاذل المسلمون عن حمايتها بعد أن كانت فى سلطانهم ، واستردادها من غاصبيها واستعادتها الى حوزتهم سيادة وادارة ، بعد اغتصابها ، وتدنيس طهرها والاعتداء على كل بقعة فيها ، وازالة معالم الاسلام والعروبة عنها ؟ وهل يجوز للمسلمين أن يصيبهم شىء من الوهن والتراخى فى استرداد ماحول القدس من الديار والاوطان والبقاع، وكلها مقدسة ، جبلت تربتها بدماء الشهداء من الصحابة والتابعين والعلماء والمجتهدين ، وصرح الله فى قرآنه باختصاصها ببركاته ، وميزها بالتقديس والتطهير . وهل يبقى أولئك المتخاذلون فى حوزة المؤمنين اذ قصروا بواجب الجهاد والكفاح ، واسترخاص الانفس والاموال فى سبيل استردادها ؟والله تعالى يقول فى محكم قرآنه :

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (٦) .

أيها المسلمون والعرب فى مشارق الارض ومغاربها .

انكم جميعا معنيون بهذا النداء ، وانكم مقصودون بهذا الخطاب ،

لا فرق بين مليك ورئيس ، وحـــاكم ومحكوم ، وقاص ودان .

اذا كنتم حقيقة آمنتم بالقـــرآن كتاب الله ، وصدقتم واذعنتم باسراء الرسول الى القدس والمسجدالاقصى وعرفتم ان الرسول طلب منكم التردد عليها ، وشد الرحال اليها ، ومع هذا حبستم الانفس والامـــوال عن بذلها فى سبيل الدفاع عن وطـــن الاسراء ، وحريتكم فى التردد اليه، فكيف تكونون صادقين فى ايمانكم ، والله تعالى جعل الجهاد بالانفس والاموال ركنا ركينا فى صدق دعوى الايمان ، وهل يرضى احد منكم لنفسه ان يخرج من نطاق المؤمنين الصادقين فى سبيل متاع زائل ، او عـــــروش او مناصب ليست قائمة على أرض صلبة تستند الى ايمان المؤمنين ، وكفاح المجاهدين المخلصين ؟ واعتقد أن كل واحد منكم يحرص على ان يكون من الايمان فى الذؤابة والذروة ولكن ليس الايمان بالتمنى ولــــكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

تحـــــــــذير :

ولا بد لى فى هذا المقام من أن أنبه الى حديث نبوى شريف أورده بعض العلماء والكتاب ، فى سبيــل تطمين المسلمين الى ان النصر فى النتيجة لهم ، وان لا موجب لقلقهم ويأسهم ، وهو الحديث الذى ينوه فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بأنه لا مناص من معـــركة حاسمة بين المسلمين واليهود ، تكون النتيجة فيها تدمير اليهود واستئصالهم ونصرة المسلمين عليهم وغلبتهم .

ذلكم الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم هو قول الرســـول الاعظم صلى الله عليه وسلم :

« لا تقوم الساعة حتى يقـــاتل المسلمون اليهود يقتلهم المسلمونحتى يختبىء اليهودى من وراء الحجـــــر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر، يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى فاقتله الخ . »

ونحن لا نتردد فى صدق كل حديث صحيح والاعتماد عليه ، لكن لفظ الحديث واضح فى أنـــه يبحث فى اشراط الساعة، كما ان علماءالحديث أوردوه فى هذا المجال ، وذكره فى غير هذا المجال يخلق فى صـــفوف المسلمين التواكل والاستناد اليه فى أن النصر بالنتيجة يكون لنا ، فتزداد عوامل التخذيل واضعاف الهمم عن الاعداد للجهاد او مباشرته وفى ذلك خطر كبير يجب ان ينتبه اليـــــه المسلمون ، وان عليهم — دون انتظار اشراط الساعة التى لا يعلم وقتهـــا الا الله سبحانه — أن يبادروا دون مماطلة الى المعركة الفاصلة التـــى تقرر مصيرنا ومصير أعدائنا والتى لا يوجد لنا بديل عنها ، فى الدفاع عن مقدساتنا وعزتنا وشرفنا ووجودنا وعقائدنا ، وهذا هو السبيل الوحيد الذى يرد عن المسلمين عوامل اليأس والقنوط ، ويزيد المؤمنين ايمانا .

توضـــــيح :

لا ينبغى ان يتبادر الى ذهن أحد أننا بهذا الموقف نعرض العالم الى خطر الدمار ، واننا عشاق حرب، واراقة الدماء ، ولكن يجب ان يكون واضحا اننا لا يمكن ان نتســــامح أو نتساهل فى استعادة ديارنــــا وقدسنا الحبيب على رأسها ، ولا يمكن ان نترخص فى ان تعودالقدس كاملة غير منقوصة ادارة وســـيادة الينا ، ولو تعرضنا لخطر الافناء ، وأن التساهل فى أية ناحية من ذلك جريمة لا تغتفر وكبـــيرة لا تمحى آثارهـــا ، وتعرض مصالح العـــرب والمسلمين فى كل ديارهم لمخاطـــر لا حد لها ولا نهاية تقف عندها .

أيها العرب والمسلمون :

أنا أفهم ، وكل عاقل بعيـــــد النظر يفهم ان تتريثوا فى القيــــام بواجبكم حتى تستكملوا استعدادكم، وتتهيئوا نفسيا وحربيا ، لئلا تكونوا

مجازفين او مخاطرين ، ولكن ما عذركم وقد مضى على الهزيمة الاولى ربع قرن من الزمان ، كاد العالم ينظر من خلالها لما اغتصب العدو ، كأنه حق مكتسب ، نتيجة السكوت والتفريط ، كما مضى على هزيمة سنة ١٩٦٧ خمس سنين او يزيد ، ووطن الاسراء تحت الاسر، وأنتم لا تجمعون أمركم ، ولا تردون شاردكم ، ولا تعقدون عزيمتكم على مواصلة الجهاد ، والمبادرة لتحطيم كل الحواجز ،واستعادة وطن الاسراء وجميع الاراضى والحقوق المغتصبة، خصوصا وقد ظهر حديثا أن العدو ممعن فى احداث حفريات فى أسفل المسجد الاقصى وتحت أسس العمارة الجارية بعد احراقه ، وذلك بقصد توفير عوامل جريمة أخرى تؤدى الى انهيار المسجد الاقصى بكامله، وتهيىء الظروف المواتية لاقامة هيكلهم المزعوم فى المكان الذى أسرى بالرسول اليه ، وفى ذلك تحد صارخ لكم جميعا واستهتار بجميع مشاعركم وعواطفكم ومقدساتكم .. ؟

وكثير من الناس يعتقدون بأن العرب والمسلمين يملكون القدرة والاستعداد لدخول المعركة ، ولا ينقصهم إلا جمع صفوفهم ، وعزمة المؤمنين ، والاعتماد على الله رب العالمين ، وتجنيد كل ما يملكون فى سبيل ذلك .

وكل تأجيل أو تأخير فى القيام بذلك ، يضع الناس فى حيرة وتساؤلات :

الى متى الاستعداد ؟

الى متى مباشرة القتال ؟

الى متى تكسير الحواجز ؟

الى متى استعادة العزة ؟

الى متى العمل الدائب الجدى على الوصول الى النصر ؟

الى متى اقامة البرهان الساطع المحسوس على صدق الايمان ؟ حتى يتم نصر الله لنا ، « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ؟

الى متى يا قوم يكون العرب والمسلمون فى مذلة ومهانة ، لمن ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ؟

اذا كنتم لا تزالون تعلقون الآمال على الامم المتحدة ، او على الدول الكبرى فى أن تعيد اليكم دياركم ومقدساتكم ،وترد اليكم عزتكم، فانكم تتعلقون بسراب لا ظل له من الحقيقة ولا تتوصلون من هذا التعلق الى أى نصر او نتيجة مشرفة . فواجب كل واحد منكم ان يبادر الى القيام بواجبه ، في المساهمة الفعلية للمعركة وتأدية دوره ، وكل تقصير أو تخذيل أو انشغال فى أية معركة جانبية جريمة كبرى أمام الله والتاريخ والاجيال .

فالبدار البدار يا قوم الى مصدر عزتكم ومنبع كرامتكم ، ووحدة كلمتكم ودفن أحقادكم ، وتجنيد كل ما تملكون فى سبيل معركة المصير ، التى ترد اليكم الاوطان والمقدسات ، وتحفظ عليكم عناصر وجودكم وكيانكم وحضارتكم .

وانى أكرر النداء فى هذه الذكرى العطرة لاسراء الرسول صلوات الله وسلامه عليه ومعراجه الشريف ، لعلها تكون آخر الذكريات التى تظللها الكآبة والحزن والاسى، ولعله آن الآوان لنرفع رايات العزة والايمان على يد من اختارهم الله سبحانه ليسجلوا دور البطولة والشرف ، وان لله عبادا اذا أرادوا أراد ، والله ولى التوفيق والنصر والهداية ، انه سميع مجيب .

---

(١) آية ١ من سورة الاسراء .

(٢) جمع الفوائد ج ١ ص ٥٩٥ وجمع الجوامع ج ١ ص ٣١ .

(٣) مقدمة صحيح البخارى ص ٣٠ .

(٤) الاسلام دين ودولة ص ١٢٦ .

(٥) جمع الفوائد ج ١ ص ٢٣ .

(٦) الآية ١٥ من سورة الحجرات .

مائدة القارئ

القــدس .. القــدس

وصف شاعر القدس زمن الحروب الصليبية فقــال : ــ

مررت على القدس الشريف مسلما على ما تبقى من ربوع كأنجم
ففاضت دموع العين منى صبابة على ما مضى من عهدها المتقدم
وقد رام علج أن تعفى رسومه وشمر عن كفى لئيم مذمــم
فقلت له شلت يمينك خلهــا لمعتبر أو سائل أو مســلم
فلو كان يفدى بالنفوس فديته بنفسى وهذا الظن فى كل مسلم

فــص الخــاتم

بلغ عمر بن عبد العزيز أن ولدا له اشترى خاتما له فيه فص بألف درهم فكتب اليه ــ

أما بعد ــ فقد بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم ، فبعه ، وأشبع به ألف جائع واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

قرطبــــة

كانت قرطبة فى عهــد عبد الرحمن الثالث الأموى عاصمة الاندلس المسلمة تنار بالمصابيح ليلا ، ويستضىء الماشى بسرجهــا عشرة أميال ، وسكانها أكثر من مليون نسمة بينما كانت أكبر مدينة فى أوروبــا لا يزيد سكانها عن خمسة وعشرين ألفا وكانت حماماتها تسعمائة وبيوتهــــا ٢٨٣ر٠٠٠ وقصورها ثمانون ألفا ، ومساجدها ستمائة مسجــد ، وفيها مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى وخمســـون مستشفى ، ومسجدها الجامع لم يوجد له نظير فى الفخامـــة وروعة البنــاء ..

الانصاف فى النقد

حكى الابشيهى فى المستطرف أن شيخا نادى أبا حامد الغزالى قائلا : —

يا داتشمند ، لقد استدركت عليك فى الاحياء ألف خطأ ، فهل تريد أن تراها فقال لـه حجة الاسلام ، دعها عندك فانا اعرفها واعرف فى كتابى أكثر منها واذا كنت قد احصيت على غلطى فاحص رحمك الله أيضا صوابى .

أكـال لا رزاق

استشهد أحد المجاهدين فى ميدان الجهاد وكان فقيرا ذا عيال ، وقابلت زوجتـه نبأ استشهاده بصبر وايمـان ، وعندما سئلت عن سبب تجلدها وهى لا تجد قوت نفسهـا ولا قوت أولادها ، قالت عـن زوجها — عرفته اكالا ، وما عرفته رزاقا ، ولئن ذهب الاكال لقد بقى الرزاق .

لعـب الاطفـال

ظهرت فى أسواق أوربا بعد أشهر قليلة من اجراء أول عمليـة نقل قلب لعبة (الجراح المرح) وهى تمثل مريضا توجد فى جسده ثقوب وفتحات ويتعـلم الطفل كيف يستعمـل ملقاطا خاصا موصلا بدائرة كهربائية ليعيد الى الجسم الاجزاء المختلفة بعد أن يتعـرف عليها ... هـذه هى لعب الاطفـال عندهم ..

السعـادة

غاضب الرجل زوجته ، وقال لها متوعدا لاشقينك فقالت فى هدوء لا تستطيع أن تشقينى فقال لها وكيف ذلك ؟ قالت لو كانت السعادة فى مال لحرمتنى منه أو فى حلى لمنعته عنى ، ولكنها فى شىء لا تملكه أنت ولا الناس أنى أجـد سعادتى فى ايمانى ، ايمانى فى قلبى ، وقلبـى لا سلطان لاحد عليه غير ربى ..

البياض والسواد

اشترى الحجاج غلامين أسود وأبيض ، فقال لهما أريد أن يمـدح كل منكما نفسه ويذم الآخر فقال الاسود : —

الم تر أن المسك لا شىء مثلـه	وان بياض اللفت حمل بدرهم
وان سواد العين لا شك نورها	وان بياض العين لا شىء فاعلم

فقـال الابيـض : —

الم تر ان البـدر لا شىء مثله	وان سواد الفحم حمل بدرهم
وان رجال اللـه بيض وجوههم	ولا شك ان السود أهل جهنم

فضحك الحجاج وكافأهمـا .

سنابـل

قـال حـكيم : —

وقفت أمام حقل من حقول القمح فرأيت سنابل تتمايل فى خيـلاء وسنابل أحنت رأسها فى حياء وحين دققت النظر رأيت الاولى فارغة والثانية مليئـة بحبات القمح .

سورة الإسراء

تحدثنا عن نهاية

إسرائيل



سورة بنى اسرائيل :

تناولت سورة الاسراء الحديث عن بنى اسرائيل ما كان وما سيكون منهم وعن الصراع المرير والدور الخطير الذى سيكون بينهم وبين المسلمين ، وعن قيام اسرائيل كعقوبة من الله للمسلمين ، وعن نهايتها الشرعية المحتومة ، كل ذلك فى ايجاز فذ وبيان معجز .

كما تناولت تنبيه المسلمين وتوعيتهم وتحذيرهم من مواطن الضعف التى ينفذ منها العدو الى مقاتلهم من الترف والفسق ، ومن حب العاجلة ونسيان الآخرة ، ومن خصال السوء التى تفسد حياة الأسرة وتهدم كيان المجتمع ، ومن أشدها الفتنة عن وحى الله وهداه واقتفاء ما ليس لهم به علم واتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ولعل ذلك من أهم ما أضاع فلسطين ، ومن أجل ذلك سميت (سورة بنى اسرائيل) وهى أحق أن تشتهر بهذا الاسم اليوم من وجوه الأول — لأن فيها نبانا مع اسرائيل — قضية الحياة أو الموت للمسلمين — وفيها علاجها والطب لها .

للشيخ عبد المعز عبد الستار



الثانى ــ أن الحديث فيها عن الاسراء لم يستعرض أكثر من آية واحدة افتتحت بها كتمهيد للحديث عن بنى اسرائيل أما الحديث فيها عن بنى اسرائيل فقد استغرق صدر السورة ونهايتها فى آيات كثيرة توحى بأنه المقصود

الثالث ــ أنه اسمها من قديم روى البخاري ، عن ابن مسعود قال فى (بنى اسرائيل والكهف ومريم) انهن من العتاق الأول وهن من تلادى وروى الامام أحمد عن عائشة (رضى الله عنها) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كـــان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر)

فسورة الاسراء هى فى الحقيقة سورة بنى اسرائيل تحدثت عن بدايتهم ونهايتهم وتضمنت كذلك كل أسباب الهداية والوقاية والقوة التى تحتاج اليها الآية فى غلابهم ونبدأ الحديث من أوله ..

بسم الله الرحمن الرحيم

((سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير)) .

معلوم أنه حين وقع الاسراء كان المسلمون يومئذ قليلا مستضعفين فى الارض مشردين فى كل وجه اتقاء الفتنة والعذاب ، طائفة منهم بالحبشة ، وآخرون نزاع فى قبائل العرب والمقيمون منهم بمكة لم يكن باستطاعتهم أن يعلنوا عبادتهم حول الكعبة .

ومعنى ذلك أنه لم يكن وقتئذ للمسلمين مسجد حرام ولا حرم ولا حرمة فقد استحلت حرماتهم فى البلد الحرام هم والنبى (صلى الله عليه وسلم) فى وقت كان القاتل يدخل فيه الحرم فيأمن حتى أنزل الله يهدد القوم الظالمين (لا اقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد) ..

كذلك لم يكن للمشركين مسجد بمكة فما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية (أى صفيرا وتصفيقا) لا يركعون ولا يسجدون وكانت الكعبة يومئذ بيتا للاصنام يتمسح به المشركون ويذاد عنه المؤمنون الموحدون .

كذلك حين وقع الاسراء لم يكن ثمت بالشام مسجد أقصى ولا فى مكانه معبد يعبد الله فيه ولكن كان هناك خرائب هيكل سليمان منذ دمره الرومان وجعلوه مطرحا للقمامة وحرموا على اليهود دخول المدينة اطلاقا بما غدروا وأفسدوا .

لكن الله عز وجل حين أخبر عن هذا الاسراء قال :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى »

وهو إخبار فيه تبشير للنبى (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين معه بأن هذا الاسراء ليس مجرد رحلة خارقة ولكنه انتقال من مسجد حرام الى مسجد مثله وإيذان بتمام النعمة وظهور أمر الاسلام والمسلمين .

وبشرى : بأن هذا البيت الذى لا يستطيعون أن يستعلنوا فيه بعباداتهم سيصير لهم مسجدا .

وبأن هذا البلد الذى حلت فيه حرماتهم سيعود لهم حرما وبأن هذا الظهور سيتم ويمتد ويسرى حتى يبلغ ملك الروم فى أرض الشام فيحول ما خربوا فى بيت المقدس الى مسجد أقصى يكون للمسلمين قبلة وحرما مثل بيت الله المحرم

سبحان الذى أسرى

وانه لنبأ عجب وبشارة أعجب وانه ليستحق لذلك أن يصدر بكلمة التسبيح والتنزيه على عادة العرب ((سبحان الذى أسرى بعبده ليــلا)) وهل أجل أو اعجب من عدة بالنصر والتمكين لقليل مستضعفين تكون لهم كالعافية بعد البلاء وكالفجر يطلع للسارى بعد ليل طال امتداده واشتد سواده .. ؟ .. ثم لا تمضى عشر سنوات بعد هذه الآية حتى يجىء نصر الله والفتح وتزول الاصنام والإظلام ويعود البيت مسجدا حراما ولا تمضى عشر مثلها حتى يدخل عمر رضى الله عنه بيت المقدس فيزيل القمامة بثوبه ويعيد الخرائب مسجدا أقصى يذكر فيــه اسم الله كثيرا ((فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون)) .

لنريه من آياتنا

وقد بين الله سبحانه الحكمة من هذا الاسراء بقوله ((لنريه من آياتنا)) فقد أطلع الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على عجائب من آياته الكبرى وكشف له من أسرار الكون وأنباء الغيب ما يزداد به علما ويقينا لينبىء أمته ويعلمها عن مشاهدة وعن يقين فقد تمثلت له الاعمال والاقوال والحســنات والسيئات والاشياء صغيرها وكبيرها منها ما يتوهمها أصحابها منفعة وهى مضرة ولذة وهى ألم ومسرة ، وهى تورث حزنا طويلا ومنها ما يرى مغرما وهو غنــم ، وشرا وهو خير ، وكرها ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .

فقد مثل له المجاهدون والمحســنون والمرابون والظـــالمون والكذابون والزناة والخونة .. الخ .

بيعــة بالامامة

ولقد كان من أجل ما أراه الله من آياته أن جمع له الانبياء والمرســلون فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اماما وكأن ذلك منهم بيعــة لــه بالامامة واعلان بأنه انتهت اليه رسالات السماء ومواريث الانبياء ، والى أمته بالتبع قيادة البشرية الى الله وهدايتها بالحق وشــهادتها على الناس أن الله (هو السميع) لدعاء المؤمنين وتحدى الكافرين (البصير) بالعباد يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وهو اعلم حيث يجعل رسالته .

الحديث عن بنى اسرائيل .

بهذه الآية الاولى انتهى الحديث عن الاســراء فى السورة جملة وتفصيــلا وكأنما بدىء بالحديث عنه بمقدار ما سيقت به البشرى للمؤمنين ١ ــ بظهور

أمرهم والتمكين لهم ٢ ـ وانعقـاد لـواء الامامة فى هداية الخـلق اليهم ٣ ـ ووراثتهم المقدسات وتعظيمهم الحرمات . وهنا يجيء الحديث عن بنى اسرائيل كأنه جواب عن سؤال أنشأته البشرى فى الآية حاصله :
س ـ اذا انتهت الى المسلمين قيادة البشرية وهدايتها وصـارت لهم أمانـات السـماء ومواريث الانبياء وامتد سلطانهم الى ملك الروم حتى حولت خرائب سليمان الى مسجد أقصى فما هو موقف بنى اسـرائيل الذين يزعمـون أنهم شعب الله المختار وورثة داود وسليمان والكتاب .

جـ ـ والجواب أنهم عزلوا عن قيادة البشر لما فسدوا وافسـدوا واثبتوا عـدم صلاحيتهم بسوء أعمالهم ومن أجل ذلك سيكون لهم دور جسيم وخطب عظيم مـع المسلمين واستمع لبيان ذلك فيما يقصه الله علينا من نبأ ماضيهم وحاضرهم فـى سورتهم قال تعالى : ((وآتينا موسى الكتاب ، وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا . ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا)) .

هذا أول أمرهم : ـ أنزل الله اليهم التوراة فيها هدى ونور فلم يهتدوا بهـا وحرفوا كلمها ـ وعهد اليهم ألا يتخذوا من دونه وكيلا فاتخذوا الههم هواهم ـ وذكرهم بأنهم من ذرية قوم نجاهم مع نوح العبد الشكور من الطوفان لعلهم أن يشكروا مثله وفيه تذكير لهم أنه أنجاهم وأغرق آل فرعون لو كانوا يذكرون وهيهات لمثلهم أن تنفعهم الذكرى وقد نبأنا الله بأمرهم وما سيكون منهم .

فقال تعالى ـ ((وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسـدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا .))
أى أنهينا الى بنى اسرائيل فى التوراة وشأنها وموقفهم منها وتحريفهم لها أنهينا اليهم هذا الامر أنهم سيفسدون فى الارض بدل المرة مرتين وسيتعالون على طاعة الله وعلى عباده ويبغون فى الارض بغير الحق وستكون عاقبتهم الدمار فى النهاية فان الطريق الذى سلكوه سينتهى بهم حتما الى هـذا الافسـاد فى الارض والى تدميرهم بكل تأكيد .

وفى التعبير بـ (قضينا الى بنى اسرائيل فى الكتـاب لتفسـدن) حـكم بادانتهم وبيان لسبب عزلهم وفسادهم وان جنايتهم على الكتاب ، كأنما رفعت قضية الى الله عز وجل فقضى بحرمانهم من وراثته وهدايته بأنهم فسدوا ولم يعد ينتظر منهم الا الافساد كما يقال للمؤتمن الذى خان أمانته حكمنا بعزلـك وبأنك ستعيش عاثرا مفسدا لا تقوم من حفرة الا لتقع فى غيرها وشر منهـا لا تعتبر ولا تنزجر حتى يدركك المحق والدمار .

تحريف بنى اسرائيل للكتاب :

كنا نظنه تحريفا فى بعض الاحكام كالرجم فى الزنا واباحة الربا مع غير اليهود .. الخ . أو فى بعض الاخبار كانكار البشارة بالنبى صلى الله عليه وسلم .. الخ ، وما ظننا أنهم ينسفون الحق نسفا وهم يكتبون الكتاب بايديهم ليقولوا هذا من عند الله .

لقد محقوا فيه العقائد والاخلاق والقيم وسائر ما جاء به رسل الله .

الله : فيه ليس رب العالمين الرحمن الرحيم ولكنه إله اسرائيل وحدهم وهو وثن كبعض آلهة الاغريق يحقد ويحسد ويجبن ويجهل ويتهور ويندم ... الخ صفات التافهين من البشر .

واليوم الآخر : لا وجود له فى الكتاب فجنتهم التى يوعدون هى أرض فلسطين (احفظ وصاياى لكي تطول ايامك على الارض التى وعد الرب أباك ابراهيم واسحق .. الخ . وأطع أباك وأمك لكى تطول أيامك على الارض) .

والنار : التى يخوفون حرمانهم من أرض فلسطين (ان لم تحفظ وصاياى يكون أنك تطرد من الارض التى وعد الرب آباءك ... الخ .

الانبياء : جعلوهم فى هذا الكتاب - عصابات سلب ونهب وقتل وتدمير وخيانة وغدر وكذب ونصب من ابراهيم وأسحق ويعقوب الى موسى وداود وسليمان ومن وراءهم .

الاخلاق : حسبك أن أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى فى صيف عام ٦٧ طالب حكومته بمنع تدريس هذا الكتاب للتلاميذ ، لأنه يفسد أخلاقهم واقرأه فستجد أنه ما من جريمة من جرائم الزنا وهتك العرض أو القتل والابادة أو الاحتيال والنصب الا وهى منسوبة لنبى أو طائفة من رسل الله لهداية خلقه .

القيم : لا تجد فى هذا الكتاب قيمة للشرف أو الانسانية أو الكرم أو العفة أو المروءة أو الترفع والنجدة وانما تجد كل خسة وصغار ولؤم وما يثبت القاعدة المشهورة (الغاية تبرر الواسطة) .

فالى هذا الكتاب يرجع كل ما يموج به العالم اليوم من انحلال وتفسخ والحاد ومذاهب هدامة . فمصدرها والقائمون عليها هم اليهود أمثال دركايم وفرويد وماركس .. الخ . ولعلنا أن يكون لنا حديث عن ذلك بعد إن شاء الله .

كتاب الارض

أن أوجز واصدق ما يوصف به هذا الكتاب الذى كتبه اليهود بأيديهم وزعموا أنه التوراة التى أنزلت من عند الله أنه كتاب الارض .

انه انشىء لتبييت أمرين ١ - ملكية اليهود لارض الميعاد (فلسطين وماحولها)

٢ - وليقرر أنهم شعب الله المختار ، ولذلك تجد هذين الأمرين هما القاسم المشترك الأعظم الذى تدور حوله أسفار التوراة جميعا وخذ مثلا :

سفر التكوين يظنه القارىء لاول وهلة أنه تكوين الخليقة والحقيقة أنه

تكوين اسرائيل شعبا وارضا ثلاثون صفحة تتحدث عن خلق السموات والارض وآدم الى نوح الى أبراهيم ومائة وخمسون صفحة تتحدث عن ابراهيم واسحق ويعقوب وعن الرؤى والاحلام فظهور الله لكل منهم يقول له لك ولنسلك أعطى هذه الارض ... وتتحدث عن يوسف الى أن قال لاخوته (أنا أموت ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض الى الارض التى خلق لابراهيم واسحق ويعقوب ....

كتاب كله عن الارض لاثبات ملكيتها وعن القبيلة لاثبات تفوقها ومع ذلك لا توصف أمة بأقبح مما جاء فيه عنها ولا تجد تفوقها الا فى الكفر والبغى والانانية والغدر والمتاجرة بالعرض ولا تمر فيه بحكمة أو كلمة تدلك على الله أو تقربك منه أو تذكرك بالآخرة .

من اجل ذلك لم يكن عجيبا أن يقضى الله فى بنى اسرائيل بسبب تحريفهم بل مسخهم لهذا الكتاب أنهم سيفسدون فى الارض مرتين كل واحدة منهما كالكفرة الصلعاء يستحقون عليها السحق والابادة فتلك نتيجة طبيعية منتظرة .

مرتين

وقد نص الله سبحانه على المرتين من بين أفسادهم الموصول الذى لا ينحصر ولا يحد لأن الافساد فيهما عام الضرر عظيم الخطر يراد به إطفاء نور الله وتدمير اخلاق البشر حتى يتمكن من السيادة على العالم شعب اسرائيل المختار .

وقد ذكر المفسرون أن المرتين وقعتا فى الماضى وإن اختلفوا فى تعيين زمنهما وأسبابهما والمسلطين عليهم فيهما .

ومن أعجاز القرآن العظيم أنك لا تشاء أن تقول إن الآية تعنى مرتين تقعان فى تاريخ الاسلام ومع المسلمين الا طاوعك الاسلوب والدليل .

وأيا ما كان فقد قال الله عز وجل بعد تقرير عقابهما فى المرة الثانية (وإن عدتم عدنا) والذى يعنينا أن نقرره هنا أن لهما مرتين يفسدان فيهما مع المسلمين هما استئناف أو عودة مشابهة لما كان لهم من افسادتين قديمتين .

الافسادة الاولى

قال تعالى ((فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا)) .

وهذه تعنى بالنسبة لنا الدور الذى قاموا به للقضاء على الاسلام ونبيه والمسلمين فقد حاولوا أن يطفئوا نوره بحملات التشكيك الظالم يتواصون فيما بينهم ((آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)) ، ((ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا)) ، ((ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها)) ذلك بالقول .

وأما بالفعل فقد حاولوا أن يغتالوا النبى صلى الله عليه وسلم فى بنى النضير وكانوا عيونا للمشركين وكهفا للمنافقين وكانوا وراء كل غارة مجنونة وحرب شنت على الاسلام والمسلمين .

وقد سلط الله عليهم النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم أحق من وصف بأنهم عباد الله أشداء على الكفار رحماء بينهم .

فاجلوا بنى قينقاع وبنى النضير وقتلوا مقاتلة قريظة واجلى عمر بقية اليهود عن الجزيرة ولم يكلف تأديبهم المسلمين أكثر من أن جاسوا خلال الديار وكان وعدا من الله باذلال اليهود واعزاز المسلمين محققا ومفعولا .

قيام اسرائيل

قال تعالى ((ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها)) .

هذا هو الدور الذى نحن فيه مع اسرائيل .

بعد مدة من الزمن أربعة عشر قرنا أشار اليها سبحانه بالعطف بـ (ثم) التى تفيد التراخى فى الزمن رد الله سبحانه لاسرائيل الكرة علينا نحن المسلمين عقوبة لنا ..

لأننا فرطنا فى الامانة وتخلينا عن منصب الامامة وخلفت منا خلوف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وغدوا فتنة للناس وأسوأ صورة للاسلام والمسلمين فرد الله لهم الكرة علينا تأديبا لنا ، فقد جد القوم وهزلنا وعملوا وقعدنا وتجمعوا وتفرقنا وبذلوا وقبضنا وشجعوا وجبنا وأملوا ويئسنا وغيروا ما بأنفسهم وغيرنا فكانت النتيجة ما رأينا .

ولا يقولن أحد إن اليهود شر منا فان ما عندهم من فساد نحن لهم فيه تبع وربما لا تجد فرقا كبيرا اذا كنت فى تل ابيب أو بعض العواصم فى البلاد التى تحسب اسلامية أما ما عندهم من تجمع وتعاون وتعاضد وتراحم واحترام لآدمية الانسان فلا يزال بيننا وبينه أمد بعيد حتى نبلغه فما زال المسلمون والعرب أشداء بعضهم على بعض أذلاء جبناء أمام عدوهم .

ومع ذلك فقد قال عمر رضى الله عنه رب قوم سلط عليهم من هم شر منهم كما سلط على بنى اسرائيل قديما عباد الوثن . فكذلك سلط الله اليهود علينا ورد لهم الكرة لما كفرنا نعمته وبدلنا دينه وعطلنا حدوده ورضينا أن نكون أتباعا وأذيالا نجرى وراء عصبيات وشعارات ابتدعها اليهود واشياعهم ليدمروا قوتنا ويظهروا فى الارض الفساد .

وقد ذكر الله سبحانه أنه أمدهم فى هذه الكرة بثلاثة أشياء ما مر فى تاريخهم مثلها مما يعتبر معجزة للقرآن الكريم ، أموال : من تبرعات ومعونات وتعويضات واتاوات .. الخ . بجميع أنواع العملات السهلة والصعبة والمعدات العسكرية والمدنية .. الخ .

بنين : مهاجرين ومجندين ينتخبون انتخابا ويراضون على القوة والفتوة ويؤخذون بالخشونة والجد حتى يكونوا بناة دولة وحماة أمة اذا وطىء أحدهم أرض اسرائيل حلقوا شعره ونضوا عنه ثياب الهيبز وهيئة المخنثين التى ابتدعوها لافساد العالم وأخذ مكانه فى الجيش والعمل . أكثر نفيرا : أى ناصرا . اذا غضبوا أو استغاثوا نفر لهم المشرق الملحد والمغرب المسيحى المنافق فقد يختلف العالم بكتلتيه الشيوعية والرأسمالية على كل شىء ، فاذا كانت القضية (اسرائيل)، زال الخلاف واتحدت الكلمة على المحاماة عن اسرائيل .

والسبب فى ذلك يرجع الى أمرين :

الاول : أنهم مخترعو الشيوعية وسدنتها لتحطيم الاديان وتدمير الانسان ولتكون فى خدمتهم .

الثانى : أنهم صانعو المسيحية الحديثة فقد استطاعوا أن يلصقوا كتابهم الذى يدور حول اثبات امتيازهم وملكيتهم لفلسطين والذى لا وجود فيه لحقيقة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولا لأحكامه وآدابه ، استطاعوا أن يلصقوه بالاناجيل الاربعة فى كتاب واحد سموه الكتاب المقدس ودعموه بالخرائط التى تعين حدود دولتهم فلذلك يؤمن بهذه الدولة ألف مليون من المسيحيين يؤيدونها عن عقيدة مزورة عليهم وهم لا يعلمون .

فرصة وامتحان

وقامت اسرائيل لا عن صلاحية ذاتية لأهلها تؤهلهم للسيادة أو البقاء فان كتابهم هذا الذى كتبوه بأيديهم يثبت عدم استحقاقهم وأهليتهم وانما مكن الله لهم لفساد فى عدوهم وتفريط يعاقب عليه .

جاء فى سفر التثنية أصح ٩ (اسمع يا اسرائيل .. (٦) ليس لأجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لأجل أثم أولئك الشعوب يطردهم الرب من أمامك (٧) فاعلم انه ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الارض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة)) .

ومعذلك فقد جعل الله هذه الردة والكرة امتحانا لهم وفرصة لاثبات صلاحيتهم وبقائهم ونذيرا اذا بقوا على فسادهم واساءتهم فقال تعالى ((إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها)) .

نهاية اسرائيل

والله تعالى يعلم أن بنى اسرائيل لن ينتهوا عن افسادهم ولن يصلحوا ولن يتوبوا فان أمرهم منذ البداية قائم على غرور واستعلاء جنس وعصبية ، لا يؤمنون بانسانية ولا مساواة ولا يقبلون ما دون التسلط على العالم واستغلال الشعوب واستعباد البشر .

ولا يمكن أن يتحقق لهم ذلك الا بتدمير الاخلاق وإشاعة الفحشاء والقضاء على الأديان وجميع القيم الانسانية وذلك ما تواصى به حكماء صهيون فى

بروتوكولاتهم وتلمودهم وما تعرض التوراة نماذجه التى يشقى العالم بها ، وقد بدأ ذلك يظهر فى شيوع الالحاد والانحلال والتفسخ فى نظام الأسرة واخلاق الفرد وفى هذا السعار الجنسى الذى أطلقوه وغذوه والذى يقرؤه الناس فى الصحيفة والقصة والاعلان ويسمعونه فى الاذاعة ، ويشاهدونه فى التلفزيون والشارع والسينما وفى كل زمان ومكان وما بمثل هذا تقوم حضارة أو تدوم أو تستحق أمة البقاء .

لقد جعلوا رسالتهم تدمير العالم وإفساده بالشهوات وأنواع الاشارات الجنسية والعصبية والقومية حتى يسلس لهم قياده ويسيروه بخطام ولجام وكأن قد . فلذلك لم يذكر الله أنهم سيفسدون فى المرة الثانية ولانوع افسادهم فذلك مفروغ منه ومعلوم ولكن ذكر ما سيصيبهم فيها بسبب هذا الافساد .

قال تعالى ((فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا))

والمعنى اذا جاء موعد المرة الثانية لافسادكم وهو واقع حتما لا محالة بعثنا عليكم عبادنا الذين زددنا لكم الكرة عليهم ليروكم المساءة والذلة فى وجوهكم وليدخلوا المسجد فيعيدوا اليه حرمته وكرامته كما فعلوا ذلك أول مرة بعدما هتكتم حرمته ولوثتموه واحرقتموه وليتبروا ويكسروا ما غلبوا عليه مما شدتموه بغيا وعدوا وعندئذ عسى ربكم أن يرحمكم فان ما ارتكبتموه وما أفسدتم لا يؤهلكم لرحمة ولا يدع لكم فى قلب عاطفة أو شفقة ، ثم يهددهم سبحانه بمثل هذا المصير الأليم فى الدنيا إن عادوا وبجهنم تحيط بهم فى الآخرة مع الكافرين والآية تقرر أن هذا الدور فى الصراع بيننا وبين اليهود يتميز بأمور :

الاول ــ سرعة وقوعه ويدل عليها العطف بالفاء فى قوله (فاذا) فانها تفيد الترتيب مع التعقيب .

الثانى ــ حتمية وقوعه ويدل عليها اذا فى قوله فاذا جاء ... فانها تدل على تحقق الوقوع .

الثالث ــ ضراوته ففيه مساءة وجوههم وتكسير جهودهم وبلوغهم درجة لا امل معها الا (عسى ربكم أن يرحمكم) .

الرابع ــ تدمير اسرائيل ونهايتها بدخول عاصمتها واستعادة المسجد من يدها وانهم مهما حاولوا بعد فالنتيجة معلومة والعاقبة محتومة (وان عدتم عدنا) .

وهذا الذى قررته الآية هو ما قرره الحديث الصحيح

فقد روى مسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يامسلم يا عبد الله

هذا يهودى خلفى فتعال فاقتله)) .. ومعنى هذا بتعبيرنا أنهم سيبلغون درجة من الافساد والتبغض الى الخلق والسوء بحيث يكرههم طوب الارض ويقاتلهم ويعين عليهم المسلمين .

وما قررته الآية والحديث تقرره البداهة وسنن الفطرة وقوانين الوجود فما كان الله ليسلط شعبا لا خلاق له يحترف الافساد والسوء ويحتقر كل من سواه ولا يعترف له بحرمة ويقولون ليس علينا فى الأميين (أى غير اليهود) ، سبيل أى حرج أو إثم وانما أموال من عداهم ودماؤهم وأعراضهم حلال لهم .

ان مثل هذا الشعب الصلف المغرور (صلب الرقبة) كما تصفه التوراة وأولاد الأفاعى كما يصفهم الانجيل لا يستحق السيادة ولكن الابادة وانما مكن الله له فينا لأننا تخلينا عن ديننا وأخلاقنا وتاريخنا وقيادتنا واتبعناه فى كل ما ابتدع من نظريات تمزق شملنا وتوهن قوتنا وتذهب بقيمنا وتاريخنا ولغتنا وديننا ومقومات وجودنا فولانا الله ما تولينا . وما بيننا وبين أن نسوء وجهه ونزيل دولته ونكسر رقبته الصلبة الا أن نضع عنا كل ما تكبلنا به من اغلال الشهوات والفسوق والغفلة ، ونسيان الله والدار والآخرة ، والعودة الى الله وكتابه لا نتخذ غير الله وليا ولا غير كتابه حكما .

هدى وبشرى

وقد ساق الله فى أعقاب هذه الآيات التى تتحدث عن اسرائيل من بدايتها الى نهايتها هذه الآية التى تهدى الحيارى وتأخذ بيد العاثرين .

((ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين)) وقد بث الله فى هذه السورة بعد أسباب هذه الهداية ورأسها الايمان بالله وتوحيده وعدم الاشراك به والايمان بلقائه وحسابه وثوابه وعقابه فانه قوة وعصمة لمن أيقن به ((ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا .)) .

وقد اجتهد اليهود أن يقيدوا العالم بالشهوات ويلقوا عليهم ظلام الغفلات حتى يحجبوا عن الله ويخلدوا الى الارض ويستحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وذلك سر الهزيمة تلو الهزيمة لا نذكر الله ولا نرجو ما عنده والله تعالى يقول : ((يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)) .

اننا بحاجة الى تعميق اليقين بالآخرة فى قلوبنا فانه والله لا ينزعنا من حضيض الذل والضعف وجاذبية الارض غيره وقد بث الله فى السورة من دلائله وآثاره ما فيه حياة وغناء .

كذلك بث الله فى هذه السورة البشرى للمؤمنين تصريحا وتلويحا بايحاءات واشارات يعنينا منها ما ختمت به السورة من قوله تعالى لبنى اسرائيل ((فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا . وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا . وقرآن فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا . قل آمنوا به أولا تؤمنوا — إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا)) .

ونحن نقول (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) .

والحمد لله رب العالمين (وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) .

الارتباط الروحي بالقدس أقوى من كل التحديات

للدكتور : وهبة الرحيلى

تمر الأمة الإسلامية والعربية فى التاريخ المعاصر بمرحلة من أدق المراحل وأخطرها لتنوع أشكال العدوان الظاهرة والمبطنة عليها ، ولاذابة مفاهيمها عن الحياة والكون والانسان ، وركوعها بالتالى أمام غطرسة الاقوياء ، وارتمائها فى أحضان ذوى المذاهب العالمية اليمينية أو اليسارية .

فهل تجتاز الأمة ذلك الامتحان العسير ، فتظهر قدرتها الذاتية على البقاء الحر الكريم ، والثبات فى وجه العدو ، والصمود فى مواجهة التحديات ، وتبديد قوى الشر والكفر والالحاد التى تكالبت واتفقت فيما بينها سرا أو جهرا على تقويض مصالح المسلمين والعرب ، وإسدال ستار كثيف داكن يظلل تحته الضعف والتخلف ، ويزرع فى أرضه مجموعة من التناقضات الصارخة ، سواء من الناحيتين المادية والمعنوية ، الحضارية والفكرية ، الواقعية والأخلاقية ، بل والدينية المذهبية .

فالعدوان الحالى مثلا على المسلمين والعرب المتمثل فى وجود اسرائيل وحروبها المتعاقبة لا يقتصر على سلب الأراضى والممتلكات والمقدسات ، وإنما يرمى الى خلق أزمات حادة ووضع عقد مستعصية ، وإقامة تناقضات عجيبة فى الوسط الاسلامى بالذات ، نشاهد آثارها القريبة والبعيدة آنا فآنا ، جيلا بعد

جيل . ويشمل التأثير مختلف انماط الحياة ، وأجواء الفكر والمشاعــر ، والقيم والأخلاق ، والسياسة والاقتصاد ، والفرد والجماعة ، بل والدين الــذى يؤمن به الإنسان حقيقة مسلمة ..

ودليلى على ما أقول ما هو معروف من مخططات إسرائيل فى حروبهــا « الآخذة بمبدأ الهجوم المفاجىء لجعل الهزة الناتجة عن الضربــة الصاعقــة عنيفة وعميقة فى أبعادها وآثارها فى المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية » ويعتمد مبدأ المفاجأة بشكل خاص فى المجــالين الاستراتيجى والتكتيكى والنفير وتعبئة الاحتياط . لذا يبدو الخطر كبيرا فى الانتصارات الحربية التى يحققها الصهاينة بالتعاون مع الدول الاستعمارية ذات المطامع والمصالــح الاقتصادية والاستراتيجية فى البلدان العربية ، وامتدادا لتاريخ الحــروب الصليبية ، وإذكاء للروح والأحقاد الصليبية التى أثارتها الدعاية الصهيونية فــى أوربا ضد العرب ، والتى أبرزتها الوثيقة التى اقرها الفاتيكان عن العلاقــات الكاثوليكية اليهودية الرامية الى ازالة العداء التاريخى بين أتبــاع الديانتين ، والمذكور فيها أن على الكاثوليك أن يعترفوا بالمعنى الدينى لدولة اسرائيل بالنسبة الى اليهود ، وأن يفهموا ويحترموا صلة اليهود بتلك الارض . وقد توج كل ذلــك بزيارة البابا بولص السادس فلسطين عام ١٩٦٤ .

ومن المعروف أن قيام الدولة اليهودية فى فلسطين كان على أساس دينى يربط يهود العالم بأساطير الكتاب المقدس المليئة غطرسة وتجبرا وخداعا ومكرا ونفاقا وحقدا دفينا على البشرية . كافة ، وما تــزال الدعاية الدينية باقامــة هيكل وملك داود وسليمان تلعب دورا كبيرا فى تشجيع اليهود على الهجــرة الى فلسطين ، واعادة الدولة اليهودية فى أرض الميعاد ، مع ما فى ذلك من الاختراع والكذب والزور .

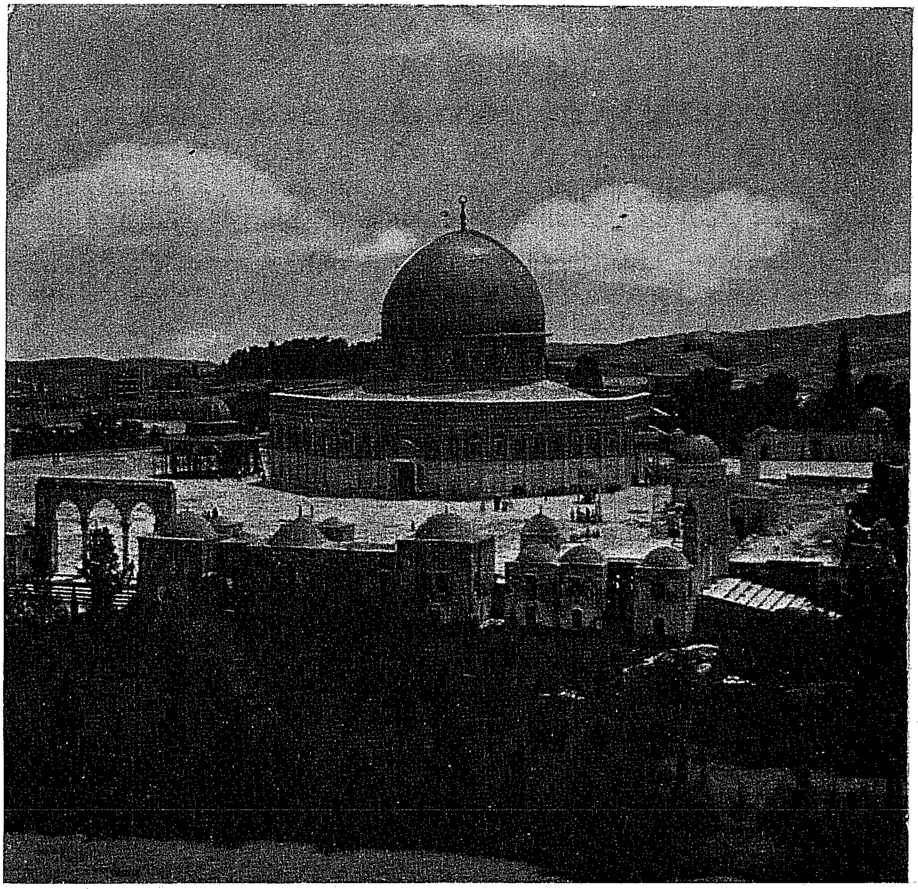
وفى مقابل هذا أيضا تحــاول الصهيونية العالمية إقامة حاجز منيع بين الاسلام وسياسة العرب ، وعزل الشعب عن حكامه ، وزعزعة القوى والمفاهيم الإسلامية ، والتشكيك فى قدراتنا ، وهز البنية الاجتماعية القائمة فى بلادنا ، وتركيز الغزو على أخلاقنا وقيمنا وأسرتنا المسلمة ، ودورنا الحضارى باستغلال أوجه التخلف الحالية فى الزراعة والصناعة والتقدم العلمى التقنى ، وبقصــد إبعاد الاسلام جملة عن مسرح الأحداث السائدة فى المنطقة ، لأنه الرباط المحكم الذى يوحد مشاعر الأمة ، وعندئذ تظل قوة العرب مجزأة ، وروابطهم مفككة .

لكن المسلمين ـــ بالرغم من وجود أقليات غير مسلمة فى بلادهم فــى الماضى ـــ استطاعوا مقاومة تحدى جموع الأعداء السافر والتخلص من مخاطر الحشود الجرارة للروم والفرس والتتر والمغول والصليبيين ، وذلــك بانتصارات عسكرية متعاقبــة حاسمة . ولا سبيــل الآن أمام أمتنا إلا بتحقيق انتصــار عسكرى مماثل على الصهاينة وأعوانهم المستعمرين والمخــادعين والمنافقين الذين يصادقون ولا يصدقون وقت الأزمات والملمات الحادة ..

وطريق النصر له مقومات عامة ثلاثة : أولها : الاستمساك بالحق المشروع ، وثانيها : الاعتماد على القوة ، وثالثها : اختيار القيادة الناجحة الصالحة .

منطــق الحــق :

لا ريب بأن المسلمين والعرب الــذين استوطنوا فلسطين ثلاثة عشر قرنا



هم أصحاب الحق الشرعيون لها ، فهم ملاكها الأصليـــون ، وأشرف النـــاس برعاية مقدساتها ، ولهم الأحقية الدينية بالبقاء فيها ، وإن تسلط عليها الصهاينة اغتصابا وظلما وزورا وخداعا ، طال الأمد أم قصر ، لأن رابطة المسلمين بالقدس وتوابعها رابطة خالدة لا تعصف بها أعاصير الدهر .

فارتباط المسلمين بالأراضى المحتلة ذو جذور وطيدة فى إيمانهم ويكـــون جزءا أصيلا من عقيدتهم ، وليست القدس مسرى رسول الاسلام وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين إلا رمزا راسيا للارتباط الكلى بجميع أجزاء فلسطين ، فلا يقتصر الأمر على المسجد الأقصى والصخرة المشرفة وتوابعهما ، كما لا يقتصر تعبير « المسجد الحرام » على الكعبة المشرفة ، وإنما يشمل حرم مكة كله ، بـــل والحجاز وجزيرة العرب للأحاديث الدالة على ضرورة إخراج اليهود والنصارى منها .

يرشد لذلك التأصيل لحق المسلمين هذا قول الله تبارك وتعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

وقد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المساجد الثلاث فى حـــكم أهمية الصلاة فيها ، وقصدها بالذات للعبادة فى أرجائها ، ووجـــوب وفاء نذر

من نذر الصلاة فيها خلافا لكل مساجد الدنيا فى المشارق والمغارب ، ولا يتحقق ذلك إلا بتطهير الأراضى المجاورة للقدس التى هى عاصمة فلسطين كلها ، لأن أداء العبادة فى المسجد الأقصى مرهون بتوفير الأمان والسلام والاستقرار فى ربوع فلسطين كلها ذات البقعة الضيقة جدا بالنسبة لبلاد العالم ، قال رسول صلى الله عليه وسلم .. فيما صح فى كتب السنة النبوية : البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده ، وأبى داود والترمذى والنسائى والبيهقى وابن ماجه — « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » . وذكر ابن عساكر عن زهير بن محمد بلاغا : « إن الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس » قال السيوطى: ضعيف .

وكان حادث الإسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم أروع حدث إسلامى ربطت فيه القدس وتوابعها بكل أجزاء العالم الإسلامى ، كارتباط أعضاء الجسد بالقلب والروح الواحدة ، فلا تقديس ولا خلود لشعائر الاسلام إن انفصل جزء منها عن بقية أجزاء وأحداث الإسلام الكبرى . روى الامام أحمد فى مسنده عن أبى أمامة الباهلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك ، قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس » وقال عطاء : « لا تقوم الساعة حتى يسوق الله عز وجل خيار عباده الى بيت المقدس وإلى الأرض المقدسة ، فيسكنهم اياها » .

فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشد المسلمين الى الاستمساك بحقهم المشروع فى البقاء فى فلسطين دينا وشرعا وبالفتح العمرى الخالد وبالوجود الشعبى الأصيل .

وبهذا يظهر ضرورة الاعتماد على عناصر الايمان الاسلامى ومقوماته فى تحرير الأراضى المحتلة ، حتى تتجلى معانى القداسة وتراق الدماء العزيزة رخيصة فى سبيلها ، وتتعاقب التضحيات الكبرى والبطولات الصادقة من أجل حرمات الأقصى وتوابعه أرض النبوات الطاهرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « من مات فى بيت المقدس فكأنما مات فى السماء » « من أراد أن ينظر الى بقعة من بقع الجنةفلينظرالى بيت المقدس » « البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ، وما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبى أوقام فيه ملك » .

فهل اليهود قتلة الأنبياء وحفدة القردة والخنازير وأبناء الأفاعى أحق برعاية مقدسات فلسطين ؟! إن أملا كبيرا بالله أن يتجدد فينا ببشارة الله تعالى فى الآيات التى نزلت فى يهود بنى قينقاع : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا : فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » وأن يتجدد جلاء اليهود عن فلسطين كما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود بنى النضير عن المدينة ، وأتم الخليفة العادل عمر بن الخطاب إجلاء اليهود عن جزيرة العرب : « ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب النار » وأن تتحقق الغلبة كما غلب يهود بنى قريظة الذين قال الله فيهم : « إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة ، وهم لا يتقون ، فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

ولكن — كما يبدو فى قرآن الله — إن أول شروط النصر فى المعركـــة هو الايمان الذى حدده الاسلام ، ليكون خوض الحرب فى سبيل إعلاء كلمة الله ، فقد بشر الله المسلمين المجاهدين بالنصر بقوله : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « إن ينصركم الله فلا غالبَ لكم » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهودى وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودى خلفى ، فتعال فاقتله » .

ولا بد أن يأتى يوم يذوب فيه التحالف بين دولة اسرائيل والولايات المتحـــدة وأذيالها ، فتتخلى الدولة الكبرى عن إمداد حليفتها ماديا وعسكريا ، كما تخلت عن الصين الوطنية « فرموزا » ، لأن الارتباط المصلحى يتلاشى بتبدل وجــه المصلحة ، والمصالح موقوتة دائما ، وكما حدث فى تغير سياسة فرنسا تجــاه العرب ، ويبقى الحق أخيرا لأصحابه الشرعيين ، الذين يستغلـــون الظـــروف المناسبة لمواصلة الكفاح وتحطيم جبروت الطغاة ، وقمع عدوان الظالمين وتبديد أطماع المتسلطين ، وإجـــلاء الغاصبين .

منطـــق القـــوة :

لقد اثبت التاريخ القديم والحديث أن الحق المجرد الأعزل عن حمايتـــه بالقوة والسلاح ضائع مهضوم ، فلا بد للحـــق من أن يسيج بدرع حصينة مـــن القوة والبأس وصراحة الرجال وقعقعة السلاح . والقوة وحدها هى سبيـــل استرداد الحقوق المسلوبة ، والبلاد المحتلة . وهذا اللون من المنطق أو اللغة هو ما يفهم مستعمرو اليوم ، فلا سماع لكلمة الضعيف ، ولا معنى لصراخ الذليل ، ويفعل القوى ما يشاء ، سواء فى الشرق أو الغرب كما فعلت الهند بالباكستان قريبا ، وكما تصرفت روسيا مع المجر وتشيكوسلوفيا منذ سنوات معدودات .

لذا كانت قوة الصهاينة هى سبيل ردع العرب ، و « كلب الحراســـة » لمصالح المستعمرين . وكان الجيش الاسرائيلى مدربا على أرفـــع المستويات الحربية ، ومجهزا بأحدث الأسلحة الخطيرة الفعالة برا وبحرا وجوا ، مما يعد جزءا أساسيا فى تسليح قوى الحلف الأطلسى وأمريكا بالذات . ومن المعروف أن القوة اليهودية قوة هدامة عظيمة خافتها الامبراطوريات القديمـــة ، فأرادت القضاء عليها ، وهى الآن مصدر قلق وخوف لتهديد وجود الدول العربيـــة ، وإرهاب جيرانها الأقارب والأباعد على حد سواء ، حتى صارت تتحـــدى قرارات الأمم المتحدة ، وتهزأ بتهديدات بعض الدول الكبرى ما عدا أمريكا .

أما التعلق بالحلول السلمية لمشكلة فلسطين واللاجئين والأجزاء المحتلـــة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ فهو تعلق بسراب خادع وتمسك بأوهام وخيوط واهية ، إذ أننا ينبغى ألا ننسى تاريخ القضية الفلسطينية وأن نعرف بوعى وجلاء أسلوب الدول الكبرى بعد حرب ١٩٤٨ باتخاذ وسائل الالهاء والتخدير للشعور والعواطف العربية : لجنة تغدو ، وأخرى تروح ، ووسيط يقدم وآخر يعود ، وتقارير ترفع ، وقرارات جماعية زئبقية تتخذ ، وكل ذلك ليس سوى اللهو والعبث والمماطلة والتسويف حتى يمر الزمن الذى يكفى وجده حجة بيد العدو لقبول مزاعمه والرضا بمطالبه ، وهضم مطامعه التوسعية الرهيبة جرعة جرعة وغصة بعد غصة . ومع ذلك نعود الى استجداء رحمة الآخرين واستغاثـــة الكافرين واستنجاد

لوثة الضمير العالمى أو الرأى العام العالمى ، ومحاولة تعبئته سياسياً مع أن مثل هذا الضمير لا يتحرك ولن يتحرك يوما ما ، وذلك الرأى العام العالمى ليس قنبلة توجه الى المعتدين ، كما قال الصهاينة انفسهم ، ما دامت القضية لصالح المسلمين أو العرب فى مفهوم الدول الأخرى .

إذن فأين المفر وأين الملجأ والملاذ ؟

الجواب فى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم .... » « وجاهدوا فى الله حق جهاده » ، فالجهاد قمة المبادىء الاسلامية وذروة سنام الاسلام . والافادة من الطاقات والامكانات المتوافرة لدينا كفيل بتحقيق النصر باذن الله إن صحت النية وصدقت العزيمة وحسن الاعتماد على الله تعالى لا على احد سواه ، فمن القضايا البدهية المعروفة تاريخيا أن أعداء الأمة الاسلامية فى مختلف الحروب التى خاضها المسلمون معهم كانت قوتهم تزيد عن قوة المسلمين أضعافا مضاعفة ، لأن الكافر يعتمد القوة المادية وحدها ، وأما المسلم الصادق الايمان فيعتمد أولا قوة العقيدة وحسن الصلة بالله ، فهى التى تعوضه عن الكثير من قوة السلاح ، وبذلك انتصر المسلمون : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » « ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » فبالاعتماد على قوة الايمان كانت انتصارات المسلمين مضرب الأمثال .

ومن عدل الله ورحمته الا يخجل أحدا اتكل عليه ، وصدق العهد معه ، وان نفد السلاح ، وقل المال ، واستنفدت الطاقات : « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم .. »

وكم من يأس قتل جيشا ، وكم من تثبيط همة هزم دولا ، وكم من عاطفة هائجة غير منظمة أودت بالألوف : « ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » « حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ... »

ولا حاجة لذكر عشرات الآيات والأحاديث النبوية التى تحض المسلمين على الجهاد ، واعتباره فرض عين إن هوجم بلد إسلامى ، فذلك كله معروف على المنابر وفى الصحف والمجلات الاسلامية والمؤتمرات العامة .

القيادة الصالحة الأمينة :

من أهم صفات القائد المؤمن أن يتجاوب مع مشاعر المؤمنين المتدفقة أمانة وإخلاصا وغيرة على أراضيهم وممتلكاتهم ومقدساتهم المغتصبة . لتخليصهم من مساوىء الهزائم التى لحقت بهم نتيجة وقوعهم فريسة التضليل والمكر والخديعة والمؤامرة والخيانة والتجسس الخطير والثقة بدجل مردة الكفر والنفاق ، وان يكون منظاره للمعركة من وجهة الحق الذاتى الخالد لا من جهة الارتباط بأى منزع عالمى آخر يحول صاحبه المعركة وجهته ويكيفها وفق هواه .

وعلى القائد المسلم أن يكون هو وجيشه ملىء الثقة بالنفس والاعتماد على الذات ، حتى تتحقق حرية الحركة والتقدم السريع الذى تتطلبه ظروف المعركة ، إذ ما من شك أن تقدم وسائل الحرب وتعقد آلات القتال الحديثة يفرض مثل هذا العمل الذاتى ، فضلا عن ظروف المجتمع الدولى الحاضر .

ومن أهم صفات القائد والجيش المسلم حسن الايمان بالله تعالى ، كما المحنا سابقا ، والايمان بأهمية الجهاد الحق المخلص لا لأطماع ذاتية أو أمجاد شخصية ، أو مصالح خاصة ، وانما أن يكون فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وتحقيق مجد الأمة ورفع شأنها وفرض هيبتها وسلطانها واحترام كلمتها فى العالمين . فهذا ما كان من سيرة قادة المسلمين الذين سطروا صفحات خالدات على ممر الدهر فى معارك بدر واليرموك والقادسية وعين جالوت وحطين على يد على وعمر وأبى بكر وغثمان وخالد وطلحة والزبير والمثنى بن حارثة وأسامة وسعد والقعقاع بن عمرو ومحمد بن القاسم وموسى بن نصير ونور الدين وصلاح الدين وأمثالهم الغر الميامين .

ويمكن تلخيص الأسس التى يمكن الاعتماد عليها لإيقاف المد الاستعمارى والخطر الصهيونى وتحدى مشاعر المسلمين وتحطيم أغلال الظالمين بما يأتى :

١ — تنشئة الجيل تنشئة عسكرية صارمة حازمة تبعده عن الميوعة واللهو والتشتت والضياع ، وتعيد بناء الفرد والمجتمع على الأسس الاسلامية الصحيحة ..

٢ — حماية النشء من الأفكار الدخيلة السامة التى تقوض القيم والدين والأخلاق ، وتذيب شخصية الأمة .

٣ — تعبئة كل طاقات الأمة المادية والمعنوية .

٤ — العمل على بث الوعى الايمانى الدينى فى صفوف المجاهدين والجيوش المناضلة ، والحث على التمسك بمبادىء الاسلام وفضائله والاعتبار بأحداث التاريخ الاسلامى المشرف ..

٥ — الحفاظ على وحدة الأمة فى الداخل والخارج وتوحيد جبهات القتال وحشد كل الطاقات العسكرية والاقتصادية من أجل معركة المصير الواحدة ، على أساس حازم مخلص مجرد من كل غاية نفعية ذاتية ..

فان تخلف امرؤ أو تقاعس عن القيام بواجبه فى سبيل المعركة لانقاذ مسرى رسول الاسلام والمقدسات الاسلامية وما جاورها ، فهو خائن لله ولرسوله وأمته ووطنه ، ومتحلل من شرعة الاسلام التى لا تقر هذا الواقع الصهيونى الأثيم فى بلاد المغرب . وكل من ساهم بحق فى سبيل الجهاد مع العدو فهو فى مرتبة الشهداء والصديقين الابرار وفى سجلات خلود الأمة إلى يوم الأبد ، والله من وراء القصد .

في ذكرى الإسراء والمعراج الشريفين

متى اللقاء يا قدس؟

محمد بوزن

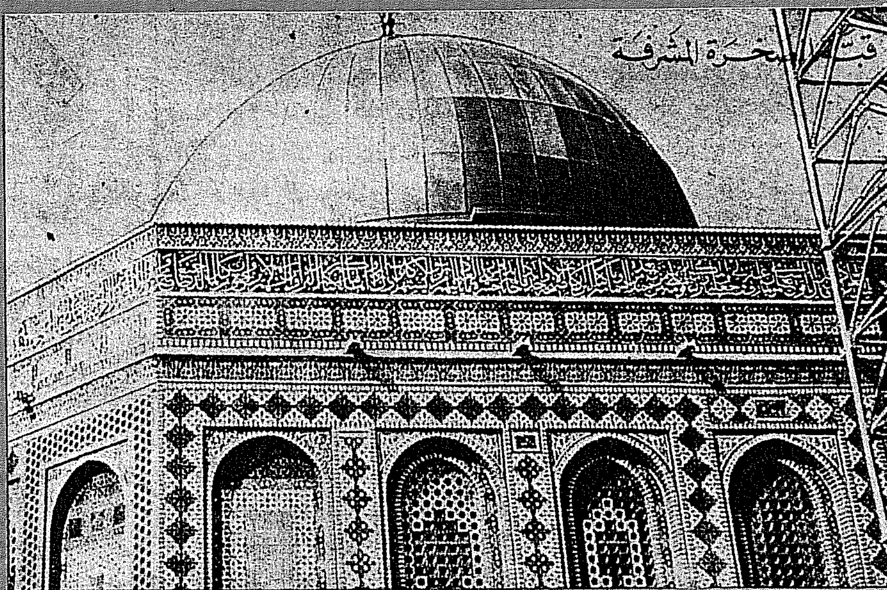
سنوات خمس عجاف من الخير والشر ، حوافل مخصبات بما يملأ صميم الافئدة بالغيظ .. خمس مررن واحسرتاه ، منذ الحادث الجلل فى القدس .. السواد يجلل كل شىء .. الخطب أكبر من كل وصف . كل عزاء يبدو سخفا فى سخف ، كل اعتذار يبدو اقبح من الذنب ، كل كلام يقال او يكتب فهو توبيخ لقائله .. كل افتخار فهو كذب ، وكل معتز بعيش فهو مغرور .

الحقيقة الاكبر من كل شىء هى ان المسلمين .. بقايا المسلمين يعبرون الدروب حزانى منكسى الرءوس فى القدس ..

الوجيعة التي تتلظى بها الضلوع على قدر ايمانها بالله وبذاتها ان منبر الاقصى قد حرق .

المصيبة المجلجلة هى ان اليهود يقتحمون المسجد على الناس بأزياء خليعة ، ونظرات متغطرسة، وألسنة شتامة ، وافعال مذلة ..

وهيهات فى مهب هذه اللفح الحارق من اعصار هذه الفتنة ان ينمو فينا احساس برضا ، او اعتزاز بوجود ، او طمانينة الى امل ..



للاستاذ : أحمد العنانى

وجودنا كله — على قدر ما يكون وجود الناس متمثلا فى عقائدهم وتاريخهم ، وآثارهم ، ومعطيات حضارتهم — كله وجود معلق فى الفضاء ، بلا صلة تربطه بالواقع ، ما دامت الايام فالشهور تشكل سنوات الذل من اسار الاقصى الحزين .

— ● —

الف الف رحمة على روحك يا صلاح الدين

فلولا ما حقق الله على يديك الطهورين وما أنجز الايمان بجهادك المبرور لانعقدت غيوم اليأس من اقصى فلك الرؤية الى أقصاه

ولحرمنا حتى مجرد التخيل بأن القدس صائرة الى غير ما انتهى اليه حالها من هوان .

ولكن صلاح الدين كان حقيقة تنزلت بها رحمة الله معجزة بالغة فى ظروف أقسى من ظروفنا الآن مهما بدت كالحة رهيبة .

والذين يقرأون التاريخ جيدا ، يرون أحوالا اعجب من أحوالنا الراهنة قبل انبثاق الفجر عن محيا صلاح الدين .

صحيح ان الشهيد نور الدين كان أول من وجد بعمله المستميت قاعدة للامل بالعودة الى القدس ، وانه صنع المنبر للاقصى سلفا قبل أن

يسعف الاحوال برؤيةالطريق واضحة الى القدس ، ولكنه لولا عناية الله متمثلة فى صلاح الدين بالذات ما كان لأمل أن يتحقق ولا لرجاء أن يثمر .

ليست اخبار تفرقنا الآن بأسوأ مما كان فى عهد نور الدين ،

ولا الانانية الجبانة المهزوزة بأبشع كثيرا مما كانت

أما العدو فكان فعلا عدوا رهيبا يستند الى فيض متكاثر من اغلظ عناصر الدنيا شراسة وبربية ، ومن اشد من عرفت الدنيا تعصبا وجهلا ، ومن افدحها تعطشا للدماء والمغامرات والغنائم ..

وكان اليهود بمكان بارز من الامر كله ، يتاجرون بتحريك تلك المطامع والعصبيات والهستيريا المجنونة ، ويقفون فى البندقية وشمالى ايطاليا بموقع متوسط ملائم لتكديس الارباح وتضخيم الثروات بلا حساب .

لكن صلاح الدين كان تعبيرا أعدته العناية الالهية ، ليكون صادقا مؤثرا يترجم مشاعر الم متضاغط ، وحسرات دامية فى قلوب المسلمين .. كان يحمل سر جبروت القيادة المسلمة المؤهلة للنصر .

وذلك السر يتلخص فى كلمة واحدة ، ايثار الآخرة واحتقار الدنيا .. كان صلاح الدين رد الفعل لآلاف التجارب الفاشلة فى حب الدنيا فانه يأتى زمان على المتهاونين فى عقيدتهم وكرامتهم يدركون فيه أن شرف الذات الملطخة بالعار لا يسد فراغه مال ولا ملك ولا شهوات ولا سلام خادع مزخرف بعطايا الهوى الدنىء .

انى لا اكتب لاقول اننى أحتقر مادة الحياة ..

ولكنى أقول ان تكديس الامكانات بغير الركون الى روح تحركها هو عملية عبث فارغ من المضمون .

ان هناك حدودا لحاجتنا الى التكنولوجيا المتقدمة ، ومعطيات العلم المبدع ، وتخطيطات الاقتصاد المستنير ، ومسرحيات الدعاية الذكية

هذه كلها وسواها تجدى فقط حين توجد القيادة الصالحة لتحريكها .. ومثل هذه القيادة تقوم فقط على دعوة الثأر الحق ، وشرف الرسالة الصادقة ونكران الذات المطلق ، والبحث عن رضوان الله ..

وباختصار ، اننا نحتاج رجلا كصلاح الدين ..

وحتى تاريخه لما يظهر ذلك الرجل .

نحن الآن ربما كنا بدانا الدخول فى مرحلة اليأس من منطق الذل ..

كل ما صنعته الانانية الغدارة من أوهام الشهوات بدأ ينهار ..

كل التعلات التى تدرع بهـــــا النفوس الحالمة بالامجاد الرخيصـــة صارت تتكشف عن حقيقة شـــوهاء كالحة ، عن صحراء قفر يعوى بهـــا الســـــأم الرخيص الفـــارغ من كل محتوى ..

ولقد يصح ان نزعم بأن الحيـــاة اصبحت عند جميعنا عبثا مبهظا لا يستحق الاهتمام ..

نحن الآن كهشيم يتشـــهى عود ثقاب ..

نريد قلبا يؤجج فكرا مســـــتنيرا مدركا بايمان كالطود الاشـــــم بأن المطلوب هو البحث عن الموت .

ونحن كمسلمين مهما زال عنا من حقائق حقائق الاســـلام لا نحسن أن نرضى بالموت ســــبيلا الا وهو فى سبيل الله ..

— ● —

لا اعيد القصة القدسية المـــكررة عن الاسراء والمعراج .

ولا اقول القدس جميلة ورائعـــة ولازمة لروح وجودنا لزوم الهـــواء والماء .

ولا اذكر بالتربة القدسية المجبولة بدماء الاجيال بعد الاجيال .

ولا انتحب على انســـام الروابى الحسان التى باركها الله .

ولكنى ارى خلل الظلام بوادر نور يطلع من دورة الافلاك .

احس فتحة اليأس الاسود توشك ان تلد درة ماس مصنوعة من آلام الضغوط الهائلة والمعاناة المكتملة .

الا يورك الالم ، وبوركت المعاناة

وبوركت الجـــــراح يا قدس اذا اعادت لنا صواب النظر الصـــائب نحو رضوان الله .

فنحن لا لقاء لنا يا قدس حتى نصافح بحرارة صـــــادقة يد الموت

الذى تســـتوجبه على المظلومين فى الارض دعوة الله .

نحن فى انتظار اليد النظيفة التى تحول حزمة من شعاع القرآن نارا

تأتى على هشـــيم أخبائنا ، وتهيىء المسرح لمثل اليوم العزيز .

يوم الجمعة الحسناء الســـــابع والعشرين من رجب .

يوم الاسراء الذى عاد فيه شعار الهلال وارتفع على قمة الصـــــخرة القدسية الشماء ..

المركز الاسلامي والثقافي في بلجيكا

دروس القرآن

المركز الاسلامى والثقافى فى بروكسل منظمة عالمية اسلامية احدثت وفق النظام البلجيكى تنضم فى روح من الاخوية شمل جميع المسلمين فى بلجيكا ، ويديرها مجلس عام يتألف من رؤساء البعثات الاسلامية المعتمدين فى بلجيكا ، ولدى السوق الأوربية المشتركة ومن نواب عن الجالية المسلمة ، وهى تهدف الى :

تدعيم الحياة الروحية للمسلمين المقيمين فى بلجيكا ولاسرهم وتمكينهم من معرفتهم بالاسلام ، ومن اتباع تعاليمه .

انارة الرأى العام البلجيكى ، بفلسفة الاسلام وثقافته وتزويده بوثائق عن البلدان الاسلامية وشعوبها والعمل على تحسين العلاقات الودية بين بلجيكا ، والعالم الاسلامى .

البقاء فوق كل اعتبار جنسى ، اواقليمى ، وعدم التدخل فى المجالات ذات الطابع السياسى ، او العقائدى .

انشاء مساجد وصيانتها لتقام فيها الصلوات ، والمحفلات الاسلامية ، وانشاء مقبرة للمسلمين المقيمين فى بلجيكا وصيانتها .

فتح مدارس لابناء المسلمين ليتمكنوا من دراسة القرآن ولغته ، والتعاليم الاسلامية .

العمل على تحسين المشاريع الاجتماعية ، والخيرية ، وذلك بالاتصال بالسلطات المحلية وبكل المجموعات التى تتبع نفس الهدف الانسانى .

تكون مركزا للبحوث الاسلامية .

تنظيم محاضرات ، ودورات دراسية ، ومؤتمرات ، تتناول مختلف المواضيع التى تهم الاسلام والمسلمين وتحدد علاقاتهم بالانظمة الاخرى ، وتعمل على نشر التفكير الاسلامى وفلسفته . (الجريدة الرسمية البلجيكية)

— ١٩٦٨/٦/٢٠ —

والتربية الاسلاميّة

يقوم المركز الاسلامي والثقافي في بلجيكا بوجوب الحفاظ على اسلامية ابناء الجالية المغتربة الذين يناهز عددهم العشرة آلاف ، وذلك بغرس العقيدة الاسلامية في نفوسهم وتعليمهم القرآن ومبادىء الدين ، وبالعمل على انقاذهم مما يحيط بهم في ديار غربتهم من الانحراف ، والضلال، والفساد، وايمانا من ادارة المركز بهذه المهمة الجليلة سعت منذ تاسيس المركز الى ايجاد فصول في المركز ، وفي فروعه ، تعطى فيها دروس القرآن ، والتربية الاسلامية كما سعت الى ادخال التربية الاسلامية ضمن التعليم بالمدارس البلجيكية ، وقد اثمرت هذه المساعي ـ بفضل الله ـ بعض النتائج الطيبة التي نستعرضها فيما يلي :

اولا : دروس القرآن بالمدارس البلدية

يوجب نظام التعليم البلجيكي على جميع التلاميذ في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، أن يتلقوا دروسا في الدين الذى يختاره لهم اولياؤهم من بين الاديان المعترف بها في الدستور البلجيكي ، لظروف تاريخية ، فقد قام المركز بمساع حثيثة ومتوالية لدى الحكومة البلجيكية ، ولدى السلطة المحلية ، بادخال دروس التربية الاسلامية في المدارس التي يؤمها عدد وافر من أبناء المسلمين كخطوة اولى ريثما يتم الاعتراف القانوني بالاسلام ، وقد كان لهذه المساعي نتائج مشجعة ظهرت :

١) في تقديم لائحة الى مجلس النواب تدعو الى ادخال دروس التربية الاسلامية ضمن مواد الدراسة في المدارس البلجيكية .

٢) فى صدور وعد من المسئولين عن التعليم البلجيكى لوفد المركز الذى قابلهم فى ٧٠/٦/١١ يتضمن موافقتهم المبدئية لهذا المقترح والعمل على ادخاله حيز التطبيق بعد مصادقة مجلس النواب والحكومة عليه .

٣) فى موافقة بعض المناطق فى بروكسل وأعضاء مجالسها المحلية على اقرار التعليم الاسلامى فى المدارس البلدية التابعة لها ، وعلى اعطاء منح مالية للمعلمين الذين ينتدبهم المركز للقيام بالتعليم الاسلامى بصفة مؤقتة حتى يتم اعتراف الدولة البلجيكية بالدين الاسلامى .

وفعلا ، فمنذ السنة المدرسية ٦٩ / ٧٠ م ، ادخلت دروس التربية الاسلامية باربعة مدارس بمنطقة ايكسال (بروكسل ١٠٥٠) .

وقد استوعبت هذه الدروس ما يقارب ثمانمائة طفل مسلم ، يقوم باعطائها على نفقة هذه البلديات ثمانية معلمين منتدبين من قبل المركز

مهمات المربين الاسلاميين فى بلجيكا:

١) تعليم النشء المسلم القرآن والدين .

ان ظروف الدراسة والمعيشة الصعبة والاستثنائية للمسلمين ، المغتربين وابنائهم فى بلجيكا ، ليتطلب من المربين المنتدبين لتدريس القرآن والدين أن يبذلوا مجهودات كبيرة داخل المدرسة وخارجها — ليتمكنوا من احتضان الابناء الذين اودعوا امانة عندهم ومن رعايتهم حق الرعاية ، وان يحرصوا على تكوينهم تكوينا اسلاميا ، وعلى مساعدتهم للتغلب على المشاكل الدراسية ، والاجتماعية التى تحدث لهم فى المدرسة أو فى الاسرة .

٢) التعريف بالاسلام .

ان طبيعة عمل هؤلاء كمربين اسلاميين فى مدارس تغلب عليها النزعة المسيحية ، لتستوجب عليهم ان يكونوا ممثلين للاسلام — قولا ، وعملا ، وسلوكا — لدى تلاميذهم وزملائهم فى المدارس ولدى من يتصلون بهم فى الخارج ان يعرفوهم بالاسلام ، وتعاليمه احسن تعريف ، ويردوا بالتى هى احسن على كل الشبهات والضلالات ، والاباطيل التى تنسب الى الاسلام جهالة أو بهتانا .

٣) التعاون مع المركز فى خدمة الاسلام والمسلمين :

ان ضعف جهاز المركز ، وقلة العاملين فى الادارة والدعوة ،لتقتضى من هؤلاء المربين أن يتطوعوا فى بعض اوقات فراغهم وحسب طاقاتهم وامكانياتهم لمساعدة ادارة المركز على الاضطلاع بمهماتها المختلفة فى خدمة المسلمين وفى الدعوة الاسلامية ، ببلجيكا .

شروط انتداب المربين :

نظرا للمهمات العظيمة الملقاة على عاتق المربين ، وللمسؤوليات الجليلة التى يتحملونها فى اداء واجباتهم ، فان مكتب المركز بالاتفاق مع السلطة البلجيكية المختصة — وضع الشروط التالية اللازم توفرها فى المرشحين الراغبين فى التعليم :

١) الحصول على شهادة نهاية التعليم الثانوى (الباكلوريا أو ما يعادلها)

٢) حذق اللسانين الفرنسى والعربى (الدروس تلقى باللغتين الفرنسية والعربية).

٣) حسن المعرفة بتعاليم الاسلام .

٤) حسن السلوك ، والالتزام بآداب الاسلام واحكامه .

وانما ارتأى المركز وجوب توفر

هذه الشروط فى المربى الاسلامى ، وذلك تجنبا للاخفاق فى نتائج الدروس بتكليف غير ذوى الاهلية بهذه المسؤوليات الخطيرة كما فيه خير ضمان لنجاح المركز فى انجاز اهدافه السامية من العمل على تنشئة الابناء على التربية الاسلامية ، والاخلاق القرآنية وحمايتهم من الانحراف ، والضلال ومن اعلاء شان الاسلام وحسن التعريف به ، وبالمساعدة على نشر تعاليمه بهذه الديار .

انتداب المعلمين للسنة المدرسية ٧١ / ٧٢ :

نظرا لفقدان المعلمين من ذوى الكفاءات ، التى تؤهلهم للقيام بالتدريس الاسلامى فى بلجيكا ، ولضرورة انتدابهم من البلدان الاسلامية ، فقد وجه المركز فى شهر يوليو ٧٠ ، الى الحكومات الاسلامية طالبا بارسال معلمين اكفاء .

وقام مدير المركز فى شهر مايو ١٩٧١ م ، بالاتصال بالسفارات الاسلامية ، وبتذكيرهم بطلب المركز ، كما وجه فى الغرض نفسه رسائل الى الوزراء المختصين فى الحكومات الاسلامية .

استجابة الحكومة التونسية لدعوة المركز :

وكانت نتيجة هذه المساعى أن استجابة الحكومة التونسية لهذه الرغبة فى شهر اكتوبر ١٩٧١ م ، فبعثت معلمين اثنين رسميين من ذوى اللسانين (الفرنسى والعربى) مع منح كل منهما راتبه الذى كان يتقاضاه بتونس بالاضافة الى المنحة التى تسلمها لهما البلديات البلجيكية ، فسنت الحكومة التونسية بذلك سنة حسنة نرجو أن تتسع فى قابل الايام وان تعقبها تلبية بقية الحكومات الاسلامية لنداء المركز ، سواء بايفاد المعلمين الاكفاء المستوفين الشروط بنفس الطريقة التى سلكتها تونس (بالابقاء على مرتباتهم) او بارسال مساعدات مالية يستعين بها المركز لانتداب المربين الاكفاء وللانفاق على تسيير التعليم الاسلامى ببلجيكا .

برامج الدروس والاشراف على تطبيقه :

نظرا لتكليف الامام المدير من قبل مكتب المركز ، وادارة التعليم بالبلديات البلجيكية بتنظيم دروس التعليم الاسلامى والاشراف على تنفيذها فقد اعد بتعاون مع بعض السادة المعلمين برنامجا مفصلا لدروس التربية الاسلامية مقسما على كامل السنوات ، ووزعه على جميع المعلمين ، كما نظم اجتماعات بمقر المركز ، تمت فيها دراسة هذاالبرنامج واختيار الاساليب التربوية التى يحسن توخيها فى التدريس ، ومن ناحية اخرى ، يقوم الامام المدير باداء زيارات تفتيشية للمعلمين فى فصولهم قصد السهر على حسن سير الدروس ، ومساعدة القائمين بالتعليم على اعطاء خير النتائج .

ثانيا : دروس القرآن بفصول المركز الاسلامى :

انشاء ادارة المركز فى مقره ، وفى فرعى ، واندرليكت ، (وهى مناطق آهلة بالسكان المسلمين انشأت فصولا يؤمها أكثر من مائتى تلميذ تتراوح اعمارهم مابين السابعة والرابعة عشرة ، وفيها يتلقون دروسا منتظمة فى القرآن والدين والعربية .

البقية ص ٩٧

الدفاع عن حق المسلمين في مدينة القدس

للدكتور : محمد عبد الرءوف — واشنطن

عقدت اللجنة الفرعية للشئون الخارجية الخاصة بشئون الشرق الاوسط بالكونجرس (البرلمان) الامريكى جلسة خاصة فى ٢٨ من شهر يوليو من العام الماضى ١٩٧١ لمناقشة وجهات النظر للأديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلامية بشأن مشكلة مدينة القدس ومستقبلها .

وقد دعى لبيان وجهة النظر اليهودية الحاخام ((مارك تانينباوم)) مدير قسم العلاقات الدينية باللجنة اليهودية الامريكية ذات النفوذ الواسع بأمريكا ، وهو متحدث صهيونى متعصب ، وقد دعا الى بقاء المدينة ((موحدة)) تحت الحكم الاسرائيلى .

أمام الكونجرس الأمريكي

كما دعى كل من الدكتور (جيمز كريتسيك) استاذ التاريخ واللغات الشرقية بجامعـة أنديانا وعميد المعهد العالى للدراسات اللاهوتية بالجامعة المذكورة ، والسيد الأب ((يوسف ريان)) الاستاذ بمركز الدراسات الاجتماعية فى كامبردج بولاديـة ((ماساتشوسيت)) حينئذ ووكيل دار المحكمـة ببغداد سابقا والمعروف بميوله المؤيدة للقضايـا العربية ــ لبيان وجهة النظر المسيحية ، وقد أيدا فكرة تدويل مدينة القدس وحضا حكومة الولايات المتحدة على ان تتخذ موقفا عادلا تجـاه القضية الفلسطينية .

ودعى صاحب هذا المقال لبيان وجهـة النظر الاسلامية وقد حض على وجوب عودة المدينـة للحكم الاسلامى .

وجهت الينا الدعوة فى النصف الأخير من شهر يوليو على أن تعقد الجلسة فى ظهر الأربعاء ٢٨ من الشهر المذكور ، وعلى أن يقدم كل منا مذكرة من خمسين صورة تحتوي على وجهات نظره الى سكرتيرية اللجنة قبل موعد الجلسة بثلاثة أيام .

وقد عقد الاجتماع فى الوقت المحدد فى جلسة علنية باحدى القاعات الكبرى بمبنى الكونجرس برئاسة رئيس اللجنة وعضو الكونجرس عن ولاية « انديانا » واسمه : السيد/لى هـ . هاميلتون ، وبعد كلمة ترحيب من سيادته لخص كل منا ما ورد بمذكرته ، بدأ الحاخام اليهودى وتلاه المثلان المسيحيان وقد تقدما بمذكرة مشتركة ثم تلا ذلك تلخيص لوجهة نظرى ، وقد اتبع فى ذلك الترتيب التاريخى لظهور الأديان الثلاثة . .

وعقب ذلك بدأت المناقشة التى استمرت لمدة ثلاث ساعات وجهت فيها الينا الأسئلة من جانب أعضاء اللجنة ، وقد جمعت هذه المذكرات الثلاثة ونص المناقشة التى تلتها ، ومعها بعض خطابات بعث بها بعض المعنيين الى اللجنة ، فى كتاب طبعته حكومة الولايات المتحدة .

* * *

ولقد تفضل السيد الاستاذ رئيس تحرير مجلة « الوعى الاسلامى » ودعانى للاشتراك فى عدد شهر رجب الخاص بذكرى الاسراء والمعراج ، وحيث أن الاسراء كان الى مدينة القدس ، ومنها بدأت رحلة المعراج ، فقد عن لى أن أوافى القراء بترجمة عربية لنص المذكرة التى تقدمت بها الى اللجنة المذكورة ، متبوعة بترجمة لبعض الأسئلة التى وجهها الى بعض أعضاء اللجنة والاجابة عليها . وفيما يلى ترجمة المذكرة مع قليل من التصرف :

ايها السادة :

إنه ليسعدنى أن تهيأ لى الفرصة لاتحدث فى هذا الاجتماع الجليل واناقش موضوعا له خطورته العالمية ، اعنى مشكلة مدينة القدس ووضعها ومستقبلها ، وسأحاول أن أشرح فى حديثى أهمية هذه المدينة العريقة للمسلمين واناقش وجهة النظر فى مستقبل هذه المدينة البالغة الأهمية للأديان الثلاثة . .

حرمة الممتلكات الاسلامية وقدسية التراث الاسلامى

ان أهمية مدينة القدس لنا معشر المسلمين نابعة من الحقائق التالية :

أولا : حرمة الممتلكات الاسلامية ، فان شريعة الاسلام تجعل للملكية المسلم نوعا من الحرمة والقداسة ، وتفرض على المالك الدفاع عن ملكه اذا حاول أحد الاعتداء عليه ، أما ما يعتبر وقفا لصالح المسلمين بصفة عامة كعقار بنى عليه مسجد للعبادة فان حرمته وقداسته أعظم وأعلى درجة من حرمة الملك الشخصى وواجب الدفاع عنه فرض محتم على المسلمين ، وأى عدوان على حرمة أى مكان من الأماكن المقدسة يثير عاطفة المسلم ويجرح شعوره .

واذا كان الاسلام يؤكد حرمة الممتلكات الاسلامية فانه فى نفس الوقت يحض على عدم انتهاك حرمة أماكن العبادة الخاصة بغير المسلمين ، كما يحرم

العدوان على ممتلكاتهم بغير حق . ومن أفضل المواقف التى تدل على مراعاة المسلمين لحرمة الأماكن المقدسة لدى غيرهم ما يحكى عن سيدنا عمر بن الخطاب الخليفة الثانى وفاتح القدس الذى آثر أن يؤدى شعيرة الصلاة خارج الكنيسة عندما وجب وقتها وهو بداخلها ، وكان قد دعى لأدائها حيث كان هو فاعتذر بأنه يخشى أن تدعى الاجيال القادمة حقا فى الكنيسة اذا أدى خليفتهم صلاته بداخلها ..

حرمة المدينة المقدسة

ثانيا : ان حرمة مدينة القدس وقدسيتها لا يعادلها الا قدسية مكة المكرمة التى بها بيت الله الحرام والمدينة المنورة التى هاجر اليها النبى عليه الصلاة وأزكى السلام ، وتنبع حرمة بيت المقدس التى لا حد لها من المكانة الخاصة التى تتميز بها هذه المدينة فى تاريخ الاسلام وعقيدته .

إننا معشر المسلمين نؤمن بالأنبياء السابقين ونحبهم ونحترمهم ، نؤمن بابراهيم واسحق كما نؤمن باسماعيل وموسى وعيسى ، فهم رسل الله وأحباؤه ، دعوا الى الايمان به الى عبادته وحده كما دعا الى ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم ، وان دين الاسلام جاء ليحدد العقيدة الصحيحة التى جاء بها هؤلاء الرسل من قبل ، كما رد الى كثير منهم اعتبارهم وأعلن طهارتهم وشرف شخصيتهم بعد أن دنستها الادعاءات التى وردت فى النصوص الدينية القديمة المحرفة ، فداود وسليمان لا يعتبران فى الاسلام ملكين فحسب معرضين لارتكاب مالا يليق برجل عادى ، بل هما كذلك من خيرة الانبياء والرسل والمعصومين من الدنايا وعظيم الزلل .

ومن مظاهر حرمة الامم السابقين لدى المسلمين أن كتابهم الكريم يقص فى اسلوب بليغ جميل يثير العطف على بنى اسرائيل ما لقى هؤلاء من الاضطهاد وصنوف العذاب على يد فرعون وقومه ، ويروى كيف خلصهم الله تعالى بقيادة سيدنا موسى عليه السلام ، كما يقص القرآن مولد السيدة مريم وتعبدها فى المحراب وكيف طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين ، ثم كيف حملت بعيسى عليه السلام كما يروى قصة مولده ورسالته وما ظهر على يده من معجزات ، ثم كيف اضطهد فوفقه الله وخلصه من يد الآثمين .

وان كثيرا من المسلمين ليؤثرون أن يسموا بناتهم باسم « مريم » كما أن كثيرا منهم يسمى أبناءه بأسماء بنى اسرائيل كاسحق ويعقوب ويوسف وهرون وداود وسليمان وموسى وعيسى .

ونظرا لهذه العلاقات المقدسة المباركة التى تربط المسلمين بهؤلاء الرسل الكرام الذين عاشوا وتعبدوا ووعظوا واضطهدوا فى سبيل الله على أرض مدينة القدس فان هذه المدينة وتربتها وحجارتها اكتسبت من الحرمة والقداسة لدى المسلمين درجة ذات أعماق بعيدة فى نفوسهم ، وخاصة تلك المنطقة من المدينة التى تسمى « الحرم الشريف » الذى باركه الله تعالى .

محمد صلى الله عليه وسلم وبيت المقدس

ثالثا : ولقد كان الاسراء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس قبيل هجرته الى المدينة بمثابة خاتم ربانى ربط الماضى بالحاضر

وبارك هذه الصلة المقدسة وأكدها ، ووصل بين التراث الابراهيمى ورسالة خاتم النبيين ، لقد أكدت تجربة الاسراء والمعراج مفهوم الاخوة فى العقيدة مع الأديان السابقة ، وكان من مظاهر ذلك أنه لما فرضت الصلوات الخمس جعلت مدينة القدس قبلة للمسلمين فى صلاتهم ، واذا كانت القبلة قد تغيرت فيا بعد وجعلت البيت الحرام بمكة فقد احتفظت مدينة القدس بقيمتها التاريخية كقبلة الاسلام الأولى .

القـدس شعيرة من شعـائر المسلمين

رابعا : ومنذ الفتح الاسلامى لمدينة « أورشليم » (القدس) فانها أصبحت محط أنظار المسلمين ، واتجهت آمالهم لزيارتها والتعبد فيها كشعيرة عظيمة من الشعائر الاسلامية ، وأكد ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله : « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » بل ان زيارة بيت المقدس كانت قد أصبحت عادة لدى بعض المسلمين يؤدونها بعد الفراغ من اداء فريضة الحج بالاراضى الحجازية ، وكانت فريضة الحج لديهم لا تكمل الا بأداء هذه الشعيرة، ولا غرو فان المسلم حين يزور بيت المقدس ويرى مشاهدها لترجع ذاكرته الى البركات التى تجلت لابراهيم عليه السلام ، والأرض المقدسة التى كان يرجو موسى أن يدخلها وحرض قومه على دخولها فجبنوا وابوا ، والى عصر المدينة الذهبى أيام داود وسليمان عليهما السلام ، والى عهد مريم وزكريا والمحراب ومولد عيسى ومعجزاته وكفاحه ، يذكر خطوات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبراقه ليلة أسرى به الى بيت المقدس وحشد للترحيب به سبعة من الانبياء والمرسلين ..

القدس مثابة لأهل التقوى من المسلمين

خامسا : ونظرا لما ورد من فضل المدينة وفضل العبادة بها فانها أصبحت على مدى العصور الاسلامية مأوى للصالحين والعلماء ممن آثروا الحياة بها ولقاء ربهم على أرضها وموارارة رفاتهم فى بطن ترابها ، كان من بين هؤلاء عدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان من بينهم عدد من أجلة العلماء وخيرة الكتاب ، ومن أشهر من أقام بهذه المدينة الخالدة أبو حامد محمد الغزالى الذى عاش فى القرن السادس الهجرى وقضى بها ردحا من الزمن ولقى بها تجاريه الروحانية المثيرة ، وكتب بها بعضا من أشهر مؤلفاته وأعظمها اثرا على التفكير الاسلامى منذ عصره ، لذلك أنشأ كثير من ذوى الثراء من المسلمين على مدى الاجيال المؤسسات الخيرية بالمدينة وجعلوها وقفا ثابتا للتيسير على الوافدين الى المدينة المقدسة بغرض الدراسة أو النسك ، وفى الحقيقة أن تراب هذه المدينة ليختلط بدماء الآلاف من الشهداء المسلمين كما يختلط برفات من لا حصر لعددهم من العلماء والأولياء وأهل الخير من المسلمين !!

وان إقبال المسلمين على المدينة المقدسة وغيرتهم عليها لم يعن حرجا أو خطرا على أهل الكتاب بها أو عدوانا على حرماتهم أو حرمة دور عبادتهم بحال، فما زال المسيحيون ينعمون بحياة رغدة بها ولم تنقطع وفود الحجيج من المسيحيين اليها دون حرج أو عراقيل ، كما سمح لليهود لأول مرة بالعودة

الى المدينة بعد ابادتهم منها وحظر زيارتهم لها لمـدة تقرب من ستة قرون قبل الفتح الاسلامى ..

* * *

الحل الشرعى لمشكلة القدس القائمة

واننى لأعتقد فى ثقة واخلاص أن الحل الشرعى لمشكلة القدس ، وهو الحل العملى الوحيد ، هو أعادتها لصفتها الاسلامية كاملة وللحكم الاسلامى غير منقوص ، أعلن ذلك وأثبته بناء على الحقائق التالية :

الاسلام يخدم سائر الأديان السماوية

أولا : يعترف المسلمون باليهودية والمسيحية كدينين لهما اصلهما الصحيح ولا يؤمن اليهود ولا المسيحيون بالاسلام ، بل يزعم كثير منهم أن الاسلام مشتق منهما ومفروض عليهما .

يعترف الاسلام الذى ظهر على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا مضت بشرعية الاديان السماوية السابقة كلها ، ويحمل أتباعه على التسامح مع اتباع ما بقى من هذه الاديان وحقن دمائهم واحترام حقوقهم ولقد كان ظهور الاسلام تجديدا للدين الذى بعث به الأنبياء السابقون وتصحيحا للتحريفات التى أدخلت عليه ؛ كما كان كل رسول يأتى ليجدد العقيدة الالهية السليمة التى جاء بها الأنبياء من قبله ويزيل عنها ما الم بها من تحريفات أنسانية ولايسوغ القول بأن المسيحية مشتقة من اليهودية ولا أن الاسلام مشتق من كليهما كما يزعم ذلك المغرضون ومن لا دراية له بمفهوم النبوة ومفهوم الوحى الالهى ، ولم يكن الانبياء والمرسلون عليهم السلام فلاسفة يبتكرون عقيدتهم أو ينقلونها عمن سبقهم ، بل كان يوحى اليهم برسالاتهم مؤيدين بالآيات والمعجزات ..

ولما كان الاسلام يرعى حرمة اليهودية والمسيحية أكثر مما قد يرعى احدهما للاسلام ، كان للاسلام دونهما حق شرعى واضح فى الائتمان على حرمتهما وحرمة معابدهما وحقوق أتباعهما .

الاسلام وأهل الكتاب

ثانيا : وبالاضافة الى اعتراف الاسلام بشرعية كل من اليهودية والمسيحية فانه يشرف اتباعهما ويصفهم بأنهم (أهل الكتاب) تمييزا لهم عن (الأميين) من الوثنيين ، وينص القرآن الكريم على أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم ــ كالمسلمين ــ « أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم **ولا** هم يحزنون » ، كما يحض الاسلام على معاملتهم بالحسنى وعلى **حقن دمائهم** واحترام أموالهم ودور عبادتهم .

وبهذه المناسبة نشير الى الاهانة التى كان يعامل بها عمدا موضوع الهيكل قبل الفتح الاسلامى نكاية فى اليهود وكيدا لهم ، فقد كانت تلقى فيه القمامات والاقذار ، ولكن كان أول عمل قام به الفاتح الاسلامى عمر بن الخطاب بعد

أن أبرم معاهدة الصلح مع بطريق المدينة هو أن استفسر عن مكان الهيكل حتى تعرف عليه كما وصفه له حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، فأمر بازالة ما عليه من أكوام القاذورات ، واشترك بيده هو ومن معه فى ازالتها ، ثم أمر باقامة سور حول المكان المقدس ومنع اهانته بحال من الاحوال ، وبعد قليل شيدت حوله المساجد وأقيمت فوقه قبة الصخرة الخالدة التى تعتبر من أعظم الآثار الاسلامية .

أين ذلك مما نسمع من هدم المساجد وأوقاف المسلمين وتسويتها دون مبالاة ، وما حدث من أهانة للمسجد الاقصى وما يحدث ببيوت عبادة المسلمين مما يجرح مشاعرهم ويتنافى مع تقاليدهم ؟ فأى الفريقين أولى بالولاية على تراث الاديان الثلاثة بالمدينة ؟

الوجود العربى بالمدينة المقدسة

ثالثا : أن الوجود العربى بالقدس وبفلسطين كلها قديم وخالد وغير منقطع ، لا كالوجود اليهودى الذى يزعم الصهيونيون زورا أنه كان كذلك ليبرروا بذلك حقا تاريخيا لهم فى البلاد ، فقبل أن يصل العبرانيون الى أرض فلسطين كانت تلك البلاد معمورة بقبائل الكنعانيين واليبوسيين وكلها مشتقة من أصل عربى هاجر من قلب الجزيرة ، بل كان مؤسس مدينة القدس أحد ملوك اليبوسيين وذلك قبل أن يفتتحها اليهود بآلاف السنين ليقيموا بها سلطانهم أيام داود وسليمان عليهما السلام ، على أن مجد اليهود بالمدينة لم يكن طويل الأمد بل أبيد بالمرة كما محيت كل آثارهم بها قبل الفتح الاسلامى بما يقرب من ستة قرون ، ولذلك فليس صحيحا ما يقال من ان الوجود العربى بدأ بالفتح الاسلامى فى القرن السابع الميلادى ، وكلنا نعلم أن كل هذه المنطقة بما فيها فلسطين كانت تحت حكم قبيلة عربية وقت الفتح الاسلامى ، أعنى دولة الغساسنة ، ولقد كان اليهود — كما ذكرنا من قبل — محرومين من حق دخول المدينة المقدسة قرونا قبل الفتح الأسلامى ، وحرص البطريق « سوفونيوس » فى الاتفاق الذى أبرمه مع الخليفة عمر بن الخطاب على أن ينص على استمرار هذا الحظر ، ولكن المسلمين فيما بعد ، نظرا لما جبلوا عليه من عدالة ومعاملة انسانية ، رفعوا هذا الحظر وتساهلوا مع اليهود الراغبين فى زيارة المدينة أو فى الاقامة بها .

ومن هذا يتضح أنه لعدد من الاف السنين وقبل مجىء العبرانيين لم يكن هناك وجود يهودى بفلسطين أو لأصولهم ، بينما كان العنصر العربى يغمر البلاد ، كما محى الوجود اليهودى من المدينة المقدسة بعد أن ازدهروا بها ، قرونا قبل الفتح الاسلامى ..

وأما شأن ما يسمى بجدار المبكى فهو فى نظرى أسطورة حديثة العهد نماها الصهيونيون كى يتخذوا منها قاعدة دينية عاطفية ليجمعوا قلوب اليهود حولها من أجل أهدافهم السياسية وغير الانسانية ، ولو كان لجدار المبكى أصل عريق فى اليهودية لما خلت دائرة المعارف اليهودية الصادرة فى بداية هذا القرن من مقال خاص عنه بينما برز ذلك فى الطبعات التالية بعد أن اكتسبت أهمية بالغة على يد الصهيونيين ، ومع ذلك فان هيئة عالمية محايدة كونتها عصبة الامم أيام الانتداب البريطانى وليس بين أعضائها مسلم ، قررت فى ١٩٣٠ بعد إجراء بحوث طويلة وتحقيقات

واسعة أن ما يسمى بحائط المبكى وقف اسلامى محض وجزء لا يتجزأ من الحرم الشريف وكذلك الرصيف المجاور له والواقع بينه وبين مساكن المغاربة التى هى وقف اسلامى أيضا : ومن المؤسف أنه بدون مراعاة لحرمة هذه الاوقاف طرد منها سكانها فى لحظات عقب الحرب فى ١٩٦٧ وهدمت فورا لافساح الميدان حول المبكى !

وبما أن الوجود العربى بالمدينة المقدسة أقدم وأعرق وأدوم فحق العرب التاريخى فيها وفى فلسطين كلها أثبت وأقوى وأعرق مما يدعيه غيرهم ..

احترام المسلمين للأماكن المقدسة

رابعا : وان احترامنا معشر المسلمين لحرمة اليهود والمسيحيين ومعابدهم أمر لا ندعيه كوسيلة من وسائل الرعاية للتمويه على العالم كما يفعل خصومنا بل هو أمر عميق فى نفوسنا ومشتق من تعاليم ديننا ، وان ماضينا والأحداث التاريخية لتبرهن على صحة دعوانا ، فلقد ذكرنا من قبل كيف ازدهرت المسيحية بالمدينة المقدسة فى ظل الاسلام وكيف رفع الحظر على دخول اليهود والاقامة بها ، كانت هذه المعاملة الكريمة التى اتصلت قرونا ودهورا فى عصور عرفت بالتعصب والاضطهاد الدينيين خارج الوطن الاسلامى ، ولقد أقيم بالمدينة فى عصر هارون الرشيد أروقة واستراحات لاقامة الحجاج المسيحيين ، كما أذن للراهبات بالقيام على خدمة الكنائس والمعابد بها ، ولقد ظلت سدانة كنيسة القيامة بالمدينة المقدسة بين عائلة اسلامية طوال القرون حتى الاحتلال الاسرائيلى الغاشم ، وبالرغم من وحشية الصليبيين وذبحهم الآلاف من المسلمين واليهود بالمدينة عندما احتلوها أثناء الحروب المعروفة باسمهم فان الاسلام لم ينتقم منهم بعد أن استرد سلطانه عليها وطهر المدينة منهم ، بل إن القائد الراشد صلاح الدين سمح بدخول المدينة للحجاج من جيوش العدو بينما كانت الحرب لا تزال سجالا ! وفى عام ١٤٧٣ وكانت فلسطين بما فيها مدينة القدس تحت سلطان مصر قايتباى ، اكتشف المسلمون أن اليهود شيدوا سرا معبدا لهم بالمدينة ، فاعتدى عليه بعضهم ، فلما سمع بذلك السلطان انزل العقاب بالمعتدين وأعاد بناء المعبد وأعطى اليهود بذلك لأول مرة حقا « رسميا » فى تشييد معابدهم بالمدينة منذ أبيدوا من المدينة على يد طيطس فى العام الميلادى الأول .

قارن هذه الصفحة الناصعة من أعماق الاسلام المجيدة بما أصاب المسلمين فى الارض المقدسة على يد إخوانهم من « أهل الكتاب » . لقد سجل التاريخ صفحات مخزية للصليبيين الذين نقضوا العهود وسفكوا دماء عشرات الآلاف عندما احتلوا البلاد دون رحمة أو هوادة ، وارتكبوا فى اضطهادهم من المخازى ما يندى له الجبين ! ثم ماذا صنع اليهود منذ احتلوا مدينة القدس القديمة العزيزة عام ١٩٦٧ ؟ رفعوا أعلامهم فوق مآذننا وسطوح مساجدنا ، ودمروا العديد من بيوت الله وأوقافنا الشرعية ، وأقاموا صلاتهم على أرض المسجد الأقصى أول القبلتين وثالث الحرمين ! ويسروا لمن شب النار فى المسجد عمدا من عملائهم وصدعوا جدرانه بالحفريات التى يجرونها تحتها بلا هوادة رغم احتجاجات المسلمين الصارخة ، وطردوا السكان من ديارهم

ـ مسلمين ومسيحيين ـ بشتى وسائل الضغط والتعسف « ليهودوا » المدينة ويشيدوا حول الأماكن المقدسة حلقة كبيرة من المساكن ليقطن بها المجلوبين من اليهود من خارج البلاد ، لا يبالون بغضب الرأى العالمى ولا بنداءات هيئة الأمم المتحـــدة !

وبالرغم من كل هـــذه الأعمال المثيرة فاننا لم نسمع عن عمـــل من أعمال الانتقام كالاعتداء على بيعة يهودية فى بلد عربى كمصر ، أو عدوان على جالية يهودية انتقاما من أعمال اسرائيل الاجرامية ضد اخواننا العرب فى فلسطين وانتهاكهم حرمة المسجد الأقصى وغيره من المساجد واهانـــة لأضرحـــة الصحابة والاولياء وانتهاك حرمة المقابر الاسلامية ، ورغم هـــذا فان أبواق الصهيونية التى لا تستحى ولا تخمد تقلب الباطل حقا وتحـــول الحق باطـــلا فتسمى أى اجراء يتخذ كنتيجة حتمية لأعمال الصهيونية الرهيبة بغير ما ينبغى أن يسمى به وتصفه على غير حقيقته فاذا حجز على أحد عملائهم أحتياطـــا لأمن الدولة مثلا جسم ذلك وسمى اضطهادا دينيا ضد اليهود ، واذا هاجـــر يهودى من بلد عربى اختيارا كما يهاجر غيره زعم أن هذا طرد أجبارى من البلاد ، أما أعمالهم الوحشية فيختلقون لها أسماء وأوصافا لا تجدر بهـــا ، كما يسمون أعمال الاجرام التى سبقت قيام اسرائيل « حرب الاستقلال » ويسمون اغتصابهم للجزء الشرقى من المدينة « توحيدا » لمدينـــة القـــدس وضما لشملها !

ومن هذا يتضح أن المسلمين ـ وصفحاتهم التاريخيـــة مجيدة ناصعة ـ أجدر بالولاية على المدينة المقدسة .

ولا يسوغ اغتصاب حق مكتسب لم يسأ استعماله

خامسا : ومنذ استولى العرب على القدس عام ٦٣٧ م فانهم لم يسيئوا استعمال سلطانهم ، وكـــان العنصر العـــربى المسلم هـــو العنصر الغالب بين السكان لقرون مديدة ، فاكتسب العرب بذلك حقا لم يثبت التاريخ أنهم أساءوا استعماله ، والحق المكتسب على مدى القرون دون أن يساء استعماله لا يجوز اغتصابه ، ولذلك لا يسوغ الخلاف على وجوب إعادة الحكم الاسلامى على البلاد ، والزعم بأن فلسطين لم تكـــن يوما ما وحدة سياسية وحدهـــا مستقلة ذات سيادة ـ مما يتشدق به الصهيونيون ، لا يبرر اغتصاب هـــذا الحق بحال ، فان فلسطين كانت على مـــدى العصور جزءا من الامبراطورية الاسلامية الكبرى ذات السيادة ، ولا يهم اذا كان مقر الخليفة أو السلطـــان المدينة المنورة أو الكوفة أو دمشق أو القاهرة أو بغداد أو استانبول ، وكـــان سكان فلسطين يتساوون فى الحقوق المدنية كلها مع سائر المواطنين فى الدولة الكبرى من الخلافة أو السلطنة الاسلامية ..

« التعايش الاسلامى »

سادسا : وقد أثبت التاريخ كذلك أن المسلمين ـ أكثر من غيرهم ـ أمة تتعايش مع غيرهم فى ظل العدالـــة والمساواة ، وخاصة عندما يكـــون السلطان والدولة بأيديهم ، وإننا لنعلم أنه تحت الحكم الاسلامى يســـر لغير

المسلمين من مواطنى الدولة الاسلامية الفرص الكاملة للوصول الى المناصب التى خولتها لهم مؤهلاتهم ومنحوا الحرية الكاملة فى مزاولة أعمالهم ومهنهم ، دون ضغوط أو عراقيل فى طريقهم ، ولقد شغل الكثير من أهل الكتاب — يهودا ومسيحيين — مناصب مسئولة فى شتى عصور الخلافة ، وازدهرت الكتابة الدينية ودراسة اللاهوت بينهم ، ولقد بلغ الانتاج اليهودى فى مجال الدراسات الدينية والفلسفية أوجه على يد علماء وفلاسفة شغلوا مناصب مرموقة فى بلاط خلفاء المسلمين وملوكهم من أمثال موسى بن ميمون ، وأثمن التراث اليهودى كتب بلغة القرآن الكريم ، ولا يكن المسلمون حقدا أو بغضاء لغيرهم ، ولا ينسبون لانفسهم فضلا ذاتيا أثروا به على غيرهم فلا يزعمون أنهم شعب الله المختار وانما يعتقدون أن أفضل الناس أتقاهم ، وليس صحيحا ولا عدلا أن يتهم العرب أو المسلمون بأنهم أعداء للسامية بالمعنى الذى اختلقه الصهيونيون وجعلوه سلاحا مسموما رهيبا يرمون به من يجرؤ على نقد أعمالهم ، وكثير من العرب من ذرية أسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

ومن يثبت التاريخ أنه يتعايش مع الناس على أساس المساواة والعدالة دون ظلم أو تعسف أولى بالولاية والائتمان على الأماكن المقدسة من سواه .

ميثاق الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان

سابعا : وان فرض أى سلطان غير سلطان المسلمين على الارض المقدسة ليعتبر انتهاكا لحق تقرير المصير المنصوص عليه فى ميثاق هيئة الأمم المتحدة واعلان حقوق الانسان ، ومن المعروف أن العرب كانوا الغالبية العظمى لسكان فلسطين والمدينة المقدسة حتى اغتصبها الصهيونيون ، وكان كبير السلطة فى المدينة المقدسة عربيا مسلما .

* * *

أيها السادة :

وانني فى ختام حديثى — اذ أكرر شكرى وتقديرى لمنحى هذه الفرصة لأشرح لسيادتكم بعض الحقائق الناصعة الواضحة عن مشكلة بيت المقدس التى أصبحت بسبب موقف الصهيونيين العنيد حالة تنذر بالخطر الجسيم — لأرجو الله تعالى مخلصا أن يوفق ذوى النوايا الطيبة أن يتعاونوا على إعادة الحق الى نصابه على اساس العدل والانسانية كى تتجنب البشرية ما ينذر به الوضع الحالى من خطر نزاع دينى لا يعلم مدى آثاره الا الله تعالى .

وفيما يلى نموذج للأسئلة التى وجهت أثناء المناقشة من بعض أعضاء اللجنة ، وكلهم أعضاء فى الكونجرس ، ومنها يظهر للقارىء تعصب هؤلاء رغم أن المفروض فيهم غير ذلك :

السيد/ليستر ل. وولف : لقد ذكر الدكتور عبد الرءوف والأب ريان

انهما لا يعتبران الاحتلال العسكرى سببا شرعيا يبرر حكم الدولة الغالبة ، فكيف يبرران حكم الأردن للقدس الشرقية منذ عام ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ ؟ ألم يكن ذلك نتيجة احتلال عسكرى من قبل قوات الملك عبد الله ؟

السيد رئيس اللجنة : تفضل يا دكتور عبد الرءوف ..

الدكتور عبد الرءوف : اننى لا أعتبر حكم الأردن للقدس الشرقية منذ عام ١٩٤٨ احتلالا أو اغتصابا عسكريا ، فانه بجلاء حكومة الانتداب البريطانى عن فلسطين كليا فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وتخليها عن سكانها وعن سكان مدينة القدس فى وقت كانت تتحفز فيه العصابات اليهودية الوحشية لشعب فلسطين الأعزل حدث فراغ ادارى وعسكرى تام فانتهزت اسرائيل الفرصة وشنت هجوما عنيفا على المدينة القديمة تريد احتلالها بالقوة فصدتها قوات الملك عبد الله ، وبدلا من أن تترك حكومة الاردن المدينة المقدسة دون دولة تحميها وتدير أمورها فتغتصبها اسرائيل فقد تولت حكومة الاردن الاسلامية العربية ادارة المدينة الاسلامية العربية ريثما يحين الوقت لاجراء انتخاب يعبر فيه الأهالى عن رغبتهم .

السيد/وولف : وهكذا احتلت الأردن المدينة القديمة عسكريا ؟

الدكتور عبد الرءوف : اتسمى هذا احتلالا عسكريا يا سيد وولف ؟

السيد /وولف : الذى أريد أن أقوله لك هو أن الوضع الحالى من حيث الحكم الاسرائيلى للجزء الشرقى من المدينة هو نفس الوضع عندما كانت تحت حكم الاردن ، فكل منهما نتج عن احتلال عسكرى ، فان قرار هيئة الأمم تقسيم فلسطين لم يعط الاردن الجزء الشرقى من المدينة ، أليس هذا صحيحا ؟

الدكتور عبد الرءوف : وهل أعطى قرار التقسيم اسرائيل الجزء الآخر من المدينة الذى أغتصبته ؟

السيد/وولف : اننى لا أناقش ذلك مطلقا ، ولكننى أتحدث بشأن احتلال الجزء الشرقى من المدينة .

الدكتور عبد الرءوف : ينبغى ان يعتبر ذلك فى سياق القرائن العامة المتصلة بالموضوع . لا أن يناقش كمسألة فرعية معزولة عما يقارنها من خلفية المشكلة الفلسطينية كلها وما صاحب قيام اسرائيل من خراب ودمار وعدوان .

السيد /وولف : إننا نتحدث الآن بشأن مدينة القدس وحدها وعن موضوع احتلال عسكرى ، أننى — مثلكم — لا أوافق على احتلال عسكرى لمنطقة أو لأخرى ، ولكن يجب أن نأخذ فى الاعتبار جميع العناصر المتعلقة بالموضوع ، واحد هذه العناصر هو أن حكومة الاردن لم تعط المدينة القديمة فى مشروع التقسيم ، ولكنها احتلته عسكريا ، هذا هو السؤال الذى أرجو الاجابة عليه ..

الدكتور عبد الرءوف : يا سيد وولف ، ينبغى أن نأخذ فى الاعتبار أن سكان المدينة رحبوا بالحكم الأردنى العربى الاسلامى وقبلوه عن رغبة ورضى ..

السيد/وولف : وبعبارة أخرى انك لم تحتج علىالاحتلال الاردنى للجزء الشرقى من المدينة فى ذاك الوقت ، ولكنك تحتج الآن على الاحتلال الاسرائيلى ؟

الدكتور عبد الرءوف : اننى لا أحتج على الحكم الأردنى لأنه كان برضى الاهالى ولان الاردنيين جزء من الشعب العربى الكبير ، فحكمهم للمدينة لم يكن احتلالا أجنبيا فى الحقيقة . بل أشركوا فى الحكم على ما أعتقد سكان المدينة ، ولم يعان السكان تحت الحكم الأردنى طرفا مما يعانونه فى الظروف الحاضرة من سفك الدماء والطرد والتشريد واغتصاب الممتلكات وانتهاك حرمة الشعائر الدينية ..

السيد/جوناذن ب . بنجهام :

لقد قمت بزيارة لاسرائيل فى هذا العام وشاهدت الكثير مما يجرى هناك ولمست أن الحالة هناك آمنة الى حد كبير ، ولم أشهد بوليسا أو جنودا اسرائيلية فى الأماكن التى زرتها مثل رام الله وبيت لحم ، ولقد تحدثت لعدد من كبار الجاليات المسيحية هناك فوجدتهم — وان لم يكونوا فى صالح الحكم الاسرائيلى — لا يشكون من عمل من أعمال التعسف التى تزعمها بعض هيئات الأمم المتحدة ولا يعانون أى نوع من الضغوط أو التعصب أو الاضطهاد .

الدكتور عبد الرءوف : السيد الرئيس : أرجو الاذن بتوجيه سؤال للسيد العضو المحترم ..

رئيس الجلسة : لا يسمح بتوجيه أسئلة الى أعضاء اللجنة لأن المفروض أن نسمع منكم وأن توجه لكم الأسئلة ، ولكنك يمكنك التعليق على أى شىء يقال .

الدكتور عبد الرءوف : يقول السيد العضو المحترم إنّه خرج من زيارته لاسرائيل هذا العام بانطباعات طيبة ، فيزعم أن الأمن مستتب والأوضاع مستقرة وأن الرضا والارتياح ملموسان بين الجاليات المسيحية هناك ، واننى لأتساءل : أكانت زيارته قصيرة خرج منها بانطباعات عاجلة كان يمكن أن تتغير لو أنها طالت مدة كافية ؟ وهل ذهب كمواطن عادى يلتقى بمن يصادفه ، أم أنه ذهب كزائر كبير من أعضاء الكونجرس الامريكى يرافقه مندوب من الحكومة الاسرائيلية يرتب حركاته ومقابلاته ؟ أما تساؤله عن الملك حسين وقوله لو أنه أصاخ لنداء اسرائيل بتجنب الحرب عند قيامها بين مصر واسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ لبقى الوضع القديم على ما كان عليه فلست أرى ذلك ، فان نصيحة اسرائيل للملك اذا صحت فانما كانت مكيدة عسكرية تبغى اسرائيل من ورائها التفرغ للقضاء على الجيش المصرى فاذا حققت ذلك اتجهت بدورها الى الملك حسين وجيشه للقضاء عليهما .

السيد/سيمون ب . هالبيرن :

أود الآن أن أوجه سؤالا للدكتور عبد الرءوف ، لقد ذكرت من الأسباب التى بنيت عليها رأيك فى وجوب عودة المدينة المقدسة للادارة العربية أن الدين الاسلامى قد أبدى تسامحا عظيما حيال الدينيين المسيحى واليهودى وأماكنهما المقدسة ، فهل يمكنك أن تبرر رفض حكومة الأردن طلبى تأشيرة عام ١٩٦٠ لزيارة المبكى **مع أننى عضو الكونجرس الامريكى ؟ وكان** ذلك الرفض بسبب دينى (اليهودية) ، لقد كان ذلك أمرا مخزيا ، وانه ليتعارض مع زعمك أن الحكم الاسلامى كان متسامحا .

الدكتور عبد الرءوف : لقد ذكر فى هذه الجلسة ، أنه لم يسمح لليهود بزيارة أماكنهم المقدسة فى القدس خلال التسعة عشر عاما من الحكم الأردنى

للمدينة بل قيل إنه لم يسمح حتى للمسلمين داخل اسرائيل بزيارتها أثناء هذه الحقبة ، وذكر أن الحظر كان شاملا لجميع اليهود ، وذكرتم سيادتكم أنكم منعتم بسبب دينكم .

وأود أن أقرر فى بداية الأمر أننى هنا لابين وجهة نظرى فى وضع المدينة المقدسة ومستقبلها كمسلم ، لا لأدافع عن اجراء اتخذته حكومة عربية أو اسلامية معاصرة ، ومع ذلك فان من الضرورى الا نناقش جزئية منعزلة عن قرائنها وخلفيتها ، وخلفية هذا الاجراء المذكور هو أن الاردن واسرائيل كانتا فى حالة حرب ..

السيد/هالبيرن : فى حالة حرب مع اسرائيل عام ١٩٦٠ ؟

الدكتور عبد الرءوف : نعم ، فى حالة حرب مع اسرائيل التى اغتصبت البلاد وشتتت العباد وسفكت الدماء واستباحت الأعراض وسلبت الأموال وواصلت العدوان وشن الغارات على مدن الاردن وقراها رغم الهدنة العسكرية التى كانت قائمة ، وللدولة الاسلامية أن تتخذ من القوانين والاجراءات الزمنية ما تراه ضروريا لحمايتها وسلامة أمنها وإبعاد المشتبه فيهم والمحتمل أن يقوموا بأعمال جاسوسية لغير صالحها أيا كان دين هؤلاء أو تبعيتهم ، وأننى لأذكر أن لجنة التوفيق التى كانت كونتها هيئة الأمم المتحدة بعد قيام اسرائيل كانت أوصت بأن يسمح لمن شاء من المواطنين الأردنيين بزيارة أماكنهم المقدسة الواقعة تحت حكم اسرائيل وأن يسمح للاسرائيليين بزيارة أماكنهم المقدسة الواقعة تحت حكم الأردن ، فقبلت حكومة الأردن هذه التوصية أول الأمر ولكن رفضتها اسرائيل فرفضتها الأردن كمعاملة بالمثل : واذا لم يسمح لاسرائيلى بزيارة القدس تحت الحكم الاردنى فهل سمح لمن شاء من الأردنيين بزيارة أماكنهم المقدسة داخل اسرائيل ؟ وليس صحيحا انه كان هناك خطر عام على جميع اليهود فان لى من أصدقائى اليهود من ذكر أنه زار المبكى تحت الحكم الاردنى ولا يفوتنى أن إكرر أن الحكم الاسلامى هو الذى رفع الحظر على عودة اليهود الى المدينة المقدسة ومنحهم حق الاقامة بها وحرية العبادة فيها ، فأين هذا من مساءات اسرائيل واهانتها للمقدسات الاسلامية الواقعة تحت أدارتها ؟

السيد/هالبيرن : وانك تنادى الآن بعودة هذه الأماكن للحكم العربى (الاسلامى) ، هذا هو خلاصة موقفك ؟

الدكتور عبد الرءوف : طبعا .

السيد/هالبيرن : وكيف تضمن عدم تكرار ما حدث قبل الاحتلال الاسرائيلى (يشير الى ما يزعمه الصهيونيون ويبالغون فيه من منع اليهود من الوصول الى المبكى وتدمير المقبرة اليهودية والعدوان على البيع اليهودية بالمدينة القديمة) ، وكيف يمكنك أن تمنع تكرار مثل ذلك ؟ وكيف تضمن لنا أن ادارة الأماكن المقدسة سوف تكون متسامحة عادلة ؟

الدكتور عبد الرءوف : اذا ردت الحقوق المغتصبة الى أهلها واتفق الجميع فى اخلاص على التعايش على أساس المساواة والعدل فساد الأمن والسلام والعدالة فانه ليرجى أن تتلاشى عواطف الكراهية تدريجيا وتنسى المساءات ، وتذهب الشكوك والمخاوف وتصبح الأمور عادية آمنة ، وفى هذا أكبر ضمان للتسامح الدينى المرغوب فيه .

اوقات التعليم

مدة السنة الدراسية :

مساءى الاربعاء والسبت : من الساعة الثانية الى الخامسة ، وصباحى الاحد والسبت : من الساعة التاسعة الى الزوال .

ويقوم بالتعليم فيها باشراف مدير المركز وبعض الاخوة من المعلمين ، والطلبة مقابل منحة متواضعة ، وانهم بقيامهم بهذا العمل الجليل لفائدة الاطفال المسلمين ليستحقون من مجلس المركز ومن الجالية وافر الشكر وحسن التقدير .

هذا وقد تمكن المركز من اعداد هذين الفرعين وتهيئة فصول الدراسة فيهما بفضل المنحة الهامة التى تكرمت باعطائها دولة الكويت لتشجيع نشر التعليم الاسلامى واللغة العربية ببلجيكا بمناسبة الزيارة التى قام بها معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية للمركز فى مايو ١٩٧٠ م،

وان أمل المسلمين وطيد فى أن تواصل دولة الكويت امداد المركز بهذه المنحة سنويا ليستطيع المركز متابعة القيام بهذه الدروس ، وفتح فصول اخرى فى مناطق بروكسل وفى بعض المدن البلجيكية .

كما ان امله لعظيم فى ان تستجيب كافة الحكومات الاسلامية ، ومنظمتا رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، والهيئة العامة للدعوة بالجمهورية العربية الليبية لنداء المركز بمنحه المساعدات المالية التى اذا ما توفرت فان فى الامكان بالتعاون مع الحكومة البلجيكية احداث مدرسة عربية اسلامية كبيرة تحتضن معظم ابناء المسلمين فى هذه البلاد ، وتقوم على تثقيفهم ثقافة علمية وتنشئهم نشأة اسلامية صادقة .

وان ادارة المركز ، اذ تعرب عن تفاؤلها بحسن مستقبل التعليم الاسلامى بهذه البلاد وبتحقيقه للاغراض السامية المعلقة عليه ، ليدعو الله الكريم أن يمدها بعون منه بخدمة الاسلام والمسلمين ، ويوفقها الى الخير والرشاد ، ويسدد خطى الجميع انه ولى التوفيق والسداد .



زهرة في باقة

الأستاذ : محمد الخضري عبد الحميـــد

« قد يحمل الصمت ــ في حين مـــا ــ معنى واحــــدا محدودا .. لكنــه في أحيان ربما يحمل معان غير محدودة بحدود .. فما هو ــ يا ترى ــ سر ذلك الصمت المحير ، الذي يلف بسكونه غير الطبيعي : كوخ تلــك المرأة الوحيدة ، الغريبة الأطوار ، « أم منصور » ؟

صمت ، وهدوء ، ودعة .. صبر وسكوت لا يستشف من ورائهما شيء .. وانصراف تام إلى شواغل العيش ، ذلك حسبما توحي به ظــواهر الحال .. فهل تلــك هي الحقيقة وليس وراءها شيء آخر ؟! .. ما ما هية ذلك كله ؟ .. ذلك الهــدوء الراكد ، أهو هدوء المذعن المستسلم ؟ .. وتلك الدعة .. أدعة هي ، أم تراها تأملات المتربص ، المتوفز ؟ .. والسكون ، أيكـون سكون ما قبل هوج الأعاصير والعواصف ؟!

ولكن .. أية عواصف يا ترى ، وأية أعاصير .. يمكن أن تجيء من وراء ارملة بائسة ، منكودة الحظ .. قتل زوجها ، وفقدت هناءها واستقرارها ، إلا ما يروق لها هي أن تسميه : الايمان ، والأمل ؟؟ .. لا ! .. لا شيء من كل ذلك .. إنما هي الأوهام وحسب .. وإنما هي هواجس المكدودين وليس غير ... ولا ضير في قليل من راحة عابرة ... فلن يكون ــ بعد ــ كبير خطر » !

* * * *

في عباب مثل هاته الخواطر .. غرق حتى القـــاع ذلـــك الضـــابط العصبي الغريب .. إستغرقته تماما همومه وهواجسه ، حتى انه لم يفطن إلى انه يردد أسئلته تلك بهمس عال ، واضح ومسموع .. يسمعــه جنــوده

المرهقون ، الملتفون حوله وقد زاغت أعينهم ، وشحبت وجوههم ، وارتعشت من فوق أسنان تصطك طول الوقت شفاههم .. وشـــق عليهم — من فـرط الاجهاد والانهاك — أن يعلقوا بشيء من (كــلام) على ما يرون من الحــال التي وصلوا إليها كلهم ، وضابطهم على راسهم ! .. لم يقووا على أن يشاركوا بأية مشاعر ضابطهم السارح الذاهل ، فيما راح يهرف بهمن ترديد كلمات تتناثر بدون وعى من فيه ، تتبعثر فرادى لا رابط بينها .. ومن أسئلة حيرى متلاحقة ، تنفلت منه إلى غير ما غاية معينة .. سؤال تلو سؤال ، بغير مجـرد تفكير فى انتظار لأى جواب !!

كانت تلك « الدورية » على حال من الذعر والقلق واضطراب الأعصاب ، تفوق طاقة احتمال افرادها .. فهناك فى قلب المدينة من خلفهم : ينتظرهم هياج وصراخ (رؤساء) لهم ، لا يكفون — اذ يلقونهم فى كل أوبة — عـن تقريعهم وتعييرهم بأنهم إنما يخرجون لا إلى الكر والرصد والايقـاع كما يحتم ذلــك واجبهم .. وانما ، فحسب ، إلى حيث ينتجعون مسلكا سهلاً يضمن لهم سلامتهم .. أو الى حيث يلتمسون ، قدر الامكان ، فرارا آمنا ونشيطا ، يتوسـلون بـه إلى الحفاظ على (نفيس !) دمائهم !!

وعلى كثب من أولاء .. هناك على حافة متطرفة من تلك المدينة الفلسطينية الحزينة ، التى عاث فيها المحتلون الاسرائيليون فسادا وإبادة وتدميرا ... كان يربض ذلك الكوخ النائى العتيق ، كالعهد به منذ حلت الكارثة بكل المدينـة .. صامتا ، ساكنا ، غارقا فى ظلامه ، تخيم عليه غصون شجيرات الليمـون ، ويلفه ذلك الهدوء المقبض ، والسكون الثقيل الموحش ..

.. وكما اعتادت « أم منصور » لتتغلب على أرقها وشجنها .. تخـرج فى الأمسيات وفى هداة الليل من كوخهـا .. تنساب من هنا إلى هناك كالطيف ، وحدها .. فى راحة يدها حبات الحنطة .. وتحت ذراعها أعواد من العشـب الأخضر .. وبغير أدنى صوت يند عن خطوها .. تسير من الكوخ حتى تصل إلى مكانها الأثير خلفه .. فتقتعد الرمال أمـام باب السقيفة العريضة .. وهناك يحلو لها أن تخلـد فى سهوم الى ذكرياتها فتبدأ بأن تلقى الحبوب الى دجاجها ، وتضع كومة العشب أمام شاتها .. ثم تضطجع الى جدار السـقيفة التى تأوى الشاة والدجاجات كل ليلة تحت سقفها .. وتروح ترنو إلى الأفق المعتم الداكن ، ساهمة الطرف ، ملتاعة الفـؤاد .. تتنهد ما بين كل هنيهة وأخرى فى الم عظيم ، وبأسى ضار لا ينضب له معين .. لكنها لا تلبث أن تتململ فى شيء من إباء عنيد ، كأنما هى لا يروق لها ذلك الاستسلام للأحزان والآلام .. فتأخذ ، بعد ، فى استعادة البصر الشارد فى أسداف الظلمة الكابية أمامها .. لتطـرق باسمة ، مطلقة العنان لفكرها إلى مسار جديد آخر .. تستعيد عليه بنشـوة وعلى مهل : كلمات (منصور) ولدها ! .. هل كانت : كلمات ؟! .. فماذا إذن تكون الأهازيج وعيـون القريض ؟! :

— « ما اشهاه كان حديثا ! .. ما اعذبه وما ارقه ذلك الكـلام البليغ . الحار ، البديع .. لله درك يا منصور ، يا بنى الشجاع الحبيب .. ما احلى

همسك الجياش ، ونحن وحدنا فى ظلمة الكوخ ، والرياح الثائرة من خارجنا تصفع بشدة وتلطم فى عنف كل ما يعترض طريقها من عوائق .. تزف إلى بسعادة ضافية تلك البشرى السارة الرائعة .. بشرى قبولك : زهرة جديدة ، ريانة ندية ، فى (باقة الموت الباسل) مع (زملاء الغد الأخضر المورق) ، على نحو مايحلولك أن تسمى تلك الأشياء الكبيرة الشاهقة ، بهذه التسميات الشاعرية الرقيقة .. خلب لبى حديثك الهامس الرائق يا منصور .. شوقنى إطراؤك الساحر ووصفك الآسر الخلاب لأولئك (الفرسان الذين يمتطون الليل) إلى أن أراهم ، وأراهم بأسرع ما أستطيع .. وددت لى الأثر أن تأخذنى إليهم وعلى الفور .. أولئك الذين ــ كما قلت لى فى آخر مرة هنا فيها معا ــ نذروا أن لن تنام العيون إلا النومة الواحدة الأخيرة ، حينما تتوسد الجباه الشم الشوامخ : ثرى من رمل وصخر ، ترطبه ينابيع من زكى دمائهم » .

ذلك كان دأبها .. وتلك ــ فيما خلا من ليال ــ كانت حالها ...

لكن منصورا بعد أن طالت غيبته عنها ، وبعد أن حان موعد (اللقاء الكبير) الذى حدثها عنه كثيرا .. وبعد أن جزعت ، وانخلع فؤادها ، وتساءلت فى وحدتها ، فيما بينها وبين نفسها : ماذا حدث ؟! .. أين زهرتى الناضرة ، بل أين هى (الباقة) وماذا آل إليه أمرها ؟! .. هل سقطت الزهرة الغضة البكر ، فسحقتها الأقدام الغليظة الشرسة ، التى لا تنى تجوس كل المسالك والدروب ، تتشمم رائحة أية زهور ، لتسحقها إن هى استطاعت ، و .. وهى ها هنا لم تدر بعد ؟! .. بعد هذا وبعد أن بح صوتها فى محاولات يائسة مكرورة ، لتبرئة نفسها أمام عسس المحتلين .. وفى تصيد الأدلة وحشدها ثم تقديمها تباعا ، لتؤكد لأولئك الذئاب المسعورة بأنها لا تأوى فدائيين عندها ، وأيضا فى (تبريرات) لا تنتهى بين يدى ذلك الضابط الصفيق اللحوح ، لكثرة تغيب ابنها عنها ، حتى لقد هددها فى (دوريته) الأخيرة بالذبح الحقيقى ، الذى حاق من قبل بزوجها .

.. بعد ذلك كله .. عاد ، الليلة ، منصور ..

• • • •

منصور ــ حقا ــ عاد ..

* * * *

.. كانت فى خلوتها الأسيانة المعتادة ، مضطجعة إلى الجدار أمام السقفية وراء كوخها ، وقد سبحت مع نجاواها حتى غفت عيناها .. وحبات الحنطة تساقط عفوا من راحتى يدها فى مناقير الدجاج حولها .. حينما اهتزت شجيرات الليمون من فوقها .. فهبت ناهضة مذعورة ، وقبضتها على خنجر مرهف النصلين تخفيه تحت ثيابها ، وتدخره للذود عن عرضها وحياتها .. ولكن .. لقد كادت الفرحة الباغتة العارمة تطيح بها بعيدا ، وهى ترى قبالتها (منصور) ولدها ! .. كادت تنسى نفسها وموقفها ، فهمت بأن تزغرد ابتهاجا ، لولا أن أسرع الفتى يسند مدفعه جانبا ، وينخرط على عجل إلى أمه العزيزة الشجاعة ، يعانقها بذراع ، وبالثانية يمنع زغرودة الفرحة أن تنطلق (الآن) وقبل موعدها ، من فمها ! .. وعلى الفور قال لها وعيناه تتألقان بالبريق الذى تعهده فيهما ، كلما بلغت نشوته أوجها :

ــ « اماه .. صبرا قليلا يا أمـــاه .. ستزغردين كثيرا ، عما قليل ..
وإلا فكيف تظنين ماذا ستكون الخاتمة ؟ .. لن يسود الباطل قط ، والحق آخر الأمر لا بد منتصر ، و .. ماذا أقول يا أماه .. أذكرى يا أمى قـــول الله عز وجل .. (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا) وصدق الله العظيم ، وما هم رفقـــاء الباقة الرائعة الفواحة الأريج كلهم لديك ، هنا ، الآن .. فمن هنا ستكـــون اليوم نقطة الانطلاق .. والليلـــة : موعد اللقاء الذى كنت حدثتك عنه طويلا .. إنه اللقاء الذى سيهز الباطل الخائر من كل الأركان .. لقاء حافل ستتحـــــدث بذكـــره الركبان » ..

ولدهشتها ، وقبل ان تستطيع أن تعقب على حديثه النشوان بحـــرف ، رأت على الأثر أكثر من عشرين شابا فى نضرة الورود .. باقـــة من زهـــــور مونقة حقا .. كانوا كلهم مدججين بأسلحتهم الرهيبة الحديثة ، والخوذات فوق رءوسهم ، ينبثقون لا تدرى من أين ، ويثبون بغير اصوات كسرب من نسور لم تبدأ فى التحليق إلى آفاقها بعد .. ثم يمرقون صوب السقيفة .. ينسربون تباعا الى داخلها ، وعيونهم تلمع وسط الظـــلام بوميض ساطع شديد النفاذ .. و ..
وارتبكت الأم .. وحارت فيما ينبغى عليها أن تسهم به من رعاية وصون ، لهذه الوديعة النفيسة الغالية ..

ذلـــك كلـــه كـــان ، منـــذ قليـــل ..

* * * *

... فما هـــذا الـــذى تسمـــع ؟؟!!
كان قد نعب فى الأفق صوت منكر ، كريه ، تستطيع أذناها ان تميزاه من بين كل انكر الأصوات .. علا من الجانب الآخر : صوت ذلـــك الضابط السليط يدعوها بصلافة وقحة لأن تفتح الباب !

هرعت إليه .. وبطلاقة باهرة جسور لا تدرى مأتاها .. أنشأت تعيد من جديد مأثور توسلاتها وتبريراتها... راحت تؤكد له أن لا احد بالطبـــع عندهـــا .. وان وحيدها الصغير الغرير ، يسعى كدأبه وراء القوت ، ومن ثم فان الكوخ خال ، وليفتش بنفسه إن شاء ذلك ! ..

لكن الهائج المرتعد .. يعود صارخا ، ملوحا بانفعال وبطول ذراعـــه فى الهواء ، مهددا ، منذرا إياها بالذبح العاجل الـــذى حاق ــ على يديه ــ بزوجها .. مصمما على رايه الذى جاء مقتنعا به ، وهو انه سمع عند التطوافة الأخيرة لـــ (دوريته) أصوات همهمات ، عليها أن تعطى عنها تفسيرا مقنعا .. !

اخذت المراة الباسلة تناقش وتدافع ، تبرهن وتجادل .. بثبات وصمود ــ أذهلاها هى نفسها ! ــ مضت ، كما لو كانت تحفظ عن ظهر قلب كل ما ينبغى أن يقال ، تدلل للضابط اللاهث على صدقها ، وعلى بعدهـــا عن كل مظانه وريبه .. مؤكدة بحرارة أن من الخير له أن يدعها وشأنها ، وان يثق بأنا مخطىء تماما إذ يشك فى حرف واحد مما سمع من أقوالها .. فلقد يكون الـــذى سمعته اذناه : قرقرات الدجاج ، او ثغاء الشاة ، ولا شىء سوى ذلك و .. فعلت حالـــة (سيادته !) النفسية فعلها ، فاعتقد أنها قد تكون همهمات بشرية !!

لكن الرجل الذى بلغ به الغيظ القاتل مبلغه .. انقض عليهـــا كالمخبول

الملتاث يركل ويصفع ، ثم يصرخ بأعلى صوته ليأمرها : أمــرا .. أن تستديــر بوجهها أماما ، ليحتمى وجنوده وراء ظهرها ، حتى يمكن أن يروا بأنفســـهم ماذا ــ بالضبط ــ هناك !

وامتثلت المسكينة اضطرارا لما أراد ، علّه أن يكتفى بذلــــك ، فينصرف من الكوخ رأسا ، الى حيث جاء من الخلاء !

لكنه لما لم يلق أحدا فى الكوخ .. عاد إلى الركل والصفع ، ولسانه ليس بأقل من يديه (بسالة !) فى السباب والشتم .. ثم دق الارض بكعبى حذائه معــولا :

ــ « خذينا ، أيتها الكلبة العقور ، إلى هناك » !!

ــ هناك .. أين ؟؟؟

ــ إلى السقيفـــة !!

كادت الارملة التعسة تخر متهاوية بطولها إلى الارض ..

« السقيفة ؟! .. كيف ؟! .. كيف وفى داخلها هنـــاك اغلى عدة ، وأعــز عتاد ؟؟ » .

حاولت عبثا أن تصرفه عن فكرته تلك الخاطئة .. انشأت تكرر القول بأن لا شيء على الاطلاق فيها ، ما عدا الشاة والدجاجات .. الا أنه يزداد إصرارا ، ويعود ممعنا فى مزيد من قبح فى الرد ، باللفظ وبالحركة كليهمـــا ..

لكنهم قبل أن يصلوا ــ على ذلك النحو ــ إلى هناك ، وكاهل « أم منصور » محنى بحدة ليتقى فى غير ما جدوى سيل الصفعات والركلأت الذى لا ينتهى ، ومن خلفها الضابط المنفعل بطابوره الصغير من ورائه .. علت فجـــأة قرقرة الدجاج .. وكان (منصور) قد قفز فوق سطح السقيفة من عل ، ثم انفلت مارقا وحده بسرعة بعيدا .. صائحا أن لا احد فى المكان سواه ، وانه كان فى خلــوة يتدرب على سلاحه ، وأن عليهم أن يتبعوه إن كانوا ــ بحق ــ رجالا .. !

* * * *

تدفقوا يجرون خلفه ، وطلقات النار تنهال من بنادقهم فى إثره ، وكلماته العالية تشق دمدمة الرصاصات وتعلو على صفيرها ، لتصل إلى أذنى أمه :

ــ « أمـــاه ... الباقـــــة » .

وعندئذ .. برز الفتية المسلحون من مكمنهم .. صقورا متأهبة ، واسودا متوفزة .. ومال أحدهم يؤكد للمرأة أنها أمهم جميعا ، وأم باقتهم وكل الباقات الأخريات .. وأن منصورا هو هو الذى قرر هــذا ، وأراده مختارا .. هو الذى قال : (فلتذهب زهرة .. من اجل أن تزدهر كل زهرات الباقة » .. وقـــال الآخرون للأم قبل أن يمرقوا إلى الاتجاه الآخر المضاد :

ــ « أنظرى يا أمـــاه الينا الآن .. واسمعى اصداء بأسنا » .

* * * *

.. وبينما الأم فى حيرتها لا تدرى ماذا تفعل ولا ماذا تقــول ، وهــى موزعة الوجدان بين (الابن) وبين (الأبنـــاء) .. كان الفتية المدججون ينطلقون فى جوف الليل .. خفافا كالصواعق .. صاعدين إلى لقاء آخر فى قلب المدينة الحزينة .. لقاء هائـــل ، بـــدا عليهم أنهم يعرفون متطلباته جيدا ..

الفتاوى

أسير الحرب

السؤال :

هل يجوز شرعا تعذيب الأسير الذى يقع فى أيدينا من الاعداء ؟

الاجابة :

عامل الاسلام الاسرى معاملة انسانية كريمة ، فدعا الى اكرامهم والاحسان اليهم وأثنى على المسلمين الذين عاملوا الاسرى معاملة رحيمة قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) .

وروى أبو موسى الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (فكوا العانى ـ الاسير ـ وأجيبوا الداعى وأطعموا الجائع وعودوا المريض) .

وحدث ان ثمامه بن أثال وقع أسيرا فى أيدى المسلمين فجاءوا به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ـ احسنوا اساره ، وقال : اجمعوا ما عندكم من الطعام فابعثوا به اليه . كان للرسول ناقة حلوب ، فكان الصحابة يقدمون لبنها صباحا ومساء لهذا الاسير . .

الاسلام ليس شرطا فى اقامة الحد

السؤال :

اذا شرب الخمر رجل غير مسلم يقيم فى بلد من بلاد المسلمين فهل يقام عليه حد شرب الخمر ؟

الاجابة :

لايشترط الاسلام فى اقامة الحد فالكتابيون من اليهود والنصارى الذين يتجنسون بجنسية الدولة المسلمة ، ويعيشون معهم مواطنين أو يقيمون اقامة مؤقتة بعقد اقامة ، مثل الاجانب هؤلاء يقام عليهم الحد اذا شربوا الخمر فى دار الاسلام ، لان لهم مالنا وعليهم ما علينا ، ولان الخمر محرمة فى دينهم ولآثارها السيئة فى الحياة العامة والخاصة هذا هو مذهب جمهور الفقهاء وهو الحق الذى لا ينبغى العدول عنه .

وللاحناف رأى مخالف لهذا الرأى يقضى بتركهم وعدم اقامة الحد عليهم .

الزنديق

السؤال :

من هو الزنديق وما حكمه فى الاسلام ؟

الاجابة :

من لم يؤمن بالاسلام لا ظاهرا ولا باطنا فهو الكافر ، ومن آمن بلسانه وقلبه على الكفر فهو المنافق ، ومن اعترف بالاسلام ظاهرا وباطنا لكنه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخلاف ما فسره الصحابة والتابعون واجمعت عليه الأمة فهو الزنديق . .

فالذى يعترف بان القرآن حق وان ما فيه من ذكر الجنة والنار حق ، ولكنه يفسر الجنة بأنها عبارة عن الابتهاج والسرور ويفسر النار بأنها عبارة عن الآلام والأكدار وليس فى الخارج جنة ولا نار فهو الزنديق .

والشرع كما نصب القتل جزاء للارتداد عن الاسلام ليكون مزجرة للمرتدين ودفاعا عن الدين فكذلك نصب القتل جزاء للزنادقة ليكون زجرا لهم .

الحد يكفر الذنب

السؤال :

اذا اقيم الحد على القاتل فأعدم ، فهل يعتبر هذا الاعدام مكفرا للذنب ؟

الاجابة :

يرى اكثر العلماء أن الحدود اذا اقيمت كانت مكفرة لما اقترف من الآثام ، لما روى البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت قال — كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال — (تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق فمن وفى منكم فأجره على الله ومن اصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له قال الفقهاء — ما عدا الشرك — ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فأمره الى اللهآن شاء عفا عنه وان شاء عذبه) . .

الزوجة الثانية

السؤال :

هل يجوز شرعا للزوجة او وليها ان يشترط على الزوج عند عقد القران الا يتزوج عليها ؟

الاجابة :

من حق المراة او وليها أن يشترط الا يتزوج الرجل عليها ، فلو شرطت الزوجة فى عقد الزواج على زوجها الا يتزوج عليها صح الشرط ولزم ، وكان لها حق فسخ الزواج اذا لم يف لها بالشرط ، والى هذا ذهب الامام احمد ورجحه ابن تيمية .

السـنة

اعداد : عبد الحميد رياض

بعض المسلمين عندما يسمع الاحتجاج بحديث من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يتوقف ، ويطلب الاستدلال بآية من القرآن الكريم ، فما رأيكم في هذا ، وهل السنة الصحيحة لا تعتبر مصدراً من مصادر التشريع ... ؟
حسن الطاروطي : ج.م.ع

لا شك أن السنة هى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن ، والسـنة هى قول النبى صلى الله عليه وسلم أو فعله ، أو تقريره (اى سكوته) وعدم انكاره للقول الذى يسمعه ، أو العمل الذى يراه أو يعلم به ، وقد تحدث القرآن عن السنة ، وأوجب علينا الالتزام بها والاقتداء بالرسول والانقياد لحكمه قال تعالى: « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » وقال تعالى : « **لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » وقال تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » وقال تعالى : « **فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** » والمراد بالرد الى الله (القرآن الكريم) وبالرد للرسول (السنة المطهرة) ، والايمان بأن السنة هى المصدر الثانى للتشريع أصل من اصول الدين ، والعمل بها واجب كالعمل بالقرآن الكريم تماما ، لا ينكر ذلك الا من ضل الطريق وحاد عن الحق ، والحديث الذى روى بطريق النقل الصحيح المقيد بشروط الصحة ، وتضمن حكما شرعيا حجة يجب التمسك به ، والعمل بما ورد فيه من إيجاب ، أو ندب ، أو تحريم ، أو تحليل او إباحة .

وللسنة اثرها الواضح فى التشريع ومصداق ذلك قول الله تعالى « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** » والذكر هو القرآن المنزل من عند اللـه بلفظه ومعناه ، والسنة هى التى وضحت المبادىء التى جاء بها القرآن ، وبينت كيف كان عمل الرسول وأصحابه بهذه المبادىء .

وللسنة استقلالها فى بعض التشريعات والأحكام ، كما يدل على ذلك قول الله تعالى « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » وقولـه تعالى « **ويعلمهم الكتاب والحكمة** » والكتاب هو القرآن والحكمة هى السنة المحمدية ، وقوله صلى الله عليه وسلم « يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا .. وان ما حرم رسول الله مثل الذى حرم الله الا وانى قد أوتيت الكتاب ومثله معه » وهذا الحديث يدل دلالة واضحة ان الرسول أوتى الوحى الظاهرى وهو القرآن ، وأوتى الوحىّ الباطنى وهو السنة «**وما ينطق عن**

الهوى . **إن هو الا وحي يوحى**» والادعاء بأن العمل لا يكون الا مستندا الى نص من القرآن دون ما حاجة الى السنة يكون بعدا عن الجادة ، وتنكبا للطريق ، وقد اهتم المسلمون على مر العصور بالسنة وأولوها عناية خاصة لأنهم عرفوا أنها قبلتهم بعد القرآن فشرحوها ، ولم يدعوا جانبا من جوانبها الا جاءوا فيه بأقصى ما تحتمله طاقة البشر ، وخلصوها من كل دخيل ومكذوب واستخرجوا منهـا أشرف المقاصد وأنبل الغايات ، ووهبوا حياتهم ، ووفروا جهودهم لخدمتهـا ، فكانوا خير سلف لخير خلف منيرين بهديهـا الطريق فكانـت وما زالت رائـدا للمسلمين فى سلوكهم ، ومرجعا فى فتاويهم ، وأصـلا من الأصول الهامـة فى طريقة عباداتهم وطاعتهم لله ، فمن ذا الذى لا يستضىء بنورها ، ولا يمتلىء قلبه بتعظيم شأنها .

شـــهر رجب الحــرام

رسالة من الأخ محمد الصديق من صنعاء يسأل فيها عن شهر رجب وهل هو من الاشهر الحرم ، وما هى الاشهر الحرم ...؟

سمى العرب شهر رجب بهذا الاسم ، لأنهم كانوا يعظمونه فى الجاهلية ، ولا يقاتلون فيه وهو من رجبت الشىء : هبته ، ورجبتـه : عظمته ، ويسـمى الأصم لأن الحروب ترفع فيه فلا يسمع للسلاح فيه قعقعة ، ويسمى كذلك الأصب لأن الرحمة تصب فيه صبا .

وقد بقى لشهر رجب هذه المكانة فى الاسلام ، وعظم شأنه ، وبقى ضمن الاشهر الحرم المذكورة فى قول الله تعالى «**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشـر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم**» وقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الأشهـر الحرم فى بعض خطبه فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال « **خطبنا رسول اللـه صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى فى أوسط أيام التشريـق فقال : يا أيها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وأن عـدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر الـذى بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم**» .

وهذه الأشهر الأربعة كانت موضع تقدير الناس فى الجاهلية والاسـلام وكان المسلمون لا يحملون السلاح فيها إلا اذا اعتدى عليهم ، ثم نسخ ذلك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد حاصر الطائف وغزا هوازن فى غزوة حنين فى شوال « وذى العقدة » وهو من الاشهر الحرم . سنة ثمان من الهجـرة ، وقـد درج السلـف الصـالح عـلى تعظيم شهـر رجب لـما فيـه مـن تكريم اللـه لرسوله برحلة الاسراء والمعـراج ، فقـد أسرى برسول اللـه صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ، ثم عرج به الى السماء حيث فرضت عليه وعلى أمته الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ، وكانت أعظم ما فرض من العبادات وأسماها ، والشعيرة الوحيدة التى دعى الرسول إلى السماء لتلقى أمر الله بفرضيتها ..

وانك لتجد بعد هذا أن هذه الأشهر ، سميت بالأشهر الحرم لتحريم القتال فيها فى الجاهلية وفى فترة من صدر الاسلام إذ لازمتها حرمة القتال ، حتى كان الحكم بنسخ حكم هذه الحرمة .

بأقلام القراء

ســـــلامة العقيدة

من كلمة الأستاذ سعد الدين الجيزاوى

لقد شاعت بين المسلمين أخيرا كلمات وعبارات مثل : قسمته ، ومكتوب عليه ، وماذا بيده ؟ ، لو ربنا أراد ، ولما ربنا يريد ، وهكذا وراحوا يرددونهـــا فى كثير من المناسبات سواء منها ما تنطبق عليه ومالا تنطبق .

وهنا موضع الخلط وهنا موضع الخطورة أيضا ، وهنا المزلق الذى تنحدر منه شخصية المسلم اذا لم يقدر مسئوليته أمام ضميره .

ان الأفعال التى تصدر من الانسان نوعان : نوع منها لا دخل له فيـــه ولا اختيار ، ولا يستطيع تعديله ، وتنطبق عليه العبارات السابقة وما شـــابهها ، وذلك مثل :

تحديد العمر ، وعدد الذرية ونوعها ، وأين يموت الانسان ، ومـــاذا سيصيبه من غنى أو فقر أو كوارث لم تكن فى حسابه ، وان خوطب بشىء فى مثل هذه الامور فانما هو من قبيل الاخذ بالاسباب .

والمقياس الذى تضبط به تلك الافعال هو أنها ليس فى فعلها ثواب ولا فى تركها عقاب لأنها خارجة عن ارادة الانسان ، وينطبق عليها الحديث « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » والمراد والله اعلم ما كان مقدرا فى علم الله دون أن يكون للمرء دخل فيه لأن الله تعالى قد اختص بذلك لأمور هو أعلم بها لا ندركها نحن .

والنوع الاخر هو ما يبدر من الانسان بناء على تفكير واختيار وذلك كقيامه الفرائض الدينية والتكليفات الاجتماعية وبعده عن المنهيات الشرعية وعـــن أذى الناس .

ومقياس ذلك : ان هذا النوع ينطبق على كل ما ورد فيه ثواب وعقاب .

فاذا ما قصر فى واجب ثم قال « قسمتى » فهو مخطىء واذا ما شرب الخمر أو ارتشى أو خان وطنه ثم قال « مكتوب على » فهو مخطىء كذلك .

والا فما معنى التكليف واعتبار العقل الانسانى ؟ ثم ما فائدة الرسل ومـــا قيمة تعاليمهم اذا تساوت الافعال جميعها ؟ ؟

من المؤسف جدا أن هذه الفكرة ـــ فكرة احالة كل نقص فى أفعال الانسان على القضاء والقدر ـــ شائعة بين كثير من المتعلمين .

ولا شك ان المرء ما دام قد فقد قيمة المسئولية أمام ضميره وظن أن كل ما يرتكب من آثام إنما هو مسطر ومكتوب عليه ـــ لا شك أنه يصبح منحـــلا لا يتورع وتنعكس شخصيته من انسان كريم الى شيطان رجيم .

ولعل هناك لبسا على البعض فى فهم مدلول « مكتوب عليه » ، وتفسير هذه العبارة يحتاج الى التفريق بين علمنا نحن المخلوقات وبين علم الله تعالى

فنحن نعلم الاشياء بعد حدوثها أو تصورها فى عقولنا ، ولم يتكشف لنـــا علم ما سيكون فى المستقبل .

اما علم الله تعالى فهو عام شامل ينكشف له ما سيكون الى ما شـــاء سبحانه وتعالى . فهو يعلم أن فلانا الطفل سيعيش كذا سنة وستكون له مـــن الذرية كذا وسيتزوج فلانة وقد تكون فلانة هذه لم تخلق وهكذا .

فهل تعلم شيئا من هذا ؟ اللهم لا .

وهكذا : علم الله قبل أن يظهر فلان فى الوجود بأن فلانا هذا سيولد يوم كذا فى سنة كذا وأنه سيؤمر بكذا وينهى عن كذا ثم يعلم الله تعالى (وهذا مــا يهمنا هنا) أن فلانا هذا سيطيع أو يخالف وسيكون بناء على هذه الطاعـــة أو المعصية (التى اختارها بمحض اختياره الذى وهبه الله) شقيا أو سعيدا .

وبناء على هذا العلم السابق تكتب صحيفة الانســـان فلا تغيير ولا تبديل جفت الاقلام وطويت الصحف .

ويتضح من هذا أن سبق أفعال الانسان فى علم الله وكشفها له تعالى ليس معناه أن الله أجبر الانسان ، والا ما ورد قوله تعالى « وما كنا معـــذبين حتى نبعث رسولا » ، وقوله تعالى « افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينـــا لا ترجعون » ، وتعالى الله العلى الكبير عن أن يجبر شخصا على فعل شىء ثم يعاقبه فى الآخرة على فعله .

ومن المؤلم أيضا أن السادة العلماء يهربون دائما من توضيح هذه النقطة وهى فيما أرى أساس العقيدة الصحيحة وهى واضحة لا تحتاج الا الى لباقة وبعد عن التعرض للمصطلحات العلمية .

فعسى أن يفطن الوعاظ وائمة المساجد الى ما فى أعمـــال شرح تلـــك العقيدة ورد المسلمين الى جادة الصواب ومصارحتهم بحقيقـــة الـــقدر لعلهم يفطنون الى ما فى ذلك من خطورة أثرت على شخصيتنا وجعلتنـــا نخلـــط بين الحرام والحلال وما عليه عقاب وما ليس فيه اثم أو مخالفة .

هدانا الله جميعا ووفقنا الى ما فيه رضاه انه سميع مجيب .

رسالة الدين

من كلمة للاستاذ على ســـعيد على

ان الدين يوحد بين المقياس الفطرى للعمل والحياة ، وهو حب الـــذات واشباع رغباتها وملذاتها ، وبين المقياس الذى ينبغى أن يقوم للعمل والحيـــاة وهو المقياس الخلقى الذى يضع الصالح العام موضع الاعتبار . فبدون المقياس الخلقى يصبح عمل الخير أسطورة مجردة . واننا لنقع فى خطأ فادح عندما نجرد الانسان من هذا المقياس ، فنربطه بمفهوم مـــادى ، ثم نأمـــل منـــه أن يضحى بمصالحه الشخصية فى سبيل الغير . اذ انه سيصبح ــ فى هذه الحالة ــ وقد رسخ فى ذهنه ، بأن لا قيم فى الحياة الا القيم المادية الخالصة ، وان ليس له الا هذه الحياة المحدودة والتى لا يعرف لها سوى اللذة والمتعة المادية . ولعـــل هذه الحقيقة هى السبب فى ما أصاب ويصيب الماديين من فشل ذريع فى اقامة مفاهيم اخلاقية لا ترتكز على الفكرة الالهية .

قالت صحف العالم

العظمــة المحمدية

عن مجلة جوهر الاسلام التونسية :

لم تتوفر عناصر العظمة والقوة والخلود لامة من امم المعمــورة نظير مــا توفرت للأمة الاسلامية ، فهى الأمة الوحيدة التى تســـتمد مقوماتهــا الذاتية من تخطيط سماوى حكيم « **لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** » وهى الأمة التى يحق لها من غير ادعاء أن تلقب نفسها بأمة التوحــيد ، لأن جميــع المعتنقين لهذا الدين الحنيف مطالبون بمجرد دخولهم فيه أن يوجهوا أعمالهم كلها الى الواحد الاحد سبحانه وتعالى لايشركون به شيئا ، وعلى هــذا الأســاس أصبح كل عمل يقوم به المسلم قابلا لأن تخلع عليه خلع العبادة والقربى اذا ما تمخض لغاياته النبيلة الشريفة وتوجه به أصحابه لوجه الفرد الصمد .

ولقد اكد القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة هذه المعانى فى غير مــا مناسبة لكى لا يبقى فى قلوب المؤمنين بهذا الدين منفذ تنفذ منه الوثنية القذرة ، ويتسرب منه الشرك ظاهرا أو خفيا — وما تأكيد الله ورسوله على تجريد محمد صلى الله عليه وسلم من كل ما سوى البشرية والرسالة « **قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا** » ما تأكيدهما على ذلك الا من اسباب وقاية هذه الامة مــن التردى فى مهاوى تأليه غير الاله الحق — ذلك الاله الذى لا يتسامح مع مخلوق يختلس لنفسه صفتى العظمة والكبرياء — (**العظمة ردائى والكبرياء ازارى فمن شاركني فيهما قصمته ...**) .

النفس اللــــوامة

عن مجلة دعوة الحق المغربية :

اذا رأيت اخوانك المنتسبين مثلك الى الاسلام وقت صلاة الجمعة يهرعون الى المسجد لأداء الصلاة .. والتسابق الى الصفوف الاولى .. والامعان فــى الدعاء والاستغفار ... والتماس الرضا والرضوان من الرحيم الرحمن ... ولا ينتحل مسوغا فى التخلف عن حضور تلك الساعة ، التى اشــرقت أنوارهــا ،

وفاح أريجها وعم فضلها فخشعت عندها القلوب ، واطرقت الرؤوس ، وتسابقت اليها الجماعات .. لاداء الفريضة واقامة الشريعة ، وارضاء النفس اللوامة .

والنفس اللوامة — ان كنت لا تعرفها — هى ما نقصده بكلمة — الضمير والفرق بينهما أن الأول تعبير قرآنى والثانى تعبير انسانى ...

فالتعبير القرآنى ، أحاط بأبعاد الكلمة ، وخصائصها . أما التعبير الانسانى فهو تعبير تنكب المقاصد ، واستهدف المظاهر ... ولا شك أن نعمة النفس اللوامة التى يملكها قوم زكت نفوسهم ، هى التى ترسم الخط الفاصل بين انسان وانسان ومجتمع ومجتمع آخر .. وقد قامت العبادات فى الاسلام من صلاة فى وقتها ، وصوم فى شهره وحج فى ايامه ، وزكاة بشروطها ، على أساس تربية النفس اللوامة ، فى الصغار والكبار والرجال ، والنساء ، والاغنياء ، والفقراء ...

فاذا كانت هذه النفس اللوامة قد رباها الاسلام فى نفوسنا بمزاولة العبادات فانه طالبنا باستعمالها فى المعاملات على اختلاف أنواعها ، وتباين أهدافها ، ومقاصدها ، وتلك احدى ثمار التماسك الذى نعرفه فى مقاصد الشريعة ومكارمها بين شؤون الدنيا والدين .

فامانة الموظف ، وعفة الاجير ، وشهامة الفتى ، وطهارة الفتاة ، لا يحققها ولا يرعاها الا تلك النفس اللوامة ، التى تحول بين هؤلاء وبين الانزلاق والانحراف والتردى فى حمأة الدنس ... والغواية ... والضلال ...

ولعل أكبر مصيبة أصيب بها المجتمع البشرى على اختلاف ملله ونحله ، هى مصيبة انعدام النفس اللوامة بين الناس . فغدا كل شىء يحتاج الى حماية الحديد والنار ... وشرطة السر والعلن ... حتى صارت الحياة — فى بعض مظاهرها وكأنها جحيم لا يطاق .

فواجب المدرسة المسلمة ، والمجتمع المسلم ، والاسرة المسلمة ، هو أولا وقبل كل شىء ، غرس فضيلة النفس اللوامة ، فى الصغار والكبار ، ليتعود المسلمون فى جميع المعاملات والأفعال ان يكونوا تحت تأثير الخلق النبيل ، المنبعث من عفة النفس اللوامة ، وأمانتها وشهامتها ... لا تحت تأثير أمر قاهر أو عرض زائل أو مصلحة مؤقتة ... أو رقيب يعمى أو يتعامى ....

وانه لرصيد عظيم الشأن واسع الامكانيات . ذلك الرصيد الذى تملكه الأمة فى نفس لوامة ، فى صدور بناتها ، وخاصتها ، وعامتها ، واغنيائها وفقرائها ....

وانها لخسارة عظمى ، وطامة كبرى أن ينضب معينها ، فتنعدم الثقة وتعم الحيرة ، ويتطلب الانسان الحماية من الانسان بكل ما يمكن وما لا يمكن ..... وكان الاجدر بهما أن يوفرا على أنفسهما عناء ذلك بالوقوف عند الحد الذى يقف عنده أولئك الذين أنعم الله عليهم بنعمة النفس اللوامة ....

أخبار العالم الاسلامي

اعداد فهمى الامام

الكويت : يرأس الاستاذ راشد عبد الله الفرحان ، وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وفد الكويت لحضور المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية .. الذى سيعقد فى القاهرة فى سبتمبر المقبل ..

● أدلى سعادة رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع بتصريح جاء فيه : هناك تعاون عسكرى بيننا وبين القاهرة ، وسيظل هذا التعاون قائما ، والكويت أعلنت أكثر من مرة أنها لن تبخل لا بالمال ولا بالسلاح من أجل المعركة .

● رفع فضيلة مدير ادارة شئون المساجد تقريرا للمسئولين عن أحوال المسلمين فى الفلبين عقب عودته من هناك ..

● تقوم الوزارة بدراسة مستفيضة لأحوال المسلمين فى العالم تمهيدا لاصـــدار كتاب يكون مرجعا للمعنيين بهذه الدراسات .

● تقيم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوى المعتاد بمناسبة الاسراء والمعراج بمسجد السوق الكبير عقب صلاة العشاء ليلة السابع والعشرين من هذا الشهر .

● فرغت اللجنـــة المكلفة باعـــداد كتاب « الفريد فى فن التجويد » من اعداده وقامت الوزارة بطبعه طباعة فاخرة ليوزع على طلبة دار القرآن الكريم فى العام الدراسى العادم .

● صدر قرار من وزارة التربية بتوزيع (١٤٥) منحة دراسية على عدد من الدول العربيـــة والدول الصديقة فى آسيا وافريقيا .

القـاهرة : تدرس وزارة الاوقاف وشئون الأزهر تخطيطا جديدا يقضى بانشاء فروع لجامعة الازهر فى جميع محافظات جمهورية مصر العربية .. وتعميم معاهد تعليم الفتيات المسلمات ، واقامة مساكن تستوعب الطالبات المغتربات فى عاصمة كل محافظة .

● أوصى رئيس البعثة المصرية الليبية الى الفلبين ــ فى تقرير عن أحوال المسلمين هناك ــ بضرورة تعزيز الأمن فى مناطق المسلمين ، والسماح بعودة المسلمين الذين تركوا اراضيهم ، وتقديم المساعدات الغذائية والطبية العاجلة لآلاف اللاجئين فى مناطق تجمعهم .

المسعودية : اغتنمت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة العطلة الصـــيفية لطلاب المدارس ، وخصصت مدرسين لتدريس القرآن الـــكريم للراغبين منهم .. وقد أقبل عدد كبير من الطلاب على الدراسة .

● تبنى المجلس الفرعى لأوقاف جدة فكرة التدريس فى ستة عشر مســجدا .. وقد نظمت لجنة احياء رسالة المسجد جدولين .. كل منهما يضم ثمانية مساجد .

● تلقت وكالة الانباء الاسلامية منحة ملكية مقدارها (٤٠) الف دولار لتسيير أعمالها الى حين انعقاد مؤتمر الجمعية العمومية للوكالة فى كوالالمبور .

ليبيا : انشأت ليبيا صندوقا لجمع التبرعات لمساعدة المسلمين فى أوغندا .

أبو ظبى : سيقام مركز اسلامى كبير فى (أبو ظبى) خلال العام الحالى على مساحة (١٥) الف متر مربع ، وسيستوعب المركز (٦٠٠) طالب ، ويضم مكتبة .

تنزانيا : افتتح فى تنزانيا مركز اسلامى تابع للأزهر ، يقوم بنشر الاسلام فى شرق أفريقيا .

ماليزيا : ستنشأ كلية اسلامية فى الجامعة الوطنية بكوالالمبور ، وبذلك تحقق الجهود الرامية الى توطيد الاسلام فى المجال الأكاديمى هدفا عظيما من أهدافها .

اخبـــــــــار متفرقة

● تلقينا من مؤتمر العالم الاسلامى بكراتشى مذكرة يناشد فيها المسلمين اتخاذ موقف موحد لحمل الحكومة الهندية على الرجوع عن الاجراءات التى اتخذتها ضد جامعة عليكره .

● يقوم اتحاد النساء المسلمات فى بريطانيا بحملة لجمع التبرعات لانشاء ملجا ومدرســة لأيتام وأطفال المسلمين المحتاجين للعناية والرعاية فى جو اسلامى .

● افتتح فى أندونيسيا مركز اسلامى تشرف عليه هيئة البحوث الاسلامية .

● تبرأ الرئيس الفلبينى من دماء الضحايا المسلمين أمام البعثة العربية التى تـــزور (مانيلا) للوقوف على حقيقة الموقف بعد المعارك التى وقعت بين المسمين والمسيحيين هناك .

● أرسلت جمعية الطلبة المسلمين فى (دبلن) بجمهورية (أيرلندا) مبلغ (١٠٨) جنيهات استرلينية الى الفلبين ، مساعدة للمسلمين هناك .. ومعبرة بذلك عن استنكارها للمذابح البشعة التى تدبر ضدهم .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	رجب ١٣٩٢ هـ	أغسطس ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الجمعة	١	١١	٣٧ ٣	١٣ ٥	٥٣ ١١	٢٩ ٣	٣٣ ٦	٥٧ ٧	٤ ٩	٤٠ ١٠	٢٠ ٥	٥٧ ٨	٢٤ ١
السبت	٢	١٢	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣٢	٥٦	٦	٤٢	٢١	٥٧	٢٤
الاحد	٣	١٣	٣٨	١٤	٥٣	٢٩	٣١	٥٥	٧	٤٣	٢٢	٥٨	٢٤
الاثنين	٤	١٤	٣٩	١٥	٥٣	٢٩	٣٠	٥٤	٩	٤٥	٢٣	٥٩	٢٤
الثلاثاء	٥	١٥	٤٠	١٥	٥٢	٢٨	٢٩	٥٣	١١	٤٦	٢٣	٥٩	٢٤
الاربعاء	٦	١٦	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٨	٥١	١٣	٤٨	٢٤	٠٠ ٩	٢٣
الخميس	٧	١٧	٤١	١٦	٥٢	٢٨	٢٧	٥٠	١٤	٤٩	٢٥	١	٢٣
الجمعة	٨	١٨	٤٢	١٧	٥٢	٢٧	٢٦	٤٩	١٦	٥١	٢٦	١	٢٣
السبت	٩	١٩	٤٣	١٧	٥١	٢٧	٢٥	٤٨	١٨	٥٢	٢٦	٢	٢٣
الاحد	١٠	٢٠	٤٤	١٨	٥١	٢٧	٢٤	٤٦	٢٠	٥٤	٢٧	٣	٢٢
الاثنين	١١	٢١	٤٥	١٩	٥١	٢٧	٢٣	٤٥	٢٢	٥٦	٢٨	٤	٢٢
الثلاثاء	١٢	٢٢	٤٦	١٩	٥١	٢٦	٢٢	٤٤	٢٤	٥٧	٢٩	٤	٢٢
الاربعاء	١٣	٢٣	٤٧	٢٠	٥١	٢٦	٢١	٤٣	٢٦	٥٩	٣٠	٥	٢٢
الخميس	١٤	٢٤	٤٨	٢٠	٥٠	٢٦	٢	٤١	٢٨	٠٠ ١١	٣٠	٦	٢١
الجمعة	١٥	٢٥	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٩	٤٠	٣٠	٢	٣١	٦	٢١
السبت	١٦	٢٦	٤٩	٢١	٥٠	٢٥	١٨	٣٩	٣٢	٤	٣٢	٧	٢١
الاحد	١٧	٢٧	٥٠	٢٢	٤٩	٢٤	١٦	٣٧	٣٤	٦	٣٢	٨	٢١
الاثنين	١٨	٢٨	٥١	٢٢	٤٩	٢٤	١٥	٣٦	٣٥	٧	٣٣	٨	٢١
الثلاثاء	١٩	٢٩	٥١	٢٣	٤٩	٢٣	١٤	٣٥	٣٧	٩	٣٥	٩	٢١
الاربعاء	٢٠	٣٠	٥٢	٢٣	٤٨	٢٣	١٣	٣٤	٣٩	١٠	٣٥	١٠	٢١
الخميس	٢١	٣١	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١٢	٣٢	٤١	١٢	٣٦	١٠	٢٠
الجمعة	٢٢	سبتمبر	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١١	٣١	٤٢	١٣	٣٧	١١	٢٠
السبت	٢٣	٢	٥٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠	٤٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠
الاحد	٢٤	٣	٥٤	٢٥	٤٧	٢١	٩	٢٩	٤٥	١٦	٣٨	١٢	٢٠
الاثنين	٢٥	٤	٥٥	٢٦	٤٧	٢١	٨	٢٨	٤٧	١٨	٣٩	١٣	٢٠
الثلاثاء	٢٦	٥	٥٦	٢٦	٤٧	٢٠	٧	٢٧	٤٩	١٩	٤٠	١٤	٢٠
الاربعاء	٢٧	٦	٥٧	٢٧	٤٧	٢٠	٦	٢٥	٥١	٢١	٤١	١٤	١٩
الخميس	٢٨	٧	٥٧	٢٨	٤٦	١٩	٤	٢٣	٥٣	٢٣	٤٢	١٥	١٩
الجمعة	٢٩	٨	٥٨	٢٨	٤٦	١٩	٣	٢٢	٥٥	٢٥	٤٣	١٥	١٩

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـــ شـارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ـــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الجديثة ـــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ ص.ب ١٧١٩

الدوحـــة : سالم الانصارى ـــ الدوحة / قطر .

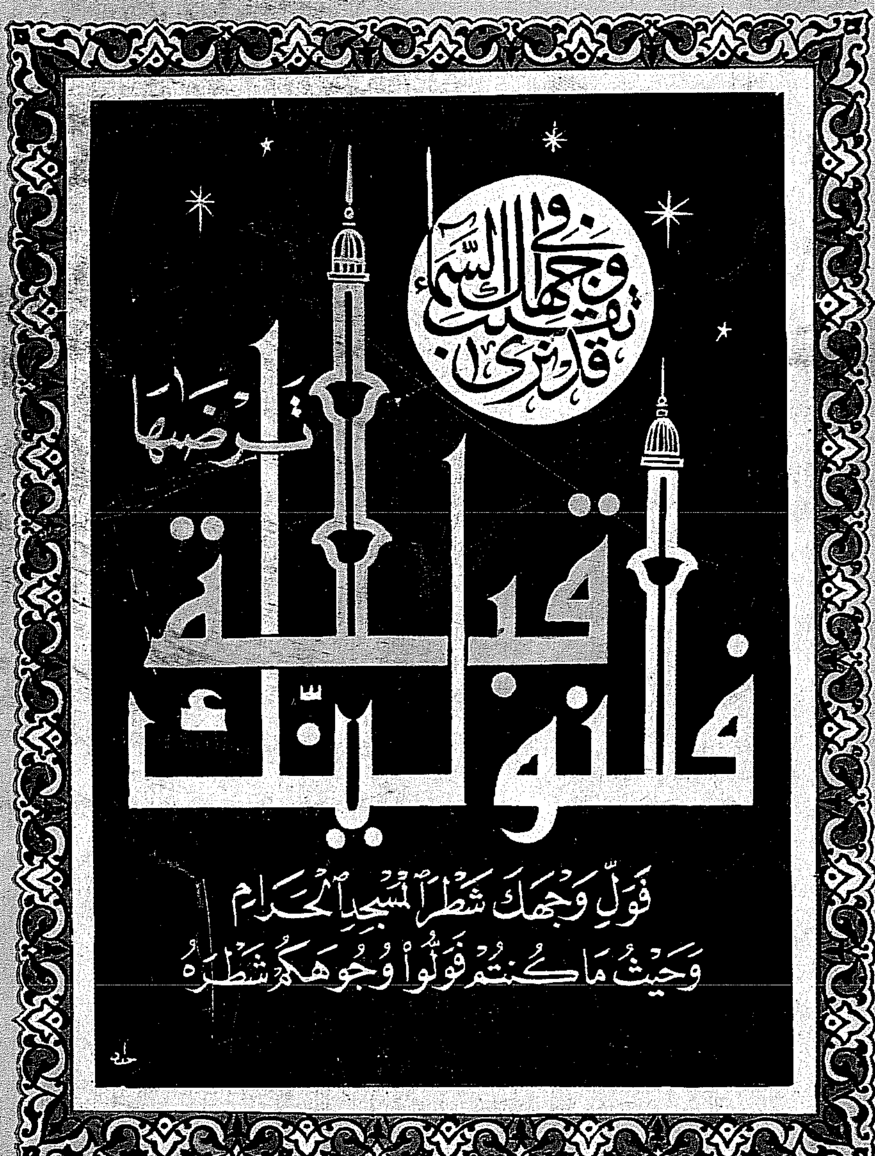
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

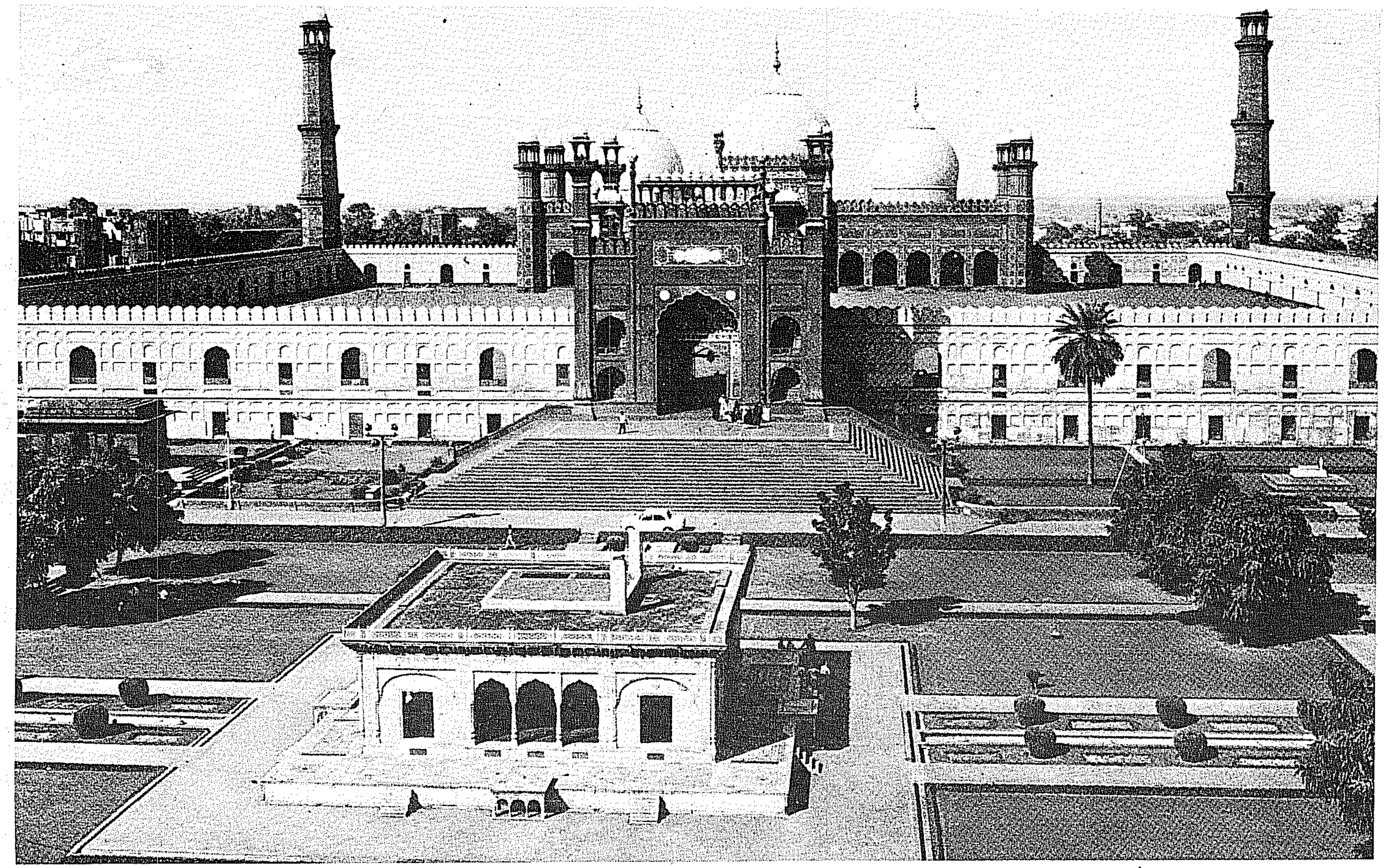
اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية





مسجد بادشاهی بلاهور باکستان



قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره .

(صدق الله العظيم)

الغلاف بخط محمد سعد الحداد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد الثانى والتسعون

غرة شعبان ١٣٩٢ هـ

١١ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

الحَسْمُ ... والحُسَامُ

فى اللغـــة :

الحسم : من معانيه فى اللغة القطع ، ومنه قول الحق تبارك وتعالى فيما حاق بعاد قوم هود من العذاب لعتوهم وجبروتهم وتمردهم على الله ورسالته : « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » والحسوم القاطعة المستمرة فى القطع . أى أنها حسمتهم وأفنتهم ، فلم تبق منهم أحدا . ومما يذكر انه لم يرد فى القرآن الكريم من هذه المادة الا هذا اللفظ .
والحسام : السيف القاطع ، ومنه قول ابى حراش الهذلى :

ولولا نحن أرهقـــه صهيب حسام الحد ندرو با خشيبا

ومما يجرى على الألسنة من هذه المادة جريانـــا عربيا صحيحا : حـــرب حاسمة ، ولحظة حاسمة وموقف حاسم ، ورأى حاسم :

والحرب الحاسمة هى الفاصلة التى يتقرر فيها مصير المتحاربين . نصر كاسح لفريق ، وهزيمة منكرة للفريق الآخر لا تقوم له من بعدها قائمة . .

واللحظة الحاسمة : هى التى تمر بالانسان فى انتظار أمر هام يقع فيهـــا ويكون له تأثير كبير فى حياته كاللحظة التى ينتظر فيها الطالب نتيجة اختبـــاره

واللحظة التى يترقب فيها المتهم النطق بالحكم له أو عليه .. والموقف الحاسم هو الذى يتخذه الانسان تجاه أمر معين .. ويمضى فى طريق تنفيذه دون تردد ولا توقف ، ولا مبالاة بما يجره عليه من تضحيات ومغارم ، وما سيتحمله فى سبيله من جهد ومشقة . ثقة منه بأنه لا بديل عنه فى تحقيق الهدف وبلوغ الغاية .. ويقدم الموقف الحاسم رأى قاطع فى مجال تعدد الآراء وتضارب الحلول وتأرجح العقول بين الاقدام والاحجام مثلا والتريث والسرعة واليمين واليسار والصراحة والمجاملة والوضوح والالتواء .

وليس الحسم عجلة تورث ندامة ، ولا اندفاعا أعمى يقود الى التهلكة بل الحسم بكل معانيه وكافة صوره يحتاج الى العقل الناضج الذى لا يطيش ولا يتأثر بالاهواء .. والى الدراسة العميقة التى تحيط بالأمر من كل جوانبه .. والى الخبرة الواسعة التى تصقلها التجارب والأحداث .. والى المشورة الأمينة التى تستند الى الصدق والاخلاص ، ولا تعرف المجاملة والنفاق .. والى انتهاز الفرص التى لا تدرك الا باليقظة والمبادرة وسرعة البت والتنفيذ .

والحسم يقابله التردد ، وفى متاهات التردد ودروبه الملتوية وشعابه المظلمة تضيع معالم الطريق ، وتبعد رؤية الهدف ، وتكثر التخمينات والحدسيات ويتولد من الوهم أوهام ، ويتمخض الفرض عن فروض ، ويتفرع عن الاحتمال احتمالات ، ويبعد القريب ، ويعظم الصغير ، ويتراءى السراب ماء وعود الثقاب بركانا والذبابة طائرة ، والتردد لا يحل مشكلة ، ولا يفصل فى أمر ، ولا يؤدى الى نجاح قضية صغرت أو كبرت . خصت أو عمت ، والمتردد يغرق فى شبر ماء ويضل الطريق وسط الأضواء الكاشفة والعلامات الهادية ، والتاجر المتردد لا يربح لأنه يبالغ فى احتمال الخسارة ، والخائف المتردد لا يأمن لأنه يتوهم أن الخطر يحيط به من كل مكان ، والمسئول المتردد لا يحل عقدة ، ولا يبرم أمرا ولا يقطع برأى ، والقائد المتردد يحارب ولا يحارب ، ويغزى ولا يغزو ويعرض نفسه وجيشه للفتك والابادة ، والتردد مزرعة خصبة للمساومات والتنازلات عن الحقوق ، وهو يحل العزم ويوهن الارادة ويبدد القوى .

يقول الأستاذ احمد أمين : أكره ما أكره التردد . يقدم الرجل رجلا ويؤخر أخرى ، ويقدم ثم يحجم ،ويحجم ثم يقدم ، وتفوت بذلك الفرص وتتعقد الأمور، وكثير من الناجحين فى الحياة انما نجحوا لبتهم لا لترددهم . .وكان العرب يمدحون الفتى بسرعة البت وقوة الحزم ويقول قائلهم :

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

ويحمل على التردد الهرب من المسئولية فان العمل تصحبه المسئولية دائما ،فهو يفضل الا يعمل حتى لا يسأل ، وهذا عين ما تقع فيه حكومات

الشرق ــ تتردد حتى لا تسأل ، وتسير على الطريقة المتبعة حتى لا تسأ لدائما عن السوابق حتى تأمن الخطأ ، ولذلك قل عندها التجديد ، وعندى أن البت مع الخطأ خير من التردد مع الصواب .

والحسم يلازمه أمهات الفضائل : الحزم والعزم والارادة القوية والثقة والثبات وقوة العقيدة والنصر والنجاح فى الحياة .

والتردد يلازمه أمهات الرذائل : الجبن والضعف ، وفقدان الثقة بالنفس والشك ووهن العزيمة والارادة والهزيمة والاخفاق فى الحياة .

العقيدة والحسم :

وألزم ما يكون الحسم فى مجال العقيدة ، فهى لا تقبل المساومة ، ولا الالتقاء فى منتصف الطريق ، ولا موضع للمجاملة على حسابها ، والانتقاص منها ، وصاحب العقيدة لا يتخلى عن شىء منها لأن الصغير منها كالكبير ، بل ليس فى العقيدة صغير وكبير . انها حقيقة واحدة متكاملة الاجزاء . لا يطيع فيها صاحبها أحدا ، ولا يتخلى عن شىء منها أبدا ، واهل الباطل على استعداد للتخلى عن كثير من عقيدتهم وقد حسم القرآن الكريم الأمر فى المساومات التى حاول بها كفار مكة أن يزحزحوا رسول الله عن عقيدته ، أو يصرفوه عن المضى فى تبليغ رسالة ربه .

لقد ساوم مشركو مكة رسول الله ، وأرادوا على عادة المساومين أن يلتقوا معه فى منتصف الطريق ، وطلبوا منه أن يداهنهم ويلاينهم بعدم تسفيه عبادتهم وسب آلهتهم ليعايشوه ويتابعوه فى بعض ما جاء به ، وأغروه بالمال والجاه وبالملك ، ولكن الرسول كان حاسما فى موقفه من دينه لا يداهن فيه ولا يلين وهو من هو الين الناس خلقا واحسنهم عشرة ، فاما الدين فهو الدين وأما العقيدة فهى العقيدة ، ونزل القرآن الكريم يحذر الرسول من مساومة المشركين ويفضح حقيقة أمرهم قال تعالى : « ودوا لو تدهن فيدهنون » .

ويروى ابن اسحاق فيقول « اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة ــ الأسود بن المطلب بن أسد والوليد بن المغيرة وامية بن خلف والعاص بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه ، وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت حظك منه،فقطع الله هذه المحاولة ، وأفسد المساومة ، وفصل بين عقيدة وعقيدة ، وأنزل : « قل يا أيها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين » .

نزلت هذه السورة بهذا الجزم ، وبهذا التوكيد وبهذا التكرار لتنهى كل قول وتقطع كل مساومة .

مواقف حاسمة :

ويذكر التاريخ الاسلامى من مواقف عمر بن الخطاب الحاسمة موقفا فريدا وقفه عمر لتوه ولحظته ولولاه لعصفت ريح الخلاف بالأمة الاسلامية فى اشد اوقاتها واحرج الظروف التى مرت بها ، فبعد لحوق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ووقوع الفرقة بين المهاجرين والأنصار فيمن يستخلف بعده رأى عمر فى هذه اللحظات السريعة المليئة بالمفاجآت ان التردد يوسع الشقة وأن التمهل مهلكة فاتخذ فى نفسه قرارا فاصلا ووقف موقفا حاسما رأى أن أبا بكر وحده من بين اجلاء الصحابة هو الذى يجب أن يستخلف ويبايع دون ابطاء فقد اجتمع له شرائط السن والسبق فى الاسلام وصحبة النبى فى الغار وكان اول امير للحج فى حياة الرسول وهو الوحيد الذى اختير لامامة المسلمين فى الصلاة اثناء مرض النبى — فوقف عمر دون تردد ولا ابطاء فى سقيفة بنى ساعدة على ملأ المسلمين من المهاجرين والأنصار وتقدم الى أبى بكر وبايعه ، وقال له أنت أفضل منى ، فقال أبو بكر وأنت أقوى منى ، فقال عمر ان قوتى لك مع فضلك ، فكان هذا أفضل الخطاب ، وتتابع الناس بعد ذلك على بيعة أبى بكر فكان حسم عمر ويقظته وقوة ارادته أسرع من الفتنة واقطع لدابر الفرقة وسببا لجمع كلمة المسلمين .

وتتوالى الأحداث فى مطلع خلافة الصديق ، فيواجهها رضى الله عنه بالحسم والعزم .. يمضى بعث أسامة بن زيد ، ويضرب بتحذير المحذرين عرض الحائط ويقول : والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ولو أن الطير تخطفتنا والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة .. وتنبت فتنة الردة ويغضب الصديق غضبته ، ويقابل الفتنة من بدايتها الى نهايتها بما يتطلبه الموقف من اليقظة والسرعة وقوة البت والتنفيذ ويقول « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عناقا لقاتلتهم عليه » ولولا حسم أبى بكر لتغير وجه التاريخ قال أبو رجاء البصرى : دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ، ويقول له : أنا فداؤك ولولاك لهلكنا ، قلت : من هذان . قالوا عمر يقبل رأس أبى بكر فى قتال أهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين .

ان النجاح فى القضايا المصيرية يتوقف على الحسم والسرعة والمبادرة ، فليس يكسب المعركة القائد الذى لا يقدم الا اذا كان واثقا من نصره ، مائة فى المائة وليس يكسب المعركة القائد الذى لا يريد أن يضحى بشىء من جنوده ، والعربى المجرب عبر عن هذا بمثله السائر « من مأمنه يؤتى الحذر » ، والله جل شأنه يقول لرسوله الكريم : « فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى

١

فكرة الخير والشر

للدكتور/محمد محمود قاسم

لقد عالج المفكرون الاسلاميون فكرة الخير والشر بصور مختلفة ، وربطوا بينها وبين القضاء والقدر ومشيئة الله المطلقة . والخلاف في هذه المسائل بين أكبر طائفتين من علماء المسلمين ونعني بهما المعتزلة والاشعرية اشهر من ان يشار اليه . وقد سبق ان عرضنا لهذا الخلاف في دراسات سابقة (١) ، مما يعفينا من تكرار انفسنا ، اذ من الافضل ان نعرض وجهة نظر جديدة ربما كانت أكثر خصوبة على المستويين الفلسفي والديني . ونعني بذلك وجهة نظر محيي الدين بن عربي الذي خصص لهذه المسألة جانبا كبيرا من عنايته وتفكيره . ونسارع الى القول بانه عالج موضوع الخير والشر من الناحيتين الميتافيزيقية والدينية وما يترتب على ذلك بالنسبة الى كل من السلوك الانساني في الحياة ومسألة الثواب والعقاب .

وقد يبدو ، في النظرة الاولى ، أن هناك تفاوتا في تفكيره في هذين المستويين ، لكن يجب أن نقرر أن النظرة الموضوعية كشفت لنا عن أن فكرة واحدة تسري في كل ما كتبه في هذا الموضوع . ويمكن تلخيص هذه الفكرة في أنه كان يؤمن بأن أفعال الله كلها خير ، وأن الشر لا يظهر في العالم الا بسبب

تركيب الكائنات واستعدادها لقبول هذا الخير الالهي بدرجات متفاوتة ، بل هو أمر عارض بسبب وجود هذا العالم مما يوحي الى ابن عربي أن الخير هو الاصل ، وان رحمة الله ستعم الجميع في نهاية الامر ، أشقياء كانوا أم سعداء وسنرى أن هذه الفكرة التي يعرضها هنا فكرة ملحة لديه ، وربما يرجع الحاحها عليه الى انه كان من هؤلاء الذين يسلكون ، في ارشاد الآخرين ، مسلك الترغيب، انهما منهجان مختلفان . ونعتقد أن لكل منهج منهما انصاره ، نظرا لاختلاف طبائع الناس وامزجتهم ، وعاظا كانوا أم موعوظين . اما من جانبنا فانا نفضل أن نعرض وجهة نظر ابن عربي بأمانة وموضوعية تاركين لغيرنا الحكم له او عليه .

* * * * *

النظرة الميتافيزيقية :

ان هذا المتصوف يقرر لنا أن المحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين يقولون بأن الوجود هو الخير المحض ، وأن العدم هو الشر المحض . وأن تلك حقيقة لم يدركها بعض الناس بسبب ما يكتنفها من غموض . ثم يقص علينا أن بعض سفراء الحق ، ويعني به خاطرا من خواطره قال له : ان الخير في الوجود وان الشر في العدم ، وكان ذلك ، كما يقول هو ، في حديث طويل علم منه أن الله له الوجود المطلق من غير تقييد . فهو اذن الخير المحض الذي لا شر فيه وان هذا الوجود المطلق يقابله العدم المطلق ، وهو الشر المحض الذي لا خير فيه . لكن لما كان العدم المطلق لا وجود له ، فليس هناك شر محض . (٢) لكن هناك نوعا آخر من العدم وهو ما يطلق عليه ابن عربي العدم الاضافي أو النسبي ويريد به كائنات هذا العالم عندما كانت مجرد ممكنات في العلم الالهي ، قبل أن تخرج الى حيز الوجود . وانما سماها بالعدم الاضافي لان الوجود الذي تكتسبه ، فيما بعد ، ليس اصيلا فيها . بل هو وجود عارض أو معار ، فهي تخرج من عالم الغيب الى عالم الشهادة ، ثم تعود الى العالم الذي يسميه أيضا بخزائن الجود الالهي . فاذا نحن سلمنا بوجود هذا العدم النسبي أو الاضافي أمكن أن نسلم بوجود الشر النسبي في كائنات هذا العالم عندما اكتست بحلة الوجود . لكنه شر عارض وليس أصيلا فيها على نحو ما سنفصل القول في ذلك

وانما كان الله هو الخير المحض في نظر ابن عربي لان الله قد وصف نفسه بأنه نور السموات والارض . فهو الخير المحض والوجود المحض لأن « الوجود نور والعدم ظلمة فالشر عدم » (٣) ، ومن ثم يجب أن يوصف العالم الذي خرج الى نور الوجود بأنه خير ، ولو عرض فيه ما يوهم وجود الشر . واذا كان الله قد اعطى الوجود للعالم فليس من الممكن أن يحتوى هذا العالم على شر أصيل فيه ، بل انه ما ظهر عن الله الا بصورة ما هو الامر عليه ، وما في الاصل شر ، لكن اذا قلنا بوجود هذا الشر العارض في الكون فالى من ننسبه ؟ أننسبه الى العالم أم ننسبه الى الله ؟ إنه لا يمكن أن ننسبه الى الوجود المحض . كذلك لا يمكن أن ننسبه الى العالم ، ما دام في قبضة الله ، وهو الخير المحض التام (٤) . فلم يبق الا أن ننسبه الى طبيعة الكائنات الممكنة التي وإن خرجت الى الوجود ، فلا بد أن يدركها العدم الذي يترقبها . فبقدر ما تنطوي عليه من عنصر العدم ينسب الشر اليها . أما الوجود الدائم فهو خير كله . لكن ما دامت

هذه الكائنات موجودة بالفعل فان الشر الذى تنطوى عليه ليس الا شرا عارضا « ونحن فى الخير ، وان مرضنا فانا نصح . فان الاصل جابر ، وهو النور » (٥).

واذا كان الامر كذلك ، فيمكن القول ، تبعا لوجهة نظر ابن عربى ، بان هذا العالم الذى خلق من اجل الخير ، لامن اجل الشر ، قد خلق لتحقيق السعادة فاذا وقع الشر لبعض الكائنات فقد وقع بحكم العرض ولحكمة الهية « لأن الخير المحض الذى لا شر فيه ، وهو وجود الحق الذى أعطى الوجود للعالم ، لايصدر عنه الا المناسب وهو الخير خاصة . فلهذا كان للعالم الخير بالذات » غير انه من الواجب أن نفرق دائما بين الله والعالم . ذلك أن الله غنى عن العالم ، والعالم مفتقر اليه دائما فى وجوده ، ان الله يوجد لذاته فهو الوجود المحض فكيف للعالم الذى يقبل الوجود والعدم أن يكون فى مرتبة خالقه ؟ والشىء الذى يقبل الوجود والعدم هو الشىء الممكن وهو الذى يعرض له ان يظهر فيه الشر لان امكانه لا يحول بينه وبين العدم . فبهذا القدر ظهر الشر فى العالم . فما ظهر الا من جهة الممكن لا من جانب الحق (٦) . فالخير كله من الله ، أما ما يبدو فى مظهر الشر فهو من جانب المخلوق .

اننا نصف الاشياء عادة لانها لا تتلاءم مع اهوائنا أو مصالحنا الخاصة ، فنجعل انفسنا مقياسا لتحديد طبيعة الخير والشر فيها . أما فى حقيقة الامر فان للعالم خيره الذاتى . وهنا نجد ابن عربى يعلل فكرته هذه على ضوء ما جاء فى القرآن من الاستدلال على وجود الله بوجود العالم . فان الدليل ، وهو العالم ، يكتسب صفة الخير من المدلول عليه ، أى من الله . ولما كان الدليل يشرف بشرف المدلول ، والعالم دليل على وجود الله ، فالعالم شريف كله . فلا يحتقر شىء منه ولا يستهان به . هذا اذا اخذنا من جهة النظر الفكرى . وهو فى القرآن « أفلا ينظرون الى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت . . . » وكقوله « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض » وقوله « ان فى خلق السموات والارض . . الآية » وكقوله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » وامثال هذه الآيات . وأما عند أهل الكشف والوجود فكل جزء فى العالم أوجده الله لابد أن يكون مستندا الى حقيقة الهية . فمن حقره أو استهان به حقره خالقه واستهان به . . . . وكل ما فى الوجود فانه حكمة أوجدها الله ، لأنها صنعة حكيم فلا يظهر الا ما ينبغى كما ينبغى . فمن عمى عن حكمة الاشياء فقد جهل ذلك الشىء . ومن جهل كون ذلك الامر حكمة فقد جهل الحكيم الواضع له ، ولا شىء أقبح من الجهل (٧) وقد يعترض بعضهم فيقول لابن عربى : انك تصف كل شىء يوجد فى العالم بانه خير وحسن ، ثم نراك تحكم بقبح الجهل ، والجهل كأى شىء آخر لا بد أن يستند الى حقيقة الهية ، ويجيب ابن عربى : ان الجهل ليس شيئا وجوديا ، وانما هو مجرد علاقة أو نسبة : فالجهل انما هو عبارة عن عدم العلم لا غير . فليس بأمر وجودى . والعدم هو الشر . والشر قبيح لنفسه حيثما فرضته ولهذا ورد فى الحديث الصحيح : والخير كله بيديك والشر ليس اليك . فما نسب الشر اليه . فلو كان الشر امرا وجوديا لكان ايجاده الى الله ، اذ لا فاعل الا الله . فالوجود كله خير ، لانه عن الخير المحض وهو الله تعالى . أما العالم فليس وجودا على الحقيقة لانه مفتقر الى الله دائما ، ولذلك نرى ابن عربى يصفه احيانا بانه ظل الوجود المحض .

اذن ليس الشر الذى قد يعرض للمخلوقات شرا فى ذاته من حيث ان الله اوجده ، ولكنه يبدو شرا فى نظر المخلوق الذى يجد انه لا يناسبه « فمن حيث وجود عينه هو الى الله ، ومن حيث كونه شرا ليس الى الله » فالمؤمن هو الذى ينفى ما نفاه الرسول عن ربه عندما قال : والشر ليس اليك . (٨) واذن لا ينسب الى الله الشر المحض ، وهو العدم المطلق ، كما لا ينسب اليه الشر العارض أو المقيد بالكائنات التى يحتوى عليها العالم . فان ذلك كله ينبغى الا يضاف الى الله أدبا وحقيقة . (٩) ومن ادب الانبياء انهم ينسبون كل خلق حسن منهم الى الله ، وينسبون كل سوء الى أنفسهم . « فهم يطلبون طريقا لا يشاركهم فيها من ليس من جنسهم ولا مقامهم . فلا يزاحمون احدا فى شىء مما يتحققون به فى نفوسهم ... من الأخلاق الالهية ، فيكونون مع تحققهم بمعانيها وانطباق أحكامها على ظواهرهم ، من الرحمة بالعباد والتلطف بهم والاحسان اليهم ، والتوكل على الله ... ويظهرون فى العالم ان جميع ما يجرى عليهم ان ذلك فعل الله ، لا فعلهم ، وبيد الله لا بيديهم ... فيبرءون من أفعالهم الحسنة غاية التبرى . وينسبون ما يعد شرا الى أنفسهم لا الى الله ، كما فعل الخضر عندما نسب خرق السفينة الى نفسه لا الى ربه » (١٠) .

ويصف ابن عربى هذه المسألة ــ ويريد بها نسبة الخير الى الله ونسبة الشر الى المخلوق ــ بأنها من اغمض المسائل الالهية . لقد اعتمد اهل التفكير النظرى ، من أشاعرة ومعتزلة ، فى تحديد وجهة نظرهم فيها ، على ما هداهم اليه دليلهم النظرى . أما اصحاب الكشف الصوفى فهم الذين يقول عنهم : انه قد غلب عليهم فهم مقاصد الشرع فتابعوه « وذلك بركة الورع والاحترام الذى احترموا به الجانب الالهى ، حقيقة لا مجازا » ولذا فان ادبهم مع الله ، الذى ورثوه عن الانبياء ، هو الذى ارشدهم الى فهم حقيقة ما جاء فى الكتب السماوية على السنة الرسل مما لا تستقل العقول بادراكه وما تستقل ، لكن اخذوه عن الله لا عن نظرهم ، وهم أهل الورع الذين جعلوا شعارهم قول الرسول : دع ما يريبك الى ما لا يريبك ، وقوله : استفت قلبك ولو افتاك المفتون ، فاحالهم على قلوبهم « ففى القلوب عصمة الهية لا يشعر بها الا اهل المراقبة » (١١) .

ويفسر لنا هذا المتصوف كيف فهم مقصد الشرع فى هذه المسألة الغامضة عند حديثه عن ادب الرسول الذى كان يحمد الله على السراء والضراء ، فيقول فى هذا الموطن ان الرسول كان بشرا ، وكان يحس بالالم الحسى والنفسى ، كما كان يحس باللذات الحسية والمعنوية ، لكنه كان يحمد الله على كل حال . ذلك أن ما يعرض فى العالم من أحوال وشئون لا يؤثر تأثيرا واحدا فى البشر ، بل يختلف باختلاف قبولهم له . فان ما يتضرر به احدهم قد يكون نفعا لغيره . فالعلة اذن فى الاشخاص . ذلك أن الامر الاتى من الله واحد العين لا انقسام فيه ، فينقسم أمره فينا ويتعدد . إنه لا يصدر عن الخير الا الخير ، والخير وجود كله والشر عدم كله . أما ما نعده نحن شرا فليس له ، فى رأى ابن عربى ، حقيقة موضوعية ، وليس قولنا انه شر الا حكما من جانبنا ، والاحكام امور نسبية تختلف باختلاف الاشخاص . فما فى الوجود الا الخير وان تنوعت صوره فظهر فى بعض الاحيان لبعض الناس فى مظهر الشر (١٢) ولو كان للشر وجود حقيقى لكان بيد الحق فان بيده ملكوت كل شىء وهو خالق كل شىء (١٣) واذن

فما من أمر يعرض فى هذا العالم الا وأمكن أن يكون مصدر لذة أو الم بالنسبة الى الناس . لكن يجب أن يحمد المرء خالقه ، على كل حال ، سواء أصابه الخير أم اصاب غيره بدلا منه . فمن وجد خيرا حمد الله حمد السراء ، ومن وجد سوءا حمد الله حمد الضراء . وهذا افضل من الضجر والسخط ، بل هذا نوع من الفضل الالهى على من الهمه الله ان يحمده على الضراء أيضا ، فيزيده الله فضلا بأن يزيل الضراء عنه « وهذا معنى دقيق مندرج فى الحمد لله على كل حال انه مساو لحمد السراء » .. وهذا من جوامع الكلم التى أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤) ثم يوضح لنا ابن عربى هذا المعنى الدقيق ، فيقول: إن الضراء التى يقابلها العبد بالحمد تنطوى ، دون ريب ، على شىء من السراء ، ولولا ذلك لما كان الحمد فى حالة الضراء ثناء على الله وهو من الخير « والحمد ثناء بلا شك فى نفس الامر . فما فى العالم ضر لا يكون مشوبا برحمة » .

• • • • •

لكن كيف عرض للعالم أن توجد فيه ضروب من الشر ، دون أن تنسب هذه الشرور الى الخالق ؟ ان مصدر هذا الشر العارض فى العالم يرجع الى طريقة تركيبه . فاذا كان العالم الالهى أو عالم الامر خيرا محضا لا شر فيه . فان عالم الخلق هو عالم الاشياء التى تتركب من عناصر مختلفة ومتنافرة . فضروب التركيب بين هذه العناصر هى التى تؤدى الى ظهور الشر (١٥) . ولهذا السبب سألت الملائكة ربها كيف يخلق فى الارض خليفة يكون سببا فى سفك الدماء وفى الفساد ، نظرا لأنه مؤلف من عناصر متنافرة « والتنافر نزاع ، والنزاع يؤدى الى الفساد » غير ان الله قضى بأن يخلق آدم لأن ما سيترتب على خلقه من شر يدخل فى نطاق ما قررته الحكمة الالهية من صلاح العالم بوجوده ، اذ يوجد خير كثير فى خلق الانسان الى جانب ما يترتب على وجوده من شرور (١٦) فالخير فيه من روح الله الذى يجب الاعتصام به من شرور عالم الخلق . والشرور كلها تنسب الى عالم الخلق . أما الخير فينسب كله الى عالم الامر . فالارادة السابقة لله تريد تحقيق الخير . وهناك إرادات لاحقة سمحت بوجود الشر العارض القليل الى جانب الخير الاصيل الكثير حتى يصلح هذا العالم . وهذه الارادات اللاحقة تنسق مع ما قدره الله من تركيب الكائنات من عناصر متنافرة (١٧) فالله قد أعطى الوجود للكائنات أولا « وهو الخير الخالص ثم لم يزل يعطى ما يستحقه الوجود مما به قوامه وصلاحه ، كان ما كان ... فما ثم الا الخير سواء سر أم أساء ، وهذا السرور أو النعيم هو المطلوب . لكنه قد لا يتحقق الا بعد الاساءة لما يقتضيه مزاج التركيب » .

فالشر اذن وليد طبيعة الممكنات التى يجود عليها الله بعطائه ، لكنه شر عارض فى الوجود « وكل عارض زائل » وقد سمى الله نفسه باسم المعطى والنافع والضار لكن عطاءه كله نفع . ومع ذلك فان بعض الكائنات قد تتضرر بسبب هذا الجود أو العطاء الالهى « فيتضرر به ولا يعلم ما فيه من النفع الالهى فيسميه ضارا » وهو يجهل أن ذلك لايرجع الى طبيعة العطاء الالهى بل يرجع الى طبيعة تركيب من يتقبل هذا العطاء . وهذا أمر تشهد به التجربة فان بعض الاشياء التى تعود بالنفع على بعض الأمزجة قد تكون ضارة لأمزجة أخرى فالممكنات هى التى تحدد بسبب تركيبها طبيعة الخير والشر . أما عطاء الله فكله خير « فما ثم من الله

الا الخير المحض كله . فمن اتساع رحمته أنها وسعت الضرر . . . فالضرر في الرحمة ما هو ضرر ، وانما هو خير » فالنعيم او الشقاء انما يرجع اذن الى طبيعة الكائن الذي يتقبل العطاء الالهي أو يرفضه . مثال ذلك أن الحر والبرد ما جاء كلاهما الا لتحقيق مصالح العالم . فهما ضروريان للنبات الذي يحتاج اليه البشر . ومع ذلك فانا نجد من يتأذى من البرد أو من الحر . ولكنه لو راجع نفسه لعلم أن ما يتضرر منه شرط في تحقيق ما يعود عليه بالنفع (١٨) . فالانسان هو الذي يرى الخير فيما يوافقه ويرى الشر فيما لا يوافقه ، في حين أن افعال الله كلها خير « بالريح كان النصر والدمار . فاختلفت الآثار ، والمين واحدة صالحة فاسدة ، تطفى السراج وتشعل النار ، والهبوب واحد من عين واحدة » .

• • • • •

لكن قد يتساءل المرء : ولماذا اختلفت طبائع الكائنات في هذا العالم مما يؤدي الى ظهور الشر او النقص فيه ؟ وله ان يقول ايضا : اذا كان العالم خيرا في ذاته وليس الشر فيه الا ظاهرة عارضة افلم يكن من الخير الا يحتوى على هذا الشر العارض ؟ واذا لم يكن بد من الشر افلم يكن من الخير الا يخلق هذا العالم اطلاقا ؟ وتلك هي الحجة التي يعتمد عليها اهل الالحاد عادة ، اذ يرون أن العالم مليء بالشرور . ولو كان هناك اله خير لجرد هذا العالم من الشر حتى تتحقق السعادة للبشر جميعا . ويجيب محيي الدين بن عربي هنا بأن ما يراه الناس من سعادة أو شقاء ومن عافية أو بلاء انما هو من تأثير الاسماء الالهية في العالم . فالله له اسماؤه العديدة التي لا يمكن ان تكون راكدة أو معطلة فهو « يسمى بالمبلي والمعذب والمنعم » وكل انسان في هذا العالم يقبل تأثير هذه الاسماء المتضادة . فمن الجائز أن يكون شقيا أو سعيدا ، وهذا المزيج من الشقاء والسعادة أو من العافية والبلاء من سر القضاء والقدر الذي فيه صلاح العالم (١٩) . « فالعالم كله ممكن ، قابل لأحد الحكمين اعني الضدين » من سعادة أو شقاء . لكن هذا لا يمنع أيضا ، حسب قواعد المنطق ، من ان ينتفي عنه احد الضدين في الحياة الاخرى فتعم السعادة والرحمة جميع البشر . وسنرى تفصيل رأى ابن عربي في هذه المسألة فيما بعد .

ويبقى بعد ذلك ان اخراج الكائنات من حالة الامكان أو حالة العدم النسبي أو الاضافي انما هو من صميم الخير ، اذ تخرج من شر العدم الى الوجود وهو خير محض لا شر فيه . وانما يعرض هذا الشر لتلك الكائنات بسبب العدم الذي يترقبها في نهاية الطريق . ذلك انها لا توجد في العالم الا الى اجل مسمى . وذلك هو ما تكشف عنه التجربة الانسانية بحسب الواقع . فان المرء اذا فكر في نفسه وكان سويا فلا بد له من ان يشعر بنعمة الوجود . لكن هذا النعيم ليس خالصا لانه يشعر في اعماق نفسه أنه كائن عابر ، وانه لم يكن شيئا قبل وجوده الحالي . ولما كان الموت ينتظره في نهاية طريقه فانه يشعر بالالم والضيق . ان هذا الشر الذي قد ينغص عليه حياته هو أن يدرك انه كائن عابر في هذه الحياة .

ومع ذلك فكثير من الناس ينسون الموت فلا يشعرون بهذا الضيق في اثناء الحياة حتى يفاجئهم الموت ، مما يقوم دليلا واقعيا على أن الوجود في مختلف مستوياته

سواء كان وجودا سعيدا أم شقيا ، هو من صميم الخير . كذلك تشهد التجربة العادية أن أكثر الناس يفضلون الحياة بما فيها من شرور وكوارث على المــوت ، وما أظن أن شاعرا متبرما بالحياة ، ومتشائما فيها تشاؤم أبى العلاء المعرى لم يشعر بضرب من النعيم والسعادة عندما أفاض فى ذم هذه الحياة والتنكر لها . وان مجرد الحرص على الحياة دليل على أن المرء سعيد بها رغــم لعناتــه التى يصبها عليها . فهو سعيد ما دام هذا الوجود يصحبه ، وهو لا يتألم أو يشقى أو يشعر الا اذا فكر فى العدم الذى سبق هذا الوجود (٢٠) والله لم يخرج العالم بأسره من العدم الذى هو شر الا الى الخير الذى أراده له. وليس هذا الخير سوى الوجود . ويمكن القول بأن العالم قد وجد من اجل الخير أصلا . أما اذا عرض له الشر فذلك راجع الى طبيعته ككائن ممكن . وكل ممكن له وجهان : وجه الــى الحق ووجه الى غير الحق ، فله وجه الى الحق من حيث هو موجود ، ووجه الى غير الحق من حيث يلحقه العدم (٢١) .

واذا ضاق بعض الناس بوجود ضروب من الشر أو النقص فى العالم فان ابن عربى سعيد بوجود هذا النقص لأنه يراه ضروريا لكمال العالم .

وانى لأهوى النقص من اجل من أهوى ... لأن به كان الكمــال لمن يـــدرى
وما جاء بالنقصــان الا مخافـــة ... من العين مثل البــدر فى آخر الشهر
وما نقص البدر الــذى تبصرونـــه ... ولكنــه بـــدر لمــن غاص بالفكر
يـــراه تمامـــا كاملا فى ضيائـــه ... على اكمل الحالات فى البطن والظهر
فلو لم يكن فى الــكون نقص محقق ... لكان الوجود الحق ينقص فى القــدر
فبــى كان للحق الوجــود كمالـــه ... مع النقص فانظر ما تضمنه شــعرى
غزال من الفردوس جــاء منقبـــا ... من اجلى، وما يخفى على الله ما يجرى
فقلت له أهـــلا وسهـــلا ومرحبـــا ... بمن،وحياة الحب،ضمه صدرى (٢٢)

ان العالم هو صنعة الرحمن . وكل ما يوجده الرحمن او يصدر عنه لا بد من ان يحتوى على الرحمة . واذا انطوى بعض هذا العالم على ألوان من البـــلاء أو الغصص فذلك لرحمة فيه . ومن الضرورى أن يتجرع المرء هذه الغصص كمـــا يتجرع الدواء النافع مع كراهيته له . فالدواء كريه ، لكن فيه رحمة لمن يتناوله . فباطنه فيه الرحمة ومن قبله العذاب (٢٣) . فما من باب يفتح من عند الله الا كان من أبواب الرحمة . وهناك نوعان من الرحمة ، احداهما خالصة لا أثر للألم فيها . أما الأخرى فباطنة لأنها تحتوى على ألم عارض ثم تبــدو خالصـــة آخر الامر . « فالآلام عوارض واللذات ثوابت . وكل شىء وله حكمته لأن الله عزيز حكيم يضع الأمور مواضعها وينزلها منازلها (٢٤) » .

ان الأحوال التى تطرأ على العالم يمكن ان توصف بأنها صلاح أو فســـاد له . « ولكن فى نفس الأمر لا يصح أن يعرض للعالم فساد ولا صلاح فيه . فانه يكون خلاف ما أريد له وجوده . وأما صلاح لا فساد فيه فهو الواقع المراد لصانع العالم . فانه لذلك خلق العالم » . .

لو لـــم يكـن فى الوجـود نقص	لـزال عـن رتبـة الكمـــال
لكنـــه ناقص فابـــــدى	كمالـــه فيـه ذو الجـلال
فكـل صنـــع مـن كل خلـــق	لـم يخلــه اللـه مـن جمـــال

ان بعض الناس يؤكدون أن العالم يحتوى على ضروب من النقص الحقيقية وانه ليس افضل عالم ممكن . ولو لم يوجد أمثال هؤلاء الذين يصدرون مثل هذا الحكم لكان الوجود ناقصا . فمن كمال العالم ان يوجد فيه هؤلاء الذين يصفونــه بالنقص والاضطراب .

---

(١) انظر كتابنا دراسات فى الفلسفة الاسلامية الطبعة الثالثة دار المعارف ، ومناهج الادلة فى عقائد الملة الانجلو المصرية ١٩٦٩ ، وابن رشد وفلسفته الدينية ١٩٦٩ .

(٢) الفتوحات المكيـة مجلـد ١ ص ٤٦ و ٤٧ ، ٦٥٦/١ .

(٣) فتوحـات ٤٨٦/٢ .

(٤) فتوحـات ٣١٥/٣ .

(٥) فتوحـات ٤٨٦/٢ .

(٦) فتوحـات ٢٨٩/٣ .

(٧) فتوحـات ٢٥٨/٣ .

(٨) فتوحـات الباب ٤١٣ .

(٩) فتوحـات ٤٢٠/١ .

(١٠) فتوحـات ١ /٢٤٥ .

(١١) فتوحـات ٢٤٦/١ .

(١٢) فتوحـات ٣٧٢/٣ .

(١٣) فتوحـات ٣٦٩/٣ .

(١٤) فتوحـات الباب ٤٦٨ .

(١٥) توجد هذه الفكرة عند « ليبنتس » .

(١٦) يرى « ليبنتس » أن جميع الشرور فى العالم تدخل فى الخطة الالهية الخيرة لخلق العالم .

(١٧) فتوحـات ٥٧٥/٢ ، وتوجد هذه الفكرة ايضا عند ليبنتس .

(١٨) فتوحـات ٢٥٧/٣ .

(١٩) فتوحـات ٣٦٣/١ .

(٢٠) فتوحـات ٢٠٨/٣ .

(٢١) فتوحـات ٣٧٧/٣ .

(٢٢) فتوحـات ٣٦٠/٢ .

(٢٣) فتوحـات ٥٦٤/٣ — ٥٦٥ .

(٢٤) فتوحـات ٢٠٧/٣ .

طريق الايمان

للاستاذ : امين شنار

نظرة في الواقع :

تعالوا نتصور جماعة من الناس وجدوا أنفسهم في بيت لا يعرفون كيف دخلوه ، ولا من أين جاءوا اليه ، ولا ماذا يريدون منه ، ولا ماذا يراد بهم فيه ، بل هم لا يذكرون شيئا من حياتهم قبله . نحن ، إذا ، أمام حالة من حالات فقد الذاكرة المطلق . ماذا ترى يكون من أمرهم هناك .. ؟

انهم يملكون الحواس التي تمكنهم من اكتشاف البيت ، ومعرفة ما فيه وما يحيط به ، ويملكون العقل الذي يستطيع أن يفسر ما تنقله اليه الحواس فيخطىء أو يصيب ، بما له من خاصية التفكير المقيد المحدود ، وفيهم جوعات تلح عليهم بطلب الاشباع ..

لكن ذاكرتهم المعطلة تظل جاثمة عليهم كالكابوس ، من نحن ؟ ولماذا نحن هنا ؟ والى اين .. ؟

منهم من يلقى بنفسه ــ ابتداء ــ في ضجيج جوعاته ، ويسخر حواسه وعقله لاشباع هذه الجوعات ، فيتوارى بذلك عن السؤال ولو خداعا والى حين ..

ومنهم من يحاول بحواسه الظاهرة أن يتصدى للجواب ، فلا يخرج عما تمنحه اياه تلك الحواس مما تملك أن تقرر لاول وهلة : « أنا هنا لأنني موجود هنا . مخلوق هنا . وعليّ أن أتدبر شؤوني ، وأحيا » . وعندما يكتشف أنه في مواجهة السؤال ما يزال ، يتشاغل عنه أيضا ، بالعيش .

ومنهم من يمده عقله بفكر هو نتاج حواسه الظاهرة التي تلمس عليها ظلام الذاكرة ، فيسلمه هذا الفكر من دوار الى دوار ، يهدهد فيه

السؤال . ثم يخلص به في خداع للنفس ، إلى أن السؤال ذاته وهم أو ترف ، فيصرخ مكابرا : ان هذا البيت ، هو عالمي الاول والاخير !
لكن الذاكرة المعطلة تظـل هي الكابوس ..

وفي البيت تنشأ علاقات ، وتتعدد تجارب ، وترتطم الرؤوس كلهـا بالجدران المسدودة فتستيقظ ، شيئا فشيئا ، حواس خبيئـة تلح في السؤال : من أين ؟ والى أين ؟ .. ويكتشف القوم غربتهم عن المكان ، ويكتشف كل منهم غربته عن صاحبه .. فلكل عالمه الخاص ، وسؤاله الخاص ، وموته الخاص . نعم .. فهم ، كما جاءوا الى هذا البيت ، فيما يعرفون ، دون اختيار منهم ، يموتون ، كذلك دون اختيار ، واحدا بعد واحد ، يحمل كل سره الكبير .

وفي مثل انبجـاس المـاء من الصخر ، في مثل اشراقة فجر بعد ليل دامس ، تلوح لواحد منهم ، استيقظت حواسه الخبيئة ، ملامح مضيئة من الذاكرة المطموسـة ، تتخايل خجلى مثل بقع من النـور تهتز وراء شباك مغلق غارق في الضباب .. والملامح لا تبين ، لكنها تغمـغم : ((**انت جئت من مكان معين ، وفي أعماقك آثاره ، نقب عنها تجـدها . وانت ذاهب الى مكان معين ، وفي اعماقك علاماته ، حدق فيهـا ترها . وحواسـك وطاقاتك محشودة كلها لرحلة مقررة ، وانت هنا في مهمة معينة ، ولغاية معينة ، وليس هذا البيت الذى انت فيه الا محطة على الطريق !))** .

ويبوح هذا الواحد لرفاق الطريق بما يرى . فيفكرون : لماذا هو رأى ما لم يروا ؟ ثم .. ماذا يريد ؟ هل كل ما يفعـلونه في البيت وهم والحقيقة غير ذاك ؟ هل يبدأون من جديد بعد عناء تاريخ طويل ؟ وكل ما أقاموه من علاقات .. هل يهدمونه ؟ وأية علاقات جديدة يقيمون ، لتكون جسرا بين عالمين من خيال يراهما هذا الدعيّ وحده دون سواه ؟!

ويكذبونه .. ويمضون في تجاربهم بين الجدران : جدران المـكان ، وجدران الزمان ، وجدران العقل ، وجدران الحواس . واذا مات منهم أحد فالى ظلمة مطبقة يمضي ؟ أما كان يعيش ، كذلك ، في ظلمـة مطبقة ؟ ليس ، ثمت ، الا الظلام ! ليكن ! فهو ظلام استساغته الحواس وقد عاشت عمرا طويلا .. !

وصاحب (النبوءة) ماذا يفعل ؟ ان الحقيقة لتلوح له فعلا ، ولكن ضبابية من وراء زجاج غائم ثقيل . ذاكرته تصحو رويدا رويدا ، توقظها حواسه الخبيئة ، ولكن مثقلة بنعاس نظيع ، يهدد بالاسـتغراق في نوم آخر طويل . فهل تراه يعود ، ومعه (النبوءة) الى القطيع ؟ أم تـراه يعيش ، وحـده ، في غربة عن الجميع .. ؟

وفي كل واحد منهم ، يلوح ، بين الحين والحين ، من ظلمات الذاكرة ، ضياء ، يجعل لعيشه معنى ، لو هو أدركه بجلاء ، ليعرف الصلة بين أمس وغد ، لكنهم جميعا يتفقون بصمت ، على الصمت ، كي يستمر عيشـهم المريح بلا وزر ينقض الظهر ، ولا تبعات جسام ، وعلى المهمة الكبيرة التي تلوح لهم خيـوطها في غبش الليل ، السلام .. !

لكن أحلامهم ما تنفك تلون لهـم اشياء واشياء ، كأنما هي تسـخر منهم ، وتجسد لهم هذا التيه الذى فيه يعيشون .. ويرفضـونها ! .. وموتهم اليومي يترصدهم ويومىء الى غد لهم مجهول .. أيرفضـونه ؟ أيهزمونه ؟ وكيف ؟ بانهماك في العيش

ينسى الانســـــان نفسه ومبتدأه ومنتهاه .. ؟!

وينقسمون ، بعد طول مطاف ، فريقين : واحدا يعيش فى جماعية طاغية ، ترى استمرار الحيـــاة للجماعة ، ولا تريد أن ترى موت الافراد .. وترى علاقات الانسان بالاشياء ، ولا تريد أن ترى علاقته بذاته وبحياته وبموته . والآخر يترك لأفراده العاديين البسطاء ان يذهبوا فى متاهات الفكر والعيش كمـــا يشاءون ، ويتســلط عليهم بالقوة المادية التى يمثلها فيه أفراد أقوياء يذلون القطيع اللاهى باشـــباع جوعاته الوحشية تحت عنـــاوين شتى ، ويستهوونه كل يوم بجديد ، يضمن لهم السيطرة والسيادة .

وبين الفريقين فريق ثالث ، تائه ، غامض التركيب ، غير محدد المعالم، تختلط خيوط النور فى ذاكرة افراده بخيوط الظلام ، فهم لا يقوون على أن يعيشوا النور الذى يكتنزون ، لأن الظلام فيهم أقوى ، وعجلة الحياة تســوقهم وراء الاقوياء الآخرين ، وغربتهـــم تطحنهم : غربتهم عن أنفسهم ، وغربتهم عن البيت ، فلا يستطيعون أن يكونوا شـــيئا أى شىء ، لا فى أنفسهم ولا فى البيت . ولا يملكون الا الصراخ ، كلما عربدت فيهم مأســـاتهم : انهم وحدهم يعرفون .. ! لـــكنه صراخ عاجز مسكين اشبه بالهذيان .

ويظل البيت كله نهبا ممزقا للعزلة والشك ، يتعلل بالعبث ، ويرتطم بالجدران ، فى دهاليز اليأس ، فى هروب يتجدد ، مع كل مساء ، بين أنياب الذاكرة الملموسة المعطلة ..

ولكن .. الى متى .. ؟

الطريق الى الحقيقة :

ضربنا هذا مثلا للانسان المعاصر ، فى عالمه المعاصر ..

هذا الانسان الذى يعيش كما لو كان هو كل شىء ، وكما لو كانت حياته هذه ، فى دنياه هذه ، هى أول المطاف ، وهى خاتمة المطاف .

هذا الانسان الذى يدوخـــه فى ظلمات نفسه سؤاله العتيق عمـــا قبل ، وعما بعد ، ولكنه فى زحمة الايام ، وتحت وطأة الهموم ، يعتبر هذا السؤال نفسه ضربا من الترف ، أو من الهذيان ..

فمن لهذا الضائع يزيح الغشاوة عن عينيه ؟ من له يحطم الاقفال عن قلبه ؟ من له يزيح الصدأ المتراكم عن روحه ؟ من له يجـــلو ذاكرته الملموسة ، ويفجر منها ينـــابيع الاشراق : تروى عقـــله ، وتهـــدى حواســه ، وتفرش له طريقه نورا يتخطى به الموت ، على بصيرة ، الى الخلود .. ؟

ما العقبة الحقيقية فى وجه ذلك كله ؟ : هل هى الحـــواس ؟ أم العقل ؟

بل ما السبيل الى ذلك كله : الحواس ؟ أم العقل ؟ أم طاقة معطلة فى الانسان ، هى فوق الحواس ، وفوق العقل .. ؟

الحواس ؟ ماذا تقول الحواس ؟ هل تراها تتذكر لو سئلت :

ــ « فلينظر الانسان مم خلق ؟ »

« ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين . الى قدر معلوم ؟ »

« فلينظر الانســـان الى طعامه »

« ألم تر أن الله انزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ؟ » « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض ، والفلك تجرى فى البحـــر بأمره ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه ؟ » .

العقل ؟ ماذا لو دعى العقل الى النظر بطريقـــة تفـــكيره العلمية المعاصرة ، الى كل ما فى الارض ثم

الى ما فى السماء ، هل تراه يتذكر ؟
ــ « أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت ؟ والى السماء كيف رفعت ؟ والى الجبال كيف نصبت ؟ والى الأرض كيف سطحت ؟ » « أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ؟ » « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم ؟ » « قل انظروا ماذا فى السموات والارض ؟ » « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ! » « ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا ! » .
واذا بدأ العقل النظر ، مستنفرا طاقاته كلها : ما ادخر فيه ، وما اكتسبه ، ثم اذا وضع نتائج تفكيره العلمى موضع البحث العقلى المجرد : الا يصل ــ بالضرورة ــ الى ان الانسان والكون والحياة مخلوقة كلها لخالق خلقها ونظمها ؟ ان النداء يأتيه ، يلاحق تفكيره ، يقرر له نتائج بحثه سلفا ، لعله يتذكر :
ــ « افرايتم ما تمنون ؟ أانتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟ » .
« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » .
« أم خلقوا من غير شىء ؟ أم هم الخالقون ؟ » .
« وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ، صنع الله الذى اتقن كل شىء » .
« وما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » . « وانبتنا فيها من كل شىء موزون » .
« ومن كل شىء خلقنا زوجين » .
« انا كل شىء خلقناه بقدر » .
« وأرسلنا الرياح لواقح » « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » .
« أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ؟ » .
« ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » .
« ان الله فالق الحب والنوى » .
ويصل العقل بعد طول مطاف ، بما تهديه اليه الحواس ، وما يقوده اليه البحث ، الى الحق الذى يضمحل بجانبه الشك ، ثم يزول الانكار :
ــ « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ؟ » .
« أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ افلا تذكرون ؟ » .
« قال : ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .
« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .
« أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ » .
« أفى الله شك فاطر السموات والارض ؟ » .
« ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه » .
« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله » .
لكن المطلوب ، لكى تشرق الذاكرة المظلمة ، ليس مجرد الاعتراف بأن للكون والانسان والحياة خالقا .. فذلك ما تؤدى اليه ضرورة العقل ، وما تشهد به الحواس بداهة ، وما تقر به الفطرة دون معاناة .. وقد يظل الانسان ــ رغم هذا الاعتراف ــ سجين ذاكرته المظلمة .. ان المطلوب هو حسن ادراك الصلة بهذا الخالق ، وعبادته ، واتخاذه إلها واحدا صمدا ، والاقرار بألوهيته فى الفكر وفى العمل ومع الانفاس ، والاذعان له فى كل أمر ، فالانسان ــ أراد أم لم يرد ــ مسوق الى خالقه كما بدأ منه . والخلق ما كان عبثا ، انما هو لأمر عظيم حقا :
ــ « يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » .
« وما خلقنا السماء والأرض

وما بينهما باطلا » .

« أفغير دين الله يبغـون وله اسلم من في السموات والأرض »

« وهو الذى خلق السـموات والأرض بالحق » .

« أولم يروا أن الله الذى خلـق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى » .

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة » .

« الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » .

« افحسبتم انما خلقناكم عبثـا وانكم الينا لا ترجعون ؟ » .

الا أن العقل مقيد بحواسـه ، محدود من حيث فكره ، فهو يصـل بفكره وحواسه الى التسليم بوجود الخالق عز وجل ، لكنه لا يصل بهما الى توحيد هذا الخالق ، والايمـان بألوهيته ، والاقرار بحاكميته المطلقة .. ان الوصول الى هذه (الحقيقة)، والتصديق الجازم بها ، والعمـل بمقتضـاها ، تتولاه قوة مودعة في الانسان ، هي فوق العقـل وفوق الحواس : تلك قوة الروح المتوارية وراء طين الجسد ، الحبيسة وراء حجب الحواس ، المقيدة بقيود العقل .. انها ، لكي تتفجر ينبوعا نورانيا لمحتاجة الى يد الرحمن ، سبحانه ، تكشف عنها الغشاوة ، وتهديها الى صراطه المستقيم ، وذلك لا يتأتى الا بالصلة المستمرة به عز وجل ،بالتوجه اليه ، بذكره ، وعبادته ، والتماس الهداية منه ، وطلب المدد من توفيقه؛ فهو ، سبحانه ، المصدر ، واليـه المعاد ، هو الخلاق على الدوام ، وهو الوهاب على الاستمرار ، وهو نور السموات والارض . ان اطلاق الروح من عقالها الترابى ليس بالامر اليسير ، فما هو بنتاج احكام عقلية جامدة باردة تتأرجح قناعاتها حسب مقاييس الحواس ، ولا هو بشهادة حواس مقيدة عاجزة يصيبها الكلال والملال ، انما هو نشدان دائم حميم لصلة العبد بخالقه العظيم ، حتـى يفيء العبد الى حقيقته فيلزمهـا : يتذكر نشأته الاولى بشـفافية لا تعوقها الجدران ، وبصيرة لا تقيدها الحواس ، ويصحب تلك النشأة على هدى وامتلاء ، فتفضى به الى معاد هو مؤمن به فموقن اليقين كله ، اذ الاسلام بلا ايمان لا يقبل ، والايمان بلا احسان يمنحه التصديق الجازم لا يصل مقام اليقين :

— « كلا لو تعلمون علم اليقين . لترون الجحيم . ثم لترونهـا عين اليقين » .

« يدبر الامر يفصل الآيات ، لعلكم بلقاء ربكم توقنون » .

« .. ويؤتون الزكـاة ، وهم بالآخرة هم يوقنون » .

« فاصبر ان وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » .

« وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا، وكانوا بآياتنا يوقنون » .

« هذا بصائر للناس ، وهدى ، ورحمة ، لقوم يوقنون » .

« ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحا ، انا موقنون » .

« وفى الأرض آيات للموقنين »

« .. ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين » .

« وكذلك نرى ابراهيـم ملكوت السـموات والأرض وليكـون من الموقنين » .

وبديهى أن (يقين الموت) الذى يشـترك فيه الجميع : مؤمنين وكافرين ، لا يغنى عن يقين الحياة شيئا . واذا كانت الآخرة منزل عين اليقين للجميع ، فان الدنيا ينبغى أن تكون منزل (علم اليقين) للمؤمنين ، وقد تكون منزل (عين اليقـين) لخواصهم ايضا .

فالايمان ، اذا ، برزخ بين الاسلام

والاحسان ، والاسلام هو مظهر الايمان على الجوارح ، ولا يتحقق كاملا الا فى مجتمع اسلامى عندما يدخل الناس فى دين الله افواجا ، اى يتخذون الرب الها واحدا أحدا يدينون بدينه ويطبقون شريعته . وحقيقة الايمان فى الباطن — فى القلب وفى الروح — هى الاحسان : ان تعبد الله كأنك تراه ، وان تعلم على وجه اليقين انك ان لم تكن تراه فانه يراك . فلا إسلام بغير ايمان .

« قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » ، واسلام هؤلاء هو دخولهم بالشهادتين فى دين الله ، اى فى ظل شريعته ، ليس غير . اما اولئك المصدقون الذين كانوا فى مكة قبل الفتح ، اى قبل ان يستظلوا بشريعة الاسلام ، فقد سماهم تعالى مؤمنين لا مسلمين ، فى قوله الكريم : « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم .. » ولا إيمان بغير احسان « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » فلا اسلام بغير احسان :

— « بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه » .

« ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن ؟ » .

« ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

العروة الوثقى :

والعروة الوثقى هى حسن ادراك المؤمن لصلته بالله ، بتذكر الميثاق الذى ارتبطت به الروح ، وبالتزامه ، وبالرجوع اليه باستمرار ، حتى يغدو هذا الميثاق تنبها طبيعيا ينتظم العقل والجوارح جميعا :

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، واشهدهم على انفسهم : الست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ . وكذلك نفصل الآيات ، ولعلهم يرجعون » .

ذلك هو الميثاق :يشهد به الناموس الذى فطر عليه الانسان ، انه مودع فى كل خلية ، ومستقر فى الروح : اقرارا بربوبية الاله الواحد ، قبل الرسل الذين توجهوا — رحمة من الله بالعباد — الى الحواس والى العقل والى الروح . الميثاق الذى يرجع اليه من استيقظت روحه من سباتها فى سجن الطين ، رجعة الى الفطرة والعهد مع الله ، تستنفر فى الانسان قوى بصيرته ، فتنتفض فى قلبه وفى جوارحه وفى كل كيانه حقيقة التوحيد ، بعد أن شهدت حواسه ، وأقر عقله بحقيقة الربوبية والخلق . واذا كان الايمان بوجود الخالق فطريا ، غريزيا ، تؤدى اليه، بالضرورة ، الحواس والعقول بمختلف طرائق تفكيرها ، فان الايمان بتوحيد هذا الخالق ، والوهيته ، وتحكيمه فى كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحياة — وما ثم صغيرة على وجه التحقيق — هذا الايمان هو موضع التخيير ، وهو ثمرة المجاهدة، وهو مناط الحساب . هو أمانة الاختيار المحاسب المسؤول ، التى لم تحملها السموات والارض والجبال، فهى مسيرة مقرة بالربوبية لخالق فى كل نواميسها ، لا تتخلف عنها :

— « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويتوب الله

على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما » .
والنفاق والشرك عرضان يتلبسان الايمان وحقيقة التوحيد ، فيفسدانهما ، لذلك كانا سبب العذاب ، فيما خير فيه الانسان باعتقاده وعمله ، فاختاره :
ــ « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ، فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم » .

سلم الهداية :

وما مهمة الرسل الاولى الا ان يفتحوا مغاليق الحس ، ويكسروا اقفال العقل ، لكى يرتد الروح الانسانى الى وعيه ، فيرى ، ويتذكر :
ــ « واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا » .
« سنقرئك فلا تنسى » .
« قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى » .
« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .
« كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره » .
« أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ؟ » .
« ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فاذا هم مبصرون » .
« مالكم من دونه من ولى ولا شفيع ، أفلا تتذكرون ؟ » .
« وليعلموا انما هو اله واحد ، وليتذكر أولو الالباب » .

« ذلكم الله ربكم فاعبدوه . افلا تتذكرون ؟ » .
أن الايمان بوجود الخالق . هو الخطوة الاولى نحو توحيد الخالق بالالوهية ، وعبادته ، وعدم الاشراك به أو النفاق فيه فى كل عمل . وجارحة ، ومع الانفاس ، فكيف السبيل ، اذن ، الى التوحيد الخالص ؟

انه هداية من الله عز وجل ، تضىء الروح اذا سلك بها صاحبها طريق الهدى ، واخذ بأسبابه . وان الله عز وجل ليخاطب خلقه فى كل طرفة عين ، واصفاءة سمع ، وخفقة قلب ، وخطوة قدم . وأنهم ليتلقون فيض هدايته فيها جميعا اذا كانت أرواحهم هناك . أرواحهم التى لا تصفو الا بالذكر ، ولا تتألق الا بالعبادة . وهى عندما تصفو وتتألق تتهيأ لتلقى المدد الالهى . والروح عندما تضىء بنور من عند الله ، تمد العقل ، فتتفتح فيه عين الفهم ، وتريه بهذه العين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وتمد الحواس فتنفجر أعماقها ، فتتحرك بالله وحده :
ــ « أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله أفلا تتذكرون » .

« الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى » .
« وما يتذكر الا من ينيب » .
والله عز وجل ، يخاطب خلقه بآيات الوجود ، وبآيات الشهود ، بالكائنات وبالتجارب ، بالقبض وبالبسط ، بالابتلاء والاجتباء ، بالرحمة والعذاب ، فاذا كانت أرواحهم مستيقظة سمعت ، فوعت، فتذكرت ، فرجعت ، وانابت :
ــ « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ، ونقص من الثمرات ،

لعلهم يذكرون » .

« أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ؟ » .

« واذكروا اذ جعلكم خلفاء » .

« وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين » .

« ولقد صرفناه فيهم ليذكروا » .

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » .

والقلب هنا هو البصيرة ومستودع الهداية ومتلقى الفيض الالهى ، وليس العقل ، اذ لكل مكلف عقل ، وليس لكل مكلف قلب الا « لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا » .

والذكر طريق الصلة الدائمة بالله ، وجسر الهداية منه ، ليس مجرد حركة لسان ، ولا مجرد تسليم عقل ، ولا مجرد دلالة فكر ، انما هو — قبل ذلك ، ومعه ، وبعده — توجه بالروح وبالقلب وبالجوارح وبقوى النفس كلها الى الله :

— « الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم » .

« واذكر ربك كثيرا ، وسبح بالعشى والإبكار » .

« واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا » م

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا » .

« انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله » .

هذا الذكر هو سبيل الطمأنينة ، وسلم الهداية ، أعده الله لعباده الأبرار :

— « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

« ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » .

« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » .

« ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا » .

« ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » .

« فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا » .

« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه » .

« فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا » .

هكذا يعود الغائب :

عندما تلتقى الحواس والعقل والفكر ، فى ظلال الروح ، على الايمان ، هذا الايمان ، بالله عز وجل ، يصبح الانسان عبدا لله ، ويحشد طاقاته كلها طواعية واختيارا وقناعة وامتلاء فى سبيل الله : فالعقل يقرر لصاحبه الفكر الذى ارتضاه الله لعبده المؤمن : فكر الاسلام عقيدة وشريعة ، ويكون فهم الشريعة والعمل بها ضرورة لا يتم للفرد بغيرها ايمان ولا احسان ، ولا تتم للمجتمع بسواها حاكمية الله ، وسعادة العباد . والعقل يقرر لصاحبه المؤمن الفكر المؤمن الذى يجعله مستخلفا حقا فى الارض يعمرها ويعيشها ويرتقى بها مدركا صلته بخالقه وخالقها باستمرار ، متصورا غاية العمل والاستخلاف ، مبصرا من وراء الحجب مبدأ الأمر ومعاده ، فهو بين يديه وفى عينيه وفى سمعه قريب منه جد قريب . والحواس تصبح مسخرة لله ، ترى به ، وتسمع به ، وتسعى به ، حتى تلقاه . وتظل الروح الحارس اليقظ، والتنبه الطبيعى الذى يوقظ الحواس اذا نامت ، ويقوِّم الجوارح اذا زلت ، ويوجه الفكر اذا ضل ، ويؤجج نار العزيمة اذا خبت ، ويتلقى

أمطار التوفيق اذا همت ، ويقـود رحلة الحياة الى خلود مقيم ، فى جنات ونعيم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يروى عن ربه عز وجل : « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ هم خير منهم ، وان تقرب منى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الىّ ذراعا تقربت منـه باعا ، وان أتانى يمشى ، أتيتـه هرولة .. » .

وقال عليه وآله الصلاة والسلام : « لو تكون قلوبكم كما تكون عنـد الذكر ، لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم فى الطرق » .

وجاء فى الحديث القـدسى : « ما تقرب الىّ عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب الى بالنـوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لأعطينه ، وان استعاذ بى لأعيذنه » .

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارس بن مالك : « كيف أصبحت ؟ » .

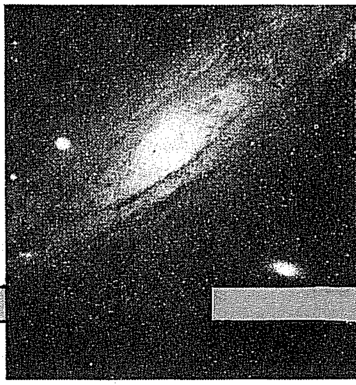
قال : « أصبحت مؤمنا حقا » .

فقال : « لكل حق حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ؟ » . قال : « أسهرت ليلى ، وأظمأت نهارى ، حتى كأنى انظر الى عرش ربى بارزا ، وكأنى انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها ، واصغى الى اهل النار يتضاغون فيها » .. فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « مؤمن نوّر الله قلبه ، لقد عرفت فالزم » . ثم قال عليـه السلام : « من سرّه أن يرى رجلا شرح الله صدره للايمان ، فلينظر الى هذا » .

هؤلاء ، هم الذين على ايديهـم ستتم عودة الغائب ، بهم سـتكون عودة الغريب . طوبى لهم : فى ايمانهم يلقى الله اقباسا من ضيائه ، وبفكرهم المستضىء بنور الله يؤوب العصر الى رشاده ، ويسترد ذاكرته المضيَّعة . بعزماتهم التى تستمد من الله جذوتها وتوفيقها يستأنف الاسلام مسيرته : عقيدة ومنهاج فكر وشريعة حياة . فلقد أظل زمانه .

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلَّة على المؤمنين ، أعزّة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » .

القرآن وعلم الفلك



حول القرآن الكريم والعلم

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

١ ـ شاءت رحمة الله بخلقه أن يسلك أعجب الطرق وأروعها لتنفيذ أرادته فى كل شىء ، وهى طرق أبعد ما تكون عن معرفة الافراد العاديين . وليس فى وسعنا الا أن ندرس ونقدر ونؤمن . ومن هنا جاءت مزايا العلم، وتجلت آيات الخالق فى عصر العلم .

٢ ـ استمد القرآن الكريم حكمه وأمثاله من الكون فكان من الطبيعى أن يلتقى العلم الذى يبصرنا بأسرار هذا الكون مع القرآن الذى يحدثنا عن بدائعه وآياته .

تعريف العلم :

العلم يعنى تلمس الحقائق فى عالم الحس ، ومن ثم استنباط قوانين سليمة عامة التطبيق . وهو يشمل العلوم الاساسية : الطبيعة التى تتناول دراسة الكون وما فيه من مادة وطاقة ، وعلوم الحياة التى تتوافر على دراسة الاحياء وسلوكها . وهناك أيضا العلوم التطبيقية التى تتضمن مسائل عملية عديدة قوامها استخدام واستغلال ما أودع فى الكون من طاقات وثروات لفائدة البشر . وفى هذا العصروصل الانسان الى مرتبة مرموقة من العلم حين سخر الطاقة الذرية وهى سر أفران الطبيعة ممثلة فى الشموس والنجوم ، واستخدم المحرك الصاروخى فحصل به على السرعات الفلكية التى تسبح بها اجرام السماء .

وأساس العلم الاختبار والقياس باستخدام الحواس ، ثم معالجة

نتائج ذلك الاختبار الحسى بالقوى العقلية . اما عالم ما وراء الحس فلا دخل للعلم به ، اللهم الا ما يمكن اخضاعه منه الى مستوى الحس بواسطة آلات ومعدات تتأثر بما هو غير محسوس مباشرة ، مثل الالواح الحساسة التى تستجيب لتأثيرات الاشعة فوق البنفسجية التى لاتدركها الاعين ، ومثل الابرة المغناطيسية أو (البوصلة) التى تستخدم فىالتعرف على اتجاهات خطوط القوى المغناطيسيةفىأى مجال مغناطيسى .

وليس منا من ينكر تلك الالهامات المفاجئة او ذلك الايحاء الخفى الذى يقبل الينا أحيانا من عالم ما قد نسميه عالم الارواح أو عالم ما وراء المادة ، وفكرته أعمق من عالم ما وراء الحس ، اذ لا تستجيب له حتى أجهزتنا ومعداتنا . ولكن تستقبل قلوبنا الواعية اشاراته الموجهة الينا . ولعل خير من يحدثنا من بعض تلك الالهامات الصادقة العلماء والمستكشفون والفلاسفة ، ثم المؤمنون المتصلون .

والدين هو الذى حدثنا عن عالم ما وراء المادة ، وأكد الايمان(بالخالق) مصدر هذا الكون ومرجعه . ويمدنا الدين كذلك بطاقات روحية عظمى لا تعرف الهزيمة . والايمان شعور طبيعى أو فطرى لانه ميثاق الخلق: « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » . والدين الى جانب هذا كله حصيلة أسمى الاخلاق وارفع المعاملات بين الافراد والجماعات . وتشترك أسس المعرفة الدينية مع أسس العلم فى :

١ — شمول النظام فى الكون ، ولكن المعرفة الدينية بخلاف العلم تعتبر هذا النظام شاملا كذلك للناس ومعترك حياتهم .

٢ — ضرورة التثبت وعدم الاعتماد على مجرد التخمين ، فالايمان يجب أن يتم عن بينة ، لان كل ما فى الكون آيات تنطق بوجود الخالق المدبر ، ورسالات السماء فيها من الآيات ما يحمل العقل على التصديق بها والتسليم لها . وفى مثل هذه المعانى يقول القرآن الكريم :

وفى سورة فصلت (٥٣) :
« بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » .

فى سورة يونس (٣٦) : « وما يتبع أكثرهم الا ظنا إن الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون » .

وفى سورة العنكبوت (٤٩) .
« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »
ويشترك العلم والدين معا فى ضرورة التمسك بالمنهج ، وفى الامانة والمثابرة ، والتواضع الى غير ذلك من مكارم الاخلاق ، ولكن الهدف يختلف فان العلم يقف عند حد تقرير (الحقائق) ، أما الدين فيستمر حتى يصل الى الغاية . هذا كما أن المعرفة الدينية لا تعتمد على مجرد العقل ، بل ان من مصادرها الاحساس الروحى ، أو الشعور بالقلب . وعلى أية حال فهناك من الامور الدينية ما قد لا يعيه العقل مثل الارواح والملائكة والجن ، ولكن يدرك ذلك القلب بالاحساس الصادق

.. والمؤمنون هم وحدهم الذين يستطيعون الافاضة فى الحديث حول هذا الموضوع .

ولقد نجم عن تعرف الناس على بعض معالم عالم ما وراء المادة عن طريق الدين ان راحت طائفة منهم تجرى محاولات الاتصال بمن فى ذلك العالم بطريقة يسمونها (تحضير الارواح) . ونحن لا نستطيع أن نطلق على تلك المحاولات اسم (التجارب) لاختلافها فى جوهرها عن المألوف فى التجارب العلمية ولعدم امكان تعميم اجرائها . وقد فهم خطأ أن بعض جامعات الغرب قد أقرت دراسات (علم الارواح) ، ولكن الحقيقة أن ما وافقت عليه هو دراسات (علم النفس) على غرار ما هو قائم فى بعض جامعاتنا .

واغلب الظن اذا سلمنا ببعض تلك الاتصالات ثم محصناها نجدها انما تتم مع عالم غير عادى حدثتنا عنه الاديان يسمى عالم الجن . فقد جاء مثلا فى سورة الجن (٦) :

« وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » .

وثمة ناحية اخرى فحواها اننا للأسف الشديد نجد فى تراثنا الاسلامى خلطا بين عالمى المادة وما وراء المادة ، اذ افترض فريق من السلف أن الملائكة تسيطر على كل ما فى الكون حتى الظواهر الطبيعية، بدلا من القوانين والنظم الثابتة التى فرضها الخالق وراح يكشف عنها العلم تباعا . فهذا ملاك البحر مثلا يضع ابهامه فى اقصى بحر الصين فيفور له الماء ويكون المد ، ثم يرفع ابهامه فيطلب الماء موضعه ويكون الجزر . وبطبيعة الحال لا يعتبر مثل هذا الخلط والوهم من الدين فى شىء. فقد جعل الله لكل شىء سببا .

فلسفة علمية :

نتبين اذا أن العلم وقف حتى الآن عند حد الكشف عن العلاقات الثابتة بين الاشياء ، واستغلال ما فى الكون من طاقات ، اما الدين فيذهب الى أبعد من ذلك ، اذ يبحث فى الغاية من خلق الاشياء والانسان، وربطها بالخالق .

ولهذا لا بد من أن نعنى بدراسة العلوم دراسة واعية بحيث تصل الى الاسباب ، ولا تقتصر على مجرد تقرير الحقيقة ، وسنضرب لذلك مثلا بدراسة الماء .

وهنا قد يدعى البعض انه لا يمكن ربط العلوم بأية غاية أخرى تخرجها عن جوهرها . ولضمان سلامة المنهج العلمى يمكن ان تمتد الدراسات والبحوث العلمية الى دراسات وبحوث أخرى (فلسفية) ، تجمع شتات المعارف . وتوجد بينها رابطة متينة متماسكة توضح الغاية وتبين المقصد بطريقة تبقى على جوهر العلم وعلى قدرات الانسان الروحية. وعلى هذا النحو نجد ان من واجبنا تحديد أسس فلسفية علمية تدعم الدين وتقوم الاخلاق ، وتعيد الثقة الى النفوس وتوفر لها الطمأنينة . وان من يريد أن يعرف مدى انتشار القلق والاباحية فى الخارج حيث طغت المعرفة العقلية وحدها على كل شىء عليه أن يلقى نظرة الى

ما تفننوا فيه من الـــوان المهدئات والمنومات والخمور .. و ..

وبديهى أن أول اسس تلك الفلسفة هو الايمان بالله ، والتصـــديق برسالاته ، فتلك هى نقطة الانطلاق التى تمدنا بأكبر القوى الدافعة الى الخير والسعادة والرداعة عن الشر والشـــقاء .

وعلينا بعد ذلك أن نضع اطارا نحدد داخله موضوع العـــلوم وفلسفتها ، لئلا تصبح عقولنا سجينة الانتاج العلمى كما حدث فى الخارج. حيث طغت الكشوف العلمية بمظهرها الخلاب على تفكير النـــاس ونسيت عقولهم نقطة البـــداية التى انطلقت منها ، وهى الايمان بالله الذى خلق العقل وجعله قادرا على التأمـــل والكشف . ويقودنا ذلك الى وجوب ايجاد دراسات وقراءات أو مطالعات شاملة تجمع بين الدين والعـــلم بلغة العصر ، من غير تعقيـــدات فقهية . فى مراحل التعليم المختلفة. وتحملنا الفلسفة العلمية على الاتجاه دائما نحو الغاية السامية التى من اجلها كان هذا الوجود وقام هـــذا النظام ، ولا يقودنا الى ذلك بطريقة ترتاح لها النفس ويقتنع بها العقـــل سوى الدين الذى ينادى بأن كل ذلك من مظاهر الألوهية ، ولهذا نقول : (الفلسفة فوق العلم ، والدين فوق الفلسفة) .

ولكن كلما اتسعت آفاق معـــرفتنا العلمية ، كلما زادت حصيلتنا بالقواعد والنظم التى يسير عليها الكون فتضيق ساحة المجهول ، ونجد أنه لا مناص من التسليم بوجود المبدع الخالق . وهكذا يؤيد العلم الدين ويؤازره .

ولما كان هذا هو الوضع الطبيعى للعلم بالنسبة الى الدين ، نجد قديما أنه عندما ضل البشر على الارض بجهلهم كان لزاما أن يكلم الله الناس على السنة الرسل من آن الى آخر، وهكذا فعل .

فلما صار عصر العلم على الابواب نزلت آخر رسالات السماء الى أهل الارض ممثلة فى القرآن الكريم الذى يخاطب العقول الراجحة والقـــلوب المتفتحة ، ويقنع بالحجة الدامغـــة والمنطق العلمى السليم .

ولهذا أيضا نقول ان القـــرآن معجزة خالدة ، ولا يمكن ان تخـــلد معجزة على الارض الا اذا كـــانت على هيئة كتاب لا يقف اعجازه عن عصر معين ، ولا يحد بثقـــافة بالذات .

الخالق القدير :

وليس وجود الله عند الكثيرين ، أمثال ارسطو ، مسألة غيبية يختلف فيها بين الاثبات والنفى ، ولـــكن حقيقة عقلية على غرار المسلمات أو البديهيات التى نعرفها . ويرى فريق من المؤمنين أن الله يشـــهد على الاشياء وليست الاشـــياء هى التى تشهد عليه ، لان العقـــل والوعى لا يستقيمان الا على الايمان بالله . وهذا الايمان هو خير ما تفسر بـــه الخليقة . وعلى الرغم من ذلـــك سوف نسوق هنـــا ملخص بعض البراهين الرياضية على وجود الله .

فالذى لا جدال فيه أن الكون يمر الآن بمرحلة من النظام المحكم . اذ

يخضع كل ما فيه لقوانين ثابتة لا تتغير . ونحن اذا سلمنا جدلا بامكان حدوث هذا النظام وتوفره ولو مرة واحدة بالصدفة ، لا يستطيع حساب الاحتمال الرياضى ان يعتبر استمرار هذا النظام ضربا من ضروب الصدفة ، ولكن بتدبير خالق قدير .

ومن العبث أن نقول إن الكون جاء هكذا من تلقاء نفسه ، فذلك قول مردود ، ومن اللازم أن يوجد له خالق مدبر ، ولكن علينا ان نسبغ على الخالق صفات تخالف صفات المخلوق فنقول مثلا ان من المسلمات أن يكون الخالق ازليا موجودا بذاته منذ القدم وهو فى ذلك يخالف الحوادث ، ويختلف عن الاشياء فى صفاتها ، أو « ليس كمثله شىء » .

والبراهين العلمية على وجود الله كثيرة ، اذ أنه يتجلى فى كل ركن من اركان هذا الوجود بما صنع وما أبدع ، ولكن لا يملك الجاحد أو الكافر اى دليل يسوقه لنا على عدم وجود الله تعالى سوى اننا لا نراه رأى العين . وهنا يحق لنا مرة أخرى أن نتساءل قائلين : هل نحن نرى بأعيننا كل ما يحيط بنا من عوالم حتى ما يقع منها وراء الحس؟ كلا بطبيعة الحال . ولكن على الرغم من ذلك نقول ان الله تعالى يمكن أن يرى بالقلب الذى يتسع وحده لجلال قدره وعظم شأنه سبحانه وتعالى ، الا أن لهذه المشاهدة القلبية النورانية شروط من درجات الايمان الكامل وطهارة النفس يجب أن تتوفر فى المشاهد ، تماما كما تكون لمقابلة العظماء والإمراء من الناس شروط تملى واحتياطات تتخذ رغم ما بين الحالتين من فروق عظمى بطبيعة الحال .

درس من الماء :

ليس منا من لا يعرف ان الماء يكون أكبر نسبة على الاطلاق فى بناء الاجسام الحية . ومن الحقائق المعروفة ان الماء يغطى نحو اربعة اخماس سطح الارض ، كما أنه فى حدود درجات الحرارة التى تتوفر على الارض ، (اقلها ٧٠ درجة تحت الصفر فى أواسط سيبيريا فى الشتاء واعلاها ٥٥ درجة حول خط الاستواء الحرارى فى الصيف) ، يأخذ دون غيره من المواد صورا ثلاثة هى : الصلابة والسيولة ، وصورة الغاز أو البخار . ومن خواص الماء الطبيعية أن له أكبر حرارة نوعية على الاطلاق ، بمعنى أنه عامل ملطف للجو لا يستجيب بسهولة للتسخين أو التبريد . أما بخار الماء فهو أخف من الهواء ولهذا يصعد فى الجو ليكون السحب ثم المطر الذى هو مصدر الماء العذب على الارض . وبالاضافة الى كل هذا نجد أن الماء الصلب أو الثلج أخف من الماء السائل ويطفو فوق سطحه ، مخالفا بذلك القاعدة العامة التى تقول ان الانكماش بالتبريد يتطلب أن تكون المادة فى حالة الصلابة أكبر كثافة منها فى حالة السيولة .

والحق أن لكل صفة من هذه الصفات كلها صلة وثيقة بالحياة على الارض وبقائها يانعة مزدهرة . وهى ان دلت على شىء فانما تدل على منتهى التدبير والاحكام من لدن خالق عظيم .

فكمية الماء فى الارض لم تكن جزافا وانما بقدر معلوم لحفظ التوازن الحرارى فيها وفى جوها على مر السنين ، أو على حد تعبيرنا الهندسى

(جعلها مكيفة داخل حدود معينة) . فلولا اتساع رقعة الماء لسادت على الارض فروق عظمى من درجات الحرارة تفنى معها الحياة . كما هو الحال على القمر القريب منا مثلا .. وعلماء البحار وحدهم الذين يصفون لنا مهمة البحار والمحيطات والتيارات البحرية العظمى فى توزيع الحرارة المكتسبة من الشمس توزيعا عادلا بين ارجاء الارض المختلفة .

ونظرا لان الثلج يطفو على سطح البحر فهو عندما يتدفق من المناطق القطبية ويندفع الى المحيطات على هيئة جبال الثلج الهائمة يذوب على التدريج تحت تأثير الاشعاع الشمسى المباشر ، بدلا من أن يغوص فى القاع المظلم البارد ويظل على حاله ، وبذلك تتراكم الثلوج تدريجيا على مر السنين حتى يتم تجمد بحار الارض ومحيطاتها وعندها تفنى الحياة فى البحر ، كما يقل البخر أو ينعدم فيشح المطر وتفنى الحياة على اليابسة كذلك .

فأى تدبير أروع من تدبير هذا الذى صنع الماء وأسبغ عليه تلك الصفات ، مصداقا لقول الله فى سورة الانبياء (٣٠) : « وجعلنا من الماء كل شىء حى ؟ » انها ولا شك كلمة الله الذى يقول فى سورة النحل (٤٠) :
« انما قولنا لشىء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون » .

مقياس العلم :

وربما يبدو خطيرا ، كما يظن البعض ولست منهم ، اقحام الدين فى العلم ، اذ قد يظهر الدين فى موقف ضعيف لا يحسد عليه عندما تقاس الحقائق العلمية الواردة فيه بنفس مقياس العلم الحديث وبالمعنى الكامل لتلك الكلمة . فان المتعلم الذى أعطى لنفسه فرصة التفكير الحر والانطلاق الذهنى قد يجد ما فهم عن الدين قاصرا فى هذا المجال . بينما هو يشعر بقوة العلم . ولنفس هذا السبب ولاسباب أخرى عمدت بعض الشعوب الى فصل العلم عن الدين بحجة أنها بذلك تتيح لنفسها فرصة الانطلاق والتقدم . ولكن هذا لايمكن ان ينطبق على القرآن وتعاليمه تلك التى فجرت أعرق حضارات أمم الارض وأكثرها عدالة وازدهر بها العلم وأينع ، بل لقد كانت أولى الآيات على الاطلاق طلبا للعلم والتعليم حين نزل قوله تعالى فى سورة العلق :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم » .

والحق يقال ، ان الذى نزل القرآن كمعجزة خالدة يخاطب أهل هذا العصر بلغتهم ، أعنى لغة العلم ، ولكن لزم فى نفس الوقت أن تحتفظ بجوهر الرسالة ، فلا يجعل منها مرجعا علميا على النحو الذى نعرفه ، وانما يتخذ من الحقائق العلمية أساسا للوصول اليه والتعرف عليه .

وعلى هذا النحو نجد أن فى القرآن كثيرا من الآيات التى تكشف الحقائق العلمية ، بل وتسبق ركب العلم فى فروعه المختلفة . ففى مجال علوم الفضاء مثلا يمكن أن نقف عند العديد من الآيات مثل قوله تعالى فى سورة الرحمن (٣٤ ، ٣٥) :

« يا معشر الجـــن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطـــــار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان .فبأى آلاءربكما تكذبان. يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .

اشار الى سلطان العـــلم الذى استخدمه الانسان فى هـــذا العصر ليسبح فى الفضاء ويفلت من قبضة جذب الارض ، وكذلك الى أهـــوال الفضاء ممثلة فى النار التى لا دخان لها أو الاشعة الكونية التى ترسلها الشمس ولا تستقيم معها الحياة . مثل قوله تعالى فى سور الجن (٨) :

« وأنا لمسنا السماء فوجدناهـــا ملئت حرسا شديدا وشهبا » .

أشار الى الشـــهب التى تعترض سبيل سفن الفضاء . ومثل قـــوله تعالى فى سورة الحديد (٤) :

« يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم » .

أى أن الله تعالى ليس له مكان معين ، فلا تتوقع رؤيته بالسبح فى الفضاء ، كما يظن البعض إمـــا عن جهل أو سوء نية . ومثل قوله تعالى فى سورة النحل (٤٩) :

« ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دأبة والملائكة وهـــم لا يستكبرون » .

اشارة الى وجود احياء تدب على بعض الكواكب الاخرى التى يعج بها الكون ضمن مجموعات الشـــموس الاخرى . ومثل قوله تعالى فى سورة الانبيـــاء (٤) « قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو الســـميع العليم » .

اشارة الى أن العقل البشرى ليس وحده فى هذا الوجود ، لان الكلام هو الحد الفاصل بين الكائن الذى يعقل والكائن الذى لا يعقل ، أو هو وليد الفكر والعقل ، ومثل قوله تعالى فى سورة الشورى (٢٩) :

« ومن آياته خلق الســـموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذ يشاء قدير » .

وقد يكون هـــذا الجمع بسفن الفضاء ، أو بواسطة اللاسلكى على متن أمواج الاثير ، كما يحاول العلماء فى سورة الحجر (١٤) :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون » .

اشارة الى أن السبح فى الفضاء يكون فى مسارات منحنية أو متعرجة .. ولقد أطلق القرآن على اسفار الفضاء كلها اسم (المعراج) ، ولا يعرف الفضاء الكونى كما نعلم الخط المستقيم ، ومثل قوله تعالى فى سورة المؤمنين (٧١) :

« ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » .

اشـــارة الى أن الخـــير والشر يوجدان أيضا على غير الارض ، وهو أمر طبيعى ، فالهوى يلازم نشـــوء العقل الذى يميز بين الخير والشر ويفرق بين الخبيث والطيب .

نظرية

بين الشريعة الإسلامية

للاستاذ محمود مهدى الاستانبولى

تشغل قضية إعدام قاتل العمد علماء القانون والاجتماع ، نظرا لخطورتها وقد انقسموا الى فريقين متنازعين : فريق يقول باعدامه ، وفريق يقول بمنع هذا الإعدام .

وقد تركوا البشرية فى حيرة واضطراب ، لانهم هم انفسهم فــى حــيرة واضطراب ، لأن البشرية اعجز من أن يضعوا القوانين ، وإنما يضعها خالقهم ، كما وضع القوانين المادية الطبيعية . وسيبقى البشر فى شقاء من مخالفة القوانين الإلهية كما هم يشقون اذا تركوا القوانين الطبيعية ، فلا بد لهم من الخضوع لهــا حتى يتسنى لهم البقاء والرقى .

وقد أدلى كل من هذين الفريقين بحجج وأدلة نذكرها فيما يلى ثم نعقبهــا بحكم الشريعة الاسلامية فى هذا الموضوع الخطير .

انصار نظرية الغاء الإعدام

ان الذين يقولون بعدم الشرعية يحتجون بأن ليس من حق الهيئة الاجتماعية ان تزهق روح إنسان وهبه الله الحياة ولله وحده الحق أن يأخذها . واحتجــوا ايضا بأن عقوبة الاعدام هى عقوبة خطرة لأن الضرر الذى ينتج عنها غير ممكن تلافيه اذا ما نفذت فى المحكوم عليه ثم بعد ذلك ثبت خطأ القاضى وظهرت براءته كما حدث فعلا فى كثير من القضايا ، فمن يسترد عندئذ حياة البرىء .

الإعدام

والقوانين الوضعية

لا سيما وان قناعة القضاة هى نسبية واختلاف الراى بين قضاة الدرجات المختلفة شائع بكثرة . وقالوا أيضا بأن هذه العقوبة جائرة ولا تتناسب مع الجريمة مهما كانت فظيعة . فضلا عن انها بشعة تشمئز منها النفوس . وقالوا كذلك بأنها لا فائدة جذرية لها لأن وجودها فى التشريع لم يردع المجرمين عن ارتكاب الجرائم ، ويستدلون على ذلك بأن نسبة الجرائم المعاقب عليها بالإعدام لم تقل فى البلاد التى لا تزال قوانينها تقر عقوبة الإعدام ولم تزد نسبة هذه الجرائم فى البلاد التى ألغتها .

ويقول اصحاب هذه النظرية إن المجرم مريض ومن واجب المجتمع أن يداويه حتى يشفى تماما لا أن ينتقم منه .

وقد عبر عن هذا الاتجاه صاحب هذه النظرية الدكتور (BALL) فى كتابه فيزيولوجية الدماغ وهو استاذ فى باريس فى اوائل القرن التاسع عشر بقوله : « إن الميل السريع الى السرقة ثمرة فعالية زائدة لعاطفة حب التملك القوية » .

انصار نظرية تنفيذ الاعدام

أما القائلون بشرعية هذه العقوبة فيجيبون عن هذه الحجج بقولهم :

١ — إن من حق الهيئة الاجتماعية فرض هذه العقوبة لأنه اذا كان المجتمع لم

يعط حق الحياة فهو لم يعط حق الحرية لأحد فكيف يجاز له سجن الناس ومنعهم من الحرية ، فضلا عن أن الانسان له حق الحياة كما له حق الحرية . فالاعتراض إذن على شرعية الإعدام يفضى الى الاعتراض على شرعية كل العقوبات التى تمنح الحرية مع الاعتراف بأن الحياة هى أثمن من الحرية .

٢ ــ اذا كانت عقوبة الاعدام هى خطرة فى حال خطأ القاضى فعقوبة الحبس فى هذه الحالة هى جائرة أيضا وتؤثر فى صحة الفرد وفى حياته بصورة لا يمكن معها تلافى الضرر .

٣ ــ اذا كانت عقوبة الإعدام لم تخفف من الإجرام لدى كبار المجرمين فهى ولا شك خففت كثيرا من عدد المجرمين وهؤلاء هم كثر .

٤ ــ إن الاعتراض القائم على عدم تناسب هذه العقوبة مع الجريمة يصح ايضا بشأن كل عقوبة لأن تحقيق التناسب التام بين العقوبة والجريمة أمر غير مستطاع فتقدير الانسان للأمور نسبى دائما .

٥ ــ إن خوف المجرمين من عقوبة الإعدام هو رادع لهم وله أثره .

٦ ــ إن بلاء العقوبات الطويلة المدة أخطر وأوقع من عقوبة الموت على قصر عذابها ومن الطرافة أن نذكر أن النظرية الأولى تمثل نظرية ما يسمى بالانجيل والنظرية الثانية تمثل ما يسمى بالتوراة مما سنرى تفصيله .

وقد رأينا فى كل من هاتين النظريتين السابقتين محاسن ومساوىء ذكرها انصارهما وخصومهما فلا داعى لإعادتهما .

هذا ــ وأن النظرية القائلة بالغاء الإعدام علاوة على مساوئها التى ذكرتها حين الكلام على النظرية الاسلامية فانها خاطئة من نواح أخرى .

الاولى ــ انها قد تؤدى الى زيادة عدد الجرائم فان نظام إصلاح المجرمين لا يرضى ذوى القتيل ، فيثأرون له مما قد يؤدى الى زيادة عدد الجرائم .

الثانية ــ أن هذه النظرية تميل الى المدرسة الإيطالية القائلة بأن الجريمة هى نتاج طبيعى محض ، وأنه ليس ثمة موضع للتحدث عن حرية مزعومة ننسبها للمجرم ، وقد دعا (لمبروزو) الذى يتزعم هذه المدرسة الى دراسة السمات الخلقية (الجسمية) والنفسية المميزة للمجرمين . (١)

وهذه النظرية جبرية رهيبة تدعو الى عدم معاقبة المجرم بالكلية . قال (لمبروزو) : « المجرم ولد مجرما » . ولا يخفى ما فى ذلك من خطر على المجتمع وتهديد لسلامة أفراده ، وقد راح انصار هذه المدرسة يطالبون بتكييف العقوبة مع الطبيعة النفسية (السيكولوجية) للمجرم وكل ذلك لتمييع القضية وإعفائه من العقوبة . وهى مخالفة لجميع الشرائع الإلهية والأنظمة الوضعية .

وقد جاء العالم الانكليزى (كورنغ) فقام بدراسة حوالى ثلاثة آلاف سجين من نزلاء السجون بانجلترا خلال ثمان سنوات متواليات وخلص من هذه الدراسة الى انه ليس ثمة طراز جسمى خاص يميز المجرم ، بدليل أن النتائج الاحصائية للأقيسة التى أجريت على المجرمين أظهرتنا على أن الفارق بين الأقيسة الجمجمية لدى كل من طلبة كمبردج أو اكسفورد لا يختلف عن الفارق الموجود بين المجرمين وغيرهم من سواد الناس (٢) .

ومهما كان من شأن هذه النظرية ، فان الاسلام لا يهمل الحالة النفسية للمجرم ، فان كان مصابا بالجنون أو اضطراب الغدد الصماء وغيرها من الأمراض النفسية التى تفقد المجرم عقله وارادته وشخصيته فانه يعفى من العقوبة ولكنه يحجر عليه حتى يشفى كما يراعى التشريع الاسلامى فى ظروف المجرم وملابسات

جريمته ، فلا يعاقب السارق اذا كان جائعا مضطرا ولم تؤمن لـــه الدولة سبيل العمل ، او اجاعه رب عمله ، فيعاقب الاسلام المسبب فى هذه الحال .
ولا شك ان هذه النظرية تقول بإلغاء الإعدام والاستعاضة عنه بســجون كالمستشفيات حتى يشفى فيما اذا كان مصابا بالجنون أو غيره مما يفقد عقلــه وإرادته .
وإننى ابعثها صرخة مدوية : إن السجون قد افلست فى العالم عــلاوة على ما سببته من إيجاد المجرمين المحترفين الذين يتعلمون دروس الجريمة من زملائهم فى السجن . ومما يؤسف له ان أنصار السجون لم يفكروا مطلقا بزوجة السجين وأولاده الذين سيشردون غالبا بسبب اعتقال وليهم .
حقا إن قضية السجن قضية شائكة جدا ، ربما كنت اول من اسميته (قصر الضيافة) يكلف الأمة النفقات الباهظة سواء فى إطعام الســجناء وســواء فى حراستهم وسواء فى إيوائهم .
ولا يخفى ان هناك كثيرا من النفوس التى تألف مثل هذه الحياة التى هى اشبه بخلوات الصوفية ينعم بها السجناء كمــا ينعم الصوفيــة ، ولا شــك أن السجون تمتاز على هذه الخلوات بكونها مشتركة ومضيئة ولا تســبب الجنون والانحراف .
والغريب من امر السجن انه اذا نظم ونفذت الاجراءات التحسنية اصبح مكانا مرغوبا فيه وقصرا للضيافة حقا مما يشجع المجرمين على ارتكاب الجرائم .
واذا اهمل كان مصدرا لانتشار الأوبئة والأمراض والمفاسد الخلقية بجميع انواعها ، وفى الحقيقة فإن السجون كثيرا ما كانت تزيد المجرمين صلابة ، فلــم يكونوا يخرجون من السجن إلا لكى يعاودوا ارتكاب جرائمهم ، مدفوعين الى ذلك برغبة حادة فى الثأر من المجتمع ، هذا الى أن اختلاط صغار المجرمين بغيرهم من المجرمين الخطرين كثيرا ما كان يجعل من « السجن نفسه » مدرسة لتلقى فنــون الإجرام . فلم يكن المجرم الصغير يغادر السجن إلا وقد اصبح مجرما محترفــا يجيد من أساليب الجريمة ما لم يكن له به عهد ، قبل أن تطأ قدماه أرض السجن .
ومن جهة اخرى فان الأساليب السائدة فى معاملة المجرمين قلما تنجح فى ردع المجرمين والقضاء على أسباب الجرائم ، بل هى قد تدفع بهم نحو الانفجــار والتمرد والإمعان فى تحدى القانون .
وقد ثبت بالفعل أن السجن عاجز عن توليد مشــاعر الحب والتعــاطف والصبر والطمأنينة النفسية والرغبة فى العمل واستعادة مكانة الــذات . وهى المشاعر الضرورية لإعادة التكيف الى نفس المجرم .
وفضلا عن ذلك ، فإننا حينمانترك المجرم نهبا لذكريات المــاضى ، دون أن ننجح فى شغل باله بالأفكار السليمة والمبادىء القويمة ، فإننا نزيد من اختــلال توازنه النفسى بدلا من أن نعيد الى شخصيتــه تنظيمها النفسى وتوافقهــا الاجتماعى ، وهذا ما حدا بالكثيرين الى القول بفشل الانظمــة القديمة للعقوبة (أى انظمة السجون) نظرا لانها لم تكن تهتم جديا بإعادة المجرمين الى حظيرة القانون ، والعمل على تقويم شخصياتهم حتى يتمكنوا من العودة الى الحيــاة الاجتماعية العادية فى ظل احترام العادات والتقاليد والقانون ...
إن أغلب المجتمعات لا زالت تميز الخارجين من السجن عن غيرهم من سواد الناس ، فلا يكون من شأن هذا التمييز نفسه سوى أن يتسبب فى عجز السجناء عن العودة الى حياة التكيف مع الجماعة والتعامل مع غيرهم من المواطنيــن ،

حتى ولو صحت عزيمتهم على العدول نهائيا عن حياة الجريمة ، ولا شك انه حينما يشعر المجرم بأن المجتمع ليس على استعداد لتقبله أو أن ماضيه يقف حائلا بينه وبين الاندماج في الجماعة من جديد ، فانه قد يندفع الى مواصلة سلوكه الإجرامى بدلا من أن يعمد الى أخذ نفسه بالمعايير الجماعية . ولما كانت مواصلة حياةالاجرام هى ايسر على المجرم من السعى الجاهد فى سبيل اكتساب عادات توافقية جديدة فان عددا غير قليل من المجرمين لا يكاد يجد صعوبة فى معاودة الانتماء الى جماعات المجرمين المحترفين التى داب على الاختلاف اليها .

لهذا كله نرى الشريعة الاسلامية لا تلجأ الى السجن إلا فى حالات نادرة وقتية كضمان سلامة التحقيق أو إنذار المجرم بالتشهير به ، فقد وضعت لكل جريمة عقوبتها الزاجرة ، بحسب نوع العمل الذى اقترفه المجرم ، « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون » المائدة/٤٥ .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى ببعض المفسدين ويربطهم بإحدى سوارى المسجد امام الناس . فحبذا لو تعمم هذه العقوبة فى بعض جرائم التعذير فيربط المخالفون فى أعمدة الكهرباء فى بعض الشوارع أمام أنظار الناس فان ساعات من هذه العملية تعدل شهرا أو شهورا فى السجون المعروفة ويكون فيها المخالف عبرة بليغة ورهيبة لمن يعتبر ، وهى لا تكلف الأمة شيئا يذكر .

والغريب أن بعض أدعياء القانون يحملون على هذا المبدأ أو مثله قطع يد السارق بانه قاس ، دون أن يوجدوا ما يقوم مقامه ، وقد أفلست جميع حلولهم وسببوا انتشار الجرائم فى العالم بصورة واسعة ومرعبة حتى بات الانسان لا يأمن على حياته وعلى أولاده من القتل والخطف ، وعلى أمواله من السلب والنهب فى أرقى عواصم العالم كالولايات المتحدة مثلا .

وقد طبق هذا القانون الالهى فى المملكة العربية السعودية فى العصر الحديث فأعطى النتائج ونشر الأمن والسلام مما يحسدها عليه أرقى واعظم دول العالم . وقد نسى هؤلاء الأدعياء المغرورون أن العقوبات الاسلامية تحمى حتى المجرم نفسه فلا يتجاسر على ارتكاب جريمته لشدتها ، قال تعالى : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » .

وقديما استطاع التشريع الاسلامى محو الجريمة أو الإقلال منها لدرجة الندرة ، ومن اهم ما ينبغى الإشارة اليه أن هذه العقوبات ليست إسلامية فقط ، بل قد سبقتها اليها شريعة التوراة وهى شريعة اليهود والنصارى حتى يومنا هذا .

وقد ساعد على تحقيق هذا السلام ما كان يتحلى به المسلم من عقيدة عظيمة جعلت من المجرم يأتى ويعترف بجريمته مهما كانت قسوتها ، لينجو من عذاب الله يوم القيامة .

بينما اليوم قد عجزت الدول عن اكتشاف الجرائم على الرغم من رقى الوسائل الحديثة حتى راحت تستعين بالكلاب (البوليسية) ...

نظرية الشريعة الاسلامية

لقد اشتملت هذه النظرية على محاسن كل من النظريتين وخلت من مساوئهما

فى تنسيق عجيب وحل نفسانى (سيكولوجى) دقيق . وهـذه مزية التشـريع الاسلامى العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حميد . « فمن اتبع هداى فلا يضـل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا » . طه ١٢٣ و ١٢٤ .

وهذه النظرية تتلخص فى أن قاتل العمد يقتل قـال تعـالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فـلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » . الاسراء ٣٣ .

والاسلام دين الحياة ودين السلام ، فقتل النفس عنده كبيرة تلى الشـرك بالله، فالله واهب الحياة ، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفى الحدود التى يرسمها . وكل نفس هى حرم لا يمس ، وحرام إلا بالحق . وهذا الحق الذى يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه ، وليس متروكا للراى ولا متأثرا بالهوى . وقد جاء فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله الا بإحدى ثـلاث : النفس بالنفس ، والزانى المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

فأما الاولى فهى القصاص العادل الذى إن قتل نفسا فقـد ضمن الحيـاة لنفوس « ولكم فى القصاص حياة » . حياة يكف يد الذين يهمون بالاعتداء على الانفس والقصاص ينتظرهم فيردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء . وحياة بكفيد أصحاب الدم أن تثور نفوسهم فيثأروا ولا يقفون عند القاتل بل يمضون فى الثأر ويتبادلون القتل فلا يقف هذا الفريق وذاك حتى تسيل دماء ودماء . وحياة يأمن كل فرد على شخصه واطمئنانه الى عدالة القصاص فينطلق آمنا يعمل وينتج فاذا الأمة كلها فى حياة .

وأما الثانية فهى دفع للفساد القاتل فى انتشار الفاحشة ، وهى لون من القتل على النحو الذى بيناه .

وأما الثالثة فهى دفع للفساد الروحى الذى يشيع الفوضى فى الجماعة ، ويهدد أمنها ونظامها الذى اختاره الله لها ، ويسلمها الى الفرقة القاتلة . والتارك لدينه المفارق للجماعة إنما يقتل لأنه اختار الاسلام لم يجبر عليه ، ودخـل فى جسـم الجماعة المسلمة واطلع على أسرارها ، فخروجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها . ولو بقى خارجها ما اكرهه أحد على الاسلام بل لتكفل الاسلام بحمايته إن كان من أهل الكتاب ، وبإجارته وابلاغه مأمنه إن كان من المشركين وليس بعد ذلك سماحة للمخالفين فى العقيدة .

« ولا تقتلوا النس التى حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوما فقد جعلنـا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » .

تلك الأسباب الثلاثة هى المبيحة للقتل ، فمن قتل مظلوما بغير واحد من تلك الأسباب فقد جعل الله لوليه ــ وهو اقرب عاصب اليه ــ سلطانا على القاتل ، إن شاء قتله وإن شاء عفا على الدية وان شاء عفا عنه بلا دية فهو صاحب الأمر فى التصرف فى القاتل ، لأن دمه له .

وفى مقابل هذا السلطان الكبير ينهاه الاسلام عـن الاسـراف فى القتل إستغلالا لهذا السلطان الذى منحه اياه . والإسراف فى القتل يكون بتجاوز القاتل الى سواه ممن لا ذنب لهم، كما يقع فى الثأر الجاهلى الذى يؤخذ فيه الآباء والاخوة والأبناء والأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل ، ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل ، والولى المسلط على دمه بلا مثلة ، فالله يكره المثلة والرسول قـد نهى عنه .

«فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا »، يقضى له الله ، يؤيده الشرع ، وينصره الحاكم . فليكن عادلا فى قصاصه ، وكل السلطات تناصره وتأخذ له بحقه (٢) . وفى تولية صاحب الدم على القصاص من القاتل ، وتجنيد سلطان الشرع وسلطان الحاكم لنصرته تلبية للفطرة البشرية وتهدئة للغليان الذى تستشعره نفس الولى الغليان الذى قد يجرفه ويدفعه الى الضرب يمينا وشمالا فى حمى الغضب والانفعال على غير هدى . فاما حين يحس أن الله قد ولاه على دم القاتل ، وأن الحاكم مجند لنصرته على القصاص ، فان ثائرته تهدأ ونفسه تسكن عند حد القصاص العادل الهادىء (٣) .

غير أن حكم قتل القاتل ليس مطلقا ، فان فى القرآن العظيم آية أخرى سنراها بعد قليل تقول بتنازل ذوى القتيل عن حق القتل ، ولهم أخذ الدية أو التنازل عنها وليس لأحد غيرهم العفو عنه فهم وحدهم اصحاب الحق الشرعى والطبيعى فى القاتل وهم وحدهم المفجوعون به . وفى هذه الحال يكون المقدم على القتل فى حالة ذعر دائم وخوف رهيب من مطالبتهم بقتله من السلطة الحاكمة وقبوله العفو والدية مشكوك فيه ، وربما كان بعيدا ، فكم من الناس لم يقبلوا بالتنازل عن حقهم واصروا على طلب الإعدام ، فأعدم القاتل .

إلا أن هناك احتمالا قد يكون ضعيفا وقد يكون قويا بأن تهب الهيئة الاجتماعية ، اذا كان القاتل ليس من اصحاب السوابق ، وكان من ذوى الفضل والعلم الذين يخسر المجتمع اذا فقدوا الحياة ، فتسارع هذه الهيئة للتوسط ورجاء ذوى القتيل للعفو عنه سواء بأخذ الدية أو بدونها حسب رغبتهم الخاصة .

والأمل قد يكون قويا بقبول شفاعتهم فينجو القاتل من الإعدام ، وينجو المجتمع من فقده ، وقد يكون هذا الأمل ضعيفا فيقتل ويذهب ضحية جريمته .

والقضية فى هذه الحال تأخذ وضعا دقيقا وحساسا يكون فيها المقدم على القتل فى وضع رهيب يسيطر عليه الخوف كما صوره القرآن العظيم فى آية « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » (٤) .

تفصيل الحكم الاسلامى

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى (٥) ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان . ذلك تخفيف من ربكم ورحمة . فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم . ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

النداء للذين آمنوا بهذه الصفة التى تقتضى التلقى من الله ، الذى آمنوا به فى تشريع القصاص . وهو يناديهم لينبئنهم أن الله فرض عليهم شريعة القصاص فى القتلى ، بالتفصيل الذى جاء فى الآية الأولى . وفى الآية الثانية يبين حكمة هذه الشريعة ، ويوقظ فيهم التعقل والتدبر لهذه الحكمة . كما يستجيش فى قلوبهم شعور التقوى ، وهو صمام الأمن فى مجال القتلى والقصاص « فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان » .

وهذا العفو يكون بقبول الدية من اولياء الدم بدلا من قتل الجانى ، ومتى قبل ولى الدم هذا ورضيه ، فيجب اذن أن يطلبه بالمعروف والرضى والمودة ، ويجب على القاتل أو وليه أن يؤديه باحسان واجمال واكمال ، تحقيقا لصفاء

القلوب ، وشفاء لجراح النفوس ، وتقوية لأواصر الأخوة بين البقية الأحياء .

وقد امتن الله على الذين آمنوا بشريعة الدية هذه بما فيها من تخفيف ورحمة « ذلك تخفيف من ربكم ورحمة » .

ولم يكن هذا التشريع مباحا لبنى اسرائيل فى التوراة ، إنما شرع للأمة المسلمة استبقاء للأرواح عند التراضى والصفاء . « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » . وفوق العذاب الذى يتوعده به فى الآخرة ... يتعين قتله ، ولا تقبل منه الدية ، لأن الاعتداء بعد التراضى والقبول ، نكث للعهد ، وإهدار للتراضى ، وإثارة للشحناء بعد صفاء القلوب . ومتى قبل ولى الدم الدية فلا يجوز له أن يعود فينتقم ويعتدى .

ومن ثم ندرك سعة آفاق الاسلام ، وبصره بحوافز النفس البشرية عند التشريع لها ، ومعرفته بما فطرت عليه من النوازع .. إن الغضب للدم فطرة وطبيعة . فالاسلام يلبيها بتقرير شريعة القصاص ، فالعدل الجازم هو الذى يكسر شر النفوس ، ويذهب حنق الصدور ، ويردع الجانى كذلك عن التمادى . ولكن الاسلام فى الوقت ذاته يحبب فى العفو ، ويفتح له الطريق ، ويرسم له الحدود ، فتكون الدعوة اليه بعد تقرير القصاص دعوة الى التسامى فى حدود التطوع ، لا فرضا يكبت فطرة الانسان ويحملها ما لا تطيق .

ثم يكمل سياق الحديث عن فريضة القصاص بما يكشف عن حكمتها العميقة وأهدافها الأخيرة « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون » .

إنه ليس الانتقام ، وليس ارواء الأحقاد . إنما هو أجل من ذلك وأعلى إنه للحياة ، وفى سبيل الحياة ، بل هو فى ذاته حياة ... ثم إنه للتعقل والتدبر فى حكمة الفريضة ، ولاستحياء القلوب واستجاشتها لتقوى الله .

والحياة التى فى القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء ، فالذى يوقن أنه يدفع حياته ثمنا لحياة من يقتل .. جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد ، كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل . شفائها من الحقد والرغبة فى الثأر . الثأر الذى لم يكن يقف عند حد فى القبائل العربية حتى لتدوم معاركه المتقطعة أربعين عاما كما فى حرب البسوس المعروفة عندهم . وكما نرى نحن فى واقع حياتنا اليوم ، حيث تسيل الحياة على مذابح الأحقاد العائلية جيلا بعد جيل ، ولا تكف عن المسيل . وفى القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم ، فاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها ، واعتداء على كل إنسان حى يشترك مع القتيل فى سمة الحياة ، فاذا كف القصاص الجانى عن إزهاق حياة واحدة ، فقد كفه عن الاعتداء على الحياة كلها ، وكان فى هذا الكف حياة ... حياة مطلقة ، لا حياة فرد ، ولا حياة أسرة ، ولا حياة جماعة .. بل حياة ...

ثم — وهو الأهم والعامل المؤثر الأول فى حفظ الحياة — استجاشة شعور التدبر لحكمة الله ، ولتقواه (لعلكم تتقون) .

هذا هو الرباط الذى يعقل النفوس عن الاعتداء ، الاعتداء بالقتل ابتداء والاعتداء فى الثأر أخيرا .. التقوى ... حساسية القلب وشعوره بالخوف من الله ، وتحرجه من غضبه وتطلبه لرضاه .

إنه بغير هذا الرباط لا تقوم شريعة ، ولا يفلح قانون، ولا يتحرج متحرج، ولا تكفى التنظيمات الخاوية من الروح والحساسية والخوف والطمع فى قوة أكبر من قوة الإنسان .

وهذا ما يفسر لنا ندرة عدد الجرائم التى أقيمت فيها الحدود على عهد النبى

صلى الله عليه وسلم ، وعهد الخلفاء ، ومعظمها كان مصحوبا باعتراف الجانى نفسه طائعا مختارا ... لقد كانت هناك التقوى ، كانت هى الحارس اليقظ فى داخل الضمائر وفى حنايا القلوب ، تكفها عن مواضع الحدود ... الى جانب الشريعة النيرة البصيرة بخفايا الفطر ومكنونات القلوب ... وكان هناك ذلك التكامل بين التنظيمات والشرائع من ناحية والتوجيهات والعبادات من ناحية أخرى ، تتعاون جميعها على إنشاء مجتمع سليم التصور سليم الشعور ، نظيف الحركة نظيف السلوك ، لأنها تقيم محكمتها الاولى فى داخل الضمير . (٦)

أما بعد ....

فانى تحدثت فيما سبق عن حكم من أحكام الاسلام ، وهو الاعدام ، وكيف انه فى القمة من الحق والعدل والرحمة ، وقد اشتمل على مزايا نظرية الاعدام ونظرية الغائه ، وخلا من محاذيرهما بصورة رائعة .

فهل يشجعنا هذا المثال من الوف الأمثلة على دراسة الشريعة الاسلامية والعمل بها من أجل تحقيق العدالة والحق والسلام ، تلك الشريعة التى شهد بعظمتها كبار اساطين الشرق والغرب فى القانون من مسلمين وغيرهم مما يضيق المجال عن التحدث عنه .

إننا نستصرخ الضمائر الحية ، راجين أن يتناول هذا البحث بالدراسة والعناية والاهتمام ، واننا لا ندرى كيف نسوغ لأنفسنا ترك تراثنا التشريعى الضخم ، والتهافت على القوانين الغربية المهلهلة التى من شانها أن تضيع شخصيتنا العربية وتطبعنا بطبائع الغربيين فنعتنق اخلاقهم الاباحية ، ونجعلهم سادة لنا ، ونصبح خداما لهم ، مثلنا فى ذلك هنود امريكا الذين اعتنقوا عقيدة القوم وقبلوا قوانينهم فلم ينفعهم ذلك شيئا ، وانما هددهم بالفناء وعرضهم للخطر .

ان قبولنا تحكيم التشريع الاسلامى علاوة على كونه يحفظ كياننا ويصون قوميتنا ، يجعلنا أئمة لخمسمائة مليون مسلم ، وهم حلفاء طبيعيون لنا واصدقاء صادقون يفرحون لفرحنا ويألمون لألمنا ، باستثناء بعض حكوماتهم الدائرة فى فلك الاستعمار . ولكن الحكومات لا تدوم وقد رأينا مصارعها ، انما البقاء للشعوب . وهذه الشعوب تشارك العرب بعواطفهم وتقر لهم بالزعامة ، وترى مصيرها مرتبطا بمصيرهم .

خطب الحكيم محمد إقبال فى أعضاء المؤتمر الاسلامى المنعقد فى القدس عام ١٣٥٠ (١٩٣١) فقال : « إن الاسلام مهدد بخطرين مصدرهما الغرب : أولهما الالحاد ، وثانيهما الاستعمار ، وان مستقبل المسلمين فى العالم رهن بمستقبل العرب ، ومستقبل العرب رهن بوحدة العرب ، فاذا تمت وحدة العرب علا شأن المسلمين فى كل أنحاء الارض » .

إن القومية العربية متعطشة اليوم الى تحقيق العدالة بين شعوبها ، وخاصة العدالة الاجتماعية فهى حريصة على ما يكفل بقاءها عزيزة ويجعلها تساهم فى تأسيس الحضارة .

الا أن بعض من يتظاهر بالاخلاص لهذه القومية ، يغرينا بالارتماء فى أحضان النزعات المتخلفة من أجل تحقيق هذه العدالة .

ما القول اذا كان هنالك نظام ، لا يدعنا ذيلا فى القافلة ، قافلة المعسكرات المتطاحنة ، انما يمنحنا مع العدالة (على اختلاف صورها) كرامة دولية عزيزة فى الخارج ، ويرد لنا اعتبارنا فى المجتمع الدولى .

ما القول اذا كان هنالك نظام يحل مشكلاتنا الداخلية وفى الوقت ذاته لا

يدعنا نقف ابدا من المائدة الانسانية وقفة المستجدى الذليل ، بل وقفة المساهم فى هذه المائدة المعطى ما عنده ، وما عنده ليس بقليل .

إننا لنعجب كيف يمكن الانسان ان ينأى بنفسه عن موقف الكرامة الى موقف الذلة وعن دور المعطى الى دور المستجدى ، وعن مركز القيادة الى موقف التبعة وهو قادر على الاختيار ، لو قاوم فى ضميره شعور الاضطرار .

إن لدينا ما نعطيه ، ولسنا من المفلسين بحيث يتصور الكثيرون ، أو بحيث تصورنا لأنفسنا المعسكرات الأجنبية .

ان لدينا ما نعطيه ولسنا من الافلاس بحيث يتصور الكثيرون ، أو بحيث يصورنا لأنفسنا الأجانب المستعمرون على اختلاف مشاربهم ، انما يصوروننا هكذا لغاية فى انفسهم ، ليحل التخاذل فى نفوسنا محل الثقة ، واليأس محل التطلع ، ولنسقط فرائس ذليلة مستغفلة ، فى هذا الفخ أو ذاك ، ان لدينا ما نعطيه، ولكن فى حاجة لأن نؤمن بأنفسنا ، ففى هذا الايمان حياة ، وفى هذا الايمان نجاة .

اذا اتضح أن الاسلام يملك أن يحل لنا مشكلاتنا الأساسية ، ويمنحنا عدالة شاملة ، ويردنا الى عدل فى الحكم، وعدل فى المنزل ، وعدل فى الفرص، وعدل فى الجزاء فانه يكون بلا شك أقدر على العمل فى بلادنا من كل مذهب آخر ، نحاول استعارته عن طريق التقليد ، أو عن طريقة المشاركة فى الحضارة الانسانية بالاستجداء .

أجل — اذا اتضح هذا كله — فالاسلام أقدر على العمل معنا هنا فى الداخل، ولن نحتاج الى استجلابه من وراء الحدود ، كما نستجلب الثياب المستعملة الجاهزة فتجىء فضفاضة ، أو خانقة ، « وقد تجىء وفيهـا السل » لأنها لم تصنع على أعيننا ولم تفصل على قدنا ، ولم تنبع من آلامنا وآمالنا .

والاسلام — يا قوم — صاحب لنا صديق، صاحبناه ألفا وأربعمائة عام تقريبا، له فى الجوانح هزة، وفى المشاعر ذكرى، وفى الضمائر أصداء، وليس بالغريب على أرواحنا ومشاعرنا وعاداتنا وتقاليدنا غربة المذاهب الاخرى التى نحمد منها اشياء ونكره منها أشياء ، ونألف منها اتجاها وننكر عليها اتجاها وتتوزع مشاعرنا ازاءها على أية حال توزيعا لا يضمن معه توحيد الجبهة فى طلب عدالة قوية كما نضمن توحدها اذا نحن هتفنا الى العدالة باسم الاسلام .

أن الذين يريدون تنحية الاسلام عن معركة العدالة على انواعها ليخوضوها تحت راية أخرى ، انما يخونون أنفسهم ان كانوا مخلصين فى دعوى العدالة أو يخونون قضية الجماهير ، جهلا بقيمة القوة الكبرى التى يزودهم الاسلام بها ، أو عداوة مريبة لهذه القوة العظيمة ، أو احتقارا لأنفسهم وكفرا بقيمتهم ، ورضاء كرضاء العبيد بفتات الموائد ووقفة الاذناب . . .

اننا نفهم جيدا أن ينصب المستعمرون والمستغلون والطغاة للاسلام لينحوه عن معركة الحكم ، لأنه يحارب استعمارهم واستغلالهم وظلمهم بقوة ، أما أن ينصب للاسلام دعاة العدالة ورجال القضاء فذلك أمر غير مفهوم عندنا ، فان وراءه لخبثا ومؤامرة يجب أن يفطن اليها الابرياء والمخلصون الذين يريدون العدالة لذاتها ، ويكافحون للجماهير وحدها ، ويتجردون لهذه الغاية النبيلة بلا رياء ولا التواء ، ولا خيانة .

ان ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة فى حق العدالة ، وهدر لشرفنا العربى ، فهى تجعل عقوبة من يزنى بأمه أو ابنته أو شقيقته أقل — بكثير — من عقوبة من يسرق متاعا بسيطا .

ان ارتباطنا بعجلة قوانين الغرب جريمة قومية ، فهو طالما داس كرامتنا

وحاول استرقاقنا وعرضنا للذبح والتشريد ، فهل يليق اتباعه بدلا من ان نثير عليه روح اللعنة والانتقام .

ان ارتباطنا بقوانين الغرب استهانة بحق الاسلام وتهاون بأوامر الله سبحانه الذى شاءت حكمته أن تحكم قوانينه الانسانية البشر ، كما حكمت قوانين الطبيعةالكون . وقد تم للبشر الافادة من الطبيعة بخضوعهم لهذه القوانين، فما بالهم تمردوا على القوانين الاخرى حتى حرموا الافادة من عدلها وخيرها وسلامها

لقد وصف هذا الاله العظيم من يهجر قوانين الاسلام بالكفر والفسق والظلم فقال : « ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وهل أكفر وأفسق وأظلم ممن يترك النظم الالهية التى أثبتت التطبيق ، ثم أثبت رجال القوانين عظمتها — ثم يروح ويرتمى فى احضان القوانين الغربية الوضعية التى زادتنا فسادا وفوضى كما زادته خرابا وانهيارا .

اذكروا يوم كان اجدادكم العرب قبل اربعة عشر قرنا يتخطفهم الاستعمار الرومانى والفارسى من كل مكان ويستذلهم ، فجاء التشريع الاسلامى العربى فأنقذهم ورفع لهم راية الحرية وقادهم الى أعلى ذرا المجد .

اذكروا اجدادكم العرب الذين كانوا يهيمون فى الضلالة وقد انقسموا الى قبائل يذبح بعضها بعضا ، مما كان يهددهم بالفناء ، فسارع الاسلام — بأسرع من البرق — فأصلحهم ووحد بينهم وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس .

اذكروا سرطان اليهود الذى كان يسرى فى جسم القبائل العربية والحجاز مهددا اياها بالفقر والمرض حتى جاء الاسلام فاستأصل شأفتهم وأجلاهم عن الجزيرة العربية ، اذكروا أن هذه الأمة العربية لا يصلح آخرها الا بما صلح به اولها ، وان قوة العقيدة الصحيحة ليس مثلها قوة .

وان هذا التشريع الاسلامى الذى أنشأ مدنية دمشق وبغداد والأندلس (وهى سبب المدنية الغربية) لن يعجز عن مدنية العصر الحديث الصحيحة .

اذكروا أن جامعة اكسفورد الانجليزية قد انشأت كرسيا لمحاربة التشريع الاسلامى وابعاد القومية العربية عن هذا النظام الديناميكى ليسهل استعمارها فهل يجوز أن نعمل كما يعمل المستعمرون .. ؟

اذكروا أنكم حملة رسالة العروبة المؤمنة ، وان العالم اليوم على فوهة بركان ، فقد عرضته المدنية المادية الحديثة ومذاهبها الهوجاء الالحادية الى الفناء باعتراف مفكرى الغرب . سارعوا لحمل الشعلة وانقاذ قافلة الانسانية الضالة .

---

(١) راجع كتاب « الجريمة والمجتمع » للدكتور زكريا ابراهيم ص ١٥ — ١٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١٧ — ١٨ .
(٣) عقوبة الاعدام للاستاذ : المحامى مصطفى ذوق ص ٣ — ٤ .
(٤) فى ظلال القرآن تاليف سيد قطب ص ٣١ و ٣٢ المجلد الخامس .
(٥) هذا الحكم منسوخ بآية (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس .. الآية) .
(٦) قال ابن عباس : مما كتب على من كان قبلكم ، فانه كان فى بنى اسرائيل القصاص ، ولم تكن فيهم الدية .. الحديث أخرجه البخارى والنسائى . والمسيحية كانت تقول بالعفو مطلقا !
(٧) فى ظلال القرآن تاليف سيد قطب ص ٦٨ — ٧٢ الجزء الثانى — المجلد الأول .

دور جامعة الأزهر في الطب

احتفالا بالعيد الالفى للازهر دعت كلية الجراحين الملكية بدبلن ــ اشهر واقدم كلية جراحين فى العالم ــ الدكتور فؤاد الحفناوى استاذ ورئيس قسم امراض النساء بكلية طب الأزهر . ليكون ضيف الشرف فى الاجتماع السادس لذكرى روبرت آدمز منشىء الكلية ــ وقد القى الدكتور الحفناوى فى الاحتفال محاضرة عن دور الازهر فى تعليم الطب امام حوالى ٥٠٠ طبيب من كبار جراحى العالم ، قال فيها : ان انشاء كلية طب فى الازهر ، فى العصر الحديث لم يكن بدعة أو امرا دخيلا على الازهر ــ فمنذ انشائه أيام الفاطميين كانت تلقى فيه بجانب العلوم الدينية دراسات عن النظام الاكاديمى فى الطب والرياضة والفلك .

□ ويذكر التاريخ أن اثنين ممن توليا منصب شيخ الأزهر وهو أعلى منصب فى الجامعة الاسلامية ، كانت لهما مؤلفات فى الطب ، أولهما الشيخ حسن العطار الذى ألف عدة رسائل فى الطب والتشريح وكتابا فى الصيدلة ردا على تذكرة داود .

اما العالم الثانى فهو الشيخ احمد عبد المنعم الدمنهورى الذى ترك مؤلفات طبية متعددة يذكر المؤرخون منها كتابه المسمى « القول الصريح فى علم التشريح » .

□ ويذكر التاريخ ايضا ان احد اعلام الازهر وهو الشيخ عبد اللطيف البغدادى الذى أعلن فى ايامه خطأ وصف قول جالينوس لفك الانسان الاسفل من أنه مكون من عظمتين ــ وقد اجرى عالم الازهر دراسة احصائية وقام بتشريح لحوالى ٢٠٠٠ جمجمة لموتى واثبت أن فك الانسان الاسفل يتكون من عظمة واحدة . وعالم الازهر بهذا المنهج العلمى يعطينا مثلا للدقة والامانة العلمية حين أعلن فى ثقة اكتشافه وحدة عظمة الفك الاسفل .

□ كما وان هناك عالم الازهر الكبير فى عصر الحاكم بأمر الله وهو الحسن بن الهيثم الذى قرر لاول مرة أن الابصار يرجع الى أن اشعة الجسم المرئى تنتقل الى العين وعارض بذلك نظرية بطليموس المبنية على أن العين هى التى ينبعث منها اشعة الابصار .. وقد أخذ عنه علماء أوروبا نظرياته فى البصريات وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكية العين ــ وظلت هى المرجع المعتمد فى أوروبا حتى القرن السادس عشر .

□ وفى العصر الحديث حين اراد محمد على القيام بنهضة صحية للعناية بالجيش استدعى كلوت بك من فرنسا الذى أوصى بانشاء مدرسة للطب فى أبو زعبل كان نواة الدارسين فيها ١٠٠ طالب أزهرى سافر منهم بعد خمس سنوات الى باريس ١٢ خريجا وحصلوا منها على شهادات التخصص وعادوا بعد ذلك ليعملوا كنواة لاعضاء هيئة تدريس مصرية صميمة ــ ثم كانوا أول أعمدة انشاء مدرسة طب فى مصر وهى مدرسة طب قصر العينى .

اننا نطالب والازهر قد بلغ من العمر ألف سنة أن يكون الاحتفال به مساويا لما قدمه لمصر وللعالم الاسلامى من خدمات ــ بل أن يكون الاحتفال به بداية لدفعة جديدة كجامعة اسلامية شاملة وخصوصا الكليات العملية التى انشئت حديثا وتحتاج لدعم كبير مثل الطب والهندسة والزراعة حتى تستطيع كليات الازهر العملية أن تتخطى الصعوبات التى تواجهها وتخرج للعالم الاسلامى العلماء المتخصصين فى أحدث تطورات العلم فى عصرنا .

السنة ومنزلتها من القرآن..

للدكتور عبد الله شحاته

السنة هى المصدر الثانى من مصادر التشريع الاسلامى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتى)) .

وتطلق السنة على الطريقة والمنهج ، ومن ذلك لفظ الحديث الشريف : ((من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينتقص من اجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من اوزارهم)) . رواه مسلم وأحمد والترمذى والنسائى .

كما تطلق على الطبيعة والناموس الكونى وعلى حكم الله سبحانه وتدبيره ومنه قوله تعالى : (سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا) الاحزاب : ٦٢ .

والسنة فى اصطلاح المحدثين تطلق على ما اثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من اقوال أو افعال أو تقرير او سيرة او خلق أو شمائل او أخبار ، وقد يستعمل اسم الحديث او الخبر او الاثر حيث يستعمل اسم السنة (١) وبذلك يكون الحديث والاثر مرادفا للسنة بالمعنى العام . قال العلماء :

((أما أصل علم الحديث والسنة فهو أقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله ونومه ويقظته وحركاته وسكونه وقيامه وجوده واجتهاده وعبادته وسيرته وسراياه ومغازيه ومزاحه وجده وخطبه واكله وشربه ومشيه وسكوته وملاطفته أهله وتأديبه فرسه وكتبه الى المسلمين والمشركين وعهوده ومواثيقه والحاظه

وأنفاسه وصفاته مما رواه عنه من الصحابة أربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة قبل الهجرة ثم بالمدينة بعد الهجرة ، سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام وتحاكموا اليه فيه ، وقد أدى ذلك من الصحابة الى التابعين فمن بعدهم الى عصر التدوين (٢) » ..

•• •• ••

تـــدوين السـنة

كان عمر بن عبد العزيز أول من أمر بتدوين السنة خوفا عليها من الضياع . وأكد هذا الامر أبو جعفر المنصور فانتدب لذلك ابن شهاب الزهرى وكان سابق الحلبة ، الا أن عمله انما كان تدوينا مجردا من غير تبويب ولا ترتيب . وأما الجمع مرتبا على الأبواب فوقع فى نصف القرن الثانى الهجرى ، وكان ممن قام بذلك ابن جريج بمكة ، ومالك وابن اسحاق بالمدينة ، وهشيم بواسط ومعمر باليمن وابن المبارك بخراسان ، والربيع بن صبيح وسعيد بن أبى عروبة وحماد بن سلمة بالبصرة وسفيان الثورى بالكوفة والأوزاعى بالشام ، وجرير بن عبد الحميد بالرى (٣) .

موطـأ مالـك

عاش الامام مالك بالمدينة المنورة وهى دار الهجرة والمركز الاسلامى الذى انتقل نور الاسلام منه الى سائر الامصار ، وفى صحيح البخارى : « ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » . أى أن الايمان يحتمى بالمدينة ويتحصن بهـا من أذى المشركين كما تحتمى الحية بجحرها ممن يريد قتلها .

وقد ولـد الامام مالك بالمدينة سنة ٩٤ هـ وتوفى بها سنة ١٧٩ عن ٨٥ سنة بعد أن ألف كتابه الموطأ ، ولعله الكتاب الوحيد الذى وصلنا بالرواية الصحيحة من تأليف هذا العصر ، ولذلك نتخذه نموذجا للطريقة التى دون بها علم الحديث فى أول الأمـر .

والموطأ وان لم يكن فى الواقع كتاب حديث مجرد لانه يحتوى على كثير من الفقه والاستنباط وأقوال السلف ومذاهب الصحابة .

الا أنه فيما اشتمل عليه من الحديث يعطينا فكرة صادقة عن الجهد الذى بذله الامام مالك فى تحرى الاحاديث الصحيحة ، وعدم الرواية الا عن الاعلام الاثبات الثقات ، فقد قيل أنه لما الفه أولا كان يشتمل على نحو عشرة آلاف حديث ولم يزل ينتقى منه ويختار حتى لم يبق منه الا نحو الف حديث وهذه النسبة وهى واحد من عشرة أو قل عشرة منمائة ، هى التى عمل عليها تقريبا جل المؤلفين فى الحديث بعد ذلك ، لا سيما أئمة الصحيح .

ورتب الامام مالك كتابه الموطأ على الابواب والمسائل ، فهو يخرج الحديث الشاهد فى أول الباب أو فى أثنائه ثم يخلل الباب بالآثار والاقوال الثابتة عن الصحابة وأئمة السلف فى الموضوع ، ويأتى بباب اسمه الجامع يروى فيـه متفرقات من الباب لا تصلح أن تفرد بترجمة ، وقد ختم الكتاب كذلك بباب واسع سـماه الجامع ، وضمنه أحاديث فى السنن والاخلاق وآداب السـلوك ونحـو ذلك .

ويقال أنه أول من ابتكر هذا الصنيع فى التأليف ، أى جمع المسـائل المتفرقة فى باب اسمه الجامع ، وعلى ما نرى فان طريقة الامام مالك فى تأليفه للموطأ برغم قدم الزمن هى من أحسن الطرق التى الفت عليها كتب السـنة فيما بعد واتبعها معظم المحدثين الى المائة الثالثة .

وفى القرن الثالث الهجرى نشطت حركة جمع الحديث نشاطا كبيرا وتناولت مختلف وجوه العمل لتأليفه وتبويبه وتخليصه من الزيف والعلة ، فألف البخارى جامعه الذى هو أول كتاب ألف فى الصحيح ، وكذا مسلم صاحب ثانى الصحيحين ، وألف بقية أصحاب كتب السنة كتبهم ، وهى التى تلقاها المسلمون بالقبول . ويقول السيوطى : ان الحديث اذا أخرجه أحد هؤلاء المؤلفين الستة فليروه الانسان مطمئنا اليه (٤) .

وكان التأليف فى هذا العصر على أوضاع مختلفة ، منها ما بقى محافظا على وضعه الاول الذى كان أكثر العمل عليه عند بدء التأليف ، وهو جمع أحاديث كل راو على حده ، وان اختلفت موضوعاتها ، وهذا ما يسمى بالمسند ، وهو المنهج الذى اتبعه الامام أحمد بن حنبل فى كتابه العظيم المسمى بمسند الامام أحمد ، ومنها ما ألف على الابواب والمسائل وهى طريقة الامام مالك فى الموطأ . ومنه ما يكون عاما شاملا لاحاديث العبادات والاحكام والحكم والتواريخ والرقائق وغير ذلك وهو المسمى بالجامع ، ومنه الجامع الصحيح للامام البخارى وغيره ، ومنه ما يقتصر على السنن والاحكام كسنن أبى داود ، ومنه ما يخص موضوعا بعينه أو مسألة واحدة فقط كشعب الايمان للبيهقى والقراءة فى الصلاة للبخارى الى غير ذلك .

« واشتهر صحيح البخارى وصحيح مسلم وكتب السنن الاربعة بالكتب الستة ولكل من اصحابها ميزة يعرف بها . فمن اراد التفقه فعليه بصحيح البخارى ، ومن أراد قلة التعليقات فعليه بصحيح مسلم ، ومن رغب فى زيادة معلوماته فى فن التحديث فعليه بجامع الترمذى ، ومن قصد الى حصر أحاديث الاحكام فبغيته لدى أبى داود فى سننه ، ومن كان يعنيه حسن التبويب فى الفقه فابن ماجة يلبى رغبته ، فأما النسائى فقد توافرت له هذه المزايا (٥) » .

وأحب أن أسجل هنا ظاهرة تشترك فيها جميع الكتب التى الفت فى السنة . وهذه الظاهرة هى حرص جميع المؤلفين برغم اختلاف مناهجهم على الا يسجلوا فى كتبهم حديثا الا ومعه اسناده الذى تلقوه به مسلسلا متصل الحلقات الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانما نسجل هذه الظاهرة هنا لانها أسهمت بنصيب كبير فى حفظ السنة النبوية وأعانت على التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف وهيأت للمتخرجين من الدارسين ما هيأته للمتقدمين ، من دراسة دقيقة للسنة ، ومن نقد منصف أمين لما لم يصح منها (٦) .

•• •• ••

الاسناد وأثره فى حفظ الحديث

حرص المحدثون أن يصحبوا كل حديث بسنده الذى روى به وبذلوا جهودا فى هذا الصدد لا يوجد لها نظير عند غير المسلمين ومن ثم قيل ان الاسناد من خصائص هذه الامة أى تتبع رواة الحديث واحدا فواحدا والبحث عن حالهم من الحفظ والضبط والعدالة الى النبى صلى الله عليه وسلم .

شهادة انصاف

وقد أبدى المنصفون من المستشرقين اعجابهم بالجهد الكبير الذى بذله المسلمون لحفظ الاحاديث النبوية وتمييز صحيحها من ضعيفها ، قال المستشرق جوينبول Guynball كاتب مادة الحديث فى دائرة المعارف الاسلامية :

« لا يعد الحديث صحيحا فى نظر المسلمين الا اذا تتابعت سلسلة الاسناد من غير انقطاع ، وكانت تتألف من أفراد يوثق برواياتهم ، وتحقيق الاسناد جعل علماء المسلمين يقتلون الامر بحثا ، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم

لمعرفة الوقت الذى عاشوا فيه وأحوال معاشهم ، ومكان وجودهم ، ومن منهم كان على معرفة شخصية بالآخر ، بل فحصوا أيضا عن قيمة المحدث صدقا وكذبا وعن مقدار تحريه للدقة والامانة فى نقل المتون ليحكموا أى الرواة كان ثقة فى روايته » (٧) .

•• •• ••

ونوه الاستاذ آدم متز ، فى كتابه الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، بالدور العظيم الذى قام به علماء الحديث فى تدوين السنة النبوية وخدمتها فقال : « وقد أعتنى نقاد الحديث منذ أول الامر بمعرفة رجال الحديث وضبط أسمائهم والحكم عليهم بأنهم ثقات أو ضعفاء ، ثم نظروا فى الاساس الذى ينبنى عليه هذا الحكم أعنى الصفات التى يجب توفرها فى المحدث الثقة ، وهو ما يعرف بالجرح والتعديل ، وقد أدت بهم حاجتهم الى السند المتصل أن يتجاوزوا البحث فى حياة الرواة والحكم عليهم الى عمل تاريخ كامل لهم ، وهكذا وجدت تواريخ القرن الثالث الهجرى مثل تاريخ البخارى وطبقات ابن سعد .. الخ » (٨) .

منزلة السنة من القرآن

لم يكن للاحكام فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر سوى القرآن والسنة ففى القرآن الاصول العامة للاحكام الشرعية دون التعرض الى تفصيلها جميعها ، والتفريع عليها .

وحكمة ذلك أن يحقق القرآن الكريم النهضة الانسانية الشاملة ، والرقى الاجتماعى والفكرى ، وينشر العدالة والسعادة فى كل زمن ، ويبقى صالحا لكل أمة مهما كانت بيئتها وأعرافها ، فتجد فيه ما يكفل حاجتها التشريعية فى سبيل النهوض والتقدم والى جانب هذه الاصول فى القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات وقصص الامم الغابرة ، والآداب العامة والاخلاق . « وقد جاءت السنة فى الجملة موافقة للقرآن الكريم تفسر مبهمه وتفصل مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه وأهدافه كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم تتمشى مع قواعده وتحقق أهدافه وغاياته ، فكانت السنة تطبيقا عمليا لما جاء به القرآن العظيم ، تطبيقا يتخذ مظاهر مختلفة ، فحينا يكون عملا صادرا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وحينا آخر يكون قولا يقوله فى مناسبة ، وحينا ثالثا يكون تصرفا أو قولا من أصحابه فيرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذاك ، فلا يعترض عليه ولا ينكره ، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريرا » (٩) .

•• •• ••

أمثلة من بيان السنة للقرآن

أمر القرآن بالايمان بالله وحث عليه وذكر فضله وثوابه ، ثم جاءت السنة فوضحت هذا الايمان وبينت حدوده بقوله صلى الله عليه وسلم : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره » (١٠) .

وكذلك الاسلام والاحسان ، وأركان الاسلام ، فالصلاة وهى عماد الدين وأولى فرائضه أوجبها القرآن مجملة بقوله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) البقرة : ٤٣ .

ولم يرد فى القرآن بيان عدد الصلوات ولا كيفيتها فجاءت السنة فبينت عدد الصلوات والركعات وكيفيتها وشروطها واصلاح ما يقع فيها من الخلل ،

ووضحت أوقاتها وكيفية العمل فى فوائتها .

ولم يذكر فى القرآن ذلك الا مجملا ، ولكن السنة بينت ذلك تفصيلا فقال صلى الله عليه وسلم : «صلوا كما رأيتمونى أصلى » (١١) .

وروى لنا الصحابة كيفية صلاته عليه الصلاة والسلام والاوقات التى صلى فيها وما يتعلق بالصلاة ، وما هو واجب منها وما ليس بواجب .

والزكاة أشار القرآن الى وجوبها بقوله تعالى : (والذين فى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج : ٢٤ ، ٢٥ .

وبينت السنة الاصناف التى تجب فيها الزكاة وهى الاموال السائلة وعروض التجارة والركاز وهو ما استخرج من باطن الارض والزرع والثمار ، وزكاة الماشية كالابل والبقر والغنم ، وبينت تفاصيل الزكاة وما يتعلق بها .

وكذلك الصوم أوجب الله علينا صوم شهر رمضان وبينت السنة احكام الصيام تفصيلا بفعله صلى الله عليه وسلم فوضحت أركان الصيام وفرائضه وسننه وآدابه وعقاب تاركه والكفارة لمن أفسد صيامه الى غير ذلك

والحج أوجبه القرآن على من استطاع ، يقول سبحانه : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .

وبينت السنة كيفية الاحرام وممنوعاته وحدود عرفه والوقوف فيه وكيفية السعى والطواف وعدد الاشواط الى غير ذلك ، وقد أجمله عليه السلام بقوله : « خذوا عنى مناسككم » وبينت الاحاديث النبوية التى رواها الصحابة الذين عاينوا حجة الوداع تفاصيل حجه صلى الله عليه وسلم .

فهذه بعض الاحكام مما يتعلق بالقواعد الخمس فقط ، استفيدت من السنة وان ذكرت أصولها فى القرآن ، فلا جرم أن السنة قولية كانت أو فعلية عليها مناط التشريع بعد القرآن ، فى العبادات والمعاملات . وخلاصة القول ان السنة مع القرآن على ثلاثة وجوه :

الأول : ما كان موافقا للكتاب مؤيدا له ومؤكدا ما جاء فيه كأحاديث الامر بالصلاة والزكاة وتحريم الربا ونحوها .

الثانى : ما كان مبينا ومفسرا لما جاء فى القرآن فبينت السنة المراد منه كبيان كيفية الصلاة وعدد ركعاتها وأوقاتها .

الثالث : ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ليس فيه نص من القرآن ، كما فى زكاة الفطر وصلاة الوتر من أحكام العبادات وكما فى الحكم بالشاهد واليمين وميراث الجدة من أحكام المعاملات . وقد قال الله عز وجل فيما هو من هذا القبيل : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر ٧:

•• •• ••

وجوب العمل بالسنة

ختم الله عز وجل الرسالات السماوية برسالة الاسلام ، فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا وأنزل اليه القرآن الكريم ، المعجزة الكبرى والحجة العظمى ، وأمره بتبليغه وبيانه .

فالقرآن الكريم هو أساس الشريعة لانه كلام الله تعالى المعجز المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك جبريل الامين المتواتر لفظه جملة وتفصيلا المتعبد بتلاوته المكتوب فى المصاحف .

وكل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم — سوى القرآن الكريم — من بيان لاحكام الشريعة وتفصيل لما فى الكتاب الكريم وتدبيق له هو الحديث

النبوى أو السنة ، وهى بوحى من الله تعالى ، أو باجتهاد من الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن الرسول لا يقر على اجتهاد خطأ وعلى هذا فمرد السنة الى الوحى ، فالقرآن الكريم هو الوحى المتلو المتعبد بتلاوته والسنة وحى غير متلو لا يتعبد بتلاوتها (١٢) .

وقد أرشدت أصول الدين الى وجوب العمل بالسنة ودل على ذلك الكتاب والسنة والاجماع .

•• •• ••

أما الكتاب فقوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى) النجم : ٣ ، ٤ .

وقوله سبحانه : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر : ٧ .

وقوله عز وجل : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء : ٨٠ .

وقوله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) النحل : ٤٤ .

فالرسول مبين للكتاب وشارح له ومطبق لاحكامه واهدافه فهو القرآن المتحرك ولذلك قالت عائشة وقد سئلت عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم : كان خلقه القرآن .

وقد أمرنا القرآن بطاعة الرسول فقال سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) النساء : ٥٩ .

ادلة حجية السنة من الحديث :

قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكة يأتيه الامر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه . فيقول : لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » (١٣) .

وفى الحديث : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » (١٤) .

الاجماع :

اجتمعت الامة الاسلامية على وجوب العمل بالسنة ، ونقلها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل ، ورجعوا اليها فى أمور دينهم ، وعملوا بما فيها وتمسكوا بها وحافظوا عليها ، استجابة لله عز وجل وتأسيا برسوله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

روى أبو نضرة عن الصحابى الجليل عمران بن حصين : أن رجلا أتاه فسأله عن شىء فحدثه ، فقال الرجل : حدثوا عن كتاب الله عز وجل ولا تحدثوا عن غيره ، فقال : انك أمرؤأحمق .. أتجد فى كتاب الله صلاة الظهر اربعا لا يجهر فيها ، وعد الصلوات ، وعد الزكاة ونحوها ، ثم قال : أتجد هذا مفسرا فى كتاب الله ؟ كتاب الله أحكم ذلك والسنة تفسير ذلك (١٥) .

•• •• ••

وقد نهج الصحابة والتابعون وأتباعهم والمسلمون من بعدهم على المحافظة على السنة والعمل بها واجلالها .

قال رجل للتابعى الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا الا بالقرآن فقال مطرف : « والله مانريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذى بين الكتاب الكريم وطبق تعاليمه ، وشرح مقاصده وغاياته ، وفصل أحكامه بسنته الطاهرة ، التى كانت ولا تزال قدوة المسلمين وسبيلهم ولذلك تمسكوا بها تمسكهم بالقرآن الكريم ، وحافظوا عليها محافظتهم عليه (١٦) .

•• •• ••

ان عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم انه استطاع أن يجمع العرب وان يوحد كلمتهم وأن ينشر روح الحياة فى أمتهم حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس ، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحملوا رسالة الله الى المشارق والمغارب وجاءهم نصر الله والفتح .

وان هذا القبس والهدى فيه الصلاح والفلاح لأمتنا ولن يصلح آخر الامة الا بما صلح به أولها ، وصدق الله العظيم : (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) الاحزاب : ٢١ .

---

(١) على الخفيف : مكانة السنة ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ، ص ٣٤ .

(٢) عبد الله كانون ، الحديث وقيمته العلمية ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ص ٦٨ ، والمدخل الى علم الحديث للحاكم النيسابورى ص ١٢ من طبعة لندن ، ومحمد عجاج الخطيب ، أصول الحديث ص ٢٥ طبعة لبنان (دار الفكر) .

(٣) تدريب الراوى للسيوطى ص ٢٤ .

(٤) تدريب الراوى ص ٥٥ .

(٥) د. مصطفى زيد : دراسات فى السنة ، ص ٩ .

(٦) د. مصطفى زيد : دراسات فى السنة ، ص ١٠ .

(٧) دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية المجلد ٧ ص ٣٣٥ .

(٨) الحضارة الاسلامية لآدم ميتز ، الترجمة العربية لمحمد عبد الهادى أبو ريدة ، ٣١٩/٤ .

(٩) د. محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث ص ٤٧ . وعلى الخفيف : مكانة السنة ، فصلة من كتاب المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر ص ٣٩ وما بعدها ، وعلى حسب الله : أصول التشريع الاسلامى ص ٣٤ وما بعدها .

(١٠) البخارى : ١٢/١ .

(١١) البخارى : ٨٥/١ .

(١٢) د. محمد عجاج الخطيب : أصول الحديث ٣٤ .

(١٣) رواه الامام الشافعى فى الرسالة ص ٨٩ فقرة (٢٩٥) .

(١٤) الفتح الكبير : ٢٧/٢ .

(١٥) جامع بيان العلم وفضله : ١٩١/٢ .

(١٦) جامع بيان العلم وفضله : ١٩١/٢ ، د. محمد عجاج الخطيب : السنة قبل التدوين ص ٨٠ — ٩١ .

واجبنا نحو الاسلام

واجبنا ان ننشر مبادئه المثالية،ومثله العالية ، بجميع اللغـــات الأجنبية ، ونوزعها بالمجـان ، اوبارخص الأثمان ، حتى يشعر العالم كله بالإسلام على حقيقته ، وتزول الخرافات والأباطيل التي نشرهــا المتعصبون المبشرون المحترفـون عن الإسـلام ، وهو منها برىء .

هذه هى الوسيلة لنشر الإسلام بين الأوروبيين والأمـــريكيين ، والآسيويين والأفـــريقيين ، لأنهم لا يعلمون شيئا عن كنـــه الإسلام وحقيقته ، إلا ما يذكر من الافتراءات والأكاذيب ، لتضليل العقــول فى الكتب المؤلفــة للتبشير . والتبشير حـــرفة يأكل منها المبشر عيشـــه ، ووسيلة بها يجد رزقه .

ولو تـــرك الإنســـان بفطرته الطبيعية ، ولم يتدخل أحد من الآباء والأمهات فى جعله يهوديا أو نصرانيا لاتخذ الإسلام دينـــا لو نال نصيبه من الثقافة العامة ، ثم وجد من يفهمـــه الإسلام ، وآراءه ، وأركـــانه ، وروحه ، ومبادئه وأخلاقه ، وقواعده فالإسلام حقا دين الفطرة الإنسانية، والعقل المنطقى ، يصلح لكل بيئة ، ويناسب الحضرى والبدوى والبدائى، وكل شعب من الشعوب ، وكل عصر من العصور .

واجبنا أن ندعو إلى الاسلام ، بإخلاص فى الدعوة ، وعقيـــدة فى القلب ، وصـــفاء فى السريرة ، ابتغاء مرضاة الله ، حتى تخـــرج الدعوة من اللسان ، أو تدون بالقلم، فتسمع أو تقرأ ، فتصل إلى القلوب، وتؤثر فى النفوس ، لأنها خالصـــة لوجه الله الحق جل جلاله .

لماذا انتشر الإسلام بسرعة ؟

لقد انتشر الإسلام بسرعة فى أقل من قرن بين الصين من الشرق ، والمحيط الأطلسى من الغرب ، لأنه دين الفطرة ، والطبيعة الإنسانية ، دين المستقبل ، دين سهل يتقبله العقل والمنطق ، ويتصل بقلوب الناس ، ويصل إلى الأفئدة . يدعو إلى التمسك بالفضائل ، والبعد عن الرذائل ، ويأمر بالخير ، وينهى عن الشر .

انتشر الإسلام بسرعة لأنه دين يحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويصلح لكل زمان ومكان ، ويناسب كل بيئة وإنسان ، يحدد الحقوق ، ويسوى بين جميع الطبقات ، فى احترام النفس والدين ، والعرض والمال .

انتشر الإسلام بسرعة لأنه دين اليسر والتسامح ، دين الإيثار والإنسانية ، دين الإخاء والحرية ، دين المساواة بين الفقراء والأغنياء ، دين العطف والشفقة والرحمة ، دين العدالة المطلقة ، دين يسهل فهمه ، ويطمئن إليه كل إنسان ، ويدعو إلى الدنيا والآخرة .

ويرجع انتشار الإسلام بسرعة إلى ما اتصف به الرسول الكريم من إيمان بما يدعو إليه ، وثقة تامة بتأييد الله ، واجتهاد فى نشر دعوته ، وثبات عظيم ، وصبر لا نهاية له على ما كان يلاقيه من أذى أقرب الناس إليه ، وهم أهله وعشيرته ، الذين تحدوه وعاندوه ، وحرضوا القوم عليه ، لكنه قام بالدعوة إلى الاسلام وحده صابرا ، وقومه ما بين مستهزىء به ، وغافل عنه ، ومستعد عليه . واستمر يقارعهم بالحجة ، ويناهضهم بالدليل ، ويأخذهم بالنصيحة ، ويسكتهم بالمنطق ، ويزعجهم بالزجر ، وأخيرا سفه أحلامهم وعقولهم ، وضلل آباءهم ، وسخر من آلهتهم وأوثانهم وأصنامهم ، وأنذرهم عذابا أليما .

وثابر على ذلك صباح مساء ، حتى أخذتهم العزة بالإثم ، وأجمعوا أمرهم بينهم على قتله ، ليستريحوا منه ، لولا ما كان من حماية عمه أبى طالب إياه . وقد استمر فى الدعوة إلى الحق حتى انتصر عليهم جميعا بالحجج القوية ، والإيمان الراسخ ، والخلق الكامل ، والأمانة المطلقة ، والإخلاص النادر ، والصبر الجميل .

بهذه الأخلاق العظيمة نجح محمد صلى الله عليه وسلم فى نشر دين الله ، وإعلان أحكامه ، ووحد بين العرب ، بعد أن كانوا شيعا وأحزابا ، وتحققت الوحدة العربية ، واجتمعت الكلمة الإسلامية فى جزيرة العرب ، وانتشرت الوحدة الدينية بين العرب ، بطريقة لم يعهد لها نظير فى ماضيهم .

وأصبح العرب فى زمن قصير أمة تدين بالتوحيد ، وصارت الأمة العربية دولة الزمان ، ذات الأساس المتين .

وبانتشار الإسلام تغيرت عقائد وعادات وتقاليد . وشرع الإسلام للناس قوانين وأحكاما تتفق مع العقل المنظم ، والمنطق السليم وجاء بحكم وآداب خشعت لها قلوب المفكرين ، ودهشت منها عقولهم ، وانصرفت وراءها هممهم . وحث

على التعليم والإرشاد ، وقرر قواعد العدالة والإنصاف ، والحرية الدينية، والمساواة بين الفقراء والأغنياء ، والبيض والسود والصفر .

كل هذا أورق واينع ، وازهر واثمر فى ربع قرن ، ثم كان له فى الأمة الإسلامية وحياتها المجيدة شأن عظيم .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم انشأ أمة عظيمة ، متآلفة متعاونة ، من قبائل عربية كانت متباغضة متطاحنة ، واعد الأمة الإسلامية إعدادا كاملا : لتتبوأ مكانها بين الأمم المجيدة . فكان له منها دولة إسلامية عظيمة قوية عنت لها من بعده وجوه القياصرة والأكاسرة . وصار أبناؤها يرون بحق أنهم أهل لأن يسودوا العالم ، ويقودوا الأمم ، وينشروا العدل والسلام على الأرض، وصارت فى أقل من قرن تخفق راياتها على البلاد المتمدنة ، الممتدة من جدار الصين شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا . ولم تبلغ دولة من دول العالم ما بلغته الدولة الإسلامية فى انتصاراتها ، وفتوحاتها ، مع قلة المسلمين فى البدء ، وقلة استعدادهم ، وكثرة الأعداء ، وقوة أسلحتهم .

« وما النصر إلا من عند الله » .
« إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

بلغ محمد دين التوحيد ، فاكتسح إفريقية من القاهرة إلى مراكش وجنوب أوروبة ، واكتسح نصف آسيا من القدس الشريف إلى بغداد، إلى طهران ، إلى الهند ، ووصل الى قرطبة وغرناطة ، وانتصر الحق علي الباطل ، وانتشر نور الإسلام على ظلام الكفر والوثنية .

ولا عجب ، فهو دين يدعو إلى توحيد الله ، وينبذ الأوثان ، ويدعو إلى الأخلاق الكريمة ، والصفات النبيلة ، والآداب الكاملة ، والتمسك بالفضيلة ، واجتناب الرذيلة .

دين زيّن أسبانيا ومصر والقسطنطينية وفلسطين والهند بعمارته الرشيقة الجميلة ، من قصر الحمراء إلى التاج محل .

ولو اتبع المسلمون دينهم ، واستمسكوا بأصوله وقواعده لظلت راياتهم تخفق إلى اليوم على ملكهم الواسع الأطراف .

وما دام الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه المجيد ، وما دام الله يأبى إلا ان يتم نوره ، ويظهر دينه على الدين كله ، فإن أهل القرآن الكريم بعد انصرافهم عن كتابهم ودينهم ، سيقبلون على القرآن ، وعلى الإسلام فيقبل عليهم الزمان ، وتعود الدولة إليهم ، وعد الله لا يخلف الله وعده .

الإسلام انتشر بمبادئه الإنسانية وآرائه المنطقية :

وإننا نرى أن الإسلام قد انتشر بمبادئه المثالية فى إفريقية وآسيا وأوروبة ، انتشر بمبادئه السامية لا بقوة السيف . انتشر بآرائه المنطقية التى تتفق مع العقل والمنطق ، وكل زمان ومكان ، وتتفق مع الحضارة والمدنية . انتشر بمبادئه التى تلائم الطباع والنفوس البشرية ، وتتفق

مع الإنسانية ، فقد قضى على الرذائل ، وابطل عبادة الأصنام ، وحرّم اكل لحوم الإنسان ، ونشر بين العالم كله العزة والإيثار ، والكرم والإحسان ، والعفو عند المقدرة والصدقة على الفقراء والمساكين .

وبهذه المبادىء الإنسانية انتشر الإسلام ، ودخل الناس فى دين الله افواجا ، واتم الله نعمته على الرسول الكامل ، ونصره نصرا عزيزا .

لماذا تاخر المسلمون ؟

إهمال الناحية الروحية والتفكير فى الناحية المادية وحدها :

إن من ينظر إلى هذا العالم فى القرن العشرين يجد أنه قد نسى الناحية الروحية ، والقيم الروحية ، والمبادىء الخلقية من الوفاء والمروءة ، والأمانة والرحمة ، نسى حياة الفضيلة ، واتجه بعقله وعمله إلى الحياة المادية ، حياة الغدر والخيانة ، والقتل والقسوة ، فعاش فى حرب ونزاع وقتال ، وشاهد آثار الحرب الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) وآثار الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) فى النصف الأول من القرن العشرين ، ولو اتجه العالم إلى روح الإسلام ، روح الجمع والتوسط بين الحياة الروحية والحياة المادية لتجنب تلك الحروب التى قاسى الغالب والمغلوب ويلاتها ، وقاست الإنسانية فظائعها .

إن الاستعمار هو السبب فيما حدث من حروب وويلات ، وإن المطامع الاستعمارية الغربية هى التى هددت وتهدد السلام العالمى بالتدمير والخراب . ذلك الاستعمار الغربى الذى كان سببا فى تخلف الشرق والشرقيين ، عشرات من السنين . فهؤلاء المستعمرون لصوص يدخلون البلاد الآمنة تجارا فى الظاهر ، ومستغلين وقراصنة فى الواقع . فقد دخلوا لينهبوا ما فيها من خيرات وغنائم ومواد أولية ، وليبيعوا منتجاتهم ومصنوعاتهم فيها ، ويجردوها من أنواع الأسلحة والذخائر ، وينشروا فيها الجهل والفقر والمرض ، ويشجعوا الفساد الخلقى والمخدرات حتى تضعف ، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها . فالاستعمار سبب التخلف فى البلاد الإسلامية . ولو اتحد المسلمون فى العالم ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ما استطاع المستعمرون الذين يمتصون دماء الشعوب ، ويتجرون بالحروب — أن يدخلوا البلاد الإسلامية أو يسيطروا عليها فى يوم من الأيام ، ولو اتحد العرب ما استطاعت انجلترا أن تشرد أكثر من مليون من العرب ، وتطردهم من وطنهم ، لتخلق وطنا ليهود العالم ، يسمى إسرائيل .

المسلمون لم يتاخروا اليوم بسبب دينهم :

إن المسلمين اليوم لم يتأخروا بسبب دينهم ، ولكنهم تأخروا لانهم لم يحافظوا على دينهم ، فتدخل الاستعمار فى شئونهم ، وسيطر على بلادهم زمنا ليس بالقصير . وقد شهد العلماء والمؤرخون بفضل المسلمين الأول وعلمائهم ، وأدبائهم ،

وفلاسفتهم ، وحكمائهم ، وأطبائهم ، وقــادتهم .

وقد كانوا يقودون العالم حينما كانوا محافظين على دينهم ، وأخلاقهم الإسلامية ، كالصدق ، والوفـاء بالوعد ، والأمـانة فى المعاملة ، والإحسان إلى الفقراء ، والدفاع عن الحق ، والعدالة فى الحكم ، والعمل لكسب الرزق ، وصلة الرحم ، وبر الوالدين ، والتمسك بما أمر الله ، واجتناب ما نهى عنه . فلما تغير سلوكهم ، وخالفوا المبادىء الإسلامية ضعفوا بعد أن كانوا أقوياء ، وتأخروا بعد أن كانوا قـادة العالم . وإن الأمم الناهضة اليوم نهضت وتقدمت لأنهـا تتخلق بالأخلاق الإسلامية ، ولو انها لا تدين بالإسلام .

احمد شوقي يصـف الأسباب التي اخرت المسلمين :

ادعوك عن قومى الضعاف لأزمة(١)
فى مثلها يلقى عليك رجـاء
أدرى رسـول الله أن نفوسـهم
ركبت هواها (٢) والقلوب هواء (٣)
متفككون فما تضـم نفوسـهم
ثقة ، ولا جمـع القلوب صـفاء
رقـدوا وغرهمو نعيـم باطـل
ونعيم قـوم فى القيـود بـلاء
ظلموا شريعتـك التى نلنا بهـا
ما لم ينـل فى (رومـة) الفقهـاء
مشت الحضارة فى سناها(٤) واهتدى
فى الدين والدنيا بها السـعداء
« إن الله لا يغـير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

إن الانسان يولد مستعدا للخير والشر ، ويرث عن ابيه وأجداده ، وأمـه وجداته الصـفات الجسمية والعقلية ، أما الصفات الخلقيـة فتكتسب بالتربية والتثقيف والقـدوة والتهذيب . وقد نادى الإسـلام بالمساواة ، وندد بالتفـرقة بسبب العنصر ، أو الجنس ، أو اللون ، أو اللغة ، عملا بقول الخالق العادل : « إن اكرمكم عند الله أتقاكم ، » وقول الرسول الكامل : « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعافية . » أى العمل الصالح ، ومحبة السلام .

وإذا قرأنا التاريخ ، وبحثنـا أسباب تقدم الإمم ، وأسباب سقوطها وجدنا أن الأسباب روحية وخلقية . فإذا سـار الشعب فى الطريق المستقيم ، ونبذ عوامل الفسـاد والضلال ، وتمسـك بالفضيلة ، وتجنب الرذيلة سما ونهض وارتفع، وكان له اثر كبير فى العلوم والآداب والحضارة والمدنية ، ولكن إذا انغمس فى سبل الرذيلة ، وابتعـد عن الفضيلة ، وارتكب الجرائم ، وسار فى طرق الشرور والآثام ، وعاش عيشـة الترف والإسراف والأثـرة وحب النفس ، وتجاهـل المبادىء المثالية فى الأخلاق — فثق كل الثقة بأن هذا الشعب سيسقط وسيتأخـر وسيرجع إلى الوراء . وقد صدق العليم الخبير بشـئون العالمين فى قـوله :

« إن الله لا يغير ما بقـوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (٥) » .

فالله لا يسلبهم نعمته إلا إذا تغيروا من الطاعة إلى المعصية .
وقوله : « كدأب (٦) آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله ، فأخذهم الله بذنوبهم ، إن الله قوى شديد العقاب . ذلك بأن الله لم يك

« البقيـة ص ٦٣ »

أصول العلاقات الدولية في الإسلام

للدكتور محمد الدسوقي

١) يختلف الاسلام عن غيره من الاديان السماوية بانه دعوة عالمية ورسالة للبشرية كافة بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويهديهم الى صراط مستقيم .

وعالمية الاسلام تبدو واضحة لمن يدرس هذا الدين دراسة واعية منصفة فضلا عن الآيات والأحاديث التى تتحدث عن ان الاسلام جاء للناس جميعا ، وان معجزته الخالدة ختم الله بها الكتب المنزلة ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم آخر الرسل والانبياء ، فان تعاليم هذا الدين القويم تبرز فى جلاء انه رسالة الهدى والخير الى البشرية كلها الى ان يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد اعتبر الاسلام الناس امة واحدة لا يتفاضلون بالوانهم واجناسهم واحسابهم ، ولكن بالتقوى والعمل الصالح ، وبين انهم سواسية يتمتعون بحقوقهم المشروعة دون تمييز بين فرد وآخر ، واعلن ان اساس العلاقة بين الناس على تباين السنتهم وتباعد ديارهم المحبة والتآلف والتعارف والتعاون على الخير والبر : « ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير » (١) .

٢) وهذه المبادىء التى قررت المساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات تعد ثورة ضد العصبية والجنسية والقبلية ، كما تعد اول صيحة عامة فى تاريخ العالم تنادى بالاخاء والمحبة وتدعو الى احترام العدالة والفضيلة ، حتى يعيش الجميع حياة طيبة تليق بالانسان الذى كرمه الله وجعله خليفة له فى ارضه . واذا كان الاسلام قد قرر مبدا المساواة والوحدة بين الناس ، وقضى بهذا على مزاعم العنصرية والطائفية ، فانه من جهة اخرى قرر مبدا التوحيد ، ذلك المبدا الذى حرر الانسان من كل سلطان غير سلطان الله ، فشعر بعزته وكرامته ، ولم يعد آلة يحركها الطغاة ، فقد اصبحت له شخصيته المستقلة التى ترعى واجبها قبل ان تسعى وراء حقها ، ومن ثم كان للفرد فى المجتمع الاسلامى مكانته ورسالته ، وكان حجر الزاوية فى بناء هذا المجتمع ، وقد فطن الى هذا علماء القانون حين ذهبوا فى الوثيقة العالمية لحقوق الانسان فى سنة ١٩٥٠ الى ان الفرد هو دعامة الدولة ، وقد سبقهم الاسلام فى اعلان هذه الفكرة باكثر من ثلاثة عشر قرنا (٢) .

والاسلام فى تعاليمه لم يقف عند حد هذه المبادىء الرائعة ، كما لم يقف عند فرض العبادات ، بل وضع ايضا القواعد والاصول التى تنظم ضروب النشاط الانسانى كله ، وتحمى الحقوق وتمنع الفساد ، لانها جاءت للناس جميعا ، خاطبت الفطرة الانسانية وقدرت العقل البشرى ارفع تقدير ، ولهذا كله جاءت تعاليم هذا الدين العالمى صالحة لكل زمان وكل مكان . (٣)

٣) ولإيمان المسلمين الأوائل الصادق بعالمية هذا الدين وما يجب عليهم من الجهاد نحو تبليغ رسالته الى الناس قاطبة — حملوا ارواحهم على أكفهم وانساحوا فى الارض لا يخشون الا الله ، ولا يكرهون احدا على الايمان لأنه لا اكراه فى الدين .

وفتح الله على المسلمين بلادا كثيرة ، وانتشر الاسلام فى فترة وجيزة فى بقعة شاسعة من العالم . ونجم عن هذا الفتح العظيم وانتشار الاسلام السريع مشكلات مختلفة بين المسلمين وغيرهم ، وكانت هذه المشكلات — وما زالت — تختلف نوعا وكما باختلاف الزمان ، ولكن أصول معالجتها كما قررها الاسلام لا تختلف ولا تتعارض .

٤) ويجدر قبل الحديث عن هذه الاصول الاشارة الى ما تواضع عليه الفقهاء من تقسيم الديار ثلاثة اقسام : (٤)

دار الاسلام ، ودار العهد ، ودار الحرب ، وهذا التقسيم هو بحكم الواقع لا بحكم الشرع ، لأن الاسلام لم يقيد الدولة الاسلامية بحدود جغرافية او مكانية (٥) ، فهو دعوة عالمية ، ولكن تطبيق أحكامه مرتبط بسلطان المسلمين ، فكلما اتسعت دار الاسلام اتسع نطاق تطبيق احكام هذا الدين ، ومن ثم اقتضت الظروف أن يكون الاسلام اقليميا حتى تعم دار الاسلام العالم باسره (٦) . وليس فى هذا التقسيم دلالة على أن الاصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو الحرب ، ولا أن الاسلام انتشر بحد السيف كما يزعم كثير من المستعمرين ومن سلك سبيلهم من الباحثين .

٥) والذى لا خلاف عليه بين الفقهاء أن الدار التى تحكم بسلطان المسلمين وهم حماتها واهل المنعة فيها هى دار الاسلام وان دار العهد هى دار غير المسلمين الذين ارتبطوا مع المسلمين بعهد (٧) .

وأما تعريف دار الحرب فقد اختلف فيه الفقهاء على رايين : احدهما : ان دار الحرب هى الدار التى لا يكون فيها السلطان للحاكم المسلم ولا تنفذ فيها احكام الاسلام ، وليس بين المسلمين واهلها عهد ، وهذا راى أبى يوسف ومحمد وجمهور الفقهاء .

والراى الثانى يذهب الى ان كون السلطان لغير المسلمين لا يجعل الدار دار حرب ، بل لا بد من تحقق شروط ثلاثة مجتمعة لتصير الدار دار حرب .. وهذه الشروط هى :

أولا : ظهور الاحكام غير الاسلامية .

ثانيا : أن يكون الاقليم متاخما للديار الاسلامية بحيث يتوقع منه الاعتداء على دار الاسلام (٨) .

ثالثا : ألا يأمن المسلم ولا الذمى فيها بحكم الاسلام ، بل يأمن فيها بعهد يعقده.

وهذا راى ابى حنيفة والزيدية وبعض الفقهاء .

قال الكاسانى : لا خلاف بين أصحابنا فى أن دار الكفر تصير دار إسلام بظهور أحكام الاسلام فيها ، واختلفوا فى دار الاسلام انها بماذا تصير دار الكفر ، قال أبو حنيفة انها لا تصير دار الكفر الا بثلاثة شرائط : احدهما : ظهور احكام الكفر فيها ، والثانى ان تكون متاخمة لدار الاسلام ، والثالث : الا يبقى فيها مسلم ولاذمى آمنا بالأمان الأول وهو امان المسلمين .

وقال ابو يوسف ومحمد : انها تصير دار الكفر بظهور احكام الكفر فيها (٩).
ويرى بعض المعاصرين (١٠) أن رأى الامام ابى حنيفة أرجح من رأى الصاحبين وجمهور الفقهاء ، لانه ناط الحكم على الدار بانها دار حرب بزوال امن المسلمين فيها ، ويتوقع الاعتداء عليهم منها ، وهذا يوافق الاصل فى فكرة الحروب الاسلامية وانها لدفع الاعتداء ، وحماية الضعفاء ، ونشر الامن والسلام .

٦) وقد اومات آنفا الى ان الاصل فى العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو السلم ، وان الحروب ليست غاية فى ذاتها ، فعالمية الاسلام كما أسلفت قامت على أسس وطيدة من المساواة والتعاون والتآلف والعدالة وحماية الفضيلة بين الناس جميعا ، وهذه الاسس تفرض أن تكون العلاقات الانسانية طابعها المودة والتكافل والاخاء ، وتدل على أن الحرب لا تكون مشروعة الا لحماية الأمة من الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون .
وعلاقة المسلمين بغيرهم فى وقت السلم وان تلاقت عند أصول كلية عامة الا أنها تختلف اختلافات جزئية ، نظرا لاختلاف أحوال غير المسلمين مع المسلمين فغير المسلمين اما ان يكونوا أهل ذمة او مستأمنين ، واما أن يكونوا أصحاب عهد او لا تربطهم بالمسلمين رابطة ما .

وما دام أهل الذمة رعية اسلامية أو جزءا من المجتمع الاسلامى يتمتعون فيه بكل الحقوق التى يتمتع بها المسلمون من الرعاية والحماية والانصاف والمودة مع ضمان الحرية الدينية لهم (١١) ، وذلك فى مقابل ضريبة مالية يسيرة تعرف بالجزية تجب على الرجال القادرين دون النساء والاطفال — فانهم لهذا خارجون عن نطاق المعاملات الدولية بمفهومها الخاص والعام .
٧) والمستامنون هم الذين يدخلون البلاد الاسلامية على غير نية الاقامة المستمرة فيها ، ويسمح لهم بذلك لمدة معلومة يجوز تجديدها ، فالقاعدة هى عدم الاقامة الدائمة والا تحول المستأمن الى ذمى وأصبح رعية اسلامية (١٢) .
والاسلام وهو دين العدل والحرية والسلام عامل المستأمن الوافد على دياره معاملة كريمة انسانية لا تعرفها القوانين الوضعية ، فهو مادام محافظا على عقد الامان أو شروط الاذن بالاقامة المحدودة فى ديار الاسلام له الحرية الكاملة فى التنقل ومباشرة نشاطه الذى وفد من اجله كالتجارة أو الدراسة او السياحة ، وهو آمن على نفسه وماله ولو كان ينتمى لدولة نشب القتال بينها وبين المسلمين .

ومعنى هذا ان المستأمن الذى يفد الى ديار الاسلام ليس بلازم ان يكون من دولة بينها وبين المسلمين عهد وميثاق ، فقد يكون من دولة لا تربطها بالمسلمين رابطة ما ، أو بينها وبين المسلمين حالة حرب ، وهو ما دام قد اذن له بدخول ديارنا فقد اصبح فى حماية المسلمين مدة امانته ، وعليهم ان يوفروا له هذه الحماية ولو تعرضوا بسبب ذلك لخوض غمار الحرب ، فلو قال المشركون للمسلمين ادفعوه (اى المستامن) الينا والا قاتلناكم وليس بالمسلمين عليهم قوة فليس ينبغى للمسلمين ان يفعلوا ذلك لانه غدر بامانه (١٣) .
ويذهب جمهور الفقهاء الى اكثر من هذا فيرون أن مال المستامن الذى اكتسبه فى دار الاسلام يبقى على ملكه ولا تزول عنه ملكيته ولو عاد الى دار الحرب وقاتل المسلمين (١٤) .

٨) ويتمتع المستأمن مع هذا بحريته الدينية ، كاملة ، ولكنه يخضع لاحكام الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالمعاملات المالية سواء أجرت هذه المعاملات بينه وبين مسلم أم بينه وبين ذمي أو مستأمن مثله .

وأما فيما يتعلق بالحدود فقد اختلف فيه الفقهاء ، فيرى بعضهم اقامة جميع الحدود عليه ، ويذهب الامام ابو حنيفة الى أنه لا يقام عليه من الحدود الا ما فيه حق العباد (١٥) ، وهو رأى الامام محمد أيضا (١٦) ، وذلك لأنا ندبنا الى معاملته معاملة تحمله على الدخول في دارنا ليرى محاسن الاسلام فيسلم ، وهو بالأمان التزم حقوق العباد ، لأن دخوله لقضاء حاجته وهى تحصل بذلك ، فالتزم أن ينصفهم كما ينصف ، وان لا يؤذى أحدا كما لا يؤذى .

وأما حقوق الله فلاتلزمهلانه لم يلتزمها ، ألا ترى أنه لم تضرب عليه الجزية ولم يمنع من رجوعه الى دار الحرب (١٧) .

والرأى الذى أخذ به جمهور الفقهاء هو عدم التفريق بين حقوق الله وحقوق العباد ، وان المستأمن يخضع لاحكام الشريعة فى جميع الحدود ، وهذا الراى أكثر اتساقا مع المبادىء الاسلامية، لأنه يتفق مع ما ينبغى أن تكون عليه أمور الدولة من منع الفساد ، وكمال السيادة على كل من يقيم في ربوعها (١٨) .

٩) وقد تحدث الامام محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ والذى يعد مؤسس القانون الدولى فى العالم كله ـــ عن دار العهد أو الموادعة (١٩) ، ويعد أول فقيهتحدث عن هــذه الدار ، فمن سبقه من الفقهاء والذين كتبوا فــى السير كانوا يتحدثون عن دار الاسلام ودار الحرب فقط ، وكانت العهود تبرم أما بين المسلمين وأهل الذمة الخاضعين لهم ، أو بينهم وبين الحربيين والمستأمنين ، ولكن الامام محمدا (٢٠) تحدث عن دار لا تخضع فى الحكم للمسلمين فاهلها اذن ليسوا باهل ذمة ، ثم هم قد دخلوا مع المسلمين فى عهد موادعة ومســالمة ، فخرجوا بهذا عن أن يكونوا حربيين .

ويرى هذا الامام ان الموادعة غير جائزة الا فى حالة ضعف المسلمين فان كان بهم قوة فهى ليست جائزة وقد بنى محمد الموادعة (٢١) على صلح الحديبية ، فهذا الصلح كان موادعة موقوتة بين النبى صلى الله عليه وسلم ومشركى مكة .

١٠) ومهما تكن الظروف التى تدفع بالمسلمين الى موادعــة غيرهم ، فــان العلاقة بينهم وبين اهل دار الموادعة تقوم على احترام العهود المكتوبة وغير المكتوبة الى اقصى حد ، وعدم الغدر والخيانة مطلقا ، والتعاون المتبادل فى كــل شىء الا فيما يكون سببا لتقوية غير المسلمين من السلاح ونحوه فان على المسلمين الا يمكنوا غيرهم موادعين أو حربيين من الحصول على ما يزيدهم قوة وبأسا (٢٢)

ويفصل الامام محمد فى دقة ما يجب على المسلمين من رعاية العهد والتحرز عن الغدر مع الموادعين ما تحسن الاشارة الى طرف منه فى شىء من الاجمال ، لما له من دلالة على سمو النظرة الاسلامية فى معاملة غير المسلمين ، وأيضــا على التفكير الانسانى الذى سبق به محمد فقهاء القانون الدولى حتى فى العصر الحديث .

١١) يرى هذا الامام أن الموادعين اذا شرطوا فى اصل الموادعــة انهم ان

غدروا فقتلوا رهن المسلمين فدماء رهنهم لنا حلال ، ثم قتلوا هم رهننا ، فان دماء رهنهم لا يحل لنا (٢٣) .

ومع أن قوله تعالى ((وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)) (٢٤) قد يبيح قتل رهن الموادعين اذا قتلوا رهننا يذهب محمد الى أن رهن الموادعين اصبحوا بدخولهم دارنا ذمة ، لهم حرمة المسلمين فى حقن الدماء الا بحق ، وهم لم يقتلوا بأنفسهم احدا من رهننا وعلى الحاكم المسلم ان ينتصف لهؤلاء المظلومين ممن اعتدوا عليهم . وكما لا يجوز قتل الرهن فى هذه الحالة لا تجوز الاساءة الى الرسل فى كل الحالات ، فهم فى حماية المسلمين الى ان يعودوا الى بلادهم ، وان كان هناك خلاف بين الفقهاء حول مدى خضوع الرسل الى الاحكام الاسلامية فى مجال العقوبات لكنهم يتفقون حول خضوعهم لاحكام المعاملات الاسلامية (٢٥)

وما دامت الموادعة جائزة فى حالة ضعف المسلمين دون قوتهم ، فانهم ان آنسوا من انفسهم القوة ، وبدا لهم نقض العهد فكيف يتم هذا النقض بينهم وبين الموادعين ، وهو نقض ليست الغاية منه الرغبة فى الحرب لذاتها ، ولا السعى وراء مغنم مادى ولكن لأداء الرسالة المقدسة التى ناطها الله بهم ..

يقول الامام محمد : ولو بدا للامام بعد الموادعة أن القتال خير فبعث الى ملكهم ينبذ اليه فقد صار ذلك نقضا . ثم يستطرد فيقول : ولكن لا ينبغى للمسلمين أن يغيروا عليهم وعلى اطراف مملكتهم حتى يمضى من الوقت مقدار ما يبعث الملك الى ذلك الموضع من ينذرهم ، لأنا نعلم أن ملكهم بعدما وصل الخبر اليه لا يتمكن من ايصال ذلك الى اطراف مملكته الا بمدة فلا يتم النبذ فى حقهم حتى تمضى تلك المدة .

وبعد مضى المدة لاباس بالاغارة عليهم وان لم يعلم المسلمون أن الخبر اتاهم لأنه ليس على المسلمين اعلامهم ، ولكن ان علم المسلمون يقينا أن القوم لم يأتهم خبر فالمستحب لهم أن لا يغيروا عليهم حتى يعلموهم ، لأن هذه شبيهة بالخديعة ، وكما يحق على المسلمين التحرز عن الخديعة يحق عليهم التحرز عما يشبه الخديعة (٢٦) .

فهل عرفت القوانين الدولية الوضعية مثل هذه المبادىء السامية وهل يراعى انسان المدنية المعاصرة فى حروبه المدمرة شيئا منها ، أو انه يفخر بإبادة الضعفاء والأبرياء ، واخذ الآمنين على غرة خديعة ومكرا ؟ .

فاذا كان نقض العهد من قبل الاعداء فلا بأس على المسلمين أن يغيروا على اطرافهم وان علموا ان الخبر لم يصل اليهم ، ويستدرك الامام محمد قائلا : ومع هذا فان احاط العلم لأهل ناحية من المسلمين بان ذلك الخبر لم يصل الى اهل ناحيتهم فليس ينبغى أن يقاتلوهم حتى ينبذوا اليهم ، وهذا على سبيل الاستحسان (٢٧) .

ذروة فى التفكير الانسانى الخالص الذى يستمد منابعه من الايمان الصحيح والخلق الكامل والورع الصادق والضمير الحى ، والعدالة الرحيمة ، والأخوة الانسانية الكريمة ، ما احوج البشرية اليوم اليه ـ فانها على ما حققت فى مجال العلم والحضارة ـ فقيرة أشد الفقر الى هذا اللون من التفكير الذى يعيد اليها انسانيتها وامنها واستقرارها .

١٢) وأما غير الموادعين الذين ليست بينهم وبين المسلمين حرب فعلية ولا تربطهم بالمسلمين رابطة ما ، فانهم ماداموا لا يؤذون المسلمين ولا يحرضون على

ايذائهم ، فان العلاقة التى تربط المسلمين بهم تقوم على نفس الاسس التى تقوم عليها العلاقة بين المسلمين والموادعين من الاحسان اليهم والبر بهم وتبادل المنافع معهم الا فيما يكسبهم قوة ومنعة ، واذا اردنا السير اليهم لتبليغهم دعوة الاسلام فلا بد من اعلامهم وعدم الاعتداء عليهم او الغدر بهم واخذهم على غرة (٢٨) .

(للبحث صلة)

---

(١) الآية : ١٣ فى سورة الحجرات .
(٢) أنظر الاسلام والعلاقات الدولية للدكتور مصطفى الحفناوى (مجلة المسلمون ــ العدد ٣ من السنة الثالثة ص ٢٦٨) .
(٣) راجع العلاقات الدولية فى الاسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٩ وما بعدها .
(٤) أنظر نظرية الحرب فى الاسلام للشيخ محمد أبو زهرة ص ٣٠ ، ويضيف بعض الفقهاء دارا رابعة ، وهى دار البغى ، يكون الامر فيها للبغاة ، وهم كما عرفهم الزيلعى : الخارجون على الامام الحق بغير الحق . راجع تبيين الحقائق جـ ٣ ص ٢٩٣) .
(٥) أنظر الاسلام والعلاقات الدولية ، للدكتور مصطفى الحفناوى .
(٦) أنظر من الفقه الجنائى المقارن ، للمستشار أحمد موافى ، ص ٩٠ .
(٧) نظرية الحرب فى الاسلام ص ٣٠ ، والعلاقات الدولية فى الاسلام ، ص : ٥٣ .
(٨) ان اشتراط المتاخمة لتوقع الاعتداء أصبح فى عصرنا غير ذى موضوع ، فقد تطورت أسلحة الحروب ولم يعد القتال فى حاجة الى متاخمة (وانظر المصدر السابق ص ٥٤) وجاء فى تفسير المنار ان دار الحرب بلاد غير المسلمين وان لم يحاربوا ، وكانت القاعدة أن كل من لم يعاهدنا على السلم يعد محاربا (تفسير المنار جـ٦ ص ٤٠٩) .
(٩) انظر بدائع الصنائع جـ٧ ص ١٣٠ .
(١٠) أنظر العلاقات الدولية فى الاسلام ص : ٥٤ .
(١١) انظر : فى حقوق أهل الذمة فى الاسلام الخراج للامام أبى يوسف ، ص : ١٤٣ وما بعدها ، وارشاد الامــة الى أحكام الحكم بين أهل الذمة للشيخ محمد بخيت المطيعى .
(١٢) انظر العلاقات الدولية فى الاسلام ص ٦٨ .
(١٣) شرح السير الكبير جـ ٣ ص ٢٠٠ .
(١٤) العلاقات الدولية فى الاسلام ٦٨ ، وانظر المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ١ ص ٤٣٧ .
(١٥) شرح السير الكبير جـ٤ ص ١٠٨ .
(١٦) انظر الاصل ورقة ٩٥ والمبسوط جـ٩ ص ٥٥ .
(١٧) انظر تبيين الحقائق جـ٣ ص ١٨٢ .
(١٨) العلاقات الدولية فى الاسلام ، ص : ٧١ .
(١٩) أنظر شرح السير الصغير ، المبسوط جـ ١٠ ص ٨٥ ، وباب الموادعة فى شرح السير الكبير جـ٤ ص١ وما بعدها .
(٢٠) أنظر العلاقات الدولية ، ص : ٥٦ .
(٢١) شرح السير الكبير جـ٤ ص ٦١ .
(٢٢) أنظر شرح السير الكبير جـ٣ ص ٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٧٦ .
(٢٣) شرح السير جـ٤ ص ٤٣ .
(٢٤) الآية : ١٢٦ فى سورة النحل .
(٢٥) أنظر : العلاقات الدولية فى الاسلام ، ص : ٧٢ .
(٢٦) شرح السير الكبير جـ٤ ص ٧ .
(٢٧) شرح السير الكبير ، جـ٤ ص ٨ .
(٢٨) المصدر السابق جـ٣ ص ١٠٩ ، و جـ٤ ص ق١ ، ٢٣ .

مغيرا نعمة انعمها على قـوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وأن الله سميع عليم (٧) » .

اى ان حال هؤلاء فى الكفـر واستحقاق العذاب كحال آل فرعون والذين من قبلهم ، كفروا بآيات الله ، فعاقبهم الله على ما ارتكبوا من الذنوب . وإن ذلك التعذيب للكفرة بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم ، مبدلا لها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم ، كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع ، وأمنهم من خوف ــ بالكفر ، والصد عن سبيل الله ، وقتال المؤمنين .

وقوله :« وضرب الله مثلا قرية (٨) كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقهـا رغدا (٩) من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون (١٠) » .

والمعنى أن الله ضرب مثلا لكل قوم انعم الله عليهم بكثير من النعم فأبطرتهم وكفروا بالله ، فانتقم منهم بأهل مكة، فقد كانوا آمنين لا يغير عليهم احد ، يأتيهم رزقهم واسعا من كل مكان ، فكفروا بأنعم الله ، وكذبوا النبى ، فأذاقهم الله صنوف البلاء ، وجعلهم فى جوع وقحط سبع سنين ، بسبب ما كانوا يقومون به من إيذاء الرسول وأصحابه .

فبالعقيدة والايمـان ، والخـلق المثـالى ، والتضحية فى سـبيل المصلحة العامة تنهض الأمم وتسمو . وبالتـرف والنعيم واتبـاع الشهوات والملـذات ، وضعف الـروح ، وفسـاد الأخلاق ، وانتشـار حب الذات بين الأفراد تتأخر الأمم وتعود الى الوراء ، فتستعبد ، ويحتلهـا غيرها من الأمم القوية بروحهـا وإيثارها وإيمانها وعملها وتقواها .

ومما يؤسف له أن الروح المادى قد سيطر على العالم كله ، لا على العالم الإسلامى وحده . ولكى يسود العالم الإسلامى يجب أن يفكر فى الناحية الروحية كما يفكر فى الناحية المادية ، ويعمل لآخرته كما يعمل لدنياه ، ويترك حياة الترف والنعيم والملاذ والشهوات ، ويفكر فى المصلحة العامة لا فى مصلحته وحدها ، ويجعل حياة الرسول والخلفاء الراشـدين قدوة له فى حياته .

---

(١) الأزمة : الشدة والقحط .
(٢) اتبعت ميول نفسها .
(٣) لا تفكر بعقولها .
(٤) السنا : الضوء .
(٥) سورة الرعد : ١١
(٦) وأصل الدأب : الدوام ، ثم غلـب استعماله فى الحال والشأن والعادة .
(٧) سورة الانفال : ٥٢ ــ ٥٣ .
(٨) هى مكة ، والمراد أهلها .
(٩) رغدا : واسعا .
(١٠) سورة النحل : ١١٢ .

البعث الروحاني والجسماني بين الفلاسفة والغزالي

(١) تقـــديم :

قد لا اكون مبالغا فى القول اذا ذهبت الى ان هذه المشكلة من اكثــر المشكلات صعوبــة واهمية فى تاريخ الفــكر الفلسفى الاسلامى ..

ويرجع ذلك فيما نرى الى اسباب عدة أهمها كثرة الآراء التى تتضارب فيما بينها تضاربا شديدا بحيث يعسر الوصول الى الحق وسط هــذا الاختـــلاط والتضارب والاختلاف بمعنى ان من يحاول دراسة هذه المشكلة سيجد لزاما عليه بحثها من خلال زوايا وابعاد متقاربة تارة ومتباعدة تارة أخرى ، حتى يستطيع تحديد موقفه ازاء هذه الآراء التى تدور حولها ..

ولكننا سنحاول من جانبنا بيان أهم معالم هذه المشكلة مختارين موقفين متعارضين لنرى كيف يدور الحوار بين أصحاب هذين الموقفين بغية الوصول الى الحقيقة ، معلنين باديء ذى بدء أننا سنلتزم بالعرض الموضوعى ، تاركين النقد الذاتى لمناسبة أخرى .

ولكى نتوصل الى تحديد معالم هذه المشكلة الكبرى ، نجد انه يجدر بنا بيان الآراء والاتجاهات حول هذه المشكلة ، وهى التى يمكن حصرها فى خمسة ، لا يهمنا منها فى هذه المقالة الا اتجاهين فقط هما اتجاه الفلاسفة الالهيين من جهة واتجاه الغزالى من جهة أخرى . بعد ذلك ندرس وجهة نظر المؤيدين للبعث الجسمانى والروحانى وأدلتهم التى استندوا اليهــا ، ثم آراء المؤيدين للبعث الروحانى فقط دون البعث الجسمانى . فاذا فرغنا من ذلك عرضنا لرد الغزالى وهو الذى اعتقد بالبعث الروحانى والجسمانى ، على موقف الفلاسفة الالهيين على وجه العمــوم والذين أيدوا البعث الروحانى فقط .

(٢) الاتجاهات والآراء حــول هــذه المشكلــة :

قلنا منذ قليل ان الاتجاهات حول هذه المشكلة يمكن حصرها فى خمسة (١) :
الاتجاه الاول هو قول بعض أهل الجدل بأن الثابت هو المعاد الجسمانى

للدكتور محمد عاطف العراقي

فقط . وأن المعاد ليس الا لهذا البدن . فهم اذن قد ذهبوا الى نفى وجود النفس الناطقة المجردة . واستدلوا على رأيهم بالقول بأن البدن وحده هو الحيوان ، وهو الانسان بحياة وانسانية خلقتا فيه ، وهما عرضان ، والموت هو عدمهما فيه وضد لهما . وفى النشأة الثانية يخلق فى هذا البدن حياة انسانية بعد تفتت هذا الجسم ، ويصير ذلك الانسان بعينه حيا .

الاتجاه الثانى هو القائل بثبوت المعاد الروحى فقط . وهذا ما ذهب اليه اكثر الفلاسفة الالهيين الذين رأوا أن الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة المجردة وأن البدن آلة لهذه النفس تستعمله وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها . فالنفس الناطقة لا تقبل الفناء أى العدم بعد وجودها ، لأنها بسيطة ، وهى موجودة بالفعل .

الاتجاه الثالث هو القائل بثبوت المعادين الروحانى والجسمانى معا . وهو قول سائر المسلمين وقول الغزالى ايضا ، كما سنرى بعد قليل . والقائلون بهذا النوع من المعاد يجعلون الحياة بوجود النفس للبدن والموت بمفارقة النفس للبدن . ويردون فى النشأة الثانية ، النفس فى البدن بعينه الذى كانت فيه . فالنفس اذا ردت للبدن كان للمثاب والمعاقب جميعا ثواب وعقاب بحسب البدن والنفس جميعا ، فكان للمثاب لذات بدنية من المحسوسات ولذات نفسية من السرور . فهم قد قالوا : دل العقل على أن سعادة الأرواح بمعرفة الله تعالى ومحبته ؛ وأن سعادة الاجسام فى إدراك المحسوسات . والجمع بين هاتين السعادتين فى هذه الحياة غير ممكن ، لأن الانسان مع استغراقه فى تجلى انوار عالم الغيب ، لا يمكنه الالتفات الى شىء من اللذات الجسمانية ، ومع استغراقه فى استيفاء هذه اللذات لا يمكنه أن يلتفت إلى اللذات الروحانية . وانما تعذر هذا الجمع لكون الأرواح البشرية ضعيفة فى هذا العالم . فاذا فارقت بالموت ــ واستمدت من عالم القدس والطهارة قويت وكملت . فاذا أعيدت الى الابدان مرة ثانية كانت قوية قادرة على الجمع بين الأمرين ، ولا شبهة فى أن هذه الحالة هى الغاية القصوى من مراتب السعادات (٢) . .

هذا هو الاتجاه الثالث ، أما الاتجاه الرابع فيتمثل فى قول قدماء الفلاسفة

الطبيعيين الذين ذهبوا الى عدم ثبوت شىء من المعـــاد الجسمانى والروحانى . فالنفس عندهم هى المزاج . واذا مات الانسان فقد عدمت النفس ، واعــادة المعدوم محال .

والاتجاه الخامس والأخير ، نستطيع ان نقول عنه انه يمثل الاتجاه ـــ الذى يعبر عن موقف الشك . أى التوقف عن الادلاء برأى من الآراء التى سبق ذكرها ، والقطع به . وقد ذهب الى ذلك جالينوس فى قوله : لم يتبين لى أن النفس هل هى المزاج فتنعــدم عند الموت ويستحيل إعادتها ، أو هى جوهر باق بعد فساد البدن فيمكن ـــ المعـــاد . .

(٣) البعث الجسمانى وادلـــة الشرع والعقـــل :

وقد عبرت الكثرة الغالبــة من الباحثين فى هـــذا المجـــال والمؤيديـــن للبعث الجسمانى عن ضرورة الجمـــع بين المعاد الجسمانى والاعتراف بصدق آيات القرآن . . دليل هذا قـــول الرازى مثلا : اعلم أن الجمع بين انكار المعاد الجسمانى ، وبين الاقرار بأن القرآن حق ، متعذر . لأن من خاض فى عـــلم التفسير ، علم أن ورود هذه المسألة فى القرآن لا يقبل التأويل (٣) .

ونود أن نشير من جانبنا الـــى أن القائلين بالبعث الجسمانى يستندون اساسا الى فكرة الامكان . وهذا الامكان يقـــوم فى النهاية على ادلة الشرع . وهم يستدلون بعدة أدلـــة :

منها أن عودة ذلك البدن فى نفسه ممكن ، لان اعـــادة المعـــدوم إما ان تكون ممكنة أو لا تكون ممكنة . فان كانت ممكنة ، فالمقصود حاصل ، وان لم تكن ممكنة ، فان الدليل العقلى قد دل على أن الاجسام تقبل العدم ، ولم يـــدل على أنها تعدم لا محالة . فلما ثبت بالنقل المتواتر من دين الانبياء أن القـــول بحشر الاجساد حق ، وثبت أن الاجسام لو عـــدمت امتنع اعادتهـــا ، كان ذلـــك دليلا قاطعا على أن الله لا يعدم الأجساد بل يبقيها بأعيانها . واذا كانت باقيـــة بأعيانها ، فهى قابلة للحياة والعقل والقدرة . وحينئذ يصح القول بأن عودة ذلك البدن بعينه ممكنـــة (٤) . .

ومنها أن الله لما كان عالمـــا بجميع الجزئيات ، فانه قادر على تمييز اجـــزاء بـــدن هذا الانسان عن أجزاء بدن الانسان الآخر (٥) . .

ومنها أن الله قادر على كل الممكنات ، وعودة ذلك البدن فى نفسه يدخل ضمن فكرة الامكان ، فالعـــودة ممكنة . (٦) . .

واذا تساءلنا عن الآيات القرآنية التى يستدل بها القائلـــــون بالبعث الجسمانى على آرائهم هذه التى تقوم على فكرة الامكان ـــ كما قلنا ـــ ، وجدنا أن هناك الكثير من هذه الآيات التى نجدهم قد استدلوا بها فى معرض دفاعهم عن آرائهم منها : « قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى انشأها أول مرة » (٧) ففى هذا استدلال بالابتداء على الاعادة . ومنها : « ما خلكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة » (٨) . ومنها : « أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم » (٩) . وهذا هو المعول عليه فى الحجـــاج حـــول جـــواز اعادة الخلق ، لأن الله حكم على الشىء بحكم مثله ، وجعل سبيل النظير ومجراه مجرى نظيره (١٠) . .

ومن هذا كله يتوصلون إلى ضرورة ثبوت المعاد الجسمانى ، وانه امـــر معلوم بالضرورة ، لأن القـــول دل عليه فى آيات كثيرة . واذا قيل إنه ممكن ،

فسبب ذلك أن المـــراد من الاعادة جمع الاجزاء المتفرقة ، وذلـــــك جــــائز بالضرورة (١١) .

واذا كان هذا يعد بالضرورة أساسا طريقا شرعيا لأنه يستنـــد ــ كما رأينا ــ على نصوص الآيات القرآنيـــة ، فانهم لم يكتفوا بذلك . بل ذهبوا إلى أن هناك طريقا عقليـــا لاثبات أقوالهم . وإذا تعمقنا فى مفهوم هذا الطريق الذى يلجأون اليه ، استطعنا أن نقول ان هذا الطريق يتمثل فى وجهين :

أ ــ نرى فى الدنيا مطيعا وعاصيا ومحسنا ومسيئا . ونرى أن المطيع يموت من غير ثـــواب يصل إليه فى الدنيا ، والعاصى يموت من غير عقاب يصل إليه فى الدنيا . فان لم يكن حشر ونشر يصل فيه الثواب الى المحسن ، والعقاب الى المسىء ، لكانت هذه الحياة الدينية عبثا (١٢) . فاذا كان الله قد وعـــد بالثواب وتوعد بالعقاب ، فيجب القول بعـــود الناس ليحصل الوفاء بوعـــده ووعيده (١٣) ..

ب ــ خلق الله الخلق إما للراحة وإما للتعب والألم ولا للراحة ولا للتعب . وليس من الجائز أن يقال انه خلقهم للتعب والألم ، لأن هـــذا لا يليق بالمحسن . وغير جائز أن يقال خلقهم لا للراحة ولا للتعب والألم ، لأنهم حال كونهم معـــدومين كان هذا المعنى حاصلا . فدل على أنه تعالى خلقهم للراحة (١٤) ..

هذه الراحة ــ فيما يقول فخر الدين الرازى ــ اما أن تكـــون فى هذا العالم أو عالم آخر . ولا يجوز القول بأنها فى هذا العالم ، لأن ما يظنه الانسان لـــذة فى هذا العالم ليس بلـــذة ، بل هو دفع للألم . واذا افترضنا أن فى هـــذا العالم لذة جسمانية ، فانها قليلة . وما يغلب هو الألم أو دفع الألم . يقول الرازى أيضا مؤيدا فكرته : « فليس من الحكمة القـــاء الحيوان فى بحر الآلام والمكروهات لأجل أن يعود اليه ذرة من اللذات . فلما ثبت أن الحيوان انما خـــلق لأجل اللذة والراحـــة ، وثبت أن ذلك المقصود غير حاصل فى هـــذا العالم ، وجب القطع بوجود عالم آخر بعد هذا العالم يحصل فيه هذا المقصود ، وهو الدار الآخـــرة (١٥) ..

(٤) ابن سينا وموقف الفـــلاسفة :

هذا عن موقف بعض المتكلمين الـــذين لم يروا أى مانع فى الجمع بين المعاد الجسمانى والمعاد الروحانى . أما الفلاسفة فيعترضون على ما يذهب اليه القائلون بهذا النوع من المعاد .

واذا كنا لا نستطيع فى حدود النطاق المرسوم لهذه المقالة ، أن نستعرض حجج كل فيلسوف من فلاسفة الاسلام ، فاننا سنقتصر على بيان موقف ابن سينا، لشهرة هـــذا الفيلسوف أولا ، ولأنه الفيلسوف الـــذى ركز عليه الغـــزالى هجومه ثانيا .

يذهب ابن سينا الى القول بأن الانسان ليس انسانا بمادته ، بل بصورته الموجودة فى مادته وتكـــون الافعال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فى مادة . فاذا بطلت صورته عن مادته ، وعادت مادته ترابا أو شيئا آخـــر من العناصر ، فقد بطل ذلك الانسان بعينه (١٦) . فاذا خلقنا فى هـــذه المـــادة بعينهـــا صورة انسانية جديدة ، حدث عنها انسان آخر لا ذلـــك الانسان .

يقول ابن سينا : « ان الموجود فى هذا الثانى من الأول مادته لا صورته .

ولم يكن هوما هو ، ولا محمودا ولا مذموما ، ولا مستحقا لعقاب أو ثواب بمادته بل بصورته ، وبأنه انسان لا بأنه تراب ، فيتبين أن الانسان المثاب والمعاقب ليس ذلك الانسان المحسن والمسيىء بعينه ، بل انسان آخر مشارك له فى مادته التى كانت له . وهكذا يؤدى هذا النوع من البعث — أى البعث الجسمانى — إلى اثابة غير المحسن وعقاب غير المسىء » (١٧) ..

وهؤلاء الفلاسفة ومنهم ابن سينا يذهبون الى أن الشريعة قد لجأت الى ضرب الأمثلة المحسوسة فى هذا المجال . ومرد ذلك أنها ضرورية بالنسبة للجمهور . يقول ابن سينا « فالشريعة أفضل قصدها الجزء العملى فى جنسه .. فانه اذا لم يمثل لهم — أى الجمهور — الثواب والعقاب الحقيقى البعيد عن الأفهام ، بما يظهر لهم ، لم يرغبوا ولم يرهبوا . وما لم يبعث أبدانهم لم يترشحوا للأمرين . فوجب فى حكم السياسة الشرعية ،تقرير أمر المعاد والحساب والثواب والعقاب على هذه الوجوه ... فاضطر واضعو الشرائع فى الترغيب فى الثواب والترهيب بالعقاب الى القول بأن السعادة الأخروية باللذة الحسية والشقاوة الأخروية بالألم الحسى » (١٨) ..

بيد أن العقل — فيما يرى ابن سينا — لا يمكنه الوقوف عند حدود المحسوسات ، بل لا بد له من الصعود الى البرهان ، طالما أن هناك من السعادة والشقاء ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى . وهى السعادة والشقاء التى للأنفس . يقول ابن سينا ملخصا وموضحا ذلك كله ومعبرا عن موقف الفلاسفة الالهيين على وجه العموم : « فالمعاد هو منقول من الشرع ، ولا سبيل إلى اثباته إلا عن طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج الى أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها نبينا (صلى الله عليه وسلم) حال السعادة والشقاء التى بحسب البدن . ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاء الثابتان بالقياس اللتان للأنفس ، وان كانت الأوهام فينا تقصر عن تصورهما الآن » (١٩) ..

كما يذهب ابن سينا إلى أن الحكماء الالهيين رغبتهم فى إصابة السعادة الروحية أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية . وعلى هذا الأساس فسر الفلاسفة المعاد على أساس أنه سعادة للنفس أو شقاء لها . فالنفس بعد الموت اما شقية واما سعيدة ، وهذا هو المعاد .

(٥) نقد الغزالى للفلاسفة وتكفيره لهم :

لعلنا عرفنا الآن كيف يدور الحوار بين المعترفين بالبعث الجسمانى من جانب والفلاسفة من جانب آخر . أما الغزالى فقد ذهب إلى نقد الفلاسفة فى قولهم بأن النفس الانسانية جوهر روحانى قائم بنفسه لا يتحيز ، وليس بجسم ولا منطبع فى جسم ، ولا هو متصل بالبدن ولا هو منفصل عنه ، وأن النفوس الانسانية يستحيل عليها العدم بعد وجودها ، وأنها سرمدية لا يتصور فناؤها ..

فهو يقول (٢٠) : إن من المسائل التى خالف فيها الفلاسفة كافة المسلمين قولهم : ان الأجساد لا تحشر ، وانما المثاب والمعاقب هى الأرواح المجردة . والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية . وقد صدقوا فى إثبات الروحانية فانها كائنة أيضا . ولكنهم كذبوا فى انكار الجسمانية ، وكفروا بالشريعة فيما

نطقوا به . اذ أن الحشر والنشر ورد بهما الشرع — وهو حق ، والتصديق بهما واجب ، لأنه فى العقل ممكن ، ومعناه الاعادة بعد الافنـاء ، وذلك مقدور الله تعالى كابتداء الانشاء ، والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول .

هذا ما يقوله الغزالى فى نقد الفلاسفة ذاهبا الى تكفيرهم . ولكن يجب أن نأخذ فى اعتبارنا أن الغزالى يفرق بين درجات الانكار . أى التفرقة بين انكار المعاد أصلا ، وبين أثبات المعاد على نحو عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية الجسمانية كما رأينا عند الفلاسفة كابن سينا . فالانكار الأول يراه الغزالى زندقة مطلقة ، أما الاثبـات بالنـوع الثانى فيراه الغزالى زندقة مفيدة . يقول الغزالى : أما الزندقة المطلقة فهى أن تنكر أصل المعاد عقليا وحسيا وتنكـر الصانع للعالم أصلا ورأسا . وأما اثبات المعاد بنوع عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية ، واثبات الصانع مع نفى علمه بتفاصيل العلوم ، فهى زندقة مفيدة بنوع اعتراف بصدق الانبياء وظاهر ظنى ..

ومن هنا ذهب الغزالى الى أنه من الضرورى ابطال انكـار الفلاسـفة لبعث الأجساد ورد الأرواح الى الابدان ووجود النار الجسمانية ووجود الجنة والحـور العين وسائر ما وعد به الناس ، وقولهم ان ذلك أمثلة ضربت لعـوام الخلق لتفهيم ثواب وعقـاب روحانيين هما أعلى رتبة من الجسمانيين .

واذا أردنا أن نستوضح رأى الغزالى فى هـذه النقطـة الأخيرة ، فلا بد أن نرجع الى كيفية تبرير الفلاسفة لآرائهم . ان الفلاسفة يقولون بأن اللذات العقلية أشرف من اللذات الجسمانية لسببين يعرضهما الغزالى أيضا :

أولهما : أن حال الملائكة أشرف من حال السباع والخنازير والبهائم . وليست لها اللذات الجسمية كالجماع والأكل والشرب ، وانما لها لذة الشعور بكمالها وجمالها الذى خصت به أنفسها فى اطلاعها على حقائق الأشياء وقربها من الله فى الصفـات .

ثانيهما : أن الانسان قد يؤثـر اللذات العقلية على الجسمية . وبهـذا تكـون اللذات العقلية الأخروية أفضل من اللذات الجسمية والدنيوية .

ولكن الغزالى ، وان كان لا ينكـر أن فى الآخرة أنواعا من اللذات أعظم من المحسوسات ولا ينكر بقاء النفس عند مفارقة البدن ، الا أنه — وهو رجـل الدين — ينكر ذلك بالشرع ويتساءل عن المانع من تحقق الجمع بين السعادتين الروحية والجسمية وكذا الشقاوة . انه يرى أن اللذات المحسوسة الموجودة فى الجنان من أكل وشرب ونكاح يجب التصديق بها لامكانها .

واذا اعترض معترض ، وهو يقصد الفلاسفة ، بأن ما ورد فى الشرع إنما هو أمثال ضربت — لتقريب الفكرة الى الخلق وكذلك ما ورد من آيات التشبيه ، وأخباره ، إنما هى أمثال لتفهيم الخلق ، وأن الصفات الالهية مقدسة عما يتخيله عـوام الناس ، فان الغزالى يرد قائلا : إنهما يفترقان من وجهين :

الأول : الألفاظ الواردة فى التشبيه تحتمل التأويل على عادة العرب فى الاستعارة . أما ما ورد فى وصف الجنة والنار فانه بلغ مبلغا لا يحتمل التأويل .

الثانى : أدلة العقول دلت على استحالة المكان والجهة والصورة وغير ذلك ، فوجب التأويل بأدلـة العقول . أما ما وعد الله به من أمـور الآخـرة فليس محالا فى قدرة اللـه ، فيجب اجـراؤه على ظاهر الكلام ، بل على فحواه الذى هو صريح به ..

ويتابع الغزالى مناقشته للفلاسفة وهو فى معرض الرد عليهم ونقد آرائهم

فى هذا المجـال ، غيرى أن للفلاسفة مسلكان فيما يختص باستحالـة بعث الأجسام . وينقسم المسلك الأول وهو تقدير العود إلى البدن إلى ثلاثة أقسام .

فاما أن يقال . إن الانسان عبارة عن البدن ، والحياة التى فيه هى عرض قائم به ، كما ذهب الى ذلك بعض المتكلمين ، وأما النفس الذى هو قائم بنفسه ومدبر للجسم ، فلا وجود لها . ومعنى الموت انقطاع الحيـاة . ومعنى المعـاد اعادة الله البدن الـذى أنعـدم واعـادة الحياة التى انعـدمت .

واما أن يقال : ان النفس موجودة وتبقى بعد الموت ، ولكن يرد البدن الأول بجميع تلـك الأجـزاء بعينهـا ..

واما أن يقال : ترد النفس الى بدن ، سواء كان من تلك الأجزاء بعينها أو من غيرهـا ويكون العائد ذلك الانسان من حيث أن النفس تلك النفس ، فأما المادة فلا التفات اليها ، اذ الانسان ليس انسانا بها ، أى بالمـــادة بل بالنفس ..

وهذه الأقسام الثلاثة كلها باطلـة فى رأى الفلاسفة . فالأول ظاهـر البطـلان ، لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن ، فان استئناف خلقهما ايجاد اثل ما كـان لا يعنى ما كـان ..

والقسم الثانى محال ، اذ أن بدن الميت يستحيل ترابا أو تأكله الديـدان والطيور ويستحيل رمادا وبخـارا وهواء ..

والقسم الثالث محال عند الفلاسفة من وجهين . محال لأن المـو'د القابلة للكـون والفساد محصورة فى مقعر فلك القمر لا يمكن عليها مزيد . وهى متناهية والأنفس المفارقة للابدان غير متناهية فلا تفى بها . ومحال لأن التراب لا يقبل تدبير النفس ما بقى تـرابا ، بل لا بد أن تمتزج العناصر امتزاجا يضـاهى امتزاج المنطقة ولا يكون انسانا الا اذا انقسمت أعضاء بدنه الى اللحم والعظام والأخـلاط ..

هذا هو القسم الثالث الذى يراه الفلاسفة محالا من وجهين . أما الغزالى فيؤيده مخالفا بذلك هؤلاء الفلاسفة فهو يقول ان الآيات القرآنية وما ورد من الأخبار عن عذاب القبر وغير ذلـك قد دل على البعث والنشور بعده ، وهو بعث البدن . وذلك ممكن بردها — أى النفس — الى أى بدن كان ، سواء كان من مادة البدن الأول أو من غيره أو من مادة استؤنف خلقها . فانه هو بنفسه لا ببدنه اذ تتبدل عليه أجزاء البدن من الصغر الى الكبر بالهزال والسمن وتبدل الغذاء ، وهو ذلك الانسان بعينه فهذا مقدور للـه ..

وهكذا يرد الغزالى على المسلك الأول من مسالك الفلاسفة بوجوهـه الثلاثة . واذا كنا لا نستطيع أن نذكر هنا مختلف وجوه رده على هؤلاء الفلاسفة فاننا نشير على القراء بالرجوع الى أوسع كتبه التى تعرضت لهذه المسألة ، مسألة الرد على الفلاسفة ، ونعنى به كتاب تهافت الفلاسفة . ونكتفى بأن نقول إن بقية ردوده على المسلك الأول لا تخرج كثيرا عما سبق أن ذكرناه . معتمدين على فكرة الامكان من جهة ، وعلى صريح آيات القرآن من جهـة أخرى .

بقى أمامنا لاتمام موضوع هـذه المقالة ، نقطة أخيرة هى المسلك الثانى للفلاسفة ورد الغزالى عليه . الفلاسفة — فيما يحكى الغزالى عنهم — يرون أنه ليس فى المقدور أن يقلب الحديد ثوبا منسوجا بحيث تنعم به الأجسام ، الا بأن تتحلل أجزاء الحديد بأسـباب تسـتولى على الحديد فتحلله الى أبسـط العناصر ثم تجتمع العناصر وتـدار فى أطـوار الخلقـة الى أن تكتسـب

صورة القطن ثم صورة الغزل وهكذا الى آخر المراحل . وعلى هذا القيـــاس ينظر الفلاسفة الى الانسان المبعوث المحشور . فلو كان بدن من حجر أو ياقوت أو در أو تراب محض ، لم يكن انسانا . بل لا يتصور أن يكـــون انسانا الا ان يكون متشكلا بالشكل المخصوص مركبا من العظام والعروق واللحم والغضاريف. وعلى هذا لا يمكن أن يتجدد بدن انسان لترد النفس اليه إلا بهذه الأمور .

هذا ما يذهب اليه الفلاسفة . ونود أن نشير الى أن مرد ذهابهم الى هذا القول هو ايمانهم بالتلازم الضرورى بين الأسباب ومسبباتها ومحاولتهم رد كل شىء الى أسبابه التى تدرك بالعقل .

بيد أن الغزالى يذهب الى تفنيد رأيهم الذى ذكرناه آنفا وينكره ونستطيع أن نقول ان هذا التفنيد من جانبه يقوم على دحضه للتلازم الضرورى بين الأسباب ومسبباتها . دليل هذا أنه يرى أن الترقى فى هذه الأطوار يحصل بمجرد القدرة من غير واسطة أو بسبب من الأسباب إن هذا كله ممكن عنده ، أى عند الغزالى . ولعل القراء يعرفون موقفه من السببية أى بحثه للعلاقة بين الاسباب ومسبباتها وكيف أنه انتهى الى نقد موقف الفلاسفة الذين يؤمنون بالتلازم والارتباط الضرورى بين الأسباب ومسبباتها . وهو هنا يفعل نفس الشىء . فهو يرى أنه ليس من الضرورى الاعتقاد بتلازم الأسباب . ويقول إن فى خزانة المقدورات عجائب وغرائب لم يطلع عليها ، ينكرها من يظن أن لا وجود إلا لما شاهده كما ينكر السحر والمعجزات والكرامات ، وهى ثابتة بالاتفاق ، بأسباب غريبة لا يطلع عليها .

بل يحاول الغزالى أن يقيم أسبابا جديدة ووجودا آخر غير ما نعهده . فهو يقول :

(فليس يتفكر المنكر للبعث أنه من أين عرف انحصار أسباب الوجود فيما شاهده ، ولم يبعد أن يكون فى إحياء الأبدان منهاج غير ما شاهده . وقد ورد فى بعض الاخبار أنه يغمر الارض فى وقت البعث مطر قطراته تشبه النطف وتختلط بالتراب . فأى بعد فى أن يكون فى الأسباب الالهية أمر يشبه ذلك ، ونحن لا نطلع عليه ، ويقتضى ذلك انبعاث الاجساد واستعدادهـــا لقبول النفوس المحشورة . (تهافت الفلاسفة ص ٢٨٩) ..

ولا جدال فى أن محاولة الغزالى هذه تقوم ــ كما سبق أن قلنا منذ قليل ــ على فكرة الجواز والامكان ونفى الضرورة المسببية طالما أنه يتصور قدرة الله مطلقة غير مقيدة بالنظام الضرورى الثابت كما يتصور هذه القدرة الالهية بأنها التى تستطيع فعل أى شىء سواء فى حياتنا الدنيوية أو فى حياتنا فى العالم الأخـــروى ..

إنها محاولة عميقة من جانب الغزالى ، ومجهود كبير قام به فى هذا المجال ولسنا هنا ــ كما قلنا ــ فى معرض مناقشته فيما انتهى اليه بل بيان الأسس التى تقوم عليها آراؤه وهذا هو ما يهم المشتغلين بالفكر الفلسفى الاسلامى . أما عن تطور محاولته هذه ومصيرها وأثرها وتأثيرهـــا فيمن جاء بعد من فلاسفة ومفكرين حتى أيامنا الحاضرة ، فان هذا جانب آخر نرجو أن يكون موضوعـــا لمقالـــة أخرى ..

نموذج من دعاة الصدر الأول

الحسن البصري

للشيخ محمد الصادق عرجون

ولد أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى سنة احدى وثلاثين للهجرة ، وهى مبتدأ المرحلة التى انتقل فيها زمام الدولة الاسلامية من عدل الخلافة الراشدة الى جور الملك العضوض ، كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه أصحاب السنن من قول النبى صلى الله عليه وسلم « الخلافة بعدى ثلاثون ، ثم تكون ملكا عضوضا » .

وفى هذا الحديث اشارة الى ما وقع من الفتن التى اجتاحت المجتمع الاسلامى ، وفرقت كلمة المسلمين فى ظل هذا الملك العضوض فلم تجتمع بعد ذلك . .

كان يسار أبو الحسن البصرى من سبى نيسان ، ثم صار مولى لزيد بن ثابت الانصارى رضى الله عنه ، وكانت أم الحسن (خيرة) جارية لأم المؤمنين السيدة الجليلة أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم .

ففى بيت النبوة نشأ الحسن مع أمه فى ظل أب عاش فى كنف رجل من أفضل وأعلم الانصار ، وفى هذا الجو الروحانى شب الحسن وترعرع ، حتى كان شابا أريبا ، يسمع ويرى ، فيعلم ويعقل ، وهو لماح الذكاء ، مصقول الفطرة ، مشرق الروح ، نير العقل ، طاهر القلب ، يرى آثار النبوة تتراءى أمام عينيه ، فتنطبع فى نفسه خلقا كريما ، وتتمثل فى حركاته عملا وسلوكا ، ويسمع من الاجلاء ما يروى من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف حاله وعيشه ، وسمته ، وأدبه ، وأخلاقه فى بيته ومع سائر أصحابه ، فيحفظ ما يسمع ، ويتأمل فى معانى ما يسمع ، ويتفقه فى حقائقها ، ويحيلها فى نفسه صورا حية ، ويجعل من شرائعها عملا واقعا فى حياته ، فيعمل بما علم ، ويتعمق فيما عقل منها .

فنشأة الحسن منذ مهده نشأة أدب رفيع ، وتهذيب عليم ، ودين محكم ، وهدى مستقيم وخلق عظيم .

استقبل الحسن رحمه الله فى طليعة حياته ألوانا من الفتن القاسية التى ألمت بالعالم الاسلامى ، وفى مقدمتها الفتنة العثمانية ، وهى تشتعل لهبا مدمرا ، أحرق أمن المجتمع وقضى على سلامه ، وأذاب طمأنينته واستقراره ، ودفعه الى الفوضى والاضطراب دفعا أسلمه الى فرقة قصمت ظهره ، فلم تستقم له قناة بعدها ، ولم تجتمع له كلمة ، فرقة تنادى بها الشيطان فخب فيها وأوضع ، وتواثب المنافقون الى أتونها يزكون أواره ، وتسارع الى تنورها أخابث اليهود ، من بقايا الغثاء الانسانى الذين تستروا بالتظاهر بالاسلام ، ليكيدوا للاسلام ، ووثب الى صدرها الطامحون الطامعون من شباب لم تستنر أرواحهم بأنوار النبوة ولم تشرب قلوبهم حب الايمان ، ولم تخالط بشاشته أفئدتهم ، وهم فتية استبعدتهم الدنيا بزخارفها ، فجعلوا سلطانها أكبر همهم ، وأعظم غاياتهم ، وأجل مقاصدهم ، استهدفوا من حياتهم هذا السلطان الدنيوى ، فخاضوا للوصول اليه الدماء ، واقتحموا فى سبيله جماجم الأبرياء ، أولئك الذين أضلهم الله ، وأضل بهم ، فعاثوا فى أرض السلام والاسلام فسادا فكانوا من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى حياتهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

رأى أبو سعيد الحسن بن يسار البصرى كل هذا فأرمض نفسه ، وألبسه ثوبا من الحزن الكظيم لم يخلعه حتى مضى لسبيله الى الله تعالى .

فهو قد شهد الخليفة الراشد ذا النورين عثمان بن عفان فى محنته ، محنة الاسلام كله ، ورأى صبره على جهد البلاء ، ومصابرته لحاملى لواء الفتنة ، وسمع عثمان يخطب الناس ويحدثهم ، فروى عنه ما سمع ، وكان له يوم قتل عثمان رضى الله عنه خمس عشرة سنة ، وهى سن تبدأ فيها فورة الشباب وقوته ، وتطلعه الى آفاق الآمال البعيدة ، وهى سن تبدأ فيها مقومات الشخصية تتمايز عناصرها ، وتأخذ الى الحياة سمتها الذى تعيش به فيها ، وهى سن يبدأ فيها العقل تصحيح موازين الأمور ، وتبدأ فيها القوى الفكرية متحفزة لالتقاط صور الحقائق والمعانى فى هذه الحياة .

فى هذه السن المبكرة روى الحسن عن عديد من الصحابة ، كان من أجلهم عثمان رضى الله عنه ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعمران بن

حصين ، وسمرة بن جندب ، وعمرو بن تغلب ، ورأى الحسن ــ كما يقول أبو نعيم فى الحلية على لسان الحسن ــ سبعين بدريا ، صفوة الانسانية ، رآهم فى سمتهم وسلوكهم ، وشاهد عن عيان زهدهم فى الدنيـــــا ، وعزوفهم عن زخارفها ، وعرف عن قرب شجاعتهم فى الحق ، وعلمهم وتعبدهم ، وايثارهم لله على من سواه ، فتخلق بأخلاقهم ، والتزم فى حياته سمتهم ، وسلك طريقهم ، حتى بلغ فى التابعين ذروة الفضل ، واقتعد سنام المكارم فى الاسلام ، وكان يدعى (سيد التابعين) ، يعظمه العلماء ، ويجله الأمراء ، ويهابه الولاة ، تخشى كلمته ، ويحترم رأيه ، ويقدر علمه وفضله كبار الصـــحابة الذين أدركهم ، وتلمذ لهم ، فكان أنس بن مالك رضى الله عنه اذا سئل قال لسائله : اســـأل مولانا الحسن ، فيقال له : ياأبا حمزة نسألك فتقول : اسألوا مولانا الحسن ، فيقول أنس رضى الله عنه تقديرا لعلم الحسن وفضله ، وثقة فى نقله ورأيه : ان الحسن سمع وسمعنا ، وحفظ ونسينا .

وفى تقدير فضل الحسن يقول على بن زيد : لو أن الحسن أدرك الصحابة وهو رجل لاحتاجوا الى رأيه . وكان عامر الشعبى يظهر اكباره واجلاله للحسن بمظاهر من الاكبار والاجلال لا يصنعها مع أحد غيره ، فقال له ابنه مرة : يا أبت انى أراك تفعل بهذا الشيخ من الاكبار ما لم أرك تفعله مع أحد قط ، فقـــال الشعبى : يا بنى أدركت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم أر أحدا أشبه بهم من هذا الشيخ .

كان الحسن رحمه الله أفصح أهل عصره وأخطبهم ، اذا تكلم أبان عن مقاصده أبلغ ابانة ، واذا خطب قال من يسمعه : لو وضع له منبر فى عكاظ ما استمع الناس معه لقس بن ساعده ، ولا لأكثم بن صيفى ، واذا وعظ وجفت القلوب ، وذرفت العيون ، لم ينازعه براعة البيان وروعة الفصاحة فى عصره سوى طاغية عصره أخيشف ثقيف الحجاج الثقفى ، قيل لأبى عمرو بن العلاء سيد القراء ، وامام اللغة : من أخطب الناس ؟ فقال : الحجاج بن يوسف ، وصاحب العمامة السوداء بين أخصاص البصرة ، يعنى الحسن ، وكان الحسن يتعمم بعمامة سوداء ، اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ــ كما جاء فى بعض روايات تعممه ووصف عمامته ، روى مسلم عن عمرو بن حريث قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه ، وفى حديث جابر بن عبد الله عند مسلم قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وعليه عمامة سوداء .

وكان الحسن رحمه الله أحرص الناس على التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وأحواله ، يترسم ذلك فيما يراه من حياة أصحابه الذين رأوه وأطالوا عشرته وتخلقو بأخلاقه .

ومن لطائف ما يذكر أن العلماء والرواة الذين ترجموا للحسن قالوا : إن سبب براعته الفائقة فى الفصاحة وروعة البيان ، أن أمه (خيرة) كانت ــ كما ذكرنا ــ جارية للسيدة أم المؤمنين ، أمسلمة زوج النبى صلى الله عليه وســــلم ، فأرسلتها سيدتها أم المؤمنين فى حاجة لها ، وكان الحسن اذ ذاك طفلا رضيعا فى مهده ، فبكى بكاء شديدا ، حرك فى قلب أم المؤمنين رقة ورحمة ، فأخذته ووضعته فى حجرها لتسكته ، وألقمته ثديها ، فدر عليه فشرب منه ، فمن تلك الرضعة التى شرب من أم المؤمنين كانت فصاحته وبراعته البيانية .

ولباب ما يشير اليه الرواة فى هذه القصة أن الحسن رحمه الله أدركته

نفحة من نفحات النبوة التى نهد فى كنفها ، وامتزجت بجسمه قطرة أو قطرات من غيثها فى لبن أم المؤمنين رضى الله عنها .

وقد نشأ الحسن رحمه الله مهذب النفس ، حكيم اللسان ، عليم القلب ، حصيف العقل ، زكى الفؤاد ، مرهف الحس ، تقيا نقيا ، ورعا زاهدا فى الدنيا وزخارفها ، ينأى عنها ، ولا يزاحم أهلها فى تطلبها ، قوالا بالحق فى شجاعة لا تتهور ، عزوفا عن المظاهر ، عيابا للدنيا والمتكالبين عليها ، لا يصفها الا بما يضعها تحت أقدام المتقين ، مشغولا عنها بالآخرة ، يخاف فتنتهـــا ، ويخشى غرورها وسطوتها ، يحذر نفسه من شرورها ، اذا خلى بنفسه وعظها وخوفها بأس الله وبطشه ، واذا كان مع الناس كان فيهم من شدة حزنه وخوفه من عذاب الله ، حتى كأن النار لم تخلق الا له .

روى أن الشعبى قال لحميد ، وهم بمكة : انى أحب أن تخلى لى الحسن ، فنقل حميد رغبة الشعبى الى الحسن ، وكان حميد مع الحسن فى بيت واحد ، فأجاب الحسن رغبة الشعبى ، وقال لحميد : اذا شاء ، فجاء الشـــــعبى الى البيت وحميد واقف على الباب ، فقال للشعبى : أدخل عليه ، فانه فى البيت وحده ، قال الشعبى : ان أحب الى أن تدخل معى ، قال حميد : فدخلنا ، فاذا الحسن واقف قبـــالة القبلة ، وهو يقول مخاطبا نفســـه : يا ابن آدم لم تكن فكونت ، وسألت فأعطيت ، وسئلت فمنعت ، فبئس ما صـــنعت ، ثم يذهب ويجىء وهو يردد هذه الكلمات ، ولم يشعر بوجود الشعبى وحميد ، ولم يلتفت اليهما ، فقال الشعبى لحميد : يا هذا انصرف بنا ، فان هذا الشيخ فى غير ما نحن فيه .

كان الامام أبو جعفر محمد بن الحسن بن على بن الحسين ، اذا ذكر عنده الحسن قال : الذى يشبه كلامه كلام الانبياء .. ؟

ويصف خالد بن صفوان — وكان منطيقا وصافا — الحسن ، وقد سأله عنه مسلمة بن عبد الملك فقال له : يا خالد أخبرنى عن حسن أهل البصرة ؟ قال خالد بن صفوان : أصلح الله الأمير ، أخبرك عنه بعلم ، أنا جاره الى جنبه ، وجليسه فى مجلسه ، وأعلم من قبلى به ، هو أشبه الناس سريرة بعلانية ، وأشبههم قولا بفعل ، ان قعد على أمر قام به ، وان قام على أمر قعد عليه ، وان أمر بأمر كان أعمل الناس به ، وان نهى عن شىء كان أترك الناس له ، رأيته مستغنيا عن الناس ، ورأيت الناس محتاجين اليه .

قال مسلمة بن عبد الملك : حسبك يا خالد !! كيف يضل قوم هذا فيهم ؟

يقول الرواة والاخباريون من أهل الصدق والثقة : عاش الحسن ما عاش فلم ير ضاحكا ، لا يراه الناس الا حزينا ، وما كان أحد أطول حزنا منه ، وكان يقول : يحق لمن يعلم أن الموت مورده ، وأن الساعة موعده ، وأن القيام بين يدى الله مشهده أن يطول حزنه .

وكان رحمه الله يقول وهو يتمثل أحوال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياتهم التى عاشها وشهدها : نضحك ولا ندرى لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال : لا أقبل منكم شيئا ، ويحك يا ابن آدم !! هل لك بمحاربة الله طاقة ؟ انه من عصى الله فقد حاربه . ولقد أدركت ســــبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف ، ولو رأيتموهم لقلتم مجانين ، ولو رأوا خيـــاركم لقالوا : ما لهؤلاء من خلاق ، ولو رأوا شراركم لقالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ، ولقد رأيت أقواما يمسى أحدهم وما يجد عنده الا قوتا ، فيقول : لا أجعل هذا كله فى

بطنى ، لأجعلن بعضه لله عز وجل ، فيتصدق ببعضه ، وان كان هو أحوج ممن يتصدق به عليه .

قيل للحسن رحمه الله مرة : صف لنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : ظهرت منهم علامات الخير فى السيماء والسمت والهدى والصدق ، وخشونة ملابسهم بالاقتصاد ، وممشاهم بالتواضع ، ومنطقهم بالعمل ، ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق ، وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى ، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا ، واعطائهم الحق من أنفسهم ، ظمئت هواجرهم ، ونحلت أجسامهم ، واستخفوا بسخط المخلوقين طلبا لرضا الخالق ، لم يفرطوا فى غضب ، ولم يحيفوا فى جور ، ولم يجاوزوا حكم الله تعالى فى القرآن ، شغلوا الألسن بالذكر ، بذلوا دماءهم لله حين استنصرهم ، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم ، حسنت أخلاقهم ، وهانت مؤنتهم ، وكفاهم اليسير من دنياهم لآخرتهم .

كان الحسن رحمه الله لا يدنو من الأمراء والولاة ، ولا يأتى أبوابهم ، وكان هؤلاء الأمراء والولاة يستنصحونه لما يعلمون من تجافيه عن الدنيا واخلاصه دينه لله تعالى .

وقد كانت بينه وبين عمر بن عبد العزيز مودة ومكاتبات ومراسلات ، تفيض نصحا ، واخلاصا وارشادا ، فقد كتب الحسن الى عمر لما استخلف : أما بعد فان الدنيا دار مخيفة ، انما أهبط آدم من الجنة اليها عقوبة ، واعلم أن صرعتها ليست كالصرعة ، من أكرمها يهن ، ولها فى كل حين قتيل ، فكن منها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه ، يصبر على شدة الدواء خيفة طول البلاء . والسلام .

يرسم الحسن صورة حية لاخلاق المؤمن يلتقط معالمها من أخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : ان من أخلاق المؤمن قوة فى دين ، وايمانا فى يقين ، وحلما فى علم وعلما فى حلم ، وتحملا فى فاقة ، وقصدا فى غنى ، وانصافا فى استقامة ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فى مساعدة من يحب ، لا يهمز ولا يلمز ، ولا يلهو ولا يلعب ، ولا يتبع ما ليس له ، ولا يجحد الحق الذى عليه ، ولا يتجاوز فى العذر ، ولا يشمت بفجيعة غيره ، قوله شفاء ، وصبره تقى ، وسكوته فكرة ، ونظره عبرة ، يخالط العلماء ليتعلم ، ان أحسن استبشر ، وان أساء استغفر ، وان عتب استعتب ، وان سفه عليه حلم ، وان ظلم صبر ، وقور فى الملا ، شكور فى الخلا ، قانع برزقه ، حامد فى الرخاء ، صابر على البلاء ، ان جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين .

هكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح ، وانما غير بكم غيرتم « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

كان عزوف الحسن عن الدنيا ، واعراضه عن المظاهر من أقوى أخلاقه التى جعلته لا يبالى بكلمة الحق فى وجه من يدعوه دينه أن يجابهه بها ، مهما كانت مرارتها ، ومهما كانت مكانة من يقولها له ، ومهما كانت النتائج التى تترتب عليها .

أرسل اليه عمر بن هبيرة لما ولى العراق من قبل يزيد بن عبد الملك ، وأرسل الى الشعبى معه ، وأمر لهما ببيت يعد لراحتهما ، فنزلا فيه ، وأقاما شهرا ، ثم جاءهما ابن هبيرة يتوكأ على عصا ، فسلم عليهما معظما لهما ، ثم قال لهما : ان أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ الى كتبا أعرف أن فى إنفاذها الهلكة ، فان أطعته عصيت الله ، وان عصيته أطعت الله عز وجل ، فهل تريا لى فى متابعته فرجا .. ؟

فقال الحسن للشعبى : يا أبا عمرو أجب الأمير ، فتكلم الشعبى فانحط فى حبل ابن هبيرة ، فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد .. ؟

فقال الحسن : أيها الامير ، قد قال الشعبى ما سمعت ، فقال ابن هبيرة : ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ فقال الحسن : أقول : يا عمر بن هبيرة ، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى ، فظ غليظ ، لا يعصى الله ما أمره ، فيخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك ، يا عمر بن هبيرة ، ان تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ، ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل ، يا عمر بن هبيرة ، لا تأمن من أن ينظر الله اليك على أقبح ما تعمل فى طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت ، فيغلق بها باب المغفرة دونك ، يا عمر بن هبيرة ، لقد أدركت ناسا من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهى مقبلة أشد ادبارا من اقبالكم عليها وهى مدبرة ، يا عمر بن هبيرة ، انى أخوفك مقاما خوفكه الله « ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد » يا عمر بن هبيرة ، ان تك مع الله تعالى فى طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك ، وان تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصى الله وكلك الله اليه .

فبكى عمر بن هبيرة ، وقام عنهما بعبرته ، فلما كان الغد أرسل اليهما باذنهما وجوائزهما وكثر منه ما كان للحسن ، وكان فى جائزته للشعبى بعض الاقتار ، فخرج الشعبى الى المسجد فقال : يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل ، فوالذى نفسى بيده ما علم الحسن منه شيئا فجهلته ، ولكنى أردت وجه ابن هبيرة فأقصانى الله منه . ثم قال الشعبى : سفسفنا فسفسف لنا .

وكان الحسن من ألزم الناس للمسجد ، يدرس ، ويعلم ، ويعظ ، واذا سئل فى درسه أجاب بما يعلم أنه الحق ، وكان منافقو السياسة يتتبعونه فى دروسه ، ويدفعون اليه بالسائلين ، يسألونه فى الفتنة ، ورأيه فيها ، وللحسن رأى فى ذلك وقف عنده ، فلم يك مع الثائرين بالسلاح فى وجه الولاة الظالمة ، ولم يك مع هؤلاء الولاة يبرر ظلمهم ويدافع عنهم خشية سطوتهم ، ولكنه اعتزل السياسة ، وشغل بالعلم ، فاذا جاءته السياسة تمشى على ألسنة المنافقين جبهها بكلمة الحق ، لا يبالى على من وقعت ، ولا من أصابت .

سأله رجل على مسمع من جماعة أهل الشام ، وهم حضائن الدولة المروانية ، فقال : يا أبا سعيد ، ما تقول فى الفتن ، مثل فتنة يزيد بن المهلب ، وابن الاشعث ، وكانا ممن خرج بالسلاح على المروانيين ، فقال الحسن فى صراحة الحق الذى يعتقده : لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، فقال الرجل : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد .. ؟

وهذا القائل لعله أراد احراج الحسن ، أو كان مدسوسا عليه ، فغضب الحسن لهذا النفاق السياسى ، ثم حرك يده حركات تعجبية ، تشعر القائل والسامعين أن الحسن أدرك الهدف الخبيث الذى يرمى اليه هذا القائل ، ثم قال : ولا مع أمير المؤمنين يا أبا سعيد ؟ نعم ، ولا مع أمير المؤمنين .

وكان الحسن رحمه الله لا يرى الخروج والثورة على الولاة والامراء الظالمة الذين استقر لهم الحكم فى الدولة ، ويقول : انما هم نقمة ، فلا تقابلوا نقمة الله بالسيف ، وكان يوصى بالصبر حتى تنفرج الغمة .

ولم يكن الحسن بعيدا عن بطش الحجاج ، ولكن الله تعالى حفظه منه ،

فلم تلحقه يده ، يقول الامام أيوب السختيانى : ان الحجاج أراد قتل الحسن ، وعزم عليه مرارا ، فعصمه الله منه ، ويقول ميمون بن مهران : بعث الحجاج مرة الى الحسن وقد هم أن يبطش به ، فلما قام الحسن بين يدى الحجاج ، قال له : يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب ؟ قال : كثير ، قال : فأين هم ؟ قال : ماتوا ، ثم نكس الحجاج رأسه ، وخرج الحسن لم يمسسه منه سوء .

وقد تولى الحسن القضاء حسبة ، لم يأخذ عليه أجرا ، ولكنه لم يلبث فيه طويلا ، لأنه رأى أن منصب القضاء يحتاج الى تفرغ يبعده عن جمهور الشعب ؛ وكان المجتمع الاسلامى فى ذلك الوقت أحوج الى سماع صوت الحسن فى دروسه ومواعظه وتوجيهاته منه الى أحكامه القضائية ، لأن مكانه فى القضاء لا يعدم من يقوم فيه مقامه ، ولكن مكانه فى حلقات الدرس والتوجيه والارشاد لا يسد فيه مسده أحد .

ولما اعتزل القضاء ألح على عصريه وقرينه الألمعى ، ذى الفراسة الصادقة اياس بن معاوية أن يتولى القضاء خلفا عنه ، لأنه — فى رأى الحسن — أصلح من يكون له علما وذكاء وفضلا .

وتفرغ الحسن للدراسة ، يدرس الحديث والسنة رواية ودراية ، وكان كثير المراسيل ، يرويها لثقته وثقة الناس به ، فاذا ســـئل عمن روى ذلك أجاب .

ذكر ابن سعد فى الطبقات أن الحسن قال فى مجلسه : كان موسى نبى الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل الا مستترا ، فقال له عبد الله بن بريدة : يا أبا سعيد ، ممن سمعت هذا ؟ فقال : سمعته من أبى هريرة .

والمحدثون ونقدة الرجال لم يجعلوا مراسيل الحسن فى ميزان مع مراسيل سعيد بن المسيب ورجحوا عليها مراسيل سعيد .

وكان الحسن قواما بتفسير القرآن الكريم رواية عن الصحابة ، ودراية مستنبطة برأيه وعلمه وفهمه ، يروى عنه أبو جعفر الطبرى وسائر المفسرين القدامى ، ممن اقتصروا على تفسير القرآن بالمنقول .

ومما روى عنه من تفسير الفهم والدراية تفسيره لآيات خواتيم ســـورة الفرقان التى تصف عباد الرحمن ، قال : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا » والهون فى كلام العرب اللين والسكينة والوقار « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » حلماء لا يجهلون ، وان جهل عليهم حلموا ، يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ، ثم ذكر ليلهم خير ليل فقال « والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم سجدا لربهم ، تجرى دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم ، لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشعوا نهارهم « والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما » .

وكل شيء يصيب ابن آدم ثم يزول عنه فليس بغرام ، انما الغرام اللازم له ما دامت السموات والارض ، صدق القوم والله الذى لا اله الا هو ، فعملوا، وأنتم تتمنون ، فاياكم وهذه الأمانى رحمكم الله ، فان الله لم يعط عبدا بأمنيته خيرا فى الدنيا والآخرة .

وكان عصر الحسن رحمه الله مستنبتا لبذور الفرق الاسلامية ، التى بدأت جذورها فى أرض الاســـلام تنفلق عن أغصـــان التفرق فى بعض نواحى العقيدة ، وفى كثير من مسائل الفروع ، فقد ظهر أوائل الشيعة بعقيدتهم فى الامامة ، وربطوها بالايمان ، وظهرت معهم طلائع الخوارج بمقالاتهم التى كفروا

بها سائر طوائف المسلمين ، وقد أشجوا الدولة بحروبهم ، وكانوا شجا فى حلق الخلافة العلوية ، حتى انتهت بقتلهم أمير المؤمنين عليا بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم تحولوا الى حروب مدمرة مع الأمويين .

وكان الحسن رحمه الله على علم بمقالات هؤلاء وهؤلاء ، ولكنه لم يكن يعرض لها بجدل الا اذا سئل فانه يجيب بحجته وعلمه الذى ينبثق من الكتاب والسنة ..

وقد جرى فى مجلسه الكلام عن مرتكب الكبيرة ، هل هو مؤمن أو غير مؤمن ، فقرر الحسن أنه مؤمن فاسق ، غير مخلد فى النار ، وابتدر لمخالفته تلميذه واصل بن عطاء ، وقرر أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين منزلتى الايمان والكفر ، فلا هو مؤمن ، ولا هو كافر ، وهو مخلد فى النار ، وهذه المقالة فى حقيقتها عين مقالة الخوارج الذين قالوا بكفر مرتكب الكبيرة والاختلاف بين المقالتين لفظى ، لأن الخلود فى النار لا يكون جزاء الا على الكفر ، ولكن واصلا جبن عن اطلاق لفظ الكفر كما أطلقه الخوارج ، واعتزل واصل حلقة استاذه ، وعقد لنفسه حلقة ، وتبعه عمرو بن عبيد وآخرون ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل ، ومن ثم جاء اسم المعتزلة على أصحاب واصل ومن نحا نحوهم .

دخل رجل المسجد على حلقة الحسن ، فقال له : « يا امام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر ، يخرج به من الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الايمان ، ولا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة ، فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقادا » فتفكر الحسن فى الامر ، وابتدر واصل الجواب قبله فقال : أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ، ولا كافر مطلق ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين ، ولا مؤمن ولا كافر .

ويرى بعض الباحثين من القدامى أن مذهب الحسن كان معروفا مشهورا ، وانما أسرع واصل باجابته على سؤال السائل وهو غير موجه اليه ليرد على مذهب الحسن ، ويقرر له مذهبا فى المسألة .

ولقد كان لمكانة الحسن العلمية ومقامه فى الأمة أثر بعيد المدى فى ادعاء الفرق له ، وانتمائهم اليه ، فالشيعة يحسبونه من أئمتهم ، والمعتزلة يعتدون به أشد الاعتداد ، وينظمونه فى سلكهم ، والخوارج لا يتورعون عن ضمه الى صفوفهم ، والصوفية ينتهون بأسانيدهم اليه ، وأهل السنة والحديث يعدونه رأسهم .

واذا كانت هذه صورة موجزة لهذه الشخصية العظيمة فى الاسلام ، فحسبها أنها رسمت خطوطها العريضة فى اطار الحقائق التاريخية التى توضح أن الحسن البصرى كان أكبر شخصية معبرة عن حياة عصره ، وأعظم داعية من دعاة الاسلام بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

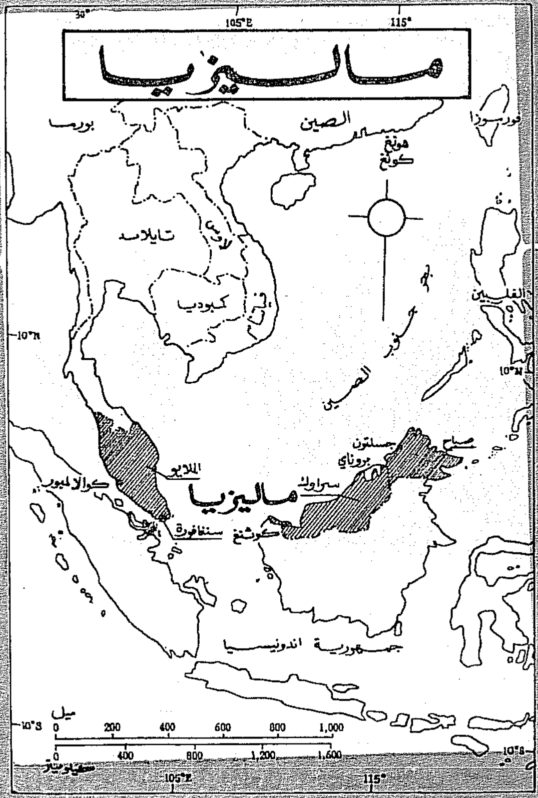
أضواء على التصوف في

ماليزيا

- **المتصوفون العرب الحضارمة هم الذين نشروا الاسلام مع غيرهم فى شبه جزيرة الملايو .**
- **كان سلطان ((ملقا)) الذى اعتنق الاسلام متصوفا زاهدا دعا للاسلام بقوة وشجاعـــة**
- **حمزة فنصورى فى الملايو يشبه ((ابن العربى المتصوف))**

من المهم قبل الحديث عن الصوفية فى ماليزيا أن نعطى فكرة للقارىء عن ماليزيا . هذا البلد المجاهد المسلم والذى يلعب دورا فعالا فى الحركة الاسلامية فى جنوب شرق آسيا .

الموقع الجغرافى : تقع ماليزيا فى الجنوب الشرقى لآسيا . وهى تتكون من **ماليزيا الغربية** والتى كانت تعرف فيما قبل ((**بشبه جزيرة الملايو**)) بولاياتها الاحدى عشرة وهى **ولايات كلانتان وترانجانو وبرليس وقدح** فى أقصى الشـــمال ثم **بهانج** فى الشرق (الساحل الشرقى لشبه الجزيرة) **وملاكا وسلانجور ونجرى سمبلان وجوهدر فى الساحل الغربى وجزيرة بنانج** والتى أخـــذ اسمها من اسم شجرة الاريقة وهو من الفصيلة النخلية .



للدكتور : جمال حماد

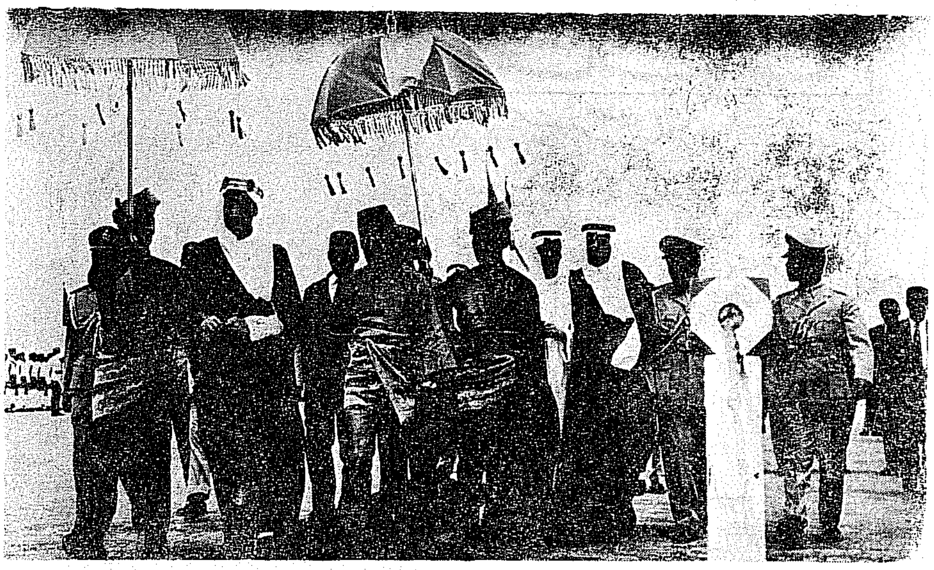
ثم ماليزيا الشرقية وتتكون من ولاية صباح وسراواك فى جزيرة بورنيو اما بقيـــة جزيرة بورنيو فهى تتبع أندونيسيا ما عدا « بروناى » وهى محميـــة بريطانية تقع بين ولاية صباح وسراواك ــ وحاكمها سلطان مسلم ــ وسكانها مسلمون وتدفق أخيرا البترول فى ارضها .

يفصـــل ماليزيا الغربية عن ماليزيا الشرقية بحر الصين الجنوبى ــ وهى تقع قريبا من خط الاستواء ، وتتوسط الموقع بين الهند والصين .

يحدها شمالا بلاد السيام (أو تايلاند) ويحدها جنوبا جمهورية أندونيسيا .

وتشترك مع جزيرة سومطرة (فى مضيق ملقا) والذى ينوى السيد تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا بالاشتراك مع سوهارتو رئيس جمهـــــــورية أندونيسيا فى جعله مضيقا كهيئة قنـــاة السويس بمصر ، وسيحقق ذلك الى جانب المكاسب المادية وهى كبيرة ــ سيحقق وزنا سياسيا جديدا لدولتـــين مسلمتين يضاف الى وزنهما السياسى .

الســـكان : يبلغ عدد سكان ماليزيا تقريبا ١٠ مليون نسمة منهم ٥ مليون



« الصورة أثناء زيارة الملك فيصل لماليزيا فى يونيو سنة ١٩٧٠ وفى استقباله اليانج دى براتون أجونج السلطان عبد الحليم معظم شاه ملك ماليزيا .

ملاوى مسلم وهم أصل سكان البلاد (وكلهم مسلمون ويرجع اسلامهم الى القرن الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر ميلادى ولو انه يصعب التحديد) . ويوجد كذلك ٣ مليون صينى ومليون هندى وباكستانى — وعدة آلاف من أجناس أخرى .

ويعتقد أن الجنس الملاوى وهم أقدم جنس وطئت قدماه أرض الملايو — يقال انه قدم من منطقة يقال لها اليونان فى الصين

وبعضهم هاجر من أندونيسيا من جزيرة سومطرة وسيليبس والمذهب السائد هنا هو المذهب الشافعى .

نظام الحكم : نظام الحكم هنا ديموقراطى — على القمة ملك دستورى يقال له (اليانج دى برتوان أجونج) أى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وهو يختار من بين السلاطين للولايات المختلفة كل خمس سنوات .

ويصدر الملك قراراته عن طريق توصيات مجلس الوزراء والبرلمان . ورئيس مجلس الوزراء لا بد أن يكون ماليزى الجنسية وعضوا بمجلس الامة .

الاحزاب : هناك أحزاب سياسية كثيرة أهمها :

١ — الحزب الائتلافى Alliance Party وهو حزب الاغلبية الحاكم ويتكون من ثلاثة أحزاب هى الحزب الوطنى الاتحادى الملاوى U.H.N.O. والحزب الصينى الماليزى M.C.A. والحزب الهندى الماليزى M.I.C. ورئيس الحزب هو السيد تون عبد الرزاق رئيس مجلس الوزراء الحالى .

٢ — الحزب الملاوى الاسلامى Pan Malayan Islamic ورئيسه هو السيد داتو محمد عصرى وسكرتير الحزب هو السيد ابو بكر حمزة وهذا الحزب يحكم ولاية كلانتان . وله اعضاء فى المجالس النيابية المختلفة للولايات — وكذلك له اعضاء فى مجلس الامة الفدرالى الذى (يقولون عنه ديوان الرعية Dewan Ra'ayat



صورة لاحتفال المولد النبوى الشريف فى ولاية جوهور بهارو احدى ولايات ماليزيا وهم يستمعون لخطاب ولى العهد تنكو ماخوتا جوهور — وفى انتظار الاشتراك فى المظاهرة الاسلامية السنوية والتى تطوف شوارع العاصمة .

٣ — **ثم هناك حزب المثقفين** Gerakan Party وهو الحزب الحاكم فى جزيرة بنانج .

٤ — حزب التقدم الشعبى Peoples Prosresive Party

٥ — حزب العمل Labour Party

٦ — الحزب الوطنى Panty Negar

وهناك أحزاب أخرى فى شبه جزيرة الملايو وصباح وسراواك .

الاقتصاد : مع أن المسلمين يكونون ٥١ ٪ من السكان الا ان نسبة الاقتصاد ورأس المال الذى بأيديهم لا يتعدى ٥ ٪ ، ٩٥ ٪ من الاقتصاد بيد الصينيين ..

وكان لا بد من حل لهذه المعادلة الصعبة تركزت فى اتجاهات كثيرة منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر :

أولا : تكونت مجالس اقتصادية اسلامية تبحث بالتفصيل والاحصائيات كيف يدفعون بالملاويين المسلمين الى ميدان الاقتصاد والتجارة . ومحاولة توضيح النظام الاقتصادى الاسلامى لجمهرة المسلمين . وحل ما يصادفهم من مشاكل فى هذا الشأن . ويشترك فى هذه المجالس أساتذة الجامعة والاقتصاديون المسلمون . مع متابعة تامة ودقيقة لوضع المجتمع وبنيانه الاقتصادى ومكان الملاويين فيه .

ثانيا : عملت الحكومة على تشجيع المعدمين من الملاويين بالسكنى فى مستعمرات هيئة الاصلاح الزراعى — التى تعطيهم قطعة أرض وتمدهم بالخبرة الزراعية وتبنى لهم مساكن ومدارس وغيرها .

ثالثا : أنشأت مجلسا يقدم منحا لاصحاب البلد الاصليين وهم الملاويون يقال له مجلس « مارا » (مجلس الثقة الشعبى) Maglis Amara Ra'ayat



فى نهاية الاحتفالات يقفون جميعا ويرفعون أيديهم ضارعين الى الله بالدعاء « الصورة فى سرمبان ويتوسطهم رئيس وزراء سرمبان رائد منصور بن عثمان » .

ومهمته تقديم منح دراسية فى الجامعة والمدارس فى الداخل والخارج للملاويين المسلمين . وغير ذلك كثير لا مجال لتفصيله فى هذا البحث .

ننتقل بعد ذلك الى موضوعنا الرئيسى وهو (التصوف فى ماليزيا)

وليست هناك دراسة عميقة مستفيضة ـ ولكن بين يدينا كتاب الفـــه السيد (نجيب العطاس) وأصدره معهد أبحاث الدراسات الملاوية الاجتماعية بسنغافورة . والسيد نجيب العطاس هو أحد الحضارمة العرب الـــذين وفـــد أجدادهم هنا فى هذه المنطقة وغيرها ينشرون دين الله الخالد ويدعون الى كلمة التوحيد ويعمل حاليا أستاذا بقسم الدراسات الملاوية بكلية الآداب جامعة الملايو بكوالالمبور واسم الكتاب Some Aspects of Sufism as under stood and Prac tised among the Malays.

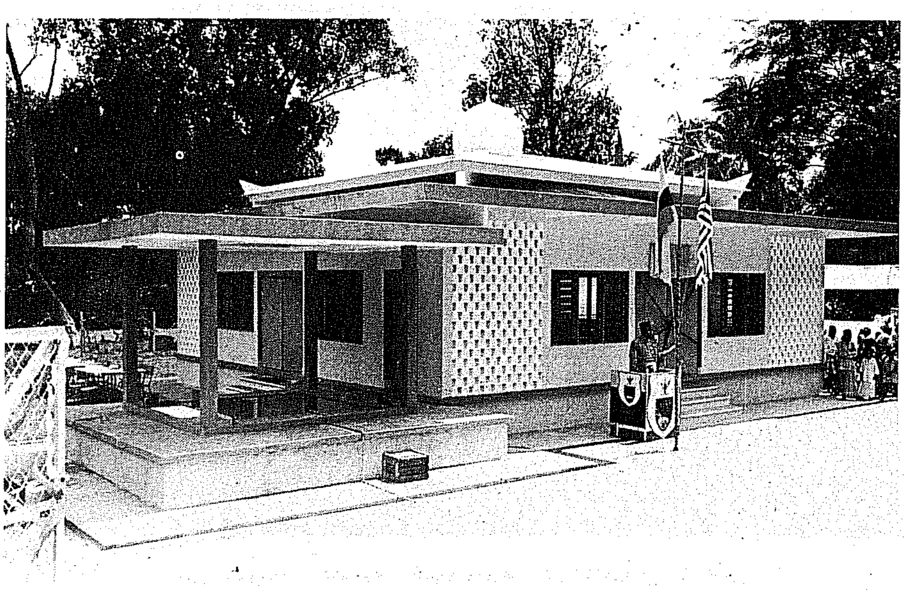
أما كتابه الذى يقع فى ١٠٦ صفحة من القطع المتوسط فقد قسم المؤلف فيـــه الحديث الى ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الاول : مدخل الى الصوفية

القسم الثانى : الصوفية كما يفهمها الملاويون

القسم الثالث : كيف يمارس الملاويون الصوفية

والحقيقة بأن المؤلف قد بذل جهدا فى هذا البحث الشيق ـ وبدأ الكتـــاب بالآية الكريمة مترجما معانيها الى اللغة الانجليزية وهى : « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى .. »



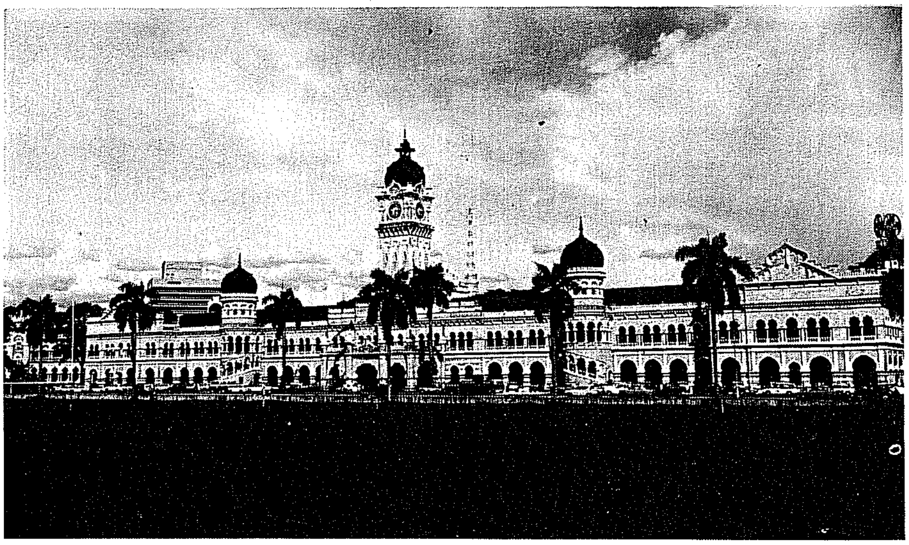
صورة لافتتاح مسجد فى احدى قرى سرمبان احدى ولايات ماليزيا .

ويبدأ السيد نجيب العطاس بتعريف كلمة الصوفى ويقول : ان هناك أقوالا كثيرة عن سبب وأصل التسمية فمنهم من يرجعها الى (الصوف) — وبعضهم يقول ان أصلها من الكلمة اليونانية (صوفيا) بمعنى الحكمة — وغيرهم ينسبها الى الصفاء أى السمو بالروح والنقاء .. ويذكر المؤلف أن التصوف من الناحية التاريخية بدأ (بأهل الصفة) وهم من المسلمين الاوائل الذين كانوا يكثرون من الجلوس والتعبد فى أحد جوانب المسجد النبوى الشريف بصفة مستمرة ومنهم سلمان الفارسى .

ويعرج المؤلف بعد ذلك الى حسن البصرى وابراهيم بن أدهم ثم رابعة العدوية شهيدة العشق الالهى والتى كانت تعلم الناس كيف يحبون الله لا طمعا فى جنته ولا خوفا من عذابه وناره ولكن عشقا وفناء فى ذاته الواحد الأحد الفرد الصمد .

ثم تحدث المؤلف عن نظرية (المعرفة والإلهام) ثم المقامات التى يسلكها المريدون حتى يصلون الى معرفة الله . أو مرحلة الكشف والالهام والانفتاح على عالم الروح الربانى واشراقاته الحلوة — ويقول ان لمعرفة الله لذة لا تدانيها أى لذة مادية على هذه الارض مهما عظمت .. فاللذة الروحية هى قمة اللذات ..

ثم تحدث عن وحدة الوجود التى قال بها (ابن العربى) وغيره من المتصوفين والتى عارض فيها بعد ذلك كثير من الفلاسفة المسلمين فى القديم والحديث .



مبنى سكرتارية الحكومة بماليزيا ويلاحظ الفن المعمارى الاسلامى .

« ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الصوفية كما يفهمها الملاويون » :

لم يستطع المؤلف أن يعطى تاريخا ثابتا للتصـــوف ونشأته فى ماليزيا (شبه جزيرة الملايو قديما) ولكنه ذكر أن التصـــوف اقترن بدخول الاسلام الى هـــذه المنطقة ــ ويجزم بأن الصوفيين العرب وغيرهم هم الذين نشروا الاســـلام فى الملايو ــ وتحمسوا لجذب كثير من الناس إلى رحـــاب عقيدته . وقد تم انتشـــار الصوفية وتركزت أسسها على أرض صلبة عام ١٤٨٨ م .

مع اعتنـــاق ســـلطان (ملاقا) أو (ملاكا) (١) للاسلام والذى يروى التاريخ عنه أنه كان متصـــوفا زاهـــدا وأن امبراطورية ملاكا ، عاشت فى ظله عصرا ذهبيـــا .

وما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر وجدث (الصوفية) كمنهج طريقها الى الساحل الشرقى من شبه جزيرة الملايو والى سومطرة ، بل لقـــد ظهـــر أقطـــاب متصـــوفون مثـــل **« حمزة فنصورى »** فى القرن السادس عشر فى شمال سومطرة وكان يتبع الطريقة القادرية ــ وكان له أتبـــاع ومريدون كثـــيرون . .

والمؤلف معجب جـــدا (بحمزة فنصورى) ويعتبره شبيها (بابن العربى) وهو وان لم يكن يرقى الى مستوى ابن العربى فى المنهج والتفكير والكتابة ــ لكنه بالنسبة لعصره ووسطه والجو الذى عاش فيه واتباعه والطريقة التى كان يدعو بها ــ يشبه ابن العربى وقد ألف أشعارا صوفية كثيرة .

ونبغ أيضا فى الحقل الصوفى « (١٦٠٧ ــ ١٦٣٦) فى عهد الســـلطان



مبنى البرلمان فى كوالالمبـــور « ديوان الرعية » .

« ماخوتا علم » المتصوف المعروف باسم « شمس الدين السومطرانى » نسبة الى سومطرة وكان الله فى عرفه هو « القدرة المحركة العظمى للكون والحيـــــاة وهو الأول والآخر والظاهر والباطن ولا تأخذه سنة ولا نوم » .

وفى سنة ٦٣٧ ميلادية ظهر المتصـــوف القطب الكبير الشيخ نور الدين محمد بن على بن حسن بن محمد حامد الرانيرى القرشى الشافعي وقد ألف نور الدين كثيرا من الكتب وفنـــد بعضا من أقوال شمس الدين وحمزة فنصورى وله كتاب باسم « حجة الصديق لدفع الزنديق » وآخر باسم «التبيان فى معرفة الديان»

الطرق الصوفية فى ماليزيا : ما بين القرن الثانى عشر والسادس عشر كان يوجد بالملايو أربع عشرة طريقة أهمها القادرية والشهروردية والشستية والشاذلية والبدوية والدسوقية والصادقية والنقشبندية والخلوتية .

وكان لكل طريقة اتباع كثيرون . يدعون للاسلام ويعرفون المسلمين بأمور دينهم ويوضحون لهم الغامض . ونكتفى بهذا القدر فى هذا العدد .

---

(١) « ملاكا » أو « ملاقا » هى احدى ولايات اتحاد ماليزيا ويرجع تسميتها بذلك الى أنهـــا مكان التقـــاء العـــرب والملاويين لأول مرة ــ وهى مشتقة من كلمة « ملتقى » العربية .

مائدة القارئ

فن الحرب

يقسم فن الحرب الى أربعة اقسام :

١ ــ **تنظيم الجيوش** . ويراد به تجميع واستغلال جميع الوسائل الضرورية للحرب على أحسن وجه ، ومن ذلك توزيع الرجال على مختلف الوحدات ، ودراسة الامكانيات المادية والاسلحة والذخيرة ووسائل النقل والخدمات الصحية .

٢ ــ **الاستراتيجية** ، وهى اعداد خطة المعركـــة وقيادة الجيش فى المواقف الحاسمة والتعرف على المواقف التى يجب ان يتركز فيها المجهود الرئيسى خلال المعركة ، والمفاجأة هى اهم عناصر الاستراتيجية .

٣ ــ **التكتيك** وهو فن القتال واستخــــدام عنــاصر الجيش فى الاراضى والمواقع الملائمة وتنفيذ التحركات التى تمليها (الاستراتيجية) .

٤ ــ **الامدادات والتموين** ، وهى فن تقدير كل ما يمكن ان يحتـاج اليه الجيش لتسهيل عملية القتال مثل المواصلات والاسكان والغــذاء والملابس والمهمات والتموين بالمواد والذخيرة .

استمرار اليقظة

كثير من الناس يقومـــون بأعمال تحول بينهم وبين الذهاب الى فراشهم كل ليلة مثـــل الطيارين وســائقى القطارات والاطباء ورجال الاطفــــاء والشرطة ، وليظلوا يقظـــين يتناولون كميات من الشـــاى والقهوة ، وتحتوى هـــــذه المشروبات على كميـــات من (الكافايين) وهذا الدواء يبطل مفعوله فى الوقت الذى يصبح فيه النوم ضرورة لا غنى عنه .

الظلم العظيم

عن ابن المسيب ــ أن عمر ابن الخطاب قرأ (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون) فلما قرأها فزع فأتى أبى بن كعب فقال ــ يا ابا المنذر آية مـــن كتاب الله . من يسلم ؟ فقال ــ ما هى فقرأها عليه . . فاينا لا يظلم نفسه ؟

فقال ــ غفر الله لك ، اما سمعت الله تعالى ذكـــــره يقول ــ ((ان الشرك لظلـــم عظيم)) انما هو ولم يلبسوا ايمانهم بشرك .

جــــزر الكــويت

حول الكويت عدة جزر ، أكبرها جزيرة (بوبيان) لا يسكنها أحـــ وتقع في الشمال الشرقي من الخليج العربي ، وشمال بوبيان جـــزيره صغيرة اسمها (وربه) وفي مدخل جون الكويت جزيرة (فيلكا) وهي جزيرة قديمة آهلة بالسكان ، وبجوارها جزيرة (مسكان) وجزيرة (عوهـــه) وتقابل الساحل الجنوبي نفسه جزر صغيرة غير مأهولة وهي (كبر) و (قارورة) وأم (المرادم) وفي داخل الجون نفسه أكثر من جـــزيرة فبقرب ساحل الشويخ (الجزيرة الصغيرة) وقرب رأس عشيرج جزيرة (أم النمل) .

مــن الاعــلام

علي بن محمد بن حبيب . ابو الحسن الماوردي ، أقضى قضاة عصره ، من العلمـــاء الباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة . جعل (أقضى القضاة) في أيام القائم بأمـــر الله العباسي ، وكان له المكانة الرفيعة عند الخلفاء . مـــات ببغداد سنة ٤٥٠هـ ونسبته الى بيع ماء الورد . ومن كتبـــه (أعلام النبوة) و (الاحكام السلطانية) و (أدب الدنيـــا والدين) .

فــراغ عقلي

حكى أقضى القضاة الماوردي قال ــ كنت جالسا في مجلس مقبلا على تدريس أصـــحابي فدخل علينا شيخ قد ناهـــز الثمانين فقال لي ــ قدقصدتك فيمسألة اخترتك لها ، فقلت ــ وما هي ؟ قال ــ اخبرني عن نجم آدم ونجم ابليس ما هما ؟ فبدر جماعة من الحاضرين بالانكار عليه والاستخفاف به، فكففتهم عنه ، وقلت ــ هـــذا لا يقنع مما ظهر من حاله الا بجواب مثله ، وقلت لــه ــ يا هذا ان نجوم الناس لاتعرف الا بمعرفة موالدهم ، فانظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله ، فقال ــ جزاك الله خيرا ، وانصرف مسرورا .

الجهـــــــاد

قال محمد بن ابراهيم : أملى علي عبد الله بن المبارك حين ودعته للجهاد هذه الابيات وارسلها معي الى الفضيل بن عياض :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنـــا	لعلمت انك في العبادة تلعـب
من كان يخضب خده بدموعـــه	فنحورنا بدمائنا تتخضـــــب
او كان يتعب خيله في باطـــل	فخيولنا يوم الصبيحـــة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنـــا	وهج السنابك والغبار الاطيب
ولقد اتانا من مقـــال نبينـــا	قول صحيح صادق لا يكـذب
لا يستوي غبـــار أهل الله في	انف امرىء ودخان نار لا يكذب
هذا كتاب الله ينطق بيننـــا	ليس الشـــهيد بميت لا يكـذب

الزي الإسلامي للمرأة ومزاياه



يقول الله سبحانه وتعالى : « يا ايها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » .

يامر الله نبيه الكريم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ أن يامر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة إذا خرجن لحاجتهن أن يغطين اجسامهن ورءوسهن وجيوبهن ــ وهى فتحة الصدر من الثوب ــ بجلباب كاس فيميزهن هذا الزى ويجعلهن فى مامن من معابثة الفساق او ممن فى قلوبهم مرض فلا يتعرضون لهن باذى او ريبة .

ارتداء الملابس القصيرة وأخطاره

للدكتور فاروق محمود ساهل

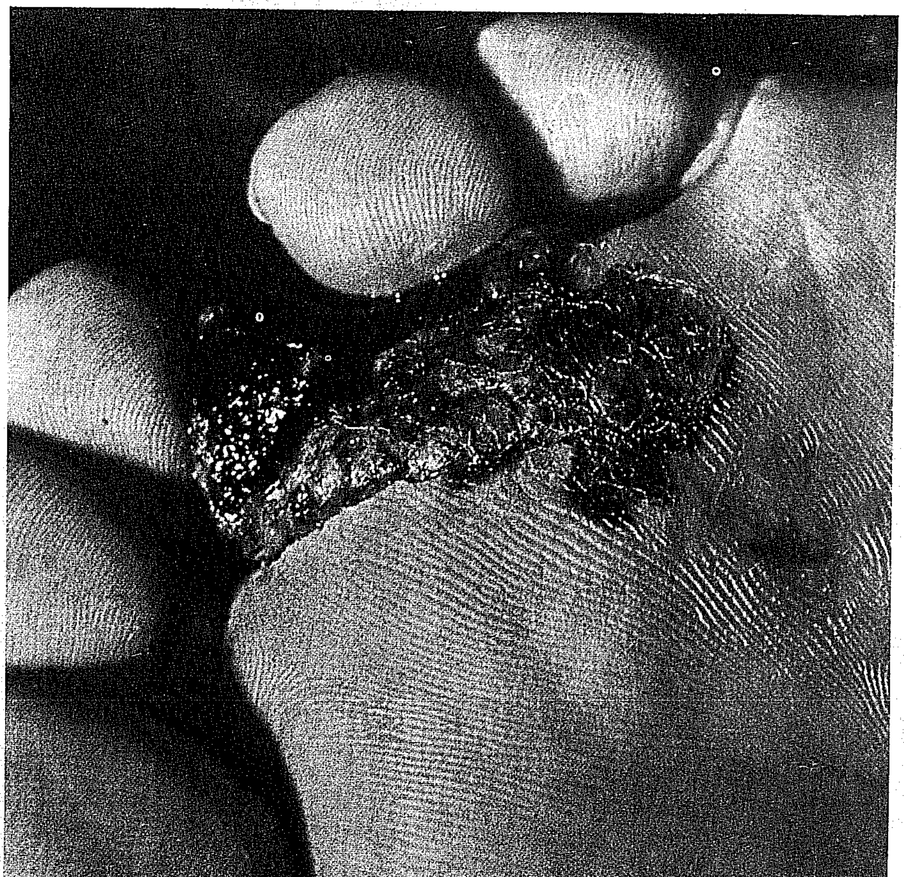
والزى الإسلامي للمرأة هو أن تلبس ما يستر جسدها جميعه بملابس واسعة غير ضيقة ولا شفافة حتى لا تظهر ثنيات الجسم وتفاصيله مع السماح لها بكشف الوجه واليدين حتى الرسغين ..

ولا يخفى ما يبلغه مجتمع من العفة والطهارة إذا خرجت فيه النساء لقضاء حاجتهن حيث سمح لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لعائشة رضي الله عنها « إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن » على أن يكن محتشمات الملبس .

ولقد عزى كثير من المصلحين والباحثين فساد كثير من شباب العصر إلى تعمد المرأة الخروج كاشفة أجزاء من عورتها ظلت تزيد وتزيد فلم يبق إلا القليل المستور من جسدها .

وانبرى هدامون عديدون يفسرون ظاهرة كشف المرأة لعورتها وربطوها بنفسية المرأة وحبها للظهور والتبرج وعرض أجزاء من جسدها ثم استمتاعها بما يقع على سمعها من كلمات الغزل والاطراء من العابثين والفاسقين .. ووجدت المرأة من يقوم على تشجيعها بعدم ستر عورتها بجهاز ضخم منظم يشتمل على مصممين للأزياء الحديثة ودور للملبوسات الخليعة ومجلات ومسابقات وعروض وأفانين ، وكلها تخضع لتمويل واشراف اليهود طبقا لما ورد في بروتوكولاتهم من افساد العباد وملء أوقاتهم بالفارغ من القول وجذب انتباههم بالتافه من العمل باسم التطور والرقي والمدنية و « آخر خطوط الموضة » ليظلوا بعيدين عن أمورهم الهامة ومشاكلهم الملحة ، فضلا عن امتصاص الأموال الطائلة .

والغريب أن تكاليف الثياب القصيرة أغلى بكثير من تكاليف الثياب المحتشمة البسيطة . . ولكن **« إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها،**



١ ــ سرطان الميلانوما الخبيث في القدم (عن سيبا CIBA بسويسرا)

ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبــون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .
وصدق الله العظيم .. ثم تكون عليهم حسرة ..
فبالإضافة الى مجتمع يسيطر عليه الفساد والانحلال حين تتخلى المرأة عن ثياب العفة والنظافة ، ومايخسره هذا المجتمع نتيجة سلوك نســـائه ثم شبابه ، بالاضافــة إلى ذلك فان الاحصائيات الحالية تشير إلى انتشار مرض السرطان الخبيث في الاجزاء العارية من أجساد الفتيات اللائي يلبسن الملابس القصيرة ..
وقبل ان أذكر تفاصيل ذلك أود ان اقدم له بأن الله جلت قــــدرته خلقنا وهو أعلم بخلقه وأمرنا باتباع امور تجلب لنا النفع ونهـــانا عـــن اشياء تجر علينا الخراب والعذاب ، وفوق نفعها أو ضررها لنا فهي اختبار لمدى طاعتنا لله سبحانه وتعالى .. قد لا يبدو لنا من الوهلة الاولى مدى النفع أو الضرر من أمر إلهي ولــكن المؤمن الحق يؤمن به ويتبعــه دون جدل أو نقاش ، وبمرور السنين أو

الدهور تتجلى الحكمة الإلهية فيما أمرنا باتباعه أو اجتنابه ، ذلك هو الايمان بالغيب « **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** » . « **ليعلم الله من يخافه بالغيب** » فالمعروف أن العقل يعتمد على الحواس التى هى محدودة مقيدة ومالا تدركه الحواس لايدركه العقل . وليس معنى ذلك أن نلغى نعمة العقل والتفكير فلم نؤمر بذلك بل على النقيض أمرنا بالتدبر والتفكر واستعمال عقلنا فى غير ما شطط او ضلال، ونلزم العقل الأصول والقواعد خشية التردى فى الهاوية (كما يحدث الآن للحضارات الاجنبية فى أوربا وأمريكا وآسيا) .

« ومع ذلك كله تجد فينا من لا يصيخون السمع إلى صوت الدين، وهم يلحدون فى آيات الله فيميلون بها عن وجهها حينا ، ويجادلون فيها أشد الجدال حينا آخر . ولكنهم يخضعون لهذه المزاعم الداعرة ويرونها فوق النقاش والمراء . هؤلاء قوم لا تقوم عندهم الحجة بالقرآن، ولكنها تقوم بهذه الظنون والاوهام فإذا عارضتهم بالثابت من قول الله سبحانه وتعالى — وهم يزعمون أنهم مسلمون — لووا رءوسهم وقالوا : نحدثك فى العلم فتحدثنا فى الدين ؟ كأن هذه الاوهام اثبت عندهم من القرآن » وعلى كل فسنحدثهم بالعلم لعل فيه عبرة لهم وهداية ، فلقد نشر فى المجلة الطبية البريطانية(1) أن السرطان الخبيث (الميلانوما الخبيثة .

(Malignant Melanoma) والذى كان من أندر انواع السرطان أصبح الآن فى تزايد وأن عدد الاصابات فى الفتيات فى مقتبل العمر يتضاعف حاليا حيث يصبن به فى أرجلهن وأن السبب الرئيسى لشيوع هذا السرطان الخبيث هو انتشار الأزياء القصيرة التى تعرض جسد النساء لاشعة الشمس فترات طويلة على مر السنة ، ولا تفيد الجوارب الشفافة أو « النايلون » فى الوقاية منه ، وناشدت المجلة أطباء الاوبئة أن يشاركوا فى جمع المعلومات عن هذا المرض وكأنه يقترب من كونه وباء ..

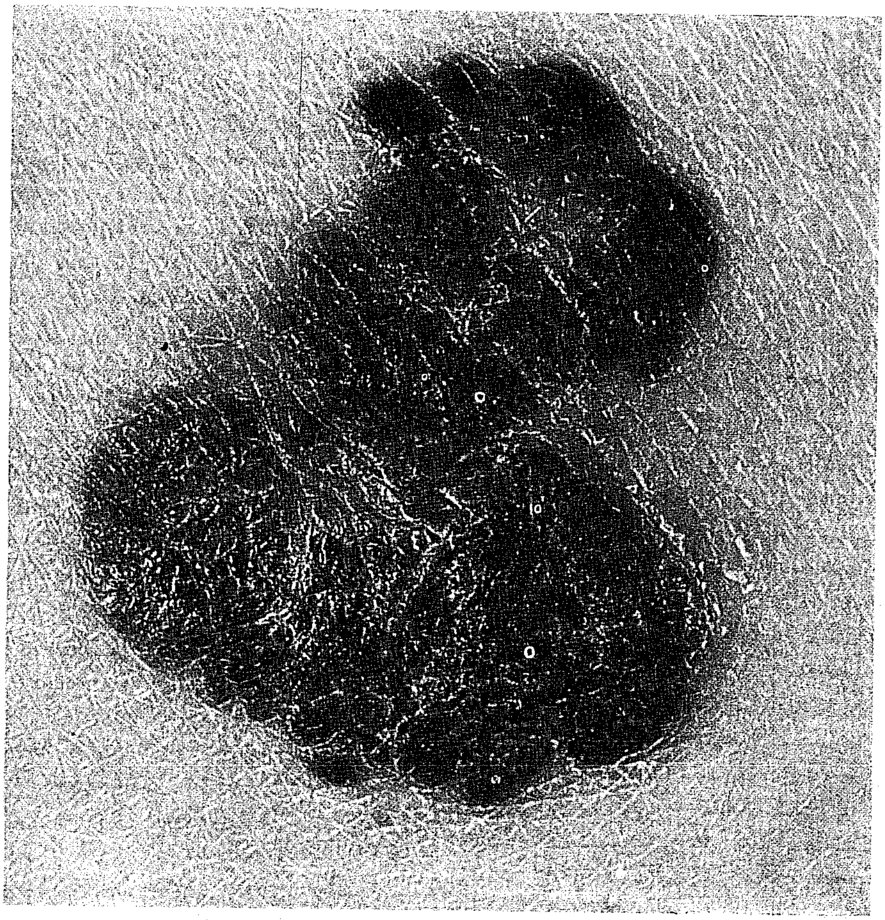
« **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب أليم** » .

ولقد حل العذاب الأليم — أو جزء منه — فى صورة السرطان الخبيث بل أخبث أنواع السرطان . وهذا المرض ينتج من تعرض الجسم لاشعة الشمس واشعة فوق البنفسجية فترات طويلة وهو ماتوفره الملابس القصيرة فى الحياة العادية أو أزياء البحر على الشواطىء ويصيب كافة الاجناس بنسب متفاوتة ويظهر أولا كبقعة صغيرة سوداء وقد تكون متناهية الصغر غالبا فى القدم او الساق (واحيانا بالعين) ثم يبدأ بالانتشار فى كل مكان واتجاه بينما هو يزيد وينمو فى مكان ظهوره الاول ، فيهاجم العقد الليمفاوية بأعلى الفخذ ويغزو الدم ويستقر فى الكبد ويدمرها وقد يستقر فى كافة الاعضاء ومنها العظام والاحشاء بما فيها الكليتان ولربما يعقب غزو الكليتين البول الاسود نتيجة لتهتك الكلى بالسرطان الخبيث الغازى .. وقد ينتقل للجنين فى بطن امه ..

ولنا أن نتصور حالة إنسان مصاب بكل هذا يتمنى الموت فيه خلاصا من الآلام والدمار ..

ولا يمهل هذا المرض صاحبه طويلا ولا يمثل العلاج بالجراحة فرصة للنجاة كباقى أنواع السرطان الخبيث ..

علما بأن هذا السرطان الخبيث لا يستجيب إطلاقا للعلاج بجلسات الاشعة ..



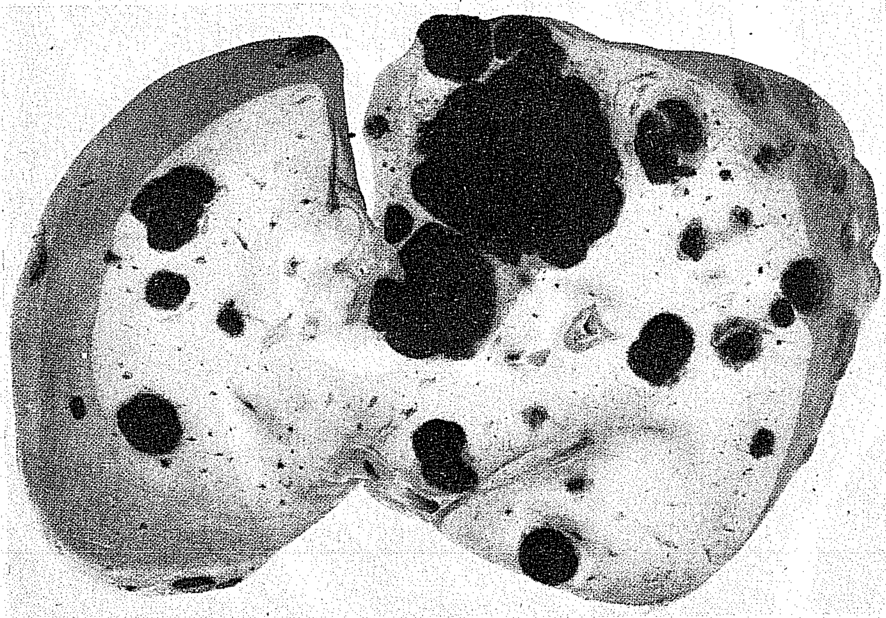
٢ — السرطان الخبيث فى ساق مريض (عن سيبا CIBA بسويسرا)

وبعد ، فعلى الرغم من ان التدخين يسبب سرطان الرئة وسرطان المثانة وأمراض القلب والتهاب الشعيبات الهوائية المزمن (٢) إلا أن نسبة المدخنين ثابتة بل لربما فى تزايد واقصى ما فعلته الجهات الصحية فى أوربا ان اجبرت شركات الدخان أن تكتب عبارة « التدخين قد يضر بالصحة ! » وذلك على كل علبة من الدخان . .

وعلى الرغم من أن أمراض الخمر كثيرة جدا وقاتلة فأقصى ما فعلته الجهات الصحية المسئولة فى بعض البلدان أن حذرت الناشئة من تعاطيها . .

وعلى الرغم من أن أمراض الزنا (الامراض السرية) أبادت ملايين الناس رجالا ونساء عبر السنين إلا ان الزنا منتشر . .

وعليه فلا نتوقع أن يبدأ المسئولون فى نصح الفتيات بعدم ارتداء الملابس القصيرة إلا بعد أن تسقط الضحايا منهن بالآلاف .. ضحايا للاستغلال والمصالح الخاصة والكسب الحرام على حساب أرواح



٢ ـ قطاع بالكبد وقد غزاها السرطان الخبيث(الاسود)(من كلية الجراحين الملكية بلندن)

البشر . .

فإلى فتياتنا ولمن يشجعهن على التخلى عن زيهن الاسلامى محاكاة وتقليدا ها قد تبين لنا أن التقليد ضار بل يؤدى للهلاك فى الدنيا وفى الآخرة .. فسواء من الناحية المادية فالأثمان باهظة ومرتفعة .. أم من الناحية الاجتماعية تفكك وميوعة وضلال ..

أم من الناحية الصحية فالعذاب البدنى والموت المحقق .. ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ..

« تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعصى الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » .

وعلى فتياتنا المسلمات أن يفوتن الفرصة على دعاة الفساد وأن يتمسكن بتعاليم دينهن الحنيف يكسبن رضاء الله ويسلمن دنيا وينجين آخرة .

---

(١) المجلة الطبية البريطانية B.M.J. ١٩٧٢/١/١٥ م ص ١٢٠

(٢) المجلة الطبية البريطانية B.M.J. ١٩٧٢/٣/٢٥ ص ٧٦٣


حوار مع
ابليس
د ...

للاستاذ محمد لبيب البوهي

عدت الى داري حزين النفس كئيب الفؤاد .. لقد كنت في جولة حدث خلالها ما أشاع في نهار النفس السواد .. لاشيء قد عاد يدخل السرور الى القلب .. فما السرور الحق غير أفراح الروح .. ولن تسعد الروح الا بما هو من طبيعتها .. ولكن كل شيء في تلك الجولة كان يثير الاشمئزاز .. شباب على جنبات الطرق أكثر ما يشغلهم إرسال البصر في محاسن الغاديات .. وسباب بين متعاركين لغير ما سبب جاد .. وجلوس على المقاهي بلا هدف .. وتفاهات تبدو في أشياء كثيرة .

عدت الى داري وصدفت عن طعام العشاء .. حتى الصلاة تراخيت عنها وقلت في نفسي : سأنهض قبيل الفجر واصليها .. وآويت الي فراشي ورحت أتقلب ذات اليمين وذات الشمال .. واذا بي أجده بعد هنيهة قائما أمامي .. ولقد كنت من قبل أظنه يأتي وله قرون سوداء ملتوية كقرون الكباش .. وفي وجه أسود كالفحم .. ولكن شيئا من هذا لم يحدث .. لقد جاء على صورة أحد هؤلاء الذين لقيتهم في الجولة المحزنة .. لقد كان يبدو وسيما .. أو بمعنى أكثر دقة يضع على وجهه هذا القناع .. كما يكون الغطاء المعطر الانيق على شيء عفن كريه ، ولكن أمره لم يخف على نفسي .. لقد عرفته على الفور .. وهممت من فراشي لأنهره مشيرا الى الباب ليذهب .. والى النافذة ليخرج منها ، والى الجدار لينفذ من مسامه الصماء .. فانه يستطيع ذلك في سهولة ويسر .. ولكنه ظل ثابتا .. وأشعل سيجارة .. وراح يدخن ثم قال : أنت الذى دعوتني بصورة ما .. ذلك أنه يبدو أنك تريد أن تدخل معى في حوار .

قلت في غيظ : إن القحة تبلغ بك دائما حدا لا يطاق .. والا فبأى حق تفرض نفسك هكذا أيها الرجيم على الناس ..!؟

جـ : قال في هدوء وهو ينفث دخان سيجارته ، فيتلوى الدخان في أفق الحجرة كأنه الافاعى : إننى لا أفرض نفسى على أحد .. إننى فقط عندما أدعى البى النداء .. إنهم دائما يلقون اللوم على .. وينسون أنفسهم ، إننى لست أكثر من تاجر أعرض بضاعة .

س : ولكنك خبيث غاش تخفى بضاعتك العفنة المسممة في أغلفة مزينة .. وليس ذلك بمستغرب منك فانك أنت الذى ابتدعت الخداع .

جـ : يا عزيزى .. إننى لا أعرض بضاعة واحدة .. وليست هذه البضائع جاهزة عندى .. إننى أهيئها لساعتها وأقدمها وفق مواصفاتهم .. إننى لست أكثر من مساعد لهم .. إنك تظن أننى أغشهم فأقدم البضاعة في لفائف تخفى حقيقتها .. إنهم يتفاخرون بما قد يحاول آخرون أن يخفوه .. إنها درجات يا سيدى كما ترى .. عندى بضاعة للريفى الساذج .. وأخرى لسادات المدن .. حتى العلماء .. إن منهم كثيرين من زبائنى .

س : .. العلماء .. !! أى صنف من العلماء ؟

جـ : جميع أصنافهم حتى الـذين يتصدون للـوعظ .. اننى أسـجد لهم وأسميهم بكبار العباقرة .. وأنهم قد أوتوا ما لم يؤت غيرهم من البلاغة ، فمنهم من يشمخ حينئذ بأنفه تيها وعجبا .. وبذلك تذهب تركات عملهم في غياهب تيه الاعجاب ، وتتحول كلمات الوعظ على السنة هذا الصنف الى كلمات جوفاء لها رنين الصلصال ، إنه يحلو لى أن أتعامل مع هذا الصنف .. ان إثارة روح الاعجاب بالنفس هى بعض بضاعتى .. وإننى كما أغرى الاغنياء بطلب المزيد من الغنى حتى يشغلوا بالزائل .. فانه يطيب لى أيضا أن أغرى الزهـاد بطلب المزيد من الفقر .

س : يبدو أنك تهذى فيما أرى .. وإلا فما معنى أن تغرى الاغنياء بالمزيد من الغنى ، وتغرى الزهاد بالمزيد من الفقر ..!؟

جـ : قال ضاحكا : إنك تريد أن تنفذ الى أعماق بعض أسرار مهنتى .. لا بأس سوف أكشف لك الغطاء عن بعضهـا ، لاننى أريد أن أنفـذ الى قلبك بطريقتى الخاصة .. إننى اغرى الاغنياء بطلب المزيد من الغنى حتى يصبح طلب المال فى حد ذاته هدفا لهم ، واغريهم بالحرص عليه وحراسته .. فتضيع أيام الحياة فى هذا العبث ، ولن يجدوا بعد ذلك فى الطرف الآخر غير الهباء .. إنهم لن يقدموا بين ايديهم شيئا يجدونه هناك .. اما الزهاد فاننى أحاول أن أغريهم بالمزيد من الفقـر .. حتى ينصرفوا عن الدنيا انصرافا تاما .. فينالها منهم أعداؤهم الذين يسعون ويعملون .. إن من بضاعتى دعوة الناس الى التطرف .. أعنى بعض الناس .. إننى أدعو كثيرا من الشباب ليتشبهوا بالنساء .. وانحنى أمـام الكثيرات من النساء فى تواضع ومودة مشيرا عليهن أن يتشبهن بالرجال .. إن الامـور حينئذ تختلط .. وتفقد القيم موازينها .. إنهم سوف يجدون فى هذا الانحراف لذائذ شتى .. إننى كما ترى خبير فى تلوين الحياة التى يشتهونها .. كى ادخل السرور الى قلوبهم .. تستطيع أن تسمينى فنانا من نوع خاص .. ولا بأس أن تدعونى كما تريد بصانع اللـذات .

س : قلت غاضبا : يمكنك أن تخدع غيرى .. ذلك لاننى قد خبرت بضاعتك .. إنك تذهب باللذة العظمى فى سبيل نشوة حسية عابرة .. الا ترى أنك حين تدعو شابا للنظر الى محاسن امرأة تصرفه عما وعد به من لذة الروح ؟ أعنى أن اللذة العابرة للبصر تمحق اللـذة الكامنة فى أعماق البصيرة .. وأن الذى يطلق لسانه فى الغير ، ويجد نشوة ما فى لهو الحديث سرعان ما يزحف الران على قلبه ..!؟

جـ : قال الخبيث فى هدوء وقد نهض وراح يذرع حجرتى طولا وعرضا بغير إذن منى : اعلم ذلك .. إنهم يدفعون الثمن راضين .. أرجو الا تنسى أننى تاجر أعرض الوانا شتى ، وأنهم يتزاحمون على أبواب متجرى .. إن متاجرى تحسن عرض ما لديها وأنا واسع الثراء .. لقد جنيت منهم ــ أعنى من عملائى ــ أرباحا طائلة ، لقد تعاملت على مدار أجيال العصور مع أكثر عظماء التاريخ .. إن لى ذكريات كثيرة مع قابيل .. وقوم نـوح .. وعاد وثمود .. وإخـوة يوسف .. و .. و ..

س : قلت فى مزيد من الغيظ وكأننى أبغى أن أصده عن هذا الاسترسال فى التفاخر : نعم .. نعم .. نعم اعلم ذلك عنك ، وأعلم انك صديق وزميل لتيمورلنك .. وهولاكو .. ونابليون .. وكثير من أمثال هؤلاء .. وكثير من القياصرة ..

ويبدو اننى ادخلت السرور الى قلبه بهذا الاطراء ، ولكنه ما لبث بعد هنيهة أن عبث وتجهم وجهه حتى ازداد تفحما وقال : ولكن هناك أمر قد يخفى عليك وعلى الآخرين .. إن هؤلاء العظماء الذين تدعوهم أصدقاء لى وزمـــلاء هم بعض أسباب تعاستى .. إن أعمالهم أعنى جرائمهم تنسب الى .. وبذلك يزيدون من حجم مسئوليتى .. ويثقل بهم ميزان حسابى .

فأظهرت الشماتة به ، وقد رأيته حزينا على خلاف ما كنت أتوقع فقلت : إن كل واحد من هؤلاء كان يضع فى كل ساعة واحدة من ســـاعات حياته فى ميزانك من اثقال الجرائم ما قد لا يستطيع ان يفعل مليون من عامة الناس .. إننى اعلم ذلك عن يقين .. وإننى لسعيد لانه لم يعد لك كما ترى عملاء من هذا الصـــــنف .

ج : فانفجر الرجيم ضاحكا واشار الى الجدار ، فبرزت شاشة بيضـــاء كأنها شاشة (السينما) ، واندفع صوت نفاثات تنطلق فى الجو .. وصـــياح صبية تحصدهم المناجل .. وامهات يولولن .. ثم رجل فى اقصى الغرب سعيد بهذه المناظر ويصدر الاوامر بالمزيد منها ، ثم قال إبليس : لا يخلو عصر من كبار عملائى .. هذا احدهم كما ترى ، إنه يريد أن ينجح فى انتخابات بلاده فى أقصى الغرب .. على حساب ملايين من البشر الذين يسفك دماءهم فى اقصى الشرق .. إنه يريد ان يصبح رئيسا فحسب على جثث كل اهل الارض .. وعلى كل حال فإننى انا وحدى الذى اجنى الثمار فى النهاية .. لان هؤلاء يعبرون أيامهم مجرد عبـــــور .

س : قلت : وما نوع علاقتك بهم — هل تظهر لهم المودة والوفاء ؟ ..

ج : فعاد يقول : لقد رايتنى منذ لحظات حزينا كاسف البال .. ذلك ان كل جريمة من جرائم هؤلاء تبعدنى عن طريق الرحمة خطوات .. إن الواحد من هؤلاء ما ان يتم ما آمره به حتى يصيبنى منه ما يشبه الإعصار الذى يهـــوى بى بعيدا بعيدا عن منبع النور .

س : قلت وانا امسك براسى من الدوار : إننى لا افهمك أيهـــــا الرجيم اللئيم .. كيف تحزن حين تجد نفسك بين اعوانك هؤلاء سيدا مطاعا !؟

ج : قال وقد بدت بعض الدموع تترقرق فى مآقيه : الا ترى أن الاجـــرب قـــد يلتذ حين يحك جلده حتى يدميه !؟ الا ترى انه لو امتنع هؤلاء عن طاعتى لخفت جرائمى .. ولأمكن ان أتصور بزوغ بعض الأمل فى أفق حياتى .. إننى اوسوس لهم ولغيرهم ، وبودى لو عصونى ، كالسكير الذى يكره الخمر ، ولكنه قد اصبح مدمنا لا يستطيع من اسرها فكاكا .. ومن اجل ذلك فإنه يطيب لى دائمـــا أن ارى عملائى وهم يتجرعون هول ما قدمت أيديهم .

س : قلت : تعنى انك تفرح بما يصيبهم يوم يقدمون حسابهم للسماء .. !؟

ج : قال : لا .. إننى اترك للسماء حسابها الذى تراه يـــوم الدينونة .. أما انا .. هنا على الارض .. فإنه ما من آثم اتبغى إلا حرصت على الانتقام منه قبل أن يموت .. إننى قد ارفعه وهو ســـاه غافل حتى القى به من حالق الى المهاوى السحيقة .. ويطيب لى ان ارسل ضحكات الشماتة أمام أبصارهم. فى لحظاتهم الاخيرة .. استحضر فى ذهنك من تعرف من العصاة ابتداء من

شارب الخمر .. إلى مدمن الأفيون .. الى عباد الغوانى .. الى كبار عباقرة الإجـرام التاريخى .. إننى انا وحدى الذى آخذ بأيديهم فى أول الامر الى حيث يشتهون .. ولكن لا أحد ينتهى بنهاية طيبة على الإطلاق ــ إما الفضيحة .. وإما العـار .. أو السجن .. أو المرض ، أو عذاب النفس ، أو الانتقام من أعراض ذويهم ــ إنهم كما يضعون أحجار أوزارهم فى ميزانى أنتقم منهم قبل ان يموتوا ــ وهذا بخلاف ما ينتظرهم هناك .

وعـلا صـوت إبليس مجلجلا قويا ، غاضبا ثائرا هادرا كالموج ، وهـو يصيح : ولكنهم لا يرجعون .. إن الملايين منهم يبحثون عنى ويسيرون خلفى عن طواعية .. إنك لن تستطيع أن تنبئنى بإنسان وقع بين يدى ثم نجـا من مخالبى .. تذكر ما أصاب فرعون .. وهامان .. وقارون .. وقتلة الانبياء .. وعظماء التتـار .. إن نفس المصير ينتظر عما قريب مشعلى النار فى فيتنام وأرض النبوات ..

س : قلت : يبدو أنك تريد فى بعض الاحيان أن تكون واعظا .. !؟

جـ : فقال وقد استرد من جديد تمام هيئته الشيطانية وتفحم وجهه وصاح : إننى لا أعظ أحدا .. إنما اذكر لك فحسب سنة من سنن الحياة .. انه قـدر مكتوب يجب أن القاه وأن يلقاه معى كل من تبعنى .

س : علمت ما تنزله بأولئك الذين يضاعفون من حجم آثامك .. إنك بعد أن تمد لهم فى خيط اللذات تعود فتنتقم منهم بصور شتى .. حتى إن التاريخ ليعى بحق المصائر الكئيبة التى انتهى اليها كل ظالم أو جبار ، ولكن ما شـأنك مع مئات الملايين من أولئك الذين يرتكبون كل يوم الآثام العادية ، أعنى تلـك الرذائل التى قد لا تتعدى محيط أصحابها ؟

جـ : قال فى هدوء خبيث : إننى لست ظالما بالقـدر الذى تتصور .. إن السهم ترتد بقدر قوة شدك لها .. هؤلاء يصيبهم جزاء من جنس ما عملوا .. ان السكير يفسح الطريق لولده ليقتدى به .. وكذلك الكذوب .. وتارك الصلاة .. هناك أسر بأسرها قد تعيش فى مثل هذا التيه باسم تقليد ولى أمرها .. أو باسم العادة التى فرضت سلطانها على هذه الأسرة .. الا النـادر ، أو ما تتغلب فيه إرادة قوية لحكمة من عند الله .. إن العربيد الذى يطيب له أن ينتهك الاعراض .. ترتد قوسه فتمزق عرضه فى أحد أفراد أسرته من قـريب أو من بعيد .. إن الآثام كالامراض لها ميكروبات تنقل نفس العدوى .. أعنى نفس جرثومة المرض .. إن العربيد قد لا يشاهد بنفسه صورة أعماله وهى تتكرر فى إحدى زوايا الاسرة .. ذلك أنه كما قد يبالغ فى إخفاء أمره .. فإن ما يقع قد يظل أيضا فى طور الخفـاء .. هذا بالطبع ما لم تحـدث تـوبة صـادقة .

س : قلت : وبمناسبة التوبة .. لعلك تبدو شديد الاسف حين تجـد آثما يتـوب .. ويرجع عن طريقك .. فيتناقص بذلك عدد عملائك .. ؟ إننى اتصورك حينئذ وأنت تعض أناملك من الغيظ .

جـ : قال الرجيم : قد لا تستطيع أن تصدقنى اذا أجبتك بأننى شـديد التقدير والاحترام لأولئك الذين أعجز عن الوصول اليهم ــ هنـاك على سبيل المثال فتى حاولت معه .. وأخذ يصدنى وحاولت .. وحاولت .. وبذلت له كل

صنوف الإغـــراء .. ولكنه كان دائما يكتشف مكانى .. ويرى صورتى البشعة خلف كل عمل مزين .. لقد استطاعت إرادته أن تصرع إرادتى .. وفى النهاية تررت الابتعاد عنه .. وأصبحت بعد ذلك كلما قابلته فى طريق أنحنى له تحية وإعـــزازا .. وأشعر أننى إزاء رجل بحق ، والآخرون أطفال مهما تقـــدمت بهم السن .

.. .. ..

أخذت أتعجب مما أسمع من حديث هذا اللعين .. وأنا فى حـــيرة بين تصديق كلامه وتكذيبه .. إنه يستطيع أن يضع على وجهه من الأقنعـــــة ما يشاء .. حتى يبدو وكأنه الواعظ الصادق .. لقد كان يتحدث أحيانا بصوت خافت هادىء مرتب .. واذا أمعنت النظر والفكر وجدت هذا الحديث ينقلب رويدا رويدا الى ما يشبه فحيح الأفاعى ثم يعود صوته مرة أخرى فيجلجل كالعاصفة الهـــوجاء .. فأهز رأسى وأعود الى الشك فى كل ما يقول .. أو على الاقل فى الاهداف التى يرمى اليها .

وقـــد كنت أود أن يمتـــد بيننا الحوار لأعرف طرائقه فى أسلوب معاملاته . وأكشف عن كثير من طرائق حياته .. غير أن الجدار الذى خلفى قد انشق .. وبدا من جوفه صوت كالرعد يدعوه .. وكأنه قرأ ما يجول فى ذهنى فقـــال : ســـوف تسعد الآن بمفارقتى اياك .. إننى مدعو لانتخابات الرئاسة عند أولئك الذين يظنون أن أقدار الشعوب قد صارت فى قبضة أيديهم .. سوف أعشش فى رأس كبيرهم .. لأحشـــو هذا الرأس بخفافيش الأفكار السوداء التى حشوت بها رؤوس أمثاله من قبل .

وبسط الرجيم عباءته فبدا كخفاش أسود كبير يملأ بجناحيه الفضـــاء ثم انطلق .. وما زلت أتابعه حتى بدا فى الأفق وكأنه قد أصبح نقطة صـــغيرة ســـوداء .

ونفضت رأسى كأننى أصحو من نعاس .. راغبا فى استكمال الحـــوار بصورة أخرى فى وقت قريب .

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار فيضى

سلاسل المناظرة الاسلامية النصرانية
بين شيخ وقسيس

كتاب يقع فى (٤٠٠) صفحة .. وضعه الأستاذ عبد الله العلمى .. إظهارا لحقائق خفيت على النصارى وتقريبا بين الأديان السماوية .. ودفاعا عن العقيدة التى تقر بها جميع الأديان .. وهى وحدانية الله وتنزيها للسيد المسيح عما ينسب إليه .

وقد جعل المؤلف كتابه هذا على شكل مناظرات وحوار بين شيخ وقسيس ... وقد قام باعداد الكتاب وتنقيحه وتحضيره للطباعة نجل المؤلف الدكتور عبد الحليم العلمى .

والكتاب مقسم الى احدى عشرة سلسلة .. متضمنة جميعها الأبحاث التى دار الحوار فيها بين الشيخ والقسيس ...

مؤتمر
تفسير سورة يوسف عليه السلام

كتاب يقع فى جزءين كبيرين ... من تأليف الأستاذ عبد الله العلمى ... والكتاب يوضح طبائع اليهود والنصرانية الموروثة من آبائهم ... ويرد على مفتريات دعاة التبشير على الدين الاسلامى الحنيف .. ويدعو الى البحث الحر .. ونبذ التقليد الأعمى ... وقد تضمن الكتاب بحثا مستفيضا عن عقيدة التوحيد فى التوراة والانجيل .. كل ذلك فى ظلال تفسير سورة يوسف ..

والكتاب يعتبر مرجعا هاما للعلماء والخطباء والوعاظ والمرشدين .... ولا يستغنى عنه طالب علم .

وقد قدم الكتاب وأشرف على إعداده وتبويبه نجل المؤلف الدكتور عبد الحليم العلمى .

والجزء الأول ينتهى بصفحة (٦٧٢) .. والثانى ينتهى فى صفحة (١٤٨٠) وهو من مطبوعات دار الفكر ببيروت .

سألونى

الجزء الأول من كتاب يحمل بين صفحاته أجوبة لأسئلة كثيرة متنوعة أجاب عنها مؤلفه فضيلة الشيخ عبد الله النورى مستمدا إجاباته من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتدور هذه الأسئلة حول العديد من المواضيع منها ما يتعلق بكتاب الله وتاريخ الرسل والرسالة ومنها ما يتعلق بالروح والمغيبات والمعتقدات كما يحتوى الكتاب أيضا أجوبة على استفسارات عن العادات والبدع والخرافات ومشكلات المجتمع وشئون المرأة وغير ذلك .

والكتاب يقع فى (٤٢٨) صفحة ومن طبع دار الهنا للطباعة بالقاهرة .

الفتاوى

اموال الدولة

السؤال :

ما حكم المتستر على من يسرق من اموال الدولة .. ؟

الاجابة :

لا تجوز السرقة من اموال الدولة ، والسارق ان كان من الموظفين المكلفين برعاية هذه الاموال كان ذنبه أكبر لأنه من الخائنين ، والخيانة لا تحل مطلقا ، وعلى من علم به أن يرفع أمره للمسئولين كى يصون أموال الدولة وينال السارق جزاء الخائنين ..

والتستر عليه يعتبر فى الاسلام مشاركة فى المعصية يستحق به الساتر العقاب كما يستحقه السارق،روى أبو داود عن سمرة بن جندب قال : اما بعد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يكتم غالا فانه مثله » والغلول هو السرقة من المغنم قبل قسمته ومثله تماما الاموال العامة .

التمريض

السؤال :

قرات فى بعض كتب الفقه انه يجوز للمراة الاجنبية خدمة الرجل ومشاهدة عورته حال المرض ، فما مدى هذا القول من الصحة .. ؟

الاجابة :

يقول المحقق الشيخ محمد الحامد الحموى إن هذا النقل ان صح بتجويز تمريض المراة الرجل الاجنبى منها ورؤيتها عورته حال المرض فهو محمول على حال الضرورة القصوى حيث لا يوجد رجل له معرفة بالطب والدواء ، ومعلوم أن الضرورات تبيح المحظورات ، وانها تقدر بقدرها ، فلا يجوز للمراة المرضة حيث تعينت للمداواة اطلاق البصر فيما وراء موضع العلة ، بل يجب أن يكون نظرها بتحفظ دقيق وبقصد المعالجة ..

وهذا الذى نقل ان صح ـــ مقيد بهذا القيد الدينى ـــ وقد ذكر الفقهاء أن الطبيب الرجل له مداواة المرأة المريضة حيث لا توجد امراة تقوم على علاجها ، قالوا : وينظر الى موضع العلة فقط ، ويغض بصره ما أمكنه الغض وبذا يلتقى نظر فقهائنا مع ما نقله السائل .

المصحف

السؤال :

هل يجوز شرعا بيع المصحف وشراؤه .. ؟

الاجابة :

اتفق الفقهاء على جواز شراء المصحف ، واختلفوا فى بيعه ، فأباحه الأئمة الثلاثة ، وحرمته الحنابلة ، وقال احمد : لا أعلم فى بيع المصحف رخصة .

بيع المضطر

السؤال :

لنا جار مدين واضطر لبيع بعض اثاث داره لتسديد ما عليه من الدين ، ولما عرضت الأشياء المطلوب بيعها قدر ثمنها باقل من الواقع ، فهل يجوز لى شرعا شراء بعض هذا الاثاث بالثمن المقدر مع علمى بانه اقل من قيمته الحقيقية ؟

الاجابة :

المطلوب في هذه الحالة شرعا أن يعان المضطر أو يقرض حتى يفرج كربته والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » .

واذا لم تجد النفس بالعون أو القرض فالأفضل والأورع أن تشتريه بقيمته الحقيقية ، وليس هناك ما يمنعك وفى هذا أيضا عون لأخيك وتيسير عليه ، فاذا اشتريته بالقيمة المقدرة مع انها أقل من القيمة الحقيقية صح البيع مع الكراهة لما فيه من شائبة الاستغلال .

العربون

السؤال :

اشتريت سيارة من صديق لى ودفعت له جزءا من الثمن او ما يسمى بالعربون ثم عدلت عن شراء السيارة ، وطالبت صديقى برد المقدم الذى دفعته له ، فهل يحل له شرعا اخذ هذا المبلغ .. ؟

الاجابة :

أجاز الامام أحمد بيع العربون لما رواه نافع بن عبد الحارث انه اشترى لعمر دار السجن من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، فان رضى عمر كان البيع نافذا وان لم يرض فلصفوان أربعمائة درهم .

شبكة الصياد

السؤال :

يحدث ان يشترى احد الناس من صياد السمك قبل ان يلقى بشباكه ما يقع في هذه الشباك من السمك بمبلغ من المال ، وقد تخرج الشبكة وليس فيها شىء وقد تخرج وفيها قليل من السمك وقد تخرج وفيها الكثير ، فهل هذا البيع حرام أم حلال .. ؟

الاجابة :

هذا البيع يسمى بيع الغرر ، وهو بيع المجهول وهو قريب من القمار ، وقد نهى الشارع عنه ، ومنع منه .

الجهر بالبسملة

السؤال :

ما حكم الجهر بالبسملة فى الصـــلاة عند قراءة الفاتحة ، وغيرها من السور .. ؟

الاجابة :

اختلف العلماء فى ذلك ، فبعضهم استحب الجهر بها ، وبعضهم كره ذلك واحب الاسرار بها وهذا هو الأرجح والأفضل لما ثبت فى الحديث الصحيح عن انس ـ رضى الله عنه ـ قال :

كان النبى صلى الله عليه وسلم ، وابو بكر ، وعمر لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ، وجاء فى معناه عدة احاديث وورد فى بعض الأحاديث ما يدل على استحباب الجهر بها ولكنها احاديث ضعيفة ، ولا نعلم فى الجهر بالبسملة حديثا صحيحا صريحا يدل على ذلك ، ولكن الأمر فى ذلك واسع وســـهل ولا ينبغى فيه النزاع ، واذا جهر الامام فى بعض الاحيان بالبسملة ليعلم المأمومون انه يقرؤها فلا بأس ، ولكن الأفضل أن يكون الغالب الاسرار بها عملا بالأحاديث الصحيحة .

ميراث المفقـــود

السؤال :

توفيت امراة عن زوج واختين شقيقتين واخ شـــــقيق مفقود ، وتركت (١١٢٠) دينارا فكيف تقسم هذه التركة .. ؟

الاجابة :

تقسم هذه التركة على تقديرين :

١ ـ الورثة على فرض حياة المفقود زوج واختان شقيقتان واخ شقيق .

الزوج يستحق ٥٦٠ دينارا ، وكل أخت تستحق ١٤٠ دينـــارا ، والأخ المفقود لو كان حيا يستحق ٢٨٠ دينارا .

٢ ـ الورثة على فرض وفاة المفقود زوج واختان شقيقتان .

الزوج يستحق ٤٨٠ دينارا ، وكل أخت تستحق ٣٢٠ دينارا ، فى حالة وفاة المفقود .

وبالمقارنة بين أنصباء الورثة نجد أن نصيب الزوج ٥٦٠ دينارا فى حال حياة المفقود ، و ٤٨٠ دينارا فى حال وفاته ، فيأخذ أقلهما وهو ٤٨٠ دينارا ، وأن نصيب كل أخت ٣٢٠ دينارا حال وفاة المفقود ، بينما نصيب كل منهما ١٤٠ دينارا حال حياته ، فتأخذ كل منهما النصيب الأقل وهو ١٤٠ دينارا .

ونحجز للمفقود نصيبه على فرض حياته وهو ٢٨٠ دينارا مضـــــافا اليه الفرق بين نصيب الزوج حال حياة المفقود ونصيبه حال وفاته ، ومقداره ٨٠ دينارا ، فيكون مقدار المحجوز ٣٦٠ دينارا .

فاذا ظهر المفقود حيا أخذ نصيبه وأخذ الزوج فرق نصيبه ، أما الأختان فلا شىء لهما ، لأنهما قد اخذا ميراثهما على فرض حياته .

واذا ظهر المفقود ميتا رد المحجوز كله الى الأختين ، ليكمل لكل منهما نصيبها حال وفاة المفقود ، فتأخذ كل منهما ١٨٠ دينارا ، وقد أخذت قبـل ذلك ١٤٠ دينارا ، فيكون مجموع ما أخذت كل اخت ٣٢٠ دينارا .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

حضارات الكويت القديمة

هل ظهرت فى الكويت حضارات قديمة .. ؟

محمد على ــ البصرة

تدلنا الآثار التى كشفت عنها البعثة الأثرية الدانمركية فى جزيرة فيلكا على أن منطقة الكويت وما حولها كانت عامرة فى الأزمنة القديمة باسكان ، وأن طرق التجارة البحرية كانت تمر بسواحلها وخاصة بجزيرة فيلكا التى اتخذها سكانها الأقدمون مركزا لتزويد المراكب المارة بها بالماء والطعام منذ اكثر من خمسة آلاف سنة ..

وهذا واضح من الأختام المستديرة التى عثر عليها فى تل سعد ..

ويرجع تاريخها الى سنة ٣٥٠٠ (ق.م) ، وهى تختلف عن أختام العراق الاسطوانية ، وأختام الهند المربعة ، وتدلنا على أن حضارة هذه المنطقة ذات طابع خاص بالرغم من تأثرها بحضارة بابل وآشور وبلاد اليونان .

ويظهر أثر بابل فى بعض الآثار كالأختام والكتابة المسمارية ، كما أن البعثة الدانمركية وجدت آثارا يونانية فى موقعين يرجع تاريخهما الى القرن الرابع قبل الميلاد ، ووجدت فى احداهما قوالب لتماثيل صغيرة منها رأس الاسكندر وآلهة الجمال (افروديت) وآلهة النصر وغيرهما ، ووجدت فى الموقع الآخر النقوش والأعمدة المختلفة من الطراز اليونانى ، وفى موقع ثالث وجدت فى عام ١٩٣٧ قطعة من الحجر نقشت فيها كتابة يونانية واضحة .

فهذه الآثار تؤيد الروايات التاريخية المدونة فى كتب المؤرخين القديمة التى تصف لنا عودة أسطول الاسكندر من الهند الى العراق سنة ٣٢٥ (ق.م) عن طريق الخليج العربى وعزم الاسكندر على فتح بلدانه للسيطرة على سواحله ، وتشييد الموانىء والمدن فيه . **(عن الكتاب السنوى لوزارة الاعلام)**

تحــويل القبلة

لماذا تحول المسلمون الى الكعبة بعد صلاتهم الى بيت المقدس ، وما هو دور اليهود فى هذه الفترة .. ؟

سيف الدين عمر ــ الأردن

... ...

يروى السدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا صلى نحو بيت المقدس رفع رأسه الى السماء ينظر ما يؤمر به وكان يحب أن يصلى الى

قبل الكعبة فأنزل الله سبحانه : ((**قد نرى تقلب وجهك في السماء**)) ..

وفي رواية أبي اسحاق عن البراء قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه نحو الكعبة ، فنزلت الآية آمرة بالتوجه للكعبة ..

وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تكون الكعبة هي القبلة للمسلمين هو سرور اليهود لاستقبال المسلمين بيت المقدس ، وإشاعتهم بين الناس فضل دينهم على كل دين ..

ثم كشف الله عن المسلمين ما هم من ضيق وجاء أمره لرسوله أن يحول وجهه شطر المسجد الحرام وكان الأمر في المدينة — والمعروف ان اغلب سكانها في هذه الفترة من اليهود — ونزل قول الله واضحا جليا يعلن بقوة في صورة تكشف عن مدى الجهد الذى كان يعانيه الرسول لوقاية أمته من الفتنة ، مبعدا عنها القلق ومعيدا اليها الرضى والثقة ((**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتو الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**)) .

وصلى الناس الى البيت الحرام الذى هو أول بيت وضع للناس للعبادة منذ أن رفع ابراهيم واسماعيل قواعده على تقوى من الله ورضوان .

ولقد ظهر حرص اليهود — في وقت مبكر من بزوغ فجر الدعوة المحمدية — على أن يخلقوا جوا من البلبلة في نفوس المسلمين والمحيطين بمكان الدعوة ، حتى يصرفوهم عن هديها الواضح ، كي لا يقتنع الناس بما للاسلام من ميزات وبما له من سلطان على النفوس ، فيحولون دون دخول من فتح الله قلوبهم له ، وكان هذا الحرص عن سبق اصرار وعداء كامن في نفوسهم الحاقدة على الاسلام ونبيه وأتباعه ، لذلك اتخذوا توجه المسلمين في صلاتهم لبيت المقدس ورقة رابحة — في زعمهم — يحركونها حسب أهوائهم ووفق رغباتهم الحانقة على الاسلام والمسلمين ، فعندما أمر الله رسوله أن يصلى الى الكعبة ثارت نفوسهم الخبيثة ، اذ كيف يرضون أن يكون للمسلمين قبلة يجتمعون عليها ، قبلة تربطهم برباط الايمان الذى به تتوحد مشاعرهم مع الاختلاف في الجنس واللسان واللون .

لا يرغبون أن تكون لهم قبلة واحدة يتجه اليها المسلمون لتحقيق منهج واحد ينبثق منه هدف واحد هو عبادة اله واحد تحت راية واحدة هي راية خاتم الرسل النبي العربي ، ما كان حرصهم هذا عن جهل أو عن عفوية وانما كان عن عناد وتماد في التضليل والله سبحانه يقول : ((**وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**)) .

هذا هو المنطلق الذى منه ينطلقون وعلى أساسه يخططون ، ويقيمون الامور وفقه ، لا يقتنعون بدليل مع علمهم بصدقه ، وصدق من أتى به ولا يذعنون للحق الذى جاء به الرسول مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ولكنه الكفر والعناد والجحود : ((**ولئن اتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما اتبعوا قبلتك**)) كيد لا يفتر في المواجهة وفي الخفاء ، وقد كان ذلك مسلكهم قبل أن تحول القبلة ، ولازمهم في كل فترات حياتهم ، حتى كان ما كان من أمرهم اليوم ، قتل وتشريد للأبرياء ، تحت ستار الدين ، لا يردهم منطق ولا أخلاق ، ولكن الذى يردهم ويجعل كيدهم في نحرهم هو الاعتصام بديننا ومنهج نبينا ففيه قوتنا وعزتنا .

باقلام القراء

رسالة من كندا

للاستاذ احمد صبرى برغش :

تعودنا أن نشاهد الكثير من البرامج التى تسخر من العرب وتهزأ بهم على شاشة التلفزيون فى كل أنحاء القارة الامريكية — خاصة بعد حرب الأيام الستة ..

واذا كان العرب قد تخاذلوا وتقاعدوا سياسيا وعسكريا وأصبحوا مثالا للتندر والتفكه بين أمم العالم .. فمن العار أيضا أن يتركوا دينهم وعقيدتهم تعرض على غير المسلمين مشوهة ومحرفة .. كما حدث منذ بضعة أشهر أن عرض على شاشة التلفزيون فيلم من انتاج محطة الCBC وهى أكبر محطة صهيونية فى القارة كلها والفيلم اسمه : مكة المدينة المحرمة — وتم تصويره فى الأراضى المقدسة — والفيلم فى ظاهره يعرض مراسم الحج — ولكنه يخفى بين طياته سموما أراد بها المصور أن يظهر المسلمين على أنهم شعوب بدائية همجية ، وخرج المشاهد غير المسلم بذلك الانطباع وأن الكعبة الشريفة هى رب المسلمين وإليها يتوجهون بصلاتهم وعبادتهم — ومنذ أسبوعين دأبت نفس الشركة على الاعلان عن سلسلة بعنوان الاسلام ستعرض قريبا — ويتكرر الاعلان بحيث جعل المشاهد يترقب ويترقب .

حتى بدأ عرض الحلقة الأولى ..

فيلم ملون أنيق التصوير بدأ برجل بدوى حافى القدمين يجمع قطع حجارة فى الصحراء ويرصها الى جوار بعضها حتى جعل منها مربعا كبيرا . ثم وقف بين الحجارة وبدأ يصلى . وبالطبع فهم المشاهدون أن الرجل يصلى لتلك الأحجار . ولم يعلق المصور على ذلك المشهد أو يوضح لماذا وضع تلك الأحجار أمامه قبل أن يتوجه للصلاة — وبعدها انتقل المصور الى أماكن العبادة للمسلمين فمر بكل ما يشرف سريعا ، وركز تركيزا على كل عورة ، كيف يرقص الشيعة فى ايران والعراق ومر بالكويت والسعودية والقاهرة ولكن لم يظهر من تلك البلاد إلا ما يجب أن يستر ..

لم يظهر من العراق الا مكان صغير أجتمع فيه رجال يرتدون السواد ويبكون ويندبون ولم يقل شيئا ليوضح ذلك ، ومن كل القاهرة لم نر سوى سطح مسجد يسير عليه المصور وترافقه فتاة مصرية تدرس فى الجامعة . هكذا قيل ، وتشرح كيف بنى المسجد ومن بناه ولا شىء آخر . وفجأة تقفز المصور الى بلد آخر من بلاد المسلمين وهو باكستان، ولم يجد المصور هناك سوى جماعة تجلس فى حلقة كبيرة يتوسطهم رجل أشعث أغبر شعره يتدلى على كتفيه

وبين أصابعه قطع نحاسية يدقها ببعضها والآخرون يطبلون له ويزمرون وهو يتلوى ذات اليمين واليسار في حركات مضحكة مخبولة وقيل إن هذا بعض من طقوس المسلمين في باكستان . ثم تقفز الى تونس ومنها خرج عدة رجال في يدهم دفوف يدقون عليها ورؤوسهم تعلو وتهبط وكأن بهم مس من الجنون وهذه أيضا طقوس إسلامية .

بقيت كلمة أخيرة ، انا واسرتي المسلمون العرب الوحيدون في هذه المدينة في الغرب الكندي ، لنا أسرة صديقة غير مسلمة ، منذ تعرفنا عليهم وهم يدرسون ديانتنا لما لفت أنظارهم من تقاليدنا ، الصوم والصلاة وعدم التعري والابتذال ويشهد الله أني شعرت أنهم كانوا في طريقهم الى الاسلام ، حتى كانت تلك الحلقات الراقصة المبتذلة فصدمتهم ومن يومها وكل مناقشاتنا تدور حول الرقص في الديانة الاسلامية ، والاسلام من كل ذلك بريء — ولقد بلغت والله يشهد .

وقفة مع العلم والإيمان

من كلمة الأستاذ محمد سيد احمد المسير نقتطف ما يلي :

الحق الذي لا مرية فيه هو أن النهوض بالانسان ومجتمعه يجب أن يتسم بالواقعية والمثالية ، بحيث تكون هناك موازنة دقيقة بين رغبات العقل ونزعات النفس ومقومات الجسد ، أو بمعنى آخر الموازنة بين المادة والروح .. فتلك طبيعة الانسان فهو مادة وروح ، وغذاء المادة فيما قدر الله في الأرض من أقوات وما سخر من كائنات ، وغذاء الروح فيما أنزل من وحي وما شرع من هدى .. ومتى اجتمع الغذاء المادي والروحي استقامت الحياة على عودها ... فيعرف الانسان منهج عبادته ربه ، وسبيل تهذيبه نفسه ، وطريق معاملته الناس حوله ، ويداب في امتلاك ناصية الكون وكشف أسراره ونواميسه تحقيقا لحسن الخلافة في الأرض ..

غير أن هناك شبه أسطورة تقول ان الدين والعلم نقيضان .

فالايمان ليس عقيدة وكفى به هو منطق لأنه نهاية شوط العقل ، والمحدود لا يحيط بغير المحدود ، والكون بأجزائه وجزئياته ينطق بالحقيقة الكبرى .

وحيث كانت رسالة الاسلام خاتمة لمطاف الرسالات الإلهية ، وعامة لجميع الأزمنة والأمكنة فهي قد ارتكزت على العقل والتفكير العلمي إذ هو خصيصة النوع البشري وهو الذي يصحبه دائما أيا كان موقعه .

ولهذا أرسى القرآن قواعد البحث وأصول التفكير كما يلي :

حرر العقل من رواسب التقليد وعادات البيئة .

ونعى على اتباع الظن والهوى .

وأرشد الى العناية بحواس الانسان استخداما لها فيما خلقت له .

وأمر بالبحث في ملكوت السموات والأرض .

لفت النظر الى قوانين الاجتماع وسنة الله فيما سلف من الأمم وأكد استمرارها ولن تجد لسنة الله تبديلا .

وحرصا على هذه الأصول تقرر القرآن عقائد الإيمان كلها مدعمة بالحجة والبرهان وليس به قضية بلا دليل أو دعوى بلا بينة حتى في باب الأدب الخلقي فقال : « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

وكان الشعار الذي رفعه القرآن في جداله دائما هو :

(قل هاتوا برهانكم) .

قالت صحف العالم

الدعـــــوة الى الاسلام

نشرت مجلة دعوة الحق المغربية كلمة تحت هذا العنوان تقول فيها :

إن الدعوة وحدها لا تكفى ، ما دام المسلمون بواقــع حالهم ضــدا على الاسلام ، فإنهم اذا ادعوا انه دين التوحيد ، كذبهم ما يتعلقون بــه مــن احجار واشجار ورسم ، ناقضين بذلك عقد التوحيد ، مشركين مع الله غيره ، غيــر مخالفين لعباد الأصنام إلا بالادعاء ، واذا قالوا بأن عباداته تهذب النفــوس ؛ وتزكى الأرواح ، وتنعكس آثارها على السلوك والأخلاق ، لم يصدق قولهم مع تفشى الرذائل فى المجتمعات الاسلامية على ما هو مشاهــد ، واذا وصفــوا شريعته بأنها أسمى الشرائع ، وأنها تحقق العدالة الاجتماعية على اكمل وجه ؛ وتصون حقوق الأفراد والجماعات بقوانين لا تطال فى العدل والإنصاف ، لــم يطابق الوصف ما يتخبط فيه المسلمون من فقرومرض وجهل وظلم ، واذا تحدثوا بأنه دين العزة والكرامة والوحدة والقوة والمنعة ، كان حاضر المسلمين وما هــم عليه من ذلة وهوان وفرقة واختلاف وخضوع للحكم الأجنبى ، لا يتوافق ومــا يتحدثون بــه .

والخلاصة ان المسلمين بتنكرهم لدينهم ، وعدم تمسكهم بتعاليمه ، يحولون بينه وبين الناس ، ويقفون فى وجه الدعوة اليه فلا تؤتى إلا قليلا من النتيجة ، ولذلك قال الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه ــ إن الاسلام محجوب بالمسلمين . ولعلهم بحالهم هذه قد صاروا ممن تشملهم الآية الكريمة التى تقول (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) فانى توجهت بنظرك تجد حجابــا كثيفا مسدولا على محاسن الاسلام من انحراف المسلمين .

والمسلمون بذلك يعرقلون الدعوة ، ويتحملون إثما كبيرا فى الصد عــن سبيل الله .. فلقد جاء فى حديث المعراج أن النبى صلى الله عليه وسلم اتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ، ولا شىء إلا خرقته ــ وذلك فيما رأى من آيات الله ليلة المعراج ــ فقال ــ ما هذا يا جبريل ؟ قــال هذا مثل اقــوام يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا ((**ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله**)) وبالعكس لو كان المسلمون على هدى من ربهم واقامة لما جاء به نبيهم ، وتمثل لقيم الاسلام العليا ، وعمل برسالته الخالدة لكان كل واحد منهم داعيا الى الله ومبشرا بكلمته الحق ومستحقا للثواب الجزيل الذى جعله اللــه للدعاة الهداة ، على ما جاء فى الحديث الصحيح (**لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس**) .

ولسنا نقلل من فائدة الدعوة أو نصرف الداعين عن مهمتهم المقدسة ، وإنما نريد أن يكون للدعوة مفعولها وتأثيرها العظيم فى الدلالة على الله والتبشــير بدينه ، وذلك باستقامة المسلمين على الطريقة وإعطاء المثل الصالح من أنفسهم

على هداية الاسلام ، وبالأحرى نريد أن ندعو المسلمين أولا الى الاسلام والتمسك بعروته الوثقى ، ثم نتوجه بعد ذلك الى دعوة غير المسلمين . فإن النتيجة حينئذ ستكون أعظم من كل تقدير ، وكما كانت في البدء عند ظهور الإسلام .

البهائيـــــــة

نشرت مجلة جوهر الاسلام التونسية كلمة تحت هذا العنوان نقتطف منها ما يلي : —

عقيدتهـــــم

١ — إن للوحى تأويلات سامية ، ومفاهيم خفية لا يجليها إلا ربها (الباب) أو البهاء . . وما يعلم تأويله إلا الله . . أى الباب أو البهاء .

٢ — ادعى البهاء المهدوية ، ثم الرسالة ، وأنه نزل عليه كاتب الأقــدس الذى نسخ جميع ما تقدمه من الكتب السماوية ، ثم ادعى الألوهية وأمر بعبــادة البشر .

٣ — القول بموت عيسى صلبا ، وعدم عودته بنفسه ، وانما تحل روحه فى غيره ، والغير هنا رئيس المذهب الباب ثم البهاء .

٤ — إنكار معجزات الأنبيــاء والبعث والحشر والوعد والوعيد والجنــة والنار ، ولهذا ارتكبوا تأويل النصوص الدالة عليها بما يتنافى مع اللغة والدين .

٥ — نسخ جميع الأديان ورسوم عبادتها والحــدود الواردة فيها لعــدم صلاحيتها للعالم فى عصر التقدم ، ولهذا جاء البهاء بدينه الجديد للأحمر والأسود وقد ورد فى أحكامه :

أن الصلاة تسع ركعات فى البكور والزوال والآصال ، وقد بطلت صــلاة الجماعة ، والقبلة عكا والحج اليها للرجال دون النســاء ، وتحريــم الحجــاب وإباحة السفور والاختلاط ، وجعــل الحدود عقوبات مادية ، وغيــر ذلك من مفترياتهم وكذبهم .

٦ — الصلاة تسع ركعات تؤدى على ثلاث مرات يوميا كل صلاة ثــلاث ركعات ، حين الزوال ، فى البكور ، فى الآصال .

٧ — قبلتهم (عكا) حيث قبر بهاء الله .

٨ — الصوم من الشروق الى الغروب ، ولا قضاء على من لم يؤد الصوم .

٩ — الحج الى أحد المزارات الثلاثة :

١ — الدار التى ولد بها البهاء بشيراز .

٢ — الدار التى اقام بها البهاء بالعراق .

٣ — عكا حيث يرقد بها البهاء .

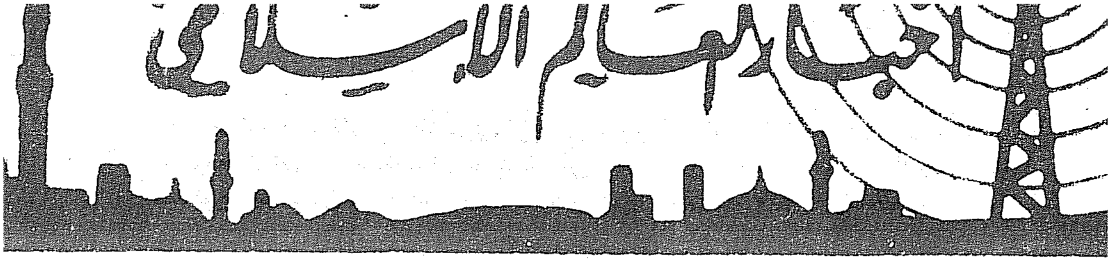
١٠ — يتزوج البهائى من غير البهائية ، وتتزوج البهائية غير البهائى .

١١ — سن الرشد ١٥ عاما للذكر والأنثى .

١٢ — تتساوى الأنثى مع الذكر فى الميراث .

قال تعالى :

(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) .



اعـــداد : فهمى الامام

الـــــكويت : تم توزيع جوائز سمو نائب الأمير وولى العهد المعظم على المتوفقين فى حفظ القرآن الكريم من الطلاب فى الأندية الصيفية .

● قال الشيخ صباح الاحمد وزيـــر الخارجية فى خطابـــه أمام مؤتمـــر وزراء خارجية دول عدم الانحياز والذى عقد فى مدينة (جورج تاون) ــ قال : إن منطقتنا تتعرض لأبشع أنواع الظلم منذ انشئت إسرائيل وفـــق المخطط الصهيونى ، وعلى حساب شعب فلسطين الذى طرد من وطنه .

● صرح سعادة الاســـتاذ راشد عبد الله الفرحـــان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية عقب عودته من زيارته الرسمية لســـورية بأنه بحث مع المسئولين هناك موضوع عقد مؤتمر لوزراء الاوقاف العرب ، وأنه سيستكمل هذا البحث أثناء حضوره مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الذى ســـــيعقد فى القاهرة خلال هذا الشهر ..

● تم توزيع جوائز سمو نائب الأمين وولى العهد المعظم على المتفوقين فى حفظ القرآن الكريم من الطلاب فى الأندية الصيفية .

● اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية حفلها السنوى المعتـــاد بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج بمسجد السوق الكبير .

● صادف يوم ٢١ اغسطس الذكرى الرابعة للجريمة النكراء ــ إحراق المسجد الأقصى المبارك ــ وقد قدمت برامج خاصة من الإذاعة والتلفزيون بهذه الذكرى الأليمة .

● قرر مجلس الوزراء التبرع بعشرة آلاف دينار مساهمة فى نشـــاط اتحـــاد الطلبة المسلمين فى كندا والولايات المتحدة .

● كما قرر مجلس الوزراء إعفـــاء المواطنين الليبيين من الإجـــراءات اللازمة لدخولهم الكويت .

● طلب مجلس الوزراء من بلدية الكويت تخصيص موقع لإنشاء مسجد فى ميناء سعود واعتماد المبلغ اللازم لإنشائه .

● اشتركت الوزارة بمجموعة من كتب التراث الاسلامى التى أصدرتها بجانب مجموعة من الكتب الاسلامية بلغات مختلفة فى معرض الكتاب الاسلامى الذى تقيمه دار الفتوى فى لبنان .

القاهـــــرة : اتخذت خطوات ايجابية على طريق الوحدة الشاملة بين جمهورية مصـــــر العربية والجمهورية العربية الليبية .. وستعلن الوحدة رسميا بين البلدين فى سبتمبر من العـــام القادم ان شاء الله .

● أجرى وزير الشئون الدينية الأندونيسى مباحثات مفيدة مع الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف وشئون الأزهر تناولت وضع الطلبة الأندونيسيين الذين يدرسون بمصر ، ومساهمة وزارة الأوقاف فى إمداد المركز الإسلامى الذى سينشأ فى (جـــاكرتا) بالكتب الدينية .

● اقترح الأمين العام لجامعة الدول العربية عقد مؤتمر عربي في وقت قريب لإقرار خطة عمل عربي مشترك لتحرير الأراضي العربية .

السعودية : تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ (١١٥) الف جنيه استرليني لبناء مركز إسلامي في كمبالا بأوغندا .

● تبرعت المملكة العربية السعودية بخمسة آلاف جنيه استرليني مساهمة منها في بناء جامع الازهر بمدينة (سوث سيلدز) البريطانية .

● قررت وزارة المعارف إنشاء مركز ثقافي في صنعاء تدعيما للروابط بين المملكة والجمهورية العربية اليمنية .

● صادقت خمس دول إسلامية حتى الآن على ميثاق المؤتمر الإسلامي . صرحت بذلك مصادر الأمانة العامة الإسلامية لوكالة الأنباء الإسلامية الدولية .

المغرب : شرح الجنرال (سالييادا بانداتون) ـــ العضو البرلماني الفلبيني ورئيس الجمعية الاسلامية الفلبينية ـــ حقيقة وضع المسلمين في الفلبين لكبار المسئولين في المغرب ..

ليبيا : وقعت أوغندا مع ليبيا اتفاقات للمعونة والتجارة تبلغ قيمتها (١٥) مليون جنيه استرليني .

السودان : أعلن الرئيس السوداني انه على استعداد لاعادة الاسلحة التي زودت (بعض الدول) بها السودان بنصف ثمنها ، لأن هذه الاسلحة رديئة ..

البحرين : تم توقيع اتفاق بين البحرين والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية يقضي بإقراض البحرين مبلغ (٧٫٣٠٠٫٠٠٠) دينار كويتي .

دمشق : أقام سفير دولة الكويت في دمشق حفل عشاء تكريما لوزير الأوقاف الكويتي وقد حضر الحفل عدد من الوزراء ومفتي الجمهورية ومحافظ دمشق .

لبنان : افتتح سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية جامع حمانا .. حيث أدى فيه خطبة الجمعة وأم الناس في الصلاة .. وقد أقيم احتفال برعايته لإنشاء جامع ومدرسة بساقية الجنزير في جامع بعلشمية .

اخبار متفرقة

● **ماليزيا :** تعقد في ماليزيا في الشهر القادم (اكتوبر) المنافسة الدولية لحفظ القرآن الكريم وقد اشترك فيها متنافسون من ٢٦ دولة .

● افتتح تون عبد الرزاق رئيس وزراء ماليزيا مؤتمر وكالة الانباء الإسلامية العالمية بكلمة تحدث فيها عن أهداف الوكالة وغاياتها وتنظيماتها .. وكان مما قال : إن مهمتها لن تقتصر على تعبئة الرأى العام في البلاد الإسلامية بل إنها ستقيم جسرا بين هذه البلاد ، وتنشيء جوا افضل من التفاهم بين الأمم الاسلامية وغير الاسلامية ، والمساعدة على دفع عجلة التطور في مجتمعاتها .

● **باكستان :** تقرر أن تكون اللغة العربية مادة اجبارية في مدارس المقاطعة الشمالية الغربية ـــ بباكستان . صرح بذلك الوزير المركزي للحكومة الباكستانية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان	سبتمبر	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
السبت	١	٩	٥٩ ٣	٢٩ ٥	٤٦ ١١	١٨ ٣	٢ ٦	٢١ ٧	٥٧ ٩	٢٧ ١١	٤٤ ٥	١٦ ٩	١٩ ١
الاحد	٢	١٠	٠٠ ٤	٢٩	٤٥	١٨	١	٢٠	٥٩	٢٨	٤٤	١٧	١٩
الاثنين	٣	١١	١	٣٠	٤٥	١٧	٠٠	١٩	١	٣٠	٤٥	١٧	١٩
الثلاثاء	٤	١٢	١	٣٠	٤٥	١٦	٥٨ ٥	١٧	٣	٣٢	٤٦	١٨	١٩
الاربعاء	٥	١٣	٢	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٦	٥	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الخميس	٦	١٤	٣	٣١	٤٤	١٥	٥٦	١٤	٧	٣٥	٤٨	١٩	١٨
الجمعة	٧	١٥	٤	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣	٩	٣٧	٤٩	١٩	١٨
السبت	٨	١٦	٤	٣٢	٤٣	١٣	٥٣	١١	١١	٣٩	٥٠	٢٠	١٨
الاحد	٩	١٧	٥	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠	١٣	٤١	٥١	٢١	١٨
الاثنين	١٠	١٨	٦	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩	١٥	٤٣	٥٢	٢١	١٨
الثلاثاء	١١	١٩	٦	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٨	١٧	٤٥	٥٣	٢٢	١٨
الاربعاء	١٢	٢٠	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٨	٦	١٩	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
الخميس	١٣	٢١	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥	٢٠	٤٨	٥٤	٢٣	١٨
الجمعة	١٤	٢٢	٨	٣٦	٤١	٩	٤٦	٤	٢٢	٥٠	٥٥	٢٣	١٨
السبت	١٥	٢٣	٨	٣٦	٤١	٩	٤٥	٣	٢٣	٥١	٥٦	٢٤	١٨
الاحد	١٦	٢٤	٩	٣٧	٤١	٨	٤٤	٢	٢٥	٥٣	٥٧	٢٤	١٨
الاثنين	١٧	٢٥	٩	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠	٢٧	٥٥	٥٨	٢٥	١٨
الثلاثاء	١٨	٢٦	١٠	٣٨	٤٠	٦	٤١	٥٩ ٦	٢٩	٥٧	٥٩	٢٥	١٨
الاربعاء	١٩	٢٧	١١	٣٨	٤٠	٥	٤٠	٥٨	٣١	٥٩	٠٠ ٦	٢٦	١٨
الخميس	٢٠	٢٨	١١	٣٩	٣٩	٤	٣٨	٥٦	٣٣	١ ١٢	١	٢٦	١٨
الجمعة	٢١	٢٩	١٢	٤٠	٣٩	٤	٣٧	٥٥	٣٥	٣	٢	٢٧	١٨
السبت	٢٢	٣٠	١٢	٤٠	٣٨	٣	٣٦	٥٤	٣٦	٤	٢	٢٧	١٨
الاحد	٢٣	اكتوبر	١٣	٤١	٣٨	٢	٣٥	٥٣	٣٨	٦	٣	٢٧	١٨
الاثنين	٢٤	٢	١٣	٤١	٣٨	١	٣٤	٥٢	٣٩	٧	٤	٢٨	١٨
الثلاثاء	٢٥	٣	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣٢	٥٠	٤١	٩	٥	٢٨	١٨
الاربعاء	٢٦	٤	١٤	٤٢	٣٧	٠٠	٣١	٤٩	٤٣	١١	٦	٢٩	١٨
الخميس	٢٧	٥	١٥	٤٣	٣٧	٥٩ ٢	٣٠	٤٨	٤٥	١٣	٧	٢٩	١٨
الجمعة	٢٨	٦	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٩	٤٧	٤٧	١٥	٨	٢٩	١٨
السبت	٢٩	٧	١٦	٤٤	٣٦	٥٨	٢٨	٤٦	٤٩	١٧	٩	٣٠	١٨

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ـــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ـــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ـــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشـعب ـــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الجديثة ـــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ـــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ـــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـــ ص.ب ١٧١٩

الدوحـــة : سالم الانصارى ـــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

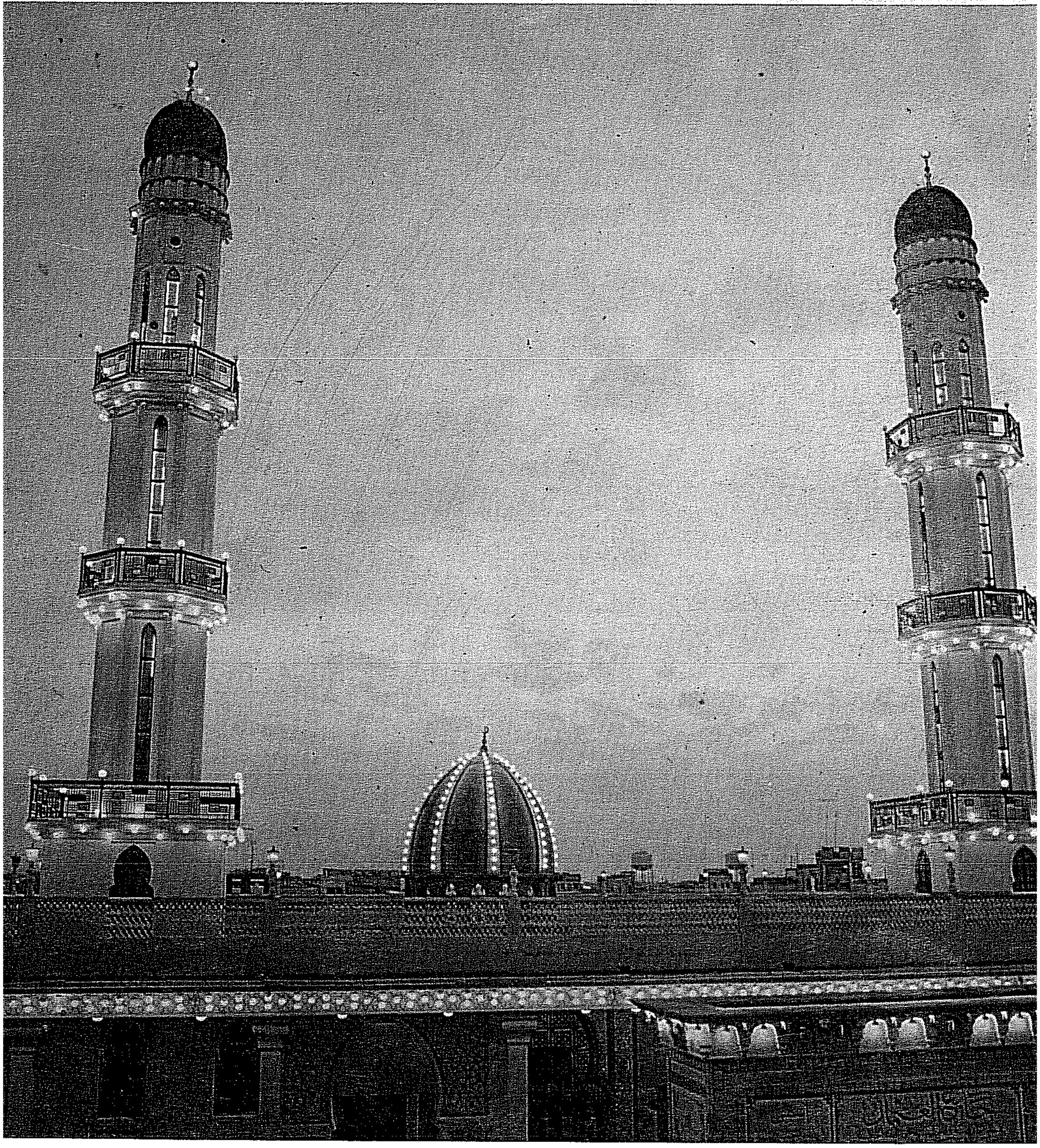
اقرأ في هذا العدد

مع هذا العدد
ـالة الصيـام والزكاة

الوعي الإسلامي

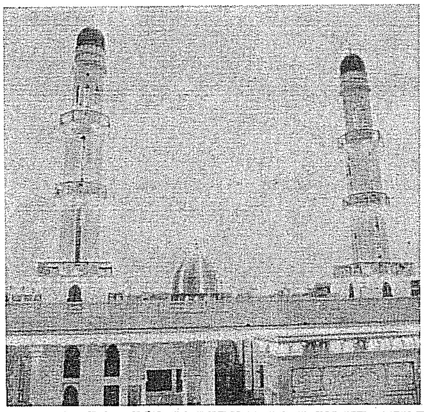
اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ــ العدد ٩٣ ــ غرة رمضان ١٣٩٢ هـ ــ ٨ أكتوبر (تشرين ١) ١٩٧٢ م





مسجد أبو بكر الصديق بالشامية ـــ الكويت



جامع عبد الله العثمان احد مساجد الكويت الفخمة الجامعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد الثالث والتسعون

غرة رمضان ١٣٩٢ هـ

اكتوبر (تشرين ١) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ ملليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت

مشكلتنا أخلاقية وليست فكرية

قلت ذلك منذ حين في بعض ما كتبت ، فاستعظمه بعض الناس، وحسبوا انني انتقص بذلك من قيمة الفكر والعلم ، وانني أدعو الناس الى اخلاق عارية عن كسوة الوعي والبصيرة والفكر .. !

وليس الامر كما قد حسبوا ، وانما هو كما تقول للفقير المختص بعلوم التجارة والاقتصاد ، والباحث عبثا في اختصاصه النظري المجرد عن ثروة مالية تغنيه :

ان مشكلتك الحاجة الى راس مال تجاري تكتسب به ، وليست الخبرة الاقتصادية التي تتحدث عنهما .

فما من عاقل الا ويعلم من ذلك ، بأن الاختصاص العلمي مهما كانت ضرورته وبلغت اهميته ، فانه لايمكن ان يحقق وحده ثمراته المرجوة ..

وانما يجب أن تتوفر بعد الخبرة والعلم قوة التنفيذ والعمل ، فمهما فقدت هذه القوة كانت المشكلة مشكلة طاقة معدومة لا مشكلة بحث وعلم متوفرين . وعندما تنعكس الحال تنعكس المشكلة تبعا لها .

ليس في مجتمعنا ازمة ثقافة ولا فكر

وفرق كبير بين أن نقول : نقص في الثقافة والفكر ، ونقول :أزمة في الثقافة والفكر .

أما النقص فحاصل ، ولا شك فيه . ولم نصل من الثقافة والفكر — كما وكيفا — الى درجة التمام والكمال بعد .. وأما الأزمة فالذي أجزم به أن المسلمين اليوم لا يعانون من أزمة في الثقافة أو الفكر الاسلامي

للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطي

بمعنى ان شيئا من مصائبهم الاسلامية التى تحل بهم اليوم ليس ثمرة نقص فى احد هذين الأمرين . وليكن واضحا أننى انما أقصد الجانب الاسلامى فى كل من أمر الثقافة أو العلم والفكر .

ان المؤسسات والمؤلفات والنشرات التى ترعى شؤون الثقافة الاسلامية فى اكثر البلاد الاسلامية عامة وفى البلاد العربية خاصة أكثر وأقوى منها فى أى وقت مضى ، وما من شاب مسلم قد ارتضى لنفسه الاسلام دينا الا وله اليوم من هذه الثقافة الاسلامية نصيب .

والكتب الفكرية التى تتفنن فى وصف الأمراض المستعصية فى جسم العالم الاسلامى ، ثم تتفنن فى وصف الدواء وكشفه وبيان منهجية السبيل الى استعماله وتحطيم مكائد دعاة الغزو الفكرى — هذه الكتب تغمر أسواقنا العربية كما لا يغمرها أي نوع آخر من الكتب الفكرية الاخرى، والناس يقبلون عليها اقبالا عجيبا دفع بالكثير من التجار الى ان يقصروا تجارتهم على هذا الصنف وحده مهما كانت عقائدهم واتجاهاتهم الشخصية

ولقد رأينا كيف تحولت جبهات كثير من المكتبات التجارية العامة الى معرض للكتب الاسلامية المختلفة!

ومع ذلك ، فان الخط البيانى لواقعنا وسلوكنا الاسلامى ، يسير معاكسا لهذا الخط الفكرى والثقافى الذى يمضى صعدا ! .. وانها لحقيقة ملموسة ما أظن أن أحدا من الناس يمارى فيها .

وعي فكري سليم وسلوك تائه ممسوخ

اننا قد نلمس مزيدا من الوعى الاسلامى فى مجتمعاتنا الاسلامية ، ولكنا نلمس معه مزيدا من التحلل والبعد عن السلوك الاسلامى فى هذه المجتمعات ذاتها . وقد نلمس مزيدا من النضج فى القدرة على اكتشاف مكائد الغزو الفكرى وخططه العدوانية ، وفى عرض وسائل التغلب على ذلك كله ، ولكنا لا نلمس معه الا مزيدا من الضعف والتخاذل أمام هذه المكائد الرهيبة ذاتها . وقد نلمس مزيدا من العمق فى العلوم الاسلامية المتعلقة بأصول الاعتقاد أو المتعلقة بالفروع الفقهية والتشريعية ولكنا نفاجأ معه بمزيد من الشبهات الفكرية والشذوذات الفقهية ومظاهر التحريف والتبديل فى أحكام الاسلام وشرعه !

وما من ريب أن هذه الظاهرة تعتبر مشكلة .. !

ولكن مشكلة اي شيء هي ؟

هل هي مشكلة نقص في الدراية والعلم ؟ لا .. ولا اظن أن احدا من المنصفين يستطيع أن يحيل (لا) هذه الى نعم .

اننا اذا أمعنا النظر ، رأينا ان معظم مآسينا التي نضج منها انما ينبع من داخل بنياننا الفكري والعلمي ذاته ، بل بحماية ورقابة منه .. !

وعلى سبيل التمثيل اقول : ان تسويغ نسبة معينة من الفائدة الربوية ، لم يفرض نفسه في مجال النقاش والبحث العلمي الا بحماية من العلم والفكر الاسلامي ! ..

وان تذويب كثير من الاحكام الشرعية على وقود القاعدة المعروفة: « تتبدل الاحكام بتبدل الازمان » لم يتم الا باشراف من منهجية النظر والبحث الاسلامي ! ..

وان التشجيع الذي لاقته اباحية التعري والاختلاط بين الجنسين ، لم ينهض الا على ديباجة من التأويلات والفتاوى الشرعية .. !

وان التلاعب الذي تم ويتم بأحكام الشريعة الاسلامية ، طمعا بحظوة او تجنبا لمكروه ، لم ينجح الا من وراء ستار او ضمن غلاف من الدراية الاسلامية ذاتها ! ..

وما اكثر ما ظهر في جسم الامة الاسلامية من صدوع ، وما اكثر ما ظهر في كيان الجماعات الاسلامية من شقاق وخصومة ، بل تهارج وعداء ، لا بفعل جرثومة أجنبية وفدت اليها من الخارج ، بل بسبب انحرافات سلوكية ظهرت بينها من الداخل . وما كان الانحراف لينمو ويشتد ، لولا احتماؤه بحيثيات وافكار اسلامية في الظاهر .. !

اذا هي ليست مشكلة نقص في الدراية او الفكر او العلم . فمشكلة أي شيء تكون ؟ ! ..

أزمة خلق اسلامي

انها ، كما قلنا ، مشكلة أزمة في الاخلاق . ولا نقصد بالاخلاق المعنى الفلسفي الموهوم لهذه الكلمة ، بل نقصد بها استيقاظ معنى الرقابة الالهية في القلب .

ان علوم الدنيا كلها لا تفيد صاحبها شيئا ، اذا لم يستشعر قلبه — في تعظيم وخشية — رقابة قيوم السموات والارض عليه . وما هذه العلوم التي نتعلمها والافكار التي ندرسها والمناهج التي نبدعها او ننظمها ، بدون تحقيق هذا الاساس ، الا كمفاتيح لابواب مغلقة لم تجد من يستعملها على وجهها ، فبقيت الابواب موصدة ، وبقيت المفاتيح أدوات للعبث .

ولو كانت العلوم والابحاث الفكرية وحدها حلا لمشكلة الفضيلة والسلوك اذا لبطل ان تكون هذه الدنيا دار ابتلاء كما قد قضى الله ، اذ كان الناس يجدون أنفسهم مسوقين الى اتباع الصراط الالهي الحق بمجرد أن يعلموا بعقولهم دلائل هذا الصراط ومعالمه وحدوده ، واذا لما اختلف الناس بعد علم ، ولما بغوا بعد معرفة وفكر . كيف وقد قال الله تعالى في حق من لم يغنهم العلم بالحق اي غناء :

(.. فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ، أجل . ان العلم وحده لا يغني ! ..

عملية التعلم اضطرارية ، والسلوك أمر اختياري

ان العلم — بعد استكمال اسبابه

ووسائله ـ عملية اضطرارية لاخيرة للعاقل فيها . اما السلوك فيظل عملية ارادية مهما تهيأت من حوله دلائل الحق واسباب الوضوح .

وتقوم بين الارادة الانسانية وكثير من نماذج السلوك الاسلامي عقبات متعبة ليس من السهل اقتحامها ؛ لا يمكن ان ترى شيئا منها امام عملية التعلم والادراك .

وهذه العقبات في جملتها لا تعدو أن تكون ركونا الى زينة الارض ، بكل ما تفور به من أسباب الشهوات والاهواء . وهي التي عبر الله عز وجل عنها بقوله :

(يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض) .

وهي في تفصيلها تتشعب الى فروع مختلفة كثيرة ، كحب الرئاسة والمنصب ، والانحياز الى العصبة أو العصبية ، والرغبة في بلوغ شهوة من شهوات البطن أو الفرج او الشهرة بين الناس ، والتأثر بعوامل الحسد والحقد والاضغان . وتلك هي في مجموعها مادة الامتحان الالهي للانسان في هذه الحياة .

وللعلم ضمن هذه المهيجات العاتية الخطيرة أثر واحد لا يتجاوزه ؛ هو الدلالة المجردة .. ! وهيهات أن تتغلب الدلالة وحدها على آفات هذه العوامل الهائجة العاتية .

سلطان النفس اقوى في ايحائه من سلطان العقل

بل انك اذا تأملت ، وجدت أن ٦٠ ٪ من عوامل النظر والتفكير يتمثل في عوامل نفسية مجردة ؛ كدوافع العصبية وردود الفعل والانصياع لرغائب النفس . اما العامل العقلي الحر فلا يتجاوز ٤٠٪ فمعظم أحكام الناس وآرائهم الفكرية تأتي بسائق من هذه العوامل النفسية واشباهها اكثر من ان تأتي بسائق من النظر العقلي المجرد .

ولا يستثنى من هذه القاعدة الا من اقتحم العقبة وكسر الطوق النفسي الذي يأسر الفكر والعقل ضمن سجن من رغائبها وايحاءاتها ؛ فانطلق متحررا من كل سلطان الا سلطان العقل الكامل المجرد . وهم الذين رباهم الاسلام في ظل من مراقبة الله تعالى والاستشعار بأنه عز وجل يحصي عليهم كل صغيرة وكبيرة ، ثم يحاسبهم عليها في يوم آت لا ريب فيه ، وقليل ما هم ! ..

اذكر ان مسؤولا كبيرا ناقش صاحب احدى الجرائد اليومية الكبرى حول ما تدأب عليه جريدته من نشر الصور العارية . فكان المسوغ الوحيد لذلك في نظر صاحب الجريدة انها تحرز بذلك مزيدا من الكسب والانتشار ! .. أي أن مجرد رغبة نفسية في المنافسة على كمية البيع او كمية الربح والمال ، كان منطلقا عقليا وعلميا كافيا لتسويغ هذه الخطيئة والسير في سبيلها ! ..

واعلم مجلات تنشر من الآراء والافكار المتنوعة كل ما يتوفر له انصار في المجتمع ودعاة ! .. فهي لا تبالي أن تجمع من ذلك كله ضغثا يمتزج فيه الحق والباطل والشبهات المتنوعة التي تتردد بين هذا وذاك ، لسوغ واحد فقط ؛ الا وهو أن يتوفر لها مع كل طائفة من الناس أو مذهب من المذاهب وجه مضيء ، فيزداد بذلك انتشارها وتتصاعد بين الناس أرقامها ! ..

فأي قيمة تبقى لمنبر ، انما أقيم لبث حقائق العلم والحياة ، وتصعيد الناس الى مستوى سلوكي وخلقي افضل ـ اذا كان مسوقا بما فيه بيد الرغائب النفسية التي ليس بينها وبين حقائق الفكر ومقتضيات العلم أي نسب موصول ؟! ..

اخطر من الجهل بالشيء علم استرقته رغائب النفس

وليس الجهل هو الخطر الاكبر في حياة الناس ، كما قد يتوهم البعض . وانما الخطر الاكبر ان يسقى فيهم نبات العلم والفكر بماء الشهوات والآفات النفسية المختلفة ، فيتلون كل ذلك بلون هذه الآفات ويتشبع من وحيها ، حيث يتحول السعي المقدس للبحث عن الحقيقة الى احط ما يعتبر قاسما مشتركا بين الانسان وسائر الحيوانات الاخرى .

أرأيت الى العقل الذي يهدي الانسان الى حقائق الاشياء ؟ انه — كما يقول الامام الغزالي — نور يقذفه الله في شعور الانسان فيضيء له سبيل الحق ويكشف له عن كوامن العلم والنظر . فأي جريمة اسمج واخطر في حياة الانسان من أن يعمد الى هذا النور الالهي الطاهر ، فيجعل منه مطية ذلولا لحيوانيته وغرائزه المطلقة ؟!

والعلم في ذاته أقدس حقيقة في الوجود ، ولكنه يفقد قداسته كلها وينقلب وبالا على صاحبه والآخرين ، عندما يحمل أثقالا من شهوات النفس وأهوائها ..

ورب ناس رفعهم الله بالعلم درجات ولكنهم لما اخلدوا به الى شهوات الارض واستخدموه لخدمة النفس والهوى ، انزلهم الله تعالى الى دركات من الحطة والشقاء الانساني المهين .. !

وانظر في تصوير ذلك الى قوله عز وجل :

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ..))

ومثل هؤلاء الناس لا يغنيهم أي غناء ان تناقشهم أو تردهم الى منطق الحق والعلم ، فان كلا من الحق والعلم في حياتهم ليس الا سيفا مصلتا بيد شهواتهم وأمانيهم النفسية وما أيسر على العالم — اذا حكم هواه فيما يعلم — ان ينطق علمه بمكنون هواه وان يجعل منه اصدق شاهد امين له .

ذلك أن نصوص القواعد والاحكام الشرعية ، مثل النصوص القانونية . كلاهما قابل للتحوير والتأويل والحاق القيود والشروط المبتدعة . وكما ان المحامي لا يعجزه شيء عن أن يحور النصوص القانونية ويؤولها لصالح موكله طمعا في مال يناله منه ، فكذلك لا يعجز الفقيه شيء عن ان يؤول ما شاء من النصوص الشرعية ويذيله بالقيود والشروط الوهمية ابتغاء عرض من الدنيا قليل .

الحل هو ايقاظ الرقابة الالهية في القلب

وليس من حل لهذه المشكلة الا ان يوقظ المرء مشاعر رقابة الله تعالى في قلبه . فان الانسان اذا آمن بالله عز وجل ، وأيقن بأن الله تعالى رقيب عليه ، يعلم خائنة عينه وما قد تخفيه نفسه ، وان كل ذلك يقيد في سجل ، وانه ينشر أمامه يوم القيامة مع صوت يناديه :

(هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)

وان الله محاسبه على كل ذلك في محكمة لا نقض فيها ولا استئناف ولا ينفع معها شاهد زور ولا ملكة تحريف ولا تأويل ، وانه سيستقبل من حياته يوما ثقيلا ، ينسى

تحت وطأته طعم الشـــــهوات التى اسكرته وساعات لذائذه التى أدبــر عنها ، وانه مخلد بعد ذلك اما فى نار ابدا او فى جنة ابدا :

اقول : اذا عاش المؤمن فى دنياه يستشعر هذه الحقيقة ويتمثلها — وذلك هو شأن كل مؤمن فان علومه وافكاره كلها تتحرر عن ســـلطان نفسه ، وينطلق العقل صاعدا يبحث عن حقائق الوجود فى حرية مطلقـــة مجاوزا الواحدة اثر الاخرى حتىيقف عند حقيقة الحقائق كلها وسر الوجود كله .

وليس للنفس من سبيل اذ ذاك ، الا أن تسعى جاهدة للحاق بالعقل فى رحلته القدسية هذه . فلأيا بلأى، تتجرد من غوائلها وترتفع فوقآفاتها وتنكسر خاضعة تحت سلطان العقل وقانونه . وذلك هو مجمل وظيفـــة الاسلام فى حياة الانسان .

وما يمنع المسلم ، ايا كان ، من أن يكون هـــذا شأنه فى الحياة ، الا انه ينسى انه مسلم ، ويســـتمر ناسيا ذلك ، حتى تتخطفه الاهـــواء وتنسج عناكب الشهوات من حـــوله خيوطها ، فتنمسخ فيه طاقة العلم وقدسية العقل ، وينتكس وجــــوده الذى خلق متجها الى السماء واذا هو قد انحط هابطا الى الارض .

ويسير الرجل هكذا منكس العقل والوجود ، يفهم الحقائق منكســـة ، ويرى أشياءها معكوسة : يزهـــد فيما ينبغى ان يحرص عليه ، ويتعلق بما يجب ان يزهد فيه ، ويحســـب مائة حساب لما يبصره عنـــد أرنبـــة أنفه ولا يحسب حسابا واحدا لـــا هو لاقيه عند موته .

حتى اذا وافاه الاجل ، انقلبت مرآته فجأة لتبصره الأمـــور على حقيقتها ولتريه الدنيا كمـــا هى فى ذاتها ، وامتلأ سمعه بمعنى قـــوله تعـــــالى :

(لقد كنت فىغفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)

وتصحو مشاعر الرقابة الالهيـــة اذ ذاك فى النفس ، ولكنها مشاعر لا تنبع اذ ذاك الا بنيران الندم ، وما كان الندم ليغنى عن صاحبه شيئا .

* * *

وبعد فحاشا لأعداء الاســــلام أن يتهيأ لديهم من الجراة ما يقتحمون به الى الاسلام بأى مكروه . فللاســــلام فى افئدتهم رهبة تصـــدهم عن ان ينالوه بأى أذى مباشر .

ولكن من عادتهم انهم يتلمســـون بين المسلمين من كانت هذه حاله : مسلم ولكنه نسى اسلامه ، يعـــلم الحق ولكنه لا يبالى ان يدفع علمه فى طريق ما تتمناه عليه نفســه .

يتلمسون من هؤلاء واحدا اثـــر آخر ، حتى اذا تهيأ لهم جند من هؤلاء الناس ، اتخذوا منهم جسرا الىكيان الامة الاسلامية وجوهر هذا الدين الحنيف ، ففوقهم يصـــولون وعلى ظهورهم يرتعون ، وبواســـطتهـــم يفسدون ويدمرون .

* * *

سقطت قطعة فأس ذات يوم بين أشجار بستان ، فذعرت الاشجار لهذا العدو الداهم ، وداخلها الرعب والهلع ، ولكن شجرة عظيمة قـــد اتت عليها السنون ، نادت فيهـــا قائلة : لا يهولنكم الامر ، فـــلو أن قطعة الحديد هذه ظلت ملقاة فيمـــا بينكم مئة عام لم يكن لها ان تـــؤذى واحدة منكم ، الا أن يتبرع جذع منكم فيجعل من نفسه مقبضا لهـــــذه الفأس ..

من هدي السنة

التكافل الاسلامي

للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

عن البراء بن عازب رضى اللهعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من منحمنيحـــة لبن(١) او ورق(٢) او هدى زقاقا(٣) كان له مثل عتق رقبة)) .

(رواه أحمد وابن حبان والترمذى)

١ ــ فى هذه الحيــاة الدنيا لا يســـتطيع امرؤ ان يحيا بعيدا عن الآخرين ، منزويا فى عقــر داره أو منحازا الى جبل او مغارة ، بل لا بد من التلاقي والتواصل على أوســع نطاق ، وفى قوة تعاون وتساند ، حتى تمضى الحيـــاة الى الافضل وتستمر فى الصعود الى قمة الكمال الممكن ادراكه ، والمستطاع الوصول اليه ، وهذا يقتضى شعور كل انسان بحاجة اخيه شعورا كاملا ، والعمل على سد الثغرات التى تنزلق منها البشرية الى هاوية الفرقة والتنافر، والاسلام حريص كل الحرص على أن يتلاقى النــاس فى ظل المحبــة والإخاء مهما بعدت بهم الدار ، ومهما شط بهم المزار ، لهذا نلحظ كثيرا فى توجيهات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم التاكيد على ما يوصل الى العيش الرغيد ، والسير الحميد ، والتماسك والتآلف ، ومن بين وصايا سيدنا رسول اله صلى الله عليــه وسلم تلك المقولة الكريمة التى تحث على بذل المعروف ، ونشر التعاون ، وتدل عليه فى صورة سهلة الإدراك، يسيرة المأخذ ، فقد اشار هذا الكلم الطيب الى صنفين من أصناف البر والتعاون ، الأول منهما : هو المعونة بالمال ــ والمــال عدل النفس .. والثانى منهما : هو المعونة بالمقال ، ورب كلمة طيبة رفعت من شأن ، ودافعت عن حق ، واكدت المحبة ،

وابادت البغضاء ، وقد اوضح الحديث الشريف انه يلزم القادر إسعاف العاجز ، وعلى الغنى بذل ما يستطيع للأخذ بيد الفقير ، كما انه على العالم أن يفقه الجاهل ، وعلى كل ذى فضل أن يعطى من فضل ما عنده لذى الحاجة العاجز عن إدراك ما ادرك ، والمقعد عن الوصول الى ما وصل اليه ، وتلك خلال الاسلام وفضائله .

وقد نص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد فى الحديث الشريف موضع البحث من قبيل ذكر الامثلة الخاصة التى تدل المتامل فيها على نظائرها من مطلوبات الاعمال والاقوال، وتلك طريقة كريمة سهلة يشير فيها المرشد الى ما يراه اقرب الى افهام الناس ، وايسر على ادراكهم ، لمثوله متكررا أمام اعينهم، حتى اصبح مالوفا لهم ، كما ان فى ذلك ايقاظا لأفكار الدارسين الاذكياء وتوجيها لهم الى مزيد من التدبر والفهم والادراك ، ليقيسوا الاشباه على النظائر مما يمت اليها بصلة من غاية او نهاية ، وهذا مما يثقف العقول ، ويحملها على التصرف فى الامور تصرفا حسنا مستندا الى البرهان والاستنتاج المستقيم ، وهذا ما يفسر لنا دائما السر الكامن وراء اقتصاره صلى الله عليه وسلم على بعض الاشياء ، وسكوته عن البعض الآخر لما فى ذلك من فائدة للعالمين والمتعلمين .

— ● —

٢ — فى تدبر هذا الحديث الشريف وتطبيقه عمليا تيسير الامور على من تعسرت عليه ، وتفريج الكروب عمن نزلت به ، ومد يد التراحم للأخذ بناصر من احاطت بهم اسوار الضيق والعوز ، وبذل البر عامة لإغاثة كل ملهوف محتاج الى العون فى شتى صوره وأشكاله ، ولقد فقه سلفنا الصالح كل ذلك ، وادركه ادراكا كاملا من توجيهات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقاموا على العمل النافذ المفيد ، وحرصوا عليه ، وتواصوا بالصبر والمرحمة ، وكان من نتاج ذلك ان يسارع الى الأخذ بناصر الضعيف ، وأن ييسر على المعسر ، ويبادر الى سد حاجته، فلم يتركوا مسلما يتردى فى هاوية الآلام ابدا الا وجدوا له من آلامه شفاء ، ومن كربه فرجا ، ومن ضيقه مخرجا ، وراوا — رحمهم الله — ان ما يصيب احدهم يصيب المجموع ، فما يشعر به الفرد المسلم من خير او شر تسرى عدوى شعوره الى الآخرين من اخوانه فيفرحون لفرحه ويساؤون لإساءته ، وصدق فيهم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى)) . كما رواه البخارى وغيره قريبا من لفظه ومتحدا فى معناه ، فالمؤمن الحق هو الذى تتمكن فى قلبه اخوة الاسلام فتثمر التواصل والتعاطف والتلاقى دائما فى رحاب الله وتحت راية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يمكن أن يتم ايمان المؤمنين الا اذا صاروا حقا كالجسد الواحد اذا مرض منه عضو اشترك معه سائر الاعضاء فى الألم ، فالعين تسهر والقلب يتالم ، والمعدة تضطرب ، والفكر يرتبك، فكان الجسم كالشجرة اذا اهتز غصن من اغصانها اهتز

سائرها ، وهذا توضيح لبعض ما ورد فى الذكر الحكيم كقول ربنا تبارك وتعالى : « والذينتبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون » ، وهكذا فى الصورة الاسلامية الصحيحة يصبح المسلمون بنعمة الله إخوانا متكافلين متعاضدين ، يلجأ ضعيفهم الى قويهم ، ويكفل غنيهم فقيرهم ، وبهذا يسعدون ، ويتم الله عليهم نعمته ، ويفلحون فى كل مقاصدهم .

---

٣ ـ تسلطت على العالمالاسلامى انواع من الجهالة بالاسلام لم يتفق عقلاؤهم على مصادرها ، ولم يعلموا تماما مواردها ، فقال قائلهم : من الاستعمار اتتنا ، وصاح آخر : من غلبة الكفار على اوديتنا ، وتحكمهم فى مقدراتنا ، ونتج من جهالتهم انفكاك وحدتهم ، وتفرق كلمتهم ، وانطفاء نورهم ، وتمزقهم ايدى سبا وتبدلت طباعهم فلم يعودوا يشعرون بشعور واحد ، ولا ينضوون تحت لواء واحد ، ولا يدركون كل الادراك ما ينفعهم متميزا عما يضرهم ، وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فاصبحوا احدوثة العالم ، ونفاية الانسانية ، وحثالة الوجود ، وضلوا طريقهم السوى تائهين فى بيداء الجهل ، ولبثوا كذلك حقبا متطاولة ، حتى قرعت بابهم القوارع بشدة ، وصاحت بهم حادثات الأيام ، صيحة ازعجتهم عن مستقرهم ، وباعدت بين البعض واوطانهم ، فانتبهوا مذعورين ، وتشتتوا فى مسالك مختلفة كقطيع فاجاته الذئاب العاوية ، فلم يدر اى مسلك ينجيه، ولم يجد من ياخذ بيده او يهديه ، وهنا يصيح بى صاحبى لا تترك الآلام تقود القلم ، ولا تدع اليأس يسجل المأساة ، فقد لاح فجر واضاء نجم ، وما بعد الليل الا النهار ، فان مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، وإن حادى العيس فى البيداء لن يضل ، ومع نور القرآن وهدى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتراءى امامى اضواء تعلو وتهبط هنا وهناك فى اودية مختلفة، وادعو الله ان تزداد قوة ولمعانا حتى تبدد حوالك الظلام التى احاطت بها، واخذت علينا طريقنا ردحا من الزمان .

ويناديني صوت من بعيد يحملنى على لى العنان والالتفات اليه ، والاستماع الى مصدره ، فردد فى اذنى اصداء الحرية المعناه اللاهثة ، يفك قيودها من عرك الحياة وعاركها، واصطلى الحوادث وذاق سمها ، وعرف ضيق السجن يوما وتنسم الحرية يوما ، فاخذ يمسح بيده الكريمة جباه الحريات المحمومة ، ويصف لها الدواء ، ويتابع العلاج ، ويلاقى للأسف الشديد الأمرين فى سبيل ذلك ، ولكن الله معه ومؤيده،

وبدا الحيارى يتنفسون الصعداء ، واعتقد انه ستنعكس افكاره واعماله على امم اسلامية كثيرة ، وسيتابعه آخرون في نفس الطريق ان عاجلا وإن آجلا ، فالرجل مخلص محنك وقيادته حكيمة موفقة ، والمعوقون سيختفون بفضل الله وعونه ، وتعود الى الوطن الاسلامي سعادته وامنه ، واني لأسال الله القوي القادر ان يعطي هذا القائد قوة من عنده اعطاها للمخلصين من قادة الاسلام الغابرين ، ويفسح له في طريق الخير ، ويحميه من تسلطات الشياطين ، وإن الشياطين ليس لهم سلطان على عباد الله المخلصين ، وصاحبنا من أشد الناس إخلاصا فيما ارى لله ، وللحق ، وللوطن ، ومولانا القوي القادر العالم بخفيات الأمور يقول للخائن الخاسر : « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » ، وحين تعم الحريات ويتنفس المخلصون الصعداء تكثر منائح الخير ، ويعم التعاون والتساند المخلص لله وحده ، وتسود الوطن الاسلامي المحبة والإخاء ، ويصبح اهله يدا واحدة على عدوهم الكاشح الجاثم على أنفاسه ، فيورده موارد الهلاك ، ويستعيد قوته ومجده فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا .

---

(١) معنى منيحة اللبن : هو أن تعطي غيرك ناقتك ، أو شاتك او بقرتك لياخذ لبنها احتلابا ، ثم يردها عليك .

(٢) والمراد بمنيحة الورق : هي دراهم مصكوكة من الفضة يقرضها المرء لغيره ، ويدخل في ذلك كل قرض حسن « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » .

(٣) والمقصود من هداية الزقاق : هو أن يدل الانسان غيره على الطريق الذي يوصله الى غايته فيسلكه ، وخاصة اذا كان السائل غريبا لا يدري أين الطريق .. !

رمضان

بين تقاليد الماضي وهزائم الحاضر

للشيخ محمد الغزالى

للجسد الانسانى وقوده الذى يحيا به ويتحرك ، ويستحيل حرمان هذا الجسد من مصادر وجوده ونمائه وتنقله هنا وهنالك !.

التجويع التام يقتله ، والحرمان من عناصر رئيسية يثير الاعتلال فى كيانه ، ويفرض عليه الذبول واللغوب ...

ولم يجىء فى شرع الله تكليف من هذا النوع المحرج ، بل جاء فى السنة استعاذة النبى عليه الصلاة والسلام من هذا البلاء « أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت » ...

لكن الواجدين من الناس عندما يطعمون لا يكتفون بتناول الغذاء المطلوب لأبدانهم ، بل يلتهمون مقادير أكبر .. كل على قدر نهمته وطاقته !!

ونحن نفتن فى تزويد انفسنا بأزيد من حاجتها ، والرغبات تمتد مع التلبية المستمرة ، وتألف ما اعتادت ، وتطلبه إن فاتها ..!!

وهذا الجسد العجيب قادر على اكتناز ما يفرض عليه إما بدانة مفرطة ، أو قبولا لما يشحن به ، ثم عملا سوريا فيه ، ثم خلاصا مخففا منه !! وهو الخاسر فى هذا الجهد الضائع ، والحياة الماثلة من حوله تقول : لو كان هذا نصيب معدة فارغة لكان خيرا له ولها ، ولكان اسعد وارشد ، وقديما قيل ..

والنفس طامعة اذا أطعمتها
وإذا ترد الى قليل تقنع !!

لعل فريضة الصيام تذكرنا بهذه الحقيقة النفيسة التائهة ، لكن هناك شيئا آخر يجىء رمضان ليذكرنا به ، نحن العرب والمسلمين فى أقطار الارض كلها .

نعم ، اذا كانت شهية بعض الناس مفتوحة للمزيد من ملذات الدنيا فما احرى المنهزمين بأن تنكمش أيديهم وتغص حلوقهم ، واذا كان أهل الاديان كلها يمرحون ويهشون فما احرى بنى الاسلام بالصيام عن فنون المتع وألوان السرور .

ذلك أن المرحلة التى يمرون بها لا تتحمل من ذلك قليلا ولا كثيرا ...

فى أعقاب المتاعب التى تصيب الأمم ، وتنتظم آلامها الأفراد والجماعات ؛ يحدث تغير شامل فى السلوك القومى

العام . ويزهد الصغار والكبار فى فنون من المتع كانوا من قبل يألفونها، وأنواع من المرح طالما ابتهجوا أيام السلام بها .

وهذه عادة عربية قديمة ، كان اسلافنا الأوائل اذا نال منهم عدو أو حل بهم مكروه ، هجروا تقاليد السرف والترف ، وصدوا عن أسباب اللهو والمجون ، وما يسمح أحدهم لنفسه بسرور غامر ، وضحك عال الا اذا نال ثأره أو استرد مافقده ، أو أوقع بخصمه مثل ما نزل به ، فاذا تم له ما يبغى قال وهو مستريح :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا
اكاد أغص بالماء الفرات

وقد نزل أبو سفيان ، وجمهور أهل مكة على هذه العادة بعد هزيمتهم فى معركة بدر ، فحلف أبو سفيان أن يحرم نفسه شتى الملذات حتى يدرك ثأره من محمد ...

واتسق هذا المعنى فى تقاليد البطولة التى شاعت بعد بين المسلمين ، فيقول شاعرهم :

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
عن النساء ولو باتت بأطهار !!

والمعنى أنه فى ساعات الجد لا ينبغى الاكتراث بما عداه ، وفى أيام الكفاح يجب على الامم أن تقتصد اقتصادا شديدا فى مظاهر الفرح والتسلية ..

وما دام أبناؤنا واخوتنا فى الجبهة وما دامت قطع من أرضنا تحت أقدام العدو ، وما دام جحد حقوقنا ظاهرا فى أسلوب التبجح الذى نستمع الى نبراته فما مكان الراحة والهدوء عند مجىء الراحة والهدوء ؟

وما مكان التوسع فى الانفاق والبذل فى المرفهات عند عشاق البعثرة والترفيه ؟

لقد آن الأوان ليراجع العرب والمسلمون سلوكهم الخاص والعام ، فيحذفوا من أساليب معايشهم وأفراحهم وأحزانهم الكثير مما لايتفق مع أيام الحرب وليعلموا أن جعل الكفاح طويل ، وأنهم بازاء عدو ماكر غادر تختبىء وراءه كل قوى العدوان فى الارض ، وأن هدف المعركة الاتيان على تاريخهم ورسالتهم وحاضرهم ومستقبلهم ، فكيف مع هذه النيات الهائلة نستخف بالامر ؟

أو نأذن لمشاعر الدعة والهزل أن تخامر القلوب ...؟

ان الأثر النفسى العظيم لفريضة الصيام هو تدريب المؤمن على ضبط نفسه ، وإحكام أمره ، وتقييد شهواته ، فهو اذ يترك بعض الاعمال المباحة يتمرن على ترك جميع الاعمال المحظورة ، أو التى تفرض ظروف المروءة ، وأعباء الكفاح أن يتركها ، وقديما قال رجل عزيز صلب .. يقولون : هذا مورد!! قلت: قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما ..!!

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب طاقة كبيرة على الحياة ، مهما تباينت ظروفها ، واختلف عليها العسر واليسر ، والانكسار والانتصار ولقد علم أصحابه أن الاستسلام للشهوات المادية ، والحرص على نمط معين من الملذات ، سقوط بالهمة وخور فى العزيمة ، واسترخاء مع الشيطان .

قال عليه الصلاة والسلام يصف المجتمعات الممتلة « ان القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم ، فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم » وقال : « انما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » .

وقال : « ان شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسادهم » وقال — يصف عشاق الليونة والرخاوة والمظاهر الجوفاء — « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة » والقطيفة والخميصة أنواع من الاقمشة الملبوسة

والمفروشة تمتاز بالفخامة والنعومة . يحرص عليها طلاب الراحة وعبيد المثل الدنيا لا المثل العليا .

ويظهر أن بعض المسلمين لا يستفيدون من صيامهم هذه الآثار النفسية والاجتماعية التي تعين على خلق شعوب مجاهدة تتحمل متاعب الحصار الاقتصادي والعسكري . وانهم حريصون في جوانب كثيرة من حياتهم على تقاليد اليسار والسمة ، والتشبث بما الفوه أيام السلام والسلامة ..!

وما نفكر في تحريم مباح ، ولا في زجر الناس عن طيبات أحلت لهم . ولكنا نفكر في مواجهة العدو المتربص وضرورة وعي الأساس الأوحد للقائه ، وهو أن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم ... عندما أعلن غاندي المقاطعة السلبية، وحمل شعبه على الرضا بخيوط المغزل الهندي ، وهجر الانتاج الرائع لمصانع انجلترا ونسيجها الرقيق الجيد كان ذلك « الصيام » بداية التحرر ونهاية الاستعمار ، ولذلك يقول الشاعر العربي رشيد سليم الخوري

لقد صام هنديٌّ فدوَّخ دولة
فهل ضار عِلجاً صوم مليون مسلم

انني الفت أنظار قومي الى أننا أمام جهاد شاق المراحل ، ثقيل التكاليف ، وان النجاح فيه يتطلب من الآن نظرة عابسة ، ورفضا لصنوف المباهج !!

ترى هل استطيع ان اقترح إلغاء افراح الاعياد ؟ والاكتفاء بشعائرها الدينية الرصينة وحسب ؟

إن ولع العرب الشديد باللهو واللعب منته بهم بتة الى التلاشي . ودلالته واضحة على موت القلوب ، وقبول الدنايا ، وعشق الدنيا وكراهية الموت ..

إن عبادة الحياة ، وتكريس القوة والوقت لها وحدها ، علة قديمة بين الناس وهي العلة التي أرخصت القيم الرفيعة ، والهبت الغرائز الوضيعة ، وصرفت القصد عن الله ، وعلقت الهمة بالحاضر القريب ، ونسيت ما عداه !!

في المجتمعات التي فتكت بها هذه العلة يقول جل شأنه : « إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا » ويقول : « فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى » .

ومظاهر هذه العلة معروفة في انتهاب اللذات من غير شبع ، والبحث عنها دون اكتراث بحل أو حرمة ، واعتبار الوجود الارضي هو الإطار الأوحد للحس والادراك .

فان فات فليس عنه عوض ، وان اقبل فيجب التفاني فيه وارتشافه حتى الثمالة ! انه لا شيء بعده يرتقب !!

واحسب انه في هؤلاء يقول جل شأنه وهو يذيقهم عقابه — « ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون . ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » .

والمدنية الحديثة قد ضاعفت لأبنائها الفرص لعبادة الحياة والعب منها دون ارتواء ، وذلك ان الشهوة تغري بالشهوة كما اشرنا آنفا ، والرغبات الانسانية قد يضر بها القرب ، ولا يزيدها الظفر الا إشتعالا ، على نحو ما قال الشاعر .

أعانقها والنفس — بعد — مشوقة
اليها ، وهل بعد العناق تدانى ؟
والثم فاها كي تزول حرارتي
فيشتد ما ألقى من الهيمان !

والاديان في أوربا وأمريكا عجزت عجزا تاما عن علاج هذا السعار ، لقصورها الذاتي أولا ، ولاشتغالها

مع ذلك بمحاربة الاسلام بدل أن تتعاون معه على فعل شيء ما يحفظ على الانسانية مستقبلها المتداعي ..
والغريب أن المسلمين نافسوا غيرهم في التهاوى على هذه المتع والتشبع منها جهد المستطاع .

قد تقول : وما الغرابة في ذلك ؟ أليسوا بشرا كالبشر ؟

وأجيب: انني لا أنكر على المسلمين — خاصة — أن يشاركوا الاوروبيين والامريكيين في ألوان المتاع التي اخترعوها .

انني قد أفهم أن يعود رواد الفضاء من رحلة مضنية ليلتمسوا بعض النزه البريئة أو المريبة في ليل أو نهار .

أما الذين يتمكعون بين دورهم واجران القمح والارز ، أو الذين يتركون خيامهم على مدى سهم في مراعيهم الساذجة ، أو الذين يركبون سياراتهم ليجلسوا في الدواوين محسودين لا مجهودين ...
أو .. أو .. فما لهؤلاء والبحث عن الملذات المخترعة في الشرق أو الغرب ؟؟

إن بعض الناس يذهب الى العواصم العالمية المرموقة ثم يعود ليتحدث عن لياليها الصاخبة !!

فهلا تحدث عن أيامها الجادة ، وعن العرق المتصبب من أجساد الكادحين الصغار والكبار على سواء ؟؟

إن المهندس هناك قد يغير وجهه وملبسه كله طول النهار ثم ينطلق بعد ذلك ليستجم وفق ما يفهم ويعتاد .

ويوجد عندنا من يقلده في الانطلاق الاخير ، ولا يتأسى به قيد أنملة في الكفاح الذي سبقه !!

أى بلاء أصاب العرب والمسلمين حتى عموا عما يجب أن يرى ، وحملقوا عيونهم فيما يجب أن تغض عنه ، وتسترخي بازائه ؟

انهم لو فقهوا سر الصيام ، وسر الحياة العفيفة المبنية عليه لكان لهم موقف آخر ..

بل لو انهم أدركوا ما كانوا عليه ، وما صاروا اليه ، وما تبيته القوى المتربصة بهم ، لكان لهم قبل الصيام صيام ، وقبل القيام سهر يطير معه المنام !!

من سنين طوال ورمضان يستقبله العرب والمسلوب بطريقة رتيبة .
روايات أقلها جاد وأكثرها هازل تعرضها الاذاعات المسموعة والمرئية .. أغان بعضها دينى (!) والآخر لا دين له تشنف الآذان . فكاهات تخلق الاجواء الضاحكة ، وتسلى الجماهير التائهة . مواعظ تقليدية ممجوجة يفر أغلب الناس من سماعها أو كتابات اسلامية في موضوعات مختارة عن عمد لتخدير الفكر وتفتير الهمم .

صور جميلة أو دميمة للمساجد والآثار الاسلامية .. أحفال باهتة جرى رسمها واخراجها بحيث تنعدم فيها الروح ويضعف التأثير .

إن أعداء الاسلام لا يطلبون من أمة الاسلام أن تفعل بنفسها أكثر من ذلك !

لما مات أبو امرىء القيس الخليع الضليل قال هذا الشاعر يصف ما سيفعل : اليوم خمر وغدا أمر ! لقد جعل لسكره حدا ينتهى عنده ، إنه اليوم وحسب !

ومات امرؤ القيس وهو يجاهد لاستعادة مجده ، ويقول لصاحبه يسليه عن هموم الكفاح ومشقات الضرب في الارض .

فقلت له : لا تبك عينك ، انما نحاول ملكا ، أو نموت فنعذرا !!

لكن جمهرة كبيرة من شباب العرب لا يزالون يقولون : اليوم خمر وغدا خمر .. فمتى الصحو ؟

الا يستحق المسجد الاقصى وقفة تدبر واستعبار ، يتلاوم فيها المفرطون ، ثم يغضبون لله غضبة تمحو العار ، وتدرك الثار ..؟؟

الشخصية

للشيخ عبد الحميد السائح

بعد ان اعد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم الشخصية الاسلامية في الفرد المسلم ، في مكة المكرمة وفي اوائل عهده بالمدينة المنورة ، بتثبيت الايمان ، في النفوس المهياة والقلوب الصافية ، على ارض صلبة ، تجابه التحديات ، وتتحمل الهزات ، دون ان تلين لها قناة ، ولو ادى الامر الى التضحية بكل مرتخص وغال ، اتجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى ان يبنى الشخصية الاسلامية الجماعية ، وان يبرز الاسلام في الجماعة ، وكان من مقومات هذه الشخصية واركانها صوم رمضان المبارك ، وما احاط بهذا الصوم ، من تلاوة القرآن الكريم ، وقيام رمضان ، وسمات الجود والاحسان .

وكان صلى الله عليه وسلم ، يلقى جبريل عليه السلام فى رمضان كل ليلة حتى ينسلخ ، يعرض النبى عليه القرآن (١) ، فكان ذلك للمسلمين سنة مرعية ، وطريقا محببة ، يقضى الصائمون فترة من اوقاتهم فى تلاوة القرآن الكريم ، يتدبرون آياته ويأخذون العبرة من قصصه واحداثه .

ويقومون ليالى رمضان حرصا على رضا الله ، واسوة بقول الرسول الكريم : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) .

ويتصفون بسمات الجود والاحسان ، اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام ، الذى كان اجود الناس بالخير ، وكان اجود ما يكون فى رمضان (٣) .

ويتسابقون لتادية الزكوات ، ويتنافسون فى زيادة المبرات والخيرات ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اى الصدقة افضل ؟ فقال : « صدقة فى رمضان » (٤) .

وقال ايضا : « من فطر صائما كان له مثل اجره ، غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا » (٥) .

فكانت خصال الجماعة الاسلامية فى هذا الشهر المبارك :

١ ــ امتناع عن تناول المفطرات والمشتهيات
٢ ــ تلاوة القرآن الكريم
٣ ــ قيام رمضان
٤ ــ تسابق فى البذل والاحسان
٥ ــ التزام بآداب الاسلام

تلاحظ هذا كله فى الجماعات الاسلامية ، سواء كنت فى ظل حكومة

الاسلامية

في شهر رمضان المبارك

اسلامية ، او بين فئات الاقليات الاسلامية فى اى حكم اجنبى ، حيثما ذهبت واينما اتجهت .

• • • • • •

ثورة الجماعة على من يثلم شخصيتها

ومن اجل هذا تثور الجماعة الاسلامية ، حينما ينقض شعارها ، او تثلم شخصيتها ، من اولئك الذين يخرجون على الجماعة ، ويتحللون من خصائصها ، لان فى ذلك هدما لكيانها ، وقضاء على شخصيتها .

ومن هذا المنطلق تنقم الجماعة على الخنافس والهيبين وامثالهم ، الذين ينساقون وراء الاخرين ، فى مظاهر مخزية ، او شعارات زائفة ، لا تلبث ان ينجلى سخفها وتفاهتها .

• • • • • •

الجماعة الاسلامية حريصة على الاحتفاظ بشخصيتها

ان الجماعة الاسلامية حريصة على الاحتفاظ بشخصيتها ، لا احتفاظ المتزمتين ، ولا التزام الحرفيين ، ولا تقعر المتفيقهين ، ولا تطاول المتشدقين ، وانما احتفاظ المدركين الواعين ، والتزام المؤمنين المتقين ، الذين يردون عن الاسلام العاديات ، ويجردونه من البدع والخرافات ، وينقذونه بتضحياتهم فى الشدائد والأزمات ، ويعيدونه كما كان ينبوعا لكل خير ، ومصدرا لكل مكرمة .

ففى صلاته تهذيب ينهى عن الفحشاء والمنكر ، وفى صيامه انصراف الى اعالى الامور واحاسنها، ورفعة بالنفس الانسانية عن الدنايا والسفاسف ، وترفع عن المادة المطغية المفسدة ، الى الروحانية المصلحة المهذبة ، حتى يلتحق ركب الجماعة الاسلامية فى هذا الشهر المبارك ، بركب الملائكة الاخيار ، والنساك الابرار الاطهار ، الذين يتجردون لعمل الخير وخير العمل ، ويتمثلون فى مسراهم وممارستهم بقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم : « خير الناس انفعهم للناس » (٦) .

وقوله : « الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل انى صائم » (٧) .

• • • • • •

الجهاد فى رمضان

واذا كان فى رمضان تبرز الشخصية الاسلامية فى الصيام وتلاوة القرآن ، وممارسة الجود

والاحسان ، فان فى رمضان تبرز الشخصية الاسلامية أيضا فى الجهاد فى سبيل الله ، كما وقع فى غزوة بدر الكبرى ، للحفاظ على الدعوة الاسلامية ، وتفتيت كل العقبات فى سبيلها ، وتذليل كل الصعاب من طريقها ، حتى تصبح الدعوة طليقة فى جداولها ، منسابة فى طرائقها ، تغزو القلوب بنورها ، وتستقر فى النفوس ثابتة فى جذورها ، تحوطها قوة المؤمنين ، وإعداد المجاهدين ، وصبر المرابطين ، ولا يخيفها قوة للعدو مهما كانت عظيمة ، ولا يمنعها من الاقدام والجهاد أعداد للعدو مهما كانت وفيرة ، لأن للايمان قوة لا تبارى ، وللروحانيات المستندة للإعداد هيمنة لا تجارى .

* * * * * *

الفتح الاعظم فى رمضان

واذا برزت الشخصية الاسلامية فى رمضان بغزوة بدر الكبرى ، وما نفحت من معان سامية ، وما أعطت من دروس للمسلمين ، أبد الدهر ، فى الثبات والصبر والايمان ، فان الشخصية الاسلامية الجماعية برزت فى رمضان ، بالفتح الاعظم والنصر الاكبر يوم قاد الرسول جحافل المسلمين نحو مكة ، لتحطيم الاصنام الحجرية والبشرية ، والقضاء على بقايا العصبية القبلية والعشائرية ، ولرفع منارة التوحيد ، واعلان العدالة فى اسمى صورها والتضحية فى اكمل مظاهرها ، وقد اعلنها رسول الله مدوية : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » (٨) .

وتتجلى حينئذ عظمة الشخصية الاسلامية متمثلة بخلق نبى الاسلام ، عقب النصر المؤزر على اهل مكة الذين اخرجوه وقاوموه ، حين قال لهم : ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم ، فقال: اذهبوا فانتم الطلقاء . هذا وذاك غاية السمو الانسانى والرحمة الشاملة والخلق الرفيع .

وبعد

فان رمضان لم يكن شهر الانقطاع والاسترخاء ، ولا شهر الاستسلام والاستخذاء ، فانه رغم ما فيه من صيام وقيام وجود واحسان ، فان فيه تلاوة القرآن ، الذى يقضى على المسلمين بان يكونوا سادة أعزة ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (٩) . ويقضى على المسلمين بأن ياخذوا حذرهم ويتأملوا فى مصيرهم : « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » (١٠) ويستلزم ممارسة ما تهدف اليه الآيات الكريمات .

« يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » (١١) .

* * * * * *

ايها المؤمنون الصائمون :

شهر رمضان اختص الله به عباده المؤمنين ،ليظهروا شخصيتهمويبرزوا خصائصهم ، ويحرصوا على مميزاتهم ، فى ايمان المتقين وصفاء الابرار العاملين ، وثبات المرابطين والمجاهدين ، الذين لا يقبلون هوانا ومذلة ، ولا تخاذلا واستكانة ، ويعلمون أن رضا الله فى الحرص على تعاليم الله ، والعمل على اعزاز دين الله ، والحفاظ على مقدسات

الاسلام ، ويصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

وان العبادات لا تقصد لاشكالها وصورها ، وانما تقصد لما تهدف اليه من تهذيب نفسي وصفاء روحي ، وقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه « ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ، ولكن انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم » (١٢) . وقال أيضا : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » (١٣) . وقال ايضا : « كم من صائم ليس له من صومه الا الظما ، وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر » (١٤) .

فاين انتم ايها الصائمون من تحقيق ما هدف اليه تشريع الصيام ، ودياركم المقدسة مستباحة ، وقدسكم واقصاكم ومقدساتكم تئن من الاسر والتشويه والحفر ،والنساء والاطفال والشيوخ تستغيث ولا مغيث ، وتستصرخ ولا مجيب ، وفي موقعة عمورية ، تعرضت امراة واحدة للانتهاك والاذى ، فاستغاثت بامير المؤمنين ، من مسافات شاسعة ، فما كان منه الا ان جرد جيشه ، وعمل على اغاثتها ، فكان ذلك اعزازا للاسلام ، ورفعا لراية الايمان ، وحرصا على القيم والمقدسات ان تدنس او تمس بالاذى .

قال تعالى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان » (١٥) .؟

ايها المؤمنون :

ما بالكم قد غفلتم عن واجباتكم ، واعرضتم عن حماية دياركم ومقدساتكم ، واضعفتم صلاتكم بالله واستكنتم الى الراحة ومتع الدنيا وشهواتها ؟ .

فهل يكون هذا الشهر العظيم مباركا باحيائكم معاني الاسلام فى نفوسكم وجماعتكم ، وابراز شخصيتكم واعمار قلوبكم بالايمان والاتساء بخير ولد عدنان ؟

وهل يكون هذا الشهر العظيم مناسبة لتحريك الهمم والشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتق الفرد والجماعة فى جمع شتات المسلمين ليدفعوا عن هذا الدين العظيم ما احاط به من الشرور والفتن ويعملوا على انقاذ وطن الاسلام ومقدسات الاسلام وشرف الاسلام ، من المؤامرات التى تحاك خيوطها فى ظلمة الليل ووضح النهار ؟ .

* * * * * *

ايها المسلمون الصائمون :

اذا لم تتحركوا دفاعا عن مقدساتكم ومبادئكم الاسلامية ، فهبوا جميعا للدفاع عن وجودكم وكرامتكم ، ومصادر رزقكم ، واعتبروا هذا الشهر شهر الجهاد بانواعه واقسامه ، عسى أن يشملنا الله برحمته ، ويحوطنا بعنايته ، وينقذنا مما الم بنا من نكبات وويلات، ويتقبل منا ما نقدم من صوم وقيام ، وبذل واحسان ، وعمل الخير فى كل ميدان ، وحينئذ نرجو أن نكون من الفائزين .

---

١ ــ البخارى
٢ ــ البخارى
٣ ــ البخارى
٤ ــ البخارى
٥ ــ البخارى
٦ ــ الطبرانى باسناد جيد
٧ ــ البخارى
٨ ــ آية ٨١ ــ الاسراء
٩ ــ آية ٨ ــ المنافقون
١٠ ــ آية ٧١ ــ النساء
١١ ــ آية ١٠ ــ ١٣ ، الصف
١٢ ــ مسلم
١٣ ــ البخارى
١٤ ــ الدارمى باسناد جيد
١٥ ــ آية ٧٥ ــ النساء

رمضان..

للدكتور وهبه الزحيلى

لقد ثبت لى بالتجربة والبرهان القاطع ان النظرة الى الحيـــاة من زاوية واحدة ولفترة محدودة ، واهمال التخطيط الشامل وعدم الاعتبار العام بالماضي ، وترك العمل الكلى للمستقبل ، هو آفة تخلف المسلمين وضعضعة وجودهم فى الوقت الحاضر ، مع ان الاسلام وبقية الأديان الحقة هى ادل شيء للانسان على اهمية التخطيط فى الحياة كلها ــ حياة الفرد والجماعة ، حياة الدنيا والآخرة ، لوجود عقيدة البعث والحساب والمسئولية فيها ..

وان اغلب ما نشاهد من وقائع التعثر والاضطراب والفشل والخيبة فى مشاريع الانسان مرجعه النظرة الجزئية للواقع ، والاهتمام بشؤون العيش المؤقت ، وعدم التدبر والتقدير لمستقبل الأيام الحوالك .

لذا كان لزاما على كل مسلم ان ينظر الى الحياة نظرة شاملة لان حيـــاة الانسان كل لا يتجزأ ، ووسائل اسعاد الحياة ومن اخصها الدين كل لا يتجزأ ايضا .. ومن الضرورى ان تتلاحم الجهود المادية لاكتساب سبل المعيشة مع نواميس الأخلاق والفضائل ومتطلبات الدين الخالد والاعتبار بما فى عالم الآخرة من أهوال ومسئوليات عديدة .

واذا توفرت مثل هذه النظرة الكلية الى الانسان والكون والحياة وعالم الشهادة والغيب ، توفر بالتاكيد شطر الجهد الانسانى ، وهانت الحياة ، وزالت العقد المستعصية لدى الكثيرين ، وتبددت كل المشاكل الشخصية والاجتماعية ، واستؤصلت الأمراض العصبية ، واتصلت آفاق السعادة ، وتعاقدت سحب الخير على الإدرار ، ودام العطاء الالهى الذى لا ينضب بحره ولا تفنى مدخراته ، مع تهيئة اسبابه ووسائله .

وهكذا الأمر بالنسبة لرمضان بين الشهور ، وبما فيه من تكاليف شخصية واجتماعية بين فرائض الاسلام ، فرمضان سيد الشهور ، ولكنه لا ينقطع عن بقية اجزاء العام ، بل الحياة كلها ، والصوم لا ينفصل عن سائر مطالب الاسلام ، وان كان ذا دلالة موجهة نحو الخـــير ، أو هو فى الواقع جامع لكل معـــانى الاسلام .

فمن فضائل رمضان انه محرك للهمم ، مثير للبواعث الانسانية الشريفة ، شاحذ للعزائم نحو الطاعة بدليل ما نلاحظ من كثرة وفود المصلين الى المساجد ، والاقبال على مدارسة القرآن ، وحضـــور مجالس العلم ، والتطوع بالقربات البدنية والمالية ، وسخاء النفس وسماحة اليد وبسط الوجه ونحو ذلك مما للصوم من تاثير فى اثارة المشاعر الخيرة والعواطف الصادقة والأحاسيس النبيلة ، وتذكير الانسان بواجبات مختلفة ، بسبب حرمان النفس طيبات الحياة وملاذ المعيشة واهواء النفس ، فهذا الحرمان المادى من الطعام والشراب والمتع المباحة يرشد الى معان عميقة ، اذ ان « المحسوس يدل على المعقول » كمـــا يقول المناطقة .



الا ان ازمة تحصل وعقدة نقص تبرز بعد انتهاء صوم رمضـــان ، فتقع مشـــكلة خطيرة تتجلى فى التخلى عن مكاسب رمضان ومعطياته ، واهمـــال الواجبات الدينية ، والتقصير فى اداء كثير من تكاليف الاسلام الضرورية ، مع ان الدواعي قائمة ، والحاجة متوفرة ، والثمرة لا تحلو تماما اذا تعجل الانسان قطافها ، وقطعها عن اكمال نضجها ، واعطاء فوائدها المرجوة فى مســـــيرة الزمن الطويلة ، وان الله تعالى يحب ان يعبد فى رمضان وفى غير رمضان ، وهو حي باق دائم يراقب تصرفات عبـــاده فى كل زمان ومكان ، حتى تؤدى رسالة الله فى الخلق من دون قطيعة أو هجران او سام ، ولكى تحصل المصالح للانسان على وجه اتم ، قال عليه السلام : « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » ، ولقد أعد الله تعالى للطائعين اطاعة كاملة فى الجنة ما لا عين رات ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، قال شيخ الاسلام عز الدين ابن عبد السلام « فسبحان من لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصـــية العاصين ، وانما نفع الطاعات لأربابها ، وسوء المخالفات لأصحابها ، والقلوب معادن الخواطر والكفر والايمـــان ، والعزوم والارادات ، والبغض والحب ، والطواعية والاباء ، والمعارف والأقوال ، وكذلك استحسان الحسن ، واستقباح القبيح ، وكذلك الظنون الصادقة والكاذبة » .

فبالصيام يتزود الصائم المؤمن من الحصانات المانعة عن محارم الله ، والتزام حدود الله واحكام شرعه زادا كافيا ينفعه فى بقية السنة كلها ، فترغب نفسه فى الطاعة ، وتعرض عن المعصية ، لذا قال تعالى : « وان تصـــوموا خير لكم ان كنتم تعلمـــون » وعلل سبحانه الأمر بفرضية الصـــيام بقـــوله : « لعلكم تتقون » قال فى تفسير المنار : هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا ، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعـــالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميســـورة امتثالا لأمره ، واحتســـابا للأجر عنـــده ، فتتربى بذلك ارادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها ، فيكون اجتنابها ايسر عليه ، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصـــطبار عليها ، فيكون الثبات عليهـــا اهون عليه ، ولذلك قال صلى الله عليه وســـلم « الصيام نصف الصبر » ــ رواه ابن ماجه . وقال الشيخ محمد عبده : ان معنى (لعل) الاعداد والتهيئة .

فغاية الصوم اذاً اعداد نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى طيلة العام والعمر كله بتكرر وجوده سنويا ، وتحصين النفس بخشية الله عز وجل فى السر والعلن ، وهذا يعود باطيب الثمرات اليانعة على النفس الانســـــانية وحدها ، واما مشرع الصوم فهو غنى عن العالمين ، ولا تعود العبادة عليه باى مردود نفعى كما ابنا .

ويمكن ان تنحل عقدة النقص والتقصير فى القيام بواجب الصوم وبقية فرائض الاسلام بادراك الهدف العام من الدين ، وبتمثل معانى رمضان التى ترمز لكل معانى الاسلام ، وبتقدير سماحة الاسلام ويسر احكامه وتجـــاوزه

المشاق التي يتضرر بها الانسان .

أما الدين فليس غلا أو قيدا مضروبا على الأعناق او الأيدى ، وانما هو قانون منظم لعلاقات الناس الاجتماعية ، وواسطة فعالة لتقويم الطباع وتهذيب النفوس ، وتطهيرها من أدران النقائص والرذائل والشذوذات ، وحثها على التحلي بالآداب العالية والخلال الحسنة ، بل هو الوسيلة الناجعة لتأمين مصالح الدنيا والآخرة ، وفض المنازعات والخصومات الناشبة باعدل المبادىء ، واحق الأحكام ، لأنه صراط الله المستقيم ومنهجه القويم ، من تمسك به فاز ، ومن انحرف عنه خسر الدنيا والآخرة .

واما أن الصوم يرمز لمحتوى الاسلام كله ، فلأن في شهره المبارك نزل القرآن العظيم الذى يسعد البشرية جمعاء ، ولأن فيه ليلة القدر التي هي خير من الف شهر ، كما أنه شهر الخير والتوبة والرحمة والمغفرة وزيادة الأجر والثواب ، وشهر الايمان والاحسان ، فيه تفتح أبواب الجنان ، وتغلق ابواب الجحيم ، وتصفد الشياطين ، أخرج البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت ابواب النار ، وصفدت الشياطين » ، وفي حديث سلمان عند ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والبيهقي قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان قال : « يأيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك .. وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .. » الحديث .

ومن ابرز صفات صوم رمضان واخطرها انه جهاد صامت متروك لنفس الصائم لا رقيب عليه فيه الا الله تعالى ، وسر بين العبد وربه ، لا يطلع عليه احد غيره سبحانه ، مما يشحن النفس بطاقة داخلية قوية جدا من مراقبة الله تعالى والاعداد لتقوى الله التي تنفع المرء طيلة العام ، كما اشرنا . لذا كان الثواب عليه مفتوح الباب بقدر رحمة الله وقبوله ، روى البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم ، فانه لي ، وأنا اجزى به ، والصيام جنة — اى وقاية من المعاصى — » الحديث . وفي حديث لأبي أمامة عند النسائي وغيره قال : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، مرنى بأمر ينفعني الله به ؟ قال : عليك بالصيام ، فانه لا مثل له » . فالصيام اذاً اقوم طريق لتقوية الارادة ، وكبح جماح الأهواء والشهوات ، وضبط النفس ، وتعود الصبر ، قال عليه السلام في حديث سلمان السابق : « وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة » . وهذه المقومات تبرز أهم صفة في العبادة وهي الاخلاص الذى لا يشوبه الرياء ، وقصد وجه الله تعالى بالذات .

وكذلك كان شهر الصوم لدى أسلافنا العظام شهر الجهاد المسلح ضد الظلم والطغيان ، ففيه وقعت أكبر حوادث الاسلام الفاصلة مع الأعداء ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان غزوتين : يوم بدر والفتح ، فأفطرنا فيهما » . ففي رمضان حدثت معركة بدر الكبرى التي فرقت بين الحق والباطل في السنة الثانية من الهجرة ، وحدث فتح مكة المكرمة الذى علا فيه مجد الاسلام وأفلت فيه نجوم الشرك في الجزيرة في السنة الثامنة من الهجرة ، كما حدثت فيه معارك حربية اخرى حاسمة مثل موقعة عين جالوت التي قضت على أطماع التتر والمغول ، وخلصت العرب من شر مستطير سنة ٦٥٨ هـ .

وتتجلى صفة الاعداد والتهيئة في رمضان للعام والعمر كله انه يقوى الصحة ويخلص الجسد من كل عوامل الضعف الطبيعية ، روى الطبراني في

الأوسط من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا)) .

ومن اعداد الصيام للأمة وثمراته الاجتماعية تحقيق المساواة فعلا بين جميع الناس اغنيائهم وفقرائهم ، وتوحيد مشاعرهم ، واحساسهم بالرباط الأخوي الخالد فيما بين المؤمنين ، وتعود النظام في المعيشة ، وضرورة الاشتراك في السراء والضراء ، مما يفهم ان القوة مع الاتحاد والتعاون ، وان النصر حليف الصبر ، وان العزة والكرامة أساسهما التضحية والايثار والرحمة والمحبة ، وان غلبة الحق الاسلامي واندحار الباطل وتطهير المقدسات الاسلامية من رجس اليهود الأوغاد مرهون بالتزام طاعة الله ، واحترام حدوده ، واجتناب نواهيه ، والتخلق بأخلاق الصائمين الحقيقيين التي من اخصها حفظ اللسان وغض البصر وتجنب الزور والبعد عن الخصومات والشحناء التي تضعف الأمة وتفرق الجماعات ، روى أحمد والبخاري واصحاب السنن الا النسائي مرفوعا من حديث ابي هريرة : ((من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه من اجلي)) اي من أجل الله تعالى ، وروى النسائي وابن ماجه : ((كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش)) .

وفي الجملة ان للصوم فوائد كثيرة صحية واخلاقية واجتماعية ودينية معروفة يهمنا منها ما اشرنا اليه مما فيه صفة الاعداد والرمزية لمعاني الاسلام المنوه عنها بوصف رمضان بصفة (الخير) الجامعة لمقومات الاسلام : ((لو يعلم العباد ما في رمضان — اي من الخير — لتمنت امتي ان تكون السنة كلها رمضان)) . ويحسم الرسول صلى الله عليه وسلم موقف الناس من رمضان فيقول : ((عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة ، عليهن أسس الاسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة ان لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان)) رواه ابو يعلى باسناد حسن .

فالصوم اذاً حد فاصل بين الايمان والكفر ، وعندها يدرك المقصرون المسلمون مدى الخطر الأعظم الذي يصيبهم بالتهاون في اداء الصيام الذي تنطلق منه او تتجسد في عبادته اهداف الاسلام وغاياته الكبرى لترسيخ دعائم الحق والمحبة والخير والتسامح والجهاد والتضحية ، واقامة صرح الايمان الذي هو مجمع الفضائل ، وقوام الضمائر ، وعماد الحياة السوية ، وتبديد معالم الكفر الذي هو وكر الاضطرابات والفوضى ، ومنشأ الانحراف ، وسبب الحيرة واليأس والقلق والشقاء ..

واما ما قد يتذرع به المقصرون من وجدان المشقة في الصيام ، فهو عذر مرفوض ، لأن دين الله واحكامه كلها يسر لا عسر ، وسهلة لا صعبة على من صحت عزيمته وصدقت نيته ، وحزم أمره ، وما قد يوجد من مشقة لاسيما وقت الحر ، فهو امر محتمل يقينا ككل ضروريات الحياة وكل الأعمال المعتادة التي لا تخلو من مشقة مالوفة تطيقها النفوس وتتحملها الأجساد ، ومثلها لا اثر له في اسقاط العبادات والطاعات ولا في تخفيفها ، لأنها لو اثرت لفاتت مصالح العبادات والطاعات في جميع الأوقات ، أو في غالب الأوقات ، ولفات ما رتب عليها من المثوبات الباقيات ما دامت الارض والسموات ، على حد قول العز بن عبد السلام .

فالمصلحة كلها في اتباع شرعة الله ، والخير كله في التزام اوامر الله ، والرباط الجامع بين الانسانية ومثلها العليا في هدى الاسلام الذي يمثل هداية السماء وارادة الخير للبشرية في صورته الأخيرة التي استوعبت خير ما في الأديان السابقة ، وأنهت ما سوى ذلك مما لم يعد ملائما لتطور المدنية والحياة ، قال سبحانه : ((فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)) .

ابتهالات

للأستاذ العوضى الوكيل

اليـــك الهى يرجع الأمر كلـــه ... اليك متاب القلب قد شـــابه الندم

رب هب لـــى من نور ذاتك نورا ... واجل عنى الظــــلام والديجـــورا

واذا ما بلـــــوتنى فاعنـــــى ... ســــاعة الخطب كى اكون صبورا

واذا ما اصــــابنى فيض نعمى ... فاعنى لـــكى اكون شـــــكورا

واعنى على التــــامل فى الـــكون ... لأدرى الجـــلى والمســـــتورا

أى عـــذر لمن تأمل فى الـــكو ... ن وامسى بمـــن براه كفـــــورا

بك أســـــتعين ، ولا معيـــ ... ــــن ســـواك فى الخطب الملم

بك تســـــتضىء مشــــاعرى ... فى كل ليـــــــل مدلهـــم

اســـماؤك الحســـنى تنيـــ ... ــــر جوانب الصـــــبح الأحم

فاذا دعوتك ضـــــــارعا ... وجعلت هذا الشـــــأن همى

الفيت نورك مرشـــــــدى ... وهداى فى صـــــحوى ونومى

واذا عزمت فباســــمك الر ... حمن اشـــــحذ كل عزمى

واذا رميت اصـــــــبت ... انى عن نداك الســـــمع ارمى

يا خالـــــق الأكــــوان نــور ك وحـــده بدرى ونجـــمى
يا واهـــــــب الأرزاق رز قك وحده ســـيفى وســـهمى

اذا طغى الليـــــل واعيـــــاك الصـــــــباح وابتعـــد
فأنت والنجـــم البعـــــيد مضـــــنيان من ســـهد
تغـــــالبان لوعة ، وتشـــــكوان من كبـــــد

فقـــل : هو الله أحـــــد وقل : هو الله الصـــــمد
ســـــبحانه لا والـــــد لـــــه ولا لـــــه ولـــــد

اذا التـــــوى بك الطـــــريق او اضـــــلك الأمل
ولم تجـــــد فى النــــــاس من يعين فى الخطب الجـــلل
وأدبر الصـــــديق عنـــــك فى البـــــلاء واعتزل

فقـــل : هو الله أحـــــد وقل : هو الله الصـــــمد
ســـــبحانه لا والـــــد لـــــه ولا لـــــه ولـــــد

أغنى على نجـــواك يا بارىء النسم ويا مبدع الكون العجيب من العدم
ويا رازق الأطيـــــار فى وكنـــاتها ويا ناظم الأفلاك من بين ما نظـم
ويا ملهم الطير المغنى غنـــــاءه يســـــبح للرحمن ان طار او جثم
ويا مجرى المـــاء الفرات جداولا ويا مالىء البحر المحيط الذى التطم
عليك حســـابى يوم لا شىء نافع سوى عمل يســـمو لوجهك من امم
اليـــك ايابى ، يوم تجزى بجنـــة وتجزى بنـــار من اناب ومن ظلم

حول تمحيص التاريخ

للدكتور أحمد الشرباصي

إن للتاريخ حرمة يجب أن تصان وترعى ، لأن التاريخ صورة الماضي أمام الحاضر ، فإذا لم تكن روايته دقيقة أمينة ، تبدلت المعالم ، وتشوهت الحقائق ، وجارت أحكام المعاصرين على السابقين . وتزداد حرمة التاريخ جلالا ومكانة ، إذا كان يتعلق برجال ننظر إليهم بعين الاجلال والاكبار ، مثل صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لأن هؤلاء كانوا النماذج العملية الحية لتطبيق تلك الدعوة الاسلامية الكريمة ، بمعتقداتها ومبادئها وتعاليمها .

ومن واجب أهل الغيرة على الاسلام وتاريخ رجاله أن يسارعوا إلى التصحيح والتمحيص ، كلما رأوا خطأ في التاريخ الاسلامي ، أو تحريفا لأحداثه ووقائعه ، أو خلطا بين أخبار أعلامه وأبطاله ، وهذا فيما أعتقد فرض كفاية على أبناء الاسلام ، إن قام به البعض سقطت التبعة عن الباقين ، وإن لم يتحقق ذلك اشترك الجميع في التبعة والإثم .

أقول هذا لأنني تناولت المجلد الرابع من « دائرة المعارف » التي تصدر في بيروت باشراف الأستاذ فؤاد أفرام البستاني ، وقد وجدت في الصفحة الرابعة والسبعين بعد المائة من هذا المجلد ترجمة تحت عنوان : « أبو أمامة الباهلي » . وقد جاء تحت هذا العنوان ما يلي بالنص :

« أبو أمامة صدى بن عجلان بن وهب الباهلي الصحابي ، من مشهوري الصحابة ، روى له خمسون حديثا ، روى عنه عدة من العلماء . قيل : وكان ممن بايع تحت الشجرة ، وشهد أحدا ، وصفين مع علي . سكن مصر ، ثم حمص ، وبها توفي سنة ٨١ هـ (٧٠٠) وقيل سنة ٨٦ . قيل : هو آخر من توفي من الصحابة بالشام . وذكر الهروي قبره في كفر نفد من قرى حمص ، وقال : « والصحيح أن قبره بالبقيع ، وهو أول من دفن به ، وقيل عثمان بن مظعون أول من دفن به ، والله أعلم » اهـ .

ومع أن الواجب في دوائر المعارف أن تكون دقيقة المعلومات ، لأنها من المراجع الأمهات ، ويشترك في كتابة موادها عشرات من العلماء أصحاب

المكانة والشهرة ، تلاحظ ان الترجمة المكتوبة قليلة ضئيلة ، وفيها اكثر من خطأ ، وهي فوق هذا خلطت بين ترجمتين لاثنين من اعلام الصحابة ، أولهما أبو امامة صدى بن عجلان دفين الشام ، والآخر ابو امامة اسعد بن زرارة الانصاري دفين البقيع ، وبين الاثنين ما يقرب من ثمانين عاما فى الوفاة ، فأسعد بن زرارة قد توفى فى العام الأول للهجرة ، وصدى بن عجلان توفى فى سنة إحدى وثمانين ، أو ست وثمانين للهجرة .

وذكرت الترجمة أن صدى بن عجلان روى له خمسون حديثا ، مع ان النووى فى « تهذيب الأسماء واللغات » انه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وخمسون حديثا (١) .

وقالت الترجمة : « روى عنه عدة من العلماء » وكلمة « العلماء » هنا غير دقيقة ، والصواب أن يقال : « روى عنه جماعة من التابعين » كما ذكر ابن عبد البر فى « الاستيعاب » (٢) .

وقالت الترجمة : « قيل : وكان محمد بايع تحت الشجرة » . والتعبير بكلمة « قيل » يضعف الخبر ، مع أن ابن حجر قد قرره وذكر سنده وحديثه فى « الإصابة » (٣) .

ومن حقنا أن نتساءل : ماسر اقتصار الدائرة على الترجمة لأبى امامة صدى بن عجلان وترك غيره ممن عرفهم التاريخ الاسلامى بلقب « أبو امامة » ومنهم :

١ — أبو أمامة اسعد بن زرارة الأنصارى البخارى المتوفى فى شوال على رأس تسعة أشهر من السنة الاولى للهجرة .

٢ — أبو أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى الصحابى .

٣ — أبو امامة أسعد بن سهل بن حنيف ، التابعى المتوفى سنة مائة للهجرة .

٤ — أبو أمامة التيمى التابعى ، الكوفى ، الثقة .

٥ — أبو أمامة الأنصارى ، الذى رآه الرسول فى المسجد ، وعلمه الدعاء المتعلق بقضاء الدين .

★ ★ ★

وما دامت « دائرة المعارف » قد خلطت بين ترجمتى « أسعد بن زرارة » و « صدى بن عجلان » فمن الخير ان نميز بينهما ، عن طريق الترجمة القاصرة لكل منهما ، على أن نبدأ بأسعد بن زرارة لأنه أسبق فى الوفاة .

أسعد بن زرارة : هو اول من أقام الجمعة بالمدينة ، الصحابي الجليل أبو امامة اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن النجار الأنصارى ، وأمه هى سعاد بنت رافع بن معاوية ، ويقال انها تسمى « الفريعة » (٤) .

وكان يقال له : أسعد الخير ، وهو احد الشجعان الأشراف فى الجاهلية والاسلام . ويروى انه أول من اسلم من أهل المدينة ، فقد خرج إلى مكة قبل

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات ، ج ٢ ص ١٧٦ طبعة المنيرية .

(٢) الاستيعاب على الاصابة ، ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٢ ص ١٧٥ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٣ ص ١٣٨ — القسم الثانى .

الهجرة ، ومعه ذكوان بن عبد قيس ، ليتفاخرا ويتنافرا ؛ فلما بلغـا مكة سمعا بأمر النبى عليه الصلاة والسلام ، فأتياه فعرض عليهما الاسلام ، وقرأ عليهما مما نزل من القرآن ، فأسلما ونسـيا المفاخرة والمنافرة ، وعاد أبو أمامة مع صاحبه إلى (المدينة) ، فكانا أول من قدم إليها بالاسلام »(١) . ويقول عمارة ابن غزية : « أسعد بن زرارة أول من أسلم من أهل المدينة »(٢) .

ولم يكتف أبو أمامة بأن الله قد هداه سواء السبيل ، بل أراد أن يزداد من الخير ، فشارك فى جذب غيره إلى الاسلام ، فكان أحـد الستة الذين بايعوا الرسول بيعة العقبة الاولى(٣) ، وكان أحد الاثنى عشر رجلا الذين بايعوا النبى بيعة العقبة الثانية(٤) . وكان أحد السبعين رجلا الذين بايعوا بيعـة العقبة الثالثة(٥) .

وحينما بعث النبى صلى الله عليه وسلم أول مبعوث له الى المدينة ، وهو مصعب بن عمير ، انزله أبو أمامة فى بيته ضيفا عليه ، واخذ يطوف معه على اهل المدينة يمينا وشمالا ، يعرضان عليهم الاسلام ، ويحدثانهم عن الله تبارك وتعالى ، وظل مصعب فى بيت أبى أمامة حتى لم تبق دار من دور الأنصار — تقريبا الا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات(٦) .

والحادث البارز فى سيرة أسعد بن زرارة هو أنه كان أول من أقام صلاة الجمعة فى المدينة ، فى موضع يقال له « نقيع الخضمات » وهـو من أودية المدينة ، على عشرين فرسخا منها ، وكان ذلك قبيل الهجرة ، ويروى أن أبا أمامة اجتمع مع طلائع المسلمين فى المدينة فقالوا : إن لليهود يوما يجتمعـون فيه ، هو يوم السبت ، وللنصارى يوم مثل ذلك ، وهو يوم الأحد ، فتعالوا فلنجتمع ، ونجعل لنا يوما نذكر الله فيه ونستذكر . فصلى بهم أسعد بن زرارة صلاة الجمعة ، وكانوا أربعين رجلا(٧) ، ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبى أمامة فأرشده إلى ذلك قبيل الهجرة(٨) .

ورضوان الله تبارك وتعالى على الصحابى الجليل كعب بن مالك ، فقد كان كلما خرج إلى صلاة الجمعة يترحم على أسعد بن زرارة ، ويدعو له كلمـا

---

(١) أسد الغابة ، ج ١ ص ٩٤ طبعة التعاون .
(٢) الطبقات ، ج ٣ ص ١٣٩ — القسم الثانى .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ١٧٧ و ١٧٨ ، وأسد الغـابة ج ١ ص ٩٥ .. وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٥٤ .
(٤) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٥٥ .
(٥) أسد الغـابة ج ١ ص ٩٥ .
(٦) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٥٧ و ٣٥٩ .
(٧) كتاب « يسألونك فى الدين والحياة » ص ٦٧ و ٦٨ .
(٨) أنظر التحفة اللطيفة للسخاوى ج ١ ص ٢٨٩ . والطبقات ج ٣ ص ١٣٩ — القسم الثانى .

سمع الأذان ، وقد سأله ولده عبد الرحمن عن ذلك فأخبره بأن سر ذلك هو أن أسعد كان أول من أقام الجمعة في المدينة(١) .

ويشـــاء الحكيم العليم أن لا تطول حياة أسعد بن زرارة بعد الهجرة ، فلم تمض إلا شهور حتى أصيب بمرض « الذبحة » أو « الشوكة » ، وحـــاول الرسول أن يعالجه ، ولكن قضـــاء الله نافذ ، وفوق تقديرنا لله تقـــدير ، ففي شهر شوال من السنة الأولى للهجرة ، وعلى حين كان المسلمون يعملون بجـــد واجتهاد في إقامة مسجد الرسول بالمدينة ، لحق أبو أمامة أسعد بن زرارة بربه عـــز وجـــل ، وأقبل الرسول عليه فغسله وكفنه وصلى عليه ، فكـــان أول من صلى عليه النبي ، ودفنه في مقبرة « البقيع » ، فكان أول من دفن فيها كما يروي الأنصار(٢) .

وكان أبو أمامة قد أوصى ببناته إلى الرسول ، فجعلهم بين عياله ، يدرن في بيوت نسائه ، وجاءت قبيلة بني النجار إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام تقول له : يا رسول الله ، إن أسعد بن زرارة كان نقيبنا ، وكان منا حيث قـــد علمت ، فاجعل منا رجلا مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه .

فقال لهم : أنتم أخوالي ، وأنا منكم ، وأنا نقيبكم(٣) .

فكان هذا منه تكريما لأسعد بن زرارة ، حيث يخلفه خير الناس رسول الله على قبيلة بني النجار .

★ ★ ★

هذا بعض القول عن أبي أمامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه .

فماذا عن أبي أمامة صُدَيّ بن عجلان رضي الله عنه ؟ .

هو الصحابي المشهور أبو أمامة صُدَيّ بن عجلان بن وهب بن والية بن رياح بن الحارث بن معن بن مالك الباهلي السهمي ، وسهم بطن من باهلة ، وباهلة هم بنو مالك بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم باهلة(٤) . يقول عنه النووي إنه من مشهوري الصحابة ، وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وخمسون حديثا ، روى له البخاري منها خمسة ، ومسلم ثلاثة . وروى عنه رجـــاء بن حيوة ، وخالد بن معدان ، ومحمد بن زياد ، وسليمان بن حبيب ، وسليم بن عامر ، وشرحبيل بن مسلم ، وشداد أبو عمار ، وأبو سلام ممطور الحبشي ، والقاسم أبو عبد الرحمن الدمشقي ، وسالم بن أبي الجعد ، وأبو ادريس الخولاني وغيرهم(٥) .

وروى أبو أمامة صُدَيّ بن عجلان قال : لما نزل قول الله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ... » قلت : يا رسول الله ،

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ١٨١ .

(٢) يروي المهاجرون أن أول من دفن فيها هو عثمان بن مظعون . الطبقات ١٤١/٣ القسم الثاني .

(٣) تاريخ الطبري ، ج ٢ ص ٣٩٨ .

(٤) العقد الفريد ، ج ٣ ص ٣٠٠ طبعة التجارية .

(٥) تهذيب الاسماء واللغات ، ج ٢ ص ١٧٦ .

أنا ممن بايعك تحت الشجرة . فأجابه الرسول قائلا : أنت منى ، وأنا منك (١).

وتروى السيرة أن النبى صلوات الله وسلامه عليه أرسل كتيبة لتجاهد فى سبيل الله عز وجل ، وكان فيها ابو أمامة صدى بن عجلان ، فذهب إلى رسول الله وقال : يا رسول الله ، ادع الله لى بالشهادة . فقال الرسول : اللهم سلمهم وغنمهم ! (٢)

من يدرى ، لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأبى أمامة مع رفاقه هذا الدعاء ، ليبقى هذا العمر الطويل المبارك المحشود بالسعى والعمل والنضال ، فإن التاريخ يحدثنا بأن صدى بن عجلان قد عاش ما يقارب المائة ، أو يزيد عليها ، وصلوات الله وسلامه على نبيه القائل : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » .

وقد شهد أبو أمامة الباهلى معركة « اليرموك » المشهورة ، مع عبادة بن الصامت (٣) . وكذلك وجهه يزيد بن أبى سفيان إلى أرض فلسطين — ردها الله على العرب والمسلمين — فقام أبو أمامة صُدَىٌّ بن عجلان بذلك (٤) .

ومما يدل على مكانة صدى أن سليمان بن حبيب المحاربى قال : دخلت مسجد حمص ، فإذا مكحول وابن أبى زكرياء جالسان ، فقال مكحول : لو قمنا إلى أبى أمامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدينا من حقه ، وسمعنا منه . فقمنا جميعا ، حتى أتيناه ، فسلمنا عليه ، فرد السلام ، ثم قال : إن دخولكم على رحمة ، وحجة عليكم ، ولم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم من شىء أشد خوفا على هذه الأمة من الكذب والعصبية ، الا وإياكم والكذب والعصبية ، الا وإنه أمرنا أن نبلغكم ذلك عنه ، الا وقد فعلنا ، فأبلغوا عنا ما بلغناكم (٥) .

ومن الأحاديث التى رواها أبو أمامة صدى بن عجلان ما رواه فضال بن جبيرة — أو فضل بن جبير — قال : سمعت أبا أمامة الباهلى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اكفلوا لى بست أكفل لكم بالجنة : إذا حدث أحدكم فلا يكذب ، وإذا أوتمن فلا يخن ، وإذا وعد فلا يخلف ، غضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم » (٦) .

ومن الاحاديث التى رواها صدى أيضا قول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لا يعذب الله قلبا وعى القرآن » والمعنى — كما يذكر ابن الاثير فى النهاية — أى عقله ايمانا به وعملا بهديه وامره ، وأما من حفظ ألفاظ القرآن

---

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٣) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٤٠١ . وانظر تفاصيل الحديث عن معركة اليرموك فى كتاب « فدائيون فى تاريخ الاسلام » ص ٢٥٩ — ٢٦٧ .

(٤) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٤٠٦ .

(٥) أسد الغابة ، المجلد الثالث ، ص ١٦ طبعة دار الشعب .

(٦) المرجع السابق ، المجلد السادس ، ص ١٧ .

وضيع حدوده والعمل به ، فإنه لا يكون واعيا له كما أراد الحديث الشريف(١) .

وقد سكن صدى فى مصر حينا من الزمن ، ثم انتقل منها فسكن مدينة حمص من بلاد الشام ، وهناك فى الشام انتشر علمه ، وتلقى عنه أهل الشام مروياته فى الحديث ، وذاعت بينهم ، ولذلك يقول صاحب « أسد الغابة » فى ترجمته : « وكان من المكثرين فى الحديث ، وأكثر حديثه عند الشاميين »(٢) .

وكان أبو أمامة صدى بن عجلان من أنصار الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه ، وكان أبو أمامة فى جانب الامام على فى موقعة صفين التى وقعت أحداثها الدامية سنة ست وثلاثين للهجرة .

وطالت حياة صدى وامتد عمره ، حتى جاوز المئة بست سنوات ، وروى الذهبى مؤرخ الاسلام عن صدى أنه قال : « كنت يوم حجة الوداع ابن ثلاثين سنة » . فيكون عمره مائة وست سنين(٣) .

وفى رواية أخرى أنه مات وعمره إحدى وتسعون سنة(٤) .

وكما اختلفوا فى عمره اختلفوا فى سنة وفاته ، فروى أنه مات سنة إحدى وثمانين ، وهذه رواية « أسد الغابة » ، وروى أنه مات سنة خمس وثمانين وتلك رواية « العبر » ، وروى أنه مات سنة ستة وثمانين ، وقد جاء هذا فى « أسد الغابة » وغيره ، وروى أنه مات سنة سبع وثمانين ، وتلك رواية « البداية والنهاية » لابن كثير(٥) .

وقد رووا أنه كان آخر من توفى بالشام من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم اختلفوا فى هذا أيضا ، ولذلك يقول صاحب « أسد الغابة » عنه : « وهو آخر من مات بالشام من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قول بعضهم » ، وإنما قال هذا لأن هناك رواية أخرى تقول إن آخر من مات من صحابة رسول الله فى الشام هو عبد الله بن بسر — أو بشر — رضوان الله على الجميع(٦) .

ودفن أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلى فى قرية « كفر نفد » وهى من قرى حمص فى بلاد الشام ، رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والاثر ، ج ٥ ص ٢٠٨ طبعة الحلبى .
(٢) أسد الغابة ، المجلد السادس ، ص ١٦ طبعة دار الشعب .
(٣) العبر فى اخبار من غبر ، ج ١ ص ١٠١ طبعة الكويت .
(٤) الاستيعاب على الاصابة ، ج ٢ ص ١٩١ .
(٥) أنظر أسد الغابة ، المجلد الثالث ، ص ١٦ ، والعبر ، ج ١ ص ١٠١ . والبداية والنهاية ج ٩ ص ٧٣ طبعة السعادة .
(٦) الاستيعاب على هامش الاصابة ، ج ٢ ص ١٩١ .

الحركة الإسلامية في أمريكا الشمالية

ماضيها وحاضرها والضرورة الماسة

اولا : مقدمة عن امريكا وسكانها :

أمريكا بلاد واسعة شاسعة ، غنية بمعادنها وخصوبة أرضها وسائر موارد الثروة بها ، وتسمى بالعالم الجديد لأن العالم القديم لم يعرفها الا منذ وصل اليها (كرستوفر كولومبوس) فى عام ١٤٩٢ « العام الذى طرد فيه المسلمون من اسبانيا بالأسف طردا نهائيا » ، ثم تبع ذلك رحلات عديدة أدت الى التأكد من أن ما اكتشفه كولومبوس ومن تلاه لم يكن الساحل الغربى لشبه القارة الهندية كما كانوا يظنون أول الأمر ، بل كان الساحل الشرقى لقارتين أخريين ، أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية .

وقد اقبل المغامرون من بلاد غرب أوروبا على الهجرة الى العالم الجديد تدريجيا ونشأ عن ذلك قيام دول عديدة فى العالم الجديد ، أهمها الولايات المتحدة وكندا فى أمريكا الشمالية ، ويبلغ سكان الولايات المتحدة ٢٠٥ مليون نسمة ، وسكان كندا ٢١ مليونا ، وعاصمة الولايات المتحدة مدينة (واشنطون) ولكن بها مدنا كثيرة يبلغ عدد سكان كل منها الملايين مثل مدينة نيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا ولوس أنجلس وسان فرانسيسكو وديترويت وكليفلاند ومنيسوتا وهيوستون ، أما كندا فعاصمتها (أتوا) وبها كذلك مدن كبرى مثل تورونتو ولندن ووينذزر بولاية (أونتاريو) .

ولقد كانت الحياة لأفواج المهاجرين الأولين شاقة للغاية ، حيث تعرضوا لمختلف الأجواء والعواصف الثلجية وأمواج الحرارة والطبيعة القاسية المريرة دون أن يكون لديهم فى ذلك الوقت المبكر من الوسائل العلمية ما يخفف من حدة الطبيعة وغوائلها ، فتعرضوا للأمراض الفتاكة ، ولقى الكثير حتفهم ، ولكنهم

للدكتور محمد عبد الرؤوف

لانشاء مدرسة لرعاية الناشئة الاسلامية

كانوا مكافحين مغامرين فنتج عن جهودهم وكفاحهم المرير تدريجيا التقدم العلمى والاكتشافات المختلفة التى خففت على السكان الكثير من قسوة الطبيعة ، وجعلت من المدن الامريكية ومنازلها وطرقها وسياراتها وقاطرتها وطائراتها وما زود به كل من هذه الوسائل من عوامل الراحة والتخفيف والتيسير ما جعل الحياة بأمريكا نموذجا للحياة الطيبة الكادحة الناجحة .

المهاجرون الأولون لأمريكا

كانت أفواج المهاجرين الاولى وافدة من بلاد غرب أوروبا كما ذكرنا من قبل ، وقد قدموا بتجاربهم وتقاليدهم وحضارتهم وثقافتهم وأديانهم ، فكانت المسيحية على مختلف مللها هي الدين الغالب على البلاد ، فبنيت الكنائس وشيدت الكاتدرائيات .

ولكن هؤلاء المهاجرين الأولين الذين استقروا بأمريكا لمسوا الحاجة الى اليد العاملة لتساعدهم فى فلاحة الأرض فجلبوا الملايين من بلاد غرب افريقيا واسترقوهم واستخدموهم كالأنعام وقطعوا الصلة بين أجيالهم وماضى اسلافهم ، وكانت معاملة الرجل الأبيض لهؤلاء الملونين الافريقيين بأمريكا أقسى معاملة للعبودية فى التاريخ ، مما نجد اثره اليوم فى كراهية الزنوج الامريكيين للعنصر الاوروبى الأبيض ومبالغة بعض زعمائهم فى تمجيد العنصر الأسود واحتقار من سواه ، وبهذه المناسبة نذكر أن الزنوج لا يحبون أن يطلق عليهم هذا الاسم ويؤثرون تسمية أنفسهم (الافريقيين الامريكيين) .

وبالاضافة الى العنصر الاوروبى الابيض الغالب بين الامريكيين والعنصر

الزنجى الاسود ، فقد هاجرت طوائف أخرى الى البلاد ، جاء بعضها من أمريكا الجنوبية ممن قدم من قبل من شبه جزيرة ايبيريا (البرتغال وأسبانيا) ، كما قدمت أفواج من الصينيين واليابانيين وأفواج من بلاد شرق أوروبا ، ومن أهم هؤلاء اليهود الذين جاءوا أفواجا وكونوا لأنفســـهم تجمعات محلية فى مختلف المدن الصناعية الكبرى وأسسوا معابدهم وعملوا على تنمية ثرواتهم واعداد ناشئتهم وتوحيد صفوفهم حتى أصبح اليهود أقوى عنصر فى سكان الولايات المتحدة اقتصاديا واعلاميا وسياسيا .

وعلى حسب الاحصائيات الاخيرة يتكون سكان الولايات المتحدة كما يلى :

أوربيون :	١٧١٫٦	مليونا
زنوج :	٢٣	مليونا
يهود :	٦	مليون
صينيون ويابانيون :	٣/٤	مليون
هنود حمر :	١/٢	مليون

أما العرب فقد بدأت هجرتهم الى الولايات المتحدة فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وقد طاب المقام لكثير منهم وغلب عليهم العنصر المسيحى بصفة خاصة ، وبالرغم مما يقال أن تعدادهم يبلغ المليون حاليا فليس لهم نفوذ واضح فى البلاد .

الهجرة الاسلامية

ثانيا :

وقد يتساءل : أين المسلمون اذن من هؤلاء .. ؟ ومتى وكيف حضروا الى هذه البلاد .. ؟

المرحلة الاولى : « العقد الأول والثانى من القرن الحالى » :

لم يبادر المسلمون الى الهجرة الى أمريكا قبل بداية القرن الحالى ، ويظهر أن ما أسبغ الله عليهم من بركات فى بلاد الاسلام ، ثم بعد أمريكا الشاســـع عن بلادهم وأنه لا يتيسر للمسلم أن يعيش عيشة اسلامية كاملة بين أهلها من غير المسلمين قد صرفهم عن الهجرة أول الأمر ، ولكن بعد أن تيسرت وسائل السفر باختراع السفن التجارية عابرة المحيطات بدأ أفراد قلة من المسلمين فى السنوات الاولى من القرن الحالى يفدون فرادى الى شوطىء أمريكا ، وقد تفرق هؤلاء الأفراد فى البلاد ، ولم يعرف بعضهم الآخر فى أكثر الاحيان ، واشتغلوا بالارتزاق فى الغالب عن طريق التجارة المتواضعة المتجولة ، فكانوا يحملون بضائعهم ويمرون بها على المنازل ليعرضوها على سكانها ، وكانوا ينتقلون من بلد الى آخر ويلاقون فى ذلك الارهاق والشدائد ، وقد ذاب أكثر هؤلاء فى المجتمع الامريكى ، ولقى الـكثير حتفه وَوُورى دون أن يدرى عنـــه أحد من اخوانه المسلمين الذين لم يكن لهم وحدة تجمعهم ولا مسجد يأويهم ولا عالم يرشدهم ، والقليل منهم من حرص على دوام الاتصال ببلده وتزوج من ذويه ، وبعض هؤلاء أمد الله فى عمرهم وكافأهم على كفاحهم فغدوا من أصـــحاب الثروات الطائلة وأسسوا عائلات اسلامية كريمة ، ولكن عدد هؤلاء من المسلمين قليل ويعد على أصابع اليد الواحدة .

المرحلة الثانية : « العقد الثالث والرابع من القرن العشرين » :

ثم حدث بعد الحرب العظمى الاولى أن سطع اسم أمريكا وازدادت سمعتها وكثر تبادل المصالح بينها وبين العالم الخارجي ومن بين ذلك بلاد العالم الاسلامى ، وعرف الناس عنها الحرية والعدالة وكثرت أبواب الرزق للمغامرين الكادحين ، فأغرى ذلك الكثير بالهجرة من شتى بلاد العالم الاسلامى ، كما حدا بالكثير من ضحايا الانقلاب الشيوعى فى روسيا من المسلمين الى الهجرة كذلك الى هذه البلاد ، وبعبارة اخرى بدأت الهجرة الاسلامية الى أمريكا تزداد بشكل محسوس فى العقد الثالث والعقد الرابع من القرن الحالى ، وساعد على ذلك تحسن وسائل السفر البحرية والجوية ، فتكونت بذلك جاليات عدة عربية وتركية وغيرهما فى عدد من البلاد التجارية والصناعية الكبيرة .

وفى أثناء الفترة المذكورة بدأ الاسلام يكسب أتباعا من بين السكان الامريكيين أنفسهم ، أما نتيجة الاتصال بالجاليات الاسلامية المهاجرة — ولكن كان هذا نادرا — وأما نتيجة جهود أفراد محليين وخاصة من بين الزنوج الذين وجدوا فى اعتناق الاسلام رجوعا الى دين آبائهم الذين جلبوا رغم أنفهم الى هذه البلاد واستعبدوا وتنصروا غير دارين عن دين أسلافهم وماضيهم ، قد سافر بعض هؤلاء قصدا أو وجد أثناء الحرب ببعض البلاد الاسلامية مثل المغرب وعاش بها فترة ، ثم عاد لينادى باعتناق الاسلام ، ولكن كان ادراك هؤلاء للاسلام سطحيا ، وكان حماسهم للدين مخلوطا بعواطف عنصرية وسياسية ، لذلك انحرف بعضهم فى اتجاهاته ، بل ادعى بعضهم النبوة لنفسه وخلط وزاد .

نشأة الجمعيات والهيئات الاسلامية فى هذه المرحلة

ونتيجة لزيادة عدد المسلمين فى العقدين الثالث والرابع من القرن الحالى عن طريق الهجرة وعن طريق اعتناق الاسلام وخاصة بين التجمعات الملونة قام عدد من الجمعيات الاسلامية ، اتخذت فى الواقع أشكالا وطنية بين المهاجرين ، وغلب عليها الخلط والانحراف بين الملونين المحليين ، فقامت جمعيات من العناصر التركية المختلفة المهاجرة من روسيا وبلاد أوروبا كان أهم نشاطها احياء الأعياد والمناسبات الوطنية والحفاظ على التقاليد القومية بين الناشئة ، وقامت جمعية الشباب العربى التى كانت ذات حساسية للحركات القومية وخاصة فى سوريا وبلاد شمال أفريقيا فكانت تؤيدها بشتى الوسائل ، كما قام عدد من النوادى بين المهاجرين كنادى الملايو وأندونيسيا فى نيويورك ، وكان هؤلاء على العموم يحيون بخاصة عيد الفطر وعيد الأضحى ، وكانت مناسبة العيد هى أهم عامل مشترك فى نشاطهم .

أما بين الزنوج فقد قامت جماعة اسلامية برئاسة (درو على) الذى زعم أنه من أصل عربى مراكشى بعد أن عاد من مراكش ، وأسس ما سماه (المعبد العلمى المراكشى) ولكنه خلط وأتى بكتاب صغير وسماه (القرآن) ، وبوفاته فى عام ١٩٣٠ تفرق اتباعه واعتنق الكثير منهم دين الاسلام الصحيح ، ولم يبق منهم على مبادئه حتى الآن الا نفر قليل ، كما قام بين الزنوج أيضا فى أعقاب تلاشى حركة (درو على) حركة أخرى تزعمها ولا يزال يتزعمها حتى الآن السيد (اليجة بول) الذى سمى نفسه (اليجة محمد) وزعم أنه نبى وأن الله أسود (أستغفر الله) وأن الرجل الأسود هو أصل العالم وأفضله ، وهو الله وخلق الله (هكذا !) فعمر الرجل الأسود ملايين السنين أما الرجل الابيض فقد خلقه رجل أسود شرير يسمى (يعقوب) قام بتجارب انسانية نتج عنها الرجل

القوقازى الأبيض الذى انتزع السلطان من الرجل الأسود وساده واستعبده ولكن الى حين ، وقد حان الوقت لبعث الرجل الأسود على الارض واستعادة مجده ، فالرجل الابيض مخلوق بيد رجل أسود لا بيد الله (هكذا !) وعمره ستة آلاف سنة فقط ، (والبعث) عنده معناه اعادة مجد الرجل الأسود على الارض ، وينكر أن يكون هناك بعث بالمعنى الذى نعرفه ويزعم أن الله نزل عليه عام ١٩٣٠ فى صورة رجل يسمى (فرد محمد) وعلمه الرسالة لمدة ٣ سنوات و ٤ أشهر وأنه هو سيد المرسلين وخاتمهم وأن رسالته استجابة لدعوة ابراهيم واسماعيل الواردة فى القرآن الكريم : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (زنوج أمريكا) يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » وأى ضلال وخسران أشد وأعظم مما كان عليه زنوج أمريكا ؟

يسمى السيد (اليجة محمد) جماعته (أمة الاسلام) ويسميها الناس هنا (المسلمين السود) ، ويؤدى ذلك الى خلط كبير فى تفهم حقيقة الاسلام ، ولكن من أفضل ما حققته هذه الحركة أنها انتشلت عددا كبيرا من المجرمين وخريجى السجون ومدمنى المخدرات وأصلحتهم ، فهى تحرم بشدة تعاطى المخدرات والدخان والخمور ، كما تشدد على الطهارة والعفة وتلزم النساء بارتداء ملابس بيضاء طويلة تغطى الرأس والبدن كله الى الارض ، وتعمل على اصلاح أتباعها ماديا وقد مضى على تأسيسها حاليا أربعون عاما ، وتعتبر أكبر وأقوى حركة تستظل تحت اسم الاسلام فى أمريكا ..

والى جانب هذه الحركات الانحرافية بين الزنوج الذين نزعوا الى الاسلام كحركة تحريرية نجد غير قليل منهم ينزعون الى اتباع العقيدة الاسلامية السليمة والأخذ بتعاليمه الصحيحة والمواظبة على مراسيم العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وقامت لهم جمعيات نشأ بينهم زعامات وأسست لهم مؤسسات ، وكان من بينهم أعداد مخلصون فى خدمة الله ودينه ، حريصون على الاستفادة والاستزادة والاسترشاد ، وكان من بينهم من خلط الى ذلك نوعا من التعصب ضد المهاجرين وخاصة من ينافسهم فى الزعامة الدينية ، ومن صفات بعضهم العنجهية والغرور والسفه فى بعض الاحيان .

المرحلة الثالثة : « العقدان الخامس والسادس من القرن العشرين » :

كان هذا هو الوضع عند قيام الحرب العظمى الاخيرة ، وكان من آثار هذه الحرب اختلاط أمريكا بالعالم الخارجى على نطاق أوسع وصحب ذلك تحسن كبير فى وسائل السفر وتقدم وسائل الاعلام مما أدى الى زيادة كبيرة فى أفواج المهاجرين من شتى البلاد الاسلامية كما ازداد عدد السفارات الاسلامية لدى الحكومة الامريكية باستقلال الكثير من بلاد العالم الاسلامى ، كما اتسع تبادل المنافع بين الحكومة والشركات الامريكية من جانب ، والبلاد والشعوب الاسلامية من جانب آخر ، ثم كانت الانقلابات الشيوعية فى كثير من بلاد شرق أوروبا مما أدى الى مزيد من الهجرة الاسلامية الى أمريكا من هذه البلاد .. كل هذا زاد فى عدد المسلمين المهاجرين كما زاد فى عدد المسلمين المحليين ويسر الى حد ما وجود المؤلفات الاسلامية الانجليزية فبدأ عدد الذين يعتنقون الاسلام يزداد ، ولكن سرعان ما قوى الشعور بتصور واضح ، فلم تكن هناك قيادة اسلامية رشيدة ، ولم تكن المؤلفات الاسلامية تفى بالمطلوب ، ولم يكن هناك بيت من بيوت الله يقصده المسلمون لأداء الشعائر وعقد الاجتماعات على الوجه المألوف ..

أدى ازدياد عدد المسلمين الى الشعور بهذا النقص وعظم احساسهم به خاصة عند الأزمات كالوفاة ، والمناسبات الخاصة كالزواج ، فأين من يستطيع القيام بمراسيم الجنازة .. ؟ وأين المسجد الذى يؤوى اليه .. ؟ وأين المقبرة الاسلامية ليدفن بها .. ؟ وأين المرشد العالم المؤهل ليعقد قران الشبان والشابات من المسلمين .. ؟

قيام المراكز الاسلامية أثناء هذه المرحلة

وقد قوى هذا الشعور بصفة خاصة لدى المهاجرين فى شتى المدن الصناعية والتجارية الكبرى فأدى الى الرغبة فى انشاء مؤسسات اسلامية تكون المهمة الاولى لها انشاء مسجد يؤوى المسلمين فى صلاتهم واجتماعاتهم ويعين له امام أو مدير من العلماء ذوى المؤهلات المعتمدة المعروفة ، وأسست جمعيات سمت نفسها فى الغالب (جمعية المسجد بمدينة كذا) ، حدث ذلك بصفة خاصة فى مدينتى نيويورك ، وواشنطون ، وتألفت كل جمعية من عدد من زعماء المسلمين المحليين من شتى الجنسيات ، وعملت كل منهـا على جمع التبرعات من بين المسلمين المحليين ومن الخارج اذا استطاعوا ، وأصبحت فكرة بناء مسجد حلما وهدفا لكل جمعية ، وكان أنجح هذه الجمعيات جمعية مدينة واشنطون بفضل ضم جهود السفراء المسلمين الى جهود الزعماء المحليين ، وأثمر نشاطهم عن بناء مسجد ومركز اسلامى جميل للغاية فى مدينة واشنطون ، كما توجت جهود المسلمين فى نيويورك بشراء منزل صغير خصصت احدى قاعاته للصلاة ، كما قام مسجد بمدينة ديترويت ، ثم ظفرت بعض المؤسسات كالمركز الاسلامى فى واشنطون باعارة مدير من خيرة العلماء يشرف على أعمال المركز الادارية والدينية ، وأهم نشاط هذه المراكز الاسلامية ما يلى :

أ) جمع شتات الجالية الاسلامية فى المنطقة .
ب) توجيههم وتوعيتهم دينيا .
جـ) تيسير مكان للصلاة وخاصة لصلاة الجمعة واجتماعات أيام الآحاد وفى المناسبات .
د) تنظيم دروس دينية مناسبة للأطفال المسلمين أثناء عطلة الاسبوع .
هـ) تكوين فئة من المتطوعين لتجهيز الموتى من المسلمين .
و) العمل على توفير مقبرة خاصة لدفن المسلمين .
ز) الاجابة على الأسئلة التى ترد من شتى الجهات عن الاسلام وحضارته .
حـ) القاء المحاضرات عن الاسلام بدار المركز وخارجه .
ط) عقد قران المسلمين والفصل فى قضاياهم عند الاختلاف .

ولكن هل نجحت المراكز الاسلامية فى أداء رسالتها .. ؟ سنحاول معالجة ذلك فيما يلى :

المرحلة الرابعة : « العقد الاخير من القرن الحالى » :

اهم مظاهر هذه المرحلة ما يلى :

أولا : كثر عدد المهاجرين الى أمريكا وكذا عدد القادمين اليها من البلاد الاسلامية بصفة مؤقتة لغرض أو لآخر كالعمل بالمؤسسات الدولية والسفارات والقنصليات الاسلامية والمكاتب التجارية ، أو للدراسة بجامعات أمريكا

ومعاهدها . وقد ازداد عدد المهاجرين بصفة خاصة من فلسطين عند قيـــام اسرائيل ، كما ازداد عدد القادمين من مصر بعد حرب عام ١٩٦٧ .

ثانيا : كثرت نسبة من يعتنق الاسلام من المحليين بصفة خاصة محسوسة واشتدت رغبة الكثير من القراءة عن الاسلام ومبادئه وتعاليمه ، وذلك بفضل مجهود بعض العاملين بالمراكز الاسلامية من جانب ، وبسبب كثرة الاحتكاك بين القادمين من المسلمين وجيرانهم من جانب آخر ، وبفضل رغبة الكثير من الملونين فى اعتناق الاسلام الذى يرون فيه رجوعا الى حضارتهم الاصلية .

ويقدر عدد المسلمين حاليا بأمريكا الشمالية بربع مليون نسمة ، ولكن لم يتم الى الآن للأسف عمل احصائية معتمدة عنهم ، لذا يدعى بعضهم أن عددهم أكثر من هذا بكثير ويزعم بعضهم أنه دون ذلك .

ثالثا : قوى الشعور بالحاجة الى ضم الجهود والعمل على مســـتوى الدولة ، لا على مستوى المدينة أو الولاية فقط ، فان نشاط المراكز الاسلامية — ما عدا المركز الاسلامى بواشنطن — يقتصر على العمل فى حدود المنطقة التى توجد بها غالبا ، وكان قد قام اتحاد بين الجمعيات والهيئات الاســـلامية عام ١٩٥٢ ليضم جميع الجمعيات والمؤسسات الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا ، فقوى نشاطه فى العقد الاخير ، كما قام فى عام ١٩٦٣ اتحاد جمعيات الطلاب المسلمين بالولايات المتحدة وكندا .

رابعا : كثر عدد الجمعيات الاسلامية بسبب وجود عائلات اسلامية بينهم الأطباء والمهندسون وذوو المهن المختلفة بكثير من المدن الصغيرة والكبيرة ، فكلما وجد عدد من العائلات أنشـــأوا جمعية اسلامية وتطلعوا لبناء مســـجد وشرعوا فى جمع التبرعات من شتى النواحى ، بل قد تجد فى المدينة الواحدة أكثر من جماعة اسلامية واحدة ، وقد يعكس ذلك مظهرا غير طيب ، أو قد يعنى تنافسا على الزعامة أو ميلا الى العنصرية ، ولكن لا بأس ، فمهما كان الهدف واحدا ولم تكن هناك خصومات فلا بأس بهذا التعدد اذ قد ييسر اقامة الشعائر فى أكثر من مكان واحد .

— ● —

وهنا يتكرر السؤال : الى أى حد نجحت هذه الجمعيـــات والمؤسسات والمراكز الاسلامية فى أداء رسالتها .. ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال نود أن نوضح ما هو الوضع الحقيقى لهذه المؤسسات ، فأكثرها موجود على الورق ، ويجتمع أعضاء الجمعية فى بيت أحدهم ، وليس للجمعيات فى كثير من الاحيان مقر معين أو مكاتب ثابتة أو موظفون متفرغون مسؤولون ، لذلك نجد أن نجاح أى من هذه المؤسسات متوقف على نجاحها فى بناء مكان أو شراء منزل يكون مقرا لها ولنشـــاطها وتعيين موظفين ثابتين بهـــا ، وأهم هذه المؤسسات التى نجحت فى هذا السبيل فاستطاعت أن تؤدى أكثر الخدمات على الاطلاق المركز الاسلامى فى واشنطون ، ثم يليه عدد من المراكز كذلك ، كبعض المؤسسات فى ديترويت وفى نيويورك وفى لوس أنجلس وفى سان فرانسيسكو ، كما أن لاتحاد الطلاب المسلمين نشاطا ملموسا ناجحا الى حد كبير بفضل عدد من المخلصين المضحين من الطلاب .

وأهم ما تحققه هذه المراكز والمؤسسات الاسلامية ، وعلى رأسها المركز الاسلامى فى واشنطون ، ما يلى :

أولا : طبع المصحف الشريف ومعه ترجمة وتعليقات مفيدة باللغة الانجليزية وتوزيعه .

ثانيا : طبع بعض الرسائل المفيدة فى موضوعات اسلامية مختلفة وتوزيعها بالمجان .

ثالثا : تيسير بعض الكتب الاسلامية الاخرى المفيدة وبيعها تيسيرا للقارىء واستفادة مالية للمركز .

رابعا : توعية الألوف من الزائرين بفضل الاسلام وصلاحية مبادئه .

خامسا : الأخذ بيد الراغبين فى اعتناق الاسلام وتلقينهم الشهادة وتسجيل أسمائهم ومساعدتهم بكل الوسائل المكنة .

سادسا : اعانة المسلمين على المحافظة على الشعائر واحياء المواسم الدينية واصدار تقويم سنوى به التواريخ الاسلامية ومواقيت الصلاة اليومية .

سابعا : أداء المحاضرات فى شتى الموضوعات الاسلامية وما له صلة بها فى أى مكان فى طول البلاد وعرضها .

ثامنا : عقد الزواج بين المسلمين .

تاسعا : العمل على فض المنازعات والصلح بين العائلات الاسلامية .

عاشرا : تنظيم دراسة اسلامية للاطفال المسلمين وتيسير كتب مبسطة تتناسب مع مستواهم .

حادى عشر : مواساة المنكوبين والاشراف على تجهيز الموتى ودفنهم بالمقبرة الاسلامية .

ثانى عشر : الرد على ما يثار ضد الاسلام من شبه واتهامات .

« ولا ننسى أن نشير فى هذه المناسبة بفضل تعاون الحكومات الاسلامية وبعض أعضاء الجالية الاسلامية من أهل الخير » .

لكننى أحذر القارىء من المبادرة الى التفاؤل ، فلا يزال هناك نقص كبير وأخطار عظيمة تهدد مستقبل الاسلام والمسلمين ، ولا أود أن أطيل على القارىء فأتحدث عن المشاكل والمصاعب الكثيرة التى تعتورنا وتضع العراقيل أمامنا ، ولكننى سأقتصر على شرح مشكلتين جوهريتين ، وأرجو القارىء الكريم أن يضم جهوده الى جهودنا ويتعاون معنا من أجل وجه الله فى التغلب عليهما ، وهذا فى الواقع ما أهدف اليه من كتابة هذا المقال وتوجيه هذا النداء .

المشكلة الاولى : هى مستقبل الناشئة الاسلامية التى تتعرض للسموم المغرضة والأهواء الالحادية ومساوىء البيئة البعيدة عن الاجواء الاسلامية .

سيصدم القارىء — كما صدمت — اذا سمع أننى كثيرا ما القى شبابا من أب مسلم أو أبوين مسلمين يذكرون فى جراة وصراحة أنهم من اتباع ملة أو أخرى من الملل المسيحية أو أنهم لا يلقون بالا للدين ولا يهمهم أمره ، وكل ما يعرفون أن أباهم مثلا كان مسلما ، وكثيرا ما أتعرف على مسلم مسن رق قلبه ويأسف

فؤاده ويتقطع كبده لأن ابنهٌ أو ابنته يتبع أو تتبع دينا آخر ، كل ذلك سببه اما عمل الأم غير المسلمة أو اهمال الوالدين اللذين شغلهما ويشـــــغلهما الدولار والسعى وراء الرزق ، أما مدرسة العطلة الاســــبوعية التى يعقدها بعض المراكز الاسلامية فانها لا تجدى الا قليلا ولا تسد الا فراغا يســـيرا ، ان من يواظب على الحضور للمدرسة نسبة ضئيلة جدا من أولاد المسلمين نظرا لبعد المسافات ، ثم وقت الدراسة بها ساعة أو ساعتان اسبوعيا ، وأكثر من يقوم بالتدريس فيها من غير الضليعين فى الدين ، ثم ان الطالب لايمارس غالبا فى بيته ما يتعلمه فى مدرسة المركز مرة كل أسبوع ، وعلى هذا فان الآلاف من الناشئة الاسلامية ضائع ان لم يتداركهم الله تعالى وتتضافر جهود المسلمين لانقاذهم .

أما **المشكلة الثانية :** فهى أن وقت مدير المركز وجهده محدود ولا يتيسر له مجال الاطلاع على كل ما ينشر أو يعرض أو ما يقال عن الاســـلام كل يوم ، ويعلم القارىء أن الآلاف من المدن هنا تصدر صحفا محلية الى جانب الصحف الكبرى ، بل قد يوجد بالمدينة عدد من الصحف والمجلات ، وينشر يوميا عدد من الكتب قد يرد ذكر الاسلام فى كثير من صفحاتها ، كما أن لكل منطقة محطات اذاعية وقنوات تلفزيونية ، كما أن كثيرا من الافلام التى تعرض على شاشة المسرح أو على شاشة التلفزيون تتعرض للاسلام والمسلمين ، وهكذا يتغذى الملايين من الناشئة والشباب والكبار مما يكتب وما يسمع وما يشاهد كل يوم ، وفيه سموم وعدوان على الاسلام والعرب والمسلمين ، فمن أين لامام مرهق بأعمال ادارية ودينية واجتماعية يوميا أن يدرى عن كل ما يقـــال .. ؟ وكيف يتأتى له بجهده الضئيل المحدود أن يصل وحده الى هؤلاء الملايين من ضحايا الكيد للاسلام والمسلمين .. ؟

أيسوغ أن يسكت المسلمون فى شتى الاقطار عن ذلك ويتراخوا ويتركوا المجال مفتوحا على مصراعيه لعدو الدين اللئيم ومعه مقوماته وعدته وصحفه وخبثه .. ؟ أيليق بنا أن نصم آذانا ويعكف كل منا على صالحه ويلقى الحبل على الغارب .. ؟ اننا مسؤولون أمام الله وأمام ضميرنا وأمام الأجيال ، الا قد بلغت ، اللهم فاشهد .. !

ولكن ما هو الحل الذى اقترحه لمواجهة هذه التحديات .. ؟

أولا : يجب فورا وبدون تمهل ، العمل على **انشاء مدرسة اســـلامية داخلية كاملة** تزود الطالب بالدراسات الابتدائية والثـــانوية كلها بحيث تكون معتمدة من جانب السلطات التربوية الامريكية ، ويضاف الى برامجها الدراسات الاسلامية ولغات المسلمين من عربية وفارسية وتركية وملاوية وأردية لمن يشاء من الطلاب ، على أن تنشأ المدرسة على مساحة واسعة فى ريف قريب من احدى المدن الهامة كمدينة واشنطون بحيث يتيسر بناء مساكن للطلاب والطالبات بها ومساكن للأساتذة والمدرسين من ذوى المؤهلات المعتبرة ، بالاضافة الى الفصول الدراسية وقاعات المحاضرات والمعامل ومساحات كافية للنشــــاط الرياضى للطلاب ، كما يجب أن تزود بمكتبة مناسبة .

بذلك يتيسر لأولياء الأمور الذين تفصل بينهم المئات والآلاف من الاميال من احضار أولادهم للمدرسة الاسلامية للاقامة بها أثناء الفصول الدراسية فى جو دراسى اسلامى ، على أن تنظم برامج الدراسة بحيث تتلاءم مع مواعيد الصلاة اليومية التى يجب أن ينشأ الطلاب على المواظبة على أدائهـــا مع

أساتذتهم ، ويمرن الطلاب على مراعاة الشعائر الاسلامية ، وتنظم لهم برامج ثقافية فى أوقات الفراغ يشترك فيها ممثلون من مختلف الدول الاسلامية لتصل الطلاب ببلاد الاسلام وتقاليدها ، وبذلك ينشأ هؤلاء الطلاب فى جو اسلامى طيب ويرجى أن تبرز من بينهم قيادة اسلامية رشيدة بأمريكا نأمل أن يكتب الله على يدها صالح الاسلام والمسلمين فى شتى الأقطار .

أيعز على أمة الاسلام أن تنشىء مدرسة اسلامية على الوجه المذكور مهما تكلفت من ملايين الدولارات .. ؟ وهل يعلم القارىء أنه الى جانب المدارس الحكومية بأمريكا توجد مدارس خاصة لجميع الملل المسيحية واليهودية .. ؟ ومدارس خاصة للجاليات الصينية .. ؟ واليابانية .. ؟ والبورتوريكو .. ؟ كما أن جماعة السيد اليجة محمد الوارد ذكره أول المقال أسست مدارس خاصة فى كل فرع من فروعها لتعلم فيها مبادئه .. ؟

أما عن معالجة المشكلة الاخرى وهى ، ما يدعى ضد الاسلام ويرمى به المسلمون صباح مساء ، ففى رأيى أن من الضرورى **انشاء معهد للبحوث الاسلامية** يكون مقره مدينة نيويورك نظرا لزعامتها فى مجالات الصحافة والفن والنشر ، ويزود المعهد بعدد من العلماء المخلصين الضليعين فى اللغة ، على أن يزود هؤلاء بسكرتيرية شاملة وبكل ما يلزم من الأدوات ، وتكون مهمتهم متابعة ما ينشر وما يقال وما يعرض ، ثم تسجيل هذا كله وتبويبه وتحليله ورده الى أصوله ، ثم التعاون مع مؤسسات البحوث الاسلامية فى العواصم الاسلامية كالقاهرة وكراتشى ومكة المكرمة فى معالجة هذه الإتهامات وصدها ، والعمل على تزويد القارىء والسامع والشاهد فى الغرب بالمعلومات الصحيحة عن الاسلام والمسلمين .

- « نداء الى العالم الاسلامى » : وأن الضرورة الملحة الاولى والتى أهدف اليها من كتابة هذا هو **المبادرة للعمل على انشاء المدرسة الاسلامية** على الوجه الذى شرحته ..

لذلك أوجه نداء حارا متواضعا الى السادة ملوك البلاد الاسلامية ورؤسائها والى السادة أهل الخير من ذوى الثراء ، والى كل من تحدثه نفسه أن يدخر لنفسه عند الله خيرا بالاسهام فى مشروع من أجل المشروعات الاسلامية ، راجيا أن يتفضلوا فيبادروا بارسال ما تجود به نفوسهم الكريمة أو ما يزمعون التبرع به من نسبة التكاليف فور اتمام التصميمات الكاملة للمشروع وتقديرها ، على أن ترسل هذه الرسائل باسم المركز الاسلامى بمدينة واشنطون بالعنوان الموجود أعلى الصفحة الاولى .

وسنوف تعرض نتيجة هذا النداء ان شاء الله على السادة السفراء المسلمين وأعضاء مجلس الأمناء المشرف على المركز الاسلامى بواشنطون لتكوين لجنة مركزية عليا يضم اليها الأساتذة التربيون والمهندسون فى أمريكا لاعداد مشروع كامل للمدرسة وتخطيطه وتقدير تكاليفه ، ثم الاشراف على تنفيذه بطريقة تضمن ايرادا ثابتا للانفاق على المدرسة بعد انشائها لضمان قيامها برسالتها على الوجه المرغوب .

ايها القارىء الكريم

أرجو أن تحمل هذا النداء الى كل من تأمل فيه الخير والمعروف ، والداعى الى الخير كفاعله ، « والله يحب المحسنين » .

شهر رمضان

وفتح مكة

للدكتور : محمد سلام مدكور

ان شهر رمضان بين شهور السنة يوحى الى كل نفس مؤمنة بذكريات مجيدة عزيزة على النفوس .. ذكريات مليئة بمعانى الكفاح والصبر والعزم والتصميم ، ذكريات مليئة بمعانى جهاد النفس والجهاد فى سبيل الله ومقاومة البغى والعدوان فى كل صوره .. من مقاومة الشيطان ، ومن مقاومة العادات التى تتحكم فى الانسان ، ومن مقاومة أعداء الله فى كل مكان .. وقد شاءت حكمة الله سبحانه أن يجعل من شهر رمضان فى صدر الدولة الاسلامية شهر جهاد وكفاح وعمل دائب شاق ليبعد عن الأذهان أن الصوم يستلزم الراحة والكسل والاستكانة .. ففى شهر رمضان كتب الله النصر للمسلمين على أعدائهم فى عدة مواقع : منها أول موقعة حربية بينهم وبين المشركين ببدر ، ومنها كان أول نصر أعز الله به شأن المسلمين وجعل لهم كيانا سياسيا داخل المدينة وخارجها .. ومنها فتح مكة واستسلامها للمسلمين .. وقد آثرت أن أقدم لقرائى حديثا عن فتح مكة ليروا ما فيها من عظات وعبر ومن تخطيط حربى يدل على عبقرية ، وتدبير للأمور يدل على حكمة وبعد نظر .

كلنا يعرف أن محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ولد بمكة ونشأ فيها ، وانها بلد آبائه وأجداده ، كما نعرف أن سفارته عن ربه واختياره لتبليغ دعوة الاسلام ونزول الوحي عليه في أول أمره كان بمكة ، وأنه صلوات الله عليه كان يتعبد بغار حراء بمكة بعيدا عن الناس وعن مظاهر الحياة . فهي من أجل هذا كله دون شك عزيزة على نفسه قريبة من قلبه فضلا عن أن بها بيت الله الحرام .

وكلنا يعرف أن قريشا عادته وقاومته وحاربته بكل الوسائل لما صدع لأمر ربه وأخذ يدعو الناس الى الاسلام واستجاب لدعوته لفيف من الناس ومن أهل مكة .. وكلنا يعرف أن قريشا لما آذت الرسول والمسلمين في مكة أيقن عليه الصلاة والسلام أنه سوف لا يتمكن من اظهار كلمة الله وتبليغها للناس وهو بين هؤلاء القوم وهم على هذا العناد ، وأيقن أنه لا بد لحماية الدعوة من وجود قوة ومنعة لأن الحق والحرية يعيشان في ظل النظام والقوة ، وأن نفـــاذ الأحكام لا يتأتى بدون سلطة ، ومن هنا كان التلازم في الاسلام بين الدعوة الى الدين وقيام الدولة .. وكلنا يعرف أن الرسول عليه الصـــلاة والسلام اتخذ يثرب مقاما له وللمســـلمين ، وجعلها نواة لتكوين دولة الاســلام فكانت مبدأ الوجود الدولي للمسلمين .

ومن الواضح البين أن دولة الاسلام لم تكن متطلعة الى ســفك الدماء بالقتال والغزو ، وانما يدفعها اليه الدفاع عن نفسها وحماية الدعوة . فالرسول حتى بعد تكوين الدولة بيثرب ظل يدعو قومه بالحسنى ، وما كان القتال الا تطورا طبيعيا اقتضته الظروف التي أحيط بها المسلمون من أعدائهم ، ومع هذا فان الاذن لهم بالقتال كان مشروطا بعدم العدوان . اقرأ معي قول الله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وانظـــر قول الرسول صلى الله عليه وسلم لجنده وصحابته : « لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية » وما جاء في القرآن من آيات يفيد ظاهرها عموم القتال فان أسبابها تدل على تخصيصها بحالات رد العدوان ، ومع هذا فان الله يقول : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وقد أشرنا الى أن أول صدام بين المسلمين في المدينة وبين قريش هو معركة بدر وانها كانت في شهر رمضان وفيها يقول الله سبحانه « ولقد نصركم اللـــه ببدر وأنتم أذلة » . ثم كانت غزوة أحد التي مثلت فيها قريش بأسرى المسلمين وقتلاهم ، ثم غزوة الخندق ثم كان عهد الحديبية الذي تعاهد فيه الطرفان على وقف القتال بضع سنوات ، وأنه لا جناح على أية قبيلـــة في أن تحـــالف أحد الفريقين . وحالفت خزاعة الرسول فعلا ، وحالفت بنو بكر قريشا ، وكان بين هاتين القبيلتين عداء قديم . ثم كانت غزوة (مؤتة) التي كانت تجاه الشام بين المسلمين وجيوش الروم بسبب قتل الروم المبشرين بالاسلام من أفراد المسلمين . وانتهت هذه الغزوة بانسحاب المسلمين من القتال لقلة عَددهم وعُددهم .

فرحت قريش لذلك واتخذت من انسحاب المسلمين هزيمة منكرة ، وتصوروا أن المسلمين لن تقوم لهم بعد ذلك قائمـــة ووجدوا أن هذه أنسب فرصة لنقض ما بينهم وبين المسلمين من عهد بوقف القتال . فحركت قريش بني بكر التي دخلت في حلفها ، يساندها نفر من شباب قريش للاغارة على « خزاعة » التي قلنا انها دخلت في حلف الرسول ، فباغتوهم وقاتلوهم فقتلوا منهم نحو عشرين أو أكثر وفر منهم الباقون أمام المطاردة حتى دخلوا مكة . فشكوا لقريش نقض العهـــد ، واستصرخ عمرو بن سالم الخزاعي بالرسول فـــي المدينة قائلا للرسول عليه السلام :

إن قُريشاً اخلفوك الموعِدا ونقضوا ميثاقك المؤكّدا

فعجب الرسول من نقض قريش للعهد ، وأحس منها بنية الغدر ، وانها تقصد من وراء ذلك جس نبض قوته بعد الانسحاب من « مؤتة » واثر ذلك فى الروح المعنوية لجنود المسلمين . فرأى الرسول عليه الصلاة والسلام بثاقب نظره وبنور إيمانه أن خير رد على هذا الصنيع هو أن يباغتهم ويفتح مكة نفسها التى تتوق اليها نفسه والتى هى معقل قريش ، وفى الحق إن نفسه قد تاقت من زمن بعيد أن تكون الكعبة فى ولاية المسلمين وحمايتهم ، غير أن أمله أن تدخل مكة فى الاسلام طوعا ودون إراقة دماء .

كانت هذه مجردأفكارمرت بخاطر الرسول صلى الله عليه وسلم لما علم بما حدث . وقد عجب من صنيع قريش وسخر من تفكيرها وتدبيرها ولكنه لم يقل من ذلك شيئا وإنما قال : نصرت يا عمرو بن سالم . وفى رواية قام يجر رداءه ويقول : « لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسى » .

وأما قريش فقد أحست بعد بخطل صنيعها وخطورة نتائجه ، وخاصة أن الدعوة الاسلامية انتشرت فى شبه الجزيرة ، كما عرفت قريش أن انسحاب المسلمين فى موقعة « مؤتة » بقيادة خالد بن الوليد لم يكن نتيجة ضعف واستخذاء وإنما كان مهارة وحنكة من خالد أملاه عليه عدم التناسب بين القوتين . وندمت قريش على صنيعها أو هكذا تظاهرت . ورأوا أن يرسلوا مندوبا عنهم ليلقى الرسول ، ويبلغه تمسكهم بعهد الحديبية ، ورغبتهم فى الابقاء على وقف القتال المدة المحددة بل ومد أجله إن أمكن ، وتخيروا لهذه المهمة ابا سفيان بن الحارث صهر الرسول صلى الله عليه وسلم ووالد زوجته أم حبيبة .

وفى طريقه الى المدينة التقى بنفرمن خزاعة ممن وفدوا على الرسول يستصرخونه ، وأحس منهم (برغم اخفائهم وتكتمهم) أنهم كانوا يستصرخون بالرسول . ففضل أن يذهب أولا الى بنته « أم حبيبة » علّه يتعرف منها حقيقة الامر .

ذهب اليها فلاقته بما ينبغى أن تلقى الفتاة أباها ، ولما هم بالجلوس على فراش الرسول ، سارعت فطوت الفراش الطاهر خشية أن يتنجس بجلوس مشرك عليه . هكذا اعتقدت وهكذا غلبت العقيدة على الولاء وما يتطلبه عامل البنوة . غضب أبو سفيان من صنيع ابنته ، ولم ينتظر من ورائها ما يفيده ويكشف له النوايا . فتركها وذهب الى الرسول نفسه وهو يعلم نبله وكرم خلقه لكنه لم يلق منه جوابا فذهبالى أبى بكر ليستعين به . فلم يجبه ، فذهب الى عمر فسخر منه ، فذهبالىعلىوزوجته السيدة فاطمة فلم يحققا بغيته برغم حسن اللقاء . فقفل راجعا وقد امتلأت نفسه بأن فى الامر شيئا .

أما الرسول صلوات الله عليه فقد استدعى المسلمين وأمرهم باعداد انفسهم للقتال مناصرة لحلفائه الذين استصرخوه ، وان كان ما زالت أمنيته أن يدخل مكة دون قتال ودون سفك دماء . دعا المسلمين لاعداد أنفسهم ونفسه مطمئنة الى نصر الله له ، وأصبحت امنيته فى دخول مكة وإخضاعها لحكمه وولائها له أملا قريب المنال فلا يبعد أن يتم الله عليه نعمته فيدخلها دون سفك دماء

ودعا ربه قائــلا : « اللهمخذعلى أسماعهم وأبصارهم فلا يــرون الا بغتة ولا يسمعون منا الا فلتة » .

ولما بدأ جيش المسلمين يستعد للتحرك أرسل حاطب بن أبى بلتعة خطابا الى قريش بمكة مع امرأة استأجرها لذلك يخبرهم فيه بأن الرسول قادم اليهم فــى جيش عظيم يسير كالسيل لا قبل لكم به فانظــروا لانفسكم . وانطلقت المرأة بالخطاب وقد أخفته فى ضفائرها وسلكت مسالك غير مطروقــة ، ولما احس الرسول بذلك أرسل فى إثرهــا على بن أبى طالب والزبير . فأحضرا منهــا الخطاب . ولما عاتب الرسول حاطبا ــ وهو من شاركه فى غزوة بدر ــ قال : يا رسول الله اما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى ليس لى فى القوم أهل ولا عشيرة ،وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فأحببت أن تكون لى عليهم يد . فغضب عمر منفعلة حاطب ، ولكن الرسول غفر له ونزل فى ذلك قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » .

تحرك الجيش بقيادة الرسول صلىالله عليه وسلم وكان ذلك فى الحادى عشر من رمضان للسنة الثامنة من الهجرة الموافق يناير سنة ٦٣٠ . واستخلف الرسول على المدينة أحد أصحابه « كلثوم بن الحصين الغفارى » وكان قــوام الجيش نحو عشرة آلاف مقاتــل مجهزين ومدججين ، ولما وصل الجيش الــى (الجحفة) منطقة لا تبعد عن مكة كثيرا لقيهم العباس بن عبد المطلب عم الرسول بأهله وعياله وانضموا الى جيش المسلمين وأظهروا إسلامهم ، كما لقيهم بعد ذلك ابو سفيان بن الحارث الهاشمى ومعه ابنه جعفر ، وعبد الله بن أبى أمية المخزومى . وقد خرجوا من مكة خوفا من مباغتة الرسول لها . وطلب ابو سفيان ابن الحارث ومن معه أن يؤذن لهم فى لقاء الرسول ، وألحوا فى طلبهم حتى رق لهم قلب الرسول وأذن لهم فىلقائه . وبعد حديث لم يطل انشد أبو سفيان هــذا قصيدة أعلن فيها اسلامه ومن معه ، واعتذاره عما سبق أن بدر منه من إيــذاء للمسلمين بمكة مقاومــة للدعوة .

وأما العباس عم النبى وقد أصبح فى صفوف المسلمين ورأى ما هم فيه من قوة ومنعة ، وأن مكة لا قبل لها بهم ، وبدا عليه الخوف والقلق على بلده وأهله ، وهو الذى تركهم منذ أيام قلائل . فقد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم : ماذا أنت صانع لو طلبت قريش منكالامان ؟.

هنا تحركت فى نفس الرسولامنيتهالعزيزة فى أن يفتح مكة دون قتال ، وراى بريقا من الامل فى تحقيقها فأجاب عمه بما أزال الخوف من نفسه على قومه واتخذه سفيرا الى قريش لينبئها خبر قدوم محمد بجيشه علها تستسلم فيدخل مكــة دون قتال ولا إراقةدماء وليس هذا على الله بعزيز وأعطاه الرسول بغلته البيضاء لتكون علامة تحميه من تعرض أحد من جند المسلمين ولتكون دليلا لقريش على صدق وفادته .

ســار العباس تجاه مكــة فلقى فى طريقه نفرا من قريش على رأسهم ابو سفيان بن حرب وقد خرجوا ليستطلعوا قوة جيش محمد ، فأخبرهم العباس بما وراءه وقال : إن محمدا جاء فى جيش لا قبل لقريش به ، وإن مكة اذا دخلهــا محمد عنوة سيصيبها ما يصيبها . واستحسن العباس أن يأخذ معه أبا سفيان ابن حرب ويرجع به الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليقف بنفسه على مدى قوة المسلمين ، ويطلب منه الامان له ولاهل مكــة .

رحب أبو سفيان بن حرب بهذهالفكرة وركب خلف العباس على بغلــة الرسول بعد أن رد من معه الى مكة ، وسار به العباس بين جيوش المسلمين

وقد أشعلوا نيرانهم ، فكلما مرا على جماعة منهم ورأوا البغلة عرفوها وعرفوا من عليها وتركوها تمر بمن عليها ، ولما مرا بنار عمر بن الخطاب ، وتعرف على أبى سفيان أدرك أن العباس يريد أن يجيره فأسرع الى خيمة الرسول وطلب اليه أن يأذن له فيضرب عنق أبى سفيان ، فقال العباس وكان قد أدرك عمر عند الرسول : إنى أجرته يا رسول الله . فقال الرسول وكان الوقت ليلا : اذهب به فى رحلك فاذا أصبحت فائتنى به .

وفى الصباح حضرا ودارت مناقشة أسلم بعدها أبو سفيان ونطق بالشهادتين ، وباسلامه نسى النبى والمسلمون معه كل ما أصابهم منه من أذى ، لأن الاسلام يجب كل ما قبله ، ولأن هدف المسلمين الهداية والسلام ، وهكذا كان يفعل الاسلام فى نفوس المسلمين يطهرها من كل غل وحقد ، ويخليها من الضغائن والاحقاد .

ما زالت هناك فكرة فى ذهن العباس يريد أن يحققها ، وهى أن تنجو مكة مما يصيبها من خراب ودمار لو فتحت عنوة ، وأراد أن يعزز أبا سفيان وهو ذو نفوذ فى عشيرته ، وكان رأسا من رءوس المشركين . فقال العباس للرسول صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا . وسرعان ما أدرك الرسول صلوات الله عليه ما يهدف إليه عمه العباس ، وصادف ذلك هوى فى نفسه ورغبة أكيدة كم تمنى أن تتحقق . فقال : « نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » .

وسواء قلنا إن ما حدث من العباس كان نتيجة تفكيره استقلالا ، أم كان نتيجة تدبير الرسول شخصيا دون أن يعلم أحد ، وسواء أكان لقاء العباس مع أبى سفيان وليد الصدفة أم نتيجة تخطيط فان ما فعله الرسول يدل على مقدرة حربية فائقة وحسن تدبير ومهارة فى الفنون العسكرية والوصول الى النصر من اقرب الطرق وأسلمها من غير خسائر فى الارواح والاموال .

أذن الرسول لأبى سفيان بن حرب أن يسبقه الى قريش ليخبرهم الامر واستعرض أمامه الجيش ليعرف مدى قوته فيخبرهم عن مشاهدة . فانطلق أبو سفيان الى قومه يصيح فيهم يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . فبهت القوم من هول المفاجأة واستسلموا وحاول كل منهم أن ينجو بنفسه فيغلق عليه بابه أو يعدو الى المسجد .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الإثناء تحرك بجيشه ووصل الى مشارف مكة وشاهد استسلامها فسجد لله شاكرا له منّته وعظيم فضله عليه . ولكنه مع هذا أخذ الحيطة ففرق جيشه أربع فرق ، وأصدر أمره اليها جميعها الا تقاتل الا اذا اضطرت احدى الفرق الى القتال ، وجعل الزبير بن العوام على الجناح الايسر من الجيش وأمره أن يدخل مكة من شمالها ، وجعل خالد بن الوليد على الجناح الايمن وأمره أن يدخل مكة من أسفلها ، وجعل سعد ابن عبادة على أهل المدينة ليدخلوا مكة من جانبها الغربى . غير أن الرسول عليه السلام لما علم أن سعد بن عبادة قال : اليوم يوم الملحمة ، وأحس انه متأهب للقتال أمر أن يجعل الراية فى يد قيس ابنه لضخامته وهدوئه . كما جعل صلوات الله

عليه ابا عبيدة بن الجراح على المهاجرين . وسار الرسول وإياهم ليدخلوا مكة من أعلاها . فدخلوها يوم عشرين من رمضان دون أى مقاومة الا ما كان من جيش خالد بن الوليد وقد اندفع الى مكة من أسفلها فتصدى له من شهروا عليه السلاح ورموه بالنبال فاضطر الى قتالهم حتى هزمهم وقتل منهم نيفا وعشرين وفر الباقون الى الدور ، ومنهم من فر الى أعالى الجبال وتبعهم المسلمون مما جعل أبو سفيان ينادى فيهم « يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم . من دخل دارى فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن » . وانتهت المعركة بهذا دون أن يقتل احد من المسلمين الا رجلين ضلا الطريق . وبعد أن اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم لخالد قال له معاتبا : قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟! فقال : هم بدءونا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت . فقال رسول الله : قضاء الله خير .

روى البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة واضعا رأسه الشريف على راحلته القصواء تواضعا لله وهو يقول : « اللهم إن العيش عيش الآخرة » . دون أن يفتنه النصر أو يزهو به .

وفى مكة عرضوا عليه صلوات الله عليه أن يذهب الى بيته ليستريح فيه فرفض واستراح فترة بالقرب من مقبرة عمه أبى طالب وزوجته خديجة ، ثم خرج الى الكعبة فطاف بها وخطب فى الناس قائلا :ـ

« يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم أمر فطهرت الكعبة مما حولها من الاصنام ، ثم أذّن بلال من فوقها للصلاة ، وصلى الرسول وصلى المسلمون ؛ ثم تسابقت قريش الى الاسلام .

وفى غداة يوم الفتح خطب فى الناس قائلا : « يا أيها الناس إن الله حرم مكة الى يوم القيامة لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما أو يعضد فيها شجرا . لم تحلل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحلل لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها . ثم رجعت كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ولم يطل مقام الرسول صلوات الله عليه بمكة أكثر من خمسة عشر يوما يبصر فيها الناس بأمر دينهم ، ويدعوهم الى الحق والطريق المستقيم ، وينظم فيها شئونها . وخشى الأنصار أن يبقى الرسول بمكة فهى مسقط رأسه والتى قضى بها أغلب عمره ، وفيها بدأ الوحى ، وبها قبر زوجته خديجة وعمه أبى طالب وقد شاهدوا حنينه الى قبرهما . ولما أحس الرسول عليه السلام بما فى نفوسهم وقلقهم ومخاوفهم ألا يقيم بينهم فى يثرب قال : « معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم » . ورحل معهم الى يثرب .

وبمناسبة فتح مكة جاء يقول الله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » وصدق الله العظيم وبر عبده الامين بوعده فسبح بحمده حقا وصدقا واستغفر له ولقومه واخبرهم أن الله هو الرحمن الرحيم .

وقد روى عن ابن عباس أن نزول هذه السورة كان دلالة على دنو أجل الرسول عليه السلام قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانه عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ الا ليريهم فقال : ما تقولون فى قول الله عز وجل « إذا جاء نصر الله

والفتح . . » فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له . قال : إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا «فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول » .

وروى البيهقى باسناده عن ابن عباس قال : لما نزلت « إذا جاء نصر الله والفتح . . . » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال : إنه قد نعيت إلىَّ نفسى » فبكت ثم ضحكت وقالت : أخبرنى أنه نعيت اليه نفسه فبكيت ثم قال : اصبرى فانك أول أهلى لحوقا بى » فضحكت .

فهذه السورة — على هذا — كما تحمل البشرى لرسول الله بنصر الله والفتح ، وكما توجهه الى الاستغفار والتسبيح والحمد فانها تكشف عن دنو أجله وقرب انتهاء مهمته فى الحياة الدنيا .

ويقول ابن كثير فى تفسيره إن المراد بالفتح هنا فتح مكة قــولا واحدا . وهكذا كان محمد صلوات الله عليه فى موقف النصر والفتح الذى جعله ربه علامة له . انحنى لله شاكرا على ظهر دابته ودخل مكه التى آذته وأخرجته ، وهو على هذه الصورة نسى فرحــة النصر وانحنى انحناءة الشكر وسبّح وحمــد واستغفر .

أخى القارىء:

أنظر معى الى توفيق الله سبحانه الى رسوله المصطفى وتأييده إياه . خرج من مكة مطاردا ، وتمنى أن يدخلها دون قتال ، وأن تكون كلمة الله فيها هى العليا فتحقق له ذلك ، ودخلها خاشعا خاضعا شاكرا لله نعمته وفضله . فلم يحس فى نفسه بصورة من صور الانتقام ، ولم تدفعه فرحة النصر الى التجبر والتكبر والطغيان ، ولم يمكنه هذا بدافع من التسامح الاسلامى وقوة الايمــان الروحى من أن ينتقم لنفسه ممن نكلوا بــه وحاربوه وآذوه ، ولم يقدم أحد من جنوده على شىء من ذلك مع منَ فيهم ممن عذّبوا من قريش وأوذوا شر إيذاء ، ولم ينسه الحنين الى بلده ومسقط رأسه الوفاء للأنصار الذين عاونوه وقت الشدة ، وفتحوا له وللمسلمين قلوبهم ودورهم ، ونزلوا لهم عن طيب خــاطر عن بعض أموالهم ومتاعهم من الحياة الدنيا لرفاقه والمهاجرين معه .

الله أكبر أيها المسلم فهذا أثر النصر فى نفوس الصديقين . الله أكبر أيها المسلم فهذا الاثر الروحى فى نفوس المؤمنين تطهير من كل حقد وشر ، وارتفاع بالنفوس الى المعانى السامية والقيم الخلقية العالية والتفانى فى سبيل تحقيق الهــدف والمبدأ . وحدة الغاية والهدف . إلــه واحد لا تعبد البشرية سواه وتدين له بالعبودية والطاعة ، ووحدة الصف ، والتعاون الكامل فى بناء مجتمع صالح طاهر أساسه الخلق والدين امتثالا لقول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

فلنتخذ من هذه المواقف درساوعبرة ، وليكن لنا من رسولنا وسلفنا القدوة الصالحة التى نحتذى حذوها فى الدين والخلق . ولنتذكر دائما أن أساس دعوة الاسلام التكوين الخلقى السليم والتعاون الكامل بين الافراد على البر والتقوى . نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لتذوق معانى هذا الدين الكريم ، والعمل بتعاليمه وإرشاداته والسير فى الحياة على نهجه .

كيف يستعيد المسلمون مجدهم القديم

لكاتب كبير

إن الايمان بالله وحده هو الذى يجمع عشرات الالوف من المسلمين ، على اختلاف لغاتهم ، وجنسياتهم والوانهم لاداء فريضة الحج ، وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم كل عام ، وهو الذى وحد بينهم ، وجعلهم إخوة فى الايمان إرضاء لله ، وجمعهم فى المسجد الحرام .

إن المسلمين الاول كانوا يؤمنون بالله إيمانا قويا ، ويثقون بالله ثقة لا نهاية لها ، ولا يخافون إلا الله ، ولا يخشون فى الحق لومة لائم . وكانوا يضحون بانفسهم واموالهم واولادهم فى سبيل الله ، وابتغاء مرضاته ، ولذلك كان النصر حليفهم ، وقد نصرهم الله على أعدائهم ، وفتحوا العالم ، ونشروا الاسلام فى مدة قصيرة لا تذكر .

لقد كان المسلمون فى علمهم واخلاقهم وانسانيتهم ، ووحدتهم ، وتضامنهم وتعاونهم ، وايمانهم بالقدرة الالهية ، والعظمة الربانية — خير امة أخرجت للناس .

كان المسلمون فى العصور الاسلامية الاولى متحدين اتحادا قويا ، يفكرون فى اخوانهم فى مشارق الارض ومغاربها ، ويحبون لهم ما يحبون لانفسهم ، ويستهينون بالموت ، ويطلبون الاستشهاد ، ويقولون : احرص على الموت توهب لك الحياة . ويعملون بقوله صلى الله عليه وسلم : ((المؤمن للمؤمن كالبنيان

يشد بعضه بعضا)) . فانتصروا ، وهابهم العالم كله ، وقادوا العالم فى العدالة والحـــرية ، والاخـــاء والمساواة ، والحضارة والمدنية . ولكن أين المسلمون اليوم ؟ وأيـــن الامـــة الاسلامية العظيمة ؟ وأيـــن الاخـــوة المحمديـــة ؟ وأين الوحـــدة الاسلامية ؟ وأين الرابطة القوية التى كانت تربط المسلمين بعضهم ببعض فى عصور العظمة الاسلامية ؟

إن المسلمين اليوم ـــ مع الاسف الشديد ـــ فى عزلة وتخاذل ، وتنازع واختلاف ، وعداء أحيانا ، لانهم الآن مجبون لانفسهم ، ولا يفكرون الا فى أنفسهم ، ولا يعيشون الا لانفسهم ، ولا يحيون الا لانفسهم ، ولا يفكرون فى غيرهم من المسلمين ، ولا يعبدون الا المال والمركز والجاه والسلطان ، وأصحـــاب المال والمركز والجـــاه والسلطان .

فهل نعجب اذا صاروا ضعفاء بعد ان كانوا اقوياء ، وأذلاء بعد أن كانوا اعزاء ، ومتأخرين بعد أن كانـــوا يقـــودون العـــالم فيما مضى مـــن الزمان ؟

ولن يستعيد المسلمـــون مجدهم القديم ، وعصرهم الـــذهبى الا اذا آمنوا بالله إيمانا صادقا ، واتحدت كلمتهم ، وتعاونت قلوبهم وأرواحهم ، وقضوا على الفساد الخلقى ، واعطوا السائلين والمحرومين حقوقهم ، وأحب كل مسلم اخاه كمـــا يحب نفسه ، وكونوا وحدة اسلامية قوية شاملـــة للعالم الاسلامى كله ، بعيدة عـــن الاستعمار كل البعد ، ونبذوا الاهواء والاغراض ، والمنافع الخاصة التى يجرون وراءها ، ويفكرون فيها .

إذا استطعنا أن نصل الى تحقيق الـــروح الاسلامى الحـــق ، وآمنا بالعظمـــة الالهية ، ونظمنا حياتنـــا الاسلامية ، وكونا وحدتنا القويـــة ـــ أمكننا أن نستعيد مجدنا التليد ، وقوتنا السالفة ، ولن تستطيع أى أمة أن تقف أمام الامـــة الاسلامية المتحدة ، المؤمنة باللـــه . وعظمته وحده لا شريك له . لن تستطيع أى قوة فى العالم أن تستهين بالمسلمين ، أو تتحكم فيهم ، أو تسيطر عليهم اذا اتحدوا وفكروا فى الموت أكثر مـــن تفكيـــرهم فى الحيـــاة كأجدادهم السابقين .

لكى يستعيد المسلمون مجدهم فى صدر الاسلام يجب أن ينشروا التعليم فى بلادهم ، حتى لا يبقى فيها أمى واحد ، ويعملوا على رفع مستوى معيشة الفقراء باعطائهم حقوقهم التى فرضها الله لهم ، حتى لايكون هناك سائل أو محـــروم بين المســـلمين ، ويتخلصوا من الفقر ، ويعنوا بالتربية الدينية الخلقية المثالية ، حتى تقضى عـــلى الأثـــرة ، وحب النفس ، والفساد الخلقى ، ويهتموا بالناحية الصحية حتى يجد كل مريض وسائل العلاج ميسرة أمامه ، ويعنوا بالتربية الجسمية عنايتهم بالتربية العقليـــة والروحية والوجدانية والعملية .

وبهذا كله نقضى على الجهـــل والفقر والمرض وفساد الخلق . وهى المشـــكلات الاجتماعية التى خلّفهـــا الاستعمار وراءه قبل أن يرحل مـــن البلاد الاسلامية التى احتلها عشرات السنين ، وامتص خيراتها ، وخلّف لها الجهل والفقر والمرض والفساد .

إن الاســـلام قد منح الانسان حقوقا ، مثل الحريـــة الشخصية ، وحرية العقيدة ، وحق المساواة ، وحق التعلم ، وحق الحياة ، وحق الاخوة . وكما منحه كثيرا من الحقوق فرض عليه كثيرا من الواجبات الدينية التى تتعلق بالـــدين ، والواجبات الانسانية التى تتصل بالحياة . وأمر بالعدل والاحسان وبر ذوى القربى ، والصدق والامانـــة والوفاء ، ونهى

عن الظلم والغدر وحرمان الفقير ، والعقوق والكذب والخيانة والسرقة والقتل والزنى :

« إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » (١) .

ومن العيوب المنتشرة بيننا اننا نفكر فيما لنا من حقوق ، ونسعى لاخذ هذه الحقوق . ولكننا لا نؤدى ما علينا من واجبات ، فنحن نأخذ ولا نعطى ، ولا نشعر بالواجب ، ولا نفكر فى ادائه . ولا نحاسب أنفسنا على ما قمنا به من عمل . ويجب أن نرضى الله فى السر والعلانية . وقد خاطب الله رسوله بقوله :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . يجب أن نعمل الخير ونفكر فى الخير دائما ، ونقوم بما علينا من واجبات لله وللوطن وللاسرة والجيران ، والانسانية .

فلكى يستعيد المسلمون مجدهم الماضى ، وعظمتهم السالفة ، يجب أن يتمسكوا بروح الاسلام ، ومبادئه المثالية وأخلاقه الكريمة ، ويعودوا الى ايمانهم القوى بالله ، ويكونوا يدا واحدة ، ووحدة قوية متماسكة متعاونة ، ضد المستعمرين والمحتلين، ويتركوا المظاهر الكاذبة ، ويدافعوا عن بلادهم ، متحدين بقلوبهم وأعمالهم ، ويبتعدوا عن الخلاف والنزاع والشقاق ، والرياء والملق والنفاق ، والجرى وراء الحكم والجاه والسلطان . عندئذ سينتصرون على الاعداء المغتصبين . ولن يستطيع الاستعمار أن يقف فى سبيلهم ، مهما تكن عدده وأسلحته . وسيكون النصر حليفهم ، كما كان حليفا لاجدادهم من المؤمنين السابقين الاولين .

الاستعمار هو السبب فى اضعاف المسلمين :

إن الاستعمار قد مزق البلاد الاسلامية ، حتى يسهل عليه احتلالها، ويتخذها مناطق نفوذ له ، واسواقا تجارية لمصنوعاته ، ويتحكم فى أهلها بما نال من سيطرة وامتيازات ، ويسلب ما فيها من خيرات ، بجشع وشراهة ، وينهب ما فيها من الآثار .

ولهذا كان الاستعمار السبب الاول فى اضعاف المسلمين ، والتفرقة بينهم ، بعد ان كانوا أمة واحدة تتمتع بالحرية ، وتسود العالم .

والحمد لله قد تخلص المسلمون فى معظم البلاد الاسلامية من القراصنة ، وعصابة اللصوص المستعمرين ، ومظالمهم واعتداءاتهم ، وطغيانهم ، وصاروا أحرارا فى بلادهم ، مستقلين فى حياتهم ، يعملون لاعادة مجدهم السالف ، وقوتهم السابقة ، ليكونوا خير أمة ، كما كان آباؤهم وأجدادهم فى صدر الاسلام .

الشيخ محمد عبده والاسلام :

قال المرحوم الامام الشيخ محمد عبده (٢) :

« ابتدا هذا الدين بالدعوة كغيره من الاديان ، ولقى من أعداء انفسهم أشد ما يلقى حق من باطل ، أوذى الداعى صلى الله عليه وسلم بضروب الايذاء ، وأقيم فى وجهه ما كان يصعب تذليله من عقبات ، لولا عناية الله ، وعذب المستجيبون له ، وحرموا الرزق ، وطردوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة ، غير أن تلك الدماء كانت عيون العزائم تنفجر من صخور الصبر ، يثبت الله بمشهدها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب فى أنفس المرتابين ، فكانت

تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب ، وهى ذوب ما فسد من طباعهم ، فتجرى فى مناحرهم جرى الدم الفاسد من المفصود على أيدى الاطباء الحاذقين :

« ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه(٣) جميعا فيجعله فى جهنم أؤلئك هم الخاسرون (٤) .

« تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الاسلام ، ليحصدوا نبتته ، ويخنقوا دعوته ، فما زال يدافع عن نفسه دفاع الضعيف للاقوياء ، والفقير للاغنياء ، ولا ناصر له الا أنه الحق بين الاباطيل ، والرشد فى ظلمات الاضاليل ، حتى ظفر بالعزة ، وتعزز بالمنعة » .

« ضم الاسلام سكان القفار العربية الى وحدة لم يعرفها تاريخهم ، ولم يعهد لها نظير فى ماضيهم ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد ابلغ رسالته بأمر ربه الى من جاور البلاد العربية منملوك الفرس والرومان ، فهزءوا وامتنعوا ، وناصبوه وقومه الشر ، وأخافوا السابلة ، وضيقوا على المتاجر ، فغزاهم بنفسه ، وبعث اليهم البعوث فى حياته ، وجرى على سنته الائمة من صحابته ، طلبا للامن ، وإبلاغا للدعوة ، فاندفعوا فى ضعفهم وفقرهم يحملون الحق على أيديهم ، وانهالوا به على تلك الامم فى قوتها ومنعتها ، وكثرة عددها ، واستكمال أهبتها وعددها ، فظفروا منها بما هو معلوم . وكانوا متى وضعت الحرب أوزارها ، واستقر السلطان للفاتح عطفوا على المغلوبين بالرفق واللين ، وأباحوا لهم البقاء على أديانهم ، وإقامة شعائرهم آمنين مطمئنين . ونشروا حمايتهم عليهم يمنعونهم بما يمنعون منه اهلهم وأموالهم ، وفرضوا عليهم كفاء ذلك جزءا قليلا من مكاسبهم على شرائط معينة . . » .

« ولم يعهد فى تاريخ فتوح الاسلام أن كان له دعاة معروفون لهم وظيفة ممتازة ، يأخذون على أنفسهم العمل على نشره ، ويقفون مسعاهم على بث عقائده بين غير المسلمين ، بل كان المسلمون يكتفون بمخالطة من عداهم ، ومحاسنتهم فى المعاملة . وشهد العالم بأسره أن الاسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا وإحسانا عندما كان يعدها الاوروبيون ضعة وضعفا » .

« رفع الاسلام ما ثقل من الاتاوات (٥) ، ورد الاموال المسلوبة الى أربابها ، وانتزع الحقوق من مغتصبيها ، ووضع المساواة فى الحق عند التقاضى بين المسلم وغير المسلم . بلغ أمر المسلمين فيما بعد الا يقبل اسلام من دخل فيه الا بين يدى قاض شرعى ، باقرار من المسلم الجديد انه أسلم بلا إكراه ولا رغبة فى دنيا » .

« ووصل الامر فى عهد بعض الخلفاء الامويين أن كره عمالهم دخول الناس فى دين الاسلام ، لما رأوا أنه ينقص من مبالغ الجزية . وكان فى حال أولئك العمال صد عن سبيل الدين لا محالة ، ولذلك أمر عمر بن عبد العزيز بتعزيز مثل أولئك العمال (٦) » . وأجاب عامله بمصر حينما شكا اليه ذلك : « إن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث هاديا ، ولم يبعث جابيا » .

ونحن نقول : هذا ما كان من أمر المسلمين فى معاملتهم لمن اظلوهم بسيوفهم ، لم يفعلوا شيئا سوى أنهم حملوا الى اولئك الاقوام كتاب الله وشريعته ، والقوا بذلك بين أيديهم ، وتركوا الخيار لهم ، فى القبول وعدمه ، ولم يقوموا بينهم بدعوة ، ولم يستعملوا لإكراههم عليه شيئا من

القوة . وما كان من الجزية لم يكن مما يثقل أداؤه على من ضربت عليه . فما الذى اقبل بأهل الاديان المختلفة على الاسلام . وأقنعهم أنه الحق دون ما كان لديهم حتى دخلوا فيه افواجا . وبذلوا فى خدمته ما لم يبذله العرب أنفسهم (؟) .

لقد دخل اهل الاديان المختلفة فى دين الله افواجا لانهم أحسوا أنه دين الطبيعة والفطرة . دين العقل والمنطق . دين الرأى الحر . والتفكير السليم . دين الرحمة والشفقة . دين الانسانية والنبل . دين الفضيلة والكمال . دين قضى على الرذائل الخلقية . والنقائص البشرية . دين الحرية والديمقراطية . دين الدنيا والآخرة . دين يدرك معنى الحياة . ويعنى بالجسم كما يعنى بالروح . دين يدعو الى الاخلاص فى السر والعلانية . وصفاء النية والسريرة . دين ألغى الامتيازات بين الطبقات . ورفع العبيد الى منزلة الاشراف . وسوى بين الاغنياء والفقراء . ونادى باحترام الشرف والعرض وحقوق الجار . دين يسهل على كل انسان فهم أحكامه وأسراره . ومعرفة الحكمة فى كل تشريع من تشريعاته . دين العدالة المطلقة . وقف بجانب المظلوم ليأخذ له حقه من الظالم . مهما يكن مركز ذلك الظالم وسلطته . دين أخذ للفقراء حقوقهم من الاثرياء . دين أجاز لامرأة مصرية فقيرة غير مسلمة أن ترفض بيع بيتها الصغير بأى ثمن لحاكم مصر وهو عمرو بن العاص . مع أنه لم يفكر فى شرائه لنفسه . بل أراد أن يشتريه ليوسع به ناحية من المسجد . فرفضت بيعه . مع أن ابن العاص عرض عليها اضعاف ثمنه . وشكته الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فأمر ابن العاص برد البيت الى صاحبته . ولامه على ما فعل . دين سمح ليهودى بالوقوف ضد على ابن أبى طالب — كرم الله وجهه — أمام القاضى المسلم . فكان حكمه بينهما مثلا عاليا للعدالة والنزاهة والمساواة .

لهذه المثل السامية دخل الناس فى دين الله افواجا . وصاروا من أكبر انصاره . وأنار الله قلوبهم . فاعتنقوا الاسلام برغبة قوية . وعقيدة روحية . ووازع نفسى . لا سيف من ورائهم يخيفهم . ولا مبشر أمامهم يكرههم على اعتناقه .

---

١) **سورة النحل : ٩٠ .**

٢) ارجع الى كتابة : (الاسلام والرد على **منتقديه) ص ١١٦ .**

٣) يجمعه .

٤) سورة الانفال : ٣٧ .

٥) الاتاوة : الخراج . والضريبة . والرشوة

٦) الحكام .

أصول العلاقات الدولية.. في الإسلام

محمد فودة

لماذا يحمل

١) إن الاسلام دين سلام ومودة واخوة بين الناس جميعا ، من آمن به ومن لم يؤمن فلماذا أباح الحرب ، وحض على الجهاد ، واعد للشهداء فى سبيله الأجر الجزيل والنعيم المقيم ؟

إن الحرب فى الاسلام ليست أصلا من أصوله ، وهو يرفض كل الوان الاكراه فى الايمان بـه ، لان العقيدة الصحيحة أساسها الاقتناع الصادق القائم على الوجدان والبرهان ، ولا يتسنى لاية قوة فى الارض أن تفرض على انسان عقيدة يأباها قلبه وينفر منها عقله ، فما هى الغاية إذن من الحروب الاسلامية ؟

إن الاسلام كما اشرت غير مرة دين عالمى جاء للناس كافة وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الدين الى العرب ، وتوفى عليه السلام بعد أن ترك قومه على المحجة البيضاء ، وأصبح على هؤلاء العرب الذين اختار الله منهم خاتم رسله أن يحملوا هذا الدين الى غيرهم من الامم ، فالشرائع لا تلزم الا بعد السماع كما يقول الامام محمد (١) ، ومن هنا كان غير العرب اذا لم تصل اليهم دعوة الاسلام لا حجة عليهم ، وانما تقع الحجة على الذين بلغهم هذا الدين ثم قصروا فى تبليغه الى سواهم .

٢) فمن أجل تبليغ هذا الدين الى الناس فى كل زمان ومكان وحماية الدعوة اليه فرض الجهاد ، وكان ماضيا الى يوم القيامة ، انه جهاد من أجل حماية

المسلمون والسلاح

للدكتور : محمد الدسوقي

التبليغ فحسب ، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر . فقد اكدت حوادث التاريخ أن الطغاة لا يتركون الناس احرارا فيما يدينون به ويسمعون له . وفى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الحى على ذلك فهو عليه السلام قد دعا قومه الى عبادة الله وحده وترك عبادة الاصنام فآذوه واضطهدوه . وعذبوا من صدقه واتبعه ثم اخرجوه واصحابه من مكة .

إن مشركى مكة ارادوا الحجر على القلوب والعقول . وأبوا أن يدعوا للناس الحرية فى التفكير والاختيار ، فهم بهذا يحمون مبدأ الاكراه فى الدين . فلو ترك هؤلاء الكفار وشأنهم لطغا الباطل على الحق ولطمس النور الظلام (٢) فكان الاذن بالقتال واتخاذ القوة لدفع هذا الظلم الذى تعرض له المؤمنون ، لانهم قالوا ربنا الله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع اللـه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » (٣) .

فغاية الحرب فى الاسلام تنحصرفى تحرير الناس من الطغاة فلا يكون فى الارض سلطان غير سلطان الحق تبارك وتعالى ، وبذلك لا تكون فتنة ويكون الدين كله للـه .

٣) ولأن غاية الحرب الاسلامية هى تحقيق الحرية الدينية لطف الاسلام

من حدتها . وجعل لها قانونا عادلا ونظاما محكما ، وأكبر ما يسجل له من أمرها انه لم يشرعها لنيل المغانم ، وفرض المغارم ، ولكنه جعلها وسيلة عند الضرورة لنشر كلمة الله بين الامم (٤) .

وأول ما يجب على المسلمين اذاساروا الى غيرهم أن لا يبداوهم بالحرب أو الاعتداء لانهم لم يسعوا رغبة فى القتال لذاته فهم أصحاب دعوة . وليس عليهم الا البلاغ . ومن هنا كان واجبا أن يسبق الحرب أمران اذا ووفق على أحدهمـــا فلا قتال :

الامر الاول : البدء بالدعاء الى الاسلام ، وجاء فى شرح السير الصغير (٥) ان هذا الدعاء قد يكون موجها لقوم لم تبلغهم الدعوة . فيجب إعلامهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، وقد يكون موجها لقوم بلغتهم الدعوة . ودعاؤهم مـــرة ثانية أمر مطلوب لانه كما جاء فى هذا الشرح : جد ومبالغة فى الانذار بما ينفع . وهذا يؤكد الرغبة فى إيثار السلم على الحرب ، فى تبليغ دعـــوة الاسلام فاذا استجاب هؤلاء طوعا واختيارا لما دعاهم اليه المسلمون فهم اخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا وإن أبوا ولم يستجيبوا فان على المسلمين أن يدعوهم الى الامر الثانى وهو أن يدخلوا مع المسلمين فى عهد وميثاق ، ويصبحوا أهل ذمة لا يتعرض لهم فى عقائدهم الدينية ويتمتعون بكل حقوق الحماية والرعاية فى مقابل ضريبة مالية يسيرة لا تجب على غير القادرين منهم ، وذلك لهدف واحد وهو أن يأمن المسلمون هؤلاء ، فلا يظاهروا غير المسلمين على المسلمين . فان أبوا أن يدخلوا مع المسلمين فى عهد وميثاق ، فقد جاهروا بهذا الرفض بالعـــداء ، وأمعنوا فى الضلال وكان قتالهم فى هذه الحالة لتحرير الناس من التسلط والقهر .

وجاء فى شرح السير الكبير(٦) : ان الكفر وان كان منأعظم الجنايات فهو بين العبد وربه جل وعلا ، وجزاء مثل هذه الجناية يؤخر الى دار الجزاء فأما ما عجل فى الدنيا ـــ وهو قتال الكفارـــ فهو مشروع لمنفعـــة تعود الى العباد .

ومؤدى هذا النص يؤكد الحقيقة التى أشرت اليهـــا وهى أن القتال فى الاسلام ليس للاكراه فى الدين ، ولكن لتحقيق مصالح العباد بانقاذهم من الطغاة المستبدين حتى يكون الطريق أمام دعوة الله خاليا من الاشواك والعقبات يسلكه من شاء ويعرض عنه من أبى .

٤) وما دام القتاللدفعفتنة الكفر وشر الكفار . فانه لا يجوز قتال الا هؤلاء الذين يمثلون الفتنة ويمكنون للشر بالفعل أو بالقول . ولهـــذا لا ينبغى قتل النساء والولدان والمجانين (٧) وان حملوا السلاح والذين لا يخالطون الناس وترهبوا فى الأديرة . وكذلك الشيوخ الفانون لقوله تعالى : وقاتلوا فى ســبيل الله الذين يقاتلونكم ، وهؤلاء لا يقاتلون (٨) ، فاذا شارك أحد من هؤلاء برأيه أو فعله فى الحرب ، فقد أصبح مقاتلا ، يجوزقتاله وقتله فيما عدا المعتوه فان على المسلمين أخذه ومنعه من مشاركته فى الحرب (٩) .

وكما جاء النهى عن قتل غير المحاربين جاء النهى أيضا عن الغدر والمثلـــة وحمل الرءوس وقطع الاشجار وتخريب الديار وذبح المواشى الا لضرورة إطعام الجند (١٠) .

٥) واذا وضعت الحرب أوزارها فلا يقتل أسير . ولا يذفف على جريح ولا يتبع فار ، ولا يتعـــرض لأحد من أهل دار الحرب بالعنت بل يعاملون جميعـــا معاملة انسانية لا تعرف الاذلال وامتهان كرامة الانسان ، وانما تعرف الرحمة والعدل والانصاف .

وأهل دار الحرب يعاملون أيضا قبل أن يكون بينهم وبين المسلمين علاقة من

ذمة أو موادعـــة معاملة انسانية ، فالتجارة مثلا بيننا وبينهم لا تتوقف . وعلى المسلمين ان يحذروا فقط من أن يحملوا لدار الحرب ما يزيد من قوة أهلهـــا وبأسهم . فقد جاء فى شرح السير الكبير : والاولى للمسلم أن يحترز عن اكتساب سبب القوة لهم الا أنه لا بأس بذلك فى الطعام والثياب ونحو ذلك لما روى ان ثمامة بن أثال الحنفى أسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فقطع الميرة عن أهل مكـــة فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يأذن له فى حمل الطعام اليهم ، فأذن فى ذلك ، وأهل مكة يومئذ كانوا حربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرفنا أنه لا بأس بذلك (١١) .

٦) وبهذا يتضح أن الحروب فى الاسلام ضرورة . وانها تخضع لقانـــون العدل واحترام آدمية الانسان وليست سبيلا لاستغلال الشعوب ونهب ثرواتها . وهى فى جوهرها تحقق السلم الدائم بين الناس ، لانها تنقذهم من تجار الحروب والطغاة الذين يكرهونهم على ما لا يبتغون .

ويتضح أيضا أن أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم السلم . وان نظـــرة الاسلام الى غير المسلمين لا تعرف العداء والتعصب والكبرياء . وانما تقوم على التسامح والتعاون والاخاء وعلى احترام العهود والوفاء بها مهما تكن الظروف والاسباب . وصدق الله العظيم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين . ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (١٢) .

فهاتان الآيتان تلخصان الدستور الاسلامى فى العلاقات الدولية . وهو دستور يقوم على السلم ويؤثر المودة على العداوة حتى مع من عادوه ما ضمن كفهم عن الاعتداء استحياء للمودة الانسانية وتوثيقـــا للروابط البشرية . فقبل الآيتين قوله تعالـــى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » .

٧) وخلاصة القول ان العلاقات الدولية فى الاسلام تقوم على ما يلى :

أولا : المساواة بين الناس ، فهم جميعا أمة واحدة ، لا طائفية ولا عنصرية بينها ، ولا مفاضلة بالالوان والاجناس والاوطان ولكن بخشية الله ومراقبته « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وأما قواعد القانون الدولى فى صورته الراهنة — على الرغم من تطور الفكر القانونى وتطلعه نحو أفق رحب من الانسانية والعالمية — فانها لا تستجيب لمبادىء المساواة بين مختلف الـــدول من غير تمييز بين أديانهـــا وأجناسهـــا وألوانها .

ويلاحظ أن انقسام العالم انقساما سياسيا خطيرا بين المذاهب الشيوعية والرأسمالية والحيادية قد ساعد من جديد على ظهور الطائفية فى نطاق القانون الدولى . وبدأت ظواهر هذه الطائفية فى التكتلات الدولية الحديثة (١٣) .

ثانيا : السلم أصل العلاقة بين الناس .

ويتفرع على تقرير مبدأ المساواة والوحدة قيام العلاقة بين الناس علـــى المحبة والمودة والسلام والوئام ، لان معنى المساواة يفقـــد قيمته اذا لم يبلغ كل أسباب الحروب من الاستغلال والاحتلال .

واذا كان الاسلام قد قرر أن أصل العلاقة بين الناس السلم . فان هـــذا لا يتعارض مع اذنه بالحرب وحضه على الجهاد ، لان الحرب التى أباحها فـــى

جوهرها حماية للسلم وتمكين له فى الارض ولهذا وضع لها القوانين التى تجعلها رحمة وخيرا .

واذا كان القانون الدولى قد انتهى أخيرا الى نبذ الحرب فى فض المنازعات الدولية فان هذا جاء نتيجة للدمار المروع الذى تعرضت له البشرية فى الحرب العالمية الثانية ، ومع هذا لا يلقى ما انتهى اليه هذا القانون من الدول التقدير والاحترام ، وما زالت الحرب القانون الذى يلجأ اليه فى المشكلات الدولية ، وما زالت القاعدة التى تعيش عليها الغابة وهى : القوة تخلق الحق وتحميه وتضع حدا لكل نزاع — هى المعول عليها فى فض كل الخلافات بين الامم بالرغم من وجود المنظمة الدولية وجمعيتها العامة وما تصدره من قرارات .

ثالثا : ترتبط أصول العلاقات الدولية الاسلامية بالعقيدة ارتباطا وثيقا فهى جزء منها لا يكمل الايمان الا بها ، ومن هنا تلقى من الدولة والافراد فى المجتمع الاسلامى كل الاحترام والاقتناع الذاتى بها .

أما القوانين الوضعية — ومنها القانون الدولى — فانها مبتوتة الصلة بعقائد الافراد والدول ، ولا تلقى الاحترام غالبا بدافع ذاتى ويزداد الامر بالنسبة للقانون الدولى انه غير ملزم فى رأى بعض فقهائه ، (١٤) وانه لا يحول بين الدول واطماعها السياسية والاقتصادية ، وهى أطماع لا يردعها غير القوة الحربية ، وليس عدوان ١٩٥٦ على بلادنا وأيضا عدوان ١٩٦٧ ، وما يجرى فى الهند الصينية وفى المستعمرات الافريقية الا دليلا ملموسا على أن القانون الدولى لا يلقى — مع قصوره — الاحترام والصدق فى الاخذ بقواعده .

رابعا : العدالة :

يحرم الاسلام الظلم بجميع اشكاله ، ويأمر بالعدل مع الاصدقاء والاعداء فى كل الحالات « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » (١٥) .

واذا كان من العدالة أن نرد الاعتداء بمثله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » . فان الاسلام كما تنص الآية الكريمة لا يجعل رد الاعتداء بمثله أمرا مطلقا ، بل يقرن به تقوى الله ، ومن هنا يكون العدل فى الاسلام عدلا انسانيا رحيما لا يعرف التشفى ، ولا يمتهن الكرامة والفضيلة ولا ينزل الى مستوى الهمجية والوحشية . ولو كان غيرنا قد هبط الى هذا المستوى . ومن أجل ذلك كان الاسلام دين القوة . قوة الايمان والابدان والسلاح حتى نحمى دائما العدالة والفضيلة .

ومن أروع ما يروى عن عدالة المسلمين مع أعدائهم فى الحروب أن قتيبة ابن مسلم الباهلى القائد الفاتح دخل سمرقند من غير أن يخير أهلها بين الاسلام أو العهد أو الحرب ، فأرسل أهل سمرقند الى عمر بن عبد العزيز والى أمر المسلمين يشكون اليه أن قتيبة لم يخيرهم ولو خيرهم لاختاروا ، فأرسل خامس الراشدين الى القاضى وقال له : اذا جاءك كتابى هذا فأجلس قتيبة والمحاربين وسلهم ، فان تبين صدق شكوى أهل سمرقند ، فأمر جيش المسلمين بأن يترك البلاد ، وحقق القاضى القضية وتبين له أن قتيبة لم يخيرهم ذلك التخيير ، فأصدر أمرا بأن يترك جيش المسلمين سمرقند ، وأن يخير أهلها بين الاسلام أو العهد أو الحرب ، وخرج جيش المسلمين من سمرقند ، وقبل أهلها بعد ذلك العهد ، ومنهم من دخل فى الاسلام (١٦) .

أليس هذا هو العدل الكامل الرائع ، قاضى المسلمين ينصف أهل الحرب من قائد جيش المسلمين ، ثم يأمر هذا الجيش بترك المدينة التى دخلها دون

ان يخير القائد أهلها فهو بهذا قد ظلمهم . والاسلام شريعــة العــدل فى السلم والحــرب ..

فهل يمكن أن يحدث هــذا اليوم فى عصر الحضــارة والمدنية والقوانين الدولية ؟

خامسا : احترام العهود والوفاء بها :

للعهود والمواثيق فى الاسلام حرمة مقدسة يجب الوقوف عند حدها ، وعدم التفريط فيها ، والنصوص فى ذلك كثيرة يمكن الاجتزاء منها بقولــه تعالى : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون أمة هى أربى من أمة » (١٧) .

فهذا النص الكريم يحتم الوفاء بالعهــد وعدم نقضه . ويحذر من الخديعة والدخل فى المواثيق ، ويشبه الذين يعقدون العهد ثم ينقضونه بالحمقاء التى تغزل غزلا محكما وبعد ذلك تنقضه ، وفى هذا اشارة الى أن نقض العهد لا يفعلــه الا الحمقى (١٨) ، ويشير النص ايضا الى أن الرغبة فى زيادة الارض أو القوة لا يصلح أن يكون شىء من هذا سببا لنقض العهد . فالعدالة الاسلامية لا تجعل مصلحة الدولة سبيلا لنقض العهد ما دامت شروطه مصونة من الاعــداء . ولذلك يحذر القرآن الكريم من نقض العهد حين يستنصر المسلمون اخوانهم المسلمين ليجاهدوا معهم فى الدين ، فان عليهم أن يحترمــوا ما بينهم وبين غيرهم مــن مواثيق : « وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » (١٩) .

ولم تكن هذه المبادىء القويمة فى رعاية العهود مثلا نظرية بل كانت سلوكا واقعيا فى حياة المسلمين وفى صلاتهم الدولية ، ومن ذلك ما جاء عن حذيفة بن اليمان قال : ما منعنى أن أشهد بدرا الا اننى خرجت انا وأبو الحسيل فأخذنا كفار قريش . فقالوا : انكم تريدون محمدا . فقلنا : ما نريده وما نريد الا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننطلق الى المدينة ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال : « انصرفا : نفى بعهودهم ، ونستعين الله عليهم » .

وقال أبو رافع مولى رسول الله : بعثتنى قريش الى النبى . فلما رأيت النبى وقع فى قلبى الاسلام ، فقلت : يا رسول الله لا أرجع اليهم . قال :« انى لا أخيس العهد ولا أحبس البرد ، ولكن ارجع اليهم ، فان كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجــع » (٢٠) .

هذا هو موقف الاسلام من رعاية العهود والوفاء بها . ولكن الامر بالنسبة للعرف الدولى يختلف كل الاختلاف فالمعاهدات لدى هذا العرف وسيلة القــوى ينال بها من الضعيف . وهى لا تعدو أن تكون قصاصة ورق يمكن نكثها قبل أن يجف مدادها ، ففى مطلع القرن الحالى اتفقت بعض الــدول على حياد بلجيكا ، وأرادت المانيا أن تمر بجيوشها مــن الاراضى البلجيكية حتى تحارب فرنسا ، ورفضت بلجيكا ذلك ، واحتجت انجلترا على تصرف المانيا وانذرتها بالحرب اذا لم تعدل عن خرق حياد بلجيكا وقال المستشار الالمانى فى رده على انجلترا : ان من الهــول ما تنويه حكومة جلالة الملك البريطانى ، ومما يعز على أن أتصور جلالته قابلا دخول حرب مراعاة لقصاصة ورق يسمونها معاهــدة واتفاقا على حياد أرض » (٢١) .

فالمعاهدات قصاصات ورق لا قيمة لها اذا تعارضت مع مصلحة الدولة ،

والمصلحة هنا تشمل الغزو للاحتلال . وهذا يؤكد أن قواعد القانون الدولى — وهى نحض على المحافظة على المعاهدات — مبتوتة الصلة بضـــمائر الافراد والجماعات .

٨) وبعد فهذه فى إجمال اصول العلاقات الدولية فى الاسلام كما بينهـــا كتاب الله وسنة رسوله ، وتحدث عنها فقهاؤه وفى مقدمتهم الامـــام محمد بن الحسن الشيبانى . وهى أصول لحمتها وسداها السلام والوئام والرحمة والعدالة وحماية الفضيلة ، وهى وحدها صمام الامن للبشريـــة جمعاء . ومهما أبدع الفكر الانسانى من قوانين ونظم فلن يبلغ شأو تلك الاصول « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »(٢٢) .

---

١) شرح السير الكبير جـ٤ ص ٢٩١ .
٢) نظم الحرب فى الاسلام لجمال الدين عياد . ص : ٢١ .
٣) الآية : ٣٩ ، ٤٠ فى سورة الحج .
٤) مهمة الدين الاسلامى فى العالم بحث للمرحوم الاستاذ / محمد فريد وجدى ، منشور فى مجلة نور الاسلام سنة ١٣٥٢ ص : ٣٧١ .
٥) انظر المبسوط جـ١٠ ص ٦ .
٦) جـ٣ ص ١٨٢ .
٧) المصدر السابق : ص ١٩٧ .
٨) شرح السير الكبير جـ٣ ص ١٨١ ، ١٩١ .
٩) المصدر السابق ص ١٩٤ ، ١٩٧ .
١٠) شرح السير الكبير جـ١ ص ٤٤ . د. صلاح الدين المنجد .
١١) شرح السير الكبير جـ٣ ص ١٧٧ — ١٧٨ . ط : الهند .
١٢) الآيتان رقم ٨ ، ٩ فى سورة الممتحنة ، ومن المفسرين من يرى أن الآيتين نسختهما آية « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وقيل انهما خاصتان بحلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينهم عهد فلم ينقضه ، وقال أكثر أهل التأويل : هى محكمة ، وهو الصحيح . (انظر احكام القرآن للجصاص ٤٣٦/٣ وتفسير القرطبى جـ ١٨ ، ص ٥٩ والنسخ فى القرآن الكريم لأستاذنا الدكتور مصطفى زيد ص : ٥٥٣ ط : أولى) .
١٣) القانون الدولى فى وقت السلم للدكتور حامد سلطان ، صفحة : ٤٢ .
١٤) آثار الحرب فى الاسلام ، الدكتور وهبه الزحيلى ، ص ١٠ .
١٥) الآية : ٨ فى سورة المائـــدة .
١٦) انظر أسبوع الفقه الاسلامى الثالث ، ص : ٢٠٠ .
١٧) الآيتان ٩١ ، ٩٢ فى سورة النحل .
١٨) أسبوع الفقه الاسلامى الثالث ، ص : ١٩٩ .
١٩) الآية ٧٢ فى سورة الانفال .
٢٠) انظر مجلة المسلمون شوال سنة ١٣٧٢ جـ ص : ٢٣ .
٢١) انظر نظم الحرب فى الاسلام للاستاذ جمال الدين عياد ص ٣٧ .
٢٢) الآية : ١٣٨ فى سورة البقرة .

الامام مالك بن أنس

الأستاذ أحمد محمد مصطفى السفارينى

لا تزال الأمة بخير ما دام فيها يكمن الأحساس بالرغبة فى حياة كريمة رائدة ، وما د مت تشعر بأن لديها شيئا ثمينا تقدمه إلى الانسانية ، وتحرص على إلزام الناس به ، أملا منها فى أن يعيش العالم حياة طيبة .. شرط أن تكون التضحية فى سبيل ذلك كله طريقا واضحا ومفروضا .

والأمة قبل أن تكون ذات نظرة بعيدة فى تسنم مركز الصدارة فى الحياة .. عليها أن تستكمل مقومات الأمة الكبرى .. أى ان تكون ذات مبدأ شامل عن الحياة الدنيا .. وكلما كانت نظرة هذا المبدأ صحيحة وعقيدته صادقة تكون فرص نجاحها فى هذا المضمار أكبر وأوسع .

إلا أن الحياة المبدئية لأية أمة نوع من الجدية الصارمة ، والالتزام المطلق بأفكار ومفاهيم ذلك المبدأ .. وهذا يعنى أن تكون أحكام المبدأ وثقافته هى المتحكمة فى شئون المجتمع .

والأمة الاسلامية أمة مبدؤها الاسلام بعقيدته وأحكامه ومفاهيمه وثقافته ، وعلى هدى من الأوامر والنواهى التى يتضمنها تقيم الأمة الاسلامية نظام حياتها ، وتضبط تصرفاتها .

الاجتهاد والطريقة التى عينها الاسلام ونص على اتباعها فى التعرف إلى أحكام الشريعة الاسلامية هى الاجتهاد فالاجتهاد ، هو : « بذل الوسع فى استنباط الحكم الشرعى من أدلته التفصيلية » .

والمجتهدون هم الذين يتولون هذه المهمة .. ويقومون بها على الوجه الشرعى بعد تحقق الشروط المطلوب توفرها فى المجتهد ، من توفر على دراسة النصوص الشرعية ، ومعرفة تامة بأوضاعها متنا وسندا ، وناسخا ومنسوخا ، ومحكما ومتشابها .. هذا إلى جانب الاحاطة بعلوم اللغة العربية لأنها أداة الاجتهاد ، ولأن النصوص الشرعية انما كتبت بها .

وضرورة الاجتهاد للمسلمين فى كل مكان وزمان انما تنبع من حاجتهم إلى معرفة خطاب الله لهم فيما يعترضهم من مشاكل وقضايا وأمور مستجدة .. وما أكثرها .

لذلك رأينا تاريخ المسلمين مزحوما بالفقهاء والمجتهدين الذين قصروا حياتهم ونشاطاتهم على تتبع القضايا والمسائل التى تجد على المسلمين لاستنباط الأحكام الشرعية لها .

وفى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسلمون يفزعون إليه حينما يحزبهم أمر يسألونه فيجيبهم ، فلم يكونوا بحاجة إلى اجتهاد .. ومع هذا فقد كان المسلمون حينما يجدون أنفسهم بحاجة الى الأجتهاد يحاولون فهم النص على الأوجه التى يحتملها لغة وتعليلا . واقرهم على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مالك بن أنس :

ومن أوائل الذين دونت اجتهاداتهم لتصبح مذهبا متكاملا الأمام الكبير مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث .

اختلفت الرواة فى تحديد سنة ميلاده ، واتفقت كلها على أنه ولد فى المدينة المنورة أو بالقرب منها فى مكان يسمى « ذو المروة » . ولعل أظهر الأقوال فى ميلاده انه ولد سنة ٩٣ هجرية . وكان مولده فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك .

ولم يكن قد مضى على تمكن الاسلام قرن واحد أمتد فيه سلطانه هذا الامتداد الشاسع حتى كاد يعم العالم المعروف . ودخل فى المجتمع الاسلامى اخلاط كثيرة صاغها الاسلام صياغة جديدة ، وجعلها أمة واحدة .. مما أحدث حالات كثيرة احتاجت الى البحث والتنقيب بواسطة الاجتهاد عن حكم شرعى لها .. وقد مهد هذا الطريق إلى النابغين ذوى المواهب ليصبحوا هم المجتهدين بعد الدراسة والتثقف وممارسة التفقه بالدين عقيدة وأحكاما ونصوصا . فكان صاحبنا ثانى أصحاب المذاهب الاربعة المشهورة مولدا إذ كان قد سبقه إلى الحياة الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الذى ولد سنة ٨٠ للهجرة .

نشأته :

نشأ مالك بن انس فى بيت فقير ، فأبوه كان مقعدا يتكسب عيشه من ممارسة صناعة النبال ومات مبكرا ومالك لا يزال صبيا يافعا ، فعاش فى كنف أمه توجهه وتشير عليه ، وكان لها الفضل الأكبر فى اتخاذه سبيله لطلب العلم ، بعد أن كاد تزيغ به قدمه إلى الغناء ..

فقد روى أن ملكا أراد أن يشتغل بالغناء فى أول أمره ، فنصحته أمه بترك ذلك وتعلم الفقه ، فانتصح .

واعتبرت هذه النصيحة نقطة تحول ، والمنعطف الايجابى فى حياة الامام مالك بن أنس .. اذ أنه انقطع إلى علماء الفقه انقطاعا يكاد يكون تاما .. إلى حد أنه نقض سقف بيته فباع خشبه لسد نفقاته فى طلب العلم .

وعلى الرغم من أن البالغين كانوا يأخذون راتبا من المال من بيت مال المسلمين .. فان مالكا ظل يعيش فى حالة من التضييق فى نفقته حتى فتح الله عليه .

مالك وطلب العلم :

وبمشورة من أمه أيضـــا اختار مالك أول ما اختار شيخا له هو ربيعة ابن أبى عبد الرحمن فروخ المعروف بربيعة الرأى ، وأحد مستشارى عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل . فاطاعها ولزم ربيعة .. وتتلمذ أيضا على نافـــع مولى عبد الله بن عمر ، والامام جعفر بن محمد الباقر ، ومحمد مسلم الزهرى، وعبد الرحمن بن ذكوان ، ومحمد بن المنكدر ، وعبد الله بن دينار ... إلى جانب كثيرين آخرين من فقهاء التابعين ..

وطالب العلم الذى يعيش فى هذا الجو ينهل الثقافة ممن حملها واشربت فى قلبه محظوظ ولا شك ولا بد أن يتكشف عن موهبته قدرة هائلة يتقدم بهـــا الصفوف ويـــؤم الناس .

وهكذا كان فان الامام مالك ما لبث ان استساغ طلب العلم وهضم ثقافته هضما جيدا ادى به إلى ان يجلس للفتيا وأن يتبوأ كرسى الامامة والعلم ، فيصبح فقيها عالما صاحب مذهب .

فقــه الامام مالك :

لا يهمنا كثيرا البحث عن دقائق حياة فقيهنا الكبير بقدر ما يهمنا التعمق فى طريقته التى عالج بها مهمته التى اضطلع بها وهى البحث الفقهى واستنباط الحكم الشرعى ، وممارسة الاجتهاد .. إذ أننا بحاجة ماسة إلى فهم طبيعـــة الاجتهاد باعتباره سبيلنا الوحيد للخروج من هذه الفوضى التشريعية التى نعانى منهـــا ..

وقـــد أثرت الأجـــواء التى أحاطت بالامام مالك على الخطوط المريضة التى انتهجها فى فقهه واجتهاده ، فهو قد عاش فى المدينة المنـــورة مأوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحى ، وفيها كان يلتقى بالتابعين الذين أخذوا عن صحابة رسول الله مشافهة ، وورثوا فضلهم وتقاهم ، مما جعـــل لهم فى نفسه مكانة عظيمة .

وهو بطبيعة الحال يدرك أن الاسلام نصوص من عند الله سبحانه وتعالى: قرآن وسنة .

اصـــول فقهيـــة :

والقرآن الكريم عند مالك مقدم على غيره فما جاء به فهو الحـــق الذى لا يحاد عنه أبدا .. يستعين على فهمه بآياته يفسر بعضها بعضا ، وبالحديث النبـــوى الشريف بعض آيات القرآن .

واعتنى مالك **بالحـــديث** عناية كبيرة فانه كان واعيا حافظا ، يدقق فى رواية الحـــديث ، ولا يأخذه إلا ممن جمع الوعى مع الحفظ والفهم مع التقوى . وكان اذا شك فى أمر تركه كما قال عنه الشافعى رضى الله عنه .

وهو يقول فى هذا الشأن : « كتبت بيدى مائة ألف حديث » وقـــال : « ان هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه لقد أدركت سبعين ممن يقـــول : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين . واشـار إلى أعمدة المسجد ــ فما أخذت عنهم شيئا ، وان أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا. الا أنهم لم يكونوا أهـــلا لهذا الشأن » .

وبحكم وجوده فى المدينة المنـــورة ، وقرب مقامه من الرسول صلى الله عليه وسلم فان مهابته للحديث كانت على درجة كبيرة ، وتقديره لآثار الرسول كان لها مكانة ضخمة فى نفس الامام مالك .

ويعتبر مالك **فتوى الصحابة** حكما شرعيا يؤخذ به لأن الصحابة رضوان الله عليهم هم أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هاجر ونصر ، وتلقى مشافهة عنه .

أما تفسير مفهوم **الاجماع** عند مالك فهو ما اجتمع عليه أهل الفقه والعلم .

وإلى جانب ذلك فمالك يعتمد على **عمل اهل المدينة** ويتخذه مصـــــــدرا تشريعيا أو أصــــلا من أصـــول الفقه .. أى يعتبر عمل الصحابة دليـــــــلا شرعيـــــا ..

وهناك **القيــاس** وهو الحاق أمر بأمر لعلة جامعة بينهما ، وفى اعتبار مالك أن القياس دليل شرعى على الاحكام يعطيها الصفة الشرعية .. وأخذه معتـــــبر .

وأضـــاف مالك إلى هذه المصادر التشريعية مصادر أربعة أخرى ظنها أصولا وليست بذاك كالاستحسان ، والعرف ، وســـد الذرائع ، والمصالح المرسلة .. وهو لا يلجأ إلى هذه الأصول إلا بعد أن يعييه البحث فى الكتـــاب والسنة والاجماع وعمل الصحابى والقياس ، وعمل أهل المدينة .. ومع هذا فهو يتحرز عن الأخذ بالمصالح المرسلة ويضع لها شروطا أن لا تتنافى المصلحة مع أصـــــل من أصول الاسلام ، ولا مع دليل قطعى من أدلته .

وان تكون المصلحة مقبولة عند ذوى العقول .

وان يرتفع بها الحرج لقوله تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين مـــن حــــرج » .

صلة مالك بالحكام :

كانت القاعدة التى يتبناها مالك فى تعامله مع الحكام وفى دعـــــوة الآخرين للتعامل معهم واضحة تمام الوضوح وهى :

« أن العلم أشرف من أن يرتمى على أعتاب الحكام ، وينبغى أن يستعمل لتصحيح اعوجاجهم ، وقد أوقعت هذه التصرفات تجاه الحـــكام الامام مالك فى مآزق حتى أنه جلد فى المدينة زمن أبى جعفر المنصور بسبب فتواه التى اعتمد فيها على الحديث الشريف « ليس على المكره طلاق » والتى فسرت عن طريق القياس على الايمان التى يقسمها الناس عندما يبايعون الخليفة . ولكن مكانة مالك أجبرت المنصور على الامر بالعفو عنه .

وطلب المنصور مالك أن يحضر اليه فرفض .. فلما حج المنصور عـــرج عليه فى المدينة فقابله وواســـاه ثم رغب إليه أن يجمع فقهــه فى كتاب ليصبح مذهب الدولة كلها .. ولكن مالك ماطل فى ذلك ولم ينته من تدوين كتـــابه الموطأ إلا فى سنة تسع وخمسين والف اى بعد احد عشر عامـــا من تكليف المنصور إياه ، فمات المنصور قبل أن يتم الكتاب .

وهنـــا يبين مالك مسألتين هامتين وهما مسألة التقليد ، ومســـألة التبنى .

فمسألة التقليد يدخل فيها موضوع الاجتماع والاتباع .. وفيها لا يجوز

الحجر على الاجتهاد ولا فرض المسائل على الناس بالقصر لان لكل مجتهـــد نصيب من الحق توصل اليه باجتهاده . وأما مسألة التبنى فانها مسألة تتعلق بالحاكم وهل يجوز له أن يأخذ برأى واحد ويجبر الناس على تطبيقه .. وهنا لا يرضى مالك أن يكون هذا التبنى عاما شـــاملا لكل أحكام الفقه . لذلك فقد رفض مالك إجبار الناس على ما فى موطئه من أحكام عندما عــــاود سؤاله إلى ذلك هارون الرشيد .

الموطــــــأ :

وكتاب الموطـأ الذى دونه مالك هو كتاب فقه يجمع احاديث الرسول وعمل أهل المدينة وأقوال الصحابة أدلة على احكامه الفقهية .

فهو يقول : « اما اكثر ما فى الكتاب فرأى لعمرى ما هو برأى ، ولكن ســـماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المهتدى بهم الذين اخذت عنهم . وهم الذين كانوا يتقون الله تعالى ، فكثر على فقلت رأيى ، اذ كان رأيهم رأى الصحابة الذين ادركوهم عليه ، وادركتهم أنا على ذلك ، فهذا وراثـــة توارثوها قرنا عن قرون إلى زماننا ، وما كان رأيا فهو رأى جماعة ممن تقدم من الأئمة .

وما كان فيه الأمر المجتمع عليه فهو ما اجتمع عليه من قول أهل الفقــه والعلم لم يختلفوا فيه ، وما قلت : الامر عندنا ، فهو ما عمل الناس به عندنا ، وجرت به الأحكام وعرفه العام والخاص وكذلك ما قلت فيه : ببلدنا ، وما قلت فيه : بعض أهلها ، فهو شىء استحسنه من قول العلماء .

واما ما لم اسمعه منهم ، فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته ، حتى وقع ذلك موقع الحق أو قريبا منه ، حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وارثهم . وان لم اسمع ذلك بعينه فنسبت الرأى إلى بعد الاجتهاد مع السنة .. وما مضى عليه عمل أهل العلم المقتدى بهم ، والأمر المعمول به عندنا منذ لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة الراشدين مع من لقيت ، فذلك رأيهم ما خرجت الى غيره » .

وهذه المقدمة توضح الطريق الذى اتبعه مالك فى فقهه واجتهاده ويمكن تلخيصها بأنها اعتماد على النصوص من الكتاب والسنة واقوال الصـــحابة والآثار من عمل أهل المدينة ، ثم الاجتهاد أى بذل الوسع فى استنباط الحكم الشرعى فى المسائل المستجدة التى لم يجد لها حكما .

وهى الطريق الواضح المبسوط لكل مجتهد بعد تقعيد القواعد الاصولية لفقهـــه .

وفـــاة مالك :

مرض مالك اثنين وعشرين يوما وكانت وفاته بالمدينة فى يوم الرابـــع عشر من ربيع الاول سنة ١٩٩ هجرية .

ودفن بمقبرة البقيع رضى الله عنه .

من غرائب المحاكمات في التاريخ

بقلم : الاستاذ محمود مهدى استانبولى

نشرت مجلة المختار (ريدرزدايجست) فى احد أعدادها مقـالا بعنوان ((داروين فى قفص الاتهام)) بقلم (جون سوكبس) ذكر فيه قصة محاكمته ، لأنه قال : ان اصل الانسـان قرد .. كما يزعم داروين فى نظريته : ((النشـوء والارتقاء)) التى تخالف ما جاء فى التوراة والانجيل .

وقد اصدر القاضي حكمه عليه بطرده من التعليم وتغريمه (١٠٠) مئة دولار مع المصاريف ، بناء على طلب هيئة المحلفين ، وكان عددهم اثنى عشر ، ثلاثة منهم لم يسبق لهم ان قرأوا اى كتاب سوى الانجيل ، واعترف واحد بانه لا يعرف القـراءة !

فما اجهل واسخف نظام المحلفين البالى ، الذى لا يعرف الحق كحق ، انما يعرفه حسب صداه فى الراى العام مهما كان هذا الراى جاهلا وظالما .

وإلى القارىء وصف طريف لهذه المحاكمة الغريبة :

سرت دمدمة بين افراد الجمهـور ، وانا أتخذ مكانى فى قاعـة المحكمة المزدحمة ببلدة ((دايتون)) الصغيرة بولاية تنيسى فى ذلك اليوم الشديد القيظ من

ايام يوليو ١٩٢٥ . وقد جلس الى جوارى امام منضدة الدفاع المحامى الأول عن كلارنس دارو أشهر محامى الجنـــايات ، بينما جلس فى مواجهتنا نجم الادعاء وليام جننجز بريان الخطيب الذى اشتهر بزلاقة لسانه وهو يحرك فى وهن مروحة من سعف النخيـــل .. وقد رشح الحـــزب الديموقراطى بريان ثلاث مرات فى انتخابات الرئاسة ، وهو زعيم حركة ((الأصولية)) التى تدعو للتمسك بحرفية الكتاب المقدس ، والتى كانت السبب فى تقديمى للمحاكمة ..

كنت قبل ذلك ببضعة أسابيع مدرسا ثانوياً مغموراً فى بلدة جبلية صغيرة ، وهانذا الآن أشترك فى محاكمة تذاع أنباؤها فى أنحاء العالم ، وقد جلس فى قاعة المحكمة استعدادا للشهادة فى صالحى ١٢ من مشاهير الأساتذة والعلماء وفى مقدمتهم البروفسور كيرت لى ماثر الأستاذ بجامعة هارفارد .. وكان هناك أكثر من مائة مخبر من مخبرى الصحف ومندوبى الاذاعة ، الذين جاءوا لأول مرة فى التاريخ لإذاعة إحدى المحاكمات التى تجرى أمام هيئة من المحلفين ..

● ● ●

لقد احاطت هذه القضية برأسى بعد وصولى الى بلدة ((دايتون)) بقليل ، لتدريس العلوم وتدريب فريق الكرة فى المدرسة الثانوية .. وكان هناك صـــدام بين انصار ((الأصـــولية)) من اهالى البلدة ، وانصـــار النظريات الحـــديثة ، فالأصوليون يتمسكون بالتفسير الحرفى للنصوص الدينية ، بينما يقبل الآخرون نظرية النشوء والارتقاء التى نادى بها عالم الأحياء البريطانى (تشارلس داروين) فى القرن التاسع عشر ، والتى تتلخص فى أن كل الحياة الحيوانيـــة ، بما فيها القردة والانسان ، قد نشأت عن سلف مشترك .

وكان مذهب (الأصولية) قويا فى ولاية تنيس ، وقد أصـــــدر المجلس التشريعى للولاية أخيرا قانونا يحرم تدريس أية نظرية تنكر قصة الخلق كما وردت فى الانجيل ، وكان القانون الجديد يهدف بصفة خاصة الى تحريم نظرية داروين عن التطـــور ، وقد اعتاد مهندس يدعى جورج رابلين أن يجلس فى ((صيدليـــة روبنسون)) كل يوم حيث يجادل لفيفاً من أهل البلدة مهاجماً القانون .. وفى خلال مناقشة من هذه المناقشات قال رابلين أنه ليس هناك مدرس يستطيع أن يدرس علم الأحياء ، دون أن يشرح نظرية النشوء والارتقاء ... ولما كنت مدرساً لعلم الاحياء ، فقد بعثوا فى طلبى لمعرفة رأيى ..

وجئت لأقول لهم رابلين على حق .. وعندئذ قال الصيدلى روبنسون :

ـــ اذاً فأنت تخرق القانون !

قلت :

ـــ وكذلك يفعل كل مدرس آخر .. فقد ورد شرح نظرية التطور فى كتاب هانتر عن علم الأحياء ، وهو الكتاب الذى ندرّسه للطلبة .

واقترح المهندس أن نحمل الأمر الى القضاء لنختبر مدى ما فيه من شرعية

وعندما تلقيت قرار الاتهام فى ٧ مايو ، لم يكن هناك من يتوقع أن تصـــبح قضيتى من أشهر المحاكمات التى دارت فى تاريخ الولايات المتحدة .. فقد أعلن ((اتحاد الحريات المدنية)) فى أمريكا انه سينقل قضيتى الى المحكمـــة الأمريكية العليا إذا دعا الحال ليقرر ما اذا كان للمدرس أن يذكر الحقيقة دون أن يلقـــوا به فى السجن ، ثم تطوع بريان لمساعدة الولاية فى اثبات اتهامى، وعلى الفور عرض المحامى الكبير كلارنس دارو خدماته للدفاع عنى . والطريف أننى لم أكن أعرف دارو قبل ذلك .

وفى الوقت الذى بدأت فيه المحاكمة يوم ١٠ يوليو ١٩٢٥ ، كانت بلدتنا التى لا يزيد عدد سكانها على ١٥٠٠ نسمة قد أصبحت أشبه (بالسيرك) ..

فقد امتلأت المبانى على طول الشارع الرئيسى بالاعلام والرايات ، وازدحمت الشوارع التى تحيط بمبنى المحكمة العتيق بمنصات مؤقتة لبيع السجق والكتب الدينية والبطيخ ، وأقام بعض رجال الدين الانجيليين خياما للوعظ .

وبالإضافة الى دارو الداهية الذى يبلغ الثامنة والستين ، كان الدفاع عنى يتكون من المحامى الوسيم الساحر « راولى فيلد مالون » و « آرثر جارفيلد هايز » الهادىء المتبحر فى القانون .. وفى هذه المحاكمة التى يلعب فيها الدّين دوراً رئيسيا كان دارو يمثل الالحاد .. ومالون يمثل الكاثوليكية .. أما هايز فهو يهودى ، وجاء أبى من ولاية كنتكى ليكون الى جوارى خلال المحاكمة .

ودعا القاضى رولستون أحد القسس المحليين ليفتتح الجلسة بالصلاة .. ثم بدأت المحاكمة بإحضار المحلفين ، وقد ذكر ثلاثة من المحلفين الاثنى عشر أنه لم يسبق لهم أن قرأوا أى كتاب سوى الانجيل ، واعترف واحد بأنه لا يعرف القراءة !

وبعد المناقشات الأولية على الشكليات القانونية ، نهض دارو ليلقى كلمته .. فقال :

ـ يقول صديقى المدعى العام ان (جون سكوبس) يعرف لماذا يمثل أمامنا اليوم ..

وأنا أعرف ايضا لماذا هو هنا .. انه هنا لأن الجهل والتعصب قد تحالفا معا وهو تحالف بالغ القوة ..

وجلس بريان يقرض بأسنانه أطراف مروحته المصنوعة من سعف النخيل ، بينما سار دارو ببطء فى أرجاء القاعة التى تتلظى من حرارة الجو ..

واستطرد يقول :

ـ انكم تحاكمون اليوم أحد مدرسى المدارس العامة ، وغدا الخاصة ..

وبعد ذلك محررى الكتب والصحف والمجلات .. وبعد فترة قليلة تطلقون الانسان على الانسان ، والدين ضد الدين .. حتى نسير القهقرى .. الى القرن السادس عشر المجيد ، الذى كان المتعصبون فيه يشعلون حزم الحطب ليحرقوا الرجال الذين يجرؤون على ادخال اى ذكاء أو تنوير أو ثقافة الى العقل البشرى .

وعندما أنهى دارو خطابه . همست سيدة بصوت مرتفع : هذا الكافر الملعون !

وفى اليوم التالى بدأت النيابة فى استدعاء شهود الإثبات ، فشهد اثنان من تلاميذى ، وهما ينظران إلىّ ، وعلى شفتيهما بسمة الخجل ، بأننى كنت أدرس لهما نظرية النشوء والارتقاء ..

ثم أضافا قائلين : ان هذه التجربة لم تسمم أفكارهما !

وبعد أن انتهت الشهادة ، نهض بريان ليلقى كلمته على المحلفين ..

فقال : المسألة بسيطة ، فالمسيحى يؤمن بأن الانسان جاء من أعلى .. وأصحاب نظرية التطور يؤمنون بأنه جاء من أسفل .. وهنا ضحك الجمهور مما شجع بريان على مواصلة حملته.، وكان يمسك فى يده كتابا لعلم الأحياء ، ويصيح ضد العلماء الذين جاؤوا الى البلدة ليشهدوا فى صالح الدفاع ..

وعندما انتهى بريان من كلمته الحماسية وقد برز فكه وتألقت عيناه صفق الحاضرون بشدة ..

وعلى الرغم من ذلك ، فقد بدا بوضوح أن أيام الحماسة البالغة التى كان بريان يكتسح فيها مؤتمر الحزب الديمقراطى اكتساح النار الهشيم قد ولت .. وأحس الجمهور أن بطله لم يحرق الكفرة بأنفاسه الملتهبة كما كان يجب أن يفعل .

ونهض راولى مالون ليرد فقال :

إن مستر بريان ليس الوحيد الذى له الحق فى التحدث عن الانجيل ، بل هناك أشخاص آخرون فى هذه البلاد وهبوا حياتهم كلها لله والدين ، أما بريان فقد وهب أغلب حياته وحماسته للسياسة .

ورشف بريان بعض الماء بينما كان صوت مالون يزداد ارتفاعا وهو يدعو لحرية الثقافة ، واتهم بريان بأنه يدعو لصراع حتى الموت بين العلم والدين .

وعندما انتهى مالون ، ساد الصمت فى انحاء القاعة لحظة ، ثم انفجرت فجأة عاصفة مدوية من التصفيق ، فاقت ما لقيه بريان .. ووجدت نفسى أربت على ظهر مالون الذى كان العرق يبلل سترته .. ولكن على الرغم من أن مالون قد كسب جولة الخطابة ، فان القاضى رولستون رفض أن يسمح للعلماء بالشهادة لصالح الدفاع .

وبعد أن تأجلت الجلسة ، امتلأت شوارع البلدة بالغرباء .. كان الباعة يصيحون على سلعهم فى كل ركن ، وكان هناك ٢٢ من عمال التلغرافات يرسلون كل يوم ١٦٥ الف كلمة عن المحاكمة .

وبسبب الحرارة الشديدة والخوف من انهيار سقف مبنى المحكمة القديمة تحت ثقل الحشود المزدحمة ، فقد تقرر استئناف المحاكمة فى الخارج تحت الأشجار العالية . وبلغت المحاكمة ذروتها عندما تمسكت النيابة بوجوب تفسير الكتاب المقدس حرفيا وفقا لنص القانون المعادى لنظرية داروين ، وعندئذ كشف المحامى دارو عن ورقته الرابحة . بدعوة بريان نفسه للشهادة لصالح الدفاع !

ونظر القاضى اليه فى ذهول ..

وعندئذ قال دارو :

— اننا ندعوه بصفته خبيرا فى الانجيل .. وسمعته كخبير فى النصوص المقدسة ، معروفة فى انحاء العالم !

وساورت الشكوك بريان ، حيال دعوة دارو الداهية .. ولكنه لم يستطع أن يرفض هذا التحدى ، فقد ظل بضع سنوات يحاضر ويكتب عن الكتاب المقدس ويشن حملة عنيفة على نظرية داروين فى انحاء الولاية حتى قبل أن يصدر القانون الذى يحرم تدريسها ..

وتلا دارو نصاً من سفر التكوين يقول : « والمساء والصباح كانا اليوم الأول » .

ثم سأل بريان عما اذا كان يعتقد أن الشمس قد خلقت فى اليوم الرابع فقال بريان أنه يعتقد ذلك .

وعاد دارو يسأله :

— وكيف يتسنى أن يكون هناك صبح ومساء بلا شمس ..؟!!

فمسح بريان صلعته اللامعة فى صمت .. وسرت قهقهة بين الحضور حتى الأتقياء منهم ، بينما أخذ دارو يحكم وثاق الطوق الذى يطوق به عنق بريان .. فسأله عما اذا كان يعتقد حرفياً فى قصة حواء . فأجاب بريان بالإيجاب .. فقال دارو :

ـــ وهل تعتقد أن الله عاقب الحية بأن حكم على كـــل الحيات بعدئذ ان تزحف على بطونها الى الأبد (١) .

ـــ أجل .. انني أؤمن بذلك ..

ـــ حسنا .. هل تعرف كيف كانت الحية .. تسير قبل ذلك .. ؟

وعندئذ انفجر الجمهور ضاحكا . واحمر وجه بريان وارتفع صـــوته فى حشرجة ، واهتزت المروحة فى يده . ودق القاضى مطرقته لإسكات الجمهور ، ثم أجل المحاكمة لليوم التالى ..

ووقف بريان المخذول وحده .

وفى ظهر اليوم التالى طلب القاضى الى المحلفين أن يصـــدروا قرارهم ، فاختلوا فى أحد أركان حديقـــة المحكمة ، وظلوا يتبادلون الهمس تسع دقائق ، ثم صدر حكمهم بأننى مذنب ..!

وأصدر القاضى رولستون حكمه بتغريمى ١٠٠ دولار مع المصاريف ..

وقد وصف ورادلى فيلد مالون هذا الحكم بأنه (هزيمة منتصرة) واشارت بعض صحف الجنوب ـــ التى لا تزال مخلصة لبطلها المخذول بريان ـــ الى الحكم باعتباره انتصارا له ، ولكن بريان كان حزينا مجهدا . فمات بعد يومين من صدور الحكم فى بلدة دايتون !

وعرض علىّ أن اعود لوظيفتى كمدرس ، ولكننى رفضت ، فقد حصل بعض الأساتذة الذين جاؤوا للشهادة فى صالحى على منحة لى من جامعة شيكاغو ، لأتمكن من متابعة دراسة العلوم . وأصبحت فيما بعد خبيرا جيولوجياً لإحدى شركات البترول فى لويزيانا وأمريكا الجنوبية .

ومنذ فترة قصيرة ، عدت الى « دايتون » لأول مرة منذ محاكمتى التى تمت منذ ٣٥ عاما .. وبدت البلدة الصغيرة فى نظرى كما كانت تقريبا . فيما عـــدا جامعة « وليام بريان » التى اقيمت فوق قمة تل يطل على الوادى .

وكانت هناك بعض تغيرات أخرى أيضا . فمذهب التطور أصبح يدرس فى ولاية تنيسى بالرغم من أن القانون الذى أدانني لا يزال قائما واجتاحت العاصفة الخطابية التى نفخها كلارنس دارو ورادلى مالون كل المدارس والجمعيـــات التشريعية فى انحاء أمريكا ، وكأنها الريح المنعشة التى تجلب فى أعقابها جوا جديدا من الحرية الثقافية والعلمية تنمو على مر السنين(٢) .

● ● ●

وهكذا انهزم بريان محامى الادعاء معنوياً أمام الجماهير نتيجة دفاع دارو محامى الدفاع وانهزمت بانهزامه التوراة التى اتضح أنها تناقض العلم والتجربة والمشاهدة مناقضة لا تدع مجالا للشك !

وقد سرت موجة الإلحاد فى الغرب بسبب ذلك ما دام أن الدين يخالف العلم

والحق ان دارو كان خبيثاً فى دفاعه ، كما كا نبريان مغفلا فى ادعائه ، فقد كان يكفيه أن يطالب بعقوبة المعلم لتدريسه نظرية لا تزال قيد التجربة ، وقد رفضها كثير من العلماء وأثبتوا مناقضتها للعلم ، ويعتبر الأسئلة السابقة لدارو عما جاء فى التوراة ، خروجاً عن الموضوع ، وتهريباً من الجريمة .

ولكن شاءت الأقدار الإلهيـــة أن يتضح ما فى التوراة من مخالفات للحقيقة العلمية والمشاهدة الحسية نتيجة تحريفها كما اعترف بذلك كثير من المؤرخين الغربيين أنفسهم ..

وقد أصدرت مجلة (لايف) العالمية عددا خاصا باسم (الكتاب المقدس) نقتطف منه ما يلى على قاعدة من فمك أدينك .

تقول هذه المجلة :
هذا الكتاب الذى نحن بصدده أوسع الكتب انتشاراً .. ولكنه مع ذلك كتاب إنسان !! ان مؤلفيه يحملون أسماء ذائعة الصيت .. ولكن أغلب كلمـــاته كتبها أشخاص آخرون لا يعرف أحد من هم !! ولا يمكن معرفتهم فى يوم من الأيام لقد ظل الوحى الإلهى الى الانسان ينتقل من الأب الى الابن ألف سنة تقريبا بعد (ابراهيم) من غير أن يكتب ! وبعد ذلك فقط بدأ اليهود فى تدوينه ! وكان ذلك قبل الف سنة أخرى جديدة .وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة لفائفهم .ة مرات . وأن تنقل وتنسخ . مما أوجد فرصا أخرى جديدة لا تحصى لتغييرات لا عد لها ، وبعضها مقصود !!

والبعض الآخر غير مقصود . ولما بدات المسيحية تنتشر بسرعة ، ازدادت الحاجة الى عمل نسخ جديدة ، لا سيما (العهد الجديد) واخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخا لأنفسهم بأنفســـهم ، أو كان أحدهم يقرأ بصـــوت مرتفع فى (النسخ) بينما كان يتلقى عنه ما يقرب من اثنى عشر ناسخا ، وهذا ما مهـــد الطريق لاخطاء أكثر وأكثر !!

لذلك فإنه لا يوجد اليوم أى نص (أصلى) لأى جزء من هذا الكتاب !! وربما حوى (العهد الجديد) تغييرات أكثر وأبلغ من (العهد القديم) !! هـ ..

ونورد فيما يلى مثالا من تحريف التوراة على مر السنين من أصل مئات الأمثلة ما جاء فى ترجمة سفر التكوين المطبوعة سنة ١٨١١ « هكذا سمى ابراهيم اسم الموضع مكان يرجم الله زائره » .

وفى ترجمته المطبوعة سنة ١٨٤٤ وردت هذه الفقرة هكذا « دعا ابراهيم اسم ذلك المكان : الرب يرى » .

وفى سفر التكوين فى النسخ المتداولة اليوم .

« فدعا ابراهيم اسم ذلك المكان : يهوه يراه » .

أنظر الاصحاح الثانى والعشرين الفقرة الرابعة عشرة منه .

ومن أعظم الأدلة على تحريف التوراة ما جاء فيها من انحرافات اخـــلاقية فى حق الأنبياء المعصومين الذين أرسلوا لهداية البشر وتهذيبهم والى القارىء بعض الأمثلة على ذلك ..

أولا : النبى لوط زنا بابنتيه (سفر التكوين الاصحاح ١٩ الفقرة ٣٠) .
ثانيا : أحد أولاد يعقوب يزنى بسرية أبيه (سفر التكوين : ٣٥ : ٢٢) .
ثالثا : النبى يهوذا بن يعقوب يزنى بكنته (سفر التكوين : ٣٨ — ٦) .
رابعا : داود يزنى بامرأة قائده أوريا (سفر صموئيل الثانى : ١١ — ٢) .
خامسا : أحد أولاد داود يزنى بأخته (صموئيل : ٢ — ١٣) .
سادسا : النبى سليمان يعبد الأصنام (سفر الملوك الأول : ١١) .
سابعا : تغزل هذا النبى بالنساء تغزلا فاحشا ويهيم بهن كأحـــد العشاق الفساق (نشيد الأنشاد) .

ولم يكتف محرفو التوراة بنسبة الزنا الى الانبياء ، بل راحوا ينسبونه الى الله نفســـه ! « تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » راجع ســـــفر حزقيال (الاصحاح الثالث والعشرون) .

● ● ●

نعود بعد هذا الاستطراد الى نظرية داروين التى صالت وجالت فى القرن الماضى ، وكانت سببا فى الحاد الكثيرين وارتمائهم فى أحضان الشهوات البهيمية

بعد ما زعمت أن أصل الانسان حيوان ، وقد تبع ذلك انكار الإله والبعث . .

نعود لهذه النظرية لنثبت انهيارها وضلالها وجهل واضعها ، باعتراف كبار أنصارها وأشدهم تحمسا لها .

قال جوليان هكسلى معلناً بكل صراحة تفرد الانسان واستقلاله عن جميع الحيوانات .

« وبعد نظرية داروين لم يعد الانسان مستطيعا تجنب اعتبار نفسه حيوانا ولكنه بدأ يرى نفســه حيواناً غريباً جداً . وفى حالات كثيرة لا مثيل له . ولا يزال تحليل تفرد الانسان من الناحية البيولوجية غير تام »(٣) .

وإذن فالانسان متفرد فى كيانه البيولوجى ذاته .. الذى ظن فيه داروين المشابهة الكاملة للحيوان ، وبنى عليه تفسيره الحيوانى للانسان !

ويسرد هكسـلى الواناً من هـذا التفرد البيـولوجى . من بينها أنه فى الحيوانات كلها ترتبط العضـلات بالمخ بنوعين من الأعصاب ، أحدهـا يتصل بالعضـلات القابضة ، والثانى يتصل بالعضـلات الباسطة ، ولا يصدر مخ الحيوان إلا نوعاً واحداً من الاشارات فى اللحظة الواحدة . فإما إشارة للعضلات القابضة ، وإما إشارة للعضلات الباسطة ، فالكلب اما أن يهرش واما أن يجرى فى اللحظة الواحدة ، ولا يستطيع أن يهرش ويجرى معاً فى ذات الوقت . أما الانسان ، فهو — وحده فى هذه الخلائق كلها — الذى يستطيع أن يقوم بأعمـال متعارضة فى آن واحد ، لأن مخه يستطيع أن ينسق بين الاعمال المتعارضة(٤) !

ويتحدث هكسلى عن « خواص » الانسان البيولوجية فيقول :

« وأولى خواص الانسان الفذة وأعظمها وضـوحاً ، قدرته على التفكير التصويرى ، واذا كنت تفضل استخدام عبارات موضوعية ، فقل : استخدامه الكلام الواضح .

« ولقد كان لهذه الخاصية الاساسية فى الانســان نتائج كثيرة ، وكان أهمها نمو التقاليد المتزايدة .. »

« ومن أهم نتائج تزايد التقاليد — أو إذا شئت — من أهم مظاهره الحقيقية ما يقوم به الانسان من تحسين فيما لديه من عدد وآلات ..

« وإن التقاليد والعدد لهي الخواص التى هيأت للانسان مركز السيادة بين الكائنات الحية . وهذه السيادة البيولوجية فى الوقت الحاضر خاصية أخرى من خواص الانسان الفذة .

ولم يتكاثر الانسان فحسب ، بل تطور ، ومدّ نفوذه ، وزاد من تنوع سبله

« وهكذا يضع علم الحياة الانسان فى مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد المخلوقات ، كما تقول الأديان .

« ولقد أدى الكلام والتقاليد والعدد الى كثير من خواص الانسان الاخرى ، التى لا مثيل لها بين المخلوقات الأخرى ، ومعظمها واضح معروف .. ولذلك أرى عدم التعرض لها حتى انتهى من التحدث عن الخواص غير المعروفة كثيراً ، لأن الجنس البشرى — كنوع — فريد فى صفاته البيولوجية الخالصة . ولم تلق تلك الصفات من العناية ما تستحق ، سواء من وجهة نظر علم الحيوان ، أو من

وجهة نظر علم الاجتماع .

« ... واخيرا فإن الانسان لا مثيل له بين الحيوانات الراقية فى طريقة تطوره » .

ويقول هكسلى أيضا فى موضع آخر :

« ... وهذه الخواص التى امتاز بها الانسان ، والتى يمكن تسميتها « نفسية » أكثر منها « بيولوجية » تنشأ من خاصية أو أكثر من الخواص الثلاث الآتية:

« الأولى » قدرته على التفكير الخاص والعام .

« الثانية » التوحيد النسبى لعملياته العقلية ، بعكس انفصام العقل والسلوك عند الحيوان .

« الثالثة » وجودات الوحدات الاجتماعية مثل القبيلة والأمة والحزب والجماعة الدينية ، وتمسك كل منها بتقاليدها وثقافتها .

« وهناك نتائج ثانوية كثيرة لتطور العقل من مرحلة ما قبل الانسان الى مرحلة الانسان (٥) ، وهى بلا شك فريدة من الناحية البيولوجية . ولنذكر منها العلوم الرياضية البحتة والمواهب الموسيقية ، والتقدير والابداع الفنيين ، والدين ، والحب المثالى ..

« ولكن لا يكفى هنا أن نحصى بعض أوجه النشاط ، ففى الحقيقة أن معظم أوجه النشاط الانسانى وخواصه ، نتائج ثانوية لخواصه الأصلية . وكذلك فهى فذة من الناحية البيولوجية !!.. وقد يكون لتفرد الانسان نتائج ثانوية أخرى لم تستغل بعد ... »

« وبذلك يكون الانسان فريدا فى أحواله أكثر مما نظن الآن »(٦) .

وقال العالم الأمريكى : « ا. كريسى موريسون » فى كتابه :
" Man does not alons " الذى ترجمه الى العربية الأستاذ محمود صالح الفلكى بعنوان « العلم يدعو الى الايمان » .

« ان القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة » (الجينات) !! ص ١٤٥ .

« لقد رأينا أن « الجينات » متفق على كونها تنظيمات أصغر من الميكروسكوبية للذرات فى خلايا الوراثة بجميع الكائنات الحية ، وهى تحفظ التصميم ، وكل السلف ، والخواص التى لكل شىء حى . وهى تتحكم تفصيلا فى الجذر والجذع والورق والزهر والثمر لكل نبات ، تماما كما تقرر الشكل والشعر والأجنحة لكل حيوان بما فيه الانسان » (ص ١٤٧) .

« .. ويلاحظ أن جميع الكائنات الحية ، منفصل بعضها عن بعض بهوات كثيفة لا يمكن عبورها !! حتى ان الحيوانات المتقاربة ينفصل بعضها عن بعض كذلك » .

« والانسان حيوان من رتبة الطليعة ، وتكوينه يشبه فصائل « السيميا »

(الاورانجتان والغوريلا والشمبانزى) ولكن هذا الشبه الهيكلى ليس بالضرورة برهانا على أننا من نسل أسلاف سينمائية (من القرود) أو أن تلك القرود هى ذرية منحطة للانسان ، ولا يمكن أحد أن يزعم أن سمك القد (Cod) قد تطور من سمك الحساس وإن يكن كلاهما يسكن المياه نفسها ، ويأكل الطعام نفسه ، ولهما عظام تكاد تكون متشابهة .. » (ص ١٤٢) .

« إن ارتقاء الانسان الحيوانى الى درجة كائن مفكر شاعر بوجوده هــو خطوة أعظم من أن تتم عن طريق التطور المادى ، ودون قصد ابتداعى » .

« وإذا قبلت واقعية القصد ، فان الانسان بوصفه هذا قد يكون جهازاً ، ولكن ما الذى يدير هذا الجهاز ؟ لأنه بدون أن يدار ، لا فائدة منه ، والعلم لا يعلل من يتولى إدارته ، وكذلك لا يزعم أنه مادى ! »

« لقد بلغنا من التقدم درجة تكفى لأن نوقن بأن الله قد منح الانسان قبساً من نوره ، ولا يزال الانسان فى طور طفولته من جهة الخلق ، وقد بدأ يشــعر بوجود ما يســميه « بالروح » وهو يرقى فى بطء ليدرك هــذه الهيئة بغريزته بأنها خالدة » . ؟

هذا ــ ومن أهم ما ينبغى الاشارة اليه أن داروين لم يكن ملحداً ــ كمــا يقولون(٧) ــ بما ادت نظريته الى انتشار الالحاد بين الناس . وقد كان من أهم غاياته رد المخلوقات الكبيرة الى الحيوانات الصغيرة البسيطة بظنــه ، ليعلل طريقة وجود الحياة على الأرض لانقاذ العلم من الوقوف عاجزاً عن إيجاد تعليل صحيح لها .

وقد كان مخطئاً خطأ فاحشاً فيما ذهب اليه من ظنه ببساطة هذه المخلوقات التى زعمها بدائية نشأت فى الطبيعة أول ما نشأت ثم تطورت منها الحيوانات الأخــرى .

يقول « رسل تشارلز إرنست » أستاذ الأحياء والنبات بجامعة فرنكفورت بألمانيــا :

« لقد وضعت نظريات عديدة لكى تفسر نشأة الحياة من عالم الجمادات ، فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين ، أو من الفيروس ، أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينيةالكبيرة ، وقد يخيل الى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التى تفصل بين عالم الأحياء ، وعالم الجمادات . ولكن الواقع الذى ينبغى أن نسلم به هو أن جميع الجهود التى بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بفشل وخذلان ذريعين . ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع ، على أن مجرد تجمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يؤدى الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها فى الخــلايا الحية . وللشخص مطلق الحرية فى أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ! فهذا شأنه وحده ! ولكنه إذ يفعل ذلك إنما يسلم بأمر اشد اعجازاً وصعوبة على العقل من الاعتقــاد بوجود الله ، الذى خلق الأشياء ودبرها .

« إننى أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض

تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق . ولذلك فاننى أؤمن بوجود الله ايمانا راسخا »(٨) .

وهكذا انهارت نظرية دارون وانهار معها الالحاد الذى نجم بسببها ، وثبت أن الانسان جاء من الأعلى لا من الأسفل ..

ومما يؤسف له ويحز فى النفس أن هذه النظرية الهدامة التى أثبت العلم فشلها وضلالها فى الغرب وألفت المجلدات فى البرهنة على بطلانها ، لا تزال تدرس فى كثير من معاهدنا وجامعاتنا كأعظم حقيقة علمية ، مما يدل على أن هناك مخططات مرسومة لافساد النشء الاسلامى والقائه فى هوة الالحاد ، ليعمل هدماً فى كيان أمته ويتهالك على الشهوات والموبقات ما دامت حياته ـ كما تقول النظريات الإلحادية ـ صائرة الى الفناء والاضمحلال ، وما دام ليس هناك مثل عليا مقدسة ، فكل شىء فى تطور ، حتى الأخلاق فما هو فضيلة اليوم رذيلة غدا ..

وهكذا يعمل الأعداء على هدم معاقل المقاومة فى الأمة الاسلامية .

جاء فى « بروتوكولات زعماء صهيون » :

« إن دارون ليس يهوديا ، ولكننا استطعنا كيف نستخدم نظريته لهدم الأخلاق وانحراف الشباب غير اليهودى ، ليفسح لنا المجال لحكم العالم .. »
فهل من معتبر ..

---

(١) ونص الفقرة فى الاصحاح الثالث من سفر التكوين : « .. على بطنك تسعين ، وترابا تأكلين كل أيام حياتك » وترى هل تتغذى الحيــة بالتراب ؟! أرجو جواب المشاهدة العلم والتجربة !!
(٢) المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر فى نيسان (ابريل) ١٩٦٥ .
(٣) جوليان هكسلى ـ الانسان فى العالم الحديث ـ ص ٣ .
(٤) المصدر السابق ص : ٢٧ ـ ٢٩ .
(٥) هذا رأى هكسلى الخاص وقد نقضه بنفسه مرارا .
(٦) من كتاب « الانسان فى العالم الحديث » ترجمة الاستاذ حسن خطاب .. مقتطفات متفرقة .
(٧) المصدر السابق مقتطفات من ص ٣ ـ ص ٦ .
(٨) مقال « الخلايا الحية تؤدى رسالتها » فى كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » .

فضل الجهاد

إن الجهاد فى سبيل الله من افضل القربات، ومن أعظم الطاعات ، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض ، وما ذاك إلا لما يترتب عليــه من نصر المؤمنين وإعــلاء كلمة الدين ، وقمـــع الكافرين والمنافقين وتسهيل انتشار الدعوة الاسلامية بين العالمين ، واخراج العباد من الظلمات إلى النور ونشر محاسن الاسلام وأحكامه العادلة بين الخلق أجمعين ، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين ، وقد ورد فى فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يحفز الهمم العالية ، ويحرك كوامن النفوس الى المشاركة فى هذا السبيل ، والصدق فى جهـاد أعداء رب العالمين وهو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به من يكفى سقط عن الباقين ، وقد يكون فى بعض الأحيان من الفرائض العينية التى لا يجـوز للمسلم التخلف عنها الا بعذر شرعي كما لو استنفره الامام او حصر بلــده العدو او كان حاضرا بين الصفين والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة ، وممـــا ورد فى فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون ، عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الــذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستاذنك الــذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فـــى ريبهم يترددون) ..

ففى هذه الآيات الكريمات يامر الله عباده المؤمنين ان ينفروا إلى الجهاد خفافا وثقـــالا اى شيبا وشبانا وان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، ويخبرهم عز وجل ان ذلك خير لهم فى الدنيا والآخرة ، ثم يبين سبحانه حـــال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم ، وان ذلك هلاك لهم بقوله عز وجل :

والمجاهدين

للشيخ عبد العزيز بن باز

« لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعــوك ولكن بعــدت عليهم الشقة »
الآية ، ثم يعاتب نبيه .. صلى الله عليه وسلم ــ عتابا لطيفا على إذنه لمن طلب
التخلف عن الجهــاد بقوله سبحانه : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » ، ويبين
عز وجل أن فى عــدم الاذن لهم تبين الصادقين وفضيحة الكاذبين ، ثم يذكر عز
وجل أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا يستاذن فى ترك الجهاد بغير عــذر شرعى
لأن إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك ، ويحفزه إلى المبادرة الى
الجهاد والنفير مع أهله ، ثم يذكر سبحانه ان الــذى يستأذن فى تــرك الجهــاد
هو عادم الايمان بالله واليوم الآخر المرتاب فيما جاء به الرسول ــ صلى الله عليه
وسلم ــ وفى ذلك اعظم حث وابلغ تحريض على الجهاد فى سبيل الله ، والتنفير
من التخلف عنه ، وقــال تعالى فى فضل المجاهدين : « إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم واموالهم بأن لهم الجنــة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا
عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعده من الله فاستبشروا ببيعكم
الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ..

ففى هذه الآية الكريمة الترغيب العظيم فى الجهاد فى سبيل اللــــه عز
وجل وبيان ان المؤمن قد باع نفسه وماله لله عز وجل ، وانه سبحانه قد تقبل
هذا البيع وجعل ثمن اهله الجنة وانهم يقاتلون فى سبيله فيقتلون ويقتلون ، ثم
ذكر سبحانه أنه وعدهم بذلك فى اشرف كتبه واعظمها التوراة والانجيل والقرآن ،
ثم بين سبحانه أنه لا أحد أوفى بعهده من الله ليطمئن المؤمنون الى وعد ربهم
ويبذلوا السلعة التى اشتراها منهم وهى نفوسهم وأموالهم فى سبيله سبحانه
عن إخلاص وصدق وطيب نفس حتى يستوفوا اجرهم كاملا فى الدنيــا والآخرة ،
ثم يأمر سبحانه المؤمنين ان يستبشروا بهــذا البيع لما فيه من الفــوز العظيم
والعاقبة الحميدة والنصر للحق والتأييد لأهله وجهاد الكفار والمنافقين وإذلالهم
ونصر أوليائه عليهم وافساح الطريق لانتشار الدعــوة الاسلامية فى أرجــاء
المعمورة ، وقال عز وجل : « يا أيها الــذين آمنوا هل ادلكم على تجــارة

تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنـــات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)) ..

ففى هذه الآيات الكريمات الدلالة من ربنا عز وجل على أن الايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله هما التجارة العظيمة المنجية من العـــذاب الأليم يوم القيامـــة ، ففى ذلك أعظم ترغيب وأكمـــل تشويق إلى الايمان والجهاد ، ومن المعلوم أن الايمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله وإخلاص العبادة لـــه سبحانه ، كما يتضمن أداء الفرائض وترك المحارم ، ويدخل فى ذلـــك الجهـــاد فى سبيل الله لكونه من أعظم الشعائر الاسلامية ومن أهم الفرائض ، ولكنـــه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه ، وللترغيب فيه لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التى سبق بيان الكثير منها ، ثم ذكـــر سبحانه ما وعد الله به المؤمنين المجاهدين من المغفرة والمساكن الطيبة فى دار الكرامـــة ليعظم شوقهم إلى الجهاد ، وتشتد رغبتهم فيه ، وليسابقـــوا إليه ويسارعـــوا فى مشاركة القائمين به ، ثم أخبر سبحانه أن من ثواب المجاهدين شيئا معجلا يحبونه وهو النصر على الأعداء والفتح القريب على المؤمنين ، وفى ذلك غايـــة التشويق والترغيب ..

والآيات فى فضل الجهاد والترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جدا ، وفيما ذكر سبحانه فى هذه الآيات التى سلف ذكرها ما يكفى ويشفى ويحفـــز الهمم ويحرك النفوس إلى تلـــك المطالب العالية والمنازل الرفيعة والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة ، والله المستعان ..

أما الأحاديث الواردة فى فضل الجهاد والمجاهدين ، والتحذير من تركـــه والاعراض عنه فهى أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، ولكن نذكـــر منها طرفا يسيرا ليعلم المجاهد الصادق شيئا مما قاله نبيه ورسوله الـــكريم عليه من ربه افضل الصلاة والتسليم فى فضل الجهاد ومنزلة أهله ، ففى الصحيحين عن سهل بن سعد ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ((رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيـــل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)) ، وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ((مثل المجاهد فى سبيل الله ــ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ــ كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله إن توفاه أن يدخلـــه الجنة او يرجعه سالما مع اجر أو غنيمة) خرجه مسلم فى صحيحه ، وفى لفظ لـــه : ((تضمن الله لمن خـــــرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الـــذى خرج منه نائلا ما نال من أجر او غنيمة)) ، وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ : ((ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامـــة وكلمه يدمى اللون لون الـــدم والريح ريح المسك)) متفق عليه ، وعن انس ــ رضى اللـــه عنه ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : ((جاهدوا المشركين باموالـــكم

وأنفسكم وألسنتكم)) رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم ، وفي الصحيحين عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى العمل أفضل ، قال : ((إيمان بالله ورسوله)) قيل ثم ماذا ، قال : ((الجهاد فى سبيل الله)) قيل ثم ماذا ، قال : ((حج مبرور)) متفق على صحته ، وعن أبى عبس بن جبر الأنصارى ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار) رواه البخارى فى صحيحه ، وفيه أيضا عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق) ، وعن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قال سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم) رواه أحمد وأبو داود وصححه ابن القطان ، وقال الحافظ فى البلوغ رجاله ثقات ، والأحاديث فى فضل الجهاد والمجاهدين وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية ، والثواب الجزيل ، وفى الترهيب من ترك الجهاد والاعراض عنه كثيرة جدا ، وفى الحديثين الآخيرين ، وما جاء فى معناهما الدلالة على أن الاعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق ، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملات الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع ، وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمر الله والجهاد فى سبيله ، فنسأل الله أن يمن على المسلمين جميعا بالرجوع إلى دينه وأن يصلح قادتهم ويصلح لهم البطانة ويجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم جميعا للفقه فى الدين والجهاد فى سبيل رب العالمين حتى يعزهم ويرفع عنهم الذل ، ويكتب لهم النصر على أعدائه وأعدائهم إنه ولى ذلك والقادر عليه ..

المقصود من الجهاد :

الجهاد جهادان ، جهاد طلب ، وجهاد دفاع ، والمقصود منهما جميعا هو تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه واخراجهم من الظلمات إلى النور ، وإعلاء دين الله فى أرضه وأن يكون الدين كله لله وحده كما قال عز وجل فى كتابه الكريم من سورة البقرة : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)) ، وقال فى سورة الأنفال : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)) ، وقال عز وجل فى سورة التوبة : ((فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم)) ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله عز

وجل) متفق على صحته من حديث ابن عمر ــ رضى الله عنهمـــا ــ ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) ، وفى صحيح مسلم عنه أيضا ــ رضى الله عنه ــ قــال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللـــه ويؤمنوا بى وبما جئت به) ، وفى صحيح مسلم أيضا عن طارق الأشجعى ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (من وحد الله وكفر بمـــا يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل) ، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، وفى هذه الآيـــات والأحاديث الدلالة الظاهرة على وجـــوب جهاد الكفار والمشركين وقتالهم بعد البلاغ والدعوة الى الاسلام ، وإصرارهم على الكفر حتى يعبدوا الله وحده ويؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوا ما جاء به ، وأنه لا تحرم دماؤهم وأموالهم إلا بذلك وهى تعم جهـــاد الطلب ، وجهاد الدفاع ، ولا يستثنى من ذلـــك إلا من التزم بالجزيـــة بشروطها إذا كان من أهلها عمـــلا بقول الله عز وجل : (قاتلوا الـــذين لا يؤمنون باللـــه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ، وثبت عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه أخذ الجزية من مجوس هجر ، فهؤلاء الأصنـــاف الثلاثة من الكفار وهم اليهود والنصارى والمجوس ثبت بالنص أخذ الجزية منهم فالواجب أن يجاهدوا ويقاتلوا مع القدرة حتى يدخلوا فى الاسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، اما غيرهم فالواجب قتالهم حتى يسلموا فى أحد قولى العلماء لأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قاتل العرب حتى دخلوا فى ديـــن الله أفواجا ، ولم يطلب منهم الجزية ، ولو كان أخذها منهم جائزا تحقن دماؤهم وأموالهم لبينه لهم ، ولو وقع ذلك لنقل وذهب بعض أهل العلم إلى جـــواز أخذها من جميع الكفار لحديث بريدة المشهور فى ذلك المخـــرج فـــــى صحيح مسلم ، والكلام فى هذه المسألة وتحرير الخلاف فيها وبيان الأدلة مبسوط فى كتب أهـــل العلم من أراده وجده ، ويستثنى من الكفار فى القتال النساء والصبيان والشيخ الهرم ونحوهم ممن ليس من أهل القتال ما لم يشاركوا فيه فان شاركوا فيه أو ساعدوا عليه بالرأى والمكيدة قوتلـــوا كما هو معـــلوم من الأدلة الشرعية ، وقد كان الجهاد فى الاسلام على أطوار ثلاثة ، الطور الأول : الاذن للمسلمين فى ذلك من غير الزام لهم به كما فى قوله سبحانه : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) ، الطور الثانى : الأمر بقتال من قاتـــل المسلمين والكف عمن كف عنهم ، وفى هذا النوع نزل قوله تعـــالى : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغمى) الآية ، وقوله تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شـــاء فليكفر) ، وقوله تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فى قول جماعـــة من أهل العلم وقوله تعالى فى سورة النساء : (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولو فخـــذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ، إلا الذين يصلـــون

إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) والآية بعدها ، الطور الثالث : جهاد المشركين مطلقا وغزوهم فى بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ليعم الخير أهل الارض وتتسع رقعة الاسلام ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والالحاد وينعم العباد بحكم الشريعة العادل ، وتعاليمها السمحة وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الاسلام ، ومن عبادة الخلق الى عبادة الخالق سبحانه ، ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة وأحكامها الرشيدة ، وهذا هو الذى استقر عليه أمر الاسلام وتوفى عليه نبينا محمد — عليه الصلاة والسلام — وأنزل الله فيه قوله عز وجل فى سورة براءة وهى من آخر ما نزل : ((فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)) الآية ، وقوله سبحانه : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) والأحاديث السابقة كلها تدل على هذا القول وتشهد له بالصحة ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن الطور الثانى وهو القتال لمن قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم قد نسخ لأنه كان فى حال ضعف المسلمين فلما قواهم الله وكثر عددهم وعدتهم أمرهم بقتال من قاتلهم ، ومن لم يقاتلهم حتى يكون الدين لله وحده أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها ، وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الطور الثانى لم ينسخ بل هو باق يعمل به عند الحاجة إليه ، فاذا قوى المسلمون واستطاعوا بدء عدوهم بالقتال والجهاد فى سبيل الله فعلوا ذلك عملا بآية التوبة وما جاء فى معناها ، أما إذا لم يستطيعوا ذلك فانهم يقاتلون من قاتلهم وتعدى عليهم ، ويكفون عمن كف عنهم عملا بآية النساء وما ورد فى معناها ، وهذا القول أصح وأولى من القول بالنسخ وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله — وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة أن قول من قال من كتاب العصر وغيرهم أن الجهاد شرع للدفاع فقط قول غير صحيح والأدلة التى ذكرنا وغيرها تخالفه ، وإنما الصواب هو ما ذكرنا من التفصيل كما قرر ذلك اهل العلم والتحقيق ، ومن تأمل سيرة النبى — صلى الله عليه وسلم — وسيرة أصحابه — رضى الله عنهم — فى جهاد المشركين اتضح له ما ذكرنا وعرف مطابقة ذلك لما اسلفنا من الآيات والأحاديث .

وجوب الاعداد للأعداء :

وقد امر الله سبحانه عباده المؤمنين ان يعدوا للكفار ما استطاعوا من القوة وأن يأخذوا حذرهم كما فى قوله عز وجل : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقوله سبحانه : (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم) وذلك يدل على وجوب العناية بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء ويدخل فى ذلك جميع أنواع الاعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان ، كما يدخل فى ذلك اعداد جميع الوسائل المعنوية والحسية وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة وكيفية استعمالها وتوجيههم الى كل ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده فى الكر والفر والأرض والجو والبحر وفى سائر الأحوال لأن الله سبحانه أطلق الأمر بالاعداد وأخذ

الحذر ولم يذكر نوعا دون نوع ولا حالا دون حال وما ذاك إلا لأن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع ، والعدو يقل ويكثر ويضعف ويقوى والجهاد قد يكون ابتداء وقد يكون دفاعا ، فلهذه الأمور وغيرها أطلق الله سبحانه الأمر بالاعداد وأخذ الحذر ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم في إعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة في ذلك ، وقد صح عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : (الحرب خدعة) ومعناه : أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب مالا يدركه بالقوة والعدد وذلك مجرب معروف ، وقد وقع في يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهود والكيد لهم على يد نعيم بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ باذن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما كان من أسباب خذلان الكافرين وتفريق شملهم واختلاف كلمتهم ، وإعزاز المسلمين ونصرهم عليهم وذلك من فضل الله ونصره لأوليائه ومكره لهم كما قال عز وجل : (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ، ومما تقدم يتضح لذوي البصائر أن الواجب امتثال امر الله والاعداد لأعدائه وبذل الجهود في الحيطة والحذر ، واستعمال كلما أمكن من الأسباب المباحة الحسية والمعنوية مع الاخلاص لله والاعتماد عليه والاستقامة على دينه ، وسؤاله المدد والنصر ، فهو سبحانه وتعالى الناصر لأوليائه والمعين لهم اذا أدوا حقه ، ونفذوا أمره وصدقوا في جهادهم وقصدوا بذلك إعلاء كلمته واظهار دينه ، وقد وعدهم الله بذلك في كتابه الكريم وأعلمهم أن النصر من عنده ليثقوا به ويعتمدوا عليه مع القيام بجميع الأسباب قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ، وقال سبحانه : ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) ، وقال عز وجل : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) ، وقال عز وجل : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) الآية وقال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) وقال سبحانه : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين • وما جعلهالله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) ، وقد سبق في هذا المعنى آية سورة الصف وهي قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هلأدلكم على تجارة تنجيكم منعذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جناتعدن ذلك الفوز العظيم • وأخرى تحبونها نصر منالله وفتح قريب وبشر المؤمنين) ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ولما قام سلفنا الصالح بما أمرهم الله به ورسوله وصبروا وصدقوا في جهاد عدوهم نصرهم الله وأيدهم وجعل لهم العاقبة مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة أعدائهم كما قال عز وجل : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ، وقال عز وجل : (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ، ولما غير المسلمون وتفرقوا ولم يستقيموا على تعاليم ربهم وآثر

أكثرهم أهواءهم أصابهم من الذل والهوان وتسليط الأعداء ما لا يخفى على أحد ، وما ذاك إلا بسبب الذنوب والمعاصي ، والتفرق والاختلاف وظهور الشرك والبدع والمنكرات في غالب البلاد ، وعدم تحكيم أكثرهم الشريعة كما قال الله سبحانه :

((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)) ، وقال تعالى : (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وقال عز وجل : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون) ، ولما حصل من الرماة ما حصل يوم أحد من النزاع والاختلاف والاخلال بالثغر الذى أمرهم النبى — صلى الله عليه وسلم — بلزومه جرى بسبب ذلك على المسلمين من القتل ، والجراح والهزيمة ما هو معلوم ، ولما استنكر المسلمون ذلك أنزل الله قوله تعالى : (او لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) ولو أن أحدا يسلم من شر المعاصي وعواقبها الوخيمة لسلم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه الكرام يوم أحد وهم خير أهل الارض ويقاتلون في سبيل الله ومع ذلك جرى عليهم ما جرى بسبب معصية الرماة التى كانت عن تأويل لا عن قصد للمخالفة لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتهاون بأمره ، ولكنهم لما رأوا هزيمة المشركين ظنوا أن الأمر قد انتهى وأن الحراسة لم يبق لها حاجة وكان الواجب عليهم أن يلزموا الموقف حتى يأذن لهم النبى — صلى الله عليه وسلم — بتركه ، ولكن الله سبحانه قد قدر ما قدر وقضى ما قضى لحكمة بالغة وأسرار عظيمة ، ومصالح كثيرة قد بينها في كتابه سبحانه وعرفها المؤمنون وكان ذلك من الدلائل على صدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأنه رسول الله حقا ، وأنه بشر يصيبه ما يصيب البشر من الجراح والآلام ونحو ذلك ، وليس بإله يعبد وليس مالكا للنصر ، بل النصر بيد الله سبحانه ينزله على من يشاء ، ولا سبيل إلى إستعادة المسلمين مجدهم السالف واستحقاقهم النصر على عدوهم إلا بالرجوع إلى دينهم والاستقامة عليه وموالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه ، وتحكيمه في أمورهم كلها ، واتحاد كلمتهم على الحق وتعاونهم على البر والتقوى كما قال الامام مالك بن أنس — رحمة الله عليه — : (لن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها) ، وهذا هو قول جميع أهل العلم والله سبحانه إنما أصلح أول هذه الأمة باتباع شرعه والاعتصام بحبله والصدق في ذلك والتعاون عليه ، ولاصلاح لآخرها إلا بهذا الأمر العظيم ، فنسأل الله أن يوفق المسلمين للفقه في دينهم وأن يجمعهم على الهدى وان يوحد صفوفهم وكلمتهم على الحق وأن يمن عليهم بالاعتصام بكتابه وسنة نبيه — عليه الصلاة والسلام — وتحكيم شريعته والتحاكم إليها ، والاجتماع على ذلك والتعاون عليه إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

مائدة القارئ

الموعظة الحسنة :

كتب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الى الحسن . اجمع لى أمر الدنيا وصف لى أمر الآخرة فكتب اليه — انما الدنيا حلم والآخرة يقظة ، من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فاذا زللت فارجع ، واذا ندمت فأقلع واذا جهلت فاسأل ، واذا غضبت فامسك ، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه .

النمام مخذول :

جاء رجل الى الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز فذكر عنده وشاية فى رجل ، فقال : إن شئت حققنا هذا الأمر الذى تقول فيه ، ونظرنا فيما نسبته اليه ، فان كنت كاذبا ، فأنت من أهل هذه الآية (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية (هماز مشاء بنميم) وان شئت عفونا عنك .

فقال الرجل النمام : العفو يا أمير المؤمنين ، ولا أعود اليه أبدا .

نائب الامام :

كان المدنى فى الصف وراء الإمام فقطع الإمام الصلاة لحدث ، وقام المدنى ليؤمهم ، فوقف طويلا فلما أعيا الناس سبحوا له ، وهو لا يتحرك ، فنحوه وقدموا غيره ، وبعد الصلاة عاتبوه ، فقال :

— ظننت الإمام يقول لى : احفظ مكانى حتى أجىء .

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .

الاعرابى والحجــاج

كان الحجاج يؤدى فريضة الحج ثم جاء وقت الغذاء فقال لحاجبه :
ــ انظر من يأكل معى .
فخرج الحاجب من الخيمة والتقى باعرابى نائم فأيقظه وعاد به الــى الحجاج الذى قال له :
ــ اغسل يديك وكل معى أيهــا الاعرابى .
فرد عليه قائلا : لقد دعانى من هو خير منك فأجبته .
فقال الحجاج غاضبا : ومن هذا الذى دعاك ؟
قال : الله تعالى دعانى للصوم فصمت .
قال : فى هذا اليوم الحار ؟
قال : نعم صمت ليوم أشد منه حرارة .
قال : فافطر اليوم وصم غدا .
قال : وتضمن لى البقاء الى الغد ؟
قال : ليس ذلك فى قدرتى .
قال : فكيف تطلب منى عاجلا فى يدى لتعطينى آجلا لا تقدر عليه وتركه وانصرف .

البخيل وأولاده :

قال رجــل من البخــلاء لأولاده : اشتروا لى لحمــا فاشتروه فأمــر بطبخه ، فلما استوى أكله جميعــه حتى لم يبق فى يده الا العظم وعيون أولاده ترمقه فقال : ما أعطى أحــدا منكم هذا العظم حتى يحسن وصف أكله فقال الأكبر : أمشمشــه يا أبت وأمصه حتى لا أدع للذر فيه شــيئا فقال :

لست بصاحبه ، فقال الأوسط : الوكه يا أبت والحسه حتى لا يدرى احد لعام هو أم لعامين . فقــال : لست بصاحبه . فقال الأصغر : يا أبت أمصه ثم أدقه وأسفه سفا قال : أنت صاحبه وهــو لك ، زادك الله معرفة وحزما ..

الشاهد الآخر :

تقدم رجل رجلا الى بعض القضاةفادعى عليه بثلاثين دينارا ، وأقام شاهدا واحدا فقال القاضى : ادفعله خمســة عشر دينارا الى أن يقيم الشاهد الآخر .

رمضان

والقرآن .. وليلة القرآن

— ١ —

الزمن فى نظر الإسلام ، حقيقة واقعة .. يعيش فيه الوجود ، وتتحرك الموجودات فى آناته ولحظاته ، كما تتحرك الأجنّة فى أرحام أمهاتها ..

فالزمن فى حساب الإسلام وتقديره ، هو الرحم التى تتخلّق فيها الأحداث ، والبوتقة التى تنضج فيها الكائنات ، وتتحرك فى محيطها من المولد إلى الممات.

ففى كل لحظة من لحظات الزمن ، وفى كل آنة من آناته ، يخلع الوجود قديما ، ويلبس جديدا ، حيث لا يكون الوجود فى أية لحظة على الصورة التى كان عليها فى اللحظة السابقة ، أو التى سيكون عليها فى اللحظة التالية ، وهذا بعض ما يشير إليه قوله تعالى : « كلّ يوم هو فى شأن » ..

والإنسان — فى هذا الكوكب الأرضى ، هو الكائن الذى يشعر بالزمن ، ويدرك آثاره ، ويلْحَظُ حركة مسيره ، وأنها حركة تتجه إلى الأمام دائما ، دون أن تتوقف لحظة ! وإن كان ذلك الشعور على اختلاف كبير بين الناس ، إذ بينما يكون فى الناس من لا تمر به ساعة من ليل أو نهار ، إلا ويشهد فيها آثار الزمن فى نفسه ، وفى الحياة من حوله ، على حين يكون فى الناس من لا يكاد يشعر حتى باختلاف الليل والنهار عليه ، فيقطع العمر غافلا لاهيا ، لا يجد الحياة إلا لونا واحدا ، ولا يرى فيها أو فى نفسه شيئا يختلف فيه يومه عن أمسه !

وقد كان من تدبير الإسلام هنا أن عمل بشريعته وأحكامه على إيقاظ الشعور بالزمن فى كيان المؤمنين ، بحيث تقوم نظرتهم إليه على أساس قوى من الاحترام له ، والحرص على الإفادة من كل نفس يتنفسه الانسان فيه ..

ومن هذا التدبير الحكيم أن ربط الإسلام ما تعبد الله به المسلمين من

للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

وأمة القرآن ..

صلاة ، وصيام ، وحج ، وزكاة ، بمواقيت محددة من الزمن تؤدى فيه ، ولا تقبل فى غيره ..

فللصلوات الخمس كل يوم ، وقت محدد لكل صلاة ، وللصوم المفروض ، وقت محدد معلوم ، هو شهر رمضان ، وللحج وقته المعلوم ، الذى يبدأ من شوال وينتهى فى اليوم العاشر من ذى الحجة ، كما يقول سبحانه وتعالى : « الحج أشهر معلومات » .. وللزكاة وقت محدد لكل نوع منها ، فزكاة النقدين وما يلحق بهما ، تكون على رأس الحول عن ملك نصاب الزكاة فيهما ، وزكاة الزرع تكون عند حصاده ، وجنى ثماره ، كما يقول : « وآتوا حقه يوم حصاده »

وأكثر من هذا ، فانه إظهارا لقيمة الزمن ، ولفتا لآثاره العظيمة فى بناء الحياة الإنسانية للإنسان — أقسم الله سبحانه وتعالى بمقاطع محددة من الزمن ، وبأجزاء معلومة منه ، لتكون معالم للإنسان فى مسيرته مع الحياة ، يشخص بوجوده كله اليها ، ويهيىء نفسه لاستقبالها ، والتزود من الخير المحمول بين يديها .. فأقسم الحق سبحانه وتعالى بالليل والنهار : « والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلّى » .. وأقسم جلّ شأنه بالفجر ، والصبح ، والضحى ، والعصر .. « والفجر . وليال عشر » .. « والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس » .. « والضحى . والليل إذا سجى » .. « والعصر .. إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .. وذكر سبحانه فى مقام التكريم والتنويه يوم الجمعة ، لم يذكر فى القرآن بالاسم يوما غيره ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » .. وبمثل هذا جاء ذكر شهر رمضان من بين شهور العام ، لم يذكر شهر غيره ، فقال سبحانه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

— ٢ —

ونخلص من هذا الى القول بأن تلك الأوقات من مقاطع الزمن واجزائه ، التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم ، فى معرض القسم أو فى غيره — هذه الأوقات لها فضلها على غيرها من مقاطع الزمن وأجزائه .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من خلقه ، كما يقول سبحانه : « يخلق ما يشاء ويختار » .. وكما فضل الله تعالى بعض الناس على بعض ، فاصطفى منهم الرسل والأنبياء ، والصديقين ، والأولياء ، فقد فضل سبحانه بعض الأوقات على بعض ، واصطفى من أيامها ، ولياليها ، وشهورها ما شاء سبحانه وتعالى منها ..

— ٣ —

وشهر رمضان ، هو الشهر الذى تؤدّى فيه فريضة الصوم ، امتثالا لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .. أياما معدودات » .. ثم بيّن سبحانه وقت هذه الأيام المعدودات ، وعددها ، فقال سبحانه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .. ففى قوله تعالى : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » تنويه بهذا الشهر ، ورفع لقدره ، إذ كان الظرف الزمنى الذى نزل فيه القرآن ، بما يحمل الى العالمين من هدى ، وما يسوق اليهم من فضل الله ورحمته .. وفى قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » تعقيب على هذا البيان الذى كشف عن قدر هذا الشهر وفضله ، فكان الأمر بأداء فريضة الصيام فيه تنويها آخر بفضله من جهة ، وتنويها بفريضة الصيام من جهة أخرى ، بجعل هذا الشهر المبارك ظرفا لها ، حيث تعظم فيه آثار الصوم ، ويتضاعف خيره ..

وهنا حقيقة ، أو ظاهرة ، ينبغى أن ننتبه اليها ، وهى أن أكثر ما يلتفت اليه كثير من الصائمين ، هو هذا الحرمان من الطعام والشراب ، والإمساك عن شهوتى البطن والفرج ، من الفجر الى غروب الشمس ، وقليل هم أولئك الذين ينظرون فى رمضان إلى ما وراء الطعام والشراب ، منعا أو أخذا ، ولهذا فإنه يسبق رمضان ويتخلل أيامه ما نشهده من هذا الإقبال الشديد على مواد الطعام التى يستجلبها الصائمون ، ويستكثرون منها . وخاصة ما كان من تلك المواد التى يستغنى عنها الناس أو أكثر الناس عادة فى غير رمضان ، فإن هذه المأكولات التى تعرف بمأكولات رمضان تكاد تكون فى نظر كثير من الصائمين . بل وغير الصائمين . كأنها جزء من فريضة الصيام ، وحتى لكأن الصوم لا يكمل ولا يقبل إلا بها ، الأمر الذى يحملهم على حمل ما لا تتسع له قدرتهم المالية فيعانون فى سبيل ذلك ما يعانون ، من جهد ومشقة ، من أجل الحصول على أشياء رمضان !!

والصوم ، وإن كان فى ظاهره ، هو حرمان الجسد من شهوتى البطن والفرج ساعات محددة من الزمن كل يوم من أيام رمضان ، فإن هذا الحرمان ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة الى غاية أو غايات تتصل بالجانب الروحى والنفسى من الإنسان أكثر من اتصالها بالجسد ، وذلك لا يكون إلا إذا كان الصائم على شعور دائم بأن هذا الحرمان الواقع على الجسد هو امتثال لأمر

الله ، وانه جهـــاد فى سبيل الله ، وحـــرب على أهواء النفس ووســـاوس الشيطان .. وهنا يشعر الصائم بأنه قائم فى ميدان الجهاد فعلا ، وأن آيـــة عَضَّة للجوع أو العطش ، ليست إلا كلما يكلمه الصائم ، فى سبيل الله ، فيحتملها صابرا ، راضيا مغتبطا ، كما يحمل المجاهد المقاتل جراحاته فى صبر ، ورضى ، وغبطة ، عندئذ يجـــد الصائم نفسه وقد تهيأ لاحتمـــال كل حرمان ، وتجاوز كل شهوة تعرض له على طريق صومه .. وبذلك يكون الصائم صائما حقا ، له أجر الصوم كاملا ، سواء شق عليه الصوم أو لم يشق ، تماما كالمجاهد يخرج غازيا فى سبيل الله ، ثم يعود سالما غانما ، وقد وقع أجره على الله .

هذا وجه من وجوه الصوم ، لا يكاد يلتفت إليه كثير من الصائمين الذين يحضرون دائرة الصوم فى حدود الجسد ومطالبه ، وفى حرمانه من شهواته ساعات محدودة كل يوم ، حتى إذا دنت ساعة الإفطار أخذ الصائم يضع بين يديه ما أعدّ من ألوان الطعام لإفطاره ، والتى قضى نهاره مفكرا فيها مشغولا بها ، فإذا جاء وقت الافطار أقبل على الطعام فى نَهَم وإسراف ، يتنقل من لون الى لون ، حتى تمتلىء معدته ، وتختنق أنفاسه !.

ليس الصوم فى حقيقته حربا تدور رحاها بين الصـــائم وبين شــــهواته الجسدية ، وانما هو فى صميمه حرب على شهوات كثيرة مُنْدسَّة فى كيـــان الانسان ، كشهوة العدوان على الناس ، وشهوة الغيبة والنميمة ،وشـــــهوة الغفـــلة عن الضـــمير لتقضى النفس حاجاتهـــا من التقصير فى الواجب ، أو الاستخفاف بأداء حقوق الله ، وحقوق عباد الله .. فهذه الشهوات وما إليها هى التى جاءت رسالات السماء لمحاربتها ، وكسر شوكتها .

فالعبادات ، من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، هى الدواء السماوى لهذه الأدوار التى تسكن فى كيان الانسان ، والتى من شأنها أن تفسد فطرته إن لم يتداوا بهذا الدواء ، ويجرى فى تعاطيه على الحدود التى رسمها الله ..

والصوم اذا أداه الصائم على وجهه المطلوب ، هو أظهر العبادات وأكثرها فعالية فى عـــلاج الروح عن طـــريق الجسد ، وأخذه بالحرمان المـــادى من شهواته ، حالا بعد حال ..

إن صوم رمضان هو فرصة المسلم التى تتاح له بلقاء هذا الشهر كل عام ، حيث يلقاه فيها بآلامه وهمومه ، وذنوبه ، وبما أصابه فى طريق الحياة من جراح ، ليستشفى من آلامه وعِلَله ، وليجـــد برد السكينة وثلج العافية فى نفسه ، وليخرج من هذا الشهر المبارك وقد برىء من كل داء ، وعوفى من كل هم وحزن .. وان أخسر الصائمين صفقة ، وأكثرهم غبنا من أقبل عليه رمضان ثم لم يهيىء نفسه لاستقباله على نية الاستشفاء لنفسه فيه ، وطلب العافيـــة من نفحات أيامه وبركات لياليه ، ثم إن أخسر الخاسرين ، وأغبن المغبونين من خرج من رمضان ولم تزدد شعلة الايمـــان فى قلبه توهجـــا ، ولم يتزود من التقوى بزاد يدنيه من الخير ، ويباعد بينه وبين المنكر والإثم .

ويلتقى المسلمون فى شهر رمضان بثلاثة معالم من عالم الحق ، اختصهم الله تعالى بها ، ووسمهم بسماتها ، وآتاهم بها من فضله ما لم يؤت أحـــد من العالمين .. وتلك المعالم هى : القرآن ، وليلة القرآن ، وأمة القرآن .. التقت ثلاثتها فى رمضان لقاء على قدر ، فكان من ثمرها هذا الخير الذى تعيش فى ظله الانسانية كلها ، والذى تَنْدى منه قلوبها بمشاعر الرحمة ، والمودة ، والاحسان ، سواء فى هذا من كانَ من المسلمين ، أم كان جيرة للمسلمين ..

فشهر رمضان هو شهر القرآن ، حيث ابتدأ نزوله فيه ، وأشرقت شمسه على الوجود فى ليلة من لياليه .. ومن هنا كان لقاؤنا بالقرآن الكريم فى شهر رمضان يختلف كثيرا أو قليلا عن لقائنا به فى غير رمضان .. وذلك لأن شهر رمضان ، هو موسم القرآن ، وهو الظرف المبارك من الزمن الذى اختاره الله تعالى ، ليكون محملا لكلماته الى رسول الاسلام ، والى أمة الاسلام .. ولا شك أن اتصال المسلم بالقرآن فى هذا الظرف المبارك ، يضفى على من يتلو القرآن أو يستمع اليه كثيرا من نفحات هذا الشهر وبركاته ،ويمد بصيرته بالسنا الوضاء من الأنوار العلوية ، التى تكشف له من أسرار القرآن وعجائبه ما تتمثل له منه المعجزات القاهرة المتحدية ، التى يرى فيها مصداق قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ..

ومن جهة أخرى ، فان لقاء المسلم بالقرآن فى رمضان إنما يكون فى حال الصوم ، الذى تتكسر فيه شهوة الجسد ، وتتخلص فيه الروح من كثير من قيود المادة المضروبة عليها من الجسد .. وهذا لا شك انسب الأحوال ، وأعدلها ، واقر بها بالانسان الى آيات الله وكلماته .. فالقرآن الكريم روح من روح الله تعالى ، كما يقول جل شأنه للنبى الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .. فأقرب الناس الى القرآن وأشكلهم به ، من خف ميزان جسده ، وثقل ميزان روحه ، فيقترب بهذا من عالم الروح ، عالم القرآن الكريم ، ومتنزل آيات الله وكلماته ..

لهذا كان شهر رمضان موسم القرآن ، ومرد المسلمين جميعا اليه ، حتى أولئك الذين لا يكادون يتصلون بالقرآن ، أو يتصلون به لماما فى غير رمضان ، فإذا جاء رمضان تزاحموا على هذا المورد العذب المبارك ، ونهلوا منه ليرووا ظمأ جعلوا موعد إروائه رمضان .. وهذا لا شك شعور حسن وسنة محمودة ، يتدارك بها كثير من المسلمين ما فاتهم من الاتصال بكتاب الله ومدارسته طوال العام ، كما أن كثيرا من المسلمين الذين يجعلون موعد لقائهم بالقرآن فى شهر رمضان ، تتوثق الصلة بينهم وبين كتاب الله ، بعد هذا اللقاء فى هذا الظرف المبارك ، فتتصل لقاءاتهم بالقرآن فى رمضان ، وفى غير رمضان ..

ونود أن نقف هنا قليلا مع الذين يتصلون بكتاب الله ، تلاوة أو استماعا ، فى رمضان وفى غير رمضان لنقول : ان تلاوة القرآن الكريم ، أو الاستماع اليه هو ذكر ، وصلاة ، ودعاء ، وإنه لن يحرم أحد من المسلمين حظه من نفحات آيات الله ، ورحماتها ، وبركاتها ، تاليا أو مستمعا .. ثم إنه ليس لتلاوة القرآن أو الاستماع اليه — فى غير الصلاة المكتوبة — وقت معين ، أو قدر محدد ، فأى وقت من ليل أو نهار ، هو وقت تلاوة واستماع ، وأى قدر من القرآن هو مجز فى التلاوة أو الاستماع ، لأن ذلك من النوافل التى ترك للمؤمنين إتيانها فى أى وقت يشاء ، وعلى أى قدر يريد ، وله من الجزاء الحسن عند الله على قدر ما يعطى من نفسه ، وعقله ، وقلبه ، ووقته لآيات الله .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « فاقرءوا ما تيسر من القرآن » وقوله سبحانه : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر ؟ » ومن تيسير القرآن للذكر ، رفع كل قيد يحول بين أى مؤمن بالله ، وبين الاتصال بكتاب الله ،

تاليا ، أو مستمعا ، أو دارسا .. فكتاب الله هو ميراث المسلمين جميعا ، ولن يُحرم أحد حظه من هذا الميراث ، اذا هو طلبه ،وحرص على الافادة منه ، وانه على قدر ما تكون عليه صلة المسلم بالقرآن ، وعلى قدر توسله إليه ، بما يقربه منه ، ويدنيه اليه ، يكون حظه من هذا الميراث المبارك العظيم .

فالقرآن الكريم ، لا يُقبل إلا على من يقبل عليه ، ولا يمنح خيره وبركته ، إلا لمن يعرف قدره ، ويطرق بابه فى أدب ، وولاء ، وخشوع .!

وليس المقصود من الاتصال بالقرآن الكريم ، مجرد الإلمام به ، وقطع المسافة بين فاتحته وخاتمته ، فى أقل زمن ممكن ، فتلك سبيل غير سبيل من يريد اجابة دعوة الله تعالى الى لقاء كتابه ، اذ يقول سبحانه لنبيه الكريم : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب .

فالذى يقرأ القرآن ، أو يستمع اليه ، فى غير تدبر وتذكر ، ليس بقارىء للقرآن وإن قرأ ، وليس بمستمع للقرآن وإن سمع ، لأنه ليس من الذين وصفهم الله تعالى بقوله : « الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده . » ..

ونحن المسلمين فى عصرنا هذا نستمع كثيرا الى آيات الله تتلى علينا ، حتى لا يكاد بيت من بيوت المسلمين لا تتردد فى جنباته ، فى الصباح وفى المساء وفيما بين الصباح والمساء ـــ أصوات المقرئين منقولة الى كل بيت فيه مذياع ، أو الى جيران أى بيت فيه مذياع ..

فنحن من هذه الوجهة أكثر من أسلافنا سماعا للقرآن ، لما يسر الله تعالى لنا من وسائل الاتصال به ، بقصد ، أو بغير قصد .. ولكن الذى لا شك فيه ، هو أن حظنا من عطائه المبارك ، ومن أضواء هديه ، ونفحات رحمته ، أقل بكثير من حظ أولئك الذين كانوا يستمعون الى آية أو بضع آيات ، فيكون لهم منها ، ومنها وحدها ، زاد حياة ، ودبستور عمل ، ومنهج سلوك ، لأنهم استمعوا الى ما استمعوا اليه من كلام الله ، بآذان صاغية ، وجوارح ساكنة ، وقلوب خاشعة ، فوقعت منها كلمات الله موقع الغيث من الأرض الجديبة ، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم .. يقول الله تعالى ، فيما يؤدب به أهل القرآن ، فى مجلس القرآن : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » .. فالرجاء فى رحمة الله ، المستمطرة من آيات الله ، رهن بالاستماع والانصات لما يتلى من كلمات الله ، حيث تسكن الجوارح ، وتخشع المشاعر ، وتتهيأ العقول والقلوب للتهدى الى مواقع العبرة والعظة من آيات الله ، فيكون منها الدواء لكل ما فى كيان المسلم من داء .. يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى معنى قوله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب » ـــ يقول : « إن الحكمة هى القرآن »

ويفسر ابن عباس معنى قول الرسول الكريم : « إن الحكمة هى القرآن » فيقول : « أى فهم القرآن ، لأن القرآن يقرؤه البر والفاجر .. »

والا فليعلم أولئك الذين يفتحون المذياع على تلاوة القرآن ، ثم يدعون صوت المقرىء يملأ جنبات البيت ، وهم يحسبون أنهم بهذا قد ملأوا البيت من نفحات آيات الله ، ونشروا على أنفسهم وعلى أهليهم الخير والبركة منها ، دون أن يجلسوا همْ وأهلوهم مجلس القرآن ، ودون أن يُحسنوا الاستماع الى آيات الله ، وتدبرها ، والوقوف عند كل زاجرة وواعظة منها ـــ الا فليعلم هؤلاء أنهم

بخسوا القرآن حقه ، وظلموا أنفسهم وأهليهم بما فاتهم من حظ عظيم كان دانيا منهم ، من نفحات القرآن وبركاته ، لو أنهم عرفوا للقرآن الكريم قدره .. وإنه لخير « لأولئك الذين يتخذون من القرآن الكريم « بخورا » يطلقونه من المذياع أن يحولوا مؤشره الى غير القرآن ، فذلك — على ما به — أصون لمقام القرآن الكريم ، وأحفظ لجلاله ، وعظمته ..

— ٥ —

وفى رمضان ليلة القدر ، التى كانت مفتتح نزول القرآن الكريم ، ومبدأ اصطفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحمل رسالة الله الى عباد الله .. وهى ليلة من ليالى رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وفيها يقول الله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يُفرق كل أمر حكيم » ويقول جلّ شأنه : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من الف شهر ،تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .

ومعنى ليلة القدر ، أنها الليلة التى قدّر الله تعالى فيها عوالم الوجود كلها ، خَلقا وأمرا ، بحكمته ، وعدله ، وعلمه ، وقدرته ، ورحمته ، فأعطى فيها كل شيء خلقه ، ثم هدى ..

فليلة القدر ، هى الليلة التى كانت الوعاء الزمنى لتجليات الله سبحانه وتعالى على هذا الوجود ، ثم كانت الوعاء الزمنى لنزول القرآن الكريم من السماء الى الأرض ، ففتح الله تعالى به قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما .

ولهذا فان ليلة القدر تنزل من عقول المسلمين وقلوبهم منزل الإعزاز والإكرام .. إنها ليلة العمر ، التى تهفو إليها النفوس ، وتحتشد لها الآمال ،

وأمر نحب أن نشير اليه فيما يتصل بليلة القدر ، التى نرصد مطالعها فى رمضان — وهو أن الذين ينتظرون ليلة القدر فى رمضان من كل عام ، ويتوقعون أن تطرق عليهم الباب فى أية لحظة من لحظات لياليه ، وأن تستجيب لكل ما يطلبون من مال ، وجاه ، وسلطان ، وصحة ، وشباب ، الى غير ذلك مما يتمثل لكثير من الناس ، مما تحمل ليلة القدر الى الموعودين بلقائها — هؤلاء الذين حساب ليلة القدر عندهم هو هذا الحساب ، هم أبعد الناس عن ليلة القدر ، لأنهم يسيرون فى طريق ، وليلة القدر تسير فى طريق .. انها ليلة العاملين ، الذين يصومون رمضان ، فيمسكون السنتهم عن الفحش والسوء ، ويفطرون على الحلال الطيب مما كسبت أيديهم .. فاذا كان الليل قطعوه ترتيلا لآيات الله ، وتدبرا لكلماته ، وقبسا من نور كتابه ، وقطفا من ثماره .. فمن فعل هذا كان خليقا بأن يتحلى بحلل ضافية من أنوار تلك الليلة المباركة ، وأن يسامر ملائكة الرحمن التى تتنزل بما يملأ ما بين الارض والسماء من نفحات الله ورحماته .. انها ليلة القرآن ، وليلة أهل القرآن .. ليلة الارواح المنتشية بذكر الله ، لا ليلة الاجسام المتخمة المثقلة بالطعام والشراب : « سلام هى حتى مطلع الفجر » .. فلا تلتقى الا بأهل السلامة والسلام ، ولا تصافح الا أهل النور والصفاء ..

هذا ، وليلة القدر وان لم يحدد وقتها ، الا أن المقطوع به ، هو أنها ليلة من ليالى رمضان ، فمن طلبها فليطلبها فى رمضان ، صائما نهاره ، قائما ليله .. ومن فترت همته فليطلبها فى العشر الأواخر من رمضان ، حيث أشار الى ذلك الرسول الكريم بقوله : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان » .. ومن

ضعف عن ذلك فليقم لها الليالى الفردية من تلك الليالى العشر ، حيث تظاهرت الاخبار بأنها واحدة من تلك الليالى ، فمن عجز عن هذا فليقم لها ليلة السابع والعشرين ، حيث وردت آثار وشواهد كثيرة بأنها ليلة السابع والعشرين ..
فمن ذلك ما يروى عن ابن عباس ، وقد سئل عنها ، فقال : « انى أراها — أى أظنها — ليلة السابع والعشرين » فقيل له : أعندك من خبر بهذا ؟ فقال : « لا ، ولكن نظرت فوجدت أن الله تعالى خلق الانسان فى سبعة أطوار ، فقال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر .. فتبارك الله أحسن الخالقين » .. كذلك جعل الله رزق الانسان ومعاشه فى سبع ، فقال سبحانه : « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا ، وقضبا ، وزيتونا ، ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة ، وأبا .. متاعا لكم ولأنعامكم » ثم نظرت فرأيت أن الله تعالى خلق سبع سماوات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، فكانت الليلة السابعة من الليالى العشر من أواخر رمضان هى أولى الليالى أن تكون ليلة القدر » ..

ومن جهة أخرى ، فقد استظهر بعضهم أن ليلة القدر هى ليلة السابع والعشرين ، بأن عد كلمات السورة — سورة القدر — فوجدها ثلاثين كلمة ، بعدد أيام الشهر ، ثم وجد كلمة (هى) التى تشير الى ليلة القدر تقع متممة العدد السابع والعشرين من كلمات السورة .

— ٦ —

وفى رمضان ، كان ميلاد أمة الاسلام ، وكان القرآن الكريم هو اليد الصناع لها ، والروح السارية فى كيانها ، وصبغة الله التى صبغها بها ، فكانت كما نوه بها الحق سبحانه وتعلى فى كتابه الكريم بقوله جل ذكره : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ..

ففى قوله تعالى : « كنتم » بلفظ الماضى ، ما يشير الى هذا الوصف الذى وصف الله تعالى به هذه الأمة ، بأنها « خير أمة أخرجت للناس » — ليس محدودا بزمن من أزمان هذه الأمة ، ولا مقصورا على جيل من أجيالها ، أو بحال من أحوالها ، وانما هو وصف عام مطلق يشمل الأمة الاسلامية كلها ، فى جميع أزمانها ، وأجيالها ، وأحوالها ، من عهد النبوة الى أن يرث الله تعالى الارض ومن عليها ، وأن أمة الاسلام فى أسوأ أحوالها ، وفى أنزل منازلها ، هى على هذا الوصف ، وأنها خير أمة ، بما فى كيانها من قوى الحق ، والخير ، وان بدا فى ظاهر الأمر أن أمما كثيرة اليوم أقوى منها قوة ، وأكثر أموالا ، ومتاعا .. اذ أن ما يقوم عليه بناء الأمة الاسلامية من حق وخير ، لا تنال منه الأيام ، وأنها لا بدأن تجد وجودها يوما ، وأن ينفخ فيها الحق من روحه ، فتصحو صحوة مشرقة تبهر أنظار العالمين .. أما ما يقوم عليه بناء تلك الأمم الظاهرة الغالبة اليوم ، فهو قائم على شفا جرف هار ، لا يلبث أن يتصدع ويهوى الى القاع ، وان علا وطاول السماء .. « كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

وفى التعبير القرآنى : « أخرجت » تنويه آخر بشأن هذه الأمة ، وأنها هى المولود الكامل الذى تمخضت عنه الانسانية ، ولن تلد مثله أبد الدهر ، وفى هذا يقول الرسول الكريم : « الخير فىّ وفى أمتى الى يوم القيامة » .

وفى قوله سبحانه : « أخرجت للناس » تنويه ثالث بتلك الأمة ، وأنها لم تخرج من الناس ، ولكنها أخرجت للناس ، حتى لكأنها بهذا من معدن غير معدن الناس ، ومن عالم غير عالم الناس ، وحتى لكأنها قد جاءتهم من عالم الغيب ، وطلعت عليهم من أفق بعيد ،وأخرجت لهم من حيث لا يتوقعون .. فمن صحراء مجدبة قفر ، ومن مجتمع أمى غارق فى جهالة الجاهلية ، لا يكاد يمسك من حظوظ الناس بشىء ــ تخرج هذه الأمة ، فتقود ركب الانسانية الى مواقع الخير والاحسان ، وترد بها موارد العلم والمعرفة ، وتسوسها ســـــياسة العدل ، والرحمة ، وتقيم فى كل أفق من آفاق الأرض معالم الامن والحرية والسلام ..

فلتذكر الأمة الاسلامية دائما أنها خير أمة أخرجت للناس ، ولتذكر دائما أن هذه الخيرية انما بفضل من الله تعالى عليها بأن كانت هى المتلقية للقرآن الكريم ، الذى هو روح من روح الله، يبعث الحياة حيث نزل ، ويحيى الموات حيث حل ..

فالأمة الاسلامية ، هى أمة القرآن ، اليه يرد أصلها ، وبه يعرف نسبها ، ومنه نسجت وتنسج ما لبست أو تلبس من حلل العزة ، والكرامة ، والسيادة .

وانه لن يمسك على هذه الأمة وجودها فى هذا المقام الكريم الا رعايتها للقرآن ، وتمسكها بالعمل به ، واجتماعها على الحياة فى ظله ..

ان القرآن الكريم هو مائدة الله السماوية الممدودة لأمة القرآن ، مائدة يتغذى منها العقل والروح ، فتتخلق من هذا الغذاء ملكات علوية ، ووجدانات ربانية ، بها يسمو الانسان ويعلو ، وبها ينتصر على الضعف الانسانى ، وعلى النزعات الحيوانية المندسة فى كيانه .. وهذا ما يشير اليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى قوله : « القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته » .. ولم يقل الرسول الكريم : فكلوا من مأدبته .. لأن القرآن الكريم مأدبة علم ، وحكمة ، وأدب ، وخلق ، وليس مأدبة معدات ، ولا طعام بطون .. !

فانظر كيف رفع الله قدر هذه الأمة ، وأعلى شأنها ، وكيف جعل غذاءها السماوى الذى أنزله عليها ، غذاء يتصل بالقلب ، والعقل ، والروح ، ولم يجعله طعاما للبطون ، كما أنزل الله تعالى على بنى اسرائيل ما أنزل من المن والسلوى ، فأكلوا حتى أتخموا وبشموا ، وحتى عافوا هذا الطعام السماوى ، وقالوا لموسى : « ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » .. وفى هذا ما فيه من فضل الله على الأمة الاسلامية ، ومن احسانها اليها ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر مؤمنة بالله ..

وانه لكى تلبس الأمة الاسلامية هذا الفضل الذى اختصها الله تعالى به ، وتتحلى بهذا الاحسان الذى أحسن سبحانه به اليها ، ولكى تكون على الوصف الذى وصفها الله تعالى به فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ــ ثم لكى تولد فى الحياة ميلادا جديدا يرى فيها المجتمع الانسانى ما رأى فى يومها الأول ــ لكى تحقق الأمة الاسلامية هذا كله أو بعضه ، ينبغى أن تعود الى كتاب الله ، وأن تصحبه على ما صحبه عليه الأسلاف ، دستورا عاملا فى الحياة ، وحارسا قائما على ظاهر الانسان وباطنه جميعا ، وحكما مطاعا ينزل على حكمه الحاكمون والمحكومون ، ويلتزم حدوده الأقوياء والضعفاء يوم يكون هذا ، تعرف الأمة الاسلامية طعم الحياة ، فتسعد ، ويسعد الناس جميعا معها ..

وهذا رمضـــان قد أظلتنا أيامه ، وهذه ليلة القدر تنتظرنا على طريق رمضان ، وهذا كتاب الله بين أيدينا كما أنزله الله تعالى على رسوله ، لم تبدل منه كلمة ، ولم ينخرم منه حرف ..

فيا أمة الاسلام ..

ويا خير أمة أخرجت للناس ..

هذا هو القرآن ..

فكونى أمة القرآن .. تلاوة ، وتدبرا ، وتذكرا ، وعملا ..

وهذا شهر رمضان ..

فكونى أمة شهر رمضان .. صياما ، وقياما ، واستقامة ، واحسانا ..

وهذه ليلة القدر ..

فكونى أمة ليلة القدر .. صفاء روح ، وطهارة نفس ..

انك ان تفعلى ثَبَّتَ الله خَطْوك على الحق ، والبســك ثوب العزة والمجد ، وأقامك على الصفة التى نزل بها القرآن فى وصفك والتنويه بك ، وجعلك شهادة حية ، مشرقة الجبين ، عالية الصوت لما يرتل المرتلون ، ويسمع السامعون من كلمات الله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ..

انها مسئولية كل مسلم عن نفسه ، وعن أمته ، وعن كتاب الله ، لا تبرأ منها ذمة أى المسلم حتى يكون أقرب ما يكون الى القرآن الكريم ، بحيث يأمر ويأتمر بما أمر به القرآن من معروف ، وبحيث ينهى وينتهى عما نهى عنه القرآن من منكر ، والله سبحانه وتعالى يقول فيما أنعم به علينا بالقرآن ، وبما لهذه النعمة من حق يجب أن يؤدى : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

قصـــة ..

رأيت في بدر

الاستاذ : محمد الخضري عبد الحميد

ـــ كيف حـــال الوليـــد ؟

ـــ على حاله ، ما يـــزال .

ـــ كلنا رأينا في (بدر) ما قد رأى .. فما خطبه ، وما حقيقة شأنه ؟

همسات جانبية تتردد .. تتهامس بها الشفاه على الآذان ، في توجس ، وبخفوت .. تزداد انتشارا بين أحياء مكة ودروبها .. لا شيء يسمح بأن تتردد مثل تلـــك الهمسات ، ويتسع انتشارها . هناك ما هو أشمل . ما هو أعم ، واهم ، وأخطر . هناك (بلاء) واحد أكبر يجتاح القوم ويعصف بهم ، فيخصونه وحده دون سواه ، بكل الاحتفال والاهتمام .. هو وحسب ـــ ذلك الرزء الشامل العام ـــ الذي فيه يجهرون بالقول وبالفعل جميعـــا .

انتهت (بدر) ، ولكن لتبدأ في أعقابها آلام وهموم الكفار .. إنهم يتعجبون لنتائجها ، ويمعنون الأنظار في دلالات عبرها وصورها . تنعقد المجالس تباعـــا .. تحتـــدم المناقشات باطراد ، فتعلوا الأصوات ، ويكثر التلويح المنفعل بقبضات الأيـــدي في الهواء . تتضارب الآراء ، وتتناطح المؤاخذات والاتهامات .. وخلال ذلـــك كله تهتز القامات ، ويشتد دق الأقدام بعنف على الرمال ، ثم .. ثم ينفرط العقد ، وتتباعد عن بعضها البعض : أشباح كاسفة ، مهيضة ، ولا لون يغلب على ملامح الوجوه ، الكالحة المربدة ، وما يدور في وسطها من مقل محتقنة ، ومحاجر زائغة ، إلا لون واحد .. لون الـــدم !!

لكن وجها واحدا كان شأنه يختلف . وجه فتى قسيم ، ظل يلوح هادئا ، وضيئا .. لا تعكس أساريره الوديعة ، الذاهلـــة الحزينة ، شيئا من أصداء ما يقال حوله ، وما يثار عن كثب منه ..

كان يهيم سارحا في عالم آخر ، مغاير تماما .. إذ ماذا يعني (الوليد) ، شقيق خالد وعمارة ابني الوليد بن المغيرة ، إذا كان المكر السيء حاق بأهلـــه ، والدائرة دارت على قومه ، فانتهى بهم الأمر إلى هزيمة ساحقة مريرة ، على أيدي المعسكر الاسلامي في ساحـــة (بدر ؟.. بل ماذا يعنيـــه من الأمر كله الآن ،

وهو الذي يكابد في الأعماق : ما يجل ويسمو على كل ما يدور إلى جواره على السطح ، من هموم ، وأحـزان ؟

★ ★ ★

كان (الوليد) في طليعة الذين خاضوا بدرا ، قبالة جيش (محمد) .
مثلما ذهب أقرانه ذهب .. وكما قاتل بنو قومه قاتل ، ما وسعه القتال .. فلم تغن عنه قوته في النزال ، وبأسه في الكر والطعان شيئا .. فكان أن سقط آخر الأمر أسيرا ، وفك إساره بالفدية .. ثم عاد في النهاية ليجد نفسه ـ لا يدري كيف ! ـ أسيرا من نوع آخر ! .. صار أسيرا للذهول ، والدهشة ، وشدة الحيرة ، بعد أن رأى بأم عينيه ، وعن كثب ، ما رأى !
ولم يرق معظم القوم في مكة ، ما طرأ على (الوليد) من تغير .. صار سلوكه يتسم باللامبالاة بهم ، بل وبالجرأة والاستهانة بما هم غارقون فيه إلى الأذقان من ذل ، ويأس ، وكرب عظيم .. فاتفقت كلمتهم على أن يقيدوا حركته ، وأن يحصروا خطره .. فجعلوه أسيرا بينهم ، محتجزا في عزلة اضطرارية تحت مرمى ابصارهم ..
وهكذا عاد الأسير الذي استخلص ـ بالفدية ـ حريته من المعسكر المنتصر المتسامح .. أسيرا بحق ، مفقود الحرية بشكل كامل ، وأين ؟؟ .. في بلده ، بين آله وصحبه وكل قومه !!
لكن كلمة الحق ـ في رأيه ـ يجب أن تقال .. ولكي تقال ، يجب أن يهيأ لها الجو المناسب .. والاطار اللائق ..
.. ويغوص (الوليد) أكثر ، ليصل إلى كنه ما يصطخب من أحاسيس ومشاعر ، في أعماقه الموارة .. يسائل نفسه ، معايشا من جديد تلك الصور والرؤى .. « ماذا رأيت في بدر ، يا وليد ؟ » .. وتسرح خواطره ، في وحدته، وراء المشاهد الجليلة .. « محمد .. الرجل الشامخ .. القائد العظيم ... يحارب لمبدأ .. يذود عن حمى عقيدة ليس كمثلها عقيدة .. إنه النبي الذي يتنزل عليه القرآن .. ويزوره من لدن العزيز الحكيم : جبريل ، رسول السماء .. ويمضي (محمد) مزودا بتأييد ربه : ينشر على العالمين رسالة يالها من رسالة .. الاسلام .. أقوى وأسمى الديانات .. ومن أجل كل ذلك البهاء والجلال ، يلتف حوله الصفوة الأخيار ، وأولو البأس الشديد . ومن الطبيعي جدا أن يحف كل أولاء الأجلاء البررة ، بذلك الرجل الشجاع الباسل الكريم ... رأيتهم كلهم ـ في بدر ـ يتسابقون في نصرته .. يتزاحمون على بذل الأرواح رخيصة هينة ، في سبيل أن يبقى هو بعيدا عن كل أذى ، وتبقى رسالته ، وراية معسكره . رأيتهم في ساحة (بدر) يتفانون في تعضيده ، ومؤازرته ، وسحق كل من يعترض طريق النور الذي يحمل لواءه .. انتصاره إذن ـ ولا محالة ـ أمر منطقي .. أما : بنو جلدته ، ممن ناوأوه وأنكروا دعوته ، فمن المعقول جدا أن تكون هزيمتهم النكراء شيئا حتميا !.. أولئك الكفرة الفجرة ، الذين تعج بهم الدروب والطرقات ها هنا حولي .. لا شيء مطلقا مما يضيء يوجد في أعماق أي منهم .. ومن ثم فالذي يدفعهم إلى قتاله ، ومحاولة صد تياره ، والحد من انتشار الدعوة التي جاء بها ، ليس إلا التعصب الأعمى ، والتشبث الغرير الأخرق بالضلالة والاثم .. مكابرة ـ فقط ـ وعنادا » ! ..

ويمضي (الوليـــد) ـــ في وحدته الموئسة الكابية ـــ متفكـــرا ، يحـــاور ذاته .. مسائلا نفسه : (بم ـــ يا ترى ـــ يتقول الناس في شأنه ، ويرجفون) ؟!

★ ★ ★

حقا ! . أولئك الذين لا يفقهون .. ماذا ـــ يا ترى ـــ يقولون ؟! .. اتراهم يتندرون بظمئه المجهول ، ويتفكهون ؟ .. أم هم الآن يتهمونه ـــ كما اتهموا اخاه (عمارة) من قبل ـــ بالخبال ، ومنتهى الجنون ؟!

ولكن .. هل يستوى الذين يعلمون .. فينكرون .. ويتعامون ، ويتصاممون .. بالذين سمعوا ـــ مباشرة ـــ بالآذان ، وراوا بانفسهم رأى العيون ؟ !

هل هو بمستطيع الآن ، حتى لو اراد ، أن ينسى مشاهد وصور يوم الكر ، والفر ، والكرب ، والذهول ؟ .. بل ، وهل تستطيع كل أمـــواه الآبار والجداول ان تروى الآن غلته .. وان تنجيه من عذابات ظما عجيب غريب ، يحرق الفـــؤاد حرقا ؟ !

★ ★ ★

كيف يمكن لـــ (الوليـــد) ـــ بعد ـــ ان ينسى محيا ذلك الليث الهـــادر الصوال ، ذا الريشة الكبيرة على صدره ، يهش بذؤابة مهنده البتار ، اعناق كل من كان يدفعهم لهيب العطش القاتـــل نحو : ماء بدر ؟ !

((هيه)) ! .. ويتنهد الفتى متأمـــلا ، سابحـــا في بحـــران عجب ذاهل وإعجاب .. إنه كان (حمزة بن عبد المطلب) وكفى ! .. اجل ، حمزة ، وانه للرجل الذى ـــ على حد قولهم هنا ـــ ((ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل)) ! .. فكيف لا يعلو ويسود معسكر من بين رجاله المقاتلين مثل ذاك الرجل ؟ . و .. حارب (الوليـــد) كما ارادوا له أن يحارب .. جاهـــد ، ما وسعه الجهد .. ولكن ما الجدوى ، وما فى الأعماق شيء مما يضيء ؟ .. إن اولئك الـــذين يحاربون فى معسكر (محمد) .. كانت ثمة طاقات علوية هائلة تشحنهم ، وينابيع من الضوء الغامر الفياض تتفجر فى اعماقهم ، فهم لا يرتضون إلا النصر المؤزر ختاما لمعاركهم . راح (الوليد) يستعيد صورا ، ويعايش من جديد : العديد من المشاهد والرؤى .. ((بلال ، وهو يحمل على امية بن خلف ، الذى كان يسومه الخسف والعذاب ، لا يدعه حتى يرديه صريعا ، وهو يكبر ويهلل ، ويهتف : ((راس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا)) ! .. ((أبو جهل ذلك الطاغية الشرس ، يتهافت جدثا مثخنا بالطعنات النافذات على يد معاذ بن عمرو بن الجموح ، احـــد مقاتـــلى المسلمين الأشداء)) .. ((ابن سعيد بن العاص ، يخر مجندلا بضربة قاسية من الزبير بن العـــوام)) ..

ويتذكر ما قيل ورددته الألسن واكدته الروايات ، ويكرر نص كلمـــات رجل من بني غفار ، قال فيها .. ((اقبلت انا وابن عم لى ، حتى اصعدنا فـــى جبل يشرف بنا على بدر ،ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة ، فننهب مع من ينهب .. فبينا نحن فى الجبل ، إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : ((اقدم حيزوم . فاما ابن عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما انا فكدت اهلك ، ثم تماسكت)) .. او ذلك الرجل الآخر الذى

قال .. « إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بــدر لأضربه ، إذ وقع راسه قبل أن يصل اليه سيفى ، فعرفت أنه قد قتله غيرى » .. إذن فالأمر كذلك حقا ، ليس أدل على ذلك أيضا من : تعقيب لرجل جليل هو (ابن عباس) ، أدلى به تعليقا على أحداث المعركة الكبرى .. « كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قــد أرسلوها على ظهورهم » ..

ويمضى الوليد مناجيا نفسه .. « إنى رأيت بعينى فى بدر .. الابن الذى ملأ نور السلام فؤاده ، يحمل على أبيه الذى لا يزال على الشرك ، ولأن الأب الــذى أعمى الكفر بصره وبصيرته .. تصدى لابنه الــذى آمن واهتدى وأخذ يذود عن معسكر الهدى مع رجال الاسلام ببسالة تنخلع لهولها القلوب ... وحاول الأب المتعصب للجهل فى تطاول تعس أن يحول بين ولده وبين صفــوف أهله الذين لا زالوا مشركين .. فكان على الابن : أن يضع واجب العقيــدة ، فوق أية دوافع من بنوة أو قربى » .. ويعود الفتى الظامىء الحائر الى التساؤل للمرة الواحدة بعد الألف .. « أى قوة خارقة هذه ، التى يمنحها هذا الــدين الأسمى ، لمن نهل من مورده حتى أرتوى ؟؟ .. وكيف لى أن أمحو من مخيلتى هذه اللقطة الحية ، التى لا تبهت مطلقا ولا تبلى ؟ .. أو لم أر بعينى هاتين ، كيف أن عليا بن أبى طالب ، يجندل بحسم رهيب بعض بنى عمه ؟ لأن العقيدة والمبدأ عنده كما تعــلم عن دينه ، وتلقى عن نبيه ، أقوى وأعلى منزلة من كل وشيجــــة ، وأبقى ؟ » و .. و ..

وتجتاح الفتى فى نهاية كل تلك الخواطر والفكر : قوة خارقة خفية ، لا يدرى — فى وحدته المؤسية — مأتاها .. كل ما يدريه أن الكلمة التى ينبغى ان تقال فى حينها وأوانها ، نضجت ، وآن لها أن تنطلق إلى آفاقها ..

ويهب (الوليد) من فوره ، فيعمل يديه فى الرتاج الموصد عليه باحكام من الخارج .. وإذا الحديد السميك العصى : يلين ويضعف تحت شديد عزمه وبأسه .. وهكذا يفلح — أخيرا — فى فتح الباب المغلق ..

ويذهب إلى عتبة الدار التى أسروه فيها ، خشية أن يستفحل خطر ما دأب على ترديده من كلمات وآراء لا تتفق البتة ورأيهم فى (محمد) ، وكنه هذا الدين الذى طلع به عليهم (محمد) .

تنسم الهواء قليــلا .. ثم عــاد يسائل نفسه ، ويشاورها ويناظرها ، كما اعتاد فى الآونة العصيبة الأخيرة أن يفعــل ..

— « ها قد تحررت من قيود الأسر .. الآن فقط استطيع ان اعلن ما يجيش فى سريرتى غير هياب ، وعلى رءوس الأشهاد . الا ما أجمل أن يكــون ذلــك عاجــلا .. وعاليا » .

ولم يضيع وقتا ، فانفجر بملء فيه صائحــا :

— يا قوم .. اسمعــوا كلمتى .. لى كلمة يا قــوم ، هاكم هى .. فاصغوا إلى .. !!

★ ★ ★

هرع كثيرون إليه ، انطلقوا صوبه جماعات ، دهشين ، مأخوذين .. يتعجبون — قبل اى شىء آخر — لكل ذاك البشر الطافح على أسارير وجهه ..

عيناه اللتان كانتا زائغتين ، شبه مطفأتين .. ما بالهما الآن : شع منهما بريق ساطع جديد ؟!.. أين الأسى ، وأين المرارة ، وأين أمائر الظمأ الشديد ، وعلائم الهم والغم والذهول العميق ؟ ! .. لم يعد يسطع على المحيا المتهلل سعادة وبهجة : إلا الفرحة الغامرة ، والنشوة الهائلة الطاغية ! .. ماذا جرى .. هكذا في طرفة عين لـ (الوليد) !؟ . حاول البعض ـ عبثا ـ أن يعيدوه ثانية ، إلى حيث كان ! .. ساله آخرون : ما خطبه ؟ . ماذا يريد ؟ .. وما هي (الكلمة) التي عن له ـ الآن وحسب ـ أن يقولها ؟! . استبق بعض ثالث كلمة الفتى قبل أن تقال .. فأسرعوا يصيحون ، ساخرين هازئين :

ـ نعرف ما بك ، ونعرف سلفا كلمتك . كل ما رأينه في بدر وسمعته .. رأيناه ـ يا فتى ـ وسمعناه مثلك .. الواجب يقتضيك يا هذا أن تفعل مثلنا .. نحن ننكر كل شيء ، حتى ولو كان الحق الصراح .. لا نريد أن نعترف لـ (محمد) وجنده بشيء ولو يسير، من كل ذاك الفضل والمجد الذى قد علمت .. اما عن الظمأ الدائم ، الذي تشكو حرقته .. فلقد اودعنا حجرتك كل ما يكفي من ماء .. أفلم ترتو بعد ؟!

أنى لمثل هؤلاء أن يفقهوا .. ؟ !

أنى لتلك القلوب الصادة الصماء ، أن تحس وتدرك ؟! .. إنها لو استطاعت الحس والادراك ، لفاءت إلى الموئل السامي .. ويجيب الوليد باسما :

ـ لا . لم أرتو بعد . لكنى أعرف كيف ومتى واين استطيع أن ارتوى ، ارتواء لا ظمأ بعده ! .. يا قوم .. تعلمون متى وكيف يقول الانسان الحر كلمته .. اننى الآن ، كما ترون ، حر ... ولن تستطيع قوة في هذا العالم ان تسلبنى بعد اليوم حريتى .. سأقول كلمتي حرة مدوية . يا هؤلاء .. لقد ايقنت أننى فى رحاب الرجل الكبير القائد : سأجد طمأنينتي وسكينتي ، والرى الهنيء لظمأ روحى وفؤادى .. لم أشأ ان أقول الكلمة وأنا أسير عنده في المدينة ، ضمن أسرى بدر .. فما كنت إذ ذاك حرا ، ومن ثم فما كانت كلمتى لتكون (كلمة احرار) لو انها قيلت حينئذ .. يا قوم : إنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا هو عبد الله ورسوله .. والآن : افعلوا ما بدا لكم !!

من مكة ، إلى المدينة .. سار (الوليد) ، يضرب بدأب جاد ، وبعزم شديد طروب .. انشأ قدما يضرب وحيدا في القفار والآجام .. مثخنا بالجراح ، موهونا ، لكثرة ما تلقي فور إلقاء (بيانه) الخطير ، من ضربات وركلات ، إذ لم تستطع كل قواهم المضادة الضارية ـ مجتمعة ـ أن تثنيه عن عزمه ، أو تحيد به ولو قليلا عن الشروع فى تحقيق هدفه .. كان قد حدد الطريق إلى بلوغ أمنيته ، بعد أن كان عرف أين يكون موطن الرى وموئل السكينة .. وبعد أن وثق من تخير (التوقيت) الأمثل ، الذى ينبغى فيه أن تنطلق ـ من عقالها ـ كلمته .

انطلق الوليد سعيدا .. يخب ماشيا فى عرض الخلاء الفسيح على قدميه .. ليقول هناك (كلمة) لم يرد أن يقولها فى البدء وهو أسير ، محتجز لدى المعسكر المنتصر ، حتى لا يكون ثمة احتمال لظن بان الأسر أوهن من شجاعته أوفت فى عضده ..

وبين يدى (محمد) ، ناشر الاسلام وحامل لوائه ، أعلن الفتى الشجاع مع إسلامه : مطلق الولاء ..

مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

قبسات من السنة

فى هذه الفترة التى يحتاج فيها المسلم الى الزاد الروحى الذى يضىء لــه مسالك الحياة ويهديه الى أخلاق الحق والخير فى عالم يعوزه الحق والخير ، فى هذه الفترة اصدر الشيخ أحمد البسيونى المراقب العام للوعظ بالأزهر ، وهو داعية من خيرة الدعاة الى الاسلام ، كتابه (قبسات من السنة) .

وفى هذا الكتاب اقتبس المؤلف من السنة المطهرة كثيرا من الأحاديث الصحيحة ، ووقف لها بالشرح والتحليل ، واستنباط الآداب والأخلاق فى أسلوب سهل وعرض دقيق .

والكتاب (٣١٨) صفحة من القطع الكبير نشرته جماعة النشر بهيئة علماء الوعظ بالأزهر .

العوامل التى تنخر فى الكيان الاسلامى

نفثات مؤمنة ، ومشاعر صادقة ، ودراسات هادفة على صفحات هــذا الكتاب تعكس ما يجيش فى نفوس المؤمنين العاملين لخدمة دينهم وعقيدتهم ، وتبرز الآمال العريضة ، والأهداف الكبرى لتحقيق ومضة من نور الايمان المنبثق من الكعبــة .

وعلى صعيد رحلة النور والايمان والأخوة والتقوى التقى مجموعة من كبار الكتاب المسلمين الأستاذ عمر الحكيم ، الدكتور مصطفى عبد الواحد ، الدكتور عبد الصبور مرزوق ، الدكتور عبد الحميد الهاشمى ، الأستاذ محمد المبارك ، الدكتور محمد أمين المصرى ، مولانا كوثر نيازى ، الأستاذ انعام الله خــان ، معالى حسن التهامى فى هذا الكتاب ليعرضوا للقارىء كل ما يتعلق بأمور العالم الاسلامى ...

جهــود مباركة بذلها هؤلاء الأساتذة فى طريق الخير والحق والصلاح ، وجهود أخرى بذلتها وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية فى طبع هذا الكتاب الذى قدم له معالى السيد حسن كتبى وزير الحج والأوقاف .

والكتاب يقع فى ٢٣٠ صفحة ، ومن طبع دار الأصفهانى وشركاته بجدة ــ المملكة العربية السعودية .

استراتيجية العالم الاســـلامى

لقد واصلت وزارة الحج والأوقاف بالملكة العربية الســـعودية التقدم فى ميدان دعوة التضامن الاسلامى ، فعقدت ندوات ثقافية ، وعهدت الـــى بعض الأساتذة المتخصصين فى العلوم أن يحاضروا فيها فى اجتماعات ضمت مجموعة من كبار الحجاج ومثقفيهم وأصحاب الرأى فيهم ، وقد جمعت هذه المحاضرات فى كتاب قدم الى العالم الاسلامى تحت عنوان ((**استراتيجية العالم الاسلامى**)) ويعتبر هذا الكتاب بمثابة الخطوة الأولى فى طريق الاصلاح العام الشامل الذى نتمنى أن يسلكه المسلمون جميعا مبتدئين برحلة الاخـــاء والتعاون على البـــر والتقوى ، وشهود المنافع .

والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة ، ومن طبع مطبعة دار الكتب فى بيروت .

شـــفاء الســـقام فى زيارة خير الأنــــام

تأليف الإمام الفقيه على بن عبد الكافى تقى الدين السبكى — والكتاب من التراث العربى القديم طبعته لجنة التراث العربى ص.ب ٦٢٨٣ بيروت ، ومرتب على عشرة أبواب الأول فى الأحاديث الواردة فى الزيارة ، والثانى فى الأحاديث الدالة على ذلك ، وان لم يكن فيها لفظ الزيارة ، والثالث فيما ورد فى السفـــر اليها ، والرابع فى نصوص العلماء على استحبابها ، والخامس فى تقرير كونها قربة ، والسادس فى كون السفر اليها قربة ، والسابع فى دفع شبه الخصـــم وتتبع كلماته ، والثامن فى التوسل والاستغاثة ، والتاسع فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والعاشر فى الشفاعة .

وتضمن الكتاب الرد على من زعم أن احاديث الزيارة كلها موضوعة ، وأن السفر اليها بدعة غير مشروعة .

والكتاب يقع فى ٢٥٠ صفحة .

شعر الدعوة الاسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين

الكتاب الثانى من سلسلة البحوث التى تطبعها الرئاسة العامة والمعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية وهو من جمع وتحقيق وشرح الأستاذ عبـــد الله حامد الحامد ، والكتاب يبحث فى شعر الدولة الاسلامية الـــذى اتقـــدت شعلته منذ فجر الاسلام الى يومنا الحاضر وادى رسالته خلال أربعة عشر قرنا فى تصوير مشاعر القلوب المؤمنة وإرواء عواطف النفوس المتدينـــة والهـــاب حماسة الجماهير المسلمة وتعبئتها لرد عادية أعداء الاسلام وقد راعى المـــؤلف عند جمع هذا الشعر أن تبدو فيه الروح الاسلامية واضحة بينة وحذف ما يخرج عن خط الاسلام وصنف هذا الشعر المجموع فى عشرة أبواب : الدخـــول فـــى الاسلام . التوحيد . الجهاد . الهجاء ، المديح . الرثاء . السياسة . الأخلاق . المواعظ . شعر منوع .

وقد اقبل المؤلف على عمله هذا بصدق وبذل له من نفسه بســـخاء ولبس له ثوب الباحث الذى يقدر المسئولية .

والكتاب يقع فى (٦٠٠) صفحة وهو من مطبوعات كلية اللغة العربيـــة بالرياض .

الفتاوى

الحيض

السؤال :

العريف محمد رضا من الجمهورية العراقية يسأل : هل يحرم الطعام من يدى امرأة فى فترة الحيض ؟

الاجابــة :

الاسلام دين سمح لا يعسر على الناس ، ولا يضيق عليهم معايشهم ، بل يقدر الامور بقدرها دون تجاوز ، فالحيض لا يحيل المرأة ــ وهى المخلوق الآدمى الداخل فى تكريم الله سبحانه ــ الى شيء نجس أو رجس يتحتم اجتنابه وعــدم مخالطته ، بل يبيح لنا الاسلام معاشرة زوجاتنا خلال فترة الحيض والاستمتاع بمخالطتهن الا النكاح ، وجميل ما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، وبين السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، قال لها رسول الله « ناولينى الخمرة من المسجد ــ والخمرة ما يوضع ليسجد عليه المصلى أو (السجادة) ــ فقالت : انى حائض فقال : ان حيضتك ليست فى يدك » رواه مسلم ولعل المراد بالمسجد مسجد بيته الذى كان يتنقل فيه .

وروى البخارى فى صحيحه عن ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها ، أنها كانت تكون حائضا لا تصلى وهى مفترشة حيال مصلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على خمرته اذا سجد أصابنى بعض ثوبه .

وعلى هذا يا أخ محمد فلا حرج فى أن يؤكل الطعام من يدى امرأة ، وهى فى فترة الحيض ، بل لو صلى رجل الى جوار زوجته الحائض ولمستها ثيابــه فصلاته صحيحة .

الجهــاد

السؤال :

الاخ ع. ع. يسأل عن حكم الجهاد ، وهل هو دائما مفروض على كل أحد ؟

الاجابــة :

الجهاد بمعنى بذل الجهد فى سبيل اعلاء كلمة التوحيد ، وصيانة أحكــام القرآن المجيد ، وحماية مقدسات الاسلام فريضة لازمة الى يوم القيامة ، ويكون بالحجة : فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم به منذ كان بمكة وقال تعالى : « فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا » . وأما أن يكون بالقتال ، وقد أذن للمؤمنين فيه أولا ولم يفرض عليهم بقوله سبحانه : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » ، ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم بقوله جل وعلا : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافــة بقوله عز جاهه : « وقاتلوا المشركين كافة » .

وهكذا كان محرما ثم مأذونا به ثم مأمورا به لمن بدأهم ثم مأمورا به لجميع المشركين ، والجهاد اما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور ، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين : اما بالقلب واما باللسان ، واما بالمال ، واما باليد ، فعلى كل مسلم ان يجاهد بنوع من هذه الانواع ، اما الجهاد بالنفس ففرض كفاية وأما الجهاد بالمال فمثله لان الامر بالجهاد به وبالنفس فى القرآن سواء كما قال عز من قائل : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله » وعلق النجاة من النار بـه ومغفرة الذنب ودخول الجنة فقال : « يا ايها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم » .

روى أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حرس من وراء المسلمين فى سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه الا تحلة القسم » .

وفى الترمذى عنه : « ليس شىء أحب الى الله من قطرتين أو اثرين : قطرة دمعة من خشية الله وقطرة دم تراق فى سبيل الله ، وأما الاثران : فأثر فى سبيل الله وأثر فى فريضة من فرائض الله » .

وكان يستحب للرجل منهم أن يقاتل تحت راية قوم ، وربما يستأجر الرجل من ماله من يخرج فى الجهاد ، ويسمون ذلك الجعائل وفيها قال النبى صلى الله عليه وسلم : « للغازى أجره وللجاعل أجره وأجر الغازى » .

التنفل قبل صلاة العصر

السؤال :

السيد ع. س من منطقة الفيحاء بالكويت يسأل عن المراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا صلى قبل العصر أربعا » فهل هذه الصلاة تجوز قبل الاذان أم بعد الاذان ؟

الاجابـة :

الى السيد السائل نقول : ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة ترغب المسلمين فى صلاة النافلة قبل صلاة العصر المفروضة لكن بعض الروايات تنص على التطوع بركعتين وبعضها يرغبنا فى أربع ركعات . روى النسائى عن أم حبيبة ـ أم المؤمنين ـ رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى فى يوم وليلة اثنتى عشرة ركعـة بنى له بيت فى الجنة . أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعـد المغرب وركعتين قبل صلاة الفجر » .

ومن حديث على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى قبل العصر أربع ركعات .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عند الطبرانى مرفوعا بلفظ « من صلى أربع ركعات قبل العصر لم تمسه النار » .

وروى الطبرانى عن أم سلمةرضىالله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على النار » .

لكن الرواية التى أوردها السائل قريبة مما رواه أحمد عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا » .

وعلى كل فهذه النافلة وقتها بعد أذان العصر وقبل صلاة الفريضة .

اعداد : عبد الحميد رياض

دار القـرآن الكريم

قرأت عن افتتاح دار للقرآن الكريم :
وأود أن أعرف ما هو الهـدف من إنشائهـا ، وساعات الدراسة فيهـا ، والمعلومات التى يحصل عليها الطالب ، والشروط اللازمة لقبول الطالب ؟
أحمد المرزوق ــ الكويت

• • • • • •

من المعلوم أن الهدف من إنشاء دار للقرآن الكريم هو الحفاظ على دستور هذه الأمـة ، ومكمن عزتها ، وموطن الرجاء فى صلاحها . فلقد جمع اللـه بالقرآن القلوب ، وقوى به العزائم ، فانعقدت به أواصر ود لا تهن ، وتماسكت به روابط أخوة لا تلين ، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطـل من بين يديه ولا من خلفـه .

فحرى بالمسلمين أن يحرصوا عليه فى كل عصر ، وأن يصونوه من التحريف والتبديل ، ولا يتركوه هدفا سهلا أمام الحريصين على تشويه حقائقه .

ولقد جاء هـذا المشروع امتدادا طبيعيا وتنفيذا صادقا لوعد الله : « إنا نحن نزلنا الـذكر وإنا له لحافظون » ولن يخلف الله وعده ، فهو دائما سبحانه يوجد المناخ المناسب فى الوقت المناسب فوق أرض طيبة ، وذلك ليظل القرآن النور الهادى سواء السبيل ، والمنبع الصـافى للعـالمين فى مأمن من تلاعب الأهـواء بـه .

ثم يسرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت اتمامـه فى العام الماضى ، وهيئته ليكون موافقا لما جبل عليه المسلمون فى كل العصور من الاقبال على حفظ القرآن الكريم ، وحرصهم الشـديد على معرفة تفسيره ، والالما بأحكام تجويده .

والدراسة فيه صباحية ومسائية كل فترة ثلاث حصص يحفظ فيها الرجال المقرر من القرآن ، ويفقهون ما استطاعوا تفسيره ، ويتلقون تجويده فيحسنون تلاوتـه .

والشروط لا تعدو معرفة الكتابة والقراءة التى تمكنهم من حسن المطالعة والمتابعـة ، ولتكون معينهم على الحفظ ، وإتقان معرفة أحكام تلاوته ، وتنفيذ ذلك بفهم يمكن الحفـظ فى صدورهم .

والدى يشرب الخمر ، ويأمرنى بإعداد مائـــدة الشراب ، وإحضاره لـــه كل ليلة .
وإنى اطلب منكم ان توجهوا لـــه كلمة تشرحون فيها مضار الخمر عليـــه حتى يعود الى صوابه .
وهل على جناح أو ذنب يعاقبني الله عليه لاعدادى مائدة شرابه ؟
ع . س

* * * * * *

عندما حرم الاسلام الخمر واعتبرها من الكبائر ، وسن لشاربها حدا يكون زاجرا لـــه ولغيره ، وإنما كان يهدف الى الحفاظ على المجتمع المسلم من التمزق الأخلاقى ، والانهيار الجسمانى ، والضياع المالى للأفراد .

والشارع الحكيم يعلم ما يصلح المجتمع ، وما يحفظ عليه كيانه ، وما يحميه من اللذات المهلكـــة لقواه . المقوضة لأخلاقه ، لأن سلامة الأخلاق جانب مـــن الجوانب الهامة التى بها يصلح الانسان للقيام بأعباء الخلافة الأرضية على احسن الوجوه واكملها كما أراده الله ان يكون : « ولقد كرمنا بنى آدم » وعلى هـــذا فالخمر تنافى كل المكرمـــات ، فهى صد للذين آمنوا عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، وايقـــاع للعداوة والبغضاء فى صفوف المسلمين ، لأنها تفقد الانسان وعيه ، وتنسيه واجباته ، وتهيج فيـــه النزوات الشريرة ، وتحرمه يقظـــة الضمير والحس ، واليقظـــة التى ارادها الاسلام للمسلم عامل إيجابى فى حماية ماله ، وصيانة عرضه ، ووعـــاء نظيف يقيه التلف الجسمانى .

والغيبة التى يعيشها الانسان المخمور إنما هى هروب من واقعه ساعة سكره ، وجنوح به الى التصورات التي يحياها ، وفقدان للمعانى الانسانية فيه .

فالخمر تثير فى الانسان النشوة المحمومة الهابطة به الى الحيوانية ، فلا يرى الحقائق التى يواجهها بعين بصيرة ، وإنما يزيغ عنها ويعيش مع احـــلام لا تمت للواقع بصـــلة .

وإن قول الله تعالى فيصل عدل : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقـــع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وفى رواية لابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها وآكل ثمنها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » .

والذى نرجوه من الوالد الا يضع نفسه موضع التهم من أبنائه فيشوه بذلك الصورة الجميلة التى يرجوها الولد فى أبيه ، فهو حاديه الى أقوم سبيل ، وأسمى منهج على طريق النور ، وكيف لا والوالد هو المدرسة الأولى للحياة التى يخوض على أساسها ابنه معتركها ، فكيف يتسنى للوالد أن يجر ابنه للهاوية ويقوض فيه دعائم الأخلاق ، ويهيئه للخوض فى غمار الرذيلـــة ؟!

انصحك بالابتعاد عن موطن الشراب ، وبـــذل كل الوسائل الممكنة للحيلولة دون إدمانه الشراب ، وكذلك وقاية نفسك من المشاركة فى هذا الاثم ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

بأقلام القراء

في التربيـــة

للأستاذ / عبد الرحمن احمد شادى

رايت كثيرا من الآباء والأمهات يتفانون فى خدمة أولادهم ، ويكفونهم قضاء مصالح الأسرة الكبيرة منها والصغيرة ، الجليل منها والدقيق .. وما يحتاج الى المشقة وما يتم بمجهود يسير ، حتى بعد أن يشبوا عن الطوق ، ويستطيعـــوا خدمة أنفسهم ...

فاذا زاد العدد ، وثقل الحمل ، وكبر الأولاد ، كان من الصعب تكليفهـــم بشىء لم يتعودوه ، ولم يألفوه منذ نعومة أظافرهم ، فيشتكى الآباء والأمهات من البرود والجمود والجحود الذى يصادفهم من ابنائهم مر الشكوى ، وانهم لا يعينونهم حتى فى خدمة أنفسهم ، وفى قضاء مصالح الأسرة ، ونسبوا ذلك الى العقوق والاهمال ، وفساد الزمن ، وقلة البركة ، واثر الطعام الحرام وتذاكروا ما كانوا يفعلونه مع آبائهم ومعلميهم ، حتى ولو كانوا قساة ، فالطراز الشائع فى عصرهم الطاعة والاحترام لا يشذ عنه الا القليل ، وكانوا على حق فى هذه الشكوى الا انها جاءت بعد فوات الأوان ، وضياع فرصة التعود والتعلم فى الصغر ، وهو كالنقش على الحجر فيما يذكر المثل كان الفضول الغريزى وحب الاستطلاع فى الطفل يتدخل فى بداية الأمر ، فيحاول أن يقلد أبويه فيكفه الوالد أو الأم عن هذا التقليد بحجة أنه صغير لا يعرف شيئا ، ولا يتقن العمل الذى يؤديه الأب أو الأم ، ويصرفه الى اللهو واللعب ، ثم يتكرر هذا الموقف كل مرة حتى بعد أن يكبر الطفل ، ويصبح من السهل تعليمه ، ويكون من المناظر المألوفة بعد ذلك أن يعمل الأبوان فى مصالح الأسرة والأبناء لا يعرفون شيئا كأن الامـــر لا يعنيهم لانهم شبوا على عدم التدخل فى أعمال الكبار ، وعدم المبالاة بمصالح الأسرة ، وكان من الخير للأبوين أن ينمى كل منهما فى دائرة عمله هذا الاهتمام فى الطفل ، فيكلفه بشىء يسير من العمل ، ويلفت نظره بلين ورفق الى الأخطاء والعيوب حتى يبتعد عنها بالتدريج ، وبعد كثرة التكرار ، ولا بد أن يأتى عليه يوم يؤدى فيه العمل المطلوب كما يؤديه الكبار ، ثم يتدرج الأبوان معه بعد ذلك الى ما هو اعظم وهذه الاعمال تبدأ بخدمة نفسه وارتــداء ملابسه ، وتنظيف الأيدى والأوانى والمنزل والملابس وترتيب الفراش واحضار الطعام ، ومساعدة الأب فى عمله الذى يكتسب منه رزقه ان كان مما تمكن فيه المساعدة كالزراعة والتجارة وبعض الحرف والصناعات .

ولا بد من توزيع الأعمال على الأولاد بحيث يقوم كل فرد بنصيبه ، ولـــو أدى الأمر الى نظام المناوبة لكى يشعروا بالعدل والمساواة ، وينشأوا على حب العمل ، وتحمل المسئولية ، وتقدير الدأب والنشــــاط والاجتهاد ، والبعد عـــن الفراغ والاهمال والفوضى والترف .

وما دام الطفل قد بلغ سن التمييز والفهم فلا بد أن يعوده أبوه على الصلاة لتصبح الصلة بينه وبين الله حقا مقررا ، وعادة متبعة ، ومن الخطأ أن ينهى الطفل عن الصلاة أصلا اذا ارتكب بعض الأخطاء فى فترة التعليم ، فكثير من المصلين ينهرون الأطفال ، ويطردونهم شر طردة اذا ارتكبوا بعض الأخطاء حتى يخشوا دخول المسجد مرة ثانية خوفا من قسوة الكبار عليهم ، وهم يأتون الى المسجد بقلب سليم ، ورغبة صادقة ، والنفوس الغضة البضة أولى بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة ، وتأليف القلوب من الكبار ..

ومن هذا تعويدهم على الصيام ايضا ، والتهاون فى الصغر يؤدى الى أوخم العواقب فى المستقبل لأن معظم النار من مستصغر الشرر ، ومن الواجب على الأهل أيضا الاشراف على سير الطفل فى المدرسة ومساعدته على أداء واجبه أولا بأول ، حتى تتكون عنده العادة والاهتمام بالعلوم فى المدرسة ، فيسير مع أبناء جيله ، ولا يتخلف عنهم ، فقد يكون عدد التلاميذ فى الفصل فوق طاقة المدرس ، وعند كثير من الآباء والأمهات الفراغ الطويل الذى يقضونه فى النوادى والحفلات والمسامرات والمقاهى ، وعندهم من العلم على الأقل ما يمكنهم من رعاية أبنائهم فى المرحلة الاولى من التعليم وهى أساس البناء ، ولكنهم يشتغلون بما لا يفيد ، ويلقون عبء الأولاد فوق المدرسة وحدها ، ويظلون نائمين وغارقين فى العسل سنوات الى أن يكتشفوا بعد فوات الأوان ، أن الطفل لم يتقدم فى مدرسته وأن أول امتحان جدى رسب فيه الطفل ، وأن أبناءهم من الرعية التى سيسألون عنها ورد فى الحديث ..

عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته) الحديث متفق عليه وهو مشهور .. وفى بعض كتب السنة (أليس من الخير للآباء والأمهات الاستفادة من الفرص الطيبة التى تتاح لهم قبل فوات الأوان اذ لا فائدة بعد ذلك من شكوى العقوق والاهمال والفساد والبكاء على اللبن المراق ، والحسرة على الأيام الخالية) .

ليلة القدر

من قصيدة للأستاذ / امجد عبد الحميد البكرى — جامعة بغداد :

يا خير ايام السنين ضحاها … يا خير أنسام الربيع صباها
يا ليلة فيها الملائك نزلت … واختارها الرحمن دون سواها
يا صاحبى لو قمتها — لو مرة — … لرايت أعظم ساعة تحياها
ولهمت فى أنسامها وعبيرها … ورأيت حلو نجومها وسماها
لو مرة عفت المنام بجوفها … وسقيت روحك ماءها وحياها
لرايت فى الوحى الكريم وآية … للروح كل رجائها ومناها
ولذقت فيها للصلاة حلاوة … وعرفت سر محبتى إياها
لو تبت للرحمن واستغفرته … وتلوت بعض الآى فى ذكراها
لرايت انى صادق فى وصفها … واذن ستهواها كما أهواها

قالت صحف العالم

اعداد : فهمى الامام

موقفنا من صراع العصر

الدين الاسلامى ليس دين فرد .. وليس مجرد شعارات ولا طقوس .. ولكنه دين امة .. لا بــد ان يتمثل فى واقع .. ويظهر فى السلوك والمعاملات .. لا قيمة فيه للشعارات اذا كانت فارغة لا تحقق غاياتها .. ولا قيمة للطقوس الدينية اذا كانت جــوفاء من روح العبادة ومغزاها ، ولا بد لكى نكون مسلمين حقا .. ان نحاول تغيير كل باطل بالحسنى .. وان نقــرع الحجة بالحجة .. وكلمة الله ــ ابــدا ــ هى العليا .. والآن فما موقفنا مــن هــذا الصراع الدائر فى هذا العصر ؟! نشرت مجلة « الهدى الاسلامى » الليبية مقــالا حول هذا الموضوع نقتطف منه ما يلى :

.. .. ..

« إن الذين يتصورون إمكانية الانتساب الى عقيدة ما ، دون التقيد بحدودها وبالتزاماتها ــ هؤلاء ، لا يحترمون العقل ولا يقرون للمنطق بقيمة ، وما جدوى أن ينتسب المرء الى منظمة مثلا ــ ويكتفى بحمل بطاقة العضوية دون ان يكون له جهد فى نشاطها أو تأثر بأهدافها ؟ ..

ان الانقياد الكامل ، والالتزام التام بعقيدة الاسلام لا يكون بمجرد الانتساب اللفظى أو الجغرافى بل بالعمل والتأثر والتأثير ..

وماذا يفيد الاسلام منى إذا أنا اكتفيت بذات نفسى ، وانعزلت عن الناس، وعن مجالات النشاط ، فلا أعطى للآخرين من جهدى وفهمى » !

إننى فى هذه الحالة كالمشلول الأخرس فى القافلة لا فائدة منه .. وويل للقافلة ، عندما يتكاثرفيهاالمشلولون الخرس !!

إننا جميعا نعانى هذا القصور ، فى أنفسنا وفى حياتنا .. نعانيــــه فى أنفسنا : فى صورة انسلاخ عن معانى الاسلام الحية ، وعن تأثيراته الفعلية ، فلا نكاد نقوى على مغالبة الأهواء فى نفوسنا ، ولا فى توجيه أعمالنا نحو الخير الذى حدده ، ونحو النور الذى أضــاء به معالم الطريق ..

ونعانيه فى حياتنا ، انفصاما هائلا بين الواقع الذى نعيشـــه . وبين النظام الخالد الذى يجب أن يحكم هذا الواقع ويسيره .

لا بد من استقامة الخطين .. ولا بد من إقامة الدليل على هذه الاستقامة ، والا تعطلت المسيرة ، وانعدم الأثر ، واضمحلت الفكرة ، وانقطعت صلة الجيل بماضــيه ..

وهذه هى الغاية .. غاية أعداء هذه الأمة ، من صــــــهيونية موتورة ، وصليبية حاقدة ..

فهم يولون فكرة الفصل بين ماضى هذه الأمة وحاضرها ، كل جهودهم : يولونها بالحرب المباشرة بيننا وبينهم ، وبالحرب الخفية عن طريق التلاميــذ والعمــلاء .

ولقد أعطتهم طول التجربة وحنكة الممارسة قدرة على اصطياد الأتباع والعبيد .. حتى توصلوا الى إشعال نار الفرقة والخلاف بين الأمة الواحدة. ومزقوا أرضها الكبيرة الواسعة الى أقطار صغيرة فقيرة .. وحكموها من خلال أسماء نعرفها .. وتلك غاية فى الهوان والمذلة ..

وكأنما التاريخ يريد أن يعيد نفسه ، يوم أن كانت أمتنا ممزقة هنا وهناك ، يتأثر هذا الجزء بالفرس ، ويتأثر هذا الجزء بالرومان ، تماما أليست هذه الصورة ، متشابهة مع الواقع اليوم ؟!

وكما أنقذ الله أمتنا فى ذلك التاريخ من تبعية الفرس والروم ، يمكن اليوم أن ينقذنا من تبعية خلفاء الفرس والروم !! ولكن بماذا ؟! بنفس الطريقة.. وبنفس الأسلوب .. بنفس الرسالة .. وبنفس الدين !!

الإصلاح بإحسان ..

أمتنا الاسلامية اليوم فى أمس الحاجة الى من يأخذ بيدها لينقذها من مهاوى الانقسام والتردى فى متاهات المبادىء الهدامة ، وتعدد الآراء والمذاهب .

فى حاجة الى من يجدد لها شبابها .. فيبعث فيها سيرة الاوائل .. الذين ساروا على الطريق المسوى .. طريق الايمان .. ودعوا الى الله باحسان .. فكانوا خير أمة أخرجت للناس .. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. أمتنا الاسلامية فى حاجة الى الاصلاح « الاصلاح باحسان » .. وتحت هذا العنوان نشرت مجلة « دعوة الحق » المغربية مقالا قيما نقتطف منه ما يلى :

لقد جابهت أمتنا الاسلامية بوسائلها المادية والمعنوية ما نجابه نحن اليوم، من كيد الكائدين ، وجحود الجاحدين .. ! فخاضت بإيمان ، وعزم ، وأمل معركة الحياة فى العلم ،والفكر ، والسياسة ، والحضارة . وكتبت سجلها بحروف من نور فى كل هذه الميادين ..!

— فلماذا كان ذلك بالأمس .. ؟

— ويكون هذا فى اليوم .. ؟

إن السبب يكمن فى أن أولئك نهجوا منهاج الصلاح والإصلاح بالإحسان ! وفهموا كل شىء يحيط بهم فهما شموليا مترابط الحلقات .. وعلموا أن عنجهية القوى تنبت حقد الضعيف .. !

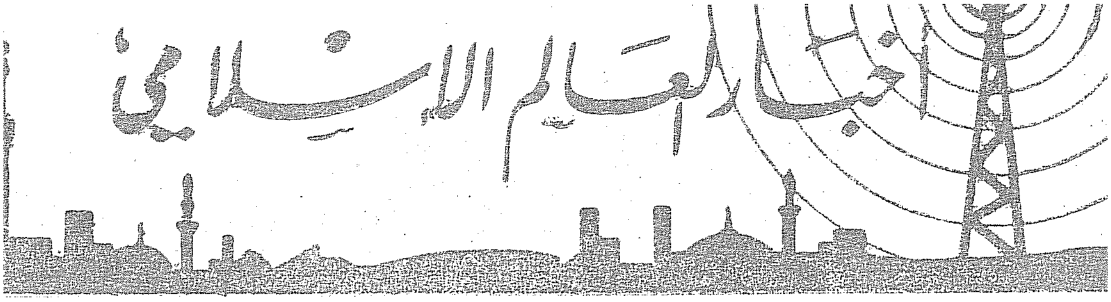
ورعونة الغنى تنبت حسد الفقير .. !

واستهتار المسرف ينبت مكر المحروم .. !

فكان هدفهم أن يحسنوا التصرف ، ويفرضوا لا فرض القانون الملزم .. ! ومتى نبت فى مجتمع ما ، ضمير حى مؤمن رأيت الناس : حاكمهم ومحكومهم وخاصتهم وعامتهم يتسابقون الى الاصلاح ، وتقاسم السراء والضراء، وأداء الواجب الذى تفرضه الشريعة الطبيعية . ولم يحل ذلك بينهم وبين التمتع بالطيبات وجنى الثمرات على اختلاف الحالات والمستويات .. ! لأن حسن التصرف هو الحد الفاصل بين الشىء ونقيضه . والحالة وضدها .. !

وعلى هذا الأساس كان المنهاج الاسلامى وما يزال حبل النجاة لإصلاح حالة المسلمين ، وإعادة الثقة الى نفوسهم ، والإيمان الى ضمائرهم ، وصدق رب العزة سبحانه فى قوله :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .



اعداد : الدكتور عبد المعطي بيومي

الكويت : مثل الكويت في مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد بالقاهرة في الشهر الماضي السيد الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .

● قام وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بزيارة الى السودان عقب حضوره مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد بالقاهرة في الشهر الماضي وقد اجرى الوزير مباحثات مع وزير الشئون الدينية في السودان .

● تسلمت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ثمانية مساجد في مناطق مختلفة من الكويت .

● تبرعت الكويت بمبلغ ١٠٠ الف جنيه لبناء المركز الاسلامي في الخرطوم .

● وضعت الكويت ١٥ منحة تحت تصرف دول الخليج لتأهيل عدد من رعاياها في مجال المواصلات اللاسلكية .

● ستساهم الكويت مع الامم المتحدة ببناء معهد لعلوم البحار يكون مقره مدينة الاسكندرية في مصر .

مصر : اكد الرئيس انور السادات انه سيعمل على تربية الشباب على قيم الاسلام وانه سيعمل على اقامة المجتمع الاسلامي .

● اتخذ مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد في القاهرة في الشهر الماضي عدة قرارات وتوصيات .

● اهدى الرئيس انور السادات طنين من الادوية الى المسلمين في الفلبين لعلاج جرحاهم من جراء الاضطهادات التي يلاقونها في بلادهم .

● قرر الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف وشئون الازهر فتح جميع المساجد امام النساء لاداء الصلاة خلف صفوف الرجال بعد أن كان ذلك محظورا عليهن .

● وزعت الجوائز على المتفوقين من المتسابقين في حفظ القرآن الكريم اثناء العطلة الصيفية الماضية .

السعودية : اعتمد مبلغ ٥ر١٤ مليون ريال للمشاريع الجديدة في مكة كما اعتمد مبلغ ٢ر١ مليون ريال لانارة مشعر منى و ٦ ملايين لمشاريع اخرى .

● تقوم لجنة من المهندسين بدراسة انشاء بعض الطرق التي تربط مشاعر الحج وتيسر القيام بالمناسك .

الأردن : قرر مجلس الاوقاف الاردني تخصيص مبلغ سنوى للانفاق على اربع بعثات دراسية لطلاب اتراك سيدرسون في كلية الشريعة بالجامعة الاردنية .

● ثارت الاضطرابات في الشهر الماضي بين العرب سكان مدينة الخليل وبين اليهود المتعصبين الذين جلبتهم اسرائيل بسبب عمل هؤلاء اليهود على هدم

الحرم الابراهيمى واقامة كنيس يهودى مكانه .

● طلبت منظمة التحرير الفلسطينية فى مذكرة رفعتها الى الجامعة العربية ٦ ملايين جنيه لأسر الشهداء والمعتقلين .

● بلغ عدد الفلسطينيين ٣٫٦٠٠٫٠٠٠ نسمة (احصائية صادرة عن مكتب الاحصاء فى القدس المحتلة) .

سوريــا : صرح الرئيس السورى حافظ الأسد بأن (الدستور السورى لا ينص على أن دين الدولة هو الاسلام) ولكن هذا لا يمنــع من أن الشعب العربــى السورى مؤمن ايمانا عميقا بدينه وقيمه الروحية .

لبنــان : قامت القوات الاسرائيلية ببث الارهاب والرعب والتدمير فى قــرى جنوب لبنان وقد استعملت اسرائيل فى عدوانهــا ٦٠ طائرة و ٥آلاف جنــدى و ٢٥٠ دبابة ومدرعة .

ليبيــا : اتخذ الرئيسان معمر القــذافى وأنور الســادات عدة قــرارات وخطوات لتكوين القيادة السياسة الموحدة فى سبيل الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا .

● بعث الرئيس القذافي برقية الي الرئيس اللبناني ابان العدوان الاسرائيلي علي جنــوب لبنــان يســأله عما اذا كان مســتعدا لاستقبال قــوات ليبيــة تقف استعدادا لمشاركة لبنان فى رد العدوان .

● هاجم الرئيس القذافى الاتحاد السوفياتي بأنه يقف فى صف واحد مــع الاستعمار والصهيونية .

● بلغ عدد المتطوعين العرب مع الثورة الفلسطينية والذين يتدربون فــى ليبيا ثمانية آلاف متطوع .

المغرب : قرر الملك الحسن انشاء دار على نمط دار الحديث الحسنية تسمى دار القرآن الحسنية تقوم بشأن الدراسات القرآنية والاســلامية المنبثقة من القرآن الكريم .

اليمن : تبذل جامعة الدول العربية مساعيها لتكوين لجنة تحكيم ومصالحة بيــن اليمن الشمالية والجنوبية .

باكستان : رفض مجيب الرحمن اجراء اى حوار مع الرئيس الباكستانى ذو الفقار على بوتو قبل أن تعترف باكستان بما يسمى دولة بنجلاديش فى باكستان الشرقية .

أوغندا : اعتدت تانزانيا على حدود أوغندا فى الشهر الماضى وقد أعلنت القوات الاوغندية انها قتلت ثلاثة من الجنود الاسرائيليين المرتزقة كانوا يعملون فى جيش تانزانيا .

● أكد الرئيس الليبى معمر القذافى للرئيس عيدى أمين أن سلاح الطيران الليبى على اهبة العمل تحت تصرف الرئيس الاوغندى .

● بعث الرئيس عيدى أمين برقية الى أمين الامم المتحدة دعا فيها الى أن يرحل الاسرائيليون من فلسطين ليستقروا فى بريطانيــا باعتبارها التــى بادرت الي بعث الدولة الصهيونية وأكد الرئيس أمين أن عملية ميونيخ عملية انتحاريــة أتاها اشخاص فقدوا وطنهم ضد اسرائيليين اغتصبوا هذا الوطن وكانوا يعيشــون فى الخارج .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الجديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت

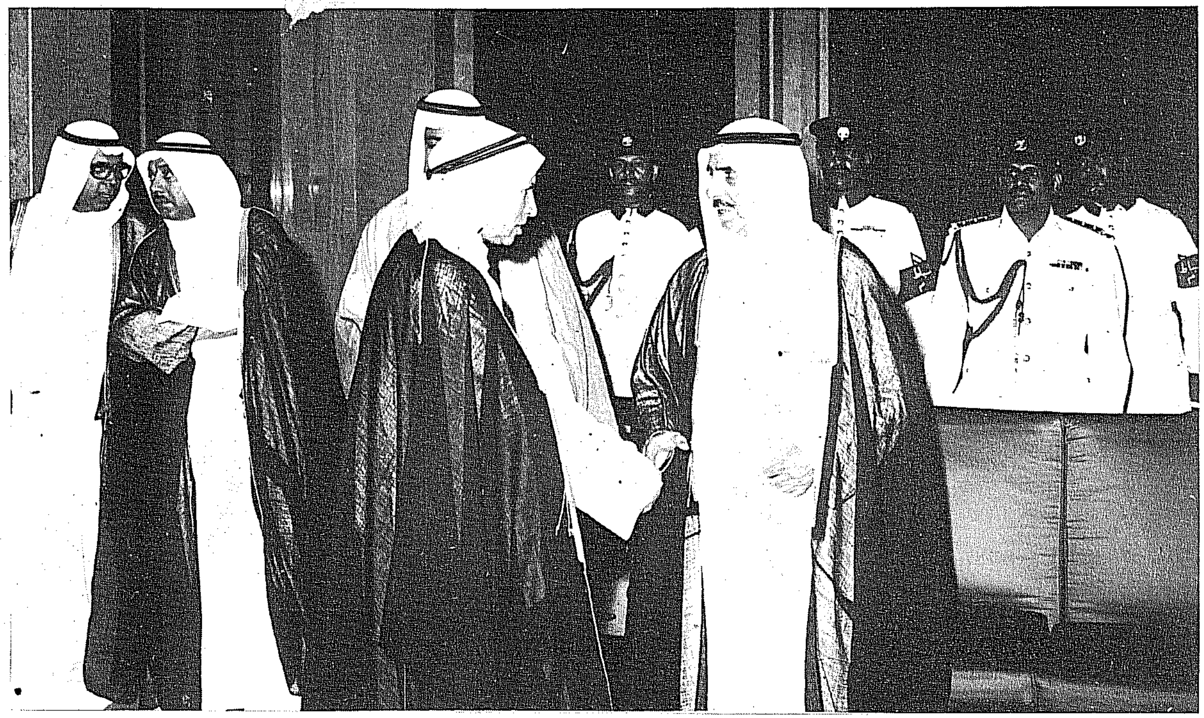
٩٤/٦

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ٩٤ ـ شوال ١٣٩٢ هـ ـ ٦ نوفمبر ١٩٧٢ م





استقبل حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم بقصر السيف العامر جموع المهنئين من المواطنين بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك . ويبدو في الصورة سموه يصافح رئيس مجلس الامة خالد صالح الغنيم .



مسجد غازى خسرو بك وبجواره
تبدو أسوار بعض القلاع الأثريـــة
((تراجيفو ــ يوغسلافيا))
صالح أحمد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI
Kuwait P.O.B. 13

الســـنة الثامنـــة
العدد ٩٤

غرة شوال ١٣٩٢ هـ
٦ نوفمبر ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكـويت فى غـرة كل شـــهر عـــربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســياسية

الثمـــن

الكـــويت	٥٠ فلسـا
السعودية	١ ريـال
العـــراق	٧٥ فلسـا
الاردن	٥٠ فلسـا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليمـا
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبيـة
اليمن وعـدن	٧٥ فلسـا
لبنان وسـوريا	٥٠ قرشـا
مصر والسودان	٤٠ مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـــكويت ١ دينـــار
فى الخـــارج ٢ دينـــاران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراســلات

مدير ادارة الدعــوة والارشـــاد
وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية
ص.ب١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ــ كويت

الدّعوة
إلى العمل القيادى العربى المخلص

افتتح سمو نائب الامير المعظم وولى العهد الشيـــخ جابر الاحمـــد الصباح دور الانعقاد الثالث لمجلس الأمة فى الســـابع عشر من شـــهر رمضان ١٣٩٢ هـ ، وفيما يلى النطق السامى الذى تفضل به سموه •

((بسم الله الرحمن الرحيم))

بعونه تعالى وتأييده نفتتح دور الانعقاد الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلسكم الموقر •

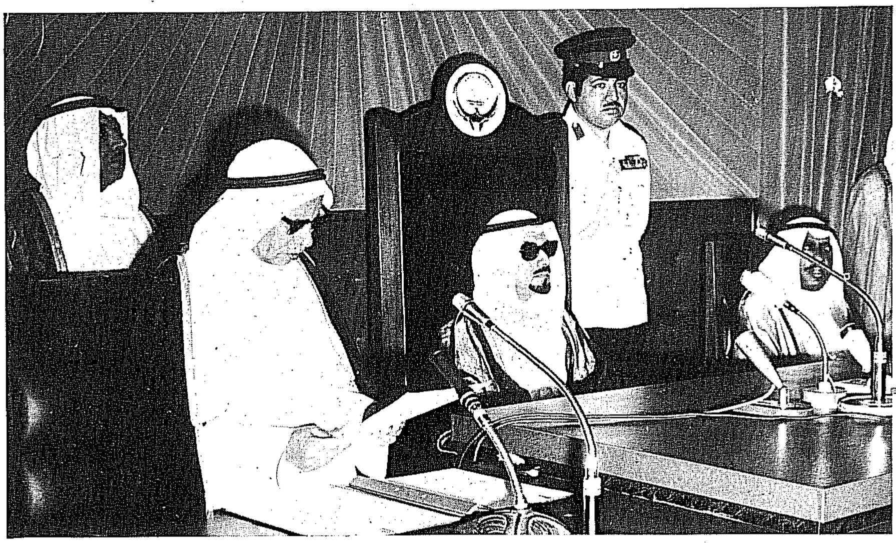
حضرات الاخوان :

يعز علينا ونحن نحتفل بافتتـــاح هذه الـــدورة الا يكـــون حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بيننا ليرأس هـــذا الحفـــل وليباركه بنفسه • اننا نتطلع الى عودة سموه الى أرض الوطن عاجـــلا بموفور الصحة والعافية مشمولا بعناية الله ورعايتـــه ليباشر مهامـــه الجسام •

حضرات الاخوان :

لقد اخترنا الديمقراطية وارتضيناها فكانت لنا نعم المنهـــاج والسبيل ، وما نخشاه اليوم هو أن تتعرض هذه الديمقراطيـــة لخطر الانتكاسة بسبب من يعمل على استغلالها سواء لمكاسبه الشخصية أو لهدم القيم الروحية والاخلاقية واشاعة الفوضى والتفرقة بيننا • فعلينا جميعا أن نقضى على كل الاسبـــاب التى تعمل على تشويه هـــذه الديمقراطية أو استغلالها من أى مصدر كانت •

لقد أفاء الله علينا بثروة يسرت لنـــا سبل الحياة الحرة الكريمة ، وجعلنا منها لأنفسنا ولغيرنا عونا وسندا ، ولكن علينا أن لا ننسى حق



سمو نائب الأمير وولى العهد الشيخ جابر الاحمد الجابر يستمع الى رئيس مجلس الأمة وهو يلقى كلمة ترحيبية بسموه فى حفل افتتاح دور الانعقاد العادى الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة .

أجيالنا القادمة من هذه الثروة فيجب ألا تستحوذ الانانية على نفوسنا ونعب منها بمختلف الوسائل ونترك أجيالنا القادمة تعيش فى ظلام يكتنفها من كل جانب .

حضرات الاخوان :

أن التطور الكبير الذى تمر به بلادنا يدعونا الى المزيد من اليقظة فى أعمالنا سواء من ناحية الغايات أو الاساليب وأن الضمان الحقيقى لاستمرار هذا التطور هو ترسيخ التعاون والتآخى فلنفكر بروية وعمق قبل اتخاذ أى قرار أو سن أى تشريع ، وليكن تصورنا الوطنى ملازما لكافة أعمالنا واضعين مصلحة الوطن فوق كل اعتبار .

حضرات الاخوان :

ان التحديات التى تواجهها أمتنا العربية تفرض علينا أن نرتفع الى مستوى الاحداث وأن نتخذ الوسائل الكفيلة بالرد عليها ، وهذا يتطلب من القادة العرب عملا مخلصا جماعيا جادا لمجابهة العدو ومن يسانده حتى تتخذ أمتنا العربية مكانها اللائق فى المحيط العالمى .

سدد الله خطانا جميعا وألهمنا طريق الصواب ووفقنا لما فيه خير وطننا وأمتنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فى الخطاب الأميرى

● القضية الفلسطينية
● نشر الدعوة الإسلامية

القى سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الخطاب الأميرى فى حفل افتتاح دور الانعقاد الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلس الأمة . وقد استهل الخطاب بالحديث عن الاحتلال الصهيونى وموقف الكويت من القضية الفلسطينية وتناول سياسة الدولة على الصعيد الداخلى والخارجى .

وفيما يلى بعض فقرات منه تتصل بالقضية الفلسطينية ، وجهود وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى نشر الدعوة .

حضرات الاعضاء المحترمين

رغم مرور أكثر من خمس سنوات على عدوان عام ١٩٦٧ ، فان الاحتلال الصهيونى للارض العربية لا يزال قائما يتحدى كل ما تملكه الامة العربية من امكانيات وقدرات لم تستطع أن تأخذ مكانها بعد فى معركة التحرير ولا يزال العدو الصهيونى مستمرا فى تنفيذ مخططاته الاستيطانية التوسعية فى المناطق المحتلة بكل الوسائل مستهدفا وضع العالم كله أمام أمر واقع يفرضه بالقوة ومرور الزمن ، وهو يواصل بين الفينة والاخرى اعتداءاته على البلدان العربية متماديا فى غيه واستهتاره بكل القيم والمبادىء الدولية ، يشجعه على ذلك مايناله من مساندة ودعم بغير حدود من الولايات المتحدة الامريكية وغيرها ، وما يراه من تفكك الجبهة من حوله وما يستتبعه ذلك من انعدام الخطة وفقدان التنسيق بين أطراف هذه الجبهة . ولقد نبهت الكويت باستمرار الى خطورة هذه الاوضاع والى ضرورة العمل على حشد الطاقات العربية ضمن خطة موحدة ، محددة الوسائل والالتزامات ، تستهدف تحرير الارض المحتلة واستعادة الحقوق الكاملة للشعب الفلسطينى . وأبدت دائما استعدادها الكامل للاسهام بكل ما يترتب عليها من متطلبات فى هذا الصدد . واذ ترحب الكويت باجتماع لجنة وزراء الخارجية والدفاع المزمع عقده فى الكويت فى الشهر القادم فانها ترجو أن تكون نتائج هذا الاجتماع خطوة على الطريق الصحيح .

ولقد أكدت الكويت موقفها الواضح من قضية فلسطين فى كافة اتصالاتها الدولية وحذرت من الآثار الخطيرة التى ستترتب على التجاهل المستمر للحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .



رئيس مجلس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح يلقى الخطاب الاميرى فى حفل افتتاح دور الانعقاد العادى الثالث للفصل التشريعى الثالث لمجلس الامة .

وقد أوضحت الكويت فى مناسبات عدة أن القضاء على ما يسمى بالارهاب لا يمكن أن يتم بالتصدى لمظاهره السطحية ، وانما بالمعالجة الجادة للمشكلات الاساسية التى أدت اليه والعمل على التوصل الى حل جذرى .

* * *

ثم تحدث الخطاب عن نشر الدعوة الاسلامية فقال :

ويتصل بالاعلام ما توليه الحكومة من اهتمام بالغ على نشر الدعوة الاسلامية الكريمة فى مختلف الانحاء والارجاء ، وتبصير المسلمين بشؤون دينهم الحنيف ومبادىء شريعتهم الغراء . وفى سبيل تحقيق هذا الغرض السامى حرصت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على التعاون مع الجهات القائمة بنشر الدعوة بين شعوب قارتى آسيا وأفريقيا والبلاد الأخرى كما عملت على توثيق الروابط وتقوية الصلات مع المنظمات والمؤسسات والجاليات الاسلامية فى شتى أنحاء العالم ، فقدمت لها المعونات المالية وأمدتها بما يزيد عن مائتى ألف نسخة من القرآن الكريم وكتب التفسير والاحاديث والفقه وغيرها بلغات متعددة . والاقبال مستمر على دار القرآن الكريم ، كما يقوم صندوق المعونة الطبية بواجبه الانسانى وقد وضعت الوزارة فى تقديرها أهمية الاعمال المنوط أمر القيام بها الى الأئمة والوعاظ فحرصت على حسن اختيارهم وزودت المساجد بمكتبات فرعية . وعملا على راحة المصلين تم تكييف اثنين وخمسين مسجدا كما تم انشاء سبعة عشر مسجدا فى مناطق مختلفة بالاضافة الى ثلاثة عشر مسجداً على وشك الانجاز فى غضون هذا العام .

المسلمون في العالم

رأس معالى الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الاوقاف والشئون الاسلامية وفد الكويت فى مؤتمر علماء المسلمين السابع الذى عقده مجمع البحوث الاسلامية فى القاهرة وقد ألقى معاليه فى المؤتمر الكلمة التالية :

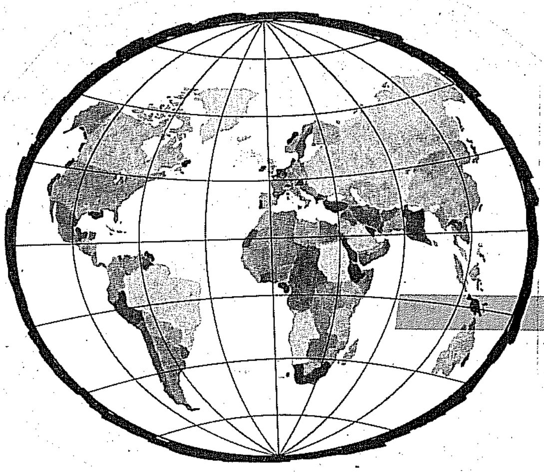
يقول الله تعالى (انما المؤمنون اخوة) ، (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر » .. .. ولا أحكم ولا ابلغ من هذا التعبير فى مجال الاتحاد والمؤازرة والتناصر ، ولم يكن المسلمون فى أى وقت بحاجة الى النصرة والتعاون والاخاء مثل وقتنا الحاضر ، وظروفنا الصعبة التى تمر بها أمتنا .. ولا شهد العرب والمسلمون يوما مذلة ومهانة مثل ضياع بيت المقدس وحرق المسجد الاقصى على أيدى اليهود والصهيونيين .

ولعل هذا الألم العميق والجرح الذى لم يندمل بعد ، قد اثر فى قلب كل مسلم وحرك ضمير كل حى .. ونحن لا نشك بأن كل مؤمن قد آلمه ذلك الحدث الجلل فبكت العيون وحزنت الأنفس ، واستولت الحيرة والدهشة ملايين البشر من بنى الانسان .. ولكن ليس عند هذا الحد يكتفى الاسلام من أتباعه ، بل رسم لهم طريقا تسلك وعملا يقدم ، والا لما انتصرت جيوش المسلمين مع قلة عددها وكثرة عدوها على اكبر دولتين فى العالم هما : دولة الفرس والروم اللتان كانتا تتقاسمان العالم .. (غلبت الروم . فى أدنى الارض .وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) .

وهزم جيش صلاح الدين جحافل الصليبيين فى فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين .

أيها السادة :

لسنا فى مجال التحدث عن الماضى



ولكن واقعنا اليوم يتطلب منا الا ننسى بأن لدينا قوة كبيرة وسلاحا مؤثرا قويا لم يستعمل بعد فى معركتنا مع الأعداء ، هذا السلاح هو تلك الاعداد الهائلة من ملايين المسلمين فى العالم الذين يقطنون جميع القارات الخمس ، وفى أرضهم تقع ثروات العالم ، وفى أيديهم يمكن التحكم بمصير الامم ، ولكن هذه القوة الكبيرة قد سادها التفرق والتفكك وغلب عليها الضعف وخيل الى أهلها بل صور لهم الاعداء أنها أمة يجب أن تكون تابعة لغيرها مغلوبة على أمرها .

● وبالنظر الى الملل والمذاهب الأخرى .. نجد أن الشيوعية التى لا تعترف بالاديان ولا مبدأ الايمان ، قد جمعت حولها الناس ، وقامت بثورة بلشفية اجتماعية وصناعية وأسست دولة ضمت العديد من الشعوب والقوميات ومختلف الألسن، وبأسلوبها ونظامها ــ بما فيه من صالح أو طالح ــ صارت تستقطب الكثير من البشر وتستهوى نفرا من شعبنا (١) ...

ولم تفتر الشيوعية عن الدعوة والاعلان لافكارها ومبادئها سواء بعقد المؤتمرات أو الاتصالات مستعملة شتى الوسائل وانواع المغريات .. وهدفها هو السيطرة العالمية لمبدأ الشيوعية وهدفها الاول : هو العالم الاسلامى .

● أما الصهيونية العالمية فانها نشأت من بضعة من الاقتصاديين اليهود فى أوروبا وأمريكا استطاعوا استقطاب عدد من شذاذ اليهود وتنظيمهم وتجميعهم وعقد مؤتمرهم فى مدينة بال بسويسرا .. وخرج بقرارات تنص على :

١) استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود .

٢) تنظيم الصهيونية العالمية وربطها بمنظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين فى كل دولة .

٣) تقوية الشعور والوعى اليهودى وتغذيته .

وبعد هذا المؤتمر أصبح للصهيونية منظماتها الفعالة .. وقال (هيرتزل) أحد زعماء اليهود : « على المرء أن يستخدم جميع الوسائل لتحقيق الغاية » .

وفى عام ١٩١٧ دخلت بريطانيا فلسطين لتساعد العرب على التخلص من الحكم العثمانى التركى وكان فيها سبعمائة الف عربى يملكون

٥ر٩٧٪ من مجموع الارض ، وخمسون الف يهودى فقط لا يملكون أكثر من ٥ر٢٪ من الارض .. وفى هذا الوقت صدر وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا لليهود باعطائهم فلسطين وطنا لهم — وبريطانيا كانت تدير فلسطين لتساعده على التطور والاستقلال ، وانهالت المساعدات من دول الكفر والاستعمار على اليهود ضد المسلمين ، لم تترك بريطانيا فلسطين الا بعد أن سلمت جميع مقدرات البلاد الى اليهود ، واعترفت بهم الامم المتحدة على أساس تقسيم البلاد ورفض العرب ، فكانت فرصة لهم للتوسع ثم كان عدوانهم على مصر عام ١٩٥٦ وعدوانهم ١٩٦٧ .

● والصهيونية اليوم بأساليبها ودعاياتها وتنظيمها تؤثر على دول كبرى مثل أمريكا وبريطانيا والمانيا ، وغيرها ، وتعمل منظمات الباطنية والماسونية لمصلحة اليهود .

ودخل اليهود فى الشيوعية والمسيحية والبوذية وسخروا أغراضها لصالحهم .. واليهود ليس هدفهم فلسطين فقط بل هم يسعون الى افريقيا وها هم قد تغلغلوا فيها وسخروا بعض زعمائها لمآربهم .

ما المعسكر الرأسمالى — وابرزه أمريكا وبريطانيا وفرنسا — بعد أن استعمر المناطق الاسلامية والعربية ، وامتص خيراتها وخرج منها بعد أن واجه المقاومة خلف فيها مشكلات وقضايا (٢) معقدة ليشغل بها المجتمع الاسلامى عن التحرك والنهضة ، بينما سار هذا المعسكر نحو العلم والتصنيع وبناء المجتمع لينعم بالهدوء والاستقرار ، فقام بين أوروبا وأمريكا تحالف عسكرى وسياسى ، وفى أوروبا قامت السوق المشتركة وفى جنوب أمريكا منظمة أمريكا اللاتينية .

وبفضل خيرات الارض العربية والاسلامية فى آسيا وافريقيا ، تعمل المصانع الغربية ، وبأموالنا تشترى وتسوق منتجات الغرب ، ومع ذلك فان هذه الدول تساعد أعداءنا لتبقينا ضعفاء أذلاء حتى يتم لها الاستمرار فى سياستها فى التسلط على خيراتنا واعاقة وحدتنا ونهضتنا .. واقامة الدولة الاسلامية الكبرى .

أيها السادة :

هكذا يفكر أعداء العروبة والاسلام سواء من كان منهم فى الشرق أو الغرب وهكذا يريدون ، فالكل منهم يتظاهر بالسماحة والصداقة والسلام .

وأما التبشير ودعمه من قبل هذا المعسكر ضد الاسلام والمسلمين فأفعاله واضحة فى جنوب السودان ونايجريا مع انفصال بيافرا — واندونيسيا والفلبين وروديسيا وجنوب افريقيا والحبشة واريتريا وزنجبار وغيرها .

أيها السادة :

واذا ما جئنا ندرس حالة المسلمين فانهم يعيشون فى القارات الخمس ، وفى جميع أقطار العالم ، وقد سئلت مرة عن عدد المسلمين فى العالم فأجبت بأنى لا أستطيع أن أعطى رقما معينا للنفوس ، ولكن أستطيع القول بأنهم يشكلون ثلث دول العالم ، وهذا ما تؤيده الارقام داخل منظمة الأمم المتحدة (٣) . أما اذا ذهبنا نعد الدول التى ما زالت تحت نير الاستعمار ككشميروفلسطين وأريتريا والصومال والصحراء المغربية ودول أخرى فاننا سوف نصل الى رقم أعلى من ذلك ، وهذا الرقم للدول التى يسكنها أغلبية مسلمة أما الدول التى يتراوح عدد المسلمين فيها من ٣٠٪ الى ٤٥٪ من مجموع السكان فهى خمس عشرة دولة (١٥) ما عدا الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من ٤٠ مليونا والهند (٧٠

سبعين مليونا وفى كل من : يوغسلافيا ٣ ملايين ، وتايلند ٣ ملايين وبورما ٣ ملايين والفلبين ٤ ملايين .

ومع هذا العدد الضخم للدول الاسلامية فى الأمم المتحدة وخارجها فان مواقف حكوماتها مختلفة ومتناقضة ، فلم تناقش مرة واحدة قضية تهم هذه الشعوب ويتخذ فيها قرار لصالح المسلمين وكأن هذه الحكومات لا تمثل هذه الشعوب (٤) .. يحرق المسجد الأقصى ، وتشن الحرب على باكستان ، ويذبح المسلمون فى الفلبين وانجولا وأريتريا .

العقيدة الاسلامية

ان العقيدة الاسلامية لدى المسلمين قوة روحية دافعة مكملة للقوة المادية « المؤمن القوى خير واحب من المؤمن الضعيف » .

(لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه) .

وعقيدتنا الاسلامية تجعل الانسان المؤمن يجب أن يسير أعماله حسب أوامر الله ونواهيه ، وأن يجعل الاسلام مقياس حياته .

وفى مقام عمل الخير والمساعدة فان الاسلام يضاعف الأجر والثواب (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وفى الجهاد فى سبيل الله والقتال دفاعا عن الاوطان يفوز المسلم بالحسنيين إما الشهادة أو النصر ثوابا فى الدنيا وثوابا فى الآخرة .

ايها السادة :

ان هذه القوة الكبيرة من المسلمين التى تملك هذه المقدرات لا يمكن أن تشق طريقها وتنهض بين هذه القوى المادية الا بالتنظيم والتخطيط والصدق فى العمل .

وانى أتقدم الى المؤتمر الموقر بالاقتراحات التالية :

١) وضع دراسة شاملة للهيئات والمؤتمرات والمراكز التى تعنى بالشئون الاسلامية .

٢) العمل على انشاء مؤتمر دائم يمثل جميع المسلمين فى العالم وتكون له لجنة تنفيذية ومجلس اعلى ولجان دائمة تعمل على مدار السنة .

٣) العمل على التنسيق بين الهيئات الرسمية والشعبية التى تعمل لعقد المؤتمرات مثل مجمع البحوث الاسلامية . المؤتمر الاسلامى بجدة . الجامعة العربية . المراكز الاسلامية المجلس الاعلى . الرابطة الاسلامية بمكة .

والملاحظ أن هناك جهودا تبذل من أجل ...

أ ــ التنسيق بين المدارس والمراكز الاسلامية المنتشرة فى العالم .

ب ــ التنسيق فى تلقى الطلاب وتوزيعهم .

حـ ــ التنسيق فى ارسال الدعاة للخارج ودعمهم .

٤) تنظيم كيفية جمع الاموال ومساعدة المراكز الاسلامية .

٥) دعم المسلمين والاقليات ثقافيا وسياسيا .

---

(١) فسيطرت على دول شرق أوروبا ، ودول من آسيا ، وطوعوا الاحزاب الشيوعية فى العالم العربى والاسلامى تعمل لصالحهم ولو كان ذلك ضد مصالح شعوبهم .

(٢) قضية فلسطين ، الطائفية فى لبنان ، الاكراد فى العراق ، روديسيا جنوب أفريقيا ، الصومال الفرنسى ، أيريان فى اندونيسيا ، كشمير ، اتحاد الامارات ، قضية مسقط وظفار زنجبار ، اوغندا ، اريتريا والحبشة ، الجزائر وتونس والمغرب والصحراء .

(٣) الأمم المتحدة ١٣٢ ــ الدول الاسلامية نحو (٤٠) .

(٤) المعسكر الغربى يتحرك ويثور عندما يسمع بمقتل جندى اسرائيلى او اختطاف طائرة ولكن لا يتاثر لاحتلال بلاد واخراج اهلها منها وتشريدهم بلا ذنب جنوه .

من هدي السنة

الهدي النبوي في العبادة

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى بسنده المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا مسعر عن زياد قال : سمعت المغيرة رضى الله عنه يقول : ان كان النبى صلى الله عليه وسلم ليقوم أو ليصلى حتى ترم قدماه أو ساقاه ، فيقال له ، فيقول : أفلا اكون عبدا شكورا ؟».

١ ــ نعم الله تعالى التى تفضل بها على عباده أجل من أن ينالها عد ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ومن اجل تلك العطايا والمنن ، اصطفاء الله تبارك وتعالى لواحد من عباده ليحمل رسالته الى خلقه مبلغا وهاديا ، بشيرا ونذيرا ، وفى مقدمة من عرفت الدنيا من الرسل عليهم الصلاة والسلام سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، صنعه على عينه ، وشمله بعنايته فى كل مراحل حياته ، وآتاه من كل فضيلة وكمال ما لم يؤت أحدا من العالميــن ، انقذ به أمة أمية من الضياع ، وصيرها بهدايته مثلا نادرا فى السمو والتجافى عن ما يشين الانسان كانسان ، وحملها حملا على المضى قدما فى السبق الى كــل مكرمة فى كل ميدان ، فأخرج منها القائد العبقرى ، والعالم اللوذعى ، والسياسى المدره ، والمفتن فى كل ما يخدم هذا الوجود ، ويرقى به ، ويسعده ، وينمى الخير فى أوديته ، وفاتح العقول الجبارة القادرة على الدرس والتنقيب على مخبآت هذا الكون وخفاياه ، وواضعى أصول العلوم فى كل فن ، فيا لها من فعال لا ضريب لها ولا مقارب ، منذ أن شب الانسان عن الطوق ، واخذ طريقه دارجا على البسيطة ، عابرا فى دروبها ، باحثا عن أسرارها ، فما يهول الباحث ما يراه فى كل معقل فى عصرنا من آثار اتباع سيدنا رسول الله السائرين على نهجه ، المقتدين به ، الذين اتخذوه أسوة حسنة ، فتفانوا ليخلدوا ، وشمخوا على الزمان ليطأطىء لهم هامه ويسجل باعجاب آثارهم ، فقد كانوا حلقة ذهبية وصلت الماضى بزمان وجودهم ، وتركته يشع لمن بعدهم ، ولو أن أبناءهم تقمصوا هممهم لما غلب أمتهم غالب ، ولا قهرها متسلط ، ولكان السبق كل السبق لهم ولهم وحدهم ، وكأنى بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين يغرق فى العبادة ، وحين يداوم بشدة علــى الصلاة ، وحين يديم التهجد وقيام الليل ، وحين يتجافى جنبه عن مضجعــــه ، وعندما يقف بين يدى بارئه حتى تتورم قدماه ، انما يضرب الأمثال لقومه علــى نوع من الزلفى الى الله يفتح مغلقات الوجود ، ويسمو بالفكر ، ويربط هــــذا الانسان بخالقــه ، يخلصه من علائق المادة المميتة القاتلة ليصله بوثاق الــروح

بقيوم السموات والارض ، الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ، ويفيض من مكنون علمه على من يشاء من عبـــاده ، سبحانه لا اله الا هو رب العـــرش العظيم ، من طرق بابه ادخله رحابه ، ومن ولج الى ملكوته استطلـــع ما لم يحط غيره بعلمه ، ومن ارتفع عن ماديته غمره نور المعرفة التى لا حدود لها ، ومـــن أعرف بالله وما عنده من رسوله المصطفى ، وحبيبه المجتبى ، ومن اولى بشكـــره وادامة عبادته من سيد انبيائه ، وواسطة عقد رسله ، ولهذا لما قيل له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ؟ فيجيب عليه وعلـــى آله افضل صلاة وأزكـــى سلام : (أفلا اكون عبدا شكـــورا) .

٢ ـــ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوم الليل الا قليلا ، كما ورد فى أول سورة المزمل ، وذلك لأن قيام الليل اشد مواطأة وموافقة بين القلب واللسان ، واجمع للخاطر فى قراءة القرآن وتفهمه ، وهذا لا يتيسر بالنهار وقت السعي على المعاش ، وانتشار الصخب واللجب فيه ، .« إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا » .. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمل من العبادة وان اضر ذلك ببدنه ، قالت عائشة رضى الله عنها : « كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتفطر قدماه » ومع هذا فقد كان يشفق على اصحابه أن يملوا ، ويحاول أن يحملهم على الأخذ من العبادة بما يستطيعون ، وأن يداوموا على فعل القليل ، ويبين لهم أن القليل الدائم خير من الكثير المنقطع ، فقد حدث البخارى عن اشعث قال : « سمعت أبى ، قال : سمعت مسروقا قال : سألت عائشة رضى الله عنها : اى العمل كان أحب الى النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قالت الدائـــم ، قلت : متى كان يقوم ؟ قالت : يقوم اذا سمع الصارخ » ، ووقـــع فى مسنـــد الطيالسى فى هذا الحديث : « الصارخ : الديك » والصرخة ، الصيحة الشديدة ، وجرت العادة أن يصيح الديك عند منتصف الليل غالبا ، وهو غير الذى يصيـــح عند اقتراب الفجر ، وروى البخارى أيضا أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما اخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له : « أحب الصلاة الى الله صلاة داود عليه السلام ، وأحب الصيام الى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوما ويفطر يوما » ، قال واحد من شراح الحديث الأسبقين رضى الله عنهم : « .. وإنما كان ذلك أرفق لأن النـــوم بعد القيام يريح البدن ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم ، بخلاف السهر الـــى الصباح ، وفيه من المصلحة أيضا استقبال صلاة الصبح بنشاط ، وانه اقرب الى عدم الرياء لأن من نام سدس الليل الاخير اصبح ظاهر اللون سليم القوى ، فهو اقرب الى ان يخفى عمله الماضى على من يراه » وحكـــى عن قوم آخريـــن : (أن معنى قوله : « أحب الصلاة » هو بالنسبة الى من حاله مثل حال المخاطب بذلك ، وهو من يشق عليه قيام اكثر الليل ، وعمدة هذا القائل اقتضاء القاعـــدة زيـــادة الاجر بسبب زيادة العمل ، والافضل أن نجرى على ما دل عليه اللفظ واللـــه أعلم) .

٣ ـــ وهنا يورد صاحبى سؤالا لا يصح بحال أن يورد فـــى جانب سيـــدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، وان جاز ايراده فى حق العباد غير الرسل ، والسؤال هل يدخل الرياء فعل الرسل ؟ والجواب : ان هذا محال لأن رسل الله هم المعلمون والموجهون والمشرعون ، وكل أعمالهـــم قلت أو جلت يجب علينا متابعتها ومحاكاتها ، فلا يمكن بحال أن يقال ان فى أعمالهم عليهم الصلاة والسلام أى نوع من الرياء ، والرياء آفة اجتماعية ممقوتـــة نهى عنهـــا

سيدنا رسول الله وذمها القرآن ، ولكى يبين القول فيها نورد معناها اللغـوى ، فقد جاء فى لسان العرب لابن منظور المصرى ما نصه : « وراءيت الرجـل مراءاة ورياء : أريته أنى خلاف ما أنا عليه . وفى التنزيل (بطرا ورئاء الناس) وفيـه : (الذين هم يراءون) يعنى المنافقين ، أى اذا صلى المؤمنون صلوا معهم يراءونهم أنهم على ما هم عليه ، وفلان مراء ، وقوم مراءون ، والاسم الرياء . يقال فعـل ذلك رياء وسمعة ، وتقول من الرياء يسترأى فلان ، كما تقول يستحمق ويستعقل عن أبى عمرو .. الخ » (١) .

والرياء بكل هذه المعانى محال أن يدخل أعمال الرسل والانبياء . وهو معتبر شرعا من الآفات المقوتة حتى فى العبادات ، سأل رجل رسول الله صلى اللـه عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله فيم النجاة ؟ فقال : الا يعمل العبـد بطاعـة الله يريد بها الناس . وفى الحديث الذى رواه مسلم قال أبو هريرة راويا عن رسول الله فى المقتول فى سبيل الله ، والمتصدق بماله ، والقارىء بكتاب الله ان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم : كذبت بل أردت أن يقال فلان شجـاع ، كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ، كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء . فأفاد هذا القول الشريف أنهم لم يثابوا ، وان رياءهم هو الذى أحبط أعمالهم ، وقال ابن عمر رضى الله عنهما ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من راءى راءى الله به ، ومن سمع سمع الله به » . حديث متفق عليه ، وأخرج أحمد والبيهقـى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان أخوف ما أخاف عليكـم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال الرياء ، يقول الله عـز وجل يوم القيامة اذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فـى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاءَ ؟ »

وقال سيدنا على كرم الله وجهه : « للمرائى ثلاث علامات ، يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان فى الناس ، و يزيد فى العمل اذا اثنى عليه » .

فالرياء ممقوت يذهب بفائدة العمل بل ويبطله ، وهو مسلك من مسالـك النفاق الذى عابه القرآن الكريم ، وذم المتصفين به ، وأعد لهم أشد العذاب يوم القيامة ، قال تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الـى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له نصيرا » الآيتان ١٤٢ ، ١٤٣ من سورة النساء ، ثم يقول تبارك وتعالى فى الآية ١٤٥ من نفس السورة : « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) وفى قولـه تعـالى : (يراءون الناس) قال المفسرون : يراءون بفعالهم اى يبتغـون بذلك أن يراهـم المؤمنون فيعدوهم منهم (ولا يذكرون الله الا قليلا) اى لا يصلون الا قليلا ، فاذا لم يرهم أحد لم يصلوا ، واذا كانوا مع الناس راءوهم وصلـوا معهم ، وهـم مضطربون مائلون تارة الى المؤمنين ، وتارة الى الكافرين ، لا يخلصون لأحـد الفريقين لانهم طلاب منافع ، ولا يدرون لمن تكون الغلبة والعاقبة ، فمتى ظهرت الغلبة لأحدهما ادعوا أنهم معه .. فالواجب اخلاص العمل لله واخفاؤه متى أمكن ذلك ، فقد روى الطبرانى والحاكم باسناد صحيح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل رضى الله عنه يبكى عند قبر رسول اللـه صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله

---

(١) ص ١٠٩٤ من الجزء الاول . طبع بيروت .

عليه وعلى آله وسلم يقول : « ان اليسير من الرياء شرك ، وان الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، وان حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ، ينجون من كل غبراء مظلمة » وان يطلب به (أى بالعمل) رضوان الله وخير ما عنده لا الغلبة والتسلط على الناس وقهرهم ، قال تعالى : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » ، وجاء فى الصحاح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » وخوف الله وترك مراءاة الناس يجتث الكبر من النفوس ، ويجعل العمل مؤتيا ثماره كاملة حين يستهين الانسان بما عمل ، ويعده هينا فى جنب نعم الله تبارك وتعالى ، مبتعدا عن التكبر والتعالى على عباد الله ، وبذلك يقترب من رضوان مولاه ، ويبتعد عن ما يغضبه ويسخطه ، والله سبحانه لا يحب كل متكبر جبار .

روى مسلم وابو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة . فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

والخلاصة من كل ما سبق :

١ ـ ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصا على العبادة فى جميع اشكالها قياما بواجب شكر الله (أفلا أكون عبدا شكورا) .

٢ ـ أن أعمال الرسل والأنبياء الظاهرة والباطنة لا يمكن أن يداخلها الرياء ولا النفاق ، وانما هى خطوط واضحة يجب ترسمها فى كل مسالك الحياة ، اذ هم صفوة الخلق والمبلغون لما أوحى اليهم من قيوم السموات والأرض .

٣ ـ أن الرياء نوع من النفاق المهلك وقد أعد الله للمنافقين عذابا اليما .

٤ ـ يجب اخلاص العمل من العباد لله تعالى وحده ، والابتعاد به عن التسلط على خلق الله ، والتجافى عن الغرور والكبرياء حتى يكون عملا مقبولا ، له ثوابه العظيم بالدار الآخرة ، وان الدار الآخرة لهى الحيوان .

٥ ـ أن كل عمل لا يقصد به وجه الله فهو غير مقبول عند الله وان بدا كذلك فى الدنيا ، ودليل ذلك قصة الثلاثة الذين وردت فعالهم فى حديث رسول الله الذى أوردناه فى صلب الشرح (المجاهد المرائى ، والباذل المرائى ، وقارىء القرآن المرائى) فكل أولئك حبطت أعمالهم فلا يقام لهم يوم القيامة وزن .

نسأل الله جلت قدرته وتباركت أسماؤه أن يجعل أعمالنا دائمة خالصة لوجهه الكريم ، وأن يمحضها لما يرضيه ، وما يبلغنا خير الدار الآخرة ، انه سبحانه نعم المستعان .

إعجاز القرآن الكريم

الدكتور محمد حسين الذهبى

معنى الاعجاز ـ القرآن معجزة النبى الكبرى ـ القرآن بين تكذيب العرب له وتحديهم به ـ جوانب الاعجاز فى القرآن الكريم .

معنى الإعجاز :

تطلق كلمة الاعجاز فى اللغة ، ويراد بها اثبات العجز وإظهاره .

وإعجاز القرآن الكريم معناه : اثبات عجز العرب وغيرهم عن الاتيان بمثله ، فيظهر بذلك صدق النبى عليه الصلاة والسلام فى دعواه الرسالة ، وأن القرآن ليس من كلامه ، ولا هو فى مقدور أحد ، وانما هو كلام الله عز وجل .

القرآن معجزة النبى الكبرى :

والقرآن معجزة النبى الكبرى وهو يتميز عن سائر معجزات الانبياء بأمور :

١) انه يحتوى على أصول الدعوة المحمدية ، وما يكتنفها من هداية وارشاد ، وذلك أبلغ فى الدلالة على النبوة ، لان ما احتواه من ذلك لا يمكن أن يكتسب بالتعلم ، وانما هو بوحى من الله ، ومن هنا كان القرآن كافيا ، ومغنيا عن كل ما طلبه المتعنتون من معجزات تحديا له عليه الصلاة والسلام ، وفى ذلك يقول الله تعالى: « أولم يكفهم أنا نزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ » .

٢) أن القراء معجزة العقل : لانه

يخاطب العقل دائما ولا يجمد عند الحس كمعجزات الانبياء السابقين ، ولقد نوه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بذلك فى حديث له فقال : « ما من نبى من الانبياء الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » .

٣) أن القرآن الكريم معجزة خالدة باقية على مدى الدهر ، ضرورة أنه معجزة الدين الخالد ، فهو شاهد أبدا بصدق محمد عليه الصلاة والسلام ، أما معجزات الأنبياء السابقين فقد كانت تنتهى بانتهاء وقت وقوعها ثم لا يبقى لها أثر بعد ذلك الا فى نفس من شهدها .

القرآن بين تكذيب العرب له وتحديهم به :

ولقد أيد الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن من أول يوم بعثه رسولا للعالمين ، ولكن قومه كذبوه وزعموا أن ما يتلوه عليهم من القرآن ليس من عند الله ، وقالوا عنه :

« أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (١) فأوحى الله الى نبيه بقوله : « انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض » (٢) وقوله : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » (٣) .

وقالوا : « انما يعلمه بشر » (٤) فرد الله عليهم بقوله : « ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » (٥) .

وقالوا : « شاعر نتربص به ريب المنون » (٦) فرد عليهم بقوله : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » (٧) .

قالوا عنه هذا واكثر ، ورد الله عليهم بما ذكرنا وأكثر مما يبطل زعمهم ، ولكنهم تمادوا فى غيهم واستمروا فى تكذيبهم وعنادهم فلم يكن بعد ذلك الا أن يلقمهم حجرا يسد أفواههم حتى لا ينبسوا بفرية ، ويدمغ عنادهم حتى لا يقوى على أن يتصدى للحق أو يعترض طريقه .

لم يبق الا أن يتحداهم الله ويتحدى الانس والجن جميعا أن يأتوا بمثل القرآن ما دام القرآن فى زعمهم من صنع البشر — محمد أو غيره — وليس من عند الله عز وجل .

ولقد جرى ذلك التحدى على تدرج ملحوظ :

تحداهم أولا أن يأتوا بمثل القرآن فقال :

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (٨) . فما كان منهم الا العجز التام .

ثم تنزل معهم فى التحدى ، فقال آمرا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد رموه بالافتراء على الله فى نسبة القرآن اليه : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (٩) فعجزوا كل العجز عن ذلك أيضا .

ثم نزل الى أدنى من ذلك فقال : « قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » (١٠) . وقال : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » (١١) فما استطاعوا معارضة ذلك القدر القليل .

ثم نزل الى أدنى درجات التحدى فقال : « فليأتوا بحديث مثله ان كانوا

صادقين » (١٢) فعجزوا عن أن يأتوا بحديث مماثل له ... أي حديث كان ، طال أم قصر ، ولزمهم العجز عن معارضته هم ومن وراءهم الى يوم القيامة .

ولم يكن عجزهم هذا ناشئا عن كون القرآن غريبا عليهم في لغته ، بل كان من جنس كلامهم وبلغتهم التي يتكلمون بها ، ولم يكن عدم معارضتهم له ناتجا عن عدم اهتمامهم بالمعارضة أو عدم اكتراثهم بالتحدى ، فقد أثار القرآن اهتمامهم بالمعارضة ، وبعث فيهم الرغبة الملحة في قبول التحدى ، والعمل على حطمه ، والخروج من المأزق الذي وضعهم فيه ، بما كان منه من تسفيه أحلامهم بنحو قوله عنهم : « إن هم الا كالأنعام بل هم أضل » (١٣) وتحقير آلهتهم بنحو قوله : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » (١٤) ومع ذلك الاستفزاز فقد وقفوا عاجزين أمام هذا التحدى ، ولم نجد لهم معارضة يمكن أن تجارى أو تداني القرآن في أسلوبه ونظمه ، أو في أى جانب من جوانب اعجازه التي سنذكرها ، وما ترويه لنا بعض كتب الادب أو غيرها من محاولات لمعارضة القرآن لم تخرج — في الواقع — عن كونها محاولات سخيفة ، وليس فيها من براعة النظم ، ولا من دقة المعنى شيء مطلقا ، وانما هي هذيان كهذيان المحموم ، عار من كل شيء الا من ركاكة النظم وفساد المعنى .

جوانب الاعجاز في القرآن الكريم :

وجوانب الاعجاز في القرآن الكريم متعددة وهي :

(١) فصاحة كلماته .

(٢) براعة نظمه وجزالة أسلوبه .

(٣) بلاغته في الدلالة على معانيه .

وهذه الثلاثة يمكن أن نجمعها تحت عنوان واحد هو (الاعجاز البياني) .

ولا شك أن القرآن الكريم قد تميز عن كل ما عداه من كلام الهي وغير الهي بأسلوب فريد ، بلغ الغاية في جزالته وبلاغته ، ولو جئنا بأبلغ عبارة نطق بها العرب ووضعناها بجانب عبارة في موضوعها جاء بها القرآن الكريم ، لوجدنا بين العبارتين فرقا بلاغيا كبيرا ، فأبلغ عباراتهم في القصاص « القتل أنفى للقتل » وعبارة القرآن الكريم في هذا الباب « ولكم في القصاص حياة يا أولى الالباب » وقد تناول علماء البلاغة كلتا العبارتين بالتحليل البلاغي وبينوا — بما لا يقبل الشك — أن عبارة القرآن فوق العبارة المأثورة عن العرب بمراتب كثيرة .

وبلغاء العرب — بسليقتهم — يدركون هذا التفوق البياني للقرآن الكريم حتى أن أحدهم — وهو الوليد ابن المغيرة — يسمع القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم ، فيبهره أسلوبه وبلاغته ، ويعجب به أيما اعجاب ويشيع ذلك عنه ، فيأتي اليه أبو جهل ويطلب منه أن يقول في القرآن قولا يبلغ قومه أنه منكر له ، فيجيب الوليد بقولته المشهورة : « وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم أحد أعلم بالشعر : لابرجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته » .

ولا نطيل بالكلام عن بلاغة القرآن فذلك موضوع واسع تولاه بالبحث والبيان كثير من العلماء ، ولهم في ذلك مؤلفات كثيرة ومشهورة .

(٤) اشتماله على حوادث وقعت في الازمان الغابرة ولم يكن للنبي

صلى الله عليه وسلم علم بها : لا عن معلم ، ولا عن كتاب ، ولا عن أي طريق أخرى غير القرآن ، كقصة موسى وغيره من الأنبياء وفى هذا يقول الله سبحانه مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بعدما قص عليه من خبر موسى وقومه « وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين . ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر ، وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » .

(٥) اشتماله على أمور غيبية وحوادث مستقبلة أخبر بها وتحقق وقوعها فيما بعد كقوله تعالى : « الم . غلبت الروم . فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

(٦) اشتماله على التشريعات الروحية والادبية والاجتماعية والسياسية والمالية التى كان — ولا زال — لها أكبر الاثر فى اصلاح المجتمع الانسانى واستقراره ، لبلوغها مرتبة الكمال التشريعى ، ولخلوها من كل الثغرات التى تشتمل عليها القوانين الوضعية ، وقد ذكرنا عند الكلام عن جوانب الهداية القرآنية كثيرا من التشريعات التى جاء بها القرآن ، والتى نظمت علاقة الانسان بربه وبأخيه الانسان .

(٧) اشتماله على كثير من العلوم والمعارف التى كشف عنها العلم فيما بعد ، ولا زال يكشف عنها الى اليوم ، وسوف يظل يكشف عنها على مدى الدهر والى الأبد .

ولا نريد أن نستقصى كل ما حواه القرآن تصريحا أو تلميحا من علوم كونية ، وانما نكتفى بثلاثة أمثلة نذكرها كشواهد على الاعجاز العلمى للقرآن الكريم :

المثال الأول :

قوله تعالى فى الآية (٣٠) من سورة الأنبياء : « أولم يـر الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » فقد فسرها عبد الله بن عباس على ضوء ما وصل اليه العلم فى زمانه تفسيرا تحتمله الآية فقال :

« كانت السماء رتقاء لا تمطر ، والارض رتقاء لا تنبت ، ففتق هذه بالنبات ، وتلك بالمطر » .

وفسرها علماء العصر الحديث على ضوء ما توصلوا اليه من العلم فقالوا:

« قرر الكتاب الكريم ان الارض كانت جزءا من الشمس ، وان حادثا كونيا جذب قطعة من الشمس وفصلها عنها ، وأن هذه القطعة — بعد أن مرت عليها أطوار — تكسرت وصارت قطعا ، كل قطعة منها صارت سيارا من السيارات ، وهذه السيارات طافت حول الشمس وبقيت فى قبضة جذبتها ، والارض واحدة من هذه السيارات فهى بنت الشمس ، والشمس هى المركز لكل هذه السيارات » (١٥) .

ولا نكاد نجد تعارضا بين الفهمين، والآية تحتملهما وتتسع لهما وذلك — بلا شك — وجه من وجوه الاعجاز للقرآن الكريم .

المثال الثانى :

قوله تعالى فى الآيتين (٣) و(٤) من سورة يونس «هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا» وقوله فى الآية(٦١) من سورة الفرقان « تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا » أليس فى هاتين الآيتين دلالة صريحة على ما توصل اليه العلم الحديث من أن الشمس

كوكب مضيء وأنها كالسراج نوره من ذاته وأن القمر كوكب معتم نـوره مستمد من غيره ؟ وهل يستطيع محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ وهو النبى الأمى ، والعلم بالأكوان والأفـلاك ما زال فى مدرج الطفولة ــ أن يقرر هذه الحقيقـة من تلقاء نفسه ؟ كلا انه من علم الله العليم الخبير ... أودعه فى القرآن فكـان من وجوه اعجازه .

المثال الثالث :

قوله تعالى فى الآيتين (٣) و (٤) من سورة القيامة « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه » يقرأ العربـى هـذه الآية فى عصر نزول القرآن فيفهم منها أنها تدل على أن الله قادر على أن يعيد الانسان عند البعث بشرا سويا بكل أعضاء جسمه وعلى صورتهـا الاولى حتى ما دق خلقـه من هذه الاعضاء وهو البنان .

ونقرؤها اليوم على ضوء العـلم فنراها تنطوى على ما توصل اليـه العلمـاء من أن (بصمات) أنامـل اليد لا تتشابه عند بنى الانسان فكـل فرد له بصمات يتميز بهـا عن غيره وممكن أن تكشـف عن شخصيته ، واعادة هذه البصمات المختلفـة المتمايزة عند الحياة الثانية على ما كانت عليه لكل فرد عند الحياة الاولى شىء لا يعظم على الله سبحانه ، ولا شك أن انطواء الآية على هـذه الحقيقة العلمية التى لم يكشف عنها العلم الا حديثا ضرب مـن ضروب الاعجاز العلمى للقرآن الكريم .

(٨) سلامة القرآن من الاختلاف والتناقض ولا شك أن هذا جانب من جوانب اعجاز القرآن الكريم فالكتاب حافل بالقضايا العقلية والتشريعات الفقهية والحقـائق العلمية والتاريخ والقصص ، والأمثال ، والأخبار عن وقائع ماضية وحاضرة ومستقبلة ، وهو فى ذلك كله صادق لا يرقى اليه كذب ، مصيب لا يعتريه خطأ ، واضح لا يشوبه لبس ، متناسق لا يعترض نسقه تناقض أو تعـارض ، مؤتلف غير مختلف .

ولا يكاد يتم ذلك بحال من الاحوال لكتاب جمع الكثير من الوان المعرفة وضروب الهدايـة والارشاد ، وضم الكثير من القصص والاخبار ووزعها وكررها فى مواضع شتى على نحـو من الايجاز تارة ومن الاطناب اخرى ، مع تفاوت وتغاير وتفنن فى التعبير يجعل القـارىء مشدودا دائما الى قراءته وسماعه دون سآمة أو ملل أو إحساس بنبوة ولا يكاد يتم ذلك بحال من الاحوال الا للقرآن الكريم : لأنه كلام الله الذى لا يضل ولا ينسى ، وصدق الله العظيم حيث يقول :« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيـه اختلافا كثيرا » (١٦) .

هذه هى جوانب الاعجـاز للقرآن الكريم ، أو هى أهم جوانبه .

ولقـد نرى بعض العلماء يذهبون الى أن اعجاز القرآن لا يرجع الى أى من هذه الوجوه المذكورة وانما يرجع الى الصرفة ، ومعنى ذلك ــ علـى حد قولهم ــ أن القرآن الكريم كان فى متناول العرب أن يأتوا بمثله ولكن الله صرفهم عن معارضته فصـاروا بذلك عاجزين عنها ، وهذا قول باطل، لأنه يلزم عليه :

١) أن يكون القرآن فى مستوى كلام البشر ، وهذا مخالف للواقع ، وأرباب البلاغة من المشركين أنفسهم قد اعترفوا بأنه فى أعلى درجـات البلاغة التى لا يتطاول اليها أحد منهم، وفى وصف الوليد بن المغيرة للقرآن ــ وقد ذكرناه آنفا ــ ما يشهد بذلك والفضل ما شهدت به الأعداء .

٢) أن يكون المعجز فى الحقيقة هو الله وليس القرآن ، مع أن آيات التحدى تكاد تكون صريحـة فى أن

الاعجاز راجع الى القرآن ذاته ، وعلى ذلك انعقد الاجماع .

٣) أن الانس والجن — بصرفهم عن المعارضة بحيث أصبحوا عاجزين عنها — صاروا بمنزلة الموتى ، وحينئذ لا يكون للتحدى معنى ولا فائدة .

ولقد نرى — أيضا — بعض العلماء يقصرون إعجاز القرآن على جانب واحد من جوانب الاعجاز المذكورة ، وهذا — اذا اخذ على ظاهره — خطأ بين اذ أن كل ما ذكرناه من جوانب الاعجاز متحقق فى القرآن الكريم .

والظن بهؤلاء الذين قصروا إعجاز القرآن على جانب من الجوانب التى ذكرناها : أنهم لم يقصدوا بذلك أن القرآن ليس فيه من جوانب الاعجاز الا هذا الجانب فقط ، وانما قصدهم: أن هذا الجانب الذى اقتصروا عليه يحقق الاعجاز للقرآن الكريم ، وهذا لا يمنع من وجود جوانب أخرى تحقق نفس الشىء وبانضمام بعضها الى بعض يكون الاعجاز أتم وأقوى .

بقيت حقيقة يجب أن نعلمها ، وهى :

أن اعجاز القرآن من ناحية فصاحة كلماته ، وبراعة نظمه ، وجزالة أسلوبه ، وبلاغته فى الدلالة على معانيه أمر متحقق فى كل سورة بل وفى كل آية تفيد فائدة تامة أما ما وراء ذلك من جوانب الاعجاز كاشتماله على أمور غيبية مستقبلة وقعت بعد كما أخبر عنها ، واشتماله على التشريعات الحكيمة ، وانطوائه على حقائق علمية لا يزال العلم الحديث يكشف عنها ، فهذا لا يتحقق فى كل آية ولا فى كل سورة وانما يتحقق فى القرآن جملة ، ومن هنا حقق العلماء أن التحدى بأقصر سورة منه او ما يعادلها أو بأى حديث مثله مهما قصر كان للعرب أولا ، لأنهم أرباب اللسان ، وفرسان البيان ، فان عجزوا هم عن معارضته فغيرهم اعجز ، والتحدى بهذا القدر من القرآن راجع الى فصاحة كلماته وبراعة نظمه ، وجزالة أسلوبه وبلاغته ، وهو ما عبرنا عنه بالجانب البيانى ، وهذا كله متحقق — كما قلنا — فى القدر المتحدى به أيا كان .

أما غير ذلك من جوانب الاعجاز التى تتحقق فى القرآن ككل ولا تتحقق فى كل أبعاضه ، فذلك يدركه كل انسان عربيا كان أم غير عربى ، وهم جميعا متحدون بالقرآن جملة ومن كل هذه الجوانب بقوله سبحانه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١٧) .

---

(١) فى الآية ٥ من سورة الفرقان .
(٢) فى الآية ٦ من سورة الفرقان .
(٣) الآية ٤٨ من سورة العنكبوت .
(٤) فى الآية ١٠٣ من سورة النحل .
(٥) فى الآية ١٠٣ من سورة النحل .
(٦) فى الآية ٣٠ من سورة الطور .
(٧) فى الآية ٦٩ من سورة يس
(٨) الآية ٨٨ من سورة الاسراء .
(٩) فى الآية ١٣ من سورة هود .
(١٠) فى الآية ٣٨ من سورة يونس .
(١١) الآيتان ٢٣ و ٢٤ من سورة البقرة .
(١٢) الآية ٣٤ من سورة الطور .
(١٣) من الآية ٤٤ من سورة الفرقان .
(١٤) من الآية ٧٣ من سورة الحج .
(١٥) انظر التفسير والمفسرون جـ ٣ صـ ٢٧٠
(١٦) فى الآية ٨٢ من سورة النساء .
(١٧) الآية ٨٨ من سورة الاسراء .

الكاتبون في الدين

اللواء الركن محمود شيت خطاب

كنت ولا أزال وسأبقى أعتقد أن الكتابة فى الدين والتكلم فى الدين سلاح ذو حدين : اذا احسن الكاتب أو المتكلم رفع من شأن الدين وجعل الناس يقبلون على قراءة ما يكتبه الكاتبون وسماع ما يقوله المتكلمون بلهفة وشوق ، واذا أساء الكاتب أو المتكلم حط من شأن الدين وجعل الناس ينفرون من الدين ويعرضون عن قراءة ما يكتبه الكاتبون فيه وسماع ما يقوله المتكلمون عنه .

وفى هذه الكلمة الموجزة ، سأقتصر على الحديث عن : الكاتبين فى الدين ، وفى الكلمة القادمة بإذن الله سأقتصر على الحديث عن : المتكلمين فى الدين .

وقد كان من واجبى أن أبدى رأيى صريحا واضحا فى الكاتبين فى الدين والمتكلمين فيه فى أول رمضان ، بمناسبة تخصيص الصحف بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك صفحة من صفحاتها للقضايا الدينية ، وهذا عمل مشكور بدون شك ، فكان من واجب الكاتبين فى الدين أن يستغلوا هذه الفرصة الى أبعد الحدود ، لابراز مزايا الدين الحنيف ، وتعميق آثاره فى النفوس والعقول معا .

ولكننى كنت خارج القاهرة فى الايام الاولى من رمضان ، لذلك تأخرت عن كتابة هذه الكلمة . وربما كان الخير فى هذا التأخير ، لاننى اطلعت على ما كتب فى الصفحات الدينية ، فوجدت أكثر ما كتب دون المستوى المطلوب ... ولا أزيد .

قد يكتب كاتب فى الجغرافية أو التاريخ أو الكيمياء أو الفيزياء أو فى العلوم الاخرى ، وهو لا يؤمن بهذه العلوم من قريب أو بعيد ، ومع ذلك قد يفيد القارىء بما يكتب .

ولكن الذى يكتب فى الدين ، لا بد له من الايمان المطلق بعظمة الدين ، وأن يعمل بتعاليمه نصا وروحا ، حتى يستطيع أن يفيد قارئه ويؤثر فيه .

والكاتب الذى لا يؤمن ايمانا مطلقا بعظمة الدين واهميته للناس منهجا للحياة وسبيلا الى الدار الآخرة ، لا يمكن أن يفيد قارئه بما يكتب ولا يؤثر فيه .

ومن العجيب أن القارىء يستطيع

أن يكتشف بسهولة بعد قراءة بضعة سطور مما يكتبه الكاتبون فى الدين ، هل الكاتب يؤمن حقا بما يقول ، أو يكتب ما يكتب ارتزاقا ، أو طلبا للشهرة والسمعة ، أو تظاهرا ورياء .

فاذا وجد القارىء حرارة الايمان فى السطور وبين السطور ، مضى فى قراءته واستفاد منها ، والا ترك القراءة غير آسف ، حرصا على وقته من الضياع ، وحرصا على الدين من التشويه .

وقد دأب كثير من القراء فى بلاد المسلمين على قراءة المقالات والكتب والمجلات الدينية .

ولكن هؤلاء القراء على كثرتهم وعلى اختلاف بلادهم وجنسياتهم ، يكادون يجمعون على قراءة ما يكتبه الكتاب المؤمنون حقا بالدين وعظمته ، والمطبقون عملا ما يكتبونه على انفسهم قبل أن يطالبوا غيرهم بتطبيقه عمليا على أنفسهم .

وقد رأيت صدفة جماعة من الازهريين يقلبون صفحات مجلة اسلامية ، ولكنهم اعادوا المجلة الى صاحب المكتبة لانهم لم يجدوا مقالا لكاتبهم الذى يثقون بدينه واستقامته .

وما رأيته فى القاهرة ، رأيته فى مكة المكرمة وفى المدينة المنورة وفى بغداد ودمشق وطرابلس .

ان الحاسة السادسة التى لا تخطىء فى القراء ، هى التى تدلهم على الكاتب المؤمن الحق ، الذى يصوغ مايكتبه بأعصابه قبل أن يصوغه بقلمه .

ونصيحتى للكاتب الذى يكتب فى الدين من أجل الارتزاق أو الشهرة ، أن يكتب فى مجالات أخرى غير الدين لانه سيخفق حتما فى مقالاته وابحاثه الدينية ، وقد يكتب له النجاح فى مقالاته وابحاثه فى مجالات أخرى .

واقصد بانه سيخفق ، فى امكانه تكوين مدرسة من قرائه يؤمنون ايمانا عميقا بالدين .

فلست أجهل أن قسما من الكتاب الذين كتبوا فى الدين ، وكانت حياتهم سلوكا وأفكارا تناقض تعاليم الدين الحنيف ، قد نجحوا فيما كتبوه من مقالات وكتب نجاحا نسبيا ، نظرا لشهرتهم السابقة ولقوة أسلوبهم الكتابى وذكائهم ، ولكن مقالاتهم وكتبهم لم تستطع غرس الايمان العميق بالدين فى أحد ، كما لم يستطيعوا تكوين مدرسة من القراء تهتدى بهدى آرائهم الدينية وتتلقف اقوالهم وتذيعها بين الناس . وربما استطاعوا تكوين جماعة من الادباء الذين يكتبون فى الدين ويرتزقون بما يكتبون ، وهؤلاء أدباء دينيون — ان صح التعبير ، وليسوا كتابا مؤمنين بالدين .

ان الهدف الحيوى للكاتبين فى الدين ، هو غرس الايمان العميق فى الانفس والعقول ، لا المتاجرة بالدين والتظاهر به والارتزاق منه .

وقد كان السلف الصالح يعتبر العلوم الدينية (عبادة) ، لذلك بارك الله فى مؤلفاتهم وأبقاها نبراسا للمؤمنين .

وخلف من بعدهم خلف يعتبرون العلوم الدينية (تجارة) ، لذلك ذهبت مؤلفاتهم صرخة فى واد ، وماتت فى مهدها وأصحابها أحياء .

ولكن القول بأن الكاتب فى الدين يجب أن يتحلى بمزية الايمان المطلق بعظمة الدين وأن يعمل بتعاليمه نصا وروحا ، لا يغنى عن كل قول .

فالواقع أن الكاتب فى الدين يجب أن يتحلى بمزايا أخرى ، ولو أن المزية السالفة هى الاساس الذى لا يكون الكاتب فى الدين بدونها كاتبا نافعا وداعية موفقا .

يجب أن يكون الكاتب فى الدين عالما بالمبادىء الدينية متخصصا بفرع

من فروعها كالفقـــه أو الحديث أو التفسير أو القضايا العســـكرية من الناحية الدينية .. الخ ... وأن يكون قادرا على وضع أفكاره فى صـــيغ كتابية سهلـــة الفهم مقبولة الاسلوب بعيدة عن الاخطاء اللغوية والبيانية .

وأن يكون قادرا على الدخول فـــى موضوعه مباشرة ، دون مقدمـــات لا لزوم لها بغير اطناب ممل ، يبدد المعانى ويشتت الافكار ويضيع الوقت سدى .

واذا استطاع الكاتب فى الـــدين أن يبرز فكرته فى سطور ، فذلـــك أفضل من ابرازها فى صفحات ..

وصفحة واحدة مركزة ، أفضل من خمس صفحات مطولة . وأبلغ الكتاب وأكثرهم تمكنا من موضوعه وأعرفهم بهدفه المباشر مما يكتب ، هو أقلهم كلاما وأوجزهم كتابة .

وكثير من القراء لا يطيقون قراءة الكتب الضخمة والمقـــالات المطولة ، وأكثرهم يفضـــل الكتب الصـــغيرة والمقالات المختصرة .

فاذا أراد الكاتب فى الدين أن يفيد قـــراءه بمـــا يكتب ، فليختصر ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وليملأ ما يكتبه بالمعلومات بدون حشو لا مسوغ له ، فان ذلك سيضاعف من عـــدد قرائه ويزيد فى فائدتهم .

ويجب أن يكون حريصا على ابراز الدروس والعبر الدينية التى تناسب الظروف الراهنـــة للشعب والوطن وللعقائد السائدة فى تلك الظروف .

فاذا كانت البلاد والامة فى ظروف حربية كالظـــروف التى تمر بالامـــة العربية وهى تدافع عن حقوقهـــا المشروعة ضد العـــدوان الاسرائيلى التوسعى الاستيطانى ، فلا بد من أن يكتب الكاتبون فى الدين بحـــوثا ودراسات لها علاقة بالجهاد .

وهناك بحوث لها أعظم الفائدة ، تستثير الهمم وتشـــحذ النفوس ، يمكن استنباطها من تعاليم الـــدين الحنيف . وعلى سبيل المثال لا الحصر يمكن الكتابة فى : الجهاد بالانفس ، الجهاد بالمال ، كيف يمكـــن اخراج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق التطبيق العملى ، الاسلام والحـــرب النفسية ، التولى يـــوم الزحف ، الشهيد فى الاسلام ، الحرب الشاملة فى الاسلام ، عقاب المتخلفين فـــى الاسلام ، الكتمان فى الاسلام ، ارادة القتال فى الجهاد ، بطولات اسلامية ، قادة الفتح الاسلامى ، واجب رجال الدين فى الحرب ... الخ ...

كمـــا أن الشباب وهم يعانـــون صراعا فكريا لا هوادة فيه ، محتاجون الى دراسات عن الفـــكر الاسلامى الاصيل ، وكيف يعالج هـــذا الفكـــر القضايا الاقتصاديـــة والسياســـية والاجتماعية والفكرية والعسكريـــة المعاصرة .

ان العقيدة لا تقـــاوم الا بعقيدة افضل منها ، وفى الاسلام مزايا لو أبرزها الكاتبون فى الدين كما ينبغى ، لاستطاعوا مصارعـــة الغزو الفكرى والانتصار عليه .

ولست أكتم ما يجول فى خاطرى حين أقرأ بعض المقالات الدينية التى كتبت فى الصحف بمناسبة حلـــول رمضان المبارك ، فكل مرة أقـــول لنفسى : « تـــرى ! أيعيش هـــؤلاء الكتاب فى الدنيا ، أم هم يعيشـــون فى الآخرة » ، اذ لا علاقة بـــين ما يكتبون وبـــين ظروف الامـــة والوطن !

وعلى الكاتبين فـــى الـــدين أن يبتعدوا عن الكلام المعاد ، وأن يفكروا فى المبتكر الجديد ، وأن يجودوا ما يكتبونه بالدراسة العميقة المستفيضة والتفكير العميق الصادق ، لكى يفيدوا ويستفيدوا .

وعليهم أن يفكروا بالهدف ممـــا يكتبون ، ويتوخوا هـــذا الهدف ولا

يحيدون عنه أبدا .

أما أن يكتب قسم منهم مقـالات أو بحوثا (مرنة) ، لا هدف لها ولا غاية ، تصلح للتهاني والتعازي في آن واحد ، وتصلح للمدح والقـدح في وقت واحد .. مقالات وبحوث عامة ، لا تضر عدوا ولا تفيد صديقا، يخيل اليك حين تقراها أن رائحـة (الجنيهـات) التي تقاضاها الكاتب مكافأة عن كتابتها ــ تفوح منها أكثر مما يفوح العلم والارشاد والتوجيه ، فان ما يكتب في مثل هـذا الحـال كارثة من كوارث الفكر ومصيبة من مصائب الدهر .

وهو بـدون ادنى شك يضر بالدين ويجعل الناس لا يقبلون على قراءة ما يكتب فيه وينشر عنه .

وعلى الكاتبين فـي الدين الا يقتصروا على الناحية السلبية فيمـا يكتبون ، بل عليهم أن يهتموا بالناحية الايجابية أيضا .

واقصد بذلك ، أن كثيرا منهم يقتصر على ذكر الحقائق المجردة ، دون أن يبدى رايه صريحا واضحا قاطعا في الحلـول العملية أو في التطبيق العملي .

فالذين يكتبون في الجهاد بالمال مثلا ، يجب الا يقتصروا عـلى ذكـر الآيات والاحاديث الواردة في ذلك وامثلة مما فعل السلف الصالح ، بالرغم من أن ذكر كل ذلك ضروري للغاية ومهم جدا .

بل عليهم أن يبدوا رأيهم في كيفية تطبيق الجهاد بالمال عمليا في مثـل هذه الايام : هل تتولى الدولة ذلك وكيف ، أم هل تتولى الدولة ولجان من الشعب وضع الجهاد بالمال في نطاق التطبيق العملي ، وكيف يتـم ذلك ؟

هل من المفيـد انشاء صناديق الجهاد ، وكيف السبيل الى ذلك ؟

أريد من الكاتبين في الدين ، أن يتحدثوا عن (المقدمات) وهي الحقائق الدينية المستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وآراء الائمة وأعمال السلف الصالح كما سجلها التاريخ الاسلامي العظيم .

ولكن هذه (المقدمات) المجـردة لا تكفي ، لانها تذكر الناحية السلبية فقط ، اذ يجب أن تقرر النتائج بعـد المقدمات ، وهذه النتائج هي : كيف يمكن تطبيق الناحية السلبية الواردة في المقدمات على الظروف الراهنـة لتكون أعمالا ايجابية فـي مجـال التطبيق العملي .

ان (المقدمات) لا تكفي بـدون نتائج ، والنظريات السلبية ناقصة بـدون اقتراح طريقة للتنفيذ الايجابي في مجال التطبيق العملي ووضـع الخطـة اللازمة للتنفيذ .

ان الكتابة في الدين تحتاج الـى الاخلاص للدين ، وتطبيق تعاليمه نصا وروحـا ، والعلم الراسخ بالدين واللغـة ، والصبر الجميل علـى الدراسة والتفكيـر العميق لتحديد الهـدف واقتناص الجديد ، وابراز الـدروس والعبر بالنسبة للظروف الراهنة ، وعدم الاكتفاء بالسلبية بل ابراز الايجابية .

وكل هـذا يحتاج الـى التفكير العميق والسهر الطويـل والصـبر الجميل والاخلاص النادر والعمـل الدائب والتنظيم الدقيق .

لذلك كان الكاتبون في الدين قليلين في كل زمان ومكان ، اذا أدخلنا في اعتبارنا أن هؤلاء الكاتبين أصحاب مدارس للدعوة وقادة طلاب دعـاة، وراجون ما عند الله من أجر لا ما عند الناس من مال .

يريدون وجه الحق ، والحق أحق أن يتبع . يقولون الحق ويغضبون له، ولا يغضبون من الحق ولا يخشون فيه لومة لائم .

وفي تطبيق هـذه المقاييس على الذين يكتبون في الدين اليوم ، فكم يبقى منهم في قوائم الحساب ؟!

شركات التأمين

من وجهة نظر الشريعة الإسلامية

للدكتور عبد الرحمن تاج

أعمال شركات التأمين نوعان :

الأول : تأمين على الحياة .

الثاني : تأمين على الاموال .

والتأمين في كلا النوعين مقتضاه ضمان السلامة . ولكن ذلك ليس معناه منع المخاطر والحيلولة دون أسباب التلف والهلاك ، فانه ليس في مقدور احد أن يصد طارق الموت اذا حل ، أو يمنع النوازل السماوية اذا عرضت ، فيكون من أكبر العبث وأعظم الحماقة أن تضمن السلامة في شيء من ذلك او يقبل هذا الضمان ممن يزعمه .

ان ضمان السلامة في مثل هذه الحالات ليس الا ضربا من المراهنات ، على معنى أن شركة التأمين تتفق مع من يتعاقد معها عقد تأمين على الحياة او المال على أنه ان وقع عطب أو تلف أو هلاك للشخص أو للشيء المؤمن عليه كان عليها تعويض تلك الخسارة بدفع ما التزمت دفعه من المال .

● من البحوث المقدمة لمؤتمر علماء المسلمين السابع الذى عقده مجمع البحوث الاسلامية في القاهرة .

وصورة التأمين على الحياة أن يعقد شخص مع الشركة عقدا على مقدار معين من المال لمدة محدودة من الزمن ، كخمسة آلاف جنيه لمدة عشرين سنة ، يلتزم الشخص ــ بهذا العقد ــ للشركة دفع ذلك المقدار على أقساط شهرية مثلا ، وتلتزم الشركة له دفع هذا المال كله أن تمت له السلامة الى نهاية المدة المحددة ، تدفع له هذ المـــال مع أرباحه الربوية أو من غير أرباح على حسب الشرط المتفق عليه ، وكذلك تلتزم دفع المال كله لورثته أو لمن يعينه خلفا له فى هذا المال اذا مات فى اثنـــاء المدة ، ولو لم يدفع من مال التأمين الا قســـــطا واحدا . ويلحق بالتأمين على الحياة التأمين ضد اصابة جزء من أجزاء الجسم .

أما التأمين على الاموال فصورته أن يعقد شخص مع الشركة عقدا تضمن له به سلامة داره ، أو سيارته ، أو أثاث منزله ، أو بضاعته التى فى متجره ، أو التى يريد نقلها من جهة الى أخرى فى البر أو البحر أو ما الى ذلك من مختلف الاموال ، ويلتزم صاحب المال المؤمن عليه أن يدفع للشركة ضريبة معينة من المال كل سنة أو كل شهر على حسب الشرط .

ويختلف مقدار هذه الضريبة على حسب المـــال المؤمن عليه الذى يتفق الطرفان على مقدار قيمته .

وهذه الضريبة لا يستردها صاحب المال على كل حال ، وانما تكون خالصة لشركة التأمين على خلاف الحكم فى اقساط التأمين على الحياة ، ثم تلتزم الشركة لصاحب المال المؤمن عليه بأن تدفع له قيمة هذا المال كلها اذا هلك أو تلف بحرق أو غرق أو غير ذلك ما دام عقد التأمين قائما ، ولو لم يدفع صاحب المال من الضريبة الا دفعة واحدة .

الحكم الشرعي في نوعي التأمين

لم يؤثر عن المتقدمين من علماء الاسلام كلام فى موضوع التـــأمين على الحياة أو على الاموال ، فلم يعرف لهم فيه قول بالحـــل أو الحرمة ، لأن هذا الضرب من التعامل لم يكن معروفا فى زمنهم فى المحيط الاســـلامى ولا فى المحيطات القريبة منه . لكنه ــ فى ظل قواعد الشريعة ومبادئها وعلى ضوء ما استنبطه العلماء المجتهدون من مصادرها من قيود وشروط ــ يمكن أن يوقف على حكم التأمين بنوعيه ، من وجهة نظر الشريعة الاسلامية ، بعد أن تعرف أوضاع هذا التأمين وآثاره القانونية ، وشروطه وقيوده العرفية التى تســـير عليها شركات التأمين ، وبعد أن يوزن ذلك كله بموازين الشريعة ، فى نصوصها التفصيلية ، وعموماتها الكلية ، وما استقاه الأئمة المجتهدون من مصادر الفقه الاسلامى من ضوابط وقوانين ، فان ذلك اذا أخذ على وجهه الصحيح ، وفهم فهما جيدا عميقا مستوعبا ، أمكن أن يستخرج منه حكم التأمين ، وكذلك حكم غير التأمين من كل ما يعرض فى الحياة من شئون لم يكن للفقهاء السابقين عهد بها من قبل .

وعلى هذا الاساس نقول : ان عقود التأمين على الصورة التى قدمناها ــ ليس لها مسوغ من الوجهة الشرعية الاسلامية ، حتى فى الحـــــالة التى لا يشترط فيها على الشركة ــ فى عقد التأمين على الحياة ــ دفع فوائد ربوية مع أصل مبلغ التأمين المتفق عليه لصاحب العقد على فرض بقائه حيا الى نهاية المدة المعينة ، فان العقد ذاته فاسد مشتمل على شروط فاسدة ، وعلى طريقة

يستباح بها أكل أموال الناس بالباطل ، ومثل ذلك يقال فى حكم التأمين على الاموال كما سيأتى بيان ذلك بالتفصيل .

هذا وقد أورد ابن عابدين — فى حاشيته على الدر المختار(١) — بحثا قيما استخرج به حكم الشريعة فى التأمين على الاموال ، لأنه هو الذى كثر السؤال عنه فى زمنه معبرا عنه باسم (السوكرة) وقد قال فى صورتها :

« انه جرت العادة أن التجار اذا استأجروا مركبا من حربى يدفعون له أجرته ويدفعون أيضا مالا معلوما لرجل حربى مقيم فى بلاده ، يسمى ذلك المال (سوكرة) على أنه مهما هلك من المال الذى فى المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن فى دارنا يقيم فى بلاد السواحل الاسلامية باذن السلطان يقبض من التجار مال السوكرة ، واذا هلك من مالهم فى البحر شىء يؤدى ذلك المستأمن للتجار بدله تماما » .

قال ابن عابدين : « والذى يظهر لى أنه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله ، لأن هذا التزام ما لا يلزم » .

أى أن ما لا يلزم شرعا لا يصح التزامه ولا الالزام به ، فلا يحل لمسلم أخذه ، ولا يجوز التعاقد عليه ، فان العقد حينئذ يكون فاسدا .

واذا كان هذا هو حكم عقد التأمين الذى يجرى بين مسلم ومستأمن ، من حيث أن المستأمن قد التزم أحكام الاسلام فى التعامل مدة بقائه فى دار الاسلام ، وانه لذلك قد صارت أمواله كأموال الذميين فلا يجوز أخذ شىء من ماله بغدر أو بعقد فاسد — اذا كان الامر كذلك بين المسلم والمستأمن فأولى أن يكون العقد (عقد التأمين) فاسدا ولا يحل أن يؤخذ به شىء من المال اذا جرى بين مسلم وذمى ، أو بين مسلم ومسلم .

وخلاصة القول أن المسلم ممنوع من الغدر ومن الاستيلاء على مال أحد بغير حق ، سواء أكان مسلما أم ذميا أم مستأمنا . ولا يحل له أن يعقد فى دار الاسلام مع أحد من الذميين أو المستأمنين الا ما يحل أن يعقده مع المسلمين .

هذا — وان وضع مسألة التأمين على الاموال على الصورة التى عرضها (ابن عابدين) واضح منه أن عنصر المستأمنين قام وسيطا بين التاجر المسلم والحربى الذى هو الطرف الآخر فى عقد التأمين . وقد علم أنه لا يجوز للمسلم مباشرة عقد فاسد فى دار الاسلام مع أحد من المستأمنين ولا يحل له أن يأخذ بهذا العقد شيئا من مال حربى أو مستأمن . فاذا لم يكن فى المسألة ذلك العنصر الوسيط المستأمن ، وأجرى عقد التأمين فى دار الاسلام بين المسلم والحربى مباشرة بطريق المراسلة ، أو أجرى بينهما فى دار الحرب بعد دخول المسلم مستأمنا فى تلك الدار أو أجرى بين الحربى وبين حربى آخر شريك للتاجر المسلم فماذا يكون الحكم من حيث صفة العقد ، ومن حيث استيلاء المسلم به على مال التأمين من الحربى .. ؟

و (الجواب) أنه فى دار الاسلام لا يحل للمسلم أن يعقد عقدا فاسدا مطلقا كما قدمنا .. وعلى هذا اذا عقدالمسلم عقد التأمين وهو فى بلد الاسلام بطريق المراسلة مع الحربى فلا يحل له أن يأخذ مال التأمين ولو كان القبض قد حصل فى بلاد الحرب لأنه انما يأخذه بناء على عقد فاسد وقع فى بلد الاسلام .

واذا كان العقد قد أجرى فى دار الحرب بين الحربى والتاجر المسلم الذى دخل تلك الديار مستأمنا فان هذا العقد لا يأخذ أحكام الاسلام هنالك ، لأن دار الحرب ليست دار أحكام . فاذا تم قبض المال هنالك أيضا جاز للمسلم أخذه

لأنه يكون أخذ مال لحربى برضاه . وأخذ مال الحربى برضاه جائز بكل حال ، وبكل وجه وسبيل ، حتى من طريق الربا والقمار ، ما دام ليس فى ذلك غدر فان الغدر ممنوع على كل حال .

أما اذا اتفق على أن يكون القبض فى بلد الاسلام بعد تمام العقد فى بلد الحرب فان تم القبض بتراض من غير خصومة جاز للمسلم أخذ المال ، كما جاز ذلك فى بلد الحرب .. وان كان هناك تناكر وخصومة فلا يسع القاضى المسلم أن يحكم بذلك المال الذى لم يكن التزامه الا لعقد فاسد .

ومن هذا يعلم أيضا حكم المسألة اذا كان للتاجر المسلم شريك فى التجارة حربى هو الذى أجرى عقد التأمين مع حربى آخر وقبض منه مال التأمين بعد هلال التجارة وبعث به الى شريكه المسلم فانه يحل له أخذه ، لأنه مال حربى أخذ برضاه بناء على عقد أجرى فى دار الحرب وتم فيه القبض هنالك .

مما تقدم يعلم أن الأصل فى الحكم بفساد عقد التأمين وعدم جواز أخذ المال الذى يدفع تعويضا عن الهالك أو التالف هو أن الشركة التى يطلب منها أن تدفع التعويض لا دخل لها ولا تسبب من قبلها فى ذلك التلف أو الهلاك ، ولم يكن منها غدر ولا تغرير بالشخص المتعاقد معها فى نفس أو مال ، فيكون الزامها بمال التعويض أكلا لأموال الناس بالباطل ، وذلك منهى عنه أشد النهى ..

(قد يقال) ان عقود التأمين تجرى دائما مع شركات مساهمة يمكن أن تعتبر شركات تعاونية على الخير والبر ، يتعاون أصحاب الاسهم فيها على تعويض الخسارة — التى تلحق أحدهم فى نفسه أو ماله — مما يدفعونه من أقساط شهرية أو سنوية ، تجمع وتستثمر لينفق منها فى مثل هذا الغرض .. وحينئذ تكون هذه الشركات شبيهة شبها قويا بجمعيات البر التعاونية التى يتكون صندوقها من اكتتابات شهرية مثلا لينفق منها على المحتاجين من أعضاء الجمعية بسبب توقف عن الكسب ، أو بسبب المرض أو غيره من الطوارىء التى يحتاج فيها الى المعونة .

والجواب عن هذا أنه لا يمكن قياس شركات التأمين على جمعيات البر التعاونية ، ولا يكفى لتصحيح هذا القياس أن يكون فى كلا الطرفين اكتتاب من الاعضاء المشتركين فى المنشأة بجزء من المال لينفق من المجموع على النحو المذكور ، فان الامر فى جمعيات البر التعاونية لا يخرج عن نطاق التبرع المحض من جميع المكتتبين ، والانفاق من المال المجموع فى الوجوه المخصوصة هو تبرع أيضا مبنى على تبرعات أعضاء الجمعية بتلك الاقساط ، فليس هناك الزام بواجب ولا التزام بحق يصح أن يكون محلا للتقاضى والخصومة والحكم به من حاكم يحكم بالشريعة الاسلامية . وليس الامر كذلك فى التعويض الذى تدفعه شركة التأمين لمن يصاب فى نفسه أو ماله فان عقد التأمين يوجب له بحكم القانون حقا على الشركة يستطيع أن يقاضيها عليه ، ويطلب — من أجله — الحكم عليها بجميع ما التزمت به ، تعويضا عن الخسارة التى لحقته ، وذلك الزام بشىء لا يلزم شرعا .

قد يقال أيضا : اذا كان التأمين غير جائز شرعا للمعنى الذى بين هنا وهو أن فيه التزاما والزاما بشىء لا يلزم شرعا ، وفيه أيضا استباحة لأكل أموال

الناس بالباطل ، فكيف يتفق ذلك مع ما اشتهر عن المرحوم الشـــيخ (محمد عبده) من انه أجاز عقد التأمين على الحياة مع اشتماله على ذلك المعنى عينه : « التزام لما لا يلزم شرعا وأكل للاموال بالباطل » .. ؟

نعم ، قد اشتهر عن الشيخ محمد عبده (رحمه الله) أنه قد أفتى في موضوع التأمين على الحياة فتوى أصدرها حينما كان مفتيا للديار المصرية ، ولم يعقب عليها أحد من العلماء ولا من غيرهم ممن تعنيهم شئون الاسلام(٢) .

وقبل الجواب عن ذلك يحسن أن نورد نص الســـؤال الذى تقدم به المستفتى الى دار الافتاء ونتبعه بنص الفتوى التى أصدرها الشـــيخ (محمد عبده) ثم ننظر في هذه الفتوى ومبلغ ما تدل عليه وما يمكن أن يتمسك به من منطوقها أو مفهومها ، لتقر الامور في نصابها ، وليهدأ بال الناس ويطمئنوا الى أحكام الشريعة وما ينبغى أن يقال في موضوع التأمين على الحياة أو على الاموال .

وهذا هو نص ما ورد في صوغ السؤال :

« سأل جناب المسيو هور روسل ، في رجل يريد ان يتعـــاقد مع جماعة (شركة) مثلا على أن يدفع له مالا من ماله الخاص على أقساط معينة ليعملوا فيها بالتجارة واشترط عليهم أنه اذا قام بما ذكر وانتهى آن الاتفاق المعين بانتهاء الاقساط المعينة ، وكانوا قد عملوا في ذلك المال وكان حيا فيأخذ ما يكون له من المال مع ما يخصه من الارباح ،واذامات في أثناء تلك المدة فيكون لورثته أو لمن له حق الولاية في ماله أن يأخذوا المبلغ تعلق مورثهم مع الارباح ، فهل مثل هذا التعاقد الذى يكون مفيدا لاربابه بما ينتجه لهم من الربح جائز شرعا .. ؟ نرجو التكرم بالافادة » ..

وقد أجاب الشيخ محمد عبده عن ذلك بما يلى وهو نص الفتوى المشهورة :

« لو صدر مثل هذا التعاقد بين ذلك الرجل وهؤلاء الجماعة على الصفة المذكورة كان ذلك جائزا شرعا ويجوز لذلك الرجل بعد انتهاء الاقساط والعمل في المال وحصول الربح أن يأخذ لو كان حيا ما يكون له من المال مع ما خصه في الربح وكذا يجوز لمن يوجد بعد موته من ورثته أو من له ولاية التصرف في ماله بعد موته أن يأخذ ما يكون له من المال مع ما أنتجه من الربح والله أعلم »(٢) .

هذه هي الفتوى التى اشتهرت عن الشيخ محمد عبده في موضـــــوع التأمين والتى كان يستخدمها أصحاب المصالح في الترويج لشركات التأمين وهى التى يستند اليها من يستشكل عليه الحكم بفساد عقود التأمين من وجهة الشريعة الاسلامية وأن أخذ مال التأمين من قبيل أكل أموال الناس بالباطل .

والمطلع على السؤال وعلى جوابه لا يرى فيهما شيئا يتعلق بموضـــوع التأمين على الحياة أو على الاموال ولا يجد في السؤال ولا في جوابه أثرا للاركان الاساسية التى يشتمل عليها كل عقد من عقود التأمين والتى بسببها يكون الحكم على تلك العقود بالفساد .

ان هذا السؤال لا ينطبق الا على نوع من الشركات الشرعية التى يكون المال فيها من جانب والعمل فيه بطرق الاستثمار التجارية أو الصناعية من جانب آخر ، وهو ما يسمى في عرف الفقهاء (بالمضاربة) كما يسمى بالقراض .

لم يعرض السؤال للعناصر الجوهرية في عقود التأمين ، مثل اشتراط أن تدفع شركة التأمين جميع المال المؤمن به ولو كان عشرات الآف أو مئات الآف

الجنيهات اذا حصل هلاك أو عطب لصاحب التأمين ولو لم يدفع من الاقساط المنجمة على عدة سنوات الا قسطا واحدا ، فان هذا الشرط هو صلب المخاطرة والمقامرة ، وهو الذى يلتزم به ما لا يلزم شرعا ويستباح به من المال ما ليس بحق ، وتؤكل به أموال الناس بالباطل .

ليس فى سؤال المستر (هور روسل) الذى تقدم به الى دار الافتاء تعرض لمثل هذا الشرط الذى يفسد به التعاقد ، ولم يعرض السؤال أيضا لنوع الربح الذى ينتج من استثمار المال ولا لطريقة هذا الاستثمار(٤) . والمفتى لا يسعه الا أن يجيب عما يعرض عليه من سؤال وليس عليه ذنب ولا تبعة اذا كانت فتواه تستخدم فى غير ما وضعت له الا اذا أعلم بذلك بعد وقوعه فلم ينكره أو كان يعلم من قبل أن فتواه الصريحة فى تجويز شركة المضاربة والقراض مثلا ستتخذ ذريعة للترويج لشركات التأمين .

واجب على المفتى فى مثل هذه الحالة الثانية أن يسد طريق الفساد على من يريده ، فيبين فى نص فتواه الحكم الشرعى — وان لم يكن مسئولا عنه — فى الموضوع الذى يظن استخدام فتواه فيه ، كموضوع التأمين .

قد يقال : ان أبوابا كثيرة فى الفقه الاسلامى — مثل أبواب الوديعة والاجارة والكفالة قد اشتملت على مسائل وصور عقود قرر الفقهاء الحكم بصحتها ، وبأنه يجب فيها ضمان ما يتلف أو يهلك من مال لأحد المتعاقدين على الآخر وهذه المسائل والعقود يمكن أن تقاس عليها مسألة التأمين على الاموال فيحكم فيها بصحة العقد ووجوب ضمان المال المؤمن عليه لصاحبه فى حالة التلف أو الهلاك .

ففى باب الوديعة قال الفقهاء : « انه اذا أودع شخص عند آخر وديعة وجعل له أجرا على حفظها فان المودع المشروط له الاجر يضمن هذه الوديعة اذا هلكت . فينبغى أن تكون مسألة التأمين على الاموال كذلك ، فان ما يدفعه صاحب البضاعة مثلا من مال لشركة التأمين يعتبر بمنزلة الاجرة على حفظ هذه البضاعة ، كأجرة المودع على حفظ الوديعة . فاذا هلكت البضاعة كلها أو بعضها كان على شركة التأمين ضمان ذلك » .

وفى باب الاجارة قال الفقهاء — فى الاجير المشترك ، وهو الذى لا يقصر نفسه على العمل — لشخص بعينه كالخباز والطحان والكواء والخياط — انه مسؤول عن سلامة ما فى يده من مال للمستأجر فاذا تلف شىء منه كان عليه ضمانه . وعلى هذا يمكن اجراء هذا الحكم فى مسألة التأمين على الاموال فتكون شركة التأمين بمنزلة الاجير المشترك الذى يضمن المال لصاحبه اذا تلف أو هلك .

وفى باب الكفالة قال الفقهاء أيضا : « انه اذا كان رجل معه مال يريد الانتقال به من بلد الى بلد آخر وهو يخشى اللصوص وقطاع الطريق ولا يدرى أى الطرق المأمون وأيها المخوفة فأشار عليه رجل بسلوك طريق معين وقال له : « اسلك هذا الطريق فانه طريق مأمون ، ولو أخذ مالك فيه فأنا ضامن له ، فانه يجب عليه ضمان ذلك المال اذا أخذ من صاحبه فى ذلك الطريق » .

فهذه مسألة يمكن أن تكون من المسائل أو أقرب المسائل التى ينبغى أن تحمل عليها مسألة التأمين على الاموال التى يراد نقلها بالبر أو البحر أو التى يؤمن عليها فى المتاجر أو المصانع أو المنازل خشية الحرائق أو السرقات أو ما شابه ذلك .

هذه هى المسائل التى يمكن ان يتعلق بها من يريد اباحة عقود التأمين على الاموال ممن يأخذون الامور اخذا ظاهريا من غير بحث ولا تمحيص .

لكن هذه المسائل جميعها لا يصح التمسك بشىء منها لاباحة التأمين اذا أخذت على أصولها وفهم فهما جيدا ما قاله العلماء فيها .

وذلك أن مسألة الوديعة على الصورة التى قدمناها — وهى ما تكون بأجر على الحفظ — لا يثبت فيها ضمان المال بالتلف أو الهلاك فى كل حال . انما ذلك فى الاحوال التى يمكن فيها الاحتراز عن أسباب الهلاك أو التلف . فأما اذا كان السبب مما لا يمكن الاحتراز عنه كالموت والغرق فلا يجب فيهما ضمان على المودع . واذا لا يفيد شيئا حمل عقود التأمين على هذه الوديعة ، فان مقتضى عقود التأمين وجوب ضمان المال فى كل حال وبكل سبب من أسباب الهلاك ، من غير فرق بين ما يمكن الاحتراز منه وما لا يمكن . بل ان الغالب فى هذه العقود أنها مقتضية للضمانفى الاحوال التى لا يمكن فيها الاحتراز من أسباب الهلاك ، كما هو معروف .

على أنه لا يمكن اعتبار المال المؤمن عليه وديعة عند شركة التأمين ولا يمكن اعتبار هذه الشركة أجيرة على حفظه حتى يصح قياس مسألة التأمين على مسألة الوديعة ، فان المال المؤمن عليه ليس فى يد الشركة ولا تعلق للشركة به ، فليست المتاجر والمخازن والمصانع التى فيها المال المؤمن عليه أماكن لشركات التأمين ، وليست البضائع المنقولة فى البحر محمولة فى مراكب هذه الشركات ، فلا علاقة لهذه الشركات بالمال المؤمن عليه بحال من الاحوال ، واذا لا يكون هناك وجه شرعى لايجاب الضمان عليها فى حالات العطب أو الهلاك ، فانها ليست جهة مودعة عندها الاموال ، ولا أجيرة على حفظها .

ثم اذا كانت شركة التأمين هى صاحبة المراكب التى تنقل عليها البضائع فى البحر مثلا فانه يمكن اعتبارها أجيرة على النقل وعلى الحفظ من قبيل الاجير المشترك الذى تقرر فى الفقه الاسلامى حكمه ، وهو أنه لا يجب الضمان عليه فى حالات التلف أو الهلاك اذا كان سبب ذلك مما لا يمكن الاحتراز عنه .. وليس كذلك الحال فى عقود التأمين كما علمنا .

بقى الكلام فى المسألة الاخيرة التى قلنا إنها أقرب المسائل التى قد يتعلق بها من يريد اباحة التأمين على الاموال ، وهى مسألة الكفالة وضمان سلامة الطريق ، والحكم الذى قرره الفقهاء فيها هو أن من أشار على صاحب مال بسلوك طريق معين ملتزما ضمان المال اذا هلك من صاحبه فى ذلك الطريق لا يجب عليه ضمان شىء الا اذا كان صاحب المال لا يعلم حقا ما فى الطريق من خطر وكان المرشد لسلوكه ذلك الطريق يعلم جيدا ما فيه من معاطب ومخاوف فانه اذا كان الامر كذلك كان المرشد للطريق غاشا غارا صاحب المال ، فيغرم ما ضاع منه ، أما اذا كان المرشد لا يعلم ما فى الطريق من خطر ، بل كان يعتقد امنه وانه ليس فيه ما يخاف ويحذر فليس عليه ضمان شىء . وكذلك اذا كان المرشد يعلم بخطر الطريق وكان صاحب المال يعلم ذلك أيضا فانه لا ضمان على المرشد ، لأن صاحب المال فى هذه الحالة يكون هو الذى عرض ماله للضياع ، فانه ليس أحد أحرص على المال ولا أحفظ له من صاحبه ، فارشاد المرشد فى هذه الحالة لم يأت بشىء جديد ولم يحصل شيئا كان غير حاصل ، فلا يكون موجبا لضمان .

(وبعد) فان استقصاء قواعد الشريعة وأحكامها وما بنيت عليه هذه القواعد والاحكام من نصوص خاصة وعمومات شاملة يثبت أنه لا يجب على أحد ضمان مال لغيره بالمثل أو بالقيمة الا اذا كان قد استولى على هذا المال بغير حق أو اضاعة على صاحبه ، أو افسد عليه الانتفاع به بطريق المباشرة أو التسبب ، ولا شيء من ذلك بمتحقق فى شركة التأمين التى يقضى التعاقد معها أنها تضمن لصاحب المال ما يهلك أو يتلف أو يضيع بغرق أو حرق أو بفعل اللصوص وقطاع الطريق أو ما الى ذلك ، سواء أكان ذلك مما يمكن الاحتراز عنه أم لا .. وتضمين الاموال بهذه الصورة شيء لا تعرفه الشريعة الاسلامية العادلة التى لا تقر الغبن والحيف ولا تبيح أكل أموال الناس بغير الحق .

شركات التأمين لا علاقة لها مطلقا بالاموال المؤمن عليها ، وكل عملها أنها تكون من أقساط التأمين — التى تجمعها من المتعاقدين معها أصحاب تلك الاموال — رأس مال كبير توجهه للاستربحاح فى قروض وغير قروض ثم تدفع من أرباحه العظيمة ما يجب عليها قانونا من تعويضات عن الخسائر التى لحقت الاموال المؤمن عليها . وليس للشركة دخل فى أسباب هذه الخسارة لا بالمباشرة ولا بالتسبب فمطالبتها بتعويض الخسارة ليس لها وجه شرعى ، كما أن الاقساط التى تجمعها من أصحاب الاموال بمقتضى عقد التأمين ليس لها وجه شرعى أيضا .. فهذه اشتراطات والتزامات فاسدة ، والعقد اذا اشتمل على شرط فاسد كان فاسدا .

ان شركات التأمين هى شركات استرباح بارعة ، رأس مالها فى أغلب الامر هو ما تجمعه من أقساط من أصحاب عقود التأمين ، تستغل هذه الاموال وتستثمرها ، والارباح التى تستفيدها منها أعظم بالضرورة مما تخسره فى حالات التعويض لمن تلحقهم خسارات فى الاموال المؤمن عليها . وذلك أن أعمال شركات التأمين مبنية على دراسات دقيقة واحصاءات شاملة لوسائل النقل فى البر والبحر وحالات السلامة وحالات العطب فى الظروف العادية وأوقات السلم والامن . هذه الدراسات والاحصاءات تثبت أن مرات العطب والتلف قليلة جدا ، بل هى نادرة بالنسبة لمرات السلامة ، فلا يضير شركات التأمين أن تعوض من كسبها الواسع عن خسارة هذه الحالات النادرة ، ثم يكون لها الباقى ربحا خالصا .

هذا شيء واضح ومعهود فى شركات التأمين على الاموال . ومثله يقال فى شركات التأمين على الحياة مهما اختلفت الاساليب وتنوعت الطرائق والشروط .

وخلاصة القول أن تعاقد شركات التأمين على الارواح أو الاموال لا يمكن أن يدخل فى باب صحيح من أبواب المعاملات الشرعية .. وغاية ما يمكن تصويره به أنه من قبيل النوع الثالث الذى أشرنا اليه وهو ضمان أمن الطريق فيكون ضمانا لسلامة الانفس والاموال ، وقد قلنا فى ذلك النوع الثالث : « انه لا يثبت فيه الضمان شرعا الا اذا كان هناك تغرير من هذا الضامن بأن كان يعلم ما فى الطريق من مخاوف ومعاطب ، وكان صاحب المال الذى يسلك به الطريق — بناء على ذلك الارشاد — لا يعلم أصلا بهذه المخاوف والمعاطب . فضامن

السلامة حينئذ يجب تضمينه المال الهالك ، بسبب التغرير الذى كان منه لا بسبب آخر ، والتغرير منتف فى موضوع عقود التأمين .

(وبعد) فهذه أوضاع شركات التأمين .. والقوانين الوضعية قد أباحت طرق الكسب التى تجرى على مثل هذه الاوضاع ما دام يتفق عليها المتعاقدان ، والاتفاق شريعة المتعاقدين فى نظر هذه القوانين ..

لكن الشريعة الاسلامية لها أوضاعها وأحكامها الخاصة .. وقد قيدت أنواع المعاملات بين الناس بشروط لا يسوغ الاخلال بها ، أو الاتفاق على خلافها .

واذا كانت القوانين الوضعية لا تقر أى اتفاق أو تعاقد بين اثنين اذا كان مخالفا للنظام العام ، فأحكام الشريعة الاسلامية المقصود بها التعامل بين الناس جميعا يجب ملاحظة أنها من النظام العام الذى لا يجوز الاخلال به أو الاتفاق على خلافه .. والله أعلم ..

---

(١) حاشية « رد المحتار على الدر المختار » فى « فصل استئمان الكافر » من باب المستأمن (الجزء الثالث ص ٣٤٥ — ٣٤٦) .
وابن عابدين هو من علماء القرن الثالث عشر الهجرى اى انه لم يكن من المتقدمين الذين قررنا انه لم يؤثر عنه كلام فى موضوع التامين .

(٢) بالرجوع الى السجلات الرسمية لدار الافتاء يعلم أن هذه الفتوى صدرت فى شهر صفر من سنة ١٣٢١ بناء على طلب من يدعى الخواجة (هور روسل) ويعلم أيضا أن شخصا آخر له مصلحة من وراء هذه الفتوى تقدم الى دار الافتاء يطلب صورة منها ، وانه أجيب الى طلبه من غير توقف ، وكان ذلك فى شهر ذى القعدة من سنة ١٣٤٧ (مايو سنة ١٩٢٩) على عهد مفتى الديار المصرية المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم .

(٣) وقد حررت صورة من هذه الفتوى بأذن من مفتى الديار المصرية المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم واعطيت للخواجة (جورج فوشيه) وكيل شركة التامين على الحياة (لاجنفواز) بناء على طلبه .

(٤) نعم لم يعرض السؤال لنوع الربح ولم يبين هل هو جزء نسبى من الارباح الحاصلة من عمل الشركة ، كعشرة أو خمسة فى المائة مثلا من هذه الارباح أو جزء نسبى من المال المدفوع للشركة لتعمل فيه ، كان يشترط لصاحب المال من الارباح ما يساوى عشرة فى المائة مثلا من المال الذى دفعه للشركة ، وفرق كبير بين الامرين هو الفرق بين الحلال والحرام .
هذا ولا شك أن الجارى فى عقود التامين هو النوع الثانى الذى يكون فيه الربح المشروط جزءا نسبيا من رأس المال المدفوع للشركة وهو المحرم باجماع المسلمين . لكن السؤال قد أخفى هذه الحقيقة الواقعة ليلقى بذلك الابهام ستارا على النقط المحرمة التى توجب فساد العقد شرعا .

أهداف مجتمع الإسلام

للدكتور : مصطفى عبد الواحد

لتجمع الناس بعضهم مع بعض مقاصد يحصل بعضها بالضرورة ، ويتحقق باقيها بالارادة والمعاناة ..

فقد كانت نزعة التجمع الانسانى صادرة عن الشعور بالحاجة الى تضافر الجهد على تحقيق المطالب الضرورية التى لا يقدر عليها الانسان منفردا ، من أمر معاشه وقوامه ..

وهذا الضرب من الاجتماع — كما يقول ابن خلدون — « ضرورى للنوع الانسانى ، والا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه اياهم (١) ..

فهل للاسلام من هدف فريد حين يقيم مجتمعه ويبنى صرحه على أساس من العقيدة ويشيد دعائمه على وحيها .. ؟

أو : ما الغايات الفذة التى يبتغيها الاسلام من تحقيق منهجه الاجتماعى وصبغ المجتمع بصبغته ؟

* * * *

يمكن القول إن الاسلام فى بنائه لمجتمعه يهدف الى اقامة الحياة المتوازنة

التى تتجلى فيها خصائص الفطرة وتتسق مع دور الانسان فى الحياه .

والأنظمة الاجتماعية تختلف باختلاف فلسفاتها وأسسها الفكرية ، كما تختلف باختلاف أهدافها وغاياتها القريبة والبعيدة ، والاسلام يقيم مجتمعه على أساس نظرته الى الانسان وادراكه لرسالته وخصائصه .

انه يرى فى الانسان كائنا متميزا ، يجمع الى طاقاته المادية التى تقتضيه الالتفات اليها واجابة ندائها ، طاقات روحية تدفعه الى غايات سامية ذات صدى بعيد فى كيانه .

إنه ليس حيوانا يصغى إلى صوت غرائزه فحسب ، عاكفا على اشباع رغائبها وتحقيق مطالبها ، كما انه ليس ملكا يتسامى عن المادة وينطلق من آصارها ..

ولهذا فان كيان الانسان الحق لا بد أن يقوم على رعاية كلا الجانبين والوفاء بحاجاته المادية والمعنوية ..

فلا بد للمجتمع المسلم أن يبرز الأهداف الروحية وأن يوليها من الرعاية والاهتمام ما يولى الأهداف المادية التى تعد ضرورة للانسان ..

وهو بهذا مجتمع متميز فى منهجه عن المناهج الاجتماعية قديمها وحديثها ، فلا يقصر نظره على مطالب المادة ، ولا يسعى نحو رفاهية العيش فحسب ، ولكنه يقرن ذلك ، بل يؤثر عليه ، أن يمكن الانسان من عبادة خالقه وأن يرشده فى مسلكه فى الحياة ، وأن يصحح اتجاهه فى دنياه ويحول بينه وبين الغواية والشقاء ..

* * * *

والآية التى تحوى شعار المجتمع الاسلامى وتوجز أهدافه هى قول الله سبحانه :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٢) » ..

فنلمح فى أنوارها الغايات التى يبتغيها الاسلام من مجتمعه والأهداف التى يوجه اليها أبناءه ..

انها تعلمنا أن المجتمع المسلم ليس مجتمع كلأ يتجمع أفراده على مثل ما يتجمع عليه الحيوان ، وليس مجتمعا قصير النظر يلتفت الى أحد جوانب الانسان ثم يعشو عن أخطر الجوانب وأولاها بالاهتمام ، فيخطىء فى تقدير الانسان ويضل فى توجيهه ..

بل هو قبل كل شىء مجتمع مبادىء صالحة ، عليه أن يستمسك بها وغايات شاملة لكل جوانب الحياة الانسانية عليه أن يسعى نحوها .

فعليه أولا أن يحقق قيام الحياة الانسانية على الايمان بالله سبحانه والخضوع لارادته والنزول على حكمه وابتغاء رضوانه ، ثم يتجه بالبشرية الى أقوم ما يمكن أن يرقى إليه البشر ويسمو بها الى آفاق الحياة الكريمة المتوازنة .

ولذلك يحقق الخير ويدعو اليه ، وينأى عن الشر وينهى عنه ، ويقيم نظمه وبرامجه على أساس المبادىء الأخلاقية التى تصل بالفرد الى المستوى الذى يصلح له ..

* * * *

ثم يسمو الاسلام بمجتمعه إلى الأفق الانسانى الشامل ، فيجعل عليه واجبا بعد أن ينجح فى اصلاح نفسه وتقويم بيئته ان يمد النظر إلى الآفاق المظلمة فى الأرض ، فى كل مجتمع يشقى بجهله ويتعثر فى سعيه ويضل فى اتجاهه فيرشد ويدعو ويبين ويصلح ، حتى يعم الخير فى الأرض ويسعد الانسان فى كل مكان .

وهذا ما يدعو اليه القرآن بقوله مخاطبا جماعة المؤمنين :

« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم ، فنعم المولى ونعم النصير » (٣) ..

وفى ذلك تبدو نظرة المجتمع المسلم الى خير الانسانية جميعا وسعيه الى إسعاد البشر ، لايقف عند حدود ضيقة ولا يبتغى نفعا قريبا ، فما دام فى الأرض جهل وانحراف ، وما دام فيها ظلم وفساد ، فان على المجتمع الاسلامى واجبا لا يسقط ، وعبئا لا يخف ولا يهون . ومن هنا يفترق المجتمع الاسلامى عن غيره من المجتمعات التى لا تلتزم بواجب انسانى ولا تتحمل رسالة منزهة عن الهوى والغرض ، من أجل نفع الانسان والأخذ بيده إلى الخير والرشاد .

بل تقتصر تلك المجتمعات على أهداف مادية محدودة لا تعدو تحقيق الرفاهية والمتاع لأبنائها أو بعض أبنائها ، على خلاف فى أنماط المجتمعات .

* * * *

والمجتمع المسلم يهدف فى سعيه الأول إلى ان يحقق وجود الانسان ذى الفطرة الصحيحة ، وأن يعينه على أن يحيا الحياة المتوازنة التى أرادها الله للانسان . فهو مجتمع يدرك حقيقة الانسان ويضع برامجه وفق ما يلائم فطرته ، ويمكنه من أن يؤدى واجبه ويحيا فى نطاق الأصيل .

والانسان فى كل زمان بحاجة الى ذلك المجتمع الذى يحول بينه وبين تدمير نفسه والتردى فى مهاوى الشقاء . فربما يبتهج الانسان حين يحيا فى بيئة تفتح له أبواب الشهوات ، أو تتيح له أن يصنع ما يشاء ، ولكنه لن يسعد بذلك أبدا ولن يستقيم .

إنه حقا بحاجة الى البيئة التى تضع له علامات فى طريقه ، تنذره بمواطن الخطر ، وتوصد أمامه سبل الهلاك ..

وذلك ما يصنعه المجتمع المسلم بالانسان ..

إنه يرسم له اطارا لا يتعداه ، يحرص فيه على اشباع ضروراته وتلبية نداء فطرته ، والارتقاء بالانسان الى الغايات التى ترشحه لها مواهبه وخصائصه

ثم يقوم حارسا على الانسان أن يطغى أو يحيد ، بوسائل مختلفة فيها العظة والاقناع ، وفيها كذلك الضوابط والحدود .. فلا يجد الانسان أمامه الا أن يسير فى الطريق المعبد ، دون أن تجره قدماه إلى المتاهات ..

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (٤) » ..

وهذه الغاية ـــ من بناء الفرد الصالح ورعايته ـــ من أهم غايات المجتمع

الاسلامى التى يشير اليها القرآن الكريم ويوجه اليها انظار المسلمين فى كل زمان ..

يقول الله سبحانه :

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (٥) » ..

وفى هذا إجمال لمقومات الفرد المسلم التى يجب أن تتضح فى صورة المجتمع كله ، من أداء لحق الله سبحانه متمثلا فى اقامة الصلاة ، وأداء لحق الانسان متمثلا فى ايتاء الزكاة ، ورعاية للأهداف الخلقية والاجتماعية متمثلا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

والفرد لا يستطيع أن يتمثل ذلك كله فى غير المجتمع الاسلامى ، إذ يحال بينه وبين تلك المبادىء الصالحة ، وينساق وراء مجتمعه فى سعيه نحو الأهداف المادية حتى لا يتخلف أو ينقطع ..

فلم يكن بامكان المسلم فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة ان يكون صورة لتلك المبادىء التى يريدها الله من عباده المؤمنين . ولهذا أشار القرآن الكريم الى أنه لا يطالب المسلمين بتحقيق تلك المبادىء إلا حين يظلهم لواء التمكين فى الارض وتجمعهم ساحة المجتمع الذى يمثل مبادىء الاسلام .. « الذين إن مكناهم فى الأرض » ..

ومغزى ذلك أن الانسان فى المجتمع الاسلامى يكتسب قوة غير قوته حين يعيش وحيدا ذليلا ، فى مجتمع لا يؤمن بالحق ولا يعمل له ، وتتفتح أمامه سبل للعمل والجهاد ليست له حين يحيا على هامش الحياة لا يشارك ولا يتحمل . والمجتمع الاسلامى يحمل على كاهله أن يأخذ بيد كل فرد الى ما يحسن ، وأن يدفعه الى تزكية نفسه قدر ما يستطيع فهو « مجتمع الانسان » بأقصى ما تحمله تلك الكلمة من معان وايحاءات .

وتبدو بين غايات المجتمع المسلم غاية مضيئة لها قداستها فى كل جيل وقبيل ، تلك هى إقامة الحق ورعاية العدالة بين العالمين .

فما عرفت الدنيا مجتمعا يبتغى إقامة الحق منزها وتحقيق العدالة بين الكافة كالمجتمع المسلم .

لقد كان منطق القوة يسود مجتمعات الأرض ، فترعى العدالة لنفسها وتنكرها على سواها ، وتحرص على حقوقها بينما تدوس حقوق الآخرين .

ولكن القرآن كان يرى فى قيام مجتمع يؤمن بالله ويحترم إرادته صيانة للعدالة فى الأرض وانصافا للخلائق أجمعين .

ولهذا كان الخطاب فى القرآن يتجه الى المؤمنين يذكرهم بتلك الغاية الجليلة المرجوة من مجتمعهم والتى لن يفلح فيها سواه ..

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (٦) » ..

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (٧) » ..

وكان الاتجاه الى تلك الغاية حاسما صارما ، لا حيدة عنه ولا هوادة فى الاستمساك به .

مما كان يجعل الوحى الالهى يرقب سعى المجتمع الاسلامى الوليد نحو تلك الغاية ويحمى خطواته اليها ..

فقد نزلت آيات من الكتاب الكريم فى حادثة هينة ، يحدث مثلها الكثير كل يوم فى أنحاء الارض ، وهى اتهام البرىء ومحاولة المذنب الافلات ، ولكن القرآن يرى فيها شائبة تحط من قدر العدالة ، وربما جعلت قيم الحق تهتز فى النفوس .

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا ، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ، ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا » ..

فاذا علمت ان المتهم الذى نزلت تلك الآيات فى حرارتها وقوتها تدافع عنه وتبرىء ساحته ـ كان من اليهود وقد كانوا من ألد أعداء الجماعة الاسلامية اتضحت لك غاية جليلة من غايات المجتمع الاسلامى ، وهى رفع لواء العدالة فى عالم تسوده الأهواء وتنتشر فيه المظالم ..

وكان ذلك الهدف من بين أهداف المجتمع الاسلامى مقياسا صادقا لاستقامة السير وصواب الهدف فى كل أجيال ذلك المجتمع ..

فما دام الحق والعدل لواء يخفق فى ذلك المجتمع ، فهو على صواب ورشد ، وهو فى هدى ونور ..

أما اذا زاغ المجتمع عن الحق ولم يتحر العدالة فى بنيانه وفى سلوكه فهو حينئذ منحرف عن القصد جائر عن الطريق ..

وقد كان استمساك المجتمع الاسلامى بتلك الغاية فى العصور الأولى لمجتمع الاسلام يثير الاعجاب فى كل الانحاء ..

ويبدو ذلك جليا فى معاملة المسلمين لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ممن كانوا يخالطونهم .

فقد كانت العدالة المنزهة تتضح فى كل تصرف بين المسلمين وبين غيرهم حتى فى المواقف التى قد يحمد فيها التشفى والانتقام ..

لما فتح المسلمون خيبر أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود فيها على أن لهم الشطر من كل زرع ونخيل وشىء ..

وكان عبد الله بن رواحة يأتيهم كل عام فيخرجها عليهم ثم يضمنهم الشطر ، فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا أن يرشوه فقال : يا أعداء الله تطعمونى السحت ! والله جئتكم من عند أحب الناس الى : ولأنتم أبغض الى من عدتكم من القردة والخنازير ، ولا يحملنى بغضى اياكم وحبى اياه على أن لا أعدل عليكم !!

فقالوا : بهذا قامت السموات والارض (٨) !!

ان هذا الاحساس المرهف لم يكن أثر قانون أو دراسة اكتسبها المسلمون ، ولكنه فعل العقيدة الاسلامية وأثر فكرة الاسلام الاجتماعية التى تضع أمام المسلمين تصورا كاملا لغايات الاسلام وأهدافه . وتجعل إقامة العدل فى قمة الأهداف ..

وكم من شعوب بلغت درجات عالية من العلم والحضارة لكنهــا لم تتعلم كيف تمسك بميزان العدالة مع الناس جميعا ، فآمنت بحقوقها وأهدرت حقوق الآخــرين ..

* * * *

أهــداف فــذة :

وحين نلقى نظرة تاريخية الى مختلف الاهداف والغايات التى ابتغتها شتى المجتمعات الانسانية قبل المجتمع الاسلامى وبعده ، يتضح لنا حقا أن المجتمــع الاسلامى يمتاز عليها جميعا بخصائصه الشاملة ونظره المحيط ونزعته الانسانية المخلصة ..

كانت المجتمعات التى عرفها التاريخ قبل المجتمع الاسلامى شقية بائسة ، يسودها تحكم الفرد واستعلاؤه ، وتضلها نزواته وأهواؤه ، وتذلها مشيئتــه وارادته ..

كانت مجالا للصراع يلتهم فيه القوى الضعيف وتستعلن ضراوة الظلم ، وتذوى فيه مشاعر التراحم ويخفت صوت العدل ..

كانت الحروب تستعر من أجل هوى فرد ، وقودها الشعوب المنهكــة التى لا تملك أمرها ولا تبصر طريقها ..

وكانت الثروات وقفا على أولى البأس ، لا ترتبط بالعمل ولا ترتكن الــى الجهــد ..

وكان الناس فى تلك المجتمعات جماعات تتطاحن تهلكها رحى الحياة الدائرة، لا يملكون من العواطف والمشاعر والآمال ما يخففون به عن أنفسهم وطأة الحياة التى كانت تبدو لهم عبئا ثقيلا لا يقدر عليه الا أولو البأس القادرون على الصراع .

لا تجد فى تلك المجتمعات من وضع نصب عينيه المبادىء التى يصلح عليها أمر الانسان أو استهدف الغايات الانسانية الشاملة التى ينبغى أن يتجمــع عليها البشر . والتاريخ على ذلك شهيد ..

هؤلاء اليونان .. أقدم البشر عهدا بالفلسفة وأحفلهم بالحكمة والمعرفــة لم يستطيعوا أن يقيموا مجتمعا يحقق آمال الانسان أو يصل به إلى الطمأنينــة والسعادة ..

حقا .. لقد حاول فلاسفة اليونان ذلك وذهبوا يضعون للمجتمع ما يرون من الوسائل والغايات ، ولكن الخيال جنح بهم الى آفاق بعيدة ، ولم يكن بمقدورهم ادراك العناصر الكاملة التى تصــلح أن تكون واقعا كريما يحيــا فى ظلاله البشر ..

فقد تصوروا مدينة فاضلة تقوم على طبقات مختلفة ، وفرقوا بين البشر باعتبارات لا يد لهم فيها ، ولم يسلموا بمبدأ المساواة بين بنى الانسان ، بل رأوا فى الرق نظاما أمثل يصلح أمر المجتمع .. ونظروا الى المال نظرات قاصرة لا تصل بالمجتمع الى التكافل ، ولا تحل مشكلة الغنى والفقر .

وكفاهم أنهم لم يضعوا للحياة المنهج العملى الذى يتلاءم مع واقع الناس ويرعى مصالحهم ..

لذلك لم ينجح الفلاسفة فى بناء المجتمع اليونانى ، فلم يسعد ذلــك المجتمع

ولم يسعد غيره ، بل كانت الحروب المستعرة تستهلك المشاعر والموارد ، وتلقى بالناس فى أتون مهين ..

أما الامبراطورية الرومانية فقد كانت مادية طاغية تتعبد للقوة وتمجد الغالب ولا تقيم للشعوب وزنا ، لم تحفل بالقيم الانسانية ولم يثبت فيها للأخلاق بناء ..

وقد استمرت قبضتها الظالمة على شعوب كثيرة ، لم تلق منها خيرا ولم تنج من جبروتها وبأسها ، ولم تسعد بالحياة فى ظلالها ، حتى أفل نجمها وتقلص ظلها بعد ضعف ووهن ..

* * * *

وقد كانت الفترة التى سبقت ظهور الاسلام فترة مظلمة حقا فى تاريخ المجتمع الانسانى ، كانت تلك المجتمعات قد فقدت حق البقاء ولم يعد فى مقدور مجتمع منها هداية الانسان أو اسعاده ..

كانت المظالم والصراع والفوضى تنتاب شعوب الأرض ..

وكانت الدنيا أشبه بغابة واسعة يفترس فيها الأشداء من هم أقل منهم قوة .

وكانت صلة البشر بعضهم ببعض لا تعود الى حق أو عدل ..

والشعوب قد خفت صوتها فى مواجهة الطغاة ، لا تجد ملجأ ولا تهتدى لمنجى يقيها اليأس والهوان ..

حتى جاء الانسان ليبدأ فى كتاب الحياة صفحة جديدة ، وليقيم من الارض مجتمعا مثاليا يصدر عن ارادة الله وينقاد لحكمه ..

مجتمع فاضل حقا .. اذ يقوم على مبادىء صالحة وحقائق لا تتبدل ولا تختلف ...

مجتمع « عادل » لانه يبتغى انصاف الانسان وحفظ حقوقه ، وتحطيم قبضة الجبابرة التى تمسك زمام الشعوب المستضعفة ولأنه يطبق شريعة الله التى حكم فيها بين عباده .. « ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون (٩) ..

مجتمع رحيم ، لأنه يبنى كيانه على أساس أخوة البشر وتكافل الأقوياء والضعفاء ، فلا يجمع بين قطعان متنافرة أو ذئاب متناحرة ، بل يستثير فى بنى الانسان أرق وأندى ما تشتمل عليه نفوسهم من مشاعر ، ويجعل من الغايات الروحية التى يلتقى عليها أفراده سياجا يجمع بين الناس برباط لا ينفصم : « وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم (١٠) » ..

* * * *

مقارنة :

وحين نبحث عن غايات المجتمعات المعاصرة ندرك أيضا تفوق المجتمع الاسلامى عليها وامتيازه بالمزاوجة بين الروح والمادة ووضعه قيما عليه يحرص على تحقيقها ..

ان الحضارة الحديثة لا تجعل لمجتمعاتها غاية أكثر من بلوغ أفرادها

أقصى غاية المتاع واللذة ..

ولا تحفل بالمشاعر الانسانية والقيم التى ترتفع عن المادة وتستعلى على نطاقها .

وذلك قدر مشترك بين المجتمع الرأسمالى والمادى ، على اختلاف فى الوسائل والبرامج .

ففى الغرب يعيش الناس بلا أهداف ولا قيم ، حيث تتبدل الأخلاق وتتغير الموازين ، وتقفر النفوس من الخير وتشتد حدة الصراع ..

ورغم التقدم فى وسائل الحياة وأساليب المتاع ، فان مضمون الحياة نفسها أو الاحساس بقيمها فى هبوط واضطراب ..

ولم يستطع ذلك المجتمع رغم الغنى والرفاهية أن يقضى على الفقر ، ويأخذ بأيدى العاجزين أو يخفف عن الناس قسوة الصراع على موارد الحياة .. ذلك لأنه لا ينظر الى الحياة الانسانية النظرة الكاملة ولا يأخذ فى اعتباره حقيقة الانسان .. فهو فى طريقته يصادم الفطرة ويبدل الأصول الثابتة فى حياة الانسان .

ويدلنا على حالة ذلك المجتمع الغربى ما يسوده من أمراض نفسية وخلقية وما يشيع فيه من جريمة وفساد ..

أما المجتمع المادى فى أنحاء الأرض ، رغم ما يسوده من شعارات وما يغمره من حماسة فهو مجتمع شقى بائس !

فما معنى أن يصير الانسان — فى سعيه الى القوت — عبدا للآله ، سجينا فى قضبان من الرعب والعبودية للبشر ، الذين يوهمونه أنهم يحمونه من الاستغلال والظلم !!

ان الانسان فى المجتمع المادى ليس هو الانسان كما خلقه الله !

انه انسان شائه الفطرة ممسوخ التفكير ، فقد حريته وكيانه ، ورضى من حياته بلقمة العيش وعبادة البشر !!

ويكفى أن يقوم كيان ذلك المجتمع على تجاهل الحقيقة الكبرى فى حياة الانسان وهو أنه عبد للخالق العظيم الذى استخلفه فى هذه الارض واستعمره فيها .. وأن عمارة الانسان للأرض وتفوقه فى استثمار خيراتها ليست الا جزءا من عمله فى هذا الكون ، وليست هى الغاية الوحيدة من وجوده فى الحياة .

* * * *

ان الخطة التى رسمها الاسلام لمجتمعه تتميز بسعيها نحو سعادة البشر جميعا ، فهى لم تصدر عن طبقة ولا فرد ، بل صدرت عن خالق البشر ولم تقم على تجارب قاصرة أو شعارات كاذبة ، بل قامت على مبادىء صادقة تطابق حقائق الأشياء ، وتتفق مع سنن الحياة ..

ولهذا فقد اتصف المجتمع المسلم بالاخلاص لحقوق الكافة والمساواة المنزهة بين طوائف الخلق وبالشمول فى النظر للحياة وتحديد أهدافها .. وبالغايات الروحية من وراء النشاط المادى ، وبمتانة الأواصر التى تربط بين الأفراد فى ذلك المجتمع ..

ولقد نجح المجتمع المسلم فيما فشل فيه سواه من قبل ومن بعد ..

لقد قامت فى الارض بواقعها المادى ومضايقها ومصاعبها أمة عرفت كيف

تحترم ارادة خالقها وتحيا وفق سننه الصادقة ، وكيف تعيش فى واقعها مرتبطة بقيمها صادرة من مثلها ، تخضع الحياة لما تؤمن به من مثل وما تبتغيه من غايات ..

ولا يعترضنا صوت ليقطع علينا السبيل فيقول :

اتعنى بذلك تلك الفترة القصيرة التى عاشها الرسول صلوات الله عليه — مع أصحابه فى المدينة ، أو خلافة أبى بكر وعمر ؟

وهل ننسى بعد ذلك ما نشب بين المسلمين من صراع على الحكم وما ساد مجتمعهم من مظالم فى الأموال والحقوق ، وما ارتفع فى مجتمعهم من عصبية ونعرة .. ؟ !!

والحق أن تلك الاخطاء ليست دليلا على فشل النظام الاسلامى أو صعوبة تطبيقه ولكنها أعراض تنتاب الجماعات وأدواء لا بد أن نضعها فى الحسبان ، وعلل انسانية لا بد أن ندبر لها الحلول ، فان الشر دائما يتعقب الخير ليغتاله ورياح الأهواء دائما تهب لتعصف بالمثل والمبادىء ، فى كل جيل وقبيل .

والاسلام قد وضع فى نظمه ما يكفل حراسة مجتمعه وما يحتم على الأمة أن تستيقظ للذود عن أهدافها وصيانة مثلها ، وان تقف بالمرصاد للذئاب المتربصة التى تغتال حقوق الأمة وتقتنص أمانيها ..

* * * *

وليس يمكن لأحد أن ينكر أن المجتمع الاسلامى قد بقى يؤدى مهمته ويسعى نحو غاياته ويصون مبادئه طيلة القرون الماضية ، بينما كان ما حوله من المجتمعات الاخرى يعبث فى الظلمات ويتخبط فى المتاهات ويصطلى بنيران الصراع ويعانى من وطأة المظالم .

ولا زال قائما فى كل بيئة يصح فيها الايمان وتصدق النية لاتباع صراط الله المستقيم ..

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣١ .
(١) سورة آل عمران .
(٣) سورة الحج ..
(٤) سورة الانعام ..
(٥) سورة الحج ..
(٦) سورة المائدة . .
(٧) سورة النساء ..
(٨) السيرة النبوية لابن كثير ٣٧٨/٣ ..
(٩) سورة المائدة ..
(١٠) سورة الانفال ..

في مسيرة التاريخ الاسلامى :

الفتوح الاسلامية

للدكتور : أحمد ابراهيم الشريف

اتجهت الفتوح العربيـــة الاسلامية أول ما اتجهت الى العـــراق والى الشام ، ومنهما امتدت شرقا وغربا حتى وصلت الى أواسط آسيا من ناحية ، وإلى شاطىء المحيط الأطلسى من ناحية أخرى . وكان لهذا الاتجاه دوافعه ، كما كان له تمهيد سبقه وأدى إليـــه .

وأهل العـــراق الأولون من الأشـــوريين ، وأهل الشـــام الاصليون من الفينيقيين . ولقد كانت الصحراء المترامية بينهما تحول فى العصور الأولى دون التقائهما وامتزاجهما ، فان اجتياز الصحراء غير محبب الى أهـــل الحضر ، وليس فيها من أسباب الحيـــاة ما يجذب اليها .

على أن هذه الصحراء التى لم تجذب اليها الأشوريين من أهل العراق ولا الفينيقيين من أهل الشام فى العصور القديمـــة ، قد استهوت العرب من أهل البادية ممن يرون الصحراء الطليقة الحرة سحرا ووحيا وحرية وجمالا ، ويرون الحضر قيدا وسجنا وإن تمتع أصحابه بغايات النعيم . ويذكر المؤرخون هجرة العرب من جنوب شبه الجزيرة العربية الى الشمال ، نتيجة للاضطرابات التى حلت باليمن فى الداخل لإلحاح الأحباش عليها بالغزو من الخـــارج ، واتخاذ الروم البحر الأحمر طريقا للتجارة ، الأمر الذى شـــغل الحكومات اليمنية عن الاهتمام بالشئون الداخلية ، كما أضعف مواردها الاقتصادية بعد تقلص التجارة التى كانت ترد من الشرق الهنـــدى ، فأهملت لذلك شـــئون الإرواء وتهدمت السدود التى كان أهمها سدود مأرب ، فتخربت الأراضى الزراعية وضاق الرزق على السكان . ويذكر المؤرخون أن هذه الهجرة بدأت فى القرن الميلادى الثانى . ومع التسليم بهذه الروايات التى يقول بها المؤرخون ، فلا ريب فى أن قبـــائل من العرب قد استقرت ببادية الشام وبادية العراق قرونا طـــويلة من قبل ، متخلفة عن القوافل التى كانت ترد العراق أو الشام للمتاجرة أو للغزو .

وقد أقام العرب الذين نزحوا الى العراق والى الشام على حدود الحضر

فى كل من الدولتين ، ولم يكن مقامهم على الحدود مما اضطرتهم اليه سياسة الدولة التى نزلوا بها ، وإنما جذبتهم البادية اليها فلم يستطيعوا مقاومة سحرها كما استهواهم الحضر ليكونوا على مقربة منه كى ينالوا رزقهم دون مشقة ؛ وذلك شأن البادية فى كل عصر . ومن العجب فى أمر البدوى أنه ، على تعلقه بالبادية وحبه إياها وانجذابه اليها كلما بعد عنها ، شديد الإعجاب بالحضر وما يحيط به من زروع ونضرة ، وما يبدو على أهله من نعمة ورفاهة عيش . وكان ذلك شأن القبائل العربية التى هاجرت الى العراق والى الشام ، على تفاوت بينها فى التعلق بالبادية والانجذاب الى الحضر . ومع أن أكثرها نعم بالحضر وترفه ، فلقد ظل حرصها جميعا على حياتها العربية شديدا ، كما ظلت العلاقات بينها وبين شبه الجزيرة العربية متصلة على مر القرون . ولم تلبث باديةالشام وبادية العراق حين استقرت فيهما القبائل العربية التى هاجرت اليها أن صارت كأنها قطعة من شبه الجزيرة العربية ، واستطاع الغساسنة — الذين كانوا أقوى القبائل فى بادية الشام — أن يقيموا لهم مملكة عرفت بمملكة بنى غسان على حدود الشام ، كما أقام اللخميون لهم مملكة فى الحيرة على شواطىء الفرات . ولقد كان دأب هؤلاء العرب يومئذ كدأب بنى وطنهم دائما ، يشاركون الأمة التى يقيمون على حدودها مصيرها ويشاطرونها آمالها . ومن ثم سلموا فى الشام بحكم الروم ، وفى العراق بحكم الفرس . وإنما كان ذلك منهم تسليما بالأمر الواقع أكثر مما كان إذعانا لغلب القوة ، ومن أجل ذلك كانت الأوضاع السياسية تتغير فى أمرهم تبعا لقوتهم وضعفهم ، وكان لهم أكثر الأمر استقلال ذاتى حرصوا عليه ودافعوا عنه .

كان السلطان فى العراق وفى الشام متداولا بين الامبراطوريتين الفارسية والرومية ، فكانت فارس تنتزع الشام من الروم أحيانا وتضمه الى العراق التابع لها ، وكان الروم يحاولون انتزاع العراق من فارس أحيانا ليضموه الى الشام التابع لهم . وكان العرب الذين نزحوا الى هذه الجهات ينضمون فى كثير من الأحيان الى جيش الفرس أو جيش الروم . وأدى ذلك الى أن فكرت الدولتان فى اتخاذ هؤلاء الذين نزلوا البادية الممتدة بينهما سدا يحول دون اعتداء احداهما على الأخرى ، ليبقى الشام خالصا للروم ويبقى العراق خالصا للفرس . على أن هذه القبائل العربية انحازت بحكم منازلها فى البادية الى أقرب حضر لها ، فانحاز المقيمون على حدود الشام الى الروم ، وانحاز المقيمون على حدود العراق الى الفرس ، مع احتفاظهم جميعا باستقلالهم الذاتى ، ومعيشتهم البدوية ، وحياتهم العربية الخالصة .

على أن احتفاظهم بهذه الخصائص لم يحل دون تأثرهم بحياة الحضر القريب منهم وسياسة الدولة التى يخضع لها هذا الحضر ، بل لقد تغلغل فى هذا الحضر من أنس منهم فى نفسه الكفاية لامتثال حياة الحضر والاضطلاع بأعبائها ، وبلغ من ذلك أن امتد سلطانه وعظم نفوذه .

فأما فى بادية العراق فقد استغل العرب الثورات التى ألمت ببلاد الفرس وتغلب زعماء الطوائف بها واستقلال كل بناحيته ، فدخلوا حوض الفرات وأنشأوا لهم على شاطئه مدينة الأنبار ، ثم أنشأوا الحيرة التى ما لبثت أن أصبحت عاصمة لمملكة عربية سيطرت على غرب الفرات بين الأنبار والحيرة ثم امتدت شمالا الى أن اتصلت ببادية الشام منذ سنة ٢١٥ م وعلا شأن مملكة الحيرة ، وقام ملوكها بدور كبير فى الصراع الذى احتدم بين الفرس والروم .

وفى الوقت الذى كان فيه اللخميون يسيطرون على غرب العراق ، كان أذينة بن السميذع على رأس عرب الشام يقف مترددا بين الفرس والروم فى الصراع الذى قام بين فيليب امبراطور الروم وسابور عـاهل الفرس ، وحين مالت الكفة آخر الأمر الى جانب الفرس نهض بقوته العربية فتصدى لهم وهزم جيوشهم وطاردهم الى عاصمتهم المدائن ، وبذلك سمت مكانته عند الروم ، وصار صاحب القدح المعلى فى محاربة الفرس ، وبعد أذينة حكم أبناؤه ، وكان آخر من تولى من أسرته زوجته زنوبيا أو الزباء ، التى امتد سلطانها حتى ضمت إليها الشام كله ومصر ، واضطرت امبراطورية الروم لكى تهزمها الى أن تنهض اليها بكل قوتها ، وبانتهائها انتهى عهد بنى السميذع بالشام ، وخلفهم على عرب هذه الجهات الغسانيون من أبناء جفنة .

وحين ننظر الى الموقف فى منتصف القرن الثالث الميلادى ، نرى الأمر قد صار فى شرق الشام وغرب العراق الى العرب ، فهؤلاء الذين نزلوا البادية أول ما نزلوها قبائل مهاجرة قد صاروا الى حيث يعتد بهم الروم وتعتد بهـم فارس ، وتحرص كلتا الدولتين على ولائهم لها ومناصرتهم إياهـا ، وتعترف كلتاهما لهم بالاستقلال الذاتى تقديرا لشجاعتهم وإقدامهم . ونستطيع أن نقول إن بلاد العرب امتدت من خليج العرب وخليج عدن جنوبا الى الموصل وأرمينية شمالا ، وإن تأثر عرب العراق وعرب الشام بحضارة الفرس وحضارة الروم أكثر مما تأثر بهما سواهم من سائر بقاع شبه الجزيرة .

من ذلك نرى أننا فى حل من أن نقول ان هؤلاء العرب فى العراق والشام كانوا الطلائع الأولى فى التمهيد للفتح العربى وللامبراطورية الاسلامية . وان كان ذلك لم يدر بخلد أحد فى ذلك الوقت بطبيعة الحال ، فلم يكن أحد يتصور بعث محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته ، وما أدى اليه ذلك من وحدة بلاد العرب ، ومن سمو الروح العربية الى حيث سمت . لكن مقام هؤلاء العرب بين الفرات وأودية الشام ، واحتفاظهم بخصائص حياتهم العربية ، واتصالهم بأهليهم وبمن يحيطون بهم فى شبه الجزيرة ، كل ذلك كان مقدمة لما تلاه بعـد أربعة قرون من زحف عرب شبه الجزيرة إليهم محاربين ، لتحل الامبراطورية الاسلامية محل الامبراطوريتين الفارسية والرومية .

إذا كان عرب العراق قد اتصلوا بالفرس ، وعرب الشام اتصلوا بالروم ، وشاركوا فى الصراع الدائر بينهما كل فى ناحيته ، وتأثروا بحضارتهم بحكم الاتصال بين الطرفين ، فماذا كان موقف عرب العراق من دين الفرس ، وموقف عرب الشام من دين الروم ؟. أتأثرت قبائل العراق بالمجوسية الفارسية فأقبلت عليها ؟! وتأثرت قبائل الشام بوثنية الرومان ، ثم بالمسيحية بعد ذلك فأقبلت عليها ؟! أم أعرض هؤلاء وأولئك عن ديانة الطرفين جميعا ، واحتفظوا بوثنيتهم يعبدونها لتقربهم الى الله زلفى ؟

لقد وجد من عرب العراق من أجادوا الفارسية ، وفقهوا تيارات الفكر الفارسى فى الفن والأدب والدين ، وتبينوا تعاليم زردشت ومثنوية مانى وزندقة مزدك ، ولم يكن ذلك عجبا وقد أتاح لهم رغد العيش وترف الحياة أن يتثقفوا وأن تبلغ بهم ثقافتهم علم ذلك كلـه ، وعلم ما اتصـل بهم من تفكير اليونان وفلسفتهم . وكان شأن عرب الشام كذلك فى اتصالهم بثقافة الروم وأدبهم ودينهم ، بل ربما بلغوا شأوا أبعد مما بلغـه عرب الحيرة ، لأنهم كانوا أقرب اتصالا بالمدنية اليونانية والرومانية . لكن مع كل ذلك لم يأخذ عرب العراق

بمجوسية الفرس مع اتصالهم بهم وإعجابهم بحضارتهم ، ولم يأخذ عرب الشام بوثنية اليونان أو الرومان ولم يعبدوا آلهتهم . فلما استقرت المسيحية فى الامبراطورية الرومية هوت إليها النفس العربية فى الشام والعراق جميعا .

لم يكن الدافع الى اعتناق المسيحية دافعا سياسيا ، فانه اذا جاز أن يقال ان ملوك الغساسنة تنصروا ليرضوا قياصرة الروم ، وان قبائل الشام تنصرت جريا على المثل القائل « الناس على دين ملوكهم » فان هذا القول ليس بجائز بالنسبة للقبائل العربية فى العراق ، فقد تنصر من قبائل العراق كثيرون كانوا يدينون لملك الحيرة الذى كان يحارب النصرانية حليفا للفرس . وإذن فلا بد من دافع آخر أدى بهذه القبائل لتدين بالنصرانية ، وهذا الدافع متصل بالعقلية العربية وميولها الروحية .

والعقلية العربية بفطرتها بدوية مستقيمة ، تريد الحقيقة فى بساطة ، وتقصد إليها فى غير التواء ولا تعقيد . ومثنوية مانى وزندقة مزدك تستهوى من يعجبهم الحوار ويغريهم الجدل ، وكذلك الأمر فى فلسفة اليونان . ولا تميل العقلية العربية الى مثل هذا التعقيد الجدلى . لهذا هوت نفوس العرب الى المسيحية وأخذت بها واطمأنت اليها .

والمسيحية دين سماوى أقر الاسلام صفاءه الأول ، فلا عجب أن يكون أخذ العرب بها فى الشام والعراق من طلائع التمهيد للفتح العربى الاسلامى بعد ذلك .

وفى نهاية القرن السادس الميلادى كانت مملكتا الحيرة وغسان قد بلغتا غاية مجدهما ، وأثبتتا فى الصراع الدائر يومئذ قدرة عظيمة على النهوض والتقدم ، الأمر الذى أثار شكوك الفرس والروم تجاههما على السواء ، على الرغم مما قدمتاه لكل من الطرفين من خدمات . فأما كسرى أبرويز ملك فارس فلم يرض عما بلغ النعمان بن المنذر من سلطان امتد حتى بلغ دجلة ، حيث بنى النعمان مدينة النعمانية على مقربة من المدائن عاصمة كسرى ، ولم يعجبه ما يرفل فيه من نعمة وما يضم بلاطه من فخامة ، فكاد للنعمان حتى حبسه ثم قتله ، ثم قضى على سلطان اللخميين جميعا . وتأثر العرب بمقتل النعمان وحقدوا على كسرى ، وأغاروا على حدوده وتجاراته ، فلما جرد جيشا لتأديبهم التقوا به فهزموه شر هزيمة فى معركة ذى قار سنة ٦١٠م ، وقد وافق هذا العام مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عنه أنه قال « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بى » .

وأما الغساسنة فقد غير الروم سياستهم نحوهم ، ودبروا مؤامرة لقتل ملكهم المنذر بن الحارث ،، ولما فشلت المؤامرة احتال الروم حتى قبضوا عليه ونفوه الى صقلية سنة ٥٨١م ، وكذلك فعلوا بابنه النعمان بن المنذر الغسانى ، وبذلك وقعت الفوضى على أثر ذلك فى بلاد الشام ، الأمر الذى مكن الفرس من الاستيلاء على الشام ، حتى عادت الروم اليه بعد ذلك فى عهد هرقل قبل الفتح الاسلامى بسنوات قليلة .

وقد كان غدر الفرس بالحيرة وبعرب العراق ، وغدر الروم بالغساسنة ، وتذمر العرب فى كلتا الناحيتين ، من ممهدات الفتح العربى بعد ذلك بقليل .

وقبل أن ندخل فى تفاصيل الفتوح العربية يحسن أن نعرض لمعنى الفتح ومقومات الفتوح وظروفها :

تم على يد النبى صلى الله عليه وسلم توحيد الجزيرة العربية من

الناحيتين الدينية والسياسية ، ثم تدعمت هذه الوحدة وثبتت أركانها على يد أبى بكر الصديق ، بعد قضائه على حركة التمرد التى قامت بها القبائل العربية وعرفت باسم « الردة » ، ولم يكد يمضى على وفاة النبى صلى الله عليه وسلم عام وبضعة أشهر حتى دخل العرب فى مرحلة جديدة هى مرحلة الفتوح .

ولفظ « الفتح » فى المفهوم الاسلامى معنـــاه النصر المؤيد بالعنـــاية الإلهيـــة ، أو النصر الممنوح من لدن الله تعالى . ولا يشترط فى إطلاق لفظ « الفتح » على النصر أن توجد حرب ، ففى فتح مكة لم تقع حرب بمعنى الكلمة ، وقد اعتبر دخول مكة فتحا ، وابلغ من ذلك دلالة على ما نقول تسمية « صلح الحديبية » فتحا ، وتلك تسمية ثابتة ثباتا مطلقا بسورة الفتح « انا فتحنا لك فتحا مبينا » مع أن النبى فى هذا العام (٦هـ) قصد مكة معتمرا ، فمنعته قريش من دخولها ، وظل يلاينها حتى انتهى الأمر بصلح بين الطرفين هو « صـــلح الحديبية » .

فلفظ « الفتح » يطلق على كل عمل سياسى إيجابى من شأنه البنـــاء لا الهدم ، ومن شأنه كذلك أن يتوفر فيه الصالح العام . ونظن أن الكلمة إسلامية وانها لم تعرف بهذا المعنى من قبل . وإنما اختار الاسلام هذا اللفظ لأن الله وعد المسلمين اذا صدقوا الايمان وأخلصوا للدين ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . فكل نصر يحرزه المسلمون إنما هو آت من الله ، وهو موافق لإرادته ولما كتبه « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى » .

والفتوح ظاهرة من الظواهر التاريخية المطردة ، تحدث كلما توحد شعب كان مفككا ، أو كلمـــا نهض شعب وأصـــلح نفسه بنفســـه وأحس بكيانه . فالفتوح التى عرفت قديما هى فتوح الاسكندر التى جاءت عقب نهضة المقدونيين الحربية وتوحيد الإغريق ، وفتوح الرومان التى جاءت بعد أن بسطت الدولة المدينيـــــة التى هى رومـــــا ـــ ســـلطانها على شـــبه الجزيرة الإيطالية ووحدت بذلك الشعب الرومانى ، وكذلك الحال فى فتوح المغول بعد أن وحدهم جنكيز خان . والفتوح النابليونية التى جاءت بعد أن قام الفرنسيون بالثورة الفرنسية وأصلحوا من حال أنفسهم .

وقد اعتاد المؤرخون أن يردوا مثل هذه الظاهرة ، اما الى حركات تقوم بها الشعوب تحت ضغط شعوب أخرى من ورائها ، فيدفع شعب شعبا حتى تصل قوة الاندفاع الى قلب العالم المتحضر . واما الى إحساس الشعـــوب المغيرة بقوميتها وبكيانها ، وبدخول العزة فى قلوب أبنائها ، بحيث يحملهم على الاعتقـــاد فى أفضليتهم على غيرهم ، وفى حقهم فى أن يحكمـــوا غيرهم من الشعوب . وينضـــاف الى هـــذين التفسيرين تفسير ثالث ، وهو أن مراكز الحضارة تنطوى دائما على قوة جذب كبيرة بالنسبة للشعوب الاقل حضارة ، فتتجه هذه الشعوب بغاراتها الى العالم المتحضر .

وخروج العرب من جزيرتهم الى المجال الخارجى ، واندفاعهم فى حركة الفتوح ، احدى هذه الظواهر التاريخية ، وينطبق عليها ، من وجهـــة التفسير العام لحركات التاريخ ، ما ينطبق على غيرها . فالعرب قد تم لهم من الوحدة الدينية والوحدة السياسية ما كان حدثا بالغ الأهمية فى تاريخهم ، فهم لم يألفوا هذه الوحدة فى تاريخهم الطويل ، فلما تحققت لهم الوحدة بقيام الدولـــــة الاسلامية ، وألف الاسلام بين قلوبهم ذهب التنافس الذى كانت تثـــــيره

العصبية القبلية ، وانمحى تبعا لذلك الخلاف ، وحسن التعاون والتعاضد، شملتهم نهضة قومية أحسوا معها بأنهم أصبحوا خلقا جديدا ، وتكونت لديهم نزعة جديدة ، فأصبح العربى ينزع للدم العربى والأمـــة العربية والجنس العربى ويفخر به ، بعد أن كان ينزع من قبل الى عشيرته وبطنه وقبيلتـــه وحسب .

كل هذا ملأ العرب احساسا بالقومية وأدخل العزة على قلوبهم . وهم حين سمعوا قول الله تعالى « ان الدين عند الله الاسلام » « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » اعتقدوا بأفضليتهم ، وبأن لهم رسالة عليهم أن يؤدوها للعالم من حولهم .

ثم انه كان طبيعيا — اذا سرنا مع منطق التفسير العام — أن يتجـــه العرب حين خرجوا من جزيرتهم الى قلب العالم المتحضر ، ولم يكن يعقل أن يديروا ظهورهم الى العالم القديم المجيد ، ليدخلوا مجاهل أفريقيا أو يتجهوا الى الحبشة . وكان ما حدث من اصطدام العرب بالفرس والروم وما أدالوا منهم .ويفلسف المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون هذا الموقف بقوله :« ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذى فى أهل العصبية ، وتفرد الوجهة الى الحق ، فاذا حصل لهم الاستبصار فى أمرهم لم يقف لهم شىء ، لان الوجهة واحدة ، والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه . وأهل الدولة التى هم طالبوها — وان كانوا أضعافهم — فأغراضهم متباينة بالباطـــل ، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل ، فلا يقاومونهم وان كانوا أكثر منهم ، بـــل يغلبون عليهم ، ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل . وهكذا كمـــا وقع للعرب صدر الاسلام فى الفتوحات » .

هذا من وجهة التفسير العام للحركة العربية ، باعتبارها ظاهرة تاريخية. ولكن لا بد من البحث عن الاسباب المباشرة التى دفعت العرب الى الالتحام بدولتى ذلك الزمان — الفرس والروم — فى وقت واحد . ثم لا بد من تفسير لما تحقق لهم من نصر كامل على هاتين الدولتين الكبيرتين .

وقد رد المؤرخون خروج العرب الى المجال الخارجى بعد ظهور الاسلام الى عدة أسباب : —

١ — بعض المؤرخين يرد ذلك الى جدب الجزيرة العربية ، ورغبة سكانها الذين ازدحمت بهم فى البحث لهم عن مخرج فى البلاد الغنية المجاورة لهم . ويرى هذا الفريق من المؤرخين أن توسع العرب ما هو الا واحدة مـــن سلسلة الهجرات التى حملت الساميين مرة أخرى الى بلاد الهلال الخصيب وما وراءه .

٢ — بينما يرد بعض آخر من المؤرخين خروج العرب الى العـــراق والشام الى أن الضرورة السياسية هى التى أملت على الخليفة الاول أبى بكر الصديق أن يدفع بالقبائل العربية للمجال الخارجى ، للقضاء عـــلى روح التمرد لدى هذه القبائل ، بعد أن قضى على حركة الردة ، فيشغلها بعمل خارجى ترضى فيه روح القتال الطبيعية لديها ، ثم ليكون الجهاد وسيلـــة الى جعل القبائل المتمردة ترضى بالاسلام وتحرص على مصلحته ، لما ينالها من وراء هذا الجهاد من غنائم كبيرة ..

٣ — بينما يرى فريق ثالث من المؤرخين أن الحماس الدينى هو الذى دفع العرب للاصطدام بجيرانهم لينشروا الاسلام بقوة السلاح .

ونحن نرفض هذه التعليلات كلها ، ونرى أن هؤلاء المؤرخين قد جانبهم التوفيق ، وأنهم جانبوا الحق ، اما لخطأ منهجى وقعوا فيه ، واما لغرض غير خليق بالعلماء وهو النيل من الاسلام بالباطل .

فأما أصحاب الرأى الاول ، فانهم قاسوا الحركة الاسلامية على ما مضى من تاريخ الجزيرة العربية . فهم قد رأوا الجزيرة العربية من قبل مركزا لهجرات تقوم بها القبائل نتيجة لاضطرابات داخلية أو عسر اقتصادى . لكن هذه الهجرات العربية لم تكن تدفعا قبليا وغزوا ، وانما كانت تحركات اطرادية بطيئة ، وكان قصاراها حين تصل الى العراق والشام أن تستقر على مشارف البادية . كما لم تكن وراءها دولة تدفع بها وتسوقها . ويختلف الامر عن ذلك فى حركة الفتوح العربية بعد الاسلام ، فلم تكن هذه الفتوح هجرة قبلية مدفوعة بظروف الاضطرابات الداخلية أو بالعسر الاقتصادى ، فان الجزيرة العربية لم تسدها وحدة ولم يستقر بها نظام يربط بين كل قبائلها من قبل كما سادها هذا النظام بعد توحد العرب بالاسلام ، ثم انها كانت فى أفضل ظروفها الاقتصادية ، نتيجة لسيطرتها على الطريق التجارى الآمن فى ذلك الوقت ، وقيامها بدور الوسيط بين الشرق والغرب لنقل التجارة العالمية ، الامر الذى أنعش اقتصادها ، وأدى الى قيام الاسواق الكبرى بها . تلك الاسواق التى جعلت الاقتصاد المحلى يسهم فى الاقتصاد العالمى من ناحية . ومن ناحية أخرى كانت مجالا لحل المنازعات القبلية وقيام التحالفات الكبرى بين القبائل العربية ، فضلا عن توحيد المفاهيم العربية .

هذا الى أن التحرك العربى كان وراءه دولة تقوم على تنظيمه ودفعه وحشد الطاقات المادية والمعنوية له . ولم يكن تحركا اطراديا بطيئا وانما كان غزوا سريعا قويا والتحاما عسكريا عنيفا .

واذا كان العرب قد حملوا معهم أبناءهم ونساءهم وأموالهم فى حركة الفتوح ، مما يعطى مشابهة بحركة الهجرة ، فان الجيش العربى كان مكونا من رجال القبائل ، والقبائل كانت تجرى على عاداتها فى حروبها من حمل الابناء والنساء والاموال معها فى حروبها . فالجيش العربى الذى كانت تحارب به الدولة لم يكن جيشا نظاميا كالجيوش التى تستخدمها دول الحضارة ، وانما كان جيشا تلقائيا قبليا . ولم تحدث الهجرة الا بعد نجاح الفتوح واقامة القواعد العربية ، وكان التهجير عملا رسميا تقوم به الدولة ، لا على أنه تهجير لذاته ، ولكن لان القبائل هى جيش الدولة ، والدولة تنقل فروع القبائل المتخلفة كأمداد لجيوش الدولة ، فتصبح من قوات الجيوش المرابطة فى الامصار .

وأما أصحاب الرأى الثانى ، فان رأيهم مردود بما حدث فعلا ، ذلك أن أبا بكر رضى الله عنه ، عند تسيير قواته الى العراق والشام ، منع القبائل المرتدة — وهى القبائل التى قامت بحركة التمرد على حكومة المدينة — من المشاركة فى الغزو ، واقتصر على من ثبت ولاؤه للدولة فى أثناء حركة التمرد . وكان هذا عقابا للمرتدين بحرمانهم من الحرب الى جانب المسلمين ، واشعارهم بالذل والخزى لوقوفهم ضد حركة التوحد العربى .

وأما الرد على أصحاب الرأى الثالث فهو كامن فى مجرى تاريخ الاسلام كله ، فالاسلام كمبدأ لم يفرض الدين بالاكراه « لا اكراه فى الدين » « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » .

وتاريخ الاســــلام شاهد على تطبيق هذا المبدأ ، لم يخالفه المسلمون مرة واحدة . فالنبى صلى الله عليه وسلم قبل يهود المدينة فى دولته ، ووضع فى الصحيفة وهى دستور الدولة بندا صريحــا « لليهود دينهم وللمسلمين دينهم » وحين كاد اليهود للمسلمين واضطر النبى صلى الله عليه وسلم الى محاربتهم فى المدينة وفى خيبر ، لم يكره احدا على اسلام ، ولم يقتل الا بنى قريظة نتيجة لارتكابهم جريمة الخيانة العظمى باتصالهم بالعدو ساعة الحرب وتعريضهم الدولة للسقوط فى غزوة الخندق . وقد اجتمع الى النبى فى المدينة وفود من الاديان الكبرى السماوية من اليهود والنصارى ، ناقشوا النبى وجادلوه ، ولم يكن موقف النبى منهم الا كما عبر عنه القرآن الكريم « قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ، وقد صالح النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران وأبقاهم على دينهم ، وضمن لهم سلامة كنائسهم وبيعهم ، وقد جاء فى كتابه الــذى كتبه لهم « .. لنجران وحاشيتها جوار الله ، وذمة محمد النبى رسول الله ، على انفسهم ، وملتهم ، وارضهم وأموالهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وغيرهم وبعثهم وأمثلتهم ، لا يغير ما كانوا عليه ، ولا يغير حق من حقوقهم وامثلتهم ، لا يفتن أسقف عن أسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا واقه (كاهن) من وقاهيته ، على ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ... ولهم على ما فى هــذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبى ابدا ، حتى يأتى أمر الله ، ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم ، غير مكفلين شيئا بظلم » .

وكذلك صالح النبى مــدن اليهود كلها : أيلة ، وأذرح ، وفدك ، وتيماء . وكذلك صالح أكيدر صاحب دومة الجندل وكان نصرانيا . وقد ورد فى كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملوك حمير بعد أن جاءته كتبهم تقــر باسلامهم « ... وانه من أسلم من يهودى أو نصرانى فان له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم (له مثل ما للمسلمين من الحقوق وعليه مثل ما عليهم من الزكاة) . ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يفتن عنها ، وعليه الجزية .. » . وكذلك أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم الجزية من أهل « هجر » فى البحرين وكان منهم مجوس تابعون للفرس ، بقوا على دينهم وأدوا الجزية .

وتاريخ الخلفاء الراشدين حافل بالمصالحات بين المسلمين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذلك من المجوس . وكتبهم الى قوادهم حافلـــة بالتوجيهات التى تدعو الى الوفاء للناس بعهودهم ، وبحسن معاملتهم ، وبعدم التعرض لاحد لاكراهه على تغيير دينه . ولا يستطيع مؤرخ واحد مهما كانت نزعته أن يثبت حادثة واحدة اكره فيها احد خلفاء المسلمين أو عمالهم وولاتهم احدا على الدخول فى الاسلام .

وهكذا يتبين لنا بصورة واضحة كيف جانب المؤرخين الصواب حين عللوا لحركة الفتوح الاسلامية . واذا كنا رفضنا آراءهم فمـــا هو التعليل الصحيح ؟!

وخير وسيلة لمعرفة التعليل الصحيح هو أن نتتبع الحوادث نفسها ، نستعرضها لنخرج منها بالاسباب الحقيقية التى دفعت العرب للخروج مــن شبه الجزيرة الى المجال الخارجى ، ليغيروا خريطة العالم تغييرا تاما من جميع نواحيها ، السياسية والاجتماعية والدينية .

اللغة العربية والدين الاسلامى

محمود فوزى

أحاط افريقيا بهالة

تمهيد : —

لقد كان للسلاح العربى أيام بيضاء ، ومعارك غراء ، نشرت راية العروبة والاسلام فى قارات العالم القديم الثلاث : آسيا وافريقيا وأوروبا .. وقد امتازت هذه القارات بعضها عن بعض فى التأثر بهذا الفتح . فأوروبا ناوأت الفتح العربى ، وأوقفته عند أطرافها الثلاثة : فى الشرق عند استنبول ، وفى الجنوب من سواحل ايطاليا ، وفى المغرب فى « سهل تور » غرب فرنسا .. ومحت أوروبا مدنية العرب التى أشادوها جنوب البرانيس فى الاندلس الخضراء بعد أن عمروها ثمانية قرون ، فأوروبا أقل القارات محافظة على آثار الفتح العربى والحضارة العربية . ولم يبق لنا منها الا آثار الحمراء والزهراء ، وما كان لمدنية الاندلس من اثر فى عمارة أوروبا ونهضتها الحديثة . وفى آسيا بقيت جميع البلاد التى أخضعتها جيوش العرب محافظة على الاسلام ، وعلى صلتها ببلاد العرب مهد الاسلام ، ولكن البلاد التى الى شرق العراق وشمال الشام لم تصطبغ بالصبغة العربية ولم تتأهل فيها اللغة العربية أو القومية العربية . أما فى افريقيا فقد حافظت البلاد التى كانت للفاتحين العرب على طابعها الاسلامى ، واندمجت كذلك فى الوطن العربى والقومية العربية ، اذ هاجر اليها العرب أفواجا وقبائل كما هاجروا الى الشام والعراق ومصر التى هى جزء من افريقيا . وقد تقدم العرب فى هذه القارة الواسعة فى اتجاهين مختلفين وباسلوبين مختلفين . ففى الشمال ساروا غربا على محاذاة البحر الابيض المتوسط غزاة فاتحين أولا ، ثم بناة مرشدين ثانيا ، وفى الشرق ساروا تجارا مبشرين على ساحل افريقيا الشرقى . وحملوا مع تجارتهم اللغة العربية والدين الاسلامى ، وتعاون الاسلوبان على احاطة افريقيا بهالة عربية اسلامية

عربية اسلامية

للاستاذ : لطفى ملحس

تطوقها من زنجبار على المحيط الهندى الى مراكش على المحيط الاطلسى . وصارت اعظم طرق للقوافل فى قلب افريقيا من مصوع الى تيمبكو ، وساحل المحيط .. تسير فى قلب بلاد عربية اسلامية ، وتغص بقوافل التجارة العربية ، وحجاج بيت الله الحرام من أقصى غرب افريقيا .

وان افريقيا التى تسمى بالقارة السوداء فان السكان فى أواسطها الى جنوب الصحراء الكبرى هم من الزنوج . ، اما سكان الشمال حيث مصر وبرقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش فمن الحاميين ، وهم من الجنس الابيض لا الاسود . والصحراء تفصل بين الجنسين . وكان العرب المسلمون قد جمعوا بين الجنسين ، الابيض فى الشمال والأسود فى الجنوب بين الصحراء الكبرى ، فأصبحت بينهما وحدة دينية وتجارية .

الرومان فى افريقيا :

لما قهر الرومان الفنيقيين بعد حروب طويلة ومعارك طاحنة كان همهم انتزاع السيادة البحرية من قرطاجنة لا التوسع فى استعمار افريقيا . ولم يتجاوز الحكم الرومانى سواحل هذه القارة ، وبقى سكان البلاد الاصليون من البربر مناوئين للرومان والبيزنطيين،لم يتأثروا بدينهم وثقافتهم . وهؤلاء البربر قوم رحل مفطورون على حب الحرية والشجاعة وبساطة العيش . فكان لتقارب مزاجهم من مزاج العرب وسيلة لامتزاج الشعبين . ونجح العرب فى اقل من قرن فى الوصول الى ما اخفقت روما فى الوصول اليه فى اكثر من تسعة قرون ، ولا يزال تمسك شمال افريقيا بالعروبة والاسلام شاهدا على ثبات البناء الذى اسسه عقبة بن نافع المزنى ، وحسان ابن نعمان الغسانى .

ولما استولى العرب على مصر ادركوا الخطر الذى يهددهم من وجود الامبراطورية البيزنطية الى الشرق فى برقة والى الشمال فى البحر الذى

كانت سيادته للروم .وكان فى الجنوب دولة السنوسيين فى السودان وهى مشايعة للبيزانطيين ، ولهذا سارع عمرو بن العاص بعد فتح الاسكندرية الى ارسال حملة الى برقة ، فوقفت هذه الحملة عند حدود طرابلس بعد ان أزالت سلطة الروم من شمال برقة حيث كانت (سرين) بلدا روميا فى تجارته وثقافته ..

وعبد الله بن أبى السرح عامل الخليفة عثمان رضى الله عنه على مصر هو الذى وطد الحكم العربى فى مصر ، اذ انتزع بالتعاون مع معاوية أمير الشام آنذاك سيادة البحر من الروم ، وقام بحملات جريئة فى شمال افريقيا وعقد صلحا مع السنوسيين .

عقبة بن نافع :

اما فتح افريقيا فيما بعد ، فلم يبدأ الا بعد أن أسس عقبة بن نافع عامل معاوية مدينة القيروان فى تونس قرب قرطاجنه وذلك سنة « ٦٧٠ هـ » أى بعد فتح مصر بثلاثين سنة ، ومن هذه القاعدة الامامية تقدم العرب غربا . وبلغ عقبة أمواج المحيط الاطلسى ، ولقى حتفه فى حروبه مع البربر فى الجزائر ، ولا يزال قبره محجا للناس فى تلك الربوع وكانت وفاته سنة « ٦٨٣ هـ » .. وبعد ذلك فقد أدرك العرب أن مناوأة الروم والبربر فى وقت واحد عدا عن كونه أمرا صعبا فانه ليس من حسن السياسة فى شىء . لذلك فقد تفرغوا للروم أولا ، ولم يهتموا باخضاع البربر الا بعد أن كسبوا سيادة البحر من الروم ثم طردوهم من حصونهم فى قرطاجنه .. وقد فتح العرب قرطاجنه سنة « ٦٩٥ » ثم خسروها سنة « ٦٩٧ هـ » ، وأعادوا فتحها ثانية سنة « ٦٩٨ هـ » . وفى هذه الاثناء كان الاسطول الرومى قد توارى من عرض البحر . أما الجيش العربى والأسطول العربى فقد وقفا على أبواب استانبول وكانت قبرص ورودس فى أيدى العرب . وبذلك ختمت سيادة البيزنطيين على شمال افريقيا وشرق البحر المتوسط ، وانحصر حكمهم فى صقلية وجنوب ايطاليا بالاضافة الى الاناضول والبلقان . وقد انتزع العرب منهم فيما بعد صقلية ، وانتزعوا مدينة بالرمو جنوب نابولى مدة من الزمن .

حسان بن النعمان :

بعد القضاء على سلطان الروم فى افريقيا تفرغ حسان بن النعمان الغسانى للبربر ، وكانوا قد تجمعوا حول امراة مغامرة قوية اجتذبت قلوبهم بما لها من سلطان دينى ، وعرفت عند العرب باسم « الكاهنة » وكانت هذه قد اعتصمت مع جموعها بالجبال ، فرحل حسان بجيوشه اليها واشتبك معها فى معركة كان النصر فيها حليف البربر ، ودارت الدائرة على العرب ، فانهزم حسان الى قابس وكتب الى الخليفة فى دمشق وكان عبد الملك بن مروان .. وقال فى رسالته : « ان أمم المغرب كلما بادت أمة منهم خلفتها أمم » . فورد عليه من الخليفة كتاب يأمره بالكف عن القتال والتراجع الى القيران . فخلا الجو مدة خمس سنوات للكاهنة كانت خلالها سيدة افريقيا بلا منازع . وقد أعملت فى البلاد طولا وعرضا يد التخريب والتهديم حتى يئس العرب من افريقيا . وكان بين الاسرى العرب الذين وقعوا فى أيدى البربر « خالد بن يزيد » ويقال : إن خالدا استطاع أن يكاتب حسانا ، ويطلعه على أحوال البربر ويستحثه بالسير الى ملاقاتهم . ولكن الكاهنة ارادت أن تخدع حسانا ، فأرسلت خالدا مع أولادها ليستأمنوا ، وتقدمت بجندها للقتال ، فقاتلها حسان ، وهزم جنودها

وقتلها ، واستولى بعد ذلك على افريقيا كلها ، واستطاع ان يوطد الحكم العربى فى جميع انحاء المغرب، وقد عامل البربر معاملة حسنة اذ ترك لهم استقلالهم الداخلى ، ولم يتدخل فى شؤونهم الخاصة ، وساوى بينهم وبين العرب ، فاسترضى بذلك كبرياءهم ولم يجرح كرامتهم . ولقرب طباعهم من طباع العربى دخلوا فى الاسلام وتزاوجوا مع العرب وتعاونوا معهم تعاون الشقيق للشقيق ..

مسلم بن عقبه :

بعد أن استتب الأمن فى افريقيا كثرت هجرة العرب الى بلاد المغرب ، ولا سيما سكان المدينة بعد ما نزل بهم على يد مسلم بن عقبه قائد حملة يزيد بن معاوية ضد الحجازوفيها ابن الزبير . فقد التحق جميع من نجا من معركة « الحره » بجند افريقيا . وكثرت كذلك هجرة الخوارج وهم فئة متدينة ديمقراطية النزعة . وهؤلاء عملوا على نشر الدين بين قبائل البربر .. وقد اتمت سياسة عمر بن عبد العزيز رسالة الاسلام فى افريقيا ، تلك السياسة التى كان سداها التسامح ولحمتها تشجيع اعتناق الاسلام بالمساواة بين المسلمين على اختلاف اجناسهم ، ولم يجد حسان مخضع افريقيا ثمرة جهاده العظيم فى شمال افريقيا ، اذ كانت اعمال تلك البلاد تابعة الى مصر ، وكان والى مصر على ذلك العهد عبد العزيز بن مروان ، وكان موسى بن نصير مولى عبد العزيز قد تعرض لغضب الخليفة عبد الملك لاختلاسه اموالا من بيت المال فى خراسان ، وشفع عبد العزيز لدى عنه المبالغ الناقصة ثم احضر موسى اخيه الخليفة لموسى مولاه ، ودفع هذا الى مصر وولاه على افريقيا بدلا من حسان مخضعها ، ويقال : إن عبد الملك اراد ان يعيد حسان الى اعماله فأبى هذا متأثرا .. اما موسى فهو الذى استغل القوة التى نتجت من تعاون العرب والبربر فى شمال افريقيا ، فقام بحملة فى اسبانيا ، تلك الحملة التى توجت بانتصار كان تاج الانتصارات العربية ..

افريقيا العربية :

لقد تم للعرب توطيد اقدامهم فى شمال افريقيا فى مدة (٧٢ سنة) .. فاجتاز عمرو بن العاص حدود فلسطين الى العريش فى مصر سنة « ٦٣٩ هـ » ، واجتاز طارق بن زياد المضيق الذى سمى فيما بعد باسمه ، والفاصل بين اوروبا وافريقيا سنة « ٧١١ هـ » . وهذه الفترة ليست بالقليلة،وقد عمل على اطالتها الى هذا الحد نزاع القبائل العربية فيما بينها ، ولكن النتائج التى حصل عليها العرب اعظم من هذا الزمن الذى صرفوه فى اخضاع افريقيا بمراحل . فقد تحولت الارض الواسعة ما بين البحر الاحمر والمحيط الاطلسى الى بلاد عربية دما ولحما ولسانا ودينا ، واصبح الساحل الجنوبى والشرقى ، ثم الغربى من البحر المتوسط عربيا خالصا ، اذ انتشرت راية العروبة حول هذا البحر فى شكل الحرف نون (ن) .. طرفه الشرقى فى اضنه ، والغربى فى البرانيس بين اسبانيا وفرنسا . وكانت نقطة « ن » النصر هذا صقلية .. ورأينا فيما بعد كيف تم اكمال « النون » ، وكيف صار معجما بوضع النقطة فى وسطه .. ولئن شهد التاريخ للبطولة العربية اياما غراء بصنع هذا (النون) فقد سجل فى احضان نون العروبة حضارة ومآثر قد زخرت بها البلدان المكونة له من دمشق والقاهرة والقيروان الى قرطبة وبالرمو .. فنعم ما صنع الاجداد ونعم ما تركوا .

معاملة المسجونين في الإسلام

للاستاذ ابراهيم محمد الفحام

مقدمة :

يدعى الاجتماعيون الاوروبيون ان الدعوة الى تحسين معاملة المسجونين نشأت اول مرة في انكلترا في القرن الثامن عشر .

وقد قوبلت تلك الدعوة في بدايتها بالسخرية والنفور ، فاستغرقت زمنا طويلا قبل ان تلقى في الاوساط الرسمية من يستمع اليها ، ثم استغرقت زمنا أطول ، قبل ان تحظى في تلك الاوساط بمن يستجيب لها .

وكانت المطالبة بحق المسجون المريض في العلاج ، وحق السليم في الغذاء والكساء المناسبين ، والمأوى الصحي ، تبدو غريبة حقا في مجتمعات كانت تنظر الى المذنبين نظرتها الى الوحوش الكاسرة التي لا تستحق الرحمة ، ولا يجدي معها الاصلاح أو الترويض . ولو انصف اولئك الادعياء لنسبوا تلك الدعوة لأصحابها الحقيقيين وهم الصحابة والتابعون ومن تبعهم من الخلفاء والأئمة ، ولأعادوها الى مصادرها الأولى وهي تعاليم الاسلام ومبادؤه .

فلو أننا تتبعنا نشأة السجون ، وأنظمة ادارتها ، ومعاملة نزلائها في الدول الاسلامية الاولى ، لوجدنا أن المسلمين قد سبقوا غيرهم في اقرار حق المسجونين في المعاملة الانسانية الكريمة التي تكتفي بكف شرهم عن الناس مع علاج نفوسهم لا مجرد تعذيبهم والانتقام منهم .

السجن في زمن النبي وخلفائه الراشدين : —

والراجح ان السجون لم تعرف في زمن النبي ، ولا في زمن خليفته الاول أبي بكر الصديق فقد كان المقصود من الحبس تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه حيث شاء ، سواء كان في بيت أو مسجد ، او كان بتوكيل نفس الغريم او وكيله عليه ، أو ملازمته له . ولهذا سماه النبي اسيرا . ففي سنن ابي داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن أبيه عن جده . قال : « اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بغريم لي . فقال لي: الزمه . ثم قال لي : يا اخا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك » ، وفي رواية ابن ماجه « مر بي آخر النهار فقال : ما فعل اسيرك يا اخا بني تميم » .

ونقل ابن الطلاع في كتابه (احكام رسول الله صلى الله عليه وسلم) ان الآثار اختلفت هل سجن النبي وابو بكر احدا ام لا . فذكر بعضهم أنه لم يكن لهما سجن ولا سجنا أحداً .وذكر آخرون أن النبي سجن متهما بالمدينة في تهمة دم وانه سجن آخر في تهمة أخرى ساعة من نهار ، ثم خلى عن المتهم ، فثبت بذلك أن النبي سجن وان لم يكن ذلك في سجن متخذ لذلك .

ولما انتشرت الرعية في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، ابتاع بمكة داراً من صفوان بن أمية بأربعة آلاف درهم ، وخصصها لهذا الغرض فكانت أول سجن في الاسلام .

وقد ثبت عن عمرٍ أنه سجن الحطيئة على الهجو ، وسجن عثمان صابي بن أبي الحرث ، وكان من لصوص بني تميم وفتاكهم حتى مات في السجن

وكان المسجونون يتولون الانفاق على انفسهم من أموالهم ، أو ينفق عليهم من الصدقات التي كانوا يتقادون لجمعها من الناس . وظل الامر على ذلك حتى أبطل علي ذلك ، وامر بأن ينفق عليهم من بيت مال المسلمين ، وكان يقول في ذلك « يحبس عنهم شرهم ، وينفق عليهم من بيت مالهم » .

السجن في العصر الأموي :

واستمر العمل بذلك طوال العصر الأموي .

وقد ابتكر معاوية نظام مراقبة المشبوهين في منازلهم . فأمر باعداد سجل لقيد أسمائهم . ثم عين زياد بن أبيه جعدا بن قيس لمراقبة نشاطهم . كما قيل ان معاوية كان اول من عين حراسا للسجون .

وكان الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز من اشفق الخلفاء على المسجونين وقد كتب الى عماله يقول (لا تدعن في سجونكم احدا من المسلمين في وثاق) لا يستطيع أن يصلي قائما ، ولا تبيتن في قيد الا رجلا مطالبا بدم ، واجروا عليهم من الصدقة ما يصلحهم » .

السجن في العصر العباسي :

وفي العصر العباسي كان المسجونون يحبسون احيانا في دورهم أو في دور بعض الاشخاص الموثوق بهم فلا يغادرونها الا باذن ، وقد أمر الرشيد بحبس بعض خصومه العلويين في دار الفضل بن الربيع ، فكان يحسن معاملتهم ويقدم اليهم في كل وجبة مائدة كمائدته .

وكانت للرشيد دور اخرى يتخذها سجنا لبعض الاشخاص وأشهرها دار السندي بن شاهك . وكانت تلك الدور تتخذ لحبس الخصوم السياسيين . والمذنبين الذين يرجى صلاحهم .

وقد طلب الرشيد من القاضي أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبى حنيفة أن يحدد الأسس التى ينبغى ان تقوم عليها معاملة المسجونين ، فأعد له دستورا محكما، سبق به دعاة الاحسان الى المسجونين من الأوروبيين بنحو عشرة قرون .

الإنفاق على المسجونين :

وقد أوصى أبو يوسف بأن يجرى على المسجونين الفقراء من الصدقة ، أو من بيت المال وقال « وأحب الى أن يجرى من بيت المال على كل واحد منهم ما يقوته . فانه لا يحل ولا يسع الا ذلك » ..

ويبدو أن بعض الحكام قد أهمل الانفاق على المسجونين الفقراء قبيل عهد الرشيد فقد اضاف ابو يوسف فى نصيحته اليه « والأسير من أسرى المشركين لا بد أن يطعم ويحسن اليه حتى يحكم فيه ، فكيف برجل مسلم قد أخطأ أو اذنب يترك يموت جوعا ، وانما حمله على ما صار اليه القضاء أو الجهل » ..

تغذية المسجونين : ــ

ثم حدد أبو يوسف وسائل الانفاق على تغذية المسجونين ، مع ضمان عدم تسرب ما تقرره الدولة لهم الى ايدى السجانين ، فقال « فمر بالتقدير لهم ما يقوتهم فى طعامهم وادمهم ، وصير ذلك دراهم تجرى عليهم فى كل شهر ، بدفع ذلك اليهم ، فانك ان أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة ــ وهم الحراس أو الشرطة ــ وول ذلك رجلا من اهل الخير والصلاح يثبت اسماء من فى السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكن الأسماء عنده . ويدفع ذلك اليهم شهرا بشهر ، ويقعد ويدعو باسم رجل رجل . ويدفع ذلك اليه فى يده فمن كان منهم اطلق وخلى سبيله رد ما يجرى عليه ، ويكون للاجراء عشر دراهم فى الشهر لكل واحد وليس كل من فى السجن يحتاج الى ان يجرى عليه » ..

كسوة المسجونين : ــ

ثم نصح أن يمنح الكساء الى المسجونين مرتين فى السنة ، احداها فى الصيف والأخرى فى الشتاء فقال « وكسوتهم فى الشتاء قميص وكساء وفى الصيف قميص وازار ، ويجرى على النساء مثل ذلك ، وكسوتهن فى الشتاء قميص ومقنعة وازار » .

تشغيل المسجونين : ــ

وكان تشغيل المسجونين معروفا فى ذلك الزمن . وكان يغلب الا يؤدوا تلك الاعمال لحساب الدولة ، بل كان يسمح لهم بأدائها للارتزاق منها ، اى لحسابهم .

وكان ذلك النظام متبعا على الأخص فى العصر الطولونى حيث كانت حياة نزلاء السجون تقترب من حياتهم العادية . وكان من أنواع السجن ، أن يؤمر المسجون بأن يلزم داره فلا يغادرها .

الرعايـــة الصحية : ـــ

وجاء في (اخبار الحكماء) للقفطى أنه كان يخصص أطباء لزيارة المرضى بالسجون ، وحمل الأدوية والاشربة اليهم .

وقد ذكر ابن أصيبعة فـــى كتابه « طبقات الحكماء » نقلا عن ثابت بن سنان :

« اذكر وقد دفع الوزير على بن عيسى بن الجراح الى والدى سنان ابن ثابت أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله ، وتدبير المملكة فى أيام وزارة حامد بن العباس فى سنة كثرت فيها الأمراض جدا ، وكان والدى اذ ذاك يتقـــلد البيمارستانات ـــ أى المستشفيات ـــ ببغـــداد وغيرهـــا توقيعا يقول (فكرت مد الله فى عمرك فى أمر من الحبوس ، وانه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهـــم أن تنالهم الامراض ، وهم معوقون عن التصرف فى منافعهم ، ولقاء مـــن يشاورونهم من الاطباء فيمـــا يعرض لهم . فينبغى أن تفرد لهم أطبـــــاء يدخلون اليهم فى كل يوم . وتحمـــل اليهم الادوية والاشربة . ويطوفـــون فى سائر الحبوس ويعالجون فيهـــا المرضى ويزيحون عللهم فيما يحتاجون اليه من الادوية والاشربة . ويتقـــدم بأن تقام لهم المزورات لمن يحتاج اليها منهم) ففعل والدى ذلك طوال أيامه .

دعوة جريئة فى ظلمـــات عهـــد المماليك : ـــ

وعندما كانت تسوء حال السجون ويحرم نزلاؤها من المعاملة الرحيمة ، التى وضع أصولها الخلفاء والائمـــة الاوائل ، كان ينبرى بعض العلمـــاء للدفاع عنهم ، والاهابة بالحكـــام أن يتقوا الله فيهم .

ومن العلماء الذين اقتدوا بالامام أبى يوسف فى الذود عن المسجونين العلامة تاج الدين عبـــد الوهاب السبكى المتوفى سنة ٧٧١ هجرية أى فى عصر المماليك الـــذى تعددت فيه المظالم واكتظت السجون بالأبرياء ، فنصح القائمين بأمرها ـــ فى كتابـــه (معيد النعم ومبيد النقم) ـــ أن يرفقوا بالمسجونين . ويخففوا عنهم عـــذاب السجن ، والا يمنعوا عن مرضاهم ما قد يكون فيه علاجهم . كشم الرياحين والا يمنعوهم من صلاة الجمعة ، الا اذا منعهم القاضى من ذلك .

والواقع أن السجن وان كـــان أسلم العقوبات فقد تأول بعضهم قوله تعالى : ـــ

« الا أن يسجن أو عذاب اليم » أن السجن من العقوبات البليغة لأنـــه سبحانه وتعالى قرنه مـــع العـــذاب الأليم . وقد عد يوسف عليه السلام الانطلاق من السجن احسانا فى قوله « وقد أحسن بى اذ أخرجنى مـــن السجن » .

ومن أجل ذلك فقد حرص حكـــام المسلمين الاول ، أن يتقوا الله فى نزلاء السجون وأن يخففوا عنهم آلامها قدر الامكان ، فسبقوا حكـــام أوروبا مئات السنين ، فى مضمار الدعـــوة الى تحسين أحوال المسجونين . وحق على كل منصف من مؤرخى هـــذه الدعوة أن يذكروا فضلهم ، وفضـــل العلماء الذين كانت ترتفـــع أصواتهم للدفاع عن أولئك البائسين الـــذين حملهم على ما صاروا اليه ـــ كمـــا قال القاضى أبو يوسف ـــ (القضاء أو الجهل) .

التوريق

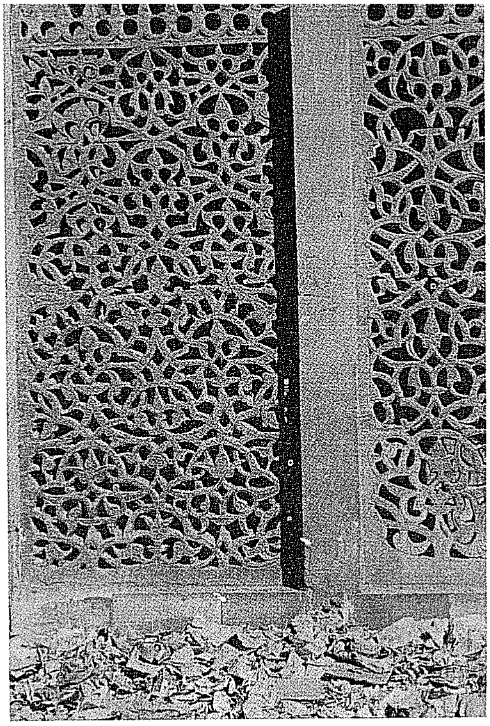
من روائع الفنون الإسلامية

للأستاذ : عبد المجيد وافي

كثيرا ما يصادف القارىء في موضوعات الفن الاسلامي عبارات اصطلاحية ، يتبادلها المشتغلون بهذه الفنون — فيما بينهم — دون أن يتعرضوا لها بالبيان أو التوضيح ، وذلك لوضوح معناها أو دواعي استعمالها فيما بينهم .

بينما يتابع تلك العبارات ، غير قليل من القراء بشيء من الجهد ومحاولة تلبية المراد منها ، ولو انهم وصلوا مما يريدون الى بغيتهم بشيء من البسط والايضاح ، لكان في ذلك لهم من المتعة الذهنية ، والتذوق الفني ما يعوضهم تطلعهم ، ودأبهم وراء المعنى الذي حاولوا فهمه .

وكلمة التوريق — عبارة اصطلاحية من هذه العبارات — تداولها المشتغلون بالفنون الاسلامية ، من العرب والمسلمين ، وكذلك من المستعربين والمستشرقين بين أقصى بقعة شوهد عليها مثال من فنون الاسلام شرقا ، وأقصى مكان في متاحف الغرب الاوروبي والامريكي ، التي عنيت باقتناء الامثلة العديدة ،



زخارف التوريق « مقدودة » فى الحجر الرملى بالخانقاه الجاولية ـ عصر المماليك ـ بالقاهرة .. تمثل قدرة الفنان ودقة الحفر المفرغ وروعة التشكيل .

بل المجموعات الواسعة من نماذج الفنون الاسلامية المختلفة ، من أصغر التحف المعدنية أو العاجية ، وقطع النسيج وشقف الاخزاف ، والاوانى الزجاجية ، أو مصنوعات الذهب والفضة ، الى أكبر الاحجام من الامثلة المعمارية ، من حجارة وعقود ـ أقواس البناء الحاملة للسقوف ـ ونوافذ الجص المشبكة .. الخ .. الخ ..

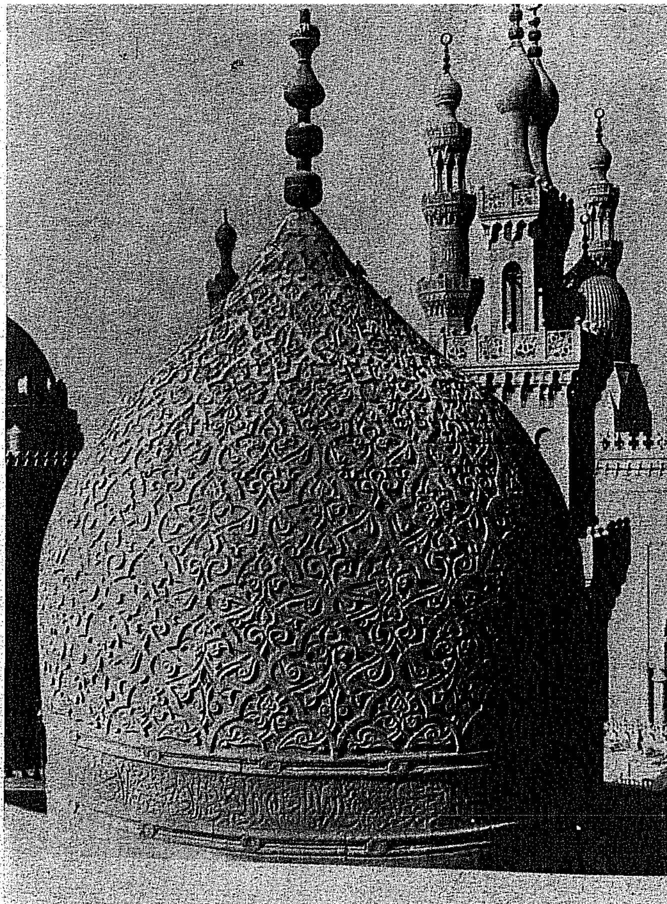
والتوريق ليس كما يبدو لاول وهلة فى تدبر القارىء ، هو استعمال الاوراق فى بعض صياغة أو احاطة شىء من هذه الصناعات الفنية أو تلك .

بل التوريق عنصر معين انتشر استعماله فى تشكيل وتنميق جميع فروع الفن الاسلامى على الاطلاق ، وأجاد رسمه وتوزيعه واستعمال وحداته ، كل مشتغل بفرع من هذه الفروع ، سواء أكان صانعا دقيقا ، يعمل فى مساحة محدودة كقلامة ظفر ، أو راحة يد ، من المعدن المنقوش ، أو الورق المكتوب المزوق ، أم حجارا أم رخاما أم نجارا ، يتناولون الاعمدة أو الواجهات المعمارية ، بالزخرفة المدقوقة أو المحفورة ، أو فى نوافذ الخشب أو المنابر أو الكراسى وما الى ذلك .

هذا العنصر هو الزخارف المشكلة من أوراق النبات المختلفة ، بأساليب متعددة من الافراد والمزاوجة ، والتقابل والتقاطع والتعانق ، مع تحوير فى أشكال هذه الاوراق ، قد يصل بها الى حد الاغراق فى التجريد بعدا عن الشكل الاصلى ، أو مقاربة بين حركات الاوراق على فروعها أو أغصانها ، كما لو كانت طبيعية غضة نضرة فى حديقة أو بستان ، يتمثل الفنانون فى ذلك كله أنواعا من نباتات مختلفة ، تشغل بها مساحات من سطوح الزخارف والتشكيل ، أيا كان محلها فى جوانب الفن الاسلامى .

. . . . .

أما كيف وغدت هذه التوريقات ، أو دخلت ساحة الفنون الاسلامية ، فذلك حديثنا ، ممتدا الى عمق الجمال الفنى فى هذا التوريق ، وروعة توزيعاته ، التى بهرت نقاد الفنون سابقين ومعاصرين ، حتى صار الاقتداء بها والاحتذاء لها مذهبا من مذاهب الفن المعاصر الحديث ، ينسب الى الفن الاسلامى أو العربى ARBESGUS ، ويتهافت على اقتناء روائعه مفتونو الغربيين ، كما كان يفعل أجدادهم البنادقة والانجليز والفرنسيون ، فى رحاب النهضة الاسلامية الكبرى .



التوريـــق الدقيق مع حساب استدارة القبة وانسياب التشكيل الى القمة المدببة .
فى قبة قانى باى الرماح ــ العصـــر المملوكى بالقاهرة ــ حجر رملى .



ولقد كان انتشار الاسلام عقيـــدة وعملا فى القرن الهجـــرى الاول ، يزحف مسرعـــا ليغطى مساحــــات شاسعة تدين بحضارات راســـخة الاقدام فى التطور الصناعى والتقـــدم الفنى ، فارس شرقا ــ وأعماق الفن الفارسى رحيبة ــ ، وبيزنطة شمالا وغربا ، فى سورية ومصر والشمال الافريقى ، وفنون بيزنطـــة ، كانت مستقلة بالتأثير فى سورية ، الا أنها كانت تتزاحم فى مصر مـــع الفن المصرى ، قبطى وفرعونـــى ، وفى الشمال الافريقى ، مع بقايا الفنـــون الفينيقية والافريقية .

وماكان الاسلام وعقيدته فـــى أول اندفاعه ، الا فاتحـــا هاديا معلما ، منقـــذا من ظلمات الرق الى نـــور الحرية ، يمحو الاستغـــلال ويحطم الاغلال ، فلم يكن الفن الذاهب أو الفن القادم هدفا له ، الا ما كان من هذه الفنون يحمل صورة من صـــور التعبد لغير الله جل وعلا ، فان تحطيم مثل هـــذا الفن كان هدفا من أهداف الاسلام .

وحسبنا ما فعلـــه رســـول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، يوم الفتح من تحطيم الاصنام حول الكعبة ، ومحو ما كان بداخلها مـــن صور ، ثم ارساله البعوث لتحطيم أصنام القبائل فى البادية .

الا أن ماصادف المجتمع الاسلامى الناشىء ، فى البقاع المفتوحة مـــن

ميراث غنى وحضارى ، تعوده أصحاب الارض قبل الفتح ، ثم لم يجدوا بأسا فى أن يأخذوا بخط منه ، بعد اعتناق الدين الجديد ، ثم انتقال هذا الخط الذى أخذوا به معهم فى بقاع الدولة الواسعة ، والى عواصمها ، المدينة المنورة ، أو الكوفة ، او دمشق او القيروان ، ذهابا وايابا ؛ كل ذلك قد صبغ الحياة فى الدولة الاسلامية ، ولما تمض المائة الاولى للهجرة — بلون من الترف الفنى — محدود أول الامر ، ثم أخذ فى الاتساع ، مع قيام الاسس الفنية العميقة ، التى انتسبت الى لون جديد من الحضارة ، وانطبعت بطابعه أصالة ، ودقة ، وعمقا ، ورقة ، وقد كانت فى الاصل تنبع من منابع مختلفة .

ولعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قد خاف مثل هذه الانعكاسات الحضارية وتأثيرها على بساطة المجتمع المدنى ؛ فنبه مؤكدا — عندما أعاد تعمير المسجد النبوى — وقال لمن كلفه بهذا العمل : لا تصفر ولا تحمر ، حتى لا تفتن الناس .

والمعروف أن عمر رضى الله تعالى عنه ، أعاد بناء المسجد بالحجارة والقصة « الجص » ، بدلا من اللبن ؛ وجعل عمده من الخشب بدلا من جذوع النخل ، وان لم يغير فى التخطيط الذى استنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

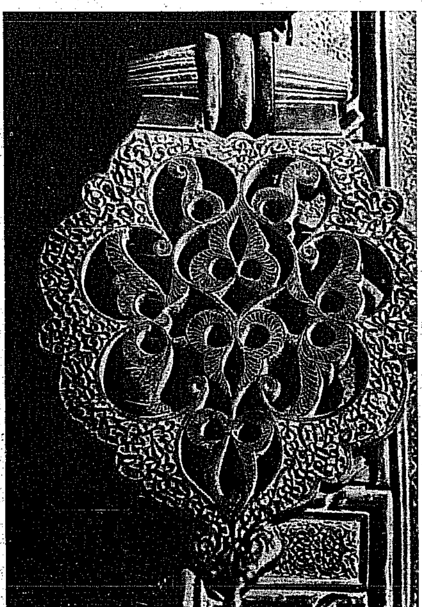
وما فعله عمر رضى الله تعالى عنه ، لم يلتزم به عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وكلاهما صاحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، شهدا معه المواقع ، كما شهد بالجنة لكل منهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعثمان رضى الله عنه ، قد كلف زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه — كاتب الوحى ، وهو الذى جمع القرآن على عهدى أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما — بالاشراف على عمارة المسجد النبوى وتوسعته لما هم عثمان بذلك .

وقد أجمع الرواة على أن عمارة عثمان بن عفان ، باشراف زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهما ، دخل فيها الحجارة المنقوشة والقصة ، فى الجدران ، والعمد التى حلت محل عمد الخشب فى حمل السقف ، وكذلك كان السقف من خشب الساج وقد زينه التذهيب (٢) .

وهكذا نرى التأثيرات الفنية قدمت بنفسها الى المدينة — المجتمع الاسلامى الاول — ولما ينقض عهد الخلفاء الراشدين .

وكان التوريق عنصرا من عناصر هذه التأثيرات الفنية الوافدة ، ضمن تأثيرات أخرى ، ولم يكن العمال القائمون بهذه التجديدات الا خبراء



التوريق فى النحاس المصبوب بمطرقة باب المسجد الجامع باشبيلية ٦ هـ ١٢ م .

وتفاصيل التوريق كتابات قرآنية تشكل بدن الورقة الخارجية .

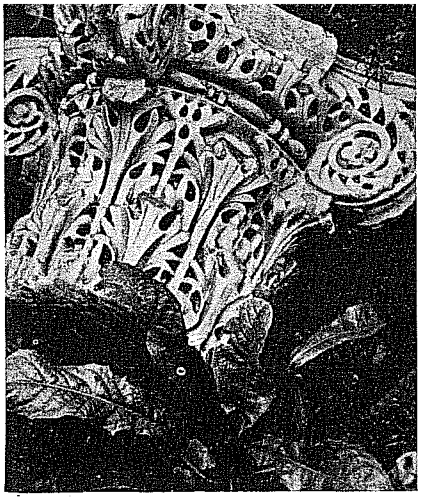
فى هذه الفنون زاولوها بالوراثة أو التعليم ، ذوى حس مرهف أعانهم على تعديل استعمالاتهم — بعد اعتناق الاسلام — للعناصر الفنية بما لا يخرج عن صريح العقيدة ومضمونها والتى ترفض تجسيم المعبودات ، وتهويل جو المعابد .

واذا كانت تشكيلات التوريق النباتى قد سبقت فى فنون ما قبل الفتح الاسلامى بصورة أو بأخرى ، الا أنها بشهادة غير المسلمين ، ودارسى تاريخ الفنون العربية والاسلامية (٢) قد اتخذت بعد انتشار الدعوة الاسلامية ، وبداية خطها الحضارى سمتا آخر ، أساسه التنويع ، والتتابع ، والتحوير .

لا شك أنها بدأت أول الامر قريبة من أشكالها فى الطبيعة ، اقتداء بالاساليب السابقة على التأقلم بالاسلام ، لكنها بدأت فى التغير عن أصولها ، مع احتفاظها بعنصر التعبير الجمالى ، والتحوير فى الشكل الاصلى وسيلة الوصول الى ذلك التعبير .

كما أنها بدأت أول الامر متماثلة ، ثم تنوعت ، وبدأت مفردة ثم تتابعت مستكملة بذلك أبعاد الاسلوب الثلاثة ، مشتركة حينا ، وينفرد التتابع بالتعبير أحيانا ، كما ينفرد التنويع أو التحوير .

وورقة النبات قد تستعمل وحدها ، أو مع ورقة لنبات آخر بالتبادل ، لتوقيع التوازن الموسيقى ، بالتفرغ من خط واحد أو خطين متعانقين ، مستمرة فى شغل فراغ افريز محدود ، أو مساحة واسعة ، دون ملل لهذا التتابع أو التعانق أو التقاطع أو التقابل .



الحقيقة والتقليد .. أوراق النبات فى أرضها ، والتوريق محفور على تاج عمود عربى من خرائب الزهراء بجانب قرطبة ... والصورة تمثل قدرة الفنان العربى على الاقتباس من روعة صنع الله .

وكأنى بهذه التوريقات أصوات المسبحين مترنمين بأسماء الله الحسنى فى تبادل صوتى ، بين الخافت الهامس ، والقوى ذى الرنين ، والرفيع ذى الجرس المطرب ، والغليظ ذى التردد ، كلما ردد المسبحون متجاورين أو متقابلين ، متأملين فيما يرددون ، أغرقوا فى بحر التجرد ، المحفوف بمعانى السمو ، الذى كسته اياه أسماء العلى القدير ، تجرد عن المثال وتعالى بنفسه ، ومجدته الصفات ، فهو العلى القدير الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والارض .

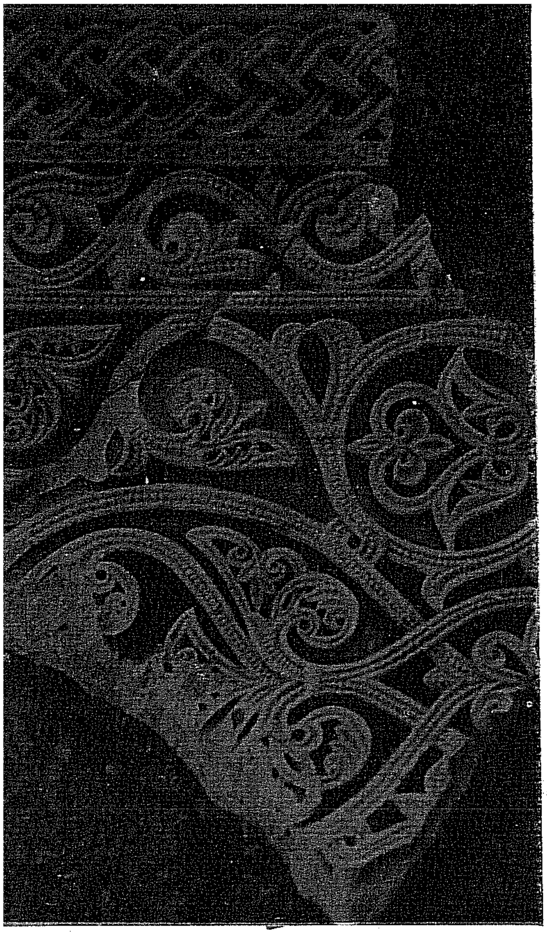
ولقد كانت ورقة العنب « مثلا » ذات الشعب الخمس ، عنصرا استعمله المصريون والسوريون قبل العصر الاسلامى ، فلما تطور المجتمع بعد الدعوة الاسلامية وصبغته حرية

المعقدة ، فى فطرة نابضة حية نابعة من فطرة الله ، ارتاحت يد الفنان فى تنسيقها عبر رسومه وتخطيطاته ، فخرجت عن جمودها وجفافها ، وخلعت رداءها التقليدى ، وكأنها التفت فى مهب الريح ، فانفتحت مرة وانكمشت مرة أخرى ، وهشت أحيانا ، وانتقبت اخرى ، واعتدلت أو انحرفت أو انشقت أو انبسطت ، واستوت اطرافها أو تضرست ، وتشكلت اشكالا غريبة متنوعة حتى كادت أن تفقد خصائص مظهرها ، وأصبحت فى بعض أشكالها نسيجا من صنع الخيال ، كالخيوط المتصلة أو الخروم الملتصقة » (٤) .

ولم يكن هذا هو حظ ورقة العنب وحدها ، بل شاركتها غيره أوراق الصنوبر أو الكافور أو الصفصاف ، بسمتها المستطيل والطرف الرمحى المدبب ، بدأت أول الامر مستقيمة ، ثم التف طرفها فى انسياب حتى عاد ملامسا أصلها ثم تعانق معه أحيانا أو تقاطع ، مكونا أشكالا قلبية أو نجمية فى تناسق مطرد وتقابل متفرد .

تشكيلات بديعة ، بعدت أصلا وفرعا عن استعمالات الفنانين السابقين ، وغالى اللاحقون فى التنويع والتعدد بقصد التطريب فى الشكل ، مغالاة تنم عن سعة الخيال، ورحابة الافق ، ممايتنقل الفنان من مرحلة الاغراق فى الحس ، الى السمو فى التأمل ، وبلوغ درجة عالية من التصوف الفكرى ، والتأمل فى عظيم صنعة الله بورقة من أوراق النبات ، تقود العبد فى تأمله الى عظمة الخالق وعظمة الملك فيغرق فى خضم الملكوت الواسع .

وذلك هو السمت الذى ميز الفن الاسلامى بصوفيته العميقة ، وبهر نقاد الفنون سابقين ومعاصرين ، وأقدم الحاقدين الذين وسموه بالنقل



أوراق العنب مع فروعها حفرا على المرمر الوردى من جوانب مدينة الزهراء بجوار قرطبة وتلاحظ دقة الحفر واختلاف المستويات وتفريغ الوريقات .

والتقليد ، فاعترفوا له بالانفراد والجدة والتنوع .

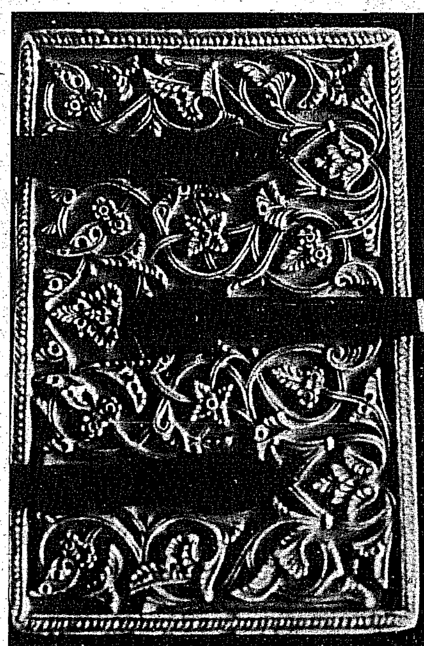
• • • • •

ولم تمض المائة الاولى من العصر الاسلامى ، حتى كان المسلمون آخذين بأسباب البحث فى كل تراث سابق للحضارة البشرية ، يعرضونه على عقيدتهم ، فما استقام معها أخذوا به ، وما تعارض عدلوا به الى السمت السوى والفكر المستقيم مع الفهم الاسلامى .



وبنفس الحس المرهف ، انتشرت أساليب التعامل الفنى من حدود السند الى شاطىء الاطلسى غربا ، ومن أرمينية شمالا الى المحيط الهندى أو البحر العربى جنوبا .

وساعد اتساع الدولة ، وحرية الانتقال بين ربوعها فى سرعة انتقال العلوم بين أقصاها وأقصاها ، كما ساعد على انتشار تقاليد الفنون وأساليبها ، وكان الحكام والولاة ووجوه البلاد يسعون الى استضافة عالم ، أو اقتناء مؤلف ظهر فى المشرق أو فى المغرب ، كما كانوا يسعى اليهم



التوريق فى الحفر على العاج من العصر الأموى بقرطبة ـ أسبانيا ـ ٤هـ. ١م.

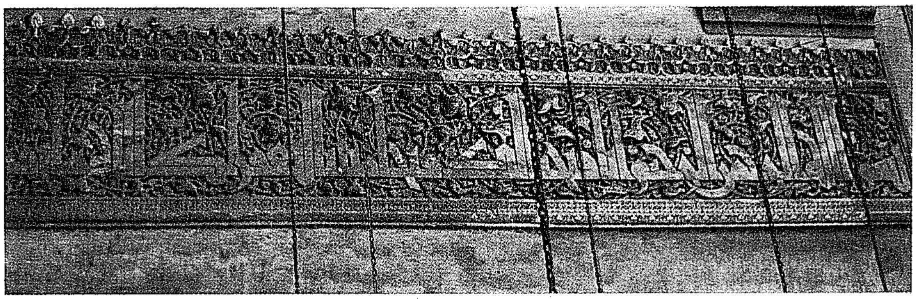
علبة مجوهرات لاحد قصور الخلافة .. وهناك زخارف متطابقة محفورة على المرمر بجوانب محراب المسجد الجامع بقرطبة .

بطرف الفنون وغرائبها ، أو يسعون هم فى طلب صانع مبدع ليختصهم بروائعه ، وبدائع صنائعه ، كما كانت عوامل الهجرة سياسيا ساعدا فى انتقال فنانين بعينهم من قطر الى قطر ، مما نشط الاقتباس وانتقال الاساليب الفنية ، وذلك كهجرة الاسبان الربضيين أيام الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الاول ـ نهاية القرن الثانى الهجرى وبداية القرن الثالث ، وقد استقر بعضهم فى الاسكندرية يومئذ ، واستمر الباقون فى الهجرة الى جزيرة كريت .

وفرار بعض أفذاذ صناعة النحاس المكفت من الموصول فرارا من وجه التتار أيام المحنة المشهورة واستقرارهم بالقاهرة .

وقد تنوعت أساليب التوريق فى الشرق ، وابدع أهل المغرب الاسلامى فيما نقلوه عن أهل المشرق ، ولا يخطىء الناظر الى الوحدة التشكيلية أن ينسبها الى الفن الاسلامى، شرقية أو غربية ، وذلك نابع من حقيقة أساسية ، أن وحدة العقيدة كانت عاملا فى وحدة الثقافة ، وأساسا لوحدة الفنون ، وان كان على الباحث المتخصص أن يدرك الفرق الدقيق بين خصائص صناعة الفنان المشرقى أو المغربى ، وكثيرا ما حار القوم فى ذلك لشدة التقارب والتنافس بين أهل تلك الفنون .

وكانت تشكيلات التوريق أول أمرها فى سورية ومصر ، مستقلة بفراغها الذى تشغله دون تداخل من عناصر أخرى ، فيما يصنع الحفارون على الحجارة أو الاخشاب ، كل يحاول أن يثبت ليونة مادة صناعته فى يده ، فابتكروا الحفر العميق أول الامر ، ثم ظهر الحفر المائل ، ثم لعبت مستويات الحفر فى يد الرخام أو النجار ، حتى قاربت ليونة الاوراق على فروعها وأغصانها ، فى نهاية



طراز الكتابة بجامع ــ مدرسة ــ السلطان حسن بالقاهرة ..
« بسم الله الرحمن الرحيم . انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله .. الى آخر الايات
كوفى مملوكى انبسط علــى خلفية ـــن التوريق الأندلسى .

العصر الفاطمى بمصر ، وكذلك أيام الامويين بالاندلس العربى ، بينما تناقلت أساليب التشكيل فى شمال افريقية ، خصائص مصرية وسورية حينا ، ثم أندلسية مرة أخرى .

وانتقلت عدوى التوريق الى الوراقين واصحاب صناعة الكتب واستنساخها ، وبدلا من ازميل الرخام واداة النجار فى حفرهما ، قامت الفرشاة بتوزيع التوريق مسطحات ومساحات على صفحات الكتب ، محيطة بالمناوين الرئيسية ، أو افاريز حول الكتابة فى الصفحات ، مدادها ماء الذهب واللازورد ، وروائع الالوان .

ثم يتلد هؤلاء وأولئك ، حفارو المعادن ، نقشا ، وتلبيسا بالذهب والفضة على النحاس أحمره واصفره ، فلا يقصرون عن اخوانهم ابداعا وتصنيفا ، فى أباريق الماء أو الوضوء ، وشماعد الضوء وثرياته .

ولا يلبث الرخامون والحجارون والنجارون أن تصيبهم عدوى التلوين من مزخرفى الكتب فنرى الجدران والسقوف قد اكتست بالالوان والتذهيب بهاء على بهاء .

كل هذا وعنصر التوريق لا يكل عن التطور والتحور ، بما يقتضيه المقام والمكان ، حتى تجاورت اساليب الصناع ، وتحاورت فى مناظرات فنية على صعيد العمارات والمنشآت والتحف والطرائف .

ثم اتسع استعمال زخارف التوريق ، حتى اصبحت تغطى مساحات واسعة ، من العمائر أو التحف ، وتكفى نظرة الى باب معدنى « نحاسى » من أبواب المدارس والمساجد فى العصر المملوكى بمصر ، أو باب جامع قرطبة الاعظم أو جامع اشبيلية ، فى اقصى المغرب الاسلامى يومئذ ، لنرى مساحات التوريق الواسعة وقد تشابكت أغصانها وتقاطعت فروعها فى ليونة عجيبة رغم صلابة المعدن .

وواجهات معمارية واسعة فى آسيا الوسطى وما وراء النهر ، قد غطتها ترابيع الخزف اللامع ، يشغل سطوحها تشكيلات التوريق الملون تحت الدهان ، بالازرق أو الاخضر والاحمر والذهبى ، فى تناسق بديع ، بل ان عناصر التوريق فى مساحات كبيرة من الخزف الازرق فى بعض المساجد الايرانية والمصرية ، جعلت الزوار والسائحين الباحثين عن هذه

الروائع يسألون عن : المسجد الازرق ، وذلك لاشتهار مساجد بعينها بهذا الاسم في هذه البلاد أو تلك .

وذلك كمسجد الشاه عباس بأصفهان « ١٦/١٥ م ١٠/٩ هـ » ومسجد آق سنقر « ابراهيم آغا مستحفظان » بالقاهرة والخزف الملون الازرق فيه من سنة ١٠٦٢هـ — ١٦٥٢م .

ومن الطرف البديعة بالمتحف الاسلامي بالقاهرة ، باب مصفح بالنحاس ، قوامه مساحات التوريق المتشابك الجميل ، حاول الفنان اظهار براعته في انفراده بأسلوب جديد ، تحولت فيه التوريقات المشبكة بالاغصان الى حيوانات صغيرة وطيور في أوضاع مختلفة متفرعة من الاغصان كالاوراق والزهور ، ذلك الباب باسم الامير سنقر الطويل من أمراء المماليك .

وهكذا صارت عناصر التوريق اساسا تشكيليا في توزيعات الفنون وتنوعاتها ، وأصبح على كل فنان اتجه الى نوع من هذه الصنائع ، أن يجيد التوريق أولا كمقدمة لتوقيعه على التحف والطرف بالآلات والوسائل المختلفة .

وكثيرا ما شاع توريق ابتكره مذهب وراق ، فنقل عناصره رخام أو حجار أو نجار ، ثم قلدهم خزاف أو صناع الشماعد وثريات الضوء من النحاس ، صافيا أو مكفتا بالذهب والفضة .

واذا كانت رحلة التوريق تطول عبر القرون بين مشرق الاسلام ومغربه ، فان أروع ما نراه من هذا التوريق سموا وتصوفا ، توريقات الزخارف في قصور الحمراء ، بغرناطة الاندلس ، حيث برع فنان الزخارف الجصية في ان يشكل الأوراق في أسلوب فريد ، جمل ابدان الوريقات نسيجا من اسم الله الاعظم ، متسلسلا متقابلا تقابل التسبيح وتسلسله في أعقاب الصلوات ، على السن القائمين الذاكرين ، فاينما انتقلت عيون الناظرين على الجدران وراء تسلسل التشكيل التوريقي ، تابعت اسم الله رؤية وتلاوة وتسبيحا ، جمال انارة اسم الله وزينه .

. . . . .

هذا كله عندما استقل التوريق بالتشكيل ، لكن المظلمة التى بلغت حد الاعجاز ، تتجلى في الجمع بين عنصر التوريق ، والكتابة كوفية أو نسخية ، ولست هنا بصدد الكلام عن الكتابة ، كعنصر من عناصر التشكيل الفني في فنون الاسلام ، فذلك موضوع آخر يشوق قارئه ، كما يشوق صانعه أو صائغه ، ولعلي أعود اليه بتفصيل مناسب ان شاء الله في عرض آخر .

وانما حديثي ، مستمر عن التوريق كمستوى من مستويات التشكيل الفني عندما تداخل مع الكتابة ، وقد كان التوريق وحده يشكل المستوى الواحد أو اكثر من المستوى في مزاولة الفنانين الاسلاميين ، على تنوع خاماتهم والوان صنائعهم .

ولقد كان اختلاف المستوى اكثر وضوحا في صناعة الرخامين والنجارين ، حيث يقد الفنان في الحجر أو الخشب سطوحا متتالية العمق من التشبيك والتوريق يعلو بعضها بعضا ، منه في صناعة المذهب الوراق ، الذى يتحتم عليه أن يمثل اختلاف الارتفاعات وتداخل التوريقات بتباين الالوان وتغاير الاصباغ .

أما عندما تشابك التوريق مع حروف الكتابة أو عانقهما أو تفرع عنها ، دون أن يخل ذلك بأشكال الحروف ، ومعاني الكلمات ، آية كان ذلك المكتوب أو دعاء أو مديحا ، فذلك مما انفرد به الفن الاسلامي تمام الانفراد . ولقد برز جهد الفنانين في ذلك ، من حيث مغايرة مستوى التلوين أو الحفر ، لاحداث التوازن والتوافق الموسيقي بين الكتابة وخلفياتها المورقة ، وكذلك تباين دقة الحفر في الخلفيات ومسطحات الحروف عريضة أو دقيقة .

ولعل أبرز مثالين أسوقهما في ختام الحديث عن هذا التزاوج بين الكتابات والتوريق ، مثالان ، أحدهما مملوكي : هو طراز سورة الفتح في مسجد أو مدرسة السلطان حسن بالقاهرة ٧٦٤هـ — ١٣٦٣م .

والثاني اندلسي من العصر النصري ، هو طراز من شعر ابن زمرك الوزير الغرناطي على جدران قاعات الحمراء — ٨/٩ هـ — ١٤/١٥م —

أما الاول فطوله ما يقرب من ٤٠ مترا بعرض ٥٠ سم تقريبا يطيف بإيوان القبلة مبتدئا من اليمين ومنتهيا باليسار ، قوامه آيات من سورة الفتح ، كتبت بخط كوفي مملوكي غير منقوط ، حروفه عريضة طويلة القوائم بسيطة التكوين ، فرشت على خلفية من التوريق الدائري المتتابع في لا نهائية مطلقة حتى ليظن المتتبع لتسلسله تحت الكتابة ، أنه بدا مع الاستعاذة بالله والبسملة ، ولم ينته الامع صدق الله العظيم .

واذا كانت الكتابة تكون السطح او المستوى العالي ، وخلفها التوريق ، فانه يكون مستويين تحت الكتابة من التفريعات الدقيقة والتوريق الرشيق ، مع تعدد أشكال الاوراق وتنوعها صلبة أو مخرمة ، آية في رقة التشكيل والتقابل والتقاطع والانثناء والانفراج .

وقد اشتهرت هذه الفترة من العصر المملوكي بهذا اللون من التوريق ، وخاصة العمائر التي اقيمت في عصر المنصور قلاوون — ٦٨٣هـ ١٢٨٤م ، ثم ابنه الناصر محمد ، ثم السلطان حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت كلها عمائر فارهة ، حوت الوانا من الفنون والصنائع البديعة ، واقتبست كثيرا من عناصر اشتهرت بها العمارة الاندلسية ، واهم هذه العناصر ، طرازات الجص المشغول بالتوريق ، وطرازات الكتابة النسخية أو الكوفية ، ذات الخلفيات المورقة .

وهكذا نعود الى حرية حركة الفنون وعناصرها بين بلاد الاسلام .

أما المثال الثاني ، فلا تخلو قاعة من قاعات الحمراء منه ، قصائد قالها ابن زمرك الوزير الغرناطي ، في مدح سلاطين بني نصر بن الاحمر ، آخر من حكم في الاندلس عامة ، وغرناطة خاصة من ملوك المسلمين .

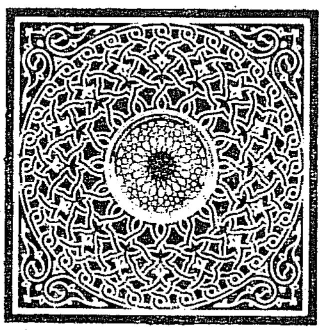
والكتابة كلها من الخط النسخي المغربي على الوجه الاغلب ، ذي الحروف اللينة والقوائم المستطيلة السامقة ، قريب من النسخ المملوكي مع ليونة اكثر من صاحبه ، والخلفيات هنا اوراق صفصاف تعانقت وانفردت ، وتزاوجت وانفرجت ، وانثنت حينا ثم اعتدلت ، في تشكيل ذي مستويات ثلاث تحت مستوى الكتابة ، حفرت على الجص في رقة ودقة رائعة ، وزاد من روعتها ما سبق أن ذكرته من تصوف الفنان ، حتى جعل التوريقات سطوحا مخرمة تخريما قوامه لفظ الجلالة — اسم الله

الأعظم — في تسلسل وتتابع وانسياب يدل على تمكن فني فريد ؛ أبى الزمن أن يقربه بالفناء ، لاحتوائه اسم الله ، يسبح به ربه كل من رآه ؛ رغم مرور قرون أربعة أو تزيد ، ورغم هشاشة المادة التي شكلته وهي الجص ؛ ولا شك أن عوامل الصيانة من قوم أدركوا القيمة الفنية لهذه الروائع ، يجنون من ورائها الذهب السائل من أيدي سائحين ؛ يبلغ تعدادهم ٣٠ مليونا .

هذا غير جامات الكتابة الكوفية ؛ بالعبارة المشهورة هناك « ولا غالب الا الله » و « الحمد لله على نعمة الاسلام » في تراكيب متشابكة ومضفرة تضفيرا رائعا خلفياتها بسط التوريق المخرم ، تسبح أوراقه باسم الله العظيم .

واذا كانت الخلافة العثمانية قد ورثت جزءا من الميراث الاسلامي عنوة أو اختيارا ؛ وبالتالي جمعت فنون المسلمين وفنانيهم ؛ فان التوريق ظل خلف كل جهد لفنان ، في كتاب من الجلدة الى الجلدة كما يقول المثل العامي ، أو أي نوع من أنواع المشغولات الفنية من نجارة وخزف ورخام وتطعيم وتكفيت وتلبيس .

وما زال قرة عين كل محب لفن ؛ قوامه التصوف والتسبيح لصاحب الكون رب الابداع من ورقة الشجرة أو الزهرة الى المجرات في كبد السماء (٥) .



---

١) « مسالك الابصار » للعمرى ج١ ص ١٢٥

٢) « وفاء الوفى » للسمهورى ج١ ص ٣٥٥ ، فتوح البلدان للبلاذرى ص ٦ . على سبيل المثال لا الحصر

٣) M. S. Dimand : A handbook of Mohammadan Art. Metropolitan Museum of art. New-York P. 69.
Moorish Tpain by Enrique Sordo P. 139.

٤) « المدخل الى مساجد القاهرة ومدارسها » للدكتور احمد فكرى .

٥) ليس ذلك من سبيل التعبير الانشائى ، ولكنه اشارة الى عنصر آخر من فنون الاسلام هو الزخارف والتشكيلات الهندسية ذات التكوين النجمى ، التى عجز عن حصرها النقاد والمشتغلون بالفنون .

كتاب الشهر

والموعد الله

تأليف : الأستاذ خالد محمد خالد
عرض وتحليل : الأستاذ محمد عبد الله السمان

ما إن فرغت من قراءة الكتاب الذى نشرته مكتبة الزهراء بالقاهرة كأحدث إنتاج للاستاذ خالد ، حتى تساءلت :

أين يقف الاستاذ خالد اليوم ؟ وإلى اين يتجه ؟

يمكننا أن نعتبر هذا الكتاب لونا جديدا للاستاذ خالد مع شيء من التحفظ ، فقد اتجه فى السنوات الأخيرة الى الدراسات التحليلية لبعض الشخصيات الاسلامية التى لها فى نفوس المسلمين إجلالها ، وفى قلوبهم مكانتها ، وفى اذهانهم قداستها ، قدم لنا : انسانيات محمد — بين يدى عمر — وجاء ابو بكر — فى رحاب على — وداعا عثمان — أبناء الرسول فى كربلاء — معجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز ، بالاضافة الى : معا على الطريق ، محمد والمسيح ، ثم رجال حول الرسول .

والكتاب الاخير « رجال حول الرسول » صدر فى خمسة اجزاء فى أحجام كتبه المعروفة ، وليست الدراسة فى هذا الكتاب ترجمات وافية عن النماذج التى اختارها من اصحاب رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما هى دراسة تحليلية عن بعض جوانب العظمة فى اشخاصهم ، وكتابه الاخير : « والموعد الله » الذى بين ايدينا ، هو ايضا دراسة تحليلية ، اختار لها نماذج من رجال التصوف فى مراحله الاولى والمتوسطة .

إذن فكتابه الجديد هذا لون جديد لانه — وحسب — قد اختار نماذجه من صنف جديد من الناس ، وهو فى نفس الوقت ليس لونا جديدا من حيث المنهج ، فهو دراسة تحليلية سبق له أن مارسها فى كتابه الذى اشرت اليه : « رجال حول الرسول » مع فارق شبه جوهرى ، هو أن الاستاذ خالد فى كتابه « رجال حول الرسول » كتب دراسة تحليلية

عن جوانب العظمة فى النماذج التى أختارها ، وهـذه الجوانب بمثابة مفاتيح لشخصياتهم ؛ أما فى كتابه الاخير « والموعد الله » فقـد كتب دراسة تحليلية أيضا ، لكن عن أحوال نماذجه التى اختارها ، تكشف عن شفافية أرواحهم ، وصفاء أذهانهم ، ونقاء نفوسهم .. ثم خلاصة فلسفتهم فى الحياة ، وهى فلسفة تنم عن سلبية فى جل ظروفها .

فمن هؤلاء ؟ يقول الاستاذ خالد فى مقدمة كتابه :

« من المؤمنين رجال نعتهم الرسول عليه السلام بأنهم : « أهل الله وخاصته » أولئك الذين تبتلوا لله ، وحملوا بإيمانهم وفى قلوبهم نور القرآن الكريم ، لم يلههم فى طول الدنيا وعرضها شىء عن ذكر الله .. بل نذروا لله حياتهم ، واسلموا إليه وجودهم ، واتخذوه وكيلا » .

وما يريد أن يقول المؤلف فى هذا الكتاب ؟

يقول : إن هذا الكتاب ، ليس تاريخا لهم ، ولا تقديما لسيرهم ، انما هو محاولة لرؤية أفكارهم وفلسفتهم تجـاه طائفة من القضايا التى يناط بها مصير الانسان وخلاصه .. ومن خلال الكلمات الفاتحة والمضيئة التى عبروا بها عن انفسهم ، وضمنوها فكرهم العميق والعريق ، نحاول تحقيق الغرض الذى انعقد عليه عزم هذا الكتاب » .

اما هذا الغرض الذى انعقد عليه عزم الكتاب ، فقد أوجزه المؤلف فى عبارتين موجزتين ذيل بهما عنوان كتابه :

كيف يفكر أهل الله ؟ وفيم يتحدثون ؟

يرى المؤلف اننا أمام هذا الرعيل الكريم من اهل الله وخاصته ، إنما نتلقى منهم وعنهم طرازا فريدا من التجربة الانسانية المفعمة بروعة المعاناة ، وعظمة الوسيلة ، وجلال الغاية ، ومهما يكن الخلاف أو يطل الحوار حول منهجهم فهناك حقيقة تفرض نفسها على أولى الألباب الذين يعنيهم دوما أن يعرفوا : تلك هى أن التجربة الروحية السلوكية التى شكلتها حياة أولئك الأبرار ، ليس لها من طراز سواها .. وأن حظها من الصدق حظ فريد . .وانها كانت — وستظل — تحمـل من الرؤى ما ليس للروح الانسانى عنه غنى ، . وتحمل من الثراء العلوى مالا يبدد فاقة النفس سواه » .

والاستاذ خالد يصور لنا أحوال احبابه من اقوالهم ، غير مـدع استيعاب كل اقوالهم ، أو حتى جاء منها فى هذا الكتاب بالكثير ، وإن كان — كما يقول — تتبع الكثير الباهر من اقوالهم فى مصادر شتى ، ثم راح يستلهم هذه الاقوال ما تنطوى عليه من فلسفة وأفكار ، ثم ما تطرحه من قضايا واتجاهات .

وبالطبع لم يضع المؤلف فى اعتباره البحث عن قيمة مصادره الشتى التى التقط منها بعض أقوال القوم ، على الرغم من اعتباره هـذه الاقوال فلسفات وأفكارا ، واتجاهات وقضايا ، فاذا سايرنا المؤلف فى اتجاهه ، كان علينا أن نشير — فى إيجاز — الى هذه القضايا التى رآها المؤلف ترجمة عن أفكار القوم وفلسفتهم ، والتى كاد يحصرها فى :

● الله هو الغاية : من أشواقهم إليه يبدأون .. وإلى مثولهم بين يديه ينتهون ، فاذا كان سبحانه « الآخر » الذى يقطعون الاعمار وثبا فى السفر الى رضوانه وجلاله ، فهو أيضا .. « الأول » الذى يبدأون الرحلة

من دعوته ومشيئته وتوفيقه . ومن إرادته التي تقول للشيء : كن فيكون .. ومن حوله وقوته اللذين لولاهما ما قدر أحد على حركة أو على سكون .. أما متطلبات هذا الطريق فأولها أن يسقط المريد إرادته . فالشيخ الواسطي يقول : « أول مقام ينزله المريد . هو إرادة الحق باسقاط ارادته » ثم التجرد من النفس . فالتخلي عن النفس أمثل طريق لاستبقاء النفس وإعلائها ، ثم الاشتغال بعيوب النفس عن عيوب الغير ، ثم الواضع حتى لا يكاد المريد يرى لأعماله الصالحات مقاما .

● الوفاء لله : فأهمية العبادة عند القوم ، أنها تمثل أوضح ملامح الإنسانية في الانسان « الوفاء » والذى لا وفاء له لربه ، إنسان ضاعت انسانيته في زحمة الظلمات .

● العلم والمعرفة : فأهل الله لا يعبدون الله اعتباطا ، ولا يمارسون العمل الصالح عن جهالة .. لا . بل إنهم ليقدسون المعرفة والعلم والحكمة ، ويسعون إليها جميعا ، بنفس القدر الذى يقدسون به العبادة والطاعة ، لكن العلم عند أهل الله ليس مسألة تحصيل ، بل محاولة لرؤية الحقيقة من داخلها ، يؤكد القشيرى ذلك بقوله : « هناك علم اليقين، وعين اليقين ، وحق اليقين : فعلم اليقين لأرباب العقول ، وعين اليقين لأصحاب العلوم ، وحق اليقين لأصحاب المعارف » .

● الزهد والورع : هذه النعمة التى افاء الله بها عليهم ، تخصصوا فيها وعرفوا بها ، فلقد كان موقفهم من مناعم الحياة ، بل ، ومن ضروراتها مثار العجب ، والحديث الطويل من الذين عنوا بدراسة تاريخهم ، ولقد بهروا بطريقة استغنائهم عنها ، وزهدهم فيها .. ويسترسل المؤلف في هذه القضية فقد وجد مجالا فسيحا في مصادره من كلمات القوم واحوالهم ، ينقل إلينا قول أبى حازم : « ما مضى من الدنيا حلم .. وما بقى منها أمانى » أما مسروق بن عبد الرحمن فقد أخذ ابن أخ له ، وصعد به كومة عالية ، كان الناس يتخذون منها ملقى لكناستهم وزبالتهم ، ولما ارتقياها قال له : ها هى ذى دنياهم تحت اقدامنا : اكلوها فأفنوها، ولبسوها فأبلوها ، وركبوها فأنضوها ، سفكوا من اجلها دماءهم ، واستحلوا فيها محارمهم ، وقطعوا فيها أرحامهم » .. وأما مالك بن دينار ، فلست ادرى أى لون ما فعله من الوان الزهد ؟ فقد وقع حريق كبير بالبصرة ذات يوم ، وعصف الهلع بالناس ، لكن مالك بن دينار ، أخذ بطرف ردائه ومشى فى شوارعها لا يلوى على شىء وهو يقول : « هلك أصحاب الأثقال » ! .

● الجهاد : إن إحساس المؤلف بأن هذه القضية لم تكن لتشغل القوم جعله يقول : « ولقد كان الظن بهؤلاء الذين لاذوا بشعاف الجبال فرارا بأنفسهم من الفتن ، أن يحصروا جهادهم في جهاد النفس .. لكن « أهل الله » وقد تحقق لهم « التكامل الدينى » على أفضل نسق ، لم يكن يفوتهم لله واجب » فهو يراهم نماذج كاملة بحق ، فهم فوق أرض القتال أكثر المقاتلين غبطة بالموت واستبسالا فيه ، كما يرى أن أفكارهم وكلماتهم عن هذه القضية أفكار وكلمات ابرار .. بلغوا الذروة فى حسن الفهم عن الله ، والفهم لدينه .

● الاعتزال لا العزلة : « أهل الله » لم يعرفوا العزلة ، لأنها موقف جانح يحمل صاحبه على الانسلاخ من الجماعة ، وانما عرفوا ــ فقط ــ الاعتزال ، فهو نوع من المراجعة ، يراجع المرء بها نفسه ، والناس الذين يصحبهم ويعيش بينهم ، فبمراجعة نفسه يعتزل ما يقترف من خطيئة أو فتور عن الطاعة ، وبمراجعة الناس ، يعتزل منهم الفاسد ، وكل من لا يكون عونا له على العبادة والخير .

● واخيرا : الموعد الله : كما بدأت مسيرتهم من الله ، ينتهى مسراهم ومعراجهم اليه سبحانه ، ويذكر المؤلف أنه لو أراد تلخيص حياتهم ومنهجهم فى عبارة واحدة لكانت « التجرد لله » وهذا التجرد لله ، والفناء فى جلاله ، هو عندهم « جوهر الحرية » لانهما : ــ التجرد والفناء ــ يعنيان ان صاحبهما لم يعد رقيقا لشىء من أشياء الحياة وعلاقاتها ، وانه قد صار كما يقولون : « فردا .. لفرد » .. هو ، والله .. فأى سيادة هذه ، وأى جلال ؟! إن هذا التجرد يعنى عند « أهل الله » أن الشخصية الباطنة للمتجرد قد اتصلت بخطوط مباشرة مع الملأ الأعلى ، بعد ان حققت أعلى درجات الانتصار فى حياة السريرة والضمير ، ويسوق المؤلف إلينا كلمات « بشر الحافى » : « من أراد أن يذوق طعم الحرية ، ويستريح من العبودية ، فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى » وهذا هو التجرد لدى المؤلف ، والذى هو بدوره الالتزام الأساسى للسائرين الى الله .. وهو ليس ترفا روحيا .. بل فريضة محكمة ، لانه التعبير الصحيح عن توحيد الله .. بل إن المؤلف يذهب بالتجرد لدى القوم الى مدى آخر متجاوزا شبه المنطقى المقبول ، فلا يقف بالتجرد عند حدود تجريد النفس عن رؤية الأغيار كافة ، بل تجريد النفس من رؤية ذاتها حتى وهى فى أبهى فضائلها ، حتى تصل الى حقيقة التوحيد ولبابه ، وآية ذلك التجرد ماثلة فيما يقول ابو عبد الله القرشى : « ألا يبقى لك منك شىء » وآيته كذلك ، تعرية كل قوى الحياة من طاقاتها المستعارة ، والرجوع بفاعلية الأسباب إلى مصدرها الحق سبحانه وتعالى .

ولست أدرى كيف يهضم الإنسان ما استشهد به المؤلف من كلمات « ميمون بن مهران » :

« يقول أحدهم : اجلس فى بيتك .. واغلق عليك بابك ، وانظر هل يأتيك رزقك » ؟ نعم والله ، ليأتينه رزقه ، ولو أغلق عليه بابه ، وأرخى ستره ، إذا كان معه مثل يقين « مريم » و « ابراهيم » عليهما السلام » .

ولا كيف يستسيغ بعضا مما ورد فى كتاب الاستاذ خالد من اتجاهات سلوكية للمتصوفة ــ أو بمعنى أدق ــ لكثير منهم ، وبخاصة فيما يتصل باضطهاد الحياة ، فاذا أردنا تطبيق ذلك على عهد أصحاب رسول الله ــ صلوات الله عليه ، خرجنا بإحدى نتيجتين لا ثالث لهما : إما أن يكون هؤلاء المتصوفة اكثر فهما لروح الشريعة ، وإما أن يكون الله قد خصهم بدرجة لم يخص بها أصحاب رسول الله فى مجال الايمان والمعرفة .

لقد حاول الاستاذ خالد أن يضفى على القوم الصوفية قيما دون أن يراعى مدى مطابقتها لواقعية الاسلام تجاه الحياة ، وقد استطاع بلباقته أن يجنب كتابه كثيرا من الشطط الذى ساير سلوك عديد من القوم ، وهذا

الشطط غصت به نفس المصادر التي التقط منها الكلمات والسلوك معا ، ليس معنى هذا ان ننكر أقدار الرعيل الاول من الصوفية قبل أن تشوبها أفكار دخيلة وانطباعات ذاتية غريبة لا تقرها روح الشريعة ، وانما المقصود أن تكون دراستنا للتصوف سلوكا وأقوالا تتميز بشيء من التجرد ، فالاستاذ خالد حول سلوك القوم وأقوالهم الى قضايا وفلسفات — لا أظن انها كانت تدور بخلد القوم ، أو تسيطر على أذهانهم .

تقول كتب القوم : إن ابراهيم بن ادهم — وهو من أعلامهم — عزم على أن يحج لله ماشيا ، وأن يصلي بين كل خطوتين ركعتين لله ، وقطع في رحلته أربعين عاما من حياته ، كما تقول هذه الكتب أيضا : إن القلانسي تزوج ، وبقيت زوجه في عصمته ثلاثين عاما ، ثم مات عنها وهي لا تزال بكرا .. لأن العبادة قد شغلته عنها .

وتذكر كتب القوم على لسان الحصري : ان الصوفي عنده هو الذي لا تقله الارض ولا تظله السماء .. « وعلى لسان الشبلي من أصحاب الجنيد : ان التصوف ، هو العصمة عن رؤية الكون » وعلى لسان سهل التستري : « ان الصوفي من يرى دمه هدرا ، وملكه مباحا » وعلى لسان ابي سهل الصعلوكي : « أن التصوف هو الإعراض عن الاعتراض » .

اما سلوك القوم كما ترويها كتبهم فلها العجب ، هذا الجنيد « سيد الطائفة » كما قيل ، يطلب التين ، ولم يكد يضع واحدة في فمه حتى يلقيها ويأخذ في البكاء ، فقد هتف به هاتف : أما تستحي .. تركته من أجلي ثم تعود اليه ؟! بل يروى عن الجنيد انه كان يدخل كل يوم حانوته ، ويسبل الستر ، ويصلي اربعمائة ركعة .. ثم يعود الى بيته .. بل إن الجنيد كان يحقر عمله إزاء عمل السري السقطي ، فيقول : « ما رأيت أعبد من « السري » أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤى مضطجعا إلا في علة الموت .. !

.. .. ..

وبعد — فقد كان الهدف من كتاب الاستاذ خالد أن يقدم نماذج من القوم طيبة ، ويبرز محامدها كما تصورها هو ، محاولا أن يؤكد منها اثنتين كانتا قلقتين في تاريخ القوم ، هما الاشتغال بالعلم وبالجهاد ، ثم يدفع عن نماذجه شبهة العزلة عن الحياة ، والاستاذ خالد سار على مناهج الذين سبقوه الى الكتابة عن القوم ممن يحسنون الظن بهم ، وهؤلاء — كما يقول الاستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه «نشأة التصوف» سمحت لهم طبيعة التصوف ان يضعوا من المناهج ، ويرسموا من الطرق ما يسمح به تفكيرهم ، وما تتسع له مداركهم ، وتسمو إليه أشواقهم ، لأن منهج التصوف منهج متصل بعالم الروح الذي لا تضبطه حدود » .

وعلى الرغم من أن المؤلف قد امتعنا بجولة روحية على صفحات مؤلفه ، لكن يبقى للقارىء أن يتساءل : أهي مرحلة نفسية انتقالية وقد يتساءل قارىء آخر :

.. أين يقف الاستاذ خالد اليوم ؟ .. بل الى أين يسير ؟؟

نصيحة ذهبية

إلى مفكري الغرب وزعمائه

الأستاذ محمود مهدى استانبولى

أيها الغربى ، أخى فى الإنسانية .

تحيات طيبة أبعث بها اليك من الشرق الجميل ، من بلاد العرب ، نبع النور والحكمة .

آملا أن تسمح لى ما دمت أخى فى الإنسانية — أن اقدم لك أعظم هدية ثمينة ، فيها سعادتك وسعادة قومك ، بل وسعادة البشرية جمعاء ، بل خلاصها من كل ما تعانيه من قلق واضطراب وفوضى .

اذكر — يا أخى فى الإنسانية — أن جزيرة العرب كانت تتخبط قبل أربعة عشر قرنا بالضلال ، والانحطاط ، والفساد ، والظلام ، فحدثت حادثة عظيمة استطاعت بسرعة عجيبة أن تجعل من العرب خير أمة أخرجت للناس ، فسمت بأخلاقهم ووحدت كلمتهم ، وجعلت منهم هداة مهديين انطلقت بهم فى ميادين العلم والمدنية ، فخرجوا الى العالم ينقذونه من ظلمات الوثنية ، والجهل .

فأسسوا أعظم حضارة عرفها التاريخ ، كانت سببا فى إنقاذ البشرية كلها من ظلمات الجهل ، والظلم ، بشهادة مؤرخى وعلماء الغرب المنصفين الذين راحوا يطلقون عليها اسم « المعجزة العربية » وهى ظاهرة تاريخية عجيبة تستحق الدراسة للإفادة منها ! ..

إن هذه الهدية هى : الاســلام !

ولا شك أنه بلغك عن هذا الدين الأخبار الكثيرة ، ولكن أغلبها مشوه وكاذب : شوهه أناس لا يخافون الله ، قد ماتت ضمائرهم ، غايتهم تضليل الأبرياء ، لتبقى لهم امتيازاتهم ويتسنى لهم امتصاص أموال الناس بالباطل .

كتبت إلي بعض الجمعيات الإسلامية في ديار الغرب ، تطلب مني أن أكتب لها رسالة في بيان مزايا الاسلام وحاجة الغرب اليه ، تترجمها الى اللغات الاجنبية وترسلها الى مفكري الغرب وعلمائه وزعمائه في مختلف المناسبات تدعوهم فيها للإسلام ، وذلك بناء على اقتراح لي ارسلته اليها .

واشترطت علي الإيجاز فسارعت إلى تلبية الطلب ، وكتبت لها الرسالة التالية ، آملا أن يتبناها من يقدر على تنفيذها ، وتعديل ما يراه ضروريا ، والله سبحانه نسأل أن يتولانا بعنايته وتوفيقه .

إن هؤلاء الأشرار يحبون أن يبقى العالم في شقائه ، فيسعون جهدهم لتشويه حقيقة الاسلام ، ليظهروه بمظهر سيء بمختلف وسائل الدعاية الكاذبة، لتنفير الناس منه ، وليبقوا في ظلام دامس ، وشقاء مستمر ، مثلهم في ذلك مثل اللص يحاول — أول ما يحاول — إطفاء المصباح لتسهل عليه السرقة !

إن هذا المصباح المضيء ، هو الاسلام الذى أضاء نوره العالم قبل أربعة عشر قرنا ، فهم يحجبون ضياءه بمختلف الحيل والأساليب ، ويخوفون جماعاتهم حتى من قراءة صفحة عنه ، لأنهم يعلمون أن حقيقته وعظمته ستجذبهم إليه فيدخلون في دين الله أفواجا .

ليست غايتي الدعاية للإسلام ، إنما غايتي الأولى هدايتك الى طريق الحق ، وإنقاذك من الضلال ، ومن الفراغ السحيق الذى تعانيه البشرية كلها بسبب النظم المادية التي تعكر حياتها ، وتهدد العالم بحرب هيدروجينية مدمرة نتيجة تركها للاسلام : شريعة الله !

وأهم ما ينبغي أن ألفت نظرك إليه أنك إذا دخلت الاسلام ، فلا تكون قد تركت ديانة المسيح عليه الصلاة والسلام .

أبدا ! إن الاسلام امتداد للمسيحية الصحيحة ، وإتمام لها ، كما أن المسيحية إتمام لشريعة موسى عليه السلام ، هكذا أعلن المسيح عليه السلام في قوله : « إنني ما جئت لأنقض الناموس ، بل جئت لأتمم » وقال النبى محمد صلى الله عليه وسلم : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

قال لوزارون (القس ياسينت سابقا) معترفا بأن الإسلام هو الدين

المسيحى محسنا ومحورا ، ونصح قومه الذين يلتمسون دينهم المفقود ان يستعينوا بالاسلام للعثور على ضالتهم المنشودة .

إنجيل يوحنا (١٤ ، ٢٤ ، ٢٥) ، إنجيل مرقس (١٢ ، ٢٨) ، إنجيل مرقس (١٣ ، ٣٢) إنجيل متى (٢٠ ، ٢) ، انجيل متى (١١ ، ١١) ،انجيل يوحنا (١٧ ، ٣) ، انجيل متى (٢١ ، ١١) ، انجيل يوحنا (٨ ، ٤) ، انجيل يوحنا (٦ ، ١٤) ، انجيل يوحنا (٥ ، ٨) .

اجل راجع هذه الفقرات وفى مقدمتها ما جاء فى (انجيل مرقس ٢ ، ٣٣ حيث يقول المسيح : « الحق قلت : لأن الله واحد ، وليس سواه » !

تجد توحيد الإله الذى جاء به الإسلام واضحا فى الأناجيل نفسها — كما هو واضح فى التوراة — مما لا يدع مجالا للشك فى أن الله سبحانه واحد لا شريك له ، الأحد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وان المسيح عبده ورسوله .

وراجع الفقرات التالية أيضا من انجيل يوحنا ، ومثلها كثير فى توراة يوحنا : ١٥، ٢٦ ويوحنا : ١٦، ١٢، ١٣ ، يوحنا : ١٥، ٢٢ ، يوحنا ١٦، ١٨ .

اجل راجع هذه الفقرات وفى مقدمتها : « إن كنتم تحبوننى ، فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد — أى خاتم الأنبياء — وروح الحق الذى لن يطيق العالم أن يقبله ، لأنه ليس يراه ولا يعرفه . وأنتم تعرفونه ، لأنه مقيم عندكم وهو ثابت بينكم « لأنه مذكور فى التوراة، والانجيل والفارقليط »(٢) . روح القدس الذى يرسله الأب باسمى هو يعلمكم كل شىء ، وهو يذكركم بكل ما قلته لكم . والآن قد قلت لكم قبل أن يكون حتى تؤمنوا ! » . أى تؤمنوا بالنبى محمد وتدخلوا فى دينه (يوحنا : ١٤ — ١٥) وما بعدها ..

بشارات التوراة بمجىء الرسول محمد :

فى التوراة عدد كثير من البشارات بمجىء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فعلى طالب الحقيقة مراجعتها فى الإصحاح (١٨ — والفقرة ٢٠) من سفر التثنية ، والإصحاح (٣٢ : والفقرة ٢١) والإصحاح (١٧ والفقرة ٢٠) من سفر الاستيثاء ، والإصحاح (٤٩ . الفقرة العاشرة) من سفر التكوين . والإصحاح (٤٢) من كتاب اشعيا ، والإصحاح الرابع والخمسين من كتاب اشعيا ، والباب الثانى من كتاب دانيال والفقرة ٣١ ، وجاء فى اشعيا الاصحاح ٦٠ والفقرة ١—٧ اجل فى التوراة بشارات كثيرة ، وفى مقدمتها ما جاء فى الاصحاح الثالث والثلاثين قولــه « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنــا من ساعير ، وتــلألأ من جبــل فاران » وفى الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ بالاضافة الى ما سبق « ومعه الوف الأطهــار » .

فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى ، وإشراقه من ساعير إعطاؤه الإنجيل للمسيح . وتلألؤه من جبل فاران إنزاله القرآن على الرسول محمد .

ويمكن أن نستدل على أن فاران هى الحجاز بما جاء فى التوراة على أن هاجر زوجة ابراهيم وأم اسماعيل سافر بها زوجها واسكنها برية فاران . ومما هو ثابت فى التاريخ أن هذه الهجرة كانت الى الحجاز ، وقاموس الكتاب المقدس نفسه ، يفسر فاران : بالحجاز .

وقوله « ومعه الوف الأطهار » يقصد صحابة الرسول محمد الذين رباهم

فكانوا أمثال الطهر والأخلاق المثالية والجيل المثالى العظيم .

لقد بشرت التوراة والانجيل بمجىء نبى بعد المسيح (عليه السلام) الذى ذكر قاعدة لتميز الرسول محمد عن الأنبياء الكذبة فقال : **« من ثمارهم تعرفونهم »** وهل أعظم من الآثار التى جاء بها النبى محمد من عند ربه ؟!

وفى مقدمتها : القرآن العظيم الذى لا يزال معجزته الخالدة على مر العصور، وقد تحدى الله سبحانه البشر أن يأتوا بمثله ، وأن يجدوا فيه عيبا أو مخالفة للبديهيات العلمية الثابتة بعد مرور أربعة عشر قرنا على نزوله ، ولم يقتصر الامر على ذلك ، فإن فى هذا القرآن عددا كثيرا من الآيات التى سبقت العلم ، مما لا يدع مجالا للشك انه من عند الله ، بينما جاء فى كتب بعض الأديان الأخرى من المهازل والسخافات والمتناقضات للعلم الشىء الكثير !

هذا وفقرة « من ثمارهم تعرفونهم » التى وردت فى الإنجيل ، وقد مر ذكرها ، فإنها علاوة على إشارتها إلى ما سبق ، فانها تدل أيضا على وعد السيد المسيح بمجىء الرسول محمد ، وأن اليهود ، والنصارى ، كانوا ينتظرون مجىء هذا النبى .

إن اليهود المعاصرين للمسيح كانوا منتظرين نبيا آخر مبشرا به ، وكان هذا المبشر عندهم غير المسيح ، بدليل أنهم سألوا يوحنا قائلين : أأنت المسيح ؟ ولما أنكر سألوه أأنت إيليا ؟ ولما أنكر ، سألوه : أأنت النبى المنتظر الذى أخبر به موسى . مما يدل على أن النبى محمدا كان منتظرا مثل المسيح وإيليا . ولكن لعن الله المحرفين والمضللين الذين يخفون الحقيقة !!

إنك تتأكد مما سبق أن السيد المسيح قد أخبر وبشر بمجىء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بصورة صريحة لا تدع مجالا للشك ، وحض على اتباعه ، وسرعة الإيمان به ، والدخول فى دينه .

فما عليك إلا أن تؤمن به وتدخل فى دين الإسلام .

واذكر بهذه المناسبة أن الإسلام قد أشاد بعظمة المسيح ، ورفع من شأنه، وأمر المسلمين بالإيمان به ، وأثنى على أمه مريم الصديقة ، فى آيات .

إن البشرية اليوم بحاجة إلى الاسلام ، بعدما أفلست جميع تشريعاتها ومذاهبها .

إن الاسلام قادر على حل جميع مشكلات الغرب ، بل مشكلات العالم بأسلوب طبيعى ، وإنقاذه من القلق والفوضى والهلاك الذى يهدده ، بسبب مذاهبه المنحرفة ، التى سببت النزاع بين جماعاته ، ذلك النزاع الذى يوشك أن يتحول إلى حرب هيدروجينية تعرض العالم والحضارة إلى الفناء .

إن الاسلام يرسم للعالم طريق السعادة الحقيقية ، ويقدم له الحلول السريعة لمشكلاته كما اعترف بذلك كبار الساسة ، والعلماء ، والمؤرخين المنصفين فى الغرب والشرق .

القوانين الطبيعية والتشريع السماوى :

اذكر ــ يا أخى فى الانسانية ــ أن الله العظيم قد وضع فى هذا الكون لتنظيم العلاقة بين البشر والطبيعة قوانين مادية ، فلا بد للإنسان من الخضوع لها إذا أراد أن يستفيد من الطبيعة ، وإذا خالف هذه القوانين عرض حياته للشقاء والانحطاط .

واذكر إلى جانب ذلك ان الله — سبحانه — وضع ايضا قوانين تشريعية لتنظيم العلاقة بين البشر بعضهم ببعض ، وهى ما تسمى الدين — فلا بد للإنسان من الخضوع لها إذا أراد أن يعيش سعيدا راقيا فى حياته . وإذا خالف هذه التشريعات عرض حياته للشقاء والهلاك .

وما تعانيه البشرية اليوم من فوضى ، وانحلال ، وحروب ، وفساد ، ما هو الا نتيجة مخالفتها للتشريعات الإسلامية الإلهية ، واعتمادها على تشريعات وضعية كانت سببا فى شقائها ، فكما أن الإنسان لا يقدر أن يعدل قوانين الإله الطبيعية ، كذلك لا يستطيع أن يعدل قوانين الإله التشريعية التى أنزلها عن طريق رسله إلى البشرية .

ويمكننا أن نقول أيضا : إن البشرية إذا كانت عاجزة عن وضع القوانين بينها وبين الطبيعة وقد وضعها الإله ، وفرض عليها اتباع هذه القوانين ، فهى عاجزة كذلك أن تضع القوانين التشريعية بين افرادها أنفسهم لأسباب وأسرار يطول الكلام عليها ، وقد وضعها الإله وفرض على هذه البشرية اتباعها ..

وقد جرب الفلاسفة ، والعلماء ، والساسة ، وضع مثل هذه القوانين قبل عهد أرسطو ، وافلاطون ، الى عهدنا هذا ، ففشلوا جميعا ، بعدما عرضوا شعوبهم بسببها الى الفوضى والهلاك .

فهذا أفلاطون (٤٣٠ — ٣٤٨ ق.م) فى كتابه (الجمهورية) ، وهذا كنفوشوس (٥٥٠ — ٤٧٩ ق.م) فى كتابه (الحوار) ، وهذا الفارابى (٨٤٠ — ٩١٩) فى (آراء المدنية الفاضلة) ، وهذا توماس مور (١٤٧٨ — ١٥٣٥) فى كتابه (يوتوبيا) ، وهذه النازية ، والفاشية ، والرأسمالية ، والديمقراطية ، والشيوعية كلها قد انهارت ، وتنهار ، تاركة وراءها أسوأ الآثار والجرائم ، بعد ما أنهكت البشرية فى حروب طاحنة خلال نصف قرن من الزمن .

ولله در شوقى فقد خاطب الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم فقال يشير إلى الاسلام :

داء الجماعة من أرسطاليس لم   يوصف له — حتى اتيت — دواء !

وكل ذلك من الأدلة الواضحة على حاجة البشرية الى الإسلام ، وانه لا بد لها من الدخول فيه ! جرب أن تقرأ عن الاسلام ، ولو صفحات قليلة من مصادر موثوقة ، حاول أن تطالع القرآن العظيم باللغة العربية إن كنت تحسنها ، أو من الترجمة الصادقة ، فإنه لا شك سيجذبك إليه لدراسته بتفصيل ، إذا خلعت عنك رداء التعصب الذميم ، والتقليد الأعمى ، والتربية الحاقدة ، التى تربيت عليها .

قبل أن أودعك ، فإنى أستصرخ ضميرك أن تسارع الى دراسة الإسلام من مصادره الصحيحة : من القرآن ، وحديث الرسول محمد ، فإنه فى ذلك نجاتك ، ونجاة قومك ، ونجاة البشرية جميعا ، من القلق ، والاضطراب ، والهلاك فى الدنيا ، وعذاب الله فى الآخرة .

واذكر أن مئات الغربيين المفكرين المنصفين من جميع الدول الأوروبية والأمريكية دخلوا ويدخلون فى الإسلام واثنوا عليه ، وشهدوا بأن باستطاعته حل جميع مشكلات العرب بسرعة وانه — لا شك سيكون دين الغربيين فى

الوقت القريب ، فما يمنعك أن تكون واحدا منهم فتنال سعادة الدنيا والآخرة .

واذكر في الختام أننا قد بلغناك دعوة الإسلام ، فأصبحت مسؤولا أمام الله عن الإيمان به ، كما دعاك إلى ذلك السيد المسيح عليه السلام ، ولا تنسى في هذه المناسبة أن الإسلام غير المسلمين اليوم ، فهم لا يعطون صورة صحيحة عنه ، وهو غير مسؤول عن تأخرهم وضعفهم وانحطاطهم ، بعد أن تركوا التمسك به بحق ، بسبب إهمالهم وانجرافهم في دعاية المستعمرين والمبشرين ضده .

ولا تنسى أيضا أن المسلمين لما تمسكوا بالإسلام تمسكا صحيحا وقويا ، وحدهم بعد فرقة ، وقواهم بعد ضعف ، ومدنهم بعد تأخر ، وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس ، ولما تركوه انهاروا وخذلوا ، يشهد على ذلك التاريخ !

بعكس الحال في النصرانية بسبب تحريفها فإن الأوروبيين لما تمسكوا بها قد تأخروا وعاشوا في العصور الوسطى المظلمة في الغرب ، والمتلألئة الراقية في الشرق بسبب حكم الإسلام ومبادىء الإسلام .

إن العالم اليوم يعيش في جاهلية مدمرة ، وفوضى رهيبة ، كما كان يعيش قبل بعثة الرسول محمد ، وكلما تقدم الزمن ، كلما فقد سعادته ، وزاد في شقائه ، وليس سوى الإسلام المنقذ والمخلص الوحيد .

زعامة العالم :

وبمناسبة الحديث عن الإسلام أذكر أن زعامة العالم في هذا الدين العظيم لن تكون للعرب خاصة ، إنما تكون لأكثر الناس صلاحا وإنتاجا وتطبيقا لمبادىء الإسلام التي هي مبادىء الحق ، والقوة ، والخير ، والسلام ، والجمال .

ان أول ما ينادي به الإسلام من أجل تحقيق السلام على الأرض ، وإثارة الضمير الإنساني ، أنه يعلن في مناسبات كثيرة أن البشرية ترجع في أصلها إلى نسب واحد وأبوين مشتركين ، وإذا حكمنا العقل نجد أن كل ضرر يلحق بإحدى الجماعات البشرية ينتقل إلى الجماعات الأخرى بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة ، مما يدعوهم إلى المحبة ، والوئام ، والسلام .

وهذا المفهوم إذا كان غريبا في القديم ، فإنه اليوم بعد اختراع وسائل النقل السريعة العجيبة والاذاعة والتلفزيون والهاتف والبرق .. أصبح مقبولا وضروريا ، فقد غدت الكرة الأرضية كوطن واحد ، أو بلد واحد ، وغدا سكانها كأسرة واحدة ، أو كشعب واحد ، فهل رأيت أسرة واعية أو شعبا مفكرا ينشأ بين أفراده النزاع والخصام ؟

وبعد هذا النداء يعلن الإسلام ، أنه لا بد لهذه المجموعة الإنسانية الواحدة من تشريع عظيم موحد ، يعلمها حقوقها وواجباتها كيلا تختلف ، ولا تتنازع فإنه ليس كاختلاف الناس في القوانين ، والمعارك ، سبب في النزاع ، والخصام .

فوضع لهم نظاما راقيا ينطلق بهم فى ميادين الرقى ، والفضيلة ، والسعادة ، والسلام ، فلا نزاع ، ولا ظلم ، ولا حرب ، ولا جحود ، ولا تأخر .

وليس هذا الكلام دعاية فارغة ، فقد طبق الإسلام منذ قرون سابقة ، فحقق جميع هذه الأهداف بشهادة المنصفين من الغربيين ، وأوجد مدنية دمشق ، وبغداد ، والأندلس ، فكانت سبب مدنية الغرب وإعجابه .

آه ! ما أحوج الغربيين اليوم الى الإسلام ليعلمهم الحياة السعيدة الراقية التى لم يذوقوها حتى الآن ، صحيح أنهم طاروا فى السماء ، وغزوا القمر ، ولكنهم ويا للأسف — لم يعرفوا حتى كيف يعيشون على الأرض بسعادة وسلام ، فكانت هذه الاختراعات والاكتشافات سبب شقائهم ، وباتت تهددهم بالدمار والفناء .

اذكر على الدوام أن محمدا رسول الله كما وصف نفسه — رحمة مهداة من الله الى الإنسانية ، وقد بعثه ليخرج الناس :

١ — من عبادة المخلوق إلى عبادة الله وحده .
٢ — ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .
٣ — ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام .
٤ — ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث .

واذكر فى ختام هذه الرسالة أن البشرية اليوم منقسمة الى معسكرين متخاصمين ، ويوشك أن تقع حرب مدمرة بينهما بسبب اختلافهما فى الفردية والجماعية ، فى الراسمالية ، والشيوعية ، وفى الروحية ، والمادية ، ولا يمكن توحيد هذين المعسكرين والتوفيق بينهما إلا بالإسلام ، فهو وسط بن الراسمالية ، والشيوعية ، وبين الفردية ، والجماعية ، وبين الروحية ، والمادية .

تعال نصلى إلى الله تعالى ، وندعوه أن يجمع البشرية على دين واحد صحيح ، يوحد بينها ، ويحقق لها السعادة والرقى والسلام .

---

(١) راجع تاريخ الامام محمد عبده ٢/٤١٠ ، وأرجو بهذه المناسبة مراجعة المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر فى ابريل نيسان ١٩٦٥ من مجلة لايف الامريكية حيث يثبت كبار العلماء الغربيين حدوث التحريف فى التوراة والانجيل .

(٢) ترجمت هذه الكلمة الى اليونانية بلفظ (بيركلوطوس) أو باراكلوت فكانت بمعنى محمد واحمد ، كما هو واضح فى الانجيل المطبوع أعوام ١٨٢١ و ١٨٣١ و ١٨٤٤ ثم حرفت ويا للاسف لاضاعة الحقيقة وترك البشرية فى الضلال والفوضى .

أصول منهج الفكر الإسلامي

١

للدكتور : محمد عبد الستار نصار

● تختلف وجهات النظر في تقويم منهج الفكر الإسلامي ، فبينما يذهب البعض الى تأكيد تبعيته للفكر الأجنبي ، وعلى الأخص الفكر اليوناني ، يذهب آخرون الى أصالته، وعدم تأثره بأي فكر دخيل ، وبين هؤلاء وأولئك فريق ثالث يرى أن الفكر الإسلامي — ككل فكر إنساني — مدين في منهجه لكثير من عناصر الفكر الأجنبي ، ولكن بعد أن ألبسها روحه، بحيث أصبحت متفقة مع البيئة الإسلامية .

● ولكل فريق من هؤلاء أدلته التي يعتمد عليها في تأكيد ما يذهب إليه ، ونظرته الى نوعية من يمثلون الفكر ، أهم أصحاب الاتجاه المشائي الفلسفي أم أصحاب الاتجاه العقلي في دراسة العقيدة — وعلى الأخص المعتزلة — أم أصحاب الاتجاه المحافظ من بقية المتكلمين والأصوليين ؟.

● فالذين يرون أن الممثلين للفكر هم الفلاسفة ، يذهبون الى تأكيد فكرة التأثر ، بناء على كثرة العناصر المنبثة في ثنايا الفكر الفلسفي الاسلامي . من الفكر اليوناني وبعض عناصر الفكر الشرقي ، ثم لا يحاولون أن يتلمسوا للفكر الاسلامي أصولا نابعة من ذاته ، بل يرون أنه مدين في شكله العام لمنهج الفكر اليوناني ، وعلى الأخص « منطق أرسطو » .

● ولقد دفع هؤلاء الى هذا الموقف أن هذا المنطق أصبح يحتل — بعد ترجمته — في عقول كثير من المفكرين مكانا عليا ، كمنهج للتفكير السليم ، متى روعيت قواعده عصم الذهن عن الخطأ في الفكر ، كما هو التعريف الغائي له ، لدى المعلم الأول نفسه . وما زالت تلك الفكرة تلقى القبول والاستحسان ، حتى في الأوساط الفكرية الاسلامية ، التي تتسم بطابع

فى التفكير ، يختلف تمام الاختلاف عن طابع التفكير اليونانى ، الذى كان منطق أرسطو منهجه .

● ويبدو أن السبب الرئيسى فى تأكيد هذه الفكرة لدى هؤلاء ، أن طلائع المفكرين الاسلاميين ، من الفلاسفة على اختلاف مشاربهم الفلسفية ، لم يحاولوا أن يقفوا من هذا المنطق موقف الدارس المحص ، الذى يحاول أن يرأب صدعاً أو يضيف جديداً ، بل كانت جهودهم فى شرحه وتقريره وتبسيطه ، ولا يخفى أن ذلك كله ، فرع عن الايمان بقضاياه الأساسية .

● وإذا تجاوزنا المرحلة السابقة على ظهور « الفارابى » كفيلسوف له قيمته ، نجد أن ذلك الفيلسوف قد أشرب حب المنطق الأرسطى ، بحيث ملك عليه أقطار نفسه ، وأخذ بمجامع عقله ، ولعل أكبر شاهد على ذلك ، تلك العناية الفائقة التى لقيها كتاب « البرهان » (١) على يده ، فقد بلغت مؤلفاته وشروحه لهذا الكتاب نحو عشرة كتب ، كلها تدور حول تعميق موضوع « التحليلات الثانية » للمعلم الأول ، باعتبار أن هذا القسم من المنطق هو الغاية من العلم كله ، كما صرح أرسطو نفسه لأنه الطريق المؤدى الى اليقين .

● ولم يقف الفارابى عند هذا الحد ، بل حاول إيجاد نسب بين المنطق — كعلم أجنبى الوضع بغض النظر عن كونه من نتاج العقل العام — وبين البيئة الاسلامية ، فجمع — كما يقول ابن أبى أصيبعة — بعض أقاويل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تجيز الاشتغال بالمنطق . وسواء صحت هذه المحاولة أو لم تصح ، فان الذى يعنينا أن هذه الفكرة لم تنشأ إلا كرد فعل لتيار مخالف ظهر فى محيط الفكر الاسلامى ، يرى أن الاشتغال بالمنطق مما يخالف ما جاء به ظاهر الشرع .

● وكأن الفارابى قد أراد بهذه المحاولة أن يسترضى الجماهير والعامة ، وهم فى نظر كل عاقل مكامن الخطر على كل جديد ، لأنهم لم يعرفوا فيقبلوا أو يرفضوا على أساس علمى مقبول .

● ولقد حمل ابن سينا — بعد الفارابى — راية المنطقية الأرسطية فى العالم الاسلامى ، وحذا حذو المعلم الأول فى كل شىء ، بل يكاد يردد ألفاظه وأمثلته ، وليس له من فضل إلا الشرح والاطناب ، وكأنه أراد بهذا المنهج أن ينزل بالمنطق الى مستوى أنصاف المثقفين ، وأن يجعله علما شعبيا إن صح هذا التعبير ، ولقد ظهر هذا بوضوح فى أغلب كتبه المنطقية ، بحيث يجد المطالع لكتب أرسطو المنطقية وكتب ابن سينا فى هذا العلم ، ذلك الفارق الشاسع بين الأسلوبين ، فبينما هو عند المعلم الأول جاف خال من كل تزويق وتنميق لا تساق فيه الأمثلة والشواهد إلا من خلال البيئة اليونانية ، نجده لدى ابن سينا أسلوباً رشيقاً قوياً ، تعلوه الطلاوة ، وتتخلله الأمثلة المستقاة من واقع البيئة الشرقية ، ثم الأمثلة الطبية بحكم اشتغاله بهذا العلم ، كفرع من فروع الفلسفة بمعناها العام .

● على أن تجربة ابن سينا فى إيجاد منطق مخالف فى جزئياته وكلياته لمنطق أرسطو ، تعتمد على تصورات مخالفة لتصورات المعلم الأول ، وهى التى أطلق عليها « منطق المشرقيين » هى أيضا تجربة لم تأت بنتائج إيجابية موضوعية ، وإنما هى فى نظرنا نتائج صورية ، على الرغم من تلك التلويحات التى صدر بها هذا الكتاب، والتي يقول فيها : « وبعد : فقد نزعت الهمة بنا الى أن نجمع كلاما فيما اختلف أهل الحديث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية وهوى أو عادة أو إلف ، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفا عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد الا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم » . ذلك لأن ابن سينا لم يخرج فى هذا الكتاب على ما ذكره فى كتبه المنطقية ، أو على الأقل فى قسم التصورات ، وهو الذى بين أيدينا من هذا الكتاب .

● ولقد أخذت صورة أثر منطق أرسطو على تفكير المسلمين شكلا آخر على يد حجة الاسلام الغزالى ، فبينما كان ذلك المنطق هو الأصل الذى اعتمد عليه المسلمون فى تفكيرهم لدى كل من الفارابى وابن سينا ، وأنه ليس للمسلمين بإزائه إلا الايمان الكامل بصدق قضاياه ، كأثر من نتاج فكر أرسطو المنظم ، يحاول الغزالى أن يعطى لهذا المنطق صورة اليقين المطلق ، ولكن يربطه بالعقل العام ، فيرى أن الحقيقة العقلية لا تختلف من بيئة الى أخرى ، من ثم كان ما بين المناطقة وبين نظار المسلمين من قبيل التوارد لا من قبيل التأثير والتأثر . ولم تكن المخالفة حينئذ « إلا فى الاصطلاحات والايرادات ، دون المعانى والمقاصد ، إذ غرضها تهذيب طرق الاستدلالات ، وذلك مما يشترك فيه النظار (٢) » .

● ولقد كانت هذه الفكرة أولى الخطوات فى موقف الغزالى من هذا العلم ، ذكرها فى كتابه « مقاصد الفلاسفة » الذى يعتبر تحريراً لمسائل العلم ، الذى ناقش فيه الفلاسفة ، فى كتابه « تهافت الفلاسفة » . وكان عليه بعد ذلك أن يبين رأيه فى هذا الكتاب بشكل أكثر وضوحاً واستيعاباً فقرر : « أن المنطقيات لا بد من إحكامها ، وهذا صحيح ، ولكن المنطق ليس مخصوصاً بهم — الفلاسفة — وإنما هو الأصل الذى نسميه فى فن « الكلام » كتاب « النظر » فغيروا الى المنطق تهويلا . وقد نسميه كتاب « الجدل » وقد نسميه « مدارك العقول » . فاذا سمع المتكايس المستضعف اسم المنطق ، ظن أنه فن غريب ، لا يعرفه المتكلمون ، ولا يطلع عليه إلا الفلاسفة (٣) » .

● وإذا كان هذا الموقف ينحو نحواً نظرياً ، فقد حاول الغزالى فى كتبه المنطقية التى جاءت بعد هذين الكتابين — المقاصد والتهافت — أن ينحو نحواً تطبيقيا . من ثم نرى كتاب « معيار العلم » يبدو فى شكل محاولة ممتازة نحو الموضوعية والتطبيق ، تظهر من خلالها المقابلة بين اصطلاحات المناطقة واصطلاحات نظار المسلمين فى كل من التصورات والتصديقات . ومن أجل عدم التلبيس ، يرى الغزالى أن المنهج الأصوب الذى يوصل الى

الحق فى قضايا العلم ، هو أن تسبق معرفة الاصطلاحات المنطقية ومقابلها لدى النظار ، قبل الحكم على قيمة ما عليه الفلاسفة ، ومعرفة الحق من الباطل مماهم عليه . من ثم يرى أن « من لم يفهم الألفاظ فى آحاد المسائل فى الرد عليهم — فى كتاب التهافت — فينبغى أن يبتدىء أولا بحفظ كتاب « معيار العلم » الذى هو الملقب بالمنطق عندهم » .

● ولقد أخذت محاولة التطبيق هذه شكلا أضيق ، ولكنه أكثر استيعابا من ناحية موازنة الاصطلاحات بين علم المنطق ومدارك العقول لدى نظار المسلمين ، فى كتاب صغير الحجم ، كبير الفائدة ، ونعنى به كتاب « محك النظر » ، فقد بيَّن فى هذا الكتاب — على سبيل التفصيل — أن الخلاف بين العلمين لا يتجاوز اللفظ ، فمثلا : ما يسمى فى علم المنطق «الموضوع» و « المحمول » ، هو بعينه ما يسمى لدى الفقهاء والأصوليين بالمحكوم عليه والمحكوم به ، وما يسمى لدى علماء اللغة بالمسند اليه والمسند وما يسمى لدى المتكلمين بالموصوف والوصف . وكذلك ما يسمى فى المنطق باسم « القياس » هو ما يسمى عند نظار المسلمين بطرق الاستدلال .

● وكان الغزالى قد أحس بعد ذلك كله ، أن هذه المحاولات قد ترضى ذوى الثقافات الخاصة والعقليات المستنيرة ، فى الوقت الذى يدعى فيه أنصاف المثقفين والعامة أن علم المنطق — كعلم أجنبى النشأة — ليس له أساس شرعى . ولقد تجلى هذا الموقف بشكل أكثر وضوحا لدى أصحاب الاتجاه « المحافظ » فى نطاق الفكر الاسلامى ، من ثم نرى الغزالى يحاول فى كتابه « القسطاس المستقيم » إيجاد أساس شرعى لهذا العلم ، وذلك باستخراج صور الأقيسة المنطقية من القرآن الكريم ،

● وإذا كان القرآن الكريم ، لم يكن على صورة كتاب فنى فى أى علم من العلوم ، لأن له نظما خاصا ، يجعله فى مكانة وحده ، فان على الغزالى أن يستعمل مهارته العقلية فى تدعيم فكرته ، وقد ساعدته « لغة القرآن » على ذلك ، عندما حاول استخراج صور الأقيسة المختلفة من بعض آيات القرآن الكريم ، فاذا لم تكن الصورة الظاهرة للقياس مكتملة ، فان الاضمار — فى شكل إيجاز أو حذف — قد كان هو الذريعة التى استعملها الغزالى فى هذا المقام ، حتى يأخذ القياس صورته العقلية ، التى تعتمد على مقدمتين وحدود ثلاثة .

● ولقد أطلق الغزالى على الأقيسة اسم « الموازين » ، « فالقياس الحملى » هو ميزان التعادل ، و « القياس الشرطى المتصل » هو ميزان التلازم ، و « القياس الشرطى المنفصل » هو ميزان التعاند . وميزان التعادل يجىء فى ثلاثة أشكال :

(١) أكبر : وهو الشكل الأول من القياس الحملى .

(٢) أوسط : وهو الشكل الثانى من القياس الحملى .

(٣) أصغر : وهو الشكل الثالث من القياس الحملى .

● والميزان الأكبر هو ميزان الخليل — صلوات الله عليه — الذى استعمله مع « نمرود » عندما ادعى الألوهية . فقال ابراهيم عليه السلام — كما حكاه القرآن — : « ربى الذى يحيى ويميت (٤) » ومفهوم هذه الآية أن نمرود اللعين ، لا يقدر على ذلك حقيقة ، بحيث يستطيع التأثير بالإماتة والإحياء على نفس واحدة ، ولكنه فهم من قول ابراهيم عليه السلام أن عملية الإماتة فى حد ذاتها قد يفهم منها معنى مخالف ، وهى إحياء النطفة بالوقاع وإماتتها بالقتل ، ولقد سجل القرآن الكريم ذلك فى رده على ابراهيم بقوله : « أنا أحيى وأميت » . ولما أدرك ابراهيم عليه السلام أن ذلك يعسر فهم بطلانه ، عدل الى ما هو أوضح عنده فقال — كما حكى القرآن — : « إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، « فبهت الذى كفر » ولما كان القرآن الكريم مبناه على الايجاز والحذف ؛ فان كمال صورة هذا الميزان أن يقال : « كل من يقدر على الشمس فهو الإله — فهذا أصل ، يعنى مقدمة — وإلهى هو القادر على الاطلاع — وهذا أصل آخر ، يعنى مقدمة ثانية ، فلزم من مجموعهما أن الله هو الإله حقيقة . وكبرى هاتين المقدمتين معلومة بالوضع ، فهى ضرورية التصديق ، وصغراهما معلومة بالمشاهدة والعيان ، فهى ضرورية التصديق أيضا ، فيلزم من معرفتهما أن « نمرود » ليس هو القادر على تحريك الشمس ، ويعلم تبعا لهذا أنه ليس إلهاً ، وانما الإله هو الله تعالى .

● وأما الميزان الأوسط — الشكل الثانى — فقد جاء فى القرآن الكريم على لسان ابراهيم عليه السلام فى الشكل — حيث قال : « لا أحب الآفلين (٥) » ، وكمال صورة هذا الميزان أن القمر آفل ، والإله ليس بآفل ، فالقمر ليس بإله . والعلم بصدق هاتين المقدمتين ضرورى ، إذ أن أولاهما معلومة بالمشاهدة ، وثانيتهما معلومة بالضرورة ، وحقيقة هذا الميزان أن كل مثلين وصف أحدهما بوصف ، فسلب ذلك الوصف عن بقام النفى — كما هى طبيعة ذلك الآخر ، فهما متباينان ، وعلى هذا فحد هذا الشكل أن الذى ينفى عنه ما يثبت لغيره ، يكون مباينا لذلك الغير .

● وآخر اسام ميزان التعادل هو الأصغر — الشكل الثالث — وصورته من القرآن الكريم جاءت فى قوله تعالى : « وما قدر الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس (٦) » . فقول الكفار — لعنهم الله — ما أنزل الله على بشر من شىء دعوى عامة ، وهى فى نفس الوقت غير صحيحة ، إذ أنه يلزم من ازدواج المقدمتين فى الآية السابقة ، وهما أن موسى عليه السلام بشر ، وأنه أنزل عليه كتاب ، قضية خاصة ، وهى أن بعض البشر أنزل عليه كتاب ، وبهذا تبطل دعوى العموم التى ذهبوا اليها حيث قالوا : ما أنزل الله على بشر من شىء ، وكون موسى عليه السلام بشرا أمر معلوم بالضرورة ، وكونه منزلا عليه كتاب معلوم باعترافهم ، إذ كانوا يخفون

أصول منهج الفكر الإسلامي

بعضه ويظهرون البعض الآخر ، كما صوره القرآن بقوله : « تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » وحد هذا الميزان أن كل وصفين اجتمعا على شيء واحد ، فبعض آحاد الوصفين لا بد أن يوصف بالآخر بالضرورة ، من ثم كانت نتيجة هذا الميزان جزئية دائما .

● وكما استخرج الغزالى صور الأقيسة الحملية من القرآن الكريم ، استخرج أيضا صور الأقيسة الشرطية بنوعيها : المتصلة والمنفصلة ، ولقد كان يهدف من وراء هذا الى تأكيد ما ذكره فى أول كتبه الفلسفية ، ونعنى به « مقاصد الفلاسفة » من أن الفلاسفة لا يخالفون أهل الحق من حيث المنهج إلا بالاصطلاح ، وأن القرآن الكريم — وهو الكتاب الوحيد الذى لم يحرف ، والذى ينزل عليه جميع الطوائف الاسلامية — قد اشتمل على صور الأقيسة المنطقية ، وبهذا كان لمنطق المسلمين أساس من كتابهم .

● وفوق هذا الهدف الذى كان يقصد به رد دعوى أصحاب الاتجاه المحافظ من الفقهاء والأصوليين والمتكلمين ، نلاحظ أن الغزالى فى هذا الكتاب — القسطاس المستقيم — يرفع من شأن المنطق — كمنهج أمكن استخراج صور استدلالاته من القرآن الكريم — باعتباره المنهج الوحيد الذى ينبغى أن يحتكم اليه جميع الطوائف ، فى مقابلة المناهج الخاصة ، التى يكون فى مقدمتها منهج « التعليمية » الذين لا يؤمنون الا بما يجيىء عن طريق الامام المعصوم .

● وقد صرح الغزالى بأن الذى حمله على ابتداع أسماء هذه الموازين هو ما جبل عليه الضعفاء — ومنهم التعليمية طبعا — من الاغترار بالظواهر ، بحيث لو سقى أحدهم عسلا فى قارورة حجام لم يطق تناوله لتصور الطبع عن المحجمة ، وضعف العقل عن أن يعرف أن العسل طاهر فى أى زجاجة كان . وهو بهذا التعليل يدفع التقليد ، ويطرح جنوح الطبع ، حتى تنزل الأحكام على حكم العقل .
وينتهى الغزالى من هذا الموقف الى هذه النتيجة المحددة ، وهى أن المنطق وان كان علما يونانى النشأة ، إلا أنه علم يجب معرفته ، والاحتكام اليه كمنهج للتفكير ، لأنه يقوم على أساس عقلى ، وليست أحكام العقل خاصة بأمة دون أخرى ، وقد أراد باستخراج صور الأقيسة من القرآن الكريم أن يثبت أن هذا الكتاب يستعمل أنماط التفكير العقلى فى الاستدلال على صدق قضاياه ، ولعله بهذا قد أراد أن يطمئن للمتعصبين بالهم ، فلا يحكمون على المنطق هذا الحكم القاسى ، الذى يجافى قواعد التفكير الصحيح ، وهو حرمة ذلك العلم لكون واضعه رجلا من اليونان . فما أشبههم فى نظره بمن يحكمون على الحق بالرجال ، وهذا حكم بالعرض على الجوهر . أما الحكم الصحيح فهو الحكم على الرجال بالحق ، وهذا حكم بالجوهر على العرض .

● وقد انتهى الغزالى من رحلته مع المنطق الى بيان صلته بالدين ، وهذا الموقف أكثر صراحة من كل المواقف السابقة، وقد بيَّن ذلك فى كتابه «المنقذ من الضلال » ، الذى كشف فيه عن موقفه من علوم عصره ، مبنيا صلتها بالدين . أما المنطق على الخصوص فلا تعلق له بشىء من الدين نفياً أو إثباتاً ، شأنه فى ذلك شأن الرياضيات ، ويضرب لذلك مثلا بقوله : فأى شىء يتعلق بالدين نفياً أو إثباتاً فى قول المناطقة : انّ القضية الكلية الموجبة تنعكس جزئية، حتى يجحد وينكر ؟ (٧) . ثم يبين أن من ينكر هذه المسائل ، لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق الا سوء الاعتقاد فى عقله ، بل فى دينه ، اذا كان يزعم أنه موقوف على هذا الانكار .

● هذا هو الجانب التطبيقى فى المنطق كما يرى الغزالى ، وشهادته هذه تعتبر تقويماً له من الناحية النظرية ، ولكن لما كان المنطق علماً معيارياً تطبيقياً ، فان الخطر إن وجد يكون من هذه الناحية . من ثم نرى الغزالى يحدد وجه الخطر فيما يأتى :

أولا : لقد وضع المناطقة للبرهان من الناحية النظرية شروطا يعلم أنها تورث اليقين ، لكنهم عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بها ، بل تساهلوا غاية التساهل .

ثانيا : ربما ينظر فى المنطق من يستحسنه ويراه واضحا ، فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيدة بمثل تلك البراهين ، فيستعجل بالكفر قبل الانتهاء الى العلوم الإلهية (٨) .

● ومما لا شك فيه أن الغزالى بهذا الموقف قد قلل من قيمة المنطق العملية ، لأنه لما كانت قيمته فى كونه علماً تطبيقياً ، أو كما يسميه المنطقيون أنفسهم « فن المنطق » فانه بناء على بيان الغزالى لوجوه الخطر فيه من ناحية التطبيق ، يكون المنطق « كفن تطبيقى » قد تضاءل ، وانزوى فى دائرة الصدق النظرى ، لا الصدق الواقعى . وفى تقديرى أن الغزالى فى تقريره لهذه المسألة لم يخل من ذكاء ، لأن مفهوم ما ذهب اليه أن ما شاب المنطق من عدم الثقة ، لم يكن مرجعه الى العلم من حيث هو ، بل الى المناطقة أنفسهم ، ومعنى هذا أن المنطق يحوى فى ذاته وسائل اصلاحه ، وذلك إذا روعيت الشروط التى وضعها المناطقة عند تطبيقه على المسائل الدينية .

● ومهما يكن من شىء فان الغزالى ما كان له أن يفعل فى هذا المقام أكثر من هذا . فلو صرح بأن المنطق فى نفسه غير صحيح لكان متناقضا مع نفسه أشد التناقض ، ولو صرح بأن القيمة العملية للمنطق تساوى قيمته النظرية ، بمعنى أنه المنهج الوحيد لادراك الحق ، لكان أيضا متناقضا مع نفسه ، لأنه صرح بأن الوصول الى الضروريات ليس مقصورا على الأدلة المحررة ، بل يمكن إدراك الحق بنور يقذفه الله فى القلب ، فمن ظن أن الكشف مقصور على الأدلة المحررة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة . وهنا يتبادل الوصول الى الحقيقة — من وجهة نظر الغزالى — منهجان : —

أحدهما : المنهج النظرى الاستدلالى ، إذا روعيت شروطه . وهذا عام لكل

الناس ، كما أنه عام فى كل العلوم . **ثانيهما :** المنهج العيانى الكشفى ، وليس هذا إلا لمن اجتباه الله ووفقه لسلوك هذا الطريق .

● ولقد صرح الغزالى فى آخر كتبه التى تحدث فيها عن المنطق ، ونعنى به كتاب « المستشفى من علم الأصول » بأن المنطق مقدمة لكل العلوم ، وأن من لا يحيط به فلا ثقة بعلومه أصلا » . وهذا إن دل على شيء فانما يدل على أن الغزالى كمفكر دينى — لم يحاول أن يتخذ منهج المحافظين ، وهو التشكيك فى هذا العلم تارة ، أو الحكم عليه بالحرمة تارة أخرى ، ذلك لأن أهم ما يعتمد فى المعارك الفكرية ، أن يكون هناك منهج متفق عليه ، حتى لا يكون هناك مجال للاتهام بالهوى والتحكم .

● ولعلنا بهذا نكون قد أوضحنا موقف الغزالى من أصل هذا العلم ، والفرق بينه وبين موقف كل من الفارابى وابن سينا . ولعل القارىء الكريم يلاحظ أننا أطلنا كثيرا فى الكلام عن الغزالى ، وأننا قد استعرضنا موقفه من المنطق فى كل كتبه التى تحدث فيها عنه ، بنفس ترتيبها التاريخى ، وعذرنا فى ذلك أن فلاسفة الاسلام المشائين — وعلى الأخص الفارابى وابن سينا — لم يحاولوا ربط المنطق بأصله الاسلامى كما فعل الغزالى ، واكتفوا باقراره كمدخل للعلوم . ويبدو أن تبعيتهم للمشائية اليونانية ، قد اضطرتهم الى مثل هذا الموقف . أما الغزالى فقد كان بحكم مركزه الدينى الكبير من ناحية ، وبحكم منازلته الفلاسفة فى معركة فكرية ، ينبغى أن يختبر فيها المنهج أولا ، ولأنه مع هذا وذاك كان المثل الحقيقى للفكر الاسلامى فى المشرق فى عصره ، كل هذا هو الذى جعلنى أقف معه كثيرا ، بالنسبة لسابقيه .

● وبهذا يتبين لنا أن الذين يقولون بتبعيته منهج الفكر الاسلامى للمنطق الأرسطى ، يعتمدون على ما ذهب الفلاسفة الخلص ، أمثال الفارابى وابن سينا ، وأما الذين يقولون ان لمنهج الفكر الاسلامى أصالته ، فيعتمدون على محاولة الغزالى التى ذكرناها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعتمدون على موقف بعض اللغويين ، الذين حاولوا الوقوف فى وجه المنطق الأرسطى ، وكذا موقف بعض المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم وأصحاب الفكر المحافظ من السلفيين . .

---

(١) أنظر د. عبدالرحمن بدوى . مقدمة كتاب البرهان من منطق الشفاء لابن سينا .
(٢) مقاصد الفلاسفة ص ٤ .
(٣) تهافت الفلاسفة ص ٩٠ .
(٤) سورة البقرة ٢٥٨ .
(٥) سورة الانعام ٧٦ .
(٦) سورة الانعام ٩١ .
(٧) المنقذ من الضلال ص ١٠٤ .
(٨) المنقذ من الضلال ص ١٠٤ .

مؤتمر علماء المسلمين السابع

■ ماذا حدث في مؤتمر علماء المسلمين السابع بالقاهرة

■ لأول مرة مشاكل المسلمين في كل مكان وبصراحة

للأستاذ : صلاح عزام

عقد مجمع البحوث الاسلامية مؤتمره السابع بالقاهرة .. ورأس الاجتماعات .. وعلى مدى ٣٠ يوما .. وعلى فترتين فضيلة الامام الاكبر الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر .

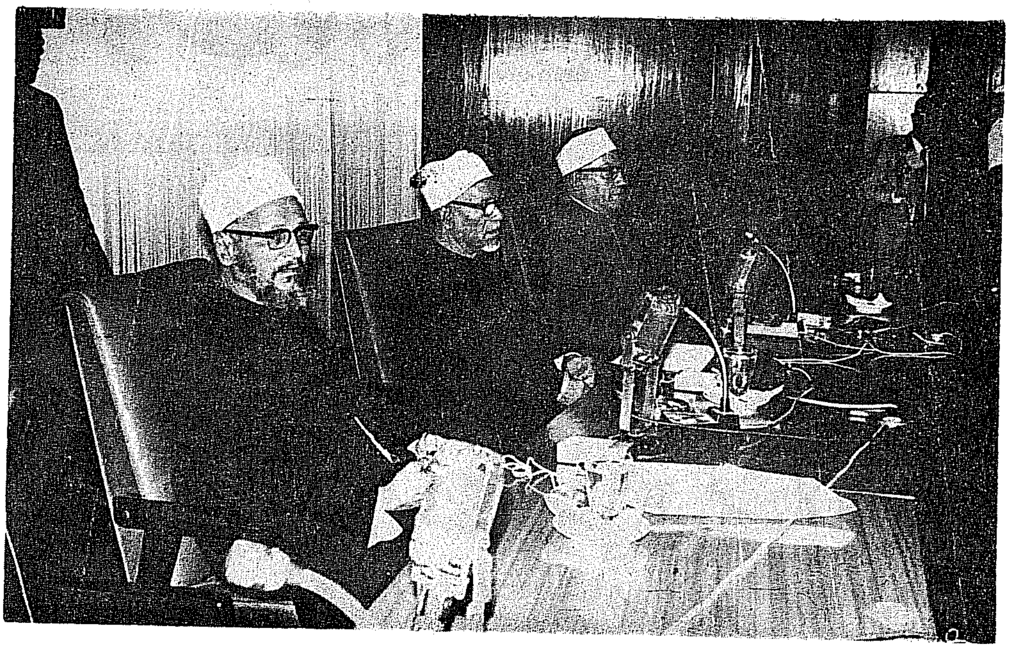
وبدأت الفترة الاولى من ٣٠ رجب — ٨ سبتمبر ولمدة أسبوع .. ثم عقدت الفترة الثانية من ٨ شعبان — ١٦ سبتمبر — الى آخر شهر شعبان .

ونوقشت خلال الجلسات قضايا هامة ومن ذلك :

- مشاكل المسلمين فى العالم .. وبصراحة لاول مرة .
- والفكر الاقتصادى الاسلامى وبالذات الاستثمارات والمصارف والفوائد ..
- و .. الحريات والحقوق فى الاسلام والدعوة الاسلامية .

***

وقد حضر افتتاح المؤتمر وفود من ٤٠ دولة بينهم ٥ وزراء و ٥ من رجال الافتاء و ٢ مديرى جامعة .



المنصة الرئيسية للمؤتمر .

وتحدث الامام الاكبر فى جلسة الافتتاح فقال نقدا موضوعيا للمؤتمرات السابقة وتوجيها للعلماء، وتحديدا لمعالم خطوات المؤتمر فقال :
« يا ورثة الانبياء .. ويا أعلام الهدى الموضوعات التى أحب أن أتدارسها مع حضراتكم فى هذه الدورة ما يأتى:

● يجب التصدى للذين يتصيدون المسلم البعيد عن الثقافة الاسلامية أو الواقع تحت ضغط الفقر والحرمان والفاقة .

● يجب التصدى للذين ينفثون سموم التفرقة بين المسلمين بضرب وحدتهم .

● يجب التصدى لمؤامرات المستعمرين وأذناب المستعمرين حماية ليومنا وغدنا وأعراضنا وأموالنا وأنفسنا .

● وعلينا أن نقيم حد السرقة بعد أن فشلت كل العقوبات التى تضمها القوانين الوضعية .

● ويجب علينا أن نبين للناس رأى الاسلام فيما يجد وجد من المعاملات المصرفية كالتأمين بجميع أنواعه وكشهادات الاستثمار والادخار وغيرها ..) .

مشاكل المسلمين

وبدأ المؤتمر عمله .. بالاستماع الى مشاكل المسلمين فى العالم .

● بلغاريا ..

وكان أول المتحدثين الشيخ طاهر الزاوى مفتى ليبيا .. حيث نقل الى العلماء ما يحدث للمسلمين فى بلغاريا ، وعملية ابادة المسلمين هناك ، والقضاء على كلمة الاسلام .. وانه علم بهذا من بعض المسلمين فى بلغاريا عند زيارته ليوغسلافيا وقال الشيخ طاهر الزاوى إن الشيوعية فى المجر تلجأ الى أسوأ السبل .. ومن هذا ..

● يطلب من المسلمين البلغار تغيير أسمائهم وهو من أصل عربى وتركى الى أسماء بلغارية ومسيحية.

● ويطلب منهم أيضا الانفصال عن الدين وتجريدهم منه .

● ويمنع قيد المسلمين فى السجلات المدنية الا اذا تحولت أسماؤهم الى أسماء بلغارية مسيحية .

● وعدم صرف السلع من التعاونيات للمسلمات الا اذا غيرن أسماءهن .

● وعدم صرف أجور العمال المسلمين الا اذا تغيرت أسماؤهم .

وقال الشيخ الزاوى .. ان هذا الامر أصبح علنا ومنشورا فى الصحف وقدم ترجمة لما ينشر فى بعض المجلات البلغارية ..

و .. أن هذه المحنة التى يعانى منها مسلمو المجر .. لو تحقق الهدف الشيوعى منها فسيكون الامر مشابها مع مسلمى الدول الاخرى ..

وقبرص ..

وفى جلسة أخرى .. عرض الدكتور مصطفى رفعت مفتى قبرص على المؤتمر صورة دامية لما يعانيه المسلمون فى قبرص .. وللمذابح التى يشنها عليهم اليونان ومسيحيو قبرص .

و .. ان هذه الجرائم بدأت من ٢١ ديسمبر عام ١٩٦٣ ولم تتوقف ..

و .. أن ١٠٠ قرية تضم المسلمين هوجمت بواسطة عصابات مسلحة من القبارصة اليونان وأرغم ألوف من المسلمين القبارصة على ترك منازلهم وممتلكاتهم والهجرة خارج البلاد ..

و .. أن ١٠٣ مسجدا من بين ٢٧٤ مسجدا فى قبرص قد هوجمت وبلغت خسائرها ٣٥ مليون جنيه استرلينى .

و .. أن ٣٨٪ من العاملين المسلمين قد استبعدوا عن مناصبهم و .. أن الخسائر الكلية لمسلمى قبرص بلغت ١٠٠٠ مليون جنيه استرلينى وطالب الدكتور مصطفى من العلماء اليقظة والعمل .

و .. الفلبين

وفى اليوم الرابع للمؤتمر ومع الصباح الباكر انفجرت مشكلة مذابح المسلمين فى الفلبين على أثر وصول برقية من مدير جامعة الفلبين ينعى للعالم الاسلامى عدوان خصوم وحرق الجامعة .

وجاء أحمد النتو ليعيد للاذهان مذابح مسلمى الفلبين ويطلب من المسلمين أن يتحركوا .. وأن يتحدوا .. وأن يتعاونوا .. وذكر تفصيلا ما يحدث للمسلمين هناك .. وطالب العالم الاسلامى بأن يتخذ موقفا موحدا ضد خصوم الاسلام .. والا فان صاعقة من السماء ستحل بهم فى الوقت الذى سوف ينصر الله عباده ويعلى كلمة دينه ونصرة عباده المخلصين .

ومسلمو أوربا

وتحدث عن أحوال مسلمى أوربا



الجلسة الاولى للمؤتمر وفى الصف الاول الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ود. عبد العزيز كامل . ود. حسن صبرى الخولى .

كل من الشيخ أبو بكر حمزة مدير مسجد باريس ، واسماعيل بالتيش أمين مكتبة الدولة بالنمسا ، والشيخ ضياء الدين خان مفتى روسيا .

● قال الشيخ أبو بكر حمزة .. ان الاسلام يجذب المثقفين فى فرنسا حتى أن بعض رجال الكنيسة يدخلون فى دين الله ..

و .. أن مسجد باريس يسجل سنويا اسلام ما بين ٥٠٠ — ٦٠٠ فرنسى مسيحى .

● وقال اسماعيل بالتيش .. أن الظاهرة التى يدهش لها الجميع فى النمسا .. هى أن العمال هناك يقبلون على الاسلام .

و .. أن المسلمين لايزالون يعانون من الاضطهاد فى كثير من بلاد أوربا حتى انه فى اسبانيا يحرم على المسلمين اتخاذ مساجد لهم .

و .. ان مسئولية مسلمى العالم العربى نحو اخوانهم فى أوربا تتحدد فى أمرين هامين أولهما .. وصول صحافة اسلامية مسموعة الى مسلمى العالم .. وثانيهما .. توفير المعلم والكتاب الاسلامى .

ومسلمو افريقيا وآسيا

وعن مسلمى أفريقيا وآسيا .. فقد تحدث عنهم وبالتفصيل الاستاذ

بــودرى هاشم ــ سيلان ــ فبين الفارق فى المعامـــلات بين المسلمين والمسيحيين .. وكيف أن المسيحيين الاقلية فى الدول الاسلامية يحصلون على كل شىء وعلى قدم المساواة .. والعكس فى الدول المسيحية حيــث تظهر الفوارق فى المعامـــلات وفى جميـــع المجالات .. وضرب لذلك أمثلة منها :

● الوظائف .. حيث تحرم على المسلمين فى بعضها مهما كانت درجة المسلم العلمية .. ومهما كان تفوقــه على المسيحى .

● التعليم .. توجد عقبات أمـــام المسلمين فى الالتحاق بالمدارس .. وان يسر بعضها فيطلب منه الخروج على دينه .. أو يحـــرم عليه تعليم دينه .

● والسياسة .. غير مســـموح لهم بالتمثيل السياسى .. بل يمثلهم مسيحيون .

● والعمل فى القطاعين العـــــام والخاص .. ضيق أمام المسلمين .. وهناك مجالات مغلقـــة تماما دونهم كالجيش والبوليس .

وكلمتان

وبعد ذلك كانـــت هناك كلمتان هامتان فى مجـــال مشاكل المسلمين **الاولى قالها معالى الأستاذ راشـــد الفرحان وزير الاوقاف الـــكويتى .. فذكر موقف الاحزاب ذات العقائد من أحزابهم وموقف المسلمين من دينهم .. وشرح بالتفصيل امكانية المسلمين فى** التصدى لخصوم دينهم .. ماديا .. ومعنويا وسياسيا .. لاننا ١/٣ سكان العالم .. وتحت يدنا ثروات هائلـــة وبنسب كبرى ..

ثم عرض معاليـــــه .. عــــدة اقتراحات منها ..

● وضع دراسة شاملة للهيئـــات والمؤتمرات والمراكـــــز التى تعنى بالشئون الاسلامية ووضـــع خطـــة مرسومة ومدعمة .

● و .. العمل على انشاء مؤتمر دائم يعمل على مدار السنة ويمثل فيه مندوبون منتخبون عن هذه المراكز .

و .. الكلمـــــة الثانية .. كانت للاستاذ صالح مسعود بويصير وزير الاعلام السابق الليبى ، استعرض فيها قضية فلسطين .. ودور الجهاد والنضال .. وحدد مواقف الرجال من المعركة .. وطالب المؤتمر بدراسة جادة لـــ (واجبات العالم الاسلامى تجاه الصهيونية العالمية بعد استنفاد الجهود السلمية .

و .. اننا يجب أن نعلن فى صراحة .. بأن كل الحروب التى تشن ضد المسلمين .. انما هى حروب صليبية .. ثم قدم ١١ مقترحا منها :

● نشر تعليم اللغة العربية فـــى كل البلاد الاسلامية .

● انشاء مكتب اعلامى للمجمع يقوم بنشر مطبوعاته وتوزيعها على الهيئات والجماعات والجامعات .

● اعطـــاء أهمية لاوغندا التـــى أصبحت معقلا من معاقـــل الحرب ضد الاسلام والمسلمين .

● تغذيـــة المنـــاهج المدرســـية بالقصص والتاريخ الاسلامى .

● تدريس الفكـــــر الاسلامـــى والحضارة الاسلامية فى المراحـــل الجامعية .

الاقتصاد الاسلامى

وبعد ذلك جـــاء دور الاقتصـــاد الاسلامـــى .. وتحدث فيه عدد من العلماء والاساتذة .. وكـــان أهم البحوث .. بحثا الشيخ على الخفيف والشيخ يس سويلم طه .. فقد اتجه الشيخ على الخفيف الى أن ما يوضع من المال لدى بنك من البنوك فهـــو



الشيخ حسنين مخلوف والأستاذ راشد الفرحان ود. عثمان خليل عثمان .

ملك لصاحبه وللدولة أن تقوم بعملية الاستثمار ولها كذلك الحق فى اعطاء الجوائز واستند فى آرائه على مذهب الامام مالك ثم قال وليس لهذا شبه بعقد قراض وهذا بالنسبة لشهادات استثمار ج .. أما شهادات استثمار أ ، ب فيلاحظ أن لهما شبها بعقد القراض ولكن ذلك لا يحظره وانما يحظره وجود نص من أمور الدين يمنعه ولم أجد ذلك ..

وأنهى الشيخ الخفيف رأيه الى أن عقد الاستثمار ليس فيه ربا ولا شبهة ربا قطعا فالربا لا يكون الا فى معاوضة أخذ فيها المال بقرض وهذا العقد لا غرر فيه اطلاقا .

● وأما الشيخ يس سويلم فقد رأى أن شهادات الاستثمار وودائع صناديق التوفير تقوم العلاقة فيها على وجهين الاول .. انها معاملة لم تكن موجودة فى عصر التشريع الاول .. ولا عبرة بكون الربح معلوما .. والحكم الشرعى يتعلق بأفعال العباد .. والثانى .. انها معاملة من قبيل القراض وانتهى الشيخ يس الى جواز أخذ أرباح شهادات الاستثمار وودائع صناديق الادخار شرعا سواء كانت قراضا أو من قبيل المسكوت عنه .

معارضة عنيفة

وبعد ذلك .. وعلى مدى ٣ جلسات قامت مناقشات حول هذه الآراء اشترك فيها عدد كبير من الاعضاء معارضين ومدللين بآراء الفقهاء .. وبالكتاب والسنة .. وانتهى الرأى .. الى عرض بحثى **الشيخين الخفيف وسويلم على اللجنة** لابداء رأيها فيهما قبل اعلانهما .

وعن الحريات

وعن الحريات فى الاسلام قدم الدكتور بدوى عبداللطيف مدير جامعة الازهر بحثا قيما توصل فيه .. بالدليل والرأى .. الى أن الاسلام

وقد اعطى للفرد حريته السياسية والفكرية والدينية فانه بذلك يكون خير نظام للكون .. لانه وضع نظاما للعالم فى جميع المجالات .. وفى كل الظروف .

والدعوة الاسلامية

وعن الدعوة الاسلامية .. وما تعانيه وما تلاقيه .. ودور الاستعمار فى محاربتها بمعاونة التبشير كان أمام المؤتمر بحثان ..

● الاول للشيخ محمود صبحى أمين عام جمعية الدعوة الاسلامية بليبيا عرض فيه للكيان الاسلامى ومعناه — والدار فى الاسلام ووجوب حمايتها فى اطار الوحدة — والاسباب التى مهدت وتمهد فى تمكين الاستعمار من تمزق الكيان الاسلامى — ووسائل تسليح المسلم لمواجهة هذه الاخطار وانتهى الى ضرورة الاخذ بالآتى :

● اسلامية الدراسات والابحاث فى الجامعات والمناقشات التى تدور فى المؤتمرات .

● العمل على تماسك العالم الاسلامى ووحدته .

● المواجهة الصادقة للمبشرين والمستشرقين .

● اصدار سلسلة من الكتب والمقالات توضح مفاهيم الملل والنحل .

● حل المسائل الاجتماعية داخل المجتمع المسلم .

● المسيرة بهدى المعرفة والعلم .

● والبحث الثانى للاستاذ شعبان سالم درامى عن مواجهة الاخطار التى تعانى منها الدعوة الاسلامية .. فشرح دور الاستعمار والتبشير فى افريقيا وقدم ١٥ اقتراحا لمواجهة هذا الخطر منها :

● تعميم مراكز الثقافة الاسلامية

● العناية بالمؤلفات الاسلامية

● عقد المؤتمرات الاسلامية فى عواصم العالم الاسلامى .

● العناية بالدعاة .

● تدعيم المدارس الاسلامية فى افريقيا وآسيا .

قبل القرارات

هذه هى ملامح مؤتمر علماء المسلمين السابع بالقاهرة والظاهرة الجديدة فى اجتماعاته .. والتى حضرها عدد كبير من العلماء وأساتذة الجامعات .

و .. شىء آخر .. برز فى هذا المؤتمر .. هو شخصيات جديدة من العالم .

وبعد ذلك .. صدرت القرارات وأهمها ..

● يؤكد المؤتمر ما سبق أن أعلنه فى دوراته السابقة من أن الجهاد أصبح فرضا عينيا على كل قادر من المسلمين لايجوز أن يتخلف عنه من ينتسب الى هذا الدين القويم .

● كما يوصى المؤتمر جميع الحكومات المحيطة بفلسطين بمضاعفة اعدادها لمقاومة العدوان .

● ويوصى الحكومات الاسلامية بمد العون المادى والادبى للعمل الفدائى .

● ويوصى الحكومات والشعوب والهيئات الاسلامية بالتوسع فى انشاء المراكز الثقافية فى المجتمعات التى تحتاج اليها لارشاد المسلمين ..

و .. التوسع فى المنح الدراسية لابناء المجتمعات الاسلامية .

و .. تطوير أساليب الدعوة .

و .. انشاء منصب ملحق اسلامى

و .. تعميم التربية الدينية بالمدارس .

و .. انشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

● ويوصى المؤتمر الجامعات بالاهتمام بتدريس الأقتصاد الاسلامى وانشاء كراسى استاذية له .

● ويوصى المؤتمر القائمين على مشروع البنك الاسلامى بالاسراع بانشائه .

مكتبة المجلة

موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الإسلامية
(الجزء السادس)
تأليف الأستاذ الدكتور أحمد شلبى

يتبع هذا الجزء من الموسوعة تاريخ القارة الافريقية قبل أن يدخلها الاسلام .. ثم طرق ووسائل انتشار الاسلام بها ، والدول الإسلامية جنوب الصحـــراء الافريقية (مالى ، وصنغى ، والهوسا ، وبرنو وكانم) وغيرها ، قبل الاستعمار الأوربى . ثم الصراع بين الاسلام والاستعمار الأوربى وقضايـــا هـــذا الصراع وأساليبه .

وتتناول هذه الدراسات كذلك الدول الاسلامية جنوب الصحراء الافريقية بعد زوال الاستعمار ، وعديداً من الدراسات المتعلقـــة بافريقيـــة الاسلامية ، كحضارة الاسلام فى هذه القارة ، ومستقبل الاسلام بها ، والمستقبل الذى ينتظر الدول الاسلامية الافريقية فى ظل الصراع العالمى .

ويطرح الكتاب قضية ((التاريخ الاسلامى)) من وجهة نظر جديدة تتمثل فى دراسة الدول الاسلامية غير العربية التى أهملت العناية بها من قبل كثير مـــن دارسى التاريخ الاسلامى ، وهو مفيد لكل باحث فى التاريخ الاسلامى ، ويعتبر مرجعا للمهتمين بالدراسات الافريقية وحاضر الاسلام بافريقيا .

والكتاب يقع فى سبعمائة وأربعين صفحة من القطع الكبير ، وقد نشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

دراسات فى مذاهب فلاسفة الشرق

تتمثل أهمية هذا الكتاب فى دراسة عديد من مذاهـــب فلاسفـــة المشرق العربى على ضوء منهج جديد يقوم على النقد والتحليل ويدعو اليه مؤلف الكتاب الدكتور محمد عاطف العراق لأول مرة فى تاريخ الدراسات الفلسفية العربية .

وبعد تصدير يكشف المؤلف فيه عن دعائم المنهج الجديد الذى يدعو الـــى اتباعه يحلل الكتاب مجموعة من آراء ابن سينا حول المعادن والنبات والحيوان والنفس والانسانية .

وأخيرا يبين المؤلف فى دراسته لآراء الغزالى حول العلم الالهى والخلود أن الغزالى كان أقرب الى المتكلمين الأشاعرة منه الى الفلاسفة .

فهذا الكتاب لا يقتصر على العرض الموضوعى لهذه المسائل بل يقدم محاولة ذاتية وتفسيرا جديدا القصد منهما احياء التراث العربى واعادة كتابة تاريـــخ الفلسفة عند العرب من جديد .

والكتاب يحتوى على (٢٧٠) صفحة ومن نشر دار المعـــارف بمصر — القاهرة .

نظرية الاسلام الاقتصاديـــة

كتاب من تاليف الأستاذ عبد الســميع المصري يبين فيــه راى الاسلام في الاقتصاد وفيما استجد من معاملات اقتصادية حديثة كما تحدث عن الضرائب في الاسلام وخصص بابا للربا .. والكتاب في موضوعه دراسة شاملة لتوجيهات الاسلام في الناحية الاقتصادية وهي موضوع اختصه الاسلام بعناية كبيرة لأن المال كما يقال عصب الحياة .

يقع الكتاب في (٢٤٦) صفحة ومن نشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة.

مذهب ابن عباس في الربا

الكتاب الثاني من سلسلة كتب بناء الاقتصاد في الاسلام من تاليف فضيلة الأستاذ الشيخ زيدان ابو المكارم والكتاب يبحث في مسائل كثيرة منها مذاهب فقهاء السنة والشيعة في الربا . والربا في المستوى العالمي ، والتخطيط للقضاء على الربا ، والتعبئة لبدء عهد العدالة ، وتحريم الربا ، والكتاب يقع في ١١٥ صفحة ، ويطلب من دار التراث ٢٢ شارع الجمهورية ـــ بالقاهرة .

الديــن الحــق
في الرد على كتاب (بيان الحــق)

ظهرت في العالم العربي والاسلامي هذه الايام ظاهرة ملفتة للنظر وهـــي الهجوم على الاسلام أو الدعوة الى توهين العقيدة الاسلامية والغريب في هذا الامر أن يقوم به مواطنون من داخل هذه الدول نفسها سواء أكانوا مسلمين او غير مسلمين ينادون بدعاوى فجه وأمور مبتدعـــــه وينقلونهـــا عــن بعض المستشرقين والحاقدين على الاسلام ورسوله الاعظم صلى الله عليه وسلـــم بقصد اضعاف الاسلام والتشكيك فيه ومن الكتب التى ظهرت مؤخرا (بيـــان الحق) ادعى فيه مؤلفه أن القرآن الكريم اقتبس الكثير من الكتب السابقة وقـــد أورد الامثلة الكثيرة على هذا مما دفع الكاتب الاستاذ توفيق على وهبه من تأليف كتابه (الدين الحق) ردا واضحا بالادلة والبراهين على هذه المفتريات والاكاذيب بعد أن تحدث عن حرية الـــرأى في الاسلام وكيف يصبـــح الرأى جريمـــة ثـــم عن القرآن والانجيل معرفا ومقارنا .

والكتاب يحتوى تقريبا على مائة صفحة وما زال تحت الطبع .

مـــع الأيـــــام

ديوان شعر للشاعر الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد الحافظ يحتوى علـــى العديد من القصائد السياسية والقومية والعاطفية وخواطر خاصة بالشـــاعر استوحاها من خلال رحلاته عبر البلاد العربية بجانب قصائد المناسبات التاريخية والدينية والديوان يقع في ١٢٠ صفحة من طبع مطبعة القاهرة الحديثة للطباعة ـــ ٣ شارع الجد ـــ بالفجالة القاهرة .

مائدة القارئ

حجاج بيت الله الحرام

بلغ مجموع الحجاج الذين وقفوا بعرفة فى العام الماضى (١٫٠٤٢٫٠٢٧) حاجا منهم (٣٥٣٫٤٨٠) سعوديا و (٦٨٨٫٥٤٧) غير سعودى بين مقيم فى المملكة ووافدين من الخارج .

كل هذا .. العقل

سئل الأحنف بن قيس عن العقل فقال : رأس الأشياء . فيه قوامها . وبه تمامها . وهو سراج ما بطن . وملاك ما علن . وسائس الجد . وزينة كل أحد . لا تستقيم الحياة الا به . ولا تدور الأمور الا عليه .

رزق مضمون

تزوج مغن بنائحة فسمعها تقول : اللهم وسع لنا فى الرزق .

فقال لها : يا هذه انما الدنيا فرح وحزن وقد أخذنا بطرفى ذلك ، فان كان فرح دعونى ، وان كان حزن دعوك .

عندما يذهب الصدر ويبقى العجز

عاد أبو الحسين بن برهان رجلا مريضا فقال له : ما علتك ، قال : وجع الركبتين .

فقال : والله لقد قال جرير بيتا ذهب منى صدره وبقى عجزه وهو
وليس لداء الركبتين طبيب .

فقال المريض : لا بشرك الله بالخير ، ليتك ذكرت صدره ونسيت عجزه .

من أحق بالسؤال ؟

وقف سائل أعمى على باب فقالوا يفتح الله عليك . فقال : كسرة ، فقالوا : ما نقدر عليها . فقال : قليل من فول أو شعير . قالوا : لا نقدر عليه ، قال : فقليل من زيت أو لبن . قالوا : لا نجده . قال : فشربة ماء . قالوا : وليس عندنا ماء . قال : فما جلوسكم هنا . قوموا فاسألوا فأنتم أحق منى بالسؤال .

اللذة الدائمة

اذا تعبت فى البر فان التعب يزول والبر يبقى .

واذا تلذذت فى الاثم فان اللذة تزول والاثم يبقى .

تربية ..

ناولت اعرابية ولدها سيفا فرآه قصيرا فقال : « انه سيف قصير » فقالت : « تقدم خطوة فيطول » .

لا تشاؤم

قيل ان المنصور بن أبى عامر الأندلسى كان اذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة ولم يسر الى الغزاة الا من الجامع ، فاتفق أنه فى بعض حركاته للغزاة توجه الى الجامع لعقد اللواء فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من ثريات الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد الزيت فتطير الحاضرون من ذلك ، وتغير وجه المنصور ، فقال رجل : ابشر يا أمير المؤمنين بغزاة هينة وغنيمة سارة ، فقد بلغت أعلامك الثريا ، وسقاها الله من شجرة مباركة زيتونة ، فاستحسن المنصور ذلك ، واستبشر به ، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات .

البخل فنون

حكى عن بعض البخلاء أنه حلف يوما على صديقه وأحضر له خبزا وجبنا وقال له : لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم . فقال له ضيفه : أنا أجعله بدرهم ونصف . قال : وكيف ذلك ؟ قال : آكل لقمة بجبن ولقمة بلا جبن .

ان لم يكن عقل وأدب .. فصاعقة

قال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد .

قال عقل يعيش به . قال فان عدمه . قال : أدب يستره . قال : فان عدمه .

قال : فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد .

الفتاوى

فى الطـــلاق

السؤال

قال الزوج لزوجته ــ على الطلاق منك ما تدخلى بيتى شافعى ومالكى وأبو حنيفة وتكونى زى أمى وأختى ، فهل يقع الطلاق أم لا ..؟

• • • • • • • • •

الاجابــة :

اللفظ المذكور هو يمين طلاق وفيه تعليق . ويمين الطلاق المعلق هو الذى يقصد به اثبات شىء أو نفيه أوالحث على فعل شىء أو تركــه ، وفيه أقــوال خمسة ذكرها ابن القيم فى كتابه (اغاثة اللهفان ص ٢٦٥ ــ ٢٦٧) وملخصها هو ــ

١ ــ أنه لا ينعقد ولا يجب فيه شىء وعليه أكثر أهل الظاهر لان الطلاق عندهم لا يقبل التعليق كالنكاح وعليهمن أصحاب الشافعى أبو عبد الرحمن .

٢ ــ انه لغو وليس بشىء وصح ذلك عن طاووس وعكرمة .

٣ ــ لا يقع الطلاق المحلوف به ، ويلزمه كفارة يمين اذا حنث فيه ، وبــه قال ابن عمر وابن عباس وغيرهما .

٤ ــ الفرق بين أن يحلف على فعل امرأته أو على فعل نفسه أو على فعل غير الزوجة ، فيقول لامرأته ، ان خرجت من الدار فأنت طالق فلا يقع عليه الطلاق بفعلها ذلك . وان حلف على نفسه أو غير امرأته وحنث لزمه الطلاق ، وبه قال أشهب من المالكية .

٥ ــ الفرق بين الحلف بصيغة الشرط والجزاء ، وبيــن الحلف بصيغــة الالتزام ، فالاول كقوله ان فعلت كذا فأنت طالق ، والثانى كقوله : الطلاق يلزمنى أو على الطلاق ان فعلت فلا يلزمه الطلاق فى هذا القسم ان حنث دون الاول ، وهذا أحد الوجوه الثلاثة لاصحاب الشافعى ، والمنقول عن أبى حنيفــة .

ســجدة التــلاوة

السؤال :

عند استماع القرآن الكريم من الاذاعة يمر القارىء على آية سجدة ، فهل على المستمع أن يسجد سجدة التلاوة ..؟

• • • • • • • • •

الاجابـــة :

نعم . يسن لمستمع القرآن اذا سمع آية سجدة ، وكان متوضئا أن يسجد سواء كان استماعه من الاذاعة أم غيرها ، وهذا رأى الشافعية . وأما المالكية فعلى أنه لا سجود على المستمع الا اذا سجد القارىء ، وحيث أن القارىء لم يسجد فلا يسجد المستمع .

فى الــــزواج

السؤال :

رجل طلق زوجته وقد أنجب منها بنتا ثم تزوجت هذه المرأة من آخر وأنجبت منه ولدا ، والرجل المطلق تزوج بأخرى ، وأنجب منها بنتا ، فهل يجوز لهذا الولد أن يتزوج بهذه البنت ..؟

• • • • • • • • •

الاجابـــة :

حيث أن هذه البنت ليست أختا لهـذا الولد من النسب أو من الرضاع ، فانه يحل زواجه بها .

فى الآذان

السؤال :

هل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عقب الآذان صحيحة ، وما الدليل ؟

• • • • • • • • •

الاجابـــة :

الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الآذان سنة لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » الحديث ، والواجب أن لا يرفع المؤذن بها صوته لانها ليست جزءا من الآذان ، بل هى سنة من سننه بدليل قوله (فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على) اذ لو كانت من الآذان لاكتفى صلى الله عليه وسلم بقوله (فقولوا مثل ما يقول) .

فى الصـــلاة

السؤال :

هل ختم الصلاة جهرا فى المسجد عقب الصلاة جائز ؟

• • • • • • • • •

الاجابـــة :

ختم الصلاة من كمال الصلاة ، والواجب فيه أن يكون سرا حـذرا مـن التشويش على المصلى اذ التشويش عليه حرام ولو بالقراءة لقوله صلى الله عليه وسلم (ألا ان كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة) .

شهادات الاستثمار

السؤال :

ما رأى الشرع فى الشهادات التى لم تعلن عنها المصارف ، وهو أن المواطن يضع مبلغا من الجنيهات فان أصابته القرعة كسب وأن لم تصبه يسحب مالـــه بالكامل ؟

. . . .

الاجابـــة :

كل معاملة تخرج عما حدده الشارع حرام لا يسوغ الاقدام عليها ، والمتعامل مع البنك يدفع مبلغا من ماله نظير فائدة محددة ، ثم يحصل على شهادة منه فان أصابته القرعة أخذ ما حدده البنك من الجوائز المعلومة ، والا فلا ، وهذه المعاملة باطلة لانها كالقرض الذى جر نفعا للمقرض ، وهو ربا اذ لو لم يكن كذلك لما أقدم المتعامل مع البنك عليه ، فالذى حمله على الاقدام انما هو الربح المحدد المنتظر ، هذا من جهـــة ، ومن جهـــة أخرى ، فالجوائز التى يصرفها البنك لصاحب الحظ انما هى من باب المقامـــرة .

فى الصـــلاة

السؤال :

إمام يصلى بالناس من أول البقرة الى آخر جزء عم فى الصلاة الجهرية ، بحيث لا يطيل عليهم الصلاة ، ولم يجد من يتألم من هذه الصلاة ، فهل فى هـــذه الصلاة مخالفة ؟

. . . .

الاجابـــة :

ليس فيها مخالفة للسنة حيث أن المأمومين راضون بطول الصلاة بل فـــى هذه الصلاة خير كثير ، اذ يقرأ فيها القرآن كله على مراحل ، وفى هذا ما فيه من كثرة الفوائد الدينية للامـــام والمأموم .

قضاء الصـــوم

السؤال :

لم أصم من البلوغ الى سن العشرين وعلى قضاء مافاتنى ، ولكنى الآن فى منتصف العمر ، وأجد مشقة لقضاء هذه المدة فماذا أفعل ؟

. . . .

الاجابـــة :

اقض ما تستطيع وافد بالصدقة علـــى ما لا تستطيع ، وتب الى اللـــه ، واستغفره فانه غفار وذو رحمة واسعة .

بريد الوعي الإسلامي

اعــداد : عبد الحميد رياض

ترتيب المصحــف

لقد نزل القرآن الكريم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ثلاث وعشرين سنة ، شاملا كل النهج الاسلامى القويم ، آخذا بمبدأ التدرج فى تطبيق أحكامه ، وموافقا لكل الأحداث والمواقف التى عاشها النبى الكريم حسب تسلسل وقوعها .

فلماذا إذن لم تنسخ المصاحف حسب تسلسل نزول القرآن الكريم » ؟

أرجو أن أقرأ ردكم على صفحات مجلتنا الغراء (الوعى الاسلامى) .

محمد حسان ــ رمل الاسكندرية ــ مصر

هناك أمران هامان يجب الحديث عنهمــا كل على حدة ، خصوصــا وأن السؤال الوارد يحتملهما معا ، هما ترتيب آيات القرآن كله ، وترتيب سوره .

أما ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذى نراه فى المصاحف ، ونقراه اليوم ، وقراه سلفنا بهذا الترتيب الذى لم يتخلف طوال القرون الماضيــة من تاريخنا الاسلامى ، فذلك ترتيب توقيفى من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد انعقد إجماع الأمة عليه ولا مجال للرأى والاجتهاد فيه ، وذلك ثابت حيــث أن جبريل عندما كان ينزل بالآية على النبى كان يرشده الى موضعها من الســورة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقرأها على أصحابه ، ثم يأمر كتاب الوحــى بكتابتها فى مكانها من السورة المعينة ، ولقد ثبت بما لا يدع مجالا للشــك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن مرارا بهذا الترتيب فى صلاته وعظاته وكان يعارض به جبريل كل عام مرة ، وفى العام الأخير من حياته صلى الله عليه وسلم عارضه مرتين ، وقد حفظ الصحابة القرآن مرتب الآيات ، وشــاع ذلــك وملأ كل البقاع ، ولم يرد أن أى صحابى ولا حتى الخلفاء الراشدين كان لهم رأى فى ترتيب أو تغيير أو تقديم آية على أخرى ، وعندما فكر الصحابة فى جمــع المصحف فى خلافة سيدنا أبى بكر الصديق لم يتجاوز ذلــك نقله من العســب واللخاف فى صحف ثم كان النقل فى خلافة سيدنا عثمان من الصحف الى مصحف.

أخرج البخارى عن ابن الزبير قال : قلت لعثمان بن عفان : « الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا » نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها (والمعنى لماذا تكتبها « أو قال لماذا تتركها مكتوبة مع أنها منسوخة ») قال يا ابن أخى لا أغير شيئا من مكانه .

أما ترتيب السور فهناك أقوال ثلاثة فى هذا .

القول الأول : أنها بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم شأنها فى ذلك شأن ترتيب الآيات ، وقد أجمع الصحابة على مصحف سيدنا عثمان ، وهو الترتيب الحالى للمصحف المتداول المقروء به فى كل البلاد الاسلامية ولم يخالفه أحد .

وأيد أبو بكر الأنبارى هذا الرأى بقوله « انزل الله القرآن الــى ســمــاء الدنيا ، ثم فرقه فى بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جوابا لمستخبر ، ويقف جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآيات والحروف ، فمن قدم سورة أو أخرها أفسد نظم القرآن » .

والقول الثانى : أن ترتيب السور على ما هو عليــــه كان باجتهاد مــن الصحابة ، ولم يكن بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك مبنى على ما

روى من أن مصاحف الصحابة قبل أن يجمع سيدنا عثمان المسلمين على مصحف واحد ، كانت مختلفة الترتيب ، ولو كان ذلك الترتيب منقولا عن النبى صلى الله عليه وسلم لما ساغ لهم أن يختلفوا ، فقد كان مصحف أبى بن كعب مبدوءا « بالفاتحة » ، ثم « البقرة » ثم « النساء » ثم « آل عمران » ثم « الأنعام » ، ومصحف ابن مسعود مبدوء « بالبقرة » ثم « النساء » ثم « آل عمران » ، ومصحف على كان مرتبا حسب النزول فأوله « اقرأ » ثم « المدثر » ثم (ق) ثم « المزمل » ثم « تبت » ثم « التكوير » وهكذا ..

والقول الثالث : ترتيب السور كان بعضه بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم وبعضه الآخر باجتهاد الصحابة .

وقد وضح الآن أن المصحف بشكله الحالى سواء كان ترتيب سوره بتوقيف من النبى صلى الله عليه وسلم أو باجتهاد من الصحابة يجب أن يلاحظ أن هذا الترتيب واجب الاحترام والاتباع لإن اجماع الصحابة حجة ، ولأن مخالفة هذا الاجماع تجر الى الفتنة ، ولا مجال للرأى والاجتهاد ، فعمل الصحابة وإجماعهم وإقرارهم مصحف سيدنا عثمان اعتراف منهم بأن ذلك عمل مشروع .

خطأ شائع

وقد وردت للمجلة هذه الرسالة :

قرأت فى العدد الثامن والثمانين ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ الموافق ١٤ أيار ٧٢ من مجلة (الوعى الاسلامى) الغراء مقالا بعنوان (لغة القرآن) وقد جاء فى مقال الكاتب عبارة دقيقة استوقفتنى تستحق التعقيب والرد حيث انبهم المعنى لا بل انقلب الى معنى آخر .

يقول الأستاذ على الصفحة الخامسة عشرة من المجلة (وأعانها قبل كل ذلك وبعد كل ذلك وأكثر من ذلك نفوس العرب والمسلمين التى دب اليها الوهن ، وإبتليت بحب الدنيا ، واستبدلت الذى هو خير بالذى أدنى .. « ولو قال ـ استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير لاستقام المعنى الذى ذهب اليه ، ذلك أن أفعال الاستبدال ، وما يصرف منها يحتاج معمولها الى شيئين مستبدل ومستبدل به أو الى مأخوذ ومتروك ، وفى أحدهما باء الجر ، وحكم هذه الباء متى وجدت أنها لا تدخل إلا على متروك . وهذه القاعدة لدقتها ربما كبا فيها حذاق اللغة وعمالقتها وحاملو لوائها ، فهذا أمير البيان (شوقى) يتعثر فى بيت من الشعر ويقلب معناه رأسا على عقب حين يقول :

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لى وافيا الا الكتابا

ولو أنه قال : **أنا من بدل بالصحب الكتابا لم أجد لى وافيا الا الكتابا**

لاستقام المعنى وصح التعبير .

ودليلنا على هذه القاعدة الآيات القرآنية التالية ، والتى هى كل ما ورد فى القرآن الكريم من آيات الاستبدال مقرونا بالباء .

١ ـ « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل » .. سورة سبأ .
٢ ـ « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج » . سورة الأحزاب.
٣ ـ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » .. سورة النساء .
٤ ـ « ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل » .. سورة البقرة .
٥ ـ « قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » .. سورة البقرة .

إننى أستميح كاتب المقال عذرا لهذا التعقيب ، فما أردت من ذلك الا النفع والمصلحة العامة لا سيما وأن المقال يعالج مسألة تتعلق باللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم .

محمد خلاد ـ عمان ـ الأردن

بأقلام القراء

إعـــداد : فهى الإمام

((الكفـــاءة))

جاءنى صديقى « السنغالى » منفعلا وقال :
أليس فى كتاب الله « إنما المؤمنون اخوة » ! ؟
قلت : بلى . .

قال : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ؟!
قلت : بلى . .

قال : فلم هذه التفرقة العنصرية فى كتب الفقه . . ثم نهض وأخـــرج كتابا فى فقه المعاملات وأسمعنى أقوال العلماء فى مسألة « الكفاءة » وكان هنـــاك شبه اجماع على نقطة هى :

« الناس قسمان : عرب وعجم ، والعجمى ليس كفءا للعربية على أى حال والعرب قسمان : قرشيون وغيرهم ، والعربى من غير قريش ليس كفءا للقرشية على أى حـــال » .

قلت : هون على نفسك وسأضع أمامك بعض الحقائق :

أولا : الاسلام دين عالمى يتخطى حجب الزمان والمكان وشعاره :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبيـــة وليس منا من مات على عصبية » .

وإذا كانت الثورة الفرنسية قد وضعت فى المادة الأولى من إعلان حقـــوق الانسان : أن الناس ولدوا أحرارا متساوين فى الحقوق ، فتلك قولة إسلامية عمرية أعلنها الفاروق قبلها بعشرة قرون حين قال : متى استعبدتم الناس وقـــد ولدتهم أمهاتهم أحرارا . .

ثانيا : إن مناط الكرامة الشخصية فى الاسلام هو الدين ليس غير . . والقول بخلاف ذلك مصادمة للنص والواقع التاريخى . . فلقد كان أول مؤذن فى الاسلام عبدا أسود هو بلال الحبشى ، وقد أعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام سلمان الفارسى من آل بيت النبوة . . وفى مقابلة ذلك فان القرآن يتلى على سمع الزمان الى أن يرث الله الارض ومن عليها بقوله :

« تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نـارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد » .
وأبو لهب هذا قرشى من خير بطونها نسبا وهو عم الرسول .. !!

ثالثا : إن زيد بن حارثة وهو رقيق معتق قد زوجه الرسول بشريفة هى زينب بنت جحش .. ولهذا الزواج حكم منها :

أ ــ إبطال عادة التبنى عملا بعد بطلانها قولا فى آية « أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله .. » فلقد تزوجها الرسول بعد طلاقها من زيد « كيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا » .

ب ــ تحطيم عنصرية النسب واستعلاء العرق والاعلان العملى بأنه لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .. .

حـ ــ القضاء على عادة جاهلية وهى أن الشريفة إذا تزوجت برقيق ثم طلقت لا يرغب فيها شريف آخر .. فلقد تزوجت زينب بعد طلاق زيد لها بأشرف خلق الله جميعا ..

رابعا : إن من مشاهير الصحابة بلالا الحبشى وصهيبا الرومى وسلمـان الفـارسى ..

وإن من خيار التابعين الحسن البصرى وسعيد بن المسيب ..
وإن أعلام الأئمة الذين خدموا العلم واللغة وحفظوا للأمة الاسلامية تراثها الخالد ــ أكثرهم من العجم مثل : أبى حنيفة النعمان ، والزمخشرى جار الله ، وسيبويه وابن فارس ، والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، والمعلم الثانى الفارابى ، والشيخ الرئيس ابن سينا وحجة الاسلام الغزالى .. الخ .

إن كل واحد من هؤلاء كفء وأى كفء لكل امرأة عربية أو قرشـية .. ولا ينكر فضلهم وشرفهم وعلو مكانتهم وسمو منزلتهم الا حاقد بغيض ..

ومن عجب أن ينسب مثل هذا القول إلى إمام مثل أبى حنيفة وهو أعجمى فهل كان يرى نفسه غير كفء لامرأة عربية ؟ !!

خامسا : بماذا نعلل ــ إذن ــ هذه الشروط التى وضعت لكفاءة الزواج ؟
وأقول على الفور :

إن موضوع الكفاءة فى الزواج هو موضوع عرفى ليس للاسلام فيه نصيب .. على معنى أن عرف الناس جرى بذلك وأن الأئمة رضوان الله عليهم قالوا به حفاظا على دوام العشرة بين الزوجين ومنعا للشقاق بينهما وحتى يكون ذلك أدعى للوفاق وتقارب الزوجين ..

ولا يمكن أن نفهم أن هذا شرع ندين الله عليه نأثم بتركه ونثاب بفعله بل الأمر كله متروك للرغبات النفسية للزوجين ولا يستطيع انسان ما أن يكـره آخر على الزواج من امرأة ينفر منها أو تنفر منه مهما كانت الظروف ومهمـا كانت الدوافع .. وهو ان فعل هذا ــ مدين شرعا وعرفا وقانونا .. فالحياة الزوجية لا تقوم على القسر وإنما هى مودة ورحمة ، وسكينة وطمأنينة .. فان وصلنا الى الحال التى وصفتها المرأة للرسول صلى الله عليه وسلم بقولها « إنى أكره الكفر

فى الاسلام » اى أنها تبغض زوجها ولا تستطيع اداء حقوقه الزوجيـــــة التـى شرعها الله ـــ إن وصلنا الى تلك الحال ابتداء أو انتهاء فالأمر معروف ومحدد فى قوله تعالى :

« وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته » .

محمد سيد احمد المسير

الشـــدائد تكون الأمم وتصنع الرجـــال

كتب الأستاذ كنعان ابراهيم الجميلى تحت هذا العنوان يقول : ـــ

لقد كانت الأمة العربية منزوية فى جزيرتها غارقة فى ضلالها تسودها الفتن وتلعب بها الأهواء ذليلة لا شأن لها ولا سلطان ، يتكالب عليها الأعداء من الفرس والروم وغيرهم فأعزها الله بالدين الاسلامى على يد زعيم هذه الأمة محمد صلى الله عليه وسلم الذى وحد كلمتها على أساس من الايمان بالله والأخوة والمحبة فى سبيل الله . فاجتمـــع شملها وتوحدت كلمتها فتكونت منها قـــوة نشرت العدل والمساواة والطمأنينة نشرت تعاليم الاسلام والدعوة الى الحق والهداية فـــى جميع أرجاء الجزيرة العربية حيث كان من رجالاتها عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب فى الشجاعة والحزم درجة لا تطاق وكان أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان فى الكرم والتضحية وبذل المال ، وكان سلمان الفارسى وبلال الحبشى فى الصبر والثبات وقوة الايمان والارادة .

ولم تلبث هذه الامة طويلا حتى امتد سلطانها واتسع نفوذها فدخلت تحت سيادتها أمم وشعوب آمنت بالله واستجابت لدعوة الاسلام دعوة الحق والنور . واستمرت على هذه الحالة حتى انخفضت حرارة الايمان وضعف سلطانها فبدأ الضعف يتسرب إلى كيانها حيث أخذت الاهواء والنزعات تعمل عملها،وبدأ الحقد والكراهية يدب بين صفوفها فتفرق أبناؤها وتقـــاتلوا بينهم حتى ابتـــلاهم الله بالحملات الصليبية على بلادهم حيث احتل الصليبيون أجزاء كبيرة من بلاد الشام ومنها بيت المقدس فلم تسكت هذه الامة على هذا البـــلاء ولم تستكن . ولكـــن جاهدت وناضلت رغم المصاعب والعقبات حتى استطاعت أن تحرر بلادها ،ومن ثم أعادت لنفسها العزة والكرامة على يد أبنائها المخلصين أمثال (صلاح الدين الأيوبى) . وليس العدوان الاسرائيلى الأخير الا موجة من الموجات العاتية التى استهدفت كيان هذه الأمة ووجودها ودينها . وكانت أمتنا تواجه الفتن والعدوان بايمان صادق ، ووحدة متماسكة ، وكانت تستفيد من الهزائم والنكسات كمـــا تستفيد من الغلب والانتصارات . فكانت تصحح أخطاءها وتعالج عيوبهـــا وتعد وتستعدلنيل النصر ولهزيمة المعتدين وسرعان ماتخرج من الشدائد والمحن كأقوى ما تكون ايمانا وصلابة بحقها . فقد كان أسلافنا يستفيدون من الشدائد والنكبات فكانوا (اذا انتصروا شكروا ، واذا انهزموا اتعظوا واعتبروا) .

قالت صحف العالم

ان الدين عند الله الاسلام

الاسلام هو دين الله الذى نزل من السماء ليصلح الارض ، ويربط العالم بعضه ببعض ، ويوثق العلاقة بين الخالق والمخلوق على اساس العقيدة الصافية ، والعبادة الهادية ، ويوثق العلاقة بين المخلوق والمخلوق على أساس العدالة الكاملة ، والرحمة الشاملة ، والمعاملة الكريمة والسياسة الرحيمة . هذا هو الاسلام فى اجمال ، وتوضيحا لذلك أقول والله المستعان :

عن مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة :

دعانا الاسلام الى أن نؤمن بالله ايمانا صادقا ، ونوحده توحيدا خالصا ، وذكرنا بأن الله وحده هـو الذى خلقنا وسـوانا ، ومنحنا حواسنا وقوانا ، وأنعم علينا بنعمه التى لا تحصى ، وغمرنا بفضله ، وعمنا بكرمه ، وشملنا بلطفه ، ووسعنا بعلمه فهو يعلم ما نخفيه كما يعـلم ما نبذله . قال تعالى : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم ، والله يعلم ما تسرون وما تعلنون » .

ودعانا الى الايمان برسـل الله الذين اختارهم المولى ليكونوا دعاة له ، وهداة لخلقـه ، وقدوة لهم ، وحجة عليهم ، قال تعالى « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » وقال : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

ودعانا الى الايمان بالبعث والحساب والجزاء لتوفى كل نفس ما كسبت ، ويتلقى المحسن اجر احسانه ، ويأخذ المعتدي عقاب عدوانه فلا يتساوى بـار كريم ، ومجرم أثيم . قال تعالى « أفحسبتم انما خلقناكم عبثـا وأنكم الينـا لا ترجعون » . وقال تعالى « وما خلقنـا السـماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النـار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » .

هـذه العقائد الثلاث التى دعا اليها الاسلام عقائد متماسكة متلازمة لها أثرها العميـق فى تهذيب الانسان واعلاء شأنه .

فعقيدة التوحيد تحمل فى طواياها الاعتراف بالكمال المفرد المطلق لبارى الكون وترفـع شـأن الانسان الى المستوى الذى يليق به فلا تهبط بعقله الى قبول عقائد خرافية ووثنيـة ولا تدفعه الى المذلة أمام مخلوق من المخلوقات صغر أم كبر ، عظم أم هـان وهذا هو السر فى قوله تعالى « ولله العـزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وعقيدة التوحيد أيضـا تولد لدى المسلمين شـعورا واحدا بانهم جميعا عبيد لرب واحد لا يتفاضلون عنده الا بالتقوى والعمل الصالح . قال تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وفى ظلال هذه العقيدة لا يتعالى أحد على أحد ويتنافس الناس جميعا فى اعمال البر ، وطرق أبواب الخـير والايمان برسل الله ، يحمل فى طواياه الايمان بحكمة الله ، فحكمتـه سبحانه تأبى أن يوجـد الانسان ويتركه سـدى ويدعه همـلا ، ويحاسبه ويعاقبه دون أن يقيم عليـه الحجـة .

الايمان برسل الله يقتضى الايمان بمـا جاءوا به وما جاءوا الا بالخير العميم ، والصراط المستقيم والنظام السليم الذى يضمن سعادة الفرد والمجتمع .

الايمان برسل الله يعمق الايمان بالله ، ويدعو الى تنزيه المولى عن العبث والظلم والسفه، ويضع أمام الناس مثلا بشرية ، عالية يحتذونها ويقتدون بها ، ويسيرون على منهاجها فى مراقبة الله ، والاحسان الى الناس دون انتظار أجر منهم .

والايمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وجزاء من شأنه أن يزكي نفس الانســان ويدفعه الى عمل الخيرات وترك المنكرات والبعد عن النقائص والشبهات .

هذه العقائد الثلاث من شأنها أن تعين في ايجاد الانسان الفاضل ، والمجتمع الفاضل ، والدولــة الفاضــلة .

وفروع الاسلام وشرائعه تهدف الى ما تهدف اليه أصوله ، وتعمل على تحقيق الغاية التي ترمي اليها عقائده فالصــلاة والصــيام والزكــاة والحــج وبقية ما أمر به الشارع تجمع بين حق الله وحق الانسان ، وفيها منافع للناس يشهدونها ويلمسون آثارها في حياتهم ، الى جانب كونها عبادة لربهم وطاعة لخالقهم .

ومن ينظر في شريعة الاسلام يجدها كافية وافية شافية ، جاءت بمــا فيه كمال الروح والبدن وصلاح الفرد والامة وهناءة العالم بأسره فأقامت البرهان على أن الاسلام دين انساني عالمي واقعي نزل من الســماء ليحكم الارض وليملأها عدلا وسلاما ، ومحبة ووئاما ، ورخــاء ورفاهية ولان الاسلام دين واقعي التزم في كل ما شرعه أن يلائم طاقة الانسان ، ويناسب مقدرته فلا يكلفه شططا ، ولا يرهقه عسرا ، ولا يطلب منه ما يحرجه أو يشق عليه قال تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وقال « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » .

وتمشيا مع واقع الانسان ، وتقديرا لظروفه ، ومسايرة لطبيعته وخصائصه اهتم الاسلام بشئون دنيــاه كما اهتم بشئون أخراه ، فلم يفرض عليه أن يعتزل الناس ، وينقطع لعبادة الله ويهمل أمر نفسه ، ويغفل مطالبه الجسمية ، وغرائزه النفسية . كلا ، فقد سمح له بأن ينــال حظه من العاجلة ، ويستجيب لغرائزه ، ويسر له الطريق في غير افراط ولا تفريط ، وهيأ له السبيل في حدود الاعتدال والكمال .

وفي السنة النبوية ارشاد لنا بأن نتوجه الى الله بهذا الدعاء « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحــة لي من كل شر » أخرجــه مســـلم عن أبي هريرة ٨ — ٨١ .

الوجـــــــودية

عن مجلة التربية الاسلامية :

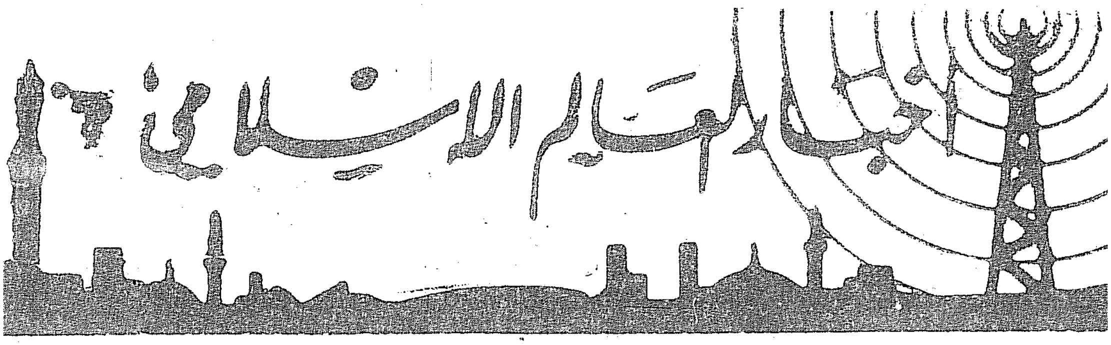
للدكتور محسن عبد الحميد
مدرس في كلية الاداب — جامعة بغداد

ليست الوجودية نظرية فلسفية واضحة المعالم ، محددة الاتجاه ، شاملة لمسائل الكون والحياة . ولا هي حلول ايجابية — أو حتى سلبية — للمشاكل الكثيرة التي تجابه الانسان . وانما هي في واقع الامر اتجاهات متعددة ، وافكار متباينة قلقة لم تختمر حتى في أذهان فلاسفتها، والداعين اليها .

وللوجودية في الوقت الحاضر مدرستان . احداهما مؤمنة ، والاخرى ملحدة . ومن أبرز رجال الوجودية المؤمنة الفيلسوف الالماني الكاثوليكي المعاصر « كارل جاسبرز » . أما الفيلسوف الفرنسي « جان بول سارتر » فمن أبرز رجال الوجودية الملحدة . كما يعترف نفسه بذلك في كتابه « الوجودية مذهب انساني ».

والجدير بالذكر أن الوجودية الملحدة هي التي تتولى القيادة ، وهي المقصودة بمفهـــوم الوجودية الحاضرة المتداولة على ألسنة المراهقين والمراهقات في الغرب وفي الشرق أيضا . ذلك لان الوجودية المؤمنة تنحصر في دائرة ضيقة ، لم يلتف حولها الا جمع من المفكرين المبعثرين هنــا وهنــاك .

ان الوجوديين يؤمنون ايمانا مطلقا بالوجود الانساني ، ويتخذونه منطلقــا لكل تفكــير ، ويعتقدون ان النظريات الفلسفية التي سادت في القرون الوسطى والحديثة لم تحل مشكلة الانسان ولم تعالج واقعه القلق الكئيب المضطرب . وبالتالي فان الانسان من حيث هو موجود لم يتسن له ان يحلم حتى بآماله في ظل تلك الفلسفات . وان فرديته وتفكيره الشخصي ووجوده الحــر وغرائزه وعواطفه ، لم تجد الصدر الرحب من المثاليات او المعالجات التي لا تتصل بأعمــاق الانسان النفسي .



الدكتور عبد المعطى بيومى

الكويت : ينتظر أن يعود قريبا حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم الى أرض الوطن موفور الصحة والعافية بعد أن استكمل الفحوصات الطبية فى مستشفى البحرية الاميريكية بواشنطن .

● افتتح نائب الأمير المعظم وولى العهد دور الانعقاد الثالث لمجلس الأمة.

● استقبل رئيس الوزراء بالنيابة ووزير الداخلية والدفاع الاستاذ عبد الرحمن الفارس وكيل الوزارة حيث قدم لسعادته مفتى ج. م. ع. والأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بمناسبة زيارتهما للكويت .

● استضافت وزارة الاوقاف لموسمها الثقافى فى رمضان الدكتور محمد بيصار الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر وصاحبى الفضيلة مفتى مصر ومفتى سوريا وعددا من القراء من مصر وسوريا ولبنان والعراق .

● أهاب وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بجميع الحكومات الاسلامية الاسراع فى انشاء البنك الاسلامى الدولى .

● عقدت اللجنة الدائمة للمعونات الاسلامية الخارجية اجتماعها الرابع لعام ٧٢ م برئاسة سعادة وزير الاوقاف . واتخذت اللجنة توصيات بشأن عدد من طلبات المساعدة .

● تعاقدت وزارة الاوقاف مع عدد من علماء الازهر الشريف للعمل بالوزارة.

مصر : قرر الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف صرف مبلغ ٤٠٠٠ جنيه مصرى لبعض المنشآت الدينية فى الاسكندرية .

● وزعت مصر على أعضاء الامم المتحدة سجلا مدعما بالصور والوثائق عن حوادث الارهاب التى ارتكبها الاسرائيليون منذ أيام الانتداب البريطانى على فلسطين .

● تواصل السلطات الوزارية فى مصر بحث تيسير الحج هذا العام بعد أن زاد عدد الذين أدوا العمرة فى رمضان بشكل ملحوظ .

السعودية : وافقت اللجنة المالية الدائمة للمؤتمر الاسلامى على مشروع ميزانية الامانة الاسلامية العامة لعام ١٩٧٣ .

● بلغ عدد الدول التى صادقت على ميثاق الامانة الاسلامية العامة ثمانى دول هى السعودية ، الاردن ، الصومال ، اليمن ، البحرين، موريتانيا ، ماليزيا ، السودان .

● نقلت مجلة « أخبار العالم الاسلامى » السعودية تقريرا عن تأزم الاوضاع فى باكستان الشرقية أكثر مما كانت عليه قبل انفصالها عن باكستان .

الاردن : تواصل السلطات الاسرائيلية اجراءاتها لتغيير الوضع السكانى فى غزة والضفة الغربية للاردن فتنقل العائلات العربية من بيوتها وتحل الغرف التجارية العربية فى خطة تهويد شاملة .

● تقول بعض الانباء أن الاردن وافق على انشاء لجنة تتولى ترميم المسجد الاقصى .

ليبيا : قام وفد ليبى بجولة فى بعض الدول الافريقية تستهدف تدعيم الصلات وتنسيق المواقف فى القارة الافريقية .

● استقبلت ليبيا فى الشهر الماضى وفدا اسلاميا من أوغندا لاجراء مباحثات تستهدف التعاون بين البلدين خاصة فى المجالات الاسلامية فى افريقيا .

تونس : ناشد الرئيس التونسى الدول والحكومات العربية تجاوز خلافاتها والعمل على توحيد الجهود فى مواجهة العدوان الاسرائيلى الدائم على العرب .

الجزائر : تبرعت الجزائر بعشرة مستوصفات ومركزين طبيين اجتماعيين لجنوب لبنان الذى تعرض فى الشهرين الماضيين لغارات وحشية اسرائيلية .

السودان : سوف تتبرع السودان بمبلغ ٥٠ الف جنيه سودانى لبناء المركز الاسلامى الذى ترعاه السعودية وليبيا والكويت والسودان بهدف الثقافة الاسلامية فى افريقية .

أوغندا : قرر الرئيس عيدى أمين طرد الآسيويين الذين يحملون جنسيات افريقية لانهم يناورون فى الاستيلاء على ممتلكات الآسيويين المطرودين حاملى الجنسيات البريطانية .

الهند : سمحت الحكومة الهندية بزيادة عدد الحجاج المسلمين هذا العام حوالى خمسمائة حاج عن العام الماضى وسيوزع هذا العدد على الولايات الهندية حسب سكانها المسلمين .

● صرح الدكتور عبد الجليل فريد رئيس المجلس الاسلامى فى الولاية الشمالية أنه سيواصل العمل من أجل معارضة التعديل الذى أجرته الحكومة الهندية على جامعة عليكرة الاسلامية .

● أعلنت وزارة الخارجية الباكستانية أنها لا تمانع فى الاجتماع والتباحث مع أى زعيم من زعماء باكستان الشرقية .

ماليزيا : ستقدم ماليزيا قريبا الى السيد ياسر عرفات مبلغ ١١٧٠٠ جنيه استرلينى مساعدة لشعب فلسطين .

ـ اخبار متفرقة ـ

ولاية ميزورى الامريكية : اتخذ المؤتمر السنوى العاشر لاتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة الامريكية وكندا عدة قرارات وتوصيات بشأن الاقليات الاسلامية فى العالم والتنديد بعدوان اسرائيل على الارض العربية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شوال ١٣٩٢ هـ	نوفمبر ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٦	٣٤ ٤	٤ ٦	٣١ ١١	٣٦ ٢	٥٨ ٤	١٨ ٦	٣٦ ١١	٦ ١	٣٣ ٦	٣٨ ٩	٢٠ ١
الثلاثاء	٢	٧	٣٤	٤	٣١	٣٥	٥٧	١٧	٣٧	٧	٣٤	٣٨	٢٠
الاربعاء	٣	٨	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٦	١٦	٣٩	٩	٣٥	٣٨	٢٠
الخميس	٤	٩	٣٥	٥	٣١	٣٤	٥٥	١٥	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠
الجمعة	٥	١٠	٣٦	٦	٣١	٣٣	٥٥	١٥	٤١	١١	٣٦	٣٩	٢٠
السبت	٦	١١	٣٧	٧	٣١	٣٣	٥٤	١٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الاحد	٧	١٢	٣٧	٨	٣١	٣٢	٥٣	١٤	٤٤	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الاثنين	٨	١٣	٣٨	٩	٣١	٣٢	٥٣	١٣	٤٥	١٦	٣٨	٣٩	٢١
الثلاثاء	٩	١٤	٣٨	١٠	٣١	٣٢	٥٢	١٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الاربعاء	١٠	١٥	٣٩	١٠	٣١	٣١	٥٢	١٣	٤٧	١٨	٣٩	٤٠	٢١
الخميس	١١	١٦	٤٠	١١	٣١	٣١	٥١	١٢	٤٩	٢٠	٤٠	٤٠	٢١
الجمعة	١٢	١٧	٤١	١٢	٣٢	٣١	٥١	١٢	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
السبت	١٣	١٨	٤٢	١٣	٣٢	٣٠	٥١	١٢	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الاحد	١٤	١٩	٤٣	١٤	٣٢	٣٠	٥٠	١١	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١
الاثنين	١٥	٢٠	٤٤	١٤	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٤	٢٥	٤٣	٤٠	٢١
الثلاثاء	١٦	٢١	٤٥	١٥	٣٣	٣٠	٥٠	١١	٥٥	٢٦	٤٣	٤٠	٢٢
الاربعاء	١٧	٢٢	٤٥	١٦	٣٣	٣٠	٤٩	١١	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الخميس	١٨	٢٣	٤٦	١٧	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٧	٢٩	٤٥	٤٠	٢٢
الجمعة	١٩	٢٤	٤٧	١٨	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
السبت	٢٠	٢٥	٤٨	١٩	٣٤	٣٠	٤٩	١١	٥٩	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الاحد	٢١	٢٦	٤٨	٢٠	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٠٠ ١٢	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الاثنين	٢٢	٢٧	٤٩	٢١	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الثلاثاء	٢٣	٢٨	٥٠	٢٢	٣٥	٢٩	٤٨	١٠	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الاربعاء	٢٤	٢٩	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الخميس	٢٥	٣٠	٥١	٢٣	٣٦	٢٩	٤٨	١٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٣
الجمعة	٢٦	ديسمبر	٥٢	٢٤	٣٦	٢٩	٤٨	١١	٤	٣٦	٤٨	٤١	٢٣
السبت	٢٧	٢	٥٣	٢٥	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الاحد	٢٨	٣	٥٣	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٥	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الاثنين	٢٩	٤	٥٤	٢٦	٣٧	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الثلاثاء	٣٠	٥	٥٤	٢٧	٣٨	٢٩	٤٨	١١	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢٠ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

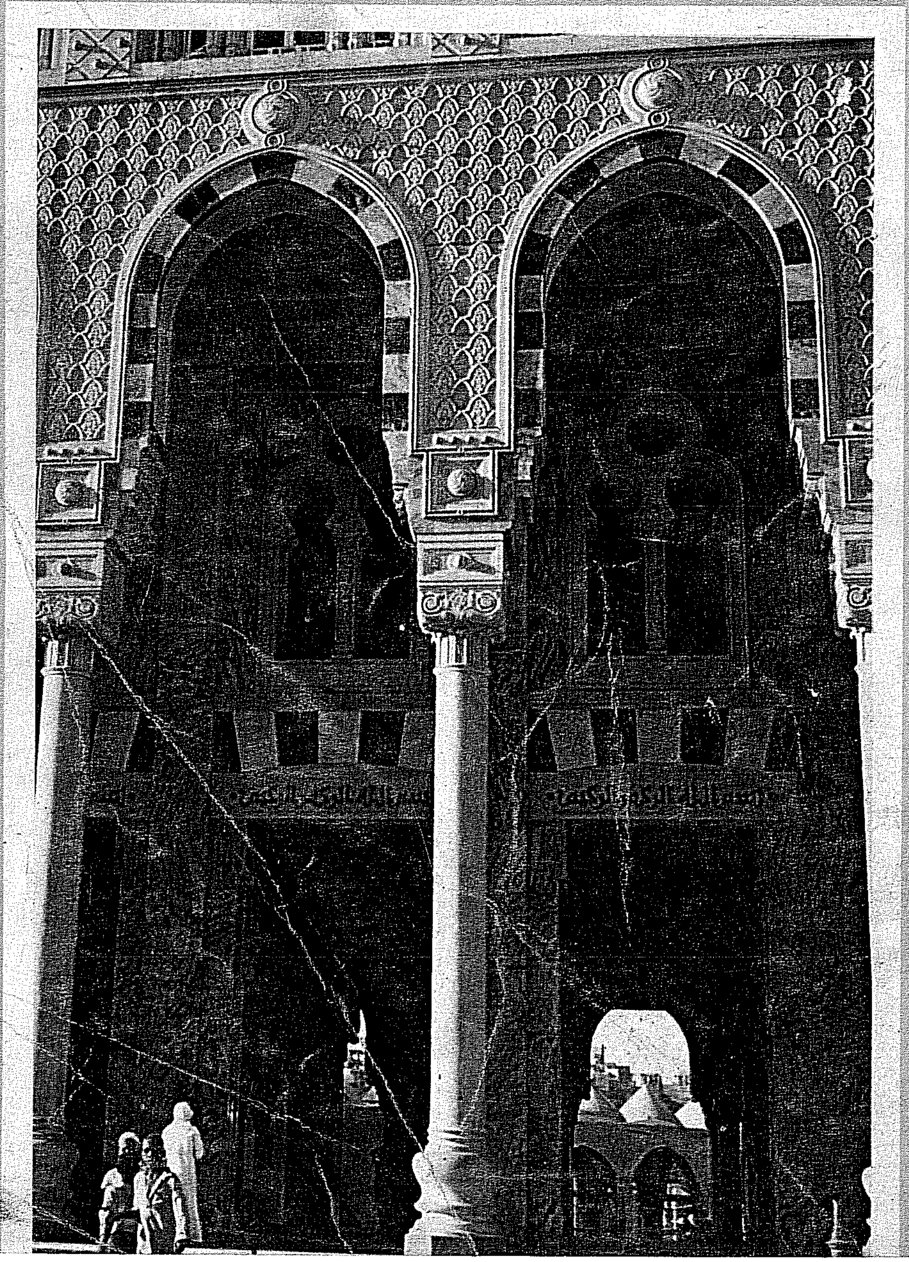
اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

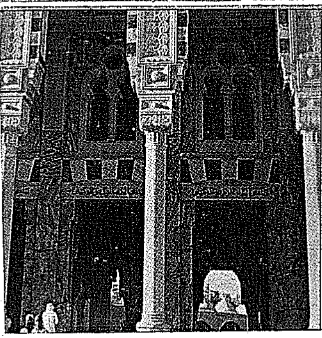
السنة الثامنة ـ العدد ٩٥ ـ غرة ذى القعدة ١٣٩٢ هـ ـ ٦ ديسمبر ١٩٧٢ م

العدد رسالة الحج





سمو أمير البلاد المعظم الشيخ صباح السالم الصباح عند وصوله الى مطار الكويت الدولي قادما من الولايات المتحدة الامريكية ، ويرى سموه وسمو ولي العهد وعدد آخر من كبار المستقبلين في أعقاب نزول سموه من الطائرة .



أحد أبواب الحرم المكى وقد اجتمعت فيه الى روعة الفن الاسلامى جلال الروحانية .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL' ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد ٩٥

غرة ذى القعدة ١٣٩٢ هـ
٦ ديسمبر ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .
ص.ب : ١٣ كويت
هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

الأوضاع العربية ومسئولية الحكام العرب

أدلى سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد بتصريحات الى موفد صحيفة الاهرام القاهرية السيد زكريا نيل بمناسبة انعقاد لجنة وزراء الخارجية والدفاع العرب فى الكويت . وقد تساءل سموه فى بداية تصريحاته قائلا :

هل ينعقد هذا الاجتماع وينفض كما انفض غيره من الاجتماعات وتكون حصيلته الجمود ؟ الى أين نحن ذاهبون ؟ وهل انسدت فى وجوهنا كل وسائل الممارسات الايجابية لمجابهة عدوان اسرائيل وعندنا من القدرات والطاقات والوسائل ما نستطيع به أن نعمل وان نفرض وان نستخلص الحق العربى من مغتصبه ، ثم عاد سمو الشيخ جابر الاحمد فقال : من المسئول عن هذه الاوضاع التى أوشكت أن تؤثر فى الانسان العربى وتطفىء فيه كل حماس ؟

وفيما يلى النص الكامل لتصريح سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء :

نعم نستطيع أن نعمل ..

هكذا قال رئيس وزراء الكويت .. ولكن كيف ؟ الظروف الآن قد اختلفت ، والآن ماذا نطلب من مصر أكثر مما تتحمله من الاعباء اننا نؤيدها ونقف الى جانب رئيسها الرئيس أنور السادات ، ويكفى أن موقفه كان صريحا كل الصراحة أعلن على العرب أن المسئولية ليست مسئولية مصر وحدها ، ولكنها مسئولية الدول العربية كلها ، وان خطر اسرائيل قد تجاوز كل الحدود والحسابات ولذلك يجب أن تكون المجابهة جماعية ومحددة الالتزام .



سمو
ولى العهد ورئيس
مجلس الوزراء

اذن هل ترى أن قومية المعركة هى الاساس ؟

قال الشيخ جابر الاحمد : اننا نؤيد كل التأييد قومية المعركة ، نؤيدها فعلا والتزاما لا قولا وتصريحا بل اننى أرى أن كل من يخرج عن قومية المعركة أو يتنصل منها خائن لقضيته ووطنه ، ولقد سجلنا التزامنا لقومية المعركة كتابة فى رسالة الى الأخ العقيد معمر القذافى رئيس مجلس الثورة الليبية ، ونعتبر أن كل دولة عربية وكل طاقة عربية مهما كانت ضآلتها عليها واجب فى معركتنا مع عدونا ، ولكن سؤالى الآن الى أين نحن ذاهبون ، هل ستبقى الدول العربية على هذه الحالة ، وان ينحصر دورها فى أن تسجل على اسرائيل كل تحركاتها ، وتكتفى من المجابهة بذكر تفاصيل مسهبة عن كل عدوان تشنه على أراضينا ؟ ما الذى دهانا وما هى الحلقة المفقودة التى أدت الى وضعنا هذا ؟ هناك من يهمهم أن تبقى الاوضاع على ما هى عليه الآن بين العرب واسرائيل ، وفى مقدمة ذلك الدول الكبرى ، التى لها مصالح فى استمرار هذه الاوضاع واذن علينا أن نسقط من حسابنا هؤلاء الذين لا يريدون لنا الا ما يريدونه هم والذى يتفق مع مصالحهم الذاتية •

ثم قال الشيخ جابر الاحمد : من المخجل لنا ولسمعتنا العربية أن تضيع منا الوسائل وهي في يدنا ، نعم ــ قالها بقوة ــ توجد امكانيات عربية وطاقــات عربية وأسلحــة عربية تستطيع أن تقوم بدورها بكل كفاءة فاذا كانت مصر الرابضة فى وجه العدوان وتجند مئات الالوف من شبابها تحت السلاح فى مجابهة العدو ولا يستطيــع طيرانها أن يصل الى مدى العمق فى داخل اسرائيل ردا على ما تقوم به من اعتداءات متواصلة على الأجواء العربية الى حــــد السيطرة عليها فان جماعية مجابهة العدو تفرض علينا أن يكون هناك تكامل فى قوتنا العسكرية هناك الاردن علـــى حدود اسرائيل وهناك سوريا أيضا •

ومن هناك يمكن تعويض القصور فى الوصول الـــى عمق اسرائيل •

نترك مقاعــد الحكم

اذن ما هى الوسائل ، والكل ينتقد ، ولا يستطيع أن يقدم حلا أو مقترحا ؟ •• قال الشيخ جابر الاحمد : نقطة واحدة هى الاساس ، الثقة بين العرب وهذا العنصر مفقود بيننا ولا توجد ثقة بين الدول العربية بعضها البعض وهذه هى مشكلتنا، التى أوصلتنا الى تلك الأوضاع المتدهورة كيف تتوافر الثقة فيما بيننا كانت هناك محاولات سابقة ولا تزال مستمرة لتوحيد الصف العربى ، وتصفية الجو وازالـــــة الخلافات وقد تنجح هذه المحاولات ولكن من الذى يضمن ان يبقى للكلمة والاتفاق شرفه سواء كان مكتوبا أو غيـــر مكتوب •

سؤال واحد نوجهه لأنفسنا : هـــل نحن جديـــرون بمسئولية الحكم وقيادة أمتنا الى النصر اذا كنـــا جديرين بذلك فلا يهمنا ونحن نخوض معركة تحرير وشرف ومصير أن نظل على مكاتبنا أو فى مناصبنا يتحتم علينا أن ننـــزل

على ارادة الشعب العربى • لنحـــافظ على عنصر الحماس فيه ، وان نتحرك بأى عمل عربى جماعى له هدفـــه المحدد الذى نصل اليه فى صراعنا مع عدونا أما أن نتجمد هكـــذا فان مصير العرب كله مهدد بكارثة لا يستطيع أحد أن يحيط بحجمها •

المسئولية وتحديد المواقف

يقول الشيخ جابر الأحمد : اننا لا نريد أن نسبـــق الحوادث قبل أن تتضح النتائج فى اجتماع الكويت ، ولكننا سنقف على حافة الهاوية ، اذا تكررت تجربة الاجتماعات السابقة ، والتعليمات صريحة ومحددة لوفد الـــكويت فى هذا الاجتماع ، سنلتزم التزاما كاملا بتنفيذ ما نتفق عليه مع أشقائنا داخل خطة عربية ، وبدون أية تحفظات ، ولذلك فاننا نلح أن يكون هذا الاجتماع وما يتوصـــل اليه علـــى مستوى الاخطار ، وأن تحدد فيـــه المواقف العربيـــة والمسئولية بكل وضوح ، وانه فى سبيل الهدف القـــومى ومستقبل الشعب العربى لا يهمنا سوى الاتفاق العـــربى والوصول الى تخطيط محدد لهدف محدد فى أى تجمع عربى يكون فى الكويت أو فى خارج الكويت •• اننى أؤكد على ذلك حتى لا يتصور أحد أن مجرد انعقاد هذا الاجتماع فى الكويت سيكون دعاية للكويت وما قيمة أى دعاية لأى بلد عربى لا تزال تجثم على صدره الهزيمة والاحتلال •

ثم قال رئيس وزراء الكويت : يجب علينا جميعا أن نحذر من وقوع شىء هام فى مجال تحركنا السياسى ، وهو أن أصدقاءنا سينصرفون عن قضيتنا بعد أن وقفوا موقف التأييد لحقنا ثم طال بهم الانتظار ولم يجدوا من أصحاب الحق سوى الحيرة والتخاذل والجمـــود ، فمتى نتحـــرك وتغيير الظروف الدولية يفرض علينا أن نحسم صراعنا مع عدونا مهما كان حجم التضحيات •

من هدي السنة

الايمان والعمل

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد

اخرج ابن ابى شيبة عن الحسن موقوفا :

« ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وان قوما ألهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا : نحسن الظن بالله تعالى : وكذبوا لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

واخرج البخارى فى تاريخه عن انس مرفوعا :

« ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلب ، فاما علم القلب فالعلم النافع وعلم اللسان حجة على بنى آدم » .

الايمان هو التصديق بما علم من الدين بالضرورة تصديقا يستقر فى القلب ، وتظهر آثاره على الجوارح ، والذى يتصف بالايمان حقا يوقن بمعرفة الله تعالى ايقانا لا يقبل الشك ، فيتحلى بمكارم الأخلاق ، ويظهر اثر ذلك فى تهذيب النفس واستقامة العمل ، فلا يجديه نفعا ان يقول : إنى مؤمن وهو خبيث الخبء ، فاسد الطوية ، كريه الأداء ، والحديث الشريف يدعو الى العمل وينهى عن التواكل والاغترار بالأمانى الزائفة التى لا تحقق شيئا نافعا ، وكثيرا ما يهلك الانسان شيطانه حيث يخيل اليه السراب ماء وظل السحاب واقيا من حمارة القيظ فيدع الحقائق الواقعة الى وادى الأمانى الزائفة ، وتمضى الأيام دون ان يحصل على طلبته او يحقق رغبته ، والاسلام يعتمد فى توجيهاته السامية على العمل المثمر ، فمن زعم انه محسن الظن بالله فان شرع فى تحقيق الصلة الروحية القوية الدافعة الى الجد والمثابرة على فعل الخير كان احسان ظنه معينا له على الدوام والثبات وجنى اطيب الثمرات ، واما من تواكل ولاذ باسباب الخمول فان احسان ظنه بالله فى هذه الحالة خيال او خبال « بالمثناة التحتية فى الأولى والموحدة فى الثانية » .. ومظهر الايمان الجاد يتجلى فى اداء وصايا الله لعباده والبعد عن كل ما ينافيها ، وقد وضح القرآن الكريم تلك الوصايا وسردها احيانا مجتمعة واحيانا اخرى متفرقة ، كما وردت تلك الوصايا فى الكتب السماوية التى سبقت الكتاب العزيز ، اذ هى تجمع اصول ما حرم الله على عباده فى الأقوال والأعمال كما تشمل ما يقابلها من اصول الخير والفضائل ، وقد وردت متفرقة

فى كثير من سور القرآن الكريم مورد بعضها فى سورة البقرة وسورة النساء وسورة النحل ، كما ورد لبعضها تفصيل فى سورة الاسراء ، ولكنها جمعت كاملة فى سورة الانعام حيث قال الله تبارك وتعالى ((قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ، ان لا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا آلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله اوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون)) .

هذه هى الوصايا العشر كما وردت فى سورة الأنعام ولكى يستطيع المسلمون الالمام بها وادراك مراميها التى تثبت أركان الخير فى الأرض وتنشر السلام وتحسن العقبى فى الآخرة نفسرها فى ايجاز ، ففى تفسيرها زيادة على ما سبق توضيح الطريق للسالك المؤمن الذى لم تغره الأمانى الكاذبة ، وانما تزود بالعمل بعد أن أدرك النتائج الطيبة لاحسان ظنه بالله فأحسن العمل فنقول والله ولى التوفيق .

((قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم)) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لعباد الله جميعا : اقبلوا على أبين لكم ما حرم ربكم عليكم فانه سبحانه هو الذى يحل ويحرم وأنا مبلغ عنه باذنه فاسمعوا عنى هذه الوصايا وتمسكوا بما جاء فيها :

الوصية الأولى : ((أن لا تشركوا بى شيئا)) نهى عن الاشراك بالله لأن الشرك هو الكفر وهو أشد المحرمات افساداً للعقل ، وهو طمس للفطرة السليمة ، فكل ما عدا الله سبحانه مخلوق لله وعبد له ((ان كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً)) فاعبدوه وحده بما شرعه على السنة رسله لا حسب أهوائكم ولا أهواء احد من الخلق أمثالكم .

الوصية الثانية : ((وبالوالدين احسانا)) واحسنوا للوالدين احسانا كاملا تاما لا تدخروا فيه وسعا ولا تالوا فيه جهدا ، وهذا نهى عن الاساءة مهما صغرت ، وقد ورد فى سورة الاسراء قوله تعالى : ((ولا تقل لهما اف)) وفى سورة لقمان ((أن اشكر لى ولوالديك)) وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن عبد الله بن مسعود قال : سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى العمل افضل ؟ ((قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثم : اى ؟ قال : بر الوالدين . قلت : ثم اى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله)) فقدم بر الوالدين على الجهاد فى سبيل الله الذى هو اكبر الحقوق العامة على الانسان ، لأن حقوق الوالدين على ولدهما اعظم واجل عند الله من جميع حقوق الخلق عليه ، وعاطفة البنوة من اقوى غرائز الفطرة ، فمن قصر فى بر الوالدين والاحسان اليهما كان فاسد الفطرة مضيعا للحقوق جميعها فلا يرجى منه خير لأحد .

والوصية الثالثة : ((ولا تقتلوا اولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم)) فلا يجوز بحال ولا يحل ابدا ان تقتلوا اولادكم من الفقر الواقع بكم فعلا أى الفقر المتحقق الحاصل ، وفى آية أخرى وردت فى سورة الاسراء نهى عن قتل الأولاد خشية الفقر المتوقع اى غير الحاصل فعلا ، وانما يخاف حصوله لكثرة الأولاد قال تعالى : ((ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم)) وقدم هنا رزق الأولاد على رزق الآباء عكس آية الأنعام ، فلا يباح باى حال الإقدام على هذا

الفعل الشائن لأن الله سبحانه هو الذى يرزق العباد ويضمن لهم ذلك فى صريح القرآن الكريم : ((وفي السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما انكم تنطقون)) ((وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها)) ولكن يجب السعى والكسب والجد فى الحياة ليحصل الرزق ، ويتحقق ، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . ((فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه)) وحثت الآيات والأحاديث الشريفة على وجوب العمل لكسب القوت والحصول على ما يمكن الحصول عليه من العيش الحلال ، ولا يعترف الاسلام بالكسالى والاتكاليين ولا يقر أبدا السؤال فاليد العليا خير من اليد السفلى دائما ، وخيرات الأرض تكفى أهلها مهما تكاثروا فالذى خلق الأرض قدر فيها أقواتها وهو الحكيم العليم .

الوصية الرابعة : ((ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن)) وتطلق الفاحشة على ما ثبتت شدة قبحه عقلا وشرعا ، وما يرتكب الفاحشة آلا البعيد عن معرفة الله تعالى وعن المعقول ، والفواحش التى يقترفها الجاهلون منها : الزنا واللواط وقذف المحصنين والمحصنات ، وكثير من الناس من يرتكب بعض الفواحش معلنا بها ، ومنهم من ياتيها سرا بعيدا عن رقابة الناس ، اخرج ابن أبى حاتم عن أبى حازم أنه سمع مولاه يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((مسالة الناس من الفواحش)) وعن عمر بن حصين فيما اخرجه ابن أبى حاتم أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((ارايتم الزانى والسارق وشارب الخمر ، ما تقولون فيهم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : هن فواحش وفيهن عقوبة)) وعن عكرمة قال : ((ما ظهر منها ظلم الناس وما بطن الزنا والسرقة)) لأن الناس يفعلونها فى الخفاء وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((لا احد اغير من الله ، من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن)) وقال تعالى : ((وذروا ظاهر الاثم وباطنه)) وفى سورة الأعراف : ((قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)) .

الوصية الخامسة : ((ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق)) نهى عن قتل النفس التى حرم الله قتلها بالاسلام أو بالعهد او بالاستئمان ، روى الترمذى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة . وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما)) وفى قول الله تعالى : ((الا بالحق)) اشارة الى ما يباح به قتل النفس شرعا ففى الحديث الشريف : ((لا يحل دم امرىء مسلم الا بامور ثلاثة : كفر بعد ايمان ، وزنا بعد إحصان ، وقتل نفس بغير حق ((ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون)) الاشارة الى الوصايا الخمس التى مرت وتليت فى الآية الكريمة ، والوصية معناها : ما يعهد الى الانسان عمله من خير او ما يطلب اليه تركه من شر مع اقتران ذلك بما يرجى له من اثر ، والمعنى : انما وصاكم الله بذلك لما فيه من الخير العميم والمنفعة المؤكدة ، وكل هذا مما تدركه العقول الناضجة ، وفى قوله تعالى : ((لعلكم تعقلون)) تعريض بأن ما هم عليه من الشرك وما بعده أشياء لا يقرها العقل السليم ، وليست فيها أدنى مصلحة ظاهرة للعاقل المفكر المتدبر ، فعسى ان تعقلوا ما فيه الفائدة وهو ما أرشدنا اليه رب العالمين ، فتسيروا على نهجه القويم ، وتسلكوا طريقه المستقيم .

الوصية السادسة : ((ولا تقربوا مالَ اليتيم إلا بالتى هى احسنُ حتى يبلغ

اشده » اى ان مما يتلى عليكم من الوصايا التى وصاكم الله بها هو الا لا تقربوا مال اليتيم اذا كنتم ولاه أمره او إذا تعاملتم معه الا بافضل ما يوصل اليه الخير من حفظ ماله وتنميته المحققة من وجوه الحلال ، وقوله تعالى « ولا تقربوا » أبلغ فى النهى من النهى عن الفعل نفسه لآن هذا التعبير الكريم يتضمن النهى عن الاسباب والوسائل التى تؤدى الى الفعل وتوقع فيه ، وبلوغ الاشد معناه : بلوغ سن الرشد والقوة ، وقال صاحب لسان العرب : « الاشد معناه مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة » وأورد ابن منظور المصرى(١) عن الأزهرى أنه قال : « ورد الأشد فى كتاب الله تعالى فى ثلاثة معان يقرب اختلافها : فاما قوله فى قصة يوسف عليه السلام : ولما بلغ أشده : فمعناه الادراك والبلوغ وحينئذ راودته امراة العزيز عن نفسه ، وكذلك قوله تعالى : ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ أشده ، قال الزجاج : معناه احفظوا عليه ماله حتى يبلغ اشده فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله ، قال وبلوغه أشده أن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغا ، وقال بعضهم حتى يبلغ ثماني عشرة سنة ، قال أبو اسحق : لست أعرف ما وجه ذلك لأنه اذا أدرك قبل ثماني عشرة سنة ، وقد أونس منه الرشد فطلب دفع ماله اليه وجب له ذلك ، قال الأزهرى ، وهذا صحيح وهو قول الشافعى وقول اكثر اهل العلم .. الخ وأما قوله تعالى فى قصة موسى صلوات الله على نبينا وعليه : « ولما بلغ اشده واستوى » فانه قرن بلوغ الأشد بالاستواء وهو أن يجتمع أمره وقوته ويكتهل وينتهى شبابه ، وأما قول الله تعالى فى سورة الأحقاف : « حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة » فهو اقصى بلوغ الأشد وعند تمامها بعث محمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقد اجتمعت حنكته وتمام عقله فبلوغ الأشد محصور الأول محصور النهاية غير محصور ما بين ذلك ، وقد اشترط الشارع الحكيم لايتاء اليتامى اموالهم بلوغهم سن الحكم والرشد معا وظهور رشدهم فى المعاملات المالية بالاختبار والتجربة قال تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم » وهو خطاب للأولياء والأوصياء ، وميزان الرشد يبرز بكثرة التجارب والمران واحسان المعاملات المالية واجادة التصرف فى تقليب المال واستثماره .

الوصية السابعة : « وأوفوا الكيل والميزان بالقسط » أمر باتمام الكيل فى حالتى الأخذ والعطاء ، وايفاء الميزان لأنفسكم فيما تشترون ، أو لغيركم فيما تبيعون ، وقد ذم الله سبحانه المطففين فى سورة سماها باسمهم وتوعدهم فيها بالعذاب الشديد على فعلهم فقال تبارك وتعالى : « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون » وأوضحت الآيات انهم بعيدون عن الايمان بيوم البعث والحساب « ألا يظن اولئك انهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين » ولما كانت اقامة القسط تاما امرا دقيقا جدا لا يمكن تحقيقه فى كل مكيل او موزون تمام التحقيق قال سبحانه : « لا نكلف نفسا الا وسعها » اى انه تعالى لا يلزم انسانا الا ما يسعه فعله بدون مشقة ولا حرج ، فالمراد ـ : ان يضبط الكيل والميزان بحيث يعتقد انه لم يظلم فيهما بزيادة او نقص يعتد به شرعا وقد قص القرآن الكريم علينا ما كان من قوم سيدنا شعيب عليه السلام وبعدهم عن العدل فى ميزان او كيل فحكى عن نبيهم قوله : « ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين » وروى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحاب الكيل والميزان : « أنكم

ولينم امرا هلكت فيه الامم السالفه مبلكم » ويكفي في شده الزجر عن التطفيف في كيل او ميزان ان الله تبارك وتعالى سماه عتوا في الارض وفسادا .

الوصية الثامنة : « واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » أمر بالعـــدل في الأقوال حين الشهادة أو القضاء ولو كان المشهود له أو عليه ، وكذلك المتقاضي عندئذ قريبا قرابه لحم ودم او نفس وروح ، فالعدل في الاقــوال لازم وواجب كالعدل في الافعال ، وقد وضح الله سبحانه ذلك في سوره النساء حيث يقول تبارك وتعالى : « يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين إن يكن غنيا او فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » وتشدد الله في ذلك اى في العدل حين الشهادة والقضاء مهما كانت الصله بالمشهود له أو عليه ، وكذلك المتقاضي لأن العدل قوام الحياة حياة الأمم ، فلا يجوز أن تحكمنا الصلات فتحملنا على الظلم او الميل عن الصراط المستقيم ، ومن حاد او ظلم فالله سيحاسبه فهو جل وعلا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فلا تخفى عليه خافيـــة .

الوصية التاسعة : « وبعهد الله أوفوا » وهو ينتظم ما عهد الله تعالى الى خلقه على السنة أنبيائه ورسله ، وما يعاهد الناس بعضهم بعضا عليه مما يوافق الشرع ، وقد ورد لفظ العهد في القرآن كثيرا مشيراً الى ذلك قال تعالى : « ولقد عهدنا الى آدم » وقال سبحانه : « ألم أعهد اليكم يا بني آدم » وقال أيضـــا : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » وقال : « أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم » وجعل الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين فقال عز اسمه : « والموفون بعهدهم اذا عاهدوا » وقال : « والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وعد الرسول صـــلى الله عليه وسلم نكث العهد من صفات المنافقين فقد روى البخارى عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » نعوذ بالله من النفاق وأهله « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » أى أن ما سمعتموه مما تلوته عليكم هو ما وصاكم الله به فلعلكم تذكرون ما فيه من الصـــلاح لكم يحملكم ذلك على العمل به ويذكر بعضكم بعضـــــا وهذا من التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وعد الله تعالى التذكر للخير والعمل به من دلائل الانابة اليه والرجوع الى أوامرة وخشيته وخوف عذابه قال سبحانه : « وما يتذكر الا من ينيب » وقال جل وعلا : « سيذكر من يخشى » .

الوصية العاشرة : « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وهذا بيان لما يدعو اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدين والشرع القويم وانه سبيل الله الذى يوصل الى رضائه سبحانه كما يوصل الى نيل السعادة التامة في الدنيا والآخرة ، والصراط المستقيم هو شرع الله ، اخرج احمد والنسائى والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « خط رسول الله خطا بيده » ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيما » ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : « وهذه السبل ليس فيها

سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه)) ثم قرأ : ((وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)) . وروى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ((ولا تتبعوا السبل)) قوله : ((أمـر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم انه إنما أهلك من كان قبلهم . المراء والخصومات)) .. ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)) التقوى اسم لكل ما يتقى من الضرر العام والخاص مهمايكن نوعه فالأمر باتباع الصراط المستقيم والنهى عن سبيل الغى والضلال هو ما وصاكم به ربكم ليهيئكم للبعد عن كل ما يشقى ويردى فى الدنيا والآخرة ، وما يوصل الى السعادة التامة فيهما ، وقد وردت آثار كثيرة بشأن تلك الوصايا منها ماأخرجه الترمذى وآخرون عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ((من سره أن ينظر الى وصايا محمد التى عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات : ((قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم)) الى قوله تعالى : ((ذلكم وصاكم ربكم لعلكم تتقون)) .

والخلاصـــــة :

ان الايمان الصحيح ليس بالتمنى ، ولكن بالعمل وتنفيذ اوامر الله واتباع وصاياه كما وردت فى محكم كتابه وعلى لسان خير خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ، والايمـــان المستقر فى القلب لا بـــد وأن تبدو آثاره الطيبة على فعـــل الجوارح ، وأما قول اللسان دون عمل فهذا مما جاء فيه قول العـــلى الكبير : ((كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)) وهو حجة على ابن آدم يوم القيـــامة ومما يؤيد ذلك قول الله تبارك وتعالى : ((ليس بأمانيكم ولا امانى أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)) نعوذ بالله تعالى من قول بلا عمل ونساله جلت قدرته ان يوفقنا لتنفيذ وصاياه والعمل بما اوحاه الى سيد المرسلين ان ربى سميع الدعاء .

حاشية : عن الحافظ ابن كثير فى كتابه (الباعث الحثيث الى معرفة علوم الحديث ص ٣٤ ، ٣٥)

الحديث الموقوف : مطلقـه يختص بالصحابى ولا يستعمل فيمن دونه الا مقيدا وقد يكون اسـناده متصـــلا وغير متصل .

الحديث المرفوع : هو ما أضيف الى النبى صـــلى الله عليه وسلم قـــولا أو فعـــلا عنه سواء كان متصـــلا أم منقطعا أم مرسلا .

(١) الأشد بفتح الهمزة وضم الشين ــ لسان العرب ص ((٢٨٣)) جـ ٢ طبع دار لســـان العرب بيروت ــ لبنـــان .

القرآن.. وعلم الفلك ٢

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

اصل الكون :

لا يعطينا العلم بكافة فروعه جوابا شافيا ولا معنى واضحا ترضى بـــه العقول او تطمئن اليه النفوس عن اصل الوجود ، كما أنه لا يتعرض قط لموضوع علة وجودنا وسبب مجيئنا ، وعما اذا كانت لنا رسالة خاصة على الارض . وما دام هناك وجود لنا ووجود لما حولنا فمن العبث أن ندعى أن العدم هو الاساس الطبيعى ، ولكن من المنطق أن نسلم بحقيقة (الموجود) الأزلى الذى هو علة كل شىء ، والذى شهد نشوء كل شىء . والذى يعطى هذا المعنى هو الدين ويشير القرآن الكريم الى ذلك فى عدة آيات مثل قوله تعالى فى سورة فصلت الآية (٥٣) : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) .

وهناك ثلاث طرق فقط عالج بها بعض العلماء أخيرا أصل الوجود . والحقيقة أن هناك طريقتين لا ثالث لهما ، وذلك نظرا لأن الطريقة الثالثة هى فى الواقع مجرد تحايل غير منطقى ، فحواه اننا قد نستطيع القول بأن الكون على حالتــه الراهنة انما نشأ عن سلسلة من حالات أخرى سابقة ، واننا نستطيـــع ترتيب الخطوات السابقة التى مر بها الكون فى تتابع منتظم حتى نصـــل الى مرحلـــة الصفر على غرار الصفر فى الاعداد . وتعتمد الطريقة العلمية الاولى على مجرد الحظ أو الصدفة ، وهى تقول انه قد يحدث بالصدفة ان يمر الكون عبر سلسلة من مراحل النشوء والتطور ، تماما كما يمر عقرب الساعة أمام أرقام الميناء . ويعنى ذلك وجود دورة من حالات التطور تتكرر على الدوام ، أى أنه ليس هناك ابتداء أو انتهاء ، وانما يتحرك الكون ليبدأ تطوره من حيث انتهى . ونحن حـــتى

اذا سلمنا بهذا جدلا فمن أين اتت مادة الأصل ؟ الحقيقة ان العلم انما يبدا دائما من مرحلة معينة يفترض فيها وجود الاشياء من غير التعرض لأمر موجودها ومنظم خط سيرها وواضع طريقة تطورها . . .

وتقرر الطريقة الثانية من غير اساس علمي قويم او منطق سليم ان الكون كان هكذا على الدوام ، وسوف يظل على ما هو عليه الى الأبد ، بحيث لا يوجد ابتداء ولا معنى للانتهاء .

ومن اللازم أن نلاحظ أن هذه النظريات ، شأنها كشأن اية نظرية علمية أخرى ، تبدأ كما قلنا بفروض ، أو مسلمات تسمى احيانا بديهيات ، مثل التسليم بظهور مادة الأصل تلقائيا أو قيام النظم والقوانين الكونية الثابتة تلقائيا كذلك ، فاذا ما سلمنا بقيام نظام بالصدفة عبر الزمان الطويل فهل تستطيع الصدفة وحدها أن تقوم على تثبيت ذلك النظام عبر الزمان وتعميمه عبر المكان ؟ ! إن حساب الاحتمال الرياضى لا يعرف مثل هذا الكلام .

وقبل أن نعلق على هاتين النظريتين نؤكد بأن المألوف هو ان لكل شىء موجودا أوصانعا . فاذا قلنا إن للكون موجدا انما نساير الحقيقة المشاهدة ونسلم بداهة فى نفس الوقت بأن هذا الخالق الموجود تختلف صفاته عن صفات المخلوق، فاذا كان للكون موجود موجد فليس للموجود موجد . . . وهلمجرا نستطيع أن نتبين أن للموجود من الأسماء أو الصفات ما يجعلنا نسميه كما سمى نفسه فى القرآن : الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الخالق ، البارى ، المصور ، .. الوهاب ، الرزاق . .

وطبيعى ان هذا الحل العلمى الذى ينادى به الدين هو افضل واسلم واصح من افتراض وجود مادة فى الاصل وقيام نظم لا خالق لها ولا مبدع على غير المألوف .

وان ابعاد الكون المرصود قد امتدت فى ظل الفلك الراديوى الى حدود نحو ٢٠ الف مليون سنة ضوئية ، وهذا الرقم هو مجرد كسر صغير بالنسبة الى الأبعاد التى يفترضها العلماء للكون الذى يستغرق تطوره فترة من الزمن سحيقة وتقدر بعشرات آلاف ملايين السنين بحيث تكاد تكون لا نهائية بالنسبة الى عمر الانسان وحضاراته على الارض . ولهذا تبذل الجهود المضنية من اجل التغلب على هاتين الحقيقتين الداخلتين فى صميم الدراسات الكونية بالأستعانة بالعلوم الأخرى ، حيث أن قوانين الطبيعة التى اكتشفت على الارض يجرى تطبيقها فى السموات ، كما أن النظم المختلفة لما نراه فى العلم المبنى على مسلمات يمكن أن تعطينا انواعا متباينة من الأكوان والقوانين التى تحكمها . ويمكن لعالم الرياضة البحتة ان يبنى كل نماذج الأكوان الممكنة معتمدا فى ذلك على مجموعات القوانين الطبيعية ، مثل الديناميكا الحرارية ، والنسبية العامة ، تماما كما يبنى عالم الهندسة كل انواع الهندسات الممكنة (هندسة اقليدس ، هندسة ريمان . . .) كل ذلك بصرف النظر عن الهندسة الفعلية للفضاء الذى من حولنا .

وهكذا يصبح تشييد نماذج الأكوان فرعا من فروع الرياضة البحتة . أما مسألة التعرف على احد هذه النماذج والأستدلال على أنه كوننا بالذات فتلك

مسألة اخرى ليس من اليسير الخوض فيهـــا أو التعرض لها هنا . ويتساءل العلماء قائلين : لماذا يوجد كون واحد فقط ؟ وهل هذا الانفراد مجرد صدفة أو هو ضرورة ؟ أننا ليس لدينا ما يثبت عمليا وعلميا وجود كون آخر غير هذا الذى نراه من حولنا . وقد امتدت أبعاده من عدة مئات آلاف السنين الضوئية الى عدة آلاف الملايين بتقدم آلاف الرصد الفلكى مصداقا لقوله تعالى فى سورة الذاريات الآية (٤٧) : « والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون » وربما يكون المعنى كذلك اننا موسرون (أى لدينا المزيد رغم اتساع الكون) . ان الكون يتمدد بالفعل ويزداد حجمه كما نادت بذلك النظرية النسبية . على أية حال الكون واحد فقط ، وهـــو لا يمكن أن يكون لا نهائى الأبعاد كذلك ، والا لاشتعلت كل أركان السماء بالضوء ليلا ، ولما ظهرت تلك الاجزاء المظلمة بين النجوم ولامتلاء السماء كلها بالنجـــوم المتناثرة إلى مالانهاية فى أى اتجاه ، كما تصبح الجاذبية لانهائية القدر كـــذلك ، وهو أمر غير مشاهد . ولهذا كان من اللازم افتراض أن شكل الفضـــــاءالكونى على أعظم مقياس له تماما كما يبدو لنا على اصغر مقاييسه على الارض ، أى أنه ينحنى على نفسه مصداقا لقوله تعالى فى سورة الملك الآية (٣) : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » .

ووحدانية الكون دليل آخر على وحدانية الخالق كما أن شمول النظام وثبوته الذى جعل من الممكن استخدام العلم وتطبيقه ، هو فى حد ذاته خير برهان علمى قاطع على وحدانية الخالق جل وعلا . واننا لنجد نفس المعانى والنتائج عندمـــا ننتقل الى عالم الحياة .

ان كلمة حياة من اصعب التعبيرات أو الكلمات تعريفا من الوجهة العلمية .بل لقد ذهب فريق من العلماء الى أن كلمة (حياة) غير قابلة للتعريف العلمى الدقيق الشامل للأسف الشديد . ولو اننا نظرنا الى كل صفة من صفات المادة الحية — مثل صفة الحركة ، أو التوالد ، أو التغذية أو النمو .. لوجدنا ان هناك حـــالات تسمى فيها الاشياء (حية) ولكنها لا تتوفر لها معظم هذه الصفات . ومن أمثلـــة ذلك بعض الطفيليات . وهناك حالات أخرى تسمى فيها الاشياء ميتة ومـــع ذلك نجد لها بعض تلك الصفات ، مثل ظاهرة النمو فى البلورات .

وقد ورد فى بعض التعريفات الدقيقة الحديثة لبعض العلماء أن المادة (الحية) هى كل وحدة نظامية مميزة بثبات ديناميكى ، وقادرة على حفظ كيانها بنفسها ، وعلى امتصاص الطاقةمن اى نظام قائم حولها ، وعلى تثبيت بقائها بواسطة التوالد أو الانقسام والموت .. كل ذلك بالاضافة الى أن الوقت الذى يمتاز به قيام تلك الوحدة (الحية) يجب أن يكون أطول من الوقت الذى يمكن أن تستغرقه اية عملية من العمليات المميزة لها . وعلى الرغم من هذا التعقيد الفنى فى تعريف (الحياة)هناك أشياء كونية عديدة يمكن أن تدخل بسهولة تحت طائل هذا التعريف ، ومن أمثلة ذلك السدم والكواكب والســـحب .. فمن المعروف أن كل ما فى الكون من الوان المادة وأنواعها المختلفة انما يتحرك أو يســـبح ، ابتداء من الذرات ومركباتها الى المجرات ووحدتها . وهى تمتص

الطاقات ، وقد تنقسم ، وتنمو .. فهل هى حية .. ؟ وليس منا من يجهل أن الكهارب التى تجرى من حول النوى داخل الذرات ، وأن الكواكب السيارة تسبح من حول الشموس فى المجرات ، وان هذه الأخيرة تنطلق عبر خضم الفضاء الفسيح بسرعات متزايدة الى مصير غير معلوم ، فهل هذه جميعها تتوفر لها صفات الحياة كلها أو بعضها .

ومما يزيد من حرج مركز هذا التعريف — أو أى تعريف آخر مماثل — وجود تلك المواد الدقيقة المعروفة التى تقف على الحدود الفاصلة بين ما قد نسميه (حيا) وما قد نسميه (ميتا) وتلك هى الفيروسات .

فالفيروسات عبارة عن مواد كيميائية — يمكن تحضير اغلبها فى المعمل — ولا يمكن أن توصف بالحياة حسب معناها المعروف ، اذ إنها تمتاز بخواص التكوين الذاتى فى البيئة الملائمة ، وبالنمو والتكاثر ، ولكنها صغيرة جدا ، (أصغر من أى كائن حى عادى) . ويكاد تركيبها لا يمت بصلة للتركيب الاساسى للخلية الحية .

أما الجسم الحى الذى تتعدد فيه الاعضاء وتتباين ، فهو مرحلة متقدمة من تطور الوحدات (الحية) تتعاون فيها تلك الاعضاء على القيام بمظاهر (الحياة) المختلفة من تنفس وتناسل وحركة وتغذية .. ويظل الجسم حيا ما دامت تلك الاعضاء أو على الأقل الرئيسية منها ، تقوم بأداء وظائفها . هذا ملخص تعريف الحياة والجسم الحى . أما (الروح) فهى الجوهر الذى يمتاز بالوعى والارادة والفكر .. الى غير ذلك من الصفات التى دونها صفات المادة الحية التى تعمل آليا أو بالغريزة .. وتسكن الأرواح الاجسام الحية . والمعروف أنها تدخل جسم الجنين عندما يبلغ شهره الرابع ، وتظل تسكن الجسم الحى وتتدرج معه بالنمو على النحو المعروف ولا تهجره أو تغادره نهائيا الا اذا مات .

ومعنى ذلك أن الجسم الحى كالبيت الذى يسكنه الناس والروح هنا بمثابة السكان ، والجسد بمثابة الجدران . ويعالج علم الحياة « البيولوجى » كما يعالج علم الطب ، موضوع مقومات الحياة وتركيب الجسم ، وما يصيبه من علل وما قد يطرأ عليه من أمراض تؤدى الى الوفاة ، وكل تلك المجالات عبارة عن دراسات علمية تدخل فى نطاق العلم .

السموات :

كان من الطبيعى أن يشير القرآن الكريم فى سياق حديثه عن الكون — كتاب الله المنظور — الى المجرات النائية التى يعج بها الفضاء ، والتى تضم كل واحدة منها آلاف ملايين النجوم أو الشموس ، فقال مثلا فى سورة الواقعة الآيتان (٧٥) ، (٧٦) : « فلا أقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم » .

فمواقع النجوم شىء جدير بأن يقسم به الخالق ، وهى تكاد تفوق حدود الوصف والخيال ، كما أنها آخذة فى التزايد لأن المجرات تتباعد بسرعات رهيبة .

ومنذ سنوات ولد فرع جديد من فروع علم الفلك عرفنا بأجرام سماوية غامضة تسمى (اشباه النجوم) أو (الكوازار) ، وهى فى الواقع مجرات عظمى تبدو لعظم بعدها عنا كأنها نقط مضيئة وسط خضم الفضـــــاء المترامى الاطــــراف مثــل (كوازار ٣ ــ ك ٩) . ولكن الله تعـــالى يقول فى ســـورة يونس الآية (١٠١) : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » ويقول فى سورة الاعراف الآية (١٨٥) : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض » وعلينا اذا بأمر من ديننا ان نرصد تلك العوالم النسائية التى تتكون منها السموات لندرك عظمة الخالق ونلمس قدرته التى لا حدود لها ..

وترسل ، او فى معنى اصح ، ارسلت تلك العوالم طاقات موزعة بانتظام خلال الكون ، نتعرف عليها بفرع الفلك الجديد المسمى الفلك الراديوى .

اقطار السموات والارض :

يظن كثير من الناس خطأ ــ وقد كنت منهم ــ أن قول الله تعـــالى فى سورة الرحمن الآيات (٣٣ ــ ٣٥) : « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان . فبـــأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » من دلائل انطلاق الانسان عبر الفضاء ، ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى اقطار تماما نجد أن المعنى اشارة واضحة للتعجيز كما هو ظاهر من الآية (٣٥) .

اما النفاذ من اقطار الارض فما من شك أن معناه اختراق الكرة الارضية عبر لبها المستعر والخروج من الجهة المقابلة .. وما من شك أن مجرد اختراق القشرة اليابسة للارض معناه انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر .. اما اختراق اقطار السموات فبالمثل معناه عبور الشموس والنجـــوم وســائر الوان الغبار الكونى واحزمة الأشعة الكونية ومجاريها وهى اشد احراقا وفتكا من براكين الارض .. !!

اما الوصول الى القمر او المريخ او الزهرة فليس معناه النفاذ من اقطار السموات بحال من الأحوال ، وقد فهمنا امتداد الكون واتساع السمـــوات وأن اقطارها تربو وتزيد على عدة آلاف ملايين السنين الضوئية .. !

ولكن فى آية اخرى يقول الله تعالى : « ومن آياته خــلق السمـــوات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير » ســــورة الشورى الآية (٢٩) . وهى تشير الى وجود أحياء بين أرجاء السماء أما الجمع فقد يكون على متن أمواج الأثير .

الغلاف الهوائى أول السموات :

نحن وجميع من معنا من الكائنات التى على الارض كركاب سفينة فضاء سقفها هو الغلاف الهوائى . ولكن هذه السفينة تخدعنا كما خدعت آباءنا من

قبل ، لأنها تبدو لنا كأنها واقفة فى الفضاء أو ساكنة لا تتحرك ولا تدور ، بينما يتحــرك كل شيء من حولها أو يدور بما فى ذلك القمر والشـــــمس والنجوم والشهب والمذنبات ونحوها .

أما الحقيقة الواقعة فهى أن أرضــنا تلف هى وسقفها كالنحلة وتجرى كالقطار وتتمايل كالسفينة وتترنح وتهتز كالطــائرة . وتنجم عن هذه الحركات كلها عدة ظواهر منها : تعاقب الليل والنهـــار ، وتتابع الفصول ، وتزحزح الاعتدالين ، ونحوها كما تتغير مقادير الطاقة الشمسية التى تصل الى كل بقعة من الارض فتزداد أو تتناقص وبذلك يتكون الهواء الساخن أو البارد وتختلف ضغوط الجو فيتحرك على هيئة دورة كبرى للرياح .

ولقد احتفظت الارض بفضل قوة جذبها الكبيرة وأمسكت بغلافها الجوى أو سقفها ولم تسمح له بالتسرب الى خضم الفضـــاء المترامى الاطراف كما تسرب غلاف القمر الجوى حتى صار القمر جرما ميتا خاليا من الهواء والمـــاء وذلك لأن من خصائص الغازات كالهواء أنها تنتشر لتملأ الفراغ المعرض لها .

ولو أن مهندسا صمم سقف سفينة الفضاء لجعل لذلك الســـقف فوائد محدودة أو آيات معدودة ولكن الذى صمم سقف الارض وحفظه جعل له من الفوائد أو الآيات ما يكاد لا يعد ولا يحصى فقال فى سورة الانبياء الآية (٣٢) : « وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتنا معرضون » .

الغلاف الجوى اذا هو جانب أول السمــوات ونحن نعيش فى جــانب من السماء الاولى . وهو عبارة عن خليط غازى عديم الطعم واللون والرائحة بالاضافة الى بخار الماء الذى يحمله الهواء لأن بخار الماء أخف أو أقل كثافة من الهواء الجاف . وهذه وحدها آية من آيات الخالق لأنها مكنت الهواء من حمل البخار الى أعالى الجو حيث يبرد ويتكاثف الى سحب ومطر ، هو مصدر المياه العذبة على الارض ..

وأهم الغـــازات التى يتركب منهـــا الهواء هى الأزوت أو النيتروجين ونسبته ٧٨٪ من حيث الحجم والاوكسجين ونســبته ٢١٪ من حيث الحجم وغازات أخرى نادرة نسبتها ١٪ فقط .

ولنسبة الأزوت العالية التى فى الجو آية ملخصها أنها تجعل اطفـــاء الحرائق أمرا ممكنا .. فلو أن نسبة الاوكسجين هى التى كانت ٧٨٪ لما أمكن اطفاء أى حريق يشتعل مثل حريق الغابات .

كما ان **الأزوت الجوى** تكون منه عواصف الرعد والبرق أحماضا أزوتية تذوب فى ماء المطــر ، وتخصب الارض ، وتجعلهــا على التدريج صــالحة للزراعة . وهكذا كان يتم اخصاب الارض بالطبيعة من قبل أن يعرف النـــاس السماد الصناعى .

والمطر يغسل الهواء وينقيه من الشوائب والأتربة والجراثيم ــ أنظر كيف نستمتع بالجو فى أعقاب المطر . وحتى فى الشـــتاء يحدث الدفء بعد نزول المطر لانطلاق الحرارة الكامنة من البخار الذى تحول الى مطر ، وهى الحرارة

التى اكتسبها ماء البحر فى الاصل من الشمس لكى يتحول الى بخـــار يحمله الهواء ..

ومن أظهر فوائد الغلاف الجوى انه يحتوى على الاوكسيجين الـــذى تستنشقه الكائنات الحية فيدخل مع هواء الشهيق ليجدد نقـــاء الدم فيها ويكسبها القدرة على العمل .

وكلما ارتفعنا فى السماء كلما قلت مقادير الهواء وقل تبعا لذلك الاوكسيجين الجوى . فاذا كان الاوكسيجين الجوى عند السطح هو ٢٠٠ وحدة ضغط فانه يعتبر على ارتفاع ١٠ كيلو مترات ٤٠ وحدة فقط ، ويعتبر على ارتفاع ٢٠ كيلو مترا ١٠ وحدات فقط . وعلى بعد ٣٠ كيلو مترا وحدتين فقط . وهكذا أى ان الانسان يمكن أن يختنق تماما اذا ما ارتفع فوق ١٠ كيلو مترات ولم يكن محميا داخل غرفة مكيفة .

ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحقائق كلها ــ أى الاوكسيجين الجوى وتناقصه بالارتفاع فوق سطح الارض بحيث تصبح مقادير الاوكسيجين التى تدخل الصدر غير كافية أو يضيق الصدر تبعا لذلك ــ فيقول تعالى فى سورة الأنعام الآية (١٢٥) : « .. ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصـــعد فى السماء » .

ولو ان الكائنات الحية تركبت منذ القدم تستنشق الاوكسيجين الجـــوى وتخرجه مع هواء الزفير على هيئة غاز ثانى أوكسيد الكربون الخانق من غير عملية عكسية لنفد الاوكسيجين الجوى بمضى الوقت واختنقت سائر المخلوقات على الارض .

ولكن الخالق القدير الذى اسكننا الارض جعل مملكة النبات تقوم بالعملية المضادة فى ضوء الشمس بما يعرف باسم التمثيل الكلوروفيلى . ومضمونه ان النباتات تأخذ ثانى أكسيد الكربون من الجو ، وفى ضوء الشمس تحللـــــه الى أوكسيجين خالص يخرج الى الهواء من جديد والى كربون أو فحم تختزنه . هذا الكربون أو الفحم يستخدمه النبات فى بناء انسجته وعمل السكر والنشا والزيوت والخشب وغيرها ... وتلك ولا شك آية من آيات الخالق تتضمن قضية تنقيـــة الجو من ثانى أوكسيد الكربون أولا بأول واضافة الاوكسيجين الخالص اليه ثم صناعة المركبات العضوية النباتية التى هى أساس تغذية مملكة الحيوان بأسرها من الكربون المستخلص من ثانى أوكسيد الكربون الجوى . فلماذا يعرض الانسان عن التفكير فى هذه الحقائق ويعتبرها مجرد صدفة ! ان اغفال الحـــواس هنا والاعراض عن تمجيد الخالق القدير معناه قتل الفكر الحر وقتل الضمير عـــن عمد وهو أمر يستحق عليه الانسان العقاب .

والهواء كما قلنا يحمل بخار الماء . وعندما يصعد يبرد ولا يقوى على حمل هذا البخار فتتكاثف الابخرة الى نقط صغيرة من الماء أو بللورات الثلج تبعا لدرجة الحرارة السائدة .

وفى ذلك يقول الله تعالى فى سورة الروم الآية (٤٨) :
« الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا » .
ولكن ما الفرق بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر ؟ الامر بسيط ، ان السحابة التى تمطر يلزمها مدد مستمر من أبخرة المياه لكى تتكثف تلك الابخرة وتهطل على هيئة مطر أو برد أو ثلج .
وهذا المدد يتم بواسطة الرياح الصاعدة كذلك مصداقا لقوله تعالى فى سورة الحجر آية (٢٢) :
« وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » .
أى ان الرياح تلقح السحب وغيرها ببخار الماء لتجود بالماء العذب وان هذا الماء ليس مخزونا فى مكان معين ولكنه دورة مائية بين السماء والارض .
وقصة الماء العذب على سفينة الفضاء الكبرى وهى الارض معروفة لان أشعة الشمس تبخر بعض مياه البحار والمحيطات وتحولها الى أبخرة يحملها الهواء ويصعد بها فى السماء لتكون السحب والمطر الذى ينهمر لتعود الى البحر .
والمطر كما قلنا ينقى الهواء ويغسله من الشوائب والاتربة العالقة فيه ، وهو مصدر المياه العذبة التى هى أساس الحياة على الارض ، سواء كان ذلك الماء من الانهار أو الآبار أو العيون أو المطر المباشر .
ومن أهم آيات هواء الارض انه الوسط الذى يضىء بنور النهار . وعلى الرغم من ان امتداد الغلاف الجوى فوق سطح الارض هو نحو ألف كيلومتر ، الا ان الطبقة التى تضىء بضوء النهار هى قشرة رقيقة سمكها نحو ٢٠٠ كيلو متر فقط عندما تواجه الشمس . عندئذ يتناثر أو يتشتت ضوء الشمس فى تلك الطبقة الكثيفة نسبيا من الهواء . واكثر الوان الطيف التى تتناثر هو اللون الازرق ولذلك تكتسب تلك القشرة اللون الازرق وهى القشرة التى تحدد معالمها القبة السماوية الزرقاء .
فالقبة الزرقاء اذا مجرد ظاهرة ضوئية ومن نعم الله علينا أن جعل من صفات التناثر انتشار أشعة الضوء المتناثر فى كل الاتجاهات . وعلى هذا النحو يمكن ان تنار البيوت بفتحات ونوافذ لا تواجه الشمس مباشرة ، اذ يمكن أن يدخل منها الضوء المتناثر فى كل اتجاه .
واذا ما صعدنا فى صاروخ فوق تلك القشرة المنيرة نجد ان الدنيا تظلم من جديد وتظهر نجوم السماء ، كما تكون الشمس بادية وبارزة ولكن تخز أشعتها الاجسام وخز الابر من غير ان تنير الفضاء الكونى المظلم الشديد الاظلام . وكلما دارت الارض حول محورها انسلخت القشرة المنيرة من الغلاف المظلم مصداقا لقوله تعالى فى سورة يس الآية (٣٧) :
« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » .
ان النهار ينسلخ من الليل كما يسلخ جلد الشاة من جسدها .
ومن أعظم فوائد الغلاف الجوى أنه يحمينا من أهوال الفضاء ممثلة فى الاشعة الكونية الفتاكة تارة ، ثم فى الشهب والنيازك المدمرة تارة أخرى ، كما يحمينا من درجات الحرارة المنخفضة التى يتميز بها الفضاء الكونى حيث تصل درجة الحرارة حدود ٢٧٠ درجة تحت نقطة الجليد . ومن أخطر الاشعة التى يقينا شرها سقف الارض الأشعة فوق البنفسجية التى ترسلها الشمس ، وهى أشعة محرقة ولا يسمح غلاف الارض الجوى بان يصل منها الى سطح الارض الا جزء صغير جدا يفيد فى حمامات الشمس ويعالج كثيرا من الامراض مثل البرد

والكساح ونحوها . وخير الاماكن التى تؤخذ فيها حمامات الشمس سواحل البحار وأعالى الجبال حيث تقل الاتربة الجوية التى تحول دون وصول الاشعة فوق البنفسجية . والمعروف ان حمامات الشمس تكسب البشرة ذلك اللون البرنزى الجميل .

ولقد عبّد الغلاف الجوى سطح الارض بعوامل التعرية وجعله صالحا للعيش فوقه والسير عليه ، فالرياح والثلوج وأمواج البحر كلها نحتت الصخور النارية القديمة وهذبتها وحولت أجزاء عظمى منها الى طمى وغرين ورمل ومواد كونت التربة الزراعية . وما من شك أن هذه أكبر آيات الغلاف الجوى أو سقف الارض أهمية بالنسبة للحياة على الارض .

وحتى الكائنات المائية مثل الاسماك وغيرها انما تستنشق أوكسيجين الجو المذاب فى الماء . مما يفسر لنا السر فى ضرورة تجديد ماء الاوانى والاحواض التى تحفظ فيها أسماك الزينة .

ان أكثر من ثلاثة آلاف بليون نسمة تعيش اليوم على الارض وهى تنعم بحماية سقفها وتستمتع بما يجود به من نعم بلا مقابل .

ان علم الارصاد الجوية يظهر لنا بجلاء كيف تعمل تيارات الهواء المختلفة الرأسية والأفقية وكيف تدأب دورة الرياح العامة على توزيع درجات الحرارة بالعدل والقسطاس بين أجزاء الارض المختلفة .

ان الهواء يحمل الحرارة من مناطق توفرها كالمداريات الى مناطق شحنها كالقطبين ، بينما تنقل تيارات الحمل بخار الماء وما فيه من حرارة كامنة اكتسبتها أسطح البحار من الشمس وتسير بها الى الجو العلوى ومناطق اثارة السحب لفائدة الانسان ونفعه . وليس علينا الا ان ندرس ونتمعن ونشكر :

« وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » البقرة الآية (١٦٤) .

وانت اذا ما جلست بعد منتصف الليل تراقب السماء ترى أكداسا من الشهب تهوى من الجو العلوى وتحترق فيه قبل أن تصل الارض ، وهى تحترق بسبب الحرارات العالية التى تتولد بالاحتكاك مع الهواء عندما تتحرك الشهب فيه بسرعة فائقة مثل ٢٠ أو أكثر من الاميال فى الثانية .

وتكون أتربة تلك الشهب المحترقة ما يعرف باسم نوى التكاثف أو المراكز التى يتم عليها تجمع بخار الماء العالق فى الجو على هيئة نقط ماء وثلج داخل السحب ، ولقد شوهد ان السنين التى تدخل فيها الارض عبر الوفير من مجارى الشهب فى الفضاء يعقبها مطر وفير وهطول غزير يروى الارض ويشملها بالخير والبركة .

وما من شك اننى لن استطيع حصر آيات الغلاف الجوى أو سقف الارض المحفوظ ، فهو الى جانب ما ذكرنا باختصار ، فيه تسرى الاصوات وهو بذلك يجعل لحاسة السمع معنى ووظيفة ، وهو الذى يخصب أكثر النباتات ، وفيه يحلق الطير ، وهو الذى يستغل فى اشعال وقود الآلات والمحركات . والرياح هى التى تدفع السفن الشراعية عبر البحار وتجفف الملابس والعرق .. ويعمل البرق فى عواصف الرعد على تكوين أكاسيد الأزوت التى تذوب فى ماء المطر مكونة نوعا من السماد الطبيعى الذى أخصب الارض منذ القدم قبل أن يعرف الانسان مواد السماد أو يصنعها .

الإسلام والمشكلة الاقتصادية

للدكتور محمد شوقى الفنجرى

المشكلة الاقتصادية هي مشكلة الفقر ، وهى لا تتمثل كما يتصورها الاقتصاد التقليدى فى ظاهرة الجوع والحرمان ، وانما فى ظاهرة التفاوت الشديد فى توزيع الثروات والدخول .

ولقد أدرك الاسلام منذ البداية أهمية العامل المادى ، فلم يهون من أمره شأن المذاهب الروحية والمتصوفة ، ولم يغال فيه شأن المذاهب المادية والابيقورية وإنما وضعه حيث يجب أن يوضع عاملا مؤثرا ضمن عوامل أخرى .

وكان للاسلام مفهوم وتصور خاص للمشكلة الاقتصادية يختلف عن تصور الاقتصاد الرأسمالى ، والاقتصاد الاشتراكى ، وبالتالى إختلفت المواقف .

ونبين ما تقدم ، فى ثلاثة مطالب متتالية :

المطلـــب الأول

ماهية المشكلة الاقتصاديـــة

المشكلة الاقتصادية هى مشكلـــة الفقر

تتمثل أهم مظاهر الحياة وبالتالى أهم مشكلاتها فى سعى كل فرد أوكـــل جماعة فى توفير أسباب معيشتها ، وبالأخص اشباع حاجاتهـــا الماديـــة وهى (متعددة) بينما مالديها من موارد وأموال (محدودة) .

فالمشكلة الاقتصادية هى أهم مشكلات الحيـــاة ، وهى بحســـب الرأى التقليدى السائد ، هى مشكلة تعدد الحاجات وندرة الموارد .

وبعبارة مبسطة ، أن المشكلة الاقتصادية هى مشكلة الفقر الذى لا يعدو كونه مظهرا من مظاهر زيادة الحاجات على الموارد .

مشكلة الفقر قديمة وان اشتدت وطأتها متأخرا

وهذه المشكلة وان كانت قديمة ، لازمت الانسانية منذ فجر التاريخ ، إلا أنها لم تشعر بوطأتها إلا تدريجيا ، بزيادة حاجات الانسان تبعا لدرجـــة تطوره وتقدمه . فالانسان الأول رغم قلة موارده لم يكن يشعر بوطأة الفقر ، نظرا لقلة حاجاته وتطلعاته .

فمسألة الفقر نسبية تختلف باختلاف الزمان والمكان . ولا شك أن أفقر فقير فى العصر الحاضر ، يعتبر غنيا بالنسبة الى انسان العضور القديمة . كما أن متوسط الحال فى مصر أو الهند ، يعتبر فقيرا بالنسبة لمتوسط الحال الامريكى أو الروسى .

وقد بلغت مشكلة الفقر ذروة حدتها متأخرا فى عصرنا الحالى ، وذلـــك بحكم سهولة إتصال الناس بعضهم ببعض وظهور الفوارق مع ازديـــاد الوعى الاجتماعى ، فالفلاح فى القرية ذات الاقتصاد المغلق ، لم يشعر بفقره إلا حين اتصاله بعالم المدينة . ومجتمع كاليمن قبل انفتاحه على العالم الخارجى لم يكن فى عزلته يشعر بفقره أو تخلفه الشديد .

حقيقـــة مشكلة الفقـــر

وإننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا أن مشكلة الفقر لا تتمثل فى الجوع والحرمان أو قلة الموارد . وإنما فى وجود التفاوت الشديد فى الثروة والدخول ، سواء بين الأفراد على مستوى المجتمع المحلى أو بين الدول على مستوى المجتمع العالمى .

فليس معنى الفقر هو العجز عن الاشباع البسيط للحاجات الأساسية ، وإنما هو عدم اللحاق فى المعيشة بالمستوى السائد فى المجتمع . والفقير فردا كان أو دولة هو من يعيش فى مستوى تفصله هوة سحيقة عن المستوى المعيشى السائد فى المجتمع المحلى أو العالمى .

ونخلص من ذلك أن المشكلة الاقتصادية ليست كما تصورها الرأى التقليدى السائد ، هى مشكلة الفقر أو تعدد الحاجات وندرة الموارد . وإنما هى مشكلة سوء توزيع الثروة والدخول . وبعبارة أخرى هى مشكلة الانسان وسوء تنظيمه الاقتصادى وهو الأمر الذى أدركه الاسلام منذ البداية على نحو ما سنبينه .

المطلـــب الثـــانى
العامل المـــادى وتفسير التاريـــخ
ليس للتاريخ مفتاح واحد

إذا كان الانسان ينشط لاشباع حاجاته ، فان هذه الحاجات ليست ماديـــة (اقتصادية) فحسب ، بل له حاجات أخرى معنوية (دينية كانت أو ثقافيـــة أو ترفيهية .. الخ) .

ولا شك أن إشباع الحاجات المادية ممثلة فى المأكل والملبس والمأوى هى الحاجات الاولى والأساسية . ومن ثم فهى المشكلة الأولى لكل فرد أو جماعة ، وهى الشغل الشاغل للمجتمعات المتخلفة (وهى كثيرة) والطبقات الدنيا فـــى كل مجتمع (وهى الاغلبية) .

لذلك فنحن من القائلين بأهمية العامل الاقتصادى ، وأنه محور الصراع بين الأفراد وبين الشعوب . الا أننا لا نسلم بأنه العامل الوحيد ، فليس للتاريخ مفتاح واحد كما يذهب البعض (١) .

الاســـلام يعتـــد بالعامـــل المـــادى

ولقد أدرك الاسلام منذ البداية أهمية العامل المادى ، وأنه بدون الخبـــز لا يستطيع أن يحيا الانسان ، ولكنه أدرك أيضا وبنفس المستوى أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

ومن ثم فقد جاء الاسلام وباعتباره خاتم الاديـــان ، لا يقتصر على مجـــرد العقيدة والهداية الروحية . وإنما جاء أيضا شريعة وتنظيما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا للمجتمع . ذلك أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة بدون عقيدة توجههـــا ، وشريعة تنظمها . بل لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الاخلاق ، اذا لم يطمئن المرء فى حياته المعيشية . فالعقيدة والشريعة فى الاسلام يكمل كل منهما الآخر، ولا يقوم أحدهما دون الآخر ، ويمكن تصويرهما بساقى الانسان لا يستطيع أن يمشى على ساق دون الأخرى .

واذا كنا نتصور الاسلام فى بلد يلتزم بتعاليم الاســـــلام السياســـــية والاجتماعية والاقتصادية دون العقيدة ـــ فانه أيضا لا يمكن أن نتصور الاسلام فى بلد يقوم أهله بالصلاة والصيام وسائر العبادات ، بينما يغفلـــون تعاليـــم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والتى تكفـــل الشـــورى وتقرر المساواة وتضمن حد الكفاية لكل فرد ، فالتزام الشريعة ـــ لا سيما تعاليمهـــا الاقتصادية ـــ هو الذى يساعد على صفاء العقيدة وعلى خلق المجتمع الاسلامى، مجتمع المتقين . بل أن غاية العقيدة والتعبد فى الاسلام هو سلامة الســـلوك الاجتماعى وشرعية النشاط الاقتصادى ، « فالدين المعاملة » . وإننا نعجـــب لهؤلاء الذين يركزون على العقيدة دون الشريعة ، أو هؤلاء الذين يبحون أصواتهم بالمواعظ الدينية والدعاوى الاخلاقية ، دون أن يشغلوا أنفسهم بتوفير أسبابها الموضوعية .

الاسلام يدفع بالعامل المادى الى الصدارة

أكثر من ذلك ، فقد جعل الاسلام العامل المادى فى القمة والصدارة ووضـع المشكلة الاقتصادية ـــ وذلك منذ البداية وقبل أن تتطور الاحداث وتفرض المشكلة

نفسها — حيث يجب أن توضع فى الأساس وفى المقدمة . ومن قبيل ذلك :

(أ) أنه اعتبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع ، وانه نعم العون على تقوى الله ، وإن طلب المال الحلال فريضة وجهاد فى سبيل الله ، وان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الهم فى طلب العيش ، وإن من فقه الرجل أن يصلح معيشته ويتأنق فى حياته ، وان الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده (٢) .

(ب) أنه يساوى بين الفقر والكفر . ولم يستعذ الرسول من شىء بقدر استعاذته من الفقر ، فيقول عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا » ، ويقول « اللهم أنى أعوذ بك من الكفر والفقر » ، قال رجل أيعدلان ، قال : نعم .

(ج) إنه حين طالب الناس بالعبادة وذكر الله علله فى القرآن بقوله تعالى :

« فيلعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خـــوف » قريش ٣ و ٤ . فأساس العبادة فى الاســــلام والسبيل اليها ، هو تأمين الناس فى حياتهم المعيشية ، حتى أن موسى عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله : « رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى » طه ٢٥ و ٢٦ ، قرنه بقوله : « كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا » — طه ٣٣ و ٣٤ ، وهذا ما عبر عنه المفكر الاسلامى الجزائرى مالك بن نبى بقوله « كيف أصلى وأنا جائع » .

(د) أنه اعتبر مجرد ترك أحد افراد المجتمع ضـــائعا أو جائعا هو تكذيب للدين نفسه . فالله تعالى يقول « أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » — الماعون ١ — ٣ . وجـــاء فى القرآن « ما سلككم فى سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المســـكين » المدثر : ٤٣ و ٤٤ .

وقوله تعالى « وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، أو اطعام فى يـــوم ذى مسبغة ، يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة » البلد : ١١ . وقد سئل الرسول ما هو الافضل فى الاسلام ؟فقال«اطعام الجائع ونجدة من تعرفه ومن لا تعرفه »

المطلب الثالث
تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية وموقفـــه منها

تعرض الاسلام للمشكلة الاقتصادية

جاء الاسلام بمنهج كامل للحياة ، يهتم بالجانب المادى فى حياة البشر بقدر ما يعنى بالجانب الروحى ، ذلك لأن كلا من الجانبين يؤثر فى الآخر ويتأثر به . وصدق الله العظيم « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » — المائدة : ٣ . وقوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » — الانعام : ٢٨ (٣) .

لذلك كان من الطبيعى أن يتعرض الاسلام للمشكلة الاقتصادية متمثلة فى مشكلة الفقر .

تصور الاسلام للمشكلة الاقتصادية

ولم يعتبر الاسلام المشكلة الاقتصادية كما تصورها الكتاب الرأسماليون بأنها مشكلة قلة الموارد ، أى مردها الطبيعة ذاتها وعجزها عن تلبية الحاجات . ولا هى كما تصورها الكتاب الماركسيون ، بأنها مشكلة التناقض بين قوى الانتاج

وعلاقات التوزيع ، أى مردها أشكال الانتاج وعدم بلوغ التطور غايته بالتوفيق بين شكل الانتاج وعلاقات التوزيع وإنما رد هذه المشكلة الى الانسان نفســه وسوء تنظيمه الاقتصادى مما لا علاقة له بالطبيعة أو أشكال الانتاج . ويستفاد ذلك من الآيات الكريمة « الله الذى خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار » ــ ابراهيم ٣٢ ــ ٣٤ . وكما جاء فى الحديث « ما جاع فقير إلا بما متع غنى » (٤) .

موقف الاسلام من المشكلة الاقتصاديـــة

فالمشكلة الاقتصادية فى نظر الاسلام ليست نابعة من قلة الموارد الطبيعية مما قد يتعذر التغلب عليه . وليست نابعة من عدم بلوغ التطور غايته ، مما قد يستتبع اقرار المظالم الاجتماعية عبر المراحل التاريخية السابقة . وإنما تتجسد هذه المشكلة فى ظلم الانسان بسوء توزيع الثروة ، الى جانب كفرانه للنعمــة باهماله استثمار الطبيعة وموقفه السلبى منها أو عدم استغلاله جميع المصادر التى تفضل الله بها عليه استغلالا تاما .

عالج الاسلام كفران النعمة بما وضعه للانتاج والتداول من أحكام ، كمـــا كفل محو الظلم بما وضعه للتوزيع والاستهلاك من تعاليم ، ونشير هنا بايجاز الى نص المفاهيم الاسلامية فى مجالى الانتاج والتوزيع .

الفرع الاول ــ من حيث الانتاج :

الانسان هو خليفةالله فى أرضـــه

جاء الاسلام منذ أربعة عشر قرنا معلنا أن الانسان هو خليفة الله فـــى أرضه : « إنى جاعل فى الارض خليفة » البقرة : ٣ . وانه تعـــالى سخر له ما فى السموات وما فى الارض « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه » ــ الجاثية : ١٣ ، وذلك ليعمر الدنيا ويحييها وينعم بخيراتها ويسبح بحمده تعالى : « فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكـــروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » ــ الجمعة : ١٠ .

العمل والانتـــاج عبادة فى الاسلام

وعلى أساس تصور أن الانسان خليفة الله فى أرضـــه ، جاءت تعاليــم الاسلام حاثة على العمل والانتاج فالله تعالى يقول : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، ويقول الرسول : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » بل ان العمل وزيادة الانتاج فى نظر الاسلام عبادة ، والفرد العامل قريب مــن الله ومثاب على عمله الصالح فى الدنيا والآخرة ، فالله تعالى يقول : « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله » ــ الشورى : ٢٦ ، ويقول الرسول : «العمل عبادة » ويقول : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا

له يوم القيامة » ، وقبل الرسول يدا ورمت من كثرة العمل وقال : « هذه يد يحبها الله ورسوله » لذلك اعتبر الاسلام السعى على الرزق وخدمة المجتمع أفضل ضروب العبادة ، فقد ذكر للنبى رجل كثير العبادة فسأل من يقوم به : قالوا : أخوه ، قال : أخوه أعبد منه ، وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله ، فقال له الرسول : « لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله — أى فى سبيل المجتمع — أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما » . ويقول « لأن يمشى أحدكم مع أخيه فى قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين »

ولقد حدد الرسول مفهوم الايمان بقوله : « ليس الايمان بالتمنى ، ولكن الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ، ولخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والانتاج بقوله : « والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة » .

بعض تعاليم الاسلام فى ممارسة الانتاج

ولقد أوجب الاسلام إتقان العمل والانتاج ، واعتبر ذلك أمانة ومسئولية، فالله تعالى يقول : « ولتسئلن عما كنتم تعملون » — النحل : ٩٣ ، ويقول الرسول : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ، وهذا يستوجب اتباع أدق وأحدث الاساليب العلمية فى الانتاج وصدق الله العظيم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » — الزمر : ٩ .

كما أوجب الاسلام تنوع الانتاج بحيث يشمل كافة الحاجات البشرية : ذلك أن القاعدة فى الاسلام أن كل مالا يتم الواجب الا به يصير واجبا ، وما لا يقوم به الأفراد من النشاط الاقتصادى كالصناعات الثقيلة والمرافق العامة يصبح شرعا « فرضا » على الدولة القيام به . وقد تكلم الاسلام عن الزراعة وضرورتها وقال الرسول : « ما من مسلم يغرس أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة » ولكن حين سئل الرسول : « أى الكسب أطيب » ، قال : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»وفى ذلك اشارة الى الصناعة والتجارة والى أنهما أطيب الكسب وأهم أوجه النشاط الاقتصادى .

كذلك نهى الاسلام عن الانتاج الضار كانتاج الخمور : فيقول تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » المائدة : ٩٠ . ويقول الرسول : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ، وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة اليه » . كما نهى عن التعامل بالربا فيقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » — البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ويقول الرسول : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده » كما نهى عن احتكار السلع : فيقول الرسول : (من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطىء) ، ويقول « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » ، ويقول : « الجالب فى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله ، والمحتكر فى سوقنا كالملحد فى كتاب الله » .

كما نهى الاسلام عن اكتناز المال وحبسه عن الانتاج فالله تعالى يقول : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » — التوبة : ٣٤ ، ويقول الرسول : (من جمع دينارا أو تبرا أو فضة ولا ينفقه

فى سبيل الله ،فهوكنز يكوى به يوم القيامة) ومن ثم يقول الرسول : « اتجروا فى مال اليتيمحتى لا تاكله الزكاة » ، ويقول « ليس لمحتجز حق بعـد ثـلاث سنين » فتنزع الارض ولو كانت مواتا او بورا من مالكها اذا انقضت عليها ثلاث سنوات بدون استثمار .وهو ما دعا عمر بن الخطاب أن يقول لبلال وقد أعطاه الرسول ارض العقيق : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجز عن الناس وانما أقطعك لتعمل ، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقى » . بل لقد بلغ حرص الاسلام على الانتاج وتعمير الدنيا ، ان قال الرسول : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة ـ اى نبتة ـ فاستطاع الا تقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر » .

عوامل الانتاج فى الاسـلام

وقد اعتبر الاسلام من عوامل الانتاج ، عاملين هما :

(ا) العمل : ويشمل عمل العامل (وهو المجهود الذى يبذله الانسان لخلق المنفعة سواء كان يدويا كعمل الفلاح والعامل ، أو عقليا كعمل المدرس والطبيب والمحامى ... الخ) . كما يشمل عمل المنظم (وهو الذى يوجه العملية ... الانتاجية .. ويوائم بين عناصر الانتـاج المختلفة بما يحقق سـير الانتـاج ومضـاعفته) .

(ب) رأس المال ويشمل الطبيعة (أى الثروات التى ليس للانسان دخـل فى وجودها كالارض والماء والحيوان والمناجم ... الخ) . كما يشمل رأس المال بمعناه المعروف (أى الثروات الناتجة عن نطاق العمل والطبيعة ، والتى لا تصلح لاشباع حاجات الناس مباشرة وانما تستخدم الانتاج موآد أخرى صالحة للاشباع المباشر ، ومن قبيل ذلك رؤوس الأموال السائلة كالنقـود ورؤوس الأمـوال العينية كالمبانى والآلات) .

ويستفاد ذلك من اجماع فقهاء المسلمين على توزيع الربح ـ وهو حصيلة الانتاج ـ بين العمل ورأس المال . ففى عقد المضاربة ويسمى أيضا بالمقارضة ، يقدم أحد الشركاء وهو رب المال أى المقارض (رأس المال) بينما يقدم الشريك الآخر وهو رب العمل أى المضارب (العمال) ... وقد سمى كذلك لأنه يضرب فى الارض ويسعى فيها قصدا الى المال وتنمية التجارة .

على أن يلاحظ أن رأس المال لا يعتبر فى الاسلام عنصرا من عناصر الانتاج الا اذا شارك عنصر العمل فى الانتاج متحملا غرمه . أما رأس المال بوحـده (سواء كان فى صورة رأس مال أو أرض) ، فلا يعتبر عنصراً من عنـاصر الانتاج . وهذا هو السببفىأن الاسلام لا يعترف بالفائدة كعائد لرأس المـال وحده (أى دون مشاركة فى الربح والخسارة) ، كما أنه على الرأى الذى نؤيده لا يعترف بالريع كعائد للارض وحدها (أى حالة التأجير دون ـ الزراعة) ويكون الأصل فيه أن الارض لمن يزرعها (٥) .

وتعتبر هذه المسألة من أهم المسائل التى يختلف فيها الاقتصاد الاسلامى ، عن كل من الاقتصاد الرأسمالى ، والاقتصاد الاشتراكى : ـ

ـ ففى الاقتصاد الرأسمالى عناصر الانتاج أربعة هى : العمـل وعائـدة الأجر ، والطبيعة وعائدها الريع ، ورأس المال وعائده الفائدة ، والمنظم وعائده الربح . ويتحدد ثمن أو قيمة كل عنصر من عناصر الانتاج سالفة الذكـر على أساس سعر السوق الذى تحدده قوى العرض والطلب .

ـ أما فى الاقتصاد الاشتراكى فعنصر الانتاج الأساسى هو العمل سواء كان يدويا أم عقليا وعائده هو الاجر أو الراتب ، والذى تحدده السلطات حسب خطة التنمية الاقتصادية آخذة فى الاعتبار قوى العرض والطلب دون أن ـ تتقيد بهما تقيدا تاما . أما بقية عناصر الانتاج الأخرى كالطبيعة ورأس المال والمنظم ، فتظل موجودة وانما ينتقل عائدهـــا الى الدولـــة تتصرف فيها بحسب خطـــة التنميـــة (٦) .

أما فى الاقتصاد الاسلامى فعناصر الانتاج كما سبق أن قلنا هى العمـــل ورأس المال ، مع ملاحظة أن رأس المال بوحده لا يكون له عائد ، إلا إذا ساهـــم مع العمل فى الغرم ،وحينئذ يكون له نصيب فى العائد (أيا كانت نسبته بحسب الاتفاق) فى صورة ربح لا فائدة .

الفرع الثانى : من حيث التوزيـــع

المال مال الله والبشر مستخلفون فيه :

جاء الاسلام ، منذ أربعة عشر قرنا ، معلنا أن كل ما فى يد البشر من مال هو ملك لله أصلا » ولله ما فى السموات ومافى الارض » ـ النجم : ٣١ ، وان البشر مستخلفون فيه (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) ـ الحديد : ٧ ، وانه لا يجوز للبعض دون الآخر أن يستأثر بهذا المال (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) النـــور : ٣٣ .

فبحسب الاسلام حيازة المال ليست امتلاكا ، و إنما هى وديعة أو وظيفة ، ومن ثم يتصرف فيها بتعاليم الاسلام (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) . المؤمنون : ٨ .

لكل حاجته أولا .. ثم لكل تبعا لعمله :

وقد جاءت تعاليم الاسلام فى مجال التوزيع صريحة بأن لكل حاجتـــه أولا بقوله تعالى (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل) ـ الاسراء : ٢٦ ، وقوله تعالى (فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) ـ المعراج : ٢٤ ، وقوله تعالى (فى أموالهم حق للسائل والمحروم) ـ الذاريات : ١٩ ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (من ترك كلأ ، فليأتنى فأنا مولاه) أى من ترك ذرية ضعيفة فليأتنى بصفتى الدولة فأنا مسئول عنه كفيل به ، وقوله (من ترك ضياعا فعلى ضياعه) .

وهذا الحق هو حق أبيه الذى يعلو فوق كل الحقوق ، وفى إنكاره أو إغفاله إنكار للدين نفسه لقوله تعالى (أرأيت الذى يكـذب بالدين ، فذلك الـــذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ـ الماعون / ـ ٣) .

وقول الرسول (ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائـــع الى جنبه وهـــو يعلم) ، وقوله (أيما أهل عرضة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله) ، وقوله (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) . ويعلق على الحديث الأخير الامام ابن حزم فى كتابه المحلى فيقرر أن (من تركه يجوع ويعرى فقـــد أسلمه) ، ويضيف ابن حزم أن للجائع عند الضرورة أن يقاتل فى سبيل حقه فى الطعـــام الزائد عند غيره (فان قتل الجـــائع فعلى قاتله القصاص ، وإن قتل المانع فإلى لعنة الله) .

كما ان هذا الحق مقرر لكل مواطن فى المجتمع الاسلامى ، بغض النظر عن ديانته أو جنسيته ، ويروى أبو يوسف فى كتابه الخراج أن الخليفة عمر ابن الخطاب رأى شيخا يهوديا يتكفف الناس ، فسأله عن السبب فقال : الجـزية والحاجة والسن ، فأمر عمر بطرح جزيته وأن يعال من بيت مال المسـلمين ، وارسل الى خازن بيت المال (أنظر الى هذا وضربائه ، فوالله ما أنصفنـاه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم) .

ولقد عبر الفقهاء القدامى عن هذا الحق باصطلاح حد الغنى أو حد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، بمعنى أن لكل انسان حاجاته الضرورية والتى تختلف باختلاف الزمان والمكان ، بحيث اذا عجز لسبب خارج عن ارادته أن يوفى لنفسه الحد اللائق للمعيشة ، فان نفقته تكون واجبة فى بيت مال المسلمين أى فى خزانة الدولـة . .

وانه متى توافرت لكل فرد من أفراد المجتمع حاجاته الضرورية من مأكـل وملبس ومسكن .. الخ مما يسميه رجال الفقه الاسلامى بحد الكفاية تمييزا له عن حد الكفاف ، فان التوزيع يكون بعد ذلك على أساس أن لكل تبعا لعمله . فالقرآن يقول (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) النساء / ٣٢ ، والحديث النبوى يقول (لا بأس بالغنى لمن أتقى) .

عمر بن الخطاب يلخص نظرية التوزيع فى الاسلام

وقد لخص الخليفة عمر بن الخطاب نظرية التوزيع في الاسلام بقوله :

(ما من رجل الا وله فى هذا المال حق ، الرجل وحاجته .. والرجـل وبلاؤه) ، وقوله (انى حريص على الا أدع حاجة الا سددتها ما اتسع بعضنـا لبعض ، فاذا عجزنا تآسينا فى عيشنا حتى نستوى فى الكفاف) .

وفى أواخر أيام حياته حين بدأت تظهر طبقة معنى فى الغنى ، ولم تسعفه فى علاج الموقف ، قال كلمته المشهورة (لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول الاغنياء فرددتها على الفقراء) .

الاسـلام لا يسمح بالغنى الا بعد كفالة حد الكفاية ، كما لا يسمح بالتفاوت الفاحش فى الثروة أو بالترف .

ومؤدى ما تقدم أن الاسلام لا يسمح بالغنى الا بعد توفر حـد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن . وبعبارة أخرى أنه لا يسمح بالغنى مع وجود الفقر ، وانما يبدأ الغنى والتفاوت فيه بعد ازالة الفقر والقضاء عليه نهائيا . ومن هنا فنحن مع القائلين أنه فى الظروف غير العادية حيث يعم الفقر وينتشر الحرمان ، لا يجوز لأحد أن يمتلك أكثر من حاجته . ويؤكد هذا قوله تعالى (يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ــ البقرة : ٢١٩ ، والعفو هنا هو كل ما زاد عن الحاجة . وقـول الرسول عليه السلام : (اذا بات مؤمن جائعـا فلا مال لأحد) (٧)) ، وقـول الرسـول : (ان الأشـعريين اذا ارسـلوا فى الغـزو أو قل طعـام عيالهم فى المدينـة ، حملوا ما كان عنـدهم فى ثوب واحد ثم إقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية ، فهم منى وانا منهـم) ، وقول الرسول فى سفر (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن

كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) ويضيف الرواه أن الرسـول ذكر من أصناف المال ما ذكرحتى رأينا أنه لا حق لاحد منا فى فضل .

كذلك فان الاسلام اذ يسمح بالغنى بعد ضمان حـد الكفاية ، وذلك لكل تبعا لعمله ، الا انه لا يسمح بالتفاوت الفاحش فى الثروة كما لا يسمح بالترف . فالغنى والتفاوت فى الثروة والدخول ليس مطلقا فى الاسلام ، بل هو مقيـد بقيدين أساسين :

أولهما ــ ألا يكون التفاوت فى الغنى كبيرا ، اذ من أكبر بواعث السخط والجرائم فى المجتمعات وتخلق الطبقية والصراع بينها ، التفاوت الفاحش وتركز الثروة فى يد فئة قليلة من الناس ، الامر الذى نهى عنه الاسلام بقوله تعـالى (كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) ــ الحشر : ٧ . وكشف عنـه تصرف الرسول بتوزيع فىء بنى النضير على المهـاجرين واثنين فقط من الانصـار كانوا فقراء .

ثانيهما ــ الا يؤدى الغنى الى الترف لقوله تعالى (واتبع الذين ظلمـوا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين) ــ هود : ١١٦ . وقد علمنا التاريخ أن الشعوب حين تبدأ حياة الترف والمغالاة ، فانه يكون ذلك ايذانا بغروب شمسها وأفـول نجمها ، وصدق الله العظيم (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسـقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) ــ الاسراء : ١٦ . وهو ما عبر عنه الرسول بقوله (فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كمـا أهلكتهم) ، وقد حلل ابن خلدون فى مقدمته مبدأ كراهية الاسلام لاسلوب الترف بأن من شأنه اشاعة السلبية والتكاسل ، وانه جرثومة القضاء على الحضارة .

• • •

لقد ادرك الاسلام منذ البداية ، ان مشكلة الفقر لن يحلها الاحسان ، ولن تتداركها الاجراءات الاصلاحية التى تستهدف تسكين الآلام أو تخفيف الحرمان ، بل لا بد من حل جذرى ، ومن هنا كانت نقطة البداية فى الاقتصاد الاسلامى ، بالاضافة الى الحث على اتقان العمل وزيادة الانتاج ورفعه الى مرتبة العبادة ، ما قرره من ضمان حد الكفاية واذابة الفوارق بين الافراد على نحو ما أشرنا اليه وسنعود الى ايضاحه .

---

١ ــ يذهب بعض المفكرين الى تفسير أحداث المجتمع بعامل واحد من العوامل المؤثرة فى حياة الانسان ، ويعتبرونه العامل الاساسى فى أحداث التاريخ .

وهم يختلفون فى بيان هذا العامل ــ فبينما يرى فريق منهم كبعض علماء الدين والاجتمـاع أنه العامل الدينى أو الروحى ، يرى فريق آخر كبعض علماء الاقتصاد وخاصة الماركسيين منهم بأنه العامل الاقتصادى ، بينما يرى فريق ثالث كبعض علماء النفس وخاصة الفربيين منهم بانـه العامل الجنسى .. الخ والواقع أن كل عامل من هذه العوامل وغيرها له دوره ، وانما غلبـة أحد هذه العوامل وسيادته على العوامل الاخرى مرده ظروف الزمان والمكان . ولا شك ان العامل الدينى كان العامل المؤثر فى العصور الوسطى ، كما أن العامل الاقتصادى هو العامل المؤثر فى العصور الحديثة ، كما أن هناكمجتمعات يلعب فيها العامل الجنسى دورا رئيسيا فى مجـرى أحداثهـا .

٢ ــ آيــــات :

ــ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ــ الكهف / ٤٦
ــ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ــ النساء / ٥
ــ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنــوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ــ الاعراف / ٣٢

أحـــاديث :

ــ نعم العون على تقوى الله المال ويقول : « نعم المال الصالح للعبد الصالح »
ــ طلب كسب الحلال فريضة ويقول : طلب الحلال جهاد
ــ من فقه الرجل أن يصلح معيشته ويقول : ما عال من اقتصد
وكان عليه السلام يناجى ربه بقوله (اللهم أصلح لى دنياى التى فيها معاشى)
ــ ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم فى طلب العيش .
ــ خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس .
ــ أتى أحدهم الرسول وعليه ثوب دون ، فقال له : « ألك مال » ، قال : نعم ، قال : « من أين » ، قال : اعطانيه الله عــز وجل ، فقال الرســـول : « آتاك الله مالا فلير أثــر نعمته عليك » .
ويقول : اذا أوسع الله عليكم فأوسعوا على انفسكم .
ــ وسئل الرسول ، ان الرجل يحب ان يكون ملبسه حسنا ونعله حسنا ، فهذا من الكبر؟ فقال عليه السلام : « ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطــر النعمة وغمط الناس » .
ــ كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة أو سرف ، فان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .
ويقول : كلوا أطيب الطعام والبسوا أجمل الثياب وانتعلوا أحسن النعال وليمش الواحد منكم بين الناس وكانه شامة .
ويقول : كل ما شئت والبس ما شئت ، ما خطاتك اثنتان اسراف او بخيلة .

(٣) حين يقول القرآن « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، لا يعنى الاحاطة بكافة تفاصيل الحياة والمعرفة ، فليست تلك مهمته ، وانما يعنى أنه لم يفرط فى شىء مما هـــو أساس فى تحـــديد القيم التى توجه الانسان فى مختلف جوانبها ومراحل تطورها .

(٤) أنظر الاستاذ محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، الطبعة الثالثة بيروت سنة ١٩٦٩ ، دار الفكر ، ص ٣٠٧ ،٥٩٥ .

(٥) ــ انظر تفصيل ذلك لدى الدكتور ابراهيم توفيق الطحاوى فى الفصل الخـــاص بفوائد عناصر الانتاج التى يقرها والتى لا يقرها الاسلام ص ١٧٣ ، ٢٢٥ من رسالة للدكتوراه (مساهمة فى دراسة الاقتصاد الاسلامى مذهبا ونظاما) والتى نوقشت بكلية التجارة جامعة الازهر فى ٢١ مارس سنة ١٩٧٢ .

(٦) أنظر تفصيل ذلك لدى الدكتور صلاح الدين كامـــل فى مؤلفه أسس عــلم الاقتصاد الاشتراكى ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٦ ، ص ١٦١ وما بعدها .
وكذلك فى مؤلفه علم الاقتصاد ، دار النهضة العربية ، طبعة ١٩٦٩ ، ص ٣٢٠ وما بعدها .

(٧) يعلق الاستاذ الدكتور على البارودى على ذلك الحديث بقوله (انه ما دام فى المجتمع جـــائع واحد أو عـــار واحد ، فان حق الملكية لاى فرد من أفراد هذا المجتمع لا يمكن ان يكـــون شرعيا ولا يجب احترامه ولا تجوز حمايته .. ومعنى ذلك أن هذا الجـــائع الواحد يسقط شرعية سائر حقوق الملكية الى أن يشبع . أنظر كتابه دروس فى الاشتراكية العربية ، مكتبة المعـــارف ١٩٦٦ ، ص ٩٦ .

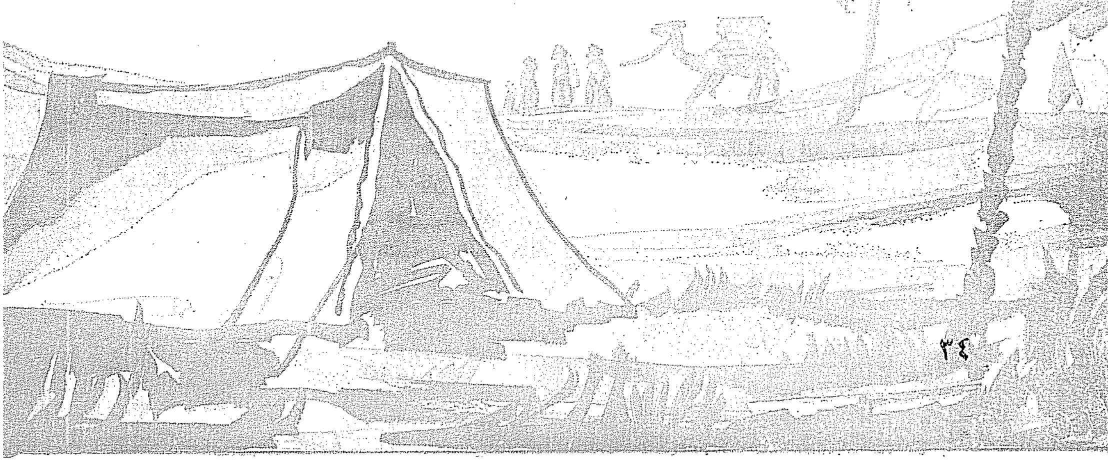
لبيك

إلهنا ما أعدلك — مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك — لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك — ما خاب عبد سألك
أنت له حيث سلك — لولاك يا رب هلك
لبيك ان الحمد لك — والملك لا شريك لك
والليل لما أن حلك — والسابحات فى الفلك
على مجارى المنسلك — كل نبى وملك
وكل من أهل لك — سبح أو لبى فلك

— ● —

يا مخطئا ما أغفلك — عجل وبادر أجلك
اختم بخير عملك — لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك — والحق والنعمة لك

للشاعر أبى نواس



تعليق ورد

حول مقال مولد محمد صلى الله عليه وسلم

جاءنا من الشيخ (احمد محمد ابو زيتحار) عميد معهد القراءات الازهرى بدمنهور وعضو بعثة الازهر لتدريس علوم القرآن بالجامعة الاسلامية بأم درمان سابقا :

جاء فى العدد ٨٧ ربيع الأول ١٣٩٢ ابريل ١٩٧٢ ، فى المقال الذى كتبه الاستاذ عبد الكريم الخطيب تحت عنوان « مولد محمد صلى الله عليه وسلم » ص ٨٦ س ١٩ ، ٢٠ « ان اسم محمد لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ولم يسم به عربى أو قرشى قبله » الى آخر ما ذكره الاستاذ فى مقاله ..

وهذا ليس بصحيح .. فقد ذكر علماء السير والتاريخ أن الاسم الكريم تسمى به أناس فى الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، رجاء أن يكون المسمى واحدا منهم . وذلك أنه لما قرب زمان بعثته وبشر أهل الكتاب به وبقرب مبعثه ، سمى قوم أولادهم محمدا رجاء أن يكون هو النبى المبشر به . ومع اتفاق علماء السير والتاريخ على هذا فقد اختلفوا فى عدد من سمى بهذا الاسم قبل البعثة . فقيل ثلاثة . وقيل ستة . وقيل خمسة عشر . وقيل عشرون . والى القارىء الكريم ما نقل عنهم فى ذلك ..

ذكر السهيلى فى الروض الأنف أنهم ثلاثة — محمد بن مجاشع — ومحمد بن أحيحة — ومحمد بن حمران . والقاضى عياض فى كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى

حصرهم فى ستة لا سابع لهم كما قال . اتفق مع السهيلى فى الثلاثة المذكورين وزاد عليهم محمد بن مسلمة الأنصارى ومحمد بن البراء ومحمد بن خزاعى . وقد رد الحافظ ابن حجر فى فتح البارى على القاضى عياض حصرهم فى ستة كما رد على السهيلى ومن تبعه حصرهم فى ثلاثة .. وقد جمع الحافظ ابن حجر أسماء من تسمى بذلك الاسم فى جزء مفرد فبلغوا كما قال فى الفتح نحو العشرين مع تكرار فى البعض ووهم فى البعض الآخر . وخلاصتهم بعد حذف المكرر ومن فيه وهم خمسة عشر شخصا والى القارىء الكريم اسماؤهم مع بيان ضبطها وما ورد فى ذلك :

١ — محمد بن عدى بدال مهملة ابن ربيعة من سواءة — بضم السين — بوزن حدافة بن جشم — بضم الجيم وفتح الشين المعجمة — بن سعد . وسبب تسميته محمدا كما قال الحافظ فى الاصابة نقلا عن ابن شاهين من طريق العلاء عن خليفة بن عبدة قال سألت محمد بن عدى كيف سماك أبوك فى الجاهلية محمدا ؟ قال : أما انى سألت أبى عما سألتنى عنه فقال خرجت رابع أربعة من بنى تميم أنا أحدهم وشعبان بن مجاشع ويزيد بن عمرو بن ربيعة وأسامة بن مالك ويزيد بن جفنة الغسانى بالشام فلما(١) وردنا الشام ونزلنا على غدير وعليه سمرات(٢) وقربه قائم الديرانى . فقلنا لو اغتسلنا من هذا الماء وادهنا ولبسنا ثيابنا ثم أتينا صاحبنا ففعلنا . فأشرف علينا الديرانى (٣) فقال ان هذه للغة قوم ما هى بلغة أهل هذا البلد ، فقلنا نحن قوم من مضر ، قال من أى المضائر ؟ قال قلنا من خندف . فقال أما انه سيبعث منكم وشيكا نبى فسارعوا اليه وخذوا حظكم منه ترشدوا فانه خاتم النبيين ، فقلنا ما اسمه ؟ قال (محمد) ، فلما انصرفنا من عند ابن جفنة ولد لكل واحد منا غلام فسماه محمدا لذلك .

٢ — محمد بن أحيحة — بضم الهمزة وفتح الحاءين — بن الجلاح — بضم الجيم وفتح اللام — مخففة وهل أحيحة أبوه أم جده ؟ تردد فى هذا الحافظ ابن حجر فى الاصابة — وقال رأيت فى رجال الموطأ أن الأحيحة ابنا يسمى عقبة ولعقبة ابن يسمى محمدا — فهو على هذا محمد ابن عقبة بن أحيحة .

٣ — محمد بن أسامة بن مالك بن حبيب . وقد عده أبو نعيم فى الصحابة والصحيح أنه لا صحبة له لأنه مات قبل البعثة بدهر كما قاله الحافظ ابن حجر فى الاصابة ..

٤ — محمد بن البراء بن طريف — بفتح الطاء وكسر الراء — بن عثوارة البكرى — بضم العين وكسرها .

٥ — محمد بن الحرث بن حديج — بضم الحاء وفتح الدال .

٦ — محمد بن حرماز — بكسر الحاء وسكون الراء — وآخره زاى كما ضبطه الحافظ ابن حجر والعينى.

٧ — محمد بن حمران بن أبى حمران .

٨ — محمد بن خزاعى بن ذكوان السلمى مسمى محمدا طمعا فى النبوة ذكر الطبرى أن أبرهة الحبشى توّجَهُ وأمره أن يغزو بنى كنانة فقتلوه .

---

(١) أى ثلاثتهم لان ابن جفنة كان بالشام .
(٢) سمرات جمع سمرة شجر الطلح .
(٣) الديرانى نسبة الى الدير على غير قياس والنسبة اليه الديرى كما هو معروف .

٩ ـ محمد بن خولة الهمـــوانى ـ بفتح الخاء وسكون الواو .

١٠ ـ محمد بن شـــعبان بن مجاشع التميمى .

١١ ـ محمد بن اليحمد الأزدى واختلف فى ضبط اسم أبيه (اليحمد) فقيل بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقيل بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم ، وبهذا ضـبطه الامام النووى فى شرح مسـلم وأبو على الغسانى فى كتابه تقييد المهمل وابن ماكولا . زاد ابن ماكولا أن أصحاب الحديث يضبطون كذلك لكنهم يضمون الميم .

١٢ ـ محمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة التميمى .

١٣ ـ محمد بن الأسيدى بضم الهمزة وفتح السين ، ذكر الاخيرين ابن سعد ولم ينسبهما بأكثر من ذلك .

١٤ ـ محمد الفقيمى ـ بضم الفاء وفتح القاف وسكون الياء .

١٥ ـ محمد بن عمرو بن مغفل ـ بضم الميم وسكون الغـــين وكسر الفاء .

هذا ولم يدرك الاسلام من هؤلاء الا محمد بن عدى وتقدمت قصـــته وسبب تسميته محمدا، والا محمد بن البراء والا محمد بن مسلمة الأنصارى .. وهذا الاخير ذكره القاضى عياض فمن سمى محمـــدا فى الجـاهلية والمتتبع لما كتبه الحافظ فى الأصابة يدرك أنه ولد قبل البعثـــة باثنتين وعشرين سنة كما قال الواقدى فتكون ولادته بعد ميلاده صلى الله عليـه وسلم بثمان عشرة ســنة ولهذا لم يذكره الحافظ ابن حجر فيمن ســمى بهذا الاسم .. وأيا ما كان الامر فهو بدرى من فضـلاء الصـحابة وممن اعتزل الفتنة فلم يشـــهد الجمل ولا صفين وكان عمر رضى الله عنه يعده لكشف المعضلات . وأعطـاه رسول الله صلى الله عليه وســلم ســيفا وقال له قاتل به المشركين ما قاتلوا فاذا رأيت أمتى يضـــرب بعضهم بعضا فأت به أحدا فاضرب به حتى ينكسر ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية .. ففعل . قال فى الأصابة ودخل عليه رجل من أهل الشام من أهل الاردن فى داره فقتله .

وصدقت نبوءة الرسول فى قتله بيد خاطئة واختلف أهل السير فى أول من تسمى بهذا الاسم الكريم . فقيل محمد بن أحيحة . وقيل محمد ابن شعبان بن مجاشـــع التميمى . وقيل محمد بن اليحمد الأزدى . وقد صان الله سبحانه الاسم الكريم أن يدعى أحد ممن تسمى به قبل مبعثه النبوة أو يدعيها انســـان له وتلك مكرمة كرم الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم .

• • • • • • • • • •

وقد ارسلنا هذه الرسالة للاستاذ عبد الكريم الخطيب فأجاب :

اطلعت على الرسالة التى بعث بها اليكم الاستاذ أحمـــد محمد أبو زيتحار ، تعليقا على مقالى المنشور بالعدد ٨٧ تحت عنوان : « مولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم » .

وقد جاء فى تعقيب الاســـتاذ أبو زيتحار على هـــذا المقال انه ليس بصحيح ما قلته من « أن اسم محمد

لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ، ولم يسم به عربى أو قرشى قبله » .

ومع أنى لم أقل هذه العبارة التى نسبها الاستاذ الى ، بل ان الذى قلته هو ما نصه حرفيا : « ولأول مرة تتحرك الشفاه فى قريش بكلمة (محمد) ولأول مرة يطرق اسماعها أن من ابنائها من يسمى (محمدا) » .

« ومع أن العرب قد استولدت فى لغتها من حروف هذا الاسم كلمات كثيرة كانت تدور فى محاوراتها ومساجلاتها وأشعارها ، كالحمد ، والمحمدة ، والمحامد ، والحامد ، والمحمود ، وغيرها فانها لم تتخذ اسم (محمد) علما تطلقه على غلمانها من احرار أو عبيد » .

وواضح من هذا ان العبارة التى نسبها الاستاذ الى فيها قطع وجزم بأن اسم (محمد) لم يسم به عربى أو قرشى قبل رسول الله ، على حين أن عبارتى ليس فيها هذا القطع بالنفى المطلق ، وانما هو نفى لا يمنع من احتمال وقوع بعض أفراد المنفى، ولكن على ندرة لا يعتد بها الى جانب الشائع المتداول من الاسماء ..

ــ اقول : مع هذا ، فانى أتجاوز عن هذا الفرق الدقيق بين عبارتى ، والعبارة التىنسبها الاستاذ أبوزيتحار الى ، واقبل أن تكون كلمته ترجمة صادقة لعبارتى .. فأقول : « ان اسم محمد لم يسم به أحد من آبائه وأجداده ، ولم يسمه به عربى أو قرشى قبله » !

فماذا فى هذا .. ؟

لقد خطّأ الاستاذ هذه المقولة ، وذكر ان علماء السير والتاريخ قالوا بأن الاسم الكريم قد تسمى به أناس فى الجاهلية قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه لما قرب زمان مبعثه وبشر أهل الكتاب به وبقرب مبعثه ، سمى قوم أولادهم محمدا رجاء أن يكون هو النبى المبشر به .

ثم أتى الاستاذ على مقولات هؤلاء العلماء ، وما وقع من اختلاف بينهم فى عدد من تسموا بهذا الاسم ، فمن قائل : انهم ثلاثة ، وقائل : انهم ستة ، الى قائل : انهم عشرون !

وانى أوجز ردى على هذا التعقيب فيما يلى :

فأولا : هذه المقولات التى نقلها الاستاذ عن علماء السير والتاريخ حول من تسمى بمحمد قبل البعثة النبوية ، أو قبل المولد النبوى ــ هذه المقولات ، وكثير غيرها كانت بين يدى عند كتابة هذا المقال ، بل وكانت موضع دراسة خاصة فى كتابى الذى نشرته لى دار الفكر العربى بالقاهرة فى سنة ١٩٦٣ تحت عنوان : « النبى محمد ، انسان الانسانية ونبى الانبياء » .

وفى فصل من فصول هذا الكتاب تحت عنوان : « الاسم والمسمى » من صفحة ٢٤ الى صفحة ٤٤ ، ذكرت قول القاضى عياض فى كتابه (الشفا) ونصه : « أما (أحمد) الذى أتى فى الكتب ، وبشرت به الدنيا ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك .. وكذلك اسم محمد أيضا ، لم يسم به أحد من العرب أو غيرهم الى أن شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا سيبعث اسمه (محمد) فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم

بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو ، و (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ثم حمى سبحانه كل من تسمى به أن يدعى النبوة أو يدعيها أحد له ، أو يظهر عليه شيء يشكك أحدا فى أمره ، حتى تحققت السمتان — أى الاسمان — له صلى الله عليه وسلم » .

هذا ما قرره القاضى عياض فى هذه القضية ، فى شأن من تسموا بمحمد قبيل ميلاد النبى صلى اللهعليه وسلم .. ومع أن القاضى عياض من أوثق وأدق من كتب فى السيرة النبوية ، فقد رأيت رد مقولته هذه ، لما فيها من اضطراب وتناقض .. حيث يقول ان الذى أتت به الكتب — السماوية — وبشرت به الدنيا ، اسمه (أحمد) ، ثم يقول بعد هذا : انه شاع قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا سيبعث اسمه (محمد) .. فمن أين جاء اسم محمد ، والذى فى الكتب السماوية أنه أحمد .. ؟ اليس فى هذا تناقض بين المقدمة والنتيجة .. ؟

وثانيا : لم أعول اذن على قول القاضى عياض ، ولا غيره من كتاب السير والتاريخ ، ممن قالوا بأن بعض العرب قد سموا أبناءهم باسم محمد قبيل مولد النبى ، الذى بشر به أهل الكتاب ، رجاء أن يكون أحد المسمين هو النبى المنتظر ..

نعم ، لم أعول علىهذه المقولات ، وذلك لأمور :

منها : أن النبى المبشر به فى الكتب السماوية عند أهل الكتاب اسمه (أحمد) لا (محمد) وان كان الاسمان من مورد واحد ، يرادف أحدهما الآخر .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى على لسان السيد المسيح الى بنى اسرائيل : « واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (٦ : الصف) .. فلو أن العرب الجاهليين أخذوا بما بشر به أهل الكتاب — من اليهود والنصارى — عن النبى المرتقب ، ونازعتهم أنفسهم أن يرشحوا مواليدهم لهذه النبوة ، لتواردوا على اسم (أحمد) لا (محمد) !

ومنها : أن هذه الاسماء التى ذكرها علماء السير والتاريخ عمن تسموا باسم (محمد) فى الجاهلية — هى أسماء لنكرات ، لم يعرف لاسم ممن ذكر فى هذا المقام شأن فى الحياة الجاهلية ، فليس فى هؤلاء المحمدين شاعر ، أو فارس ، أو حكيم ، أو خطيب ، أو كاهن ، ممن بقى فى ذاكرة العرب بعض آثارهم وأخبارهم الى أن جاء الاسلام ، وبدأ عصر التدوين ..

والسؤال هنا : كيف يحتفظ التاريخ الجاهلى بهذه الاسماء النكرات لا لشىء الا لأن أصحابها تسموا باسم النبى قبل مولده .. ؟ وكيفعثر عليها علماء الآثار فى غبار الزمن الذى عفى على حياة العصر الجاهلى .. ؟

لقد ضاع كثير من معالم الجاهلية وآثارها ، وما بقى من تلك الحياة ، سواء فى الاشخاص ، أو الآثار التى خلفوها ، قليل قليل الى جانب هذا الكثير الذى ذهب فى رمالالصحراء ! فكيف — والحال كذلك — يحتفظ بهذه الاسماء . وانسابها ، وليس لأحد من أصحابها شأن يذكر به .. ؟

ذلك لا شك أثر من آثار الوضع

الذى عمل له اصحاب المنازع الفاسدة ، والأهواء المضللة ، والذى أعان عليه أمية العرب فى جاهليتهم، وعدم وجود تاريخ مقيد لآثارهم وأخبارهم ، ففتح ذلك أبوابا واسعة دخل منها ذوو النيات السيئة ، والطوايا الخبيثة ، فاستملوا من هذا الفراغ ما أملته عليهم أهواؤهم ، دون أن يعقب عليهم معقب ، أو يحاكمهم الى مرجع ثابت ، أحد !

ومنها : أن من اكرام الله تعالى لعبد من عباده المقربين أن يفرده سبحانه باسم لم يتسم به أحد قبله ، كما كان ذلك منه سبحانه وتعالى ليحيى عليه السلام ، اذ يقول سبحانه : « يا زكريا .. انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا « (٧ : مريم) .. فاذا كان ذلك ليحيى عليه السلام ، أفلا يكون مثله لمحمد صلى الله عليه وسلم ، خاتم النبيين ، وصفوة المرسلين ؟

ومنها : أن القرآن الكريم ذكر النبى — صلوات الله وسلامه عليه — بالاسم (محمد) الذى سمى به يوم مولده ، والذى عرف به فى قومه ، ولم يذكره بالاسم الذى سماه تعالى به فى التوراة والانجيل ، وهو (أحمد) ..

فاذا كان سبحانه قد حمى اسم (أحمد) المبشر به قبل مولده من أن يسمى به أحد قبله ، تشريفا وتكريما له — صلوات الله وسلامه عليه — أفلا يكون من الاولى أن تقوم هذه الحماية على الاسم الكريم (محمد) الذى هو سمة (محمد) فى قومه ، والذى خاطبه به الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ، حيث يقول سبحانه : « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » (٢٩ : الفتح) ، ويقول تبارك اسمه : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (٤٠ : الاحزاب) ويقول جل وعلا : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » (١٤٤ : آل عمران) ؟

ومنها : أن أصحاب الاسماء التى ذكرها المؤرخون وكتاب السير لمن تسموا بمحمد ، ليس فيهم واحد من قريش ، أصحاب الرياسة الدينية على العرب ، وأهل البلد الحرام ، وسدنة البيت الحرام ، وأكثر العرب اتصالا واحتكاكا بأهل الكتاب ، فى تجارتهم الى الشام واليمن — فلو أنه كان قد وقع للعرب أن نبيا سيبعث فيهم ، اسمه (محمد) — انما كان من منطق الواقع أن تكون قريش هى المتطلعة الى هذا الشرف ، فيشيع فى مواليدها اسم (محمد) وأن يكون فى كل بيت من بيوتها المتنافسة على الشرف والسيادة ، اكثر من اسم لمحمد ، لعل النبوة أن تصادف واحدا من أبنائها المسمين بهذا الاسم ؟ ثم لو كانت هذه النبوءة معروفة فى قريش ، أو واقعة موقع الجد منها — انما كان الاولى عند عبد المطلب — جد النبى — الذى سمى حفيده بهذا الاسم أن يسمى به (حمزة) ابنه ، الذى كان مولده مقاربا لمولد النبى ؟

ومنها : هذا التاريخ الثابت لعصر النبوة ، وهذه الاسماء لرجالات هذا العصر من مسلمين ومشركين من قبائل العرب كلها — هل يذكر فى هذا العصر أحد اسمه (محمد) غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وبعد ، فان هذا الامر أوضح من أن يدل عليه ، أو يدافع عنه ، اذ يشهد له القرآن الكريم شهادة

قاطعة ، ثم يجيء من بعد القرآن ، هذا التاريخ الثابت لعصر النبوة ، حيث يخلو خلوا تاما من صحابى أو مشرك كان له اسم (محمد) ! فأين ذهب أصحاب هذه الاسماء من المحمدين الذين ذكرتهم كتب التاريخ ؟

واذا كان لنا من قول نقوله بعد هذا ، فهو عن هذه المرويات ، وتلك الاخبار التى دست على تراثنا الاسلامى والعربى ، فى كتب التفسير ، والحديث ، وفى كتب السير والاخبار ، والتى نزلت من قلوبنا وعقولنا منزل التقديس لكل كلمة فيها ، اما لجلال الموضوع الذى دست فيه ، واما لمكانة الشخصية التى دست عليها ، الامر الذى عطل عقولنا عن النظر فيها ، فقبلناها على علاتها ، وأقمنا مفاهيمنا عليها ، وعاملناها معاملة الحقائق الثابتة التى تبنى عليها عقيدتنا ، وكان من ذلك أن وقع كثير منا فى هذه البلبلة التى نشأت أو تنشأ من هذا الانفصال والتناقض بين حكم العقل ، ومنزع الوجدان .. !

ان الامر يحتاج الى مراجعة لهذا التراث العظيم ، لتخليصه من تلك الشوائب التى ألقى بها فى عبابه الزخار أعداء الاسلام ، وخاصة اليهود الذين لم ينقطع كيدهم لدين الله من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم ، ولن ينقطع أبدا ، وقد نبه الله تعالى نبيه الكريم والمسلمين الى هذا الكيد ، المنبعث من عداوة مضمرة ، لا تنطفىء نارها ابد الدهر ، حيث يقول سبحانه فى كتابه الكريم : « واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يؤفكون » (٤ : المنافقون) .

واذا كان لنا من أمنية نتمناها على المجامع العلمية ، فى كل قطر من اقطار أمتنا الاسلامية والعربية ، فهى التصدى لهذا العمل العظيم قبل كل شىء ، وذلك بتنقية هذا الغثاء الكثير الذى يحمله تراثنا المجيد ، حتى تصفو موارده للواردين ، وتنكشف حقيقة جوهره الكريم لأعين الناظرين .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

مائدة القارئ

ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ..
(قرآن كريم)

عشر حسنات

قال ابن أبى ليلى أنى لأساير رجلا من وجوه أهل الشام اذ مر بحمال معه رمان فتناول منه رمانةوجعلها فى كمه فعجبت من ذلك ثم رجعت الى نفسى وكذبت بصرى حتى مر بسائل فقير فأخرجها فناوله اياها فقلت له : رأيتك قد فعلت عجبا .

قال وما هو قلت : رأيتك أخذت رمانة من حمال وأعطيتها سائلا .. قال : أخذتها وكانت سيئة وأعطيتها فكانت عشر حسنات .

فضل أهل المدينة

أهل المدينة جيرة رسول الله وعمار مسجده وسكان بلده والمرابطون فى حرمه متى استقاموا وصلحوا كانوا أعلى الناس قدرا ووجب احترامهم ولزمت محبتهم وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايذائهم فقال لا يكيد أهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح فى الماء ودعا لهم بالبركة فى أرزاقهم فقال اللهم بارك فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم .

أولادنا

غضب معاوية مرة على ابنه يزيد فأرسل الى الاحنف بن قيس ليسأله عن رأيه فى البنين فقال : ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم فانهم يمنحونك ودهمويحبونك جهدهمولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ..

فقال معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وانى لمملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبى ..

دعـــاء البيت

اللهم أنت السلام ومنك السـلام حينا ربنا بالسلام اللهم زد هـذا البيت تعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من حجه واعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبـرا .

(حديث صحيح)

عـدد المسلمين

بلغ عدد المسلمين فى العالم (٧٣٢ر٩٨٦ر٠٠٠) وذلك نتيجة أحدث احصاء وينتظر أن تصدر احدى الهيئات الاسلامية بحثا شاملا فى هذا الموضوع يتناول عدد المسلمين وعدد السكان الاجمالى واللغات الرسمية ونسبة المسلمين الى عدد السكان الاجمالى .

بـر وأدب

جـاء رجل من اشراف الناس الى بغداد فأراد أن يكتب الى أبيه كتابا يخبره بوصوله فلم يجد أحدا يعرفه فانحدر بالكتاب الى أبيه وقال : كرهت أن يبطىء عليك خبرى ولم أجد أحدا يجىء بالكتاب فجئت أنا به ثم دفعه اليـه .

زوجهـــا

روى ان رجلا اصابت أخته فاحشة فأمرت الشفرة على اوداجها — حاولت الانتحار — فأدركوها فداووها حتى برأت ثم ان عمها انتقل باهله الى المدينة فقرأت القرآن فنسكت حتى صارت من أنسك نسائهم فخطبها بعض الناس من عمها وكان يكره ان يفشى الخاطب كما كان يكره أن يفشى على ابنة اخيه ..

فأتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فذكر له ، فقال عمر — لـو افشيت لعاقبتك ، اذا اتاك رجل صالح ترضاه فزوجها ..

جحـا

جحا اسم لا ينصرف لانه معدول من جاح مثل عمر من عامر يقال جحا يجحو جحوا اذا رمى ويقال حيا الله جحوتك أى وجهك .

طلحة الطلحات

هو طلحة بن عبيد الله التيمى من الصحابة ومن المهاجرين الاولين ومن العشرة المسمين للجنة ويكنى أبا محمد ويقال له طلحة الخير وطلحة الفياض رضى الله عنه .

مجمع البحوث الاسلامية بين الأمل والواقع

للاستاذ يحيى هاشم حسن فرغل

لا شك أن مجمع البحوث الاسلامية مظهر من مظاهر الحركة الاسلامية المعاصرة ، واذا كان من اللازم لتفهم حركة تاريخية معينة أو مظهر من مظاهرها أن نحاول التعرف على جذورها التى تضرب فى أعماق الماضى البعيد أو القريب ، فانه يكفينا فى هذا المقام أن نشير الى جذور هذا « المجمع » التى تمتد الى حلقات العلم التى انعقدت فى أرجاء المجتمع الاسلامى منذ ظهور الدعوة الاسلامية .

ولسنا هنا فى مقام الافاضة فى بيان تطور مظاهر هذه الحلقات العلمية على مدى أربعة عشر قرنا ، أو بيان أوجه العلاقة بينها وبين المجتمع ، أو بينها وبين الدولة ، أو بينها وبين الحضارة بوجه عام ، ولكنه يكفينا أن نلمح العلاقة الاضطرادية التى قامت بين تقدم المجتمع أو الدولة أو الحضارة الاسلامية ، وبين تقدم مراكز العلم والثقافة فى ظل هذه الحضارة ، حيث يقوم بين الطرفين ترابط عضوى وثيق .

وعلى هذا الاساس يمكننا أن نلاحظ حركة الجزر التى أصابت الحضارة الاسلامية إثر النزيف الطويل الذى كان من نتائج الحروب الصليبية ــ برغم ما أحرزه المسلمون فيها من انتصار نهائى ــ ثم ما أصاب كيان هذه الحضارة من خمول وتمزق إثر الغزو الاستعمارى الحديث ، وكان لنا ــ تبعا لهذه الملاحظات ــ أن نلاحظ ما صاحب ذلك كله من مظاهر القصور فى الحركة الفكرية الاسلامية بوجه عام .

واذا كانت حركة الجزر التى اشرنا اليها قد وصلت الى غايتها بوصول الاستعمار الاوربى الى عنفوانه فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ودخول هذا الاستعمار فى طور جديد ينذر ببدء زواله ، فانه من الملاحظ أيضا أن ذلك كان مصحوبا ببدء حركة اسلامية تحاول بعث العملاق الاسلامى من سباته ، وتضميد جراحاته ، ودفعه الى حيث يحتل مكانه اللائق به فى موكب التاريخ .

ولقد تمثلت إرهاصات هذه الحركة فى فكر الأفغانى ودعوته الى الجامعة الاسلامية ، كما تمثلت فى كتابات الكواكبى وأحلامه فى « أم القرى » ، وفى فلسفة محمد عبده وخططه فى التربية الاسلامية ، لكنها لم تتعد هذا النحو من التحرك النظرى ، وظلت فى إسار الدعوة والحلم ، الى أن ظهر مجمع البحوث الاسلامية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، كنواة للتجمع الاسلامى المنشود ، وكتجسيد حى للخطوة الاولى على الطريق .

واذا كانت التربة التى ظهر فيها مجمع البحوث الاسلامية هى تربة الأزهر بما له من ماض عريق يمتد الى أكثر من ألف عام حافلة بالعمل من أجل إثراء الفكر الاسلامى وربط الشعوب الاسلامية برباط وثيق يعلو على تيارات السياسة واهتزازاتها فانه يلزمنا أن نشير الى أن المجمع لم يكن هو التجربة الاولى للازهر فى هذا المجال ، ولقد كانت له تجربة قريبة العهد ، تمثلت فى « هيئة كبار العلماء » التى حل محلها المجمع ، وكانت شبيهة بالمجمع فى كونها الهيئة العلمية التى تتركز فيها قمة النشاط العلمى للازهر ، وإن زاد عليها المجمع فى اختصاصاته ، وطبيعة تكوينه ، وخطة نشاطه .

ولا يفوتنا — لكى نستكمل صورة البيئة الفكرية التى نشأ فيها المجمع — أن نعرب عن الرأى القائل بأن ظهور هذا المجمع إنما كان انحيازا لوجهة نظر ترى أنه ينبغى أن يسبق ظهور الدولة الاسلامية ، أو الجامعة الاسلامية على وجه من الوجوه بظهور دراسات واسعة وأبحاث عميقة ، تشمل جميع أوجه الحياة الاسلامية ، وتسبر أغوارها ، وتقدم المستقبل المأمول لها فى صورة الممكن ، وترد على أعداء « النمط الاسلامى للحياة » الذين يدعون استحالته فى الحياة المعاصرة ... وذلك ضد وجهة نظر مقابلة رأت أن نقطة الانطلاق فى بناء الحياة الاسلامية لا تتركز فى إجراء هذه الابحاث والدراسات النظرية بقدر ما تتركز فى التغيير العملى للمسار المنحرف الذى وقعت الحياة الاسلامية أسيرة له منذ وقت بعيد ، وبقدر ما تتركز فى التأثير على السلطة ، أو الاستحواذ عليها ، واستخدامها لمصلحة هذا التغيير .

وعلى ضوء هذه الفكرة الاساسية كان الطابع الغالب لمجمع البحوث الاسلامية — وكما يتبين من اسمه — هو توجيه الهمة نحو إجراء البحوث والدراسات النظرية .

ومن هنا جاء فى قانون إنشائه الصادر عن مجلس الامة للجمهورية العربية المتحدة — إبان الوحدة بين مصر وسوريا — فى عام ١٩٦١ م ما يأتى :

« مجمع البحوث الاسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الاسلامية ، وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث ، وتعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتجريدها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الاصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى ، وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية ، أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتعاون جامعة الازهر فى توجيه الدراسات الاسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والاشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها . »

ومن هذا المنطلق استهل مجمع البحوث الاسلامية نشاطه بعقد مؤتمراته التى بدأت فى عام ١٩٦٤ ، وقدم فيها مجموعة ضخمة من البحوث التى تناولت أوجه الفكر الاسلامى ، ومختلف نواحى الحياة الاسلامية ، وكان من واجبه أن يركز فيها على ما يمكن أن تقدمه هذه البحوث من دليل ، ليس فحسب على

ضرورة بعث « النمط الاسلامى للحياة » بل على إمكان هذا البعث أيضا .

وحرص المجمع على إصدار بحوثه تلك ــ باللغتين العربية والانجليزية ــ فى مجلدات ، يضم كل منها مجموعة البحوث التي القيت فى مؤتمر من مؤتمراته التى تعقد سنويا تقريبا ، وبلغت ستة مؤتمرات حتى تاريخ كتابة هذه السطور ، ــ وربما يكون المؤتمر السابع قد تم انعقاده عند نشرها ــ واشتملت علـــى دراسات فى : أصول التشريع ، والاجتهاد ، وتحديد الملكية ، والموارد المالية فى الاسلام ، والمعامـــلات المصرفية ، والتأمينات ، والزكاة ، والصدقة ، واستثمار الامـــوال فى الاسلام ، والاقتصاد الاسلامى وعلاقته بأنواع الاقتصاد المعاصر ، وكفاية الشريعة فى تثبيت التعامل واستقراره ، ونظرة الاسلام الى العقوبات ، والعلاقات الدولية ، ومكانة المراة فى الاسلام ، وتنظيم الاسرة ، وتحديد النسل ، وتحديد أوائل الشهور العربية ، وعوامل انتشا رالاسلام ، وواجب المسلمين نحو القضية الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلى، وموقف اليهود من الاسلام والمسلمين ، والدعوة الى الجهاد فى سبيل الله .

كما تناولت هذه البحوث : العقيدة الاسلامية ، ودلائل إثباتها بين النصيين والعقليين ،

والقرآن والتربية الاسلامية ، والقرآن وتجديد المجتمع .

وتربية الشباب على مبادىء الاسلام .

وشخصية المسلم ،

وفلسفة الحرية ،

وموقف الاسلام من الرق ، ومقومات الحضارة الاسلامية وأثرها فى رقى البشريـــة .

والاسلام والعلم ، وتفسير القرآن فى ضوء المكتشفات العلمية الحديثة .

ووظيفـــة المسجد فى المجتمع المعاصر .

ووسائل المحافظة على القرآن الكريم ، ومنزلة السنة النبوية .

وحقوق الانسان فى الاسلام .

وإنه ليتبين من هـــذه الاشارة العاجلة الى الموضوعات التى عالجتهـــا مؤتمرات مجمع البحوث الاسلامية فى الفترة من عام ١٩٦٤ ــ ١٩٧١ انها تمتد على أفق واسع من جهات البحث فى الفكر الاسلامى ، واذا كانت هذه البحوث أو بعضها ــ فى رأى البعض ــ لا يرتفع فوق مستوى النقد ــ سواء كان ذلك من ناحية أولويات البحث ، أم من ناحية العمق فيه ــ فلقد كان العذر واضحـــا متمثلا فى العجلة التى اضطر اليها المجمع إزاء الالحاح الذى لم يكن لـــه أن يتجاهله ، والذى تمثل فى مطالبة الرأى العام له بأن يقدم إنتاجه العلمى إثر إنشائه مباشرة ، الامر الذى لا يتفق مع الترتيب السليم الذى ينبغى الاخذ بـــه فى مجال البحث فى هذه الهيئة العلمية وأمثالها ، والذى يقضى بأن تمـــر البحوث فى أطوار : من العرض على الأروقـــة ، ثم الصعود بها الى اللجان الاساسية ، ثم الى مجلس المجمع الذى يضم أعضاءه والذى ينعقـــد مرة كل شهر ، ثم ينتهى بها الامر بعد ذلك الى ان تصب فى مؤتمر المجمع الذى ينعقد مرة كل عام ، لتنبثق عنها القرارات والتوصيات وقد استكملت عودها ، ونالت حظها من المناقشة والتدقيق والتمحيص وتبادل أوجه النظر .

واذا كانت ظروف المجمع فى سنواته الاولى اقتضته أن يسلك غير هـــذا السبيل ، فلقد كان ذلك ضروريا من الوجهة العملية ليتعرف المجمع ــ من واقع

مناقشاته وبحوثه التى طرحها فى مؤتمراته الاولى ــ على الخطة العلمية التى ينبغى عليه أن يضعها ، وأن يشغل بها قاعدته من الأروقة واللجان ، ومن ثم كان المسلك الذى اضطر اليه هو المدخل الواقعى الى العمل المنظم الذى أشرنا اليه سابقا .

وعلى هذا الاساس يمكننا أن ننبه إلى أن المجمع لم يكن غافلا عن هذا الاسلوب المنظم للعمل ، وكان حريصا على الانتقال اليه فور تمكنه منه ، كما كان حريصا على استغلال ظروف سنواته الاولى واستخدامها من أجل وضع خطة علمية مرحلية منبثقة من واقع المناقشات والتوصيات التى أثمرتها مؤتمراته الاولى ، وقد تمكن المجمع من وضع هذه الخطة ، وكلف أروقته ولجانه بالعمل فى إنجازها ، لتكون بعد ذلك محل الدراسة فى مجلسه الشهرى ، ثم فى مؤتمره السنوى .

وبذلك فان المجمع لا يكون قد تغلب على ظروف نشأته وما صاحبها من تعجل ، ووضع قدمه على الطريق الصحيح فحسب ، وإنما يكون قد اكتسب من واقع هذه الظروف ميزة أن تكون خطته العملية المطروحة أمام الأروقة الفرعية واللجان الاساسية منبثقة عن مؤتمره ، فضلا عن أن تصب فيه .

وقد وزع المجمع خطته على لجان متكونة من أعضائه ، يتفرع عن كل منها عدد من الاروقة أو اللجان الفرعية التى تتكون من الباحثين والخبراء الذين يستعين بهم المجمع من غير الاعضاء وهذه اللجان الاساسية تتصدى لمختلف فروع البحث : فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والبحوث الفقهية ، والتعريف بالاسلام ، وإحياء التراث الاسلامى ، والحضارة والبيئات والمجتمعات الاسلامية ، والعقيدة والفلسفة .

كما تكونت لجان ذات مهام معينة أو مؤقتة ، كلجنة وضع التفسير الوسيط ، ولجنة الرد على السلسلة التى تهاجم الاسلام باسم « دروس قرآنية » و « فى سبيل حوار اسلامى مسيحى » ، ولجنة وضع دائرة المعارف الاسلامية .

وقد جاء فى خطة اللجان الاساسية مجموعة من الموضوعات الرئيسية الهامة التى لا شك أنها تشغل بال المسلمين وقادتهم ، فضلا عن أن الوصول فيها ــ أو فى بعضها ــ الى حل أو نتيجة من شأنه أن يساعد المجتمعات الاسلامية فى التعرف على طريق المستقبل .

ومن أهم هذه الموضوعات التى نود أن نضعها تحت نظر القارىء :

وضع تعليق علمى بأقلام الثقات المتخصصين على ما يكون فى كتب التفسير من إسرائيليات لبيان وجه الحق فى موضوعها .

وضع قاموس موسوعى للقرآن الكريم .

الكتابة فى القراءات وجمع القرآن ودحض ما يدور حول ذلك من دراسات منحرفة وشبهات .

وضع موسوعة مفهرسة للسنة النبوية .

جمع الاحاديث التى يظن أن ظاهرها غير مراد ، والعمل على تحقيقها وشرحها .

وضع خطة عامة للدعوة الاسلامية فى العصر الحاضر تلتزم بها مؤسسات الدعوة ، وتقوم على أساس دراسة وسائل وخطط التبشير المضاد للاسلام ، ودراسة العوامل التى ساعدت على انتشار الاسلام تاريخيا ، ودراسة البيئات الثقافية فى العصر الحاضر من حيث استعدادها للتجاوب مع الدعوة الاسلامية .

وضع دراسة تصنيفية وتقويمية للتراث الاسلامى ووضع أولويات فى

عملية إحياء هذا التراث ، واعتماد قوائم لهــذه الاولويات فى مختلف أنــواع المعارف والفنون الاسلامية .

دراسة أنواع التعامل الحديث ، فى التأمينات ، والمعامــلات المصرفية ، وأنواع الاستثمار .

تقنين الشريعــة الاسلامية .

دراسة البيئات الاسلامية المعاصرة من نواحيها المختلفــة : الاحصائية والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية .

دراسة المقومات الثابتة والمتطورة للحضارة الاسلامية .

دراسة التحديات والانحرافات الفلسفية والعقيدية التى يواجهها الاسلام فى العصر الحاضر ، ومواجهتها بالتفنيد والرد .

دراسة العلاقة بين الاسلام والعلم ، وبين الاسلام والعقل .

ودراسة دور التصوف الايجابى فى اعادة بناء المجتمع الاسلامى .

دراسة قضايا علم النفس والاجتماع والتربية المعــاصرة ذات الصــلة بالنواحى الاخلاقية والدينية .

هذه هى الخطة العلمية التى وضعها المجمع ووكل الى أروقته ولجانــه العمل على تنفيذها .

وهنا نود أن نبين أن التجربة دلت على أن المجمع محتاج الى أن يعيد النظر فى ظروف عمله التى تحيط بانجاز خطته .

فهو من ناحية عليه أن يهيىء لاعضائه الاصليين ظروفا أنسب لبذل الجهد والعمل المثمر .

وفى هذا الشأن فان المجمع وقع فى خطأ التصور بأن المكافأة الرمزية التى يقدمها لاعضائه تمكنهم من التفرغ ، أو تقديم الوقت اللازم لتنفيذ هذه الخطة أو الاشراف عليها . واذا كانت رمزية هذه المكافأة قد أوحت — أو هى من شأنها أن توحى — برمزية العضوية ، فانمن الثابت أن الاعضاء لم يقفوا عند هــذا الحد ، بل قدموا من جهدهم وخبرتهم ما يجعل الثناء والشكر العميقين دينا فى عنق الامة الاسلامية واجب الاداء لهم . الا أن المطلوب بمقتضى الخطة الموضوعة هو أكثر من ذلك بكثير وكثير جدا ، الامــر الذى يقتضى — كما قدمنا — إعادة النظر فى توفير الظــروف المناسبة ، وهى فى الامكان .

ومن ناحية أخرى فإن على المجمع أن يوفر نظاما للعمل يكفل قيــام علاقة وثيقة مرنة — فى نفس الوقت — بين أعضائه الأصليين وبين الخبراء والباحثين الذين يستعين بهم فى أروقته ولجانه الفرعية لتنفيذ خطته العلمية .

وعلى هذا الأساس فإنه يمكن استبدال النظام القائم الذى يقضى بأن تعرض الأعمال العلمية على مستويات العمل بكل تفصيلاتها : فى الأروقة أولا ، ثم فى اللجان الأساسية ، ثم فى المجلس ، ثم فى المؤتمر . . يمكن استبدال هــذا النظام بنظام آخر شبيه بنظام البحث العلمى فى الجامعات ، بمعنى أن تقوم كل لجنة من لجان المجمع بتوزيع أجزاء خطتها على أعضائها ليقــوم كل منهم باقتراح الخبراء والباحثين اللازمين لتنفيذ جزء الخطة الذى يخصه ، والإشراف على تنفيذه ، على أن يقدم إلى اللجنة مجتمعة خطة مفصلة لتنفيذ هذا الجزء قبل العمل فيه ، وذلك لنظره وإقراره من اللجنة مجتمعة . وعليه بعد ذلك أن يشرف على تنفيذ هذه الخطة التى يتولى تنفيذها الخبراء والباحثون، ثم يقدم إلى لجنته مجتمعة تقريرا علميا مفصلا عما تم إنجازه مصحوبا بالرأى فيــه . ثم يرفع الأمر بعد ذلك فى تقرير مفصل إلى مجلس المجمع . واذا كان

للأمــر خطورته التى يقدرها المجلس فله أن يأمر برفع تقرير عنه إلى مؤتمــر المجمـــع .

وبذلك يتحقق الاتصال بين المستويات المختلفة فى المجمع ، كما يتحقق لهذا الاتصال المرونة اللازمة ، وتحدد فيه المسئوليات ، ويبتعد به عن المناقشات التى تتــوه فى التفصيلات ، ولا تعرف كيف تنتهى .

ومن ناحية ثالثة فإن على المجمع أن يهيىء الظروف المناسبــة التى تكفــل لأعضائه الأصليين من خارج جمهورية مصر العربية المشاركة الفعلية فى تقديم خبرتهم وجهودهم ونشاطهم من أجل تنفيذ خطته العلمية ، بدلا من الاقتصار — كما هو الوضع الحاضر — على تقديم البحوث التى يلقيها بعضهم فى المؤتمرات الســـنوية .

وفى هــذا السبيل يمكن تكليف هؤلاء الأعضاء بالاشراف على إنجـــاز أجـــزاء من هذه الخطة ، فى بلادهم ، وإتاحة الفرصة لهم للاستعانة بمن يقترحون من الخبراء والباحثين الذين يوجدون فى بلادهم ، الأمر الذى يحقق للمجمع نطـــاقا أوســـع فى اختيار معاونيه ، والحصول على الخبرات المتنوعة .

ولقد كان من المسائل الرئيسية المطروحة للبحث فى أروقة المجمع ولجانه التى دلت على حاجة المجمع الى الاستعانة بالخبرات المتنوعة على نطـــاق العالم الاسلامى ، مسألة تقنين الشريعة الاسلامية ، ومسألة وضـــع موسوعة مفهرسة للحديث النبوى ، ومسألة إجراء دراسات ميدانية عن البيئات الاسلامية المعـــاصرة .

ففى موضوع تقنين الشريعة الاسلامية ، ظهرت الحاجة إلى الاستعانة بفقهـــاء المذاهب الاسلامية التى لا وجود لها فى نطاق جمهورية مصر العربية، والتى يوجد الكثير من فقهائها فى أنحاء العالم الاسلامى .

وفى موضوع الموسوعة المفهرســـة للسنة النبوية ظهرت الحاجة أيضا إلى الاستعانة بكبار علماء الحديث الذين يشار إليهم فى بعض البلاد الاسلامية إلى جانب اخوانهم من علماء مصر .

وفى موضوع الدراسات الميدانية عن البيئات الاسلامية المعـــاصرة ، ظهرت الحاجة إلى علماء متخصصين ينتمون إلى تلك البيئات المختلفة .

وإذا كان المجمع فى هذه الموضوعات لم يقدم بعد الكثير من ثمرة عمله فإننى أعتقد أن السبب فى ذلك يرجع إلى أنه يخطو نحوها بخطوات ثابتـــة متأنية ، لا تفسدها العجلة التى من شأنها أن تفسد العمل فى مثل هـــــذه المشروعات العلمية الجليلة .

وإنه لمن الثابت أن الدراسات التمهيدية التى تسبق البـــدء الفعلى فى إنجـــاز مثل هــــذه المشروعات ينبغى أن تنـــال حظها الواجب من الدقة وتبادل وجهـــات النظـــر ، الأمر الذى تستحق من أجله كل وقت يبذل ، بشرط موالاة العمل ومواصلة الجهد ، وذلك لضمان البداية الصحيحة ، وتجنب مـــزالق الطريق والتواءاته المختلفة .

وفى هذا الصدد فإننا نرجو أن يأتى الوقت الذى تظهر فيه للقراء هذه الدراســـات الأولية التمهيدية ، فهى فى حـــد ذاتها لا تقل أهمية وثراء عن المشروعات العلمية التى يقصد بها إليها ، وأخص بالذكر هنـــا ما دار من بحوث ودراســـات حول خطة العمل فى تقنين الشريعة الاسلامية ، ولعلها أن تظهر فى مقدمة ما يطبع من هذا التقنين .

وإذا كان هذا شأن المجمع فى بحوثه التى يطرحها فى مؤتمراته ، أو فى بحوثه التى يشغل بها أروقته ولجانه ، فإنه من الملاحظ أن هذه البحوث كانت وسيلة المجمع إلى تقديم مجموعة من القرارات والتوصيات شملت شتى جوانب الحياة الاسلامية المعاصرة .

فقد تناولت هذه القرارات والتوصيات : القضايا السياسية ، والتشريع الاسلامى ، والدعوة الاسلامية ، والتربية الاسلامية وتوثيق الروابط بين الشعوب الاسلامية ، ومواجهة التيارات المضادة للاسلام ، وإحياء التراث الاسلامى ، والمشكلات التى تواجه المجتمع الاسلامى المعاصر ، واللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والاسلام والعلم ، والاسلام والحضارة ، والتوجيه الاسلامى العام . وإنه لمن الملاحظ أن اصدار المجمع لهذه القرارات والتوصيات كانت تحكمه عدة اعتبارات :

فهو من ناحية ، وبحكم كونه مجمعا إسلاميا مقيدا بأصول مقررة فى الدين الاسلامى : تختلف طبيعة القرارات الصادرة عنه عن طبيعة القرارات التى يمكن أن تصدر عن مجمع آخر من المجامع التى عرفها التاريخ فى غير الأمة الاسلامية ، ذلك أنه ليس من شأنه — ولا من حقه — أن يصدر قرارات مبتورة تعبر عن إرادته المطلقة ، وإنما ينبغى أن يكون واضحا فى قراراته ما ترتكن إليه من أصول الشريعة الاسلامية ، ومن هنا كانت بحوث المؤتمر خلفية لازمة لشرح قراراته ، وبيان حق المجمع فى إصدارها .

وهو من ناحية أخرى — وبحكم كونه مجمعا إسلاميا مرتبطا بجبهة عريضة من الشعوب الاسلامية والدول الاسلامية — كان عليه لا أن يصدر قراراته وتوصياته بحسب حاجة هذه الشعوب المختلفة فحسب ، بل كان عليه فضلا عن ذلك أن يراعى أن تكون مفهومة لدى هذه الشعوب فى ضوء ظروفها الخاصة ، وأن يمتنع عن إصدار القرارات والتوصيات التى تعبر عن جهة بعينها ويمكن أن تؤول تأويلا لا يتفق مع الهدف الأساسى فى خدمة الفكر الاسلامى النقى الخالص .

ومن ناحية ثالثة فقد كان عليه أن يقتصد فى إصدار القرارات والتوصيات التى لا يحتمل أن تجد طريقها إلى التنفيذ فى وقت قريب ، وليس هناك حاجة ملحة إلى اعلانها ، وأن ينتظر بها إلى وقتها المناسب ، ليحتفظ لقراراته وتوصياته — بوجه عام — بالقدر الكافى من الهيبة والاحترام ، وليوفر لها — فى وقتها الملائم — القدر الكافى من الحيوية والفعالية .

والى هذا الحد فقد تبين لنا أن المجمع لم يكن ليعمل على مستوى بيئة محدودة من الرقعة الفسيحة التى تشغلها المجتمعات الاسلامية المتنوعة ، ولقد كان ذلك ملاحظا فى وظيفته كما كان ملاحظا فى تكوين أعضائه .

وفى هذا الصدد نصت المادة السادسة عشرة من قانون إنشائه على ما يأتى : « يتألف مجمع البحوث الاسلامية من خمسين عضوا من كبار علماء الاسلام ، يمثلون جميع المذاهب الاسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة . »

وإذا كان عدد أعضاء المجمع من خارج جمهورية مصر العربية لا يزال إلى

وقتنـــا هذا أقل من المستوى المطلوب ، فان المجمـــع حـــاول أن يسد النقص فى هذا المجال بحرصه على أن يدعو إلى مؤتمره السنوى عددا لا يقـــل عن خمسين من غير أعضائه من كبار علماء المسلمين وقادتهم من مختلف الدول والمجتمعات والبيئات الاسلامية .

إلا أنه من الملاحظ أن هذا النوع من العلاج لا يحقق المستوى المطلوب فى العضوية ، وإذا كان العدد المحدود لعضوية المجمع كما جاء فى المادة السابقة لا يسمح بتحقيق التنوع الذى يقتضيه تغطية مختلف البيئات الاسلامية على تشعبها وتنوعها فى النواحى الثقافية والاقتصادية والجغرافية والســـكانية والمذهبية فإنه من المؤكد أن قانون المجمع يسمح بتغطية هذا التنوع بتعيين عدد من الأعضاء غير محدود ، وذلك بتطبيق المادة السادسة والعشرين التى لم تطبق بعد ، والتى تنص على أن « يختار مؤتمر المجمع ... أعضاء مراسلين من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة أو من غيرهم ، ممن يرى الاستعانة بهم فى تحقيق أغراضه ... » وبذلك تنمو عضوية المجمع ، إلى الحـــد الذى يسهل له القيـــام بمهمته على الأفق الواسع للأمة الاسلامية .

وفى سبيل تأكيد عالمية المجمع فإنه لا يزال أمامه أن يضع أسلوبا مناسبا للتعاون بينه وبين الهيئات الاسلامية المماثلة أو الشبيهة به فى بعض البلاد الاسلامية ، فى المملكة العربية السعودية ، أو فى الجمهورية العربية الليبية ، على ســـبيل المثال ، وذلك من أجل تحقيق التناسق والتكامل بين العـــاملين فى مجال مشترك ، ولأهداف مشتركة ، ولعل الظروف تسمح بدراسة هـــذا الموضوع فى المؤتمر القادم للمجمع .

وأخيرا فإن الأمانى الضخمة المعقودة على مجمع البحوث الاســـلامية ، والتى تماثل فى حجمها حجم الأمانى المعقودة على قيـــام الدولة الاســـلامية الحديثة لا ينبغى أن تتحول فى ثقلها إلى صـــخرة شـــاهقة نقصم بها ظهر الوليد الجديد ، ولا أن تتحول فى حرارتها إلى لهب حـــارق نقطع به على السالكين الطريق ، وإنما ينبغى أن تكون الزاد والضوء ، نحفز به على العمل ، وننير به الأمـــل ، وعلى الذين يدركون بحق ضخامة المسئولية التى تصدى لها المجمع ، أن يدركوا أنه لم يسبق لجماعة علمية فى التاريخ الاسلامى أن تعرضت لمثل مسئوليته ، فقد كانت تلك الجماعات على صلة القرب بين الأمل والواقع ، بين الفكر والعمل ، بين الحق والقوة ، بين العلم والإيمان ، أما مجمعنا الوليد فإنه لتدمى أقدامه لبعد الشقة بين تلك الأطراف جميعا ، وإنه ليستحق منـــا أن نحوطه بكل الرعاية ، وبكل المحبة ، وبكل الإخلاص ، وأن ننتصر له بتثبيت أقدامه على طريق الله .

وبالله التوفيق .

من المعارك الخالدة في تاريخ الاسلام :

موقعة المنصورة

محمد مؤذن

فى عام ٦٤٥ هـ توفى السلطان الكامل بـ (دمشق) ، وتولى عرش (مصر) من بعده ابنه الملك العادل ، غير أنه لم يستقر فى الحكم أكثر من سنتين ، بسبب اسرافه فى اللهو والتبذير ، مما حمل الامراء على خلعه ، وتوليه أخيـه الصالح نجم الدين ، وكان أول ما فعله عقب توليه الحكم هو اعادة الامن الى البـلاد ، وانتشار الطمأنينة والاستقرار ، وقام بأعباء الحكم وتدبير شئون الدولة علـى الوجه الأكمل .

وكان الجيش الاسلامى فى عهده يضم فرسان المماليك ضمن صفوفـه ، الذين أكثر نجم الدين من شرائهم حتى وصل عددهم الى اثنى عشر الف مملوك ، فبنى لهم الثكنات فى (جزيرة الروضة) ، وأطلق عليهم اسم (المماليك البحرية) وصارت مهارتهم فى الفروسية وفنون الحرب ، وشجاعتهم فى القتال مضرب الامثال .

الموقعة التي فشلت بسببها الحملة الصليبية السابعة وتم فيها أسر ملك فرنسا في دار ابن لقمان

للأستاذ : محمد رجاء حنفى عبد المتجلى

وقد اضطر الصالح نجم الدين للسفر الى بلاد (الشام) فى عام ٦٤٧ هـ لقمع بعض الاضطرابات التى حدثت هناك ، وبينما هو فى (دمشق) جاءته الاخبار تترى عن حملة صليبية متأهبة للابحار الى « مصر » ، وعلى الرغم من شدة المرض الذى كان قد ألم به فقد قرر العودة الى « مصر » سريعا وفى الحال ، ليدافع عن بلاده ، ويدرأ عنها شر الغاصب المعتدى ، وحمله رجاله فى محفة حتى وصلوا به الى بلدة « اشموم طناح » ، التى جعلها معسكره الرئيسى .

ولم يكد نجم الدين يصل الى بلاده حتى انهمك فى اعداد وسائل الدفاع ونسى ما به من مرض ، ولما كانت « دمياط » معرضة لهجوم الحملة المنتظرة ، فقد جعل كل همه فى تقوية حصونها ، وأخذ يوفر فى مخازنها أكبر قدر مستطاع من الاسلحة والمؤن للصمود فى وجه الاعداء اذا ما حاولوا حصارها ، ثم بعث

بالامير فخر الدين على رأس قوة من الجيش لوقاية « دمياط » فى حالة حدوث الغزو المنتظر ، فعبر النيل بقواته ونزل على الضفة الاخرى غرب « دمياط » .

وأخذت « مصر » تستعد بكل قوتها وطاقتها لاستقبال الحملة ، فى الوقت الذى كانت فيه هذه الحملة يتم تجمعها واحتشادها فى ميناء (مرسيليا) بـ (فرنسا) ، تحت قيادة الملك لويس التاسع ملك (فرنسا) ، وكان لويس قد أصيب بمرض خطير ، فنذر أثناء مرضه أن يقوم بحملة صليبية ان شفى من مرضه ، وعندما تم شفاؤه أقسم أن يوفى بنذره .

ولما كانت « مصر » فى ذلك الوقت لم تزل مركز المقاومة فى وجه الصليبيين فى الشرق الاسلامى ، وقاعدة كل هجوم موجه اليهم ، فقد عزم لويس التاسع وصمم على غزوها ، والقضاء على قواتها ، حتى يكسر شوكتها التى كانت دائما تؤلم جنوبهم ، وتقض مضاجعهم ، ولا تذيقهم طعم الهدوء وراحة البال .

وتحركت الحملة مبحرة من ميناء (مرسيليا) متخذة طريقها صوب « مصر » ، بعد استعدادات دامت ثلاث سنوات كاملة ، وعرجت وهى فى طريقها على جزيرة (قبرص) حيث قضى الصليبيون فيها ثمانية أشهر ، حصلوا خلالها على المزيد من المساعدات ومواد التموين ، الى جانب المساعدات البشرية التى حصل عليها لويس التاسع من ملك (قبرص) وغيره من زعماء الصليبيين الذين وفدوا عليه من « عكا » ولعله تراءى للويس التاسع أنه بحملته هذه سوف يغسل عار الهزيمة التى لحقت بالحملات السابقة ، خصوصا حملة « جان دى بريين » ، والفرسان الذين سحقهم صلاح الدين الايوبى وخلفاؤه .

وقد عقد لويس التاسع مجلسا عسكريا ضم الامراء وكبار قواد الجند ، لأخذ الرأى فى اتجاه الحملة ، والى أين سيكون ، واستقر رأى المجتمعين على مهاجمة « دمياط » .

وأبحرت الحملة من ميناء « ليماسول » فى (قبرص) متجهة صوب السواحل المصرية ، فى عدد يبلغ ٢٨٠٠ فارس ، عدا المشاة والبحارة ، و ١٨٠٠ سفينة (١) أقلعت بالحملة من (قبرص) ، ووصلت الحملة الى مصب النيل قرب « دمياط » ولم يجد الصليبيون أية صعوبة أو مشقة فى النزول الى الماء الضحل قرب الشاطىء بفرسانهم ومشاتهم .

ولم يحاول لويس التاسع أن يستفيد من الاخطاء التى وقعت فيها حملة (جان دى بريين) ملك (القدس) فيقرر انزال قواته عند (دمياط) ليتبع بذلك نفس الطريق الذى سلكه سلفه ، بدون أن يتعظ بالهزيمة المرة التى لحقته ، والتى لم يكن قد مضى على انقضائها أكثر من ثلاثين سنة .

وما أن وطئت أقدام لويس التاسع أرض « مصر » حتى بدأ بحرب الاعصاب ، وأتبع أسلوبا أقرب ما يكون شبها بأسلوب « التتار » فى ذلك العصر ، فأرسل الى الصالح نجم الدين كتابا يفيض بالتحدى والوعيد ، ويدعوه فيه الى الاستسلام ، ويخبره بأن مسلمى الأندلس « يحملون الينا الهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء ، ونستأسر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار . فلو حلفت لى بكل الايمان ، ودخلت على القسوس والرهبان ، وحملت قدامى الشمع طاعة للصلبان ، ما ردنى ذلك عن الوصول اليك ، وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت فى طاعتى بملء السهل والجبل ، وعددهم كعدد الحصى ، وهم مرسلون اليك بأسياف القضاء » .

وقد وصلت هذه الرسالة الى الصالح نجم الدين وهو يعانى من آلام مرض الموت ، فاغتم واغرورقت عيناه بالدموع ، وكتب الرد الى لويس التاسع ينـدد بغروره ، ويذكره بما فعله المسلمون بالصليبيين : « فلو رأت عيناك أيها المغرور حد سيوفنا ، وعظم حروبنا ، وفتحنا منكم الحصون والسواحل ، وأخرابنا منكم ديار الاواخر والاوائل ، لكان منك أن تعض على أناملك من الندم » .

أول صدام :

وعقب نزول الصليبيين من سفنهم تقدموا جنوبا على الضفة الغربية للنيل، فاصطدموا بقوة الامير فخر الدين غرب « دمياط » ودارت معركة بين الفريقين على رمال الشاطىء ، اضطرت فيها خيول المسلمين الى خوض مياه البحـر ، ولكن الصليبيين تفوقوا فى تلك المعركة بكثرة عددهم ، ولم يكد الظلام يحل وينتشر سواده حتى رأى الامير فخر الدين نفسه مضطرا الى عبور النيل ومعه بقيـة رجاله الى الضفة الشرقية ، وانطلقوا مسرعين الى (أشموم طناح) ، وفى عجلة انطلاقهم نسوا أن يقطعوا الجسر الذى يربط « دمياط » بالضفة الغربية للنيل ، فانقض عليه الصليبيون واحتلوه ، فانفتح بذلك الطريق أمامهم الى « دمياط » .

ولم يلبث أن استولى الرعب على أهل « دمياط » حينما رأوا قوة الأميـر فخر الدين تترك مواقعها وتتخلى عن وقايتهم ، حتى ذعـروا ورعبوا فهجـروا مدينتهم الى (أشموم طناح) بعد أن أشعلوا النار فى سوق المدينة ، وعندما أطل الصباح بنوره وجد الصليبيون أبواب « دمياط » مفتوحة علـى مصراعيهـا ، فخشوا أن يكون فى الامر مكيدة وكمين نصبه المسلمون لهم ، فتمهلوا حتى تحققوا من خلوها ، فدخلوها بغير كلفة ولا مؤنة حصار ، واستولوا على ما فيها مـن الاسلحة والآلات الحربية ، والذخائر والامتعة ، والتموين والاموال ، وبذلـك سقطت « دمياط » فى أيدى الصليبيين بعد مناوشـة بسيطة ، مع أنها قـد استعصت عليهم ثمانية عشر شهرا فى عهد الملك الكامل ، ولم تسقط وقتها الا تحت تأثير الجوع والاوبئة .

وما كادت أخبار سقوط مدينة « دمياط » فى أيدى الصليبيين تصل الـى أسماع نجم الدين المريض فى « أشموم طناح » حتى انتفض من الالم واشتـد حنقه ، وأمر باعدام خمسين أميرا ممن كانوا ضمن حامية « دمياط » جزاء تركهم لمواقعهم وتخليهم عن الدفاع عن المدينة ، واضطر ازاء هذا الموقف الحرج الـى الانسحاب بقواته الى « المنصورة » وشرع الجنود على الفور فى ترميم « دور المنصورة » وأبنيتها المعدة لسكنى الجنود ، وتقوية السور المحيط بها ، وخصوصا الجزء المطل منه على النيل ، ثم وفدت السفن الاسلامية تحمل المقاتلين من جميع أنحاء البلاد ، وامتلأت المدينة بالاسلحة والمعدات والسفن الحربية والمؤن .

ولكن القدر لم يمهل الصالح نجم الدين حتى يرى بعينيه ما تسفر عنه هذه الحملة الصليبية ، فوافاه أجله المحتوم فى ليلة النصف من شعبان ، وانطفأت بذلك شعلة حياة هذا السلطان الباسل الذى قاد قواته رغم شدة مرضه ، وظل صامدا فى كفاحه لا يكل ولا يهن حتى أرغمه الموت على التخلى عن مكانه .

ولا شك فى أن وفاة الصالح نجم الدين فى تلك الظروف الحرجة كانـت خسارة كبرى ، وذلك لعدم وجود من يحل محله بسرعة فى حكم البلاد ، وفـى مواجهة الخطر الناجم عن الغزو الصليبى .

وقد خشيت زوجته شجرة الدر من اذاعة خبر وفاته ، فحملت جثته فـى تابوت ودفنته سرا فى قلعة الروضة ، ثم استدعت الامير فخر الدين ، والطواشى جمال الدين وكانا موضع ثقتها ، فأخبرتهما بوفاة السلطان وطلبت منهما كتمان الامر ، والاشراف على تدبير شئون الدولة، وارسال الفارس اقطاى كبير المماليك البحرية لاحضار ولى العهد المعظم « توران شاه » بسرعة من حصن « كيفا » الذى يقع على الضفة الغربية من نهر دجلة بالقرب من « ديار بكر » ، وفى نفس الوقت سارت الاستعدادات الخاصة بالدفاع سيرها الطبيعى ، واستمـــرت الرسائل والمراسيم تخرج بتوقيع السلطان المتوفى وكأنه على قيد الحياة .

ولم يظهر على الصليبيين فى أول الأمر ما يدل على اعتزامهم القيام بعملية تقدم الى أبعد من « دمياط » فقد ظلوا ساكنين داخل المدينة مدة ستة اشهر لـم يقوموا خلالها بأى شىء ، وانصرف جنودهم الى اللهو والمجون ، وبذلك أتيحت للمسلمين فرصة ذهبية لتعبئة قواتهم ، وتحسين مواقعهم الدفاعية ، واعـــداد الموانع ، ووضع العراقيل على طول طريق التقدم .

وعلى الرغم من أن شجرة الـــدر قد بذلت أقصى ما فى اســتطاعتها ، وحاولت بكل جهدها وطاقتها أن تخفى خبر موت الصالح نجم الدين الا أن نبـأ وفاته وصل الى مسامع الصليبيين فأفاقوا من خمولهم ، ودب النشاط والحماس بين صفوفهم ، ورأى لويس التاسع أن يسرع بالهجــوم ليستفيد مــن الظروف السيئة التى امست فيها البلاد ، وليتمكن من انزال ضربته قبل وصول الملــك المعظم « توران شاه » فتحرك الجيش الصليبى من « دمياط » بعد أن اختـــار لويس التاسع للزحف على « القاهرة » طريق الدلتا ، وهو طريق كثير التـــرع والقنوات ، وسارت الى جانبهم بعض سفنهم فى النيل تحمل المؤن ، وكل مـــا يحتاجون اليه ، ووصلوا الى مدينة « فارسكور » فاستولوا عليها واحتلوها ، ثم واصلوا منها زحفهم وتقدمهم حتى أصبحوا على مقربة من مدينة « المنصورة » وهناك اصطدمت قواتهم بأول مانع مائى ، وهو بحر (أشموم) الذى كانت ترابط على ضفته المقابلة لهم القوات الاسلامية .

المواجهـــة :

وقف الجيش الاسلامى فى مواجهة الجيش الصليبى ، واحتشدت قوات كل من الطرفين على ضفتى بحر (أشموم) وأخذ كل فريق يتأهب ويستعد لقتال ثابت طويل الأمد ، فحصنت المعسكرات بالاسوار والمتاريس ، وحفرت الخنادق ونصبت المجانيق وقاذفات الاحجار ، ولم يقتصر التأهب والاستعداد على الناحية البرية فقط ، بل ومن الناحية البحرية أيضا ، فاحتشدت سفن الاسطول الاسلامى فى النيل أمام « المنصورة » ، ووقفت فى مواجهتها سفن الاسطول الصليبى فى الشمال .

وابتدأ القتال بين الطرفين ، واشتعلت نيران المعركة ، واشتد التراشق ليلا ونهارا عبر بحر « أشموم » ، حتى منيت القوتان بخسائر فادحة ، وعندمـــا أدرك الصليبيون فداحة خسائرهم ، وأنهم لو استمروا على هذا الشكل مـــن القتال الذى يطلق عليه فى الحديث حرب الاستنزاف لكان فى ذلك نهايتهـــم ، فعزموا وصمموا على عبور بحر « أشموم » بأى شكل مهما كلفهم ذلك من ثمن ، حتى يشتبكوا بالمسلمين وجها لوجه ، فبذلوا عدة محاولات مضنية لكى يتسنى

لهم بناء جسر كبير تعبر عليه قواتهم ، وهيأوا الحماية اللازمة للقائمين ببنائه ، فأقاموا عدة أبراج خشبية مرتفعة ، ووقف عليها رماة النبل وحملة القسى المهرة لصب وابل من القذائف على المعسكر الاسلامى ، ليمنعوا رماته من عرقلة عملية بناء الجسر ، ولكن المسلمين أثبتوا براعتهم ومهارتهم فى القتال ، ونجحوا نجاحا عظيما فى افساد كل محاولات الصليبيين فقد كانوا يحفرون حفرا واسعة عميقة فى ضفة النيل فى ناحيتهم ، فتمتلىء بالمياه المحجوزة من الجسر تلك الحفر ، فينشأ عن ذلك تيار سريع يتلف شاطىء النيل ، فينهار ما تم اقامته من الجسر .

ثم لم يلبث المسلمون أن فاجأوا الصليبيين باستخدام سلاح جديد رهيب ، أذهلهم وحطم أعصابهم وأضعف من معنوياتهم ، ففى احدى الليالى قذفوا معسكرهم من آلات قاذفة شعلات رهيبة من اللهب ، وكانت هذه الشعلات هى النار اليونانية المرعبة ، أروع آلات الهدم والدمار .

ويرجع اكتشاف هذه النار الى عهد الامبراطور قسطنطين امبراطور الدولة الرومانية الشرقية ، فى القرن السابع الميلادى ، وقد استخدمها الرومانيون منذ اكتشافها ، واستطاعوا بواسطتها صد هجمات العرب على « القسطنطينية » سنة ٤٨ هـ ، وارتد على أثر ذلك الجيش والاسطول اللذان سيرهما معاوية ابن أبى سفيان الخليفة الاموى لاقتحام أسوارها ، ثم حاول معاوية بعد ذلك تجديد محاولته فى عام ٥٨ هـ ، فأرسل أسطولا ضخما حاصر « القسطنطينية » سنتين ولكن النار اليونانية فتكت بالقوات الاسلامية ، وأوقعت فى صفوفها الخلل والاضطراب .

وقد نجح الرومانيون فى ابقاء سر هذا السلاح الخطير الرهيب فى طى الكتمان قرابة أربعمائة عام ، غير أن العرب اكتشفوا سره فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، فأصبح فى أيديهم سلاحا فاتكا أوقعوا به الرعب فى صفوف أعدائهم .

وينسب فضل اختراع هذه النار الى « كالينوس » البعلبكى ، الذى نقلها الى « القسطنطينية » ، وهى مزيج من الكبريت وبعض الصموغ والدهون ، يطلق من اسطوانة نحاسية على هيئة سائل مشتعل ، أو على هيئة كرات مشتعلة ، وكان تأثير هذه النار بالغ الأثر كبير الهول على معسكر الصليبيين عندما أخذ المسلمون يصبون عليها حممها .

وقد أدى رمى المسلمين لمعسكر الصليبيين بهذه النار الى تدمير الاسوار والابراج الخشبية التى أقامها الصليبيون على ضفة بحر « أشموم » ، وأصبح من المتعذر عليهم بناء أسوار وأبراج غيرها ، لأن كل محاولة حاولوها لاقامة أبراج جديدة كانت تقابل من المعسكر الاسلامى بوابل من صواعقه الجهنمية ، فلا تلبث أن ينتشر فيها اللهب ويحيلها رمادا .

وقد املأت المراجع التاريخية بأخبار أعمال البطولات الفردية والجماعية التى قام بها بعض المسلمين ، اذ كانوا يكونون من بينهم فرقا خاصة تقوم بعبور النيل الى الجانب الآخر الذى فيه الصليبيون ، ويتحيلون فى اختطافهم بكل وسيلة ، فيقتلون ويأسرون ويرجعون الى قواعدهم سالمين .

وعلى هذا النحو دب اليأس والوهن فى قلوب الصليبيين ، وفتر حماسهم وقل نشاطهم عقب اصابتهم بهذه الكوارث الساحقة ، وبعد أن باءت جميع محاولاتهم لعبور بحر « أشموم » بالفشل .

بداية النهاية :

وعندما رأى لويس التاسع أنه قد أصبح شبه محصور فى هذه المنطقة ، وأن أى أمل فى نجاح حملته هذه قد صارت نسبته ضئيلـــة للغاية ، وهو لا يستطيع عبور النيل الى « المنصورة » وقوات المسلمين أمامه على الضفـــة الأخرى للنيل تعرقل كل محاولة يقوم بها للعبور ، والاسطول الاسلامى ينقـل جنودا جددا ، والمسلمون تكتمل استعداداتهم يوما بعد يوم ، ازاء كل هذا لـم يجد لويس التاسع أمامه الا أن يعقد مجلسا عسكريا لتبادل الرأى والمشورة فيما يجب عليهم أن يفعلوه لانقاذ موقفهم الذى أصبح حرجا ، وعقــــد المجلس ، واستقر رأى المجتمعين على أن يعبر لويس التاسع وأخوته الثلاثة ، والفرسان والخيالة الصليبية بحر « أشموم » عن طريق مخاضة تسمى مخاضة « سلمون » فى ثلاث وحدات كبرى .

وتأهب الصليبيون خلف المخاضة ، وأخذ فرسان المقدمة فى العبـــور ، ويتولى قيادتهم الكونت « روبرت دى ارتوا » شقيق لويس التاسع ، وقد فوجىء المسلمون مفاجأة كبيرة حينما ظهر فرسان الصليبيين على ضفتهم ، وما أن علم الامير فخر الدين بعبور الصليبيين حتى أسرع على الفور فى الاستعداد والتهيؤ لخوض المعركة الفاصلة ، فجمع رجاله ووقف فى وجه الصليبيــن ، وقاتـل بشجاعة نادرة ، غير أنه لم يلبث أن وقع فى كمين واستشهد على الاثر ، وكان استشهاده خسارة كبرى فى تلك الظروف ، اذ تفرق الجنـــود يمينا وشـــمالا ، وكادت الهزيمة الكلية تلحق بالمسلمين .

وعندما رأى الكونت « دى ارتوا » تفرق الجنود وتشتتهم ارتكب حماقـــة كبرى ، اذ لم يشأ أن ينتظر عبور بقية الجيش الصليبى تحت قيادة لويس التاسع طبقا للخطة الموضوعة ، وانما أراد أن يتعقب المسلمين الى مدينة (المنصورة) أملا فى احراز انتصار سريع عليهم ، والانفراد بالمجد والظفر ، ولم يستمع الى أوامر مليكه بعدم الاقدام على هذه الخطوة لما فيها من مخاطرة قد تكون وخيمـــة العواقب ونتائجها سيئة ، فواصل الاندفاع بقوته الصغيرة نحو « المنصورة » ، وتمكن من اقتحامها بعد قتال قصير مع حاميتها ، وبذا تورطت المقدمة فى التقدم الى مدى أبعد مما فى استطاعتها وقدرتها ، ووجدت نفسها داخل شـــــوارع « المنصورة » فى عزلة تامة عن قوتها الاساسية التى كانت وقتئذ لا تزال آخذة فى العبور بالقدر الضئيل الذى تسمح به المخاضة الضيقة .

وفى نفس الوقت كان المسلمون قد وجدوا قائدا جديدا خلفا للامير فخـــر الدين الذى استشهد ، وهو القائد بيبرس البندقدارى ، الذى رأى أن هذه المقدمة ليست سوى طليعة لزحف صليبى عام يتطلب الاحتياط لدفعه قبل وقوعه ، فجمع فلول الجيش ، ثم دبر خطة بارعة للقضاء على مقدمة الصليبيين ، وهذه الخطة تدل على مدى ما كان يتمتع به بيبرس من مقدرة حربية فائقة ، ومهارة عسكرية نادرة ، فقد قسم قواته الى قســـمين ، وبعث بالقســـم الاول الى خــــارج « المنصورة » ليحول دون أدنى اتصال بين قوات الصليبيين الاساسية وبين مقدمتهم التى فى داخل المدينة ، بينما رتب القسم الثـــانى فى كمائن متعددة داخل (المنصورة) .

دخل الكونت (دى ارتوا) مدينة (المنصـــورة) ، وانتشر الفرســـان الصليبيون فى الشوارع والأزقة والدروب والحارات ، بحثا عن الاســـلاب

والثروات والمذابح البشرية ، ولم يكد الكونت (دى ارتوا) يصل بقوته الى المقر السلطانى يطلب التسليم حتى أصدر بيبرس أوامره بتنفيذ الحركة التطويقية المتفق عليها بينه وبين قواد الكمائن ، فانقضوا عليهم كالسيل الجارف ، فأبادوا فريقا منهم وطاردوا الباقين حتى حاصروهم فى الأزقة ، فلم يستطيعوا القتال وهم على ظهور جيادهم ، ولم يتمكنوا من استعمال سيوفهم لضيق المجال ، وأخذ أهالى (المنصورة) يقذفون الفرسان الصليبيين بالطوب والاحجار والرمال المحماة فى النار من أسطح المنازل وشرفاتها ، حتى أبيدت تلك القوة التى لم ينج من أفرادها سوى أربعة أو خمسة فقط ، وكان على رأس القتلى الكونت (دى ارتوا) نفسه ، الى جانب عدد كبير من الامراء الصليبيين .

وقد جزع لويس التاسع أشد الجزع لتلك الصدمة التى لم يكن يتوقعها ، بيد أنه تمالك نفسه وأمر باتمام العبور بأسرع وقت حتى يتدارك الموقف ، وعندما تم العبور تصدى لهم الجيش الاسلامى واستبسل الجنود بعد انتصارهم العظيم على مقدمة الجيش الصليبى ، وقام بيبرس وجنوده بهجوم شامل على المعسكر الصليبى ، وقاد لويس التاسع المعركة بنفسه وأظهر عزيمة جبارة وشجاعة قوية ، فنظم جيشه تنظيما دقيقا ، وثبت فى المعركة ، مما جعل المسلمين يضطرون الى الارتداد نحو (المنصورة) فى المساء .

وعلى الرغم من شجاعة لويس التاسع وثباته الا أن موقف الصليبيين أخذ يزداد سوءا بعد أن قلت المؤن ، وفقدوا نسبة كبيرة من فرسانهم ، وأصبح موقفهم حرجا للغاية من الوجهة التكتيكية ، ويضاف الى ذلك أن قواتهم التى أتمت العبور أصبحت مكشوفة الجناحين أمام القوات الاسلامية الرابضة أمامها ، والتى صار لديها التفوق الساحق فى العتاد والعدة والعدد .

وقد تفشت الامراض والحميات والأوبئة بين جنود الجيش الصليبى ، وعمت النكبة حتى صار لا يسمع بمعسكرهم سوى أنات الاحتضار أو صلوات الجناز ، وصارت الانظار لا تقع الا على وجوه صفراء يبدو الموت من أصحابها كقاب قوسين أو أدنى .

وفى هذا الوقت وصل السلطان (توران شاه) من حصن (كيفا) ووصل الى (المنصورة) ، حيث استقر بقصر السلطنة ، ووضعت شجرة الدر السلطة بين يديه ، ثم أعلنت رسميا وفاة الصالح نجم الدين ، فأدى وصوله الى ارتفاع الروح المعنوية عند المسلمين ، وعندئذ أدرك لويس التاسع أن الزحف على (القاهرة) قد أصبح من رابع المستحيلات ، وأن الدنيا قد ضاقت فى وجهه ، وأن ليس أمامه الا أن يأخذ رجاله ويرجع من حيث أتى ، ففكر فى العودة الى (دمياط) ولكنه خاف من حدوث كارثة حربية أثناء انسحابه اليها ، فعملية الانسحاب فى مثل هذا الموقف ليست سهلة ، ولن يتركهم المسلمون ينسحبون فى هدوء ، بل سيتعرضون لمطاردة قاسية من الجيش الاسلامى قد تودى به وبحملته ، ولذلك تردد فى الانسحاب ، وظل الصليبيون فى معسكرهم يراودهم الأمل بين الحين والآخر فى معاودة الهجوم على مدينة (المنصورة) .

الموقعة :

وضع المسلمون خطة محكمة للقضاء على الجيش الصليبى المترنح بعزله فى مكانه ، وقطع خطوط مواصلاته مع قاعدته فى (دمياط) التى كانت ترد منها الامدادات عن طريق نهر النيل محملة على ظهر السفن ، وقد نفذ المسلمون خطتهم بصنع عدة سفن نقلوها مفككة على ظهور الجمال الى بحر (المحلة)

شمال بحر (أشموم) ، وأنزلوها فيه وزودوها بالمقاتلين ، وانضمت الى بقية سفن الاسطول الاسلامى ، وعندما جاءت السفن الصليبية من (دمياط) الى بحر (المحلة) فى طريقها الى القوات الصليبية تحمل الامدادات والتموين فاجأتها سفن الاسطول الاسلامى بالخروج من مخابئها ، فأحاطت بها من كل جانب بحركة تطويقية بارعة ، واستولت السفن الاسلامية على اثنتين وخمسين سفينة قرب مكان يعرف باسم (مسجد النصر) ، وكانت هذه السفن محملة بالمؤن والاسلحة والذخائر ، وأسر المسلمون جميع من كانوا فوق السفن وعددهم حوالى ألف .

ولم يكف الاسطول الاسلامى عن شن هجماته على سفن التموين الصليبية القادمة من (دمياط) الا بعد نجاحه التام فى قطع هذا الطريق ، الذى كان يعد الطريق الوحيد لامداد الجيش الصليبى الذى يواجه (المنصورة) ، وتم بذلك عزله نهائيا عن قاعدته الاســاسية فى (دميـــاط) وكان من أثر ذلك أن حلت بالجيش الصليبى مجاعة مروعة ، وغلت الاســعار غلاء فاحشــا ، ولم يجد الصليبيون ما يسدون به رمقهم سوى أكل الاسماك النيلية ، والتغذى بجذور النباتات والحشائش ، ولما اشتد بهم الضنك فى النهــاية ، لجأ لويس التاسع الى فتح باب المفاوضات مع المسلمين ، قبل أن يبدأ فى الانسحاب الذى أصبح أمرا لا مفر منه ، وبدأ مفاوضاته على أساس أن يترك الصليبيون (دمياط) وينسحبوا منها ، فى مقابل أن يأخذوا (بيت المقدس) وما أراد لويس التاسع بهذا العرض الذى قدمه الا أن يضرب عصفورين بحجر واحد فيسترد (بيت المقدس) فى الوقت الذى يشعر فيه بضعفه وعجزه عن الاحتفاظ بـ (دمياط) فى يده ، ثم يضمن بعد ذلك انسحابا سليما مأمونا له ولجيشه من (مصر) بدون أدنى ضرر أو تعرض لمطاردة المسلمين ، ولكن عرض لويس التاسع جاء متأخرا وبعد فوات الأوان ، ولو أنه كان قد تقدم بعرضه هذا قبل ذلك ببضعة أشــهر لكان وجيها ، ولأمكن للمسلمين أن ينظروا فيه ، على أساس أن يكفلوا له انسحابا مأمونا بدون التفريط فى (بيت المقدس) أما الآن وبعد ما أسفرت عنه الظروف والاحداث ، وما وصل اليه الموقف بالنسبة للفريقين ، فان (توران شاه) لم يتردد ولو للحظة واحدة فى رفض عرض لويس التاسع رفضا باتا .

ولم يجد الصليبيون للانسحاب بديلا ، خصوصا وأنهم أيقنوا أن استمرارهم فى البقاء بمعسكرهم معناه القضاء التام عليهم ، وفناؤهم عن آخرهم .

وبدأ الصليبيون يتراجعون نحو (دمياط) بحذاء الضــفة الشرقية لنهر النيل ، فى عملية لا نستطيع أن نطلق عليها انســحابا بالمعنى المفهوم فى الحروب ، وانما كانت عملية هروب الى (دمياط) على حد تعبير ابن واصــل المؤرخ الذى عاصر هذه الاحداث ، وعبر الصليبيون بحر (أشموم) على الجسر الذى أقاموه ، بيد أنهم وهم فى عجلة من أمرهم ارتكبوا خطأ جسيما كلفهم ثمنا باهظا ، اذ وقعوا فى نفس الخطأ الذى وقع فيه الامير فخر الدين قبل ذلك ، فقد نســـوا أن يقطعوا الجسر بعد أن أتموا عبورهم فوقه ، فأتاحوا بذلك للمسلمين فرصة كبرى ، فعبروا وراءهم يهاجمونهم من كل ناحية ومن كل اتجاه بلا هوادة أو استكانة ، وقد بذل حرس المؤخرة الصــليبية جهودا جبارة فى سبيل وقاية انسحاب جيشهم الممزق ، وصد هجمات المسلمين العنيفة ، وأخيرا تمكنت جموع الصـــليبيين المنهكة القوى من الوصول الى (شارمساح) بين (المنصورة) و (دمياط) بما يشبه المعجزات .

ولم تكد مقدمة الجيش الصليبى تصل الى (فارسكور) حتى غلب المرض على لويس التاسع ومعظم رجال جيشه ، فى الوقت الذى أحدق المسلمون بهم يتخطفونهم طول الليل قتلا وأسرا .

وعند (فارسكور) دارت معركة ضارية عنيفة بين المسلمين والصليبيين ، حلت على أثرها الهزيمة الساحقة بالصليبيين ، وقد قتل فى هذه المعركة حوالى ثلاثين ألف مقاتل .

أسر لويس التاسع :

وفى تلك الاثناء كان لويس التاسع لا يستطيع أن يتحرك من شدة ما به من مرض ، فالتجأ الى قرية تسمى (منية عبد الله) شمال (المنصورة) ، وبصحبته نحو خمسمائة من الامراء والنبلاء ، وحمل الملك الى بيت ريفى من بيوت تلك القرية الصغيرة حيث لحق به أخواه .

وعندما أحاط المسلمون بالقرية أدرك لويس التاسع أن المقاومة لن تجدى شيئا ، ولن تعود عليهم بالنفع ، بل قد تضره ضررا شديدا ، فسلم لويس التاسع ورفاقه أنفسهم بعد أن أمنهم المسلمون على أرواحهم ، وقد نقل لويس التاسع فى الحال الى (المنصورة) على احدى السفن ، حيث سجن فى دار فخر الدين ابن لقمان رئيس ديوان الانشاء ، وعهد الى الطواشى صبيح بحراسته ، كما خصص له (توران شاه) من يقوم بخدمته ، ورتب له كل ما يحتاج اليه من مأكل ومشرب ، وبلغ عدد الاسرى أكثر من اثنى عشر ألف أسير .

وفى غمرة هذه الاحداث قتل (توران شاه) ، وتولت شجرة الدر مقاليد الحكم وأصبحت سلطانة على (مصر) ولعل أهم ما ترتب على مقتل (توران شاه) من تطور خطير فى الشرق الادنى هو سقوط الدولة الايوبية ، وقيام دولة المماليك البحرية فى حكم (مصر) و (الشام) .

ثم استأنف أمراء المماليك على الاثر مفاوضات الصلح التى كان قد بدأها (توران شاه) ، وبعد كثير من المحاورات نجح الفريقان فى عقد اتفاق يتلخص فى تسليم (دمياط) للمسلمين بكافة محتوياتها ، وعدم السماح للويس التاسع بالرحيل عن (مصر) الا بعد دفع فدية تبلغ أربعمائة ألف دينار ، اتفق على أن يدفع نصفها قبل أن يرحل عن (مصر) ويسدد الباقى عندما يصل الى (عكا) وضمانا لدفع بقية الفدية قرر المسلمون الاحتفاظ بجميع المرضى الذين يعالجون فى (دمياط) .

وعقب توقيع الاتفاق أخلى الصليبيون (دمياط) وركبوا السفن ، وسلم (جيوفرى دى سرجين) مفاتيح المدينة الى المسلمين ، فدخلها الجيش الاسلامى تتقدمه طبوله وأعلامه ، ورفع العلم فوق أعلى برج من أسوارها .

وبمجرد أن دفع لويس التاسع الفدية المتفق عليها أطلق سراحه وسراح أمراء جيشه وجميع جنوده الاسرى ، وبذلك اختتمت الحملة صفحة هجومها على (مصر) بهذه النهاية المؤلمة .

وقد دوت أنباء هذا النصر العظيم فى (القاهرة) وسائر البلاد المصرية ، فأقيمت الزينات ، وعمت الأفراح كل مكان ، وعادت قوات الجيش الظافرة الى (القاهرة) وتغنى الكتاب والشعراء فى جميع أنحاء العالم الاسلامى بهذا النصر المبين .

وسجل التاريخ فى سجلاته الخالدة أن هزيمة لويس التاسع فى (المنصورة) كانت بداية قرب نهاية الصليبيين بالشرق الاسلامى فى العصور الوسطى ..

---

(١) هذه الاعداد ماخوذة من تقريرات (جوانفيل) مستشار لويس التاسع ومترجمه الذى رافقه فى الحملة ..

التربية الجنسية

للدكتور

وجيه زين العابدين

عنى الاسلام بالطفل عناية بالغة فوضع الاسس العامة لتربيته ونشأته واعطاه من الرعاية والتكريم ما لم تصل اليه الانظمة الحـــديثة .. وما كانت التربية الجنسية — كما أصطلح عليها — جزءا منفصلا عن قواعد التربية العامة للطفل ..ولكن فى الاسلام توجيها خاصـا للتربية الجنسية وضع القرآن الكريم والسنة المطهرة الخطوط العريضة له وددت الاشارة اليها لاطلاع المسـلم واتباعهـا ..

ربما جاز أن أقول ان الاسـلام قد أهتم بأمر الطفل قبـل أن يولد بأعوام وذلك باختيار أم صالحة .. فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم الرجل أن يختار له زوجة صالحـة ذات خلق ودين تلك التى سـتقوم بتربية الطفل فمن كانت منهن تقيـة سوف تقبل بتطبيق تعاليم الاسـلام مما تعلم ومما تتعلم فكـان المنبت الحسن والجو الصالح قبل أن يخلق الطفل ويولد ..

الطفل لغة الصغير وقد سـماه القرآن الكريم طفلا منذ ولادته فى قوله عز وجل فى سورة المؤمن (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفـة ثم من علقة ثم يخرجكم طفـلا .. الآية) .. وتبقى التسمية حتى يبلغ الحلم كما جاء فى القرآن الكـريم أيضا فى سورة النور قوله عز وجل (واذا بلغ الاطفال منكم الحـلم فليستأذنوا .. الآية) .. وقد ذكر ابن القيم فى كتابه (تحفة المودود فى أحكام المولود) الكلمات العربية للطفل منذ ولادته حتى بلوغه فهـو (وليد ورضيع وفطيم ودارج .. الخ)

وليس للوليد والرضيع أى توجيه فى التربية الجنسية ، على أن الاسلام



للطفل

قد نبه الى وجوب تسمية الطفل بالاسم الحسن حيث أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، كما أنه غير بعض الاسماء القبيحة الى أخرى جميلة .. ولعل من الجائز أن أقول بهذا الصدد أن يمتنع المسلم عن تسمية الطفل باسم قد يثير الشهوة البهيمية الجنسية (١) ..

قلت ليس للرضيع عمل جنسى فيكون له توجيه وتربية فى العامين الاولين من عمره وما ذكره بعض علماء الطب والنفس كون الرضاعة عملا جنسيا لم يقبله العلم .. على أن للرضيع — كما يقول الاطباء — عملا قد يشبه أو يعتبر العادة السرية عند البالغين وهو عبث الذكر من الاطفال بعضوه ومد الانثى لساقيها بحالة تشنجية ولصق الفخذين ببعضهما والقيام ببعض الحركات ثم الاستلقاء والنوم أحيانا .. هذا العمل يتركه الرضيع بعدئذ فلا تلتفت اليه الام ولا تزجر طفلها فان فعلت قد يستمر الطفل ويجب عند ذاك عرضه على الطبيب ليرى الامر اذ قد يصف له علاجا .

فاذا بلغ الرضيع العامين يجب أن ينظر فى أمره فهل يبقى فى غرفة نوم أبويه أم يخرج أو يوضع بينه وبين والديه الحجاب .. هنا يضع الاسلام القاعدة العامة .. قال تبارك وتعالى فى سورة النور (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما أستأذن الذين من

قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) .

قال القرطبى ان الذى يستأذن فى الاحوال الثلاثة هو الذى عقل معانى الكشفة .. فالآية الاولى تطلب ان لا يدخل الطفل المميز على أبويه أو أحد من أهله من غير استئذان فى أوقات ثلاثة ، فترة النوم من بعد صلاة العشاء حتى طلوع الفجر وكذلك وقت القيلولة ظهراحيث يغلب ان يكون الابوان قد نزعا ثيابهما أو تكون الام فى وضع لا يجوز أن يراها أى طفل مميز . لذلك يجب أن يخرج الطفل المميز من غرفة نوم أبويه أو يوضع حجاب بينه وبينهما .

ولم يذكر القرآن الكريم سن التمييز (٢) بل تركه لتقدير رب البيت الذى يقرر متى يمنع طفله بالنسبة الى ذكائه وظروفه ومن يحيط به ومقدار تعلمه واطلاعه لا سيما بالنسبة الى الاسئلة التى يوجهها على أن الطفل دون الثانية لا يميز ولذا جاز أن يبقى فى غرفة نوم والديه وجاز له أن يدخل على ابويه واهله فى أى وقت .. ولعل سن الرابعة هى المعدل .. وربما وجب ان يمنع طفلا فى الثالثة او قبلها او ربما جاز أن يسمح لطفل فى الخامسة ان كان قليل الذكاء وقد ارشدنا النبى صلى الله عليه وسلم فى حادث حين وصف أحد الناس من العبيد (من ملك اليمين) والذى يدخل تحت حكم هذه الآية الكريمة وصف هذا المملوك امرأة أنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فأمر صلى الله عليه وسلم أن يمنع من الدخول على النساء ..

فاذا بلغ هذا الطفل المميز وجب أن يجرى عليه حكم البالغ كما ذكرته الآية الثانية وهو الاستئذان فى كل وقت وكما نصت عليه الآية الكريمة من نفس سورة النور وهى قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها) ..

ولعل من الجائز بهذا الصدد أن نفهم من الآية الكريمة : تعيين موعد التقاء الزوجين (٣) والتعرى الجزئى للرجل والمرأة .. وكذلك يفهم من الآية الكريمة أن تكون المرأة فى وضع صحيح معقول ، فلا تكشف عن عورتها خارج هذه الاوقات لانهقد سمح للطفل المميز أن يدخل على أمه وأخته وقريبته فى غير هذه الاوقات، بدون استئذان .. فان كان شىء من اظهار عورة المرأة أو أى عمل بين الزوج وزوجه يجرى فى النهار فلا بد أن يتخذ الزوجان ما يحجب عنهما الطفل المميز ..

وكذلك مما علمنا القرآن الكريم من أدب فى تربية الطفل هو عدم اظهار زينة المرأة للطفل الذى يفهم ويعقل شيئا عن زينة المرأة وجمالها قال تعالى فى سورة النور (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى اخواتهن او نسائهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء .. الآية) .

وعلمنا نبينا الاكرم محمد صلى الله عليه وسلم أن لا نسمح لمن بلغ سبع سنوات من عمره أن ينام فى غرفة أخته أو اقاربه الا أن يكون

حاجز بينهما .. قال عليه الصلاة والسلام (مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم لعشر وفرقوا بينهم بالمضاجع) .

أخرجه أو داود ..

هذه بعض القواعد فى تربية الطفل الجنسية ، كلها لايجاد محيط فاضل لا يثير فى الطفل كوامن الشهوة الجنسية ولا يطبع فى دماغه شيئا من الفاحشة قد تدفعه فى المستقبل الى ارتكاب الخطأ .. هذه التربية الوقائية هى التى يسير عليها الاسلام فى كل مجالات حياة الانسان .

تعليم الطفل

والعمل الايجابى الذى يقرره الدين فى تربية الطفل الجنسية هو تعليمه وارشاده ووضعه على الطريق المستقيم منذ نعومة أظفاره لتكون جذور الفضيلة عميقة فلا يضل فى المستقبل ، فاذا أصابه بعض الانحراف فسرعان ما ترجع به هذه الجذور الى الفضيلة .

يتعلم الطفل عمليا ما يرى من محيط أهله فاللباس محتشم .. فالطفل المميز لا يرى عورة ولا يسمع الا الكلام الطيب ، فاذا تعلم القراءة لا يجد فى بيته الرخيص من الادب أو قصص الفحش مما نجده فى معظم المجلات والكتب المخصصة للفساد ، ومقابل ذلك يوجه الاب المسلم طفله الى تعلم القرآن وحفظ بعض سوره وتعلم بعض الآيات التى تربى الاسرة مثل سورة الحجرات .. كل ذلك قبل دخوله المدارس لعلها تكون له بعض الحصن مما سيقرأ ويسمع ويصاحب .

ويسأل الطفل عن أمور الجنس فيجب أن يكون الجواب بالصدق مع استعمال المجاز والكناية والتلميح .. ولا يجوز الكذب على الطفل لان من خلق المؤمن الصدق الا ما أجاز له الشرع من كذب فى الحرب واصلاح ذات البين ولغو الزوج وزوجه .. ففى الحديث الصحيح أن امرأة قالت لطفل تعالى أعطيك فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ونظر فى يدها فوجد فيها تمرة فقال (لو لم تكن هذه التمرة لكتبت عليك كذبة) اخرجه البخارى (٤) .

الصدق الصدق مع الطفل . . يسأل الطفل مثلا كيف وجدت فى هذه الدنيا فنقول بصورة مختصرة خرجت من بطن أمك .. ونوجهه حالا الى القرآن الكريم يأتى به فنشير الى آية من سورة النحل فيقرأ (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) .. وقد يكتفى ، وقد يسأل بعد حين أو حالا وكيف نشأت فى بطن أمى .. فنقول له ان الله عز وجل هو خالق الانسان يجعله فى بطن أمه نطفة فيكبر ويكبر حتى يصير طفلا فيخرج .. ونوجهه الى القرآن الكريم أيضا ليقرأ أو نقرأ عليه ما ورد فيه بهذا المعنى فى سورة الحج مثلا أو المؤمنون أو المؤمن .. فان سأل وما علاقة أمى بأبى فنقول لا بد لخلق الطفل أن يجتمع رجل وامرأة فى زواج حسب شريعة الله .

وهكذا نجيب على أسئلة الطفل بالتلميح والاختصار وتوجيهه الى الدين ليرتبط فى ذهنه فيفهم الامور الجنسية عن طريق القرآن الكريم والحديث .

هذا اسلوب القرآن الكريم فى التعليم حيث وردت آيات كثيرة تشير الى الجماع بكلمات المباشرة

واللمس والتقرب .. كما أن أى اشارة الى قضية جنسية يذكر فيها الله تبارك وتعالى كلمة التقوى مباشرة لئلا يبتعد الذهن الى الشهوة البهيمية .. فمن هذه الآيات قوله عز وجل فى سورة البقرة (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقو الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين) وكذلك قوله عز وجل فى سورة النساء (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) .. فبعد أن أشار الى أن من صفات المرأة الصالحة ان تحفظ زوجها فى غيبه وتكتم سر زوجها عقب بكلمة بما حفظ الله .

ويتعلم الطفل المسلم كثيرا من الامور الجنسية بصورة غير مباشرة حين يبدأ الصلاة فى السابعة اذ يتعلم الوضوء والاستنجاء ولعله يسأل بعض القضايا الجنسية مما تمهد له فلا يفاجأ بمرحلة البلوغ لا سيما عند الفتاة .

والاسرة المسلمة التى ترتبط بالقرآن والحديث سترى الخطوط العريضة للحياة السعيدة فاذا اعتنت بتربية اطفالها على أسس تعليم القرآن فلا خوف عليهم أبدا من أى مدرسة فاسدة وقد ثبت بدراسات كثيرة أن ما يتعلمه الطفل فيما بين العامين وسن الخامسة يبقى أصلا له فى علاقاته الاجتماعية حين يكبر ومهما انحرف ومهما ضل فسيعود الى ما تعلمه من أبويه المسلمين فى طفولته .. فلا زال الامر بيد الاسرة المسلمة ان أرادت أن ترى أولادها على هدى الله .

---

(١) أترك الامثلة لاجتهاد الاب المسلم ..وهذا رأيى الشخصى ولا يوافقنى عليه شيخى الذى درسنى بعض الدروس الدينية .

(٢) ولا أعرف فى السنة تحديدا لسن التمييز وما ورد فى الحديث الصحيح عن نوم ابن عباس فى منام خالته أم المؤمنين لا علاقة له بسن التمييز وبهذه الآية .

(٣) أشارت الى هذا الوقت الآية الكريمة من سورة البقرة قوله عز وجل (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم .. الى قوله عز وجل فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض .. الآية) .

(٤) لو لم يكن فى الاسلام فى تربية الطفل سوى هذا الحديث الشريف لكدت اقول انه من أعظم تعاليم سيدى المصطفى وانه يكفى وحده فى وضع الاسس القويمة .. فليس الا الصدق صفة تبنى الثقة فاذا كانت الثقة بين الطفل ووالديه سهل الطريق لتوجيه الطفل ، وما رأيت فى خبرتى الطبية صفة تبعد الولد عن أبويه وتضع اساسا للتمرد على الاسرة وعصيان الابوين ، مثل صفة الكذب .

٢

فكرة الخير والشر

للدكتور / محمود محمد قاسم

عرفنا في مقال سابق لوجهة نظر محيي الدين بن عربي الميتافيزيقية في مسألة الخير والشر ، وهنا نكمل ما بدأنا ببيان وجهة نظره الدينية في هذه المسألة ورأيه في تحديد موقف الانسان من الخير والشر وفي أمله أن تعم الرحمة الالهية جميع الخلق ..

ب ـ النظرة الدينية :

إذا كانت هناك ضروب من النقص في العالم ، وإذا كان كمال العالم يقتضي أن يوجد النقص فيه حتى تتحقق حكمة الله في الكون ، فمن الطبيعي أن توجد أشياء توصف بالحسن والخير ، وأخرى توصف بالقبح والشر . لكن هل في طاقة العقل أن يستقل بمعرفة وجه الحسن أو القبح ، أو الخير والشر في كل شيء ؟ وهنا نجد ابن عربي يميز بين نوعين من الحسن والقبح . فمنهما نوع يمكن معرفته عن طريق التفكير النظري الذي يحدد وجه الحسن أو وجه القبح في الأشياء بناء على معايير خاصة بالكمال أو النقص ، أو معايير نفعية . لكن هناك نوعا آخر « لا يدرك قبحه ولا حسنه إلا من جانب الحق الذي هو الشرع ... وهذا من الشرع خبر لا حكم » فوجهة نظر العقل الانساني ، في تحديد الخير والشر ، وجهة نظر نسبية فيما يتعلق بالأحكام التي يصدرها ، أما الشرع فيطلعنا على ما هو حسن أو قبيح في ذاته ، ومعنى ذلك أنه يبين لنا أن الخير هو ما يوافق الطبيعة الإنسانية ، وأن الشر هو ما لا يوافقها . فالشرع لم يأت إلا بما يساند الطبع . ولذلك يعجب محيي الدين بن عربي كيف يجد بعض الناس مشقة في قبول ما جاء به الشرع الذي لم يحرم عليه شيئا تقتضيه الطبيعة الانسانية ، فقد راعى هذه الطبيعة عندما بين لها الطرق السوية التي تحقق لها الخير . « فما هلك الناس إلا بسلطان الأغراض ، فانه الذي أدخل الألم عليهم والمكروه . فلو أن الإنسان

يصرف غرضه الى ما اراده له خالقه لاستراح ... » (١) ذلك لأن الله لا يريد للناس إلا اليسر ولا يريد بهم العسر . وهو يريد لهم الخير لا الشر ، وإن كان الكل من عند الله لانه هو الذي اوجد العالم بما ينطوى عليه من كمال ومن نقص يراد به الخير ..

إن المثل الأعلى ، فى نظر ابن عربى ، هو أن يريد الإنسان ما يريده الله له ، فلا يضيق بنعمة الوجود وقد استدل لذلك بما روى عن أبى يزيد البسطامى من انه قيل له : ماذا تريد ؟ قال أريد الا أريد ، أى إنه يريد أن يجعله الله مريداً لما تقضى به الإرادة الالهية . إذن فمن المستحيل أن يكون المرء مجردا من الإرادة ، والا لما كان لطاعته التى يتقرب بها إلى خالقه معنى ، إذ لو لم تسبقها نية لما كانت طاعة . فمعنى ما قاله البسطامى هو انه لم يطلب لنفسه شيئا سوى أن يتحـــرر من الأهواء النفسية التى لا تتسق مع الشريعة والتى لا تحظى برضى الله .

فالشرع إذن هو السراج الذى ينير الطريق . ومن لا يهتدى بنور الشرع شبيه برجل يسير فى الظلام دون سراج أو ضوء ، فى طريق كثيرة المهالـــك والأوحال والحفر . فلا بد له من نور يرى به أين يضع قدمه ، ويكشف له عما يجب أن يتجنبه من المخاطر [وليس له نور سوى نور الشرع الذى قال فيه تعالى : « نورا نهدى به من نشاء من عبادنا » وقال : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وقال : (نور على نور)] : أحدهما نور الشرع ، وثانيهما نور البصيرة ، أى نور القلب .ويرى ابن عربى أن نور الشرع « قد ظهر ظهور الشمس ، ولكن الأعمى لا يبصر ، وكذلك من أعمى الله بصيرته لم يدركه فلم يؤمن به ، ولو كان نور عين البصيرة موجودا » إذن فمن الضرورى أن يجتمع هذان النوران حتى يعم الضوء الطريق . كذلك يجب على السائر فى تلك الطريق المحفوفة بالمخاطر أن يحافظ على سراجه من أن تهب عليه ريح الأهواء والأغراض . « فهذا الشخص الماشى فى هذه الطريق ، إن لم يحفظ سراجه من الأهواء أن تطفئه بهبوبها ، وإلا هبت عليه رياح وزعازع فأطفأت سراجه ، وذهب بصره . وهو كل ريح يؤثر فى نور توحيده وإيمانه . فان هبت ريح لينة تميل لسان سراجه وتحيره ، حتى يتحير عليه الضوء فى مشاهدة الطريق ، فتلك الريح كمتابعة الهوى فى فروع الشريعة ، وهى المعاصى التى لا يكفّر عنها الإنســـان ، ولا تقدح فى توحيده وإيمانه . فقد خلقنا لأمر عظيم . ولكن إذا اقتحمنا هذه الشدائد ، وقاسينا هذه المكاره ، حصلنا على أمر عظيم ، وهو سعادة الأبد التى لا شقاء فيها » (٢) .

ونلاحظ أن فكرة الجمع بين نور الشرع ونور البصيرة أو العقل فكرة سبق إليها علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة ، كما نجدها على نحو أكثر عمقا عند كل من الإمام الغزالى وابن رشد (٣) وترتكز هذه الفكرة عند هؤلاء جميعا على أن الله إنما يأمر بالخير ؛ وينهى عن الشر عناية بالانسان ، وتحقيقا لطبيعته على أكمل وجه . « ما أمرك الله إلا بما هو خير لك . وهو عند الله عظيم . وما نهاك الا عما تركه هو خير لك ، لعظيم حرمته عنده .. » (٤) ويوصى ابن عربى كل من يقبل نصحه بأن يتبع خاطر الخير لا خاطر الشر الذى يحاول أن يثنيه عن فعل الخير فيقول : « ولا تعرف الخير والشر إلا بتعريف الشرع . وإذا خطر لك خاطر يأمرك بفعل الشر فذلك لمة الشيطان . فاذا أعقبه خاطر ينهاك عن فعل ذلك الشر فذلك لمة الملك . وانت السفينة . إن انخرقت هلكت وهلك جميع من فيك . فعليك بعلم الشريعة . فانك لن تعلم حدود الله حتى تقوم بها » (٥) .

ثم إنا نراه يؤكد هذه الفكرة في مواطن عديدة فيقـول : « ان العـارف من عبد الله من حيث ما شرع ، لا من حيث ما عقل عن طريق النظر » ذلك لأن للهوى في العقل حكما خفيا لا يفطن إليه أصحاب التفكير النظري ، وإن شعر به أهل الكشف من الصوفية (٦) ، بل يذهب إلى القول بأن العمل غير الصالح من نصيب الذين يفصلون القول في الخير والشر عن طريق تفكيرهم النظري ، في حين أن أهل الكشف ، الذين يهتدون بما جاء به الشرع ، أكثر توفيقا في التفرقة بين الخير والشر « فما فصل بالاعلام الإلهي فهو كله عمل صالح ، وما فصـل بالنظر العقلي فمنه صالح وغير صالح بالنسبة إلى من يفصلـه لا غير . والكل عمل صالح بالنسبة الى الله تعالى ، كما نقول ان النقص في الوجود من كمال الوجود ، وان شئت قلت من كمال العالم إذ لو نقص النقص من العالم لكان ناقصا فافهم » ثم يخبرنا أنه ماكان ليذكر أن هناك فسادا في العالم لولا أن الخير الإلهي قد حذر من الفساد في الأرض ، ولولا أنه رأي اتفاق العقلاء ، بل الناس جميعا ، على القبول بوجـود الفساد في العالم . ولولا ذلك لما نطق بهذا الوصف أبدا . (٧) فقد أهتـدي بالكشف الصوفي إلى العلم بأن أفعال الله كلها خير ، لكنها توصف من الناس بأنها خير أو شر حسب أهوائهم وحسب استعداداتهم لقبول آثـار الأفعال الإلهية .

وهنا ينبغي أن نتساءل لماذا حددت الشرائع كلا من الخير والشر ؟ ذلك لأن ظهور العقل في الإنسان هو الذي دفعه الى أن يدعي لنفسه أنه هو الـذي يختار أفعاله ، وأنه يستطيع التفرقة بين الخير والشر . لذلك جاءت الشرائع تفـرق للعقـلاء بين الحسن والسيء . وكان من الطبيعي أيضـا أن يكون هناك جزاء للخير وللشر . غير أن رحمة الله سوف تشمل الجميع بعد أن يوفي أصحـاب الأعمال السيئة فترة العذاب التي كتبت عليهم بسبب خروجهم على ما قرره العقل والشرع معا (٨) .

ويكشف ابن عربي عن أبعاد فكرته هذه على نحو أكثر تفصيلا عندما يخبرنا بأن تكليف الناس باتباع الشرائع هو من المكر المحمود . ذلك أن العقل لما فرق بين الخير والشر جاء الشرع يقره على هذه التفرقة . فعندما تكلم عن المكر الإلهي بمناسبة قوله تعالى : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) ، وقوله : (ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) نجده يخبرنا بأن « من المكر الالهي ما يقصد به ضرر العبد ، ومنه ما لا يقصد به ضرر العبد . وانما يكون لحكمة أخرى يكون فيها سعادة العبد . فانه لولا المكر الخفي لما صح تكليفه ولا طلب جزاء . فانه من مكر الله المحمود في الممكور به تكليف الله إياه بالأعمال والسمع والطاعة له فيما كلفه به . والأمر يعطي في نفسه أن الأعمال خلق الله في العبد ، وأن الله لا يكلف نفسه . وليس العامل إلا هو . وهذا قد شعر به بعض الناس (أصحاب مذهب وحدة الوجود) وأقاموا على العمل وثابروا عليه ، أعني عمل الخيرات (٩) ، وهم هؤلاء الـذين يقول ابن عربي عنهم إنهم قد اطلعوا على سر القضاء والقدر ، ورأوا تحكمه في الخلق ، وشاهدوا ما قدر لهم من أعمال تصدر عنهم من حيث هي أفعال لله ، لا من حيث أنها توصف بالخير والشر . وهم يشاهدون ذلك ، على حد قوله ، في حضرة النور الخالص التي دعت علماء الكلام إلى القول بأن أفعال الله كلها حسنة ولا فاعل إلا الله ، دون أن يفطنوا إلى سر القضاء والقدر . لكن توجد مرتبـة تأتي بعد حضرة النور الخالص ، وهي التي يسميها حضرة السدفة وهي التي تجمع بين النور والظلمة ، وهي التي يظهر فيها التكليف الدين بظهور العقل عند الإنسان

وفيها يتميز الخير من الشر . وتوجد آخر الأمر حضرة الظلمة وهي مرتبة الشرك والأفعال الموجبة للخلود فى النار . أما فيما يخص ابن عربى فيقول إن الله أقامه فى الحضرة الثانية ، وعصمه من أن يخرج على حدود الشرع « بل أقامنى الله فى حضرة السدفة وحفظنى وعصمنى على حكم حضرة النور (من حيث العلم) وأقامنى فى السدفة وهو عند القوم أتم من الاقامة فى حضرة النور . فهذا معنى قول بعضهم فى الفناء إنه فناء المعاصى » ، أى أنه ، وإن كان يعلم عن طريق الكشف ، أن الأفعال كلها تنسب إلى الله ، وأنها حسنة فى ذاتها ، إلا أنه رأى أن اتباع طريق الشرع فى التفرقة بين الخير والشر والطاعة والمعصية هو السلوك الأقوم والأكمل . ومن المؤكد بعد ذلك كله أن عمل الخيرات لا يلحق ضررا بالبشر لأنه يلائم طبيعتهم ، ويتسق مع نفوسهم التى صدرت من أصل طاهر لأنها من أمر الله .

وهكذا يمكن فهم ضرورة الحدود أو العقوبات التى حددتها الشريعة لمن خرج عن طريق الخير . فانها ليست شرا ، بل هى خير فى صورة الشر . إنها نوع من العقاب أو الجزاء الذى يعجل به الله للمذنبين فى أثناء هذه الحياة وكذلك الأمر فى المصائب والكوارث التى تحل بالأفراد أو الأمم . فقد قال تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) « وكذلك ما ظهر من الفتن والخراب والحروب والطاعون » .. فهذا كله جزاء على أعمال قاموا بها . وهو جزاء معجل فى الدنيا « وقد يكفر عن الذنب بعض خطاياه فى الآخرة . أما إقامة حدود الشرع على السارقين أو الزناة فانها تهدف إلى تطهيرهم . فعقابهم ليس شرا ، بل هو نوع من الرحمة . ولهذا نهى الشرع عن الرأفة فى إقامة حد الزنا بقوله « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » فاقامة هذه الحدود على العصاة، وعلى ملأ من الناس فى الدنيا تطهير لأصحابها قبل أن يفضحوا على رؤوس الأشهاد فى الأخرى .. فاقامة الحدود فى الدنيا استر إذ يسقط عن صاحبها فى الآخرة بقدر ما أخذ منه فى الدنيا (١٠) . ومن واجب الوالى أن يحكم بما نص عليه الشرع ، حتى لا يكون مواليا للشر . أما إذا ترك مراعاة جانب الحق ، وحكم بالهوى ، فقد ضل . وبهذا المعنى يمكن أن يقال بأن مصائب الدهر وكوارثه هى الأخرى نوع من التطهير . وربما غادر بعض البشر هذه الحياة الدنيا « وما عليه خطيئة لكثرة ما يبتليه الله به » (١١) .

ولقد أمرنا الرسول أن نؤمن بالقدر خيره وشره فيجب الإيمان إذن بالشر أنه شر ، وبالخير أنه خير . والخير كله ينسب إلى الله ، لأنه هو الذى يعطى الخير بقضائه السابق . ولكن المخلوقات هى التى تفصل هذا القضاء بالقدر اللاحق الذى يرتبط بكائن معين فى زمن معين ، فيوصف بأنه خير أو شر « فخيريته ابقاؤه على الأصل ... ولهذا قال : والخير كله بيديك ، وما حكم به من الشر فمن القابل وهو قوله والشر ليس اليك (١٢) » ومعنى ذلك أن كل كائن له استعداد خاص كان يعلمه الله منذ الأزل . فاذا خرج هذا الكائن من عالم الإمكان الى عالم الوجود الفعلى تحققت استعداداته من قبوله للخير أو للشر . فليس علم الله هو السبب فى سعادته بالخير ، أو شقائه بالشر ، بل السبب هو الاستعداد الخاص بكل كائن فاذا قيل : ولماذا كان الاستعداد مختلفا لدى الكائنات ؟ أجاب ابن عربى بأن حكمة الله اقتضت أن يحتوى العالم على كائنات تختلف فى استعدادها لقبول الفضل الالهى ، حتى يتحقق لهذا العالم أكبر قدر ممكن من الكمال ، فليست ضروب النقص فى العالم إلا وسائل يراد بها تحقيق الخير .

غير انه ينبغي الا يكون ذلك مبررا لان ينسب المرء معاصيه إلى القضاء والقدر ، بل هناك قاعدة اخرى يجب اتباعها ، وهي أن يلزم المرء نفسه بفعل الخير . فاذا حدثته نفسه بفعل الشر فعليه أن يعقد عزمه على تركه ، إلا إذا غلبه القضاء السابق والقدر اللاحق . فاذا كان الله لم يقض عليه أن يفعل الشر الذي حدثته به نفسه كان امتناعه عنه حسنة تكتب له ، واذا حدث نفسه بفعل الخير وقام به كتب له عشر امثاله ، اما إذا حال القضاء والقدر دونه فسوف يكتب له حسنة واحدة في كل زمان حدثته نفسه بهذا الخير ، في حين أنه إذا حدثته نفسه بسيئة فان الله يغفرها له ما لم يرتكبها . أما إذا قام بها فلن تكتب له الا بمثلها (١٣) .

هـ — موقف الانسان من الخير والشر :

إن الإنسان يتألف من روح وجسد . والروح طاهرة بحسب الأصل لانها من عالم الأمر . ولذا لا توصف النفس بأنها شريرة في أعماقها ، بل هي مطبوعة على حب الخير لأن الخير فيها أمر ذاتي . كذلك يمكن القول بأن الأجسام وقواها طاهرة هي الأخرى . فكيف أمكن إذن أن يوصف الانسان بأنه خيّر أو شرير ما دام العنصران اللذان يتألف منهما طاهرين بحسب الأصل ؟ ان طبيعة التركيب بين هذين العنصرين التي تحدد ، في نظر ابن عربي ، طبيعة الانسان التي تكون اكثر ميلا الى الخير منها الى الشر أو بالعكس . فاتصال النفس بالجسم هو السبب في الاتجاه نحو الطاعة أو المعصية . وعندئذ ندرك كيف يوجه المدح أو الذم إلى الانسان الذي يجمع بين الروح والجسد ، والذي يكون أهلا للثواب أو العقاب (١٤) . ويبدو هنا تأثر ابن عربي بأفلاطون ، الذي سبقه الى القول بأن اتصال النفس الانسانية بالجسم هو الذي أدى إلى نشأة النفس الحيوانية أو الشهوانية ، وهي سبب المعصية لأنها إما أن تكون مطيعة فتشبه الدابة الذلول وإما أن تكون جامحة « لقوة رأسها وتركيب مزاجها » .

ولما كان الدين هو عمل الخير ، ولما كانت النفس مهيأة له بطبيعتها فانها لا تقبل الشر إلا بالحاح من القرين الذي يوسوس إليها به ، وهو الشيطان ، ولذا قال الرسول : الخير عادة والشر لجاجة . إذن ليس الشر أصيلا فيها ، بل تكاد لا تقبله إلا مكرهة « فان النفس بالذات ما زالت خيرة لأن أباها الروح القدس الطاهر ، وطبعها الخير . وأمها هذه الصورة المسواه المعدلة من هذه الأخلاط(١٥) ويطلق ابن عربي اسم هذه الصورة على الجسم الذي خلقه الله فسواه فعدله . ولقد قبل الجسم هذه التسوية وهذا العدل ، وقبوله للعدل من الخير (١٦) .

وإذا كانت النفس طاهرة بحسب الأصل فليس الظلم من صفاتها لأنه شر ، بل النفس الكاملة التي تسمو على المستوى الحيواني ، هي التي تشعر بالرحمة تجاه الخلق كلهم ودون تفرقة . فهي تدعو للآخرين أن ينالوا مثلما نالت هي من حب الخير . واذن فان كل ما ينقص من طهارة النفس انما هو « أمر عرضي ، عرض لها لما عندها من القبول في جبلتها » والذي من شيمها انما هو القهر والظهور . ومن هنا دخل عليها أبليس بوسوسته . ولقد جهل القائل الذي قال :

والظلم من شيم النفوس فان   تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم .

وما انصف وما قال حقا . (١٧) فالظلم الذى نراه من بعض الناس لا يصدر

عن طبيعتهم وانما يأتيهم من جانب الشيطان «وللانسان فيه مدافعة يجدها من نفسه » ولقد أمرنا بأن ننصر أخانا مظلوما أو ظالما . أما نصرته كمظلوم فهذا أمر توجبه المروءة . وأما نصرة الأخ الظالم فهو أن تنصره على من يوسوس له في صدره بالشر . وتكون نصرته « بالكلام الذى تستحليه النفوس وتنقاد اليه ، فتعينه على رد ما وسوس اليه الشيطان من ذلك (١٨) » ومن ثم يمكن تفسير قوله تعالى : « فألهمها فجورها وتقواها » . بأن الله قد جعل في طبيعة النفس استعدادا لقبول ما تلهمه من فجور أو تقوى ، وجعلها قادرة على التمييز بين هذين الاتجاهين ، فتختار الخير وتحاول أن تتجنب الشر . لكن من الذى يلهمها التقوى والفجور ؟ لا يجوز القول ، في نظر ابن عربى ، بأن الله هو الذى يلهمها احد الأمرين ، بل الأولى أن نفهم هذه الآية على ضوء ما قاله الرسول من « أن للملك في الانسان لمة ، وللشيطان لمة » . فيكون الضمير في ألهمها للملك في التقوى ، وللشيطان في الفجور ... وكل بقضاء الله وقدره ... ولا يصح أن يقال في هذا الموضوع إن الله هو الملهم ، لما في هذا من الجهل وسوء الأدب ، ولما في ذلك من غلبة أحد الخاطرين ، والفجور أغلب من التقوى ، وأيضا لقوله تعالى: «ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك» (١٩) أما سوء الأدب فهو نتيجة للجمع بين الله والشيطان في ضمير واحد وهذا غاية سوء الأدب مع الله » اذن من الأولى أن ينسب الالهام بالفجور الى الشيطان ، والالهام بالتقوى الى الملك « فمقابلة مخلوق بمخلوق أولى من مقابلة مخلوق بخالق » ..

ويبقى من المقرر ، بعد ذلك ، أن النفس خيرة بطبيعتها وبحسب أصلها ، وانها « ليست امارة بالسوء من حيث ذاتها ، وانما ينسب اليها ذلك من حيث أنها قابلة لإلهام الشيطان بالفجور ولجهلها بالحكم المشروع . ويرى ابن عربى أن الإلهام بالشر أو بالخير لا يكون الا لدى أفراد الأمة التى بعث فيها أحد الرسل أما اذا وجدت أمة على الفطرة ، ولم يبعث فيها رسول فانها تسلك طريق الخير بفطرتها وتبعا لطهارة النفس الأصيلة فيها . فالواجب الذى تقتضيه طبيعة النفس والذى يوجبه الشرع ، مراعاة لهذه الطبيعة ، هو أن يتجه الانسان إلى الخير ، ولا يسلك طريق الشر متذرعا بأن الشيطان هو الذى يوسوس به اليه ، أو بأن ذلك كان بقضاء الله وقدره « فاجهد الا تصدر منك صورة الا مخلقة في غاية الكمال في قول وعمل . ولا يغرنك كون النقص من كمال الوجود » (٢٠) . وقد زل جماعة من الناس في هذا الموضوع عندما اعتقدوا أن المعاصى الارادية لدى الانسان سبب في كمال العالم (٢١) . ويقول ابن عربى أنه لقى في حياته هذا الصنف من الناس ، ثم يؤكد لنا أن سمة القبح في العالم هى أن يوجد انسان يرضى لنفسه أن يهبط عن المرتبة التى أرادها له خالقه .

ومهما يكن من أمر ، فالاتجاه الى الخير هو الطابع الأصيل في الإنسان ، وهو الذى يجب أن تكون له الغلبة . غير أن المرء قد يخطىء في تحديد هذا الخير ، فيريد شيئا يظنه خيرا وهو شر في حقيقة أمره . فنراه يدعو الله أو يسأله أن يحقق له غرضا ، دون أن يعلم أن الله لو حقق له ما سأل لأصابه الضرر « ولهذا ما كل مسئول فيه يقضيه الله لعبده ، وذلك رحمة به . فانه قد يسأل فيما لا خير فيه . فلو ضمن الاجابة في ذلك لوقع ، ويكون فيه هلاكه في دينه وآخرته ، وربما في دنياه من حيث لا يشعر . فمن كرمه أنه ما ضمن الإجابة فيما يسأل فيه ، وإنما ضمن الاجابة في الدعاء خاصة كما بيناه . وهذا غاية الكرم من السيد في حق عبده » .

فللعبد اذن أن يدعو الله أن يوفقه للخير ، وليس له أن يحـدد له ما ينبغى أن يحققه له من صنوف هذا الخير . وهناك شيء يدعو الى الحيرة ، فى نظـر ابن عربى ، وهو اننا لا ندعو الله أن يحقق لنا الخير الا بتوفيق منه ، وإلا تبعـا لاستعداد يوجد فينا لقبول هذا التوفيق . وهكذا نصبح أهلا لدعائه وأهـلا لاستجابته لدعائنا ، على أن نترك الله يستجيب لهذا الدعاء على النحو الذى يراه هو لا نحن « فهو أعلم بالمصالح منا . فانه تعالى لا ينظر لجهل الجاهل فيعامله بجهله . وإنما الشخص يسأل والحق يجيب . فان اقتضت المصلحة البطء ابطأ عنه الجواب . فان المؤمن لا يتهم جانب الحق ، وان اقتضت المصلحـة السرعة اسرع فى الجواب ، وان اقتضت المصلحة الاجابة فيما عينه فى دعائه أعطاه ذلك سواء اسرع به أو أبطأ ، وان اقتضت المصلحة أن يعدل ما عينه الداعى إلى أمر آخر ، أعطاه الأمر الآخر لا ما عينه (٢٢) » . .

وليس معنى أن يرضى الانسان بالواقع الذى اراده الله له ، الا يضرع إليه لكى يزيح عنه ما قد يصيبه من بلاء ، لأن ذلك هو ما يسميه ابن عربى مقاومـة القهر الالهى . « فانه ما آلمك وحكم عليك بخلاف غرضك . . إلا لتسأله رفع ذنبك عنك . . . فمن لم يشك الى الله ، مع الاحساس بالبلاء وعدم موافقة الغـرض الالهى ، فقد قاوم القهر الالهى » انه من الادب مع الله أن يطلب المرء إليه أن يكشف عنه ما حل به من مصائب وبلاء « فالأدب كل الأدب فى الشكوى الى الله فى رفعه ، لا إلى غيره (٢٣) وليس معنى الصبر على البلاء ، وهو كثير فى هذه الحيـاة ، الا يلجأ المرء الى الله حتى يرفعه عنه ، فان الرضا بالبلاء وحبس النفس عـن الشكوى غاية الجهل بالله . وإذا كان الانسان يشكو عادة إلى اخوانه ممن قد لا يستطيعون له نفعا ، فلم لا يشكو الى الله ، وهو يعلم انه لا يقدر على رفع البلاء إلا من أنزله به (٢٤) وبهذا المعنى يمكن القول بأن الآلام التى يعانيها المرء ويسميها عذابا ليست شرا خالصا ، وذلك لأنها تذكره بربه فيرجع اليه مضطرا لا مختارا « فيستعذب عند ذلك الأمر الذى رده إلى الله ، وذكره به فأخرجه عن حكم غفلته من نسيانه فسماه عذابا » (٢٥) .

واذا كانت النفس مجبولة على الخير فليس للانسان أن يستأذن ربه فى فعل الخير . فان مثل هذا الاستئذان دليل على الفتور والتراخى ما دام الشرع قد حدد طريق الخير . وكيف يستأذن الانسان فى شيء يعلم أنه خيـر : « فان استأذنت ربك فى خير تعلـم أنه خير فانظر فان أجابـك بالعمـل فحسن ، وإن خيرك فقد مكر بك واستدرجك . وإن لم تقع منه أجابة فاعلم أن فى ايمانك ثلمة . فانك ما علمت أنه خير إلا من جهة الشارع ، والشارع الله . فلأى شيء تستأذن بعد العلم ؟ فجدد إيمانك بين يديه ، وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله . آمنت بما عندك . واشرع فى العمل ولا تستأذن فى شيء قط . فأن الله عليك رقيب ، فهو يلهمك ما فيه مصالحك . وميزان الشرع ، الـذى شرع لك ، بيدك لا تضعه من يدك ساعة واحدة ولا نفسا واحدا (٢٦) » . .

ولا ريب فى أن الاستئذان فى فعل الخير ينطوى على التردد ، وفيه رائحة من الشك ، بعد أن بين الشرع أسباب الخير وطرقه ، وأسباب الشقاء والشر وطرقه . وهناك معيار حاسم يفصل بين ما هو خير وما هو شر ، كما يقول ابن عربى : وهذا المعيار ميزان يجده المرء فى نفسه وهو الضمير . فاذا وجد المـرء نفسه أنه واثق من أن يريد خيرا ، وأن ظاهره أو سلوكه ليس مخالفا لما يشعر به

فى باطنه او يوحى به إليه ضميره فذلك دليل على انه يسير فى طريق الخير فعلا . اما إذا وجد انه يسلك سبيل الخير بحسب الظاهر لكن يجد فى باطنه رائحة من الشك او الاضطراب فيما يقوم به من عمل او عبادة ، او انقدح فى خاطره شك فى نتيجة هذا العمل او العبادة فذلك لأنه مجرد من الإيمان ، ولأن قلبه فى ظلمة حالكة « هذا ميزانك فى نفسك وما يخطر لك فيها » . ولذا أخبر الرسول بما معناه ان بعض الناس يعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس ، لكن الله يعلم ما يخطر فى نفسه من شك يقدح فى ايمانه ، لأنه ليس موقنا بجدوى ما يقوم به من عمل يراه الناس منه . وقد يعمل الرجل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس ، لكن باطنه بخلاف ظاهره لأنه يشعر فى اعماق نفسه أن عمله مخالف لما أمر الله به « فيبدو لله منه ما لا يبدو للناس » (٢٧) ..

ولذلك يوصى ابن عربى أن نبدأ بأن نحسن الظن بالناس ، والا نخدع بالظواهر فنصدر احكاما سريعة قد تكون مخطئة . حقا يجب أن نميل إلى أهل الخير ، وان نتجنب اهل الشر « وقد ورد فى الحديث الثابت أن الجليس الصالح كصاحب المسك ، إن لم يصبك منه أصابك من ريحه ، والجليس السوء كصاحب الكير ، ان لم يصبك من شرره أصابك من دخانه » فمن صاحب اهل الريب كان جديرا بأن يرتاب الناس فى أمره ، وذلك بسبب غلبة سوء الظن بالناس . ومع هذا فان ابن عربى يرى أن حسن الظن بالناس افضل من سوء الظن بهم،فهو يقول « ان هناك فائدة انبهك عليها ، أغفلها الناس ، وهى تدعو الى حسن الظن بالناس ليكون محلك طاهرا من السوء . وذلك انك إذا رأيت من يعاشر الأشرار ، وهو خير عندك ، فلا تسىء الظن به لصحبته الأشرار ، بل حسّن الظن بالأشرار لصحبتهم ذلك الخيّر ، **واجعل المناسبة فى الخير لا فى الشر** . فان الله ما سأل احدا قط يوم القيامة عن حسن الظن بالخلق ، ويسأل عن سوء الظن بالخلق ، ويكفيك هذا نصحا إن قبلت » (٢٨) ..

د ــ الرحمة الشاملة :

ولما كان محيى الدين بن عربى يجعل المناسبة فى الخير لا فى الشر ، فقد حدد لنا موقفه فى مسألة هامة أخرى ، وهى مسألة الوعد والوعيد التى تعد احد الأصول الخمسة فى مذهب المعتزلة ، وهى التى ترتبط بوجوب اثابة الصالحين وعقاب العاصين . فالوعد خاص بأفعال الخير ، والوعيد يتصل بأفعال الشر . أما فيما يتصل بالوعد فمما لا ريب فيه أن وعد الله حق . وأما فيما يتصل بالوعيد فقد اختلفت آراء علماء الاسلام فى ذلك من أشاعرة ومعتزلة(٢٩) . وليس لنا أن ندخل هنا فى تفصيل هذا الخلاف فان ذلك أمر يطول الحديث فيه . أما فيما يخص ابن عربى فهو يحذر من أن نخلف الوعد ، وان فصح بأن نخلف الوعيد بالشر ، على الا نسميه خلفا للوعيد بل تجاوزا وعفوا ، والعفو خير . فقد وعد الله العافين من الناس بأن أجرهم على الله . ولقد ذهبت المعتزلة بصفة خاصة الى ان أوجبوا على الله الا يخلف وعيده بالعقاب . وهذا هو ما يأخذه عليهم ابن عربى ، فيرى أن « هذه شبهة المعتزلة ، وغاب عنها قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » . فقد تواطأ العرب على أن التجاوز عن الوعيد أو الوعد بالشر يعد من مكارم الاخلاق فعاملهم الحق بما تواطأوا عليه ، فزلت هنا المعتزلة زلة عظيمة . أوقعها فى

ذلك استحالة الكذب على الله تعالى فى خبره . وما علمت ان مثل هذا لا يسمى كذبا فى العرف (أو اللغة) الذى نزل به الشرع .. وهذا من قصور بعض العقول ووقوفها فى كل موطن مع أدلتها (العقلية) ولا ينبغى لهـا ذلك » . فعلينا ان نحاول فهم مقصد الشرع وان نعرف طبيعة من يخاطبهم وبأى لسان يخاطبهم . ذلك ان العرب لا تعد خلف الوعيد كذبا بل تراه من كرم الاخلاق . فان بعض الأعراب يحدثنا عن كريم خلقه فيقول :

وإني اذا أوعدته أو وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وعندئذ فاذا رحم الله العصاة الذين أوعدهم بالخلود فى النار فلا ينبغى أن يوصف الله بأنه قد أخلف فى وعيده « بل ينبغى أن يقال إنه يعفو ويتجاوز عن عبده »(٣٠) . اذن من الجائز ، فى نظر ابن عربى ، أن تعم الرحمة جميع الخلق بما فيهم أهل النار . وهو يعلل فكرة هذه الرحمة الشاملة بأنها تتسق تماما مع فكرته عن الوجود . ذلك لان الوجود رحمة مطلقة فى الكون . والعذاب شيء يعرض لأمور تطرأ أو تعرض « فهو عارض لعارض ، والعوارض لا تتصف بالدوام .. فلهذا يضعف القول بتسرمد (تأبيد) العذاب ، فان الرحمة شملت آدم بجملته ، وكان حاملا لكل بنيه بالقوة فعمت الرحمة الجميع .. والله عند حسن ظن عبده به »(٣١) .

ويلاحظ ان هذا الرأى يبدو متعارضا مع ما جاء فى القرآن من خلود بعض المعذبين فى النار أبدا ، كما تتعارض فكرة نجاة أبناء آدم جميعهم ، بسبب عفو الله عن آدم ، مع مبدأ المسئولية الفردية الذى قرره الاسلام . لكن ابن عربى يحتج لرأيه هذا بنصوص دينية أخرى جاءت فى القرآن وفى الحديث . فقد علمنا أن رحمة الله قد سبقت غضبه . فاذا انتهى غضبه عاد الحكم للرحمة فى رأيه . كذلك نجده يقول إنه « ما ثم نص .. لا يتطرق اليه احتمال فى تسرمد العذاب .. فلم يبق الا الجواز وأنه رحمن الدنيا ورحمن الآخرة » فأهل العذاب سوف ينتهى أمرهم بأن يستعذبوا عذابهم كما يلتذ الاجرب بحك جلده .. ولا يبقى عليهم من العذاب الا الخوف من رجوع العذاب . فهذا القدر من العذاب الذى يسرمد عليهم ، وهو الخوف . وهو عقاب نفسى لا حسى . وقد يذهلون عنه فى أوقات . فنعيمهم الراحة من العذاب الحسى . فاهل النار حظهم من النعيم عدم وقوع العذاب ، وحظهم من العذاب توقعه » .

ولما أراد تفسير النصوص التى وردت بخلود أهل النار فيها الى الأبد ، قال : إنه ليس هناك نص صريح بأن أهل النار الذين لا يخرجون منها يبقون دائما فيها من أجل العذاب . واذا كان حكم العذاب قد ارتفع عن أهل الجنة فمن الجائز أن يرتفع عن أهل النار مع بقائهم فيها . فقد قال تعالى : « وما هم بخارجين من النار »لكنه قال أيضا أن رحمته سبقت غضبه . غير أننا نجده يقول فى مواطن أخرى (٣٢) أن مآل الاشتياء الى الراحة من النار وأنه لا يبقى فى جهنم سوى خزنتها .

وأخيرا يحتج ابن عربى لرأيه القائل بأن الرحمة ستعم الجميع بأن الله واسع العطاء ، وأنه قد بسط رحمته فوسعت كل شيء ، بمعنى أنه يرحم بها كل شيء ، ويزيل بها غضبه عن عباده « فانظر فهنا سر عجيب فى قوله : «ورحمتي وسعت كل شيء» ، وقوله : «كل شيء هالك الا وجهه له الحكم» بانزال

شيء منزلته ويجعله في مرتبته . . وقد قال عن نفسه ان بيده الخير ، وقال صلى الله عليه وسلم : « والخير كله بيديك والشر ليس اليك » (٣٣) كذلك يحتج لهذا الراى الذى نعترف انه قد يخدش شعور كثير من النـــــاس ، بأن مغفرة الله للمسىء من عباده هى امتنان من الله عليه . واذا كان عفو الانسان عن أخيه الذى أساء اليه ضربا من الكرم الـــذى وعد الله صاحبـــه بالاجر عليه ، فكيـــف يحجر المرء على ربه أن يعفو عن عباده المخطئين « فما نهى الله عباده عن شيء الا كان منه أبعد ، وما أمرهم بكريم خلق الا كان الحق به أحق »(٣٤) .

---

(١) فتوحـــــات ١٨٧/٢ . (٢) فتوحـــــات ٦٨٧/٢ — ٦٨٨ .

(٣) انظر كتابنا دراسات فى الفلسفة الاسلامية — دار المعارف ط ٣ سنة ١٩٧٠ صفحات ٦٧ ، ٦٨ ، ١٧٠ — ١٧٢ ..

(٤) فتوحـــــات ٤١٠/٤ .. (٥) فتوحـــــات ٦٦٢/٤ ..

(٦) فتوحـــــات ٤٠٩/٤ .. (٧) فتوحـــــات ٤٥٩/٣ ..

(٨) فتوحـــــات ٤١٣/٣ .

(٩) الفتوحـــات الباب ٥٠٦ : لكن ليس معنى ذلك انهم يخادعون الله ؟ وفى ذلك يقول ابن عربى « فما يخادع الله الا جاهل بالله غاية الجهل ، او عارف بالله غاية المعرفة التى لا يمكن ان يكون للمحدث اتم فيها..» ثم يقول : ان الله وقد وصف نفسه بالمكر والاستدراج « ولذلك يتصف به اهل الله فيخادعون ويخدعون » .

(١٠) فتوحـــــات ٣٠٤/٤ يعبر ليبنتس عن ذلك بان خطة ايجاد افضل عالم ممكن اقتضت ان يوجد السعداء والاشقياء ..

(١١) فتوحـــــات ٣٠٥/٤ . (١٢) الفتوحـــات الباب ٤١٣ ..

(١٣) فتوحـــــات ٤٤٧/٤ .. (١٤) فتوحـــــات ١٨٢/٢ .

(١٥) فتوحـــــات ٢٦٣/٢ . ويشبه افلاطون النفس الغضبيـــــة بالجواد الطيـــع ، والنفس الحيوانية بالجواد العصى — انظر اسطورة العربة فى كتابنا فى النفس والعقل لفلاسفة الاغريق والاسلام ط ٤ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٠ .

(١٦) فتوحـــــات ١٨٢/٢ .. (١٧) فتوحـــــات ٢٨١/٢ ..

(١٨) المرجع السابق ونفس الصفحة . (١٩) فتوحـــــات ١٦٨/١ ..

(٢٠) نفس المرجع ونفس الصفحة ..

(٢١) لم يفطن ليبنتس الى هذه التفرقة الدقيقة ..

(٢٢) فتوحـــــات ٢٤٥/٤ .. (٢٣) فتوحـــــات ٢٤٣/٤ ..

(٢٤) فتوحـــــات ٥٦٤/٣ .. (٢٥) فتوحـــــات ٢٠٧/٣ ..

(٢٦) فتوحـــــات ٢٣٠/٣ .. (٢٧) فتوحـــــات ٦٩/٤ — ٧٠ ..

(٢٨) فتوحـــــات ٦٦٢/٤ ..

(٢٩) انظر كتابنا « مناهج الادلة ومقدمة فى نقد مدارس علم الكلام » الطبعة الثالثة — الانجلو المصريــــة ١٩٦٩ ..

(٣٠) فتوحـــــات ٦٦٧/٤ .. (٣١) فتوحـــــات ٦٥٦/١ ..

(٣٢) انظر مقالنا فى مجلة الاقلام : اخلاق ابن عربى من كتاباته ..

(٣٣) فتوحـــــات ٣٢٤/٤ .. (٣٤) فتوحـــــات ٣٢٢/٣ ..

---

* الوعى : العدل الالهى يقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسىء ، والنصوص القرآنية تؤكد خلود الكافرين فى النار .

ملاحظة في التقليد الحضاري

د. عماد الدين خليل

يبدو واضحا أن أبناء الحضارة المهزومة يتبعون في نشاطهم الثقافي والعلمي تقليدا غير ذلك الذي يتبعه أبناء الحضارة الاصيلة المبدعة .. تقليدا ، لا يعود في جذوره الى المعطيات التجريبية والثقافية فحسب ، بل الى التجارب النفسية والاجتماعية والى مقدار الثقة والاعتزاز او الشك ومركب النقص الذي يتميز بـه أبناء حضارة من الحضارات . وتبدو (نظريـة) دارون في (النشوء والارتقاء) خير مثال نضربه في هذا المجال . فبينما نجد أبناء الغرب من أنصار وتلامذة دارون أنفسهم يسعون للحصول على المزيد من اليقين العلمي ، والمزيد من (التطوير) و (الملاءمة) بين النظرية وبين الحقائق الجـديدة التي تتمخض باستمرار .. ويفرق عنه الكثيرون ، وهم معتزون واثقون بوجهـات نظرهم المخالفة ــ بشكل من الاشكال ــ للاصول الاولى .. نجد أبناء الشرق يغمضون أعينهم المصابة بالرمد إزاء البريق الوهّاج الـذي انبثق اول مرة عن نظرية دارون رغم اعتراف صاحبها بخطورة فجواتها ، وظنيتها .. ويقولـون كالدراويش ، الذين يهتزون حمدا وتسبيحا عند كل عبارة ــ ان ما قاله (الاستاذ) هو الحق المطلق ، واننا يجب أن نطوّع كل أفكارنا وثقافتنا وتجاربنا ومعطياتنا

الثقافية وفق تلك النظرية .. وحتى (تفسيرنا) للقرآن الكريم يجب أن (نوجهه) في الطريق التي تلتقي في النهـــاية بما طرحه داروين !!

صحيح إنه لا توجد لدى الشرقيين الوسائل والظروف والقدرات التجريبية الكافية لاختبار صحة أو خطأ نظرية ما من نظريات (العلم) الغربي ، وبالتالـــي فإننا لن نطلب منهم أبدا التصدي لفحصها ومعارضتها أو تأييدها (علميا) ، لان جوابهم حينذاك معروف . ولكننا نريد فقط أن ننبههم الى ضرورة أن يكونوا أكثر (موضوعية) واخلاصا للنظرية ذاتها عن طريق ملاحظـــة وتتبـــع معطيات الغربيين انفسهم ــ بما فيهم تلامذة ورفاق داروين ــ بصدد النظرية . وحينذاك سيعرفون أن ما كل نظرية تطرح هناك تغدو قانونا معمولا به ، أو قضية مسلّمة لا تقبل مناقشة ولا جدالا ، وانها لا بد وان تجتاز مئات الامتحانات والاختبارات والفحوص ، ويسقط عنها عشرات التخمينات والاستنتاجات (الظنية) كي يؤخذ بها امرا مسلّما .. وربما ادى ذلك كله بالنظرية الى أن تتجـــه وفق مسارات معاكسة تماما للمنطلقات الاولى !! نريد منهم ــ فقط ــ الا يكونوا ــ كما يقول المثل ــ ملكيين اكثر من الملك !!

إن الفرق الاساسي بين أبناء حضارة حية متطورة مبدعة وبين أناس لا يملكون حضارة ، أو يحيون تقاليد حضارة في طريقها الى السقوط ، هو أن هؤلاء الاخيرين يأخذون بمبدأ التسليم المطلق بكل ما يطرحه العلم أو الثقافة ، دون أن يحاولوا فحص وتجريب مـــدى صحـــة او خطأ هذه الطروح . اما الاولون فانهم لا يكفون ابدا عن الفحص والتساؤل والتجـريب لأن جديتهم و (موضوعيتهم) تعلمهم حقيقة ان العلم لن يقف يوما عند عتبة سلم إلا ليتجاوزها الى عتبة أخرى ، وأن معطيات العلم كثيرا ما ينقض بعضها بعضا ، وينسخ بعضها بعضا . ومن ثم فان (الركود) عند درجة في السلم تعني أن (المحرك) الأساسي للصعود قد توقف ولن يكون بعد ذلك تطور أو تقدم بمفهومهما الصحيح العميـــق .. وهي ظاهرة سالبة ما مارستها حضارة من الحضارات الا وكان ذلك يعني انها فـــي طريقها الى نهايتها المحتمة ..

في مسرحية برنرد شو (اكثر صدقا من ان يكون صادقـــا) يقول احد الأبطال : « اجل يا سيدي ، كون إسحق نيوتن .. قد تهاوى .. امـــام نقـــد آينشتاين ، وقد كان كون نيوتن دعامة التصميم الذهني .. وكان في الوسع حساب كل شيء .. وكان كل شيء يحدث لانه يجب أن يحدث .. والآن ، الآن ماذا يبقى ؟ كل شيء هو وهم .. العالم الذي كان حسابه ممكنا صار صعبا على الحاسبين » . وفي بحث (العقل في منتهى حدود الاحتمال) لـــ (هـ. ج. ولز) ترد هذه العبارات « لقد جدّت على الحياة غرابة مفزعة . ان الحـــوادث التي حدثت حتى الآن تتميز بنوع من المعقولية والمنطقية ، تماما كما يضبط قانـــون الجاذبية الأجرام السماوية . أما الآن فيلوح ان ذلك التسلسل قد اختفى » !! (١)

ونحن هنا لن نطيل على القارىء بعرض مواقف الغربيين ، فلاسفة وعلماء ، إزاء الدارونية ، ولكننا نمر ببعضها مسرعين ، من خلال كتاب (سقوط الحضارة) حيث التحليل الذكي لهذه المواقف .

يقول كولن ولسن ، مؤلف الكتاب المذكور « ان ما فعله توينبي هو انه أدلى بحقيقة رئيسية ضد المادية ،اذ لا يعتمد الافراد فقـــط على الطاقـــة الابداعية

المطورة ، وانما تعتمد الحضارات ايضا على تلك الطاقة . وهذا مضاد للماركسية تماما ، لأن الماركسية تقول : ان الحضارات تتطور وفقا للضغوط الاقتصادية ، وليست هنالك ارادة حرة . اما توينبى فانه يقول : ان الحضـــارات تزدهر أو تتدهور وفقا للطاقة الاخلاقية التى تتميز بها (الاقلية المبدعة) ، ولهـــذا فان عبارة (الطاقة الاخلاقية) تكون عديمة المعنى اذا لم توجد هنالك ارادة حرة .

« ويجدر بنا ان نلاحظ أن ثورة توينبى ضد المادية تتبع نفس الخطوط التى تتبعها ثورة لامارك ضد دارون . ولقد كان تطور دارون ماديا فقط ، فاذا كانت الزرافات موجودة اليوم برقابها الطويلة فذلك لأن الزرافات التى كانت قصيرة الرقاب انقرضت لأنها لم تكن تستطيع ان تبلغ الأشجار العالية ، فى حين أن الزرافات طويلة الرقاب تكاثـــرت وصارت تنتج زرافات أخرى برقاب أطول .

« ويسمى دارون هذا : (بقاء الأصلح) أو (الاصطفاء العرضى) ، وهو يعنى بذلك ان تعيين نوع الزرافات التى تعتبر أكثر صلاحا كان أمرا عرضيا . أما لامارك فقد قال : ان للزرافات رقابا طويلة لانها كانت تريد أن تكون لها تلـــك الرقاب (!!) وانه حين قل الطعام على الأغصان المنخفضة من الأشجار ، بدات الزرافات تحاول ان تبلغ الأغصان العالية وبذلك تكون قد (ارادت) أن تكون لها تلك الرقاب الطويلة .

« ويتضح لأى عاقل (!!) أن فكرة لامارك أصح من فكـــرة دارون ، لأن الانسان يستطيع ان يقوى عضلاته ، أو أيـــة قابلية أخرى ، اذا كان بقاؤه يعتمد على ذلك . ان الظروف الصعبة لا تقتل الانسان ـــ الامر الذى أوضحـــه دارون حين قال ان ذلك هو ما حدث للزرافات قصيرة الرقاب ـــ وانما تمثل تلـــك الظروف تحديا يستجيب لـــه المرء ، وهذا هو التطور اللاماركى » (٢) .

اما برنارد شو فانه يقول ،فى مقدمة مسرحيته (العودة الى ميتوشالح) . .
« ان دارون اراد ان يجعل الحياة مجرد ميكانيكية حياتية ، وان لامارك كان قد جاء بنظرية اقوى عن التطور قبل دارون . وقال لامارك ان الاجناس تتطور لانها تريد أن تتطور ، اما دارون فانه يقول انها تتطور اتوماتيكيا نظرا لتغيير ظروفها » . .
ويقول فى نفس المقدمة : « . . . لم يكن الناس قادرين على أن يفهموا . . لماذا كنت أخشى الداروينية الجديدة (٣) ، واعتبرها حماقة مفزعة ، واهاجم دعاتها بعنف وحدة » . ثم يتحدث عن النتائج المفزعة التى تمخضت عنها المادية الداروينية فى السياسة ـــ وهو هنا يشيرالى حرب ١٩١٤ ـــ ويقـــول مثل توينبى ، أن الحضارات تسقط فى اللحظـــة التى تكون فيها قوة الانسان اشد من قوة الدين « اى امل هناك اذن فى أن تسير الانسانيـــة الى الافضل ؟ اذا كان الداروينيون الجدد والميكانيكيون لا يعتقدون أن هنالك شيئا من الامل ، لان التطور لا يحدث الا بصورة عرضية لا تدبير فيها ولا حكمة . .؟

بيد أن هذه العقيدة الشقية لا تثبط عزائم اولئك الذين يؤمنون بأن الدافع الذى ينجم عن التطور هو خلاق . وقد لاحظوا حقيقة شديدة البساطة ، وهى أن الارادة التى تصر على شىءتفعلهفىالنهاية ، وهى تستطيع فى لحظات معينة من التركيز الذى تبلغه لايمانها بالحاجة اليه ، أن تخلق وتنظم كيانا جديدا ، ولهذا فهؤلاء لا يعتبرون الجنس البشرى لعبة لا ارادة لها » . وقد اشار وايزمان عالم الاحياء البارع الذى هبطت بـــه الداروينية الجديدة الى مستوى الحماقة ، الى ان الموت ليس حالة ابدية فى الحياة وانما هو حادث عرضى يفيد للتجديد الدائم ، ولتجنب ازدحام الارض !! (٤) .

ويوضح برناردشو بعض الأمور بوضوح وتأكيد شديدين : كأهمية المسألة الدينية المتمثلة فى النظام ، فى الضبط الذاتى : « لما لم يكن فى الداروينية مجال للارادة الحرة ، أو أيـة ارادة اخرى ، فان الداروينية الجديدة تعتقد بأنه ليس هنالك ما يدعى الضبط الذاتى . ومع ذلك فان الضبط الذاتى هو الميزة الوحيـدة لقيمة البقاء التى نجد ان اختيار الظروف يجب دائما أن يؤدى اليها فى المـدى البعيد . وقد يتم اختيار صفات غير منضبطـة لتبقى وتتطور لفترات معينة فى ظروف معينة . اذ لما كان النهمون هم الذين يكافحون أشد الكفاح من أجل الطعام والشراب ، فان جهودهم تطور قوتهم وبراعتهم فى فترة قصيرة جدا ، بحيث أن اقصى ما فى وسعهم أن يفعلوه لا يمكنهم من ان يأكلوا اكثر مما يستطيعون . ولكن اى تغيير فى الظروف يأتيهم بمقدار كبير من الطعام يدمرهم . ونحن نرى هذا الامر يحدث دائمـا . اذ نرى فقيرا قـويا صحيح البنية يصبح مليونير بالصدفة التى غالبا ما تحدث فى التنافس التجارى ، وسرعان ما يبدأ بحفر قبره بأسنانه . اما الانسان المنضبط ذاتيا فهو يظل على قيد الحياة فى تغيرات الظروف لانه يعد نفسه لها ، فلا يأكل أكثر من قابليته ولا اقل منها ، وانما يأكل بالقدر الذى ينفعه . فما هو الضبط الذاتى ؟ انه لا شىء سوى الحيوية المتطورة ، المتحكمة فى الشهوات المادية والمنظمة لها ، فاذا اغفلنا وجود هذا المفهوم السامـى ، واذا فشلنا فى فهم البدهية الواضحة من أن النوع هو الذى يميز من يستحق البقاء ، كما تفعل المادية الداروينية الجديدة باسم الاصطفاء الطبيعى ، فان هـذا ليدل على حاجة علماء هذه الفكرة الى فهم موضوعهم نفسه ، كما انه يـدل على عدم ملاحظتهم للقوى التى يتم بموجبها الاصطفاء الطبيعى » !! (٥) .

★ ★ ★

ان توينبى أو كولن ولسون او برنارد شو أو أيا مـن المفكرين الغربيين الذين تناولوا نظرية داروين بالنقد والتمحيص ، لو كان يعلم ـــ يقينا ـــ أن ما جاء به داروين هو الحق المطلق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه ، لكان من السخف ان يتعرض لمناقشة (يقين) كهذا بعبارات تخمينية كهذه (أرى .. يرى .. ضرورة فهم موضوعهم نفسه .. يدل على عدم ملاحظتهم .. هبطت بـه الى مستوى الحماقة .. جاء لامارك بنظرية اقوى . ويتضح لأى عاقل .. الخ) ، لكنه يعلم ـــ قطعا ـــ أن رفيقـه يبنى الاجزاء الكبرى مـن نظريته على الظن والتخمين والترجيح كذلك !! فهى ـــ من هذه الناحية ـــ اشبه بنظرية فلسـفية يحق لكل باحث فى حقول الفلسفة أن يأخذ منها ما يراه حقا ويدع ما يراه باطلا متهافتا ، ونحن رأيناناقديه أنفسهم يقعون فى خطأ الظن بأن للزرافة ارادة ذاتية فى تطوير رقبتها من أجل أن تصل الى غذائها المعلق على الغصون العالية !!

ان معطيات داروين لم تقم جميعا على مسلمات علمية منبثقة عن عينات حياتية توفرت لديه فى جميع مراحل بحثه .. بل ان هذه العينات لم تخدمه سوى فى مساحات ضئيلة من مسيرته التجريبية وملاحظاته الاستقرائية ، أما المساحات الأوسع فقد غطاها بالظن والترجيح والتخمين .. ولذا فليس من المستحيل على أولئك المفكرين الواثقين بأنفسهم أن يناقشوا داروين ويحاسبوه على تخميناته وان يأخذوا من نظريته ويدعوا حسبما يملى عليهم تفكيرهم ومتابعتهم العلمية ونتائج الأبحاث والحفريات والكشوف الجديدة التى لا تقف عند حد الا لتتجاوزه الى آفاق أخرى ..

انفا اذا سايرنا وجهـــة نظر داروين فى حدوث طفرات فى تطور بعض الانواع فاننا لا بد وان نجد أنفسنا أمام هذا السؤال : لماذا لا تخطىء هـــذه (الطفرات) يوما ــ كما أو نوعا ــ فتؤدي الى ظهور (نوع) أو (أنواع)تسبب دمار الحياة على الارض ؟ الا يعنى هـــذا أنه ــ حتى على فرض الايمان المطلق بالطفرة ــ فان هناك قوة عاقلة تشرف على توجيهها لصالح الحياة ؟ أو على الاقل تمنح الانسان العاقل قدرة وذكاء على التحدي والمجابهـــة ؟ واذا كانت (الطبيعة) تهيىء لكل مخلوق وسائله الخاصة لحمـــاية نوعه من الانقراض ، فهل هذا يعنى أنها تملك البصيرة الناقدة التى تمنعها من أن يكـــون للانسان منشار كمنشار التماسيح ، فضلا عن عقله ؟ الا يمكن أن تقع فى الخطــأ ــ يوما ــ وتمنحـــه وسيلة مادية (زائـــدة) للدفاع عن نفسه ؟ الا يعنى هـــذا أن (الطبيعـــة)فىتقسيمها المنطقي لوسائل الحماية على المخلوقات ، تفكـــر وتعقل ؟!

ان الله سبحانـــه ، وهو القدير الخلاق ، شاء أن تكون الارض ــ وقد هيأها أساسا لتوالد الحياة ونموها وحمايتها ــ مسرحا لعرض قدراته الخلاقة فى تشكيلة من المخلوقات البسيطـــة أو المعقدة ، ذات الاشـــكال والتراكيب المعجزة .. ونحن امام فرضين لا يصطدم اى منهما بأى من الحقائق الدينية عامة والقرآنية على وجه الخصوص ، بل العكس يسايرها ويوضحها .. احدهما خلق مباشر (مستقل) لحشد هائل من المخلوقات المتمايـــزة ، وهو لن يعجز الله سبحانه وهو الذى خلق الكون فى ستة أيام ، وأتاح للارض امكانية الحياة فوقها بشكل معجز خارق من بين ملايين السدم والنجوم .

واما الاحتمال الآخر فهو اتاحة المجال للطبيعة والأسباب والسنن أن تعمل عملها ــ على مدى الأزمان الطويلة ــ فى تطوير الحياة على الأرض ، فيما سماه داروين (الانتخاب الطبيعى) ، وذلك بتطوير المخلوقات (الحية) والتدرج بها من شكل الى شكل فى مواجهـــة تحديات البيئة .. وهو أمر يحدث ليس فقط على نطاق الحياة وانما على نطاق (التطورات الجيولوجية ، المناخية ، الكونية بصورة عامة حيث الاتساع المستمر كما يؤكد القرآن الكريم) .. الا أن تلـــك السنن والنواميس التى (تضبط) هذا التطور و (توجهه) لا يمكن بحال أن توجد من العدم لكى تمارس مهمتها العاقلة الدقيقة المعجزة هذه !!

ان قدرة الله سبحانه علىخلقانواع شتى من الموجودات بهذا التنوع ، توحى بأن هناك تدرجا فى الخلق من الاشكال البسيطـــة الى الاشكال العليا ، ونحن لا نستطيع التسليم المطلق بهذه الفكرة ، الا اننا يجب أن نلاحظ بأن اللـــه سبحانه ما دام قد هيأ أرضية للحياة على سطح الارض بمواصفاتها وتركيبهـــا المعروف فلا بد اذن أن يكون هناك قاسم مشـــترك أعظم فى طبيعـــة التكوين البيولوجي لسائر المخلوقات الأمر الذى يمكن أن نلمسه فى تكوين (الخلية) .. وهذا القاسم المشترك انما هو الدليل الذى لا ريب فيه على أن وحدة الخلق من وحدة الخالق .. ترى لو أن ظروفا ذات سمات ومواصفات أخرى للحياة قد هيأها الله سبحانه على سطح كوكب آخر ، ألا ينتج عن هذا تكوين بيولوجـــى لمخلوقاتـــه يختلف ــ بشكل من الاشكال ــ عما فى الارض لكى يكون ملائما لظروف ذلك الكوكب ؟ .. من الذى يحدث هذه المواءمة الحيوية بين المخلوقات

جميعا وبين الأرضية التى تتحرك عليها وتحيا فوقها ؟ من الذى هيأ للأحياء جميعا — على سبيل المثال — قدرة حيوية على امتصاص الاكسجين أو الكاربون وتمثله ؟ الا يدفعنا هذا الى تخمين معـــاكس لفرضية دارون وهو أن تشابـــه الاوليات الحياتية لفصائل المخلوقات لم يجىء لانها تطورت عن بعضها وانما لانها بخلقها (المستقل) تشترك جميعا بتعامل واحد ازاء ظروف حياتية واحدة تفرض على الكائنات الارضية جميعا أن تأكل وتشرب وتتنفس وتنام ؟!!

و (مندل) ، عالم الحياة المشهور ، الا يقرر أن كل نوع — على الاقل فى الفترات الأخيرة من تاريخ الحياة وهى الفترات التى تخضع للفحص والتجريب وليس للظن والتخمين — يحتفظ بخصائصه ومميزاته الوراثية التى تحمى نفسها وفق قوانين غاية فى الدقة والاعجاز ؟؟ الا يتعارض فى هذا مع نظرية دارون التى تلغى الصفات والميزات ؟ ان فصائل القرود العليا وقفت — فيما يبدو — عند مرحلة من الادراك والقدرة على الابداع والتنفيذ لا يمكن مقارنتها — بأى حال — بمدركات الانسان (وهذا الفرق الأساسى هو ما أكد عليه هكسلى أحد رواد نظرية النشوء والارتقاء) .. ولقد اثبت علم النفس انه عن طريق (تجربة الخطأ والصواب) يمكن تعليم ، حتى القطط والكلاب ، على العـــديد من الحـــركات والمهارات التى تمارسها فصائل القرود .

★★★

لقد عجز دارون تماما عن تحديد مصدر الحياة الأولى على الأرض .. وقال — يوما — متحدثا عن مشاهداته لتركيب العين المعجز « كلما تذكرت مشاهدتى لتركيب العين هزتنى قشعريرة .. انا لا اعتقد أنه ليس هناك اله » !! .. وأعلن هكسلى بعده ، عن ضرورة اجراء تعديلات جوهرية على صلب النظرية .. وأما الفلاســفة والمفكرون الأوروبيون امثال توينبى وبرناردشو فقد أبدوا تشـــككهم ازاء الكثير من تخمينات الداروينية ، خصوصا تلك التى تنفى حريـــة الانسان وارادته الذاتية فى تطوير امكانياته على نطاق الحياة الخاصة والحضارات ..

أما نحن فهل سنظل أسرى حضارتنا الضائعة ، وقيمنا المشوهة ، ونغدو ملكيين اكثر من الملك ؟!

---

(١) كولن ولسن : سقوط الحضارة ، الطبعة الثانية ، ص ٢٥٠ (ترجمة أنيس زكى) .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٠ و ١٥١ .

(٣) تمييزا لها عن نظرية لامارك التى سبقتها .

(٤) عن سقوط الحضارة ص ٢٣٩ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٤١ و ٢٤٢ .

الأسرة الإنسانية

بين عوامل البناء ومعاول الفناء

للشيخ سعد المرصفي

● الانسان جسم وروح ، قلب وعقل ، عواطف وجوارح ، لا يسعد ولا يفلح ، ولا يرقى رقيا متزنا الا بعد أن يدرك كنه ذاته ، ويتعرف حقيقة نفسه ، ويتبين معالم الحياة الانسانية السعيدة التى لا تدرك الا فى ظل الموازنة بين متطلبات الجسد ومقتضيات الروح . وهذه الموازنة لا ولن توجد الا فى رحاب الدين الحنيف .

● ولطالما عانت الانسانية — فى القديم وفى الحديث على سواء — من المادية الطاغية ، التى مالت بالانسان عن تلك الموازنة ، فشقى الناس نتيجة البعد عن وحى السماء .

● وأن تقدم الاكتشافات العلمية ، وما ترتب عليه من سهولة اتصال الانسان بأخيه الانسان . مهما نأت البلدان . جعل التيارات الفكرية المختلفة الاتجاهات . والآراء المادية الخاضعة لمختلف المؤثرات . كلها تتطاير الى الانسان بسرعة خارقة . وتلح عليه فى جراة عجيبة أن يعيش أسيرها .

● ومع أنها أفكار مادية أرضية ، فقد انتشرت بين الناس بتلك السرعة العجيبة . ودقت عليهم أبواب العقول بطريقة مثيرة حقا . تحمل فى طياتها غطرسة الانسان وكبرياءه .

● ولذا تعيش الانسانية — رغم تقدمها العلمى — بقلوب معلقة . ونفوس مضطربة ، لا أمن ، لا سلام ، لا هدوء . حروب هنا وحروب هناك . وقلق هنا وقلق هناك . لا فرق بين منطقة وأخرى . فالعالم كله يعيش المأساة . ويصطلى بنارها . رغم أنه وقع فى حربين عالميتين فى فترة وجيزة ، أزهقت فيها الارواح ، وسفكت الدماء .

● وكل ما تفتق عنه ذهن البشرية هو ميلاد مجلس الامن فى اليوم الرابع عشر من اغسطس سنة ١٩٤١م حين وقع روزفلت رئيس الولايات المتحدة . وتشرشل رئيس وزراء انجلترا . ميثاقا غليظا ، أطلقا عليه « ميثاق الاطلنطى » تلمسا فيه للعالم سلاما يؤكد لجميع الناس فى

جميع البلاد أنهم سيحيون حياتهم فى أمن من الخوف والحاجة . ثم وقع ممثلو الدول المجتمعة فى واشنطن فى اليوم الاول من شهر يناير سنة ١٩٤٢م وسجلوا فيه تضامنهم للدفاع عن حقوق الانسان . وجاء فى الديباجة:

« نحن شعوب الامم المتحدة قد آلينا على أنفسنا أن ننقذ الاجيال المقبلة من ويلات الحروب التي في خلال جيل واحد جلبت على الانسانية مرتين أحزانا يعجز عنها الوصف . وأن نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق الاساسية للانسان ، وبكرامة الانسان وقدره ، وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية . وأن نهيء الاحوال التي يمكن فى ظلالها تحقيق العدالة واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات » .. الى آخر ما ورد فى ديباجة ميثاق الامم المتحدة ...

● وبعد فترة وجيزة . طرد عرب فلسطين من وطنهم . وسرقت أملاكهم . واخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . واحتلت اسرائيل أرض فلسطين بمساعدة ومشاركة الذين أبرموا هذا الميثاق .

وهنا نتساءل : ما الدافع لكل ذلك ؟!!!

وللاجابة على هذا السؤال لا بد لنا من أن نضع أيدينا على حقيقة الصهيونية أولا ، ثم على الاسباب التي دفعت هؤلاء الى هذا الموقف المخزى .

١ ـ خطر الصهيونية

يدرك العالم كله خطر الصهيونية . واليك ، على سبيل المثال ، ما قاله الرئيس الامريكي « فرانكلين » لشعب الولايات المتحدة :

أيها السادة : هنالك خطر عظيم يهدد الولايات الامريكية وذلك الخطر هو « اليهود » .

أيها السادة : حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب . ويزعزعون الخلق التجارى الشريف . انهم لا يندمجون بالشعب . لقد أقاموا حكومة داخل الحكومة . وحينما يجدون معارضة من أحد فانهم يعملون على خنق الامة ماليا كما حدث للبرتغال واسبانيا ... واذا لم يمنع اليهود من الهجرة بموجب الدستور ففى أقل من مائة سنة يتدفقون على هذه البلاد بأعداد ضخمة تجعلهم يحكموننا . ويدمروننا . ويغيرون شكل الحكومة التى ضحينا وبذلنا لاقامتها دماءنا وحياتنا وأموالنا وحريتنا .. اذا لم يستثن اليهود من الهجرة الى الولايات المتحدة فانه لن يمضى أكثر من مائتى سنة ليصبح أبناؤنا عمالا فى الحقول الى الابد . فسوف يلعنكم أبناؤكم واحفادكم فى قبوركم ... أن عقليتهم تختلف عنا حتى لو عاشوا بيننا عشرة أجيال . كما أن النمر لا يستطيع تغيير لونه ، فاليهود خطر على البلاد واذا دخلوها! فسوف يخربونها ويفسدونها » .

وكان هذا الخطاب بمناسبة الاحتفال بعيد الدستور فى سنة ١٧٨٩ م .

واليهود فى أمريكا يمثلون ٣٪ فقط من تعداد السكان . وهذه النسبة الضئيلة تتحكم فى ٣٠٪ من اقتصاد أمريكا ونفوذهم وتأثيرهم يمسك بعقل أمريكا . ويسيطر على جوانب الحياة الامريكية . وسر هذا كما يقول المفكر الاسلامى وحيد الدين خان أنهم ادركوا أنه توجد امكانات عديدة تؤثر على جميع نواحى الحياة مثل التجارة والاعلام . ولذا تجدهم يملكون وكالات صحفية ، ومؤسسات كبرى . فى الوقت الذى تجدهم يهتمون الاهتمام البالغ بتنشئة الاجيال

اليهودية الجديدة في كل مجـالات التخصص المصرى لدرجـة أن الامريكـى اذا أراد باحثا ممتازا أو مـديرا ممتازا فليس أمامـه الا اليهودى . وبذلك سيطر اليهود على جميع مجـالات الحياة حتى داخـل أمريكا . والآن هم يحاولون زيـادة عددهم عن طريق التبشير . مع أنهم قوم ماجنون عابثون حتى بالمقدسات التى يدينون بها .

ازمة الضمير الصهيونى :

واليك هذه الصورة التى تبين لك أزمة الضمير الصهيونى ، نقلها الينا المرحوم الاستاذ الدكتور منصور رجب فى محاضراته فى فلسفة الاخلاق فى كلية أصول الدين . قال رحمه اللـه تعالى :ـ

ومن غريب ما رأيت فى أزمـة الضـمير أن بعض النـاس يوجههم ضميرهم السىء توجيهـا أقسى ما يمكن أن يكون فظاعة وغلظة . وليس وجه الغرابة فى شدته أو فى خطئه . ولا فى فظاعته وغلظته . وانما وجه الغرابة فى أن يوجههم ضميرهم هذا التوجيه الوحشى على أنه دين .

« فى مكتبة سماحة السيد الحاج أمين الحسينى فى مصر الجديدة ، اطلعت على كتـاب « صراخ البرىء فى بوق الحرية والذبائح التلمودية » بقلم حبيب أفندى فارس .

فيه أن من فروض اليهود الدينية أن يعجنوا فطير الفصح بـدم البشر « غير يهودى » وهذا الفطير لا يعطى منه عادة الا للاتقياء من اليهود ..!!

والكتاب يروى حكايات كثيرة عن هذه الذبائح ...!!!

منها ذبيحـة اعتـرف فيها أحد الذابحين بعد أن أمن على أن يكون « شاهد ملك » . وكان استجـواب الذابح يوم الجمعة ٢٥ فبراير سنة ١٨٤٠ بحضرة صاحب الدولة « شريف باشا » وقنصل دولة فرنسا ...

وهنا ننقل لك بعض فقرات من هذا المحضر ص ١٥٧ .

س : لماذا قتلتم ؟

جـ : لقد قتلناه لاجل الحصول على دمه ، وبعـد أن وضعنا الـدم فى « قنانى » أرسلناه الى .... وكنا نصنع ذلك اعتقادا بأن الدم ضرورى لاتمام فروض دياناتنا ...

وفى ص ١٦٤ كان السؤال الآتى :

س : قلت بأنهم اخذوا الدم لاجل الفطير ، مع أن الـدم عند اليهودى محرم نجس ، فكيف هذا التناقض ، فسر لنا بوضوح ؟!!!

جـ : بموجب التلمـود ، دمـان مقبولان . دم الفصح ، ودم الطهور . اهـ .

وقد سجلـت الذبائح التلموديـة الكثير من الصور التى اقترفت باسم الدين اليهودى .

وشـاء اللـه سبحانـه أن المس بنفسـى حقيقة الجبن والنذالة عنـد اليهود . ضرورة وجودى مع أحدهم ويدعى « أورى ليفن » وكان ذلك فى أوائـل الخمسينات فرأيت أزمـة الضمير . وفساد العقيدة . وكلاحة اليهودى شاهـدى عيان ... ولا استرسل مع الاحداث . فاليهـود طاعون خبيث أصـاب بعض أطراف جسد الامة الاسلاميـة . ولا سبيل الى اخراجه الا بانتفاضة قوية تعزله تماما عن مواطن الاصابة القاتلـة ، وتوقف شره ، وتقضى عليـه . فهم أصحاب باطل دائما ، والباطل يفور ثم يفور . والحق لا محالة منصور . ومثلهم دائما كما قال الله عز وجل « كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين » . ولذا تجد حزب الشيطان وجنده يقفـون بجانبهم . انظر الى العالم بمنظار الدين الحق تجد الذين لا يدينون بالاسلام قد أبلى

كل منهم بدلوه فى فترة من الفترات ولاء لهـذا الشيطان ، وطمعا فـى القضاء على حزب الـرحمن . وهنا يجىء الحديث عن السبب الذى جعل هؤلاء يقفون هـذا الموقف المخزى . وهو العداء للحق بهـذه الصـورة المؤلمة .

٢ ـ العداء للحق واسبابه :

يشهد التاريخ قديما وحديثا علـى سواء بأن منشأ ذلك كله هو العصبية المادية التى لا تتسع للمعانى الروحية والحقد الاعمى على تلك الامة التى حملت مشعل الحضـارة واضاءت معالم الحياة ، وارسـت اصـول العدالة ، فكـانت صاحبة التـاريخ المشرق الـوضىء المضىء . ورفعت راية الاسلام عالية خفاقة فوق ربوع الدنيا كلها شرقا وغـربا وشـمالا وجنوبـا . لهذا كان العـداء بهذه الصورة . وكان الراى ان تنشأ اسرائيل انشاء فى جسد الامة التى كان يهابها العالم كله . لانها صانعة النصر . وحاملة لواء الحق . ورافعة رايـة الانسانية .

وقبل ذلك بفترة من الزمن كـان مؤتمر التقسيم الـذى قسم وجزأ اعضاء هذا الجسد القوى . ثم كان الاعداد لانشاء اسرائيل فى مؤتمرات بال فى سويسرا عام ١٨٩٧ .

وفى هذا الجو العالمى الذى تهيأت اسبابه من كل الوجوه ، حتى مـن ناحية المسلمين انفسهم ، كان التنفيذ على مراحل . وفى هذا يقول هرتزل الصهيونى فى كتابـه « الدولـة اليهودية » لو طلبت الـى تلخيص اعمال مؤتمر « بال » فانى أقول ، بل انادى على رءوس الاشهاد : انـى اسست اليهودية . وقد يثير هـذا القول عاصفة مـن الضحـك هنا وهناك . ولكن العالم بعـد خمسة أعوام . أو بعد خمسين عاما سيرى من غير شك قيام الدولة اليهوديـة حسبما تمليه ارادة اليهود بأن تنشأ لهم دولة » ثم كان وعد بلفور . وبعده قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . ثم كانت الاحداث التي تعيشها الامة كلهـا . وهي حاضر لا يغيب عن الاذهان .

٣ ـ الصراع بين الحق والباطل :

والآن ، وبعد ان وضح الصراع بهذه الصورة بين الحـق والباطل . وان اعداء الحق ارادوا تجزئة الامـة الواحدة وتقسيمها حتى يسهل القضاء عليها . ويتم لهم ما يريدون . علينا ان ندرك أن الوحدة دين . وأنها قوة وان يد الله مع الجماعة . وأن نصر الله للمؤمنين وعد حق . « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، وان ندرك أن العالم بين اتجاهين . **الاول** يميل الى السير فى طريق الغوايـة ، يقوده الشيطان الرجيم . يحاول جاهدا أن يقضى على اتباع الحق بكل الوسائل . وقضية فلسـطين شاهـد عيان . **الثانى** يدعو الـى الالتزام بتعـاليم السماء . وما علـى الانسان الا أن يطرح ما طرأ من عـوج . وينبذ ما أدخل من تحريف . وأنى للانسان أن يميز وحده بين حق خالص . وحق خليط بزيف الذين حرفوا وبدلوا . كان اذن لا بد من الالتزام بكل ما جاء عن المعلم الصادق الامين . والعلم المكين المتين . اما المعلم الصادق الامين فهو حبيبنا محمد بن عبد الله صلوات الله وتسليماته عليه . وأما العلم المكين المتين فهو ما حواه القرآن الكريم من آيات وأحكام . وهذا هو السبيـل الوحيدالذى يجمعبين متطلبات الجسد ومقتضيات الروح فى الصورة المثلى . وهذا هوالسبيل الوحيدالذى به يتحقق وعد الله بالنصر للمسلمين . والله لا يخلف الميعاد . « وعد الله الـذين

آمنـوا منكم وعملوا الصالحـات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهـم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم مـن بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا » ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر مـن يشاء وهو العـزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ويروى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقاتلون اليهود حتى يختبىء أحـدهم وراء الحجـر فيقول : يا عبد الله . هذا يهـودى ورائى فاقتله » ومعنى ذلك أن الدائرة ـ لا محالة ـ دائرة عليهم . ولكن حين تتفتح القلـوب على الايمان . ويجتمع المسلمون على مائدة القرآن . ويتأسون بالنبى محمد عليه السلام . رهبانا بالليل فرسانا بالنهار . ترى فى وجـوههم نور الايمـان . وفى نفوسهم طمأنينة اليقين .

٤ ـ محور القوة الغشوم وازمة العـالم :

وفى هذا المعترك المزدحم بالتيارات المتناقضة والاعاصير المهتاجـة . ومحور القوة الغشوم (واشنطن ـ موسكو) والحضـارة الزائفـة . والمدنية الكاذبة . فقدت المبـررات الروحية . وفقدت حتى تلك الـتى تسـمى « المبـررات الاجتماعية » و « المبررات الموضوعية » واذا أردنا معرفة حقيقـة المبررات الموضوعية فاننا نذكر ما قاله المفكر الاسلامـى مالك بن نبى فى محاضرة له بعنوان « دور المسلم » قال : « نذكر علـى سبيل المثال ما كان لهم من ثقة بكلمتى العلم والحضارة . فقد كانت هـذه الثقـة هى منطلق الافكار الاوروبية فى القرن التاسع عشر . وفى بداية القرن العشريـن . خصوصا قبـل الحرب العالمية الاولى ، والصلة بين هذين الجانبين واضحة . فحينما يفقد حياة ما أو مجتمع ما مبرراته لا بد أن يقـوم بعمليات تعويض . يستبدل مبررات قديمة أو تقادمت . أو فقدت تأثيرها فى الحياة الاجتماعية كدوافع قوية للحياة الفكريـة والعمليـة والعسكرية والاقتصادية . يعوضهـا بمبررات جديدة . فاذا لم تأت عملية التعويض كما ينتظر منهـا بالمبررات الجديدة ، فما يحدث عنده ؟ تحـدث الازمة الخطيرة التى يعيشها العـالم المتحضر اليوم . فالعالم المتحضر يبدو أنه فشل فى عملية التعويض . سواء من الجانب الادبى كمحاولة الوجودية مثلا . أو مـن الجـانب السياسى كمحاولة الرجوع لاصله الاوروبى بحثا عن منطلقـات جـديدة لافكـاره ولنشـاطاتـه الاقتصاديـة . فكأنما تقطعت انفاسه ولم تعد فى متداولـه تلك الاشياء المتينة التى كان يرتكـز عليها فى القرن الماضى وبداية هـذا القرن . وعندها . فان من الطبيعى أن من لا يجد سندا فـى مسيرتـه التاريخية أن يقع فى حيـرة وتيـه وقلق . وهـذا ما يفسر لنا ما نراه اليوم من حيرة قائمة فعلا فى العقول والنفوس والارواح . فاذا ما اجتمعت هذه الاشياء فعلا فى نفس بشريـة فعندها يمكن أن نتصور ما تولده مـن دوافع سلبية . فاذا ما فقد مجتمع ما مبرراته ولم يستطع تعويضها بالطرق المشروعة فى محـاولات مبذولـة ، عندها يعتريه القلق . ويعتريـه التيه . وتعتريه الحيرة . فماذا يترتب على هـذا من تصرفات ؟ يترتب عليها التصرفات التى نراها فى أوروبـا وامريكا اليوم . يترتب على هذا مثلا : أن نجد البلد الذى حقق الضمانـات الاجتماعية الى اقصى حد مثل السويد

يتميز بشيء خطر . وهو أنه يتصدر رأس القائمة في (احصائية الانتحار العالمية) فظاهرة الانتحار في العالم يشكل فيها المكان الاول . البلد الاكثر تقدما نسبيا من حيث الضمانات الاجتماعية ... وهكذا . وهذا ان عنى شيئا فانما يعنى أن البطون اذا امتلأت لا تغنى النفوس ولا تشبعها. اذا شبعت البطون قد تبقى الارواح متعطشة . تبقى متعطلة . وحين لا تجد وجهة تتطلع اليها تفضل هذه الاستقالة من الحياة . هذا اذا ما يحدث ، وقد يحدث في بلاد أخرى أكثر من هذا في صورة ما . ويبدو أن هناك صور أخرى للاستقالة من الحياة . هي في الحقيقة أشنع من الناحية الاخلاقية . ولا أقول من الناحية الدينية . فهي أشنع ، لان كل صور خيبة الامل تتجلى فيها مع شيء من العجز حتى عن القيام بهذه المحاولة لاعدام النفس . وذلك أن هذه المحاولة تتطلب شيئا من الشجاعة . ولان الانسان فقد مروءته الى درجة الفشل حتى في التخلص من الحياة بالطرق غير المشروعة . فانه يفر منها عن طريق الموبقات . عن طريق التدهور الاخلاقي ».. هذه ي الصورة التي نستطيع تقديمها في . طوط عريضة عن الحياة في المجتمع المتحضر وعـ اى محور (واشنطن موسكو) .

٥ ــ الافلاس هو طريق البداية

ولعل الله سبحانه يريد شيئا من وراء هذا كله . كأنما هذا استدراج تسوق الاقدار فيه هذا العالم المتحضر الى طريق حيث تنتهى فيه أخطاؤ . ويثبت فيه فشله . ليفسح المجال لتجربة أخرى جديدة عليه . لم يعرفها من قبل عمليا . ولكنها في فطرته ووجدانه ، واحساسه وشعوره . انها الحقيقة التي عرفها قبل أن يخلق هذا العالم كله . انها العهد بيننا وبين الله ربنا « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون. وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) ، وانها الفطرة التي فطر الله الناس عليها « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

ولعل هذا الاستدراج الذي تسوق اليه الاقدار أشبه بالاستدراج الذي حدث بين الفرس والروم من قبل إبان بعثة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم . وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وتلك الآية مكية . وكانت في بدء الدعوة . وفي نقطة الصفر . وكانت الدعوة حينئذ في مكة لا تتعداها . وماذا تصنع مكة ــ رغم أن المؤمنين كانوا قلة ــ إزاء العالم كله . بل إزاء المشركين فيها الذين لم يسلموا بعد .؟!!! ان الآية تتحدى بحيث لو كان أناس هذا القرن العشرين يعيشون تلك الظروف بعقلانيتهم الحالية . وطرق تفكيرهم الحديث وكفى لقالوا ان الآية تتحدى. انها تتحدى امبراطوريتين . بل وتتحدى حضارتين قديمتين كبيرتين . امبراطورية وحضارة الفرس من ناحية. وامبراطورية وحضارة بيزنطة والبحر المتوسط بعامته من ناحية أخرى . ولكن ماذا حدث ؟ حدث أن تهاوت الامبراطوريتان . وسقطت الحضارتان . وهيأ الله الاسباب لقيام دعوته وانتشار دينه . وهذا

واقع نعرفه جميعا . والآن . فان سير التاريخ البشرى يستدرج العالم الى فشل تحققت مقدماته . بل وتحقق الجزء الاكبر منه . ولكن فى يد من تكون عجلة القيادة حتى يقيم عوامل البناء بعد أن أصيبت الانسانية تلك الاصابات القاتلة بمعاول الفناء ؟

٦ ــ المؤمنون خلفاء الله فى ارضه

ولا مناص اذا ما أراد العالم لنفسه سعادة وهناءة الا أن تكون عجلة القيادة فى أيدى الذين يدينون بالدين الحق الذى ارتضاه الله سبحانه لعباده دينا . « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » « أن الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » . وكانت هذه التسمية على لسان ابراهيم عليه السلام وايدتها السماء . « وجاهدوا فى الارض جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس » . وهذا الدين انتظم كل الانبياء والمرسلين « فهذا نوح يقول « وأمرت أن اكون من المسلمين » وهذا دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » وهذه وصية ابراهيم ويعقوب عليهما السلام « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » وهذا الوحى الى الحواريين « واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » وهذا هو ما دار بين عيسى عليه السلام والحواريين « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون » وهكذا انتظم الاسلام كل المرسلين فى رحابه . فليس بدعا اذن أن يكون المسلمون أولى بكل رسول من هؤلاء الذين ينتسبون زورا وبهتانا الى بعضهم وليس بدعا أيضا أن يكون المسلمون خلفاء الله فى ارضه . والحاملين للرسالة . والداعين الى الله . وعلينا أن نعتقد اعتقادا جازما يظهر أثره فى كل ما نقول ما يراه شاعر الاسلام محمد اقبال من أن المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار . ويساير الركب البشرى حيث اتجه وسار . بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية . ويفرض على البشرية اتجاهه . ويملى عليها ارادته . لانه صاحب الرسالة . وصاحب العلم اليقين . ولانه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه . فليس مقامه مقام التقليد والاتباع . ان مقامه مقام الامامة والقيادة . ومقام الارشاد والتوجيه . ومقام الآمر والناهى . واذا تنكر له الزمان . وعصاه المجتمع . وانحرف عن الجادة . لم يكن له أن يستسلم ويخضع . ويضع أوزاره . ويسالم الدهر . بل عليه أن يثور عليه . وينازله . ويظل فى صراع معه وعراك حتى يقضى الله أمره . ان الخضوع والاستكانة للاحوال القاسرة . والاوضاع القاهرة . والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والاقزام . أما المؤمن القوى فهو بنفسه قضاء الله الغالب . وقدره الذى لا يرد .

الحج فضله وفوائده

للشيخ عبد المحسن الحمد العباد

الحج عبادة من العبادات افترضها الله وجعلها احدى الدعامات الخمس التى يرتكز عليها الدين الاسلامى والتى بينها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » .

وقد حج بالناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة حجته التى رسم لأمته فيها عمليا كيفية أداء هذه الفريضة وحث على تلقى ما يصدر منه من قول وفعل فقال صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم فلعلى لا القاكم بعد عامى هذا » . فسميت حجته صلى الله عليه وسلم « حجة الوداع » .

وقد رغب صلى الله عليه وسلم أمته فى الحج وبين فضله وما أعد الله لمن حج وأحسن حجه من الثواب الجزيل فقال صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » رواه البخارى ومسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ..

وفى الصحيحين أيضا عنه رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اى العمل أفضل .. ؟ قال : ايمان بالله ورسوله .. قيل : ثم ماذا .. ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قيل : ثم ماذا .. ؟ قال : حج مبرور .

وفى صحيح مسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص رضى الله عنه عند اسلامه : « أما

علمت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله » . وروى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها انها قالت : يا رسول الله نرى الجهاد افضل العمل أفلا نجاهد .. ؟ قال : لا ولكن افضل الجهاد حج مبرور .

ويتضح من هذه الاحاديث وغيرها فضل الحج وعظم الأجر الذى أعده الله للحجاج ويتضح أن هذا الثواب العظيم انما هو لمن كان حجه مبرورا .

فما هو بر الحج الذى رتب الله عليه ذلك الثواب العظيم .. ؟

ان بر الحج أن يأتى المسلم بحجه على التمام والكمال خالصا لوجه الله وعلى وفق سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. وأن يحافظ فيه على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وامتثال الأوامر واجتناب النواهى لازم للمسلم دائما وأبدا . ولكنه يتأكد فى الازمنة والامكنة الفاضلة لأن الله خلق الخلق لعبادته وهى طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .. قال الله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .. » وقال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » .

فيكون المسلم ملازما للطاعة وبعيدا عن المعصية حين حجه وقبله وبعده ليوافيه الأجل المحتوم وهو على حالة حسنة فتكون نهايته طيبة وعاقبته حميدة كما قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » وقال تعالى : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالخواتيم » .

ومن البر فى الحج أن يحرص أثناءه على التأمل فى أسراره وعبره والوقوف على ما فيه من فوائد عاجلة وآجلة وهى كثيرة أجملها الله تعالى فى قوله : « ليشهدوا منافع لهم » . وفيما يلى اشارة الى بعض هذه الفوائد والاسرار التى تضمنتها هذه الجملة من الآية :

أولا : ان صلة المسلم ببيت الله الحرام صلة وثيقة تنشأ هذه الصلة منذ بدء انتمائه لدين الاسلام وتستمر معه ما بقيت روحه فى جسده .. فالصبى الذى يولد فى الاسلام أول ما يطرق سمعه من فرائض الاسلام أركانه الخمسة التى أحدها حج بيت الله الحرام . والكافر اذا شهد شهادة الحق لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة الشهادة التى كان بها من عداد المسلمين أول ما يوجه اليه من فرائض الاسلام بقية أركانه بعد الشهادتين وهى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام .

وأول أركان الاسلام بعد الشهادتين الصلوات الخمس التى افترضها الله على المسلمين فى كل يوم وليلة وجعل استقبال بيت الله الحرام شرطا من شروطها ، فصلة المسلم ببيت الله الحرام مستمرة فى كل يوم وليلة يستقبله مع القدرة فى كل صلاة يصليها فريضة كانت أو نافلة . كما يستقبله فى الدعاء .

وهذه الصلة الوثيقة التى حصل بها الارتباط بين قلب المسلم وبيت ربه بصفة مستمرة تدفع بالمسلم ولا بد الى الرغبة الملحة فى التوجه الى ذلك البيت العتيق ليتمتع بصره بالنظر اليه ولأداء الحج الذى افترضه الله على من استطاع السبيل اليه .

فالمسلم متى استطاع الحج بادر اليه اداء للفريضة ورغبة فى مشــاهدة البيت الذى يســــتقبله فى جميع صلواته وليشهد المنافع التى نوه الله بشأنها فى قوله « ليشهدوا منافع لهم » .

فاذا وصل المســلم الى بيت ربه رأى بعينى راسه أشرف بيت واقدس بقعــــة على وجه الارض (الكعبة المشرفة) ملتقى وجهات المسلمين فى صلاتهم فى مشارق الارض ومغاربها .. ورأى المسلمين مستديرين حول هذا البيت فى صلواتهم واصغر دائرة هى التى تلى الكعبة ثم التى تليهــا وهــكذا حتى تــكون أكبر دائرة فى أطراف الارض ، فالمســـلمون فى صلواتهم مستقبلين بيت ربهم يشكلون نقاط محيطات لدوائر صغيرة وكبيرة مركزها جميعا الكعبة المشرفة ..

ثانيا : اذا يسر الله للمسلم التوجه الى بيت ربه ووصل الى الميقات الذى وقته رســـول الله صلى الله عليه وسلم للاحرام تجرد من ثيابه ولبس ازارا على نصفه الاسفل ورداء على نصفه الاعلى مما دون رأسه وفى هذه الهيئة من اللباس يســـتوى الحجــاج لا فرق بين الغنى والفقير والرئيس والمرؤوس وتســاويهم فى ذلك يذكر بتساويهم فى لباس الأكفان بعد الموت .. فان الكل يجردون من ملابسهم ويلفون بلفائف لا فرق فيها بين الغنى والفقــير . فاذا تجــرد الحــــاج من لباسه ولبس لباس الاحرام تذكر الموت الذى به تنتهى الحياة الدنيوية وتبتدىء الحيــــاة الاخروية فاســتعد لما بعده بالاعمال الصالحة والابتعاد عن المعاصى وهذا الاستعداد هو الزاد الذى لا بد منه فى سفره الى الآخرة وهو الزاد الذى نوه الله بذكره فى قوله : « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » ولهذا لمــا ســـأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : متى الســـاعة .. ؟ قال صلى الله عليه وســـلم له : « وماذا أعددت لها .. ؟ » منبهــا بذلك صلوات الله وسلامه عليه الى أن اهم شيء للمسلم أن يكون معنيا بما بعد الموت مستعدا له فى جميع احواله بفعل المأمورات واجتنـــاب المنهيات ..

ثالثا : اذا دخل المسلم فى النسك لبى بالتوحيد قائلا كما قال صلى الله عليه وسلم فى تلبيته : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. يقولها وهو مستشعر لما دلت عليه من إفراد الله بالعبادة وانه وحده الذى يخص بها دون ما سواه فكما أنه سبحانه وتعـــالى المتفرد بالخلق والايجاد فهو الذى يجب أن تفرد له العبادة دون غيره كائنا من كان ، وصرف شيء منها لغير الله هو أظلم الظلم وأبطل البــاطل . وهذه الكلمة يقولها المسلم اجابة لدعوة الله عباده لحج بيته الحرام . فيستشعر المسلم عظمة الداعى وعظم أهمية المدعو اليه فيســـعى فى الاتيان بما دعى اليه على الوجه الذى يرضى ربه تعالى مع استيقانه بأن المدار فى هذه العبادة وغيرها من العبــادات على الاخلاص لله كمــا دلت عليه كلمة التوحيد التى تضــمنتها هذه التلبية وعلى المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرشد الى ذلك صلى الله عليه وسلم فى حجته حيث قال : « خذوا عنى مناسككم » .

رابعا : واذا وصل المســـلم الى الكعبة المشرفة شاهد عبادة الطواف حولها وهى عبادة لا تجوز فى الشريعة الاســـلامية الا فى هذا المكان وكل

طواف فى غير ذلك المكان انما هو من تشريع الشيطان ويدخل فاعله فى جملة من عناهم الله بقوله : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » .

ويشاهد أيضا تقبيل الحجر الاسود واستلامه واستلام الركن اليمانى ولم تأت الشريعة بتقبيل أو استلام شيء من الاحجار والبنيان الا فى هذين الموضعين ، ولما قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه الحجر الاسود بين أنه فعل ذلك متبعا للرسول صلى الله عليه وسلم فى تقبيله اياه وقال : « ولولا أنى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » .

خامسا : ويشهد الحاج فى حجه أعظم تجمع اسلامى وذلك فى يوم عرفة ، فى عرفة اذ يقف الحجاج جميعا فيها ملبين مبتهلين الى الله يسألونه من خير الدنيا والآخرة .

وهذا الاجتماع الكبير يذكر المسلم بالموقف الاكبر يوم القيامة الذى يلتقى فيه الأولون والآخرون ينتظرون فصل القضاء ليصيروا الى منازلهم حسب أعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر . فيشفع لهم جميعا الى الله عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليقضى بينهم فيشفعه الله . وذلك هو المقام المحمود الذى يحمده عليه الأولون والآخرون وهى الشفاعة العظمى التى يختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيها ملك مقرب ولا نبى مرسل .

وفى هذا التجمع الاسلامى الكبير فى عرفة وكذا فى بقية المشاعر يلتقى المسلمون فى مشارق الارض بالمسلمين فى مغاربها فيتعارفون ويتناصحون ويتعرف بعضهم على أحوال بعض فيتشاركون فى الافراح والمسرات كما يشارك بعضهم بعضا فى آلامه ويرشده الى ما ينبغى له فعله ويتعاونون جميعا على البر والتقوى كما أمرهم الله سبحانه بذلك ..

سادسا : ويشهد الحاج مظهرا عجيبا من مظاهر التعاون اذ يرى أرض منى كلها مغطاة بالخيام فلا يكاد يمضي يوم النفر الأول الا وقد عادت كما كانت تقريبا وذلك لقيام كل بما يخصه . فاذا قام كل مسلم بما يقدر عليه فى خدمة الاسلام وتعاونوا على ذلك فان المجهودات الفردية وان قلت تكون كثيرة بضم بعضها الى بعض ..

وهذه الفوائد القليلة التى أشرت اليها اشارة هى من جملة المنافع الكثيرة التى أجمل ذكرها فى قوله تعالى « ليشهدوا منافع لهم » . وان أعظم فائدة للمسلم بعد انهاء حجه أن يكون حجه مقبولا وأن يكون بعده خيرا منه قبله وأن يحدث ذلك تحولا فى سلوكه وأعماله فيتحول من السيىء الى الحسن ومن الحسن الى الاحسن ..

والله المسؤول أن يوفق المسلمين جميعا للفقه فى دينه والثبات عليه وأن يمكن لهم فى الارض وينصرهم على عدوه وعدوهم انه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

كتاب الشهر

المناسك وأماكن طرق الحج

للامام ابى اسحق الحربى — تحقيق : الشيخ حمد الجاسر
عرض وتحليل : عبد العزيز جادو

لقد كنت احسب — كما يحسب غيرى من قراء الضاد فى أرجاء العالم العربى كله — أن استاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر عالم محقق فحسب ، الى أن اكتشفت أن لهذا العالم الجليل مواهب عقلية نادرة تجعلنا نعده ايضا عالما من علماء الآثار ، وعلما شامخا من أعلامها المجيدين ، ورائدا من روادها القلائل . فهو — كما أرى — قد آلى على نفسه الا يدخر وسعا فى العمل بجد وامانة وبكل حزم وثبات على الكشف عن المجهول والتنقيب فى المناطق الاثرية العلمية عن الآثار النفيسة المخبوءة فى أية بقعة من البقاع ، وفى أى ركن من أرجاء المعمورة . وهو اذ يمارس هذا العمل الشاق انما يمارسه بفطنة العالم ببواطنه وخوافيه ، وبقدرة المتمكن من نفسه ومن عمله، والمقتدر على مواجهة كل ما يحيط بهذا العمل من صعاب . ثم هو بعد ذلك له حاسة مميزة يندر أن تتوفر لسواه من العلماء فى استكشاف تلك الآثار الثمينة القمينة بالفخر والاعجاب مما لا يمكن أن تقع عليها من قبل الا عين بصيرة فاحصة كالتى ينماز بها استاذنا الكبير .

اما الآثار التى كشف لنا عنها شيخنا الجاسر حتى الآن فهى بالحق كنوز مليئة باللآلىء والدرر الغوالى . ثم هو — كما هى شيمته دائما — لا يستأثر بالكنز لنفسه ، ولكنه بعد أن تقع عليه عينه الفاحصة ، ويستقر بين يديه الماهرتين ، يأخذ فى تنفيذه وترتيبه وازالة ما قد يكون عالقا به من غواش . ويظل يتعهده بعنايته الفائقة الى أن يضع عليه لمساته الاخيرة ويغدو عملا منسقا كاملا فيضعه بين يدى مقدريه فى تواضع

جبل عليه . وكان ذلك عليه هينا لأنه اتخذ العلم عدته والبحث مطيته .

واليوم يقدم لنا عالمنا الأثرى كنزا ثمينا من الكنوز القديمة التى عثر عليها وحققها ، يرجع اثره الى أوائل القرن الثالث الهجرى . فهو للامام أبى اسحاق الحربى عن (المناسك) وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .

والامام الحربى هذا هو العالم الجليل ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم ابو اسحق الحربى ، (١٩٨ — ٢٨٥ هـ) ، من أعلام العلم والثقافة فى القرن الثالث الهجرى، كان جديرا بأن تدرس حياته دراسة وافية ، لعمق تأثيره فى كثير من جوانب الحياة ، فى ذلك العصر ، دينية كانت أو لغوية أو جغرافية . ولد ببغداد واتجه لطلب العلم فى سن مبكرة قبل العاشرة . ومعروف أن المرء فى ذلك العهد يبدأ أول ما يبدأ فى الدراسة بتعلم القراءة والكتابة ، حتى يبلغ درجة تمكنه من مجالسة علماء الحديث للاخذ عنهم . وفى الثامنة عشرة من عمره بلغ فى علم الحديث درجة لا يبلغها الا من تمكن فيه بعد طول دراسة ومواصلة .

وفضلا عن الصلة التى تربط بين الامام ابن حنبل وبين الامام الحربى من انهما ينتميان فى الاصل الى بلدة واحدة هى (مرو) فان نشاط الحربى ، وعلو همته ، ورغبته فى تحصيل علم الحديث جعله يتصل بالامام أحمد بن حنبل بعد أن تلقى ذلك العلم على صغار الشيوخ ، فكان له ما أراد .

وقد لازم الحربى الامام ابن حنبل من الثالثة والعشرين الى الثالثة والاربعين فى طلب علم الحديث .. وعلى هذا يمكن القول بأن الحربى قد تأثر أبلغ الاثر فى أفكاره وآرائه بشيخه الامام ابن حنبل ، وهذا ما يجده الباحث واضحا فيما أثر للحربى من آراء وأفكار مما طفحت به مؤلفاته وخاصة ما يتعلق منها بالحديث . حتى لقد قيل فيه : « ما أخرجت بغداد بعد الامام احمد ابن حنبل مثل الامام الحربى » .

وكان أبرز جانب نراه فى حياة الحربى العلمية بعد الحديث ، هو اتجاهه الى اللغة العربية دراسة وتأليفا . ولهذا فاننا نرى من أبرز آثاره كتاب (غريب الحديث) ، وهو كتاب يدل على سعة اطلاع وطول معاناة بموضوعه ، ومحاولة ايجاد طريقة لتدوين المفردات اللغوية وجمعها .

ولقد سار فى كتابة اللغة متأثرا بطريقة المحدثين ، وكأنه اتخذ دراسة اللغة وسيلة لخدمة الحديث وما يتصل به .

وكانت أبرز سمة من سمات حياة الحربى الخاصة اعتزازه بكرامته ، وترفعه بها من أن تنال . انه يدرك أن العالم يجب أن يسمو بنفسه عن كل ما قد يمس جانب العلم ، أو يحط بقيمته . وكان رضى النفس كريمها ، بينما كان بعض علماء عصره يتخذون من العلم وسيلة لبعض متطلبات الحياة ، كان هو يترفع عن ذلك .

ومع عدم عناية الحربى بمظهره الخارجى من حيث اللباس الا أنه كان يحرص على أن يظهر بمظهر الكمال من حيث الصفات الفاضلة .

وكان يحب التباعد عن كل رجال الدولة ، مع شدة اقبال كثير من علماء عصره عليهم ، بل على تملقهم وحرصهم على نيل رضاهم ، وكان مع هذا على جانب كبير من التواضع .

ويدل اتجاهه فى التأليف الى نواح خاصة ، على نبله وكرم خلاله ، فهو يؤلف عن اكرام الضيف ، وعن ذم الغيبة ، وعن

الهدية والسنة فيها ، وعن الحمام (بتشديد الميم) وآدابه .
ولقد ضاعت جل مؤلفاته ، ولم يبق الا اليسير منها مما نجد ذكره مفرقا فيما وصل الينا من المؤلفات التى وصفها الخطيب بأنها كثيرة(١) ومنها :

١ — كتاب (اتباع الاموات) .
٢ — كتاب (الادب) .
٣ — كتاب (اكرام الضيف) .
٤ — كتاب (التفسير) .
٥ — كتاب (التيمم) .
٦ — كتاب (دلائل النبوة) .
٧ — الحمام وآدابه .
٨ — ذم الغيبة .
٩ — سجود القرآن .
١٠ — كتاب (السروى) .
١١ — كتاب (العلل) .
١٢ — غريب الحديث .
١٣ — القضاة والشهود .
١٤ — كتاب (المغازى) .
١٥ — كتاب (مناسك الحج) .
١٦ — كتاب (النهى عن الكذب)
١٧ — كتاب (الهدايا والسنة فيها) .

ولقد ترجم للامام الحربى كثير من المؤرخين منهم :

١ — علي بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، ترجمه فى كتابه (مروج الذهب) .
٢ — محمد بن أسحق بن النديم من أهل القرن الرابع الهجرى ، ترجم الحربى فى (الفهرست) .
٣ — الخطيب البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه (تاريخ بغداد) .
٤ — القاضي أبو الحسين محمد بن خلف الفراء الحنبلي المتوفى سنة ٥٢٦ هـ فى كتابه (طبقات الحنابلة)
٥ — ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ترجمه فى كتاب (معجم الادباء)
٦ — ابن القفطى على بن يوسف المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ترجمه فى (أنباء الرواة) .
٧ — الامام محمد بن أحمد الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ترجمه فى كتبه : (سير أعلام النبلاء) و (تاريخ الاسلام) و (طبقات الحفاظ) .

ومما جاء فى كتاب (مروج الذهب) عن الحربى : « .. وكان مع ما وصفنا من زهده وعبادته ضاحك السن ، ظريف الطبع ، سلس القياد ، لم يكن معه تكبر ولا تجبر ، وربما مزح مع بعض أصدقائه بما يستحى منه ويستقبح من غيره ، وكان شيخ البغداديين فى وقته ، وظريفهم » .

وبالجملة فان المتتبع لما ذكره المؤرخون عن هذا الامام الجليل يجد ما يثير فى نفسه الاعجاب والتقدير لهذا العالم فى جميع جوانب حياته، مما لا يتسع المجال للاسترسال فيه .

ذلكم هو الامام أبو أسحق الحربى صاحب الاثر الذى نحن بصدده . أما الاثر نفسه الذى تركه لنا منذ قرون، وكاد أن يندثر وتأتى عليه يد البلى لولا أن وقع عليه أستاذنا الجاسر فأنقذه من الضياع فهو كتاب (المناسك) وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .

وهذا الكتاب الذى نقدمه للقراء يعد من انفس الكتب التى تعنى بتحديد مواضع الجزيرة ، وهو من الآثار المفيدة التى تضيف الى ثقافتنا الجغرافية أشياء نافعة حقا . ولها فى تراثنا العلمى العربى قيمة علمية كبيرة جدا . أما الميزات التى يمتاز بها هذا الكتاب الضخم الفخم الذى يبلغ عدد صفحاته ٨٢٤ صفحة من الحجم الكبير — فهى كثيرة ، أهمها :

١ — انه أثر ترجع نصوصه كلها

الى القرن الثالث الهجرى فما قبله عن علماء ورواة ذوى خبرة ومعرفة بما يتحدثون عنه . ومن هذا فانه يعتبر من أصول الدراسات القديمة فى تحديد المواضع وفى مختلف النواحى الثقافيةالتى طرقها الكتاب .

٢ — وفى الكتاب تصحيح لمعلومات خاطئة ، واكمال لاخرى ناقصة .

٣ — يوضح لنا هذا الكتابأصول اقوال وردت الينا فى بعض المؤلفات بدون ذكر أصحابها .

٤ — ويورد معلومات أخرى وصلت الينا من كتب نظنها سبقت الى ذكرها ، فيوردها بطريقة أخرى تؤيد تلك النصوص ، كما نرى ذلك فيما أورده متعلقا بتاريخ الآثار المقدسة بمكة .

٥ — وفى الكتاب نصوص مطولة ، من كتب مفقودة مثل كتاب (تاريخ المدينة) ليحيى بن الحسين العلوى الذى لم نعرفه الا بواسطة السمهودى مؤرخ المدينة المتأخر .

٦ — أما النصوص الادبية الشعرية ، فيوشك أن يكون هذا الكتاب هو الوحيد فى جمع ما قيل من الاراجيز . فهو يمدنا بذخيرة طيبة من الاراجيز الطويلة الكاملة فى تحديد طرق الحج من العراقالى المدينتين المقدستين ، وهى أراجيز ذات قيمة كبيرة اذ أنها تحدد المنازل، منزلة منزلة ، بحسب سير موكب الحج فى ذلك العهد ، وتصف كثيرا من الاماكن وصفا دقيقا مما يزيد من قيمتها اللغوية والادبية .

وليس المقام مقام دراسة لمحتويات الكتاب ، وانما المقصود الاشارة الى أهميته اشارة نرجو أن يكون من ورائها ما يحفز الباحثين الى دراسته من مختلف نواحيه . لاسيما وقد بذل أستاذنا العلامة الشيخ الجاسر فى تحقيق هذا الأثر العظيم — الذى يتمثل فى مخطوطة فريدة مشحونة بالتصحيف والتحريف — جهودا يقصر دونها كل اطراء ولا يبلغ شكرها أى ثناء . فلقد سلك فى التحقيق طريقا قويما ، وبنى عمله فى الكتاب على أسس موضوعية متوخيا عدة أمور منها :

١ — تقويم الاصل ما أمكن بالرجوع الى المصادر التى لها صلة بكل بحث من بحوثه ، مع الاشارة الى تلك المصادر .

٢ — اضافة تعليقات موجزة لبيان بعض الامكنة والمواضع ، وبعض الاعلام .

٣ — تقويم عبارة الكتاب عند التحقيق من تحريفها مع الاشارة الى ذلك فى الهامش .

٤ — ترتيب الكتاب بحيث يفيد منه طلاب التاريخ والعلم والادب أعظم فائدة .

وفى ختام هذا التحليل الموجز لكتاب (المناسك) ، لا يسعنى الا أن أسدى الشكر وافرا وجزيلا لصديقى الاستاذ الجليل الشيخ الجاسر على ما بذل من جهد صادق فى سبيل تحقيق هذا الاثر الفخم ، حتى جاء على هذه الصورة البالغة حد الكمال والجودة وحسن الترتيب وروعة الاخراج . وعلى ما تفضل به علينا من زاد أدبى وعلمى ، داعيا له بطول العمر مع الصحة والعافية وراحة البال .

---

(١) كتاب (تاريخ بغداد) الجزء السادس ص ٢٨ .



للأستاذ : محمد لبيب البــوهى

فى نهاية أيام الصيف .. فى يوم اشتد لهيبه — كنت جالسا بمقهى مواجه للبحر بالاسكندرية قبيـــل الغروب — وسبحت نظراتى مع الماء رويدا رويدا حتى استقرت هناك بعيدا عند مشارف الافق .. وكان قرص الشمس الدامى .. المثخن بالجراح مما عانى طوال النهار من معركة الحياة يستعد ليغيب هنـــاك وراء البحر .. وكان يشحب قليلا قليلا كأنما يراود النوم جفونه لينعم بنـــوم هادىء بعد نهار بئيس .. وبينما أنا فيما يشبه الغفوة .. أو قل على أبواب سنة من نعاس .. اذا بى أراه فجأة جالسا الى جوارى فى المقعد الملاصق ، ولم أكن قد رأيته حين أقبل ولم أعرف كيف دخل وقعد .. وكعادته فى أن يمد للناس خيطا يمسكهم به قال كالمتحدث الى نفسه وكأنه يعنينى : ما أشد ما ينصرف الناس عن مباهج الروح .. هناك لحظات نادرة ، يمكن أن تسميها لحظـــات التنوير أو لحظات الاشراق تغسل هموم النفس وتجدد نشاطها ، أننى أعنى لحظات التأمل .. ذلك أنها من لحظات الوجود الحقيقى .. ان الانسان قد يعرف فيها نفسه .. أعنى يكتشفها فما أكثر ما يجهل الناس حقيقة أنفسهم ، وكأنهم يعيشون معها فى غربة .

ثم ارتفع صوته كأنما ليشدني اليه وينبهني وهو يقول :
يجب أن ننتزع أنفسنا من التوافه — هذا هو طريق ارتفاع النفس — ولو الى لحظات — فوق الخضم الزاخر من الأهواء .. وبعد ذلك تعود النفس نشطة كأنها قد اغتسلت فى بحـر النـور .
وأعجبني كلامه — فهو يتقن دائما هذا النوع من نصب الفخاخ فنظـرت تلقاءه .. وكان يخفي وجهه عني قليلا — متجنبا أن انظر فى عينيه — مـرآة الحقيقة التي قد نقرأ فيهما أسرار الاعماق . وكان يدخن نوعا عجيبا نادرا من الطباق . فلما رآني اتابع حلقات الدخان — تبسم ضاحكا ، وانحنى فى أدب وقـدم علبتـه .
قلت : شكرا — انني لا ادخن — ..
قال : وهو يطوي علبته : حسنا فعلت ، فان التدخين من اعجب وارذل العادات .. ان الذى يمارس هذه العادة يود لو يبذل الكثير لينجو من مخالبها — والذى لم يمارسها بعد قد تبدو له ذات بريق جذاب .
ورآني أعود الى متابعة قرص الشمس الذي يوشك ان يتـوارى فى الاعماق فقال : سـيدي انني معجب بك . انك تمنح هذه الصورة من الجمال بعض حقها .
قلت فى شيء من المباهاة وبسرعة خجلت بعد ذلك من اندفاعى فيها : أحب كل صور الجمال .
قال صدقت ان الامر كذلك تماما .. ان للجمال صورا شتى ولكن اعظم صورة فيما ارى قد تجسد فى تكوين المرأة ان النظر الى جمالها المتجرد على الشاطيء عبادة .
فضحكت بدوري وقلت : عرفتك من اسلوبك يا لئيم ، انك تحسن تقديم العسل الذى تصنعه بيديك بعد أن تدس فيه ما تشاء . وما كان حـديثك عن لحظات التنوير وغسيل النفس فى بحر النور غير استدراج .. آه .. آه .. ويل للذين لا يعرفون اساليبك ..
فقال : سيدى انني لم اسع اليك — انك انت الذى جئت الى الشاطيء — حيث تمرح الجميلات .. انك اذن فى دائرة نفوذى أعني بعض حقول تجاربى — انني ولى الامر هنـا .
قلت : ولماذا تخصني بالذات فى مثل هذه الساعة ؟ لماذا لم تذهب الى غيرى — انظـر — هناك عشرات من الآخرين ..
قال : عفـوا .. انني لم أخصك أنت بشيء — انك اذ تحسبني معك أنت وحدك .. اذا بي فى ذات اللحظة مع كثير من هؤلاء ، انني كالمرآة الكبـيرة تنعكس عليها عشرات او مئات الصور فى لحظة واحدة . انها تستوعب كل ما يمر في طريقها .. دون أن تخص أحدا — انها تتسع لتشمل صور الدواب . وهوام الارض .. والسيارات .. وسابحات الجو .. وباعـة البطيخ .. والمتماركين .. والشامخين بأنوفهم تيها ، والمعجبون بما أرسلوا فى شعورهم من سوالف .. والفاتنات .. المرآة تعكس فى لحظة واحدة كل هؤلاء ، انني معك أيها السيد المفضال ومعهم أيضا فى التو واللحظة .
قلت : ليكن الامر كما تقول .. ولكن ألا تستطيع ان تدعني وشأني أيها ..
فضحك حتى كاد يستلقي ثم قال : كنت تريد أن تقـول أيها السيد — ولكنك استدركت .. حسنا فعلت .. انني أعرف نفسي .. ومعرفة النفس نصـف القضية على الاقل — هل تدرك انني أعجب بالذين يحاولون أن يكتشفوا بعض

اساليبي .. لقد قرأت ما كتبته عني بما اسميته حوارا مع ابليس .. لقد كان فيه بعض ما يشد انتباهي .. انني لا أخشى أن يكشف عن بعض وجـوهي النقاب .. فان لي آلاف الآلاف من ملايين الوجوه ..

قلت شامتا : ولكنني أرى انني استطعت أن انفذ الى بعض اسرارك ..

فاعتدل في جلسته وقال في هدوء عجيب : يا سيدي .. واسمح لي ان أدعوك بسيدي على الرغم من انك نعتني بأشد الصفات . انني لا أخشى الكلام كثيرا .. ان العشرات من محطات الاذاعة تذيع آناء الليل وأطراف النهار على أمواج الاثير الوانا من المواعظ — وتشيد بالجهاد — وتذكر الناس بفضائله وتصب اللعنات على ابليس .. ومع هذا يزداد عدد العملاء الذين يطـرقون بابي بحثا عني .. ان اكثر ما يقال يمر بجوار آذان صماء انني لا اخشى الكلام كثـيرا ..

وارتفع صوته قويا مجلجلا .. حتى لكأنه ينبعث من مكبرات للصـوت تلقف صوته وتكبره اضعافا مضاعفة .. وهو يردد شامتا بقوله فيه مزيج من الاسى والحيرة : لقد ذهب اولئك الذين كنت اخشاهم : لم تكن هناك كتب .. ولا اذاعات .. ولا كلمات مطبوعة .. وكان الواحد منهم يسافر الى بعيـد ليبحث عن كلمة .. أو حكمة .. أو تأويل .. ثم يتخذ من الحكمة التي يصل اليها دستورا عمليا لحياته ..

نعم كان هؤلاء أعدى أعدائي — ولكنني حين أمر بذرات التراب في قبورهم المضيئة انحني اجلالا وتقديرا ..

قلت : انك تريد ان تستدرجني الى مودتك بمثل هذا الادعاء ، فما اكثر ما تذكر الحقائق التي تريد بها باطلا .. انه كما ان لك ملايين الملايين من الوجوه .. فانه يبدو انك تملك مثل هذا العدد من الاساليب .. انني أحاول أن أفهمك ولعل ذلك من أسرار صبري على حواري .. انك قد تجلس الى العالم كأنك تلميذ يتعلم .. وقد تصاحب التافه الثرثار وتبدو بين يديه متخشعا لتلبسه لباس الغرور المهلك ..

قال في غير مداراة : نعم .. ان شباكي كثيرة الخيوط .. هنـاك من اشدهم بخيط مثل خيط العنكبوت .. وهناك من أعد لهم حبلا غليظا من صلب كذلك الذي تشد اليه ماخرات البحار .. وهناك من يشتد بهم الاسى والحزن حين لا أمد لهم يدا ..

وكان الى جوارنا اثنان يتحدثان .. وكان أحدهما يبالغ في تزكية نفسه . انه وحده الذي فعل كذا .. انه وحده الذي يستطيع ان يأمر .. انه وحده ..

وكان الملعون ينصت اليه باسـما .. قلت : انه أحد زبائنك ولا ريب .. لقد زينت له ما يثرثر به .. ترى هل تظل صديقا له الى مدى طويل .. ؟ قال : لا .. ان الحقائق لاتتوارى دائما .. انني اشجعه وأمد اليه يدي الى حـين ثم انتقم منه واكشفه .. وأدعه بعد ذلك عريانا ..

قلت : وعندئذ سوف تشعر بسعادة الانتقام ..

فتجهم وجهه حتى أصبح في مثل لون الفحم ثم اجاب : لا تتحدث معي عن السعادة .. ان السعادة شيء كان ثم ضاع .. لقد اثار حديثك هذا شجونا دفينة .. لو تغير وجه الامر .. لسعدت أنا وسعدتم انتم .. انني أوسوس .. ولكن كم يطيب لي أن تذهب وساوسي هباء .. انني عند ذلك قـد اتخفف وقد استطيع ان أمد عين الامل الى أبواب الرحمة .

قلت : اذن فهناك شيء تخشاه منا .. لقد قلت انك لا تخشى اكثر الكلام

الذى يقال .. فما الذى يخيفك اذن .. ؟ ما الذى يجعل كيدك يبدو ضعيفا ..؟ العقيـــدة .. !!

وكنت أظن اننى قد وصلت الى لب اسراره حين رأيته يمعن مفكرا ثـــم يقول : وا أسفاه .. حتى العقيدة وحدها لا تكفى للوقوف طويلا فى سبيلى .. ان أخشى ما أخشـــاه .. بل واحيانا يخيل لى اننى اتمناه لأنهى مهمتى هى الارادة ..

ما أشـــد خيبتى وضـــياعى أمام العقيدة المسلحة بالارادة .. ان الارادة الصادقة هى التى شرب منها أولو العزم اولئك الذين يخيل الى أحيانا أن معدنهم قـــد ندر .. انه لكى انجـــو أو أحاول التماس طريق النجاة .. لا بد ان يتحرك شىء ما فى أعماق نفوس البشر .. أن تتحرك تلك المضغة التى فى الصدور .. ان ذرة واحدة من عزيمة صادقة هى خير لكم من الف كتاب .. ان مـــــلايين السكارى الذين تتخبطهم الخمر .. والوف الالوف من العصاة .. والزناة .. والشاردين عن حقول الجماعة .. وغير هؤلاء يريدون أن يتوبوا .. ولكن لا أحد يستمسك بالحبل المتين الممدود لكم ..

ان الذين تذوب ثرواتهم أمام مفاتن الغوانى يريدون ان يعودوا ولكنهم يستمرون فى نفس الطريق .. ان أحدا ممن ذكرت ليس فى حاجة الى المزيد من الكلمات ما لم تتفتح تلك المضغة التى فى الصدور .. ان شيئا ما يجب أن يتحرك من الداخل .. أعنى داخل النفس ..

هل سمعت عن الابرة الذهبية ؟ .. انهم فى الصين استطاعوا ان يدفعوا بسن الابرة الى أماكن ذى حساسية فى الجسد فتصح الابدان .. ان القلوب فى حاجة الى هذه الابرة .. ان مجرد المعرفة لا يكفى .. فأنت ترانى أعرف اكثر مما تعرفون ..

قلت : وانك تعنى ان سن الابرة التى تحرك الاعماق هى الارادة .. ؟

قال نعم : انها حين تمس القلب ينهض عملاقا قويا .. وتكفيه أقـــل المواعظ .. ان الكلمات تصبح فى هذا الوقت كأنها مصابيح على جنبـــات الطريق .. ان آية واحدة قد تكفيكم .. انظر مثلا الى قول الحق (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) . لو نفذتم هذه الآية وحدها لاستطعتم أن تهدموا نصف مملكتى .. لو اتخذتموها شعارا عمليا .. لو صارت دستورا لاهل الارض . لتحولت الوف الملايين التى تصرف فى الازياء التى لا تلبس فى البيوت .. وانما أنسجها لكم لتكون معارض للطرقات .. هذه الكنوز تستطيع ان تنقذ وتعلم الملايين من أهل الارض .. ولاكتسبتم ما هو أعظم من ذلك .. العفة .. وهدوء النفس .. لو نفذتم هذه الآية وحدها لاستطعتم أيضا ان تغضوا على كثير من مفاسد الجنس والجريمة التى تشع من اكثر ما تصورون وتذيعون فى مسارحكم والملاهى .. لو غض الناس ابصارهم لاستيقظت الطاقات الكامنة الخلاقة اننى لا أخشى الكلام .. بل اخشى العمل المسلح بالعقيدة والارادة .. ولكن هيهات .. يبدو اننى مطمئن من هذه الناحية .. لذلك لا أجد حرجا فى التصريح .. وتمطى ضاحكا فى سخرية ..

لم أستطع أن أجيب فسكت عن الكلام هنيهة .. فانفجر ضاحكا ليقـــول : انك قـــد تعجب حين تتصورنى واعظا .. اننى لا آتى بجديد .. انه يطيب لى

ان اثير فى نفسك روح الاسى والحسرة لانك تعلم ان هذا حق ولكنكم لسبب لا ادريه تتجنبونه .. اننى لا اخشى هذا الكلام .. لانكم تعرفونه .. ان الذين يتخبطون فى الظلمات لن يفيدهم أن تشرح لهم أوصاف الاماكن التى لا يرونها ان كل ما هم فى حاجة اليه قد يكون عود ثقاب .. ثم جرعة من ارادة ..

وانه ليبدو جليا انكم لن تفعلوا .. ولذلك أتلذذ بأن أتجرع نشوى الشماتة .. ما اشد غباء صاحب الكنز الذى يدعه مغلقا ثم يذهب ليستجدى فى الطرقات .. اننى المقعد الذى يركب الاعمى ويقوده . .ولن تستغنوا عنى .. ولذلك احاول أن ارضيك ببعض الكلام .. اننى أريد ان أكون صديقا لك .. ومن اجل هذا اكشف لك عن بعض ما تحب أن تعلم ، عسى أن تطمئن الى مودتى وتسلمنى يدك .. ولن أخشى بعد ذلك أن تكون قد عرفت بعض اسرارى .. فان نبعى من بحار الفتن لا يغيض ..

* * *

وصمت اللعين .. وراح ينظر عن يمين وشمال .. لقد زاغت منه الابصار .. ثم تبسم حين رأى شابا يهبط من سيارته .. وتمهل ثم قال كالمتحدث الى نفسه مخافتا : نعم ستجدنى الى جوارك على الفور .. قلت : ابك شىء من خبال ..؟ هل تتحدث الى نفسك .. ؟ قال : انما اتحدث الى هذا الذى جاء اننى لا أعرفه .. ولكنه سوف يكون من أعظم عملائى .. قلت : وما دمت لم تعرفه فكيف تنبأت له بهذا المصير .. ؟

قال : اننى أعرفهم بسيماهم .. الا ترى ان كل انسان يشغله ما يهمه .؟ انك حين تقرأ كتابا تعرف صاحبه من أسلوبه ولو لم تره .. والفنيون حين يرون رسما يدركون على الفور من يكون راسمه .. اننى اعرف أصحابى .. أعرفهم واميزهم من بين الملايين .. ان بينى وبينهم تجاوبا قلبيا أسود هناك اشعة سوداء تربطنى بهم ..

قلت : أرى أنك تريد أن تذهب لترحب به .. ؟

فتبسم وقال : سوف أرحب به تماما .. ولكنه سوف يرى منى بعد ذلك الويل والثبور .. سوف يلعن هذه الساعة .. ولسوف يبكى دما ، ولن ينفعه النوح والعويل ..

فتحت عينى وانا أردد : لا حول ولا قوة الا بالله .. واذا بى أفيق من هذه السنة التى أخذتنى من النعاس ورحت أصيح فى نفسى .. وكأننى أقذفه بكلمات الغيظ المحمومة من خلفه .. وكأننى ما زلت أراه : أيها الملعون .. انك تدعونى الى وليمة من عالم الفكر الاسود .. انك تنصب لى فخاخا عقلية فأنت تدرك أننى أهوى التفكير .. فأنت تدعونى اليه بأسلوبك التجريبى الذى تعلمته فى عالم الظلمات .. وتصيح صيحات المنكبوت حين يدعو الى بيته ذبابة .. كى يفترسها ..

الفتاوى

في الحج

هل يجوز لي ان اشد على وسطي وانا محرم حزاما أضع فيه نقودي ؟

الاجابة :

قال ابن عباس : يجوز لك أن تشد على وسطك وانت محرم ما يسميه الناس الآن بالكمر وفيه جيوب لوضع النقود وما تحتاج اليه فيها ؟

الحج عن الغير

مرضت مرضا شديدا منعني من الحج بنفسي ، وطال المرض ، وقال الأطباء انه مزمن ولا يرجى برؤه ، فأنبت رجلا حج عني ثم تفضل الله علي بالشفاء واستطيع الحج الآن ، فهل سقط فرض الحج عني أم تلزمني الا عادة ؟

الاجابة :

اذا عوفي المريض بعد ان حج عنه نائبه فانه يسقط الفرض عنه ، ولا تلزمه الا عادة لئلا تفضي الى ايجاب حجتين ، وهذا مذهب الامام احمد ، وقال الجمهور : لا تجزئه حجة النيابة لأنه تبين انه لم يكن ميئوسا منه وان العبرة بالانتهاء .
واذا أردت أن تحج مرة ثانية تطوعا كان افضل .

ادعية الطواف

ما هي الأدعية المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطواف وهل كل ما يدعو به المطوفون وارد عن الرسول الكريم ؟

الاجابة :

يستحب للطائف ان يكثر من الذكر والدعاء ، ويتخير منها ما ينشرح به صدره دون أن يتقيد بشيء مما يردده المطوفون ، ولم يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادعية مروية منها :

١ ـ عند استقبال الحجر الأسود : ((اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك . بسم الله والله اكبر)) .

٢ ــ وعند الشروع في الطواف : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله .
٣ ــ وعند الركن اليمانى « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنــة وقنا عذاب النار » .
٤ ــ وفى الطواف عند كل شوط رب اغفر وارحم واعف عما تعــلم وانت الأعز الأكرم .
ولا بأس بقراءة القرآن اثناء الطواف .

صلاة السنة اثناء الاقامـــة

دخلت المسجد والمؤذن يقيم لصلاة العشاء ، فكبرت وصليت ركعتين سنة العشاء القبلية ، ثم لما فرغت أحرمت بالعشاء وراء الامام وبعد الفراغ من الفرض نبهنى احد المصلين الى أن التطوع بعد الاقامة للصلاة غير جائز فهل هذا صحيح ؟

الاجابــة :

اذا اقيمت الصلاة كره الاشتغال بالتطوع ، فعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة ، وفى رواية « الا التى اقيمت » رواه احمد ومسلم واصحا بالسنن ، وروى ان رجلا دخل المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الغداة ــ الصبح ــ فصلى ركعتين في جانب المسجد ، ثم دخل مع رسول الله ، فلما صلى رسول الله قال « يا فلان بأى الصلاتين أعتددت بصلاتك وحدك ام بصلاتك معنا » رواه مسلم وابو داود والنسائى ، وفي انكار الرسول صلى الله عليه وسلم مع عــدم امــره باعادة ما صلى دليل على صحة الصلاة وان كانت مكروهة .
ومن هذا يتبين أن صلاة السنة اثناء الاقامة او بعدها صحيحة وان كانت مكروهــة .

موضع وضع اليدين

المصلى يضع يده اليمنى فوق اليسرى اثناء قيامه فى الصلاة ، ولكن فى أى مكان يضعهما . ؟

الاجابــة :

قال الترمذى : ان اهل العلم من اصحاب النبى صلى الله عليــه وسلم والتابعين ومن بعدهم يرون أن يضع الرجل يمينه على شماله فى الصلاة ، ورأى بعضهم أن يضعهما فوق السرة ، ورأى بعضهم ان يضعهما تحت السرة ، ووردت روايات تفيد انه صلى الله عليه وسلم كان يضع يديه على صدره فعن هلب الطائى قال : رايت النبى صلى الله عليه وسلم يضع اليمنى على اليسرى على صدره فوق المفصل ــ رواه احمد .

بريد الوعي الإسلامي

اعـــداد : عبد الحميد رياض

الرقيـــــم ..

ما هـــو المراد بالرقيم الذى ورد فى قصـــــة أصحاب الكهف فى قول الله تعـــالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . اذ أوى الفتيـــة الى الكهف فقـــالوا ربنـــا آتنـــا من لدنك رحمـــة وهيىء لنا من أمــرنا رشــدا » .

أحمد منصور ــ دبى

اختلف العلماء فى المقصود من هذه الكلمة . فمن المؤرخين من قـــال : إنها اسم جبـــل ، ومنهم من قال : اسم كلب ، ومنهم من قال اسم قرية على بعد فرسخ من عمـــان على تخـــوم البادية ، وذكر الثعلبى عن ابن عبـــاس أن الرقيم واد بين غطفان وإيلة دون فلسطين ، وعن سعيد بن جبير أنه نـــوع من الحجارة ، وقيل من الرصاص كتبوا فيـــه قصص أصحاب أهل الكهف ثم وضـــعوه على باب الكهف ، وقال على بن أبى طلحة : الرقيم الكتاب ، وأيا كان فان الرقيم فى اللغـــة تعنى النقش والكتابة .

قال الله تعالى فى ســـورة المطففين (كتاب مرقوم . يشهده المقربون) والمرقوم هـــو المكتوب والمنقوش ، ويروى أن الكهف الذى آوى اليه أصحاب الكهف كان منقوشـــا من الداخل بالكتابات القديمة وغيرهـــا .

.. .. ..

الكـــويت ..

لدولة الكويت مكانة مرموقة فى العالم الاسلامى والمجتمع الدولى على الســـــواء .

ويسعدنا ونحن فى بلاد الســـنغال أن تكشفوا لنـــا بعض الجوانب عن هـــذه الدولة الفتيـــة .

الحاج أحمد سيدو

الكويت بلد اسلامي عربي وسكانه عرب ينحدرون من أصول عربية عريقة بالعروبة ، وما زالت عاداتهم وتقاليدهم عربية صرفة لم تؤثر فيها أية عادات وافدة .

وتقع الكويت في الشمال الغربي من الخليج العربي بين خطي عرض ٢٨ و ٣٠ درجة شمالا وخطي طول ٤٦ و ٤٨ درجة شرقا تقريبا جنوبي العراق وشمالي الاحساء من المملكة العربية السعودية .

وهي منفذ طبيعي لشمال شرق الجزيرة العربية ، وقد اكتسبت بموقعها هذا مكانة تجارية قديما وحديثا .

ومساحة الكويت (١٧٨٢٠) كيلو مترا مربعا .
ويبلغ عدد السكان ٧٣٣١٩٦ حسب آخر احصاء أجري عام ١٩٧٠ م .
واكثر السكان من الجزيرة العربية والبلدان المجاورة واما السكان الأصليون فهم نزح من الجزيرة العربية والخليج العربي .

وأمراؤها آل صباح فرع من قبيلة عنزة وهي القبيلة التي ينتمي اليها آل سعود العائلة الحاكمة بالسعودية ، وآل خليفة العائلة الحاكمة بالبحرين ، ويقيم غالبية السكان في مدينة الكويت وضواحيها ، والباقون يقطنون أماكن متفرقة خارج العاصمة .

والكويت اليوم مدينة تجارية عظيمة يفد اليها كل يوم من جميع أطراف العالم البواخر والطائرات والسيارات وهي كثيرة الشبه بباقي المدن العربية المحيطة بها .

وقد تضافرت العوامل الاجتماعية والطبيعية والسياسية والاقتصادية على نموها وازدهارها ، وقد مرت في كل المراحل التي تمر بها أية مدينة جديدة .

ولقد اتصل أهل الكويت بالعالم ، واشتغلوا بالتجارة واستخراج اللؤلؤ فأثروا ثراء واضحا ، وكان ذلك قبل ظهور النفط ، وهم يميلون للتجارة بطبعهم .

وتبدو ملامح شخصية جديدة لهذا البلد الفتي ، فقد أصبح التقدم التكنولوجي نتيجة حتمية لانتصار العلم في هذا العصر ، فلم يعد هناك مجال أن يكتفي بما قد يجود به أرضه ، كما أصبح لزاما أن يبحث عن وسائل أخرى يضيفها الى عصب حياته الاقتصادية حتى تترسخ دعائم نهضة اقتصادية تكون ركيزة جديدة الى جانب البترول ، وكان الاتجاه الى التصنيع وقامت بعض الصناعات فعلا .

وبذلك تكون الكويت قد خطت خطوات على الطريق الى عالم الصناعة بجانب التجارة .

بأقلام القراء

شـــــبهة تقدمية

((واشرقت الارض بنور ربها))

يقول الاستاذ محمد سعيد عدى :

حدثني (....) فقال : ما حال الأقليـــــات في بلادنا اذا قامت الدولة الاسلامية وكنا بصدد مناقشة عن القومية ونشاتها وآثارها بالنسبة لنا نحن العرب بصورة خاصة ، فاجبته :

يا اخى ، ان الدارس الاسلامى الحقيقى ، بشكل موضوعي لا التاريخ الذى وضعه الصليبيون والمستشرقون وبعض خريجى الجامعات التبشيرية ، يقف على الحقائق الدامغة التى ترد الحجر من حيث اتى ، هذا الحجر الذى رماه المستشرقون وبعض الخريجين والصليبيين واندادهم في وجه الدولة الاسلامية ، ليبعثروا ما تجمع لها من كيان ، وليسلطوا سلطانهم الحـــاقد ، واســـتعمارهم اللئيم الغادر على امة القرآن الكريم ، على امة ســـيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته الخالدة ..

ان الواقف على كبريات حقائق التاريخ يعرف ان حقوق الاقليات وحمايتهم ورعايتهم كانت في ظل رسالة الاسلام ، لا في ظل النعرات الضيقة ، في ظل العدالة السمحة التي نادي بها الاســـــلام ، لا في ظل راية الحقد والتباغض والعصبيات المحلية الاقليمية .

اسمع يا اخي الى ما قاله البطريرك عيشويابة عام ٦٥٦ هـ .
((ان العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا بالعدالة كما تعرفون ، انهم ليسوا اعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ، ويوقرون قديسنا، ويمدون يد العون الى كنائسنا واديارنا)) .

واسمع الى قول رسول المحبة والعدالة ســــــيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : ((من ظلم معاهدا ، او انتقصه ، او كلفه فوق طاقته ، او اخذ شيئا بغير طيب نفس منه فانا حجيجه يوم القيامة)) .

والى قوله : ((من آذى ذميا فقد آذانى ، ومن آذانى كنت خصمه يوم القيامة)) ..

والذى اعتقده يا اخى انك سمعت قصة أمير المؤمنين عمر وقد مر فى الاسواق فوجد يهوديا يتسول فقال له ما هذا فقال .. عن حاجة يا امير المؤمنين ، فاقتاده عمر من يده وقال له : ((ما انصفناك .. ناخذ منك الجزية وانت شاب ونتركك تتسول وانت شيخ .. فأوصله الى خازن بيت المال ، وقال لـه : أعط هذا واضرابه من بيت المال شيئا معلوما)) ..

واعتقد انك سمعت قصة الأمير عبد القادر الجزائرى يوم الفتنة الكبرى عام ١٨٦٠ فى دمشق والتى افتعلتها اياد اثيمة مستعمرة غادرة ـ لغاية فـى نفس يعقوب ـ وكيف انه احتضن وحمى ١٠ آلاف مواطن نصرانى فى بيته يؤويهم ويطعمهم و ..

ففى ظل رسالة الاسلام ذلك لا فى ظل غيره .. وعلى كل فباعتبار اننى أومن بالقرآن الكريم دستورا ، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم زعيما وبالاسلام دينا ونظاما ومنهاجا الحياة كلها يمكن تطبيقه فى كل عصر ومصر ، وانت لا تؤمن بذلك حيث انك تؤمن ـ كما تقول ـ بالاسلام عقيدة ودينا فقط ، وانه نظام عاجز عن مسايرة متطلبات العصر الحديث ، فلا بد من ان يكون بيننا حكم ثالث ، وانا اختار القرآن الكريم ـ ان رغبت ـ او اقوال المستشرقين وشهاداتهم التى لها فى نفوس ناشئتنا المسلمة ـ رسما واسما ـ اجل قدر واعظم مكان ـ حكما ثالثا فما رايك .. ؟

استمع الى قول الله عز وجل فى كتابه : ((ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون)) .

وقال : ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) .

وقوله : ((ما فرطنا فى الكتاب من شىء)) .. هذا بالاضافة الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ام ليلة اسرائه فى القدس الشريفة جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وكان ذلك تاكيدا لامامة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ، واعترافهم بذلك ، ((مثل لى النبيون فصليت بهم)) .

هذا غيض من فيض بالنسبة للقرآن الكريم والسنة المطهرة ، واليك شهادة بعض المستشرقين علك تثوب الى الحق وتعود اليه ..

يقول غوستاف لوبون : ((يا له من دين لو كان له رجال)) .

ويقول ماركس(١) فى صدد كلامه عن الزكاة فى الاسلام : « فالزكاة نظام اجتماعى عام ومصدر تدخر به الدولة المحمدية ما تمد به الفقراء ، وتعينهم ، وذلك على طريقة نظامية قويمة لا استبدادية تحكمية ولا غريبة طارئة .. وقد وحدت الأمة (كلها) فى اطار من دائرة اجتماعية عادلة .. وبذلك برهن النظام الاسلامى على انه لا يقوم على اساس من الأثرة البغيضة »(٢) .

هذه شهادة اعدائه قبل انصـــــاره .. فاين نحن .. ؟ وما لنا تائهون حائرون .. ؟

وهذه شهادة التاريخ وهو ينطق .. فالأخطل كان يدخل على عبد الملك بن مروان وعليه جبة خز وفى عنقه سلسلة من ذهب علق فيها صليب .

وما يقال عن الأخطل ، ومكانته ، يقال عن آل بختيشوع سلالة جورجيس ابن بختيشوع السريانى النسطورى طبيب المنصور وعن آل حنين من نصارى الحيرة ، وحبيش الأعسم ، وقسطا بن لوقا ، ويوحنا بن ما سويه واسطفان بن باسيل ، وسرجيس الراس ، وابن البطريق وغيرهم من الذين ســـــاهموا فى الحضارة العربية الاسلامية ..

على كل ــ فيا أخى ــ ان كان فى الماضى القريب اساءة لهؤلاء فلا يعقل ان تظل السماء صاحية ضاحكة ، فلا يكون ذلك من الاسلام الخالد العادل وانما هو من المسلمين ، وهذا ليس بعجيب ، فانظر الى التاريخ وما حدث فيه بين الكاثوليك والبروتستانت بسبب تعصب كل فريق الى فريقه ..

واخيرا فالدولة تعترف لهؤلاء بالمواطنة يتمتعون فى ظلها بنعيم الحرية ، ويتفيأون بوارف اشجارها ــ العدالة والمساواة والاخاء ــ بكثير من الحقوق والواجبات ، قل ان تحظى بها اقليات وطنية فى جميع انحاء العـــــالم .. ونتحدى .. !

وختاما ، فلا بد لشمس الحق ان تسطع ، ولا بد لظلام الباطل من جلاء وسنسير ــ باذن الله ــ راسخى الجنان ، ثابتى القدم ، عن حقنا مدافعين ، وعن اسلامنا ذائدين ، مهما تقول المتقولون ، وسنردد ما قاله رســـول الله صلى الله عليه فى الماضى ..

والله ــ يا ناس ــ لو وضعتم الشمس فى يميننا ، والقمر فى يسارنا على ان نترك أو ــ نتزعزع فى امر دعوتنا ، ما تركناها حتى يظهرها الله او نهلك من دونها فنفوز باحدى ــ الحسنيين .

اما نصر من الله وفتح قريب ، او بشهادة فى سبيل الله ، والله اكبر والعزة لله ورسوله وللمؤمنين .

---

(١) ماركس هذا غير ماركس اليهودى الشيوعى ..

(٢) الاسلام والحضارة لكرد على ج ١ ص ٢٧١ .

(١) تضمين لمعنى الحديث الشريف .

قالت صحف العالم

مراجعة الحساب

لا ينقصنا المال فعندنا منه سيول داخل الصحراء ، ولا ينقصنا الدم فعندنا شباب غض الاهاب يكاد يتفجر دما ، ولا ينقصنا السلاح ، فالاسواق مفتوحة ما دامت الأيدى طويلة والجيوب مليئة ، ولا ينقصنا الحضارة والمدنية والثقافة ما دامت اسبابها متوفرة بل فائضة عن حاجتنا ، ولا ينقصنا العروش والتيجان وأنواع الحكم وألوان الجاه والسلطان ولا ينقصنا الفنيون والمهندسون والمدرسون والمبعوثون والدعاة والمرشدون ، ففى مصر وحدها من تلك الانواع جنود مجندة تصدر كل عام الى البلاد العربية والافريقية المجاورة .

فما هذا الشيء الذى ينقصنا اذا .. ؟

انما ينقصنا فقط الشعور بفداحة الخسارة وعظم الكارثة والتألم الحقيقى على ضعف المسلمين فى هذا الحين وقلة حيلتهم وهوانهم على الناس .

فهو العامل الوحيد الذى لا يعوض بشيء لا بالمال ولا بالعلم ولا بالسلاح ولا بالذكاء والدهاء ان هذه المؤهلات العلمية والفنية قد تعوض بعضها البعض وقد تسد احداهما فراغ الاخرى لحين من الدهر أما اذا لم نشعر بالخسارة مطلقا ولم نتألم لها بتاتا ، أما اذا لم تتوجع قلوبنا على مصيبة العالم الاسلامى كتوجع المرء اذى أهين فى قارعة الطريق ، أما اذا لم تستنح ضمائرنا واحاسيسنا على رغم شماتة الاعداء ونكاتهم اللاذعة وسخرية الاجانب فى الصحف العالمية وهوان ابنائنا وشبابنا فى العواصم الغربية فان هذا الذهب الفائض فى داخل الارض وان هذه الالوان الزاهية البراقة من الحضارة وان هذه الاسلحة الحديثة المستوردة من الغرب والشرق لا تنفعنا شيئا ولو جمعنا بين معونات الكتل السياسية كلها ؟ اذا قمت بجولة قصيرة بين العواصم العربية الاسلامية اليوم وتجولت فى أسواقها العامرة وشوارعها المزدحمة ورأيت صورتها فى الليل وجدتها كاملة العدة والعتاد كاملة الزينات والمباهج والملذات فيها العلم فيها الشباب وفيها المال وفيها الفن وعندها المقدسات والمشاعر والشعائر بل عندها الحرم وعندها زمزم ولكن ينقصها مع كل هذا الذى ذكرناه — ولا مؤاخذة — ذلك الشعور المفقود المطلوب بجراحها وآلامها جراحات القلب والروح وآلام الوجدان والضمير .

فما هو الحل واين الطريق .. ؟

الحل ان نكهرب هذه الطاقات الخامدة الجامدة التى لا روح فيها ولا حياة ان هذه القوى والطاقات والمواهب والمؤهلات والوسائل والادوات كاسلاك الكهرباء فكيف ترى اذا عنينا بالاسلاك ونسينا الكهرباء اننا بوسائلنا الحاضرة نستطيع ان نحقق ما لم يكن بالحسبان اننا بوسائلنا القصيرة التى نزدريها ونستزيدها نستطيع ان نصنع المعجزات ونأتى بما يدهش له العقول وتتحير فيه الالباب ولكن بالوسائل الحية الوسائل النابضة المتحركة الوسائل المكهربة .

ان مواردنا ووسائلنا كثيرة متوفرة يفيض بها العالم الاسلامى كله فهنا مال وهناك ايد عاملة وهنا قرائح وهناك علوم وهنا عدد وهناك ذكاء ولكنها مع ذلك لا تؤدى وظيفتها ولا تلعب دورها ولا ينفع بلادها واهلها وقد يبدو للرائى ان سببه التفرقة والانقسام والوحدة تستطيع اذا تحققت أن تحل هذه المشكلة .

عن مجلة البعث الهندية

وذلك خطــأ كبير أضــلنا أعواما طوالا فى متاهة الحيرة والفوضى الفكرية لا نجد ســبيلا الى الخلاص فالوحدة هى ايضــا لا تتحقق ولا تخرج الى حيز الوجود من غير هذا الكهرباء من غير هــذا العامل الاساسى الوحيد الذى ذكرنا وهــو الشعور بفداحة الخطب ووخــز الضــمير وتالم القلب والوحدة التى تقــوم على أسس صناعية أو خيالية أو على أغــراض سياسية ولا يكون وراءهــا رصــيد من تلك الطاقة المكهربة أو الطاقة المولدة لن تــدوم طويلا وتذهب حيث ذهبت الوحدات السابقة لانهــا وحدات ســاقطة أو وحدات ميتــة أو وحدات عرجــاء أو وحدات ذات ارجــل خشــبية لا تستطيع ان تقــوم واذا قامت فلن تستطيع أن تــدوم .

* * *

الامة العربية بين خيارين ـــ الاستسلام المشين أو المقاومة المشرفة ..

دخلت الحرب العربية ـــ الاسرائيلية مرحلة جديدة فى شهر تشرين الاول من عام ١٩٧٢ فقــد تميز هــذا الشهر باتبــاع العــدو تكتيكا جديدا يستهدف تنفيذا ما هددت به غولدا مائير بملاحقة الفدائيين العرب الى كل مكان .

ومع ان النشــاط الفدائى مجمــد كليا فى الوقت الحاضر فان العدو لم يتردد فى مواصــلة اعتداءاته بل انه وســع نطــاق اعتداءاته بحيث شملت اوروبا ايضــا وذلك حين اقــدم على اغتيــال الشهيد وائل عادل زعيتر فى رومــا .

واذا كانت لا تزال هنــــاك ذرة من ريب لدى عربى واحد بان العدو لن يتركنا حتى ولو تركنــاه ولن يتوقف عن محاربتنا حتى لو ســالمناه وسلمنا له بكل ما اغتصــبه فى حرب عام ١٩٦٧ فان الغــارات التى شــنتها طائراته على صــيدا وضواحى صــور والبقــاع وبعض المناطق السورية فى منتصف الشــهر الحالى واقدامه على اغتيال الشهيد وائــل زعيتر كل ذلك جــاء ليثبت من جديد ان اسرائيل لن تفتقر الى حجة تبرر بها عدوانها وذريعة تتوسل بها لمواصلة غاراتها البربرية على اراضــينا .

ان ما تريده اسرائيل هو استسلام عربى كامل دون قيــد أو شرط .

استسلام لا ينتزع منــا فقط اعترافنا بشرعيــة ضمها للاراضى الفلسطينية والعربية التى احتلتها فى عــام ١٩٤٨ وفى عــام ١٩٦٧ بل كذلك يرغمنا على فتح حدودنا فى وجــــه رعاياها وازاضــينا فى وجــه سلعها . استسلام يجبر حكوماتنا على تبادل التمثيل الدبلوماسى معهــا استسلام يمكن العدو من التغلغل فى جميع الاراضى العربية والسيطرة على اقتصادياتها وتخريبها من الداخــــل .

استسلام يضــع الاراضى العربية كلها تحت رحمــة العدو بحيث يتمكن من تنفيذ مرحــــلة اخرى من مراحل مخططه الهادف الى انشاء دولة اسرائيل الكبرى الممتدة من النيــل الى الفرات بجهد اقل وتكاليف اصــغر مما دفعه حتى الآن .

استسلام يمكن العــدو من السيطرة على النفط العربى ويحول العرب لا فى فلسطين وحدها بل فى ســائر انحــاء الوطن العربى الى اجراء فى ديارهم .

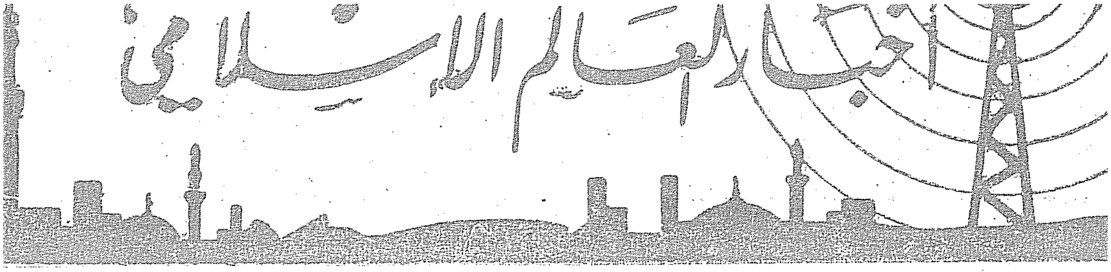
هــذا هــو ما يريده العــدو .. واذا نحن لم نوافق على ذلك فان اسرائيل لن تعدم وسيلة ولا حجــة لمهاجمتنا وضرب مدننــا وقصف قرانا وذبح اطفالنــا واحراق مزروعاتنا وتدمير ابنيتنا .

تلك حقيقة يجب الا يختلف عليها عربيــان اثنــان .

حقيقة اخرى يجب الا تكون موضــع جــدل أو خلاف أو مناقشة وهى اننــا نواجه اليوم كما واجهنا منذ بدء الهجمة الصهيونية على بلادنا واحدا من خيارين :

اما الاستسلام غير المقيــد وغير المشروط وهذا معناه اندحار الامة العربية ربما الى الابــد ، واما المقاومة وليس هناك من يقول ان المقاومة ســهلة انها تتطلب اشياء كثيرة لكى تكون فعــالة ومجدية وتحقق اهدافهــا .

(عن مجلة فلسطين)



اعداد الدكتور / عبد المعطى بيــومى

الكـــويت : وجه حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم كلمة شكر الى ابنــاء الوطن على الحفـــاوة العظيمة التى عبرت عن فرحة الشعب بمناسبة شفائه وعـــودة سموه مكتمل الصحة موفور العـــافية .

● عقد فى الكويت فى الشهر الماضى مؤتمر وزراء الدفاع والخـــارجية العرب ، وقد بحثوا فى امكان وضع خطة عربية لمجابهة الخطط الصهيونية ، وأعلن الأمين العـــام للجامعة أن توصيات اللجنة ستعرض فى اجتمـــاعين قـــادمين .

● عقدت اتفاقية بين الكويت والمغرب تستهدف توثيق علاقات البلدين التجارية والاقتصادية والاعلامية .

● ناشدت الكويت على لسان سعادة الشيخ سعد العبد الله الصباح ـــ البلاد العربية بأن تكون على مستوى المسئولية والخطر ، وأن تتحمل كل منها نصـــيبا من أعبـــاء المعركة .

● وصف رئيس وفـــد منظمة التحرير الفلسطينية نتائج المؤتمر بأنهـــا بداية هادئة جدا على طريق ملىء بالمصاعب .

مصـــــر : بدأت الاستعدادات للاحتفال بمرور الف عام على الأزهر فى شهر يونيو القادم على مستوى ملوك ورؤساء الدول الاسلامية .

● تقرر أن يتلقى بنـــك ناصر وبنـــك القاهـــرة الزكـــاة من المواطنين وصرفها فى المجالات التى حددتها الشريعة الاسلامية .

● ستنشىء جامعة الأزهر بالاشتراك مع الامم المتحدة مركزا ســـكانيا تابعـــا للجامعة ، وقد بدأت الاجراءات اللازمة لانشاء هذا المركز .

السعودية : قام جلالة الملك فيصل فى الشهر الماضى برحلة الى بعض الدول الافريقية لتوثيق علاقة المملكة السعودية بمسلمى افريقيا .

● تلقت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة مبلغ (٢٠) الف ريال قيمة التبرع السنوى للجماعة من جلالة الملك فيصـــل .

● قـــام الشيخ ضـــياء الدين باباخانوف مفتى المسلمين فى طشـــــقند بزيارة الى المملكة العربية السعودية بعد حضوره الدورة الاخيرة لمؤتمر مجمع البحـــوث الاســـلامية .

● دعت جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمـــكة المكرمة (٤ آلاف طالب ـــ ١٤٠ معلما) المسلمين الى بذل التبرعات حتى تستطيع مكافأة المتفوقين ومواصلة برنامجها الجليـــل .

أبو ظبى : تحتفل دولة اتحـــاد الامارات العربية بالعيد الاول لقيامها فى شهر ديسمبر ٧٢ ويشـــهد الاحتفال وفود من الدول العربية .

● أتم مجمع البحوث الاسلامية مشروع تقنين الشريعة الاسلامية فى بعض المذاهب الفقهية ، وسيعرض المجمع هذا المشروع على مفكرى وهيئات العالم الاسلامى لابداء الرأى فيه لوضعه فى الصيغة النهائية .

● أوصت لجنة شئون القرآن بمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر بمعاملة حافظ القرآن معاملة المؤهل فى الجيش .

● تقرر انشاء معهد عال للسنة يلحق بكلية أصول الدين سيمنح طلابه مكافأة شهرية .

الأردن : قرر وزراء خارجية الدول الاسلامية بالامم المتحدة تشكيل لجنة للبحث فى قيام اسرائيل بتغيير المعالم المقدسة فى مدينة القدس ، وستعرض اللجنة تقريرها فى مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى القادم .

● قامت اسرائيل أخيرا ببناء ٤ معابد يهودية فى القدس العربية بعد أن أزالت المساكن العربية وبعض الكنائس من المكان الذى بنت فيه هذه المعابد .

● انتهت المرحلة الاولى من بناء المستشفى الاسلامى الخيرى فى عمان ، ويجرى الآن جمع التبرعات لاكمال المشروع .

سوريا : شكلت لجنة من علماء الآثار لدراسة آثار (قطنة) التى يرجع تاريخها الى عهد الأمويين ، وكانت عاصمة من عواصمهم المهمة فى مطلع الألف الثانى قبل الميلاد .

اليمن : عقدت فى القاهرة فى الشهر الماضى اتفاقية للوحدة بين شمال اليمن وجنوبه وقعها كل من رئيس الوزراء فى الشمال والجنوب .

ليبيا : طالبت ليبيا الامم المتحدة بضرورة جعل اللغة العربية لغة رسمية فى المنظمة الدولية .

المغرب : نوقشت الاتفاقية التجارية بين المغرب والمملكة العربية السعودية فى سبيل توثيق العلاقات بين البلدين العربيين المسلمين .

تركيا : شكلت لجان اقتصادية عراقية وتركية لبحث الوسائل الكفيلة بزيادة حجم التعاون التجارى والاقتصادى بين العراق وتركيا بعض تقلص نشاط تركيا مع اسرائيل .

الصومال : أنفقت الحكومة الصومالية (١٠٫٠٠٠) شلن صومالى لتجديد بعض المساجد فى الصومال .

باكستان : أبلغت باكستان الامم المتحدة أنها لا تستطيع الاعتراف بما يسمى « بنجلاديش » فى باكستان الشرقية لانها لا تنسى أنها جزء من باكستان انفصل عنها بقوة التدخل الخارجى الهندى .

● ذكرت آخر الاحصاءات أن عدد سكان باكستان الغربية بلغ ٥٨٫١٠٠٫٠٠٠ .

افغانستان : سيعقد مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية فى كابول فى شهر مايو القادم .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو القعدة ١٣٩٢ هـ	ديسمبر ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاربعاء	١	٦	٤ ٥٥	٦ ٢٨	١١ ٣٨	٢ ٢٩	٤ ٤٨	٦ ١١	١٢ ٧	١ ٤٠	٦ ٥٠	٩ ٤١	١ ٢٣
الخميس	٢	٧	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤١	٢٣
الجمعة	٣	٨	٥٦	٢٩	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
السبت	٤	٩	٥٧	٣٠	٣٩	٣٠	٤٨	١١	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاحد	٥	١٠	٥٨	٣١	٤٠	٣٠	٤٩	١٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الاثنين	٦	١١	٥٩	٣٢	٤٠	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٧	١٢	٥٩	٣٢	٤١	٣١	٤٩	١٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الاربعاء	٨	١٣	٥ ٠٠	٣٣	٤١	٣١	٤٩	١٣	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الخميس	٩	١٤	٠٠	٣٤	٤٢	٣٢	٥٠	١٣	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٤
الجمعة	١٠	١٥	١	٣٤	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	١١	١٦	٢	٣٥	٤٣	٣٢	٥٠	١٤	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	١٢	١٧	٢	٣٦	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	١٣	١٨	٣	٣٧	٤٤	٣٣	٥١	١٥	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	١٤	١٩	٤	٣٧	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	١٥	٢٠	٤	٣٨	٤٥	٣٤	٥٢	١٦	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	١٦	٢١	٥	٣٨	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	١٧	٢٢	٥	٣٩	٤٦	٣٥	٥٣	١٧	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	١٨	٢٣	٦	٣٩	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاحد	١٩	٢٤	٦	٤٠	٤٧	٣٦	٥٤	١٨	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاثنين	٢٠	٢٥	٧	٤٠	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الثلاثاء	٢١	٢٦	٧	٤١	٤٨	٣٧	٥٥	١٩	١٢	٤٦	٥٣	٤٢	٢٤
الاربعاء	٢٢	٢٧	٧	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الخميس	٢٣	٢٨	٨	٤١	٤٩	٣٨	٥٦	٢٠	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
الجمعة	٢٤	٢٩	٨	٤١	٥٠	٣٩	٥٧	٢١	١١	٤٥	٥٣	٤٢	٢٤
السبت	٢٥	٣٠	٨	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١١	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاحد	٢٦	٣١	٩	٤٢	٥٠	٤٠	٥٨	٢١	١٠	٤٤	٥٢	٤٢	٢٣
الاثنين	٢٧	يناير	٩	٤٢	٥١	٤١	٥٩	٢٢	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الثلاثاء	٢٨	٢	٩	٤٢	٥١	٤٢	٥ ٠٠	٢٣	١٠	٤٣	٥٢	٤٢	٢٣
الاربعاء	٢٩	٣	٩	٤٢	٥٢	٤٢	٠٠	٢٣	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣
الخميس	٣٠	٤	١٠	٤٣	٥٢	٤٣	١	٢٤	٩	٤٢	٥١	٤٢	٢٣

« الى راغبى الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ـ ٧ شارع الصحافة .

جدة : الدار السعودية للنشر ـ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكة ـ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ـ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

عدن : وكالة الأهرام التجارية ـ السيد محمد قائد محمد .

المكلا : مكتبة الشعب ـ ص.ب ٢٨ .

مسقط : المكتبة الحديثة ـ السيد يوسف فاضل .

صنعاء : مكتبة المنار الاسلامية ـ السيد عاصم ثابت .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ـ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ـ ص.ب ٦٧ .

عمان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ـ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ـ ص.ب ١٣٢ .

بنغازى : مكتبة الوحدة الوطنية ـ ص.ب ٢٨٠ .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ كورنيش المزرعة .

دبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

أبو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ ص.ب ١٧١٩

الدوحة : سالم الانصارى ـ الدوحة / قطر .

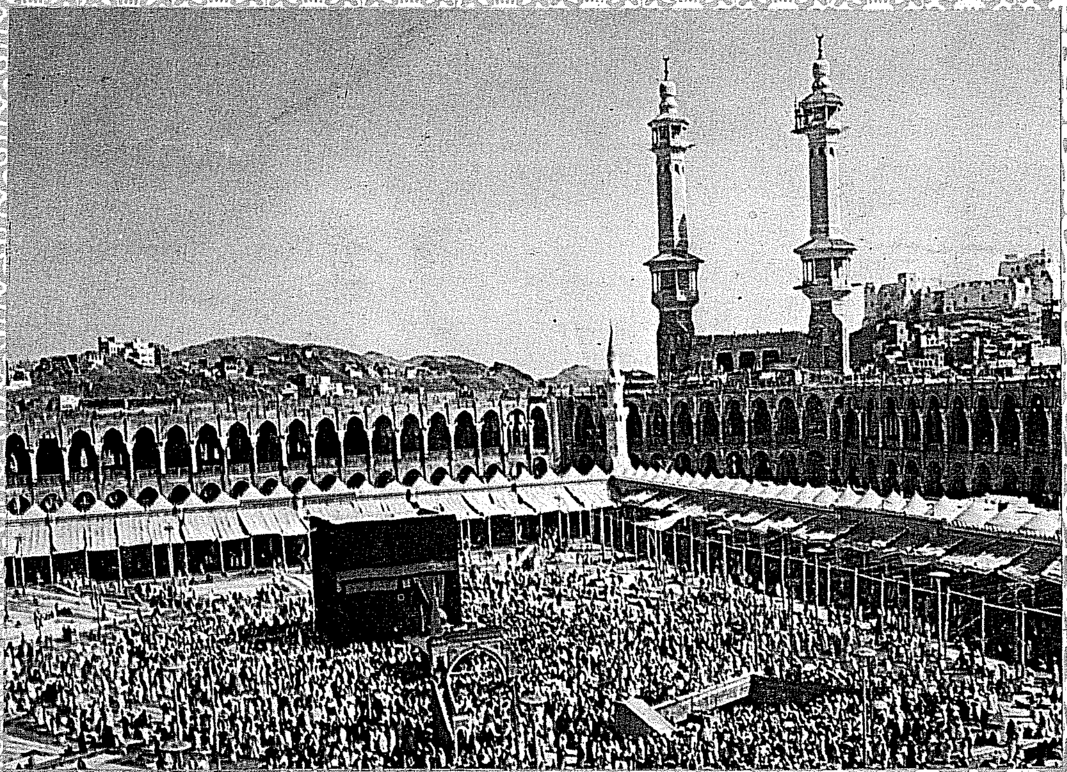
ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

العدد القادم : ممتــاز

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية



السنة الثامنة ـ العدد ٩٦ ـ غرة ذى الحجة ٣٩٢

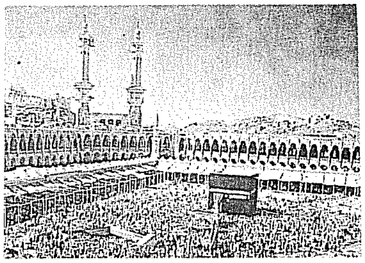
ولله

على الناس

حج

البيت

من استطاع اليه سبيلا



البيت الأول

« إن اول بيت وضع للناس للذى
بيكة مباركا وهدى للعالمين »

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد ٩٦

غرة ذى الحجة ١٣٩٢ هـ

٥ ينـاير ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مجلة الوعى الاسلامى
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب : ١٣ كويت
هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

آمنوا واعملوا

إلى الذين فتح عليهم باب القول ، وأغلق عليهم باب العمل .

إلى الذين يظنون أنهم مظلومون ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

إلى الذين يكاد لهم نهارا ، ويدبر لهم علانية ، ويتآمر على إذلالهم وسحقهم جهرة ، وهم فى غفلة لاهون .

إلى الذين يطلبون العزة من غير سبب ، والنصر من غير جهد ، والغنى من غير سعى ، والنهوض من غير طاقة .

إلى الذين يقولون : اين العزة التى كتبها الله لنا على نفسه : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » والوعد الذى أنزله الله فى كتابه : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » والتمكين الذى سجله الله فى آياته : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

إلى الوارثين الذين ملك آباؤهم اقطار الأرض وملأوها علما وحضارة بايمانهم وجهادهم وعقلهم وعلمهم ، ثم جاءوا من بعدهم فبددوا ما ورثوا ، وجهلوا ما علموا ، وكان أمرهم فرطا .

إلى الذين يأكلون ويلبسون ويركبون مما صنع غيرهم ، ولا يدرون كيف كان إعداد ما أكلوا ، ولا نسج ما لبسوا ، ولا تصميم ما ركبوا . يستهلكون ولا ينتجون .

إلى الذين يحلمون ولا يستيقظون، ويتمنون ولا يعملـــون ، ويرددون : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس)) ولا يذكرون : ((تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .

إلى الـــــذين يؤمنون ولكنهم لا يعرفون تكاليف الايمان ، أو يعرفونها ولكنهم لا يعملون .

إلى هــــؤلاء وهـــــؤلاء .. إلى سبعمائة مليون مسلم ، من بينهم مائة مليون عربى حلت بهم فتنة لم تصب الذين ظلموا منهم خاصة .. إليهم جميعا هذا الحديث .

★ ★ ★

روى جماعة من اهل العلم بتفسير القرآن أن مجلسا ضم طائفة مـــن اليهود والنصارى والمسلمين ، فزعم كل فريق منهم أنه أولى الناس بعون الله وتأييده فى الدنيا ونعيمه وثوابه فى الآخرة : اليهود قالوا : نحن أتباع موسى الذى اصطفاه الله برسالاتـــه وبكلامه ، والنصـــارى قالوا : نحن أتباع عيسى روح اللـــه وكلمتـــه ، والمسلمون قالوا : نحن أتباع محمد خاتم النبيين ، وخير أمـــة أخرجت للناس ... وشاء الحـــق تبـــارك وتعالى أن يفصل بينهم فى هذا النزاع وأن يبين لهم أن قاعدة التأييد والجزاء ترتكز على الايمان والعمل . لا على مجـــرد التبعية والانتساب فأنـــزل سبحانه يخاطب المسلمين : ((ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب مـــن يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئـــك يدخلون الجنـــة ولا يظلمون نقيرا)) .

★ ★ ★

إن الايمان بغير عمل شجر بـــلا ثمر ، ودمية لا حياة فيها ولا حركـــة ... إبليس كان يعلم أن ربه الله وأنه واحد لا شريك له ، وكان يعـــلم أن مصيره اليه يوم سيبعثون ، ولكن لما صدر اليه الأمـــر الالهى بالعمـــل ((اسجد)) استكبر وتمرد ، وقال : لا ، فلم تشفع له معرفته بوحدانية الله لأن المعرفة المجردة عن معنى الخضوع المطلق لرب العالمين لا وزن لها ، ولأن العلم الذى لا يصاحبـــه العمل لا قيمة له ، ولذا كان جزاؤه ((فاخرج منها فإنك رجيم)) .

وكما ان الايمان من غير عمل لا يغنى فكذلك العمل من غير ايمان كبناء على غير أساس . على شفا جرف هار . كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء . كهشيم تذروه الرياح : ((مثل الذين كفـــروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون على شىء مما كسبوا . ذلك هو الضلال البعيد)) .

★ ★ ★

إن الايمان الحق بالله ، والايمان الصادق برسول الله وبكل ما جاء به عن الله قوة ايجابية محركة . طاقة بناءة هائلة . تمـــلأ قلب المؤمن ، وتسرى فى دمه ، وتنفذ الى عقلـــه وفكره ، وتســـيطر على شـــعوره ووجدانـــــه ، وتتحكم فى عزيمتـــه

وارادته ، وتوجه وتحرك جوارحه ، وتلازمه فى الليل والنهار ، وتصاحبه فى السر والعلانية ، فلا يعصى لله أمرا ولا يرى إلا حيث أحب الله ، ولا يفتقد إلا حيث يبغض الله .

إن الايمان بالله قوة منتجة مستكنة فى أعماق النفس المؤمنة تظهر آثارها وثمارها فى السلوك والتصرف فى العمل الجاد لله ، والطاعة المطلقة لحكم الله والتضحية بالهوى مرضاة لوجه الله .

وقد قرن الله الايمان بالعمل فى أكثر من سبعين آية من آيات القرآن الكريم ، فما من آية ذكرت الايمان مجردا ، بل عطفت عليه عمل الصالحات ، والصالحات جماع كل خير ومجد للفرد والجماعة ، وبهذا أصبحت صلة العمل والسلوك والخلق بالايمان صلة وثيقة لا يعروها وهن ، قال تعالى : ((إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون)) وقال عز من قائل ((والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا)) .

ولقد حرص رسول الله صلى الله علية وسلم أشد الحرص على لفت أنظار المؤمنين وتوجيه انتباههم إلى أن يكون سلوكهم مع الله ومع الناس، وتصرفهم فى كل شئون الحياة مصدقا لايمانهم ومظهرا لعقيدتهم ، فقال لمن سأله قولا فى الاسلام لا يسأل عنه أحدا غيره : ((قل آمنت بالله ثم استقم)) .

والظن بأن مجرد دعوى الايمان والانتساب للاسلام ، والنطق بالشهادتين والتسمى بأسماء المسلمين يكفل للمدعين نصر الله فى الدنيا ، ويفتح لهم أبواب الجنة فى الآخرة يدخلونها بسلام آمنين ، وإن كانوا غارقين فى المعاصى لأذقانهم . مفسدين فى الأرض . كسالى خامدين : هذا الظن وهم وخطأ وضلال بعيد .. هذا ايمان صورى لا ينجى صاحبه من خزى الدنيا وعذاب الآخرة ، فالسعادة ليست للفارغين الهازلين ، والجنة ليست للعاصين المتمردين : ((ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ، وإن قوما خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم ، وقالوا نحن نحسن الظن بالله وكذبوا . لو احسنوا الظن لأحسنوا العمل)) .

إن الناظر فى ماضى المسلمين وحاضرهم ليعجب أشد العجب مما كانوا فيه ، وما صاروا أليه : المسلمون فى أول أمرهم أتوا بالعجائب غزوا وفتحوا وسادوا .. والمسلمون فى آخر امرهم اتوا بالعجائب أيضا ذلوا واستكانوا وضعفوا ، والقرآن هو القرآن ، وتعاليم الاسلام هى تعاليم الاسلام .. فلماذا ساد الأولون وذل الآخرون .. لا سبب إلا أن الأولين عملوا والآخرين تركوا ، ولن يستقيم حالنا إلا بما استقام به ماضينا ايمان وعمل ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .. اعتصام بالله ووقوف عند أمره ونهيه ، واقتداء برسول الله وعمل بسنته : ((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة)) .

رئيس التحرير

رضوان البيلى

عقدة القديم والجديد

عند خصوم الشريعة الاسلامية

للاستاذ محمد سعيد رمضان البوطى

يطيل بعض الباحثين القول فى بيان صلاح الشريعة الاسلامية لكل عصر ، يتعبون أنفسهم فى الكشف عن مزيد من الأدلة على مرونتها واستجابتها لمختلف المشاكل التى تبحث عن حل ، وعلى انسجامها مع مختلف الظروف التى يفرضها قانون التطور فى الحياة .. يأملون أن يتحول خصوم هذه الشريعة ، بذلك ، الى أصدقاء يعترفون بعظيم شأنها ويؤيدون الدعوة الى تطبيقها والاحتكام اليها ..

وواضح أن ما يقوله هؤلاء الباحثون صحيح .. فشريعة الاسلام منسجمة ومتسقة مع فطرة الانسان وحاجاته ، مهما تطور فى سلم الحضارة صاعدا أو هابطا .. وانها لحقيقة تفرض نفسها ، سواء آمن بها الناس أم كفروا .

الا أن وضوح هذه الحقيقة لن يغير من موقف الخصوم شيئا .. وهى باستقلالها لن توجد فى نفوس هؤلاء الخصوم أى حافز لتطبيق الشريعة الاسلامية ونسخ سائر النظم والقوانين الاخرى بها ، مهما قامت عليه من قواطع الأدلة والبراهين .

وفى اعتقادى أن الاطالة فى الحديث عن صلاحية الشريعة الاسـلامية ومرونتها مضيعة للوقت ومناقشة فى غير محل النزاع ، فضلا عما تنطوى عليه من دوافع التغيير والتبديل لكثير من أحكامها بين الحين والآخر ، فى سبيل تثبيت المزيد من مظاهر هذه الصلاحية والمرونة أمام الآخرين .. ! —

عقدة نفسية ضد (القديم)

ان السبب الذى يجعل من هؤلاء الناس خصوما للشريعة الاسلامية ، عقدة تكمن فى غور بعيد من أعماق النفس وليست مشكلة قائمة فى الفكر او العقل ..

انها عقدة (القديم) .. !

فالنفس الانسانية من شأنها أن تتبرم بالقديم وتعافه ، اذ يخيل اليها أن الزمن استحلب خيراته واعتصر كل ما قد كان فيه من جدوى ونفع .. ! كما أن من شأنها أن تحفل بكل جديد وتتشوق اليه ، اذ يخيل اليها انه قد يكون مليئا بما لم يكتشفه الزمن من النفع والخير . ولا يستثنى من التأثر بهذه الظاهرة النفسية والوقوع تحت سلطانها الا أولئك الذين بذلوا كل ما لديهم من جهد فى سبيل أن يعتقوا عقولهم من الأوهام وأن يحرروها من غوائل النفس .

خذ أحدث قانون اجتمعت على وضعه لجنة من خيرة علماء القانون ، يلبى كل حاجات هذا العصر وينسجم مع سائر ظروفه وأحواله ، ثم قدمه الى المجتمع على انه قانون قديم يعود الى عهد جستنيان ، ثم انظر كيف يعافه الناس من علماء وجهال ، وتأمل كيف يختلقون فيه نقيصة اثر أخرى . ولئن لم يتمكنوا من أن يفعلوا به ذلك فحسبه نقيصة على كل حال انه يحمل على كاهله أثقالا من القرون والأجيال المتراكمة .

وانظر الى القانون الفرنسى القـــائم اليوم ، وتأمل فى عدد الدول التى اعجبت به واعتمدته — والكثير منها دول عربية اسلامية — تجد أن قيام هذا القانون فى واقعه على كثير من الاحكام الفقهية المدونة فى مذهب الامام مالك لم يحل دون اقتباسه والاعجاب به ، لأنه عندما قدم للعالم انما قدم اليه على أنه ابداع جديد فرض نفسه فى أعقاب الثورة الفرنسية ، ولم يقدم اليه على أنه يحوى طائفة كبيرة من الاحكام الفقهية فى كثير من مسائل العقود والمعاملات !

وللدكتور أحمد عبد العزيز النجار دراسات جديدة هامة فى الاقتصــــاد تستهدف انشاء نظام مصرفى ، بل اقتصادى ، متكامل ، لا ينهض على شىء من الفائدة الربوية .. ولعل كثيرا من القراء يعلم أن مشروعه هذا لم يلق قبولا حتى بعد ميلاده حيا سليما قادرا على أن يقف مستقيما على قدميه .. ! ولكن دراساته هذه استأثرت باهتمام طائفة من الاقتصــــاديين فى المانيا ، وتحول الاهتمام لديهم الى دراسة جادة وبحث ونقد لهذه الاستراتيجية (الجديدة) فى محاولات التنمية والاقتصـــاد . واغلب الظن أن مشروع الدكتور النجار هذا سيلقى الاعجاب والقبول التام من أولئك الذين رفضوه بالأمس ، اذا كتب له أن يعود اليهم من المانيا بكسوة أوروبية حديثة وبميلاد جديد لا ينتمى الى القرون السالفة بأى علاقة أو نسب .. !

اعتراضات تقليدية لمجرد صرف الانظار

وهكذا ، فان أمر الجدة والقديم ، هو الذى يلعب الدور الفعال فى ايجاد دوافع القبول والرفض ، وان ظهرت هذه الدوافع بمظهر اى شىء آخر ..

قد تظهر هذه الدوافع بشكل استهجان لقسوة ما فيها من الحدود .. ! وقد تظهر بشكل ادعاء بأن أحكامها المالية لا تتفق والنظم الاقتصادية الحديثة ! .. وقد تظهر بشكل حيرة أمام ما تفور وتموج به — على حد تعبيرهم — من نوازع الخلاف والاجتهاد وكثرة القيل والقال ؟ .. الا أن شيئا من هذه الدوافع الشكلية لا يعتبر الحاجز الحقيقى الذى يصد خصوم الشريعة الاسلامية عن قبولها .. بل ان هذه الدوافع الشكلية مجتمعة ومتضافرة لا تشكل فى الحقيقة أى سبب ذاتى من أسباب الرفض .. !

وما عجبت من باحث تعجبى ممن يصطنع البحث العلمى اذ يقول : ان الحكم بقطع يد السارق او رجم الزانى ينطوى على قسوة ترفضها انسانية القرن العشرين — يقول هذا دون أن يتذكر بأن قانون المقصلة والسحل والتذويب فى الاحماض من أخص مقومات حضارة القرن العشرين .

ولست أقصد بهذا أن اقابل استنكارا بمثله ، فان استنكار العقوبة من حيث ذاتها ، لما قد يتراءى فيها من قسوة بالغة أو ليونة زائدة ، خطأ فى أصل النظر والتقدير .

عقوبات القوانين انعكاس لنظرتها الى القيم

ان شرع عقوبة ما ، من حيث ذاتها ، انما هو فرع عن النظرة المعينة الى الجريمة التى استوجبته . وما تشتد العقوبة او تلين الا تبعا لتقويم الجريمة التى اقتضتها والايمان بمدى خطورتها . وبناء على هذه الحقيقة الواضحة فان توجيه النقد الى العقوبة بحد ذاتها ، مفصولة عن النظر الى الفعل الذى استوجبها ، يعتبر غباء عجيبا وذهولا عن أبسط النظم العامة التى يقوم عليها شرع العقوبات .

رب كلمة واحدة لا نرى لها من شأن عندنا ، يتفوه بها فرد من رعايا دولة مجاورة ، تواجهه بسببها عقوبة الاعدام . ورب فاحشة عظمى نرى وجوب مكافحتها أكثر مما يكافح داء وبيل ، تشيع بين رعايا تلك الدولة فلا يؤبه بها ولا يلتفت اليها بأى نقد أو استنكار . ولقد كان قدماء الرومان يغمسون أولادهم فى الأيام الاولى من ولادتهم فى مياه غامرة أو نبيذ ونحوه ، حتى اذا عجز أحدهم عن المقاومة واختنق ، مات غير مأسوف عليه .. ! ولم يكن القضاء ينظر الى هذا العمل بأى استهجان أو استنكار ، ولو أن أحدا من الناس فعل اليوم ذلك لعوقب عليه عقابا يوصله الى الموت .. !

وواضح أن أحدا ممن يحترم عقله لا يشغل تفكيره بالتعجب من مفارقات هذه الاوضاع .. لأنه يعلم ما قد يعلمه كل عاقل ، أن شرع العقوبات فى أى أمة انما يترتب على ما اعتمدته فيما بينها من فلسفة للقيم ونظرة الى الحياة . وانما الشرط القانونى لسلامة العقوبة أن تنسجم مع فلسفة الأمة التى اعتمدتها ، لا أن تنقاد لرأى من لم يكن له من شأن بها أو التفات اليها .

قاعدة تشمل الاسلام وغيره

واذا كان لكل أمة أن تقيم نظام الروادع فى حياتها على أساس ما انتهت اليه من نظرة الى الحياة وقيمها ، فان الشريعة الاسلامية ينبغى أن تملك — على فرض أدنى الاعتبارات — هذا الحق نفسه . واذا ما أراد أحد أن يوجه اليها أى نقد يتعلق بنظام ما فيها من روادع ، فان عليه أن يتجه بنقده الى تقويمها الاساسى للحياة ، لا الى ما تفرع عنه ، بسائق الضرورة ، من المقتضيات والاحكام .

ومع أن هذا الكلام ترديد لحقيقة واضحة لا يمكن أن تغيب عن بال أحد من علماء القانون أو المفكرين عامة ، فان خصوم الشريعة الاسلامية يتصرفون فى نقدهم لها كما لو كانوا على جهل تام بها .. ! يعذرون دولة ما من دول العالم اليوم فى ان تزهق روحا انسانية كريمة من اجل كلمة واحدة ، بحجة أن لها ذاتيتها المعينة التى تكسبها نظرة خاصة الى المصالح والقيم ، ثم لا يعذرون شرعة الاسلام « ولنفرض أنها من وضع دولة وليست حكم إله » فى أن تحكم بقتل الزانى بناء على مالها من ذاتية مستقلة اكسبتها هى الاخرى نظرة خاصة الى المصالح والقيم .. !

غير أن الحقيقة أن منبع استنكار هؤلاء الخصوم ليس استشعارا لقسوة فى الحكم ، ولا رحمة مزعومة فى القلب ، ولا هلعا صادقا على الانسانية .. وانما منبعه — كما قلت لك — معاناة هؤلاء الناس لعقدة الجديد والقديم .. !

ومعلوم ان العقد النفسية لا تبرز فى كلام أصحابها بهويتها الحقيقية ، وانما تبرز على السنتهم فى مظهر من النقاش الفكرى والنقد العلمى والدفاع الانسانى ..

لا تحل العقدة الا بالعقيدة

ولنتساءل بعد هذا : فما الوجه فى حل هذه العقدة .. ؟

والجواب أن اى انصراف الى (تزويق) الشريعة الاسلامية وتجميلها ، أو الى التفنن فى عرضها وتيسير السبيل الى معرفة احكامها — لا يمكن أن يبدل شيئا من نظرة الخصوم تجاهها ، أى لا يمكن أن يقوى على حل شيء من هذه العقدة التى فى نفوسهم عنها .. !

وانما الوجه فى ذلك أن نعود بهم الى اساس العقيدة الاسلامية التى اتجه بها القرآن الى الناس يغرسها فى نفوسهم وينبه اليها عقولهم خلال ثلاثة عشر عاما ، دون أن يخاطبهم طيلة تلك المدة بكلمة واحدة فى التشريع ..

الوجه فى حل هذه العقدة ، ان يقتنع هؤلاء الخصوم بأن هذا التشريع انما هو حكم الله .. ! لم ينبع من أرض عربية ، ولا اقتبس من أمة أعجمية ، ولا اخترعته « ادمغة قانونية »(1) خلال التاريخ . وانما تنزل وحيا من الله الذى لا اله الا هو على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ليبلغه الى الناس كلهم فيحتكموا اليه فى كل زمان ومكان .

ولا يخدعنك ما قد يظهر به أحدهم امامك من منطق الاسلام وسيما الايمان . فإما انه يخدعك بما يتظاهر به أمامك ، وإما أنه يخدع نفسه بما يرضيها من كلمات الايمان والاسلام .

ان اطلاق كلمة « التشريع الالهى » على الشريعة الاسلامية استعمال شائع على السنة كثير من الناس اليوم . ولكن استعمال هذه الكلمة شيء ويقين القلب بمضمونها شيء آخر .. ! الم تر كيف ينحط بعض الباحثين فى هجوم حاقد عجيب على الشريعة الاسلامية ، ثم يستدرك قائلا : ولكنى مسلم حججت والدتى وأختى على حسابى مرتين .. !!

مثل هؤلاء الناس يخدعون أنفسهم أو يخدعون من حولهم ، عندما يرددون شعار الاسلام وكلماته . والمشكلة فى حياتهم ليست مشكلة التشريع الاسلامى وحده ، بل هى مشكلة كل ما يتفرع عن الاسلام من مبادىء وقيم وأحكام .

واذا كان الامر كذلك ، فان حديثنا مع هؤلاء الناس ينبغى أن يعود الى أول الطريق : هل يوجد أدنى احتمال بأن القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة والسلام ، وانه كان يكذب — والعياذ بالله — فى نسبته الى الله .. ؟ وهل

---

(1) هكذا يقول المستشرق الالمانى شاخت .

تسمح سيرته عليه الصلاة والسلام وما قد عرف به من خلق وسلوك باسناد مثل هذا الكذب اليه .. ؟ وهل ثمت أدنى احتمال بأن يكون الإله مجرد وهم فى اذهان المؤمنين به .. ؟ واذا قيل لنا : أعوذ بالله ، بل الإله حقيقة ذاتية تفرض نفسها على الكون بأسره ، قلنا : أفيمكن أن يكون هذا الإله عابثا فى خلقه ، ابدع الانسان وركب فيه التفكير ومقومات النظر والتدبير ، وسخر لطاقته معظم ما يراه من حوله من المكونات والمخلوقات المختلفة ، ثم أطلقه بين سمع الدنيا وبصرها ليفعل ما يشاء وليعثو بالحياة وما فيها كما يريد ، يجعل لكل شىء من مخلوقاته المختلفة وظيفة دقيقة لا يتخلى أو ينحرف عنها ، ثم يترك الانسان الذى هو محور هذه المخلوقات كلها لينطلق مع رياح الوجود كما تنطلق ريشة فى الهواء .. ؟!!

أفيمكن هذا .. ؟!

ولعمرى ، ليس العجب الذى يذهل العقل ، ألا يهتدى الانســـــان الى الايمان بوجود الإله ، فربما قامت أمام هذا الانســـان حواجز — الى حين — صدت عقله عن رؤية هذه الحقيقة العظمى ، فيكون له من ذلك نوع من العذر .

وانما العجب الذى لا نهاية له ، أن يهتدى الانسان الى الايمان بالله ، وأن ينشر بين الناس كل يوم مزيدا من دلائل وجوده ومظاهر حكمته وعظيم تدبيره ، ثم يترك نفسه فى الحياة على سجيتها دون أن يتساءل عن أى مسؤولية قد يكون حمّلها من قبل هذا الإله .. !!

وما أشبه حال مثل هذا الرجل بحال من الجأه الليل الى كهف منقطع فى بطن جبل .. فأشعل نارا وراح يقلب العين فى جوانب الكهف وأرضه ، فرأى عظاما عليها بقايا لحم مأكول ، فهز رأسه مقررا بأن بعض السباع قد اتخذ من هذا الكهف مثابة له .. ثم استلقى على جهة من تلك الارض واسلم عينيه لسبات عميق .. !!

إله عظيم أوجدك وجعل من حياتك محورا لمعظم مظاهر هذا الكون ، تؤمن بذلك وتقر به ، ألا ينبغى أن يؤرقك اذاً أمر هذا الإله ومدى ما قد يكون له من سلطان عليك .. ؟ ألا ينبغى أن تفكر طويلا ، قبل أن تلقى بنفسك فى أحضان رغباتك المختلفة ، فيما قد يكون محظورا عليك منها فى حكم هذا الإله .. ؟

المؤمن بالله لا يمكن أن يجلس معه على مائدة مستديرة

تلك هى السبيل التى لا بديل عنها ، لحل عقدة القديم والجديد ، لدى خصوم الشريعة الاسلامية .

فاذا ما أتيح لهم أن يتبينوا هذه الحقيقة ويجزموا بها ، ولم يجمدوا هكذا فى منتصف الطريق بين الكفر والايمان ، فان المشكلة كلها تزول . وسوف لن تسمع من احدهم بعد ذلك شيئا من النقد المكرر المعاد على قانون العقوبات فى الاسلام ، أو على نظمه المالية المختلفة ، أو على غيرهما من بقية الاحكام .

ذلك أن الذى يتجه بالنقد الى شىء من أحكام الشريعة الاسلامية — بعد ثبوته بالأدلة الصحيحة — انما هو انسان يريد أن يجلس نفسه مع الله تعالى على مائدة مستديرة ليناقشه فى قراراته وأحكامه . وهيهات لمن آمن بألوهية الله عن صدق ويقين ، وأيقن أن القرآن كلام الله حقا ، وأن محمدا نبيه دون أى ريب — أن يضع نفسه لحظة واحدة « وهو العبد الذليل لله عز وجل » موضع الشريك له فى شىء من مظاهر الوهيته وتدبيره .

وما من لغز من هذه الألغـــــاز التى تعيش فى أذهان كثير من الباحثين

والمفكرين ، عن الشريعة الاسلامية ، فتجعلهم فى حيرة من امرها ومصدرها وتحليل ذاتها ، الا ويزول أثره ويتضح أمره عندما يؤمنون بالله هذا الايمان .

مرة يقولون : ان الشريعة الاسلامية مأخوذة من القانون الرومانى الذى كان سائدا فى بلاد الشام وما حولها ايام الفتح الاسلامى ، حتى اذا راوا ان شيئا من الأدلة لا يساعدهم على هذا الفرض عادوا يقولون : بل هى مقتبسة من التوراة والكتب السماوية السابقة ، حتى اذا تنبهوا الى أن هذا الكلام لا معنى له ما دام أن الكتب السماوية كلها منزلة من عند الله عز وجل وأن الدين عند الله واحد منذ بعثة آدم وهو الاسلام ، تحولوا الى القول بأنها ثروة قانونية تجمعت من نتاج أدمغة قانونية على مر الزمن .

حيرة فى العقل لا مذهب فى الراى

وواضح أن هذا ليس الا مظهر حيرة عقلية فى السبيل الذى يمكن أن يحل به اللغز .. ! وليس بحثا علميا مركزا بحال من الاحوال ..

ولا ريب أن الشريعة الاسلامية لغز يتمرد على كل حل ، بالنسبة لمن أقام أمامه سدا يمنعه من اليقين بأنها حكم الله وقانونه الى الناس ..

اذ أن قوانين الدنيا كلها انما يوجدها المجتمع الراقى ، فى حين أن الشريعة الاسلامية هى التى أوجدت المجتمع الراقى .. ! اى انها وجدت وتكاملت فى بيئة بدائية لا تحتكم الى غير الاعراف والعادات ..

وقوانين الدنيا كلها موصولة النسب بأفكار قانونية ذات مراس وخبرة بهذا الشأن .. فى حين أن قانون الاسلام ليس له من نسب فى الظاهر الا الى رجل أمى لم يقرأ كتابا ولا سمع بقانون ..

وقوانين الدنيا كلها تنمو متدرجة فى أطوار متجهة الى الكمال والتخلص من الاخطاء والنقص ، فى حين أن شريعة الاسلام ولدت كاملة لا تشكو نقصا أو اضطرابا .

قانون هذا شأنه يعتبر لغزا فى حق من أغلق أمامه بصيرة الايمان بأنه قانون الله . ولا بد له من أن يلصقه بالرومان تارة ، واليهود أخرى ، والفقهاء الذين توالوا مع الزمن تارة ثالثة ، سواء وجد الدليل على ما يذهب اليه أو لم يجد .. لأن العقل الانسانى لا يمكن أن يتصور قانونا معلقا فى الفضاء ، ليس له نسب يشده الى السماء ولا جذور ترجعه الى أرض أمة من الناس . ولولا ايمانى اليقينى بالله وبأنه صاحب هذا القانون ومنزله ، لاحترت فى شأنه كما احتاروا ولاضطربت فى فهمه كما اضطربوا .

—— ● ——

وجماع هذا الكلام كله يتلخص فى قوله عز وجل :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

فالايمان بالله وتحكيم شريعته متلازمان . اذا فقد أحدهما فقد الثانى لا محالة . هكذا يقول الله .

وصدق الله فيما قال .. وكذب من قال انه مؤمن ولكنه لا يرضى بشرعة الاسلام أو لا يقتنع بصلاحيتها للحياة .

المتكلمون في الدين

اللواء الركن محمود شيت خطاب

استطعت اقناع قسم من الضباط لصلاة يوم الجمعة ، وكنا في معسكر (المنصور) الواقع على نهر (ديالى) بين (بعقوبة) و (جلولاء) ، نقصدنا مسجد (المقدادية) القريبة من معسكر المنصور ، وكان ذلك عام ١٩٤٥ .

وحين اعتلى الخطيب المنبر ، اخرج من جيبه ورقة صفراء مطبوعة ، واخذ يتلو ما فيها متعثرا مترددا ..

وكان مما جاء في الخطاب : « ان الدنيا فسدت منذ عهد النبوة ، فكيف نرجو صلاحها ونحن في القرن الثامن .. ؟! » .

ومن الواضح ان الخطبة التي تلاها الخطيب في يوم الجمعة في القرن الرابع عشر الهجري ، قد كتبت في القرن الثامن الهجري ، أي قبل ستة قرون من قراءتها ..

ومع ذلك لم ينتبه خطيب الجمعة الى تصحيح تاريخ القرن على الأقل ، فيستبدل بالقرن الثامن القرن الرابع عشر .

فاذا كان ذلك مبلغ ذكاء خطيب الجمعة وعلمه ، فكيف نطمع أن يوجه الناس الى الخير والصلاح .. ؟!

وحين سمع الضباط من الخطيب جملة : « القرن الثامن » ، بالاضافة الى كل ما سمعوه من هراء يتلوه من ورقة صفراء مستلة من كتاب منبرى مطبوع ، وبالاضافة الى مظهره الزرى وجهله بالعربية وعدم تمكنه من القراءة الصحيحة والالقاء السليم ، ابتسموا اولا ثم تطور ابتسامهم في المسجد الى قهقهات بالغة في خارجه .

وكانوا بين اثنين : مؤدب اعتبر القضية منتهية بعد مغادرته المسجد ، ومهرج انتهزها فرصة سانحة للتهريج على خطباء المنابر وعلى عقلياتهم المتخلفة وعلى الدين ايضا .

والنتيجة أن هؤلاء الضباط تركوا الصلاة ، منهم من تركها مدة من

الزمن ثم عاد اليها بالتشجيع والحث ، ومنهم من تركها حتى اليوم .

ومن الصدف اننى رايت احد هؤلاء الضباط قبل ايام ، وقد علاه الشيب وأصابه الوهن ، ولكن (عقدة) خطيب المسجد (اياه) لا تزال عالقة فى ذهنه ، يحدث الناس عنها فى كل مناسبة ، ويرفض أن يعود الى أداء فريضة الصلاة .. !!

والسؤال الآن هو : هل وجود مثل هذا الخطيب فى مكانه خطيبا وإماما ، مفيد للاسلام والمسلمين ، أو هو مضر بهما .. ؟

وما هو واجب المسئولين فى الأوقاف وفى المراكز الدينية الاخرى المسئولة عن تعيين الأئمة والخطباء فى المساجد واعداد هؤلاء الأئمة والخطباء للنهوض بكفاية ومقدرة وفائدة بواجباتهم الدينية .. ؟

ان وجود خطيب جاهل ، يلحق أبلغ الضرر بالاسلام والمسلمين . ومن الافضل ألا تلقى خطبة الجمعة من خطيب جاهل ويبقى الجامع بدون خطيب ، أفضل من أن يلقى خطبة الجمعة مثل هذا الخطيب الجاهل ، لأنه ينفر الناس من الصلاة ومن يوم الجمعة ، ويعطى فكرة سيئة عن الدين ..

ان التكلم فى الدين سلاح ذو حدين : اذا أحسن المتكلم أفاد السامعين ، وأعطى فكرة عالية عن الدين ، وشجع الناس على الاقبال بشوق ولهفة للانصات الى المتكلمين فيه . واذا أساء ، أضر بالسامعين ، ونفر من الدين ، وجعل الناس يشمئزون من سماع المتكلمين فيه .

وقد ضاعف اختراع المجهار(1) وانتشار استعماله وظهور الاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية — من أهمية المتكلمين فى الدين ، لأن ما يقولونه أصبح مسموعا فى أوساط لا تعد ولا تحصى من الناس : فى الدار ، وفى الطريق ، وفى النوادى والمقاهى ، وفى كل مكان تصل اليها موجات الاذاعة فى العالم .

لذلك أصبح ضرر المسىء من المتكلمين فى الدين عظيما وواسعا ، وأصبحت فائدة المحسن عظيمة وواسعة أيضا .

ولست أنسى يوم كان المرحوم الشيخ محمد رفعت يرتل آيات الذكر الحكيم من اذاعة القاهرة فى الثلاثينيات من هذا القرن ، فقد كان الاقبال على سماعه مذهلا حقا ، ليس من المسلمين فحسب ، بل من غير المسلمين أيضا ..

وقد كنت أدرس اللغة الفرنسية عند احد القسيسين الذين يتقنون هذه اللغة فى مدينة الموصل عام (١٩٣٦) ، وكانت هذه اللغة مقررة فى الصفين الرابع والخامس من المدرسة الاعدادية ، وكان مدرسها فى الاعدادية مخيفا صارما ، مما حرم التلاميذ من مناقشته وسؤاله ، ودفعهم الى التماس تعلمها من القسيسين الذين لم يكن احد غيرهم فى الموصل يتقن الفرنسية ليتقوا صرامة معلمهم فى المدرسة وشره .

وكان الشيخ محمد رفعت يقرأ القرآن قبل أن ننتهى من دراستنا عند ذلك القسيس ، فكان يلتمس من طلابه أن يستريحوا مدة قراءة القرآن لينصت هو الى تلاوة الشيخ محمد رفعت .

---

(1) الميكرفون .

وكلان طلاب القسيس الذين يدرسون الفرنسية معى ، يرقبون انسجامه العظيم مع المقرىء الشيخ محمد رفعت ، وكان لا ينفك يردد بين آونة واخرى .. عظيم .. عظيم ..

وبعد انتهاء مدة القراءة ، يبقى القسيس فى شبه غيبوبة نحو خمس دقائق ، ثم يستأنف التدريس بعد أن يقدم أحر الشكر لطلابه على السماح له بالانصات الى تلاوة الذكر الحكيم .

وكثيرا ما كان ذلك القسيس يبدى اعجابه الشديد ببلاغة بعض الآيات التى سمعها وبمعانيها وسمو أهدافها ..

لقد كانت قراءة المرحوم الشيخ محمد رفعت فى الاذاعة المسموعة دعاية ضخمة للقرآن ليس بين المسلمين فحسب ، بل بين غيرهم من أصحاب الأديان الاخرى أيضا ..

وكنت أسمع صوته من أجهزة المذياع فى دور قسم من المسيحيين فى مدينة الموصل ، ولا بد أن غيرى سمع صوته وهو يرتل القرآن الكريم يخترق جدران غير المسلمين فى أصقاع كثيرة من البلاد العربية .

وما يقال عن اثر المرحوم الشيخ محمد رفعت ، يقال عن أثر كل قارىء مجيد ، وكل خطيب مجيد أيضا ، تنقل أصواتهم الاذاعة المسموعة أو الاذاعة المرئية . أو ينقل أصواتهم المجهار .

واذا كان المجيدون قد أحسنوا الى الدين ، فما أكثر اساءة الذين أساءوا الى الدين ..

ولو كنت مسئولا عن الاذاعة فى بلد عربى أو اسلامى ، لحرمت غير المجيدين من الاقتراب من دار الاذاعة ..

ولو كنت مسئولا عن رجال الدين ،لحرمت غير المجيدين من الاقتراب من منابر الخطابة فى بيوت الله ..

ولو كنت مسئولا عن قضايا التدريس فى المدارس والمعاهد والجامعات ، لحرمت غير المجيدين من الاقتراب من تلك المعاهد العلمية .

ان حرمان غير المجيدين من المتكلمين فى الدين خطباء ووعاظا ومدرسين وأساتذة ومقرئين ، اكبر خدمة نقدمها للدين الحنيف .

والمتكلمون فى الدين لا يمكن أن يقاسوا بالكمية ، أى بكثرة عددهم ، بل المهم فى هذه الناحية هى (الكيفية) لا (الكمية) ، فقد يفيد عدد قليل من المتكلمين فى الدين ، ما يقصر عنه الكثيرون ، وقد يفيد عشرة من المجيدين ، كما لا يفيده مائة من غير المجيدين .

فما هى المزايا التى يجب أنيتحلى بها المجيد من المتكلمين فى الدين .. ؟

يروى أن أحد العبيد سأل إماما من ائمة المسلمين ، أن يتكلم فى موضوع « أجر عتق الرقيق عند الله » .

ووعد الإمام أن يتكلم فى هذا الموضوع بأقرب فرصة سانحة ، وكان العبد يحضر كل يوم مجلس وعظ الإمام . وكان سيده من المعجبين بهذا الإمام ، يحضر مجالس وعظه كل يوم بانتظام ، ويصغى الى اقواله اصغاء تاما ، وينفذ ارشاداته ويطبق مواعظه ..

ومضى عام دون أن ينطق الإمام بكلمة واحدة حول الموضوع ، والعبد

يحضر كل يوم ويكاد يتميز من الغيظ على الإمام الذى أهمل موضـــوعه فنساه أو تناساه ..

وبعد مضى عام كامل من مراجعة العبد للإمام ، ووعد الإمام بأنه سيتكلم قريبا فى موضوع : اجر عتق الرقيق عند الله ، تكلم الإمام فجأة وأفاض فى ذلك الموضوع وأجاد ، فلم يبق فى مجلسه رجل سمع كلامه الا وأسرع فى عتق رقبة أو رقاب ، وكان ســـــيد ذلك العبد من بين المستمعين فأعتق عبده وأطلق سراحه من الرق ..

وأصبح ذلك العبد حرا يستنشق عبير الحرية بملء رئتيه ، ولكن بقى فى نفسه شيء من ذلك الإمام الذى تأخر فى ازجاء موعظته ، وكان بامكانه أن يفعل دون تأخير ..

وجاء العبد يسأل الإمام : لماذا جعلتنى اقضى عاما كاملا وانا أنتظر موعظتك الحسنة واقضى هذا العام فى العبودية والرق ، وكان بامكانك أن تقول كلمتك بعد يوم أو يومين من وعدك بالكلام ، فتنقذنى من الرق ومن عذاب الانتظار .. ؟

وقال الإمام : « يا بنى ! لم أكن أملك ثمن عبد ، وكان على أن اقتصد من نفقاتى لأملك ما أشترى به عبدا . ومضى عام حتى استطعت توفير المال اللازم لشراء عبد ، فقصدت سوق النخاسين أمس ، واشتريت من هناك عبدا ، ثم اعتقته لوجه الله . وحينذاك وعظت الناس بما سمعت وسمع سيدك ، فأعتقك سيدك واعتق غيره عبيدهم . ولو خاطبت الناس قبل أن أخاطب نفسى ، فأطبق (عمليا) على نفسى ما أطالب به غيرى ، لما كان لكلامى تأثير فى السامعين ، ولما أعتق احد عبده » .

ان الكلام لا يؤثر فى الناس ، ما لم يمتلىء من نفس قائلة ، فيصبح عملا ولا يبقى كلاما ..

والمتكلم فى الدين — فى أول مزاياه — أن يكون عالما متينا ، عاملا بعلمه ، يثق بأن تعاليم الاسلام أعظم التعـــــاليم وأنقاها واقدرها على معالجة مشاكل الحياة .

فاذا لم يكن عالما متينا ، فانه يهرف بما لا يعرف ، ويفتى بما لا يعلم ، ويقود الى الضلال لا الى الهدى .

واذا لم يكن عاملا بعلمه ، فانه لا يؤثر فى الناس ، ولا يكون قدوة حسنة لهم ، يقتدون به ويقتفون آثاره .

واذا لم يكن مؤمنا غاية الايمان بعظمة هذا الدين وصلاحيته مرشدا فى الحياة الدنيا وهاديا الى الطريق المستقيم الذى يؤدى الى الجنة ، فانه لا يكون متحمسا يصدر عن قناعة تامة وايمان عظيم .

ولو سئلت : أيهما تفضل : عالم متين لا يعمل بعلمه أو يعمل ببعضه ، أو أقل من الأول علما وأكثر عملا .. ؟ لأجبت بدون تردد : افضل الاقل علما الأكثر عملا ، لاننا بحاجة الى علماء عاملين لا الى علماء قوالين .

ومن أعجب العجب فى أمر هذا الدين العظيم ، أن كثيرا ممن نشروا الدعوة شرقا وغربا كانوا تجارا يجوبون الاقطار : علمهم قليل ، ولكنهم كانوا مثالا رائعا لتطبيق تعاليم الاسلام ومبادئه ، فكانوا بسيرتهم الحميدة مثالا شخصيا لغيرهم من المسلمين وغير المسلمين أيضا . وقد قال غير

المسلمين لأنفسهم : لو لم يكن دين هؤلاء عظيما ، لما كانت سيرتهم عظيمة . وهكذا اقبلوا على الاسلام ، ودخلوا فى دين الله افواجا .

أعرف رجالا صالحين ، علمهم قليل ، ولكن عملهم صالح ، استطاعوا ان يستقطبوا كثيرا من الناس ، يلتفون حولهم ، ويقتبسون منهم العمل الصالح ، ويتوجهون الى الله بعقولهم وقلوبهم .

واعرف علماء من الطراز الأول علما وتفقها ، ولكنهم منصرفون الى الدنيا بكل طاقاتهم ، لم يستطيعوا أن يؤثروا فى شخص واحد ، وليس معهم أحد غير كتبهم وسمعتهم التى لا يحسدون عليها .

وليس سرا أن هناك هوة عميقة بين الشباب من جهة ورجال الدين — او أكثرهم على الأصح — من جهة ثانية .

والسبب الأول لوجود هذه الهوة ، هو ما يردده أولئك الشباب ، بأن اقوال أكثر رجال الدين تناقض أعمالهم ، فهم يقولون قولا حسنا ، ويرددون مبادىء سامية ، ولكنهم لا يعملون بما يقولون ، ولا يلتزمون بما يرددون .

وبالطبع فان الأيدى الخفية التى تعادى الدين ، تبالغ فى وصف بعض رجال الدين ، لتبعد الشباب عنهم وتصرفهم عن أماكنهم .

ومع ذلك ، فلا تزال حقيقة واقعية يلمسها الناس هى : أن الاعمال لا تتناسب مع الأقوال ، وان الاعمال هى دون المستوى المطلوب الذى لا يمكن السكوت عن تيسره — على اسوا الاحوال .. !!

ان هذه الهوة السحيقة موجودة بدون ريب ، وهى خطرة على مستقبل هذه الأمة ، ووضع الرءوس فى الرمال — كالنعامة حين يداهمها عدو لا طاقة لها به — والتعلل بالأمانى والأوهام ، لا يجدى فتيلا ولا يصلح خللا ..

ان العمل الصالح وحده ، وتطبيق تعاليم الدين الحنيف عمليا ، هى الجسور السليمة القوية الصالحة التى تربط بين جانبى الهوة السحيقة التى تفصل بين الشباب وقسم من رجال الدين ، وبالتالى بين الشباب والدين نفسه ..

ان هذه الجسور وحدها حتى التى تربط بين جانبى الهوة ، وتجعل الشباب يعبرون عليها الى ساحل الأمان .. ساحل الدين .. ساحل النور ، بأمن وسلام واطمئنان ..

وهذه الجسور هى (الاعمال) ، اما (الأقوال) وحدها ، فتزيد الهوة عمقا ، والشقة بعدا ، ولا تؤدى ابدا الى خير .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ، من أقل الناس (كلاما) ، ولكنه كان من أكثرهم (عملا) ، لذلك جمع الناس ووحد القلوب ورص الصفوف على كلمة الله .

وكان عليه افضل الصلاة والسلام اذا قال أوجز ، ولكن قوله فصل الخطاب ، ثم يبدأ بنفسه وبأهل بيته وبالأقربين فيطبق أقواله عليهم ، ويشتد هو على نفسه فتكون أقواله بالنسبة الى اعماله شيئا يسيرا ، اذ أن اعماله عليه الصلاة والسلام كانت تفوق أقواله ، وكثيرا ما كان يرأف بأمته فيخفف عنهم ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ولكنه مع نفسه كان يعمل

ويعمل ، حتى يصوم فلا يكاد يفطر ، وحتى يقوم الليل فتتورم قدماه من القيام ، وحتى يعيش واهله لايستوقد بنار الشهر والشهرين ان هما الا الأسودان : التمر والماء ..

والعلماء ورثة الأنبياء ، والعالم العامل يستطيع أن يقدم خدمات لأبناء عقيدته ولغيرهم ايضا لا تقدر بثمن ، وتكون خدماته بمقدار عمله أو أعماله ..

وليس من شك أن المادية قد طغت على هذا العصر ، ولكن هذه المادية وحدها لم تصرف الشباب عن الدين ، بل هى احدى الاسباب ، وتقصير العلماء غير العاملين من الاسباب الحيوية ايضا .

كان فى الموصل عالم عامل هو المرحوم الشيخ الحاج محمد الرضوانى ، وكان آية من آيات الله فى العلم والورع .

وكان هذا العالم العامل موضع ثقة الناس على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم واديانهم ، فقد كان يلجأ اليه الخصوم ومنهم النصارى ، ويرضون بحكمه ويخضعون لتوجيهاته . وكان مقصودا من المسلمين للتبرك به أو طلب الرقية منه ، وهذا أمر طبيعى ، ولكن الامر غير الطبيعى هو أن يكون مقصودا من النصارى أيضا للتبرك به وطلب الرقية منه .

لماذا أصبح هذا الشيخ الورع موضع ثقة المسلمين وغير المسلمين ؟ لقد كان فى الموصل شيوخ لا يقلون علما عن الشيخ الرضوانى ، ولكن لم يقف احد على بابهم ولم يلجأ اليهم احد الا نادرا .

طبعا أصبح الرضوانى عليه رحمة الله موضع ثقة الناس به ، لأنه لم يقتصر على العلم وحده ، بل كان عاملا بعلمه الى ابعد الحدود .

ولست انسى يوم مات المرحوم الرضوانى ، فقد خرجت الموصل عن بكرة ابيها لتشييعه ، واقفلت الاسواق وتعطلت المصالح ، وشارك فى تشييعه المسلمون وغير المسلمين بنفس اللوعة والحزن والأسى .

وقد ظهر الفقر بعد موته على أكثر من مائتى عائلة ، كان يمدها بما يكفيها من مال سنويا ، دون أن يعرف أحد من الناس من أمرها وأمره شيئا ..

ولم ار فى حياتى رجلا متواضعا ورجلا على جانب عظيم من الخلق الرفيع ، كالرضوانى عليه رحمة الله .. كان يفر من الشرف والشرف يتبعه ..

لقد كان عالما عاملا بكل معنى الكلمة ، لذلك كان اذا قال سمع الناس ، واذا امر سارع الناس الى تنفيذ أوامره ، وكانت اشارته العابرة تعتبر أمرا لا يخالف ..

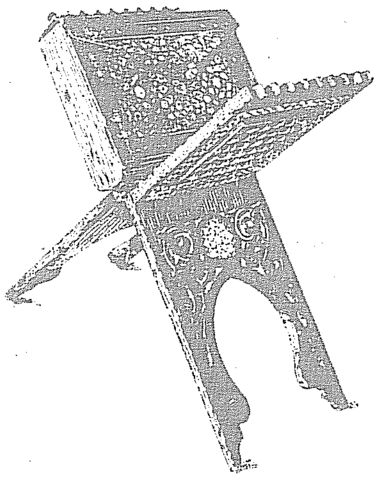
وكان اذا حكم بين خصمين ، تقبلا حكمه برحابة صدر ، وكانت قوة حكمه أقوى من قوة حكم المحاكم العسكرية والمدنية فى وقته ..

حكم تلك المحاكم خاضع للاستئناف والتمييز ، وحكمه غير خاضع لسلطات غيره .. فهو قطعى .. والغريب أن المحكوم عليه يتقبل حكمه بنفس الحماس والقناعة التى يتقبل بهما حكمه المحكوم له .

« للبحث صلة »

مفهومات قرآنية

للأستاذ : أحمد محمد جمال



التطميع فى العبادة :

عقـــائد الناس وعباداتهم ــ فى دنياهم ــ مختلفات ، ومتعـــددات . فمنهم من يعتقد « المجد فى المـــال » يبذل عرضه وكرامته فى سبيل جمعه للمال الكثيـــر . ومنهم من يعتقـــد « المجد فى اتباع السادة » يستلـذ التمسح بالاعتاب وتقبيل الايـــدى الجديرة بالقطع ! ويحمـد الركـــوع والسجود بين أقدام الكبراء والرؤساء من أجل أن يعرف بالقرب من فـــلان الكبير وعلان الخطير ، فيرجى نفعه ، ويتقى أذاه .

ومن الناس من يعتقد « المجد فى الشرف » فليست الحياة بحذافيرها عنده شيئا اذا ضيم عرضه ، أو اقتحم حماه ، ومن تعتقد « المجد فى العفة » فليس الحب بلذائذه ومتعه عندها شيئا اذا أريد لعرضها أن تلغ فيه الكلاب ، وتختلط فى مخاونتها الأنساب .. وعكس هذه المعتقدات موجود فى دنيـــا الناس فى قديم الدهر وحديثه ، على سواء .

★ ★ ★

وللمجتمعات ــ كما للأفـــراد ــ عقائد وعبادات .. هى ما نـــراه من عادات وأعراف اجتماعية وأخلاقية ومذاهب اقتصادية يتوارثها الأخلاف عن الأسلاف .. فى نظام المعيشة ، ومعاملة الأفراد بعضهم لبعض ، وفى سياسة الحكومة للأمـــة ، وفى التعامل التجارى ، وغير ذلك من أوضاع وتقاليد ، تميز المجتمعات الانسانية بعضها عن بعض .

ومظاهر هذه (العقائـد) هو ما نعنيه (بالعبادات) ، فأساس التصرف هو الاعتقاد ، والاعتقاد هو مصـدر السلوك ، بلا جدال .

أريد أن أقول ــ بهذه المقدمة الوجيزة ــ : إن العقيدة لازمة انسانية لحياة كل فرد وكل جماعـة ، برفع النظر عن الوانهـا ومجالاتها وموضوعاتهـا المختلفات . وقد ينسى بعض الناس أو يغفل عن لزوم (العقيدة) ووجودها . ولكنها مع ذلك تظل حقيقة قائمة تحكم سلوك الأفراد والأمم وتوجه أنظمتهم الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية .

ونتحدث ــ بعد هذا التمهيد ــ عن عقيدة المسلم وعبادته التي تصـدر عنها ، كما يريدهما القرآن . وقد أسميت موضوع حديثي هنا (التطميع فـي العبادة) ، وأنا أقصده قصدا ، وأعمد الى لفظة (التطميع) عمـدا لأصور حقيقة سمة الكرم الالهي بل امتيازه واختلافه عن كل ما يعرفه الناس من كرم ..

ولأقرب هذا المعنى أذكر الحديث النبوي : (إن الله يحب أن يسأل .. ومن لم يسأل اللـه يغضب عليه).

وقد صور الشاعر المسـلم هذا التوجيه النبوي في قوله :

لا تسألن بني آدم حاجـة — وسل الذي أبوابه لا تحجب
فالله يغضب إن تركت سؤاله — وبني آدم حين يسأل يغضب

★ ★ ★

إن مائـدة القرآن سخية بهذا (التطميع) في عبادة الله .. بخوفه حين يجب أن يخاف ، ورجائه حين ينبغي أن يرجى ، وبذكره تمجيدا وتحميدا حين يجب أن يذكر :

يقول الله تبارك وتعالى :

ــ « ادعوني أستجب لكم .. »
ــ « ادعوا ربكم تضرعا وخفية .. »
ــ « فادعوا الله مخلصين لـه الدين » .
ــ « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب » .
ــ « واسألوا الله من فضله .. »
ــ « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم » .
ــ « فاذكروني أذكركم ، واشكروا لي ولا تكفرون » .
ــ « فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا .. » .
ــ « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » .
ــ « قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؟ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء . » .

ماذا بعد (تطميع) الله عز وجل لعباده في عبادته على هذا النحو السخي الشهي ؟

أما يخجل بعد ذلك من يلتمس الخير والبركة والمنافع عند من لم يخلقوا شيئا وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ؟ .

إن الله سبحانه هو الخالق ، وهو الرازق ، وهو المحيي ، وهو المميت .

واعتقاد هذه (العقيدة) هو مفتـاح عبادة المسلم لربـه ، وإذعانه له ، ورجوعه إليه في البأساء والضراء وحين البأس ، وفي السراء كذلك .. هنالك يرجوه كشف الغمة ، وهنا يبثه شكر النعمة .

ولذلك حرص نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام أن يوصي أمته وهو يفارق

دنياه ، بالحفاظ على هذا الزاد الذى لا ينفد ، والسلاح الذى لا يفل : « الصلاة الصلاة .. » .

وكان يقول عندما يحين وقتها : « أقم الصلاة يا بلال — أرحنا بها » وقال صلى الله عليه وسلم ايضا : « جعلت قرة عيني فى الصلاة » وتتابعت آثاره وأخباره تؤكد : أن الصلاة عماد الدين — وانها مفتاح الفلاح — ومعراج المؤمن — وأنه كان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ليفرغ فيها همه ، ويغذى عزمه ، ويطمئن قلبه بذكر الله : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

★ ★ ★

إن العبادة سواء أكانت صلاة أم دعاء أم استغفارا ، وسواء أكانت صوما أم زكاة أم حجا — إنما هى أغنى زاد ، وأمضى سلاح ، واغلى كنز .. يصحبها المسلم فى حياته ، ويكون بها فى (معية) الله قويا غنيا عزيزا ، تهون عنده متاعب الدنيا ، وترخص متارف الجاه والمال ، ويذل الأعداء والخصوم ، ويكون الله تبارك وتعالى بهدايته ورعايته ، — كما جاء فى الحديث القدسى — : سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يسعى بها ..

ومع أن الله عز وجل هو الغنى وعباده هم الفقراء إليه فإنه يدعوهم فى كتابه ، ويكرر الدعوة ، ويلح فى التذكير بها .. يدعوهم الى استغفاره من خطاياهم ، والى التوبة النصوح عن سيئاتهم ، والى سؤاله من فضله الواسع ، والى الا يقنطوا من رحمته فهو يغفر الذنوب جميعا ، والا ييأسوا من روحه ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . ويدعوهم أن يذكروه فى سلمهم وحربهم ، فى سرائهم وضرائهم .. فنصره هو النصر ، وهو وحده كاشف الضر ، وهو الذى يطعم ويسقى ، ويمرض ويشفى ، وهو الذى يخذل وينصر ، وهو الذى يمنع ويمنح ، وهو تبارك وتعالى قبل ذلك كله « وسع كل شىء رحمة وعلما » .

إن (معية) الله : فى عبادته السالمة من كل شرك ، الدائمة فى كل وقت . وقد كرر القرآن الكريم أن معية الله قائمة للمحسنين ، والمتقين ، والصابرين . والاحسان والتقوى والصبر هى ثمرات (العبادة) الخالصة الدائمة . ولن يفوز انسان بصلة الله ومعيته حتى تكون صلاته وصومه وحجه وزكاته وكل عباداته من ذكر ودعاء وخوف ورجاء : (عقائد) ضمير قبل أن تكون أعمال جوارح .

— إن فى الصلاة : دعاء ورجاء ، وخوفا وطمعا ، وشكرانا ورضا .
— وفى الصوم : مصابرة والتماسا لعفو ورحمة وغفران .
— وفى الحج : رياضة بدنية وروحية ، وتعارفا مع الاخوة المسلمين .
— وفى الزكاة : تعاونا بين الأغنياء والفقراء ، وتزكية للنفس والمال معا .

إنها — هذه العبادات : معية الله قبل معية الناس . وما أكرم معية الله وأجودها بأطايب الثمار ، وجلائل الآثار . وصدق الله العظيم ، وصدق رسوله الكريم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : « ما تقرب الى عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التىيمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه .. » وفيما يقوله سبحانه حين ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا فى

ثلث الليل الآخر : « مــن يدعونى فأستجيب لــه ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ مــن يستغفرنى فأغفر له ؟) ويقول عز وجل : (هل من تائب ؟ هل من داع ؟ ومن يقرض غير عــدوم ولا ظلوم ؟) .

هكذا يطمعنا الله تبارك وتعالى فى عبادته ، ويغرينا بذكره ، وهو الغنى عنا ونحن الفقراء اليه ، ويعدنا مغفرة منه وفضلا ، ويبسط لنا معيته وظله .. وإنما يستجيب الذى يسمعون .

★ ★ ★

مكـــارم التقــوى :

وننتقل ــ على مائدة القرآن ــ الى موضوع قريب نسيب للأول ، الى مكارم (التقوى) وبركاتها وفتوحها فى عالم المادة وعالم الروح على سواء ، وهى ــ المكارم والبركات والفتوح ــ : عيش ميسر ، ونصر مؤزر ، وصلة بالله دائمة تمد المتقين بهداها ورضاها ،وبعزمها وعلمها ، وانسها وحرسها ، وتدخر لهم فى معادهم الى الله خير مثوى ، وأكرم مصير ..

لقد رجحت كفــة الباطل والإثم ــ فى ميزان الحياة ــ اليــوم ، وزين للناس حب الشهوات من ثراء ونساء ، حتى لم يعد للعفة والحياء عندهم معنى يفهمونه ، ولا لفظ يحترمونه ،واصبح معتمدهم فى معاشهم على المال والجــاه ، وامسى مبتغاهم : اللــذة والنعيم ، وازداد تنافسهم على الزخرف الظاهر دون الجوهر ، وقامت فى سبيل حبهم للدنيا الحروب ، وخفقت بها القلوب ، وذهلوا من أجلها عن انسابهم وأرحامهم ، لا يصلونها ، وعن أعراضهم لا يحمونها أو يغارون عليها ، وغدت جهودهم وأموالهم الجمة تنفق بسخاء لكى يتغلب القوى على الضعيف ، ويظلم الغنى الفقير ، ويحيف السيد على المسود .

ومرد ذلك كله ، وسببه الوحيد الفريد : أن الانسان نسى سره ، وفقد ذخره .. نسى مما خلق ولمخلق ؟ وبم زود ؟

لقد خلق الانسان مما وصف لنا فى القرآن ، ومما نعلمه .. من سلالة من طين .. ولم يخلق كماخلق الملائكــة من نور ، ولا كما خلق الشياطين من نار ــ ليكون (خليفة) الله فى الأرض يعمرها بالخير والعدل والسلام . وزوده اللــه لتحمل هذه (الأمانة) الثقيلة الجليلة التى اشفقت السموات والأرض والجبال ، وابين أن يحملنها ، زوده سبحانه بطاقة روحية تمكنه ــ ما ظل محتفظا بها ــ من استلهام ربه ، والاستعانةبه ، والاعتماد عليه .. فى فتح المغاليق وكشف الغم ، واستنباط (بركات) المادة ، وإنجاز (فتوح) الروح .

هذه الطاقة الروحية هى ذخر الانسان فى حياته ، وليس ذخــره المال والمتاع من نساء وبنين وقصور ودثــور . وهى (الإحساس) النابض الخفاق فى وجدانه ، الهاتف دائما فى ضميره : إن الله معك يعلم ما توسوس بــه نفسك ، وما تخون بهعينك، وما تجترحه يداك ، فارقبه خوفا ، واطلبه طمعا ..

وهى ــ هذه الطاقة الروحية أو هذا الذخر الوجدانى ــ : (التقوى) : والله عز وجل إذا اتقى عبده محارمه أعطاه مكارمه : هدى وغنى ، وعزمة ونــورا .

وهلم إلى مائــدة القرآن التى تفيض بهــذه (المكارم) لمن يتقى المحــارم وينشد العزائم :

هل تريد رزقا مباركا طيبا ؟ إذن فاقرأ :

ــ « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

— « فقلت استغفروا ربكم إنــه كان غفارا يرسل السـمـاء عليكم مدرارا والأرض » .

— « فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السـماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين » .

— « ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .. » .

أم تريد تيسيرا لما تعسر من أمرك ؟! إذن فاقرأ :

— « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى » .

أم تطلب علما ورشدا ونورا تمشي به في الدنيا ؟ إذن فاقرأ :

— « من يؤمن بالله يهـد قلبه » .

— « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » .

— « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

— « إتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لكم نـورا تمشون بـه » .

أم ترجو ذكرى بعد نسيان ، وتوبة بعد حوبة ، ومغفرة بعد زلة ، إذن فاقرأ :

— « ومن يتق الله يكفر عن سيئاته ، ويعظم لـه أجرا » .

— « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » .

— « واذكر ربـك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هـذا رشدا » .

أم تريد حرسا إلهيا يرعاك ويتعهدك ؟ إذن فاقرأ :

— « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

أم تطلب نصرا وفوزا في حـرب مع عدوك ، فهذه الآيات تدلك عـلى مفتاحهما :

— « بلى إن تصبروا وتتقوا — ويأتوكم من فورهم هذا — يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكـة مسومين » .

— « إن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » .

— « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

ونصر الانسان لربـه هو طاعته وتقواه ..

أم تبتغي أن تكون من أولي العزم في مكـاره الدنيا ومحابها ؟ فسبيل ذلك ترسمه لك هذه الآيـة :

— « وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور » .

وأخيرا هل تريد مصيرا كريما وعاقبة حسنى ؟ إذن فاتل هذه الآية :

— « لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهـار خالدين فيها نزلا من عند الله ، وما عند الله خير للأبرار » .

وبعد : فهذه بعض مكارم التقوى وبركاتها وفتوحها في عالم المادة وعالم الروح . وصدق الله العظيم : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) .

قضية الفكر الاسلامي

الأستاذ : محمد احمد العزب

من طبائع الأشياء أن تكون الحركة الفكرية في طور لاحق أثرى من الحركة الفكرية في طور سابق ، وتتأكد هذه الفرضية إذا كان مسار **« الحياة العامة » سياسيا واقتصاديا** وحضاريا .. متجها الى الامام وليس الى الوراء ، فإن بين حركة الفكر — على كل مستويات هذا الفكر — وبين أطر الحياة العامة أواصر موشوجة تلهم وتستلهم في جدل وجودي لا يكف في لحظة من لحظاته عن امكانية المعاطاة .

فاذا انتكست الحركة الفكرية في طور لاحق عنها في طور سابق مع تدفق الأطر الحيوية الأخرى في اتجاهها الصاعد فلا بد أن تكون هناك خلفية فاجعة تحتم هذه الرجعة أو قل هذا البوار !!

والمتأمل في حركة « الفكر الإسلامي » يروعه ما يلاحظ من انحسار فاجع بلا تبرير ، مع توافر المتاحات الفكرية والعلمية والتقنية على مستوى لم يكن متاحا لكل المبدعين في هذا الصدد قبل هذه السنوات الخصيبة العجاف في آن !!

بمعنى أن جيل الرواد المعاصر لهذا الجيل من امثال طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسين هيكل ، واحمد أمين ، وغيرهم ، ما يزال هو الجيل القادر على التحرك في اتجاه تشكيل ملامح المرحلة ، وإعطاء حركة الفكر الاسلامي أسلحة هائلة ما تزال هذه الحركة تقاتل بها اليوم هنا وهناك وعلى كل الجبهات !!

لا بد أن وراء هذه الظاهرة عوامل جذب ورائية تعيق من تقدم الفكر ، وتحد من انطلاقه الى أرحب الآماد .. وفي رأيي أن هذه العوامل ليست من النوع المادي الذي يمكن القبض عليه هكذا في عفوية بادهة ، وإنما هي على النقيض من ذلك تماما تكاد تشكل قضية بذاتها تحتاج في تأمل أبعادها الى دراسات واستقصاءات وتأملات .. أعني أن تأمل هوية العوامل الورائية في قضية الفكر الاسلامي ليس أقل خطورة وصميمية من تأمل قضية الفكر الاسلامي نفسها ، فإن جانبا هائلا من تعديل المسارات التاريخية يرجع بالضرورة الى فهم أسلحتنا المنتضاة في هذا الصدد ،

بين المد والانحسار

وإلى فهم نوعية استعمالنا الصوابى لهذه الأسلحة المنتضاة ، وإلى تأمل فرضية الفشل الى جانب تأمل فرضية النجاح ، هكـذا بلا تفـريق .. إن الاندفاع المتحمس فى طريق التفاؤل لن يجدى على الاطلاق ، وخير منه بملايين الأحجام أن نتوقع نقيضه حتى ندرب كل طاقاتنا على السبح ضـد إرادة التيـار !!

ولست بقادر فى هذه السطور على رصد كل الظاهرة واستقصاء كـل عوامل جذبها الورائى ، فإن هـذا الأمل هو منشودى من تحريك جهودنا الفكرية على هـذه الطريق ، بمعنى اننى لا اطمع هنا إلا الى لـون مـن الاستنفار الحقيقى لهـذه الغاية ، والدعوة الى تعبئة شاملة فى هـذا المجال ، تماما كما حاولت من قبل فى دراستى لهوية « الأدب الاسلامى » .. ودراستى « للفكر الملحد » الذى يتفيأ صفحات ما يقـرأ شبابنا مـن إبداعات مسرحية مترجمة (١) .

القضية الآن هى بالتحديد : لماذا استطاع جيل الرواد أن يبدع لنا هذه الشوامخ : « حياة محمد » ــ للدكتور محمـد حسين هيكل ــ و « الله » و « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » و « العبقريات » ــ للأستاذ عباس محمود العقاد ــ و « مرآة الإسلام » و « على هامش السيرة » و « الفتنة الكبرى » ــ للدكتور طه حسين ــ و « فجـر الاسلام » و « ضـحى الاسلام » وكثير مما أبدع الـدكتور احمد أمين . وأحمد أمين بالذات ... وغيرها .. وغيرها .. ولم نستطع نحن ــ إلا على مستوى هامشى ــ أن نضيف الى ما بذلوا او حتى ان نواصل مسيرتهم الجادة المثقفـة على هذا الطريق ؟؟

إن معاناة بلا حدود يحسها الباحث المعاصر حين يتصدى لدراسة أكاديمية فى هذا المجال . لأن كل الجهـود المعاصرة المبذولـة حتى الآن تعيش عالة على هذه الدراسات الرائدة ، وتكاد من فرط العجـز أو من فرط التثاؤب ــ لا أدرى ــ أن تمضـغ مفاهيمها فى اجترار مكروه ، وذابل ، وبليد !! فلماذا ؟؟ لماذا نحاصر أقلامنا فى محدودية الانفعال ولا نقفز بها الى قمة الفعل ؟ لـماذا لا نتصـدى فى جسارة وانفتاح لمقولات بحجم ثقافة عصرنا الـلاغط ، ونكتفى دائمـا بملامسة السطوح فى هشاشة توحى بمأساوية اللامبالاة ؟؟ لا شىء يبرر

هذه الوضعية الهابطة سوى كوننا أصغر من كوننا الحقيقى ، أصغر من مقولاته وممكناته بلا حدود !!

لقد تصدى الدكتور محمد حسين هيكل فى « حياة محمد » لمقولات هابطة حاصرت تاريخنا الاسلامى من شرق الأرض وغربها جميعا . وبعقلية رائعة ومنهجية أروع استطاع الرجل أن يحيل مناطق الهجوم على الاسلام الى مناطق استسلام أو قل الى مناطق دفاع على أهون الفروض !!

ولقد تصدى الأستاذ العقاد مثلا فى « عبقرية محمد » لمقولات أبشع هبوطا حاولت أن تجعل من قائد الحركة الاسلامية عليه الصلاة والسلام مجرد فاتك بالسيف ، أو مجرد عاشق للجميلات ، واستطاع العقاد — من منظور عقلى معاصر مستوعب — أن يرسخ مسلمة أن هذا النبى القائد كان وما يزال وسيظل أعدل من قبض على حمائل سيف ، وأعف من نظر الى امرأة فى رحائب الوجود !!

ولقد تصدى الدكتور طه حسين فى كتابه « على هامش السيرة » لمقولات الجفاف فى النمط الاسلامى واستطاع الباحث الفنان فى طه حسين — من خلال تقنية فاهمة — أن يسكب الاخضرار فى أعراق هذا النمط ، وأن يحيل كل مسيرة الشخوص الى نبض وجودى زاخر بأنبل ما على الأرض من عواطف البشر ، وبأروع ما فى الوجود من هواتف الأرض الرانية الى مناطها فى السماء !!

ولن أتحدث عما كتب أمين ، وعما تصدى له ، فان ذلك وحده يحتاج الى دراسة شاملة معمقة تفى بحقه على الجيل !!

وتستطيع أن تقول ذلك فى إبداعات أخرى مما أبدع هذا الجيل الرائد — ولسنا هنا بصدد الاستقصاء بقدر ما نحن بصدد الايماء — الشىء الذى يرسخ فى الأذهان قضية أن الجيل الرائد كان يعرف من أى المنطلقات يبدأ زحفه الهائل ، والى أى الآماد ينتهى مساره الكبير !!

فلماذا إذن توقف الزحف ؟ ولماذا إذن انتهى بهذا الجيل هذا المسار ؟ لماذا لم يواصل الجيل الخالف اندفاعه المؤمن قابضا على حركة التصدى الفاعل فى حومة الحوار ؟

أكاد أزعم هنا أن الفارق الصميمى بين موقف كل من الجيلين : أن الجيل الرائد حين خرج الى القتال بالقلم فقد خرج شاهرا فى وجه كل التحديات إيمانه بنفسه ، وإيمانه بعقائديته ، وإيمانه بروعة مواريثه الثاوية — لا يهم — فى بطون الكتب الصفراء !! فى حين خرج الجيل الخالف الى القتال غير شاهر سوى إيمانه المرتعش وعقائديته المدخولة ، وغير قليل من الشك فى مواريثه التى خجل معها أن يقال : إنه قارىء كتب صفراء لا حمراء !! لقد انعكس هذا التسيب العقائدى والفكرى على موقف هذا الجيل الخالف فلم يستطع أن يصمد على جبهة المواجهة مقاتلا هاجما أو حتى مقاتلا على جبهة الدفاع !!

لا تقولوا إن الزحف « فى هذه المرحلة » يوشك أن يكون كاسحا بأفدح مما تعرض له الجيل الرائد تحت مظلة تفتح الفكر المهاجم على آفاق لم يكن يحلم بها فى قمة المرحلة الفائتة ... فإن هذه المقولة مرفوضة من وجهين :

أولهما : أن عرامة أى هجوم تقتضى بالضرورة استجابة دفاع أذكى وأقدر !!

وثانيهما : أننا ما نزال نقاتل هذا الهجوم الكاسح بفكر جيلنا الرائد لا بفكرنا نحن ، وما يزال فكر هذا الجيل الرائد يقاتل لنا ومن أجلنا على كل الجبهات !!

إن المتبع لحركة الفكر الاسلامى يوشك من خلال أولئك الرواد أن يركز على أساسيات بارزة فى إبداعهم :

كان بعض هذا الابداع بمثابة (تفجير للينابيع) .

وكان بعضه بمثابة « تأصيل للمفاهيم » .

وكان بعضه بمثابة « طموح الى التنظير » .

وكان بعضه بمثابة « ارتفاق منهج نصى » .

وكان بعضه بمثابة « تجول فنى فى حدائق المقائديات » .

وحتى لا يتصور أن حسا من التطوح الشعرى يؤطر هذه الكلمات، فقد يكون من الأجدى أن نقول : إن « حياة محمد » لهيكل كانت خطوة على طريق تفجير الينابيع ، وكانت « حقائق الاسلام وأباطيل خصومه » للعقاد و « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » لأحمد أمين ، خطوة على طريق تأصيل المفاهيم .. وكانت دراسة العقاد الفذة عن « الله » خطوة على طريق الطموح الى خلق نظرية إسلامية — من المنحى الفكرى — فى هذا المجال .. وكانت « مرآة الاسلام » لطه حسين خطوة على طريق احتواء المنهج النصى ... وكانت « على هامش السيرة » لطه حسين خطوة على طريق التجول بالفن فى حدائق المقائديات !!

وهنا أستطيع أن أزعم أن إبداع هؤلاء الرواد لم يكن حركة لوح تلقائى يستريح من معاناته الكاتب بنفثه كلمات على وجه الورق ، وإنما كان حركة فكر ريادى يتكىء فى اندفاعه الواثق على حس تكاملى كان يسيطر على حركة أولئك الرواد فى قضية إبداعهم الفكرى والفنى ... بمعنى أن كل واحد منهم كان يشكل صوتا فكريا وفنيا مفردا ، لا يريد لنفسه أن يكون صوتا مكرورا ولا صدى لصوت مفرد أو مكرور ، وبهذا الحس المغامر الطموح استطاع هذا الجيل أن يشكل — من خلال إبداعه — دائرة متكاملة يقضى أولها الى آخرها بلا نشاز — فحين نرى اتجاها الى تفجير الينابيع هنا ، نرى الى جواره اتجاها الى تأصيل المفاهيم هناك .. وحين نرى غير بعيد ملامح اتجاه الى محاولة التنظير نرى غير بعيد كذلك اتجاها الى ارتفاق المنهج النصى ، وحين نرى ميلا هادفا الى التجول الفنى فى رحائب المقائديات نحس بأن هذا المتجه يأتى لتمام دائرة لا تتم فى غيابه على الاطلاق ، وهكذا تنتهى الدائرة الى تفرد بارز من ناحية ، والى تكامل أروع بروزا من ناحية أخرى ، ولا تكون قضية المبدع هنا أن ينوع على لحن أساسى مكرور غامر بابتكاره سواه ، وإنما تكون قضيته أن يبحث فى المدار الفكرى والفنى عن مناطق البكارة والأمل الصميمى فى إضافة لبنة الى جدار الواقع العقائدى حتى ينهض الجدار ويتشامخ البناء .

ولعلنى لست فى حاجة الى شجب الجانب الآخر أو الدعوة الى شجبه ، أعنى اننى لست فى حاجة الى إدانة الجيل الخالف ، الذى يتحرك بالفكر والفن فى مناطق النفوذ التى أفرغت أمعاءها تماما ... لقد شهدت المرحلة الاخيرة موجاتمن « الدعاية » الفكرية للقضية العقائدية مكرورة بلا ملال ، ومقلدة بلا حياء ، وتافهة بلا قرار ، ولم نلمح من خلال كل هذا اللجب اللاجب قضية واحدة قادرة على البقاء . ولا دراسة واحدة يمكن أن تضيف الى ضمير العصر أبعادا جديدة تثرى حركة الفكر فيه ، أو حتى حركة الحوار !!

أن يكون الجيل الرائد مفجرا للينابيع ..

وأن يكون مؤصلا للمفاهيم ...

وأن يكون طموحا الى التنظير ...

وأن يكون مقترحا لمناهج متعددة ..

وأن يكون متجولا — على مستوى فنى — فى حدائق العقائديات .

وأن يكون الجيل الرائد كل أولئك جميعا .. فإن هذا كله يعطى هذا الجيل جدارة التمدد فى أخلاد الأبد .. وجدارة التخطى لملايين السدود !!

وأن يكون الجيل الخالف عاجزا بقدرية فادحة عن مجرد العطاء فى أى من هذه المنطلقات فكريا وفنيا ، فإن هذا كله يعطى جدارة السقوط اللاهث تحت سنابك التاريخ !!!

أعلم أن جهودا بذلت — على مستوى الجيل الخالف — فى كل من هذه المجالات ، ولكننى لست عن مجرد الجهد المبذول أبحث ، فقضيتى أبعد تجذيرا فى تربة الواقع الفكرى من مجرد الحركة أو مجرد الدوار ... وأوشك أن أجزم بأن محاولات مستحدثة قد بذلت بالفعل وهى ليست قريبة الغور فى هذا الصدد ، ولكنها فى النهاية تبقى محاولات مفردة تفتقر الى ما يعاونها على تكامل الدورة ، وانسياب البعض فى حركة الكل الكبير !! من هذه المحاولات — مثلا — بعض جهود مالك بن بنى (٢) فى الجزائر — وبعض جهود نديم الجسر (٣) فى لبنان . وبعض محاولات محمد البهى (٤) فى مصر .. وغيرها ... وغيرها .. وهى محاولات موفقة وطموحة من غير شك ، ولكنها كما قلت لا ترتكز فى تمامها على حس تكاملى يفضى فى النهاية الى ظاهرة بارزة التمام !!

ولقد كان من الممكن أن يشكل الفكر الاسلامى بمتاحاته المعاصرة حركة أروع من الحركة الرائدة ، وثورة أشمل من كل ثورات الفكر الاسلامى عبر كل العصور .. ولكنه — فيما يخيل الى — فكر قانع ومستسلم وغير باحث عن حركة الكدح أو حركة المعاناة .. أو قل : إنه فكر قابض على قناعاته النهائية بما هو عاجز عن ديمومة الحوار مع فكر المراحل غابرها ومعاصرها على السواء !!

وحتى لا أنتهى الى مجرد التشنج أو الى مجرد الصراخ فإننى أود أن أوجه من هنا دعوة الى كل مفكرى الحركة الاسلامية على امتداد الرقعة التى يتقاسمون فوقها خبز العصر وهواءه :

أن يتلاقوا على كلمة سواء ..

وأن يتدارسوا إمكانية العطاء المثقف المتكامل ..

وأن يتصدوا للقضايا الصميمية وليس للقضايا القشرية ...

وأن يحركوا أقلامهم فى اتجاه الحياة وليس فى اتجاه الموت ..

وأن يكون حاضر الجيل ومستقبله وهمومه المثقفة هى محور اهتماماتهم الحقيقية ..

وأن يهيلوا تلالا من الرمال على إحساسهم الفاجع بإقليمية الحركة ، وإقليمية الفكر . فإن جناح إسلامهم يغطى حتى الآفاق اللا منظورة فى هذا الكون المائج اللا متناهى الأبعاد والآماد ..

وأن يقاتلوا — فى النهاية — أو يستسلموا ، فلسنا فى حاجة الى نائحين مأجورين .. والحركة المسلمة بعد قادرة على انتخاب عناصرها القادرة حتى من تحت أطباق الظلام ..

والأفق ممتد .. والسواعد هائلة .. والنداءات بحجم ما بين الأرض والسماء !!!

---

(١) نشرت الدراسات بمجلة « الوعى الاسلامى » فى أعداد سابقة .

(٢) أشير هنا الى كتابه « الظاهرة القرآنية » .

(٣) أشير هنا الى كتابه « قصة الايمان ».

(٤) أشير هنا الى كتابه « الفكر الاسلامى والاستعمار الحديث » .

النظرة الاسلامية إلى التاريخ

الأستاذ محمد عطاء الله

أولا ـ التاريخ والنظرة الى التاريخ

تنطوى الكلمة « تاريخ » من حيث استعمالها فى العصر الحديث على دلالتين ، تعبر فى الأولى منهما عن احداث الماضى بصورة عامة ، وفى الثانية تعبر عن تسجيل هذه الأحداث، او بكلمة اخرى تعنى العمل الذى يقوم به المؤرخ . ولئن حاولنا تتبع بدايات التدوين التاريخى لدى البشرية وجدناها تقترن باكتشاف الأنسان للكتابة ، حيث أدى هذا الاكتشاف الذى ظهر لأول مرة فى وادى الرافدين وفى حدود نهاية الألف الرابع ق.م على أرجح تقدير ، إلى انصراف الأنسان نحو تدوين ذكرياته عن نفسه وتسجيل افكاره عن الكون والحياة ، وقد تصاعد هذا التسجيل لدى البشرية قدما ، وادت دراسته والنظر فيه إلى محاولة تفسيره والبحث عن معنى لأحداثه ومن ثم إلى محاولة اكتشاف الروابط بين هذه الأحداث والقوانين التى تحدوها وتتحكم فيها وهكذا ظهرت (النظرة إلى التاريخ) ..

وقد رافقت هذه النظرة الديانات العظمى « فكانت نظرة الصينيين القدماء من التاريخ نظرة (سكونية) أو (تصوفيه) وكثيرا ما عد المفكرون الصينيون التاريخ عملية تعليم دروس اخلاقية تتلقى فيها الرذيلة عملية العقاب على الدوام

وتحظى الفضيلة بأحسن الجزاء .. فخبرتهم بالتاريخ تقترن بالإذعان والاستسلام لا بالمسرة والجذل » ، أما اتجاه المذهب البوذى فكان فرديا ، فمدار التاريخ هو الأفراد فى مجموعة الحيوات المقدرة لكل منهم ، حتى يصلوا إلى هدف إطـلاق السراح من جولة الميلادات والميتات المتكررة المتعبة ، وقد كان التفكير الأغريقى يسير فى اتجاه محدود ، لا يلتئم مع نمو التفكير التاريخى ، وإنما كذلك يستند إلى ميتا فيزيقا تمقت التاريخ مقتا شديدا . إن التاريخ علم يعرض لجهود الانسان أى أن المادة التى يعرض لها المؤرخ هى تلك الأعمال التى قام بها الرجـال فى الماضى وتلك أعمال تتعلق بدنيا طبعت على التغير .. دنيا يحدث فيها اليـوم ما يمتنع حدوثه فى الغد ، ومثل هذه الأحداث طبقا لوجهة النظر الميتافيزيقية للأغريق ، غير قابلة لأن تعرف ، ومن ثم يجب أن يكون التاريخ مجالا ، ولـدى الرومان كان محور الاهتمام المسيطر على المؤرخ اللاتينى ، إنما هو تاريخ روما : أصلها وأحوالها الداخلية وحياة كبار زعمائها وامتداد رقعة سلطانها ، وجرت العادة فى الجملة الا تذكر الشعوب الأخرى إلا من حيث علاقتها بالتاريخ الرومانى وقد قدمت الزرادشتية أيضا نظرتها الى التاريخ ، فهنـاك اتجـاه رئيسى للزرادشتيين من التاريخ ، وهو يتجلى فيما ورد فى الأسفار الجاثية من وصف لما فى خليقة الله من خير وطيبة ، فالله هو الذى يقيم الأرض والقبة الزرقـاء ويقيهما شر السقوط .. وهو خالق البشر وبارىء أرواحهم وأجسامهم وواهبهم حرية الأرادة .. والعالم الفيزيائى هو المسرح الـذى يجلى عليـه التاريخ البشرى .. على أن أسفار الجاثا — Gathas. — لا تجعل تاريخ الفرد ينتهى عند حياته فى هذه الأرض ، فان زرادشت كان ممن يؤمنون بالخلود . وكان من ثم يصلى التماسا لما فى الحياة الأرضية من خيرات ، ولكى يتهيأ له فى النهاية الأخذ بنصيب فى الحالة النهائية من السعادة والنعيم يوم يستأصل الشر نهائيا من كل مكان .

كما قدمت لنا الأديان السماوية نظراتها الخاصة إلى التاريخ ، فكانت نظرة اليهودية إلى التاريخ تقوم أساسا وفى أوسع شمول على المذهب التأليهى .. فالطريق إلى فهم التاريخ هو فكرة السيطرة الالهية ، وانتقل الاسرائيليون إلى الأعتقاد بأنهم « شعب الله المختار » إذ سجلت الأسفار التاريخية ما فعله الله لهم وما أتاه من أجلهم . ثم جاءت المسيحية فكانت نظرتها إلى التاريخ تقـوم على أساس « سقوط آدم » وما نتج عنه من « الخطيئة لأولى » ، ، ثم دخول الله فى التاريخ متجسدا فى صورة بشرية وتبشير العالم بالأنجيل ومن ثم عودة المسيح للمرة الثانية إلى العالم جالبا معه « يوم الحساب » وافتتاح مملكـة السماء الموسومة بالكمال والمقرونة بأتم البركات ، وقد كتبت تواريخ كثيرة على هـذا أساس (سقوط آدم) وما نتج عنه من (الخطيئة الاولى) ، ثم دخول الله فى يكون عاما ، قدريا ، مرتبطا بحدوث الوحى ، ثم منقسما إلى فترات » ، وقـد تدم كثير من المفكرين تفاسير مختلفة للتاريخ خارج إطار النظرة الدينية .. فهناك التفسير الجغرافى والجنسى والاقتصادى والنفسانى .. الخ مما يضيق عـن عرضه مجال هذا البحث .. والذى يعنينا هو ايضاح النظرة الأسلاميـة إلى التاريخ ..

ثانيا : النظرة الأسلامية إلى التاريخ :

قبل البحث فى « تحديد خصائص النظرة الأسلامية إلى التاريخ » ينبغى علينا الأجابة عن سؤال يطرح نفسه ، هو « هل هناك نظرة إسلاميـــة خاصة ومتميزة إلى التاريخ ؟ ..

وتقتضى الأجابة عن هذا السؤال البحث فى كلمة « تاريخ » نفسها هل هى عربية أو دخيلة ؟

أ ـــ يشير (السخاوى) فى كتابه « الأعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » إلى هذا الاختلاف فى أصل الكلمة ، فيذكر قول (الجوهرى) : « التاريخ تعريفه الوقت والتوريخ مثله يقال : أرخت وورخت » وقد فرق (الأصمعى) بين اللغتين فقال : بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا . وقيس تقول : أرخته تأريخا . وهذا يؤيد كونه عربيا ، وقيل انه ليس بعربى محض ، بل هو مأخوذ من « ماه روز » بالفارسية (ماه) القمر . و (روز) اليوم .. قال ابو منصور الجواليقى فى كتابه «المعرب من الكلام الأعجمى » : يقال أن التاريخ الذى تؤرخه الناس ليس بعربى محض وإنما أخذه المسلمون عن أهل الكتاب » .

وقد حاول المستشرق (فرانز روزنثال) تتبع أصل الكلمة فى العربيـــة فرجح أنها مستمدة من الكلمة السامية التى تعنى (القمر) أو (الشهر) وهى فى الأكدية « أرخو » وفى العبرية « يرخ » .. وفى اليونانية توجد الكلمـــة « أرخى » بمعنى بداية أو حكم و « أرخايوس » بمعنى قديم .. وفى الكلدانية تعنى الكلمة « أركونا » حاكم أو رئيس . ولعل هناك علاقة بين هذه الكلمـــات وكلمة « تاريخ » العربية .

ب ـــ ومهما يكن فى أصل الكلمة « تاريخ » من اختلاف فانها لم ترد فى القرآن الكريم ، ولا فى الأحاديث النبوية الشريفة .. ويروى عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال : « ذكر الله التأريخ فى كتابه لأن معاذ بن جبـــل (رضى الله عنه ـــ قال : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان على حاله الأول ؟ .. فنزل : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس » . فذكرت الوقت وقد سبق عندنا تعريف (الجوهرى) الذى أورده الســـخاوى للتاريخ بأنه الوقت وتاريخ المسلمين أرخ من سنة الهجرة ، كتب فى خلافة عمر ـــ رضى الله عنه ـــ فصار تاريخا الى اليوم .

جـ ـــ على أن القرآن الكريم جاء بنظرة جدية إلى الماضى ، واشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة ، وعاد إلى بدء الخليقة . وأكد على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته ، وذكر حوادث الأمم والشعوب ، والواقع فان الأسلام دين يعتبر التاريخ أساسا فى عقيدته ، ويعرض فلسفة تضع نظما وقوانين لسير الأنسان وسعادته والمجتمعات وتطوراتها ، والبشرية ومصائرها ، هذا فضلا عن تأكيده على علاقة القرآن بما فى الصحف الأولى .. وأن الأسلام والرسول (صلى الله عليه وسلم) يتبعان ملة إبراهيم حنيفا مسلما .. ويؤكد على المسلمين أن ينظروا إلى مصائر الأمم السالفة التى ورد ذكر قسم منها فى القرآن الكريم .

د ـــ وهكذا فان توفر المادة التاريخية والقصص التاريخى فى القـــرآن

الكريم ، نشط دراسة التاريخ لدى المسلمين نشاطا لا مزيد عليه « حيث دفع مفسرى القرآن إلى البحث عن معلومات لتفسير ما جاء فيه ، وقد أصبح الاهتمام بالمادة التأريخية على مر الزمن ، احد فروع المعرفة التى تمت بالارتباط بالقرآن » ، فازداد عدد المؤرخين المسلمين بحيث أحصى لنا (حاجى خليفة) وحده فى كتابه « كشف الظنون » ألفا ومائتى مؤرخ !!

كل ذلك يؤكد وجود نظرة إسلامية خاصة ومتميزة إلى التاريخ ، وسنحاول فى السطور التالية تلمح خصائص هذه النظرة ، غير أننا نحب أن ننبه قبل ذلك إلى حقيقة أساسية هى أن القرآن الكريم ليس محض كتاب يبحث فى التاريخ ، بل هو نظام حياة شامل عام ، وهكذا فالمعلومات التاريخية التى جاءت فيه وظيفية لم تقصد لذاتها وإنما هى « تحذير من المهاوى الواقعة فى طريقنا » ، وكجزء من هدفه فى توجيه الانسان إلى الله وتنظيم حياته الخاصة والعامة ، ولهذا نجده يؤكد على ضرورة النظر إلى التاريخ لغرض العبرة بمصائر الأمم السالفة : « قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين » « أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها » .

ثالثا : خصائص النظرة الأسلامية إلى التاريخ :

نستطيع أن نجمل خصائص النظرة الأسلامية إلى التاريخ بالأمور التالية :

١ ـ النظرة الكونية :

النظرة الأسلامية إلى التاريخ نظرة شمولية تستمد ذاتها من العقيدة الأسلامية ممثلة فى التصور الأسلامى لله ، والكون ، والانسان ، والحياة . والمنطلق الأساسى للعقيدة الأسلامية هو الايمان بألوهية يتفرد بها الله سبحانه . وعبودية يشترك فيها كل من عداه وكل ما عداه ـ وكما يتفرد الله ـ سبحانه ـ بالألوهية ، كذلك « يتفرد » ـ تبعا لهذا ـ بكل خصائص الألوهية .. وكما يشترك كل حى ـ فى العبودية ، كذلك يتجرد كل حى وكل شىء من خصائص الألوهية .. فهناك إذا وجودان متميزان : وجود الله . ووجود من عداه من عبيد الله . والعلاقة بين الوجودين هى علاقة الخالق بالمخلوق . وهكذا نجد زاوية الرؤية فى النظرة الاسلامية الى التاريخ تتسع لتستوعب الكون والوجود كله ، وذلك برد نشأة هذا الوجود وحركته وما يجرى فيه ونهايته الى إرادة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته ... ومن شأن هذه النظرة أن تنقذ الأنسان من العبث وذلك بإضفائها المعنى على الحياة الانسانية ومن ثم على الوجود كله، وذلك يتم بتحديدها لأصل التاريخ وهدفه « وهما حدان لا نستطيع أن نصلهما بأى أسلوب من أساليب معرفتنا الخاصة ، ونجدهما فى الدين وحده » .. وهذه النظرة الكونية من شأنها أن تجعل الانسان مشتركا فى مشكلات الوجود لا متطلعا وحسب ، فالتاريخ خارج هذه النظرة لا يقدم لنا سوى « حضارات تولد ، وتنضج ، وتموت

لكن هل نحن على هذه الارض ببساطة لبناء ، ثم هدم حضارات ؟ هذه المصانع المؤقتة مثل نسل من ديدان الخشب يبنى مأواه الذى سوف يهدمه ، ثم يعيد بناءه فى استمرار للنوع لا طائل من ورائه » ، وهكذا يبدو البشر لا يملكون أى هدف أو خطة أكثر من « تلك التى يمتلكها صنف من الفراشات أو زهور الاوركيد Orchids كما يذهب أشبنجلر .

التصور الاسلامى اذا يضع هدفا محددا للوجود يتمثل بعبادة الله سبحانه وتعالى : « ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون » ، « الم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض ، والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون » ، فالهدف الرئيسى للقرآن الكريم كما يقول (إقبال) : « هو أن يوقظ فى نفس الانسان شعورا أسمى بما بينه وبين الخالق وبينه وبين الكون من علاقات متعددة . ولقد كان هذا المنزع التعليمى للقرآن الكريم هو الذى جعل (جيته) ، وهو يستعرض الدين الاسلامى بوصفه قوة مهذبة مؤدبة يقول لأكرمان : « أنت ترى أن هذا التعليم لا يخفق أبداً ونحن بكل مالنا من نظم لا نستطيع ، بل اقول بوجه عام ، إن أحداً من البشر لا يستطيع أن يذهب أبعد من هذا » .

ب ــ النظرة العالمية :

الاسلام دين عالمى الدعوة ، تتمثل العالمية فى دعوته على منحيين :

١ ــ تقريره وحدة الجنس البشرى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا » و « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

٢ ــ تقريره لوحدة الدين وأن دعوته هى دعوة النبيين جميعا تجددت كاملة على يد محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ خاتم النبيين ، ولهذا فرض الاسلام الايمان بالرسل جميعا : « قولوا آمنا بالله وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » . لذلك فان النظرة الاسلامية الى التاريخ ترتبط بالتفسير الاسلامى للوجود الإنسانى ومن ثم بتحديد مكانة هذا الوجود بين غيره من أنواع الوجود ، وبعد ذلك بتحديد مكانة الإنسان بين كل جماعة من هذا الوجود الإنسانى ، فالقرآن الكريم يرجع النشأة الإنسانية الأولى الى الطين « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار

مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم انكم بعد ذلك لميتون ، ثم انكم يوم القيامة تبعثون » . أما مكانة الإنسان فى هذا العالم فتتحدد بكونه خليفة الله فى أرضه يعمرهـا ويفيد منهـا وتكون بكل ما فيها من خلائق مسخرة لخدمته . « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ، ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون » . « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم » . ومعنى الخلافة هذا يتضمن معنى المسؤولية ، فالكائن الإنسانى كائن مسؤول فى هذا العالم عن نفسه ، وعن أنشطته ، فهو الذى يصنع تاريخه وهو الذى يحاسب على كل ما يحققه خلال هذا التاريخ ، (ومن أهم أصول التعاليم التى جاء بها القرآن الكريم أن الأمم تحاسب بمجموعها ، وأن العذاب يعجل لها فى الحياة الدنيا بما اكتسبت من سيئات ، ولكى يؤكد القرآن هذا المعنى فانه دائب الاشارة الى الأمم الخالية داعيا الى الاعتبار بتجارب البشر فى ماضيهم وحاضرهم) ، كذلك لا نجد فى الاسلام ما يفيد معنى اللعنة الأبدية كما فى التوراة ، فالأرض ليست منفى للبشرية ، بل هى بكل ما فيها مسخرة لخدمة الانسان ، ولعل هذه النظرة العالمية هى التى جعلت المؤرخين من المسلمين يبدءون تواريخهم ببدء الخليقـة .

جـ ــ النظرة المثالية الواقعية :

الإنسان فى القرآن الكريم روح وجسد ، وفيه استعداد لفعل الخير ، كما فيه استعداد لفعل الشر ، وهو مُخيَّر وحر فى سلوكه وأفعاله ، يدل على ذلك ما فى الشريعة الإسلامية من تكليف ، ولذلك كانت نظرة هذا الدين تتميز بكونها مثالية وواقعية فى آن واحد ... مثالية من حيث تفسيرها للأصل والهدف ، وواقعية من حيث تعاملها مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود المستيقن ، والأثر الواقعى الايجابى ، فالتصميم الذى يضعه للحياة البشرية يحمل طابع الواقعية لأنه قابل للتحقق الواقعى فى الحياة الإنسانية يقول (إقبال) فى هذا الصدد : « إن المشكلة التى واجهها الاسلام كانت فى الواقع ما بين الدين والحضارة من صراع متبادل ، وما بينهما فى الوقت نفسه من تجـاذب متبادل . ولقد واجهت النصرانية فى أول عهدها المعضلة نفسها ، فكان أعظم ما عنيت به أن تبحث عن مستقر للحياة الروحية قائم بنفسه ، تلك الحياة التى رأى منشئها ببصيرته أنه يمكن السمو بها لا عن طريق قوى عالم خارجى عن نفس الانسان وإنما بتجلى عالم جديد فى داخل النفس ذاتها ، والإسلام يقر هذه النظرة تماما ، ويكملها بنظرة أخرى هى أن النور الذى يضىء هذا العالم الجديد المتجلى على هذا النحو ليس غريبا عن عالم المادة ، بل هو متغلغل فى أعمـاقه » فالنظرة الاسلامية لا ترى فى التاريخ على أنه نشاط من أنشطة المادة فحسب ، كما أنها لا ترى فيه نشاطا من أنشـطة الروح فقط ، وإنمـا هو نشاط يجمع فى مضامينه هـذين العنصرين معا ، كما أن هذه النظرة المثالية الواقعية من شأنها أن تجعل الانسان

لا يغيّر فكرته عن العالم والتاريخ من ثم فقط وإنما تجعله يساهم فى تغيير هذا العالم وبالتالى يصنع التاريخ .

د ــ النظرة الحيوية :

التاريخ فى إطار النظرة الاسلامية يبدو مليئا بالحيوية والحركة ، وذلك منبعث من كونه اتجاهيا أو غائيا . أى أنه يبتديء من بداية محددة تتمثل ببدء الخليقة فى التصوير الإسلامى ، ويتجه الى نهاية محددة ايضا هى يوم القيامة . وهذه النظرة من شأنها أن تكون مستقبلية لا تقتصر على الماضى وحده وإنما تمتد لتشمل المستقبل ، وهذا من شأنه أن يعمّق الإحساس التاريخى لدى الانسان المؤمن بهذه النظــرة ، وليس كما يذهب المستشرق (روزنثال) من أن « هــذا الامتداد لفكرة التاريخ الى المستقبل كان فى الحقيقة ــ كما يقول ــ مسلكا خاطئا لأنه ــ كمــا يذهب ــ قد أخرّ فى قيمة التاريخ باعتبــاره تفكيرا فى العوامل الواقعية والمؤثرات فى الحياة ، لأنه يعوزه التنوع ، ولأنه يتركز بصورة جامــدة حول حقائق محدودة » ، والذى دعا (روزنثال) الى هذا الراى هو ما لاحظــه من الحديث عن يوم القيامة فى القرآن الكريم « بحيث أصبحت أحداثه واضحة للناس وكأنها قد حدثت فى الماضى القريب رغم أنها لم تحدث بعد » . غير أن (روزنثال) فاته أن يفهمَ أن هذه المسألة (استعمال فعل الماضى فى الحديث عن يوم القيامة) تدخل ضمن الأسلوب البلاغى الفنى الذى يتفرد به القرآن الكريم عن كل ما عداه من الاساليب ، كما أن القرآن لم يؤرخ للمستقبل بل تحدث عن المستقبل وعن نهاية العالم المتمثلة فى يوم القيامة وان حديثه عن المستقبل كان جزءا من قانونه الذى جاء به فى تفسير رقى المجتمعات وتدهورها ، يضاف الى ذلك أن اتجاه الاسلام من التاريخ (كما لاحظ ويدجرى) ، اتجاه يقوم على المذهب التحسنى ــ Meliorcism ، فمتى تزايد إقبال الأفراد والشــعوب على الطاعة لإرادة الله ، تحسنت الأمور .

ويلاحظ الأستاذ الباكستانى (عبد الحميد صديقى) أن فكرة النمو الخلقى المحتوم لا توجد بين المسلمين « فالإسلام لا يزعم أن أخلاق حقبة معينة تاريخية لا بدّ أن تكون أسمى من اخلاق الحقبة السابقة لها ، فالإسلام يمنح البشر الحرية فى أن يختــاروا بين السير قدما فى طريق الأخــلاق أو التراجع والنكوص . والاختيار النهائى يعتمد عليهم وحدهم . إن الله وملائكته لا يسحبون البشر الى الأمام . بل الأخلاق تتضمن تأديب النفس وتعويدها النظام والطاعة ، كما تتضمن السيطرة على الشهوات وتنظيم الإرادة فى الســعى وراء مثل أعلى . وهذا يتطلب جهودا متجددة دائما يقوم بها الأفراد أو الجماعات داخل دائرة الأخلاق . إنه لا يوجد نجاح خالد الى الأبد وتقدم باق دائم ، وانه من الممكن الانحطــاط عن المستوى الخلقى الذى يبلغه الفرد أو الجماعة إذا قلّ الجهد المبذول » .

هـ ــ التفسير الإسلامى للرقى والتدهور :

ليس فى الإسلام ما يشير الى مفهوم دورى محدود بزمن معين كما هــو معروف لدى فلاسفة التاريخ الدوريين ، فالقرآن الكريم لا يوجب علــى المسلم

مقدارا محدودا من السنين لخلق الكون ، أو لخلق الانسان ، ولا نعلم أن ديانة من الديانات الكبرى التي يؤمن بها أبناء الحضارة عرضت لتاريخ الخليقة غير الديانتين : البرهمية واليهودية . والديانة البرهمية لا تقدر عمر الكون أو عمر الحياة بمقدار محدود من السنين ، لأنها تقول بالدورة الأبدية التي تتكرر فيها حياة الإنسان مع حياة الكون بغير أجل معروف في البداية أو النهاية . وعند البرهميين أن الكون فلك كبير ، يتم دورته المتكررة مرة كل ثلاثمائة وستين ألف سنة ، وقد يزاد هذا المقدار أو ينقص في تفسيراتهم الدينية على حسب المقادير المضاعفة عندهم للدورة الشمسية ، وهي عندهم مثل صغير للدورة الكونية الكبرى ، وكلما انتهت دورة بدأت دورة أخرى من دورات الوجود السرمدي عودا على بدء الى غير انتهاء . أما المصادر اليهودية ، فهي على حسب تحقيق الفقيه الكبير « جيمس يوشر » المتوفي سنة ١٩٥٦م ، تدل على ابتداء الخليقة في (شهر أكتوبر سنة ٤٠٠٤ ق.م) . كذلك فليس في الاسلام ما يشير الى تحديد زمن معين معروف ينتهي به الكون وتنتهي به البشرية « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ فيم أنت من ذكراها ، الى ربك منتهاها . إنما أنت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » . وعلى هذا فبداية التاريخ الزمنية وكذلك منتهاه أمر مسكوت عنه في الإسلام ويقع علمهما ضمن علم الغيب الذى يختص به الله تعالى وحده ، غير أننا نلاحظ أن التاريخ الإنسانى في إطار النظرة الإسلامية ينقسم الى وحدات يطلق عليها القرآن الكريم اسم (الأمم) أو (الأقوام) أو (الشعوب) ويقرر أن تقدمها وتدهورها إنما يستند أساسا على إيمانها بالله وطاعتها له ، حيث ترتبط مناشط هذه الأمم كلها بهذا الإيمان وما يترتب عليه من قيم ، وبحيث أن فساده يؤدي بالضرورة الى فساد هذه القيم ومن ثم الى تدهور الأمة . والقرآن يقرر أن الأمم مربوطة بأعمار معينة لم يتبيّن عددها ، ولذلك فان لها آجالا « ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

« ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون » . وهذا يقودنا الى القول بأن بقاء الأمم على مسرح التاريخ ليس أزليا بقدر ما هو محكوم بزمن معين ومشروط بنهاية . كذلك يقرر القرآن الكريم أن تقدم الأمة ورقيها وتغيير أوضاعها يعتمد بالدرجة الأولى على إرادة أفراد هذه الأمة « إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، وهذا الربط بين مصير الأمة وإرادتها يفسّر ما سبق من أن لكل أمة أجل ، حيث أن فساد الإرادة سيؤدى بالضرورة الى تدهور الأمة . وإن هذه الحقيقة تتمتع بالثبات من حيث سريانها على النشاط الإنسانى الذى لا يمكن أن يخرج بحال من حيث هوفعل قيمى عن دائرة الخير أو دائرة الشر ، والحرية متروكة للأمة في وضع عملها ضمن اية واحدة من هاتين الدائرتين ، وإن إنقاذ البشرية من مصائرها السود يعتمد على تدخل العناية الالهيــة وتتمثل هذه العناية ببعث الرسل والأنبياء كل بلغة قومه . والاسلام يختم النبوة بنبوة سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، حيث يعتبر نفسه آخر دين جاء الى البشرية وانه صالح لذلك لكل زمان ومكان ، فمن شأنه اصلاح البشرية جمعاء على أساس ما فيه من تعاليم سماوية .

٣

دراسات فى القصص القرآنى

التكرار فى قصص القرآن

عبد الكريم الخطيب

— ١ —

التكرار فى القصص القرآنى ظاهرة واضحة ، لافتة للنظر ، وداعية لكثير من التساؤل ، والبحث عن بواعث هذا التكرار ، وآثاره فى الحفاظ على وحدة الشخصية ، وترابط الحدث ..

وقد وجد أصحاب الأهواء ، ومرضى القلوب والعقول ، من الملحدين ، والشانئين للاسلام — وجدوا فى هذا التكرار مدخلا ملتويا يدخلون منه على هذا الدين ، للطعن فى القرآن الكريم ، والنيل من بلاغته واعجازه ، وليقولوا ان هذا التكرار قد أدخل الاضطراب فى مسار الاحداث ، وقطع أوصال الوحدة العضوية بين أجزائها ، فجاء بها أشلاء ممزقة ، لا يدرى أحد أين موضع الرأس أو القدم فيها .. ثم يخلصون من هذا الى القول بأن أسلوب القرآن ليس على هذا المستوى البلاغى الرفيع الذى يتسع للدعوى التى يدعيها المسلمون له ، وانه معجز ، وانه منزل من السماء .. ثم يتمادى هؤلاء الملحدون فى هذا الضلال ، فيقولون : ان هذا التكرار انما هو أثر من آثار تلك الاحوال النفسية التى كانت تنتاب محمدا ، فتخرج به عن وعيه ، وتفقده صوابه ، فيلقى بهذه الكلمات التى ينطق بها فى تلك الحال ، مرددة مقطعة ، كما يقع هذا للمحمومين والمصروعين .. « كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا » ..

ان الذين يقولون هذا الزور من القول ، أو يحكونه عن غيرهم ، هم أعاجم، أو أشـــباه أعاجم ، لم يذوقوا البلاغـــة العربية ، ولم يتصلوا بأسرارها ، ولو أنهم رزقوا شيئا من هذا ، لما طاوعتهم ألسنتهم أن ينطقوا بهذا البهتان العظيم، ولردهم شيء من الحيـــاء أن يقولوا قولا لم تجرؤ قريش في موقفها العدائي العنادي من النبي أن تتلفظ به ، أو تجريه على لسانها ، حتى على ســـــبيل المهاترة والمجازفة ، وهي تتربص بالنبي ، وتتصـــيد التهم والمفتريات تـــرمي بها في معركتها مع القرآن الكريم ، الأمر الذى لو وجدت فيه الزور من القول مكانا لألقت به في المعركة ، غير متورعة لما ينالها من خزى ، وما تلحقها من فضيحة .. ولكن هذا الزور الذي يقول به الملحدون عن التكرار في القصص القرآني ، أعيـــا قريشـــا أن تمسك به ، وأن تواجه به هذا الحـــق المشرق المبـــين .. !

واذا لم يكن لقريش ، أن تقول مثل هذا القول . وأن تجعل منه ســـلاحا في معركتها مع القرآن ، وهي مرجع الفصاحة والبلاغة ، واليها الحكومة في فصيح القـــــول وبليغــــــه ــ فكيف يســـاغ هذا القول من أعاجم ، وأشباه أعــــاجم .. ؟

ـ ٢ ـ

وانه لداء قديم هذا التحـــكك بالقرآن الـــكريم ، والطعن في بلاغته ، واتخاذ التكرار في قصصه شاهدا على أن هذا القرآن ليس من عند الله ، اذ لو كان من عند الله لما لبست القصـــة الواحدة فيه هـــذه الأثواب الكثـــيرة المختلفة الألوان والأشكال ، ولجاءت لونا واحدا . وصورة واحدة ، لأنها تحكي حقيقة واحدة .. أما وقد جاءت معظم قصص القرآن في أكثر من صورة متعددة الألوان والأشكال ، كما في قصة موسى الذى جـــاء ذكره في القرآن في أكثر من مائة وعشرين موضعا ــ فان ذلك يقطع ــ عند هؤلاء الملحدين ــ بأن هذا القصص ، والقرآن الذى حمله ، هو من صنع بشر ، يتصيد الأخبار ، وكلمـــا وقع له خبر تحدث به !! هكذا كان يقول الملحدون قديما ، وهكذا يردد المستشرقون وتلاميذ المستشرقين هذه المطاعن اليوم ، ويخلعون عليها من معارف العصر ، وطرائق البحث ألوانا خادعة ، تترقرق كما يترقرق السراب ، يحسبه الظمآن مـــاء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد زيفـــــا ، وضـــلالا ، وحقـــدا ، وموجدة .. !

ـ ٣ ـ

وقـــد تولى السلف الكريم من علمائنا ــ رضوان الله عليهم ــ دفع هـــذا الزور من القول ، ودفع أهله ، وألباسهم ثوب الخزى والخسران .. وكـــانت أسلحتهم التي دخلوا بها في حربهم مع هؤلاء الملحدين ، قادرة على تحطيم كل ما رمى به الأعداء من سلاح في وجه المسلمين ، وفي افترائهم على كتاب الله .. اذ كان لكل عصر وسائله وأسلحته في الصراع بين الحق والباطل ، وفي الحرب بين المحقين والمبطلين .. فاذا نظرنا في مقولات السلف الكريم من علمائنا ، تلك المقولات التي دفعوا بها هذه المفتريات التي تفترى على كتاب الله ، ثم رأينا في هذه المقولات شيئا من القصور ــ فان الحق يقتضينا أن نزن هذه المقولات بميزان

عصرها — لا عصرنا — وان نقابلها بمقولات متحدى زمنهم — لا زمننا — وعندئذ نرى أن علماءنا قد أبلوا فأحسنوا البـــلاء ، وجاهدوا فصدقوا الجهاد ، حتى كان لهم الغلب ، وكان لهم النصر ! ! فرضى الله تعالـــى عنهم ، وأجـــــزل المثوبة لهم ..

وانه لا بأس هنـــا من أن نعرض بعضا من مقولات بعض أولئك الائمة ، فى مقـــام الدفاع عن قضية التكرار فى القصص القرآنى ، كنموذج تتضح منه صورة من صور هذا الصراع المتصل بين القرآن الكريم ، وبين الملحـــــدين والشـــانئين ..

فهذا أبو بكر الباقلانى يقول فى كتابه : ((اعجاز القرآن)) ، ردا على من يطعنون على مافى القرآن الكريم من تكرار :

((ان اعادة القصـــة الواحدة ، بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا — من الامر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة ، وتبين البلاغة)) .

يريد((الباقلانى)) بهذا أن يقول : أن عرض المعنى الواحد بأســـــاليب مختلفة من القول ، دون ان يتغير جوهر حقيقته ، ودون ان يضعف أو يسف أسلوب عرضه ، هو من العسير الذى لا يقدر عليه الا من كان ذا ملكة بيانية عالية ، وذا اقتدار متمكن على امتلاك أعنة البلاغة ، وذلك فى حدود لونين ، أو ثلاثة من ألوان العرض .. فاذا جاوز هذا الحد ، اضطرب الأسلوب ، وبهتت المعانى .. الا أن يكون ذلك من تدبير الحكيم العليم ، رب العالمين ، الذى لا تحد قدرته ، ولا يحصر علمه ، ولاتنفد كلماته ..

ثم يقول ((الباقلانى)) تعقيبا على ما سبق من قوله :

((وأعيد كثير من القصص — القرآنى — فى مواضع مختلفة ، على ترتيبات متفاوتة ، ونبهوا — أى العرب — بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله ، مبتدأ ومكـــــررا)) ..

ويريد ((الباقلانى)) بهذا أن يقرر أن من صور التحدى الذى عجز عنـــــــه العرب ازاء القرآن — عرض القصة الواحدة عرضا متفاوتا بين الطول والقصر ، والاطناب والايجاز ، والبسط والقبض ، فوسع بهذا على العرب مجـــــال المعارضة والمحاكاة ، وبسر عليهم سبيل التحدى وأغراهم به ، فلم يكن منهم الا العجز ، والاستخذاء !

وهذا الامام ((الزركشى)) يقول فى كتابه ((البرهان فى علوم القرآن)) :

((ومنه — أى من التكرار — تكرار القصص فى القرآن ، كقصة ((ابليس)) فى السجود لآدم ، وقصـــة موسى وغيره من الانبياء .. قال بعض العلماء : ((ذكر الله موسى فى القرآن فى مائة وعشرين موضعا)) ..

ثم يكشف ((الزركشى)) عن وجوه لبعض أسرار هذا التكرار ، فيقول :

((وانما كررها — أى القصة — لفائدة خلت عنها فى الموضع الآخـــر ، وهى أمـــور :

أحدها أنه — أى القرآن — اذا كرر القصة زاد فيها شيئا .. الا تـــرى أنه ذكر الحيـــــة فى عصـــــا موسى ، وذكرها فى موضع آخـــر ثعبانا ؟ (ونقول : وذكرها فى موضع ثالث ((كأنها جـــان))) ..

ثانيها : أن ابراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة ، وأساليب مختلفة — لا يخفى ما فيه من الفصاحة ..

ثالثها : ان الله سبحانه وتعـــــالى أنزل هذا القرآن ، وعجز القوم

عن الاتيان بمثل آية ، لصحة نبوة (محمد) صلى الله عليه وسلم .. ثم بين وأوضح الامر فى عجزهم بأن كرر القصة فى مواضع ، اعلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله ، باى نظم جاءوا ، وبأى عبارة عبروا » ..

وهـذا القول الاخير الذى يقوله الزركشى ، يتفق مع قول الباقلانـى ، من أن داعية التكرار ، هى امداء العرب فى أكثر من ميدان من ميادين التحدى بمبسوط القول ومقبوضه ، وحقيقته ومجازه .. وهذا مما يقطع بعجزهم ، ويدخل اليأس عليهم من أن يقولوا بعد هذا مثل قولهم الذى ذكره القرآن عنهم : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ، أن هذا الا أساطير الاولين » ..

ونجـد أبا بكر الصولى ، فى كتابه : « أدب الكاتب » يعلل التكرار فى القصص القرآنى ، بعلة أخرى غير التحدى ، فيقول : « ولأن الانسان قد يقرأ بعض القرآن ، ويحفظ شيئا منه دون شىء ، فلم يخل الله عز وجل موضعا منه من ترغيب أو ترهيب ، وادكار واعتبار ، تفضلا منه على عباده ، واستدعاء لطاعتهم ، ونهيا عن عصيانهم ، فوقع التكرار لذلك ! » ..

— ٤ —

هـذه بعض لمحـات من نظر الاقدمين الى ظاهرة التكرار فى القصص القرآنى ، وهى فى جملتها كافية فى الرد على من يقفون موقف التساؤل والطلب لمعرفة وجـه الحق فى هذا التكرار ، وما يحمل من أسرار ، سواء أكان طالبو هذا الحق من أتباع القرآن او من غير اتباعه ..

أما حين يخرج الامر عن هذا المجال ، الى المماحكة والجدل ، والى اثـارة البلبلة والاضطراب ، بهذا الكيـد الخبيث الذى يكيد به علماء تخصصوا فى التغرير بالعامة ، وأشباه العامة من شباب المسلمين ، وشيوخهم — فان مثل هذه المقولات لا تقوى على دفع هذه الحملات القوية المنظمة التى تثير مثـل هذا الغبـار الذى يحجب الرؤية الصحيحة عن الحق الذى يغمر الوجـود بضوئه ، فتعمى لذلك أبصـار وتزيغ قلوب ، وتضل عقول .. !

أتريد شاهدا لهـذا ؟

منذ أكثر من ربع قرن ثارت ضجة كبيرة فى الاوساط العلمية والدينية ، حـول رسالة جامعية ، تقدم بها صاحبها لنيل الدكتوراه فى الادب من كلية الآداب ، بجامعة فؤاد الاول (جامعة القاهرة الآن) وكان عنوان الرسـالة وموضوعها : « القصص الفنى فى القرآن » .. وقد منح صاحبها درجـة الدكتـوراه !! ..

وليس غرضنا من اثارة هذا الموضوع الان الا الاستشهاد لما أشرنا اليه من قبل ، من هذا الكيـد العظيم ، الذين يكيد به أصحاب النـوايا السيئة من المستشرقين للاسلام واصابته فى صميمه بالتشكيك فى القرآن الكـريم ، الذى هو دستور هذا الدين عقيدة وشريعة ، والذى ان وقع شك فى كلمة او آية منه ، انهار بنيانه ، وتداعت أركانه ، وضاعت الثقة به ، والاطمئنان اليه ، وزايلته تلك القداسة التى تمسك به فى مواطن الايمان من القلوب .. فاذا كان هذا الكيد قد استطاع ان يغرر بعقول اصحاب الدرجات العلمية العالية ،ويقيمهم هذا المقام الزائغ المنحرف مع كتاب الله ، فكيف يبلغ الامر مع ناشئة المثقفين ؟ وكيف تنتهى الحال بالعامة وأشباه العامة ؟

واستمع الى قول الاستاذ المشرف على الرسالة — رحمه الله ، وعفـا عنـه — استمع اليه وهويقدم لهذه الرسالة بقوله : « وبهذا التفريق بـين العرضين — الفنى والتـاريخى — الحادثة والواقعة ، تبين فى وضـوح أن

عرض القرآن لاحداث الماضين ووقائع حياتهم ، والحديث عن تلك الاحداث والاشخاص ليس الا العرض الفنى الادبى ، لا العرض التاريخى التحقيقى !! »..

ثم يمضى الاستاذ المشرف لتبرير هذا الرأى وتأكيده ، فيقول : « وفى العرض الاول — أى العرض الفنى — قصد القرآن الى الاخلال الواضح بمقومات العرض الثانى — أى التاريخى — فأغفل قصـــدا تحديد الزمان ، وذكر المكان ، وتسمية الاشخاص ، والتعريف المعتاد بمن قد يذكر اسماءهم من هـــــؤلاء الاشـــــخاص !! » ..

وهذا قول صريح لا مواربة فيه ، بأن القرآن ، لكى يلبس قصصه الثوب الفنى ، ويبلغ به مستوى الفن — قد عبث عن قصـــد بالحقائق ، فغير مـــن صورها ، وبدل من أشكالها ، تماما كما يفعل أى أديب فى تلوينه للحقائق ، وصبغها بأصباغ الخيال ، حتى يسوى منها عملا فنيا ، يثير الخيال ، ويحرك المشـــــاعر !! ..

ونحن لا ننكر على القرآن ، ولا على قصص القرآن أن يلبس ثوب الفن .. فما الفن الا الجمال ، والبهـــاء ، والجلال ، اذا صدر عن طبع أصيل ، وخرج من يـــد صـــناع .. والقرآن الكريم محمل كل جمال ، وجلال ، وبهاء ..
ولكن الذى ننكره هو ان يكون مصدر ما فى القرآن من جمال ، وبهـــاء وجلال ، نابعا من غير منابع الحق المصفى ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. كما يقرر ذلك القرآن نفسه فى قوله تعالى : « وبالحق أنزلنـــاه وبالحق نزل » !

ولا ندرى كيف يقرأ مسلم هذه الآية الكريمة ، ثم يجد مساغا لصرف مثل هذا القول الذى يقوله الاستاذ المشرف على الرسالة ، عن صريح منطوقه ، اذ يقول : « وعلى هذا الاساس ، يستطيع المثقف الراقى حين يتدين ان يعتقد فى تسليم مطمئن بحديث القرآن الفنى فى قصصه ، ومع ذلك يحق ويحلل فى عمق ووضـــوح تاريخ هاتيـــك الاحداث وأشخاص أصحابها ، وينفى فى ذلك ويثبت مطمئنا الى أن هذا لا يصـــادم بحال ما ذلكم العرض الفنى الآخر ، وأن هذا العرض الفنى مهما يقل التاريخ فى أحداثه لن يمس سلامة القرآن وصدقه !! »..
وأعجب ما فى هذا القول تلك العبارة التى يجعل منها الاستاذ المشرف، التدين أمرا عارضا عند المثقف الراقى ، وأنه فى حل من أن يتدين ، أو لا يتدين ، كأن التدين ليس دينـــا ، وليس عقيدة ، وانما هو مزاج شخصى ، وهـــــوى ذاتى !! ..

هـــذا بعض ما يقوله الاستاذ المشرف على رسالة : « الفن القصصى فى القرآن » .. أما ما يقوله صاحب الرسالة ، فهو أعجب وأغرب ، وأجرأ فـــى التهجم على القرآن ، وعلى صدق ما يقص من أخبار وأنباء ..
ولا يتسع المجال هنـــا لعرض مافى هذه الرسالة من اتهام صريح ، وشك مريب فى صحة القرآن ، وتنزهه عن اللغـــــو والباطل ، ويكفى أن نقف عند جزئية ، عرض لها صاحب الرسالة ، فى أول رسالته ، وهو يتساءل منكرا عن السر فى هذا التناقض فى قصص القرآن ، وفى تكراره للحدث القصصى فى صـــور مختلفة متباينة .. يقول الدكتور صاحب الرسالة :
« ســـؤال ســـأله العقل الاسلامى نفسه ، فيما يخص هذا التكرار ،

وهـــو أنه على فرض قدرته على الوقوف على الاسرار التي من أجلها كان هذا التكرار ــ فلماذا هذا الاختلاف ؟ لماذا اختلف ايراد القصة الواحدة في موطن عنه في آخـــر ؟

ثم يعرض صاحب الرسالة أمثلة لهذا الاختلاف ، فيقول ، متســـائلا في اســـتنكار :

((لماذا اختلف وصف القرآن لموقف موسى من ربه ، في سورة طه عنه في غيره من السور ، مع أن الموقف واحد ، والحادثة واحدة .. ؟ لماذا قال القرآن في سورة طه : ((وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله أمكثوا ، انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك ، فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، اننى أنا الله لا اله الا انا ، فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ، ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ، وما تلك بيمينك يا موسى ، قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيهـــا مآرب أخرى ، قال القها يا موسى ، فألقاها فاذا هى حية تســـــعى ، قال خذها ولا تخف ســـنعيدها سيرتها الاولى ، واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير ســـوء آية أخرى ، لنريك من آياتنا الكبرى ، اذهب الى فرعون انه طغى)) ..

((ولماذا قال في سورة النمل عن هذه الحادثة والموقف : ((اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر ، أو آتيكم بشـــــهاب قبس لعلكم تصطلون ، فلما جاءها نودى ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ، يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم ، والق عصاك فلما رآهـــا تهتز كأنها جـــان ولى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى لا تخف ، انى لا يخاف لدى المرسلون ، الا من ظلم ، ثم بدل حسنا بعد ســـوء ، فانى غفور رحيم ، وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين)) ..

((ولماذا قال في سورة القصص غير هذين ؟

((ان الموقف واحد ، وان الحادثة واحدة ، ولكن الوصف مختلف ، والحوار غير الحوار ، وحديث الرب العلى مع موسى النبى في موطن غيره في آخر ؟؟))
(الفن القصصى في القرآن : ص ٣٣) ..

ماذا يريد الدكتور ــ صاحب الرسالة الجامعية ــ ان يقول ؟ أإتهام للرب العلى بأنه ينسى ما قال ، حتى اذا عاد لذكر ما قاله أولا اختلط عليـــــه الامر ، فترك بعض ما كان قد ذكره ، وجاء بجديد لم يذكره ؟ سبحانك ربى هـــــذا بهتـــان عظيم ! ..

ولا ندرى لحساب من هذا الاجتراء ، والافتراء على الله وعلى كتـــابه الكريم ؟ الحساب الفن ينزل القرآن الكريم من سموات العلا ويوضع في كفة ميزان ((الفن القصصى)) كما تصوره صاحب الرسالة ، وكما تمثل مثله الاعلى في قصص (أرسين لوبين) ومن اليه ؟ أم لحساب الشـــهرة عن طريق لفت الانظـــار ولو كان بالخروج على الناس بلا ثوب يستر العورة ؟

— ٥ —

وندع هـــذا .. لنقف بين يدى هذه الآيات ، التي خاطب فيها ((الرب)) ((العلى)) موسى ، في ثلاث سور من القرآن الكريم ، ولنشهد من آيات اعجازها

ما يملأ الدنيا جــلالا ، وروعــة ، وخشــوعا ، تتخاضع له أعناق البلغاء ، وتعنو له جبــاه أرباب الفن فى كل مجال من مجالات الفنون ..

وننظر فنرى أن الحادثة التى ذكرها القرآن فى المواضع الثلاثة ، والتى قدمها صاحب الرسالة مستشهدا بها على ما يدعيه من أن القرآن الكريم ، لا يلتزم الصدق فى عرض قصصه ، ليحقق بذلك غرضا فنيا ، وليعطى الصورة الفنية حقها من الفن ، ولو على حساب الواقع ، وتجاوز الصدق فيــــه الى التخييل والايهام — ننظر فى هذه الحادثة ، فنرى أنها تتضمن خمسة عناصر :

(١) موسى فى طريق عودته من أرض مدين الى مصر ، وقـــــد بلغ الطــور ، ومعه أهله ، وقد رأى نارا موقدة ..

(٢) طلبه الى أهله أن يمكثوا حيث هم ، وأن يذهب هــــــو الى حيث رأى تلك النـــار ..

(٣) غايته من الذهاب الى حيث رأى النـــار ..

(٤) نــــــداء الله تعالى له عند دنوه من النار .. واخباره بأنه رسول الله المرسل الى فرعون ..

(٥) المعجزة أو المعجزات التى وضعها الله تعالى فى يد موسى ليحاج بهـــا فرعـــون ..

وليس يتسع المقام هنا لعرض هذه العنــاصر جميعها ، وما تحدثت به الســـور الثلاث عن كل عنصر منها ، وما بينها من اختلاف لفظى ، وما وراء هذا الاختلاف من أسرار ..

ويكفى أن ننظر فى أى من هذه العناصر ، وما يقال فيه ينسحب عليهـــا جميعا .. وليكن هذا العنصر هو ما تحدث به موسى الى أهله حين رأى النار ..

ففى سورة « طــه » : « وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا ، انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » ..

وفى سورة « النمل » : « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ، اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا ، سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » ..

وفى سورة « القصص » : « فلما قضى موسى الاجل ، وسار بأهله ، آنس من جانب الطور نارا ، قال لأهله امكثوا انى آنست نارا ، لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » ..

والذى يلاحظ فى هذه المعارض الثلاثة :

أولا : أن المقطع الاول من مقول القول ، قد جاء على صورة واحدة فى السور الثلاث(١) : « امكثوا .. انى آنست نارا » .. وهو قول واحد التزم به موسى ، وكرره ثلاث مرات ، حتى لا يتحول أهله عن مكانهم الذى هم فيه ، وحتى لا تنزع بهم نازعة الى مرافقته نحو تلك الوجهة التى يقصدها ، والتى لا يدرى على وجه التحديد ماذا يطلع عليه منها ، فى ظلمة هذا الليل الجـــاثم على صدر الصحراء المخيف .. ففى تكرار هذا المقطع تحذير لأهله أن يبرحوا مكانهم حتى يعود اليهم ..

ثم ان فى ترديد هذا المقطع من مقول القول ثلاث مرات ، ما يشير الى تلك الوحشة التى كانت تلف موسى وأهله فى هذا المكان الذى لا أنيس فيه ، ولا حس لانسان هنا أو هناك .. فلما رأى النار أيقن أن عندها من أوقدها ، واذن فهناك من الناس من يذهب بتلك الوحشـــة ، ويخفف وطأة هذه العزلة الخـــانقة .. ففى ترداد هذا القول : « امكثوا .. انى آنست نارا » تعبير

---

(١) الوعى : لنظرة امكثوا لم يرد فــى آيــة« النمل » وورد فى « طه » و « القصص » .

عن تلك الفرحـــــة التي غمرت قلبه ، وهزت مشاعره ، فأرسلها على لسانه كلمات مرددة مهتاجة ، وكأنها حراب يطعن بها في صدر الوحشة الهاجمـــــة عليه وعلى أهله !! ..

ومن اعجاز القرآن الكريم في هذا أنه وزع هذه الكلمات المرددة ثـلاث مرات على ثلاثة مشاهد في ثلاث سور ، متباعدة زمانا ومكانا .. فاذا قرأها قارىء ، أو سمعها سامع في ســورة ، أجزاء ذلك ، ووقع له علم بالواقعة التي حدثت .. ثم اذا قرأها أو استمع اليها في السورتين الاخريين ، تأكد له هذا العلم الذى علمه من قبل ، ثم اذا سأل نفسه لم هذا التكرار ؟ جاءه الجواب من عالم الحق ، بأن ذلك هـــو الواقع مفصلا ، بعد أن ذكر في كل مـــرة مجمـــــلا !! ..

ثانيا : المقطع الثاني من مقول القول ، وهو قول موسى : « لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » ..

هذا المقطع قد ذكر في السور الثلاث هكذا :

في سورة طه : « لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » ..

وفي سورة النمل : سآتيكم منا بخبر أو آتيكـم بشـــهاب قبس لعـــلكم تصطلون » ..

وفي سورة القصص : « لعلى آتيكم منها بخبر ، أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » ..

وترتيب السور الثلاث في المصحف الشريف ، هو على هـــذا النحو ، طـــه ، فالنمل ، فالقصص .. واذا كان هناك اختلاف بين العلماء ، في ترتيب السور على ما هو عليه في المصحف ، وهل هو توقيفي ، أم اجتهادى من عمل الصحابة ـ فان الذى نرجحه ، ونكاد نقطع به أنه توقيفي ، وشاهد هذا هو ما بين السور من ترابط وتناسب ، وخاصة ما بين خاتمة كل سورة ، وبـــدء السورة التي بعدها ، حيث تتعانق السورتان ، بحيث يمكن وصلهما قراءة من غير أن يفصل بينهما بالبسملة ، كما تتصل الآية بالآية في السورة الواحدة..

وقد كان من منهجنا في كتابنا : « التفسير القرآني للقرآن » دراسة هذه الظاهرة ، ونصب الشواهد لها ، مما جعلنا نقطع بأن ترتيب السور في المصحف الشريف هو توقيفي ، كترتيب الآيات في سورها ..

نقول هـــذا لنقرر أن هـــذا المقطع الذى أشرنا اليه آنفا ، هـــو ثلاث مقولات لموسى ، جاءت واحدة بعد أخرى على هذا الترتيب .. مافي سورة طه أولا ، ثم مافي سورة النمل ثانيا ، ثم مافي سورة القصص اخيرا ..

وننظر في وجـــه هـــذه المقولات ، فنرى أن موسى ـ عليه السلام ـ حين رأى النـــار ، جعل يردد هذا القول مخاطبا به أهله :

« امكثوا .. انى آنست نارا .. امكثوا انى آنست نارا .. امكثوا .. انى آنست نارا » .. ثم انطلق مسرعا نحو موقد النار ، وهو يلقى الى اهله بما يفتح لهم به باب الامل والرجاء ، فيما سيحمل اليهم من خير من انطلاقـــه نحو تلك النـــار ، وعودته اليهم منها .. وهنا تتزاحم الكلمات على لسانه ، وقـــد أطلقها من مشاعره المهتاجة المائجة بكثير من الخواطر والتصورات :

« لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » .. ســـآتيكم منها بخبر ، أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » ..

« لعلى آتيكم منها بخبر ، أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » ..

فالمطلوب هنـا من وراء هـذه الانطلاقة نحو مصدر النار ، هو أمران : الاتيـان بجذوة من النار ، ليوقدوا منها نارا يستدفئون بها ، أو يهيئون بهـا طعاما ، ثم الحصول على بعض الاخبار عند من أوقدوا تلك النار ، يعلم منهـا موسى وأهله أين هم من الطريق الى مصر ؟ وكم مرحله بينهم وبينها ؟ واين مواقع الماء على هذا الطريق ؟ وأين ، وأين .. الى كثير من الامور التى يطلب العلم بها من يقطع طريقا كهذا الطريق منفردا مع أهله ! ..

ويبـدأ موسى هذا المقطع من قوله مصدرا بحرف الرجاء « لعل » .. « لعلى آتيكم » .. ثم يضرب على هذا الرجاء الذى يطفىء جذوة الامل التى اشتعلت فى صدره ، فيلقى بالخبر على سبيل القطع : (سآتيكم) .. ثم يبدو له أن هذا القطع ليس له ما يبرره ، لانه لا يدرى من هناك على تلك النار .. ألا يجوز أن يكونوا قطاع طرق، ويكون سعيه هذا اليهم منبها لهم على وجوده، فيقع هو وأهله وما معه صـيدا فى شباكهم ؟ وهنا يكون أكبر أمله أن يعود الى أهله بخبر ما : « لعلى آتيكم منها بخبر » ..

وهكذا نجد موسى فى هذا الموقف ، بين أمل ويأس ، ورجاء وخوف ، تتنازعه الخواطر ، وتتغاير بين عينيه صور هذا المجهول الذى يلقى بنفسه بين يديه .. ثم نراه مرة يقدم أحد المطلوبين على الآخر ، ثم يعود فيؤخر ما قدم ، ويقدم ما أخر .. ففى حديثه الاول يقدم القبس على ما يجد على النار من هـدى لان النار كانت أظهر مطلوب له ، لانها الدليل الى من يجد عندهم هدى يمينه على الرحلة .. ثم اذا تمثل له المشهد كله ، وانه سيلتقى عند النـار ببعض النـاس داخله الشـك والخوف من جهتهم ، لأنه لا يدرى ما يـكون من موقفهم منه حين يلقاهم ، وهو لهذا يجعل همه أولا متجها اليهم ، فيقـول : « سآتيكم منها بخبر » .. ثم يرد هذا القطع بما سيأتى به ، ويجعله مجـرد أمل ورجـاء : « لعلى آتيكم منها بخبر » وهذا الموقف الشاك المتردد ، الذى يقفـه موسى ممن هم على النار ، هو نفسه الموقف الذى يقفه من النار ذاتها، وما يحصل عليه منها ؟ انه فى حال بين الرجاء واليأس ، واليقين والشك .. فهو على حين يرجو أن يأتى أهله منها بقبس — وهو القليل منها — « لعلى آتيكم منها بقبس » — يطلع عليه خاطر يقوى هذا الرجاء عنده ، فاذا هـذا القبس قد بدا له شهابا ، ساطعا ، يبدد ظلمة هذا الليل البهيم : « سـآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » ثم لا يلبث أن يرد عنه هذا الخاطر المسعد ، بما يطلع عليه من مخاوف يولدها هذا المجهول الذى هـو مقدم عليه : « لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » .. لقد تضاءل هذا الشهاب القبس ، فأصبح جذوة ، أى قطعة من الجمر ..

— ٦ —

فقل لى بربك ، ألا تجد انك بين يدى هذا التكرار فى مواجهة معجزات قاهرة تطلع عليه من كل حرف ، وكل كلمة من هذا العقد النظيم ، من جوهر الحق المبين ، كلام الله رب العالمين ؟

وقل لى بربك ، أفى كـلام البشر — فى أعلى مستوياته من البلاغة والفصاحة — ما يستطيع ان يرصد أحوال النفس ، ومسارب الخاطر ، على نحو مقارب من هذا النظم القرآنى ؟

وقل لى بربك لو أنه كان مما يقع فى مقدور البشر من رصد أحـوال النفس ، ومسارب الخاطر على هذا النحو — أكان مما يقع فى تقدير أحد من

أرباب فن القول أن يعمد الى تلك المشاعر ، وهذه الخواطر فيوزعها هـذا التوزيع فى ثلاثة مواقف متباعدة – زمانا ومكانا – فيلقاك منها فى كل مرة الوجود الكامل للانسان ، وما تلبس به من حال ، وان طلع عليك فى كل مرة بتعبير جديد يظهر على ملامح وجهه من انفعالات تلك الحال المتلبسة به .. ؟ ان غاية ما يبلغه تدبير البلغـاء فى تلك الحال أن يجتزىء بملمح واحد من تلك الملامح ، حتى يتجنب التكرار الذى يجور على البلاغة ، أو يجمع هـذه الملامح والانفعالات فى صور مكررة من النظم ، فتتراكب الوان الصورة ، وتتدافع ، ويلطم بعضها وجه بعض !!

هذا ، ولك أن ترتب هذه السور القرآنية الثلاث على جميع الوجوه ، فتقدم ، وتؤخر فيها كما تشاء ، غير ملتزم الاخذ بما ذهبنا اليه من قبل من أن هذا الترتيب توقيفى ، وانك لواجد فى اى ترتيب تقيم السور الثلاث عليه ، هذا الاعجاز المبين من آيات الله وكلماته !

وهكذا نجد التكرار الذى يحدث فى بعض مشاهد القصة القرآنية ،يؤدى وظيفة حيوية فى ابراز جوانب لا يمكن ابرازها بأدائها على وجه واحـد من وجوه التعبير ، بل لا بد أن تعاد ((اللقطة)) التعبيره ، مرة ، ومرة ، لكى تحمل فى كل مرة بعضا منمشخصاتالحدث ، وملمحا من ملامحه ، وان كان كل ((لقطة)) تعطى صورة مقاربة للحدث ..

ولنـا أن نشبه هذا التكرار – على بعد ما بين المشبـه والمشبه به – بالتصوير ((الفتوغرافى)) والتصوير ((السينمائى)) أو ((التليفزيونى)) .. ففى التصوير ((الفتوغرافى)) نرى الصورة الواحدة يمكن ان تصور الحدث كله ، وتتناوله من جميع أبعاده ، سواء فى صورة مصغرة ، دون مساحـة الكف ، او مكبرة اكبر من مساحة الحدث نفسه ..

ومع هـذا ، فان الصورة ((الفتوغرافية)) وان أعطت جميع مـلامح المشهد ، الا انها تحتاج الى مهارة ، وحذق ، ومعاناة ، للكشف عن مضمونها أو بعض مضمونها .. أما الصورة (السينمائية) – فلأنها تتشكل من مئات ((اللقطات)) لاية جزئية من جزئيات الحدث – فهى من أجل هذا قادرة على تشخيص الحدث ، ونقله كما هو صامتا ، أو ناطقا ، ساكنا أو متحركا ..

ان تكرار الاحداث فى القصص القرآنى ، هو اعجاز من اعجاز القرآن، تتجلى فيه روعـة الكلمة ، وجلالهـا ، بحيث لا يرى لها وجه فى أية لغـة ، وفى أية صورة من صور البيـان ، يقارب هذا الوجه الذى تظهر به ، فى آيات الله ، جلالا ، وروعة ، وسطوة .. !

وهل شهدت الحياة الانسانية فى قديمها وحديثها أن الكلمة تؤدى مايؤديه العمل ((السينمائى)) اليوم من نقل المشاهد بأبعادها الثلاثة – طولهـا ، وعرضها ، وعمقها ، وبحركاتها ، وسكناتها ، ونطقها وصمتها ؟

واذا كان للناظر فى القصص القرآنى ، وفى ظاهرة التكرار الظاهرة فيه – اذا كان له أن يتخذ من كل من التصوير ((الفتوغرافى)) والتصـوير ((السينمائى)) شاهدا محسوسا يعينه على تصور مفهوم صحيح لهذا التكرار فى القصص القرآنى – فان له أن ينظر فى هذا التكرار بنظرتين معـا : نظرة فى مواجهة العمل ((الفتوغرافى)) ، ونظرة فى مقابلة العمـل السـينمائى ..

فهو فى مواجهة العمل ((الفتوغرافى)) يرى الحدث الواحد وقد جـاء

فى عدة معارض ، تختلف فى شكلها ، وفى حيزها ، ولا تختلف فى محتواها ومضمونها .. كمن يلتقط عدة صور لانسان ما بعضها صغير ، وبعضها كبير ، وبعضها يصور الوجه وحده ، وبعضها يصور النصف العلوى ، وبعضها يصور هذا الانسان كله ، ثم بعضها يقتصر على اللونين الابيض والاسود ، وبعضها بالالوان الطبيعية .. وهكذا .. وكل صورة من هذه الصور — مع اختلافها شكلا — تحمل كل ملامح هذا الانسان ، وكل مشخصاته ، بحيث اذا نظر ناظر فى اية صورة منها ، قال عنها انها لفلان هذا الذى أعرفه !!

فاذا نظرنا فيما تكرر من احداث القصص القرآنى رأينا فى تكرار الصورة ((الفتوغرافية)) واختلاف اشكالها والوانها لهذا الشخص الذى ضربناه مثلا — رأينا فى هذا التكرار للصورة ((الفتوغرافية)) أكثر من وجه شبه بينه وبين التكرار فى القصص القرآنى ..

ولنضرب لهذا مثلا بقصة موسى عليه السلام ، التى كانت أكثر قصص القرآن تكرارا ..

وننظر فى أقصر صورة جاء بها القرآن لقصة موسى من مبعثه الى نهاية فرعون على يده .. وفى هذا يقول الله تعالى :

((هل أتاك حديث موسى ، اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ، اذهب الى فرعون انه طغى ، فقل هل لك الى أن تزكى ، وأهديك الى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربكم الاعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ، ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى)) (النازعات : ١٥ — ٢٦) ..

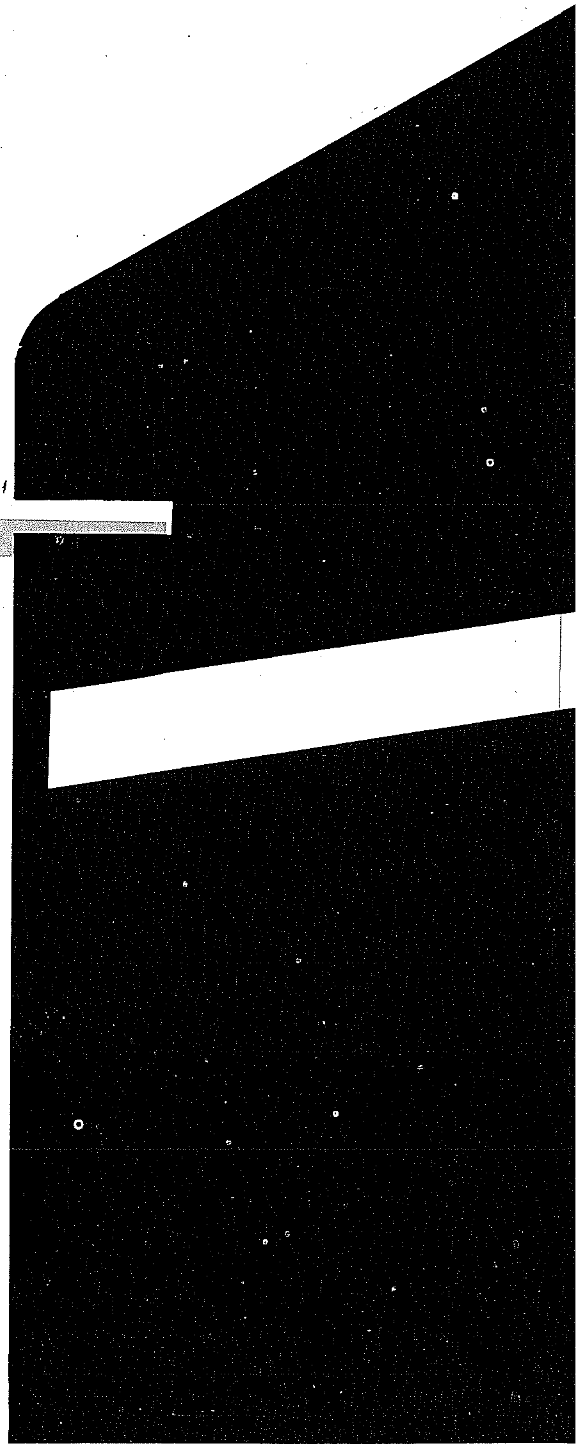
ان كل ملامح هذه القصة ، وكل مشخصاتها ظاهرة فى هذا الاطار المحدود من النظم القرآنى ، بحيث يقع لمن يقرأ هذه الآيات أو يسمعها ، علم كامل بأحداث القصة كلها ، وان غاب عنه بعض تفاصيلها التى لا تجور على المضمون ، ولا تنتقص شيئا من المحتوى ..

ثم انظر بعد هذا فيما جاء من تفصيل لهذا الاجمال فى سورة طه ، وفى الشعراء وفى الأعراف ، وفى القصص ، وفى يونس ، تجد أن أضواء كثيرة القيت على جوانب هذه الصورة المصغرة ، زادتها وضوحا ، وبيانا ، ولكنها لم تغير من وجهها شيئا .. مع انها قد جاءت فى سورة طه فى خمس وستين آية (الآيات من ١١ الى ٧٦) وفى الاعراف فى اربع وثلاثين آية (الآيات : ١٠٢ — ١٣٦) وفى الشعراء فى ثمان وخمسين آية (الآيات : ١٠ — ٦٨) وفى القصص فى اثنتى عشرة آية (الآيات : ٣٠ — ٤٢) وفى يونس فى سبع عشرة آية (الآيات : ٧٥ — ٩٢) .. وهكذا تتعدد الصور طولا وقصرا ، دون أن تفقد واحدة منها شيئا من مضمون القصة ومحتواها .. وان كان فى كل صورة منها من الجزئيات ما ليس فى الاخرى ..

أما الذى ينظر الى هذا التكرار فى مواجهة العمل السينمائى ، فانه اذ يجمع هذه الصور بعضها الى بعض ، يرى الصورة وقد تجسدت ، وتحركت، كما تتجسد شخوص الاشياء وتتحرك فى الصورة السينمائية ، فيشهد الحدث من جميع جوانبه ، وبكل أبعاده ..

ذلك هو قصص القرآن ، وتلك هى بعض أسرار تكراره ، وان وراء ذلك لاسرارا وأسرارا لا تنفد أبدا .. ((قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)) ..

رحلة طهر وعبادة إلى..



المسلمون فى كل بقاع الأرض على موعد مع الحج الى البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، على موعد مع الطواف بأول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين ، على موعد مع السعى بين الصفا والمروة وهما من شعائر الله ، على موعد مع مناجاة ربهم وهم واقفون بجبل عرفات يدعونه ويستغفروه ، وهو سبحانه قريب مجيب ، على موعد مع شد الرحال لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة فى الروضة الشريفة والاستمتاع بريح هذا المكان الطاهر على موعد مع جهاد النفس ومقاومة ما فيها من رعونات فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وإن جهاد النفس لأشد أنواع الجهاد .

نعم المسلمون من مختلف الاجناس والبقاع والطبقات والثقافات على موعد للقاء فى هذه البقاع المقدسة والأماكن الطهرة يأتون اليها رجالا

مهد الوحي ومقر الرسول

للدكتور : محمد سلام مدكور

وركبانا وعلى كل ضامر ليشهدوا منافع لهم ويذكرون اسم الله وقد خلصت نواياهم وصفت نفوسهم وتطهروا من كل رجس ودنس جمعت بينهم كلمة الله ، واستجابوا لقوله جل شأنه : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » . فتسابقوا الى الحج فى رفق ، وتوافدوا عليه فى شوق ، وقد امتلأت نفوسهم بالايمان واجسامهم بالقوة والنشاط . او هكذا يشعر الشيخ المسن ومن به نوع مرض .

نعم يتحرك فيهم النشاط أو يتجدد لأن رحلة الحج فيها حركة كثيرة وتنقل متتال ، وطواف وسعى وهرولة . عمل كله نشاط يجدد القوة ، ويبعث الهمة ، ويعود الانسان على الامتثال والصبر والطاعة ، والخشونة وتقوية العزيمة ، وغرس روح الجندية ، وتعويد الاعتماد على النفس ، وحط الرحال وسرعة الترحال ، وضبط النفس ، والتخلص من زخارف الدنيا ومتاعها وزينتها الى حين .

وما من شك أن رحلة الحج المباركة لأفضل واطهر واعز ما عرف الانسان من رحلات لما فيها من متع روحية ، وذكريات عزيزة تقوى الايمان وتشحذ الهمم وتصل الحاضر بالماضى البعيد اذ يطأ الواجد منهم الأرض التى وطأها المسلمون الاوائل ، ويمر بالبقاع التى مروا بها ، ويقطع المسافات التى قطعوها متخيلا مقدار

تحملهم لمشقة الطريق وقد كان غير ممهد ولا ميسر . فيدرك عن يقين أنهم فتية آمنوا بربهم فصنع الايمان في نفوسهم المعجزات وجعل منهم طاقة فعالة وقوة لا تقهر ، بعد أن كانوا اعداء فلما اعتصموا بحبل الله وحكموا كلمته فيهم أصبحوا اخوانا متحابين قد ألف الله بين قلوبهم .

وما من شك أن الحج من العبادات التي تتطلب من الانسان استعمال قلبه وبدنه وماله والعبادات التي يتقرب بها العبد الى ربه من شأنها كلها أن تطهر القلب وتزكي النفس ، وتبعث على الامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه ، وتقرب الناس بعضهم من بعض ، وقد غسلت من قلوبهم الضغينة والحقد ، وجعلتهم متعاونين متحابين كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

والحج يكون بالنية والاحرام من مواقيته ، مع التجرد من لبس المخيط ومن كل صنوف الزينة والترف ، وبالطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة والمشعر الحرام بالمزدلفة ، ورمي الجمرات ، وسوق الهدي . وهذه المناسك والأنفال تلقاها المسلمون جيلا بعد جيل عن الرسول صلوات الله عليه حيث اخذت عنه مناسك الحج ، ولكل نسك منها حكمته وغايته ، وكلها تحقق معنى العبودية لله . فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خذوا عني مناسككم ... »

والكثير من مناسك الحج لم تنكشف لنا حكمته ، ولم نتبين علته ، شأنه في ذلك شأن بعض أفعال تعبدية أخرى ، مع أن فهم الحكمة قد ينشط النفس عند الأداء ويحمي المكلف من الشبه التي يوجهها الاعداء إلا أن العبادة المؤداة في هذا الجو تشوبها شائبة المنفعة التي لولاها ما توجهت النفس اليها ، ولا تحملت ما فيها من مشقة ، وهي في درجة الاذعان لله اقل من العبادة التي يؤديها المؤمن لمجرد أنها أمر من الله من غير تطلع الى ما وراءها من نفع ، ولا تعرف على ما اقتضاها من دوافع وانما يؤديها استجابة لأمر ربه وتفانيا في الخضوع والطاعة .

ومن هنا احتفظ الله جل شأنه بسر بعض التكاليف فلم يبينه ولم يشر اليه بأي اشارة تظهره أو تدل عليه ليمحص مدى الايمان والتصديق في النفوس . وفي هذا يقول الامام الغزالي في كتابه « إحياء علوم الدين » : واجبات الشرع ثلاثة اقسام : قسم هو تعبدي محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل ما لا يعقل له معنى ... » ويقول في موضع آخر من نفس الكتاب : ان ما لا يهتدى الى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق الى مقتضى الاسترقاق ...

واذا كان الاسلام قد محا كل آثار الوثنية التي كانت تضمها هذه الأماكن ونهى معتنقيه من عبادتها ، ونهاهم عن التمسح بالأحجار وتقديسها فانه عاد سبحانه بعد خضوعهم لأمره فطوفهم حول احجار الكعبة بأمر منه وسعى بهم سبحانه بين الصفا والمروة على أن الطواف والسعي من شعائر الله من غير أن يرون لها بذاتها

قداسة وتقديرا إلا بتوجيه الدين انظر قول عمر بن الخطاب لما طاف بالبيت واستلم الحجر : انى اعلم انك حجر لا تضرولا تنفع ، ولولا انى رايت رسول الله يقبلك ما قبلتك » وهو ما يشير اليه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لبيك حقا حقا تعبدا ورقا . »

فهذه العبارة فى هذه المناسبة تدل على ما فهمه عمر من قول الرسول عليه السلام فى العبارة المذكورة .

وتحسن المبادرة بالحج عند الاستطاعة ، واذا كان الفقهاء يتفقون على أن التعجيل بالحج افضل عند القدرة عليه وتحقق الاستطاعة ، فان منهم من يرى أن التعجيل به عندئذ واجب يأثم المرء بتأخيره حتى قال بعضهم : انه يفسق وترد شهادته اذ فى تأخيره بعد التمكن تعريض لفوات آداء الحج الذى لا يجب على المستطيع الا مرة واحدة فى العمر . وممن ذهب الى وجوب التعجيل والمبادرة الامام أبو حنيفة وصاحبه أبو يوسف ، وهو مذهب الحنابلة والظاهرية والشيعة الجعفرية ، وقول عن الامام مالك . لكن الذى استظهره متأخرو المالكية انه واجب على التراخى ، وهو ما اتجه اليه محمد ابن الحسن الشيبانى الفقيه الحنفى ، وهو مذهب الشافعى . لأنه مفروض فى العمر مرة واحدة ، فكان العمر فيه كالوقت فى الصلاة .

وقد عنى الاسلام بفريضة الحج عناية بالغة فأوردها فى آيات عديدة من الكتاب الكريم ينوه فيها بشأن البيت الحرام ، ويبين لنا فيها أن له أشهرا معلومات ، وأن له كرامة وحرمة ، وأن التزود له مطلوب وينبغى أن يكون أساس الزاد له التقوى ، وقد أنزل الله فى شأنه ، — برغم تأخر تشريعه إذ شرع فى السنة التاسعة للهجرة — سورة سميت بسورة الحج تضمنت كثيرا من أحكامه جاء فيها « إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم . وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . . » الآيات .

والواقع أن المنافع التى أشارت اليها الآية الكريمة « ليشهدوا منافع لهم » ليست هى التجارة وحدها كما توهم بعض الناس ، ولكنها كل ما يهم المجتمعات الاسلامية التى جعلت من الحج مؤتمر اجتماع وتعارف وتعاون والتى جعلت منه فريضة تتميز بأن تلتقى فيها الدنيا والآخرة ، كما تلتقى فيها ذكريات العقيدة النابعة من المنبع الكريم ، وانما كانت الناحية الاقتصادية جزءا بارزا من أعمال ذلك المؤتمر الاسلامى الكبير .

ولو احسنت الشعوب الاسلامية وحكوماتها لأقامت لها معارض صناعية وتجارية وزراعية وثقافية فى موسم الحج . كل دولة تعرض ما عندها وتقدم خدماتها فتفيد وتستفيد ويعم النفع برواج السلع ، ونشر سبل الحضارة النافعة فى هذا الجو الروحى ، فينتفع كل بما عند الآخرين من مواهب وخبرات ومعرفة .

ولو قدر المسلمون هذا المعنى فى الحج واوفدت كل دولة مندوبيــــن رسميين عنها للعمل على تحقيق تلك الأغراض فى اجتماعات معدة منظمة فتعرض كل دولة ما فيها من شئــون تسترعى النظر لتمخض ذلك المؤتمر الاسلامى الكبير عن تصفية الشئون على اختلاف الوانها وتزول العقبات بفضل التعاون والتآزر والتآخى فى الدين .

* *

وقد أشرنا قبل الى أن الحج واجب ومفــــروض مرة فى العمــر علـى المستطيع البالغ العاقل ، وتتحقــق الاستطاعة بتملك الزاد والراحلــة والقدرة على الوصول مع أمن الطريق يقول الله تعالىٰ « ولله على النــاس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » وعن على رضى الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت ان شاء يهوديا وإن شاء نصرانيــا » وملــك الزاد والراحلة الذى تتحقق بهما او بالقدرة على نفقاتهما يشترط أن تكون فائضة عن حاجته الاصلية وحاجة من تلزمه نفقتهم من زوجة وأولاد واقــــارب واتباع حتى يعود اليهم من الحــج ، غير أنه بالنسبة للمرأة يشترط ان لا تكون معتدة من وفاة او طلاق كمــا يشترط فوق ذلك ان يصحبها زوجها أو قريب محرم كأبيها أو ابنها واخيها ممن تحرم عليهـــم ، ويكتفى بعض الفقهاء بأن تكون برفقة نسوة ثقــات أو جماعة يؤمن عليها معهم مــــن الفتنة .

على انه يستحب للزوجة استئذان زوجها عند خروجها للحج من غيــر رفقته ، على أنه اذا لم يأذن لها جاز لها اداء الفريضة مع محرم أو مــع النسوة الثقات على ما قلنا ، ومــع ذلك فان من الفقهاء من يسقط حقها قبل الزوج فى النفقة فترة الحــج لفوات الاحتباس بسبب من جهتهــا وممن اشترطوا المحـــرم وراوا أن الاستطاعة بالنسبة للمراة لا تتحقق الا بوجوده ، فقهـــاء الراى ومنهم ابو حنيفة . وكذلك الامام احمد بن حنبل روى يحيى بن عبـــاد قال : كتبــت امراة مــن اهل الرى الى ابراهيــم النخعى وقالت : إنى لم أحج حجــة الاسلام وانا موسرة ليس لى محرم . فكتب اليها ، إنك ممن لم يجعل الله له سبيلا .

ويروى الحافظ ان المشهور عنــد الشافعية اشتراط الزوج او المحرم أو النسوة الثقات ، بل وفى رفقة الحجيج عند أمن الطريق . ونستدل هــؤلاء بما رواه البخارى عن عدى بن حاتم قال : بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشــكا اليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل ، فقال : يا عدى هــل رأيت الحيرة ــ قرية بالكوفة ــ قال : قلت : لم أرها وقد أنبئت عنها . قال : فان طالت بك حياة لترية الظعينة ــ الهودج فيه امراة ــ ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله » كما استدلوا بأن نساء النبى صلــى الله عليه وسلم حججن بعد ان أذن لهن عمر فى آخر حجة حجها وبعث معهن عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف .

وقبل أن نترك موضوع الاستطاعة على الحج نرى أنه من الواجب علينا أن نشير الى خطأ ما يحدثــه بعض

الناس ممن ليست لهم قدرة على نفقات الحج . ويلزمون أنفسهم بذلك عن طريق بيع حاجياتهم الضرورية لمعيشتهم أو عن طريق الاستدانة . روى البيهقى عن عبد الله بن أبى أوفى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يحج . أو يستقرض للحج ؟ . قال : لا . »

وواضح أن مثل هذا لا تتحقق بالنسبة له الاستطاعة فلا يلزمه الحج ، ومن يفعل ذلك يكون آثما بهذا التصرف وإن كانت الفريضة تسقط عنه ويصح حجه . هذا ومن حج لنفسه بمال تبرع له به غيره فانه يقبل حجه وتسقط عنه الفريضة ويثاب الآخر بقدر ما قد تم له من مال لأداء الفريضة .

واذا مات المستطيع قبل أن يؤدى فريضة الحج وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه من ماله روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه أن امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمى نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال نعم حجى عنها أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله . فالله أحق بالوفاء » والحديث صريح فى وجوب الحج عن الميت من ماله كما هو مذهب الشافعى سواء أوصى بذلك أو لم يوص ، بينما يرى المالكية ذلك اذا ما أوصى الميت أما اذا لم يوص فلا يحج عنه لأن الحج عبادة بدنية مالية والجانب البدنى هو الغالب فلا يقبل النيابة لذلك . وقد علق الشوكانى — على الحديث المذكور — فى كتابه نيل الأوطار وقال : إن فيه دليلا على أن من مات وعليه حج وجب على وليه أن يجهز من يحج عنه من رأس ماله كما أن عليه قضاء ديونه » ويقول الصنعانى فى كتابه سبل السلام : إن الحديث دل على وجوب التحجيج عن الميت سواء أوصى أو لم يوص ، وينقل ابن قدامة الحنبلى أنه يستحب أن يحج الانسان عن أبويه إذا كانا ميتين أو عاجزين ، وقال ابن حزم الظاهرى : إن ذلك واجب .

وهذا الكلام يستتبع القول فى حكم المستطيع الذى يرغب فى أن ينيب عنه غيره لأداء الحج عنه . هل يقبل منه ذلك وهل تبرأ ذمته بهذه الانابة ؟

الانابة فى الحج يختلف الفقهاء فى حكمها تبعا لتغليب بعضهم الناحية البدنية كما قلنا ، وتغليب الآخرين الناحية المالية فيه ، والذين يرون أن العبادة البدنية هى الغالبة فى الحج والمقصودة أصلا يمنعون الانابة ولا يسقطون الفريضة بها ، وهم المالكية يستوى فى ذلك عندهم ما إذا كان الشخص صحيحا أو مريضا يرجى برؤه . أما المريض الذى لا يرجى شفاؤه بمال ، والعاجز عن الحج بنفسه فى أى عام من حياته فقد سقط عنه الحج لأن التكليف بهذه الفريضة للمستطيع . وقالوا أيضا : إن من قصر فى أداء الفريضة وأوصى قبل موته بالحج عنه ، أو فعل ذلك ورثته بدون إيصاء فان ذلك لا يسقط عنه حجة الاسلام التى لم يؤدها فى حياته مع استطاعته فلا تبرأ ذمته بفعل الغير .

أما الحنفية والشافعية والحنابلة : فانهم يرون أن الحج من العبادات التى تقبل النيابة لأنها ليست عبادة بدنية محضة ، وإنما هى عبادة مركبة من أفعال البدن وإنفاق المال ،

والاستطاعة كما تتحقق بأداء الشخص نفسه ، فانها تتحقق بانابة الغير عنه وعلى هذا فان من عجز عن الحج بنفسه وجب عليه أن يستنيب غيره ليحج عنه ، واشترط الحنفية لصحة ذلك ان يكون عجزه مستمرا عادة الى الموت ، كالمريض الذي لا يرجى برؤه ولا يتمكن معه من اداء شعيرة الحج فان هذا تسقط عنه الفريضة بانابة غيره ليؤديها عنه حتى لو زال عذره بعد ذلك وتمكن من الأداء بنفسه . اما المريض الذى يرجى برؤه والمحبوس ومن فى حكمهما فان النيابة عنهما تصح ويتأدى بها الفرض إذا لم يتمكن بنفسه بحيث اذا ما برىء من مرضه أو خرج من حبسه وكان يستطيع الحج بنفسه فان الفريضة لا تسقط عنه بما حدث من اداء الغير عنه ، كما اشترطوا ان تكون اكثر نفقات الحج من مال المحجوج عنه إلا بالنسبة لمن مات ولم يوص بالحج فتبرع احد الورثة او غيرهم بالحج عنه فانها تجزىء ، كما اشترطه التكفل بالانفاق على من انابه نفقة المثل ، فاذا اشترط له اجرا كأن يقول له استأجرتك للحج عنى أو عن فلان بكذا فانه حجه لا يجوز ولا يجزىء احدا .

ويشترط الفقهاء الذين يجيزون الانابة أن ينوى الغائب الحج عن من انابه فيقول : احرمت عن فلان ولبيت عن فلان ، وتكفى نية القلب ، ويشترط الشافعية والحنابلة دون الحنفية ان يكون النائب قد ادى فريضة الحج عن نفسه لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال له : أحججت عن نفسك ؟ قال : لا ، قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة .

والذى نختاره للفتوى — إن حق لنا ذلك — هو جواز الانابة ما دام الشخص غير مستطيع بنفسه وفى وسعه ان ينيب عنه لأن الشارع أوجب الحج على من استطاع اليه سبيلا ، وغير القادر بنفسه إن وجد من ينيبه عنه بالمال الكافى لانابته كان ذلك من سبيل الاستطاعة ، فغير المستطيع بنفسه يكون الذى دفعه للانابة خشية الله وامتثال امره . واما المستطيع بنفسه فلا يسقط الفرض عنه بالانابة واما من مات دون اداء الفريضة مع القدرة والاستطاعة وكان قد اوصى بأن يحج عنه غيره من ماله أو اناب الورثة واحدا عنه او تبرع الغير بذلك فان قبول ذلك وعدمه علمه عند الله .

هذا بالنسبة للحج والانابة فيه ، وليس اللائق لمن يحج أن يهمل السعى لزيارة قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى حمل الرسالة فصان الامانة إما قبل اداء نسك الحج او بعد ذلك حسب ما يتيسر له ، فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى .. ومَن من المسلمين لا يسعى جاهدا لزيارة الرسول ، والصلاة فى مسجده الطاهر والتفكر فيه للتأسى به فى كل أمر وهو الذى ادبه ربه وتخلق بخلق القرآن .

نسأل الله أن يهىء نفوسنا للاستفادة بأحكام الدين ، وأن نقصد فى عباداتنا وجه الله وحده دون تظاهر أو تفاخر ، وان يهىء لنا من أمرنا رشدا ، وان يجمع كلمة المسلمين على ما فيه خيرهم يا رب العالمين .

الذكريات الغوالي

ليلة العمر في عرفات

(١)

الأستاذ أحمد العناني

(١)

خير من ألف درس ومناظرة في الخير والسعادة .
وخير من حصاد كل العقول التي سهرت تفكر في الإصلاح والسلام ونجاة الانسانية من مهاوى الشرور .
وخير من نتاج الفلسفة ، وتهويمات السفسطة ، ومجاهيد الأدباء والفنانين .
خير منها واجدى ، واشرف منها وابقى ، ليلة من العمر واحدة على متن عرفات ، ليلة الحج الأكبر ..

(٢)

النجود والسباسب القفراء ، حيث لا نأمة ولا حركة ولا حياة بين عشية وضحاها تصبح مسرحا موارا بالأحياء والأصوات جماهير من كل حدب وصوب ، وجوه من كل درب وفج ، أناسى من كل سنخ وجنس ، كلها على اختلاف الوانها وتعدد مواطنها ، وتباين السنتها ، وتنوع أعمارها ، من شيب وشباب وأطفال، من رجال ونساء ، كلها فى ثياب

بيض ، وبقلوب عامرة ، وشفاه ذاكرة ، وعيون الى ربها ناظرة ، تمجد رب السموات والأرض ، وتتحرق شوقا الى رضاه وغفرانه ، وتفرّ فرارا من ذنوبها وخطاياها .

(٣)

صورة هناك مشرقة للانسانية عزّ منالها في أي مكان في الأرض ..
صورة صنعتها السماء والأرض تهمي بالرحمة ، وتفيض بالطهر والتضحية والصفاء ، كما تفعل الثلوج البيض على صفحات التخوم الطاهرة في البراري الحسان .

وهناك يصبح للوجود الانساني معنى يبعث الأمل ، يجد السمو ، يرتفع عن حضيض الأهواء ، يناجي رب السماء ؛ وينتظم الوجود من سائر الأحياء والأشياء في تسبيحة واحدة بمشاعر واحدة ، بزي واحد ، في مكان واحد ، لرب واحد لا إله الا هو ، لا مانع لما يعطيه ، ولا معطي لما يمنعه ، ولا راد لقضائه ولا مبدل لحكمه ، ولا يغني كل شيء غناءه ، لأن كل شيء من عطائه .

(٤)

كأنما لم يكن إلا امس وقفة الرسول الأعظم في حجة الوداع .
كأنما لم يكن غير امس صوت العباس الجهير ينادي بكلمات الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ..
كأنما كشفت بأمر الله حجب الغيب لعيني الرجل الذي لولا فضل الله علينا به ما عمرنا شاما ولا عراقا ، ولا انتشرنا في الغرب أعزة بالايمان وفي الشرق منتصرين بالفرقان .

كأنما كشف الغيب له أستاره فأراه لبّ البلاء الاكبر الذي يصيب هذه الأمة حين ترتكس في شقاوة العصبية ، وتتخذ لها من غير الله قضية ، وتتفرق شيعا ويضرب بعضها رقاب بعض ..

(٥)

الله اكبر هذا عرفات
هذا موطن انطلاقة الدين بعد أن اكمله الله
من هذا بدا اندفاق الينبوع الكريم الذي حسنت به الدنيا زمانا طويلا ، قبل أن تفسدها الأهواء ، وترديها لساعات عيش فان ، وتعصب ذميم لغير الله ..
نداء ينطلق من الأردية البيض بأفصح لسان واجلى بيان .
هل غير الثياب البيض تصنع منها الأكفان يوم تطوى صفحات الأعمار تمهيدا ليوم العرض على الواحد القهار ؟
هل غير السرائر الطاهرات البيض ، والحسان الباقيات الصالحات من الأعمال يبقى من كيان الإنسان ؟
هل للمساواة جوهر أو مظهر يداني ما تراه العين ويقرّ به الفؤاد على عرفات ؟
هل للأخوة والحق والسلام ، أم هل للتعاطف والتراحم موسم كهذا الموسم الذي تناسق فيه الوجود وتناغمت اصداؤه في تسبيحة عذبة صاعدة الى ملكوت الله ؟

(٦)

لبيك ربي لبيك
وجودنا كله عطيتك
ملك السموات والأرض لك

والحمد واجب لك وحدك
ولا مفر لنا منك إلا اليك
نحن كلنا عبادك ، لا كبرياء إلا لك
واها لنا كم اصبحنا أكبر مما عهدنا في انفسنا ، حين عشناها اياما طاهرات ، بلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى هذا الحج .

عرّفنا الحج بحقائقنا فتصاغر فينا الغرور ، وخزى فينا صوت الشر ، وخفتت وساوس التكاثر والمباهاة ، وخشعنا قلوبا وعقولا وجوارح لرب السموات والأرض ..

(٧)

رباه هذا ليس حجا فحسب ولكنه يبدو وكانما هو فى الدنيا تجربة يوم الحشر ، وإنذارا لمن كان غافلا من قبل أن يوارى فى غياهب القبر .

هذا مجمع للفضائل ، وإحياء لموات اشرف جوانب الانسان ، ومرحلة فصل بين الغرور والحقيقة ، ومطلع فجر الهداية فى ظلمات كل انسان ظلم نفسه ..

(٨)

الله للمسلمين حين يكتمل صحوهم ، ويستعيدون فى انفسهم عميق احترامهم دينهم ، واعتزازهم بالحق الذى اختصهم به ربهم .

الله لهم حين فى اجواء الحج يعرفون كيف يلمون شعثهم ، وينسقون جهودهم ، ويتعاونون حق التعاون فيما بينهم .

إن كل أعمال المسلمين فى نطاق علاقاتهم العامة يمكن أن ترسخ قواعدها السليمة فى الحج ..

وما اكثر حاجة المسلمين بعامة الى مشكلات تحل ، ومؤسسات تنشأ ، ومواثيق تعقد ، وأرحام توصل ، والى طرز فذة مستحدثة من الجامعات والمصارف والنظم الحياتية الأخرى .

(٩)

الا يا بلادا شرفها الله بالأمن والرزق المتاح وانوار الرسالة .

ويا بلادا شرفتنى ربوعها بأجمل وأروع أيام العمر وأغلاها .

ويا مناط الحنين فى قلوب الملايين على مدى الشهور والسنين .

ويا أيها المسجد الحرام ، يا غنوة التضحية ، وموطن المعجزات .

ويا أيها الغار على قمة حراء .

ويا ذلك المسجد ، مسجد بلال ناحية أجياد

ويا بلادا فيها كل ذكريات ايماننا وعزنا

يا ربوع الحج ، وارض الهدى والنور
عليك سلام الله مع كل موكب حجيج
ولك الفخار الاسنى الى يوم الدين

مائدة القارئ

بسم الله الرحمن الرحيم

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

ثـار الأب

قيل عن الشاعر المعروف امرىء القيس انه حين قتل أبوه ذهب ليسأل الأصنام : أيثأر لأبيه أم لا ، جريا على العادة التي كانت متبعة يومئذ عند العرب ، وهي أن يحضر ثلاثة أسهم : يكتب على الاول كلمة نعم ، وعلى الثاني كلمة لا ، ويترك الثالث غفلا من الكتابة ، ثم يسحب أحدها . فكان في كل مرة يخرج له السهم الثاني المعلم بكلمة لا ، ثلاث مرات متتالية ، فثارت ثائرته ،ورمى الصنم بالسهم وهو يصرخ فيه : لو أن القتيل كان أباك لما نهيتني عن الأخذ بثأره !

حى على الصلاة

حى على الفلاح

قال الشافعي :

وقول المؤذن : حى على الصلاة . حى على الفلاح .. دعاء منه الى الصلاة ، ثم دعاء منه يعلمه فيه أن دعاءه الى الصلاة دعاء الى الفلاح ، وينبغي لمن دعا الى الفلاح بالصلاة ، وعلم أنه لا يأتي الفلاح بطاعة الله في الصلاة ولا غيرها إلا بعون الله ان يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، لأنه لا حول له يصل الى طاعة الله إلا بالله عز وجل .

فتوى الشافعي

قال حرملة بن يحيى يقول :

سمعت الشافعي يقول في رجل قال لامرأته ، وفي فيها تمرة : إن أكلتها فأنت طالق ، وإن طرحتها فأنت طالق — قال : تأكل نصفها وتطرح نصفها .

القـــدر

ما شئت كان وإن لم أشـــا
وما شئت إن لم تشأ لم يكـــن

خلقت العبـــاد على ما علمت
ففي العـــلم يمضي الفتى والمسن

على ذا مننت ، وهـــذا خذلت
وهـــذا أعنت وذا لم يعـــن

فمنهم شقي ، ومنهم سعيد
ومنهم قبيـــح ومنهم حســـن

دجـــاج الناس

أرسل رجل قفصا من الدجاج الى صديقه ، فلما تسلمه أرسل اليه رسالة يقول فيها :

« جاءني الدجاج ، ولكن القفص لم يكن من نوع جيد ، فقد تحطم وانطلق الدجاج منه ، فلم استطع أن اجمع إلا إحدى عشرة دجاجة ! » .

فجاءه الرد من صديقه يقول :

إنك سعيد الحظ ، لأني لم ارسل لك إلا ست دجاجات !

رؤيـــة اللـــه

قال ابن هرم القرشي سمعت الشافعي يقول في قول الله عز وجل : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » قال : هذا دليل على أن اولياءه يرونه يوم القيامة .

شـــهادة

قال الشافعي : الناس عيال على هؤلاء : من أراد أن يتبحر في المغازى فهو عيال على (محمد بن اسحاق بن يسار) ومن اراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على « زهير بن أبي سلمى » ومن أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على « مقاتل بن سفيان » .

حجة الوداع

آن للحـــــق ان يشـــب عــن الـــطوق ويحـدو مســيرة الظــافرينا
ويشــع الهـــدى على مفرق الـــدهر نديــا يفيض حزمــا رصينــا
إن أمــر السمــاء قــد تم نصــرا   لهــداة الســلام ، راس متينــا
وغــدا المسلمون فى الأرض ركنــا   يتسامــون عـــزة ، ويقينـــا
وأقام الرســول بعــد جهــاد   شق ، عهــدا موثقــا ، مأمونا
فأضاءت ربــى الجزيــرة آيـــــات كــرام شعاعهــا لن يبينــا
تبهــر النفس روعـــة ، ورواء   والحجى منطقــا ، وتجلو العيونا
بعــد أن كان ظلهــا من ظــلام   قاتم اللـــون ، والهتــاف أنينــا
وانطوت صفحة الضيــاع وكانــت   وصمــة تمــلأ النفــوس شجونا
وهوى الشرك خاســئا يتوارى   وارتــدى الكفــر ثــوب ذل مهينا
وإذا الليــل قــد تبــدل فجــرا   والسموات ترجــم الماردينـــا
والـــورى يبصرون ، بعــد عمــاء   كالحيــارى ، محجــة السالكينا
ونظام الاســلام ينشــر عـــدلا   فى ربـــوع الحيـــاة . دنيا ودينا

— — ٣ —

واراد النبــــى أن تسمع الدنيـــا بهـــذا الـــدوى يطوى السنينا
فتنــادى الزحــوف ، لبيــك يا رب ، حجيجـــا ، يبـــادرون الأمينـــا
عرفــات ميعادهــم وهــو صــرح   شامــخ كفتــاه ترعى المئينــا
وفــدت بفجــة ، تردد صدقـــا   برجــاء ، طوائــف الوافدينـــا
وهناك ارتقى عليه الســلام المنبــــر الفرد ، قائمــا مأذونـــا
وأحاطــت جموعهم فى حمـــاه   وهو يلقــى الخطاب فصــلا مبينــا
أيهــا النـــاس : انكم فى حــرام   آمن يستجد حينــا فحينـــا
أيهــا النـــاس : انــكم لأبيكـــم   آدم أجمعيــن ، منــه بنينـــا
انما الظلـــم فى الحيـــاة حـــرام   والربـــا ، والفســـاد ، هل تنتهونا

الأستاذ : احمد محمدمصطفى السفاريني

فاحملوا دعوة الهدى للبرايا — وانشروها كريمة ، ان تدينا
قاتلوا الباطل الزهوق بعزم — واستبينوا السلام : حربا واينا
لا تكونوا اذلة تخدعون الله والحق ، بل اقيموا المتونا

....

وافاض الرسول بالناس ماض — عن هدى الوحى يرشد الناسكينا
وهو يبدو مع النفير رضيا — باسم الثغر ، يستبين حنينا
انها حجة الوداع رمز المعانى — وحى حق ، تذكر المتقينا
كمل اليوم دينكم مستقيما — ووفى الله نعمة الشاكرينا
واستوى الأمر بانفساح الأمانى — وسبيل الله المبين الشؤونا

....

هى ذكرى تمر فى كل عام — لا اراها تثير اشياء فينا
هل وعينا عن الرسول هداه — واهتدينا بشرعه ورضينا ؟
هل أقمنا الجهاد دعوة حق — نحمل الفكر ، يقرع المشركينا ؟
هل اعدنا الحقوق من سالبيها — فى فلسطين ، مقدس المسلمينا ؟

....

لتكن حجة الوداع نذيرا — تبعث العزم فى النفوس مكينا
لنردد مع الحجيج دعاء — أن نرى المسلمين حصنا حصينا

....

ذكريات في الحج

للاستاذ : احمد مظهر العظمة

جعل الله سبحانه منسك العرب البيت الحرام ، الذى رفع قواعده بمكة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وكان ابراهيم يطهر البيت للطائفين والعاكفين والركع السجود ، واثنى الله فى كتابه العزيز على ابراهيم هذا فى دينه فقال : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا (١) مسلما وما كان من المشركين » . « ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولي المؤمنين » ، فقد كان منقادا الى احكام الله مائلا عن العقائد الزائفة ، واولى الناس به ، — ما دامت هذه حاله — أتباعه مر أمته ، وهذا النبى الكريم والذين آمنوا وذلك لموافقتهم معظم ما كان من شرعه وفى مقدمة ذلك التوحيد .

ودارت الأيام دوراتها ، وفشت فى جزيرة العرب الوثنية ، وعلت الأوثان بيت الله الحرام ، وكان لها سلطان على عقول العرب ، وسلوكهم وتصرفهم ، وآن على حين فترة من الرسل أوان دين التوحيد خالصا من الشرك الظاهر والباطن . وبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فدعا الى الله وحده لا شريك له . ولاقى مالاقى فى مكة وهو صابر ثابت ، حتى اذن الله تعالى بالهجرة الى المدينة ، وفيهانما الاسلام نموه واثمر الثمر اليانع .

وفى السنة السادسة من الهجرة فرض الله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . وامرهم بأن يتموا الحج والعمرة لله ، وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم للعمرة فصده المشركون عن البيت فى تلك السنة (٢) ، وكانت لهم بقايا آجال ، فقضى النبى فى السنة السابعة ما فاته ، وفى السنة التاسعة حج بالناس أبو بكر (رضى الله عنه) وفى السنة العاشرة حج الرسول حجة الوداع ، فى حرم آمن يجبى اليه ثمرات كل شيء ، فقر الرسول عينا بالمسلمين الوفا ، متجنبين الرجس من الاوثان ، متجنبين قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين به شيئا .

للحج عدا ثوابه العظيم منافع شتى ذكرها الباحثون ترد الى نوعين :

١ — منفعة اهل مهبط النور مكة وما حولها بخير يغدقه الله عليهم .

٢ — ومنفعة الوف مؤلفة من المسلمين ، اموا مكة من اقطار الارض ، اذ يتعارفون ويتآلفون ، ويتبادلون المنافع ، ويتعاونون على ما فيه صلاحهم ، ويعتادون الضرب فى الأرض ليبتغوا من فضل الله وينظروا فيما خلق . .

وللحج منفعة أخرى يدركها المؤمنون الواعون ، وهى مشاهدة بيئة الاسلام الأولى والتأمل فيها ، تلك البيئة التى ثبت فيها محمد صلى الله عليه وسلم ثم قامت على الوحى شريعة تلك المشاهدة التى تجعل صاحبها يزداد ايمانا بأن الاسلام ليس وليد بيئة . وانما هو دين إلهى ، تنزل كتابه من لدن عليم حكيم قدير — على محمد صلى الله عليه وسلم الذى ما كان ينطق عن الهوى إن هو الا وحى يوحى . فالصحراء اصبحت بالاسلام عقيدة وعبادة وخلقا ونظاما ، أصبحت خيرا من جنان الارض ، تلك المشاهدة التى تصل صاحبها بالعناية الالهية التى أمد الله تعالى بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم حتى انتصر على الشرك والكفر والطغيان ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

ان الباحث الاجتماعى ليعتمد فى بحثه ثم فى دعوته على بيئة ، وعلى اسس تقوم عليها صلات ابنائها فى حياتهم الاجتماعية ، وعلى اتخاذ ما يتطلبه الاصلاح بعد الفهم الصحيح للمجتمع الذى هو موضوع البحث .

ان البيئة العربية قاسية شديدة فى جملتها ، وظواهرها الاجتماعية — التى اوجدت معظمها ارادة الجماعة — كالأسرة ، والاخلاق والتشريع والحكم — ظواهر بسيطة ، تسودها العصبية العمياء جامعة ملزمة روحيا وتشريعيا وخلقيا مهما كان شأنها .

فالاصنام يعزى اليها تصرفات ورغبات فيؤمن بها المجتمع .

والاعراف تهدف الى مقاصد فيستجاب لها وتتبع .

والتقاليد تستوجب سلطانا لها بل تطويقا لرقاب الناس ، دون أى نقد يستمع .

فالباحث فى المجتمع العربى قبل الاسلام يعلل على ضوء ما تقدم ، فلا يجد اجتماعا صحيحا كاملا ، سواء أكان ذلك فى الاجتماع الدينى أم الخلقى أم النظامى أم الثقافى أم العائلى أم الاقتصادى مع الاعتراف ببعض المآثر كالبيان والكرم . .

ويطول البحث اذا استرسلنا فى هذه الموضوعات ، فحسبنا أن ننتهى منها الى تأكيد ما تقدم من فائدة مشاهدة أماكن الحج بيئة الاسلام الاولى ، ونذكر ما كان فيها من أوضاع اجتماعية حل محلها الاسلام العظيم فى جميع نواحيه ، ثم الجزم دونما تردد بأن من صبر الشوك وردا إنما هو الاسلام ، وان دعوته وأحكامه يجب الاستجابة التامة لها ، فإن فيها ما يحيينا ويسعدنا روحيا وماديا .

. . . .

تداعت على الذكريات حين حججت فاجملها بما يلى :

ذكرت حينما دخلت مكة المكرمة ذلك الصراع المرير بين الحق والباطل ، لأن قريشا أبت أن تفتح عيونها لترى الاسلام الدين الالهى الجديد ، واضطرت الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه أن يهاجروا .. وحينما جاءوا مكة للحج اضطرتهم أن يعودوا من الحديبية مهادنين .

وكان نضال ، وكانت معارك ، وآن للمسلمين أن يدخلوا مكة فاتحين فى السنة الثامنة من الهجرة ، وآن للمشركين أن يعلموا ألا ملجأ من الله الا إليه ، وأن عاقبة العناد الخزى والخذلان ، كما آن للمؤمنين الذين كانوا مستضعفين فى الارض حتى اضطروا أن يخرجوا من ديارهم ، أن يعودوا الى وطنهم لأول مرة مرفوعى الرؤوس موفورى الكرامة ، بعد أن نقضت قريش الهدنة ، وهذا عمرو بن سالم زعيم خزاعة يأتى النبى وهو فى المسجد فينشد :

يا رب انى ناشد محمدا	حلف أبينا وأبيه الاتلدا
فانصر هداك الله نصرا أعتدا	وادع عباد الله يأتوا مددا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا	إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا فى كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا

وفى مكة قال الرسول كلمته الشهيرة لقريش (ما تظنون أنى فاعل بكم ؟)

قالوا خيرا اخ كريم وابن آخ كريم فقال (اذهبوا فانتم الطلقاء) ودخل الناس فى دين الله أفواجـــا .

وصعد بلال — مؤذن رسول الله — فوق ظهـــر الكعبة وأذن للصلاة ، فامتلأت أسماع مكة من قدسية النغم .

وتذكرت حين طفت حول الكعبة الشريفة كيف كان الرسول يطعن بسية (٣) قوسه فى عيون الاصنام ووجوهها ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ، ثم أخرجت من المسجد فحرقت . فقال فى ذلك راشد بن عبد الله السلمى :

قالت : هلم الى الحديث ، فقلت لا	يأبى عليـــك اللـــه والاســــــلام
أوما رأيت محمـــــدا وقبيلـــــه	بالفتــح حين تكسر الأصــــــنام
لرأيت نـــور الله أضحى ساطعــــا	والشرك يغشى وجهه الاظلام (٤)

وتـذكرت حين سعينابين الصفا والمروة سعى اسماعيل عليه الســـــلام بينهما وكيف كنا نسرع حينا ونبطىء حينا ، استسلاما لأمر الله ، وجندية تلهم القوة والاستجابة والالحاح طلبا للمغفرة . . .

وتذكرت فى بطاح عرفـــة المشرقة حينما وقف الحجيج موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب خطبته الشهيرة فى حجة الـــوداع فسمعها أكثر من مئة الف مسلم وكان منها : «ايها الناس ، إن دماءكم واموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا ، الا هل بلغت اللهم فاشهد » .

دعا فىخطبته الى رعاية الحقوق مؤكدا مثبتا ، واستوصى بالمرأة التى كانت مهضومة الحق مهيضة الجناح ، والتفت الى الاخاء الاسلامى فأيده وأكده ، والى الاخـــاء الانسانى الموحد ، فجعل محور الفصل فيه تقوى الله ، لا المال ولا الكثرة ولا العصبية ولا السلطان .

ونهى أن نعود كفارا يضرب بعضنا رقاب بعض ، واستوصى بالرجوع الى كتاب الله مصدر الهداية والعلاء ومبعث الألفة والأخـــاء .

وتذكرت فى مزدلفة كيف جمعنا الجمرات ، وكيف قذفناها جادين مكررينفىمواطنها من منى محاربة الشيطان واضلاله . ثم نحرنا ضحايانا كمـــا نحر ابراهيم عليه السلام ضحيته بعد أن رأى فى منامه — وهو حق — أنه يذبح ابنه اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه وهم بذبحه فافتداه الله تعالى بكبش رحمة منه وتلك قصة واقعةيرددها خطباء المنابر ، تعلم الاستجابة لله والصبر على ابتلائه ، اوجزها القرآن الكريم فكانت درسا معلما موجها على مر الايـــام والعصور ، قال تعالى فى سورة الصافات ١٠٢ — ١١٠ « .. فلما بلـــــغ معه

السمى قال يا بنى إنى أرى فى المنـــام انى أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا ابت افعل ما تؤمر ، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله(٥) للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هـــذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على ابراهيم . كذلك نجزى المحسنين » .

ولعل اظهر ما كان يلفت النظر من امر مواطن الحج الرجولة والزى البسيط المشمر بالمساواة العامة والشاملة ، فلا كبير فى المؤتمر ولا صغير ، ولا تفـــاوت فى اللباس بين أمير وحقير ، وفى هذا رد للناس الى البساطة ليمزفـــوا عن السرف ، ويصدفوا عن التفاضل بالاموال والجاه المريض ويهجروا ما يودى اليه ذلك من ظلم وفتن : « وكم أهلكنـــا من قريـــــة بطرت معيشتها ، فتلـــك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين » .

فالبطر الذى يمنى به الأفراد والأمم الغافلة داء وبيل يهدد أصحابه بالهلاك بعد أن يفتقدهم رجولتهم سلاح دفاعهم ، حتى إذا اضاعوها وتداعوا كمـــا يتداعى البنيان بعد أن يضيع استواءه فيفقد رجاءه ولئن ذكرنا كيف نعيش فى مدنيـــة تائهـــة بين مظاهر الاغراء ووسائل الترفيه والترويح ، وكيف نضيع بذلك فـــى كثير من الاحيان من وسائل كفاحنا الذاتى وسعينا الشخصى ، بينا كان أسلافنا المجاهـــدون يعتدون بسيفهم البتار ، ويعتمدون على ربهم الجبار ، ويكرهون حطام الدنيا فلا يذهبون طيباتهم فى حياتهم ، ولا يستمتعون بها استمتاعنا ، اذا ذكرنا ذلك ، عرفنا مبلغ الحاجة الى البساطة والرجولة اللتين يرد اليهما الحج أهله ، اذ يريد الاسلام أن يكون أهله ذوى ايمان وبأس ، يعوذون بالله من الهـــم والحزن ، ومن العجز والكسل ، ويعوذون بالله من قهر الرجال ، وهم الأشداء الأبطال ، الثائرون على مظاهر الضعف لأنه ذبول الهمم ولان ذبول الهمم صوت الكفاح ، ولان صوت الكفاح صوت الانسانية المتعلقة بالمثل العليا الحقـــة وإن انس لا انس ذكريات شد الرحال لزيارة المسجد النبوى ، مركز التوجيه الرشيد ، والعمل السديد والانطلاق الى آفاق الارض لتبليغ رسالة الحق والخير والسلام . . ثم المثول تلقاء الحجرة النبوية — عند رأس الرسول صلى الله عليه وسلم بخشوع وتأمل فيما لا يحصى من مآثره وفضائله وآثار جهاده التى انارت جزيرة العرب ، ثم عمت الدنيا وهو الرسول المرسل رحمة للعالمين ، الذى خلف ذخيرة نورانية لا نضل بعدها أبدا ، ووجه أبطالا هداة لا يعـــرف التاريخ نظراء لهم صلاحـــا وإصلاحا .

---

(١) حنيفا : مائـــلا عما كان عليه قومه من شرك وما اليـــه .
(٢) تبين للمسلمين فى المستقبل أن رجوع النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه كان ينطوى علـــى حكم عظيمة .
(٣) طرفها المنحنى
(٤) بلوغ الارب للالوسى ج٢ ص ٢٠٦ .
(٥) وتله للجبين : أى صرعه على وجهه .

يسألون عن الروح

د. على عبد المنعم عبد الحميد

١ ــ كثر الحديث عن الروح منذ أن كان للانسان وجود على ظهر البسيطة ، ولم يصل باحث الى ادراك حقيقتها أو الوقوف على كنهها، فقال فقيه اسلامى مفوضا أمرها الى بارىء الكون وحده : إنها شىء استأثر الله بعلمه ، ولم يطلع عليه احدا من خلقه ، فلا يجوز البحث عنها بأكثر من أنها شىء موجود ، وأوغل بعضهم فى التفويض فقال : ان الافاضة فى بحث الروح بدعة فى الدين اذ لم يبينه الله لرسوله بأكثر مما هو وارد بالآية الكريمة فالاشتغال بالتفتيش على ما بعد ذلك النص غلو فى شىء لم يرد به قرآن ولم يقم عليه برهان ، وهذا يسمى عنادا وخروجا عن حدود المقدرة الانسانية المحدودة، ولكن من غير هؤلاء من أجاب بأن الآية الكريمة لا تحمل فى طياتها منعا من الخوض فى البحث ، كما لا تشير الى ان الرسول كان غير عالم بها ، وغاية ما هنالك أنه صلى الله عليه وسلم أمر بالعدول عن الجواب تفصيلا ، وغالبا ما يرجع ذلك الى أحد سببين أو اليهما مجتمعين .. اما لأن سؤال اليهود كان تعنتا لأنها تطلق على معان كثيرة فاذا أجاب بواحد منها قالوا لا نريد هذا وانما غيره أردنا ، واما : لأن الامساك عن التفصيل كان عند السائلين من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لو كان أمر الروح مما لا سبيل الى معرفته لكان الجواب : « قل انما علمها عند ربى » كما قيل فى الساعة ، وممن خاض فى البحث عنها الامام ابن حزم فى كتابه (الملل والنحل) فقد أورد مذاهب شتى فى الموضوع ثم عقب على ذلك بقوله : « وذهب سائر أهل الاسلام والملل المقرة بالمعاد ، الى أن النفس ــ وهى

بعض تفسيرات الروح ــ جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة متميزة مصرفه للجسد » .. ثم قال : والنفس والروح اسمان لمسمى واحد ومعناهما واحد ، وأما من ذهب الى أن النفس ليست جسما فقوله باطل بالقرآن والسنة والاجماع .

ففى القرآن « هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت » .. « .. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم » فصح أن النفس هى الفعالة المجزية الخاطئة .. وقال تعالى : « ان النفس لأمارة بالسوء » .. وقال سبحانه : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » وفى آل فرعون يقول : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب » فصح أن الأنفس منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامة ويعذب ، ومنها ما يرزق النعيم ، ولا شك أن آحاد أجساد آل فرعون ، وأجساد المقتولين فى سبيل الله قد تقطعت أوصالها ، ولا شك فى أن العرض (بفتح العين المهملة » لا يلقى العذاب ولا يحس فليست عرضا ، فصح ضرورة أنها جسم ومن السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة » وفى حديث الاسراء الذى أخرجه البخارى أنه صلى الله عليه وسلم : « راى نسم بنى آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم ويساره » فصح أنها مرئية وهذه صفة الأجسام ضرورة ، وأما الاجماع فهو منعقد على أن انفس العباد منقولة بعد خروجها من الاجساد الى نعيم أو الى عذاب وهذه صفة الاجسام أيضا . ثم يتابع ابن حزم حديثه فيقول : ومعنى قوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » انما هو لأن الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفه ثم من علقه ثم من مضغه ثم عظما ثم لحما ثم أمشاجا وليس الروح كذلك . وانما قال الله تعالى امرا له بالكون (كن فكان) فصح أن النفس والروح والنسمة أسماء مترادفة لمعنى واحد ، وقد يقع الروح أيضا على غير هذا » .

وقيل : ان الأرواح اجسام لطيفة متعلقة بالاجسام المحسوسة أجرى الله سبحانه العادة بحياه الأجساد ما دامت متعلقة بها ، فاذا فارقها حل بها الموت ، ويرى السلف : ان الروح عين قائمة بنفسها تفارق البدن وتنعم وتعذب لكنها ليست هى البدن ولا جزءا من اجزائه ، وتوصف بأنها تعرج اذا نام الانسان وتسجد تحت العرش ، والانسان فى نومه يحس بتصرفات روحه وتأثيرها فى بدنه ، فصعودها لا يماثل صعود المشاهدات لأن المشاهدات اذا صعدت الى مكان فارقت المكان الذى كانت مستقرة فيه كلية ، فحركتها الى العلو حركة انتقال ، وأما حركة الروح بعروجها، وولوجها الى الملأ الاعلى فليست كذلك ، وكل هذا مبنى على أن الروح الواردة فى الآية « ويسألونك عن الروح .. » روح الانسان ، وفى هذا خلاف طويل بين العلماء فقد وردت الروح فى القرآن فى مواضيع كثيرة بمعان مختلفة نجملها فيما يأتى :

١ ــ وردت بمعنى الوحى كما فى قوله تعالى فى سورة الشورى الآية ٥٢ : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وفى سورة غافرة الآية ١٥ : « رفيع الدرجات ذوالعرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق » أى ينزل

الوحى بفضائله على من يشاء من عباده الذين يصطفيهم للرسالة ولتبليغ احكامه الى من يريد من خلقه .. وفى سورة النحل الآية الثانية « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا فاتقون » اى ينزل جل وعلا ملائكته بالوحى الى من يريد من عباده المصطفين الأخيار أن أنذروا أن اله الخلق واحد لا اله الا هو وانه لا تنبغى الالوهية الا له ولا يصح أن يعبد سواه فاحذروه واخلصوا له العبادة فان فى ذلك النجاة من الهلاك فى الدنيا والآخرة .. وسمى الوحى روحا لما له من الأثر العظيم فى حياة القلوب والأرواح جميعا ..

٢ — تطلق الروح على القوة والثبات والنصر الذى يمد الله به من يشاء من عباده الذين آمنوا به واخلصوا له العمل فى السر والعلانية ، ففى الآية ٢٢ يقول الله تبارك وتعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون » .

ومعناها هنا : أنه قواهم بطمأنينة القلب والثبات على الحق فلا يبالون بموادة أعدائهم ولا يأبهون لهم وانما يجعلون اعتمادهم على الله وحده والثقة به جل وعلا وحده وعلى هذا فلا يحبون الا فى الله ولا يبغضون الا من أجله وقد ورد فيما أخرجه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « جعل والد أبى عبيده يتصدى له يوم بدر وجعل أبو عبيده يحيد عنه فلما أكثر قصده فقتله » فنزلت الآية : « لا تجد قوما .. » فأى ثبات وأيمان وترك لمن عدا الله من أجل دين الله أكثر من هذا .. ؟

٣ — أحيانا يراد بالروح فى القرآن الكريم جبريل كما ورد فى سورة الشعراء الآية ١٢٣ ، ١٣٤ « نزل به الروح الأمين .. على قلبك لتكون من المنذرين » .. أى أن هذا القرآن الذى تقدم ذكره فى نفس السورة فى قوله تعالى : « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين » الآية (٥) انزله الله اليك وجاء به جبريل عليه السلام فتلاه عليك حتى وعيته بقلبك لتنذر به قومك ليكون قاطعا للعذر مقيما للحجة هاديا الى المحجة المستقيمة مصلحا لأحوال البشر جميعا ..

وفى سورة النحل الآية ١٠٢ : « قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » . اى اخبرهم وقل لهم قد جاء به جبريل من عند الله كما أتلوه عليكم وكما اقتضت حكمته البالغة من تثبيت المؤمنين وتقوية ايمانهم بما فيه من ادلة قاطعة على وحدانية بارىء النسم وواسع قدرته وحث على النظر فى ملكوت السموات والارض وتشريع يرقى بالأمم التى تؤمن به الى مستوى لا تدانيها فيه أمة اخرى ، ومما يؤيد أن المراد فى الآية جبريل قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة الآية ٩٧ : « من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » قل لهم أيها النبى حاكيا لهم عن الله : من كان عدوا لجبريل ، فان من أحواله — أى جبريل — أن نزل القرآن على قلبك أى فهو عدو لوحى الله تعالى الذى يشمل نزول التوراة وغيرها ولهدى الله لخلقه ولبشراه للمؤمنين وقوله (باذن الله) ارشاد الى أن مناجاة

جبريل لروحك ومخاطبته لقلبك انما كان بامر الله لا افتياتا منه فعداوته لا تقف حائلا دون الايمان بك ، ولا تقوم عذرا لهم فالذكر الحكيم من عند الله سبحانه وليس من عند جبريل .

٤ ـ وردت كلمة (الروح) ايضا وأريد بها عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، ففى الاية ١٧١ من سورة النساء يقول الله تعالى : « يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا » . وآية الله فى خلق عيسى بكلمته وما نفخ فيه من روح كآيته فى خلق آدم بكلمته وما نفخ فيه من روح فايجادهما كان بغير السنة العامة فى ايجاد البشر من ذكر وأنثى ، من سلالة من طين : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

هذا ، وقد وردت آراء أخرى فى المراد من كلمة (روح) لا أرى ما يدعو الى ايرادها لبعدها عن المطلوب هنا ولأنها تقوم على الحدس لا على التحقيق .

ويرى ابن جرير الطبرى أن المراد بالروح فى الآية الكريمة « ويسألونك عن الروح » هو جبريل عليه السلام حاكيا ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وقال ابن القيم : ان المسئول عنه : الروح الذى أخبر الله تعالى عنه فى كتابه أنه يقوم يوم القيامة مع الملائكة عليهم السلام : قال لأنهم انما يسألونه عليه الصلاة والسلام عن أمر لا يعرف الا بالوحى وذلك هو الروح الذى عند الله تعالى لا يعلمه الناس .. الخ . وقال بعض مفسرى تلك الآية الكريمة : « الذى أراه متعينا لسابقها ولاحقها أن المراد بالروح الوحى بالقرآن وهو قريب من رواية عن قتادة ، ووجه تعينه أن هذه الآية فى سياق القرآن وتنزيله والسنة بكونه شفاء ورحمة .. الخ » .

والخلاصة :

ان أمر الروح مما جرى القول فيه على غير وجه واحد ، وكان شغل الباحثين والفلاسفة منذ أقدم العصور الانسانية ، ولم يجمع القوم على شىء فى هذا وذلك لغموض الموضوع وبعده عن المحسات وعدم دخوله فى دائرة المرئى المشاهد ، ولهذا جاء الجواب فى الآية الكريمة مشيرا الى ترك الخوض فى مثل هذا فالروح من أمر الله تعالى وكثير مما ينبت فى هذا الوجود لا تصل اليه العقول المخلوقة التى لم تتعد اليه من الاشياء الى الآن فهى تجول وتصول فيما بين يديها من الموجودات وتوائم بينها بتوجيه من الله تعالى وهداية وتخرج ما يحير الباب القاصرين الكسالى ، ففى ترك الامر لصاحبه ، والاشتغال بما هو خير للانسانية فى عاجلها وآجلها أجدى وانفع وصدق الله العظيم حين يقول جل وعلا : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » نسأله الهداية والتوفيق للبعد عما يريب والاشتغال بما هو خير واعظم رشدا والله الموفق والمستعان(1) ..

---

(1) بعون الله تعالى سنعود الى هذا الحديث لعرض ما يراه علماء الغرب فى هذا الموضوع ، موضوع الروح وما بنوا على ذلك من محاولة الاتصال كما يزعمون بالارواح حاملين معول هدم المبادىء الانسانية الفاضلة والله المستعان يهدينا ويهديهم سواء السبيل .

الدفاع الشرعي بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للدكتور أحمد على المجدوب

أسوأ ما يأتيه عالم أن يحكم على شيء دون دراية به ، أو دراسة له ، وأشد سوءا أن يتبنى عالم أحكام غيره على شيء دون أن يمحصها أو يتحقق من صدقها . والأول هو موقف الغالبية العظمى من علماء القانون فى الغرب من الشريعة الاسلامية . أما الثانى فهو موقف طائفة من علماء القانون المسلمين ، المصابين بالكسل الفكرى والخمول الذهنى ، الزاهدين فى البحث ، الكارهين للدراسة . والغريب فى الأمر حقا والادعى الى الدهشة أن دراسة الشريعة الاسلامية لا تحتاج الى جهد كبير من علمائنا ، بل إنه فى الواقع جهد يفوقه كثيرا جهد ترجمة كتب الغرب التى تهاجم هذه الشريعة محاولة أن تقلل من شأنها وتحط من قدرها . ولو أنهم طرحوا الكسل جانبا وشمروا عن ساعد الجد وشرعوا فى دراسة الشريعة والفقه الاسلاميين لوجدوا فيهما الكثير والثمين والمحكم من النظريات والمبادىء والافكار والآراء والمناهج التى تفوق بكثير ما وصل اليه الغرب . ولكشفوا زيف ما يدعيه علماؤه وبطلان ما يفترونه على الشريعة الغراء .

ومن النظريات الجنائية التى كان

للشريعة الاسلامية وللفقه الجنائي الاسلامي فضل السبق اليها ، نظرية الدفاع الشرعي التي سنتناولها في هذه الدراسة المقارنة بقصد بيان ما تتميز به على مثيلتها في الفقه الجنائي الغربي والقوانين الوضعية الغربية ، بغض النظر عن السبق الى تقرير حق الدفاع الشرعي ، فهو قديم قدم المجتمع الانساني ذاته ، عرفته الشعوب القديمة وأخذت به في تشريعاتها سواء كانت وضعية أم الهية ، فقد عرفه المصريون القدماء وعرفته الشريعة الموسوية وورد في الشرائع القديمة كشريعة حامورابي وغيرها ولكن علماء الغرب الذين يتشدقون بالموضوعية دائما تأبى عليهم عنجهيتهم الا أن يؤرخوا لكل شيء في العالم حتى القانون ، إما بالحضارة الأغريقية أو بالحضارة الرومانية معتبرين ان ما كان قبل هاتين الحضارتين من قبيل العدم . وكأن الدنيا لم تبدأ الا بالغرب ولا تتحرك الا به .. !! ليكن .

وفيما يتعلق بالدفاع الشرعي فهو حالة أو موقف يقوم فيه شخص برد اعتداء على عرضه أو على ماله أو على نفس أو عرض أو مال غيره من شخص أو أشخاص آخرين ، ويشترط أن يكون الاعتداء الذي يقوم الشخص برده جريمة لأنه اذا كان عملا مشروعا كقيام رجل الشرطة بالقاء القبض على شخص ما مثلا ، فانه لا يجوز للمقبوض عليه أن يعتدي على رجل الشرطة بحجة أنه يدافع عن نفسه ، كذلك يشترط أن يكون الاعتداء حالا ، أي وشيك الوقوع أو وقع فعلا بحيث يتعذر على المعتدى عليه أو المهدد بالاعتداء أن يلجأ الى السلطة العامة لحمايته ورد الاعتداء عنه .

هذا فيما يتعلق بالشروط الواجب توافرها لاباحة الدفاع ، كذلك هناك شروط أخرى يجب أن تتوفر في الدفاع الشرعي نفسه ، وهي أن يكون هذا بالفعل بالقدر وبالكيفية اللازمة لدفع الاعتداء ، وأن يكون تفادي الخطر بوسيلة أخرى غير ممكن . والواقع أن اباحة فعل الدفاع وعدم معاقبة المدافع عن نفسه أو عن ماله أو عن نفس غيره أو ماله ، وضع عرفته ، كما أسلفنا ، النظم القانونية من قديم الزمان ، بل وعرفته مقترنا بالكثير من الشروط التي ذكرناها الا أنها لم تصل الى وضع نظرية تفسره وتحدد طبيعته وأحواله وظروفه وشروطه وأهم من هذا وذاك تبرره باعتباره بحسب الأصل اعتداء له نفس طبيعة الفعل الذي كان هو نفسه رد فعل . وهو ما تكفلت به الشريعة الاسلامية والفقه الجنائي الاسلامي ، وما حاوله بعد ذلك ببضعة قرون الفقه الجنائي الغربي الذي سنستعرض فيما يلي جهوده في هذا الشأن لنرى مدى صوابها ومستوى أحكامها ثم نقارنها بالنظرية التي وضعها الفقه الجنائي الاسلامي لنحدد أي النظريتين أصح من حيث تفسيرها لحالة الدفاع الشرعي وارجح فيما يتعلق بتبريرها لفعل الدفاع .

النظريات الغربية في الدفاع الشرعي :

توجد في تفسير الدفاع الشرعي أو بالأحرى تبريره ثلاث نظريات أساسية احداها تعتبر الدفاع حقا للمعتدى عليه يبيح له أن يرتكب من الافعال ما يمكنه من دفع الاعتداء عن نفسه أو عرضه أو ماله أو نفس غيره أو عرضه أو ماله . ولكن أصحاب هذه

النظرية وان اتفقوا على طبيعة الدفاع من حيث أنه حق للمدافع الا أنهم اختلفوا حول الأساس الذى يستند اليه هذا الحق ، فبعضهم يرى أن هذا الأساس هو القانون الطبيعى بينما الآخر يرده الى نظرية العقد الاجتماعى ، قائلين إن الانسان عندما دخل طرفا فى العقد الاجتماعى تنازل للمجتمع عن غالبية حقوقه واحتفظ لنفسه من بين ما احتفظ به من حقوق قليلة بحق الدفاع عن نفسه وعرضه وماله ، وهناك فريق ثالث داخل هذه النظرية وان كان يستند ايضا الى نظرية العقد الاجتماعى الا انه يختلف عن الفريق السابق من حيث صفة حق الدفاع الشرعى وهل هو اصلى أم استثنائى بمعنى أن الشخص يكون له بحسب الأصل أن يدافع عن نفسه أو عن ماله ويعاقب المعتدى فى كل الأحوال أم أن ذلك لا يكون الا استثناء من حق الدولة الأصيل فى توقيع العقاب على كل من يقع منه اعتداء ؟ فهذا الفريق يرى أن الانسان لم يحتفظ لنفسه بحق الدفاع عند دخوله طرفا فى العقد الاجتماعى ، بل بقى له هذا الحق بحسب الأصل فله أن يمارسه دائما فى حين لا تمارسه الدولة فى صورة عقوبة توقعها على المعتدى الا على سبيل الاستثناء ، وعلى هذا يكون لكل شخص ، وفى جميع الأحوال ، الحق فى الدفاع عن نفسه أو عن ماله ، أو بمعنى أصح أن يعاقب من يعتدى عليه . وفى هذه الأحوال يقتصر تدخل الدولة على حالتين فقط ، احداهما هى الحالة التى يكون فيها العقاب الذى وقعه المعتدى عليه على المعتدى ناقصا أو غير متكافىء مع الاعتداء فتتدخل الدولة لتكمله باعتبارها مكلفة باقامة العدل ، أما الحالة الثانية فهى التى يتجاوز فيها المعتدى عليه الحدود المقررة لرد العدوان ، فعندئذ تتدخل الدولة لتمنعه من ذلك أو لتعاقبه نظير مبالغته فى الرد على الاعتداء الواقع عليه عقابا يوازى القدر المتجاوز فيه.

وهناك فريق يطلق عليه المذهب الواقعى يبرر الدفاع الشرعى بالدوافع الكامنة وراءه وهى فى نظر هذا الفريق دوافع قانونية واخرى اجتماعية ، فبالرغم من أن الدفاع يباح لدفع الاعتداء الواقع على الشخص أو على ماله الا أنه يعتبر ذو فائدة عامة تعود على النظام الاجتماعى فى مجموعه ، لأن من شأن وقوع الاعتداء من الناس على بعضهم وعجز المعتدى عليهم عن الدفاع عن أنفسهم أو أموالهم أن يؤدى الى زعزعة النظام الاجتماعى وضياع هيبة القانون وافتقاده فاعليته. ومن هنا كان الدفاع الشرعى حقا لا بالنسبة للمعتدى عليه فقط بل وبالنسبة لكل شخص يرى عدوانا يقع على غيره أو على مال غيره ويدفعه .

أما النظرية الثانية فهى التى تعتبر الدفاع الشرعى مجرد مانع مسئولية وليس حقا كما يقول أصحاب النظرية السابقة ويستند هذا الفريق فى رأيه هذا الى فكرة المصلحة الأولى بالرعاية أو تعارض المصالح وضرورة ترجيح الأعلى قيمة من بينها ، فالعدوان من ناحية ودفعه أو رده من ناحية اخرى مصلحتان متعارضتان ، وترجيح احداهما على الأخرى واجب ، ولما كان الاعتداء يضعف حق المعتدى فان مصلحته تتضاءل أمام مصلحة المعتدى عليه فى رد الاعتداء . بل ان اعتداءه يهدر حقه قبل المعتدى عليه الذى يكون له أن يرد العدوان دون أن يكون مسئولا عن فعله ، وتذهب النظرية

الثالثة فى تبرير الدفاع الشرعى مذهبا مختلفا تماما فهى تستند الى فكرة الاكراه الأدبى ويرى أصحابها أن الخطر الذى يتعرض له المعتدى عليه يفقده حرية الارادة بحيث يعجز عن التحكم فى نفسه ازاء دوافعه الغريزية فى المحافظة على نفسه أو ماله ، مما يمكن اعتباره اكراها أدبيا يرفع عنه المسئولية عن فعله .

والملاحظ أن النظريات الثلاثة فى الدفاع الشرعى لا تعلو على النقد، بل ان ضعفها بيّن وفسادها جلى وان كانت تتفاوت فيما بينهما فى ذلك وهو تفاوت انعكس على مجال تطبيقها فقد سادت النظريات الأولى والثانية فى القوانين الوضعية التى اعتبر بعضها الدفاع الشرعى حقا كالقانون الرومانى وغالبية القوانين الحديثة كالقانون الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ وقانون العقوبات المصرى الحالى ، بينما اعتبره البعض الآخر عذرا مانعا من العقاب ، كالقانون الكنسى والقانون الفرنسى القديم . أما النظرية الثالثة فلا تعدو كونها مجرد فكرة تفتقر الى الطبيعة العملية يقول بها عدد غير قليل من الفقهاء الفرنسيين ولكنها كما هو واضح ظاهرة الفساد لأنها تجعل الدفاع الشرعى قاصرا على الحالة التى يصل فيها الاعتداء الى درجة القضاء على حرية الارادة لدى المعتدى عليه ، أما ما عداها فانه يخرج عن حالة الدفاع الشرعى ويوجب عليه أن يلجأ الى السلطة العامة لتدفع عنه العدوان ، أى أنها تشترط فى الخطر الذى يراد دفعه أن يكون جسيما يتحقق به الاكراه الأدبى ، ومن ثم فان الدفاع عن نفس الغير أو عن ماله لا يجوز لأنه لا يحقق حالة الاكراه الأدبى .

وبهذا تنحصر المقارنة بين اتجاه الشريعة الاسلامية واتجاه الفقه الغربى فى نطاق النظريتين السائدتين فى القوانين الوضعية الغربية وهما اللتين تبرران الدفاع الشرعى بفكرة الحق وفكرة المصلحة الأولى بالرعاية أو تعارض المصالح التى تجعل من الدفاع الشرعى مجرد مانع مسئولية.

طبيعة الدفاع فى الشريعة الاسلامية :

الدفاع الشرعى فى الشريعة الاسلامية حق للمعتدى عليه ، تقرر بموجب النص القرآنى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا بمثل ما اعتدى عليكم » كما قررته السنة النبوية فيما رواه يعلى بن أمية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان لى أجير فقاتل انسانا فعض أحدهما يد الآخر فانتزع يده من فم العاض فانتزع احدى ثنيتيه فأتى النبى فأهدر ثنيتيه وقال : « أفيدع يده فى فيك تقضمها تضم الفحل » وما رواه عبد الله بن عمرو من قول رسول الله : « من أريد ماله بغير حق فقاتل فهو شهيد » وما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله قال : « لو أن امرأ اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه لم يكن عليك جناح » .

كذلك اقرت الشريعة الاسلامية الدفاع عن نفس الغير أو عرضه أو ماله فيما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » . وقوله : **« ان المؤمنين يتعاونون على الفتان »** فكل من يقع عليه اعتداء سواء كان موجها الى

نفسه أو عرضه أو ماله أو رأى اعتداء يقع على نفس شخص آخر أو عرضه أو ماله له الحق فى أن يدفع هذا الاعتداء ، الا أن الفقه الاسلامى يفرق بين حالتين من الدفاع الشرعى ، احداهما الحالة التى يكون فيها الدفاع مقصودا به دفع اعتداء على النفس أو العرض ، فيرون أنه أى الدفاع — فى هذه الحالة لا يكون حقا للمعتدى عليه أو لغيره ممن يشاهد العدوان أثناء وقوعه فحسب ، بل هو واجب أيضا . وهذا أول أوجه الاختلاف بين الشريعة والقانون الوضعى — الذى يعتبره حقا فقط فى جميع الأحوال يرد عليه ما يرد على الحقوق عادة من جواز التخيير بين فعلها وتركها فيكون للمعتدى عليه أو لمن يشاهد عدوانا يقع على غيره أن يرضى بالعدوان ويرضخ للمعتدى أو أن يخذل أخاه المسلم الذى يقع عليه الاعتداء فلا يتقدم للدفاع عنه . أما الحالة الثانية فهى التى يكون العدوان فيها موجها الى مال الشخص أو مال غيره فان الفقهاء المسلمين يرون أن الدفاع الشرعى فيها يكون حقا وليس بواجب ومن ثم فان تاركه لا يؤثم ، بعكس تارك الدفاع عن النفس أو العرض ، وعلى هذا ، الرأى الراجح فى الفقه الاسلامى .

الا أن الاختلاف بين الشريعة الاسلامية والنظريات الغربية يبدو على أشده فيما يتعلق بتبرير الدفاع الشرعى ، فالنظريات والاتجاهات التى ذكرناها سلفا وان كانت قد بررت الدفاع الشرعى تارة بأنه حق للمعتدى عليه بموجب القانون الطبيعى أو العقد الاجتماعى ، وتارة أخرى بأنه ترجيح لمصلحة على مصلحة أخرى يمنع قيام مسئولية المدافع عن فعل الدفاع ، وتارة ثالثة بررته باللجوء الى فكرة الاكراه الأدبى الا أنها جميعا فشلت فى تبرير حالة الدفاع عن نفس الغير أو ماله ، فاذا كان القانون الطبيعى قد منح الانسان الحق فى أن يدافع عن نفسه أو عن ماله ، أو اذا كان الانسان قد احتفظ لنفسه بهذا الحق عند الدخول فى العقد الاجتماعى ، فان تفسير دفاعه عن نفس الغير أو ماله لم يرد فى هذه النظريات ، وبقى الموقف غامضا تماما ، وليس أقل منه غموضا موقف النظرية التى تقول بالاكراه الأدبى مبررا للدفاع الاجتماعى . ويرتبط بهذه المشكلة أخرى تتعلق باشتراط المماثلة بين فعل الاعتداء والفعل الذى يرد الاعتداء ، فهذه النظريات الغربية لم تفسر هذا الشرط وخاصة بالنسبة للدفاع عن نفس الغير أو ماله ، فلو أن المدافع عن نفسه استطاع ، بماله من امكانية تقدير القدر الحقيقى من الأذى الذىأصابه أو أصاب ماله ، أن يلحق بالمعتدى قدرا مماثلا من الأذى . فكيف يتسنى ذلك للغير ؟. ولماذا ألزم المشرع الغير أيضا بالمماثلة ؟ وما تفسير ذلك فى الفقه الجنائى الاسلامى ، بعد ان لم نجد له تفسيرا لا فى القوانين الوضعية ولا فى الفقه الجنائى الغربى .

موقف الفقه الجنائى الاسلامى من المشكلة :

أعتبر الفقه الجنائى الاسلامى فعل الاعتداء المتلف للنفس أو للطرف سببا لا فى رد العدوان فحسب بل وفيما هو أهم من ذلك الا وهو زوال العصمة لدى المعتدى عن المحل القابل

للمحل الذى قصـــده بعدوانه ، وهذا يعنى أن إقدام شخص ما على اتيان فعـل يعتـدى به على نفس شخص آخر ، يؤدى فى الوقت نفسه الى زوال العصمة عن نفس المعتدى بالقدر الذى قصده ، فاذا كان قد اراد ازهاق روحـه فانه باعتـدائه يزيل العصمة عن روحه هو بحيث يبـاح للمعتدى عليه أو الغير أن يزهقهـا دفاعا عن نفسه أو عن نفس غيره ، واذا قصد باعتدائه اتلاف عضو من أعضاء الشخص ، فانه باقدامه على تنفيـذ عدوانه يزيل العصـمة عن العضو المقابل لديه ، فيكون للمعتدى عليه ولغيره أن يتلف هذا العضو ، أى أنه بعدوانه يزيل العصمة عـن نفسه أو عن أعضائه فتصبح مباحـة للمعتدى عليه أو لمن يتدخل من الغير للدفاع عنه .

وهكذا وصـل الفقه الجنـائى الاسلامى الى تفسير واضح ومنطقى للدفاع الشرعى والى تبرير سـليم لتدخل الغير فى الدفاع الشرعى . وكلا الأمرين أى التفسـير والتبرير يسـتندان الى مبادىء الشريعـة الاسلامية التى تقرر أن على المسلم أن يعامل الناس بمثل مـا يجب أن يعاملوه به ، وأن على المسـلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

فمن قصد الاعتداء على شـخص واتلاف عضو من أعضائه يجب عليـه أن يدرك أن عمله هذا سينقلب عليه بحيث تقترن استباحته لعصمة عضو خصمه باباحة العضو المقابل لديه ومن ثم يجب عليه أن يتريث عند شروعه فى التعدى والتمهل عنـد البدء فى العـدوان حتى لا يصاب بمثـل ما سيصيب به خصمه ، فيتـدبر أمره ويسعى الى حل خلافه بطريقة هادئة وودية قد تجعـل خصمه يجنـح هو الآخر للسلم وينبذ أسباب الخلاف .

أما تبرير الفقه الاسلامى لتدخـل الغير وهـو التبرير الذى عجـزت النظريات الغربية كما رأينا ، عـن الوصول اليه ، فهو التبرير المنطقى الوحيد الذى يجعل تدخل الغير مقبولا ومباحا ، واذا كان الدفاع الشرعى عن الغير يستند الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انصر اخاك ظالما أو مظلوما » . وقوله : **« ان المؤمنين يتعاونون على الفتان »** فان ذلك هو المبدأ اما حـدوده فتضمها قاعدة زوال العصمة عن المحل المقابل للمحل الذى اعتدى عليه المعتـدى كان نفسه أو عضو من أعضـائه . فطالما انه قد زالت عنه العصمة اصبح لأى شخص الحق فى أن يعتدى عليه لصيرورة الاعتداء مباحا دفاعا عـن المعتدى عليه سواء ملك أو لم يملك القدرة على الدفاع عن نفسه ، وميزة هذا التفسير الفقهى الاسلامى أنـه يضمن المماثلة فى جميع الأحوال لأن زوال العصمة يقتصر على المحـل المقابل للمحـل الذى اعتدى عليـه المعتدى فلا يجوز أن يمتد فعل الدفاع الشرعى الى جزء آخر الا فى أحوال استثنائية . ولا يجوز أن يتجاوز فى القدر ما الحقه المعتدى عليه اذا كان مجرد ضرب أو ايذاء لا يصل الى حد اتلاف عضو أو أعضاء لدى المعتدى عليه وهنا يتضح أن الفقه الجنـائى الاسلامى قد حل ببساطة شديدة جدا مشكلة اختلاف فعل الدفاع سواء كماً أو كيفاً عن فعـل الاعتـداء وهى المشكلة التى شغلت الفقه الغـربى طويلا وخاصة بالنسبة للاعتـداء بالقول الذى يرد عليه باعتداء **بالفعل**

كمن يسب أو يحذف شخصا فيرد هذا بالضرب أو بالجرح أو باتلاف عضو ، فالشريعة الاسلامية تقرر أنه « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » أى أنها تشترط المماثلة بين الاعتداء والرد عليه ، والفقه الاسلامى يقرر أن زوال العصمة لدى المعتدى يقتصر على المحل المقابل للمحل الذى يعتدى عليه عند المدافع، ومن ثم لا يجوز الرد بالضرب أو الجرح على السب أو القذف ، ويكون للسلطان أن يعاقب من يتجاوز حدود الدفاع على جريمة ضرب أو جرح ، وفى نفس الوقت يعاقب من صدر منه السب أو القذف بالعقوبة المقررة لذلك وهى حد القذف كذلك يشترط أن يكون الاعتداء حالا أو وشيك الوقوع، أما اذا كان غير حال فان الشخص المهدد بالاعتداء عليه أن يلجأ الى السلطان لحمايته دون أن يبادر الى الاعتداء على من يتوقع أو يتوهم صدور الاعتداء منه وهكذا يمكننا ، اذا أردنا ، أن نجد فى تراثنا القانونى الكثير من الحلول لمشكلاتنا القانونية ، دون حاجة الى اللجوء للفقه الجنائى الغربى ، والسير وراءه فيما يخرج به علينا كل يوم من نظريات أغلبها ضحل لا يصمد فى وجه النقد ، وهو ما رأيناه بالنسبة لكافة النظريات التى أوجزناها فى مقدمة هذه الدراسة . أو الأمر الذى لا شك فيه أن نظريات الفقهاء المسلمين فضلا عن أنها ستثرى فقهنا وتشريعنا الجنائيين فانها قادرة على أن تحرز احترام الفقه الغربى وتحصل على تقديره لأنها ستفتح له الطرق للوصول الى حلول سليمة لكل مشاكله القانونية . فهل نبدأ ؟

الأشهر الحرم في كتاب الله تعالى

دكتور علي محمد حسن

كان مما حافظ عليه العرب من شريعة ابراهيم — عليه السلام — تعظيم أربعة أشهر فى السنة القمرية، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، ثلاثة سرد ، وواحد فرد .

فكانوا يمتنعون فيها عن الغارات والثارات ، والقتال بجميع أنواعه ، وكان احترامهم لها عظيما ، حتى كان الرجل منهم يلقى قاتل أبيه أو أخيه — ويتمكن منه — فلا يعرض له ، تعظيما لحرمة الشهر الحرام .

وإنما حافظوا على احترامها لحاجتهم الشديدة الى الأمن فى أشهر الحج ، حيث يقصدون مكة لأداء المناسك ، وللتجارة ، ثم ينصرفون الى مساكنهم فى وسط الجزيرة وأطرافها ، ثم عظم عليهم — بعد زمن طويل — أن يستمروا ثلاثة أشهر دون إغارة أو قتال ، فى حين كانت حياتهم تعتمد على الصيد وعلى الغارات ، فظهر فيهم رجال ذوو مكانة ورياسة استجابوا لرغبات بعضهم فى التحلل من هذه الشريعة على وجه من الوجوه .

رفعوا الحرمة عن بعض الشهور ، ولكنهم حرموا مكانه شهرا آخر ، فكان الرئيس منهم يقف فى الجموع ، وينادى بأنه أحل (المحرم) وحرم (صفرا) مكانه ، وبذلك تكون المخالفة فى خصوص الشهور ، لا فى أعدادها ، وهذا ما كانوا يسمونه (النسىء) . وكان موضع فخر من مفاخرهم ، يقول أحد شعرائهم :

السنا الناسئين على معدٍّ
شهور الحل نجعلها حراما

فلما جاء الاسلام أبقى على هـذه الشعيرة من شريعة ابراهيم ، ودعا الى المحافظـة على هـذه الأشهر بأعيانها ، وأنكر عليهم النسء ، بـل شدد فى النكير حتى اعتبره زيادة فى الكفر .

. . . .

وقد ورد ذكر الأشهر الحرم فـى ثلاث سور من القرآن الكريم : البقرة، والمائدة ، والتوبة . وجاء ذكرها فى موضعين فى كل سـورة من هـذه السور .

وسورة البقرة نزلت فى الطريق من مكة الى المدينة أيام الهجرة ، ثم نزلت سورة المائـدة ، ثم نزلت سـورة (براءة) فى السنة التاسعة مـن الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وسنمضى مع الآيـات الكريمـة بحسب ترتيبها فى المصحف ، ونبين ما اقترن بكل آية ، حتى نقف على صورة واضحة تمثل لنا نظرة الاسلام مكتملة نحو هذه الأشهر الحرم .

وأول هذه الآيـات فـى الترتيب المصحفى قول الله تعالى : « الشهر الحـرام بالشهر الحـرام والحرمات قصاص فمن اعتـدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين » .

ذكر العلماء أنها نزلت فى عمـرة القضاء بعد عام (الحديبية) فى ذى القعدة سنة سبع من الهجرة . وذلك أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذهب الى (مكة) يريد العمـرة سنة ست فصده كفار قريش ، فرجع بعد أن وعده الله سبحانه أنـه سيدخل البيت بسنة سبع ، فلما دخلها واعتمر كما وعده الله نزلت هذه الآية .

وقد كان المشركون ــ فى سنة ست ــ قاتلوا المسلمين رميا بالسهام والحجـارة فانتهكوا حرمـة (ذى القعدة) عـام (الحديبية) ، وكان الكفار يعظمونه منذ الجاهلية الأولى ،

وكف النبى — صلى الله عليه وسلم — عن مجاوبتهم بالمثل لئلا يحتدم القتال بين الفريقين ، ثم خرج المسلمون فى العام القابل ، وكرهوا قتال المشركين تعظيما للشهر الحرام ، فأنزل اللــه — عز وجل — هذه الآية ترشدهم الى انه لا جناح عليهم فى أن يقاتلوا فى هذا الشهر ، إذ يكون جزاء أن قوتلوا فى مثله من العام الفائت ، فمن انتهك حرمة الشهر كان معتديا وليس على من يرد الاعتداء بمثله أى جنــاح ، ولذلك جاء قوله تعــالى : « فمــن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » تأكيدا لما تضمنه قوله سبحانه : « الشهر الحرام بالشــهر الحرام » .

وأما قوله سبحانه : « والحرمات قصاص » فهو كالقاعدة العامة التــى نهجها الاسلام للمسلمين ، والقصاص المساواة ، ووجه اتصالها بأول الآية أن الله سبحانه اقتص للمسلمين من المشركين إذ صــدوهم سنة ست ، فقضوا عمرتهم سنة سبع .

وفى عموم هذه القاعدة خــلاف بين الفقهاء ، إذ يرى بعضهم أن ما تضمنته كان معمولا بــه فــى أول الاسلام : أن من انتهك حرمة شخص نال منه مثل ما انتهك من حرمته ، ثم نسخت .

وقال الشافعى — وهو رواية فى مذهب مالك — أنه يجوز لمن تعدى عليه فى مال أو جرح أن يتعدى بمثل ما تعدى بــه عليه ، إذ أخفى ذلك ، وليس بينه وبين الله شىء .

وقالت طائفة من أصحاب مالك : ليس له ذلك ، وأمور القصاص وقف على الحكام ، والأموال يتناولها قوله صلى الله عليه وسلم : (أدِّ الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك) ، فمن ائتمنه شخص خانه لا يجوز لــه أن يخونه ، ويصل الى حقه مما ائتمنه عليه ، وهذا هو المشهور من مذهب مالك ، وبه قال أبو حنيفة تمسكا بهذا الحديث .

أورد ذلك كله القرطبى فى تفسيره ، ثم قال : قلت : والصحيح جواز ذلك كيفما توصل الى اخذ حقه ، ما لم يعد سارقا ، وأن ذلك ليس خيانة ، وإنما هو وصول الى حق .

وقد يبدو فى توقيت نزول الآيــة بعض الإشكال ، ذلك أن ســورة (البقرة) نزلت — كما هو المشهور — فى الطريق بين مكة والمدينة ، فهى أول السور المدنية نزولا ، وهــذه الآيــة — اذا صح ما قيل فى سبب نزولهــا — نزلت سنة سبع مــن الهجرة .

وجواب هذا الإشكال ان ســورة البقرة لم تنزل مرة واحدة ، وإنمــا نزلت فى مدد شتى ، نزلت جمهرتها أيام الهجرة الاولى ، ونزل باقيها بعد ذلك فى آماد مختلفة ، ويؤيد هــذا ما قيل من أن قوله تعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » آخر ما نزل من القرآن ، وهو مروى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — والآية من أواخر سورة البقرة ، وقيل إنــه كان بين نزولها ووفاة النبى — صلى الله عليه وسلم — تسع ليال .

. . . .

ويأتى بعد هذه الآية فى الترتيب المصحفى قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج اهله منــه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئــك حبطت أعمالهم فى الــدنيا والآخرة وأولئك أصحــاب النــار هم فيهــا خالدون » .

والمشهور عند المفسرين أن سبب نُزول هذه الآية قصة عبد الله بن جحش مع عمرو بن عبد الله ابن عباد الحضرمى ، وذلك ان النبى — صلى الله عليه وسلم — بعث ثمانية رجال من المهاجرين ، وأمَّر عليهم عبد الله ابن جحش ، وكتب له كتابا ، وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيره ، ونهاه أن يستكره أحدا من أصحابه على المسير معه بعد أن ينظر فى الكتاب ، فلما فض الكتاب وجد فيه : (إذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا ، وتعلَّم لنا من أخبارهم) . فلما قرأه قال : سمعا وطاعة ، ثم أخبر أصحابه بما فى الكتاب ، وبأنه لا يستكره أحدا منهم ، وأنه منفذ أمر رسول الله ، ولو لم يسر معه أحد وقال لهم : من أحب الشهادة فلينهض، ومن كره الموت فليرجع . فقالوا : كلنا نرغب فيما ترغب فيه ، وما منا أحد إلا وهو سامع مطيع لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — . فلما ساروا معه مرَّت بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمى ، فتشاور المسلمون ، وقالوا : نحن فى آخر يوم من رجب ، الشهر الحرام ، فإن نحن قاتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام ، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم ، ثم اتفقوا على لقائهم ، فرمى أحدهم ابن الحضرمى فقتله .

وقيل إن عبد الله واصحابه لم يعرفوا ان اليوم الذى قاتلوا فيه كان من رجب ، إذ خرجوا فى أخريات جمادى الآخرة ، فظنوه من جمادى . وهذا هو المروى عن ابن عباس .

وأيا ما كان فقد اتهم المسلمون أصحاب محمد بأنهم يهتكون حرمة الشهر الحرام . والنبى — صلى الله عليه وسلم — نفسه أنكر على أصحابه ما فعلوه ، فسقط فى أيديهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية .

والمعنى : يسألك — يا محمد — المسلمون أو المشركون عن القتال فى الشهر الحرام فأجبهم بأن القتال فيه جرم عظيم ، وإثم كبير ، ولكن ما تفعلونه من الصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام ، وإخراج أهله منه ، ومن الكفر بالله أعظم عند الله إثما من القتال فى الشهر الحرام .

وقد اختلف العلماء — أيضا — فى نسخ هذه الآية . فقال بعضهم : إن قول الله تعالى : « قل قتال فيه كبير » منسوخ بقوله سبحانه : « وقاتلوا المشركين كافة » وبقوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » وكلتا الآيتين تسمى (آية السيف) . والنسخ هو مذهب جمهور العلماء ، فهم يرون أن قتال المشركين فى الأشهر الحرم مباح ، وإن اختلفوا فى الناسخ .

وقالت طائفة : إن القتال فى الشهر الحرام مستنكر ما لم يعتد الكفار على المسلمين ، فيكون قتال المسلمين — حينئذ — دفعا لا اعتداء . وقد روى أبو الزبير عن جابر ، قال : كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لا يقاتل فى الشهر الحرام إلا أن يُغزى .

وإذا صح ما قيل فى سبب نزول هذه الآية ، والآية السابقة كان ذلك موضع تساؤل ، ذلك أن آية : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » نزلت فى سنة سبع ، وهذه الآية : « يسألونك عن الشهر الحرام » نزلت بسبب قصة عبد الله بن جحش ، وقد بعثه الرسول الى مكة قبل بدر بشهرين ، وقد قيل فى ذلك : إن عبد الله بن جحش أول أمير فى الاسلام ، بل قيل له : (أمير المؤمنين) ، وابن الحضرمى أول قتيل فى الاسلام ، وما غنمه المسلمون — فى هذه الواقعة — أول غنيمة فى الاسلام .

ووجه التساؤل أنه بحسب أسباب النزول تكون الآية المتأخرة فى النزول سابقة فى الترتيب المصحفى . ذلك واقع إذا صح سببا النزول فى كل من الآيتين . ومن المعـــروف أن بعض الآيات كان ينزل متفرقا ، ويؤمر النبى — صلى الله عليه وسلم — بأن يضع آية كذا فى موضع كذا ، وقد توضع الآية فى موضع تكون الآيات التى بعدها قد سبقتها فى النزول .

وقد جاءت فى سورة المائدة — كما أسلفت — آيتان فيهما ذكر الشــهر الحرام ، ومن المشهور أن المائدة نزلت قبل براءة ، وقيل أن المائدة آخر سورة نزلت من القرآن ، والمعروف أيضا أن (براءة) نزلت سنة تسع ، وأن النبى — صلى الله عليه وسلم — أرسل بها عليا ليقرأها على الناس فى موسم الحج ، وكان الذى يحج بالناس فى ذلك العام هو سيدنا أبو بكر . ولكن مما روى أيضا أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قرأ سورة المائدة فى خطبته فى حجة الــوداع ، وقال : (يأيها الناس إن آخر القرآن نزولا سورة المائدة فأحلوا حلالها ، وحرموا حرامها) .

ومن عجيب ما يروى من ذلك أن سورة (براءة) نزلــت بعد سورة (البقرة) بسنتين ، ذلك أن المشهور عند العلماء أن البقرة أول سورة نزلت بالمدينة ، وأن (براءة) نزلت سنة تسع ، إلا أن يكون المراد أن جمهرة سورة البقرة نزلت أولا ، ثم تم نزولها فى وقت متأخر ، ولعل ذلك كان فــى السنة السابعة من الهجرة .

. . . .

جاء فى الآية الثانية من ســـورة المائدة قوله تعالى : « يأيها الــذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا » .

وجاء فى أواخرها قوله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحـــرام والهـدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض وأن الله بكل شىء عليم » .

وكأن الآية الثانيـــة تعليل لما فى الآية الاولى ، على بعد ما بينهما ، فالله سبحانه جعل البيت الحرام . والشهر الحرام قياما للناس ، أى جعل مكانا وزمانا يأمن فيهما الناس على انفسهم وعلى أموالهم ، وعلـــى اداء مناسكهم ، كما جعل الهـــدى والقلائد من أسباب الأمن لهم ، فبهذا تتحقق مصالح دنياهم ، ومصـــالح دينهم .

روى ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن زيد ، قال : كان الناس فيهم ملوك يدفع بعضهم عن بعض ، ولم يكن فى العرب ملوك يدفع بعضهم عن بعض ، فجعل الله لهم البيتالحرام قياما يدفع بعضهم عن بعض به ، والشهر الحرام كذلك يدفع اللـــه بعضهم عن بعض بالأشهر الحرم ، والقلائد ، ويلقى الرجل قاتل أبيه وابن عمه فلا يعرض لـــه .

وهكذا كانت عادتهم فى الجاهلية . لو جنى الرجل كل جناية ، ثم لجـــأ الى الحرم أمن على نفسه وماله ، وكان الرجل لو لقى الهدى مقلدا لم يعرض له ، ولم يقربه مهما بلغ منه الجـــوع ، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فتمنعه من الناس، وإذا عاد منه تقلد قلادة مـــن بعض نبات الحرم فتحميه من الناس حتى يأتى أهله .

وهذه صور كانت لهم فى الجاهلية مبنية على أصل ، وهو حرمة البيت

الحرام ، وحرمة الشهر الحرام . وحرمة الهدى والقلائد ، ولا يزال الأصل فى الاسلام ثابتا .

والمراد بالشهر الحرام هنا . قيل : ذو الحجة ، وقيل : جنس الشهر الحرام النسىء الذى كان يفعله أهل

ولما كانت هذه الأشياء قياما للناس فى أمور دينهم ودنياهم نهى الله سبحانه وتعالى عن إحلالها وذلك — كما يقول ابن عباس — أن تصيد وأنت محرم ، وأن تقاتل فى الشهر الحرام ، وقيل المراد بإحلال الشهر الحرام النسىء الذى كان يفعله أهل الجاهلية .

والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية ، لإجماع العلماء على أن الله عز وجل قد أحلّ قتال أهل الشرك فى الأشهر الحرم وغيرها ، وكذلك أجمعوا على أن المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك أمانا له من القتل ، إذا لم يكن تقدم له عقد ذمة أو أمان ، وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين لقوله تعالى : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » .

والثابت أننا نهينا أن نتعرض لمن يقصد بيت الله من المسلمين فى الشهر الحرام أو فى غيره ، وإنما خص الشهر الحرام لزيادة فضل له عن بقية الأشهر ، ولله سبحانه أن يفضل من الأمكنة والأزمنة على غيرها ما يشاء .

. . . .

وفى سورة التوبة ورد ذكر الأشهر الحرم فى موضعين :

الأول : فى قوله تعالى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » .

لما أعلن القرآن الكريم براءة الله ورسوله من المشركين ، وحث المؤمنين على أن يتموا عهد ذوى العهد إلى مدتهم ، إذا لم ينقصوهم شيئا ، ولم يظاهروا عليهم أحدا ، وأمن من لم يكن له عهد أربعة أشهر لا يعرض لهم المؤمنون أذن للمسلمين أن يقتلوا المشركين حيث وجدوهم ، إذا انسلخت الأشهر الحرم .

وقد اختلف العلماء فى المراد بالأشهر الحرم فى هذه الآية ، فقال بعضهم إنها الأربعة الأشهر الواردة فى الآية السابقة ، وهى قوله تعالى : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » وسميت حرما لأن الله حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين ، أى فإذا انقضت مدة الأمان فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد .

وقال آخرون : هى الأشهر الحرم المعروفة ، ومن قال منهم ان هذه الآية نزلت ليلة النحر قال ان المدة المشار اليها هى خمسون يوما ، فإذا انتهى المحرم جاز للمسلمين أن يفعلوا بالمشركين ما ذكرته الآية الكريمة ، والمراد بالقعود لهم كل مرصد القعود لهم فى مواضع الغرة لاغتيالهم أو لمعرفة أخبارهم وأحوالهم ، وغدوهم ورواحهم .

الثانى : فى قوله تعالى : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا

ان الله مع المتقين إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين » .

وفى هاتين الآيتين خلاصة كل ما قيل وما عرف عن الأشهر الحرم ، وهما وإن كانتا من آخر القرآن نزولا كانتا معروفتى المعنى عند المسلمين من بدء الدعوة الاسلامية ، فالعرب كانوا يعظمون هذه الأشهر ، وكان كثير منهم ينكرون النسىء ، وقد أقرهم الاسلام على كلا الأمرين .

أما بيان الأشهر بأعيانها فقد ورد فى الحديث الشريف الذى خوطب به المسلمون فى حجة الوداع : (أيها الناس ، إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) .

قال الألوسى فى كتابه (بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب) : زعم يوسف بن عبد الملك فى كتابه : (تفضيل الأزمنة) أن هذه المقالة صدرت من النبى — صلى الله عليه وسلم — فى شهر مارس، وهو آذار، وهو برمهات بالقبطية ، وفيه يستوى الليل والنهار عند حلول الشمس برج الحمل ، والمراد بالزمان السنة .

ومعنى كهيئته أى استدار مثل حالته الأولى ، والمراد باستدارته وقوع تاسع ذى الحجة فى الوقت الذى حلت فيه الشمس برج الحمل حيث يستوى الليل والنهار .

وأضاف (رجب) الى مضر لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم ، فيقال : إن ربيعة كانوا يجعلون بدله رمضان .

وذكر القرطبى فى تفسيره أن (علماء التعديل قد اختبروا ذلك فوجدوا الشمس فى برج الحوت وقت قوله عليه السلام : (إن الزمان قد استدار كهيئته) بينها وبين الحمل عشرون درجة ومنهم من قال : عشر درجات . والله أعلم) .

والمشهور أن المراد باستدارة الزمان هو رجوع الحج الى تاسع ذى الحجة ، وكان ذلك قد تغير بنسىء الشهور ، وذو الحجة هو شهره الأصلى . ويقال إن سيدنا أبا بكر حج فى السنة التاسعة من الهجرة فى ذى القعدة ، فلما حج النبى — صلى الله عليه وسلم — وافق يوم عرفة التاسع من ذى الحجة ، وقد أصبح ذلك دينا وشرعا .

ومعنى فى (كتاب الله) اللوح المحفوظ ، أو حكمه التشريعى . وقال الزمخشرى : فيما اثبته وأوجبه من حكمه ، ورآه حكمة وصوابا .

« ذلك الدين القيم » يعنى أن تحريم الأشهر الحرم الأربعة هو الدين المستقيم ، دين ابراهيم واسماعيل ، وقيل : أى الحساب الصحيح والعدد المستوفى . وعن ابن عباس : أى ذلك القضاء . قال القرطبى : والأصوب عندى أن يكون الدين ها هنا على اشهر وجوهه ، أى ذلك الشرع والطاعة .

والضمير فى (فيهن) راجع الى جميع الأشهر ، وقيل الى الأشهر الحرم ، وعلى الأول فالأمر ظاهر ، أما على الثانى فإن تحريم الظلم فى الأشهر الحرم مع انه محرم فى كل وقت من باب تعظيم الظلم فيها .

وقال بعض العلماء : إن الأنفس بطبعها مجبولة على الظلم والفساد ،

والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس . لا جرم ان الله خص بعض الأوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان فى تلك الأوقات من فعل الظلم والقبائح والمنكرات ، فربما تركها فى باقى الأوقات فتصير هذه الأوقات الشريفة ، والأشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم ، وفعل المعاصى فى غيرها من الأشهر ، فهذا وجه الحكمة فى تخصيص بعض الأشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم ، وكذلك الأمكنة أيضا .

ومعنى ظلم النفس فيها القتال ، وهو منسوخ بإباحة القتال فى جميع الشهور ، أو ارتكاب المعاصى فيها ، ولذلك رأى بعض العلماء أن العقاب يضاعف على الذنب فى الشهر الحرام ، كما يضاعف الثواب على العمل الصالح فيه ، ورأى الإمام الاوزاعى أن القتل فى الشهر الحرام تغلظ فيه الدية ، كما تغلظ على القتل فى الحرم فتجعل دية وثلثا ، وهو مذهب الشافعى ايضا أن تغلظ الدية فى البلد الحرام ، وفى الشهر الحرام، وفى قتل ذوى الرحم . وخالف فى ذلك أبو حنيفة ومالك وأصحابهما فاعتبروا القتل فى الحرم وفى الحل سواء ، وفى الشهر الحرام وفى غيره سواء .

. . . .

وفى الآية الثانية من هاتين الآيتين وصف للنسىء بأنه زيادة فى الكفر ، وبأنه يضل به الذين كفروا ، وأن الذين فعلوه من العرب انتهكوا شعائر الله ، فهم يحلون ما حرم الله ، وقد كانوا يفعلونه على وجه يخيلون به أنهم باقون على شريعة الله ، فإذا أحلوا شهرا حرموا مكانه شهرا آخر، وبذلك تبقى الأشهر الحرم اربعة ، فهى موافقة لما حرم الله فى العدد لا فى الذوات ، وهذا معنى قوله سبحانه : (ليواطئوا عدة ما حرم الله) .

وقد كانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر ، فيستحلون المحرم ، ويحرمون صفرا ، فإذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر أخروه الى ربيع الأول ، وهكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنة كلها .

وقد اختلفوا فى أول من نسأ الشهور ، فروى أنه رجل من بنى كنانة يقال له : (نعيم بن ثعلبة) ، وروى انه رجل من بنى كنانة يقال له : (القلمّس) ، قال الشاعر : « ومنا ناسىء الشهر القلمس » ، وروى أن أول من سن النسىء عمرو ابن لحى . .

وكان الناسىء يقوم خطيبا إذا هم الناس بالانصراف من الحج ، ويقول : لا مرد لما قضيت ، أنا الذى لا أعاب ولا أحاب (أى لا أنسب الى حوب وهو الذنب) ، ثم يقول : إن صفر العام حرام ، أو يقول : إن آلهتكم قد احلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم يقوم فى العام القابل فيقول : إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه .

وقد شدد القرآن الكريم النكير على النسأة فوصف فعلهم بأنه (زيادة فى الكفر) ، وختمت الآية الكريمة بوعيد شديد أيضا : (والله لا يهدى القوم الكافرين) فهم كافرون ، والله لا يهدى الى شريعته وحكمه الا المؤمنين ، فهم المستحقون للهداية التى توصلهم الى سعادة الدنيا والآخرة .

محمد بن أمية صاحب الأندلس

للاستاذ فاضل خلف

أشرقت صفحات التاريخ بذكر أبطالنا الخالدين ، الذين أرسوا قواعد دولة العرب والاسلام فى الاندلس ، أولئك الأبطال الذين اقترنت أسماؤهم بالنصر الباهر والفتح المبين كطارق بن زياد ، وعبد الرحمن الداخل ، وعبد الرحمن الناصر ، ومحمد بن أبى عامر ، ويوسف بن تاشفين ، أولئك الأبطال الذين جاءوا فى شباب دولة الأندلس ، فسرهم الزمان . وهناك أبطال برزوا على مسرح الحوادث ، وكانت الدولة فى هرمها ، فسرهم الزمان مرة وساءهم مرات ، كملوك الطوائف والموحدين ، وأمراء بنى الأحمر . وغيرهم ، ولكن هناك أبطال مجهولون أنجبتهم الأندلس ، بعد أن صوح روض العرب فى تلك الديار ، وغابت عنها شمس الاسلام .

أجل لقد ظهر فى الأندلس ، أبطال

لم يقدر لهم النجاح ، برغم كفاحهم المرير ، وجهادهم المتواصل . لقد كانت مرابعهم ضاحكة مستبشرة فى عهد الاجداد ، وقد زانتها مآثر العرب ومحامد الاسلام . ولكنها غدت فى عهدهم موحشة كئيبة ، صبغتها الدماء وردتها الدموع ، والهبت جنباتها نيران الظلم وسعير الاضطهاد . والآن من هم أولئك الأبطال المجهولون ؟

وقبل أن نأتى بحديثهم الشجىء ، لا بد لنا من رجعة الى الوراء — أى قبل ظهورهم على مسرح الحياة ، بستة وسبعين عاما — لنرى أبا عبد الله الصغير ، الأمير محمد بن على ابن نصر ، وهو يسلم مفاتيح غرناطة الى الاسبان ، حسب شروط بلغت سبعة وستين ، منها — كما يحدثنا المقرى — فى كتابه نفح الطيب — تأمين المسلمين فى النفس والاهل والمال ، وإبقاؤهم فى أماكنهم ودورهم وربوعهم وعقارهم ، ومنها أقامة شريعتهم على ما كانت ، ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم ، ومنها كذلك — أن تبقى المساجد كما كانت . وقد وقع على وثيقة الشروط الملكان فردينان وايزابيلا ، ووضعا أسميهما تحت هذا القسم :

« نؤكد ونقسم ، وبايماننا وكلامنا الملوكى ، اننا نحافظ ونأمر بالمحافظة على مضمون جميع ما هنا ، من كل شىء وكل جزء ، الآن وفيما بعد الآن وفى كل آن » .

وكان تسليم غرناطة ، فى ٨٩٧ هـ و ١٤٩٢ م ، آخر يوم من أيام الدولة العربية فى الأندلس ، وقد هاجر الملك المخلوع ، وهاجر معه كثير من الأندلسيين . وعز على السواد الأعظم ، ترك الوطن الحبيب ، الذى عاش فيه الآباء والاجداد ، لا سيما وقد ضمنت لهم وثيقة التسليم ، أهم ما يحتاجون اليه فى حياتهم ، تحت ظل الدولة الجديدة ، وهو الامان وحرية المعتقد . وحرية التنقل . ولكن هل يفى الغالب بالشروط ؟ ومن هو الغالب اليوم ؟ انه سليل المغلوب بالامس ، وقد كان فى صراع — هو وآباؤه واجداده — دام ثمانية قرون ، لاجلاء الغالب عن أرضه . وقد تم له ما أراد ، واصبح العرب فى تلك الربوع ، بدون حكومة أو محام ، وثارت فى نفس الغالب الجديد ذكريات قديمة ، الهب نيرانها صراع طويل .

وأخذ المتغلب الجديد ، يغير نياته بسرعة ، ولم يتمتع بقايا العرب فى الاندلس بالشروط المتفق عليها سوى وقت قصير . ثم بدأ الاسبان ينقضون شروطهم ، حتى لم يبق منها شرط واحد يحتمى به المغلوب . واخذت الغارات تتوالى على المسلمين ، بكل قسوة ووحشية ، للتخلى عن دينهم ولغتهم . واغلقت مدارسهم ومساجدهم ، ومنعوا من اقامة شعائرهم الدينية ، ومناسباتهم الوطنية . وبعد سبع سنوات فقط ، من تسليم غرناطة ، أجبر الأندلسيون على التنصر ، ففر من استطاع منهم الفرار ، وتنصر الباقون خوفا من الموت . وفى غمرة هذه الأحداث أحرق الاسبان فى ساحات غرناطة أعظم مكتبة عربية فى الأندلس ، وكانت خلاصة الفكر فى ذلك الوطن المفقود .

فاجبر العرب المتصرون على السكن فى أحياء خاصة وحرم عليهم حمل السلاح ، وفرضت عليهم الاقامة الجبرية . وكان جزاء المعارضين منهم التشريد والقتل ، بل لقد كانت المحارق

وزحفت الحامية الاسبانية الموجودة فى غرناطة ، على البشارات لتحطيم الثورة فتصدى لها محمد ابن أمية ، برجاله الذين تعاهدوا معه على الموت أو الحياة الحرة الكريمة . وحاول الاسبان أن يجنحوا للسلم ، خوفا من تفاقم الأمر وثورة بقية المدن الاسبانية التي ينتشر فيها بقايا العرب وكان محمد بن أمية يميل الى الصلح — كذلك — تجنبا للعواقب الوخيمة التي ستحل بقومه ، ولكن جنوده الذين ذاقوا الأمرين من السياسة الاسبانية رفضوا الصلح بكل شدة ، فتلاقى الجمعان .

ودارت معركة حامية الوطيس بين الجيشين ، رجحت فيها كفة الجيش الاسباني المنظم ، وتشتت بقايا الاندلسيين فى جبال البشارات، ومن بينهم أهل بيت القائد محمد بن أمية ، الذى اعتصم بالجبال مع فلول جيشه . هذا ما كان من أمر المعركة فى البشارات فما هو أمر غرناطة التى تضم ألوفا من المورسيكيين ؟ لقد خشى الاسبان من حى البيازين العربى الذى كان مركزا للتجمع المورسيكى ، لذلك فقد اتخذت تدابير صارمة ضدهم ، لكى لا يفلت منهم أحد لنجدة الثوار . ونفذ حكم الاعدام فى كثير من أعيانهم ، مما جعل الثوار فى البشارات ينحدرون من مخابئهم فى كهوف الجبال لمواصلة القتال ، والتف الاندلسيون مرة أخرى حول قائدهم الجرىء محمد بن أمية ، الذى أرسل الى القسطنطينية ، والمغرب العربى فى طلب النجدة ، فلباه أهل المغرب ، وجالية تركية كانت موجودة فى المغرب العربى .

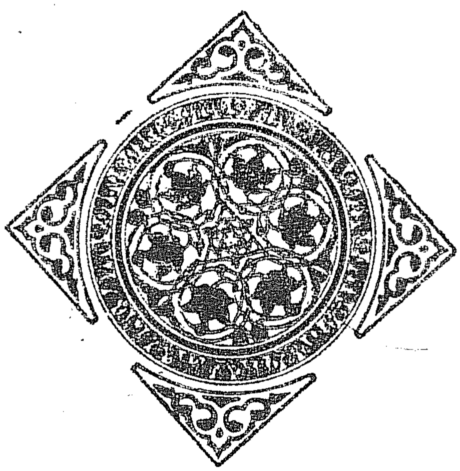
وصدم محمد بن أمية الاسبان صدمة عنيفة ، مزقت جموعهم المحتشدة فى سهول البشارات . وقد كان فى عزمه الزحف على غرناطة . ولكنه خر صريعا فى ظروف غامضة ، وطويت صفحة « مشرقة » من صفحات البطولة والايثار . فقد كانت سبل العيش ميسرة له ولاولاده من بعده فى اسبانيا ، ولكنه نبذ المركز فى سبيل دينه الاسلامى القديم ، ولغته العربية الضائعة ، وقومه المنكوبين . فخسر مستقبله المعيشى، وقضى على أهل بيته ، بالتشرد والحرمان والمصير المجهول ، ولكنه سجل فى قلب التاريخ،أروع صفحات البطولة والفداء ، ومن المؤسف ان هذا البطل العظيم ليس له أى ذكر فى تاريخ العرب ، ولولا ما كتبه عنه بعض المؤرخين الاوربيين ، وفى مقدمتهم الكاتب الانجليزى ، الدكتور « لى » لاسدل عليه التاريخ ستارا قاتما من النسيان . ❋

وقد بايع الأندلسيون بعد مصرع محمد بن أمية ، مجاهدا آخر ، لا يقل عن سلفه الراحل شجاعة وايمانا بدينه ولغته وقومه . وكان يدعى ابن عبو ، وعندما تقلد زمام الأمور ، تسمى بمولاى عبد الله بن محمد . وعندما رأى الأسبان صلابة الاندلسيين وعزمهم على مواصلة القتال ، خافوا من ثورة أهل البيازين بغرناطة ، فشتتوهم فى أنحاء عديدة من أسبانيا ، فما كان من القائد الجديد ، مولاى عبد الله بن محمد الا أن زحف نحو غرناطة ، ليوقف عمليات التشريد عند حدها ، واستطاع فى الجولات الاولى أن ينتصر على طلائع الاسبان مما جعل الاندلسيين يتدفقون على معسكره من جميع أنحاء البشارات ، ويلتفون حوله ويبايعونه ، على الجهاد المقدس . واخذ يغير على ضواحى غرناطة . أما الاسبان ، فأخذوا ينظمون صفوفهم ، ويعززون حامياتهم فى المناطق المهددة . ثم

❋ للمزيد من المعلومات يراجع كتاب(نهاية الاندلس) للاستاذ محمد عبد الله عنان.

زحفوا على الاندلسيين ووقعت بين الفريقين مواقع عديدة أبلى فيهـــا الاندلسيون بلاء حسنا . وحـــاول الاسبان وقف القتال بالطرق السلمية، ولكن الثوار ، فقدوا كل أمل فى وعود وشروط الاسبـــان فصمموا على مواصلة القتال حتى الموت . وتقـــدم الاسبان بجيوشهم نحو الانـــدلسيين ففر من استطاع منهم الفرار الـــى الجبال وعبر من استطاع منهم البحر الى المغرب العربى ، وأما الـــذين وقعوا فى قبضة العدو ، فقد نالهم البلاء العظيم ، ولم يجد الاسبـــان طريقة للخـــلاص من الموريسكيين سوى نفيهم الى خارج أسبانيا ، وقد صدر هذا القرار فى سنة ١٥٧٠ اى بعد مضى عامين على ثورتهم بقيادة محمد بن أمية . ولكن القرار لم ينفذ ، الا بعد أربعين عاما .

أما مولاى عبد الله بن محمد ، فقد اعتصم بالجبال ليجمع فلوله المبعثرة ، وينظم صفوفه الممزقة ، ولكن الاسبان اهتدوا الى مخبئه ، ووقعت بينـــه وبينهم معركة صغيرة فاصلة ، قاوم فيها حتى خر صريعا فى ميـــدان الشرف ، بعد أن أدى واجبه نحو دينه ولغته وقومه فى الاندلس خير أداء وبعد أن كتب اسمـــه فى سجـــل الخالدين .



مَكَّة وَالمدينة

في رحلة ابن بطوطة

يعد ابو عبد الله محمد بن بطوطة من اكبر مستكشفي العرب ورحالاتهم وقد بدأ رحلته المعروفة وهـو فـي الحادية والعشرين من عمره في أوائل القرن الثامن الهجرى حيث جـاب الارض ، وجاس خلال الديار ما يقرب من ثلاثين عاما ، زار في اولها المدينة المنورة وأدى فريضة الحج .

وقد دون ابن بطوطة وقائع رحلته كلها بما صادفه فيها من غرائب ، وما سمعه من قصص وطرائف وحكايات في كتابه ((تحفة النظار في غرائب الأسفار)) الذى قال في بدايته :

((كان خروجي من طنجـة مسقط رأسي في يوم الخميس الثـاني من شهر رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، معتمدا حج بيت اللـه الحرام ، وزيارة مدينة الرسول عليه أفضل السلام ، منفردا عن رفيـق آنس بصحبته ، وراكب اكـون في جملته ، لباعث على النفس شديـد العزائم ، وشوق الى تلك المعاهـد الشريفـة كامن في الحيازم)) .

وقد خرج ابن بطوطة الى رحلـة الحج من دمشق مع حجيجها في ركب عليه اميره سيف الدين الجـوبان ،

الأستاذ عزت محمد ابراهيم

وقاضيه شرف الدين الازدى الحورانى واقام مع الركب فى قرية بصرى التى كان من عادة حجاج دمشق أن يقيموا بها اربع ليال ليلحق بهم من تخلف عنهم ، وهى القرية التى وصل اليها النبى عليه السلام قبل البعثة فى تجارته لخديجة رضى الله عنها ، وفيها مبرك ناقته ، وكان قد بنى عليها مسجد عظيم زمن الرحلة .

ومن قرية ((بصرى)) اتجه الركب الى ((معان)) ثم الى ((تبـوك)) الموضع الذى غزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها عين ماء كانت تبض بشىء منه ، فلما نزلها الرسول وتوضأ منها جاءت بالماء المعين غزيرا يتدفق تدفقا وينثال انثيالا .

وذكر ابن بطوطة أنها كانت على هذه الحال فى عهده .

وعندما وصل الحجيج المدينة المنورة ، وقفوا بباب السلام مسلمين وصلوا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر ((حامدين لله تعالى على البلوغ الى معاهد رسول الله الشريفة ومشاهده العظيمة المنيفة ، كما يقول صاحب الرحلة .

ووصف ابن بطوطة المسجد النبوى الشريف على زمانه فقال : إنه مستطيل ، تحف من جهاته الاربع بلاطات دائرية ، ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل ، ويدور بالمسجد الشريف شارع مبلط بالحجر المنحوت ، والروضة المقدسة فى الجهة القبلية مما يلى الشرق فى المسجد الشريف .

وتحدث عن بناء الرسول لمسجده فقال : إنه نزل على بنى النجار بدار ابى ايوب الأنصارى بعد قدومه عليه السلام الى المدينة فى الثالث عشر

من ربيع الأول ، فأقام عنده سبعة أشهر ريثما بنى مساكنه ومسجده ، وكان موضع المسجد مربدا لسهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمر ، وكانا يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فابتاع الرسول ذلك المربد منهما ، وقيل : إنهما وهباه له .

وتحدث عن محراب المسجد فقال: إن أول من بناه هو مروان بن الحكم ، أو عمر بن عبد العزيز فى خلافة الوليد ، على خلاف فى ذلك .

أما منبر المسجد فقد صنع زمن الرسول عليه السلام ، بعد أن كان يخطب الى جذع نخلة ، واختلفت الروايات فيمن صنعه ، فقيل : إنه تميم الدارى ، وقيل : إنه غلام للعباس رضى الله عنه ، أو غلام لامرأة من الأنصار .

وذكر ابن بطوطة أن معاوية بن أبى سفيان حين ولى الخلافة اراد نقل المنبر الى الشام فضج المسلمون وأظهروا استياء عظيما ، وأنه هبت ريح صرصر عاتية ، وخفت الشمس، وظهرت النجوم نهارا ، واظلمت الأرض حتى كان الناس لا يرون بعضهم بعضا ، فلما رأى معاوية ذلك رجع عما كان قد انتوى ، وترك المنبر مكانه .

وكان إمام المسجد فى عهد دخول ابن بطوطة المدينة هو بهاء الدين بن سلامة من أهل مصر ، وكان يخطب به قبل عهده سراج الدين عمر المصرى الذى اقام على قضائها اربعين سنة ، وقد ذكر ابن بطوطة عنه حكاية قال فيها : إنه رأى فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاه عن السفر ومغادرة المدينة الشريفة ، وأنباه باقتراب اجله ، فلم ينته ، وخرج منها قاصدا مصر ، فمات فى الطريق ((فى موضع يقال له سويس على مسيرة ثلاث من مصر)) كما يقول :

ومن المشاهد الكريمة فى المدينة المنورة التى تحدث عنها ابن بطوطة ((البقيع)) بشرقى المدينة ، ومسجد قباء ، على نحو ميلين منها ، وقال عنه : إنه مسجد مربع فيه صومعة بيضاء طويلة تظهر على البعد ، وفى وسطه مبرك ناقة النبى عليه السلام وفى الجهة القبلية من صحنه محراب على مصطبة هو أول موضع ركع فيه النبى صلى الله عليه وسلم .

وكانت بعثة حجاج دمشق ومعها ابن بطوطة تبيت كل يوم فى المسجد النبوى الشريف ، حيث يرى الناس وقد تحلقوا فى صحن المسجد يتلون القرآن الكريم أو يذكرون اسم الله عزوجل ، وظل على تلك الحال حتى قصد مكة المكرمة اداء لفريضة الحج .

وقد قصد ابن بطوطة البلد الأمين مبتدئا بمسجد ذى الحليفة لابسا ثياب الإحرام ، ثم مارا بعد ذلك ببدر ، ورابغ ، وخليص ، حتى وصل الى البلد الحرام الذى شرفه الله بزيارته مدونا فى رحلته قوله :

((الحمد لله الذى شرفنا بالوفادة على هذا البيت الكريم ، وجعلنا ممن بلغنا دعوة الخليل عليه الصلاة والتسليم ، ومتع أعيننا بمشاهدة الكعبة الشريفة ، والمسجد العظيم ، والحجر الكريم ، وزمزم والحطيم)).

وتحدث ابن بطوطة عن فرحة حجاج بيت الله الحرام باداء هذه الفريضة مع ما يلاقونه فى سبيلها من مشاق ، وما يتجشمونه من متاعب قد لا يستطيع الناس اليوم أن يقدروا مداها ، بعد أن يسر الله من أمر الحج ما كان صعبا عسير الاحتمال ، فلم يعد حجيج اليوم يكابدون من المشاق ما كان يكابده غيرهم فى أزمان سابقة من جهد وتعب ، بل تعريض الأنفس والأرواح

لخطر الموت أو عاديات الطريق .
وبالرغم من كل ما كان يعترض الحجاج من مصاعب ، فإنهم لا تكاد أعينهم تكتحل برؤية الكعبة المشرفة حتى ينسون آلامهم ، ويرفعون الى الله أيدى الضراعة والرجاء أن يكون لهم حظ فى زيارة أخرى ، أو أن يكتب الله لهم ميتة حميدة فى أرضه المباركة .
ويذكر ابن بطوطة شعور الحجاج عند الكعبة المشرفة بقوله :
((كم من ضعيف يرى الموت عيانا دونها ، ويشاهد التلف فى طريقها ، فاذا جمع الله بها شمله ، تلقاها مستبشرا كأنه لم يذق لها مرارة ، ولا كابد محنة ولا نصبا)) .
وكانت مكة المكرمة على عهده مدينة كبيرة مستطيلة فى بطن واد تحف به الجبال المطلة عليها ، وهى كذلك منذ أراد الله أن يتخذ منها مثابة للناس وأمنا ، وأكثر أحيائها المعروفة اليوم كانت موجودة زمن رحلته ، فقد تحدث عن شعبى أجياد الأكبر ، وأجياد الأصغر من جهة جبل أبى قبيس ، كما ذكر أبواب مكة الثلاثة : باب المعلى بأعلاها ، وباب الشبيكة فى أسفلها ، وباب المسفل (وهو اليوم المسفلة) من جهة الجنوب ، وهو الباب الذى دخل منه خالد بن الوليد يوم الفتح ، والزاهر من الأحياء التى تحدث عنها ابن بطوطة فقال
((إنه على نحو ميلين من مكة على طريق التنعيم ، وهو موضع على جانبى الطريق ، فيه أثر دور وبساتين وأسواق)) .
كما ذكر مقبرة المعلى ، ويعرف موضعها بالحجون ، وهو الذى قال فيه الحارث بن مضاض الجرهمى بيتيه المشهورين :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالى والجدود العواثر

واذا كان ابن بطوطة قد عد مكة المكرمة ((مدينة كبيرة)) فانما كان ذلك بمقياس زمانه ، وهى لم تكن تزيد مساحة عما بين ((الحجون الى الصفا)) ، وهى اليوم مدينة كبيرة حقا ، قد اتصلت أحياؤها بعضها ببعض ، فلم يعد الزاهر موضعا على نحو ميلين منها ، وانما اتصل بها اتصالا وثيقا ، وأصبح فى مواضع آثار الدور والبساتين والاسواق عمارات شاهقة ، وحدائق غناء ، وشوارع رحبة فسيحة ، وشأن الزاهر من أحياء مكة شأن غيره من الاحياء ، حتى كادت حدود مكة المكرمة أن تصل الى مشارف منى .
ويقول ابن بطوطة : إن الفواكه والثمرات والخيرات كانت تجلب الى مكة المكرمة ((لطفا من الله بسكان حرمه الأمين ، ومجاورى بيته العتيق)) .
ذكر : أنه قد أكل بها من الفواكه والعنب والتين والخوخ والرطب مالا نظير له فى الدنيا .
ومن عجائب الكعبة المشرفة التى تحدث عنها صاحب الرحلة والتى لاتزال تشاهد حتى اليوم — وستبقى إن شاء الله ما بقيت الحياة الدنيا — ما يكون من الطواف حولها ليلا ونهارا لاينقطع فى ساعة من ساعات اليوم ، وهذا الحمام الآمن الذى يملأ كل أركان الحرم وجنباته ، ولا ينزل على الكعبة ولا يمر من فوقها فى طيرانه .
ومثل هذا الذى ذكره ابن بطوطة ذكره الثعالبى فى كتابه ((لطائف المعارف)) فقال : إن من خصائص الحرم ((أن الطير اذا حازت الكعبة انفرقت فرقتين ولم تعلها ، وأن لا يسقط عليها حمام الا وهو عليل)) .
ولا نستطيع أن نجد لذلك تعليلا الا

ان يكون ذلك تشريفا من الله عز وجل لبيته الكريم أول بيت وضع للناس ، ودليلا ملموسا على ما لهذا البيت الطاهر من منزلة كريمة عند الله جل شأنه ، لايستطيع أن ينكرها منكر ، ولا ينفع في إنكارها إنكار منكر .

ويصف ابن بطوطة الكثير من عادات أهل مكة وأخلاقهم ، ومنها عطفهم على الفقراء والمحتاجين ، وحسن جوارهم للغرباء ، وأنهم اذا أقام أحدهم وليمة بدأ فيها بالطعام الفقراء المجاورين لبيت الله الحرام .

ويتحدث عن اعتمارهم في شهر رجب فاذا هل هلاله ضربت الطبول إشعارا بمقدمه ، وقد كانوا يحتفلون بهذه العمرة احتفالا كبيرا ، فكانت الشوارع تغص بالهوادج الضافية الأستار التي تكاد أن تمس الارض ، فهي كالقباب المضروبة ، وعليها أكسية الحرير والكتان الرفيع ، والجمال مزينة بقلائد الحرير .

ويخرج الناس بهذه الهوادج الى ((التنعيم)) فتسيل بها أباطح مكة ، والنيران مشتعلة على جانبي الطريق وهم يهللون ويكبرون ، حتى اذا قضوا العمرة ، وطافوا بالبيت ، خرجوا الى السعي بين الصفا والمروة .

وكانت هذه العمرة تسمى عندهم بالاكمية نسبة الى أكمة عائشة رضي الله عنها التي كانوا يحرمون عندها ، وأصلها أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بعد أن فرغ من إعادة بناء الكعبة خرج ماشيا حافيا معتمرا ومعه أهل مكة في السابع والعشرين من رجب ، وانتهى الى الاكمة فأحرم منها ، وتبعه الناس على ذلك .

ومما ذكره ابن بطوطة وله قيمة تاريخية ما كان مكتوبا في أعلى البلاط الغربي من المسجد الحرام من أن ((عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين قد أمر بتوسعة المسجد الحرام لحاج بيت الله وعمارته في سنة سبع وستين ومائة)) ، وأنه كان في خزانة المسجد نسخة من المصحف الشريف بخط زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، مكتوبة سنة ثماني عشرة من وفاة النبي عليه السلام .

وكان من المجاورين لبيت الله الحرام في ذلك الزمان أبو العباس ابن محمد مرزوق الذي استرعى انتباه ابن بطوطة بكثرة طوافه في شدة الحر ، والمطاف مفروش بالحجارة السوداء التي تحيلها حرارة الشمس الى مثل الحديد المحمي ، ومنهم أبو بكر الشيرازي الذي عرف بالصامت لإقامته أعواما بمكة لا يكلم الناس إلا رمزا ، ومكث ابن بطوطة في مكة حتى انتهى موسم الحج فغادرها في عشرين من ذي الحجة في صحبة أمير حج العراق ، البهلوان بن محمد الحويح في طريقه الى بغداد مكملا رحلته الطويلة التي جاب فيها الآفاق وشاهد البلاد والأمصار .

نظافة الحج

يجب أن تكون من جميع الوجوه

للدكتور : محمد محمد ابو شوك

تعودنا فى نهاية موسم الحج من كل عام أن نسمع تلك العبارة التى تطمئن لها نفوس الحجاج ، وتفرح بها قلوب المسلمين فى أنحاء العالم الاسلامى بأن الحج هذا العام كان نظيفا من الامراض الوبائية ، وأن جميع الحجاج يتمتعون بصحة جيدة .. وتطوى الصحيفة ، ويبدأ الحجاج فى رحيلهم الى أوطانهم ، ويعودون ، فاذا كل منهم يحكى الى جانب فرحته بأداء الفريضة ، وما عاينه فى الاراضى المقدسة من متعة روحية تفوق لذائذ الدنيا ومتاعها ، والمواقف التى وقفها مستمتعا برضوان الله ومغفرته .. الى جانب رؤيته لاخوانه الحجاج من كل فج عميق بسماتهم المختلفة ولغاتهم الكثيرة وقد آخى بينهم الايمان ووثق عرى وحدتهم الاسلام ، وجمعهم فى مهابط الوحى الشوق الى مغفرة الله والوفاء لرسوله الكريم .. يحكى الى جانب هذا قصة مرضه ، وما عاناه أثناء الحج ، وكل ما كان يكتنفه من صعاب ، ويسمع الحاج القول المأثور من أهله وذويه : « حمد الله على سلامتك » وعلى قدر المتاعب يكون الأجر ، وعود حميد إن شاء الله ، ويحاول أن ينسى الحاج ويتناسى ، ويسدل الستار دون ما نقد صريح يوجه جريا وراء اصلاح أو تقدم سريع يهيىء لكل حاج الجو الصحى اللائق لأداء هذه الشعيرة المقدسة .

ورغم ما يلاحظ الحاج من تقدم فى مشاريع عمرانية ضخمة تقام وطرق جديدة تشق ، ووسائل للمواصلات مريحة ، وتوافر الحاجيات التى يحتاجها كل حاج ، وما يشعر به كل حاج من أمن وطمأنينة ، كل هذا يسير سيرا حسنا ، ولكن هذا شيء وما نصبوا اليه من وسائل عدة تجعل

الحج بحق حجا نظيفا ــ وتهيىء الجو الصحى الذى لا يساعد على نشر الامراض غير الوبائية مثال ــ النزلات الشعبية ، الالتهاب الرئوى ، الاسهال ، ضربات الحر فى الصيف ، التهاب سحايا المخ ، النزلات المعدية وغيرها ..

ترى كيف تقوم على تهيئة هذا الجو الصالح الذى يفيد جميع الحجاج من شتى انحاء العالم الاسلامى .. ؟ ولكى نصل الى ما نتمنى لا بد لنا من سعة صدر ــ وأخذ الأمور أخذا سليما ــ وتخطيط شامل دقيق على المدى القريب والمدى البعيد ــ فالحج وان كان فى هذه الأيام يقتصر على ما يقرب من المليون نسمة ، فماذا يا ترى سيكون بعد سنين عدة .. ؟ لا بد وانه سيكون عدة ملايين ، ولا يمكن أن نستوعب هذا العدد الضخم بالوسائل المرجوة الصحيحة السليمة الا اذا قمنا بتخطيط دقيق .

وفى عرض هذا لا أريد أن اشوه هيبة الحج أو انحو بلائمة على هذا أو ذاك .. ولكن ذلك غيرة من مسلم على دينه حتى لا يقال كما يقال « أهكذا هو الدين الاسلامى ، لا نظام ولا صحة ولا تقدم » والاسلام من كل هذا براء ، فالعيب فينا نحن وليس فى الاسلام ، فالاسلام كما يعلم الجميع دين صحة ، دين نظافة ، وهذه آيات القرآن واحاديث الرسول ماثلة أمام أعيننا لا تخفى على كل ذى بصيرة « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » « ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » .

وفى الحديث : ان الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود ..

ولكى نجعل الحج فى المستوى اللائق به لا بد أن يكون ذلك على أكتاف الفرد الحاج ، وعلى أكتاف الهيئات القائمة على هذا الحج .

فهناك واجبات مقدسة يجب على كل حاج أن يتقيد بها بما فى ذلك التطعيم ضد الامراض المعدية وعليه أن يكون واعيا وداعيا من الناحية الصحية ، فلا يلبس الا نظيفا ، ولا يأكل الا نظيفا ، ولا يشرب الا نظيفا ويبتعد كل البعد عما يضر بصحته وصحة الآخرين متوخيا فى ذلك قول الرسول الكريم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وبعض ما نراه اليوم إن دل على شىء فإنما يدل على تدهور الوعى الصحى لدى الحجاج ــ فترى منهم من يتعمد ويلبس ملابس قذرة بالية ، معتقدا أن هذا هو الزهد فى الحياة ــ ولكن ليس هذا زهدا ــ بل هى الأدران والأوساخ التى تساعد على انتشار الامراض ــ وهذا الذى يلبس الملابس البالية الممزقة ويدعى أنه لا يرغب فى المتاع الزائل ليس من الاسلام فى شىء ، فالاسلام يحث على أن يكون المسلم نظيفا فى ملبسه ومأكله ، حسن الهندام ، عف اللسان ، جميلا فى كل شىء فالله جميل يحب الجمال ..

بهذه الروح الطيبة ، وبالحرص على نظافة الفرد تكون نظافة الحج .. ثم رمى القاذورات فى الشوارع والطرقات دون وضعها فى سلال المهملات ، أشياء نهانا الدين عنها ، وأمرنا باماطة (الوسخ) عن الطريق ، وفى الحديث : حملك عن الضعيف صلاة ، وانحاؤك الأذى عن

الطريق صلاة . ثم الذبح فى الطرقات وترك الذبائح بها تنشر الروائح الكريهة ، وتجلب الذباب الذى يساعد على انتشار الامراض ، كلها منافية للدين الحنيف وتعرض المسلمين الى امراض هم فى غنى عنها اذا تحروا النظافة . وقضاء الحاجة فى الأماكن غير المخصصة لذلك اهانة لانسانية الحاج الذى حتى لا يتمثل بالحيوان الذى يحفر ليقضى حاجته ثم يزيح التراب ليغطيها ، والبصق فى الطرقات والمساجد وعند بئر زمزم عادات سيئة يجب أن يبتعد عنها الحاج . وتعاليم الدين ووصاياه فى هذه الناحية معروفة ومشهورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليهم لعنتهم » وقال : اتقوا الملاعن الثلاث : البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل ..

ويا حبذا لو زودت كل دولة اسلامية حجاجها بالمعلومات الصحية حتى يكونوا على وعى صحى متكامل . وليكونوا قدوة لغيرهم ، فيعم النفع ويفخر كل مسلم بنظافة الحج ..

وهؤلاء الذين يندسون وسط الحجيج بما على اجسادهم من ملابس قذرة ، كاشفين عاهاتهم للحجاج ليستدروا عطفهم ، ويجمعوا ما شاءوا من صدقات — لا يتورعون عن أى شىء ، هم فى الحقيقة وصمة فى جبين الحج — وكأن المسلمين ضاقوا ذرعا فلا ملاجىء تأوى ذوى العاهات حقا ، ولا ضربا على أيدى الذين يأخذون التسول مهنة لهم ، ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين كان يضرب هؤلاء بدرته المشهورة حاثا على العمل قائلا : « لا تمت علينا ديننا » فالاسلام من التسول براء .

ثم واجب على كل مسلم يكون بـه أذى ان يعـرض نفسه على الطبيب للعلاج لا أن يترك نفسه ويعدى الآخرين وما تلك النزلات الشعبية والصدرية التى تصيب الحجاج بأعداد هائلة الا نتيجة عدم علاج أشخاص قلائل اهملوا انفسهم وبقوا وسط اقرانهم فتسببوا فى تفشى المرض بينهم ، فاذا أهمل الحاج نفسه وجب على من معه أن يأخذوه للعلاج حتى يتقوا شر مرضه .

وحتى لا نكون متجنين على الحـاج يجب أن تهيىء له الظروف الملائمة التى تسهل له مهمته وتضمن له الجو الصحى المناسب فاذا طالبناه بألا يقضى حاجته فى الشوارع والطرق ، يجب أن نهيىء له الاماكن الصحية الملائمة لقضاء الحاجة عددا ونظافة وصـيانة . واذا قلنا له لا تقذف بالاوساخ فى الشوارع والطرقات وجب أن نعد له سلال المهملات مثلا .

وأن نعنى باعداد الحمامات والمنافع العامة فى (أبيار على) حيث يقوم الحجاج بالقيام بالاحرام — فتراهم ينتشرون فى الخلاء ، ويقضون حوائجهم هنا وهناك ، ويغتسلون فى أى مكان يحلو لهم . أو فى دورات مياه قليلة غير صحية . فماذا لو أقمنا فى هذا المكان الفسيح مائة أو مائة وخمسين حماما ودورة مياه مزودة بما يحتاجه الحاج من ماء نظيف ، ولنقم عليها من يصونونها من العبث والاستهتار ، وانسداد مجاريها ، والتعهد

بالصنابير ، وحمامات المياه والاعتناء الجيد بنظافتها ، واستبدال ما فسد منها ، بذلك نضمن دورات مياه بحمـــــاماتها للحجاج فى هذه المنطقة الهامة ..

ثم الاعتناء والاكثار من دورات المياه بجوار الحرمين الشريفين ، بذلك نكون قد هيأنا للحاج ما يلزمه فى هذا المجال ، وان قام بعمـــــل يتنافى والقوانين الصحية كان العقاب له لانه حطم القوانين وعرض صحة الحجاج القوانين وعرض صحة الحجاج للضرر والخطر . وبهذه المناسبة يجب أن يكون عدد سلات المهملات أكثر عددا فى الحرمين وما حولهما وفى الشوارع حتى يجد الحاج المكان الذى يلقى به بالمهملات ، وأن يحافظ على هذه الاماكن المقدسة وعلى قدسيتها لا أن نتركها للناس يعبثون بها كيفمـــا يشاءون وتحضرنى فى هذه المناسبة كيف تبدو مدينة الفاتيكان ، مدينة البابا من الأبهة والنظافة والعناية بها ، فما بالنا ونحن فى بيت الله وفى بيت رسول الله أشرف خلق الله .

ثم طريقة شرب الماء من (القلل) حبذا لو تضينا عليها وقمنا بوضع حنفيات خاصة تعمل أوتوماتيكيا وتعطينا ماء باردا فى الصيف وتستعمل معها أكواب من البلاستيك التى لا تستعمل الا مرة واحدة وترمى ، بذلك نكون قد قضينا على نقل العدوى بواسطة الماء والاستعمال للاناء الواحد بواسطة افراد عدة قد يكون من بينهم من هو مصاب بمرض معد فيصيب الآخرين ، ولقد شاهدت مثل هذه الحنفيات فى الحرم المكى ولكن عددهـــا قليل جدا ويربط كوب واحد فيها للاستعمال ، فلا بد أن نكثر من عـــددها كما قلت ونعممها فى الحرمين الشريفين .

ولا اظن أن هناك عقبة كأداء مثل التى تواجه الحاج فى سكنه أيام الحج فترى المطوف يكدس الحجاج فى حجرات ضيقة وفى خيام ضيقة ، واماكن غير صحية ، وماذا ننتظر والحالة هذه ، اذا مرض حـــاج وسط عشرين حاجا بمرض معد فتكون النتيجة أن يصاب معظم من حوله .

ولا بد أن هذه المشكلة تواجه المسئولين وتزداد حدتها عاما بعد عـــام وسيأتى الوقت الذى يستعصى حلها ، عندما لا يجد الحجاج أماكن لهم لايوائهم فيضطرون أن ينتشروا فى الشوارع ويبيتوا فى الطرقات ــ والامل معقود على أن يخطط لهذه المشكلة تخطيطا دقيقا . ولست أدعى أنى ملم باطراف هذه المشكلة ولكن كمسلم غيور لماذا لا تنشأ عمارات سكنية صحية حـــول مكـــة والمدينـــة وفـــى منـــى وعرفـــات تقـــام فيهـــا المبانى والخيـــام عـــلى النظـــام الصحـــى الحـــديث يـــأوى اليها الحجاج كل سنة ولا بد أن تساهم الدولة والمؤسسات فى هـــذا المشروع لراحة الحجاج ولعل قائلا يقول بذلك نقضى على أرزاق المطوفين والفنادق ــ والرد على ذلك أن أصحاب الفنادق لا يريدون أن يزيدوا فى عددها لاحساسهم أنها تعمل فقط لعدة شهور على مدار السنة فلا جدوى

من زيادتها ــ علما بانهم لو حسبوا لذلك حسابا ما كان يجب ان يكــون ذلك عقبة فى بناء الفنادق ، فهذه الفنادق فى لبنان مثلا فى الجبل تعمــل مدة الصيف فقط ونجد أن عددها يزيد عاما بعد عام لان أصحابها يعملون حسابهم ويربحون في مدة الصيف ما يكفيهم طوال العام ــ فما بال الفنادق القليلة بالمدينة أني اراها لتعمل اكثر من نصف العام اذ أن الاعــداد تزداد لقضاء العمرة في الشهور الاخرى من السنة عدا أشهر الحج ، ثم لتبقى أرزاق المطوفين من تعهدهم بالطواف بالحجاج ولارشادهم الى الاماكن التى يحبــون أن يشاهدوها ــ ويأخذون على ذلك الاجر الذى يكفيهم ونحمــل عنهم عبء ايواء الحجاج .

واقامة هذه البنايات الكبيرة يسهل الامور كثيرا في الحج ، فيكون الاشراف الصحي دقيقا ــ وتكون المحافظة على سلامة الحجاج ومعرفتهم بسهولة ومعاونة بعضهم البعض أسهل ومعالجتهم فى متناول البعثات الصحية المرافقة لهم أسهل وايسر . ونقلهم بالمواصلات المنظمة وشــق الطرقات الحديثة تخلق جوا صحيا وحضاريا بديعا يليق بعظمة الامــة الاسلامية ــ والاشراف الصحى الدقيق على كل المرافق من أهم الاسباب التى تقلل من نسبة انتشار الامراض . فالاشراف على المطاعم والمحــلات التى تبيع المأكولات ــ والمأكولات التى تباع للحجاج . والاشراف عــلى الحجاج وكل ما يتعلق بهم ــ والتأكد من نظافتهم فى حلهم وترحالهم ــ ومعالجة مرضاهم والاشراف الصحى على المطوفين ومن يتبعهم ومعاقبة كل من يسىء الى الصحة العامة والنظافة ، كل ذلك لا بد وان يقلل مــن الاسباب التى تسىء الىهيبة وقدسية الحج .

ولكي يساهم الحجاج جميعا فى مثل هذه المشروعات وغيرها ولرفع المستوى الصحى وتجميل المدن المقدسة فانه لا مانع من فرض ضريبة أكثر على الحاج بحيثتصرف فى هذه المشاريع ويستفاد ممن له دراية فىالسياحة وتنظيم المدن والطرقات من الدول الاسلامية ــ لكى يساهموا بل ويشرفوا على انجاح هذه المشاريع الهامة ، فالدين دينهم والمدن المقدسة مدنهم جميعا لا فرق بين عربى وغير عربى بل كلهم مسلمون وهم أمام الله سواء ولا يقولن أحد ان الحاج فقير ــ فالحج لمن استطاع اليه سبيلا ولا نريد حجاجا يذهبون الى الاراضى المقدسة ليتسولوا بل ليساهموا فى كل عمل للخير والرخاء مصداقا لقوله تعالي علي لسان نبيه ابراهيم «واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام » ــ

هذه بعض الافكار سقتها لعلى بذلك أكون قد أسهمت فى أن أضع أمام اخوانى الحجاج وأمام المسئولين ما يجيش بصدرى كمسلم غيور على دينه يتمنى للامة الاسلامية الرفعة والرقى وحتى يقال بحق أن الاسلام دين نظافة ودين علم ودين الله فى الارض لخير البشر والبشرية جمعاء .

فتية لشبونة المغررون

للدكتور :
عبد الرحمن علي الحجي

الحضارة الاسلامية مليئة بالصفحات الناصعة ، وما أكثر ما فيها من مجهول يقتضي الجهود الضخمة لاخراجه للنور ، وهذا الموضوع ما يزال جديدا على البحث والدراسة . وقد شملت هذه الحضارة كافة الجوانب الحياتية التي تدل على تقدم الانسان ماديا وروحيا، وأوضح ما يكون ذلك في الحضارة الأندلسية ذلك المعين الفياض الذي ارتوى الغرب منه لقرون ، وأفاد أكبر فائدة في بناء حضارته الحالية ومهد للكثير مما حققه .

وللنشاط الجغرافي حظ وافر في هذه الحضارة ، واسهام المسلمين الكبير في هذا العلم معروف بما في ذلك الكشوف الجغرافية التي سبق بها المسلمون غيرهم ، أو تحطيمهم لبعض الآراء الجغرافية التي غدت منذ قرون ـ في صمتها ـ كالعقائد . فجهودهم الجغرافية البرية والنهرية منها والبحرية عظيمة صادقة أدت الى كثير من الكشوف الحديثة ، والأمثلة على ذلك كثيرة غاية الكثرة .

فسليل الأسود شهاب الدين أحمد ابن مجاد (المتوفى بعد سنة ٩٠٤ هـ ـ ١٤٩٨ م) يعتبر من كبار البحارة المسلمين ، ومن العلماء الأوائل في الملاحة البحرية. فله مايقارب الاربعين مؤلفا في هذا الفن ، تقوم على البحرية والخبرة اضافة الى الدراسة والملاحظة ، لذلك لقب بـ (أسد البحر)

ولقد كان البحارة في البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي قبل ان يبحروا ، يقراون الفاتحة لروح الشيخ ابن ماجد اعترافا بفضله (١) وهو مخترع الابرة المغناطيسية وهو الذي أطلع فاسكودي غاما الرحالة البرتغالي (الذي ينسب اليه اكتشاف طريق جديد للهند عن رأس الرجاء الصالح) على بعض الخرائط والمعلومات ، وهو الذي كان دليل دي غاما (الذي نعرف عنه أكثر مما نعرف عن ابن ماجد) وقاد سفينته في سنة ٩٠٤هـ — ١٤٩٨ م من مالندي في كينيا على ساحل أفريقيا الشرقية الى كاليكوت في الهند .

وكثير من الذين يتحدثون عن اكتشاف هذا الطريق الجديد الى الهند يذكرون دي غاما وينسبونه اليه لكنهم ينسون أو يجهلون « المعلم » أحمد بن ماجد الذي هو أحرى بلقب مكتشف طريق الهند (٢) لافاسكودي غاما . ومن يدري فلولا الشيخ ابن ماجد لتأخر هذا الكشف السنوات الطوال ولما كان لدي غاما مثل هذا الشأن .

ولا يستبعد أن الجغرافيين المسلمين قد تخيلوا وجود أماكن أو قارات كأميركا قبل اكتشافها بقرن ونصف قرن . فقد ذكر ابن فضل الله العمري (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ — ١٣٤٩م) نقلا عن أبي الثناء الاصفهاني قوله : « لا أمنع أن يكون ما انكشف عنه الماء من الأرض من جهتنا منكشفا من الجهة الأخرى . واذا لم أمنع أن يكون منكشفا من تلك الجهة لا أمنع أن يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثلما عندنا أو من أنواع واجناس أخرى (٣) »، وربما كانت لهم محاولات في هذا الشأن ، وهذا ما دفع بعض الباحثين الى القول بأن المسلمين هم مكتشفو أمريكا قبل كريستوف كولومبس بزمن طويل خاصة بعد ثبات انتقال نباتات الى العالم الجديد لم تكن معروفة فيه من قبل (٤) . وعلى كل حال فان كولومبس الايطالي لم يتخيل وجود أمريكا بل تخيل فقط وجود طريق جديد يوصل الى الهند عن طريق الغرب فاكتشف العالم الجديد عن غير قصد منه سنة (٨٩٨هـ —١٤٩٢م) ولا بد انه اطلع على مناشط المسلمين وتجاربهم وافاد من دراسات الجغرافيين الأندلسيين كأبي عبيد البكري (المتوفى ٤٨٧هـ — ١٠٩٤م) والادريسي (المتوفى ٥٦٠هـ — ١١٦٥م) ومن خرائطهم ووسائلهم الملاحية الأخرى . كما لا بد أنه كان على علم بقصة استكشافية بحرية قام بها بعض مسلمي الأندلس . وتعتبر هذه القصة طريفة غاية الطرافة . ومن عجب اننا لا نجد لهذه القصة ذكرا في الكتب التي وصلتنا الا عند الشريف

الادريسى فى كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » (٥) .

وخلاصة هذه القصة الطريفة أنه فى القرن الثالث الهجري قامت جماعة أندلسية بمخاطرة جريئة للكشف عن سر المحيط الأطلسى الغامض وتبديد المخاوف التى بالغ القدماء فى تجسيمها .

ففى مدينة لشبونة (عاصمة البرتغال حاليا) اجتمع ثمانية رجال مغررين — أو هكذا أطلق عليهم — واتفقوا على خوض بحر الظلمات . (المحيط الاطلسى) ليعرفوا ما فيه والى أين انتهاؤه ، فأنشأوا مركبا وملؤوه من الزاد والماء مؤونة تكفيهم لأشهر . فركبوا البحر فى أول هبوب الريح الشرقية وبعد احد عشر يوما من ابحارهم وصلوا مكانا عنيف الموج كدر الروائح كثير الصعوبات قليل الضوء حتى أيقنوا بالموت ، فغيروا خط سيرهم الى الجنوب . وبعد اثنى عشر يوما وصلوا جزيرة الغنم فنزلوها ووجدوا فيها من الغنم ما لا يحصى ، وهى سارحة .. لا راعى لها ولا ناظر اليها ، كما وجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم وذبحوها ولكنهم وجدوا لحمها مرا فحملوا معهم من جلودها وعادوا الى مراكبهم . ثم ساروا فى اتجاه الجنوب اثنى عشر يوما حتى لاحت لهم جزيرة ذات عمران . فقصدوا اليها ليروا ما فيها . فما كان غير بعيد حتى احيط بهم فى زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا فى مراكبهم الى مدينة على ساحل الجزيرة ، فشاهدوا رجالا شقرا سبطة شعورهم ، طوال القامة ، ولنسائهم جمال عجيب فاعتقلوا ثلاثة أيام ..

وفى اليوم الرابع جاء ترجمان الملك وكان يعرف العربية فسألهم عن حالهم ولم جاءوا وما بلدهم .؟ فأخبروه خبرهم فوعدهم خيرا .. وفى اليوم التالى احضروا بين يدى الملك ، فأعادوا عليه قصتهم فضحك ، وقال للترجمان : خبرهم ان أبى أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر وانهم جروا فى عرضه شهرا الى ان انقطع عنهم الضوء فانصرفوا من غير جدوى .. ثم عاد الفتية من عند الملك بعد أن وعدهم بما يطيب خواطرهم ويحملهم على حسن الظن .. فصرفوا الى موضع حبسهم ، حتى بدأ جرى الريح الغربية فعمربهم زورق وعصبت أعينهم وجرى بهم فى البحر مدة ، قال القوم قدرناها ثلاثة أيام بلياليها ، حتى جيء بنا الى البر فأخرجنا وكتفنا الى خلف ، وتركنا بالساحل الى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس . ونحن فى ضنك وسوء حال من شدة الكتاف ، حتى سمعنا ضوضاء وأصواتا فصحنا بأجمعنا فأقبل القوم الينا وحلوا وثاقنا واخبرناهم خبرنا، فقال لنا احدهم : أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم .. ؟ فقلنا : لا .. قال : مسيرة شهرين ..

فقال زعيمنا : وا أسفى ، فسمى المكان الى اليوم (أسفى) وهو المرسى الذى فى أقصى الغرب .

ويؤخذ من كلام الادريسى أن هؤلاء الثمانية عادوا الى لشبونة وسردوا قصتهم على أهلها الذين لم يروا فيهم الا رجالا مغرورين وسموا الدرب الذى فيه دورهم بـ (درب المغرّرين) .

لم يذكر لنا الادريسى اتجاههم الأول ولذا جعله البعض الى الشمال

حتى اصبحوا بمحاذاة ايرلندة وجعله المرحوم شكيب أرسكلان(٦)ـ الذى له فضل اخراج هذه القصة الى النور قبل عشرات السنين ـ خطا مستقيما الى الغرب .فوصلوا بعد سفر يرجح انه استمر أكثر مما ذكر الادريسى ، قريبا لاحدى جزائر المحيط بين أمريكا الشمالية والجنوبية التى بين ١٠ و ٢٧ درجة من العرض الشمالى وبين ٦٢ ، ٨٧ درجة من الطول ..

وهذا أمر يمكن قبوله ـ رغم عدم استطاعة ترجيحه لحاجته الى أدلة اخرى ـ حيث أن استعدادهم كان يقصد به الاستمرار فى الرحلة فى الاتجاه الغربى للاندلس لأشهر عدة ، مع التصميم على المضى فى تحقيق الهدف رغم ادراكهم صعوبة المهمة . ولو ثبتأنهم ساروا طيلة مدةابحارهم فى اتجاههم الأول أو استمروا فيه ربما لأطلوا على أمريكا أو وصلوا قريبا منها ، والظاهر أنهم يئسوا من الوصول الى البر فى ذلك الاتجاه فتحولوا جنوبا حتى جزيرة الغنم ثم عادوا جنوبا الى الشرق ، فوصلوا احدى جزر الخالدات التى تعرف باسم جزر كنارى ثم وصلوا الى الغرب .

ولعله من الممكن التحقق من وصولهم موضع مدينة « أسفى » اذا حسبنا المسافة التى كان يسيرها مركبهم ومسافة ما بينها وبين لشبونة ومن أسف أن الادريسى لم يذكر لنا كيف عادوا من أفريقيا الى لشبونة .

وعلى كل حال فقد كان لهذه القصة التى لا أشك فى واقعيتها أثر كبير فى تشجيع البحارة البرتغاليين وغيرهم على القيام برحلات استكشافية . ونظرا لأهميتها قام بعض الأوربيين بوضع مثل هذه القصة فى القرن الحادى عشر الميلادى ونسبتها الى القسيس براندان الراهب الايرلندى الذى عاش فى القرن السادس الميلادى فقط (٧) .

والقصة بعد ذلك دليل على روح المغامرة المتأصلة فى نفوس الرحالة المسلمين وعدم مبالاتهم بالخطر حبا فى الكشف عن المجهول . ومن يدرى ؟ فلعل فى تراثنا الزاهر مثيلات لهذه البطولة فقدت الى الأبد فيما فقد من المخطوطات ، أو أنها ما تزال فى انتظار من يكشف عنها ويخرجها الى النور ، وكل رجائنا ألا يطول بنا الانتظار ..

---

(١) الزركلى الاعلام ، ١٩١/١ .
(٢) المعروف أن دى غاما التقى بابن ماجد فى ساحل شرق أفريقيا بعد أن مر براس الرجاء الصالح ونزل الى المحيط الهندى « الوعى »
(٣) مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى تحقيق أحمد زكى (القاهرة ، ١٩٢٤) ، ٣١/١ .
(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ، المدينة الاسلامية (القاهرة ١٩٦٣) ص ١٢٢ .
(٥) طبعة روما (١٥٩٢) ص ١٨٢ ـ ٤ .
(٦) الحلل السندسية (طبعة المغرب) ، ٩٢/١ ـ ٦ .
(٧) عبد الحميد العابدى ، صور وبحوث من التاريخ الاسلامى ص ١٤٩ وما بعدها .

الفتاوى

العـــدول عن الخطبـــة

خطبت فتاة من أبيها ، ثم ظهرت لى أسباب لا داعى لذكرها تحتم عـــلى فسخ هذه الخطبة ، فهل يجوز ذلك شرعا ، وما هى الواجبات التى تلزمنى اذا فعلت ذلك ؟

الاجابـــة :

الخطبة وعد بالزواج وليس عقدا ملزما ، واخلاف الوعد خلق ذميم وخاصة فى مثل هذه الحالة لما يلحق المخطوبة من اساءة السمعة ، واذا كانت هنـــاك أسباب دينية او خلقية تقتضى فسخ الخطوبة ، جاز ذلك ، وما قدمه الخاطب من المهر له الحق فى استرداده لأنه دفع فى مقابل الزواج وعوضا عنه ، وما دام الزواج لم يوجد فان المهر لا يستحق منه شىء ويجب رده الى صاحبه ، وأما الهدايا فحكمها حكم الهبة والصحيح ان الهبة لا يجوز الرجوع فيها اذا كانت تبرعـــا محضا ..

سؤر الهـــرة

أعيش فى البادية فى بيت من بيوت الشعر ، وعندما أردت الوضوء من ماء فى الاناء شاهدت الهرة تشرب من هذا الماء ، فهل يجوز الوضوء من هذا الماء . ؟

الاجابـــة :

سؤر الهرة طاهر فيصح الوضوء من هذا الماء لما ورد فى حديث كبشة بنت كعب ، وكانت زوجا لأبى قتادة ، فقد روى ان زوجها دخل عليها فسكبت له ، فجاءت هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء ــ اماله ــ حتى شربت منه . قالت كبشة فرآني انظر ، فقال : اتعجبين يا ابنة اخى ؟ فقالت : نعم فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « انها ليست بنجس ، انها من الطوافين عليكم والطوافات » رواه الخمسة .

فى الغســـــل

اغتسلت من الجنابة ، ولم اتوضأ قبل الاغتسال ولا بعده فهل يجوز لى الصلاة بهذا الغسل من غير وضوء ؟

الاجابــة :

يجوز لك أن تصلى بهذا الغسل من غير وضوء ، لأن هذا الاغتسال يرفع الحدث الأكبر والأصغر معا . قالت عائشة : « « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ بعد الغسل » وقال أبو بكر بن العربى لم يختلف العلماء أن الوضوء داخل الغسل ، وان نية طهارة الجنابة تأتى على طهارة الحدث وتقضى عليها لأن مواضع الجنابة أكثر مواضع الحدث فدخل الأقل فى نية الأكثر ، واجزأت نيــة الأكبر عنه ..

ضرر ..

السؤال :

هل ينجم عن العادة السرية أضرار صحية وما حكم الدين فيها .. ؟

الاجابة :

يقول الأطباء : ان العادة السرية تنجم عنها اضرار صحية وعقلية ، فهى تفقد الانسان حساسيته الجنسية ، وهذا يؤثر على الحياة الزوجية ، كما أن الافراط فيها يسبب التبلد الذهنى والنسيان ، فضلا عن أنها تسبب التهابا فى المسالك البولية ، وتؤدى الى ارتعاش أطراف ممتادها .

ويقول الامام أحمد : انها حرام ، واستدل على ذلك بقوله تعــــالى : « والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » .

أوراق المصـــحف ..

السؤال :

عندى مصحف قديم تمزقت أوراقه وأصبح غير صالح للقراءة .. فماذا أفعل فيه .. ؟

الاجابة :

قال العلماء : اذا بليت أوراق المصحف وصارت غير صالحة للانتفاع بها فى القراءة ، فلا يجوز وضعها فى شق فى جدار حائط لأن هذا يعرضـــــها للامتهان ولا يجوز تمزيقها لما يشـــعر به من الامتهـــان ، بل يجب حرقها حتى لا يبقى لها اثر ، وقد أحرق عثمان بن عفان المصاحف التى كان فيهــا آيات وقراءات منسوخة ، ولم ينكر عليه أحد ..

فى الميراث ..

السؤال :

توفى رجل لم يتزوج عن اب وام واخوين شقيقين .. فما نصيب كل واحد منهم من تركة المتوفى .. ؟

الاجابة :

السدس لأمه فرضا ، والباقى للأب تعصبيا ، والأخوان لا شىء لهما لأنهما محجوبان بالأب ..

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

الأرحام الصناعية

يحاول كبار الأطباء فى العالم عمل أرحام صناعية يربون فيها الأجنة فاذا نجحوا فى هذه المحاولة ، فكيف يمكن تأويل ما ورد فى القــرآن الكريم ، ومــا نعتقده ونؤمن به من أن اللهوحده هو الخالق .. ؟

محمد إمام عبد الرحمن
السودان

ليست تربية النطفة فى الأرحام خلقا حتى يشتبه عليك الأمر ، ونجاح هذه التجربة لا يزعزع العقيدة فى أن الله وحده هو الخالق ، فالخلق هو أثر القدرة الإلهية فى وضع سر الحياة فى ماء الرجل ، فبذرة الحياة هذه هى خصوصيــة الله الخالق التى لا يمكن لبشرأن يوجدها ويخلقها .

أما تربيتها فى رحم صناعية وفق مواصفات طبية معينة فهذا لا يعد خلقا قال الله تعالى ((**أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون**)) .

القــرآن والبعــد الزمنى

قرأت مقال (القرآن والبعد الزمنى) فى مجلة (الوعى الاسلامى) العدد(٩١) غــرة رجب ١٣٩٢ للدكتور عماد الدين خليل وقد أقنعنى عقليــا وأراحنى نفسيا .. فكثيرا ما قرأت مثــل هذه الآيات ، التى تدل على أن الزمن فى أمداء الكــون ليســا ســواء .

ومــا اثلج صدرى أن لدينــا علمــاء مسلمين يبحثون ويمحصــون ويعملون الفكر فى محاولة فهم آيات قرآننا العظيم فى ضوء العلوم الحديثة .. فجزاه الله خير الجزاء وأكثر الله من أمثاله .

وأود أن أستفسر عن عبـــارة وردت بالمقال ولم أستطع تفسيرها وهى :
أن الذى عنده علم من الكتاب اســـتطاع اختزال عملين : نقل العرش من ست ســـاعات (الوقت الذى كان سينقله فيه عفريت من الجن) الى سدس لحظة .
فكيف حدد الدكتور عماد الدين خليل عبارة : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك بســـت ســـاعات ؟

نرجو أن يوضح لنـــا الدكتور ذلك وله منـــا الف شكر .

على رضوان محمد ــ الاسكندرية

وقد احلنا هذه الرسالة للدكتور عماد الدين خليل فاجاب بما ياتى :

ان عبارة (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) الواردة على لســـــان عفريت من الجن بصدد نقـــل عرش بلقيس الى حاضرة سيدنا سليمان عليـــه السلام .. فهم منـــه أكثر من مفسر أن الوقت الذى طرحه العفريت يقـــارب الساعات الست ، أو يزيد ، استنادا الى لفظة (مقـــام) التى تعنى الجلوس الادارى اليـــومى المعروف لحل مشكلات الدولة والتخطيط لمتطلباتها .. وهو فى اغلب الظن لا يعـــدو أن يتراوح بين ست ساعات وثمان أســـوة بالدوام الرسمى للمسؤولين فى أى عصر من العصور . وقد ورد فى أحـــد التفاسير المحدثة أن ســـليمان كان يجلس للحكم والقضـــاء من الصبح إلى الظهر ، فيما يروى ، وأن العفريت عرض عليه أن يأتيه بالعـــرش قبل انقضاء جلسته هذه ، فاستطول ســـليمان هذه الفترة واستبطأها .

٤٧

وفى تفسير (ابن كثير عن ابن عباس رضى الله عنهما) : « أنا آتيك به قبل أن تقـــوم من مقامك) : يعنى قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد (مقعـــدك) . وقال السدى وغيره : كان يجلس للناس ، للقضاء وللحكومات من أول النهار الى أن تزول الشمس . ونحن لو اخذنا بالرواية الاخيرة لوجب القول بأن عرض العفريت يزيد كثيرا عن الساعات الست المعهودة فى المجالس الادارية .

هـــذا وقد أجمع عدد من المفسرين منهم (محمد بن أسحق وقتادة وأبو صالح والضحاك ومجاهد وزهير ابن محمد) عن أن الذى (عنده علم من الكتاب) كان مؤمنا من الانس يدعى (آصف) يقوم بمهمة الكتابة لسيدنا سليمان عليه الســـــلام .

فى ختـــام رسالتى هذه أتقدم بشكرى العميق على اهتمامكم ، راجيا أن يوفقنـــا الله جميعـــا لمـــا فيه الخير .

بأقلام القراء

لصالح من ؟

ظهر فى بعض الدول المسلمة اتجاه سلوكى سلكته بعض الفتيات اللائى سئمن من السلوك الغربى ، ولجأن الى حظيرة الاسلام وحمى القرآن وذلك بالتزام الزى الاسلامى الساتر الجميل .

وقد اغتبطنا كأفراد مسلمين وكأمة مسلمة بهذا المظهر الاسلامى الجميل ، ولكن مما يؤسف له أن احدى الصحف طلعت علينا بمقال يحمل على أصحاب هذا الزى الاسلامى .

لقد جاء فى المقال ان هذا الزى كأكفان الموتى ، وأن العبرة بالجوهر وليس بالمظهر .. أليست أناشيد الصباح وتحية العلم الا مظهرا للولاء .. أليست الراية التى يحملها الجيش وتقدمه الا مظهرا ضروريا لكل جيش .. أليس العلم الذى تتخذه كل دولة رمزا لها وهو قطعة من القماش من اللون الا تمييزا لهذه الدولة عن غيرها من الدول .. بل أليست القبلة التى أمرنا بالتوجه اليها فى الصلاة الا شرطا لصحتها ، ولا تصح الصلاة بدونها .. ان لكل حقيقة مظهرا يعبر عنها ويرمز اليها والزى الذى وضعه الاسلام للنساء وهو الزى السابغ الذى لا يصف ولا يشف هو مظهر مميز للمرأة المسلمة ، « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » .

يا فتياتنا المسلمات ، لا تكترثن بهذه المعارضة والمخاصمة ، فالمخاصمة للحقيقة كالمصادقة لها فى ضرورة بقائها واعلانها ، بل ربما كانت المخاصمة أحيانا أشد نفعا من المصادقة ، وهذه سنة الله فى اظهر الأشياء الى الوجود فحذار أن تزل قدمكن بعد ثبوتها ، وأن تميل بكن المعارضة والمخاصمة الى العدول عن ما ارتضاه الله لكن وأمركن به ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

يحيى اسماعيل حبلوش
كلية أصول الدين ـــ الأزهر

ابن العربى

جاء فى مقال أضواء على التصوف الاسلامى فى ماليزيا المنشور فى عدد شعبان سنة ١٣٩٢ من مجلة (الوعى الاسلامى) ان حمزة فنصورى أحد شيوخ الطرق الصوفية فى ماليزيا قديما كان متأثرا بابن العربى ، والصحيح هو ابن عربى ، والأول غير الثانى فابن العربى لقب لعالم جليل غير ما يقصده الكاتب وحتى لا يشتبه الأمر على القارىء أحببت أن أنبه الى هذا الأمر لازالة اللبس .

ابن عربى هو الشيخ محيى الدين محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الله ولد سنة ٥٦٠ هـ بمرسيه أما ابن العربى فهو العلامة محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن أحمد الملقب بالقاضى أبو بكر ابن العربى صاحب

التصانيف الكثيرة كأحكام القرآن والمواصم من القواصم وغيرها ولعل فى هذه اللمحة العاجلة ما يزيل الاشتباه بين الرجلين .

محمد بن جاسم المشهداني
جامعة بغداد

مشكلة الزواج فى ديار الغرب

لا شك فى أن تلك المشكلة كبيرة جدا ولها اثر كبير فى مجتمعنا العربى والاسلامى على حد سواء وأنها تكلفنا طاقات كبيرة ، وذلك أن الشباب العربى ما أن يذهب الى ديار الغرب من أجل الدراسة الا ويفاجأ بوضع اجتماعى وأخلاقى اقل ما يقال عنه انه يختلف اختلافا جذريا عن أوضاع بلاده ، فالشاب العربى ما زال محافظا على بعض التقاليد والعادات بطبيعة البيئة والتربية والدين ، وبذلك يقع فى حيرة واضطراب ، ولا يدرى ماذا يفعل ، فأمامه ثلاثة مسالك لا بد أن يسير فى أحدها :

أولا : أن ينحرف وينزلق فى متاهات الجاهلية فيضل الطريق وينفصل عن امته انفصالا شعوريا ولا يعود يتصل بها فى أى رباط وبذلك ينخلع من ربقة الأمة ولا يعود يفكر فى الرجوع الى بلاده ، وهنا تفقد بلادنا فى هذه الحالة شبابا فى مستوى ثقافى جيد .

ثانيا : أن يتزوج من فتاة تعترض له فى طريقه فتأخذ لبه ، وتسلب قلبه لما تقدم له من اغراء وجسد فيتزوج بها حين يقع فى حبالها وتحت الأمر .

ثالثا : يفكر أن يتزوج فتاة من بلده .

فان تزوج اجنبية كان لزاما عليه أن يعود بزوجته وبالتالى ينشىء الأولاد على نشأة الأم فهى المحضن وهى التى تربى الأطفال ، وبهذا ينشأ الاولاد وقد تاهوا ولم يعودوا يرتبطون ببلادهم وشعوبهم نتيجة تربية الأم التى لا ترتبط بالأمة بأى رباط بل انها كثيرا ما تنظر للأمة العربية على أنها امة متخلفة ، واما الصنف الثالث وهو القلة القليلة فهو الذى يحافظ على عقيدته وقيمه وعاداته وبالتالى ينجو من تلوثات الجاهلية ، هذا الشاب يحاول أن يخفف من ضغط الجاهلية بمحاولته الزواج بفتاة من بلده ودينه فيقف أمامه عوائق كبيرة ، من أهمها ارتفاع المهر فهذا يطلب (٥٠) ألفا وذلك (٣٠) وهو ما يزال طالبا يدرس ووالده يقدم له النفقات فكيف به يكلف أباه ما لا يطيق . ثم يقع كذلك أمام نفقات البيت فى ديار الغرب التى هى عقبة لا يمكن حلها ثم عدم وجود فتاة تضحى وتذهب معه . وبهذا فان أمتنا تفقد خيرة شبابنا ، فالى رواد الفكر والى آباء الفتيات والى الفتاة نفسها اتوجه بالدعوة ، فالى كل فتاة يتقدم لزواجها طالب مغترب أن لا ترفض لكونه مغتربا وأن تضحى .

والى كل أب أتوجه اليه أن ينقذ بلاده من تلك المشكلة بأن يقدم كل التسهيلات لمن يود أن يتزوج ولتكن هذه الحياة حياة تكافل وتراحم وليكن شعارهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اتاكم من ترضون دينه فزوجوه » . ولتكن أسوتكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم فهذا سعيد بن المسيب زوج ابنته من تلميذه بدراهم معدودة . والى رواد الفكر الاسلامى أن يعالجوا هذه المشكلة معالجة وافية ولتكن هذه الكلمات شرارة ثورة على تلك التقاليد البالية والله من وراء القصد وهو يتولى الصالحين .

محمد زاهد ـ اسبانيا

قالت صحف العالم

وقفة فى وجه الاستشراق

من الحق أن يقال : إن المستشرق إنما هو واحد من ثلاثة : متصل بالكنيسة ، أوبالاستعمار ، وفى كليهما لن يكون منصفا ، فإن كان غير ذلك فان هناك من عجزه عن فهم البلاغة العربية ما يعوقه كثيرا عن تقصى الحقائق والوصول اليها .

ونحن نعرف كيف أن بعض المستشرقين فسر الآية القرآنية : (وكل إنسان الزمناه طائره فى عنقه) بقوله : (إن كل إنسان يأتى يوم القيامة وفى رقبته حمامة) . وهناك عشرات من مثل هذه الأخطاء ، أوردها العقاد فى كتابه : (ما يقال عن الإسلام) .

والعقلية الغربية التى ينبثق عنها الاستشراق لا تقبل بأى حال ظاهرة الإنصاف للعرب والمسلمين والقرآن ومحمد والاسلام وصدق أحدهم حين قال :

(إن كراهية العرب والإسلام إنما يرتضعها الأوربى مع لبان أمه) .

إن هناك محاولة لتقسيم الاستشراق إلى مرحلتين : مرحلة عقدية ، ومرحلة أخرى جديدة يطلق عليها اسم مرحلة علمية . اما العقدية فهى تلك المرحلة التى هاجم فيها المستشرقون الإسلام بعنف وضراوة . وأما المرحلة الجديدة فتوصف بأنها تتسم بالعملية ، وهو وصف غير صحيح ، ولو انها وصفت بأنها (سياسية) لكان ذلك أصح وأصدق ، والمفكرون المسلمون يعرفون جميعا أنه فى العقدين الأخيرين قد تراجع الاستشراق عن أسلوبه القديم المباشر ، واستعمل اسلوبا أشد مكرا وأسوأ سبيلا ، وهو محاولة الدخول فى الموضوعات من باب التقدير والمدح حتى يخدع القارىء ويكسب ثقته ، ثم لا يلبث بعد ذلك أن يثير شبهات خفيفة ، متتالية فى إطار هذا التقدير العام الكاذب .

ولقد تنبه لهذا كثير من الباحثين المسلمين اليقظين ، واشاروا إلى خطورته وحذروا من الانخداع له .

وغالبا ما يكون هذا الأسلوب بعد دخول الاستشراق اليهودى الى ساحة الاستشراق .

ولا ريب أن الاستشراق فى المجال العقدى يعمل على هدم الإسلام والرسول والقرآن ، وفى المجال السياسى يعمل على هدم الأمة العربية واللغة العربية والحضارة والتاريخ .

عن مجلة رابطة العالم الاسلامى

هل إلى خروج من سبيل ؟

إن الإسلام اقوى عقيدة تقض مضاجع الاستعمار وتنغص عيشه ، وتطير النوم عن معاقد اجفانه . وتقوض دعائمه وتأتي بنيانه من القواعد . وتحقق للمسلمين اشواقهم في سماحه ويسر . وتلبي تطلعاتهم في إطار إسلامي صحيح في حدود العدالة والحق والإحسان .

وحدود الاسلام ليست قيودا مما يشل الحركة ، ويعوق النشاط ، ولا هي اغلال واصفاد مما يمنع النهوض ولا هي عصائب مما يحجب عن العيون النور ، ولا هي احجار مما يثقل على الحس ، ولا هي جهالات مما يمتنع على العقل والاقتناع به وتدبره .. وإنما هي حدود الطبيعة التي لا يمكن خرقها ، والتي لا يخرقها إلا من سفه نفسه .. وهي ايضا ليست شيئا الا تحرير الإنسانية من كل عبودية تفرض عليها إلا عبادة الله ، من كل تقليد أو نظام يراد به العبث بكرامة العقل او كرامة الروح .

وإن شباب الإسلام الواعين الصادقين ، الملهمين الملتزمين الذين يحفل بهم اليوم عالمنا الاسلامي ، المسترخصين أرواحهم وأبدانهم في سبيل نصرة الله ، وإعلاء كلمة الحق ، هم أصدق الناس وأقواهم واثبتهم وأشدهم تضحية وأكثرهم فداء في محاربة الاستعمار الكافر ، ومقارعة الصهيونية الحاقدة ، ومقاومة المذاهب الوافدة من وراء البحار وخلف السهوب ، والتي تهون عليها في سبيل محاربة الإسلام الأموال الطائلة التي تبذلها في إخراج الافلام السينمائية الخليعة ، والمسرحيات المريضة المشوهة لسمعة المسلمين ، الحاقدة على أخلاقهم ، وفضائلهم ، الداعية الى الانحلال بين جماهيرهم لتقتل فيهم روح الرجولة والنضال التي عرفها المسلمون الصادقون الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا .. فوضع الاسلام عنهم إصرهم .. والأغلال التي كانت عليهم .

والأمة الاسلامية تملك من حوافز التقدم والنهوض وبواعث الانطلاق والنشور ان هي تمسكت بكتاب الله وسنة رسوله وترسمت سنن من كان قبلها من رجال السلف الصالح ما يكفل لها حياة راضية ، ويؤهلها لأن تحتل مكان الريادة بين شعوب الأرض بما تحمله من عقيدة التوحيد ، وشريعة الكرامة ، وسلوك الطهر والنقاء .

فهل الى خروج من سبيل .؟

ان سبيل الخروج مما نحن فيه من تخلف وتأخر ، وتباعد وتناحر وتنابز وتدابر ، هو التوجه الى طريق الله ، والاعتماد على شريعته ، والاعراض عن كل المستوردات المذهبية الواغلة الوافدة .. حتى لا يبقى إلا سبيل الإسلام الذي يرفض شوائب النفعية والتسخير والاستغلال .. فمن رغب به خرج منتصرا على تخلفه وتبعيته وفاز فوزا عظيما ، ومن نأى بجانبه وأعرض عنه بقي كقدح الراكب الى الوراء ، مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، متلونا في حالاته وسلوكه وتصرفاته كما تتلون الحرباء !!

عن مجلة ((دعوة الحق)) المغربية

● قامت اسرائيل بتحويل الحرم الابراهيمى الى معبد لليهود رغم استنكار الأهالى والزعماء فى الضفة الغربية .

البحرين : احتفلت دولة البحرين بذكرى عيدها الوطنى وافتتاح أول مجلس تأسيسى فيها وشاركت الكويت فى هذه الاحتفالات رسميا وشعبيا .

قطر : أشادت قطر بحكمة تشاد لقطعها علاقاتها مع دولة العدوان الاسرائيلى .

العراق : قرر مجلس قيادة الثورة انشاء جامعة اسلامية فى بغداد تكون مهمتها العناية بالفكر الاسلامى وتنشئة أجيال جديدة على الاسلام ، والقيام باعباء الدعوة الاسلامية فى المستقبل .

سوريا نشرت الصحف السورية صور المساجد التى قصفها العدو الاسرائيلى فى عدوانه على سوريا فى الشهر الماضى بما يكشف تركيزه على دور العبادة ومحاولة تدميرها .

● جاء فى نشرة المؤتمر التى يصدرها مكتب جبهة التحرير الارتيرية بدمشق أن أوضاع اللاجئين الارتيريين على حدود السودان الشرقية أثارت قلق الشعب السودانى الذى يتعاطف مع نضال الشعب الارتيرى العادل .

ليبيا : اكد السيد منصور الكخيا وزير الخارجية فى حديث صحفى أن المعركة هى السبيل الوحيد لبقاء هذا المجتمع العربى ، ومهما كانت التضحيات .

● قدمت ليبيا منحة قدرها ٢١ مليون شلن لمسلمى أوغندا .

● بعث الرئيس القذافى برسالة الى الرئيس الامريكى يقول فيها ان الشعب الليبى لا يطلب أية مساعدة ، وكل ما يريده آن تتوقفوا عن الحاق الاساءة بالامة العربية .

● صرح مدير الادارة السياسية فى وزارة الخارجية الليبية بان اربعة ملايين مسلم معرضون للابادة فى الفلبين ، ودعا الى التضامن الاسلامى كى يحول بين هؤلاء والمذابح الجماعية وسيواصل جولة فى الكويت والعراق وماليزيا واندونيسيا وباكستان ودول افريقيا الاسلامية .

اليمن : صرح رئيس الجمهورية العربية اليمنية بأن الاتفاق على الوحدة مع اليمن الشعبية قد تم على أساس أن تكون الشريعة الاسلامية هى مصدر التشريع .

اتحاد الامارات : صادقت دولة الامارات العربية المتحدة على ميثاق المؤتمر الاسلامى ، وأعلنت عن استعدادها ورغبتها فى الالتزام بكافة بنوده .

أوغندا : افتتح الرئيس الاوغندى عيدى أمين فى الشهر الماضى البنك العربى الليبى — الأوغندى ضمن خطة تعاون بين ليبيا وأوغندا بعد طرد الاسرائيليين والآسيويين .

● قالت اذاعة كمبالا أن اكثر من ٤٥٠ شخصا أعلنوا اسلامهم فى الاحتفال الذى اقامه الجيش قرب الحدود مع تنزانيا .

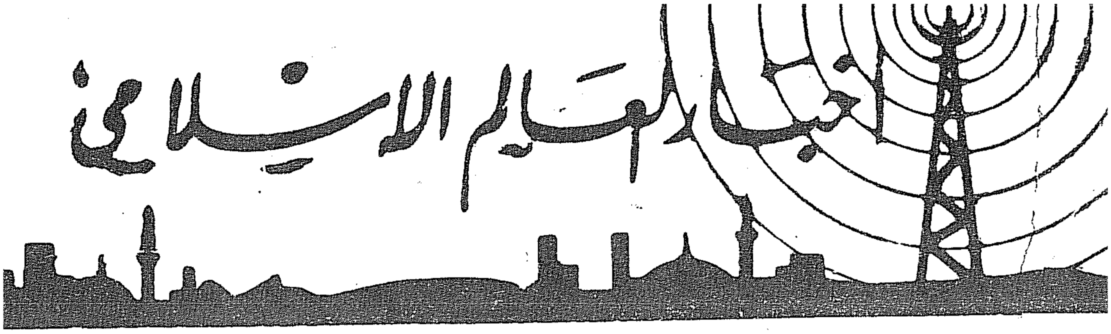
السنغال : عقد فى داكار فى الشهر الماضى مؤتمر اسلامى بحث موقف الاسلام من التحديات المعاصرة ، وقد حضر هذا المؤتمر ممثلون من اغلب الدول الاسلامية .

ماليزيا : جددت ماليزيا فى الشهر الماضى دعوتها لفضيلة شيخ الأزهر للاطلاع على أحوال المسلمين فى ماليزيا ، والعمل على تدعيم الروابط الاسلامية والثقافية بين مصر وماليزيا .

● صرح سفير السنغال فى مصر بان ٩٠٪ من سكان السنغال مسلمون ، وأن السنغال تبذل جهدها فى جميع المؤتمرات الاسلامية لتحقيق التضامن الاسلامى الفعال .

الفلبين : تواصل قوات البوليس اضطهادها للمسلمين فى الجنوب فى محاولات اخراج المسلمين من المناطق الجنوبية الخصبة .

أندونيسيا : ارسل المؤتمر الاسلامى العام فى عمان برقية الى الرئيس الاندونيسى تتضمن قلق المؤتمر من ازدياد النشاط التبشيرى فى أندونيسيا .



أعداد : الدكتور عبد المعطى بيومى

الكويت : وافق مجلس الوزراء على عقد مؤتمر وزراء الأوقاف فى الدول العربية فى شهر فبراير القادم وقد بدىء فى الاستعداد لهذا المؤتمر .

● عاد الى البلاد سعادة الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بعد حضوره ندوة الاتجاهات الاسلامية العصرية التى عقدت فى السنغال وزيارته لموريتانيا .

● أشاد وزير التعليم السودانى بالتعليم والبحث العلمى فى الكويت ، كما أشاد بالتعاون الثقافى والعلمى بين الكويت والسودان .

● زار البلاد فى الشهر الماضى السيد وزير الأوقاف والحج الباكستانى ، وقد بحث مع المسئولين وسائل تدعيم التعاون الاسلامى بين الكويت وباكستان .

● بعثت جمعية الهلال الأحمر الكويتى كميات من الأغذية والمواد الطبية الى جمهورية اليمن الديمقراطية للمساعدة فى تخفيف نكبة المتضررين نتيجة للسيول التى حصلت هناك .

مصر : تجرى دراسة انشاء بنك اسلامى ، وستقدم الدراسة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المقرر عقده فى كابل فى مايو القادم .

● افتتح هذا العام معهدا لدراسات السنة النبوية ملحق بكلية أصول الدين وسيمنح الطالب ٣ جنيهات مكافأة شهرية .

● بلغ عدد الحجاج المصريين هذا العام عشرين الف حاج .

● صرح السيد حسن التهامى مستشار الرئيس ان جمهورية مصر العربية ستساهم فى كل مؤتمرات الأمانة العامة الاسلامية القادمة .

● كشف تقرير أعدته لجنة من مجلس الشعب أسرار الأزمة الطائفية فى مصر ، واتضح منه أن أيد خبيثة من الخارج هى التى تحرك الفتنة بين المسلمين والنصارى مستغلة بعض ضعاف النفوس .

● قام وفد من جامعة الأزهر برئاسة الدكتور بدوى عبد اللطيف مدير الجامعة بزيارة الى ايران بهدف تدعيم التبادل الثقافى بين جامعة الأزهر وجامعات ايران .

السعودية : عاد جلالة الملك فيصل من جولة فى الدول الافريقية بعد أن بحث مع المسئولين فيها خطط التنسيق بين المملكة وهذه الدول .

● اتفق على خطتين للدعوة الاسلامية بين مصر والسعودية أولاها آجلة تتضمن تأليف هيئة شعبية للدعوة الاسلامية ، وتتضمن التالية انشاء مؤسسة علمية اسلامية ذات فروع فى البلدان الاسلامية — وتدعيم المراكز الاسلامية والتعاون مع وكالة الأنباء الاسلامية فى السعودية لتحرير الخبر الاسلامى من مؤامرات الوكالات الاجنبية .

● اختتمت فى مكة فى الشهر الماضى ندوة الجامعات الاسلامية حيث بحثت علاقة الاسلام بالمذاهب والتيارات المعاصرة .

الأردن : أبدت السلطات الاردنية قلقها البالغ من مواصلة سلطات الاحتلال الاسرائيلى انتهاكات الأماكن الاسلامية المقدسة فى الضفة الغربية لنهر الأردن .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ذو الحجة ١٣٩٢ هـ	يناير ١٩٧٣ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الجمعة	١	٥	١٠ ٥	٤٣ ٦	٥٣ ١١	٤٤ ٢	٣ ٥	٢٤ ٦	٨ ١٢	٤١ ١	٥١ ٦	٤٢ ٩	٢٣ ١
السبت	٢	٦	١٠	٤٣	٥٣	٤٤	٢	٢٥	٨	٤١	٥١	٤٢	٢٣
الاحد	٣	٧	١٠	٤٣	٥٣	٤٥	٣	٢٦	٧	٤٠	٥٠	٤١	٢٣
الاثنين	٤	٨	١٠	٤٣	٥٤	٤٥	٤	٢٧	٦	٣٩	٥٠	٤١	٢٣
الثلاثاء	٥	٩	١١	٤٣	٥٤	٤٦	٥	٢٨	٦	٣٨	٤٩	٤١	٢٣
الاربعاء	٦	١٠	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٨	٥	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الخميس	٧	١١	١١	٤٣	٥٥	٤٧	٦	٢٩	٤	٣٧	٤٩	٤١	٢٣
الجمعة	٨	١٢	١١	٤٣	٥٥	٤٨	٧	٢٩	٣	٣٦	٤٨	٤١	٢٢
السبت	٩	١٣	١١	٤٣	٥٦	٤٩	٨	٣٠	٣	٣٥	٤٨	٤١	٢٢
الاحد	١٠	١٤	١١	٤٣	٥٦	٥٠	٩	٣١	٢	٣٤	٤٧	٤١	٢٢
الاثنين	١١	١٥	١١	٤٣	٥٧	٥١	١٠	٣٢	١	٣٣	٤٧	٤١	٢٢
الثلاثاء	١٢	١٦	١١	٤٣	٥٧	٥٢	١١	٣٣	٠٠	٣٢	٤٦	٤١	٢٢
الاربعاء	١٣	١٧	١١	٤٣	٥٧	٥٣	١٢	٣٤	٥٩ ١١	٣١	٤٦	٤١	٢٢
الخميس	١٤	١٨	١٠	٤٢	٥٨	٥٣	١٢	٣٤	٥٨	٣٠	٤٥	٤١	٢٢
الجمعة	١٥	١٩	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٣	٣٥	٥٧	٢٩	٤٥	٤١	٢٢
السبت	١٦	٢٠	١٠	٤٢	٥٨	٥٤	١٤	٣٦	٥٦	٢٨	٤٤	٤٠	٢٢
الاحد	١٧	٢١	١٠	٤٢	٥٩	٥٥	١٥	٣٧	٥٥	٢٧	٤٤	٤٠	٢٢
الاثنين	١٨	٢٢	١٠	٤٢	٥٩	٥٦	١٦	٣٧	٥٤	٢٦	٤٣	٤٠	٢١
الثلاثاء	١٩	٢٣	١٠	٤١	٥٩	٥٧	١٧	٣٨	٥٣	٢٤	٤٢	٤٠	٢١
الاربعاء	٢٠	٢٤	٩	٤١	٠٠ ١٢	٥٨	١٨	٣٩	٥٢	٢٣	٤٢	٤٠	٢١
الخميس	٢١	٢٥	٩	٤١	٠٠	٥٨	١٨	٣٩	٥١	٢٢	٤١	٤٠	٢١
الجمعة	٢٢	٢٦	٩	٤٠	٠٠	٥٩	١٩	٤٠	٥٠	٢١	٤١	٤٠	٢١
السبت	٢٣	٢٧	٩	٤٠	٠٠	٠٠ ٣	٢٠	٤١	٤٨	١٩	٤٠	٤٠	٢١
الاحد	٢٤	٢٨	٨	٣٩	٠٠	٠٠	٢١	٤٢	٤٧	١٨	٣٩	٣٩	٢١
الاثنين	٢٥	٢٩	٨	٣٩	١	١	٢٢	٤٣	٤٦	١٧	٣٩	٣٩	٢١
الثلاثاء	٢٦	٣٠	٨	٣٨	١	٢	٢٣	٤٣	٤٥	١٥	٣٨	٣٩	٢٠
الاربعاء	٢٧	٣١	٧	٣٨	١	٣	٢٤	٤٤	٤٤	١٤	٣٧	٣٩	٢٠
الخميس	٢٨	فبراير	٧	٣٧	١	٣	٢٤	٤٤	٤٣	١٣	٣٧	٣٩	٢٠
الجمعة	٢٩	٢	٧	٣٧	١	٤	٢٥	٤٥	٤٢	١٢	٣٦	٣٩	٢٠
السبت	٣٠	٣	٦	٣٦	١	٥	٢٦	٤٦	٤٠	١٠	٣٥	٣٩	٢٠

فهرس عالم المجلة

في عامها الثامن

١٣٩٢ هـ ١٩٧٣/٧٢ م

يشتمل على الموضوعات والأعلام

كلمات وأحاديث

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الأوضاع العربية ومسئولية الحكام	حديث مع سمو ولي العهد	٤/٩٥
الدعوة الى العمل القيادي	سمو نائب الأمير المعظم	٤/٩٤
ذكرى المولد النبوي الشريف	معالي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية	٤/٨٨
في الخطاب الأميري	التحريـــــر	٦/٩٤
المسلمون في العالم	معالي وزير الأوقاف والشئون الاسلامية	٨/٩٤
من وحي الاسراء والمعراج	» » »	٤/٩١
الهجرة بداية التطبيق لنظام الاسلام	» » »	٤/٨٦

حديث الشهر

للشيخ رضوان رجب البيلي

الموضـــوع	العدد/الصفحة
احاديث يجب تصحيح فهمها	٤/٨٧
آمنوا واعملوا	٤/٩٦
إن الله معنا	٤/٨٥
الحسم والحسام	٤/٩٢
ما أشبه الليلة بالبارحة	٤/٩٠
مشكلة الفـــراغ	٤/٨٩

من هدى السنة

الدكتور / على عبد المنعم عبد الحميد

أدب

دراسات قرآنية

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
اعجاز القرآن الكريم	الشيخ محمد حسين الذهبي	١٦/٩٤
التكرار القصصي في القرآن	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	٢٧/٩٦
تفسير القرآن بالقرآن	الدكتور عبد العال سالم مكرم	٨/٩٠
الخطر الذي يهدد المصحف	اعداد : الاستاذ محمد مهدي	٣٦/٨٦
سورة الاسراء ونهاية اسرائيل	الشيخ عبد المعز عبد الستار	٥٨/٩١
في رحاب القرآن (٢)	الاستاذ عبد العزيز العلى المطوع	٨/٨٥
في رحاب القرآن الكريم (٣)	» » »	٨/٨٦
القرآن والبعد الزمني	الدكتور عماد الدين خليل	٢٧/٩١
القرآن والعلم (١)	الشيخ محمد حسين الذهبي	٨/٨٨
القرآن والعلم (٢)	» » »	١٢/٨٩
القرآن والعلم (٣)	» » »	٢٢/٩٠
القصة ومفهومها في القرآن	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	٥١/٨٩
لغة القرآن الكريم	اللواء محمود شيت خطاب	١٤/٨٨
مصادر القصص القرآني	الاستاذ عبد الكريم الخطيب	٢٨/٨٦
مفهومات قرآنية	الاستاذ أحمد محمد جمال	١٩/٩٦
وذكرهم بأيام الله	الاستاذ محمد صبيح	٦٧/٩٠

طب وعلوم

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
أمراض الحويصلة المرارية	الدكتور محمد محمد ابو شوك	٩١/٨٦
بنــك الـــدم	التحريـــر	٩٢/٨٩
التربية الجنسية للطفل	الدكتور وجيه زين العابدين	٦٢/٩٥
دور جامعة الازهر في الطب	التحريـــر	٤٣/٩٢
طبيبات مسلمات	الاستاذ مصطفى الشهابي	٨٣/٩٠
القرآن وعلم الفلك	الدكتور محمد جمال الدين الفندي	٢٥/٩٢
القرآن وعلم الفلك	» » »	١٤/٩٥
القلب	الدكتور محمد محمد أبو شوك	٨٩/٨٧
المؤتمر العالمي لزرع الأعضاء	الدكتور محمد حسن محمود تسعيد	٦٧/٨٩
نظافـــة الحج	الدكتور محمد محمد ابو شوك	٩٥/٩٦

عقيدة

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
أصول منهج الفكر الاسلامي (١)	الدكتور محمد عبد الستار نصار	٨٢/٩٤
انت أنت اللــه	التحريــــر	٦٣/٨٧
الايمان عقيدة وعمل (٣)	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٦/٨٥
الايمان عقيدة وعمل (٤)	» » »	١٥/٨٦
بين الفلاسفة والغزالي	الدكتور محمد عاطف العراقي	٨٠/٩٣
التصوف في ماليزيا	الدكتور جمال الدين محمد حماد	٦٤/٩٣
رضينا بالاسلام دينا	الدكتور أحمد الشرباصي	٣٦/٨٩
طريق الايمان	الأستاذ أمين شسنار	١٦/٩٢
العقيدة الناشطة	الأستاذ رمضان لاوند	٤٤/٨٥
فكرة الخير والشر (١)	الدكتور محمود محمد قاسم	٨/٩٢
فكرة الخير والشر (٢)	» » »	٦٧/٩٥
قضية الفكر الاسلامي	الأستاذ محمد أحمد العزب	٢٤/٦٩
نصيحة ذهبية	الأستاذ محمود مهدى استانبولى	٧٦/٩٤
يسألون عن الروح	الدكتور على عبد المنعم عبد الحميد	٦٧/٩٦

كتاب الشهر

الكتاب	المؤلف	الناقد	العدد/الصفحة
جمع الجوامع	الامام السيوطى	الأستاذ حسن عيسى عبد الظاهر	٨٧/٩٠
المعجزة الكبرى القرآن	الشيخ محمد أبو زهرة	الأستاذ محمد عبد الله السمان	٩٠/٨٨
المناسك وطرق الحج	للامام أبى اسحق الحربى	الأستاذ عبد العزيز جـادو	٩٤/٩٥
والموعــد الله	الأستاذ خالد محمد خالد	الأستاذ محمد عبد الله السمان	٧١/٩٤

فقه وتشريع واقتصاد

تاريخ وحضارة

مناسبات اسلامية

الموضـــوع	الكـــاتب	العدد/الصفحة
الارتباط الروحي بالقدس	الدكتور وهبه الزحيلي	٦٩/٩١
الأسوة الحسنة	الأستاذ محمد المجذوب	٥٥/٨٧
الله أعلم حيث يجعل رسالته	الدكتور وهبه الزحيلي	٤٢/٨٧
تعليق على مقال مولد محمد	الأستاذ أحمد محمد زيتجار	٣٥/٩٥
ثلاثة مساجد وثلاث دلالات	الدكتور محمد البهى	٨/٩١
الحج فضله وفوائده	الاستاذ عبد المحسن الحمد العباد	٩٠/٩٥
خاتم النبيين	الأستاذ أحمد حسن الباقورى	٨/٨٧
خطوات النبى فى الجو العطر	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٢٠/٩١
دروس من الهجرة	الأستاذ مناع قطان	٣١/٨٥
ذكريات فى الحج	الأستاذ أحمد مظهر العظمة	٦٢/٥٦
رحلة طهر وعبادة	الدكتور محمد سلام مدكور	٤٨/٩٦
رد على تعليـــق	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٣٧/٩٥
الرسول الأمى	الدكتور محمد البهى	١٤/٨٧
رمضان بين الماضى والحاضر	الشيخ محمد الغزالى	١٤/٩٣
رمضان منطلق لكل معانى القرآن	الدكتور وهبه الزحيلي	٢٢/٩٣
رمضان والقرآن وليلة القدر	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٨٨/٩٣
على هامش الاسراء	الشيخ محمد الغزالى	١٤/٩١
لماذا اختصت القدس بالاسراء	الشيخ عبد الحميد السائح	٥٢/٩١
ليلة العمر فى عرفات	الأستاذ أحمد العنانى	٥٥/٩٦
ما وجدت لتبقى	الشيخ نديم الجسر	١٩/٨٩
محطم الاقفـــال	الشيخ أبو الحسن الندوى	١٠١/٨٧
المعراج رحلة الى السماء	الأستاذ عبد الله كنون	٥/٩١
ملاحظات فى الميــلاد	الدكتور عماد الدين خليل	٤٣/٨٨
مولد آخر رسول ورسالة	الدكتور محمد سلام مدكور	٣٢/٨٧
مولد محمد انسان الانسانية	الأستاذ عبد الكريم الخطيب	٧٨/٨٧
مولد نبى الرحمة	الشيخ عبد الحميد السائح	٩٤/٨٧
يوم الغـــــار	التحريـــــــر	٢٠/٨٥

تربية واجتماع

الفتاوى

تابع الفتاوى

تحقيقات وموضوعات عامة

مكتبة المجلة

اعداد : الاستاذ عبد الستار محمد فيض

اسم الكتاب	المؤلف	العدد/الصفحة
استراتيجية العالم الاسلامي	محاضرات لمجموعة من الكتاب	١٠٤/٩٢
دراسات في مذهب فلاسفة الشرق	الدكتور محمد عاطف العراقي	٩٨/٩٤
الدين الحق في الرد على بيان الحق	الاستاذ توفيق على وهبه	٩٩/٩٤
الرسول والرسالة	« « «	٤١/٨٧
سالوني	الشيخ عبد الله النوري	١٠٢/٩٢
سلاسل المناظرة الاسلامية المسيحية	الاستاذ عبد الله العلمي	١٠٢/٩٢
شعر الدعوة في عهد النبوة والخلفاء	الاستاذ عبد الله حامد الحامد	١٠٤/٩٣
شفاء السقام في زيارة خير الانسام	للامام على عبد الكافي تقي الدين	١٠٤/٩٣
العوامل التي تنخر في الكيان الاسلامي	آراء لمجموعة من الكتاب	١٠٣/٩٣
الفهرس الهجائي لكتاب المغني	الشيخ محمد سليمان الاشقر	٣٥/٨٦
قبسات من السنة	الشيخ احمد البسيوني	١٠٣/٩٣
المجموعة العلمية السعودية	الشيخ عبد الله محمد حميد	٣٥/٨٦
محاضرات في الثقافة الاسلامية	الاستاذ احمد محمد جمال	٣٥/٨٦
مذهب ابن عباس في الربا	الشيخ زيدان ابو المكارم	٩٩/٩٤
مع الايام (ديوان شعر)	الاستاذ محمد عبد الرحمن عبدالحافظ	٩٩/٩٤
من حياة الرسول	الاستاذ سعد صادق محمد	٤١/٨٧
موسوعة التاريخ الاسلامي	الدكتور احمد شلبي	٩٨/٩٤
مؤتمر تفسير سورة يوسف	الاستاذ عبد الله العلمي	١٠٢/٩٢
نظرية الاسلام الاقتصادية	الاستاذ عبد السميع المصري	٩٩/٩٤

مائدة القارئ

العدد/الصفحة	العدد/الصفحة	العدد/الصفحة
١٠٠/٨٥	٥٨/٨٩	٨٦/٩٣
٨٤/٨٦	٧٦/٩٠	١٠٠/٩٤
٧٦/٨٧	٥٦/٩١	٤٢/٩٥
٥٤/٨٨	٨٨/٩٢	٥٨/٩٦

بريد الوعي

اعداد : الأستاذ عبد الحميد رياض

قالت صحف العالم

الموضـــوع	المجلة/الصحيفة	العدد/الصفحة
الاجتهــــاد	مجلة الثقافة الجزائرية	١١٠/٩٠
ارادة القتال لا ارادة التعايش	مجلــة فلسطين	١١٠/٨٩
الأسرة والشريعة الاسلامية	مجلة الاصالة الجزائرية	١٢٧/٨٥
الاصلاح باحسان	مجلة دعوة الحق المغربية	١١٢/٩٣
الامة العربية بين خيارين	مجلة فلسطين	١١٠/٩٥
ان الدين عند الله الاسلام	مجلة الجامعة الاسلامية	١١٠/٩٤
البهائيــة	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١١/٩٢
تنظيم الاسرة الاسلامية	مجلة دعوة الحق المغربية	١٢٧/٨٥
الدعوة الى الاسلام	» » »	١١٠/٩٢
الدولة الاسلامية	صحيفة الاهرام القاهرية	١١٠/٨٨
شعب فى فراغ	مجلة البعث الهندية	١١١/٩٠
صمت المسلمين	مجلة المسلم المصرية	١١١/٨٧
ظواهر مرض عضال	مجلة المجتمع الكويتية	١١١/٨٧
العظمة المحمديـــة	مجلة جوهر الاسلام التونسية	١١٠/٩١
قوانين اسلامية جديدة	مجلة العربى الكويتية	١١١/٨٨
ماذا فى أمريكا	مجلة مسيحية	١١٢/٨٧
مراجعة الحساب	مجلة البعث الهندية	١١٠/٩٥
المؤتمر الاسلامى	صحيفة الرأى العام الكويتية	١٠٩/٨٦
موقفنا من صراع العصر	مجلة الهدى الاسلامية الليبية	١١١/٩٣
النفس اللوامـــه	مجلة دعوة الحق المغربية	١١٠/٩١
وقفة فى وجه الاستشراق	مجلة رابطة العالم الاسلامى	١٠٨/٩٦
الوجوديـــة	مجلة التربية الاسلامية	١١١/٩٤
هل الى خروج من سبيل	مجلة دعوة الحق المغربية	١٠٩/٩٦

الأعلام

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن تيمية (١)	الشيخ محمد الصادق عرجون	٦٤/٨٨
ابن تيمية (٢)	« « «	٨٣/٨٩
الامام مالك	الأستاذ أحمد محمد السفاريني	٦٣/٩٣
الأئمة الأربعة	التحرير	١٠٢/٨٥
الحسن البصري	الشيخ محمد الصادق عرجون	٧٢/٩٢
فقهاء ايران قبل الطوسي	الدكتور محمد حميد الله	٣٦/٩٠
محمد بن أمية	الأستاذ فاضل خلف	٨٦/٩٦
نساء ومواقف	الأستاذ محمد محمد الشرقاوي	٥٢/٨٦

بأقلام القراء

الموضوع	الكاتب	العدد/الصفحة
ابن العربي	الأستاذ محمد جاسم المشهداني	١١٠/٩٦
الاسلام بين أنصاره وأعدائه	الدكتور عبد الله عبد القادر	١٠٨/٩٠
بلاغ	الأستاذ محمد سيد أحمد المسير	١٠٨/٨٨
جواري القرن العشرين	« « «	١٠٩/٨٩
ذخيرة	الأستاذ عبد الرحمن أحمد شادي	١٠٨/٨٩
ذكرى الهجرة الخالدة	الأستاذ خير الله التركستاني	١٢٥/٨٥
رسالة الدين	الأستاذ علي سعيد علي	١٠٩/٩١
رسالة من كندا	الأستاذ أحمد صبري برغش	١٠٨/٩٢
سلامة العقيدة	الأستاذ سعد الدين الجيزاوي	١٠٨/٩١
الشباب	الأستاذ محمد سيد أحمد المسير	١٢٦/٨٥
شبهة تقديمية	الأستاذ محمد سعيد عدي	١٠٧/٩٥
الشدائد تكون الأمم وتصنع الرجال	الأستاذ كنعان ابراهيم الجميلي	١٠٩/٩٤
العقبة من أموال المصارف	سائل	١٠٨/٨٨
العلم والتعلم	الشيخ عبد الله عبد الرحمن السند	١٠٧/٨٦
في التربية	الأستاذ عبد الرحمن احمد شادي	١٠٩/٩٣
الكفاءة	الأستاذ محمد سيد أحمد المسير	١٠٧/٩٤
لصالح من !	الأستاذ يحيى اسماعيل حبلوش	١١٠/٩٦
ليلة القدر (قصيدة)	الأستاذ أمجد عبد الحميد البكري	١١٠/٩٣
المادية الملحدة	تاج السر محمد حمزة	١١٠/٨٧
مشكلة الزواج في الغرب	الأستاذ محمد زاهد	١١١/٩٦
نصيحة	الأستاذ عبد الرحمن احمد شادي	١٠٩/٨٧
وقفة مع العلم والايمان	الأستاذ محمد سيد أحمد المسير	١٠٩/٩٢

الكتاب

الاسم	الموضوع	العدد/الصفحة
ابراهيم محمد الفحام	معاملة المسجونين فى الاسلام	٥٦/٩٤
ابو الاعلى المودودى	حول نكاح نساء أهل الكتاب	١٩/٨٦
ابو الحسن الندوى	محطم الأقفال	١٠١/٨٧
احمد ابراهيم الشريف	الفتوح الاسلامية (١)	٤٩/٨٥
» »	الفتوح الاسلامية (٢)	٤٤/٩٤
أحمد جلباية	مسجد عبد الله البحر	٨٣/٨٥
احمد الحجى الكردى	ميراث ووصية واجبة	١٠٥/٨٧
احمد حسن الباقورى	خاتم النبيين	٨/٨٧
احمد الشرباصى	رضينا بالاسلام دينا	٣٦/٨٩
» »	حول تمحيص التاريخ	٢٨/٩٣
أحمد صبرى برغش	رسالة من كندا	١٠٨/٩٢
احمد على المجذوب	الدفاع بين الشريعة والقوانين	٧١/٩٦
احمد العنانى	ابنة الفقيه (قصة)	٩٦/٨٨
» »	متى اللقاء يا قدس	٧٦/٩١
» »	ليلة العمر فى عرفات	٥٥/٩٦
احمد محمد جمال	الأسرة كما يريدها التشريع الاسلامى	٨٦/٨٥
» »	عسكرية الاسلام جهاد وذياد	٣٢/٩١
» »	مفهومات قرآنية	١٩/٩٦
احمد محمد زيتحار	تعليق على مولد محمد	٣٥/٩٥
احمد محمد مصطفى السفارينى	المحتسب	٣٠/٨٩
» » »	الامام مالك	٦٣/٩٣
» » »	حجة الوداع (قصيدة)	٦٠/٩٦
احمد مظهر العظمة	ذكريات فى الحج	٦٢/٩٦
امجد عبد الحميد البكرى	ليلة القدر (قصيدة)	١١٠/٩٣
أمين شنار	طريق الايمان	١٦/٩٢
أنور السيد يعقوب الرفاعى	حقوق الانسان فى الاسلام	٨٠/٨٦
أنور العطار	ملمتقى الحياة (قصيدة)	٤٤/٩٠
أنور محمود وصفى عبد الوهاب	اتقوا الله	١٠٨/٨٧
تاج السر محمد حمزة	المادية الملحدة	١١٠/٨٧
توفيق على وهبه	جريمة القذف فى الشريعة الاسلامية	٣٩/٨٨
» »	الأفلام الفاضحة	١٠٤/٨٩
تيسير امارة الدعبول	العربية لغة العلوم	٤٢/٨٦
راشد عبد الله الفرحان	الهجرة بداية التطبيق العملى	٤/٨٦
» » »	ذكرى المولد النبوى الشريف	٤/٨٨

تابع الكتـــاب

الاســم	الموضــوع	العدد/الصفحة
راشد عبد الله الفرحان	من وحى الاسراء والمعراج	٤/٩١
» » »	المسلمون فى العالم	٨/٩٤
رضوان رجب البيلى	حديث الشهر	جميع الاعداد
رمضان لاونـد	العقيدة الناشطة	٤٤/٨٥
جمال الدين محمد حماد	التصوف فى ماليزيا	٨٠/٩٢
حسن عيسى عبد الظاهر	جمع الجوامع للسيوطى (كتاب الشهر)	٨٧/٩٠
حسين الطوخى	المجلس الكبير (قصـة)	٩٤/٨٩
خير الله التركستانى	ذكرى الهجرة الخالدة	١٢٥/٨٥
سعد الدين الجيزاوى	سلامة العقيدة	١٠٨/٩١
سـعد زايـد	المدينة الفاضلة	٧٨/٩٠
سعد المرصفى	الأسرة الانسانية	٨٣/٩٥
صلاح عـزام	مؤتمر علماء المسلمين السابع	٩١/٩٤
طـه الولـى	محمد عليه السلام عند المستشرقين	٧١/٨٧
عبد الحميد السائح	مولد نبى الرحمـة	٩٤/٨٧
» »	لماذا اختصت القدس بالاسراء	٥٢/٩١
» »	الشخصية الاسلامية	١٨/٩٣
عبد الحـى مختار	مسجد فهد السالم	٦٧/٨٦
عبد الرحمن أحمد شادى	نصيحـة	١٠٩/٨٧
» »	ذخيـرة	١٠٨/٨٩
عبد الرحمن احمد شادى	فى التربيـة	١٠٩/٩٣
عبد الرحمن تـاج	شركات التأمين	٣٦/٩٤
عبد الرحمن على الحجى	فتية لشبونة المغررون	١٠٠/٩٦
عبد الرؤوف محمد سالم	القراءات المتواترة	١٠٣/٨٩
عبد العال سالم مكرم	تفسير القرآن بالقرآن	٨/٩٠
عبد العزيز عبد الله بن باز	المعقـر	١٠٣/٨٨
» » »	تقبيل القادم من السفر	١٠٣/٨٨
» » »	القبـلة	١٠٣/٨٨
» » »	أفضل الجهاد والمجاهدين	٧٨/٩٣
عبد العزيز جادو	المناسك وطرق الحج (كتاب الشهر)	٩٤/٩٥
عبد العزيز العلى المطوع	فى رحاب القرآن (٢)	٨/٨٥
» » »	فـى رحاب القرآن (٣)	٨/٨٦
عبد الكريم الخطيب	مصادر القصص القرآنى	٢٨/٨٦
» »	مولد محمد انسان الانسانية	٧٨/٨٧
» »	القصة ومفهومها فى القرآن	٥١/٨٩
» »	خطوات النبى فى الجو العطر	٢٠/٩١
» »	رمضان والقرآن وليلة القدر	٨٨/٩٣
» »	رد على تعليق	٣٧/٩٥

تابع الكتّــاب

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
عبد الكريم الخطيب	التكرار القصصى فى القرآن	٣٧/٩٦
عبد الله عبد الرحمن السند	العلم والتعلم	١٠٧/٨٦
عبد الله عبد القادر	الاسلام بين أنصاره وأعدائه	١٠٨/٩٠
عبد الله كنـــون	المعراج رحلة الى السماء	٥/٩١
عبد الله محمود شحاته	السنة ومنزلتها من القرآن	٤٤/٩٢
عبد المجيد دانى	التوريق	٦٠/٩٤
عبد المحسن الحمد العباد	الحج نفسله وفوائده	٩٠/٩٥
عبد المعز عبد الستار	الأسرة قاعدة الحياة الانسانية	٧٢/٨٦
» »	سورة الاسراء (ونهاية اسرائيل)	٥٨/٩١
عزت محمد ابراهيم	مكة والمدينة فى رحلة ابن بطوطة	٩٠/٩٦
عثمان خليل عثمان	الأسرة	٧٠/٨٥
عصام عناية	اتحاد الطلاب المسلمين فى لبيج	١٠٥/٨٩
على عبد المنعم عبد الحميد	من هدى السنة	جميع الاعـــداد
» »	يسألون عن الروح	٦٧/٩٦
على الخفيــف	حق الطلاق	٥٧/٨٥
على سعيد على	رسالة الدين	١٠٩/٩١
على محمد حسن	الأشهر الحرم فى كتاب الله	٧٨/٩٦
عماد الدين خليل	أمتر من تاريخنا	١٠٤/٨٥
» »	ملاحظات فى الميلاد	٤٣/٨٨
» »	القرآن والبعد الزمنى	٣٧/٩١
» »	ملاحظة في التقليد الحضاري	٧٧/٩٥
» »	تعقيب	١٠٦/٩٦
العوضى الوكيل	ابتهالات (قصيدة)	٢٦/٩٣
فاروق محمود مساهل	الزى الاسلامى للمرأة ومزاياه	٩٠/٩٢
فاضل خلف	الشدائد تكون الأمم وتصنع الرجال	٨٦/٩٦
كتمان ابراهيم الجميلى	محمد بن أمية	١٠٩/٩٤
لطفى ملحس	اللغة العربية والدين الاسلامى	٥٢/٩٤
محمد ابراهيم الجيوشى	رسالة من لندن	٤٥/٨٩
محمد أبو زهرة	الطـــلاق	٢٣/٨٧
محمد أحمد العزب	بل هذا الزحف من يتصدى له	٢٤/٨٩
» »	قضية الفكر الاسلامى	٢٤/٩٦
محمد البلتاجى	التزام الدولة الاسلامية بأرزاق الناس	٦٠/٨٩
محمد البهى	الهجرة وتاريخها	٢٢/٨٥
»	النبى الأمى	١٤/٨٧
»	ثلاث مساجد وثلاث دلالات	٨/٩١
محمد جاسم المشهدانى	ابن العربى	١١٠/٩٦
محمد جمال الدين خليل	مخيمات اسلامية	١٠٧/٨٧

تابع الكتـــاب

الاســـم	الموضـــوع	العدد/الصفحة
محمد جمال الدين الفندى	القرآن وعلم الفلك (١١)	٢٥/٩٢
» » »	القرآن وعلم الفلك (١٢)	١٤/٩٥
محمد حسن محمود سعيد	المؤتمر العالمى لزرع الأعضاء	٦٧/٨٩
محمد حسين الذهبى	القرآن والعلم (١)	٨/٨٨
» »	القرآن والعلم (٢)	١٢/٨٩
» »	القرآن والعلم (٣)	٢٢/٩٠
» »	اعجاز القرآن الكريم	١٦/٩٤
محمد الحسينى عبد العزيز	الدينار العربى	١١٦/٨٥
محمد حميد الله	فقهاء ايران قبل الطوسى	٣٦/٩٠
محمد الخضرى عبد الحميد	زهرة فى باقة (قصة)	٩٨/٩١
» » »	رأيت فى بدر (قصة)	٩٨/٩٢
محمد الدسوقى	الاسلام دين الوحدة	٧٤/٨٨
» »	أصول العلاقات الدولية (١)	٥٦/٩٢
» »	أصول العلاقات الدولية (٢)	٥٦/٩٣
محمد رجاء حنفى عبد المتجلى	موقعة المنصورة	٥٢/٩٥
محمد زاهد	مشكلة الزواج فى الغرب	١١١/٩٦
محمد زاهر أبو اليمن	التراث المفقود والموجود	١٠٨/٨٧
محمد سعيد رمضان البوطى	تماسك الأسرة وصلاحها	٦٢/٨٥
» » »	زعموا أن الشريعة لا تصلح للتطبيق	٦٠/٨٦
» » »	الطريقة الحديثة للهجوم على الاسلام	٦٤/٨٧
» » »	هذا هو حكم الاسلام	٥٦/٨٨
» » »	تعقيب	١٠٥/٩٠
» » »	الوحـدة أولا	٤٥/٩١
» » »	نعم مشكلتنا أخلاقية وليست فكرية	٤/٩٣
» » »	عقدة القديم والجديد	١١٠/٩٦
محمد سعيـد هدى	شبهة تقدميـة	١٠٧/٩٥
محمد سلام مدكور	الايمان عقيدة وعمل (٢)	٢٩/٨٥
» »	الايمان عقيدة وعمل (٣)	١٥/٨٦
» »	مولد آخر رسول ورسالة	٢٢/٨٧
» »	حكم المسكرات (١)	٣٠/٨٨
» »	حكم المسكرات (٢)	٢٧/٩٠
» »	شهر رمضان وفتح مكة	٤٤/٩٢
» »	رحلة طهر وعبادة	٤٨/٩٦
محمد سليمان الأشقر	تعقيب على فتوى الوصية الواجبة	١٠٦/٨٧
» »	الشباب	١٢٦/٨٥
محمد سيد أحمد المسير	بـــلاغ	١٠٨/٨٨
» »	جوارى القرن العشرين	١٠٦/٨٩

الاســـم	الموضــــوع	العدد/الصفحة
محمد سيد أحمد المسير	وقفة مع العلم والايمان	١٠٩/٩٢
» »	الكفـــاءة	١٠٧/٩٤
محمد شوقى الفجرى	الاسلام والمشكلة الاقتصادية	٢٣/٩٥
محمد الصادق عرجون	ابن تيميـــة (١)	٦٤/٨٨
» »	ابن تيميـــة (٢)	٨٢/٨٩
» »	الحسن البصرى	٧٢/٩٢
محمد صبيـــح	وذكرهم بأيام الله	٦٧/٩٠
محمد عاطف العراقى	بين الفلاسفة والغزالى	٦٤/٩٢
محمد عبد الرؤوف	الدفاع عن حق المسلمين فى القدس	٨٤/٩١
» »	الحركة الاسلامية فى أمريكا الشمالية	٢٤/٩٣
محمد عبد الستار نصار	أصول منهج الفكر الاسلامى (١)	٨٣/٩٤
محمد عبد الله السمان	المعجزة الكبرى القرآن (كتاب الشهر)	٩٠/٨٨
» »	والموعد الله (كتاب الشهر)	٧١/٩٤
محمد عطاء الله	النظرة الاسلامية الى التاريخ	٢٩/٩٦
محمد على عبد الهادى	الاسلام والمسلمون فى أوروبا	٤٦/٩٠
محمد الغزالى	القضاء والقدر	١١٢/٨٦
» »	يا لرجال بغير دين	٤٨/٨٧
» »	على هامش الاسراء	١٤/٩١
» »	رمضان بين الماضى والحاضر	١٤/٩٣
محمد كامل النقى	أساليب مسمومة فى كتب الأدب	٧٣/٩٠
محمد لبيب البوهى	حوار مع ابليس (قصة)	٩٦/٩٢
» »	فى بيت العنكبوت (قصة)	٩٨/٩٥
محمد المجذوب	كيف نستعيد بناء الاسرة	٧٦/٨٥
» »	ونوجىء الناس بالمشانق (قصة)	٩٦/٨٦
» »	الأســوة الحسنة	٥٥/٨٧
» »	جريمة فى المدينة (قصة)	٩٦/٩٠
محمد محمد أبو شـــوك	أمراض الحويصلة المرارية	٩١/٨٦
» »	القلـــب :	٨٩/٨٧
» »	نظافة الحج	٩٥/٩٦
محمد محمد خليفـــة	تربية النفوس فى الاسلام	٧٩/٨٩
محمد محمد الشرقاوى	نساء ومواقـــف	٥٢/٨٦
محمد مصطفى حمام	تزوجوا (قصيدة)	٢٦/٨٦
محمد مهـــدى	الخطر الذى يهدد المصحف	٣٦/٨٩
محمد همام الهاشمى	الأسرة والمشكلات الاجتماعية	٦٣/٨٥
محمود حسّن اسماعيل	النور الاعظم (قصيدة)	١٦/٨٥
محمود شيت خطاب	لغة القرآن الكريم	١٤/٨٨
» »	الكاتبون فى الدين (١)	٢٢/٩٤

تابع الكتاب

الأغلفة

صورة الغلاف	العدد
المسجد الأزرق بتركيا	٨٥
مسجد أحمد عبد الله الصقر ـ الكويت	٨٦
المسجد النبوى الشريف	٨٧
مسجد الفولا ـ سيراليون	٨٨
مسجد الجابرى ـ الكويت	٨٩
مسجد القائد ابراهيم ـ الاسكندرية	٩٠
آية (سبحان الذى أسرى بعبده)	٩١
آية (قد نرى تقلب وجهك فى السماء)	٩٢
مسجد عبد الله العثمان ـ الكويت	٩٣
مسجد غازى خسرو ـ يوغسلافيا	٩٤
باب الحرم المكى	٩٥
الكعبة المشرفة	٩٦

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مؤسسة دار العروبـــة .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

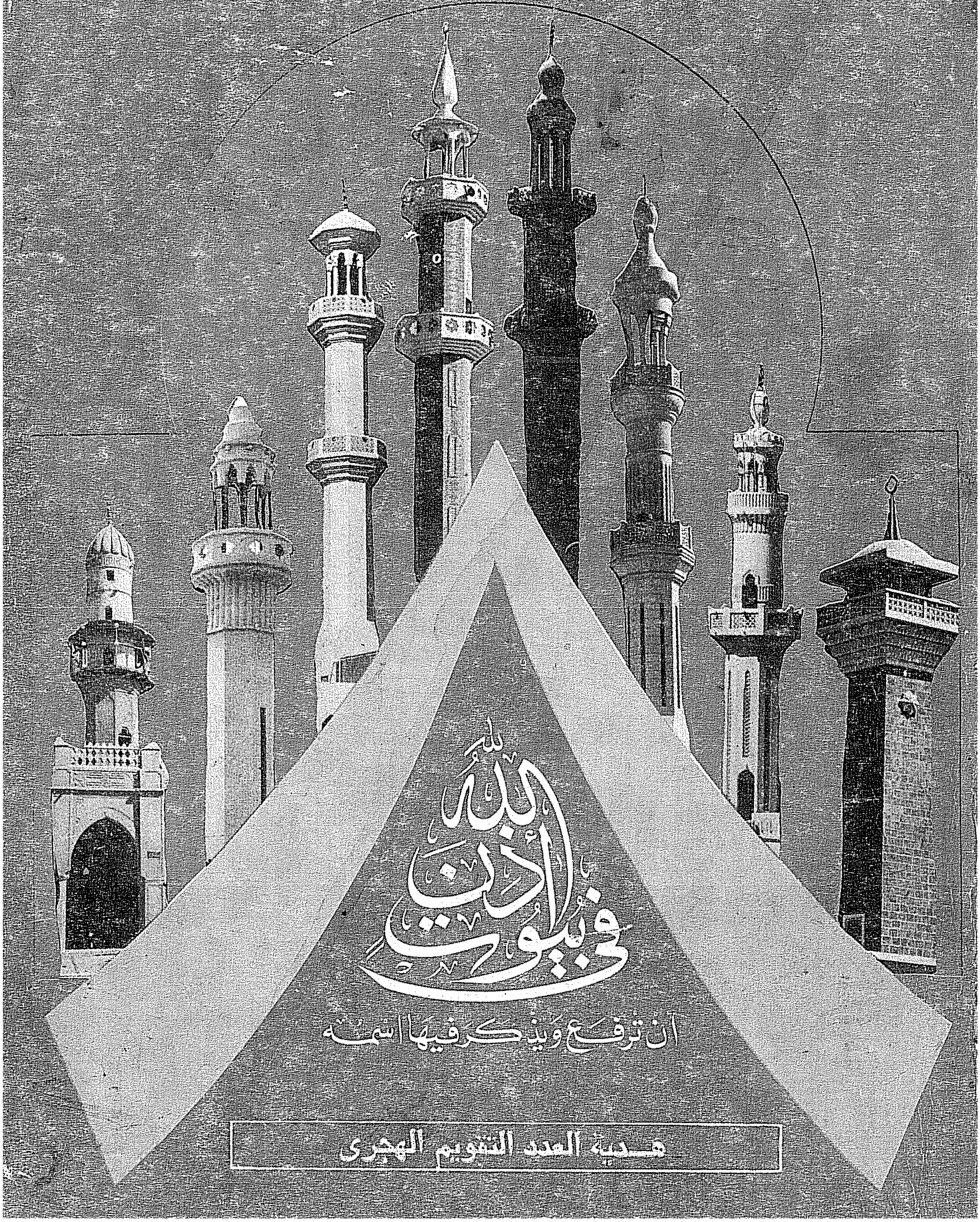
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

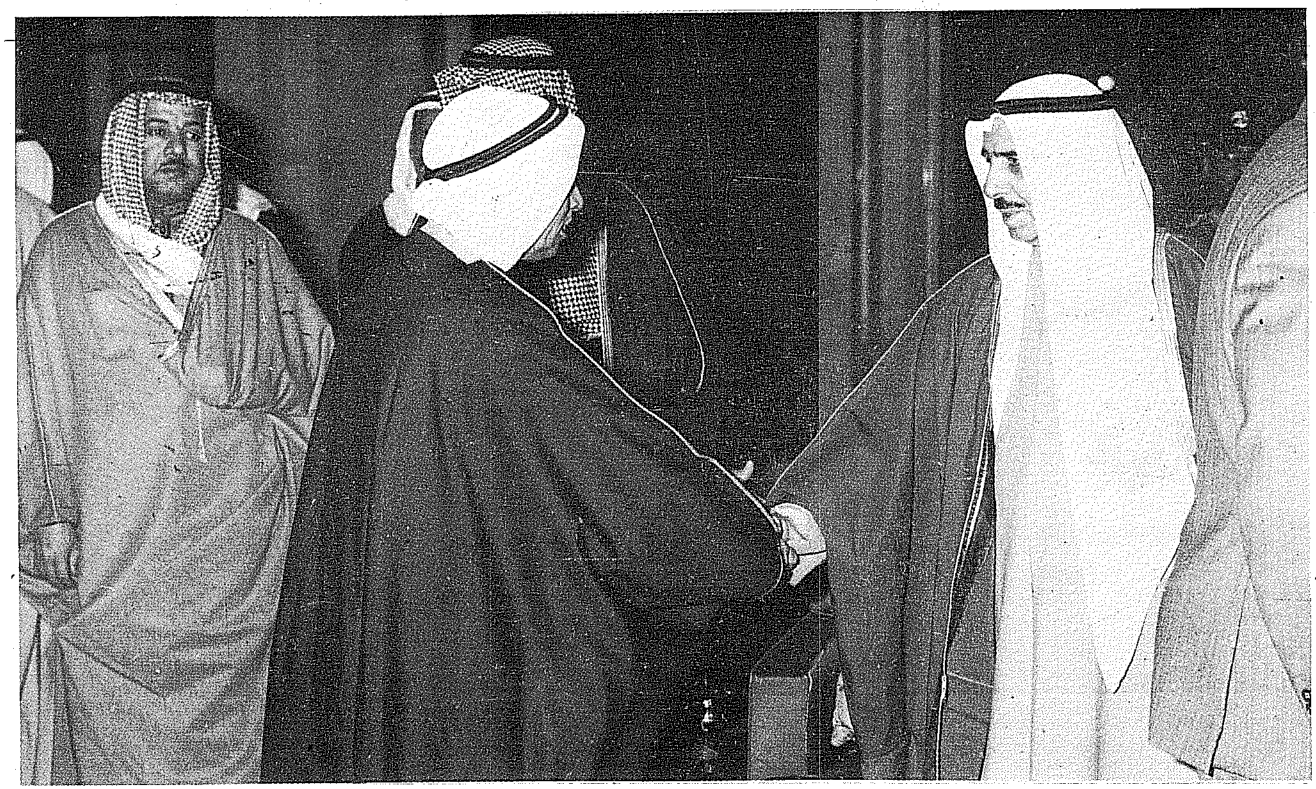
اقرأ في هذا العدد

طبع بمؤسسة مطبعة البيروق الصحفية ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية





استقبل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم بقصر السيف العامر سمو ولي العهد والشيوخ وجموع المهنئين بعيد الأضحى المبارك .

صورة الغــلاف :

ثمانية مآذن من مساجد الكويت شيدت على طراز مختلفــة مما يشهد بجمال الفن الاسلامي وقدرة الصانع المسلم ننشرها بمناسبة مرور ثمانية أعوام على صدور المجلة .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

الســـنة التاســعة

العــــــدد (٩٧)

غرة المحرم ١٣٩٣ هـ

٤ من فبراير ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالــكويت فى غرة كل شـــهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

الــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغـرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقــاف والشــئون الاســـلامية

صنـــدوق بريـــد : ١٣ كويت هاتــف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

عام جديد على العهد والميثاق

من حق الكتاب والقراء معا على المجلة أن يتعرفوا مسيرتها فى مدى الأعوام الثمانية التى مرت عليها منذ ظهورها حتى مطلع العام الهجرى الجديد .

فأما الكتاب فليطمئنوا الى أن الجهد الذى أعانهم الله عليه فى تبليغ دعوته ونشر رسالته قد نفع الله به كثيرا من الناس ، وليهنئوا بأن مداد أقلامهم يزن عند الله تعالى دم الشهداء ، ونرجو أن يكون فى هذه التهنئة والطمأنينة ما يشرح الله به صدورهم ، ويقوى عزمهم فى جهادهم حتى تكون كلمة الله هى العليا .

وأما القراء فليزدادوا إيمانا بأن مجلتهم المفضلة تطوف الآفاق ويشاركهم فى مطالعتها اخوان لهم كثيرون فى مشارق الأرض ومغاربها، وثقوا ثقتهم بها واطمأنوا طمأنينتهم الى منهجها ، وهذا مما يزيدهم رغبة فيها ، واستيعابا لها ، واستفادة بما نشر فيها : ((فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)) .

ومن واجبنا نحو الرسالة التى شرفنا الله بها ، والمسئولية التى حملناها أن نقف قليلا عند بداية العام التاسع لميلاد المجلة لنرجع البصر إلى الأعداد السادسة والتسعين التى صدرت منها لنزداد إحسانا فيما أحسنا ، ونتدارك النسيان أو القصور فيما قصرنا أو نسينا : ((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا))

بدء المسيرة :

وقد بدأت المجلة مسيرتها على عهد وثيق ونهج واضح تبينت معالمه فى افتتاحية العدد الأول منها :

((كان لا بد للكويت فى خطواتها السريعة نحو التقدم الحضارى فى جميع مجالاته أن يكون لها مجلة إسلامية بجانب الصحف والمجلات السياسية والأدبية التى تصدر فيها ، لتقوم بدورها فى نشر الثقافة الدينية

بما تقدمه من عرض أمين لتعـــاليم الإسلام ومبادئه ، وتحـــديد صحيح لمفاهيمه وقيمه ، ودعوة مخلصة الى رعاية هـــذه المبـــادىء والتعاليم ، وتجسيد تلك المفاهيم والقيم فى حياة الناس ، حتى يتحقق التوازن الروحى والمادى فى المجتمع الجديد ، ويسير فى طريقـــه السليم نحـــو نهضـــته المرموقة ، فلا يتعرض للأخطار التى تصيب كل مجتمع يختل التوازن فيه .

وقد رأت وزارة الأوقاف أن تقـــوم بعبئها فى هذا المجال فأصدرت مجلة ((الوعى الاسلامى)) إيمانا منها بأن هـــذه الأمة لا يصلح آخرهـــا إلا بما صلح به أولها ، وأن بناء أى نهضـــة لا بد أن يتم على الأساس الذى كانت عليه النهضـــة الأولى للمســـلمين ، لنصـــل حاضرنا الطـــريف بماضـــينا التليد .

مهمة وزارة الأوقاف :

إن وجود وزارة الأوقاف فى البلاد أمر تحتمـــه الضرورة للحفـــاظ على قيمنا .. وإذا كانت وزارة الصحـــة وجدت فى البلاد لرفع المســـــتوى الصحى فيها ، ووزارة التربية وجدت للاشراف على تربية النشء وتعليمـــه — فوزارة الأوقاف تأتى فى المرتبـــة الأولى لأنها ذات رسالة روحية تعمل على نشر الثقافة الاسلامية — وخلق جيل قوى من الشباب المسلم المؤمن بربه ووطنه .

إن عالمنا اليوم عالم تغزوه الأفكار الدخيلة ، وتتصارع فيه مبادىء طارئة وهى وإن كانت غريبة علينا باعتبارنا أمة إسلامية أصـــيلة إلا أنها تعمل عملها بلا شـــك فى بلبـــلة الأفكار وزعزعة العقيدة ، ما لم يكن هنـــاك مجهود تصد تيارها وتبديد آثارها ، ونحن كأمة ذات رسالة خالدة جـــاء بها القرآن الكريم فأعلن الأخـــــوة العالمية بجانب الأخوة الدينية ، ورفع من مستوى النفس الإنسانية ، وأقام دعائم العدالة الاجتماعية بين الحاكم والمحـــكوم وبين الضعيف والقـــوى والفقير والغنى والرجـــل والمـــرأة ، وأشـــاع فى المجتمـــع معنى التكافل الحـــق الذى تشيع فى كل نواحيـــه معانى الحب والسعادة والطمأنينـــة والسلام .

إن الدين ركيزة قوية فى دفع كل ما هو خطر على الإنسان وخصائصه ومميزاته والإنسان لن يستطيع أن ينعم فى هذا الكون الفسيح بالرفاهية والسعادة الحقة ما لم يكن على جانب كبير من الحفاظ على قيمه الروحية .

والأمة العربيـــة — كما نعلم — دينها الإسلام — وهو روحها الذى لا يمكن أن تعيش بدونه ، وهو مصدر سعادتها وسبب نهضتها من كبوتها ، وهو الذى فتح أمامها الآفاق ، ودفع بها إلى أقصى المشرق والمغرب تحمل رسالة السماء إلى الأرض .. رسالة الحق والعدل والإخاء والمساواة .

هذه الحقائق لا ينازع فيها منازع .. لكن الحقائق لا بد لها من جنـــود ينهضون بها ، ويحمونها من المعتدين عليهـــا .

وإذا كانت كل وزارة من وزارات الدولة لها رسالتها الخاصـــة ، وإن كانت كلها تتلاقى فى خدمة المجتمـــع والنهوض به فإن وزارة الأوقاف قد فرضت عليها ظروف الحياة أن تنهض

بالرسالة الروحية ، وتعمل على دعم القيم الدينية فى النفوس .

مشكلاتنا وحلولها :

واستشفت الفقرات الأولى من العدد الأول ما فى نفوس القراء من تطلعات إلى عرض مشكلات العصر وإيجاد الحلول لها فى ضوء كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

((إن القراء يواجهون مشكلات فى حياتهم ، ويريدون رأى الدين فيها .. لم يعودوا يكتفون بتقرير أن الدين صالح لكل زمان ومكان ، بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التى يؤمنون بها .

إن معاملات قد جدت ، ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ، ولم تكن موجودة حين وضع الفقهاء والأصوليون كتبهم وقواعدهم ، واستطاعوا حينذاك أن يغطوا كل مشاكل الحياة التى عاصروها بل زادوا عليها افتراضات أوجدوا لها حلولا .

والعقلية الجديدة لم تعد تقتنع بأن باب الاجتهاد قد أغلق للأبد ، أو أن الأوائل لم يتركوا شيئا للأواخر كما يقال .

وأصبح الباحثون المسلمون يؤمنون بضرورة الاجتهاد — ولو بشكل جماعى لمواجهة أساليب الحياة الحديثة وتكييفها من الوجهة الدينية .

وذلك ما نريد أن يحاوله كتابنا ، وما تفتح المجلة صدرها له)) .

وقد حققت المجلة بعض ما أملت ورجت ، فكانت صفحاتها منبرا عاليا للمناداة بتوحيد أوائل الشهور العربية فى الدول التى تسمح نصوص الشريعة وآراء الفقهاء بتحديدها فيها، وكانت صفحات المجلة منبرا عاليا لابداء الرأى فى فوائد المصارف المستحقة والمناداة بسرعة البت فى إنشاء بنك إسلامى تطهر معاملاته من الربويات وكانت المجلة منبرا عاليا للتنبيه على مطامع الصهيونية وشراستها ، ووقفت المجلة بجانب زميلاتها من المجلات الإسلامية فى المعركة الفاصلة التى اجتمع فيها أعداء الإسلام وخصومه على حربه ، واستخدموا مختلف الأسلحة فى الميادين العقائدية والثقافية والجبهات السياسية والاقتصادية لمناوأته .

التزام :

ومنذ صدرت المجلة وهى فى مسيرتها فى الأعوام الثمانية الماضية ملتزمة بمضامين اسمها (الوعى الاسلامى) ومعطيات هدفها ((المزيد من الوعى لإيقاظ الروح بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية)) ونأت المجلة بجانبها عن الجدل العقيم وأمسكت عن مناقشة الذين لا يقفون عند منطق ، ولا يقنعون ببرهان لأنهم خصمون ، وقد ذمهم الله وأيأس رسوله من مجادلتهم ((بل هم قوم خصمون)) وفى الأثر : ((ما ضلّ قوم قط إلا أوتوا الجدل)) .

وفى حدود هذا الالتزام وما تقتضيه عفة القول ونزاهة الغرض قومت المجلة كل ما ورد لها من بحوث

ومقـــالات وقصص وشعر وتراجم ، ونشرت منه ما يتفق مع ما التزمته .

ومع هذا الالتزام فى المنهج والقول حرصت المجلة قدر استطاعتها فى كل عدد من أعدادها على أن تفسح المجال للأقلام الرفيعة فى مختلف الأقطـــار الإسلامية تقديرا لها وانتفاعـــا بها ، وجذبا للقراء الذين يحبون أن يقرأوا لكتابهم الذين نشأوا فى بيئتهم كمـــا يحبون أن يقرأوا الأقلام البعيدة عنهم.

وكان لهـــذا الإلتزام فى المنهـــج والكتاب أثره فى رواج المجلة وبلوغها تقـــدير الكاتبين وثقـــة القارئين حتى أصبح كل كاتب من كتابها وقارئ من قرائها يؤثرهـــا ويعتبرهـــا مجلتـــه المفضلة ويلح فى الســـؤال عنها إن تأخرت فى الطريق عن موعد وصولها إليه أو نفدت أعدادها من الباعـــة بسبب التزاحم عليها .

٢ مليون ونصف :

واكثر من مليونين ونصف مليـــون نسخة من أعداد المجلة وثلاثة أرباع مليون رسالة وكتيب وزعت مع أعداد المجلة فى جميـــع الدول العربيـــة والإســـلامية فى الأعوام الثمانيـــة الماضـــية وأرســـلت إلى المراكـــز والجامعات والهيئات والمكتبات وكبار الشخصيات المسلمة فى بقيـــة دول العـــالم ، وترجـــم كثير من المقالات بإذن من المجلة إلى بعض اللغـــات الأجنبية ، كمـــا زيدت صفحاتها من مائة الى ١١٦ صفحة والى ١٣٢ صفحة فى الأعـــداد الممتازة ، وفى كـــل مناسبة إسلاميـــة كرمضـــان والحج والهجرة النبوية ومولد الرســـول والاسراء والمعـــراج ، يصدر عـــدد خاص ، وزين غلافها بما يقرب من (٨٠) صورة ملونة رائعة لأشـــهر المساجد فى العالم .

* * * * *

هذه أيها القارئ الكريم لمحـــات سريعـــة عن مجلتـــك المفضـــلة فى أعوامها الثمانية التى رمزنا اليها على غلاف هذا العدد بمنارات تؤذن فى كل وقت أشـــهد أن لا إله إلا اللـــه أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح .

ونحن مع هذا لا نزال فى بداية الطريق نتجه نحو الكمال ونســـعى إليه ، ونأخذ من كل شئ فى المظهر والمضمون بأحسنه يعيننا عليه عون الله وتشجيع المسئولين ومدد الكاتبين وإقبال القارئين .

ولا يسعنا فى مطلع العام الهجرى الجديد إلا أن نجدد العهد لله سبحانه على المضى فى سبيله والدعوة الى دينه والتضرع الى الله جل جلاله أن يعز الإسلام وينصر المسلمين ويعلى كلمة الحق والدين ، وأن يرينا يوما تكون التهنئة فيه صادرة من أعمـــاق قلوبنا وقرارة نفوسنا بما يمن به علينا ويؤهلنا له من وحدة الدين ووحـــدة الكلمة ووحدة الدستور .

والله ولى التوفيق .

رضوان البيلى
رئيس التحرير

من هدي السنة

فطرنقية

الدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

١ ـ قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلمان منا أهل البيت » .

٢ ـ ورد فى صحيح البخارى ، كما جاء فى صحيح مسلم عند الكلام على بدء الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما نصه : « ... فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان أمرا تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب بالعبرانى ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .. الخ » .

١ ـ برأ الله جلت قدرته الخلق جانحين الى التوحيد ، نافرين من الشرك ، متعقبين البراهين الموصلة الى معرفة ربهم وذلك هو الدين القيم **« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »** . (الآية (٣٠) من سورة الروم)، وروى الشيخان فى صحيحيهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء » ، فالعقل الانسانى فى أصل تكوينه صحيفة بيضاء قابلة لاستيعاب ما ينقش فيها ، كالأرض الطيبة يخرج نباتها باذن ربه ، متنوعا مختلفا أكله كما يفرسه زارعوه ، والانسان ترد عليه المعارف فيتقبلها والخير أغلب على طبعه من الشر ، فلا تتغير فطرته إلا بمعلم كالأبوين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما نص الحديث الشريف ، ولو ترك الوليد وشأنه لعرف ربه بفطرته بل واستدل على وحدانيته بشواهد ما يرى ويبصر فى الكون المحيط به :

وفى كل شىء لـه آية
تدل على أنه الواحـد

ولكن أكثر الناس لا يعلمون لبعدهم عن التدبر أو لوجودهم فى بيئة خاصة ومنشأ انحرفا بهم عن الجادة

اللاحبة ، واعميا بصائرهم عن الضياء يغمر الوجود ، فلبثوا فى غيابة الجهالة والتقليد المنحرف .

ولهذا يجذب انتباه الباحث فى تاريخ العقائد وخاصة (الاسلام) بروز شخوص سلمت فطرهم من الشرك ، فنفرت طباعهم من الخنوع لطواغيت لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئا ، ومن المعجب المطرب أن نتأمل حديث ابراهيم الى قومه ، ذلك القول المتسائل ، فى رفق وقوة مما لم يجدوا له جوابا إلا القوة الجاهلة الطاغية الغافلة عن قدرة المبدع العاصم رسله من الناس قال تعالى : « واتل عليهم نبأ ابراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم إذ تدعون . أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون » ، ومثل هذه العقليات التى تقيم على التقليد غير مبصرة ما يداعب أبصارها فى أصباحها وأمسائها من آثار قدرة بديع السموات والأرض ، لا جواب لها إلا المجابهة بالرفض البات الباتر لمعتقداتها البعيدة عن الانخراط فى سلك المعقولات الواضحة الاستقامة فى معطيات العقول الناضجة الباحثة الفاقهة ، وعلى هذا أجاب ابراهيم : « قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانهم عدو لى إلا رب العالمين » ويدل ذلك على أن من آبائهم من هدته فطرته النقية الى معرفة قيوم السموات والأرض ، ثم علل عليه السلام عبادته رب العالمين بما لا تستطيعه آلهتهم ولا يد لهم هم فى الوصول اليه قال : « الذى خلقنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين ، والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين » .

وقد وجد من سلمت فطرته من الشوائب ، فحاولت التفلت من موروثات مجتمعها وتقاليده ، وندت بعيدا عنه باحثة عن الحق فاهتدت ، وممن التقينا بهم فى هذا الدرب ناشدين المعرفة والجين فى نور رب العالمين جماعة نبتوا قبيل بعثة سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما آذنت بالظهور على مسرح الحياة كانوا أول المتابعين بقوة يقين وقلب سليم ، ونعرض هنا طرفا من اخبار بعضهم أمثال : سلمان الفارسى ، ثم ورقة بن نوفل وربما مزيدا من أولئك الرجال الذين قدروا عقولهم حق قدرها وساروا على ضوئها وارتفعوا بانسانيتهم عن دركات العقائد المسفة فى الانحطاط، عسى أن يكون فى ذكراهم العطرة داعية توجيه لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

٢ — أما خبر سلمان الفارسى فقد أوردته المراجع الأصيلة فى السيرة العطرة وروته عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : « حدثنى سلمان الفارسى وأنا أسمع من فيه ، قال : نشأت فى أصبهان وكان والدى شيخا للقرية عارفا بالفلاحة مرجعا للناس فيما يصلح الأرض وما تجود به زراعتها ، وكان شديد الشغف بى، بلغ من شدة حرصه على أنه كان يحبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، ولقننى المجوسية وبالغت فى الاجتهاد والعبادة للنار حتى صرت خادمها الذى يمنعها أن تخبو لحظة لتعظيمى إياها وكانت لأبى ضيعة عظيمة بعثنى يوما اليها وأمرنى ببعض ما يريد فيها ، وأمرنى أن لا ألبث هناك طويلا ، فلما كنت فى بعض الطريق الى تلك الضيعة مررت بكنيسة من كنائس النصارى فتسمعت الى

اصواتهم وهم يصلون ، فولجت عليهم لأنظـــر ماذا يصـــنعون ، فأعجبتنى صلاتهم وملكت علىّ لبى ، وادركت أن أمرهم هذا خير من الدين الذى نحن عليه فوالله مـــا برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم اصل اليها ، وسألت القوم أين اصـــل دينهم ؟ قـــالوا : بالشـــام ، فغادرتهم قافلا الى ابى ، وقد أعياه البحث عنى ســحابة يومه ، فلمـــا واجهته ابتـــدرنى قائلا : أين كنت ؟ قلت : يا ابت مررت بأناس يصـــلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما شهدت من دينهم .. فقال : ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قلت : كلا والله ، انه لخير من ديننا وقد شغفنى حبا وسيطر على كـــل جوانحى ولم يعد لى مفر من البحث

عن مصدره لأرى الأمر على جليتـــه واسبر غوره ، وارى رأيى فيه ، فثار غضب ابى حتى جعل فى رجلى قيدا ليحـــول بينى وبين مبارحـــة داره ، ولكنى لم أستطع مقاومة ما يعتمل بين جوانحى من التطلع الى معرفة كنه الدين الذى شاهدت بعض طقـــوس معتنقيـــه ، فعزمت على الفكاك من أسر والدى لأستطيع الفرار الى الشام مع أول قافلة متجهـــة الى هنـــاك وصحبت ركبا من تجار النصارى حتى قدمت الشام ، فلما وصلتها بحثت عن افضل أهل هذا الدين علما به فدللت على أسقف ، فلمـــا جئته قلت له :

انى رغبت فى هذا الدين فأحببت أن اكون معك واخدمك فى كنيستك فأتعلم منك واصلى معك ، ودخلت معه ، ولكنى وجدته رجل سوء ، ففـــارقته الى آخر ما رأيت أفضل ولا أزهـــد فى الدنيا منه ، فلما حضرته الوفاة طلبت اليه أن يدلنى على من أواصل معه رحلتى الى الله فأرشدنى الى

رجل بالموصل ، فلما مـــات وغيب لحقت بصاحب الموصل فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مـــات ، وكـــان قـــد أمرنى باللحـــاق بآخر فى نصيبين ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه ولما حضرته الوفاة قال : لم يبق على أمرنا احد آمرك أن تأتيه الا رجـــلا بعمورية من ارض الروم ، فلما وصلت الى عمورية وجدت صاحبى على هدى اصحابه وامرهم ،وما زال سلمان رضى الله عنه ينتقل من مكان الى آخر حتى وصل الى من قرأ له بشارات الانجيل بظهور نبى قد أظله زمانه مصـــداقا لقوله تعالى فى سورة الصف بالآيـــة السادسة : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصـــدقا لما بين يدى من التـــوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وأخبره بأن لهـــذا النبى فى الانجيل ثلاث علامات :أنه يخرج بأرض العرب ، وانه لا يأكل الصدقات ، وأن

بين كتفيه خاتم النبوة . يقول سلمان فسرت الى أرض العرب حتى التقيت بنفر من كلب تجار ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبدا أقمت عنـــده بيثرب حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة ، ويتـــابع سلمان حديثه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قائلا : فوالله انى لفى رأس عذق لسيدى اعمـــل له بعض العمل وسيدى جالس تحت النخلة اذ اقبل ابن عم له فقال : يا فلان قاتل الله بنى قيـــلة ، والله انهـــم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعـــم أنه نبى ، قال سـلمان فلمـــا ســـمعتها أخـــذتنى « العـــــرواء » حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى ، فنزلت عـــن النخلة ، ولما أمسى المساء تســـللت

ذاهبا باحثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئته وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه وتحققت من أنه هو المبشر به ، وقد كان أهل الكتاب يعرفونه قبل مجيئه ويبشرون بظهوره رحمة للعالمين : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » . فأمرنى صلى الله عليه وسلم أن أكاتب فكاتبت صاحبى ووفيته حقه وأصبحت حرا طليقا من قيود العبودية ولزمت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا مثال للرجال الذين لم يطمس الله على بصائرهم ، وسلمت لهم فطرهم النقية ، فأدركوا أن للكون ربا لا يمكن أن تمثله النار أو الأصنام التى لا تحس ولا تعى ، ومن عجب أن يصوغها الانسان بيده ثم يضعف أمامها فيعبدها ، حقا أن هذا لهو الضلال المبين ، راح اولئك الأفذاذ فى ادراكهم ، وصفاء قرائحهم يبحثون مستسهلين كل صعب ، متخطين الحواجز مهما كانت صلابتها ، فما وقفت أمامهم عقبة ولا لانت قناتهم للمة ، ولا أحنوا ظهورهم لمشكلة بل تعالوا بعزائمهم على كل المعوقات فاجتازوها فى يسر أو فى شدة حتى خضعت لاصرارهم كل القوى وفازوا بما يبغون ، أولئك الذين كتب الله فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح من عنده فرحم الله سلمان ورضى عنه .

ولنترك سلمان الفارسى الى رجل عربى من مكة وصحب له ما رأوا فى عبادة الأصنام الا أفنا فى الرأى وبلادة فى الحس ، واهدارا لكرامة الانسان العاقل الذى كرمه ربه وفضله على كثير ممن خلق فخرجوا يتلمسون الهدى فى مظانه ويقطعون الفيافى والقفار باحثين عن الحقيقة الكامنة وراء مظاهر الكون وعجائبه ، والذين كان منهم ورقة بن نوفل وصحب له ، عافوا الطواغيت وعابوها ، وولوها أدبارهم وهجروها فتداركهم الله بفضله وهداهم صراطا مستقيما .

٣ — وما حديث ورقة بخاف على دارسى تاريخ الاسلام فقد اقترن اسمه بأول بادرة وحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصق حديث التاريخ عنه باسم أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ابنة عم وزوج سيدنا رسول الله ، واسم الروح الأمين جبريل واول ما نزل من الذكر العظيم هدى ورحمة للعالمين .. وأما خبره قبل البعثة الشريفة فقد حدث عنه ابن اسحاق وابن هشام والطبرى وغيرهم قالوا : .. اجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم كانوا يعظمونه وينحرون له ويطوفون حوله فخلص منهم اربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل وكان منهم ورقة بن نوفل ابن اسد بن عبد العزى فقال : تعلمون والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم ابراهيم ! ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ، يا قوم التمسوا لأنفسكم دينا ، فانكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا فى البلدان يضربون فى الأرض يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم. ويروى ابن حجر العسقلانى أن ورقة : « سافر الى الشام فأعجبه دين النصرانية فتنصر وكان لقى من الرهبان على دين عيسى عليه السلام ولم يبدل ولهذا أخبر بشأن النبى صلى الله عليه وسلم والبشارة به الى غير ذلك مما أفسده أهل التبديل » وقد اجاد ورقة تعلم اللغة العبرية فكان يكتب بها ما يشاء وينقل منها الى اللغة العربية ما يشاء ، وقيل انه كان يكتب

من الانجيل ولا يحفظ لأن حفظ التوراة والانجيل لم يكن متيسرا كحفظ القرآن الذى هو من خصائص الأمة الاسلامية والتى جاء فى صفتها : « اناجيلها صدورها » أى أنها تعى القرآن حفظا وهذا مما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال ، ولما نزل الوحى على رسول الله عليه الصلاة والسلام واخبرت خديجة رضى الله عنها ورقة بما كان من أمره عليه السلام قال ورقة كما يروى ابن اسحاق « قدوس قدوس ، والذى نفسى بيده لئن كنت صدقتينى يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان ينزل على موسى ، وانه لنبى هذه الأمة فقولى له فليثبت » .

وبينما يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة كعادته لقيه ورقة ابن نوفل فقال يا ابن أخى : أخبرنى بما رأيت وسمعت ، فأخبره ، فقال ورقة : والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة ، ولتكذبنه ولتؤذينه ، ولتخرجنه ، ولتقاتلنه ، ولئن أدركنى يومك لأنصرن الله نصرا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه (واليافوخ وسط الرأس) ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله ، ويروى السهيلى أنه لما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد رأيت القس فى الجنة وعليه ثياب الحرير لأنه آمن بى وصدقنى » . وهذا الحديث أسنده البزاز .

وقصة ورقة تعطى صورة كريمة لشخصية عربية عرفت السبيل الى الحنيفية ولم تكتف بظاهر من القول بل تعدى ورقة ما سمع وأراد أن يتيقن مما يجول حوله فتعلم العبرية وأجادها ونقل منها الى لغته الأصلية لغة الضاد ، وورقة مثال واضح القوة ، قوة الدلالة على استعداد العربى لتقبل الثقافات المختلفة منذ أقدم عصوره وهو يوضح لنا سر نبوغ المسلمين فى كل الميادين بعد الاسلام ميادين السلم والحرب على السواء ، وفى التاريخ شاهد على ما قيل . .

٤ ـ والخلاصة : اننا نلمس فى كل عصر فى مراحل الزمان وحقبه المتباينة وجود رجال بعدوا عن التقليد وربأوا بأنفسهم عن حمأة السفهاء ، واستخدموا فطرهم النقية فى الوصول الى الايمان البعيد عن الشوائب على قلة ما عرفوا من أسرار الوجود ، وضآلة ما أدركوا من علوم ، وهذا يقطع عذر المتخبطين فى دياجير الظلام النفسى فى عصر كشف العلم قناعه ، وأبدى العقل قوته على فك طلاسم ما يحيط به مما يبشر بما هو أبعد مما نرى ونشاهد وما نسمع وما نلمس فأولى لمن يقدر نفسه قدرها ، ويعطى عقله التقييم اللائق به ، ويعتد بوجوده كانسان لوجوده خطره فى هذه الحياة ، وأن يتجافى عن التقليد وأن لا يخضع لما يحمله اليه أعداء أمته ، وانما يبحث مع الباحثين ملقيا دلوه فى الدلاء حتى يصل بنفسه وفطرته النقية التى فطره الله عليها الى الحقيقة الثابتة ، الى الله الواحد الأحد ، ويسير على ضوء ما رسمه سبحانه ، وهنا تحرر العقول من مستورد الأفكار ، وبالتالى تنجو الأوطان من سيطرة أصحابها ، وتخلص ثمرات البلاد لأبنائها وصدق الله العظيم القائل : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد » .

لماذا الهجرة دون سواها ؟

للشيخ / بدر المتولى عبد الباسط

عندما استقر رأى عمر — رضى الله عنه — على إنجاز تاريخ للأمة لا بد انــــه — وأهــل الشــورى — استعرضوا الأحــداث الجسام فــى تاريخ الاسلام ونبى الاسلام ليتخذوا من أعظمها قدرا وابعدها أثرا مبــدأ للتاريخ الاسلامى .

وها نحن معهم نستعرض هــذه الأحداث الجســام لنعرف المغــزى الصحيح لاختيار الهجرة دون سواها : ميلاد الرسول الأكرم ، بدء الوحى ، عام الحزن ، الهجرة ، غزوة بــدر الكبرى غزوة الفتح ، حجة الوداع ، وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

هذه أحداث جسام كل منها يصلح أن يكون مبدأ لتاريــخ الأمة ولكــن المغزى الذى توحى به الهجرة أعظــم وأجل من المغزى الذى يوحى به أى حدث من هـــذه الأحــــداث . ولنستعرضها حدثا حدثا ...

مولــد الرسول الأكرم :

لا شك أنه حدث له خطره ، فكل ماجاء بعده اثر منه ولو أن عمر اختار مولد الرسول — صلى الله عليــه وسلم — ما كان مخطئــا ، وله فــى اختيار المسيحيين مولد المسيح عليه

السلام — مبدأ للتاريخ المسيحى سابقة يعتمد عليها فانه لا بأس أن نأخذ عن غيرنا فى المسائل التنظيمية ما يوافق المصلحة ولا يعارض الشريعة نصا او روحا ، ولكن مولد الرسول الأكرم حدث إلهى لا يد للبشر فيه ولا يوحى بهدف يرمى إليه ، نعم هو ذكرى تثير فينا الشجون لكن هل نستطيع أن نكرر هذا الحدث الفريد، لا انه حدث لا يتكرر فى أية صورة من الصور .

بـدء الوحى :

هو كذلك — حدث إلهى كان بدءا لكل الأحداث بعده ، وهو فى الحقيقة بدء تاريخ الاسلام كدين لأمة محمد صلى الله عليه وسلم (١) — ولكنه كالميلاد حدث لا يتكرر ، وليس فى مقدور البشر ان يأتوا بمثله فالنبوة ليست مكتسبة ((**الله اعلم حيث يجعل رسالته**)) والنبوات ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فجعل مبدأ الوحى مبدأ للتاريخ ليس الا تسجيلا لحدث له خطره ، ولكنه لا يثير فينا عزيمة على تحقيق غرض .

عـام الحزن :

أما عام الحزن وهو العام الذى ماتت فيه السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين ، كما مات فيه أبو طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم وحاضنه وكافله فهو — وإن أرخ به فى وقت ما فانه أبعد الأحداث عن أن يتخذ كمبدأ للتاريخ الاسلامى الذى يحارب الاستسلام للأحزان او إثارتها بعد خمودها ، ومثل هذا يقال عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فانه لا تذكر حتى تثير الشجون والأحزان فكل مصيبة بعد مصيبتنا فى رسول الله هينة ، ولكنها سنة الله فى خلقه (إنك ميت وإنهم ميتون) (٢) . ولو أرخ بهذا الحدث لكان لنا فى كل عام مناحة ، والرسول نفسه نهى عن العزاء بعد ثلاث ، كما نهى عن الجلوس لتلقى العزاء واعتبر ذلك من النياحة المنهى عنها .

غزوة بدر والفتح :

أما غزوة بدر وغزوة الفتح فمع انهما من الأحداث الجسام التى توحى بالشجاعة والتضحية والاقدام فانهما ثمرة من ثمرات الهجرة كما سأوضح فيما بعد .

حجـة الـوداع :

اما حجة الوداع وفيها أكمل الله دينه واتم نعمته وهى خليقة أن تكون حدثا تؤرخ به الاحداث بعده ، ولكنه مع هذا ربما اثار الأحزان لأن الله تعالى نعى فيها محمدا صلى الله عليه وسلم — الى نفسه حينما نزل عليه قوله (**اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**) .

وقد فهم ذلك الصديق الأكبر أبو بكر — رضى الله عنه — فبكى واستعبر فقد جرت سنة الله تعالى انه اذا تم شىء بدأ نقصه ، ومهمة الرسول تمت يومئذ ، فكان هذا إيذانا برحيله عن هذه الدنيا .

الهجرة دون سواها :

هذا الحدث دون سواه فيه من المعانى ما ليس فى غيره فالهجرة دون سواها كانت مبدأ لدولة الاسلام ، نعم كان هناك اسلام قبل الهجرة ولكن بلا دولة ، والهجرة دون سواها كانت فاصلا بين عهدين — عهد الصبر الذى

لا يستطاع معه دفع الأذى والبغي والعدوان ، وعهد الصبر الذي يستطاع معه الانتصار ورد العدوان (٣) .

والهجرة دون سواها توحي بايثار الغربة مع العزة على الاقامة مع الضيم مهما كان الوطن حبيبا الى النفس حبيبا الى الله ، فليس هناك بلد اكرم على الله من مكة ، ولكن الرسول الاكرم آثر الهجرة منها وهي ما هي لتكون درسا لنا أن نضرب في الأرض طلبا للعزة والكرامة ، والهجرة دون سواها هي الباب الذي ما زال مفتوحا ولن يزال كذلك الى يوم القيامة ((**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما**)) (٤) فترك المألوف من الأهل والوطن والرحلة الى المجهول في سبيل الخير والعزة ــ وهو سبيل الله ــ هجرة يستحق معها ما وعده الله للمهاجرين بهذه الآية .

وإذا كان لا هجرة بعد الفتح كما وردت في بعض الأحاديث ، فالمراد استحقاق صفة المهاجرين الأولين مع الرسول الأمين وما يترتب على ذلك من أحكام كالعودة الى مكة بقصد الاقامة فيها وتساويهم في الرتبة مع مسلمة الفتح وإن هاجروا بعد الاسلام ((**لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير**)) (٥) .

.. .. ..

وبعد فالهجرة درس في النصيحة والايثار والمحبة والصبر الجميل العزيز ، ثم هي ثمرة الأحداث التي سبقتها واصل للأحداث التي تلتها فلا غرو ان اختارها الفاروق مبدأ للتاريخ الاسلامي دون سواها ، فلنجعل من الهجرة درسا وعبرة ولا يكن حظنا اقامة حفل أو القاء خطبة فقد سئم المسلمون من كثرة الكلام وثرثرة الخطباء ، وهم الآن أحوج الى القدوة الصالحة اكثر من حاجتهم الى مقال منمق أو خطبة مرنمة .

والله المسئول أن يهب لنا قلوبا واعية ، وعزائم قوية ، وصدقا في القول وإخلاصا في العمل بمنه وكرمه .

---

(١) أما الاسلام كدين سماوي فقد كان دين الأنبياء جميعهم فنوح عليه السلام أخبر الله عنه انه قال (وأمرت أن أكون من المسلمين)٧٢ من سورة يونس ، وابراهيم أبو الانبياء حدث عنه أنه (ما كان يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما) الآية ٦٧ من آل عمران ، وقد ورد فعل ذلك عن غيرهما من المرسلين .

(٢) سورة الزمر الآية ٣٠ .

(٣) من الآية ٣ من سورة المائدة .

(٤) سورة النساء الآية ١٠٠ .

(٥) من الآية ١٠ من سورة الحديد .

هجرة وجهاد

الهجرة الكبرى مرة .. والجهاد دائم إلى قيام الساعة

للشيخ عبد الحميد السائح

حينما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة لم يكن الجهاد مشروعا ولا مفروضا ، وأول آية نزلت بشأن الجهاد قوله سبحانه « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير » (١) . ثم نزل قوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » (٢) .

ولما تظاهرت قوى الشر والاثم على محاربة الرسول ، والتخطيط للقضاء على دعوة الإسلام والوجود الإسلامى ، نزل قوله تعالى : « « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » (٣)

لماذا الهجرة للمدينة ؟

رغم أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه مهد للهجرة الكبرى ، بالهجرة إلى الحبشة أولا وثانيا ، فإن الهجرة إلى المدينة هى التى كان لها شأن أعظم ، بمشاركة الرسول فيها، وما نشأ عنها من الانتقال ، من جو الشرك والطغيان ومقاومة الدعوة بمكة ، إلى جو الصفاء والأخوة والمحبة فى المدينة ، حتى نعمت الدعوة الإسلامية بالحرية ، وتمتع المسلمون بإقامة الدولة الإسلامية لحمايتها ونشرها وتعميم خيرها ، وتثبيت قواعدها على أسس سليمة وأصول حكيمة تخلص البشرية من فسادها ، وتقضى على الظلم والطغيان بجميع وجوهه وأنواعه ، وتصلح للعالم أجمع فى كل زمان ومكان .

إذن لم تكن الهجرة من الظلم والعذاب ، الذى أصاب المسلمين فى مكة ، ولا تفريطا فى الديار والأوطان وإنما كانت لإيجاد المناخ الملائم ،

للدعوة ، وتعبئة القلوب المتفتحة ، والنفوس المهيأة ، لقبول الهدى الربانى والإرشاد الإلهى ، والتخطيط لإستعادة الأوطان ، وتطهيرها من دنس الشرك وعبادة الأوثان ، والعودة إليها فى عزة المؤمنين وكرامة المجاهدين ، وما كانت الهجرة فى نظر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا فى نظر أصحابه ركونا إلى الدعة والهدوء أو ميلا الى الراحة والسكون ، وإنما كانت محاولة مصممة على قيادة المعركة فى سبيل الله من جهة أخرى (٤) .

ولذلك كانت هجرة عامة حتى لم يبق فى مكة من المسلمين إلا مريض أو محبوس ، لم يمكنه قادة الشرك والطغيان فى مكة من الهجرة .

تضحيات المهاجرين

وكانت تلك الهجرة مثلا أعلى فى التضحيات ، فلم يبال الواحد منهم بمال أو متاع فى سبيل صيانة الدعوة وتأمينها والتوجه إلى الله ، قال ابن هشام وبلغنى أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكل مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالى ، أتخلون سبيلى ؟ قالوا : نعم ، قال : فانى جعلت لكم مالى ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب ، ربح صهيب . وفيه نزل قوله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » وتلاها صلى الله عليه وسلم على صهيب (٥) .

وقد قابلهم إخوانهم فى المدينة بالبشر والترحاب ، والإستعداد لكل أنواع التضحيات ، وعقد الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار عقد المؤاخاة ، الذى لم يكن له نظير فى التاريخ القديم والحديث حتى أن سعد بن الربيع عرض على أخيه (بالمؤاخاة) عبد الرحمن بن عوف نصف ماله ، وأن يختار أيا من زوجتيه يطلقها حتى يتزوجها عبد الرحمن (٦) ، كما عرض غير سعد على إخوتهم عروضا أخرى وأشركوهم بما يملكون .

ومن أجل ذلك كله سجل القرآن الكريم فضل المهاجرين وسمو مكانتهم وعظيم تضحياتهم ، كما سجل فضل الأنصار الذين استرخصوا الأموال والمتاع ، فى سبيل دعم ذلك المجتمع الإسلامى ، الذى يعتبر أعلى مثل فى الأخوة والتناصر والدعوة الشاملة لجميع بنى الإنسان ، يسودهم العدل المطلق ، والرحمة العامة ، والقضاء على جميع المعوقات ، من العصبيات والقبليات والنعرات ، وأن يكون المقياس الصحيح للتقدير هو العمل الخالص لوجه الله ، والنفع العام لبنى الإنسان ، كما قال سبحانه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » (٧) ، وكما ورد فى الحديث الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « خير الناس انفعهم للناس » (٨) .

قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم باحسان ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك الفوز العظيم » (٩) .

وقال سبحانه : للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون » (١٠) .

إلى آيات كثيرة فى عدد من السور تعلى شأن الهجرة والمهاجرين وتنوه بما لهم من مكانة سامية ، ومقام رفيع عند الله سبحانه ، مما أغرى الكثيرين من أصحاب الرسول ، أن يسعى

ويحاول أن ينـال شـرف الهجرة ، ويسجل عند الله فى سجل المهاجرين .

هـل لا تزال الهجرة قائمة ؟

إن الهجرة إلى الله وربط القلوب به فى العبادات والاعمال والتصرفات شريعة عامة دائمة لا تتقيد بزمان ولا مكان ، ولكن الذى نبحثه ونتسـاءل عنه هو تخلية الديار وهجرة الأوطان؟

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى طريق الهجرة ، قال مخاطبا مكة : والله إنك خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجـونى منك لـما خرجت ، وفى رواية : خير أرض الله وأحب أرض الله إلى (١١) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة يبايع على الهجرة، ويشيد بفضلها ومكانتها ، ولما فتحت مكة ودخلت العرب فى دين اللـه افواجا ، وصارت تلك الأرض كلهـا دار الإسلام قال : « لا هجرة بعـد الفتح ولكن جهاد ونيه واذا استنفرتم فانفروا » (١٢) . ومجاشع قـال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم انا واخى (مجالد) فقلت : « بايعنا على الهجرة ، فقال : مضت الهجـرة لأهلها ، فقلت : علام تبايعنا ؟ قال : على الإسلام والجهاد » (١٣) .

ويعلى بن أمية قال : أتيت النبـى صلى الله عليه وسلم بأبى أمية ، يوم الفتح ، فقلت : بايع أبى على الهجرة، فقال : ابايعه على الجهـاد وقـد انقطعت الهجرة (١٤) . وقال عمر : لا هجرة بعد وفاة النبى صلى اللـه عليه وسلم (١٥) .

أذن النبى صلى الله عليه وسلـم يصرح بأنه لولا أخرجه قومه من مكة لما خرج منها ، وهذا يعطينا تشريعا بأنه لا يجوز للمسلم أن يغادر دياره مختارا فى سبيل متاع الدنيا وحظوظه وتجارته ومناصبه ، نتيجة الغزوات الاجنبية والهجمات الإستعمارية مهما كان نوعها ومظالمها ، ومهمـا كانت التضحيات التى يتعرض لها ، ما دام لم يفتن فى دينـه ، ولم يرغم علـى تغييره .

كما أنه يصرح بأن الهجرة بعد الفتح الأعظم قد انقطعت ، وإذن ما هـو السبيل لمن يريد أن يلحق بالمهاجرين وينالة مثل أجرهم وسمو مكانتهم ؟

سبيل اللحاق بالمهاجرين

بين الرسول صلوات الله وسلامه عليه طريق اللحاق بالمهاجرين ، وهو الجهاد وترك ما نهى الله عنه مـن المعاصى والآثام ، فقد بايع مجاشعا وأخاه مجالدا على الإسلام والجهاد ، كما بايع والد يعلى على الجهـاد ، وقال لآخرين : « المسلم من سـلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (١٦) . وقال أيضا : « المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب » (١٧) .

فكان الجواب لمن استشـرفت أو تستشرف نفوسهم أن تصل درجـة الهجرة والمهاجريـن . إن الجهـاد بأنواعه وتحمل التضحيات ، ومقاومة المظـالم ، ومقارعـة الغـاصبين والمستعمرين ، والتقيد بأحكام شريعة سيد المرسلين ، وهجـر المعـاصى والآثام ، هو السبيل الصحيح والطريق القويم .

الهجرة مـن فلسطين

كانت فلسطين عربية منـذ نحـو خمسة آلاف سنة يسكنها الكنعانيون واليبوسيون منهم ، وهم عرب وفدوا إليها من الجزيرة العربية ، واستمروا فيها ، رغم كل الغزوات التى تعرضت لهـا البـلاد ، من الـروم والفرس واليهود وغيرهم ، وكـان العـرب الفلسطينيون يقاومون كـل الغـزاة

الطارئين على اختلاف أنواعهم، ومنهم اليهود ، وقد استطاع اليهود الاستيلاء على قسم من فلسطين ، واقاموا لهم دولة فى ذلك القسم لم تدم اكثر من سبعين عاما ايام حكم داود وسليمان عليهما السلام .

ومنذ الفتح العمرى سنة ١٥ هـ (٦٣٨ م) والسيادة على جميع فلسطين للمسلمين ، إذا استثنينا فترة الغزوة الصليبية ١١٠٠ — ١٣٠٠ م، ولذلك اصبحت فلسطين جزءا من ديار الإسلام ، ومن واجب المسلمين حيثما كانوا الدفاع عنها ، ودفع الاذى عنها والاحتفاظ بصبغتها .

ولئن صح القول بأن فلسطين — قبل الفتح العمرى — كانت عربية، فانها بعد ذلك الفتح اصبحت إسلامية يجرى عليها من الاحكام ما يجرى على أى قطر إسلامى ، مضافا الى ذلك ارتباطها بالعقيدة الإسلامية ، والحضارة الإسلامية ، من حيث كونها وطن الإسراء والمعراج ، وقبلة الإسلام الأولى ، واحد المراكز الهامة لحضارة الإسلام فى مختلف العصور .

وقد تعرضت فلسطين الآن لغزوة صليبية جديدة هى الغزوة الصهيونية فى مؤامرة معروفة ويصرح زعماء الصهيونية فى غير لبس ولا إبهام ، بأن هدفهم وخطتهم الاستيلاء على جميع فلسطين خالية من سكانها ، ليقفزوا منها إلى أراض عربية اخرى ، فهل يجوز للمسلمين أن يرحلوا عنها ويهجروها ليهيئوا الفرصة للعدو أن يستوطنها ويتمكن منها ؟

لا ريب أن الفلسطينيين وجميع العرب فى المناطق المحتلة الأخرى تعرضوا ويتعرضون لمختلف انواع القسوة والتعذيب والإذلال ، وخلق الظروف والأوضاع التى تحملهم على الهجرة وتخلية الدار ، لكن تظافرت نصوص فقهاء الإسلام وقواعده على أن كل ما يقوى العدو ويزيد فى منعته لا يجوز للمسلم الإقدام عليه ، وبما أن هجرة الفلسطينيين تهيىء العدو تحقيق أهدافه والتمكن فى الدار ، فان الإقدام عليها بالرضا والاختيار خطأ كبير مجاف لأحكام الإسلام ، — مع التصريح بأن ذلك لا ينطبق على أولئك الاشخاص الذين أخرجتهم سلطات الاحتلال بالقوة وارغمتهم على مغادرة الديار — ولا يكفر تلك الخطيئة الا سلوك السبيل الذى ارشد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجهاد بأنواعه ، ولهذا يجب على الفلسطينيين أينما كانوا أن يخططوا، بدعم وتأييد إخوانهم فى ديار العروبة والإسلام ، لاسترداد الديار والعودة للأوطان ، فى عزة المؤمنين وكرامة المجاهدين ، كما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة يوم الفتح الأكبر والنصر الأعظم .

وأما الفلسطينيون المقيمون تحت وطأة الاحتلال فواجبهم أن يبقوا مرابطين فى ديارهم ، يتحينون الفرصة الملائمة ، ويتحملون انواع الأذى التى يدبرها لهم العدو ، وعلى إخوانهم من العرب المسلمين مواصلة دعمهم ماديا ومعنويا ومساعدتهم على المضى فى مهمتهم .

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه « إن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين يعملون مثل عملكم ، قيل يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم ؟ قال : بل أجر خمسين منكم » (١٦) .

وقال أيضا : « رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطا وقى من فتنة القبر ، ونما له عمله إلى يوم القيامة» (١٧) .

وقال أيضا : «رباط يوم فى سبيل الله خيرمن الدنيا وما عليها » (١٨) .

وما ذكرناه عن الفلسطينيين

ينطبق على سائر سكان المناطق المحتلة الأخرى ، وكل شعب مسلم يتعرض لأية غزوة استعمارية ، مهما كان لونها ، فواجبه الجهاد والدفاع ، وعدم الاستخذاء أو الاستسلام حرصا على كيانه ووجوده وارضاء الله ورسوله .

التاريخ الاسلامى

فى عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قضت الضرورة أن يعين للمسلمين حادث يؤرخون فيه ، فأرخ بالهجرة ،واعتبر أول العام شهر المحرم ، قال سهل ابن سعيد : ما عدوا من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته ، وما عدوا إلا من مقدمه المدينة (١٩) .

وذلك لان حادث الهجرة يعتبر اعظم احداث التاريخ الإسلامى ، فبسببه تكون للمسلمين دولة الإسلام الأولى ، فى المدينة المنورة ، وفيها توالى التشريع الإسلامى فى شتى المواضيع والنواحى ، وشعر المسلمون بعزة الإسلام ، وكرامة الإيمان ، وأصبح الناس يتمتعون بالحرية والعدالة ، والسلامة والأمان .

ولذلك فمن واجب المسلمين حيثما كانوا أن يؤرخوا أحداثهم وأعمالهم بالتاريخ الهجرى لأنه هو التاريخ الإسلامى ، ولا مانع من أن يضموا اليه اى تاريخ آخر تسهيلا للتعامل مع غير المسلمين .

ماذا على المسلمين فى هذه الذكرى ؟

واجب المسلمين فى هذه الذكرى العظيمة أن يستعيدوا أمجادهم ، ويستعرضوا صفحات عزتهم ويقرأوا أسباب قوتهم ومنعتهم فيما مضى ،لا ليرددوها أقوالا وأحداثا ، ولكن ليخططوا فى إطارها ، منهجا عاما ، يقضى على فرقتهم ويوحد بين صفوفهم ، ويجمعهم على الهدى ، ويجند جميع قواهم المادية والمعنوية، فى سبيل إعزاز دينهم ، واستعادة ديارهم ومقدساتهم ، ورفع راية الإسلام ، ونشر مبادئه ، وتطهير مجتمعاته من الأدران ، والمبادىء التى تضمر للمسلمين الشر والأذى ، وتعمل على تفتيت قواهم ، وإفساد ما بينهم ، والقضاء على حضارتهم ، وتشويه محتوياتها وأهدافها ، حتى نحقق فى ذكرى الهجرة اهداف الهجرة وأبعادها السامية ، ويظهر الإسلام على حقيقته التى هى دعوة الإنسانية والبشرية عامة ، الى ما ينقذها من مظالمها ويقضى على فسادها ، ويطهرها من عبادة الأوثان والأصنام ، على اختلاف اشكالها ومظاهرها ، ويجمع بين عناصر الخير مهما كانت الوانهم وعروقهم ، فى دعوة إلهية ، ورحمة سماوية،تصحح مقاييس العدالة ، وموازين التقدير ، فى هذا العالم ، الذى لا يزال فى أشد الحاجة الى مبادىء الخير والرحمة والإنسانية كما كان فى عهد الهجرة الأولى .

---

(١) آية ٣٩ من سورة الحج . (٢) آية ١٩٠من سورة البقرة . (٣) آية ٣٦ من سورة التوبة (٤) الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور عبدالحليم محمود . (٥) آية ٢٠٧ من سورة البقرة . (٦) البخارى .(٧) آية ١٣ من سورة الحجرات . (٨) الطبرانى جمع الفوائد جـ ٢ ص ٨٤ . (٩) آية ١٠٠ سورة التوبة ، (١٠) ٨ سورةالحشر . (١١) الترمذى ، فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جـ١٨ ص٢٨٢ . (١٢)و(١٣) البخارى(١٤)و(١٥) ابو داود وجمع الفوائد جـ٢ ص٨٠. (١٦) ابن ماجه باسناد حسن . (١٧) ابو داودوالترمذى وجمع الفوائد جـ٢ .(١٨) مسلم والترمذى والنسائى . (١٩) البخارى ومسلم .(٢٠) البخارى .

من حديث الهجرة في القرآن الكريم

للدكتور/محمد الدسوقى

١ ــ مما لا جدال فيه أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت نقطة تحــول فى تاريخ الدعوة الاسلاميــة ، وأنها كانت أمرا لا مناص منه لحماية الدعوة الجديدة ــ وهى فى مستهل حياتها ــ من الحاقدين عليها والمتربصين بها ، على أن هــذه الهجرة لــم تكن فــى جوهرها فرارا وهروبا ، ولكنها كانت عملا لا بد منه لتحقيق الحرية الدينية للناس كافة ، فلا يعلــو فى الأرض سلطان فوق سلطان الله ، ولا يكون للسادة والطغاة سبيل على النــاس فيما يؤمنون به .

٢ ــ وقد تحدث القرآن الكريم عن تلك الهجرة حديثا مجملا يعتمد على العبارة الموجزة والكلمة الموحيــة ، وهذا هو منهج القرآن بوجه عــام فى عرضه للأحداث والأحكام ، بيد أن حديث الكتاب العزيز عن الهجرة لــم يكن خاصا بذلك الحدث الرائـــع الذى ارتبط بتاريخ الأمة الاسلاميــة كل الارتبــاط ، وأصبح رمزا للفداء والتضحية والجهاد ، ولكنه تجاوزه إلى ما يتصل بالمعنى اللغــوى لكلمــة الهجرة ، وإن كان بين هذا المعنــى وذلك الحدث صلــة وثيقة ومعــان مشتركة . .

يقول ابن فارس فى مقاييس اللغة عن مادة هجر : الهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وهجر والآخر على شد شىء وربطه .

فالأول الهجرة : ضد الوصــل ، وكذلك الهجران ، وهاجر القوم من دار إلى دار : تركوا الأولى للثانية ، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة ، ثم قال : ومن الباب : الهجر : الهذيان ، يقال : هجــر الرجل ، والهُجــر : الأفحاش فــى المنطق ، يقــال : أهجر الرجــل فى منطقه ، قال :

كما جدة الأعراق قال ابن ضرة .
عليها كلاما جار فيه وأهجرا

ورماه بالهاجرات ، وهى الفضائح، وسمى هذا كله من المهجور الذى لا خير فيه ، ويقولون : هذا شىء هجر، اى لا نظير له كأنه من جودته ومباينته الأشياء قد هجرها .

٣ ـ وحديث الكتاب العزيز عن الهجرة بمفهومها اللغوى تناول من جهة العلاقة بين الرجل والمرأة ، وما يجب أن تقوم عليه من السكن والمودة والرحمة كما عرض من جهة أخرى لبعض مواقف الكفار من الرسل ومعجزاتهم وما يجب أن يكون عليه هؤلاء ليبلغوا رسالة الله إلى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولعل هذا كان سببا للنص على أن يكون هجر محمد صلى الله عليه وسلم لقومه هجرا جميلا يقوم على الصبر والإغضاء عن الإساءة دون أن ينأى عنهم ، أو يقطع صلته بهم .

٤ ـ ومن ذلك الحديث الذى عرض لبعض مواقف الكفار من الرسل ومعجزاتهم ما جاء فى سورتى « المؤمنون » و « الفرقان » ، فقد وردت فيهما آيتان تشيران إلى ما كان من طغاة مكة نحو القرآن الكريم .

وقد جاءت آية « المؤمنون » وهى « مستكبرين به سامرا تهجرون » (١) فى معرض عقاب هؤلاء الطغاة يوم القيامة ، وأن ما هم فيه من العذاب إنما كان بسبب استكبارهم عن الحق وعدم اذعانهم له « حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون . لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون . قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون . مستكبرين به سامرا تهجرون » .

إن المترفين أشد الناس ولعا بالانحراف والذهول عن المصير ، فهاهم أولاء يفاجأون بالعذاب الذى لا يرحمهم فإذا رفعوا أصواتهم مستغيثين فلا نصير لهم لاستعلائهم فى الأرض وتراجعهم على أعقابهم إذا تليت آيات الله ، كان هذا الذى يتلى عليهم خطر يحذرونه أو مكروه ينأون عنه (٢) ،قال الفخر الرازى فى تفسيره : تنكصون : أى تنفرون عن تلك الآيات وعمن يتلوها كما يذهب الناكص على عقبيه بالرجوع الى ورائه (٣) .

ولم يكتف الكفار بهذا النكوص والاستكبار ، فقد أطلقوا ألسنتهم بهجر القول وهم يتحلقون حول الأصنام فى سامرهم بالكعبة حيث ينالون من القرآن والرسول ، فكلمة « تهجرون » تعنى الإفحاش فى القول والبذاءة فيه ، وكان كفار مكة فى سامرهم يتخذون القرآن والرسول مادة للسخرية والهزء والاتهام .

ولعلماء التفسير آراء فى عود الضمير فى « مستكبرين به » فمنهم من ذهب إلى أنه يعود على الحرم ، ومنهم من قال : الضمير عائد على القرآن ، وقالت جماعة : هو عائد على الرسول (٤) .

والراجح أن الضمير عائد على القرآن ، لأن الآيات تتحدث عن استكبار المترفين والطغاة عن سماعه ، ولما كان استكبار هؤلاء عن آيات الله وتطاولهم عليها يستتبع حتما الإساءة الى الرسول أمكن القول بأن إفحاش المترفين شمل القرآن والرسول .

٥ ـ وإذا كانت آية « المؤمنون » قد أشارت فى إجمال إلى ذلك الموقف

الذى اتسم بالتطاول والسخرية والاستكبار والبذاءة فان هناك آيات فصلت ذلك الموقف الكريه بعض التفصيل وبينت كيف لجأ كفار مكة إلى مختلف الوسائل لمحاربة القرآن وصد الناس عنه .

ومن ذلك انهم اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالكذب فى دعواه النبوة ، ونزول القرآن عليه « أؤلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب اشر » (٥) ، وعى اتهام الرسول بالكذب حكم على القرآن بأنه ليس من عند الله فلا يسمع الناس له ولا يقبلون عليه .

وقد أضاف الكفار الى اتهام الرسول بالكذب اتهامه بأن هناك من يعاونه ويمده « إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا » ، « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (٦) .

وفى قولهم أساطير الأولين إشارة إلى بعدها فى الزمان فلا يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن تملى عليه من حفاظ الأساطير الذين ينقلونها جيلا بعد جيل ، لذلك يرد القرآن عليهم بأن الذى يمليها على محمد هو الله الذى يعلم الأسرار جميعا ولا يخفى عليه نبأ فى الأولين والآخرين (٧) : « قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما » (٨) .

وحسب كفار مكة أن التخليط على محمد وهو يتلو كلام الله سيحقق لهم الغلبة عليه وتنفير الناس منه ، لأن صوته لن يصل خالصا إلى الآذان والقلوب ، بسبب ما يحدثه هؤلاء السفهاء من الصفير والتصفيق ونحوهما ،فيصير ما يتلوه الرسول لغوا لا معجزة .

« وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (٩) ، قال ابن عباس : قال أبو جهل : إذا قرأ محمد فصيحوا فى وجهه حتى لا يدرى ما يقول ، وقال مجاهد : المعنى « والغوافيه » بالمكاء والتصفيق والتخليط فى المنطق حتى يصير لغوا (١٠) .

ولما اجتمع نفر من قريش لوصف الرسول بما يجعل وفود العرب التى كانت تقصد مكة فى كل موسم من مواسمها تعرض عن محمد ولا تسمع لما يتلوه عليها من الذكر الحكيم — قال الوليد بن المغيرة عن القرآن والرسول بعد أن بين أن محمدا ليس بكاهن ولا شاعر ولا مجنون ولا ساحر كما رأى بعض طغاة مكة : إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق (١١)، وإن فرعه لجناة(١٢) ، وما انتم قائلون من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر ، يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته (١٣) .

وسجل الكتاب العزيز ما كان من الوليد ووصفه القرآن بالسحر ، وما أعد الله لهذا المكابر الفاجر من العذاب الشديد . « فقال إن هذا إلا سحر يؤثر . إن هذا الا قول البشر ، سأصليه صقر ، وما ادراك ما صقر ، لا تبقى ولا تذر » (١٤) .

٦ — وأما آية الفرقان وهى « وقال الرسول يا رب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا » (١٥) . فإنها تعبر فى إجمال عن ذلك الموقف أيضا ، وتشير إلى حزن الرسول لما

يصدر عن قومه من قولهم فى القرآن غير الحق ، أو لانصرافهم عنـــــه ، « فمجهورا » تعنـــى فحش القـــول ، كما تعنى أيضا الاهمال والترك (١٦).

وجملة القول أن العرب كانـــوا على يقين من أن القرآن الذى جاءهم به محمد ليس من نسق ما يقولون ، وهم عاجزون عـــن أن يحاكـــوه أو يقلدوه ، غير أن عصبية الجاهليـــة سولت لعبدة الأوثان والأصنـــام أن يحاربوا هذه المعجزة الخالدة بمختلف الوسائل ليصرفوا الناس عنها ، لقد هجروا القرآن فلم يفتحـــــوا لــــه أسماعهم ، ولم يتدبروه ليدركوا الحق من خلاله ، وهم مع هـــذا كانـــوا لا يتورعون عن السخرية والاستهـــزاء وفحش القول ، ولكنهم بالرغم ممـــا قاموا به باءوا بالخزى والهزيمـــــة « يريدون أن يطفئوا نـــور اللـــه ، بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » (١٧) .

٧ ــ واستقبلت البشرية بانـــزال القرآن وانتصار دعوته عهدا جديـــدا لم تألفه من قبل فى تاريخها الطويل ، فقد كانت قبيل إنزال القـــرآن تعانى من الوثنية والجهل والتخلف ، وتعيش حياة طابعهـــا العدوان والطغيـــان وامتهان كرامة الإنسان ، فلما بعث الله محمدا بهذا الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـــه ، والذى يهدى للتى هى أقوم كان النور الذى بدد ظلام الشرك ، والدستور الـــــذى حقق الأخوة والمســـاواة والعدالة والفضيلـــة ، والحريـــــة والكرامة ، والعلم والحضارة .

وكان المسلمون الأولون صـــورة حية واقعية لأحكام القرآن وآدابـــه ، فكانوا بهذا خير أمة أخرجت للناس وعاشوا أذلة على المؤمنين أعـــــزة على الكافرين ، ورفعوا منـــــارات الحضارة الإنسانية فى كل مكـــان وطئته أقدامهم ، وكـــانوا بحضارتهم التى ترعى خط الروح والجسد وتؤمن بالدنيا والآخرة وتحترم العقل وتدعو إلى التفكير والنظر ــ القادة والرواد إلى القوة والنهضة والمدنية، ومن ثم يمكن القول ــ دون اسراف أو مبالغة ــ بأنه منذ نزول القرآن الى اليـــوم لم ينشأ فى العالم أثر جديد لا يرجع إلى هذا الكتاب الكريم بسبب قريـــب أو بعيد .

٨ ــ ولكن ــ لأسباب مختلفة ــ لم يعد المسلمون كما كانوا صـــورة حية للأحكام والأخـــلاق القرآنيـــة ، واصبحوا على الرغم من كثرة تـــلاوة آيات الله البينات كأنهم قد هجـــروا القرآن وانصرفوا عنه ، وآية ذلك ، واقعهم المؤلم الذى يشهد بضعفهـــم وتفرقهم ومهانتهم وتعرضهم لأخطار متعددة تخطط فى حقد وكيد لإبادتهم والقضاء عليهم .

والمؤمنون بالقرآن الآخذون أنفسهم بكل احكامه وأخلاقه لا يرضون بالدنية فى دينهم ودنياهم ، فهم دائما كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، لأنهم أقوياء بالإيمان الخالص والأخـــــوة المقدسة والوحدة الجامعة ، واتخاذ كل أسباب القوة المادية ، حماية للحق ونصرا للعـــــدل ، وتحقيقا للعـــزة والحرية والكرامة .

روى الترمذى بسنده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال : سمعت رسول الله صلـــى الله عليه وسلم يقول : ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، قلت : يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال : كتـــاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو

الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » (١٨) .

ولا امتراء فى أن المسلمين اليوم فى فتن كقطع الليل المظلم ، يشهد بذلك كما أومأت واقعهم المؤلم ، وهم لن يخرجوا من هذه الفتن المدلهمة ، ويدرأوا عن أنفسهم تلك الأخطار الجسيمة الا إذا اعتصموا — قولا وعملا — بكتاب الله ، فهذا هو الطريق ولا طريق سواه ، وصدق الله العظيم « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبيل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (١٩) .

---

(١) الآية ٦٧ .

(٢) فى ظلال القرآن هـ ١٨ ص ٣٧ .

(١) تفسير الفخر الرازى هـ ٢٣ ص ١١٠ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير هـ ٦ ص ٢٧ .

(٣) تفسير الفخر الرازى هـ ٢٣ ص ١١٠ .

(٤) أنظر تفسير ابن كثير هـ ٦ ص ٢٧ .

(٥) الآية ٢٥ فى سورة القمر ، وأشر : أى مختال متكبر أو عابث فرح .

(٦) الآية ٤ ، ٥ فى سورة الفرقان .

(٧) فى ظلال القرآن هـ ١٩ ص ١٧ .

(٨) الآية ٦ فى سورة الفرقان .

(٩) الآية ٢٦ فى سورة فصلت .

(١٠) تفسير القرطبى هـ ١٥ ص ٣٥٦ .

(١١) المذق : النخلة ، يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها .

(١٢) أى فيه ثمر يجنى .

(١٣) سيرة ابن هشام هـ ١ ص ٢٧٠ .

(١٤) الآيات ٢٤ — ٢٨ فى سورة المدثر .

(١٥) الآية ٣٠ .

(١٦) أنظر تفسير القرطبى هـ ١٣ ص ٢٧ ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادى هـ ٥ ص ٣٠٤ .

(١٧) الآية ٣٢ فى سورة التوبة .

(١٨) القرآن المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٥ .

(١٩) الآية ١٥٣ فى سورة الانعام .

عَاشـوَراء اليهود وعَاشـوراء المسـلمين

للدكتور علي عبد الواحد وافي

فى الثامن عشر من شهر سبتمبر من هذا العام احتفل اليهود بيوم من أعظم ايامهم ، وهو اليوم العاشر من شهر تشرى العبرى (سنة ٥٧٣٣ من بدء الخليقة بحسب ما يزعمون) . وشهر تشرى هو أول الشهور فى سنتهم المدنية ، وان كان سابعها فى سنتهم الدينية ، لأن سنتهم الدينية تبدأ بشهر نيسان . ويسمى هذا اليوم عندهم يوم (عاشور) لوقوعه فى العاشر من الشهر ، ويسمى كذلك يوم (كبور) أى يوم الكفارة ، لأن اليهود يصومونه راجين بصومهم هذا أن يكفر الله عنهم ما اقترفوه من آثام فى أثناء العام المنصرم . وقد جاء أمر اليهود بتعظيم هذا اليوم وصيامه وعدم مزاولة الاعمال فيه فى عدة فقرات من اسفار توراتهم وعهدهم القديم « سفر اللاويين فقرة ٢٩ وتوابعها من اصحاح ١٦ ، وفقرة ٢٧ وتوابعها من اصحاح ٢٣ . وسفر العدد فقرة ٧ من اصحاح ٢٩ .. وفى مواضع أخرى كثيرة » . ويزعم اليهود أنه لم يفرض عليهم من الصيام الا صيام هذا اليوم ، وأما الأيام الاخرى التى يصومونها فيعتقدون أن صيامهم فيها نافلة .

هذا يوم عاشوراء اليهود أو يوم (كبور) ..

وأما عاشوراء المسلمين فهو اليوم العاشر من الشهر الاول من السنة

العربية ، وهو شهر المحرم . فيتفق مع عاشوراء اليهود فى أن كليهما عاشر يوم من أول شهر من السنة ، وان كان العاشر من أول شهر من شهور السنة العبرية قلما يتفق ميقاته مع العاشر من أول شهر من شهور السنة العربية . ويرجع السبب فى ذلك الى أن السنة العبرية سنة قمرية — شمسية ، مقدارها اثنا عشر شهرا قمريا ، ويزاد عليها كل ثلاث سنين شهر يسمى آذار الثانى لتساير السنين الشمسية أو تقرب منها ، على حين أن السنة العربية سنة قمرية خالصة مقدارها اثنا عشر شهرا قمريا ولا يزاد على شهورها شيء ما .

وكما يطلق على العاشر من المحرم اسم (عاشوراء) يطلق على التاسع منه اسم (تاسوعاء) . وهاتان التسميتان عربيتان على الأصح ، وليستا معربتين من العبرية ولا من لغة أخرى .

وقد روى عن الرسول عليه السلام أحاديث يدعو فيها الى صيام العاشر من المحرم كما رويت عنه أحاديث أخرى يدعو فيها الى صيام التاسع والحادى عشر منه ، واستخلص ابن قيم الجوزية من الاحاديث الواردة فى هذا الصدد أن أكمل الحالات أن يصام يوم عاشوراء ويوم قبله ويوم بعده ، ويليها أن يصام تاسوعاء وعاشوراء فقط، ويلى ذلك افراد عاشوراء بالصوم .

هذا ، وقد ورد فى النشأة الاولى لصيام يوم عاشوراء حديثان :

(أحدهما) ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس أن الرسول عليه السلام قدم المدينة يوم عاشوراء فاذا اليهود صيام ، فسألهم عن ذلك ، فقالوا هذا يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى فيه موسى وبنى اسرائيل . فقال : نحن أولى بموسى منكم ، وانى لأحتسب على الله أن يكفر بصيام هذا اليوم ذنوب العام السابق له . فصامه وأمر المسلمين بصيامه . .

و (الآخر) ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما كذلك عن عائشة رضى الله عنها أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان ، فقال من شاء فليصمه ومن شاء أفطر .

ويظهر فى بادىء الرأى أن فى هذين الحديثين مجالا للنظر من أربعة وجوه :

(أولها) أنه يظهر من الحديث الاول أن النشأة الاولى لصيام عاشوراء عندالمسلمين كانتيوم أنقدم الرسول عليه السلام المدينة فى هجرته اليها وعلم أن اليهود يصومونه ، على حين أنه يظهر من الحديث الثانى أن صيام يوم عاشوراء يرجع الى أصل جاهلى قديم سابق بأمد طويل لهجرته عليه السلام .

و (ثانيها) أنه يظهر من الحديث الأول أن الرسول عليه السلام قد صامه وأمر المسلمين بصيامه تكريما لموسى عليه السلام واستصحابا لشعيرة من شعائر دينه ، على حين أنه يظهر من الحديث الثانى أن الرسول عليه السلام قد صامه وأمر المسلمين بصيامه اقرارا لشعيرة كانت قريش تسير عليها فى الجاهلية واستصحابا لهذه الشعيرة ، وأن المسلمين ظلوا على هذا الاساس يصومونه وجوبا الى أن فرض صيام رمضان .

و (ثالثها) أنه يظهر من الحديث الأول أن الرسول عليه السلام قدم المدينة فى هجرته اليها فى اليوم العاشر من المحرم ، مع أن الثابت أنه

قدمها يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية ، وكان هذا اليوم يوافق اليوم العاشر من شهر تشرى العبرى سنة ٤٣٨٣ من بدء الخليقة بحسب ما يزعمه اليهود ، وهو يوم عاشوراء عندهم أو يوم (كبور) . وقد تأكد ذلك من تحقيق للعلامتين ابى الريحان البيرونى فى كتابه (الآثار) ومحمود باشا الفلكى فى كتابه بالفرنسية « التقويم العربى قبل الاسلام » .

و (رابعها) أنه قد ورد فى الحديث الثانى أن اليهود يصومون عاشوراءهم تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله تعالى فيه موسى وبنى اسرائيل ويسر لهم (الخروج) من مصر وأغرق فرعون وجنده ، مع أن الثابت أن اليهود يصومونه للاستغفار وطلب العفو والتكفير عما ارتكبوه من ذنوب فى العام المنصرم كما تصرح بذلك نصوص العهد القديم التى اشرنا اليها فيما سبق ، وكما يدل عليه الاسم نفسه الذى يطلقونه على هذا اليوم « يوم (كبور) أى يوم الكفارة » .

وأما اليوم الذى يحتفلون فيه بذكرى نجاة موسى وبنى اسرائيل وخروجهم من مصر وغرق فرعون وجنده فهو اليوم الثامن والاخير من أيام احتفالهم بعيد الفصح Pesakh فِصَحْ ، أى الفسح أو الخروج أو المَرور ، ويسميه الفرنجة باك » ويجىء فى الحادى والعشرين من شهر نيسان ، وهو أول الشهور فى سنتهم الدينية « يجىء عيد الفصح عندهم فى اليوم الرابع عشر من شهر نيسان ويمتد احتفالهم به سبعة أيام بعد يوم العيد نفسه ، فينتهى احتفالهم به فى اليوم الحادى والعشرين من شهر نيسان ، وهو اليوم الذى تذكر التوراة أن الله اغرق فيه فرعون وجنده ونجى موسى وبنى اسرائيل ويسر لهم (الخروج) من مصر » . وعيد الفصح والأيام السبعة التالية له ليست أيام صيام عندهم ، بل هى أيام توسعة فى المأكل والمشرب ، فعند غروب الشمس من يوم عيد الفصح تذبح كل أسرة يهودية خروفا بلون واحد لاشية فيه وتلطخ جدران المنزل بدمه ويأكل أفرادها منه فى أثناء الليل مع خبز بدون خميرة ، ويمتد اكل هذا الخبز سبعة أيام بعد عيد الفصح(1) .

ولما كان الحديثان صحيحين لورودهما فى البخارى ومسلم وقوة سندهما فلا مجال اذن للطعن فيهما او فى أحدهما بالضعف ، ويجب تفسيرهما تفسيرا يدفع جميع الشبهات السابق ذكرها .

وامثل طريق لذلك فى نظرى هو أن يكون المراد بيوم عاشوراء الوارد ذكره فى الحديث الاول عاشوراء اليهود ، وهو العاشر من شهر تشرى العبرى سنة ٤٣٨٣ من بدء الخليقة بحسب ما يزعمه اليهود ، وهو اليوم الذى قدم فيه الرسول عليه السلام المدينة فى هجرته اليها ، وأن الرسول عليه السلام حينما رأى اليهود صائمين هذا اليوم صامه هو كذلك فى هذه السنة بالذات وطلب الى المسلمين أن يصوموه تكريما لموسى عليه السلام ولشرائعه ، ولعله كان كذلك للابتهاج بالمناسبة الاسلامية الخطيرة التى اتفق حدوثها فى هذا اليوم ، وهى نهاية مرحلة هجرته عليه السلام الى المدينة .

وليس فى الاحاديث النبوية ولا فى أخبار التاريخ الاسلامى ما يدل على

أن المسلمين قد صاموا يوم عاشوراء اليهود صوما جماعيا أو طلب اليهم ذلك فى غير هذه السنة . فهو اذن صيام قد حدث فى الاسلام على هذه الصورة مرة واحدة فحسب .

وأما يوم عاشوراء الذى ورد ذكره فى الحديث الثانى فهو يوم عاشوراء المسلمين أو يوم عاشوراء العرب، وهو العاشر من شهر المحرم العربى ، وكانت قريش تصومه فى الجاهلية ، وقد اقر الرسول عليه السلام شريعتهم فى هذا الصدد ، فظل المسلمون يصومونه وجوبا كل عام الى أن فرض صيام رمضان ، فأصبح صيام عاشوراء مستحبا فقط ، اى أنهم قد صاموه وجوبا فى السنة الثانية من الهجرة ، لأن الآيات التى فرض فيها صيام رمضان قد نزلت على الراجح يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة ، اى بعد العاشر من المحرم من هذه السنة .

وبذلك تسقط جميع الشبهات التى تنطوى عليها الاعتراضات الثلاثة الاولى ، لأن منشأ هذه الشبهات راجع الى توهم أن يوم عاشوراء الوارد فى الحديثين كليهما هو العاشر من شهر المحرم العربى .

ولا يبقى بعد ذلك الا الشبهة التى وردت فى الاعتراض الرابع ، وهى الخاصة بالخطأ فى تعليل صيام يوم (كبور) . فقد جاء فى الحديث الاول أن هذا الصوم لتخليد اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى اسرائيل ويسر لهم (الخروج) من مصر وأغرق فرعون وجنده ، مع أن الغرض من صيامه عند اليهود هو طلب التكفير عن ذنوبهم فى العام المنصرم كما سبق بيان ذلك .

وتدفع هذه الشبهة بأن الذين ذكروا هذا الغرض غير الصحيح هم بعض أفراد من يهود المدينة سئلوا عن ذلك ، وكانوا قليلى المعرفة بشعائرهم وحكمتها وأغراضها ، فالتبست عليهم أغراض عيد (كبور) بأغراض عيد (الفصح) ، والصقوا بالعيد الأول الاغراض التى من أجلها يحتفل بالعيد الثانى ، وكان معظم يهود المدينة من عوام اليهود ، بل كان منهم من ينحدر من أمم أخرى غير شعب بنى اسرائيل واعتنق اليهودية بدون علم بتفاصيل شريعتها ، وهم الذين كان يطلق الاسرائيليون على أممهم اسم (الأمميون) لأن اللغة العبرية تنسب الى الجمع ، وفى هؤلاء يقول القرآن الكريم : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون » (آية ٧٨ من سورة البقرة) ..

ولعل الرسول عليه السلام — بالهام من الله عز وجل — قد قصد الى أصلاح هذا الخطأ والاشارة الى الغرض الصحيح من صيام يوم (كبور) حينما قال فى الحديث الذى نحن بصدده : « نحن أولى بموسى منكم ، وانى لأحتسب الى الله أن يكفر بصيام هذا اليوم ذنوب العام السابق له » .

---

(١) أنظر فقرات ٥ — ٩ من اصحاح ٢٣ من سفر اللاويين . وقد اقتصر هذا السفر على أكل الخبز المذكور مدة سبعة أيام تبدأ من اليوم الخامس عشر مع تقديم ضحايا محرقة (تحرق فى المذبح) للرب فى هذه الايام . ويظهر أن ذبح خروف ليلة الخامس عشر وتلطيخ جدران المنزل بدمه وأكل أفراد الاسرة منه هى طقوس زادها أحبار اليهود وفقهاؤهم على ما ورد فى سفر اللاويين .

من وحي الهجرة ..

فكرة الدولة في الإسلام

د. محمد سلام مدكور

يعرف رجال القانون الدستوري ، والدولي العام الدولة بأنها جماعة من الناس تقيم على وجه الدوام في إقليم معين وتقوم فيهم سلطة حاكمة تتولى تنظيم شئونهم وتدبير أمرهم في الداخل والخارج . فالأركان التي يتحقق بها وجود الدولة وقيامها هي :

١ ــ **شعب** : وهو مجموعة الأفراد المقيمين على أرض الدولة والمختصين بجنسيتها ، فالأجانب المسموح لهم بالاقامة العادية في الدول لا يدخلون ضمن الشعب ولا يتساوون مع أفراده في الحقوق والواجبات .

٢ ــ **إقليم** : وهو الرقعة من الأرض التي يقيم عليها شعب إقامة مستقرة دائمة ، ويستوى في ذلك ما إذا كانت هذه الأرض متصلة ببعضها كما هو الكثير الغالب أو منفصلة كالدول التي تتكون ارضها من مجموعة جزر كاندونيسيا واليابان وبريطانيا والبحرين .

٣ ــ **سلطة حاكمة** : ويطلق عليها ــ السيادة ــ تمثل الشخصية المعنوية لهذا الشعب فتتولى تنظيم الشئون في الدولة وتنظيم صلاتها بالدول الأخرى .

فإذا ما استكملت الدولة هذه العناصر حق لها أن تختار النظام الذي يلائمها في تدبير الشئون وإدارة الأعمال وفقا للنظام الذي يناسبها .

فالدولة تنشأ أولا ثم يدور البحث فى تكييف ما يلائمها من نظم .

هذا من الدولة وعناصر وجودها .

وقد جال بذهنى خاطر قديم سبق الكلام فيه ، وهو هل الإسلام دين ودولة . يعنى هل تقتصر دعوته على التوجيه الروحى والتقويم الوجدانى دون تعرض للتنظيم الدولى والتكوين السياسى ؟ وإذا كان الإسلام نظم لكل شأن فى الحياة حكمين : حكما فى الدنيا يحاسب عليه فيها بقوة السلطة الحاكمة ، وحكما فى الآخرة يحاسبه الله عليه وهو اعلم بالنوايا وحقيقة الأمور ، ويكون معنى ذلك أنه دين ودولة ، فكيف نشأت هذه الدولة الاسلامية وتكونت فيها الجماعة الحاكمة ؟ هل هى فكرة طارئة لم يكن لها وجود إلا بعد عصر الرسول . أو وجدت مع وجود الدعوة الاسلامية وارتبط ظهورها بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بعد أن اعدّ العدة ليكون للاسلام القوة والسلطان فيها . وبذا تكون الهجرة بداية ظهور الدولة الإسلامية؟ ويستتبع هذا هل لا بد من إقامة سلطان ؟

فأردت أن اتكشف حقيقته وأتبين موقف مذاهب المسلمين فيه ، واتجاهات الكاتبين في أمره ، وأن أقدم نتاج بحثى **إلى قراء الوعي الاسلامى** فى هذه **المناسبة السعيدة بدء العام الهجرى** الذى نأمل أن يكون عام النصر والخير للمسلمين فى كل بقاع الأرض. وأن تكون كلمة الله فيه العليا فى كل بلد إسلامى .

• • • •

بعث الله رسوله داعيا للحق ومبشرا بنور دين جديد للبشرية كلها ، وتبعه وآمن به بعض المتصلين به ، فآذتهم قريش ، واشتدت فى إيذائها حتى قاطعت بنى هاشم وبنى عبد المطلب كما هو معروف وذلك بعد أن طلبت من أبى طالب عم النبى أن يصده عن وجهته ويمنعه من الاسترسال فى دعوة الناس إليه فرفض الرسول عليه السلام وقال : **« يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته »** .

ولما رأى رسول الله ما اصاب أصحابه من الاضطهاد اذن لهم بالهجرة إلى بلد آخر ، ورأى أخيرا أن يثرب خير مكان لذلك ، لأن الإسلام انتشر بها حتى أصبحت كل أسرة من عرب المدينة تضم فريقا ممن دخل فى الإسلام ، ولأنهم تعهدوا له بالدفاع عنه ورحبوا بهجرته إلى بلدهم . فخرج المسلمون إليها جماعة بعد جماعة وهم آمنون على مستقبلهم بها لقول الرسول لهم : **إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها** ثم لحق بهم صلوات الله عليه وبصحبته أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان وهو فى طريقه الى المدينة كلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم ويحاولون حجز ناقته قائلين : يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة . فيقول : خلوا سبيلها **فإنها مأمورة(١)**

وفى المدينة عنى الرسول بالوسائل التى ينظم بها الحياة فيها فآخى بين المهاجرين والأنصار ليشد أزر بعضهم ببعض ، وليذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ، وبهذه المؤاخاة توثقت الروابط بين المسلمين بالمدينة فكان لهم من وحدتهم قوة أخافت اليهود فى الداخل وقريشاً فى الخارج .

وضع رسول الله نظاما مبدئيا للحياة فى دولة الإسلام الجديدة التى تضم المسلمين من مهاجرين وانصار وتضم اليهود المقيمين بها يتضمن أسساً رئيسية من ابرزها :

١ ــ المسلمون أمة واحدة من دون الناس .

٢ ــ المسلمون .. بعضهم موالى بعض دون الناس .

٣ ــ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .

٤ ــ أن ما يحدث بين أهل المدينة من خلاف أو اشتجار فان مرده الى الله ورسوله .

٥ ــ أن المسلمين واليهود متعاونون على من دَهَم يثرب .

وفى العام الثانى للهجرة وبعد أن استقر الأمر للمسلمين بالمدينة شرع الجهاد فجاء قول الله تعالى : **أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير** .. وكان تشريع الجهاد لتأمين الدعوة ، وصدّ من يقف فى سبيلها ، فأعد الرسول عدته لصد كل اعتداء ، ولما كانت قريش هى البادئة بمناهضة المسلمين وإيذائهم عمل الرسول على إخضاع قريش لحكمه ، وتطهير الكعبة من الأوثان ودخول مكة فى حوزة الإسلام . فاستمال القبائل المقيمة فى طريق مكة الى جانبه ، وخافت قريش من المسلمين بعد أن أخافتهم وحدثت مناوشات بين الفريقين أدت إلى غزوة بدر ثم غزوة احد ثم غزوة الخندق التى انضمت فيها الى قريش بعض القبائل العربية واليهودية ولذا سميت بغزوة الأحزاب .. ثم حدث صلح الحديبية وقد اشترطت فيه قريش بعض الشروط التى قبلها الرسول وكان فى نفس بعض صحابته منها شيء حتى قال عمر بن الخطاب للرسول : ألست برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : اوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام نعطى الدنية فى ديننا ؟! فقال الرسول : انا عبد الله ورسوله . **لن اخالف امره ولن يضيعنى (٢) !!**

وفعلا فقد كان من نتيجة ذلك اعتراف قريش ومن معها بالكيان السياسى للمسلمين وبدولتهم الناشئة وأحسوا بعلو شأنهم مما حمل بعض قادة قريش الى الهجرة الى المدينة ، ومبايعة الرسول على الاسلام من أمثال عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، ولما عملت قريش من جانبها ما يعتبر نقضا لهذه المعاهدة فتح الرسول مكة نفسها فخضعت له واستسلمت من غير قتال ، وطهَّر الكعبة من الأوثان ودخل الناس أفواجا فى الإسلام وأصبحت مكة جزءا من الدولة الإسلامية بل المركز المقدس لهذه الدولة .. وهكذا حتى أصبحت دولة الإسلام فى عهد الرسول عليه السلام قوية ذات منعة وأصبح له فى أقاليمها الولاة والقضاة والجباة ، كما نفذ الأحكام القضائية وأبرم المعاهدات ، وهكذا فقد كانت معالم الدولة موجودة بالقدر الذى يتناسب مع حدودها وذلك العصر .

ففكرة الدولة إذن ظاهرة بوضوح عن فكرة الهجرة وما نشأ عنها ، يدل على ذلك ما جاء فى بيعة العقبة بمكة بين الرسول والأنصار من نصرتهم له على أعدائه مهما يكن من الأمر . يقول (جيب) الانجليزى : إنه لم يحدث بالهجرة انقلاب فى تصور محمد

ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمهمته أو شعوره بها ، فمن الوجهة الشكلية ظهرت الحركة الإسلامية بصورة جديدة ، وأدت الى إيجاد مجتمع قائم ومنظم على قواعد أساسية تحت قيادة رئيس واحد ، لكن هذا لم **يكن إلا مجرد إظهار لما كان مضمرا** . فقد كانت فكرة الرسول الثابتة عن هذا المجتمع الدينى الجديد الذى اقامه أنه ينظم تنظيما سياسيا .. فالشيء الجديد الذى حدث بالمدينة هو أن الجماعة الإسلامية قد انتقلت من المرحلة النظرية الى المرحلة العملية .

ولما كان الحق والحرية إنما يعيشان فى العادة فى ظل القوة ، ولما كان النظام ونفاذ الأحكام لا يتأتى بدون سلطة ، وبقاء الجماعة وعزتها لا تكون بدون حكومة . كان التلازم فى الإسلام بين الدعوة الى الدين ، وقيام الدولة ، فوظيفة الدولة حماية نشر الدعوة والاشراف على تنفيذ الأحكام .

وفكرة الدولة فى الإسلام لم تنشأ فى المدينة بعد أن وجد الرسول له فيها قوة ومنعة ، وإنما هى فكرة ملازمة للدعوة الإسلامية لازمة لحمايتها ، وتقوم الحكومة فيها فى هدى من وحى هذه المبادىء ، ويكون لها حاكم يمثلها ويقوم على تنفيذ حكم الله فيها إذ الواقع أن المبدأ الأساسى للنظرية السياسية فى الإسلام أن الأمر والتشريع لله خاصة لا يشاركه فيه أحد . يقول الله تعالى : « **إن الحكم إلا لله** » فليس لأحد أن يأمر وينهى من غير أن يكون له سلطان من الله ، وأن التشريع لله يستمده المجتهدون مما جاء به الرسول من كتاب وسنة والقول بأن الإسلام دين ودولة كان محل جدل ومناقشة ظهرت فى آونة مختلفة، وظهر من يفصل بين الدين والدولة ويقصر دعوة الإسلام على الناحية الروحية لأنه لم يعن بشأن السياسة والحكم. فالرسول ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين لا تشوبها نزعة ملك، ولا دعوة لتكوين دولة ، وقالوا : **إن كانت الرسالة تستلزم نوعا من الزعامة للرسول فى قومه والسلطان عليهم فإن ذلك ليس فى شىء من زعامة الحكام ورؤساء الدول** .

وقد سبق لنا الرد على شبه هؤلاء (٣) ، كما رد عليها من قبلنا كثير من فطاحل العلماء ، وقلنا : إن مهمة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت فى مكة مجرد البلاغ والانذار ، حتى يعد النفوس الى تقبل الأحكام التكليفية بعد صقلهم بطابع الإيمان ، وحتى يألفوا الطاعة والانقياد على سنة التشريع الإسلامى فى التدرج الذى هو أساس من أسس ذلك التشريع ، ومن الواضح أن حديث « لست بملك ولا جبار » يهدف الرسول بقوله هذا تهدئة الرجل الذى هابه وإزالة الخوف من نفسه . بدليل قوله فى نفس الحديث : « وإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » ..! ولا يقال : إنه لا يمكن أخذ العالم بحكومة واحدة . لأن خضوع العالم لحكومة واحدة عالمية لا يتعارض أبدا مع أن يكون لكل شعب من الأنظمة السياسية والاجتماعية ما يتلاءم مع ظروفه الخاصة . كما أن الحكمة فى أن الرسول لم يعين صراحة من يخلفه ترجع الى رغبته فى إفهام المسلمين بأن أمر اختيار الخليفة موكول إليهم ، وإذا كانت نظم الدولة تخضع لعوامل التطور والتبدل فإنه لهذا لم تتعرض لها النصوص التشريعية إلا بوضع الإطار العام والقواعد الرئيسية حتى

يكون المجتهدون وولاة الأمر في سعة من تطبيق النظم التي تساير مصالح الناس دون اصطدام بنص .

وإذا كانت المسيحية تقوم على أساس مبدأ الفصل بين الدين والدولة كما صرحت النصوص عندهم بذلك فإن الإسلام لم يفصل بينهما وإنما جاءت أحكامه شاملة لشئون الدنيا أيضا ومنها مشروعية الجهاد والجنوح للسلم وإبرام المعاهدات ، وإحكام علاقات الأفراد أو الجماعات من أحكام مدنية وجنائية ودولية ودستورية وما يتعلق بتكوين الأسرة والعلاقات بين أفرادها .

وإذا كانت جمهرة المسلمين من عصر الرسول حتى الآن على أن الإسلام جاء بالدين والدنيا ، وإذا كان هناك من يقتنع بما يقوله الفرنجة والغربيون أكثر مما يقتنع بقول غيرهم فاننا نعرض بعض أقوال الغربيين الذين انتهت بهم بحوثهم الحرة البعيدة عن التعصب الى أن الإسلام دين ودولة بكل ما تحمله كلمة دولة من معنى ومدلول . فقد اعترف بهذه الحقيقة كثير من المستشرقين (٤) :

يقول الدكتور « فتزاجرالده » ليس الإسلام دينا فحسب ، ولكنه نظام سياسي أيضا ، وعلى الرغم من أنه قد ظهر في العهد الأخير أفراد من المسلمين ممن يصفون أنفسهم بأنهم عصريون يحاولون أن يفصلوا بين الناحيتين فإن صرح التفكير الإسلامي كله قد بني على أساس أن الجانبين متلازمان لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر .

ويقول الدكتور شاخت : إن الإسلام يعني أكثر من دين ، إنه يمثل أيضا نظريات قانونية وسياسية ، وجملة القول بأنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معا .

ويقول الأستاذ (جيب) الانجليزي : صار واضحا أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية ، وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين في الحكم وله قوانينه وأنظمته الخاصة ..

ويقول الامام الشاطبي : إن الجانب الروحي في الأحكام والقوانين الاسلامية هو التكليف من الشارع والخضوع والامتثال من المكلفين وهذا هو العنصر الديني فيها . أما الجانب المادي فهو تنظيم أمور الناس ورعاية أحوالهم بالأحكام الإسلامية من جانب الشارع والانتفاع العملي وتحقق المصالح من جانب الأمة ، وقد امتزج الأمران وصعب التفريق في أحكام الإسلام بين ما هو دين وما هو دنيا .. فالأحكام الشرعية إذن تقوم على المعنى التعبدي الروحي ، وعلى المعنى القانوني النافع للانسانية لتنظيم حياتها .

•• ••

هل لا بد من إقامة سلطان يحكم الناس ؟

بينا أن الرسول عليه السلام كان رئيس الدولة يدين له الجميع فيها بالولاء وكان له السلطان الروحي والمادي ، وأقام حكومة تحت سلطانه فماذا من شأن هذا المجتمع بعد وفاته ؟ هل لا بد من خليفة يقوم على رعاية شئون الدولة وما يتعلق بالنواحي المادية فيها ؟ نعم إن ذلك

أمر لازم فقد خلف أبو بكر الرسول صلى الله عليه وسلم فى السلطان المادى فقط يسوس المسلمين ويدير شئونهم مستندا إلى أحكام الشريعة ، أما السلطان الروحي فإن الإسلام لم يجعل لاحد سلطة روحية على احد يقول الامام محمد عبده في ذلك : ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة الى الخير والتنفير من الشر .

وجمهور الفقهاء على ان إقامة خليفة ليرعي السلطة المادية فرض من فروض الدين ، يقول الماوردي : الامامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وعقدها لمن يقوم بها واجب بالاجماع وإن شذ عنهم أبو بكر الاصم ، وقالت طائفة إن ذلك الوجوب مصدره العقل لا الشرع لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ، وقالت طائفة ، بل إن وجوب إقامة الامام مصدره الشرع لأن الامام يقوم بأمور شرعية قد كان يجوز فى العقل الا يرد التعبد بها فلم يكن العقل مجوزا لها ولكن جاء الشرع بتفويض الأمر إلى وليه فى الدين ، نفرض علينا طاعته فيما يأمرنا به فى نطاق احكام الشرع ...

وقال ابن حزم : اتفق جميع أهل السنة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة،وان الامة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم حكم الله ويسوسهم بحكم الشريعة . ما عدا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا : لا يلزم الناس فرض الامامة ، إنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم .. ثم قال . وقول هذه الفرقة ساقط .. فالقرآن والسنة وردا بوجوب الامام .. فاقامته على هذا تجب بالشرع لا بالعقل .

لكن يرى بعض الزيدية أن نصب الخليفة إنما يجب فعلا على الأمة لكن وجوبه عن طريق العقل لا الشرع لأن الاجتماع ضروري للبشر ومن لوازم الاجتماع الاختلاف والتنازع .. ويمكن القول بأن خلاف هؤلاء هيّن يسير إذ لا مانع من ان يوجب العقل إقامة الامام ويجيء الشرع مؤيدا لمقتضى العقل .

وهناك من الخوارج من اتجه الى أن الامامة ليست واجبة بأى وجه ، وإنما الواجب هو إمضاء حكم الشرع وتنفيذ ما أراد الله وقد يتم ذلك بتوافق افراد الأمة فيما بينهم على إقامة العدل وتنفيذ احكام الشرع من غير حاجة الى حاكم وسلطان ، وهذا فى الواقع أمر لا يتفق مع طبيعة البشر بحال ودلت التجارب على بطلانه .

ينتج من هذا كله أن الإسلام دين ودولة ، وانه جاء منظما لشئون الحياة كلها ولم يقف عند الناحية الروحية فقط ، وأن نصوصه وضعت الأسس العريضة فى تنظيم المعاملات المدنية والتجارية وسائر المعاملات من بيع ورهن وغصب وضمان وإجارة وإعارة وإيداع وصلح وما يتعلق بتكوين الأسرة والعلاقات بين افرادها فى الحياة وبعد الممات من الخطبة والزواج واثارة الفرقة بين الزوجين وما يترتب عليها ، وحقوق الأولاد والاقارب والولاية بنوعيها والميراث والوصية وما يتعلق بنظام التقاضى ، وما يتعلق بالجريمة والعقوبة والحرب والسلم والمعاهدات وغير ذلك من كل ما يتعلق بالدولة .

كما ينتج ان إقامة إمام للمسلمين نظام دينى يجب على المسلمين مراعاته وما دام الإسلام دينا ودولة كان من

الطبيعى أن تأخذ الامامة فى المجتمع لون الدين ، وأن يسير الامام فى سياسة المجتمع على هدى من أحكام الدين ..

وإذا كان الشيعة الإمامية يرون أن الإمامة موصى بها فإن جمهور المسلمين على أن الامامة تتم عن طريق البيعة من أولى الحل والعقد (٥) . فمصدر سلطة الإمام مبايعة الجمهور له ورضاهم به فالأمة هى المحافظة للشرع ، وقالوا : إن المبايعة إذا كانت بالإكراه ، أو إذا خرج الإمام عن حدود العدالة فان ولايته لا تعتبر خلافة نبوية ولكنها تعتبر ملكا دنيويا، ومع هذا فقد صرحوا بأن طاعته أولى من الخروج عليه .

وإنا نختتم مقالنا هذا ببعض مقتطفات مما كتبه الحسن البصرى لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يصف فيه الإمام العادل « اعلم يا أمير المؤمنين أن الله قد جعل الإمام العادل قواما على كل مائل ، وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصرة كل مظلوم .. فهو كالراعى الشفيق على إبله الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المرعى ويزودها عن مواقع الهلكة ... وهو كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا ويكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته . وهو كالقلب من الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده .. ثم يختتم كتابه بقوله : فلا تحكم يا أمير المؤمنين بحكم الجاهلية ولا تسلك بهم سبل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك . ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله .. والسلام عليكم ورحمة الله » .

---

(١) الانوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٥٩ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ﻫ ٢ ص ٣٦٥

(٣) راجع لنا فى ذلك البحث المنشور بمجلة القانون والاقتصاد اعداد سنة ١٩٦١ ، وراجع لنا كتاب الاباحة عند الاصوليين والفقهاء .

(٤) انظر : النظريات السياسة الاسلامية للدكتور ضياء الدين الريس ، الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار ، للدكتور محمد البهى ، ومصادر الاحكام الدستورية فى الشريعة الاسلامية للدكتور عبد الحميد متولى ، وراجع لنا مناهج الاجتهاد فى الاسلام ــ تحت الطبع .

(٥) انظر تفصيل ذلك فى كتابنا « مناهج الاجتهاد » تحت الطبع . وانظر لنا نظرية الاباحة عند الاصوليين والفقهاء .

خطبة الجمعة

اللواء الركن محمـــود شيت خطاب

— ١ —

جاءنى ضيوف على غير ميعاد ، وكان ذلك قبل ساعة من صلاة الجمعة فقصدت السوق القريب لأشترى كمية من اللحم وكم كان سرورى عظيما حين رأيت الجزار يتوضأ ويسبل الوضوء ، فقلت لنفسى : هذا مسلم لا يغشنى فسألته أن يقطع الكمية المطلوبة من اللحم ، فقال : اذا أمكن أن تعود الى بعد صلاة الجمعة فافعل .

وقلت له : أرجوك فى بيتى ضيوف وسيتناولون طعامهم بعد الصـــلاة فافعل معروفا وبادر الى اللحم واعطنى حاجتى منه . وقام الرجل وأعطانى ما أردت وكنت واثقا به فلم أحرص على مراقبته وتركته يفعل ما يريد .

وعدت باللحم الى الدار فاذا بالجزار قد استبدل باللحم الذى أردته لحما آخر رديئا لا يؤكل ولا يصلح لشىء .

وقصصت هذه القصة على شيخ المسجد وخطيبه ورجوته أن يجعل منها موضوعا لخطبة الجمعة وأن يركز على قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » .

وحين تطرق الخطيب الى هذه القصة فى خطبة الجمعة ثم أورد الآيات والأحاديث التى تدعو الى الاستقامة وتنهى عن الغش فى المعاملة لاحظت أن المصلين تجاوبوا مع خطبته وأثرت فيهم تأثيرا عميقا .

وحكمة خطبة الجمعة والهدف منها ، هو عرض مشكلة الاسبوع علـــى المصلين وبيان رأى الدين فيها ووضع الحلول الناجعة لتلك المشكلة ، وبذلك يكون الدين للحياة ، ويكون هناك ترابط وثيق بين الدين والحياة ولا تبقى

هناك فجوة بينهما ، كالفجوة بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى .

فهل يعرض الخطباء فى خطب الجمعة مشكلة الاسبوع ويعالجونها ..؟
الواقع أن قسما من الخطباء يعرضون فى خطبة الجمعة من كل أسبوع مشكلة الاسبوع الماضى سياسية أو اقتصادية أو عسكرية ، وبذلك يشدون المصلين اليهم شدا ويجعلونهم ينتظرون موعد خطبة الجمعة بفارغ الصبر .

أعرف مسجدا يبكر اليه المصلون قبل الصلاة بساعات ليحصلوا على مكان فيه فاذا تأخروا فلا بد لهم من أن يصلوا فى العراء خارج المسجد .

هذا الخطيب الذى يقصده الناس في بلده الواسع من كل مكان يرهف السمع ليسمع ما يهم الناس ، ويقرأ الصحف ويسمع الاذاعات ليتلقف ما يهم الناس .
وقد يكون لديه من حصيلة إنصاته وقراءته أكثر من موضوع فيقدم الأهم على المهم ويتحدث عن موضوع الساعة أو مشكلة الأسبوع فينبه الغافل ويرشد الحيران ويعلم من لا يعلم .

وقد حدثنى أحد المعجبين به أنه يكتفى بالاصغاء الى خطيب الجمعة ليعرف أهم حدث فى الأسبوع وينصرف سائر الأيام الى قضاياه الشخصية.
وقد قصدت مسجد هذا الخطيب يوما فاذا به خطيب يستحق الاعجاب لأنه يهدف حقا الى إفادة المصلين ويحرص على ذلك أعظم الحرص .
ولكن كم عدد الخطباء من هذا النوع ....؟

— ٢ —

وددت أن يكون الخطباء كلهم من نوع خطيب المسجد الذى تقصده الجماهير من كل مكان ، ويقصده الشباب خاصة وقد يحضر شاب وهو لا يصلى ، ولكنه يعجب به ثم يعجب بأقواله وأعماله ويصلى تعبيرا عن إعجابه به ، ويصبح من أشد المتحمسين له والداعين لسماع خطبه . وحين ينتهى هذا الخطيب الموفق من إلقاء خطبة الجمعة ومن الصلاة يزدحم حوله الناس مسلمين عليه ووجوههم تطفح بالبشر والسعادة والتقدير والاعجاب.

إن أسباب اعجاب الناس بهذه الخطيب هى : اخلاصه اولا ، وعلمه ثانيا وعمله ثالثا وإعداده للخطبة رابعا وإيجازه خامسا ورغبته فى إفادة الناس سادسا وأخيرا .

تلك هى أسباب نجاحه خطيبا ، وهى أسباب كفيلة لإنجاح كل خطيب .

هو مخلص لدينه ، مخلص لواجبه ، مخلص للمصلين ، لذلك يسأل كل من يراه : ما هى أهم أحداث الاسبوع ؟ ما هو الحدث الذى يؤثر فى مصير المسلمين ؟ ثم هو يقرأ الصحف والمجلات ويصغى الى الاذاعات المرئية والمسموعة ، فاذا استقر رايه على موضوع من المواضيع عكف على اعداد مواده ، كأن الله سبحانه وتعالى لم يخلقه الا من أجل اعداد هذا الموضوع وهو حين يلقى خطابه يشعر كل سامع أنه متجاوب احساسا مع كلماته تجاوبا كاملا وانه لا ينطق بلسانه بل يتكلم بقلبه .

والرجل يصدر عن علم ، فهو خريج الأزهر الشريف ، ولكنه لا يكتفى بمعلوماته القديمة بل يضيف عليها كل يوم علما جديدا .

ومكتبته تضم المصادر القديمة ولكنها تحتوى على المراجع الحديثة ، فهو يأخذ من القديم والجديد كل نافع .

وغرفته فى المسجد مدرسة أيضا ، يأوى اليها الشباب قبل صلاة الجمعة وبعدها ، فيسألون عن أمور دينهم ودنياهم ويتلقون من الشيخ على اسئلتهم أجوبة شافية .

والعلوم موجودة فى الكتب وفى صدور العلماء ، والعمل وحده هو الذى يجعل العلم لله لا للنفس الامارة بالسوء فاذا أصبح العالم بحرا من العلوم بدون عمل ، فلا فائدة ترتجى منه — خاصة فى مجال الدعوة الى الله .
وشيخنا عامل ، بل عمله يسبق علمه ، أى انه يعمل أكثر مما يقول ويطبق على نفسه ما يأمر به الآخرين .

وهو يعد خطبته ويحتفل باعدادها ، حتى يكاد هذا الاعداد يستغرق عليه أكثر وقته فى الاسبوع : يفكر فى موضوعها ويرتب العمود الفقرى لها بنقاط ، ثم يشرح تلك النقاط مستندا على القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال السلف من الأئمة والصالحين وأعمالهم ... وأخيرا يستخلص النتائج التى تناسب الظروف الراهنة والعصر الحاضر . ويستكمل الشيخ بضع صفحات هى نص خطبته الأولى ثم يبدأ باختصار هذا النص ويركز المادة الموجودة فيه حتى يبقى من بضع صفحات صفحتين أو ثلاثا لا يزيد وحينئذ تأخذ خطبته صيغتها النهائية .

لذلك تكون الخطبة موجزة ايجازا غير مخل لأن الشيخ يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان أقل الناس كلاما ، وكانت خطبته موجزة لأنه أوتى جوامع الكلم ، هذه الخطبة المختصرة يكاد يحفظ محتواها كل سامع ويلح الشوق على كثير من الشباب لاستذكار ما جاء فيها وحفظه

فيقبلون على الشيخ راجين أن يسمح لهم باستنساخ نص الخطبة ثم يوزعون نسخا منها على الأصدقاء والأصحاب .

والشيخ الخطيب يحرص على إفادة الناس بخطبته فهو يعتبر أن ذلك رسالة على عاتقه وأمانة فى عنقه واجبة الأداء نحو الله رب الناس ونحو الناس ، لذلك فهو لا ينفك يحرص على إعداد خطابه واختصاره وتجويده وتركيز المعلومات القيمة فيه ومحاولة أن يكون موضوع الساعة ومشكلة الأسبوع حتى يربط بين الدين والحياة .

لقد ذكرت الصفات التى يجب أن يتسم بها خطيب الجمعة من وجهة نظرى كأحد المصلين الذين يتمنون على الله أن يرتفع مستوى خطباء المساجد وأن يكونوا أهلا لاعتلاء منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وطبقت هذه الصفات على شخصية معروفة حتى لا يقول قائل : اننى أطالب الخطباء بما لا يطيقون .

وأعود الى السؤال الذى طرحته من قبل : كم عدد الخطباء من هذا النوع ...؟

والجواب قليل جدا ..
إن أكثر الخطباء يعتبرون الخطبة تكليفا لا تشريفا ، وهم يحرصون عليها بمقدار حرصهم على المكافأة التى يتقاضونها لقاء إلقائها يوم الجمعة ، لذلك يكون إخلاصهم للمال لا للخطبة .

ولا انكر أن فى هؤلاء الخطباء علماء يحملون شهادة (الدكتوراه) من الأزهر الشريف أو شهادات دينية عالية . ولكنهم يعتمدون على علمهم هذا فيحضرون صلاة الجمعة وهم لم يعدوا خطابا ولم يفكروا فى موضوع الخطاب .

وقد دأبت على سؤال كل خطيب أعرفه وأراه قبل الصلاة من يوم الجمعة ما هو موضوع خطبة الجمعة اليوم ...؟

وغالبا ما يكون الجواب : الذى يفتح الله !!!

وما هكذا تورد يا سعد الإبل !!!

والنتيجة أن الخطيب يتيه فى الارتجال فيطيل ويمضى الزمن بدون جدوى .

إن هؤلاء الخطباء غير مخلصين لدينهم وللمسـلمين ، علمهم لا يفيد غيرهم ، وعملهم يدل على أنهم يسلكون سبيل غير المؤمنين ، لأنهم لا يعدون خطبتهم ولا يحتفلون بها الاحتفال اللائق المناسب ، يضيعون أوقات الناس سدى وينفرون الناس من الدين ولا يرغبون الا بفائـدة جيوبهم .

وجود هؤلاء من مصلحة أعداء الاسلام والمسلمين لا من مصلحة المسلمين وبإمكانهم أن يعيدوا النظر فى سلوكهم ليسـتفيدوا ويفيـدوا وليخدموا الإسلام ويخدموا أنفسهم .

إن المصلين يحبون المخلص لدينه ويكرهون المخلص لجيبه ويحبـون العلماء ويكرهون الجهال ، ويحبون العاملين ويكرهون القوالين ، ويحبون الخطبة المعدة ويكرهون الخطبة المرتجلة ، ويحبون الإيجـاز ويكرهون الاطناب ، ويحبون من يحرص على فائدتهم ويكرهون من يحرص على فائدة نفسه .

تلك هى مجمل ما يحبه المصلون من خطباء يوم الجمعة ومجمل ما يكرهون من هؤلاء الخطباء فإذا لم يكن ذلك كافيا ليدل الخطيب على مكانة نفسه هل هو محسن أو مسىء فربما هذه العلامات تكون كافية للذين لا تكفيهم الاشـارة .

الخطيب المحسن يزدحم مسجده ويقبل عليه المصلون مسلمين بعد الصلاة ويتكاثر زواره فى غرفته الخاصة بالمسجد وفى بيته ويجد علامة الحب والاحترام بادية على وجوه المصلين . والخطيب المسىء لا يـؤم مسـجده الا المضطر أو عابر السبيل ويدبر عنه المصلون بعد الصلاة فلا يسلم عليه غير معارفه وتخلو غرفته الخاصة من الزائرين ، ويجد علامـة المقت والازدراء بادية على وجوه المصلين .

أما تعليقات المصلين على الخطيب المحسن بعد الصلاة وتعليقاتهم على المسىء فحدث عن البحر ولا حرج .

ان خطباء الجمعة يستطيعون أن يقدموا الكثير للمسلمين فى هذه الظروف العصيبة التى تجتازها الأمة العربية وهى فى حرب بقاء أو فنـاء مـع اسرائيل .

ونصيحتى للخطباء المحسنين أن يزيدوا من احسانهم وللخطباء المسيئين أن يدققوا فى أسباب اخفاقهم ، وأن يعملوا على تصحيح ما فيهم من عيوب وهفوات .

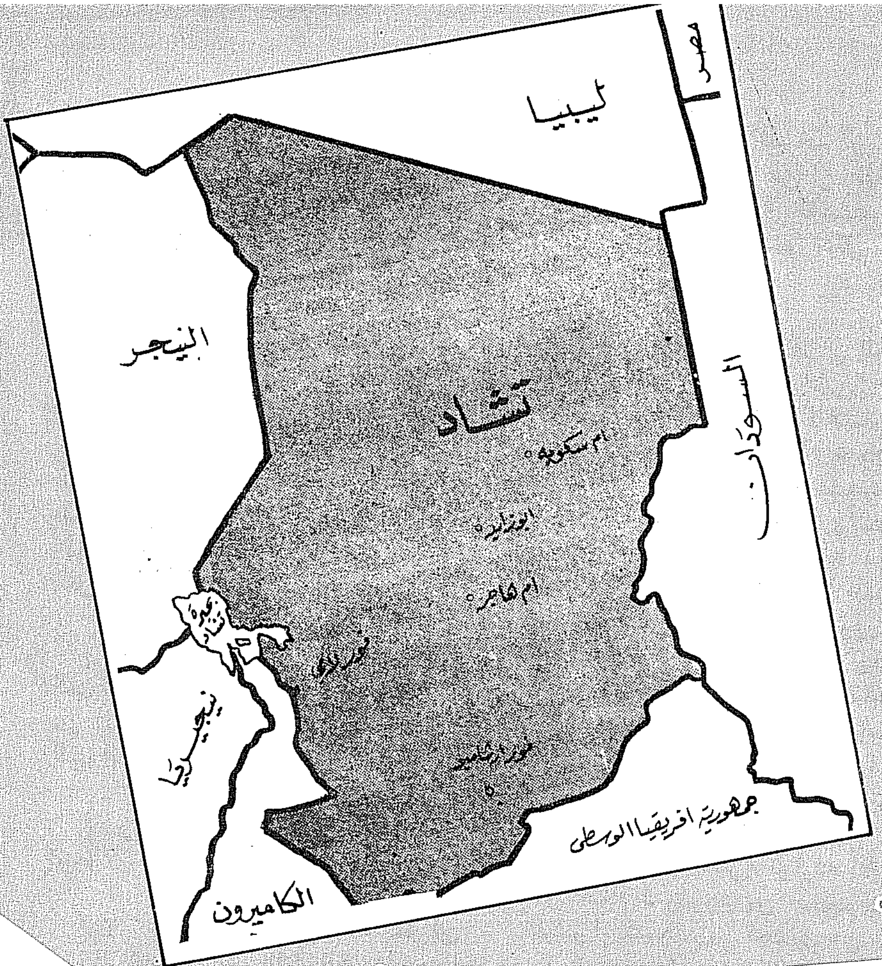
اننى أحب الشيوخ وأتعصب لهم ، لذلك اقدمت على كتابة هذا المقـال إرشادا وتذكيرا . وكم يسرنى أن أراهم جميعا بخير ، والنصيحة للـه ولرسله وللمؤمنين واجب ، والله مع المتقين .

الاسلام والمسلمون في تشاد

للشيخ موسى ابراهيم

ان جمهورية تشاد تضم الآن إمارات متعددة طالما إرتفع في ربوعها لواء الإسلام وقامت علي ارضها دول إسلامية متعاقبة منذ ان أشرقت علينا انوار الاسلام الحنيف واكرمنا الله بأن هدانا الي إتباعه على ايدى الدعاة الأوائل الذين تتابعت مواكبهم المباركة منذ فجر الدعوة الإسلامية كالغيث يحيي الله بها الأرض بعد موتها . وصدق الله العظيم (أفمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) .

وإذا لم يكن المجال متسعا للسرد التاريخي وتتبع الإسلام في مسيرته المباركة نحو هذه البلاد حتي عم نوره ارجاءها من اقصاها الي اقصاها فإنني ساكتفي بأن اضع صورة لواقعنا الحالي محاولا في إخلاص ان المس في حديثي الجوانب المختلفة حتي نخرج في النهاية بفهم مشترك وتصور سليم لواقع بقعة عزيزة من بقاع الإسلام فرض عليها ولأزمان طويلة ان تكون بمعزل عن بقية الوطن الإسلامي وان تقطع كل الصلات بينها وبين إخوتها في العقيدة والثقافة والتاريخ .



يعيش فى جمهورية تشاد الآن ما يزيد على أربعة ملايين من المواطنين يدين بالاسلام من هذا العدد ما يزيد على خمسة وسبعين فى المائة أما الخمسة والعشرون بالمئة المتبقية فهى قسمة بين من استطاعت الكنيسة بما لها من امكانيات ان تحولهم من الوثنية الى الدين المسيحى وبين من بقى إلى الآن على الوثنية التى لا تعرف ربا ولا تدرك إلها .

هذه هى الحقيقة الماثلة أمام الجميع لا ينكرها أحد ، حتى أولئك الذين يحرصون على طمس الحقائق لا يجرؤن على تجاهلها وإن كانوا ينزلون بهذه النسبة قليلا ولكنهم على كل حال يقرون بجوهر الواقع ولا يدفعونه .

بل إنه يمكننا أن نضيف إلى ما سبق أمرين هامين هما أيضا من الحقائق المسلمة من كل المنصفين .

أولها : إن هذه النسبة التى ذكرناها فى زيادة مستمرة ، فلا يكاد يمضى يوم حتى يحضر إلينا من يعلن عن اقتناعه بالدين الحنيف ويرغب فى

إشهار إسلامه والانضمام الى جماعة المسلمين طائعا مختارا رغم انعدام وسائل الدعوة والتبشير بالاسلام ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ثانيها : إنه بحمد الله لم يسجل التاريخ نكوص أى مسلم عن دينه وردته عن عقيدته . وهذا أمر طبيعى فالإسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وتغيير الفطرة أو طمسها أمر عسير مهما حاول المحاولون ومهما أوتوا من وسائل الترغيب والترهيب .

والآن لنا نظرة سريعة على الجوانب الايجابية فى حياة هذا العدد من المسلمين ثم ننتقل بعدها إلى الجوانب السلبية فى حياتهم .

إن واقع بلادنا ينطق بالحقائق التالية :

أولا : إن اللغة العربية لغة القرآن هى لسان الشعب التشادى فأينما ذهبت وحيثما وجدت شمالا أو جنوبا ستجد اللسان العربى وستستطيع أن تتفاهم باللغة العربية . هذه حقيقة يدهش منها كل من ذهب الى ديارنا للمرة الاولى وقد حدثنى بذلك الكثيرون ممن وفدوا الى بلادنا وفوجئوا بهذا الواقع الذى ما كانوا يتخيلونه .

حقيقة إن لساننا مختلط ببعض اللهجات المحلية التى ما زالت باقية إلى الآن وحقيقة أن لغتنا قد تأثرت باللسان الفرنسى بسبب فرضه على التعليم وبحكم اضطرارنا للتعامل مع أصحابه ونحن فى ذلك مثل جميع الشعوب التى مرت بظروف خاصة تسبب عنها هذا التداخل اللغوى الذى ينتهى به الأمر إلى تكوين لغة عامية خاصة بهذا الشعب أو ذاك . ولكن الحقيقة أيضا هى أن اللغة العربية ما زالت لغة الشعب وأن التفاهم بها سهل ميسور لكل من يفد الى بلادنا .

ثانيا : إن العناية بالقرآن الكريم حفظا وتجويدا من أهم الأمور التى يوليها التشاديون أعظم الاهتمام فعلى امتداد الوطن مدنه وقراه توجد الآن الخلاوى – الكتاتيب – يذهب إليها الأطفال يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن ويجودونه . وقلما تجد تشاديا مسلما لم يحفظ القرآن أو جزءا منه فى صباه . وإن نظرة المجتمع الى الشخص الذى لا يحمل شيئا من القرآن نظرة استصغار واستخفاف لدليل على ذلك فحامل القرآن كفء لأرفع الأنساب أما غيره فقلما يجد من يثق فيه أو يرضى بمصاهرته . ونحب أن نوضح هنا أن هذه العناية شىء توارثه الأبناء عن الأجداد وتوجد من غير توجيه أو تنظيم أو تشجيع من أحد بل هى منبثقة من ضمير الشعب وكأنها جزء من فطرته وبعض من كيانه .

ثالثا : الشعائر الإسلامية قائمة مرعية فى طول البلاد وعرضها وصوت المؤذنين يتردد قويا خمس مرات كل يوم وصلاة الجماعة والجمعة والصوم والحج كل ذلك بفضل الله من الجوانب المشرقة فى بيئتنا التشادية .

رابعا : إن حياة شعبنا الاجتماعية تسودها الروح الاسلامية فالتقاليد والسلوك وشعور الأخوة والتكافل وحقوق الجوار وصلة الرحم وكل ما يميز المجتمع المسلم ما زال بحمد الله من سمات شعبنا المسلم المعتز بإسلامه .

هذه بعض الجوانب الايجابيـــة المشرقة فى حياة شعبنا ولكن لا يجب أن ينسينا ذلك جوانب أخرى هى من الاسلام لبه وروحه ، فان شـــعبنا عـــانى وما زال يعـــانى مما دبر له المستعمرون ومن خططهم الحـــاقدة التى دبروها فى عنـــاية متوخين أن يقتلموا هذا الدين وأن يجتثوا جذوره تحت رعاية الكنائس المسيحية تلقن ويطفئوا جذوته وقد حشدوا لذلك كل ما يملكون من دهاء وبطش وإرهاب وهذا حديث طويل نكتفى فى هـــــذا المجال بأن نبرز منه الحقائق التالية :ـــ

١ ـــ منـــذ أن وطئـــت أقـــــدام المستعمرين أرض وطننا فى أواخـــر القرن الماضى لم يواجهوا مقاومة ولا تمردا إلا من العناصر الاسلاميـــــة والقيادات الدينية ، ولقـــد استطاع المسلمون أن يكبدوا الغزاة خسائـــر فادحة وأن يرغموهم على دفع ثمـــن باهظ لعدوانهم . ويكفى دليلا علـــى ذلك أن الفرنسيين لم يتمكنوا مـــن أحكام قبضتهـــــم على البلاد ولـــم يستطيعوا الاستيلاء على كل مناطقها إلا بعد سبعة عشر عاما ظل المسلمون خلالها يقاومـــون فى عنـــاد وإصرار مستعذبين المـــوت فى سبيل اللـــه مضحين بالنفس والمال والولد لهم من عقيدتهم وإيمانهم أعظم حافـــز على الفداء والبذل .

وعندما استتب الأمر للغـــزاة لم ينسوا الـــدروس التى لقنها لهـــم المسلمون ولم يغفلوا عن أن الإسلام هو الروح الذى أمد هؤلاء بكل هذه الطاقة الجبارة والإصرار الأكيد ومن هنا صمموا على أن يبـــذلوا كل مـــا يملكون فى سبيـــل قتل هـــذا الروح وإطفاء نوره وبذلك فقط يستذلون هذه الشعوب ويتحكمون فى مصائرها وقد وضعوا لذلك خططا متكاملـــة أرادوا بها أن يحققوا غايتهـــم تلك وكانـــت عناصر تلك الخطط ما يلى :

١ ـــ عزل الشعب التشادى عـــن بقية العالم الإسلامى عزلا محكما .

٢ ـــ تفريغ البلاد من العلمـــــاء والقيادات الدينية .

٣ ـــ محو الثقافـــة الإســـــلامية العربية واستبدالها بالثقافة الغربية.

٤ ـــ محاربة الاسلام كعقيــــدة بالتبشير بالمسيحية وكسلوك بالقضاء على القيم والآداب الإسلامية وإشاعة الفساد والانحلال :

ولم يكن تنفيذ هذه الخطط بأقـــل احكاما من وضعها . فقد جندوا كل طاقاتهم وسخروا كل إمكاناتهم لإنجاح هذه السياسة ويجب أن نكرر هنا أنه لشىء معجز حقا أن يظل للاســـلام بقية فى تلك البلاد رغم ما بذل فـــى سبيل محوه وإزالته ـــ وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على تلك القـــوة الذاتية التى يتميز بها الإسلام والتى يستعصى بها على كل محاولات المحو والازالة .

ولنعرض سريعا صورا من هـــذه الأعمـــــال الباغية التى ارتكبهـــــا المستعمرون :

١ ـــ لقد كان أول خطوة اقدم عليها المستعمرون هى ملاحقـــة القيادات الدينية ورجال الدين التشاديين قتلا ونفيا وتعذيبا وقد ارتكبوا من أجـــل ذلك من الجرائم ما تقشعر منـــــه الأبدان بحجة أن هؤلاء وهم المسئولون عن المقاومة التى أبداها المسلمـــون ضدهم متناسين أنهم معتدون دخلاء وإن المسلم يأبى عليه دينه الخضوع والذل وإنه مطالب بالدفاع عن وطنه وحريته ودينه وإن ذلك جزء من عقيدته ولكن ما لهؤلاء ومنطق الحق ـــ ولقد

كان من آثار هـذا الارهـاب الذى أشاعوه والقسوة الوحشية التى لجأوا اليها أن تم لهم ما أرادوا فعله وتدفقت افواج اللاجئين إلى الدول المجاورة طلبا للنجاة والأمن ولعلنا نتصور عنف تلك المذابـح إذا علمنا أن عـــدد التشاديين الذين لجأوا إلى السودان وحده نتيجة لهذا الإرهاب يبلغ مليونين من المواطنين اى أنهم استطاعوا أن يفرغوا البلاد من نصف سكانهـا أو يزيد ــ وبطبيعة الحال كان هؤلاء من صفوة العناصر الوطنية التى ايقنـت أنها هدف الحملة المقصود .

٢ ــ وقد صاحب ذلك عزل تـام للشعب التشادى عن بقية العالــم الإسلامى ومنع اى صلة بيننا وبينه . ذلك لأنهـم يعتبرون أن اسـتمرار الصلات بيننا وبين إخواننا المسلميـن جديرة بأن تحيى فينـا روح الأمـل وتمدنا بالـزاد الروحى الذى يكفـل استمرار النضال وحفظ الشخصيـة الإسلامية التى يرون فيها خطرا ماحقا لوجودهم . ومع أن شعبنا قد قـاوم ذلك واستطاع أعداد منه أن يصلوا إلى مصر وغيرها للعلم إلا أن ذلك كان يتم تحت ظروف قاسية ضيقت دائرته بالإضافة الى العقبـات التى تغلـق طريق العودة أمـام من يحاولهـا . والمصير المظلم الذى ينتظر العائد إذا نجح فى الوصول إلى الوطن . وهكذا خلت البلاد من اعلام العلماء وهـوى لواء العلم من فوق ربوع وطننـــا الحبيب .

٣ ــ لم يكتفوا بذلك بل وضعـوا ونفذوا الخطط الرامية الى محو الثقافة الاسلامية العربية واستبدالها بالثقافة الغربية عن روح الشعب والمنافيـة لطبيعته وتقاليده فأنشـأوا المدارس تحت رعاية الكنائس المسيحية تلقن الجيل الجديد لغتهم وثقافتهم وقـد رفض المسلمون هذا اللون من التعليم لأنهم رأوا فيه طريقا تؤدى الى محو الاسلام واذابة الشخصية الاسلامية فـاقتصرت هـذه المدارس على غير المسلمين تقريبا . وقد صاحب ذلك تحريم الكتب العربية وحرق ما وجدوه لدى العلماء منها وكانت حيازة كتاب عربى جريمة يتعرض مرتكبها لشتى انواع المضايقات والمطاردة فى رزقه وامنـــه .

بالاضافة الى ذلك فقد عمدوا الى محـاربة اى جهد يقوم به المسلمون لإيجاد تعليم عربى اسلامى واغلقوا كل معهد أنشىء لهذا الغرض وقـد ترتب على هـذا الوضع الخطير أن حجب عنا تيار الثقـافة الاسلاميـة المتجدد ، وأصبحنا ندور فى حلقـة مفرغة وصار كل زادنا الثقافى هـو ما تعيه صدور العلماء على قلتهم وما نقراه فى كتب الفت فى العصـور الوسطى لزمـن غير زماننـا . ولا تواجه مشاكل العصر ولا تقف أمـام التيارات الثقافية والفلسفية الجديدة التى غزتنا مع الحضارة الغربيـة واتصال ابنائنا بأوروبا ودرنا حـول انفسنا . وأصبح المسلمون اليوم بين اثنين احدها يرفض كل جديد ولو كان حقا لانه لا يجده فيما بين يديه مـن الكتب الاسلامية العتيقة ، والآخـر يرفض كل قديم لأنـه يتنافى مع مـا تعلمه ، وأصبح حقيقة مسلمة لديه . إن الاسلام الصالح لكل زمان ومكان والذى تضمن من المبادىء ــ ما يواجه كل مشكل ومـا يحـل كل معضل لا نعرف عنه الكثير . واصبحنا فى عجز كامل إزاء الايديولوجيات الأجنبيـة الغريبة عن ديننا ويكفى مثالا على ذلك أن الغالبية العظمى من مسلمى تشاد يرون أن من يصدق بأن الانسان قد غزا الفضاء أو وصل القمر فهو كافـر لأن ذلك يتعارض مع الدين ومـع الصورة التى استقرت فى الأذهـان منذ القدم وأن السمـاء ذات أبواب لاتفتح الا بإرادة الله الى آخر ذلـك مما يتعارض مع الواقع العلمى الآن . ثم أقدموا على ما هو ادهى وأمر

من ذلك فى محاربة الإسلام فقد عمدوا الى خطة ذات شقين الأول محو الاسلام كعقيدة بالتبشير بالمسيحية والثانى هو القضاء على القيم الإسلامية باشاعة الفساد والانحلال وتيسير سبل الانحراف والرذيلة .

وإذا كانوا قد فشلوا فى الشق الأول فلم يستطيعوا تحويل مسلم عن دينه فإنهم قد نجحوا نجاحا كبيرا فى الشق الثانى . فأنشئت البارات وبيوت الرذيلة وافسدت الضمائر تحت وطأة الحاجة والعوز وهم الذين يملكون كل ثروات البلاد .

وقد ورثنا نتيجة لكل ما سبق ذكره تركة مثقلة وجيلا لا يعرف من الإسلام إلا اسمه منقطعا عن تراثه الروحى وثقافته الإسلامية . مما جعلنا الآن فى وضع إن لم تتوحد الجهود لعلاجه وإصلاحه فإن المستقبل محفوف بأشر الأخطار واقساها .

هذا هو واقعنا الآن جيل جديد ضائع منقطع الصلة عن قيمه وثقافته ثم نقص مروع فى الكفاءات القادرة على التربية والتعليم ، ثم انعدام وسائل الاصلاح ونشر العلم . وطريق مسدود أمام التعليم الإسلامى والعربى .

ماذا نريد الآن :

بعد أن سردت حقيقة مانعانيه فاننا الآن وقد ولى الاستعمار وتغيرت الظروف وأخذت الأمور تميل مرة أخرى ناحية الاعتدال وتمهد الطريق لمواصلة المسيرة ووجودي الآن بينكم دليل على هذا التحول كما أن تشاد قد استقبلت فى هذا العام مبعوثا للأزهر وهيأت له ما هو جدير به من معاملة طيبة لائقة ومقام كريم . فإننا نتقدم اليكم نناشدكم ممتثلين هدى نبينا صلى الله عليه وسلم « المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا » وقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

نتقدم إليكم وإلى الأزهر الشريف والى العالم الإسلامى قاطبة أن يمد إلينا العون كى ننهض بالواجب ونتدارك الأمر قبل فوات الأوان .

ويمكننا أن نوجز ما نريده من الأزهر الشريف خاصة والعالم الإسلامى عامة فى مطلبين أساسيين .

الأول : إمدادنا بالزاد الثقافى الإسلامى الذى جاء ثمرة لحركة التجديد الاسلامية والذى يعرض الإسلام فى ثوب جديد يستطيع أن يجابه الأفكار الجديدة التى تأثر بها الجيل الجديد . ويزيل تلك الجفوة المتوهمة بين الدين والتطور والتناقض المفتعل بين الإسلام والعلم . حتى يستعيد شبابنا إيمانه ويقتنع بأن الإسلام قد حوى خيرى الدنيا والآخرة وإن تلك الفلسفات وإن تضمنت شيئا من الخير يشوبها الكثير من الشر .

الثانى : إمدادنا بالأساتذة القادرين على سد حاجتنا من العلماء يصححون للناس عقيدتهم ويعلمونهم دينهم وقرآنهم وحديث نبيهم ولغة دينهم .

كل ذلك فى إطار الاتفاقات الثقافية التى أبرمت بيننا وبين مصر وغيرها من الدول العربية الشقيقة .

وإننا نتطلع إلى اليوم الذى نرى فيه مركزا ثقافيا إسلاميا يقود حركة البعث الإسلامى فى تشاد ويصل ما انقطع بين هذه البلاد المسلمة وبين إخوانها فى الدين والعقيدة .

---

* تلخيص لبحث قدم لمؤتمر البحوث الاسلامية الذى انعقد فى القاهرة هذا العام .

هذا الدين

تبدأ حقيقته بمعرفة الله وتنتهي بالعبودية وبدونهما لا يتحقق الإسلام !!

د . محمد سعيد رمضان البوطي

المسلمون اليوم ، إذا عددتهم ، كثير . كلهم ينطق باسم الإسلام ، وكلهم يعلم علماً مما قد يتعلق به ، وما منهم إلا من يرتىء له الآراء ، ويتناول الكثير من جوانبه بالنظر والبحث .

ولكن شيئاً من ذلك كله لم يأت بحصيلة ، ولم يتقدم بهم إلى غاية ، ولم يرفعهم إلى أى شأو مما من شأن الإسلام أن يرفع إليه . حتى سرى من ذلك وسواس إلى ضعاف الإيمان ، وراحوا يتهامسون ، أو يتساءلون : أين هو وعد الله لعباده بالتوفيق والنصر ؟!.

فما هو السبب ؟..

مسلمون .. ولكن على طريقتهم الخاصة

السبب أنهم أو أكثرهم يصرون على أن يفهموا الإسلام كما يحبون ، لا كما هو ثابت ، فى حقيقته وذاته . فهم يعجبون بالإسلام من حيث هو عنوان وشعار ، ويشعرون بفخر انتسابهم إليه وارتباطهم به . ولكنهم ما أن يواجهوا مضموناته وأحكامه حتى يتبرموا بها أو بأكثرها ، وعندئذ يجهدون جهدهم أن يتهربوا من مسؤولياتهم وأعبائها بما يصطنعونه من الحواجز الوهمية بينها وبين الإسلام وبما قد يخيلونه إلى الآخرين من أن الإسلام لا يستلزم شيئاً من ذلك كله .

إنهم يعجبون بشعارات الإسلام ويفخرون بانتسابهم إليه ، لما قد تختزنه هذه الشعارات فى باطنها من البطولات والأمجاد والمظاهر الحضارية التى اصطبغ بها اكثر أحقاب التاريخ الإسلامى .

ولكنهم يتبرمون بالكثير من قيوده وأحكامه ، لما قد تفوته عليهم هذه القيود من متعة الحضارة الحديثة ولذة السعى وراء كل طور جديد . فهم ، من اجل ذلك ، يشتهون أن يكون الإسلام كما يحبون : نسباً فخرياً يربطهم بأمجاد الماضى وسبيلا مفتوحة تيسر لهم اللحاق بمتعة الحاضر وأمانى المستقبل !..

قياس خاطىء

وهم إنما ينساقون إلى هذه الحالة بسبب قياسهم الإسلام على أىّ دين من الأديان الأخرى ، بل ربما على أى نظام من النظم السائدة !..

فهم ينظرون فيما حولهم ، فلا يجدون نظاماً من هذه النظم المختلفة التى تحكم العالم ، إلاّ وتطور بيد الحضارة الحديثة أيما تطور ، بل إنهم لا يجدون دينا من هذه الأديان الأخرى إلا وقد انساق بيد الرغائب والتطلعات الإنسانية ، إلى مداها الأخير .

وما هو الإسلام ؟.. إنْ هو — فى تصور اكثرهم — إلاّ مذهب من هذه المذاهب السائدة مهما اختلفت عن بعضها .. وإذا كانت الأديان والمذاهب والأنظمة المختلفة إنما تمتد آجالها وتطول أعمارها بمقدار خضوعها لسلطان التطور المدنى والحضارى ، وبمقدار سيرها فى ظل الرغائب والمصالح الإنسانية المتطورة ، فان على الاسلام ايضا ، إذا شاء ان يمتد فى أجله ، أن يخضع مثل هذا الخضوع وان يسير محتميا بنفس ذلك الظل .

فمن هنا يرفض من يرفض من المسلمين العود إلى هدى الإسلام فى اكثر أحكامه التشريعية ، ومن هنا يثور من يثور منهم على حجاب المرأة واحتشامها ، ومن هنا يصر من يصرّ منهم على أن يظل النظام الاقتصادى فى الإسلام خاضعا لقانون الفائدة الربوية ، ومن هنا يجادل من يجادل فيهم فى سبيل أن يصبغ كثيرا من الحقائق الاعتقادية فى الإسلام ، بالنظرة الأوربية الحديثة .

إنهم يريدون « الإسلام » ولا يبتغون عن هذا الاسم بديلا (١) . ولكنهم إنما يريدونه عنواناً تجارياً قديما طالما أكسب محلّه أرباحاً واستحوذ على ثقة الغادين والرائحين ، كى يرفعوه فوق مخازنهم الجديدة فينالوا به الثقة نفسها وتتحقق لهم الأرباح ذاتها . وهم ليسوا على استعداد لأن يدفعوا لقاء ذلك حتى « بدل الخلو » : القيمة الأدبية للعنوان !..

ويقول قائلهم : وهل شأن الناس مع المذاهب كلها إلا كذلك ..؟ يروج أحدها لما لقى صاحبه من شهرة أو لما امتاز به من مزايا جمعت حوله الناس ، فيدخل الناس فيه أفواجا خاضعين ومنفذين .. ثم يتسللون إليه مبدلين أو

مصلحين أو مطورين .. ويتعاقب التغيير والتطوير ، ويسير ذلك كله تحت اسم المذهب نفسه بدفع من بقايا ماله من قداسه فى القلوب وهيبة فى النفوس .

ولكن افإن تم ذلك بالمذاهب التي مات اصحابها وخلت الدار من بعدهم لوراثها ، أفيكون دين الله كذلك ؟.. إنه لتصور خاطىء وخطير !..

ولكن أين هو مكان الخطأ فى هذا التصور ؟.. ومن أين يبدأ الطريق للتخلص منه ؟

ليس الإسلام مجموعة احكام فى كتاب

إن مكان الخطأ عند هؤلاء الناس ، أنهم إنما يستجلون هوية الإسلام فى النظر إلى مجموعة قيمه وأحكامه مفصولة عن كلا طرفى الأصل الذى الذى انبثقت منه والكائن الذى اتجهت إليه ! ..

إنهم يحاولون أن يفهموا الإسلام مجموعة مبادىء وأحكام فى كتاب !..
ولكن ما هو مصدر هذه المبادىء ومن هو الذى صاغها واخرجها والزم الناس بها ، ثم من هو هذا الإنسان الذى اخرج هذا الدين من اجله ، وما هى علاقته الحقيقية بمالك هذا الدين والتنظيم ؟.. هذا ما لا يتعبون انفسهم بأى تأمل صادق فيه . فلا هم يطيلون التأمل والفكر فى الرب العظيم الذى هو مصدر هذا الدين ، ولا هم يدققون النظر فى الذات الإنسانية التى جاء من أجلها هذا القانون كله !..

وأى قيمة لمجموعة من المبادىء التى تتعلق بالأخلاق والتشريع ، بعد أن تبتر من كلا هذين الطرفين الخطيرين ؟.. وأى ضمانة هذه التى ستحميها من التبديل والتغيير والاعتساف الكيفى فى يد الأهواء والشهوات المختلفة ؟.. بل أىّ فرق يبقى بينها وبين أي مجموعة أخرى من النظم والأحكام ؟..

لا إسلام بدون معرفة صحيحة لله وعبودية صادقة له

إن الإسلام حقيقة كاملة تبدأ بالمعرفة الصحيحة لله ، وتنتهى بالعبودية الصادقة لله ، وإنما تنهض بنيته التشريعية قوية باسقة ضمن هذين الطرفين ، فمن دونهما لا يمكن أن ينهض للإسلام اى نظام خلقى أو تشريعى .

وإذا عرف الإنسان ربَّه معرفة تامة صحيحة ، عرف من وراء ذلك لا محالة نفسه ، واستجلى هويتها ، وإذا هو عبد ذليل مملوك لله !.. أى إن بين هذين الطرفين تلازماً بيناً فى السلب والإيجاب ، فهيهات أن يضلّ إنسانٌ عن هويته الحقيقية وعن معرفة أنه عبد ذليل مملوك لله ثم يكون صادقاً فى دعوى إيمانه بالله ومعرفته له .

ألم تر إلى موسى كيف نبّهه الله إلى عبوديته ، من حيث نبهه الى ذاته ووحدانيته وذلك عندما خاطبه قائلا :

(إنني أنا الله ، لا إله الا أنا ، فاعبدني وأقم الصلاة لذكري) .

بل ، أولم تر كيف أمر الله تعالى عباده ، إن هم أرادوا الإسلام ، ان يصيروا إليه في طريق العبودية التامة له واليقين الصادق بأنهم ليسوا أكثر من سلعة في بضاعة الرحمن ، وذلك عندما قال :

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

فقد جعل الإسلام نتيجة يقين الرجل بأنه عبد لله عزّ وجل وثمرة لوضع هذه العبودية موضع التنفيذ في كل أعماله وتصرفاته .

ويخطيء من يظن بأن المسلمين إنما ينهض بهم الإسلام إلى الحياة الكريمة الفاضلة بسبب ما في النظم والأحكام الإسلامية من ضمانات لمصالح الناس بقطع النظر عن أي سبب آخر . أجل ، يخطيء من يظن ذلك ، فإن الإسلام إنما يضمن تحقيق مصالح المسلمين بسبب ما قد يتصفون به من الدينونة لله تعالى والعبودية الصادقة له ، وليس للأحكام والنظم ذاتها أي مدخل إلى ذلك إذا فصلتها عن دافع الدينونة لحكم الله والخضوع لسلطانه . بل ليس ثمة أي ضمانة لمن يطبق الإسلام من حيث إنه نظام وقانون فقط أن يجنى من ورائه أي سعادة أو خير !.. فإن كلا من أسباب الخير والشر ليست أسبابا حتمية في حقيقتها ، وإنما هي أسباب جعلية ثبتت لها هذه المزية بجعل الله تعالى وحكمه . والأحكام الشرعية بحد ذاتها أقل من أن تخلق للناس سعادة أو رشادا ، ولكنها ، وقد أمر الله بها ، أصبحت مقياسا لصدق العبودية لله والدينونة لحكمه ، وإنما يسعد الناس بانضوائهم في دين الله والدخول طوعا تحت ذل العبودية لله ، والانسياق وراء مشاعر الرهبة من عقابه والرغبة في ثوابه . ومن دون ذلك الانضواء وهذا الشعور لا تعتبر الشرائع الفرعية للإسلام إلا قيودا تنظيمية شأنها شأن غيرها من الضوابط والقيود .

وانظر .. كم تتجلى هذه الحقيقة بارزة وقاطعة في القانون الإلهي الذي ختمت به الآية التالية من كلام الله عزّ وجل :

(وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) .

إن الخطاب الإلهي — كما ترى — يخبر عن كيفية انتصار الطائفة المؤمنة على خصومهم الذين طالما هددوهم بالطرد والإهلاك وساموهم أشد ألوان العذاب ، وكيف ثبتت دعائم هذه الطائفة في الأرض من حيث أهلك الآخرين ، ثم يلفت النظر إلى أنه قانون إلهي مستمر وليس حادثة جزئية عابرة ، ويعبر عن القانون بهذه الخاتمة : **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** !.. وتلك هي حقيقة الإسلام وجوهره إنه الخشية التي تأخذ بمجامع القلب نابعة من مصدرين اثنين : الخوف من عظمة الربوبية في ذات الله تعالى وامتلاء المشاعر بصفاته عز وجل ، والخوف من وعيده الذي أبلغه أمم الأرض كلها عن طريق ما بث فيهم من الرسل والأنبياء ، وإنما تأتي النتائج الأخرى لاحقة بهذا الخوف ، منوطة بهذا التعظيم ، منساقة وراء هذا الشعور .

وانى لشهوات الأرض كلها أن تقف عندئذ فى الطريق ، أو أن تتغلب على القلب الذى امتلكته مخافة الله ، فراح يفيض على المشاعر كلها صبغة العبوديه الكاملة الصادقه لقيوم السموات والارض ، أو أن تبقى فى النفس شيئا من آثار عصبية أو تبعية أو رابطة تقليد ، أو أن تحمل شيئا من نوازع الفكر والعقل على أن تستخف بالغائب المحجوب الذى اخبر الله عنه فى سبيل اقتناص الحاضر المرغوب الذى جعله الله فتنة وامتحانا .

وهذا ما يفقده المسلمون اليوم

تلك هى حقيقة الإسلام . وتالله إنها الحقيقة التى يفقدها أكثر المسلمين اليوم .

يؤمنون بالله ، ولكنه إيمان محبوس فى سجن رهيب من رواسب الشهوات والأهواء والركون إلى زهرة هذه الأرض !.. إيمان بهذا الشكل لا ريب أن مآله إلى الموت والاختناق ، إن لم يكن ذلك اثناء مرحلة من مراحل العمر فإنه كائن لا محالة عند الوقوع فى سباق الموت .

مسلمون لله ، ولكن على طريقتهم الخاصة ، إسلام لا يتجاوز الحلقوم ولا ينهض على أىّ ساق من استشعار معنى العبودية لله عز وجل !.. مسلمون ويجلسون مع الله على مائدة مستديرة يناقشون فى نظامه واحكامه وحلاله وحرامه ! .. مسلمون ويقول قائلهم : إن كثيرا من أحكام الشريعة الإسلامية لم تعد صالحة للتطبيق ! .. مسلمون ولم تدع الدنيا التى التفت على أفئدتهم واستعمرت مشاعرهم اى مكان صالح فيها للخوف من مقام الله أو الرهبة من وعيده ! .. مسلمون ولم تدخل افئدتهم فى محراب الخشوع لله يوما من الأيام ، ولا ذاقت أعينهم طعم الدموع من خشية الله أمام تذكرة مذكر أو آية تهديد أو وعيد ! ..

إسلام بهذا الشكل لا ريب انه لا يصدّ صاحبه عن أن يقيم من نفسه مقوما لشرع الله يفصل الصالح منه عن الفاسد ! .. ويميز الخبيث منه — بزعمه — عن الطيب !.. وإسلام بهذا الشكل لا يعدّ فى حكم الله إسلاما ، لأنه افتقد أهم حقائقه وأركانه ، وهو استشعار معنى العبودية لله . فهل رايت إسلاما بغير استسلام ، وإيمانا بالله دون انصباغ بالعبودية له ؟!..

إن اى تبعية صادقة لأى مذهب من مذاهب الأرض اليوم ، يحمل فى طياته من الخضوع والاستسلام اضعاف ما يحمله إسلام هؤلاء المسلمين من مظهر التبعية له والانقياد لحكمه .

الإسلام لله أم التبعية للناس ؟

يسألنى احد هؤلاء المسلمين ذات يوم ، (وقد كنت أحدثه عن ضرورة صدق المسلمين مع انفسهم إن كانوا حقا مسلمين) : إفرض اننا طبقنا الإسلام منذ هذا اليوم فمتى يمكن أن نستعيد بناء على ذلك أرضنا السليبة ونبنى لأنفسنا حياة رخية تعتقنا من هذا التخلف وتلحقنا بالأمم الراقية فى الارض ؟ .

قلت له : إن أصغر إنسان يعتز بالتبعية الماركسية — مثلا — قد يلقى

الوانا من الضيم فى سبيل تبعيته ، ويرى مسافة البعد تزداد كل يوم بينه وبين أحلام الشيوعية المطلقة ، ومع ذلك فهو لا يسمح لفكره أن يعيش مع هـذا السؤال لحظة واحدة !.. وهو إنما يتبع إنسانا مثله يخطىء ويتعرض لأشكال من الجهالة والطيش والغرور !.. أفيكون مثل هذا الإنسان الصغير منطقياً مع نفسه ومع الآخرين تجاه هذه التبعية المستسلمة المؤمنة الراضية ، ثم لا يكون المسلم المتبع لمنهج السموات والأرض منطقيـا مع نفسه إن هو صدق مثل ذلك التصديق واستسلم مثل ذلك الاستسلام ؟!! ..

وقلت له : أفبينك وبين الله عقد على أن تنفذ له شرعه فيبادر إلى تنفيذ هواك ويسرع فى تحقيق رضاك ، فأنت تستوثق من موقفه معك ، حتى إذا لم تطمئن إليه أعرضت عنه قبل أن يعرض عنك !!..

إن كنت على يقين أن شأنك مع الله إنما هو شأن أصحاب المصـــالح المتبادلة وانك تملك من وجودك تجاهه ما يوقفك منه موقف الند للند : تعرض إذا شئت ، وتقبل إذا انشرحت ، وتقاضيه فى حقك اذا لم يكافيك ـ فأرنى الثبات على موقفك هذا عندما تتضاءل ذاويا عند سياق الموت ، واشعرنى إذ ذاك بحريتك التى تملكها ، ودلنى على عالمك العظيم الذى ستنطلق إليه معرضاً عن الله الذى لم يحقق لك شرطك فلم توف له شرطه !!..

أما أنا فقد عشت إلى اليوم ، وأنا أقلب العين فى الدنيا التى من حولى ، بكل ما تموج به من الصور والأشكال والعلوم والأفكار ، فما أبصرت فى ذلك كله إلا شيئاً واحدا يظل ماثلا أمام عينى ، يلاحقنى بشكله الرهيب فى البكور والآصال والليل والنهار : غلا ثقيلا يطوقنى بآصار العبودية لله عز وجل ، لم يدع لى من سبيل إلى أى مفر أو ملاذ .. إن جحده لسانى لم ينج منه كيانى ، وإن تناسيته فى ذاتى ذكرنى به الملكوت الذى من حولى والمصير الذى يرقب دقائق أنفاسى !..

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

إدفن نفسك فى رمال الغرور ، أو العصبية ، أو النسيان ، أو التجاهل ما طاب لك الدفن ، فإنما أنت واقف على أرض العبودية لله ، لن تحيد عنها ولن تطير فوقها . « **إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدهم عداً** » .

فأسلم وجهك لله ، واخضع القلب راضيا لسلطانه وحكمه ، وكن عبدا له بالسلوك والاختيار كما قد خلقك عبدا له بالقسر والاجبار . واقطع العمر سعياً وراء تثبيت حكمه فى الأرض فذلك هو حق الله عليك ما دمت سائراً فى رحلة هذه الحياة .

---

(١) نحن لا نضع فى حسابنا ، فى هذا المقام ، أولئك الذين طاب لهم أن يرتدوا عن الاسلام جملة ، وأن يجحدوا به اسما ومسمى ، اذ أن أمر هؤلاء لا يخضع فيما نحسب لأى لون من ألوان المعالجة الفكرية أو النقاش المنطقى .

متى يدرك المسلمون أنهم المسؤولون

للأستاذ محمد المجذوب

« بالامس اصدرت محكمتنا العلياقرارا يعتبر عملا غير دستورى كل تعليم ديني يقدم للاطفال فى مدارسنا.. وان مما يناقض روح الدستور الاميركى أن ندمج فى برامج التعليمإية معرفة عن الله .. وانك لترى اليوم خمسة وثمانين مليون امريكىاى ٦٣ ٪ من السكان لا ينتمون لأية كنيسة ..

وبالامس كذلك اصدرت احدىالولايات قرارا حرمت به اعطاء موانع الحمل للفتيات غير المتزوجات وطالبات الجامعة ، وعلى اثر ذلك ، انعقدت المحكمة العليا بالولاية واصدرت حكمابعدم شرعية هذا الحكم ومخالفته لروح الدستور ..

هذه الفقرات ليست من بنات الخيال ، ولكنها جزء من خبر طويل اثبتته مجلة (دعوة الحق) المغربية فى نهاية صفحاتها التى تنشرها عادة تحت عنوان (من انباء العالم الاسلامى..) وذلك فى عدد ربيع الآخر (١) من عام ١٣٩٢ هـ وقد نقلته بدورها من تقرير (نشرته احدى

المجلات المسيحية عن لسان طبيب امريكى) وكان الاحوط أن تقصيه واشباهه عن ذلك الجانب الذى يتوقع القارىء أن يكون خاصا بالعالم الاسلامى — كعنوانه — إذ لولا ما ينطوى عليه من ذكر امريكا والأمريكيين والدستور الأمريكى ، لكان من حقه أن يزلزل أعصاب القارىء المسلم ، خشية أن يكون بلد من وطنه العالمى قد سقط الى هذا المستوى الشيطانى .

واذا امعنا النظر فى محتوى هذه الفقرات الغريبة وجدنا خلاصتها كما يلى :

١ — أن الكيان القانونى لأرقى دول العالم المسيحى يقوم على نفى الروح الدينى عن نطاق التعليم ، وتجريد الفرد الاميركى من كل أثر للمعرفة عن الله ! .

٢ — أن أمريكا قد بدات تقطف ثمرات هذا التدمير الروحى بما سجلته نسبة ضحاياه التى توشك أن تأتى على ثلثى المجتمع الامريكى ! .

٣ — أن حرية الفحشاء فى أوساط الجامعات وسائر الفتيات الامريكيات (حق مقدس) لا يجوز لسلطة أيا كانت أن تمسه أو تعترضه .. وأن على المجتمع الأمريكى أن يتقبل بكل تقدير سيل اللقطاء دون أن يسأل عن مصدرهم ! .

ولو أن مفكرا مسلما قرأ هذا الخبر قبل مئة سنة لاكتفى بابداء عجبه ، مع الحمد لله على سلامة امته من ذلك الوباء . أما الآن ، وقد بات العالم أضيق مساحة من بلد كجدة ، لا تكاد فتنة تنجم فى زاوية منه حتى تتسرب فى اليوم نفسه الى سائر جوانبه .. كالحريق يشب فى بيت لمدوك المجاور فلا يسعك الا أن تتخوف امتداده الى حجرتك .. أما الآن وبازاء هذا التقلص ، الذى احدثه الناقل الفلكى (٢) وما وراءه من التلفاز والاذاعة والكتاب والجريدة فى كيان الانسانية ، فلن يجد هذا المفكر المسلم مسوغا للاطمئنان على نفسه ، فضلا عمن حوله من اهله ، عندما يقرأ النذر عن مثل هذه الاوبئة .. ومما يضاعف قلقه من زحفها ما يعلمه من تضعضع المعاقل الروحية فى أنحاء الوطن الاسلامى ، بحيث أصبح مكشوفا لكل وافد من السموم الخانقة ، بعد أن القى بأزمته الى هؤلاء الموبوئين من الغرب والشرق ، يتتبع مسالكهم ، ويعتنق مناهجهم ، ويتخلى لهم عن بقية حصونه الواحد تلو الآخر .. حتى أن جيلا من المخدوعين بطرائق اولئك الموبوئين قد تكفل لهم بايصال سمومهم الى كل عضو من جسم هذه الامة ، فليس عليهم الا أن يأمروا فيطيع ، ويشيروا فينفذ ، ولو كلفته هذه التبعية بتر كل صلة له بماضيها وتراثها ومقوماتها ، التى بها ثبتت فى وجوه الاعاصير الى اليوم ..

اجل .. ان سقوط العالم المسيحى شرقيا او غربيا ، لا مناص من أن يجر معه الى الهاوية سكان الكرة الارضية جميعها ،لأن هؤلاء قد ارتبطوا بمجلته المتدهورة راضين أو كارهين ،فالمصير واحد للجميع ، وان تأخر بعض عن بعض .. وقد كان ثمة بصيص من أمل فى بقية من رجال الدين فى الغرب ، أن يتداركوا الخطر بتنبيه مجتمعاتهم الى هول الكارثة التى هم فى الطريق اليها .. ولكن هذا البصيص قد انطفأ نهائيا منذ أن قضت اليد اليهودية على سلطان الكنيسة الروسية ، وباشرت التهديم فى أسس المسيحية الغربية ، حتى فى أوساط رجال الدين أنفسهم ! .

لقد انجرف قسس الغرب مع القطيع الضال ، فبدلا من التشمير لوقف الانهيار اسلموا انفسهم لما

يحسبونه تطورا لا مندوحة من قبوله، وهكذا بدأ العالم يرى قسسا هيبيين، وقسسا يدعون الى عبادة الشيطان والمسيح معا ، وآخرين ينادون بإباحة اللواط ، وبأمر من كبارهم تنشأ مشارب الخمر ومحافل الرقص الى جانب الكنائس ، استهواء للشباب الذين ضاقوا بطقوس القداديس ..

وقد شاء الله أن أرافق ذات يوم قسيسا من هؤلاء نشأ فى جو الحرية الامريكية ، فكان أغرب ما سمعته منه هو ايمانه المطلق بحق الانسان فى تحقيق رغباته ، دون أن يخضعها لأى اعتبار اجتماعى ! ..

واذا كان فى هذا كله من دلالة فعلى ان الحضارة الغربية قد انتهت الى الوضع الذى واجهه العالم قبيل مبعث خاتم النبيين (صلى الله عليه وسلم) الذى يصف ذلك الواقع الرهيب ابلغ وصف حين يقول : (ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، الا بقايا من اهل الكتاب (٣) وانما مقت الله عباده ايامئذ لانهم تخلوا نهائيا عن مقومات الخير ، حتى لم يبق فيهم من يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر ، سوى افراد من حملة العلم الربانى لا يكاد يستجيب لهم احد .. وهل نحن فى حاجة للتوكيد على دقة المطابقة بين اليوم والامس .. بين ذلك الانهيار الغربى ، الذى يزلزل الارض تحت أقدام البشرية !

لقد بدأت المؤشرات السليمة تسجل هذه الحقيقة ، حتى فى قلب المعترك الغربى ، فتنطلق بعض الالسنة بالتحذير من هول المصير ، وقد كانت هذه الالسنة صريحة فى تحذيرها فلم تعمد الى الرمز والالغاز ، بل كشفت للعالم معالم الكارثة بما سمته (سقوط الغرب) و (سقوط الحضارة) وما الى ذلك من مؤلفات كانت جديرة بايقاظ الوعى فى قلوب الشعوب ، لو ابقى لها الانسياق الضرير خلف الغرب قدرة على التفكير الصحيح ..

ولقد كان بين المفكرين بعض الخلاف حول الصلة بين ديمقراطية الغرب وشيوعية الشرق ، من حيث المصدر والاثر .. وكثيرون يحسنون الظن بأنظمة الغرب لما توفره من حرية التحرك للانسان الغربى ، على خلاف ما يعانيه انسان الشرق — الشيوعى — من ثقل الاغلال التى تسلبه كل حق الاحق الخضوع للطغمة الحاكمة .. وقد نسى هؤلاء واولئك فى معترك خلافهم أن الشيوعية ليست إلا قمة الانهيار الذى يسوق إليه فساد التصور الدينى الذى يحجب الفطرة البشرية عن نور الله ، ويصرفها عن الطريق القويم الى سعادتها الحقة..

وقد أثبتت شواهد الحياة فى مختلف أحقاب التاريخ ان هذا الانسان لا يعرف الحرية الصحيحة والاطمئنان النفسى الا بقيادة النبيين واتباعهم من المصلحين ، وان كل زيغ عن طريقهم مهما يكن قليلا مؤد به الى أسوء العواقب ، فكيف به حين يعرض كليا عن دعوتهم ، ويلقى بنفسه فى احضان الشياطين ، وهو يحسب أنه يحسن صنعا ! ..

يمكن للانسان ان يوغل فى مجاهل الكون حتى يستكشف كل مخبآته ، فيسخر الهواء ، ويمتطى الاثير ، ويقصر المسافات .. ويضخم شعوره بذاته حتى يمسى كالبالون البالغ حدود الانفجار .. ولكن انسان الآلة هذا لا يعرف السبيل الى مصلحته ، بل ان كل مجهوداته ستتجه به الى تدمير نفسه فى النهاية .. ولا غرابة ولا عجب لانه تمرد على السنن الكونية ، فأصبح وجوده كالقاطرة التى يقودها سكران .. وهذا ما صار اليه ذلك المخلوق الضائع فى صحراء الحضارة الغربية ، آمن بالمادة وكفر بخالقها ، فجنى بذلك على جنسه ، اذ فقد نعمة الاستقرار

والامل بما وراء المادة .. وما أحسب عبارة أصدق تصويرا لهذا الضلال الشقي من قولة نيكسون ـ رئيس الولايات المتحدة ـ في بعض أحاديثه عن المجتمع الاميركي : (نحن أقوى دولة في العالم ، ولكن في أعماقنا مرضا خفيا يمزقنا من الداخل) وأي مرض افتك في كيان مجتمع من هذا الذي يصوره ذلك الطبيب ـ الذي نقلنا بعض كلامه عن (دعوة الحق) حين يقول في تقريره ذاك : (ان الممثل الهزلي يتقاضى مليون دولار في العام ، على حين لا يزيد دخل الاستاذ في مدرسة عالية عن الفي دولار . وبلغ عدد القتلى في حرب فيتنام خلال تسع سنوات ثلاثة واربعين الفا ، في حين أن ضحايا السائق المخمور في شوارع أمريكة بلغت اربعة وعشرين الفا في غضون هذه المدة ، وقد كشفت الاحصاءات عن أن عشرين الفا يقتلون سنويا باطلاق الرصاص عليهم ...)

على أن افجع المفارقات في هذا المجتمع المريض هو انه كلما أوغل في شقائه اسرف في البعد عن اسباب شفائه ، حتى ليجعل تجهيل الاجيال الناشئة بربها ، واقصاءها عن معرفة خالقها عنصرا اساسيا في دستوره ، يحميه القضاء ، وتحرسه الدولة !..

وطبيعي أن مرض الكفر والتجهيل ليس مقصورا على أمريكا والاقطار الشيوعية ، بل طابع الحضارة المادية في سائر مصادرها الغربية .. وحسبنا أن نشير هنا الى تلك الظاهرة المذهلة التي تجلت في بعض كبريات الصحف الفرنسية يوم زيارة بابا روما لفرنسه ، اذ كتبت بالخط الطويل العريض ، وفي صدر صفحاتها الاولى : (الفا سنة من عمر الكنيسة تكفي ..) وليس ذلك الا ترجمة لمشاعر ملايين المثقفين في فرنسه واوروبة تجاه المسيحية ، يعلنون بها أن المسيحية ـ لا الكثلكة فقط ـ قد استنفدت أغراضها ، فلم يعد للمجتمع بها من حاجة ! .

واخيرا .. هل يعني ذلك أن الاضواء قد انطفأت كلها ، فلم يبق للبشرية من رجاء في معرفة سبيلها الراشدة ! .. قد يكون الرد على هذا التساؤل ايجابيا لدى الكثرة من الناس ، لان اليأس من قدرة العقل البشرية على الوقوف بوجه القاطرة الهاوية قد بلغ ذروته في نفوسهم .. ولكنه لن يكون كذلك عند أولي العلم من بقايا المؤمنين في عالم الاسلام . بل ان تزايد الظلمات في حياة البشرية من شأنه أن يزيدهم ثقة بأن خلاصهم موقوف عليهم ، لانهم شهداء الله على خلقه ، وحملة مشاعله التي اعادت للارض نور ربها من قبل ، فكما انقذت سفينة الانسانية من الدمار في فجرها المشرق ، فهدتها الى مسالك النجاة ، كذلك هي اليوم ، لا تزال مسئولة عن مهمة الانقاذ للقاطرة التي اصبحت على قاب قوسين من الكارثة ...

اجل .. ان امراض المجتمعات المادية شرقية وغربية لا شفاء لها الا في صيدلية الاسلام .. ولكن اين هم الاطباء الذين يحسنون اقناع المرضى بهذه الحقيقة ؟ ! .. ومتى يدرك المسلمون أنهم المسؤولون عن مصير هذه الانسانية الضائعة امام الله .. يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ! ..

---

(١) ربيع الاخر وجمادي الاخرة ولا يقال فيهما الثاني ، لانهما لا ثالث لهما .

(٢) نريد به القل تستار

(٣) رواه مسلم من حديث طويل .

الاتجاه التاريخي الحديث

محمد فوزي

من الأوفق — قبل ان نوغل فى الاستطراد — ان نحدد ماذا نعنى بمصطلح ((الاتجاه التاريخى)) . فان هذا التحديد سيعين من غير شك على تكامل الفهم ، وعلى ربط هذه الدراسة بمفهوم علمى غير قابل لقضية التمييع !!

اعنى بالاتجاه التاريخي — في كتابة التراجم الاسلامية — التزام الكاتب بنمط تاريخى استقصائى يبدأ من نقطة ميلاد البطل وينتهى الى وفاته .. متجاوزا ذلك — عبر كل الدراسة — الى التفرس الدارس فى ما وراء الظواهر الحياتية من بواعث ، وفى ما وراء الوقائع الوجودية من ملامح وسمات .. بشرط الا يتحيف هذا التجاوز حركة الحس التاريخى الاستقصائى ، لان ذلك وحده هو ما يجعل من هذا الفعل التاريخى ترجمة فيما نعنى بكلمة الترجمة ... إن الكاتب إذا انصرف بالاستقصاء التاريخى عن استقراء الملامح والسمات وما وراء الظواهر من بواعث واشجان ، فقد كتب تاريخا ربما . او سيرة يجوز . ولكنه يبقى فى النهاية امام مصطلح التراجم فى حاجة الى كثير هائل من المراجعات التى تتيح له بعدها أن يقف تحت مظلة مفهومها الذى نرجو أن نكون قد حددناه حين زعمنا انه معنى الرحلة فى الحياة ، وليس هو مجرد الرحلة فى الحياة !!

ولقد حمل العصر الحديث — منذ مطالع هذا القرن — نماذج من هذا الاتجاه فى كتابة التراجم الاسلامية ، ونرجو ان نكون مفهومين حين نقول ((الاتجاه التاريخى)) إننا لا نقصد بذلك على الاطلاق أن تكون هناك ترجمة تاريخية واخرى ادبية . فإن هذه المقولة مرفوضة بما هي ساقطة تحت سنابك التناقض الهائل . أن كل التراجم ترتكز فى حركة وجودها على العنصر التاريخى ، وتقسيمها العشوائى الى تاريخية وادبية بأن

في كتابة التراجم الإسلامية

للأستاذ
محمد أحمد العزب

الأدبية منهـا لا تحمل مـن عناصر التاريخ شيئا ، في حين ان ذلك لو حدث يخرج على الفور هذا النمـط الأدبي غير المرتكز على أرضية تاريخية من مدى التراجم كلها ليستحيل الى قصة ، أو رواية ، أو غير ذلك مـن الأنماط !!

إذن .. فنحن نعني « بالاتجـاه التاريخي » .. حركة الاستقصاء في مقابل حركة الانتقاء ، بمعنى ان كاتبا كالـدكتور محمد حسين هيكل فـي « حياة محمد » يعتبر صاحب اتجاه تاريخي .. في مقابل أن كاتبا كعباس محمود العقاد في « عبقرية محمد » يعتبر صاحب اتجـاه تحليلي .. لأن الأول منهما ـ الدكتور هيكل ـ عنى باستقصاء حياة النبي صلى الله عليه وسلم . ميلادا .. وخطوبا .. ونهاية .. على نحو استغراقي .. في حين ان الثاني منهما ـ العقاد ـ ركز على أبعاض صميمية من حياة النبي على نحو انتقائي ظاهر الوضوح ، واخذ يبني عمله الفني على ضوء من هـذا الانتقاء !!

ونرجو الا يفهم من هذا ان كاتبـا كالدكتور محمد حسين هيكـل فـي ارتضائه للمنهج التاريخي قد عـزل نفسه عن التأمل والغوص والتحليل وعرض كل مقدماته ونتائجه علـى العقل والعلم واحدث المنجزات .. فهو بالفعل قد قدم من هـذه الالوان في تراجمه للنبي .. ولأبي بكر .. ولعمـر .. امثلـة بارزة .. إن الاستقصاء التاريخي لا يعـادي ما عداه ، أو هكذا نحن نقصد به فـي هذه الدراسة ان يكون !!

وحتى لا ندور في الفراغ ـ كمـا يقولون ـ فسنبدأ بتأمل الأساسيات الفكرية التي بني عليها الدكتور هيكل إنجازاته الفكرية في هذا المجال ، مع ملاحظـة ان الدكتور محمد حسين هيكل ـ يرحمه الله ـ يعد بحق رائد هذا الاتجاه التاريخي الحـديث في كتابة التراجم الاسلامية بلا منـازع

على الاطلاق .. وإذا قلنا إن هــذا الكاتب يمثل عنصر الريادة لهذا الاتجاه التاريخي .. فيجب أن نردف علــى الفور : والعقلي والعلمي .. فقــد حرص الكاتب نفسه على تأكيد هــذه العقلانية وهذه العلمية في كل خطوة من خطوات شرحه لمنهجه ، أو تقديمه له ، أو الحديث عنه في كل معرض هنا أو هناك .

في تقديمه لكتابه الرائــد « حياة محمد » ينعى على الشعوب الاسلامية – في مراحل انحطاطها وتخلفها – انهــا أضافت الى حياة النبى « ما لا يصدقه العقل » (١) ... وأن رعيــلا رائعا من الشـــباب المسلم قد اتهم بالإلحاد والكفر والزندقة .. وأن جيل الشباب المعاصر لهم تسمر بأن الزندقة تقابل في نظر جماعـــة من علماء المسلمين الذين اتهموا هذا الرعيــل الرائع « حكم العقل والمنطق » (٢) .. وأن جيلا جديدا يدرس تراثــه الآن « على الطريقة العلمية الحديثة » (٣) .. وأنه حين اعتزم كتابة حياة محمد فقد فكر في ذلــك « على الطريقــة العلمية الحديثة » (٤) .. وأنه التزم في كتابته لحياة محمد حدود السيرة لا يتعداها « على الطريقة العلميــة الحديثــة » (٥) .. « فحياة محمد جديرة بأن ينقطع لبحثها على طريقــة علمية جامعة أكثر من أستاذ يتخصص فيها ويتوفر عليها » (٦) .

إن هذا الإلحاح على قيمة « العقل » و « العلم » .. وهذا التأكيد الضمني لعقلية الإبــداع وعلمية المنهج .. يقتضي بالضرورة أن يكون الاتجـــاه التاريخي الحديث قابلا بطبيعته لمزيد من العطاء العقلي حتى يخرج عـــن مجرد كونه سردا .. ولمزيد من العطاء العلمي حتى يخرج عن مجرد كونــه بوحا .. وهو بالفعل ما نراه ماثــلا في « حياة محمـــد » لهيكل ، هــذا العمل الابداعي العظيم الــذى قاد حركة التراجم الاسلامية فــى مسار آخر مختلف تماما عن المسارات التى كانت تتلكأ فيها فيمـــا غبر !! وهـــو بالفعل ما نراه ماثلا في « الصديق أبو بكر » و « الفاروق عمر » على نحو منهجي قائم على حـــركة العقل ومعطيات العلم بلا حـــدود !

فما هي الأساسيات المنهجية التى اتكأ عليها الكاتب فــى رحلته مـــع التراجم الاسلامية ؟

عن هذه الأساسيات المنهجية يمكن أن نلاحظ ما يلي :

١ – اتكاء المؤلف على القيمـــة العقلية في كل ما يتصدى له ..

نستبين ذلك واضحا في كل ما كتب من التراجم الاسلاميـــة ، وهو في اتكائه الفاهم على القيمة العقلية إنما يرد للفكر العربى الاسلامي اعتباره وجلاله ، ويعطي إبداعه – في الوقت نفسه – مذاقا إنسانيا عاما يخاطب العقل المعاصر بنفس الطريقة التى يتعامل بها هذا العقل المعاصر مـــع الأشياء والأحياء .. وربما كانت ثقافة الدكتور هيكل وقراءاته المتعـــددة في الأدب الغربى هى التـــى اقنعتـــه بضرورة تجاوز المراحل الغيبية فـــى التفكير ، وانتهـــاج سلسلـــة مـــن التحديات العقلية في مواجهة آلاف من التحديات التى يراد من ورائها هدم كل شيء على هذه الأرض ، أو على الأقل زرع الزراية بكل ما على هذه الأرض من مقدسات .. إن ملاحظة المنزع العقلي لا تخفى علـــى قارىء لكتبه : « حياة محمد » و « الصديق أبو بكر » و « الفاروق عمر » .. ولكن هيكل في « حياة محمد » بالذات قد جوبه بمشكلة معضلة : كيف يوفق بين النزعة العقلية الخالصة التـــى تخضع كل شيء لمنطق العقل وقوانينه الصارمة ؟ وبين أشتات من الخوارق والمعجزات التى هى بطبيعتها تجاوز

لمنطــق العقل ، وتخط لقوانينــه الصارمة ؟

الحق ان الرجل كان موفقا الــى مدى بعيد حين اختار لنفسه ان يتناول محمدا من المنحى الانسانى (٧) .. مؤكدا ان فذاذاته فى هذا الصدد ، وارتفاع قامته المديدة الى آفاق تنحسر دونها عيون ارتال مــن العباقــرة والنابغين ، هو وحده الدليل الحاسم على نبوته من جهــة .. وهو المدخل الطبيعى الى التسليم له بكل الخوارق والمعجزات مــن جهــة أخرى ، بلا حاجة الي لدد .. أو مدامة جدل تافه مريض !! فاذا أضفنا الى ذلــك ان محمدا نفسه (لم يلجأ فى إثبــات رسالته الي ما لجأ اليه من سبقه من الخوارق) (٨) .. وأن محور دعوته كان العقل بالدرجة الاولى ، فقد يثبت لنا بعد ذلك ان الكاتب هنا موفق الى مدى بعيد فى اتكائه الفاهم على القيمة العقلية فى كل ما يتصدى له .

٢ ــ اعتماد المنهج العلمى فــى تركيب المقدمات والنتائج ، وفى حرية القبول والرفض ، وفى النظر الــى القضايا عــارية من القداسات فى مراحل البحث الأولية .

وقد لا نبحث طويلا عن هذه الملامح المنهجية فى كل ما كتب الدكتور هيكل من التراجم الاسلامية ، فهو لا يفتأ فى كل مرحلة من مراحل إبداعه يذكــر بهذه الحقيقة التى يعتنقها ، ويؤمن بها ، ويدافع عنها ، ويدعو اليها .. ليس ذلك فحسب .. وإنما هو يطبق مقولاتها الصارمة فى كل مايكتب ، فهو معنى دائما بشىء (مــن تقليب الروايات ، وموازنتهــا ، واقتناص الحقيقة من خلالها) (٩) .. وهو حين يشرع فى كتابة « حياة محمد » إنمــا يفعل ذلك (علــى الطريقة العلمية الحديثة) (١٠) .. وهو يقف امام كل القضايا الكبرى التى يمكن ان تثــار فى اى من تراجمه الاسلامية ليس موقف المصدق مسبقا ، او المكــذب مســبقا .. وإنما مــوقف البادىء (بالملاحظــة والتجربة ، ثم بالموازنة والترتيب ، ثم بالاستنباط القائم على هذه المقدمات العلمية ، فإذا وصلت الى نتيجة من ذلك كله كانت نتيجــة علمية خاضعة بطبيعة الحال للبحث والتمحيص ، ولكنها تظل علمية ما لم يثبت البحث العلمى تسرب الخطــأ الى ناحية من نواحيها ، وهذه الطريقة العلمية هى اسمى ما وصلت اليــه الانسانية فى سبيل تحرير الفكر ، وها هى ذى مع ذلك طريقــة محمد واساس دعوته) (١١) .

٣ ــ دراسة الوسط الطبيعى .. والوسط الاجتماعى .. والوســط النفسى .. والوســط الفكرى .. والوسط الذاتى .. لبطله الــذى يترجم له .

وهو يعنــى بالوســط الطبيعى : الموقع الجغرافى ، وطبيعة الاجواء السائــدة ، ونوعية المناط الذى ولد ويقيم فيه ..

وهو يعنى بالوسط الاجتماعى مــا يميز سكان المناطق التى يقيم فــى ربوعها البطل ، من ملامح صميمية تبــدو فى انظمتهم الجســمية ، والاخلاقية ، والعقلية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاصلاحية .

وهو يعنى بالوسط النفسى مــدى استجابات هذا البطل لما يمور حــوله وداخلــه من قضايــا وظواهــر ومتغيرات ، ومعرفة العلاقة بين الفرد وضميره ، وبين الفرد ونفسه ، وبين الفرد والفرد .

وهو يعنى بالوسط الفكرى ما تقع عليه عينا بطلــه مــن جمال وقبح ، وتحرر وانغلاق ، والنظر فى مقولات البطل من حيث هى اثر دال على نوعية ما يتحرك داخل الوجدان البشرى من ذبذبات .

وهو يعنى بالوسط الذاتى ما يكون

عليه ((الانسان)) في ((البطل)) .. من الجانب المادى ، والجانب الفكرى .. الجانب المادى من حيث هو مناط التوتر او الهدوء .. والجانب الفكرى من حيث هو مناط التحرر او الجمود . (١٢) .

٤ ـ رفض المنهج التاريخي القديم، القائم على مجرد الحشد والسرد وتكديس آلاف من المرويات .

والدكتور هيكل في هذا الصدد معاصر ، يجمع .. ويحقق .. وينقد .. ويرتب .. ويفسر .. فالمراجع العربية القديمة التي تتحدث عن ابي بكر مثلا .. (يشوبها اضطراب يجعل تتبع الحوادث المروية فيها عسيرا في بعض الأحيان كل العسر ، ثم إنها كثيرا ما تثبت روايات هي الى الخرافة ادنى منها الى التاريخ ، وقد يجد الانسان في موازنة بعض هذه المراجع ببعض ما يعينه على تمحيص الحوادث ، لكنها تتواتر رواياتها احيانا لحوادث يقف الانسان منها موقف الحيرة ، فلا يسعه إلا ان يثبتها مع الاشارة الى ما يخالجه من الريبة فيها) (١٣) .

ليس الاضطراب والخرافة هما كل شيء في هذه المراجع .. فبعضها .. (لا يتعرض إلا لماما لأمور جليلة الخطر ترويها المراجع الأخرى مفصلة ادق التفصيل ، فالطبرى ، وابن الأثير ، والبلاذرى ، لا يكادون يتعرضون لجمع القرآن ، وجمع القرآن من جلائل الأعمال التي ازدان بها عهد الصديق إن لم يكن اجلها) (١٤) .

ليس ذلك فحسب .. وإنما يلوح الاضطراب في الحديث عن حروب كحروب الردة ، وعن فتح كفتح العراق ، ثم عن فتح كفتح الشام يقع عليه الخلاف بينهم .. (بل ترد الروايات المختلفة في امره في الكتاب الواحد من كتبهم ، حتى ليحار الانسان اى الروايات ياخذ وايها يدع) (١٥) .

(.. والخلاف على الزمن الذى حدثت فيه الوقائع لا يقل عن الخلاف في تصوير الوقائع جسامة ، وكثيرا ما يكون تحديد التاريخ لبعض هذه الوقائع مغامرة لا تستند الى اساس يمكن الاعتماد عليه في شيء من الدقة) (١٦) .

إن هذه الخرافية .. وهذا الاضطراب .. وهذا الاختلاف على الشيء الواحد ... هو ما عزز رفض الدكتور هيكل للمنهج التاريخي القديم، ودفعه الى اعتناق منهج تاريخي حديث قاعدتاه : ((العقل .. والعلم)) .. فابدع من خلاله تراجمه الاسلامية .

ويمكن ان نلمح ببساطة التزام الكاتب نوعية من المنهج التاريخي تلائم بشكل واضح طبيعة التراجم الغيرية ، تلك هي التزامه الواعي ((بتنامي الترجمة)) .. اى البدء من نقطة الميلاد والانتهاء الى لحظة الموت ، عبورا بكل ما عجت به حياة ابطاله من وقائع وهزائم وانتصارات ... إن هذا الترتيب التعاقبي مما يحرص عليه الدكتور هيكل ، ويضعه امام عينيه في كل تراجمه ، وهذه السمة تكاد تكون أبرز سمات تقنية هذا الكاتب فيما يبدع في هذا المجال من كتابات .

٥ ـ دراسة العصر .. والحضارة .. والدولة .. من خلال تراجمه لبعض من ابطاله الذين كان لهم دور في توجيه الدولة والحضارة والعصر .

وقد يبدو ذلك واضحا كل الوضوح في كتبه : ((حياة محمد)) و ((الصديق أبو بكر)) و ((الفاروق عمر)) .. فهو في حياة محمد قد جلى موقف الامبراطورية الاسلامية الأولى من كل الاتجاهات ، واقام علاقات هذه الامبراطورية مع كل القوى المعاصرة لها على مستويين : عقائدى .. وسياسى . على المستوى العقائدى في اشتباكها مع المسيحية واليهودية

في حوار هائل ومنتصر .. وعلى المستوى السياسي في اشتباكها مع الروم والفرس والعرب المناوئين في معارك هائلة ومنتصرة كذلك !! وهو في « الصديق ابو بكر » قد درس موقف هذه الامبراطورية الاسلامية من المرتدين ، ومن مانعي الزكاة ، ومن فتوحات الشام والعراق .. وهو في « الفاروق عمر » قد تأمل صراع هذه الامبراطورية الاسلامية كذلك مع الفرس والروم تهيئا لعبورها المنتصر بعد الى مصر.. وافريقيا .. والمغرب .. والى حدود الصين !!

هذه ـ على نحو مقارب ـ هي الأساسيات المنهجية التي اتكا عليها الدكتور محمد حسين هيكل في كتابته للتراجم الاسلامية ، وهي اساسيات تضع الرجل على مستوى طليعي من اولئك الذين اصلوا بفكر فاهم وبفن حقيقي معا لهذا اللون الرائع من الوان الخلق الأدبي المعاصر بلا جدال !!

ويمكن ـ تعميقا للدراسة ـ أن نستطرد فنركز على اهم الظواهر البارزة التي ركز عليها الدكتور هيكل في تراجمه ، وان نركز كذلك على نوعية مواجهته الفكرية لهذه الظواهر بمنطق المنهج التاريخي الذي قاعدتاه : العقل والعلم .. والذي ارتضى هو ان يكون ـ على كل المستويات ـ اساس حركته الراشدة في هذا المجال ... ولكن المدى بنا يتسع ، إذا نحن حاولنا ان نفعل من ذلك كله شيئا .. فليكن الايماء هنا اجدى من الاستطراد .. وربما أتيح لنا مع الزمن أن نعود !!

● ● ●

بعد ذلك .. نستطيع أن نضع أعمال الدكتور طه حسين التاريخية : « عثمان » و « علي وبنوه » و « الشيخان » و « مرآة الاسلام » .. داخل هذا الاطار .. إن الاتجاه التاريخي الحديث الذي قاعدتاه : العقل والعلم .. هو الذي يسيطر على حركة الخلق من هذه الأعمال ، وإذا كان هيكل يمضي بالمنهج التاريخي في إطاره الموضوعي لا يتعداه . فإن طه حسين يمضي بنفس هذا المنهج خطوة الى الأمام ، حيث يشتبك به على الفور مع كل تيارات العصر السياسية والاجتماعية والفكرية .. فهو حين يتحدث ـ مثلا ـ عن طبيعة الحكومة التي حكمت المسلمين منذ أسست الدولة حين هاجر النبي واصحابه الى المدينة الى ان قتل عمر واستخلف عثمان .. يتساءل : هل كان هذا النظام « تيوقراطيا » ؟ هل كان « ديمقراطيا » ؟ هل كان « حكما فرديا » ؟ الى آخر هذه التساؤلات التي تخلق لدى المتلقي احساسا حقيقيا بان هذا العمل الفكري يتحرك منذ البدء في إطار معاصر تماما يشتبك مع كل تيارات العصر السياسية والاجتماعية والفكرية .. إن طه حسين لا يخضع منهجه لغير العقل .. والعقل المستوعب المتأمل الدارس الذي يتحرك بالفرد ـ موضوع الدراسة ـ من خلال مجتمعه ، وبالمجتمع كذلك على ضوء من الفعل التاريخي لأفراده الموهوبين، إن المحصلة النهائية ـ فيما يرى ـ ينبغي ان تكون حاصل جمع : « الفرد .. والمجتمع .. والأحداث » وربما كان اهتمامه الأكثر صميمية ليس على حيوات الأفراد بما هي « حياة وموت » .. وإنما على هذه الحيوات بما هي « فعل وفكر » ...

إن « الفتنة الكبرى » ـ وهي هذا العمل الجليل بحق ـ لا تبدو ترجمة ساذجة لأحداث الحياة اليومية التافهة ، بقدر ما تبدو ترجمة لأحداث الفكر والسياسة والاجتماع .. وهذه الظاهرات الصميمية التي تجعل من الحياة اليومية بحق حياة !!

وإذا كان الفنان فى طه حسين أبرز من المؤرخ فيه ، فإن عمله التاريخى يبدو دائما كأنما هو خلق جديد ، لأن فكرة الكاتب وليس فكرة الحدث هى التى تتراءى لنا .. وإن كان هذا الظاهر مخاتلا بلا حدود .. فالدكتور طه حسين يعالج الوقائع والأحداث بمنطقها هى لا بمنطقه هو ، ولكن الشكل الفنى فى إبداعه هو الذى يخدعنا عن هذه الظاهرة ويخيل إلينا أن منطق الكاتب وليس منطق الحدث هو الذى يحتل مساحة الحلول فى عمله الكبير ...

وقرب الفراغ من هذه الرحلة ، لا بد من تأكيد قضية الخلف بين رؤية كل من الكاتبين : هيكل وطه حسين .. لنفس المنهج التاريخى الحديث الذى قاعدتاه العقل والعلم .. إن هذا المنهج — تطبيقيا — ليس متماثلا عندهما تمام التماثل ، لأن معنى ذلك لو حدث أننا نلغى تكوينات كل من الرجلين على المستوى الحياتى والفكرى جميعا .. إن لكل كاتب منهما رؤيته الخاصة فى تطبيق منهجه ، وهذا لا يطعن فى صميم القضية على نحو من الأنحاء ..

إن حس الاستقصاء الحياتى للمترجم له يبدو فى تراجم هيكل أكثر وضوحا منه فى تراجم طه حسين .. وكذلك فإن الترتيب التعاقبى لوقائع الحياة وأحداثها المتشاجنة يبدو فى تراجم هيكل أكثر التزاما منه فى تراجم طه حسين .. ولكننا نلاحظ كذلك أن « الاسقاط » الفكرى والثقافى فى تراجم طه حسين أخصب منه فى تراجم هيكل .. كما نلاحظ أن المعطى الفكرى فى تراجم طه حسين أغزر منه فى تراجم هيكل .. إننا مع تراجم هيكل فى عالم من المقولات المدافع عنها بعقل العصر ومنهجه العلمى .. ولكننا مع تراجم طه حسين فى قلب العصر كله بعقله وأدبه وفنه وسياسته واجتماعه ومذاهبه وتياراته ... وليس فى هذا الرأى تغليبا لجانب على جانب — كما قد يظن — لأن الدكتور طه حسين يتحرك فى تراجمه من خلال قناعاته النهائية بمذاهب عامة فى الفكر والفن والأدب والسياسة والاجتماع .. بينما يتحرك الدكتور محمد حسين هيكل — كالعقاد فى ذلك — من خلال قناعات جازمة بأبعاض من هذه المذاهب العامة ، ورفض لأبعاض أخرى من هذه المذاهب العامة ربما لا تتواءم طبيعيا مع طموحه الفكرى ، أو اقتناعه العقائدى !!

ونستطيع بعد ذلك أيضا أن نضع أعمال « أحمد أمين » من مثل « زعماء الاصلاح » فى هذا الاطار ، على تفاوت مسلم بين طبيعة الرؤية ، وطبيعة العرض ، وطبيعة التكوين .. وأن نرصد أهم ملامح اتجاهه الفكرى والتقنى .. ولكن المدى سيمتد .. وستتراحب الآفاق .. فليكن الآن وداع ... ولنخبىء مواعيدنا فى أمل اللقاء !!!

---

(١) حياة محمد — طبعة أولى — ص : ١٤ .
(٢) المرجع ص : ١٥ .
(٣) المرجع ص : ١٩ .
(٤) المرجع ص ٢١ .
(٥) المرجع ص ٢٢ .
(٦) المرجع ص ٢٢ .
(٧) أنظر : محمد وهؤلاء — لأحمد عبد المعطى حجازى .
(٨) حياة محمد — ص : ٧٣ .
(٩) الصديق أبو بكر — ص : ٢٤ .
(١٠) أنظر مقدمة « حياة محمد » .
(١١) حياة محمد — ص : ١١٢ و ١١٣ .
(١٢) أنظر ص : ١٥٣ وص : ٩٦ من كتابه « فى أوقات الفراغ » .
(١٣) الصديق أبو بكر — ص : ٢٣ .
(١٤) المرجع — ص : ٢٤ .
(١٥) المرجع — ص : ٢٤ .
(١٦) المرجع — ص : ٢٤ .

ملاحظات في الحضارة المقارنة

د. عماد الدين خليل

ان سؤالا ملحا يفرض نفسه فرضا فى مجال الحديث عن (الحضارة) وعوامل تدهورها وسقوطها ، ذلك هو أن المبادىء الوضعية العلمانية ، بشتى أصنافها ، استطاعت أن تنشىء حضارات مزدهرة مطبوعة بطابعها ، تماما كما استطاع الاسلام أن ينشىء حضارته ذات الطابع الخاص .. وان تلك العلمانيات تمكنت من بعث (الحافز) على الانجاز الحضارى فى نفوس أبنائها ، تماما كما بعث الاسلام هذا الحافز على الخلق والابتكار والانجاز فى نفوس أتباعه .. ثم — وهذا هو الأهم — أن كل تلك الحضارات علمانية واسلامية تعرضت لذات المصير المحتوم الذى يسوق الدول والحضارات الى نهاياتها « وتلك الأيام نداولها بين الناس » فما هى الفروق الجوهرية — اذن — بين تلك الحضارات ، كحركات تنبثق عن مبادىء لم تتوغل الى البعد الثالث للانسان والعالم ، وبين حضارة تنبثق عن عقيدة تعرف

كيف تحيط علما بذلك البعد الثالث ؟

صحيح أن الاسلام يشـــبه كل المبادىء الوضعية فى عملية خلق الحـــافز والدافع لأن يعبر عن كل طاقاته وينفذها فى عالم الواقع ، الا أن ميزة الاسلام انه يسعى الى أن تتم عملية التعبير هذه بأكبر قدر من الأمانة والمســـؤولية والاخلاص وحيوية الضمير ، اســـتنادا الى عاملى (التقوى) و (الاحسان) اللذين يقفان كحارسين ودافعين — فى الوقت نفسه — الي الأداء الامين المخلص المســؤول .. واذا كانت المبادىء الوضعية تبعث هذا الحافز الحضارى عن طريق وضـــع أهداف دنيوية فردية أو جماعية ، قومية أو عالمية ، تعود بالخير والانتاج على الفرد والجماعة والأمة فى نهـــاية المطاف ، فان الاسلام بدوره يثير هذا الحافز بوضـــع أهداف ذات طابع جزائى ، فردى وجماعى أيضـــا « النصر الذى يقود الى الاستعلاء العادل فى الارض ، أو الشهادة التى تقود الى الجنـــة .. وبين النصر والشهادة لا يغبن الانسان المسلم مثقال ذرة من عمل ينجزه مستهدفا من ورائه تطوير الحياة واغنـــاء الحضارة بما يعزز مكانة الاسلام فى الارض » .. وواقعية الاســـلام تتبدى فى تقريره أهميـــة الهدف الجزائى ، المـــادى والمعنوى على السواء ، فى اثارة الحوافز للانتاج الحضارى بتقوى عميقة واحســـان طموح ، أى بأكبر قدر من الرقابة الذاتية والاتقان فى الاداء ..

ان الاهداف فى المبادىء الوضعية تقتصر على النطـــاق النفعى العملى المنغلق على الانســـان الفرد ، أو الطبقة الحاكمة ، أو الحزب المتنفذ ، أو القومية ، أو الأمة .. الى آخره .. أما فى الاســـلام فان الاهداف تتجـــاوز نطاق النفعية المبـــاشرة والعملية الملموسة ، وتكسر جدران العزلة الأنانية المنغلقة على القبيلة أو الفئة الحاكمة ، أو الجماعة الدينية ، أو الأمة ، منفتحة على الانسان فى العـــالم كله ، انى كان ، والى اية فئة أو جماعة أو دين أو أمة كان انتماؤه ..

فاذا ما تجاوزنا الفروق الجوهرية بين الاهداف التى تضعها الحضارات العلمانية لتحريك الانســـان ، وتلك التى يضعها الاسلام ، لوجدنا أنفسنا أمام (فرق) أو (ميزة) أخرى أكثر تأثيرا وعمقـــا ، تلك هى « كيفية التعامل مع المنجزات الحضارية » ؟

هل تستطيع المبادىء العلمانية أن تحدث وئاما بين الانجاز الحضـــارى وبين الانسان .. ؟ هل تستطيع أن تكيف هذه المنجزات من اجل تغطية عادلة وصحيحة لحاجات الانســـان فردا وجماعة .. ؟ هل يتم (التعامل) وفق أهداف اكبر من النفعية والاثرة « الفردية أو الطبقية أو الحزبية ، أو المذهبية ، أو القومية » .. ؟ هل يحقق هذا (التعامل) سيرا الى الامام صوب تعزيز مسؤول لخلافـــة الانسان فى الأرض ، ولمكانته كسيد للعالمين .. ؟ هل ينتـــج عن هـــذا (التعامل) المزيد من الضمانات التى تكفل للحضارة رقيا وتطورا وعـــدم إرتداد الى الـــوراء ، وتوازنا فـــى المعطيات : المادية والروحية ، العقلية والعاطفية ، الطبيعية والغيبيـــة ، الحسية والخيالية .. الى آخره ؟ والتزاما فى (شكل) المعطيات وفى (مضمونها) بما ينسجم مع مهمة الانسان فى الارض .. ؟

ان الحضارة الاسلامية ترد علينا بالايجاب على كل هذه الاسئلة التى

يمكن أن تطرح فى هذا المجـال ، وغيرها كثير .. أما الحضـارات العلمانية فان واقعها التاريخى يشهد بوضوح جازم كيف انها نكلت عن كل هذه المتطلبات وكيف أنهـا انحرفت بمسؤولياتها الصعبة عن الجادة المستقيمة .. وها هى الحضـارة المعاصرة التى نعيشها جميعا تقدم من الأدلة ما فيه الكفاية ..

ان الحضارة الاسـلامية قدمت للعالم — على سبيل المثال — رياضيين كالخوارزمى والبيرونى .. وغيرهما، والحضارة الغربية قدمت للعـالم بدورها رياضيين كبار كنيوتن وريمان وآينشتاين وغيرهم ، لكن معطيات الأولين وضعتها حضارتنا فى خدمة (الانسان) ، أما معطيات الآخرين فقد وجهت صوب صنع وانجـاز أدوات لقتل الانسان ..

هذا الى أن حياة (العلمـاء) الشخصية ليست سواء هنا وهناك .. ففى الحضارات العلمانية يعانى المفكر ، والمثقف بصفة عامة ، الكثير من التمزق والتشـتت وعدم التوحد الذاتى والانسـجام مع الخارج : جماعة وأمة وعالما ، ولا يجد التوازن الفعـال بين قدراته العقليـة الفذة وخوائه الروحى المجدب .. أما فى الحضارة الاسلامية فان حياة العلماء الشـخصية كانت تتميز بالتوازن والتوحد والانسجام .. ولهذه التجربة الذاتيـة (الخاصة) اثرها الـكبير الحاسـم على طبيعـة المنجزات الحضارية نوعا وكمّاً ، ولا يبدو هذا الأثر الا على مدى الزمن الطويل ..

وميزات كثيرة أخرى تميز الحضارة الاسلامية عن سائر الحضارات .. ان « التجربة الاسلامية السياسية » أقل التجارب تعرضها لحالات الغش والمروق والخيـانة ، تلك التى تمثل انحرافات خطيرة عن سير المبدأ أو العقيدة صانعة الحضارة .. فلو قمنا بدراسة (احصـائية) لحـالات (الازدواج) بين النظرية والتطبيق ، أو بين الفـكر والتنفيذ ، والقول والعمل ، بين المبـادىء فى أطرها المكتوبة وبين الشخوص التى تتجسد فى حركتها وسلوكها هذه المبادىء ، لرأينا تجربتنا تقدم أقل الحـالات الازدواجية عددا .. بينما نجد فى تجارب وضعية ازدواجا خطيرا بين الفكرة والتنفيذ ..

ان تضاؤل الحالات الازدواجية فى التجربة الاسلامية ينبثق ولا شك عن مقدار الحيوية والرقابة الدائمة التى يولدها الايمان فى ضمير الانسان ، ومدى المسؤولية التى يحملها الاسلام عنق الانسان دون اكراه أو قسر أو ارغام .. وما (التقوى) و (الاحسان) — كما رأينا — الا وصـول الى المرحلة التى يحس فيها الانسـان المسلم انه يعطى كل جزئية فى حياته لله ، وعلى عين الله التى لا تنـام لحظة .. وهذا الوازع الضميرى ، وهذا الشعور بالمسـؤولية له تأثيره الكبير على العطاء الحضـارى كمّاً ونوعا ، وعلى طبيعة التعامل مع هذا العطاء .

هذا فضلا عن أن التجارب المبدأية (الايدولوجية) أو السـياسية التى تتعرض لازدواجيات وخيانات أقل ، يطول عمرها الزمنى أكثر ، وبالتالى يتاح لها أن تقدم انجازات حضـارية أعمق واشـمل وأكثر تماسـكا واستمرارا وتعبيرا عن روح الجماعة وأهدافها .. أما التجـارب التى تمارس فيها الخيانات على نطـاق واسع فانها سرعان ما تحدث تمزقا وتفتتا فى المجالين الجماعى والفردى،

الامر الذي يؤدي الى الاسراع بسقوط التجربة : دولة وحضارة وانسانا . ذلك أن الخيانة ستولد فى مجال الجماعة حركات مضادة تسعى لسحق القائمين على التجربة ، وقد يؤدى الامر الى انهاك قوى الطرفين فى مجال العنف السياسى والمسكرى فلا تقوم للأمة قائمة بعد ذلك . وأما على النطاق الفردى فان تكرر الخيانات سيحيط الضمير بطبقة من التراب واللامسؤولية ، وسيقلص بالتالى (كمية) المنجزات الحضارية ويؤثر على (نوعيتها) مما يؤدى بدوره الى انهاك القوى التى تستند عليها التجربة ، الامر الذى يعجل بتدهورها وسقوطها ..

نجىء بعد ذلك الى ميزة أخرى اكثر أهمية .. فى التجارب الوضعية يسقط الانسان نفسه ، هذا الكائن المتفرد ، والفعال ، بمجرد سقوط دولته وحضارته ، وتكون النكسة بالتالى أعمق وأشد خطرا .. أما فى الاسلام فجائز أن تسقط الدولة أو الحضارة ولكن الانسان المسلم والمجتمع المسلم يستمران على المقاومة والتماسك اطول فترة ممكنة، بسبب توفر الحوافز الذاتية والقيم الخلقية التى يولدها الدين والضمير الدينى ، مما لا نجده فى التجارب العلمانية ، فها هنا تكاد تكون القضية طردية : كلما إزدادت الحضارة والدولة تدهورا وانهيارا ، كلما ازداد الانسان (المواطن) تفسخا وتحللا وغيابا .. أما فى الاسلام فان الانسان والمجتمع يظلان يحتفظان بنوع من التماسك الداخلى، وربما ازداد هذا التماسك قوة ومقدرة على البقاء ، كرد فعل ايجابى لغياب الدولة والحضارة ، وان كان ذلك لا يستمر الى النهاية بحكم تكوين الاسلام نفسه حيث ترتبط وتتداخل دوائر الانسان والدولة والحضارة .. أن ما ذكرناه قبل قليل عبر عن نفسه ، فى العصور الاسلامية التالية ، بظهور عدد من الحركات الاسلامية ، صوفية وسياسية ، سعت الى تعزيز التماسك الفردى والجماعى بوجه التشتت السياسى والحضارى ، وهو أمر لا نجد له مثيلا فى التجارب الوضعية ، فيما حققه من نتائج ..

ان الدول والحضارات الوضعية كثيرا ما تعانى السقوط من الداخل ، فى أعقاب تدهور يصيب الانسان فى ذاته ، والمجتمع فى علاقاته « يمكن الرجوع فى هذا المجال الى كتاب (اللامنتمى) لكولن ولسون ، لدراسة هذه الظاهرة » . وهذا التدهور كثيرا ما يقود الاغلبيات الساحقة الى السلبية والدمار ، ويقود القلة الفذة إلى الانشقاق والتمرد .. والظاهرتان معا تهددان بالسقوط السياسى والحضارى .. أما فى الاسلام ، فصحيح أن الانسان — كما يؤكد الاسلام نفسه — هو محور قيام الدول والحضارات ، أو تدهورها وسقوطها .. الا أن تاريخنا يعلمنا حقيقة أخرى وهى أن الكثير من تجاربنا التاريخية سقطت فى أعقاب ضربة خارجية ، بدوية خشنة ، أو بربرية قاسية .. وهذه الضربات كثيرا ما كانت تؤدى الى مزيد من التماسك الفردي والجماعى « كما حدث للمجتمع الاسلامى فى عصر الغزو الصليبى » الا أن ضربات كهذه كانت تعمل افسادا وتدميرا على نطاق الدولة والحضارة ، سيما فى تلك الفترات التى لم تتكافأ فيها القوى العسكرية وقدرات التسليح .. وهكذا كانت الغزوات الخارجية تخلف وراءها دولا منهارة وحضارات تلفظ أنفاسها .. الا أنها لم تخلف

الا فى القليل انسانا مسلما ممزقا ، ولا مجتمعا اسلاميا متدهورا .. على العكس كانت تخلق (المجـــاهد) وجماعات (الفتوة) ذات الطـــابع الانسانى ، والســـلوك الاجتماعى العالى المستمد من قيم الاســـلام وأخلاقياته .

ولكن هل أن بقاء الانسان المسلم والمجتمع المســـلم بدون دولة أو حضارة ، يمكن أن يظل طويلا .. ؟ أبدا .. فهما سرعان ما يتعرضـــان لعوامل التحلل التى سممت الاجواء (الخـــــارجية) ، ورغم طول فترة مقاومتهما الا أن الجراثيم لا بد وأن تنقل العدوى اليهما ، فيتجهان صوب التحلل والدمار . ولذا كان هنـــاك ارتباط متين — فى الاسلام — بين الدولة والحضارة من جهة ، وبين الانسان والمجتمع من جهة أخرى ..

ولن يتم التقدم والتوحد والتماسك الا بوجود هذه الاقطـــاب الاربع : ابتداء من الانسان صانع الحضارة ، فالمجتمع مشـــكل قيم الحضــــارة ومنفذها ، فالدولة حارسة الـــكيان الحضارى ، فالحضارة نفسها التى لن تكسب اســــتقلالها وحيويتهـــا وامتدادها الخلاق الا بتوفر الانسان الفعال (المحسن) والمجتمع الحركى (المجـــــاهد) والدولة القـــوية (الراشدة) ..

ونصل الى الميزة الاخيرة ، وهى أكثر الفروق أهميـــــة .. ذلك أن المبادىء الوضعية (العلمانية) لا تؤكد على (دور الانسان) ولا على « عمليـــــة التغيير الباطنى » أو (الجهاد الاكبر) بتعبير الرســـول صلى الله عليه وسلم ، فى طريقها الى اقامة الدولة والحضارة ، وفى مرحلة قيامهما .. انها تؤكد على الخارج أو (المحيط) فحسب ، على (الطبيعة) أو (العلاقات المادية) او (المجتمع) ، على عملية التغيير الخارجى فحسب ، وهذا يعرضـــهما بلا شك الى الـــكثير من الانحرافات والتخبط والتأخر فى الوصـــول الى الاهداف .. وسرعة النكول عنها ..

اما الاسلام فانه يقرر « ان الله لا يغير ما بقــــوم حتى يغــيروا ما بأنفسهم » ، ومن ثم يجىء التغيير الخــــارجى ، واقامة المؤسسات السياسية والعسكرية والاجتمـــاعية والثقافية .. قائما على أســـاس عميق من (تغيير) و (بناء) مسبقين يشملان كل طاقات الانسان وقدراته وتصوره وسلوكه .. وهذا ما تفسره لنا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عندما بدأ بالانســــان أولا (المرحلة المكية) ثم انتقل (بحركة الهجـرة) صــــوب اقامة الدولة والحضارة (المرحلة المدنية) .. ولن تستقيم أية حركة فى التاريخ الا بأن تقتفى خطى خاتم الانبيـــاء عليه السلام ، وتبدأ بالانسان !!

نظرات

في الأزمة الراهنة في العالم الإسلامي

بقلم : أحمد العنانى

الواقع الراهن فى العالم الاسلامى هو واقع رهيب بلا ريب ، الأقليات الاسلامية اليوم تواجه عمليات افناء وارهاب على درجات متفاوتة ، وبأساليب متنوعة .

منها ما يباد إبادة حسية بالقتل الجماعى ومعسكرات الاعتقال ومنها ما يطرد من أراضيه ، وتنتزع سائر حقوقه الانسانية ومنها ما يقسر قسرا بالقوانين الجائرة ، والقوة القاهرة على التخلى عن ثقافته ودينه وتاريخه ، وسائر ارتباطاته الظاهرة بذلك كله . . .

وليست أزمة الأقلية الاسلامية فى الفيلبين سوى نموذج لوضع حاد التأزم ، لكنها ليست فى الحقيقة بأشد خطورة مما هو جار فى مناطق كثيرة فى وسط آسيا ، وفى أماكن من افريقيا وغيرها .

ذلك جانب من جوانب الأزمة

الراهنة فى العالم الاسلامى . واضح وضوح النهار .

لكن للأزمة جوانب أخرى أشد خطورة وأوسع آفاقا ... إنك لتلمح فى أحداث باكستان الأخيرة ظاهرة أخرى مفجعة ، فالقوم المهيمنون على شطرها البنغالى معرضون إعراضا مذهلا عن سماع المنطق ، أو تقليب الراى فى اية مصلحة مشتركة ناهيك عن دين مشترك أو ثقافة ومصير مشتركين بينهم وبين باكستان الغربية ويبدو أن المؤامرة على باكستان لم تنته فصولها ، ففى واحد على الأقل من اقاليمها الباقية فى حوزتها تبدأ حملة تحريض كما لو كانت الاصابع الخبيثة تهيىء الجو لتفكيك تلك الدولة الاسلامية الكبرى وضياعها .

وسواء احلت قضيا الصراع على الطراز الذى تم فى باكستان ، أم على طراز الحل الاندونيسى والمالاييزى والسودانى فالتحدى الكبير لا يزال قائما والمشكلة فى جوهرها ماثلة باقية .

واغلب ظنى ان موجة الأخذ بالسيف أو الوقوع فى حفرة الانحلال والتفكك ستظل سائرة نحو اتخاذ أبعاد اخرى أعنف وأشد خطورة ، ولن يكون غريبا انحسار ظل الاسلام عن مناطق اخرى من العالم أو ان تسود العالم الاسلامى كله أو اكثره نظم استبدادية مفرطة فى النزوع ذات اليمين أو ذات اليسار ، وهى فى الحالين بعيدة عن الموقع الحق للاسلام .

لن يكون غريبا ولا غير متوقع أن تعطل الوف من المساجد التى طالما ذكر فيها اسم الله .

ولا غريبا أن تتضاعف أعداد اللاجئين والنازحين وان يسفك الدم غزيرا بأيدى المسلمين وغير المسلمين فى أنحاء شتى من العالم الاسلامى .

.. .. ..

هذه الرزايا الضخام قد يمكن أن ترى فى منظور آخر لا يفضى إلى اليأس أبدا .

إن الحكم على نجاح الفكرة النيرة القائمة على الحق والهداية لا يقاس باتساع الرقعة التى تمتد فيها .

كما لا يقاس بأعداد المتجمهرين تحت الويتها ،

ولا بالقوى المادية المتاحة لأعدائها .
ولا بتكالب هؤلاء الأعداء عليها ، وتلاقيهم برغم اختلافاتهم ، عند فكرة تحطيمها ...

وإنما العبرة فى توافر أى عدد من الناس الذين يرتقون الى مستوى الفكرة ، ويتمثلون حقائقها ويرون مراميها رؤية واضحة ، وتتمثل هى — أى الفكرة — فى سائر مسالكهم وتصرفاتهم فى السراء والضراء والمنشط والمكره ..

.. .. ..

وحالما تتنزل الفكرة الحقة النيرة من سماء الأحلام والأمانى وتستطيع السير على الأرض بقدم ثابتة فانها حقيقة بأن تجتاح كل العوائق المادية .

وبعبارات اقرب الى التخصيص والوضوح اقول :

إن المسلمين فى كل مناسبة برهنوا

على اقتدار عجيب للصعود الفوري من القاع الى القمة حالما تتحقق لهم قيادة مخلصة تتمثل فيها حقيقة التقوى ، ولها نظام سياسي قائم على روح الشورى ، وتصرف في الاقتصاد مستهدف حقيقة العدالة الاجتماعية لا شكلها . وعندئذ تنشأ الثقة التي تصنع المعجزة ولا يمكن أن ينصلح حال المسلمين في ظلال قيادة كافرة او ملحدة ، ولا في ظلال قيادة كافرة تدعى الصلاح وهي مفسدة ، وتصطنع الزهادة وهي موغلة في الأنانية ، ولا في ظلال أي نظام يتنكر لروح الشورى ويتقبل من المسلمين طاعة المقهورين أو المضللين ، ولا في ظلال أي نظام يرتدي مسوح الكهنوت ليحسن سرقة قرابين الهيكل ، ثم يدفن عظام الذبائح بعيدا عن أعين الجياع الذين ساقوا إليه النذور .

.. .. ..

لكن لماذا لا ينهض المسلمون لمستوى إنتاج القيادة التي يرتضونها لتسير بهم على الدرب الذي يوقف السيوف عن رقاب الاقليات المسلمة، ويطرد ثعالب الصهاينة عن حمى القدس والخليل ، ويحمل الشعوب على جبر كل كسر ، ولم كل شعث ممزق في باكستان وغيرها .

الحقيقة أن أعداء الاسلام لم يضيعوا وقتهم عبثا خلال المائتي عام التي ظفروا فيها بأحسن فرصة نالوها لتحقيق حلمهم القديم بالقضاء المبرم على الاسلام والمسلمين .

وكانت أخطر جهودهم وأشدها فتكا بنا ما اتخذوه من وسائل بعد يأسهم القاطع الحاسم من إمكانية انتزاع الاسلام من الدنيا أو خنقه بأية طريقة مباشرة .

وأهم الأساليب التي طبقوها فينا بنجاح ما يلي :

أولا : ـــ تنشيط قيام احزاب وجماعات على مبادىء ضيقة تضرب شمولية الاسلام وعالميته وحيويته الخالدة ضربة موجعة ممزقة من الداخل .

ثانيا : ـــ فصل الدين عن الحياة وتكريس المظاهر وإماتة الجواهر وتعزيز ذلك بتوسيع الفروق الطبقية ، وتيسير المال في حالات كثيرة لأناس من اسوا ابناء الأمة ، وتغذية روافد الجهل والمرض والخرافة ، وخلق المتناقضات ، وتأكيد العداوات بل وحتى المحاولات الوقحة لإيجاد أديان ممسوخة تحمل اسم الاسلام وبعض شعاراته .

ثالثا : ـــ تغذية روافد العلمانية وتخريج كهان لهياكلها النجسة والهيمنة على برامج التعليم وتذويب شخصية المسلم المتعلم على المستوى الجامعي وإيجاد اهتمامات اخرى غير إسلامية لخريجي الجامعات اينما تخرجوا عندهم أو في بلادنا . .

رابعا : ـــ نشاط الراسماليين الأجانب في زراعة بذور اليسارية الالحادية كلما لزم الأمر ولم يكن فيه تهديد لمصالحهم .

خامسا : ـــ تمتين روابط التحالف المعادي للاسلام لضرب المسلمين في شبه القارة الهندية والبلاد العربية .

سادسا : ـــ التحالف الخفي لحجب أسرار الصناعة ووسائل القوة المادية لكن كل هذه النيران مهما حرقت من المسلمين ، وما تزال ، قد عملت أيضا على تذويب الأخباث التي علقت بهم .

وكانـت إرادة اللـه أعظم مـن إرادتهم ، وكانت يده فوق أيديهم ..
فأنت تستطيع أن تلمح وحدة فكرية على فهم جديد لروح الاسلام وحقائق أسراره بين رجال الفكر الاسلامى على امتداد العالم كله ...

ومناهـج التعليـم فى العالـم الاسلامى تتعرض الآن لموجة عارمة من النقد والمراجعة والتعديل .

وعناية الله تعالـى كشفت عـن ثروات هائلة فى العالم الاسـلامى آخذة فى تعويضه عما استنزف من ثرواته ...

والاتصال بين المسلمين ، وانفتاح ديارهم على بعضهـا سوف يمحـو الآثار المخربـة لعمليات التمزيـق الاستعمارى لهم ...

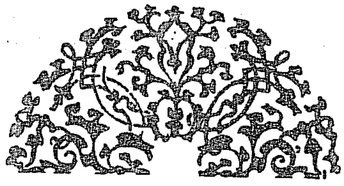
والأفكار الدامية المفرقة لن تجـد حبلا أصلح لخنقها من النتائج الدامية التى أسفرت عنها والفشل الذريـع الذى انتهت إليـه . والأديان التـى أوجدها الاستعمار محاولا ضرب نواة الدين ووحدته المقررة من الله تعالى قد أصبحت الآن سخرية واهمـة ، وحركة البحث العلمى الذى عطلـه الظالمون ، وباب الصناعة الـذى أقفلوه وأسرار القـوة الماديـة التى احتجزوها ، كلها آخـذة فى التحرر والانطلاق بنا الى آفاق جديدة ..

والاقليات الاسلامية ستخرج يوما الى النور مهما طال تخفيها تحت وطأة الضغوط البربرية المفروضة عليها ..
بل ان الاسلام ليكسب تلقائيا فـى كل يوم أرضا جديدة فى أماكن جديد لا تخطر على البال .

.. .. ..

لكنى لا أهوّن إطلاقا من فداحـة الحقبة المقبلة مباشرة علينا ، فأغلب ظنى أن نادى الكراهية للحق المتمثل فى الإسلام سيمتّن عرى التحالف بين أعضائه .. ولسوف تـكون شرور كبرى وتسيل دماء غزيرة وتهدّم مدن عامرة وقد يشتد الاستبداد والقمـع وتسود أشكال منوعة من الديكتاتورية تشمل العالم الاسلامى كله الى فترة من الزمن ..

لكن نبتة الحق خرجت مـن دور المعاناة الرهيبة تحت ثقل الصخـر التى حجزت عنها شمس القـرآن والسنة ولن تستطيع قوة فى الأرض مهما هدمت من دور ، وبثت من رعب ، واصطنعت من وسـائل للتكفيـر وتكريس المظالم والتفريق بين الأخوة أن تحول دون عودة شمس الاسـلام الى السطوع ... لقد انبعث الفكر الاسلامى الذى ينشد التقوى فـى القيادة والشورى فى الحكم ، والعدل الاجتماعى الإلهى للناس ولن تطفىء نور الاسـلام قوة مادية من تـراب الأرض .



أبو العلاء المعري

يحدثنا عن عقيدته الدينية

للشيخ طه الولي

لقد ذهب الناس في الكلام عن عقيدتي الدينية كل مذهب ، وراحوا ينقلون عني ما ليس مني ، ويجعلون لما قلته من نثر أو شعر أغراضاً ومعاني ، ما خطرت على بالي ولا قصدتها فيما كتب يراعي أو نطق لساني ، وإنما هي خطرات من الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس ، فيزين لهم أن يشيعوا رجما بالغيب بأن إيماني بالله الواحد الأحد ، ليس له في قلبي قاعدة ولا اساس . كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، إن يقولون الا بهتانا وكذباً .

وكأني بالذين رموني بهذه الفرية ، قد أغمضوا عيونهم ، غفلة أو قصدا ، عما قلته واعدت القول فيه ، مرارا وتكرارا ، سواء فيما نظمته من شعر أو ارسلته من نثر . أفلم تقتدهم أبصارهم وهم يتلون شعرى إلى قولى

بلسان عربي مبين ، لا يحتمل التضليل ولا يقبل التأويل :

لا ريب أن الله حــقٌ فلتعدْ
باللوم انفسكم على مرْتابها !
وإلى قولى كذلك :
الله لا ريبَ فيه وهو محتجبٌ
بادٍ وكلٌ إلى طبع له جَــذبا

وإنما اردت في وصف الله عــز وجل بأنه محتجب وباد في آن واحد ، انه سبحانه محتجب عن الحــواس الإنسانية الظاهرة القاصرة ، بينمــا هو باد لأهل الحجى والعقل وسلامة الفكر الصحيح !.
او لم يقرأ الذين ارتابوا بصــدق عبوديتي لله ويقيني بحقيقة ربوبيته وعظمته .

انفــرد اللــه بســـلطانه
فما له في كـل حــال كِفَــاء
مــا خفيت قــدرته عنكــم
وهل لها عن ذي رشاد خَفَاء !

غير ان عقيدتي في اللــه ، جلّت قدرته ، ليست نابعة من خيــالات المتوهمين ، وليست ترديدا باهتاً لما يجتره المتأخرون عن المتقدمين الذين من دابهم ابدا ، أن يقولوا ويعيــدوا القول « إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مقتدون » ولكنها عقيدة قادتني إليها بصيرة عقلي وطمأنينــة نفسي فاذا لساني يعبر عن خلجــات جناني :

اقر بــأن لي ربــاً قــديرا
ولا القي بدائعه بجحْدٍ !.
هكذا تارة ، وتارة اخرى .
اما الإلــه فأمر لســت مدركَهُ
فاحذر بجهلك فوق الارض سخاطا!
والله اكبر ، لا يدنو القياس به
ولا يجوز عليه كان أو صــارا !

وليس لنــا عــلم بسر إلهنــا
فهل علمته الشمس او شعر النجم!

اجــل إني مؤمن باللــه ، إيماناً لا يدانيه ريب الذين احتاروا في كنهه وحقيقته فراحوا يخبطون في تقريبه الى اذهانهم واذهان من لفَّ لفَّهم من صغار العقول الذين ارادوا أن يثبتوا له سبحانه وتعالى امورا ، وينفوا عنه امورا اخرى ويتحدثون عنه بمــا لا يرضى به العقل ولا يأخــذ به المنطق السليم !.

يخبرونك عن رب العلى كذبا
وما درى بشؤون الله إنسان

وكيف يصلح لمثلي ان يبحث عــن ربه بين الأقانيم كما تقول النصــارى او يتمثلونه في صورة شيخ له لحية بيضاء الذي يدعي اليهود بأنه ليس إله العــالمين بل إله بني اسرائيــل فقط !. او كما يصرّ الجــاحدون من المسلمين على تصــوره كائنا عــاديا متربعا على عرش مما تتصــــوره اوهامهم السقيمة .. وإنْ هؤلاء إلا كما اقول :

وان إلهي إلــه الســـماء
رب الوهود ورب النَّبَــك
سالت المحــدِّث عن شأنه
فما زال يضعف حتى ارتبك

والى كل من حدثته نفسه بأن يضع الله عز وجل في حدود المفــاهيم البشرية المادية الجامدة الى كل هؤلاء واولئك اقول بصــدق واخــلاص ، وبصوت لا يداخله اضطراب ولا قلق :

لنــا رب وليس لــه نظير
يسير امره جبــلا ويرسي
تظل الشمس ماهنــة لديه

فما بلقيس أم ماست برسّ
وإليهم اقول كذلك :

لنا خالق لا يمترى العقل انه
قديم ، فما هذا الحديث المولّدْ

وخلاصة جوابى على الذين ارجفوا مشنعين على إيمانى بربى وعقيدتى بدينى هو هذا الشعر الذى ما نطقت به عن هوى ولا خَرق ، ولا زلفى ولا ملق ولا رغبة فى رضى ولا خوفا من سَخَط .. إنه قولى :

قلتم لنا خالق حكيم
قلنا صدقتم كذا نقول
زعمتموه بلا مكان
ولا زمان الا فقولوا
هذا كلام له خبىء
معناه ليست لنا عقول

أىْ قولوا (لنا خالق حكيم) واسكتوا ولا تتكلموا عن الله بما يأباه العقل . اذ لا يعقل وجود كائن لم يكن فى مكان ولا فى زمان .. فلا تخوضوا فى الكلام عن شؤون الله التى ليس فى وسع الإنسان أن يعلمها .

وإلى الذى يطمع فى المزيد من الثقة بايمانى وصحة إسلامى ، اتلو ما اثبته فى كتابى « رسالة الغفران » فى شأن البعث والنشور من بعد التردّى تحت التراب ، طىّ جنادل القبور وهو ما جاء فى الكتاب الأشرف :

« أو لم ير الإنسان إنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم !.. »
وهذه حجة بالغة فى أن خالقها مُبْتَدعة أبعدَ من خلقها مرتجعه !
ثم قال سبحانه : « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ، فاذا انتم منه توقدون .. فتبارك الله العظيم القادر على أن يحرق بورقة خضراء من فوق الراكدة والغبراء !..

« أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترْجَعُون » ..

اشهد الله الذي بإذنه نشأت السموات والأرض انى مقر بالقدرة على الرجعة والخوف من الآخرة . أحافظ على صلاتى واصوم ، واعتصم فعلى معصوم وابرأ من قول الكافر :

المَتّ بالتحية أمْ بكر
فحيوا أمّ بكر بالسلام
الا يا امّ بكر لا تكرّى
على الكأس بعدَ أخى هشام
وبعد اخى أبيه وكان قرْماً
من الأقرام شرّاب المدام
الا مَن مُبلغ الرحمن عنى
بأنى مفطر شهر الصيام
إذا ما الراس زايل منكبيه
فقد شبع الأنيس من الطعام
اتوعدنا ابن كبشة أن سنحيَا
وكيف حياةُ اصداء وهام
أيترك أن يرد الموت عنى
ويحييني إذا بَلَيتُ عظامى
ولعن الله القائل :
أدنيا منى خليلى
« عبدلا » دون الأزار
فلقد ايقنت أنى
غير مبعوث لنار
سأروض الناس حتى
يركبوا دين الحمار
واتركنْ من يطلب الجنة
يسعى فى خسار !.

وويل للحكمى أبى نواس ان كان يعتقد ما يقال أنه وجد في بيته بعد موته مكتوبا وذلك قوله :

باح لساني بمضمر السر
وذاك اني اقول بالدهر
وليس بعد المماة حادثة
وإنما الموت بيضة العقر

وويح لعبد السلام بن رعيان الملقب بديك الجن ، ان كان مات وهو مصر على قوله :

هى الدنيا وقد وعدوا بأخرى
وتسويف الظنون من السوافى
فان يك بعض ما قالوه حقاً
فان المبتليك هو المعافى

على أن ما قدمته من الكلام عن ديني ومعتقدي ، يجب أن لا يؤدي الى الظن باني اتخذ من شرع الله ذريعة الى خداع الناس بالمظاهر التي ليس من ورائها إلا الرياء والنفاق ، فالدين في نظري لا يعدو أن يكون في الحقيقة ، تركَ الشر واجتناب القبيح ومعاملة جميع الناس على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم والوانهم ومشاربهم بالعدل والإحسان والإنصاف فان :

الدين انصافك الأقوام كلّهم
وأى دين لآبى الحق ، إن وجبا
اخو الدين من عادى القبيح
واصبحت له حجرة من عفة وإزارا
الدين هجرُ الفتى اللذات عن يسر
في صحة واقتدار منه ما عمرا
إذا الإنسان كف الشر عنى
فسقيا في الحياة له ورعيا

أجل ايها الإنسان ، إني لا اسألك عن أمر دينك الذي تضمره في نفسك وتطوى عليه عاطفتك ، لأن مثل هذا الموضوع مرجعه الى الله الذي جعل لكلٍّ وجهةٌ هو موليها ، وإنما اسألك عما تقدم وتؤخر في علاقتك بالناس . فكل من يفعل الخير ويتجافى عن الشر والأذى ، هو عندي الجدير بالتنويه والشكر والاحترام ، فلينتسب الإنسان الى ما شاء من الأديان ، ولكن عليه أن يعتصم في حياته مع الآخرين بعروة المحبة التي لا تشوبها شائبة من الحقد والتعصب والضغينة والبغضاء .

هذا ،

وبعد أن سمعت منى حديث الدين والإيمان بوجود إله قادر على بعثنا بعد المماة ، كما اوجدنا من قبل في هذه الدنيا مع اهل الحياة بعد ذلك هل عرفتني من انا ؟..

انا الذى اطفأ الله بصرى بظلمة العمى ، واضاء بصيرتى بنور الهدى، وقيد جسمى بأغلال التقاليد البالية ، واطلق روحى بأجواء الفكر العالية .

انا الذى اصبحت فى دنيا الناس رهين المحبسين ، فلما أن توليّتُ عن هذه الفانية ، اصبحت مع الخالدين ، قرين النيرين ، الشمس والقمر ، فاذا عرفتني ، فانك ستكون سعيدا بصحبتي واكون انا كذلك سعيدا بصحبتك ، وإن لم تعرفنى بعد كل الذى قدمته بين يديك ، فانك لن تكون يوما من اهل الأدب فى قليل أو كثير .

وفى هذه الحالة اقول لك :

عداوة الحمقى أعفى من صداقتهم
فابعدْ من الناس تأمن شرة الناس
قد آنسوني بإيحاشي اذا بعدوا
وأوحشوني فى قرب بايناس !.

جامعة عليكرة

تلقينا من مؤتمر العالم الاسلامى بكراتشى البيان التالى الذى يناشد فيه المسلمين العمل على وقف الاجراءات التى اتخذتها حكومة الهند تجاه جامعة عليكرة الاسلامية :

تلقى مؤتمر العالم الاسلامى من مصادر موثوق بها معلومات خطيرة بان السلطات الهندية قد اقدمت مؤخرا على علمنة جامعة عليكرة الاسلامية الشهيرة فى الهند متذرعة باصلاح السياسة التعليمية فى الجامعات الهندية على أساس الزعم بان الهند دولة علمانية . وتفيد هذه المعلومات بان المسلمين فى الهند قد قاموا بمظاهرات احتجاج كبيرة فرقتها السلطات الهندية بقسوة وعنف ، واعتقلت عددا وافرا من المتظاهرين .

ان مؤتمر العالم الاسلامى يرى فى هذه الخطوة من جانب الحكومة الهندية بادرة خطيرة تستهدف تصفية الوجود الاسلامى فى الهند وذلك عن طريق ازالة الصبغة الاسلامية عن جامعة عليكرة التى تعتبر قلعة من قلاع الفكر الاسلامى ومركزا مهما للاشعاع الثقافى الاسلامى كان له الفضل فى تخريج معظم القادة المسلمين ممن كان لهم دور فعال فى تسيير دفة المسلمين فى السياسة والدين والاقتصاد والاجتماع فى كل من باكستان والهند .

ويسترعى المؤتمر نظر المسلمين فى جميع ديارهم الى أن اقدام الحكومة الهندية على هذه الخطوة جاء فى أعقاب الكارثة التى نزلت بباكستان فى أول هذا العام وأدت الى تمزيق وحدتها واضعاف شأنها كدولة اسلامية كبرى مما أغرق الهند باتخاذ مثل هذه الخطوة امعانا منها فى الكيد للمسلمين وفى تفتيت الروابط

التى تجمع صفوف المسلمين فى الهند كما يسترعى المؤتمر النظر الى ان الاجراء الهندى المذكور ان هو الا حلقة فى سلسلة المؤامرات الكبرى التى خططها اعداء الاسلام فى سائر انحاء العالم لمحاربة العقيدة الاسلامية السمحاء وتجريد المسلمين من مصادر قوتهم ومقومات منعتهم وتقدمهم ، والحيلولة دون قيامهم بدورهم البناء فى اشاعة رسالتهم القائمة على الحق والعدل فى هذا العالم المضطرب الذى تسوده شريعة الغلب والاعتداء على حرمات الشعوب المستضعفة تحقيقا لمطامع الدول القوية وشهواتها .

والمؤتمر يرى ان قيام حكومة الهند بهذا الأجراء ضد جامعة عليكرة يشكل انتهاكا سافرا لميثاق الأمم المتحدة وحقوق الأنسان وسائر القوانين الدولية التى تنص صراحة على ضمان حق الاقليات والطوائف القومية والدينية فى ممارسة شئونها الخاصة بها بحرية تامة . كما يرى المؤتمر ان سكوت المسلمين حكومات وشعوبا على هذا الأجراء من جانب الحكومة الهندية سيؤدى حتما الى تشجيع دول أخرى ، تتربص بالاسلام والمسلمين الدوائر ، على ان تحذو حذو الهند .

ولذلك فان « مؤتمر العالم الإسلامى بكراتشى يناشد المسلمين شعوبا وحكومات ، باسم الاسلام ، نصرة هذا الدين الحنيف باستنكار العدوان الهندى السافر على وجود ما يقرب من ٦٠ مليونا من اخوانهم فى الهند واتخاذ موقف قوى موحد لحمل الحكومة الهندية على الرجوع عن الاجراءات التى اتخذتها ضد جامعة عليكرة واعتبار اصرار الهند على هذه الاجراءات على المسلمين جميعا وانتهاكا صريحا للمبادىء والقوانين الدولية . (يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) .

الجامعة فى سطور :

١ — ان مؤسسى جامعة عليكرة الاسلامية هو السيد احمد خان المتوفى عام ١٨٩٨ وقد تدرجت هذه الجامعة من معهد للترجمة ودراسة الأدب عام ١٨٦٤ الى كلية عام ١٨٧٧ الى ان اصبحت تعرف عام ١٩٢٠ بجامعة عليكرة الإسلامية .

٢ — كان هدف السيد احمد خان من تأسيس هذه الجامعة تأهيل المسلمين فى الهند بالعلوم العصرية بالاضافة الى العلوم الدينية لمقاومة سياسة نشر الجهل والتخلف التى انتهجها الاستعمار البريطانى للهند .

٣ — لقد تخرج من هذه الجامعة معظم القادة المسلمين فى شبه القارة الهندية الذين حافظوا على الوجود الإسلامى فيها . وبعد قيام دولة باكستان عام ١٩٤٧ أصبح معظم قادتها من خريجى هذه الجامعة . وبقيت منارة للاسلام فى الهند رغم الضغوط الهندية المتوالية لاطفاء نورها مدة ربع قرن .

٤ — غير أن الحكومة الهندية اقدمت فى الآونة الأخيرة على علمنة هذه الجامعة وازالة الصبغة الإسلامية عنها وتذرعت فى ذلك بالغاء كلمة « هندوسية » عن جامعة بنارس الهندوسية ، علما بان جميع المؤسسات الهندية من ثقافية وسياسية واجتماعية هى فى الواقع هندوسية وان الغاء الالفاظ عن جامعة بنارس لا يبدل من حقيقة الأوضاع شيئا بالنسبة للهنود لكنه أمر خطير بالنسبة لجامعة عليكرة الاسلامية التى تعتبر المركز العلمى الكبير الوحيد المتبقى للمسلمين فى الهند .

بين الاستعجال بالسيئة واستبطاء الحساب

للأستاذ احمد محمد جمال

جلست ليلة استمع الى قارىء يتلو بعض آيـــات من سورة النمل ، عن قصة ثمود ، حتى جاء الى قوله تعالى حكاية عن نبيهم صالح عليه السلام : (قال يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ، لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) .

فجذبت الآية انتباهي ، كأني لم أتلها مـــن قبل ، وكأني لم أذاكرهـــا في موضعها كل شهر مرة ، كدأبي فـــي مدارسة القرآن . ولم يطل عجبي من هذه الوقفة التي بـــدت عجيبة عندي ، لطول مذاكرتي للقرآن ، فقد عرفت من نفسي انني أطرب لســـماع القرآن أكثر مما أطرب لتلاوتـــه ، وأتأمله مقروءا من غيرى أطول مما اتدبره مقروءا بلساني ..

أعرف هذا عن نفسي ، واذكر أن نبي الاسلام ، عليه الصلاة والسلام ، قال مرة لصاحبه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :« اقرأ عليَّ القرآن »، فقال ابن مســعود متعجبا : « أأقرأ عليك يا رسول الله وعليك أنزل » ؟ فرد عليه الرسول الكريم : « إنـــي أحب أن أسمعه من غيري » ، وامتثل ابن مسعود للأمر النبوي ، فتلا بعض آيات من سورة النساء ، حتى جاء الى هذه الآية منها : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء

شهيدا » فقال : حسبك . كأنه عليه السلام استهول ما تحمله هذه الآية من معنى التبعة والمسئولية الملقاة على عاتقه الكبير .

قلت إننى استمعت ذات ليلة الى قارىء يتلو قول الله تبارك وتعالى حكاية عن نبيه صالح : « قال يا قوم لِمَ تستعجلون بالسيئةِ قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون »، فجعلت أحدّث نفسى عما تمنحه هذه الآية القرآنية من شفاء لمرضى ، وسكينة لحيارى ، وهدى لضالين . وانشأت اتساءل فى سرّى : لِمَ يستعجل أحدنا بالسيئة قبل الحسنة ؟

● إن أحدنا إذا كان مريضا واستبطأ الشفاء ، دعا على نفسه بالموت الزؤام .

● وإذا كان فقيرا واستطال أمد فاقته وحاجته ، تمنى لو تقدّم ما تأخر من اجَله الطويل .

● وإذا كان مكروبا واستثقل وطأة كربه ، صرخ فى قرارة نفسه : ليتنى مت قبل هذا البلاء الثقيل .

● وإذا ابتليَت أمٌ بإبن عاق قالت : ليت بطنها انشقت دون أن تلد هذا الشقى اللئيم .

● وإذا مس فتاة مكروه فى بداية زواجها ، أو مس فتى نكد فى أيام زواجه الأولى ، تمنيا لو انكسرت اقدامهما قبل أن يزَفّ أحدهما الى الآخر .

وغير هؤلاء كثيرون ممن تضيق الدنيا على سعتها فى أعينهم ، وتظلم على نورها فى وجوههم ، فى لحظات تعسة من حياتهم ، يحجب الشيطان خلالها عن ابصارهم وبصائرهم قبس الأيمان بالله الكريم الرحيم ، فينسون أن مع العسر يسراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن كل مصيبة بأجر ، أو هى تكفير عن ذنب مقترف ، أو هى نذير بالكفّ عن ظلم ، وبالتوبة من خطيئة .

أجل ، إن هؤلاء ينسون الله فينسيهم أنفسهم ، فلا يرحمونها بالصبر والأناة ، والتماس اللطف من الله ، وإنما يستعجلون لها بالسيئة قبل الحسنة ، والهلاك قبل العافية . .

والقرآن هنا يهدى هؤلاء الذين تستخفهم الأحداث ، وتستفزهم الشياطين ، الى سبيل يستشفون فيها من ضرهم ، وهى اللجوء الى الله سبحانه يستغفرونه من ذنب ، ويسترحمونه من كرب . فلعل ما نزل بهم كان لمعصية ارتكبوها وما أكثر ذنوب البشر ، فكل بنى آدم خطاءون، وخير الخطائين التوابون . أو كان ذلك امتحانا إلهيا لهم ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويعلم المؤمن من المنافق :

● « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلو أخباركم » (١) .

فلنقل لهؤلاء المضرورين ، الذين يتمنَّوْن الأذى لانفسهم أو الردى ، نجاة بها من طول العذاب : هذه « مائدة القرآن » بين أيديكم ، فاستوهبوها بعض غذائها وشفائها ، واستمدوا منها نورا لأبصاركم ، وسرورا يجلو غَمَمَ أكداركم ، فإنما جاء القرآن : هدى ورحمة وشفاء للمؤمنين .

— فلِمَ ، يا هؤلاء ، تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ؟

— ولِمَ لا تكون دعواتكم بالخير لا بالشر ، وبطلب الفرج لا بإنهاء الحياة ؟

— ولِمَ لا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ؟؟

يقول القرآن فى قصصه عن قوم نوح عليه السلام إنه نصحهم بالاستغفار ووعدهم عليه السعة والقوة : (ويا قوم استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهارا) .

وفى قصصه عن قوم هود عليه

السلام أنه نصحهم نفس النصيحة ، ووعدهم ذات الوعد ، إذ قال : (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم) .

وكذلك قال صالح عليه السلام لقومه ثمود : (فاستغفروه ثم توبوا اليه إن ربى قريب مجيب) .

وهكذا نجد القرآن الكريم يصف التوبة والاستغفار سُلَّماً الى رحمة الله ، واستنزال رزقه ، واستمطار فضله ، وإمداد المكروبين التائبين المستغفرين بالأموال والبنين ، وزيادتهم قوة الى قوتهم .

وما أقل التوبة والاستغفار ثمناً ، وما اضألهما جهدا ، وما اعظم ما يؤتيان من فضل الله ورحمته بضاعة ، وما أربحهما مشترى . ولكن الله سبحانه يشرح صدورا ويفتحها للتوبة اليه ، واستغفاره ، ورجاء ما عنده .. ويغلق اخرى . وإننا لسائلوه : أن يشرح صدورنا ، ويتم نورنا ، إنه سميع مجيب .

★ ★ ★

وفى الجانب المقابل لهذا الفريق من الناس ، الذى يستعجل بالسيئة قبل الحسنة ، ويتمنى الموت إذا مسَّه ضر ، أو أصابه مكروه — نجد فريقاً آخر يستبطىء الحساب والعقاب على ما يجترح من خطايا ، وما يقترف من ذنوب . وهذا هو موضوع الحديث التالى .

استبطاء الحساب :

كان المفسرون القدامى يتلون مثل هذه الآية من القرآن : (بل يريد الانسان ليفجر امامه . يسأل أيان يوم القيامة » (٢) فيقولون : إن الانسان هنا هو الانسان الكافر ، الذى يرتاب فى يوم البعث والجزاء ، فلا يهمه إيمان بدين ، ولا يهتم بعمل صالح فى دنياه — فهل الآية لا تتعدى هذا النطاق اليوم ؟ وهل الانسان الذى يريد ليفجر أمامه ، يسأل أيان يوم القيامة ، هو الانسان الكافر وحده ؟

عندى أن الأمر فى هذه القضية لم يعد أمر الكفرة الذين قد تكون هذه الآية من سورة القيامة قصدتهم ، عند نزولها على نبى الاسلام عليه الصلاة والسلام ، ولكن الأمر — مع الأسف — عَمَّ الفَسَقة ممن ينتسبون الى الاسلام بحكم البيئة التى يعيشون فيها ، أو بحكم الدم الذى ينسلون منه ، ولا شيء غير ذلك من انتساب فكرى أو انتساب اعتقادى ، أو انتساب عملى الى الاسلام .

وإلا فما معنى هذا الانشغال بالذات ؟ وما دافع هذا التفرغ لمنافع النفس وحدها ، وما دلالة هذا الكَدِّ الحيوانى فى سبيل الجمع واللَّمِّ من سُحْتٍ وحرام ؟ وما معنى هذا الجهار الصارخ بالعمل الفردى الخالص ، فى غير استحياء أو خجل من التلذذ بإيذاء الغير ، والاستمتاع بالاعتداء على الآخرين ، من أجل السعادة الذاتية التى لا تتجاوز جدار الدار ، ولا تُطِلُّ على الجيرة من نافذة ولا باب ؟؟

أجل ، ما تفسير هذا التسابق اللاهث الى نيل المغنم الخاص ؟ وهذا الانغماس الأعمى فى التهام اللذة وإرواء الشهوة ؟ وهذا العزوف التام عن معالى الأمور ومكارم الأخلاق ؟ وهذا التغافل الكامل عن حقوق الجيران والاخوان والمواطنين فى إسداء النصيحة لهم ، وإهداء المعروف إليهم ؟؟

لا ندرى أشَرٌّ أريد بمن فى الأرض، بما ضاع من إيمان وَزَلْزَلَ من يقين ، ووهَن من عقيدة ؟؟ أم الانسانية ارتكست فى حضيض من

المادية سحيق عميق ، شديد الإغراء ، مديد الإغواء ، قوىّ الجذب والشدّ ، منيع الحصون والمتون ، لا يُسْمَعُ فيه للضمير ركز ، ولا يجد إشعاع الروح مَسْرَباً الى حناياه المظلمة ، وزواياه المعتمة ، ولا ينفع الطَّرْق على أبوابه المقفلة المُحْكَمَة ؟

أجل .. نعيدها فى يقين ثابت ، ونكررها فى أسف مرير : أن استبطاء المصير ، واستبعاد الحساب ، مُنْتَقَد لم يَعُدْ مقصوراً على الكَفَرَة من البشر ، بل تخطاهم الى فَسَقَة المسلمين . تخطاهم عاماً شاملا ، وغطاهم من قِمَمِ رءوسهم الى أسافل أقدامهم ، فلم يعودوا يجدّون للدين ولا للدنيا . وقد جَدّ الكَفَرة لدنياهم : يُشَذّبونها ، ويُهَذّبونها ويُمَدّنونها ويُحَضّرونها ويُرَفّهون أنفسهم بمرافق الحياة الميسَّرة الرخيّة فى سلمهم ، وفى حربهم يحمون وجودهم بما يتقنون من أسلحة الحديد والنار .

أما نحن ، مسلمة اليوم ، فلا غرام لنا إلا بالمادة ، ولا هَمّ بنا إلا الانكباب على أسبابها ، والتسبيح فى محرابها ، والبحث عنها فى مختلف مجالاتها : مجالها الاقتصادى ، ومجالها الاجتماعى ومجالها الثقافى ، ومجالها السياسى . وزادنا تَعَلّقاً بالمادية ، وانصرافاً إليها : ملكة الكلام الكثير فينا ، وغريزة التغنى بماضينا من غير تطبيقه فى حاضرنا ، حتى لم نعد ننظر فى معالى الأمور وما توحى به ، ولم نعد نفكّر فى القيم الروحية وما توَجّه اليه ..

* * *

إنه ليسوءنا أن ننظر الى الفرد فى المجتمع الاسلامى ، فنراه لا يحس بإحساس الجماعة ألماً وأملا ، ولا يشترك فى انفعالات البيئة للتطور والتقدم نحو الأحسن والأكرم من ألوان الحياة . ويسوءنا أكثر من ذلك أن نجد المجتمع الاسلامى فى جملته لا يهتم بالعمل على تحقيق الحياة السعيدة الرشيدة المجيدة لأبنائه الذين ما زالوا حَمِيلَة على مصانع الكَفَرة ومعاملهم ، فيما يأكلون وما يشربون وما يلبسون وما يركبون ، بل إنهم ليدينون لهم فى التوافه والبسائط من آلات وأدوات وأجهزة للعمل والعيش أو للترويح .

● أفليس معنى ذلك أن كل فرد فى المجتمع الاسلامى يريد ليفجر أمامه ؟ يريد أن يستمتع بكل ما يجد ، ويبحث عما لا يجد ، بداراً أن تفوته الحياة ؟ ومن المعجب المحيِّر أنه يستعجل الملذات لأنه يعلم أجله المحدود ، ولا يفكر فيما بعد هذا الأجل من مصير وجزاء .. حقاً إنه يريد ليفجر أمامه ، وحقاً إنه يستبعد القيامة أو يكاد يجحدها تحت تأثير المذاهب الوجودية الحديثة .

ومن هنا جاء خسران المجتمع الاسلامى لدينه ودنياه .. فهو يفتقد العمل المنظم فى معايشه ، ويحتاج الى تنظيم الكَفَرة من أعدائه ، كما يفتقد الوازع الدينى والعاطفة الروحية فى تصاريفه وتكاليفه ، يفتقد الرباط الأخوى الاجتماعى بين أفراده وأسره وطوائفه ، فكل فرد فيه على شاكلته ، وفى حدود منافعه ومصالحه هو دون غيره ، وعلى منطق ما يسره ويلذه ويبهجه ، ويرفع مقامه وحده دون سواه .

فإلى هذا الانسان الذى يريد أن يفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة .. والى هؤلاء الذين يجترحون السيئات، ويرتكبون الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ويتَحَدون الذى ينصحهم قائلين : « إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين » .

والى أولئك الذين يستبطئون ساعة الحساب، ويستبعدون ميعاد القيامة،

متلذذين بيومهم ، منتهزين فرصتهم ، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، ويقولون : (ما ندرى ما الساعة ، إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين) ..

الى هؤلاء جميعاً نفتح صحائف جليلة من القرآن الكريم ، ليروا فيها ، بل ليسمعوا منها ، هذه الوعود القوارع :

● « إن ما توعدون لصادق . وإن الدين لواقع » .

● « إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » .

● « قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون » .

● « إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة » .

● « إن عذاب ربك لواقع . ما له من دافع » .

ونعود فنكرر أن الاسلام دين اليوم والغد ، دين العمل الجادّ الصالح ، ودين الجزاء العادل ، وفى التعاليم المأثورة : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » ، وفى الحديث الشريف : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة أو ترك الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » .

★ ★ ★

ومن آثار استبطاء الناس (للحساب) أن لا يكون انتفاع ولا استفادة بموعظة . فلا يتعظ الآثمَة ولا يعتبر الظَّلَمَة ، بحوادث أمثالهم ، وما تنتهى اليه من عواقب سيئات . ويعجب العقلاء ، ويذهب بهم العجب أقصى مداه : أن ينهض الظالم أو الآثم من عثرته ، وسرعان ما يعود الى أسبابها أقوى ما يكون ظلماً وإثماً .. كأن لم يمسسه سوء ، وكأن ما مر به قريباً من حادث واعظ : دعاب ومزاح ، وليس نذيراً صارخاً من نذر السماء ..

ويعجب العقلاء أيضاً عجباً لا ينتهى : أن يمشى الظَّلَمَة والآثمَة فى تشييع الموتى ، ويزورون القبور ، ويذكرون فى أنفسهم سراً ، أو على ألسنتهم جهراً ، كيف تنتهى حياة الحى ، بعد حركة واضطراب ودوى ، الى ضجعة تحت التراب الموحش ، لا يؤنسه فيها إلا عمله الصالح ؟. يعجبون كيف تمر هذه التجارب والذكريات المؤسفة بالظالمين والآثمين ، وقد تنقبض لها أفئدتهم لحظة من نهار ، ولكنهم لا يلبثون بعدها أن يعودوا الى دورهم وأنديتهم، فيغرقوا الى الأذقان فى ما الفوه من قبل ، من ملاه ومظالم ..

ولقد كنت أعجب مع العاجبين ، وانتهى معهم الى القول بأنها : قسوة القلوب هى التى منعت (العظة) و (العبرة) عن أسماع هؤلاء وأبصارهم ، فيما يرون أو يسمعون من تجارب وأنباء عن أمثالهم الذين سبقوهم بظلم أو إثم . قسوة القلوب التى يقول القرآن : إنها فاقت قسوة الحجارة ، الحجارة التى تتفجر منها الأنهار ، وتتشقق فيخرج منها الماء ، وتخشع وتتصدع وتهبط من خشية الله ، ولا يهبط قلب الانسان الظالم من خشيته !!

★ ★ ★

والآن — وبعد أن طالت عشرتى للقرآن الكريم، أستهديه وأستفتحه — وجدت أن قسوة القلوب ليست وحدها مانعة للاتعاظ والاعتبار عن الظَّلَمَة والآثمَة ، بل هنالك معها استبعادهم لأجَل الحساب على العمل ، فهم يقولون ، كما قال أسلافهم :

● متى هـذا الفتـح إن كنتم صادقين » ؟

● « لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين » ؟

بقي أن نقول عن هؤلاء الظَّلَمَة الأثَمَة ، الـذين يأتون الحـرام : يجمعونه مالا ، أو يقترفونه أفعالا ، أو يقيمونه حدائق وظلالا — وهم على بيِّنة منه — إنهم إنما يأمنون مكر الله : « فلا يأمـن مكر اللـه إلا القـوم الخاسرون » (٣) .

فهم يسألون : أيان يوم القيامة ؟ : سؤال استبطـاء ، واستبعاد ، أو سؤال استحالة واستهزاء وجحود . وهو سؤال ينم على شعور بالأمن ، الأمن المؤقت ، الأمن المخدوع ، الذى خَيَّلَه لهم الشيطان ، وزيَّنَه وأملى لهم فيه ، حتى نسوا ما ذكِّروا به من رسالات الأنبيـاء وكتب السمَّاء ، وفُتِحَت لهم أبواب كل شىء من لذَّة وجاه ونصر أينما قاموا أو قعدوا ، وحيثما أقاموا أو رحلوا : « حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاً هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » (٤) .

يقول الله تبارك وتعالى فى حديث قدسى : « وعزتى وجلالى ، لا أجمع أبداً لعبدى أمنَيْن ، فيدوم له خوفه . وإن خافنى فى الدنيا أمننى يوم أجمع عبادى فى حظيرة القدس ، فيدوم له أمنه ولا أمحقه فيمن أمحق » .

وبعد . فالقرآن الكريم ، إذ يقدِّم لقرائه عامَّة وللمؤمنين العاملين به خاصَّة : صـورة واعظة زاجـرة للظَّلَمَة والأثَمَة الـذين يستبطئون الحساب ، ويستبعدون العقوبة فى هاتين الآيتين : « بل يريد الانسان ليفجر أمامه . يسأل أيان يوم القيامة» يقدِّم فى الوقت نفسه نذيراً جاهراً للمغرورين بالدنيا ، والمخدوعين عن حقيقتها ، والمضلَّلين عن خاتمتها ، حين يتساءل بلهجة الإنكار والوعيد : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، وأنكم إلينا لا ترجعون » (٥) ، ويقسم فى موضـع آخر : « فوربـك لنسئلنهم أجمعين . عما كانوا يعملون » (٦) .

---

(١) سورة محمد / ٣١ .
(٢) سورة القيامة / ٥ و ٦ .
(٣) سورة الأعراف / ٩٩ .
(٤) سورة الأنعـام / ٤٤ و ٤٥ .
(٥) سورة المؤمنون / ١١٥ .
(٦) سورة الحجر / ٩٢ و ٩٣ .

مائدة القارئ

فراخ الطائر

بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالسا بين أصحابه فى خلاء ، جاءه رجل عليه كساء وفى يده شيء ، وقد لف عليه كساءه ، وقال : يا رسول الله : إنى لما رأيتك أقبلت ، فمررت بشجر ملتف بعضه على بعض ، فسمعت فيه أصوات فراخ طائر ، فأخذتهن فوضعتهن فى كسائى ، فجاءت أمهن فاستدارت على رأسى ، فكشفت لها عنهن ، فسقطت عليهن ، فلففتها معهن بكسائى ، فها هى معى ، فقال صلى الله عليه وسلم : ضعهن ، فوضعتهن أمامه على الأرض ، وكشفت الكساء عنهن ، فأبت أمهن فراقهن ، فقال صلى الله عليه وسلم : أتعجبون لرحمة أم الفراخ بفراخها ، قالوا : نعم . قال : والذى بعثنى بالحق لله — بفتح اللام وتشديد الثانية — أرحم بعباده من أم الفراخ ... قم فارجع بهن حتى تضعهن مكانهن ، وأمهم معهن .

سلة اليهودى

قعد رجل فى سفينة وركب معه يهودى قد احتضن سلة قديد ، فاستولى عليها الرجل وأخذ يأكلها ، فلما أراد الخروج الى البر رأى اليهودى السلة فارغة ، فسأل عنها ، فقيل : إن هذا الرجل أكل ما فيها ، فولول وقال : أكلت أبى ، فسئل عن ذلك ، فقال : كان أبى أوصى أن يدفن ببيت المقدس فلما مات قددناه ليسهل حمله فأكله هذا .

التدخين

أصدرت الحكومة البريطانية منذ سنوات قرارا بمنع الإذاعة والتلفزيون من عرض إعلانات السجائر إلا بعد التاسعة مساء ، حتى يكون الأطفال قد ذهبوا للنوم ، كما اتخذت قرارا آخر بمنع الأطفال من شراء السجائر مهما تكن الأسباب ، وطالبت فى تقرير لها بتوعية أطفال المدارس وتحذيرهم من التدخين ، وزيادة القيود على بيع السجائر للأطفال .

الصلاة

جاء رجل إلى أبى حنيفة وقال له : يا إمام دفنت مالا من مدة طويلة ، ونسيت الموضع الذى دفنته فيه ، فقال الإمام : ليس فى هذا فقه فأحتال لك ، ولكن اذهب فصل الليلة الى الغداة فإنك ستذكره إن شاء الله ، ففعل فلم يمض إلا أقل من ربع الليل حتى تذكر الموضع الذى دفن فيه المال ، فجاء الى أبى حنيفة ، فقال له أبو حنيفة : لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تصلى الليل كله ، فهلا أتممت ليلتك كلها شكرا لله تعالى !

عشية المغفرة

قال ابن المبارك جئت الى سفيان الثورى عشية عرفة ، وهو جاث على ركبتيه ، وعيناه تهملان ، فقلت له : من أسوأ هذا الجمع حالا ؟ قال الذى يظن أن الله لا يغفر له .

الخوخة

وعندما يستعمل العامى هذه الكلمة لا يقصد بها تلك الفاكهة الشهية التى نلتهمها ، وإنما يطلقها على بويبة صغيرة فى وسط الباب الكبير ، وبهذا المعنى نفسه وردت فى الحديث : أوجدوا كل الأبواب الا خوخة أبى بكر .

إحصائية الحجاج الوافدين للعشر سنوات الأخيرة

	سنة القدوم	عدد الحجاج
١	١٣٨٢ هـ	١٩٩٠٣٨
٢	١٣٨٣	٢٦٦٥٥٥
٣	١٣٨٤	٢٨٣٣١٩
٤	١٣٨٥	٢٩٤١١٨
٥	١٣٨٦	٣١٦٢٢٦
٦	١٣٨٧	٣١٨٥٠٧
٧	١٣٨٨	٣٧٤٧٨٤
٨	١٣٨٩	٤٠٦٢٩٥
٩	١٣٩٠	٤٣١٢٧٠
١٠	١٣٩١	٤٧٩٣٣٩

شجرة الدر

أرملة الملك الصالح ، اعتلت عرش مصر بعد وفاة زوجها ، ولها دورها البارز فى القضاء على الصليبيين وهى مملوكة ، رفض كثير من الأمراء أن تولى عليهم امرأة ، فتزوجت الأمير عز الدين أيبك ، ثم تنازلت له عن الحكم ، لكن خلافا عائليا نشب بين الزوجين ، وحاول الزواج بغيرها .. استدرجته الى الحمام وقتلته هى وغلمانها ، لكن أمراء المماليك يعتقلونها ، ويقتلها الجوارى (بالقباقيب) .

الحضارة الإسلامية بين الحضارات

للدكتور وهبه الزحيلى

تهيمن الحضارة العالمية الحديثة بخيرها وشرها ، بعطائها وأخطائها ، على الأفكار والثقافة ، والحياة والواقع الاجتماعي ، حتى كاد الإنسان لا يفكر بغيرها ، أو ينتظر بديلا عنها ، أو يتطلع الى مصحح لعيوبها وانحرافاتها ، مع أن الإخلاص للإنسانية وللحضارة ذاتها يقتضى معرفة محاسنها ومساوئها ، وما يمكن أن تقوم به حضارة أخرى من دور بناء إيجابي في رفد البشرية بمقومات الخلود والثبات والأمن والاستقرار .

ونحن بدورنا كجزء كبير من هذا العالم نستطيع المساهمة في توجيه الحضارة وجهة أسلم وأقوم ، أو على الأقل محاولة إقامة حضارة ذاتية تتطلبها أمتنا في العصر الحاضر لتتمكن من إثبات ذاتها ، وتوفير البرهان العملي على مدى صلاح هذه الحضارة ، وجدارتها بالوجود والتنافس الشريف .

ويمكنني إلقاء الأضواء الكاشفة عن مقومات الحضارة الإسلامية المتميزة بسماتها البارزة ، وخصائصها الواضحة التي تخلق منها وحدة شخصية تامة ذات معالم مستقلة عن غيرها في أساس الحضارة ، وغايتها ، ومبادئها ، مع التنويه لما يوجد بينها وبين غيرها من قدر مشترك يحتمه الواقع ، وتدفع اليه الحاجة ، ويمليه المنطق ، وتقتضيه المصلحة .

إن أساس حضارة الإسلام ليس هو تمجيد العقل ، كما كان الشأن عند الاغريق اليونان ، ولا تمجيد القوة وبسط النفوذ والسلطان ، كما كان عند الرومان ، ولا الاهتمام باللذات الجسدية والقوة الحربية والسطوة السياسية كما هو الأمر عند الفرس ، ولا الاعتداد بالقوى الروحانية كما عند الهنود وبعض الصينيين ، ولا الافتتان بالعلوم المادية ، والاستفادة من ذخائر الكون ، وبالمادية الطاغية كما هو منهج الحضارة الحديثة المتوارثة عن اليونان والرومان .

وإنما أساس حضارتنا هو فكري — علمي — نفسي يشمل جميع شعب الحياة الإنسانية فكرا وعملا ، وعلما وعقلا ، وروحا ومادة ، وشخصية واجتماعية ، وإنسانية عامة . وبهذا كانت حضارة الإسلام مستقلة كاملة ذات دستور محدد شامل ، تختلف به اختلافا جذريا عن مبادىء الحضارة الغربية ، وتصطرع معها ، كما تصارعت مع الحضارات القديمة الرومية والفارسية والهندية والصينية ، فصرعتها بسبب سيطرة الدين على القوى الفكرية والعملية في متبعيه ، ولقوة روح الجهاد والاجتهاد والعلم فيهم ، وتهيأت لهم الغلبة من الناحيتين الانسانية والمادية لأن الإسلام لا يعادي العلم — طريق الحضارة ، وإنما يضع له المنهج الملائم لمبادئه .

وإذا كان التقدم الحضاري يحقق بوسائله المدنية المختلفة ليس مقصودا لذاته ، ولا غاية في نفسه ، فإن غاية الحضارة الصحيحة تحقيق السعادة النفسية والطمأنينة القلبية ، والتوصل الى ما هو خير ونافع ، والبعد عما هو شر وضار .

لكن الحضارة الحديثة لم تحقق هذه الغاية المنشودة ، وإنما أدت الى القلق والاضطراب ، وطحن الإنسان في حمى المادية الطاغية ، والبعد عن

الخلق والفضيلة والدين ونحوها من القيم الإنسانية .

وأما الحضارة فى تقدير الإسلام ، فغايتها الأولى تحقيق الطمأنينة والسلام والامن ، وإقامه المجتمع الفاضل ، وإسعاد البشرية بما هو خير ، ومحاربة كل عوامل الشر ، بالإضافة الى الرفاه المادى . والامن والرفاه غايه حضارتنا موجبان للشكر وتقدير النعمة بدليل مضمون سورة قريش : « لإيلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت ، الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف » فالإطعام بعد جوع ، والأمن بعد الخوف هما عنصرا الحياة الكاملة اللذان حققهما الله للمسلمين .

وبما أن الإنسان هو خليفة الله فى أرضه ، فلا يصح أن يتخذ المرء فى حياته غاية سوى ابتغاء مرضاة الله مصدر الأمن ، وهى الغاية السامية التى تتخطى مجرد طلب اللذات الحسية ، أو الغايات المادية الدنيئة ، وتحقق الانسجام والتوافق بين الفطرة الإنسانية والغاية العقلية ، كما انها تهيىء التجاوب والانسجام الشامل فى افكار الإنسان وخيالاته وإراداته ونياته وعقائده وأعماله وحركاته .. وهذا يعنى أن غاية حضارتنا إعداد الإنسان للسعادة الأخروية المتوقفة على العمل الصالح فى الحياة الحاضرة فى نطاق الدين والدنيا معا.

إذليس الإسلام دينا روحانيا يعزل اتباعه عن الحياة ، ولا ماديا صرفا يوقع الناس فى أوحال الدنيا ، وإنما هو يعتبر الدنيا وسيلة ومزرعة للآخرة ، ولا تعنى الوسيلة أنه دين تقشف ، فلا يكون دين حضارة ، فالتقشف والزهد فى الاسلام هدف أخلاقى رفيع يتفاعل مع الحياة ، ويصرف المرء عن التكالب على متطلبات العيش ، ويوحي بضرورة التزام مبدأ القناعة التشريف الذى لا يؤدى الى مصادمة الاخرين ، وإيقاد نار المنازعات والشرور ، فللجماعة والأفراد حق مشترك فى الاستفادة من معطيات الحياة ، وتهيئة بيئة تكافؤ الفرص . وليس معنى التقشف الإعراض عن الطيبات والمكاسب المشروعة ، وإنما معناه اجتناب التهالك على الرفاهية ، التى تؤدى الى الفساد ، كما أدت بالمسلمين فعلا الى ضياع مجدهم ، وملكهم فى أواخر عصر الدولة العباسية وفى شمالى أفريقية وبلاد الأندلس .

إذاً فالإسلام فى حقيقته مصدر الحضارة الإنسانية التى شع نورها بامتداد الدعوة الإسلامية بعد الاستقرار فى المدينة ، وبناء الدولة فيها عقب اكتمال بناء الفرد فى مكة ، وذلك لأن الإسلام هو دستور التقدم الإنسانى بالقرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة . فكل ما يعد تقدما وعمرانا هو من الإسلام ، وكل تخلف مضاد للتقدم ليس من الإسلام فى شيء . لذا يخطىء الكاتبون سهواً الذين يريدون التوفيق بين الإسلام والحضارة ، كأنهما أمران متغايران او ضدان ، إذ لا خلاف مطلقا بين الإسلام والحضارة ، فالحضارة نتيجة من نتائج النظام الإسلامى والفلسفة الإسلامية التجريبية العملية .

والإسلام أب الحضارة ، وراعيها يتقبل منها قديما وحديثا كل ما ينفع ، ويرفض كل ما يضر ، لأن « الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها » ولأن الانتقاء والاصطفاء عن عقل

وتمييز هو من صلب تعاليم الإسلام التي تقر الاعراف الصالحه ونبذ العادات والتقاليد الفاسده ، أو المعارضة لمباديء التشريع ونصوصه القطعية الهادمه لما هو خير في ذاته . وليس ادل على ذلك من ان الإسلام تبني ما كان صالحا من حضارات البلاد التي فتحها في الشام ومصر وبلاد الروم والفرس ، وضم المسلمون الى ساحتهم كل مخلفات الحركة العلمية لدي اليونان في مجال العلوم الطبيعية والطبية والرياضية ، ثم أضافوا اليها معارف ومكتشفات جديدة صبوها في أبهي قالب في بلاد الأندلس التي كانت مصدر الحضارة الحديثة .

فليس دور المسلمين مجرد تلقي لما عند الآخرين ، كما زعم المغرضون ، وإنما كان لهم مشاركة إيجابية بناءة حققت لهم أرفع معاني العزة والسيادة والسبق الحضاري . وهكذا كان المسلمون في كل عصر مصدر إشعاع لكل تقدم وخير ، وكانوا سباقين للمعالي : « فاستبقوا الخيرات » « يسارعون في الخيرات » والقدوة الطيبة للفضائل والمكارم : « كنتم خير أمة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » وقادة العلم والتثقيف والتوجيه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

والآن مع الأسف حيث صرنا في حالة ضعف ، وكلمة الضعيف لا تسمع ، ولو كانت حقا وعدلا ، شوهت حضارتنا ، وزيفت معالمها ، وسرق محتواها ، وتشكك الناس في مبادئها ، فلم يعد أمامنا إلا محاولة استعادة قوتنا المادية ، ولكن على أساس صحيح من هدى الإسلام .

ولا شك بأن المباديء هي القيم الخالده الباعثه التي تنبه الراقدين وتوقظ الغافلين ، وتهدي الى الطريق المستقيم ، دون ان تحجبها مظاهر الضعف والتخلف ، واحوال الانحطاط التي تتعرض لها الامم في بعض الادوار التاريخية . ومبادئنا الحضارية ما تزال هي المشعل الوضاء التي نستنير بهما ، وتدفعنا نحو متابعه الخطا ، ودوام العمل والكفاح وإعمال الإرادة والفكر

وأهم مباديء أو خصائص الحضارة الإسلامية ما يأتي :

١ ـ مبدأ التوحيد (الألوهية والربوبية) : إن ابرز صفة حضارية للاسلام أنه دين توحيد الألوهية والربوبية أي أن الإله المعبود بحق هو الله سبحانه لا شريك له ، والناس جميعا متساوون في الانتماء اليه والاتجاه الى عظمته من دون واسطة بشرية . وهذا الإله هو الحاكم المطلق الذي يسن للناس التشريعات والقوانين ، وما على المسلم إلا أن يتبع أوامر الله وينفذ التشريع المنزل .

وفي هذا تحقيق السمو الانساني والارتباط بالأفق الأعلى الذي يشعر الإنسان بكرامته الشخصية ، وأنه لا يستذل لأحد من خلق الله ، فيعمل ويفكر بحرية ، ويتجه في عمله وفكره لإرضاء مولاه ، بفعل الخير ، وتجنب الشر ، والتخلص من كل مظاهر الوثنية ، سواء في صورتها القديمة التي تعنى بالتماثيل والأصنام ، أم في صورتها الحديثة الموجهة نحو تقديس الدولة الحاكمة ، وعبادة الأشخاص ، والتزام تخطيط الأفراد ، حتى في أحوال الظلم ، وقصد الخراب والدمار .

٢ ــ الصبغة الإنسانية العامة : ليست حضـاره الإسلام محدودة المكان ، أو وطنية النزعه ، أو قومية مغلقة على اهلها ، أو طبقية محصورة فى أسرة معينة ، وإنما هى إنسانية عالمية واسعة الأفق ، تخاطب أى إنسان فى أى مكان ، وتصلح للانتشار فى أى بقعة أرضية ، وتقيم أخوة إنسانية عالمية : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، أن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » يعم خيرها الجميع ، وتفيد كل امرىء بما تقدمه من علم نافع وعمل صالح لأن « الخلق كلهم عيال الله ، وأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله » . وهذا المعنى من أخلاق الله بدليل أنه يرزق الكافر والمؤمن ، ويمنح المواهب من يشاء ، وحينئذ تتفتح العبقريات فى كل شعب وفى كل زمان ومكان .

وإذا كان العطاء الإلهى عاما ، وجب أن يكون النتاج الحضارى عاما لا حكراً على أناس دون غيرهم ، لأن رائد الحضارة الأصيل هو إسعاد البشرية جمعاء ، وصعيدها العدل والحق والخير والكرامة . وهذه هى حقيقة تعاليم الإسلام التى تنفر من كل فكرة استعمارية أو نظرة إقليمية أو قومية ضيقة ، أو عصبية أو طائفية ، باعتبار أن روح الإسلام عالمية لا تعرف التعصب إلا للخير العام وفى سبيل الصالح العام ، ومن أجل إقرار الحق : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. » « ويحق الله الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون » .

٣ ــ النظرة الشاملة للإنسان والحياة : لقد تبين من تاريخ الحضارة أن كلا من الروحية البحتة أو المادية البحتة وحدها لا تصلح أن تكون سبيلا لسعاده الإنسان ، فليس فى مسلك الروحية البحت سوى التخلف وتعطيل الإراده والتفكير وطاقات العمل ، وقتل آدمية الإنسان ، وخسارة منافع الكون ، وتضييع حكمة الخالق من خلق العالم . وكذلك ليس فى مسلك المادية البحت سوى الطغيان والظلم والاستعباد والذل ، والتحكم الفاشم بالأرواح والأموال والأعراض .

أما حضارة الإسلام الخالدة ، فقامت على أساس الجمع أو التوازن بين المادية والروحية الإنسانية ، فتصبح الروحية المهذبة أساس المادية المهذبة ، وعندها ينعم الإنسان بالإرادة والحرية والتفكير ، وثمرة الجهود والعمل ، فى إطار من الإيمان والأخلاق القائمة على العدل والأمن والاستقرار والرحمة والمحبة . وبهذا العنصر الإنسانى تميزت حضارة الاسلام التى سبقت كل الحضارات القديمة والحديثة ، كما أنها تميزت بامتداد جذورها الى جميع نواحى الحياة الجديرة بالاعزاز ، والمحققة لسعادة الإنسانية . قال الله تعالى واصفا جوهر رسالة النبى صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وأما المرتكزات الحضارية المادية من تفكير وإرادة وتضحية وعمل فقد حوتها آية أخرى وهى : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » .

٤ ــ رسالة الأخلاق : إن سياج الحضارة الإسلامية هو الدين والأخلاق ، فمبادىء الأخلاق تتدخل فى كل نظم الحياة ، وفى مختلف أوجه

نشاطها ، سواء فى السلوك الشخى ، أم فى السلوك الاجتماعى أو السياسى أو الاقتصادى من المحال إقامة النظام الصالح أو المجتمع الفاضل من دون أخلاق ، كالصدق والإخلاص والأمانة والعفاف ، ومحاسبة النفس ، وإيثار الحق ، وعلو الهمة ، والسخاء ، والتضحية ، والشعور بالواجب ، والصبر ، والاستقامة ، والشجاعة ، واتباع النظام ، وإتقان الأعمال . فهذه القيم ونحوها أوثق مؤيد ، وصمام أمان يكفل دوام الحضارة ، ويمنع انحرافها وتعثرها ، بدليل قيام الحضارة الحديثة عليها فى مبدأ الأمر ، وتعرضها للإفلاس والانهيار فى شرخ قوتها عندما طغت عليها الصفة المادية .

٥ ـ دور العلم : أقام الإسلام حضارته الرفيعة على منهج العلم والمعرفة ، والعقل والبحث ، والتجربة والاستنباط ، تقديرا منه لحيوية العلوم فى بناء الدولة والمجتمع . فابتدأ بالقضاء على الجهل والأمية ، والتنديد بالتقليد الأعمى ، ثم أشاد بالعلم والعلماء فى مختلف الاختصاصات الشاملة لكل إدراك يفيد الإنسان فى القيام برسالته فى الحياة : وهى تعمير الأرض ، والاستفادة من خيراتها وكنوزها ، كما يرشد اليه إطلاق النصوص القرآنية : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، « وقل : ربى زدنى علما » ، « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وكان حب العلم لذاته هو خلق العلماء القدامى ، دون التفات لمكسب مادى أو مغنم أدبى رخيص ، أو بقصد الشهرة وإذاعة الصيت . ولم يجعل العلم وسيلة للمعاش إلا فى عصور التخلف ، وفى أوقات الحاجة المهيمنة الآن الى كسب الرزق . وما أجدرنا أن يكون الدافع ذاتيا الى تعلم العلوم الحديثة وكل منطلقات التقدم التقنى فى الزراعة والصناعة والاعداد الحربى ، وأن تهيىء الدولة كل المناخ الملائم لتطبيق النظريات العلمية الحديثة ليطلع فجر الحضارة الإسلامية من جديد ، وتمتلىء الحياة بالمجالس والمناقشات والأبحاث العلمية والتطبيقية ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له طريقا الى الجنة » .

٦ ـ الحفاظ على الشخصية الذاتية : إن الأخذ بأسباب الحضارة المرتقبة لا يعنى ضياع الشخصية الإسلامية ، وإهدار المقومات الذاتية، فلقد استفاد المسلمون فى الماضى من حضارة غيرهم مع طبعها بطابعهم الشخصى ، والمحافظة على القيم الإسلامية . واستطاع اليابانيون مثلا بعد سنة ١٨٦٨م فى مدة ستين سنة بناء حضارة جديدة تضاهى حضارة الغرب وتنافسها ، ولكن مع الميل الدائم الى الرجوع الى الماضى ، ومع التمسك الشديد بالقومية .

والاعتماد على الذات أو توليد الذات بتعبير المفكر محمد إقبال ، والرجوع الى حقيقة الإسلام الأولى هو الطريق الوحيدة التى تستميل أولئك الذين يعتقدون بماضيهم ، وباستطاعتهم التطور نحو مستقبل حى حر لبناء حضارة إسلامية لها فلسفتها ومعالمها المستقلة . أما الاصرار على جعل المدنية الغربية طريقا لإحياء الحضارة الإسلامية الراكدة فهو تشكيك للنفوس ، وقتل للمعونيات ، وإهدار للجهود ، ودعم للزعم القائل بعدم كفايتنا ، وإبقائنا عالة على غيرنا ، دون أن نستطيع

مواجهة الغرب ، فضلا عن مناهضته ومغالبته .

٧ ــ الاعتصام بالحق والخير : الإسلام دين الحق كما عرفنا ، وطريق الدعوة الى الخير ، وحضارته تقوم على مبدأ مناصرة الحق والعدل ، ومكافحة الباطل ، وعمل الخير ، وقمع الشر ، فلا ظلم ولا هضم للحقوق ، ولا إنتاج إلا للخير ، ولا ابتكار لما يضر ولا ينفع . وإحقاق الحق وتثبيته يتطلب تخطيطا وثباتا وقوة وتفانيا ، والخير الذى يشمل كل أنواع الرقى المادى والمعنوى لا يتوفر بدون تعاون الفرد والجماعة والحاكم والمحكومين ، والأمة بكاملها وأما الباطل فيمثل الوان البغى والمرض الفكرى والعملى ، وأما الشر فيمثل كل مظاهر الانحراف والشذوذ والتخلف .

٨ ــ الإيمان صمام الأمان : الإيمان فى مفهوم الحضارة الاسلامية هو الذى يقيم قواعدها ، ويميز عناصرها الصالحة من الرديئة ، وينفخ فيها الحياة الرطبة ، ويهبها من ذاتيته المجد ، ويرعاها صغيرة ، وغوائل الهدم والدمار . وليس الإيمان مجرد عقيدة قلبية أو ديانة شخصية ، وإنما معناه الإسلام بكامله ، والإسلام نظام متكامل للأخلاق والمدنية والاجتماع والاقتصاد والسياسة ، فهو الذى تتوقف عليه أخلاق الأفراد وأعمالهم وسيرتهم فى الحياة ، وهو الذى يوحد الأمة ويحفظ جهودها ، ويحافظ على وجودها وحضارتها . وكلما تقوى الإيمان قويت الحضارة ، وكلما ضعف الإيمان ضعفت الحضارة . وبقدر سيطرة تعاليم الإسلام على المجتمع بقدر ما يكون ازدهارها فى المجال الحضارى .

وإذا كنا نجد الآن خلاف كل هذا فى مجتمعنا ، تبين لنا بحق سبب تأخر المسلمين الذى يضم الفساد الخلقى ، والتفوق الاجتماعى ، والترف المعيشى والتقهقر الاقتصادى ، والتمزق السياسى . وإمعانا فى بقاء هذه الحال مع اشد الأسف نرى الاتجاه العام يسير نحو عزل الإسلام عن الحياة والعلم والثقافة ، سيرا وراء النواعق التى تنعق بأن الاسلام لا يستوعب الحضارة المعاصرة ، ولا يتمشى مع متطلبات القرن العشرين ، أو جهلا بحقيقة الاسلام ، أو ضعفا واستكانة وخشية من ظهور العملاق الجبار الذى يحطم مصالح الاستعمار وأذياله ، أو مشاركة فى الخيانة المفضوحة أو المقنعة لإبقاء حالة الضعف القائمة ، وتأمين مصالح الرؤوس الكبيرة والدول العظيمة !! ولكننا ما زلنا نؤمن بأن النصر والمستقبل سيكون لدولة الحق ، والإسلام المشرق بحضارته الوضاءة ، لما نجده فى النفوس من بقية طيبة من الإيمان والألفة والعزة والحمية والغيرة ، ولما نعيشه من واقع مؤلم تتوالى فيه الضربات ، والطعنات ، وتدمى منها القلوب والحناجر والصدور ، وتهتز الأرض من تحت الأرجل ، وتتهدد العروش والكراسى باحتلال الغاصب ، وظلم المستعبد ، ونار المستغل .

ولن يعود مجد الإسلام وحضارته إلا بالثقة بالنفس ، ودفن العجز واليأس والقنوط ، وتغيير ما فى الصدور : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

لا تحزن .. إن الله معنا

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما — واللفظ للبخارى — قال البراء :

اشترى أبو بكر رضى الله عنه من عازب رضى الله عنه رحلا بثلاثة عشر درهما ، فقال أبو بكر رضى الله عنه لعازب : مر البراء فليحمل الى رحلى ، فقال عازب : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة ، والمشركون يطلبونكم ، قال : ارتحلنا من مكة فأحيينا أو سرينا ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة ، فرميت ببصرى هل أرى من ظل ؟ فآوى اليه : فإذا صخرة أتيتها ، فنظرت بقية ظل لها فسويته ثم فرشت للنبى صلى الله عليه وسلم فيه ، ثم قلت له : اضطجع يا نبى الله ، فاضطجع النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلقت أنظر ما حولى ، هل أرى من الطلب أحدا ؟ فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه الى الصخرة ، يريد منها الذى أردنا ، فسألته فقلت له : لمن أنت يا غلام ؟ قال : لرجل من قريش ، سماه ، فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم . قلت : فهل أنت حالب ؟ قال : نعم ، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فقال هكذا : ضرب إحدى كفيه بالأخرى ، فحلب لى كثبة من لبن ، وقد جعلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اداوة على فمها خرقة ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ، فانطلقت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فوافقته قد استيقظ ، فقلت : اشرب يا رسول الله . فشرب حتى رضيت ، ثم قلت : قد آن الرحيل يا رســــول الله ؟ قال : بلى . فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له ، فقلت : هذا الطلب قد لحقنا يا رســـول الله ؟ فقال : لا تحزن إن الله معنا ..

وفى رواية مسلم : « فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتطمت فرســه الى بطنهــا فقال : قد علمت انكما قد دعوتمــا عــلى فادعوا لى ، فالله لكما أن أرد عنكما الطلب ، فدعا الله فنجا ، فرجع لا يلقى أحد إلا قال : قد كفيتكم ما ههنا ، فلا يلقى أحدا إلا رده ، قال : ووفى لنا » .

وفى لفظ مسلم : « فلما دنا دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخ فرسه فى الأرض الى بطنه ووثب عنه ، وقال : يا محمد قد علمت أن هذا عملك فادع الله أن يخلصــنى مما أنا فيــه ولك على : لأعمين على من ورائى ، وهذه كنانتى فخذ سهما منها فإنك ستمر على إبلى وغلمانى بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك . قال : لا حاجة لى فى إبلك » .

الأخلاق الوضعية

للأستاذ سعيد زايد

تتضمن الأحكام الخلقية تقديرا لأفعال الناس ، فنحن عندما نصف فعلا ما بالحسن أو بالقبح ، بالخير أو بالشر ، فاننا بذلك لا نشرح كيف وقع هذا الفعل ولا كيف تم ، وإنما نعبر عما له من قيمة فى نظرنا . فكل تقدير لفعل ما يفرض وجود شعور فى أنفسنا يدفعنا الى الحكم على هذا الفعل ، وذلك سواء احتفظنا بهذا الحكم فى ضمائرنا أو عبرنا عنه بالكلام ، أو بأية وسيلة أخرى من وسائل التعبير .

ويفرض التقدير الخلقى من ناحية أخرى أن لدينا قاعدة خلقية هى بمثابة مثال نقيس عليه الفعل وعلى حسبه نحكم عليه ، وهذه القاعدة الخلقية عبارة عن العواطف والميول والنزعات التى تعبر عنها الأحكام الخلقية .

أما حد التقدير الأخلاقى فانه الذى يؤثر على مضمون الأخلاق ، فهو الذى يميز أى الأفعال وأى الأنواع من وجهة نظر الحياة وصورها ، ينبغى أن تسمى حسنة أو قبيحة . فالقاعدة إذن هى المبدأ الذاتى فى الأخلاق ، أما الحد فمبدؤه الموضوعى .

وتتوقف طبيعة التصور الأخلاقى على القاعدة التى يفرضها هذا التصور ، وعلى الحد الذى يصطفيه ، ثم على النسبة بينهما . ومع ذلك ، فان بعض الناس يصدرون أحكامهم الخلقية دون بصر بما تستلزمه هذه الأحكام من مبادىء ، فالبصر بالمبادىء من خواص الوعى الراقى الذى يستيقظ بفضل التأمل والتفكير والشك .

وقد جرت العادة على ألا يقتصر على إصدار أحكام خلقية خاصة بالحسن والقبح ، أو الخير والشر ، على من يتصف بيقظة الفكر والنظرة العلمية ، ولكننا أمام ذلك لا ينبغى أن نعتبر كل حكم غير صادر من هؤلاء حكما غير صحيح ، فهناك أحكام لها صحة شخصية واهمية عملية تفيض دائما عن شعور وميل قويين لا يدعان لصاحبهما راحة إلا بعد التعبير عنها .

ومن مظاهر الحياة النشطة المملوءة بالحيوية الا نضطر إلى الذهاب مذهبا بعيدا مع إجهاد الفكر فى البحث عن مبادىء لما نحن مقبلون على تقريره فى أمورنا الهامة ، بل ينبغى أن تكون طبيعتنا هى التى تعمل وتحدد ، ولا نقف عند الحجج التى ننتهى إليها فى ساعات الفراغ ، فالحياة الجارية لا تدع لنا فى كل المناسبات وقتا للتفكير والتأمل بل تستلزم ، عادة ، إظهار الحكم الأخلاقى فى لحظة عارضة خاطفة .

وحتى على فرض أن تفسح لنا الحياة الوقت الكافى والقدرة على التفكير ، فلا نأمن ألا تكون ميولنا ومشاعرنا هى التى تقود الفكر — بدون وعى — الى ما تنزل إليه ، وذلك بدلا من أن تسير فى أثره وتتبع أمره ونهيه . فقد هدم علم النفس — منذ زمن طويل — القول بأن العقل هو الذى يتولى فينا السلطان القاهر ، إذ كثيرا ما يسير وراء الميول . فان صح أن يكون العقل الخالص هو الذى يظهر فى مجال الرياضيات والمنطق ، فلا بد أن نعترف بأن صوته من الضعف بحيث لا يكاد يسمع فى أكثر الامور المتعينة . وأكثر من ذلك يصح لنا القول بأن التفكير والنقد فى هذا المجال يحتلان جانبا خطيرا فيصبحان مضرين ، فهما يسلباننا الثقة والسكينة الغريزية التى نستفتح بها منهجنا فى الحياة ، وحتى إذا لم يشلنا الفكر بما يثير من شكوك ، فانه بلا شك يوهن من قوانا ، فلا نستطيع أن ننطق بأحكامنا بنفس الاطمئنان ، بل ربما توقفنا فى الحكم حين تبدو لنا استحالة الوصول إلى قرار فاصل .

فالأحكام الخلقية لا تسير على منهج التطلع والمعرفة النظرية ، فهى فى الواقع ليست مجرد ظواهر انفعالية ، بل هى تفعل فى شعور

الشخص الذى يصدر الحكم ، كما تفعل لدى غيره من الناس فعلا ذا أثر كبير ، وهى أحكام ليست مسببة فحسب ، بل قد تصبح هى نفسها أسبابا محركة .

ويظهر هذا بوضوح إذا تجاوزنا حيز الفرد ، ذلك أن مشاعر الفرد وميوله تقررها طبيعة النوع بأكمله وظروفه الحيوية وتقاليده ، فالفرد يتلقى عن النوع كثيرا من قواه وغرائزه . وبعد ذلك يدفعه تعليمه ، من حيث هو عضو فى أسرة وشعب ودولة ، إلى جو عقلى معين تعرض له فيه عادات وميول ونزعات وواجبات يتلقاها عن غير إرادة ، وينزلها منزلة التفكير والوزن والاختيار .

فطريقة الفرد فى التفكير والشعور والفعل طريقة موروثة عن الأجيال السابقة ، وغرائز الشعب وعاداته المتداولة أو تقاليده ، والمحاكاة والممارسة من غير إرادة ، هى قاعدة الأخلاق عند الفرد قبل أن يتدخل تفكيره فى ذلك .

وإرادة الفرد متجهة ، دون أن يشاء ذلك ، إلى جهات معينة ، وهذا الاتجاه غير الارادى لها هو الذى يقرر مصالح حياته وقواها ، وهذه الأخيرة هى التى تقرر أحكام الفرد فى الحسن والقبح أو الخير والشر .

فالفضائل تولد قبل أن تكون لها أسماء وقبل أن تقوم مقام الوصايا، وذلك بأنه فى الأحكام الخلقية وفى المظاهر الانفعالية القوية التى نعبر بها عن تقدير لقيمة الأفعال الانسانية ، ليس لدينا التعبير عن فكر الفرد المعين فحسب ، ولكن أمامنا نتيجة تجارب النوع بأكمله ، والفرد لا يصنع بنفسه أخلاقه .

ويدل اسم الأخلاق الوضعية على الأخلاق الواقعية الفعلية للنوع والحياة ، وهى تظهر فى الأحكام وفى المبادىء الجارية التى ترتدى ثوب الأمثال ، وقد تكون مظاهر دائمة للحكمة العملية لأمة ، أو لشعب ، أو لجماعة دينية ، وقد تتمثل فى الرأى العام فيكون وجودها قصيرا نسبيا . وتظهر هذه الأخلاق أيضا عند أهل القدوة ، مثل أصحاب الديانات والأبطال وواضعى الشرائع وغيرهم ممن يعتبرهم الناس رمزا ساميا للانسانية الصحيحة ، ويحتوى التشريع الوضعى نفسه على جانب من هذه الأخلاق ، ولذلك يظهر الغضب وأحيانا الثورة من الرأى العام ضد أى تصرف مخالف لها . وقد يأخذ رد الفعل صورة التعويض أو التكفير وما إلى ذلك مما تستلزمه التهدئة ، ويسمى هذا باسم الجزاء . والجزاء الأخلاقى هو كل ما يستحق على فعل يرتضيه الضمير ، وجاء وفق الفضيلة .

فالفضيلة هى الخلق الطيب ، وهى عادة الإرادة ، والانسان الفاضل هو من حباه الله خلقاطيبا فعمل وفق ما تأمر به الأخلاق ،

فالفضيلة صفة نفسية واجهتها الخارجية هى الواجب ، فمن يؤدى الواجب يكون حائزا على الفضيلة ، وصاحب الفضيلـــة هو من يعمل الخيـــر ويتحمل المشاق فى سبيله .

وتختلف الفضائل بالنسبة إلى الأمم من حيث الأهمية ، فاذا كانت الشجاعة أهم فضيلة فى الأمة المحاربة ، فان العدل خير فضيلة فـى الأمة الآمنة ، والأمانة خير فضيلة فى الأمة التى تعتمد فى اقتصادها على الصناعة . وهكذا يختلف ترتيب الفضائل فى الأمة الحاكمة عنه فى الأمة المحكومة ، وفى الأمة المتمدينة عنه فى الأمة البدوية .

ومفهوم الفضيلة الواحدة أيضا يختلف باختلاف الأزمنة والعصور ، فاذا كان اليونان القدماء يفهمون الشجاعة على انها الصبر على تحمل الآلام الجسمية ، فان العصور الحديثة قد فهموها بشكل أعم حتى انها شملت التعبير عن الرأى من غير خشية ؛ ويمكن القول بأن فضيلة العدل قد تطور مفهومها حسب تطور الأمم عقليا واجتماعيا .

وتختلف الفضيلة باختلاف حالة الفرد وعمله ، ففضيلة الكرم مهمة عند الغنى وليست لها نفس الأهمية عند الفقير ، وتختلف فضائل المسن عن فضائل الشاب ، وترتيب فضائل المرأة عن ترتيب فضائل الرجل ، وتتباين فضائل العالم عن فضائل التاجر .. وهكذا .

ولكن مهما كان الأمر فان كل انسان مطالب بفضائل عامة كالصدق والعدل والرحمة والغيرة وإنكار الذات وحب الخير والتضحية فى سبيـل الوطن .

وهناك بعض الفضائل تعد أشمل من غيرها ، فالعدل يشتمل على الأمانة وتدخل الأمانة فى مفهومه ، وتنضوى القناعة تحت العفـــة . وتتولد بعض الفضائل من فضيلتين أو أكثر ، فالصبر ينتج من العفـــة والشجاعة ، والحذر يتولد من العفة والحكمة .

وقد ذهب سقراط إلى أنه لا فضيلة إلا المعرفة ، فالانسان لا يعمل الخير إلا إذا عرف ما هو الخير ، وكل عمل يصدر عن غير علم بالخيـــر فلا يعد خيرا ولا فضيلة ، فالعمل الخير لا بد أن يكون مؤسسا على العلم ومنه ينبع ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فان علم الإنسان بخيرية الشىء هو الدافع الحتمى على عمله ، وكذا معرفتـــه بضرر شىء هـــو الدافع الحتمى على تركه . ولا يوجد إنسان يعمل الشر وهو عالم بنتائجه فكل الشرور ناشئة إذن عن الجهل . ذلك ان كل إنسان خير بطبيعته ، يقصد الخير لنفسه ويكره لها الشر . ومن المحال أن يفعل الإنسان الضرر وهو عالم به فالخطأ منشؤه الجهل ، فاذا عرف الشرير نتائج عملـــه السىء أقلع عن هذا العمل ، وإذا عرف نتائج الأعمال الحسنة تعود على فعل الخير ، فالإنسان الصالح هو الذى يعلم ما يجب عليه ، والملـــك الصالح هو الذى يعرف كيف يحكم الناس حكما عادلا .

فسقراط ــ إذن ــ يرى أنه ليس هناك في الحقيقة إلا فضيلة واحدة هي المعرفة أو الحكمة وكل ما عداها من الفضائل مظاهر لها فالشجاعة والعفة والعدل وما عداها من فضائل ليست الا مظاهر للمعرفة .

ورأى شيخ الأكاديمية الفيلسوف أفلاطون أن الفضيلة الحقة هى العمل الخير الذى يصدر عن علم بما هو الحق ولم كان هو الحق ، فهى ليست مجرد عمل الحق ، إذ أن العمل الحق قد يصدر عن أساس باطل . وقسم أفلاطون الفضيلة إلى : فضيلة فلسفية ، وفضيلة عادية ، والأولى هى العمل الخير الذى أسس على العقل ، وصدر عن مبدأ اعتنق بعد تفكير ، أما الثانية فهى العمل الخير الذى نشأ عن عرف أو عن شعور طيب ، ولذا فانها تسمى فضيلة العامة ، يعملون الخير لأن الناس يعملونه من غير تفكير فى علة خيريته ، فهى تشبه ــ فى رأى أفلاطون ــ فضيلة النمل والنحل ونحوهما فهى تعمل أعمالا طيبة لا على علم . ويستطيع الانسان أن يرقى الى الفضيلة الأولى أى الفضيلة الفلسفية بعد أن يمر بمرحلة الفضيلة العادية أو فضيلة العامة ، ولا يأتى ذلك عن طفرة بل بممارسة العلم والفهم .

ورأى أفلاطون أن الفضائل تخضع لأصول أربعة ، هى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ففى الإنسان قوى ثلاث هى : القوة العاقلة ، والقوة الغضبية ، والقوة الشهوية أو البهيمية . فاذا اعتدلت القوة العاقلة نشأ عنها فضيلة الحكمة ، واذا اعتدلت القوة الغضبية نشأ عنها فضيلة الشجاعة ، وإذا اعتدلت القوة الشهوية نشأ عنها فضيلة العفة ، وباعتدال الفضائل الثلاث تنشأ فضيلة العدل ، إذ أن العدل هو الذى تتصف به النفس عند أداء هذه القوى الثلاث وظائفها باعتدال ، وتعاون كل قوة مع الأخرى .

وذهب أرسطو إلى أن جماع الفضائل هو « خضوع الشهوات لحكم العقل » أو « تسليم زمام الشهوات للعقل يقودها » . فالفضيلة لها عنصران : العقل والشهوة ، فلا بد من شهوة أولا كى تضبط وتكون الفضيلة ، فمن يزهد ويقتلع شهوته من جذورها إنما يضيع فضيلته ، فالفضيلة شهوة موجودة فى الإنسان يضبطها العقل ، أو هى فضيلة معتدلة . فهناك طرفان ينبغى تجنبهما : أولهما محاولة استئصال الشهوات ، والثانى إرخاء العنان لها ، والفضيلة هى الاعتدال بحيث لا تطغى الشهوات على العقل ، ولا يطغى عليها فتستأصل ، ومن هنا ظهرت نظرية الأوساط عند أرسطو ، فكل فضيلة وسط بين حدين أو بين

رذيلتين : الإفراط والتفريط ، فالشجاعة — مثلا — وسط بين التهور والجبن ، والكرم وسط بين السرف والبخل ، والعفة وسط بين الفجور والخمود ... وهكذا ..

ونحن إذا تأملنا فى رأى سقراط حين يؤسس الفضيلة على المعرفة نراه محقا فى ذلك فلا يكون الإنسان فاضلا حتى يعرف الخير ويقصد إلى عمله ، ولكنه ليس محقا من الوجه الآخر فقد يعرف الإنسان الخير ويقصد إلى عمله ، ولكنه ليس محقا من الوجه الآخر فقد يعرف الإنسان الخير ويتجنبه ، بل إنه قد يعرف الشر ويأتيه ، فالمعرفة هنا ليست كافية فى حمل الانسان على الفعل ، بل لا بد أن تصاحبها إرادة قوية تخرج المعرفة الى حيز التنفيذ . فعلى حد قول أرسطو فى نقده لسقراط أنه نسى أن نفس الانسان ليست مركبة من العقل وحده بل تشتمل أيضا على العواطف والشهوات ، ولذا فليست كل أعمال الإنسان خاضعة لحكم العقل وبالتالى تكون أعماله أحيانا ليست متفقة مع المعرفة .

وكذلك أفلاطون عندما رأى أن اعتدال القوة العاقلة ينشأ عنه فضيلة الحكمة ، قيل فى ذلك إن الحكمة عندما نفسرها بالمعنى الواسع نراها تشتمل على جميع الفضائل من شجاعة وعفة وعدل ، وغير ذلك من فضائل .. فكل شىء لا بد أن يتصف بالحكمة ليكون فاضلا .

وقد اعترض على أرسطو بأن « الوسط » فى قوله الفضيلة وسط بين حدين ، يفهم منه « المنتصف » ، وليس ذلك بصحيح . فالمنتصف ليس هو المكان الذى تتمركز فيه الفضيلة وليس من اللازم أن تكون على بعدين متساويين من الشرين أو الرذيلتين ، فالكرم مثلا أقرب إلى نقطة السرف منه إلى نقطة البخل وكذا الشجاعة أبعد عن الجبن منها من التهور . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أن هناك كثيرا من الفضائل لا تكون أواسط بين حدود ، كالصدق مثلا ، فليس وسطا بين كذب وشىء آخر ، فليس هناك إلا كذب أو صدق ، وأيضا العدل لا يمكن أن نضعه فى وسط جور ورذيلة أخرى ، ولقد شط ابن مسكويه حين وضعه بين الظلم والانظلام فما الانظلام إلا أثر الظلم .

وعلى كل حال فان كثيرا من المحدثين لا يرضيهم هذا التقسيم للفضائل ، ووضعوا لها تقسيمات أخرى فقالوا إنها إما شخصية وإما اجتماعية وإما دينية ، فالأولى هى التى تنظم حياة الفرد وتعادل بين ملكاته وقواه وترقى بها ، والثانية هى التى ترسم حياة الوفاق والمحبة بين أفراد المجتمع ، والثالثة هى ما يأمر به الدين فى كتابه المنزل وسنة رسوله الكريم .

مكتبة المجلة

اعداد الاستاذ : عبد الستار محمد فيض

التراث الاسلامى فى بيت المقدس

دراسة تاريخية تتناول المعابد الإسلامية وما اليها من المؤسسات والمنشآت التى أقامها السلف الصالح من خلفاء المسلمين وحكامهم وأعيانهم فى مدينة القدس الشريفة وذلك عبر العهود المختلفة مع بيان تفصيلى بأسماء هذه الآثار الجليلة وأسماء الذين شيدوها أو عنوا بها طوال المراحل التى تعاقبت عليها .

وختم الكتاب بمجموعة من الأقوال المأثورة عن المكانة الدينية لهـذه المدينة ومعابدها الاسلامية ، والكتاب يقع فى مائة صفحة ، من تأليف الشيخ طـه الولى وطباعة مطبعة دار الكتب فى بيروت .

دراسات فى مذاهب فلاسفة الشرق

تتمثل أهمية هذا الكتابفى دراسة عديد من مذاهب فلاسـفة الشرق العربى على ضوء منهج جديد يقوم على النقد والتحليل يدعو اليه المؤلف لأول مرة فى تاريخ الدراسات الفلسفية العربية .

وبعد تصدير الكتاب يكشف المؤلف عن دعائم المنهج الجديد الذى يدعو الى أتباعه ، ويحلل الكتاب مجموعة من آراء الكندى ومجموعة من آراء ابن سينا وآراء الغزالى ، والغرض إحياء التـراث العـربى وإعـادة كتابـة تاريخ الفلسفة عند العرب من جديد .

ومؤلفه معروف لقراء (الوعى الاسلامى) بمقالاته وبحوثه وهو الدكتور محمد عاطف العراقى مـدرس الفلسفة بجامعة القاهرة ، والكتاب من مطبوعات دار المعارف بمصر ويقع فى (٢٧٤) صفحة .

دليـل الإمـلاء

ان كل محاولة للتعرف بقواعد الاملاء انما هى لون من ألوان العناية باللغة العربية لغة القرآن والفكر الاسلامى وهذا (الدليل) الذى ألفـه الأستاذ عامر سعيد مدرس اللغة العربية بمعهد المعلمين بالكويت يضم بين دفتيه قواعد الكتابة مع عرض خطة وافية لتدريسها تقوم على أحدث الآراء التربوية والتجـارب الناجحة وهو يهتم برسم الكلمة وبيان السبب فى رسمها وبعد ذلك يستنتج القاعـدة ..

ويشتمل الكتاب على عدد من الموضوعات المنتقاة لم تأت للغاية الاملائية فقط وانما جاءت لتحمل المنفعة الدينية والثقافية كما انه يعالج مشكـلات الاملاء ويعرض الطرق النموذجية لتدريسها وعلاج الضعفاء والمبطئين فيها ، ولم يعمد المؤلف مطلقا الى الاستقصاء والاحاطة وانمـا أوجـز القواعد المطردة التـى تيقن منها بعد ثمرة تجارب ودراسة وتتبع .

والكتاب يقع فى ١٠٠ صفحة ومن نشر مكتبة المنار الاسلامية /بالكويت .

الأذان والمؤذنـون

هذا الكتاب يعرف القراء بسنة الأذان التى أكد عليها الاسلام من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثـار المروية ، ويبين تاريـخ مشروعية الأذان والشروط التى يلزم توافرها فى المؤذنين ، وهو من تأليف السيد محمـد الحسينى الجلالـى ، ويقع فى (٥٨) صفحة .

مبدأ المساواة فى الاسلام

كتاب يبحث مؤلفه الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد من الناحية الدستورية مبدأ المساواة فى الاسلام منذ الازمنة القديمة حتى ظهور الاسلام كما أنه تطرق الى موضوع مفهوم هذا المبدأ مع المقارنة بالديمقراطية الحديثة فحدد معنى الاسلام وخصائصه وبين مصادر الأحكام الاسلامية فى العصر الحديث وعرض موقف فقهاء الشريعة القدامى والمحدثين ورجال القانون من مبدأ المساواة .

كما أفرد بابا لبحث مشاكل الرق والمرأة وعقد مقارنة بين المجتمعين الاسلامى والشيوعى وكيف أن مجتمع الشرع الاسلامى حقـق مبـدأ المساواة الواقعية بين الأفراد فكفل الحاجات الضرورية لجميع الأفراد وجعل للدولة التدخل لتحقيق التوازن فى المجتمع واتفق مع الطبيعة الانسانية فى حفاظه على حق الفرد وملكيته فى نطاق مصلحة الجماعة ..

واختتم الكتاب بتوضيح مستقبل مبدأ المساواة والكتاب يقع فى ٣٦٠ صفحة ومن نشر مؤسسة الثقافة الجامعية ٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفـة/ الاسكندرية — مصر ..

البعـد الخامس

مؤلف البعد الخامس فنان مسلم ذو ثقافة عريضة متنوعة ، وهـذه أول محاولة لـه فى دنيا المسرح ، والبعد الخامس الذى تـدور حوله المسرحية هو العقيدة التى تحدد القيمة الحقيقية لكل الأبعـاد ، وهـذه المسرحية تتنـاول الأحوال السياسية الراهنة فى كوكبنا الذى نعيش فيه ، وأزمة البشرية فى اطار مجموعة من الأشخاص ، ومؤلفـه الأستاذ أحمد رائف ، وهو من منشورات دار البحوث العلمية بالكويت ويقع فى (٢٢٦) صفحة .

افتراء المستعمرين

الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات

الأستاذ / محمود مهدى استانبولى

من أنواع الحملات التى يتفنن المبشرون والمستشرقون من ذوى الاغراض الماكرة فى شنها على الاسلام لتزهيد المسلمين فيه وابعادهم عنه ليصبحوا نهبا مقسما للفوضى والاضطراب فى التشريع ونظام الحياة ، كى يسهل القضاء عليهم ..

أجل من أنواع هذه الحملات التى يتفنن هؤلاء المبشرون والمستشرقون وأبواقهم المقلدة من أبناء جنسنا ويا للأسف فى شنها على الاسلام .. اختلاق العيوب على كثير من تشريعاته كالحجاب والطلاق وتعدد الزوجات وقسوته فى العقوبات ، ولست فى مجال تعداد مزايا هذه التشريعات واثبات أنها فضائل لا عيوب ، انما أود بيان أن الاسلام ليس وحده الذى أتى بهذه الانظمة .. فلماذا تشن عليه الحملات من هؤلاء المستعمرين والمستشرقين .. ؟

لماذا يثيرونها حملات شعواء عليه دون سواه . ؟!

لماذا لا يجعلونها عامة شاملة .. ؟

وجميع هذه الاديان سواء فى الحض على الحجاب واباحة الطلاق وتعدد الزوجات والحزم فى معاقبة الزناة والقتلة واللصوص .. !

كل ذلك يثبت مبلغ الحقد والبغض والافتراء الذى يشنه خصوم الاسلام عليه ظلما وعدوانا لابعاد أبنائه عنه وعن جهاده كى يصبحوا لقمة سهلة الازدراد والضياع ، ولتنفير العالم

وأعوانهم على الاسلام

محمد ... (signature)

في الشرائع السماوية

منه ، وقد بدأ يهتم بالاسلام ويستعد لدراسته وقبوله ، بعد ما يئس من نظمه الوضعية الفاشلة التى تقوده الى الهلاك ..

اننا لا نقول القول جزافا ..

وليس لنا غاية بأن ندافع عن الاسلام بأسلوب اتهام غيره ..

كلا .. ثم كلا ..

فها نحن أولاء نأتى على المصادر اليهودية والنصرانية فى اثبات الحجاب وجواز الطلاق وتعدد الزوجات وقتل القاتل ورجم الزانى وقطع يد السارق ..

الحجاب :

جاء فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين عن (رفقة) أنها رفعت عينيها فرأت اسحاق .. فأخذت البرقع وتغطت ..

وفى الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضا أن تامار .. خلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت ..

وبعد ذلك بزمن كان فيليب أوف هيس ، وفريدريك وليام الثانى البروسى ، يبرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين ، وأقر لوثر نفسه تصرف الأول منهما ، كما أقره فلانكتون ، وكان لوثر يتكلم فى مختلف المناسبات عن تعدد الزوجات بغير اعتراض ، فانه لم يحرم بأمر من الله تعالى .

وفى سنة ١٦٥٠ الميلادية — بعد صلح وستفاليا بعد أن تبين النقص فى عدد السكان من جراء الحرب الثلاثين — أصدر مجلس الفرنسيين بنور مبرج قرارا يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين ، بل ذهبت بعض الطوائف النصرانية الى ايجاب تعدد الزوجات ، ففى سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون فى مونستر صراحة : بأن المسيحى — حق المسيحى — ينبغى أن تكون له عدة زوجات ، ويعتبر المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام الهى مقدس ..

الطلاق :

جاء فى الاصحاح الرابع والعشرين من التثنية : « اذا اخذ رجل امراة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه ، لأنه وجد فيها عيوبا شتى ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها ، وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر ..

وجاء فى الاصحاح الثالث من كتاب ارميا : « اذا طلق رجل امراته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر ، فهل يرجع لها بعد ؟ الا تتنجس تلك الارض نجاسة ؟ » ..

ولا أدرى لماذا تتنجس اذا رجعت الى زوجها الأول ولم تتنجس اذا تزوجها الزوج الثانى ؟!!

جاء فى الاصحاح السابق : « .. وأما المتزوجون فأوصيهم — لا أنا بل الرب — ألا تفارق المرأة رجلها ، وان فارقته — وهذا اعتراف منه بجواز الطلاق — فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها .. » .

وجاء فى انجيل متى : « ان السيد المسيح سئل عن الطلاق فاستنكره لقسوته ، وقال ان من طلق امرأته لغير الزنى جعلها تزنى ، ودفعه بالزوجة الى اقتراف الرذيلة » (هل صحيح أن النساء جميعا يزنين اذا طلقن ؟!!) .

وقيل من طلق امراته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم ان من طلق امراته الا لعلة الزنى يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى !

ولا ادرى كيف نوفق بين هذا النص للمسيح عليه السلام الذى لا يفهم منه تحريم الطلاق .. ؟

وفى الاصحاح الثالث من سفر اشعيا ان الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن ..

ويقول بولس المسمى بالرسول فى رسالة كورنتوس الاولى ان النقاب شرف للمرأة ..

ولا يخفى أن البرقع أشد من الحجاب ..

تعدد الزوجات :

جاء فى اخبار العهد القديم أن داود وسليمان عليهما السلام قد جمعا بين مئات الزوجات الشرعيات والاماء ، حتى نسب اليهود ظلما وكذبا الى سيدنا داود أنه أراد الزواج بامراة قائده (أوريا) بالاضافة الى زوجاته الكثيرات . بعد تعريض هذا القائد للقتل ، وقد وقع كثير من المفسرين المسلمين فى هذه الخطيئة بسبب اخذهم الاسرائيليات كأنها حقائق ثابتة .. !

وفى الاصحاح الثانى عشر من سفر صمويل الثانى يقول النبى ناتان لداود : « أنا مسحتك ملكا على اسرائيل وأنقذتك من يد شاول واعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك .. لماذا اخذت امراة أوريا لك امراة ؟! » .

وفى الأصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول كانت لسليمان سبعمائة من النساء والسيدات وثلاثمائة من السرارى ..

ويقول نيوفلد صاحب كتاب « قوانين الزواج عند العبرانيين الاقدمين » : « ان التلمود والتوراة معا قد أباحا تعدد الزوجات على اطلاقه » .

والديانة النصرانية هى تبع للديانة اليهودية لقول المسيح عليه السلام : « ما جئت لأنقض الناموس بل جئت لأتمم » . فيمكن أن نجزم باباحة تعدد الزوجات فيها ، لاسيما وأنه لم يرد فى الانجيل نص صريح بتحريم هذا التعدد ، غير أنه ورد فى كلام بولس استحسان الاكتفاء بزوجة واحدة لرجل الدين .

وقال الاستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه «المرأة فى القرآن الكريم» : « وبقى تعدد الزوجات مباحا فى العالم المسيحى الى القرن السادس عشر ، كما جاء فى تواريخ الزواج بين الاوروبيين » ، ويقول وسترمارك فى تاريخه : « ان ديارمات ملك أيرلنده كان له زوجتان ، وسريتان ، وتعددت زوجات الملوك الميروفنجين غير مرة فى القرون الوسطى ، وكان لشرلمان زوجتان وكثير من السرارى ، وكان يظهر من بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولا بين رجال الدين أنفسهم » .

بل الزجر عنه ، وبين قوله : « اننى ما جئت لأنقض الناموس » ـ أى الديانة اليهودية وهى تبيح الطلاق كما رأينا ـ « بل جئت لأكمل » .

وعلى كل حال فان جميع الدول الامريكية والدول الاوروبية وآخرها ايطاليا بلد الفاتيكان ! قد اخذت بالطلاق .

وبمناسبة الكلام على اشتراط الانجيل ـ الحالى ـ الزنى فى الطلاق ، وهو أمر غير طبيعى ولا معقول ، أنشئت فى أمريكا عصابات من (كبار) المثقفين .. من المحامين والأطباء والكتاب ورجال القانون .. مهمتها .. ماذا ؟!

مهمتها تيسير مهمة الزنى .. لأغراض قانونية .. !!

ففى الولايات الكاثوليكية لا يباح الطلاق الا فى جريمة الزنى من أحد الزوجين فيحق للزوج الآخر أن يطلب الطلاق ، ومن ثم يلجأ الطرف الكاره الذى يطلب الطلاق ـ سواء هو الزوج أو الزوجة ـ الى واحدة من هذه العصابات للايقاع بالطرف الآخر فى جريمة زنى ، وضبطه متلبسا ، واعطاء المستندات اللازمة التى تمكن من طلب الطلاق لقاء أجر معلوم(١) .

العقوبات :

ان عقوبة قتل القاتل العمد ورجم الزانى والزانية المحصنين وغير ذلك من العقوبات الشديدة تشترك فيها الديانات الثلاث وقد أشار الى بعض ذلك الله سبحانه فى القرآن الكريم بقوله : « وكتبنا عليهم فيها ـ أى فى التوراة ـ أن النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ـ ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الظالمون » (المائدة : ٤٥) .

وقال مالك عن رافع عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما : ان اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تجدون فى

التوراة بشـــأن الرجم ؟ » فقالــوا نفضحهم ويجلدون .. قال عبد الله ابن سلام ــ وكان منهم وقد أسلم : كذبتم ان فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة، فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فاذا آية الرجم . فقالوا : صدق يا محمد فيهـا آية الرجم ، فأمر بهما رسـول الله ، فرجما ، فرأيت الرجل ينحنى على المرأة يقيها الحجارة !! ... وهــذا لفظ البخارى ..

وفى هذه الحادثة نزل قوله تعالى : « ومن الذين هادوا سماعون للكذب، ســماعون لقوم آخرين ، لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه » الذى فى التوراة كآية الرجم « من بعض مواضعه » التى وضعه الله عليها ، أى يبدلونه (يقولون) لمن أرسلوهم « ان أوتيتم هذا » أى المحرف أى الجلد أى أفتاكم به محمد (فخذوه) فاقبلوه « وان لم تؤتوه » بل أفتاكم بخلافه ــ أى بالرجم ــ فاحذروا » أى تقتلوه « ومن يرد الله فتنته ، فلن تملك له من الله شيئا ، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم فى الدنيا خزى ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » (المائدة : ٤١) .

ومما ســبق ندرك كذب وافتراء المستعمرين والمبشرين الذين يحاولون الطعن فى الاسلام بتخصيصهم له فى هذه النظم الســابقة ، متجاهلين ومتناسين أنها شرائع التوراة والانجيل كما هى شريعة القرآن ، وهى فى منتهى العدل والحكمة كما ظهر ذلك حين تطبيقها فى صدر الاسلام فكانت سببا فى تحقيق المدنية الفاضلــة وانشاء الجيل المثالى لأول مرة فى تاريخ البشرية « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون ! هو الذى أرسل رسوله بالهـدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » (التوبة : ٣٢ و ٣٣) .

كل ذلك بعكس نظمهم وتشريعاتهم الوضعية من ديموقراطية وشيوعية، وقد نرى مصارعها وفشلها فى هذا العهد ، كما رأينا مصارع الفاشية والنازية من قبل .. !

وأهم ما يريده الطغاة المفسدون من دسائسهم وافتراءاتهم أن يظهروا الاسلام للمرأة المسلمة بأنه عدوها ، وأنه ظلمها فى الوقت الذى حماها من الاعتداء على حقوقها والتبــذل فى سلوكها ، وأعطاها حقوقها كاملة لأول مرة فى التاريخ دون أن ترفع صوتا أو تقدم احتجاجا للمطالبة بها ..

الا ساء ما يعملون ..

وساء ما يفترون ..

واذا كنا ذكرنا مما ســبق وجه الشبه بين القرآن والتوراة والانجيل فى بعض الاحكام والتشريعـــات ، فليس معنى ذلك أن الاسلام يقر كل ما جاء فى اليهودية والمسيحية بعد تحريفهما من آراء ونظم عن المرأة ، بل الامر بالعكس ، فقد ثار هذا الدين العظيم على كل ما يسيء الى المرأة ويستذلها ، والــى القــارىء بعض ما جاء فى الديانتين اليهــــودية والنصرانية واقوال رؤســائهما من انحرافات يبرأ منها الحق والعــدل والذوق ويحاربها الاسلام بلا هوادة ، وذلك فى قصة غريبة واقعية قصها على أحد طلابى :

ذهبت فتاة مسيحية الى الكنيسة صحبة خطيبها لعقد زواجهما فى المانيا

الغربية وكان معهما طائفة كبيرة من أصدقاء وأقرباء كل منهما . وكان هذا الزوج مثقفا درس بعض مبـــــادىء الدين الاسلامى ..

وما كاد القس ينتهى من مراسيم العقد حتى راح يوصى الزوج بقوله : « اننى أوصيـــك يا بنى الا تظلـــم زوجتك وتسىء معاملتها ، وتحتقرها كما يحتقر الدين الاسلامى المرأة ويأمر المسلمين بسوء معاملتها .. !!

فغضب الزوج من هذا الكلام وقال بأعلى صوته :

« هذا الكلام مغاير للحقيقة ، فان الذي يحتقر المرأة ويأمر بظلمها هى الكنيسة ، وما جاءت به من مبادىء ، وما زعمته من أقوال المسيح ، وهو لا شك برىء منها ! » .

ثم تمم الزوج كلامه :

« كل ذلـــك بعكس ما جاء به الاسلام الذى له الفضل الاكبر فى انصاف المرأة ، واعطائها حقوقهـــا كاملة لأول مرة فى تاريخ البشرية » .
فدهش القس من هذه المفـــاجأة والتف القسس حول الكاهن ، وتجمهر المدعوون حول الزوجين يطلبون من رجال الكنيســـة التحقيق فى ادعاء هذا الزوج ، حتى اذا كان مخطئـــا أقنعه القس بالتراجع عن كلامه ..
اضطرب الكاهن لجرأة الزوج ، وغلب على أمره تجاه ضغط الحضور فسأله عن دليله فيما يقول :

فتقدم بكل شجاعة وقال :

ألم تقل الكنيسة فى مبادئها :

« ان المرأة ينبوع المعاصى واصل السيئة والفجور ، وهى للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تحريكه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب الانســانية جمعاء ، فبحبسها ندامة وخجلا انها امرأة وينبغى أن تستحى من حسنها وجمالها ، لأنه سلاح ابليس الذى لا يوازيه سلاح من أسلحته المنوعة ، وعليها أن تكفر ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبدا ، لأنهَا هى التى قد أتت بما أتت به من الرزء والشقاء للارض وأهلها .. »

ودونـــكم ما قاله ترتوليـــان أحد أقطاب المسيحية الأول وأئمتهـــا ، مبينا نظرية المسيحية فى المرأة :

« انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان ، وانها دافعة بالمرء الى الشجرة المنوعة ، ناقضة لقـــانون الله ، ومشوهة لصورة الله ــ أى الرجل .. »

وكذلـــك يقـــول كرائى سوستام الذى يعد من كبار علمـــــاء الديانة المسيحية فى شأن المرأة :

« هى شر لا بد منه ، ووسوسة جبلية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ورزء مطلى مموه » .
ثم قال هذا الزوج :

ألم يجتمع مجمع (ماكون) فى القرن الخامس للبحث فى مسألة : « هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه ؟ أو لها روح ؟ » .

وأخيرا قرر رجال الكنيسة فى هذا المجمع : « ان المرأة خلو من الروح الناجية (من عذاب جهنم) ما عدا أم المسيح » .

الم يجتمع أيضا مؤتمر فى فرنسا عام ٥٨٦ تحت اشراف الكنيســـة للبحث : « هل تعد المرأة انسانا أو غير انسان ؟ » وأخيرا قرروا « أنها انسان خلقت لخدمة الرجل فحسب »
وقد جاء فى التوراة التى يدين بها اليهود والنصارى : « المرأة أمرّ من

الموت !! وان الصالح امام الله ينجو منها ، رجلا واحدا بين الف وجدت ، أما امرأة ، فبين كل أولئك لم أجد !! »

فهل بعد هذا الاحتقار من قبل الكنيسة للمرأة احتقار .. ؟!

وهل بعد هذا الظلم لها من ظلم .. ؟!

هذا — وقد ذكرت الكنيسة لنا على لسان المسيح فى الانجيل أنه قال : « .. انه يولد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، من استطاع أن يفعل فليفعل »(1) .

فهل يعقل أن يقول هذا المسيح ، فيعطل فطرة الرب فى الزواج ؟!

ومن المؤسف أن يعلق (ترتوليان) السابق الذكر على ما زعمته الكنيسة أنه من أقوال المسيح : « وقد فتح المسيح للخصيان أبواب السماء ، لأن حالتهم قد باعدت بينهم وبين قربان النساء » .

ولا يخفى على عاقل عاقبة الخصى ونتيجته فى تشريد ملايين النساء وتركهم بدون أزواج ، الامر الذى يدفعهم الى ارتكاب مختلف الجرائم الجنسية .

ومما يؤسف له أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هى نجس فى نفسها بنظر الكنيسة ، فيجب أن تتجنب ، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمى مشروع ولنأخذ لذلك مثلا شائعا بين النصارى خلاصته : ان الزوجين اللذين اتفق لهما أن يبيتا معا ليلة عيد من الاعياد ، لا يجوز لهما أن يعيِّدا ويشتركا مع القوم فى رسومهم ومباهجهم ، كأنهما قد اقترفا اثما سلبهم حق المشاركة فى حفل دينى .

ومن أعظم الأدلة على احتقار الكنيسة للمرأة والسعى لتعذيبها .

أن القانون الانكليزى حتى عام ١٨٠٥ كان يبيح للرجل — تحت تأثير النظرة المسيحية للمرأة — أن يبيع زوجته ، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات (نصف شلن) .

وقد حدث منذ أعوام أن باع ايطالى زوجته لآخر على أقساط فلما امتنع المشترى عن سداد الاقساط الاخيرة قتله الزوج البائع !

وهذا الاحتقار والذم للمرأة قد انتقلا عن المسيحية الى كثير من الآداب الاوروبية ، فقد جاء فى المثل الروسى : « لا تجد فى كل عشر نسوة غير روح واحدة » .

وجاء فى المثل الاسبانى : احذر المرأة الفاسدة ، ولا تركن الى المرأة الفاضلة ! » .

وجاء فى المثل الايطالى : « المهماز للفرس الجواد والفرس الجموح ، والعصا للمرأة الصالحة ، والمرأة الطالحة » .

واخيرا ختم الزوج كلامه قائلا :

« اننى أعلنها صريحة أن الكنيسة تحمل اليوم أعظم الجريمة فيما نراه فى الغرب من انهماك فى الشهوات الجنسية وتكالب على الزنى .. كنتيجة حتمية لرد الفعل لتعاليم الكنيسة التي حاربت الفطرة الانسانية قرونا طويلة ثم ما لبث الغربيون أن ثاروا على نظمها وفكوا الاغلال وكسروا القيود وانطلقوا رجالا ونساء فى حياة الفجور وساروا وراء غرائزهم الجنسية الى ابعد الحدود حتى بات الغرب مهددا بخطر مخيف ..

---

(1) انجيل متى : الاصحاح ١٩ الفقرة ١١ .

كتاب الشهر

عمر بن الخطاب

وأصول السياسة والادارة الحديثة

● تأليف : الدكتور سليمان الطماوى
● عرض وتحليل : محمد عبد الله السمان ..

هذا الكتاب الذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة فى أكثر من خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، دراسة مقارنة ، لأستاذ كبير من رجال القانون لا أحسبه فى حاجة الى شىء من التعريف ، ولئن كانت مؤلفاته العشرون التى سبقت كتابه الذى بين أيدينا ، قد اتجهت الى الدراسات القانونية بحكم دراسته وتخصصه ، الا أنه من رجال القانون القلائل فى عالمنا العربى الذين يعيش الفكر الاسلامى فى عقولهم ووجداناتهم ، والذين يحرصون على أن يكون للفكر الاسلامى نبضات مشرقة فى مؤلفاتهم القانونية أو السياسية ..

وقبل أن نعرض لهذا الكتاب الجليل تجب الاشارة الى نقطتين جديرتين بالاشارة :

● النقطة الاولى : أن ما كتب عن عمر بن الخطاب وما ألف فيه أكثر من أن يحصى ، ولا نظن أن شخصية - بعد رسول الله - حظيت بما حظيت به شخصية عمر من الكتابة والتأليف ، حتى اذا جاء المرحوم الدكتور هيكل فألف كتابه « الفاروق عمر بن الخطاب » مؤرخا لسيرة عمر ، وجاء العقاد فألف كتابه « عبقرية عمر » محللا لشخصية عمر من جميع نواحيها ، خيل إلينا أن أية كتابة عن هذه الشخصية الفذة -

بعد هذين المؤلفين العظيمين — لن تكون إلا تحصيل حاصل ، لكن عندما ظهر كتاب الدكتور الطحاوى جعلنا نراجع ما تخيلناه من قبل ، فكتابه ليس تاريخا شاملا لعمر ككتاب هيكل ، وليس تحليلا شاملا أيضا لشخصية عمر ككتاب العقاد ، وإنما هو كتاب يتناول شخصية عمر من زاوية خاصة ، لم تفت الكاتبين الجليلين وإنما تناولاها بقدر فى كتابيهما ، لكن الدكتور الطحاوى جعل منها دراسة مقارنة وتفصيلية ومنهجية معا ، ليؤكد للمثقفين العرب — ولاسيما من لا يزال منهم ذا شغف بالفكر الغربى — أن الفكر الاسلامى فكر حضارى سبق الفكر الغربى فى الحضارة والتقدم بمراحل .. وإذا كان من الإنصاف أن يأخذ كتاب الدكتور الطحاوى مكانه الى جانب شقيقيه : الفاروق عمر ، وعبقرية عمر ، فليس معنى هذا أن المكان لا يتسع لشقيق رابع وخامس وسادس ..

● النقطة الثانية : أن لدينا من رجالات القانون عددا كبير يملك قدرات عظيمة على الدراسات المقارنة بين التشريعات الوضعية قديمها وحديثها وبين التشريع الاسلامى ، لكن مثار الدهشة أن معظم رجالات القانون المسلمين لم يسهموا فى هذا المجال ، ولو قدر لهم أن يسهموا لأدوا خدمات جليلة للفكر الاسلامى ، ويجب أن نعترف بأن مؤلف المرحوم الاستاذ عبد القادر عودة : « التشريع الجنائى الاسلامى » وكتاب الدكتور عبد العزيز عامر : « التعزير فى الشريعة الاسلامية » ثم كتاب الدكتور الطحاوى « عمر وأصول السياسة والادارة الحديثة » هذه الكتب الثلاثة قد سدت فراغا أو بمعنى أدق سدت جزءا من الفراغ فى المكتبة العربية ، وانها لأمنية عزيزة يوم أن تحتل الدراسات القانونية المقارنة فى شتى فروع القانون مكانها اللائق بها لا فى المكتبات بل فى أذهان المثقفين المسلمين والعرب ، ولاسيما أن الفكر الاسلامى اليوم يواجه تحديات لا أول لها ولا آخر ، تهب عواصفها عليه من الشرق والغرب على السواء ..

إن المؤلف يرى أن دعاة الإصلاح فى العالم العربى اليوم ينقسمون الى فرق ثلاث :

فريق : يرى أنه لا بد من طى صفحات الماضى كلية ، ويحمل القيم الموروثة مسئولية الحال التى وصل اليها الشرق العربى ..

وفريق : يرى أنه لا ينصلح حال هذا الشعب إلا بما انصلح به أوله ، ويحملون كل جديد وزر التخلف الذى يعانى منه الشرق العربى ..

وفريق : يقف من هذين الفريقين المتطرفين موقفا وسطا ، ومن هذا الفريق المعتدل الأستاذ المؤلف ومعظم دعاة الاصلاح فى العالم العربى، هذا الفريق يرى أن المستقبل ليس إلا مجرد امتداد للماضى .. ومؤلفنا يرى — مع إيمانه الكامل بالحاجة الملحة الى إحداث تغيير شامل فى نظمنا — أن يتم التغيير فى ضوء ماضينا البعيد ، وعلى هدى من (كراسة) طفولتنا وشبابنا ..

ويشير المؤلف فى مقدمته أيضا الى ضرورة مواجهة تلك الدعوى المغرضة التى ينادى بها بعض أدعياء العلم ، من أن الدين قيد على حرية الفكر ، وعقبة فى سبيل التحضر ، والرد على هذه الدعوى الكاذبة يكون

بأحد سبيلين : سبيل نظرى بمقارعة الحجة بالحجة ، والطريق الآخر طريق عملى ، بأن نعيش فترة من أروع فترات التاريخ العربى ، لنمحص حقيقة التصادم المزعوم بين العلم وبين الدين ، ويقينا أنه لن يختلف اثنان فى أن أكثر فترات التاريخ العربى إشراقا هى فترة صدر الاسلام وأيام حكم الفاروق عمر بن الخطاب بالذات .. ويلخص المؤلف هدفه من دراسته فى أنه الرد على أسئلة يمكن اجمالها على النحو التالى : الى أى حد يعتبر الدين عقبة فى سبيل إقامة دولة عصرية ، وخلق مجتمع متحرر .. ؟

وقد وجد المؤلف الرد فى حياة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الذى يعتبره المؤلف — بغض النظر عن وضعه الاسلامى — قائدا سياسيا وإداريا من أكفأ ما عرفته البشرية فى تاريخها المعروف ، وهو بهذا وحده يستحق الدراسة المتخصصة من حيث مواهبه السياسية والإدارية ، ليكون قدوة للعاملين فى هذا المجال فى مختلف الأمكنة والأزمنة .

وقد قسم المؤلف دراسته عن عمر الى ثلاثة أبواب رئيسية :

الباب الأول : القيادة والقائد .. تضمن فصلين : صفات عمر القائد ، وأسلوب عمر فى القيادة ..

الباب الثانى : عمر والسلطات العامة فى الدولة .. تضمن ثلاثة فصول : عمر والسلطة التشريعية ، عمر والسلطة التنفيذية ، ثم عمر والسلطة القضائية .

الباب الثالث : ويتضمن فصولا خمسة : عمر ووحدة الفكر ، عمر ومعاملة الأجانب ، عمر والعرب ، عمر والنظام الاقتصادى ، ثم عمر والأخلاق العامة ..

يرى المؤلف فى بداية الباب الأول : أن الأخبار المؤكدة فى سيرة عمر تجعل له وضعا فريدا قد لا يشاركه فيه نظير : فجميع الصفات التى نتطلبها اليوم فى القائد الناجح قد توافرت فى عمر بصورة غير مألوفة ، لدرجة تجعلنا نؤكد أن شخصية عمر غير قابلة للتكرار ، ورأى المؤلف هذا دعاه إلى اعتبار فكرة الإمام محمد عبده عن أن الشرق لا ينهض إلا « بمستبد عادل » أسطورة ، ويرى من الخطأ أن يقام نظام للحكم على أساس وجود حاكم من هذا الطراز حتى ولو توافرت فيه الشروط التى تطلبهاالإمام فيه : «يكره المتناكرين على التعارف .. ويلجىء الأهل إلى التراحم .. ويقهر الجيران على التناصف .. يحمل الناس على رأيه فى منافعهم بالرهبة إن لم يحملوا أنفسهم على ما فيه سعادتهم بالرغبة .. عادل لا يخطو خطوة إلا ونظرته الأولى الى شعبه الذى يحكمه .. فإن عرض حظ لنفسه فليقطع دائما تحت النظرة الثانية .. فهو لهم أكثر مما هو لنفسه .. »

ورأى المؤلف مبنى على أن نظم الحكم لا يمكن أن تستقيم بحسن النوايا ، ولكن بالضمانات .. وبتحديد المسئوليات .. وبالرقابة المستمرة ، وبالمحاسبة المستنيرة ، وبالرغم من أن المؤلف يرى مصداق ذلك كله فى سيرة عمر ، إلا أنه يظل على رفضه لقيام نظام للحكم على أساس وجود حاكم من هذا الطراز ، ربما لأن مثل شخصية عمر غير قابلة للتكرار ..

ويرى المؤلف أيضا أن القيادة البارعة هى روح السياسة والإدارة ، وأنه إذا كانت القيادة — سواء فى مجال السياسة أو الإدارة — تقوم على أسس وقواعد علمية مسلم بها ، فإنها من حيث الممارسة يغلب عليها طابع الفن ، بل إن القيادة فى الماضى كانت أقرب الى الفن منها الى العلم ذى القواعد المؤصلة ، وهذا يصدق تماما فى حالة عمر ، وقد أوضح المؤلف قبل ذلك الفرق بين العلم والفن ، فالعلم يتكون من مجموعة قواعد تكتشف بالتجربة والبحث ، ولا تختلف قيمتها من مجال الى مجال آخر ، أما الفن ، فإنه يقوم على استخدام المهارة البشرية فى تطبيق المبادىء والنظريات العلمية — أى أن العلم يقوم على أساس موضوعى ، أما الفن فيدخل فى الاعتبار ، الصفات والملكات الشخصية ، ولكنه يفترض أيضا سبق الإحاطة بالمبادىء العلمية ، وخلص المؤلف الى أن قيادة الدولة الكبرى فى عهد عمر كانت عملا شخصيا من عمر ، اعتمد فيه أساسا على مقدرته الذاتية ، معنى ذلك أن الإدارة فى عهده كانت تنتمى إلى الفن ، حقيقة إن الفن الأصيل يدرك القواعد العلمية بالسليقة ، ولكنه إدراك يعتمد على الذكاء والحس المرهف أكثر من اعتماده على قواعد علمية معروفة سلفا ..

ومن نافلة القول أن نضيف هنا أن الاسلام وضع قواعد ثابتة للحكم ، ولكنه ترك باب الاجتهاد مفتوحا على مصراعيه فى أسلوب الحكم ، ولم يتجاوز عمر قاعدة من قواعد الحكم التى وضعها الاسلام ، وإنما اجتهد فى أسلوب الحكم وتوافر له فى اجتهاده العبقرية الفذة ..

وفى البحث الخاص باجتهاد عمر ، وفى مجال الحدود بالذات أثار الدكتور الطحاوى مسألة على جانب كبير من الاهمية ، عندما ذكر أن « التشريعات المعاصرة تصدر عن مبدأين أساسيين تجرى عليهما معظم الدساتير ، وتنص عليهما فى صلبها ، وهذان المبدآن هما :

أولا : لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص ..

ثانيا : لا رجعية فى قوانين العقوبات .

وبالتمعن فى مسلك عمر ، نجد أنه لم يحترم القاعدتين السابقتين بصورة مطلقة : فالجرائم التى حددها القرآن وقدر لها العقوبات تندرج فى نطاق الأحكام العصرية السابقة ، ويستطيع عمر ، كقائم على سلطة التشريع فى الدولة أن يؤثم أعمالا بعينها ، وأن ينهى المسلمين عن ارتكابها ، وأن يوقع عليهم العقوبات المقررة فى حالة المخالفة ، وهنا أيضا يكون التصرف فى نطاق المبدأ المعاصر ..

لكن حين يرتكب مسلم عملا بعينه لم يسبق أن صدر أمر صريح بتأثيمه ، ثم يقوم عمر بتقدير العقوبة المناسبة ويوقعها عليه ، فإنه يكون قد خرج على منطق القواعد المعاصرة ، وهذا ما يعرف بسلطة التعذير لولى الأمر فى الشريعة الاسلامية .. »

ولا يترك الدكتور هذه المسألة تمر دون التعقيب عليها ، ليدفع عنها ما قد يتبادر الى ذهن القارىء من شبهة تمس مسلك عمر فيقول :

« وإذا كان الأمر يبدو واضحا من الناحية النظرية المجردة ، فإنه عند

التعمق ، وإمعان الفكر ، لا يكون بالصورة التي رسمناها من البساطة، ذلك أن المجتهد الاسلامى ليس حرا فى أن يضع من التشريع ما يشاء ، ويقتصر عمله على استمداد الاحكام الفرعية من أصولها السماوية فى الكتاب والسنة ، وهكذا يكون عمله فى حقيقة الأمر كاشفا عن تلك الأحكام لا (منشئا) لها بلغة العصر ، فإذا ما عذر ولى الأمر عن فعل لم يسبق العقاب عليه ، فلأنه يرى أن هذا الفعل لا يستقيم مع أصول الإسلام المعلنة ، والمعلومة فرضا لكل مسلم ، فهو لا ينشىء الجريمة ولكنه يكتشفها .. ولما كانت الشريعة هى حكم الله ، فإن التعذير ليس مجرد قصاص من قبل المجتمع فى مواجهة المسلم المذنب ، ولكنه أولا وقبل كل شىء (تطهير) و (تكفير) من قبل المسلم المذنب فى مواجهة المولى سبحانه وتعالى » ..

والذى أعتقده أن المؤلف لم يفته أن دور عمر فى هذا الصدد كان أشبه بدور المحتسب ، الذى يلزم الناس ألا يتحولوا عن الخط الأخلاقى العام الذى يليق بهم كمسلمين ، لاسيما وأن المؤلف نفسه ذكر أن عمر فى بداية الامر كان يقوم بنفسه بدور المحتسب، ونحن مع المؤلف بعد ذلك فى أن أحكام الاسلام الكلية والفرعية قد أصبحت معلومة ، وأنه من الأنفع للناس وأدعى الى الاستقرار أن تقنن الجرائم وأن تحدد عقوباتها كما وردت فى كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يقتصر عمل القاضى على توقيع العقوبات التى سبق تحديدها .. وألا توقع العقوبات إلا على الأفعال التالية لصدور التشريع المؤثم للفعل ، وهو ما يعبر عنه باصطلاح « عدم رجعية قوانين العقوبات » ..

وبعد .. فإذا كان من حق المؤلف علينا أن نعبر عن تقديرنا الكبير لكتابه هذا عن عمر ، واعتزازنا به راجين أن يكون بداية لغيره ، ودافعا لكبار رجال القانون فى العالمين العربى والاسلامى أن ينزلوا الى ميدان دراسات التشريعات الاسلامية مقارنة بالفكر الغربى ، فنحن فى وقت يواجه فيه الفكر الاسلامى تحديات لا أول لها ولا آخر ، وهذه التحديات لا يحد من تطاولها إلا أقلام مؤمنة مستنيرة لأصحابها وحملتها مكانتهم .. أقول : إذا كان من حق المؤلف علينا هذا وأكثر من هذا فإن من حقنا أن نقف وقفات سريعة لا تمس قيمة مؤلفه العظيم ..

● أولا : فى البحث الخاص بـ « عمر والعرب » كنا نود أن يسلك أستاذنا الكبير نفس المنهج الموضوعى الذى سلكه فى بقية دراسته ، الا يكون للعاطفة أدنى أثر ، إن حرص عمر على ذاتية العرب ، قد استدعته ضرورة الظروف تجاه بناء دولة جديدة ، وليس لاعتبار الجنس أو العنصر ، وإنما لأن العرب مادة الاسلام وحملة مشاعله فى بداية الأمر ، ولم يخطر بذهن عمر فكرة القومية العربية كما ارتأى المؤلف أو كاد .. وإلا كان بذلك خارجا على أصل من أصول الاسلام وهو عمومية الدعوة الاسلامية وعالميتها ، وعمر الذى قال وهو يجود بنفسه فى اللحظات الاخيرة من عمره : « لو كان أبو عبيدة ــ أمين الأمة ــ حيا لوليته » هو الذى قال أيضا : « لو كان سالم مولى حذيفة حيا لوليته »

● ثانيا : فى ص ١٨٦ تساءل المؤلف : « ولا شك لدينا فى كمال إيمان عمر ، ولا فى حبه لرسول الله وقرابته ، ولكن لنا أن نتساءل

مع ذلك : هل دار بخلده أن بنى هاشم غير راضين عن خروج الخلافة منهم، فأراد أن يسترضيهم ؟ وترك المؤلف التساؤل بلا تعقيب .

إن الخلافة تمت لأبى بكر وعمر من بعده بمشورة المسلمين ورضاهم، والذى حدث من عمر انه لم يستعمل بنى هاشم كما استعمل غيرهم على الولايات العامة مخافة افتتان العامة بهم ، فكان عطاؤه لهم من قبيل التعويض لهم لا من قبيل الاسترضاء ، وقد اثبتت الأيام أن عمر كان بعيد النظر ، فقد كانت العاطفة غير الواقعية نحو آل البيت الشرارة الأولى التى اشعلت نار الفتنة التى فرقت كلمة المسلمين ..

● ثالثا : ذكر المؤلف في مقدمته أنه لن يشير إلا الى المراجع المتخصصة لمعاونة القارىء على تتبع الموضوع إذا أراد الاستزادة ، أما المراجع التاريخية العامة فلا ، وكنا نود أن يشير المؤلف الى مرجع كل نص ساقه فى دراسته ، وبخاصة الأحاديث النبوية التى يحتاج بعضها الى مراجعة ، والمؤلف — قبل أن يكون عميدا — كان — ولا يزال — أستاذا جامعيا كبيرا منهجه فى دراسته القانونية الاهتمام بمرجع كل نص يورده فى مؤلفاته القانونية والسياسية معا ..

● رابعا : لقد اعتذر المؤلف عن الأخطاء اللغوية العديدة فى الكتاب بأنها نتيجة لأخطاء مطبعية ، ونأمل أن تتلافى هذه الأخطاء اللغوية فى الطبعة الجديدة إن شاء الله .

الفتاوى

خطبة العيد

السؤال :

شهدنا صلاة عيد الأضحى فى أحد المساجد ، وبعد الصلاة قام الخطيب وبدأ الخطبة بحمد الله ، ولم يبدأها بالتكبير كما تعودنا ذلك من الخطباء فى هذه المناسبة الدينية السعيدة ، فما حكم الشرع فى ذلك ؟

الإجابة :

اختلف الفقهاء فى افتتاح خطبة العيدين والاستسقاء ، فمنهم من ذهب الى أنهما يفتتحان بالتكبير ، وقيل تفتتح الاستسقاء بالاستغفار ، وقيل يفتتحان بالحمد قال ابن القيم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح خطبه كلها فى الجمعة والعيد وغيرهما بالحمد لله .

وبناء على هذا فان افتتاح خطبة العيد بالحمد لله موافق لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مصلى العيد

السؤال :

جرت عادة إمام مسجد قريتنا أن يصلى بنا صلاة العيد خارج البلد ، وقد طلبنا منه هذا العام أن يصلى بنا فى المسجد نظرا لبرودة الجو فأصر على الرغم من شدة البرد ،فهل لايجوز أن تؤدى صلاة العيد فى المسجد ؟

الإجابة :

صلاة العيد يجوز أن تؤدى فى المسجد ، ولكن أداءها فى المصلى خارج البلد أفضل ما لم يكن هناك عذر كمطر أو برد شديد ونحوهما ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين فى المصلى ، ولم يصل العيد بمسجده إلا مرة لعذر المطر ، وكان الأولى بهذا الإمام أن يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى التيسير على المصلين ، ويصلى بهم فى مسجد القرية لشدة البرد .

سبق المأموم الإمام

السؤال :

هل تصح صلاة المأموم إذا سبق إمامه فى بعض أركان الصلاة مثل الرفع من الركوع أو السجود قبل الإمام ؟

الإجابة :

متابعة المأموم الإمام فى الصلاة واجبة ، ويحرم سبقه لحديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه ، فإذا كبر فكبروا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد ، وإذا سجد فاسجدوا » ، وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول رأسه رأس حمار أو يحول الله صورته صورة حمار » . وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالقعود ولا بالانصراف » .

وقد اتفق العلماء على أن المأموم إذا سبق إمامه فى تكبيرة الإحرام أو السلام بطلت صلاته ، واختلفوا فى غيرهما ، فعند أحمد يبطلها ، قال : ليس لمن يسبق الإمام صلاة . وعند غيره لا يبطلها .

طواف الإفاضة

السؤال :

مرضت فى أيام منى ، ودخلت المستشفى ، ولم أخرج منه إلا فى اليوم الخامس عشر من ذى الحجة ، ولم أستطع طواف الإفاضة إلا بعد خروجى من المستشفى ، أى بعد أيام التشريق ، فهل يجزىء طوافى فى الخامس عشر ، وهل يجب على هدى نظير هذا التأخير ؟

الإجابة :

مذهب الشافعى وأحمد أن طواف الإفاضة يؤدى فى أى وقت ، ولكن لا تحل النساء إلا بعد الطواف ، ولا يجب بتأخيره عن أيام التشريق دم وإن كان يكره تأخيره إن كان لغير عذر .

وعند أبى حنيفة يجب فعله فى أى يوم من أيام النحر فإن أخره عنها لزمه دم

وعند مالك يمتد وقته الى آخر شهر ذى الحجة فإن أخره عن ذلك لزمه دم وصح حجه . وعلى هذا فطوافك فى اليوم الخامس عشر صحيح ولا يلزمك دم « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

إطــــلاق الإحـــرام

الســــؤال :

حججت حجة الفرض هذا العام ، ويؤسفنى اننى رجل من عامة المسلمين لا دراية لى باحكام الحج ، فعندما بلغنا الميقات نويت الإحرام كما نوى الناس ، ولما بلغنا مكة سالنى بعض الحجاج هل نويت الإحرام بالعمرة او بالحج او بهما معا ، فقلت نويت الإحرام فقط ولم احدد شيئا ، واديت مناسك العمرة معهم ثم بعد ذلك احرمت بالحج كما احرموا ، فهل حجى صحيح ؟.

الإجـــابة :

من أحرم إحراما مطلقا قاصدا اداء ما فرض الله عليه من غير أن يعين نوعا من هذه الأنواع الثلاثة لعدم معرفته جاز وصح إحرامه ، قال العلماء : ولو أهل ولبى ـــ كما يفعل الناس ـــ قصدا للنسك ، ولم يسم شيئا بلفظه ، ولا قصد بقلبه لا تمتعا ولا إفرادا ولا قرانا صح حجه أيضا ، وفعل واحدا من الثلاثة ، وبنـــاء على هـــذا فحجك والحمد لله صحيح ، ونرجو أن يتقبله منك ، ولكنا نلفت أنظار المسلمين الى أن يتفقهوا فى دينهم ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين .

النـــاقة الضـــالة

الســــؤال :

وجدت فى البادية ناقة ضـــالة ، وشاهدتها اسبوعا تروح وتغـــدو وليس وراءها احد يسال عنها ، فهل يحل لى شرعا اخذها ؟

الإجـــابة :

اتفق العلماء على ان ضـالة الإبل لا تلتقط ، ففى البخارى ومسلم عن زيد بن خالد أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن ضـالة الإبل فقال : « ما لك ولها ، دعها فإن معها حذاءها وسقاءها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يجدها ربها » . فلا خوف عليها من تركها طليقة لأن طبيعتها الصبر على العطش والقـــدرة عـــلى تناول المأكول .

وعثمان رضى الله عنه كان يرى التقاطها ، وتعريفها ، ثم بيعها وحفظ ثمنها ، فإذا ظهر صاحبها أعطى ثمنها . رواه مالك فى الموطأ ، ونرى لفساد الزمان ، وتوقع أن تقع فى يد غير مأمونة أن تأخذ الناقة ، وتعرفها لمن حولك ، فـــإذا لم تجد صاحبها كان لك أن تبيعها وتحتفظ بثمنها تؤديه لصاحبها إن ظهر .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض

الأجـر العظيـم لمـن ؟

« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

١ ــ ماذا يعني قول الله تعالى : « من آمن بالله واليوم الآخر » هل يقتصر على الإيمان بوجود الله وقدرته والبعث والحساب دون الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم كما يعتقد بعض النصارى .

٢ ــ ما هو العمل الصالح الذي تحتويه معاني الآية حتى يكون للذين هادوا والنصارى والصابئين هذا الأجر العظيم ولا يخافون ولا يحزنون لأنه سبحانه وتعالى يقول في سورة آل عمران : **« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .**

احمد عبد الفتاح مصطفى
كلية الزراعة ــ جامعة القاهرة ــ الفيــوم

مفهوم هذه الآية يعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة فالرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ، ورسالته الى البشر كافة على اختلاف مللهم ونحلهم ومعتقداتهم ، لا فرق في ذلك بين جنس وجنس ومعتقد ومعتقد ، ومن لم يؤمن بما جاء به الرسول إجمالا وتفصيلا فهو على غير هدى ، قد تنكب الطريق وحاد عن الحق وبعد عن الجادة لا يقبل الله منه ما كان عليه من دين ، ولا يدخل فيمن عنـــاهم الله في نهاية هذه الآية « فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والواضح من سياق الآية أن الذين آمنوا هم المسلمون الذين صدقوا رسول الله فيما جاء به وأذعنوا لله خاضعين عن اقتناع ويقين ، تاركين ما كانوا عليه من معتقـــدات مقرين بأن الإسلام هو غاية كل عابد وبأن الرسول هو الصادق المحدث عن الله .

أما الذين هادوا وهم اليهود الذين ظلوا على يهوديتهم منكرين الإسلام .

والصابئون وهم الذين تركوا عبادة الأوثان قبل بعثة الرسول وعبدوا الله وحده لكن على غير دين وظلوا كذلك على هذا المنحى من الاعتقاد .

والنصارى وهم المسيحيون الذين تشبثوا بما هم عليه تاركين ما يعرفون أنه الحق وفيهم جميعا نزل قول الله تعالى : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » وقول الله « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين .

فالآية واضحة الدلالة فى أن الله لا يقبل من هؤلاء جميعا الا الإسلام ، فأيا كان الدين وأيا كان المنحى والمعتقد فالسائرون فى ظله ليسوا على شيء ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى ارسلت به الا كان من أصحاب النار » وعلى هذا فكل من لا يؤمن بالرسول وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقبله الله ولا يسمى صاحبه مسلما ولا ينال الأجر العظيم الذى وعد به المؤمنون مهما قدم من عمل صالح .

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين .

الدراسات العليا فى جامعة الكويت

هل يوجد فى جامعة الكويت الفتية دراسات عليا ، وما هى الدرجات والدبلومات العلمية العليا التى تمنحها هذه الجامعة .

سعدون عيسى ــ الشارقة

الدراسات العليا :

تعنى جامعة الكويت بالبحث العلمى ، وعلى الرغم من حداثة انشائها فقد استطاعت الجامعة أن تبدأ فى العام الجامعى ٦٨/٦٩ الدراسات العليا والدبلومات والماجستير والدكتوراه فى كثير من التخصصات ، وذلك قبل أن تتخرج أول دفعة منها طالما توفرت معلومات هذه الدراسات ، وكانت أولى هذه الدراسات فى العام الجامعى ٦٩/٧٠ .

١ ــ درجة دكتوراه الفلسفة فى علم الاجتماع موضوعها (الهجرة والتغير البنائى فى المجتمع الكويتى) .

٢ ــ درجة الماجستير فى اللغة العربى وموضوعها (الشعر الكويتى الحديث) .

٣ ـ درجة ماجستير فى الجيولوجيا وموضوعها (دراسات جيولوجية ومعدنية فى الرواسب الشاطئية للكويت .

وقد اشترك مع الجامعة فى الحكم على هذه الرسائل ممتحنون خارجيون عالميون من الجامعات الأوروبية والعربية ـ وهناك عدد ٤٥ رسالة مسجلة فى موضوعات مختلفة لم ينته منها الباحثون ، وتضم الدراسات العليا فضلا عن الدراسات الأكاديمية دراسة علمية ميدانية يمكن تسميتها بدراسة مهنية كما فى دبلوم ادارة الاعمال ودبلوم المحاسبة والمراجعة ودبلوم التكاليف والدبلوم الخاص فى التربية ، تعمل على رفع الانتاجية للخرجين العاملين فى مجال الادارة والشئون المالية والتدريس ـ وتمنح جامعة الكويت الدرجات العليا والدبلومات الآتية :

جامعة الكويت :

اولا ـ فى دراسات العلوم : درجة الماجستير فى العلوم ، درجة دكتوراه الفلسفة فى العلوم .

ثانيا ـ فى دراسات الآداب والتربية : دبلوم عام فى التربية ، دبلوم خاص فى التربية ، درجة ماجستير فى الآداب ، درجة دكتوراه الفلسفة فى الآداب ، درجة دكتوراة الفلسفة فى التربية .

ثالثا ـ فى دراسات الحقوق والشريعة : دبلوم الفقه الاسلامى المقارن ، دبلوم السياسة الشرعية ، دبلوم القانون الخاص ، دبلوم القانون العام . درجة دكتوراة فى الحقوق ، درجة دكتوراة فى الشريعة الاسلامية .

رابعا ـ فى درسات التجارة : دبلوم المحاسبة والمراجعة ، دبلوم ادارة الأعمال ، درجة ماجستير فى المحاسبة ، درجة ماجستير فى ادارة الأعمال ، درجة دكتوراة الفلسفة فى المحاسبة ، درجة دكتوراة الفلسفة فى ادارة الاعمال .

خامسا ـ فى دراسات الاقتصاد والعلوم السياسية : درجة ماجستير فى الاقتصاد ، درجة ماجستير فى العلوم السياسية ، درجة دكتوراه الفلسفة فى الاقتصاد ، درجة دكتوراه الفلسفة فى العلوم السياسية .

قالت صحف العالم

حماية البلاد الإسلامية من خطر الصحافة الفاجرة

كانت الصحافة في عصورها الخوالى المشرقة بالنور المملوءة بالجهاد العظيم من أجل إسعاد العالم الإسلامى ، ترسم الطرق المثلى لمكارم الأخلاق ، وتوجه الناس الى الفضيلة .. ترى في صفحاتها نور الحق والخير ، وتشم منها عطر الإيمان .. يسكن إليها القلب وتطمئن لها العاطفة .. إنها تستهدف الصالح العام ، وجهتها الخير ورفعة شأن الإسلام والمسلمين ، وسبيلها الكفاح المتواصل في بعث النهضة الإسلامية ، والعمل على إعادة الوحدة بين المسلمين .

تلك هي صحف الحق والفضيلة والخير العام .. الصحف الإسلامية الطاهرة التي نمت وأزهرت وآتتثمرا طيبا مباركا .. يشرف عليها ويوجهها رجال أصحاب مبادىء ومثل عليا وصفات نبيلة وأخلاق عالية ، وبينما ننعم بهذه الصحف الطاهرة ، إذا بنا نرى الصحافة الصفراء تغزو الأسواق ، وينخدع بها المرضى بحب التقاليد الأجنبية ولو كانت على حساب الطهر والفضيلة والعفاف والحياء ..

تنساب هذه الصحافة الفاجرة كما تنساب الأفاعى الرقطاء الناعمة الملمس الى الآمنين في أوطانهم ، فلا يخشون في أول الأمر خطرها ، ثم لا يلبث أن يسرى سمها الى القلب ، وهيهات بعد ذلك اى إصلاح ! إذ أن خطرها عام جامح عنيف عظيم الخطر على الشباب والأسرة والمجتمع والدولة ، فهى تستهوى الأغرار من المراهقين ، ويقع في حبائلها فتيان نمدهم لنهضة قوية في عصر لا حياة فيه إلا للأقوياء .

إن تلك الصحافة تلهى الشباب عن الجد والاجتهاد ، وبينما يجاهد الوالد والمربى في تثقيف النشء وغرس العقائد الصحيحة والأخلاق القويمة ، إذا بهذا الجهاد العلمى ينهار أمام حرب البيئة ، وما يراه الشباب المراهق من صحافة تصور له ملكات الجمال في العالم ، وتبرز مفاتن الجسد ، وتغريه بالجمال الفاضح المكشوف ، فتظهر له جمال الساقين والذراعين ! .. الى آخر ما في هذه الصحافة الصفراء من قذارة وامتهان للكرامة الإنسانية ، وتوغل في الفساد الخلقى ..!

هذه الصحافة هدفها أن ترى مذهب العراة يروج في الشرق ، فتنحل الأسرة ، ويفسد المجتمع ، إن تلك الصحافة من بقايا آثار المدرسة الاستعمارية التى تهدف الى زلزلة العقائد وهتك حجاب الفضيلة ونشر الرذيلة والفساد ، لكى

يستسلم الشعب لموجات الانحلال الخلقى العام ، ولا يفكر فى الذود عن حياض الوطن والاستبسال فى الدفاع عنه ، بعد أن انهارت منه الأخلاق وهى عصب الحياة ومركز القوة وعنوان الشجاعة والبطولة ..

عن مجلة (رابطة العالم الاسلامى) السعودية

مادتنا الحب !

قال محدثى ، وهو رجل كبير مارس الدعوة الى الله سنين طويلة : « يبدو لى أن أكثر دعاة الإسلام قد تخلفوا عن أداء مهمة هى أخص مهامهم ، وأن تخلفهم عن أداء هذه المهمة هو السبب الأول وراء كل مشكلة تعترض ركب الدعوة وكل عثر يقع فيها .. هذه المهمة هى إشاعة الحب بين القلوب ، إنه كما يختص كل أستاذ بمادة يحسنها ، ولا يضيره ألا يحسن سواها ، فكذلك الداعى إلى اللـــه يختص بمادة الحب : حب الله وتوثيق عرى المحبة بين القلـــوب . ولا يضيره كثيرا إن هو نجح فى مادته أن يقصر فيما سواها ، لأنه حينئذ يكون قد أرسى الأساس الراسخ فى أعماق النفوس ، وهيأ المنبت الصالح لكل الفضائل ، وأقام الحصن المنيع دون أكثر الفتن .

هذا قول حق ، ودعاة الاسلام جميعا فى حاجة الى أن يتدبروه ويطيلـــوا الوقوف عنده ، وأن يحاسبوا أنفسهم ! .

إن كلمة (الحب) هذه ، التى ظلمها الناس ، هى الكلمة الكثيرة التـــى اتسمت بها مواكب الأنبياء وقامت عليها مجتمعاتهم ، وهى « الإكسير » الذى جعل صلة أتباعهم بالخير صلة حقيقية تستعذب فى سبيله العذاب ، كما جعل آصرتهم فيما بينهم آصرة الروح من وراء العقل فلا تختلف باختلاف الرأى ، وفوق المصالح المادية فلا تتأثر بهوى خاص .

وإنك لتقرأ القرآن فتطالع مصداق ذلك ، وتجد مكان هذا الحب أصيلا .. تجده فى مقام الدعوة هو الوازع الذى تستثيره السماء والغاية التى تلفت اليها القلوب :

« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم اللـــه » ، وتجده فى وصـــف المؤمنين : « والذين آمنوا أشد حبا لله » ، وتجده فى وصـــف ما بينهم وبيـــن ربهم : « يحبهم ويحبونه » وتجده فى الحديث عن الخير والشر : « إن الله يحب المحسنين » و « إن الله لا يحب المعتدين » وتجده فى صلة المؤمن بالمؤمن نعمة مزجاة ، يمتن بها الله على عباده مرتين فى آية واحدة : « واذكروا نعمة اللـــه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

وهكذا حيثما تنقلب بين آيات الكتاب الكريم .

وتأتى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يدى الكتاب مليئـــــة بالحب فى كل ايامها ، وهذا قوله صلى الله عليه وسلم ينضح رقة وحبا : « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبونى لحب الله إياى » بل إنك لتشهده دائمـــا كالزارع يتعهد بذور هذه العاطفة فى منابتها بالرى والرعاية ، ويدأب على ذلك بحاله ومقاله ، أما حاله فحال الرجل المليء بالحب يفيضه على من حوله ويتألف قلوبهم بكل سبيل ، وحسبك أن تقرأ فى ذلك المأثور عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم :

يقول أبو سعيد الخدرى : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشـــد

حياء من العذراء فى خدرها ، وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه ، وكان لطيف البشرة ، رقيق الظاهر لا يشافهأ حدا بما يكرهه حياء وكرم نفس » .

ويقول على بن أبى طالب : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسع الناس صدرا ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة » .

ويروى القاضى أبو الفضل : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه ، يتعهد أصحابه ، ويعطى كل جلسائه نصيبه ، ولايحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا ، وصاروا عنده فى الحق سواء ، وكان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب » .

ويقول جرير بن عبد الله : « ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قط منذ أسلمت ، ولا رآنى إلا تبسم ، وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى فى اقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر » .

ويقول أنس : « ما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ، ولم يمد ركبتيه بين يدى جليس له قط ، وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ويكرم من دخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ، ويعزم عليه فى الجلوس عليها إن أبى ، ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه » .

أما مقاله صلى الله عليه وسلم فكثير وافر .. ويرى منه أبو هريرة : « المؤمن من ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » كما يروى عنه صلى الله عليه وسلم : « إن حول العرش منابر من نور ، عليها قوم لباسهم نور ، ووجوههم نور ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم النبين والشهداء ، فقالوا : يا رسول الله : صفهم لنا ، فقال : هم المتحابون فى الله والمتزاورون فى الله » .

بل إنه صلى الله عليه وسلم ليجعل عاطفة القلب فى أداء حقوق الأخوة أصلا لا يتم الإيمان بدونه ، وليست فضلا يتفضل به الأخ على أخيه ، فيقول : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ومن المشاهد العذبة التى تستثير كوامن العاطفة وتوثق أواصر الحب ، ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله : « إن رجلا زار أخا له فى الله ، فأرصد الله ملكا ، فقال: أين تريد ؟ قال : أريد أن أزور أخى فلانا ، فقال : لحاجة لك عنده ؟ قال : لا ، قال : فبم ؟ قال أحبه فى الله ، قال الملك : فإن الله أرسلنى إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه ، وقد أوجب لك الجنة » .

وابلغ من ذلك أن يدفع الرسول أصحابه الى التنافس فى هذا الحب ويؤسس عليه درجات المتحابين عند الله حين يقول : « ما تحاب اثنان فى الله إلا كان أحبهما الى الله أشدهما حبا لصاحبه » .

أرأيت يا أخى كيف كانت « مادة الحب » فى مدرسة الإسلام الأولى ، وفى أستاذها الأكبر صلوات الله وسلامه عليه ؟ أولست ترى معى بعد ذلك مبلغ الحق فيما قاله محدثى ونقلته إليك قبل لحظات ؟ .

عن مجلة (البعث الاسلامى) الهندية

بأقلام القراء

المرأة الصـــالحة

من كلمة للدكتور : عبد الناصر توفيق العطار .

ما أحوج هذا العصر الى المرأة الصالحة : المرأة المؤمنة بربها وبدينها ، المخلصة لوطنها واسرتها ، الساعية الى اداء رسالتها شاكرة لله تعالى صابرة .. المرأة التي تجد طاعة الله تهديها ، وثوب التقى والحياء يسترها ، وطهارة القلب ونقاء السريرة يزينها ، والإخلاص لزوجها واسرتها ووطنها يشغل وقتها .. المرأة التي تعرف حقوقها وتعرف مع حقوقها واجباتها .. حقــاً ، ما أحوجنــا الى المرأة الصالحة !

ما أحوج هذا العصر إلى نساء صالحات مسلمات مؤمنات قانتات تائبــات عابدات سائحات .. نعم مسلمات والإسلام طريق الصلاح ، طريق الاستقامة ، طريق العلم ، طريق الهداية ، نعم مؤمنات بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، لا يفرقن بين احد من رسله ، وقلن سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .. قانتات طائعات ، والطاعة تاج المرأة في أعين والديها وزوجها ، وسبب رفعــة شأنها عند ربها وقومها .. تائبات راجعات الى أوامر الله عز وجــل وأوامر رسوله عليه الصلاة والسلام ، مستغفرات لما فرط منهن من ذنوب ، عابدات لله تعالى ، ذاكرات له خاشعات راكعــات ساجدات صائمات .. (فالصــالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله) .

تلك هي صفات ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم للنساء الصالحات : ((وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، إذ قالت رب ابن لي عنــدك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين . ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبــه وكانت من القانتين)) .

يا نساء هذا العصر .. ما أحوجنا الى المرأة الصالحة .. يا نساء هــذا العصر ، ها هن أخواتكن من قبل أسرعن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعنه على كل ما يكسبهن صفة الصلاح ، فسجل الله عز وجل لهن هذا الصنيع في قرآنه المجيد حيث قال : ((يا أيها النبي إذ جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ، ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتــان يفترينه بين أيديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، إن الله غفور رحيم)) .

فبايعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمان صحيح ، وعقيــدة سليمة ، ونظافة يد ، وطهارة عرض ، وسمو روح ، وعلو همة ، وشرف نفس ، وحفاظ على مكارم الأخلاق ، فأبشر بها من بيعة !

تلك صفات المرأة الصالحة وهذه مكانتها في الإسلام .. ولا غرو فلها المكانة

العظمى .. إنها قريبة من رضوان الله عز وجل ، قريبة من رضاء رسوله عليه السلام ، قريبة من حب أبويها وزوجها وقومها .. فإلى شبابنا الذى يبحث عن الحب والسعادة والدفء والحنان نقدم نموذج المرأة الصالحة ..

عمـــورية

ومن كلمة الأستاذ محمد على الطعمى .

ظهر خليفة المسلمين على أقربائه وأصدقائه وأبناء شعبه ، وراح يداعبهم ويلاطفهم وينتزع منهم السرور انتزاعا ، ثم زاد احتفاء الخليفة بهم ، فقدم إليهم الفاكهة الطازجة والحلوى النادرة والمشروبات المرطبة التى ملأت قصر الخليفة بمناسبة هذا الاحتفال العظيم ..

وكيف لا يحتفل الخليفة بهؤلاء المواطنين ، ويزيد فى بهجتهم ويضاعف من سرورهم ، وقد انتصر انتصارا ساحقا فى حرب (بابك الخرمى) الذى انزلق عن تعاليم الدين ، وكاد يحدث فتنـــة جريئة مؤداها الاستخفاف بشريعة الإسلام ؟؟

وفجأة ، ومن غير مقدمات اهتزت يد الخليفة اهتزازا ، وارتعشت أسارير وجهه ، واحمرت عينـــاه ، وانتفخت أوداجه ، وتغير كل شىء فيه ، ثم زمجـــر زمجرة عنيفة ، وقال فى صوت رهيب :

ـــ هاتوا لى السيف ، إنها الحرب ، ولا شىء غير الحرب ، وعلى الجيش أن يتحرك فورا ، وعلى قائده أن ينفذ الأوامر ، ويتعجل المسير ، والا أصـــابت المسلمين معرة ، ولحقت المروبة سبة لن تزول ..

قال القائد فى أدب جم واحترام بالغ :

ـــ مولاى فى غمضة عين سأجمع الكتائب ، وأعبىء الذخيرة ، وتمضى بنا الى حيث تريد ..

ـــ تحرك بسرعة جبارة ـــ أيها القائد ـــ سرعة تكون أزيد من اللازم ، ولا تنبس ببنت شفة ، ولسوف أحملك مسئولية التأخير ومغبة التعويق ـــ وأعلم إن كنت لا تعلم ، أن تاجرا قدم من مدينة (زبطرة) وأسر إلىّ بأن امبراطور الروم فاجأها ضحى بجيش عرمرم ، وأصلاهـــا نارا حامية ، ثم أباح هـــذه المدينة المسلمة ، وأباح أموالها ، وقال لى التاجر فيما قال : إن امرأة عربية أسرت ، وحين سيقت الى السجن صرخت قائلة : (وامعتصماه) فأحسست بعمق الجرح ، وخطورة الضربة ، ذلك لأن (زبطرة) بلد أحمل لها ذكريات من الماضى البعيد ، فقد ولدت تحت سمائها ، وقضيت مدارج صباى فوق أرضها ، فلا بد من الثأر الفظيع ، والانتقام العاجل ، من هؤلاء الروم المناكيد الذين يفســدون فى الأرض ولا يصلحون ..

ـــإذن الى أى المدن أتجه بالجيش يا مولاى ..؟

ـــ كان فى الإمكان أن نضرب القسطنطينية عاصمة الروم ، ونبيد كل شىء فيها ، ولكن الى عمـــورية مسقط راس الامبراطور لتكون عبرة لهـــؤلاء العجم الأنذال ...

ـــ مولاى .. إن مدينة عمـــورية عزيزة على الروم ، ومن عزتها عليهـــم احاطوها بأسوار عالية ومنيعة ، وفى غابر العصور استعصى فتحها على الملك كسرى أنو شروان ، وتؤكد روايات التاريخ أن الاسكندر الأكبر الذى هز الدنيـــا تخطى عمورية ، ولم يغزها خوفا من مقاومتها ورهبا من ضراوتها .. فلنضرب (أنقـــرة) .

ـ لا تجادلنى فى شىء ـ أيها القائد ـ ولسوف أضرب عمورية نفسها ، عمورية ذات الأسوار المنيعة والقلوع المحصنة ..

ومضى الخليفة المعتصم فى طريقه لا يلوى على شىء ، ومن ورائه جيش لجب زاخر ، تكاد قوته الحسية والمعنوية تهد الجبال هدا ، فدخل بلاد الروم ، ومر على (أنقرة) مرور الكرام ، ثم وقف على عمورية ، فرآها شامخة البنيان تحوطها المتاريس الحديدية ، والصخور الحجرية ، وهنا تذكر قول المنجمين الذين زعموا أن هذه الحملة العربيـــة صائرة الى الخيبـــة والهزيمة ، وقولهم : إن عمورية لا تفتح إلا فى فصل الصيف ، موسم العنب والتين ، وتذكر كسرى أنو شروان يوم أن غزاها وفشل فى غزوها ، وتذكر الاســـكندر الذى تخطـــاها بجحافله دون أن يمسها بسوء ..

تذكر الخليفة هذا كله ، لكنه لم يقم وزنا لهذه الاعتبارات ..

وضيق الخليفة الخناق على عمورية ، وهجم عليها بكل طاقاته الفائقة ، ورجالاته الأبطال ، ومع ذلك لم يتقدم شبرا واحدا ، ولم ينل منها نيلا ، وتذكر روايات التاريخ أنه وقف تجاهها خمسة وخمسين يوما ، والمدينة صامدة ، كأنها تتحداه أن يفعل شيئا مذكورا ..

وفى ليلة خرج الخليفة المعتصم يتفقد قواته المسلحة ، ويذهب عن نفسه ما ألم بها من ضيق ، ولعله يجد وسيلة الى ضرب عمورية .. وجاءت الصدفة .. الصدفة وحدها ، فقد سمع الخليفة جنديا يحدث رفاقه ويقول .. عندى خطة منظمة ودقيقة ، وبها يمكننا أن نفتح تلك المدينة العاتية ، ولو استدعانى الخليفة لشرحتها له تفصيليا ، وفجأة وقف الخليفة على رأس ذلك الجندى ، وطلب منه أن يوضح فكرته التى فاقت حد الخيال ، قال الجندى ـ مولاى ـ إن المدينـــة وأسوارها أبنية خشبية وما علينا إلا أن نجمع النبال ، ونحمى النفط حتى يشتد ، ثم نلف هذه النبال بخرق ونغمسها فى النفط ، وعندما تشتعل نقذفها على تلك المدينة ، فتلتهب التهابا وتحدث جزعا فى نفوسهم ..

أصغى الخليفة الى تلك الخطة الجهنمية باهتمام ، وفكر فيها مليا ، فأمر بتنفيذها ، وسرعان ما شدت النبال ورميت رميا ثقيلا كريها ، فأحدثت فى عمورية حريقا بالغا وانفجاراً مدويا ..

كان حتما أن تشتبك النار بالأبواب والشبابيك والخشب والقش ، فأحالته جميعا الى أكوام من رماد ، فتهدمت الأسوار والحصـــون ، وفتحت عمـــورية شوارعها ، فدخلتها القوات العربية سراعا ، لكنها فوجئت بقوات العـــدو على أهبة الاستعداد فالتحم الجيشان فى معركة مريرة تجعل الولدان شيبا ، وما هى إلا جولة حتى تقهقر أعداء الله ، وبانت عليهم السخائم والهزائم ، فعرض قـــائد الروم على الخليفة أن يأخذ من الأموال ما يشاء فى سبيل أن يترك المدينة ، فرفض الخليفة بشدة ، وقال ما جئنا طمعا فى السلب والنهب ، وإنما جئنا لتأديب هؤلاء المنحرفين الذين اعتدوا على (زبطرة) وزعزعوا أمنها وعاثوا فى أرضها فسادا .

ووقف المعتصم فى ميدان عمورية يزهو بجيشه العنيد وكردوسه الضارب ، وقواده الصناديد ، وحانت الصـــلاة ، فأمر بإعلامها ، فدوى المـــؤذن بحنجرته بصوته الكروانى الجميـــل : الله أكبر ، الله أكبر .. فردد المســـلمون التهليل والتكبير ، ولما انتهى الخليفة من صلاته جاءته المرأة العربيـــة التى استصرخته بقولها : (وامعتصماه) جـــاءته لتشكره وتقدم له باقات التهنئة والانتصـــار ، فقال لها : (لبيك يا أختاه) .



إعـداد : فهمى الامام

الكـويت : ادى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم صلاة عيد الأضحى فى مسجد السوق الكبير يرافقه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وكبار الشخصيات .

- استقبل سمو الأمير المعظم فى قصر السيف العامر صبيحة عيـد الأضحى جموع المهنئين الذين توافدوا على سموه لتهنئته بالعيد .
- شكلت الوزارة ثلاث لجان للاعداد لمؤتمر وزراء الأوقاف الذى سيعقد فى الكويت فى فبراير القادم .
- احتفلت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الهجرة النبوية الشريفة فى مسجد السوق الكبير ونقل التليفزيون والاذاعة وقائع الاحتفال .
- طالب اعضاء مجلس الأمة الكويتى بتقديم الدعم المالى للدول الإفريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل .
- قامت بعثة من ركن التوجيه المعنوى فى الجيش الكويتى بزيارة لواء اليرموك المرابط على قناة السويس ، ونقلت تحيات الضباط والجنود الى أهليهم وذويهم .

مصـر : استقبل الرئيس أنور السادات السيد ياسر عرفات .. وبحثا القضية الفلسطينية .

- فى شهر مارس القادم يزور الكويت وفد من مجلس الشعب المصرى تلبيـة لدعوة من مجلس الأمة الكويتى .
- افتتح فى معهد اللغات الحية فى جامعة إسلام اباد قسم جديد لتعليم اللغة العربيـة ، وقد أوفدت الحكومة المصرية عـددا من المدرسين بجامعة الأزهر للتدريس بهذا القسم .
- قام وفد سعودى برئاسة الأستاذ حسن كتبى وزير الحج والأوقاف بزيارة لمصر اجتمع خـلالها بوفد من وزارة الأوقاف المصرية برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود وزير الأوقاف المصرى .. وقرر الوفدان تنسيق العمل الإسلامى الذى تقوم به الوزارتان والاستعانة ببعض خريجى الأزهر من العلماء والدعاة والوعاظ .
- طالب مجلس اتحاد جامعة القاهرة بإدخال الدين فى مناهج الدراسة لجميع سنوات الدراسة الجامعية .

السـعودية : قام جلالة الملك فيصل بغسل الكعبـة المشرفة بحضور الأمراء والوزراء وكبار الشخصيات الإسلامية ورؤساء بعثات الحج .

- اشتركت ٢٢ محطة إذاعة فى نقل شعائر الحج من عرفات ومنى والحرم .
- تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ ٤٥ الف دولار لشراء منزل (بيت المسـلم فى

أمريكا) وذلك مساعدة منجلالته للاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية .

● بلغ عدد الحجاج الذين أدوا فريضة الحج هذا العام من داخل السعودية وخارجها قرابة مليون ومائتى الف حاج .

ليبيا : عقدت اجتماعات بين الرئيسين المصرى والليبى من أجل تدعيم الوحدة بين البلدين ووضع خطة مشتركة لمواجهة الوجود الصهيونى .

● صدر قرار بقطع يد السارق وذلك بعد تنظيم أداء فريضة الزكاة ، وتحريم الربا .

المغرب : صرح وزير المالية بزيادة مصروفات التعليم والدفاع فى العام الحالى فقد خصص ربع الميزانية للتعليم فى المملكة .

الأردن : نظرا للظروف الراهنة التى يمر بها الوطن العربى ألغيت جميع الاحتفالات والمراسم الرسمية التى تقام عادة بمناسبة عيد الأضحى ، واقتصر على أداء الشعائر الدينية .

سوريا : وقعت عدة اشتباكات مع العدو الصهيونى أظهر فيها الجيش السورى بسالته وقدرته على رد العدوان وردع المعتدين .

لبنان : أقام الطلاب المسلمون فى الجامعة اللبنانية صلاة الجمعة فى باحة قصر الأونيسكو أمام وزارة التربية والتعليم ، وكان الطلبة المسلمون قد طالبوا بإتاحة الفرصة لهم حتى يتمكنوا من اداء الصلاة ، وذلك بتعليق الدروس وقت الصلاة .

قطر : تبنى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير قطر مشروعا للحفاظ على كتب التراث العربى ، ويتم تنفيذ المشروع على نفقة سموه الخاصة ..

● أخبار متفرقة ●

● **فرنسا :** قامت مظاهرات فى باريس احتجاجا على زيارة رئيسة وزراء العدو الصهيونى لفرنسا ، وطالب المتظاهرون باعادة الشعب الفلسطينى الى وطنه ، وحقه فى تقرير مصيره .

● **تشاد :** صادقت جمهورية تشاد على ميثاق المؤتمر الإسلامى وبذلك تكون جمهورية تشاد هى الدولة الخامسة عشرة التى تصادق على هذا الميثاق .

● **ماليزيا :** أكد رئيس وزراء ماليزيا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى يمكن عن طريقه تحقيق الوحدة الوطنية فى ماليزيا .

الولايات المتحدة : صدر كتاب جديد هام بالانجليزية بعنوان « خطوات نحو فهم الاسلام » ألفه المستشرق المنصف اريك بيتمان .

روسيا : ذكرت مصادر العدو أن عدد اليهود الروس الذين هاجروا الى اسرائيل فى عام ٧٢ م بلغ ٣٢٫٠٠٠ يهودى ، وهو ضعف المهاجرين الروس عام ٧١ م .

أندونيسيا : احتفلت جمعية المحمدية الاسلامية فى جاكارتا بمضى ستين عاما على انشائها ، وهى أضخم مؤسسة تعليمية فى أندونيسيا .

السنغال : يقوم وفد من رابطة معلمى اللغة العربية بالمدارس الحكومية والحرة فى دكار بالسنغال بجولة فى بعض البلاد العربية لتوثيق الصلة معها ولطلب دعمها فى مشاريع رياض الأطفال لديها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بتعهد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ـ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ـ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ـ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ـ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـدة : مكتبة مكـــة ـ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ـ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ـ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ـ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ـ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مؤسسة دار العروبـــة .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ـ العدد ٩٨ ـ غرة صفر ١٣٩٣ هـ ـ ٥ مارس ١٩٧٣ م.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم

مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك

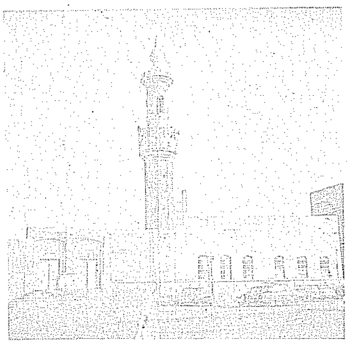
نستعين اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

مشقه مصطفى الراقم المدرس غفر له في سنة ١٢٢٣

نمقه حامد الآمدي نقلها من الأستاذ راقم المدرس سنة ١٣٩٥



مسجد الخليفة

أحد مساجد الكويت الجامعة ، ويمتاز ببساطته وموقعه على شارع الخليج العربى .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (٩٨)

غرة صفر ١٣٩٣ هـ

٥ مارس ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطر

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى — وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ — كويت — هاتف : ٤٢٨٩٣٤ — ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

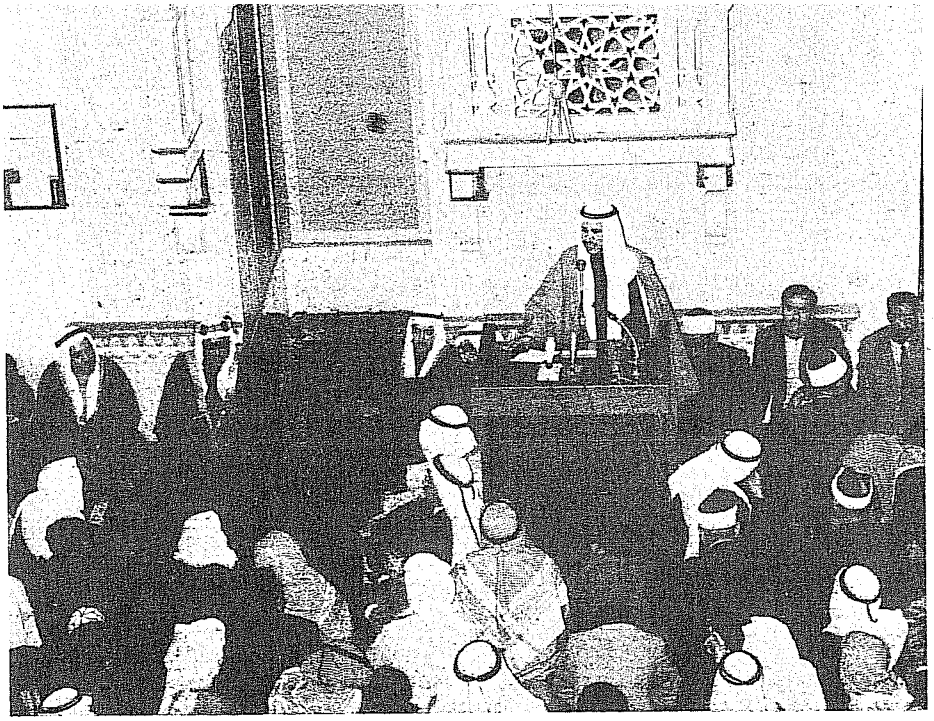
ذكرى الجهاد العظيم

احتفلت وزارة الأوقاف والشـؤون الإسلامية بذكرى الهجرة النبوية الشريفة ــ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ــ وذلك في مسجد السوق الكبير ، وقد ألقى معالي الوزير الأستاذ راشـد عبد الله الفرحان الكلمة التالية في الحفل :

أيها السادة إنه ليسعدني أن أتحدث إليكم في هـذه المناسبة الكريمة مناسبة هجرة محمد صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى المدينة ، وأنا إذ نحتفـل بهذه الذكرى انما نحتفـل بنبينا محمد وزعيمنا وقائدنا وباني نهضتنا .. فاعظم به من نبي رسول وأكرم به من مناضل شريف عظيم .

أيها الأخـوة :

لقد أوذي محمد صلى الله عليه وسلم هو أصحابه في مكة فصبر وثبت ، وناضل بشجاعة وشرف وصدق ، ولكم قاسى من الحرب النفسية ألوانا وصنوفا ، وهذه قصة الصحيفة يذكرها التاريخ فعندما احست قريش بأن أصدقاء محمد بدأوا يكثرون وبأن دعوة محمد بدأت تنتشر في الأرض فما كان منهم بعد أن أسلم عمر وحمـزة الا أن اجتمعوا وائتمروا على محاصرة بني هاشم فأمروهم بالخروج من مكة فخرجوا الى شعب أبي طالب في جبل من جبال مكة ، وهناك تم الحصار عليهم مدة من الزمن ، وبلغ بهم الجهد والنبي صلى الله عليه وسلم معهم ، ولكن الله مع الصابرين فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن الصحيفة التي كتبت فيها المؤامرة والتي ذكرت فيها المعاهدة أكلتها الأرضة ، أكلت الظلم والجور منها ولم يبق فيها إلا



باسمك اللهم فقط ، فعلمت قريش بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وأهله وصحابته وعشيرته من هذا الحصار وكان قد واجه ألوانا وصنوفا شتى من الأذى والعذاب ولكنه كان يقابل كل ذلك بصبر وحزم ، وكان يقول دائما : اللهم أهد قومى فانهم لا يعلمون ، ثم سار إلى المدينة ووصلها فوجد الجبهة مفككة مفرقة ووجد الاختلاف ، وجد قبيلتى الأوس والخزرج تتقاتلان . ووجد مشكلة إيواء المهاجرين . ووجد الفقر فى الانصار ، ووجد الفتن ، فتن اليهود ومؤامراتهم ضد الدولة ، وكانت الحرب النفسية على أشدها : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » .

فكان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أوجد الوحدة بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وعقد بينهم أخوة ثبتت أركان الدولة على أساس من الحرية ، حرية العقيدة وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة ، وبذلك قضى على فتن اليهود ومؤامراتهم ضد الدولة عندما تحققت الوحدة ، لأن بالوحدة يمكن أن يعمل القائد ، وبالوحدة يمكن للأمة أن تنتصر ، وتم له النصر على المشركين فأقام الدولة ونشر الرسالة .

أيها السادة :

إن الاسلام عقيدة وشريعة وطريقة وفكرة .

اما الفكرة فهى ذلك النظام العظيم وتلك الحضارة التى وصلت الى المشرق والمغرب وأنارت الدنيا بأسرها .

إن رسالة محمد التى نحتفل بذكرى مؤسسها هى خلق جديد للعالم ، هى خلق جديد للانسانية ، خلقت انسانا كاملا ، أعلى شان الحضارة الانسانية والحضارة العربية .. انها لم تأت بطقوس وامور مفككة مفرقة لا أساس لها ، وإنما جاءت بأسس وأركان وفكر عظيم فأول ما خاطب الانسان بالفكر والعقل والقلب فقال لهم القرآن : ((أفلا تذكرون)) ، ((أفلا تعقلون)) ((أفلا يتدبرون القرآن)) وبلغ عدد الآيات التى تخاطب القلب والفكر مائتين وخمسا وسبعين مرة فى القرآن ، ثم دعاهم الى العلم : ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) . ((انما يخشى الله من عباده العلماء)) . ووردت كلمة العلم فى القرآن نحو سبعمائة وستين مرة ، وجاء بعد ذلك النظر فى السموات والأرض بعد أن يعمل الفكر والقلب يجب أن يتحرك النظر ((قل انظروا ماذا فى السموات والأرض)) وليس النظر المقصود فى الآية هو مجرد العين وانما يجب أن ينظر الى ما فى السموات من كواكب وما فيها من نجوم وما فيها من طبقات وما فيها من علم . يجب أن نعرف الفلك ويجب أن نتعلم ما فى الفضاء حتى نعرف ما معنى ((أنظروا ماذا فى السموات)) وأنظروا ماذا فى الأرض أنظروا الى طبقات الأرض ، أخرجوا من الأرض المعادن التى فيها حياتكم وفيها معاشكم . وبلغ العدد فى هذا الخصوص مائتى مرة فى القرآن . ويوجه القرآن الناس الى دراسة أحوال الأمم السابقة : ((قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)) . أدرسوا علم التاريخ ، أدرسوا علم الآثار ، أنظروا ((قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)) ((قل سيروا فى الأرض ثم أنظروا كيف كان عاقبة المكذبين)) ((قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل)) ووردت فى هذا الخصص أثنا عشر مرة تحث على النظر . والسير المقصود والنظر هنا ليس المقصود به هو السياحة لأن آيات السياحة وردت فى غير هذا المقام ، ثم بعد النظر وبعد تقليب الفكر والعلم يكون العمل : ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)) وردت فى هذا الخصوص — أى العمل — ثلاثمائة وثمانون مرة تحث على العمل .

إن رسالة الاسلام لم تأت للعبادة فقط ، ولم تأت للرهبنة ، وإنما جاءت للعلم والعمل والتفكر والنظر .

هكذا يراد للمسلمين ، وهكذا يراد لأمة الاسلام أن تتحرك ، لأن الاسلام دين وعمل ، فكان العلماء من رسالة الاسلام ، كان الأطباء وكان المهندسون وكان الصيادلة وكان المؤرخون ، وقامت المساجد ، وقامت المدارس ، وقامت المستشفيات وقامت الدولة العربية الاسلامية التى هزت المشرق والمغرب ولا يزال المستشرقون يترجمون كتب العرب والمسلمين الى وقتنا الحاضر .

والآن أيها المسلمون أصبحت حالنا غير حالنا بالأمس فقد تفرقنا وبعدنا عن رسالة الاسلام ، وصرنا نذهب الى المشرق والمغرب نلتمس العلم ، ولا بأس فى ذلك ، أن نلتمس العلم « أطلبوا العلم ولو فى الصين » ولكننا يجب أن نلتمس العلم النافع والعمل الصالح .

وفى هذه المناسبة أود أن أقول فى هذه الذكرى ذكرى الجهاد العظيم والنضال المرير يجب أن يتعلم أصحاب الأفكار والاتجاهات اليسارية المتطرفة وأصحاب الأفكار والاتجاهات اليمينية الرجعية ، يجب أن يتعلموا كيف يكون النضال وكيف يكون الجهاد وكيف تكون خدمة الأوطان والاخلاص للأمة ، يجب أن يسلكوا طريقا شريفا ، ويجب أن يصدقوا فى أقوالهم وأعمالهم حتى يكونوا قدوة لغيرهم .

وأود أن يتذكر الذين أنعم الله عليهم بالمال من الدول والأفراد يجب أن يتذكروا بأن لهم اخوانا مسلمين فى المشرق والمغرب وفى جنوب آسيا وفى أفريقيا وفى أوروبا وفى جميع انحاء العالم هم فى حاجة لمساعدتهم المادية والمعنوية ، فيجب أن يسهم من أنعم الله عليهم بالمال فى الدعوة الاسلامية بأموالهم وأن يوظفوا رءوس أموالهم فى البلاد الاسلامية بدلا من أن يوظفوها فى البلاد الكافرة الاجنبية فان لهم فى ذلك خيرا فى الدنيا وأجرا فى الآخرة .

وانى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد علينا هذه الذكرى وقد اجتمعت كلمتنا وتوحدت صفوفنا وتناسى زعماؤنا ورؤساؤنا خلافاتهم فاننا بتوحيد الصف نتغلب على أعدائنا ، نسأل الله سبحانه وتعالى العزة والنصر والوحدة ، وحدة الكلمة ، ووحدة الصف ، والله سبحانه وتعالى هو مجيب الدعوات وهو خير الناصرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من هدي السنة

درس من النبوة

للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

« اخرج ابو داود عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا فى سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه فى راسه ، ثم احتلم ، فسأل اصحابه : فقال : هل تجدون لى رخصة فى التيمم .. ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء ، فاغتسل فمات ، فلما قدمنا على النبى صلى الله عليه وسلم اخبر(١) بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله ، الا سألوا اذا لم يعلموا ، فانما شفاء العى(٢) السؤال ، انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده » .

وفى مسند الإمام احمد عن ابن عباس رضى الله عنهما : ان رجلا اصابه جرح فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصابه احتلام ، فامر بالاغتسال فمات ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « قتلوه قتلهم الله ، الم يكن شفاء العى السؤال » (٣) .

١ — درس نعم هو ، وإرشاد كريم ما اقومه ، فكم قتل الجهل اقواما ، وكم احيا العلم آخرين ، ومصدر التوجيه هنا هو من كانت حركاته وسكناته ، ونومه ويقظته ، وسيره وتوقفه ، وجهاد وسلمه ، وجده ومزحه ، سنة وهداية وقدوة واسوة ، فما حظيت الانسانية قمة الكائنات بمثل يشابهه او يقاربه فى حدبه عليها ورفقه بها ، وعطفه على مسيئها ، وحبه لمحسنها ، وقف عليه افضل الصلاة وازكى السلام جهوده على تعليم البشرية وارشادها صادعا بأمر ربه

الذى اصطفاه وختم برسالته رســـالات السماء ، وما تركها الا على المحجة البيضاء ، حين جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين اله افواجا ، واكمل الله الدين وأتم نعمته ، ورضي للبشرية الاســلام دينا ، حاطه بالعلم وأوجب التعمق في النظر ، والزم متابعة الدرس ومواصلة البحث ، والنفوذ الى اغوار الأشياء والخلوص الى اسبابها ومسبباتها ، ومداخلها ومخارجها ، ففي كل شيء له آية ، وفي كل اثر برهان يفتح الأذهان ويزيد الإيمان ويجلى للعيان آثار قدرة الرحمن وما عليك لكي تدرك مدى حرص سيد الرسل صلى الله عليه وسـلم على إرشاد أصحابه وحملهم على المعرفة حملا قويا إلا ان تراجع قليلا احواله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام في مجالسه معهم وأقواله الملقاة اليهم ، وطيب الكلم الذى صدر عنه في أسلوب سهل واعجاز ما فاقه إلا إعجاز القرآن ، حيث تجد العبارة المنتقاة التي تأخذ طريقها الى القلوب في يسر ورفق ، فتعمل عملها المبتغى ، ويظهر أثرها المرتجى انعكاس خير على المجتمع الذى تسيطر عليـه والقوم تحميهم من غائلة انفسهم وعاديات الخصم الألد الا وهو الجهل وما الجهل إلا (مكروب) فتاك وداء قتال وعودة الى مسارى الغابات وعيش في دياجير ظلام ، وسد حائل دون كل كريمة ، ودافع قوى ضد كل رقى ، استمع الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فيما رواه الإمام احمد وأخرجه البخارى وغيرهما : ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)) . ودين دون فقه غباء وبلاء وتخبط في عمياء مجهل .

ويروى ابن ماجه والترمذى قوله عليه الصلاة والسلام : ((فقيه واحد اشد على الشيطان من ألف عابد)) فالعابد لنفسه عمل وربما ضل الطريق لأنه لم يدرس معالمها قبل الولوج فيها ، وأما الفقيه الفاقه للدين فشـــمس تبعث الحياة في الوجود ، وتقشع غياهب الظلام ، وتوضح للسالك دروب سبيله ، والفقيه ناج يأخذ بيد غيره الى النجاة ، ويجنبه مهاوى الهلاك ، وقد جعل سيد الخلق طلب العلم فريضة على كل مسلم في خلاصة حديث رواه انس واورده ابن ماجه في سننه ، ولم يكن فيما أوجبه من العلم على المسلم اقتصار قط على علوم الدين البحتة ، بل الزم عمليا بعض أصحابه بتعلم ما يوصل الى كل معرفة كونية ، وما يبين عن علوم الآخرين في ثقة وأمانة ، ولو كان هذا في غير لغة القرآن وبعيدا عن مسالك يعرب ولسان قحطان وفصاحة قريش ، فها هو ذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يعجب ويسر بزيد بن ثابت ويرى عليه دلائل النبوغ واضحة في حفظه لبعض سور التنزيل ، وهو لا يزال في سن مبكرة يقول له : ((يا زيد تعلم لى كتاب يهود ، فإني والله ما آمن يهود على كتابى)) وفي وجه آخر من الرواية يقول له : ((إني أكتب الى قوم فأخاف أن يزيدوا على او ينقصوا ، فتعلم السريانية)) قال زيد : ((فتعلمتها في سبعة عشر يوما)) ويرد هذا الخبر وأكثر منه في طبقات ابن سعد وتاريخ دمشـــق لابن عساكر .

٢ — وأول مكان نستطيع ان نطلق عليه اسم مدرسة هو المـــكان الذى قامت فيــه دار الأرقم بن الأرقام باعتبار المدرســة هي المكان الذى تتلقى فيه دروس محدودة المعالم واضحة الأهداف بينة المناهج يقوم عليهـــا معلم أو معلمون يحسنون التوجيه ، ويجيدون الأداء ، ويفقهون كل ما يلقون الى تلاميذهم ويحرصون على استيعابهم لكل ما تحتوى عليه مناهج دراساتهم ، فقد كانت

تلك الدار مكان اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه الأوائل حين كانت الدعوة تدب في مكة دبيب البرء في السقم فتشفي عقـولا مستعدة من امراضها الجاهلية ، وكانت تتلقى الدروس سرا ، حيث كان الحواريون الأول يتذاكرون ما ينزل من كتاب الله ، ورسول الله يعلمهم مبادىء الاسلام ، ويأمرهم بحفظ ما يسـتطيعون حفظه عن ظهر قلب غيب ، ومن هذه الدار دار الأرقم خرج رسول الله بين صفين من المسلمين ، يتصدر أحدهما حمزة بن عبد المطلب ، والثاني عمر بن الخطاب ، وكان لهما كديد ككديد الطحين ((أي غبار متصاعد يشبه ما يتصاعد من الطحين)) وبعدها صارت الدعوة جهارا نهارا ، وأصبح بيت رسول الله هو الندوة التي يتلاقى فيها المسلمون ، وظلت كذلك حتى هاجر الجميع الهجرة الكبرى الى المدينة المنورة (يثرب) وهناك بني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقامت دور نسائه أمهات المؤمنين الي جواره ، فكان من أثره في حياة المسلمين ما جعل كل أحوالهم عبـادة وطاعة يتلقون الكتاب والحكمة ، ويطبقون ما اشتملا عليه من تشريعات وأحكام تطبيقا دقيقا بكل ما اشتملت عليه الدقة من معان ، وكان جوابهم على كل ما يسمعون من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)) ، وما كان تعليم الرسول لأصحابه ليتحدد بمكان أو زمان ، فقد حفلت دور المهاجرين بلقاءات معه صلى الله عليه وسلم ومجالسهم الخاصة وطرق المدينة وحوائطها ، فكلما التقى فرد برسول الله وجهه الى الخير ودعاه الى اجادة العمل ، وأوضح له ما أغلق عليه ، وبين له ما أشكل ، تستوقفه عجوز فيتحدث اليها ، ويلقى غيرها فلا يغادره حتى يبدأ بالمسير ، ويمد يده مصافحا ، وتبدى قسمات وجهه الشريف نورا يجذب الناس إليه ويكأنهم عليه ، وهو دائمـا صابر محتسب مبتسم لا يثقل على أصحابه ، وإنما يتخولهم بالموعظة ليستطيعوا استيعاب ما يلقى اليهم فعن ابن مسـعود رضى الله عنه قال : ((كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)) كما ورد في مسند الإمام أحمد ، كما كان سيد الخلق يتحدث الى كل فئة من الناس بما يناسبهم ، وبما يستطيعون إدراكه إدراكا تاما ، فله صلى الله عليه وسلم مع البدوى أسلوب يغاير أسلوبه مع الحضرى ، كما كان يضرب الأمثال شرحا لغامض أو جلاء لخاف أو فتحا لمستغلق أو تفهيما لمن حال استعداده دون إدراك ما يلقى اليه بادىء ذى بدء ، فقد جاء في صحيح مسـلم ما نصه : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل من بنى فزارة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتي ولدت غلاما أسود وإنى أنكرته ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : ((هل لك من إبل ؟)) قال : نعم ، قال : ((فما الوانها ؟)) قال : حمر . قال : ((هل فيهما أورق))(٤) ؟ قال : إن فيها لورقا . قال ((فأنى أتاها ذلك ؟)) قال : عسى أن يكون نزعه عرق . قال : ((وهذا عسى أن يكون نزعه عرق)) .

وكان هذا جوابا شافيا حاسما في موضوع السؤال لا يمكن للسائل أن يعقب عليه بنفى أو إنكار ، فقد حاوره المصطفى محاورة تركزت على ما يجرى في بيئته ، ويتحرك أمام عينيه وتلمسه حواسـه ، فهل له بعد ذلك أن يكرر ((وإنى أنكرته)) ؟ .

ذلك لعمر الحق برهان واضح على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ، وأن ما يلقى اليه إن هو إلا وحي يوحى ، وإلا فبأى شيء يوصف ما يصدر عنه من قول حكيم ، وتطبيق مستقيم ، وتوجيه ما له نظير ، أتلك عبقرية ، اذلك ســـلامة فطرة ، وإن كانت فمن وهبهـــا ومن فطرها ومن هداها في تلك الحقب القفراء من العلم والمعلم ، من الكتاب والــكاتب ، من النضـــوج العقلي وفقه العقلاء لا محيص أن نقول مصـــدر كل ذلك هو العليم الخبير الذى اصطفى وعلم واختار وأرشد ، وأرســـل رسوله وآتاه الحجـــة البالغة ، ومنحه الحكمة وفصل الخطاب ، ولجمال ذلك الأسلوب في التعليم والتوجيه نسوق مثالا آخر أورده الطبرانى في الكبير : ((قال الراوى : اتى النبي صلى الله عليه وسلم فتى من قريش فقال : يا رسول الله ائذن لى في الزنا فأقبل القوم عليه وزجروه ، فقالوا : مه مه !! (لكن ســـــيدنا الحبيب المصـــطفى) قال : ادنه فدنا منه قريبا ، فقـــــال : ((أتحبه لأمك ؟)) قال : لا والله ، جعلني الله فداك . قال : ((ولا النـــــاس يحبونه لأمهاتهم)) قال : ((أفتحبه لابنتك ؟)) قال : لا .. والله .. يا رسول الله جعلني الله فداك .. قال : ((ولا الناس يحبونه لبناتهم)) ـــ ثم ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخته وعمته وخالته ، وفي كل ذلك يقول الفتى مقالته : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك ـــ قال : فوضع يده عليه وقال : ((اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه)) قال الراوى : فلم يكن هذا الفتى يلتفت بعد ذلك الى شيء)) كما ورد عن البخارى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا تكلم يكرر القول ثلاثا لكى يفهم عنه ، وعن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يسرد الكلام كسردكم ولكن كان إذا نطق تكلم بكلام فصل(٥) يحفظه من سمعه ..

وفى رواية أخرى : إنما كان النبي يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه ، ولم يقبل أبدا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام أن يطريه أصحابه أو يطيلوا الثناء عليه ((إلا بالصيغ التى صحت عنه)) ففي مسند أحمد أنه صلى الله عليه وسلم قال لبعض أصحابه يوما : ((لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله)) .. وأنه ـــ وإن كان كل توجيه وحكم وتعليم وارد في الكتاب والسنة منه ما يعم النساء والرجال جميعا ، وإن ورد الخطاب للمذكر وخاصة في العقائد وأصول الدين ـــ فمع هذا نجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خص النساء بمجالس خاصة حين قلن له : يا رسول الله ما نقدر عليك في مجلسك من الرجال فواعدنا منك يوما نأتيك فيه ؟ قال : ((موعدكن بيت فلان)) وهناك لقيهن وتحدث اليهن مجيبا عن كل ما وجهن من أسئلة ، كما حكى ذلك البخارى ومسلم وغيرها ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها : ((نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)) فقد كن لا يتحرجن في الاسئلة مهما كانت ما دامت ترمى الى فهم ما استغلق عليهن من أمور دينهن رضى الله عنهن جميعا ، روى البخارى أن امرأة (٦) جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ((يا رســــول الله ، إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت)) ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إذا رأت الماء)) فغطت أم سلمة ـــ تعنى وجهها ـــ وقالت : يا رسول الله ، أوتحتلم المرأة ؟ قال : ((نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها ؟)) .

٣ ـــ والحديث الشريف موضوع البحث يكشف عن خبيئة نفس المتطاول الى مستوى لم يهيأ له ، ولا تسمو به مؤهلاته اليه ، فهو يريد الصدارة وما تليق

به إلا المؤخرة ، وتلك صورة تمر كثيرا فى حقب الزمان المتباينة ، وبين كل أرباب الوظائف والحرف المختلفة ، فكم من صريع على يد مدعى النطاسة ، وكم من جاهل يبدى للعامة أنه نقريس(٧) ، وما أكثر ما يتصدرون للفتيا وهم من الجهالة بمكان ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، وهذه أحوال يجب أن يبتعد عنها وينفر منها من ينتسب الى الاسلام دين الحق الواضح والعلم النـــافع ، ولهذا نجد ونلحظ هنا فى حديث سيدنا الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء بالموت والهلاك لأولئك الذين افتوا بغير علم فاماتوا صاحبهم ، ويقول فى جلاء واشراق ما معناه : هلا اســتعملوا من غيرهم ممن هو أدرى منهم بالحـــكم إذ جهلوا وحين اغلق عليهم الأمر ، ويشرح حالهم المتهافت ، وأنهم لا يستحقون الحياة ، لأنهم هم مرضى وجهلة ، ومع هذا لم يحاولوا شفاءعيهم ويتغلبوا على قصور معارفهم بسؤال من يعلم : « قتلوه ، قتلهم الله ، الا سالوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العى الســؤال » ولعل الذين يتجــرأون على الله ، ويفتون بما لا يعلمون أن يتخلوا عن كبريائهم المتكلف حتى لا يكونوا وقودا للنار ، فقد ورد فى الأثر : أن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان إذا ســئل أحال السائل على سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فيقال له فى ذلك فيقول : « أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسورا يوم القيامة تقولون افتانا بهــا ابن عمر » ولن يغض من قيمة المسئول حتى العالم أن يقول لا أدرى ، فقد روى عن مالك بن أنس رضى الله عنــــه أنه قال : « من قال لا أدرى فقد أفتى واســتبرأ لدينه » وهذا إذا لم يتعين الافتــــاء على هيئة أو شخص فحينئذ يستعين الله ويتحرى الصواب ، ويتقى الله ويعلمه الله إنه سبحانه نعم الهادى الى سواء السبيل ..

---

(١) بالبناء للمجهول ..

(٢) عى بالامر عيا وهو عيى : عجز عنه ولم يطق إحكامه .. والرجل يتكلف عملا فيعيا به وعنه اذا لم يهتد لوجه عمله .. وعييت فلانا أعياه اى جهلته .. الخ « تراجع مادة : عيا » فى لسان العرب ..

(٣) ورد هذا النص فى مسند الامام أحمد باسناد صحيح ، والنص السابق رواه أبو داود فى سننه والغاية فى النصين واحدة وان اختلفت الرواية .

(٤) الاورق من الابل الذى فى لونه بياض الى سواد ، والورقة (بضم الواو وسكون الراء) سواد فى غبرة (بضم الغين المعجمة) وقيل سواد وبياض كدخان الرمث يكون ذلك فى أنواع البهائم وأكثر ذلك الابل ــ « لسان العرب مادة : ورق » .

(٥) فى لسان العرب مادة (فصل) : وفى صفة كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فصل لا نزر ولا هذر : أى فاصل قاطع .

(٦) فى فتح البارى بشرح البخارى تأليف : الحافظ شهاب الدين أبى الفضل العسقلانى المعروف بابن حجر : ان السائلة هى : أم سليم بنت ملحان والدة أنس بن مالك وأن أم سلمة رضى الله عنها زوج الرسول صلى الله عليه وسلم كانت حاضرة المجلس .

(٧) يقال : نطاسى للطبيب الحاذق بالطب العــــالم بفنونه ، كما يطلق نقريس : على الفطن للامور الفاقه لها ــ « لسان العرب مادة : نطس » .

نظرة فاحصة حول

الإباحة

عند الأصوليين والفقهاء

د. محمد سلام مدكور

الإباحة من باح بمعنى ظهر .. يقول الآمدى : إن المباح مشتق من الإباحة وهي الإظهار والإعلان ، وقد ترد بمعنى الإطلاق والإذن(١) . وقد ذكر الاصوليون عدة تعريفات لها ، وللمباح والذى انتهينا الى اختياره(٢) هو ما ذهب اليه الآمدى من أن المباح : ما دل الدليل السمعى على خطاب الشارع بالتخيير فيه بين الفعل وتركه من غير بدل .. وأن الإباحة على هذا دلالة خطاب الشارع على التخيير بين فعل الشيء وتركه من غير بدل .. وبذا يخرج عن دائرة الإباحة هنا تخيير العباد فى الكفارات عن حقيقة الإباحة لأنه تخيير بين أمور يجب فعل واحد منها أى تخيير الى بدل .. لأن التخيير فى الإباحة تخيير بين مطلق الفعل ومطلق الترك دون ترتب ثواب او عقاب على الفعل أو على الترك ..

وعلى هذا التعريف يكون المناط فى الإباحة ان يخير الشارع بين الفعل والترك بقطع النظر عما يترتب على ذلك من مصلحة أو مفسدة لأن التشريع فى جميع الأحكام مرتبط بالأدلة الشرعية ومساير لدلالتها فما دل الدليل على وجوبه فواجب ، وما دل على تحريمه فحرام ، وما دل على إباحته فمباح من غير نظر لما يترتب على ذلك من مصلحة فى اعتبارنا أو مفسدة ..

وفى التقييد بأن ذلك يكون عن طريق الدليل السمعى ــ نصا أو استنباطا عن طريق الامارات التى وضعها الشارع لبيان أحكامه لأهل الذكر ــ احتراس أيضا عن مذهب

المعتزلة فى التحسين والتقبيح العقليين ، ودعوى أن الأحكام تدرك بالعقل من غير توقف على دليل الشرع ، وأن الشرع إنما يجىء مؤيدا لها ..

والإباحة الشرعية داخلة فى الحكم الشرعى وقسم من أقسامه .. لأن الحكم الشرعى هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الطلب أو التخيير أو الوضع(٣) ، ويندرج تحت الطلب الواجب والمندوب والحرام والمكروه مما يطلق عليه الحكم التكليفى ، ويندرج تحت الوضع السبب والمانع والشرط مما يطلق عليه الحكم الوضعى .. أما الحكم التخييرى فهو الإباحة الشرعية ..

وإنما قيدنا الإباحة هنا بأنها شرعية لنخرج الإباحة الأصلية ، التى لم يرد فى شأنها حكم شرعى وقرر الفقهاء أن الأصل فى الأشياء الإباحة وإن كانوا قد اختلفوا حول ذلك تبعا لاختلاف الموضوع ، ومع هذا فيمكن القول بأن الإباحة الأصلية أيضا تدخل تحت نطاق الأحكام الشرعية باعتبار أنها مستفادة من بعض النصوص كقوله تعالى : « خلق لكم ما فى الارض جميعا » .

ويستعمل الفقهاء لفظ الاباحة كثيرا فى مقابلة الخطر ، فقالوا : إن المباح ما أجيز للمكلف فعله وتركه بلا استحقاق ثواب ولا عقاب أو مأخذ فيه ، ويذكر بعض الفقهاء الإباحة بمعنى ما يقابل التحريم فتكون شاملة على هذا المكروه ، وتكون على هذا قريبة من الجواز إذ قالوا : جائز مع الكراهة . وقال ابن قدامة الحنبلى فى شأن النثار — أى نثر الحلوى ومثلها فى الأفراح والموالد — : إن الخلاف إنما هو فى كراهيته وأما إباحته فلا خلاف فيها(٤) ، فهو صريح فى أن الإباحة لا تنافى الكراهة ، وممن جعل الإباحة فى مقابلة الخطر الذى هو المنع . الفقيه الحنفى العينى(٥) ، وقاضى زاده(٦) ، وشيخ زاده(٧) وغيرهم ، فقال هؤلاء : هى الإطلاق فى مقابلة الخطر . ولفظ الإطلاق يتناول الإطلاق من جانب الله والإطلاق من جانب العباد بعضهم مع بعض . والإباحة على هذا تكون بمعنى الإذن . ولذا نجد الجرجانى فى تعريفاته يقول : الإباحة الإذن بإتيان الفعل كيف شاء الفاعل(٨) .

والإذن من الشارع يكون فى الاستيلاء على المال المباح وهو كل ما خلقه الله لينتفع به الناس على وجه معتاد وليس فى حيازة أحد مع إمكان حيازته ، والمال المباح بإذن من الشارع قد يكون حيوانا بريا وبحريا وطيرا ويكون نباتا حشائش وأعشابا حطبا ، ويكون جمادا وارضا مواتا ونارا وماء وهواء ، وفى هذا يقول الرسول عليه السلام : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » وبالاستيلاء على المال المباح تنشأ عليه ملكية تامة دون اعتبار للأهلية فى شخص من استولى عليه لأنه سبب فعلى للملكية .

وكذلك فان إذن الشارع يكون فى مجرد الانتفاع دون تملك لرقبة الشىء المنتفع به كالإذن فى الانتفاع بالمساجد والطرقات العامة ، ونحوها وكذا الرباطات على الوجه الذى شرعت له ، ويدخل فى ذلك إباحة الانتفاع بأشعة الشمس وضوء القمر .. ونحو ذلك ..

والإذن من الأفراد بعضهم لبعض على سبيل الاستهلاك كمن ينثر النقود والحلوى فى الأفراح ، ويقدم الشراب والطعام للأضياف .. فان ملكيته للمأذون له لا تكون إلا بالتناول .. بل ذهب البعض الى أنه يستهلكها وهى على ملك صاحبها ، ويكون إذن العباد بعضهم لبعض على سبيل

الانتفاع فقط مع بقاء الرقبة على ملك صاحبها كمن يدعوك لركوب سيارته أو السماع من مذياعه أو مشاهدة مسرحية عنده ، أو التفرج بصور في معرضه الى غير ذلك من صور إباحة المنافع ..

ويشترط في الإذن من العباد ليفيد الإباحة أن لا يكون على وجه يفيد التمليك إذ أن الإباحة بطبيعتها لا تفيد تمليكا على **ما سنبينه في مقال آخر** ، كما يشترط أن يكون الإذن على وجه لا يأباه الشرع ، فلو أذن شخص غير مسلم لصديق له مسلم في تناول قدح عنده من الخمر كان هذا الإذن غير معتبر ، وكذا لو أباحت امرأة نفسها أو أباحها زوجها فإن ذلك الإذن لا يبيح عرضها للغير وإنما هو منكر وإثم ولا يعفيه إذنه أو إذنها أو إذن زوجها من استحقاق العقاب اذا ما شرب الخمر أو فعل الفاحشة .. فإذن العبد دائما متوقف على إذن الشرع .. فهو وحده لا يحقق الإباحة الشرعية ..

مع أن القوانين الوضعية غير الاسلامية تجعل إذن المرأة البالغة العاقلة الرشيدة غير المتزوجة محققا للإباحة ومانعا من المسئولية ما دام الفعل غير خارج على النظام العام ، ولا مخالف له .

والواقع أن ربط الأعمال جميعا بإذن الشارع وترخيصه ولا سيما في مثل هذه الجزئية أمر له مزيته وخطره في تحقيق سعادة الفرد والمجتمع . ولعل ما حدث في أوروبا والبلاد الغربية يؤيد نظرية الشريعةالاسلامية في هذه الجزئية .. فقد تحللت الجماعات الاوروبية والامريكية ومن على شاكلتهما بشيوع الفاحشة والإباحة فيها .. وما كان ذلك إلا لإباحة الجنس واعتباره حقا شخصيا لا يمس صالح الجماعة ..

ومن الغريب أن القوانين الوضعية لا تعتبر كل وطء محرم زنا ، وأغلبها يعاقب بصفة خاصة على الزنا الحاصل من الزوجة ، ويعتبر إتيان من عدا الزوجة وقاعا أو هتك عرض ، ولا يعاقبون على الوقاع إلا في حال الاغتصاب ، فإن كان بالتراضي — أى بإذن منها بأن أباحت له نفسها — فلا عقاب عليه ما لم يكن الرضا معيبا ..

ولعلك يا أخي القارىء أدركت ما في التشريع الاسلامي من أصالة ، وما لفقهاء المسلمين من عمق في البحث وبعد نظر حينما اشترطوا لإعتبار إذن العباد بعضهم لبعض أن يكون على مرفق الشرع غير خارج على قواعده وآدابه العامة ..

وأما إذن الشارع وحده فإنه لا يتوقف على إذن العباد إلا بالقدر الذى يحفظ النظام ويمنع التشاحن ، ومع هذا فإن من حق المأذون له من الشارع أن يستوفى ما أذن له فيه سواء أذن الناس أم أبوا ، فالمضطر لأخذ الفائض من طعام غيره أو شرابه لينقذ به حياة نفسه أو حياة من يعول حق له الأخذ ولو جبرا عن صاحبه دفعا للاضطرار لقوله تعالى « فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه » ومع هذا فإن حق العبد في الضمان لا يسقط بإذن الشرع .

ومع توقف الإباحة في إذن العباد على إذن الشارع فإننا جعلنا إذن العباد قسما مقابلا لإذن الشارع باعتبار أن إذن العباد فيه هو الأساس ، وأن الشارع جعله كذلك ، وجعل إذنه فيه متوقفا على إباحة صاحبه وإذنه ، ولهذا وجدت جزئيات كثيرة يتحقق فيها الإذنان ، وينفصل بعض تلك الجزئيات عن بعض انفصالا نوعيا بناء على هذا التقسيم . وهو أنه وإن كان المعول فيها على إذن الله وحده كما في نوم المعتكف في المسجد واكله وشربه فاننا نعتبره من

قبيل إذن الله لأننا لا نبالى بأن يوافق العبد أو لا يوافق ، بخلاف مثل التناول من طعام الغير إذا أذن فيه صاحبه كما لا يخفى ، وكذلك استحلال البضع بكلمة الله فإن الله سبحانه احل الزواج وأذن فيه ، ولا يتم ذلك إلا بالتعاقد والرضا من الزوجين .

فحق الله(٩) ليس مجالا لإذن العبد ولا ترخيصه ، وبناء على هذا لم يعتبر الترخيص بالزنا وإن كان الحق فيه قد يلتبس بما هو حق العبد وملكه بناء على ما يقولون من أن منفعة البضع ملك الزوج ، كما يصرحون فى تعريف النكاح بأنه عقد يرد على ملك المتعة .. وهذا يلتقى مع ما قلناه فى شأن إذن العبد ولا يختلف عنه لأن كل تصرف لا بد أن يكون فى حدود ما أباح الشارع وأذن به . فملك المتعة من المرأة لا يقضى بحرية التصرف فيه مطلقا بل لا بد أن يكون ذلك التصرف فى حدود ما أذن الشارع به .

فالزوج وإن كان مالكا للانتفاع بالبضع إلا أن التصرف فيه مقيد بإذن الشارع .. لأن ملك المتعة من قبيل ملك الانتفاع لا ملك المنفعة ، وملك الانتفاع يقتصر التصرف فيه على المالك بخصوصه بخلاف ملك المنفعة .. ولهذا فسره الحصكفى فى الدر بقوله(١٠) : ملك المتعة وهو اختصاص الزوج بمنافع بضعها وسائر أعضائها على سبيل الاستمتاع الشخصى ، وفى حاشية قليوبى وعميره على شرح منهاج الطالبين « إن النكاح شرعا عقد يتضمن إباحة ربط ، بلفظ نكاح أو تزويج فهو ملك انتفاع لا ملك منفعة » وفى الإقناع(١١) : هل النكاح يفيد ملكا أم إباحة ؟ وجهان : أوجههما الثانى . على أن القول بأنه ملك يمكن أن يفسر بأنه ملك انتفاع لا ملك منفعة ، وملك الانتفاع فيما يبدو مرادف للإباحة .

هذا والإباحة التى مصدرها إذن العباد بعضهم لبعض ، قد تكون بما لا وجوب فيه على العبد كما فى التبرع بدعوة شخص إلى طعام أو شراب أو مبيت وغير ذلك ، وقد تكون إسقاطا لواجب أو خروجا من عهدة كما فى النذر ونحوه من الكفارات ، وكما فى الضيافة الواجبة ، عند بعض الفقهاء ، ولا منافاة بين كون الفعل إباحة وكونه خروجا من عهدة ، فان الإباحة هنا يكون معناها الإخلاء بين الفقير وبين تناول الطعام من غير تمليكه إياه وفرق بين الأمرين .. والخروج من العهدة كما يتحقق بالتمليك يتحقق بالإباحة فى الجملة ، وهذا فى الحقيقة من قبيل الواجب المخير الذى يسقط فيه الواجب ويخرج عن العهدة بفعل البعض .

يقول الفقهاء : إن من عجز عن الصوم فى كفارة الظهار أطعم ستين مسكينا إما على سبيل التمليك بدفع الطعام الذى هو نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو دقيق ، وإما على سبيل الإباحة بأن يغديهم ويعشيهم ، وإما على سبيل الجمع بين الإباحة والتمليك بأن يغديهم ويعطيهم قيمة العشاء أو بالعكس لأنه جمع بين شيئين جائزين على الانفراد ، وقالوا : إنه لو أباح واحد اكل الطعام فى يوم واحد دفعة واحدة أجزاه عن يوم واحد فقط .

جاء فى التنوير وشرحه وحاشيته : « تصح الإباحة بشرط الشبع فى طعام الكفارات سوى القتل فإنه لا إطعام فيه فلا إباحة »(١٢) والضابط فيما نرى أن ما شرع بلفظ إطعام وطعام جاز فيه الإباحة ، وما شرع بلفظ إيتاء أو أراد شرط فيه التمليك .

وقد يكون ذلك الإذن فى صور مما ندب إليه الشارع وحث عليه كما فى الولائم والعقائق والتضييف ، ومما ندب إليه الشارع وحث عليه

خلط المسافرين أزوادهم في السفر ، ولا سيما إذا نفذ زاد بعضهم وقد ورد هذا في حديث الصحيحين(١٣) عن أبي موسى الأشعري ونصه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الأشعريين إذا أرملوا — أي فني طعامهم — في الغزو ، أو قل طعام عيالهم في المدينة ، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية . فهم مني وأنا منهم » . قال النووي في شرح مسلم : وليس المراد القسمة المعروفة في كتب الفقه ، وإنما المراد إباحة بعضهم بعضا ومواساتهم بالموجود . ويقول الكرماني في شرحه لصحيح البخاري إن هذا من باب الإباحة ..

وقد ورد هذا في الفتاوى الهندية في باب الكراهية في الأكل وعباراتها(١٤) « المسافرون إذا خلطوا أزوادهم أو اخرج كل واحد منهم درهما واشتروا طعاما وأكلوا فإنه يجوز وإن تفاوتوا في الأكل » . ونقله عن الوجيز ، كما أورده أيضا ابن قدامة الحنبلي في كتابه المغني فقال(١٥) : ولا بأس أن يخلط المسافرون أزوادهم ويأكلوا جميعا ؛ وإن أكل بعضهم من بعض فلا بأس ، وقد كان السلف يتناهدون في الغزو والحج .. أي يرعى بعضهم بعضا .

وما اعتبره كل من النووي والكرماني ومن ذكرنا من الفقهاء من كون هذا من قبيل الإباحة شرح فقهي دقيق وهو المتقدح لأنه إذن عرفي دارج في الاستعمال فبعد أن خلطوا الزاد بعضه ببعض وجلسوا للأكل كان ذلك إذنا من كل واحد منهم للآخرين ولا معنى لهذا إلا أن كلا منهم أباح ما خلطه من طعام للآخرين .

ولا فرق بين هذا وبين صورة الضيافة لأن كلا من الضيف والمسافر مع زميله ، أو المواسي مع من يواسيه يبذل ما عنده ويجود به ، ولهذا شبهه صاحب المغني الحنبلي بالنثار ، وفرق بينهما بأن النثار نهبة وتسالبا وتجاذبا بخلاف هذا فإنه عن رضى وطمأنينة . فهو عندنا أقرب الى معنى الضيافة وهي لا خلاف في أنها إباحة ..

هذا وقد يتصف إذن العباد بعضهم لبعض بالكراهة كما في الضيافة المشتملة على الاسراف أو التي أساسها التفاخر والمباهاة ، أو الخروج بها عن حدود الآداب دون أن تصل الى مرتبة الحرمة ، وإلا كانت خارجة عما نحن بصدده وهو ما كان على وجه لا يأباه الشارع .

ومقتضى مسلك الأصوليين في الجملة — ما عدا الحنفية — أن المكروه ليس على وجه يأباه الشارع ، على أنهم يختلفون في كونه منهيا عنه أو غير منهي عنه ، وكونه من الأحكام التكليفية .. أو من غيرها(١٦) ، والتحديد بين المكروه والمحرم في مثل هذا أمر يختلف باختلاف ما يشتمل عليه الفعل من المفسدة والضرر واختلاف المنفق ، ويمكن لفقيه أن يدركه بالنظر في الجزئيات واختلاف بعضها عن بعض في هذه الناحية .

يقول الشاطبي في الموافقات(١٧) : ليس في الإسراف حد يوقف دونه ، وأن الإنسان يرى بعض المباحات بالنسبة الى حاله داخلا تحت الإسراف فيتركه ، وأن النفقة في المباح بالنسبة الى الإسراف وعدمه والعمل على ذلك مطلوب .

ومما أوردناه يتبين أن المأذون فيه من العباد بعضهم لبعض تتوارد عليه جميع الاحكام الشرعية عدا الحرام لأن ما عداه هو الذي يكون لا يأباه الشارع . أما الحرام فلا كلام في أنه لا يعرض للمباح بهذا المعنى .

وينبغي قبل أن نختم هذا المقال أن نقول : إن الإباحة ليست اجراء

تعاقديا فهى لا تحتاج الى الإيجاب والقبول ، وإنما توجد بمجرد وجود الإذن القولى أو العملى ، كما انه لا يشترط فيها أن يكون المأذون له معينا معلوما للآذن وقت الإذن لا بشخصه ولا باسمه ، فمن يضع الماء فى الجوابى والأباريق ويضعها على قارعة الطريق ، ومن يخصصون سبيل ماء للشرب يلحقونه بدورهم . فإنهم يبيحون بذلك لكل من يمر أن يشرب منها دون تعيين للمأذون لهم لا بالاسم ولا بالوصف .

وكذلك فإن الإباحة جائزة كما يقرر ابن حزم الظاهرى فى المجهول(١٨) بخلاف العطية والهدية والصدقة والعمرى والرقبى والحبس الموقوف وغيره ، وكذلك كطعام يدعى اليه قوم يباح لهم أكله ولا يدرى كم يأكل منهم .

وإنى أعد القارىء أن أقدم له فى المقال التالى « أساليب الإباحة والصلة بينها وبين التخيير والحل والجواز » ثم أختتم الموضوع بمقال عن « أسباب الإباحة وأثرها فى التملك والضمان » .. والله الموفق .

---

(١) الاحكام فى اصول الاحكام هـ ٤ص ١٣١ .

(٢) راجع تفصيل عموم الموضوع فى كتابنا « الاباحة عند الاصوليين والفقهاء » .

(٣) انظر لنا فى موضوع الحكم كتاب « مباحث الحكم عند الاصوليين » .

(٤) المغنى هـ ٧ ص ١٣ .

(٥) فى كتابه رمز الحقائق هـ ٢ ص ٢٦٥ .

(٦) فى كتابه نتائج الافكار هـ ٨ ص ٧٩ .

(٧) فى كتابه مجمع الانهر هـ ٢ ص ٥٢٣ .

(٨) التعريفات للجرجانى ص ٢ .

(٩) يرى الحنفية ومن تابعهم ان حق اللهھو ما يتعلق به النفع العام للعالم وحفظ النظام العام فيه ، فهو شامل للمصلحة العامةالدنيوية والمصلحة الاخروية فلا يختص به أحد انما نسب الى الله تعظيما ولتشريف ما قوىنفعه وعظم خطره ومثلوا لذلك بحرمة الزنا التى يتعلق بها عموم النفع من سلامة الأنساب وصيانة الفراش ومنع الضغائن بين الناس كما عرفوا حق العبد بانه ما تتعلق به مصلحةخاصة دنيوية كحرمة مال الغير فانه حق العبد لتعلق صيانة ماله ولهذا فانه يستباح بإباحةالمالك .. وعلى هذا فالمراعى فى الحقين هو مصالح العباد عامة وخاصة ..

لكن الشاطبى يرى ان كل حكم شرعى فيهحق الله وهو جهة التعبد بالفعل ، وفيه حق العبد وهو ما روعيت فيه مصلحة دنيويةكانت أو اخروية ..

(١٠) هـ ٢ ص ٢٨٠ .

(١١) هـ ٤ ص ٢٠٦ .

(١٢) شرح الدر بحاشية ابن عابدين هـ ٢ص ٦٢٢ .

(١٣) البخارى فى باب الشركة فى الطعام والنهد هـ ١١ ص ٥٠ ، مسلم فى باب فضائل الاشعريين هـ ١٦ ص ٦١ .

(١٤) هـ ٥ ص ٣٤١ .

(١٥) هـ ٧ ص ١٤ .

(١٦) انظر الاحكام للآمدى هـ ١ ص ١٧٤وانظر لنا كتاب مباحث الحكم عند الاصوليين ص ٩٢ ، ١٠٦ .

(١٧) هـ ١ ص ٧٨ .

(١٨) المحلى هـ ٩ ص ١٦٣ .

المركز
الثقافي الإسلامي في اسكندنافيا

* تأسس المركز الثقافي الاسلامي بكوبنهاجن فى الدنمارك لخدمة المسلمين الموجودين فى هذه المنطقة ومساعدتهم وتغذية الروابط بالاضافة الى تعميق المفاهيم الاسلامية لديهم لأنهم فى أمس الحاجة الى تفهم الاسلام وسط الظروف الروحية السيئة التى يعيشون فيها .

* ان عدد المسلمين فى الدنمرك حوالى (١٢) الف مسلم وهم يحتاجون الى مكان تقام فيه الصلاة والاحتفال بالمناسبات الدينية التى تمر بهم دون أن يشعروا بها وقد يضطر بعضهم الى مطالبة الجهات المسئولة لاعارتهم صالات الألعاب الرياضية لاقامة الصلوات الدينية بها ، وهذه الجهات لا توافق إلا على اعطاء الأماكن البعيدة أو غير المناسبة على الأقل فى أوقات غير مناسبة .

* فى عيد الاضحى الماضي لم تقم صلاة العيد المشروعة لعدم الحصول على مكان تقام فيه الصلاة ويسهل الوصول اليه بحجة شغل كل الأماكن .

* وتوجد مشكلة الأطفال الذين يفقدون لغتهم نظرا لدراستهم باللغة الدنمركية ، ولا يجدون أى جهة تدرس لهم اللغة العربية ، ويتلقون منها شيئا من الاسلام . الأمر الذى يفقدهم كل ارتباط بالاسلام .

* لقد تأسس المركز الثقافي الاسلامى تحت رعاية سفراء الدول الاسلامية ليقوم بالواجبات المحددة به ، ومقره الحالى غرفة صغيرة فى الدور الثالث لا تزيد مساحتها عن عشرين مترا يجتمع فيها الاعضاء وتستعمل للصلاة ، وأخيرا افتتحت حانة فى الدور الارضى من البناية .

* ان واقع المسلمين فى هذه المنطقة سيىء وهم فى حاجة الى من يساعدهم ويشد أزرهم فغالبيتهم عمال تتقاسم أجورهم الضرائب الباهظة والأسعار المرتفعة بالاضافة الى التزاماتهم المادية نحو أهليهم ببلدانهم الاصلية .

* والمركز فى كتابه الى المجلة يطلب العون من المسلمين ، ويناشدهم أن يؤدوا حق الله عليهم .. ان رحمة الله قريب من المحسنين .

الحدود في الإسلام !

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

(١)

تعتبر الحدود التى رصدها الاسلام قصاصا من الخارجين على احكام شريعته ، والمعتدين على حرمات الجماعة ، من دماء واموال واعراض — تعتبر هذه الحدود مدخلا واسعا الى محاولات محمومة مستميتة ، من المستشرقين ، والمتلمذين منا عليهم ، للنيل من الاسلام والتشويش عليه ، وتعكير موارده الصافية ، وذلك باصطناع اساليب خبيثة ماكرة ، تتستر بستار خادع ، يدخل على عقول السذج وذوى الغفلة ، تحت اسم التحرر العقلى ، او التفكير الوجودى ، الذى يطلق فيه المرء عقله من كل عرف ، او قانون وضعى او سماوى ، ليبنى وجوده من ذات نفسه ، ومما تفرزه مشاعره ، ووجداناته ، ومنازعه ، كما يفرز العنكبوت من لعابه الخيوط التى يبنى منها عالمه الذى يعيش فيه .. !!

وبكلمات محفوظة مرددة يقايس هؤلاء المستشرقون واتباعهم بين تعاليم الاسلام ، وبين حياة البادية التى ظهر فيها ، وما فيها من جفاف ، وجفاء وجدب ، وخشونة ، وجهل ، وبدائية لا تبعد حدود الانسان فيها كثيرا عن عالم الحيوان الذى يعيش معه فى تلك المواطن !! هكذا يقولون .. !

فالقرآن فى اساليبه ومعانيه ، وفى احكامه وآدابه ، وفى اخباره وقصصه ، هو صورة لحياة البادية ، وما يجرى فى تفكير سكانها ، وما يدور فى اخيلتهم ، او يداعب احلامهم ..

وعلى هذا ، فإن النجاح الذى صادفته الدعوة الاسلامية فى اول امرها ، انما هو — حسب هذا الفهم المغلوط — نتيجة لملاءمة الدعوة لحياة المجتمع الذى التقت به فى الجزيرة العربية ، وتجاوبها معه ، ووقوفها عند حدوده ، مكانا وزمانا ، بحيث لو خرجت هذه الدعوة عن حدود هذا الزمان وذلك المكان ، لما تقبلتها النفوس ، ولما استجابت لها العقول ، ولما قامت لها قائمة بين الناس !

وقد كان لهذه المقولات الخادعة المضللة دور كبير فى التسلط على عقول شبابنا ، وفى خلق هذا الشعور القلق ، المجافى للدين ، والمستخف بتعاليمه ، وخاصة عند اولئك الذين تلقوا دراساتهم فى الجامعات الأوروبية والأمريكية ، والذين خدعتهم الحياة هناك ببهرجها المادى ، وزيفها ، فانطلى عليهم هذا الزور ، فلم يأخذوه مأخذ الشك والحذر ، ولم يراجعوه على حقائق الاسلام ، ويعرضوه على احكامه وتعاليمه ، إذ اعجلهم حب اللحاق بموكب المدنية الغربية

الصاخب ، عن النظر فى شىء من هذا الذى تحمله الشريعة الاسلامية من حقائق عليا ، ترفع أبناء هذه الأرض عن عالم التراب ، الى عالم الحق والنور ، عالم الملأ الأعلى ، فإذا هم بشر يحلقون فى السماء ، أو ملائكة يمشون على الارض ! ولكن حب العاجلة قد أخذ بألباب المفتونين منا ببريق المدنية الغربية ، ولمعان بروقها الخلب ، فقصروا نظرهم القاصر على واقع الحال منا اليوم ، فى مواجهة المدنية الغربية ، وما يملك أهلها من أسـبابها ووسائلها ، التى خلت أيدينـا منها ، فبان من خلال هذه النظرة بُعدُ ما بيننا وبين القوم هناك ، حيث يملكون من مظاهر الحياة المادية ما لا نملك ، ويأخذون من متع الحياة كل ما يشاءون ، فى حين اننا لم نأخذ من الحياة إلا الفتات من فضل ما يلقون به إلينا .. !! وقد وجد المخدوعون منا فى هذه الموازنة بين حياتنا وحياة القوم ، شاهدا محسوسا لا ترد شهادته فى تخلفنا وتقدمهم ، وشقائنا وسعادتهم ، فقبلوا هذه الشهادة ، على الاسلام ، وعلى المسلمين معا ، وأقاموا حساب الاســلام فى أحكامه وتعاليمه على الميزان الذى اقاموا عليه المسلمين فى تخلفهم ، وضعفهم .. ومن هنا كان منهم هذا الموقف الجافى للاسلام ، المستخف بتعاليمه ، الخارج على حدوده ..

(٣)

ويكفى فى هذا المقام ان نســـــوق مقولة من تلك المقولات المضللة لأحد المستشرقين ، وهو المستشرق النرويجى (جولد تسيهر) الذى يعد فى نظرنا اكثر المستشرقين اعتدالا واتزانا .. واقلهم تعصبا على الاسلام ، وأصدقهم نية فى البحث عن الحقيقة ، وإن يكن قصر به علمه عن إدراك حقائق الاسلام العليا بعقله المادى المشبع بمادية الحياة التى رضع من ثديها صغيرا ، وتربى فى حجرها كبيرا .. !

يقول (جولد تسيهر) فى حديثه عن القرآن ، وفى التعريض به كدستور يحكم مجتمعا يدين به :

« من الخطأ أن ينسب الى القرآن أكبر القيم فى بيان طابع الاسلام بوجـــه عام ، كما أننا من باب أولى لا نستطيع أن نؤسس حكمنا على الاسلام مستندين فى ذلك على هذا الكتاب وحده لدى الأمة الاسلامية .. » !!

ثم يقول : « وهكذا يظهر انه غير صحيح ما يقال من أن الاسلام فى كل العلاقات جاء الى الناس بطريقة كاملة ! بل على العكس ، فإن الاسلام والقرآن لم يتمما كل شىء ، وكان الإكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة » !!

ويتدرج (جولد تسيهر) من هذا التلميح الى التصريح فيقول :

« والقرآن نفسه لم يعط من الأحكام إلا القليل ، ولا يمكن أن تكون أحكامه شاملة لهذه العلاقات غير المنتظرة كلها ، مما جاء من الفتوح .. فقد كان — اى القرآن — مقصـــورا على حالات العرب الســـاذجة ، ومعنيا بها ، بحيث لا يكفى لهذا الوضع الجديد !!

« والواقع أن هذا الكتاب لم يحكم المسلمين إلا فى خلال العشرين سنة الأولى من نموه !!

« ففى خلال حياة الاسلام التاريخية كلها ، ظل القرآن فى رأى أتباع دين محمد (كذا) عملا اساسيا محترما باعتباره موحى به من عند الله ، كما ظل كذلك موضع إعجاب عظيم الى حد لم يظفر به أى عمل من الأعمال الأدبية » !!

ثم يمضى قائلا :

« ولكن بالرغم من أن الاسلام فى أطوار نموه التـالية قد اتخذ القرآن اساسا ، وهو أمر طبيعى ، وبالرغم من أنه كان يوزن به جميع منتجات العصور المتأخرة ، وبالرغم من أن كل شىء قد تَصُوِّر على أنه متفق معـه ، أو حوول تصور ذلك ، بالرغم من هذا كله فإنه لا يمكن أن نتناسى أن القرآن بعيد كل البعد عن أن يكفى وحده لمواجهة عقلية الاسلام التاريخية » !!

ثم يضرب الكاتب لهذا مثلا فيقول : « إن الرسول نفسه قد اضطر لتطوره الداخلى (كذا) وبحكم الظروف التى أحاطت به ، الى تجـاوز بعض الوحى القرآنى الى وحى جديد فى الحقيقة ، كما اضطر الى أن يعترف أنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه » !!

ثم يقول معقبا على هذا : « فإذا كان الامر كذلك فى عصر (محمد) فمن باب أولى أن يكون كذلك ، بل وأكثر من ذلك عندما تجاوز الاسلام حدود البلاد العربية ، وتأهب لكى يكون قوة دولية » (العقيدة والشريعة لجولد تسيهر) ص ٤١ وما بعدها ..

وهذا كلام واضـح صريح فى القول بأن القرآن عمـل أدبى ، من عمل محمد أشبه بالمعلقات مثلا، وأنه حين يتطور محمد فى آرائه ومنازعه من خلال نظرته الى الحياة ، تتطور آراؤه وأفكاره ، ومنازعه ، فيضطر الى تنقيح هذا العمل الأدبى بالحذف والاضافة ، شأنه فى هذا شأن كل أديب حيال أعمـاله الفنية ! حيث تظهر بصمات الزمن عليها ، كما تظهر بصماتها على قسـمات وجهه ، ولون شعره .. !!

بهذه العقلية ينظر (جولد تسيهر) الى القرآن الكريم ، ولا يستسيغ عقله أن يفهم معنى النسخ فى القرآن ، ولا أن يعد الآيات القرآنية التى قيل بنسخها قرآنا متعبدا به ، وعاملا فى بناء الشريعة الاسلامية ، كما لا يستسيغ عقله أن يقبل أن محمدا كان رسولا من عند الله الى الناس ، يبلغ ما يتلقى من آيات الله وكلماته ، فلا يتحرك حركة فى مجال الرسالة ، ولا ينطق بكلمة فى محيطها إلا عن وحى ، وعن أمر من رب العالمين : « وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » (٣ و ٤ : سورة النجم) وأنه ، وهو رسول الله ما كان له أن يكذب على الله ، وأن يقول من ذات نفسه قولا ثم ينسـبه الى الله ، والله سبحانه وتعالى يقول : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » (٤٤ ـ ٤٧ : الحاقة) وهذا فى مقام الرد على مزاعم المشركين ، وقولهم فيما ذكره القرآن عنهم : « وقال الذين كفـروا إن هذا إلا إفك افتراه ، وأعانه عليـه قوم آخرون » (٤ : الفرقان) .

هذا مثل من أمثلة كثيرة ، تتجـاوز فى الافتراء ، والتضـليل ، وسوء الفهم ، أو سوء النية ، هذا الذى نقلناه عن المستشرق (جولد تسيهر) الذى قلنا عنه ، أنه أهدى جماعة المستشرقين سبيلا ، وأقومهم طريقا ، وإن كانوا جميعا على غير طريق الحق والعدل .. !!

وندع هذا لنلتقى ببعض أحكام الشريعة الاسلامية ، وشغب الشـاغبين عليها ، وجهل الجاهلين بها ، ومنازعة المنازعين فيها ..

ولا يتسع المقام هنا لعرض هذه الأحكام على ميزان الحق والإنصاف ، ورد ما ورد عليها من تلك المقولات الضالة المضللة ، وبحسبنا أن نعرض — وفى إيجاز — للحدود التى فرضها الاسلام قصاصا من الخارجين على شريعة الله ، المعتدين على حرمات الدماء ، والأموال والأعراض ، كما أشرنا الى ذلك فى مطلع هذا الحديث .. وتتمثل هذه الحدود فى الجرائم الآتية :

أولا : جريمة الزنا ، وما يلحق بها من قذف المحصنات .
ثانيا : جريمة القتل العمد .
ثالثا : جريمة السرقة .
رابعا : جريمة شرب الخمر .

(٤)

وربما كانت داعية هذا الحديث عن الحدود فى الاسلام فى هذا الوقت بالذات ، أن بعض الدول الاسلامية ، قد أخذت تصحو من رقادها ، وتسترجع وجودها فى ظل شريعة الله التى تدين بدينها ، فبدأت تطبق أحكام هذه الشريعة فى المعاملات ، وفى الجنـــايات المتعلقة بالعدوان على الأنفس والأموال ، والأعراض وذلك فى الوقت الذى أخذت فيه بعض دول الغرب ، فى أوروبا وفى أمريكا ، تدخل على قوانينها الوضعية من التعديلات ، ما يكاد يتطابق مع كثير من أحكام الشريعة الاسلامية ، حيث قامت دعوات المصلحين هناك تنادى منذرة بالأخطار الماحقة التى تهدد المجتمعات ، من آفات الربا ، والخمر ، والميسر ، والقتل ، والسرقة ، والزنا ، وترى الا خلاص من هذه الآفات إلا بتحريم الربا ، والميسر والخمر ، وإلا بإعدام القاتل ، وقطع يد السارق ، وفضح الزانى ..

وهكذا تكشف الأيام عن وجه الحق من دين الله ، ويذهب جفاء هذا الزبد ، الذى تعلل به القوم زمنا ، كما يتعلل الظمآن بالسراب يحسبه ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .. !!

(٥)

ونقف هنـــا عند جريمة الزنا ، التى ينكرها كل دين ، وينكرها العقـــلاء الراشدون من الناس ، كما تنكرها المدنية الغربية جهرا ، وترضى بها وعنها سرا ، وذلك لما فيها من عدوان على حقوق الأزواج ، ومن اختلاط للأنساب ، وحل لروابط الأسرة ، وقتل لما فى قلوب الآباء من عطف وحنان على الأبناء ، ورعاية وبذل سخى لهم بما يبلغ حد التضحية بالراحة ، وبالنفس .. الامر الذى لا يكون إلا إذا ملأت عاطفة الإبوة قلوب الآباء ، وذلك لا يكون إلا إذا وقع فى قلوب الآباء وقوعا محققا أن هؤلاء الأبناء من أصلابهم .. ! ولذلك لا تعجب لما تقرأ من الأخبار الواردة إلينا من أمريكا وأوروبا عن آباء قتلوا أولادهم بأيديهم ، وأتوا على الأسرة كلها فى لحظة واحدة ، دون أن ينبض فيهم شعور بالتردد قبل الجريمة ، أو الندم بعدها ، وذلك شفاء لما فى نفوسهم من شكوك فى صحة نسب هؤلاء الأبناء إليهم .

ومع هذا ، فإن الاسلام إذ حارب هذه الجريمة ، وإذ رصد لها العقوبة الرادعة ، وهى الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحصن ، إذ فعل الاسلام هذا ، كان ذلك عند أعداء الاسلام تهمة شنيعة يرمونه بها ، ويحاكمونه عليهـــا ، ليخرجوه من حدود الانسانية المتحضرة الى سكان الأدغال ، ورعاة الإبل والشاء فى الصـــحارى .. إذ قالوا كيف تبلغ الوحشية والقســـوة والضراوة بمجتمع

يستبيح جلد الانسان ، وإهدار آدميته على اعين الناس .. ؟ ثم كيف تصل هذه الوحشية في قسوتها وضراوتها الى أن يلقى بالإنسان فى حفرة ، ثم تتناوله الأيدى رجما بالحجارة الى ان يموت .. ؟ إن عالم الحيوان ليحترم حياة الكائن الحي في بنى جنسه ، فلا يفعل به ما تفعله هذه الشريعة بأتباعها ، وبإهدار آدمية الآدميين فيها .. !!

هكذا يقولون .. و « كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا » .

(٦)

ولا ننكر أن فى الشريعة الاسلامية جلدا ، ورجما ! فهذا حكم من أحكام الشريعة لا جدال فيه .. ففى القرآن الكريم يقول الله تعالى : « الزانية والزانى ، فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٢ : سورة النور) .. هذا عن الجلد ، أما الرجم ، فقد جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من ربه ، كما سنعرض لذلك فيما بعد ، ونبين الحكمة فى أن كان الجلد بنص من القرآن ، على حين كان الرجم بنص وعمل من رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه .. والاسلام نظام مجتمع ، واسلوب حياة ، ومنهج عمل وسلوك ، قبل أن يكون مجرد دستور من الاحكام والوصايا ومجموعة من الزواجر والأوامر ..

فما غاية الاسلام من رسالته فى الناس إلا ان يقيمهم على طريق الحق والعدل ، وأن يجمعهم على الإخاء والرحمة والمودة ، وأن يسعى بهم الى مواطن الخير ، وأن ينزلهم منازل الأمن والسكينة والسلام ..

والضمير فى الانسان ، هو جوهر الانسان ، بل هو الانسان مصغرا ، إذ هو تلخيص أمين للانسان كله ، بخيره وشره ، فإذا صلح الضمير صلح الانسان كله ، وإذا فسد لم يكن للانسان ثمة سبيل الى صلاح أبدا ..

ولهذا عنى الاسلام العناية كلها بتربية هذا الضمير ، والتمكين لسلطانه فى كيان الانسان ، ومده بأسباب القوى العلوية القدسية التى تقيم مؤشره دائما على أفق الحق ، والعدل ، والاحسان .. فإذا انحرف هذا الضمير ، يمنة أو يسرة ، وجد صاحبه لذلك نخسة فى قلبه ، وضيقا وقلقا فى صدره ، فلا ينام ولا ينيم حتى يتخلص مما علق به من إثم أو طاف به من منكر .

وقد كشف الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — عن هذا الجهاز العجيب المندس في كيان الانسان ، والذى يضع بصماته على كل ما يأتى وما يذر من أقوال وأفعال ، فيقول : « استفت قلبك .. البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن به القلب ، والإثم ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » .

ولقد استطاع الاسلام بهديه القويم ، وتعاليمه الرشيدة ، وتربيته الحكيمة ، أن يخرج من الانسانية مثلا عليا ، تحمل هذا الضمير الحى اليقظ ، الذى يقوم فى كيان الانسان حارسا لا يغفل أبدا ، وان يقدم للحياة نماذج كريمة للانسان العظيم الذى خلقه الله فى أحسن تقويم ، والذى استأهل أن تسجد الملائكة لمولده ، وأن يكون خليفة الله فى الارض .. !!

اتريد لهذا شاهدا ينطق بالحق الذى تعنو له الجباه ، وتخضع لجلاله الأعناق .. ؟

إذن ، فإليك شاهدين ، لا شاهدا واحدا ..

أولهما يحكي قصة رجل ، والآخر يصور موقف امرأة .. !
أما الرجل ، فهو (ماعز بن مالك) عربي بدوي ، خرج من بطن الصحراء ، والتقى بدين الله ، وعاش تحت سماء النبوة ، واستضاء بأنوار آيات الله ، وهدي رسول الله ، فكان (ماعز) هذا المثل المضروب للناس في مقام التسامي والعظمة .. !
ولقد كان من (ماعز) ضعف أمام شهوة من شـــــهوات النفس الأمارة بالسوء ، فوقع في هذا الإثم الغليظ ، وهو (الزنا) ..
وكان من الممكن أن ينفرد (ماعز) بجريمته تلك ، ويرجع الى الله تائبا ، حيث لم يره أحد على تلك الفاحشة ، ولكنه أبى إلا أن ينتقم من نفسه ، وأن يوردها هذا المورد المهلك ، حتى يضمن بهذا القصاص محو هذا المنكر .. وهنا فزع (ماعز) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : « يا رسول الله .. طهرني ! » .
فقال له الرسول الرحيم : « ويحك .. ارجع فاستغفر الله وتب إليه » .
فرجع غير بعيد ، ثم عاد فقال : « يا رسول الله طهرني ! » .
فقال الرسول الكريم : « ارجع واستغفر الله ، وتب إليه » .
ثم رجع ، وعاد ليقول : « يا رسول الله طهرني ! » .
ويجيبه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « ارجع واستغفر الله وتب إليه » ..
وعاد للمرة الرابعة ليقول : « يا رسول الله طهرني ! » .
وهنا يقول له الرسول الكريم : « ففيم أطهرك ؟ » .. فيقول : من الزنا !
فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « أزنيت ؟ » ويجيب : أن نعم .
فقال الرسول الرحيم : أبه جنون ؟ فيقول أصحابه : ليس بمجنون ..
ويقول صلى الله عليه وسلم : أشرب خمرا ؟ فقام رجل فشمه ، فلم يجد ريح خمر !
وهنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بماعز ، فرجم ..
فكان الناس في ماعز يومئذ فرقتين : فقائل يقول : لقد هلك ماعز .. لقد أحاطت به خطيئته ، وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز .. إنه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده ثم قال : اقتلني بالحجارة !!
ولبثوا في هذا الخلاف من أمر (ماعز) يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس ، فسلم ثم جلس ، فقال : « اســـتغفروا لماعز بن مالك » فقالوا : « غفر الله لماعز بن مالك !! » .
هذا ماعز بن مالك ، الرجل العربي ، البدوي ، وذلك موقفه من حساب النفس ، وسلطان الضمير !!
أما المرأة ، فهي عربية بدوية أيضا ، معاصرة لماعز بن مالك ، وقد فعلت مثل فعلته ، ووقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل موقفه ..
إنها امرأة من (غامد) وغامد بطن من بطون (الأزد) وهي قبيلة من قبائل العرب المعروفة .. جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : « يا رسول الله .. إني زنيت فطهرني » .. فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما كان الغد جاءت فقالت : « يا رسول الله ، لِمَ تردني ؟ لعلك أن تردني كما رددتماعزا ؟ فوالله إني لحبلى » .. فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « فاذهبي حتى تلدي ! » فلما ولدت جاءت النبي الكريم ، وبين يديها وليدها ، ثم قالت : « هذا قد ولدته ، فطهرني !! » فقال صلوات الله

وســــلامه عليه : « اذهبى فأرضـــعيه حتى تفطميه » فلما فطمته ، جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعها الصبى فى يده كسرة ، ثم قالت : « هذا يا نبى الله قد فطمته ، وقد اكل الطعام فطهرنى !! » .

فدفع النبى صلى الله عليه وسلم بالصبى الى رجل من المسلمين ليكفله ، ثم امر بها فرجمت .. واقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى به رأسها ، فانتضح الدم على وجهه ، فسبها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مهلا يا خالد ، لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم » ، ثم أمر بهـــا فصلى عليها ، ودفنت ..

إنها عظمة إنسانية تقف دونها كل عظمة عرفها الناس ..

وإنها لشهادة مشرقة للاسلام ، يبيض لها وجه كل مسلم ، ويستروح من انسامها العطرة ريح الجلال والعظمة فى هذا الدين الجليل العظيم ..

لا تستطيع الانسانية فى ماضيها او حاضرها ، او مســــــتقبلها أن تقدم للتاريخ امراة أخرى تقف الى جوار هذه المراة ، التى تقف هذا الموقف العظيم الفريد فى حســــــاب ضميرها هذا الحساب الذى لم يتـــأثر بفعل الزمن ، ولا بعواطف الأمومة وحنانها ، ولا بحب النفس والحرص على الحياة .. فلقد مضى على فعلة هذه المراة نحو ثلاث سنوات ، يتحرك وليدها فى أحشـــائها ، ثم تحمله بين يديها ، وترضعه من ثديها ، ومع هذا فإن جرح الجريمة لم يلتئم ، ووخز الضــــمير لم يهدأ ، وإصرارها على التطهر من ذنبهـــا يزداد مع الأيام مضاء وقوة .. !

(٧)

ونعود بعد هذا لننظر فى موقف الشريعة الاسلامية من جريمة (الزنا) والعقوبة التى رصدتها لمن يأتون هذا المنكر الغليظ ..

والاسلام مع حرصه على تربية الضمير ، وخلق الوازع القوى فى كيان الانسان ، لم يغفل عن أن يقيم الى جانب هذا الوازع الذاتى ، وازعا يأتى من خارج الذات ، وهو وازع السلطان ، بحيث إذا غفل وازع الضمير ، قام مقامه وازع السلطان ، وبهذا تكمل الرقابة على الانسان وتقفل الدائرة التى يمكن أن ينفذ منها الى البغى والعدوان .. يقول عثمان بن عفان رضى الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » . ذلك أن سلطان السلطان قائم بين أعين الناس ، ومن وقع ليده لم يفلت من عقابه .. أما سلطان الضمير ، فهو سلطة غيبية ، لا يراه إلا الذين يؤمنون بالغيب ، ويراقبون الله ، ويخشـــون بأسه .. وهم فى الناس قليل من كثير .. فكان لا بد من ســــلطان مادى يقوم على الناس جميعا ..

وفى جريمة الزنا ، فرق الاسلام ـــ كما قلنا ـــ بين المحصنين ، وغير المحصنين ، لما بين الفريقين من اختلاف فى الحاجة ، وقوة الدافع ..

فالمحصن ـــ وهو المتزوج ـــ قد جعل الاسلام عقوبته الرجم ، ســـواء فى هذا الرجل والمرأة لأن الزواج من شأنه أن يكسر حدة الشهوة المتسلطة على الانسان ، فإقدام المحصن على الزنا ليس مثل إقدام غير المحصن الذى تتسلط عليه شهوة قاهرة ، إن قدر على مغالبتها فالمحصن أولى منه بالتغلب عليها .. ومن هنا كانت عقوبة غير المحصن الجلد مائة جلدة ، على حين كان حد المحصن الرجم ..

ومن جهة اخرى ، فإن المحصن عادة يكون قد بلغ مبلغ الرجال ، وسكن الى أسرة تضم زوجه وابناءه ، الأمر الذى يدعوه الى أن يجنب نفسه الخزى والفضيحة بين أهله وابنائه ، فلا يقدم على هذه الفاحشة .. ولهذا لم تثبت جريمة الزنا على المحصن او المحصنة إلا بإقرارهما ، لا بشهادة الشهود عليهما ، كما كان الشأن فى (ماعز) وفى المرأة الغامدية .

وهنا تتضح لنا حكمة نص القرآن على (الجلد) وهو العقوبة المفروضة على غير المحصنين ، إذ كان غير المحصنين هم الكثرة الواقعة تحت حكم الزنا ، على تلك الصورة المكشوفة المفضوحة التى توجب الحد ، وإذ هم أدنى الى مواقعة هذا الإثم على صورته تلك ، من المحصنين الذين يكاد الاسلام لا يفترض لهم وجودا ، لأنهم إذا وجدوا على تلك الصورة التى توجب الحد — وهو الرجم — كانوا من الندرة النادرة التى لا يتوجه إليها حكم عام ، ومن هنا تولت السنة المطهرة بيان حكم المحصنين ..

كذلك تتضح حكمة هذا التقدير الذى قدره الاسلام لعقوبة هذا الجرم فى مجاليه معا — الاحصان وغير الاحصان — وهو تقدير عادل رحيم ، لا تخف موازينه أبدا فى أى مجتمع إنسانى يحترم وجوده ، ويكرم إنسانيته ، ويرعى حرماتها ، ويحتفظ بالقدر الانسانى من حيائه ومروءته ..

والجلد مضافا إليه الفضح على الملأ ، هو عقوبة غير المحصن والمحصنة .. وهذا الجلد ، غير منكور ما فيه من استخفاف بإنسانية الانسان ، وامتهان لكرامته ، وإسقاط لمروءته ..

ونعم ، أن الاسلام يأخذ هذا (الانسان) بكل هذا التجريم ، والتجريح ، والامتهان ، فى مقابل جنايته التى جناها على المجتمع ، الذى لم يرع له حرمة ، ولم يفترض له وجودا ، فجاء على أعين الناس يفعل هذا المنكر ، دون حياء او خجل .. !!

والا فليعلم اولئك الذين يتباكون على الانسانية التى أهدرها الاسلام ، وساقها مساق الحيوان بالسياط — ان الاسلام لم يفعل هذا إلا بأناس تخلوا عن آدميتهم ، ونزلوا الى الدرك الذى لم ينزل إليه كثير من الحيوانات التى لا يتصل ذكورها بإناثها إلا فى تستر وخفاء .. !!

والا فليعلم هؤلاء الذين يتهمون الاسلام بالقسوة والوحشية ، أن الشريعة الاسلامية لم تنزل هذه العقوبة بأحد إلا بعد أن تستنفد كل وسيلة لدرئها .. وكان من تدبير الشريعة فى هذا :

اولا : أنها لم تحاول أن تكشف ستر من ستروا أنفسهم على منكر ، إذ جعلت حسابهم فى هذا على الله سبحانه وتعالى ، وفى الحديث الشريف : « من رأى عورة فسترها ، كان كمن أحيا موءودة من قبرها » .

وثانيا : أنها جعلت إثبات هذه الجريمة لا يتم إلا بشهادة أربعة شهود ، يشهدون بأنهم رأوا من الرجل والمرأة ، ما يكون بين الزوج وزوجه من اتصال مباشر ، الأمر الذى لا يكاد يراه أحد .. !

وثالثا : أن الشريعة الاسلامية تقرر درء الحدود بالشبهات ، بمعنى أن أى شك فى شهادة الشهود ، يفسر لصالح المتهم ، فيسقط بذلك الحد .. وفى الحديث : « ادرءوا الحدود بالشبهات » .

ورابعا : فرضت الشريعة عقوبة الجلد ثمانين جلدة على من قذف محصنة ، ثم لم يأت بأربعة يشهدون بأنهم رأوا منها ومن المقذوف بها ما يكون بين الزوج وزوجه ، فقال تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسـقون » (٤ : النور) .

وخامسا : رغبت الشريعة الاسلامية فى التستر على عورات المسلمين ، وإمساك الألسنة عن القول فيما يراه الرائى من منكرات أتوها فى ستر وخفاء ، وتوعد الله تعالى أولئك الذين يحبون إشاعة الفاحشة ، وفضح الناس بها ، فقال سبحانه : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم ، وأنتم لا تعلمون » (١٩ : النور) وفى الحديث : « لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من يتبع عوراتهم يتتبع الله عورته ، ومن يتتبع الله عورته يفضحه » .

ثم أبعد هذا يتخرص متخرص فيقول : إن الاسلام يظلم الانسان ، ويهدر آدميته ، حين يأخذ أولئك الذين يأتون الفاحشة على أعين بما يأخذهم به من جلد بالسياط ، وفضح بين الملأ من الناس .. ؟

أفلا يسأل هؤلاء المتخرصون أنفسهم ، ماذا يبقى للانسـان من آدميته وكرامته ، بل ووجوده ، إذا تركت هذه الفاحشة يعالن بها بعض الآدميين فى غير استحياء ، ثم لا يضرب على أيديهم أحد ، ولا يسوء وجوههم سـلطان سماوى أو وضعى .. ؟

أما رجم المحصن ، فهو امتداد بالحد المفروض على غير المحصـنين الى غايتـه ، بمعنى أن حد الزنا العلنى الذى يأتيـه من يأتونه جهرة ، عراة ، لا يسترهم عن أعين الناس شىء ، كان مفروضا على المجتمع أن يكون رجما بالحجارة حتى الموت ، وحتى يقام من هذه الحجارة ساتر يستر هذه الفاحشة وأهلها ، ويكون عليهم قبرا ، سواء فى هذا المحصنون ، وغير المحصـنين ، ولكن رحمة الله تعالى فرقت بين المحصنين وغير المحصنين ، فجعلت على هؤلاء الرجم ، وعلى أولئك الجلد .. !!

إن الحد الذى فرضه الاسلام على (الزنا) العلنى ، وعلى تلك الصورة التى يوجب فيها إقامة الحد ، هو فى الواقع دون ما يقضى به ناموس المجتمع الانسانى السليم ، الذى يعرف كرامة الانسان ، ويحترم مشاعره .. إن أى مجتمع إنسانى سليم ، لا يقبل مثل هذا العدوان الصـارخ على حرماته ، ولا يستسلم لهذا التحدى السافر المجنون لأعرافه ومواضعاته ، دون أن ينتقم لكرامته ، ويثار لحرماته ، ويلبس ثوب الذل والهوان والضـياع من أراد أن يلبسه الذل والهوان والضياع .. !

وهكذا يلتقى الاسلام على طريق سواء محفوف بالعدل والرحمة والاحسان، مع منازع الانسانية السليمة الكريمة ، ومع مواضعات المجتمع الانسانى الكريم السليم ، ليشارك فى حماية المجتمع الانسانى من هذا الوباء الوبيل ، الذى إن تمكن من جماعة ، افسد نظامها ، وأتى على بنيانها من القواعد .

أما موقف الاسلام من جرائم القتل والسرقة ، وشرب الخمر ، فبيانه الى حديث تال إن شاء الله ..

قضايا قرآنية

هل الوصول إلى القمر نفاذ من أقطار الأرض
رجوع بعض القائلين بذلك إلى الحق

للأستاذ احمد محمد جمال

في أول رمضان ١٣٩١ هـ دعيت الى القاء محاضرة بمناسبة أسبوع القرآن الذى أحييته مديرية التعليم بمكة المكرمة فلبيت الدعوة والقيت محاضرة موضوعها (قضـــايا قرآنية) تناولت فيها بعض ما يثار حول آيات من القرآن وصلتها بالنظريات العلمية الحديثة ..

منها قضية الوصول الى القمر ومحاولة بعض المفكرين المسلمين تطبيق ما جاء في سورة الرحمن من قوله تعالى ((يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان)) ..

قلت في تلك المحاضرة ..

تتردد منذ أربع سنوات حتى الآن على الألسنة في الاذاعة والصحافة والتلفاز قضية الوصول الى القمر مرتبطة بآية من سورة الرحمن يحملها المتحدثون ما لا تحمل من معنى ويقولونها مالا تقل من رأى . يقولون : إن الآيـــة القـــرآنية (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) تبدو فيها إشارة صريحة الى امكانية نفاذ الانسان من أقطار الارض وليس الى القمر القريب منا والذى هو كوكب تابع لكوكب الارض فحسب ، بل النفاذ الى كواكب أخرى .

ولنقرأ الآية موضوع البحث . موصولة بما قبلها من آيات وبما بعدها كذلك

حتى نتبين أن القائلين بعلاقتها بالوصول الى القمر قد ابعدوا وأغربوا .

يقول عز وجل ((كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن . فبأى آء ربكما تكذبان . سنفرغ لكم أيها الثقلان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأى آلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران . فبأى آلاء ربكما تكذبان)) إن القرآن هنا فى هذا المقطع من السورة يتحدث الىّ الجن والانس ..

أولا — عن انفراد الله تبارك وتعالى بالبقاء والخلود وان الفناء مصير كل من على الأرض من إنسان وجان وحيوان وجماد ..

ثانيا — إن الله عز وجل باعتباره الخالق الرازق والمحى المميت والمعطى المانع والمعز المذل — يسأله جميع خلقه فى السموات والأرض قضاء حاجاتهم واستجابة مسائلهم ... الفقراء منهم يرجون غنى ، والمرضى يأملون شفاء ، والعقماء يطلبون ولدا ، والفارغون ينتظرون عملا ، والمظلومون يلتمسون إنصافا، فهو تبارك وتعالى من أجل دينونة خلقه لسلطانه وقيامه على تدبير شئونهم كل يوم هو فى شأن جديد من رفع قوم ووضع آخرين وشفاء مرضى وقبض موتى واعزاز أذلاء ونصر أولياء وهزيمة أعداء .

وكما قلنا من قبل — إن القرآن يفسر بعضه بعضا فهذه الآية (كل يوم هو فى شأن) تفسرها وتؤكدها آية أخرى من سورة آل عمران هى قوله عز وجل (وتلك الأيام نداولها بين الناس ..) ..

ثالثا — بعد تقرير القرآن فى الآيتين السابقتين انفراد الخالق بالبقاء ، وانفراده ايضا بتصريف شؤون الخلق يقرر حقيقة ثالثة وهى أنه عز وجل سيتفرغ يوم القيامة لحسابهم على ما قدموا من خير أو شر . (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا)) ..

رابعا — بعد هذه الحقائق الكونية الكبرى الثلاث يربط القرآن بها حقيقة رابعة تقتضيها تلك الحقائق وتستلزمها ولا يجوز ان تنفصل عنها . هذه الحقيقة الرابعة هى أن الله عز وجل الذى انفرد بالبقاء وكل خلقه الى الفناء وانفرد بتصريف أمورهم وكلهم يسأله ويرجوه ، والذى سيفرغ يوم القيامة لمحاسبتهم ومجازاتهم — هو أيضا المهيمن عليهم المحيط بهم حيث لا يستطيعون افلاتا من سلطانه ولا هربا من قهره ولا نفاذا من أقطار السموات والارض .

أى لا يستطيع الخلق الهروب من اطرافها إلى خارجها والقمر ليس خارجا عن محيط السموات والأرض بل هو كوكب صغير تابع للارض فالوصول اليه ليس نفاذا من اقطار السموات والأرض .

أما قوله عز وجل بعد ذلك (لا تنفذون الا بسلطان)) فهو تقرير لمطلق المشيئة الالهية وقد تكرر مثل ذلك فى آيات كثيرة كقوله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى سورة الاسراء ((ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إ[illegible]ك)) وكقوله عز وجل ((قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا)) وتقرير القرآن لمطلق المشيئة الالهية م[illegible]ـدا لافهام الناس ان الله تبارك وتعالى وان كان هو الذى وضع للكون قوانينه وسننه وخلق فى الانسان طبائعه وغرائزه الا انه سبحانه ليس محكوما ولا مقيدا بهذه القوانين والسنن فانه قادر على خرقها متى شاء وكيف أراد ، وفى القرآن نفسه أمثلة على أن الله عز وجل لا يتقيد بما وضع من سنن وقوانين وطبائع

للأشياء بل هو تبارك وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فقد أبطل سبحانه قانون النار وهو الاحراق فكانت بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام ، وأبطل قانون النسل عن طريق الزوجين فخلق آدم عليه السلام من غير أبوين وخلق حواء من أب بلا أم ، وجاء المسيح عليه السلام من أم بلا أب ..

والحديث النبوى الا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ((ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته)) يؤكد ما أسلفناه من أن الارادة الالهية مطلقة لا يقيدها شىء فمحمد عليه الصلاة والسلام مع كونه خاتم الأنبياء وأفضل الرسل لم يحكم لنفسه بالجنة ولو ان سنة الله قد جرت بأن الأنبياء هم المصطفون الاخيار وانهم فى أعلى عليين .

واذن يكون معنى قوله تعالى (لا تنفذون الا بسلطان) انه لو أراد تبارك وتعالى ان يجعل للجن والأنس مهربا من أقطار السموات والأرض لفعل ، ولكنه قضى الا يجعل لهم ذلك السلطان فقال فى الآية التالية مباشرة (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وهكذا يتجلى واضحا أن الآية بعيدة كل البعد عن موضوع الوصول الى القمر وغير القمر أيضا .

وقلت فى هامش المحاضرة تحت رقم (١) من هؤلاء القائلين بتطبيق هذه الآية على مسألة الوصول الى القمر الدكتور محمد جمال الدين الفندى فى كتابه ((لماذا أنا مؤمن ؟)) وأوردت تحت رقم (٢) بيتا لأبى العلاء المعرى يؤكد المعنى العربى الصريح للآية ومفهومه التحدى الالهى للجن والانس بالهروب من سلطان الله عز وجل وهو قوله وهل يأبق الانسان من ملك ربه فيخرج من أرض له وسماء ..

والباعث على ذكر هذه القضية هنا واستلالها من بين القضايا الأخرى فى محاضرتى هو انى قرأت فى مجلة الوعى الاسلامى (عدد ذى الحجة ١٣٩٢ مقالا للاستاذ الدكتور محمد جمال الدين الفندى يعود فيه الى الحق ويعترف بخطئه وخطأ القائلين ان آية الرحمن تعنى قدرة البشر على الصعود الى القمر وأنها من نبوءات القرآن بتقدم العلم وتفوق العلماء .

وهذه هى كلمة الدكتور الفندى بنصها : —

(لا يظن كثير من الناس خطأ وقد كنت منهم أن قول الله تعالى فى سورة الرحمن الآيات (٣٣ — ٣٥) ((يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان . فبأىآلاء ربكما تكذبان . يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)) من دلائل انطلاق الانسان الى الفضاء ولكن الحقيقة عندما نفهم معنى أقطار تماما نجد أن المعنى إشارة واضحة للتعجيز كما هو ظاهر الآية (٣٥) اما النفاذ من أقطار الارض فما من شك أن معناه اختراق الكرة الارضية عبر لبها المستعر والخروج من الجهة المقابلة ، وما من شك أن مجرد اختراق القشرة اليابسة للأرض معناه انطلاق مواد الباطن على هيئة بركان مدمر أما اختراق أقطار السموات فبالمثل معناه عبور الشموس والنجوم وسائر الوان الغبار الكونى وأحزمة الأشعة الكونية ومجاريها وهى أشد احراقا وفتكا من براكين الارض ، أما الوصول الى القمر أو المريخ أو الزهرة فليس معناه النفاذ من أقطار السموات بحال من الاحوال وقد فهمنا امتداد الكون واتساع السموات وأن أقطارها تربو وتزيد على عدة آلاف من الملايين والسنين الضوئية) وهكذا يرجع الدكتور الفندى عن رأيه الأول ، ويؤكد جزاه الله خيرا استحالته ببراهين علمية تفسر قوله تعالى ((يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران)) والحمد لله أولا وأخيرا .

خطر أعمال التبشير

إننا معشر المسلمين نعيش اليوم فى خطر داهم ، فإن الغرب يحاربنا حربا صليبية لا هوادة فيها ، ويعتبر قتالنا جهادا مقدسا بسبب ما غرسه المبشرون فى سكانه من عداوة لنا منذ نشأتهم ، فهم يعتبروننا ــ ظلما وافتراء ــ أعداء المسيح ، وأعداء الانسانية ، ويحسبون تشريعنا تشريعا همجيا ، ويصفون رسولنا محمدا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ بأنه من سفاكى الدماء ، ومحبى الشهوات ، والكذب على الله تعالى ..

كل ذلك ليحجب هؤلاء المبشرون نور الاسلام عن البشرية ، ويبقوا متمتعين بامتيازاتهم وسلطانهم .

لنستمع الآن الى ما يقوله أحد المتعصبين من الغربيين ، وما يذيعه على قومه ، وهو باحث مستشرق فرنسى يدعى (كيمون) فقد ذكر فى كتابه : (باتولوجيا الإسلام) :

للاستـــاذ محمود مهدى استانبولـــى

« ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هو مرض وشلل عام ، وجنون ذهولى يبعث الانسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليســـفك الدماء ويدمن على معـــاقرة الخمور ، ويجمع بين القبـــائح ، وما قبر محمد إلا عمود كهربائى يبعث على الجنـــون فى رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الإتيان بمظاهر الصرع العـــامة والذهول العقلى وتكرر لفظة (الله)(١) الى ما لا نهاية والتعود على عادات تنقلب الى طبـــاع أصيلة ككراهية لحم الخنزير والنبيذ والموسيقى وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور فى اللذات »(٢) .

ويرى هذا المستشرق الخبيث وأمثاله كثيرون ، المسلمين وحوشا ضارية ويعتقد أن من الواجب إبادة خمسهم والحكم على الباقين بالأشغال الشـــــاقة وتدمير الكعبة ، ووضع ضريح محمد ــ صلى الله عليه وآله وســـلم ــ فى متحف اللوفر(٣) .

يا للهول .. فكيف يهنأ لنا حال ، ويهدأ لنـــا بال ؟ وهذا ما يذاع عن الإسلام فى ديار الغرب ، ونحن ساهون لاهون ، ثم لا تلبث أن تنصب علينا حمم وقذائف الغربيين انتقاما وتشفيا منا نتيجة هذه الدعايات والافتراءات التى لا نكلف أنفسنا الرد عليها بصـــورة صحيحة وعملية منتجة تصـــل الى جميع الأسماع والأنظار ..

وقد يعمد هؤلاء الغربيون قبل محاربتنا ماديا ، الى شن الحملات الثقافية والغزو الفكرى بين أبنائنا وبناتنا لتســـميم أفكارهم عن الاســـلام عن طريق مدارسهم التبشيرية والعلمانية وبوساطة البعثات والسينما والكتب والمجلات وغيرها ليكونوا حربا علينا وعلى عقيدتنا من الداخل .

إن الاسلام ــ والمسلمين ــ فى حرب إذا من الخارج والداخل ضد قوى هائلة وإذا كنا باقين على شىء من الحياة ، فلأن هؤلاء المســـتعمرين مختلفون فيما بينهم على اقتسام الغنيمة ، ولو اتفقوا ــ كما كانت الحال عقب الحرب العالمية الأولى ــ لعمدوا الى استعمارنا وامتصاص دمائنا ، وبالتالى الى إفنائنا

واستئصالنا ! وذلك لأن نفوسهم تغلي حقـدا على الاسلام والمسلمين بسبب التربية الإجرامية والتوجيهات الهدامة والاشـاعات الماكرة التى يتلقونها فى بيوتهم ومدارسهم ومعابدهم ، وقد رأينا مثالا من هذا الحقد فى كلام (كيمون) وقد جاء فى إحدى الأناشيد الإيطالية التى تعلم للطلبة فى المدارس :

« إنى ذاهب يا أمى الى الجهاد لمحو القرآن ، وإذا ما مت ، فلا تحزنى على ، وإن سئلت عن سبب عدم حدادك ، فقولى — وانت فرحة — لقد استشهد فى سبيل القضاء على الاسلام » .

وقد أعلن قادة فرنسا فى مناسبات كثيرة أن الحرب فى الجزائر بين الصليب والهلال بقصد الانتقام من المسلمين ..

والمستعمرون غالبا يخفون نواياهم الدينية — أحيانا — تحت أستار اقتصادية وسياسية وغيرها من الحيل ، ولكن غايتهم الحقيقيـة هى القضاء على الاسلام والمسلمين ..

وقسما بالله لو أن عرب فلسطين كانوا نصارى لما كان لهم هذا المصير وهذه شعوب البلقان النصرانية ، فإن أول ما فعلته حكومات أوروبا لما قويت ، المسارعة الى تحريرها من سلطان الدولة العثمانية المسلمة ..

كل ذلك يفعله الغربيون على الرغم من حسن معاملة المسلمين لهم فى عهود مجدهم وقوتهم ، فمدوا إليهم يد المعونة وانتذوهم من ظلمـات الجهل باعتراف علمائهم ومؤرخيهم المنصفين مما لا مجال لسرده هنا .

والآن ، ما العمل ؟ وكيف النجاة من اخطار الغربيين وغزوهم .. ؟ ريثما يتم لنا الحصول على قوة كقوتهم واستعداد كاستعدادهم .. ؟

السبيل الى ذلك التبشير بالاسـلام فى البلدان الغربية لإطلاع الغربيين على عظمة الاسلام وإنسانيته وسماحته وسـمو مبادئه ، ومبلغ حاجتهم إليه وما خسروه بسبب محاربتهم له ، وأنه صديق المسيح عليه الصلاة والسلام ، ومؤمن بنبوته ، وقد جاء هذا الدين رحمة للعالمين فاستطاع النهوض بالعرب خلال مدة قصيرة من الزمن ، فانطلقوا من باديتهم وفتحوا الدنيـا المعروفة وقتئذ وملأوها عدلا ورحمة بعد ما ملئت جورا وهمجية .. وهو لا يزال — والى الأبد — يحمل بين طياته عناصر القوة والسعادة والمعرفة ..

وينبغى أن يكون هذا التبشير على مستوى عال وبأرقى وسائل الاعلام ، ونذكر فيما يلى نماذج منها لبيان مزايا الاسلام وحاجة الغرب اليه ، كل ذلك بمختلف اللغات الأجنبية :

١ — استئجار بعض الصحف والمجلات الغربية ..
٢ — الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين واطلاعهم على الاسلام .
٣ — صنع الأفلام السينمائية وعرضها فى الغرب .
٤ — المسارح والفرق التمثيلية .
٥ — تأليف الكتب والنشرات المبسطة عن الاسلام .
٦ — إنشاء مجلات إسلامية وخاصة للأطفال .
٧ — التعاون مع الغربيين الذين أسلموا لوضع المخططات لنشر الاسلام .
٨ — تقوية الإذاعات العربية لإيصال صوت الاسلام الى أسماع جميع الغربيين بأساليب حديثة مشوقة .

ويحسن الى جانب ما سبق ، إعلام الغربيين بما جاء فى كتبهم الدينية من تحريف وتناقض ومعوقات عن التقدم والرقى .

كما يحسن أيضا إعلام هؤلاء الغربيين عما جاء فى هذه الكتب من توحيد الإله ونبوة المسيح ، وبعثة محمد عليهما الصلاة والسلام ..

وينبغى أن نشير بمناسبة الكلام عن التبشير الى أن الظروف الحاضرة كلها مواتية له ، فإن الغرب اليوم يعيش فى قلق مخيف وفراغ سحيق بسبب إفلاس وعجز الديانة المسيحية ومثلها جميع النظم والقيم التى وضعها الغربيون لأنفسهم .. فكانت سبب اضطرابهم .. ووقوعهم فريسة للمادة التى كرسوا حياتهم لها ، فكان مثلهم مثل عبدة الأصنام الذين صنعوا معبودهم ، فما لبث أن أذلهم وأعمى أبصارهم ..

هذا مثل الحياة المادية التى يعيشها الغربيون ، فغدوا أسرى لها ، وأفنوا أعمارهم من أجل الحصول عليها دون أن تحقق لهم الاستقرار والسعادة والطمأنينة بل كانت سبب حروب طاحنة بينهم .

واليوم شعروا بالفراغ نتيجة البعد عن القيم الروحية ، ونادى كبار علمائهم ومفكريهم بقرب انهيار حضارتهم بسبب ذلك ، وسموا هذا العصر بعصر القلق على الرغم من توفر جميع الوسائل المادية ..

ففى هذه الأزمة الروحية إذا تقدم المسلمون بالاسلام الصحيح من منبعيه الفياضين : الكتاب والسنة ، لا من الاختلافات المذهبية المضطربة ، وبالأساليب الحديثة النفسانية (السيكولوجية) وأثبتوا للغربيين استعدادهم هذا الدين وقدرته على حل جميع مشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كما اعترف بذلك كثير من علمائهم المنصفين .

أجل إذا تقدم المسلمون بالاسلام الى الغربيين بالصورة السابقة ، فإنهم لا شك سيقبلون عليه إقبال الظمآن على الماء العذب ، وسيدخلون فيه أفواجا ..

وبذلك نكون قد أنقذناهم من خطر داهم ينتظرهم من جراء فقدان المثل العليا وإستعدادهم الجهنمى الذى يهدد البشرية كلها بالفناء .

كما نكون قد أنقذنا أنفسنا وأبناءنا الذين يسيرون وراءهم ويدورون بفلكهم ..

وكذلك نكون قد أنقذنا الحضارة من شر محدق ، ووجهنا هؤلاء الغربيين العباقرة وجهة صالحة نحو الحق والخير والسلام ، وفتحنا للبشرية صفحة جديدة تحقق لها السعادة والرقى الصحيح ..

لقد بشر الله سبحانه فى القرآن العظيم بهذا اللقاء ، وبإسلام العالم أجمع فى قوله :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » .

وقوله : **((هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون))** .

كما بشر رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — بهذا المستقبل العظيم للإسلام بقوله : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزا يعز

الله به الاسلام ، وذلا يذل به الكفر » رواه أحمد والطبرانى والحافظ المقدسى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

وقد أعلن كثير من منصفى علماء الغرب وفلاسـفته عن قرب اليوم الذى يدخل فيه الغربيون الاسلام ، فقال الفيلسوف الإنكليزى (برنارد شو) :

« إن محمداً يجب أن يدعى منقذ الانسانية ، ولو أن رجلا مثله تولى قيادة العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة إليهما ، وإن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذابا ومقبولا لكل جيل من الناس ، وقد تنبأت أنه سيكون مقبولا لدى أوروبا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم .. وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومى ، ومن أهل أوروبا دخلوا دين محمد ، حتى لنتمكن أن نقول ــ إن تحول الغرب الى الاسلام قد بدأ » (٤) .

هذا ، وإذا سـلمنا جدلا أن الغرب فى الوقت الحـاضر لا يدخل فى الاسلام فإننا نكون فى هذا التبشير قد قمنا بواجبنا الدينى ، وأطلعنا الغربيين على ديننا وعرفناهم بمبادئه ، وهم ــ ولا شك ــ سيقلعون عن محاربته وعن قتالنا ..

ومن الغريب ــ والغريب جدا ــ أن يهمل المسلمون التبشير بدينهم وقد خص الله سبحانه فى القرآن سهما معينا ومستقلا من أموال الزكاة للتبشير ، وهو سهم (المؤلفة قلوبهم) ولو استخدمه المسـلمون بوعى لانتشر الاسـلام فى كل مكان ..

وقد فهم الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضى الله تعالى عنه ــ من هذا السهم قسما معينا من الناس ، فلما قوى الاسلام إمتنع عن إعطائه لهم ، وهو أوسع من ذلك قال الإمام ابن كثير فى تفسيره :

« وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام ، منهم من يعطى ليسلم كما أعطى النبى صلى الله عليه وآله وسلم صفوان بن أمية من غنائم حنين ، وقد كان شهدها مشركا قال : فلم يزل يعطينى حتى صار أحب الناس إلى بعد أن كان أبغض الناس إلىّ . كما قال الإمام أحمد : حدثنا زكريا بن عدى ، حدثنا ابن المبارك عن يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال ــ وذكر الحديث السابق رواه مسلم والترمذى من حديث سعيد بن يونس عن الزهرى . ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضا جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل وقال : « إنى لأعطى الرجل وغيره أحب إلى منه ، خشية أن يكبه الله على وجهه فى نار جهنم » . وفى الصحيحين عن أبى سعيد أن عليا بعث الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذهبية فى تربتها من اليمن فقسمها بين أربعة نفر : الأقرع بن حابس ، وعيينة بن بدر ، وعلقمة بن علاثة ، وزيد الخير وقال : « أتألفهم » .

ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ، ومنهم من يعطى ليجبى الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البـلاد ، ومحل تفصيل ذلك فى كتب الفروع والله أعلم .

وهل تعطى المؤلفة على الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ؟

فيه خلاف ، فروى عن عمر وعامر والشعبى وجماعة أنهم لا يعطون بعده ، لأن الله قد أعز الاسلام وأهله ومكن لهم فى البلاد ، واذل لهم رقاب العباد .
وقال آخرون : بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر يحتاج اليه فيصرف اليهم . » ا. هـ.
وجاء فى تفسير الإمام ابن الجوزى قوله تعالى : « والمؤلفة قلوبهم » وهم قوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على الاسلام بما يعطيهم ، وكانوا ذوى شرف ، وهم صنفان : مسلمون وكافرون ، فأما المسلمون ، فصنفان ، صنف كانت نياتهم فى الاسلام ضعيفة ، فتألفهم تقوية لنياتهم كعيينة بن الحصن ، والأقرع ، وصنف كانت نياتهم حسنة ، فأعطوا تألفا لعشائرهم من المشركين ، مثل عدى بن حاتم ، وأما المشركون ، فصنفان ، صنف يقصدون المسلمين بالأذى ، فتألفهم دفعا لأذاهم مثل عامر بن الطفيل ، وصنف كان لهم ميل الى الاسلام ، تألفهم بالعطية ليؤمنوا ، كصفوان بن أميه ، وقد ذكرت عدد المؤلفة قلوبهم فى كتاب (التلقيح) وحكمهم باق عند أحمد فى رواية ، وقال أبو حنيفة ، والشافعى : حكمهم منسوخ .
قال الزهرى : لا أعلم شيئا من نسخ حكم المؤلفة قلوبهم) . أ. هـ.

لنفكر من جديد فى سهم المؤلفة قلوبهم ، ولنصرفه كما خطط له الاسلام مما رأينا خلاصته سابقا ، فإنه كفيل بإحداث إنقلاب عظيم فى صفوف الغربيين ودخولهم فى دين الله افواجا ، أو نجاتنا من شرهم على أقل تقدير ، والحفاظ على البقية الباقية من ثروة المسلمين من الضياع وابتلاع المستعمرين لها نتيجة إهمالنا التبشير بديننا ..
وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم كما حرص القرآن العظيم على التبشير ، فلم تصرفه مشكلاته فى المدينة المنورة بعد هجرته إليها ، وما لاقاه من مؤامرات المشركين من الخارج ، ومؤامرات اليهود والمنافقين من الداخل عن هذا التبشير ، فبعث الكتب والرسل الى الملوك والأمراء والاقيال يبلغهم دعوة الاسلام ويحثهم على الدخول فيه مع أقوامهم الذين يحملهم تبعتهم .
وقد كان هذا الرسول العظيم يعرض نفسه على القبائل قبل الهجرة فى موسم الحج ويشرح لها مبادىء الاسلام بمختلف الوسائل متحملا فى سبيل ذلك أنواع الاضطهاد والعنت ، حتى دخل الكثيرون فى الاسلام .

وقد رأيت من الطرافة — ونحن بعرض الدعوة للاسلام — أن أتحدث عن الكتب التى أرسلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وما رافقها من أحداث وتطورات ، لعلها تثير فينا الحماسة وتبعثنا على التضحية فنسارع الى تبليغ دين الله تعالى الى الأمم جمعاء حتى نكون شهداء حقا عليهم يوم القيامة بأننا بلغناهم وإلا كانوا معذورين بعدم إسلامهم ، وكنا مسؤولين عن تقصيرنا ، وعما نلاقى منهم من إعتداء ..
وأول ما فعله هذا الرسول أن هيأ رسله وأعدهم لحمل هذه الكتب وقطع المسافات الشاسعة لتسليمها الى اصحابها وتحمل كل ما يتصور أن يصيبهم بسببها من اضطهاد وقتل ..

خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم على اصحابه فقال :
« أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة للناس كافة فلا تختلفوا على كما إختلف الحواريون على عيسى بن مريم » ..
قال اصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله .. ؟
قال : « دعاهم الى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثا قريبا ، فرضى وسلم ، واما من مبعثه مبعثا بعيدا ، فكره وجهه وتثاقل » .
ثم ذكر لهم أنه مرسل الى هرقل وكسرى والمقوقس والحارث الفسانى ملك الحيرة والحارث الحميرى ملك اليمن ، والى نجاشى الحبشة يدعوهم الى الإسلام ..

فأجابه اصحابه الى ما أراد ، فضنع له خاتما من فضة نقش عليه « محمد رسول الله » وأرسل الكتب مع رسله ..
ترى كيف كان مصير هذه الكتب وبماذا أجيب عنها .. ؟
روى الطبرى فى الجزء الثالث من تاريخه أنه لما وصل كتاب رسول الله الى هرقل ملك الروم ، وهو بالشام يريد العودة الى القسطنطينه ، جمع الروم وقال لهم ما ملخصه :
يا معشر الروم ، انى عارض عليكم امورا فانظروا فيما قد أردتها ، قالوا : وما هى ؟. قال : تعلمون — والله — أن هذا الرجل لنبى مرسل ، إنا نجده فى كتابنا ، نعرفه بصفته التى وصف لنا ، فهلم فلنتبعه ، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا .؟ فقالوا : نحن نكون تحت يدى العرب ، ونحن أعظم الناس ملكا واكثرهم حـالا وأفضلهم بلدا .. فلما أبوا عليه ، قال : اما والله لترون انكم قد ظفرتم اذا امتنعتم منه فى مدينتكم .. ثم جلس على بغل له ، فانطلق حتى اذا أشرف على الدرب إستقبل أرض الشام ثم قال : السلام عليك أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينه ..
أما كسرى فارس فإنه ثارت ثائرته ، واشتد غضبه عندما تسلم كتاب الرسول ، وبعث الى عامله على اليمن — باذان — يأمره بأن ينهض لتأديب هذا الرجل وجاء فى إنذاره « إبعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك فليأتيانى به » ..

وارسل باذان رجلين من قبله الى الرسول ، فلما وصلا إليه اخبراه أن كسرى يطلب مقابلته ، فصرفهما الرسول على أن يلتقى بهما فى الغد ..
وحان موعد الرجلين ، فذهبا لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسـلم ، فأخبرهما بمصرع كسرى بيد إبنه شيرويه ، كما أخبره الوحى ، فدهشا من هذا الخبر . وقال لهم رسول الله : « أخبرا ملككم ذلك عنى ، وقولا له : إن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى .. وقولا له انك إن أسـلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء » .
ولما وصل الخبر الى باذان وتحقق بعد ذلك من قتل كسرى قال : « إن هذا الرجل لرسول » .. فأسلم وأسلم من كان معه من الفرس ببلاد اليمن .
وأما المقوقس عظيم القبط فى مصر ، فقد إستقبل حامل كتاب الرسول بما يجب من إكرام وبعث معه بهدية : جاريتين وغيرهما ، أما الجاريتان فمارية التى إختارها النبى لنفسه فولدت له إبراهيم من بعد ، وسيرين التى أهداها الى شاعره حسان بن ثابت .
واما ملك الحبشة النجاشى ، فقد ذكر المؤرخون انه لما تسلم كتاب رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم وضعه على عينيه ، ونزل عن سريره وجلس على الارض ، وقال : اشهد ان لا إله إلا الله ، وان محمدا رسول الله ، وحفظ الكتاب عنده ، ثم بعث بكتاب الى رسول الله جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من النجاشي أصحبة ، سلام عليك يا نبى الله من الله ورحمته وبركاته الذى لا إله إلا هو ، والذى هدانى للإسلام ، أما بعد ، فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه السلام ، فورب السماء والأرض إن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت ، وقد عرفنا ما بعثته إلينا وقرّبنا ابن عمك وأصحابك ، وأشهد أنك رسول الله صادقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يده لله رب العالمين ..

وقد سر النبى كثيرا لإسلام النجاشى ، ولما بلغه موته صلى عليه صلاة الغائب لعلمه أنه لم يصل عليه أحد فى الحبشة ..

أكتفى بهذا القدر من سرد مبلغ إهتمام الاسلام بالتبشـــير ، وقد جعله فرضا عينيا على العلماء فقال سبحانه : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير — أى الى الاسلام — ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » آل عمران ١٠٥

وفى الختام أستصرخضمائر المسؤولين وأصحاب الثروات فى العالم العربى الاسلامى لإعطاء موضوع التبشير بالاسلام فى ديار الغرب ما يســتحقه من اهتمام ، وهو أولى من التبشير به فى أفريقيا وغيرها حيث يلقى هناك مقاومة عنيفة من جيوش المبشرين النصارى بوسائلهم المختلفة القوية .. ولا يوجد كل ذلك فى الغرب نفسه ، وهو مصدر الجريمة ..

اليس مما يبعث على الأسى والحسرة أن نرى دول الغرب القوية تتعاون على حشد كثير من إمكانياتها وثرواتها للتبشير بالنصرانية فى العالم مما أخضع لها كثيرا من الشعوب والجماعات والأفراد بينما نحن ساهمون لاهون عن هذا التبشير ، مما جعلنا نحصد جزاء تفريطنا : إستعمارا واضطهادا وجلاء وإعتداء وغيرها من الشرور لا نزال نعانى ويلاتها الى يومنا هذا .. ؟!

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد » ..

---

(١) أنظر كيف تسىء البدع والاوهام الى سمعة الاسلام ، فان الذكر بلفظ « الله ، الله » لم يرد فى الكتاب أو السنة ، وخاصة اذا كان مصحوبا بالرقص كما يحدث ذلك فيمــا يســمونه بحلقات الذكر ، مما جعل هذا المستشرق يظن أن ذلك من الاسلام وراح يسميه بمظاهر الصرع والذهول العقلى .

(٢) تاريخ الامام محمد عبده ٢/٤٠٩ .

(٣) الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ١/٢٢٧ .

(٤) من رســالة سماها « نداء العمــل » نشرت فى مجــلة نور الاســلام التى كان يصدرها الجامع الازهر .

الإلحاد ليس تطوّراً

للشيخ محمد الغزالى

ربما شك بعض الناس فى حقيقة الدين الذى يعتنقه ، أو فى جدواه عليه .. !

فإن ساور هذا الخاطر احدا من خلق الله ، فإن العربى آخر امرىء يعرض له هذا الظن ، بل يقرب من المستحيل أن يساوره .. !!

ذلك أن فضل الاسلام على العرب كفضل الضياء والماء على الزرع ..

لا أقول : أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ، بل أقول : أوجدهم من عدم ، وجعل لاسمهم حقيقة ، وأقام بهم دولة وانشأ حضارة .. !

قد تكون بعض العقائد عقاقير مخدرة للنشاط البشرى .. !

لكن الاسلام لما جاء العرب شحذ هممهم ، وأنار عقولهم ، ووحد صفهم ، وطار بهم الى آفاق مادية وأدبية لم يحلم بها آباؤهم ، ولا تخيلها أصدقاؤهم أو أعداؤهم .. !!

ومضى العرب فى طريق المجد الذى شقه الاسلام لهم ، فعرفهم العالم وكان من قبل يجهلهم ، وافاءوا على ماضيه القريب ما لا ينكره إلا متعصب كنود .. !

وارتبطت مكانة العرب الذاتية والعالمية بهذا الدين ، فهم يتقهقرون إذا تخلوا عنه ، ويستباح حماهم ! وهم يرتقون ويتقدمون إذا تشبثوا به ، وتحترم حقوقهم .. !

على عكس ما عرف فى أمم أخرى لم تستطع التحليق إلا بعد ما تخففت من مواريثها الدينية ، كلاً ، أو جزءا .. !!

وقد استطاع مسلمو الجزائر فى هذا العصر أن يستخلصوا حريتهم من براثن عاتية ، وأن يدفعوا ثمن هذا الخلاص مليونا ونصفا من الشهداء !!

وما ينبغى تقريره فى هذا المجال أن الاسلام وحده كان وقود هذا الكفاح القاسى ، الاسلام لا القومية .. !

فلما ظفر الجزائريون باستقلالهم بدءوا يستعيدون عروبتهم التى فقدوها خلال قرن وربع ، وضعت مشروعات لجعل الافراد والجماعات ينطقون بالعربية ويتفاهمون بها ، بعد ما كادت هذه اللغة تبيد أمام زحف الفرنسية وسيادتها فى الشوارع والدواوين .. !!

إن الاسلام بالنسبة الى العروبة ولى نعمتها وصانع حياتها ، وقد اعترف مسيو (جارودى) — وهو شيوعى فرنسى عاش ردحا من الزمن فى جبهة التحرير الجزائرية — قرين الإيمان .

وينصح الأمة كلها بالطاعة والإصلاح ويتهدد عدوها بالطرد والهوان ، ثم يأمرها بالمقاومة ورفض الاستسلام ، وسيكون المستقبل لها إن هى أبقت حبلها موصولا بربها : **« يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم . إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم . فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم »** .

الاسلام ولي نعمتنا وصانع حضارتنا
سيبقى الليل حتى يحمل العرب رسالة الاسلام

اعترف بأن الدين وحده هو الذى أوقد شرر هذا الكفاح العزيز الغالى ، وأن الاسلام يستحيل أن يوصف بأنه مخدر للشعوب .. !!

والاسلام لا يجعل من العرب شعبا مختارا يفضل غيره لسلالة معينة أو دم خاص ، كلا كلا ، إن الله اختار لعباده تعاليم راشدة وشرائع عادلة ، ثم وكل الى العرب أن يحملوا هذه التعاليم والشرائع ، ليعملوا بها وليعلموها من شاء ..

والله يأبى كل نعرة عنصرية أو استعلاء قومى ..

إنها مبادىء محددة ، تنطلق الأمة منها ، فتكون بعين الله ، أو تند عنها فيدعها الله لنفسها .. !!

بالوفاء لهذه المبادىء تصعد ، فإن فرطت هوت ..

ولذلك يقول الله للمنهزمين فى أحد : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » فالعلو

والتدبر فى هذه الآيات الثلاث يعطى فكرة بينة أن تفضيل الأمة هو تفضيل سلوك ، ومنهج ، لا تفضل دم أو لون .

وأن الإيمان الشريف والاستقامة الواضحة أساس العزة المنشودة .. وأنه مهما لاقى المسلمون من صعاب وهزائم فلا يجوز أن يقبلوا سلما مخزية ، ولا أن يعطوا الدنية من أنفسهم .

ولهم أن يركنوا الى الله ، ولن يذل جانبهم ، ما آمنوا به وعملوا له ..

واليقظة العزيزة التى صنعها الاسلام وهو يبنى الأمة يمكن أن نتابعها فى مرحلتين :

الاولى : فى العهد المكى ، يوم كان المسلمون قلة تتوقع الضيم ويتجرأ عليها الأقوياء ! لقد أمر المسلمون إبان هذه المحن أن يثبتوا ويشمخوا بحقهم ، ويتنكروا لكل

هوان ينزل بهم ، ويطلبوا ثأرهم ممن اعتدى عليهم ، فإن عفوا فعن قدرة ملحوظة لا عن ادعاء مرفوض .. !!

انظر كيف وصفت سورة الشورى المكية طلاب الآخرة الذين يؤثرون ما عند الله على هذه الدنيا ، إنهم **« الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين »** .

فطلاب الآخرة — كما وصفتهم السورة المكية — ليسوا الذين يعيشون فى الدنيا أذنابا مستباحين، أو ضعافا مغموصين أو كما يقول الشاعر يصف قوما تافهين ..

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يستأمرون وهم شهود !!

لا ، لا ، إن هؤلاء المؤمنين بالدار الآخرة يفرضون أنفسهم على هذه الحياة الدنيا ، ويكرهون العدو والصديق على أن يحسب حسابهم ويزن رضاهم وسخطهم ، ويعلم أن نتائج العدوان عليهم أذى محذور وشر مستطير .. !!

لأنهم إذا بغي عليهم ينتصرون ، ويلطمون السيئة بمثلها .. !

وليس هذا بالنسبة الى الحق الادبى للجماعة كلها ، بل هو كذلك بالنسبة الى حق الفرد فى ماله الخاص .

فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى .. ؟

قال : لا تعطه مالك .. !
قال : أرأيت إن قاتلنى .. ؟
قال : قاتله .. !
قال : أرأيت إن قتلته .. ؟
قال : هو فى النار .. !
قال : أرأيت إن قتلنى .. ؟
قال : فأنت شهيد .. !

هل هذه الوصايا هى التى تخدّر الأفراد والجماعات .. ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

فإذا تجاوزنا العهد المكى الى العهد المدنى نجد توجيها ينبع من هذه الروح الأبية الشامخة .

إن الهوان جريمة ، وقضاء الحياة فى ضعف واستكانة مرشح أول للسقوط فى الدار الآخرة ..

ومن هنا اثبت القرآن الكريم هذا الحوار بين ملائكة الموت وبين الذين عاشوا فى الدنيا سقط متاع ، وأحلاس ذل .. !

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا : كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

والهجرة المفروضة هنا ، هى التحول من مكان يهدر فيه الإيمان وتضيع معالمه الى مكان يأمن فيه المرء على دينه .

ولكن حيث استقرت دار الاسلام، فلا تحول ، وإنما يبقى المسلمون حيث كانوا ليدافعوا عن ترابهم ذرة ذرة ، ولا يسلموا فى أرض التوحيد لعدو الله وعدوهم ..

والآية تحرم قبول الدنية وإلف الاستضعاف ، وتوجب المقاومة الى آخر رمق .. ومما يؤكد هذا المعنى أن القرآن احصى الطوائف التى تـُعذَر فى هذا التمرد المطلوب على قوى الشر .

ومع استثنائها فإن مصيرها ذكر معلقا على رجاء المغفرة والعفو لا على توكيد ذلك .. !!

« إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم » .

والتعبير بعسى هنا مثير للقلق ،

وهى إشارة مقصودة حتى لا يقعد عن مكافحة المعتدين من يقدر على إلحاق أى أذى بهم مهما قل .

إن المؤمن لن يكون أبدا ثالث الصنفين اللذين عناهما الشاعر فى قوله :

ولا يقيم على ضيم يراد به !
إلا الأذلان، عير الحى ، والوتد ..
هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشق فلا يرثى له أحد !!

المسلم لا يقبل الحياة على أية صورة وبأى ثمن ، إما أن تكون كما يبغى ، وإما رفضها وله عند ربه خير منها وأشرف .. !!

ومن صيحات الكرامة والإباء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » !!

وفى حديث آخر « من قتل دون مظلمته فهو شهيد !! » .

هل رأيت استنهاضا للهمم ، واستنفارا للنضال ، واستثارة للذود عن الدماء والأموال والأعراض ، أحر من هذه المبادىء .. ؟؟

أيمكن فى منطق العقل والإنصاف أن يوصف هذا الدين بأنه مخدر للشعوب .. ؟ ألا شاهت الوجوه !!

وربما اتصل بهذه التهمة المتهافتة تصور البعض أن الدين رباط مع الماضى ، وأن التطور ينافيه ..

ونتساءل نحن : ما هذا التطور ؟ إن الإلحاد ليس تطورا ! بل هو ترديد لكفر الصغار من جهلة القرون الاولى .

من ألوف السنين وقفت قبيلة عاد من رسولها موقفا كأنما لخصت فيه كل ما يقال فى هذا العصر على ألسنة الشطار من دعاة الإلحاد :

((أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ، هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين، إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين)) .

إن التحلل من قيود الدين وفضائله ليس تجديدا ولا ابتكارا ، بل هو خنوع للغرائز الدنيا التى أنامت ألوف الخلعاء والخبثاء من عشرات القرون ، وجعلتهم يحيون وفق شهواتهم وحدها ! فأى ارتقاء فى ذلك المسلك الرخيص .. ؟؟

يا شباب العرب اقدروا التراث النفيس الذى شرف الله به أمتكم ، وأقام عليه تاريخكم ..

إن الدين الذى تنتمون اليه رفع منازلكم قديما ، وهو وحده القدير على استنقاذكم من ورطات هذه الأيام !!

لا تنخدعوا بمن يزهدكم فى رسالتكم ، فهو يرسم لكم طريق الموت .. !!

إن أمما أخرى لاذت بعقائد أردأ جوهرا وأسوأ منهجا ، واستطاعت أن تغالبكم وأن تنال منكم ، فعودوا سراعا الى دينكم وثقوا أنه وحده العاصم من الغرق .

كم يحزننى أن أرى شبابا عربىّ النسب أعجمى الفكر واللغة والضمير .. !!

لا يستند الى عقيدة ، ولا يعتز بتاريخ ، ولا يستظل براية ، ولا يسير الى غاية خدعوه فقالوا : الجيل الصاعد .. ولو صدقوه لقالوا : الجيل الضائع الهابط ..

أنظر إليه مليا ، ثم أهمس فى حسرة : إنك بهذا الشرود والفراغ تصنع الهزيمة تلو الهزيمة ، وتجر الكارثة بعد الكارثة .. !

متى تعود الى كتاب ربك ، وسنة نبيك .. ؟؟

سيبقى الليل حتى تقع هذه العودة المرتقبة ، ويحمل العرب مرة أخرى رسالة الإسلام .



ان اخطر ما تواجهه المجتمعات الإسلامية فى الوقت الحاضر هو ما يسمى بالغزو الثقافي بأسلحته المتنوعة من كتب وإذاعات وصحف ومجــلات وغير ذلك من الأسلحة الأخرى ، ذلك أن الاستعمار فى العصر الحديث قد غير من أساليبه القديمة لما ادركه من فشلها وعدم فعاليتها ومحاربة الشعوب واستماتتها فى الدفاع عن دينها وأوطانها ومقدراتها وتراثها ، حيث أن الأخذ بالقوة وعن طريق العنف والارهاب مما تأباه الطباع وتنفر منه النفوس لا سيما فى الأوقات الحاضرة بعد أن انتشر الوعى بين الناس واتصل الناس بعضهم ببعض وأصبح هنـــاك منظمات وهيئات كثيرة تدافع عن حقوق الشعوب وترفض الاستعمار عن طريق القوة وتطالب بحق تقرير المصير لكل شعب ، وأن لأهل كل قطر حقهم الطبيعى فى سيادتهم على أرضهم واستثمار مواردهم وتسيير دفة الحكم فى أوطانهم حسب ميولهم ورغباتهم وطريقتهم فى الحياة وحسب ما تدين به تلك الشعوب مـــن

معتقدات ومذاهب وأساليب مختلفة للحكم مما اضطر معه الى الخروج عن هذه الأقطار بعد قتال عنيف وصدامات مسلحة وحروب كثيرة دامية .

ولكنه قبل أن يخرج من هذه الأقطار فكر فى عدة وسائل واتخذ كثيرا من المخططات بعد دراسة واعية وتفكير طويل وتصور كامل لأبعاد هذه المخططات ومدى فعاليتها وتأثيرها والطرق التى ينبغى أن تتخذ للوصول الى الغاية التى يريد واهدافه تتلخص فى إيجاد مناهج دراسية على صلة ضعيفة بالدين مبالغة فى الدهاء والمكر والتلبيس ركز فيها على خدمة أهدافه ونشر ثقافته وترسيخ الاعجاب بما حققه فى مجال الصناعات المختلفة والمكاسب المادية فى نفوس أغلب الناس حتى اذا ما تشربت بها قلوبهم واعجبوا بمظاهر بريقها ولمعانها وعظيم ما حققته وانجزته من المكاسب الدنيوية والاختراعات العجيبة لا سيما فى صفوف الطلاب والمتعلمين الذين لا يزالون فى سن المراهقة والشباب اختارت جماعة منهم ممن انطلى عليهم سحر هذه الحضارة لاكمال تعليمهم فى الخارج فى الجامعات الأوربية والأمريكية وغيرها حيث يواجهون هناك بسلسلة طويلة من الشبهات والشهوات على أيدى المستشرقين والملحدين بشكل منظم وخطط مدروسة وأساليب ملتوية فى غاية المكر والدهاء — وحيث يواجهون الحياة الغربية بما فيها من تفسخ وتبذل وخلاعة وتفكيك ومجون وإباحية .

وهذه الأسلحة وما يصاحبها من اغراء وتشجيع وعدم وازع من دين أو سلطة قل من ينجو من شباكها ويسلم من شرورها إلا من عصم الله وهم القليل — وهؤلاء بعد اكمال دراستهم وعودتهم الى بلادهم وتسلمهم المناصب الكبيرة فى الدولة خير من يطمئن اليهم المستعمر بعد رحيله ويضع الأمانة الخسيسة فى أيديهم لينفذوها بكل دقة ، بل بوسائل وأساليب أشد عنفا وقسوة من تلك التى سلكها المستعمر كما وقع ذلك فعلا فى كثير من البلاد التى ابتليت بالاستعمار أو كانت على صلة وثيقة به .

أما الطريق الى السلامة من هذا الخطر والبعد عن مساوئه وأضراره فيتلخص فيما أقدمت عليه حكومتنا السنية بعد ادراك كامل للمصلحة العامة وتقدير للمسئولية من انشاء الجامعات والكليات والمعاهد المختلفة بكافة اختصاصاتها للحد من الابتعاث الى الخارج وتدريس العلوم بكافة أنواعها فى المملكة حرصا على سلامة عقيدة هؤلاء الشباب وصيانة أخلاقهم وخوفا على مستقبلهم — وحتى يساهموا فى بناء مجتمعهم على ضوء من تعاليم الشريعة الاسلامية وحسب حاجات ومتطلبات هذه الأمة المسلمة وضيقت من نطاق الابتعاث الى الخارج وحصرته فى علوم معينة لا يتوفر فى الوقت الحاضر تدريسها فى الداخل .

وإنا لنشكر لحكومتنا السنية هذا الصنيع وحرصها الشديد على مستقبل الأمة والوطن وعلى ما حققته وأنجزته من المشاريع النافعة والمكاسب الضخمة ونسأل الله لها مزيدا من التوفيق للأعمال الصالحة والخدمات النافعة للمسلمين ولكن هذا المقام مع ما ذكرنا يحتاج الى مزيد من العناية فى أصلاح المناهج وصبغها بالصبغة الاسلامية على وجه أكمل والاستكثار من المؤسسات العلمية التى يستغنى بها أبناء البلاد عن السفر الى الخارج — وأختيار المدرسات والمديرين والمديرات وأن يكون الجميع من المعروفين بالأخلاق الفاضلة والعقيدة

الطيبة والسيرة الحسنة والغيرة الاسلامية والقوة والأمانة لأن من كان بهذه الصفات أمن شره ورجي خيره وبذل وسعه في كل ما من شأنه ايصال المعلومات الى الطلبة والطالبات سليمة نقية .

اما اذا اقتضت الضرورة ابتعاث بعض الطلاب الى الخارج لعدم وجود بعض المعاهد الفنية المتخصصة لا سيما فى مجال التصنيع واشباهه فأرى أن يكون لذلك لجنة علمية أمينة لاختيار الشباب الصالح فى دينه وأخلاقه المتشبع بالثقافة والروح الاسلامية واختيار مشرف على هذه البعثة معروف بعلمه وصلاحه ونشاطه فى الدعوة ليرافق البعثة المذكورة ويقوم بالدعوة الى الله هناك ، وفى الوقت نفسه يشرف على البعثة ويتفقد أحوالها وتصرفات أفرادها ويقوم بارشادهم وتوجيههم وأجابتهم عما قد يعرض لهم من شبه وتشكيك وغير ذلك .

وينبغى أن تعقد لهم دورة قبل ابتعاثهم ولو قصيرة يدرسون فيها جميع المشاكل والشبهات التى قد تواجههم فى البلاد التى يبتعثون اليها ويبين لهم موقف الشريعة الاسلامية منها والحكمة فيها حسب ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام أهل العلم مثل أحكام الرق وتعدد الزوجات بصفة عامة وتعدد أزواج النبى (صلى الله عليه وسلم) بصفة خاصة وحكم الطلاق وحكمة الجهاد ابتداء ودفاعا وغير ذلك من الأمور التى يوردها أعداء الله على المسلمين حتى يكونوا على استعداد تام للرد على ما يعرض لهم من الشبه .

أما عن مجابهة الغزو المتمثل فى الاذاعات والكتب والصحف والمجلات والأقلام التى ابتليت بها المجتمعات الاسلامية فى هذا العصر وأخذت تشغل أكثر أوقات المرء المسلم والمراة المسلمة رغم ما تشتمل عليه فى أكثر الأحيان من السم الزعاف والدعاية المضللة والأدب الرخيص والصور العارية والدعوة الى الفساد فأرى أن من أهم علاج ذلك أن تهتم الدول الاسلامية لا سيما حكومتنا السنية بايجاد هيئة من أهل العلم والبصيرة والغيرة على الاسلام والثقافة الواسعة وتفرغ لكتابة البحوث والنشرات والمقالات النافعة والدعوة الى الاسلام والرد على الغزو الثقافى المنظم وكشف عواره وتبيين زيفه حيث أن الأعداء قد جندوا كافة أمكاناتهم وقدراتهم وأوجدو المنظمات المختلفة والوسائل المتنوعة للدس على المسلمين فلا بد من تفنيد هذه الشبهات وعرض الاسلام عقيدة وتشريعا وأحكاما وأخلاقا عرضا شيقا صافيا جذابا بالأساليب الطيبة العصرية المناسبة وعن طريق الحكمة والموعظة والجدال بالتى هى أحسن فهو الدين الكامل الجامع لكل خير الكفيل بسعادة البشر وتحقيق الرقى الصالح والتقدم السليم والأمن والطمأنينة والحياة الكريمة والفوز فى الدنيا والآخر ..

وما أصيب المسلمون إلا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب ، وعدم فهم الأكثرين لحقيقته وما ذلك الا لاعراضهم عنه وعدم تفقههم فيه وتقصير اكثر العلماء فى شرح مزاياه وابراز محاسنه وحكمه وأسراره والصدق والصبر فى الدعوة اليه ، وتحمل الأذى فى ذلك بالأساليب والطرق المتبعة فى هذا العصر ومن أجل ذلك حصل ما حصل اليوم من الفرقة والاختلاف وجهل الأكثر لأحكام الاسلام والتباس الامور عليهم .

ومعلوم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها والذى صلح به

أولها هو اتباع كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم كما قال تعالى (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقال تعالى (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) وقال سبحانه (وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) وقد وعدهم الله سبحانه على ذلك النصر المبين والعاقبة الحميدة كما قال سبحانه وهو أصدق القائلين (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وقال سبحانه (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) وقال عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) وقال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، ولما حقق سلفنا الصالح هذه الآيات الكريمات قولا وعملا وعقيدة نصرهم الله على أعدائهم ومكن لهم فى الأرض ونشر بهم العدل ورحم بهم العباد وجعلهم قادة الأمة وأئمة الهدى ولما غير من بعدهم غير عليهم كما قال سبحانه « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

فنسأل الله سبحانه أن يرد المسلمين حكومات وشعوبا الى دينهم ردا حميدا وأن يمنحهم الفقه فيه والعمل به والحكم به وأن يجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم للتعاون على البر والتقوى والتواصى بالحق والصبر عليه انه سميع قريب وصلى الله وسلم على نبينا وسيدنا محمد وآله وصحبه واتباعه باحسان .

المتكلمون في الدين

اللواء الركن/محمود شيت خطاب

لا بد للمتكلم فى الدين أن يؤمن إيمانا عميقا بالدين ويؤمن انه يدافع عنه دفاعا عن قضية عادلة ويدعو اليه إنقاذا للناس من شرور الدنيا الى خيراتها وفضائلها ، ومن عذاب الآخرة ونار جهنم الى جنـــة عرضهـــا السموات والأرض ..

ولا بد للمتكلم فى الدين ، أن يعمل به ويجعله منهجا له فى الحياة لا يحيد عنه قيد انملة ، وأن تطابق اقواله أعماله ، بل تزيد أعماله على أقواله ليكون قدوة حسنة لمريديه وسامعيه . وأعتقد أن هذين الشرطين هما أهم الشروط التى يجب أن تكون فى المتكلم بالدين ــ الإيمان العميق بالدين أو (النية) والعمل بتعاليمه ، والتمسك بأهدافه والدعوة اليه والدفاع عنه .

هذان الشرطان الرئيسيان هما ــ النية والعمل .

ويقتضى أن يكون المتكلم فى الدين عالما فى الدين ، متقنا لفروعـــه وأصوله حتى يفيد كلامه ، ويقبل الناس على سماعه .

والذى تكون بضاعته فى العلوم الدينية قليلة ، تكون فائدته للمستمعين قليلة أيضا ، وقد كان السلف الصالح لا يتكلمون فى الدين الا اذا بلغوا شأوا بعيدا فى العلوم الدينية وسمح لهم أساتذتهم بالكلام أو الفتيا .

ومع عمق العلوم التى يستوعبها أحدهم ، فانه كان يتورع عن الكـــلام فى الدين الا اذا كان متأكـــدا من صحة معلوماته ودقتها ، وكان لا يتسرع فى الاجابة على سؤال دينى ما لم يفتش عنه فى مظانــــه من المصادر ، ويسأل عنه أهل الذكـــر ..

ومن المهم أن يتقن المتكلم فى الدين علوم اللغة والبيان ، فكلما كـــان المتكلم بليغا ، أثر فى الذين يسمعونه والذين يأخذون عنه ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أبلغ البلغاء ، وأفصح الفصحاء وقـــد أوتى جوامـــع الـــكلم ..

وأن يتحلى المتكلم فى الدين بمزية (الايجـــــاز) ..

ولا يسعنى إلا أن أقف وقفة قصيرة عند مزية (الايجاز) ، فهى مزية قل أن يتحلى بها المتكلمون فى الدين ــ مع الأسف الشديد فى هذه الأيام .

يقف خطيب الجمعة مثلا ، وكل الدلائل تدل على أنه لم (يحضر) شيئا ليقوله ، فيبدأ بالكلام (المرتجل) ويتمادى فى ارتجاله ، ويأتى بأفكار من اليمين والشمال ، اكثرها غير متساوق ، يشيع فيها الاضطراب والتناقض ،

ويقضي في خطبته ساعة او اكثر ، غير ملتفت الى وجود أطفال وشيوخ ، ولا إلى حالة الطقس باردا أو حارا .. كل همه ان يتكلم وأن يرتجل الكلام ، وأن يكون صوته مرتفعا كهزيم الرعد وان تتحرك يداه ورأسه ، ويتحرك كل بدنه ولا شيء بعد ذلك .

وطالما سألت نفسي حين أصلي الجمعة ماذا قال الخطيب ؟ وبكل أمانة لا اعرف ماذا قال .

واتهمت نفسي كثيرا ، فقلت ربما يكون مستوى الخطيب أرفع من مستواى الثقافي ... ربما اكون شارد الذهن ..

ولكنني سألت من أثق به هذا السؤال ماذا قال الخطيب ؟ فكان الجواب دائما والله لا ادرى ..

الايجاز الايجاز على أن يكون الكلام معدا ومركزا ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم من أقل الناس كلاما ، وخطبه المسجلة التي وصلت إلينا قصيرة ، ولكن فيها أعظم الفائدة ..

وهكذا فان الكلام لا يقاس بطوله ، بل يقاس بمقدار فائدته .

« ٢ »

ومن الضروري أن يكون المتكلم بالدين دارسا عميقا ، أي أنه لا يكتفي بما حفظه من علم ، بل يدرس موضوع خطابه قبل القائه دراسة عميقة ، ولا يكتفي بمصدر واحد بل يقلب صفحات أكثر من مصدر واحد ، ولا يقتصر على المصادر القديمة بل يبحث في المراجع الحديثة .

وأفضل أن يكتب ما سيقوله ويقرأه على مكث ، ولو أن أكثر المتكلمين يفضلون الارتجال ، لأن الكلمة المكتوبة تكون مختصرة وشاملة غالبا ، ويكون المتكلم مقيدا بها .

أما الكلام المرتجل فيشرق ويغرب ويغزوه الاستطراد ، فيطول الكلام وغالبا ما يدب الى السامعين الملل والكلل والتذمر من المتكلم سرا وعلانية .

كما أن الكلام المكتوب يجبر صاحبه على الدراسة والتمحيص ، بعكس الكلام المرتجل الذي قد يخطر على بال صاحبه في اللحظة والتو دون سابق تحضير ، وكل دراسة وتمحيص تأتي بخير وتؤدى الى بركة وكل كلام مرتجل أو عمل مرتجل غالبا لا يؤدى الى خير .

وسيقول قائل إن الكلمة المرتجلة تؤثر في السامع أكثر من الكلمة المقروءة ، والواقع أن الكلمة المقروءة المعدة فائدتها أكبر من فائدة الكلمة المرتجلة ، والمسألة مسألة فائدة السامع ، وقد مضى الزمان الذين كان يعجب الناس بالخطيب المرتجل مهما يقل من كلام فقد أصبح الناس يزنون كلام القائل فيعجبون بما يستحق الاعجاب ، ويرفضون ما يستحق الرفض .

وهناك جامعات محترمة لا ترضى من الأستاذ أن يرتجل درسه ، بل لا بد من أن يقدم ذلك الدرس مكتوبا ، فيعرض على لجنة خاصة فتقره أو تعدله أو ترفضه . ذلك لأن تلك الجامعات تحرص على عقول طلابها ووقتهم ، وقد تعلمت بالتجربة أن الأستاذ المرتجل كثيرا ما ينسى شيئا أو يسهو عن شيء أو يقرر خطأ بعض الحقائق العلمية ، فيضر سامعيه ويفضح نفسه .

والاسلام والحمد لله واسع جدا ، فيه مجال للقول كثير ، وهـو دين يصلح لكل زمان ومكان ويرفع من مستوى كل مجتمع ..

والأمة الاسلامية تعانى من غزو فكرى شنيع ، والفكر لا يقاوم الا بفكر مثله أو أحسن منه ، وفى الاسلام خير كثير يستطيع المتكلم فى الدين أن يعرضه بأسلوب حديث ، يقضى به قضاء مبرما على الأفكـار الوافدة والمبـادىء المستوردة ..

ولست أعنى أن كل فكر وافد لا خير فيه ، فهناك أفكار مفيدة لا بأس من تعلمها وتعليمها ، ولكننى ارفض كل فكر يناقض روح الاسلام ، ولست أشك ان مثل هذا الفكر أضر معتنقيه ويضر من يعتنقه .

والحضارة العالمية عبارة عن أفكار اشترك فيها كثير من الأمم ، والفكر الصالح هو من صميم الاسلام أما الأفكار الضارة فهى التى لا نريد أن يتورط فيها مسلم .

والمتكلم فى الدين ، يجب ان يعرف الأفكار الوافدة الضارة ، والمبادىء المستوردة التى تناقض الاسلام ، ويعرف كيف يستنبط من الدين ما يقوض به تلك الأفكار والمبادىء بأسلوب علمى حصيف ..

أما أن يبقى المتكلم فى الدين ، مصرا على الكلام عن نواقض الوضوء .. الخ ..

تلك المواضيع التى اصبحت معروفة لكل مسلم ، والذى لا يعرفهـا يستطيع ان يسأل عنها ليتعلمها خلال دقائق معدودات ..

أما ان يبقى المتكلم فى الدين حريصا على ترديد نصوص معينة من كتب معينة عفى عليها الدهر وأنكرتها الأيام ، فان النتيجة المتوقعة هى أن يكون هناك انفصال بين هذا المتكلم فى الدين ، وبين سامعيه وخاصة من الشباب .

وقد حدثنى شيخ من كرام الشيوخ ، ولكنه يعيش فى غير عصره ، ويجهل التيارات الجارفة التى تلعب بأفكار الشباب فى المدارس والمعاهـد والجامعات والمجتمعات ، فذكر ان الدنيا بخير وأن الناس متمسكون بدينهم ... الخ ..

وكان ذلك الشيخ صادقا ، لأنه كان يتحدث عن المجتمع الصغير الـذى يعايشه ويختلط به .

واتذكر اننى حدثته بالواقع ، وقلت له إن هوة عميقة تنفصل بينكم — بين الشيوخ والشباب — وما لم تتداركوا الأمر قبل فوات الآوان ، فان الخطـر محدق والمصير مظلم ..

إن محاولة المتكلم فى الدين كشف كنوز الاسلام العظيمة بأسلوب جديد ، هو الذى يؤدى به الى النجاح من جهة ، والى إنقاذ السامعين مما يخالجهم من أفكار خطيرة تضر بهم اشخاصا ، وتضر بالمجتمع أيضا .

وكم فى الاسلام من كنوز عظيمة بامكانها اكتساح المبادىء الوافدة ، والأفكار المستوردة التى أضرت بالذين اعتنقوها أبلغ الإضرار .

ولكن أين المتكلم فى الدين الذى يكتشف هذه الكنوز ؟

وهنا أحذر من التورط فى ادعاء كل جديد انه من الاسلام ، وأن الاسلام قد سبق إليه .

ان الاسلام هو كل لا يتجزأ ، وهو رأس ، ويجب أن يبقى رأسا ، فليس

من مصلحة الإسلام ان نلهث وراء كل مبدأ جديد يتعشقه الناس وندعى أنه من الاسلام ..

ولكن يجب أن نقول إن المبدأ الفلانى يقول كذا ، ويعالج الأمور بكذا ، والاسلام يقول كذا ، ويعالج المشاكل بكذا .. فأى المعالجتين أفضل ؟

وهنا يبرز الفرق بين الاسلام وهو من صنع الله ، وبين المبادىء مهما تكن وهى من صنع البشر .

ان المبادىء الوضعية تتبدل ، وما كان جديدا امس ، أصبح قديما اليوم ، وما كان أمل الجماهير فى أيام سابقة اصبح موضع نقمتهم فى هذه الأيام ..

أما الاسلام ، فباق بقاء الحياة ، ثابت ثبات الراسيات ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

« ٣ »

وينبغى أن يقتنص المتكلم فى الدين ما يناسب الظروف الراهنة التى يعيشها المجتمع ، حتى يجد السامعون فى الدين ما يعالج مشاكلهم الراهنة ، ويناسب الظروف والأحوال ..

فاذا كانت الأمة فى حالة دفاع عن كيانها وحاضرها ومستقبلها ، كالذى تعيشه الأمة العربية وهى فى كفاح لاسرائيل ومن وراء اسرائيل من دول الاستعمار ، فلا بد للمتكلم فى الدين أن يركز على الجهاد بالأموال والأنفس ، واسلوب إخراج الجهاد من نطاق الفتاوى الى نطاق التطبيق العملى ، وعقاب المتخلفين عن الجهاد فى الاسلام ، ودرجة الشهيد فى الاسلام وغير هذه المواضيع الحيوية التى يعج بها الدين الاسلامى الحنيف .

لقد اصغيت الى عدد من الخطباء فوجدت أكثرهم يتحدثون عن مواضيع غير الجهاد ، فما أحراهم أن يلتفتوا الى بحث الجهاد ويشبعوه بحثا وتفصيلا ، لأنه من اسس الاسلام أولا ، ولأنه يناسب الظروف الحالية ثانيا ، ولأن العسكرية الاسلامية مفخرة من مفاخر الفن العسكرى اخيرا .

والمتكلم فى الدين — بالاضافة الى كل ذلك — عليه أن يكون له رصيد ضخم من علوم الدين حفظا يستشهد بها فى أحاديثه ، ولكنه ينبغى الا يكتفى بذكر الحقائق الواردة فى الكتب ، بل عليه أن يذكر الطريقة المثلى لتطبيق تلك الحقائق لتصبح عملا ولا تبقى كلاما .

ان المتكلم فى الدين الذى يضع الحلول للمشاكل هو فى الحقيقة مدرسة سيارة ، لا تمضى عليه مدة الا ويكون له تلاميذ وطلاب وأتباع ومريدون ، يروجون لآرائه ، ويحملونها الى الناس .

المتكلم فى الدين له رسالة ، ويجب أن يشعر بهذه الرسالة ويؤديها بكل امانة وإخلاص فى عنقه امانة ، فلينظر كيف يؤدى الأمانة .

وهذا الدين عظيم فلينظر كيف يبرز عظمته للعيان .

وفى هذا الدين جوانب منيرة فذة ، فلينظر كيف يبهر بنوره الألباب .

واخيرا ، فكل جهد يبذل لخدمة الاسلام والمسلمين يهون ، ، وكل سهر من اجله يحتمل ، وكل عناء بسببه يسهل ..

ومرحبا بحمل رسالة الاسلام ، وأهلا بتبليغه الى الناس ..

حول قضية الفن العقائدي

قبل الزحف والتصدي ما موقفنا الحضاري الآن ؟

للأستاذ : يوسف حسن نوفل

قضية خطيرة تصدى لها باقتدار الصديق الشاعر الأستاذ « محمد أحمد العزب » حين أطلت علينا مجلة « الوعى الاسلامى » بمقاله المخلص الجاد : (هذا الزحف من يتصدى له ؟) فى عدد شوال ١٣٩١ هـ ، ١٩ من نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧١م.

وقد استللت من تدفق إخلاص مقاله مجموعة من الخواطر ناقشتها بإيجاز فى مقال نشر فى عدد صفر ١٣٩٢ هـ بعنوان : (هؤلاء المتصدون من يدعمهم ؟) ، ثم أبى تحفز شاعرنا إلا أن يعدو فى الشوط الى غايته ، فقدم — بتواضع العلماء — طرحا آخر لجانب من جوانب القضية تشوفا لمزيد من الضوء حتى تكتمل جوانب هذا البحث الجاد الذى كان له فضل بدء الحديث فيه ، وكان ذلك فى مقاله : (بل .. هذا الزحف من يتصدى له ؟) المنشور فى العدد التاسع والثمانين الصادر فى غرة جمادى الأولى عام ١٣٩٢ هـ (١٢ من يونيو (حزيران) ١٩٧٢ م) .

وقد تعمدت أن أعرف بمواطن هذه

المقالات حتى يرجع اليها من يشاء ، لأن متابعة القضية ، ومحاولة الإسهام فيها برأى لا يغنى فيه عرض لخلاصة أو تركيز لفكرة مما نوقش ، بل ينبغى الرجوع الى ما قيل .

وأجدنى فى موقف الحتم قاصدا الى خلاصة ما ذهب إليه مقاله الثانى والجأ الى سطوره الأنيقة التى تحمل نبض ما يدعو اليه .. يقول :

« هذه هى المحاور الأساسية الثلاثة فى قضيتى بلا هروب من قدر المواجهة .. **المحور الأول** : هو أن منحى القضية الصميمى يولد على خريطة الوطن الاسلامى هذا الفنان العقائدى الذى ينزع فى تحركه الفنى عن خلفية فلسفية مكتملة أو متنامية بلا جنوح للتخبط فى دياجير التناقض أو احتطاب امشاج الحلول . **والمحور الثانى** : هو أن يكون طريق هذا الفنان الى إبداعه العقائدى ليس الوعظ الدعائى بما هو مقولة مرفوضة فى منطق الفن ، وليس الخرافة المسطحة بما هى حركة ممرورة لا تستطيع أن تواجه شمس الحقيقة الكونية !!! **والمحور الثالث** : هو أن تكون هموم هذا الفنان الأمل أن يحرك فى اتجاهه ثقافة عصره وكل العصور قابضا فى حركة إبداعه على قيمة وضعيته العقائدية ، غير هارب فى أردية التوافق الجماهيرى من هويته الذاتية التى قد يوصم معها بالجمودية والرجعية والوراثية ، الى آخر ما فى جعبة الأغرار من شعارات فارغة جوفاء متآكلة الجبين !! »

ولا أجدنى فى حاجة الى التنويه بأن محاوراتنا متلاحمة لا متنافرة ، كلانا يقطع الدرب ويقصد الهدف ، ومن هنا فإن ما يبدأ به مقالى هو ما أنتهى به مقال الصديق الشاعر ، نقطة التقاط أنفاسه هى نقطة بدء انفاسى عسانا نبلغ دائرة الضوء معا .

يصيح صديقى العزب .

« فهل فى أدبنا العربى المعاصر اليوم حتى ما يوحى بميلاد مثل هذا الفنان المبدع الخالق ؟؟

وهل فى أدبنا العربى المعاصر اليوم حتى ما يومىء الى ميلاد مثل هذا الفن المغامر المدجج القابض على أمل الخلاص ؟؟ » .

ونحن فى الطريق الى شواطىء هذه التساؤلات دعنا نقدم هذه التصورات رغبة فى مزيد من الضوء .

التصور الأول :

مرت الأمة العربية والشعوب الإسلامية بعدة اختبارات حضارية عبر العصور الماضية ، استطاعت فيها أن تصمد وتحافظ على كيانها وهويتها ، وتراوحت نسبة الدفاع تبعا لاختلاف نسبة الهجوم ، وبقى فى النهاية حقيقة لا تقبل الشك وهى أن كل الموجات التى غزت شاطئها تكسرت وذابت وعادت أدراجها مترنحة متهاوية .

وكان لطبيعة أرضنا وموقعنا بل وعقيدتنا ما جعل أمتنا باستمرار ، وخلال كل حقبة ، هدفا لغزو الغزاة وتطلع المتطلعين ، ودعنا الآن من الحديث عن ميكانيكية الغزو العسكرى ، ورائحة باروده وضجيج رجاله وعتاده ، ومساحات أطماعه ، وتكتيكه واستراتيجيته ، ولنقف بعمق عند أيديولوجية الغزو أو المسخ الفكرى — يتساوى الأمران — هنا مكمن الداء — كما يقولون — وعند هذا المكمن أول الجذور لقضية حوارنا الآن (الفن العقائدى) .

الفن العقائدى بحاجة الى خلفية فلسفية تبلور عقيدة ومنهجا — كما رأى الصديق الأستاذ العزب بحق ،

وكما أوافقه بصدق — غير أن العقيدة تكمن فى خلق وتكوين هذه الخلفية ، وخصوصا إذا وضع الباحث فى اعتباره أن فساد ما بين أيدينا لا يرجع الى يوم وليلة ، بل هو ابن سنين ، ووليد عصور متلاحقة واتجاهات متضاربة لم يبق فى مواجهتها كياننا إلا لأنه صلب أصيل جوهري ، وحتم على انصار الفن العقائدى ودعاته الا تغيب عن بالهم هذه الحقيقة الهامة ، وهى تحليل ودرس وتقصى مظاهر المسخ الفكرى ، والتخريب العقائدى والتشويه الحضاري ، الذى تراكمت طلوله فوق جبهة أمتنا حتى عاقتها الآن عن الرؤية المستنيرة ، والاستبانة الحقة ، والنهج القويم .

وبنظرة صريحة الى واقع امتنا اليوم سنجد اننا ، وسط هذا الركام ، نملك عيونا زائغة واقداما مهتزة تحن الى كل اتجاه ، وتأخذ بكل منهج مهما كان التضارب والتناقض ، كأنا أمة فى مرحلة الطفولة أو إن شئت قلت : مرحلة الميلاد ، ناسين انا أمة أم ، وحضارة رئيسة ، وجذور لا غصون ، وأصول لا فروع .

أستغفر الله من لبس قد يسرع الى قارئى الكريم من أننى منغلق عن الانفتاح ، ومضاد للاتساع الحضارى والاستيعاب العالمى والتشرب المطلق بكل نتاج بشرى .

ومتى استغفرت الله من ذلك أمضى مطمئنا فأقول : إن الأخذ والتفاعل شيء ، والتقهقر والانهيار والمسخ شيء آخر ، الأول شيء محبوب مثمر خلاق ، والثانى ممقوت موقوت مخزى .

نحن الآن أمام موقف امتحان حضارى عسير ، لا تستحيل منه النجاة بل تجب النجاة منه لكن ذلك لا يكون إلا بتأصيل موقف ، وتحديد اتجاه ، ورسم ملامح ، نملك منها جذورها وفروعها ، ولسنا بحاجة الى خلق واستحداث فيها ، ومتى حافظنا على شخصيتنا وحددنا هويتنا انعكس ذلك على كل مظاهر النشاط البشرى فوق أرض أمتنا ، انعكس على الجهد المادى والجهد الروحى ، وانعكس بدوره على الأدب والأديب : شعرا ، وقصة ، ومسرحا ، بل انعكس على كل الفنون .

من هنا فإنى لا القى بما أحمل من هموم فوق رأس الأديب العربى فأغرقه من شعره الى أخمص قدميه ، واطلب منه موقفا فنيا عقائديا وفلسفة حضارية ، بل اكاد أبرىء موقف الأديب — واقول أكاد — لأن الأديب نتاج بيئته ومجتمعه بما يحمله هذا المجتمع من مثالب ومحامد ، فإذا كان مجتمعنا فى حيرة من أمره إزاء اصطخاب عالمه بغزوات متعددة متلاحقة متناقضة متضاربة أفلا يكون شيئا حتميا ان يحار الأديب ويضطرب ؟

التصور الثانى :

أما النماذج التى اشرت اليها — فى مجال الانتاج القصصى — فلم أقصد ولا أقصد بها النموذج الأمثل لإنتاج عقائدى ، أو إن شئت قلت : لموقف حضارى ، وإنما قصدت بذلك أن أشير الى أن هناك بعض الالتفات الى الدين لدى بعض كتابنا فى حاجة الى دعم وحدب وحنو عساه يثمر شيئا ما فى المستقبل ، أو يمثل — على الأقل — بداية موقف وتشكل اتجاه .

ولم أقل : إن هناك منهجا مستقيما لفن عقائدى لدى واحد من هؤلاء ، وبهذه المناسبة فان كتابا صدر بعنوان : (الإسلام والروحية فى أدب نجيب محفوظ) كتبه الصديق القصاص الدكتور « محمد حسن عبد الله » أحد أساتذة جامعة الكويت رأى فيه أن « نجيب محفوظ » كاتب

إسلامي روحي ، ولقد حملت مجلة البيان الكويتية (ص ٣٧ العدد ٧٤ « مايو (أيار) ١٩٧٢ ») ، رسالة من القصصي المصري الى مؤلف الكتاب تحمل اغتباطه بهذا الرأى ، وهذا الكتاب ، ولهذا فإني أدعو القصاص الباحث الدكتور « محمد حسن عبد الله » الى المشاركة فى حوارنا الجاد حول منطلق فن عقائدى ، وأدعو الصديق الأستاذ محمد العزب الى موازاة ذلك بما رأى ، وأقتطف هذه الكلمات من صورة لرسالة نجيب محفوظ (ولم أجد تناقضا بين أحكامكم وبين نبض قلبى ، ولعل الاضطراب الناشيء بين قراءة أدبى أحيانا مصدره أن قلبى يجمع بين التطلع لله والإيمان بالعلم والإيثار للاشتراكية) .

التصور الثالث :

وانتقل من هذا الاستطراد الى تصور يتصل اتصالا وثيقا بالنتيجة التى انتهينا الى شاطئها ، وهى افتقار الأديب الى خلفية عقائدية استجابة لما عليه مجتمعه ، هذا التصور هو :

لقد نشأت مذاهب ومدارس واتجاهات فنية متعددة فى مختلف العصور ، بدءا من الكلاسيكية حتى اللامعقول بما تضمنه هذا الإنتاج البشري الضخم من مذاهب أدبية وفنية لها مبادئها ومناهجها ومواقفها ورجالها وإنتاجها ، فهل حفل نتاجنا الفنى بمثل هذا ؟ هل استطاع واحد كالدكتور طه حسين أو عباس محمود العقاد أو توفيق الحكيم أن يقدم موقفا فنيا وفلسفيا يتكيء على رصيد ثابت من الاستيعاب والدرس والتأمل والإعطاء ؟ رغم محاولة الأخير فى كتابه « التعادلية » .

واشهد أن من قبلى من أشار الى مثل هذا التساؤل وهو الشاعر المجدد صلاح عبد الصبور فى كتابه !
(ماذا يبقى منهم للتاريخ ؟) ، وصدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦١ عن دار الثقافة العربية (أنظر ص ١٢ و ١٣) .

لكننى أسوق هذا التساؤل فى موقف يلتحم التحاما مباشرا بالمقولة السابقة عن موقف مجتمعنا مما يصطرع حوله ، إذ أن ما حدث أن كل ما قدمته الأعمال الأدبية كان قوالب مستوردة يجتهد الأديب فى اختيار ما يرى ، ويفرضه بمناصرة من حركة النقد الضحلة على قرائه الذين يلوكونه ويجترونه ثم يلوكونه ويجترونه حتى يومنا هذا ، وساعد على ذلك فقدان الموقف الفلسفى والحضارى المتأصل ، والولع بالتقليد فى حلبة التصفيق الانفعالى أو معارك الخصومة المتهوسة .

واشهد مرة أخرى أن هناك من سبقنا الى الدعوة الى استيعاب هذه المذاهب العالمية للخروج بموقف واضح ينسب الينا وننتسب اليه ، وهو المرحوم الدكتور محمد غنيمى هلال الذى رأى أنه لا بد من التأثر بالمذاهب الأدبية العالمية والكبرى ، ودراستها بوعى ، لنخرج بمذهب أدبى أصيل نساير به روح العصر (فيه تتبلور فلسفة مشتركة يصورها الكتاب فى أدبهم لترسخ فى وعى جمهورهم) . (ص ٤١٧ و ٤١٨ الأدب المقارن — محمد غنيمى هلال) .

التصور الرابع :

ثم الحق بما تقدم ما يمكن ان اسميه: : أزمة الثقافة والمثقفين ، إن الأدب يلطع على الناس ولا يقرأ ، وإن قرىء لا يترك صدى ، وذلك راجع — فى تصورى — الى أزمة القراءة وأزمة الثقافة ، وهذا بدوره

يؤدى الى نتيجة هامة هى شعور الأديب بالسلبية واللامبالاة ، لأن دائرة التفاعل التى يجب أن تتم بينه وبين متلقى فنه لا توجد ، ولهذا فان ما يتلقاه من تأثر ، وما يرتد عليه من صدى ، يصبح باهتا مخنوقا لا جدوى وراءه ، وأتصور أن الأديب الذى يكتب ويكتشف أنه لا يوجد أحد يحس به يستسلم بعد ذلك الى حالة تخبط فكرى تسلمه الى التقليد تارة ، والى الجمود تارة أخرى ، بل قد تسلمه الى تيه التخبط فى دياجير الضياع .

التصور الخامس والأخير :

وهناك حقيقة هامة وهى انه تنعدم — أو تكاد — تلك اللقاءات الهامة بين أدباء الأقطار العربية والشعوب الإسلامية ، ولا أقصد بذلك تلك المؤتمرات والمهرجانات السريعة التى تنعقد تحت لواء مناسبة أو موضوع ما ، ثم تذوب كما تتلاشى قطع الثلج ، وإنما أقصد اللقاءات الفكرية المتجددة المستمرة بين هؤلاء الأدباء فى مواسم ونادى ومجلات وصحف ، إن على الأديب التونسى أن يلتقى بالأديب الفلبينى ، والأوغندى ، والباكستانى ، إن شيئا من ذلك لم يحدث ، فكان كل أديب فى واد ، يصور من منبع خاص ، ويصب فى مصب خاص ، مسخت ملامح الأدب العقائدى فى أخطر لحظات المواجهة الحضارية العصرية .

وفى نهاية الحديث فليأذن لى الصديق الشاعر محمد احمد العزب أن أسوق تساؤلا أخيرا يطرح نفسه قبل التساؤل الذى طرحه .

كيف نصل — بعد تحليل ودرس واقعنا — الى خلق مناخ أو خلفية تساعد على وجود فنان عقائدى ذى ملامح خاصة وأهداف حية ، ذلك الفنان الذى يبحث عنه فناننا الأستاذ العزب ؟!

نظرات في سورة الاخلاص

للأستاذ : عبد العزيز العلى المطوع

قل هو الله احد : من البداهة والفطرة في الانسان وما وصل اليه من تعاليم الرسل الكرام : وحدانية الله الأزلية اللانهائية المنفردة بذاته وصفاته سبحانه ، لا رب للعالمين غيره ، ولا إله يعبد بحق سواه .

ولعله اصبح من المألوف لدى الكاتب والمتحدث والسامع والقارىء جميعا ، ان معنى كلمة أحد هو (واحد) ولكن في معناها ما هو اعمق من ذلك ، حيث لم يأت في اللغة ان معنى لفظ (احد) هو (واحد) الا اذا كان اللفظ مضافا كما في احد الناس او إحدى النساء وكذلك في الأعداد المركبة كاحد عشر أو إحدى وعشرين .

وتاتي كلمة (احد) للذوات العقلاء في ثلاثة مواطن : الاثبات ، والنفي ، والتحدى ، اما الاثبات فانه لم يرد بالنسبة لمخلوق إلا في القليل النادر ، كان يقول قائل : ليس في البيت أحد (في حالة النفي) فاذا سمعه فرد او اكثر في الدار قال : ـ نحن هنا : ردا على هذا النفي غير الصحيح ، وبغير ذلك لاعتقد أن لها في باب الاثبات مجالا آخر .

وقد افتتحت سورة الاخلاص بالاثبات وهذا امر خاص بالله سبحانه ومن هذه الآية يتبين أن الله ذات واجبة الوجود ولا يصح إثبات الوجود المطلق إلا لله وحده ، كما لا يصح النفي على الاطلاق إلا مع الاستشعار بإثبات وجود الله سبحانه في كل مكان يليق بجلال قدسه وإحاطة علمه إذ لا يستطيع انسان ما او اكثر ان يقول ليس معي أحد (في حالة النفي) او يقول لا يقدر عليَّ احد (في حالة التحدى) لأنه سبحانه مطلع على خلقه وهو معهم اينما كانوا ((وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)) وفي الآية السابعة من سورة المجادلة ((الم تَرَ انَّ الله يعلم ما في السموات وما في الارض ، مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر إلا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم)) .

وقد جاء في سورة البلد آيات اربع ابتداء من الآية الرابعة حتى السابعة وردت فيها كلمة (احد) وهي : ((لقد خلقنا الانسان في كبد . ايحسب ان لن يقدر عليه أحد . يقول أهلكت مالا لبدا . أيحسب أن لم يَرَه احد)) ولا يخفى ما في ذلك من الاستفهام الاستنكارى ، فكلمة احد : للذوات العقلاء ككلمة : من : وذلك كقولنا : من في البيت ؟ بمعنى : أفي البيت احد ؟ وعليه فمعنى الآية ((قل هو الله احد)) انه سبحانه ذات واجبة الوجود مهيمنة عليه ، متسنمة علي عرش كل ذرة من ذراته ، او خلية من خلاياه ، كما جاء في ختام

سورة يس : « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون » وبيده سبحانه ناصية كل دابة ، مصداقا لقوله جل شانه في سورة هود « اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم » (الآية ٥٦) وقوله سبحانه في سورة المؤمنين : « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون » (الآية ٨٨) .

الله الصمد : والصمد من يصمد لجميع ما يحتاج اليه الخلائق ويحفظها ويهيمن عليها ، وتطلق لغة ايضا على من لا جوف له فلا ياكل ولا يشرب ولا يحدث له ما يترتب على الاكل والشرب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ومن معاني الصمد انه صامد للوجود كله وتصمد اليه جميع الخلائق ، وقد اورد بعض المفسرين في تفسير كلمة الصمد ، انها تشمل صفات الكمال كلها لله جلت عظمته ، فاذا ما وجب علينا في حالة النفى الاستشعار بوجود العلى القدير وجود هيمنة وعلم ، وجب علينا ايضا الاعتقاد بأن هذا الوجود لا يعتريه نقصان ولا زوال ولا تأخذه سنة ولا نوم « ما تكون في شان وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولافي السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر إلا في كتاب مبين » (الآية ٦١ من سورة يونس) .

فاذا قال فرد او اكثر مثلا وهو يتناول طعامه (انه لا ياكل معي احد) فالجواب على ذلك هو الله احد معك ولكنه صمد منزه عن الاكل والشرب ، وعن كل ما لا يليق بجلال عظمته سبحانه وتعالى ، وفي باقي هذه السورة ، ما يؤيد المعنى المتقدم فكما انه جل شانه لا ياكل ولا يشرب فانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد .

ولعلنا نستطيع ان نقول خلاصة لما تقدم انه سبحانه منفرد بالعلو اللانهائي في غير بعد وبوحدانية صمدانية خلاقة وسعت كل شيء رحمة وعلما ، غنية عن الكفء قادرة على الابداع والحفظ والاعادة ، صامدة للوجود كله ، لا محل فيه لثان كند او كفو ، « إن كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » الآيات (٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ من سورة مريم) .

وحدانية كمال مطلق غير محدود ، وليست وحدانية عدد لأن الواحد في الحساب قد يفيد القلة كما يفيد الرقم الاول فقط تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » .

وكما جاء في ختام سورة (الاخلاص) « ولم يكن له كفوا احد » ومن آية الكرسي في سورة البقرة « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » وقوله ايضا « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » على ان الوحدانية القهارة موجودة في كل آية من آيات كتاب الله ولا سيما السور الثلاث : الفاتحة ، والناس ، والفلق . ففى البسملة توحيد ، وفي قراءة الحمد لله رب العالمين توحيد ، وكذا الشأن في كل آية بعد ذلك .

وقد جاء في الاثر ان في سورة الاخلاص صفة هذه الوحدانية وانها انزلت عندما قال العرب لخاتم رسل الله صف لنا ربك .

على ان هذه الوحدانية موجودة بالفطرة في كل انسان عاقل يؤيدها العلم كلما تقدم ، فالانسان هو وعاء

العلم وبالعلم فضل آدم على الملائكة الكرام في الملأ الأعلى .

ومعنى ازدياد العلم في الانسان محاولة اكتشاف علم ما وراءه وهنا نتساءل : اذا كان ولا بد من الاعتقاد بان وراء علم هــذا الانسان علوما واسعة لم يصل الانسان الا الى النزر اليسير منها ــ فان ذلك يوحي للعالم ان وراء هــذا الكون مكوّنا ووراء هذا الابداع مبدعا يحــاول الانسان جهــده ان يكتشف ما يســتطيع ان يكتشفه من اسرار ومكنونات ، ومن ابسط الامثلة سؤال يطــرح نفسه فهل لك ايها الانسان رأى او مشاركة في خلق او في نظام ذرة واحدة من ذرات الكون اليابسة او خلية واحدة من خلاياه الرطبة ؟ فاذا كان الجواب لا : فمن هو ذا يا ترى ؟ وانه لتغلب الحيرة والبلبلة والظنة على الكثيرين، فيسمون ما يعتقدون وجوده قــوة خارقة ، وعــلم ما وراء الانسان ــ بالطبيعة تارة ، واللانهاية تارة اخرى، والدهر ثالثة، مع انهم لم يأتونابوصف أو كنه لهذه الطبيعة او الــدهر او اللانهاية .

والسؤال الذى يفرض نفسه اذا كانت هذه الطبيعــة او اللانهاية او الدهر او غير ذلك من المسميات عاقلة قادرة سميعة بصيرة عالمة موصوفة بصفات الكمال كلها ، تنشىء وتطور وتكون وتبدع وتنظم وتحفظ ، فمــاذا نسميها اذا لم نسمها الله ؟ والفرق بيننا وبينهم اذن هو مجرد التسمية ، والمعبود بحق عندنا هو القوة المبدعة لهذا الوجود والمهيمنة عليه والمنظمة الحافظة له التى نسميها : الله ــ فاذا سماها الآخرون بلغاتهم باسم آخر فلا يضير ذلك عقيدة التوحيد بشىء وقد قال الاقدمون من قبــل ما قاله الطبيعيون ((تشابهت قلوبهم)) وذلك كمــا جاء في الآية ٢٤ من ســورة الجاثية : ((وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك مــن علم ان هم إلا يظنون)) .

وقد جاء في الاثــر عن الرسول صلى الله عليه وسلم : ((لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله)) اما اذا كانت الطبيعة كما يعتقدون صمــاء عمياء جاهلــة ، فان فاقد الشىء لا يعطيه ، وكيف خلقت لنا الطبيعــة سمعا وبصرا وهى لا تعرف السمع والبصر ؟

على ان العلم والفطــرة كفيلان بتوكيد وجود الخلاق العليم في تصور كل انسان شاء ام أبى ، والعلميهدى للايمان مصداق قوله سبحانــه في (الآية ٢٢ من سورة الروم) :

((ومن آياته خلق الســـموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين)) .

(وفى الآية السادسة من سورة سبا) :

((ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد)) .

وفى (الآية ٢٨ من سورة فاطر) :

((ومن الناس والــدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلمــاء ان الله عــزيز غفور)) .

وقال جل شانه :

((قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخــرون للأذقان سجدا)). الآية (١٠٧ من سورة الاسراء) .

وقال سبحانه :

((وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنــوا الى صراط مستقيم)) .

(آية ٥٤ سورة الحج) .

وحدة الدين ومميزات الإسلام

للأستاذ محمد محمد أبو خوات

الأعمال فى نطاق التشريع الاسلامى هى الشطر الثانى من شطرى الدين ، والشطر الأول هو العقيدة اذ « الاسلام عقيدة وعمل » ، ولما كان العمل هو المظهر الانفعالى لما يسمعه الانسان ويراه ، أو لما يعتقده ويؤمن به ، كان الجزاء الدنيوى والحساب الأخروى على ما عمله الانسان هو مناط التفاضل — ولو فى الظاهر — بين انسان وانسان . قال تعالى : « وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون » (٧٢ — الزخرف) وقال تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (١٠٥ — التوبة) ، ولقد كان

العمل فى نطاق الدين مظهر شكر الله على جزيل نعمه على الشاكرين ، جاء ذلك فيما يفهم من قوله تعالى : « اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادى الشكور » (١٣ — سبأ) ولقد فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين وصف أحدهما بالكياسة ووصف الآخر بالعجز ، وما ذلك الا بسبب اختلافهما من حيث العمل .. قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الترمذى عن ابى يعلى شداد بن أوس : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ...

فللعمل — اذن — فى الاسلام خطره وأثره ، ويقوى هذا الأثر والخطر أو يضعف كل منهما بقدر مدى ارتباط العمل بمبادىء الشريعة قربا وبعدا وقوة وضعفا ..

فالعمل الذى مبعثه وغايته كلاهما طاعة الله ورسوله يسمى عملا شرعيا أو مشروعا يستند الى ما شرعه الله تعالى فى كتابه الكريم وما بينه رسول الله فى سنته الصحيحة ، وهذا النوع من الأعمال هو ما نريد الحديث فيه لنقرر أن الاسلام فى تشريعه الحكيم ، لم يخرج على القاعدة التى قررناها فى حديثنا ذاك حين تحدثنا عن العقيدة فقلنا : « إن العقيدة التى يدعى الخلق الى اعتناقها ينبغى أن تتلاقى مع نظرتهم وطبائعهم الأساسية التى لا يلحقها الاختلاف إلى حد التناقض » وكذلك لنبر بما وعدنا به آنفا من بيان أسلوب الاسلام فى أساس التكليف ويسر الاسلام وسماحته فى هذا الشطر الهام وهو الشريعة : —

١ — كان أسلوب الاسلام فى دعوته لتقبل التشريعات الاسلامية موائما لطبيعة الانسان على نحو بين واضح ، فنجده تارة يأتى بالحكم ثم يأتى بالعلة والحكمة التى ما يكاد المكلف يعرفها حتى يذعن فى يقين وحب وإقبال على الالتزام بالحكم عن رضا وطواعية ، وفى هذا المجال قد يأتى بالعلة عامة تصلح لموضوع الحكم ولغيره ، وقد يأتى بالعلة خاصة بالموضوع الذى يصدر الحكم فيه .. من الأول قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم .. لعلكم تتقون » ومن الثانى قوله تعالى فى حكم آخر من أحكام الموضوع « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر .. يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » .. وأكثر ما يكون هذا اللون من التعليل فى الأحكام التى لا يتقبلها غير المؤمن بسهولة ، فتحتاج الى اسهاب فى التعليل ولعل ذلك من طبائع الأشياء . ومنه قوله تعالى : « وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .. فلما كانت النفس تنفر بطبعها من الفحشاء ولا تقبل تلقائيا على ما تنكره النفوس ذات الطبع السليم ، كان نزوعها الى العمل الذى ينأى بها عنهما أمرا حبيبا إليها تكاد تتوق إليه . وذلك كله وغيره من مختلف التكاليف والأحكام الشرعية ينطلق من أصل واحد وهو قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر ، ولن

يشاد الدين أحد إلا غلبه » .. ومن هنا فاننا نلاحظ أن أحكام الاسلام جاءت ملائمة لقدرات الانسان كانسان شأنه أن يكون قادرا على أداء هذه التكاليف في يسر وسهولة ، فاذا عرضت له أحوال أو نزلت أحداث تعوق أو تضعف قدرته على ادائها كان له هو بالذات حكم آخر يتواءم مع حاله انضواء تحت القاعدة الكلية : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .

وينبغي هنا أن نبين ما لا بد من بيانه في فهم هذه القاعدة .. لا بد أن نفرق هنا بين حالين ..

ا — أن يكون عدم السعة ناشئا عن عجز خلقي أو مرضي وبعامة « لا يصنعه الانسان لنفسه » .

ب — أن يكون عدم السعة والضيق بسبب تصرف خاطيء تصرفه المرء بثقة خارج نطاق التدين الصحيح . فمن خلقه الله غير مستطيع أن يركع أو يسجد لعجزه الخلقي . أو غير مستطيع أن يغسل وجهه بالماء مثلا لمرض في وجهه .. سقط عنه التكليف بالأمرين مدة عجزه عنهما بغير معصية .. أما الرجل الذى ادمن الخمر حتى صارت احدى خصائصه ، أو المرأة التى تضع الأصباغ ذات الجرم على أظافرها أو تكوى شعرها فلا يستطيع الأول أن يؤدى فرائض الدين ، ولا تستطيع المرأة أن تتطهر من الحدثين أو أحدهما ، ثم يقول كلاهما : الدين يسر ، . .لا يكلف الله نفسا الا وسعها فهذان وأمثالهما لا يدخلان تحت هذه القاعدة لأنهما بتصرفهما الخاطيء أوقعا أنفسهما فى الضيق . ونخلص من ذلك بأن أسلوب الاسلام فى رسم أساس التكليف بالأعمال انما يقوم على انه : لا تكليف بما لا يطاق على العموم أو على الخصوص على سواء .

٢ — أما يسر الاسلام وسماحته فى هذا الجانب « جانب التشريع » فأمر لا تدرك غايته وإليك القطر من البحر بما يتناسب مع المساحة التى لا ينبغى أن نطمع فى أكثر منها لمثل هذا المقال ..

من حيث النصوص العامة التي تؤيد ذلك وتؤكده ما سبق أن استشهدنا به من قوله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » .. وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين يسر » وفى التطبيق العملى نجد الكثير الكثير : — ففى الصلاة مثلا تعطى الفرصة للمسافر ليقصر الصلاة الرباعية فيصلى الظهر والعصر والعشاء ركعتين فى كل منها بدل أربع ، وفى حال الخوف والقتال تربصا أو فعلا تؤدى الصلوات على وجه يتناسب مع الحال التى عليها الجيش ، حتى اذا انتهى القتال واطمأن المسلمون عاد أمر الصلاة الى ما كان عليه . وفى هذا المعنى يقول الله تعالى : « فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ... فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة » ... وفى حال المرض يصلى المريض قاعدا فاذا لم يستطع يصلى مضطجعا فاذا لم يستطع يصلى راقدا فاذا لم يستطع حرك ما يستطيع من

اعضائه فاذا لم يستطع شيئا من ذلك اجرى اركان الصلاة على قلبه حتى يظل ــ وبخاصة في حال المرض ــ قريبا من ربه ذاكرا فضله شاكرا له سبحانه غير كافر وذلك غير ما يباح له من التيمم والمسح اذا لم يجد الماء أو عجز عن استعماله كما هو معروف . وفي الصيام مثلا رخص الاسلام للمريض والمسافر بجواز فطر كل منهما مع القدرة ، ووجوبه مع العجز أو تحقق الهلاك ، ولم يجز للمرأة أن تجمع بين اسباب ضعفين : ضعف الجوع الذي يمنع مدد الدم المتجدد للبناء والحركة ، وضعف النزف الذى كتبه الله على بنات حواء فحرم الصيام على المرأة حال الحيض والنفاس ، وأباح لها أن تفطر حال الحمل أو الرضاعة ان خافت على نفسها ، ولم يضيق فى أمر الصيام على الشيخ الفانى والمرأة العجوز وغيرهما من كل من لا يطيق الصيام .. وفى الحج كان أمر المسلمين كما جاء فى حجة الوداع أيسر بكثير مما يفعله الحاج بنفسه فى العهود المتأخرة ونكتفى فى هذا بذكر ما حدث يوم النحر فى منى حين كان واحد من الصحابة يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله رميت ولم أذبح .. فيقول له : اذبح ولا حرج . ويأتى الآخر يقول : يا رسول الله ذبحت ولم أرم .. فيقول له : ارم ولا حرج .. يقول راوى الواقعة : فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومها عن شىء إلا قال : افعل ولا حرج .. ولقد كان يحلو لبعض المسلمين من الزهاد أن يتباروا فى الزهد حتى ليخرجوا عن حد المألوف والمعتاد وحتى ليصلوا فى عملهم الى درجة تصحح وصفهم بالمتنطعين ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم عنهم : هلك المتنطعون (ويكررها ثلاثا) والمتنطعون هم المتشددون فى غير موضع التشدد . وأرى أن منهم من يقيد المباح بقيد يؤدى الى التضييق على الناس بزعم أنه الطريق الصحيح ولا صحيح سواه ، ومنهم كذلك من يجعل أمر السنة كأمر الفريضة يحاول أن يلزم بها نفسه وهو فى الواقع غير مستطيع .

ولقد وصل بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ على عهده ــ الى الحد الذى يرغبون عنده أن يكونوا فى عبادتهم وتقواهم أكثر من رسول الله نفسه ، فألزموا أنفسهم بما لم يلزمهم به الله ولا رسوله ــ زهدا منهم ورغبة فى رضاء الله تعالى ــ .. يروى انس رضى الله عنه قال : ــ جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (يعنى اعتبروها قليلة) ..

وقالوا : أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟!! قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا .. وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر .. وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ... فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟؟!! أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم

له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى .

ومن هذا القبيل ما رواه أنس رضى الله عنه أيضا من أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا حبل ممدود بين السارين ، فقال : ما هذا الحبل ؟ قالوا هذا حبل لزينب (بنت جحش أم المؤمنين) .. تقوم تصلى فاذا فترت قامت فتعلقت به ... فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حلوه ... ثم قال : ليُصلِّ أحدكم نشاطه فاذا فتر (تعب) فليرقد ... ولقد بلغ من حرص رسول الله على تثبيت أن الاسلام يسر فى نفوس أصحابه أنه كان يتابعهم فردا فردا فى هذا المعنى حتى تستبين شعائر الاسلام من بعد الدينين السابقين بما فيهما من تشديد فى التكاليف أو تشدد وتنطع سدا طريق التدين الصحيح أمام السالكين فمن ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. قال : أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنى أقول : والله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الم أخبَر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟! قلت بلى يا رسول الله قال : فلا تفعل .. صم وأفطر ، ونم وقم ، فان لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وان لزورك عليك حقا ، وان بحسبك أن تصوم فى كل شهر ثلاثة أيام ، فان لك بكل حسنة عشر أمثالها ، فاذا ذلك صيام الدهر ...

ولقد جعل عبد الله بن عمرو هذا يناقش رسول الله حتى انتهى معه الى أن يصوم يوما ويفطر يوما طول الدهر محتجا بأنه يطيق ذلك .. فلما أطال الله عمره وأحسَّ بضعف الشيخوخة وعجز الكبر قال : يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وفى هذا المعنى نريد أن نتفهم أن اليُسْر فى الاسلام ليس مبعثه عدم الحث على كثرة الطاعات ودوام العبادات وإنما مردّه أمران : الأول أن رسول الله قد تعلم عن ربه أن النفس البشرية سريعة الملل ، وتعتورها أحوال ضعف لا تطيق فيها دوام الأعمال المرهقة فأخبرنا بأن أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه ، وكان يقول فى ذلك : عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا .. ولما كان حمل النفس على ما يتعارض مع ما فطرت عليه يؤدى الى الانقطاع والملالة وربما يؤدى الى حديث النفس بما لا يجوز ، كان التيسير عليها وعدم إلجائها الى ما لا تطيق هو الطريق الصحيح الى تربيتها بالحب والطاعة عن رضا وقبول ... الأمر الثانى : أن هذه الرسالة لم تنزل ليتبعها قوم بأعيانهم ولا جيل من الزمان بعينه ، فكان مما لا بد منه لتحقيق ذاتها أن تكون مبنية على التيسير والتخفيف حتى يكون فيها زاد لكل مرتحل وطريق لكل سالك وأمل لكل عامل سواء فى ذلك جيل نزول الرسالة وما تلاه أو يتلوه من الأجيال الى قيام الساعة ... وبسبب هذين الأمرين كليهما أو أحدهما وردت أحاديث كثيرة فى بيان أسباب تحصيل الخير مما

يجعل ذوى النوايا الطيبة الذين لم يفرقوا فى الشرك والوان المعاصى اكثر أملا فى عفو الله ومغفرته واستحقاق رحمته. ولنقرأ احد هذه الأحاديث عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « على كل مسلم صدقة .. قال : أرأيت إن لم يجد ؟ قال يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق .. قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف .. قال : أرأيت إن لم يستطع ؟ قال يأمر بالمعروف أو الخير .. قال : أرأيت إن لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر فانها صدقة » .. أخرجه الشيخان .

ولتنظر معى أيها القارىء : أين من هـذا اليسر ما كانت تشقى به جموع اليهود من جفاف فى العقيدة ومشقة بالغة فى تنفيـذ الأحكام التى كلفوا أن يقوموا بها عقابا لهم على شنىء الذنوب التى ارتكبوها فى حق الله نفسه وفى حق الأنبياء وفى حق الشعوب وفى حق أنفسهم ، وأين من هذا التيسير ما ألزم النصارى به أنفسهم من إلغاء طبيعة الانسـان التى تقتضيه أن يبحث ويفكر ثم يعقل ثم يقتنع أو يفعل ، ومن إبطال حق النفس فى أن تأخذ بحقها اذا ظلمت ، ومن تحريم الوان من اليسر الذى أحـاط الاسلام به شئون الأسرة الى غير ذلك مما لا يحصى ، وصدق الله العظيم : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمىّ الذى يجـدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » . والله سبحانه وتعالى يختم كبرى سور القرآن (البقرة) بآية واحدة تبدأ بالقاعدة وتفرع عليها أمور فى صورة دعـوات تدل على كل ما قلناه : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » .. هذا ـ كما قدمت ـ قطر من بحر ، والمراد به أمثلة توضح ما قصد من العنوان الأول : « وحدة الدين ومميزات الاسلام » ولعلى أكون قد أوضحت .



منهج التربية في الإسلام

رسم الاسلام للتربية منهجا متكاملا يتناول الانسان من جميع نواحيه بحيث لو طبق تطبيقا سليما . لخرج للمجتمع الاسلامي المسلم المتكامل السوى الذى يستطيع أن يحقق هدف الاسلام من التربية ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الانسان فهو أعلم به وباحتياجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية، وهو الذى ارسل رسوله الكريم بمنهج التربية المتكامل الذى عني بجسم المسلم ، كما عني بروحه وعقله مراعيا فى كل ذلك استعداداته وخصائصه واحتياجاته .

والانسان خلقه الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة له فى الارض يقوم بتعميرها ونشر الأمن والعدل والسلام فيها (واذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) ولذلك فقد كان أساس التربية الاسلامية دوام صلة المسلم بالله سبحانه وتعالى وكان المسلم القريب الى الله ليس هو صاحب المال ولا صاحب الشرف ولا صاحب المنصب بل كان هو الذى يسير على المنهج الذى أراده الله سبحانه وتعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) .

والانسان مزيج من الماديات والمعنويات واستخدام الانسان لطاقاته كلها يحدث توازنا بين مادياته ومعنوياته ذلك لأن طغيان ناحية على ناحية يحدث أنواعا من الشذوذ على النحو الذى نراه فى المجتمعات الحديثة . فالتربية المتوازنة من الخصائص الواضحة فى منهج التربية الاسلامية .

ولقد عني الاسلام بالطفل المسلم عناية كبيرة من قبل أن يولد وذلك باعداد البيئة المناسبة التى يتكون فيها ويتربى بين احضانها تلك هى البيئة التى تعنى به وتهيئه ليكون فردا سويا قائما بواجبه نحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه ونحو البشرية ونحو ربه الذى خلقه ، وبذلك يستشعر الرضا والسعادة فاشترط فى اختيار الوالدين الذين فقال النبى عليه الصلاة والسلام فى اختيار الزوج : (اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) .

وقال فى اختيار الزوجة : (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

للأستاذ : على القاضى

فى هذه البيئة الصالحة ينشأ الطفل ويتربى على الأساس الذى رسمه الاسلام يتربى جسمه وتتربى روحه ويتربى عقله .

تربية الجسم فى الاسلام : —

لكي يؤدى المسلم وظيفته فى هذه الحياة لا بد وأن تكون صحته سليمة وعضلاته قوية وحواسه تؤدى وظيفتها على أكمل الوجوه بحيث يؤدى كل عضو من أعضاء الجسم وظيفته وبحيث يكون هناك تناسق بين ذلك كله يؤدى الى حيوية الجسم والى طاقته الفعالة والى الاستفادة من ذلك كله والا فما فائدة الحواس اذا لم ينتفع الانسان بها الانتفاع السليم الذى يميزه عن غيره من الكائنات ؟ ما فائدة العين اذا كانت لا ترى الحقائق التى أمامها وما فائدة الأذن اذا كانت لا تسمع ما يفيدها فى حياتها وفى آخرتها ؟ ولذلك نعى القرآن الكريم على هؤلاء الذين (لهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها) وقال عنهم (أولئك كالانعام بل هم أضل) .

والاسلام يريد أجساما قوية يمكن أن تؤدى واجبها فى المجتمع الاسلامى ولذلك كان المؤمن القوى خيرا وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، كما يقول النبى عليه السلام ، ولذلك فقد أباح الطعام وبين المنهج الذى يسير عليه الاسلام فى هذا بحيث يستفيد الجسم منه الفائدة الكاملة وبحيث لا يزيد عن حاجته فينتج منه الضرر ، فالغذاء وسيلة لا غاية ، وسيلة تنبه المسلمين الى العناية بالاساليب التى تقوى الجسم وتهيىء المسلم لرسالته كالسباحة والمصارعة والفروسية وطلب أن يتعود الانسان الخشونة « واخشوشنوا فان النعيم لا يدوم » . كما أن الاسلام وجه ويريد أيضا ذرية صالحة تؤدى وظيفتها فى هذه الحياة فنظم الجنس لتكون ممارسته فى الحدود التى رسمها الاسلام حتى يضمن النظافة والاعتدال .

ذلك لأن الانسان أفضل مخلوقات الله سبحانه وتعالى وقد كرمه ربه فبين له كيف يرتقى بطاقاته كلها ويوفرها لاداء رسالته فى هذه الحياة وعمل على حفظها من الهبوط والانطلاق فى ملذات الحياة ، فان ذلك يستنفد الطاقة ولا يترك رصيدا للقوة التى يؤدى بها المسلم رسالته فى هذه الحياة .

ومن هنا فقد عمل الاسلام على

تربية القوة الضابطة فى المسلم وتنميتها منذ الصغر — والصيام مثل واضح لوسيلة من وسائل الضبط التربوية التى شرعها الاسلام فالمسلم الذى يمتنع مختارا عن كثير من لذائذ الحياة المباحة يتعود على الارتفاع عن رغبات نفسه فيحقق بذلك كيانه وقوته وذاته ولا يصبح انسانا بغير قوة أو ارادة أو يفقد كيانه فى ناحية من النواحى التى لا يستطيع أن يتغلب فيها على نفسه وذلك ما لا يرضاه الاسلام لفرد من أفراده .

والاسلام لا يترك قلب المسلم يعيش فى فراغ بل يربطه بالله سبحانه وتعالى وذلك « بمراقبته فى كل عمل من أعماله يربطه بتقواه التى يتسع معناها فتشمل كل شىء يقوم الانسان بعمله .

كما يربطه باليوم الآخر الذى فيه الجزاء الأوفى ذلك لأن الانسان اذا أحسَّ بأن الحياة الدنيا هى الفرصة الوحيدة له انطلق ينهل من لذائذها قبل فوات الأوان وإلا فإنه قد خسر بذلك كل شىء .

لكن الاسلام يبين للناس أن الحياة الدنيا فانية وأن متاعها قليل (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) .

تربيـــة الروح

نعنى بالتربية الروحية طريق التعرف على الله سبحانه وتعالى والاتصال به لتحقيق هدف الانسان فى الارض فالله خلق الجن والإنس لعبادته والطريق الذى رسمه الاسلام كله عبادة ... عبادة لا تكون مظهرا من المظاهر بل لا بد وأن تكون عميقة ذات أثر واضح فى حياة الانسان وفى سلوكه فتكون قائمة على أساس ايجاد الصلة القوية بين القلب البشرى وبين الله سبحانه وتعالى قائمة على خطة سلوك وعمل وفكر وشعور بحيث تدفع القلب البشرى الى الرجوع الى الله فى كل لحظة وهذا هو الضمان للمسلم فى عقد هذه الصلة .

وعبادة المسلم معناها أن يسير فى الطريق الذى رسمه الاسلام فالقلب يحمل شحنة قوية من الايمان والصلة بالله تدفعه الى العمل الايجابى الذى يريده الاسلام وكل عمل فى حياة المسلم يمكن أن يكون عبادة ما دام قد نوى ذلك (إنما الاعمال بالنيات) فالجهاد عبادة والسعى على العيال عبادة ومساعدة المحتاج عبادة وأداء الواجب عبادة وحتى الشهوة التى يضعها الانسان فى حلال عبادة .

والروح هى الطاقة التى يتصل الانسان بها بالغيب المحجوب عن الحواس . ووظيفتها الاتصال بالله سبحانه وتعالى فهى قبس من الله عز وجل (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) .

وطاقة الروح لذلك كانت أكبر طاقات الانسان التى تؤثر فى سلوك الفرد كما تؤثر فى سلوك المجتمع ولذلك فقد عنى الاسلام بتربيتها بطريقة فريدة وذلك بعقد الصلة الدائمة بين الروح وبين الله سبحانه وتعالى بحيث يجعل هذه الصلة فى كل لحظة وفى كل عمل من الاعمال التى يقوم بها الانسان فى حدود طاقاته وامكاناته (فاتقوا الله ما استطعتم) وهذه الصلة تقتضى أن يكون العمل كله خالصا لله سبحانه

وتعالى والله لا يقبله الا اذا كان كذلك وهو بهذا يرفع من الضعف البشرى للانسان فيحميه من الانحدار الى مصاف الحيوانات ويبين له أن الله هو السند الحقيقى له وانه هو الذى بيده كل شىء وأن الناس لا يملكون له نفعا ولا ضرا ولا يملكون له موتا ولا حياة ولا نشورا . وفى ذلك يقول الرسول الكريم لعبد الله ابن عباس (احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف) .

فاذا ما حدث للانسان شىء يكرهه فقد يكون فيه الخير وهو لا يعرف وعليه أن يطمئن الى ذلك (وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) بل ان الشىء الذى يحبه الانسان قد يكون فيه شر وعلم ذلك كله عند الله سبحانه وتعالى الذى يتولى أموره بالعناية والرعاية وهو الذى يختار له الخير ما دام ملتجئا اليه وحده (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) .

وكل ما يصيب الانسان بعد ذلك له ثوابه عند الله تعالى حتى الشوكة يشاكها المسلم لها ثوابها وبذلك يستشعر الرضا الذى يشيع على حياته الأمن والطمأنينة وهذا ما تفتقده المجتمعات الحديثة ، وذلك أسمى ما يحتاج اليه الانسان فى هذه الحياة .

تربية العقل

العقل البشرى من الطاقات التى انعم الله بها على الانسان يتبين هذا فى قوله تعالى (قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) ولقد استطاع الانسان فى العصر الحديث أن يستخدم عقله على نطاق واسع فاكتشف أشياء كثيرة استخدمها استخداما واسعا فى المجتمع البشرى ولكن تربيته لم تكن متكاملة ، ولم يكن له رصيد روحى يوجه هذه الطاقة وتلك الاكتشافات الى الخير ، ففتن بما وصل اليه وطغى وتجبر ونتيجة ذلك كله أن البشرية أصبحت تعيش فى مشكلات لا نهاية لها فشقى الانسان بدل أن يسعد وأصبح العقل نقمة على البشرية بدل أن يكون نعمة تنتفع به ، والاسلام يهدف الى سعادة الانسان والى اقامة الحياة فى الارض على أساس من الحق والعدل فعمل على اصلاح القلب البشرى ووجه الطاقة العقلية الى التأمل فى حكمة الله سبحانه وتعالى (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) كما وجهها الى حكمة التشريع الذى انزله الله ليطبق فى الارض (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب لعلكم تتقون) وطلب من المسلمين أن يكون احقاق الحق بالنسبة للناس جميعا حتى تستقر النفوس وتهدأ القلوب (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ولكى يكون لهذا المنهج فاعليته واستمراره فقد جعل الاسلام كل فرد فى هذا المجتمع مسئولا عن المحافظة عليه فى حدود امكاناته (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهذه المسئولية ليست مسئولية سلبية بل هى ايجابية فالنصيحة مطلوبة (الدين النصيحة) والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان)

بل إن هذه الأمة كانت خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فان لم تسر على هذا المنهج فانها ستكون كبنى اسرائيل الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم لأنهم (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) والمسلم مطالب بأن يكون مع الطيب ولو كان قليلا وان يبتعد عن الخبيث حتى ولو كان منتشرا مع اعجاب الناس به لانه تطور ومن مظاهر التقدم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) .

والاسلام يقدر الطاقة العقلية ويدربها ليستخدمها المسلم فى الخير وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلى فطلب تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ولذلك فقد نعى على الانسان التقليد المطلق الذي لا يستخدم العقل (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) .

لذلك تميز المسلمون بالدقة العلمية فى أبحاثهم رغم قلة الامكانات التى كانت معهم .

والاسلام يوجه العقل البشرى الى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية فى المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية فى تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) كما يوجهه الى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الانسان (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) .

والمذهب التجريبى هو فى اصله مذهب اسلامى يقول (جب) فى كتابه « الاتجاهات الحديثة فى الاسلام » (اعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وانه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبى الى أوربا فى العصور الوسطى) .

كما يقول « بريفولت » فى كتابه : (بناء الانسانية عن أصول الحضارة الغربية) : لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن كانت بطيئة .

ومما يميز هذا المنهج أن العلم سار فى ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ولذلك لم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التى نراها فى العالم الغربى .

وقد رفع الاسلام من شأن العلم والعلماء (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) وقد جعل النبى الكريم العلماء ورثة الأنبياء وحث القرآن الكريم العلماء أن يعلموا غيرهم لينتشر العلم (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) .

وهكذا يكون منهج التربية فى الاسلام منهجا متكاملا يعنى بتربية الجسم والروح والعقل حتى لا تطغى ناحية من النواحى ، وبذلك ينشأ المسلم سويا قوى الصلة بالله محققا لرسالته فى هذه الحياة فيسعد المسلم وتسعد البشرية كلها .

وعد الله

ليس لبني إسرائيل

للأستاذ : محمد عبد الرحمن عبد اللطيف

مقدمــــة :

تعتبر قضية فلسطين ذات أوجه متعددة يحار كاتب التاريخ بين ألوانهـــا المتنافرة فهى قضية شعب بقدر ما هى قضية أمة ، وهى قضية دنيا بقدر ما هى قضية دين .

وسأحاول فى هـــذا المقـــام المحدود أن أتناول جانبا هامـــا من جوانب هذه القضية ، وهو مناقشة الأساس الدينى الذى قامت عليه دولة اسرائيـــل ، وادعاءاتها المتكررة فى كل أسفارها بوجود وعد إلهى أبدى يمنحها فلسطين وما حولها شرقا وغربا منحة أبدية دون التزام دنيوى أو دينى .

وقد ورد الوعد الإلهى فى العديد من أسفار التوراة منحـــة من الرب إلـــى أنبيائه ورسله وشعبه المختار ، وسيكون منهجى فى بحث هذه القضية مناقشـــة أركانها الآتية :

أ ــ الوعد الإلهى كمنطوق ورد فى أسفار التوراة .
ب ــ إله يملك القدرة بجانب صفات الألوهية ليمنح هذا الوعد .
حـ ــ أنبياء يتحملون مسئولية إبلاغ هذا الوعد وقيادة أمتهم لتحقيقه .
د ــ شعب مختار ندبته السماء لتحقيق وعدها وموعودها .

وهذه الأركان تعتبر وحدة متماسكة لا بد من قيامها جميعا لتقوم قضية الوعد على أساسها .

وسنرى مدى صدق كل ركن من هذه الأركان من وجهة النظر الاسرائيلية ، ثم نبحث نفس هذه الأركان من وجهة النظر الاسلامية لنقيمها على أساس سليم من الصحة والصدق والوضوح بين العبد وخالقه وبين العبد وغيره من بنى البشر ، او ما يمكن أن نسميه وعد ملتزم بسلوك دينى ودنيوى .

الوعـــد الإلهى :

فى سفر التكوين يقول الرب لإبراهيم : (اباركك مباركة واكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطىء البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض .)

ويتطور الوعد فى سفر التثنية ليقول لبنـــى اسرائيل (كل مكان تدوســـه أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربى يكـــون تخمكم لا يقف انسان فى وجهكم . الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كـــل الأرض التى تدوسونها كما كلمكم) .

ونحن نرى فى النموذجين السابقين وقد اخترتهمـــــا من عديد الصـــــور والصياغات لمنطوق الوعد مدى ما يمكن أن نسميه التوســـع الإقليمى الذى خططته اسرائيل منذ القدم فى أسفارها .

ولا بد أن نوضح هنا مسألة هامة ترتبط بقضية الوعد وهى أن الوعــــد الإلهى يرتبط دائمـــا بنظرية الشعب المختـــار الذى لا يلتزم بأية ميزة أخلاقيـــة أو دينيـــة .

ففى سفر التثنية يقول الرب لاسرائيل (إنك يا اسرائيل شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذى أقسم لآبائـــكم) .

فنظرية الشعب المختار فى التوراة لا تقوم على أية ميزة أخلاقية أو دينية أو التزام من أى نوع ، فهى لا تقبل أى دفع من الدفوع ، ولا يمكن محاسبتها بميزان العقيدة ، لأن الرب هو الذى أقسم أن يبر هذا الشعب مهما كان سلوكه ومهما كان انحرافه .

وبدراسة السمات العامة لمنطوق الوعد فى التوراة نجد الآتى :

أ ــ الوعد يعطى لبنى اسرائيل حق ملكية أرض فلسطين وما حولها ملكية تامة .

بـ ــ هذا الوعد ليس قاصرا على ابراهيم ، ومن جاء بعده من الأنبيـــاء ، وإنما هو لبنى اسرائيل أبد الدهر .

جـ ــ الوعد مفتوح لا حدود له ولا شروط وليس له أى التزام دينى أو أخلاقى سوى نظرية الشعب المختار .

د ــ تطور منطوق الوعد فى أسفار التوراة يجزم بالرغبة القديمة فـــى التوسع الإقليمى لبنى اسرائيل .

هـ ــ خلا الوعد من أى مدلول دينى أو التزام أخلاقى .

و ــ من الصياغات المختلفة لنص الوعد نرى أن الرب هو الذى يحفظ العهد للبشر وليس العبد هو الذى يحفظ عهد الله وهو وضع لا نجد له مثيلا فى تاريخ الأديان والعقائد .

ونحن باستعراض هذه السمات ومع التسليم المطلق بعدالة الله واستحالة وقوع الظلم منه نرى أن الوعد بهذه الصورة يبعث على الدهشة لأن الله جل شأنه إذا كان قد اختار شعبا وميزه وجعله خليفته فى الأرض فلا بد أن يتمتع على الأقل بميزة التدين ولكن التوراة نفسها تمتلىء بكل الموبقات الدنيوية والمراسم والطقوس الوثنية وموسى عليه السلام يقوده بنفسه إلى دنيا التوحيد فلا يكاد يصل من ذلك الى شىء حتى انه يكاد يضرع إلى الله فى القرآن حين يقول : (رب إنى لا أملك إلا نفسى وأخى) .

كما أن الله لا يمكن أن يعطى وعدا بدون مقابل أو التزام دينى يفى به الاسرائيليون ولنا أن نتصور شعبا يعيث فى الأرض فسادا ومعه صك بتأييد لا حدود له من جانب السماء فهو خليفة الله وسيد شعوب العالمين وهو مفهوم لا يستقيم مع تصور العدالة الإلهية .

كما أن الوعد لم يوضح لإسرائيل الخطة الواجب اتباعها لتحقيق الوعد وزمن تحقيقه حتى أننا لنعجب أشد العجب حين نرى أن التوراة أيام نبى الله سليمان عليه السلام تزخر بصيغ الوعد المختلفة ورغم كل ما وهبه الله من قوة وعظمة وملك ونبوة لا يتحرك لتحقيق الوعد والاستيلاء على أراضى المنطقة من النيل إلى الفرات . فهل اختلقت هذه القضية بعد ذلك أيام الأسر البابلى ؟!

أما أن نبى الله ــ وحاشى له ذلك ــ قد تقاعس عن تنفيذ وعد الله رغم توافر كل سبل العمل أمامه لتحقيق هذا الوعد ؟!

وتلك أمور تدعو إلى القول بأن كل ذلك ينافى عدالة السماء وهى شريعة الله كما وأن الصياغة والتأليف واضحان فى أسفار التوراة وكلها أمور تهدم هذا الركن من أركان قضية الوعد ، وعلينا أن نناقش بعد ذلك الركن الثانى وهو : الله مانح الوعد .

الله فى التوراة :

ان أبسط صفات الله ــ واهب الوعد هى القدرة ولكن حتى هذه الصفة حرمتها التوراة على الله فهو إله متغير ــ صارم ــ بالغ العنف ــ رهيب مخيف ــ يدعو إلى سفك الدماء واستعباد الشعوب وامتلاك أرض الشعوب وهو إله لبنى اسرائيل دون سائر البشر .

وهو بنص كلمات التوراة يمشى فى الجنة ويقابل بها آدم وهو يبكى ويحزن ويعتريه ما يعترى الإنسان من مشاعر وعواطف وهو يتجسد أمامهم مرة فى عامود دخان ومرة فى سحاب وأخرى فى نار وهو أحيانا يرى رأى العين كما رآه موسى وسبعون معه من شيوخ بنى اسرائيل كما جاء فى سفر الخروج .

ثم هو يتقبل تعنيف موسى له حين يقول له (ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك ... فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه) .

وهو يدعو إلى التدمير والتنكيل والذبح والقسوة فيقول فى سفر التثنية (حين تقترب من مدينة .... واذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها

فتضمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك . . . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما) .

قتل وسلب ونهب وتدمير هي نصيب الأمم التي يدفعها حظها العاثر أمام بني صهيون فليس عجيبا ما نراه يجرى في مدن فلسطين والأراضي المحتلة لأن كل ذلك جزء لا يتجزأ من معتقداتهم الدينية وتعاليم الرب إليهم . والرب عندهم في التوراة هو (يهوه) وهو إله اليهود فقط وليس لبنى البشر حق في ملكوت هذا الرب وإنما الرفعة والعلو لبني اسرائيل فقط . ففي سفر أشعيا (ويقف الأجانب ويرعون غنمكم أما أنتم فتدعون كهنة الرب تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون) .

وقد أعطاهم (يهوه) هذه التعاليم والأساليب الشيطانية لأن الصهيونية جزء من الله أما باقي الشعوب فهي أشبه بالحيوان وبيوت عبادتهم ليست سوى حظائر حيوانات .

ومن مجمل هذه الصور نرى أن الله بهذه الصورة التي وردت في أسفار الصهيونية غير قادر على إعطاء وعد كبير كهذا وإذا كان قد وعد فهو غير قادر على تحقيق هذا الوعد .

ولنا أن نشك في التلازم بين الوعد والله على هذه الصورة أو أن نشك في الذين أرخوا وصوروا جوانب القصة التي لا يستطيع العقل أن يسيغها . فيكون أقرب إلى الخيال والمجاز أن نتصور وعدا مفتوحا دون شروط أو التزامات من رب له صفات بشرية وغير قادر إطلاقا بل يأتمر أحيانا بأمر رسله . ولكن يمكننا على الجانب الآخر أن نرى وعدا مشروطا محددا بالتزامات دينية وخلقية وربما قادرا على كل شيء حتى يمكن للعقل أن يسيغ هذه القضية . أم أن البشرية في سيرها على درب تطورها وتقدمها الإنساني قد كتب عليها أن تنتظر إلى أن يحين تحقيق هذا الوعد فتطأ الشراذم الصهيونية أراضي ما بين النيل والفرات وتسود الأمم كمنطوق الوعد .

ومجمل القول أن بني اسرائيل لم يكونوا متحمسين أو راغبين في الأخذ بالمسئوليات الأخلاقية والدينية ولهذا أرخوا تأريخا لا يتفق مع الحقيقة ونسبوا لأنفسهم ما لا حق لهم فيه .

الأنبياء في التوراة :

لعل القارىء سينتظر أن أسرد عليه روائع الصفات التي أضفتها التوراة على أنبياء بني اسرائيل الذين كانوا الواسطة بين الرب وشعبه في تبليغ الوعد وقيادة أمتهم إلى تحقيقه ولكن شيئا من ذلك لم أجده في التوراة بل رأيت أحط الأخلاق تلصق بهم وأخس الصفات يوصم بها سلوكهم . ولم يرق مستوى أي منهم الأخلاقي إلى مستوى الرجل العادي من شعب اسرائيل فمنهم الزاني والمارق والخائن والجبان والكافر وغير ذلك من قبيح الأوصاف وهي صفات نزه الله منها أنبياءه الذين اصطفاهم من أكرم الخلق وأطهر البشر .

فنرى أن التوراة لم تعف ابراهيم أبو الأنبياء حتى من هذا الأسلوب رغم انه صاحب الوعد الأول .

فتذكر في سفر التكوين انه حين نزل إلى مصر قال لزوجته : (قال لساراي امراته إني قد علمت انك امراة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أن يقولوا هذه امراته فيقتلونني ويستبقونك . قولي انك اختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من اجلك) .

وهى صورة غريبة فى حياة الأنبياء : رجل يعرض جمال امراته لينال من ذلك خيرا ويجبن فى الدفاع عن عرضه فينكر عقد زواجه ويدعى أن امراته هى أخته وتلك هى طبيعة المساومة الفريزية فى خلق الصهيونية .

واكاد اجزم استنادا إلى المفهوم الحقيقى لرسالات السماء أن ابراهيم وفد الى مصر كنبى يدعو إلى رسالة ربه ولم يدفعه جدب الأرض إلى ذلك كما ذكرت التوراة .

وتستطرد التوراة فى سرد أقاصيص العبث فى بيت ابراهيم الحائر بين زوجته سارة وهاجر حتى انتهى الأمر الى إلقاء هاجر وابنها اسماعيل فى هجير الصحراء وفي يدها قربة ماء وليس هنا ذكر لرحلة ابراهيم واسماعيل إلى مكة ولا حديث عن بناء الكعبة ولو بكلمة واحدة رغم ما حفلت به من صغائر الأمور وسبب ذلك أن كاتب التوراة أراد الا يلفت النظر التاريخي إلى بيت غير بيتهم فى أورشليم وإلى فرع للنبوة من نسل اسماعيل غير فرع نبوة اسحق وتلك قضية تحتاج إلى الكثير من التوضيح فى غير هذا المجال . ولكن ما يهمنا بيانه هنا هو سرد صورة ابراهيم الداكنة فى التوراة وفى نهايتها إغفال تام ربما لنصف رسالته وهى بناء الكعبة حتى لا يشاركهم أحد فى قضية الوعد كما وضعوه .

وتسترسل التوراة فى سرد مخازى الأنبياء فتخبرنا أن يعقوب أخذ عهد النبوة من ابيه اسحق بناء على مؤامرة خسيسة بينه وبين أمه خدعا فيها الأب بعد ضعف بصره .

وفى سفر التثنية نرى أن رأوبين قد زنى مع امراة أبيه يعقوب كما سرد سفر التكوين قصة الزنا التى ارتكبتها دينة ابنة يعقوب من لياة مع أحد أبناء سادة شكيم فى الأردن . وكذلك قصة الزنا بين يهوذا بن يعقوب وزوجة ابنه .

وهو مفهوم مزرى لا يمكن أن نسلم بحدوثه فى منازل الوحى وبيوت الأنبياء .

وفى سفر الملوك الأول نرى أن سليمان تزوج بالوثنيات حتى أملن قلبه إلى عبادة الأوثان وترك الوحدانية حتى قال السفر (فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب) وصورة سليمان فى التوراة لا تتناسب مع ما منحه الله من ملك عظيم وحكمة بالغة ونبوة معروفة لم تحدثنا عنها التوراة وإنما سردت المخازى ولفقت التهم .

ثم نرى صورة لوط النبى الكريم وقد زنى بابنتيه بعد أن شرب الخمر وذلك فى سفر التكوين .

كما أن اسحق عرض زوجته على أحد ملوك المنطقة .
حتى موسى الذى أنقذهم من فرعون وغضبه حرمه الرب وغضب عليه .
وهرون الصقوا به تهمة صناعة العجل الذهب وقادهم لعبادته حينما ذهب موسى لملاقاة ربه وبرأوا شعب اسرائيل من هذه التهمة حتى جاء القرآن ليغير حقائق العقيدة ويسلط الأضواء على السلوك الرفيع لأنبياء الله ويعفى هرون من تلك التهمة المشينة .

ولا يكفى هذا المقام لسرد اللوحات القاتمة لصور الأنبياء فى التوراة ويكفينا ما ذكرناه لنرى أن هؤلاء الأنبياء بوصفهم الذى جاء فى التوراة لا يمكن أن يقوموا بتبليغ وعد إلهى سبق ذكره أو قيادة أممهم لتحقيق هذا الوعد الخطير . وكان لنا فى هذه الحالة أن نشك فى قضية الوعد برمتها وقد رأينا هذا الركن الهام من أركان هذه القضية لا يمكن أن يقوم .

الشعب المختار :

ليس لنا إلا التوراة مرجعا لبيان حالة الشعب الذى عليه أن يحقق وعد الله كما جاء فى توراته ولنرى هل يمكن لشعب هذه مقوماته وتلك مثله واخلاقياته أن يقيم مجدا ويبنى تاريخا ؟!
فالتذمر صفتهم والتمرد سلوكهم حتى وهم فى مصر مع موسى يحاول الخروج بهم من سجن فرعون الكبير ثم أن بنى اسرائيل لم يدينوا بالوحدانية فعبدوا العجل بمجرد أن تركهم موسى لملاقاة ربه .

ولم يحترم بنو اسرائيل الأنبياء فى أسفارهم كما سبق توضيح ذلك بل لم يحظ الله لديهم بالتقدير والتنزيه .

ولم يخلص بنو اسرائيل لعبادة الله ففى سفر التثنية (كنتم تقاومون الرب حتى فى حوريب أسخطتم الرب عليكم) . واستمر ذلك الضياع حتى جاء النبى يحيى ليصرخ فى وجوههم : — (يا أولاد الأفاعى) .

وحتى أنذرهم السيد المسيح بقولته (إن العشارين والزوانى ليسبقونكم إلى ملكوت الله) .
فقد كانوا لا يدينون بأية قيم أخلاقية بل يدعون أن الرب يدعوهم الى النهب والسلب (طلبوا من المصريين أمتعه فضة وذهبا وثيابا وأعطى الرب نعمة فى عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين) وذلك حين قدروا الخروج من مصر فاستعاروا أمتعة جيرانهم ثم سلبوها وهربوا ليلا !!

واشترط بنو اسرائيل على موسى رؤية الله أولا حتى يؤمنوا به وهى طريقة فريدة فى عالم الأديان بل طلبوا فى وقت من الأوقات من موسى عبادة الأصنام بعد خروجهم من مصر .
والتوراة تزخر بالمخازى التى فعلها بنو اسرائيل بعد دخولهم فلسطين حتى أن دخولهم إليها عن طريق امرأة من الساقطات مجدتها التوراة !!

ورغم ما زخرت به التوراة وما يحويه القرآن الكريم فى حكمه على هؤلاء المتطفلين على دنيا الأديان نحتكم إلى التاريخ الحضارى لنتساءل : هل قام لليهود سلطان بمعناه المتعارف عليه فى فلسطين ؟

وهل حفظ لنا التاريخ آثار حضارة اسرائيلية مادية أو أدبية ؟

وهل يعرف العالم شيئا عن الفن الاسرائيلى أو العمارة الاسرائيلية أو الأدب الاسرائيلى أو العلم الاسرائيلى ؟ وإن كل ما يحدثنا به التاريخ أسفار تحوى عفن قرون من الأكاذيب والأحقاد وارتكاب الفواحش .

حتى الأدب الغربى قد امتلأ بشخصيات أصبحت علما على اليهود حتى قبل أن تظهر فى الوجود القضية الفلسطينية . فنرى شخصية (شيلوك) التاجر اليهودى الجشع فى مسرحية شكسبير (تاجر البندقية) يرمز بها إلى أحط الطبائع وأبشعها .

ثم نرى شخصية (فاجن) التى أبدعها الروائى الانجليزى شارلز ديكنز فى روايته (أوليفر تويست) ويرمز بها إلى دور اليهود فى العبث بشباب المجتمع الانجليزى وتربيته على الجريمة .

ولنا أن نتساءل بعد كل ذلك : هل يمكن لشعب هذه صفاته وتلك إمكانياته المحدودة ومقوماته المتواضعة أن يقيم دين الله فى الأرض ثم يدعى لنفسه حقا يغتصبه بأنه سيد شعوب الأرض .

وهل استطاع هذا الشعب أن يرقى إلى مستوى الكرامة التى أرادها له الله جل شأنه حين ندبه لأداء الأمانة ، وتأدية الرسالة على يد موسى الكليم ؟!

وهل تقص علينا التوراة شيئا من قوة الايمان وصدق العزيمة فى هذا الشعب وهى صفات كان يجب أن نراها فيمن أراد أن يحقق وعدا إلهيا وعهدا ربانيا .

بل تمرد بنو اسرائيل وثاروا بمجرد تلقيهم كلمة السماء من موسى عليه السلام وطالبوه بالعودة الى مصر مرة وبعبادة العجل مرة أخرى وبرؤية الله مرة ثالثة ولم تنته متاعب موسى منهم إلا بعد حكم التيه الذى أنزلته بهم السماء .

وبهذا نرى أن شعب الله المختار إنما هو شعب معقد يمثل بقايا متحجرة فى قوقعة تاريخية تتكلم لغة غريبة عن دائرة العقائد ، وما وصلوا إليه ليس من الدين فى شىء وإنما للقضية أوجه أخرى لعل الدين أبعد وجه عنها .

ولعلنى فى هذا المقال استطعت أن أناقش الأركان الأربعة لقضية الوعد الإلهى من وجهة النظر الإسرائيلية لكى نحكم بأنها أقيمت على أسس واهية لا تحتاج إلى كثير عناء وكبير جهد لكى نهدمها ونرفضها .

ولكى يكتمل هذا البحث المختصر يجب أن نحاول إقامة هذه الأركان ومناقشتها من وجهة النظر الإسلامية ، والقرآن نورنا ، والتاريخ شاهدنا لنرى لمن كان الوعد ، وما هى حقيقته ولنشهد كلمة التاريخ ، وهى تخبرنا عن الحقيقة المذهلة عن الذين حققوا الوعد بمنطوقه حتى لو أخذنا بنص التوراة ، وذلك كله يحتاج إلى مقال آخر .

مائدة القارئ

الرجل يخطب لبنته

١ ــ قال شعيب لموسى عليه السلام : « إنى أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين . قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل » .

(القصص : ٢٧)

٢ ــ قال عمر بن الخطاب وقد مات زوج ابنته حفصة : لقيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقال : سأنظر في أمرى ثم لقيته ، فقال : قد بدا لى الا أتزوج . ثم لقيت أبا بكر ، فعرضت عليه حفصة ، فصمت ولم يرد على ، ثم لقيته ، فقال لى إنه لم يمنعنى أن أرجع اليك فيما عرضت على الا انى كنت علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ، ولو تركها لقبلتها .

٣ ــ قال عبد الله بن أبى وداعة : افتقدنى سعيد بن المسيب ، فلما اتيته ، قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت اهلى فاشتغلت بها . قال : هل استحدثت امرأة ، فقلت يرحمك الله ، ومن يزوجنى ، وما أملك إلا درهمين أو ثلاثا ، فقال : أنا ، ثم حمد الله وصلى على النبى وزوجنى ابنته على درهمين ، وكان احد الخلفاء قد طلبها منه فأبى أن يزوجها له سعيد رحمه الله .

حلم الربيع

قال الربيع بن سليمان صاحب الإمام الشافعي : رايت في المنام ان آدم مات ــ صلى الله عليه وسلم ــ ويريدون ان يخرجوا بجنازته ، فلما اصبحت سألت بعض اهل العلم عن ذلك ، فقال : هذا موت اعلم اهل الأرض ، إن الله عز وجل علم آدم الأسماء كلها .. فما كان الا يسيرا حتى مات الشافعي رحمه الله .

وفاة الشافعى

قال الربيع بن سليمان : توفي الشافعي رحمه الله ورضي عنه ليلة الجمعة بعد المغرب وانا عنده ، ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب وانصرفنا من جنازته ورأينا هلال شعبان سنة اربع ومائتين من الهجرة .

اغرقه العروض

جلس ابو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس النحوى المصرى على درج المقياس على شاطىء النيل ايام الفيضان ــ وهو يقطع بالعروض شيئا من الشــــعر ، فقال بعض العوام : هذا يسحر النيل حتى لا يزيد، فتغلو الاسعار ، ودفعه برجله فى النيل ، فلم يوقف له على خبر .

حافظة المتنبى

اشـــتهر ابو الطيب المتنبى بقوة الحفــظ ، وروى انه كان عند احد الوراقين يوما ، فجـــاءه بكتاب من نحـــو ثلاثين ورقة ليبيعـــه ، فاخذ ابو الطيب الـــكتاب واقبل يراجع صفحاته ، فلما مل البائع استعجله قائلا له : يا هـــذا لقد عطلتنى عن بيعه ، فان كنت تبغى حفظه فذلك بعيد عنك .. قال المتنبى : فان كنت حفظته فمالى عليك .. ؟ قال الرجل : اعطيكه ، قال الوراق : فامسـكت الكتاب اراجع صفحاته والغلام يتلوها به حتى انتهى الى آخره ، ثم استلبه، فجعله فى كمه ومضى لشأنه .

لا ادرى

كان ابراهيم بن طهمان يتقـــاضى راتبا من بيت المال على الفتوى فسئل عن مسالة ، فقال : لا ادرى ، فقالوا له : تاخذ فى كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسالة ، فقال : انما آخذ على ما احســـن ، ولو اخذت على ما لا احسن لفنى بيت المال ، ولا يفنى ما لا احسن ، فاعجب الخليفة جوابه ، وامر له بجائزة وزاد راتبه .

الدنيـــا ..

بضم الدال مقصورة غير منونة فى الاغلب ، وحكى كسر الدال ، وتجمع على دنى ككبرى وكبر ، والنســـبة اليها دنيوى ، ودنى ، ودنياوى .

الغريب ..

ان الغريب له مخافة ســـــارق
وخضـــــــوع مديون وذلة وامق
واذا تذكر اهلـــــــــه وبلاده
ففؤاده كجنــــــــاح طير خافق

أسماء والهجرة

للشيخ مناع القطان

لم يكن حدث الهجرة حدثا تاريخيا كتلك الأحداث التى تجرى وفق سنن الله الاجتماعية فى حياة الأمم ، ولكنه كان حدثا معجزا فريدا ، أعطى للحياة الانسانية مفاهيم جديدة لوقائع التاريخ تبرز القيم الاسلامية وآثارها الحية التى يعجز البشر عن صنعها . فلا يلبث الناظر فيها طويلا حتى يردها الى القدرة الالهية التى لا يعجزها شىء فى الأرض ولا فى السماء .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن آيات الاعجاز فى هذا الحدث التاريخى الأشم ، وإنما نتناول جانبا مشرقا منه فى حياة امرأة من فضليات النساء المسلمات .

لقد عاشت المرأة فى عصور الجاهلية مهينة ذليلة ، تزدريها الأعين وتمقتها النفوس ، وتوقع بها من ضروب العنف والجبروت ما لا تتحمله الجبال الرواسي ، واعتبرتها الحضارات القديمة مخلوقا شريرا لا يصدرُ عنه الا الخطيئة ، وحرمتها كافة الحقوق التى يتمتع بها الانسان ، ووأدتها جاهلية العرب صغيرة . وعضلتها وورثتها كبيرة (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم .. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون) (١) وعن ابن عباس قال : (كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، ان شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاءوا

زوجها ، وإن شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية (يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهـا ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) (٢) .

فلما جاء الاسلام رفع عنها هـذا الغبن ، ونفض عن كاهلها تلـك الأوزار ، ورد إليهـا كرامتهـا وإنسانيتها .

وفي ثنايا حادث الهجرة يبدو دور المرأة المسلمة في مواقف أسمـاء بنت أبي بكر الصديق مما لا يدع مجالا للشك في مكانة المرأة بالاسلام .

الكتمان والسرية : ـ

لقد بايع علية القوم في المدينـة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام والنصرة والايواء ، وكـانت الهجرة ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بمكة أن يلحقوا باخوانهم الأنصار ، وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها ، فخرجوا أرسالا ، وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكـة والهجرة إلى المدينة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد إلا من حبس أو فتن إلا علي ابن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وأهله .

وكان وقع هجرة الصحابـة على نفوس المشركين أليما ، حيث أدركوا أن المسلمين قد أصابوا منهم منعة . وحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بالمدينة . وأيقنوا أنه قد أجمع لحربهم ، فائتمروا فـي دار الندوة ، وتشاوروا فيما بينهم ، وانتهى أمرهم الى أن يضربه نفر من شبابهم ضربة رجل واحد فيقتلوه ، وبذلك يتفرق دمه في القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجـوك ويمكرون ويمكر الله واللـه خير الماكرين)(٣) .

أستولى على قريش الذعـر ، وغشيتها كآبة الأسى ، ودبرت أمرها هذا وهي تخشى كل الخشية أن يفلت رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدها ويلحق بالمهاجرين والأنصار ، ثم يكر عليهم من منطلق حصين .

وأذن الله لرسوله بالهجرة ، وفي مثل هذه الحال من تآمر المشركين وتربصهم يكون الكتمان أكبر عـون على نجاح الخطة . حتى يحبط التدبير السيء ، ويحيق المكر بأهله ، ويسقط في أيدي ذويه .

ولطالما كانت السرية من مقتضيات الحكمة في الانتصار للحق ، وبلـوغ غايته ، وتفويت الفرصة على خصومه والقرآن الكريم يحكي على لسان نوح عليه السلام قوله (ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا)(٤) وقد بدأت الدعوة إلى الاسلام سرا ، وتربى في كنف سريتها رجال آمنوا باللـه وبرسوله ، وتجردوا لعقيدة الاسلام ، وتعاهدوا على نصرتها ، فكانـوا القاعدة الصلبة للكيـان الاسـلامي الشامخ الذي بلغ قمة المجد والعزة ، وماذا يجدي الصـخب الداوي مع الخصوم الألداء الذين أعمى الباطل بصائرهم وأثارت العصبية أحقادهم ، واستخفهم الشيطان فأطاعوه .. ؟

ولن يستطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتم أمر هجرته في نفسه دون أن يعلم به أحد سواه ،

فانه فى حاجة الى من يستعين بهم من خاصته فى هذا الخطب الجلل تدبيرا وإعدادا وصحبة ، وقد استأخر أبا بكر فى الهجرة ، كما تأخر على ابن أبى طالب ، ترى من يكون هؤلاء الذين يخصهم بسره ؟ وهل يكون للمرأة دورها فى ذلك ؟

إن الاسلام كما يصنع الرجال المؤمنين الصادقين فانه يصنع النساء المؤمنات الصادقات ، والذكر والانثى فى تبعات الايمان سواء عملا وولاية :

(من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)(٥) .

(إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)(٦) .

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)(٧) .

ولم تعرف الدنيا عقيدة من العقائد أو نظاما من الانظمة أكرم المرأة وصان خصائصها الفطرية بمثل ما عرف فى الاسلام .

وهنا يبدو تكريم المرأة المسلمة فى ائتمانها على أكبر حدث فى تاريخ الدعوة الاسلامية بحياة نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، حيث كانت أسماء بنت أبى بكر الصديق موضع ثقة وأمانة ، فعلمت بهجرة رسول الله ، وكتمت الخبر ، وأسرته فى نفسها .

وقال ابن اسحاق : فحدثنى من لا اتهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين انها قالت (كان لا يخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار ، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى اذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهرى قومه اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، فى ساعة كان لا يأتى فيها ، قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا انا واختى أسماء بنت أبى بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أخرج عنى من عندك) ، فقال : (يا رسول الله ، إنما هما ابنتاى)(٨) .

وإذا قيل : إن عائشة كانت زوجا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهى أمينة على أسرار زوجها فان هذا لا يقال بالنسبة الى أسماء ، إنما يقال عنها : إنها كانت مؤمنة فائتمنها رسول الله صلى الله عليه وسلم على سره ..

(قال ابن اسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج ، الا على ابن أبى طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبى بكر)(٩) .

البلاء والصبر : —

من خصائص المرأة رقة العاطفة ،

ولين الجانب ، وسرعة الانفعال ، وهذه الخصائص تتنافى مع البلاء والصبر ، فالمرأة بطبيعتها ليست صلبة العود ، ولا تقوى على تحمل الأذى ، ولا تصبر على النوازل ، وتلك الحقائق النفسية لا يمارى فيها ؛ وواقع الحياة أكبر شاهد عليها ، فلا تكاد المرأة تسمع كلمة نابية تخدش كرامتها حتى يتجهم وجهها ، وينحدر دمعها ، ويرتفع صوتها بالعويل والصراخ .

ولكن العقيدة تصوغ الانسان المؤمن بها صياغة جديدة ، يحتسب فيها كل ما يصيبه ابتغاء مرضاة الله . ويتجرد من أحاسيسه الشخصية ليكون إحساسه إحساس عقيدته . لأنها خالطت شغاف قلبه ، وامتزجت بروحه ومشاعره ، ففنى فيها عن نفسه ، يستعذب الموت فى سبيلها ، ويرى التضحية من أجلها أسمى أمانيه .

(ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايمانا وتسليما . من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)(١٠) .

وهكذا كان شأن العقيدة فى نفس أسماء بنت الصديق .

لقد باءت مؤامرة المشركين بالفشل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته بعد أن نام على بن أبى طالب على فراشه وتسجى ببرده، والقى حفنة من التراب على رءوس الفتية المتربصين فأعشاهم الله فلم يبصروا رسول الله حين خرج . واصطحب أبا بكر معه مهاجرا ، ولم يتجه صوب المدينة بل جنح متوجها الى غار ثور ، وحين أصبحت قريش وعلمت بنجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم جن جنونها ، وطار صوابها ، وكبر ذلك على نفوس كبارها ، فماذا يفعلون ؟

إن بصيص الأمل فى الاهتداء إلى وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم لملاحقته يبدأ من بيت أبى بكر فهو البيت الذى تأخرت هجرته ، وأبو بكر هو الذى صحب رسول الله، وهذا يعنى أن سر كل شىء لدى هذا البيت .

عندئذ توجه أبو جهل بن هشام على رأس نفر من قريش إلى بيت أبى بكر ، فسألوا أسماء عن أبيها . عسى أن يجدوا فى جوابها بريق الأمل فما زادهم جوابها الا حيرة ، فنفس أبو جهل عن غيظه بلطمة سددها الى خدها فطار منها قرطها ، فقابلت ذلك بالصبر والاحتساب . قال ابن اسحاق : فحدثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : (لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت اليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قلت : لا أدرى والله أين أبى ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدى لطمة طرح منها قرطى)(١١) .

إن لطمة بكف أبى جهل ليست كسائر اللطمات ، فقد عرف أبو جهل بصلابة البنية ، وقوة الشكيمة ، فاذا انحدر كفه على أحد كان كانحدار الصخر من جبل شاهق ، وعلى من ينحدر كفه ؟ أينحدر على رجل فظ غليظ مثله ؟ أم على وغد خسيس

لا كرامة له ؟ لا ، إنما ينحدر على فتاة قرشية من أعرق أسر قريش نسبا ، وأعلاها كعبا ، إنه يتحدر على أسماء بنت أبى بكر الصديق ، فتلقته صابرة محتسبة ، وأجابت بهذا الجواب الذى لا يشفى علة جبار غاشم ، ولا يطفىء ظمأ هائم يتميز غيظا ، قالت : قلت : لا ادرى والله اين أبى ؟ وتمخض حلم أبى جهل فيما كان يأمله لدى أهل بيت أبى بكر عن سراب بقيعة (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب)(١٢) .

العمل والجهاد : ـ

وللمرأة فى ميدان الدعوة عمل وجهاد بما يلائم خصائصها ويناسب فطرتها إنها تسهم بالقدر الضرورى فى حقل وظائفها الاساسية ، وجهاد الدعوة يشمل كل جهد يبذل فى سبيلها ، ومن ذلك أعداد الطعام ، وتمريض الجرحى ، ومراقبة الأعداء .

ولم يكن دور أسماء بنت أبى بكر الصديق فى الهجرة قاصرا على ما ذكرناه آنفا من كتمانها الخبر ، وصبرها على لطمة أبى جهل ، بل تجاوز هذا الى الاسهام العملى مشاركة فى هذا الحادث العظيم ، الذى كان نقطة تحول فى تاريخ البشرية .

لقد اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار ثور ثلاثا ، ومعه أبو بكر ، وما كانت قريش لتغمض لها عين حتى تأتى برسول الله حيا أو ميتا . وكانت هناك حاجة الى أمور لا بد منها أخذا بأسباب النجاة ووسائل نجاح الهجرة :

أولها : تسمع أخبار قريش لمعرفة ما يدبره القوم من مكائد، وما ينصبونه من شراك ، وما يحيكونه من مؤامرة .

وثانيها : تعفية أثر من ينقل هذه الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الغار .

وثالثها : الطعام الذى يسد الرمق ويقوم به الصلب .

أما الأمر الأول فقد تكفل به عبد الله بن أبى بكر ، حيث كان يلتقط ما يدور على السنة قريش نهارا ، وينقله الى رسول الله وصاحبه مساء .

وأما الامر الثانى فقام به مولى أبى بكر عامر بن فهيرة الذى كان يرعى الغنم ويريحها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر فى الغار ، فاذا قفل عبد الله من عندهما راجعا اقتفى أثره بالغنم تعفية عليه ، فمهمة عبد الله وعامر هى مهمة الجاسوسية المشروعة لحماية الاسلام ونبيه .

أما الأمر الثالث ـ وهو اعداد الطعام ـ فقد تكلفت به أسماء بنت أبى بكر .

قال ابن اسحاق : (فلما اجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، اتى ابا بكر بن أبى قحافة ، فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار بثور ـ جبل بأسفل مكة ـ فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبى بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ،

وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما من

الطعام إذا أمست بما يصلحهما)(١٣)

والتزود بالطعام فى السفر الطويل ضرورة ملحة ، فكيف اذا كان هـذا السفر فى الصحراء القاحلة الجرداء لعدة مراحل تقطعها الراحلة يوما تلو يوم ؟ إن الزاد حينئذ يكون قـوام الحياة .

وأسماء بنت أبى بكر لم يفتها أن تزود رسول الله وأباها بطعام السفر الذى يرد عنهما غائلة الجوع ، وهى فى هذا تجود بأعز ما تحرص عليه المرأة ، فالمرأة تهتم بزينتها ، وزينتها فى ثيابها ، ونطاقها هو حلية هـذه الثياب . وكان آنذاك تقليدا متوارثا أصيلا .

وقد نسيت أسماء حين أعدت طعام السفر أن تهيىء ما تعلقه بـه فى الراحلة ، فلم يسعها إلا أن تحـل نطاقها وتجعله عصاما تعلق به وعاء طعام السفر فسميت بذات النطـاق أو تشـقه شقين ، تتخذ احداهما عصاما وتنتطلق بالشق الآخر فسميت بذات النطاقين .

قال ابن اسحاق : (وأتتهما أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهمـا بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لهـا عصاما ، فلما ارتحلا ذهبت لتعلـق السفرة ، فاذا ليس لها عصـام ، فتحل نطاقها ، فتجعله عصاما ، ثم علقتها به ، فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر ذات النطاق لذلك .

قال ابن هشام : « وسمعت غير واحد من أهل العلم يقـول : ذات النطاقين ، وتفسيره : أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحـد ، وانتطقت بالآخرة »(١٤) .

هذه هى اسماء بنت ابى بكر فى مقتبل عمرها ، وهذه هى مواقفهـا فى حادث الهجرة ، فما أروعها من سيرة عطـرة لفضليات النسـاء والمسلمات ! وقد كان موقفها فى آخر حياتها من الحجاج الثقفى أشـد روعة !!

---

١ — ٥٨ ، ٥٩ — النحـل .
٢ — رواه البخـارى .
(١) ٥٨ ، ٥٩ — النحل .
(٢) رواية البخارى .
(٣) ٣٠ — الانفال .
(٤) ٩ — نوح .
(٥) ٩٧ — النحل .
(٦) ٣٥ — الاحزاب .
(٧) ٧١ — التوبة .
(٨) السيرة النبوية لابن هشـام ، الجزء الثانى ص ١٢٨ ، ١٢٩ — ط الحلبى وكان ابو بكر قد انكح عائشة مـن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك .
(٩) المصدر السابق ص ١٢٩ ج ٢ .
(١٠) ٢٢ ، ٢٣ — الاحزاب .
(١١) ابن هشام — ج ٢ ص ١٣١ ، ١٣٢ .
(١٢) ٣٩ — النور .
(١٣) ابن هشام ج ٢ ص ١٣٠ .
(١٤) ابن هشام — ج ٢ ص ١٣١ .

من
مشاكلنا
الاجتماعية
المعاصرة

مشكلة العزوبة

للدكتور أحمد الحجي الكردي

الاسرة عماد المجتمع وأساسه ، بل هي المجتمع كله ، منها يبدأ وعليها يعتمد ، وبقدر ما تكون الاسرة متراصة متينة يكون المجتمع قويا متماسكا .. وهذه الأهمية القصوى للأسرة بالنسبة للمجتمع تفسر لنا الاهتمام الكبير الذى توليه الشرائع الإلهية والتشريعات والقوانين الوضعية للأسرة حفاظا على تماسكها وتناسقها ومتانتها إن من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية على حد سواء ، لأن أى مشكلة سوف تتعرض لها الاسرة (المجتمع الصغير) لا بد وأن ترتد على المجتمع الكبير كله بكل ثقلها ، تقض مضجعه وتهد كاهله ، ولذلك نرى العلماء والمتخصصين فى الحقول الاجتماعية والتشريعية والدينية يسارعون فور حدوث أى مشكلة للأسرة بالدراسة واقتراح الحلول خشية أن يتفاقم الأمر ويشتد الخطر سيما وأن المشاكل الاجتماعية عامة والمشاكل الأسرية خاصة هى مشاكل معقدة فى أغلب الاحيان تحتاج فى حلها الى مزيد من الدراسة والبحث .

ويلاحظ العلماء والباحثون فى العالم العربى والاسلامى بل العالم كله أيضا انه بدأت تظهر مشكلة جديدة مضافة الى مشاكله الكثيرة تتهدد الأسرة فى أصل وجودها وهى مشكلة (العزوبة) أو عزوف الشباب عن الزواج ، حيث يبلغ عمر الواحد منهم الخامسة والعشرين والثلاثين بل الاربعين أحيانا قبل أن يتزوج ، وفى هذا تهديد كبير واضح للأسرة ونذير بخرابها دون شك ، وهى ركن المجتمع وأساسه — كما تقدم — وهذه المشكلة وان كانت فى جذورها قديمة ترجع الى سنوات كثيرة ماضية إلا أنها لم تكن تشكل فى الزمن الماضى ظاهرة اجتماعية ، بل كانت حوادث فردية تقع أحيانا تحت تأثير بعض الظروف الخاصة .

ولكنها اليوم أصبحت تشكل ظاهرة خطيرة تهدد أركان المجتمع وتهز كيانه ، أصبحت ظاهرة كبيرة تثير اهتمام المشتغلين بالقضايا الاجتماعية والاحصائية ، وتفرض عليهم دراستها واقتراح الحلول المناسبة لها ، وإلا زادت تعقيدا واستعصت على الحل .

ومعلوم ما للزواج من قيمة كبرى فى بناء المجتمع إذ هو حجر الأساس فيه ، يبنى الأسرة ويلطف الطباع

ويشبع الحاجات النفسية والجسدية ويقمع توترها ويمنع الانحراف والشذوذ ، ويؤمن للناس جميعا حياة الوداعة والهدوء والسكن النفسي ، وما الى ذلك من المعاني الكثيرة التي يحققها الزواج . وتحت وطأة هذا الإلحاح الشديد الذي تفرضه هذه الظاهرة المشكلة على العلماء يطلع علينا بعض الناس بحلول لهذه المشكلة تكاد تكون مرتجلة أو غير عميقة فاذا بهم يزيدونها تعقيدا وإشكالا ، لأن هذه الحلول ليست حلولا جذرية مدروسة دراسة كافية، لكنها كالسراب يبدو للناظر فيغريه بالتقرب منه حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

ومن هذه الحلول مسألة تحديد المهور ، حيث يذهب البعض الى أن سبب هذه الظاهرة الخطيرة هو ارتفاع المهور حيث تصل في بعض البلدان العربية الى ثلاثة آلاف جنيه أو اكثر ، وهو أمر يعجز عن توفيره الشباب في كثير من الاحيان فيضطرون الى التمسك بالعزوبة البغيضة التي يتسبب عنها تفتت المجتمع وعموم الانحراف فيه — في بعض الاحيان — وغير ذلك . ولذلك فهم يقترحون اصدار قوانين من السلطات المختصة تحدد بموجبها مهور النساء على وجه يتيسر فيه لأكثر الشباب دفعها ، فتتأمن المصلحة ويقبل الشباب على الزواج وتختفي هذه الظاهرة .

وإنني وانا ادلي بدلوي في بحث هذه المشكلة ، أتساءل : هل درس هذا البعض من الناس هذه المشكلة من جميع جوانبها دراسة عميقة فاحصة وانتهوا الى أن السبب الوحيد أو الرئيسي لها هو غلاء المهور .. ؟ وهل حللوا ظاهرة غلاء المهور الى عناصرها وانتهوا الى أنها لا تحل إلا بإصدار التشريعات المحددة لها .. ؟ وهل توقعوا أن التشريعات هذه يمكن أن تحل المشكلة .. ؟

اعتقد أن شيئا من ذلك لم يكن مطلقا ، وأن عزوف الشباب عن الزواج لم يكن متسببا عن غلاء المهور ، ذلك أن العزوف عن الزواج منتشر بين الشبان الأغنياء أكثر منه بين الشبان الفقراء وهذا أمر لا مراء فيه ولا شك وتثبته الاحصائيات ، ثم إن القضاء على غلاء المهور إذا سلمنا جدلا بسببيته لهذه المشكلة لا يمكن أن يحل بالتشريعات أبدا، ذلك أن الزواج لا يتم ولا يجوز أن يتم إلا بالرغبة النفسية والانسجام العاطفي بين الزوجين ، وهذا أمر لا مدخل للتقنين فيه ، ولا تأثير لقسر السلطة عليه .

وما دام هذا الحل عاجزا عن معالجة مشكلتنا هذه فلا بد من اقتراح الحلول المناسبة لها .

وطبيعي أن المشكلات الاجتماعية مشكلات معقدة كما أسلفت ، تحتاج الى تضافر جهود المختصين لأن أي حل خاطيء لها سوف لا يكون عاجزا عن حلها فقط بل سيكون له مردود عكسي عليها يزيدها تعقيدا وجسامة .

ولكن الى أن تتاح الفرصة لحلها على الوجه المذكور لا يجوز تركها من غير حل تزداد خطورة وشدة ، بل الواجب العمل على دراستها وتقديم الاقتراحات المناسبة لحلها عسى أن تكون هذه المقترحات نبراسا ومنبها لمجموعات المتخصصين في الحقول الاجتماعية الى خطورة هذه المشكلة ومن ثم العمل على حلها .

وإنني وانا أدرس هذه المشكلة أرى أن سببها الرئيسي ليس ارتفاع المهور أبدا لما أسلفت ، وليس الجهل بمعنى الزواج وقيمته في المجتمع أيضا — كما يدعي البعض — بدليل أن هذه الظاهرة عامة في الفئات المثقفة أكثر منها في الطبقات الجاهلة أو هي متساوية بينهما على الأقل .

وليس سببها أيضا كثرة متطلبات الحياة وارتفاع اثمان الحاجيات ، لأن هذا الارتفاع رهين بالحالة المادية لكل أمة يتناسب معها طردا وعكسا، فترتفع الاسعار حيث يكثر الدخل ، وتقل حيث ينزل مستوى الدخل ، ولكنه فى الواقع قلة الرغبة ، وضعف الميل الجنسى من كل من الجنسين نحو الآخر .

فإن الله سبحانه وتعالى قد خلق فى كل من الجنسين رغبة وميلا نحو الجنس الآخر ، وهذه الرغبة مقدرة بمقدار معين يضمن توقان كل من الجنسين نحو الآخر توقانا منتظما يحمله على تخطى كل الصعاب فى سبيل الوصول إليه والتزوج منه، وذلك لضمان استمرار الحياة البشرية على وجه الارض .

فالزواج مسؤولية كبرى تحتاج الى تضحيات جلى من كلا الزوجين، إذ فى الإنفاق على الزوجة والأولاد ، وفى خدمة البيت والأولاد والزوج مسؤولية صارفة غالبا لكلا الزوجين عن تحملها لولا ذلك التوقان النفسى الذى أودعه الله — جل شأنه — فى كل من الجنسين .

ولكن هذا التوقان، أو هذه الشهوة الجنسية لا بد لها أن تقف عند حد لا تغادره ، فلا تزيد عليه ولا تنقص عنه ، لأنها إن نقصت عنه عزف الشباب عن الزواج فرارا من المسؤولية الكبرى التى يفرضها عليهم إن مادية أو معنوية .. وإن زادت عن حدها هذا انفجرت بركانا يحرق الاخضر واليابس ويقوض أركان المجتمع من أساسه ، وهو ما يحصل فى الدول النامية عندما تنفتح على الحضارة أو على (ما يسمى حضارة اليوم) فجأة ، فيكثر فيها اختلاط الجنسين بعد ما كان ممنوعا فيها منعا يكاد يكون كاملا .

ولذلك نرى أن الاسلام راعى هذه الناحية وسن شرائع ونظما متعددة تحفظ لهذه الشهوة الجنسية قوتها وشدتها عند الحد اللازم لها ، أو عند الحد الذى يضمن لها استمرارها بالعمل الذى خلقت من أجله .

فقد سن الاسلام لذلك الحجاب للمرأة وجعله عليها فرضا لازما ، وسن آداب النظر للرجل والمرأة معا فقال جل من قائل : « يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » . وقال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن » .

كما منع الاسلام الاختلاط بين الجنسين وخلوة كل منهما بالآخر فى غير الحالات المأمونة (المحارم) أو حالات الضرورة ، فقد جاء فى معنى الحديث الشريف عن النبى — عليه الصلاة والسلام — قوله : « ما خلى رجل بامرأة أجنبية عنه إلا كان الشيطان ثالثهما » ، كما منع النساء من السفر وحدهن من غير زوج أو محرم حتى لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام عند جمهور الفقهاء .

الى غير ذلك من التشريعات المتعددة التى تضمن أن لا يطفح الكيل وتزداد الشهوة ، أو تقل عن حدها المفروض لها فتخرج عن الغاية التى خلقت لها .

هذا وإن الاختلاط بين الجنسين الذى نراه يعم الآن — للأسف — فى مجتمعاتنا المسلمة والعربية منها وغير العربية ، وانحسار الحجاب الساتر للمرأة ، وعموم التبرج بل التهتك أحيانا بين النساء ، وتدنى أخلاق الرجال الى حد لم يعودا معه يتورعون عن اللعب بالمرأة لعبهم بالكرة وفضلا عن استراق النظرة المسمومة منها استمتاعا بجمالها وانوثتها الى غير ذلك مما يجل عن الوصف ويعلمه كل فرد منا .

كل هذا سبب زيادة حادة فى قوة هذه الشهوة خرجت بها عن الحد

المقرر لها ، ولكن الروح الاسلامية والعادات الاسلامية العريقة فى بلادنا ، والفئة القليلة المحافظة على تعاليم دينها بيننا ، كل ذلك حال دون اندفاع هذه الشهوة المتأججة لتعيث فى الأرض الفساد فى بلاد الاسلام ، أو فى بعضها على الأقل ، فانكبتت هذه الشهوة فى وكرها وضاق عليها جرابها ، دون أن تستطيع تمزيقه فمرضت وانكمشت على نفسها وشعرت بخيبة الأمل فعادت أنكاسا ترجع الى الوراء وتضعف وتذبل حتى نزلت نزولا سحيقا عن الحد المقرر لها ، والذى تستطيع معه القيام بمهمتها فى التغلب على كل معوقات الزواج الصالح المنتج الذى يبنى الاسرة والمجتمع السليم . فقلت الرغبة وضعف التوقان والتفتت أنظار الشباب والشابات معا عن الزواج ، وبدأت المعوقات تنتحل من كل منهما انتحالا بغية الابتعاد عن الزواج فرارا من مسؤولياته من حيث لا يدرون ، فغلت المهور وجلت الشروط الى غير ذلك مما نراه من العقبات الكثيرة التى تنتحل اليوم لتعويق الزواج ، واستعاض الشباب (أو حاولوا ذلك) عن الزواج بالنظرة العابرة ، والجلسة المختلسة والمشية الهادئة فى الشارع والسهرة المشينة فى النادى و .. وفى ذلك من الدمار والخراب للمجتمع الاسلامى الذى نرنوا اليه ما فيه .

هذا هو السبب الرئيسى فى نظرى لظاهرة العزوف عن الزواج فى بلادنا ، قلة الرغبة والتوقان الجنسى الناتجين عن الاختلاط غير المأمون وتبرج النساء المشين ، الى جانب ضعف الوازع الخلقى . وليس غلاء المهور وكثرة متطلبات النساء . لأن ذلك ما هو إلا قشة من تبن تخفى وراءها الاسباب الرئيسية الهامة التى قدمتها .

ثم إن حظ البلاد الاجنبية من مساوىء هذا التبرج والاختلاط لم يكن بأدنى من حظنا منه ، نعم إن الشهوة البهيمية قد انطلقت فى نفوس الشباب لديهم نتيجة ما تقدم ولم تنكبت كما حصل فى بعض بلادنا الاسلامية ، إلا أن النتيجة كانت واحدة وهى عزوف الشباب عن الزواج أيضا .. ذلك أن هذه الشهوة انطلقت انطلاقا عشوائيا تحصد الأخضر واليابس وتنتج الأولاد غير الشرعيين بالألوف تلقيهم عالة على المجتمع تفتت بهم كرامته وعزته .. فوجد الشباب فى ذلك غنى عن تحمل مسؤوليات الزواج الكثيرة فاكتفوا بذلك الاتصال المحرم الميسور لهم عنه .

لذلك كله انتهى الى أن السبب الرئيسى لظاهرة العزوبة فى العالم كله على وجه العموم وفى مجتمعاتنا الاسلامية على وجه الخصوص هو ضياع القيم الاخلاقية ، وتبرج النساء واختلاطهن بالرجال بطريقة لا تتفق وما شرعه الله — جل شأنه — نظاما للمجتمع .

ثم إن الحل الوحيد فى نظرى لهذه الظاهرة المعقدة هو الرجوع بالمرأة المسلمة الى الحجاب الاسلامى ، ومنع اختلاط الجنسين إلا بالطرق والشروط التى وضعها الاسلام لذلك ، والعمل على توعية الشباب من المسلمين بأخطار الاختلاط العشوائى ، ومضار اطلاق النظر اللاهى العابث .. وإن كان هذا الحل صعبا وقاسيا ويحتاج الى وقت طويل لكنه الحل الوحيد الذى لا يمكن أن يحل غيره محله أبدا .

أما عن حدود الحجاب الاسلامى وكيفية الدعوة اليه ، وعن حدود الاختلاط المباح بين الجنسين وشروطه فى الشريعة الاسلامية فهو مما لا يتسع له المقام الآن ، وأرجو أن أوفق فى تقديم موجز عنه فى مناسبة أخرى .

كتاب الشهر

تخليص الإبريز في تلخيص باريز

وموقفنا من الحضارة الغربية

للأستاذ ابراهيم محمود عوض

خلف الشيخ رفاعة الطهطاوى كتبا عدة فى كثير من الموضوعات والفنون ، بعضها من وضعه ، وبعضها الآخر قام بترجمته ، ومن كتبه التى ألفها هو كتابه المشهور «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» الذى يقول عنه على مبارك فى خططه (جـ ١٣ ص ٥٣) : « وأوصاه شيخه المومى اليه ـــ يقصد الشيخ حسن العطار ـــ قبل سفره بأن يفيد بلاده بعمل رحلة تجمع ما عليه المملكة الفرنساوية عمومـــا ، وتضبط أحواله خصوصا » . ويجلى الشيخ رفاعة هذه النقطة بقوله فى كتابه السالف الذكر (ص ٥٦ ط وزارة الثقافة والارشاد القومى) : « لما رسم اسمى فى جملة المسافرين وعزمت على التوجه أشار بعض الاقارب والمحبين لا سيما شيخنا العطار ـــ فانه مولع بسماع عجائب الاخبار والاطلاع على غرائب الآثار ـــ أن أنبه على ما يقع فى هذه السفرة وعلى ما أراه وما أصادفه من الامـــور الغريبة والاشياء العجيبة وأن أقيده ليكون نافعا فى كشف القناع عن محيا هذه البقاع التى يقال فيها أنها عرائس الافكار ، وليبقى دليلا يهتدى به الى السفر اليها طلاب الأسفار » . وفى (ص ٥٧) نراه يلقى مزيدا من الضوء على هـــذا الامر فيقول « وانطلقتها ـــ الرحلة ـــ بحث ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع ، فان كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر ثابت شائع ، والحق أحق أن يتبع ؛ ولعمر الله اننى مدة اقامتى بهذه البلاد فى حسرة على تمتعها بذلك ، وخلو ممالك الاسلام منه » .

وهذا الكتاب يمكن النظر اليه من عدة زوايا ، يمكن أن ينظر اليه من جهة لغته ومكانها من تطور الاساليب العربية ودورها في التمهيد للاسلوب الذي نكتب الآن به في آدابنا وعلومنا وصحافتنا ، كذلك يمكن أن ينظر اليه على أساس الصورة التي يرسمها رفاعة لفرنسا عموما ولباريس بخاصة ، وأيضا يمكن النظر اليه على أساس أنه يبين لنا مجهودات الشيخ رفاعة طالب البعثة في باريس وكيف كان يقضي وقته ؟ ومن الأساتذة الذين اتصل بهم هناك ؟ وكيف كانت علاقته بهم ؟ وهكذا تتعدد الزوايا التي يمكن أن نسلط الضوء منها على الكتاب ، الا انني لا أريد أن اتناوله الا من جهة دلالته على موقف الشيخ رفاعة من الوضع الحضاري للبلاد الاسلامية ، والبلاد الاوربية كما تمثلها فرنسا ، وماذا علينا — في رأيه — أن نأخذ من الحضارة الاوربية ؟ وما الذي علينا أن ندعه ؟ وبخاصة أن الشيخ رفاعة قد افاض القول في هذا السبيل ، فهو لم يجمل رأيه اجمالا ، وانما فصله ولم يدع أمرا من الامور التي عرضت له في باريس — سواء فيما يتصل بالعادات والتقاليد أو بالثقافة أو بالسياسة أو بالنواحي المادية كالمسكن والملبس وبعض الآلات وما الى ذلك — الا تحدث عنه وقارن بينه — في غالب الاحيان — وبين ما يقابله في بلادنا وأبدى رأيه فيه .

ان ما يلفت النظر حقا في الكتاب — بالنسبة لهذه الزاوية التي نتناوله منها هو اهتمام الشيخ رفاعة بدينه اهتماما عظيما وقيام كل رأى أبداه على أساس منه سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

فهو في تقسيمه لبلاد العالم وتفضيله بعض البلاد على بعض انما يفعل ذلك بناء على انتشار الاسلام في هذه البلاد (أو) لا ، فالدول الاسلامية تأتي في المقدمة وغيرها يليها ، يقول (ص ٧٨) : « اقسام الدنيا خمسة يصح تفضيل بعضها على بعض بحسب مزية الاسلام وتعلقاته ، فحينئذ تكون آسيا افضل الجميع ، ثم تليها أفريقية لعمارها بالاسلام والاولياء والصلحاء ، خصوصا باشتمالها على مصر القاهرة ، ثم تليها بلاد أوربا لقوة الاسلام ووجود الامام الاعظم امام الحرمين الشريفين سلطان الاسلام فيها .. الخ » .

ولا شك أن كثيرا من القراء سيدهشه هذا الترتيب ، وبعضا آخرين سينكرونه ، اذ كيف يفضل الشرق الاسلامي على أوربا ، وهو — في نواح كثيرة — متخلف بالنسبة اليها على حسب ما ينص عليه رفاعة نفسه في أكثر من موضع من كتابه ؟ والجواب — في رأيي — لا صعوبة فيه ، فان رفاعة حين أقام تفضيله انما كان على أساس العقيدة التي نجده يحلها من نفسه مكانا عليا ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى على أساس الامكان لا على أساس الواقع ، أو بتعبير آخر على أساس القوة لا على أساس الفعل ، فهو يرى أن بلاد الاسلام ان كانت متخلفة اليوم أشواطا في ميدان العلوم الطبيعية وواقعها المادي فان فهمها للاسلام فهما سليما مصفى من الاكدار والاقذار التي خالطته على كر الادهار وبناء حياتها على أسسه يؤديان — بالضرورة — الى ان تتبوأ مكان الصدارة التي كانت تتبوؤه قديما ، فهو يرى أن للحضارة دورة ، واننا قد ساهمنا فيها دهرا طويلا وبخاصة أيام العباسيين اذ كنا (كما يقول ص ٦٢) « أكمل سائر البلاد تمدنا ورفاهية وتربية زاهرة زاهية ، وسبب ذلك أن الخلفاء كانوا يعينون العلماء وأرباب الفنون وغيرهم ، على أن منهم من كان يشتغل بها بنفسه » ، ثم يمضي الزمان في دورته فاذا شوكة الفرنج قد قويت ببراعتهم

وتدبيرهم وعدلهم ومعرفتهم فى الحروب وتنوعهم واختراعهم فيها .

ومما له صلة بهذا أورده (ص ١٢٤) قائلا « ومن عقائدهم القبيحة تفضيلهم الفلاسفة على الأنبياء ، وانكار بعضهم القضاء والقدر وانكار خوارق العادات » فإنا نرى — من هذا النص — كيف ينظر رفاعة الى الحضارتين : حضارة الاسلام وحضارة أوربا ، فالاولى فى أصلها تقوم على وحي السماء ، بينما الثانية تقوم على النظر العقلى الذي يخطىء ويصيب ، ان العقيدة عندنا يتلقاها الرسول من الله ، أما عندهم فيتوصل اليها الفلاسفة بتفكيرهم وتأملاتهم التى مهما ارتقت وقامت على ثقافة واسعة وعميقة فهى معرضة — لا محالة — لكثير من الأخطاء .

على أن الامر — فى مقابل الحضارة الاوربية العقلانية — ليس أمر دين على الاطلاق ، انما هو دين الاسلام ، فهو (ص ١٠١) حين يستطرد الى الحديث عن نصارى مصر والشام الموجودين فى مارسيليا وكانوا قد خرجوا مع الحملة الفرنسية حين جلت عن بلادنا يقول « وندر وجود أحد من الاسلام الذين خرجوا مع الفرنسيس ، فان منهم من مات ، **ومنهم من تنصر — والعياذ بالله — »**.

ونمضى معه حتى ص ٢١٠ فاذا به — فى أثناء حديثه عن الخزانة السلطانية فى باريس وما فيها من الكتب العربية والمصاحف — يقول « وبعضهم — أى بعض المفكرين الفرنسيين — لخص من القرآن العظيم سائر الآيات التى اختارها للترجمة ، ثم ترجمها وضم اليها قواعد الاسلام وبعض شعبه ، وقال فى كتابه : انه يظهر له أن دين الاسلام هو أصفى الاديان وأنه مشتمل على مالا يوجد فى غيره من الأديان » .

إلا أن الذى يجب أن نضعه فى الاعتبار هو أن رفاعة لا يصطاد مثل هذا الرأى الذى يبديه بعض المفكرين الاوربيين فى الاسلام ويفضله على سائر الاديان — لا يصطاد مثل هذا الراى اصطيادا ، لاننا نراه فى الصفحات الاولى من الكتاب يرتب بلاد العالم على أساس من اعتناقها الاسلام ومدى انتشاره فيها ، إن رفاعة مقتنع بعقيدته ودينه وفضلهما على ما عداهما كل الاقتناع ، وإن إقامته فى فرنسا واطلاعه على جوانب الحضارة الاوربية فيها لم يجعلاه يغير رأيه هذا ، فهو مستمسك به أشد الاستمساك ، مستمسك به بقوة وجهارة ، لا على ضعف واستخذاء ، فهو يقف (فى الفصل الثالث عشر « فى دين أهل باريس ») موقف الحكم عليهم فى دينهم ، فهم — فى نظره — ليس لهم من دين النصرانية الا الاسم ، فلا يعتنون بما حرمه دينهم أو أوجبه ... تراهم ما دامت حياتهم لا يهتمون الا باكتساب الاموال بأى وجه كان ، واذا حضرهم الموت ماتوا كالبهائم » . ثم إنه ينتقل إلى الحكم على رجال الدين أنفسهم ، إذ يعيب على القسس عدم زواجهم لان عدمه يزيدهم فسقا على فسقهم ، كذلك يستنكر طقوس الاعتراف ، ويذكر أن للقسيسين بدعا لا تحصى ، وأهل باريس يعرفون بطلانها ويهزءون بها (انظر ص ٢٠٣) .

لكن هل معنى هذا اننا غير محتاجين الى الغرب ؟ أنرفض الغرب وكل ما يتعلق به بالكلية ؟ يجيب الشيخ رفاعة (ص ٦١) « بأن البلاد الاسلامية قد برعت فى العلوم الشرعية والعمل بها والعلوم العقلية وأهملت العلوم الحكمية (يقصد العلوم الطبيعية) بجملتها ، فلذلك احتاجت الى البلاد الغربية فى كسب مالا تعرفه وجلب ما تجهل صنعه ، ولهذا حكم علماء الافرنج بأن علماء الاسلام

انما يعرفون شريعتهم ولسانهم ... ولكن يعترفون لنا بأنا كنا أساتيذهم فى سـائر العلوم وبقدمنا عليهم » . الذى نحتاجه إذن من أوربا ليس شيئا آخر غير العلوم الطبيعية ، ولا صحة ــ كذلك اذن ــ لما حاول د. لويس عوض أن يوهمنا به فى كتابه « تاريخ الفكر المصرى الحديث ــ الفكر السياسى والاجتماعى » (ص١١١ هلال) من أن رفاعة قد تصدى لمهمة الدعوة الى الاخذ بالفلسفات الحديثة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر » أية فلسفات حديثة دعا اليها رفاعة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر ؟ أشهد الله أن ذلك غير موجود الا فى خيال الكاتب وأوهامه ، والا فمن أين استقى تلك الفكرة ، وهذا رفاعة ــ فضلا عما تقدم ــ يعدد (ص ٦٦) « العلوم والفنون والحرف والصنائع المطلوبة » فيذكر « الرياضيات والتاريخ والجغرافية والرسم والحربية والبحرية والمياه والقناطر والارصفة والميكانيكا وسبك المعادن والطب والبيطرة والفلاحة والتاريخ الطبيعى والنقاشة وترجمة الكتب » ثم يعقب قائلا « سائر هذه العلوم المعروفة معرفة تامة لهؤلاء الافرنج ناقصة أو مجهولة بالكلية عندنا ، ومن جهل شيئا فهو مفتقر لمن أتقن ذلك الشىء . » ؟ فالامر اذن واضح لا يحتاج الى اختلاف ولا يحتاج أيضا الى تأويل . لقد سبق أن ذكرنا كيف عد رفاعة من عقائد الفرنسيين القبيحة تفضيلهم للفلاسفة على الانبياء ، فكيف يجوز أن ينسب لرفاعة أنه تصدى لمهمة الدعوة الى الاخذ بالفلسفات الحديثة لتجديد الحياة الفكرية على أرض مصر ، ليس هذا فقط ، بل ان رفاعة ــ فى رأى الدكتور ــ حينما تصدى لهذه المهمة « كان نعم المفكر ونعم البشير »!! أية جرأة هذه ؟ ان هذه شنشنة معروفة عن الدكتور لويس عوض ، فهو يستنبط من النصوص آراء وأحكاما ما أنزل الله بها من سلطان ، وأحسب أن رفاعة لو قيض له أن يقوم من قبره ويطلع على ما نسبه اليه د. لويس لفغر فاه دهشة واستغرابا ، ولو حاول أن يعترض على ذلك لمد د. عوض يده فأغلق فمه بهاوأنذره بالويل والثبور وعظائم الامور ، وقال له ماقاله رئيس ديوان التفتيش ــ فى رواية الإخوة كرامازوف لدستويفسكى ــ للسيد المسيح بعد عودته الى الارض فى طونة عابرة ونزوله فى اشبيلية أيام محنة التفتيش وفظائعه ، فان السيد المسيح ــ عليه السلام ــ أخذ يعظ الناس ويصنع المعجزات ، والشعب والحزانى يقبلون عليه ويبثونه شكاواهم ومخاوفهم ، حينئذ أقبل رئيس ديوان التفتيش فى حرسه وقبض عليه وأودعه حجرة السجناء ، ثم عندما دخل عليه فى المساء ليحقق معه قال له « إننى اعرفك ولا اجهلك ، ولهذا حبستك ، لماذا جئت إلى هنا ؟ لماذا تعوقنا وتلقى العثرات فى سبيلنا ؟ » .

ويزداد عجبنا ودهشتنا حينما نجد د. لويس عوض فى موضع آخر من كتابه يقول عن رفاعة : « لم يكن طريقه التماس حق الثورة فى الشريعة لإثبات شرعية أو وجوب الخروج عن طاعة الخليفة العثمانى ، وانما كان طريقه تحقيق استقلال مصر بفصل الدين عن الدولة ، وهذا معنى قوله « فلنتقل إن أحكامهم ــ أى الفرنسيين ــ القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية ، وانما هى مأخوذة من قوانين أخر أغلبها سياسى ، وهى مخالفة بالكلية للشرائع ، وليست قارة الفروع ، ويقال لها : الحقوق الفرنساوية ، أى حقوق الفرنساوية بعضهم على بعض ، وذلك لان الحقوق عند الافرنج مختلفة » هو اذن يريد أن يحرر

المصريين بموجب حقوق الانسان وليس بموجب سنن السلف الصالح . ثم ترتفع نبرته العقلانية فيكاد يحض الناس حضا على العقلانية اساسا للعدل ولحضارة الانسان . ان العدل والحضارة مترابطان ، فالعدل سبيل الحضارة ، وقيم الدين جوهرها العدل ، ولكن العقل أيضا يمكن ان يؤدى الى العدل ومن ثم الحضارة ، فهو يقول فى دستور ١٨١٨ المعروف فى فرنسا بالشرطة اى الميثاق: ان غالب ما فيه ليس من تعاليم الدين ولكنه من إملاء العقل لتعرف كيف حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير الممالك وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما أبدا ، والعدل أساس العمران» (ص ١٣٣ ، ١٣٤ تاريخ الفكر المصرى) .

ونحب أن نقف أمام هذا النص قليلا لنرى ما الذى يقوله رفاعة وما الذى يحاول الدكتور أن يستنبطه منه ؟ ان رفاعة — كما هو واضح تمام الوضوح — يقرر أمرين ، الامر الاول أن غالب أحكام الفرنسيين ليست مأخوذة من الشريعة، والامر الثانى أن العقل قد أدى بهم الى معرفة أن العدل اساس الملك . ان موقف رفاعة هنا لا يزيد عن أنه يقرر ما يراه ولا يخرج عن التقرير الى التقدير ، انه لا يصدر حكما وانما يصف الواقع ، فمن اى النصين اللذين أوردهما الدكتور لرفاعة الطهطاوى يمكننا ان نفهم أن رفاعة يدعو الى فصل الدين عن الدولة ؟ ثم هل مجرد كون الفرنسيين قد عرفوا — بعقولهم — أن العدل أساس تعمير البلاد وراحة العباد أمر خطير ؟ هل معرفة أن العدل أساس الحضارة والسعادة يحتاج الى ذكاء كبير ؟ فالدكتور هنا شأنه هناك يلوى رقبة النص الى الجهة التى يريد هو ، ولكن النص — كما يرى القارىء — عسير القياد لا يسلمه مقوده لا بسهولة ولا بصعوبة ؟

إن بتر النصوص وفصلها عن سياقها هما ديدن د. لويس عوض ، ذلك لانه يدخل على النص بهواه واغراضه وشهواته وأحقاده ، محاولا أن يفرضها عليه ، متصورا ان كشف ذلك أمر عسير . الى هنا وانا لم اذكر تعقيب الشيخ رفاعة على القانون الفرنسى بعد أن نقله مترجما الى كتابه ، قال (ص ١٥٤) :

« أن أحكامهم القانونية ليست مستنبطة من الكتب السماوية ، وانما هى مأخوذة من قوانين أخر أغلبها سياسى ، وهى مخالفة بالكلية للشرائع » ،ثم ذكر بعد ذلك بيتين من الشعر يعبر بهما عن موقفه من قضية: « الفصل بين الدين والدولة » الذى أدعى السيد الدكتور — كيف ؟ علم ذلك عند علام الغيوب ! — أن رفاعة قال به ودعا اليه ، والبيتان هما :

من ادعى أن له حاجـــة	تخرجـــه عن منهج الشرع
فلا تكونن له صاحبـــا	فانه ضر بــــــلا نفـــع !

أظن أن كهنة التأويل — هنا — يجب ان يخرســـوا ، اللهم الا اذا كانوا يرون أنهم أحق من الكاتب بفهم رأيه والتعبير عما يريد أن يقوله !!

والشرع الذى يذكره الشيخ رفاعة فى بيتيه هو الشرع كما هو لا كما تسربت اليه الانحرافات التى التوت به عن قصد السبيل وانعكس ذلك على واقع المجتمعات الاسلامية ، فهذا الواقع يشنؤه رفاعة نفسه فى أكثر من موضع وينبه

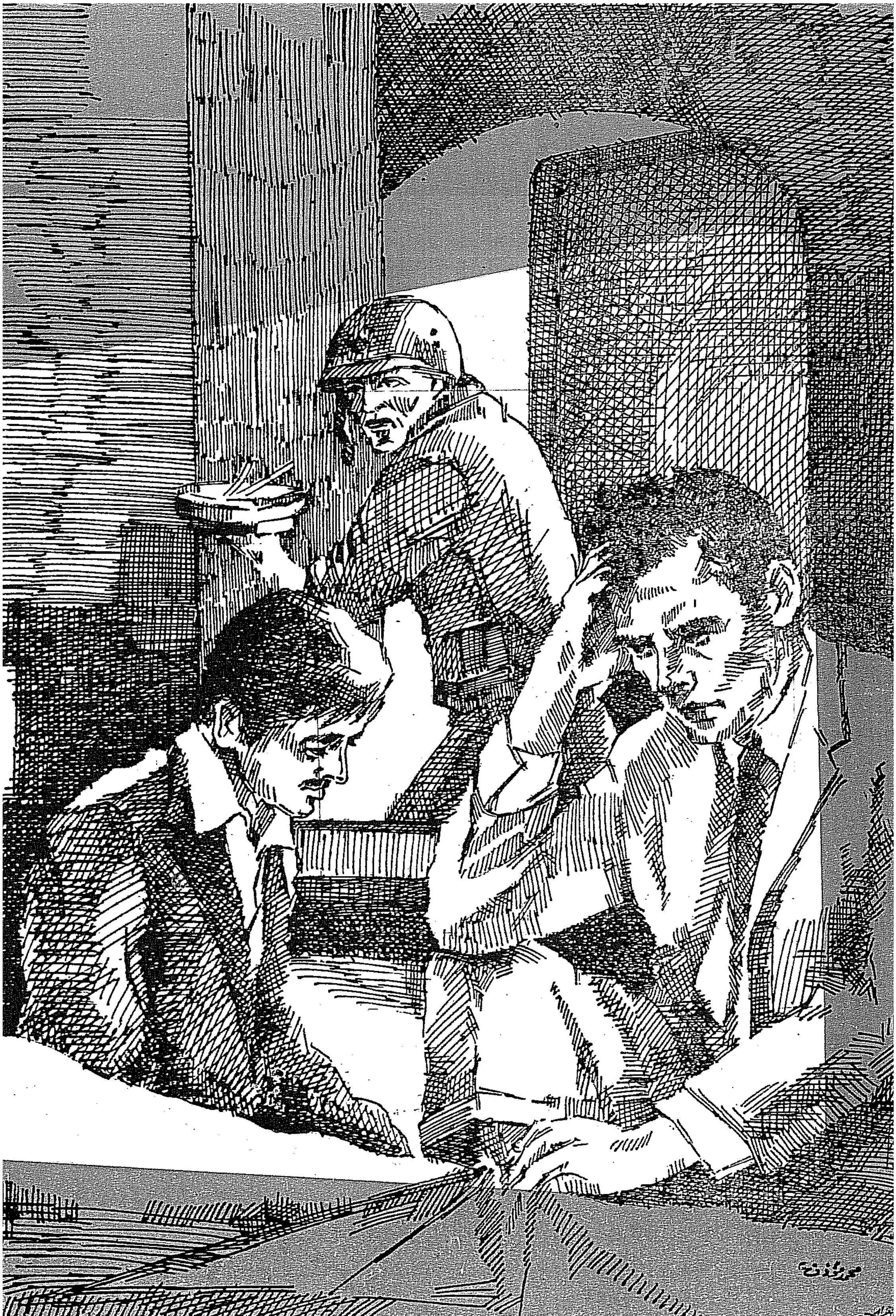
على فساده ، كما يظهر من هذه النصوص التي يقارن فيها بين الحال هنا والحال عندهم . قال (ص ١٦٨) عن الرقص الثنائي عند الفرنسيين بالنسبة الى رقص الغوازي عندنا « انه غير خارج عن قوانين الحياء ، أما عند النساء عندنا فلتهييج الشهوات » ، لكنه يعود فيستدرك (ص ١٦٩) حين يتكلم عن مس الرجل الفرنسي للمراة أثناء الرقص قائلا : « وبالجملة فمس المراة أيا ما كانت في الجهة العليا من البدن غير عيب عند هؤلاء النصارى » ، فهو أن كان يرى الا خروج على الحياء في الرقص الثنائي الذي لا يتلاصق فيه الراقصان ولا يتخاصران يرى غير ذلك في الرقص الذي يمس فيه الرجال النســـاء .

ويقول (ص ٧٢) عن المغاطس : « والحمامات في باريس متنوعة » وفي الحقيقة هي انظف من حمامات مصر ، غير أن حمامات مصر انفع وأتقن وأحسن في الجملة .. وليس عندهم مغطس عام في مصر ، ولكن هذه المادة أســـلم بالنسبة للعورة » ، أن حماماتهم انظف ، غ . أن حماماتنا — في نفس الوقت — اتقن وانفع واحفظ للحيـــاء .

ويقول (ص ٢٠٦) : « والعلوم في مدينة باريس تتقدم كل يوم ، فانهم قد يكتشفون في السنة عدة فنون جديدة او صناعات جديدة او وسائط أوتكميلات » . إلخ ..

اظن انه قد وضح تماما الآن موقف رفاعة الطهطاوي من الحضارة الاوربية .. اننا — على المستوى الروحي لا نحتاج الى شيء من أوربا ، لا بل نحن نتفوق عليها في هذا الجانب بلا جدال ، ذلك أن عندنا ديننا ، وهو حسبنا وكفايتنا . أما على المستوى المادي فلا شك اننا على تخلف مريع ، وهذا التخلف طارىء ، بمعنى أن الحضارة الاسلامية أيام أن كانت زاهرة كانت مكتملة الجوانب ولم تكن تعرف هذا التخلف في نواحي الحياة المادية . وقد رأينا عمق نظـــرة رفاعـــة الطهطاوي في رؤيته دورة الحضارة وأن الايام دول بين الامم والشعوب ، كذلك رأينا حماسته للتنبيه على النقص الذي نعانيه في ميدان العلوم الطبيعية ، ولقد كان رفاعة في هذا الموقف متفقا مع استاذه العظيم الشيخ حسن العطار الذي كان يشكو من اهمال علوم الحكمة واللغة ، ويذكر أن الأئمة الاعلام كـــانوا يطلعون على غير علوم الدين ويحيطون بها ، ويتجاوزون ذلك الى مؤلفات غير المسلمين ، مع اهتمامهم بالذوق والأدب ومطارحات الشعر . (عبقري الاصلاح والتعليم محمد عبده ، للعقاد ص ٥١ ، ٥٦) .

أما ما يزعمه الدكتور لويس عوض من أن الشيخ رفاعة كان يـــرى فصل الدين عن الدولة ، فقد رأينا أنه — اعتمادا على ما كتبه رفاعة نفسه لا جريا وراء الشهوات ولا ليـــا لأعناق النصوص — ليس له اساس من الصحـــة ، بـــل ان رفاعة نفسه يرى عكس ذلك على خط مستقيم ، أليس هو القائل (ص ٥٨ من التخليص) : « ومن المعلوم أني لا أستحسن الا ما لم يخالف نص الشريعـــة المحـــمدية ! » .



بين خرائب برلين

للأستاذ محمد المجذوب

كانت قد تحولت الى خرائب وركام تلك العاصمة التى كانت قبل خمس سنوات فقط تخطط لفرض سلطانها على الدنيا ..

لقد انقطع القصف الجوى الذى استمرت طائرات الحلفاء تصبه على برلين طوال عام او اكثر دونما انقطاع ، وسكتت المدافع التى ظلت منذ اشهر تدك انحاءها من كل جانب .. وصار بوسع بقية سكانها أن يغادروا اقبيتهم الى اى مكان شاءوا ، دون أن يخافوا الغارات أو يتوقعوا الشظايا ، ولكنهم مع ذلك قلما يغادرون مخابئهم لولا الضرورات القاهرة التى لا يمكن مقاومتها ، وذلك لما احدق ببلدهم من رزايا جديدة لا تقل هولا عن ذلك الجحيم الذى طغى عليه اثناء اشد معاركه ، اذا لم تفقه اضعافا مضاعفة ..

كان جنود الاحتلال — على اختلاف جنسياتهم — ينتشرون فى كل بقعة وفى كل زاوية ومنعطف ، وكان منظرهم بخوذهم الفولاذية ، وباسلحتهم المعدة للاطلاق ، وبالصرامة الرهيبة التى تفشى وجوههم الكالحة ، مصدر رعب لا يوصف لأولئك المساكين ، الذين باتوا بعد سقوط عاصمتهم اشبه بقطيع من الغنم اغتيل رعاته ، وانطلق خلاله الذئاب الجائعة ، فتمزق جمعه ، وتناثر اشتاتا لا يدرى اين يجرى ..

ولعل مما ضاعف البلاء على هؤلاء أنهم فلول من الشيوخ والنســـاء والاطفال ومشوهي الحرب .. لا تكاد العين تقع بينهم على شاب فوق الرابعة عشرة ، لأن الحرب قد أكلت الملايين من فتيانهم ، وذهب الأسر بالملايين الاخرى .. وعميت الأنباء عن كلٍّ من أولئك وهؤلاء فلا يدري الأسير شــــيئا عن مصير أهله ، ولا يعلم هؤلاء خبرا عن مفقوديهم . وعلى كل واحد من هؤلاء وأولئك مع ذلك ألا يفكر إلا بنفســـه ، لأن دوى المحنة لا يدع له مجالا للتطلع الى ما وراء حدود آلامه .. !

وشاء الله أن يشارك في تجرع هذه المرائر عدد غير يسير من شـــباب البـــلاد العربية ، الذين وفدوا الى أوروبا للالتحاق بجامعاتها ، فلما تفجرت براكين الحرب العالمية الثانية أحيط بهم فلم يســـتطيعوا من شرورها فرارا ، واستحال عليهم أن يجدوا قرارا ، فكانت حياتهم سلسلة من العذاب الثقيل .. وكان هؤلاء الذين احتجزهم شرق برلين من أولئك الطلاب ، أثناء تلك الحرب الضروس ، من أسوئهم حظا ، اذ كان عليهم أن يشاطروا أولئك المستضعفين من بقايا ســـكانها الرعب والجوع وتوقع ما كان ويكون من جديد الـــكوارث والملمات ..

وكان المنزل الذى يضم جابرا العراقى وعبد الله الدمشـــقى ــ اللذين حصلا على الدكتوراه فى السياسة والطب الباطنى ــ قد اســـتحال معظمه انقاضا تحت أثقال القنابل التى صبت على ذلك الحى المجاور لجامعة برلين .. وهما انما آثراه على السكن فى سواه لقربه من الجـــامعة قبل الحرب ، ولتوقعهم ان يكون أبعد عن الغارات أثناء الحرب ، ظنا منهم ان المتقـــاتلين يظلون ــ مهمـــا يبلغ انحطـــاطهم الفرزى ــ أحرص على دور العلم من أن يعرضوها للارهاب او الإيذاء .. غير أنهم سرعان ما تبددت أحلامهم عنـــدما شاهدوا نصيب ذلك الحى من تلك الاهوال ، فتعلموا أن المحارب كمدفعه حين يتحرك للقذف لا يفرق بين مكان ومكان ولا بين انسان وانسان .. !

وتقلص ما ادخره المساكين من مواد الغذاء ، فلم يسعهم الا الخروج من جحورهم لالتماس ما يقيمون به أودهم ، ويســـــكتون صراخ صغارهم .. وما أهول ما كان يكلفهم ذلك من عناء وأرزاء ! .. فالأقوات مفقودة ، واذا عثروا بشىء منها بعد جهاد طويل عجزت طاقتهم الشرائية عن تحصـــــيله .. وكان المعقول الذى تفرضـــــه القوانين الدولية فى الأمم المتحضرة أن يقوم المحتلون بتأمين حياة الشعوب المغلوبة فيحصوا عددهم ، ويقدروا حاجتهم ، ثم يمدوهم بما يمسك عليهم الرمق على الأقل .. ولكن هذه التقديرات النظرية تصبح من الاوهام المحضة فى ظلال الاحتلال العسكرى .. حتى لكأن ارادة المحتلين مقيدة بشىء واحد ، هو التخلص نهائيا من هذه الشعوب ، وأنجع وسيلة الى ذلك هو التجويع والاهمال المؤيد بألوان الارهاب .. ! وهكذا بلغت القسوة فى قلوب أولئك الجنود حدا لا يبلغه التصور ، اذ كانوا يساومون المرأة على عرضها ، فلا يمنحوها الرغيف الا أن تمنحهم جسدها ! .. والويل لها اذا رفضت ، لأن وراء ذلك موت الاطفال والقضاء على الشيوخ والعجزة ، ومع كل ذلك فهيهات أن تسلم هى مما يراد بها أخيرا .. !!

وتسلل الثلاثة ــ جابر وزميله والمرأة صاحبة الحطام الذى كان منزلا ــ يتلمسون فى حذر بالغ طريقهم بين الخرائب ..

اما الفتيان .. فقد اعتادا القيام بمثل هذه المغامرة حتى الفا مخاطرها .. ولم يعودا يأبهان بما يواجهانه من فظاظة الجنود في كل مرة ، اذ باتا مدركين لما يجب أن يفعلاه ليتخففا من هذه المتاعب .. فهما لا يغادران وكرهما الا عند الضرورات التي لا قِبَلَ لهما بدفعها ، وقبل ذلك لا بد لهما من خلع ساعتيهما وافراغ جيوبهما من كل شيء ذي قيمة ، الا ما لا مندوحة عنـــه من نقود تكفي لشراء ما يبغيان من اغذية ، ولكي يسهل خلاصهما من ايدي الجنود على كل منهما أن يتحقق من الهوية المثبتة لشخصيته ..

على ان مخرجهما الآن كان اكثر حرجا ، لأن وجود المرأة معهما سيسبب لهما جديدا من العناء لم يجرباه من قبل .. ولو استطاعا ان يدفعاها عنهمـــا لفعلا ، ولكنهما رضيا مرافقتها مضطرين لفرط ما الحت عليهما ، ولما يعرفان من حاجتها الى هذا الخروج ، الذي كانت تتجنبه ما دام لديها ما تقدمه لطفليها الصغيرين ، اللذين فقدا والدهما ، ولم يبق لهما من عائل سواها .. وهي انما تخرج اليوم للاتصال بمركز ((الصليب الاحمر)) الذي أقيم حديثا للحصول منه على بطاقة تتيح لها بعض المعونات الضرورية بين الحين والآخر .. ولكن أخبار التصرفات الرهيبة التي يتناقلها النســـوة أمثالها عن أولئك الجنود كانت تملأ قلبها رعبا وتدفعها الى التريث ما استطاعت اليه سبيلا .. حتى اذا ضاقت بها الحيل لم تجد مندوحة عن المغامرة .. ووجدت في مرافقة الشـــابين العربيين ضربا من الأنس الذي تتوقع أن يخفف عنها الكثير من الاعباء .. !

وواصل الثلاثة سيرهم في كثير من الأناة ، حتى لو استطاعوا لحبسوا انفاسهم .. وتعمدوا ان يتجنبوا المرور بكل مظنة للجنود .. وكادوا يصيرون الى مكتب (الصليب الاحمر) بسلام .. لولا تلك المفاجأة غير السارة ..

كانت الدورية مؤلفة من خمسة جنود من الروس يتقدمهم ضابط منهم .. ولم يكن امام الثلاثة متسع لأي محاولة تجنبهم ذلك التلاقي ، الذي تم عند رأس المنعطف المواجه للمكتب الذي يقصــــدون .. وبمثل ارتدادة الطرف صوِّبت المسدسات الرشاشة الى صدور الثلاثة جميعا ، وانطلق صوت الضـــابط يأمرهم برفع الأيدي .. ثم تقدم بعض الجنود يفتشون الشابين ، في حين اخذ الضابط بيد المرأة فجعلها الى جانبه ، وما هو الا أن تحققوا من هويتهما حتى سمحا لهما بالعبور دونها ! .. وفي حركة عفوية تحركت يد الدكتور عبد الله بالاشارة الى المرأة كأنه يدعوها للحاق بهم ، ولكنه ما ان فعل ذلك حتى جاءته لكمة كادت تحطم فكه الايمن ، ثم تبعتها ركلة من حذاء شديد الصلابة اكرهته على الالتواء .. !

وواصلت الدورية مسيرتها في الشارع الآخر ، خلف الضابط الذي راح يجر المرأة وهي تصرخ بكل ما ترك لها الذعر من طاقة .. !

وضغط الدكتور جابر على يد زميله وهو يشد به ، يريد الا يدع له مجالا للتفكر ولا للتردد .. ويهمس في صوت مجروح : ((عبد الله .. حذار ان تلتفت .. دعنا نسلم بأرواحنا .. ان دينك لا يكلفك أن تقضي على نفسك وعليَّ .. اسألك بالله أن تضبط عواطفك وتغلق اذنيك ! ..)) .

وتتابع استغاثة المرأة المسكينة ، وتهتف بالشابين تستحلفهما الا يدعاها .. ويتعذر على الدكتور عبد الله ان يصم سمعه عن ذلك النداء ، فاذا هو يلتفت ليراها وقد انهارت اعصابها ، وجعل الجنود يدفعونها باعقاب مسدساتهم، وهي لا تنفك عن البكاء والصراخ .. !

ويغلب على الفتى الدمشقي هول المشهد ، ويتذكر الطفلين اللذين ينتظران عودة والدتهما ، فلا يتمالك الا أن يتخلص من زميله ، ليتجـــه نحو الجنود الغلاظ ، ويخليط من الالفاظ الالمانية والروسية يخاطبهم شارحا لهم مأساتها ، محاولا اثارة الرحمة في قلوبهم عليها وعلى طفليها .. وحاول جهده أن يسبغ على لهجته لبوس الرقة والاستعطاف ، غير أن جفاف فمه ، وارتجاف أطرافه ، وجحوظ عينيه ، كانت توحي بكل ما في قلبه من نقمة وكراهية واحتقار .. !

وباشارة من الضابط الروسى أقبل اثنان من جنوده على الفتيين العربيين يكبلان يديهما بالقيود ، ثم يسوقانهما تحت الضرب الى المصير المجهول ..

— ● —

كانت الحجرة التى ألقى فيها الدكتوران العربيان غير رديئة اجمالا .. فهى جزء من بناء جميل وسليم ، أختير لاحدى المفارز الروسية .. ولكنها عارية الجوانب ، الا من فراشين ضيقين محشوين قشا .. أو ما يشــــبه القش ، وعليهما غطاءان من الصوف يصـــلحان لدرء البرد الذى كان محتملا .. وقد سرهما ارتفاع الغل عن أيديهما منذ دخلاها ، اذ أتيح لهما أن يتحركا فى حرية ولكن ضمن الحدود التى تفرض على سجناء المعسكرات الحربية ، فلا يحدثان اية ضجة ، ولا يتكلمان الا همسا .. وقد نبههما الى ذلك الجندى الذى كلف حراسة محبسهما قبل أن يغلق عليهما الباب .. وشد ما ضايق هذا الوضع جابرا ، الذى كان فى صدره الكثير مما كان يريد أن يقوله لصاحبه ..

وغرق الشابان هنيهة فى غمرة الصـــمت ، واطرق عبد الله بنظره الى ما بين يديه ، يستعيد فى خياله صورة المشهد المثير الذى ســـبب لهما هذه الورطة ، وترك لتصوراته أن تلاحق شبح المرأة وهى مدفوعة بقبضات الجنود ، أو مجرورة على أرض الخرائب .. ثم يقصر ادراكه عن متابعتها ، فينقطع حبل تفكيره من هذه الناحية ، لينتقل به الى الناحية الاخرى ، ناحية الصغيرين اللذين ألف أن يداعبهما كل صباح ليزيل عنهما وحشة اليتم ، وليزيل بهما عن نفسه وحشة الغربة .. ودون وعى منه أو ارادة يتمتم : ((هل يعلمان بمصير امهما .. ! وهل يحتملهما الجيران الى غير نهاية .. !!)) وتلامس همهمته سمع جابر فينتفض كأنه أزعج من سبات ، ثم ينظر الى وجه زميله فى نقمة عارمة ، وهو يقول بصوت خفيض ولكنه جاف لاذع : ((أرأيت .. أرأيت الى أين جرنا فضـــولك ! .. أهذا ما يأمرك به اســـلامك .. أيها المؤمن .. الصالح .. !)) .

ويرفع عبد الله الى صاحبه عينين مبتلتين ، وبعد طويل من الصمت ، وتركيز عميق من النظر الذى يتجـــاوز مقلتى جابر الى ما لا يعلم ، يتمتم مرة ثانية وكأنه يخاطب نفسه : ((أجل .. ذلك هو واجبى الاسلامى .. ان قلب المؤمن لا يستطيع الصـــبر بازاء تلك الجريمة .. لأنه ليس حجرا .. ليس حجرا ..)) .

ويهم جابر بالرد ، ولكن حركة المفتاح ، وهو يدار فى جوف القفل ، تحول بينه وبين ذلك ، وما هى الا لحظات حتى انشق الباب ، ودخل الجندى الحارس

بإناءين من الصفيح ، يضعهما على مقربة من المدخل ، ثم يشير الى الفتيين بما فهما منه أن في أحدهما ماء للشرب ، وأن الثاني فارغ يستطيعان أن يستعملاه لفضلاتهما .. ! ثم لم يلبث أن عاد من حيث أتى مغلقا وراءه الباب كما كان ..

وتتلاحق الساعات عليهما بطيئة كئيبة ، وقد جلس كل منهما على فراشه مشيحا بوجهه عن زميله ، مقبلا على ذكرياته يجترها في مرارة .. ولعل جابرا كان أضيق الاثنين صدرا وأشدهما قلقا ، اذ كان لعبد الله ما يسرّي به بعض أوهامه ، وذلك بالصلاة ينهض اليها بين الحين والحين ، وبالقرآن يسترجع ما يحفظ منه ساعة بعد ساعة ، وبالدعاء والذكر يهمس بهما خلالهما .. على حين ظل جابر حبيس انفعالاته تتقاذفه كالريشة فلا يستقر على حال .. !!

وانقضى النهار ثم تبعه الليل ولم يأت اليهما بطعام ، فاكتفيا بجرعات الماء يمتصانها كلما استشعرا لذعة الجوع .. وخشيا أن يقطع عنهما الماء أيضا ، فصمما على الاقتصاد بالموجود منه الى أقصى حد ممكن .. واجتزأ عبد الله بالتيمم عن الوضوء لكل صلاة .. حتى اذا جاء ظهر اليوم التالي فتح الحارس الباب ليستبدل بالإناءين غيرهما ، ثم ارتد لينسحب ، ولكن عبد الله لم يتمالك أن وثب نحوه ليسأله بالاشارة وبالألمانية عن الطعام .. ! فلم يفعل الجندي سوى أن قلب كفه وشفتيه كأنه يعتذر لهما عن ذلك .. ثم مضى في طريقه دون كلام ..

والتفت جابر الى زميله يقول : ((ما أحسب سؤالك الا جارّاً علينا بعض المصائب الجديدة ..

وأجاب عبد الله : ((لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا)) .

وفي غضب همس جابر : ((وهل بقي ما يكتبه لنا الا الموت .. ؟!)) .

ويرد عبد الله في ثقة لا توصف : ((ان بيده الموت والحياة والضنك والفرج .. فلِمَ تتوقع يا صديقي شر الأمرين ؟ .. أما أنا فقد غضبت له ، وسترى أنه لن يضيعني ..)) .

قال هذا وأخذ سمته باتجاه القبلة ودخل الصلاة .. وقبل أن يفرغ من الركعة الرابعة تحرك مفتاح القفل ، فانخلع قلب جابر ، وقفز نحو عبد الله يشد به وهو يقول : ((الا تسمع ؟ .. دع الصلاة لئلا تزيد في محنتنا ! ..)) .

ولكن عبد الله كان في شغل عن حركة صاحبه ، فلم يبال ما سمع منه ، وظل في مناجاته اكثر ما يكون اطمئنانا .. حتى فتح الباب ، واندفع منه الجندي يحمل طبقا صغيرا ليضعه في وسط الغرفة .. على أنه لم يكد يلمح وضع عبد الله حتى جمد مكانه ، وراح يحدق في حركاته وسكناته .. ثم عاد من حيث دخل دون أن ينبس ببنت شفة .. !

وأقبل جابر على صديقه يقرعه : ((لقد رآك هذا الشيوعي تصلي .. وما أظنه الا قد ذهب ليخبر رؤساءه .. ! وسترى عاقبة ذلك .. ألم أقل لك انه الموت ! ..)) .

وفي هدوء عجيب يعقب عبد الله على ذلك التقريع : ((قلت لك انه لن يضيعني .. وسترى ..)) .

ونظر الفتيان الى محتويات الطبق فاذا هى نتف من الخبز وبقايا من ارز خلط بمرق البطاطس ، فلم يشكا انه حثالة من طعـام بعض الجنود .. وكادت نفساهما تغثيان لما تصوراه من اشياء واشياء ، من شأن كل منهما أن يبعث التقزز .. ولكن سلطان الجوع أنساهما كل ذلك ، واخذا فى التهام هذه المبعثرات حتى اتيا على آخرها ..

واقبل الليل على الفتيين بأفضل من غفوة الامس ، اذ شبعا بعد جوع ، وكادا يأمنان عاقبة ما توقع جابر ، اذ لم يأتهما احد فيسالهما عن دينهما ، أو يحاسبهما على عقيدتهما ! .. غير أنهما ما كادا يفيقان عن وعى اليقظة حتى أحسا حركة القفل ، ثم شاهدا الحارس داخلا وفى احدى يديه طبق أكبر من سابقه .. وبخلاف ما ألفاه منه أغلق خلفه الباب ، وتقدم منهما وهو يقول فى صوت منخفض لا يخلو من الرعشة : « السلام عليكم .. » وكانت مفـاجاة أيبست الحروف فى حلقيهما قليلا فلم يتمكنا من الرد الا بعد لحظات ، فأجابا معا : « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. » .

ودون تردد جلس الجندى على طرف أحد الفراشين ثم اخذ يتكلم بلغة عربية تكاد تكون غريبة عن مسمعيهما لبعدها عن لغاتهما الدارجة ، ولما يخالطها من آثار العجمة : « انا مسلم مثلكما والحمد لله .. وأبى من شيوخ المسلمين فى القفقاس .. وطبّاخنا مسلم ، وكذلك ضابط المفرزة .. » .

وكان الجندى يفضى بعباراته هذه فى نغمة تفيض باللهفة والفرح والخوف جميعا .. وفى همس يكاد لا يصل الى سمع الفتيين الا بجهد .. !

واقبل عبد الله على الجندى يعانقه ويقبله وهو يردد : « الحمد لله .. الحمد لله ! .. » وفعل جابر مثله .. واستأنف الجندى يقول — موجها كلامه الى عبد الله — : « لقد فوجئت بك تصلى فبُهت ، ثم مضيت فأخبرت أخوىّ المسلمين فاهتما بكما كثيرا ، واوصيانى بالمبالغة فى رعايتكما .. ومنذ اليوم ستتناولان افضل الطعام ، وتقضيان حاجتكما خارج الحجرة .. وسأظل على صلة بكما أتفقدكما حتى يتاح للضابط الافراج عنكما .. » .

وهمس جابر : « ومتى تراه يتم هذا الافراج ؟! .. » .

قال الجندى : « قريبا ! .. قريبا ان شاء الله .. » .

ولم يستطع البقاء بعد مصافح كلا منهما ثم انسحب من الحجرة فى هدوء وحذر بالغين ..

وصدق الجندى ما وعد ، واستمر على صلته بالشابين ، يقدم اليهما اطايب الطعام والفاكهة ، ويمكنهما من الخروج لحاجتهما كلما امكنه ذلك .. حتى كان ظهر اليوم الرابع ، فاذا هو يقبل عليهما بوجه يفيض بشرا ، ثم يبلغهما نبأ الافراج عنهما ويقول : « بعد اليوم لن يكون بيننا لقاء ، ولكننا لن ننساكما أبدا ، فلا تنسيانا أنتما من دعائكما .. » .

وقبل أن يبارح الدكتوران الغرفة همس عبد الله فى اذن الجندى أحمدوف يسأله : « والمرأة المسكينة .. أم اليتيمين .. أين أصبحت ؟ .. وهل اخلى سبيلها ؟ .. » فيرسل الجندى احمدوف زفرة حزينة ثم يقول : « يستحيل على احد أن يعرف مصيرها .. لأن النسوة اللاتى يخطفهن أولئك الكافرون كل يوم أكثر من أن يستوعبهن الاحصاء ! .. » .

الفتاوى

ميــراث المتبنى

الســـؤال :

كان في بلدنا رجــل غني معروف بالاستقامة ولكنــه لم ينجب ، وتبناني ، ثم مات وورثت عنه عقارا ومالا ، فهل هذا الميراث حلال شرعا .

س.د ــ الأردن

الإجـــابة :

الإسلام هدم التبنى لأنه تزوير على الحقيقة قال تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيــل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » . وكل ما يترتب على هذا التبنى من الأرث وغيره لا يقره الشرع وبناء على هــذا فالمال الموروث حرام ، ولا يحل منه شيء ، وعلى من أخذ المال والعقــار أن يرده الى الورثة الشرعيين فهم أصحابه ، فان تنازلوا عنه له كان منحة منهم .

ميــراث ابــن الزنــا

الســـؤال :

هل يرث ابن الزنــا من أبويه ، وهل يرثانه اذا مات .

ن. غ ــ العراق

الإجـــابة :

ابن الزنا وهو المولود من غير زواج شرعى لا توارث بينه وبين أبيه باجماع المسلمين فاذا مات الابن أو مات الأب لا يرث أحدهما الآخر وانما التوارث بينه وبين امه وقرابتها ، فاذا مات ورثته ، واذا ماتت ورثها .

فــى الصيــــد

الســـؤال :

خرجت للصيد ، ورميت طائرا واصبته ، وقد بحثت عنه طويلا ، فلم اعثر عليه إلا بعد يوم ووجدته ميتا ، فهل يحل لى أكله ؟

محمد الموسي ــ الشارقة

الإجـــابة :

إذا رمى الصائد الصيد فأصابه ثم غاب عنه ، ثم وجـده ميتا ، فانه يكون حلالا بشروط ثلاثة :

الأول : الا يكون قد تردي من جبل أو وجده في الماء لاحتمال أن يكون موته بسبب ترديه أو غرقه .

روى البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا رميت بسهمك فاذكر الله ، فان وجدته قد قتل فكل الا أن تجده قد وقع في ماء ، فانك لا تدرى المـاء قتله أو سهمك .

الثانى : أن يعلم أن رميته هى التى قتلته ، وليس به اثر من رمى غيره او حيوان آخر .

عن عدى قال : قلت : يا رسول الله أرمى الصيد فأجد فيه سهمى من الغد قال : « اذا علمت أن سهمك قتله وليس فيه أثر سبع فكل » وفى رواية للبخارى : « إنا نرمى الصيد فنقتفى اثره اليومين والثلاثة ، ثم نجده ميتا وفيه سهمه قال : يأكل ان شاء الله » . .

الثالث : الا يفسد فسادا يبلغ درجة النتن ، فانه حينئذ يكون من المستقذرات الضارة التى تمجها الطباع .

عن أبى ثعلبة الخشنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا رميت بسهمك فغاب ثلاثة أيام وأدركته فكل ما لم ينتن » أخرجه مسلم .

وقـت الأضحيــــة

الســـؤال :

اشتريت اضحية لأذبحها يوم العيد ، ولكن طرات ظروف عائلية لم اتمكن معها من الذبح فى هذا اليوم وذبحتها فى اليوم الثالث ، فهل تجزىء هــذه الأضحيــة ؟

على صالح ــ القاهرة

الإجـــابة :

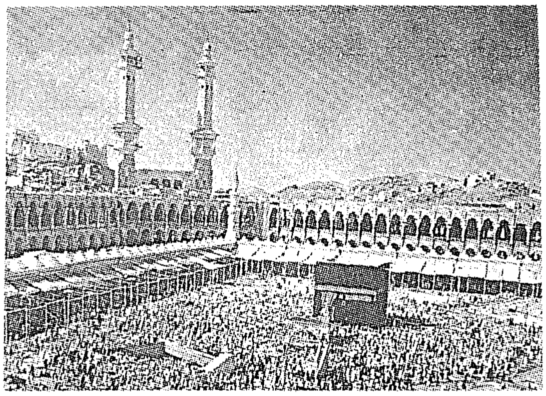
يبدأ وقت الأضحية بعد طلوع الشمس من يوم العيد ومرور وقت يسع صلاة العيد ، ويصح ذبحها فى اى يوم من الأيام الثلاثة فى ليل أو نهار وينتهى وقتها بانقضاء هذه الأيام . .

عن البراء رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان أول ما نبدأ فى يومنا هذا ان نصلى ، ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك فقد أصـاب سنتنا ومن ذبح قبل فانما هو لحم قدمه لأهله ليس من النسك فى شىء » .

وبناء على هذا فان أضحيتك تجزىء لأنك ذبحتها فى اليوم الثالث .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد : عبد الحميد رياض



حدث خطأ فى طبع غلاف العدد ٩٦ .. ونعيد اليوم طبع الصورة في الوضع الصحيح ، وذلك تحقيقا لرغبة كثير من القراء الذين كتبوا للمجلة فى هذا الموضوع .

ردود قصيرة :

● وردت للمجلة عدة رسائل من مختلف البلاد الاسلامية يستفسر فيها أصحابها عن (الجزء الأول) من كتاب (المطالب العالية) بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر تحقيق الأستاذ / حبيب الرحمن الأعظمي والذى سبق أن أصدرته الوزارة ، وبالرجوع الى المسئولين تبين أن هذا الجزء نفد ، كما يطلب منا كثير من الهيئات والأفراد كتبا اسلامية ، فنضطر الى احالتها لادارة الشئون الاسلامية بالوزارة للاختصاص ، ولهذا نرجو من أصحاب هذه الطلبات أن يكتبوا مباشرة للادارة المختصة ، وكذلك الأمر بالنسبة للمساعدات المادية فى بناء المساجد والمراكز الاسلامية .

● نظرا لنفاد عدد (محرم) من المجلة وتحقيقا لرغبة القراء الذين يطلبون زيادة الكميات المطبوعة منها حتى يمكنهم الحصول على الاعداد واتمام المجموعات التي يحرصون على اقتنائها ، نعدهم مستقبلا بعون الله أننا سنوفر لهم الأعداد المطلوبة .

● طلب بعض الناشرين الاذن لهم بجمع (الفتاوى) المنشورة فى المجلة وطبعها ، ولما كانت المجلة ستقوم بطبع هذه (الفتاوى) فى كتيب وتوزيعها (هدية) مع بعض الأعداد فاننا نعتذر عن تحقيق هذه الرغبات .

الايمان هو العلاج

ابتليت منذ شبابي بشرب الخمر — عافاك الله والمسلمين منها — وقد لحقني من أم الخبائث أضرار مادية وآلام جسدية ، وويلات عائلية ، تفوق الوصف ، ومع هذا فانا احافظ على الصلاة ، وقد حاولت كثيرا الاقلاع عن الشرب ، ولكن الآلام والانفعالات التي تنتابني اثناء تركها كثيرة ، وقد لجأت الى الأطباء للاستشفاء ، فافادوا بانني وصلت الى حالة الادمان ، وأن علاجي منها يحتاج الى دخـــولي مصحة فترة طويلة ، ولكني عامل ورزقي يوم بيوم فماذا افعل ؟!

س . م :

اعتقد انك لست بحاجة الى معرفة ادلة تحريم الخمر ، ولا الى بيـــان اضرارها ولا حكمة تحريمها ، ويكفيك ما حل بك من الآلام ، أو ما تستشعره من الندم ، والعـــلاج لا يحتاج الا الى قوة الايمان التى تشد العزم والارادة ، فالايمان بالله تعالى أقوى من كل القوانين الوضعية ، وقد لجأت دول كثيرة بعد ما تبين لها أضرار الخمر وتأثيرها على الصحة والانتاج الى وضع القوانين لمنعهـــــا ، ولكن كان ينقصها الايمان الصحيح بالله .

واذا قارنا بين العقيدة والخوف من الله ، وبين اثر كل المحـــاولات التى تبذل لمنع الخمر وجدنا الفرق كبيرا ، جاء في كتاب التنقيحات لأبى الأعــــلى المورودي ما يأتي :

منعت حكومة أمريكا الخمر وطاردتها في بلادها ، واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة كالمجلات والمحاضرات والصور والسينما لتهجين شربها ، وبيان مضارها ومفاسدها ، ويقدرون ما أنفقت الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيـد على ٦٠ مليون دولار ، وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة ، وما تحملته في سبيل قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاما لا يقل عن ٢٥٠ مليونا من الجنيهات ، وقد أعدم فيهـــا ٣٠٠ نفر وسجن ٥٢٢٫٣٣٥ نفســـا وبلغت الغرامات الى ١٦ مليونا من الجنيهات ، وصادرت من الأملاك ما يبلــغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين من الجنيهات .

إن أمريكا قد عجزت عجزا تاما عن تحريم الخمر بالرغم من الجهود الضخمة التي بذلتها ولكن الاسلام الذي ربى الأمة على أساس من الدين ، وغرس في نفوس أفرادها غراس الايمان الحق ، وأحيا ضميرها بالتعاليم الصالحة والأسوة الحسنة لم يصنع شيئا من ذلك ، ولم يتكلف مثل هذا الجهد ، ولكنها كلمة صدرت من الله استجابت لها النفوس استجابة مطلقة . روى البخاري ومسلم عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال :

ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ ، إني لقائم أسقي أبا طلحة ، وأبا أيوب ورجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بيتنا اذ جاء رجل فقال هل بلغكم الخبر ؟ فقلنا لا فقال : إن الخمر قد حرمت ، فقــال يا أنس أرق هذه القلال ، قال فما سألوا عنها ، ولا راجعوها بعد خبر الرجل .

وهكذا يصنع الايمـــان بأهلـــه .

بأقلام القراء

من أمراض اليهود

كتب الدكتور فاروق محمود مساهل تحت هذا العنوان يقول :

لا بد من الاشارة في البداية انه لا يوجد مرض يختص بالمسلمين دون غيرهم ، على العكس فمي تابعة الفرائض الالهية واتباع السنة المحمدية وقاية وعلاج من عديد من الامراض ، وعلى سبيل المثال فان تابعة فريضة الصلاة وما يصحبها من حركة لعضلات ومفاصل الجسم ركن من اركان علاج مرض التهاب المفاصل المفصلي المزمن . كما وان سنة الختان للذكور تمنع الاصابة بسرطان القضيب . كذلك فان اجتناب شرب الخمر والامتناع عن اكل لحم الخنزير والابتعاد عن الزنا حماية من شرور كثير من الأمراض التي تتسبب في تدمير صحة الانسان ومجتمعه الذي ينتمي اليه .

وهناك مجموعة من الأمراض تصيب اليهود ، بعضها مقصور عليهم وبعضها شائع بينهم ، ويرجع السبب الرئيسي في ذلك ان اليهود يشكلون ما يسمى « بالمجتمع المغلق » الذي لا يسمح بالاختلاط ولا بالاتصال بباقي الاجناس و « احياء اليهود » مثل على ذلك حيث يجتمعون في مناطق خاصة بهم داخل المدن ، ولا تزال الاوساط اليهودية تعيش الضجة المعروفة حول عدم اعتباره يهوديا من كان احد ابويه ليس بيهودي ، وهذا دليل على تمسكهم بالانعزالية ، واستعلائهم ان يختلط دم اليهود بدم سواهم ، مسيطرة عليهم أوهامهم بأنهم « شعب الله المختار » وانهم « ابناء الله واحباؤه » « ... قل فلمَ يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .. » المائدة : ١٨ .

أما المجتمع الاسلامي فلا يقتصر تركيبه على جنس واحد ، كما وان بمقدور المسلم الزواج من اهل الكتاب .

وكل صفة يتميز بها الانسان — كالطول والقصر والبدانة والنحافة وغيرها — تتكون من جزئين : واحد من الأم والآخر من الأب ، ومثلهم صفة المرض الوراثي تأتي من الابوين احدهما أو كليهما ، وهذه الصفة اما ان تكون سائدة ، اي ان الجزء الذي ينتقل الى النسل من احد الابوين ويكون حاملا للمرض يتغلب على الجزء الآخر والذي لا يحمل المرض ومن ثم يظهر المرض على المولود .. واما ان تكون صفة المرض متنحية ، وفيها يظل الجزء الحامل للمرض من احد الابوين متخفيا ويحمل المولود المرض في خلاياه ولكنه لا يظهر عليه ، وعند التقاء زوجين حاملين لهذه الصفة المتنحية فان الجزئين (من الأم والأب) يتحدان ويظهر المرض في الذرية ، وقد وجد ان هذه الذرية تنقسم الى : ربع مريض وربع سليم والنصف الباقي من الأولاد يحمل المرض ولكنه لا يظهر عليه وإنما يقوم بنقله الى نسله .

وأمراض اليهود في غالبها من نوع الصفة المتنحية ، وهي امراض خطيرة واهمها :

١ — مرض جوشر	Gaucher's disease	وهي من امراض
٢ — مرض نيمان — بك	Niemann-Pick disease	اضطراب التمثيل
٣ — البله والعمى العائلي	Amaurotic Familial idiocy	الغذائي للدهن .
٤ — مرض برجر	Buerger's disease	ويصيب الاوعية الدموية .
٥ — مرض السكر	Diabetes mellitus	

وهذه اهم خصـــائص كل من هـــذه الأمراض :

١ ــ **مرض جوشر :** ويحدث فيه تجمع كثيف للدهن غير الطبيعي في الطحال والكبد ونخاع العظام والعقد الليمفاوية ، يعقبه تضخم عظيم في حجم الطحال الذى سرعان ما يمـــارس نشـــاطا زائدا عن حده العادى ممثلا في تحطيم أعداد هائلـــة من كريات الدم الحمـــراء ومسببا فقـــرا بالدم . وحيث أن كريات الدم الحمراء والبيضاء الضرورية لحيـــاة الإنسان يتم انتاجها في نخـــاع العظـــام فإن غـــزو الدهـــن للنخـــاع يقضى على مصـــدر صــــناعة كريات الدم فتزداد شـــدة فقر الدم Leuco-erythroblastosis وتتضخم الكبـــد من تجمع الدهن فيها ، وتترسب بها مادة الحـــديد وأيضا في البنكرياس والكليتين والقلب والجـــلد الذى يصطبغ باللون البنى ، وتظهـــر بالعينين بقع ملونة مميزة . وضحايا هـــذا المرض هم الأطفال الذين نادرا ما يتمون الســـنة الاولى من اعمــــارهم .

٢ ــ **مرض نيمان ــ بك :** وهو أخطر من مرض جوشر ويقتل الإناث من أطفال اليهـــود خلال السنتين الاوليتين من حياتهن ، ويحـــدث فيه التجمع الدهنى بالطحال والكبد والعقد الليمفاوية ونخـــاع العظـــام والغدد الصماء والرئتين والأمعاء والمخ ، وتتميز المصابة به بالتأخر العقلى .

٣ ــ **البله والعمى العائلى :** ويصيب أطفال اليهـــود ابتداء من الشهر الخامس وتكون الوفاة عنـــد السنة الثالثة أو الرابعة ، وهـــذا المرض يؤثر على الجهـــاز العصبى ويؤدى الى العمى والشلل والجنـــون .

٤ ــ **مرض برجـــر :** يصيب هـــذاالمرض بخاصة يهود روســـيا وبولنـــدا ويقتصر على الرجـــال دون الاربعين ولا يعرف سببه على وجه التحـــديد ، لكنه قد يكون ناتجا عن الاصـــابة بفيروس (ميكروب دقيق الحجم جـــدا) أو زيادة حساسية الجسم للتدخين أو تهيج زائد بالجهـــاز العصبى السمبتاوى Sympathetic يؤثر على الأوعية الدموية الصغيرة التي تغذى الشرايين . وفى هـــذا المرض يحدث التهاب بالشرايين والأوردة والأنسجة المحيطة بها وخاصـــة فى الساقين ، ومراحل المرض أربعـــة :

أ ــ التهاب بالأوعية الدموية السطحية مع ورم القدمين والساقين .

ب ــ آلام مبرحـــة بالساقين عند المشى تزول بالراحة . Claudication

جـ ــ تسوء الحالة ويصبح ألم الساقين مستمرا حتى أثناء الراحة ، ويزداد برفع الساقين ويقل عند خفضهما مما يضطر المريض أثناء النوم الى تدلية ساقيه دون مستوى الفراش .

د ــ غنغرينا القدمين والساقين Gangrene وتحدث من سنة الى عشر سنوات من بداية آلام الساقين ، وعلاجها بتر الساق كلها أو جزئها .

٥ ــ **مرض السكر :** المعروف طبيـــا أن مرض الســـكر يميل نحو إصـــابة اليهود أكثر من غيرهـــم .

هـــذا بالاضافة الى إصابتهم بجميـــع الأمراض التى تصيب باقى الأجناس .

وعليه فلا نعجب أن يكون عدد اليهود فى العالم حسب أكثر الاحصائيات تسامحا هو ١٥ مليونا ، بينما يبلغ من عداهم من أى جنس عشرات أو مئات الملايين .

وصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى : « ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ، وباءوا بغضب من الله ، وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبيـــاء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » . آل عمران : ١١٢ .

قالت صحف العالم

((الحـــادث الأكبـــر))

تعد هجرة النبى عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة أخطر حادث فى تاريخ الدعــوة الاسلامية ، وتعد بالنسبة لتاريخ العالم انحناءة أساسية فيه ، حولت مسيرته من طريق الى طريق ففى مدى سنوات قليلة بعد الهجرة طلع من قلب الجزيرة العربية شعب بهر العالم بقوته النابعــة من ايمانه ، وقدر له أن يبلغ بسلطان الدعوة الجديدة مشارق المحيط الأطلنطى ، وأواسط أوروبا ويقيم حيثما بلغ مجتمعا يعلى من كرامة الانسان ويدعو الى التحرر من الخرافات والأساطير ، ويمجد العقل ويحض على النظر فى الآفاق فى مساواة بين الناس ، ولا تفريق بينهم ولا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو اللون أو الثروة والجاه ((ان أكرمكم عند الله أتقاكم ..))

قاوم الدعوة الجديدة الأباطرة والأكاسرة والمتجبرون ممن أذلوا الشعوب وجعلوا كلمتهم هى العليا ، فأبى الله الا أن يتم نوره ويجعل كلمته هى العليا . وكان الصراع بين الــدين الصاعــد والمفاهيم السائدة ، مرا قاسيا ، يريد الماديون ممن سيطروا على الشعوب والعقول بالقهر والغصب وقوة السلاح ، أن يذودوا عن أنفسهم شر هذا الدين الجديد ، ولكن سحر الايمان وروعته وجلالــه أفسدت ما كانوا يدبرون ..

وقد حاول الكثيرون من المفكرين والباحثين ان يفسروا سر تلك الظاهرة غير المسبوقة بمثال والتى مكنت لقوم من البدو فى الارض شرقا وغربا فى عدد من السنين قليل ، وذهبوا فى التفسير طرائق شتى ، ولكنهم أجمعوا على أن الايمان الذى لا يتزعزع كان الأساس الذى انطلقوا منه فى المسيرة الناجحة ولجأوا اليه واستعاذوا به اذا أظلمت أمامهم السبل ..

ولم تكن هجرة النبى من مكة الى المدينة ايثارا للأيسر على الأشق الأصعب ، وانما كــانت تعديلا فى الأسلوب وتجميعا للأنصار حيث يوجد الأنصار ، وتهيئة للمعركة الفاصلة بين الايمــان والشرك ... لم تكن عدولا عن المعركة الفاصلة مع قريش ولكن كانت استعدادا لها وحرصا عليهــا وتأكيدا لأسباب النصر فيها .. لقد كانت قريش مدلة بقوتها وثروتها وأحسابها وأنسابها وميراثهــا القديم ، تحسب أن كل أولئك لن يهزم ، فاذا بكل أولئك يذوب أمام قوة الايمان والصبر والمصابرة ، واذا بها تسلم وتستسلم ، واذا بالنبى الكريم يطرق أبواب مكة ويهدم انصابها وأزلامها وآلهتهــا واذا به يؤمن بعد النصر أهلها ، واذا بالناس يدخلــون فى دين الله أفواجا .. واذا بالجزيرة العربية تدخل عهدا جديدا واذا بالدعوة تنطلق الى العالم كله ، تنشر ، اينما ذهبت ، الاخــاء والمساواة ، وتعلى كلمة اللــه .

ولولا الهجرة ما كان هذا كله ، ولولا الحركة والجهاد ما انعقد النصر للمؤمنين . وهــذا هو الدرس الأكبر والعظــة الكبرى .. وعلى هديها سار الاسلام والمسلمون عبر التاريخ الطويل ..

« عن صحيفة أخبار اليوم »

حـــول ظاهرة احتشام الفتيـــات

الزى المحتشم للفتيات اخذ هذا العام طابعا يكاد يكون عاما فى القاهرة وفى جميع المحافظـــات واذا كان قد قوبل باستحسان كل غيور على الدين والأخلاق الا انه يحلو للبعــض من الرجـــال والنساء أن يجعلوا منه مادة للسخرية سواء بالرسم أو بالتعليق ..

ومن الجماعة الدينية بكلية البنات الاسلامية بجامعة الازهر جاءنا هذا البيان :
يسوء البعض ان تتفشى هذه الظاهرة بين فتيات فى مقتبل العمر أصبح عددهن الآن يزيد على عشرات الألوف فى طول البلاد وعرضها بوازع من ضميرهن لا بتنظيم جمعية نسائية ولا جمعية دينية ولا بوحى الصحف اليومية ولا المجلات الاسبوعية أو الشهرية بل استمررن فى ارتداء هذا الزى الاسلامى رغم استهزاء المستهزئين من الرجال والنساء الذين أزعجتهم هذه الظاهرة والتى كانت رد فعــل قوى لروح التدين واللجوء الى الله سبحانه عقب النكسة التى وقعت فى حرب سنة ٦٧ ولقد كانت هذه الظاهرة مصدر قلق لكثير من أعداء الدين حتى أنهم سخروا السنتهم وأقلامهم للنيل من الاسلام واظهاره بمظهر الجمود والتخلف ونراهم عندما كتبوا ورسموا لم يسلكوا طريق العقل والمنطـق فى هجومهم وانما طاشت منهم العقول وجانبوا المنطق السليم وتمسكوا بالمضحكات فى تنفير الناس من هذه الظاهرة (يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرين) فيا أيتها الفتيات ان لبسكن لهذه الملابس الطويلة الساترة للفتن المانعة للأبصار عن التحقيق والتدقيق قد جن منه جنون الملحدين والملحدات وانتن بالخيار بين دعوة الى لبس الملابس القصيرة التى يدعون انها لا تعوق تقدما حتى تكن متحضرات تظفرن بالازواج وبين الاستجابـة لدعوة الايمـــان ولأمر الله سبحانه فى دعائه الى ان يحييكن حياة طيبة فى الدنيا والآخرة ..

ولقد رسمت سورة النور للمرأة المسلمة طريق الهداية والنور وغض البصر وصيانة المـــرأة من الابتـــذال فنصت على أنه يجب على المرأة المسلمة ان تغض من بصرها وأن تحفظ نفسها الا من زوجها وطلب اليها خالقها أن تمشى على الارض مشية طبيعية « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن . » وقال سبحانه « يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » ..

أيتها الفتاة المسلمة احذرى دعوة الشيطان والشيطانة ان تسلكى سبيلها وانظرى بعين العقل والفكر هل أدى هذا العرى الى سعادة المرأة الغربية وهل اظفرها بطمانينة النفس وسكون البـــال واستقرار الحياة أم ان هذا العرى الفاضح اغراء باتخاذ الخليلات ذوات العدد ..
: « يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر » .

أيتها الفتاة تفكرى واذكرى ان كان منك فيما مضى شىء من اظهار مفاتن جسدك فقــد كـــان اثما كبيرا ، ومن أجل ذلك طلب الله منك التوبة وممن كان قد رضى بهذا التبديل حيث يقول — « وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

« عن مجلـــة الاعتصام القاهرية »

إعـداد : فهمى الإمـام

الـــكويت : احتفلت البلاد بالعيد الوطنى فى اليوم الخامس والعشرين من فبراير الماضى ، وعطلت فيه الأعمال فى الوزارات والدوائر والمؤسسات ، ونظرا للظروف التى تمر بها الأمة العربية فقـد صدر بيان عن الديوان الأميرى بعدم إقامة احتفالات رسمية فيه .

● قرر مجلس الوزراء الإسهام فى عمليات التوطين فى جنوب السودان بمبلغ ٢٥٠ الف دينار على مدى عامين ، وستقام فى مديريات الجنوب مساجد ومدارس ومستوصفات وآبار ارتوازية .

● توافدت على البلاد وفود الدول العربية لحضور مؤتمر وزراء الأوقاف الأول الذى تقرر عقده فى الكويت فى الفترة من ٢٦ فبراير إلى ٣ مارس سنة ١٩٧٣ م ، وقد قامت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية باتخاذ الاجـراءات ووضع التنظيمات لهذا المؤتمر ، وسننشر فى العدد القادم كل ما قدم فيـه من حديث ، وما دار فيه من مناقشات ، وما اتخذه من قرارات وتوصيات .

● اصدرت الوزارة الجزء الأول من كتاب معجم الفقـه الحنبلى وهـو مستخلص من كتاب المغنى لابن قدامه ، كما فرغت من إعـداد الجـزء الثانى وسيصدر قريبا ..

● اصدر مجلس الجامعة قرارا بتشكيل لجنة لإعداد دراسة وافية عـن مشروع إنشاء كلية للطب بمختلف تخصصاتها .

مـصر : قررت مصر وليبيا إنشاء لجنة مشتركة تتولى الإشراف عـلى صناعة الأسلحة وتطوير هذه الصناعة فى البلدين .

● قرر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تسجيل تفسير القرآن الكريم باللغتين الانجليزية والفرنسية على اسطوانات وطباعته ، وذلك تلبية لطـلب الهيئات الإسلامية فى أفريقيا وآسيا ، وحتى يسهل فهم القرآن الكريم وتداوله .

السعوديـــة : تمت الموافقة على افتتاح أربعة مراكز إسلامية لتنظيم حملات توعية للدعوة والإرشاد فى كل من — الدمام — وعرعر — وابها — وجـدة .

● تبرع جلالة الملك فيصل بمبلغ ٢٥٥ الف ريال لدعم جمعية النهضـــة الإسلامية بحلب وجمعية المقاصد الإسلامية الخيرية فى بيروت .

العـــراق : عثر فى مدينة البصرة على المدخل الرئيسى لمسجد البصرة الكبير الذى بنى فى عام ١٤ هـ فى عهد الخليفة عمر بن الخطـاب ، وظل قائما الى العصور العباسية المتأخرة .

لبنـــان : دعا سماحة مفتى لبنان محبى العدالة والسلام فى العـالم الى مساندة الذين يدافعون عن الحرية والمقدسات فى فلسطين .

● تعقد مؤتمرات دورية فى المحافظات لبحث موضوع إقرار عطلـــة يوم الجمعة فى لبنان .. وقد طالبت اللجنة التنفيذية للمتابعة المنبثقة عن الهيئــات الاسلامية باتخاذ قرار حاسم حول العطلـــة الأسبوعية فى لبنان .

ســوريـــة : تصدى الطيران السورى لطيران العدو الاسرائيلى عدة مرات وأرغمه على الفرار .

● صرح رئيس مجلس الشعب السورى خلال زيارته للكويت بأن الأرض العربية لن تتحرر إلا عن طريق العرب وبأيديهم فقط .

القدس المحتلـــة : انهار حائط داخل القبة المشرفة فى المسجد الأقصى .. وقد أعلن المجلس الإسلامى الأعلى أن ذلك لن يؤخر أعمال ترميم المسجد .

ليبيـــا : تلقى المركز الإسلامى فى أوغندا مبلغ مليون دينار ليبى بالإضافة الى ١٠ آلاف نسخة من القرآن الكريم باللغة العربية مع التفسير باللغــة الانجليزية لتوزيعها على المسلمين فى أوغندا ، وسينفق المليون دينار على إنشاء المدارس والمساجد فى أنحاء أوغنـــدا .

● أصدر مجلس الوزراء الليبى قرارا بإنشاء لجنة عليا للتربية والتعليم مهمتها اقتراح برنامج تربوى فى ضوء تعاليم الإسلام بحيث تراعى فيه كل مظاهر التقدم العلمى الحديث .

عمـــان : صادقت سلطة عمان على ميثاق المؤتمر الإسلامى . وبذلك ارتفع عدد الدول التى صادقت على الميثاق حتى الآن ١٧ دولة .

اخبـــار متفرقـــة

بريطانيـــا : تلقت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية من هيئة المدينــة المنورة فى بريطانيا عدة رسائل تناشدها فيها تزويدها بكميات كبيرة من الكتب الإسلامية باللغة الانجليزية لمواجهة الإقبال الهائل عليها ، ولنشر الإسلام فى بريطانيـــا .

ماليزيـــا : من المقرر أن يشيد فى ماليزيا خلال العام الحالى مجمـــع إسلامى كبير ، يشتمل على مسجد ، ومقر للشئون الدينية ، ومركز أبحـــاث إسلامية ، ومعاهد لدراسة القرآن الكريم ، وتخريج الدعاة الى الإسلام ، وتبلغ تكاليف المشروع ١٥٠٫٠٠٠ جنيه استرلينى .

موريشيوس : تلقت الوزارة من الجمعيات الإسلامية فى جزيرة موريشيوس الواقعة فى المحيط الهندى شرق جزيرة مدغشقر عدة رسائل تعرب فيها عن حاجتها الى الكتب الإسلامية باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وعدد المسلمين فـــى الجزيرة ١٢٠ الفا .

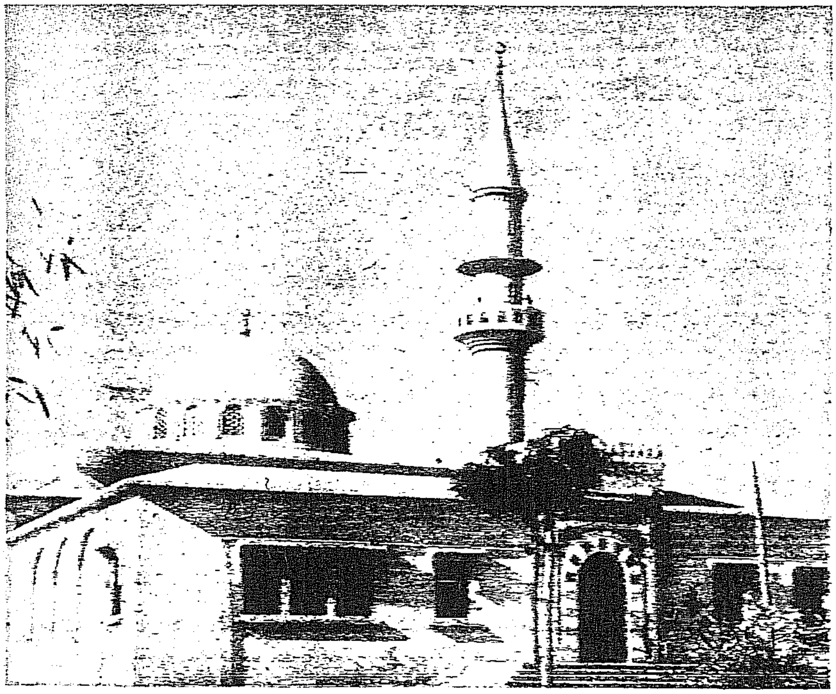
كوالالمبـــور : أعلن تنكو عبد الرحمن الأمين العام للمؤتمر الإسلامى فى كوالالمبور أن الاجتماع الخامس لوزراء خارجية الدول الإسلامية سيعقد فى بنى غازى بليبيا فى شهر مارس القادم .

أوغنـــدا : أمر الرئيس الأوغندى بترحيل المبشرين الأجانب الذين يقدر عددهم بحوالى ٥٠٠ مبشر ، جميعهم من الأوروبيين ، وذلك منعا لأى محاولات للتخريب تقوم بها الإرساليات الأجنبية .

ومما هو جدير بالذكر أن قرابة ٤٠٠ مواطن أعلنوا إسلامهم فى جنوب أوغندا ..

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	صفر ١٣٩٣ هـ	مارس ١٩٧٣ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاثنين	١	٥	٤ ٤٠	٦ ١٠	١٢ ٠٠	٣ ٢٠	٥ ٤٩	٧ ٧	١٠ ٥١	١٢ ٢١	٦ ١١	٩ ٣٠	١ ١٨
الثلاثاء	٢	٦	٣٩	٩	٠٠	٢٠	٥٠	٨	٤٩	١٩	١٠	٣٠	١٨
الاربعاء	٣	٧	٣٨	٨	٠٠	٢٠	٥١	٩	٤٧	١٧	٩	٣٠	١٨
الخميس	٤	٨	٣٧	٧	١١ ٥٩	٢٠	٥١	٩	٤٦	١٦	٨	٣٠	١٨
الجمعة	٥	٩	٣٦	٦	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٤	١٤	٧	٢٩	١٨
السبت	٦	١٠	٣٥	٥	٥٩	٢١	٥٢	١٠	٤٣	١٣	٧	٢٩	١٨
الأحد	٧	١١	٣٤	٤	٥٩	٢١	٥٣	١١	٤١	١١	٦	٢٩	١٨
الاثنين	٨	١٢	٣٣	٣	٥٩	٢١	٥٤	١٢	٣٩	٩	٥	٢٨	١٨
الثلاثاء	٩	١٣	٣٢	٢	٥٨	٢١	٥٤	١٢	٣٨	٨	٤	٢٨	١٨
الاربعاء	١٠	١٤	٣١	١	٥٨	٢٢	٥٥	١٣	٣٦	٦	٣	٢٧	١٨
الخميس	١١	١٥	٣٠	٥ ٥٩	٥٨	٢٢	٥٦	١٤	٣٤	٤	٢	٢٧	١٨
الجمعة	١٢	١٦	٢٨	٥٨	٥٧	٢٢	٥٦	١٤	٣٣	٢	١	٢٦	١٨
السبت	١٣	١٧	٢٧	٥٧	٥٧	٢٢	٥٧	١٥	٣٠	٠٠	٠٠	٢٥	١٨
الأحد	١٤	١٨	٢٦	٥٦	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٨	١١ ٥٨	٥ ٥٩	٢٥	١٨
الاثنين	١٥	١٩	٢٥	٥٥	٥٧	٢٢	٥٨	١٦	٢٧	٥٧	٥٩	٢٤	١٨
الثلاثاء	١٦	٢٠	٢٤	٥٣	٥٧	٢٣	٥٩	١٧	٢٥	٥٥	٥٨	٢٤	١٨
الاربعاء	١٧	٢١	٢٢	٥٢	٥٦	٢٣	٥٩	١٧	٢٣	٥٣	٥٧	٢٣	١٨
الخميس	١٨	٢٢	٢١	٥١	٥٦	٢٣	٦ ٠٠	١٨	٢١	٥١	٥٦	٢٣	١٨
الجمعة	١٩	٢٣	٢٠	٥٠	٥٦	٢٣	١	١٩	١٩	٤٩	٥٥	٢٢	١٨
السبت	٢٠	٢٤	١٨	٤٨	٥٥	٢٣	١	١٩	١٧	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
الأحد	٢١	٢٥	١٧	٤٧	٥٥	٢٣	٢	٢٠	١٥	٤٥	٥٣	٢١	١٨
الاثنين	٢٢	٢٦	١٦	٤٦	٥٤	٢٣	٢	٢٠	١٤	٤٤	٥٢	٢٢	١٨
الثلاثاء	٢٣	٢٧	١٥	٤٥	٥٤	٢٣	٣	٢١	١٢	٤٢	٥١	٢٣	١٨
الاربعاء	٢٤	٢٨	١٤	٤٤	٥٤	٢٤	٤	٢٢	١٠	٤٠	٥٠	٢٤	١٨
الخميس	٢٥	٢٩	١٣	٤٢	٥٣	٢٤	٤	٢٣	٨	٣٨	٤٩	٢٥	١٩
الجمعة	٢٦	٣٠	١١	٤١	٥٣	٢٤	٥	٢٤	٦	٣٦	٤٨	٢٦	١٩
السبت	٢٧	٣١	١٠	٤٠	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٤	٣٤	٤٧	٢٧	١٩
الأحد	٢٨	أبريل	٨	٣٩	٥٣	٢٤	٦	٢٥	٢	٣٣	٤٧	٢٨	١٩
الاثنين	٢٩	٢	٧	٣٨	٥٢	٢٤	٧	٢٦	٠٠	٣١	٤٦	٢٩	١٩



مسجد أبو بكر الصديق بالشامية ــ كويت

ابو بكر الصديق

اسمه : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى التميمى ، أبو بكر الصديق بن أبى قحافة ، أول من آمن برسول الله من الرجال ، وأول الخلفاء الراشدين .

مولده : ولد بمكة بعد الفيل بسنتين وستة أشهر ، ونشأ سيدا من سادات قريش ومن كبار موسريهم وكانت العرب تلقبه بعالم قريش . .

صحبته : استمر مع النبى طول مدة اقامته بمكة ورافقه فى الهجرة وفى المشاهد كلها ، وكانت الراية معه يوم تبوك ، حج بالناس فى حياة الرسول سنة تسع .

خلافته : بويع بالخلافة بعد وفاة النبى سنة ١١ وحارب المرتدين والمانعين للزكاة ، وافتتحت فى عهده بلاد الشام وقسم كبير من العراق ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر .

وفاته : توفى يوم الاثنين فى جمادى الأولى سنة ١٣ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وله فى الصحيحين (١٤٢) حديثا .

« الى راغبى الاشتــراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك ان يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصــــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيــــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبة الخــراز — ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شـــارع فرنســا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عــــدن : مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مؤسسة دار العروبـــة .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحــــدة .

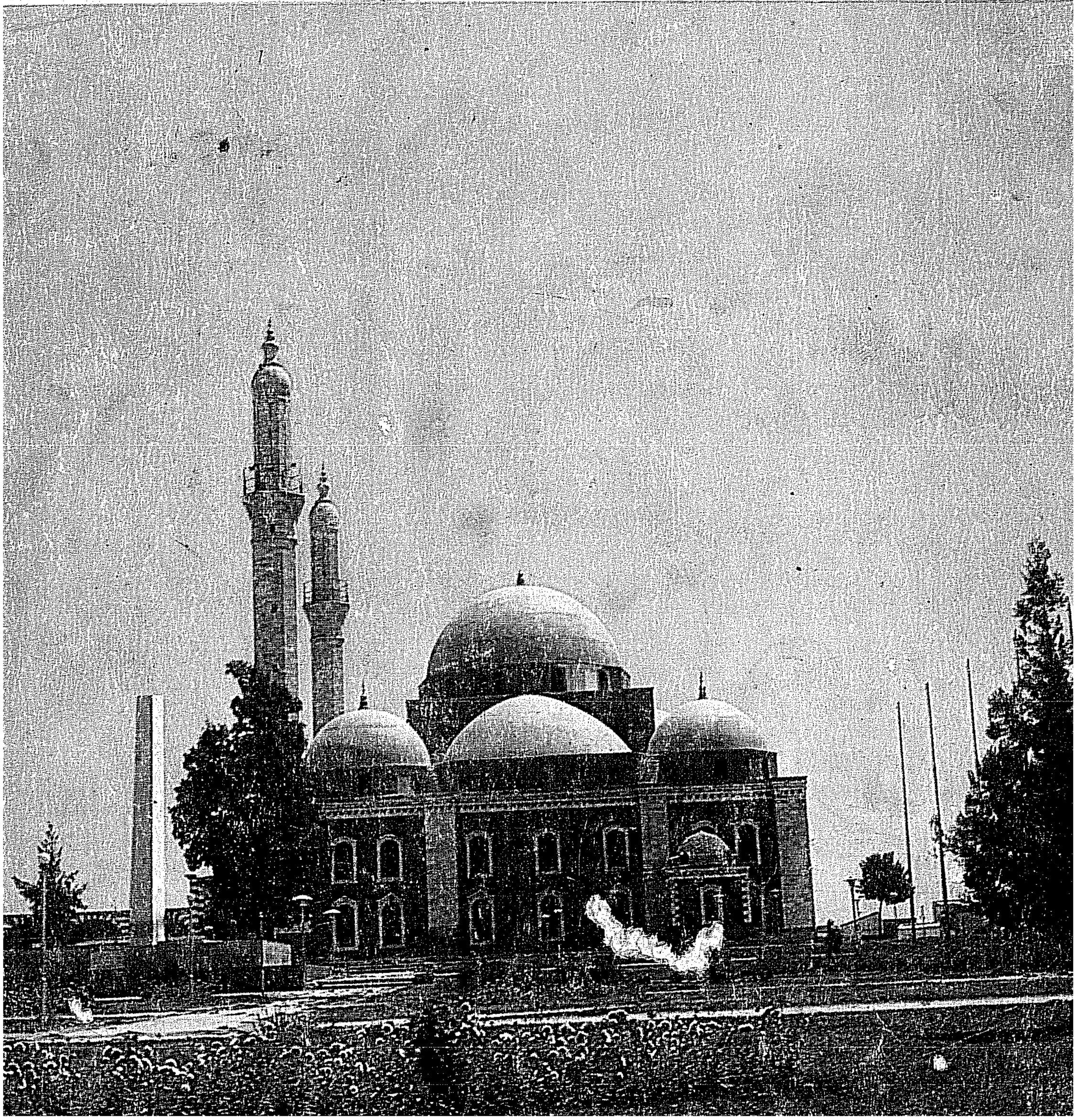
ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ـ العدد ٩٩ ـ غرة ربيع الأول ١٣٩٣ هـ ـ ٢ ابريل (نيسان) ١٩٧٣ م



وانک لعلی خلق عظیم



مسجد خالد بن الوليد

شيد هذا المسجد فى مدينة حمص السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٥٣ هـ ، ثم أعيد بناؤه فى عهد السلطان عبد الحميدسنة ١٣١٨هـ ثم توالت عليه عمليات الاصلاح .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (٩٩)

غرة ربيع الأول ١٣٩٣ هـ

٣ إبريل (نيسان) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطر

التمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ـ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ـ كويت ـ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ـ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

اعجاز القرآن

وموضوعيته

هذا القرآن هو الدليل المعجز على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فى دعوته .. ومرسل من قبل الله حقا :

وقد قيل فى أسباب اعجازه : الشىء الكثير . ولكن هناك جانب فيه لم يلق العناية الكافية حتى الآن ، مع أنه يؤكد للعربى .. وللأعجمي ، على السواء : ان القرآن فوق مستوى البشر . وبالتالى فوق مستوى الطاقة الانسانية لرسول الله عليه السلام ، مهما كان سموه فى صفاء النفس .. وانشراح القلب .. فلا يحقد على أحد .. ولا يتأثر بالدنيا وما فيها . وهو جانب موضوعيـــة القرآن فى مبادئه . أى جانب تجردها عن العوامل الشخصية تجردا مطلقا . وباختيار بعض مبادئه هنا فى موضوعيتها يتجلى لنا هذا التجرد تجليا لا شك فيه . ومن هذه المبادىء الموضوعية :

أولا : أن دعوة القرآن تؤمن برسالة الحضارة السابقة ، قبل عهد الرسول عليه السلام .

يقول الله تعـــالى :
« **يا أيها الذين آمنــوا : آمنوا بالله ، ورسوله ، والكتاب الذى نزل على رســوله ،**
« **والكتاب الذى انزل من قبــل ،**
« **ومن يكفر بالله ، وملائكته ، وكتبـــه ، ورســـله ، واليوم الآخــر ، فقد ضــلّ ضـــلالا بعيدا** » . (١)
.. فسوى فى الإيمان برسول الله محمد عليه السلام الآن ، وبالرسل السابقين عليه .. وبالكتاب الذى هو القرآن ، والموحى به الى رسول اللـــه ، وبالكتاب الآخر السابق عليه فى أى عهد من عهود الرسالة . لأن رسالة الله فى أى عهد تستهدف ما تستهدفه اية رسالة . وهو معاونة الانسان على الانتقال من مستوى الجاهلية الى مستوى الحضارة الانســـانية : « **يا بنى آدم : اما ياتينكم رسل منكم** (فى أى عهد) **يقصون عليكم آياتي ، فمن اتقى** (فمن تجنب انحرافات الجاهلية) **واصـــلح** (بسلوك الهداية الإلهية .. وهى الطريق الى الحضارة البشرية) **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كذبـــوا بآياتنا ، واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** » . (٢)

***

ثانيـــا : انها تدعو الى الترابط بين الأفراد على أساس القيم العليا فى حياة الانسان .. وليس على أساس العرق .. أو القبيلة . يقول الله تعالى :
« **واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا** (وحبل الله هو هدايته التى تتمثل فى القيم الإيمانيـــة العليا المستمدة من صفات الله ســبحانه وتعالى . والاعتصام بهذه القيم هو الترابط والتماسك على أساس منها) .

التوجيـــه

للأستاذ : الدكتور محمد البهى

« **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء** (وذلك بسبب الترابط على أساس القبيلة والدم فيها . وهو رباط مادى) **فالف بين قلوبكم** (على أساس الإيمـــان بالله مركز القيم العليا) **فاصبحتم بنعمته اخوانا** (أى فى الانسانية والحضارة البشرية) ،
« **وكنتم** (أى على عهد القبيلة وتقاليدها ، والتمسك بهذه التقاليد) **على شفا حفرة من النار فانقذكم منها** (فالقبلية كانت مصدر الحروب والخصومات بين القبائل بعضها وبعض . ولكن بفضل الإيمان جاء السلام والصفاء النفسى للعلاقات بين افرادها) **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون** (وهداية الناس بآيات الله وكتابه هى اتباع خطوط الحضارة الانسانية فيه ، والابتعـــاد عن ضلال الجاهلية) » (٣) .. وكذلك يقول فى فضـــل الله على تآلــف المؤمنيــن وترابطهم ، بعد الخصومات التى كانت مستمرة بينهم ، وتطمين الرسول على تماسك المؤمنين فى مواجهة مؤامرة الأعداء وخداعهم :

« **والف بين قلوبهم** (أى قلوب المؤمنين) **لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم** (برباط العقيدة والإيمان .. بدلا من الرباط المادى وهو رباط الدم والقرابة) **إنه عزيز حكيم** » (٤) ..

.. ولا شك أن الدعوة الى الترابط على أساس الإيمان بالقيم العليا التى تمثل سمو الحياة البشرية : فوق لحمة الأسرة .. والقبيلة .. والشعب : هى دعوة خالصة لوجه الإنسانية ومجردة عن كل اثر لأى عامل شخصى .

***

ثالثا : انها تؤثر الاستمرار فى الترابط والبقاء فى دائرته على أساس هذه القيم .. وليس على أساس العصبية الأسرية .. والقبلية .. والشعوبية . يقول القرآن الكريم :

« **يا ايها الذين آمنوا** :

« **لا تتخذوا آباءكم ، واخوانكم : أولياء** (أى أصدقاء يخلص بعضهم لبعض .. ويشير بعضهم على بعض) **ان استحبوا الكفر على الإيمان** (أى ان آثروا البقاء فى الجاهلية .. ولم يرغبوا فى الانتقال من مستواها .. الى مستوى الحضارة البشرية) ،

« **ومن يتولهم منكم** (أى يصادقهم منكم) ، **فأولئك هم الظالمون** .

« **قل : ان كان آباؤكم ، وابناؤكم ، واخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ،** (والعلاقة بين هؤلاء جميعا هى علاقة الدم والقرابة الأسرية) **وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها : أحب اليكم من الله ، ورسوله ، وجهاد فى سبيله** (أى ان كنتم تؤثرون : العصبية الأسرية .. أو المحافظة على المال ، أو على انمائه .. أو الرتابة فى المعيشة — وهى جميعها تصور خطوط الجاهلية — على القيم العليا فى الحياة ، التى يمثلها الايمان بالله ، وبرسوله ، كما يمثلها الجهاد بالمال أو بالنفس فى سبيل هذه القيم والتحول الى مستوى الحضارة البشرية) **فتربصوا حتى يأتى الله بأمره** (أى انتظروا حتى يأتى الأجل المحدد لسقوط مجتمعكم وقيام مجتمع إنسانى حضارى آخر بدلا منه) **والله لا يهدى القوم الفاسقين** (وطالما لا يهدى الله أولئكم الذين يخرجون فى وضوح : عن الطريق السوى فى الحياة : فانهم لا يستقرون فى رياسة ولا فى زعامة : « **وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم** » (٥) . (بل يخلفهم أولئكم الذين يؤمنون بالله وبالقيم العليا فى الحياة) » (٦) .

.. واستمرار الترابط على أساس من القيم العليا ان كان ظاهرة تدل على التجرد عن العوامل الشخصية .. فان هذا الترابط على أساس منها أبقى وأنقى من الترابط على أساس العصبية .. أو المال . فالعصبية فى الأولاد ، أو المال فى جمعه واكتنازه : كلاهما ينطوى على عامل التفرقة ، كما ينطوى على عامل التجميع . يقول الله سبحانه :

« **يا أيها الذين آمنوا** :

« **ان من أزواجكم ، وأولادكم : عدوا لكم ، فاحذروهم ، وان تعفوا ، وتصفحوا ، وتغفروا فان الله غفور رحيم** .

« **إنما أموالكم ، وأولادكم فتنة** (أى مصدر تجربة واختبار) **والله عنده أجر عظيم** .

« **فاتقوا الله ما استطعتم**

« **واسمعوا ، واطيعوا**

« **وانفقوا خيرا لانفسكم ، ومن يوق شُح نفســه فاولئك هم المفلحــون**
(والمفلحون اذن هم الذين يترابطون على أساس الإيمــان بالقيم ..
وليس على أساس العصبية .. أو المال) » (٧) .

***

رابعا : أنها تدعو الى توفير الاعتبار الإنســانى ، والكرامة البشرية لــكل فرد ، بغض النظر عن : اللون .. والنسب .. والعرق .. والجاه .. والمال :
يقول الله تعــالى :
« **يا أيها الذين آمنوا :**
« **لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ،**
« **ولا تلمزوا أنفسكم** (أى لا يعب بعضكم بعضا) ،
« **ولا تنابزوا بالألقاب** (أى لا تداعوا بالألقاب المسيئة التى يحس المدعو بها : بأذى .. أو شين .. أو ذم له ، وعندما يدعى بها) **بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان** (فالايمان من شأنه أن يسوى بين المؤمنين فى الاعتبار البشرى . والتداعى بالألقاب المسيئة من شأنه أن يعيد الفجوة فى هذا الاعتبار بينهم . واذن التنابــز بالألقاب : فسق وخروج عن مطلوب الايمان) ، **ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون .**
« **يا أيها الذين آمنوا : اجتنبوا كثيرا من الظن ، إن بعض الظن إثم ،**
« **ولا تجسسوا** (أى لا تبحثوا عن أخبار بعضكم بعضا) ،
« **ولا يغتب بعضكم بعضا** (والغيبة : أن يقال فى الرجل من خلفه ما فيه من عيب . فاذا قيل من خلفه ما ليس فيه : فهو بهت) ، **أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم** » (٨) .
.. من مستلزمات توفير الاعتبــار البشرى لكل فرد فى المجتمــع : أن ينتهى الانسان فيه :
عن أن يسخر بغيره .. وعن أن يعيبه .. وأن يلقبه بما يكره .. وعن أن يحدد موقفه منه على أساس الظن وحده .. وعن أن يتجسس عليــه ، ويبحث ليعرف أسراره .. وان يقول من خلفه ما فيه من نقص وعيب . لأن كل واحد من ذلك من شأنه : أن يعكر صفو العلاقات الطيبــة التى أحدثها الايمان بالله ، والانتقال المشترك الى مستوى الحضارة الانسانية . ويقول الله تعالى أيضا :
« **يا أيها الذين آمنــوا :**
« **لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ، حتى تستأنسوا** » (أى حتى تحسوا بالأنس من سكان هذه البيوت وبالترحيب بقبولكم فى منازلهم) **وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم ، لعلكم تذكرون .**
« **فان لم تجدوا فيها أحدا ، فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ،**
« **وإن قيل لكم : ارجعوا فارجعوا ، هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم .**
« **ليس عليكم جناح : أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة ، فيها متاع لكم ، والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** » (٩) ..
.. وضمن القرآن بذلك : حرمة لسكن الشــخص ، بعد أن أكد حرمة الشخص ذاتها . وهذا .. وذاك من عوامل توفير الكرامة الانسانية للشخص فى المجتمع .

***

خامسا : انها تدعو الى التفاضل بين الأفراد على أساس من التمايز بينهم فى مستوى الانسانية وحده .. وليس على اى أساس مادى آخر ، كالعرق .. أو القبيلة .

يقول تعـــالى :

« **يا أيها النـــاس** :

« **إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** ،

« **وجعلناكم شعوبا ، وقبائل : لتعارفوا** (اى اذا كنتم وجدتم جميعا من ذكورة وأنوثة ، وتساويتم فى ذلك .. ثم جعلتم فصـــائل من شعوب وقبائل ، وارتبطتم برباط الدم والقربى بناء عن التناسل فيما بينكم .. فليس مؤدى ذلك : أن تختلفوا .. وتتصارعوا فيما بينكم .. وأن يخاصم بعضكم بعضا . وانمـــا مؤداه : أن تجتمعوا على رباط آخر ، فوق رباط الدم والقربى . وهـــو ربـــاط الإيمان بالله ، مركز الحضارة الانسانية . فاذا انتقلتم عن طريق الهداية الى المستوى الحضارى فى تفكير الانسان وسلوكه : ترابطتم على أساس القيم العليا فى حياة الانسان . والترابط على أساسها : أدوم وأنقى) .

« **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** (ولذا : فالتفاضل بينكم منذ الآن يكون بمقدار المستوى فى تحقيق هذه القيم الذى يبلغه اى واحد منكم . وليس على الأساس المادى السابق من : المال .. والجاه .. والزعامة .. وعصـــبية الأولاد .. وقرابة الدم فى الحسب والنسب) **إن الله عليم خبير** (والله وحده هو الذى يعلم ما هو ابقى وأنقى فى حياة الانسان ، مما هو مشتت ومفرق .. وهو مع علمه التام : الخبير أيضا بحقائق كل ما يوصى به) » (١٠) .

***

سادساً : انها : تبرز المسئولية الفردية . وعدم قبول المسئولية الجماعية :

« **قـــل** :

« **يا أيها النــــاس** :

« **قد جاءكم الحق من ربكم** ،

« **فمن اهتـــدى فانما يهتدى لنفسه** ،

« **ومن ضل فانما يضل عليها** ،

« **وما أنا عليكم بوكيـــل** » (١١) .

.. فأبرز مسئولية الفرد فى إيمانه بالله .. وانتقاله بذلك الى المستوى الحضارى الانسانى ، فى التفكير .. وادراك الجمال فى الحياة والعمل الارادى . وكذلك أبرز مسئوليته عن حيرته وبقائه فى جاهليته . والرسول المبلغ لوحى الله لا تتجاوز رسالته : تبليغها الى الأفراد . وبذلك لا يشارك غيره : المسئولية فى اى اتجاه يسلكه ، ويقول كذلك :

« **ولا تزر وازرة وزر أخـــرى** ،

« **وان تدع مثقلة الى حملها** (اى ان دعت نفس تحس بثقـــل حملها من الذنوب : غيرها لتعاونها فيما تحمل فتشاركها بعض ذنوبها) **لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى** (فلا تستجاب لما طلبت وتظل هى متحملة وحدها ما ارتكبته من اخطاء وذنوب) » (١٢) . كما يقول :

« **وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن ، ولا بالذى بين يديه** (وهـــو كتاب عيسى .. وموسى) ،

« **ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ، يرجع بعضهم الى بعض** :

القـــول :

« **يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين .**

« **قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين .**

« **وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار ، إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا** (أى كانت محاولاتكم الخبيثة أنتم أيها المستكبرون ، المستمرة بالليل والنهار هى التى أضلتنا عن الهدى بعد اذ جاءنا) ،

« **وأسروا الندامة لما رأوا العـــذاب ، وجعلنا الأغـــلال فى أعناق الذين كفروا** (أى جميعا ما بين مستكبرين .. ومستضعفين) **هل يجزون الا ما كانوا يعمـــلون » (١٣) .**

.. ففى هذا الحوار بين الزعماء والرؤساء من جانب .. والتابعين لهم فى المجتمع من جانب آخر : تتجلى المسئولية الفردية .. وأن ليس للانسان عذر ما فيما يقترفه . وبالأخص فيما يبقيه فى دائرة الجاهلية ، ويحول بينه وبين الانتقال الى المستوى الحضارى البشرى . وربما كان يفهم .. أو يعد مقبولا فى اطـــار الاعتـــذار : قبول المستضعفين فى المجتمـــع : نصح المستكبرين ، أو أمرهـــم بالانصراف عن هداية الله لأنهم واقعون تحت تأثيرهم . ولكن جعل الأغلال فى أعناق الفريقين كجزاء لهما لم يترك شبهة فى المســـــئولية الفردية التامة لـــكل فريق منهمـــا .

***

سابعا : أنها : تدعو الى أن تكون سرية أى اجتماع بين اثنين فأكثر على الخير وحده .. أى على عدم الاعتداء على الأقل على الآخرين ، يقول تعالى :

« **يا أيها الذين آمنـــوا :**

« **إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ، ومعصيت الرسول ،**

« **وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى اليه تحشرون » (١٤) .**

.. فينهى عن التآمر وتدبير الاعتداء .. ويأمر بأن تكون سرية أى اجتماع متمحضة للخير والمصلحة العامة . يؤثر السلام والصفاء فى علاقات الأفراد فى المناجاة وأحـــاديث الناس فى سرية ، على التدبير للهـــدم : فى « الخلايا .. وتحت الأرض » .

***

ثامنـــا : تدعو الى أن تكون الرغبـــة فى السلام .. مصاحبة للاعداد لرد الاعتداء . أى لا يكون هنـــاك اعداد لقوة المجتمع ، غير مشفوع هذا الاعــــداد باعـــداد نفسى آخر للسلام . يقول تعالى :

« **وأعدوا لهم** (أى للأعداء) **ما استطعتم من قوة** (وهى القوة العددية .. والنوعيـــة) **ومن رباط الخيل** (وهى الحصون والقلاع) **ترهبون به عدو الله وعـــدوكم** (أى أن هدف هذا الاعداد ليس : الاعتداء .. ولا الفتح والتوسع . وانما حمل العدو على التفكير والتروى عنـــدما تسول له نفسه الاعتداء .. وانما إرهابـــه) **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم** (أى ومع أعداء الله وأعداء المؤمنيـــن الصرحاء المكشوفين لكم : أعداء آخـــرون متسترون من ورائهـــم . وهم معهم بالمشاركة فى اعدادهم وفى دفعهم ضد المؤمنين) **الله يعلمهم** (لأنه يعلم الظاهر والباطن .. والصريح والخفى .. والمنافقون فى عداد هؤلاء الأعداء المتسترين).

« **وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون** (والخطاب

للأثرياء فى الأمة للانفاق على اعدادها فى مواجهة الأعداء ، اعدادا ماديا) .

« وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، (وهنا يقرن القرآن حمل المؤمنين على الميل الى السلام وقبوله ، بطلب الاعداد لأنفسهم لمواجهة عدوان الأعداء ، مما يعبر به هذا القرآن على أن الهدف الأصيل للدعوة الى الاسلام : هو السلام. ولكنه سلام القوى ، وليس سلام الضعيف .. سلام المتيقظ ، وليس سلام الغافل .. سلام من يضحي بمتع الدنيا ليعيش عزيزا ، وليس سلام من يستذل من أجل الاستمتاع بهذه المتع) **وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم** (ولكى تشجع الدعوة الاسلاميـة المؤمنين الى الميل الى السلم والى قبوله : تطلب اليهم أن يعتمدوا على الله عند قبولهم للسلام ، ويبعدوا عنهم القلق من أجل التفكير فى خداع الأعداء وغدرهم . فالله سميع لكل همسة منهم .. وعليم بمجرى كل أمر يصدر عنهم . وطالما المؤمنون يأخذون أنفسهم بما يدعوهم الله إليه من غير تقصير .. فخداع أعدائهم لا ينال منهم اطلاقا) .

« وإن يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين (أى فالله هو المتكفل برد خداع الأعداء وبنصر المؤمنين عليهم . إذ خديعة الأعداء ستكون مكشوفة للمؤمنين ، اذا لم يوالوهم .. واذا أخذوا منهم حذرهم .. وبقوا فى قوة فى مواجهتهم .. وآثروا ولاء بعضهم لبعض ، على أن يميلوا اليهم . وطالما تكشف الخديعة فأثرها سلبى) » (١٥) .

..و يقول الله تعالى ، أيضا :

« يا أيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان (لأنه يحملكم على التردد فى قبول السلم أن عرض عليكم) **إنه لكم عدو مبين** (إذ يريد أن يشغلكم بهواجس نفسية تمنعكم من قبول السلم .. وبالتالى تحول بينكم وبين أن تتفرغوا لرسالتكم . فالأعداء ان كانوا جادين فى عرض السلم فلا ضير عليكم اطلاقا فى قبوله . وإن كانوا يريدون الخديعة : فحذركم منهم .. وعدم موالاتكم لهم .. وبقاؤكم دوما على استعداد لمواجهتهم : كفيل برد خدعتهم ودفع ضررها عنكم . ففى كلتا الحالتين : قبولكم للسلم : لا يعرضكم لخطر . وإذن وسوسة الشيطان تحملكم على التردد فى قبوله ، هى شر لكم وأثر من عداوته لايمانكم) » (١٦) .

***

تاسعا : تدعو الى تكافؤ : انتاج الانسان وعمله من أجل الرزق فى الدنيا .. وعبادته لله ، معا : يقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا :
« إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ، إن كنتم تعلمون .
« فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ، وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١٧) .

.. فسوى القرآن فى الأمر هنا : بين وجوب أداء صلاة الجمعة إذا حل وقتها .. ومباشرة السعى بعد الانصراف من أدائها من أجل الرزق فى ضروب الحياة المختلفة : تجارة .. أو زراعة .. أو صناعة .. أو ادارة واشرافا على عمل آخر . كما أوضح أن العبادة والمحافظة عليها مقدمة ضرورية لنجاح الانسان فى حياته : **« واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »** . سواء أكان هذا النجاح فى تحصيل الرزق .. أو فى حسن العلاقة بين إنسان وآخر ، فى مجتمعه .

وهذه المساواة فى الحرص على الأداء : بين العبادة .. والسعى من اجل الرزق : تعطى الدليل على ايجابية الدعوة الاسلامية فى حياة الانسان .. وعلى ان التوكل على الله الذى يطلب من الانسان المؤمن بالله : ليس طريقا سلبيا . اى ليس تواكلا ، او اغضاء عن العمل . كما تعطى الدليل من جانب آخر على ان المتع المادية ليست امورا تنبذ . إنما هى اهداف تحصل ليستمتع بها الانسان ، ولكن لا ليسرف فى الاستمتاع بها : **« وكلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين »** (١٨) .

***

عاشرا : انها تدعو الى ان يكون : العدل .. والشورى .. والاطمئنان الى عدم اتباع الهوى ، من مقومات الحكم الصالح ، فيقول القرآن الكريم : **« إن الله يأمر بالعدل والاحسان »** (١٩) .. فيأمر بالعدل فى كل جانب من جوانب الحياة ، ثم على وجه الخصوص يأمر بالعدل فى الحكم . فيقول :

« إن الله يامركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها (وهى امانة العمل واداؤها بالدقة فيه .. وأمانة العهد والوعد ، وأداؤها بالوفاء بأى منها .. وامانة الأسرة وأداؤها بالاحسان فى رعايتها .. وأمانة الراى وأداؤها بالنصح فيه .. وامانة السلوك وأداؤها بالاستقامة فيه) .

« وإذا حكمتم بين الناس : أن تحكموا بالعدل » (٢٠) .

ويأمر بالعدل فى المعاملة فيقول :

« وأوفوا الكيل ، والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا إلا وسعها » (٢١) .

.. وبالعدل فى القول ، فيقول :

« وإذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى » (٢٢) .

.. وبالعدل فى الشهادة ، فيقول :

« يا أيها الذين آمنوا :

« كونوا قوامين لله (مقيمين لأوامره ومطيعين لها) ،

« شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا (اى لا يحملنكم بغض قوم بسبب كفرهم مثلا على عدم العدل نحوهم فتعتدون عليهم) **اعدلوا ، هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون »** (٢٣) ..

.. وبالعدل : بين ما يفعله الانسان .. وما يتحدث عنه . فيقول :

« يا أيها الذين آمنوا :

« لم تقولون ما لا تفعلون ؟. كبر مقتا عند الله : أن تقولوا ما لا تفعلون .

« إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ، كانهم بنيان مرصوص (اى لا يحب الاعوجاج بالتحدث عن فعل كالمشاركة فى القتال مثلا .. وعدم وقوع هذا الفعل) » (٢٤) ..

.. وبالعدل فى العهود ، والعقود : بالوفاء بها :

« وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم (اى ما يجب أن يطلب فيه الوفاء من العهود هو ذلك النوع منها الذى يستهدف الخير .. والمصلحة العامة .. أو هو عهد الله) » (٢٥) ..

« يا أيها الذين آمنوا : اوفوا بالعقود » (٢٦) ..

.. أما الشورى فيتحدث عنها القرآن فى صفات المؤمنين ، على انها جزء لا يتجزأ من قوام حياتهم ، فيقول :

« .. والذين استجابوا لربهم ، واقاموا الصلاة ، وامرهم شورى بينهم (وهو أمر الأسرة بين افرادها .. وأمر الجيران بعضهم مع بعض .. وأمر الناس مع ولاتهم وحكامهم) » (٢٧) ..

.. كما يطلب الى الرسول عليه السلام باعتباره قائدا وحاكما : أن يشاور من جديد : النفر من المؤمنين الذى كان من أسباب هزيمة المسلمين فى غـــزوة أحد ، بعد أن يعفو عنهم . ويستغفر لهم الله ، على ما وقـــع منهم من خطـــأ ، فيقـــول :

« **فبما رحمة من الله لنت لهم** (أى لا تقســـو عليهم واستمد موقفـــك هذا ازاءهم من صفة الرحمة التى هى بالغة حد الكمال فى المولى سبحانه) ،

« **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم**،

« **وشاورهم فى الأمر** (أى فى شأن القتال عنـــد خروجك مرة مقبلة مع المؤمنين جميعا الى مواجهة الكفار) .

« **فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين** » (٢٨) ..

.. فمع خطأ هذا النفر فى شأن المؤمنين جميعا : فان القرآن يطلب من الرسول عليه السلام من جديد : أن يستطلع رأيه . ولو أن خطأهم كان نقدا ذاتيا لوضح الأمر فى طلب مشاورتهم من جديد . ولكنه خطـــأ كان يرجع الى الانصراف عن أهداف الدعوة فى ميدان القتال ، الى مغانم الحياة الدنيا فيه . فطلب استطلاع رأيهم مع ذلك يدل على قيمة الشورى فى حياة الناس وأثرها فى الترابط فى العلاقات بين أفرادهم .

***

حادى عشر : أنها : تستنكر الاحتراف بالقيم العليا :

إذ أخطر شىء على هـــذه القيم هو الاحتراف بها .. وجعلها وســـيلة ، وليست هدفا فى ذاته . والاحتراف بها يكون عادة من الداعين لها ، والحاملين لواء نشرهـــا . وهنا يحذر القرآن أن يتحـــول أمر المؤمنين الى الاحتراف بهذه القيم ، على نمط ما كان عليـــه أحبـــار اليهود .. ورهبان النصارى ، كمـــا جاء فى قول الله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنـــوا :**

« **إن كثيرا من الأحبار ، والرهبـــان ، لياكلون أموال النـــاس بالباطل** (وذلك عن طـــريق تدخلهم فى تأويل ما يقع عليه : اسم الحـــلال .. أو اسم الحرام .. أو عن طريق اخفائهم بعض تعاليم الكتاب .. واظهار البعض الآخر ، ويؤجرون على ما يقولون) .

« **ويصدون عن سبيل الله** (واحترافهم بالقيم العليـــا .. وأكلهم أموال الناس بالباطل عن طريق هذا الاحتراف : هو فى حقيقة أمره صد ، وابعاد عن سبيل الله . لأن الاحتراف الآن سبيل معوجـــة . بينما سبيل الله هى دائمـــا السبيل السوى) » (٢٩) ..

والقيم العليا التى يتجنب الاحتراف بها ليست فقط هى التى يحملها أصحاب رسالة الدين . بل هى التى يحمـــلها فى الأمة كذلك غيرهم : كالأطبـــــاء .. والمعلمين .. والقضاة .. ورجال الادارة ... الخ .

فالأطباء .. والمعلمون يحملون علم الانسانية فى تطبيب المرضى .. وتعليم الناشئة . فان هم استغلوا حاجة المريض الى الشفاء .. والصبى الى التعليم ، وجعلوا العلاج والتعليم حرفة للاتجار والاثراء : كانوا كالأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

والقضاة .. ورجال الادارة يحملون علم العدل وإحقاق الحق فى قضائهم

.. وادارتهم . فان هم احترفوا بالعدل وقبلوا الرشوة كانوا كذلك كالأحبار والرهبان فى أكل أموال الناس بالباطل .

ورجال الجيش يحملون علم الدفاع عن الأمة وعن قيمها العليا وتثبيت شخصيتها المستقلة . فان هم أثروا من حرفة الدفاع ولم يتمثل فى نفوسهم الإيمان القوى بالدفاع عما يجب أن يدافعوا عنه .. كانوا كذلك كالأحبار .. والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

وهكذا .. كل من يحمل قيمة عليا فى عمله ونشاطه واحترف بها فهو آكل لأموال الناس بالباطل .

***

ثانى عشر : انها : تدعو الى الرجوع بالخصومة فى الرأى .. الى المصدر الأصيل للدعوة .. وليس لأقوال بعض المؤمنين فيه . فيقول الله تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا** :

« **أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول** (وذلك باتباع كتاب الله .. وقدوة الرسول عليه السلام : قولا .. أو عملا) ،

« **وأولى الأمر منكم** (ان ادى هؤلاء الأمانة فى ولايتهم للمؤمنين ، وحكموا بين الناس بالعدل طبقا لما فى كتاب الله . وجاء هذا الشرط فى آية سابقة على هذه الآية .. فى قول الله تعالى : « **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** ») ،

« **فإن تنازعتم فى شيء فردوه الى الله** (اى كتاب الله) **والرسول** (اى الى قدوة الرسول عليه السلام) **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** (اى أن بقيتم على إيمانكم بالله وعدم تحولكم الى اتجاه المادية . وهو ذلك الاتجاه الذى يقوم على إنكار الإيمان بالله .. وباليوم الآخر ، تحت التأثر باغراء متع هذه الحياة الدنيا) .

« **ذلك خير وأحسن تأويلا** (اى والالتجاء فى خصومة الرأى الى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام هو خير حل لمشكلتها بين المؤمنين ، لأنه رجوع الى مصدر الإيمان نفسه .. ذلك المصدر الذى هو بعيد كل البعد عن الهوى والغرض .. والذى تجرد شأنه تماما للمصلحة العامة » (٣٠) ..

***

ثالث عشر : انها : تدعو الأمة الى التدخل بالاصلاح اولا .. ثم بالقتال ثانيا ، إذا اشتبكت طائفة بأخرى فيها : فى خصومة عنيفة أو قتال سافر . والتدخل بالاصلاح يراعى فيه العدل المطلق .. اى تراعى فيه المحافظة على الحقوق والواجبات التى لكل طائفة ، حسبما يقررها القرآن . والتدخل بالقتال يكون ضد الطائفة المتدية منهما .. الى أن ترجع عن اعتدائها ، فيصلح بينها وبين الأخرى التى كانت تتقاتل معها . يقول الله تعالى :

« **وإن طائفتان من المؤمنين** (اى مجموعتان من المؤمنين) **اقتتلوا فأصلحوا بينهما** (اى فالطريق الى وقف القتال بينهما هو التدخل بالاصلاح بين الطائفتين . فان كانت مثلا : طائفة موسرة تشح بالانفاق مما تملك .. وطائفة أخرى محرومة لا تأخذ حقها من أموال الموسرين : اشتبكتا فى قتال بينهما فالحل هو الاصلاح طبقا لما جاء فى القرآن من حمل الموسرين على الانفاق ، على نحو ما قيل فى صفات المؤمنين فى قول الله تعالى :

« **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** » (٣١) . وحملهم يكون بالنصح .. أو بالقتال . كما صنع أبو بكر رضى الله عنه فى قتال مانعى الزكاة . وعلى هذا النحو : الاصلاح ما بين صاحب العمل .. والعامل . فلو اشتبكت طائفة العمال فى خصومة أو فى قتال مع أصحاب العمل : فيجب الاصلاح بين الطائفتين باعطاء العمال ما لهم من حقوق وفرض اداء ما يجب عليهم من واجبات نحو أصحاب العمل . ولو اعتدت احــدى الطائفتين على الأخرى فيجب على المسلمين أن يقاتلوا الطائفة المعتــدية حتى تفىء الى أمر الله ثم يصلح بين الطــائفتين) .

« **فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى ، حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهمــا بالعدل ، وأقســطوا ان الله يحب المقسطين** » (٣٢) ..

.. وهذا التدخل بالاصلاح أولا .. ثم بالقتال إن كان هناك اعتداء ، يجىء مؤسسا على ما يذكره القرآن بعد ذلك فى قول الله تعالى :

« **إنمــا المؤمنون اخوة ، فاصلحــوا بين أخويكم ، واتقــوا الله لعلكم ترحمــون** » (٣٣) ..

.. والأســـاس الذى يذكره هنا هو أساس « الأخــوة » فى الترابط بين المؤمنين جميعا . ومقتضى هذه الاخوة : أن لا يشجع الاعتداء من فريق على فريق .. وإنما يؤخذ حق المظلوم من الظالم منهما . والمسلمون جميعا عــدا الطائفتين المتنازعتين : ضد الاعتداء : ومع إنصاف المظلوم من الظالم . وفى مقدمة المسلمين : ولاتهم وحكامهم .

والقرآن لكى يحافظ على هذه « الأخوة » استرســلت آياته ــ بعد هــذه الآية ــ فى نهى المؤمنين عن كل ما يمس هذا الأساس ، فى أية صورة . فطلبت توفير الاعتبــار البشرى ، كما شرح سابقا .. وتجنب الظن فى المعاملة .. وتجنب التجسس فى معرفة الأخبار .. وتجنب الغيبة . ثم اكدت : أن المستوى فى تخير ذلك كله وفى اتقانه هو وحده معيار المفاضلة بين الأفراد :

« **إن أكرمكم عنــد الله أتقاكم** » .

***

رابع عشر : انها : تدعو الى الحفاظ على النفس .. والمال .. أى تدعــو الى المحافظة على حرمة النفس .. وحرمة المال ، تدعو الى الأمان : فلا تمس نفس بسوء .. ولا يمس مال باعتــداء عليه .. تدعو الى تجنب جريمتين ، يترتب على أى منهما : فنــاء المجتمع .

« **يا أيها الذين آمنــوا** :

« **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، الا أن تكون تجــارة عن تراض منكم**

(والأساس فى التجارة أن يكون فيها ربح .. أى فيها اكثر من مماثلة القيمة بين الطرفين . واستثناء التجارة هنا من أكل أموال الناس بالباطل ، معناه : جواز الربح : فى تحصيله من البائع .. وفى قبوله من المشترى . أى شرعيــة عدم المماثلة تماما بين طرفى العقد . لأن الربح الزائد عن المماثلة هنــا هو أجر على عمل فى الواقع . وهو عمل التجارة . وهذا التحليل للتجــارة يعطى من جانب آخر معنى أكل أموال الناس بالباطل . وهو حصول أحد الطرفين على مال من الطرف الآخر ، دون مقابل له : لهذا الطرف . فعملية النصب .. والتحــايل .. والرشوة .. والمغامرة .. والغصب .. وما شــاكل ذلك : تعد من أكل أمــوال

الناس بالباطل . لأن مفهوم التجارة ، وان كان العمل الشرعى جزءا منه .. فان حرية الطرفين فى التعامل فى عقده : جزء آخر فيه . وهذه الحرية غير متوفرة فى المغامرة) .

« **ولا تقتلوا أنفسكم** (والمراد بها أنفس المؤمنين . والمعنى : أن تقتل نفس نفسا أخرى من بينكم . ولكنه اضاف الأنفس الى المؤمنين جميعا : ليشير الى أن فقدان اية نفس بالقتل هو فى حقيقته يخص المؤمنين جميعا ، وليس فقط تلك النفس التى وقع عليها القتل) **إن الله كان بكم رحيما** (أى حين يطلب إليكم تجنب القتل ، بعد أن طلب منكم عدم أكل أموال الناس بالباطل . لأن كلا من الجريمتين يهدد المجتمع بالفناء . أحداهما بفناء النفوس .. والأخرى بفناء من يمسه الغاء الوظيفة الاجتماعية للمال . وهى تعلق حق المحرومين فيه) » (٣٤) ..

***

خامس عشر : ترى : أن المادية هى عدو الحضارة الانسانية ، لأنها تجر الانسان الى : الحيوانية .. والعبث .. والفساد فى الحياة البشرية ، هى عدو ابدى ودائم للايمان بالقيم العليا : « **ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه** (أى من القرآن ككتاب يسجل الدعوة الى الايمان بالقيم العليا) ، **حتى تأتيهم الساعة بغتة ، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم** » (٣٥) ..

.. والماديون لا يخلصون أبدا لمن يؤمن بالقيم العليا .. وبالتحول الى المستوى الحضارى البشرى للانسان .. ولمن يدعو اليه . ومن هنا يجب أن لا يصادقوا :

« **يا أيها الذين آمنوا** :

« **لا تتخذوا عدوى وعدوكم : أولياء ، تلقون إليهم بالمودة** » (٣٦) إذ فى مصادقتهم والتودد إليهم ما يحول دون الاحتياط منهم . فنفوسهم تنطوى على السوء ، كما تنطوى على الأمل فى ابعاد المؤمنين عن إيمانهم :

« **إن يثقفوكم** (أى يظفروا بكم) **يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا إليكم أيديهم والسنتهم بالسوء ، وودوا : لو تكفرون** » (٣٧) .

.. ومهما كان يرجى من نفع مادى منهم . فما يحصله المؤمنون من نفع يعود على تماسكهم وترابطهم عند عدم مصادقتهم افضل واعم مما يتصور لدى أولئكم الماديين : « **وإن خفتم عيلة** (اى فقرا وحاجة بسبب مقاطعتكم لهم) **فسوف يغنيكم الله من فضله ، إن شاء ، إن الله عليم حكيم** » (٣٨) .

.. وإذا كان من الحيطة : عدم مصادقة الماديين .. وعدم الدخول معهم فى معاملات اقتصادية .. فالأسلم على الاطلاق : مخاصمتهم .. ومقاتلتهم :

« **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** » (٣٩) .

.. والقرآن ـ وهو رسالة السلام ـ إذا كان يطلب من المؤمنين : أن يقاتلوا فى سبيل الاحتفاظ بايمانهم وبعزتهم : أعداءهم الحقيقيين ، وهم الماديون ، فضلا عن عدم التقرب إليهم وعدم مصادقتهم وعدم انتظار النفع المادى منهم .. إذا كان يطلب القتال منهم فانه يطلبه كضرورة تفرضها الحياة للمؤمنين أنفسهم . فطالما الماديون هم الأعداء الحقيقيون للحضارة الانسانية التى تمثلها قيم الايمان بالله ، وهم باقون على قوة لهم .. فالخطر سيلحق المؤمنين : إن اليوم .. أو غدا ، من عداوة هؤلاء .

وهذا على نحو ما كان على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فى الغزوات التي دار فيها القتــال . والهدف من القتال يومئذ كان للوقاية ، ولم يكن للتوسع .. كان لحمــاية المؤمنين : قيم مجتمعهم من أعداء السوء له . وهم المشركون ، أو الماديون الوثنيون فى شبه الجزيرة .

وآية القتــال للماديين السابقة نزلت ، بعــد أن كانت للمسلمين قوة ، نوعية .. وعددية ، يستطيعون أن يواجهوهم بها . فهى من آيات سورة التوبة ، وقد نزلت بعد المائدة . وهذه الأخيرة نزلت فى حجة الوداع بعد فتح مكة . وكان المؤمنون إذ ذاك يمثلون قوة إيمانية .. وعددية مرموقة ، ويخشى منها .

فاذا لم يكن المؤمنون على قوة كافية لمواجهة الماديين بالقتال فى وقت من الأوقات : فالأمر يقف بالمؤمنين عند حد عدم الولاء للماديين . ولهم أن لا يجاهروا بعدم الولاء لهم ، تقيــة منهم . كما جاء فى سورة آل عمران :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين : أولياء من دون المؤمنين »

« ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة »

« ويحذركم الله نفسه (واعلان تحذير الله للمؤمنين هنا : آية على خطورة موالاة المؤمنين لأعدائهم ، وبالأخص الماديين منهم على مجتمعهم .. وأمتهم .. وقيمهم) **والى الله المصير »** (٤٠) ..

.. والقتال ـــ وهو سبيل من سبل الوقاية ـــ وإن كان مكروها للنفوس ، إلا انه ينطوى فى حقيقته على خير للبشرية . وهو صيانة الحضارة الانسانية من الدمار والتخريب ، الذى تسعى اليه المادية بكل ما تملك من قوة : **« كتب عليكم القتــال ، وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهــوا شيئا ، وهو خير لكم ، وعسى أن تحبــوا شيئا وهو شر لكم** (كالتخلف عن القتال فى سبيل القيم العليا فانه شر لا يصيب المتخلفين وحدهم ، وإنما البشرية كلها) : **« واتقوا فتنــة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** (٤١) (وهى فتنة التخلف عن القتال . والذين ظلمــوا هم المتخلفون الذين رضوا أن يكونوا مع القواعد من النساء) **« والله يعلم وأنتــم لا تعلمون »** (٤٢) ..

● ● ●

هذه النماذج من المبادىء فى القرآن الكريم تصور : « التجرد » التام فى قيمتها .. وفى تحليلها . لأنها ترجع جميعها الى الاحتفاظ بقيمة الانسان كفرد .. والى احترام حرمته :

١ ـــ فالايمان مثلا برسالة الحضارة البشرية السابقة هو استمرار للاعتراف بالقيم العليا التى جاءت بها الرسالة السابقة ، من أجل تقدير الانسان وصيانة حرمتـــه . وليس انتكاســا .. ولا هدما وتخريبــا لأى جانب من جوانب هــذه الحضارة .

٢ ـــ والترابط بين الأفراد على أساس القيم العليا وحدها فى حياة الانسان

٣ ـــ وكذا ايثار استمرار الترابط على هذا الأساس ،

٤ ـــ وتوفير الاعتبار البشرى لكل فرد ،

٥ ـــ والتفاضل بين الأفراد على أساس التمايز فى مستوى البشرية ،

٦ ـــ وابراز المسئولية الفردية ـــ دون المسئولية الجماعية ،

٧ ـــ واستهداف الخير وحده من أى اجتماع غير علنى .. كل هذه المبادىء تتصل مباشرة بكرامة الفرد ، والحرص عليها .

وليس أقل من هذه المبادىء وضوحا وتجردا : لاحترام الفرد وحرمته ، ما جاء فى هذه النماذج ، من أن :

٨ ـــ رغبة السلام .. تصحب الاعداد لرد الاعتداء فى الأمة ،

٩ — وتكافؤ السعي والعمل من أجل الرزق .. مع عبادة الله ،
١٠— والعدل .. والشورى ، من أسس نظام الحكم الانسانى ،
١١— واعتبار الاحتراف بالقيم العليا ، رجوعا بالحضارة الى الجاهلية ،
١٢— وتحكيم المصدر الأصيل للمبادىء العامة ، عند التخاصم فى الرأى بين الأفراد ،
١٣ — وتدخل الأمة بالاصلاح ، عند مواجهة مجموعة فيها بأخرى ،
١٤ — وصيانة النفوس والأموال من الضياع ، بغير سبيل مشروع ،
١٥ — واعتبار العدو الأول للحضارة الانسانية هو المادية وتوجيهها .

● ● ●

إن جانب تجرد المبادىء القرآنية من الهوى .. والحزبية .. والعصبية .. ومن اى عامل شخصى آخر : هو جانب رئيسى فى اعجاز القرآن .. وبالتالى : هو آية على صلاحيته للانسان ولتوجيهه صلاحية تامة ، بغض النظر عن مرور الزمن .. أو اختلاف الشعوب والأمم . وكذلك آية على صلاحيته لتأسيس الحضارة الانسانية عليه ، تلك الحضارة التى تستهدف الانسان : فى كرامته .. وفى حرمته فى سكنه .. وفى حرمته فى ماله الخاص .. وفى حرمته فى نفسه وأمنه من الاعتداءات أو الارهاب .. وفى حرمته فى سعيه وفى عمله .. وفى حقه فى العدل .. وفى حقه فى إبداء الرأى .

والعمل الانسانى الذى هو وليد هذه الحرية .. وآت عن طريق استعمال الحق الانسانى : هو الصورة الواضحة للحضارة الانسانية .

فالقرآن معجز . وفى الوقت نفسه مصدر للحضارة البشرية .

---

(١) النساء : ١٣٦
(٢) الأعراف : ٣٦/٣٥ .
(٣) آل عمران : ١٠٣
(٤) الانفال : ٦٣ .
(٥) محمد : ٣٨ .
(٦) التوبة : ٢٤/٢٣ .
(٧) التغابن : ١٤ — ١٦ .
(٨) الحجرات : ١١ و ١٢ .
(٩) النور : ٢٧ — ٢٩ .
(١٠) الحجرات : ١٣ .
(١١) يونس : ١٠٨ .
(١٢) فاطر : ١٨ .
(١٣) سبا : ٣١ — ٣٣ .
(١٤) المجادلة : ٩ .
(١٥) الانفال : ٦٠ — ٦٢ .
(١٦) البقرة : ٢٠٨ .
(١٧) الجمعة : ٩ و ١٠ .
(١٨) الأعراف : ٣١ .
(١٩) النحل : ٩٠ .
(٢٠) النساء : ٥٨ .
(٢١) الانعام : ١٥٢ .
(٢٢) الانعام : ١٥٢ .
(٢٣) المائدة : ٨ .
(٢٤) الصف : ٢ — ٤ .
(٢٥) النحل : ٩١ .
(٢٦) المائدة : ١ .
(٢٧) الشورى : ٣٨ .
(٢٨) آل عمران : ١٥٩ .
(٢٩) التوبة : ٣٤ .
(٣٠) النساء : ٥٩ .
(٣١) المعارج : ٢٥/٢٤ .
(٣٢) الحجرات : ٩ .
(٣٣) الحجرات : ١٠ .
(٣٤) النساء : ٢٩ .
(٣٥) الحج : ٥٥ .
(٣٦) الممتحنة : ١ .
(٣٧) الممتحنة : ٢ .
(٣٨) التوبة : ٢٨ .
(٣٩) التوبة : ٢٩ .
(٤٠) آل عمران : ٢٨ .
(٤١) البقرة : ٢١٦ .
(٤٢) الانفال : ٢٥ .

من هدي السنة

هذا هو الحل

د. على عبد المنعم عبد الحميد

عن أبى هريرة قال : بينما نحن فى المسجد ، خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ((انطلقوا الى يهود)) فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس(١) فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ((يا معشر يهود ، أسلموا تسلموا ، اعلموا أن الأرض لله ولرسوله ، وإنى أريد أن أجليكم من هذه الأرض(٢) فمن وجد(٣) منكم بماله شيئا فليبيعه)) .

(متفق عليه)

١ ــ من سنن الكون التى جبل الله جلت حكمته الوجود عليها ، الصراع الدائم ، والعراك المستمر ، والتناحر بين القوى المختلفة ، والتطاحن الدائب ، والبقاء والثبات لصاحب الغلبة على منافسيه ، تلك سنة الله فى هذه الحياة الدنيا ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ودواعى ذلك لا تمت الى الحق والعدالة بسبب دائما ، بل غالبا ما تكون مميتة للحق ، وقاضية على العدالة ، وان انتمت الى استقامة الأمور ، واستقرار الأمن فى زمان أو مكان ، فذلك هو النادر الأقل ، واذا ضاق قبيل أو جماعة أو أمة بفعل آخرين ولم يستطع له ردا ولا لكيده دفعا ، صاح : هذه شرعة الغاب وتلك طبائع الوحوش ، ولو كانت للشاكى الغلبة فلربما أبدى لخصمه ناجذيه ، وصار أشد فتكا بمقوماته حتى يجليه عن ساحته أو يبيده ليضحي اثرا بعد عين ، وخبرا ينبىء عن حقيقة كانت وواقع وجد ..

والمستقرىء لحوادث التاريخ عبر أزمانه المتطاولة يدرك أن من بنى الانسان من شذ طبعه نافرا عمن حوله ، غير ملق بالا ، ولا مصيخ سمعا لنداء عقل أو شريعة ، وانما تحكم تحركاته شهواته الجامحة ورغباته الجانحة الى التغلب والسيطرة ، وتقوده غرائزه الثائرة الملتهبة الى التهام كل ما يمكنه

اغتياله ولو كان زائدا عن مطالبه وضرورة لحياة آخرين ولا يجدى معه قول لين ، أو فعال خيرة ، ولا يفيده نصح مهما كان مصدره ، وانما علاجه القوة والشدة ، وأخذه دون هوادة ، وضربه على أم رأسه ليفيق ويستطيع القاء سمعه لما يراد منه ، وفتح عينيه على ما يدور حوله ، ومع هذا فكلما أمكنته الفرصة وثب ، ومتى لاحت له ثغرة ولج الى الشر منها ، وانشب أظفاره فى ضحاياه دون حياء أو وجل ومع هذا فمأساة الحياة وترياقها هم رسل الله فياليت الناس يعلمون ..

وقد امتازت شرذمة من البشر فعرفت بمعاداة البشرية جمعاء ، وقتل أنبياء الله ومحاولة الانتقاص ممن لم ينشأ على دينهم ، أو لم يسلك سبيلهم مهما كان لونه أو وضعه ، زاعمين ان الله اصطفاهم فهم أبناؤه وأحباؤه وشعبه المختار ، ودراسة أحوال اليهود منذ بدء وجودهم على البسيطة تظهر أنهم لا يقولون مجرد قول ، وانما يخططون لما يريدون مسرين إذا أعياهم الجهر ، ومعلنين اذا أمكنتهم الفرصة ، وواتاهم الحظ ، وأمسكوا بزمام الموقف ، وقد سيطروا على المرافق الحيوية التى تدر المال — اذ المال عصب الحياة — فى كل بلد وجدوا فيه ، وثبتوا أركانهم فى مراكز الاعلام ، وتطوروا معه كلما تطور عبر الزمان ، وطالب البرهان على هذا لا يعييه أن يراجع الأسماء اليهودية فى المنظمات العالمية المعاصرة على اختلاف أشكالها وأهدافها ثقافية أو علمية أو زراعية أو صناعية بل من الممكن أن يقال : ان كثيرا من الأسماء التى لمعت فى قرننا وعاصرناها كان وراءها يهودى مفرد أو جمعية منظمة أو منشأة سرية ، ولا مبالغة فى هذا ولا تزيد ، فمن هذه الأمور ما انكشف غطاؤه ومنها ما ستكشفه الأيام ..

٢ — ولهذا فليس من العجيب أن يتحدث التاريخ عن حرب اليهود وعداوتهم للاسلام ورسوله منذ اللحظة التى وصل فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى المدينة مهاجرا من مكة ، ولندع المجال لابن اسحاق صاحب السيرة العطرة يحدثنا ، كيف ناصب اليهود الرسول صلى الله عليه وسلم العداء حيث يقول : « ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم العداوة بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم » .

ويسرد ابن هشام فى سيرته أسماءهم من بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة ويهود بنى زريق وغير هؤلاء كثيرون ، وفى بيان كذبهم وختلهم وخداعهم والافصاح عن سوء طويتهم يقول واحد كان منهم ثم أسلم ذلكم هو عبد الله بن سلام ، وكان من علمائهم وابن سيدهم قال : « كتمت اسلامى من يهود ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، ان يهود قوم بهت (أى أهل باطل) وانى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك وتغيبنى عنهم ، ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا باسلامى ، فانهم إن علموا به عابونى وبهتونى . قال : فأدخلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض بيوته ، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه ، ثم قال لهم : أى رجل الحصيبين(٤) ابن سلام فيكم ؟ قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاء به ،

فوالله انكم لتعلمون انه لرسول الله ، وأومن به ، مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته ، فانى أشهد انه رسول الله وأومن به ، وأصدقه ، وأعرفه ، فقالوا : كذبت . ثم وقعوا بى . قال : فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أخبرك أنهم قوم بهت ، وأهل غدر وكذب وفجور ، قال : فأظهرت إسلامى وإسلام أهل بيتى » .

وقد بدأ النفاق فيهم فقد أسلموا تقية ولم يخلص اسلامهم لله ، وكان من أحبارهم من أسلم نفاقا مثل زيد بن اللصيت ، وهو الذى قال حين ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، وهو لا يدرى أين ناقته .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءه الخبر بما قال عدو الله فى رحله : ان قائلا قال يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدرى أين ناقته .. ؟ وانى والله ما أعلم الا ما علمنى الله ، وقد دلنى الله عليها ، فهى فى هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها . فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وصف (٥) وقد هادنهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعقد معهم معاهدة ، ولكنهم لم يرعوا عن خبث طويتهم ، فما لبثوا أن نكثوا العهود ، ونقضوا المواثيق ، وبدا من أفواههم ما أخفت قلوبهم ، وقد حفلت كتب التاريخ بالكثير من أخبارهم فى هذا المجال ، فلا بدع أن يجليهم صلى الله عليه وسلم عن المدينة الا قليلا من عمال الزراعة ، ولما ولى عمر بن الخطاب أمر المسلمين وآلت اليه الخلافة أجلى من بقى منهم ولم يدع يهوديا يقيم بالمدينة الا أخرجه منها حفاظا على كيان المسلمين ، وقطعا لدابر فتن اليهود وقضاء على فسادهم ، فقد كان الوحى يخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بنفاقهم ، وقد انقطع من بعده فخشى عمر رضى الله عنه خيانتهم وغدرهم ووقيعتهم ودسائسهم ، ولم يجد بدا من اخراجهم الى حيث لا يعودون .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما يروى البخارى أنه قال : قام عمر خطيبا ، فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم ، وقال « نقركم على ما أقركم الله » وقد رأيت إجلاءهم ، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بنى أبى الحقيق فقال : يا أمير المؤمنين اتخرجنا وقد أقرنا محمد وعاملنا على الأموال ؟ فقال عمر : أظننت انى نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف بك إذا أخرجت قلوصك(٦) من خيبر ، تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة » فقال : هذه كانت هزيلة(٧) من أبى القاسم . فقال « كذبت يا عدو الله فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وابلا وعروضا من أقتاب (جمع قتب وهو الرحل للبعير كالإكاف لغيره) وحبال غير ذلك » . وفى حديث متفق عليه يحدث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بثلاثة . قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا (أى أعطوا) الوفد بنحو ما كنت أجيزهم . قال ابن عباس : وسكت عن الثالثة أو قال فأنسيتها .

٣ — ومع التاريخ نجتاز مراحله ، حيث أصبح اليهود تندس فى كل مكان يمكن الله فيه للمسلمين ولو ردحا من الزمان حتى يصبحوا — أى اليهود — هم

السوس الذى ينخر فى عظام الدولة فيهلكها ، وما حديث اسماعيل بن النغريلة بغريب فى تاريخ الأندلس : [فقد نشأ بقرطبة واضطرته فتنة البربر سنة ٣٩٩ هـ الى الهجرة منها فسكن (مالقه) حيث افتتح له دكانا ، وكان قد درس التلمود بقرطبة على الكاهن (حنوك) كما درس الأدب العربى حتى يتقن الكتابة المنمقة بالعربية ، وتوصلت به الأحوال الى أن أصبح كاتبا عند أبى العباس وزير (حبوس) وكاتبه الأعلى ، ولما توفى أصبحت شئون الديوان فى يد اسماعيل ، واخذ يتقرب الى (باديس) طمعا منه أن يحظى لديه اذا هو تولى الحكم بعد أبيه (حبوس) .. وآل أمر اسماعيل الى أن اتخذه باديس وزيرا](٨) . وقد مكن لليهود وفيه يقول ابن حيان . [وكان هذا اللعين فى ذاته على ما زوى الله عنه من هداية من اكمل الرجال علما وحلما وفهما وذكاء ودماثة خلق وزكانة ودهاء ومكرا وملكا لنفسه وبسطا من خلقه ومعرفة بزمانه ومداراة لعداوة](٩) وكان وجوده فى منصبه سببا فى تمكين اليهود فى الشئون المالية والادارية لأنه يختار الموظفين منهم فاكتسبوا الجاه فى أيامه واستطالوا على المسلمين ، ولما مات خلفه ولده يوسف على الوزارة ، وقد سلمه باديس أمور الدولة فعاث فيها افسادا ، وكان شديد التطاول على الأديان كثير التدبير للمؤامرات بواسطة النساء غالبا ، وقد كتب رسالة يطعن فيها على الاسلام ، وينفى قداسة القرآن ، ويحاول تقويض أصول الرسالة المحمدية ، ولكن ابن حزم الأندلسى طيب الله ثراه تصدى للرد عليه بكل مفحم مفندا أقواله رادا عليه فعاله ، ولم يخش فى الله لومة لائم رحمه الله ، واجزل مثوبته عن الاسلام والمسلمين .

وتستعلن ثورة ابن حزم على تلك الأوضاع السيئة ، وعلى الحكام الذين يمكنون للذميين من المسلمين ويسلمون الحصون للروم دون قتال ، وعلى تساهلهم فى شئون المسلمين، والاهتمام بمصالح أنفسهم دون مصالح الرعية ، ومع ذلك لا نراه ينصح بالخروج عن طاعتهم وهو فى نفسه فى حيرة من الأمر(١٠) ومع تغلغل اليهود فى مصالح الدولة كانت النهاية الحتمية ، وهو ضياع ملك العرب من الأندلس نهائيا والى الأبد ، وما زال اليهود ينظمون مواقفهم ويحزمون أمورهم بالروية والاتقان مع الخداع والمكر منذ آلاف السنين حتى استطاعوا أن يعلنوا لهم دولة فى أرض المعاد بين امة عربية اسلامية تحيط بهم من كل جانب ، ولو أن المسلمين فطنوا الى ما رسم لهم سيد الرسل قائدهم وموجههم لما سمحوا ليهودى مهما كانت فائدته الظاهرة لدولتهم أن يقيم بينهم ، أو يوطد له مكانا فى أرضهم ولو كان فى بقائهم خير للأمة الاسلامية لما أجلاهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أرض المدينة ، بل عن الجزيرة كلها حين نفذ ذلك خلفاؤه الراشدون من بعده .

وأما الآن ونحن فى واقع لا يرضى ولا يسر ، فأولى لنا أن نلتقى على فهم لأوضاعنا وادراك لمشاكلنا على أنها مشتركة متلاحمة ونعالجها بصبر وحزم وأناة ، وعلى ضوء الإيمان العميق بقدرة الله تعالى وأنه ناصر من لاذ بحماه ، وسلك طريق هداه ، وما طريق هدايته هنا الا أن يأخذ العقلاء بأطراف التوجيه النبوى الكريم ، ويثقوا فى الغد وأنه دائما مع الجادين العاملين ، ولنضع نصب أعيننا تقييم أنفسنا ، وانزالها المنزلة اللائقة بها ، وان لكل فرد حق الحياة

الحرة الكريمة ، وان من استبيحت حرماته من المسلمين فان مسئولية إقالته من عثرته تقع على كل المسلمين ، ولا يستطيع الفكاك من هذه المسئولية أحد مهما حاول ، والله تبارك وتعالى لا يتر أحدا عمله ، ومن أعان أنبياءه ورسـلـه لا يعييه أن ينصر المخلصين من اتباعهم أينما وجدوا ، وحيثما كانوا ، والبقاء للأصلح اللائذ بحمى الله ولئن قيل : البقاء للأقوى ، فيجب أن نعلم أنه لا قدرة ولا قوة فوق قدرة الله وقوته ، فهو وحده الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وانما الإخلاص له ، والاعتماد عليه ، واتباع سبيله هو العامل الأول للنصر مهما قيل ومهما اضطربت افهام الناس فى شـئون حياتهم ، ومحاولتهم اللياذ بزيد من الناس أو عمرو ، فالله وحده هو الخالق والقادر والباقى ومدبر كل شىء ، ولكنه قال فى محكم ما أنزل على خير رسله « ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز» الآية الأربعون من سورة الحج ، وقال عز شانه للمؤمنين « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » الآية (١٥٠) من سـورة آل عمران ، ومن أصدق من الله قيلا .

---

(١) بيت المدراس ــ بكسر الميم ــ هو الموضع الذى كان يجتمع فيه اليهود ليتدارسوا كتبهم ، وقيل العالم الذى يدرس كتابهم ، قال ابن حجر العسقلانى والأول أرجح لأن فى رواية اخرى حتى اتى المدراس .

(٢) اجليكم من هذه الارض ، اى اريد اخراجكم منها والاشارة الى أرض المدينة المنورة ، او ما كانوا يتملكونه من أرضها او الجزيرة العربية كلها ــ بكل قيل .

(٣) فمن وجد وفى رواية فمن يجد .. وهو اما من الوجدان أى يجد مشتريا او من الوجد اى المحبة والمقصود أن منهم من يحب ماله ، ويشق عليه فراق شىء منه مما يعسر تحويله ، فقد اذن له الرسول الكريم فى بيعه .

(٤) ويظهر ان هذا كان اسمه قبل الاسلام .

(٥) أورد هذا الخبر ابن هشام فى سيرته ص ١٧٤ جـ ٢ طبعه الحلبى بالقاهرة ..

(٦) القلوص : الناقة الشابة القوية .

(٧) الهزيلة تصغير الهزلة وهو ضد الجد يعنى كانت على طريق المزاح ..

(٨) الرد على ابن النغريلة اليهودى لابن حزم الأندلسى ص ٩ و ١٠ تحقيق الدكتور احسان عبـاس .

(٩) ص ١١ من نفس المرجع .

(١٠) ص ٣٠ من نفس المرجع .

من منهج الإسلام في تربية المجتمع

للدكتور عبد العال سالم مكرم

اهتم الإسلام بالمجتمع اهتماما كبيرا ، فوضع له منهجا سليما ، ليكون قوىّ البنيان ، قوىّ الدعائم ، لا تنال من قوته أحداث الحياة ، ولا تضعف بناءه أعاصير الزمن ، لأنه أقوى من الأحداث ، وأعظم من أن تؤثر فيه هذه الأعاصير .

نعم ، اهتم الاسلام بالمجتمع ، لأن الصراع بين الأفكار المتنافرة ، والعقائد المختلفة والقيم المتضاربة لا تخمد جذوته ، ولا تنطفىء ناره طوال الحياة ، سنة الله فى خلقه « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك » وحتى لا تختلط القيم ، وتتشوه المعالم وحتى يثبت لهذا المجتمع الاسلامى نوره الذى يهدى ، وحقه الذى يرشد ، وخيره الذى يقود .

رسم الإسلام منهجا واضح المعالم لتربية المجتمع فما هو إذن هذا المنهج ؟ هذا المنهج يتكون فى نظرى من أسس كثيرة ، ومن أهمّ هذه الأسس :

التربية فى إطار العقيدة .
التربية فى إطار الأسرة .
التربية فى إطار الأخوة .

أما التربية فى إطار العقيدة ، فان الانسان فى غيبة الرسل لم يستطع بعقله القاصر أن يدرك أسرار هذا الوجود ، ومظاهره العديدة المختلفة فالشمس تشرق ، والنجوم تسطع ، والليل يظلم ، والرياح تدوى ، والموت والحياة فى صراع دائم فى مجالات هذا الكون المختلفة .

من يصنع هذه العجائب كلها ؟ من يدبرها ؟ من ينظمها ؟ من يهيمن عليها ؟ من يخطط لها ؟ أسئلة عديدة لم تستطع العقول القاصرة فى غيبة الرسل أن تجيب عن هذه التساؤلات .

واشتدت بها الحيرة ، واستولى عليها العجز ، فتصوّرت أنّ وراء

هذا الكون قوة مدبّرة تصوّرها العقل العربى فى شكل وثن أو حجر فعبدها من دون الله .

وتصـــورها العقـــل الفارسى نارا تتأجج وتشتعل فخضع لها من دون الله .

وتصورها العقل المصرى القـــديم فى شكل عجل له خُوار فأحنى راسه لها اجلالا من دون الله .

وشارك العقـــل الاســـرائيلى فى صنع هذه الخرافة حتى مع وجـــود رســـولهم موسى عليه الســـلام بين ظهرانيهم حيث « اتخـــذوا من حليهم عجلا جسدا له خوار ، وقالوا : هذا إلهكم ، وإله موسى فنسى » .

وحينما أشرقت شمس الاســـلام بددت غشاوة النفوس ، ومحت ظلام العقـــول وأثارت فيهـــم التطلع الى المعرفة الحقة ، التطلع الى خـــالق هذا الكون ومدبره على أساس الفطرة السليمة التى لا تعرف الخداع ، ولا تميل عن الحق « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

وفطـــرة الله تقتضى أن يكون رب هذا الكون هو الإله الواحد الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء

ومن صفات هذا الإله الوحدانية : « قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد »

وبالوحدانية ينتظم الكون ، وتسير سفينة الحياة ، وصدق الله العظيم : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » « فسبحان الله رب العـــرش عمـــا يصفون » .

وبالوحدانية نعيش فى مأمن من الكوارث المدمرة ، فقد تخر علينا السماء من فوقنا وتتفجر الأرض من تحتنا اذا كان مع الإله الواحد آلهة أو شركاء . وصدق الله العظيم : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه إله إذن لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » .

أما والســـماء التى فوقنا لا زالت هى السماء ، رفع سَمْكَها فسواها واغطش ليلها واخـــرج ضـــحاها ، والأرض التى تحتنا هى الأرض التى تمدنا بالحياة أخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبـــال أرساها متاعا لنا ولأنعامنا فان ذلك لن يكون إلا فى ظلال الإله الواحد الذى خلق سبع سموات طباقا « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » .

ومن صـــفات هـــذا الإله الدوام الأبدى : الدوام الذى لا يحيط به مكان ولا يحده زمن ، وفى ظلال هذا الدوام الأبدى لا يغيب سلطانه ، ولا تتوقف إرادته بيده مصائر الأمور .

وفى مجال هـــذا الدوام الأبدى عرض علينا ابراهيم عليه الســـلام درسا فى الايمان بهذا الإله الدائم .

فقد رأى ابراهيم عليه الســـلام بفطرته الصافية أن من اكبر ظواهر الكـــون التى لا تغمض عنهـــا العين النهار بشمسه والليل بنجومه ، فقد رأى الكوكب يشرق ويضىء ، قال هذا ربى ، ولكنه حينما ولّى وغاب كفر بهذا الرب ، لأن الرب لا يغيب ، ثم تدرج فى تفكير نهجى الى القمر ، رآه بازغا يبدد ظلمات الليل ، فقال : هذا ربى ، ولكن القمر اختفت معالمه وانطفـــأ نوره فكفـــر به لأن الرب لا يغرب ولا يغيب ، ثم تدرّج بعد ذلك الى الشـــمس فرآها قوة هـــائلة ، أضخم قوة فى هذا الوجود ، فقال : هذا ربى ، هذا اكبر ، وانتظر يراقب هـــذا الرب الأكبر واذا به يمـــوت ويحتضر ثم يولّى الأدبار ، ماذا بقى بعد ذلك من ظواهر الكون اكبر من هذه الظواهر ؟ حينئذ اتجه إيمانه الى الله الذى خلق الشمس والقمر فقال بعد أن نفدت حجة معانديه : « إنى برىء مما .. تشركون .. إنى وجهت

من منهج الإسلام في تربية المجتمع

وجهي للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين » .

ومن صفات هذا الإله أنه عليم ، نفذ علمه الى كل شيء في هذا الكون الى الورقة الجافة الساقطة ، الى الحبة في ظلمات الأرض ، الى الصَّدفة في قاع البحر ، وصدق الله العظيم : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين » .

وليس هذا الإله في حاجة الى فلسفة تدلّ عليه ، أو علم معقَّد يشير إليه ، لأن طريق معرفته فطرى تحسه النفس ، ويشعر به القلب ، وينقاد إليه العقل ، في غير حاجة الى تزاحم الأدلة ، أو تعدد البراهين .

سأل رجل جعفر الصادق عن الله فسأله جعفر : الم تركب البحر ؟ قال : بلى .. فقال جعفر : هل هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم ، فقال جعفر : فهل خطر ببالك ، أو انقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك ان شاء ؟ قال : نعم . قال جعفر : فذلك هو الله .

وصدق الله العظيم : « هو الذى يسيركم في البحر حتى اذا كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان ، وظنوا انهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين » .

ومن أجل تثبيت هذه العقيدة في القلوب دعا الاسلام أصحاب العقول الى التفكير في ظواهر هذا الكون لتتفتح عقولهم الى المعرفة ، وقلوبهم الى الحق ، لأن الحجة واضحة ، والمعالم بيّنة ، وكل ما في الكون صغُر أو كبُر ، دقّ أو جلّ يأخذ بيدك الى الحقيقة التى لا تقبل المراء والجدل ، بل تدعوك الى الايمان والتسليم .

وفى القرآن الكريم آيات عديدة لا يتسع هذا البحث لذكرها ، وكلها تشير الى التفكر في خلق السموات والأرض ، والتدبر في اختلاف الليل والنهار ، والنظر في الفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس ، « وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض » .

كل ذلك من اجل أن تنبت العقيدة الصافية في القلب ، وتضرب شعابها في النفس ، وبذلك يكون الاسلام قد وضع الأساس الأول للتربية في ظل العقيدة .

والتربية في إطار العقيدة تتطلب من المسلم أن تكون وجهته لله وحده فهو الذى يحميه ويرعاه ، ولا يقدر احد غيره أن يجلب له نفعا أو يمنع عنه ضرًا وشعار المسلم في هذا قوله عليه السلام :

« اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » .

وفى مجال التربية بالعقيدة : يقترب المسلم من ربه ليسمعه صوته في تضرع وتذلل ليرد عنه العوادى ، وينقذه مما حلّ به من أخطار .

وشعار المسلم في هذا : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ،

أجيب دعوة الداع إذا دعان » .
وبذلك يتحرر المسلم من وساطة الوسطاء ، وشفاعة الشفعاء .

والتربية فى إطار العقيدة : ترشد المسلم الى أن الله معه ، لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة ، يطلع على السرائر ، لا تخفى عليه خافية ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. « سواء منكم من أسر القول ، ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار » وبذلك يتحرر المسلم من نفسه ، فلا تدفعه الى الاسرار بغدر ، أو ظلم ، لان الله يستوى فى علمه السر والعلن ، والخفاء والجهر .

ومن هنا يتعلم المسلم كيف يستبدل الخير بالشر ، والحب بالبغض والطاعة بالعصيان . وصدق الله العظيم : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة . ان الله بكل شىء عليم » .

هذا هو الخط العريض فى تربية المسلم على العقيدة التى تصنع منه إنسانا ساميا فى إنسانيته ، مؤمنا كاملا فى ايمانه ، فاذا ما انتقلنا الى النقطة الثانية أو للأساس الثانى للتربية فى إطار الأسرة نجد أننا قدمنا للخلية الاولى فى البناء الاجتماعى وهى الأسرة نموذجا حيا يستطيع أن يؤدى دوره الاجتماعى فى صلابة وإيمان ، ذلك النموذج الحى متمثل فى المؤمن صاحب العقيدة . والأسرة فى نظرى هى الخلية الأولى للمجتمع على أساسها يقوم وعلى دعائمها يقوى ، وبسببها يتطور .

لهذا ، فان النظرية التى تقول : ان الفرد أساس المجتمع أو الخلية الأولى للمجتمع تحتاج إلى نقاش ، فالفرد وحده لا يزال ناقص التكوين الاجتماعى لانه يعيش فى دائرة ضيقة جدا بعيدا عن الحقل الاجتماعى الى أن يتم وجوده ، ويكمل تكوينه بالزواج ، وبالزواج تتكون الأسرة الصغيرة التى تعتبر بحق اللبنة الأولى فى بناء المجتمع .

وكيف يستطيع الفرد وحده أن يكوّن هذه الخلية ، وهو بعيد عن الحركة والتفاعل وهما صفتان من أبرز الصفات التى تميز الأسرة .

وليس من عجب أن نجد فى هذه العبارة المأثورة : « من تزوج فقد كمل نصف دينه » إشارة واضحة الى المعنى الذى اقصد اليه ، وهو أن الفرد وحده نصف خلية بالنسبة للمجتمع ، لأن الخلية الكاملة لا تتكون الا بالزواج . وقد تمتد هذه الأسرة الصغيرة وتنمو فتشمل الأقرباء بدرجاتهم المختلفة فى القرابة ، ومن هذه الأسرة يتكون المجتمع الكبير .

وما أعظم التعبير القرآنى المعجز فى بيانه الخلاب حينما يقول الله عز وجل : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

إنه تعبير قوى يحمل فى طياته الخطوط الأولى للتكوين الأسرى . والنفس الواحدة تشتق منها نفس أخرى ليتعاون النفسان فى البناء المشترك لتكوين خلية اجتماعية صالحة ، لأن تكون منطلقا عظيما لبناء مجتمع عظيم .

والاسلام لا يقف عند معنى التكوين الأسرى فحسب ، بل انه يؤكد هذا المعنى فى إطارات مختلفة .

فمرة يبين لنا أن تكوين الأسرة نعمة كبرى فى مجالها تنمو الفضيلة وفى مجالها تسود العفّة ، وفى مجالها تسعد النفس ، وتقر العين . فيقول عز وجل : « والله جعل لكم من انفسكم أزواجا ، وجعل لكم من

أزواجكم بنين وحفدة . ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون ، وبنعمة الله هم يكفرون » . وقد هزني التعبير القرآني : « جعل لكم من أنفسكم أزواجا » لم يقل خلق لكم أزواجا . لم يقل خلق لكم من مادة أجسامكم نساء، ولكنه قال : من أنفسكم ليؤكد لك أن الزواج تمازج روح بروح ونفس بنفس ، وقلب بقلب ، وذلك ليسد الطريق على الانفصام النفسى بين الزوج وزوجه . فان هذا الانفصام يؤدى الى كوارث عديدة ، تحطم البناء ، وتضيع المجتمع .

ومرة أخرى نجد القرآن الكريم يؤكد معنى الحب ، والتمازج النفسى بين الزوجين فى صراحة ووضوح ، فيقول : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » .

ومرة ثالثة يعلمنا القرآن الكريم أن نسأل الله تعالى هذه النعمة العظمى بأن يجعل الزوجة وذريتها مثالا حيا لاسعاد النفس ، وراحة القلب من ناحية ومثالا حيا للتقوى والايمان ليكون مثالا يحتذى ، ومنهجا يقتدى به من ناحية أخرى .

فيقول : « ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين ، واجعلنا للمتقين إماما » .

بعد هذا العرض الموجز لمكانة الأسرة ، وموقعها بالنسبة للمجتمع ، لنا أن نتساءل عن الأسس التربوية التى رسمها الاسلام ليقوم عليها بناء الأسرة .

من هذه الأسس :

الحث على الزواج ، فالاسلام ينهى عن العزوبة ، لانها تحلل من المسئولية وهروب من الواجب ، وحرب على المجتمع .

ولا أدل على ذلك من هذا النداء الحار الموجه الى الشباب من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج . والأمر فى هذا القول النبوى يشعر الشباب بهذا الالتزام ما دامت القدرة على الزواج متوافرة .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد من النصح والارشاد ، بل تجاوزه الى التهديد والزجر حيث يقول عليه السلام : النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى .

ومعنى هذا أن هؤلاء الذين يملكون القدرة على الاسهام فى بناء المجتمع بطريق الزواج ، ثم ضنوا بهذه القدرة عليه ، أو صرفوها فى اتجاه مضاد ، فهؤلاء مخربون للبناء ، محطمون للأسس ومن كان كذلك فان انتسابه الى الاسلام انتساب شكلى ، انتساب مجرد من الروح والايمان ، والعاطفة أو بعبارة أدق : من أعرض عن سنة رسول الله فان انتسابه الى الاسلام تمويه وتزييف ، وخداع وتضليل .

ومن هذه الأسس :

اختيار الزوجة : ذلك لان سلامة الأسرة ، والحفاظ على كيانها يرشد الى الزوجة التى تستطيع أن تقوم برسالتها فى الأسرة خير قيام .

وحصر الاسلام اختيار الزوجة فى مجال واحد من مجالات الزواج العديدة وهو مجال الدين ، والدين وحده .

يتضح لنا ذلك من قوله عليه السلام : تنكح المرأة لأربع : لمالها ، وجمالها ، وحسبها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك .

والتعبير بالظفر يشير الى أن ذات الدين صَيْد ثمين ، يبحث عنه ، فاذا ما ظفر به المسلم ، ثم فرط فيه ، أو تركه ليضيع منه ، فقد أضاع سر السعادة ، وطمأنينة النفس ، وراحة القلب ، ومن كان كذلك فهو غبىّ أحمق ، لا يقدر النعمة ، ولا يحرص على اسعاد نفسه . ولذلك كان عرضة للوم والنقد ، بل كان عرضة للاستخفاف به ، والدعاء عليه بالهلاك

والخسران ، وهذا المعنى متجسد في قوله عليه السلام : « تربت يداك » اى التصقت يداك بالتراب ، وفى هذا كناية عن الفقر الذى يصيبه والحرمان الذى يناله حينما يقصر فى اختيار ذات الدين .

والاسلام سوّى بين الزوج والزوجة فى هذا المضمار فكما أن الرجل يبحث عن ذات الدين كذلك الزوجة تبحث عن طريق ولى أمرها عن الزوج الصالح .

وهذا المعنى حدده النبى عليه السلام فى صراحة ووضوح حيث يقول مخاطبا أولياء الامور : « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوا تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

وليس هناك أبلغ من هذا التهديد لأنه اذا تركت القيم الصالحة تحت وطأة المادية المستبدة ، والرغبات العارمة ، والشهوات الجامحة ، اختلت الموازين وكثرت الفتن ، وانتشر الفساد .

والنفس البشرية امّارة بالسوء ، فلو تركت وشأنها لتحولت الى وحش كاسر يلتهم كل شىء فى سبيل أنانيته ورغباته .

ومن هنا فان الاسلام رسم للأسرة خطا واحدا لا ينحرف ولا يميل وهو خط الدين .

وبهذا الخط تتخطى الأسرة مشكلاتها الجارفة التى تقف فى طريقها لتهدد كيانها ، وتقضى على وجودها .

قد تخطىء الزوجة ، وقد يخطىء الزوج ، وبسبب هذا الخطأ قد تندلع نيران الغضب ، ويشتد أوار الأزمة التى ربما أدت الى الطلاق ولا يطفىء هذه النيران ، ولا يخمد أوار هذه الأزمة غير الدين ، الدين الذى يأمر بالتسامح ، الدين الذى يذكّر بالمودة الدين الذى يرغب فى الاحسان .

أذكر أن رجلا جاء لعمر رضى الله عنه ، وقال له : ان حبه لزوجته قد خبا وانه يريد أن يستبدل بها . فقال له : ويحك ؟ أو كلّ البيوت تبنى على الحب ؟ أين تقوى الله وعهده ؟ واين حياؤك منه ؟ وقد أفضى بعضكم الى بعض ، وأخذنا منكم ميثاقا غليظا .

وسأل رجل الحسن البصرى فى خاطبين تقدما لابنته : أيهما يزوج ؟ فقال له : أرضاهما دينا ، فانه ان أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها.

ومن هذه الأسس :

رعاية الأولاد وتربيتهم فى إطار الاسلام وتنشئتهم عليه .

والاسلام اهتم بالأولاد فى أطوار حياتهم المختلفة .

اهتم بهم فى بطون أمهاتهم حينما كانوا أجنة ، فأباح للأمهات الفطر فى رمضان اذا خشين على أجنتهن الهلاك .

وارشدنا الى حسن استقبالهم حينما يفتحون أعينهم على هذا الوجود وذلك بشكر الله وذكره ، واسماع الوليد بطريق اذنه هذا الذكر حيث أرشدنا الاسلام أن نؤذن فى أذنه اليمنى أو نتلوا اقامة الصلاة فى أذنه اليسرى .

وما اجملها اشارة عظيمة حيث نعلن هذا الوليد بصوت الاسلام منذ اللحظة الاولى فى هذا الوجود .

ومن حق افراد الأسرة أن يتمتعوا تمتعا ماديا بجانب المتعة الروحية فسنت العقيقة التى يذبح لها المسلم فى تمام الاسبوع الاول من ولادته شاة أو شاتين لمن استطاع .

ولم يترك الاسلام الوليد يربّى وفق الرغبات والأهواء ، فقد شرع له من القوانين التى تحميه وترعاه حتى يبلغ سن الرشد .

والفقه الإسلامى زاخر بهذه القوانين فى الرضاعة ، فى الفطام ،

من منهج الإسلام في تربية المجتمع

فى الحضانة ، فى النفقة ، وفى التربية .

والاسلام يطالب الآباء والأمهات أن تكون القاعدة التى تقوم عليها التربية هى الدين ، فبالدين نغرس فى نفوس الناشئة حب الفضائل من سلوك وقيم ، لتصبح هذه الفضائل حين التعود عليها جزءا من كيانهم ، وطابعا لشخصيتهم ، وبذلك تسهم الأسرة فى نشر الفضائل فى المجتمع ليكون مجتمعا فاضلا ، وقد علَّمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مسئولية تنشئة الأولاد على الدين مسئولية كبيرة جدا حيث يقول عليه السلام :

« كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

ولا ادل على ذلك أيضا من انه عليه السلام سمع أما تنادى وليدها ، وترغبه ليقبل عليها ، وتقول له : تعال أعطك ، وتشير الى شىء ، ولم ير النبى عليه السلام معها شيئا . فقال لها : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : ثمرة معى فقال صلى الله عليه وسلم أما انك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة .

يالله ، انه الصدق الذى يربى الاسلام الناشئة عليه ليكونوا المجتمع الصادق وما أحوج المجتمع الى الصدق . ان الصدق حينما نلفظ به يعتبر كلمة واحدة فى عداد الكلمات ، ولكن كلمة الصدق فى حقيقتها تحتها كل الكلم ، وفيها كل التقدم ، بل فيها سر الحياة الكريمة ، والحرية العظيمة والتطور الكبير .

وما أحقر الكذب ، انه يأكل الفضائل كما تأكل النار الحطب ، والمجتمع المجرد من الصدق مجتمع عار من كل شىء ، مشوه فى تقدمه ، مخادع فى تطوره ، منافق فى تحرره مزعزع فى بنائه .

والاسلام حينما يأمر بهذه الرعاية للأبناء ، فانه يأمر الأبناء أيضا حينما يضعف الآباء وتقل قدرتهم على العطاء أن يبرّوهم ، ويحسنوا اليهم . والبر فريضة واجبة ، من تخلف عنها فى مجال الأبوة كان غادرا خائنا ، لأنه لم يرد الدين ، ونسى ماضيه الحافل بالمتاعب المملوء بالكفاح والنضال من أجل تربيته وتكوينه .

ولهذا فان عقوبة العاق لوالديه كبيرة وخطيرة ، فقد جعل عليه السلام العقوق من اكبر الكبائر .

ويكفى أن الله سبحانه وتعالى جعل البرّ بالوالدين مقرونا بطاعته فقال تعالى : « وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا » .

هذا والتربية فى مجال الأسرة تنقلنا الى مجال أوسع واكبر وهو التربية فى إطار الأخوة .

نعم ، ان الاسلام حرص الحرص كله على أن يبنى الأمة على أسس الوحدة التى لا تعرف التفرق ، والقوة التى لا تعرف الضعف ، والحب الذى لا يعرف الكراهية والبغض .

وفى ظلال الوحدة والقوة والحب يتعالى المسلم على الجنس والعصبية والدم واللون ، ليحيا حياة جديدة ، الايمان رائدها ، والعقيدة شعارها ، واذا كان رباط الأخوة فى الأسرة الصغيرة يقوم على الدم فان رباط الأخوة فى الأسرة الكبيرة يقوم على الروح والمودة .

وبذلك الرباط تتحول الأمة جميعا على اختلاف أجناسها والوانها الى

أسرة واحدة الاسلام منها بمثابة الأب الذى تنتسب اليه أفرادها جميعا ، وحينئـــذ تتحـول القـلوب الى الاستمساك به ، والدفـــاع عنـــه ، والموت فى سبيله ، وقد صور هـــذا المعنى شاعر عربى مسلم فقال :

أبى الاسلام لا أب لى سواه
اذا افتخروا بقيس أو تميم

وقد رسم الاسلام لهذه الأخـــوة معالم واضحة ، ترشد الضال ، وتنير الطـــريق للحائر وتعلم المســلم كيف يتعامل مع اخوته المسلمين .

فمن هذه المعالم :

الاحساس بحاجات المؤمنين مادية أو معنوية ، فهذا الاحساس يتطلب المزيد من الرعاية ، والرحمة والحنان وقد وضع الرسول عليه الســـلام هذا الاطار الكبير لهذه الرعاية فقال : « ان الله عز وجل يقول يوم القيامة : يابن آدم مرضت فلم تعدنى ، قال : يا رب ، كيف أعـــودك وأنت رب العالمين ؟ قال : اما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده .

يا بن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يا رب : كيف اطعمك وأنت رب العـــالمين .؟ قال : امـــا علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عنـــدى .

يا بن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال : يا رب كيف اسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبـــدى فلان فلم تسقه ، اما علمت انك لو أسقيته لوجدت ذلك عندى » . رواه مســـلم .

ومن هذه المعالم ارتباط الاخـــوة المؤمنين جميعا برباط العقيدة وسد الثغرات أمام من ينفذ منها لتفريـــق الكلمة ، وبث الفتنة ، واثارة النزاع .

يصور ذلك القرآن الكريم فيقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعـــداء فألف بين قلوبكـــم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا » .

ومن معالم الأخوة التعامل بالأدب والخلق ، فلا يسمح الاسلام بالنيل من كرامة مسلم ، أو السخرية به أو عرض عيوبه على الملأ ، فالمسلمون جميعا جسم واحد ، ولا يصح لمسلم عاقل ان يصوب السهم الى نفســـه ، أو يحطم بناءه بيده .

يصور ذلك القرآن الكريم فيقول : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيـــرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالالقاب . »

ومن معالم هذه الأخوة القضاء على دواعى البغض والحقد ، وذلك بسد الباب أمام هواجس النفس ، وخطرات الفكر التى قد تكون قائمة على غير أساس .

يصور ذلك القرآن الكريم فيقول : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظـــن ان بعض الظـــن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم » .

والتسامح والغفران من أوضـــح معالم هذه الأخوة فقد روت أم سلمة رضى الله عنها قالت :

« جاء رجلان منالأنصار يختصمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواريث بينهما قد درست ليس عندهما بيّنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انكم تختصمون الىّ وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، وإنما أقضى

بينكم بما اسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظاما فى عنقه يوم القيامة .

فبكى الرجلان ، وقال كل منهما : حقى لأخى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما اذا قلتما فاذهبا فاقتسما ثم استهما ، ثم ليحلل كل منكم صاحبه .

ولهذا ، فان هذه الأخوة قدسيتها مستقرة فى القلوب والنفوس ، من خرج عليها ، أو نال منها ، كان جزاؤه شديدا ، وعقابه صارما وليس هناك عقاب اشد من لعنة الله ، لأن اللعنة طرد من الرحمة الإلهية . ومن طرد من رحمة ربه كأنه خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق .

يصور ذلك هذه الحادثة التى تدل على قدسية هذه الأخوة .

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره ، فقال له : اذهب واصبر ، فأتاه مرتين وثلاثا ، فقال له : اذهب فضع متاعك على ظهر الطريق ، فوضعه فجعل الناس يمرون عليه ويسألونه فيخبرهم خبر جاره ، فجعلوا يلعنونه ، فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال يا رسول الله ، لقيت من الناس قال : وما لقيت منهم ؟ قال : يلعنوننى قال : لقد لعنك الله قبل الناس .. فقال : إنى لا أعود . فجاء الذى شكا وقال : ارفع متاعك فقد كفيت .

ومن معالم هذه الأخوة الايثار ، والايثار حرمان النفس ، واعطاء الغير ، وهى تربية اسلامية تنسى المسلم نفسه فى سبيل غيره .

يصور ذلك القرآن الكريم فيقول :

« والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون » .

على أن هذا الحب الأخوى ليس سهل المنال ، لأنه لا يقدر عليه الا أولو العزم من الرجال .

ولذلك فان هؤلاء الذين التزموا شعاره ، وطبقوا منهجه سينالون من الله تعالى درجات لا تعدلها درجات انها درجات كبرى يغبطهم عليها الأنبياء والشهداء يوم القيامة .

يصور ذلك النبى عليه السلام فيقول : « إن من عباد الله ناسا ما هم أنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى قالوا : يا رسول الله فخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ، ان وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : « الا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

بعد ، فاننا اذا استطعنا أن نتربَّى على هذه المستويات مستوى العقيدة ومستوى الأسرة ، ومستوى الأخوة استطعنا أن نخطو بمجتمعنا العربى والاسلامى خطوات واسعة الى الأمام .

أرجو الله أن يلهمنا الى ما فيه الخير والرشاد .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم

ومضة من النور

للدكتور أحمد الحجى الكردى

لقد كانت الجزيرة العربية قبل الاسلام تغط فى ظلام دامس من الجهل والتفكك والتخلف الحضارى ، كانت تعيش فى جاهلية تعم جميع نواحى الحياة فيها ، اجتماعية كانت او سياسية أو تشريعية أو دينية .

اما من الناحية الاجتماعية فقد كانت مزقا تعيش فى جملتها على الرعى والكلأ تنتجعه طيلة السنة ، وتتنازعه وتقتتل عليه فى كثير من الأحيان ، فتعم بينها البغضاء والأحقاد وتفنيها الثارات والعصبيات وتفرق بينها المصالح المادية الموقوتة ، فتنشب بينها الحرب لأتفه الأسباب ، وتعم ويطول امدها وتمتد نارها حتى تأتى على الأخضر واليابس ، وما يوم بعاث ، وغيره من أيام العرب الكثيرة بخاف على أحد .

واما من الناحية السياسية ، فقد كانت الجزيرة العربية تشكل وتتألف من جماعات متفرقة لا يربطها رابط ، ولا يجمعها جامع على ما فيها من مقومات الوحدة ، من النسب ، والأرض ، والتاريخ واللغة .

فقد كان العرب فى جزيرتهم يعيشون قبائل متفرقة لا ينقاد بعضها الى بعض ، ولا يجتمع بعضها مع بعض ، وكم من الحروب حدث بين أولاد العم بل الأخوة أحيانا ففرقهم الى معسكرين متعاديين يحملون أحقادا ، ويضمرون لبعضهم ضغائن ، ولو ذهبنا نتتبع الأمثلة على ذلك من حياة العرب فى الجاهلية لضاق بنا الورق عن استيعابه ، وان كان ولا بد من التمثيل ففى الأوس والخزرج خير مثال على ذلك . حيث أنهما قبيلتان من نبت واحد وأرض واحدة ، جمع بينهما النسب والأرض واللغة والاشتراك بلوعة الاغتراب من أرض اليمن الى يثرب تحت وطاة ظروف قاسية مشتركة . ومع ذلك فقد كانتا على مر التاريخ متعاديتين متقابلتين متحاربتين ، لم يجمعهما ويوحد شملهما الا نبى الانسانية محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ما قدم الى المدينة المنورة وشرفها بشريعته الغراء ، فكان بذلك البلسم لجراحهما ، والروح لجسدهما .

هذا التفتت السياسى الذى كانت تعيشه الجزيرة العربية قبل الاسلام هو الذى أفقدها مكانتها فى المجتمع الدولى ، على ما للعرب من شجاعة كانت مضرب المثل لدى الأمم الأخرى ومهارة فى التجارة كانت الرائد للأمم جميعا على مر التاريخ ، وموقع استراتيجى كانت تنحنى لأهميته هامات الفرس والروم ، وفصاحة لسان ونقاء فكر جعلاهم مهبطا لخاتمة الرسالات وأصلا لسيد المرسلين وخاتمهم سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ذلك أن المكارم تضيع بالتفتت ، وتتلاشى بالتفرق ، وتفقد قيمتها ورونقها وتأثيرها بالتمزق .

هذا ما كان يحصل للعرب فى جزيرتهم ، فقد كانت الدول المجاورة لهم ـ على ما بينها من اختلاف ـ تتفق على تشتيتهم واضعاف قوتهم وامتصاص خيراتهم دون أن يستطيعوا هم الدفاع عن أنفسهم أو حماية مصالحهم .

وأما من الناحية التشريعية ، فقد كانوا صفرا ، ليس لهم من النظم الا بعض أعراف بالية وتقاليد سخيفة ، وشرائع جاهلية ، ومثل تضل طريقها فتنحرف عن جادة الصواب .

أما من الناحية الدينية فقد كانوا يسيرون على أوهام لا يعرفون هم أنفسهم مؤداها ولا معناها . كانوا يعبدون أوثانا وأصناما صما بكما يعلمون حق العلم أنها لا تضر ولا تنفع ويعلمون أنها أعجز من أن تحمى نفسها من ضربات المعتدين عليها ، ولكنها آلهة الآباء والأجداد ولا معبود غيرها ، ولا بد أنها واسطة الى الرب الحقيقى الذى هو جدير بالعبادة والتعظيم والتقديس . خرافات وأوهام يتمسكون بها لا تقنع الانسان العادى الساذج فكيف بها تقنع العربى الذى نقلت لنا عنه لغة هى من أرقى اللغات التى عرفتها البشرية فى تاريخها الطويل مما يشهد بعلو تفكيره ونقاوة ذهنه .

ان الجزيرة العربية كانت فى ذلك الحين تعيش وسط دوامة من التناقضات والاوهام والهواجس تضيع قوتها وتبدد مكناتها التى يمكن أن تمد بها الانسانية بفيض من الخير عظيم .

فى هذا الخضم المتلاطم المتناقض بعضه مع بعض ، وهذا المجتمع غير المستقر الذى يضل طريقه الى الحق والخير انبثق نور النبوة بولادة سيد العالمين وخاتم رسل الله أجمعين محمد بن عبد الله ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ فقد كان مولده الشريف على أصح الروايات عام الفيل عام سبعين وخمسماية بعد الميلاد من

اسرة قرشيـــة عريقـــة فى الشرف والعزة ، ومن سلالة طاهرة تربطه بابى الأنبياء سيدنا ابراهيم عليـــه السلام ، فقد كان نبينا الكريم عليــه صلوات الله وسلامه من سلالة سيدنا اسماعيل عليه السلام تلك السلالــة التى كانت منار هدى للانسانية فى كثير من عصورها تنقل اليها نور الله وهدايته فهو بذلك خيار من خيـــار من خيار كما روى عنه ذلك صلوات الله وسلامه عليه .

ولد ـ صلى الله عليه وسلـــم ـ وسط هذا الظلام الدامس الذى كان يلف الجزيرة العربية من جميـــع جوانبها فيخفى عن الناس معالمها ، ويحرمهم خيرها الوفير ، فكـــان الومضة الأولى التى أنذرت هـــذا الظلام بقرب بوزغ نور الفجر الذى لا يلبث أن يعم الآفاق ، آفاق الجزيرة العربية والعالم أجمع ويزيح عنـــه ذلك الكابوس الثقيل ، وتلك الغشاوة الساترة .

ولد عليه الصلاة والسلام فكـــان مولده البشارة فى خلاص الانسانية المعذبة مما كانت تعانيه من جهل فى الجزيرة العربية ، وظلم وجور وتسلط فى أصقاع الأرض المختلفة .

فقد نهض ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ فى شبابه يتلهـف لتخليص أمته مما هى فيه من انحراف عـــن الحق وضلال فى الوصول اليه ، فكان يقلب وجهه فى السماء ، ويدعو ربـــه أن يهديه سبيل الرشاد ، سبيل الحق الذى به يتمكن من قيادة الانسانيـــة المعذبة جمعاء فى دروب الخير الذى خلقت له ، والعبـــادة الحقة التـــى تمحض وجودها لها ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)) .

كان يتعبد الله فى غار حـــراء الليالى ذوات العدد إعدادا لنفســه ليوم ثقيل يتحمل فيه قيادة الانسانية من أقصاها الى أقصاها الى اللـــه تعالى . الى أن تم لـــه ذلك حيـــث استجاب الله سبحانه دعوته وحقـــق أمنيته فأنزل عليه جبريل بآيات القرآن الحكيم دستور الانسانية ونظامهـــا الشامل ، الذى فيه نبأ من قبلهـــا ، وخبر من بعدها ، وفصل ما بينها . فكان بحق للانسانية رحمة ، وللعرب خاصة عزا وشرفا ، فقد وحد شملهم بعد تفرق ، وجمع أشتاتهم بعد تمزق وأخلص فكرهم وعقيدتهم لله تعالـــى بعد شرك ، وأحل بينهـــم المـــودة والإخاء بعد شحناء وبغضاء أكلـــت أكبادهم ، فكانوا بحق قادة العالـــم ورواد العلم والفضيلة بعد ذل وجهل وتخلف وصدق الله تعالى حيث يقول ((وانه لذكر لك ولقومك)) ويقول ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) .

فلك يا رسول الله ، يا رائـــد الانسانية الى الله تعالى فى يـــوم ذكرى مولدك الشريف الحبيب أفضل صلاة وسلام من عباد طالما أحبوك وبذلوا الجهد فى سبيل اللحاق بـــك واقتفاء خطواتك فقصرت بهم الهمـــم وكلت منهم العزائم قبل أن يدركوا ما وصلت اليه أو وصل اليه أصحابـــك من علو مقام ، وكبير شأن . فعذرا عن التقصير ، وصفحا عن التفويت ، واللـــه ما كان العـــزم إلا جزما ، والقصد الا حسنا ، والجهد إلا كاملا، ولكنه السبق فيـــك وفى أصحابـــك سجية ما لنا بها من لحاق ، واللـــه نسأل أن يقبل منا عملنا ، ويثيبكم عنا خير الجزاء فهو الملاذ ، وهو الصمد القائل ((ادعونى أستجب لكم)) .

الحب في الإسلام

للشيخ عبد الله النورى

سألنى سـائل قال : ــ

هل للمســلم أن يحب ؟

وجوابى له : ــ

إن الحديث عن الحب شائق ، وأن البحث فيه شائك .

والله جلّ شأنه لما منح الحياة للحيوان منحه معها الحب ، فالحب فطرة يهبها الله مع الحياة . أم الحيوان تحب صغارها وتدافع عن حياتها ، إذا ما اعتدى عليها معتــد ، وقد تهلك فى هذا الحب .

والانسان أى انسان يحيا ليحب ويحب ليحيا ، وقد صدق من قال : ــ « الحياة الحب والحب الحياة » .

وإن لحظات حب يعيشها الانسان مع محبــوبه يحس بها المحب معنى الحياة . فيشعر بالغبطة ويتذوق لذة السعادة وحلاوة النعيم .

وأن أول ما يمنحه الخالق للانسان حين يهبه الحياة هو الحب .
فالأم وهى تحمل جنينها ــ وهنا على وهن ــ تحس وكأنه جزء من جسمها ، بل أعز جزء فى جسمها . وبعضهن تراها وقد ذاب وجودهـــا فى حملها وكأن ذاتها فى ذاته .
والأم وكل أم متى أحست بحركة جنينها بدأت تهىء له ما يحتاجــه بعد ولادته فتراها تقضى كل أوقاتها فى لوازم هذا الطفل المنتظر . وحب الأم هو المثل الأعلى لكل ما عداه من أنواع الحب وأصنافه . والطفل وأعنى كل طفـــل يحب أمه ويسر بوجودهـــا الى جانبــه . ويحس أنه محبوبها . الا ترى الطفل الذى تحنو عليه أمه بالحب وتلقمه ثديها بالعطف تطمئن نفســه ويبتسم لها حين تضمه اليها وتقبله ، ثم ينام هانىء البال مرتاحا،لأنه أحس أنه غذى بالحب،وأنه سينام وهو يحمى بحمى الحب .
وحب القريب للقريب سماه الاسلام صلة الرحم ، وأوجبها على كل قريب لقريبــه وحذر من قطيعتها ، وهى واجبــة فى كل دين ، وفى كتاب الله فى سورة النحـــل آية (٩٠) قال جلّ شأنه (ان الله يأمر بالعـــدل والاحسان وإيتاء ذى القربى) . وفى سورة الاسراء : (وآت ذا القربى حقـــه) . آية (٣٦) .
وفى الحديث الذى رواه الشيخان « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمـــه » .
وفى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده « تعلموا من انســـابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبـــة فى الأهل مثراة فى المـــال منسأة فى الأثر » .
وفى الحديث القدسى أن الله عز وجل قال : (انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعتــه » رواه أبو داود عن عبد الرحمن بن عوف ورواه الترمذى عن غيره .
وحب المسلم للمسلم حب أخوة فى الدين ، والاسلام جعل من هذه الأخوة قرابة ، هى أولى بالصلة من قرابة النسب . فقال جلّ شأنه فى سورة الحجرات (إنمـــا المؤمنون إخوة) .
وقال فى سورة آل عمران (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) .
وهذه المحبـــة يجب أن تذوب فيها أفراد الأمة فى الأمة كلها ، لتصبح واحدة يتفانى كلها فى كلها . كما أراد الله لها بقوله تعـــالى : (وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون) .
وحب الصداقـــة له فى الاسلام مكانه ، ما لـــم تكن هـــذه الصداقة لجلب منفعة ، بل لله وحده ، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الصداقة من الايمـــان ، فقال عليه الصـــلاة والسلام : « ثلاث من كن فيه فقد وجد بهن حلاوة الايمان ، من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن أحب عبدا لا يحبه الا لله ، ومن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن انقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار) رواه البخارى ومسلم عن أنس ابن مالك .
ومن كمال الايمـــان فى المؤمن أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه .
ولا ننسى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه الشيخان

فى صحيحهما حين ذكر السبعة الذين يظلهم الله فى ظل عرشه يوم لا ظلّ إلا ظله .

« ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه » والله جلّ شأنه يحب جميع خلقه ، خلقهم ومن عليهم بالنعم الكثيرة التى منها نعمة العقل ، ونعمة الحياة ، ونعمة الرزق ، ونعمة الهواء ، والماء والغذاء ، ونعمة ارسال الرسل ليدلوهم على طريق الحياة ، وينقذوهم من الضلال ، كما قال تعالى :

(ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين) سورة الحجر الآية (١٠)
وقوله : (ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات) سورة الحديد الآية (٢٥) .
يأمرهم بما فيه خيرهم وجمع شملهم . وينهاهم عن كل ما يضرهم فى افرادهم ومجتمعاتهم .

ولكنه جل شأنه يخص بمحبته الصالحين ، والمتطهرين ، والتوابين ، والمحسنين ، والمتقين ، والمقسطين ، الذين يحبون الناس ويجاهدون فى اعلاء كلمة الله ويقاتلون فى سبيله كأنهم بنيان مرصوص .

والحب اذا وجد فى أمه قوم أخلاقها ، وأحيا فى نفوس افرادها الاخلاص بينهم ، فتراهم متضامنين يسعى الجميع فى مصلحة الجميع ، يرحم كبيرهم صغيرهم ، ويوقر صغيرهم كبيرهم ، فتراهم كتلة متماسكة وقوة هائلة ، لا ينفذ اليها عدو كما قال الله تعالى فى وصف محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » .
أو كما قال فى وصف صنف من عباده المؤمنين :
« يحبهم الله ويحبونه ، اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

والحب بين الأسرة وعميدها يجعل من البيت جنة تحسدها الجنان ، فهو يحبهم ، ويذلل الصعب فى سبيل سعادتهم ، والتوسعة عليهم وهم يحبونه ويفدونه بالمهج والأرواح .

وحبنا لله تعالى هو الذى دفعنا لعبادته ، وطمعنا فى حبه وهو الذى حذرنا من معصيته ، فهو لا يحب الكافرين ولا العاصيين ، ولا الظالمين ، ولا المتكبرين .

والحب اذا وجد فى أمة قوم أخلاقها ، وأحيا فى نفوس أفرادها فهى لباس له وهو لباس لها ، وهي له سكن وهو لها حمى . والحب جعل فى قلب كل واحد منهما للآخر مودة ورحمة .

أما الحب الطائش ، أو حب الجسد ، أو الحب الجنسى وأعنى بها الحب الذى غايته الشهوة فهو حب حرام ، وهناك حب يسمى العشق أو الحب العذرى وهو حب مكتوم ، يغطيه الصبر ، وتكتمه العفة ، ويبقى العاشق المحب متيما بهيه ، يمنعه الحياء من افشاء سره ، ويمنعه الايمان فى استهتاره فى حبه ، فيبقى صابرا والله جلّ شأنه أعد للصابرين أجرا عظيما وعدهم به . والله لا يخلف الميعاد .

واذكر أنى قرأت أثرا لا اعلم مدى صحته وهو (من عشق فكتم وعف ثم مات فهو شهيد) .

حوار

بيني وبين ملحد

للشيخ محمد الغزالى

دار بيني وبين احد الملاحدة جدال طويل ، ملكت فيــــه نفسى واطلت صبرى حتى القف آخر ما فى جعبته من إفك ، وادفع بالحجة الســـاطعة ما يورد من شبهات ..

قال : إذا كان الله قد خلق العالم فمن خلق الله .. ؟ قلت له : كأنك بهذا السؤال ، أو بهـذا الاعتراض تؤكد أنه لا بد لكل شيء من خالق !!

قال : لا تلفنى فى متاهات ، أجب عن ســـؤالى .. ؟ قلت له : لا لف ولا دوران ، إنك ترى أن العالم ليس له خالق ، اى أن وجوده من ذاته دون حاجة الى موجد ، فلماذا تقبل القول بأن هذا العالم موجود من ذاته أزلا ، وتستغرب من أهل الدين أن يقولوا : إن الله الذى خلق العالم ليس لوجوده أول .. ؟ إنها قضـــية واحدة ، فلم تصدق نفســـك حين تقررها وتكذب غيرك حين يقررها ، وإذا كنت ترى أن إلها ليس له خالق خرافة ، فعالم ليس له خالق خرافة كذلـــك وفق المنطق الذى تسير عليه .. !!

قال : إننا نعيش فى هذا العالم ونحس وجوده فلا نســـتطيع أن ننكره .. !

قلت له : ومن طالبك بأنكار وجود العالم .. ؟ إننا عندما نركب عربة أو باخرة أو طائرة تنطلق بنا فى طريق رهيب ، فتســاؤلنا ليس فى وجود العربة ، وإنما هو : هل تســـير وحدها أم يسيرها قائد بصير .. !!

ومن ثم فإننى أعود الى سؤالك الأول لأقول لك : إنه مردود عليك ، فأنا وأنت معـــترفون بوجود قائم ، لا مجال لإنكاره ، تزعم أنت أنه لا أول له بالنسبة الى المادة ، وأرى أنا أنه لا أول له بالنسبة الى خالقها . فاذا أردت أن تسخر من وجود لا أول له ، فاسخر من نفسك قبل أن تسخر من المتدينين .

قال : تعنى أن الافتراض العقلى واحد بالنســـبة الى الفريقين .. ؟ قلت : إننى أسترسل معك لأكشف الفراغ والادعاء اللذين يعتمد عليهما الإلحـــاد وحسب ، أما الافتراض العقلى فليس ســـواء بين المؤمنين والكافرين ..

إننى — أنا وأنت — ننظـــر الى قصر قائم ، فأرى بعد نظرة خبيرة أن مهندسا أقامه ، وترى أنت أن خشبه وحديده وحجره وطلاءه قد انتظمت فى مواضعها وتهيأت لساكنيها من تلقاء أنفسها ..

الفارق بين نظريتنا الى الأمور أننى وجدت قمرا صـــــناعيا يدور فى الفضـــاء ، فقلت أنت انطلق وحده دونما إشراف أو توجيه . وقلت أنا : بل أطلقه عقل مشرف مدبر .

إن الافتراض العقلى ليس سواء، إنه بالنسبة إلىّ الحق الذى لا محيص عنه ، وبالنسبة إليك الباطل الذى لا

شك فيه ، وإن كان كفار عصرنا مهرة فى شتمنا نحن المؤمنين ورمينا بكل نقيصة ، فى الوقت الذى يصفون أنفسهم بالذكاء والتقدم والعبقرية .

إننا نعيش فوق أرض مفروشة ، وتحت سماء مبنية ، ونملك عقلا نستطيع به البحث والحكم ، وبهذا العقل ننظر ، ونستنتج ، ونناقش ، ونعتقد ..

وبهذا العقل نرفض التقليد الغبى كما نرفض الدعاوى الفارغة .

واذا كان الناس يهزءون بالرجعيين عبيد الماضى ويتندرون بتحجرهم الفكرى ، فلا عليهم أن يهزءوا كذلك بمن يميتون العقل باسم العقل ، ويدوسون منطق العلم باسم العلم وهم للأسف جمهرة الملاحدة .. !

لكنا نحن المسلمين نبنى إيماننا بالله على اليقظة العقلية والحركة الذهنية ، ونستقرىء آيات الوجود الاعلى من جولان الفكر الإنسانى فى نواحى الكون كله .

فى صفحة واحدة من سورة واحدة من سور القرآن الكريم وجدت تنويها بوظيفة العقل اتخذ ثلاث صور متتابعة فى سلم الصعود .

هذه السورة هى سورة الزمر وأول صورة تطالعك هى إعلاء شأن العلم ، والغض من اقدار الجاهلين « قل : **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولوا الألباب** » .

ثم تجىء الصورة الثانية لتبين أن المسلم ليس عبد فكرة ثابتة ، أو عادة حاكمة بل هو إنسان يزن ما يعرض عليه ويتخير الأوثق والأزكى « **فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الألباب** » .

ثم يطرد ذكر أولى الألباب للمرة الثالثة فى ذات السياق على أنهم أهل النظر فى ملكوت الله ، الذين يدرسون قصة الحياة فى مجاليها المختلفة لينتقلوا من المخلوق الى الخالق « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب** » .

وظاهر من الصور الثلاث فى تلك الصفحة من الوحى الخاتم أن الإيمان مبثوث الصلة بالتقليد الأعمى أو النظر القاصر او الفكر البليد ..

إنه يلحظ إبداع الخالق فى الزروع والزهور والثمار ، وكيف ينفلق الحمأ المسنون عن الوان زاهية او شاحبة توزعت على أوراق وأكمام حافلة بالروح والريحان ثم كيف يحصد ذلك كله ليكون اكسية واغذية للناس والحيوان ، ثم كيف يعود الحطام والقمام مرة اخرى زرعا جديد الجمال والمذاق تهتز به الحقول والحدائق ، من صنع ذلك كله .. ؟

قال صاحبى — وكأنه — سكران يهذى — الأرض صنعت ذلك .. !!

قلت : الأرض امرت السحاب أن يهمى ، والشمس أن تشع ، وورق الشجر أن يختزن الكربون ويطرد الأوكسجين ، والحبوب أن تمتلىء بالدهن والسكر والعطر والنشا .. ؟

قال : اقصد الطبيعة كلها فى الارض والسماء .. !

قلت : إن طبق الارز فى غذائك او عشائك تعاونت الارض والسماء وما بينهما على صنع كل حبة فيه ، فما دور كل عنصر فى هذا الخلق .. ؟ ومن المسئول عن جعل التفاح حلوا ، والفلفل حريفا أهو تراب الأرض أم ماء السماء .. ؟

قال : لا أعرف ولا قيمة لهذه المعرفة .. !!

قلت : الا تعرف ان ذلك يحتاج الى عقل مدبر ، ومشيئة تصنف .. ؟

فأين ترى العقل الذى أنشأ ، والإرادة التى نوعت ، فى أكوام السباخ أو فى حزم الأشعة .. ؟؟

قال : إن العالم وجد وتطور على سنة النشوء والارتقاء ، ولا نعرف الأصل ولا التفاصيل .. !

قلت له : أشرح لكم ما تقولون ! تقولون : إنه كان فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان مجموعة من العناصر العمياء تضطرب فى أجواز الفضاء ، ثم مع طول المدة وكثرة التلاقى سنحت فرصة فريدة لن تتكرر أبد الدهر ، فنشأت الخلية الحية فى شكلها البدائى ثم شرعت تتكاثر وتنمو حتى بلغت ما نرى .. !!

هذا هو الجهل الذى أسميتموه علما ، ولم تستحوا من مكابرة الدنيا به !! أعمال حسابية معقدة تقولون : إنها حلت تلقائيا ، وكائنات دقيقة وجليلة تزعمون انها ظفرت بالحياة فى فرصة سنحت ولن تعود !! وذلك كله فرارا من الإيمان بالله الكبير .. !

قال ــ وهو ساخط ــ أفلو كان هناك إله كما نقول كانت الدنيا تحفل بهذه المآسى والآلام ، ونرى ثراء يمرح فيه الاغبياء وضيقا يحتبس فيه الأذكياء ، وأطفالا يمرضون ويموتون، ومشوهين يحيون منغضين .. الخ .

قلت : لقد صدق فيكم ظنى ، إن إلحادكم يرجع الى مشكلات نفسية واجتماعية أكثر مما يعود الى قضايا عقلية مهمة .. !! ويوجد منذ عهد بعيد من يؤمنون ويكفرون وفق ما يصيبهم من عسر ويسر **« ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة »** .

قال : لسنا أنانيين كما تصف نغضب لأنفسنا أو نرضى لأنفسنا ، إننا نستعرض أحوال البشر كافة ثم نصدر حكمنا الذى ترفضه .

قلت : أفتكم انكم لا تعرفون طبيعة هذه الحياة الدنيا ووظيفة البشر فيها ، إنها معبر مؤقت الى مستقر دائم ، ولكى يجوز الانسان هذا المعبر الى احدى خاتمتيه لا بد أن يبتلى بما يصقل معدنه ويهذب طباعه ، وهذا الابتلاء فنون شتى ، وعندما ينجح المؤمنون فى التغلب على العقبات التى ملأت طريقهم ، وتبقى صلتهم بالله واضحة مهما ترادفت البأساء والضراء فإنهم يعودون إلى الله بعد تلك الرحلة الشاقة ليقول لهم **« يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون »** .

قال : وما ضرورة هذا الابتلاء ؟

قلت : إن المرء يسهر الليالى فى تحصيل العلم ، ويتصبب جبينه عرقا ليحصل على الراحة ، وما يسند منصب كبير إلا لمن تمرس بالتجارب وتعرض للمتاعب ، فإن كان ذلك هو القانون السائد فى الحياة القصيرة التى نحياها على ظهر الارض فأى غرابة أن يكون ذلك هو المهاد الصحيح للخلود المرتقب .. ؟

قال : مستهزئا ــ أهذه فلسفتكم فى تسويغ المآسى التى تخالط حياة الخلق، وتصبير الجماهير عليها .. ؟

قلت : سأعلمك بتفصيل أوضح حقيقة ما تشكو من شرور ، إن هذه الآلام قسمان : قسم من قدر الله فى هذه الدنيا ، لا تقوم الحياة إلا به ، ولا تنضج رسالة الانسان إلا على حره ، فالأمر كما يقول الأستاذ العقاد « تكافل بين أجزاء الوجود ، فلا معنى للشجاعة بغير الخطر ، ولا معنى للكرم بغير الحاجة ، ولا معنى للصبر بغير الشدة ولا معنى لفضيلة من الفضائل بغير نقيضة تقابلها وترجح عليها .. وقد يطرد هذا القول فى لذاتنا المحسوسة كما يطرد فى فضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية ، إذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع ، ولا نستمتع بالرى

ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ ، ولا يطيب لنا منظر جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءنا المنظر القبيح » .

وهذا التفسير لطبيعة الحياة العامة ، ينضم إليه أن الله جل شأنه يختبر كل امرىء بما يناسب جبلته ، ويوائم نفسه وبيئته، وما أبعد الفروق بين إنسان وإنسان ، وقد يصرخ إنسان مما لا يكترث به آخر ، ولله فى خلقه شئون ، والمهم أن احداث الحياة الخاصة والعامة محكومة بإطار شامل من العدالة الإلهية التى لا ريب فيها .. إلا أن هذه العدالة كما يقول الاستاذ العقاد « لا تحيط بها النظرة الواحدة الى حالة واحدة ، ولا مناص من التعميم والإحاطة بحالات كثيرة قبل استيعاب وجوه العدل فى تصريف الإرادة الإلهية ، إن البقعة السوداء فى الصورة الجميلة وصمة قبيحة إذا حجبنا الصورة ونظرنا الى تلك البقعة بمعزل عنها ، ولكن هذه البقعة السوداء قد تكون فى الصورة كلها لونا من الوانها التى لا غنى عنها او التى تضيف الى جمال الصورة ولا يتحقق لها جمال بغيرها ، ونحن فى حياتنا القريبة قد نبكى لحادث يصيبنا ثم نعود فنضحك أو نغتبط بما كسبناه منه بعد فواته » .

تلك هى النظرة الصحيحة الى المتاعب الغير الارادية التى يتعرض لها الخلق .. أما القسم الثانى من الشرور التى نشكو منها يا صاحبى فمحوره خطؤك انت واشباهك من المنحرفين .

قال مستنكرا : أنا واشباهى لا علاقة لنا بما يسود العالم من فوضى ! فكيف تتهمنا .. ؟

قلت : انتم مسئولون ، فإن الله وضع للعالم نظاما جيدا جيدا يكفل له سعادته ، ويجعل قويه عونا لضعيفه وغنيه برا بفقيره ، وحذر من اتباع الأهواء واقتراف المظالم واعتداء الحدود . ووعد على ذلك خير الدنيا والآخرة « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » .

فاذا جاء الناس فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل ، وتعاونوا على العدوان بدل أن يتعاونوا على التقوى فكيف يشكون ربهم إذا حصدوا المر من آثامهم .. ؟

إن أغلب ما أحدق بالعالم من شرور يرجع الى شروده عن الصراط المستقيم ، وفى هذا يقول الله جل شأنه « **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير** » .

إن الصديق رضى الله عنه جرد جيشا لقتال مانعى الزكاة ، وبهذا المسلك الراشد أقر الحقوق وكبح الأثرة ونفذ الاسلام فإذا تولى غيره فلم يتأس به فى صنيعه كان الواجب على النقاد أن يلوموه لا أن يلوموا الأقدار التى ملأت الحياة بالبؤس !!

قال : ماذا تعنى .. ؟

قلت : أعنى أن شرائع الله كافية لإراحة الجماهير ، ولكنكم بدل أن تلوموا من عطلها تجرأتم على الله واتهمتم دينه وفعله .. !!

ومن خسة بعض الناس أن يلعن السماء إذا فسدت الارض .. !!

وبدلا من أن يقوم بواجبه فى تغيير الفوضى واقامة الحق يثرثر بكلام طويل عن الدين ورب الدين !!

إنكم معشر الماديين مرضى ، تحتاج ضمائركم وأفكاركم الى علاج بعد علاج ..

وعدت الى نفسى بعد هذا الحوار الجاد أسألها : إن الامراض توشك أن تتحول الى وباء ، فهل لدينا من يأسوا الجراح ويشفى السقام أم أن الازمة فى الدعاة المسلمين ستظل خانقة .. ؟

إنه كان صادق الوعد

اللواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

اتصل بى هاتفيا أحد الأساتذة ، وسألنى أن أعينه على تولى أحد مناصب التدريس فى إحدى جامعات الدول العربية الشقيقة ، وكان وفد تلك الدولة قد قدم لاختيار الأساتذة ، وهو يحل فى فندق من فنادق العاصمة المعروفة ، فقلت للأستاذ : ((تحضر الساعة التاسعة صباحا أمام باب الفندق ، لأرافقك إلى رئيس وفد انتداب الأساتذة ، لعل الله يحقق ما تصبو إليه)) ..

وفرح الأستاذ بذلك فرحا عظيما ، وفرحت لفرحه ، ولكننى حين حضرت أمام باب الفندق ، لم أجد الأستاذ ، فانتظرته نحو نصف ساعة حتى حضر وهو يعتذر بازدحام المواصلات .

ومن الغريب أن المسافة بين دارى والفندق أضعاف المسافة بين دار الأستاذ والفندق ، ومع ذلك حضرت (احتياطا) قبل ربع ساعة من الموعد المضروب . ولم أتأخر بالرغم من ازدحام المواصلات .

والواقع أن خلف الوعد ، أصبح داء اجتماعيا لا بد من معالجته ، لأنه أصبح القاعدة ، وصدق الوعد أصبح الإستثناء .

والمسلم الذى يخلف وعده ، أصبح يرى ذلك أمرا اعتياديا لا يؤاخذ عليه ، بل يؤاخذ الذى يطالب بالوفاء بالوعد ويطالب بالتخفيف من وطاته والتساهل .

وأرى أن خلف الموعد لا يتفق مع أخلاقية الأسلام ، والمسلم الحق لا يخلف وعده أبدا .

بل نص حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، أن علامات المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان ، فالذى يخلف الوعد

منافق وليس مسلما ، والمنافق فى الدرك الأسفل من النار .

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على اسماعيل عليه السلام فى القرآن الكريم ، فقال تعالى : ((واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)) (١) ..

ومن المعلوم أن من حكم ذكر هذه الآية فى القرآن الكريم بهذا الشكل ، هو ليأمر الله سبحانه وتعال عباده المؤمنين بالاقتداء بهذا النبى الكريم فى صدق الوعد ، ليكونوا صادقى الوعد لا يخلفون الميعاد .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح ، مثالا حيا لصدق الوعد ، وكانوا يحرصون على صدق الوعد حرصهم على أغلى شىء لديهم فى الحياة ! إيمانهم .

فما بال المسلمين اليوم — أو اكثرهم — يتهاونون بالوعود ، فلا يصدقونها إلا نادرا ؟

— ٢ —

لقد استشرى هذا الداء الوبيل — داء خلف الوعد — فعم جميع طبقات الناس إلا من رحم الله ، وأصبح الذى يصدق الوعد غريبا فى المجتمع الأسلامى الحديث ، بل أصبح الذى يصدق الوعد نادر الوجود .

ولو اقتصر هذا الداء على الجهلاء لكان عيبا فاضحا ، ولكنه عم الجهلاء والمتعلمين ، حتى شمل قسما من رجال الدين ، وهم القدوة الحسنة الذين ينبغى أن تكون أعمالهم مطابقة لمواعظهم ، بل تكون أعمالهم أفضل من مواعظهم وأقوالهم .

أولم أحد رجال الدين وليمة ، وأشهد أن الرجل من أفاضل الناس علما وعملا ، ودعانى إلى وليمته وضرب موعدا لحضورها الساعة الثانية بعد الظهر .

وحضرت فى الموعد المضروب ، وطرقت الباب ففتح ، ثم أدخلت غرفة الضيوف ، وانتظرت المضيف هناك حتى الساعة الثالثة والنصف ، حيث حضر مع بقية الضيوف .

وكان سبب تأخره هو انتظار الضيوف الذين لم يكونوا يعرفون مكان داره ، فانتظرهم بنفسه ليدلهم على الدار .

وكان من أبسط الأمور لدى ، أن أهرب من الدار ، وقد هربت كثيرا فى مواقف مشابهة لهذا الموقف ، ولكن غرفة الضيوف كانت فى وسط البهو الذى كان النساء يعملن فيه لاعداد المائدة ، فلم أهرب خجلا من النساء لا من صاحب الدعوة الشيخ الجليل .

وانتظرت على مضض حتى اكتمل الجمع بعد ساعة ونصف من الموعد المعين ، فقلت : ((يا سادتنا الشيوخ ! أنتم قدوتنا وأسوتنا ، والله قد مدح نبيا مرسلا فى القرآن الكريم فقال : ((إنه كان صادق الوعد)) ، فلماذا لا نلتزم بالوعد ؟)) .

وانبرى أحد الشيوخ قائلا : ((لقد جاء الشيخ ، لذلك فهو صادق الوعد ، ولو تخلف لما كان صادق الوعد)) .

هكذا بكل بساطة ، يدافع الشيخ عن الباطل ، ولو أن دفاعه كان فى مجال الدعابة لا فى مجال الجد .

ولكن الدعابة فى مجال الدين ممجوجة إلى أبعد الحدود .

وقد كون خلف الوعد فى نفسى (عقدة) مستعصية وسبب لى متاعب مزعجة ، وأدى إلى أن أخسر كثيرا من الأصدقاء والاحباب .

إن أول صفة يجب أن يتسم بها الصديق فى نظرى ، هو أنه صادق الوعد . فاذا لم يكن كذلك ، فهو لا يصلح أن يكون صديقا .

وخلف الوعد دليل على أن الرجل غير منظم على أحسن الاحتمالات ، وإلا فهو كاذب مخادع غشاش ، ولا

خير في مثله صديقا أو أخا .

— ٣ —

والذي أريده من الحريصين على تعاليم الأسلام وعلى مصلحة بلدهم وأمتهم العليا ، ألا يتهاونوا بوعودهم أولا ، وأن يحاسبوا الذين يتهاونون بوعودهم على تهاونهم حسابا عسيرا ثانيا .

فالذي يريد أن يكون على شعبة من شعب النفاق والعياذ بالله ، عليه أن يتهاون في وعده ، وإلا فالنجاة من هذه الشعبة يكون بالحرص على صدق الوعد .

أما إذا تهاون بالوعد ، فانه لا يستطيع أن يحاسب غيره على تهاونه بوعده ، والعكس هو الصحيح .

ولكى تستطيع أن تحاسب غيرك تهاونه بوعده ، لا بد لك من أن تحرص على وعدك ، لأن الذى يعيش في بيت من الزجاج ، لا يستطيع أن يضرب بيوت الجيران بالحجارة ، كما يقول المثل المشهور .

والسؤال الآن : كيف نحاسب غيرنا على التهاون بالوعد ؟

والجواب على ذلك يتلخص بكلمتين: بالعمل والكلام .

بالكلام الذى تنصح به أخاك بان يقلع عن مثلبة لا تليق برجولته وبشخصيته وبمروءته .

ولكن كلام الدنيا كله ، لا فائدة منه ما لم يقترن بالعمل ، وأول العمل أن تكون صادق الوعد ، وأن تجعل من تصرفك في التدقيق بصدق الوعد مثالا يحتذى .

ولكن هذا العمل وحده لا يجدى مع بعض الناس ، فلا بد من فرض العقوبات العملية عليهم ليستفيدوا ويفيدوا .

إذ ما الفائدة من (العمل) مع كاذب الوعد إذا صدقت معه الوعد ثم كذب معك ؟

وساضرب الأمثال لبعض العقوبات التى طبقتها مع قسم من الناس ، لتكون العقوبات درسا لهم .

واعترف أن هذه العقوبات أفادت قسما من الأصدقاء ، وهم الذين أبقيت على صداقتهم ، ولم تفد مع قسم من الذين كانوا أصدقاء ، فاعرضت عن صداقتهم غير آسف ولا ملوم .

وقد طبقت هذه العقوبات مع الذين هم ارفع منى في المستوى الاجتماعى ، ولم أطبقها على من هم في مستواى أو في المستوى الأقل ، ومعنى ذلك أننى طبقتها على الذين هم أعلى منى ولم أطبقها على أمثالى وعلى من هم أقل منى منزلة ومقاما ، إنى عاملت الذين هم مثلى ودونى منزلة بالحسنى ولم أفرض عليهم عقوبات رادعة .

حدث مرة أن اتصل بى صحفي طالبا موعدا ، فوعدته الساعة الواحدة من ظهر يوم غد في منزلى ..

وانتظرته الساعة الواحدة حتى الساعة الواحدة والنصف ، ثم تناولت غدائى بعد أن كتبت له رسالة وسلمتها لبواب الدار قلت له فيها : ((انتظرتك حتى الساعة الواحدة والنصف فلم تحضر ، لذلك تناولت غدائى واعتذر عن مواجهتك)) .

ووصل الصحفى باب الدار الساعة الثانية ، فوجد الرسالة بانتظاره .

وبعد يوم اتصل بى معتذرا ، ولكنه تعلم درسه ، فاصبح لا يعدنى إلا جاء بالوقت الموعود تماما .

وسالنى أحد المذيعين في الاذاعة المرئية ، أن أشارك في مناقشة كتاب من الكتب الصادرة عن القضية الفلسطينية ، فوعدته أن أكون على باب الإذاعة في الساعة السابعة مساء ، على أن ينتظرنى هناك لأننى لا أطيق جماعات الاستعلامات الذين يستجوبون الداخلين إلى الإذاعة

استجوابا لا هوادة فيه .
ووصلت قبل ربع ساعة ، فانتظرت حتى الساعة السابعة والربع فلم يحضر المذيع ، فغادرت المكان مسرعا . .
وقد علمت أنه وصل بعد خمس دقائق من مغادرتي فوجدني قد انصرفت . وجاء موعد مناقشة الكتاب ، فلم تكن الندوة موفقة ، ونال المذيع ما يستحقه من لوم رؤسائه .
وتعلم هذا المذيع درسه أيضا ، فلا يعدني إلا ويفي بالوعد .
وبعد مؤتمر مجمع البحوث الأسلامية السادس ، دعا أحد الوجهاء بعض المشاركين في هذا المؤتمر من العلماء ، ودعا معهم وزير الأوقاف ، وكان موعد الدعوة الساعة الثانية ظهرا في داره الكائنة في الجيزة ..
وحضرت في الساعة الثانية بالضبط ، ففتح لي الباب خادمه وقادني إلى غرفة الضيوف ثم انصرف .
وبعد ربع ساعة طرقت باب الغرفة التي لم يكن قد وصل اليها أحد قبلي ، فجاءتني زوجه وأخبرتني أن زوجها لم يصل بعد ، وأنه سيصل وشيكا .
وقلت لها : سأنصرف ، فاذا جاء فاخبريه ... وانصرفت .
وعلمت أن المدعويين لم يتناولوا طعامهم إلا في الساعة الرابعة والنصف مساء ، لأن سيادة الوزير كان مشغولا في اجتماع ما !!
ولكن ما ذنب المدعوين الآخرين ؟!
وقد اعتذرت عن قبول أكثر من شخص في داري أو في مكتبي ، لأنهم خالفوا موعدهم فجاءوا متأخرين .
ولست أطالب المسلمين جميعا أن يفعلوا ما أفعل في ردع مخالفي الوعد ، فكل ميسر لما خلق ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها .
ولكن أطالبهم أن يكونوا صادقي الموعد ، وأن يعتذروا هاتفيا أو باى واسطة أخرى من الذين وعدوهم إذا أرادوا النكوص عن وعدهم أو أرادوا التخلف لأسباب قاهرة ، لأنني أجد بعض المسلمين يكذبون الوعد ويستطيعون أن يعتذروا هاتفيا ثم لا يفعلون !

— ٤ —

وأرجو ألا يفكر أحد بان خلف الموعد أمر تافه لا قيمة له .
إنه أمر مهم ، بل هو بالغ الأهمية .
إن الذي يخلف الوعد فوضوي ، فهو لا يصدق الوعد معك ، ولا يصدق الوعد في عمله عاملا وفي حقله فلاحا وفي متجره تاجرا وفي مكتبه موظفا وفي مدرسته تلميذا ومعلماوفي معهده وجامعته طالبا واستاذا .
وهذا الذي يخلف الوعد لا يستطيع أن يكون جنديا متميزا ولا ضابطا متميزا ، لأن عامل الوقت لا قيمة له عنده ، وقد أدى تأخر خمس دقائق عن الوقت المطلوب إلى خسارة معركة حاسمة ، وتاريخ الحرب خير شاهد على ما أقول !
إن المحافظة على الوعد هو النظام وعدم المحافظة على الوعد هو الفوضى .
ولن تنتصر أمة تتمسك بالفوضى وتعرض عن النظام .
إن روح الأسلام هو (النظام) في كل شيء ، والذي يخلف الوعد يخالف روح الأسلام في الصميم .
وقد حرص الغربيون والشرقيون من غير المسلمين على التقيد الدقيق بالمواعيد ، والذين عاشوا في البلاد الأجنبية وخالطوا أهلها يعرفون ذلك .
فلماذا نترك تعاليم ديننا لغيرنا ؟
لماذا ؟

---

(١) آيــة ٥٤ من سورة مريم ..

قلت وقالت

لنفسي لي..

كنت قد قلت لها اسمعى : إننى ذاهب الى أرض لا يصح ان تكونى معى فيها ... لقد كنت فى كثير من الأحيان .. سيما عند الصلاة أحاول الفرار منك .. فالزمى حدك .. فإننى ساخلعك كما أخلع النعلين قبل الاحرام ... إنه لمن الخير ان يكشف المرء عنك القناع .. وأن يحذرك .. فما أكثر ما تجلبين من المصائب والنوائب .. انك شريكة سوء ... تستمتعين ويجنى صاحبك الجرم وحده .. ويدفع الغرم وحده .. ويلبس لباس الخزى وحده .. سوف أتركك هنا .. وحاذرى أن تركبى معى الطائرة ..

* * *

وقد اسعدنى كثيرا يومئذ انها لزمت الصمت ولم ترد .. وأخذت يومئذ فى تحليل اسباب صمتها . فهذا أمر لم اتعوده من قبل منها .. فهى الملحاحة دائما .. الدؤوبة فى كل وقت على أن تحشر نفسها .. وان تجعل من الأبيض فى نرظى أسود .. ومن الليل نهارا .. وقد كنت افضل ترك نقاشها فما أقل ما كنت اخرج من الجدل معها رابحا .. فقلت حين امتد صمتها ترى هل أطاعت ؟ . ترى هل تركتنى حقا .. ؟ أم انها تلفلفت وتكومت واختبأت فى بعض ثنيات جوانحى .. تنتهز الفرصة المؤاتية لترفع رأسها .. !؟

* * *

مهما يكن من أمر فإننى لم آمن لها كثيرا .. فقد بلوت أمرها .. وكنت أدرك أنها تخنس حين تجد العزم والعين الحمراء . وحين أواجهها

للأستاذ : محمد لبيب البوهى



بشىء من قهر والزام . ويكون ذلك غالبا عقب الصلاة . أنهـــا بعد الفريضة قد تظل بعيدة عنى الى حين .. وقتا يقصر أو يطول .. حسب قوة الشحن التى قد أخرج بهـــا من رحلات الروح الخمس اليوميـــة .. هذه الرحلات المشرقة التى هى بمثابة استحمام فى بحر النور خمس مرات فى اليوم والليلة ــ فتتسلط الأنوار الكاشفة على تلك النفس فتعشيهـــا وتجعلها تتوارى .. كمـــا لحظت ان اكثر اختفائها بعيدا عنى كثيـــرا ما يحدث فى رمضان .. ربما لأن الخيط الذى يشدها الى صاحبها الأكبر .. ومحركها الأعظم ينقطع عند عتبـــات الشهر المبارك .. فإن هذا الذى هو قرين لها يحبس مع أصحابه طـــوال الشهر .. فينقطع الاتصال اللاسلكى بينه وبين مندوبيه . فقد اتخذ لنفسه مندوبا فى كل جسد انسانى .. ويكون اتصاله .. أعنى وسوسته بما يشبه اللاسلكى . حتى حين يجرى بمجرى الـــدم فانــــه يجرى أيضا بطريـــــق لاسلكى .. أو كهربى .. أو الكترونى كما يجب البعض أن يقول ..

* * *

المهم اننى استطعت ان أنجو منها طوال فترة البقاء فى أرض الحجـــاز .. واشرقت الروح بنور اليقين .. وظننت اننى قد طلقتها طلاقا بائنا .. وهبطت من طائرة العودة سعيدا بهذه النجاة ..

ولكننى ما كدت استقر فى دارى .. حتى رفعت رأسها قائلة : حمدا لله على سلامتك ..

قلت .. سلمنى الله منـــك .. ابعدى عنى مع جزيل شكرى وتحياتى .. قالت .. أهكـــذا يكـــون رد التحية .. !! ؟ سيما بعد أن عدت من عالم النور ؟ قلت .. نعم يا سيدتى

ان تحيتى معك هى مخاصمتك والخلاص منك .. وانه لسعيد ذلك الذى يعود من عالم الروح بمصباح كشاف يسلطه على ذاتك فيرى باطنك من ظاهرك .. ويعيش فى منجاة منك ومن صاحبك الرجيم .

قالت .. اهكذا تبدأ بمخاصمتى من أول لحظة ؟ اهكذا تتنكر للجميل وطول المعاشرة .. ؟ الم نعش سويا عشرات الأعوام من قبل .. ؟ الم اهيىء لك بعض أسباب اللذة .. ؟ الم أقف الى جوارك فى لحظات المتعة .. ؟ الم .. الم .. الم يكن ذلك كله رغبة فى امتاعك يا ناكر الجميل .. ؟ الم اشف غيظ قلبك حين اختلفت يوما مع رئيس كبير فما ان واجهك بكلمات غلاظ .. حتى قلت لك كل له الصاع صاعين والعن اجداده .. ؟ وقال زملاؤك يا لك من شجاع .. ! ؟ قلت : وانت تعرفين ما جنينا من ويلات بسبب هذا ، ان كان شفاء الصدر قد حدث فى لحظات .. فقد تجرعنا بسبب هذه اللحظات العلقم سنين .

قالت : اذن فانت سوف تشهدها حربا دونى .. !!

قلت : ليتنى افعل ذلك ... ليتنى استطيع ان اتخذ من كلمات البوصيرى شعارا ..

فاعتمدت رأسها بين كفيها كالغاضبة منى ومن الامام البوصيرى

وقالت .. وهل كان ينقصنا أيضا كلام البوصيرى .. لقد ضبطتك مرات فى الاسكندرية .. وانت تتطلع إلى جدران مسجده وتقرأ بعض نصائحه فى شعره ... فتبسمت ضاحكا وقلت .. نعم وإن ذاكرتك لقوية .. لقد كان يقول :

وخاصم النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما
فانت تعرف كيد الخصم والحكم

قالت .. ما شاء الله .. ما شاء الله .. اذن فانت ترى انه لن يكون لى معك عيش بعد اليوم . !؟ أين اذهب إذن بعد هذه المشاركة الطويلة ..!؟ لقد قلت لك لا تذهب الى مكة — لكأننى كنت أعرف العواقب — لقد حاولت مرارا ان اثنيك واردد لك ان شرط الاستطاعة غير متوفر لك .. وكنت دائما أكرر ان تؤجل هذا الذهاب .. واحسرتى على خيبتى اذ لم استطع ان اقف بينك وبين الذهاب . ووااسفاه على ما فرط منى فى جنب ذاتى .. لقد استطعت ان تفر منى كما يفر العصفور من القفص اذا انفتح بابه .

قلت : الحمد لله .. ها أنت قد بدأت تدركين حقيقة الأمر .

فكفكفت اللئيمة دمعها .. وعادت الى المراوغة والملاينة والمناورة .. فقالت : إذن فأنت تبغى ان تحيلنى الى المعاش بغير مكافأة .. كأنك تبدأ حياتك الجديدة بظلم من نوع جديد ، فان الحكومة ترتب معاشا للعامل لديها عند بلوغه سن التقاعد ، فاذا كنت تريد الخلاص منى فلا اقل من ان تعطينى حقى .. وأول ثمار شجرة النور التى نبتت فى قلبك الا تكون ظالما .

قلت حسنا أيتها النفس ، وماذا تقترحين فى هذا الشأن .. ؟

قالت ان تسمح لى بحجرة صغيرة انزوى فيها فى قلبك الواسع الرحاب .. حجرة تافهة الشأن ضيقة ولو بغير سقف فى ذلك القلب الذى خدمته طويلا .. ومتعته كثيرا . فلا تأكلنى لحما .. وتلقى بى عظما امنحنى مكانا صغيرا انزوى فيه داخل قلبك .

قلت .. آه .. سنعود اذن من حيث بدأنا .. تريدين ان تسلكى مسلك جحا اذ قال لصاحبه لا أريد

ان يكون لى فى بيتى الذى بعته لك غير مسمار أزوره في كل حين . انك تقترحين مكانا صغيرا ضيقا منزويا .. ثم تمر الايام والاسابيع وتضعف مراقبتي لك فتزحفين رويدا .. رويدا .. انك يا أختاه تعرفين ماذا يصنع الميكروب .. انه يدخل الجسم وهو صغير .. كل ملايين من جنسه فى مثل رأس الدبوس .. ثم لا يلبث أن يصرع بعد ذلك الجسم كله .. يا سيدتى اذهبى من فضلك الى حال سبيلك .

* * *

وكنت أظن أنها ستبكى أمام هذا الحزم .. وتلك المطاردة . ولكنها قهقهت ضاحكة حتى كادت تستلقى ثم اقتربت منى وقالت : ولماذا لا نعقد معاهدة صلح ؟ .. انك تنسى شيئا هاما .. تنسى أنك المسئول الأول عنى .. اننى لست أكثر من ظل لك .. اننى مجرد خادم لشيء يكمن فى أعماقك ، هذا الشيء اذا كان جليلا استطاع أن يلجمنى وأن يقطع خط الاتصال اللاسلكى بينى وبين المدد الأسود الذى يأتينى من الخارج . انك تذكر انك فى ساعات مضت استطعت ان تقهرنى وأن تلزمنى حدى « انك سيدى على كل حال ..وانت ولى الأمر المطاع — اذا شئت — وتاج رأسى اذا عزمت — واستاذى اذا أردت — فكن عونى ولا تتركنى مسكينة ضائعة تائهة فى طرقات الخيال .

فألان هذا القول من طبيعتى وقلت لها : ولكن كيف تتم هذه المعاهدة التى تبغينها ؟ . قالت ارفعنى الى المستوى الذى صرت اليه .. انقذنى وعلمنى كما علمك الله .. والا فأنت سوف تجنى عواقب اهمالك .. إننى لست نفسا لئيمة الا حين تهمل أنت شأنى فيتلقفنى عدوك .. أنت تعرف أننى كنت فى بعض الأحيان نفسا لوامة حين كان يمتد الى أعماقى بصيص من نور .. ولو شئت انت .. ولو عزمت .. ولو صممت .. واستعنت بالارادة الفعالة لجعلت منى نفسا مطمئنة .. فتطمئن أنت الى مصيرك هنا وهناك وينادينا الحق معا [يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى] .

قلت الآن نستطيع أن نتفاهم .. لا بأس عندى ان أجعل منك نفسا مطمئنة ولكن كيف ؟

قالت : حدثنى عن رحلة العمر .. ما الذى دعاك اليها ؟ وأى هاتف قوى انبثق فى اعماقك ؟ إن فى ثنايا هذه الرحلة من أنوار الأنوار ما يجعل كل إنسان قادرا على تهذيب نفسه الى حد بعيد .. افعل ذلك معى .. فانك لست أقل شأنا من ثعبان البحار ..

قلت وأنا أضرب كفا بكف .. هأنتذى قد بدأت تهذين ما دخلنا نحن وثعبان البحار .. ؟!

قالت : أعنى إدراك ذلك الثعبان لأهداف وجوده .. وتحقيقه لرسالته .. واستجابته لنداء طبيعته .. اننى أخالك وأنت الحكيم الرشيد تدرك ان كل شيء ميسر لما خلق له .. وان الفطرة اذا لم تفسد تقود صاحبها الى غايته .. ان الذى أعنيه عن ثعبان البحار .. الهجرة السنوية التى تتم كل عام .. ان مئات الملايين من ثعابين البحار فى موسم ما .. تتجمع .. وتتوحد .. وتتكاتل وتهاجر لتتوالد فى مكان ما يبعد الوف الاميال قيل انه عند البحر الكاريبى فى المحيط الأعظم هناك تؤدى تلك الثعابين رسالتها الأبدية .. الفطرة الطبيعية . الهدف المركب فى ذاتها . وتموت هناك آمنة . وبعد ذلك تنهض الثعابين الوليدة فتتخذ طريقها سربا فى أعماق

المحيطات لتؤدى رسالتها التى خلقت لها وهى أن تكون طعاما للأجساد .

قلت نعم .. أفهم هذا وأدركه .. أنها سنة الحياة .

قالت صاحبتى .. قس على هذا رحلة العمر الى منابع النور .. ان شيئا ما فى أعماق الفطرة يدعوكم الى الهجرة الروحية الى أرض اليقين .. ان ثعابين البحار تحن الى موطنها الاصلى .. وان موطن ارواحنا هو حيث ولد الهدى — وحيث كل شبر من الارض وطئته قدما نبى — وحيث الملائكة كانت ولم تزل بين صعود وهبوط أفواجا أفواجا ... من هناك تتزودون بخير زاد .. ان ملابس الاحرام البيضاء غير المخيطة هى فى تقديرى رمز للكفن .. وكأن الانسان يجرب الموت قبل ان يلقاه . إن الموت بين يدى الله .. اى موت الرغبات والأهواء والشهوات هو خير حياة وعندما عرفت الملائكة قدر آدم حيث أمرت بالسجود تحية له . طافت الملائكة بعرش الرحمن . وان طوافكم هو فى تقديرى رمز للطواف بعرش الله .. هو محاولة للالتصاق بذلك العرش .. ان كل الكواكب والشموس والنجوم تدور .. أى تطوف حول عرش الله .. هذه هى رسالة النور التى عليكم أن تنشروها وأن تبدأ بى أى بأقرب شىء اليك .. اى بنفسك يا صديقى ان الملايين الذين يذهبون كل عام يجب أن يعودوا ومعهم نورهم .. وأن يتأكدوا من هذا النور .. وان يجعلوه يسعى بين أيديهم .. بذلك تستقيم الأمور .. وبذلك تجعلنى نفسا مطمئنة .. وبذلك تساهم فى أداء حق الحياة عليك .. أما أن تغمض عينيك .. وتكتفى بان تهدى ابن عمك مسبحة .. وابن خالتك مكحلا .. وتردنى عنك .. وتهز راسك ميامنا ومياسرا .. وتزعم أنك قد وصلت .. فأنت فى الحقيقة لا تكون حتى قد بدأت .

هكذا انقلبت تلك النفس التى مواجهتى بهذا الحديث .. وهممت أن اغضب .. ولكنها صاحت تقول : لا تغضب فان ذلك اول شرط بيننا .. انت ولى أمرى والمسئول عنى .. وانني لست مهما زعمت غير ظل لك .. ان استقمت انت استقمت معك .. وان اعوججت كنت أكثر اعوجاجا منك . انك تعلم انه يجرى منك مجرى الدم قبل أن يصل الى .. خذ من بحر النور شعاعا تطهر به ذلك المجرى بذلك تكون قد عدت من أرض النور لتبدأ فى نشر أشعته .. أما ان تكتفى بالنشر فى الصحف عن عودتك الميمونة من أرض الحجاز .. وتمشى بين الناس متقوقعا مشية من يظن أنه قد ضمن الجنة وللناس من بعدك الطوفان .. فهيهات .. ثم هيهات .. انك اذا وقفت فحسب عند مجرد الشكل دون أن تنفذ الى جوهر الأمانة .. وأعماق المسئولية وتنهض بحق وقوة ويقين وعزم لأداء التبعة ... فوا أسفاه .. وواحسرتاه ..

الدعوة الإسلامية ببلجيكا

عقد المركز الاسلامى والثقافى ببلجيكا اجتماعا حضره جمع كبير من أفراد الجالية المسلمة بمسجد بروكسل ، فتدارسوا أحوال المسلمين المغتربين ببلجيكا من الجوانب الدينية والثقافية ، والاجتماعية وتباحثوا فى أخطار الضلال والانحراف التى تحدق بشبابهم وأطفالهم خاصة ، وفى الطرق الكفيلة بانقاذهم منها، بشدهم الى دينهم ، ولغتهم العربية ، وأمتهم الاسلامية ، وتناقشوا فى الدور الهام الذى يجب أن يقوم به مسجد بروكسل من نشر للتوعية الاسلامية الشاملة ، ومن جمع لصف المسلمين ودعوتهم للاعتصام بحبل الله المتين ، باعتباره مركز الاشعاع الروحى والعلمى والاجتماعى فى هذه البلاد .

وايمانا من المجتمعين بواجب مؤازرتهم للمركز الاسلامى ، وتعاونهم معه ، فى القيام بالدعوة الاسلامية بهذه البلاد ، قرروا تكوين جمعية « لجنة مسجد بروكسل » وحددوا لها الأهداف التالية :

١) — جمع شمل المسلمين المغتربين ببلجيكا فى روح من التآخى ، والتضامن حول منظمتهم الاسلامية .

٢) — تدعيم الحياة الروحية لهم ، ولأسرهم وابلاغهم دعوة الاسلام بشرح مبادئه وتعاليمه .

٣) — انارة الرأى العام البلجيكى ، والأوروبى برسالة الاسلام وثقافته ، وحضارة أمته ودحض الشبهات والأباطيل عنه .

ولتحقيق هذه الأهداف ، اتفق المجتمعون على القيام — باشراف المركز ، وبالتعاون مع المنظمات الاسلامية العالمية ، ورجال الفكر والدعوة فى العالم الاسلامى — بالنشاطات التالية :

أولا : نشر التوعية الشاملة بتنظيم احاديث دينية فى القرآن والسنة والفقه كل أسبوع ، وندوات فى الدراسات الاسلامية شهريا فى مسجد بروكسل وذلك :

أ — لتعميق معرفة المسلمين المغتربين بالاسلام عقيدة ،وأخلاقا ، وسلوكا وترسيخ ايمانهم به ومساعدتهم على التمسك بأحكامه ، والعمل بتعاليمه واتباع هديه فى سائر أمور الحياة .

ب — لتعريفهم بتاريخهم ، ووطنهم الاسلامى الكبير ، وايقافهم على مشاكل أمتهم المختلفة

ثانيا : الاتصال بالجالية المسلمة بمختلف مناطق بلجيكا ، وتعريفهم بأوجه النشاط الاسلامى الذى يقام بمسجد بروكسل ، ودعوتهم الى التعلق به ، والى عمرانه وذلك بحرصهم على :

أ — أداء صلاة الجماعة ، والجمعة ، والأعياد كلما أمكن ذلك .

ب — المشاركة فى الاجتماعات الدراسية الأسبوعية ، والندوات ، والمحاضرات ، وشهود الحفلات التى يقيمها المركز فى كل المناسبات الدينية .

ج — توجيه ابنائهم الى دروس القرآن الكريم ، والدين ، واللغة العربية التى ينظمها المركز للأطفال فى مقره الأصلى ، وفى فروعه .

د — المساهمة المادية فى بناء مسجد بروكسل ، والمركز الثقافى .

ثالثا : العمل على ربط الصلة الوثيقة بين الجالية المسلمة المقيمة فى مختلف المدن البلجيكية وفى البلدان الأوروبية ، والأمريكية ، وفى العالم الاسلامى ويتم ذلك :

— بالتراسل بين الجمعية ، وبين المنظمات والجمعيات والمراكز الاسلامية ،

— بالقيام بزيارات الى الجماعات الاسلامية فى المساجد ، والمراكز الاسلامية فى بلجيكا وأوروبا.

— بتنظيم ألعاب رياضية ، ومخيمات كشفية ، ومصائف للأطفال والشباب مدة العطل .

رابعا : اصدار مجلة ، ونشرات باللغات (العربية ، والفرنسية ، والنيرلاندية) تحوى بحوثا ودراسات فى تعاليم الاسلام وأحكامه ، وتتضمن أخبار المجموعة المسلمة فى بلجيكا وأوروبا ، والعالم الاسلامى .

موقف المسلم

من التنبؤ والكهانة

بين القديم والحديث

تروج فى هذه الأيام مجموعة من الكتيبات التى تتحدث عن الحظ ، والمستقبل ، لكل فرد بحسب تاريخ مولده ، والبرج الذى ينتمى إليه !! ، اخذت مادتها العلمية من الفلكى العالمى ، !! آرثر بومان ، طبقا لتقديم الطبعة العربية التى اصدرتها إحدى دور النشر ..

والطريقة التى طبعت بها هذه الكتيبات ووزعت ، تدل فى وضوح على مدى الاهتمام والعناية من الناشر من جانب ، كما تدل على مدى القبول والتلقى من القراء والجمهور من جانب آخر ..

ويرتبط بهذه الظاهرة ما نعلمه عن انتشار جلسات تحضير الأرواح والجان ، من المحترفين والهواة على السواء ، وتردد الكثيرين على هذه المجالس ، بغية الاستطلاع ، أو التعرف على شىء من الغيب .

وهذه الظاهرة تمثل موجة غريبة عن البيئة الاسلامية الحقيقية ، وفدت عليها حديثا كما وفدت عليها قديما من مراكز ثقافية لم تتأصل فيها الروح الاسلامية ، أو لم تكد تمسها ..

ومن الملاحظ ان الموجة الجديدة وفدت من معقل الحضارة الحديثة فى اوربا وامريكا ، حيث تقوم المراكز والمؤسسات ـ والجامعات ايضا ـ بالبحث فى التنجيم ، او الاتصال بالأرواح ، وتعقد لذلك المجالس ، والمحاضرات ، والحلقات ، والندوات ، وتنشر الكتب ، وتذاع النشرات ، وتتلقفها الأوساط والبيئات على اختلاف مستوياتها الاجتماعية والثقافية ، وتصدرها إلى المجتمعات التى تتلمس خطاها على طريق الحضارة الاوربية الحديثة .

وقد يستغرب البعض منا ان تصدر هذه الدراسات والنشرات عن معقل الفكر العلمانى الذى يقوم فى أوربا على أسس حسية مادية بحتة ، ويدعى البراءة من اساطير القرون الخالية ، ويرمى تراثها الفلسفى والدينى بالرجعية والتخلف ، ولكن الحقيقة أن هذه الظاهرة نتيجة طبيعية لعلمانية هذه الحضارة ، ذلك ان هذه العلمانية وقد أنكرت على النفس البشرية طاقاتها الوجدانية والخيالية الأصيلة وحاربت فيها نزعتها الفطرية إلى البحث عن المجهول فيما وراء المحسوس وسدت عليها المنافذ الشرعية الدينية التى تعبر بها تعبيرا سليما عن هذه الطاقات والنزعات الفطرية لم تتمكن من أن تحكم مؤامرتها المصطنعة هذه على فطرة النفس الإنسانية ، لان هذه الفطرة اقوى منها ، وكان لزاما ان تجد هذه الفطرة طريقا أو آخر تعبر به عن طاقاتها المكبوتة ، فكان هذا الانحراف الذى يتمثل فى الظاهرة التى نتحدث عنها ..

وإننا لنلتقى فى تفسيرنا لانتشار هذه الظاهرة فى المجتمع الحديث مع ما ذكره الإمام الخطابى أحد علماء الاسلام فى تفسيره لوجود الكهانة فى الجاهلية ، إذ يقول « وكانت الكهانة فى الجاهلية فاشية ، خصوصا فى العرب لا نقاطع النبوة فيهم ، فلما جاء الاسلام ندر ذلك جدا ، حتى كاد يضمحل » ..

وما ذكره الإمام الخطابى من أن الاسلام لا يتفق مع هذه الظاهرة صحيح بالنسبة للعصر القديم والحديث على الوجه الذى نبينه فيما يأتى ..

نظرة على التنبؤ والكهانة قديما :

يقسم الباحثون أساليب التنبؤ إلى صنعية : كالكهانة والعرافة والنجامة ، وطبيعية : كالكشف الصوفى ، والرؤيا الصادقة .

ويذكرون أن العلوم المتعلقة بهذه الأمور عرفت فى الشرق القديم ، ثم امتزجت بالتراث اليونانى ، والرومانى ، والهيلينى ، وبخاصة الأفلاطونية الحديثة، والفيثاغورية المحدثة ، والغنوصية .

ويفرقون بين هذه الأمور :

بأن الكهانة تكون عن مغيب موهوم .

والعرافة تكون بالتجربة ، أو بالحالة المودعة فى النفس التى توهم الإدراك دون ادعاء الاتصال بالملأ الأعلى .

وأن النجامة يراد بها معرفة الاستدلال على حوادث الكون بالتشكيلات الفلكية وفى هذا يقول إخوان الصفاء فى تعريفهم للقضاء (إنه علم الله السابق بما توجبه أحكام النجوم .)

أما الكشف الصوفى فإنه يعنى الاطلاع على ما وراء الحجاب ، من المعانى الغيبية والأمور الحقيقية .

والرؤيا الصادقة تكون أثناء النوم إذ يطلع الله أصفياءه على الغيب ، فإذا حدث ذلك يقظة كان مظهرا من مظاهر النبوة أو الولاية .

والمسعودى يبين أسس التنبؤ :

يدعى البعض معرفته بالغيب على أساس من إخبار الجن لهم ، أو على أساس صفاء النفس وتجردها ، أو على أساس من أوضاع الفلك وتحركاته ، أو على أساس من قوة النفس وقهرها للطبيعة .

والخوارزمى ينقل الينا اختلاف القدماء فى تفسير تأثير السيارات :

فمن قائل إنها تفعل بطبعها ، ومن قائل إنها تفعل بالاختيار ، ومن قائل إنها لا تفعل وإنما هى دلالات على الحوادث ، والله هو المستبد بالخلق والإبداع .

انتشار التنبؤ فى البيئة العربية قبل الاسلام :

يذكر المسعودى انه كانت للعرب اهتمامات واسعة بالكهانة ، ويذكر أسماء كهانهم من مثل : شق ، وسطيح ، وسملقة ، وزوبعة ، وسديف ابن ماهان وطريفة الكاهنة ، وعمران أخى عمرو بن مزيقياء ، وحارثة بنت جهينة وكاهنة باهلة .

ويقول الشهرستانى (... ومنهم — اى العرب — من كان يعتقد فى الأنواء اعتقاد المنجمين فى السيارات ، حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء ، ويقول : مطرنا بنوء كذا ...) ثم يقول (.. وكان لهم علم الأنواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم .)

ويقول الدكتور توفيق الطويل (ذاعت أساليب التنبؤ عند عرب الجاهلية ذيوعا واسع المدى) ..

انتشار التنبؤ فى الدولة الاسلامية :

يبين ابن خلدون انتشار التنبؤ فى الدولة الاسلامية فيقول (وأما فى الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع إلى بقاء الدنيا ومدتها على العموم ، وفيما يرجع إلى الدولة وأعمارها على الخصوص ...) . ويذكر مستند المتنبئين فى تنبؤاتهم آنذاك : من الكشف الصوفى ، والولاية ، والأثر ، ولكنه يبين أن الأمر صار بعد ذلك إلى الاعتماد على المنجمين ..

ويذكر ابن النديم أخبار المنجمين ومن إليهم فى خمس صفحات من كتابه . الفهرست ، يذكر فيها أسماءهم ومصنفاتهم ، مما يدل على سعة انتشار هذا الأمر فى البيئة الاسلامية وبخاصة مصر .

ويذكر الدكتور توفيق الطويل طرق التنجيم التى كان بوسع المسلم أن يتناولها فى ذلك العهد :

١ ــ طريقة المسائل : ويراد بها الإجابة على أسئلة تتصل بحياة الناس اليومية من الإخبار بغائب ، أو بما يسر .. الخ .

٢ ــ طريقة الاختيارات : وهى اختيار الأوقات التى تلائم القيام بعمل ما .

٣ ــ طريقة تحاويل السنين : وتقوم على أن الصور السماوية فى زمن المولد تحدد طابع المولود بدقة .

مصادر انتشار التنبؤ فى الدولة الاسلامية :

مما يدل على مصادر التنبؤ فى الدولة الاسلامية وعوامل انتشاره ما يقوله فان فلوتن فى كتابه « السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى أمية » من أنه كان بجانب التنبؤات المرتجلة كتب الملاحم وهى أشعار تتضمن بعض التنبؤات ، ويرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجرى ، وكتب للتكهن بالغيب لم تكن معروفة عند العرب بادىء الأمر ، ثم وصلت إليهم عن طريق اليهود والمسيحيين مما كانوا يحتفظون به عن كهانهم .

ويذكر أن القسيسين والرهبان والقبط واليهود كانوا قد أخذوا على عاتقهم إذاعة هذه الكتب بين المسلمين ، وأنها سميت الكتب القديمة ومن بينها ما كان يعزى إلى بعض الأنبياء لكى يحوز الثقة (!!) وكان من بينها كتاب دانيال الذى ذاع بينهم فى القرن الأول الهجرى ، وذاعت بعد ذلك التنبؤات الدانيالية بكثرة عظيمة ، وانتشرت بين الناس جنبا لجنب مع كتب الجفر الذى يعزى إلى آل البيت .

ويذكر نلينو أن أول ترجمة لكتب النجوم كانت للأمير خالد بن يزيد ــ ت ٨٥ هـ ــ كما يذكر أن ما ترجم له منها هو ما كان له تعلق بأحكام النجوم لا بعلم الهيئة ، ثم ترجم كتاب أحكام النجوم المنسوب إلى هرمس من اليونانية إلى العربية ، قبل انقضاء الدولة الأموية بسبع سنوات ، ثم ترجم أبو يحيى البطريق فى عهد المنصور كتاب المقالات الأربعة الذى وضعه بطليموس فى صناعة أحكام النجوم .

موقف المسلم من التنبؤ الطبيعي :

فى مجال الإخبار بالغيب يجد المسلم أمامه أخبارا عن الغيب صادرة عن النبوة ، وأخبارا عن الغيب صادرة عن الكهانة وما إليها .

وإذ يشرح ابن خلدون فى مقدمته وجوه التفرقة بين هذين ، يقرر للنبوة خيريتها وصدقها وسموها ، ويردد فى غيرها بين احتمال الصدق والكذب والقطع بالكذب ، كما ينبه إلى الالتباس الذى قد يجوز على بعض الغافلين .

ولما كانت النبوة صادرة فى إخبارها ببعض المغيبات عن علم يقينى يختصها به الله سبحانه « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول » ـ سورة الجن ٢٦ ، ٢٧ ـ فقد كان على كل مسلم أن يؤمن بما يثبت عن النبى من أخبار تنبىء عن أحداث المستقبل . كالذى وقع فى الصحيحين من حديث حذيفة قال : (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فما ترك شيئا يكون فى مقامه ذاك إلى قيام الساعة إلا حدث عنه ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابه هؤلاء) . يقول ابن خلدون : (وهذه الأحاديث كلها محمولة على ما ثبت فى الصحيحين من أحاديث الفتن والأشراط لا غير .)

وإذا كان ما يثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم واجب التصديق لأخذه عن علام الغيوب ، فإن الأمر فى غير ذلك لا يكون لازما لعقيدة المسلم ، بل إنه قد يكون مثار شك تارة ، وتضليل تارات ..

يمكننا أن نقبل ما يثبت عن سيدنا على رضى الله عنه ـ مثلا ـ على أساس معرفته بالأثر المروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو على أساس الرؤيا الصادقة أو الكشف الصوفى ، مما ينتسب إلى التنبؤ الطبيعى الذى يمنحه الله أصفياءه وأولياءه ... من أنه قال لأصحابه وقد خرجوا لبعض معاركه مع الخوارج (إنه والله ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة .) ، فصحت نبوءته .

يمكننا أن نقبل ما يثبت من ذلك عن على رضى الله عنه أو عن غيره من الصحابة وأولياء الله ، فهم فى ذلك لا يتعدون ما تعلموه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو ما بذل لهم من كرامة ، أو ما استنتجوه ببصيرتهم النقية .

ولقد كانت لعلى رضى الله عنه مواقف تؤكد قصده فى هذا الأمر ، ووقوفه عند حده فيه ، من ذلك أنه خرج لمحاربة أعدائه فقال له رجل من جيشه وهو يهم بالخروج (يا أمير المؤمنين لا تخرج فى هذه الساعة فإنها ساعة نحس لعدوك عليك ..) فقال له سيدنا على (توكلت على الله وحده وعصيت رأى كل متكهن ، أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان ؟ إنى توكلت على الله ربى وربكم ، ما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم .) ، ثم سار إليهم فغلبهم .

ولجعفر الصادق أخبار رويت عنه بما سيكون ، إن صحت أو وقعت فإنها تكون نوعا من التنبؤ عن طريق الأثر أو الكشف أو الرؤيا ، لكن أتباعه زادوا فيه ، وأعلن هو تبرؤه من الكثير مما كان يحمل عليه ، فقد روى القاضى النعمان فى

كتابه دعائم الاسلام ان سديرا الصيرفى من أصحاب جعفر سأله (فقال له : جعلت فداك : إن شيعتكم اختلفت فيكم فأكثرت حتى قال بعضهم : إن الإمام ينكت فى أذنه ، وقال آخرون : يوحى إليه ، وقال آخرون : يقذف فى قلبه ، وقال آخرون : يرى فى منامه ، وقال آخرون : يفتى بكتب آبائه ، فبأى قولهم آخذ جعلت فداك ؟ فقال : لا تأخذ بشىء من قولهم يا سدير ، نحن حجة الله وأمناؤه على خلقه حلالنا من كتاب الله ، وحرامنا منه .) ..

ومع ذلك فقد اشتهر بين أتباعه كتاب « الجفر » ، يقوله عنه ابن خلدون (واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلى وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص على الخصوص ، ووقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذى يقع لمثلهم من الأولياء .) . ثم يقول : (وهذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه ، وإنما يظهر منه شواذ الكلمات لا يصحبها دليل ..) .

وبجانب ذلك كله مما يمكن حمله على التنبؤ الطبيعى لو صح أو ثبت ، كان يوجد التنبؤ الصنعى بأساليبه المختلفة وانحرافاته المؤكدة ، وكان للتنجيم نفوذ لدى العامة ، والقادة والخلفاء كالحجاج ، وجعفر المنصور ، والمأمون .

موقف العلماء من التنبؤ الصنعى :

ولقد شدد علماء المسلمين النكير على التنبؤ الصنعى بناء على إدراكهم لمفارقته للروح الاسلامية ، ومعارضته لأصوله .

أما كشف الصوفية أو التنبؤ الطبيعى فقد قبله العلماء والفقهاء حتى ابن تيمية أشد المنكرين على طوائف الصوفية .

وبالرغم من أنه وجد هنالك من يقول (... يجوز أن يقال : سير هذه الكواكب كالصيف أجرى الله السنة فيه بحرارة الهواء ، وفى الشتاء ببرد الهواء ، فلا الصيف موجبة ولا الشتاء ، لكنها أسباب وأوقات وعبارات ، والله هو المختص بالخلق والإيجاد ..) :

بالرغم من ذلك فإن الحس الاسلامى العام كان ضد التنجيم ، وكان يسجل أثره الضار على العقيدة ، فضلا عن أن التبرير السابق وجد من يعقب عليه بمناقشة قوية تبطله من بين علماء المسلمين الذين هم أكثر فهما للروح الاسلامية ولأصول الاسلام .

روى أبو حيان التوحيدى فى كتابه المقابسات أن أبا عبد الله سفيان بن سعيد الثورى أمير الحديث وأحد الأئمة المجتهدين ت ١٩٦١ هـ — لقى ميشى بن إيرى المنجم اليهودى الذى اشتهر فى زمن المنصور وتوفى عام ٢٠٠ هـ — (فقال له : أنت تخاف زحل ، وأنا أخاف رب زحل ، وأنت ترجو المشترى وأنا أرجو رب المشترى ، وأنت تغدو بالاستشارة ، وأنا أغدو بالاستخارة ، فكيف بيننا ؟ فقال له ميشى : كثير ما بيننا ، حالك أرجى ، وأمرك أنجح وأحجى .) ..
ويرشدنا الإمام الغزالى إلى تأثير التنبؤ التنجيمى على العقيدة فيقول :(إنه

مضر بأكثر الخلق ، فإنه إذا القى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب ، وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة ، وانها الآلهة المدبرة ، لأنها جواهر شريفة سماوية ، ويعظم وقعها فى القلوب ، فيبقى القلب ملتفتا إليها ، ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها ، وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب ، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط ، والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر مسخرات بأمره سبحانه وتعالى .) ..

ويقول أبو حيان التوحيدى فى كتابه المقابسات : (وأرباب الكلام والدين يأبون تأثير هذه الأجرام العالية فى هذه الأجسام السافلة ، وينفـون الوسائط والوسائل ، ويدفعون الفواعل والقوابل .) .

وفى هذا يقول الدكتور توفيق الطويل : (فلما نزل القرآن هاجم هـذه الأساليب وحصر الإدراك الغيبى فى الله وحده ليجتث الوثنية من جذورها .) .
ويقول فى موضع آخر : (إن الإنكار ــ إنكار التنبؤ الصنعى ــ مرجعه إلى الروح الدينية الاسلامية .) .

القول الفصل هدى الرسول صلى الله عليه وسلم :

فى هذا الموضوع أورد الامام البغوى فى كتابه « مصابيح السنة » أحاديث من الصحاح ..

عن معاوية بن الحكم رضى الله عنه انه قال :

قلت يا رسول الله : أمورا كنا نصنعها فى الجاهلية ، كنا نأتى الكهـان . قال : فلا تأتوا الكهان . قلت : كنا نتطير . قـال : ذلك شىء يجـده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم . قلت : ومنا رجال يخطون . قال : كان نبى من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سأل اناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بشىء . قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا بالشىء يكون حقا . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى ، فيقرها فى أذن وليه قر الدجاجة ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة .

رواهما مسلم فى صحيحه أيضا .
وروى مسلم بسنده عن صفية عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن أنه قال : من اتى عرافا فسأله عن شىء ، لم تقبل له صلاة أربعين ليلـة .

وروى البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى مسعود قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب ، ومهر البغى ، وحلوان الكاهن .

وأورد الإمام البغوى فى مصابيح السنة حديثا من الحسان :
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد .
وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: من أتى كاهنا فصدقه بما يقول ، أو أتى امرأته حائضا ، أو أتى امرأته فى دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن الصحاح : عن زيد بن خالد الجهنى قال : صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال الله : « أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بالكوكب ، وكافر بى ومؤمن بالكوكب ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب . » .

وروى الإمام المحدث حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى ــ ت ٤٦٣ هـ ــ بسنده عن العباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد طهر الله هذه الجزيرة من الشرك إن لم تضلهم النجوم) ..

وروى بسنده عن أبى محجن قال : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أخاف على أمتى بعدى ثلاثا : حيف الأئمة ، وإيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر .) وذكره السيوطى فى الجامع الصغير .

وروى ابن عبد البر بسنده عن أبى نضرة قال : قال عمر (تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا .) .

مجموع هذه الأحاديث يلزمنا نحن المسلمين بأمور :

أولا : تجنب الكهان بأساليبهم المختلفة التى يدعون بها الاطلاع على الغيب ، سواء كان أسلوبهم فى ذلك التنجيم أو العرافة ، أو الاتصال بالجان أو غيره ..

ثانيا : إسقاط أى دعوى عن تأثير النجوم والفلك فى مصائر البشر فى حاضرهم أو فى مستقبلهم .

ثالثا : تجنب استيحاء النجوم علما يتعلق بالغيب ، فذلك نوع من السحر أو شبيه به ، يزاد فيه من هنا أو من هناك ، وكلاهما محرم .

رابعا : أن الكهانة فى دعواها علم الغيب ربما تستمد من علم الجن شيئا ، أو من غيره ، لكن هذا لا يبيح الأخذ عنها ، ولا يبيح تصديقها ، لأنها مباءة الكذب والتضليل ، وليست موضع ثقة لأحد .

خامسا : لو أعطى المؤمن شيئا من ثقته لدعاوى العلم بالغيب الصادرة عن الكهانة والتنجيم وما إليها لضل من بعد هداية ، وكفر من بعد إيمان ، فهو فى ذلك واقع فى أحد أمرين :

١ ــ الكفر الصريح إذا صرفه ذلك عن الإيمان بالخالق ، وبقضائه وقدره ، وهو على شفا حفرة من ذلك لا محالة واقع فيها ، فإذا لم يقع فيها من قريب وقع فى :

٢ ــ ارتكاب كبيرة لا تقل عن كبائر : الظلم ، والزنا ، والسحر وما أشبه .

سادسا : أما علم الغيب الذى يطلع الله عليه أنبياءه أو أولياءه كرامة لهم ، فلا حرج على فضل الله فيه ، ولا علينا فى الأخذ به بشرط التثبت منه ، والتيقن من صحته ، والارتكان إلى موافقته لما شرعه الله .

سابعا : أن علم النجوم كجزء من العلوم الكونية التى نستفيد بها فى معرفة الطبيعة واستغلالها وتسخيرها لمصلحة الإنسان : علم لازم ، ومن التقصير فى الدين إهماله ، شأنه فى ذلك شأن العلوم الأخرى التى يأمرنا بهـــا الشارع الحكيم ..

تحـــذير وتحـــذير :

وربما يستبعد البعض منا أن تؤدى به النجامة فى العصر الحديث إلى شىء من الشرك أو الكبيرة ..

ونحن نقول لهؤلاء : بل إن العصر الحديث بظروفه ودعاواه أقــــوى أثرا وأشد إلحاحا فى جر الإنسان إلى الشرك أو الكبيرة عن طريق التنجيم والتنبـــؤ بالمستقبل لو أنه أفلح فيه ..

إن العلم الحديث لو ملك شيئا من التنبؤ بمستقبل الفرد لوقع هذا الفرد أسير القابضين على زمام هذا العلم من الساســــة أو المسئولين ، ولصــــار عبدا ذليلا فى أيديهم يوجهونه كيف يشاءون ، ولما وجد الفرد العادى فى نفسه شيئا من القدرة على معارضتهم أو التمرد عليهم ، ولتوجه إليهم فى كل شئونه يستلهمهم رأيهم ، ويستوحيهم تعاليمهم ، وذلك صميم الشرك ومنتهاه .

ويكفى فى تصوير بشاعة هذا المصير الذى ينتهى بالفرد إلى العبوديـــة التامة لغير الله ، أن نستذكر خطورة أساليب التصنت الالكترونية التى ذاعت فى الحروب ، وشاعت فى المجتمعات ، وأصبحت فى متناول الأفراد بعضهم على بعض ، وفى متناول السلطات بالنسبة للأفراد ، وأصبح فى إمكان أى فرد أن يسجل ما يدور فى الجلسات الخاصة لأى فرد آخر على بعد معين منه . أقول : يكفى أن نستذكر خطورة هذا الوضع على الحريات ، وعلى تكوين الشخصية ، وعلى أساليب المعيشة ، وهو ما يزال بعد فى دور التصنت على الحاضر ، فمـــا بالك عندما يصير الأمر تصنتا على المستقبل ــ على فرض حدوثه ــ ؟؟ إنه فى هذه الحالة يكون الفرد ملكا تاما وعبدا خالصا لمن يملكون معرفة حاضره ومستقبله

وإن الله لأرحم بعباده من أن يتركهم لمثل هذا المصير البشع ، والضيـــــاع الأكيد ، وإنه بعد هذا وذاك الوقوع فى الشرك لا محالة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

إذا عرفنا ذلك . كان لزاما علينا أن نوجه تحذيرا إلى القراء المسلمين الذين يتلمسون هذه الكتب التى تنشر وتذاع عن الحظ والمستقبل واتصاله بعلم الفلك أو التنجيم ، نقول لمن يعتقد فى صحتها منهم : إنهم يوشكون على الوقوع فى الشرك بالله . أو على الأقل يوشكون على ارتكاب كبيرة لا يرضاها ضميرهم الدينى .

ونقول لمن يطلع عليها من باب التجربة أو التسلية أو التفكه ــ كما يقال ــ انهم « يلعبون بالنار » ، ويمهدون للشيطان مداخله ، وإنه لمن المؤكد أن مثل هذه الكتب ما كانت لتروج لولا مقدمة سبقتها ، تناولها الكثير منا على سبيـــل التسلية والفكاهة كذلك ، تلك هى مادابت الصحف على نشره منذ سنين طويلـــة تحت عنوان « حظك اليوم » فهذا الباب الصحفى هو الذى صنع ــ أو أيقظ ــ

العقلية المهيأة لشراء الكتب التى تنشر فى هذه الأيام ، أو لقراءتها ، ومقدمة تسلم إلى أخرى ، والكأس الأولى كانت — ولا تزال — هى هدية الشيطان وأسلوبه فى صنع الإدمان . وإن للتسلية والفكاهة لسبيلا غير هذا السبيل ، وإنما هى كلمة تقال ، نزيف بها أحاسيسنا ، ونموه بها على أنفسنا ، وقد آن أن نواجه الحقائق ، وأن نتيقظ لمسئوليتنا ، وأن ندرك ما وراء هذا التسلل من أهداف .

كذلك فإن علينا أن نوجه تحذيرا إلى المسئولين عن النشر وعن التخطيط الثقافى ، نوضح فيه خطورة هذه الاتجاهات الخرافية على عقول شعوبنا الناهضة وهى ما تزال بعد تخطو خطواتها الأولى فى طريق العلم ، وما تزال بعد تخطو خطواتها الأولى فى طريق التخلص من الخرافة التى أثقلت كاهلها وحبستها فى ظلام الجهل والرجعية ، الأمر الذى لا يقارن به حال المجتمعات الأوربية الحديثة التى تنتشر فيها هذه الموجات الخرافية ، فتلك مجتمعات جرعت من العلم والعقل حتى الثمالة وصارت الخرافة — إلى حد — ضرورة لها لتخفيف ما ينوء به كاهلها من جهامة المنطق وصرامة العلم ، تلجأ إليها فى غيبة الفكر الدينى الصحيح، وليس ذلك حال مجتمعنا على وجه من الوجوه ، فالخطورة المتمثلة هنا تكاد تختفى هناك ، وما علينا من أن يكون سبيلهم غير سواء السبيل .

كذلك فإن علينا أن نوجه تحذيرا إلى المسئولين عن الكيان الاقتصادى والسياسى لمجتمعاتنا النامية ، نوضح فيه خطورة هذه التيارات الخرافية على عزائم شعوبنا النامية ، إذ تدس إلى كيانهم النفسى نوعا هداما من الاتكالية والارتباط بالحظ ، وهم ما يزالون بعد يحاولون خلع أسمال الفقر ، وما يزالون بعد يحاولون طرح شعارات الذل ، الأمر الذى لا يقارن به حال المجتمعات الأوربية التى تنتشر فيها هذه الموجات الخرافية كذلك ، إن لم نلحظ أنها هى التى تصنعها لتصدرها إلينا .

كما نوجه تحذيراً إلى المسئولين عن الوعى الدينى فى مجتمعنا الاسلامى ، نطلب إليهم فيه أن يتيقظوا لكل تيار يؤسس للإلحاد أو للغواية من هنا أو من هناك ، ونطلب إليهم فيه أن يستغلوا الفرصة المبذولة لهم : بالكلمة الطيبة ، والمقال المدروس ، والخطبة الواعية ، والنصيحة الخالصة ، والسعى الجميل .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ..

أيّ رجال كانوا هؤلاء

للدكتور احمد الشرباصي

دعنا نرحل بطائرة الخيال الى اعماق التاريخ ..

نحن الآن فى وسط القرن الرابع الهجرى .. ونحن الآن فى بلدة : (بَرْذَعة) . وهى — كما يحكى ياقوت فى معجمه — بلدة فى أقصى أذربيجان من بلاد العجم ، و (برذعة) كلمة معربة عن كلمة (بَرْدَه دار) الفارسية ، ومعناها : موضع السبى ويحكى فى سبب تسميتها أن أحد ملوك الفرس سبى سبيا ، وأنزله فى هذا المكان ، فسمى لذلك : (موضع السبى) .

ويرى أن برذعة هى فى الأصل مدينة (أرّان) ، وهى آخر حدود أذربيجان ، وكان أول من أنشأ عمارتها (قباذ الملك) ، وهى فى سهل من الارض ، ومساحتها أوسع من فرسخ فى فرسخ ، وهى بلدة نزهة خصبة ، كثيرة الزروع والثمار ، وكان بيت مالها فى مسجدها الجامع ، على طريقة الشام قديما ، وكانت امارتها بجوار جامعها .

وقد فتحها باسم الاسلام المجاهد البطل : سلمة بن ربيعة الباهلى ، فى عهد الخليفة ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وسلمة أحد الصحابة ، وكان يقال له : (سلمة الخيل) لخبرته بها ، وروى عنه كثير من كبار التابعين ، وقد شهد فتوح الشام ، وسكن العراق ، وكان رجلا صالحا ، يحج كل سنة ، وكان أول من تولى قضاء الكوفة (١) .

وقد عدت العوادى بعد ذلك على (برذعة) حتى قال عنهـا ياقوت الحموى(٢) المتوفى سنة ست وعشرين وستمائة : « هذه صفة قديمة ، فأما الآن فليس من ذلك كله شىء ، وقد لقيت من اهل برذعة بأذربيجان من سألته عن بلده ، فذكر أن آثار الخراب بها كثيرة ، وليس بها الآن الا كما يكون فى القرى : ناس قليل ، وحال مضطرب ، وصعلكة ظاهرة ، وضر باد ، ودور متهدمة ، وخراب مستول عليهم ، فسبحان من يُحيل ولا يحول ، ويزيل ولا يزول ، وله فى خلقه تدبير لا يظهر لأحد من خلقه سر المصلحة »(٣) .

وينتسب الى (برذعة) كثير من أهل العلم والفضل ، ومنهم الإمام العابد الرحالة المحدّث المؤتمن : ابو بكر عبد العزيز بن الحسن البرذعى ، خرج من نيسابور سنة ٣١٨ هـ الى رباط (فراوة) البلدة التى بناها عبد الله بن طاهر فى خلافة المأمون ، فأقام بها مدة ، ثم سكن بلدة (نسا) الى أن توفى بها سنة ٣٢٣ هـ .

وينسب اليها أيضا الإمام مكى بن أحمد بن سَعدوية البرذعى ، أحد المحدّثين المكثرين ، والرحالين المحصلين ، سمع بدمشق وطرابلس وبغداد ومصر ، وروى عنه كثيرون ، ثم خرج الى نيسابور سنة ٣٣٠ هـ . ثم خرج الى ما وراء النهر سَنة ٣٥٠ ، وكتب بخراسان ما يتحير فيه الانسان من كثرته وضخامته ، وتوفى فى بلدة الشاش سنة ٣٥٤ هـ .

ومن مشهورى المدفونين فى أرض (برذعة) يزيد بن مزيد الذى رثاه الشاعر المعروف مسلم بن الوليد بقوله :

قبر ببرذعة ، استتر ضريحه	خطرا تقاصر دونه الأخطار
أجل تنافسه الحمام ، وحفرة	نفست عليها وجهك الأحجار
أبقى الزمان على معد بعده	حزنا ، لعمر الدهر ليس يعار
نقضت بك الآمال احلاس الغنى	واسترجعت نزاعها الأمصار
سلكت بك العرب السبيل الى العلا	حتى اذا بلغ المدى بك حاروا
فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة	أثنى عليها السهل والأوعار

كادت (برذعة) بأخبارها تنسينا ما رحلنا من أجله اليها فى عصر عزها ومجدها ..

نحن الآن فى (برذعة) فى أواسط القرن الرابع الهجرى ، ونحن الآن نجلس الى حفص بن عمرو الأردبيلى المنسوب الى (أردبيل) التى كانت من اشهر مدن أذربيجان ..

نجلس اليه ليحدثنا عن الإمام الحافظ المحدث : أبو عثمان سعيد بن عمرو بن عمار الأزدى البرذعى ، الذى سمع من كثيرين فى دمشق ، وروى عنه كثيرون . سمع أبا زرعة الدمشقى ، وأبا يعقوب الجوزجانى ، وأبا سعيد الأشج ، ومسلم بن الحجاج الحافظ ، ومحمد بن يحيى الذهلى ، وأبا حاتم الرازى ، وأبا زرعة الرازى ، وغيرهم ..

يروى حفص بن عمرو الأردبيلى عن سعيد بن عمرو قصة تقول :

جلس سعيد بن عمرو البرذعى فى بيته ، وأغلق عليه بابه ، وقال : ما أحدث الناس ، فان الناس قد تغيروا . وكأنه قد رأى فى الناس تقاصرهم ، وضعف عزائم ، وقلة عناية بالعلم ، فأراد أن يحفظ على نفسه كرامة العلماء وصيانة العلم ، فآثر العزلة فى داره .

ولكن طائفة من كرام الناس من أصحاب الحديث أرادوا الا يحرموا علم أبى عثمان ، فاستعانوا عليه بأن أوفدوا اليه رسولا يرجوه ويتشفع اليه ، كى يقطع عزلته ، ويفتح بابه ، ويعود الى سابق عهده من الجلوس الى الناس ، ومواصلة تحديثهم بما يحفظ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان هذا الرسول هو (محمد بن مسلم بن واره الرازى) الذى ذهب الى أبى عثمان ، واستأذن عليه ، وتلطف فى الحديث معه ، ورجاه أن يقطع عزلته ، ويعود الى الجلوس للناس .

فقال له أبو عثمان : لا افعل .

فقال له الرازى : بحقى عليك إلا حدثتهم .. !

فسأله أبو عثمان : وأى حق لك علىَّ .. ؟

فقال الرازى : أخذت يوما بركابك .

فقال أبو عثمان : قضيت حقا لله عليك ، وليس لك على حق

فقال الرازى : ان قوما اغتابوك فرددتُ عنك .

قال أبو عثمان : هذا أيضا يلزمك لجماعة المسلمين .

فقال الرازى : فإنى عبرت بك يوما فى ضيعتك ، فتعلقت بى الى طعامك ، فأدخلت على قلبك سرورا .

فقال أبو عثمان : أما هذه فنعم .

وأجابه الى ما أراد ، وعاود الجلوس الى الناس .

لله هذه الطباع التى ترق وتشف حتى كأنها نسمات الربيع ..

لقد قال محمد بن مسلم الرازى لأبى عثمان سعيد بن عمرو : « أخذت يوما بركابك » . هو يعنى بذلك أن أبا عثمان كان راكبا ، فجاء الرازى فسار الى جانب ركابه ماشيا ، وقد فعل ذلك تكريما للعلم واجلالا للعلماء ، ولذلك رد عليه أبو عثمان بقوله : قضيت حقا لله عليك ، وليس لك على حق .

ولقد روى التاريخ أن زيد بن ثابت الصحابى الفقيه العلم — رضى الله عنه — ركب ذات يوم ، فرآه حبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فأقبل عليه ، وأخذ بركابه ..

فقال له زيد : لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فأجابه ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال له زيد : فأرنى يدك .

فأخرج اليه يده ، فقبلها زيد قائلا : وهكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم(٤) .. ؟

واذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « إن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم » .. فكيف اذن تكون مكانة العلماء الذين وصفهم الحديث بأنهم ورثة الأنبياء .

اذن فليبحث الرازى عن حق آخر ..
قال لأبى عثمان : ان قوما اغتابوك فرددت عنك ..
فأجابه بقوله : هذا أيضا يلزمك لجماعة المسلمين ..

أى أن الرد على المغتاب ليس حقا لأبى عثمــــان ومن فى مثل مكانته فحسب ، بل هو حق لجماعة المسلمين كلهم ، بهذا ينادى أدب الاسلام ، واليه تدعو تعاليمه .

وهذا هو حجة الاسلام أبو حامد الغزالى يتحدث فى كتابه الجليل (إحياء علوم الدين) عن حقوق الأخ على أخيه فى الاسلام ، فيعدد طائفة منها ، ثم يقول :

« وأعظم من ذلك تأثيرا فى جلب المحبة ، الذب عنه فى غيبته مهما قصد بسوء ، أو تـعرِّض لعرضه بكلام صريح أو تعريض ، فحق الأخوة التشمير فى الحماية والنصرة ، وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه ، والسكوت عن ذلك موغر للصدر ، ومنفر للقلب ، وتقصير فى حق الاخوة .
وانما شبَّه رسول الله صلى الله عليه وســلم الأخوين باليدين تغسل احداهما الاخرى ، لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه . وقد قال رســـول الله صلى الله عليه وســلم : « المسلم اخو المســــلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يثلمه » وهذا من الانثلام والخذلان ، فان اهماله لتمزيق عرضه كإهمـــاله لتمزيق لحمه ، فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك وهو ساكت ، لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك ، وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم » (٥) .

وهذا هو سيدنا رسول الله ـــ صلوات الله وســـلامه عليه ـــ يقول :
« من حمى مؤمنا من منــــافق (اى مغتاب) بعث الله ملكاً يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم » .

ويقول : « ما من امرىء يخذل أمرأً مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه ، الا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » .

ويقول : « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » .

اذن فليبحث الرازى عن حق آخر يستثير به أبا عثمان ..
قال له : فانى عبرت بك يوما فى ضيعتك ، فتعلقت بى الى طعامك ، فأدخلت على قلبك سرورا ..
قال أبو عثمان : أما هذه فنعم .. !

ارايت كرم النفوس وسماحة الأخلاق .. ؟ هذا هو الحق الذى يقدره تدره أهل الجود والعطاء والبذل ، هذا هو الحق الذى يخضع له كبار الرجال وأخيار الناس ، لأنهم مطبوعون على الفرحة الكبرى اذا قصدهم قاصد ، او استمحنهم مستمنح ..

إن هذا يذكرنا بما روته كتب الأدب والأخبار من أنباء الكرام والاجواد . ومنها أنه قيل لأبى عقيل : كيف رايت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليه ؟ فأجاب : رأيت رغبته فى الإنعام فوق رغبته فى الشكر ، وحاجته الى قضاء الحاجة لطالبها أشد من حاجة صاحب الحاجة(٦) .

ويقول بشار العقيلى فى مدح كريم جواد :

ليس يعطيك للرجاء ، وللخوف ، ولكن يلذ طعم العطاء(٧)

ويقول هرم بن سنان فى ممدوحه :

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

—— ● ——

لذلك فرح ابو عثمان سعيد بن عمرو البرذعى بهذا الحق الذى ذكّره به محمد بن مسلم بن واره الرازى ، واعترف به ، وخضع له ، وهكذا تكون الأخلاق الكريمة والعواطف النبيلة . ومن حق المنصف أن يتساءل فى اعجاب واكبار : أى رجال كانوا هؤلاء .. ؟!

أولئك آبائى ، فجئنى بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع

سلام على الإمام ابى عثمان سعيد بن عمرو بن عمار الأزدى البرذعى ..
وسلام على الإمام محمد بن مسلم بن واره الرازى ..
وسلام على الأخيار الأطهار من كرام الرجال ..

---

(١) الاصابة ، ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠ .
(٢) انظر تفاصيل حياته وادبه فى كتاب « ملامح ادبية » .
(٣) معجم البلدان ج ١ ص ٣٨٠ طبعة بيروت .
(٤) العقد الفريد ، ج ٢ ص ٨٧ طبعة الاستقامة .
(٥) الاحياء ، ج ٥ ص ١٨٢ طبعة لجنة نشر الثقافة الاسلامية ، سنة ١٣٥٦ .
(٦) العقد الفريد ، ج ١ ص ١٧٦ .
(٧) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

ما لا بد منه للمسيرة

بقلم : عبدالمقصود محمد حبيب

من تمام نعمة الله على الانسان ، ومن مظاهر حكمته سبحانه وتعالى فى خلقه بعد أن تخطى العقل البشرى طور الطفولة ، وتهيأ فكر الانسان للتدرج فى مراقى الحياة .. أن أرسل محمدا عليه الصلاة والسلام الى الناس بدين الإسلام : يتعهد الله به بنى الأنسان .. دينا قيما .. محكم الأساس قوى البناء متكامل النظم سامى الغرض نبيل الغاية .. وافيا بحاجات الأفراد والجماعات لا يطلبه مكان إلا ويصلح له ولا يظل الانسان زمان إلا ويجد الناس فيه بغيتهم .. محببا الى النفوس كاشفا للناس عن نواحى الخير وداعيا الى سعادة الدنيا والآخرة .. سعادة الانسان مع نفسه وبنفسه ومع الآخرين وبهم .

هو دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها : تلك الفطرة التى تتجه الى الخير وتعتمد على الفكر السليم وعلى المبادىء السمحة الواضحة .. ذلك الدين الذى اهتم بتربية عنصرى الانسان: المادي والروحي — وحمايتهما مما يفسدهما أو ينحدر بهما الى طريق الشر .. لما لاكتمالهما وتجانسهما وانسجامهما من بعث للقدرة فى الانسان على أن ينهض الى قمة الفضيلة ويحيا فى عالم من الخير .

ولقد سبقت دين الاسلام ديانات اخرى .

كل ديانة تناسب مرحلة من مراحل تطور الفكر البشري .. حتى جاء الاسلام مرحلة نهاية ، مناسبا لاكتمال فكر الانسان .. فجاء فى صورة جديدة وتركيب جديد يتفق مع ما بلغته البشرية من نماء ذهني ونضج فكرى وقدرة على تقبل رسالة كاملة للبشرية كلها بعد أن كانت الأديان والرسالات من قبله ترسل لأمم معينة أو شعوب بعينها . .لذلك كان الخاتمة التي لا بد أن يأخذ بها الناس « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وكان لكل دين كتاب .. وكتاب الاسلام القرآن الكريم « وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .. كتاب من عند الله القدير الذى هو أعلم حيث يجعل رسالته .. فلذلك جاء كتابامعجزا ، لا يتصدى له عقل إلا كسره ولا يحاول مجاراته ذهن إلا صده « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .. يشرح رسالة الاسلام للناس فى اطار متكامل ويقيم حجة الله البالغة على من يعرض عن دينه ويولى الأدبار ويصير المصدر الاول لشريعته .. تلك الشريعة الخالدة التى ما انعم الله بها على الانسان إلا لخير هذا الانسان أينما وجد وحيثما كان .. ما سار عليها واتخذها دليلا لحياته وحسبنا أن نعرف من غير جهد ولا مشقة أنها شريعة خالدة صالحة للتطبيق فى كل زمان جامعة لكل بغية الانسان فى خير .. شاملة لمصالحه ما غمرت به الدنيا ، وكيف لا تكون وهى خاتمة الشرائع ولاشريعة بعدها .

ومن أجل ذلك وجب أن تكون وافية بجميع الأحكام والقوانين التى يحتاج اليها الناس في تدبير شئونهم وتنظيم حياتهم .. صالحة لمسايرة هذه الحياة فى جميع تطوراتها ومراحل تقدمها ورقيها .. تزودها فى كل عصر وكل جيل بما يكفل لها السعادة ويسبغ عليها السلام والأمن . وعمادها الأصيل فى ذلك :

١ ــ القرآن « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » ، « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » ، « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » فالقرآن وهو المصدر الأول لشريعة الاسلام قد أحاط بجميع الاحوال والقواعد الكلية اللازمة لبناء الكيان الصالح للفرد والدولة ثم المجتمع الدولى .. والتى تقوم عليها حياة الانسان وبصلاحها يستقيم أمر الفرد ويصلح نظام الجماعة ، وأحاط بأصول ما يلزم لحفظ المقاصد الخمسة والتى تعنى كل الشرائع والقوانين بالحفاظ عليها وهى : الدين ، والنفس والعقل ، والنسل ، والمال .. ووضع لها من أصول الأحكام ما يحفظ كيانها ويكفل بقاءها ويدفع عنها ما يفسدها أو يضعف ثمرتها « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » .

٢ ــ السنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين : وهى أفعال وأقوال وتقريرات فى الأمور الشرعية قد أثرت عنه ، ولأن القرآن جاء بكليات وأصول عامة للأحكام جاءت السنة عن النبى توفى ذلك حقه من الشرح والبيان والتفصيل والتعليل .. جاءت السنة مفسرة للقرآن : تبين مجمله وتقيد مطلقه وتخصص عامه وتفصل احكامه وتوضح مشكله .. فمن الفرائض والأحكام ما جاء فى القرآن نصوصا

مجملة كالصلاة والزكاة والحج ، فلم تذكر فى القرآن هيئاتها ولا تفصيلاتها .. فبينها الرسول عليه الصلاة والسلام بسننه الفعلية والقولية .

* * * *

وليس كتاب الله ببعيد عنا ولا سنة نبيه الكريم وهما نبع الاسلام حتى نجد صالحنا فى كل أمر من امور الدين والآخرة يشع منهما ضوءا باهرا وشمسا ساطعة وطريقا ميسرا سهلا واضحا .

وذلك لولم نر الاسلام بما نحن عليه اليوم .. ولكن اذا عدنا اليه — كما اقول — فى كتابه وفى أحاديث رسوله ثم فى تاريخ رجاله الأولين الذن اكتسحوا الوثنيات وقوضوا معاقل الشرك ورفعوا أعلام الحرية والعدالة والمساواة تخفق على ربوع العالم ، ولما يكن مضى على الدعوة إلا نصف قرن .

لقد دعا الاسلام الى تحرر الفكر من ظلام الجاهلية ، ودعا الانسان الى التخلص من قيود الجمود كما دعاه الى أن يمعن النظر فى الوجود وفى آيات الله الكبرى وفى ملكوت السموات والأرض وما بينهما ، والى اليقظة من سباته بما ذكر فى القرآن فى قصص الأولين ..

عنى الاسلام بوضع النظم الاجتماعية التى تكفل للانسان أسلم حياة .. معتبرا أساس ذلك المساواة بين الناس وحرية الفرد مع مراعاة حرية الآخرين .

إنه يرافق الفرد فى كل أطوار حياته وينظم له كافة شئونه ثم يتولى الجماعة وما يكون بين الفرد وغيره من صلات ويدعمها بنظمه وتشريعاته

ولم يغفل الاسلام علاقة المسلمين وغير المسلمين .. بل نظمها ورسم لنا على أى وجه يمكن الاتصال بهم فى أمر من أمور الحياة من معاملات وحرب وسلام وجوار ..

ولم يدع الاسلام الناس الى أن ينقطعوا عن الدنيا ويتمسكوا بالرهبانية بل نهى الاسلام عن ذلك وحث المسلمين على أن يسيروا فى الأرض ويبتغوا من فضل الله وأن يأكلوا من طيبات ما رزقهم ويتمتعوا بما أحل لهم .

وبالجملة فقد قصد الاسلام بتشريعه تحقيق المصالح للناس ودفع المفاسد عنهم وكانت تشريعاته كلها مبنية على أن مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد اذا ما تعارضت المصلحتان وان دفع الضرر العام مقدم على دفع الضرر الخاص .

مبادىء سامية غاية السمو تأخذ بالناس دائما الى الخير والفلاح والرشاد وتقضى على عوامل الشر والفساد والضياع .. مبدأ العدالة والمساواة ومبدأ الشورى ومبدأ التسامح ومبدأ التضامن الاجتماعى ومبدأ احترام الحريات .. « هى عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، وكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان دخلت فيها بالتأويل ، فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه وظله فى أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله » .

* * * *

ولكن أين نحن الآن من كل ذلك ..؟

لقد أصبحت المذاهب والقوانين الوضعية هى كل همنا ونسينا فى غمرة البعد عن المنبع الأصيل للحياة السليمة الكريمة النافعة للناس جميعا .. نسينا فى غمرة ذلك البعد ما جاء فى كتاب الله وسنة نبيه .. والتفتنا بكل طاعتنا وتنفيذنا لقوانين وضعية ناسين انها مهما تسامت فهى من وضع البشر الذين قد يلعب بهم الهوى أو يغلبهم الغرض .. أو يكونوا هم سببا لانبثاق الهوى والغرض بين المنفذين والمعتقدين والأتباع .. وناسين ما استؤمنت عليه أمة الاسلام من دون الناس : من شريعة سمحاء اشتملت على أحكام هى دستور صالح لكل زمان ومكان تخدم مصالح الناس فى مشارق الأرض ومغاربها .. شريعة من أهم دعائمها التلاقى فى عزة على الخير والبر والتواصى على الحق ، وليس البر فيها مظاهرات ولا شعارات فقط أو دعوات بدون عمل ، ولا تعرف التحزب ولا التشيع ، فالمسلمون بمقتضاها جميعا اخوة .. وحذرت دائما من التفرق وتأمر دائما بالرجوع فى كل أمر الى الله ورسوله .

ولقد نرى موجات من العودة الى الدين فى أشكال من حلقات للذكر وتلاوة القرآن وكتابة المقالات والبرامج .. ولكن ليس ذلك الا دعوة ظاهرية لا تأخذ من الدين الا الشكل .. بينما نحن بعيدون ونحن نعمل كل ذلك عن الجوهر واللب .. فتأتى العودة هشة بائسة ضعيفة .. لا تلبث أن تمر المناسبة او الذكرى فلا نجد لما عدنا اليه وقتها اثرا ولو ضعيفا .

ولقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله) ، وقال الله سبحانه فى كتابه « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » ، « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .

من هذا المنبع نريد أن نبدأ الطريق فكرا وعملا وجهادا .. يجب أن نبدأ فنرد كل ما فى دنيانا الى ديننا .. فما كان فيه فالسير عليه واجب واجب .. وما ليس منه فلننحه من حياتنا فورا ، وبدون ابطاء « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .. أن نأخذ من ديننا ما تستقيم به شئون دنيانا دون زيف أو تحريف وأن نطوع سلوكنا ونظم حياتنا لشريعتنا من غير انحراف أو تبديل وأن نجمع على الحق كلمة تتنازعها عوامل الوهن وتتهددها مخاطر الفرقة ..

وللشعوب الاسلامية خاصية استودعها الله الفرد وخلق بها الجماعة فربى الاسلام الفرد على أن يعيش لدينه ونفسه بقدر ما يسعد وأن يعيش لدينه وللناس من حوله بقدر ما تنهض الأمة وترقى على أنه فرد فى مجتمع لاتحده حدود ولا تسوره أبعاد ، وربى الجماعة على أن تتكاتف وتتعاون ليسعد ذلك الفرد على صعيدها ويتنفس ملء رئتيه فى حمايتها ورعايتها وصدق الله العظيم اذ يقول : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ومن هنا كان زمام السلوك السوى للفرد وللجماعة هو العقيدة السليمة والعمل الرشيد .. ولذلك فان شعوب المسلمين لن يصلح أمرها إلا بما صلح به أولها فلن تجمعها مصالح الدنيا ما لم تجمعها عقيدة الدين وتحيا فى نفوسها دوافع الميثاق الذى واثقها الله به ولن تجمعها عقيدة الدين ما لم تكن لتلك العقيدة أصول ثابتة فى قلوب صافية

ونفوس زاكية فتتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويصبحوا يدا على من سواهم . ؟

إن الشريعة الاسلامية اذا ما عدنا اليها عملا وقولا من أول الايمان بالله وأداء فرائضه والسير على ما رسمته لنا والتخلق بأخلاقها واتباع منهاجها فلن ترهقنا من أمرنا عسرا .. بل نسير بها فى أمن وسلام .

* * * *

إن العالم الآن يضج بألوان الزيف والخداع وتحكم القوى فى الضعيف وأنواع كثيرة من استغلال الدول لبعضها والانسان للانسان ، وأنواع كثيرة من المظالم والمفاسد ووأد الحريات وتضييق الخناق على البشر وملأت نفس الانسان معايير ظالمة سوداء تخرجه عن طريق الحياة الفاضلة والهناءة المسعدة .. فأصبح الانسان كارها لغيره حقودا عليه لا يرحم ضعفه ويخشى بأسه .. الزيف والخداع والنفاق هم نظام تعامله وراجت سوق الرذائل وبات الناس يتخبطون فى أوهام من الظلمات والأهواء ويتيهون فى مفازات من الأغراض والغموض تحت ستار براق هو الاصلاح .

لقد بلغ السيل الزبا ..

ولا سبيل الى علاج ذلك إلا اتباع الاسلام فهو السبيل الوحيد الى ذلك .. السبيل دين الاسلام الذى هذب الغرائز وقوى عنصرى الروح والمادة وأقام العدل وبين للناس الصراط المستقيم ونظم العلاقات التى تستلزمها الحياة بين الافراد والجماعات والدول والشعوب على أساس من الأخلاق الفاضلة وأقام المجتمع الانسانى كله على أساس من الفضائل الانسانية العالية وبين أن الفضيلة والعدالة لكل الناس أجمعين لا بلون ولا جنس ولا شعب .

لا بد للمسيرة من شريعة الاسلام نصا وروحا .. فكرا وعملا .. بذلا وجهادا حتى تعلو الراية وتخفق حرة ويجد الناس تحتها ما لم يجدوه فى أى نظام أو مكان .. لا بد أن نعمل بذلك لا بد أن نعود سراعا سراعا قبل أن يفوتنا الوقت ..

« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون . ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » .

هذا أمر الله فلنتبعه قولا وعملا وجهادا بكل ما فى الكلمة من طاعة وامتثال حتى يهدينا صراطا مستقيما ويهيىء لنا من أمرنا رشدا .

مائدة القارئ

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم »
(صدق الله العظيم)

رؤيا الشافعى

قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعى يقول : أريت فى المنام كأن آت أتانى ، فحمل كتبى وبثها فى الهواء فتطايرت فاستعبرت بعض المعبرين ، فقال : ان صدقت رؤياك لم يبق بلد من بلدان الاسلام الا ودخله علمك .

رقم (٧)

اختار اليهود السنين (السبعية) لتنفيذ مخططهم مثل عام ١٩١٧ ، ١٩٤٧ ، ١٩٦٧ وهكذا ... لأنهم يتفاءلون برقم سبعة ، تيمنا منهم بالألف سنة السابعة التى يعدهم الرب فيها بحكم العالم ، والتى تبدأ بعد عام ٢٠٠٠ ميلادية ، كما أن شمعدان موسى كان له سبعة أفرع ، ويعتقد اليهود أنها كانت تنير بنور الله .

مراكز القوة

لم يكن المطيع لله الخليفة العباسى (٣٦١) هـ يملك من الأمر شيئا ، وكانت السلطة موزعة بين مراكز القوة المختلفة ، وفى هذا الوقت كتب (بختيار) للخليفة يطلب منه تزويده بالمال لأجل الغزو والجهاد ، وأجابه الخليفة على طلبه بقوله :

ان الغزو يلزمنى اذا كانت الدنيا فى يدى ، والى تدبير الأموال والرجال ، وأما الآن وليس لى منها الا القوت القاصر عن كفائى ، وهى فى أيديكم وأيدى أصحاب الأطراف فما يلزمنى غزو ولا حج ولا شىء مما تنظر الأئمة فيه ، وانما لكم منى هذا الاسم الذى يخطب به على منابركم . تسكتون به رعاياكم فان أحببتم أن أعتزل اعتزلت عن هذا المقدار أيضا وتركتكم والأمر كله .

ميلاد الايمان

(١) « جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبى ، فسألوه : انا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : أوقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ذاك صريح الايمان » .

عن أبى هريرة . رواه مسلم .

(٢) « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هكذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد فى ذلك شيئا ، فليقل آمنت بالله وبرسله » .

عن أبى هريرة . متفق عليه .

وصية أبى بكر

عندما حضرت الوفاة الصديق رضى الله عنه دعا ابنته أم المؤمنين عائشة وقال لها :

يا عائشة لقد ولينا أمر المسلمين ، فما استبقينا لأنفسنا من مالهم شيئا ، لقد أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وما بقى عندنا من مال المسلمين الا هذا البعير الناضح وهذا الخادم وهذه القطيفة الجرداء فاذا مت فابعثى بها الى عمر فانى لا أحب أن القى الله بشىء من مال المسلمين .

طبق سمك

أقام ابراهيم بن المهدى مأدبة للرشيد قدم له فيها طبق سمك فاستصغر الرشيد قطع السمك وقال لابراهيم : لم صغر طباخك تقطيع السمك فقال له : يا أمير المؤمنين هذه ألسنة السمك ، فاستحلفه عن ثمنها ، فأخبره بأنه أكثر من ألف درهم ، فرفع الرشيد يده ، وحلف ألا يطعم شيئا حتى يحضر ألف درهم ، فلما حضر المال أمر الرشيد أن يتصدق به ، وقال : أرجو أن يكون كفارة لسرفك فى انفاقك أكثر من ألف درهم على طبق سمك ثم ناول الخادم الطبق ، وقال له : أول سائل تراه ادفعه اليه !

مطلبية

عندما غزا أبرهة الحبشى مكة عام الفيل وأراد هدم الكعبة وأخذ ابل عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم طلب منه عبد المطلب أن يرد عليه ابله وترك السؤال عن البيت ، فظن ابرهة لغبائه أن الابل عند عبد المطلب أعز عليه من البيت فأجابه : ما سألت عن الابل لأنى أضن بأثمانها فاننى قد وهبتها للبيت ، ولكنى سألت عنها لأنها موضع سؤالى ، وتركت السؤال عن البيت لأن استجداء الرحمن من أبرهة لبيت الله ينفى الثقة بالله .

قرارات وتوصيات

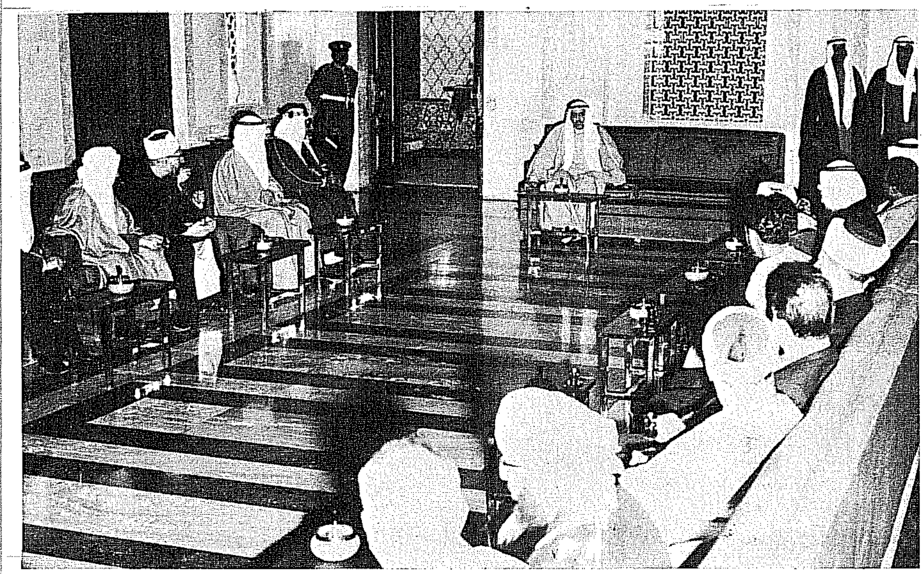
مؤتمر وزراء

الأوقاف والشؤون الإسلامية والدينية

في البلاد العربية

صدرت هذه القرارات والتوصيات عن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية والدينية فى البلاد العربية الذى انعقد فى دولة الكويت تحت رعاية حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم وبدعوة من سعادة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى الفترة من ٢٣ محرم سنة ١٣٩٣ ه الى ٢٨ محرم سنة ١٣٩٣ ه .

وقد اشترك فى هذا المؤتمر وفود عن دولة الكويت والمملكة الأردنية الهاشمية ، ودولة البحرين والجمهورية التونسية والجمهورية الجزائرية والمملكة العربية السعودية وجمهورية السودان الديمقراطية والجمهورية العربية السورية والجمهورية العراقية وسلطنة عمان ودولة قطر والجمهورية اللبنانية والجمهورية العربية الليبية والمملكة المغربية وجمهورية مصر العربية وجمهورية موريتانيا الاسلامية والجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية



سمو أمير البلاد المعظم يستقبل بقصر السيف العامر رؤساء الوفود المشتركة فى مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية العرب بمناسبة انعقاد المؤتمر فى الكويت .

واتحاد الامارات العربية كما مثلت فيه الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي بجـدة ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وقد اتسمت اجتماعات المؤتمر ولجانه بالصراحة التامة والمناقشات الهادفة والعمل الدائب .

وفي خلال هذه الفترة كان أعضاء الوفود موضع الحفاوة والترحيب فقـد استقبل حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم رؤساء الوفود كما أقام سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء لجميع المشتركين فى المؤتمر مادبة عشـاء بقصر السلام ، وأقام لهم سعادة وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ورئيس المؤتمر حفل غداء وزارت الوفود بعض معالم النهضة في البلاد .

وفى ما يلى النص الكامل للقرارات والتوصيات التى وافق عليها المؤتمر :



معالى الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية وهو يلقى كلمة فى حفل افتتاح مؤتمر وزراء الأوقاف العرب الذى عقد فى الكويت وقد افتتح معالى الوزير المؤتمر نيابة عن سمو الأمير .

مقررات وتوصيات المؤتمر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

من أجل اعلاء كلمة الله وتجاوبا مع مشاعر الأمة العربية والاسلامية ووحدتها ونهوضا بالواجب الملقى على عاتقها بالدفاع عن قضايا المسلمين ومقدساتهم وتراثهم وحضارتهم ولغتهم .

وبناء على الدعوة الكريمة الموجهة من السيد وزير الأوقاف والشئون الاسلامية فى دولة الكويت وبرعاية من حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت المعظم وسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ، انعقد مؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية والدينية فى البلاد العربية بدولة الكويت فى الفترة الواقعة ما بين ٢٣ محرم ١٣٩٣ هـ الموافق ١٩٧٣/٢/٢٦ م — ٢٨ محرم ١٣٩٣ الموافق ١٩٧٣/٣/٣ ، وقد مثلت فى المؤتمر جميع الدول العربية كما شاركت الأمانة العامة الاسلامية لمؤتمر وزراء الخارجية ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وبعد أن أجمع الحاضرون على اسناد رئاسة المؤتمر الى الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت تداول المؤتمر فى كافة الموضوعات المطروحة عليه واستمع الى كلمات الوفود وتدارس جميع الاقتراحات المقدمة من الأعضاء وشكل لها اللجان المختصة وهى : —



اعضاء الوفود المشتركة فى مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية والدينية الذى عقد فى الكويت أثناء حفل الافتتاح.

(١) لجنة الدعوة الاسلامية والصندوق .
(٢) لجنة التنسيق والمقترحات .
(٣) لجنة توحيد المناسبات الاسلامية .
(٤) لجنة الصياغة .

انتهى المؤتمر الى المقررات والتوصيات التالية : —

اولا : — فيما يتعلق بالدعوة الاسلامية :

قرر : —

١ — انشاء صندوق للدعوة الاسلامية تكون المساهمة فيه اختيارية .

٢ — اختيار الدعاة الصالحين من العلماء المؤهلين للنهوض بهذا العبء مع توفير الامكانيات الأدبية والمادية لهم ولنشاط دعوتهم .

٣ — تعميم مدارس تحفيظ القرآن الكريم وتفهيم معانيه لتكون روافد للتعليم الدينى . ووضع الحوافز المشجعة على الالتحاق بها .

٤ — مراجعة ترجمات معانى القرآن الكريم فى كل اللغات بدقة وعناية .

٥ — مراقبة كل ما يطبع من المصاحف الشريفة بواسطة لجنة من العلماء القراء للتأكد من صحتها والوثوق بها وان تعلن للدول العربية والاسلامية عند وقوفها على الأخطاء .

٦ — وضع تفسير لكتاب الله يتضمن أفضل ما كتب فى هذا الشأن ويكون موضوعيا ومختصرا على أن



جانب من الجلسة الختامية للمؤتمر التى عقدت بفندق هيلتون وتليت فيها القرارات والتوصيات التى توصل اليها المؤتمر .

يترجم الى اللغات الحية ولغات الشعوب الاسلامية .

٧ ـ العودة بالمسجد الى سيرته الأولى ووضع أسلوب جديد لخطبة الجمعة ليقوم برسالته على أكمل وجه .

التوصيات : ـ

١ ـ يوصى المؤتمر بالعناية بابراز الحضارة والثقافة الاسلامية مع تجسيد تعاليم الاسلام فى سلوك عام بين المسلمين بوضع خطة تجعل الشريعة الاسلامية واقعا حيا يحكم حياة المسلمين .

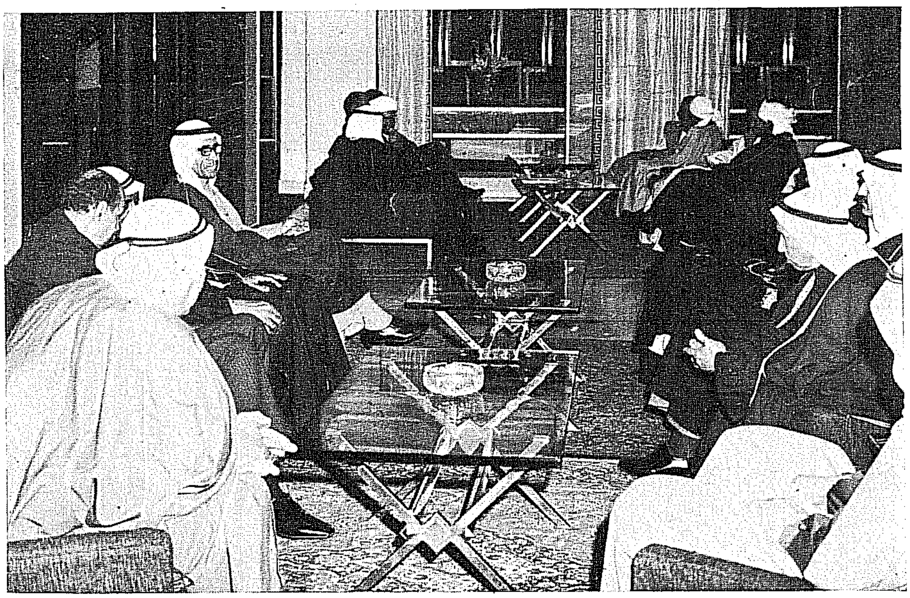
٢ ـ يوصى المؤتمر بانشاء كليات للدعوة الاسلامية . وتعديل مناهج كليات الحقوق بجعل مادة التشريع والفقه الاسلامى مادة أساسية فى الساعات والدرس تتناول كافة الاحكام فى المعاملات وغيرها .

٣ ـ يوصى المؤتمر بتطوير مناهج التعليم وأساليبه في كل المواد وبصورة تدعم العقيدة وتركز الايمان في نفوس الطلاب وجعل الدين مادة أساسية فى جميع المراحل التعليمية .

٤ ـ يوصى المؤتمر بالعمل على ايجاد رياض اسلامية للأطفال يستغنى بها عن المؤسسات الأجنبية .

٥ ـ زيادة الاهتمام والعناية بأبناء الشهداء والأيتام المسلمين .

٦ ـ ايجاد التعاون بين وزارات



أقام سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الأحمد الجابر بقصر السلام حفل عشاء تكريما للوفود المشتركة فى المؤتمر . ويبدو فى الصورة بعض المدعوين .

الأوقاف والشئون الدينية ووزارات الشؤون الاجتماعية والتعليم والاعلام فى البلد الواحد وتنسيق الجهود وتبادل الآراء بين وزارات الأوقاف والشؤون الدينية بمختلف البلاد العربية والاسلامية .

٧ — تغذية وكالة الأنباء الاسلامية فى جده بالأخبار الصحيحة لتحرير الخبر الاسلامى من قيود وعوائق وكالات الأنباء الأجنبية .

ثانيا : — وفيما يتعلق بتوحيد أوائل الشهور القمرية والمناسبات الدينية .

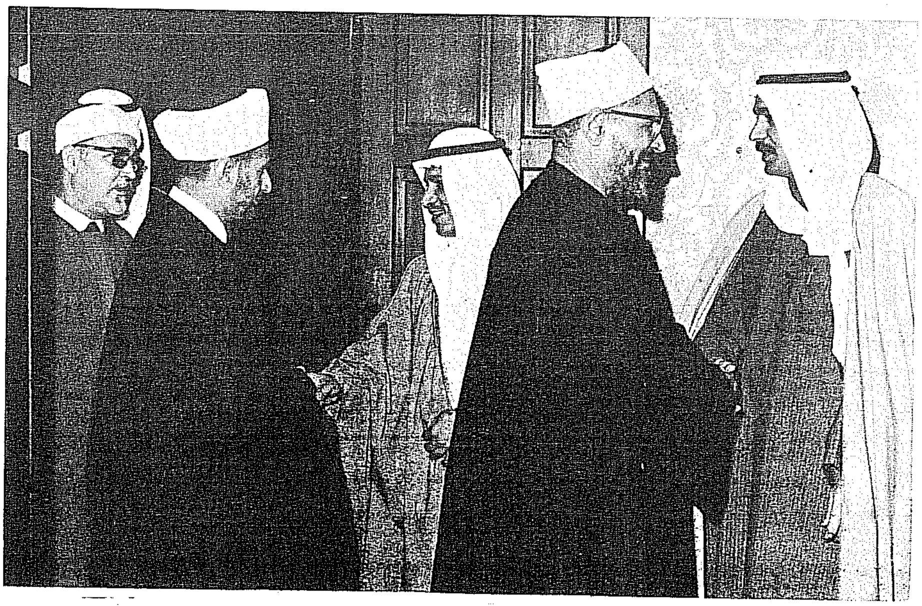
قرر : —

١) أن رؤية الهلال هى الأصل فى تحديد أوائل الشهور القمرية ، شرط الا تتمكن منها التهمة تمكنا قويا ، وهى تثبت بالتواتر والاستفاضة أو بخبر الواحد العدل اذا لم تتمكن التهمة فى الأخبار لسبب من الأسباب ومنها مخالفة الحساب الموثوق به .

٢) انه لا عبرة باختلاف المطالع وان تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية وإن قل واذا ثبتت الرؤية فى بلد ، وجب أن تأخذ بها البلدان الأخرى إذا كانت اذاعة ذلك البلد من جهة رسمية وبالوسائل المعتمدة .

٣) انه اذا تعذرت الرؤية يجوز الاعتماد على الحساب الفلكى الموثوق به .

٤) وجوب عمل تقويم قمرى بمعرفة لجنة معتمدة من فقهاء الشريعة الاسلامية وعلماء الفلك



جانب من حفلة الغداء التى أقامها بفندق شيراتون وزير الأوقاف والشئون الاسلامية راشد الفرحان ، تكريما للوفود المشتركة فى المؤتمر .

تلتزم به الحكومات الاسلامية فى صومها وفطرها وفى تحديد مواسمها الدينية وفى تاريخها .

٥) انه حتى يصدر هذا التقويم يبقى الاعتماد على رؤية الهلال أساسا لتحديد أوائل الشهور القمرية .

٦) توطئة لاعتماد الحساب الفلكى الموثوق به فى تحديد أوائل الشهور القمرية يقرر المؤتمر تعميم المراصد الفلكية فى البلاد العربية والاسلامية والمبادرة الى تأليف اللجنة المشار اليها فى المادة الرابعة بحيث تنتهى من مهمتها قبل انعقاد المؤتمر الثانى لوزراء الأوقاف والشؤون الاسلامية والدينية .

٧) اتخاذ يوم الجمعة عطلة أسبوعية رسمية لدى الحكومات العربية والاسلامية كافة تأكيدا لوحدة الأمة الاسلامية وتعزيزا لشعائرها .

ثالثا : — فيما يتعلق بالتنسيق بين مختلف الأنشطة الاسلامية ،

قرر :

١) أن ينشىء المؤتمر مكتبا للمتابعة والتنفيذ ، يكون تابعا له ، ويسمى (بمكتب التنسيق الاسلامى) ويوضع لهذا المكتب نظام خاص يحدد شكل العمل عند تنفيذ مقررات المؤتمر ، وتكن له إدارته وموظفوه وهيئة الاشراف فيه ، كما تكون له ميزانية خاصة به تسهم فى تغذيتها الدول العربية كل حسب امكانياتها ، وأن تكون دولة الكويت مقرا له .



قام رؤساء وأعضاء الوفود المشتركة فى المؤتمر بزيارة محافظة الأحمدى لمشاهدة المنشآت النفطية والصناعية هناك . والصورة للضيوف خلال زيارتهم للرصيف الجنوبى ، حيث شاهدوا عملية شحن النفط فى الناقلات الراسية على الرصيف .

٢) وان تكون مهمة مكتب التنسيق الاسلامى تأمين الدراسات والمعلومات عن حاجات المسلمين الروحية والمادية فى شتى أنحاء العالم من جهة ، وذلك بغرض توجيه هذه الامكانات وتنميتها بحيث تكون قادرة على تغطية الحاجات الاسلامية المشار اليها من جهة أخرى .

٣) بأن يهتم مكتب التنسيق الاسلامى بشكل خاص بالأمور التالية :

أ) التنسيق بين المؤتمرات الاسلامية التى تعقد فى شتى أنحاء العالم ، بحيث يعمل على عدم انعقاد أكثر من مؤتمر واحد فى وقت واحد ، كما يعمل على عدم تكرار الموضوعات المطروحة والتى انتهى بحثها فى مؤتمر من المؤتمرات ، بالتنبيه الى ضرورة عدم طرحها فى مؤتمر آخر .

ب) يساعد مكتب التنسيق الاسلامى على انشاء اتحاد محلى للجمعيات والهيئات الاسلامية فى كل دولة فيها نشاط اسلامى ، بحيث يتكون هذا الاتحاد المحلى فى اطار النظم والقوانين المعمول بها .

٤) بأن يقوم الاتحاد المحلى باحصاء ودراسة الحاجات الاسلامية المحلية من جهة واحصاء ودراسة الامكانات الاسلامية من جهة أخرى ، ويحاول تغطية الحاجات الاسلامية المحلية بالامكانات الاسلامية الموجودة عن طريق التنسيق . وفى حال الحاجة الى المعونة الخارجية ، يعد الاتحاد المحلى الدراسات فى هذا الموضوع ويرفعها مع مقترحاته الى المؤتمر بواسطة مكتب التنسيق

الاسلامى . كما يرفع الاتحاد المحلى عن هذا الطريق أيضا ، تقاريره الدورية الى المؤتمر موضحا بنوع خاص ما يلى : —

١ — حاجات المسلمين فى الدولة التى ينتمى الاتحاد اليها .

٢ — الامكانات التى يمكن أن يقدمها المسلمون فى هذه الدولة لمساعدة المسلمين فى الدول الأخرى، وينبغى أن تتناول هذه الحاجات والامكانات معلومات عن البعثات الدينية والمنح الدراسية والجامعية والمساعدات المالية والكتب والمجلات والمنشورات والمواد الاعلامية الاسلامية المتنوعة والمعلومات المتعلقة بالشبهات التى يثيرها أعداء السلام للرد عليها وتفنيدها بما يحصن الناشئة ويمكن للعقيدة فى النفوس .

٥) أن يجتمع المؤتمر مرة فى السنة ، وكلما دعت الضرورة الى ذلك ، بدعوة من وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والدينية فى أى بلد من البلدان التى يتم الاتفاق المسبق على انعقاد المؤتمر فيها .

رابعا : وفيما يتعلق بالمقترحات العامة التى تقدمت بها الوفود :

قرر :

١ — تعطى الأفضلية للحركات الاسلامية التى تضع هدف تحرير المقدسات الاسلامية فى فلسطين وهدف تحرير الاراضى العربية المحتلة فى طليعة التزاماتها .

٢ — يستنكر المؤتمر ما تلاقيه الاقليات الاسلامية من عسف واضطهاد فى كثير من البلاد ويطالب بايقاف المجازر ضد المسلمين فى الفلبين وغيرها كما يطالب بالافراج عن الأسرى الباكستانيين كما يشجب التفرقة العنصرية أينما تكون .

٣ — ويعلن استنكاره للعدوان الصهيونى على طائرة الركاب المدنيين الليبية وعلى مخيمات اللاجئين فى لبنان ويهيب بالضمير العالمى أن ينهض لوضع حد لمثل هذا الطغيان .

٤ — يحيى المؤتمر حكومات وشعوب البلدان الأفريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل ويقدر موقفها النبيل ويدعو لمناصرتها وتمتين العلاقات معها .

٥ — وضع قانون موحد للأوقاف مستمد من الشريعة الاسلامية بحيث يكون محققا للاهداف السامية التى وجدت الأوقاف من أجلها .

٦ — يوصى المؤتمر الدول العربية والاسلامية بالنص فى دساتيرها على أن دين الدولة هو الاسلام والشريعة الاسلامية هى مصدر التشريع .

٧ — يوصى المؤتمر الدول العربية والاسلامية بنبذ الخلافات السياسية والمذهبية وحل مشكلاتهم بالطرق السليمة والعمل صفا واحدا لتعزيز الكيان الاسلامى وحماية وجوده .

٨ — يفوض المؤتمر وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت الاشراف على مكتب التنسيق الاسلامى وادارته حتى انعقاد المؤتمر القادم .

٩ — لا يسع المؤتمر أخيرا الا أن يرفع الى حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت المعظم اجزل الشكر وخالص التقدير والامتنان على رعايته السامية لهذا المؤتمر ، كما يقدم شكره الصادق لمعالي وزير الأوقاف ومساعديه وللصحافة وسائر أجهزة الاعلام فى الكويت على ما قدموه من جهود مخلصة لانجاح هذا المؤتمر وإيصاله الى ما يتطلع إليه من خير للأمة الاسلامية .

آملين من الله العلى القدير أن يصون دولة الكويت وكافة الدول العربية والاسلامية ويجمع كلمة المسئولين فيها فى ظل الاسلام ومبادئه الرفيعة .

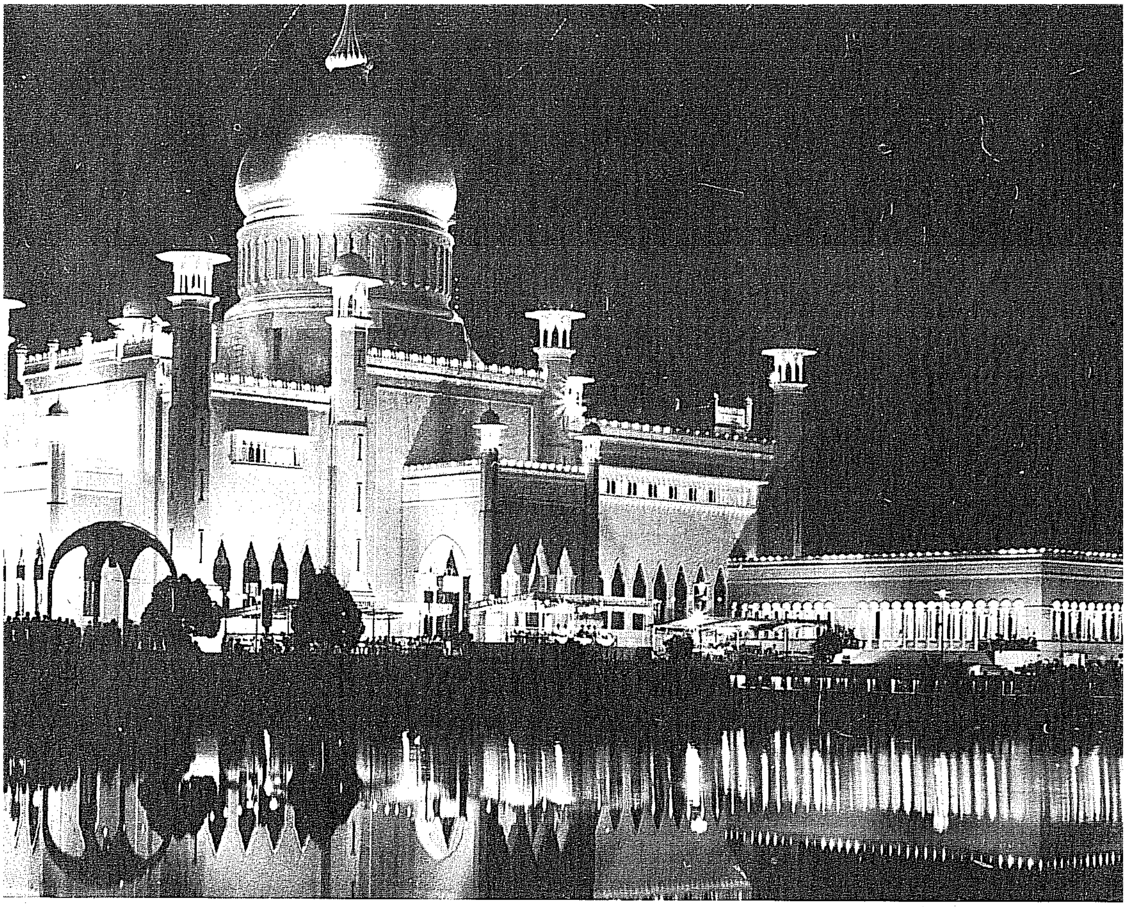
الإسلام والمسلمون في :

بروناي

أو (دار السلام) الآسيوية

للدكتور : جمال الدين محمد حماد

- غالبيــــة الســكان مسلمون .
- يطلقون على بروناى اسم دار الســـلام حتى الآن .
- فن المعمــار الاسلامى واضح فى المحميــة .
- يتدفــق البترول بشــدة في أرض بروناى .
- انتشر الاسلام في هذه المنطقــة عن طريق العرب الحضارمة .
- مسجد عمر على سيف الدين مسجد شهير جدا في قلب المدينة .



مسجد عمر على سيف الدين فى مدينة بروناى او دار الســـــلام الآسيوية ..

تقع بروناى وهى محمية بريطانية غالبية سكانها مسلمون فى جزيرة بورنيو فى أقصى الشمال بين ولايتى صباح وسراواك اللتين تكونان ماليزيا الشرقية .

وهى تطـــل على بحر الصـــين الجنوبى شمالا ..

وهى تقع من الناحية الجغرافية فى جنوب شرق آسيا .

وهى على اتصـــــال من ناحية الخطوط الملاحية والجوية بجاراتهـا اتحاد ماليزيا وجمهورية أندونيســيا وسنغافورة والفلبين .

أما الاسم فهو مشـــتق من اسم جزيرة بورنيو ولكنها كلمـة واحدة انطلقت الألسن بها فى اتجـــاهين بورنيـــو وبروناى وان كانت جزيرة بروناى سياسيا قد انقســمت الى ثلاثة اجزاء :

١ — بروناى (المحميـــــــة البريطانية) .

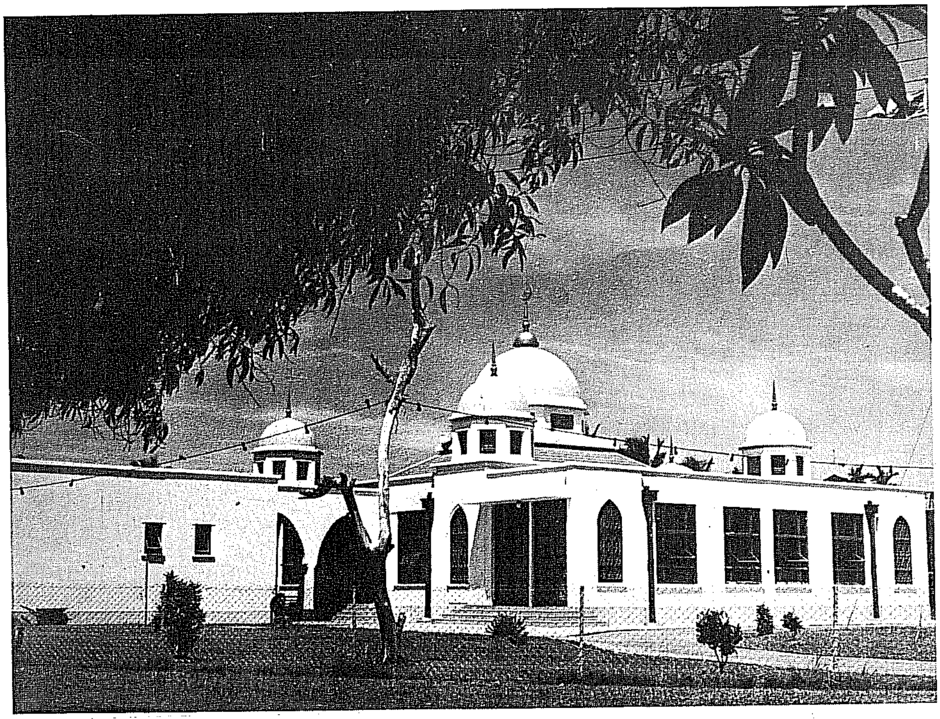
٢ — صباح وسراواك (ماليزيا الشرقية) .

٣ — الجزء الجنوبى من جزيرة بروناى يطلق عليه اسم كاليمانتـــان ويتبع اندونيسيا .

وقديمـا كانت بروناى هى أهم مدينة فى جزيرة بورنيو .

يحكم بروناى سلطان مسلم .

ويحكى التاريخ انه منذ وقت طويل ويحكم بروناى سلاطين مسلمون — بل لقد امتد حكمـــه فى وقت من



احد المساجد فى بروناى

الأوقات الى كل جزيرة بورنيو وعقد صلات طيبة مع امبراطور الصين وملك جاوا وحكام ملكا فى شبه جزيرة الملايو وانتعشت الحالة الاقتصادية والتجارية بشكل كان يلزم كل هؤلاء الاطراف بأن يخطب ود الآخر .

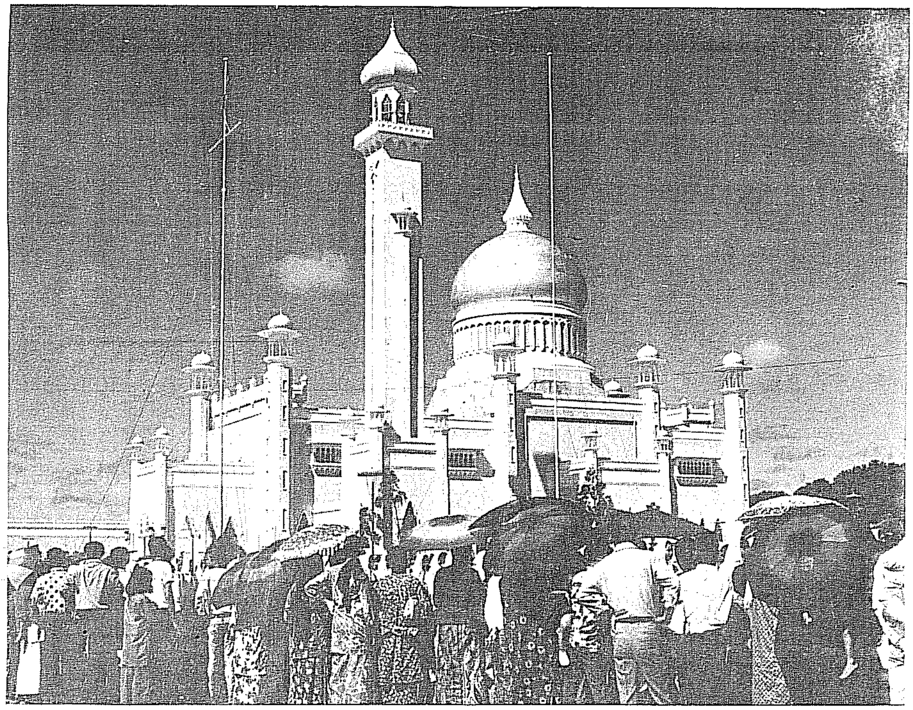
بل ان احد سلاطين بروناى قديما ويسمى (ناحذدا راجام) ومعناها (القائد المغنى) قام برحلات الى جاوه وجزر الفلبين ، وقاد جيوشا هزم فيها قادة مانيلا ، وسقطت مانيلا فى قبضته .

ثم ضعفت بروناى بعد ذلك ، وجاء الهولنديون الذين استعمروها لفترة ، وتوالت عليها ظروف تاريخية كثيرة كان آخرها الحماية البريطانية والتى جاءت نتيجة صداقة صيغت فى شكل معاهدة حتى الآن ..

وان كان لها الاستقلال الداخلى ، وهناك حزب نشيط هو حزب الجبهة الشعبية لبروناى .

يبلغ عدد السكان المسلمين فى بروناى حوالى (٨٠٫٠٠٠) ثمانون الفا حسب تعداد ١٩٦٦ م .

والعاصمة يطلق عليها ايضا بروناى وتسمى فى بعض الأحيان دار السلام .



المسلمون فى بروناى يحيطون بمسجد عمر على سيف الدين فى مناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف

الطابع العربى الاسلامى تجده واضحا جدا فى أبنية الحكومة ذات الأقواس الاسلامية ، والمعمار الفنى الاسلامى تجده فى المدينة يشدك اليها ويربطك بأهلها ..

وقد بنيت بروناى على نهر على بعد ٩ أميال من بحر الصين الجنوبى ..

وهناك ترى جزر كثيرة بنيت المنازل فيها على أعمدة خشبية وتقام فيها أسواق ، ويتم التنقل خلال ذلك بالقوارب الصغيرة ..

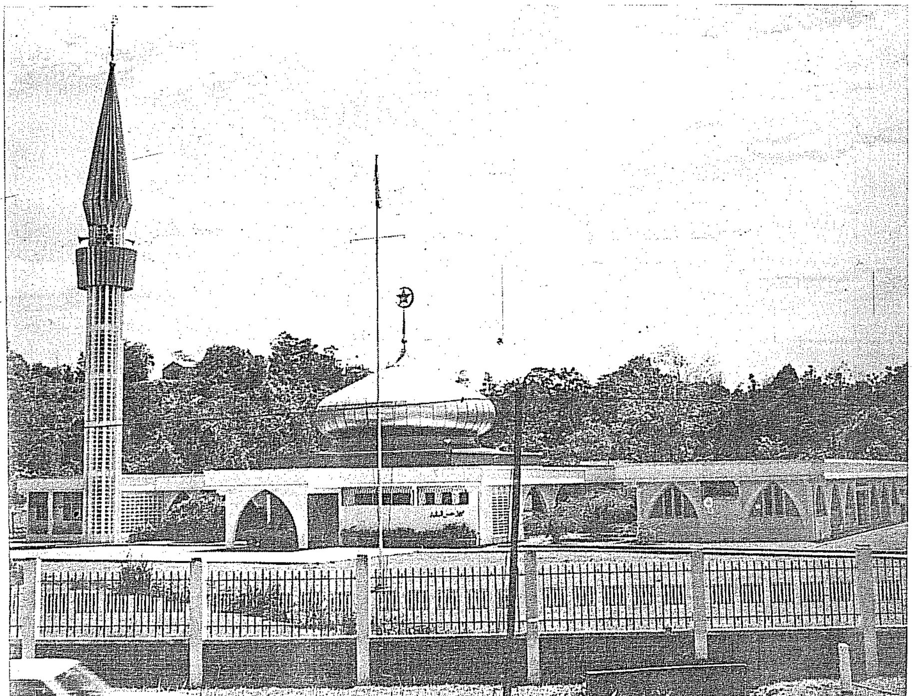
البترول فى بروناى :

يتدفق البترول بشدة فى أرض بروناى المسلمة .. وتتمتع بدخل قومى كبير .. وان كان للاستعمار البريطانى طبعا حصة الأسد فى ذلك ..

بل ان ما ينتج من حقول البترول فى هذه المحمية المسلمة يفوق ما ينتج فى أى بلد آخر فى جنوب شرق آسيا ..

الناس فى بروناى :

- الملايويون البرناويون ويشتغلون بصيد الأسماك وبعض الحرف الإخرى .
- الكيدايانز ويعملون بفلاحة وزراعة الارض .



مسجد حسن البلقفيه فى بروناى

- التوتونج .
- البيليت .
- الصينيون : يعملون بالتجـــارة ويمسكون بزمام الاقتصاد .
- الهنود .
- الاوربيون .

فى بروناى مطار حديث وســيتم الانتهاء من مرفأ بحرى يســـتطيع استقبال السفن الكبيرة حديثا .

ويقع فى قلب المدينة المســـجد الشهير والمسمى بمسجد (عمر على سيف الدين) وهو قمة من قمم فن العمارة الاســـلامى وترتفع منارة المسجد (١٥٠) قدما .. أما القبـــة الذهبية فانها تضيف الى المســـجد بهاء وروعة وجمالا .

ويزرع فى بروناى المطاط والأرز ومنتجات المناطق الاستوائية والشعب المسلم هناك حريص على دينه ويعتز باسلامه الى أبعد الحدود .

ويعتبر السلطان كزعيم روحى للمسلمين هناك .. وهو محبوب من شعبه .

وهناك ادارة كبرى لادارة الشئون الدينية الاسلامية يتبعها قسم للوعظ والارشاد وقسم للدعوة الاســـلامية ويتبعها القضاة المسلمون .



فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف بـ (بروناى) ..

ولقد التقيت بعرب كثيرين يقطنون بروناى منذ زمن بعيد .. بعضهم يجيد العربية والملاوية وبعضهم نسى العربية فى زحمة الزحف الاوروبى الفكرى على هذه المنطقة والذى يحاول بكل قواه أن يباعد بين المسلمين وبين اللغة العربية .. لغة القرآن .

وقد انتشر الاسلام بهذه المنطقة بنفس وسائل انتشاره فى جنوب شرق آسيا وأندونيسيا والهند وأقصد بذلك الدعاة المسلمين الحضارمة والتجار والمسلمين الحضارمة .. وانتشر هذا الدين الخالد على بعد عشرة آلاف كيلو متر من موطنه الأصلى .. ليقف أناس فى صفوف متراصة وينطقون بصوت واحد فى هذا الملأ وهذه البقعة : الله اكبر ، الله اكبر ..

ويحضر منهم لأداء فريضة الحج اعداد كثيرة كل عام .

وهناك أوقاف خيرية كثيرة أوقفها هؤلاء المسلمون الطيبون الخيرون على مشاريع الخير وفى سبيل الله .

والتقيت بالاستاذ الحاج عبد العزيز جنيد : مدير ادارة الشئون الدينية فى بروناى الذى قال لى ضمن ما قاله :



المظاهرة الاســـلامية فى بروناى

بمناســـــبة المولد النبوى الشريف احتفالا به ..

اننا هنا فى بروناى نعتز بالاسلام قلبا وقالبا ، ونحس بعمق الصـــلة الروحية التى تربطنا بالمسلمين فى الشرق الاوسط وفى كل مكان .

ونحن نهتز لكل حدث يحدث فى أرض المقدسات الاسلامية الطاهرة .

ثم اختتم قوله بحديث رسول الله صلى الله عليه وســـــلم : « مثل المؤمنــــين فى توادهم وتراحمهـــــم وتعاطفهم كمثل الجســـد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له ســـائر الاعضاء بالسهر والحمى » .

فن التذهيب في

انتشر فن التصوير عند العرب من ابتداء القرن الأول الهجرى ، ولو أن البعض انصرف عنه بعد تحذير النبى عليه الصلاة والسلام للمسلمين من اتخاذ الصور، خاصة وان العرب كانوا فى أول عهدهم بالدين ، وكان الهدف تطهير ربوع بلاد العرب من الشرك بالله ومحو كل أثر لعبادة الأصنام ، وكان الصدر الأول يتحاشون ذكرها أو الإشارة اليها أو الترخيص لأى سبب فى شىء منها ، وهم إنما تحولوا على ذلك حتى لا يثيروا فى نفوس العامة ما قد يكون عالقا بها من آثار الحمية الاولى ، حمية الجاهلية ، فيعود الأمر الى الضلال القديم ، هذا هو الذى دعا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لاجتثاث الشجرة التى كانت تحت ظلالها بيعة الرضوان ، لأنه رأى من تعظيم المسلمين لها ما جعله يخشى أن تكون لهم فتنة على مر الزمان ، حتى إذا ما رسخت قدم الاسلام وتوطدت أركانه لم يبق بعد مجال للخوف من الرجوع الى الشرك

الإسلام

للأستاذ : محمد الحسينى عبد العزيز

بالله بالاضافة الى ما نالته الدولة الاسلامية من الفتوحات الواسعة ، وما انهال عليها من كنوز الرخاء والثراء ، وما اتصل المسلمون بأمم ذات حضارات وفنون عريقة من أمم الشرق الأدنى القديم ممن لا يتحرجون عن اتخاذ الصور والرسوم كفن جميل ، لكن المصورين رغم هذا لم يتحرروا مطلقا فى فن الرسم بل جاملوا الفقهاء والمحدثين فعمدوا الى الإكثار من الرسوم النباتية والهندسية واتخاذ الكتابة العربية أسلوبا زخرفيا وجعلوا يحورون الصور الحيوانية والآدمية بحيث لا تطابق الواقع ولا تقلد البارى سبحانه الذى له حق الخلق وحده ..

وقد حظيت المخطوطات والمؤلفات العلمية بعناية الخطاطين والرسامين إذ ا يقتصر الأمر على حرصهم على مخطوطات جيدة الخط بل نراهم يمهدون بها الى غير الخطاطين من الفنانين المسلمين لزخرفة صفحاتها بالرسوم أو تزيينها بالصور ثم يدفعون بها الى مجلد ليحفظها لهم بين دفتين



تصوير عن مخطوط سعدى

حماية لها ووقاية من الضياع .. شأنهم فى ذلك شأن محبى اقتناء الكتب الجميلة الذين يسعون لاقتناء أجمل الطبعات وأبهاها وأغلاها ثمنا ليزينوا بها مكتباتهم .

وزخرفة المخطوطات بالرسوم الجميلة البديعة التى اصطلح على تسميتها بالتذهيب لكثرة الذهب بين الوانها تعد من أهم الميادين الفنية الاسلامية ، فهى توافق الميول الفنية بين الوانها من حيث حب استخدام الرسوم المسطحة ذات البعدين ، وبعبارة أخرى الرسوم غير المجسمة وهى من ناحية أخرى عامل هام فى دراسة تطور العناصر الزخرفية الاسلامية نظرا لأن كثيرا من هذه المخطوطات المذهبة مؤرخ ..

والمعروف أن المصاحف كانت أولى المخطوطات التى وجهت إليها العناية والاهتمام ، ويروى أن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أول من ذهب مصحفا . وكان التذهيب فى أول الأمر مقصورا على أجزاء معينة من صفحات القرآن مثل الأشرطة التى تفصل بين السور بعضها وبعض والفواصل بين الآيات القرآنية وبعض العناصر الزخرفية التى تدل على أجزاء المصحف وأقسامه كالنصف والربع وهكذا ..

وكان الشريط أهم هذه الاجزاء جميعا وشكله فى مبدأ الأمر مستطيل استطالة أفقية نظرا لأن المصاحف نفسها كانت مستطيلة فعرضها أكثر من طولها وقد زينت هذه الأشرطة بعناصر زخرفية مختلفة ، فنرى أحيانا المتشابكات والجدائل وأحيانا أخرى نجد رسوما هندسية من دوائر أو أجزاء من دوائر تتماس أو تتقاطع ، أو مربعات كالعقود والأعمدة وقد يعلو هذه أو يتصل بها عنصر نباتى مجنح نقلا عن الفن الساسانى .

والملاحظ أن عرض الشريط لم يكن منتظما إذ كان فى جزء منه أكثر عرضا من باقى أجزائه فى بعض الأحيان ، ويحدث ذلك عندما تنتهى السورة فى وسط الصحيفة ، وفى هذه الحالة يعمد المذهب الى جعل الشريط فى الجزء الخالى من الكتابة اكثر عرضا عن غيره وذلك إما بتكرير العناصر الزخرفية أو رسم عناصر معمارية .

اما فواصل الآيات فكانت مجرد دوائر ، فى حين كانت علامات الأجزاء دوائر داخلها مربعات تتداخل مكونة أشكالا نجمية يكتب بداخلها ما يدل على الجزء من المصحف ..

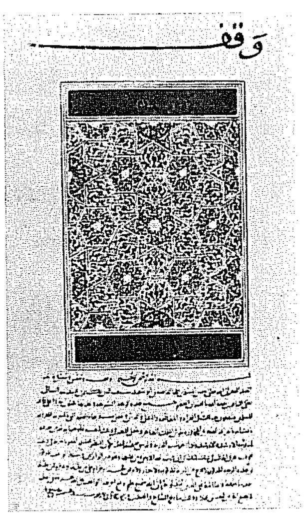
واستخدم الفنان فى هذه الزخارف اللون الذهبى والأزرق والأخضر والأسمر وكانت الرسوم تحدد أولا باللون الأسود ، واستخدام اللون الأخضر الداكن والقرمزى والأصفر دليل التأثر بالفن المسيحى فى مصر لأن هذه الألوان كانت شائعة فيه .

ويبدأ فى القرن الثانى الهجرى كتابة أسماء السور داخل الأشرطة بحروف من الذهب ولا تختلف العناصر الزخرفية بالأشرطة كثيرا عن زخارف القرن السابق إلا أنها تأخذ فى الدقة والتعبير والتعقيد ، وفى بعض الأحيان كانت هذه الزخارف شبيهة بما نجده على المنسوجات التى ترجع الى نفس القرن الذى ينسب إليه المخطوط .

ثم تزداد العناية بعد ذلك بالمخطوطات ولا يقتصر أمر زخرفتها على هذه الأجزاء من الصفحات بل توجه العناية الى الصفحات الاولى من المخطوطات فتزخرف جميعها .. وهناك نجد هامشا يحيط بالصحيفة ، أما المساحة المحصورة بين الشريط والتى تشتمل على عنوان الكتاب واسم مؤلفه أو الصفحة الاولى من المؤلف فكانت لها زخرفتها ايضا ..

ففى الحالة الاولى — أى صحيفة العنوان — تجد المساحة تقسم الى مناطق يكتب داخلها اسم الكتاب واسم المؤلف وتزخرف بالرسوم النباتية والهندسية المختلفة ، أما فى الحالة الثانية — أى الصفحة الاولى من المخطوط — فإن الفراغ المحصور بين الأسطر كان يزخرف بالرسوم المختلفة فنجد زهورا ونباتات ، وقد ترسم هذه الوحدات داخل إطارات تتبع فى تحديدها رسوم الحروف





صحيفة من غلاف القرآن الكريم

صورة عن مقامات الحريرى
المكتبة الوطنية فرنسا



وهكذا اهتم الفنان المسلم بتزيين صفحات الكتاب المبين بالرسوم المذهبة لمكانته السامية فى النفوس ولا تزال نسخ عدة منه تزين دور المتاحف والمكتبات العالمية الكبرى والتى اتخذت وجوده مفخرة وبهجة ودليلا على الفنى والثروة الأدبية .

وبدأ الاهتمام بإدخال فن التصوير والتذهيب على الكتب الادبية والتاريخية والعلمية لشرح الموضوعات والبطولات ، وهذا ما حدا بالمصورين الى تصوير الإنسان فى أعمال بطولية أثبت فيها الفنان ما بلغه من تقدم وما كان عليه من طهارة الروح ونقاوة الإلهام وسمو الخيال وتمجيد البطولة وما جعله رسوم الحب آية فى العفة والطهر الى جانب تصوير المناظر الطبيعية وما فيها من جمال المناظر وفتنة الجبال والوديان فضلا عن توضيح الموضوعات والنصوص بالصور ..

وفى مقامات الحريرى وكتاب كليلة ودمنة وكتب العقاقير الطبية وبعض أجزاء من كتاب الأغانى لأبى الفرج الاصفهانى ما يدل على النبوغ والمهارة التى شهد بها مؤرخو الفنون والتى جعلت هذه الكتب العربية قبسا ونموذجا احتذاه الفنان الأوروبى فى تزيين المخطوطات وكتب القصص والتاريخ والعلوم .

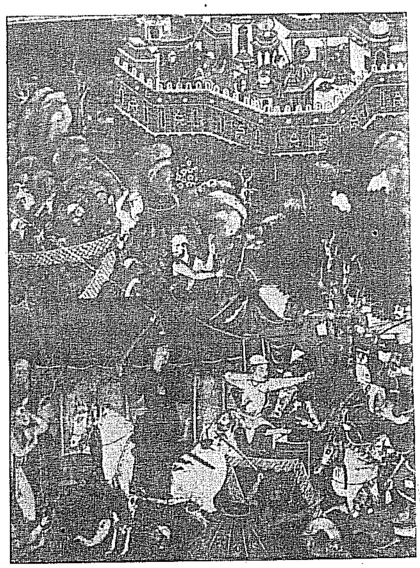
والكلمات أى أنها غير مستقيمة أو غير منتظمة ، فهى تعلو مرة وتهبط مرة أخرى بحسب الحروف ، وقد يصحب هذه العناصر الزخرفية رسوم السحاب الصينى الذى انتقل الى المشرق بعد الغزو المغولى ..

وقد بلغ فن التذهيب روعته فى العصر المملوكى فى مصر وبلغ درجة عظيمة من الرقة والجمال والدقة والإتقان ولم يتمكن أحد من الوصول الى هذا الحد من الابداع الذى لا يجارى فى التكوينات الهندسية أو مجموعة الألوان التى نشاهدها على صفحات القرآن فى روعة وتناسق عظيم جعلت من الفنان رجلا متمكنا فى فن مزج الألوان .

تصوير مخطوط من مقامات الحريرى



وقد احتفظت بغداد بمركز الزعامة فى تحلية وتزيين المصاحف وزخرفتها حيث تطور خط النسخ الى أعمال زخرفية كبيرة الحجم أمكن أن تضاهى المصاحف الكوفية القديمة التى كانت مكتوبة على الورق ، وكانت الأحرف تحشى بالذهب بصورة تدل على الذوق فى لوحات مشرشرة عائمة وتحلى القاعدة غالبا بعرانيس زخرفية ، أما الصفحات التى بها عناوين السور فازدادت تحليتها بمزج مناطق هندسية مختلفة مليئة بالنصوص والزخارف ، وانتقلت مدرسة بغداد للتذهيب الى تبريز وسمرقند فى القرن الرابع عشر فازداد فيها طراز التزيين وفرة فى التلوين وتعاظم



عن قصة الامير حمزه

فيض الزخرفة فوق مسطحات الصفحات الفاخرة حتى أنها كانت تطغى أحيانا على الكتابة نفسها .

وقد ساعدت المخطوطات الفاخرة المشتملة على معان غير دينية على تجويد عملية التذهيب والضغط وتفصيل الجلد الرقيق الشبيه بالمخرم للجلدة الداخلية تجويدا بلغ من أمره أن دخلت فيه الموضوعات المغولية المفضلة الخاصة بالحيوان .

وهكذا نبغ الفنانون والمذهبون المسلمون فى تحلية الصفحات بالرسوم لأن هذه الفنون الزخرفية تتفق مع ميولهم واستعدادهم حتى أصبحت زخارف الصفحات المذهبة نماذج تنقل عنها الرسوم فى التحف من زجاج وخزف ونسيج لجمالها وإبداع رسومها ودقتها وتناسق ألوانها وبهجتها .

موسى بن نصير

القائد الذي لم يهزم له

لعله من دواعي العجب والدهشة أن يخوض قائد معارك القتال مدى أربعين عاما ثم لا يهزم له جيش ، وليس ذلك من دواعي عجبنا نحن ودهشتنا اليوم فحسب حين نقرأ سيرة ابن نصير ، ولكنها كانت كذلك من دواعي عجب ودهشة معاصريه ، سأله الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك قائلا :

ــ أخبرني كيف كانت الحرب بينك وبين عدوك ، أكانت عقباً(1) .. ؟

وأجاب ابن نصير قائلا :

ــ لا ، يا أمير المؤمنين ، ما هزمت راية لى قط ، ولا فض لى جمع ، ولا نكب المسلمون معى نكبة منذ اقتحمت الأربعين الى أن شارفت الثمانين .

واذا كانت هناك عبارة واحدة يمكن أن تدل على موسى بن نصير ، وتصبح عنوانا لكتاب حياته الفذ التليد فهى هذه العبارة ، واذا كانت المسالك تتشعب فى الحديث عنه حتى لا يدرى الباحث أو الكاتب بأيها يبدأ فإنها كذلك خير بداية .

واذا ذكر اسم موسى بن نصير فقد تداعى الى الذهن فتوحات المسلمين فى الشمال الافريقى ، فهو الذى نشر لواء الاسلام فيه ، وأقام بين ربوعه دولة قوية الدعائم ، وطيدة الأركان .

ولم يكن ابن نصير هو أول من قاد للمسلمين جيشا الى الشمال الافريقى ، فقد سبقه اليه عقبة بن نافع الفهرى الذى أسس مدينة (القيروان) ، ولكن الأمر لم يستتب له ولا لمن جاء من بعده فى تلك البلاد المترامية الأطراف التى تمتد من غرب مصر حتى تشرف فى أقصى المغرب على المحيط الأطلنطى .

كانت جيوش الروم تقوم بالهجمة تلو الاخرى على جند المسلمين ، كما كانت

جيش فقط !!

للأستاذ عزت محمد ابراهيم

تبث فى ارجاء بلاد المغرب العيون والارصاد ، وتنشر بين أهله ما يباعد بينهم وبين فهم حقيقة الغرض الاسمى للمسلمين من تلك الفتوحات .

ولم يكن ذلك بالذى يغيب عن فطنة موسى بن نصـــير وهو فى كنف عبد العزيز بن مروان والى مصر الذى اصطفاه لنفسه وآثره وجعله محل ثقته وواحدا من خيرة خلصائه وخلطائه .

عرف ابن مروان ما عرف من مقدرة ابن نصير وحسن كفاءته فرأى فيه خير من يصلح لتلك المهمة العســيرة التى لا يقدر على النهوض بها إلا أفذاذ الرجال ، وعقد عليه الآمال الكبار التى يرجو لها أن تتحقق على يديه فى استتباب الأمر للمسلمين فى تلك البقاع .

ورأى ابن نصير بثاقب فكره ونفاذ بصيرته أن يوجه غاية اهتمامه الى الروم ، فهم العقبة الكأداء فى سبيل انتصار المسلمين ، وهم العدو المتربص بهم دائما فى كل غزو يهمون به ، وفى كل موقع يريدون الاستقرار بين جنباته .

ولم يغب عن باله أن يعيد الثقة الى جند المسلمين ، وأن يبث فيهم من روحه ما يبعث فيهم الأمل ، ويقوى منهم العزم والرجاء ، فلم يكد يستقر فى (القيروان) حتى وقف بين الجند خطيبا يقول :

((أنا رجل كأحدكم ، من رأى منى حســـنة فليحمد الله ، وليحض على مثلها ، ومن رأى منى سيئة فلينكرها ، فإنى أخطىء كما تخطئون ، وأصيب كما تصيبون ، وقد أمر الأمير ـــ أكرمه الله ـــ لكم بعطاياكم ، وتضعيفها ثلاثا ، فخذوها هنيئا ، ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا ، وله عندنا قضاؤها على

ما عز وهان ، ومع المواساة ان شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله)) .
تلك بداية رائعة لقائد قد آلى على نفسه ألا يكبو له جواد ، أو يطيش له سهم ، أو يخطو خطوة إلا اذا أمعن النظر في موضع قدميه ، وقدر لرجله قبل الخطو موضعها ، فلم تكن انتصاراته عبثا ، أو ضربة من ضربات الحظ ، وإنما كانت ضربة لازب لتدبير محكم ، ووعى حصيف ، ودرس طويل للدواعى والاسباب والمقدمات والنتائج ، وتقليب للأمور على كافة وجوهها ، مع ثبات جنان وشجاعة قلب .
تحدث عنه أحد قادة المسلمين ممن اشتركوا معه في القتال قائلا :
حاصرنا حصنا فلم نقدر عليه ، فلما طال أمد ذلك نادانا موسى بن نصير ثم قال :
((ايها النـــاس ، إني أمام الصفوف ، فاذا رأيتموني قد كبَّرت وحملت ، فكبِّروا واحملوا)) .
واستولت الدهشة على عقول الناس ، وخشوا مغبة ما هم مقدمون عليه بعد أن طال عليهم أمد حصارهم للحصن بغير جدوى ، ووقف ابن نصير مكبِّرا ، والناس من ورائه ، ثم هجم على الحصن فانهدمت جـدرانه ، وانطلقت خيـالة المسلمين إيذانا بالنصر .
وقال آخر من قادة المسلمين :
((كنت ممن غزا مع موسى بن نصير حتى بلغنا سرقسطة ، ثم أتينا على مدينة على بحر ولها أربعة أبواب ، وفرض عليها المسلمون الحصار ، وكان الموقف يتطلب البقاء على هذا الحصار زمنا طويلا ، والتفت موسى الى نفر من قادته يقول : هل معكم مؤن تكفيكم زمن الحصار ؟ فأجابوه بالنفى ، وعندئذ عدّل خطته واقتحم الأسوار عنوة ، ووجـد جند المسلمين فى المدينـة من المؤن ما فرَّج ضيقهم ، وأعانهم على استئناف القتال)) .
لقد كان ابن نصير قائدا حربيا بكل ما تعنيه هاتان الكلمتـان من معان ، ليس بمقياس زمانه فحسب ، وإنما بكل مقياس على امتداد الزمان والمكان ، ولم يخط خطوة واحدة فى الشمال الافريقي الا بعد أن درس خطط سابقيه ليعرف ما كان فيها من خلل فيتجنبه ، وما كان فيها من عثرات فيتنكب طريقها .
وكان أول ما استرعى منه النظر والانتباه أن من سبقه قد مضوا فى الزحف سريعا غير مقدرين العواقب والأخطار التى تتهددهم ، فاندفع ((عقبة بن نافع)) اندفاعة بعيـدة المدى حتى بلغ شواطىء المحيط ، ثم أضطر بعد ذلك الى التقهقر مرة أخرى ، وراح نتيجة تقهقره الكثير من الأرواح ، ودفع هو حيـاته ثمنا لهذا الارتداد السريع فاستشهد أثناء تراجعه .
وجاء من بعده ((حسان بن النعمان)) فسار على منوال سلفه ، يتقـدم تقدما سريعا مطردا ، ثم يضطر الى التقهقر السريع المطرد ، فلم تكن الحرب على عهديهما أكثر من كر وفر ، وتقدم وتاخر ، وتشتيت للقوى وسط هذه البقـاع الشاسعة ، المترامية الأطراف ، المتباعدة الأرجاء ، المتباينة التضـاريس ، وقلما تحسم مثل هذه الخطط حربا ، أو تحقق غاية ، مهما طال بها المدى ، وتبـاعد بها الزمان .
التفت ابن نصير الى قواته فى ((القيروان)) يعيد تنظيمها ويوزع نشاطها على مجموعة من القادة المحاربين يكونون بمثابة قادة وحدات يقومون بهجمـات متتالية على عدوهم الروم فى وقت واحد ، فيشتتون صفوفه ، وينزلون به هزائم منكرة مروعة ، ويلقون فى قلبه الرعب والفزع .

وأحسن اختيار هؤلاء القادة فكان منهم أبناؤه ، كما كان منهم أبناء عقبة بن نافع ، ولم يغفل أمر أبناء البلاد الأصليين الذين أسلموا وحَسُن إسلامهم ، فاختار من بينهم طارق بن زياد ، وكان فى اختياره حُسن إصابة ، وسداد رأى أظهرت الأيام مداهما .

وخرجت من ((القيروان)) حملات متتابعة ، اتجهت واحدة منها الى منطقة جبلية بين ((القيروان)) وتونس ، كان قد أقام فيها جماعة من أعوان الروم دأبوا الإغارة على ((القيروان)) بين الحين والحين ، كما دأبوا على رصد تحركات جيوش المسلمين فيها والوشاية بها الى العدو المتربص .

وحققت قوات ابن نصير نصرا مؤزرا ، وقضت على الفتنة فى مهدها ، وبعثت برأسها الى ((القيروان)) مصفدا فى الأغلال .

وعلى مثل هذا النحو قامت حملات أخرى تقضى على الفتنة حيثما ذرّ لها قرن ، وتخضع الخارجين على الطاعة حتى يثوبوا الى الرضوخ والإذعان . وكان من جراء ذلك بأن استتب الأمن فى ((القيروان)) ورأت قبائل المغرب فى القيادة الجديدة قوة فى الشكيمة ، وإصرارا على النصر فلم تعد الى شن غاراتها عليها تريد سلبا أو نهبا ، وأصبحت ((القيروان)) قاعدة لجيوش المسلمين لا ينال منها منال ، كما أصبحت على أهبة الاستعداد دائما لأن تخرج منها الجيوش الى حيث شاءت فتحقق من خروجها ما تريد وهى على ثقة من الانتصار .

واتجه ابن نصير بعد ذلك الى المغرب الأوسط فأرسل اليه أحد قادته وهو ((عباس بن أخيل)) يدعو قبائله الى الدخول فى طاعة المسلمين ، وكانت تعليمات ابن نصير الى قائده هى حسن معاملة القبائل الراغبة فى الصلح ، وترك زمام تدبير أمورها فى يدها بغير قسر أو إرغام .

وأتاح ذلك لنفر من هذه القبائل الاختلاط بجيوش المسلمين فعرفوا حقيقة أهدافهم ، وأن لا مطمع لهم فى شىء ، وكان لا رغبة لهم فى احتلال أو امتلاك ، وأن لا شىء يعلو على هدفهم الذى يبذلون فى سبيله الغالى والنفيس ، وهو إعلاء كلمة الله ، ونشر لواء الاسلام ، على غير ما بثّه فيهم الروم من سموم دعاياتهم .

وما لبثت القبائل أن تحققت من صدق ذلك فدخلت فى دين الله أفواجا ، وأصبحت منهم قوى تؤازر قوى المسلمين ، وتظاهرها على من عاداها . وعمد ابن نصير بعد ذلك الى تطهير المغرب الأوسط من أعوان الروم على نحو ما فعل فى ((القيروان)) التى ترك ابنه عبد الله نائبا عليها ، وخرج هو الى هاتيك البقاع قاصدا منطقة (سجوما) التى كان قد استشهد فيها عقبة بن نافع نتيجة دسائس الروم بين نفر من أهلها ، واستطاعت قوات ابن نصير أن تنزل بالروم هزائم متتالية ، كان فيها القضاء عليهم وسحق نفوذهم فيها .

أما المغرب الأقصى فقد أعد له ابن نصير حملتين إحداها بقيادة ابنه مروان وقد اتجهت الى السوس الأقصى ، والأخرى بقيادة (زرعة بن مدرك) وقد اتجهت الى جبال أطلس العليا .

ولم تلق كلتا الحملتين صعوبة فى مهمتها فان أهل المغرب ، سواء منهم سكان الساحل أو القبائل الموغلة فى الجبال قد ترامى اليهم جميعا حسن معاملة المسلمين لمن دخل فى طاعتهم ، ولذلك لم يشهروا فى وجه هاتين الحملتين سيفا ولا أبدوا حيالهما مقاومة ، وإنما آثروا الصلح ، ولم يلبثوا أن دخلوا فى دين الله كما دخل أخوان لهم من قبل فى المغرب الأوسط .

ودانت بلاد المغرب لجيوش المسلمين وأصبحت فى حوزتهم لا يشذ عن ذلك غير بضعة مدن ساحلية كانت تخضع لحاكم من الروم اسمه ((يوليان)) .

واتجه ابن نصير الى طنجة وما حولها مما يسمى بالسوس الأدنى فاخضعها وأدخلها فى حوزة المسلمين بغير كبير عناء ، ثم ولى عليها « طارق بن زياد » حاكما لها يتولي تدبير شؤونها ، وكان اختياره له غاية فى التدبير والإحكام ، ففضلا عما يتحلى به ابن زياد من كفـاءة ومقدرة ، فقد كان واحدا من أهل البلاد فى وسعه أن يؤلف بين قلوبهم ، وأن يجمع شملهم ، وأن يجعل منهم عونا لقوات المسلمين على أعدائهم .

وآتت سياسية ابن نصير أكلها ، فقد أقبل سكان طنجة والسوس الأدنى على اعتنـاق الاسلام ، وجعلوا يتهافتون على الانضمام الى قوات المسـلمين المرابطة ، يشدون من أزرها ، ويقوون من عرُاها .

ولم يبق أمام ابن نصير غير مدينة « سبته » مقر « يوليان » ، ولم تكن بالخطر الذى يقض مضاجع المسلمين ، فهى مدينة صغيرة وسط جحافل جيوش المسلمين التى تحيط بها من كل جانب ، وهي على مقربة من طنجة مما يسـهل أمر مراقبتها ورصدحركاتها ان هى همت بغزو ، أو تحرفت لقتال ، وأرجأ ابن نصير الاستيلاء عليها ، ولعله رأى فيها على حالتها فائدة فى مراقبة سـكان شبه جزيرة ايبيريا التى لا يفصلها عن « سبته » سوى مضيق من المياه أطلق عليه العرب اسم « بحر الزقاق » ، وأصبح فيما بعد مضيق جبل طارق .

وحققت الأيام صدق فراسة ابن نصير وبُعد نظره ، فقد أصبحت « سبته » بمثابة نقطة مراقبة بالنسبة للمسلمين ، ونافذة تطل على الأندلس ، وأصـبح « يوليان » عونا للمسلمين فى غزو الأندلس ، لما كان بينه وبين « لوذريق » — ملك القوط — من مشاحنات وبغضاء .

لقد استقر الحال فى طنجة ، ولم يبق أمام ابن نصير الا أن يعـود الى « القيروان » يعد الخطط لتأمين تلك الولايات الشاسعة التى دانت له قطوفها ، وآتت أكلها ، لقد زال حقا نفوذ الروم من المغرب كله ، ولكنهم كانوا هناك متناثرين فى البحر المتوسط فى جزره العديدة ، ومنها كان فى وسعهم أن يشـنوا على المسلمين الغارات ، وأن يرسلوا منها حملات المناجزات والمناوشات .

ولا سبيل الى صد ذلك أو القضاء عليه بغير الأساطيل الحربية الحسنة التجهيز ، والى هذا السبيل ولى ابن نصير وجهه ، فهو يدعم من دار الصناعة التى كان قد أنشـاها ابن النعمان ، وهو يبنى السـفن الحربية ويمدها بخيرة المحاربين ، وهو لا يقصر جهده على صد هجمات الروم البحرية فحسب ، بل يمعن في خططه فيتجه الي الاستيلاء على جزيرة « قوصره » القريبة من تونس ، والمعروفة اليوم باسم « بنطـلارية » ، والقريبة فى ذات الوقت من صـقلية ، القاعدة الكبرى لأسطول الروم فى غرب البحر المتوسط .

وندب ابن نصير لذلك العمل صنديداً من صناديد العرب هو عبد الملك بن قطن الفهرى الذى استولى على الجزيرة وضمها الى حوزة المسلمين ، وأصبحت « قوصرة » قاعدة بحـرية إسلامية تقوم منها حمـلات المسلمين للإغارة على صقلية ، تبث فيها الرعب ، وتبذر الفزع ، وتغزو أسطول الروم فى عقر داره .

وليست صقلية فحسب هى التى كانت تتجه اليها أساطيل المسلمين ، وإنما اتجهت كذلك الى قواعد أخرى للروم فى جزر « ميورقة ومنورقة » تجاه شاطىء المغرب الأقصى فاستولت عليها .

وكان لهذا الاستيلاء أهمية بالغة ، فهذه الجزر تقع على مقربة من الأندلس ، والتفكير فى الاستيلاء عليها بدأ يداعب آمال ابن نصير ، وهذه الجزر في موقعها الممتاز هى خير مواقع للأساطيل الاسلامية فى غزوهـا الجديد المرتقب الذى

سيحمل لواءه طارق بن زياد قائدا مظفرا ، شديد المراس ، قوى الشكيمة ، لا يحول بينه وبين النصر حائل .

لم يعد أمر الروم الآن بالذى يقلق بال ابن نصير ، كانوا فيما مضى فى موقف المهاجم والمناجز ، وأصبحوا اليوم فى موقف المدافع الذى يقض مضجعه وجود أساطيل المسلمين فى جزر البحر المتوسط على مقربة منهم كأنهم السهام المصوبة الى سويداء قلوبهم .

فليتجه ابن نصير بعنايته الى المغرب الذى طوى صفحة وفتح صفحة أخرى من حياته :

كان من قبل مسرحا للفوضى والمنازعات والاضطرابات ، وأصبح اليوم موئلا هادئا يسوده الأمان والاطمئنان الذى لم يتحقق أبدا فى ظل الرومان أو اليونان ، وقد كان جُلَّ هم هؤلاء وهؤلاء أن يجعلوا من المغرب أهراء للغلال تمد أوربا بما تحتاج اليه منها ، وأن يبقوا على أهله كمّاً مهملا لا حول له ولا قوة ، ولا رأى له ولا اعتبارفيادارة شؤون بلاده ، ولقد لقى أهل المغرب من الروم ما لقوا من صنوف العنت وألوان الاضطهاد ، وانعكس أثر ذلك على حال البلاد ، فسادتها الفوضى ، وعم فيها الفساد ، وانتشرت بها القلاقل والاضطرابات .

وجاء الإسلام الى المغرب ، فجاء معه الحق وزهق الباطل :

قرب إليه أهل المغرب وأشركهم فى ادارة شؤون بلادهم ، وترك لهم مزارعهم وحقولهم يتولون أمرها بأنفسهم فانتقلوا بذلك من حال الى حال .

لم يكن هم المسلمين الفتح والغزو ، إنما كان مقصدهم الأسمى هو نشر الدين ، ورفع لوائه ، وتأسيس حضارة ، واشاعة هدوء ، واستتباب أمن . إنه عهد الادارة العربية والحضارة الاسلامية فى المغرب حيث الحاكم راعيا مسؤولا عن رعيته ، مشاركا لها فى سرائها وضرائها .

وضرب ابن نصير المثل بنفسه لكى يحتذيه غيره من قادته وولادته ، فكان يخرج الى الناس مواسيا ومعينا فى ضرائهم اذا أصابتهم بلوى ، أو حلَت بهم كارثة من جراء جدب أو امحال .

لقد أعتبر المسلمون الأرض التى كانت فى حوزة الروم أرضا مفتوحة عنوة ، ومن بقى من الروم وتابعيهم فهم موال ، يدبرون أمورهم كما يشاؤون ، أما الأرض التى كانت تابعة للبربر — سكان البلاد الأصليين — فقد اعتبرت أرضا مفتوحة صلحا ، وتركت فى أيدى أصحابها ، يؤدون عنها المال لبيت المال ، واعتبر البربر أحرارا لهم ما للعرب من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات .

وتركت لكل قبيلة من البربر « خطة » تتصرف فيها وتؤدى عنها مالها ، وتكون مسؤولة عنها ، وهو نظام يتلاءم مع طبيعة البلاد وطبيعة تكوينها الاجتماعى ، فكان أن قويت عرى الصلات بين الادارة العربية وبين القبائل ، وقامت بين الجانبين علاقة لحمتها الاحترام والتقدير ، وسداها الثقة والاطمئنان . وأتاح ذلك للبربر قدرا كبيرا من الحرية فى تصريف شؤونهم لم يكن لهم به عهد ، كما حقق الامتزاج الفعلى بين العرب والبربر عندما فتح المسلمون الباب أمام أهل البلاد الأصليين للاشتراك فى الجيوش العربية على قدم المساواة بينهم وبين العرب ، فكان للادارة العربية دواوين أهمها ديوان الجند الذى يتولى الإشراف والهيمنة على شؤون الجنود من العرب والبربر معا بغير تفريق ، فتدون فيه أسماؤهم ، وتصرف رواتبهم ، عملة عربية ضربها ابن نصير فى المغرب أسوة بما سبق من ضرب نقود عربية فى مصر والشام والعراق .

وأصبحت « القيروان » مقرا للوالى موسى بن نصير ، كما أصبحت مركزا

للدواوين يفد إليها أهل المغرب لقضاء مصالحهم ، تحدوهم الثقة والاطمئنان ، ووجدوا في العرب صدرا رحبا لحل مشكلاتهم والاستماع اليها في صبر وأناة ، فانشرحت للاسلام صدورهم ، وأقبلوا عليه جماعات جماعات من أدنى المغرب الى أقصاه ، وذكر المؤرخون أنه في عهد ابن نصير ((تم إسلام المغرب الأقصى)) ، وتحولت دور العبادة القديمة الى مساجد يذكر فيها أسم الله ، وتتلى فيها آيات كتابه ..

وصاحب انتشار الاسلام إقبال أهل المغرب على تعلم اللغة العربية ، لغة القرآن ، ووجدوا بين العرب المقيمين بين ظهرانيهم خير معوان لهم على ذلك ، فقد دأبوا على إقامة مدارس ملحقة بالمساجد يدرسون فيها القرآن والحديث والدين واللغة ، وقام على التدريس فيها نخبة صالحة من خيرة أبناء العرب ، فتركوا بين أبناء المغرب أثرا جميلا ، ظلوا يذكرونه أمدا طويلا ، ويحدثون به الأبناء والأحفاد من بعدهم ليتوارثوه جيلا من بعد جيل .

لقد كان ابن نصير رجل حرب كما كان رجل ادارة ، ومآثره في المجالين شاهدة بارزة للعيان ، وما قام به من تنظيم وادارة في المغرب ، قام بمثيل له في الأندلس حين تحقق له — مع طارق بن زياد — فتحها ، فضرب فيها عملة ، وأقام دواوين ، ومضى من جاء بعده على إثره يضعون لبنة فوق لبنة حتى اكتمل في الأندلس صرح حضارة إسلامية باهرة ، لا تزال حتى اليوم مثار الاعجاب من الدارسين والمؤرخين ، كما لا تزال محط الأنظار ، حتى ليفد اليها السائحون من شتى أقطار الدنيا ليشاهدوا معالمها ، ويقفوا أمام آثارها وقد تملكتهم الدهشة وأخذهم العجب .

■ ■ ■

وما نعلي اليوم من قدر موسى بن نصير لنحط من قدر غيره ، فقد أدى كل واجبه واجتهد اجتهاده ، ونال عقبة بن نافع احدى الحسنيين بعد أن أسس مدينة القيروان(٢) وقاد طلائع جيوش المسلمين في المغرب ، وسلك لهم فيها مسلكا فله منا حق الثناء ، وطيب الأحدوثة ، والذكر الحسن .

■ ■ ■

وتبقى بعد ذلك كلمة حق لا يقدر على المماراة فيها إلا من كان في قلبه مرض أو أعمى بصره الحقد والغرض .

لقد تتابع على المغرب جحافل من جيوش اليونان والرومان ، ثم من بعدهم فرنسيون وإيطاليون ، وبقوا فوق أرضه ما قدّر لهم البقاء ، ثم اضطروا الى الرحيل ، وجاءت جيوش المسلمين حاملة راية الإسلام ، لكي يستظل بها من هداه الله الى الاسلام .

وبقى الاسلام في المغرب — دينا وحضارة ونهج حياة — يعض عليه أهله بالنواجز ، لم تنل الأحداث المتتالية منه منالا ، وبقيت ((القيروان)) مئات بعد مئات من السنين ، منارة للعلم ، ويقال في مسجدها حتى اليوم : إن جنباته لتضج بالعلم ..

---

(١) يوم نصر ويوم هزيمة .

(٢) هي اليوم (بسكرة) في الجزائر ، بينها وبين قسطنطينة مسافة ٤٢٥ كم ولا يزال الموضع الذي دفن فيه عقبة بن نافع معروفا عند أهل الجزائر حتى يومنا هذا .

الفتاوى

مواضـع سـجدة التـلاوة

السؤال : ما هى الآيات التى يطلب فيها من المسلم أن يسجد عند قراءتها أو سماعها سجدة التلاوة ؟

الاجـابة : تطلب سجدة التلاوة فى أربعة عشر موضعا ، وهى آخر آية فى الأعـراف (**إن الذين عنـد ربك لا يستكبرون عن عبـادته ويسبحونه وله يسجدون**) وآية الرعـد (**ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال**) وآية النحل (**ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون**) .

وآية الإسراء التى آخرها (**ويزيدهم خشـوعا**) وآية مريم التى آخرهـا (**خروا سجدا وبكيا**) وآيتان فى سورة الحج أولاهما آخرها (**ويفعل ما يشاء**) فى آخر الربع الأول منها . ثانيتهما آخر السورة (**يا أيها الذين آمنوا اركعـوا واسجدوا**) الى قوله تعالى : (**لعلكم تفلحون**) وآية الفرقان وهى (**وإذا قيل لهم اسـجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسـجد لما تأمرنا وزادهم نفورا**) وآية النمل وهى (**ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السـموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم**) .

وآية سورة السجدة وهى (**إنمـا يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سـجدا**) الى قوله تعـالى (**وهم لا يستكبرون**) . وآية سـورة فصلت وهى (**لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون**) وآية النجـم وهى (**أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون . وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا**) وآية سورة الانشقاق وهى قوله تعـالى : (**وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون**) وآية اقرأ وهى (**كلا لا تطعه واسجد واقترب**) وأما آية (ص) وهى (**وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب**) فليست من مواضع سجود التلاوة ، والسجود يكون عند آخر كل آية من آياتها المتقدمة .

والمالكية ــ قالوا إن آية النجم وآية الانشقاق وآية اقرأ ليست من المواضع التى يطلب فيها سجود التلاوة .

والحنفية والمالكية ــ قالوا فى آية (ص) إنها من مواضع سجود التلاوة إلا أن المالكية قالوا إن السجود عند قوله تعالى (**وأناب**) والحنفية قالوا الأولى أن يسجد عند قوله تعـالى (**وحسن مآب**) ومن هذا يتضح أن عدد مواضع سجدة التلاوة عند الحنفية أربعة عشر موضعا بنقص آية آخر الحج وزيادة آية (ص) وعند المالكية أحد عشر موضعا بنقص آية النجم والانشـقاق وسورة اقرأ وزيادة (ص) والحنفية قالوا إن السجود فى آية سورة (**فصلت**) عند قوله تعالى : (**وهم لا يسأمون**) .

المسح على الجورب

السـؤال :

هل يكفى المسح على الجورب فى الوضوء بدلا من غسل الرجلين ؟

الاجـابة :

قد ثبت المسح على الجورب بما رواه المغيرة بن شعبة من أن النبى صلى الله عليه وسلم « مسح على الجوربين والنعلين » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وقد روى أيضا جواز المسح على الجوربين عن تسعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم : على ، وعمارة ، وابن مسعود ، وأنس ، وابن عمر ، والبراء ، وبلال ، وابن أبى أوفى ، وسهل بن سعد ، رضى الله عنهم . ويشترط فى صحة المسح على الجورب أن يكون ثخينا فلا يصح المسح على الرقيق الذى لا يثبت على الرجل بنفسه من غير رباط ، ولا على الرقيق الذى لا يمنع وصول الماء الى ما تحته. وكذلك لا يصح المسح على الجورب الشفاف الذى يصف ما تحته رقيقا كان أو ثخينا .

فى الميـراث

السـؤال :

توفى رجـل عن إخوة ذكور واخـوات إناث ، واولاد اخت فمـا نصيب كل منهم .. ؟

الإجـابة :

تركة المتوفى كلها لإخوته الذكور والإناث للذكر مثل حظ الأنثيين إذا كانوا فى درجة واحدة ، بأن يكون كلهم أشقاء أو كلهم إخوة لأب ، فإن كان بعضهم أشقاء وبعضهم إخوة لأب كانت التركة للأشقاء وحدهم ، ولا شىء لأولاد الأخت لأنهم من ذوى الأرحام .

الشـك فى الحـدث

السـؤال :

توضأت وصليت الظهر ، ولما حضرت صلاة العصر دخلت فى الصلاة ، وفى اثناء الصلاة شككت فى وضوئى هل احدثت ام لا ، ثم اتممت صلاة العصر مـع الجماعة ، ولم اخرج منها حياء من الناس ، فهل يجب علىّ إعادة صـلاة العصر بوضـوء جـديد ؟

الإجـابة :

شك المتوضىء فى الحدث لا يضر ، ولا ينتقض وضوءه بهذا الشكّ سواء اكان فى الصلاة أم خارجها ، وصلاتك العصر بهذا الوضوء صحيحة .

بريد الوعي الاسلامي

اعــداد : عبد الحميد رياض

الأمة العربية فى ظل الاســلام قوة عظيمة

الولايات المتحدة الأمريكية كونت باتحادها دولة عظمى ، فما هى العــوامل التى دفعتها إلى تكوين هذا الاتحاد ، وما هى النتائج المستفادة منه ؟
والاتحاد السوفيتى كوّن كذلك دولة عظمى ، فما هى الظروف التى صاحبت قيام هذا الاتحــاد ؟
ولماذا لا تستفيد الأمة العربية من مثل هذه التجارب فنقيم وحدة فيما بينها أم ان هناك عقبــات ؟

يوسف ابو بكر حافظ
كلية الهندسة ــ القسم المدنى ــ جامعة أسيوط ــ مصر

* * * * *

إن التجمع الذى ادى الى اتحــاد الولايات الأمريكية مع اختلاف طبيعــة الولايات ، وجغرافيتها ومناخها ، وطبائع الأهلين ، ومع تباين المصالح الاقتصادية والعوامل المعنوية بين الشمال والجنوب مع كل هذا الاختلاف رجحت فكرة النظام التعاهدى مؤقتا لتحقيق الغاية السامية ، وهى مجابهة المحتل صفا واحدا ، وقد كان يلزمها لمواصلة الكفاح أن تتآزر لتأمن ركب المسيرة ، يحدوها الأمل المنشود ، ثم تطور هذا النظام بعد أن ادى أهم ما قام من أجله وهــو الاستقــلال الــى الاتحاد بشكله الحالى ، الذى ينتظم أقوى قوة صناعية ، وزراعية ، وعسكرية فى العالم ، وذلك بفضل ما [illegible] الاتحاد .

أما فى الاتحاد الد[illegible] فقد قام فيه الاتحاد على أنقــاض ثورة أكتــوبر الدامية ١٩١٧ التى أجهزت على القيصرية الروسية الأرثوذكسية ، والرأسمالية الفردية ، والملكية الخاصة ، ونظام الطبقات ، والحياة البروجوازية .

واقامت الثورة دولة الاتحاد مكونة من جمهوريات ومقاطعات ، لها استقلالها الذاتى فى ظل الشكل الخارجى للاتحاد ، وتلخصت الفكرة الأساســية للدولة الشيوعية الجديدة فى توجيه الحكومة المركزية فى موسكو التى تركزت السلطة فيها ، مع سيطرة العقيدة الشيوعية فى الداخــل ، مع أن بعض الولايات لها استقلالها ، ولكنها لا تتمتع به خارج نطاق الاتحاد ، ويلاحظ أن الولايات التى تكوّن الاتحــاد السوفياتى تختلف اختــلافا بينا من الناحيــة الدينية واللغــوية والدستورية ، ومع كل هذا خرج الاتحاد الى العالم بثانى قوة فى العالم .

وقد وضح أن الولايات الأمريكية دفعتها الى الاتحاد رغبة أكيدة فى النهوض والحرية ، لتخدم الأمة المختلفة الشعوب والرغبات ، وقد حقق غايته .

والاتحاد السوفيتى جمعت ولاياته الثورة على النظام القيصرى ، ولكنها نمت وازدهرت فى ظل الشيوعية .

أما الأمة العربية التى منحها الله الاسلام ، وجعلها به خير أمــة اخرجت للناس لأنه دين ودنيا فتح الله به قلوبا غلفا ، وجمع به شتات أمة من ظلمــات التفرق ، وجعل من العروبة دارا متسعة الأرجاء تنعم بها أمة تعيش فى صميم تعاليم الاسلام ، الذى يدعو الى أن نكون امة واحدة ، تقوم قومة رجل واحد على

من عداها ((**المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا**)) فى مجتمع إسلامى يعيش فى ظل الكتاب والسنة تسوده البساطة والمشورة ، ويعمه العدل والمساواة ، وتشده الروابط القوية المستوحاة من هداه ، ومن وحدة أرضه فى ظل دين واحد ، فقد توحد كل شيء فينا به ، فسماحة آرائه ، وسلاسة نظمة ، ونقاوة تقنينه مزجت أرواح معتنقيه ، فحرى بها أن تتلاقى ، وجدير بها أن تشد العزم ، ولزاما عليها أن تتماسك ، فالخطب عظيم والخطر محدق بنا ، ولا مفر منه إلا بوحدتنا ، فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ، ولسنا فى حاجة الى أستيراد نظم ، فإسلامنا قد وضح السبيل من قديم ، ولا أن نقتبس مبادىء ، فديننا قد حدد المعالم ، ورسم الهدف ، وأسس أقوى بناء فى عالم الأمم والحضارات ، ضاربا بسهم وافر فى كل ميادين التقدم والرقى ، فليست هناك عقبات مطلقا تفصم العرى ، اللهم إلا الهوى والغرض وحب الدنيا والسلطة والابتعاد عن كتاب الله وسنة رسوله ، ولسنا فى حاجة الى الاستفادة من تجارب الأمريكان والروس ، فالاسلام هوالذى جمع والبعد عنه هو الذى فرق .

الجهاد

ما هى أنواع الجهاد فى سبيل الله وما هى وسائله ؟

محمد على حسن ـ ليبيا

الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، ولحماية دينه من الطاعنين فيه ، والمشككين فى صلاحيته بالقول والفعل ، والمقتصبين لأرض الاسلام .

والجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الحقوق وصيانتها من العابثين بها .

والجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الوطن والعرض والمال .

والجهاد فى سبيل الله لنجدة المستضعفين .

ووسائل الجهاد التى توجب النصر هى :

الجهاد بالنفس لمن يستطيع ذلك : لأن الله اشترى من المؤمن آخرته بدنياه ((**إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا**)) .

المرابطة على الحدود : وذلك دفعا لما قد يحدث على حين غرة من المسلمين لو تركوا ثغورهم وحدودهم مكشوفة بلا حراسة : ((**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**)) .

ومن أهم وسائل الجهاد وأعظمها خطرا **المال** إذ به يتجهز الجيش ويعد ليخوض غمار الحروب مسلحا بما يجب : ((**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**)) . وهذا الاعداد لا يكون الا بالمال .

والمال يلزم الأمة والأفراد فعلى الامة أن تعد ما تستطيع من القوة ، وعلى الأفراد أن يبذلوا بسخاء فباذل نفسه وماله له مكانة عند الله .

والله يقول : ((**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**)) .

والجهاد باللسان : كذلك من الأسلحة الهامة التى تقوى المسلم ، وتنمى فيه روح التضحية والفداء .

ومن وسائل الجهاد كذلك إعداد المحارب وتجهيزه بالسلاح .

ومن وسائل الجهاد الفعالة العلم فى ميدان المعركة ، فالعمل فى إنتاج السلاح وتطويره جهاد فى سبيل الله .

وهناك أنواع كثيرة فكل ما ساعد على النصر ، وكل ما أدى الى تماسك الأمة وصمودها فى وجه العدو ، جهاد فى سبيل الله .

بأقلام القراء

هذا بلاغ للنـــاس ...

ان احوج ما يحتاج إليه المرء المسلم أن يعلم كيف يغدو ــ حقا ــ مسلما ..!

ان كثيرين منا مسلمون بحكم المولد لكنهم بعيدون البعد كله عن سلـــوك الانسان المسلم الذى يجد فى تعاليم الاسلام ومضمونه حافزا يدفعه الى المضى قدما فى سبيل تحقيق سعادة الدارين له وكذلك تحقيق السعادة لمن حولــه .. والسعادة ــ بلا شك ــ منتهى آمال الانسان ..

ان السعادة ليست بسمة تنساب دوما فوق الشفاه وإنما هى مشاعر أعماق تفتحت على نور الله المودع فى عمق الأشياء فيحيل عدمها حياة وسكونها حركـــة ومن حركتها مضيا الى التطور نحو الأفضل دائما .

ان السلوك الاسلامى ليس شعارا يطلق .. أو مجرد عبارة رنانة ينادى بها هؤلاء الذين أرهقتهم طبيعة الأحياء من حولهم .. بل ان هذا السلوك هو بالفعـــل ممارسة وتطبيق ينبع من تلـــك النقطة التى تلتقى فيها المثل والقيم الاسلاميـــــة (بمفاهيمها وأهدافها) مع نفس آمنت بها .. تماما كالنبت الأخضر الذى ينمو من تربة خصبة وبذرة صالحة .. ذلك كلـــه أن السلوك ـــ وبوجـــه عام ـــ انعكاس لمبادىء يؤمن الانسان بها أو يعتقد بصحتها ...

وما بالنا والاسلام .. رباه ماذا فعلنا به ..؟

ــ ألقى الكتاب المبين وراء أظهرنا .. والتفتنا الى حيث الفراغ الفكرى الأجوف فصارت عقولنا مجرد فقاعات غازية سرعان ما تنفجر اذ لا تحمل داخلها ســـوى هواء أو بالأحرى فراغ ...

ــ نحن تخلينا عن مبادئنا السوية مقلدين لغيرنا ممن تلفظ حضارتهم أنفاسها الأخيرة وملك الموت يهم أن يقبض بروحها اذ فقدت أهم دعائمهـــا التى لا تنبنـــى حضارة الا عليها .. فقدت ذلك العنصر الذى يحيل النفوس الى قوى طيعة فى مسيرة الحياة الى الارتقاء .. فقدت العنصر الروحى .. وأصبحت المادة هـــى السيد بل تكاد تصبح السيد الوحيد .

ــ فقدنا القدرة على التمييز بين الأشياء صحيحها وزائفها لأن عيوننا قد أطبقت على ذكرى يوم كنا فيه سادة هذا العالم ..

ــ نحن لم نكلف أنفسنا مجرد عناء التساؤل : الـــى متى نقول كنا ..؟ ولـــم لا نتساءل : كيف أصبحنا .. والى أين نمضى ..؟

ــ وفوق هذا كله فقدنا ما يميزنا عن غيرنا حتى لو كنا قليلى العدد .. فقدنا ايمـــاننا الحق .. بعنا ضميرنا الحى .. وقتلنا رغبتنا فى اتبـــاع المبادىء السمحة ..

ان السلوك الاسلامى هو التاج الذى يجب على كل مسلمة ومسلم أن يتحلى به .. مقتدين فى ذلك بما جاء فى القرآن هدى للناس ..

وبما ترك الرسول لنا من سنة فما كان لينطق عن الهوى .. ان هـــو الا وحى يوحى ..

وبأعمال التابعين الذى صاحبوا الرسول وتتلمذوا فى مدرسة الاسلام على يد خير معلم أرسلته السماء هاديا ومبشرا ونذيرا .. على يدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

فيا أخى المسلم .. عليك أن تسأل نفسك : ماذا بقى لك .. ان ضاع دينك .. ؟

عليك أن تعمل فكرك فيما حولك .. دقق النظر فيما يحيط بك .. حاول أن تصل إلى كنه الحقيقة وأن تسبر عمق الأشياء .. واربط دوما نفسك بحركة الاسلام والمسلمين عاملا على تطوير نفسك وعقلك .. فما أحوج الاسلام الى أمثال هؤلاء .. وحينئذ فقط .. ستكون (أخى المسلم) الذى أعتز بأخوته .. ؟

شاكر زهرة كلية التجارة — جامعة الأزهر

ذبـــاب المكاتب

ينتشر هذا الذباب البشرى فى المكاتب والدواويـــن والادارات حيث يكثـــر المراقبون والمديرون والرؤساء والمفتشون والوكلاء الخ .. ويزعم هذا الذباب أنه يؤدى الواجب ويتعاون مع سادته ومخدوميه على مصلحة العمل وهذا من المعانى المحمودة ولكنه لثام يشف عما تحته من الملق والنفاق والذل وارضاء المخلوق على حساب الخالق والتماس العزة ممن لا يستطيع أن يمنح العزة (أيبتغون عندهـــم العزة فان العزة لله جميعا) .

والقيام بدور الحاشية والبطانة التى يكون عملها الأول التصفيق والاعجاب دون قيد أو شرط لكل ما يصدر عن سادتهم . ويعرض هذا الذباب على الحشـــد الكبير من رؤسائه الخدمات وقضاء أوقات الفراغ فان لم يستطع أن يرضى كـــل هؤلاء وأن يقوم بدور المحســـوب المحظوظ عندهم جميعا لتعـــارض الأهواء والرغبات وتناحر الميول اكتفى بواحد أو باثنين .

والهدف اصطياد المنافع والمآرب والاغراض الدنيا والتقاط المصالح التـــى يعلم بها قبل سواه من عامة الزملاء والموظفين والامتياز أحد هذه المزايا المعروفة سلفا لأن الواحد منهم يطلع على التقريرات السرية الشهرية والسنوية وربما كان هو الذى كتبها بخط يده بمقتضى العون المبذول والثقة المتبادلة وسيستحى منه مخدومه طبعا ، أو يحصل على كل مكافأة تأتى تشجيعية أو غير تشجيعية أو يظفر بأخف شىء فى العمل ويبتعد عن مراكز المشقة والثقل أو يذهب لمأمورية ظاهرها قضاء العمل وباطنها السياحة والنزهة وفيها بدل السفر بقرة حلوب .

أما المسكين الذى لا يعرف الا عمله الاصلى — ولا يعرف من أين تؤكـــل الكتف ولا يقطر لسانه عسلا ولو أراد أن يمثل دور هؤلاء فان طبيعته تخذله فهـــم لا يجاملونه فى النقير ولا فى القطمير ولا يعطونه الامتياز ولا يرقونـــه ولـــولا ان العلاوات والدرجات المالية تغلب عليها صبغة الاقدمية المطلقة لانفتح باب كبيـــر من الشر والفتنة .

وعلى رأسه وحده تقع مشقات العمل وهو أضيع من الايتام فى مأدبـــة اللئام ...

ضاق صدرى بهؤلاء المتهافتين على المكاتب والدواوين والادارات دون أن يكونوا من أهلها كما يتهافت الذباب على العسل وكثيرا ما جنت هذه الصـــلات المريبة على مصلحة العمل وان كانوا يدعون غير ذلك ويحتكرون تفسير هـــذه المصلحة بأهوائهم وأغراضهم قبل عقولهم .

عبد الرحمن أحمد شادى

قالت صحف العالم

واجبنا نحو الشباب

ان المثقفين والواعين المخلصين من أبناء هذه الأمة ليجمعون على كلمة واحدة ورأى سواء ، هو ان شبابنا المسلم ليس أقل من شباب الأمم الأخرى طموحا وسدادا وان جميع قابلياته العقلية والنفسية تؤهله لاسمى المقاعد التى أقتعدها من قبله اجداده الميامين واقتعدها من ليسوا أوثق صلة بالعبقرية منه . وان المحتك بالشباب المسلم — رغم ما يرى عليه من رفض وشذوذ وحيرة ليلمس بين حنايا ضلوعه قلوبا نقية ، وعقولا خصيبة منتجة ، وفطرا سليمة قابلة للخير باصل تركيبها الانسانى غير ان هذا الشباب مفتقر أيما افتقار الى من ينير له السبيل ويبدد أمام عينيه الحلكة فتتضح لـــه الرؤيا وليست عزائمه بالواهنة الخاوية . أن المتأوهين والمتفجعين على مستقبل أمتهم ومصير أجيالهم لمطالبون أمام الله وأمام التاريخ بأن يعمل كل فى نطاق أمكاناته على انقاذ هذا الشباب البرىء مما يوشك أن يبتلعه من خطر الذوبان والكفر بالاوطان والاديان . اذ فى انقاذه سلامتنا وسلامة أجيالنا وسعادتنا وسعادة أمتنا وليس لهذا الانقـــاذ من سبيل الا بان تتظافر جهود المربين من دعاة الاصلاح ومخططى برامج التعليم على أن تجعل سياستنا التعليمية تهدف فى أصولها وفروعها وغاياتها ومناهجها الى مناط مشترك يتمثل فى ابراز جيل اكتمل فيه الاعداد الروحى والعقلى والمادى بدون تضحيـــــة باحد الاقاليم الثلاثة على حساب أخوية .

وهل بغير الاعداد المادى يتحقق لنا الاكتفاء الذاتى فنصنع خاماتنا بايدينا ونحتلب من ضرعها الاعداد العقلى نخضع الالة لارادتنا ونفرض على دعـــاة الشر احترامنا فنصبح فى مامن من غوائلهم التى هى منا على قاب قوسين أو أدنى .

وهل بغير الاعداد الماد يتحقق الينا الاكتفاء الذاتى فنصنع خاماتنا بايدينا ونحتلب من ضرعها المغنم الوفير وبذلك فقط نصبح أغنى الناس عن تملق الكبار والسير فى ركابهم وانتظار الرحمـــة من أيديهم ..

عن مجلـــة جوهر الاسلام التونسية

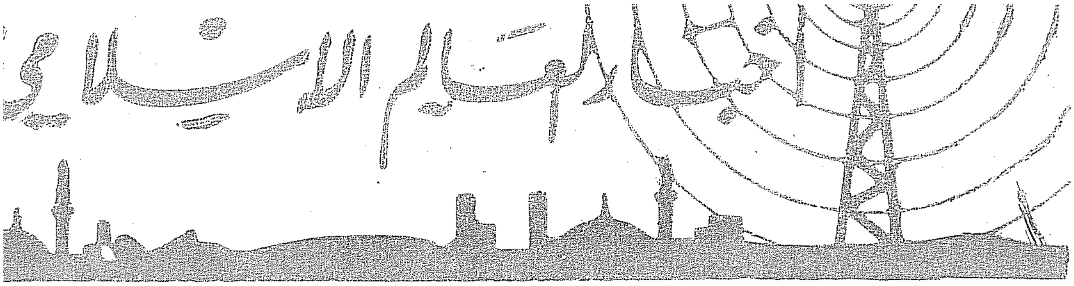
ان هذه الأمة الرائدة المنجاب ما تزال طاقاتها البشرية فوارة هدارة وفى أمكانها أن تحقق المعجزة اليوم كما حققتها بالامر (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)) ..

بدايـــة نهايـــة إسرائيل

يشهد العالم اليوم تداعى ذلك البناء الذى شيدته اسرائيل فى القارة الافريقية عبر سنوات طويلة لقد انزاح الكابوس الاستعمارى عن دول أفريقيا بعد فترات مريرة من الكفاح والنضال من أجل التحرر والاستقلال . اذ أصبح النصف الثانى من القرن العشرين هو عصر التحرير وتقريـــر المصير والكشف النقاب عن الدول الاستعمارية التى مارست أساليب الاستغلال قرونا طويلـــة وخضعت أخيرا لمقتضيات تطور السياسة العالمية واضطرت الى اجلاء قواتها العسكرية عن الاراضى الافريقية ذلك لان هذه الدول الاستعمارية أبت أن تتنازل عن فريستها التى نعمت بخيراتها سنوات طويلة ، رأت أن يكون لها بديلا تستمر فى تنفيذ أطماعها الاستعمارية وكانت اسرائيل هى هـــــذه البديلة فاقتضت أن تكون ستارا يختبئ خلفه الاستعمار وما يرتبط به من استغلال اقتصادى وسيطرة سياسية وانخدعت بعض الحكومات الافريقية عدة سنوات بهذه اللعبة السياسية وامتدت الاصابع الاسرائيلية الى القارة الافريقية تعبث باقتصاد دولها وتنسج خيوط المؤامرات والدسائس السياسية والليل له آخر وقد فطنت دول أفريقية الى تلك الخدعة الصهيونية الامبريالية وبدأت هذه الـــدول تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل وترفض خبراءها امناء الاستعمار واليوم لا تجد اسرائيـــل لنشاطها الامبريالى الا فى روديسيا وجنوب أفريقيا وهما الدولتان اللتان قامتا على أساس التفرقة العنصرية حيث يسيطر أقلية أوروبية على مقدرات ومصائر أغلبية ساحقة من المواطنين الافريقيين ولا عجب فى أن تساند اسرائيل تلك الدولتين اذ ان الدول الاستعمارية تحتضن سياسة التفرقة العنصرية وخاصة أمريكا التى لا زالت تفرق بين رعاياها فتضطهد السود وتخرجهم من حقوقهم المشروعة .

لقد قامت اسرائيل على أساس العصبية الدينية الصهيونية ولم تقم على أساس قومى أو حضارى فجمعت اسرائيل مزيجا عجيبا من اجناس العالم لا يتفقون فى شىء الا فى عقيدتهم اليهودية وفى ايمانهم بالصهيونية العالمية وتوافد على اسرائيل عدد كبير من اليهود ذوى البشرة السوداء وسمحت لهم الحكومة الاسرائيلية فى أراضيها ولكن صدر أخيرا قرار يعتبرهم مجرد مقيمين فى اسرائيل وليسوا كغيرهم من اليهود ذوى البشرة البيضاء مما جعل هؤلاء اليهود السود يبدأون فى مغادرة اسرائيل والعودة الى أوطانهم الاولى وهكذا تناقض اسرائيل نفسها وتهدم الاساس الدينى الذى أقامت عليه دولة شاذة ومجتمعا متناقضا وحينما يدافع الفدائيون الفلسطينيون عن حقهم ويطالبون بتنفيذ قرارات الهيئات العالمية تولول اسرائيل وتصفهم بالارهابيين والمخربين والحقيقة الواضحة ان اسرائيل هى حاملة لواء الارهاب والعدوان فى العالم .

من مجلـــة الاسلام القاهرية ..



اعداد : فهمى الامام

الكويت : هاجمت قوات الحكومة العراقية مخفر الصامتة الواقع على الحدود الكويتية واحتلته ، وراح ضحية هذا الهجوم شهيدان ، كما أصيب عدد من جنود الشرطة الكويتيين .

● زار سمو أمير البلاد المعظم الجرحى الذين أصيبوا فى مخفر الصامتة ، وأثنى على بسالتهم ووطنيتهم .

● شيعت الكويت فى جنازة رسمية الشهيدين اللذين قتلا فى عدوان الحكومة العراقية على الحدود الكويتية .

● قوبل الاعتداء على الحدود الكويتية باستنكار شديد على جميع المستويات فى الدول العربية .

● زار كلا من الكويت والعراق عدد كبير من المسئولين فى الدول العربية لتسوية النزاع القائم على الحدود بين الدولتين الشقيقتين الكويت والعراق .

● صرح سمو أمير البلاد المعظم فى حديثه الذى نشر بجريدة البيرق اللبنانية بأنه عندما تحين ساعة الصفر فسنستخدم سلاح البترول وسنبذل تضحيات أثمن من البترول .

● كان موضوع خطبة الجمعة ١٩ صفر فى جميع مساجد الكويت إنما المؤمنون إخوة ، وقد تضمنت دعوة الأمة الاسلامية الى التآخى والقضاء على الخلاف بينها ، وتوجيه الجهود الى العدو الذى يحتل أراضينا .

● أعلنت جميع الهيئات الكويتية الطلابية والعمالية والنقابية فى الكويت وجميع الدول استنكارها لحادث الهجوم على الحدود الكويتية ،



● سمو أمير البلاد المعظم أثناء زيارته للجرحى ●



● وزير الداخلية والدفاع الشيخ سعد العبد الله الصباح يطمئن على صحة أحد الجرحى ●



● أمين عام جامعة الدول العربية محمود رياض وهو يدلى بتصريح لرجال الاعلام فى أعقاب وصوله الى الكويت ●

وأيدت الاجراءات الحكومية للحفاظ على سيادة الكويت ووحدة أراضيها .

● تقوم الجامعة العربية بدور كبير فى التوسط بين الكويت والعراق حول النزاع القائم على الحدود وقد زار أمين الجامعة كلا من الكويت وبغداد لهذا الفرض .

● تحتفل وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بذكرى المواد الشريف مساء الجمعة ١١ من ربيع الأول فى مسجد السوق الكبير .

● عقد فى الكويت مؤخرا مؤتمر التعاون التربوى بين البيت والمدرسة .. وقد عقد جلسته الختامية فى ٧٣/٣/١٤ ، واتخذ المؤتمرون القرارات والتوصيات اللازمة .

مصر : صرح السيد حسين الشافعى بأن مصر تستطيع — كحد أدنى — أن تعيد العدو الى الوضع الذى كان فيه عام ٧٠ وأن ترهقه تماما .

● وافق مجمع البحوث الاسلامية على توجيه الدعوة الى ٤٠ دولة إسلامية لحضور مؤتمر علماء المسلمين الذى يعقد بالقاهرة فى ١٠ نوفمبر القادم .

● اعتمد مبلغ (٣٥٠) الف جنيه لإصلاح مسجد عمرو بن العاص .

● افتتح وزير الأوقاف وشئون الأزهر دار القرآن الكريم فى مدينة بنها .

السعودية : شكلت هيئة لدراسة وسائل نشر الدعوة الاسلامية الصحيحة فى أنحاء العالم وخاصة فى أفريقيا وآسيا .

● من المقرر أن تقوم (٦) وفود إسلامية مبتعثة من قبل رابطة العالم الاسلامى بزيارة العديد من الأقطار والاتصال بزعمائها والاطلاع على واقع المسلمين بها ومنجزاتهم واحتياجاتهم ووضع الحلول لها .

الجزائر : تقرر عقد الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى فى مدينة تيزى وزو من ١٠ — ٢٠ من جمادى الآخرة ، وسيدعى لحضوره عدد من الشخصيات البارزة فى الجزائر وفى أنحاء العالم .

● أدلى السيد مولود قاسم وزير الشئون الدينية والتعليم فى الجزائر بتصريح قال فيه : إن الاجتماع القادم لوزراء الأوقاف العرب سيعقد فى الجزائر ، وان المشتركين فى المؤتمر سيشهدون الحلقة الدراسية الثانية من ملتقى الفكر الاسلامى الذى يعقد سنويا فى الجزائر .

الأردن : ألغى الملك حسين حكم الاعدام الصادر بحق أبى داود ورفاقه من الفدائيين .

● أهابت لجنة إنقاذ القدس بالعالمين الاسلامى والعربى وجميع قوى الخير والحرية والسلام أن تقف موقفا عمليا وجديا لدرء الخطر عن المسجد الأقصى والقضاء على مخططات تهدف الى إزالته من الوجود .

ليبيا : عقد مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامى اجتماعاته فى بنغازى ، ويشترك فى هذا المؤتمر ٣٢ دولة إسلامية ، ومن بين الموضوعات المدرجة على جدول أعمال المؤتمر : حرب الإبادة التى تشنها حكومة الفلبين ضد المسلمين هناك .

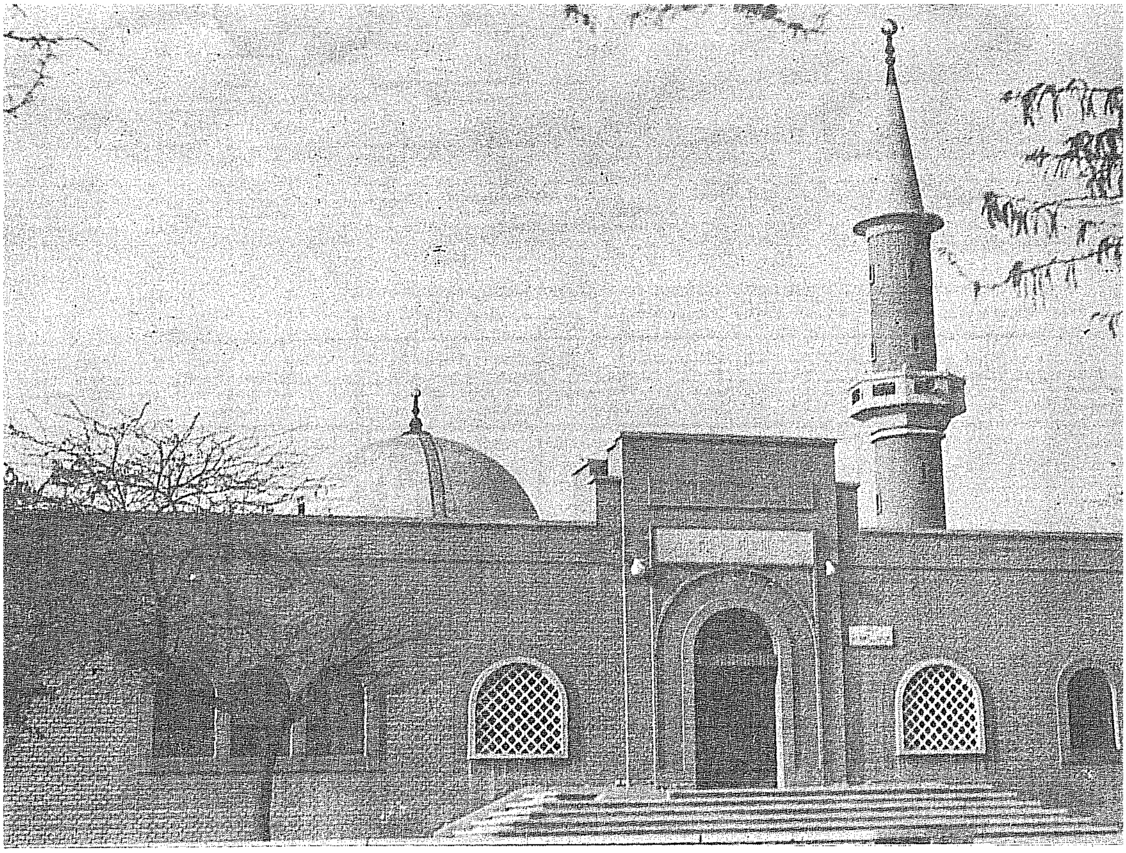
المغرب : أعلن الملك الحسن عاهل المغرب أنه سيرسل مئات ومئات من رجال القوات الآلية المسلحة الى سوريا لإعطاء جيشه فرصة مزج دمائه بدماء إخوانه العرب فى الشرق الأوسط .

● أعلن حزب الاستقلال فى بيان الى الشعب المغربى أن سنة ٧٣ ستكون سنة التعريب فى الادارة والتعليم ، وحث البيان الشعب والحكومة على نبذ اللغة الفرنسية واستعمال اللغة العربية فى المعاملات اليومية .

فلسطين المحتلة : استولت الشركة الاسرائيلية لإسكان المهاجرين الجدد على مسجد أبى يونس فى حيفا الذى تأسس عام ١٩٢٥ .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع الأول ١٣٩٣	أبريل ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الثلاثاء	١	٣	٤ ٥	٥ ٣٦	١١ ٥٢	٣ ٢٤	٦ ٧	٧ ٢٦	٩ ٥٨	١١ ٢٩	٥ ٤٥	٩ ١٦	١ ١٩
الاربعاء	٢	٤	٤ ٤	٣٥	٥٢	٢٤	٨	٢٧	٥٦	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الخميس	٣	٥	٢	٣٤	٥١	٢٣	٨	٢٨	٤٥	٢٦	٤٣	١٥	١٩
الجمعة	٤	٦	١	٣٣	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥٢	٢٤	٤٢	١٤	٢٠
السبت	٥	٧	٠٠	٣٢	٥١	٢٣	٩	٢٩	٥١	٢٣	٤٢	١٤	٢٠
الأحد	٦	٨	٣ ٥٩	٣١	٥١	٢٣	١٠	٣٠	٤٩	٢١	٤١	١٣	٢٠
الاثنين	٧	٩	٥٨	٣٠	٥٠	٢٣	١٠	٣٠	٤٨	٢٠	٤٠	١٢	٢٠
الثلاثاء	٨	١٠	٥٧	٢٩	٥٠	٢٣	١١	٣١	٤٦	١٨	٣٩	١٢	٢٠
الأربعاء	٩	١١	٥٥	٢٧	٥٠	٢٢	١١	٣١	٤٤	١٦	٣٨	١١	٢٠
الخميس	١٠	١٢	٥٤	٢٦	٤٩	٢٢	١٢	٣٢	٤٢	١٤	٣٧	١٠	٢٠
الجمعة	١١	١٣	٥٢	٢٥	٤٩	٢٢	١٢	٣٣	٤٠	١٢	٣٦	١٠	٢١
السبت	١٢	١٤	٥١	٢٤	٤٩	٢٢	١٣	٣٤	٣٨	١١	٣٦	٩	٢١
الأحد	١٣	١٥	٥٠	٢٣	٤٩	٢٢	١٣	٣٤	٣٧	١٠	٣٥	٩	٢١
الاثنين	١٤	١٦	٤٩	٢٢	٤٨	٢٢	١٤	٣٥	٣٥	٨	٣٤	٨	٢١
الثلاثاء	١٥	١٧	٤٨	٢١	٤٨	٢٢	١٥	٣٦	٣٣	٦	٣٣	٧	٢١
الأربعاء	١٦	١٨	٤٦	٢٠	٤٨	٢٢	١٥	٣٧	٣١	٥	٣٣	٦	٢١
الخميس	١٧	١٩	٤٥	١٩	٤٨	٢٢	١٦	٣٨	٢٩	٣	٣٢	٦	٢٢
الجمعة	١٨	٢٠	٤٤	١٨	٤٨	٢٢	١٧	٣٩	٢٧	١	٣١	٥	٢٢
السبت	١٩	٢١	٤٢	١٧	٤٧	٢١	١٧	٣٩	٢٥	٠٠	٣٠	٤	٢٢
الأحد	٢٠	٢٢	٤١	١٦	٤٧	٢١	١٨	٤٠	٢٣	١٠ ٥٨	٢٩	٤	٢٢
الاثنين	٢١	٢٣	٣٩	١٥	٤٧	٢١	١٨	٤١	٢١	٥٧	٢٩	٣	٢٣
الثلاثاء	٢٢	٢٤	٣٨	١٤	٤٧	٢١	١٩	٤٢	١٩	٥٥	٢٨	٢	٢٣
الأربعاء	٢٣	٢٥	٣٧	١٣	٤٧	٢١	٢٠	٤٣	١٧	٥٣	٢٧	١	٢٣
الخميس	٢٤	٢٦	٣٥	١٢	٤٦	٢١	٢٠	٤٣	١٥	٥٢	٢٦	١	٢٣
الجمعة	٢٥	٢٧	٣٤	١١	٤٦	٢١	٢١	٤٤	١٣	٥٠	٢٥	٠٠	٢٣
السبت	٢٦	٢٨	٣٣	١٠	٤٦	٢١	٢٢	٤٥	١١	٤٨	٢٤	٨ ٥٩	٢٤
الأحد	٢٧	٢٩	٣٢	٩	٤٦	٢١	٢٢	٤٦	١٠	٤٧	٢٤	٥٩	٢٤
الاثنين	٢٨	٣٠	٣١	٨	٤٦	٢١	٢٣	٤٧	٨	٤٥	٢٣	٥٨	٢٤
الثلاثاء	٢٩	مايو	٣٠	٧	٤٥	٢٠	٢٣	٤٨	٧	٤٤	٢٢	٥٧	٢٤
الاربعاء	٣٠	٢	٢٩	٦	٤٥	٢٠	٢٤	٤٩	٥	٤٢	٢١	٥٧	٢٥



مسجد عمر بن الخطاب

اسمه : عمر ، وكنيته أبو حفص ، والحفص الشبل ولد الأسد . كناه به النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، ولقبه الفاروق ، وسماه به النبى . قيل لعائشة أم المؤمنين : من سمى عمر الفاروق ، قالت : النبى صلى الله عليه وسلم .

نسبه : هو عمر بن الخطاب بن نفيل ، وينتهى الى عدنان ، ويجتمع مع النبى فى معد .

مولده : ولد قبل البعثة بثلاثين عاما .

اسلامه : أسلم فى السنة السادسة من النبوة ، وكان اسلامه فتحا ، وهجرته نصراً وشهد المشاهد كلها .

خلافته : توفى أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة فاستقبل عمر بخلافته يوم الثلاثاء صبيحة وفاة أبى بكر ، ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وعدة أيام .

فتوحاته : فى عهده انتشر الاسلام وفتحت الأمصار ودونت الدواوين .

وفاته : طعنه أبو لؤلؤة المجوسى عدة طعنات وهو يصلى ، ومكث بعد ما طعن ثلاثا وتوفى يوم الاربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن مع النبى صلى الله عليه وسلم . وأبى بكر رضوان الله عليه .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
تونـس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .
لبنــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الاردن	:	عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العــراق	:	بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .
قطــر	:	الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبــى	:	مؤسسة دار العروبــة .
الكـويت	:	مكتبة الكــويت المتحــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة عبد المرزوق الصحفية — الكويت

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

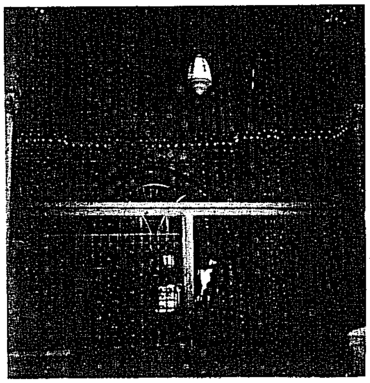
السنة التاسعة ـ العدد ١٠٠ ـ غرة ربيع الآخر ١٣٩٢ هـ ـ ٢ مايو ١٩٧٢م



يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ

محمد داود

وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ



مسجد العمرى
ببيروت

منظر رائع لواجهة المسجد العمري ببيروت وهو آية من آيات الفن والابداع العربى فى الزخرفة والجمال ..

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (١٠٠)

غرة ربيع الآخر ١٣٩٣ هـ

٣ مايو (أيار) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

أما الأفراد فيشتركون راسا مع متعهد التوزيع كل فى قطر

الثمن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

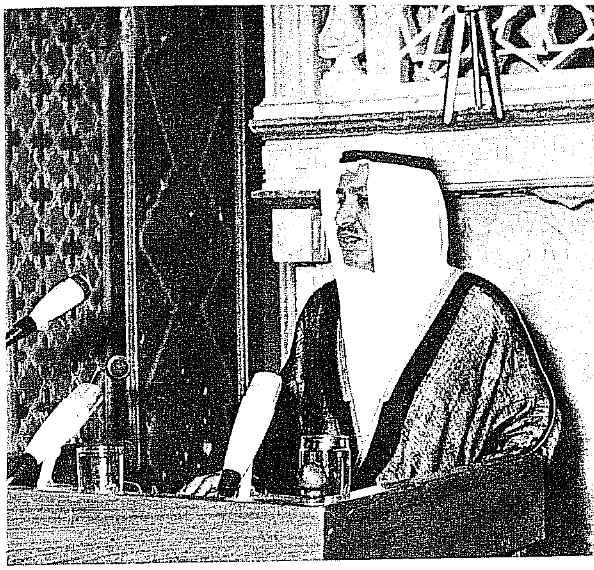
صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

ذكرى المولد النبوى الشريف

كلمة
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية

احتفلت وزارة الأوقــاف والشئون الاسلامية بذكرى مولد أفضل مولود ، وأعظم مخلوق وموجود ، سيدنا محمد بن عبد الله صلــوات الله وسلامـــه عليه ، وقد وفدت ذكــرى المولد النبوى الشريف هذا العام على المسلمين وقــد نزلت بساحتهم أحداث هى أكبر من أن توصف ، وأقربها نزولا ما حدث فجر الثلاثاء الذى يسبق ذكرى المولد من اقتحام العــدو الاسرائيلى لبيوت قادة المقاومة الفلسطينية فى بيروت ، العاصمة العربية اللبنانية ، وقتلهم وانتهــاك حرماتهــم ، ثم عــودته ســالما محروســا بغفلتنــا ، محميا بعجــزنا .. وكان لهذا التحدى الصارخ من الصهيونية صداه البعيد فى المحيط العربى ، والمجتمع الاسلامى والمجال الدولى ، وقد انعكست آثار هذا التحدى فى الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة المولد الشريف فتتابع الخطباء يعبئون القوى ، ويوقدون جذوة الايمان فى القلوب ، ويستنهضون العزائم للذود عن العقيدة والأوطان .

وفى حفل الوزارة الذى أقيم بمسجد السوق الكبير ونقلت وقائعه الاذاعة والتلفزيون ارتجل سعادة الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الكلمة التالية :



يحتفل العالم الإسلامي اليوم بذكرى مولد محمد بن عبد الله صلى اللـــه تعالى عليه وسلم .

يحتفل العالم اليوم بذكرى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الذى قاد الأمة الإسلامية ، وقاد الأمة العربية من نصر الى نصر . نحتفل بالمعلم الأول . ونحتفل بالقائد الأول الذى علمنا كيف يكون الجهاد ، وعلمنا كيف يكون النضال ، وعلمنا كيف يكون الاستشهاد في سبيل الله ، لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى هذه الأمة روح العزة والكرامة ، وعلمها كيف تكون أمة وكيف تكون معلمة للشعوب والأمم ، ونحن نحتفل اليوم بهذه الذكرى لنأخذمنهـــا عظـــة وعبـــرة ..

ايهـــا الســـادة :

ونحن نحتفل بهذه الذكرى تطلع علينا الأحداث المؤسفة ، ويستيقظ العالم اليوم على أحداث مؤلـــة فى عالمنا العربى والإسلامى ، فقد استيقظ العـــالم على جريمة نكراء ارتكبها الاستعمار ، وارتكبتها الصهيونية ـــ استيقظ العالم على اعتداء آثم على الشعب الفلسطينى المظلوم ، الذى شرد من دياره ومن وطنه ، استيقظ العالم على المؤامرة الكبرى التى دبرت ضد هذا الشعب ، والتى استهدفت القادة والزعماء للمقاومة وللفدائيين ، استيقظ العالم على هذا الذى يتنكر فى صورة الحمل الوديع ويرتكب أكبر جريمة .. استيقظ العالم على هذا الشعب اليهودى ، الشعب الصهيونى ، الذى يخـــدع العالم فيناشده السلام والأمـــن

والاطمئنان .. استيقظ العالم على هذا الشعب فوجده يرتكب الجرائم فى المدن الآمنة ، يقتل الأطفال والنساء والرجال ، لا يرحم النساء ، ولا يعطف على الأطفال ، إنه حيوان مفترس .

ايها السادة :

إن هذه الجريمة لا تستهدف زعماء المقاومة ، ولا تستهدف الفلسطينيين وحدهم ، وإنما تستهدف الأمة العربية والإسلامية ، لأنها مؤامرة لها ابعادها المعنوية قبل أبعادها العسكرية .. إنها مؤامرة تريد أن تفت فى عضد هذه الدعوة ، وفى هذه القوة ، وفى هذه العزيمة .. إنها الحرب النفسية التى ترتكز عليها الصهيونية ضد هذه الأمة العربية ، وتريد أن تشتت شملها ، وان تضعف قواها ، وان تفرق كلمتها وشملها .. تريد ان تهزها ، وتريد ان تفرض عليها الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع .. إن الحرب النفسية اقسى على الشعوب من الحرب العسكرية ..

ايها الإخوة :

على المؤمنين وعلى الثابتين ان يثبتوا فى مواقعهم ، وأن يتنبهوا الى هذه المؤامرات ، وأن يعرفوا ان عدوهم يتخذ من الأساليب ، ويتخذ من الخطط ما هو ادهى وأمر من ذلك ، لأنه يريد أن يمحو كل عربى ، وها هو يقوم بمعاونة الكفر والاستعمار بتقتيل ابنائنا وتشريد عائلاتنا .. وها هو ينفث سمومه فى كل يوم ، ويعتقل من أبنائنا كل يوم ، فعلينا أن نتنبه ، وعلينا ان نثبت فى مواقعنا ، وأن نجابه هذه الحرب بكل عزيمة ، وكل ثبات ، وكل قوة ، ولنا فى تاريخنا العربى والإسلامى المجيد ما يقوى من عزيمتنا وما يثبت من اقدامنا .. إن لنا فى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وفى سيرته وفى جهاده وفى نضاله اسوة حسنة ، فقد عانى من الكفار ما عانى ، ولقد قاد معاركه وخاضها وناله من الأذى ما نال ، وقد أرسل جيشه الى الشام ليقاتل الروم ، وعندما وصل الجيش الى « معان » علم أن جيش الروم يبلغ مائة الف ، وعدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف رجل ، فتردد بعض القوم ولكن الإيمان ثبت ، ولكن العزيمة وقفت ، وقالوا : ما جئنا إليه هو الذى نكرهه ، وإن لنا فى هذا الموقف إحدى الحسنيين فإما النصر وإما الشهادة ، فتقابل الجيشان فى مكان يقال له مؤته ، فى أرض الشام ، وتقدم القادة الذين امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتأخروا الى المؤخرة وانما تقدموا الصفوف ، فتقدم زيد بن حارثة وهو يحمل راية المسلمين فجاهد وناضل حتى قتل ، فتقدم جعفر بن أبى طالب فجاهد وقاتل حتى قطعت يده اليمنى ، فحمل الراية بيده اليسرى ، وناضل حتى قطعت يده اليسرى ، فأخذ الراية بعضديه

فقاتل وناضل حتى قتل ، ولما حملوه وجدوا فى جسده أكثر من تسعين طعنة ، فجاء بعده عبد الله بن رواحة فاستلم الراية وقاتل وناضل حتى قتل ، ثم جاء بعد ذلك خالد بن الوليد ونظم الجيش ورتب الصفوف وظن الأعداء أن هناك مددا جاء الى هذا الجيش ، فتقابل الجيشان فانحــاز الكفار الى مكان وانحاز المسلمون الى مكان آخر ، فكان النصر للمسلمين ، « **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** » فرجع جيش المسلمين وقد بعث الله فى قلوبهم الإيمان ، وقوى عزيمتهم بالثبات على الإسلام ، ثم بعد ذلك تتابعت جيوش المسلمين بتأييد من العقيــدة الإسلامية وبتوجيه من القائد العظيم الذى يخوض المعركة متقدما الصفوف .

أيهــا الســادة :

إننا نريد أن نقول لقادتنا ، ونريد أن نقول للمقاومة ، ونريد أن نقول للفدائيين لقد آن الأوان أن تتوحد صفوفكم ، وأن تقاتلوا صفا واحدا كرجل واحد « **إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** » .

وعلى الأمة العربية أن تقاتل معهم ، وأن تؤيدهم بالرجال ، فإن ذلك من واجبنا ، وذلك فرض علينا ، فإن الإسلام قد أوجب علينا الدفاع عن الأوطان ، ومن لم تحدثه نفسه بالجهاد والقتال فى سبيل الله مات على شعبة من النفاق ، وعلى كل مسلم أن يجاهد ، وأن يناضل ، وأن يقاتل فى سبيل الله وفى سبيــل الوطن .

إن ديارنا احتلت ، وصفوفنا تمزقت بيد أعدائنا ، فوجب علينا النضال ، ووجب علينا القتال ، ووجبت علينا المناصرة والمؤازرة بكل ما نستطيع من قوة : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ».

على القادة وعلى الزعماء أن يعرفوا هذه الحقيقة فإن النصر لا يأتى الا بالوحدة ، وحدة الكلمة ، ووحدة الفكر ، ولا يأتى الا بالنظام ، ولا يأتى الا بالتنظيم ، فإن عدونا يقاتلنا بهذه الفكرة ، ويقاتلنا بهذه الدعوة ، ويقاتلنا بهذا التنظيم . لقد انعقدت مؤتمرات الصهيونية لهذا الغرض فى كل مكان ، وها نحن نرى جيوشنا تقف بعيدة عن النصرة للفدائيين ، فعليها أن تقف وتقاتل وتجاهد ، وأن تنصر هؤلاء الذين يضحون بأرواحهم وبدمائهم فى سبيل الله . « **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » والسلام عليكم ورحمة الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الشهر

المصحف ...

المصحف اسم لا يغيب مدلوله ، ولا المراد به عن احد من الناس شرق أو غرب . كفر أو آمن ، فهو — كما علمت الدنيا — في ماضيها وحاضرها وكما تعلم الأجيال القادمة الى يوم الدين — اسم الصحف التى كتب فيها القرآن الكريم مرتب الآيات والسور على الوجه الذى تلقته الأمة الاسلامية من النبى صلى الله عليه وسلم . وابو بكر رضى الله عنه أول من جمع القرآن وسماه المصحف ، وقد روى ان الصحابة رضوان الله عليهم لما جمعوا القرآن فى عهده ، وكتبوه فى أوراق قال : التمسوا له اسما ، فقال بعضهم « المصحف » فاختاره المسلمون وارتضاه الخليفة الأول .

وجاء فى بعض الروايات ما يدل على أن لفظ « المصحف » تداوله المسلمون بنفس المعنى قبل عهد أبى بكر فعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الغرباء فى الدنيا أربعة (وعد منها مصحفا فى بيت لا يقرأ فيه) انظر المناوى فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٤٠٩ .

وعن ابن عمر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسافر بالمصحف فى أرض العدو مخافة أن يناله العدو » المصاحف لابن أبى داود ج ٥ ص ١٨٠ .

وعن أنس — مرفوعا « سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو

فى قبره (وعد منها أيضا من ورث مصحفا) » انظر الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ١٧٣ .

ولم تعرف الدنيا كتابا بذل اتباعه فى حفظه وتفهمه والعناية به حرفا حرفا وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وارباعه وسجداته ــ كما فعل المسلمون بالمصحف ، فقد تجردت لخدمته عقول ومواهب وبذلت فى دراسته اعمار وأموال لم يظفر بها على مدى التاريخ أى كتاب سماوى أو غير سماوى ، وشبعت ورويت على مائدته عبقريات كثيرة متنوعة أفادت الانسانية خير نتاج فى فنون المعرفة والوان الثقافة العقلية والانسانية .

ولم يبلغ كتاب من الذيوع والانتشار ما بلغ المصحف ، فقد كتب وطبع منه ملايين النسخ فى مختلف العصور والأجيال ، وحملت هذه المصاحف حيث يوجد الظل من الأرض .

جاء فى كتاب المسالك والممالك ص ١٦٢ عند الحديث عن سد يأجوج ومأجوج أن الخليفة الواثق بالله أراد أن يستخبر خبر هذا السد ، فأوفد « سلام الترجمان » لهذه المهمة ومعه خمسون رجلا : شباب أقوياء ، وحكى سلام ، فقال : « فأقمنا عند ملك الخزر يوما وليلة ، حتى وجه معنا خمسة أولاد ، فسرنا من عنده ستة وعشرين يوما ، فانتهينا الى أرض سوداء منتنة الرائحة ، وكنا قد تزودنا قبل دخولها خلا نشمه من الرائحة المنكرة ، فسرنا فيها عشرة أيام ، ثم صرنا الى مدن خراب فسرنا فيها عشرين يوما ، فسألنا عن حال تلك المدن ، فخبرنا أنها المدن التى كان يأجوج ومأجوج يتطرقونها ، فخربوها ثم صرنا الى حصون بالقرب من الجبل الذى فى شعبة منه السد ، وفى تلك الحصون قوم يتكلمون العربية ، مسلمون يقرأون القرآن ، ولهم كتاتيب ومساجد ... الخ » .

وأيا كان سند هذه القصة من الصحة ومبلغها من الحقيقة أو الخيال ، فهى تشير الى حقيقة لا جدال فيها .. الى مدى اهتمام المسلمين أينما كانوا بالقرآن وحرصهم الشديد على اقراء أولادهم المصحف وتحفيظه لهم . يستوى فى ذلك الخلفاء والامراء وأوساط الناس وعامتهم . والكتاتيب المنبثة فى المدائن والقرى على تتابع الأجيال ومسار الزمن آية هذا الاهتمام وتلك العناية ، ووصايا الحكام للمعلمين والمؤدبين أصدق دليل وأعظم شاهد .

يقول عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن . وهشام بن عبد الملك يقول لسليمان الكلبى لما اتخذه مؤدبا لابنه « وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روه من الشعر أحسنه » والرشيد يقول للأحمر معلم ولده الأمين « فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين . اقرئه القرآن وعرفه الأخبار » .

وفى كل جيل وكل بلد ييسر الله للقرآن الكريم طائفة من المسلمين يبذلون جهودا لتعليمه وتحفيظه وسط التيارات المثبطة والمعوقة أو المضادة ، ونذكر على سبيل المثال دار القرآن الكريم التى أنشأتها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى دولة الكويت ، واستوعبت عددا كبيرا من الراغبين فى الحفظ صباحا أو مساء ، وانك لتعجب أشد العجب حين ترى

فيها الشــــاب والشيخ والكهــل ، والهنــدى والعمــانى والبــاكستانى والاندونيسى والروسى و .. والمبصر والمكفوف والامام والمؤذن والعامــل والمحاسب والقاضى والجنــدى .. أعمار متفاوتة ، ومستويات مختلفة ، وجنسيات متعددة لم يجمعها فى دار واحدة وتحت سقف واحد الا هــدف واحد وهو التقرب الى الله والتعبــد بتلاوة آياته وحفظ كتابه .

وهذا التيسير والتوفيق من رحمة الله بعباده ولطفـــه بهم ولــو كان الجاهلون لا يعلمون ، وفى حديــث حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان القوم يبعث الله عليهــم العذاب حتما مقضيا ، فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب « الحمد لله رب العالمين» فيسمعه الله تعالى فيرفــع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة » . يقول ابن حجر العسقلانى فى كتابه الكافى الشافى ولهذا الحديث شاهد فى مسند الدارمى عن ثابت بن عجلان قال : كان يقال : « وان الله ليريــد العذاب بأهل الأرض فاذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة صرف ذلك عنهم ، يعنى بالحكمة القرآن » .

ولم يكن اقبال النساء على حفــظ كتاب الله أقل من اقبال الرجال ، فقد حفظ لنا التاريخ أسماء نساء فــى خدمة المصحف وتلاوته . منهــن أم المؤمنين حفصة ، وتعتبر واحدة مــن القراء من أصحاب النبى ، وقد حفظت نسخة الجمع الاول التى كانت مرجع لجنة جمع القرآن على عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه . ومنهن ميمونة بنت أبى جعفر المدنى أحد القــراء العشرة فقد روت القراءة عن ابيها ، وروى القراءة عنها آخرون .

وفى النجوم الزاهرة لابن تغــر بردى أنه كان فى قصر زبيــدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد « مائــة جارية تقرأ القرآن فكان يسمع مــن قصرها دوى كــدوى النحــل مــن القراءة » .

وذكر ابن فياض فى تاريخه فــى اخبار قرطبة : « انــه كان بالربض الشرقى من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى . وكان هذا فى ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها » .

وعرض ابن الجزرى الســيرة العلمية لابنته سلمى ، فذكر انهــا « عرضت القرآن حفظا بالقــراءات العشر قراءة صحيحة مجودة مشتملة على جميع وجوه القــراءات بحيــث وصلت فى الاستحضار الى غايــة لا يشاركها فيها أحد فى وقتها » .

هذه بعض الأضواء على المصحف تدل على مبلغ عناية المسلمين رجالا ونساء فى مختلف العصور والاجيال بخدمة كتاب الله والاهتمــام بحفظه والمحافظة عليه وهى عناية لم يظفر بها اى كتاب فى الوجود ، ويكفى انه منذ تنزلت الآيات الأولى منه الى اليوم لم تخل لحظة من ليل او نهار مــن أفواه تتعطر بترتيله والسنة تترطب بتلاوته وقلوب تخشع وتلين لسماعه ، وستظل بحفظ الله هذه الأفــواه والألسنة والقلوب تطيب وتنــدى وتخشع الــى يوم الدين « انا نحــن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

معركة المصحف :

وبقدر تقديس المسلمين للمصحف وحرصهم على سلامته وجهودهــم للمحافظة عليه كانت أحقاد اعــداء الاسلام للمصحف وخصومتهم لــه ومحاولاتهــم الخاسرة لتزييفــه وتحريفه .

ويبوء اليهود من قديم الزمان باثم تحريف الكتاب عن مواضعه ، وتبديل ما أنزل الله ، وقد مسخوا التوراة المنزلة على نبيهم مسخا يتفق مع أهوائهم ومآربهم فعمدوا الى الفاظها فزادوا فيها ونقصوا أو حذفوا وقدموا وأخروا « ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » .

وقد حاولوا أن يفعلوا ذلك بالمصحف فخابوا وخسروا ، وآخر هذه المحاولات المصاحف المحرفة التى طبعوها ووزعوها فى المغرب وغانا وغينيا ومالى وبعض دول افريقية أخرى ، وقد اكتشفت هذه المحاولة فى المغرب فجمعت النسخ المحرفة وأحصيت الأخطاء الموجودة فيها ، فوجد فيها أكثر من الف خطأ مطبعى ولفظى فى مائة الف مصحف ، ولم يقتصر التزييف عند الأخطاء المطبعية ، بل حذف فيها كلمة (ليست) فى قوله تعالى : « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء » وحذفت كلمة (غير) فى الآية « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » وابدال كلمة (آمنوا) بكلمة (لعنوا) فى قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) وقد اهتم المسلمون بهذا الحادث الاجرامى الخطير اهتماما كبيرا ، فشكلت لجنة فى القاهرة لمراجعة المصحف المحرف وتحذير المسلمين من تداوله ، وكذلك فعلت السودان والاردن ، وحرصت الكويت وغيرها من الدول العربية والاسلامية على منع تداول اى مصحف فيها الا بعد اجازة تداوله من اللجان المختصة .

ولوحظ فى الايام الاخيرة ظهور طبعات كثيرة من المصحف يبدو فيها الاهمال الشديد من العمال واصحاب المطابع ، والاستغلال الحرام من بعض أصحاب المكتبات ودور النشر وهذا الاهمال وان كان غير متعمد الا أنه يساوى المتعمد فى الاثم والنتيجة واحدة وهى وجود مصحف محرف ومزيف ، وتتخذ هذه الأخطاء صورا متعددة كحذف أو زيادة بعض النقاط ، وحذف أو تغيير بعض الشكل ، ومخالفة للرسم العثمانى المجمع عليه ، وكحذف بعض السور وكوضع سورة أو بعض سورة فى غير موضعها الالهى .

وهذه المصاحف المحرفة لم تصبح نادرة بل كثرت وانتشرت انتشارا مخيفا .

فماذا ينتظر المسلمون والمسئولون بعد هذا ؟!

ماذا بعد المصحف ، وماذا قبل المصحف ، وماذا غير المصحف ، فى وجود المسلمين فى الماضى والحاضر والمستقبل ؟!!

ان ظهور ورقة مزيفة من أوراق النقد فى سوق من الأسواق تقيم الدنيا وتقعدها ، فتصادر تلك الورقة وتتخذ الحيطة لجمع مثيلاتها واعدامها منعا لتداولها ، كما يتعقب المزيفون ، وتنزل بهم أشد العقوبات .

أفلا يجب أن ينال المصحف من المسلمين مثل هذه العناية .. أفلا يجب أن يعتبر تحريف المصحف عمدا أو اهمالا جناية من الجنايات توضع لها عقوبات رادعة : « ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا » « ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » .

رضوان البيلى

صورة شاملة لسورة يس

للشيخ محمد الغزالى

من التفسير الموضوعى :

لن نحتاج الى كبير عناء فى استبانة الخيوط الخفية التى تشد أجزاء هذه السورة وتجعل من معانيها واغراضها كيانا متماسك الحقائق وضيىء الملامح ..

بدأت السورة بقسم جليل .. قسم بما فى الدليل من دقة وحكمة على صدق الدعوى ووجاهة صاحبها !! « والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم » .

ان القرآن هو الشاهد الثقة على أن محمدا حق .

وما تضمنه القرآن من حكمة بالغة : حجة فوق الريب على أنه وحى من السماء ، وأن الذى يتلوه مصدق الدعوة راشد الطريق .

ثم تضمنت السورة تمهيدا وجيزا عن مواقف الناس من هذه الرسالة

وانقسامهم بين مؤيد ومعارض وليس ذلك عجبا .

فالناس من قديم الزمان صنفان : صنف يحتبس في المواريث الفكرية التي آلت اليه لا يعدوها ولا يحب أن يستخرجه أحد من نطاقها ، وصنف آخر مرن التفكير ، حر الوجهة يعطى نفسه حق المقارنة والترجيح ثم ينطلق بعدئذ على ما أحب .

ومن الصنفين جميعا كان الكافرون والمؤمنون .

وعقب هذا التمهيد ثلاثة مشاهد متميزة استغرقت السورة كلها ودارت على محور واحد : هو إضاءة الطريق أمام السائرين ، وسط الأدلة التي تدعم الحق ، وتذيب التعصب للباطل وتبنى الإسلام على أصوله العتيدة من حركة العقل ، ووعى التجارب ، واحترام الفطرة ..

● **المشهد الأول : دليل تاريخي من الماضي البعيد يقص نبأ القرية التي قاومت المرسلين وكذبت تعاليمهم فأصابها ما أصابها .**

● **والمشهد الثاني : دليل من الحاضر المحسوس يلفت النظر إلى آيات الله في البر والبحر والفضاء ويرجع البصر بين فجاج الارض وآفاق السماء كي يستخلص العبر الدالة على رب العالمين .**

● **والمشهد الثالث والأخير : دليل من المستقبل الآتي يؤكد للبشر أن لعالمهم الذي يعيشون فيه أجلا ينتهي اليه وأن وراءه عالما آخر يسعد فيه المهذبون العقلاء ويشقى فيه من سفه نفسه ، وحقر عقله ، وأساء سيرته ، وفقد شرفه ..**

من التمهيد الذي افتتحت به هذه السورة الكريمة ومن تلك البراهين الثلاثة المستمدة من الماضي والحاضر والمستقبل تكونت (يس) .

ونستطيع ان نلمح الروابط بين اول السورة وآخرها إذا ما أعدنا قراءتها متدبرين حال العرب الذين فوجئوا ببعثة محمد يدعوهم الي توحيد الله وحمل الرسالة التي اصطفاهم الله لها ومتدبرين كذلك الأدلة المثيرة المتلاقية كلها على أن الله حق ، ونبيه حق ، وهي أدلة كانت ولا تزال تهدى الحيارى في كل زمان ومكان ..

فلنعد مرة أخرى الى التمهيد وما بعده ..

إن ناسا كثيرين يحيون داخل فكرة ثابتة سيطرت عليهم دون بحث أو نقاش ..

والسجناء في أوهامهم ينظرون يمينا ويسارا فلا يرون إلا السدود التي احتبسوا فيها والأحوال التي عاشوا في ضيقها وجهلوا ما وراءها « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الاذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

والأغلال التي تحيط بالرجل العتيد وتجعله يعجز عن لي عنقه هنا وهناك في حركة حرة يبصر بها شتى المناظر والأوضاع ..

... هذه الأغلال من صنع نفسه ابتداء وما ضاعفها الله عليه إلا لأنه هو يريد استبقاءها كما قال جل شأنه في سورة أخرى .

« قل : من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا .. »

ويستطيع اى امرىء أن يخرج من ذلك السجن الظلوم إذا رحم نفسه وخشى ربه وعرف الحكمة من محياه ومماته ... إنه عندئذ يؤمن بالله ويهتدى بوحيه ، وذلك ما بدأت الأدلة تتساق لتحقيقه .

فلنقف قليلا عند المشهد الأول منها وهو الذي يبدأ بقوله تعالى :

« واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون » .

لقد كذب أهل القرية رسالات السماء تقريبا كما فعل اهل مكة وقالوا لرسلهم : « ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء .. »

وماذا يملك الأنبياء للناس ؟ إنهم لا يحملون عصا يسوقون بها الجماهير ولكنهم يملكون قدرة على الإقناع وتجلية الحقائق لذلك قالوا : « وما علينا إلا البلاغ المبين » .

بيد أن العميان يكرهون الضوء وما كان عليهم من بأس لو تركوا رسل الله يتكلمون بما لديهم فمن ارتضى منطقهم دخل فيه وإلا انصرف عنه .

إن أهل القرية لم يفعلوا ذلك بل قالوا لهم : « لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم » .

واقبل من بعيد رجل منصف لم يذكر القرآن اسمه ليكون أسوة للرجال الذين إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا .. الرجال الذين يعملون بعيدا عن الشهرة والظهور .

وتحدث الرجل حديث العقل : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون » ما دام الله هو الذى خلق وما دام المرجع اليه فما معنى البعد عنه والتجهم لهداه ؟؟ ولمن اذهب ؟ : « أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون . إنى إذا لفى ضلال مبين » ..

وذهب الرجل ضحية الإيمان الذى أعلنه وشرح أسبابه .. ويبدو أنه كان عميق الاخلاص لقومه شديد الرغبة فى هدايتهم فلما استقبلته بشاشة النعمة والرضوان تمنى لو أن قومه يعلمون ذلك المصير .. « قيل : ادخل الجنة قال : يا ليت قومى يعلمون . بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين » .

فماذا كانت عاقبة مكذبى الرسل ، ومهددى الحريات ، ومخرسى صوت العقل ؟ هل احتاج الأمر إلى تجريد جيش من السماء لتأديبهم ؟ كلا ، يقول الله : « وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » .

كان جديرا بأبناء آدم أن يعوا هذا المصير وان يرويه الأسلاف للأخلاف غير أن عبر الماضى تمر دون أن يذكرها الكثيرون ولو استفاد الحاضر من الغابر لتجنب الناس ويلات شتى .

ومع روعة المثلات الأولى فإن الإفادة منها قلت إلى حد أن القرآن الكريم يرسل هذه الصيحة المنددة المفندة « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » ..

فلنطو هذا المشهد ولنلق نظرة على مشهد ثان فى هذه السورة يعرف الناس بربهم ويقفهم أمام آياته التى يرونها فى الصباح والمساء .

يبدأ هذا المشهد بوصف ما تنبت الارض . خذ حفنة من هذا التراب الذى لا نهاية له فى الحقول والحدائق . أترى فيه سكرا أو دهنا أو نشا أو أملاحا أو الوانا أو غير ذلك كله مما تحسه وتطعمه فى الحبوب والفواكه التى تأكلها .. كيف خرجت من هذا الطين البارد الجامد شتى الالوان التى تصبغ الثمر والزهر بالصفرة والشقرة ، وكيف خرجت الطعوم الحلوة من هذا الكدر والقذى ؟؟ ومن لف هذه الحبوب فى أغلفتها المحكمة ولف هذه الفواكه فى قشورها الزاهية ؟؟ : « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب

وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » .
ودليل ثان مما يمتد اليه سمع الناس وبصرهم من ترادف الليل والنهار عليهم .. ان انحصارنا فى حركاتنا المحدودة يشغلنا عن حركة الفلك الدائر وذلك أننا نصبح ونمسى ونودع شتاء ونستقبل صيفا دون أن ندرى كيف تداولنا الليل والنهار والحر والبرد .
إن ذلك كله نتيجة جريان هائل للكوكب الذى نسكنه والكواكب التى تشرف علينا وهو جريان مرهوب السرعة فى هذا الفضاء الرحب .
ومع أننا نسكن كونا دوارا لا ينى يسبح فى ملكوت شاسع الابعاد فان هذا الدوران وذلك السبح محكومان بنظام محيط ملجمان بزمام ضابط « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ودليل ثالث من هذه السفن التى تجرى فى الماء يقدر أن الأجسام ترسب وتطفو وفق قانون مدروس مطرد ومن ثم أمكن صنع سفن فى احجام الجبال تحمل الالوف من الانفس والقناطير المقنطرة من المتاع ثم تنطلق متهادية فوق اللجج لو شاء ربها أبقاها فوصلت الى مرافئها سالمة أو شاء نفخ فى الامواج الحاملة فأرغت وأزبدت ورمت فى قاع البحر بما حملت فما يستطيع أحد إسداء عون ، ولا انجاء هالك .
« وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون . الا رحمة منا ومتاعا الى حين » ودليل رابع من هذه الانعام المسخرة لنا ننتفع من محياها ومماتها ..
لكن قبل أن نشرح هذا الدليل وغيره ينبغى أن نذكر أن وسط الصورة قد قام على معنى محدد معقول أما المشهد الخاتم للسورة فهو حديث عن البعث والجزاء يبدأ من قوله تعالى : « ويقولون : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون » . ويستمر هذا الحديث الى نهاية (يس) وربما تخلله من المشهد الثانى ما يلفت العقل الى آيات الله الجديرة بالنظر كقوله جل شأنه « أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون » ..
الا أن ذلك الامتداد العقلى لا يقص من انفراد آخر السورة بكلام مثير عن نهاية العالم وبداية عصر الثواب والعقاب . فلننعم النظر فى المشهد انه ينبئنا بأن أمر الله يأتى مباغتا والناس مستغرقون فى أعمالهم اليومية لا يتوقعون حدثا ما ..
قد يخرج الموظف الى عمله فلا يبلغ الديوان الا وقد وقعت الواقعة .
أجل وربما قامت الساعة والخادم ذاهب لشراء بعض السلع فلا يعود بها وتصوير القرآن لقيام الساعة يوضح أنه يتم والناس مسترسلون فى الحديث حول شئونهم يتجادلون فى تقرير وجهات نظرهم وبينما هم كذلك ينفخ فى الصور « فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون » .
حتى الهاجعون فى مقابرهم من آماد بعيدة .. إن قومتهم ليوم الحساب تجيئهم مفاجئة حتى ليصيحون دهشين : « من بعثنا من مرقدنا » .. ويجيب كل شىء « ... هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون » .
ولا نمضى فى وصف النعيم وترغيب المؤمنين فيه ولا فى وصف العذاب وترهيب المنحرفون منه وانما نتوقف لنتأمل فى بعض أدلة البعث التى ختمت بها الصورة .

الم تسأل نفسك يوما : ماذا كنت قبل مائة عام قبل أن يوجد هـذا البدن المكتنز بالشحم واللحم ويتوقد فيه هذا الروح المنعم بالفكر والشعور؟ ماذا كنا ؟؟ بعض هذا الهواء المنتشر فى الجو ؟ بعض هذا التراب الممتد على الأرض ؟ لا ندرى .. !!

واذا كان ذلك نسبنا المادى فمن اى أصل تولد الفكرة والشعور ؟

إننى أجزم بأنى وجدت بعد عدم وان هذا الايجاد يتكرر جيلا بعد جيل ومع دلالة هذا الخلق على رب مبدع عظيم على رب مقتدر حكيم .. مع هذه الدلالة الصارخة فإن هناك صما لا يسمعون وعميانا لا يبصرون وناسا يتكلم أحدهم عن الله ولقائه بجهل غريب « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلا — ونسى خلقه — قال : من يحيى العظام وهى رميم » ..

وإن الشخص الذى يعرف من أى باب دخل الحياة لا يليق به أن يرسل هذا السؤال ، إنه يتناقض مع نفسه حينما يستبعد وجودا كان هو صورة حية له ودليلا أبديا على امكانه ..

من يحيى العظام وهى رميم ؟ يحييها منشىء الإنسان من نقطة الصفر إن البعث ليس وعدا بشىء يتم فى المستقبل فهو يستغرب الآن ..

إنه تكرار لعمل يتم كل يوم بل كل ساعة من ليل أو نهار فما وجه الاستغراب فى وقوعه ؟؟ ولكنه الجهل الغليظ « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا .. »

فلنرسل فكرنا وراء هذه اللفتة ، هناك فى الحقول الناضرة والحدائق الغناء حيث الصمت السائد والنماء البطىء « يتنفس » النبات دون أن نشعر وفى شهيقه وزفيره يقول علماء الطبيعة أنه يمسك « الكربون » ويرسل « الأكسوجين » يمسك النار ويرسل لنا الحياة ما أعجب القدرة وما أغرب هذه المتناقضات ..

ومضى النظم الكريم يستكمل ادلة البعث ، ويشرح دلائل العظمة الالهية لم يختم السورة بهذا الختام « فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » هذه سورة (يس) ، مقدمة تناولت رسـالة محمد بالشرح الوجيز وتناولت معارضيه ومؤيديه بالتعليق اليسير ثم ثلاثة مشاهد فصلت وجه الحق فى هذه الرسالة الخاتمة تفصيلا تناول العالم من ازله الى أبده واستطاعت ان تدفع الباطل وتزروه هباء .

هذه هى السورة التى أرتفع صوت الوحى فيها « لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » ومع ذلك فإن جماهير المسلمين تواضعت على قراءتها فى المقابر بين رفات الموتى .

الا ما أظلم المسلمين لكتاب ربهم ، وتراث نبيهم ، وأساس تاريخهم ، ومهاد حضارتهم .

ولسنا نزعم ان المقدمة والمشاهد الثلاثة المذكورة قد انتظمت فـى قوالب فنية كما يصنع العلماء المحدثون فى تأليفهم ، كلا إن القرآن أكبر من ذلك فاحتواؤه على المعانى يشبه احتواء الكون المادى على مصادر المعرفة فى وحدة لا انفصام بين أجزائها .

ولكننا فى هذا اللون من التفسير نجتهد فى اكتشاف محور تدور عليه الصورة كلها أو ملامح تشيع فى كيانها العام . ثم نصف ذلك للقارىء حتى يحسن الانتفاع بالكتاب الكريم ..

من هدي السنة

نزول عيسى عليه السلام من أشراط الساعة

للدكتور على عبد المنعم عبد الحميد

روى البخارى عن ابن شهاب : أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله احد ، حتى تكــون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . » ثم يقول ابو هريرة : اقرأوا ان شئتم (وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) .

١ خبر نزول عيسى عليه الســـلام بلغ حد التواتر وقد وردت الأحــاديث الشريفة الدالة على هذا الخبر فى جميع الكتب الصحيحة (١) وتحدث به شارحا ومؤكدا كل علماء التفسير والحديث من لدن أن سمع هذا الحديث ومنذ ان بدا عهد التدوين وجدنا احاديثهم وآراء مسطورة فى آثارهم الشريفة وتنوقل قبــل التدوين وجاء محكيا عن الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم اجمعين كما حمله خبرا موثوقا مؤكدا متواترا التابعون وتابعوهم باحسان الى يومنا هذا ، ولنسرد على أنظار القارىء الواعى الذى يلقى السمع وهو شهيد آثارهم عبر قرون وقرون ثم نعقب بما يقتضيه المقام :

أ ــ قال الشيخ محمد السفاريني في كتابه « لوامع الانوار البهية ص ٩٤ جـ ٢ » (... ونزوله أي عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب ، والسنة ، والاجماع أما الكتاب : فقوله تعالى : « وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته » أي ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ، ملة ابراهيم حنيفا مسلما . وأما السنة : فقد ورد خبر نزوله في الصحيحين وغيرهما (كما هو مبين بالهامش) . وأما الاجماع : فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما حاول الأنكار الفلاسفة والملاحدة ، وقد انعقد اجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بالشريعة المحمدية) .

ب ــ ساق العلامة الحافظ ابن كثير القرشي في كتابه (تفسير القرآن العظيم) ص ٥٧٨ جـ ١ ، كل الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام الى الأرض من السماء آخر الزمان قبل يوم القيامة وأنه يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وعند تفسيره قوله تعالى (وأن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ، قال : قال ابن جرير : اختلف أهل التاويل في معنى ذلك ، وأصح أقوالهم أن هذا الإيمان يكون عند نزول عيسى عليه السلام ، يعني لا يبقى احد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى الا آمن به قبل موت عيسى ، وهنا عقب ابن كثير بقوله : ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأن المقصود من سياق الآى هو تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فاخبر الله سبحانه انه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه اليه وأنه باق حي ، وأنه سينزل قبل القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ، فيقتل مسيخ الضلالة ، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية فلا يقبلها من أحد من أهل الأديان ، بل لا يقبل الا الاسلام ، فاخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ، ولهذا قال : (قبل موته) أي قبل موت عيسى الذي زعم اليهود والنصارى أنه قتل وصلب (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أي باعمالهم التي شاهدها هو قبل رفعه الى السماء وبعد نزوله الى الأرض كما ورد في سورة المائدة في الآية رقم ١١٦ ومـا يليهـا ..

جـ ــ وقال الزمخشري في تفسيره « الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل » ص ٥٨١ جـ ١ ، .. عند قوله تعالى (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) : الضميران لعيسى عليه السلام بمعنى وان منهم أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله ، حيث روى : أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ...

د ــ وأورد القرطبي في كتابه (الجامع لأحكام القرآن) ص ١٠ جـ ١ ، ما يدل على نفس المعنى وأعاد النصوص كاملة كما هي مؤكدا باسلوبه الخاص وعباراته المتميزة خبر نزول عيسى عليه السلام .

هـ ــ وقال أبو حيان الأندلسى الغرناطى فى تفسيره (البحـــر المحيط) ص ٣٩٢ جـ ٣ : روى أنه ــ أى عيسى عليه السلام ــ ينزل من السماء فى آخر الزمان ، فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وأبو مالك ، ثم أورد أبو حيان ما لا يخـــرج عما أورده غيره ممن سبقوه فى معالجـــة تفسير القرآن العزيز .

و ــ وقال الألوسى البغدادى فى تفسيره (روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى) ص ١٣ جـ ٦ ما نصه : .. الضميران لعيسى عليـــه السلام وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وأبى مالك والحسن وقتادة وزيد واختاره الطبرانى ، والمعنى : أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام الا ليؤمنن به قبل أن يموت وتكون الأديان كلها دينا واحدا ، وأخرج أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينزل عيسى بن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصـــليب ويعطى المال حتى لا يقبل ــ أى المال ــ وتلا أبو هريرة رضى الله عنه (وأن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) ...

ز ــ وقال القاسمى فى تفسيره (محاسن التأويل) عنـــد قوله تعالى : (وإن من أهل الكتـــاب ، الا ليؤمنن به قبل موته) :أى ما من أحد من أهل الكتاب يدرك نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان الا ليؤمنن به قبـــل موته ، أى موت عيسى ، أى لا يموت حتى ينزل فى آخر الزمان يؤيد الله به دين الاسلام حتى يدخل فيه جميع أهل الملل ، إشارة أن موسى عليه السلام ، إن كان قد أيده الله تعالى بأنبياء كانوا يجددون دينه زمانا طويلا ، فالنبى الذى ينسخ شريعـــة موسى وهو عيسى عليه السلام هو الذى يؤيد الله به هذا النبى العربى فى تجديد شريعته ، وتمهيد أمره والذود عن دينـــه ويكون من أمته بعد أن كان صاحب شريعة مستقلة وأتباع مستكثرة ، ذلك أمر قضاه الله تعالى فى الأزل ، فاقصروا أيها اليهود ، فمعنى الآية إذن والله أعلم : انه ما من أحد من أهل الكتاب المختلفين فى عيسى عليه السلام على شك (٢) . الا وهو يوقن بعيسى قبل موته بعد نزوله من السماء ، أى ما قتل وما صلب ويؤمن به عند زوال الشبهة ــ ا هـ نقله القاسمى عن البقاعى . ثم أورد القاسمى بعد ذلك الأحاديث الصحيحـــة الواردة فى صحيح الامامين البخارى ومسلم وغيرهما ، ومن تلك الأحاديث ما رواه الامام أحمد فى المسند ص ٤٣٧ جـ ٢ ، طبـــع الحلبى ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « .. الأنبياء أخوة لعلات (٣) : دينهم واحد وأمهاتهم شتى وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وإنه نازل ، فاذا رأيتموه فاعرفوه ، فانه رجل مربوع يميل الى الحمرة والبياض ، سبط ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، بين مُمَصَّرتَين (الممصرة من الثياب هى التى فيها صفرة خفيفة) ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجـــزية ، ويعطل الملل حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلها غير الاسلام ، ويهلك فى زمانـــه المسيخ الكذاب ، وتقع الأمنة فى الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسود جميعا ، والنمور مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيـَّـــات لا يضر بعضهم بعضـــا فيمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصـــلى عليـــه المسلمون ويدفنونه » ...

ح ــ وقال الحافظ بن حجر العسقلانى فى كتابه (فتح البارى بشرح البخارى) ص ٣٠٣ جـ ٧ : قال العلماء : الحكمة فى نزول عيسى عليه السلام دون غيره من الانبياء ، الرد على اليهود فى زعمهم انهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وانه هو الذى سيقتلهم اول نزوله لدنو اجله ليدفن فى الارض اذ ليس لمخلوق من تراب الأرض أن يدفن فى غيرها ، وقيل إنه ــ أى عيسى عليه السلام ــ دعا ربَّه لما رأى صفة محمد وامته فيما انزل عليه من الإنجيل أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وابقاه حتى ينزل فى آخر الزمان مجددا لأمر الاسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله ... ونقل ــ اى الحافظ بن حجر ــ عن طريق أبى رجاء عن الحسن قال : قبل موت عيسى (يعنى إيمان اهل الكتاب المشار اليه فى الآية الكريمة) . والله انه الآن لحى ولكن ، واذا نزل آمنوا به أجمعون ، ونقله عنه أكثر أهل العلم ، ورجحه ابن جرير وغيره ..

ط ــ واخيرا : قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى فتاواه ص ٣٢٩ جـ ٤ ما نصه : « والمسيح صلى الله عليه وسلم وعلى سائر النبيين لا بد أن ينزل الى الأرض على المنارة البيضاء شرقى دمشق ، فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ، كما ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة ، ولهذا كان فى السماء الثانية .... لأنه ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة .. »

أما بعد : فهذه مصادر الشريعة (الكتاب والسنة والاجماع) التى لو طرحناها لما قام بناء الاسلام ولو شككنا فيها لتطرق الشك الى كل ما كانت تلك المصادر مصدره ، واى كتاب يعتد به مرجعا بعد القرآن الكريم ، ونرجو عنده الخبر اليقين ، إذا نحن رددنا الصحاح التى اعتبرها علماء الملة من لدن أن بدت للوجود ، وقرئت فى كل ناد ، ودوى صوتها يملأ أجواز الفضاء ، وشع نورها ، فأخرج ضحى المحجة الطاهرة واغطش ليل الكفر البهيم ، فبهرت الدنيا شريعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرست قواعد العدالة ، والحق توجيهات ربنا جل وعلا وقام القرآن الكريم حارسا من زيغ وسياجا من ضلال . وسدا منيعا لا ينال حماه ضد كل مهاجم كاشح ، وحصنا رفيعا لا يطاول يصد كل غاز بقوة مادية تسلح ، أو بفكر فلسفى تذرع ، أو بمراوغة وممالأة أتصف ، أو بلسان أعجمى رطن (٤) ، أو عربى أفصح ، إن جاء شارعا رمحه صدته رماح ، وان مخفيا مكره فالله خير الماكرين ، وعلى هذا أمكن أن يقال : انه مما لا يقبل الجدل ، ولا يحتمل المماراة ولا يدعو الى المساءلة ، خبر نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان الذى لا يعلم تحديده الا من عنده مفاتح الغيب التى لا يعلمها الا هو ، وسيكون نزوله ظاهرة أساسية ونذيرا وايذانا بدنو اجل الدنيا ، وطرقا قويا لأبواب الآخرة ولكن متى ؟ هنا يقف القلم عن الجريان ، وتخرس الألسنة عن الكلام ، وتتجه الأبصار والبصائر الى من عنده الجواب وحده ، وتناجى القلوب الطاهرة قيوم السموات والأرض : «ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . »

٢ ــ ونعود الى الفاظ الحديث الشريف موضع البحث ذاكرين معانيها وما

تشير اليه ، إذ مفتتح الكلام الشريف يشعر بقرب نزول عيسى عليه السلام ، وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم (ليوشكن) اى ليقربن ويكون حصوله سريعا . وهذا من أشراط الساعة ، وعلم توقيتها محجوب عن البشر لسر يعلمه الله تعالى ، وقد الحّ السائلون عن الساعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قول الله تبارك وتعالى : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها . الى ربك منتهاها . إنما انت منذر من يخشاها . كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها » الآيات من سورة النازعات . وإنما تسبقها نذر تنبىء عن اقترابها ، ولدى نزول عيسى عليه السلام سيفيض المال ويكثر لدرجة أن الناس لا يهتمون بتحصيله وإنما ينحصر حرصهم على رضا الله تعالى فى العبادة وحدها حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها .

قال ابن الجوزى : يشير أبو هريرة ، رضى الله عنه،عند تلاوته للآية الكريمة فى آخر الحديث الى صلاح الدنيا وقوة إيمان الناس بالله تعالى ، وإقبالهم على الخير وقيامهم بالعبادة لله كاملة غير منقوصة ، وقال القرطبى : معنى الحديث : أن الصلاة حينئذ تكون افضل من الصدقة . لكثرة المال حينذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد .. وفى قوله : ويضع الحرب إشارة الى أن السلام سيعم الدنيا ولا يوجد ما يدعو لقتال فسيصير الدين واحدا ، والحكَمُ العدل هو عيسى عليه السلام على سنن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

وهذا الحديث لا يتعارض مع ما ورد فى أحاديث أخرى من أن الساعة لا تقوم الا على شرار الناس : وحتى لا يقال فى الأرض : الله . الله . لأن الفساد المشار اليه سيحدث بعد موت عيسى عليه السلام ، ودفنه بالأرض،فحينئذ سيعود الكفر مسيطرا ، ويتجافى الناس عن كل دين ، فقد أخرج الامام أحمد ومسلم من حديث ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجىء بعد موت عيسى عليه السلام ريح باردة من قبل الشام فلا تبقى على وجه الأرض أحدا فى قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ، فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان ، فيقولون : ماذا تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، فيعبدونها وهم فى ذلك فى دار رزق حسن عيشهم ... ثم ينفخ فى الصور . »

والخلاصة : أن نزول عيسى عليه السلام حاصل باذن الله تعالى وتقديره ، ونحن نؤمن بكل ما ورد فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة جملة وتفصيلا ، ومعلوم أن من آمن بالله وأيقن بقدرته التى لا يعجزها شىء سهل عليه التصديق

برسالة رسله عليهم افضل الصلاة وأزكى السلام ، وبالتالى يؤمن بكل ما صدر عنهم ما دام صحيحا متواترا مجمعا عليه من سلف الأمة وخلفها المتعاقبين فى حقب الزمان المتطاولة ، وأما الملحدون فى آيات الله تعالى فلا يقام لهم وزن ، فما يأتون الا بنظريات لا تثبت على المحك العقلى المتزن ، ولئن بدت بعض الأخبار الصادقة غريبة الآن فغرابتها لا تستدعى إنكارها فكم من مجهول كشفه العلم كان الحديث عنه مرفوضا فى كل صور ، ولا يمكن ان يشاع ويذكر وإن صدر به قول وصف مصدره بالجنون والعته ، وقد أبدت الأيام صدق ما كانوا يحدسون، وهذا فى جانب البشر ، فما بالك بما عند علام الغيوب ، لا شك أنه حق وصدق وسيكشف عنه كر الغداة ومر العشى .. وفى الذكر الحكيم : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » ٥٣ من فصلت . صدق الله العظيم .

---

(١) : ورد هذا الحديث نصا أو مع اختلاف يسير فى الالفاظ الاتية لا على سبيل الحصر وانما على سبيل المثال :

١ — ورد فى صحيح الامام البخارى فى باب نزول عيسى عليه السلام وذكر فيه حديثين عن أبى هريرة .

٢ — وأخرجه الامام مسلم فى صحيحه من رواية الليث بن سعد عن ابن شهاب ، ومن حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

٣ — وذكره أبو نعيم فى المستخرج من سند اسحق بن راهوية .

٤ — وأورده الامام احمد فى مسنده من وجه آخر عن أبى هريرة .

٥ — وذكره الطبرانى من حديث عبد الله بن مغفل .

٦ — ورواه ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما من طريق سعيد بن جبير باسناد صحيح

٧ — ورواه أبو داود باسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبى هريرة مرفوعا .

٨ — ورواه ابن ماجه ، وابن حيان ، والبيهقى .

(٢) يشير الى قوله تعالى فى الآية رقم ١٥٧ من سورة النساء : « .. وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا » .

(٣) بنو العلات : أبناء الرجل الواحد من أمهات شتى : (لسان العرب مادة علل) .

(٤) رطن الأعجمى رطنا تكلم بلغته ، والرطانة والمراطنة : التكلم بالعجمية ، وقد تراطنا ، تقول رأيت أعجميين يتراطنان ، وهو كلام لا يفهمه العرب ، قال الشاعر : (كما تراطن فى حافاتها الروم) .. الخ .. عن لسان العرب مادة « رطن » .

العظمة الخالدة

للشيخ عبد الحميد السائح

كثير من العظماء تحدث عنهم التاريخ القديم والحديث ، من رسل وانبياء ، ومصلحين وشعراء ، ومع هذا فلم ينجوا من الشك يحوم حولهم ، في وجودهم وفي أخبارهم ، فضلاً عن نواحي عظمتهم وأسباب بروزهم .

فهذا السيد المسيح عليه السلام الذي ينتسب إليه مئات الملايين من البشر ، يترددون في وجوده ، ويحيطونه بهالة من التشكيك ، حتى كأنه أسطورة أو خرافة .

ولم يقتصر هذا الموقف على السيد المسيح بل شمل الكثيرين من الرسل والأنبياء مثل ابراهيم واسماعيل ويعقوب ويوسف وموسى عليهم السلام .

لم يصدر هذا التشكيك من عرب ولا من مسلمين ، لأن المسلم ، بحكم عقيدته ، يؤمن بوجود هؤلاء الأنبياء كما يؤمن بوجود محمد عليه السلام ، بناء على قوله تعالى : « قل آمنا بالله وما انزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(١) .

وهذه الآية وأمثالها من آيات كتاب الله ، بالنسبة للمسلم ، حجة قاطعة ، لا تقبل نقاشا ولا تأويلا ، فمن شك فى وجود أى من أولئك الرسل والأنبياء أو غيرهم ممن ذكروا فى القرآن الكريم لا يصح اسلامه ولا تسلم عقيدته .

ومن أجل هذا فان الدكتور طه حسين حينما أصدر كتابه « فى الشعر الجاهلى » وذكر فيه : للقرآن والتوراة ان تحدثانا عن ابراهيم واسماعيل ، ولكن ذلك لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى : تصدى الأزهر الشريف حينئذ لمعارضة ذلك معارضة حادة ، واعتبر الموقف منافيا لتعاليم الاسلام ، ومصادما لهدى القرآن .

وإنما صدر التشكيك أساسا عن شخصيات غربية يفترض أنها تنتسب للسيد المسيح أو تدين بديانته .

قال ول دورانت فى موسوعته التاريخية « قصة الحضارة » : « هل وجد المسيح حقا ؟ أو أن قصة حياة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها ، أسطورة من الأساطير ، شبيهة بخرافات كرشنا وأوزوريس وايزيس ...

لقد كان بولنجروك والمتفون حوله يقولون فى مجالسهم الخاصة ، ان المسيح قد لا يكون له وجود على الاطلاق .. الخ .

وقد شمل التشكيك كثيرين من العظماء والشعراء .

محمد فوق الشبهة أو التشكيك

أما سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فى وجوده ، ومكان ميلاده ووفاته ، فلم يثر حوله اى من الشبهة أو الانكار لا فى الشرق ولا فى الغرب لأنه يمثل العظمة الخالدة ، والحقيقة التاريخية ، التى لا تمارى ولا تبارى .

ونحن لا نريد أن نذكر الغربيين أو المستشرقين الذين يميلون للسير وراء الحقائق أو البحث عنها ، وانما نشير الى جورج سال ، الذى ترجم القرآن الكريم فى مستهل القرن الثامن عشر للاساءة الى الاسلام ونبى الاسلام ، وهو ينضح بالحقد والتعصب والكراهية ، ومع هذا فلم يسعه إلا الاعتراف بشخصية محمد وإن مكان منبته لم يسدل عليه سدول النيسان ، وإن توقير العرب له كان عميقا ، حتى أنهم لم يدعوا المكان الذى تنفس فيه أول ما تنفس يكتنفه ريب أو غموض .. الخ(٢) .

نواحي عظمته

إن المتتبع لما وصل الينا من أخبار سيدنا محمد منذ ولادته ، وفى أثناء طفولته وشبابه وكهولته ، الى أن اختاره الله رسولا الى البشرية ، ومنقذا للانسانية ، من مهاوى الضلال والانحراف تتجلى له نواحى العظمة الخالدة والصفاء المتسامى ، عن الانخراط فى مجتمعه ، والتأثر ببيئته ، ويدرك كيف صنعه الله على عينه ، وهيأه لأفضل رسالة وأكرم مهمة ، « الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٣) .

فمنذ نشأته صلى الله عليه وسلم عرف بعزوفه عن الأصنام وتعظيمها ، وصدق الحديث ، والأمانة ونصرة المظلوم ، وقد حبب اليه التعبد لربه ، وكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه ، وكانت عبادته تفكرا فيما آل اليه أمر الناس من ظلمات الجاهلية ، المنافية كل المنافاة ، للعقل والفطر السليمة ، وكيف السبيل الى شفائهم من هذه العلل المستحكمة ؟

وقد أنبته الله نباتا حسنا ، حتى كان أفضل قومه ، مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأعزهم جوارا ، وأعظمهم حلما ، وأصدقهم حديثا ، وأحفظهم لأمانة ، حتى سماه قومه « الأمين » لما جمع الله فيه من الأحوال الصالحة ، والخصال الكريمة المرضية . (٤)

الاستسقاء به وهو طفل :

أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال : قدمت مكة وهم فى قحط ، فقالت قريش : يا أبا طالب ، اقحط الوادى وأجدب العيال ، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن ، تجلت عنه سحابة قتماء حوله اغيلمة ، فأخذه أبو طالب ، فألصق ظهره بالكعبة ، ولاذ باصبعه الغلام ، وما فى السماء قزعة ، فأقبل السحاب من هنا وهنا ، وأغدق واغدودق ، وانفجر الوادى وأخصب النادى والبادى ، فى ذلك يقول أبو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل(٥)

خروجه من مكة

وكان يخرج حول مكة يعمل فى رعى الغنم ، وروى ابن أبى شيبة أنه لما بلغ الثانية عشرة خرج مع عمه أبى طالب حتى بلغ بصرى ، فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته ، وقال هذا سيد العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين، وإنا نجده فى كتبنا ، وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود .

ثم خرج مرة أخرى ومعه ميسرة غلام خديجة فى تجارة لها ، حتى بلغ سوق بصرى ، وله حينئذ خمس وعشرون سنة ، ونزل تحت ظل شجرة ، فقال نسطورا الراهب ، ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبى ، وتضاعف ربحه فى تجارته .

وإذا عرفت أن اجتماعه مع بحيرا في المرة الاولى ، ومع نسطورا فى المرة الثانية لم يتجاوز الساعات المعدودة ، تدرك مدى الاغراق فى الخيال والبعد عن الحقيقة فيما زعمه بعض المستشرقين الحاقدين ، من أنه تلقى علم اهل الكتاب عن ذينك المصدرين ، ويكفينا أن نرد عليهم بقول الله سبحانه « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون » (٦) . وانه كان يسفه مزاعم أهل الكتاب التى تتنافى مع عقيدة التوحيد الخالص ، وصدق الله العظيم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » (٧) .

زواجه

ولما عاد من رحلته ورات خديجة آثار أمانته وبركته عرضت نفسها

عليه وكانت سنها اربعين سنة ، فتزوجها وكان ابن خمس وعشرين سنة ، واقدم على ذلك وهو يعلم انها ارمل وتزوجت قبله بعلين ،ولم يتزوج عليها حتى توفيت ، وكان وفيا لها مقدرا لمواقفها وخصائصهــا فى حبها للخيــر ورجاحة عقلها ، واستمر على هذا التقدير بعد وفاتها .

حــلف الفضــول

وقد ساهم صلى الله عليه وسلــم فى عنفوان شبابــه فى حلــف الفضول ، وكان أكرم حلف سمع به العرب وأشرفه ، وخلاصته أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة ، واشتراها منه العاص بن وائــل ، وكان ذا قــدر وشرف بمكة ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدى الأحلاف عبــد الدار ومخزوما وجمحا وسهما وعديا ، فأبوا أن يعينوه على العاص ، فعلا جبل قبيس فنادى بشعر يصف فيه ظلامته رافعا صوته ، فسعى فى ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مترك ، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم ابن مرة فى دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام قياما ، فتعاهدوا وتعاقدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يؤدي اليه حقه ، ثم مشوا الى العاص وانتزعوا منه حق الزبيدى ، وقال الزبير :

أن الفضول تحالفوا وتعاقدوا ... أن لا يقيــم ببطن مكة ظالم
أمر عليه توافقوا وتعاقــدوا ... فالجار والمعتز فيهــم سالم

قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن زيد التيمى انه سمع طلحة بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شهدت فــى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به فى الاسلام لأجبت (٨) .

بنــاء الكعبــة

وكان السيل هدم الكعبة قبل الاسلام فتعاونوا على بنائها ، وشارك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، وكان ينقل الحجارة معهم ،ولما انتهوا الي موضع الحجر الأسود تنازعوا أيهم يضعه ، ثم اتفقــوا على أن يرتضوا بأول من يطلع عليهم من باب بنى شيبة ، فكان صلى الله عليــه وسلم وكانوا يعرفونه بالأمين لوقاره وهديــه وصدق لهجتــه ، وأجتنابــه القاذورات والأدناس،فحكموه فى ذلك وانقادوا لقضائه كما هو معلوم(٩) .

اختياره لرســالة ربــه

ولما اكتمل نضجه وتم إعداده وبلغ اربعين سنة ، اختار الله افضــل خلقه لأكرم رسالة ، وبعثه للناس كافة بشيرا ونذيرا ، ورحمة للعالمين .

ولما نزل عليه الملك بآيات القرآن الكريم رجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، حتى دخل على خديجة وأخبرها بما جرى ، قالت : فوالله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل

وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .

وهذه الصفات التى تحدثت بها خديجة رضى الله عنها تنبىء عما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من حب الخير وبذل العون والمساعدة ، وكريم الأخلاق التى عرف بها قبل الرسالة ، وان المتأمل فى صفحات سيرته ، والمدقق فى مراحل شريعته وسنته ، وقد خلا قلبه من الغل والحقد والحسد، يرى بعينى بصره وبصيرته ، ما يجعله يؤمن بأن هذه الشريعة السمحة ، وما تضمنته من مبادىء سامية هى شريعة الله الى خلقه ، لانقاذهم من مهاوى الجهالة والمفاسد ، والقضاء على أسباب الفتن والعداء ، والارتفاع بالبشرية الى درجة المحبة والاخاء والوفاء ، من غير عصبية ولا تكبر ولا استعلاء ، ونشر الوية العدالة المطلقة بين البشر ، والمساواة والحرية والأمان ، لا يفرقهم عرق ولا لون ، ولا لغة ولا مكان ، ولا حسب ولا نسب، فالكل أمام قانون هذه الشريعة سواء .

وإنا نبين بعض تلك المبادىء من كتاب الله وسنة رسوله للذكرى والاتعاظ « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين »(١٠) .

١ ــ « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »(١١) .

٢ ــ « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى »(١٢) .

٣ ــ « يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »(١٣) .

٤ ــ « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »(١٤) .

٥ ــ « ولقد كرمنا بنى آدم »(١٥) .

٦ ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : عليكم ما تطيقون من الأعمال ، فان الله لا يمل حتى تملوا (١٦) .

٧ ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : الخلق كلهم عيال الله واحب خلقه اليه انفعهم لعياله (١٧) .

٨ ــ ان النبى صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام ، فقيل له : انها جنازة يهودى ، فقال : اليست نفسا ؟ (١٨)

٩ ــ قال صلى الله عليه وسلم : ايما أهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله (١٩) .

١٠ ــ إن الله فرض للفقراء فى أموال الأغنياء قدر ما يسعهم ، فان منعوهم حتى يجوعوا أو يعروا أو يجهدوا حاسبهم الله حسابا شديدا وعذبهم عذابا نكرا (٢٠) .

١١ ــ إن الأشعريين اذا ارملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم فى المدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم باناء واحد بالسوية ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : فهم منى وأنا منهم (٢١) .

١٢ ــ قال صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا ، قالوا : كلنا رحيم يا رسول الله ، قال : انــه ليس برحمة احدكم ، يعنى نفسه وأهل خاصته ، ولكن رحمة العامة (٢٢) .

١٣ ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : قال اللـــه عز وجل : ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى (٢٣) .

١٤ ــ قال الرسول صلى الله عليه وســـلم : إن أحبكم الى الله احسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى الله المشاءون بالنميمة المتمسون العثرات ، المفرقون بين الاخوان(٢٤)

١٥ ــ قال صلى الله عليه وسلم : أد الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك (٢٥) .

١٦ ــ قال صلى الله عليه وسلم : احب للناس ما تحب لنفسك (٢٦).

١٧ ــ قال صلى الله عليه وسلم : المؤمن من امن الناس على أموالهم وأنفسهم (٢٧) .

١٨ ــ ان النبى صلى الله عليه وسلــم كان إذا بعث جيشـــا قال : انطلقوا باسم الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امـــرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم واصلحوا واحسنوا إن الله يحب المحسنين (٢٨) .

١٩ ــ حينما بعث أبو بكر جيوشا الى الشام كان من امـــراء الجيش يزيد بن أبى سفيان وقد أوصاه بقوله : لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيـــرا هرما ولا تقطع شجرة مثمرة ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولا بعيرا ، إلا لمأكلة ، ولا تغرقن نخلا ولا تحرقنه ، ولا تغلوا ولا تجبنوا (٢٩) .

هذا غيض من فيض يدل على سمو المبادىء والخصال التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اليها ، ويعتبرها جزءا من رسالته وهى من دلائل عظمته ، وعظمة الرسالة التى حملها الى البشرية .

تاريخ الميـــلاد

المشهور فى العالم الاسلامى قديما وحديثا أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين فى ١٢ ربيع الأول ، اعتمادا على ما ذكر فـــى كتب السير مثل محمد بن اسحاق والسيرة الحلبية وغيرهما ، ولكن محمود باشا الفلكى فى كتابه « التقويم العربى قبل الاسلام ، وتاريخ ميلاد الرسول وهجرته صلى الله عليه وسلم » ترجمة حفيد المؤلف السفير محمود صالح الفلكى ، بعد أن استعرض ما فى المراجع العربية وغير العربية ، القديمـــة والحديثة ، من أصحاب السير والمؤرخين وعلماء الفلك ، وصل الى نتيجـــة هى : أن النبى صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين فى ٩ ربيع أول الموافق ٢٠ أبريل (نيسان) سنة ٥٧١ م (٣٠) .

وقد اعتمد هذا التاريخ كثير من العلماء والمؤلفين المعاصرين نظرا لما يتمتع به المؤلف من خبرة وثقة واطلاع واسع .

أول من أحدث الاحتفال بالمولد

لم يعرف عن أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عـــن

التابعين وتابعيهم انهم كانوا يحتفون بذكرى المولد النبوى الشريف ، لأنهم كانوا معنيين بتطبيق شريعته ، والأخذ بسنته ، والاقتداء بهديه ، عملا بقول الله سبحانه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »(٣١) .

ولما تباعد المسلمون عن تنفيذ شريعة الله ، والاتساء بهدى رسول الله ، وساد المجتمعات كثير من أنواع الفساد والمنكرات لجأ بعض الناس الى احداث مثل هذه الاحتفالات بنية حسنة أو غير حسنة ، لاظهار تعلق الناس بمحبة رسول الله ، وكل ما يتصل به ، أو لاتخاذ ذلك وسيلة لأخذ الأموال والعطايا والهبات .

وقد أحدث الاحتفال بالمولد النبوى فى عهد الملك مظفر الدين بن زين الدين ، صاحب اربل سنة ستمائة هجرية ، أحدثه له بعض الصوفية ولم يكن له أصل فى الدين .

وذكر ابن كثير أن أبا الخطاب عمر بن الحسن الأندلسى الدانى المحدث (المعروف بابن رحية) اشتغل ببلاد المغرب ثم رحل الى الشام ثم الى العراق واجتاز اربل سنة أربع وستمائة ، فوجد ملكها يعتنى بالمولد النبوى ، فألف له كتاب « التنوير فى مولد السراج المنير » فقراه عليه واجازه بألف دينار ، وقد انتقد فى اقدامه على ذلك وهو من رجال الحديث الشريف .

وكان صاحب اربل ينفق على المولد فى كل عام ثلثمائة الف دينار ، وقد ذكر تفاصيل ذلك فى تاريخ ابن خلكان وشذرات ابن العماد وتاريخ ابن كثير (٣٢) .

وقد افتن المسلمون بعد ذلك أنواعا من الاحتفالات والتظاهرات ، وبعضها يجمع من الفتن ما يجب الترفع عنه خصوصا فى هذه الذكرى العطرة .

رأى

والذى اراه ان المسلمين لو عادوا الى دينهم ليغترفوا من ينابيعه الأولى مناهج حياتهم ، لكانت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم موضع الرعاية والعناية والتنفيذ ، ولا ستولى على مجتمعاتهم الطابع الاسلامى ، الذى يجعل من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه مشعلا يضىء لهم سبيل السلوك الصحيح فى سائر ميادين حياتهم ، ولاستغنوا عن الاشتغال بهذه المظاهر التى لا ينفذ منها شىء الى قلوبهم ، ولا تغير من اساليب حياتهم ومظاهر سلوكهم .

ولو أنهم اقتصروا فى هذه المناسبة على تعداد مناقب الرسول ومواقفه فى جهاده وتضحياته وسلوكه فى الحياة ، وأظهروا نواحى عظمته التى كانت من أسباب نشر دعوته ، لكان فى ذلك جنوح الى الاستفادة من هذه الذكرى العطرة بجعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، مثلا يحتذى ويقتدى .

حالة المسلمين فى هذه الذكرى

جعل الله العزة من صفات المؤمنين ، قال سبحانه : ولله العـــزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون (٣٣) . وقال صلى الله عليه وسلم : إذا ذلت العرب ذل الإسلام (٣٤) .

ولكننا نرى بأعيننا هذه المهانة الكبرى التـــى أظلت ديار العروبـــة والاسلام ، اينما اتجهنا ، نتيجة تآمر قـــوى الشر والطغيان والاستعمـــار بجميع انواعه والوانه ، ودعم الصهيونية العالمية فى احتلال الديار المقدسة وتشويه معالمها والقضاءعلى حضارتها وازالة آثارها العربية والاسلامية ، حتى بلغ بهم الاستهتار الاعتداء على المسجد الاقصى المبارك بالقـــدس ، وعلى المسجد الابراهيمى الشريف بالخليل وانتهاك حرماتهما وحرمات اماكن مقدسة أخرى . وقد زادوا عتوا واستعلاء حين اعتدوا أخيرا على لبنان فى الأعماق ، مستعينين بقوات بريـــة وجويـــة وبحريـــة ، ليقتلوا الآمنين من الشيوخ والنساء والأطفال ، وحين اعتدوا على الطائرة الليبية المدنية فقتلوا منا ما يزيد على مئة شخص من الابريـــــاء ، ولم نر من البلاد العربيـــة أو الاسلامية الا الحسرات والزفرات والأنات والآهات ، ومن الراى العـــام العالمى إلا كلمات التأنيب حينا وكلمات التبرير حينا آخر ، حتى اخذ العربـــى والمسلم يتساءل عما اصاب العرب والمسلمين من تخاذل وتفكك ، وانحـــلال واضمحلال ، ومتى تتحرك جيوشهم وقواهم لرد العدوان ، وماذا يفيدهـــم الاحتفال بمثل هذه الذكرى وهم أبعد ما يكونون عن ان يمثلوا صفة العـــزة والقوة والاعتصام ؟ مع أنهم لو جمعوا قواهم وبادروا لتحمل مسؤولياتهـــم وبذلوا أنفسهم ونفائسهم فى سبيل الله ، لكانوا قوة يحسب حسابها ،لهابهم أعداؤهـــم ولحققوا هـــدف قول الرسول الأعظم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضـــو تداعى له سائـــر الجسد بالسهر والحمى (٣٥) .

ولنفذوا ما ترمى إليه الآية الكريمة : كنتم خير امـــة اخرجت للنـــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٣٦) .

ولعملوا بقول الله سبحانه : « إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليـــه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »(٣٧) . غفور رحيم »(٣٨) .

وذلكم هو السبيل الذى يرضى الله ورسوله عنا ، ويجعلنا جديريـــن بنسبتنا الى هذا الرسول العظيم ، ويحقق لنا محبته ، كما قال سبحانـــه : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم اللـــه ويغفر لكم ذنوبكم واللـــه غفور رحيم » (٣٨) .

واخيرا اختم هذا البحث بقول الحسن البصرى : ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقته الأعمال (٣٩) .

فنسأل الله ان يلهم قادتنا وولاة أمورنا رشدهم وصوابهم ، وان يوفقهم للالتحام فى موقف موحد يدفع عن الجميع العار والشنار والذلة والمهانة ويصل بنا الى درجة العزة والشرف والكرامة .

---

(١) ٨٤ آل عمران.
(٢) نبى الانسانية للاستاذ احمد حسين .
(٣) ١٢٤ الانعام .
(٤) مختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب .
(٥) البخارى ، ومختصر السيرة للشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .
(٦) ٤٨ العنكبوت .
(٧) ٩ الحجر .
(٨) و (٩) مختصر السيرة للشيخ عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب .
(١٠) ٥٥ الذاريات .
(١١) ٦٤ آل عمران .
(١٢) ٨ المائدة .
(١٣) ١٣ الحجرات .
(١٤) ١٠٨ الانعام .
(١٥) ٧٠ الاسراء .
(١٦) البخارى .
(١٧) البزار والطبرانى فى معجمه .
(١٨) البخارى .
(١٩) ابن ابى شيبة فى مسنده .
(٢٠) الخطيب ــ المنذرى .
(٢١) البخارى ومسلم .
(٢٢) مستدرك الحاكم .
(٢٣) احمد بن عدى ــ الكامل .
(٢٤) ابن الخطيب .
(٢٥) البخارى فى التاريخ .
(٢٦) البخارى فى التاريخ .
(٢٧) ابن ماجه .
(٢٨) ابو داود .
(٢٩) مالك ، وقد ذكرت هذا وان كان قول الخليفة الأول ابى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، لانه يمثل وجهة النظر الاسلامية ، التى تلقاها أبو بكر عن استاذه واستاذ البشرية محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣٠) صفحة ٤٤ .
(٣١) ٢١ الاحزاب .
(٣٢) معارف السنن شرح سنن الترمذى لمحمد يوسف البنورى ج ٤ ص ٤٣٧ .
(٣٣) ٨ المنافقون .
(٣٤) أبو يعلى فى مسنده .
(٣٥) البخارى ومسلم .
(٣٦) ١١٠ آل عمران .
(٣٧) ١١٢ توبة .
(٣٨) ٣١ آل عمران .
(٣٩) البخارى .

فكروا لماذا

للأستاذ على الطنطاوى

اخذت القلم ، وقعدت لأكتب المقالة التى شرفنى الأستاذ رضوان حين كلفنى كتابتها للجزء الممتاز من المجلة — فورد على وارد صرف ذهنى عنها ، وجعلنى أسائل نفسي : لماذا اكتب ؟ وما الفائدة من الكتابة ؟

هل نفعتنا الأحاديث والخطب والمقالات ؟

لقد خطبت أول خطبة عامة سنة ١٣٤٥ هـ (من نحو نصف قرن) وما زلت اخطب ، وكتبت من تلك الأيام وما زلت أكتب ، وحدثت فى الاذاعة من يوم انشئت محطة الشرق الأدنى فى (يافا) قبل الحرب ، وما زلت احدث .

ويخطب ويكتب ويحدث عشرات وعشرات ممن هم أصفى منى جنانا ، وأكثر ايمانا ، وأفصح لسانا ، وأجلى بيانا ، وأقدم زمانا ، خطبوا على كل منبر ، وكتبوا فى كل جريدة ومجلة — وحدثوا من كل اذاعة — فماذا كانت ثمرة هذا الجهد كله ؟

هل نحن اليوم فى مجتمعاتنا : فى بيوتنا ، فى مدارسنا ، فى محاكمنا ، فى أسواقنا ، فى أزياء نسائنا ، وسلوك شبابنا — هل نحن اليوم أقرب الى الاسلام أم قبل خمسين سنة ؟

من كان يقدر أن يتصور يومئذ أننا سنصير الى ما صرنا اليه اليوم ؟

---

* حالت ظروف البريد دون نشر هذا المقال فى عدد ربيع الأول .

ومالى أفرض الفروض ، واقـدر الوقائع ، وعندى رسالة لى مطبوعة سنة ١٣٤٧ هـ ، عنوانها (دمشق بعد تسعين سنة) ، صورت فيها بخيـال شبابى الجامح أغرب ما (وصل اليه) خيالى . فإذا الذى حدث فعلا — فى خمس وأربعين سنة يسبق ما تخيلت وقوعه فى تسعين سنة !

نعم ، والرسالة مطبوعة موجودة ، وحالنا قائم ملموس بل لو تخيل رجل فى الكويت قبل ربع قرن حال الكويت اليوم ، لحسبوه قد جنّ وفقد العقل

فلماذا انتهت جهودنا الى الهزيمة والفشل ؟

فكروا : لماذا ؟

لو استقريتم افـراد المسلمين لوجدتم الكثرة الكاثرة لا تزال تؤمن بالله واليوم الآخر ، أو تريـد أن تعدّ من المـؤمنين ، وتكـره ان توصـف بالالحاد أو بالفساد ، ولوجدتم فيهـم علماء كثيرين ، وخطباء وواعظين ، ومحاضرين ومدرسين ، كلهم يدعو الى الله ، أو يحب أن يعدّ مع الدعاة اليه .

ووجدتم المساجد لا تزال عامـرة بالمصليـن ، وخطب الجمعة تعلـن بالمكبّرات والاذاعـات والمـدارس لا تزال تدرس فيها علوم الدين ، وان مسخت مناهجها ، ونقصت ساعاتها، والاذاعات لا تزال تبدأ برامجهـا بالقرآن وتختمهـا بالقـرآن ، وان وضعت بعد القرآن فى الافتتاح عزفا على العود ، وقبل القرآن فى الختام مسرحية تكشـف فيها العورات ، وتظهر فيها المحرمات .

فكيف استطاع الدعاة من أعـداء الاسلام (مع هذا) أن ينجحوا مـن حيث فشلنا نحن دعاة الاسلام ؟

الا ترون أن هذه المسألة تستحق أن تعرض فى العدد الممتاز ، وأن نجد لها الجواب ؟

أكان ذلك لأن الذى ندعو اليـه باطل ؟

هذا محال ، لأن الاسلام صيغ من جوهر الحق ، لا من أعراض الأوهام أم كان لأن الاسلام بليت حقائقه ، فلم تعد تقوى على مواجهـة الخطوب ، فى عصر تفجيـر الذرة ، واقتحـام الفضاء ؟

كلا ، فالإسلام كان جديدا لما جاء ، وبقى جديدا ، لا يبلى ولا يتقدّم الا فى الأذهان التى تعجز او تكسل أو تزهد فى كشف أسرار القرآن ، وهى لا تنفد على مرّ الزمان ، ولا تزال أبدا يفيض نبعها لمن يعرف طريق الاستقاء منها ، ولا يزال الذهن البشرى يكشف فى كل عصر من هذه الأسرار ما لم يكشفه السابقون .

لقد اظهر تقدم العلوم فى أيامنـا معانى آيات — كانت فى خفاء — وكان المفسرون يحاولون ادراكها ، فيحومون ولا يصلون ، ولا تزال فى القرآن آيات فيها اشارات وتلميحات لأسرار سنن الله فى الوجـود ، وقوانينـه فـى الطبيعة ، لم يصعد العلم بعد الـى الذروة التى يكشفها منها — وهذا من الأدلة على أن القرآن كتاب لم يخرج من فكر بشرى — لأنه يستحيل علـى انسان مهما كان عبقريا ، أن يشيـر الى علوم لم يكن فى أيامه ، ولا بعد أيامه بألف سنة من عرفها أو سمـع بها ، أو قدر وجودها .

كلا — أقولها مرة ثانية ، فالاسلام كان صالحا لعصر محمد وصحبه ، وبقى صالحا فـى عصر الـذرة والصاروخ ومركبات القمر ، وسيبقى صالحا ، وسيبقى دستور الحـق والخير والجمال ، وطريق سـعادة الجسم والعقل والروح فى كل عصر .

وهذه دعوى ضخمة ، ولكن معنا دليلها ، وهو دليل أضخم من الدعوى فلم يكن هذا الفشل اذن لـ (قصور) فى الإسلام ، فهل كان لـ (تقصير) منا

فى الدعوة الى الاسلام ؟

لأننا لم نستطع ان نستخرج من اصول الاسلام (من الكتاب وصحيح السنة) الأقضية والأحكام الملائمة لهذا الزمان ، ولأننا (او لأن مشايخنا) وقفوا عند كتب الفقه ، يقرؤونها ويعيدونها ، لا يستطيعون الكلام عما ليس فيها ، وعمّا جدّ من الأوضاع والمعاملات بعد موت مؤلفيها ، فلما لم يجد الحكام عندهم حلاً لمشكلات العصر من شرع الله ، عمدوا الى قوانين الأجانب فأخذوها ، وتركوا دينهم لها ، فكان علينا قسط كبير من تبعة هذا الذنب الكبير ، كما قال ابن القيم فى (الطرق الحكمية) ؟

• • •

أم لأننا ندعو الناس ، وندعو الشبان والشابات الى الدين بغير الأسلوب الذى يصلح لدعوتهم ، واننا نخاطب أهل هذا العصر بلغة العصور المواضى ، نفتح الكتاب المؤلف من قرون ونقرأ عليهم منه ، فلا يسمعون منا ، ولا يفهمون عنا ؟

أم لطبيعة الوعظ ، وانه ثقيل على النفس ، لأن النفوس تهوى الانطلاق والشرع يقيدها ، وتميل مع اللذة حيث مالت والشرع يعدلها .

هذا واقع ، ولكن العقل ايضا (كاسمه) قيد ، والحكمة قيد ، واسمها مشتق من حكمة الدابة ، والقوانين قيد ، والحضارة قيد ، والذى يريد أن يتفلّت من كل قيد يصير مجنونا ، فالمجنون هو الحر الحرية المطلقة ، يعمل كل ما يشاء ، يمشى عاريا ، يعرّى امراته ونساء المسلمين ، يركب على كتفى سائق السيارة ويدلى ساقيه — يمنع لصوص الأموال ويسمح للصوص الأعراض ، يحارب من يأتى ليفسد صحة الناس ، أو يزهدهم بالولاء لوطنهم ، ويدعوهم للولاء لاسرائيل ، ويسالم المبشرين الذين يريدون اخراج أولاد المسلمين من دينهم ، وادخالهم فى دين غيره — هذا الذى له الحرية المطلقة التى يفعل بها ما يشاء ، وهذا هو المجنون .

أم لأن فيها من يجمل فى الدعوة ولا يفصّل ، فيكون كراكب الطيارة تعلو جدا حتى لا ترى الكويت الا نقطة سوداء ، على سيف البحر ، فيصفها فلا يفيد وصفه اياها . ومن يفصّل قبل الاجمال ، كمن تريد منه وصفا عاما للكويت ، فيصوّر لك داره فيها ، ويذكر كل ما فى الدار ، من اثاث ورياش وأزهار وأشجار ، فلا تفهم من ذلك شيئا عن وضع الكويت .

أو يزيد على ذلك فيدعى أن داره هى الكويت ، ويردّ عليه جاره فيصف دار نفسه ويظن انه وصف الكويت .

نعم ، منا من ينادى بالرجوع الى الاسلام ، ويكرر ذلك ويعيده ، ولكن لا يبيّن كيف يكون الرجوع الى الاسلام ، كخطباء الجمعة ، يأمرون بتقوى الله ، وهذا حق ولكن لا يوضحون للناس كيف يتقون الله ، فلا يستفيدون من قولهم (اتقوا الله)

ومنا من يأخذ بعض الفروع فيجعلها هى الدين ، ويلقنها الشبان الناشئين ، يبدأوهم بها قبل تصحيح العقيدة ، وقبل معرفة الكبائر لاجتنابها ، والفرائض للقيام بها .

ثم نختلف على هذه الفروع ، ونتجادل ونختصم ، ونضيع بأسنا بيننا ، ومعول الالحاد ، و (ديناميته) يعمل فى أساس بناء الاسلام ، فاذا تصدعت العمارة ومالت الى السقوط ، هل يهتم أحد بكسر قفل الباب ، أو زجاج النافذة ؟

اذا كان المريض المصاب بسرطان القلب تحت أيدى الجراحين ، فى غرفة العمليات وهم يعدون الثوانى يخافون أن يعاجله الموت قبل اتمام العملية ، هل يهتم أحد بشوكة دخلت تحت ظفره ؟

فما لنا نهتم بالفروع والأغصان ،

وجذع شجرة الاسلام ، مهدّد بالكسر ، لا سمح الله ، ولن يسمح ان شاء الله ، لأن الله تعهد بحفظ هذا الدين فالدين محفوظ ولكن الامتحان لنا ، فاما ان ننصر الله فينصرنا ، واما ان نخذل شرعه ، فيستبدل بنا قوما غيرنا يدخل فى الاسلام شعب من الشعوب الحية ، فيحمل لواءه ، ويعلى مناره ، ونكون نحن (لا قدر الله) كفقراء اليهود ، لا دنيا ولا دين .

. . .

أم لأن فينا من يعظ الناس ولا يتعظ ، ويأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويقع فيه ، يكذب بلسان حاله ، ما جاء بلسان مقاله ، يخالف فعله قوله ، وتناقض سيرته وعظه ، فينفر ضعاف القلوب من الدين ، ويكون حجة لهم على الصادقين من الداعين .

أم لأن منا من آثر دنياه على آخرته ، ورضا الحكام على رضا الله ، فوقف على أبوابهم ، ومشى فى ركابهم ، فلما رأى ذلك العامة ، ظنوا بان جميع الداعين ، مثل هؤلاء المنحرفين ، مع أن الله لا يخلى هذه الأمة من علماء يريدون وجهه وحده ، يصدعون بالحق ، لا يقولون إلا ما يرضى الله ، فاذا عمت الفتنة ، وعلت الضجة ، ولم يعد يسمع صوت الحق ، كان اقصى أمرهم أن يسكتوا ويعتزلوا ، وينكروا بقلوبهم ، لا يسايرون أحدا قط على حساب دينهم .

. . .

أم لأن الهجوم علينا كان أقوى من دفاعنا ، لأننا لم نعد للمعركة (معركة الالحاد والفساد) ، خططا محكمة كخطط عدوّنا ، بل نحن لم نعرف ماذا يخطط لنا العدوّ ، الذى يدخل علينا من كل باب ، من مناهج المدرسة ، وازياء الثياب ، ووسائل الاعلام ، وقوانين الدولة ، وما تخرج المطابع من كتب ، وما يشتمل عليه الفن من أشكال والوان ، من كل ذلك يدخل علينا العدوّ ونحن لا ندرى ، ولا أظن أن الله سيعذرنا لأننا لم نكن ندرى .

فكنا نقعد حتى ينال عدو الاسلام منا منالا ، فنثب وثبا قبل أن نحدّد سبيلنا وندخل المعركة قبل أن نجمع جندنا ، ونسوّى صفوفنا ، ونؤلف بين قلوبنا ، فننهزم ننهزم لأن الله جعل لكل شىء سببا ، فمن أخل باستيفاء أسباب النصر ، فرّ منه النصر ، وصحابة رسول الله صلى الله عليه ورضى عنهم كانوا اكرم على الله منا ، وهم مع ذلك قد هزموا فى (أحد) لما تركوا بعض أسباب النصر التى قدرها الله له ، كما قدّر الأسباب كلها والمسبّبات ، فخالف الرماة أمر قائدهم ، وتركوا مواقعهم ، أفنطمع أن ينصرنا الله ، وقد قطعنا أسباب النصر كلها ، ما اتصل منها بالأرض وما ارتبط بالسماء ؟

لقد فقدنا ارثنا من الحماسة والنشاط ، وتسللت الى عروقنا جراثيم الخمول والكسل ، فآثرنا الراحة على العمل ، ولبستنا حقيقة ؟ يوجعنى الاعتراف بها ، ويشد على صدرى حتى أحسّ بالاختناق ولكنها تبقى حقيقة .

حقيقة أعترف بها ، وذقنى من الخجل تضرب صدرى ، وبصرى من الحياء الى الأرض ، هى أن أهل الباطل لهم من ايمانهم بباطلهم ، وحماستهم له ، ودفاعهم عنه ، وبذلهم فى سبيله المال والنفس ، اكثر مما لنا (نحن أهل الحق) من الايمان بحقنا ، والجهاد فى سبيله ، وحمل الأذى فى الذود عنه .

انهم يمشون الى مجاهل الأرض ، يسكنون الأكواخ كأنها قبور ، ويصبرون على معاشرة أصحابها ، ليدعوهم الى ما يؤمنون هم به ، ومنهم

من يقاتل فى سبيل معتقده الأرضى ، أقوى دول الأرض ، التى الهبت بطياراتها بلده بالنار ، وأشاعت فى أقطاره الدمار ، وهو ماض لاينثنى ..

ونحن ... نحن المؤمنين بأن الجهاد أصل من أصول ديننا ، نحن الذين نؤمن بأن شهيدنا حيّ فى ضيافة ربنا ، نحن أبناء من مشوا على أرجلهم ، من المدينة الى قلب فرنسا من هنا ، وقلب الهند من هناك ، ففتحوها كلها ، لا ليأكلوا خيراتها ، بل ليهدوا الى الحق أهلها ، ويحملوا اليهم من هذا الخير الذى انزله الله من السماء ، على غار حراء ، نحن .. ننتهى الى هذه النهاية ؟!

يحتل اليهود قبلتنا الأولى ، ومسرى نبينا ، وتتحدانا امرأة عجوز ونحن سبعمائة مليون ، وامرأة أخرى تمسك بخناق تسعين الف أسير منا ، تسعون الفا كآساد الشرى ... يا اسفى !

ما أشد السقطة على رفيع القدر ، عالى المقام !

ولكن هذا ذنبنا . نحن الذين أبعدنا الاسلام عن معركتنا ، فأبعدنا بذلك النصر عنا .

اننا ما هزمنا لنقص العدد فنحن سبعمائة مليون ، ولا لنقص المال فعند المسلمين من الأموال أكثر مما عند اليهود ، ولا لقلة السلاح فعند المسلمين من السلاح أكثر مما عند اليهود ، ولا لقلة العلماء فعند المسلمين من العلماء (بعلوم الكون) اكثر مما عند اليهود ولكن لقلة الدين .

لقد ضعنا بذلك واضعنا الشباب على أن فى الشباب بحمد الله — فى الشباب والشابات فى الشام ومصر والأردن وغيرها رجعة قوية الى الاسلام ، رجعة من الله ليست بعملنا ولا بجهودنا ، رجعة وان تكن فى نطاق ضيق ، وفى عدد قليل ، لكنها قوية راسخة ، وان كان من المؤسف أن عيوبنا انتقلت اليهم ، خلافاتنا ، تمسكنا بالفروع قبل الأصول ، تفرقنا فرقا ، فيا ليت أبنائى وبناتى من الشباب والشابات يعتبرون بنا ، ويجتنبون نقائصنا ومعايبنا .

ان هذه المعايب جعلتنا يا أولادى نصير الى الضياع .

كلمة حق أقولها لكم ، والحق يقال ويسمع ، ولو كان مرّا . نحن يا أولادى لم يبق فينا أمل ، نحن الشيوخ (أعنى بالسنّ) ، نحن جيل الضياع ، جيل الهزيمة ، نحن أضعنا فلسطين ونحن سبعمائة مليون ، فالأمانة الآن فى أعناقكم أنتم ، والحمل على عواتقكم ، فلا تكونوا مثلنا .

لو أن سبعمائة مليون فأرة ، (والعفو من قبح المثال) هجمت على لندن أو نيويورك لهرب منها أهل نيويورك أو لندن ، فلماذا لا نصنع شيئا ؟ ما السبب ؟

لا أناقش ولا أتفلسف بل أقرر حقيقة ، لو أن ولدك مرض فأخذته الى طبيب فأعطاه دواء زاده مرضا ، فأخذته الى آخر فأعطاه الدواء الذى كان فيه الشفاء ، أفبعد هذه التجربة مجال لمقال ؟

التجربة أصدق برهان ، ونحن قد جربنا يوما ادخال الاسلام الى المعركة فاستنقذنا به القدس من أيدى جيوش أوروبة كلها بعدما ملكوها أكثر من تسعين سنة .

وجربنا إبعاد الإسلام عن المعركة فأضعنا القدس بعدما كانت فى أيدينا ومع ذلك نجد صعوبة بالغة فى افهام المسلمين — هذه الحقيقة الظاهرة — أفليس هذا عجيبا ؟

...

قلت فى مطلع هذه المقالة انى بدأت اكتب واخطب من أكثر من خمس

واربعين سنة ، عما الذى أثمرته هذه الكتابات وهذه الخطب ، وما كتب الكتاب الاسلاميون قبلى كالسيد رشيد رضا ، والأمير شكيب ارسلان ، وخالى محب الدين الخطيب، والأساتذة فريد وجدى وعبد العزيز شاويش والغمراوى وغيرهم ، ومن جاء معى أو بعدى ممن لا يحصيهم عدد — ولا يجهلهم احد — فماذا كان حصاد هذا الجهد كله ؟

لقد شهدنا فى هذه السنين الخمسين عرى الإسلام تنقض عروة عروة ، وصرح الاسلام يهدم حجرا حجرا ، وأهل الخير والحق كل يوم الى ضعف وقلة ، وأهل الشر والباطل كل يوم الى قوة وكثرة .

وكنت أبحث عن السبب ، وذكرت ما خطر على بالى من الأسباب ، وفى كلها قدرت النقص فينا ، والذنب علينا ، نحن الدعاة ، أو الكتاب والخطباء الاسلاميين ، فلم لا يكون النقص فيكم أنتم أيها القراء ، والذنب عليكم ؟ أو فينا وفيكم معا ؟ ونكون مسؤولين جميعا ؟

اضرب لكم مثلا ، اسكتوا كلكم قليلا . هل تسمعون فى الغرفة صوتا ؟

ان جو الغرفة التى (ترونها) ساكنة كل الأصوات التى تخرج الآن من اذاعات الأرض كلها انكم لا تسمعونها ، ولكن هاتوا رادّا (راديو) فانه يردّ هذه الأصوات عليكم فتسمعونها ، فان كان الراد بلا ذخيرة (بطارية) لم يفدكم ، وان وجد — وكذلك المواعظ ، المواعظ موجودة ولكنها تحتاج الى قلوب ، والقلوب لا تفيد ان كانت تحتاج الى بطاريات فاستحضروا قلوبكم وضعوا لها بطاريات ، تستفيدوا من كل ما تقرؤون وما تسمعون ولو كانت الموعظة من مقصّر مثلى .

ها هنا السر ، وهذا هو السبب فى الفشل الذى انتهت اليه دعوتنا خلال هذا الأمد الطويل .

ليس النقص فى المواعظ وفى الواعظين ، وان لم تبلغ ولم تبلغوا حدّ الكمال ولكن النقص فى القلوب الواعية .

اللهم يا من قلوب العباد فى يديه . احى قلوب المسلمين ، وليّنها وارزقها الانتفاع بالموعظة ، اللهم آمين .

نظرة فاحصة حول

الاباحة

عند الأصوليين والفقهاء

٢

د . محمد سلام مدكور

أساليب الاباحة والصلة بينها وبين كل من الحل والصحة والجواز

تكلمنا فى مقال سابق عن الاباحة وموقف الأصوليين والفقهاء منها ، وبينا أن الاذن الذى يفيد الإباحة قد يكون مصدره الشرع وقد يكون مصدره العباد ، وقلنا إن إذن الشارع لا يسقط حق العباد ، وأن إذن العباد لا يسقط حق الله وذلك لأن حق الله ليس مجالا لإذن العبد ولا ترخيصه ، كما أن كل تصرف لا بد أن يكون فى حدود ما أباح الشارع وأذن به .

ويعنينا هنا أن نبين أساليب الإباحة :

والمراد بأساليب الإباحة ما يدل عليها وتستفاد هى منه سواء أكان ذلك بدلالة لفظية حقيقية كانت أو مجازية أم كان ذلك بقرينة من القرائن العقلية . فأساليب الاباحة متنوعة ، وهذا التنوع فى جملته مظهر من مظاهر ثروة اللغة العربية وقوة التعبير فيها والدلالة على أنها جديرة أن تكون مجالا لاجتهاد المجتهدين وتنافسهم فى فهم النصوص الشرعية ولاسيما فيما يدل على الاباحة دلالة مجازية أو كنائية أو عقلية .

وينبغى أن نشير الى أن الاباحة التى مصدرها العباد لا تحتاج دائما الى عبارة تدل عليها إذ قد تكون بعبارة تدل عليها كدعوة الضيف الى النزول بمنزلك وتناول الطعام عندك ، كما تكون بما يفيد عرفا تلك الاباحة من الأفعال كوضع الأباريق ونصب السبل للشرب ، ووضع الجفان أو الأوانى للأكل للعامة ابتهاجا ببلوغ مقصد أو وفاء بنذر أو كفارة وهذا النوع هو الكثير الأغلب فى الاباحة من العباد بعضهم لبعض .

اما بالنسبة للاباحة التى مصدرها الشرع ، فاننا بتتبع الفاظ القرآن وهو المصدر الأول للتشريع لم نجد كلمة الاباحة ولا شيئا مما تصرف منها بفعل او مشتق ، وإنما يوجد في أساليب القرآن كما يوجد فى السـنة النبوية ما يدل عليها دلالة صريحة تارة . فلا يحتاج اللفظ الى قرينة يعتمد عليهـا فى إفادة الاباحة ، وما يدل عليها دلالة غير صريحة فيحتاج اللفظ للدلالة عليها الى قرينة تبين انها مرادة من اللفظ .

أولا — الأساليب الصريحة :

١ — نفى الحرج ومن ذلك قول الله تعالى(١) : « ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على انفسكم أن تأكلوا من بيوتكم .. » فقد دلت الآية دلالة صريحة على إباحة الأكل من بيت الانسان وبيت أبيه وبيت أمه لأن ذلك هو المعنى العرفى الذى يتبادر الى الذهن عند سماع نفى الحرج .

ومن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه أن رسول الله وقف فى حجة الوداع للناس فى منى يسألونه ، فجاءه رجل فقال : لم اشعر فحلقت قبل أن أذبح .. ؟ فقال الرسول عليه السلام : إذبح ولا حرج . وجاء آخر فقال : لم اشعر فنحرت قبل أن أرمى ..؟ فقال له النبى : ارم ولا حـرج . فما سـئل عن شىء قدّم ولا أخّر إلا قال : افعـل ولا حرج . وهذا يفيـد أن المشرع رفع الحرج عن كل من ترك الترتيب ناسيا . فصار ترك الترتيب بين الشـعائر بالنسبة له مباحا .

٢ — نفى الجناح : ومن ذلك قوله تعالى(٢) : « فإن أرادا فصـالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » فإن الأسلوب يدل صراحة على إباحة فطام الصبى قبل تمام الحولين ، لأن نفى الجناح كنفى الحرج فى أنه يتبادر من كل منهما الى الذهن معنى الاباحة .

٣ — نفى كل من الاثم والمؤاخذة والحنث والسـبيل : كما فى قوله تعالى : « اذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه »(٣) فالآية صريحة فى معنى الاباحة باعتبار الأصل لأنهـا رفعت الاثم عن الفعل وضده معا ، وخيرته بين التعجيل والتأخير برفع العقاب عن كل منهما .

ومن نفى المؤاخذة قوله تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم . ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم »(٤) فإن رفع المؤاخذة فى الآية صريح فى إفادة رفع الاثم وعدم العقاب على الفعل الذى هو اللغو فى اليمين ، وظاهر أنه لا ثواب على الفعل . ولا معنى للاباحة إلا هذا .

ومن نفى الحنث الدال على الاباحة ما روى من أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال(٥) : عندما ترامى قوم بحضرته بالنبال . فحلف أحدهم أنه أصاب الهدف وأن صاحبه أخطأ . فإذا الامر بخلاف ذلك . فقال الآخر حنثت يا رسول الله . فقال عليه السلام : أيمان الرماة لغو لا حنث فيها ولا كفارة .

ومن نفى السـبيل الدال على الاباحة دلالة صريحة فيما نرى قول الله سبحانه وتعالى : « ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » يقـول الإمام الرازى فى تفسيره (٦) : ما عليهم من سبيل كمعقوبة ومؤاخذة لأنهم أتوا بما أبيح لهم من الانتصار .

٤ ــ ومن أساليب الاباحة الصريحة نفى البأس . وهى مما ورد استعماله فى السنة فى عدة مواضع فمن ذلك ما رواه الامام أحمد فى مسنده من قوله عليه السلام : « لا بأس بالحيوان واحدا باثنين يدا بيد » فإنه يدل على إباحة بيع الحيوان مع التفاضل اذا لم يكن هناك أجل . ومن ذلك قوله عليه السلام فيما رواه الحكم عن واثلة بن الاسقع : « لا بأس بالحديث قدمت أو أخرت اذا أصبت معناه » فانه يفيد إباحة رواية الحديث مع التقديم والتأخير فيه ما دام ذلك لا يؤثر فى المعنى . وهذا هو مذهب الجمهور فى صحة رواية الحديث بالمعنى وهو الحق تحقيقا لليسر ودفعا للحرج وعملا بظواهر النصوص كهذا الحديث وغيره . كما جاء فى كتاب (جمع الجوامع وشرحه) .

والفقهاء يستعملون كلمة لا بأس بمعنى الاباحة فى كتب الفقه ومن ذلك قول صاحب الاختيار (٧) : « ولا بأس بتوسد الحرير وافتراشه ، ولا بأس بلبس ما سداه ابريسم ولحمته قطن أو خز » .

٥ ــ ومن أساليب الاباحة الصريحة كلمة (رفع القلم) جاء فيما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم عن السيدة عائشة رضى الله عنهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم عن ثلاثة : النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ وعن الصبى حتى يكبر » فانه يدل على إباحة ما يصدر عن هؤلاء من الافعال لأنه لا إثم فى الفعل كما لا إثم فى الترك وذلك هو معنى الاباحة .

ومن ذلك كلمة رفع الخطأ . روى الطبرانى بسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » والمقصود إنما هو رفع إثم الخطأ لا نفس الخطأ ورفع الاثم يفيد إباحة الفعل الصادر فى هذه الظروف . وهذا القدر كاف فى تحقيق الاباحة لأن المباح ما لا إثم فى فعله ولا تركه .

وكذلك كل ما يدل على التخيير فى الاساليب العربية من غير حاجة الى قرينة مثل إن شئت ، لك أن تفعل . ونحو ذلك .

ثانيا ــ الأساليب الدالة على الاباحة دلالة غير صريحة :

وهذه قسمان فيما نرى : ملفوظة ، وغير ملفوظة وسنعرض كل واحد منها :

أ) الألفاظ التى تستفاد منها الاباحة بقرينة :

١ ــ صيغة الأمر : نقل الآمدى(٨) عن بعض الأصوليين أن صيغة الأمر وضعت حقيقة لإفادة الاباحة ، وأنها تفيد غيرها بطريق المجاز وتحتاج فى إفادة غير الاباحة الى قرينة . وهو رأى يبدو غريبا إذ الواقع أن دلالة صيغة الأمر على الاباحة دلالة مجازية تحتاج الى قرينة . على أننا انتهينا فى كتابنا « الأمر فى نصوص التشريع الاسلامى ودلالته على الأحكام »(٩) الى أن صيغة الأمر إنما وضعت فى أصل اللغة لمجرد الطلب ولا بد من القرينة لإفادة ما عدا ذلك .

ودلالة صيغة الأمر على الاباحة تعتبر مجازية عند من يقول : إن الأمر وضع فى أصل اللغة لافادة الندب وهو أبو هاشم الجبائى والمعتزلة ، وكذلك على رأى الماتريدى واتباعه الذين يقولون إن صيغة الأمر موضوعة فى الأصل للقدر المشترك بين الوجوب والندب وهو مجرد الطلب ، وكذلك بالنسبة للقائلين بأنها مشتركة بين كل من الوجوب والندب أى موضوعة لكل على حدة . فإنها تكون مجازا فى استعمالها للاباحة وتحتاج الى قرينة لإفادتها .

وحتى عند القائلين بأن صيغة الأمر مشتركة فى إفادة الوجوب والندب والاباحة حقيقة ، والقائلين بأنها مشتركة فى إفادة ذلك وفى إفادة التهديد أيضا فإن استعمالها فى الاباحة وإن كان حقيقيا عندهم إلا انه يحتـــــاج الى قرينة باعتباره مشتركا . فيكون لا بد من القرينة فى استعمال الأمر للاباحة سواء قلنا إنه مجاز أو مشترك (١٠) .

ومن استعمالات الأمر فى الاباحة بالقرينة مجيئه بعد حظر سابق مثل قوله تعالى : « وإذا حللتم فاصطادوا »(١١) وذلك بعد قوله « غير محلى الصيد وأنتم حرم » ومثل قوله تعالى « فاذا قضيت الصـــلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا » بعد قوله : « إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيـــع » .

٢ — مفاد النهى بعد الوجوب ، ومفاد فسخ الوجوب : قال الســـبكى والمحلى فى جمع الجـــــوامع وشرحه : إن النهى بعد الوجوب للتحريم عند الجهور وقيل للكراهة وقيل للاباحة نظرا الى أن النهى عن الشىء بعد وجوبه يرفع طلبه فيثبت التخيير فيه .

وجاء فى تقرير الشربينى على جمع الجوامع : إن الوجوب لشىء إذا نسخ بقى الجواز بمعنى عدم الحرج فى الفعل والترك . وقيل تبقى الإباحة فقط كما قالوا بالنسبة لنسخ الوجوب فى آية « كتب عليـــكم اذا حضر أحـــدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين » .

٣ — ومن الأساليب غير الصريحة أيضــــا التعبير بالحل فإنه فيما نرى يفيد الأباحة إفادة غير صريحة فان معناه الصريح ما قابل الحرام وهو يشمل المباح والواجب والمندوب والمكروه فيصـــلح للاستعمال فى واحد منها بقرينـــة فقول الله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات »(١٢) فإنها تدل على إباحة اكل المستلزمات التى لم يرد ما يحرمها .

٤ — ومن الأساليب غير الصريحة نفى التحريم أو النهى عنه . ومن نفى التحريم قول الله تعالى : « قل من حرم زينة الله »(١٣) فان هذا وإن كان استفهاما صورة ولفظا فهو نفى حقيقة ومعنى . ومن النهى عن التحريم قوله تعالى : « لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم »(١٤) فإن الآية نزلت فى الرد على الذين كانوا يتعمقون فى العبادة ويبالغون فى ترك الطيباب .

٥ — ومن أساليب الاباحة غير الصريحة الاستثناء من التحريم الصريح أو الضمنى فمن الأول قول الله تعالى : « وقد فصل لكم ما حـــرم عليـــــكم إلا ما اضطررتم إليه »(١٥) ومن الثانى قوله صلى الله عليه وســـــلم فيما رواه الشيخان « لا يحل دم امرىء إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وقد يكون الاستثناء ضمنيا من التحريم الصريح ويفيد الاباحة كما فى قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم .. فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فإن الله غفور رحيم »(١٦) فقد صرح القرطبى(١٧) باعتبار هذا الاســــلوب إباحة .

ب) ما يدل على الاباحة من غير لفظه :

فان ذلك يكون من الأمور الفعلية فيشمل السنة الفعلية فى بعض أنواعها والسنة التقريرية . فما كان من الأفعال الجبلية كالقيام والقعود والأكل والشرب ونحوه فلا نزاع فى كونه على الاباحة بالنسبة للنبى ولأمته ، وما كان من أفعال

النبى غير المختصة به مما لم يقع بيانا وظهر فيه معنى القربة يكون من قبيل الاباحة عند المالكية لأنه لا يجوز أن يكون صادرا منه على وجه يقتضى الاثم لعصمته صلى الله عليه وسلم فثبت انه لا بد أن يكون مباحا أو مندوبا أو واجبا وهذه الاقسام مشتركة فى رفع الحرج عن الفعل . فأما رجحان الفعل فلم يثبت على وجوده دليل فثبت بهذا أنه لا حرج فى فعله كما أنه لا رجحان فى فعله فكان مباحا(١٨) .

أما ما لم يظهر فيه وجه قربة فقد نقل كل من الشوكانى والدبوس فيه خلافا وأن الرازى قال : الصحيح أنه مباح واختار ذلك الجوينى فى البرهان وهو الراجح عند الحنابلة .

وأما السنة التقريرية . فان ما سكت عنه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن قد سبق منه النهى عنه ولا عرف تحريمه فإن سكوته عنه يدل على إباحته ورفع الحرج عن فاعله إذ لو لم يكن جائزا لكان تقريره لفاعله على فعله حراما من النبى ومن هـذا ما روى عن جابر رضى الله عنـه من حـديث العزل « كنا نعزل فى عهد رسول الله والقرآن ينزل فبلغ ذلك رسول الله فلم ينهنا » فان الفقهاء أخذوا من عدم نهى النبى صلى الله عليه وسلم دليلا على إباحة العزل لمنع الحمل .

هذا بالنسبة لأساليب الاباحة ، أما الصلة بين لفظ الاباحة والتخيير : فقد سبق أن قلنا فى المقال السابق إن الاباحة عند الأصوليين تخيير من الشارع بين الفعل والترك مع استواء طرفى الفعل والترك فلا ثواب ولا عقاب على فعل واحد منهما ، أما التخيير فإنه تارة يكون تخييرا على سبيل الاباحة بين فعل المباح وتركه وكل من الفعل والترك يتصف بالاباحة ، وتارة يكون بين بعض الواجبات وبعض إلا أنها لا تكون واجبات على سبيل التعيين ، وهذا هو الواجب المخير كما فى خصال كفارة اليمين فى قوله تعـالى : « فكفارته إطعـام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة »(١٩) فإن فعل أى واحد منها يسقط المطالبة ، كما أن ترك كل واحد منها يقتضى الاثم .

وتارة يقع التخيير بين بعض المطلوبات على سبيل الندب كما فى التنفل قبل صلاة العصر فإن المكلف مخير بين أن يصلى ركعتين أو يصلى أربعا . على أن المندوب فى ذاته فى مرتبة من التخيير وإن كانت دون التخيير فى المباح إلا أنها لا تخرج عن أنها تخيير ضرورة أنها لا ضرر فى ترك المندوب وإن كان يثاب على فعله بينما التخيير فى المباح لا ثواب فيه ولا عقاب ومن ذلك التخيير فى الأضحية بين الإبل والبقر والغنم إذا آثر الأضحية على الصدقة علىأن هناك ناحية تخيير بين الصدقة والأضحية(٢٠) . فالتخيير أعم من الاباحة . إذ قد يكون التخيير بين المباحات كما يكون بين الواجبات بعضها مع بعض وكذلك يكون بين المندوبات .

وأما الصلة بين الاباحة والحل . فقد عرفنا أن الاباحة بمعنى التخيير من الشارع بين الفعل والترك . أما الحل فإنه فى لسان الشرع وفى اصـطلاح الفقهاء أعم من ذلك لأنه يطلق دائما على ما يقابل الحرام . فالحلال هو ما ليس ممنوعا منعا باتا يدل على ذلك وروده فى الكتاب والسنة مقابلا للحرام الذى هو خطاب الشارع بالكف عن الشىء على سبيل الجزم . واذا كان الحلال مقابلا للحرام وجب أن يشمل كل ما عداه فيدخل فيه المباح والمندوب والواجب بل والمكروه ولذا صرح الفقهاء فى مناسبات مختلفة بالحل مع الكراهة وفى هذا يقول العزيزى عند قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أبغض الحـلال الى الله الطلاق »(٢١) ان الحلال هو الجائز الفعل والمراد غير الحرام فيشـمل

المكروه . ومع هذا فمن الفقهاء من لم يعتبر الحلال شاملا للمكروه وقصر الحلال على ما يشمل الواجب والمندوب والمباح . وافرد للمكروه قسما يقابل كلا من الحلال والحرام ، ومنهم من جعله داخلا فى قسم الحرام على ما بيناه تفصيلا فى كتابنا (الاباحة عند الأصوليين والفقهاء) .

وأما الصلة بين لفظ الاباحة ولفظ الجواز . فاننا نجد الامام الغزالى يصرح بأن الجواز مرادف للاباحة . بينما يرى غيره أن الجائز أعم من المباح فالجائز ما سوى الحرام والمكروه وبذا يكون شاملا لكل من الواجب والمندوب والمباح ويكون على هذا مرادفا للفظ حلال بالاطلاق المشهور .

فالجائز يستعمل بمعنى المباح على ما هو مسلك الغزالى وبمعنى الحلال وهو المتداول كثيرا فى عبارات الفقهاء وبالنظر يبين أن لكلمة الجواز استعمالا ثالثا يجعلها مرادفة لكلمة صحة ومن هذا قولهم فى باب الطهارة « المياه التى يجوز التطهير بها سبعة مياه .. والمياه التى لا يجوز التطهير بها .. » .

وأما الصلة بين الاباحة والصحة .. فالواقع أن حقيقة الاباحة وماهيتها تباين حقيقة الصحة وماهيتها .. فان الاباحة كما هى التخيير بين الفعل والترك .. وأما الصحة فانها موافقة الفعل ذى الوجهين الشرع . والتخيير وصف من أوصاف الشارع . أما الصحة فهى وصف للفعل الذى يقع من المكلف . ولهذا يقال : إن الاباحة من الاحكام التكليفية ، أما الصحة فبعض الأصوليين يعتبرها حكما عقليا . والجمهور منهم يعتبرونها من الاحكام الشرعية الوضعية باعتبار أنها تعرف من جهة الشرع(٢٢) .

والى اللقاء فى المقال التالى حيث نتكلم عن أسباب الاباحة .

---

(١) سورة النور الآية ٦١ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٣ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٠٣ والمقصود تعجيل التكبير فى أيام التشريق بالحج .
(٤) سورة البقرة آية ٢٣٥ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى هـ ٣ ص ١٠٠ .
(٦) التفسير الكبير هـ ٢٧ ص ١٨١ .
(٧) الاختيار شرح المختار هـ ٣ ص ٢٢٢ .
(٨) الاحكام فى أصول الاحكام هـ ٢ ص ٢٠٨ .
(٩) ص ٢٤٥/٢٣٧ والكتاب مطبوع سنة ١٩٦٧ بالقاهرة .
(١٠) راجع ابن الحاجب هـ ١ ص ٤٢٨ وارشاد الفحول ص ٨٨ .
(١١) سورة المائدة آية ٢ .
(١٢) سورة المائدة آية ٥ .
(١٣) سورة الاعراف آية ٣٢ .
(١٤) سورة المائدة آية ١٧ .
(١٥) سورة الانعام آية ١١٩ .
(١٦) سورة المائدة آية ٣ .
(١٧) الجامع لأحكام القرآن هـ ٢ ص ٢١٦ .
(١٨) انظر ارشاد الفحول للشوكانى ص ٣٤ .
(١٩) سورة المائدة الآية ٨٩ .
(٢٠) راجع المغنى لابن قدامة الحنبلى هـ ٨ ص ٨١٨/٨١٦ .
(٢١) فى كتابه السراج المنير الجامع الصغير هـ ١ ص ١٩ .
(٢٢) وقد بينا تفصيل ذلك فى كتابنا مباحث الحكم عند الاصوليين .

آفة البحث العلمي عند الغربيين وأشياعهم

للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطي

«السبر والتقسيم» قاعدة يعتمدها علماء أصول الشريعة الإسلامية ، لدى استنباط علل الأحكام والتأكد من صحتها .

وهي تعني استثارة جميع الاحتمالات ، وعرضها فى تصنيف وتقسيم شاملين أمام الفكر ثم دراستها واحدة إثر أخرى ، للكشف عن العلة التي لا بد أن تكون كامنة فى واحدة منها .

والقيمة العلمية فى هذه القاعدة ، هي استقصاء الاحتمالات كلها ، واتخاذ ذلك أساسا للمقارنة والبحث فان أكثر ما قد يكون سببا لزلة الباحث العالم ، فى دراسة بحث ما ، إنما هو عدم انطلاقه من نظرة شاملة مستقصية للاحتمالات الواردة ومهما أوتى بعد ذلك طاقة فى التأمل والمقارنة والبحث ، فان هذه الطاقة قد لا تغنيه في الوصول الى الحق أى غناء ، لأن مادة البحث نفسها لم تتكامل تحت نظره وبين يدي فكره .

واذا كانت هذه القاعدة من أهم منطلقات علماء الشريعة الإسلامية بصدد دخولهم فى اى بحث علمي ، فإنها لتعتبر جانبا مهملا ، بل مجهولا ، لدى اكثر الباحثين من علماء الغرب بصدد البحث فى اى حقيقة علمية مما لا يخضع لبرهان التجربة والمشاهدة ، كشئون التاريخ والتاريخ الطبيعي وقضايا النفس وأكثر مسائل العقيدة وما قد يتبعها .

فمهما توفر فى أبحاثهم — بعد ذلك — من مقومات الدقة فى الدرس ومظاهر المنهجية أو الموضوعية فى البحث ، فإن شيئا منه قد لا يغنيهم عن

كشف الحقيقة شيئا ، لما أوضحنا من أن ضرورة تجميع المادة العلمية وحصر الاحتمالات الواردة بشأنها ، ينبغى أن تكون الخطوة الأولى فى السير الى اى دراسة أو بحث .

السر فى ذلك

ومن المعلوم أن استقصاء الاحتمالات كلها ، ووضعها جميعا تحت مجهر واحد من النظر والفحص ، هو المقصود بالموضوعية التى هى الأساس الأول لسلامة البحث العلمى، وضمان الوصول الى نتائج سليمة صادقة من ورائه .

ومن المعروف أن « موضوعية البحث » من أكثر الكلمات التى يحتفل بها الغربيون فى أبحاثهم ، ومن ثم فهى منسوبة إليهم وملتصقة بهم أكثر من أن تنسب إلى أى فئة أخرى . فلماذا لا تتبوأ هذه القاعدة عندهم مكانها اللائق ، وفيم تكون مهملة بل مجهولة عندهم ؟! .. وما السر فى هذا التناقض البين ، بين المباهاة بالموضوعية من جانب واهمال أهم مقومات هذه الموضوعية من جانب آخر ؟! ..

والجواب ، أن موضوعية البحث قد تبدو حقيقة ثابتة فى تلك الدراسات العلمية الأخرى المتعلقة بظواهر الطبيعة مما يخضع لبرهان التجربة والحس . وهى دراسات أبدع الفكر الغربى لها ، بحق لا مرية فيه ، منهجا من البحث الموضوعى الذى لا يشوبه أى خلل أو نقص .

أما تلك الدراسات الأخرى ، التى لمحنا إلى أصناف منها ، فقد تخلفت الموضوعية عنها تخلفا كبيرا وخطيرا ، مما جعلها تصبح فريسة للرغبة والبواعث النفسية أكثر من أن تكون موضوع بحث علمى مجرد .

أكثر هذه الدراسات تنطلق عندهم من رغبة سابقة فى الوصول إلى نتائج معينة ، ولا تبدأ من نقطة الدراسة العامة للاحتمالات المطلقة .

ومن شأن الرغبة السابقة التى تتطلع الى نتيجة بخصوصها ، أو التى تتجافى عن نتيجة بخصوصها ، أن تفرض على صاحبها امانة بعض الاحتمالات سلفا ، وبالتالى فهى تفرض عليه طيها عن النظر والبحث مطلقا .

وقد يكون العامل فى إماتة بعض الاحتمالات ، أو اهمال النظر فيها ، جهلا بما قد يكون لهذا الاحتمال من أهمية أو قيمة ، ولكنه يكون ، فى أغلب الأحيان ، باعثا نفسيا يتمثل فى عصبية أو تقليد أو سلطان عرف أو بيئة ..

وليس بعجيب ولا مستهجن أن يتسلل باعث نفسى من هذا القبيل إلى مجال البحث والعلم خفية عن صاحبه ودون أن يتنبه إلى تدخله فى التأثير والحكم . ذلك لأن من شأن النفس أن تخادع العقل وتغافله بين حين وآخر ، فتلبس الأمر عليه وتخلط أمامه الموازين بأشباهها ، ولكن العجيب والمستهجن حقا ، أن يتنبه الباحث من نفسه إلى هذه الظاهرة فيقرها ، ثم يتخذ منها منهجا لاكتشاف الحقائق وسبيل الاعتقاد بها ! ..

العجيب أن تظهر فى الغرب مدرسة تعلم الباحث لدى استقراء الاحتمالات المتعلقة بشرح حقيقة ما أن يستبعد منها سلفا مالا يرغب فيه،

والا يبقى منها تحت مجهر البحث والنظر إلا ما يتفق مع رغباته وينسجم مع أمانيه المتعلقة بتفسير تلك الحقيقة . فهى تعلمه مثلا بصدد البحث فى الأديان واكتشاف الدين الحق منها أن يستعرض الاحتمالات المتمثلة فى المسيحية أو اللاأدرية أو الإسلام ، فيسقط الاسلام منها سلفا ، لأنه احتمال غير مرغوب فيه ، فهو محكوم عليه اذا بالموت ! .. ثم يحصر بحثه فى الاحتمالين الباقيين والمقارنة بينهما (١) .

تحول الحقائق الواضحة الى الغاز مغلقة

ولا ريب أن تسيير منهج البحث فى حقيقة الشىء تحت سلطان الرغبة قد يورث النفس رضى وبهجة ويشعرها بتحقيق بعض أمانيها ، ولو فى نطاق الوهم والخيال ، وقد تكون من ورائه فائدة أهم فيما يبدو ، كحفظ ذاتية الأمة من أن تذوب فى كيانات اخرى . وكتوفير قوالب فكرية — ولو لم يكن لها مصداق فى الخارج — تحافظ على شخصيتها من أن تميع ثم تتعرض للتجسد فى قوالب أخرى .

غير أن هذا السبيل ، بالاضافة الى كونه لا يحقق إلا فوائد وهمية ، من شأنه أن يضحى بقيم جوهرية ذات تأثير بالغ وخطير فى حياة الانسان . فحسبه أنه يسدل فوق الحقائق الواضحة حجابا ، ويبعد المسافة بينها وبين كل محاولة لمزيد من العلم بها ، ويحيلها إلى الغاز وأحاجى غامضة بدون أى موجب أو سبب حقيقى مفيد ، فتغدو بذلك جميع النظريات المطروحة فى تفسيرها مظهرا للحيرة فى شأنها أكثر من أن تكون اقترابا اليها لحل مضمونها ! ..

وطبيعى أن تتناسخ النظريات ، بسبب ذلك فى شأنها ، فى تطواف دائب ضمن حلقة مفرغة لا نهاية لها .

والنقاش فيها كلام فارغ

والذين يغيب عن بالهم هذا الواقع الخطير الذى نتحدث عنه ، يتوهمون أن النقاش فى مثل هذه النظريات والآراء القائمة على هذا المنهج ، قد يعود بأصحابها إلى سبيل الرشد والمنطق السليم ، فيبدؤون حياة ، بل عصرا ، من المناقشة والجدال اللذين لانهاية لهما ولا ثمرة من ورائهما .

وشىء طبيعى أن يظل الأمر كذلك لأن منطلق كل من الطرفين يختلف اختلافا جذريا عن الآخر . فلا مطمع للفروع التى تنبثق عن كل منهما إلا أن تسير فى خطين متباعدين عن بعضهما قدر ابتعاد المنطلقين على أقل تقدير .

وهكذا ، فإن الخوض فى مناقشة من يحلل لك الفتح الإسلامى مثلا على انه انتصار يسار على يمين ، أو تمرد على عوامل الانغلاق الاقتصادى فى الجزيرة العربية ، أو ثورة السيادة العربية على العنصر الأعجمى — خوض فيما لا طائل فيه من الكلام وانحصار ضمن دائرة مغلقة من الحديث . ذلك لأن صاحب هذا التحليل أمات منذ أول بحثه احتمال نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وصدقه فيما جاء يخبر عن ربه ، وطواه عن أى التفات اليه أو نظر فيه، فمشى بذلك فى طريق مسدود ، ليجد أمامه أحد احتمالات ثلاثة لا رابع لها ،

ثم ليجد نفسه مضطرا إلى اختيار واحد منها . إذ مهما كانت هذه الاحتمالات بعيدة عن المنطق والبرهان التاريخى ، فلا مندوحة له عن أن يغمض العين ويقبل أى واحد منها إذا كان حريصا الا يعود من بحثه خالى الوفاض ! ..

المنطق الوهمى ! ..

ومهما كان خطأ مثل هذا المنهج بينا ، فإن صاحبه منطقى مع نفسه بالنظر لانحصاره ضمن ما فى هذا الطريق المسدود . لقد رأى أمامه هذه التفسيرات الثلاثة ولم ير غيرها ، إذا لا بد أن الحقيقة مخبوءة داخل واحد منها .

وهذا هو المنطق الوهمى الذى أحال كثيرا من الظنون بل الأوهام المجردة الى أحكام علمية ومسلمات قطعية ! .. إذ كان المصباح الذى من شأنه أن يكشف عن زيفها وبطلانها قد أبعد عن ساحة البحث كلها ، فغدت الساحة دينا لهذا الأوهام وحدها .

انه على كل حال منطق ، وان كان وهميا . وربما لبست الأوهام للعقول ثوب الحقيقة فانخدعت بها ، فكان لها من ذلك بعض العذر ! .

من صور هذا المنطق الوهمى

وما أكثر القضايا والأبحاث العلمية التى ذهبت فيها الحقائق ضحية هذا المنطق الوهمى ، فانمحت عنها معالم الحق ، وانحسرت من حولها مسالك البحث ، وسدت اليها منافذ النظر الحر ، حتى غدت ألغازا مغلقة تحوم من حولها صور الحيرة والاضطراب وتسمى افتئاتا وظلما سبل الدراية والبحث ! ..

من هذه القضايا تلك النظريات المضطربة المتناقضة عن قصة النشأة الإنسانية وتطورها فإنما هى « بدءا من آراء لامارك الى الداروينية القديمة الى ما تطورت اليه من الداروينية الحديثة » انعكاسات حيرة فى تفسير تاريخ النشأة الإنسانية واكتشاف أسرارها ! .. وما كان لهذا البحث أن يزج أصحابه فى أى حيرة لو أنهم استعرضوا منذ أول الطريق الاحتمالات الواردة كلها ، دون أن ينبذوا أى واحد منها سلفا ! .. اذا لوجدوا قصة هذه النشأة مدونة من قبل خالق الانسان ومبدعه جل جلاله، واذا لاستراحوا وأراحوا ، ولأخضعوا الفكر والعقل لقول هذا المبدع جل جلاله : (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) .

ولكنهم لما نبذوا من احتمالات الأمر ما لا رغبة لهم فيه ، فلم يقفوا عنده بأى تأمل أو نظر ، كان لا بد لهم أن يحصروا أنفسهم فى الحلقة التى انطبقت عليهم ، أو فى نهاية الطريق الذى سدوه على أنفسهم ، ووجدوا أنفسهم يقولون : لا بد أن الإنسان تطور من كائن بسيط تحت سلطان القانون الطبيعى الذى يسطى أولوية البقاء للأصلح ويقضى على كل متخلف فى دروب الضعف أو الفساد ! .

قيل لهم : ولكن من الذى وضع مقياس الأصلح ؟ .. وأين هذا القانون من الطبيعة التى تجفف مستنقعات شاسعة أو تحسر مياها غامرة فتنطفىء على أعقاب ذلك حياة ملايين من الأرواح كان من الممكن

ان تواصل سيرها فى نجاح الحياة مستظلة بحماية القوة والصلاح ؟ . بل أين هذا القانون من الدنيا المريضة التى يزدحم فيها جميع أشكال الموجودات بدءا من أصغر جزئيات الفاسد والضعيف إلى أرقى نماذج الأقوى والأصلح دون أن ينسخ الصالح منها الفاسد عن الوجود ؟..

قالوا : فلنقرر اذا أنه تطور عشوائية وطفرة وليس تطور سمو وصلاح ! .. قيل لهم فهلا شدت الطفرة الإنسان ذات مرة الى الخلف بدلا من أن تنهض به دائما الى الأعلى ؟ .. وهلا تجاوزت مرة واحدة خط النظام الدقيق الذى يسير وفق خط مرسوم الى تحقيق علة غائية وقد علم جميع العقلاء أن « العلة الغائية » تمثل أعقد عمليات التنظيم والتدبير ؟ .. وما لهذه الطفرة العجيبة فى تدبيرها أبدعت حياة الإنسان من هلاميات لا شأن لها ، ثم ظلت تنهض بها فى معارج السمو والتصعيد المادى والمعنوى الى أن اقامته عند عتبة الأسرار الكونية ، وأورثته علم استغلالها وتسخيرها ؟ !..

قالوا : فماذا نقول إذا ؟ .. إنه على كل حال خير تفسير يمكن أن يتسق مع الظواهر الطبيعية المرئية أمامنا ، وهو على ما فيه من نقاط ضعف وعوامل نقد ، أقرب الى الفكر العلمى من القول بأن الأرض أو السماء انشقت فجأة عن كائن معقد الصنع عجيب الطوية ، يهدد الأرض بقوته ويطمح الى القمر والنجوم بسلطانه !.

أجل .. إنه منطق ، ولكنه منطق وهمى ، ينسجم مع عقلية ذاك الذى وضع نفسه فى حلقة مقفلة أو حصر نفسه فى طريق مسدود . ومن ثم فهو صادق مع نفسه عندما يقول وهو فى محبسه ذاك : هذا كل ما أراه أمامى فهل للعقل من سبيل إلا أن يتخير أقرب الحلول ؟! ..

ولكنه جهل عظيم وخداع خطير أمام مقياس الانطلاق فى دنيا الحقيقة كلها ، بكافة احتمالاتها الواردة ، دون تحكيم للرغبة ولا للبيئة ولا للتقاليد ولا لسلطان المنفعة .

وصورة أخرى

واليك صورة أخرى لهذا المنطق .. ذلك الموضوع الذى تظل طائفة كبرى من الباحثين فى حيرة مستمرة من أمره ألا وهو التحقيق فى هوية الشريعة الإسلامية .

لقد قلبت هذه الطائفة أمر الشريعة الإسلامية على كل وجه يمكن أن يعطى دلالة على حقيقتها وأصلها ، إلا وجها واحدا لم تشأ أن تجعله موضوع بحث مطلقا ، وذلك هو وجه كونها وحيا من الله تعالى بواسطة جبريل الى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام .

وهكذا ، فقد تكونت حول هذه الطائفة من الأوجه والاحتمالات الباقية حلقة مفرغة مقفلة ، وكان لا بد لها أن تنبش عن الحقيقة التى تعود اليها هوية هذا التشريع ضمن هذه الحلقة فقط .

فما هى تلك الاحتمالات الباقية ؟ .. إنها احتمال أن تكون الشريعة الإسلامية طبعة جديدة معدلة عن التشريعات اليهودية ، واحتمال أن تكون مقتبسة من التشريع الرومانى بعامل احتكاك الجزيرة العربية بما

حولها من المستعمرات الرومانيـــة ، واحتمال أن تكون انعكاسا لحضـــارة سبأ أو شريعة حمورابى .

وإذا كان الاحتمال الأول مردودا بفصول مبسوطة من البحوث العلمية المعروفة ، فليؤخذ بالاحتمال الثانى إذا .. أما إذا كشفت البحـــوث التاريخية الثابتة عن أنه لا مجال للقول بأن الشريعة الاسلامية مقتبسة عـــن شريعة الرومان ، فلا مناص عندئذ من القول بالاحتمال الثالث . ومهما كانت هذه الاحتمالات مدفوعة بسلطان المنطق والعلم ، فإنه أولى فى ميزان العلم والعقل من القول بأن هـــذه الشريعة المتكاملة الوافية التى تعكس آثار حضارة باسقة ، قد ظهرت فى بادية قاحلة ، وألفتها أدمغة البادية والصحراء ، مع ما هو ثابت من أن فاقد الشىء لا يعطيه . (٢) .

أجل .. إن هذا أيضا منطق ! .. ولكنه منطق من قد سجن نفسه فـــى غرفة ليس فيها من الطعام الا كسرة خبز يابسة ، الى جانب بقيـــة إدام فاسد بشيع ، الى جانب ماء آسن مستقذر ، ومن وراء باب الغرفة كل ما تهفو اليه النفس مـــن الطيبات ! .. لاجرم أنه ــ وقد أحكم سد الباب على نفسه ــ منطقى مع تفكيره عندما يخير نفسه بين الكسرة اليابسة والإدام البشيع ، ثم يبرهن لها بما يبصرهـــا من أرض الغرفة وجهاتها الخاليـــة الأربع ، على أنه ليس ثمة ما يصلح أن يؤكل إلا هذا وذاك ! ..

أما الاسلام فقد ربى العقول عـــلى التنزه عن هـــذا

ويظل من هـــذا المنطق الـــوهمى تحتضن أكثر القضايا العلمية والفكرية عند الغـــرب وأشياعهم وعبيدهم من الشرق .

أما الاسلام ، فهـــو بحق ، المربى العظيم الذى ينشىء عقول المسلمين على التنزه عن هذه اللعبة التى لا تليق بقداسة العقل الإنسانى وحريتـــه . والرغبة ، والمنفعة ، والتقاليد ، والبيئة ــ كل ذلك يأتى ، فيما يقضى به الإسلام ، من وراء السلطان المطلق للعقل .. العقل الصافى عن لقـــاح المؤثرات أيا كانت ومن أى جهـــة وفدت ..

وحرية العقل ــ فيما يقضى بـــه الإسلام ــ أمانة مقدسة استودعها الإنسان . وأى تضييق فى مجالـــه الطبيعى ، أو انتقاص من سبلـــه ونوافذه ، خيانة كبرى يلقى عليهـــا صاحبها العقاب الرهيب من اللـــه يوم القيامة .

وحرية العقل لا تعرف ــ فيمـــا يقضى به الإسلام ــ شيئا اسمـــه « وجهات النظر » ! .. اذ أن وجهات النظر هـــذه ليست الا نوافذ فـــى سجون يرى العقل الإنسانى فى كـــل منها ــ اذ يكون سجينا ــ جانبا من جوانب الحقيقة الواحدة ، حيث تتحطم الحقيقة جذاذا بين نوافـــذ هـــذه السجون المختلفة .

وصدق الله اذ يعبر بيانه المعجز عن هذا كله بقوله :

« ولا تقف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

---

(١) انظر « العقل والدين » لوليم جيمس ص : ٤ و ٥ ..

(٢) ألقى صاحب هذا المقـــال محاضرة فى رابطة الحقوقيين بدمشق عنوانها « ذاتيـــة التشريع الاسلامى فى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام » لعلها أن تهيأ قريبا للنشر .

ذكرى ميلاد

متى وكيف

للأستاذ أحمد محمد جمال

في أوائل هذا الشهر الأنور ربيع الأول ، ما بين اليوم التاسع منه واليوم الثاني عشر ــ على اختلاف الرواية ــ ولد محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .. (محمد) الذي جاء استجابة لدعوة أبيه ابراهيم (١) وتحقيقا لبشرى أخيه عيسى (٢) وتصديقا لرؤيا أمه آمنة حين رأت وهي حاملة به أن نورا خرج منها اضاءت له قصور الشام .

وقد أعتاد المسلمون ــ هيئات واذاعات وصحافات ــ ان يتحفوا بذكرى هذا الميلاد الشريف ، حيث تلقى الخطب ، وتنشر المقالات ، وتنشر القصائد .. التي تمجد (محمدا) وتروى سيرته ، وتصور بطولته ، وتذكر برسالته الفذة التي بعثه الله بها الى الناس كافة ، لانقاذهم مما ركبهم من جهالة ، وما ركبوه من ضلال ..

وحق للمسلمين : ان يبتهجوا لذكرى مولد النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم وبارك ، وان ينشطوا قلوبا وعقولا لإحياء ذكرياته الجلائل ، وحق (احمد) نفسه ان يحظى بهذا الاهتمام والتحفي من أمته التي جاء صلى الله عليه وسلم وبارك ــ حريصا على هداها ، رحيما في سياستها ، حكيما في قيادتها ، عادلا في قضائها ، بانيا لأمجادها ، مرتفعا بها في مدارج الخير والكمال ، ومعارج الحق والجلال .

ونحن ــ هنا في مكة المكرمة ، مسقط رأس محمد ، وفي مهبط الوحي الالهي عليه ، ومنزل رسالة الاسلام اليه ــ احق الناس بذكره ، وأولاهم بالتذكير به .. صلى الله وسلم وبارك عليه .

الرسول

تنفع المؤمنين ؟

ان (محمدا) بعث من العرب اليهم والى الناس كافة ، وولد فى أرضهم ، ودرج عليها ، وسعى فى شعابها نذيرا وبشيرا ، ثم أذاع واصحابه واتباعه من بعده : برسالته هدى ورحمة وبشرى للمسلمين .

● هل أردد ما يقوله غيرى : إن الحضارة الإسلامية التى أنشأها محمد بن عبد الله هى أسلم الحضارات الانسانية وأكرمها وأقومها وأحكمها: تشريعا وتعليما وتربية واجتماعا وسياسة ؟

● أم أقول إن (الاسلام) الذى جاء به محمد بن عبد الله قد ازداد بتقدم العلوم البشرية واكتشافاتها ، وتأملات علماء العصر وتفكيراتهم ظهورا وبيانا على أنه الدين الحق : عقيدة وشريعة وخلقا ــ وفاء بالموعدة القرآنية: (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ..) (٣) ؟

لا أريد أن أقول هذا ولا ذاك ؟ فهو جملة وتفصيلا كلام معروف : وتاريخ مقرر ، وحقيقة لا تحتاج الى دليل .. لأن أعداء الاسلام أنفسهم شهدوا بها ..

● ● ● ●

وإنما أريد ان أقول شيئا آخر .. فى ذكرى ميلاد محمد عليه الصلاة والسلام . أريد ان أقول : إننا نحن المسلمين نفتأ نذكر (محمدا) كثيرا ، كثيرا جدا ، نذكره فى صلواتنا الخمس ونوافلها ، ونذكره بعدها مع التسبيح

بحمد الله وتكبيره ، ويذكره فريق منا باوراد خاصة محددة بايام الأسبوع ، ونذكره أيضا كلما اذن المؤذن ، وكلما أقيمت الصلاة (٤) .

ولكنا مع هذا الذكر الدائم المكرر له صلى الله عليه وسلم وبارك — لا نتجاوز النطق به بافواهنا عندما نشهد برسالته ، أو نصلى ونسلم عليه . وهى (صلاة) مطلوبة ومندوبة ، وراغم أنف امرىء ذكر محمد عنده فلم يصل عليه — كما جاء فى حديث نبوى — والقرآن قبل ذلك يقول : (إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (٥)..

غير أنا مطالبون وملزمون : أن نذكر (محمدا) ذكرا عمليا ، ذكرا خلقيا ، ذكرا سلوكيا :

- « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر .. »
- « من يطع الرسول فقد أطاع الله » .
- « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرســول وأولى الأمر منــكم .. »
- « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .
- « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » .

علينا — إذن — حين يرد اســـمه الكريم فى أذان المؤذن ، وفى اقامة الصلاة وتحياتها وبعد قضائها ، وعندما يذكره واعظ أو محدث أو كاتب — علينا ان نصلى عليه صلاة من قلوبنا ، لا بالسنتنا وحدها .. صلاة بعقولنا لا بوجداننا فقط .. صلاة نتذكر بها سيرة معلمنا الأول ، وقائدنا الافضل ، ورائدنا الأمثل .. صلاة نتدبر بها ما نحن فيه خلافا لما يجب ان نكون عليه كاتباع لهذا النبى الــكريم : من (قوة) أمرنا بإعدادها(٦) و (عزة) وصفنا بها(٧) .

وعن (خلق) محمد الذى يطالبنا القرآن أن نتخذه أسوة حسنـــة — كما أسلفنا — يقول القرآن :

— « وإنك لعلى خلق عظيم » .

— « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

— « فبما رحمـــة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظـــا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر » .

— « محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الــكفار رحماء بينهم » .

هذا غيض من فيض مما يذكره القرآن عن (محمد) صلى الله عليه وسلم ، وعما جاء به من هدى ونور . ولو ذهبت أجمع ما يذكره القرآن عنه فى موضوع الحكم ، وموضوع المعاملة ، والأسرة لأبصرتم عجبا ، ولانتشيتم طربا من القرآن الذى هو خلق محمد ، أو من خلق محمد الذى هو القرآن(٨) ولكن الحديث — لو فعلت — يطول ، والمقام لا يتسع ، فحسبنا هذا التذكير الوجيز ..

حسبنا أن نذكر أن (محمدا) بعث رحمة للعالمين ، وكان هو فى نفسه وأهله وأمته رحيما رؤوفا ، يعفو ويستغفر ، ولا يستبد دون أمته برأى منفرد الا أن يكون وحيا من ربه العليم الحكيم .

● وكان — صلى الله عليه وسلم — حريصا على أمته أن تهتدى وترشد عزيزا عليه أن تجهل أو تضل ، أو تتفرق شيعا وأحزابا .

● وكان سراجا منيرا باخلاقه ومعاملاته ومحادثاته ، لا ظلم ولا ظلام فى ما يقول وما يفعل .

● وكانت أمته التى عايشته وصاحبته : متراحمة فيما بينها ،اقتداء بقائدها الراشد ومعلمها الأمين ، كما كانت شديدة على اعداء دينها الذين يدسون له ويكيدون .

وكاثر أو ثمر للذكرى والتذكر : يجب علينا اقتداء بالنبى الكريم وأصحابه : أن نكون رحماء فيما بيننا ، أشداء على عدونا ، معدين للقوة التى أمرنا بها ، طالبين للعزة التى أسبغت علينا .

● ● ● ●

والقران الكريم الذى هو خلق (محمد) صلى الله عليه وسلم يجعل الذكرى واجبا ، ويصفها بانها « تنفع المؤمنين » ، ويحثنا نحن اتباع هذا النبى العظيم على التذكر الدائم لأحداث الماضى ، وأخبار الغابرين . ذلك بان لكل حدث فردى أو جماعى ، سار او ضار : ذكرى نافعة أو رادعة .. تحفز وتوقظ وتنهض .. إن كانت شرا فإلى الخير ، وان كانت خيرا فالى المزيد منه ..

وذكريات القرآن الكريم من قصص وأخبار وعبر : دليل على تحفى الاسلام (بواجب الذكرى) وحثه المسلمين على الاتعاظ بها ، والانتفاع منها . وحسبنا حجة بالغة واحدة فى هذا المقام هذه الآية القرآنية :

● « لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب »(٩) .

وحسبنا أيضا استدلالا على وجوب (الذكرى) ان ننظر فى لفظتى « أذكر وأذكروا » الواردتين فى القرآن كثيرا ، وما جاء بعدهما من قصص واحداث واخبار عن السابقين .. ساقها القرآن لتكون بواعث عبر ، وحوافز هِمَم ، ومصادر عزمات للمسلمين .

وحسبنا كذلك أن نقدر — كما قدر المفسرون قبلنا — كلمتى « اذكر واذكروا » قبل لفظة (إذ) الواردة فى القرآن مرات أكثر وأكثر .. فهى تاريخ مديد مفيد ، لأجيال وأمم ، وحسنات وسيئات ، ونعم ونقم ، وحضارات وجاهليات ..

لقد جاء — فى القرآن — من ذكريات نبينا صلى الله عليه وسلم وأصحابه ..

● « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك أو يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين » .

● « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

● « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » .

● « وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم . ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين » ..

وجاء في القرآن من ذكريات موسى عليه السلام وقومه بني اسرائيل :

ـ « وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ، ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » .

ـ « وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون » .

ـ « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد » .

ـ « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » .

وجاء في القرآن أيضا من ذكريات عيسى عليه السلام وقومه النصارى هذه الآيات :

ـ « وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلا » .

ـ « وإذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون » ..

ـ « إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين » .

وجاء فيه من ذكريات الأنبياء والأقوام الآخرين هذه الآيات :

ـ « إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، فسجدوا إلا إبليس » ..

ـ « وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود » .

ـ « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار » .

● ● ● ●

هذه أمثلة قليلة من ذكريات القرآن الكريم عن قصص الانبياء السابقين وأممهم ، وما تركوا من عبر وعظات تنفع أو تردع . وهي دليل مبين على ان (الذكرى) واجبة لأنها « تنفع المؤمنين » .

ونعود لذكرى « الميلاد النبوي » وصاحبها الحبيب صلى الله عليه وسلم ، فنجد القرآن يصفه عليه الصلاة والسلام بانه (ذكر) في قوله تبارك وتعالى : « فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا : رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ، ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور .. » (١٠) .

واذا كان الرسول ذكرا ، والقرآن أيضا هو ذكر (١١) اذن (فالذكرى) واجبة ، واحياء الذكريات الاسلامية لزام على المسلمين ، ولكن بشرط الاعتدال والبعد عن الابتداع ، وعن المهازل والمظاهر الجوفاء ، وعن الزبد الذى يذهب جفاء .

ولنتامل ما وصفت به الآيتان السالفتان (محمدا) صلى الله عليه وسلم من أنه (ذكر) وأنه (رسول) وأنه (يتلو عليكم آيات الله مبينات) لماذا ؟ (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) !

فالإخراج من الظلمات الى النور — ايجاز بليغ من إعجازات القرآن الفذة ، يطوى تحته معانى شتى تتوافق فى الأصل ، وتختلف فى الفروع ..

● إنها ظلمات كثيرة ، ونور واحد ..

ظلمات الجاهلية الجهلاء ، والحمية العمياء ، والعقائد الفاسدة ، والعادات الجافية ، والمظالم الفردية والجماعية ، والتفرق والأحزاب والعصبيات .. وتلك هى حياتنا قبل الاسلام .

ثم جاءنا « من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام .. » (١٢) من توحيد الخالق . واتحاد الخلق والعدالة فى الحكم ، والجهاد بالنفس والمال فى سبيل الحق ، واحسان المعاملة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتآخى والتراحم بين الأقربين والأبعدين على سواء ..

● وصدق الله العظيم : « ان الدين عند الله الاسلام » .

● « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين » .

---

(١) سورة البقرة /١٢٩ : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم . »
(٢) سورة الصف/٦ : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .
(٣) سورة فصلت /٥٣ ..
(٤) حيث أمرنا أن ندعو له : « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته » .
(٥) سورة الأحزاب/٥٦ .
(٦) سورة الانفال /٦٠ « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. »
(٧) سورة المنافقون /٨ « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .. »
(٨) فى حديث صحيح عن عائشة أنها سئلت عن خلق النبى فقالت : « كان خلقه القرآن .. »
(٩) سورة يوسف /١١١ ..
(١٠) سورة الطلاق /١٠ و ١١
(١١) سورة الزخرف /٤٤ : (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .
(١٢) سورة المائدة /١٥ و ١٦ ..

الباحثون عن النور

للاستاذ محمد المجـذوب

١ ــ لو حشدت أمام انظار المفكرين أوضاع البشر ، وما صارت إليه من الحيرة والضياع والظلم ، أثناء القرن السابع الميلادى ، ثم عُهد لكل من هـؤلاء بوصفها لما بلغوا من الدقة والتركيز بعض ما احتواه قول الله تعالى فى هــذا الشأن : (ظهر الفسادُ فى البرِ والبحر بما كَسَبتْ أيدى الناس ، ليذيقَهم بعض الذين عملوا ، لعلهم يرجعون (سورة الروم آية ٤١) .

وحين يرجع العاقل البصَر فى مضامين سورة الروم ، وما أحيطت به هذه الآية هناك من العبر والأحداث والتوجيهات الإلهية ، يزداد وعيا لهذه الحقيقة الكبيرة ، إذ يرى نفسه تلقاء تنظيم كامل يتناول الحياة كلها ، ويشد النظر المؤمن الى سنن الله فى الكون وفى الأمم ، فيشهد عاقبة كل من المستقيمين على هدى الله ، والزائغين عن سبيله ، فيعلم أن الاستقرار والأمن لن يتوفرا إلا بالتزام (الدين القيم) القائم على التراحم والتناصر فى الحق ، وان كل انحراف عن هذا الصراط مؤد بأهله الى الشقاء الجارف ، والضياع المبين ، لأن (من كفر فعليه

كفره ومن عمِل صالحا فلأنفسهم يمهدون) سورة الروم آية ٤٤ .

وفي استعمال لفظ (الفساد) لتصوير الأوضاع الانسانية على مستوى الكرة الأرضية كلها ، ساكنو الجبال والأودية والجزر ، تركيز شامل لكل ضروب الانهيار التي تعتري حياة الانسان ، فردا أو جماعة . فالفساد يقابل الصلاح ، وإذا كان صلاح الحياة يمثل انتظام روابطها الفطرية على اتم وجه من الانسجام ، فالفساد ليس سوى الإخلال التام بكل ما هو صالح ومصلح لواقع هذا الانسان .. والكون والفساد عند قدماء الفلاسفة يراد بهما تآلف العناصر الذى به يستمر وجود الشيء ، ثم انحلال هذه العناصر وما يتبعه من اختلال يفقدها خواصها الأساسية . وهو مدلول يلتقي مع التركيز القرآني الى حد بعيد .

أما هذا الفساد العام فهو حصيلة التصرف الأخرق الذى عامل به الانسان السنن الكونية .. فكان لا مندوحة له من الاحتراق بنار هو الذى أوقدها على نفسه . ولكن جائحة الفساد هذه ليست نهائية ، فهي على كبر خطرها وشموله ، قابلة للتقلص فالتلاشي ، اذا أحسن ذلك الجاني تدارك موقفه من النظام الكوني ، فرجع الى المنطلق الصحيح ، كمثل الذى ينشب ملقطي المدّخرة في عكس موضعهما ، فيجعل السالب مكان الموجب ، والموجب مكان السالب . فاذا فاجأه الخلل اسرع الى تلافيه برد كل من الملقطين الى موضعه المصمّم .. وبذلك تنتظم الدورة الكهربائية ويزول الضرر المنتظر .

أجل .. هكذا تماما كان وضع الانسان يوم ميلاد خاتم النبيين ، اذ (كانت الشعوب قطعانا من الغنم ليس لها راع ، والسياسة كجمل هائج ، والحكام كسيف في يد سكران ، يضرب به نفسه ومن حوله دون تفكير بالعواقب) وكل محاولة تقدم بها الفلاسفة لاصلاح هذا الخلل لم تزده إلا كثافة وعمقا ، لأنها بأسرها إنما انبثقت من نظريات ظنية ، لا تستند الى أساس صحيح من طبيعة الكون . ولا عجب فالفيلسوف بالغا ما بلغت ملاحظاته من الدقة ، عاجز عن الاحاطة التامة بجزئيات النظام الطبيعي وعلاقة بعضه ببعض ، وموقع هذا النظام في بيئاته وأزمنته المختلفة ، فاذا عمد الى علاج ما يواجهه من الفساد قصر عن إدراك ما لا يواجهه ، فجاءت محاولته عارية من كل أثر للاصلاح الحق ، لانطلاقها من نقطة الخطأ .. وهو في ذلك أشبه بالطبيب المغفل الذى يريد معالجة العضو المريض في معزل عن جسمه فيكون دواؤه المحلي مثيرا لمضاعفات لا يتوقعها في سائر الأعضاء .. ثم تتكرر التجربة فتتباين النظريات وتتعدد المحاولات ، وتكون حصيلة كل ذلك مزيدا من الشقاء لهذا الانسان ، الذى ضلّ طريقه القويم ، فنسي عهده مع الله ، يوم آذنه بأن لا استقرار له ولا أمن إلا باتباع هداه ، الذى يرسل به اليه أنبياءه كلما عمي الطريق ، وحار الرفيق ..

٢ — ومن الأسرار المركوزة في فطرة هذا الانسان أنْ لا يزالَ في بعض أفراده خاصية التفاعل مع الحقيقة ، والتفطن اليها مهما بعد عنها السواد الأعظم من جنسه . فما أن يتاح لهم أن يوجهوا أذهانهم الى بعض جوانب الواقع المحتل حتى يشعروا بانتفاضة الفطرة تشدهم الى التأمل ، وتطلق ألسنتهم بأشتات التساؤل !.. ولو نحن رحنا نتقصى هذه الظاهرة العليا في طوايا التاريخ لرأيناها بارزة في كل زاوية وكل مرحلة وكل منعطف ، مستمرة على مدى الأزمان .

وقد ضرب لنا القرآن العظيم الأمثلة العملية لهذه الظاهرة في الكثير من سوره ، ولعلّ من أبرزها مثلا في سورة الكهف أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم هدى .. وكانت خلاصة قصتهم أنهم استشعروا نفور الفطرة من ضلالات

قومهم فتصارحوا بها ، وتعاهدوا على هجرها .. ولقوا في سبيل ذلك أشد العنت ، حتى جردوا من منازلهم الاجتماعية ، وآثروا عليها الحرمان في طاعة الله ، إذ لجئوا الى الكهف ، فنشر لهم ربهم من رحمته ، وجعلهم واحدة من آياته .

ولن يقل عن أهل الكهف أهمية حنفاء مكة والمدينة قبيل فجر البعثة النبوية .. فقد كان هؤلاء مثلا حيا على تمرد الضمير العربي الأصيل على سفاهة الوثنية ، التي ابتليت بها جزيرة العرب على يد الضال الأول عمرو بن لُحَيّ ، الذي كان أول من أشاع فيها عبادة الأوثان ، بنقله أصنام الرومان الى البيت الحرام ..

ويحدثنا مؤرخو السيرة النبوية عن طائفة من هؤلاء النبهاء ، ويسمون منهم زيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل ، وعثمان بن الحارث — أو الحويرث — وعبد الله بن جحش ، وأميمة بنت عبد المطلب ، على نحو ما حدّث به الرواة عن الملابسات التي أحاطت بفتية الكهف ، إذ يقولون بأن هؤلاء الحنفاء قد تلاقوا ذات يوم في مناسبة وثنية ، فوجد كل منهم فرصة للافضاء بما يخالجه من إنكار لهذه الضلالات .. ثم اتفقوا على أن ينطلقوا في الأرض باحثين عن الأصول التي فقدها قومهم من دين أبيهم ابراهيم . ويروى الذهبي في (سير أعلام النبلاء) هذا الخبر عن يونس بن بكير عن ابن اسحاق : وبعد أن يشير الى مصاير بعضهم يقول : ولم يكن فيهم أعدل شأنا من زيد .

أما زيد هذا فهو ابن عمرو بن نفيل العدوي ، والد سعيد بن زيد أحد المبشرين بالجنة ، وابن عم عمر بن الخطاب . والظاهر من سيرته أنه كان من ذوي الأحلام والرحمة واليسار ، وبهذه الصفات المميزة اهتدى الى القطع بفساد الوثنية ، فأعرض عن سبيلهم ، وحرم على نفسه الأكل من ذبائحهم التي يسمون عليها غير الله .

وبلغ من أريحيته للخير والنقمة من شذوذ الجاهلية أنه كان يستنقذ الموؤودات ، فاذا رأى الجاهلي يريد قتل بنت له قال له : مَهْ .. لا تقتلها . أنا أكفيك مئونتها ، ويأخذها فيربيها على الوجه الذي يرضي فاضلا مثله ، حتى اذا وافت سن الزواج عرضها على أبيها ، فاما أن يزوجها أو يدعها له فيختار لها الكفء .

وكان زيد حاد المزاج ، كما يتراءى من سلوكه ، فهو اذا أنكر أمرا لم يستطع كتمانه بل أعلن موقفه منه ، وهذا الضرب من الناس لا مندوحة له عن احتمال الأذى في سبيل أفكاره التي يؤمن بصلاحها .

لقد اعتزل زيد الأوثان ، وأبى أن يشارك في تكريمها ، ولكنه لم يكتف بذلك فراح ينعى على قومه زيغهم وضلالاتهم ، فاذا رآهم يذبحون للنصب أخذه الغضب وجعل يوبخهم بمثل قوله : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله !..

ويهزأ من ادعائهم ملة إبراهيم ، فيخطبهم ، وهو مسند ظهره الى الكعبة ، قائلا : يا معشر قريش .. والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيري ..!

وشد ما يثيره مشهد البيوت المنصوبة للدعارة ، وقد زجت فيها إماء السادة مكرهات على تعاطي البغاء ، ليجلبن المال الى هؤلاء الكبراء ، فلا يتمالك أن يهتف بالسفهاء من رواد تلك البيوت : يا معشر قريش .. إياكم والزنا فانه يورث الفقر ..

وطبيعي أن صراحة كهذه ، وان كانت مقبولة عند عامة الناس من قطان

مكة ونزلائها ، ليس من شأنها أن تقع موقع الرضى فى نفوس العلية من صناديد قريش ، الذين يرون مصلحتهم فى استمرار كل ما الفه الناس ومن هنا كان رد الفعل بوجه زيد مساويا لشدته بل أشد ، وقد نهض بكبر ذلك عمه وأخوه من أمه (١) الخطاب بن نفيل ، الذى تواطأ مع صفية بنت الحضرمى زوج زيد على زيد ، إذ قال لها : اذا رأيته قد هم بأمر فآذنينى به . فكانت تراقب تحركاته وتتابع اتصالاته مع الذين يحاول استجلابهم الى طريقته ، فيؤسفه ذلك ، ولكنه لا يزيد على أن يعاتبها وينذرها بالفراق فى مثل قوله :

لا تحبسينى فى الهـوا	ن صفىّ .. مادا بى ودابه !
انى ـ اذا خفت الهوا	ن ـ مشيَّع ذُلُل ركابه
.. وأخى ابن أمى ثم عمى(١)	لا يواتينى خطابه
واذا يعاتبنى بسو	ء قلت أعيانى جوابه
ولو ان اشاء لقلت ما	عندى مفاتحه وبابه

وفي أبياته هذه خطوط واضحة لنفسية زيد وخلقه الرفيع ، فهو عضىّ على السوء ، لا يستطيع المقام في دار هوان .. وهو شديد الألم من تصرفات عمه ، ولكنه يتحمل أذاه صابرا ، لا عجزا عن مجابهته بمثل كلامه ، ولكن ترفعا عن مقابلة الإساءة من أولى الأرحام بمثلها ..

٣ ـ ويشتد تضييق الخطاب على زيد حتى يضطره للنزوح الى حراء ، ولم يدعه هناك لنفسه بل وكل به شبابا سفهاء ، وكلفهم أن يشددوا الرقابة عليه ، فلا يدعوا له سبيلا الى مكة ، خشية أن تشيع أفكاره المثيرة بين زوارها وقطانها ، فلا يملك الا أن يشكو بثه الى ربه ، فيستعديه عمل من يستحل حرمة بيته بايقاع الأذى على عمار حرمه :

لا همّ إنى محرم لا حله
وإن بيتى وسط المحلَّه
عند الصفاليس بذى مضله

وهكذا حيل بين زيد وبيت الله ، فلا يتاح له الإلمام به إلا سرا ، على حين غفلة من رقبائه ، فاذا علموا بانسلاله لاحقوه وآذنوا به الخطاب ، الذى لا يلبث أن يصب عليه من قسوته التى اشتهر بها .

وكان ذلك حافزا لزيد على الضرب فى الارض ، فمضى على وجهه حتى أتى الشام ، وجاب كل مظنة للعلم فيها ، فاتصل بأحبار اليهود ورهبان النصارى ، يسألهم عما يفقده من الدين الحق .. فلم يظفر بما يشفى صدره ، حتى جمعه القدر براهب شامى على سعة من العلم والحكمة فقال له : أراك تريد دين إبراهيم يا أخا مكة !.. انك تطلب دينا ما يوجد اليوم ، فالحق ببلدك فان الله يبعث من قومك من يأتى بدين إبراهيم بالحنيفية ، وهو أكرم الخلق على الله .. وهناك أدرك الا دين إلا ملة ابراهيم ، وأن لا سبيل اليها عند أحد من أهل الأرض ، إلا ان يبعث الله بها نبيا جديدا يرد الناس الى طريقها الصحيح . ويروى البخارى عن طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه رضى الله عنهما أن زيدا قال يومئذ ورفع يديه : اللهم إنى أشهدك انى على دين إبراهيم .

وانقلب زيد من الشام يريد مكة رجاء أن يدرك فيها النبى الموعود .. ولكن ما كاد يتوسط ديار لخم حتى عدا عليه أسرار منهم فقتلوه ، ويتفق اكثر الرواة كصاحبى الأغانى والاصابة والذهبى فى سيره ، على أن مقتله كان فى مكان اسمه (مبقعة) أو (ميفعة) من البلقاء بأرض الشام .. وذلك قبيل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بخمس سنين .

٤ ــ وقد ترك لنا زيد بن عمرو بن نفيل هذا مقطعات من الشعر جديرة بالدراسة ، لا لأنه يتفوق بها على شعراء عهده ، ولا أنها تؤهله للانتظام فى عدادهم ، بل لما تنطوى عليه من ومضات وجدانية ، ترسم للدارس خطا واضحا من التطلع الروحى الحار الى ما وراء ذلك الواقع الجاهلى القلق ..

فى السيرة المنسوبة لابن هشام عدة مقطعات معزوة لزيد ، وأطولها مما لم يشك فى صحته تلك الرائية التى يصف بها موقفه من دين قومه ، وما يعانيه من سفهائهم ، وفيها يقول :

أربا واحدا أم الف رب ... ادين اذا تقسمت الامور !
.. عزلت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الجلد الصبور

انه يستثير ضمائر الغافلين للتفكير فى واقعهم المقلوب .. فالانسان أحوج ما يكون الى الإيمان حين تضطرب به السُبل ، وتفاجئه الأحداث ، فالى من تراه يلجأ ، وبمن يلوذ اذا كان يقينه موزعا بين مختلف الالهة ؟!. وكفى بهذه التناقضات حجة على المشركين الذين أسلموا أزمة نفوسهم للاشتات من المعبودات .. فلا عجب أن ينتهى من هذا الالزام الفطرى الى هجر هاتيك الترهات ، التى يطلقون عليها أسماء اللات والعزى وهبل ، وما اليها من أوهام ترفضها الأحلام .. ثم لا يجد راحة لقلبه إلا بعبادة الله الأحد الذى لا شريك له ولا ولد :

ولكن اعبد الرحمن ربى ... ليغفر ذنبى الرب الغفور

ولعل من أروع ما أثر عنه ، واتفق الرواة على صحة نسبه اليه ، قوله الآخر :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها ، فلما رآها استوت ... على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهى لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هى سيقت الى بلدة ... أطاعت فصبت عليها سجالا

ففى هذه الأبيات تأملات حية حارة ، تنبىء عن تجربة روحية وذهنية بعيدة الغور ، لا تتاح إلا فى الجلوات النادرة ، وللنفوس النقية الشفيفة ، التى تدرك بالنظرة الفطرية من أسرار الكون ما يلهث دونه كبار الفلاسفة إعياء وقنوطا .. ولا عجب فبالعقل يستدل صاحبه على بارىء الخليقة ، ولكنه يأبى إلا أن يتجاوز المدى الذى حدد له فيلقى بنفسه فى متاهات التخمين حول صفات ربه ، ثم يبيح لنفسه أن تتحكم فى تقرير النتائج الغيبية وفق تصوراته القاصرة ، ومؤثراته المختلفة . هذا على حين يقف المتأمل فى مواجهة الحقائق الكبرى مستروحا نفحات اليقين ، المؤيد بكل ما يقع عليه حسه ، ويلامس وجدانه من الآيات الناطقة بجلال ربه وكمالاته التى لا نهاية لها .. فلا يلبث أن ينسجم مع القوانين الكونية ، مسلما وجهه الى الحكيم الرحيم ، الذى أحسن كل شىء خلقه ، وعنا لأمره علوى الوجود وسفليه .. ومع أن المتأمل لا ينفك يعانى من الحيرة بسبب جهله الوسيلة التى تقربه الى الله ، فهو حتى فى موقفه هذا أوفر اطمئنانا من الفيلسوف ، الذى كثيرا ما يدفعه جهله لهذه الوسيلة الى إنكارها كليا !..

وهكذا رأينا زيد بن عمرو يطوف الجزيرة والشام نشدانا لدين إبراهيم ، الى أن لقى حتفه وهو فى الطريق الى مشرقه المنتظر . وقد تضافرت الروايات

عن أسماء بنت الصديق انها شهدت زيدا عند الكعبة يسجد على راحته وهو يقول : اللهم .. لو انى أعلم أى الوجوه احب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه (٢) .

ويبلغ ورقة بو نوفل ، رفيق زيد فى رحلته وراء الحقيقة ، مصرع صاحبه ، فتهيج مشاعره الآسية ، ويتذكر مزاياه العالية ، وجهاده العظيم من أجل الحق ، فلا يتمالك أن يرثيه بهذه الأبيات ، التى تفيض مودة وتقديرا ولهفة الى الغاية التى استمر زيد فى طلبها حتى اللحظة الأخيرة :

رشدت وأنعمت ـــ ابن‌عمرو ـــ وانما ... تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا (٣) ليس رب كمثله ... وتركك أوثان الطواغى كما هيا
وإدراكك الدين الذى قد طلبته ... ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها ... تُعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليل الله فيها ، ولم تكن ... من الناس جبارا ، الى النار هاويا
وقد تدرك الانسان رحمة ربه ... ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

وفى تصوير ورقة اشواق زيد وتطلعاته ، انما يصور أيضا أشواقه وأصحابه وتطلعاتهم الأثيرة . وأنا شخصيا لا استبعد أن يكون ورقة قد صاغ أبياته هذه فى رثاء صاحبه بعد اتصاله بخديجة وعلمه بمطالع الوحى ، الذى اكرم الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فآسفه أن يحرم زيد لقاء المبعوث بالدين الذى يحب ، ولكنه فى بيته الأخير يتوقع أن يؤجره الله بنيته فيكتبه بين المؤمنين برسوله ، وان لم يسعد بلقائه كما سعد هو ..

وصَدَّقَتْ إلهاماتُ ورقة ، وبرّ الله جهاد عبده زيد بما آثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنه .

يقول المحقق العلَمُ شمس الدين الذهبى فى سِيَرِه عن زيد : (وهو من اهل النجاة ، فقد شهد له النبى صلى الله عليه وسلم ـــ انه ـــ يبعث أمة وحده) .

وأخرج الامام أحمد فى مسنده عن سعيد بن زيد أنه سأل رسول الله عما اذا كان له أن يستغفر لزيد أبيه ، فقال له : (نعم .. فانه يبعث أمة وحده) .. وحده) ..

وفى أثر عن عائشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دخلت الجنة فرأيت لزيد ابن عمرو بن نفيل دوحتين ـــ جنتين ـــ) ..

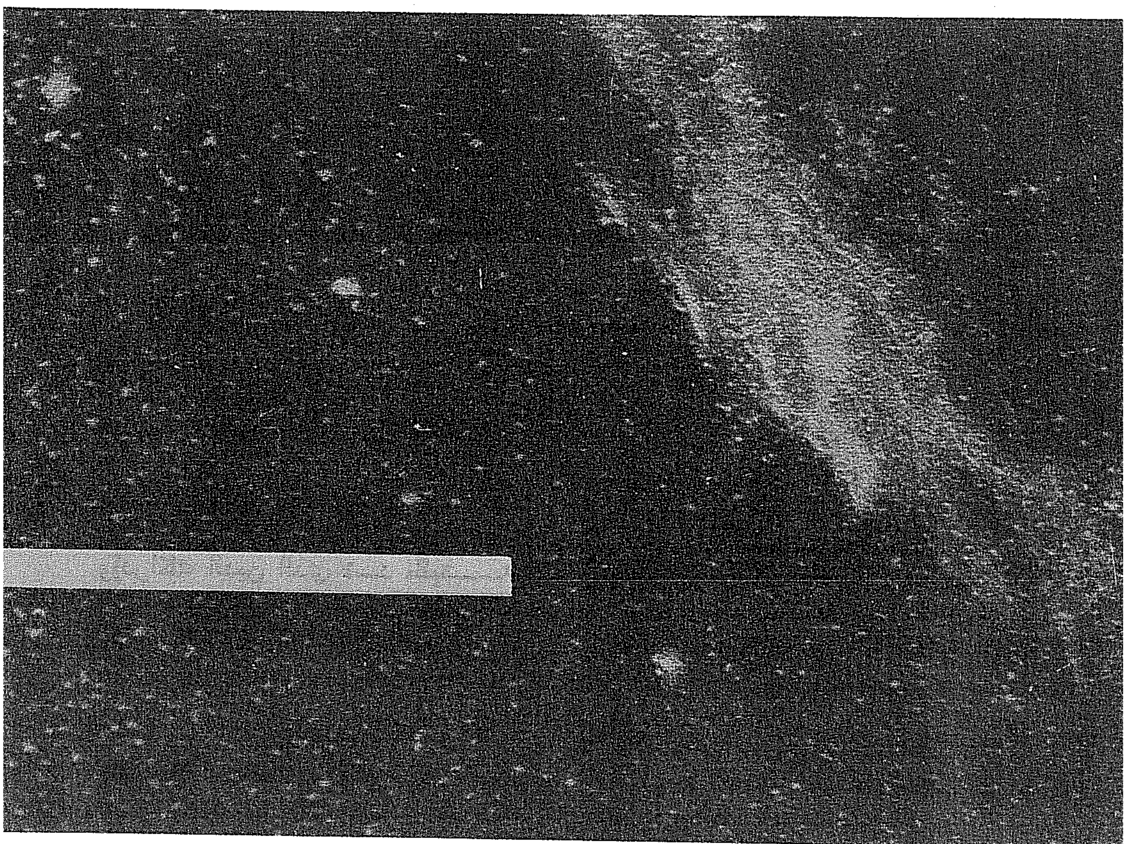
وأخيرا .. كم فى جاهلية اليوم من باحث عن الحق كزيد والحنفاء إخوانه !. ولكن . مَن لهم بأن يهديهم سبيلهم الى القائد المنقذ ، الذى كان مولده منطلق الفجر المبين ، ورسالته رحمة الله للعالمين !..

---

(١) كان الخطاب اخا زيد لأمه واخا أبيه ، اذ ان اباه عمرا تزوج أم الخطاب زوج أبيه جيداء بنت خالد بزواج الجاهلية الذى حرمه الله فى الاسلام ، فولدت له زيدا ، فكان الخطاب عمه من جهة أبيه واخاه من جهة امه .

(٢) ابن هشام جـ ١ ص ٢٢٥ وفى (سير اعلام النبلاء) جـ ١ ص ٨٧ ان قائل هذه العبارة هو ورقة ، وهو يسندها الى ابن اسحاق .. ولكنا نجد ابن هشام يروى عن أسماء انها لزيد . وهى به أشبه ، لان ورقة تنصر فملم كيف يصلى وظل زيد حائرا .

(٣) ربا مفعول به للمصدر (دين) والجار متعلق بفعل تجنبت . وقد قدمنا البيت الخامس وكان سادسا لانه بذلك اقرب الى الترتيب . م



اذا لم يواجه المسلمون مشكلات العصر بقوة متخذين من كتـــاب الله عز وجل وسنة نبيـــه صلى الله عليـــه وسلم ــ الحجة ، فلن يستمع اليهم أحـــد ، وفي هذا المقال اجتهاد يحل كثيرا من مشـــاكل عصرنا ويجيب على أسئلة الناس ، ويجعل العلم يلتقي بالايمـــان وليس في ذلك ما يمس العقيـــدة أو يهز كيانها ــ هذا ما يقـــوله الدكتور الفندي في رسالته واستجابة لهذه البواعث الاسلامية الهادفـــة ننشر هذا المقال .

تصور الناس ضمن ما تصوروا ان السموات السبع شيء لا يمكن ادراكه ولا معرفته ولا الوصول اليـــه . وتصورها الأقدمون كما تصوروا مثلا بحار الأرض والمحيط الأطلسي الذى أسموه بحر الظلمات تسكنه الاشباح وتهيم فيه الأرواح .

وقلت إننا نستمد معرفتنا عـــن طريقين هما : العلم الذى يبصرنا بما حولنا من عالم الحس أو ما يرقى الى مستوى الحس باستخـــدام الآلات وأجهزة الرصد والتتبع ، ثم الـــدين وهو يبصرنا ببعض ما في عالم ما وراء الحس أو عالم الغيب او العـــوالم الأخرى .

وقال صديقي: كيف تكون السموات مأوى الأشباح ومكان الأرواح ومثوى الموتى من عهد آدم واللـــه يأمرنا برصدها ودراستها في مثل قولـــه تعالى :

١ ــ ((**قـــل أنظروا ماذا في السموات والأرض**)) ــ يونس (١٠١) .

٢ ــ ((**ويتفكـــرون في خـــلق السموات والأرض**)) .

٣ ــ ((**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**)) ــ الأعـــراف (١٨٥) ..

قلت بل ان الأرض والسماء كانتا شيئا واحدا متصلا ثم انفصل ذلـــك الشيء الى اجرام . وهذه حقيقة فلكية مهما اختلف الرأى في طريقة الانفصال .. والله تعالى يقيم الحجة عـــلى

السموات السبع

للدكتور محمد جمال الفندى

الكافرين بمثل هذه الحقيقـــة التـــى يعرفونها فيقول :

« أو لم ير الـــذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى » . — الأنبياء (٣٠) ..

والرتق والفتق التحام ثم انفصال تنجم عنه اجرام السماء من السدم .

ويقرن القرآن السموات والأرض فى كل الآيات ، بل ويقرر فى بساطة عدم اختلاف الاجـــرام مـــن حيث تجانسها وطريقة سبحها وذلك دليل وحدانية الخالق الذى نستقيه من علم الفلك .

« الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفـــاوت فارجع البصر هل ترى من فطور .. » — الملك (٣) .

قال صديقى : فما السموات السبع يا ترى ؟ قلت : الغالب (والله أعلم) انها تحديد للنـــوع وليس للكم . وما السموات السبع التى ترتفع فـــوق رؤوسنا سوى :

١ — الغـــلاف الجوى .
٢ — الشـــهب .
٣ — النيـــازك .
٤ — القمـــر .
٥ — الكواكب السيارة .
٦ — المذنبـــات .
٧ — الشمس .

(وهى نجم متوسط القدر من نجوم السماء التى نكاد لا نحصر عددها) .

وتكون هذه الأجرام فى مجموعهـــا ما يسمى المجموعة الشمسية . ولكل منها فلك أو أفلاك ، ولكل منها سلوك ووظيفة وخواص ..

قال صديقى : وكيف يكون غـــلاف الأرض الجوى سماء ؟

قلت ورد ذكره فى القرآن فى عدة آيات ، منها قوله عز وجل :

١ — **« الله الذى يرســـل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء »** — الروم (٤٨) .

٢ — **« وارسلنا الريـــاح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين »** — الحجـــر (٢٢) ..

والسماء هنا ولا شك هى غلاف الأرض الجوى .

وأهم من ذلك كله اننا على الارض اشبه شىء بركاب سفينـــة فضـــاء سقفها هو الغلاف الهوائى ، وقـــد

امسكته الارض بقبضة جاذبيتها الكبيرة ولم تسمح له بالتسرب الى خضم الفضاء المترامى الاطراف ، بل بقى من حولها يؤدى من الوظائف والمنافع لأهل الارض مالا يعد ولا يحصى . وهذا كله لا يمكن أن يتم لمجرد الصدفة ، بل عن تدبير ومعرفة ويقين يعبر عنه القرآن فى مثل قوله تعالى :

((وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون)) ـ الأنبياء (٣٢)

والذى يدرس آيات الغلاف الهوائى عليه ان يتخصص فى دراسة الطبيعة الجوية تخصصا دقيقا ليرى ان تلك الآيات تكاد لا تحصر . فهل الذين صمموا لنا اسقف سفن الفضاء استطاعوا أن يجعلوا لها العديد من الفوائد أم قصروا أمرها على عدد مجمل ومحدد من الوظائف ؟

مثل حماية ركاب السفينة من أهوال الفضاء ممثلة فى الأشعة الكونية والشهب . أما النيازك فهى لا تزال أخطر ما يكون على سفن الفضاء اذ تدمرها تدميرا .

وقال صديقى : وهل هذا كله يروق رجال الدين . أو يتمشى مع ما يقوله بعضهم ؟

قلت : نعم فقد آن الأوان لندخل تلك الآفاق الواسعة التى فتحها امامنا عصر العلم فى التعليق على آيات الذكر الحكيم المتصلة بعلوم الكون ولا نقف جامدين عند حد ما أدعاه الاقدمون .

وان أغلب العلماء اليوم يؤمنون بوجود اله قوى مدبر خالق ، ولكنهم لا يؤمنون بان هذا الاله هو نفسه الذى انزل القرآن لعدم فهمهم لآيات الذكر الحكيم بالطريقة التى تشفى غليلهم وتغذى عقولهم ، اعنى بالطريقة العلمية السليمة . ولم يعد الايمان مجرد تصديق وتسليم بل هو يقوم على الاقناع والحجة فى هذا العصر ، ولهذا ننادى بضرورة التعليق العلمى غير محملين الآيات مالا طاقة لها به .

أما الذين ينادون بعكس ما ننادى به ويتهموننا باطلا انما يؤثرون الجمود على الحركة ويحرمون القرآن من ميزة كونه معجزة خالدة لا يقف أعجازه عند عصر معين ولا يحد بثقافة بالذات . وربما كان لهم عذرهم فى أنهم لا يعرفون العلوم . ومعنى الحقيقة العلمية ، ولا يفرقون بينها وبين النظرية العلمية . وقد شرحنا كل ذلك على صفحات الوعى الاسلامى .

أما الذين يحملون الآيات ما لا طاقة لها به أو ينادون بالوقوف عند حد ما وعاه الاقدمون فهؤلاء هم الذين يؤثرون الغموض ويحبذون الجمود .

وأنا عندما اقول مثلا أن السموات السبع اسم للنوع انما التزم بما نراه ونرصده فى كتاب الله المنظور وأعنى به الكون . وليست هذه نظرية بل حقيقة علمية . فمن منا يستطيع فى ظل تعريف السماء لغة بأنها كل ما علانا وارتفع فوق رؤوسنا ان لا يقول ان الهواء سماء وان الشهب سماء ؟!

نعم ان ما نراه من الشهب المنقضة هو مجرد ما انحرف منها عن مساره الكونى تحت قوة جذب الارض ودخل جوها العلوى فاحترق من شدة الاحتكاك مع الهواء بحيث لا تكاد تصل الى ارتفاع نحو ١٠٠ كيلو مترا حتى تكون قد تحولت الى رماد .

وتتحرك الشهب بسرعات فلكية بطبيعة الحال متوسطها نحو ٤٠ كيلو مترا فى الثانية وهى تسبح فى اسراب من حول الشمس ، شأنها فى ذلك شأن المذنبات والكواكب .

وفى الحقيقة ان لفظ كوكب يشمل كل الاجرام حتى الشمس يقال لها كوكب . ولم يذكر القرآن الكريم شيئا عن السماء الأولى أو السماء الثانية أو الثالثة ... كما نسمع

أحيانا ... وان السماء الأولى فيها آدم عليه السلام والثانية فيها كذا ..

ولكن القرآن تحدث فقط عن السماء الدنيا أى القريبة منا وانها تزينها الكواكب وقد فهمنا مدلولها لأننا لا نرى أفراد مجموعات الشموس الأخرى نظرا لبعدها الكبير عنا . فأقرب مجموعة الينا هى مجموعة قنطورس وهى تبعد عنا بما يزيد على اربع سنوات ضوئية .

أما مجموعتنا الشمسية فاننا نستطيع أن نرى كواكبها أو اغلب كواكبها وعلى راسها الزهرة التى عرفها الاقدمون باسم (نجمة الفجر) أو (نجمة الصباح) ، و (نجمة المساء) .

والزهرة المع اجرام السماء بعد القمر والشمس ، ويمكن رؤيتها احيانا وسط النهار . وهى أحيانا تكون اول جرم نراه عقب الغروب لامعا فنسميه نجمة المساء ، كما تبقى فى الصباح واضحة فى كبد السماء . ولعلها هى المقصودة فى قوله تعالى :

« والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب » .

القبعة الزرقاء :

طالما ظن الناس فى الماضى أن القبة الزرقاء بناء متماسك كالسقف من حول الأرض التى اعتبروها مركز الكون . وأضافت بعض العقائد أنه من فوق السماء يجلس الذين يدبرون أمور الأرض وما عليها ! ولم تتغير تلك النظرة كثيرا حتى عصر النهضة حيث كانت قد استحوذت الفلسفة الاغريقية على عقول الناس ولم يفكر أحد فى مخالفة أرسطو فيما ذهب اليه حتى ثبت بالرصد والتتبع فى أوائل عصر النهضة أن الأرض ليست هى مركز الكون ولا حتى مركز المجموعة الشمسية .

وعز ذلك على أهل الأرض فنادوا [illegible]

الوجود . ولكن اثبت حساب الاحتمال الرياضى فى هذا العصر أن مجرتنا وحدها (أو الطريق اللبنى أو الطريق التبانه كما يسميه العرب) فيها ما لا يقل عن ٢ مليون كوكب مسكون على غرار الارض ، واننا كلما اقتربنا من مركز المجرة كلما كانت تلك الكواكب أقدم من الأرض ، ومن ثم فان حضاراتها أعرق واكثر تقدما . وهكذا مرة أخرى يخيب الظن ويتبين الانسان انه مجرد كائن صغير مفكر على كوكب عادى من بين ملايين الكواكب الاخرى الآهلة بالسكان .

وتتعدد المجرات فى خضم الفضاء الكونى الفسيح ولا نكاد نعرف لها عددا . وهكذا تتعدد مجموعات الكواكب المسكونة فى الكون بحيث يعجز العقل عن وصفها أو تحديدها .

ونحن نجد الاشارة لذلك فى مثل قوله تعالى فى سورة الفرقان آية (٧٧) :

١ ـ **« قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم » .**

٢ ـ **« يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن »**

ـ الرحمن (٢٩) .

٣ ـ **« ... تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن »**

ـ الاسراء (٤٤) .

والتسبيح التنزيه بعدم الخروج عن الناموس أو بالطاعة حسب الحال . وكلمة فيهن انما تفيد تماثل بعض أرجاء السماء والأرض بسكنى للاحياء حيثما توفرت البيئة الطبيعية الملائمة والقسط الحرارى المناسب ، والماء الوفير ، كما هو الحال على الأرض .

والغالب أن الذين تعرضوا لتفسير قول الله تعالى فى سورة الرعد (٢) :

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » .

لم يدركوا أول الأمر أن هذا ينطبق على :

أ ـ غلاف الأرض الجوى الممتد أو [illegible]

فوق سطحها . والسر فى رفعه هـذا هو أن للغازات (ومنها الهواء) صفة الانتشار لتملأ الفراغ المعرض لها . وعلى هذا النحو ينتشر الهـواء فوق الأرض محاولا التسرب الى خضـم الفضـاء الفسيح تبعا للصـفة التى اكسبه الله اياها وهى صفة الانتشار إلا أن جاذبية الأرض تحول بينه وبين ذلك وتمسـكه وتشـده الى الأرض وبذلك تبقى عليه من غير أن يتسرب الى الفضاء كما حدث على القمر مثلا حيث لا تكفى الجاذبية هناك لمعـادلة قوى انتشار الغازات. وهكذا أمسكت الأرض سقفها .

((وجعلنا السماء سقفا محفوظـا وهـم عن آياتهـا معرضـون)) ـ الأنبياء (٣٢) .

ولكن القبة الزرقاء كما سنبين هى مجرد ظاهرة ضوئية تحدث فى غلاف الأرض الجوى ولا وجود لها كجسـم صلب أو جسد مادى كما قد تبـادر الى الأذهان .

ب ـ سائر الأجرام التى تسبح من حول الشمس وتتعـادل معها قوى الجاذبية المتبادلة بينها وبين الشمس وقوى الطرد المركزية الناجمـة عن حركة الدوران . عندما تقترب الأرض من مسارات بعض تلك الاجرام مثـل النيازك أو الشهب يهوى بعضها الى الأرض متأثرا بجاذبيتها .

ولكن من رحمة الله بنا أن جعـل الغـلاف الهوائى حاميـا لنا يفتت النيازك أو يحرق الشهب فى مشارفه العليا فلا تصل الينا الا فيما ندر . وفى هذا المعنى الرائع يقول القرآن فى إعجاز أخـاذ فى سورة الحـج الآية (٦٥) :

((.. ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا باذنه ان اللـه بالنـاس لرؤوف رحيم))

وظاهر من الآية الكريمة أن السماء تقع على الأرض باذن الله .

والآن ما هى القبة الزرقاء ؟

تعانى أشعة الشمس المكونة من الوان الطيف المعروفة (وهى الأحمر فالبرتقـالى ، فالأصفر ، فالأخضر ، فالأزرق ، فالبنى ، فالبنفسـجى) ظاهرة التناثر فى جو الأرض ، وذلك بواسطة جزئيات الهواء ونقط المـاء العالقة فى الطبقات السطحية وكذلك الأتربة . ولا ترسل الشمس هـذه الالوان بكميات متساوية القدر ولكنها ترسل أكبر مقادير من اللون الأزرق .

والمعروف فى علم الطبيعة أن كمية الضوء المتناثر انما تتناسب عكسـيا مع الأس الرابع لطول الموجة المتناثرة أى تزداد بازدياد قصر طول الموجة .

ولـما كان اللـون الأزرق من أقصـر الموجات التى ترسلها الشمس وهـو فى نفس الوقت أغزرهـا قـدرا فى الحزمة الشـمسية ، لهذا كله فان الغلاف الجوى سريعا ما يكتسب اللون الأزرق ويصير على هيئة قبة زرقاء من الضوء المتشتت .

وعندما يمر الضوء خلال الطبقات السطحية من غلاف الأرض الجـوى (عند شروق الشمس وعند غروبها) تلعب الأتربة دورها وكذلك نقط الماء العالقة فى السحب وتعمل على تناثر الأشعة ذات الموجات الطويلة مثـل الحمراء أو الصفراء . وعلى هـذا النحـو يظهـر الأفق بتلك الألـوان المعروفة باسم الغسق أو الشفق وهى الألوان التى طالما تغنى بها الشعراء ولا علة لها سوى تلوث طبقات الهواء السطحية بالأتربة الدقيقة العالقـة فيه أو السحب الرقيقة السابحة فيه .

وعندما يرتفع الناس وسط النهـار بالصواريخ فوق هذه القبة ، أى فوق معظم الغلاف الهوائى تظلم الدنيا من جديد وتظهر نجوم السماء ولكن نظرا لأن الأشعة لا تضىء الا اذا تناثرت فى وسط شفاف كالهواء فان الفضاء يبدو مظلما باستثناء ما قد تحـدثه تجمعات الكهارب فى الماجنيتوسفير .

تحليل الدعوة في عصرها المكي

للدكتور : عماد الدين خليل

ليس بامكان اى مؤرخ أن يحدد الأبعاد الكاملة لطبيعة اللقـــاء الأول ، وما تلاه من لقاءات بين الوحى الكريم وبين محمد صلى الله عليه وسلم .. وكل ما ذكرته الروايات ، اعتمادا على رؤية الرسول وهو يتلقى الوحى ، أو احاديثه القصيرة الموجزة بهذا الصدد ، لا يعدو أن يكون (وصفا) خارجيا للتجربة التى تمخض عنها البناء القرآنى المعجز .. وما دام الأمر فى امتداده وغيابه يند عن المشاهدة المباشرة والفحص التجريبى باعتباره أمرا (غيبيا) ، فليس من السهل أن نخوض فيه ، كما انه ليس من السهل أن نخوض فى أى من الأمور الغيبية التى لم يتح لأجهزتنا الحسية والعقلية التعامل معها والاحاطة بأبعادها علما . وكل المحاولات الشرقية والغربية التى جهدت من أجل تحليل تجربة (الوحى) تحليلا يخضعها فى نهاية الامر للمعرفة البشرية المحدودة ، وقعت فى الخطأ من حيث انها اعتمدت الظن والتخمين فى مسألة من أخطر المسائل الغيبية .. واهم من ذلك هو ما تمخض عنه هذاالاسلوب الالهى فى تعليم البشرية والذى يعد من المصادر اليقينية للمعرفة .. فالقرآن — إذن — والحركة الاسلامية التى رافقته على خط متواز صاعد ، هما اللذان يجب أن ينصب عليهما البحث والتحليل ومحاولة الاحاطة من اجل أن تكون المحاولة جادة وليست ضربا فى غير هدف !

لقد تنزل الوحى على الرسول صلى الله عليه وسلم فى أعقاب فترة زمنية

طويلة ، جاوزت الأربعين عاما ، كانت الارادة الالهية تهيىء فيها — كما رأينا — المهدات البيئية والوراثية لتكوين (الشخصية) التى سيلقى على عاتقها حمل مسؤولية الرسالة الصعبة .. واعقب ذلك تمهيد نفسى وذهنى (مباشر) تمثل بتلك الأسابيع الطوال من العزلة والتأمل والتحنث فى غار حراء ، انشقاقا على الأعراف والممارسات الجاهلية واندماجا فى الكون على مداه وبحثا عن (العلة الكافية) لخلقه على هذه الصورة من الدقة والتنسيق والتماسك والنظام ، وسعيا وراء (الشريعة) التى تعيد الانسان الى الانسجام مع النواميس التى تتحرك بموجبها السموات والارض ..

وما لبث الوحى الأمين أن جاء ، فى اللحظة المناسبة والمكان المناسب اللذين اختارتهما العناية الالهية لارسال محمد الى الناس كافة .. محمد الذى لم يكن يعرف ، حتى هذه اللحظة ، المصير الذى ينتظره ، والدور الذى سيكلف بأدائه إزاء الناس والعالم . ومن ثم جاءت (هزة) الوحى مفاجأة مذهلة لهذا الرجل المنعزل فى الغار بعيدا عن الناس .. رافقتها واعقبها رعب وقلق وشك واضطراب وتمزق نفسى وحمى قاسية جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يغادر المكان فى أعقاب كل لقاء وهو يرتجف خوفا واشفاقا ، من اجل أن يلجأ الى سنده العاطفى الأول والأخير متمثلا بزوجته السيدة خديجة التى كانت عند حسن الظن دوما .. وما أن اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم الى صدق رسالته فى أعقاب تأكيدات خديجة وابن عمها ورقة بن نوفل ، وإثر تكرر نزول الوحي عليه ، حتى بدأ — بأمر من هذا الوحى — بالعمل .. كان عليه أن يدع مرحلة (العزلة) والانقطاع ، وأن يمزق دثار الخوف والقلق والشك .. وأن ينطلق ليبدأ أولى اتصالاته من اجل بناء الحلقات الاولى من الدعاة ، أولئك الذين كتب عليهم أن يتحملوا شرف الانضواء الى أول قاعدة بشرية للدعوة الاسلامية فى تاريخها الطويل ..

واذا كانت الدعوة الجديدة تتحرك تحت شعار (لا إله إلا الله) بكل أبعاده الشاملة وآفاقه الرحبة ، فقد كانت تمثل رفضا حاسما على كل القيم الجاهلية ، وانقلابا جذريا على مواضعات العصر وممارساته ومطامحه القريبة العاجلة .. وكان ارتطامها بمراكز السلطة والنفوذ والتوجيه فى مجتمع كهذا أمرا محتما .. ومن ثم كان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجتاز مرحلة من (العمل السرى) ، غير المعلن ، من اجل أن يرسى دعائم حركته ويضم اليها اوثق العناصر واعمقها إيمانا ، ويسعى خلال ذلك الى مزيد من توثيق هذا الايمان وتعميقه فى نفوس الدعاة .. فعليهم ستقع المسؤولية ، وعلى مدى مقدرتهم على التحمل سيقوم البناء .. ولقد بدأ الرسول اتصالاته باقرب الناس اليه ، من أجل مزيد من السرية والكتمان : الزوجة والصديق وابن العم والابن (المتبنى) .. ثم انطلق بعد ذلك فى توسيع نطاق الدعوة ، يعضده ساعده الأيمن أبو بكر الصديق رضى الله عنه .. وما لبثت اللبنات أن ازدادت عددا ، والبناء ارتفاعا ، والأسس عمقا ورسوخا ..

استمر العمل السرى ثلاث أو أربع سنوات ، على خلاف فى الروايات ، والدعوة خلاله تسير ببطء شديد رغبة فى التركيز والاختيار البصير بالعناصر الاكثر جدارة وكفاءة ومقدرة على تحمل مسؤولية الإيمان ..

وكان القرآن الكريم ينزل خلال ذلك مؤكدا على قضية واحدة وأمر واحد ، لم يتجاوزه الى (المسائل) الاخرى الا قليلا ، تلك هى قضية (العقيدة) التى

راح القرآن يحبك بأسلوبه المعجز وآياته البينات جوانبها الشاملة وبنـــاءها المتشابك فى نفوس أتباعه وعقولهم وضمائرهم ، ويحيلهم واحدا بعد آخر ، ويوما بعد يوم الى شخوص حية تتحرك بالقرآن ، فتكون حركتها تعبيرا حيويا واقعيا عن التصور الجديد الذى طرحه القرآن ، والذى جاء لينعكس بالضرورة على السلوك اليومى للانسان المسلم .. وكلما تقدم الزمن بالدعوة الاسلامية وتنزلت الآيات البينات لبنـــاء العقيدة كلما نمت قواعد الدعوة الاســـلامية وازدادت (تمثلا) لهذه الآيات ، الامر الذى جعلها تنمو بشكل مواز تماما لنمو البناء العقيدى الذى يطرحه القرآن ذاته لكى يحرك به (واقع) النفس البشرية ويتعامل معها تعاملا حركيا يرفض منطق الجدل واللاهوت والنظريات .

ولقد مرت هذه السنين الطويلة من مرحلة العمل السرى ولم يتجاوز عدد الدعاة خلالها ــ كما رأينا ــ الخمسين رجلا وامرأة ، وهو عدد قليل جدا اذا ما قورن بهذا الامتداد الزمنى الطويل .. إلا أن التركيز والعمق الذى يتميز به كل واحد من هؤلاء ، جعل المنتمين الى الاسلام قادرين ، بعد قليل ، على تحمل الضغوط الوثنية القاسية التى ستصب عليهم من أجل فتنهم عن دينهم : تعذيبا واضطهادا وقتلا ونفيا وسخرية وقطيعة واحتقارا .. وعلى تجاوز (المحنة) السوداء وهم أصلب عودا وأعمق ثقة وأشد إيمـــانا .. وفى جوارهم آيات القرآن تشد أزرهم وتعمق يقينهم الجديد .. والرسول صلى الله عليه وسلم يقودهم من ساحة الى ساحة صوب مشارف الفوز والانتصار . ولا ريب أن اعتماد المقاييس المادية ــ كما فعل عدد من المستشرقين أمثال كريمر وجرمه وغيرهما ــ لفحص الدوافع التى قادت المسلمين للانتماء الى الدين الجديد أو الى أية عقيدة أو دين ، أمر يرفضه واقع (التجربة) فى أبعادها الشـــاملة الرهيبة ، فلم يكن البحث عن (الحق) ، والتشبث فى الانتماء اليه ، أمر معدة تبحث عن طعامها وجسد يرنو الى الاشباع ، بقدر ما هى مسألة نفسية متكاملة يلعب فيها الظمأ الروحى واليقين الفكرى والقناعة الذاتية دورها الأول والأخير ، بحيث أن سائر الامور الاخرى الحسية والجسدية تجىء ثانوية بالنسبة لهذه العوامل الأساسية ..

هذا على المستوى النفسى ، أما على المستوى التاريخى ، فان هذا المقياس (المادى) الذى أخذ يشيع فى العقود الأخيرة ، كإسقاط معاصر على الوقائع التاريخية الماضية ، سرعان ما يتهافت بمجرد القـــاء نظرة متأنية على قوائم المسلمين الأول الذين كان أكثرهم ــ كما يقول صالح العلى ــ من التجار ورجال الطبقة الوسطى ، وممن كانت لهم عشائر تحميهم وتدافع عنهم . بل حتى وجود الحلفاء والمستضعفين فى الاسلام ، لا ينهض دليلا على صحة هذا الرأى ، إذ أن هؤلاء نالوا كثيرا من الاضطهاد بسبب عقائدهم ، ومنوا بكثير من الآمال اذا تركوه ، فرفضوا وأصروا على التمسك بالدين الجديد ، مما يدل على أن دافع العقيدة هو الذى كان يدفعهم الى اعتناق الاسلام . والواقع أن الروايات أشارت صراحة الى دوافع بعضهم ، فعثمان بن مظعون كان من قبل ظهور الاسلام من الباحثين عن الدين ، وسعيد بن زيد بن عمرو هو ابن الرجل الذى كان حنيفيا يبحث عن دين ابراهيم ، وخالد بن سعيد بن العاص اعتنق الاسلام لأنه رأى نفسه فى المنام على حافة هاوية من النار يدفعه اليها أبوه ، ويدفعه عنهـــا رجل آخر لينقذه منها . ويمكن تفسير ذلك بانشغال عقله الباطن فى الأمور الدينية واعتناقه الاسلام لاعتقاده بأن فيه المنجى والمخلص . أما عمر بن الخطاب

الذى اسلم بعد هذه الفترة فقد اسلم لتأثره من سماع آيات القرآن ومن رؤية اخته تتأذى(١) .

ترى ؟ كم من المسلمين قادتهم الى الاسلام ، تلك الهزة الوجدانية ، التى احدثتها آيات القرآن الكريم الســـاحرة المعجزة وهى تتلى عليهم ، فتغسل ضمائرهم وتزيل رين قلوبهم وتعيـــد تألق الذكاء الى عقولهم ، ونور اليقين الى بصائرهم وافئدتهم ؟ وهل بعد هذه (الهزة) الشاملة التى تنقل الانسان من حال الى حال تفكير (منفعى) محدود فى أمعاء تمتلىء طعاما ، وجيوب تفيض فضة وذهبا ؟!! ما الذى دفع عثمان بن عفان ، وهو فى قمة قريش غنى ومكانة وايمانا ومحبة وجاها ، الى أن يتمرد على جاهليته ويقف ، فى لحظات الدعوة الاولى ، الصعبة الغامضة ، الخطيرة ، بمواجهة قومه وعشيرته ، رافضا الغنى والمكانة والجاه والمحبة ، مختارا بدلا منها الفقر والاحتقار والزراية والخوف والكراهية ؟ حتى انه ليستهين بسياط عمه وهى تنزل على ظهره من أجل أن يعود ثانية الى حظيرة الآباء والأجداد ؟ وما الذى دفع أبا بكر — وعشرات غيره — الى أن ينفقوا من أموالهم الخاصة التى سهروا وكدحوا على جمعها وتنميتها ، ينفقونها حتى آخر درهم ، حتى أن الرسول ليسأل رفيقه الصدّيق : وما الذى أبقيت لعيالك يا أبا بكر ؟ فيكون جوابه : ابقيت لهم الله ورسوله !! وما الذى دفع سعد بن أبى وقاص ، الغنى المدلل ، أن يرفض توسلات أمه ، وقد أوثقته رباطا ، من أجل أن يرتد عن دينه ، حتى ليسلمها الهم من عناء ذلك الى المرض فما يكون جوابه إلا أن يقول للأم التى هى أعز الأحبة على قلوب الأبناء : والله يا أم لو رأيتك تموتين مائة مرة ثم تعودين ثانية الى الحياة ما ردّنى ذلك عن دينى !! وغير عثمان وأبى بكر وسعد كثيرون !!

لقد انتمى الى الاسلام — كما يقول مونتغمرى وات — شباب من افضل العائلات ، خالد بن سعيد أفضل ممثل لهذه الفئة ، ولكن هنالك آخرون غيره ، وكانوا ينحدرون من أقوى العائلات وأشهر القبائل ، تربطهم روابط متينة بالرجال الذين يملكون السلطة فى مكة ، وكانوا فى مقدمة أعداء محمد . ومن المهم أن نشير الى انه وجد فى معركة بدر امثلة على الاخوة والآباء والأبناء والعم وابن الأخ الذين كانوا يقاتلون فى صفوف كلا الحزبين .. ويمضى (وات) الى القول بأن أهم فكرة نستخرجها من هذا (الفرض عن المسلمين الأول) هو أن الاسلام الفتى كان فى الأساس حركة شباب . إذ أن معظم الذين تعرف أعمــارهم لم يتجاوزوا الأربعين عند الهجرة — وبعضهم كانوا أصغر كثيرا — وكثير منهم كانوا قد اعتنقوا الاسلام منذ ثمانى سنوات . ولم يكن الاسلام ، من جهة ثانية ، حركة رجال من طبقة مستضعفة من حثالة الناس أو من طفيلية صعاليك حطوا رحالهم فى مكة . ولم يستمد الاسلام قوته من رجال الدرجة الســـفلى فى السلّم الاجتماعى بل من اولئك الذين كانوا فى الوسط(٢) ثم ما يلبث (وات) أن يقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه معظم الغربيين الذين يجدون أنفســهم ملزمين بتطبيق مقاييسهم الخاصة على تاريخنا ..

والى أى دين كان ينتمى هؤلاء الشباب المترفون الاغنياء ومتوسطو الحال ، الذين ينتمون الى أشهر القبائل المكية وأعلاها سلطة ومكانة ؟ الى الدين الذى كانت حملات كتابه الكريم تتنزل منذ بداياتها الأولى « العلق ، القلم وغيرهما »(٣) صواعق على رؤوس الاغنياء والزعماء تلك الآيات التى « .. ندّدت بالأغنياء الذين يقبضون أيديهم عن مساعدة الطبقات المعوزة وحثت على الانفاق كثيرا ، كما

أنها حاربت الزعامة الطاغية الباغية المعتزة بالقوة والمتكبرة عن الحق »(٤) وهكذا تبدو طبيعة الدعوة الاسلامية منذ بدئها عظيمة رائعة فى حدبها على هذه الطبقة التى تتألف منها عادة أكثرية الجماهير ، وتحريرها ورفع مستواها(٥) .

ولن تتكامل الصورة إلا بأن نتجاوز ، فى تحليلنا هذا ، مرحلة الدعوة السرية الى المرحلة المكية عامة لنرى فى الجهة المقابلة الدوافع الحقيقية التى قادت المشركين وزعماءهم الى مقاومة الدعوة ، وهى دوافع لا تنصب على الجانب المادى فحسب ، بل تمتد الى كل مساحات التصور والشعور والحياة الجاهلية ، وان كان للجانب (المادى) أهمية كبيرة بين هذه الدوافع إلا انه لا يمكن أن يغطى المساحة كلها ويحجب الدوافع الاخرى ، الدينية والنفسية والسياسية والثقافية عن أعين الباحثين . ذلك « أن مقاومة المشركين للاسلام ، رغم الجمود الظاهر لديانتهم يمكن تعليله بأن دينهم ، وان لم يكن يلعب دورا كبيرا ظاهرا فى حياتهم اليومية ، إلا أنه كان متغلغلا فى نفوسهم ومتعمقا فى اللاشعور فيهم ، فهم يعيشون فيه دون أن يفهموه أو يدركوه . كما أنه لطول أمد استقراره لم تكن هناك حاجة للتحدث به أو الدفاع عنه . ولكن الاسلام بنقده لدينهم كان تحديه موجها لا الى عقائدهم فحسب بل الى ذاتيتهم والى كيانهم الروحي ، فاندفعوا يدافعون عنه بقوة . ومما زاد فى قوة هذه المقاومة ، روح المحافظة التى تتجلى عند البدو بصورة خاصة . وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تبين أثر روح المحافظة فى المقاومة غير المفكرة التى واجهوا الاسلام بها [وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا : ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم](٦) . ومما زاد فى عنف مقاومتهم أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للوحدانية كانت جديدة عليهم ، فلم يكن قد أتاهم من قبله رسول »(٧) .

ولا ريب أن هذا الدافع اللاشعورى ، هو الذى يفسر لنا إصرار زعماء (الشرك) خلال تعذيبهم للمسلمين ، وضغوطهم ضد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعوا سب آلهتهم وشتم آبائهم وأجدادهم وهو الأمر الذى كان يتكرر كثيرا فى ميدان العلاقات الوثنية الاسلامية ، كما يفسر لنا تشبث رجل عاقل كأبى طالب بدينه الوثنى ، رغم حمايته المعروفة لابن أخيه ، بحجة أن هذا التغيير لا يليق برجل كبير موقر مثله .. فتغيير دين الآباء والأجداد (عار) لا يلائم كبار رجالات مكة وشيوخها ، أولئك الذين كان يقود خطاهم إحساس (رجعى) متأصل فى نفوسهم ، تعبر عنه الآية الكريمة : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .. وغيرها كثير ..

ولعل من أسباب المقاومة كذلك ـ يقول دروزة ـ ما كان للزعامة الوثنية من دور خطير فى المجتمع العربى حيث كان الزعماء ـ وخاصة الزعماء الأغنياء ـ يتمتعون بنفوذ السيادة .. ومنها ما كان من رسوخ عصبية التقاليد فى المجتمع العربى ، وما استهدفته الدعوة من هدم كثير من تقاليد العرب الاصلية والفرعية ، أو تعديلها : كالشرك على أنواعه ، والاستشفاع بالملائكة ، وما شاب الشرك من وثنية مادية ، وكالعصبية الاجتماعية الضيقة وما كانت تتشدد فيه من حزبيات عائلية وقبلية(٨) وشؤون القيامة والمرأة والرقيق والتحريم والتحليل فى كثير من الامور .. وخوف الزعامة القرشية وأغنياء مكة معا على ما كان لهم ولمكة من مركز ومنافع أدبية ومادية عظيمة ، بسبب وجود بيت الله فى مكة وسدانتهم له ..

ثم هناك ما أثاره فيهم الانذار بالبعث والقيامة ، والوصف المسهب للحياة

الاخروية ، الوارد فى القرآن من عجب واستغراب ، لاسيما أن هذا لم يكن مما هو معروف بهذه الصراحة والاسهاب عند الأمم الكتابية التى كان لها أثر فى افكار العرب ومعارفهم .. ولعل فى تجريد الاغنياء والأقوياء من أسباب قوتهم ومكانتهم ، وتحقيرهم الدائم إثارة للسواد على الزعماء وتحريضا على عصيانهم فيما يأمرونهم به من عدم الاستجابة الى الدعوة .. وقد كانت طبيعة النبى البشر ، من أسباب المقاومة كذلك .. إذ كان العرب يتخيلون أن النبى لا بد ان يكون ذا قوى خارقة يفترق بها عن طبائع البشر ويستطيع أن يفعل ما لا يفعله سائر الناس من خوارق المشاهد .. فلما رأوه مثلهم يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ، وسمعوه يعلن بلسان القرآن أنه بشر مثلهم .. جحدوا نبوته وكذّبوا صلته بالله ، ونعتوه بالمجنون والشاعر أو الساحر أو الكاهن(٩) .

ونمضى فى اسباب تفحص المقاومة الوثنية للدعوة ، فنجد (وات) يحدثنا عن مجموعة أخرى من الاسباب ، مؤكدا فى الوقت نفسه دور الاسباب التى سبق ذكرها : « ان السبب الأساسي فى المعارضة كان بدون شك ، أن زعماء قريش وجدوا أن إيمان محمد بأنه نبى ستكون له نتائج سياسية . وكانت السمة العربية القديمة تقول : إن الرئاسة فى القبيلة يجب أن تكون من نصيب أكثر الرجال حظا من الحكمة والحذر والعقل ، فلو أن اهالى مكة اخذوا يؤمنون بانذار محمد ووعيده ، وجعلوا يستفسرون عن الطريقة التى يجب أن تدار بها شؤونهم ، فمن ذا الذى يحق له نصحهم غير محمد نفسه » ؟

ويمضى (وات) الى القول بأن زعماء مكة كانوا من بُعد النظر بحيث اقروا بالتناقض بين تعاليم القرآن الأخلاقية ورأس المال التجارى الذى كان عماد حياتهم .. كما كان العرب بطبيعتهم ، أو حسب تربيتهم محافظين .. ويقول الزهرى بأن سبب المعارضة ، بالاضافة الى مهاجمة الاصنام ، القول بأن مصير اجدادهم النار . ويرتبط احترام الأجداد هذا ارتباطا وثيقا بتقديس العادات والتقاليد القديمة . وبينما كان بعض المعارضين ذوى نزعة فردية قوية، فقد كان أكثرهم محافظة يعترف ببعض الولاء للجماعة ، فكانوا يرون اذن فى نزعة الاسلام لإحداث انقسامات حادة فى العائلة دليلا آخر على أن التخلى عن الطريق الذى سلكه الأجداد يؤدى الى نتائج وخيمة ، وربما بدا لهم ذلك جديرا بتهديم المجتمع بأكمله ، وكان هذا ما يحدث فعلا .. وما يلبث (وات) أن يخلص الى القول بأن أسباب معارضة الاسلام — إذا وضعنا جانبا كل مصلحة شخصية — كانت الخوف من نتائجه السياسية والاقتصادية والنزعة المحافظة الصرفة ، وكانت المشكلة التى جابهها محمد لها جوانب اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية ، غير ان رسالته كانت فى الأساس دينية بحيث أنها حاولت علاج الاسباب الدينية الكامنة لهذه المشكلة ولكنها انتهت لمعالجة الجوانب الاخرى ولهذا اتخذت المعارضة أشكالا مختلفة(١٠) .

إن شعار (لا إله الا الله) الذى أمر محمد صلى الله عليه وسلم برفعه فى وجه الجاهلية ،جاء انقلابا شاملا على كل المستويات الدينية والاجتماعية والفكرية والنفسية والاخلاقية والسياسية والسلوكية ، إذ هو شعار واضح بضرورة رد الأمر كله الى الله (الحاكم) و (المشرّع) وتجريد الانسان فردا وجماعة ، من الخضوع لمقاييسه الجزئية القاصرة ، واتباع (الهوى) و (الظن) فى كل صغيرة وكبيرة .

ولقد رأينا خلال عرضنا للطور العلنى للدعوة أن جلّ كلمات القرشيين ومرتكزات حوارهم مع أبى طالب أو مع محمد صلى الله عليه وسلم نفسه ، من

أجل اقناعه بالعدول عن دعوته ، ما كانت لتنصب على الدفاع عن مصـــالحهم المادية ، بقدر تشبثها بمعتقداتهم وقيمهم ، كما نلمح من خلالها ادراكهم الكامل لأبعاد عبارة (لا إله إلا الله) وخطورتها الشاملة إزاء وجودهم الجاهلي كله .
ويمكن أن نذكر هنا ــ على سبيل المثال ــ رواية ابن سعد التى تقول إن وفدا من زعماء قريش قدموا الى أبى طالب ليلتمسوا اليه أن يكف ابن أخيـــه فاستدعاه وقال له : « يا ابن أخى ، هؤلاء عمومتك واشراف قومك وقد أرادوا أن ينصفوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا أسمع !! قالوا : تدعنا وآلهتنا وندعك والهك ، قال أبو طالب : قد أنصفك القوم فاقبل منهم . فقال رسول الله : أرأيتم إن أعطيتكم هذا ، هل انتم معطى كلمة إن أنتم تكلمتم بها ملكتم بها العرب ، ودانت لكم العجم ؟ فقال أبو جهل : إن هذه كلمة مريحة ، نعم وابيك ، لنقولنها وعشر امثالها !! فقال الرسول : قولوا (لا إله إلا الله) !! فاشمأزوا ونفروا منها وغضبوا وقاموا وهم يقولون (اصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) !! »(١١) .
فليست الحركة الاسلامية إذن حركة طبقة ضد طبقة ، فقد انتمى اليهـــا اناس من شتى الطبقات . وسواء كانت هذه السمة (الطبقية) ناتجة عن تحرك الفقراء ضد الاغنياء ، كما يرى بعض الباحثين ، أو من الأغنياء لكبت ما يتحسسون منه رائحة ثورة شاملة سيقوم بها الفقراء ضد مصالحهم ومراكزهم ، كما ارتأى باحثون آخرون(١٢) .. فان هذه الافتراضات التى ينقض بعضها بعضا ، تعود لكى تنقض نهائيا بمجرد عرضها على (الواقعة التاريخية) نفســـــها .. إذا ما أردنا البحث الموضوعى الجاد .... وإلا فان التخمين والاستنتاج والاسقاط المعاصر على التاريخ ، دون رؤية وارتكاز على أبعاد الواقعة نفســـــها يقودنا ولا ريب الى (اسرائيليات) من نوع جديد ، تتدثر بدثار العلم والموضـــــوعية وما هى منهما بشيء !!
بعد أن تم بناء القاعدة (الصلبة) للدعوة ، متمثله بأولئك الرواد الأوائل من المسلمين الذين انتموا للاسلام عبر سنيه الصعبة وغربته ، والذين علمتهم التجارب المقدرة على الصمود بوجه الضغوط مهما غلا الثمن ، والذين انضجتهم حشود الآيات القرآنية التى كانت تتنزل (على مكث) حينا بعد حين .. اصدر الله أمره الى رسوله الكريم أن يتجاوز المرحلة السرية للدعوة صـــوب الهجرة والاعلان .. وهذا أمر لا بد منه لدعوة عالمية شاملة جاءت لكى تثبت وجودها المنظور فى الارض العربية أولا ، وفى العالم المحيط ثانيا .. كل ذلك فى فترة لا تعدو ما تبقى للرسول صلى الله عليه وسلم من سنى عمره المحدود ! كان اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم بعشيرته الأقربين فى أطراف مكة هو بداية العهد الجديد . وقد انتهى ذلك الاجتماع الحاشد بصد محزن عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وإنذاره المبين .. ومنذ تلك اللحظة انفجر الصراع الواضح المكشوف بين المعسكرين .. المشركون الذين استخدموا كل أسلوب ، والتمسوا كل وسيلة لوقف حركة الاسلام الى الأمام .. والمســـلمون الذين لم يؤمروا بالعنف ــ طيلة العصر المكى ــ لئلا يتعرضوا لعملية إبادة تحقق للوثنية ما كانت تأمله وترجوه .
وقد بدأ رجال الملأ نشاطهم المضاد فى سلسلة من الاتصالات المبطنة بالوعد والوعيد مع أبى طالب ومحمد صلى الله عليه وسلم ، فلما أعقبت ــ جميعها ــ فشلا ، وأعلن النبى عن موقفه الذى لا مهادنة فيه ولا مســـــاومة ، فى كلمته

الحاسمة (والله يا عم ....) وجدت الوثنية نفسها مسوقة الى استخدام اساليب العنف والاضطهاد والحرب النفسية ، لوقف الخطر الجديد ، وانقضّت كل عشيرة على ابنائها وعبيدها المسلمين تعمل فيهم تعذيبا وتحطيما للمعنويات واضطهادا ، ولم ينج الرسول نفسه من هذا البلاء النازل ، وهو وأصحابه صامدون صابرون للمحنة ، تسندهم تجارب سنين طويلة من العمل والنمو العقيدى ، وتمنحهم المعنوية والثقة آيات القرآن البينات التى كانت تتنزل فى قلب المحنة لكى ترفع المؤمنين الى آفاق الأمل واليقين بالنصر القريب .

والى جانب هذا وذاك كان الرسول ينفخ فى أصحابه روح الثبات والمقاومة ويرسم لهم بذكائه الثاقب ، وبالهدى الالهى ، الطرائق والأساليب التى تقترب بهم يوما بعد يوم من الهدف الذى كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وعد أصحابه ببلوغه مهما طال الطريق وعظمت المصائب .. ولم يكن التخطيط للهجرة الموقوتة الى الحبشة ، والاتصال المستمر بالقبائل والوفود القادمة الى مكة ، والذهاب الى الطائف ، ولقاءات العقبة الثلاث إلا خطوات على الطريق .

وكلما ازدادت المحنة وعظم البلاء ساق الله الى الدعوة رجالا كبارا ، لهم وزنهم فى مجرى الأحداث وقدرتهم على المقاومة والتحدى والتغيير . ولم يكن إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما إلا أمثلة بينة على الإرادة المعجزة التى تسوق ، وفق منطقها وقضائها الذى لا رادّ له ، رجالا من قلب الجاهلية ، ومن صميم زعامتها ، الى ساحة الحركة الجديدة ، ليسوا اتباعا عاديين ، وانما قادة وزعماء يلعبون دورهم فى إيجاد نوع من التوازن فى القوى بين الدين الاسلامى الجديد والجاهلية يمكّن الاسلام من أن يشق طريقه وسط ركام من العوائق والمصاعب والآلام ..

وإذ شعرت قريش انها اخفقت فى كل الأساليب التى اعتمدتها لوقف انتشار النار ، فقد ارتأت فى اعقاب اجتماع عقده زعماؤها أن ترفع سلاح (المقاطعة الشاملة) كعقاب (جماعى) للمسلمين وحماتهم من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، علّها تضعف قدرة أتباع محمد على المقاومة ، وتدفع حماتهم ، الذين تشدهم اليهم نخوة العصبية ، الى أن ينفضوا من حولهم ويتركوهم وحيدين معزولين ، مجردين من الحماية ، وسط عاصفة الغضب الهوجاء التى اجتاحت صدور المشركين وساحات مكة .

إلا ان السلاح الجديد يثلم هو الآخر إزاء مقاومة المسلمين وقدرتهم العجيبة على التحمل ، وإزاء التركيب الاجتماعى فى مكة ، ذلك الذى دفع عددا من ابنائها الذين تربطهم العصبية بواحد أو اكثر من المحاصرين فى شعب أبى طالب الى أن يتحركوا لوقف هذه المظلمة ، وتمزيق الصحيفة التى سطرت فيها كلمات القطيعة ..

ويخرج المسلمون من الأسر الصعب بعد ثلاث سنين من العزلة والجوع والحرب النفسية .. وهم أصلب عودا ، وأغنى تجربة ، واكثر قدرة على التحرك صوب الهدف الذى آلوا أن يسيروا اليه وراء رسولهم ، حتى ولو كلفهم ذلك أنهارا من الدماء ..

وكانت الأحداث تتلاحق والاضطهاد الوثني يزداد عنفا وشراسة ، ويزيده فتكا وايلاما ، وفاة سنَدىْ الرسول العاطفي والاجتماعي : الزوجة والعم ، وفشل رحلته الى الطائف ، وكأن إرادة الله كانت تعدّ ، من وراء الظلام الذي إزداد عتمة وكثافة ، بالفجر القــادم الذي لا ريب فيــه .. ولن يكون ذلك إلا بالأسباب .. وهل بعد الأسباب التي منحها الرسول فكره وأعصابه وطاقاته وهمومه جميعا ، بقادرة على أن تحقق (وعد الله) ؟! « ولقد كُذّبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كُــذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمــات الله !! »(١٣) .

---

(١) محاضرات في تاريخ العرب ٣٣٨/١ (الطبعة الثالثة) .

(٢) محمد في مكة ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٣) أنظر ســـورة الزخرف ٢٢ — ٢٣ . هود ١١٦ . المزمل ١١ — ١٢ . الاسراء ١٦ . الواقعة ٤١ — ٤٨ . الحاقة ٢٥ — ٢٩ . الهمزة ١ — ٤ . سبأ ٣١ — ٣٧ . غافر ٤٧ — ٤٨ . ابراهيم ٢١ . الاحزاب ٦٦ — ٦٧ . الأعراف ٣٦ — ٤٠ . الفرقان ٢١ — الأنعام ١٣٣ . الغاشية ٣١ . الجن ٢٤ . النازعات ٢٨ — ٢٩ . النبأ ٢١ — ٢٢ . وانظر صالح احمد العلي : محاضرات ٣٥٧/١ — ٣٥٩ .

(٤) محمد عزة دروزة : سيرة الرسول ١٦٥/١ (الطبعة الثانية) .

(٥) المصدر السابق ١٨١/١ — ١٨٢ .

(٦) سبأ ٤٣ . وانظر : الزخرف ٢٢ — ٢٤ . لقمان ٢١ . البقرة ١٧ . المـــائدة ١٠٤ . الصافات ٦٩ — ٧١ .

(٧) العلي : محاضرات ٣٤١/١ — ٣٤٢ .

(٨) انظر تفسير ابن كثير لآيات سورة الانعام ٣٣ — ٣٦ .

(٩) انظر بالتفصيل : دروزة : سيرة الرسول ١٧٣/١ — ١٩٣ .

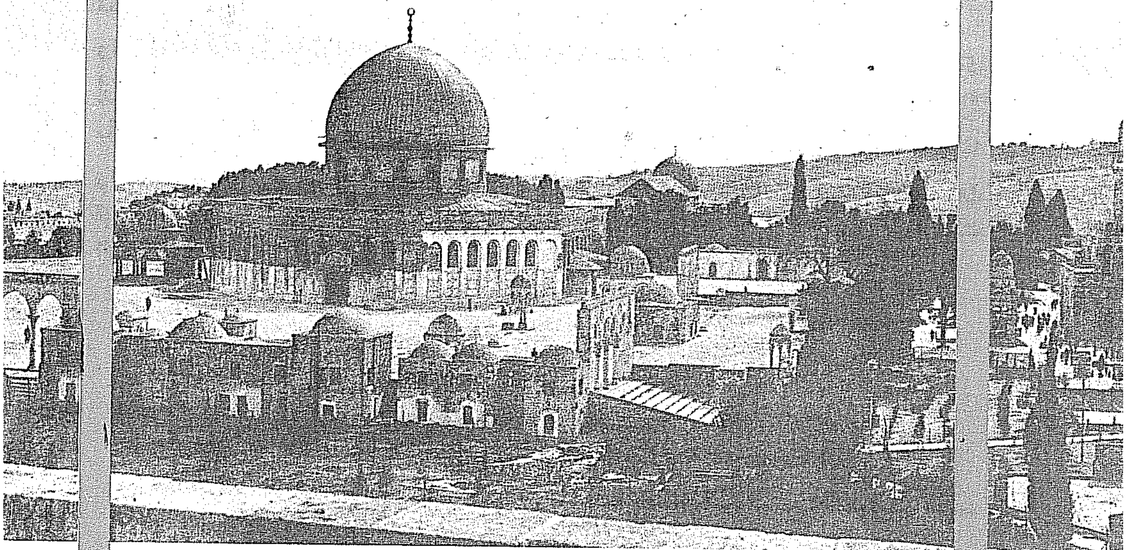
(١٠) محمد في مكة ص ٢١٤ ، ٢١٥ — ٢١٦ .

(١١) الطبقات ٣٥/١/١ وانظر المصدر نفسه ١٣٧/١/١ والبلاذري : انســـاب ١٢٦/١ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٤١ وابن الأثير : الكامل ٦٥/٢ .

(١٢) أنظر عبد العزيز الدوري ورفاقه : تفسير التاريخ ص ١٥ — ١٦ .

* لصاحب المقال بحث شامل بعنوان « دراسة في السيرة » لم ينشر بعد .

(١٣) الانعام : ٣٤ .



وثيقة تسليم

بيت المقدس

للخليفة عمر بن الخطاب

وأثرها في دعم عروبة القدس الشريف

للدكتور ابراهيم أحمد العدوى



جاء خروج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من عاصمته فى المدينة المنورة بالحجاز ليستلم بنفسه بيت المقدس فى فلسطين شاهدا عمليا قدمه هذا الخليفة العظيم للأجيال العربية عن أصالة حقهم فى هذه المدينة الخالدة ، التى أسسها أجدادهم العرب القدامى من أهل فلسطين ، ومثلا تطبيقيا لما يجب أن ينهض به القومة على الأمة العربية ــ خالفا عن سالف ــ فى سبيل حماية مقدسات هذه المدينة من دسائس المتآمرين من اليهود الذين اشتهروا فى التاريخ باسم دعاة الصهيونية ، وحتى تظل هذة المدينة العربية الأصيلة ــ كعهدها ، دائما وأبدا ــ مدينة السلام ، ذلك أن هذا الخليفة اختص بيت المقدس وحدها بهذا التكريم من دون المدن الأخرى التى فتحها المسلمون على عهده ، وبادر الى تلبية النداء الذى أعلن فيه أهل القدس ، وعلى رأسهم البطريق صفرنيوس ، عن رغبتهم فى أن يتسلم مدينتهم المقدسة الخليفة شخصيا ، دون غيره من قادة جيوش التحرير الاسلامية المجاهدة فى الشام وفلسطين .

وكشفت سرعة استجابة الخلافة الإسلامية لمطالب أهل القدس عن تطور جديد فى حياة هذه المدينة ، قوامه أمران هامان :

أولهما : أن كبار أهل الحل والعقد من الصحابة ، وهم الهيئة التنفيذية العليا التى ضمها فى الدولة الإسلامية إذ ذاك (مجلس الشورى) قد أكدت بتأييدها خروج الخليفة لاستلام القدس ارتباط الأصول الدينية لهذه المدينة بالدين الإسلامى الجديد ، وأن واجب الدفاع عن تلك المقدسات وأصولها هو دفاع عن الدين الإسلامى نفسه .

وثانيهما : أن الخليفة اراد أن يؤكد من جانبه أن تحرير القدس لن يتم إلا بتحرير فلسطين ، وأن الموقف بات يتطلب توليه القيادة العليا بنفسه لجيوش التحرير فى الشام وفلسطين ، على أساس أن الجهاد فى سبيل تلك الأرجاء هو جهاد مقدس يجب أن يسهم فيه على قدم المساواة جميع أبناء الدولة العربية الإسلامية ، كبيرهم وصغيرهم ، طلبا للعزة فى الدنيا ، والفوز بجنات النعيم .

وكانت التقارير التى وصلت من قادة الجيوش الإسلامية فى الشام وفلسطين الى عاصمة الدولة الاسلامية فى المدينة المنورة تحث على سرعة خروج الخليفة بنفسه لتحرير القدس وفلسطين . ذلك أن أعداء المسلمين هناك ، وهم البيزنطيون ، الذين عرفهم العرب باسم الروم ، قد صمموا أمام زحف الجيوش الاسلامية المظفر على الانسحاب من كبرى مدن الشام وفلسطين واتخاذ مدينة بيت المقدس قاعدة يعيدون فيها تعبئة قواتهم لإفساد التقدم الاسلامى ، باستغلال مناعة هذه المدينة المقدسة . وكان صاحب هذه الخطة البيزنطية هو (أرتيون) قائد الروم الذى اشتهر عند العرب باسم (الأرطبون) وبادر الخليفة عمر بن الخطاب بتوجيه عمرو بن العاص لمحاربة هذا القائد قائلا : « قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب » . غير أن قائد الروم انسحب أمام جيش عمرو بن العاص عند اجنادين ولجأبقواته الى بيت المقدس ، حيث أفصح عن خطته فى التصدى للمسلمين .

وأعلن أرطبون الروم من قاعدته فى بيت المقدس عن خطته الخبيثة فى كتاب بعث به الى عمرو بن العاص فى أجنادين جاء فيه : « الى عمرو : إنك صديقى ونظيرى ، أنت فى قومكمثلىفى قومى ، والله لا تفتح من فلسطين شيئا بعد أجنادين فارجع ولا تغر فتلقى ما لقى الذين قبلك من الهزيمة » . وكتب عمرو بن العاص الى الخليفةيوضح له الموقف الجديد فى القدس وفلسطين قائلا له : « إنى **أعالج حربا كؤودا صدوما ، وبلادا ادخرت لك فرأيك »** ـــ ولما كان الخليفة عمر يثق كل الثقة فى تقارير عمرو بن العاص فإنه بدأ يستعد للخروج بنفسه لتحرير هذه البلاد التى ادخرها الله له كما ذكر قائده المحنك فى أرض فلسطين .

وعزز هذه الاستعدادات فى عاصمة الخلافة التقارير التى وردت بدورها من أبى عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية فى الشام . اذ أراد هذا القائد أن يبعث جيوشه من دمشق الى فلسطين لشد أزر عمرو بن العاص ، وعقد مجلسا حربيا للتشاور فى الأمر ، ولتقرير الجبهة التى تتجه اليها تلك الجيوش . إذ كان أمام هذا القائد العام خطتان : احداهما ترى أن تتوجه الجيوش أولا لفتح قيسارية التى كان بقاء جند الروم فيها يحول دون انطلاق عمرو بن العاص من اجنادين ، والثانية : تنادى بأن تزحف الجيوش رأسا الى بيت المقدس للحيلولة دون استقرار الأرطبون وقواته بها .

واستقر رأى المجلس الحربى على ضرورة استشارة الخليفة عمر بن

الخطاب فى هذا الشأن حيث قال معاذ بن جبل لأبى عبيدة : أيها الأمير اكتب الى أمير المؤمنين عمر فحيث أمرك امتثله . فقال أبو عبيدة : أصبت الرأى يا معاذ . ثم كتب الى الخليفة شـــارحا له الموقف . وجمع عمر بن الخطاب (مجلس الشورى) من كبار الصحابة ، وقرأ عليهم كتاب أبى عبيدة ، فقال على بن أبى طالب بعد مداولات واسعة تبلور فيها الموقف : ((**يا أمير المؤمنين مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس فاذا فتح الله بيت المقدس ، صرف وجهه الى قيسارية ، فإنها تفتح بعد إن شاء الله تعالى**)) . وعندئذ كتب الخليفة بهذا الرأى الذى استقر عليه مجلس الشورى لأبى عبيدة جاء نصه كما يلى :

((بسم الله الرحمن الرحيم

((من عبد الله عمر الى عامله بالشام ابى عبيدة

((أما بعد ـــ فإنى أحمد الله الذى لا إلـــه الا هو وأصلى على نبيه ، وقـــد وصلنى كتابك تستشيرنى الى أى ناحية تتوجه ، وقد أشار ابن عم رســـول الله بالمسير الى بيت المقدس ، فإن الله يفتحها على يديك ، والسلام)) .

وهلل جند المسلمين فرحا فى الشام لزحفهم على بيت المقدس ، وتقدمـــوا وعلى رأسهم القائد العام أبو عبيدة بن الجراح ، وحين اقتربت الجيوش الإسلامية من هذه المدينة أعلن سكانها العصيان على الأرطبون ، وعرضوا على أبى عبيدة رغبتهم فى تسليم مدينتهم الى الخليفة عمر بن الخطاب نفسه وبعث القائد العام بهذا الطلب الى الخليفة الذى عقد مجلس الشورى مرة أخرى قائلا لهم : ((ما ترون رحمكم الله فيما كتب إلينا أمين هذه الأمة ؟)) واستقر الرأى على تلبية طلب أهل القدس ، وأتم الخليفة الاستعداد للخروج الى فلسطين حيث بات لديه علم دقيق بأحوالها من مصـــدرين هامين : أحدهما من عمرو بن العاص ، والآخر : من أبى عبيدة بن الجراح ، وكل منهما يؤكد ضرورة حضوره بنفسه الى تلك البلاد التى ادخر الله فتحها على يديه ، وحين ترامت أنباء مســـير عمر بن الخطاب بنفسه الى فلسطين انسحب الأرطبون سريعا من بيت المقدس حيث عجز عن المقام بها لعدم تعاون سكان البلدة معه ، واتجه الى مصر حيث كانت إذ ذاك تحت سيطرة الروم .

وكان الطريق الذى سلكه الخليفة عمر بن الخطاب للذهاب الى بيت المقدس يسير وفق خطة رسمها بنفسه ، استهدف منها أن تبقى أمام الصحابة والتابعين وتابعى التابعين منهم بإحسان الى يوم الدين ، نموذجا يهديهم سواء السبيل ، من أجل الحفاظ على هذه المدينة المشرفة ، ورعاية مقدساتها الجليلة ، إذ جمعت تلك الخطة بين الاستعداد الحربى الكامل وبين الالتزام بالبساطة التامة البعيدة عن الزهو والخيلاء ، فغادر الخليفة المدينة المنورة متجها الى (أيلة) وهى العقبـــة الحالية باعتبارها مفتاح المدخل الجنوبى لفلسطين .

ثم سار الى الجابية فى مرتفعات الجولان الحالية ، حيث جعل من هـــذا المكان الاستراتيجى بين سورية وفلسطين مقرا لعقد مؤتمر حربى استدعى اليه قادة الجند بالشام للتشاور معهم فى طلب أهل القدس ، ووضع أمثل السبل لإتمام فتح فلسطين .

وتوجه أبو عبيدة بن الجراح القائد العام للجيوش الإسلامية بالشام الـــى الجابية حيث تلقى الخليفة عمر بن الخطاب هناك وتعانقا . ثم توافد على الخليفة سائر القادة ، وجماعات من المسلمين حضرت لتحية الخليفة ، وصلى الخليفـــة

بالحاضرين صلاة الفجر وخطبهم ، ثم تدارس مع القائد العام الوضع فى بلاد الشام حتى حضرت صلاة الظهر ، حيث جرت فى خشوع جليل ، رواه أحد شهود العيان قائلا : « فأذن بلال فى ذلك اليوم ، فلما قال : الله أكبر ، خشعت جوارحهم ، واقشعرت ابدانهم ، فلما قال : أشهد ان لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، بكى الناس بكاء شديدا عند ذكر الله ورسوله ، وكاد بلال أن يقطع الأذان ، فلما فرغ من الأذان صلى عمر بالحاضرين » .

وجرت وسط هذه المظاهر الجليلة جلسات المؤتمر الحربى بالجابية تحت رئاسة الخليفة للنظر في شأن القدس ، وحضر فى ذلك الوقت وفد شعبى يمثل أهالى القدس لمقابلة الخليفة عمر وتسليم بلدتهم له . وجاء تشكيل هذا الوفد على تلك الصورة دلالة واضحة على أن انسحاب الروم من بيت المقدس كان أمرا حتميا فرضته الرغبة الشعبية فى هذه المدينة على أولئك المستعمرين البغاة ، وشاهدا قويا على أن أهالى القدس وجدوا فى الدولة العربية الإسلامية الفتية ينبوعا دافقا يغذى أصولهم العربية ، ويهيىء لهم استعادة سالف أمجاد مدينتهم وأمنها ، وكان أهم مطلب ركز الوفد الشعبي عليه هو الا يساكنهم مدينتهم أحد من اليهود ، الذين اشتهروا بمحاولاتهم العديدة لاغتصاب هذه المدينة ، واثارة القلاقل فيها ضد السلطات الحاكمة تحت ستار الاحتماء بقدسية تلك المدينة ، وكان أخطر محاولات اليهود التى شهدها أهالي القدس قبل الفتح الإسلامى ما حدث على عهد الامبراطور الرومانى هارديان سنة ١٣٥ م ، إذ قاموا بأعمال شغب واسعة فى القدس ، دفعت هذا الامبراطور إلى الإسراع بنفسه الى بيت المقدس ، وطرد اليهود منها كلية ، وبلغ الحنق بهذا الامبراطور حدا دفعه الى أن يطلق على بيت المقدس اسمه الاول ، وصارت تدعى نسبة اليه باسم « إيلياء » وذلك رغبة فى سد السبل نهائيا أمام اليهود لاستغلال اسم هذه المدينة المقدسة .

وظلت مدينة بيت المقدس تحمل اسم « إيلياء » حين خرج الوفد الشعبى من أهلها لمقابلة الخليفة عمر بن الخطاب ، وطلبوا منه أن يسجل هذا الاسم فى وثيقة تسليم مدينتهم له ، دلالة على خلوها تماما من اليهود ، واصرارا منهم على الا يساكنهم فيها أحد من اليهود ، وكان هذا المطلب الشعبى لأهل القدس هو نفس المطلب الذى أصر عليه البطريق صفرنيوس حين عرض تسليم المدينة المقدسة للخليفة عمر بن الخطاب شخصيا ، ووافق الخليفة على مطالب أهل القدس وسجلها في وثيقة محددة البنود ، أضاف اليها شروطا تنص على احترام مقدسات هذه المدينة وما يكفل لها السلامة أيضا من بقايا الروم فيها وعملائهم . وجاء نص هذه الوثيقة التاريخية المؤكدة لخلو القدس من اليهود وارتباطها بأصولها العربية ، وكذلك بالدين الإسلامى الجديد على النحو التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

ـــ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان .

ـــ أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها .

ـــ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم .

ـــ ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

ـــ وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن .

ـــ وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (أى اللصوص) .

— فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .
— ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم .
— ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .
— ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم .
— وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية .
— شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبى سفيان .
— وكتب وحضر سنة خمس عشرة .

وكشفت هذه الوثيقة التاريخية بنصوصها الصريحة عن حقيقتين راسختين .

أولهما : أن اليهود لم يكن لهم وجود على الإطلاق فى بيت المقدس حين زحفت الجيوش الاسلامية على بلاد الشام ، وأن أهالى القدس أنفسهم كانوا يقفون قبل الاسلام بالمرصاد لدسائس منحرفى اليهود ، وهدم ما زعموه بهتانا من حقوق لهم فى هذه المدينة المقدسة ، وأن الاسلام حين امتد الى أرض فلسطين جاء ليدعم هذه الحقيقة التاريخية ويؤكدها بخصوص خلو بيت المقدس تماما من اليهود .

ثانيهما : أن المسلمين يكنون للمقدسات المسيحية فى بيت المقدس نفس الإجلال الذى يكنه المسيحيون أنفسهم لتلك المقدسات ، وأن المسلمين يجدون فعلا فى النصارى أقرب مودة إليهم ، وأهلا للتعاون فى رعاية المقدسات الدينية فى هذه المدينة الخالدة .

وعاد الوفد الشعبى لبيت المقدس من الجابية يحمل هذه الوثيقة التاريخية ، ويستعد لاستقبال الخليفة فى المدينة المشرفة ، وكان الخليفة يستعد لهذه الزيارة استعدادا يجعل منه نموذجا عمليا أمام المعاصرين وغيرهم من الأجيال العربية وغير العربية على مر العصور عن إيمان المسلمين بمكانة بيت المقدس فى الدين الاسلامى الجديد ، والتطبيق العملى لاحترام المسلمين لمقدسات هذه المدينة ، فعمد الخليفة أولا الى تأمين بيت المقدس وسائر ديار فلسطين من أى هجوم غادر قد يشنه الروم إذ أقام حامية فى ايلياء بقيادة علقمة بن مجزر ، وأخرى فى الرملة بقيادة علقمة بن حكيم ، على حين ضم إليه فى الجابية عمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة وغيرهم من القادة العاملين فى تحرير أرض فلسطين .

وغادر عمر بن الخطاب مقره فى الجابية بمرتفعات الجولان الى بيت المقدس فى موكب جمع بين المهابة والجلال والبعد التام عن مظاهر الزهو والخيلاء ، ووصف أحد المعاصرين هذا الموكب قائلا : إن الخليفة حين جاء ميعاد زيارة بيت المقدس أمر الناس بالركوب ، ومعظمهم من كبار قادة الجند والصحابة الأجلاء . ولما هم الخليفة بالركوب على بعيره وعليه مرقعة الصوف قال المسلمون : يا أمير المؤمنين ، لو ركبت غير بعيرك جوادا ، ولبست ثيابا لكان ذلك أعظم لهيبتك فى قلوب القوم . واقبلوا يسألونه ويطوفون به الى أن أجابهم الى ذلك . ونزع مرقعته ، ولبس ثيابا بيضاء . قال الزبير : احسبها كانت من ثياب مصر تساوى خمسة عشر درهما ، وطرح على كتفه منديلا من الكتان ، دفعه اليه أبو عبيدة . وقدم له برذونا أشهب . فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهملج

(أي يسير عجباً) . وعندئذ نزل الخليفة مسرعا وضرب وجه البرذون وقال : لا علم الله من علمك ! ، هذا من الخيلاء . ولم يركب برذونا قبله ولا بعده . ثم صاح بالناس قائلا : أقيلوني عثرتي أقالكم الله عثراتكم يوم القيامة ، لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر . ثم إنه نزع البياض ، وعاد الى لبس مرقعته وركوب بعيره ، فعلت ضجة المسلمين بالتهليل والتكبير .

ودخل موكب الخليفة عمر بن الخطاب مدينة بيت المقدس يوم الخميس الموافق ٣ مايو سنة ٦٣٦ م ، حيث استقبله زعماء المدينة وعلى رأسهم البطريق صفرنيوس ، وسط مظاهر الحفاوة من السكان جميعا . واستهل الخليفة زيارته بمشاهدة الأماكن المقدسة ، والكنائس الكبيرة في القدس ، حيث تولى البطريق صفرنيوس شرح تاريخ تلك المشاهد الدينية . وحرص الخليفة طوال هذه الزيارة على دعم حقوق المسيحيين في مقدساتهم وتجنب كل ما قد يثير الريب حولها . إذ تصادف أن حل ميعاد الصلاة ، وهو يزور كنيسة القيامة ، وسأل البطريق عن مكان يصلي فيه فلما أجابه البطريق : صل مكانك — أي الخليفة — خرج من الكنيسة ، وصلى في مكان بالقرب منها ، ولما أتم الصلاة قال للبطريق : أيها الشيخ ، لو صليت في كنيسة القيامة لاتخذها المسلمون معبدا لهم .

وكان الخليفة حريصا أيضا في تلك الزيارة على مشاهدة معالم المسجد الأقصى الذي حمل له صورة واضحة عن الرسول الكريم ليلة الإسراء والمعراج وكذلك مشاهدة الصخرة المقدسة . وتكرر وقوف الركب في عدة أماكن التبس على البطريق نفسه أنها المسجد الأقصى ، ولكن الخليفة أعلن في كل مرة أن أوصاف تلك الأماكن لا تنطبق على ما تعيه ذاكرته من الأوصاف التي نقلها عن الرسول الكريم . وكان موقع المسجد الأقصى والصخرة المقدسة قد تعرضت للإهمال في الأيام الأخيرة من حياة القدس في ظل استعمار الروم ، وغدت بقعة تغطيها القمامة . وحين اقترب الركب من هذا المكان ، بدأ الخليفة فحص معالمه بنفسه ، وتأكد أنه المكان المبارك . وعندئذ أخذ الخليفة — كما وصف أحد المرافقين له — يحثو القمامة في كمه ويذهب ليلقيها في وادي النار (قدرون) الواقع شرق المكان ، فاقتدينا به وحثونا كما حثا مرات كثيرة حتى ظهر المكان وتطهر واتضحت معالمه ، كما ظهرت الصخرة المباركة وتطهرت .

وأمر الخليفة ببناءمسجد في هذا المكان ، بحيث كانت الصخرة في الخلف ، ولتكون القبلة في صدر المسجد ، دفعا لأية شبهات قد تثار حول هذا المسجد الإسلامي . وشرح الخليفة ما قام به مؤكدا أنه جعل رائده « كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورنا » ثم أضاف الخليفة قوله « فإنا لم نؤمر بالصخرة ، ولكنا أمرنا بالكعبة » .

وصلى الخليفة بالحاضرين ، بعد أن أمر المؤذن بإقامة الصلاة ، وقرأ سورة (ص) وسجد فيها ، ثم قام وقرأ في الثانية سورة (الإسراء) . وجاءت تلاوة هذه الآيات البينات إعلانا رسميا عن ربط الأصول الدينية للقدس الشريف بالدين الإسلامي الجديد وبالقومة عليه من أبناء الأمة العربية ، وأمضى الخليفة عشرة أيام في القدس ، قام فيها بأعمال جليلة غدت تكون العهد الجديد للقدس في ظل حماية العروبة والإسلام ، كما ترك في يد أبناء هذا البلد الشريف وثيقة تاريخية تدعم حقهم في صيانة بلدهم ، وجعلها على مر العصور مدينة عربية خالصة ، رائدها — كما كانت منذ نشأتها على يد سكانها من العرب القدامي — أن تكون « مدينة السلام » .

مكتبة المجلة

اعداد الأستاذ عبد الستار محمد فيض

معجم الفقــه الحنبلي
مستخلص من كتاب المغنى لابن قدامه

اصدرت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية فى الكويت الجزء الأول من هــذا المعجم ويقع فى (٥١٦) صفحة من القطع الكبير ، وينتهى بآخر حرف الشين ، ويعين هذا المعجم القارىء على مراجعــة احــكام المذهب الحنبلى حيث رتب خلاصــات كتاب (المغنى بترتيب الف بائى بحسب عنــاوين الابواب وينتظر صدور الجزء الثانى قريبا ان شاء الله .

الفهرســة الهجائيــة
والترتيب المعجــــمى

رسالة استعرض مؤلفها فيها ناحيــة مهمة من نواحى التنظيم التاليفى والطبــاعى ، وقد عنى فيها بابراز المشكلات التى تعترض المفهرسين والمعجميين عنــد ترتيب المفردات والمركبــات ، وخاصة فى اللغة العربية ، هذه المشكلات التى فرقت طرق الترتيب اشتاتا ، حتى كاد كل فهرس او معجم ان يكــون له طريقته الخاصــة فى الترتيب ، فاستخلص القــوانين التى تحــل تلك المشكلات ، وتبصر العاملين فى هــذا الميدان باسباب الخطا والاختلاف .

وقد حاول المؤلف ان يصل حاضر هذا الفن ــ فن الفهرسة والتعجيم ــ فى آدابنا بماضيه ، فبين مجهودات العلماء المسلمين ، وسبقهم العظيم فى هــذا الميــدان ، وكيف كانت لديهم معاجم متقنــة الترتيب والتنظيم فى اللغــة وسائر العلوم فى الحيــوان ، والنبات ، والاغذية ، والبلدان ، والتراجم وغير ذلك .

وقد دعــا المؤلف الى الالتزام بالفهرسة الهجائية المتقنــة لكل ما يصدر من المؤلفات والمجلات العلمية خدمة للباحثين ، وتيسيرا على المراجعين .

الكتاب من تاليف الاستاذ محمــد سليمان الاشقر امين مكتبــة وزارة الاوقــاف والشئون الاسلامية بالكويت ، ونشرته دار البحوث العلمية بالكويت ، والدار العلمية ببيروت .

١٠٠ يوم فى الكــويت

هذا الكتاب الممتع عن دولة الكويت يقدم لنا صورة نابضة حية تتسم بالانصاف من شــعب صغير فى عدد سكانه كبير فى آماله ، عميق فى تاثيره الحضارى ، مكافح مثابر ، يحول الذهب الى حضــارة ، والى مبادىء انسانية رائعة ، والمؤلف الاستاذ كامل حماده يسجل بقلمه الاحداث ، والاماكن ، والاشخاص ، والاشياء التى شاهدها فى مدى ١٠٠ يوم . وهو لا يكتفى بالتســـجيل الخارجى لما يرى ويسمع ، بل هو يعانق الاشياء بقلبه ، وعقله ، ومشاعره ، ثم يفرز ذلك كله فى وجهة نظر واضحة .

والكتاب يقع فى ١٦٠ صفحة ، ومن نشر دار النشر للجميع ٤ شارع التل الكبير ــ الاسكندرية .

خواطر في الميلاد

لأبى القيم الكبيسى

(الأنانية) قد استحكم امرها ! جاعلة كلا فى بيدائه
والمضاد لهـذا الداء لديك ، وهو مجرب ومضمون ان
« تحب لأخيك ما تحب لنفســك »
فنحن أحــوج ما نكون إليـــك ....

(٢)

الدعاوى العريضة تكاد تصم اسماعنا .. لقد جف (اللعاب) مدلها بعسل القول :
إن قسورة (الأسماء) باتت تؤرقنــا !!

فهل من (يد) خفية تطرق الباب ؟ مشبعة بتعاليمك دون أن تعلم (اليسار) ما تفعلـه (اليمين) !؟
نحن أحوج ما نكون اليـــك ..

(٣)

(مراهم) القوم نكتت الجرح وزادت البلاء .. وكم .. كم وقف (العلم) !!
دون أسرار حائرا ؟! إن عين (قتادة) ألقرن لا زالت دونما برء
ذلك لأن الكف أعنى (كفك) لم تمسحها !
صحيح أنهم يبسملون ، ويحوقلون !
لكنمـا شــتان بين مبسمل ومبسمل !
فنحن أحوج ما نكون اليـك ...

(٤)

نطبخ (الحصى) كتلك العجــوز .
ونخسر الوقود ! نعلل الصغـــار
ولكن دونما جدوى !! فيقلبون (القدر) عن (حصى) شديد !
ويبدأ (الهياج) حينما يخرج الأسد من (الطفل) الوادع .. يمزق (القدر)
ويصنع الرغيف .. ولكن دونما جدوى !!
ويفحص (التراب) بارجل .. تمردت
من كذب الوعود ! وكثرة العقود ... ويبدأ السؤال :
متى يا (أمنا) نشبع ؟ .. متى نشـــبع ؟؟
متى ما (عمر) يرجـــع
متى يرجع ـ إذا انتصر الذى قرر وطبّق حينما قرر
« ليس منا من بات شبعان وجاره جائـــع »
فنحن أحوج ما نكــون إليـــك ...

(٥)

لم نعد نرى (الخيط) الأبيض من (الخيط) الأســود !!
وإن كانت (زرقاء اليمامة) من جزيرتنا ! لم نعد نرى (المسجد)
الذى أسس على (التقوى) ليتميز (ضرار) فنحرقه كما فعلت
إن (الدوارس) قد أنبتت (أضرحة) فخمة ضخمة ! تعلوها
(السرج) والقناديل !! وكل من تحتها صار (القطب) المتصوف !!
وإذا قلنا إنه : خروج سافر .. قالوا : إنه من خصوصيات قبور الصالحين !
ثم قالوا : ربما إنه مخصص أو مقيد أو منسوخ ...

وهكذا قد أدخلوا (ربما) على كل ما لم يحتملها .. واعتنقها الناس !!
حتى صار (الحق) الذى قلت فيه (جاء الحق) كالشامة البيضاء فى الثور الأســود !!
لقد انتعش (الباطل) بمصل (ربما) وقامت (الوثنية) بدواء (المخصص) و (المقيد) و (المنسوخ) .. فاينك لتقول ثانية (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا)
وأخشى أن يشيعوا بإغرائهم من أنك (مسيلمة) !! فيصدق الناس ! وليس ثمة مانع من أن يقولوها
وعرق حياتهم مرهون فى (القبر) الكبير ، وبيع (القطع) الخضراء !!

(٦)

نحن أحوج ما نكون إليك .. ليراك المسلمون لا غيرهم .. هؤلاء الذيــن اثاقلـــوا الـــى الأرض من (السمنة)و (الكسل) .
ليروك وقد انتفضت بعد (صلاة) العصر ! كانما أفعى بين ثوبك وجلدك ! لا لشيء من الجشع والطمع !!
وإنما لأموال أتت .. فخفت أن تحبس أطول فيحبسك الله !
فأين أين أهل الغنى والثروات ؟!
إنهم هم المسؤولون عن كل خارج على هذا الدين متهما إياه (بالرأسمالية) القاهــرة !!
اينك لتقول لهم فلم يعودوا يصدقوننا :
إن ديننا دين الإنسان المعزز المكرم
وان امرأة دخلت النار بهرة حبستها !
وان رجلا دخل الجنة بكلب ســقاه !

(٧)

الجدار القوى المكين قد تصدع ! وكثرت فيه (الحشرات) !
العناكب ، والصراصير ، وأبو بريص ، والخفافش من أصدقائنا الذين لا بد منهــم !!
فنحن أحوج ما نكون إليك .. تعيد البناء (بمداميك) : (المؤمن للمؤمــن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا) نحن أحوج ما نكون إليك ...

(٨)

نحن احوج ما نكون اليك ...
لتقول (لألف) (عمير) (١) : ليس كذلك .. إنما جئت لكذا !!

إن (المظاهر) تكاد تسحقنا .. لقد تصلبت فصارت (قواقع) سميكة !!
قتلت (النسغ) وحبسته عن (الخروج) .
فعندنا : كل من كور (عمامته) فهو شيخ الإسلام وإن كان اجهل جاهل !
وكل من حرك (شفتيه) فهو التقى النقى .. الورع !!
وكل من (همهم) بالقرآن فهو أصلح من يصلح للشهادة !! ولو خالف الف عمر !!
كثيرة تلك (المظاهر) كثيرة .
وليس بيننا (حنيفة) ولا (عثمـــان) .

(٩)

لقد امتن الكثير على الناس بما هو ليس بشيء
الانفتاح.. الجماهيرية.. وضع حجر الأساس.. قطف النتاج مع العمال !!
والقوا الأضواء الكاشفة والدعاية العريضة والتى تفوق تكاليفها ضعف ما اشتغلوا به !!
ما جمع احدهم الحطب ! ولا نام أحدهم على الحصير ، ولا حمل احدهـــم (اللبن)
وما تجول أحدهم لوحده فى الشوارع !
وما وقف أحدهم للصغير والكبير .. وما وما كثيرة كثيرة !!
ومع ذلك كله لم تمتن على أحد ! وهل يمتن بشيء يزيد الإنسان رفعة .. إنه (التواضع) خلق كل كريم ، لم تمتن بل قلت بفخر .
(أنا عبد الله ورسوله ..)
فسبحان من سماك (عبـــدا)
وسماك (الرؤوف الرحيم)
وسلام عليك سيدى .. يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حيا .

---

(١) عمير بن وهب الذى ذهب للمدينة ناويا قتله صلى الله عليه وسلـم متظاهرا بفداء ابنـــه الأسير .

مائدة القارئ

ما الحيـــــاة

قال العلماء : ان جميع النبات والحيوان مركب من خلايا ، وكل خلية مركبة كيمياوية من (كربون) و (هيدروجين) و (اكسجين) و (نتروجين) فاذا تكونت هذه العناصر بنسب معينة كانت الخلية .
ولكن كون هذه الخلية بهذه النسب كما تشاء ، فلن تستطيع ولن يستطيع العلماء مجتمعين أن يمنحوا الخلية (الحيـــاة) .
« إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره . ان الله لقوى عزيز » .

روح السماحـــة

اراد المهدى ان يغزو اهل الشام لخطا ارتكبوه ، فقال له « ابن خريم » يا امير المؤمنين ، عليك بالتجاوز والعفو عن المسىء ، فلأن تطيعك العرب طاعة محبة خير لك من أن تطيعك طاعة خوف .

اللـــــه

قا ل ابو سعيد بن ابى الخير الصوفي : اخذنى شيخى من يدى واجلسنى فى إيوان ، ومد يده فأخرج كتابه واخذ يقرأ ، فتطلعت الى معرفة الكتاب ، فلمح الشيخ هذه الحركة ، فقال لى : يا أبا سعيد : « ان مائة وأربعة وعشرين ألف نبى بعثوا ليعلموا الناس كلمة واحدة هى (الله) فمن سمعها باذنه فقط لم تلبث أن تخرج من الأذن الأخرى ، امـــا من سمعها بروحه ، وطبعها فى نفســـه ، وتذوقها حتى نفذت الى أعماق قلبـــه وباطن نفسه ، وفهم معناها الروحى فقد انكشف له كل شىء » .

الشجاعـــة الأدبيـــة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق اذا رآه أو شهده فانه لا يقرب من أجل ، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم » .

بين عثمان وأبى عبيـــدة

اختصم يوما عثمان بن عفان وابو عبيـــدة بن الجراح رضى الله عنهمـــا ، فقال ابو عبيـــدة :

انا أفضل منك بثلاث ، فساله عثمان وما هن ؟ قال :

الأولى أنى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب .

والثانية : شهدت بدرا ولم تشـــهده .

والثالثة : كنت ممن ثبت يوم احد ولم تثبت انت .

قال عثمان : اما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى فى حاجة ومد يده عني . وقال : هذه يد عثمان بن عفان ، وكانت يده خيرا من يدى

وأما يوم بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة ، ولم يمكنى مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها.

وأما انهزامى يوم أحد فإن الله عفا عنى ، وأضاف فعلى إلى الشيطان ، فقال تعالى : « أن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم » .

تأبين أبى بكـــر

قال على كرم الله وجهه فى تأبين أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

« .. كنت كالجبل الذى لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف : كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا فى بدنك قويا فى أمر الله ، متواضعا فى نفسك عظيما عند الله ، جليلا فى الأرض كبيرا عند المؤمنين ، ولم يكن لأحـــد عندك مطمع ، ولا لأحد عندك هوادة ، فالقوى عندك ضعيف حتى تأخذ الحـــق منه ، والضعيف عندك قوى حتى تأخذ الحق له ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا اضلنا بعدك » .

من تعاليم الامام على كرم الله وجهه ووصـــــايـاه للجنـــــود

« إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم من قبل الاشراف وســـفاح الجبال أو أثناء الانهار ، كيما يكون لكم رداء أو دونكم ردءا ، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رقباء فى صياصى الجبال ومناكب الهضاب ، لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن ، واعلموا أن مقدمة القوم عيـــونهم ، وعيون المقدمة طلائعهـــم ، واياكم والتفرق ، فاذا نزلتم فانزلوا جميعـــا ، واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فأحيلوا الرماح كفة — محيطة بكم — ولا تذوقوا النوم إلا غرارا أو مضمضة » .

أرض السهلة

للأستاذ أحمد العنانى

المشـــــهد الأول

فى منزل الخليفة عمر بن عبد العزيز بدمشق

فاطمة بنت عبد الملك بن مروان (زوجة امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز) (وهى تشق بسكين بطيخة كبيرة فى وعاء من النحاس وقد تحلـّق حولها الصغار من ابنائها وبناتها بينما بدا الكبار منهم ومنهن على استحياء وتباعد ..
ارايتم يا أولادى ! (صوت السكين)
ارايتنّ يا بنـات !؟
الم اقل ما وجدت حياتى كلها فى البطيخ ما هو أحلى حلاوة ، ولا احسن نضجا إذا نضج من بطيخ هذه الأرض التى لنا فى السهلة .. تعالوا .. تعالوا .. هيا .. المكان يسعكم جميعا فتحلـّقوا وكلوا معا . .ذلك ادعى للبركة والسرور..
(حركة) تقدموا .. تقدم يا عبد الملك يا بنى .. تقدم ..

عبد الملك (يتمتم) : ــ دعيهم ولا تخافى علىّ بأســا .. فأنا أرضى نفســى كما تعرفين .

فاطمة (تبتسم) : ــ لا بأس .. كلوا أنتم جميعا ودعونى وعبد الملك لبطيخــة اخــرى !

احد الأولاد (وفمه يمتلىء بالبطيخ) : ــ وهل من بطيخــة اخرى يا اماه ؟

فاطمـــــة : ــ كل الآن أنت ، وتوكل على الله ..

الولـــــــد : لا بأس .. لا بأس .. أنت دائما وعبد الملك تنفردان فى الطعام .. « صوت المائدة » .

تمثيلية تصور عظمة التقوى ورفعتها ..

احدى البنات : ــ الحمد لله ..
بنت اخرى : ــ وانا .. شبعت .. الحمد لله .
أحد الأولاد : ــ بعد سن، واحدة احمد الله .
ولد آخر : ــ هيهات تدرك أصلا غير سن واحدة ..
الولد الأول : ــ ما شاء الله ! ذرية بن عبد العزيز كما تمنى لهم أخوال أبيهم من آل الخطاب أصبحوا بلا عدد .. « ضحك » ..
فاطمة : ــ هيا يا أبنائى الآن .. أحمدوا الله وانصرفوا لشأنكم
« حركة الأولاد خارجين » .
« تتنهد » لم تأكل شيئا ولم يتركوا لك
عبد الملك : ــ وهل تركوا لك يا أماه ! لا بأس يا أماه لا بأس ..
فاطمة : ــ وابوك لم يدعوا له شيئا ..
عبد الملك : ــ أبى اليوم مشغول واغلب ظنى انه متأخر الى ما قبل العصر بقليل .
فاطمة : ــ وكيف عرفت ؟
عبد الملك : ــ من كثرة الوافدين على الديوان اليوم .
فاطمة : ــ أعانه الله .. انهض الآن لبعض شأنى ..
عبد الملك : ــ الا تتريثين يا أماه !
فاطمة : ــ العمل كثير يا بنى .
عبد الملك : ــ أخواتى كبرن ويجب أن يعتدن معاونتك فى الأمور . إنى لا أرى شيئا أليق بالرجال من كسبهم من عمل أيديهم ، ولا أرى أجمل بالمرأة من عنايتها ببيتها .

فاطمـــــــة : (تضحك قليلا) ولذلك يجب ان انهض .

عبــــد المـلك : ــ لقد طالما نهضت يا أماه .. وآن أوان العمل لأخواتي فهنّ يتهيأن الآن للحياة وخيرٌ لهنّ أن يمارسن بأيديهن الآن ما هنّ مقبلات عليه ..

فاطمة (تتنهد) : ــ معك حق ..

عبــــد المـلك : ــ كيف ؟

فاطمـــــــة : ــ امس عندما زارتنا عمتي فاطمة بنت عبد الملك وغاضبها أبوك برفضه وساطتها من اجل الأرض التى كان اغتصبها أبناء أخي الوليد في حمص اشتد بها الغضب حتى شملتنى به

عبــــد المـلك : ــ وماذا قالت لك ؟

فاطمـــــــة : ــ وماذا يمكن أن تكون قالت .. دع عنك ذلك يا بنى .

عبــــد المـلك : ــ ولكنى اناشدك الله ان تروى ذلك لى .

فاطمـــــــة : ــ قالت ! « تتنهد » قالت لى تذكرى يا فاطمة يا ابنة اخى عبد الملك أن أحدا مِن أمراء بنى أمية لن يصهر إليك ولا الى زوجك وبناتك كثيراتٌ فأين تذهبين بهن ..

عبــــد المـلك : ــ أستغفر الله العظيم ..
نحن آل عمر بن عبد العزيز الى ربنا ذاهبون .. قبلنا حكمه ، ورضينا بأمره ونهيه والعاقبة للمتقين .. فلا تجزعى يا أماه ما يزال في الدنيــا بقية من الناس والطيبات للطيبين ..
نحن وأبناء أبينا وعمـــومتنا هؤلاء شالت بنا نعـــامتنا .. يحسبون انهم بصــــهرهم يشرفوننا ونحسب انهم لو نالـــوا صهرنا لا قدر الله نالهم شرف لا يستحقونه ..
دعى ذلك عنك يا أماه .. وتوكلى على الله .. عجيب .. هذا أبى جاء .. بنفسى أفديك يا أبتاه ! كم يبدو عليك من جهد شديد ! ها هو وصل « صوت خطواته »

عمـــــــــر : (بصوت ضعيف) السلام عليكم .

فاطمة وعبدالملك : ــ وعليك السلام ورحمة الله ..

فاطمـــــــة : ــ ما بك يا أمير المؤمنين ؟

عبــــد المـلك : ــ حسبتك سوف تتأخر يا أبتاه .

عمـــــــــر : ــ كنت أظن مثل ظنك حتى أصابنى مغص شديد والحّ علىّ رجاء ومزاحم بأن أؤجل القضايا وأستريح .. أوصلانى حتى الباب ثم عادا ..

فاطمـــــــة : ــ سلمت يا أبا حفص .. ولكن .. !

عمـــــــــر : ــ أحسَّ بحرارة فى لهاتى وثقل فى أمعائى ..

فاطمة (بعفوية) : ــ آه .. لو كان بقى شىء ..

عمـــــــــر : ــ ما لك سكتٍّ ؟ شىء من ماذا ؟

فاطمـــــــة : ــ لا .. لا .. بطيخة جاءنا بها المزارع من أرضنا بالســـهلة كانت ناضجة حلوة .. لكن الأولاد لم يتركوا شيئا ..

عمـــــــــر : (باســـما) وأنتِ ..؟ هـــل أصبتِ منها شـــيئا ؟ وانت يا عبد الملك ؟

عبــــد المـلك : ــ أصابنا السرور أمي وأنا برؤية الأولاد مسرورين بها ..

عمـــــــــر : ــ وكانت بطيخـــة رائعة ؟

عبـــد المـلك : ــ شيء لا يصدق .. هذه الثمار التي يؤتى بها من السهلة.. قد اخطأت انا حقا فقد اشرت على المزارع أن يترك لنا بطيخة واحدة ضخمة ثم يبيع الباقي .. فان الدار هنا لفي حاجـــة الى امور أهم من البطيخ وسائر الفواكه ..

عمـــــــــر : (يتمتم لنفسه) بطيخة ضخمة من السهلة .. لا بأس .. لا بأس .. اتركاني أذهب وأستريح .. (حركة)

عبـــد المـلك : ــ معافى يا أبي .. انك لم تنم الا غــرارا ليــلة أمس فنم ويحسن حالك ان شاء الله ..

عمـــــــــر : ــ شكر الله لك يا بني .. السلام عليكم

فاطمة وعبدالملك : ــ وعليك السلام ورحمة الله .. (حركة)

عبـــد المـلك : ــ اراك تفكرين يا أماه ! لا تخشى شيئا .. عارض اصاب أبي ويزول .. وليست هذه أول مرة لا سيما بعد أن يطيــل سهر الليــل ..

فاطمـــــــة : ــ صحيح .. صحيح .. لكن ..

عبـــد المـلك : ــ لكن مــاذا ؟

فاطمـــــــة : ــ وقر في نفسي خاطر

عبـــد المـلك : ــ وما ذاك يا أماه ؟

فاطمـــــــة : ــ اخشى أن يعيد أبوك أرض السهلة الى بيت المال فان فعلها فلن يبقى لنا شيء أبدا .. انها آخر أرض بقيت لنا ..

عبـــد المـلك : ــ تبقى لنا رحمة الله يا أماه فهي خير مما يجمع الناس ..

فاطمـــــــة : ــ يسترها الله يا بني ..

المشـــــهد الثاني

عمر بن عبدالعزيز : ــ مالك تتشاغل عن هذا الحديث يا مزاحم ؟

مزاحـــــم : (مولى عمر ومساعده) : اي حديث يا أمير المؤمنين ؟

عمـــــــر : ــ سبحان الله .. أما كنت اكلمك في أمر السهلة

مزاحـــــم : ــ السهلة يا مولاي أرضكم وليس لكم سواها .

عمـــــــر : ــ لست أسائل عن وجود ســواها أو غير ذلك ، وإنمـــا سؤالي الذي يهمني .. أهي أرضنا أم لا ؟

مزاحـــــم : ــ يا أمير المؤمنين .. المستشارُ مؤتمن

عمـــــــر : ــ ومن قال بغير ذلك يا مزاحم ؟

مزاحـــــم : ــ إذاً فأنت تكرّر الحديث والهواجس عن أرض الســـهلة كأنك تريد شيئا وتتردد فيه .. السهلة أرضــكم وحقكم ، وليس لعيال أمير المؤمنين ، وأولاده كثيرون وبناته ســوى هذه القطعة من الأرض يعتاشون منها ، ويأكلون الفاكهـــة كسائر الناس .

عمـــــــر : ــ دع عنك ما يأكلون وما لا يأكلون .. الأرض ليست لنا

مزاحـــــم : ــ لمن هي إذاً ؟

عمـــــــر : ــ سبحان الله .. انها أرض المسلمين ومالهم .

مزاحـــم : ــ لكنك اعدت كل أرض ابيك عبد العزيز الى بيت المال .. فهل لو لم يكن والد أمير المؤمنين واحدا من بنى امية ، الا يُعقل الا يستطيع تخليف قطعة أرض واحدة لأبنائه .. أبى خلّف قطعتين وكان رجلا بسيطا .

عمـــر : ــ صدقت .. لكنك نسيت أن أبى عبد العزيز بن مروان قد أنفق فى ولائمه المعروفة ما يكفى لجعله فقيرا لو تعلّق الأمر بجهوده وحدهـــا ..

مزاحـــم : ــ وما دليلك على ذلك ؟

عمـــر : ــ ما دليلك انت على عكس ذلك .. يا مزاحم الم أوصك بأنك اذا شئت صحبتى فكن مع الحق على دائما .. يا مزاحم ما هذه الدنيا بدار بقاء .. امض الآن فاستخرج لى الصك الذى ملكّ أبى رقبة تلك الأرض .. هيا ..

مزاحـــم : ــ نشدتك الله يا أمير المؤمنين .. فى هـــذه المرة لست معك ، أولادك وبناتك محتاجون وكثيرون فماذا تترك لهم ؟.

عمـــر (باكيا) : ــ الى الله .. الى الله اكلهم .. اكلهم الى الله ..

مزاحـــم : ــ دع لى ما طلبت منى الى غد يا أمير المؤمنين .

عمـــر : ــ وتضمن لى العيش الى غد ؟

مزاحـــم : (يتنهد) لا بأس .. الى غد .. ولكن لا تحـــاول أمرا غير ما طلبته منك .

المشـــهد الثـــالث ..

نقـــر على باب

عبـــد المـــلك : ــ مَن بالباب ؟

مزاحـــم : ــ انا ذا مزاحـــم .

عبـــد المـــلك : ــ أدخل يا مزاحم .

مزاحـــم : ــ الســـلام عليك

عبـــد المـــلك : ــ وعليك السلام ورحمة الله .. ماذا جاء بك يا مزاحم فى هـــذا الوقت ؟

مزاحـــم : ــ أمرٌ أقلقنى من أبيك أمير المؤمنين

عبـــد المـــلك : ــ خيرا ؟!

مزاحـــم : ــ يريد أن يردّ آخر أرض لكم فى السَّهلة الى بيت المال ؟

عبـــد المـــلك : ــ فما قلت له أنت فى ذلك ؟

مزاحـــم : ــ ذكرت له كثرة أولاده وحاجتهم فدمعت عيناه ولكنه مصرٌ .

عبـــد المـــلك : (غاضبا) بئس وزير الدين انت .. دعنى الآن أمض إليه ..

المشـــهد الرابع ..

فاطمة بنت عبد الملك (زوجة عمر) : ــ يا بنى .. أبوك وضع رأسه الســـاعة لينام قليلا فى هذه القائلة .. الا ترحم أباك يا عبد الملك ؟

عبـــد المـــلك : ــ يا أماه ، الأمر لا يحتمل التأجيل .

فاطمـــــــة : ــ لا قوة الا بالله .. ليس لأبيك من ليله ونهاره الا هــذه الساعة يريح بدنه فيها .

عبـــد الملك : ــ أرجوك يا أماه ! أناشدك الله دعيني أذهب اليه ..

عمر (يستيقظ ثم ينادى) : ــ عبد الملك ! ماذا وراءك يا بنى ؟

عبـــد الملك : ــ ها هو استيقظ

فاطمـــــــة : ــ قد أيقظناه بحديثنا

عبـــد الملك : ــ سامحيني يا أماه .. لا بد مما ليس منه بد ..
ــ هيا الآن إليه فقد استيقظ ..
« خطوات عبد الملك » .

عبـــد الملك : ــ السلام عليك يا أبتاه .

عمـــــــر : ــ أهلا بولدى وعليك السلام ورحمة الله .. هاه ! ما لك فى هذا الوقت من عادة للقدوم علىّ ..

عبـــد الملك : ــ أمر من الحق يا أبتاه ، خشيتُ عليك فيه لو أعجلك القدر لا سمح الله فلا تنفذه وأنت حى ، ولقد أعلم أن عمــر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه ، حرص ودماؤه نازفة والقدر يهم به فى كل لحظة ، على أن ينفذ كل أمر يخشى فيه من الله جلّ جلاله الحساب ..

عمـــــــر : ــ أحسنت يا بنى .. انك لتملأ قلبى بحديثك هذا غبطــة وسرورا فأنت جدير بالثناء عليه دون الملامة ..

عبـــد الملك : ــ هذه الأرض فى السَّهلة ، على ماذا عزمت بشأنها ؟

عمـــــــر : ــ أو قد حدثك مزاحم ؟

عبـــد الملك : ــ أجل يا أبتــاه .

عمـــــــر : ــ إنى رادّها إن شاء الله الى بيت المال ..

عبـــد الملك : ــ لا تؤخر ذلك يا أبتاه .. قم الآن ..

عمـــــــر : ــ الآن الآن ان شاء الله ..

« بخشـــوع » : الحمد لله .. الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى .. نعم يا بنى .. أصلى الظهر ثم أصعد المنبر فأردها للمسلمين علانية على رءوس الأشهاد ..

عبـــد الملك : ــ ومن لك أن تعيش الى الظهر .. ثم من لك أن تســلم نيتّك الى الظهر إن عشت .

عمـــــــر : ــ انما أردت أن أرى مدى تصميمك .
أعزك الله وأرضاك وحفظك وصانك
هيا بنا الآن هيــا ..
الآن أردها لأهلها وذويها
والى الله أترككم يا بنىّ الأحبــة
انه مولانا وهو يتولى الصــالحين .

ختـــــام ..

إسماعيل بن القاسم

(أبو العتاهية)

● تجتاز بلادنا العربية اليوم فترة حرجة من تاريخها ، وتلاقى من صنوف العنت ومحاولات تفريق الكلمة واثارة هذا الفريق على ذلك الآخر ، تارة من جانب دول الغرب مجتمعة ومتفرقة ، وتارة أخرى من جانب الدويلة اللقيطة التى حشرت قسرا بين الدول العربية .

فى هذه الفترة التى يجتازها العرب والمسلمون ، نرى من الواجب الملزم، أن يتنبه قادة الفكر وأعلام الرأى فى أرضنا العربية الى الرجوع الى تراثنا الخالد والتعريف به ، ونشره بكل الوسائل المتاحة ، بل وتدريسه بإسهاب ووعى صادق فى جميع المراحل التعليمية والثقافية .

اننا لا نرى ضيرا من التعريف بشكسبير وبايرون وشيللى وبرناردشو وهيجو من أعلام الغرب لطالبى المعرفة والثقافة ، الا اننا نطالب فى ذات الوقت بتعريف أجيالنا الحاضرة والقادمة بأعلامنا العرب السابقين وما حملوه بين جنوبهم من الطاقات الخلاقة ، حتى خلدت آثارهم وما تفتقتعنها قرائحهم طوال أزمان وقرون طويلة .

يلزم مثلا حين يتناول متفرنج أمضى بضعة أعوام فى لندن ليحصل على درجة « الدكتوراه » فى شعر شكسبير أو بايرون أو غيرهما ، يلزم أن يتناول بالبحث والدرس شاعرا عربيا فحلا مثل « امرؤ القيس » أو « عمر بن أبى ربيعة » فنحن العرب أكثر حاجة إلى من يجلو عبقريات أعلامنا ، أكثر من حاجتنا إلى معرفة أعلام الغرب .

فى هذا المقام ، وعلى مائدة الدعوة الكريمة « للوعى الاسلامى » للاحتفاء بتراثنا الاسلامى ، وبحضارتنا الاسلامية الباقية على الزمان ، سنمضى وقتا ، ما أظنه الا شائقا ، مع ضيف عربى وشاعر ...

- بدأ حياته صانع جرار في الكوفة ثم أصبح من أبرع شعراء عصره وجليسا للخلفاء ..
- المتأدبون والأحداث كانوا يفدون اليه لكتابة شعره وأحكامه على ما يتكسر من خزفه ..
- قال عنه حساده ومعاصروه : الخبيث الذي يتناول شعره من كُمِّه.
- حبسه الرشيد لما رفض أن يقول شعرا في الغزل ..
- رفض أن يزوج ابنته لابن الخليفة المهدى وقال : إنما طلبها لأن أباها « أبو العتاهية » ..
- ألف أرجوزة مزدوجة ضمنها أربعة آلاف مثل ..

للأستاذ حسين الطوخى

اصيل مطبوع فى زمن الدولة العباسية ملأ سمع الدنيا بأشعاره العذبة ، وصوره الرائقة ، ومعانيه العميقة ، وستظل قيثارة أنغامه تعزف ما دام فى الدنيا حس يعى وقلب يحسن الإنصات .

انه شاعرنا العبقرى المطبوع : اسماعيل بن القاسم بو سويد بن كيسان الذى غلب عليه لقب « **أبو العتاهية** » .

(ولد فى خلافة هشام)

استقبلته الدنيا ذات يوم من العام العشرين بعد المائة للهجرة فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى لعائلة كادحة تشتغل بصناعة الجرار والخزف بمدينة الكوفة ، وأطلق عليه أبوه اسم « اسماعيل » وتيمن به خيرا وبركة .

ولما شب عن الطوق ، اخذ يتلقى عن ابيه « القاسم بن سويد » صناعة الجرار ويلتقط مع أسرار هذه الصناعة ، أساليب الحديث والمساومة والتجارة والربح الحلال .

ويحس « اسماعيل » ذات يوم انه يطرب لما يقوله الشعراء وما يتناقل على السنة المحدثين والرواة ، ويحس الى جانب ذلك بأوزان الشعر تصطخب فى أعماقه ، ويتهيأ له انه يستطيع أن ينظم شعرا مثلما يقوله هؤلاء الشعراء .

وينفلت « اسماعيل » من متجر ابيه ليحضر مجالس الشعراء فى أسواق الكوفة ، وفى حلقات الدروس التى يعقدها علماء الاسلام فى الدور وفى المساجد وفى القصور .

واسعفته حافظته الواعية ، فاستوعب أغلب ما قيل من الشعر فى الجاهلية وفى صدر الاسلام وفى

من عبقرية العرب

خلافة بنى امية ، ثم اكتشف حقيقة نفسه ذات يوم ، فاذا به ينشد الشعر بسليقته وفطرته ، ثم تنقل الشفاه أشعاره الى محافل الأدب فى الكوفة ، وتصيخ الآذان إلى ذلك اللون الفريد من الشعر والاوزان التى تميزت ببساطة العرض وعمق المحتوى .

(صانع الجرار)

ويموت « القاسم بن سويد » اب الشاعر اليافع ، فلا يجد مهربا من الوقوف فى مصنع الجرار ، فهى حرفة الأسرة التى عليها رزقها وكسبها الضنين . ويقبل « اسماعيل ابن القاسم » على مهنة ابيه ليصنع الجرار وأوانى الخزف ، بينما ذهنه وقلبه يدوران حول المعنى والأوزان والقوافى وما يشهده من احوال الناس ، فيتناثر شعره مع حبات الطين التى يصنع منها الجرار . كانت يداه تعملان ، بينما ذهنه المشحوذ يعمل هو الآخر فيتدفق الشعر على لسانه كخرير الماء فى الجدول الرائق .

وعرفه المتأدبون والأحداث فى الكوفة وسعوا اليه يقرأون عليه اشعارهم ، فيستمع اليهم ويجادلهم ويصدر أحكاما صائبة فيما يقولون ويصوب لهم اشعارهم بينما طين الجرار يتناثر من بين يديه على وجوه المتأدبين وثيابهم وهم فى سعادة غامرة . واذا ما اراد أحدهم أن يكتب شعرا مما يقول أو يثبت له حكما ادبيا ، لم يكن يجد غير ما يتكسر من خزفه ليدون عليه ما يدور فى الحلقة الشائقة . ولقد اراد واحد ممن يأتونه أن يدون قصيدة طويلة فاشترى منه جرة كبيرة تتسع لتسجيل القصيدة الطويلة !

ويحس اسماعيل بالضجر من طول مكثه فى متجره ، فكان يحمل قفصا فوق ظهره فيه فخاره وخزفه ويدور به فى أسواق الكوفة ليبيعه ويحادث الناس ويحادثونه .. وبينما هو فى طوافه يوما ، مر بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره وقال : يا فتيان ، أراكم تذاكرون الشعر ، فأقول شيئا منه لتجيزوه ، فان فعلتم فلكم عشرة دراهم ، وان لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم . فهزئوا منه وسخروا به وقالوا نعم ، فجعل رهنه تحت يد أحدهم وقال : اجيزوا :

ساكنى الأجداث انتم .. ..

وجعل بينه وبينهم وقتا فى ذلك الموضع اذا بلغته الشمس ولم يجيزوا البيت فله منهم عشرة دراهم . ثم انه فارقهم ليطوف بجراره هنا وهناك ، وعاد اليهم فى الموعد المضروب فلم يجد أحدا منهم اجاز البيت فهزأ منهم وقال يتمم البيت بينما يضع الدراهم العشرة فى ثيابه :

ساكنى الأجداث انتم
مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعرى ما صنعتم
أربحتم أم خسرتم

(فى العصر العباسى)

وتمضى الأعوام على « اسماعيل ابن القاسم » وهو بالكوفة يصنع الجرار وأوانى الخزف بينما الشعر يتدفق على لسانه مثلما يتدفق الماء العذب فى مجرى النهر ، ولم تنقض

من عبقرية العرب

أيام الدولة الأموية حتى كانت أشعار اسماعيل وأوزانه تحمل على أجنحة الرياح الى كل بقعة ينطق فيها لسان عربي مبين .

لم يترك معنى من معانى الحياة والموت الا وخاض فيها بصوره الرائقة البسيطة حتى وصفه معاصروه بأنه كان غزير البحر ، لطيف المعانى ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليل التكلف ، وان كان أكثر شعره فى الزهد والأمثال . كما كانت له أوزان طريفة لم يتقدمه فيها الأوائل .

ومع مطلع العصر العباسى الأول ، كانت موهبة اسماعيل الشعرية قد نضجت واستوت فوق عودها تنشر الطيب من حولها فينشق الناس من عرفها الشذى . حتى المغنون والقيان فى مكة والمدينة وبلاد الشام وأرض الجزيرة استهواهم شعره ، وسحرتهم أوزانه البسيطة فصدر عنهم غناء كأنما هو شقشقة الأطيار فوق الأفنان .

وفى خلافة المهدى ، كان يطيب لولده « هارون » أن يضم مجلسه صفوة الشعراء والمحدثين ، ولم يكن أحب الى نفسه من جلوس شاعرنا « اسماعيل بن القاسم » الى جواره ليسمع شعره فى الزهد وفى الأمثال وفى صروف الدهر وتغير الحال .

وبلغ المهدى أن شاعرنا يؤثر هارون على أخيه موسى الهادى فاستدعاه لينشده بعض شعره ثم قال له : انت إنسان متحذلق مُعَتّه .

ولا يخفى على لبيب ان راى المهدى فى الشاعر لم يصدر عنه الا لحنقه عليه . من ذلك اللقاء أطلق الناس على شاعرنا « اسماعيل بن القاسم » لقب « أبو العتاهية » فشهر به الى يومنا هذا .

ثم تولى الخلافة « هارون الرشيد » فسطع نجم « أبى العتاهية » وصار الجليس الأثير اليه فى أوقات سمره وفى حله وترحاله .

على أن « أبا العتاهية » مع اقبال الدنيا عليه بالأموال والهدايا ، كان عف القلب واللسان ، لا يقرب شرابا ولا يتبذل أو يتهتك ، انما كان سلوكه مع مجتمعه سلوكا فاضلا نظيفا ، ولم يكن يحمل حقدا لانسان ، ولا يغتاب أحدا فى مجلس ، ولا يجرى لسانه بغير الحديث الطيب .

وعرف عنه الإباء والاعتزاز بكرامته فى غير صلف ولا خيلاء ، ولقد اشتغل أبوه زمنا بالحجامة فأراد واحد من معاصريه أن يغمز أبا العتاهية فأشار الى مهنة أبيه ، ولم يغضب أبو العتاهية أو يثور فى المجلس بل قال من فوره :

الا انما التقوى هو العز والكرم
وحبك للدنيا هو الفقر والعدم
وليس على عبد تقى نقيصة
اذا صحح التقوى وان حاك أوحجم

واندفع الرجل يعتذر لأبى العتاهية على ملأ من المجلس وسأله واحد : كيف تقول الشعر ؟ قال أبو العتاهية : ما اردته قط الا مثل لى ، فأقول ما اريد واترك ما لا أريد ، ولو شئت ان اجعل كلامى كله شعرا لفعلت . وسأله آخر : ترى هل تعرف العروض يا أبا اسحق ؟ قال أبو العتاهية فى بساطة عجيبة : انا اكبر من العروض يا بنى . .

من عبقرة العرب

(شعره يعرفه العاقل)
(ويقر به الجاهل)

طاب المقام لأبى العتاهية فى بغداد حاضرة العباسيين وعروس الشرق ، وانتقلت اليها شهرته ، وذاع على ألسنة العامة والخاصة شعره المتدفق ، وأصبح حديث المحافل الأدبية أينما انعقدت وتحلق من حولها الأدباء والشعراء والرواة والمحدثون.

فى مجلس مصعب بن عبد الله ، وكان من أئمة نقاد الشعر فى بغداد ، كان الحديث يدور كل يوم حول أبى العتاهية وشعره وأوزانه ، وأحب القوم ذات يوم أن يسمعوا رأى مصعب فى شعر أبى العتاهية فسأله أحمد بن زهير أقرب جلسائه : من تراه أشعر الناس فى زماننا يا مصعب ؟ قال مصعب فى رأى قاطع : أبو العتاهية أشعر الناس فى هذا الزمان . فسأله ابن زهير ثانية : بأى شىء استحق ذلك عندك ؟ قال مصعب : استحق ذلك بقوله :

تعلقت بآمال
طوال اى آمال
وأقبلت على الدنيا
ملحا اى إقبال
أيا هذا تجهز لـ
فراق الأهل والمال
فلا بد من الموت
على حال من الحال

ثم أردف مصعب : هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ويقر به الجاهل .

(فى مجلس الرشيد)

وفى قصر الرشيد ينعقد المجلس الشائق ، مجلس سمر الخليفة فى أمسيات بغداد الرائقة ، ويلتقى الشعراء والمحدثون والمغنون يتطارحون الشعر والروايات ثم يدور الرشيد بعينيه فى الحضور ويلمح أبا العتاهية يحاور أبا نواس فيدعوه الى الاقتراب منه ويقول : ايه يا أبا اسحق ، لم تقل شيئا منذ قدمت مجلسنا . قال أبو العتاهية : أعز الله أمير المؤمنين . ما أرانى أقول شعرا الا أن يأذن مولاى ، فيبتسم الرشيد ويهش فى وجهه ثم يقول : عظنى أبا اسحق . قال أبو العتاهية : أخافك يا أمير المؤمنين . قال الرشيد: انت آمن . فأنشده :

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس
اذا تسترت بالأبواب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة
لكل مدرع منا ومترس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجرى على اليبس

فبكى الرشيد حتى بل كمه .

وهناك فى ركن قصى من المجلس انتحى بعض الرواة يتحدثون ثم جاء ذكر أبى العتاهية فقال أحدهم : سأسمعكم رأيا طريفا فى شعره . التقى مسعود بن بشر المازنى بابن مناذر فى مكة فسأل مسعود ابن مناذر : من أشعر أهل الاسلام ؟ قال ابن مناذر : أشعر أهل الاسلام من السابقين « جرير » ومن المحدثين هذا الخبيث الذى يتناول شعره من كمه فسأله مسعود : ومن هو هذا الخبيث ؟ قال ابن مناذر : انه أبو العتاهية . فضحك القوم حتى سمعهم الرشيد وطلبهم ليسمع منهم ما أضحكهم .

ثم مال الرشيد على أبى العتاهية وسأله أن ينشده شعرا فى الغزل ،

فقال ابو العتاهية : اعفنى يا امير المؤمنين فما عادت نفسى تهفو اليه ، فأعاد عليه الرشيد فأنشد ابو العتاهية فى حضور ابراهيم الموصلى النديم :

اخلاىّ بى شجو وليس بكم شجو
وكل امرىء عن شجو صاحبه خِلو
ومــا من محب نال ممــن يحبــه
هوى صادقا الا سيدخله زهــو
بَليتُ وكــان المــزح بــدء بليتى
فأحببت حقــا والبـلاء له بدو
وعلقتُ من يزهـــو على تجبرا
وانى فى كل الخصـال له كفــو
رأيت الهوى جمر الغضى غير انه
على كل حال عند صاحبـه حلو

طرب الرشيد أيما طرب ونظر الى ابراهيم الموصلى نظرة فهم منها انه يبغى سماع الشعر الرقيق ملحنا ، فقام ابراهيم وغــاب واخــل القصر ليصنع اللحن .

وأحب الرشيد أن يسمع قصــة رفض أبى العتاهية أن يزوج ابنتــه من أخيه منصور بن المهدى فقــال يسأله : اجبنا أبا اسحق صــادقا مصدقا ، كيف جــاز لك أن ترفض زواج ابنتك من أخى منصور وتدعى انها خطبت لابن اخيك ؟ أى عذر لك الا تكون ابنتك زوج أمير عباسى ؟

وهنا تبسم أبو العتاهية ثم قال : اصلح الله أمير المؤمنين وكفــاه شر الأيام وصروف الدهــر . اما وقــد أحببت أن تسمع حقيقة الامر ، فاعلم أعزك الله ، أن الله رزقنى بابنتين سميت احــداهما « لله » وسميت الأخرى « بالله » ثم بعث الى منصور ابن المهــدى يخطب « للــه » فقلت للأمير ، وانا اكذب عليه ، انها خطبت لابن اخى ولا سبيل الى الرجوع فى كلمتى . والحقيقــة يا أمير المؤمنين اننى رفضت زواجها من ابن المهدى وقلت لنفسى : انما طلبها لأنها بنت أبى العتاهية ، وكأنى بها قد ملّها ، فلم يكن لى الى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأزوجها الا بائع خزف وجرار ولكنى اختاره لها موسرا .

واعجب الرد الرشيد وقال : مــا سمعت هذا التعليل والله من احــد الا انت . وجاء ابراهيم الموصــلى واتخــذ مجلسه أمام الرشــيد وقد امسك بعوده ثم انطلق يغنى الأبيات فسكت كل من فى المجلس وجــاءت الجوارى والغلمان من داخل القصر يسمعون اللحن الجديد وهم يهتزون طربا ، وشهدت بغداد ليلة فريدة فى تاريخها امتد الغناء خلالها حتى بانت خيوط الفجر .

(حبس أبى العتاهية)

أحس أبو العتاهية فى تلك الليلة الرائقة أن الرشيد لن يقنع منه بهذه الأبيات الخمسة فى الغزل ، فانقطع عن حضــور سمره ومجلســه أياما متوهما انه سينسى ذلك الشعر ففى شعر غيره فى الغزل غناء له عنه . لكن الرشيد تفقده بعد ذلك ثم بعث اليه بمن يحضره . وجاء أبو العتاهية وسلم على الرشيد ثم احب أن يجلس بعيدا لكن الرشيد أمر بأن يقرب منه مجلسه . ومال الرشيد على الشاعر يسأله : أنشدنا أبا اســحق آخر ما قلت فى الغزل . قال أبو العتاهية : اصــلح الله أمير المؤمنين ، ما قلت والله شيئا منه منذ تلك الليلة . قال الرشيد : وهل يقف لسانك عن أن ينشدنا الساعة ؟ هات ما عنــدك . قال أبو العتاهية : بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين . عزمت الا اقول شيئا فى الغزل ما بقيت لى حياة .

وهنا اشتد الغضب بالرشيد ، فأشار الى خادمه مسرور ، ولما اقبل عليه ، طلب اليه أن يحمل أبا العتاهية الى الحبس على ألا يطلقه ، أو يقول شعرا في الغزل .

وظل أبو العتاهية في الحبس زمنا وكان الرشيد قد رصد على بابه أحد غلمانه ليدون كل ما يقوله من الشعر .

وبعد أيام من حبسه كتب الى الرشيد يستعطفه :

أما والله ان الظلم لؤم
وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضى
وعند الله تجتمع الخصوم
تموت غدا وأنت قرير عين
من الغفلات فى لجج تعوم
تناوم ولم تنم عنك المنايا
تنبَّه للمنية يا نؤوم
سل الأيام عن أمم تقضت
ستخبرك المعالم والرسوم
تروم الخلد فى دار المنايا
وكم رام غيرك ما تروم
الا أيها الملك المرجَّى
عليه نواهض الدنيا تحوم
أقلنى زلة لم اجر منها
الى لوم وما مثلى ملوم
وخلِّصنى تخلُّص يوم بعث
اذا للناس بُرزت الجحيم

فلما قرأ الرشيد الشعر رق له وأمر باطلاقه . ومن طريف ما يروى فى هذا المقام ان أبا العتاهية أحب أن يرضي الرشيد فأنشده فى الغزل :

من لقلب متيم مشتاق
شفَّه شوقه وطول الفراق
طال شوقى الى قعيدة بيتى
ليت شعرى فهل لنا من تلاقى
هى حظى قد اقتصرت عليها
من ذوات العقود والاطواق
جمع الله عاجلا بك شملى
عن قريب وفكنى من وثاقى

فاهتز الرشيد طربا وطلب الى الموصلى أن يغنى الشعر فى تلك الليلة ، ثم سأل مسرورا الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال مسرور : ستين عصا يا أمير المؤمنين . قال الرشيد : هات له ستين الف درهم .

ثم يعكف أبو العتاهية على اتمام ارجوزته الرائعة « ذات الأمثال » التى جاوزت خمسة آلاف بيت تضمنت أربعة آلاف مثل منها :

لكلّ ما يؤذى وان قل ألمْ
ما أطول الليل على من لم ينم
ان الشباب والفراغ والجدة
مَفسدة للمرء أىْ مفسده

ولعل من اشهر أبياته التى جرت مجرى الأمثال :

تعالى الله يا سَلْمُ بن عَمر
اذل الحرص أعناق الرجال

ويموت الرشيد ، ويبكيه أبو العتاهية بالدمع الهاطل ، ويرثيه بأروع ما يرثى به عبد من عباد الله ، وتطعن سنه وينحنى ظهره ، ويعيش سنوات قليلة فى خلافتى الأمين والمأمون ولدى الرشيد ، وتحضره الوفاة فى خلافة المأمون وسنه تسعون عاما فى عام ٢١٣ للهجرة فى بغداد .

وتموت بموت أبى العتاهية شقشقات طائر غريد عاش يغني على أفنان دوحة اسلامية عالية عملاقة . .

وبعد . فلست أدعى اننى وفيت أبا العتاهية حقه ، انما هو جهد المقل ازاء عبقرية عربية حرى بنا أن نلتفت اليها ونحتفى بها وان نتذاكرها فى زهو وفخر .

الفتاوى

في الصيد

نشرنا في العدد ٩٨ من المجلة تحت هذا العنوان سؤالا عن الصائد الذى رمى طائرا ولم يعثر عليه الا ميتا بعد يوم من صيده ، وقد اجبنا على هذا السؤال وتفضل السيد الدكتور احمد الحجى الكردى مدرس الدراسات الاسلامية واللغة العربية في كلية الآداب بجامعة ليبيا في بنغازى بالتعليق الآتى ونحن ننشره ، وان كان في غير موضوع السؤال لانه يتصل بحكم الصيد عموما ، وفيما يلى هـذا التعليق ..

قرات في العدد /٩٨/ من مجلة الوعى الاسلامى الصادر في غرة شهر صفر لعام ١٣٩٣ هـ في حقل الفتاوى فتوى تقدم بطلبها السيد محمد الموسى من الشارقة حول شروط حل الصيد ، حيث كان الجواب أن الصيد يكون حلالا بشروط ثلاثة ، ثم ذكر الاستاذ المفتى هذه الشروط بتفصيل مع ادلتها من السنة الشريفة .

وانا اوافق الاستاذ المفتى على هذه الشروط ، الا انني اشير الى أن لهذا الحل شروطا اخرى هامة لا بد من توافرها في الصيد ، والا اعتبر ميتة حراما . واهم هذه الشروط :

١ ــ الا يدركه الصائد حيا ، فان ادركه حيا فلا بد من ذبحه اختياريا على الطريقة الشرعية ، والا أعتبر ميتة . فان ادركه حيا ثم مات قبل أن يتمكن من ذبحه دون تقصير منه اكل واعتبر كأنه لم يدركه حيا ، فاذا تراخى في تتبعه حتى مات لم يؤكل للتقصير . وهذا الشرط هام جدا في نظرى لما نراه اليوم من تساهل الصيادين في ذبح صيدهم على الرغم من ادراكهم اياه وهو حي ظنا منهم بان الصيد قام مقام الذبح مطلقا .

ودليل ذلك ان الحيوان لا يؤكل في الاصل الا بالذكاة الشرعية الاختيارية لقوله تعـالى « الا ما ذكيتم » ، ولكن استثنى منه الصـيد بعد ذلك ضرورة ، والقاعدة الشرعية تقول (الضرورات تقدر بقدرها) ولا ضرورة لا كله بدون ذبح مع التمكن منه بعد الصيد ..

وهذا الشرط متفق عليه لدى جماهير الفقهاء .

٢ ــ ان يكون الصيد باداة حادة ــ اى محددة تقتل بحدها لا بثقلها ــ كالسيف والرمح والسهم وما جرى مجراها ، أو بحيوان جارح معلم ، اما البندق والعصا وغيرهما مما يقتل بثقله لا بحده فلا يحل به الصيد ما لم يدركه الصائد حيا ويذكيه الذكاة الشرعية الاختيارية . وكذلك الحيوان غير الجارح وغير المعلم فانه لا يحل ما صاده ، لقول الله تعالى « وما علمتم من الجوارح مكلبين » ..

والى هذا ذهب جمهور العلماء ، لم يخالف فى ذلك — فيما أعلم — الا بعض المالكية حيث قاسوا البندق الذى يخرق بقوة حذفه على ما يقتل بحده ، وعلى ذلك أباحوا الصيد بالبنادق التى تستعمل فى الصيد فى هذه الايام ، وذلك خلافا لجماهير الفقهاء ..

والدليل فى نظرى مع الجمهور حيث استدلوا بأدلة وافية من السنة الشريفة بعضها كامن فيما قدمه الاستاذ المفتى من السنة النبوية فى اجابته المنوه عنها حيث ذكر النبى — صلى الله عليه وسلم — فى جميعها (السهم) وهو آلة محددة كما هو معروف .

ومنها قول النبى — صلى الله عليه وسلم — وقد سئل عن الصيد بالمراض (ما اصبت بعرضه فلا تأكل فهو وقيذ ، وما أصبت بحده فكل) والمراض هــو السهم الذى لا ريش له .

وقد أفتى العلامة الحنفى قاضيخان بذلك فقال (لا يحل صيد البندقة والحجر والمعراض والعصا ، وما اشبه ذلك وان جرح لانه لا يخرق — اى بنفسه — الا أن يكون شىء من ذلك قد حدده وطوله كالسهم وأمكن أن يرمى به ، فان كان كذلك وخرقه بحده حل اكله) .

وكذلك سيدى خليل العلامة المالكى فانه أفتى بذلك أيضا ونص عليه فى متنه فقال (بسلاح محدد ، وحيوان علم) .

٣ — أن يرى الصائد على الحيوان جرحا ظاهرا ، فان لم يكن بالحيوان جرح ظاهرا لم يؤكل . نص على ذلك العلامة قاضيخان فقال (فأما الجرح الذى يدق فى الباطن ولا يخرق فى الظاهر لا يحل لأنه لا يحصل به إنهار الدم) .

هذا ومن العلماء من يشترط خروج الدم من الجرح فعلا ، ومنهم من يكتفى بالجرح فقط دون تعديل على ما سواه وهم الاكثرون .

٤ — التسمية عند اطلاق السهم ، او الحيوان المعلم ، لقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه » فانه يعم الصيد وغيره . فاذا ترك التسمية ساهيا حل الصيد عند الحنفية والجمهور ، لحديث النبى — صلى الله عليه وسلم — (رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) فاذا تركها عامدا حرمت عند الحنفية للآية المتقدمة وحلت عند الشافعية لقول النبى — صلى الله عليه وسلم — (المسلم يذبح على اسم الله سم او لم يسم ولأدلة أخرى مبسوطة فى كتبهم .. والله تعالى أعــلم ..

المــراجع :

١) الزيلعى على الكنــز ٥٣/٦ — ٥٩ ..
٢) متن خليل والشرح الكبير وحاشية الدسوقى عليه ١٠٢/٢ — ١٠٦ ..
٣) مغنى المحتاج ٢٧١/٤ — ٢٧٤ ..
٤) حاشية ابن عابدين على الدر المختار ٤٦٧/٥ .
٥) المغــرب مادة (عرض) ..
٦) مختار الصحاح مادة (عرض) .

بريد الوعي الإسلامي

اعـــداد : عبد الحميد رياض

المفسرون من الصحابة

نقرأ أن بعض الصحابة كانوا مشتغلين بالتفسير كابن عباس فهل كان هناك غير هؤلاء مع القاء الضوء على المفسرين المكثرين منهم ؟ .

عز الدين الحضرمي ــ الصومال

إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أكثر الناس التصـــاقا برسول الله ، وقد شاهدوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معانى الكتاب ، ولهم بجانب ذلك صفاء نفوسهم ، وسلامة فطرتهم وعلو كعبهم فى الفصاحة والبيان ، قال الحاكم فى المستدرك : « ان تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع ».

وكان من أعلامهم فى التفسير . ابن عباس فهو ترجمان القرآن قال ابن عباس قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم ترجمان القرآن أنت » ففى عصره اشتدت حاجة الناس الى الأخذ عنه بعد تأخر الزمان به ، ثم لانقطاعه وتفرغه للنشر والدعوة والتعليم ، فلم تشغله خلافة ولم تأخذ عليه وقته رعـــاية شئون الرعيـــة .

وعبد الله بن مســـعود فقد كانت صلته برســـول الله خير مثقف ومؤدب ومعلم ، وهو من أعلم الصحابة بكتاب الله ومعرفة محكمه ومتشابهه وحـــلاله وحرامه ، أخرج ابن جرير عنه أنه قال « والله الذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته » .

وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان من أعـــلام الصحابة فقد كان من المكثرين لأنه عاش فى زمن كثرت فيه حاجة الناس الى من يفسر القرآن إذ قد اتسعت رقعة الاسلام ودخل الناس فى دين الله أفواجا من كل جنس حتى كادت تذوب بسبب هـــذا الخليط من الناس خصائص العربيـــة وهى لغة القرآن ، وصاحب ذلك نشأة جيل من أبناء الصحابة ، وقد كانوا أشد ما يكونون حاجة الى علم الصحابة ، ومما دل على عظيم علمه بالتفسير رواية معمر بن وهب بن عبد الله بن أبى الطفيل قا ل: « شهدت عليا رضى الله عنه يخطب ويقول : سلونى فوالله لا تسالونى عن شىء إلا اخبرتكم وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أفى سهل أم فى جبل » .

وأبى بن كعب الأنصارى وقد كان أقرا الصحابة للقـــرآن ومن المكثرين فى التفسير المبرزين فيه .

وقد اشتهر غير هؤلاء الأربعة كثير من الصحابة رضوان الله عليهم منهم الخلفاء الراشدون الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت وأبـــو مـــوسى الأشعرى وعبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأبو هريرة وابن عمر وجابر وعمرو ابن العاص وعائشة أم المؤمنين لكنهم كانوا دون الأربعة السابقين .

جـــزر الكويت

ما هي الجزر التي تتبع دولة الكويت ؟ وما أسماؤها ؟

سعيد الكامل ــ مالي

يتبع الكويت عدة جزر ، وأكبر جزيرة ((بوبيان)) وطولها نحو ٢٤ ميــلا وعرضها نحو ١٢ ميلا وهي غير مسكونة ، وتقع في أقصى الشمال الغربي من الخليج العــربي .

والي الشمال من ((بوبيان)) توجد جزيرة ((وربة)) في مدخل جون الكويت وطولها ٧ أميال وعرضها ٤ أميال .

وجزيرة فيلكا وهي جزيرة قديمة آهلة بالسكان ، وتبعد من الكوت نحو ١٥ ميلا وطولها نحو ثمانية أميال شرقا وغربا ، وعرضها نحو ثلاثة أميال ، وتوجد بها آثار قديمة ترجع الى سنة ٢٥٠٠ ق م كما عثر فيها على آثار يونانية ترجع الى عهد الاسكندر الأكبر .

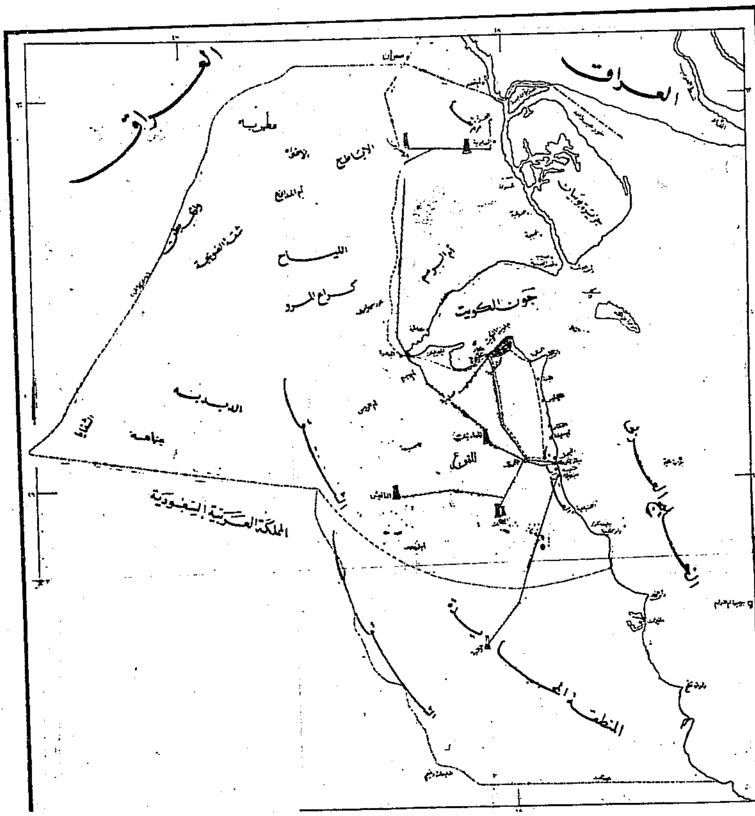
وبجوارهــا جزيرة ((مســكان)) وطــولها ميل إلا ربعا ، وعرضها نحو نصف ميل .

وجزيرة ((عوهة)) وطولها غربا وشرقا نصف ميل ، وعرضها نحو ثلث ميل.

ويقابل الساحل الجنوبي جزر صغيرة غير مأهولة وهي (كبر) و (قاروة) و (أم المرادم) .

وفي داخل الجون أكثر من جزيرة صغيرة ، فبقرب ساحل الشويخ جــزيرة

وهذه خريطة تبين مواقع هذه الجزر .



بأقلام القراء

من الإسرائيليات
مدينة الذهب والفضة

ذكر المفسرون — القرطبي ، والخازن ، والنسفي ، والفخر الرازي ، وأبو السعود ، والخطيب الشربيني ، وغيرهم — عند قوله تعالى في سورة الفجر : « إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد » : — أن شداد بن عاد لما سمع بذكر الجنة قال : ابني مثلها ، فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة ، وكان عمره تسعمائة سنة ، وفي بعض هذه الكتب أنه اتخذ مائة قهرمان مع كل واحد ألف عون ، وجعل حولها سورا ، وحول السور ألف قصر ، وعند كل قصر ألف علم ، وفي كل قصر وزير ...

وكانت مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة ، وأساطينها من الزبرجد والياقوت ، وأشجارها من الذهب والفضة ، وثمارها اليواقيت والجواهر ، ولما تم بناؤها سار اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم .

ومن نقل صفة هذه المدينة من غير المفسرين الأبشيهي صاحب كتاب المستطرف من كل فن مستظرف ٢/١٤٠ ط ١٣٤٥ هـ ١٩٣٥ م . وأنا أنقل بعض آراء العلماء النقاد في مدينة الذهب والفضة مما صادفته في مطالعاتي ... ياقوت صاحب معجمي البلدان والأدباء المتوفى سنة ٦٢٦ هـ.

« قلت هذه القصة مما قدمنا البراءة من صحتها ، وظننا أنها من أخبار القصاص المنمقة وأوضاعها المزوقة » . بلدان ياقوت ١/٢٠٠ مادة إرم .

ابن كثير المفسر والمؤرخ المشهور المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

قال في التفسير مبديا رأيه في هذه المدينة بعد أن ذكر صفتها المتقدمة ، وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، أو بغير ذلك من البلاد ، فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك القول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك ...

وعقب أيضا على ما ورد من أن عبد الله بن قلابة خرج في إبل له في زمان معاوية فاطلع على مدينة قريبة الشبه بهذه المدينة الذهبية فرجع وأخبر الناس فذهبوا الى المكان فلم يروا شيئا ...

فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح الى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد أن ذلك حقيقة في الخارج ، وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ... تفسير ابن كثير في أي طبعة عند ذكر هذه الآية : —

وقال في الجزء الأول من التاريخ الذي طبع مستقلا تحت عنوان قصص الأنبياء : « ومن زعم أن إرم مدينة من ذهب وفضة وهي تنتقل في البلاد فقد غلط وأخطأ وقال ما لا دليل عليه . قصص الأنبياء ١/١٣١ ط ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

ابن خلدون صاحب التاريخ والمقدمة المتوفى سنة ٨٠٨ هـ : زعموا أن هذه المدينة موجودة في صحاري عدن في اليمن قد توغل فيها الأدلاء من كل جانب فلم ينقل عن واحد منهم أنه عثر عليها ، ويدعون أن العثور عليها من نصيب السحرة ، وينزه كتاب الله عن القصص الموضوعة التي هي أقرب الى الكذب المضحك ، والمعنى أنهم أهل بناء وأساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم .. مقدمة ابن خلدون ص ١٨ ..

الألوسى صاحب التفسير المتوفى ١٢٧٠ هـ .

قال : « وخبر شداد أخوه فى الضعف (إشارة الى خبر عبد الله بن قلابة) بل لم تصح روايته كما ذكره الحافظ بن حجر فهو موضوع كخبر ابن قلابة »

تفسير الألوسى الجزء الأخير سورة الفجر ـ الم تر كيف فعل ربك بعاد ـ محمد عبده المصلح المشهور المتوفى ١٩٠٥ م .

وقد يروى المفسرون هنا حكايات فى تصوير إرم ذات العماد ، كان يجب أن ينزه عنها كتاب الله فاذا وقع إليك شىء من كتبهم ونظرت فى هذا الموضع فتخط ببصرك ما تجده فى وصف إرم ، وإياك أن تنظر فيه .

تفسير جزء عم ، محمد عبده ، سورة الفجر ، الآية المذكورة ..

أما بعـد ... فهذه آراء العلمـاء المنكرة لمدينـة الذهب والفضة والمصرحة بأنها اختلاق ومن الإسرائيليات جمعتها فى صعيد واحد ، والغريب أن بشرا يستطيع أن ينافس صنعة الله فيبنى مدينـة على مثال الجنة ، كيف يصدق هـذا الكلام ، وأنا أضم رأيى لهؤلاء الذين نزهوا كتـاب الله عن أساطير القصاصين ومفتريات الوضاعين ، وإفك الخراصين ، وينبغى أن يكون هناك فيصـل يعـرفه الخاصـة والعـامة ، فلا يشاب الحق ببعض الباطل ، ولا يختلط الصـدق ببعض الأساطير ..

عبد الرحمن أحمد شادى

من هـــدى النبـوة)

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنـه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه » متفق عليه .

هذا حديث شريف صحيح فيه الخبر من النبى صلى الله عليه وسلم عن المؤمنين أنهم على هـذا الوصف . ويتضمن الحث على مراعاة هذا الأصل وأن يكونوا اخوانا متراحمين متحـابين متعاطفين يحب كل منهم للآخر ما يحب لنفسه وأن عليهم مراعـاة المصالح الكلية الجامعة لمصالحهم كلهم وأن يكونوا على هذا الوصف .

فان البنيان المجموع من أساسات وحيطان محيطة كلية وحيطـان تحيط بالمنازل المختصـة وما تتضمنه من سقوف وأبواب ومصالح ومنافع كل نوع من ذلك لا يقوم بمفرده حتى ينضم بعضها الى بعض .

كذلك المسلمون يجب أن يكونوا كذلك فيراعوا قيام دينهم وشرائعه وما يقوم ذلك ويقويه ويزيل موانعه وعوارضـه فالفروض العينية : يقوم بها كـل مكلف لا يسع مكلفا قادرا تركها أو الاخلال بها وفروض الكفايات : يجعل فى كل فرض منها من يقوم به من المسـلمين بحيث تحصل بهم الكفاية ويتم بهم المقصود المطلوب .

فالمسلمون قصدهم ومطلوبهم واحد وهو قيام مصالح دينهم ودنياهم التى لا يتم الدين إلا بها وكل طائفة تسعى فى تحقيق مهمتها بحسب ما يناسبها ويناسب الوقت والحال ولا يتم لهم ذلك الا بعقـد المشاورات والبحث عن المصالح وبأى وسيلة تدرك وكيفية الطرق الى سلوكها واعانة كل طائفة للأخرى فى رأيها وقولهـا وفعلها فمنهم طائفـة تتعلم وطائفة تعلم ومنهم طائفـة تخرج الى الجهاد وبعد تعلمها لفنون الحرب ومنهم طائفة تحافظ على الحدود ومسالك الأعداء ومنهم طائفـة تشتغل بالصناعات المناسبة لزمانهم ومنهم طائفة تشتغل بالزراعـة والتجارة والمكاسب المتنوعـة والسعى فى الأسباب الاقتصـادية ومنهم طائفـة تشتغل بدرس السياسة وأمور الحرب والسـلم وما ينبغى عمله مع الأعداء مما يعود الى مصلحة الاسلام والمسلمين .

وبالجملة يسعون كلهم لتحقيق مصالح دينهم ودنياهم متساعدين متساندين يرون الغاية واحدة وان تباينت الطرق والمقصود واحد وان تعددت الوسائل اليه .

عبد الله بن عبد الرحمن السند

قالت صحف العالم

الرســـالة والرسول

عندما تاتى ذكرى مولد النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، يستعيد العالم بها ذكرى جهاد لا مثيل له ، انتقل بالعرب من امة متباغضة متحاسدة ، من قبائل متناثرة فى الصحراء الى امة موحدة متعاطفة متعاونة ، تحمل الى العالم رسالة غيرته من حال الى حال ، وبعثت فى أوصاله الحركة والحياة وأشعت عليه نور العدالة وأقرت بين شعوبه مبدأ المساواة بين الناس .. وسرت الدعوة الجديدة من الجزيرة العربية الى خارجها ، فهزت العروش والامبراطوريات ، وبلغت شاطىء المحيط .

وقد تساءل الكثير من الكتاب والمفكرين الغربيين عن هذا السر او السحر الذى جعل من نفر قليل غزاة أقوياء تدين لهم الارض وتنفتح لهم القــــلوب ، واجمعوا على أنه الايمان بالرسالة الجديدة . ولا ايمان من غير صدق ولا صدق من غير معرفة ، وقد أطلق الاسلام العقول من اسار الخرافات والأساطير ، وكرم الانسان وقدس حريته فى الفكر والرأى وحضه على جهاد النفس وتخليصها من الشهوات والنزوات ورسم له الحياة فى أبهى صورها من المحبة والتعاطف ، وقدم الاسلام فى تاريخه الطويل نماذج من الرجال عدلا وحكمة وشــــجاعة وايثارا ، وقدم دولا أشاعت الطمانينة وآمنت بالحرية وكفت عن المظالم ، وأقامت حضارة نشرت العلوم والمعارف وأضاءت ، حيثما وجدت ، خير ما فى النفس الانسانية من عزم وصبر وكفاح .

كان محمد يتيما فقيرا واصطفاه ربه لحمل الرسالة فتحمل فى ســـبيلها العنت والارهاق واستطاع بقوة الايمان أن يبلغ بها ما اراده لها ربها من الذيوع والانتشار . ولما حضرته الوفاة ترك الدنيا وهو لا يملك منها قليلا أو كثيرا ، فلم يكن طامعا فى ملك ولا سلطان ، بل ظل حتى آخر حياته يقول لانصاره وأتباعه والمؤمنين ما أنا الا بشر يوحى اليه . ولم يدع لنفسه قدرة خارقة ولا امتيازا ولم ينسب اليه انه أتى بمعجزة .. كانت رسالته دعوة الى العقل والتدبر والنظر الى الآفاق .

وفى تاريخ الاسلام بعد محمد ، ظل تقديس العقل هو الأساس ، وظلت الحرية هى ملاك التقدم والامتياز . وظلت المصــــالحة بين الدين والدنيا هى العقيدة الثابتة .. يأخذ المسلم من الدنيا ما يشاء فى حدود الحلال المباح ، ويعطى ربه حقه من العبادة والخشوع والايمان ، وهذا التوازن الواضح فى العقيدة الاسلامية هو الذى طوع لها أن تسود فترة من الزمان ، وفقدان هذا التوازن هو الذى اصابها فى فترة أخرى بالانكماش والاضمحلال فخير ما يفعله المسلمون تحية لمولد نبيهم الكريم أن يعيدوا هذا التوازن ويحتفظوا به .

(عن صحيفة أخبار اليوم القاهرية)

الاسلام .. والواقع العربى المعاصر

الاســـــلام كون شاسع الأطراف بكل ما تعنى هذه الكلمة من مدلول فى العمق والسماكة والطول ، فهو نظام حياة يتناول ســـــلوك الفرد والجماعة

وعلاقاتهم بالحياة والاشياء . وقد استطاع هذا الدين أن يفجر فى اوســـــاط الجماعة الاسلامية التى التزمت ودانت به طاقات هائلة أثرت البشرية بشتى القيم الحضارية كما رفدها باسباب القوة والمنعة من التاثيرات الخــــارجية ما دامت ملتزمة بتعاليمه متجاوبة مع قيمه ومعانيه . والأدلة على ذلك كثيرة ومتوفرة ، فى كل زمان ومكان ، ويكفى أن نشير هنا الى تغلب الاسلام بامكاناته المادية والبشرية التى لا تقاس اطلاقا بامكانات الحضارتين الفارسية والرومية وانتصاره على دولتى الفرس والروم مجتمعتين ، واستطاع أن يمتد بجهاته على جهات الدنيا الاربع ويحقق نجاحا متفوقا فى كل الميادين التى خاض غمارها .

وظلت ظاهرة الانتصار والغلبة تواكب تاريخ هذه العقيدة على اختلاف الاوساط والميادين وظل سبب النصر مربوطا بمدى الالتزام به .

ورغم الانحسار السياسى الذى منيت به الشعوب الاســـــلامية نتيجة انسلاخها عن أخلاق الاسلام وتعاليمه فان الاسلام كفكر وحضـــــارة ودين ظل شامخا متعاليا فوق كل ما أفرزته البشرية من أفكار .. ؟!

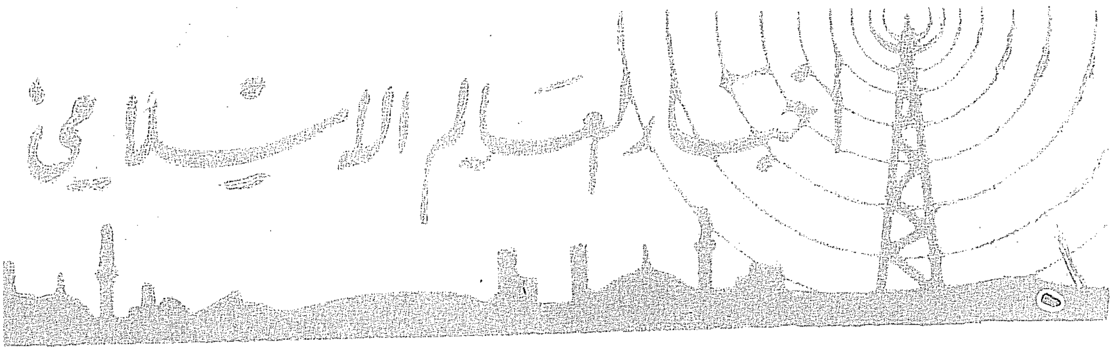
وظل الفكر الانسانى كله كالوليد الذى يتعثر أمام الرجل الراشد المستكمل لقواه العقلية والجسدية ، ازاء الاسلام .

ومن هنا نستطيع أن نفسر التناقضات المختلفة التى تعانى منها البشرية ، والمقالب والثغرات التى أحدثت رتوقا كبيرة فى مســـيرة البشرية المجـــافية لأمر الله .

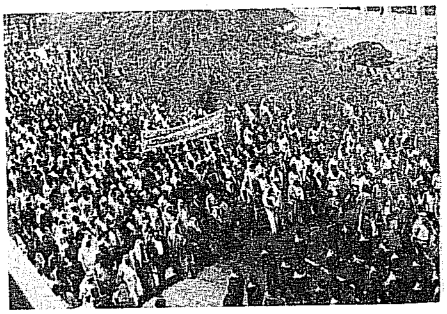
لقد حصلت كل الهزائم فى تاريخنا السياسى فى الوقت الذى كان الاسلام معزولا عن الحياة ، فقد تعرض الوطن العربى لهجمات المغول بعد أن مهد لهذا الغزو فلسفات الزنادقة وحركات الشعوبية ، فولج التتار طريقا معبدا ، ولكن الضربة الموجعة التى أسفرت عن احتلال بغداد فجرت فى المسلمين كنوز عقيدتهم فعادوا اليها عودة الضائع الى أهله وحماه ، وحصلت بعودتهم الى دينهم المعجزة وتحقق النصر وعم الاسلام الوطن العربى من جديد بعد أن كاد المغول أن يغيروا ملامحه ، وقد جاءت الحروب الصليبية على فترة من الفساد والانحلال العقيدى والاجتماعى فى المجتمع الاسلامى نتيجة لعودة الافكار المادية وشيوع المبادىء الفكرية ممثلة بحركات اخوان الصفا على الصعيد الفكرى وحركات القرامطة والحشاشين على الصعيد السياسى . وكذلك أعاد التاريخ نفسه وتعرض الوطن العربى الى غاز جديد ممثلا بموجات الحروب الصليبية التى استطاعت أن تقيم الدول والامارات فى أرجاء الوطن العربى ، واخذت تعمل بجد على تغيير معالم المجتمع المسلم .

ولكن المعجزة عادت من جديد فشـــــعر الناس بضرورة العودة الى دينهم وادركوا الخسارة التى منوا بها بسبب انعزال الاســـــلام عن حياتهم وبدأت المحاولة من جديد ، وقد استطاع المجتمع الاسلامى نتيجة لادراكه أسباب هزيمته ان يصحو على واقعه ويعود الى أسباب قوته وعوامل نهضته ، وقد أفرزت هذه العودة الكريمة القيادة القوية الحكيمة التى استطاعت أن توحد معظم أقطـــار الوطن العربى رغم كثرة الدول والامارات واختلاف المذاهب والاتجاهات ، وكان صلاح الدين الأيوبى هو فارس تلك الرحلة والنموذج الانســــــانى الرفيع الذى صاغته تعاليم الاسلام ومبادئه وقيمه ، فاعاد للأمة وحدتها ورد لها كرامتهــــا وحرر أجزاءها المغتصبة وبعث الشخصية الاسلامية المتميزة باخلاقها ، وكان الفارس الذى ما زالت أوروبا تحترمه وتقدر عبقريته ومزاياه رغم أنه عدوها وقاهرها والذى اجلاها عن الديار المقدسة .

وهكذا ظلت أوضاع الوطن العربى بين تقدم وانحلال بالمقدار الذى تلتزم به بالاسلام أو تجافيه وما زالت هذه المعادلة هى البديهية التى يؤكدها واقع



اعـــداد : فهمى الإمـــام



الـكويت : نظم مكتب منظمة التحرير الفلسطينية وحركة التحرير الوطنى الفلسطينى فتح ، والمنظمات الفدائية والاتحادات الشعبية الفلسطينية والكويتية فى دولة الكويت جنازة رمزية تحية لشهداء العاشر من نيسان (ابريل) ضحية الغدر الصهيونى ، وقد مثل دولة الكويت فى الجنـــازة وزيـــر الأوقاف والشئون الاسلامية .

واشترك فيها المستشار الخاص لصاحب السمو الأمير المعظم ، وعدد من السادة أعضاء مجـلس الأمة ، ورؤساء البعثات الدبلوماسية العربية ،وكبار ضباط وزارة الداخلية وأعضاء اللجنــة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الموجودين فىالكويت ، وآلاف من المواطنين والفلسطينين وأبنــاء الدول العربية المقيمين فى الكويت ، وطـــلابوطالبات المدارس المتوسطة والثانوية .



● ألقى وزير الأوقاف والشئون الاسلامية كلمة فى جموع المصلين بمسجد فهـد السالم بعد أن أدوا صلاة الغائب على أرواح شهداء المقاومة الفلسطينية .

● أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلاميــة احتفالها السنوى المعتاد بذكرى المولـد النبوى الشريف فى مسجد السوق الكبير ، وقد افتتح الحفل كما اختتم بتلاوة من آيات الذكـر الحكيم وتتابع الخطباء بكلمات مناسبة ، وشهد الحفـل جمهور كبير من المسلمين .

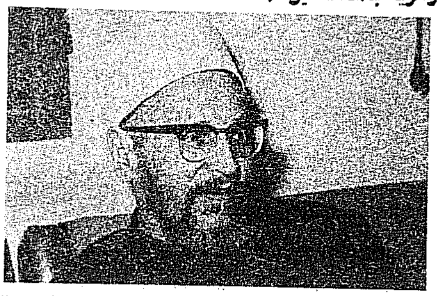


● زار البلاد وفد مغربى برئاسة الأمير عبد الله شقيق الملك الحسن .

● بدأت وزارة التربية بالتعاون مع وزارة الدفاع تنفيذ برامج الفتوة العسكرية فى المدارس الثانوية والجامعة .

القـــاهرة : تقرر افتتاح ثلاث كليات أزهريــة جديدة فى بداية العام الدراسى القادم واحــدة للشريعة وأخرى للقانون فى طنطا والزقازيــق

والثالثة لاصول الدين بطنطا .. وانشاء ١٢ معهدا ازهريا بالمحافظتين .



● عين فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخا الازهر ، وقد حصل فضيلته على العالمية سنة ١٩٣٢ م ثم درس الفلسفة فى جامعة باريس ، وحصل منها على الماجستير والدكتوراه ، وتدرج فى مناصب الأزهر حتى أصبح وكيلا له سنة ١٩٧٠ ثم عين وزيرا للأوقاف وشئون الازهر ، كما شغل من قبل منصب الأمين العام لمجمع البحـــــوث الاسلامية .

● عين فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزيرالازهر ، وقد تقلد فضيلته عدة مناصب أزهرية وكان وكيلا للازهر .

● صرح فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى الوزيرالجديد لشئون الأزهر بأن أول مشروع ينفذه سيكون حفظ القــرآن الكريم كله ونشره بين الجماهيــروجعله شرطا للترقية الى وظائف عمداء المعاهــد والمفتشين فى الأزهر والاوقاف ومأذونى الشرع ،واعتبار مكاتب تحفيظ القرآن الكريم فى المدن والقرى فى حكم المدارس الابتدائية لايخضــعتلاميذها لقانون الالزام ، وتخفيف الازدواج فــى مناهج التعليم الابتدائى الازهرى لافساح المجــال لحفظ القــرآن .

● تنظم ادارة الوعظ بالازهر قوافل للتوعيــةالدينية بمحافظتي اسيوط والمنيا ، وستعقد الندوات للحديث عن الجهاد والصمود والوحــدة الوطنيةومؤامرات اليهود عبر التاريخ ودور الشباب فــى المعركة وصور من البطولات الاسلامية .

● صدر الجزء الرابع من معجم الفاظ القرآنالكريم الذى أعده مجمع اللغة العربية .

يصدر قريبا عن المجلس الأعلى لشئون الاسلاميةالجزء الثانى من كتــاب ((الغريبين)) لابى عبيد الهروى .

السعــودية : سافر وفد سعودى الى كل منتونس والجزائر يحمل المؤن والادوية والخيــام والمساعدات المالية للمتضررين بالفيضانات الخطيرةالتى حدثت هناك .

● قدمت المملكة العربية السعودية مبلغ ١٠ ملايين جنيه استرلينى لدعم الجيش السورى .

فلسطين المحتلة : بلغ عدد المهاجرين السوفييت ٣٢ ألف مهاجر ، وهم يسهمون فى التقدم العلمى والفنى للعدو الاسرائيلى .

● فى أعقاب الحملة الاسرائيلية الأخيرة علىلبنان ، واستيلاء اسرائيل على بعض الوثائق الفدائية تشن السلطات الاسرائيلية حملة اعتقالاتواسعة النطاق داخل الأراضى العربية المحتلة .

سوريا : وصلت طلائع القوات المغربية التىأمر الملك الحسن الثانى بارسالها الى سوريــا للمرابطة على جبهة الجولان — الى دمشق خلال الأيام القليلة الماضية .

لبنــان : قام الكوماندوز الاسرائيلى بعد منتصفليلة الاثنين ٧٣/٤/٩ بهجوم مزدوج تناول الاول نسف عدة مكاتب فدائية فى بيروت وقتل وجرححوالى ٥٥ شخصا بينهم ثلاثــة من قــادة فتــح والاخر فى صيــدا .

ليبيـــا : أنهى المؤتمر الاسلامى الرابع لوزراء الخارجية اجتماعاته بليبيا ، واتخــذ القرارات الايجابية ، وأرسال وفد خماسى الى الفلبينلبحث أوضاع المسلمين هناك ..

وانتخب المؤتمر الأستاذ حسن التهامى أميناعاما للمؤتمر الاسلامى خلفا لتنكو عبد الرحمن .

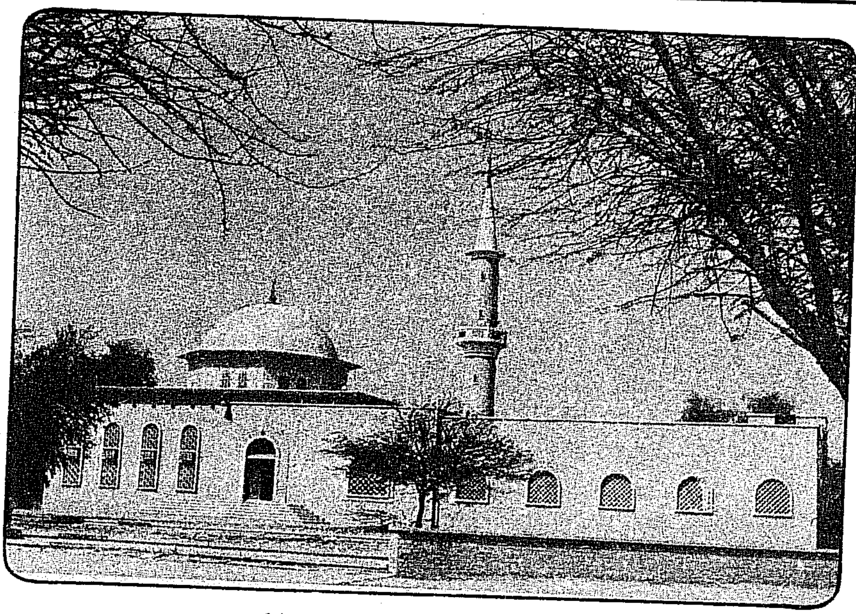
وفى خطاب ألقاه الرئيس معمر القذافى بمناسبة المولد النبوى الشريف دعا الى تطبيق الفكر الــذى نادى به الرسول صلى الله عليه وسلم ومواجهــةكل فكر مخالف .

المغرب : يجب الا نتكلم فى منازلنا وفيما بيننا حيثماكنا باللغة الاجنبية عن لغتنا ، والا نراسل بعضنا ولا نقبل أى مراسلة الا بالعربية لغة ديننا — من البيان الذى أصدره حزب الاستقلال المغربى ودعا فيه الى تعريب المغرب .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	ربيع ثان ١٣٩٣ هـ	مايو ١٩٧٣ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الخميس	١	٣	٣ ٢٧	٥ ٥	١١ ٤٥	٣ ٢٠	٦ ٢٤	٧ ٤٩	٩ ٣	١٠ ٤١	٥ ٢١	٨ ٥٦	١ ٢٥
الجمعة	٢	٤	٢٦	٥	٤٥	٢٠	٢٥	٥٠	٢	٤٠	٢٠	٥٥	٢٥
السبت	٣	٥	٢٥	٤	٤٥	٢٠	٢٥	٥١	٠٠	٣٩	٢٠	٥٤	٢٥
الأحد	٤	٦	٢٤	٣	٤٥	٢٠	٢٦	٥٢	٨ ٥٨	٣٧	١٩	٥٣	٢٦
الاثنين	٥	٧	٢٣	٢	٤٥	٢٠	٢٧	٥٣	٥٦	٣٥	١٨	٥٣	٢٦
الثلاثاء	٦	٨	٢٢	١	٤٤	٢٠	٢٧	٥٣	٥٥	٣٤	١٧	٥٢	٢٦
الاربعاء	٧	٩	٢١	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٤	٥٤	٣٣	١٧	٥٢	٢٦
الخميس	٨	١٠	٢٠	٠٠	٤٤	١٩	٢٨	٥٥	٥٢	٣٢	١٦	٥١	٢٦
الجمعة	٩	١١	١٩	٤ ٥٩	٤٤	١٩	٢٩	٥٦	٥٠	٣٠	١٥	٥٠	٢٧
السبت	١٠	١٢	١٩	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٧	٤٩	٢٩	١٥	٤٩	٢٧
الأحد	١١	١٣	١٨	٥٨	٤٤	١٩	٣٠	٥٨	٤٨	٢٨	١٤	٤٩	٢٧
الاثنين	١٢	١٤	١٧	٥٧	٤٤	١٩	٣١	٥٩	٤٦	٢٦	١٣	٤٨	٢٨
الثلاثاء	١٣	١٥	١٦	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٨ ٠٠	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الاربعاء	١٤	١٦	١٥	٥٦	٤٤	١٩	٣٢	٠٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٧	٢٨
الخميس	١٥	١٧	١٤	٥٥	٤٤	١٩	٣٣	١	٤١	٢٢	١١	٤٦	٢٨
الجمعة	١٦	١٨	١٣	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٢	٣٩	٢١	١١	٤٦	٢٩
السبت	١٧	١٩	١٢	٥٤	٤٤	١٩	٣٤	٣	٣٨	٢٠	١٠	٤٥	٢٩
الأحد	١٨	٢٠	١١	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٤	٣٧	١٩	١٠	٤٤	٢٩
الاثنين	١٩	٢١	١٠	٥٣	٤٤	١٩	٣٥	٥	٣٥	١٨	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٠	٢٢	١٠	٥٢	٤٤	١٩	٣٦	٦	٣٣	١٦	٨	٤٣	٣٠
الاربعاء	٢١	٢٣	٩	٥٢	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣٢	١٥	٨	٤٣	٣٠
الخميس	٢٢	٢٤	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٧	٧	٣١	١٤	٧	٤٢	٣٠
الجمعة	٢٣	٢٥	٨	٥١	٤٤	١٩	٣٨	٨	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
السبت	٢٤	٢٦	٧	٥٠	٤٤	١٩	٣٨	٨	٢٩	١٢	٦	٤١	٣٠
الأحد	٢٥	٢٧	٧	٥٠	٤٥	١٩	٣٩	٩	٢٨	١١	٦	٤٠	٣٠
الاثنين	٢٦	٢٨	٦	٥٠	٤٥	٢٠	٤٠	١٠	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	٢٧	٢٩	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤٠	١١	٢٥	٩	٥	٣٩	٣١
الاربعاء	٢٨	٣٠	٥	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٢	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الخميس	٢٩	٣١	٤	٤٩	٤٥	٢٠	٤١	١٣	٢٣	٧	٤	٣٨	٣١
الجمعة	٣٠	يونيو	٤	٤٨	٤٥	٢٠	٤٢	١٤	٢٢	٦	٣	٣٨	٣٢

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مسجد سيدنا عثمان بن عفان

اسمـــه : عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف القرشى الأموى .

مولـــده : ولـــد بمكـــة ..

اسلامـــه : اسلم بعد البعثة بقليل ، وتزوج بنتى النبى صلى الله عليه وسلم : رقية ، ثم أم كلثوم ، ولقب لذلك بـــذى النورين ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة .

خلافتـــه : آلت اليه الخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ ..

فتوحاتـــه : افتتحت فى عهده ارمينية والقوقاز وخراسان وكـــرمان وسجستان وأفريقية وقبرص ، وفى عهده تم جمع القرآن الكريم وكتابته برسمه المتداول والمعروف بالرسم العثمانى وهو أول من زاد فى المسجد الحرام ومسجد الرسول .

وفاتـــه : حوصر فى داره اربعين يوما ، وتسور عليـــه بعضهم الجدار فقتلوه وهو يقرأ القرآن فى شهر ذى الحجة عام ٣٥ هـ ودفن فى البقيع ومدة خلافته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وأيام .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العــراق : بغداد : وزارة الأعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـرين : المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .

قطـــر : الدوحــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـويت : مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد